9me Année No. 392

Lundi - 6 - 1 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٩٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ ذو الحجة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٦ يناير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
١ الرسالة فى عامها التاسع ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٣ هو عيد الميلاد ولكن أى ميلاد : الدكتور زكى مبارك ... ...
٧ أومن بالانسان ! ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٩ الأزهر وبعثاته العلمية ... : الدكتور محمد البهى ... ...
١١ باريس الصغيرة ... ... : الأستاذ أحمد فتحى مرسى
١٤ إنسان وحيد فى العيد ... ... : الأستاذ « محمود » ... ...
١٦ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
١٨ العقد الفريد ... ... : الأستاذ محمد سعيد العريان ...
٢٠ العروق ... ... [قصيدة] : الأستاذ محمود الخفيف ...
٢١ إلى الرسالة الغراء فى عامها التاسع ... } الأديب إبراهيم محمد نجا ...
٢٢ متى ينضج الأدب ... ... إلى الأستاذ سباعى بيومى ... } الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٣ بحث لا تجريح ... ... : الأديب عبد الرحمن أيوب ...
٢٤ جائزة بابا نوبل ... ... : الأستاذ عبد اللطيف النشار
٢٤ من أيام الصبا ... [قصة] : الأستاذ محمود البدوى ...

الرسالة
فى عامها التاسع

تدخل (الرسالة) فى عامها التاسع والموكب البشرى لا يزال منقطع السبيل ، ترجف جموعه الجرارة على هوة من هُوَى العدم لا يدرك نهايتها الطرف ، ولا ينير غَيابتها الأمل ، ولا يهتف فى جنباتها الموحشة إلا زبانية الردى وأبالسة الشر ! وكان الظن بالعقل الذى عبّد الجبال وذلل الرياح وسخر الأبحر أن يمهد للناس طريق الحياة فلا يضلوا هذا الضلال ، ولا يهلكوا هذا الهُلك ؛ ولكن الله الذى خلق العقل كان يعلم أنه مهما تقدم وتعلم لا بد مفتقر إلى وحيه وهديه . وماذا يصنع العقل المحدود المدى والطاقة إذا شغبت به الأهواء وتمردت عليه الغرائز ؟

لم يدخل العالم مع الزمن فى مرحلة جديدة من عمره الطويل ، ولكنما سار الزمان ووقف الإنسان ؛ وقف أمام عقبة كأداء من الكفر بالدين كله وبالحق كله ، تقاطرت على صخورها الصم دماؤه ، وتناثرت على ثناياها الحداد أشلاؤه ، والفلك السائر يرقب على مدار العام بنى آدم وقد هاج بهم الضلال فتراشقوا بما فى أيديهم وخزائنهم من طيبات الرزق وثمرات الحضارة وبُلَغ الحياة ؛ ولا يعلم غير الله متى تُجتاز الهوة الغامضة

وتُذلل العقبة الكؤود ، فإن منطق الناس لا تنفى أقيسته ما دامت الأمور تجرى على الهوى ، وتقوم على الباطل ، وتعتمد على القوة !

أجل تدخل (الرسالة) فى عامها الصحفى التاسع ، ولكنها فى عمرها الطبيعى ظلت كما ظل العالم كله واقفة على حدود العام الماضى لا تجد قسطها من النمو والبدانة ، لأن الحرب التي ضربت بكل شر وأضرت بكل شيء ، كانت أقسى ما تكون على الصحافة : قطعت عنها الوارد من الورق حتى بلغ ثمنه اثنى عشر ضعفاً ، فنقصت فى الكيف والكم ، بقدر ما زادت فى النفقة والهم ؛ وقطعت عليها السبيل إلى الأقطار الأخرى بصعوبة النقل وشدة المراقبة وعسر المعاملة ، فتعذر وصولها إلى البلاد المحاربة ، وقل انتشارها فى الأقطار البعيدة ؛ وشُغل الناس بأخبار الحرب وأفكارها وأوزارها وأطوارها عن النظر فى الأدب اللباب والفن الخالص ، فلم يقرأوا إلا ما يتصل من قريب أو بعيد بهذه القيامة القائمة . ولم يكن للرسالة مناص من أن تتأثر بما تأثرت به الصحف الكبرى فى الأمم العظمى ، فنقصت حجمها بعض النقص ، واقتصدت فى زينتها بعض الاقتصاد ؛ ولكنها واءمت بين الأدب والواقع فجعلت من الأقلام المرهفة أسلحة مشروعة فى هذه الحرب ، تهاجم الطغيان ، وتدافع الجور ، وتؤيد الحق ، وترسم الطريق ، وتهتف بالبطولة ، وتذود عن الخلق ، وتمهِّد للسلام ، وتبحث فى المستقبل ؛ حتى تهيأ لمجموعتها الثامنة من أدب الحرب فى أبواب المقالة والشعر والقصص ما لم يتهيأ مثله للأدب العربى كله فى سابق عصوره

على أننا والحمد لله لا نخشى على (الرسالة) شر الحرب ، فإن هذه الحرب المشئوم أبطلت كل قوة وعطلت كل عدة ما عدا قوة الإيمان وعدة الصبر . وفى انجلترا الصابرة واليونان المؤمنة المثل والقدوة . وما دامت (الرسالة) مؤمنة بآرائها ، مطمئنة إلى قرائها ، فستلوذ بالصبر حتى تنسلى هذه الهموم وتنجلى تلك الكرَب . والشجرة كلما مكَّن الزمن لأصولها فى بطن الأرض ضمنت لنفسها الغذاء والرى ، فهى فى الظاهر تخضع لقوانين الطبيعة : تزوى فى الصيف ، وتعرى فى الخريف ، وتقشعر فى الشتاء ، ثم تورق فى الربيع ؛ ولكنها فى الباطن تزخر بالحياة المكنونة فى غصونها القائمة وجذورها النائمة

* * *

لقد كانت لنا فى مفتتح كل عام من أعوام الرسالة شكوى من ركود الأدب وكساد الصحافة وسطوة الأمية ؛ ولكن هذه الشكوى أصبحت اليوم فى جانب ما يشكو منه الناس ضرباً من الدلال والعبث . ليس فى العالم شعب ولا مذهب ولا خُلق ولا نظام ولا عمل إلا وهو الآن فى موضع الشكوى من انقلاب الوضع فيه واستشراء الفساد به . وما شبوب هذه الحرب إلا نُفضة هذه الحمى الاجتماعية التى غيرت معانى الخير فى فهم الإنسان وذوقه وعقله وضميره ؛ فهو يلتمس السلامة والسلم من وراء هذه الحرب فى دين يكمّل نقصه فى الإدراك ، ويقيد طموحه للشهوة ، وينظم علائقه بالجماعة ، وينطوى على قوة ذاتية تضمن له البقاء والنقاء والنماء والتجدد ، فلا يهن على الأحداث ولا يبلى على الزمن . والرسالة تعرف هذا الدين بالعقل وتدعو إليه بالحكمة ؛ فهى فى جهادها الأدبى على ضوء هذه العقيدة منار للطريق القاصد ومنهج للاصلاح الحكيم

إنا نعتقد مخلصين أن العروبة إذا اتحدت كانت بقوميتها أساساً لنهضة الشرق ، وأن الشرق إذا نهض كان بطبيعته أضمن للسلام من الغرب ، وأن الإسلام إذا تجدد كان بسياسته أصلح لإقرار العدل من كل نظام ، وأن الأزهر إذا أُصلح كان بثقافته أهدى إلى تربيتنا من أية جامعة

تلك عقيدتنا جعلناها دعوة الرسالة من يوم أصدرنا الرسالة . والحمد لله قد أبلغناها على الحق وأمضيناها على الصدق فلم نزيّن المحال ولم نموّه الباطل . وسيرى قراء الرسالة أنها ، من غير أن تقطع وعداً أو تجدد عهداً ، تسير فى سبيلها الواضحة بقدم ثابتة وخطى متزنة ، فلا تعسف لتضل ولا تسرع لتكلّ ولا تجازف لتنقطع . وإذا كان للرسالة ما تشكره وتُزهى به فتلك معونة الله التى وقتها تمليق الشهوات الحاكمة ، وتحقيق الرغبات المريبة . ولَيزيدَنّ الله من يشكره ، ولينصرنّ الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز !

احمد حسن الزيات

هو عيد الميلاد
ولكن أى ميلاد ؟!
للدكتور زكى مبارك

كان من حظ المسيحية أن يمتد مكانها فى التاريخ ، لتكثر فرص الشعر والخيال حول ميلاد المسيح ، عليه السلام ، حتى جاز لفريق من المؤرخين أن يرتابوا فى شخصية المسيح ، كما ارتابوا فى شخصية سقراط (؟!)

والارتياب فى وجود تلك الشخصية النبوية لا يضر ذلك النبى فى كثير أو قليل ، ولكنه يؤدى إلى غاية لم يفطن لها أولئك المرتابون ، وتلك الغاية هى التحقق من ظمأ الإنسانية إلى نور يطل من علياء السماء . نور جميل جذاب يبدد ما فى الضمائر من ظلمات الجحود

ولنفرض جدلاً أن الرأى ما رأى أولئك المؤرخون ، وأن الإنسانية هى التى ابتدعت ذلك الميلاد ، فكيف اختارت هذا الوقت من السنة وهو طليعة الشتاء ؟

إن الذى اشتغل بالفلاحة يدرك أن الأرض فى هذا الوقت تختلج بقوة وعنف ، وتتهيأ لثمرات العام المقبل بلذة وشوق ، وهى فى « الظاهر » غافية ، ولكنها فى « الباطن » جذوة من اليقظة العارمة والإحساس الفوّار

فى هذا الوقت تنظر الأرض إلى البذور وهى تقول : هل من مزيد ؟

فى هذا الوقت تستيقظ الأشجار التى جردها الخريف من الأوراق ، ولو شرّحت تلك الأشجار لظهرت عناصر « البزور » وهى الأثداء التى يرضع من رحيقها الورق الجديد

فى هذا الوقت تُلقى بذرة فتنجح وتلقَى بذرة فتخيب ، لأن الأرض فى هذا الوقت تحيا حياة عَصَبية ، والحياة العصبية لا تعرف التدليل ، فهى لا تقبل من البذور إلا ما يقوى على دفع عوادى البرد والجليد ، ولن يكون الأمر كذلك بعد ثلاثة أسابيع من تاريخ الميلاد ، فحينئذ ترق الأرض وتلطُف فتحضن البذور الضعيفة بترفق واستبقاء

فهل فهمنا الآن كيف اختارت الإنسانية هذا الوقت لتاريخ الميلاد ، على فرض أنه تاريخ مصنوع ، وعلى فرض أن البحث من حيث هو بحث يسمح بالنظر فى الفروض ، بدون اعتداء على مقام المسيح ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات ؟!

أما بعد فقد كان لى مع هذا التاريخ تواريخ

كنت أحمل باقات الأزهار وطرائف الهدايا إلى مآلف القلوب والأرواح يوم كان لى قلبٌ وروح ، قبل أن تدور الدنيا من حولى بإفكها المرجف وبغيها الآثم ، وقبل أن أعرف أن شجرة الحب كشجرة الميلاد فيها أوراق صناعية لا تحسّ ما يحيط بها من أضواء وألوان ، ولا تقدر على نقل القلب من مكان إلى مكان

وما أقسى الصحوة من غفوة العقل ! وما أشقى العقلاء !

لو كانت الدنيا أرادت ما أريد فأطالت فى غوايتى لعرفتُها أكثر مما عرفتُ ، لأن الحب المفتون يتغلغل إلى السرائر ، وإن اتُّهم بالغفلة والحمق ، ولأن العاشق الجاهل قد يرى المحاسن قبل أن يرى العيوب ، والتثقيف الصحيح هو الذى يروضك على النظر فى المحاسن قبل النظر فى العيوب ، ولو قوبتْ جوارحنا حق القوة لأنِسنا بجميع الوجوه وجميع الأشياء ، ولكننا مع الأسف نتلقى دروس الحياة عن المملولين والضعفاء ، والتلميذ صورة الأستاذ فى أكثر الأحايين

كانت لى غاية من الهُتاف بالحب ، والهُيام بالجمال ، فما هى تلك الغاية ؟

كنت أرجو الطب للنفوس العليلة التى لا تستريح إلا إلى شكوى الزمان

كنت أسمو إلى خلق البشاشة والأريحية فى صدر هذا الجيل

كنت أحارب النزعة الأثيمة التى تقتل الأرواح والقلوب باسم الوقار والعقل

هل سمعتم بقصة الشيخ خليل ؟

هو رجلٌ من علماء المالكية كان يفتخر بأنه لم يخرج من الأزهر مرةً واحدة ليرى النيل ، ولهذا الشيخ أحفاد وأسباط فى العقلية ، وأولئك الأحفاد والأسباط هم السُّوس الذى ينهش عظام الأخلاق — إن صحت هذه العبارة المجازية — فأخطرُ الآفات أن تَصدرُ النصيحة عن رجلٍ خَمَدَ فعَقل ، لأن الناس يَسِمونه بالعقل ولا يَسِمونه بالجمود ، وكذلك يتلقون عنه درس الموت وهم يتوهمون أنه يدعوهم إلى مزاحمة الأحياء

إلى متى الصبر على هذا الفهم السقيم لمعنى الأخلاق ؟ ومتى ندرك أن الخُلُق من صور الحركة ، وليس من صور الركود ؟

الخُلق جارحة من الجوارح ، وما سمّيت الجوارح جوارح إلا لقدرتها على السيطرة والامتلاك ، فالعين التي لا تجرح ليست عيناً طبيعية ، وإنما هي عين صناعية ، إلى آخر القول في وظائف الأعضاء ، أو منافع الأعضاء ، كما كان يعبّر الأقدمون

ولكن من الذي يسمح بعد هذا الكلام دعوة إلى الخُلق الصحيح ؟

وكيف يعيش المتوقرون والمتزمتون إذا استمع الناس لمن يقول بأن الابتسام للحياة من شواهد « العافية الأخلاقية » ؟

إن الشرق مبتلى بالانحراف في فهم الأخلاق ، فهي عنده سلب لا إيجاب ، وهو يفكر فيما يترك قبل أن يفكر فيما يصنع ، والنواهي والزواجر هي عنده الهدف الأول حين يتسامى إلى الاتسام بكرائم الخلال

فما أصل هذا الإنحراف في فهم الأخلاق ؟

لعل هذا الإنحراف يرجع إلى المعلمين ، وكان التعليم مهنة مقصورة على الرهبان وأمثال الرهبان . فالخُلق في أذهانهم هو انحسار واحتجاز وانقباض ، ومن هنا يؤخذ المعلم بقيود لا يؤخذ بها غيره من طبقات المجتمع ، لأن الرهبانية مفروضة عليه وإن لم يخطر في باله أنه مشدود إلى حظيرة الرهبانية . هو يحمل أعباء ميراث ثقيل من التبعات والتكاليف ، ميراث يرجع إلى العهد السحيق يوم كان الناس يتوهمون أن كلمة الخير لا يجيء إلا من مصدر مجهول ، ويوم كان « سدنة الهياكل » ينتفعون بهذه الغفلة العقلية فيتحدثون من وراء حجاب باسم السماء ، وما تكلمت السماء ، وإنما تكلم ناس مبرقعون خُلقوا من الوحل لا من الطين ! وبفضل تلك العقلية أنكر قوم أن تكون النبوة من حظ رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وهي عقلية باقية إلى اليوم ، وإن زعم « ناس » أنهم سلموا من دائها الوبيل

لقد كثر المؤلفون في الأخلاق ، فماذا صنعوا ؟ هل غيّروا ما بنفس الأمة من الفهم المتحرف لمعنى الحياة ؟ هل راضوها على التخلق بأخلاق العصر ، ولكل عصر أخلاق ؟ هل استجابوا لدعوة العزة الروحية والعقلية فخلقوا الشوق إلى مسايرة ما في الآفاق العالية من الصيال بين الأرواح ، والصراع بين العقول ؟

علم الأخلاق يُدرس منذ أعوام طوال في معاهدنا العالية ، فأين محصول تلك الدروس ؟

كل ما وقع هو التلخيص لمشكلات أحسها بعض الأخلاقيين في الغرب ، والأخلاق إحساس لا تلخيص ، وفي الشرق مشكلات غير تلك المشكلات ، لأن له أمراضاً غير تلك الأمراض ؛ ومن أمراض الشرق أن تجوز فيه الأستاذية الأخلاقية لناس لم يتمرسوا بمعضلات الوجود

تلك خواطر ساقها ما وقعتُ فيه ليلة عيد الميلاد ، فقد أخلفت موعداً لا يخلفه الرجل إلا وهو مكروب ، وهو موعد يذكر بأخوة له من قبل ، يوم كنت مشبوب الصبوة في مناجح باريس ، عليها أطيب التحية وأجزل الثناء !

وبماذا اعتذرت ؟ قلت إني أحبر مقالاً لإحدى المجلات ، وهل يصعب الاختراع على من يعايش أبناء هذا الزمان ؟ !

ومضيت وحدي أجوب الظلمات بعد إخلاف ذلك الميعاد ، فراعني أن أجد في قلبي فراغاً عميقاً مخيفاً يذكر بالفراغ المنصوص عليه في بعض الأحاديث ، ففي الآثار أن الجاني قد يهوى في قاع جهنم سبعين خريفاً ، وكان قلبي كذلك ، فلو هويتُ في أعماقه سبعين سنة لما وصلت إلى قرار مكين . وكيف وقد أعفيته من ثورة الوجد في ليلة عيد الميلاد ، فلم يُحس إلا وهو فضاء في فضاء ، وتلك حال القلب « الخالي » من الأهل ، والوجد أهل ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

ورجعت إلى داري بعد لحظات ، وكان في نيتي أن أطوّف بأرجاء القاهرة إلى نصف الليل ، رجعت سليم القلب من الأسواء ولا يسلم القلب من الأسواء إلا وهو عليل ، فالقلب كالطفل ، لا يُقبل على اللعب إلا في أوقات العافية ، وإن جهل ذلك « علماء » الأخلاق

وأردت أن أطب لقلبي فذكرته بما مرّ في العام الماضي من مكاره وعقابيل ، ودعوته إلى النظر في قصة الصديق الذي كنت أشرب على ذكراه أكواب الدمع ، وهو اليوم لا يذكرني حين يعاقر أكواب الصفاء . وذكرتُ قلبي بإحساني إليه حين جعلت له ماضياً في الصداقة والحب ، فذلك الماضي هو الأحجار التي بنينا بها وجودنا الصحيح ، وجود القلب الخافق والروح المعطوف ، وهو الشاهد على أن حياتنا لم تخلُ من نوازع وأهواء ، وأن لنا تاريخاً في مقاورة الحقائق ومقارعة الأباطيل

فهل وقع هذا المنطق من قلبي موقع القبول ؟

إنه لم يُنكر أنس الرجل بماضيه في الصداقة والحب ، وإن زلزلت الأرض زلزالها فغيرت جميع المعالم من ذلك التاريخ

ولكنه أنكر الاكتفاء بثروة الماضي ، وإن امتلأ بنمير الذكريات العِذاب ، فما كانت الذكريات إلا ومضة البرق لعين الساري الحيران ، وهي ومضة تزيغ عينيه ولا تهديه ، وهي أيضاً تزيد حقده على ظلم الوجود

وعمدت إلى القلم أثير به معركة أدبية ، فقد كنت أعرف أن قلبي يكتحل بغبار المعارك التي يثيرها قلمي ، فما نفع ذلك بشيء ، وصاح القلب : « هذه ليلة الميلاد ، فأين الميلاد ؟ ! »

أين الميلاد ؟ وكيف ؟

هل يجب أن أولد في هذه الليلة كما ولد المسيح ؟ وهل أولد في كل سنة مرة ، وما ولد المسيح إلا مرة ؟ !

فأجاب القلب في حزمٍ عنيف : يجب أن تولد من جديد في كل لحظة ، لأن المُقام على حالٍ واحد يُفسد مياه الأنهار ، فكيف تراه يصنع بأفكار الرجال !

— ولكن ليلة الميلاد قد ضاعت عليّ وعليك ، يا قلبي !

— إن ضاعت ليلة الميلاد فقد بقي يوم الميلاد

وفي الصباح هتف الهاتف — وهو التليفون كما كان يسميه أهل لُبنان — والهاتف روح لطيفة كانت بيني وبينها أشياء ، وقد قدِمتْ من بلدٍ بعيد لتراني يوم الميلاد ، فهتفتُ :

يا قلب يومي ويومك عيد ! !

وخرجنا معاً ، أنا وقلبي ، لاستقبال تلك الروح ، وقد وُلد الهوى من جديد ، الهوى الذي ظلمناه باسم الوقار والعقل ، وطال الحديث وطاب حول ما كنا عليه ، وما صرنا إليه ، ومن شرب من عيون تلك الظبية ما شربتُ لا يقول إنه رآها في يوم الميلاد ، وإنما يقول إنه رآها في أبد الخلود !

وعادت تلك الظبية إلى ضلالها القديم فأمرتني أن أكتب ما يجيش في صدري وأنا في حضرتها السامية ، وهو امتحان أؤديه كلما التقينا ، وحياتي كلها امتحانات ! فامتشقتُ القلم وكتبت :

« باسم الله الذي أقسم بالقلم وما يسطرون أسجل هذه الكلمات : عُنِيتْ الحكومة المصرية كما عُنِيتْ سائر الحكومات بتدبير معاشات الموظفين ، بحيث يجد الموظف ما يقتات به بعد بلوغ الستين ، ولكن الحكومة نسيت أو تناست أن في الأمة رجالاً لهم خدمات صوادق وليسوا موظفين فليس لهم معاش ، وهم الرجال الذين انقطعوا للصحافة والتأليف ؛ فالأستاذ فلان خدم الصحافة نحو عشرين سنة ثم هدّه التعب ، فهو اليوم يعاني البطالة والمرض بلا عائل ولا معين . والأستاذ فلان أخرج طائفة من المؤلفات الجياد ، وكان يعيش عيش الفقراء من تلك المؤلفات ، وهو اليوم لا يقدر على التأليف ، فهو في فقر مُدقع ولا يسأل عنه أحدٌ من أصحابه القدماء . وفلان كانت له سابقة في الابتكارات الأدبية ، وهو اليوم مُعْوز لا يجد القوت الطفيف . وفلان قضى شبابه وكهولته في التدريس بالمدارس الحرة ثم قصمه المرض فخرج بلا معاش وله أطفال يصرخون من الجوع في كل صباح وفي كل مساء »

وعند هذه الكلمة شرقتُ بدموعي ، وكاد صوتي يرتفع بالنحيب ، فصاحت الظبية :

— تبكي وأنا معك ؟ هل نقصٌ ما كان بيني وبينك ؟ ويلي عليك وويلي منك ! !

— نعم ، يا شقية ، هي قصة حبي ، فدعيني أدوّن كل شيء !

ثم مضيت فكتبت

« والدولة التي تنفق ما تنفق على مختلف الشؤون لا تذكر أن في مصر كتاباً وشعراء وباحثين أعجزهم المرض عن السعي في سبيل القوت ، ولهؤلاء آثار ظاهرة أو خفية في نهضة الأمة وقد يكون لهم تلاميذ — ولو بالفكر — من بين كبار الوزراء فما الذي يمنع من أن تفكر الدولة في حماية هؤلاء من قسوة الاحتياج »

ثم سكتُّ ، فقالت الروح : هل وصلتَ في مكايدتي إلى ما تريد ؟

فقلت : ستعلمين بعد لحظات ! ثم كتبت :

« قد يقال إن الدولة لا تستطيع معاونة أهل الأدب بصفة رسمية ، لأن الأدب ليس له رسوم ولا حدود ، وهو مباح الحُرُمات يدعيه من يشاء ! وأجيب بأن الدولة تستطيع أن تجعل الفصل في هذه القضية من اختصاص مدير الجامعة أو وزير المعارف ومن المفهوم أن هاتين الجهتين لهما دراية صحيحة بأقدار الأدباء والباحثين ، وأنا أرضى بأن ترصد الدولة مئتي جنيه فقط في كل شهر لعشرين رجلاً من هؤلاء ، فإن استجابت الدولة لدعائي فقد

ترفع عن كاهلى عبئاً ثقيلاً جداً ، هو عبء التفكير فى أديب كانت له جولات موفقة فى ميدان البيان ، وإن كان من ألدّ خصومى »

وغلبنى الحزن فبكيت ، فقالت الروح : يظهر أننى دلّلتك أكثر مما يجب ، فعدت أسرع من الأطفال إلى البكاء !

فاستمهلتها لحظة وكتبت :

« والدولة مع ذلك ... »

ثم فكرت قليلاً وكتبت .

« والدولة التى تترك بعض الأدباء يموتون من الجوع هى الدولة التى تمنّ علينا بأنها أنشأت وزارة للشؤون الاجتماعية ! »

ثم ؟؟ ثم أحسست يداً تصدنى عما أكتب بقسوة وعنف ، فعرفت ، أنى فى حضرة تلك الروح ، وأن المقام لا يسمح بمثل هذا الكلام الحزين

— ماذا قلت فىّ ؟

— قلتُ إنك غبية وحمقاء !

— أنت وحدك النبىّ ، وأنت وحدك الأحمق !

— هذه كلمة حق ، لأنى قضيت عشرين سنة فى خدمة أمة لا تعرف أن القلم له حقوق

— وما شأن القلم فيما بينى وبينك ؟

— القلم هو الذى يجرنى أحياناً إلى محاورة الحمقى لأدرس الغرائز والطباع !

— Ça suffit ! Ça suffit !

— ليكن ما تريدين ، أيتها الروح ، فإشارتك أمرٌ يطاع أما بعد ، وسيطول شقائى بأما بعد !

أما بعد فقد حدثنى الشاعر حافظ ابراهيم مرات كثيرة أنه كان يتمنى الاتصال بقصر جلالة الملك ليكون سفيراً بين القصر الرفيع والأدب الرفيع

وقد مات حافظ قبل أن يظفر بتحقيق تلك الغاية ، ولم نسمع أن رجلاً فكّر فيما فكّر فيه حافظ ، ولم يصل إلينا من قُرب أو من بُعد أن ناساً يسرّهم أن يكون للأدب حظ من الرعاية والتشريف بقصر المُلك ، مع أننا فى عصر فاروق بن فؤاد بن اسماعيل

لقد شق قلمى فى الدعوة إلى أن يكون للأدباء مكان فى الحياة الرسمية ، لأنهم عنوان الحياة وزينة الوجود ، ولأن آثارهم هى الباقيات الصالحات فوق جبين التاريخ .

***

ثم انتهى الُحلم ، حُلم اليقظة فى يوم الميلاد ، ورجعت تلك الروح إلى بلدها البعيد ، وبقيتُ حيث كنت أعانى بلاء الهجر وعناء الصدود

أيها البلد الذى لا أسميه تخوفاً من الرقباء !

فيك أيها البلد الجميل روحٌ لطيفة يصلنى برها من وقت إلى وقت ، فيك روح لا تحتفل بعيد الهِجرة ولا عيد الميلاد ، ولكنها تذكرنى فى عيد الهجرة وعيد الميلاد ، لأنها تشعر باحتياجى إلى البِر فى مواسم الأرواح والقلوب

أيتها الروح ، أنا مشتاق إلى مصدر الوحى ، فمتى تعودين ؟

أنا فى دنياى غريب ، أيتها الروح ، وأنت البَلسم الشافى لوحشة الغريب

هو عيد الميلاد ، ولكن أى ميلاد ؟ هو ميلاد الحب الصادق ، فتلك أول مرة مسحتِ فيها دموعى بأناملك اللطاف ، يا حجتى الباقية على أن الهوى إلهٌ معبود .

زكى مبارك

٢ـ أومنُ بالانسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الطبيعة تنتظر — عالم جديد من الفكر والحديد — حيوانات ووحوش حديثة — قدرة الفكر — الثقة بالانسان — كنوز مدخرة — حياة مريضة

كل شيء في الطبيعة يبدو عليه أنه ينتظر غاية الحياة الإنسانية ... ويبدو على الإنسان كذلك أنه ينتظر غاية مجهولة في حياته على الأرض ...

كل شيء ينتظر بلوغ الإنسان إلى غايته ، كما ينتظر كبار البيت بلوغ طفل عزيز ...

وكل شيء في البيت مسخر للطفل : يضحك له إذا ضحك ، ويألم إذا تألم ، وتعرض أمامه دواب البيت وحيوانه ودواجنه ولعبه وهكذا الطبيعة أراها تنتظر صابرة غير متململة أن يسير هذا الطفل الإلهي ويهتدي إلى الطريق المقصودة المرصودة ... وهو لا يزال يتعثر ويذهب ذات اليمين وذات الشمال ويرتد وينتكس ويرتبك ويحترب ويخلد إلى تراب الطريق يعبث فيه في ذهول وغفلة ، لا يعرف كيف يمد بصره إلى حدود الأفق البعيد الذي يناديه : أنظر إليّ دائماً ، واضرب بيديك ورجليك في العقبات والسدود حتى تصل

وكان لعبثه وتلبثه عذر فيما مضى أيام كان يدور على نفسه وسط المبهمات والألغاز ، وأيام كانت طريق حياته بهماء معتمة تائهة جهالات وتحيط بها أهوال ... كل ما فيها غامض مغلق ، سواء أكان جامداً أم حياً أم صامتاً أم ناطقاً أم ساكتاً ... فهو لا يرحم سائلاً ولا يجيبه ...

كهوف وأغوار ورياح مجهولة المهابّ ، وأمطار غير مدفوعة بتدبير ، وصرخات وحش وطير وبهائم ، ونجوم تطلع وتغور ، وشمس تشرق وتغرب ، وجبال واقفة لا تريم ولا تزول ، وما لا عدد له من الأهوال والأحوال . ولكنه الآن راكب الريح والماء والأثير وطاوي الأرض في خطفات ، ورائد السماء بالمقربات ، وكاشف الجن المستور بالمكبرات ، وقايس أبعاد النجوم وأضواءها بدقيق المقايسات ، وصانع الحيوان والوحوش الحديدية من السيارات والدبابات والمدافع والطائرات والماخرات والغائصات ، فلا يليق به أن يصر على العبث والزحام على التراب بعد رأى الكنوز في كل أفق تتفتح لعينيه

وكان قدراً مقدوراً أن تبقى العناصر والحيوانات خادمة له حتى يبلغ أن يستغنى عنها بما يصنعه تقليداً لها ومحاكاة لنماذجها ... فحين عجز الحصان وضاقت طاقته عن إشباع شهوة السرعة عنده ركب آلات سرعتها كذا ألفاً من الأحصنة ... وحين عجز الزيت والشمع عن إشباع شهوته للضوء صنع مصباح الكهرباء فأضاء له بقوة كذا ألفاً من الشموع ... وحين هدد بفناء أقواته ولباسه ابتدأ يركب أقواته من العناصر التي يتركب منها النبات واللحم ... وصار يصنع الصوف والحرير من اللبن والخشب ... وصار يأخذ الزبد والدهن من الـ ... بعد أن يحلل ويعزل ويطهر بالترشيح والتبخير والتكثيف كما ترفع الشمس والهواء الغازات والأمواه المقطرة من الأبوال والأقذار وتعيدها إلى الأرض صالحة في دوراتها الأبدية ...

وقد رصد لكل قوة في الطبيعة مقياساً يقيس قوتها ويبين اتجاهها حتى يحترس منها ويتقي وينتفع ... فللأمطار مقياس ، وللضغط الجوى مقياس ، ولاتجاه الرياح مقياس ، وللزمان مقياس ، وللمكان مقياس ، وللحرارة والرطوبة وغيرهما مقاييس

وأظنه بهذا قد وضع عينه وفكره على حركة كل شيء واتجاه كل شيء في المادة . وذلك كله بمثابة خيوط الشبكة الحديدية التي ابتدأ يطارحها على قوى الطبيعة التي تنفعه أو تضره في مرافق حياته ... وهذه الأرصاد التي أرصدها لا بد ستنتج له عالماً فكريًا جديداً يسلم روحه إلى عالم خلق جديد

وأعتقد أن هذه الحرب ابتداء دورة زمنية بالإنسان وبعوالم فكره وروحه وجسمه . فليرصد الراصدون ذلك في يقظة وانتباه

أجل ، إنه عالم جديد من الفكر والحديد ... الفكر المطلق البارد القانص لأسرار المادة والقوة ... والحديد الطائع البليد القاسي المتمم لإرادات الرجال ... الذي وجد فيه القلب الإنساني أعظم معبر عن بأسه وتصميمه في اختراق السدود فصهره وشكله بنار عزمه قبل أن يصهره بنار كيره ويشكله بمطرقته

ولقد ضمرت أظفار الإنسان منذ أن اعتمد عليه . وكان كشفه مبدأ انقلاب في حياته ، والآن يبتدئ به انقلاباً أعظم بعد أن سلط عليه خياله وعلمه وصار يطير به ويزحف ويدفع ويجر

وهل تظنون أن هذه الأهوال التي يشهدها الإنسان الآن لا تترك في نفسيته آثارها المحتومة فتخلقه خلقاً آخر ؟

أتظنون أن قلبه وفكره لا تغيرهما رؤية هذه الطرق الحديثة في البناء والإفناء والهدم والسرعة والانقضاض والحشد والتعبئة ومباشرة هذه الوحوش والحيوانات الحديدية ؟

إن من شهد تغير العالم بعد الحرب العظمى التي أظهرت قوة الآلة واختفى وراءها الإنسان يوقن أنه ستختفى بعد هذه الحرب أشياء وتظهر أخرى ...

وأخشى ألا يقام للحياة الفردية بعد هذه الحرب وزن بعد أن رأى الفكر أن ملايين من الجاجم والقلوب البشرية تسحق وتحرق بعصهور النار ... وملايين من المعابد والمعاهد والمنازل المقدسة العامرة بالتحف ومخلفات العلم والفن والجمال تنسف وتذرى في الريح هشيما وهباء ودخاناً

لقد احترق الإنسان الأوربي مع جميع ما جمعه من الذهب وأقامه من البيوت والمحاريب والتماثيل ...

ولقد اختفت روح الحياة الرقيقة الوديعة الماثلة في اللحم والدم والأعصاب والإحساس وابتدأ عالم جديد من فكر مجرد غير مصحوب بإحساس

وقد لبس الفكر أجساماً من المادة العمياء ، وكأنه قد انفصل عن الأجسام الإنسانية ، واختبأ واستتر في السيارة المصفحة والدبابة والطائرة . وصار يدب ويطير بهذه الأجسام الحديدية كأنه هو والحديد الذي يختفى فيه جسم واحد . فهو للآلة كالروح والعقل في الجسم الحي . وقد صنع للآلات أحشاء فيها حرارة ونبض ، ولكن ينقصها السر الإلهي الذي في « الأميبة » ذات الخلية الواحدة ، ويخيل إلى أن الإنسان هو ذلك السر الإلهي لتلك الحيوانات الحديدية

وحين قصرت دواب الأرض التي سخرها في خدمته عن سرعة عقله صار يبحث عن القوى المجردة كالكهرباء ويلبسها أجساماً من الجماد ، ويسيرها بها بطاقة عظيمة مصحوبة بفكره وتسديده . فترى السيارة الآن تحيد عن العقبات بأسرع مما يحيد الحصان عنها . فهي أطوع للانسان من الحصان ، لأنها ترى بعينه وتتحرك بسرعة فكره

والفكر المجرد طليق في غير حدود . والوجدان والإحساس مقيدان في حدود الأذواق والمشاعر . فإذا لم يصحب الفكر بالوجدان والإحساس اخترق الإنسان به الآفاق في سرعة فائقة كأنه شعاع ثاقب ، بل هو أسرع من الشعاع . بل ليس شيء أسرع من الفكر

ولقد يخيل لفكر الإنسان أنه يستطيع أن يضع يده في النار فلا تحترق ، ويمشى برجليه على الماء فلا يغرق ، ويسلم جسمه للريح فيطير ، وينظر بعينه وراء السدود فيرى ما وراء الآفاق . فالفكر لا يرى كل أولئك مستحيلاً . . . ولكن الوجدان والإحساس يقيدانه بالحدود الموضوعة للمادة ، ويهددان الجسم بالألم إذا لم يعترف بهذه الحدود والقوانين

وقد خيل الفكر لبعض السفسطائيين اليونانيين قديماً أن كثافة الأجسام وهم من الأوهام، وأقام الدليل النظرى لمارضيه على ذلك ، فتحدوه أن يخترق بجسمه الجدار الذي أمامه ، فقام واندفع إليه بقوة ، وكانت النتيجة المحتومة : تحطم جسده وفدخ رأسه ...

إن فكر السفسطائي لم يخطئ في توهمه استطاعة اختراق الجدار ، ولكنه أخطأ حساب الوجدان والإحساس . والحقيقة أن الفكر لا حدود له ما دام يسير وراء القوانين الطبيعية ... فلقد استطاع أن يخترق الجدران والجبال بالصوت والصورة والحركة حين خضع للنواميس الطبيعية فخضعت هي له كذلك . ولست أدرى أقريب أم بعيد ذلك اليوم الذي يستطيع الإنسان فيه أن يخترق الأجسام بالأجسام مع وجود الالتئام وعدم الصدام ، وأن ينقل الأجسام من مكان إلى مكان كما ينقل الصور والحركات والأصوات ، وبالسرعة ذاتها التي يجرى بها هذه المعجزات . . .

إن الثقة بالعقل الإنساني بعد أن فعل ما فعل في تغيير الأرض ينبغي أن تكون من البداءة للانتفاع بها في بناء الحياة الجديدة ...

وكما آمنا بعلم الطب لتنظيم حياة الأجسام ينبغي أن نؤمن بعلم النفس لتنظيم حياة الأرواح

وقد كان الإنسان في الحقب السابقة منزوع الثقة بنفسه لكثرة ضغط عوامل الطبيعة عليه وكثرة العقبات التي تعترض سبله وتجعله يشعر بحقارته وضعفه وسط عظمة الأسباب والقوى الطبيعية ...

ولكنه بعد أن تمكن من صنع كل شيء لنفسه والانتفاع بأكثر القوى ، والمناعة ضد الأوباء والطوفان والقحط والصواعق يجب أن يكون إيمانه بعقله إيماناً أصيلاً ليصنع به مستقبله صنعاً يريحه ويرقيه ويجعله يتفرغ للفكر فيمن خلقه قادراً هكذا . . .

الأزهر وبعثاته العلمية

للدكتور محمد البهى

حقاً — كما يقول صديقى الفاضل الأستاذ محمود الشرقاوى فى عدد الرسالة الأخير (٣٩١) تحت عنوان « الأزهر وبعثاته العلمية » — أن الأستاذ الأكبر المراغى كان جريئاً يوم أرسل بعثة « فؤاد الأول » إلى أوربا عام ١٩٣٥ ، وأن سعادة عبدالسلام الشاذلى باشا كان جريئاً أيضاً أو أشد جرأة يوم أرسل من قبل بعثة الإمام محمد عبده سنة ١٩٣١ لأنه أرسلها فى وقت كان الأزهر ممثلاً فى شخص شيخه السابق ضد فكرة إرسال البعوث من الأزهر إلى أوربا . ولولا لباقة الشاذلى باشا فى أن أتاح لعضوى بعثة الإمام محمد عبده التشرف بمقابلة جلالة الملك الراحل ، الملك فؤاد، والاستماع إلى رغباته السامية فيما يجب أن يكون عليه الأزهر لخلد ذكرى الإمام بشىء آخر غير بعثة أزهرية توفد إلى جامعات أوربا لتربط ثقافة الشرق الماضى بثقافة العصر الحاضر .

وكان الشاذلى باشا جريئاً ، وكان الأستاذ الأكبر المراغى جريئاً كذلك فى إرسال هذه البعوث الأزهرية إلى أوربا ، لأن ذلك منهما اعتراف بحاجة الأزهر إلى توجيه جديد فى البحث والتفكير ، وفى الوقت نفسه اعتراف بجمود الثقافة الأزهرية ووقوفها عند حد معين لا تتجاوزه وهو ما وصل إليه المسلمون إلى القرن الخامس عشر تقريباً . والاعتراف بهاتين الحقيقتين فى وقت يسيطر فيه على العقلية الأزهرية مبدأ « لم يترك الأول للآخر شيئاً » ، وتسيطر فيه كذلك فكر «الكتاب» فى الدرس والبحث لاشك أنه يحتاج إلى جرأة وإلى جرأة كبيرة .

وكان حقاً أيضاً أن يسأل صديقى الفاضل الشرقاوى عن إنتاجنا العلمى وأن يحاول شرح « عدم إنتاجنا » - إن وصل إلى ذلك - بما ذكره : « إلى أن نرى أثركم وإنتاجكم وتجديدكم وما جملتم فى الأزهر من بيئة علمية جديدة وثقافة جديدة وحرية جديدة فى البحث . سنقول إنكم لم تفيدوا شيئاً مما تعلمتم ولا تميز لكم على من لم يبعث ولم يدرس فى جامعات أوربا أو أنكم لا تجدون من أنفسكم شجاعة ولا قوة لكى تكونوا منتجين ولا مفيدين »

وهذا الذى يسأل عنه الصديق سألنى عنه كثير من إخوانى ومعارفى فى غير البيئات العلمية ، فى وزارة الخارجية ؛ ولكنهم فقط لم يواجهونى بما حاول أن يجيب به الأستاذ الشرقاوى . وبالرغم من ذلك كنت أشعر أنه يتردد فى نفوسهم

* * *

صحيح أننا لم ننتج بعد إنتاجاً جامعياً يتمثل فى تأليف يقوم البحث فيه على الاستقلال فى التفكير وعلى إبداء رأى خاص فى مشكلة من مشاكل العلم الذى تخصصنا فيه ، حتى يدمج

إن الإنسان يأتى بأعمال عظيمة فى صميم غايات الحياة وهو عنها غافل لا يدرك ماذا تكون نتائج عمله فى مستقبله ومركزه .

وإن مصانع « فورد » مثلاً تخرج فى كل ثانية واحدة سيارة كاملة ! هذا جبروت وملكوت إنسانى واسع يتفتح أمام عيون الراصدين لحركات الابن البكر للأرض !

فهذه السيارات حيوانات حديدية تولد كاملة من أصلاب المصانع وأرحامها ولا تحبو ولا تدرج ببطء الطفولة وإنما تسير بسرعة الفكر الإنسانى كما قدمنا فى هذا المقال ...

وهى وأشباهها مما نتج من اللقاح بين الفكر والحديد قد ملأت الأرض وأدالت دولة الخيل والبغال والإبل ، وصيرتها أشياء أثرية يوشك الناس أن يحتفظوا بها فى المتاحف أو حدائق الحيوان ...

* * *

فى كل ذرة رمل ، وقطرة ماء ، ولمعة شعاع ، وخفقة نسيم ... كنز مدخر لمستقبل الإنسان على الأرض ...

فليعرف ذلك الذين يشكون الفقر وشح الموارد الطبيعية . أولئك الذين يثيرون الحروب من أجل الطمع والاغتصاب « أن تكون أمة هى أربى من أمة » وليسلموا قياد الإنسانية لعلماء الطبيعة الذين يضربون معاولهم على كل منجم فى الأرض والماء والهواء والشعاع

ولنأخذ الحياة عريضة ؛ بالانتفاع بكل ما فى الأرض ، وباستعمال جميع قوى الإنسان والجماد والحيوان ، وباستخراج كل كامن من النبات والركاز ، وباستنزال كل معلق من الشعاع والماء والهواء وبتوليد كل ما يمكن أن يولد من العناصر والقوى ، وبوضع كل شىء أمام كل شىء لينشأ من الأوضاع المختلفة التى لا عدد لها حيوات جديدة معقدة لا عدد لها ، يترقى بها الفكر والحياة ويغزر فيضهما وترحب بها آفاق النفس ، ويظهر لنا بعدها أن الكون ملىء بالأسرار وكلمات الله التى لا تنفد .

عبد المنعم خلاف

هـذا البحث ضمن البحوث العلمية فيكمل ناحية نقص فيها — وذلك طبعاً غير التأليف المدرسى ، فقد أخرجت من هذا النوع ثلاث مذكرات : في الفلسفة الشرقية ، وفى الفلسفة الإسلامية ، وثالثة فى علم النفس العام (بالاشتراك مع الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد فى هذه الأخيرة) — . ولـكن ليس عدم إنتاجنا الجامعى راجعاً — كما يقول الأستاذ الشرقاوى — إلى أننا لم نفد شيئاً مما تعلمنا فى أوربا ، ولا إلى أننا لم نجد من أنفسنا شجاعة ولا قوة لـكى نكون منتجين ولا مفيدين ، بل يرجع إلى حالة أخرى خارجة عن معرفتنا وشجاعتنا ؛ يرجع إلى بيئة الأزهر العلمية

الأزهر يغاير الجامعة فى أن بيئته العلمية لم تهيأ بعـد (تمام التهيّؤ) للأبحاث العلمية الحديثة ، للأبحاث الجامعية . لأن هذه تقوم أولاً على حرية النقد ، وهذا معناه عدم منح القداسة لبعض المواد دون بعض . وثانياً على عدم التقيد « بالـكتاب » كمصدر للبحث ومقياس للحقيقة . والأزهر — فى الواقع — يسير فى أبحاثه على منح القداسة لبعض المواد دون بعض — وإن كان بينهما شديد الشبه من وجهة البحث — وعلى التعلق بمبدإ الكتاب . نعم مناهج التعليم لا تنص على كليهما ولـكنهما من الأمور المتوارثة التى أصبح لها حرمة المبادئ العامة . وليست العبرة فى ملاحظة الظواهر بما يقوله المنهاج ، ولـكن بما تنبه النفوس

فمثلاً يفرض منهاج التعليم فى الأزهر تدريس الفلسفة ، وأزيد من هذا يجعلها مادة أساسية فى كلية أصول الدين ؛ ولـكن الفلسفة فى نظر كثير من الأزهريين ما زال منها « الفاسد » ، وهو أكثرها ، و « الصحيح » ، وهو أقلها . وما زال كثير منهم يخفى فى نفسه الضغينة للفلسفة والفلاسفة ويضعها فى مرتبة دنيا عن عالم الـكلام ، مع أن هذا الأخير يشارك الفلسفة الإلهية فى الموضوع وفى الغاية ، وهى محاولة تحديد الإله أو مبدإ الوجود وعلاقته بالكون وبخاصة بالإنسان . ومع أن الفلسفة الإغريقية التى نقلت إلى المسلمين كانت سبب ثرائه وغنائه . هذه التفرقة أثر متوارث عن الغزالى ؛ فكتابه « إحياء علوم الدين » قد أصبح منذ القرن الثانى عشر إلى الآن صاحب الـكلمة فى التوجيه الدينى وفى تحديد علاقة البحث العقلى بالدين .

والغزالى هو صاحب « تهافت الفلاسفة » ؛ وهو صاحب الرأى :

بثلاثة كف الفلاسفة العدا ... ...

وهجومه ضد الفلسفة كان السبب غير المباشر فى اختلاف الرأى فى جواز الاشتغال بالمنطق — وهو فرع من الفلسفة — أو عدم جواز الاشتغال به أو الترديد بين الحرمة والجواز :

فابن الصلاح والنواوى حرما ... وقال قوم ينبغى أن يعلما
والقـولة المشهورة الصحيحة ... جـوازه لـكامل القريحـة

فمنهاج التعليم العالى فى الأزهر وإن فرض تدريس الفلسفة إلا أنها لا تتمتع بقداسة ولا احترام كما يتمتع علم آخر كعلم الـكلام مثلاً

وكما أن مبدأ « قداسة » بعض المواد دون بعض يسود التعليم فى الأزهر ، كذلك مبدأ « الكتاب » إذ أن « مدرس الموضوع » لم يخلق بعد فى الأزهر وإن كان فى طريق الخلق والتكوين . فالحقائق العلمية فى مادة من المواد مصدرها كتاب معين بالذات ، والتمكين فى الخلافات العلمية ومشاكل البحث لم يزل إلى كتاب مخصوص . ولعل مبدأ الكتاب فرع عن مبدأ القداسة لأنها إذا منحت لـمادة من المواد قد تتعداها لأمر ما ، إلى مؤلف بالذات فيها

وبيئة مثل هذه البيئة التقليدية لا تقبل طبعاً بسهولة نتائج البحث العلمى الحديث لأنها قد ترى فيها ما يجرح عاطفة عندها تحرص على صيانتها . وعلى صاحب البحث الجامعى قبل أن يبرزه إلى الوجود أن يهيئ النفوس له بالتوجيه تارة ، وبالنقاش فيما ألفته وصانته حتى الآن عن النقاش تارة أخرى ، وإلا كانت نتيجة بحثه الجامعى سلبية محضة ، وكان شأن هذا الباحث شأن القانون الذى فرض مادة فى منهاج الدراسة لم تهيأ لقبولها النفوس بعد فى الإهمال وعدم الاعتبار

وهذه التهيئة كانت — وما تزال — من مهمتنا ؛ وهى مهمة ليست يسيرة . كم كان شاقاً ما صادفنى من صعاب فى العام الماضى عند عرض فلاسفة المسلمين ! فكانت نفوس الطلاب متشوقة أولاً وبالذات إلى سماع الحكم عليهم بالإسلام أو بالـكفر . ولم أفلح إلا بعد جهد مضن فى إقناعهم بالفصل بين القيم المختلفة ، وفى أن مهمة مؤرخ الفلسفة الحكم على الفيلسوف من ناحية إنتاجه العقلى فحسب

من ذكريات أوروبا

باريس الصغيرة

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

لم يكن من بد أن نكتب عن باريس الصغيرة بعد أن لحق بشقيقتها الكبرى ما لحق من نكد الحياة ، وعنت الزمان ، ما جعلها تشيع زمان اللهو والغفلة ، وتستقبل زمان الجد والحذر والحرص ، وبعد أن نالها هي الأخرى أو كاد أن ينالها ما نال أختاً لها من قبل فتكاتفت عليها أزمات السياسة ، وضائقات الحرب ، ونكبات الطبيعة ؛ وآن لهذه الوجوه التي لم تتقبّض أسرّتها إلا من الضحك أن تتقبّض يوماً من الجد والحزن والتفكير ... وإذا كانت باريس قد لقيت من أقلام المحبين والمعجبين والمحتفين بها الكثير من كلمات الرثاء والعزاء والذكر ، فلا أقل من أن نشيّع الشقيقة الصغرى بكلمة أو كلمتين

وباريس الصغيرة ، أو باريس شرق أوربا كما اصطلح على تسميتها عارفو الباريسين هي مدينة بوخارست حاضرة رومانيا ، وليس في هذا الاسم إغراق أو مغالاة ، فبين المدينتين تشابه كثير ، فأحياء بوخارست الجديدة تشبه أحياء باريس ، وحياة اللهو والمجون في بوخارست تعدل حياة اللهو والمجون في باريس أو هي تزيد عليه ، ونساء بوخارست متحرّرات عابثات كنساء باريس مولعات بتقليد الباريسيات في التأنق والتجمل إلى حد بعيد ، وإن كن أجمل منهن وآنق . وكما أن باريس هي مدينة المرح والحياة ومحط آمال الشباب في غرب أوربا ، فبوخارست هي مدينة المرح والحياة ومحط آمال الشباب في شرقها . وإذا كان شباب أوربا يستقبل الموت اليوم في محور « روما برلين » فقد استقبل الحياة من قبل في محور باريس بوخارست ... حتى نهاية المدينتين – يشاء القدر أن تكون متشابهة – فكما تعتز المرأة الجميلة بشبابها وجمالها وتحرص على صيانته ، وتحذر أن يمسه سوء ، كان ما فعلت الباريسيتان ، فسلمتا طائعتين مختارتين حذر أن يمس جمالها من الحرب سوء ، أو يناله في الدفاع أذى .

* * *

هبطت مدينة بوخارست من عام وبعض عام ، وكنت قبل سفري تتناثر حولي عن عبثها ومجونها أقوال أصدقاء لي زاروها من قبل ، فلم أكن ألقي إليهم أذناً صاغية ، وأحسب أن بكلامهم الكثير من مبالغات الشباب وخياله . ثم حدثتني عنها أديبة بولندية قابلتها في أثينا ، فكنت أيضاً كثير الشك في كلامها ، وكان يعزز هذا الشك في رأيي أن بوخارست – وإن كانت مدينة أوربية – إلا أنها أقرب إلى الشرق منها إلى الغرب ، فليس ثمة ما يجعلها تختلف عن نظيراتها من مدن شرق أوربا كاستنبول وأثينا وصوفيا . فلما ركبت القطار من ميناء كونستنزا – وهي مرفأ روماني – في طريقي إلى بوخارست ، حدث ما جعلني أصدق ثم أصدق ما قيل ، بل حدث ما جعلني أرى أن فيما سمعته عن هـذه البلاد الكثير من القصد والإيجاز ، لا المبالغة والإغراق

كان القطار مزدحماً فوقفت في الممشى أتلهّى بالنظر من النافذة ، ثم أخذت أذني في أقصى الممشى ضجة ، فتلفت فإذا شاب بدا لي من وجهه أنه تركي – مقبلٌ عليّ وقد تحلقت به خمس فتيات – أستغفر الله – بل خمس فاتنات ، إي والله خمس – وهو يسير بينهن في هيئة العروس أحاطت بها وصيفات الشرف ، يجذب هـذه ، ويقبّل تلك ، ويعانق الثالثة ، وهن يتضاحكن من حوله ، ويتجاذبنه من سترته ! فلما بلغني هذا

على أن الإنتاج العلمي الجامعي كما هو وليد القدرة على الإنتاج وكثرة الاطلاع وهضم المقروء وليد الزمن أيضاً . وبذا يفترق عن الإنتاج الصحفي أو الإنتاج المدرسي . ونحن نطمئنك أيها الصديق برغم عدم هذه التهيئة الكافية في بيئة الأزهر العلمية لقبول الأبحاث الجامعية ، وبرغم هـذه الصعاب التي نلقاها في التوجيه ، على أن « بيئتنا العلمية » في نمو ، وعلى أن لنا في جمهرة الطلاب وفي كثير من الشبان المدرسين أعواناً مخلصين ، وعلى « أن لنا أسلوباً خاصاً ونقصد في دراستنا وفي إنتاجنا وفي توجيهنا التعليمي مقصداً خاصاً يقوم على حرية البحث ، وقداسة الفكر ، والشجاعة في مواجهة ما نلقى من عنت » . . . ونطمئنك أكثر من هذا على أننا قطعنا في إنتاجنا الجامعي خطوات عديدة . وكل ما نرجوه ، حتى يبرز هذا الإنتاج إلى الوجود ، هو توفيق الله .

محمد البهي
مدرس علم النفس والفلسفة
بكلية أصول الدين

الموكب المرح ، حيـّانى الشاب ضاحكا ، وجعلت الفتيات يحدقن في وجهي طويلاً ثم قالت إحداهن :

— هذا تركى آخر

فقالت أخرى :

— بل هو مصرى

وقالت ثالثة ضاحكة :

— أما تجيب أيها التمثال ؟

ثم تضاحكن وانصرفن عنى ضاحكات

بمثل هذا العبث والمرح تقابلك الفتاة الرومانية ، فهى دائماً باسمة مرحة ، تنازلك إذا لم تنازلها ، وترميك بالجود إذا لم تسايرها فى مرحها . وحسبك أن تعلم أن أول ما يتعلمه الأجنبى فى بوخارست من اللغة الرومانية — وهى لغة تشبه الإيطالية إلى حد — هى كلمات : « جميلة . إلى أين يا فتاة . ما هذا الجمال النادر » وما شاكل ذلك من كلمات المداعبة والمغازلة . وكثيراً ما كنت أخطئ فى نطق هذه الكلمات فكانت تصحح لى النطق بها من أعابثها من الفتيات فتقول لى مثلاً : « فورموسا (أى جميلة) وليس فورموزا . انطقها هكذا فورموسا بحرف « S » إنك لا تحسن النطق . اصحبنى لأعلمك »

فإذا بدا لك أن تكون رجل جدّ واتزان ، أخذن يترنك وينازلنك ، ويتشبثن بأذيالك أينما رحت ، بل يمسكن بك فى الطريق ، فإذا ألطفت بإحداهن ودعوتها إلى نزهة أو طعام لبتك طائعة دون روية أو تريث أو تفكير ، وسايرتك فى كل ما ترغب ، فهى سهلة القياد لا تعرف المعارضة !

وفتاة بوخارست اجتماعية بكل ما تحتمل الكلمة من معنى . قلما تراها تسير وحيدة ، فإذا لم تجد من تزامله زاملت من تصادفه فى الطريق . وهى فى ذلك تتخير أتفه الأسباب للتعرف ، ثم تضع يدها فى يدك ، وتطرح التكلف والملاينة جانباً ، وكأنها تعرفك من سنين ... حدث مرة أن كنتُ جالساً فى مقهى فى شارع اليزابيتا ، فدنت منى فتاة جميلة ، ثم سألتنى إن كنت مصرياً ، فلما أجبتها بالإيجاب أخرجت ورقة وقلماً وسألتنى أن أكتب لها اسمها باللغة الهيرغليفية . فقلت لها : « إنها لغة قدماء المصريين وقد اندثرت ، ولغتنا الآن هى العربية » فقالت : « إذن فلتكتب اسمى بالعربية » فكتبته لها ، ولكنها بدل أن تنصرف جعلت تتعجب من الخط ، فلم أجد بدا من دعوتها للجلوس فأسرعت بالقبول ولم تقم حتى دعوتها للعشاء فى اليوم التالى ... ومثل ذلك يحدث للمرء مرات عدة فى بوخارست

ومن الفتيات من لا تتحرى هذه المقدمات ، فتراها تقابلك وتبدؤك بالسلام ، والسؤال عنك وأين أنت يا أخى ، أو هى تجذبك بيدها ، أو تخطف قبعتك ، أو تقبلك ، أو تعانقك . كل ذلك دون أن يكون لك بها سابق عهد ! والعجيب فى هذا أنها تفعل كل ذلك فى بساطة ودون استحياء . وأعجب منه أن هذا العمل لا يلفت أنظار المارة ، على الرغم مما لاحظته من فضول الرومانيين العجيب ... فقلما تخرج من جيبك صورة أو خطاباً فى الطريق دون أن يشاركك فى النظر إليها أو قراءته كل من حولك ، ومن ليسوا حولك . بل أكثر من ذلك فإنهم يبدون لك ملاحظاتهم ، فيقول أحدهم مثلاً : « لو وسّدت رأسك كفك فى الصورة لكان أفضل » أو : « لو كانت الصورة على مسافة أبعد لكانت أوضح من ذلك » أو : « هذا الخطاب مكتوب بخط عجيب » ... إلى غير ذلك من الملاحظات التى لا تنتهى إلا بإخفاء ما فى يدك عن نواظرهم .

وعلى الرغم من هذا الفضول العجيب فقلما يلتفت إليك مارّ وأنت تعانق فتاة أو تنازلها ولو كنت فى جمع حافل من الناس لكثرة ما أخذت عيونهم مثل هذا المنظر . وقد حدث لى فى أول ليالىّ ببوخارست أن كنت أتناول العشاء فى مطعم مع صديق مصرى وصديقة رومانية ؛ وكانت معى بعض صور لأهرام الجيزة فرغبت الفتاة فى واحدة منها ، فقال صديقى مداعباً : « وكم تدفعين ثمناً لهذه الصورة ؟ » فقالت : «ما يطلب» فقال ضاحكا : « إنه يقنع بقبلة أو قبلتين ، وإن كانت الصورة ثمينة جداً » فقالت : « إذن فليفعل » فقال : « ليس أمام كل هؤلاء الناس » فقالت : « وما شأنهم فى ذلك ؟ » . ثم قامت فقبلته وقبلتنى ، فأخذنى الخجل ، وجعلت لا ألتفت حولى خشية أن تأخذنى الأنظار من كل جانب فتزيد فى خجلى ، ولكن لشد ما كانت دهشتى حين تلفتُّ فلم أجد أحداً أعار ما حدث أى اهتمام ، بل وجدت كل من حولى يفعل ما نفعل !

ومثل هذه الحال من المجون والاستهتار كان لها أثر بالغ فى حياة أطفالهم، وصغار الفتيات، فكثيراً ما كن يترامين علينا فى أوقات متأخرة من الليل

والظاهر أن هذا الانحلال الأخلاق فى رومانيا، مرجعه الحروب المتلاحقة التى تقلبت عليها فأفنت رجالها، ثم خلفتها وعدد نسائها أكبر من عدد الرجال، وهؤلاء الرجال - على قلتهم - منصرفون عن النساء لكثرة عددهن، وسهولة منالهن، لذلك ترى رجال رومانيا وشبانها مدللين متراخين قليلى الغيرة على جانب غير قليل من الطراوة والضعف والتهاون مع نسائهم: فالفتاة فى بوخارست قد تسهر معك إلى الثانية عشرة، أو الواحدة صباحاً، ويستأذن أخوها أو قريبها لينصرف، وهو يقول لكما مبتسما: أرجو لكما وقتاً طيباً، أو سهرة موفقة، أو شيئاً من ذلك. ثم ينصرف لشأنه

وفتاة بوخارست فوق ذلك من أجمل نساء العالم وجهاً وجسما ومن أكثرهن تحرراً، فهى تساير نزواتها وأهواءها إلى أبعد الحدود، لا تخشى فى ذلك لومة لائم، أو كلمة رجل؛ ثم هى ساذجة مطواع طيبة القلب، تصارحك بكل شئونها ولو لم تقابلها إلا مرة واحدة، وهى بعد ذلك وفية كل الوفاء

* * *

والحدائق فى بوخارست، هى مستراد الشباب، وميدان الغزل، وملاذ الهوى، يقصدها القوم جميعاً قبيل الغروب. والمدينة غنية بحدائقها فقد وهبها الله موقعاً طبيعياً غنياً بالبحيرات الطبيعية، فأنشأوا حولها الحدائق، ونموا الخمائل والأشجار والخضرة؛ ففى وسط المدينة تقع حديقة (اشيشميجو Cismigiu وبأطرافها تقع حدائق كارول الثانى على شواطىء بحيرة هيراستراو Herâstrau، وحديقة تى Tei على شواطىء بحيرة Tei، وحديقة البوتانيك Gradina Botanic، وحديقة كارول الأول وتتوسطها بحيرة طبيعية جميلة ... وغيرها ...

وكل هذه الحدائق آية فى الجمال والتنسيق والموقع. ولن أنسى أمسية قضيتها فى مطعم أنيق فى حديقة كارول الثانى يطل على البحيرة، وقد انعكست أضواؤه على صفحتها الهادئة، وانتثرت بها الزوارق البخارية ذات الأضواء الملونة، وهى تتخطر فى هينة ورفق على أنغام الموسيقى ... منظر جميل يجذبنى إلى هذا المكان كل مساء

وفى حديقة كارول الأول بحيرة طبيعية، يقع على شاطئها مسجد شرقى آية فى الجمال والفن؛ فإذا أقبل المساء انسابت الزوارق إلى عرض البحيرة، وعلى كل زورق عاشقان، جمعهما الهوى، وأظلهما الظلام، وأغرتهما هدأة الليل الجميل، فذهبا يتناقلان الحديث، وينشا كيان الهوى، ويتبادلان العناق؛ فأنت لا تسمع أينما أدرت أذنيك إلا همسات الغزل، وأصوات القبل، وخفقات المجاديف قد اختلطت بضحكات النساء

وعلى مقربة من المدينة تقع غابة «بانيسا» Bâneasa، وهى غابة صغيرة جميلة كانت لنا فيها جولات نذكرها بالخير، وعلى أميال منها بحيرة سناجوف Snagov فى موقعها الطبيعى الساحر، وهى أروع ما وقع عليه نظرى فى هذه البلاد

ولا أود أن أختم القول قبل أن أشير إلى رخص تكاليف المعيشة فى بوخارست إلى حد لا يتصوره العقل، ولا يصدقه إلا من زارها، ويرجع ذلك إلى فقر البلاد، وانخفاض سعر «اللى» Lei — وحدة العملة الرومانية — انخفاضاً كبيراً. وحسبك أن تعلم أن ما ينفقه الإنسان فى القاهرة فى يوم، يكفيه فى بوخارست ثلاثة أو أربعة أيام على الرغم من كونها بلاداً أجنبية غريبة عليه. وأرخص ما فى المدينة الطعام ولا سيما اللحم — فالبلاد بلاد سهول ومراعى — وهم فى طعامهم أقرب إلى الشرقيين منهم إلى الغربيين. ولعل ذلك يرجع إلى عهد الاستعمار التركى. وأظهر مشروبهم البيرة والنبيذ والسويكا — وهو الشراب الوطنى للبلاد — وقلما تخلو مائدة من إحداها

* * *

هذه هى بوخارست أو باريس الصغيرة كما يسمونها، مدينة المرح والحياة والجمال. وهذا بعض حقها على، وإنه ليعز على وعلى عارفيها ما نالها من محنة، ولنا فيها ذكريات وأصدقاء وأحباب، خفف الله عنها وعنهم، وأجمل لهم العزاء

(القاهرة) «فهمى»

حكم استئنافياً بتغريم أحمد عليوه التاجر بالدرب الأحمر بالقضية ١٦٠٩٦ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ٩٤٠ جنيهاً لبيعه كبريتا بأزيد من التسعيرة.

وحى العام الجديد

إنسان وحيد فى العيد

[مهداة إلى الأستاذ الزيات مترجم « آلام فرتر »]

فى ليلة من ليالى هذه الأيام الأخيرة من ديسمبر ، أيام الوداع والرجاء ، وداع عام مضى ورجاء عام جديد ، جلس إنسان وحده فى حجرة باردة ، طقسها بارد ولكنها حارّة الذكريات

إنسان وحيد جلس يكتب فلم يستطع ، مايحسه قلبه لا يستطيع أن يكتبه ، وما يكتبه يجده بعيداً غريباً عما فى قلبه وصدره . ما يكتبه يجده بارداً كصورة الحريق واللهب والبركان على قطعة من الشمع الملون ، وفى شعر هندى يقال : « مات المعنى الحىّ حين احتواه اللفظ . ينطق اللسان فضلة ما فى القلب »

إنه يجلس إلى الراديو يدير مفتاحه ، ينتقل به من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، فلا يسمع إلا الرقص والغناء والموسيقى . الأحاديث لا يسمعها ، يمر عليها فى مفتاح الراديو ، كما يمر الشهاب فى السحاب

الدنيا كلها تغنى وسط هذه الذبحة البشرية ، والناس كلهم يرقصون على دقات الجاز الصاخب وعلى أنغام الفالس الهادئ الناعم كأحلام الصفاء فى آخر الليل ، وبعض الناس فى هدوئهم وسمت وقارهم وصفاء قلوبهم ينشدون ويرتلون . أولئك هم المتوجهون إلى الله فى السماء

***

أيها الصاخبون الراقصون على الجاز والفالس ، خذونى معكم .

أنا إنسان وحيد غريب فى هذه الدنيا . إنسان يريد أن يعيش وأن يعرف الحياة وأن ينطلق بعد حبس طويل . يريد أن يفرح ويقفز ويبتهج كما تفعلون . ثم يلقى جسمه المنهوك فى الفراش بعد المرح الطويل فينام وقد حل فى قلبه السلام

أيها المؤمنون الخاشعون المرتلون المتوجهون إلى الله فى السماء ، خذونى معكم .

أنا إنسان يريد أن يهدأ وأن يعيش وأن يهب قلبه الصفاء والنقاء بعد سواد طويل ، يريد أن يتوجه إلى أن يتأمل ويصلى ، قد انصرفت عنه دنياه ويئس منها ، يحبها ويريدها ولكنها لا تريده . قد أشقاه إدبارها ولم تقبل عليه مرة ، فهو يريد أن يعلو عليها يأساً منها ، وأن يتوجه إلى ربه مثلكم يرتل ويتأمل ويصلى ويتبتل حتى ينهك جسمه كما أنهك الرقص جسوم الراقصين فينام وقد حل فى قلبه السلام .

***

إنه يسير فى الطرقات ويركب ما يركب الناس ، فيجد الشاب والفتاة والعجوز والصبى كلٌ قد أمسك هدية لمن يحب قربان حبه ، الورود والأزاهير يحملونها يضمونها إلى صدورهم ضمة العشق

ويرى الناس قد أذهلهم الشقاء واستولى عليهم جهد العيش فلا يتحدثون ولا يفكرون إلا فيما يأكلون ويكتسون ، ليس لهم حبيب ولا يريدونه ، وليست لهم زهور ولا قرابين ولا يريدونها

أيها العاشقون السعداء يحملون الهدايا ، خذونى معكم

أنا إنسان وحيد يريد أن يهدى إلى من أحب شيئاً ، يهدى إليه قلبه وحنانه وحبه وحاضره كله ومستقبله كله

بلى . لقد أهدى إلى من أحب هذا كله وفوق هذا كله ، ولكن من أحب لم يقبل منه ما أهدى ، وطرد الرسول والمرسل وانصرف عنه كما انصرفت عنه دنياه ويئس منه ... من حبيبه . إنه يحبه ويريده ولكنه لا يريده

قلبه وحنانه وحبه وحاضره كله ومستقبله كله ، لا يريده . وفوق هذا كله لا يريده

أيها الحاملون الهدايا والأزاهير إلى عشاقكم ومحبيكم وأزواجكم ، خذونى معكم

إنى أريد أن أكون واحداً منكم فأقدم إلى حبيبى خيراً مما تقدمون . . . مع قلبى وحنانى وحبى ، فإذا رضى عن هديتى وتقبّل قربانى ملأ قلبى الفرح وشمخ رأسى فوق كل رأس ، وأتعبنى حمل السعادة فأنام وقد حل فى قلبى السلام

أيها الأشقياء التاعسون خذونى معكم

أنا إنسان وحيد أريد أن ابتئس وأن أشقى حتى أذهل ، وحتى يموت فى قلبى الرجاء من كل شىء والأمل فى كل شىء ، وأن يستولى علىّ جهد العيش والفكر فيما آكل وما أكتسي

حتى يرهق جسمى الفكر والجهد فأنام وقد حل فى قلبى السلام

***

رأيتكم من قبل فى كثير من مثل هذه الأيام الأخيرة من ديسمبر ، أيام الوداع والرجاء

رأيتكم من قبل أيها الراقصون والمرتلون والعاشقون والداهلون بالشقاء فلم أطلب أن أكون منكم . لأنى كنت أوقن أنى سأكون خيراً منكم عند ما تقبل علىّ دنياى

دنياى كانت أخى الغائب حتى يعود ، والقلب الذى رجوّته واصطفيته وأحببته وارتقبته ، وصبرت على مالم يصبر له الصابرون حتى يكون مى ، حتى يكون لى وحدى

وكنت فى سنوات كثيرة أجلس فى هذه الأيام الأخيرة من ديسمبر أسمع وأرى مواكب حياتكم أيها السعداء فأبتسم ستقبل دنياى وأغدو خيراً منكم يوم يعود لى أخى البعيد ، ويوم يكون القلب الحبيب لى وحدى

ثم جاءت الأيام الأخيرة من ختام هذا العام ، فإذا الأخ البعيد لم يعد ، ولن يعود ، وإذا القلب الحبيب قد ردّ علىّ - مطروداً - قلبى وحنانى وحبّى ، واختار أن يكون لغيرى ، له وحده ، وإنى أحبه وما كرهته

***

فى هذا العام أجلس وحدى فى غرفة باردة ، طقسها بارد لكنها حارة الذكريات ، أسمع وأرى مواكبكم أيها السعداء ، ولكنى لا أبتسم . لن أكون فى يوم ما خيراً منكم ولا واحداً منكم

إن أخى لن يعود ، والقلب الحبيب لن يعود ، فلن تعود لى دنياى ، وما كانت دنياى لى حتى تعود

***

إنسان وحيد فى العيد

كان يسير فى ركب الحياة معه أخوه وحبيبه ... زوجه ... لا يريد غيرهما ولا يرجو ، فسقط أخوه والركب يسير . فتخلف يقضى حقه يواريه ويبكيه ، وقلبه يتوجه إلى حبيبه الذى بقى يرجوه لا سواه

يتوجه إليه بالرجاء والعزاء ، يريده وحده لا يريد غيره ولا يرجو وماذا يهمنى من الركب وليس لى فيه ...؟

إنه - القلب الذى أحببته - مى . وأنا به مع الركب وأمامه أسبقه وأعلو عليه . ونحن وحدنا القافلة والركب والحياة والدنيا لنا

أنا - معه - غنى عن جميع الناس

إننى به غنى عن العالمين

فلما أفاق وقضى لأخيه بعض حقه تلفت فإذا الحبيب الذى كان بقى . ما بقى ...! سلك بنفسه فى زحمة الحياة وخلّف القلب الوحيد لا رجاء ولا عزاء . وشق الطريق لذاته لم يتلفت .

الركب بعيد ، وهو منه منفرد وحيد . ما بقيت به قوة . ليس حوله سوى الظلام والوحشة والأحزان وذئاب الطريق . وفى قلبه الحسرات الباقيات ولا أحد معه

***

أيها السعداء الذين أرى مواكبهم وأسمع رقصهم على الجاز الصاخب والفالس الهادىء الناعم كأحلام آخر الليل ، والذين يقضون هذه الأيام الأخيرة من العام . أيام الوداع والرجاء ، ثم ينامون وفى قلوبهم السلام .

خذونى معكم ... « محمور »



٢ - صاحب السلطان الحقيقى

قدمت صاحب السلطان الحقيقى إلى قرائى فى المرة السالفة أو بالأحرى قدمتهم إليه! فهو من يقدم إليه الناس جميعاً ولا يقدم قط إلى أحد، ومن كان يمارى فى ذلك فليشهد مجلساً من مجالسه ثم لينظر هل يقدم هو مهما كان من خطره إلى صاحب السلطان أم يقدم صاحب السلطان إليه

حرصت بعد المرة الأولى على رؤيته حرصاً أنسانى كل متعة وحقر فى نفسى كل فرجة فأعددت منظارى وظللت أنتظر بصبر فارغ وشوق نازع حتى حانت الفرصة فدعانى إلى داره رجل من أطراف القرية رأيت وجهه يقطر السرور وهو يفضى إلى بما نال من شرف ضيافته الشيخ فى تلك الليلة

وتفضل الرجل فدعا شاباً من ذوى قرباى كان معى فقبل كما قبلت واشترط مثلما اشترطت ألا نمكث حتى العشاء، فما كان كلانا يتطلع إلا إلى رؤية الشيخ. وكان رفيق الشاب قد تشوق إلى رؤيته بعد ما سمعه عنه وكان وقد ظفر بالأمس القريب بإحدى الإجازات العليا تمتلىء رأسه بفلسفة الفلاسفة. ولعله كان يرغب أن يعد لنفسه منظاراً مثل منظارى، أو لعله كان يريد أن يطبق على الشيخ ما فى رأسه من فلسفة. فقد حدثنى أنه يعلم من أمر هؤلاء الأشياخ أنهم جد أذكياء وأنهم يسيرون على قواعد «سيكولوجية» دقيقة تغيب عن الأغفال من العامة.

وكان صاحبى ونحن فى الطريق إلى تلك الدار التى احتوت الشيخ وحاشيته يحدثنى ضاحكا أنه كف يده فى الصباح بعد أن هم بالتصدق على مسكين بنصف ريال وأنه يخشى أن يظهر الشيخ كرامته فيفضح بخله فى المجلس

وبلغنا الدار فإذا حشد من أنماط الناس من رجال ونساء قرب الباب، وإذا الشارع أمامها مكنوس مرشوش، وإذا وفود المدعوين يدخلون الدار قبلنا؛ وإذا الدخان يتصاعد من النوافذ. ولما كنا فى وسط الدار لم يفت منظارى ذلك النشاط الذى ملأها، فهؤلاء النسوة مشتغلات كل منهن بعمل يتصل بإعداد الطعام، وفتيان الدار يدخلون ويخرجون من المنظرة التى جلس فيها الشيخ وفى أيديهم «صينيات» القهوة والقرفة والشاى ووجوههم جميعاً متهللة مستبشرة

ودخلنا المنظرة فهب من فيها جميعاً وقوفاً لتحيتنا إلا الشيخ؛ ولأهل الريف أريحية جميلة فى اللقاء والترحيب. ورفع الشيخ عينيه وهو متكئ على وسادتين فى صدر القاعة، وما إن رآنا من عنصر المطربشين حتى سرت فى وجهه غمة أسرع فأخفاها؛ وتكلف البشاشة، وسرنا نحوه فتظاهر أنه يهم بالوقوف فأقسمت عليه ألا يفعل؛ ومد إلينا يده وهو جالس فسلمنا، وما كان أعظم دهشة هؤلاء الوقوف من الرجال حينما رأونا لا نقبل يد الشيخ! وما كان أعظم أسفى أن أكدر عليهم صفوهم بهذا الذى فعلت وصاحبى! ولكن ما الحيلة وعندى أن أبكيهم جميعاً أسهل علىّ من أن ألثم تلك اليد الكريمة؟

وأرادوا أن يفسحوا لنا مكاناً فى صدر الحجرة ولكن الشيخ حريص على أن يظل دراويشه إلى جانبه؛ وأنقذت أنا الموقف فأشرت عليهم بإحضار كرسيين لنا قرب الباب لنستريح فى جلستنا فى ملابسنا الأفرنجية. وقبل أن نجلس سألت الشيخ ألا يؤاخذنا إن جلسنا ونحن أعلى منه فطيبت بذلك خاطر صاحب الدار وضيفانه، ثم قلت إن بركة الشيخ تمسنا ونحن بعيدان، فرشقنى بنظرة مستريبة ثم ردها سريعاً وفى وجهه الراحة والضيق معاً، فهو مرتاح إلى هذا التكريم الذى يصدقه منى الجلوس وإن لم يصدقه هو، ثم هو ضائق بخبثى وبحضورى وصاحبى فى تلك الساعة

واتجهت الأنظار إلى الشيخ وكان صاحبى من الدهشة كأنه ذهل عن نفسه؛ وساد السكوت لحظة فما يتكلم أحد حتى يتكلم الشيخ. وكنت قبل دخولنا الحجرة تبينت صوته وهو يتحدث عن المال وأنه عرض زائل، وعن الجود والبخل، وفطنت إلى أنه كان فى سيرة أحد البخلاء. ولم يفطن صاحبى إلى شيء لدهشته ولأنه لا يعرف صوت الشيخ. وغمغم الشيخ ثم عاد إلى ما كان فيه من حديث، ولحديث البخل عنده قيمته فقال: «هيه ... سبحان من يرث الأرض ومن عليها ... هو حد منا راح يأخذ حاجة معاه ... إيه نصف ريال ولا نصف جنيه ولا حاجة فارغة زى دى ... ياما فلوس بتروح فى المسخرة»

وتشعب الحديث، وأديرت علينا أقداح القرفة أكثر من مرة ونحن لا نستطيع لما نسمع من الأيمان لها رداً. ثم سمعت صاحب الدار يسأل عن شخص اسمه عمر ورأيت الشيخ ينهض واقفاً ثم يجلس بعد بضعة ثوان؛ ولكنه لا يلبث حتى ينهض مرة ثانية فعجبت وخفت أن يكون ذلك منه نذيراً بحريق جديد؛ وما جلس للمرة الثانية حتى صاح صاحب الدار بمن يدعى عمر

كرة أخرى . فهب الشيخ واقفاً من فوره ، ففطنت أنه لن يطيق أن يسمع اسماً من أسماء الخلفاء الراشدين وهو جالس ، وتتبعته أنظر مبلغ ما فى هذا الظن من صحة فاتسق لى القياس كل مرة

وكان ذلك قد ألهانى لحظة عن صاحبى الذى سرت الدهشة فى وجهه لذكر نصف الريال والذى أخذ إجلاله للشيخ وإعانه به يتغلب شيئاً فشيئاً على مظاهر النكران والجحود فى وجهه وخوافق العلم والفلسفة فى نفسه ورأسه ! ...

ودخل رجل فشكا إلى الشيخ أن ابنه لا ينام ليله مستريحاً ، وتناول الشيخ ورقاً وقلماً وخط له حجاباً وصرفه فخرج الرجل فرحاً مطمئناً . ودخل ثان فشكا إليه أنه محروم من البنين وأنه يتحرق شوقاً إلى غلام يؤنسه وللشيخ ما يطلب . وضحك الشيخ من سذاجته إذ يصرح أمام الناس أو يظن أن الشيخ يطلب شيئاً ، وطلب الشيخ منه منديلاً فلم يجد معه شيئاً فأخذ طاقيته ووضعها فى حجره وقرأ ثم قرأ وردها إليه وبشره بغلام؛ ونهض الرجل وكأنه يحمل بين يديه ذلك الغلام ...

ودخلت امرأة ملفقة فى ثيابها وطرحتها ترجو من الشيخ رقية لوحيدها كى يعيش ، فجاد عليه الشيخ برقية وخرجت المرأة منزهوة ؛ ودخلت بعدها غيرها تستجير ببركة الشيخ ، فإن ابنتها يرتعد جسدها الملتهب وتمسكها « الملعونة » حتى ما تفارقها ؛ وفهمت أنا أن المسكينة مريضة بحمى ربما كانت الملاريا ، وأمرها الشيخ أن تحضر وعاء به ماء ، فذهبت فأحضرته ، وتناوله الشيخ فقرأ ثم قرأ ، وصاحبى ينظر دهشاً ، وبصق فيه الشيخ بصقة على رغم علم صاحبى وفلسفته ، وناوله المرأة لتشرب ابنتها من ذلك الماء أثناء الليل ، وكم تمنيت لو قفزت من مكانى فحطمت ذلك الوعاء وأسلت بركته على رأس الشيخ !

ودخل شاب قوى البنية ، بادى الجرأة ، فما دنا من الشيخ حتى صرخ الشيخ فى وجهه يطرده ويصيح به : أيها العاصى ، ابعد عنى. وتوسل الشاب إليه حتى سمح له بالجلوس، وأمر الشيخ دراويشه ، فطرحوا ذلك الفتى ورفعوا رجليه على نحو ما يفعل معلم الصبيان فى المكتب ، وتناول الشيخ عصاه وهم يضربه . فاستجار الفتى بالنبي ، فألقى الشيخ العصا وهم واقفاً ، ثم أمر أعوانه فأطلقوه ، وأخذ عليه الشيخ العهود والمواثيق ويده على المصحف ، ثم صرفه والناس يعجبون كيف عرف الشيخ أنه شقى ، ونسوا أن للشيخ دراويش هم مصدر علمه اللدنى العجيب

وجاء بعد ذلك أمر حيرنا معاً أنا وصاحبى ، وحار منظارى حتى كدت أشك أن الشيخ قد أفسد على بكراماته سحره ، فقد جىء للشيخ بأربعة فتيان متهمين فى سرقة فجلسوا أمامه يرتعدون فرقاً وكلهم ينكر ما نسب إليه ، ولما يئس منهم الشيخ طلب بيضة بطة أو أوزة فذهب صاحب الدار ليحضرها ولما عاد بها قابله أحد الدراويش عند الباب وأخذها منه ، ثم وضعها فى جيبه حتى طلبها الشيخ فأخرجها وأعطاها إياه أمام أعيننا ووضعها الشيخ تحت يسراه ، ثم قرأ وقرأ وقال إنه سيرفع يده فتتجه البيضة إلى السارق ، ونظر فى وجوه الفتية فأصروا على إنكارهم . وما كان أشد عجبى وعجب الجالسين جميعاً أن رأينا الشيخ يرفع يده فتظل البيضة فى مكانها بضع ثوان ، ثم تبدأ تتدحرج وتقف ، ثم تتدحرج وتقف ، وعظم خوف السارق بطبيعة الحال ، وقبل أن تنحرف البيضة إلى من سرق أخذها الشيخ وقد بعدت عنه نحو ثلاثة أذرع وأمر الفتية أن يخرجوا فيفضى من سرق منهم بسره إلى من يرسله معهم من الدراويش ، وعاد ذلك الدرويش بعد قليل يحمل المصاغ المسروق !

وأقبل من فى الحجرة على الشيخ يقبلون يديه، ونظر إلى صاحبى وقال فى لهجة عجيبة : « وما قولك ؟ بل ماذا يرى منظارك فى هذه المعجزة ؟ » ونهض الشيخ واقفاً فدعا دراويشه ومن جالس معه إلى « حلقة ذكر » وبدأ ذلك الذكر فى حماسة شديدة واشتدت الحركات وارتفعت الأصوات، ونسى الناس أنفسهم حول الشيخ وعظمت الرهبة فى وجه صاحبى الشاب فأمسكت بذراعه مخافة أن يثب فينضم إلى الحلقة !

وكان موعد تقديم الطعام قد قرب فانتظرنا وصاحبى حتى انتهت لحظة التجلى، وخرجنا بعدأن سلمنا من بعد على الشيخ ومن معه وسرنا وصاحبى يسألنى فى لهجة كلهجة طفل خارج من ملعب يستوضح أباه حركة (بهلوان) ؛ ولم نكد نبعد حتى سمعنا من يشاركنا الحديث ، فإذا هو أحد دراويش الشيخ السالفين وهو اليوم من الخارجين عليه ، وقال ضاحكا : طول ما فى البلد مغفلين وأكل العيش سهل . يا سيدنا الأفندى البيضة كانت موجودة فى جيب صاحبنا غير الثانية ، وهى فارغة وفى جوفها خنفسة ... دا شغل احنا عارفينه ، وبكرة ياما يشيل الشيخ من الطيور والسمن والخرفان وهو خارج من البلد . وضحك صاحبى وأخذ يعود إلى جحوده ونكرانه

الخفيف

العقد الفـــريد

للأستـــاذ محمد سعيد العريان

« بعد أسابيع قليلة ، تظهر الطبعة الجديدة من كتاب « العقد الفريد » ، التى تنشرها المكتبة التجارية بالقاهرة ، فى ثمانية مجلدات ؛ وقد حققها وضبطها وراجعها على مصادرها الأولى الأستاذ محمد سعيد العريان

« ونحن ننشر فيما يلى المقدمة الجامعة التى قدم بها هذه الطبعة للتعريف بالكتاب ؛ إذ كان مما يهم كثيراً من قراء الرسالة أن يعرفوا عن الكتاب ما لا بد أن يعرفوه ؛ وخاصة إن كان هذا البحث مما يدخل فى النهج الذى أعدته وزارة المعارف لامتحان المسابقة بين المدرسين للترقية إلى المدارس الثانوية »

يُعَدُّ كتاب « العقد » لابن عبد ربه من أقدم ما وصل إلينا من كتب الأخبار والنوادر ؛ لم يسبقه إلى هذا الباب فيما نعرف إلا ثلاثة نفر : الجاحظ صاحب البيان والتبيين ، سنة ٢٥٥ هـ ؛ وابن قتيبة صاحب عيون الأخبار ، سنة ٢٧٦ هـ ؛ والمبرِّد صاحب الكامل سنة ٢٨٥ هـ

على أن ابن عبد ربه وإن كان مسبوقاً إلى التأليف فى هذا الباب قد اجتمع له فى هذا الكتاب ما لم يجتمع مثله فى كتاب قبله ولا بعده من كتب هذا الفن ، فكان بذلك حقيقاً بالمنزلة العلية التى أحلّه إياها أدباء العربية ؛ إذ كان مصدراً من أهم مصادر التاريخ الأدبى التى يُعوَّل عليها ويُستند إليها ، بحيث لا يغنى غَناءه كتاب فى المكتبة العربية على غناها وما احتشد فيها من تراث أدباء العرب

والحق أن هذا الكتاب هو موسوعة أدبية عامة ، يوشك مَن ينظر فيه أن يجزم بأنه لم يغادر شيئاً مما يهم الباحث فى « علم العرب » إلا عرض له ، وأعنى بـ « علم العرب » مجموعة المعارف العامة فى الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع التى تتكون منها عناصر الثقافة العربية العامة لعهد مؤلف هذا الكتاب ؛ وحتى الفروع التى انشعبتْ من علم العرب قريباً من ذلك التاريخ واختصت بالبحث فى « علوم الدين » ثم تميَّزت باستقلالها ... لا يَعدَم الباحثُ أن يجدَ فروعاً من مسائلها قد عرض لها صاحب العقد فى أبواب متفرقة من كتابه ، لعله لا يجد لكثير منها نظائر فى كثير من الكتب الخالصة للبحث فى هذه العلوم

وثمة فضل آخر يميز صاحب العقد على سابقِيه ممن عرضوا لهذا الباب ، هو أن ابن عبد ربه أندلسيٌ من أهل الجزيرة يتحدث عن أدب المشارقة فلا تقصِّر به مغربيَّته عن اللحاق والسبق ؛ ولعل هذا كان بعض دواعى ابن عبد ربه إلى تأليف كتابه ؛ إذ كان فى طبعه من المنافسة وحب الغَلَب ما يحفزه إلى هذا المضمار ، كما سنذكره بعد

وليس بى من حاجة إلى الحديث عن نهج صاحب العقد فى تأليف كتابه ؛ فقد تكفل هو بتبيان ذلك فى مقدمة الكتاب ؛ ولكن الذى يعنينى أن أذكره هنا ، هو أن ذلك النهج الذى سلكه مسبوقاً إليه وسلكه كذلك مَن بعده ، كان يستند إلى قاعدة مقررة « فى علم الأدب » كما عرفه القدماء . أنظر إلى ابن خلدون يقول فى مقدمة تاريخه : « هذا العلم – يعنى علم الأدب – لا موضوع له يُنظَر فى إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهى الإجادة فى فنَّى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة ، من شعر عالى الطبقة ، وسجع متساو فى الإجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة ، يستقرى منها الناظر فى الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعض من أيام العرب ، ليفهم به ما يقع فى أشعارهم منها . وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة ؛ والمقصود بذلك كله ألا يخفى على الناظر فيه شىء من كلام العرب وأساليبهم ومناحى بلاغتهم إذا تصفحه ... ثم إنهم إذا أرادوا حدَّ هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والأخذ من كل علم بطَرَف »

هذا الحد الذى ذكره ابن خلدون فى تعريف علم الأدب – توفى سنة ٨٠٨ هـ – ، كان معروفاً لكل المشتغلين بالأدب قبل عهد ابن خلدون ، وعليه كان نهج المؤلفين قبل ابن عبد ربه وبعده : يجمعون من أشعار العرب وأخبارها ، ويأخذون من كل علم بطرف ؛ ليكون من ذلك سبيل إلى تحصيل الملَكة ، وإلى الإجادة فى فنَّى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ؛ وإذا كان ابن عبد ربه لم يقصد من كتابه إلى أكثر من هذا المعنى ، فقد كان ذلك نهجه فى تصنيف كتابه والحشد له ، والتفنن فيما ينقل

ويختار من أشعار العرب وأخبارها ، ومن أطراف كل علم وطرائفه

ولقد وفق ابن عبد ربه فيما جمع لكتابه من فنون الأخبار ، ورعته العناية رعاية هيأت لكتابه الخلود والذكر ؛ فإن كثيراً مما اجتمع له في هذا الكتاب قد عصفت الأيام بمصادره الأولى فدرست آثارها وضاعت فيما ضاع من تراث المكتبة العربية وآثار الكتاب العرب ، وبقي العقد خلفاً منها لا غناء عنه ولا بديل منه ، يرجع إليه الأديب والمؤرخ واللغوي والنحوي والعروضي وصاحب الأخبار والقصص ، فيجد كل طلبته وغرضه ولا يستغني عنه غير هؤلاء من طلاب النوادر والطُّرف في باب الطعام والشراب والغناء والنساء والحرب والسياسة والاجتماع ومجالس الأمراء ومحاورات الرؤساء ، وغير ذلك مما لا يستوعبه الحصر ولا يبلغه الإحصاء

* * *

على أن ابن عبد ربه لم ينظر فيما جمع لكتابه من الفنون نظر المختص ، بحيث يختار ما يختار لكل فرع من فروع المعرفة بعد نقد وتمحيص واختبار ، فلا يقع منه في باب من أبواب الفن إلا ما يجتمع عليه صواب الرأي عند أهله ، لا ؛ ولكنه نظر إلى جملة ما جمع نظر الأديب الذي يروي النادرة لحلاوة موقعها لا لصحة الرأي فيها ، ويختار الخبر لتمام معناه لا لصواب موقعه عند أهل الرأي والنظر والاختصاص . أنظر إليه فيما روى من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً ، تجد الصحيح والمردود والضعيف والمتواتر والموضوع . واقرأ له ما نقل من حوادث التاريخ وأخبار الأمم والملوك ، تجد منه ما تعرف وما تنكر ، وما تصدق وما تكذب ، وما يتناقض آخره وأوله ، ولم يكن ابن عبد ربه من الغفلة بحيث يجوز عليه ما لا يجوز ، ولكنه جامع أخبار ومؤلف نوادر ، جمع ما جمع وألف ما ألف ، ولكل ناظر في الكتاب بعدُ ما يأخذ وما يدع . ذلك كان شأنه وشأن المؤلفين في هذا الفن من قبله ومن بعده ، على حدود متعارفة بينهم ورسوم موضوعة . على أن ذلك لا يعني أن ما جُمع من مثل تلك الأحاديث وهذه الأخبار ليس له مغزاه عند أهل الاختصاص والفن ، ولكنها أشياء للاستدلال لا للدليل كما يقول أصحاب المنطق

* * *

ذلك هو موجز الرأي في التعريف بهذا الكتاب وقيمته فيما عرض له من أبواب العلم والأدب ، وبقي علينا أن نعرف المصادر التي استند إليها ابن عبد ربه من الكتب والرواة

يقول ابن عبد ربه في مقدمته : « وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب ، وإنما لي فيه تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش لصدر كل كتاب ؛ وما سواه فأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء

وهذا الذي يقوله المؤلف في وصف كتابه، يدعونا إلى السؤال: من أين اختار ابن عبد ربه مختاراته ؟ وما هي مصادره الأولى ؟

انظر إليه تجده يروي عن الشيباني ، والمدائني ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، والعتبي ، والشعبي ، والسجستاني ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد ، والرياشي ، والزيادي ، وابن سلام ، وابن الكلبي ، وغيرهم من علماء المشارقة ؛ وعن الخشني ، وابن وضاح ، وبقي بن مخلد ، من علماء الأندلس ؛ فأي هؤلاء لقي ابن عبد ربه فأخذ عنهم شفة إلى شفة ، وأيهم نقل إليه من أخباره راوية عن راوية ؟

لم يعرض أحد ممن ترجموا لابن عبد ربه – للحديث عن رحلة له إلى المشرق ، إلا فروضاً نظرية استنبطها بعض المتأخرين لدلائل يستند إليها في كتاب « العقد » ولا نراها تصلح للاستدلال ؛ فلم يبق إلا أن صاحب العقد قد رَوَى من أخبار المشارقة ما نقل إليه حيث هو في مُقامه من قرطبة ، ولم يعبر البحر ولم يركب الصحراء ؛ وقد كان من شيوخ ابن عبد ربه في الأندلس كما سنذكره بعد : الخشني ، وبقي بن مخلد ، وابن وضاح ؛ وللأولَين منهم رحلة إلى المشرق ورواية

على أن كثيراً من كتب المشارقة وعلومهم كانت ذائعة بالأندلس لعهد ابن عبد ربه ، وكان لها عند العلماء منزلة ومكان ؛ فليس ثمة ما يمنع أن يكون ابن عبد ربه قد استعان كثيراً أو قليلاً بما كانت تضم المكتبة العربية في قرطبة من آثار المشارقة .

(البقية في العدد القادم) محمد سعيد العريان

أجندة أمين عبد الرحمن

أهدت إلينا مطبعة أمين عبد الرحمن « الأجندة » و « مفكرة الجيب » اللتين أصدرتهما للعام الجديد . وهما متقنتا الطبع على ورق مصقول ومجلدتان خير تجليد .

الشروق ...

[مهداة إلى «الرسالة» عروس المشرق في صباح عيدها التاسع]

للأستاذ محمود الخفيف

شدَّ ما ذكَّرَ قلبي الفرحا   مولدُ النورِ على الأفقِ البعيدِ
كم هفا القلبُ إليه وصحا   واجتلى في الشرقِ هذا الوضحا
ورأى في كلِّ ركنٍ بسمةً
حلوةً تهدي إلى الصبحِ الوليد

في شعابِ النفسِ ألقى الابتساما   فلقد همتُ بمسراه المديدِ
زدتُ ما دُرتُ بعينيَّ هياما   بسنًا يا حسنَه إذ يترامى!
لمحاتٌ كابتساماتِ المنى
ورؤى مثلُ رؤى الحلمِ السعيد

السنا الورديُّ حولَ الأفقِ   ذابَ في فيضٍ من النورِ جديدِ
ملء نفسي سحرُ هذا الشفقِ   ألقٍ أجملْ به من ألقِ
أمسِ كم كان لروحي منهلا
قبلَ هذا الشكلِ في قلبي الشهيد

رفَّ قلبي للسنا المنسكبِ   في جنابٍ أخضرِ الزرعِ رغيدِ
رمتِ الشمسُ خيوطَ الذهبِ   فجرتْ فوقَ رفيفِ المعشبِ
نهلتْ عيناي من بهجتها
آه! كم طفتُ بها غيرَ وحيد

ونسيمٍ عبقريٍّ خفقِ   سرقَ العطرَ من الزهرِ النضيدِ
عبقتْ أنفاسُه في الغسقِ   ومسرت في صبحهِ المؤتلقِ
راحَ يشتاقُ فؤادي عطرُه
هاتفاً في خفقِهِ هل من مزيد؟

لألأ النورُ رؤوسَ الشجرِ   في انهلالٍ بالغِ الحسنِ فريدِ
ووميضُ الطلِّ فوقَ الزهرِ   زادَ حولي عبقريَّ الصورِ
مجتلى صليتُ في محرابه
حالمَ النظرةِ صوفيَّ السجود

ساجعاتُ الأيكِ في ألحانها   فرحةٌ مرّتْ على قلبي العميدِ
المراحُ الحقُّ في تحنانها   وهنيء العيشِ في أفنانها
سجعاتٌ لم تشبْها كدرةٌ
بدأتْ في مولدِ الدهرِ الأبيد

أيقظَ الغافينَ نورُ المشرقِ   حبذا يقظتُهم بعدَ همودِ
أنا ما بينَ خيالٍ مونقِ   ملءُ نفسي ونهارٍ مشرقِ
لمعٌ في الشرقِ يوحي نورُها
لفؤادي من أحاديثِ الخلود

مطلعُ النورِ شجاني نورُه   وجلا للنفسِ موموقَ العهودِ
أجملُ البشرِ لنفسي ذكرُه   أبداً يبهجُ روحي سحرُه
كم بعثتُ النفسَ في آفاقه
كلما ضاقتْ على نفسي قيودي

في فجاجِ الشرقِ أطوي الأعصرا   من زمانٍ شامخِ العزِّ وطيدِ
إبتنى المجدَ به عالي الذرى   سادةٌ كانوا كآساد الشرى
شدَّ ما يملأ نفسي كبرةً
أنْ أغنّي بالميامين الأسود

دولةُ الفاروقِ هزّتْ خافقي   وازدهاني الملكُ في دارِ الرشيدِ
أتأسّى بجلالٍ صادقِ   كلما ضقتُ بشكٍّ طارقِ
في غدٍ يوقظُ فتيانَ الحمى
ومضاتُ الوحي من مجدٍ تليد

آذنَ المشرقُ بعدَ الغلسِ   بصباحٍ دافقِ النورِ جديدِ
لاحَ لي من فجرِه المنبجسِ   لمحُ نورٍ ليسَ بالمختبسِ
إيه كم أبهجني من نوره
مولدٌ هلَّ على الأفقِ البعيد!

صغتُ هذا الشعرَ من غرّته   وتغنّيتُ به حلوَ النشيدِ
من سنا الشرقِ ومن روعته   ومعاني السحرِ من فتنته
والوضاءِ الغرِّ من أيامه
وحيُ (إلياذي) وألحانَ قصيدي

الى « الرسالة » الغراء

في عامها التاسع

للأديب إبرهيم محمد نجا

أقبلى كالربيع يخطر فى الكو ... ن ، فتهتز زهرة الأيام
أقبلى كالشباب يشرق فى النف ... س فتشدو عرائس الأحلام
أقبلى كالسرور ، كالنشوة البيـ ... ضاء أو كالشفاء بعد السقام
أقبلى كالنسيم رقرقه الفجـ ... رُ ، فغنّى بأعذب الأنغام
أقبلى كالنمير يسكبه النّبـ ... عُ فترتوى به القلوب الظوامى
كأغانى الطيور ، كالأمل البا ... سم ، أو كالضياء بعد الظلام
كالأصيل الجميل كالشفق الحا ... لم كالفجر كالضحى البسام
كالندى فى الزهور كالعطر فى الأ ... نفاس كالبدر فى ليالى الغرام
أقبلى كالسلام بعد حروب ... طال فيها تناحر الأقوام

***

يا ابنة النيل إن فى مصر نوّا ... ما ، فهزّى مضاجع النوّام
وامسحى عنهم الفتور ، يهبوا ... هبّة الأسد روّعت فى الموامى
واسكبى فى النفوس بلسمك الشا ... فى ، وبثى الحياة فى الأجسام
واحملى المشعل الكبير وسيرى ... فى طريق الحياة نحو الأمام
إنما أنت قبسة من ضياء الـ ... ـله يهدى بها قلوب الأنام
إنما أنت يقظة بعد نوم ... وبلوغ المنى ، ونيل المرام
ونعيم فى العيش بعد شقاء ... وصفاء فى الأفق بعد قتام
ووثوب إلى الأمام إلى الغا ... ية بعد النكوص والإحجام
وصعود إلى السماء إلى الذر ... وة بعد الحياة تحت الرغام
إنما أنت صرخة الحق فى الشر ... ق ، وبعث لعزة الإسلام
إنما أنت رجعة البطل الظا ... فر من ساحة الوغى والصدام
إنما أنت عودة النور والآ ... مال ، بعد الظلام والآلام

***

لك فى الشرق يا ابنة النيل ذكرٌ ... ومقام أعظِمْ به من مقام
فى فلسطين كم أسوت جراحا ... ت وكفكفت من دموع سجام
ذدت عنهم أذى المغير بقول ... يتلظى لهيبـه المترامى
ولو اسطعت غيره ذدت عنهم ... بشبا الرمح ، أو بحد الحسام
فى فلسطين ! أين ما كان فى مصـ ... رَ ، وأرض العراق أو فى الشام؟
قد ربطت القلوب بعد انفصام ... وجمعت الصفوف بعد انقسام
وزرعت الآداب فى شاطئ النيـ ... ل ، ورويتها بماء الغمام
فزكا أصلها ، وطابت فروعًا ... وتباهت بزهرها البسام
واستوت تحت ظلها لغة الدّيـ ... ن ، وقامت على أعز دعام
وحميت الأخلاق من سطوة الشر ... رِ ، وبغى الهوى ، وجهل الطغام
وجمعت الشباب فى ظل نبع ... عبقرى الرؤى ، طهور ، سام
رفرفت فوقه الأمانى ، وغنت ... فى رباه عرائس الإلهام
وهفت نحوه المواكب شتى ... تتشكى مما بها من أوام
فاسكبى فى النفوس من نبعك العذ ... ب ، وبثى الحياة فى الأجسام
واحملى المشعل الكبير ، وسيرى ... فى طريق الحياة نحو الأمام
واهزئى بالفناء يا زهرة النيـ ... ل ، وعيشى على مدى الأعوام
وابسمى للخطوب إن عبس الدهـ ... رُ ، ولا تعبئى بكيد الخصام
ولك الحق غاية وطريق ... وإمامٌ ... أنعم به من إمام
ولك الله ناصر ومعين ... وهو نعم النصير ، نعم الحامى

(طنطا) ابرهيم محمد نجا



١ — متى ينضج الأديب ؟

من قراء « الرسالة » شابٌ يقيم بإحدى قرى المنوفية ، وهو شاب يشتعل حماسةً لأدبه ، ويؤمن بأنه مظلوم أقبح الظلم ، لأن « الرسالة » لا تلتفت إلى ما يرسل إليها من القصائد الجياد

كتب إليّ هذا الشاب منذ شهرين خطاباً يشرح فيه تغافل الأستاذ الزيات عن فنه الجليل ، وكان خطابه قطعة نثرية مقبولة ، فرجوت أن يكون شعره مثل نثره ، ودعوته إلى إرسال إحدى قصائده « لأتوسط » فى نشرها بالرسالة ، فجاءت منه قصيدة طويلة تشهد بأنه بعيد من الصياغة الشعرية ، وإن كان على شيء من قوة الإحساس ... وكانت النتيجة أن أشارك هذا الشاب فى حقده على الأستاذ الزيات لتغافله عن القيمة « الصحيحة » لأشعار المبتدئين ! !

وفى هـذا اليوم تلقيت خطابين من هذا الشاب يفيضان بالتوجع والتفجع ، وينذران بخاتمة أليمة ، إن قصّرتُ فى تشجيعه على نشر ما يريد . والخواتم الأليمة معروفة ، وأخفُّها أن يحبس الشاب نفسه فى قرار النيل إلى يوم البعث ، بعث الأشعار والأجساد !

وقد تفضل هذا الشاب بإرسال صورته إليّ ، فقد تبخل الأقدار بأن أراه ، وعندئذ تكون هذه الصورة مبعث ندم مقيم على ما ضيعت عليه من فرص التشجيع !

وأجيب بأن لهذا الشاب أن يقتل نفسه حين يشاء ، ما دام يتوهم أن الحياة كل الحياة أن ينشر قصيدة فى إحدى المجلات ، وإن لم يصل إلى النُّضج الصحيح

لقد قلت ألف مرة ومرة : إن التسامح مع المبتدئين جرمٌ فظيع ، لأنه يهوّن عليهم الحياة الأدبية ، ويوهمهم أن الأدب لا يفرض على أصحابه تكاليف من الدراية والخبرة والاطلاع على أسرار الوجود

اسمع . يا بنى

تنقسم الأخشاب إلى أنواع : خشب للوقود ، وخشب للسقوف ، وخشب للنوافذ والأبواب ، وخشب لدقائق الأثاث ، والنوع الأخير هو أثمن الأخشاب

فهل تعرف أعمار هذه الأصناف ؟

تتفاوت أعمارها بحسب القيمة ، فمن الأخشاب ما ينضج فى خمسة أعوام ، ومنها ما ينضج فى خمسين عاماً ، لأن الطبيعة لا تقدر على إنضاج الصنف الجيد إلا فى الأزمان الطوال

فكم سنك ، يا بنى ؟ كم سنك ، فلن تكون قيمتك إلا بقدر ما أنفقت الطبيعة من الزمن فى تكوين عقلك ؟

صورتك تحدثنى بأنك لم تجاوز العشرين ؟ فهل تصدِّق أن الأدب الجيد يتمّ لأحد فى سن العشرين ، تلك أيامٌ خلَت ، حين كان جمهور الشاعر والخطيب من عوامِّ الناس ، أما اليوم فجمهور الشاعر والكاتب والخطيب ، جمهور مزوَّد بثقافات لا تخطر لمن كان فى مثل سنك على بال ، وهو جمهور لا يتصدق على أحد بالمنازل الأدبية ، وإنما يخضع راغماً لسيطرة العبقريين ، أو شهرة النوابغ ، فانتظر حظك إن استمعت قولى وأجّلت توديع الحياة إلى أجل بعيد

وتقول إنك تحب ، وإن لك عواطف تستحق التسجيل

فما أنت والحب ، وهو من مثلك أشبه الأشياء بعبث الوليد؟

الحب من مثلك فورة سطحية لا تصل إلى أعماق الروح ، لأن الحب أيضاً يَفرض ألواناً من التثقيف ، وهى عزيزة عليك ، لأنك فى سن العشرين ، سن الأطفال ، فإن لم يكن بدٌّ من أن تعبر عن عواطفك فعبِّر عنها بأسلوب من يكون فى سنك ، وذلك بمضِّ الأنامل ، أو نطح الجدران ، أو الامتناع من تناول الغذاء ! !

اسمع ، يا بنىّ

لعلك خُدِعت بما كان يقال من بخل الكهول بتشجيع الشباب ، فجئت تتهم صاحب « الرسالة » بالتجنى عليك ، فاعرف الآن أن ذلك اتهامٌ مردود ، وإنما الحق كل الحق أنك لم تقدم شيئاً يحسن عرضه على القراء ، فأنت ما زلت فى دور التكوين ،

إلا أن تريد أن يكون عمر مواهبك قريباً من عمر خشب الوقود، وهذا أيضاً أنواع، فخشب السنط يحتاج إلى عمر أطول من عمر الصفصاف، ليكون أقوى وأنفع، والقوة والنفع لا يوهبان فى الزمن القليل

يجب أن يعرف شبان اليوم أن الصحافة الأدبية ليست ميداناً للتمرين، فالقارئ لا يدفع « القرش » إلا إذا اطمأن إلى أنه سيجد زاداً للعقل والقلب والذوق. والصحافة الأدبية هى عنواننا فى الشرق، فيجب أن تكون حروفها من عصارة العقول والقلوب، وتلك هى المزية الأصيلة للصحافة الأدبية فى هذا الجيل

أقول هذا، وأنا آسف، فقد كنت أحب أن يكون فى الصحافة ميدان للتمرين، ولكن ما الذى يصنع الصحفيون وقد صارت الصحافة من الميادين الاقتصادية، والنضال فى عالم الاقتصاد لا يفوز فيه إلا من يقدمون أجود الأصناف؟

قلت لكم من قبل إن الكاتب الذى يعتمد على ماضيه كاتب مخذول، لأن القارئ يحكم على الكاتب بآخر مقال. ولمجلة الرسالة ماضٍ جميل، ولكنها لا تعتمد عليه، وإنما تعتمد على ثروتها الجديدة فى كل أسبوع، فاعرف ذلك أيها الأديب المتنظِّر. أعد نفسك لجهاد الأيام المقبلات. كتب الله لك العافية، ونجاك من جميع الأسواء؛ إنه قريب مجيب.

٢ — الى الأستاذ سباعى بيومى

نشرت الرسالة كلمة بإمضاء محمد فهيم عبيد عن كلام وقع منك وأنت تحاضر عن المبرد بمدرسة دار العلوم، فقد تحدثت عن أخلاق الشيخ سيد المرصفى بما لا يليق، فإن كان ذلك الكلام لم يقع منك فانفِه فى العدد المقبل، وإن كان وقع منك فسارع إلى الاعتذار، إبقاء على ما بينى وبينك من وداد، فما أستطيع السكوت عن رجل يتعرض لأخلاق الشيخ سيد المرصفى بسوء، ولو كان من أعز الأصدقاء

وإلى أن يثبت أن الراوى افترى عليك، أعلنُ غضبى على ما بَدَرَ منك، فقد كنت أظن أنك تعرف أن الشيخ سيد المرصفى له تلاميذ يحفظون عهده الوثيق

وسنرى كيف تجيب، إن كنت فى العدوان على ذلك الرجل العظيم من الأبرياء

زكى مبارك

بحث لا تجريح

عزيزى الأستاذ الزيات

بعد التحية. أرجو أن يتسع عدد الرسالة القادم لرد أطلعنى عليه اليوم عبد الرحمن أفندى أيوب الطالب بدار العلوم على التعليق الذى نشر فى عدد الرسالة الماضى على محاضرتى « أسلوب المبرد فى كامله » ولك الشكر

السباعى بيومى

... مسألة المرحوم المرصفى لم تبلغ من الأمر ما وصف، وبفرض ذلك فمنذ متى كان المرصفى من المقدسين الذين لا يجوز تخطئتهم ولا نقدهم؟ وإذا كان لتقدمه فى الزمن سلفاً صالحاً — كما يعبر الكاتب — مبرأ من العيوب، أفليس من باب أولى أن يكون المبرد تبعاً لهذا القياس أصلح منه وأقوى لغة وأدباً وعلماً كما هو الواقع، يزين كل هذا تواضع واعتراف بأن هذا أمر لا يعرفه إذا لم تكن له به سابقة علم، بينما يعبر المرصفى بقوله: « كذب المبرد فى هذا »، و « المبرد فى هذا كاذب » دون تورع عن هذا التعبير الجاف الجافى

إن الأستاذ السباعى لم يقل عن المرصفى إلا أنه كان يملكه الغرور؛ والمرصفى ذاته يسجل على نفسه هذا فى كل ما كتب خاصة فى مقدمة « رغبة الآمل وأسرار الحماسة »، وكأنه لا يعترف لأحد سواه بعلم من المتقدمين أو المتأخرين

والأستاذ السباعى فى حديثه عن المبرد وما يتصل به إنما يصدر فى ذلك عن دراسة بعيدة الأمد؛ فهو قد كتب « تهذيب الكامل » من أكثر من عشرين سنة؛ ثم كانت طبعته الأولى سنة ١٩٢٣. فهل يستطيع الزميل أن يرينى مظاهر الأستاذية بعد أن يعلم أن الطبعة الأولى من رغبة الآمل كانت سنة ١٩٣٠، وأن فهارس الكتاب وعناوينه تتفق إلى حد كبير مع تلك التى كان أستاذنا السباعى أول من نظمها فى كتابه الذى سبق كتاب المرصفى بنحو سبع سنين. أم أن الأمر لا يعدو أسبقية الزمن فيحكم الزميل بهذه الأستاذية فى سذاجة سطحية

إن الكمال العلمى لا يهتم كثيراً بالتوافه، وإن الساحة الفكرية فى دار العلوم تسمح بكل شىء إلا التهجم والنيل المستور بستار من الغيرة أو الحماسة للعلماء

عبد الرحمن أيوب



من أيام الصبا

للأستاذ محمود البدوى

كنا خمسة ... خمسة من الشبان المتمردين على الجماعة والخارجين على حدود الناس ، والذاهبين مع مرح الشباب ولهوه ... كنا قد انقطعنا عن المدرسة ، وتخلفنا عن الرفاق ، وسرنا مع نزق الشباب وطيشه ، فطُردنا من الأهل وحُرمنا من الصحب ، وتقطعت بنا الأسباب ... وذهبنا على وجوهنا نبغى العيش من التصعلك والتشرد وركوب متن الأهواء ... ثم ارتددنا على أعقابنا ، وضمتنا القرية الحبيبة بعد طول شتات ... فانطلقنا نعمل فى الحقول ونشرف على حراسة المزارع ...

وكانت الأيام المشردة قد مسحت ما على أجسامنا من غضارة المدينة ولينها ، فالتفت سواعدنا واشتد عودنا ، وأصبحنا أقوى ساعداً وأعظم قوة من هؤلاء الريفيين الذين يقضون حياتهم بين أحضان الطبيعة ، ناعمين بالحياة الحرة ، فى الهواء الطلق ، والجو المشمس ...

كنا جالسين فى حقل من حقول المزرعة وحولنا الأجران ، والليل ضارب بجرانه والصمت رهيب ... وكنا قد تأخرنا عن زمن الحصاد ، فحرمنا بذلك من أمتع « أيام الصبا » ولهوه ... كنا نقف وراء صفوف الحاصدين ونرقب هذه السواعد القوية وهى تطوى سنابل القمح طيًّا ، وخلفنا الفتيان الأشداء يكومون الأحمال وينيخون الإبل ، ونساء الفلاحين يلتقطن السنبل الساقط ، ويجمعن قوت الأيام السود ... وكنا نزجر العجائز الدميمات منهن ، وندع الصبايا الجميلات يتوغلن حتى الحقول ... كانت أسواطنا تخطئ دائماً ... ومع ذلك ، فما قطعنا القلوب حسرات ، ولا ندمنا على ما فرط منا من إثم ... كنا ذاهبين مع الصبا بقلوب نزقة ، لا نحسب لأوضاع الناس حسابا . نتخذ من عطلة الصيف وأيام الحصاد مرتعاً خصباً لشبابنا الجامح وعواطفنا الجائشة ... ونظل النهار بطوله واقفين فى قلب المزرعة تحت لفح الشمس ، لا نكل ولا نمل ، لأننا نرى فى كل ساعة وجهاً فاتناً صبوحاً من تلك الوجوه القروية النضرة التى تستغرق الطرف ، وإن كانت تعيش فى ظلام الفقر وبؤسه ...

فإذا أقبل المشى انطلقنا وراء الإبل المحملة بالقمح ، وخلفها الجمالون يحدونها بأصواتهم الشجية ... حتى نبلغ الأجران ، فتناخ الإبل ، وتفك عنها أحمالها ، وهى تهدر هديراً قوياً كان يبعث فينا النشاط والحماسة والقوة ...

فإذا تمت الأجران وعلت كالأطواد اتخذنا من ظلالها

جائزة بابا نوبل

ذكرتنى مقالة « ذوى السلطان » فى بعض أعداد الرسالة الأخيرة بعظيم آخر من المتعاقلين المتعالين كنت مرؤوساً له يوم نشرت ترجمتى لأقاصيص طاغور ، وقد أهديت نسخة منها إليه بمحضر من بعض أصدقائه

قال وهو يتعالم : « طاغور هذا رجل عظيم »

قلت : « هو ممن حازوا جائزة نوبل »

وما كدت ألفظ بكلمة نوبل حتى بدت عليه علائم خيبة الأمل فىّ وقال فى صوت شديد الدلالة على الأسف : « أو أنت أيضاً تنطقها بالباء »

قلت فما صحتها أفادنا الله بعلمك ؟ فقال هى جائزة بابا نويل وقد حذفت كلمة بابا على سبيل التخفيف ، ثم شاعت كلمة نوبل من باب التحريف

قلت أفادكم الله ! وما أحسب الحائزين لجائزة نوبل إلا فرحين مبتهجين لو ردت إليهم الطفولة فاستبدلوا بالجائزة هدية من هدايا بابا نويل

وانصرفت مع أحد الذين حضروا الحديث ، فقلت له ما رأيك فيما سمعت ؟

قال : العلم واسع

قلت : والجهل أوسع

عبد اللطيف النشار

وأوكارها أعشاشاً لنرامنا. كان كل شيء في تلك الساعات النزقة اغتصاباً وقسوة. كانت لنا الساعة التي نحن فيها، لم نكن نفكر في المستقبل، ولا كانت عيوننا ترتد إلى الماضي. كنا نطوى الشهور في المزارع بين الرياض والغياض، ولا نرى منازلنا إلا نادراً. كان من الصعب علينا أن نحبس قوتنا الدافقة وحيويتنا العظيمة بين الجدران. كنا كالأعشاب البرية وهي تنمو تحت أشعة الشمس على أتم غراس وأنضجه، نفتح سواعدنا عند ما يشعشع النور ونستقبل بصدورنا ندى الفجر، ونود من قوة عضلاتنا لو نقاتل ونرضى تلك الغريزة الفطرية في الإنسان

كنا مسلحين دائماً حول أجسامنا أنطقة البارود، فإذا أقبل الليل وضل إنسان العين في سواده، صوبنا بنادقنا في كبد الفضاء، وأطلقنا النار وأرسلنا عيوننا وراء سهام البارود النارية وهي تخترق حجب الظلام الكثيف، وملأنا خياشيمنا برائحة البارود...

كانت تلك الليالي من أمتع ليالي حياتنا، وكانت ذكراها تبعث فينا الحماسة والنخوة... كنا نذكرها وكأننا ننظر إلى حلم جميل ولى

رحنا نسترجع تلك الذكريات الحلوة ونحن جالسون في هذه الليلة الصيفية المظلمة على جرن عال يشرف على أجران المزرعة، والظلام من حولنا شديد، والمكان موحش رهيب...

وكان جرن كبير من الأجران قد ذُرِيَ وأعد قمحه للمخازن. وكان علينا أن نسهر عليه حتى تنطوي لحمة الليل، فأخذنا نتبادل الأحاديث الممتعة ونطرد النوم بكل الوسائل... أوقدنا النار، وشربنا الشاي، ولمعنا البنادق وملأنا خزاناتها بالرصاص

وكان ينهض واحد منا كل ساعة ومعه كلبان من كلاب الحراسة، فيدور حول المزرعة ويتفقد مرابط الخيل وحظائر الماشية...

ونهض أحدنا، وكنا مستغرقين في الحديث فلم نشعر بغيابه...، وسمعنا على غرة نباح كلاب شديد قادم من شرق المزرعة... ثم ومض البارود، وأز الرصاص، وملأ الدخان عنان الجو، فنهضنا مسرعين واتجهنا إلى الناحية التي سمعنا منها صوت الطلقات... ثم خفنا أن تكون هذه حيلة بارعة لتبعدنا عن المزرعة، فعدنا إلى مكاننا وأعيننا لا تتحول عن سهام النيران الحامية...

وانقطع صوت النار وبقي صوت الكلاب، وأخذ نباحها يقترب منا... ثم برز شبح في الظلام، فصوبنا بنادقنا وهتفنا بالقادم... فرد علينا اسماعيل (أحد رفاقنا) بصوت أجش... واقترب منا وهو يلهث، ووجهه يتصبب عرقاً، وغدارته تفوح منها رائحة البارود...

فصحنا في صوت واحد

— هل أصبت...؟

— لا والله الحمد... وإنما كدت أن أقتل... وكل ذلك بسبب هذين الملعونين...

واستطرد وهو يشير إلى واحد من الكلبين

— لن ترافقني مرة أخرى يا مسعود!

فسأله رفيق له:

— هل مررت على القرية؟

فأجاب في إيجاز متعمد:

— أجل...

— وهل كان من الضروري ذلك في هذه الساعة من الليل...؟

— أجل... كنت في حاجة إلى تبغ...

— أكنت في حاجة إلى تبغ أم كنت في حاجة إلى شيء آخر...؟

فصمت ولم يجب على أن وجهه كان ناطقاً بفعلته...

وسأله أحدنا مازحاً:

— أكنت تمس حول المزرعة أم كنت تسطو على بيوت الناس؟... هكذا والله هي الحراسة...

وضحكنا جميعاً، وعدنا إلى مكاننا الأول من الحقل، وجلس اسماعيل ناحية، وأخذ يمسح بندقيته، وعلى وجهه سمات من ارتد خائباً بعد جهاد طويل

وسأله أحدنا:

— ولكن لماذا أطلقت النار...؟

— أنا لم أبدأ بإطلاق النار ، وإنما هم الذين بدأوا ...

— هم ... ! من هم ... ؟ من الذى أطلق عليك النار ... ؟

— بصر بى بعض الفلاحين عند ما نبح هذا الكلب الملعون وظنونى لصاً ... وكنت على قيد أذرع من خبائها ... فأطلقوا النار فى الهواء . فنبت فى جوف الظلام وأطلقت طلقتين معاً .. وجريت ... وحلت لى هذه المطاردة وتصورت نفسى لصاً يبتغى السرقة لا مخلوقاً دنيئاً يسطو على خباء امرأة فى غلس الليل وتحت ستاره ! وبادلت الفلاحين الطلقات السريعة . فظنونى عصابة كاملة من الأشقياء ثم راوغت تحت جناح الليل ووليت هارباً

— ما كان أحلاها قتلة ... !

— أجل والله ما كان أحلاها قتلة ... وما كان أطيب وقع المنى على نفسها . . . !

وقال عثمان وهو يبتسم ابتسامة عريضة وكان أشد رفاقنا بطشاً وأعظمهم قوة :

— أي مشقة يلاقاها الرجل دائماً وهو فى طريقه إلى الرذيلة ومع ذلك لا يزدجر . . . !

وصمت برهة ليشعل لفافة تبغ . . . والابتسامة لا تبارح وجهه القوى التقاطيع الدقيق الملامح . . . ثم أجاب على سؤاله بنفسه :

— لماذا ؟ أجل لماذا ؟ ألأن ركوب الصعب من الأمور دائماً شائق ، أم لأن الاستيلاء على ما فى حوزة الناس فيه إمتاع ولذة ؟ ماذا كان يحدث يا صاح لو رآك زوجها ... أى موقف حرج ... دفعت نفسك فيه ... وأى مصيدة ؟ أنا أعرف أن المرأة هى علة الشقاء الإنسانى ... كما أنها قد تكون علة هنائه أيضاً ... ذكرتنى أيها الأخ الشهم ... بحادث كدت أن أنساه فما تحدثت به لإنسان ؛ بيد أنى أشعر برغبة قوية تدفعنى إلى أن أقصه عليكم ...

فسررنا وتوقعنا فى حديث صاحبنا مناصرة ممتعة نتسلى بها حتى انبلاج الصبح

ونظرنا إليه فى شوق ولهفة ، وكان قد أطرق ، ثم رفع وجهه وقد غامت عيناه قليلاً ، ثم لانت ملامح وجهه . وأنشأ يقول بصوت واضح النبرات :

— كنت فى التاسعة عشرة من عمرى وفى أول دراستى العالية ، وكان قد مضى على سبعة أعوام فى القاهرة قضيت جانباً منها مع بعض أقربائى ، ومضيت الجانب الآخر مع بعض الأسر الفرنجية التى تنزل عن غرفة من سكنها للطلاب البعيدين عن أهليهم ... وكنت دائماً أتخير الأسر الهادئة الكريمة الخلق . وأقمت مرة مع سيدة أجنبية ، وكانت صبية جميلة وحديثة العهد بالقاهرة . وكان زوجها يعمل صحابة النهار وجزءاً كبيراً من الليل ، وكنت أرجع من المدرسة فى الساعة التى يكون فيها الرجل قد عاد إلى عمله ... ولهذا ما كنت أراه إلا نادراً . وكانت الزوجة مع جمالها دمثة الطبع ، طيبة الأخلاق ؛ فأخذت تعنى بى عناية فائقة : ترتب غرفتى ، وتنظم كتبى ، وترتق ملابسى الممزقة وتعمل لى أكثر مما تعمل لزوجها . وكانت تحب أن ترى ما فى القاهرة من حسن ، فزرنا معاً أجمل الضواحى وأنضر البساتين ، وهى تزداد بى كل يوم تعلقاً وألفة ، حتى توثقت بيننا عرى المودة وأصبحت تترقب عودتى من الجامعة أكثر مما تترقب عودة زوجها من عمله ، وأصبحت ألج عليها غرفتها فى أى وقت ، وأراها على أى حال تكون عليه ...

ومرت أيام وأنا لا أحس بوجود الزوج معنا فى منزل واحد وأصبحنا من وفرة السعادة كأننا فى حلم جميل ...

رجعت مرة إلى المنزل ساعة الظهر فلم أجد السيدة فى ردهة البيت كعادتها ، وكنا فى قلب الصيف ، والحر شديد فتمددت على فراشى ونمت . واستيقظت قبل مغرب الشمس وهتفت باسمها فلم تجب ... فنهضت من فراشى ومشيت نحو فسحة البيت فرأيت باب غرفتها مواربا فأدركت أنها نائمة

وحركت بابها برفق . . . ودخلت وعينى على السرير . . . فوجدت جسماً ممدداً ملتفاً فى ملاءة بيضاء . . . وحلى لى أن أداعبها قبل إيقاظها فتقدمت من السرير حتى قربت منها وجذبت رجلها فلم تتحرك . . . فتحولت إلى خصرها ودغدغتها . . . ووقفت أرقب حركة جسمها وأنا لا أكاد أتماسك من مغالبة الضحك المكتوم . . . وتحرك الجسم أخيراً وأزاحت الملاءة . وظهرت مقدمة رأس . . . رأس صلعاء . . . !

فذهلت وسمرت فى مكانى مبهوتاً

— كان وجه زوجها ... ؟

— أجل ...

فانفجرنا ضاحكين ... ولما هدأت عاصفة الضحك عاد الصديق إلى حديثه

— كان موقفاً حرجاً ... فشدهت ... ووقفت ذاهب النفس وجسمي يتصبب عرقاً . ثم رأيت نفسي أقول في غضب بصوت المحموم :

— سأغادر الغرفة يا سيدى ... !

فنظر إلى الرجل دهشاً ... وقال وهو يصعد في بصره :

— ستغادر الغرفة ! ما السبب يا سيدى ! ما الذى جرى ؟

— أثاث الغرفة رث ... ثم هى بعد ذلك متناهية فى القذارة

— كيف ذلك يا سيدى وقد جئنا لك بكل شىء جديد ؟

— أبداً إنها غاية فى القذارة

وتدفق من فى كلام لا أعرف له مرمى وكان لا بد من ذلك لأنجو بأعصابى

وعدت إلى غرفتى وأنا لا أكاد أتصور شيئاً مما حدث ، ولازمتنى حالة من الهدوء غريبة ... ثم لبست ملابسى وخرجت إلى الطريق ... وهنا عادت إلىّ الخواطر وأخذت أتصور الموقف على شناعته وحال الزوج بعد أن يرجع إلى نفسه ويدرك أنى كنت متهجما على مخدع زوجه ... وواضعاً يدى على سريرها ... وجسمها ... !

وظللت جزءاً كبيراً من الليل وأنا متردد بين العودة إلى المنزل أو إيفاد صديق ليجىء لى بمتاعى وكتبى . . . ثم رأيت الرأى الأول واتجهت صوب البيت وأنا مقدر كل الأحداث .. وكان الزوجان قد ناما ... وبقيت أساهر النجم حتى الصباح ...

ورأيت الزوجة فى اليوم التالى جالسة تقرأ فى كتاب على أريكة فى الردهة ... فمررت بها وأنا أذوب خجلاً . . . وتطلعت إلى وجهها فرأيته لا ينم على شىء مما حدث بينى وبين زوجها ، فقد كانت تبتسم فى مرح ... فغاظنى هذا وبلغ منى الألم مبلغه

وقضيت بعد ذلك أياماً فى البيت ونظرى لا يقوى على مجابهة الرجل، وكان يغيظنى منه بروده وهدوءه وامتلاكه زمام أعصابه وكنت أتخيل أنه بلغ مبلغاً هائلاً من خبث الطوية وبراعة الحيلة وأرى فى صمته تبييتاً لأمر فى نفسه ، وكنت أود لو يثور ويضاربنى وتنتهى المعركة بيننا مع أسوإ الفروض

وجاءت عطلة العيد فبارحت الغرفة إلى الريف ولم أعد إليها بعد ذلك أبداً . . . تركتها مخلفاً فيها أمتعتى وكتبى . . . وهى تذكار دائم على أيام هنية

ولا زلت أرى المرأة وزوجها كلما ذهبت إلى القاهرة ... وأغلب الظن أنهما لم يغيرا المنزل ... كما أن الرجل لا يزال على حاله هادئاً بارد الطبع لا تعبر ملامح وجهه عن حزن أو فرح أو أى انفعال نفسانى ... أو عاطفة من عواطف الجنس البشرى أما المرأة فقد أصيبت بأزمة نوعاً !

* * *

وفرغ صاحبنا من قصته وانطلق يدخن ، وعدنا نشرب الشاى ، وكان الفجر قد قرب وبدت خيوط النور فى الشفق ، فدرنا حول المزرعة لآخر مرة ، وكنا قد تمشينا فى أول الليل ، فلما دنا الفجر أحسسنا بجوع شديد وكان الطعام سيجىء إلينا عند الشروق ولا طاقة لنا على انتظاره فقد اشتدت علينا وطأة الجوع وأخذت بطوننا تعصرنا عصراً ...

وبعثنا اثنين منا إلى حديقة كروم قريبة ليحملا لنا منها ما يمسك بطوننا . وجلسنا فى انتظارهما بصبر فارغ وقد انقطعنا عن الحديث . وإذا بنا نسمع نباح كلاب المزرعة فجأة . فصوبنا أبصارنا تجاه الصوت فرأينا غباراً شديداً يسد عرض الأفق . ومددنا أعناقنا فأبصرنا قطعاناً كبيرة من الضأن قادمة من الطريق الزراعى الكبير ومتجهة إلى بعض القرى القريبة ... وظهر أمامها رجلان ضخمان يلوحان بعصوين طويلتين ... وحول القطيع كلاب كاسرة تطوقه من كل جانب وخلف القطيع امرأة ترتدى دثاراً أسود قاتماً ... وتهش بعصا رقيقة على الغنم وتزجر فى صوت رنان كلاب المزرعة عن كلابها ...

وقربت القطعان منا ... وكان أحد الرجلين معلقاً فى عنقه مزماراً طويلاً ... أما الآخر فكان يحمل على ظهره قربة ضخمة فيها متاعهم ... وأخذنا نرقب القطيع بعينى الصقر حتى بعد عنا فشيعناه بأبصارنا وبطوننا الخاوية تمزق أحشاءنا. وحدجنا الأحمال الصغيرة التى تتوثب حول القطيع الماضى فى طريقه بعيون جائعة ومر فى ذهننا خاطر سريع ودون أن ننبس بكلمة انسللنا فى أثر القطيع متجنبين طريقه ... وجرينا شوطاً ، ثم كنا فى جرن كبير من أجران القمح المش فى أقصى المزرعة ومرت قطعان الضأن وملأ خياشيمنا الغبار المتطاير من أرجلها . وكانت المرأة

لا تفتأ تتلفت يمنة ويسرة وتضرب الصغار بمصاها ... وجاوزوا حدود المزرعة وابتدأ الرجل حامل المزمار يزمر، ومدت القطمان أعناقها ثم تقدمت فى صمت وسكون عجيبين. وانقطعت المرأة بعد صوت الزمار عن الكلام، وسكنت حركة الكلاب وانقطع نباحها. وكان فى القطيع حمل صغير ما فتئ طول الطريق يتوثب ويركض فى كل اتجاه، ويضرب برجليه الأرض. فلما سمع صوت المزمار سكن أيضاً واستقام بأعجوبة كسائر رؤوس القطيع ... وكنا قد تهيأنا له لنقتنصه ... فاسمعنا صوت المزمار حتى شلت أيدينا وعجزنا عن الحركة، وبقينا ممددين على الأرض وعيوننا تتطلع إلى السماء وتتأمل النجوم ... ورجع المزمار الحلو يتردد. كان كأنه مزمار داود يبعث من وراء الأجيال ويدوى وحده فى هذا الليل وهذا السكون. ظللنا فى مكمننا حابسين أنفاسنا، وصوت المزمار يهفو، والقطيع يسير، ونحن نرقبه عن بعد ولا نستطيع أن نتحرك

ورجعنا إلى مكاننا من الحقل ونحن لا نستطيع أن نعلل هذه الظاهرة الغريبة التى اعترتنا فى تلك الساعة. أكان ذلك من تأثير الموسيق، أم شعور آخر أيقظته الموسيق

وعاد الرفيقان الذاهبان فى طلب الكروم ... وكان أحدهما يحمل كروماً، أما الآخر فكان يحمل شيئاً آخر ... كان يحمل حمل الضأن الذى أفلتناه من أيدينا

وأشعلنا النار وشويناه ... وكنا ننظر إلى اللهب الأحمر وهو يشوى لحمه ... ونتصوره منذ لحظات وهو يجرى ويتوثب بين رفاقه مرحاً سعيداً طروباً، فيعصر الهم أفئدتنا

ولما جلسنا نأكل انقطعنا جميعاً عن الكلام كأن على رؤوسنا الطير. وكانت كل قطعة من اللحم تستقر فى جوفنا تمزق أحشاءنا تمزيقاً ... كنا نتصور أن الحمل لا يزال يجرى ويتوثب والقطيع يسير والمزمار يزمر.

محمود البدوى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 393

Lundi - 13 - 1 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٩٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ ذو الحجة سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٣ يناير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
٢٩ الضحية ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٢ مطالعات فى الكتب والحياة لعباس العقاد ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٧ الذوق الفنى فى مصر وأسطورة نهر الجنوت ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٨ تقويم هذا العام [قصيدة] : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٩ خواطر فى رأس السنة ... : الاستاذ صديق شيبوب ...
٤١ السياسة التوجيهية فى الأزهر : الأستاذ محمد محمد المدنى ...
٤٣ العقد الفريد ... ... : الأستاذ محمد سعيد العريان . .
٤٦ شاد لها الحب لؤلؤة [قصيدة] : الأستاذ إبراهيم العريض ...
٤٨ الوصول ... ... : الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
٥٠ الجيــل ... ... : لأستاذ جليل ... ...
حول مسابقة الأدب العربى ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٥١ الرواية الاسلامية فى عدد أصحاب الكهف ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
فى ديوان إسماعيل صبرى باشا : الأديب عبد الرحمن الخميسى
٥٢ قصيدة كبلنج ... ... : الأديب عرفات الطاهر ...
ميكرسكوب كهربائى يكبر ٢٥ ألف مرة ... ... : الأديب مصطفى مشعل ...
سفساف لا سفاسف ... ... : الأديب فخر الدين غزى ...
٥٣ إلى الدكتور عبد الوهاب عزام : الأديب أحمد عبد الرحمن عيسى
٥٤ الحب والسحر ... [قصة] : الأستاذ نجيب محفوظ ...

الضحيـــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

كلمة لها تاريخ ، ولتاريخها اتصال بالعادات والعقائد وأطوار اللغات والألفاظ ، ولا سيما فى انتقالها من المحسوسات إلى المجردات ، ومن البساطة إلى التركيب

كم من الذين يتحدثون بالتضحية فى معرض الحب أو الحماسة الوطنية أو المعانى الروحيــة يذكرون أن أصلها الأول أكلة فى الضحى ؟

فالتغدية تقديم الطعام فى وقت الغـداة ، والتعشية تقديم الطعام فى وقت العشاء ، والتسحير تقديم الطعام فى وقت السحر ، والتضحية بالشاة أن تذبح الشاة أو تؤكل ضحى على هذا السياق

وهذا هو المعنى الذى صعد به الإسلام من أكلة إلى قربان إلى فداء ، إلى هذه المعانى التى نرددها اليوم كل صباح ومساء

وتاريخ الكلمات فى الانتقال من المادية إلى الروحية هو تاريخ العقل الإنسانى فى فهم الحقائق والنظر إلى الحياة

فما العقل ؟ وما الكتابة ؟ وما الفن ؟ وما الجمال ؟ وما العلم ؟ وما الرسم والتمثيل ؟ وما الجوهر واللباب ؟

كلها لها أصول لا تزال تلمس باليد وتدرك بالحس ، وكلها قد صعدت من هذه الأصول المحسوسة إلى تجريد لا تدركه العقول إلا بعد شفوف وإمعان

وإذا كانت متابعة الكلمات فى اللغة الواحدة متممة للفكر ومعوانًا على فهم الأصول والحقائق ، فأمتع من ذلك وأعون على الفهم أن تضاهى بين الكلمات فى لغات مختلفات . فإن لهذه المضاهاة فائدة صحيحة لا يستغنى عنها باحث فى علم ولا مستقص لتاريخ ولا متعمق فى دين

* * *

انتقلت التضحية من أكلة فى الضحى إلى أسمى معانى المفاداة التى يهون فيها بذل الأرواح

ولكن الفداء نفسه قد انتقل فى معانيه مثل هذا الانتقال بل أبعد من هذا الانتقال

فقد كان الفداء فى بدايته الأولى أشبه شىء « بالزيارة » التى يحملها اليوم أهل الميت إلى قبره من فاكهة يفرقونها ، أو ريحان ينثرونه ، أو ذبائح ينحرونها ويفرقونها على المساكين فى جدة الوفاة

وكان اعتقاد الهمج الأولين أن الأموات يطلبون الغذاء كما يطلبه الأحياء ، ومن هؤلاء الأموات أقوياء بطاشون ينتقمون أشد النقمة ممن يحرمهم نصيبهم فى الطعام والشراب ، ومنهم أعزاء محبوبون يشق على أحبابهم أن يتخيلوهم بعد الموت جياعاً عطاشى محرومين هائمين يبتغون الرى والشبع ولا يرتوون ولا يشبعون ، ومنهم شفعاء مقبولون يأخذون ويعطون : يأخذون « الزيارة » ويعطون بديلاً منها ما فى ضمير الزائرين والمتشفعين

وترق معنى الفداء الذى نشأ هذه النشأة قليلاً قليلاً حتى هذبته الأديان وصقلته الحضارة ، فاقترب من معنى الإحسان وابتعد من معنى الخوف على الأحياء وإشباع من فى القبور

فالذين يتصدقون بالطعام اليوم لا يقصدون به أن يأكله الموتى ولا أن يدفعوا به غضبهم ونقمتهم إذا جاعوا وظمئوا وصنعوا بالشاربين الطاعمين ما يصنع الجياع الظماء

ولكنهم يقصدون أن يحسن الله إلى موتاهم كما يحسنون هم إلى المعوزين ، ويودون أن يبلغوا أولئك الموتى أنهم لا يزالون من الذرة عندهم بحيث كانوا فى أيام الحياة ، فهم يبذلون لهم ولا يضنون عليهم . ويتعمد بعض الزائرين أن يختاروا من صنوف الطعام ما كان شهياً مفضلاً عند الميت فى أيام حياته ، تعزياً بالفكرة لا تصديقاً بحاجة الميت إلى غذاء الأحياء

وبعض الأحياء يعكس الأمر فيحرم على نفسه الصنوف التى كانت شهية مفضلة عند موتاه ، كأنما يأبى أن يستمتع بما حرموه ويريد أن يساويهم فى الحرمان ، وكلاهما شعبة من معنى واحد هو الوفاء والادكار ، والضن على النفس فى سبيل من ضنت عليهم الحياة باللذات والطيبات

* * *

ذلك أصل من أصول الفداء ، وهو رعاية الأموات

وله أصل آخر أعرق من هذا فى الهمجية وأبعد منه عن تهذيب الدين والحضارة

وذلك الأصل يقابل الجزية التى يفرضها السيد على العبد ، والأدب الذى يستوجبه الغالب من المغلوب

فمن الأدب الذى كان يستوجبه الفاتح المنتصر من المنكسرين أمامه أن تظهر عليهم ذلة الانكسار والتسليم ، وأن يسومهم كل ما يريد ولو لم تكن له فائدة فيه ، وأن يسلبهم فيعطوه صاغرين ، ويقمعهم فيمتثلوا خاشعين ، وأن يطالبهم بالأتاوات والرهائن من الرجال والنساء والأنعام ، ومن الأزواد والخيرات والحطام

وكان المهزومون يستنقذون أنفسهم بتسليم فريق منهم للقتل ، ويستنقذون أموالهم بإهداء نفيسها ومختارها واستبقاء ما يزهد فيه الفاتح أو لا يهتدى إليه

فلما عبد الهمج أربابهم وأوثانهم واعتقدوا فيهم القوة والغلب جعلوا لهم حقاً فى الضحايا والهدايا كحق المنتصر على المهزومين ، وافتن الكهان فى تنظيم هذه الجزية « المقدسة » التى تؤول إليهم فى الحقيقة سراً وجهرة فى كثير من الأحيان ؛ فانتظمت من ثم شعائر التضحية والفداء ؛ وبالغ بعضها فى القسوة حتى تقاضت للأرباب والأوثان بواكير كل شىء من حيوان ونبات ، وفى طليعتها الأبناء وهم رضعاء أو دارجون

وقصة إبراهيم هى حد فاصل فى نظرة الأديان إلى الفداء كما كان قديماً وكما هو مفروض الآن . وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى

أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتلّه للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقتَ الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم »

وهكذا ترى لفظ الفداء ومعناه . فأما لفظه فحسبك انتقاله من الضحية التي هي شاة تذبح في الضحى إلى الضحية التي هي قربان وإحسان

وأما معناه فالانتقال فيه أعظم ، لأنه انتقال من أكلة إلى ذروة الأخلاق العليا . إذ كانت خلاصة كل خلق وكل عقيدة وكل تكليف أن يجود الإنسان بما يعز عليه ، وأن يفضل بعض الحرمان على بعض المتعة ، وأن يعصى داعى الغريزة إذا حسنت له كل سلامة وكل كسب ، وبغضت إليه كل إقدام وكل إعطاء

وهنا يفوق الإنسان الغريزة فيرتفع من حضيض البهيمية إلى شرف الآدمية

وحيثما وجد دين وخلق فهنالك عصيان لغريزة من الغرائز لا مراء ، فإن الدين والأدب لازمان لهذا ونافعان لهذا ، لا لأنهما مطاوعان للغريزة في كل ما تمليه وترتضيه

الغريزة تقول لك إن اللذة خير من الألم ، وأن الحياة خير من الموت ، وأن الأثرة خير من الإيثار ، وأن حبس المال خير من بذله ، وأن الراحة خير من المشقة

ولو كان هذا هو الخير حقاً لما ظهرت الأديان والأخلاق ، ولكانت الغريزة وحدها كافية كل الكفاية وفوق الكفاية ، ولأصاب الإنسان الخير كما يصيبه الحيوان بغير عناء

ولكن الخير الإنساني شيء نفيس ، والشيء النفيس له ثمن عزيز ، وما الثمن العزيز إلا الجود بما نضن به ونغليه

ولهذا كانت الضحية عنوان الدين كله وقوام الخلق كله ، فحيث لا ضحية فلا دين ولا خلق ، بل غريزة حيوانية يتساوى فيها الناطق والأعجم ، ويتلاقى فيها المريد وغير المريد

وفرائض الأديان تكليف

والتكليف لا يخلو من الكلفة بحال ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها معناها أن تعمل ما تطيق وليس معناها ترك العمل لأنك تطيق تركه ويسعك أن تتناساه

وفي الشعر العربي بيتان لشاعرين حكيمين هما خلاصة الأدب وصفوة الخلق ومعيار التفاضل بين الفضائل ، وهما بيت أبي الطيب إذ يقول :

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ الجود يفقر والإقدام قتال

وبيت أبي تمام إذ يقول :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب

ومعنى البيتين البليغين البالغين في الحكمة كلمة واحدة وهي : « التضحية » أو « الفداء »

فقولك إن الراحة خير من التعب ، وأن الأخذ خير من العطاء ، وأن السلامة خير من الإقدام ، قول مفهوم قبل أن يكون خلق وقبل أن يكون دين

فلما وجب على الإنسان أن يفهم أن بعض العطاء خير من بعض الأخذ ، وأن بعض الراحة شر من بعض التعب ، وأن بعض الموت أكرم من بعض الحياة ، وأنه إنسان مكلف وليس بسائمة مهملة ، كان له خلق ، وكان له دين ، وكانت الضحية التي يرمز إليها المسلم في عيده الكبير هي قوام ذلك الخلق وأساس ذلك الدين .

عباس محمود العقاد

الرسالة في سنتها التاسعة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا بدأوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك .

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

مطالعات في الكتب والحياة

لعباس العقاد

للدكتور زكي مبارك

— ٩ —

موضوع الدرس فى هذه المرة هو كتاب المطالعات فى الأدب والحياة للأستاذ عباس محمود العقاد عضو المجمع اللغوى ، وهو كتاب يقع فى أربع وعشرين وثلثمائة صفحة بالقِطع المتوسط ، وقد نشرته المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، وثمنه خمسة عشر قرشاً . والنسخة التى أنقدها هى الطبعة الثانية ، ولهذه الإشارة معنًى ، فهى تشهد بأن هذا الكتاب نال بعض ما يستحق من النباهة والذيوع .

شخصية المؤلف

العقاد أديب منوّع المواهب : فهو كاتب وشاعر وناقد وخطيب ، على تفاوت فى هــذه الأوصاف لا يوجبه التقصير أو نقص الأدوات ، وإنما يوجبه التفات هذا الأديب إلى بعض الفنون أكثر من التفاته إلى البعض ، فهو كاتباً أقوى منه شاعراً ، لأن ذهنه ارتاض على التعبير بالترسل ، أكثر مما ارتاض على التعبير بالقريض

ودرس اليوم لا يتصل بمواهبه الشعرية والخطابية ، وإنما يتصل بمواهبه النثرية والنقدية ، فمن هو بين الكتاب والنقاد ؟

للعقاد فى الكتابة والنقد شخصيتان مختلفتان كل الاختلاف : فالعقاد الكاتب السياسى يَرمِى ويُرمَى ، ويَظلِم ويظلَم ، فى كل وقت ، فهو من أبناء السماء عند قوم ، ومن أبناء الأرض عند آخرين . أما العقاد الكاتب الأدبىّ فهو من الطبقة الأولى بشهادة الجميع

والعقاد الناقد لا ينحرف عن القصد إلا فى حال واحد ، حال الحكم على من يعاديه من المعاصرين ، أما حكمه على المفكرين الذين بَعُد عهدهم فى التاريخ فهو فى غاية من العدل والسداد ، وقد يصل به الرفق إلى المبالغة فى إظهار المحاسن وإخفاء العيوب

وانحراف العقاد فى كتاباته السياسية والنقدية يشهد بأنه سليم الشخصية ، وللسلامة هنا مدلولٌ خاصٌ ، هو اكتمال الحيوية والإحساس ، فالعقاد يصادق بعنف ، ويعادى بعنف ، فأصدقاؤه ملائكة ولو كانوا شياطين ، وأعداؤه أبالسة ولو كانوا ملائكة مقربين . وهو مستعد لخوض النار مع أصدقائه إن أوجب الوفاء أن يشاطرهم عذاب الحريق ، أما أعداؤه فهو لهم بلاء وعناء ، وهو يلقاهم فى السر والعلانية بأقبح ما يكرهون

وقد شاع وذاع أن العقاد رجلٌ حقود ، وهو كذلك ، فالحقد من كبريات الفضائل فى بعض الأحايين ، وقد يُجزَى عليه خير الجزاء يوم يقوم الحساب ، فالله أحكم وأعدل من أن يعاقبنا على تأديب من يحاولون الغض من أقدارنا الأدبية وهم جهلاء !

ما نظرت فى شراسة العقاد مع خصومه إلا قلت : هذا رجل ، والرجال قليل

وما نظرت فى سماحة العقاد مع أصدقائه إلا راعنى ما فى طبعه من بشاشة وأريحية ، فهو لهم عماد فى جميع الظروف ، وهم من أخوّته الوفيّة فى أنس أنيس

والواقع أن الرجولة لها تكاليف ، وهى تجشّمنا مصاعب لا تخطر لأحد من الضعفاء فى بال ، فالرجل الحق هو الذى يقدر على الضر كما يقدر على النفع ، أما المخلوقات « الرقيقة » التى تُحاكِمنا إلى شريعة « الأخلاق » فى كل ما نكتبُ وفى كل ما نقول فهى شخوصٌ بوائد خلّفها التاريخ ، كما يخلّف النهر العارم أوشاب العشب المعطوب

الرجولة الحق تَفرض الشجاعة الحق ، ولا تتم الشجاعة لرجل إلا إذا جاز أن تصل به أحياناً إلى حد التهور والجنون ، لأن ضبط النفس لا يتيسر فى كل وقت ، كما يتيسر لبعض من يفهمون أن الرجل « الصالح » للانتفاع بالمجتمع هو المخلوق « المصقول » !

وما قيمة القلم إن لم تَخِز بسنانه عيون المتمالين والمتماقلين من حين إلى حين ؟

وما حظ الأمة فى أن يتخلق جميع أبنائها باللطف والظُّرف(١) ؟

أعاذنا الله من زيغ البصائر فى هذا الزمن المخبول !

---

(١) الجمهور فى مصر ينطق الظرف بضم الظاء ، وهذا النطق صحيح إذا راعينا الاتباع ، لأن كلة الظرف تقرن كثيراً إلى كلة اللطف

مطالعات العقاد فى الكتب والحياة

العقاد فى هذا الكتاب ناقد وكاتب ، وقد خلص من الشوائب التى تعرض له فى بعض كتاباته النقدية أو السياسية ، خلص خلوصاً مبيناً ، فهو لا يلتفت إلى ما يحيط به من أحقاد الساسة أو ضغائن الأدباء ، وإنما يخاطب العقل وجهاً إلى وجه ، ويسمو بنفسه إلى طلب المنزلة بين أهل الخلود

والعقاد من هذه الناحية أقدر من طه حسين على ضبط النفس . نجد العقاد يقول فى هامش بعض الفصول « من مقال نشر فى البلاغ » فما المراد من عبارة « من مقال » ؟

كان المقال فى الأصل يحوى فكرة باقية أضيف إليها التحامل على أحد المعاصرين ، وهو حين يجمل مثل هذا المقال فصلاً من كتاب يحذف الجزء المشوب بالتحامل ويكتفى بالجزء الذى يصور فكرة باقية ، ومن أمثلة ذلك ما صنع العقاد فى كتاب « الفصول » ففى ذلك الكتاب فصل عن « المتأنقين » ، وهذا الفصل أنشأه العقاد للسخرية من سعادة الأستاذ « أحمد لطفى السيد باشا » ، ثم رأى أن يحذف تلك السخرية من جانبها الخاص ، وأن يكتفى بجانبها الأصيل ، وهو احتقار التأنق فى تناول عظائم الشؤون

أما الدكتور طه حسين بك فقد أساء إلى نفسه وإلى تاريخه حين عجز عن تهذيب مقاله عن « عنترة بن شداد » فى الجزء الأول من الطبعة الثانية لكتاب « حديث الأربعاء » ففى ذلك المقال تعريض قبيح بجمالى الأستاذ حلمى عيسى باشا ، وسيسأل الناس فى المستقبل عن الموجب لذلك التعريض القبيح ، لأنه لا يصدر عن رجل يتسامى إلى الأستاذية فى الأدب والأخلاق

وما أعيبه على الدكتور طه أعيبه على نفسى ، فقد أثبتُّ فى الطبعة الثانية من كتاب البدائع فصلاً دمياً عن « طه حسين بين البغى والعقوق » ، وهو فصل عانيتُ من شؤمه ضروباً من المقابيل، وعرّضنى لمكاره ومتاعب لم أدفع شرها إلا بنضال عنيف

ومن أعجب العجب أن يكون عباس العقاد أقدر على ضبط النفس من زكى مبارك وطه حسين !

الشجاعة الأدبية

يمتاز كتاب المطالعات بالشجاعة الأدبية ، فما المراد من ذلك ؟

أيكون المراد أن العقاد يبطش ذات اليمين وذات الشمال بلا تدبُّر للعواقب ؟

أيكون المراد أن العقاد لا يبالى ما عليه الناس من عقائد وتقاليد؟

لا هذا ولا ذاك ، فالعقاد فى هذا الكتاب يساير الناس ويساير العُرف إلى أبعد الحدود ، وإنما المراد أن العقاد يثور على العوامّ بقوة وعنف ، والعوامّ فى هـذا المقام ليسوا هم الطبقة العديمة العلم والمعرفة من التجار والزُّراع والصناع ، وإنما هم طبقة المثقفين من أبناء الجيل الجديد ، والعقاد لم يُضف هـذه الطبقة إلى العوام بصريح المقال ، وإنما أضافهم إليها بلسان الحال

وتظهر هذه الشجاعة فيما كتب العقاد عن « المرأة » فكلامه فى هذا الموضوع الدقيق لا يصدُر إلا عن الملهَمين ، ولو شئت لقلت إنه فصّل فى هذه المشكلة بما لا يُبقى مجالاً لأحد من بعد، فقد استوفى الموضوع من أطرافه بكلام مُحكم سديد ، وهو من أقدر الكاتبين على الغوص فى أعماق المعضلات

« خيانة المرأة لا تعاب على المرأة »

هذا كلام غريب ، ولكن العقاد يفسره تفسيراً صحيحاً ، فتلك الخيانة المرذولة لها وجه جميل هو الوفاء للحياة

« غرام المرأة بالمال فرعٌ من غرامها بالشباب »

هذا أيضاً كلام غريب ، ولكن العقاد يفسره تفسيراً صحيحاً فقد كانت القدرة على اكتساب المال من أقوى الشواهد على الرجولة فى جميع الأزمان

« المرأة دون الرجل فى جميع الأوصاف وهى لا تقدر أبداً على القيام بما يقوم به الرجال »

وهذا كلام أغرب من سابقَيْه ، ولكن العقاد يقف موقف النمر الشرس ويقول :

« إننا فى عصر يميل إلى محاباة المرأة فيما يكتب عنها من آراء فلسفية كانت أو اجتماعية ، لأن آداب الأندية توشك أن تبنى على آداب الكتابة ومباحث الفكر ، فيحبس الكاتب قلمه عن كل ما يغضب المرأة ولا يوافق دعواها ، كما يحبس لسانه عن ذلك فى أندية الأنس ومجالس السَّمر ، ويكتب حين يبحث فى مسائل الاجتماع بقلم السمير الظريف لا بقلم الناقد الأمين »

ثم يجعل السذاجة والبلاهة والغفلة من نصيب المتطرفين الذين يحكمون بأن المرأة ظُلِمتْ فيما سلف من عهود التاريخ

والحق أن أنصار المرأة لم يكونوا إلا رجالاً ضعفاء ، فهى لم تخلَق إلا لغاية واحدة ، هى بقاء النسل ، وهى لم تقدر ولن تقدر على مباراة الرجال فى جلائل الأعمال

وكيف تستطيع ذلك وهى قد أشركت بوظيفتها الأنثوية ؟

الرجل هو الذى يخلق المرأة ، يخلقها على هواه ، ويتمثلها كائناً حياً له مآرب وأغراض ، وهى أمام العقل دُمية مصنوعة لا تُفصِح ولا تُبين ، بعد ذلك الشِّرك الذميم

المرأة الصحيحة هى المرأة التى عرفها الآباء والأجداد ، المرأة الطبيعية التى أوحت ما أوحت إلى الفنانين والشعراء ، يوم كانت مخلوقاً له قلب خفاق ، وروحٌ حنّان

أما مرأة اليوم فهى مخلوق سخيف ، لأنها تطلب ما لا ينبغى لها من الحقوق ، وهى لذلك تافهة القيمة ، سقيمة الإدراك

وتعرّض العقاد للمرأة من جميع نواحيها فأسمعها ما لا تحب أن تسمع . ومن المؤكد أن العقاد كتب عن المرأة ما كتب وهو فى عافية ، لأن الرجل لا يغايظ المرأة إلا وهو فحل ، لأنه حينئذٍ يثق بأنها ستُجذَب إليه ولو ضربها بأعنف السياط

وقاسم أمين لم يكن فى أول حياته من أنصار المرأة ، وإنما كان عدوَّ المرأة ، فلما ضَعُف تظرّف وصاغ لها عقود الثناء !

ورُوّاد « الصالونات » فى البلاد الغربية لم يكونوا من الفحول ، وإنما كانوا من الظرفاء ، ولو كانوا فحولاً لتغيّر مركز « المتحذلقات » فى التاريخ

وخلاصة القول أن التلطف مع المرأة يجب أن يكون فنّاً من فنون التغزّل الخدّاع ، فالدمع فى عين العاشق هو السم فى ناب الثعبان ، والثعبان يخدّر فريسته بالسم كما يخدّر العاشق فريسته بالدمع . والاغتيال من ضروب القتال !

لحظات الصفاء

وللعقاد فى كتابه هذا لحظات صفاء ، وأظهر تلك اللحظات هى اللحظة التى كتب فيها مقالة « بين الله والطبيعة » أو « بين التاريخ الغابر والحاضر المشهود » . فالعقاد فى هذه المقالة قد ارتفع إلى آفاق السماء ، ولو لم يكتب العقاد غير هذه المقالة لكانت سلّمه الأمين إلى معارج الخلود

كتبها وهو فى أسوان ، وقد نشأ هذا الأديب فى أسوان ، ولعل نشأته فى تلك المدينة تفسّر ما فطِر عليه من الهيام بالفنون

هى مقالة عجيبة فى المعنى والأسلوب ، مقالة كاتب راعته زُرقة السماء فى أسوان ، ومن لم ير زُرقة السماء فى أسوان فلن يغنيه الزعم بأنه رأى جمال الطبيعة فى سائر بقاع الأرض .

ولو جُمع ما أوحت أسوان إلى العقول والأحلام فى مختلف اللغات لكانت منه ثروة تَرُوع وتَهُول

وقوة العقاد فى هذه المقالة تستر ضعفه وهو يصور إحساسه حين وقف « على معبد إيزيس » فالفرق بين المقالتين بعيد ، لأن الكاتب كان انتزف قوته فى المقال الأول فهمد فى المقال الثانى ، والقُوى الإنسانية لها حدود

المتنبى فى كتاب المطالعات

انساق العقاد إلى الكلام عن المتنبي وهو يدرس رسالة الغفران للمعرى ، فكانت فرصة لتشريح بعض الجوانب من ذلك الشاعر الصوّال

وتظهر دقة النظر عند العقاد فى أكثر ما كتب عن المتنبى ، فالأدباء يرون تسامى المتنبى إلى المُلك من شواهد العظمة النفسية ، أما العقاد فيرى ذلك التسامى ضرباً من الخذلان ، لأن المتنبى أخطأ حين « ظن أن السموّ لا يكون إلا بين المواكب والمقانب ، وأن النبالة لا تصح إلا لذى تاج وصولجان وعرش وإيوان » .

ثم انتهى العقاد إلى أن المتنبى المخذول فى طلب المُلك صار على الزمن « أظفر ما يكون خائباً وأخيب ما يكون ظافراً » .

فهو « ليس بمِلك ولا أمير ولا قائد ولا صاحب جاه ، ولكنه فخر العرب وترجمان حكمتهم ، والرجل الفرد الذى نظم فى ديوان واحد ما نثرته الحياة فى سائر دواوين التجارب والعظات »

وهذا كلامٌ نفيس جدًّا ، ولكنه يحتاج إلى تعقيب ، فانحراف المتنبى فى فهم العظمة الذاتية هو السبب فيما صار إليه من العظمة الباقية على الزمان

المتنبى قضي دهره فى طلب المُلك ، ولو عَقَل لأدرك أن الشاعرية الحق أبقى على الزمن من المُلك

ذلك ما يريد العقاد أن يقول ، ولكن ما رأيه إذا حدثناه أن ذلك الانحراف هو الذى أوجب أن يولع المتنبى بدرس أوهام العوامّ والخواصّ ؟ ما رأيه إذا حدثناه أن تلك النزعة المنحرفة هى التى فرضت على المتنبى أن يدرس الموارد والمصادر من أخلاق الناس وأن يوغل فى التعرف إلى ما هم عليه من هدى وضلال ؟

لو أعفى المتنبي نفسه من طلب المُلك لوقف عند الخالص الصريح من أوطار النفس وأهواء الوجدان ، فكان صورة ثانية من البحترى شاعر الروح الصداح والقلب الطروب

طلبُ الملك غيَّر ما بنفس المتنبي فنقله من أفق إلى آفاق ، وحوله إلى رجل مُطلِمَة لا يهمه غير درس المستور من أصول الوشايات والأراجيف ، وحوّله أيضاً إلى رجلٍ طاغية باغية لا يتذوق معانى العطف والإشفاق

وهل عرف الناس قلباً أقسى من قلب المتنبي ، المتنبي الثائر على الناس والزمان ؟

يجب أن يُفصل نهائياً فى هـذه القضية ، فأدب المتنبي من صور اليأس العصوف ، وليس من صور الأمل العطوف ، وهو لذلك خليق بأن ننظر إليه بحذر واحتراس

حظ المتنبي من الشعر الوجدانى حظ ضعيف ، فما سبب ذلك ؟

يرجع السبب إلى أن الدنيا فى عين المتنبي لم تكن إلا منادح انتهاب واصطياد ، والنهب والصيد يوجبان أن يبكر الرجل إلى المفاوز والآجام وهو فى درع من المكر ، ولثام من الدهاء

زار المتنبي مصر وأقام فيها سنوات ، فماذا رأى فى مصر ، وكانت لذلك العهد ما تزال عامرة بما ترك الفراعين من غرائب الفنون ؟ أين بشاشة الحقول المصرية فى شعر المتنبي ؟

لم ير المتنبي فى مصر غير وجهين اثنين : وجه الفقيه المرائى ، ثم وجه النديم الخَتُول ، لأن ما كان يطلبه المتنبي كانت المقادير حصرته فى أيدى الفقهاء والندماء

وقد حقد المتنبي على مصر أبشع الحقد ، لأنه لم يرها إلا فى وجه كافور ومن يحيط بكافور . ولو كانت الشاعرية هى التى تسيطر على أهواء المتنبي لوجـد لمصر مذاقاً غير ذلك المذاق ، ولـكان من المأمول أن تنسيه مرابعها الأواهل وحشة الغربة والانفراد ، ولكن المتنبي كان طالب ملك ، أستغفر الحق ، بل كان يطلب « ضَيْعة » فلم يظفر بغير الضَّياع !

ورحيل المتنبي عن مصر رحيل بغيض ، فقد ثار على مصر فى البادية لا فى الحاضرة ، وذلك يشهد بأنه لم يفكر جديًّا فى تأليب الجمهور المصرى على ذلك « الأستاذ » !

ماذا أريد أن أقول ؟

ما يهمنى النص على ما وقع فيه المتنبي من خطأ وصواب ، وإنما يهمنى القول بأن حرص المتنبي على طلب الملك هو الذى خلق تلك الشاعرية الطريفة ، الشاعرية التى لا تعرف الهيام بالازهار والرياحين ، وإنما تعرف الغرام بالصوالج والتيجان ، فتقضى الدهر فى درس أسرار القصور ، وفحص أخلاق الحاكين والمحـكومين

ومن المؤكد أنه كان يجب أن يكون فى تاريخ العرب شاعر من هذا الطراز الفريد ، فالمتنبي إذاً من الحجج البواقى على أن الشاعرية العربية موفورة الحظ من تنوع الطعوم والألوان

ملاحظات

لا يتسع المجال لعرض ما أجاد العقاد وهو يدرس المتنبي ، ولكن لا مندوحة من تقييد بعض الملاحظات ، لأن لذلك فائدة فى تشويق الطلاب إلى النقد الأُدبى

١ — قال العقاد : « مما لوحظ على المتنبي ولعه بالتصغير فى شعره إلى حد لم يُروَ عن شاعر غيره » فأرجو أن يذكر العقاد أن أعظم الشعراء ولعاً بالتصغير هو ابن الفارض ، وقد فصلت ذلك فى كتاب « التصوف الإسلامى » فلا أعود إليه فى هذا الحديث

٢ — حكم العقاد بأن عصر المتنبي كان « بدعاً فى العصور العربية » وقد قال مثل هذا القول فى عصر ابن الرومى ، فأى قولَيْـه نصدّق ؟

٣ — حكم العقاد بأن المتنبي « لم يفارق كافوراً إلا باختياره » فما حيثيات هذا الحـكم ، وفى أى كتاب قرأ أن الرجل يرحل عن بلد يحبه فى ليلة عيد ؟ وكيف غاب عن العقاد أن المتنبي لم يفارق كافوراً إلا بعد أن أصبحت حياته تحت رحمة العيون والأُرصاد ؟

٤ — قضى العقاد بأن المتنبي صفح عن أبى العشائر ، وقد كلف أحد الخدم باغتياله وهو سار فى ظلام الليل . فعلى أى سند قضى العقاد هذا القضاء وهو يعرف أن الضغينة أقوى خلائق المتنبي ؟ أيكون استند إلى أقوال من ترجموا للمتنبي ؟ وكيف وهو يعرف أن تلك الأُقوال يغلب عليها الإفك والتهويل ؟

٥ — يرى العقاد أن التبحر فى العلوم آفة يبغضها المتنبي ، وحجته أن المتنبي يقول :

أبلغُ ما يُطلَب النجاح به الطبـــع وعـنـد التعمق الزلل

فهل كان المتنبي من الغفلة بحيث يتوهم أن التبحر فى العلوم آفة إنسانية ؟

هنا دقيقة لم يفطن لها العقاد ، وهي ثورة المتنبي على « فيران المكاتب » كما يعبر الفرنسيون ، و « فيران المكاتب » هم الذين يقولون ولا يفعلون ، فإذا اقترن القول بالفعل ، فتلك ظاهرة يرحب بها المتنبي كل الترحيب

٦ — غض العقاد من عمر بن أبي ربيعة ، لأنه وقف شعره على فن واحد هو النسيب ، ولو تأمل العقاد لعرف أن ابن أبي ربيعة من كبار المبتكرين ، ومن عظام المناضرين ، وهو عندنا أول شاعر رأى قضاء العمر في الهيام بالجمال عملاً تُنصب له الموازين

٧ — وحكم العقاد على ابن مناذر وابن الضحاك بمثل ما حكم به على عمر ، فأين علمه الصحيح بمواهب هذين الشاعرين ولم يبق لواحد منهما ديوان يشهد بما له أو عليه ؟ وكيف فاته التنبه إلى ما كان لهما من التأثير العميق في الحياة الذوقية والاجتماعية بالعراق ؟

الظاهر أن العقاد لا يرضيه إلا أن يكون الشاعر مغرماً بتشريح الـ Caractères كما أجابني حين قلت له إن الشريف الرضي كان أولى بعنايته من ابن الرومي ، فليعرف إن شاء أن الشاعر لا يفكر في إرضاء الناقدين ، وإنما يفكر في تأدية الرسالة الموحاة إليه من عالم الغيب ، أو عالم الطبع ، ولا يهمه بعد ذلك أن يقال إنه عرف شيئاً وغابت عنه أشياء

موقف محرج !

لم أصل إلى ما أريد في تشريح كتاب « المطالعات » للأستاذ عباس العقاد ، لأن منهج هذه الدروس يوجب الاكتفاء بمقال واحد عن كل كتاب ، ولأن امتحان المسابقة سيكون بعد أسبوعين اثنين ، فماذا أوصي به طلبة السنة التوجيهية وهم يراجعون هذا الكتاب الدقيق ؟

أوصيهم بأن يذكروا أن العقاد له في كل فصل منهج خاص وأنه قد يناقض نفسه من حيث لا يشعر ، لأن يومه قد ينفصل عن أمسه كل الانفصال

وأوصيهم بأن يذكروا أن العقاد مولع بالرنين في الأسلوب لأنه شاعر ، والشاعر حين يكتب لا يستطيع التخلص من الغريزة الموسيقية ، وهل يطيب النثر الفني ويجود إلا من الكتاب الذين كانوا في مطالع حياتهم شعراء ؟

وأوصيهم بأن يذكروا أن عيب العقاد وعيب المازني في الغرام بالسجع والازدواج عيب مغفور ، لأن هذين الكاتبين لم يكونا إلا شاعرين ضاق عنهما نظام القريض

وأوصيهم بأن يذكروا أن المازني والعقاد لم يغتصبا تلك المنزلة الأدبية إلا بجهاد موصول جاوز الثلاثين من الأعوام السّمان والعجاف

وأوصيهم بأن يذكروا أن غرام المازني والعقاد بالشرح والتفصيل فيما يعرضان له من دقائق الشؤون يرجع إلى أنهما ابتدءا حياتهما الأولى باحتراف التدريس ، والتدريس يوجب التفكير في تفهيم الأغبياء قبل التفكير في مسايرة الأذكياء ، ولعل هذا هو السبب في اهتمام طه حسين وأحمد أمين بالطواف حول هوامش المشكلات !

وأوصيهم بأن يذكروا أن المازني والعقاد كانت إليهما زعامة النقد الأدبي في أعوام الحرب الماضية ، وأن الكتابة السياسية لم تستطع أن تصرف هذين الرجلين عن العناية بالأسلوب

أما بعد فأنا أشعر بأني لم أقل شيئاً في العقاد ، مع أني قلت فيه كل شيء ، فإن كنت أنصفته فقد أنصفته بحق ، وإن كنت ظلمته فقد ظلمته بحق ، ولكني قبل كل شيء وبعد كل شيء قد انتصرت على نفسي فتناسيتُ ما كان بيني وبينه من القتال في سنة ١٩٣٥ على صفحات جريدة الجهاد يوم سمحت له نفسه بأن ينضم إلى غريمي طه حسين

والله المسئول أن يطيل حياة هذين الرجلين ، فهما من ذخائر مصر على وجه الزمان . وهل سيطرت مصر على الحياة الأدبية في الشرق إلا بفضل ما في أبنائها من شراسة وعرامة واستطالة واستعلاء ؟

زكي مبارك

الذوق الفني في مصر
وأسطورة نهر الجنون

للأستاذ سيد قطب

أسطورة « نهر الجنون » معروفة ، ولكن لا ضرر من التذكير بها في هذا المقام ؛ فهي تتلخص في أن ملكا رأى في نومه أن النهر الجارى بجوار قصره يصاب كل من شرب منه بالجنون . وأصبح فوجد أفراد الشعب كله - والملكة معهم - قد شربوا من النهر وجنوا ، فحزن وقلق على شعبه وعلى رفيقة حياته ، ولم يكن هناك أحد لم يشرب إلا الملك والوزير

وبينما كان الملك ووزيره في شغل شاغل بالطب لهذه الكارثة كانت الملكة حزينة قلقة على الملك الذي جن — في رأيها ورأى الشعب — لأنه لم يشرب هو ولا وزيره ...

وأخيراً ، شرب الملك وشرب الوزير ! ! !

***

هذه الأسطورة تتكرر كل يوم في مصر - في عالم الفنون - بين العقلاء المجانين ، وهم قلة قليلة ، والمجانين العقلاء وهم كثرة كثيرة ! !

ففي مصر مدرسة فنية عرفت باسم « المدرسة الحديثة » ، وهي تجاهد منذ ثلاثين سنة لرفع الذوق الفني ، بل لخلق الذوق الفني . ولكن الذين اتبعوها لا يزالون فئة قليلة ، والذين فهموها فئة أقل ، والذين تجاوبوا معها بعد فهمها فئة أندر . وهؤلاء هم الذين لم يشربوا من النهر ، ولا تزال آراؤهم في الحياة والفن تثير العجب العاجب بين الشاربين !

وهذه المدرسة يبدو أن كل همها موجه لتصحيح مقاييس الأدب ، ولكنها في الواقع تجاهد في تصحيح مقاييس الإحساس بالحياة جملتها وتفصيلها ، وتقويم الأذواق في أصولها وفروعها ، فكل ما هو مادة حياة ومادة شعور ينال عناية هذه المدرسة . ومن ثم كان للموسيقى والغناء نصيب وافر من جهادها

ولقد أغضب زعماء هذه المدرسة وأملأ قلوبهم ظلاماً ويأساً إذا قلت لهم : إنهم فشلوا أشنع الفشل في رسالتهم ، وأن أتباعهم - على قلتهم - ليسوا جميعاً بفاهمين حقيقة دعوتهم لأن طباعهم لا تتسع لها ، وإحساسهم لا يستوعبها

وإني لأخشى أن أقذف بها كلمة مزعجة مؤذية فأقول لهم : إن الظواهر حتى الآن تكاد تجزم بأن طبيعة هذا الشعب ليست على استعداد للتجاوب معهم ، وأن الشذوذ وحده هو الذي أطلعهم بين ظهرانيه ، وأن المشكلة ليست مشكلة الفهم والتفهيم ، ولكنها مشكلة الطبيعة التي لا تتسع لمثل ما في نفوسهم من أحاسيس . وعليهم إذن أن يشربوا من النهر ، أو أن ينزووا عن المجانين العقلاء !

وإنها لصيحة مزعجة ، ودعوى يتمنى مدعيها من صميم نفسه ألا يكون محقاً فيها ، ولكن الدلائل جميعها - مع الأسف - تدل على صدقها الأليم

والخطب في هذه المسألة متفاوت الدرجات ، فقد يكون في الأدب أخف - إلى حد ما - لظهور طبقة قليلة من الشبان تبشر بالخير الضئيل . ولكنه فادح فادح في الموسيقى والغناء . هذه الموسيقى التي لا نسمع غيرها ، وذلك الغناء الذي ليس لدينا سواه

فقد مضت القرون تلو القرون ، وليس لنا موسيقى واحد ، ولا مغن واحد . وكان « سيد درويش » فلتة شاذة ، وهو مع هذا لم يرتفع إلى المستوى العالمي ، ولكنه كان « إنساناً » في فنه ، يحمل طابع الآدميين ، وكان هذا كسباً ، لأن « الآدمية » وحدها ، لا الآدمية الممتازة هي التي نفتقدها في موسيقانا وغنائنا ، فلا نعثر على ظل لها في الجميع ، وما نزال نسمع ألحاناً وأنغاماً ، هي رجع التأوهات الحيوانية المريضة وصدى اللوعة المسترخية المتوفة ، دون أن يخطئ ملحن أو مغن مرة واحدة فيسمعنا صوت الإنسان السليم !

والقارئ يرى من هذه الكلمات ، أن قائلها « لم يشرب من النهر » ولا شك . وإلا فهل يصدق أحد والأغاني ترن في الآذان ليل نهار ، وتحملها أجنحة الأثير بالعشي والأبكار ، أن ليس في مصر مغن واحد ولا مغنية منذ أجيال ، وليس فيها ملحن واحد منذ قرون ، وليس فيها موسيقى واحد في تاريخها الطويل ؟ .

أهذا كلام ؟ ! أليس هو الجنون بعينه ، أو العقل الذي هو عين الجنون ؟

فى مصر مطربون ومطربات ، وفى مصر مُلحنون وموسيقيون ، والشعب كله يردد أغانيهم وألحانهم ، ويتهافت على حفلاتهم ورواياتهم ، ويدمى أكفه من التصفيق إعجاباً بهم ، فهل يصدق أحد أن مصر – فيما عدا أغانى سيد درويش لم تطعم الموسيقى ، ولم تتذوق الغناء ، ولم يتردد فى جوها صدى واحد فيه مسحة الآدمية ؟

هذه قولة غليظة – لم تشرب من النهر – ولكنها كانت خليقة أن تنبض بها كل فطرة ، وأن يرددها كل لسان ، لولا أن الجميع قد شربوا مع الأسف شربوا حتى فقدوا وعيهم فهم مخمورون لا يفيقون من هذه الألحان المريضة ولن يصدقوا من يقول لهم : إنهم مخمورون ، لأن الأغلبية لا بد أن تكون هى الواعية فى جميع العصور !

* * *

وبعد فما جدوى هذه الكلمات ؟

لقد كان يرجى لها بعض الفائدة ، لو مرت مع الشاربين المخمورين إلى منتصف الطريق ، وكتمت عنهم نصف الحقيقة ، وارتضيت أنصاف الحلول . لو قلت لهم : إن هناك أغنيات وألحاناً سليمة وأخرى غيرها مريضة ، وأنك تعجب من فلان أو فلانة بكذا وكذا ، وتنكر عليهما كيت وكيت . . .

أما وأنت تجبه هذه الملايين – على اختلاف ذوقها الفنى – بأن ما يستحسنونه سواء من حيث أنه لا ينتسب إلى فن الموسيقى وفن الغناء ، وأن ما يسمعون إنما يتفاضل فى دائرة بعيدة عن دائرة الفنون الآدمية ، فيرتفع أو ينحط ، ولكنه لا يعبر فى ارتفاعه أو انخفاضه عن نفس إنسانية على الإطلاق . . .

أما وأنت تدعى هذه الدعوى غير المعقولة ، فلا سمع ولا تصديق وعليك أن تشرب من النهر الذى شرب منه الجميع . . .

هذه كارثة . كارثة أن نعيش أمة كاملة بلا موسيقى ولا غناء وأن يكون غذاؤها الروحى هو هذا الترنيم المريض الزائف . وأشد من هذه الكارثة هولا أن تستسيغ هى هذا الغذاء

ولست أدرى كيف يكون العلاج ، والذين يتولون العلاج فى غالب الأحيان هم أنفسهم مخمورون ، شاربون من النهر ، وإن نموا على الشاربين !

موسيقى جديدة وتلحين جديد ومطربون ومطربات جدد ، وأذواق للسامعين غير هذه الأذواق . أذواق لا تستسيغ أية قطعة أو لحن مما تردد فى مصر منذ مئات السنين . كل هذا وفى آن واحد هو ما نحتاج إليه لتحسب فى عداد الآدميين

والمعجزة وحدها هى التى تستطيع أن تفعل ذلك لا الجهد البشرى ولا المدرسة الحديثة ، ولا عشرات الكتب ، ولا ألوف المقالات فى الصحف

وتسألنى : وفيم إذن تكتب هذه الكلمة ، وتشغل بها فراغاً من صفحات هذه المجلة ، وفراغاً من وقت القراء ؟ فأجيبك : إنها صيحة من لم يشرب من النهر ، أو هى صيحة الجنون فى عرف المجانين !

(حلوان) سيد قطب

تقويم هذا العام

للأستاذ عباس محمود العقاد

تقويمُ هذا العام من … لحظاته الأولى لديك
قومى ارفعيه وارفعى … عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعه إلى … رُجْعاه ، موقوفٌ عليك

* * *

وإذا انتهت أيامه … ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه … وترحِّبين بما تلاه
ونجِى إذا دار المدى … ورعيتُ وحدى ملتقاه !

* * *

هى قبلةٌ ضمت عُرَى … عامين فاتصلا اتصالا
ومُنى الخواطر فى غدٍ … عام كسابقه ما لا
لا نعجلن به فما … أقسى الحياة على العَجالى

* * *

لا . لا . فهذا يومنا … وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمضٌ عينى ومسـ … ـمع إلي حادى الرجاء
فإذا سمعت حداءه … فدعيه يمضى حيث شاء

عباس محمود العقاد

خواطر فى رأس السنة

للأستاذ صديق شيبوب

النظام أساس العالم ، والتوقيت من الأسس التى يقوم عليها النظام . عرفه الإنسان منذ عصوره الأولى ، أى منذ لاحظ أن اليوم ليل ونهار ، وأن الأيام يتلو بعضها البعض الآخر متشابهة فى شكلها البارز ، متباينة طولاً وقصراً ، وبرداً وحراً . فإذا الأيام مجموعة فى فصول ، والفصول مقسمة إلى شهور ، والشهور مضمومة فى السنة . ولم يلبث التوقيت بالسنة أن استولى على الإنسان فى كل مرافقه

لكل إنسان على اختلاف عمله سنته الخاصة به . فللمزارع سنة ، وللتاجر سنة ، وللعامل سنة ، حتى الحكومة عندنا لها سنتها المالية الخاصة ؛ وللشمس سنة ، وللقمر سنة ، وللنجوم سنة . وكل واحدة من هذه السنين تختلف فى بدايتها ونهايتها عن السنين الأخرى ؛ فسنو الأجرام السماوية موقتة بدورانها ، وسنو طبقات الناس موقتة باختلاف الفصول وتأثيرها عليها

على أن الناس إذا اختلفت سنتهم الخاصة وفقاً لأعمالهم وأغراضهم فقد اعتنقوا كذلك سنة بعض الأجرام السماوية ، وخاصة الشمس والقمر . فجمل بعضهم السنة الشمسية ، كما جعل البعض الآخر من السنة القمرية ، عامة لكل الطوائف

هذا دليل من الأدلة على أن الإنسان يتطلع أبداً إلى السماء كأنها مهبط وحيه ومصدر هديه فى حياته . فعيناه أبداً مرفوعتان إليها يتأمل فى قبتها الزرقاء الجميلة ، ويسر بانعكاس أضوائها ، وغرابة غيومها ، واختلاف ظلالها ، وتنوع ألوانها ، من فجر طالع ، إلى صبوح براق ، إلى غبوق داكن ، إلى شفق أحمر لامع إلى غسق أسود ، إلى ليل حالك ، ويعجب بخطوطها الزرقاء التى لا نهاية لها ، وأجرامها المتقدة كأنها أنوار تتلألأ فى بحر لا شاطئ له ، وبجوهراتها الساطعة التى لا توزن حجارتها بالمثقال . إنها ثروة عظيمة بعيدة المنال ، لا ينضب معينها ، ولا تزول بهجتها ، ولا تنحط قيمتها ، لا أول لها ولا آخر ؛ لا يستطيع الإنسان جمعها ، أو تناولها ، أو فقدها ، أو هبتها ، أو توريثها ، ولا يحول بينه وبينها غير الموت

ولكن الموت إذا نزل بالإنسان فإنه أضعف من أن ينزل بها وأن يزيل بهجتها ورواءها . إنه مثل النسر المحلق فى كبد السماء العاجز عن أن يحول دون تغريد البلابل

فالسماء رمز الأشياء التى لا تموت . هذه شمسها تعتلى قبتها العميقة كأنها هاوية لا قرار تنتهى إليه ولا جبال ولا أرض تضمها ؛ هذه الشمس تشرق وتغرب على مناظر الطبيعة فى شتى الفصول تثبت حرارتها فى الأرض وما عليها . وهذا القمر حالم فى تنقله وتطوره ، وهذه النجوم تشع بريقاً كأنه خفق فؤاد مضطرم ...

لله أحلام الإنسان وآماله التى تلتقى عند هذه النجوم ! إنها محط أنظاره يسائلها عن ماضيه وحاضره ، ويرى فى بعضها مصدر تفاؤله وفى البعض الآخر مبعث تشاؤمه ، بينما هى فى أبراجها ساهمة تتابع سفرها الطويل اللانهائى لا تحير ولا تبدى ، ولعلها لا تراه ولا يخطر لها ببال ، ولا علاقة تربط بينها وبينه

على أنها مصدر راحة وطمأنينة فى سكونها الغريب . والسماء تتحدث إلى الإنسان بلغة عجيبة لا يستطيع التعبير بها أبلغ الألسنة . إن فى سكونها الرائع أعظم بلسم لشفاء القلوب . إنها قد تروع فكره حيناً ، ولكنها — مهما اختلفت اعتقادات الناس بها — تظل غذاء للنفوس ببريق ألوانها وسطوع شموسها وأقمارها ، وفكرة الاستقرار والسمو التى توحيهما إليها

ما أجمل الحياة لو قضيناها محدقين فى السماء !

* * *

يثير التحديق فى السماء فى نفس الإنسان فكرة أصله ومصيره . من أين أتى وإلى أين يذهب ؟ هل الوجود والعدم سيان ! وإذا كان مصدره لا يثير اهتمامه لأن الماضى قد فات ، وهو فى ذمة التاريخ ، فما المستقبل ؟ كيف يمهد له أسباب الطمأنينة والسعادة ، وهما غايته التى ينشدها فى وجوده ، وهما قصده من مصيره ، والمصير من عالم الغيب ، ولكنه الرجاء يحدو الإنسان والآمال تبعث الشجاعة لقلبه ونفسه . والإنسان يقارن دائماً بين الماضى

والمستقبل ، متبرماً بالماضي منتظراً من المستقبل ما يعوض عليه ما فات . فكم سمعناه يقول : « لو كنت أدرى ... » و « إذا أتيح لى أن أعيش من جديد ... »

أما الرجل الحكيم فهو الذى يعرف كيف يوفق بين الماضى والمستقبل ، فكأنه يقضى حياته محاولاً استخلاص الحكمة مما يمر به من الحوادث ، والحكمة كلمة كبيرة تدل على صفاء العقل والقلب . وما أحوج العالم اليوم إلى مثل هذا الصفاء !

إذا نظر الإنسان إلى الحقائق الواقعية وجد أن الصبر من أدق مظاهر الحكمة ، وله فوائد جمة تعود على صاحبه بالرضا . ومن فقده فقد خيرات وفيرة ، لأن الزمان لا يحترم غير الأعمال التى كان الصبر من أكبر العوامل التى ساهمت فيها .

كان الكردينال مازارين ، الوزير الفرنسى الكبير ، يقول : « أنا والزمان » ، وهو قول ينطبق على أفعال أعظم أمة فى هذا العصر . وقد وصل الوزير الفرنسى بالمبدأ الذى سار عليه إلى أعلى قمم المجد ، كما وصلت إليه الأمة البريطانية لأن الصبر معناه الرزانة والتعقل . لذلك نجد الصبر من المزايا التى يتحلى بها الإنسان فى سنى نضوجه وشيخوخته ، لأن فى الشباب حماساً يدفعه إلى تعجل الأمور ، وهو يتولى فى وقت واحد حل شتى المسائل فى أقصر مدة من الزمان

ومن غرائب الاضداد عجلة الشباب وصبر الشيوخ . يستعجل الشباب الأمور وهو يعرف أن أمامه متسعاً من الحياة يتيح له التريث فيها ويعالجها الشيخ فى أناة وصبر بينما يشعر أن ما بقى له من العمر قصير الأجل وأن الحياة تفلت من بين يديه وأن الموت قريب منه واقف له بالمرصاد

وهذه ظاهرة تصدم المنطق صدمة قوية ولكنه ينتقم لنفسه إذ يدلل على أن الأعمال المرتجلة هباء تذروها رياح الحياة ، وأن الزمان أداة قوية تطلب قسطها من الاحترام له ، وأنه سيد يجب إعطاءه ماله من حق

والطبيعة خير أستاذ للناس فى احترام الزمان لأنها ترضى بأحكامه وتخضع لقوانينه ، فلكل ظاهرة من ظواهرها مدتها المقررة وفصولها المعروفة . لأن الطبيعة قوية تصمد لتقلبات الزمان ولا تتأثر بها

حقاً إن الصبر من أبرز الدلائل على القوة ، وهو من أكثر مزاياها أناقة وطرافة

* * *

كم فى الحياة من اضداد تباعد بين المظهر والحقيقة !

يعيش الإنسان موزعاً بين المنافع التى يصبو إليها والغرائز التى تتنازع نفسه ، وهو يحاول أن يوفق بين هذه وتلك وأن يضفى عليها ثوباً تظهر فيه للناس من غير أن تقذى عيونهم

هناك عصور يستولى فيها الكذب على الإنسان فرداً ومجموعاً يعرف المجموع مواضع ضعفه فيخفيها ويظهر بمظهر القوة والغطرفة . ويعلم الفرد أنه حفنة من تراب فى مصدره ومصيره بينما تمتلئ نفسه كبرياء وخيلاء . وتقبل كل طبقة من طبقات المجتمع على التعالى للوصول إلى ما فوقها : وطبقة العمال أقصى همها التركز لتوازى الطبقة الوسطى (البرجوازية) بينما هى تحتقر مبادئها وتقاليدها . وتحاول الطبقة الوسطى التسامى إلى الأرستقراطية بينما تتناول وسائلها وترفها ومظاهرها بنقد شديد

تنعت المرأة الرجل بالقوة وهى تعرف مكامن ضعفه ، ويصف الرجل المرأة بالجمال وهو يعرف أن فى الرجولة جمالاً لا تقاربه الأنوثة . وهكذا أضفى كل واحد من نوعى البشر على صاحبه نعوتاً لا يعتقد بصحتها . وقد خلق كل واحد لصاحبه مزايا ثم اطمأن إليها . ولعل أبرع هذا الخلق وأجمله خلق الرجل للمرأة ، فقد بنى لها عرشاً وأجلسها عليه إلٰهة يطالع فى عينيها سعادته وغبطته ، ويستنزل من جنانها نعمته ولذته . والغريب فى هذا أنه صادق فى عقيدته التى اختلقها ، مغرور بكذبه الذى أجراه ، وأن غبطته فى أن يفتتن بهما

ولا غرو فى ذلك فكثيراً ما يضحى الإنسان بسعادته فى سبيل لذته ، وتسهل عليه هذه التضحية إذا تعودها . إن طريق اللذة مفروش بالدمقس والحرير بحيث يستطيع السير عليه من وُلِد حافى القدمين كما يسير على العشب الناعم . أما السعادة فقد خلقت للصالحين من البشر ، إما لأنهم يعتقدون بأنهم سعداء ، أو لأنهم ينتظرون السعادة مطمئنين إلى نوالها .

فالسعادة مطمح النفوس الكبيرة ، وكل نفس شريفة إذا

السياسة التوجيهية في الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدنى

في العدد (٣٩١) من « الرسالة » مقال كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى ، بمناسبة مقال في العدد الذى قبله للدكتور محمد البهى عن « شخصية الأزهر العلمية »

والأستاذ الشرقاوى يصف مقال الدكتور البهى بأنه مقال جيد ، وفيه صدق كثير ، وقد أثار في نفسه طائفة من الخواطر يعتقد أن فيها — هى أيضاً — صدقاً كثيراً وفيها صراحة

ومع أن الأستاذ يبدو معارضاً لفكرة الدكتور ، بل مهاجماً له فإن من يتأمل فيما قاله يجده قد وافقه في كل ما قاله ، ثم نقل البحث إلى شيء آخر

ولست فيما أكتب اليوم بالمدافع عن أعضاء البعوث الأزهرية إلى أوربا ، فذلك شأن يخصهم ، وهم أولى بأن يردوا على أسئلة الأستاذ التى وجهها إليهم ؛ ولست كذلك مهاجماً لأحد من الناس أو لطائفة من الطوائف ، ولكنى أريد أن أقول إن الأستاذ الشرقاوى لم يكن صريحاً على الرغم مما ادعاه لنفسه من الصراحة في أول مقاله ؛ فهو يقول للدكتور البهى : لا تحدثنا عن إنتاج جماعة كبار العلماء ، ولا عن قيمة هذا الإنتاج في نظر العلم ، ولكن حدثنا عن إنتاج هذه البعوث الأزهرية التى أنت واحد من أعضائها ، والتى وضع الأزهر فيها آماله ، وظل يرقبها في لهف وشوق ، مملاً نفسه بعهد جديد يمتاز بالحرية في الرأى ، والاستقلال في التفكير : أين هو هذا الإنتاج ؟ وأين طابع هذه البعوث الخاص الذى تتميز به عن أشياخها ؟ وأين التجديد الذى أفاده الأزهر من بعثة الإمام محمد عبده أو بعثة فؤاد الأول ؟

هكذا يتساءل الأستاذ ، ثم يصرح بأنه لم ير دليلاً يدل على أن هذه البعثات قد جددت ، أو سارت على نهج غير النهج الذى سار عليه الأشياخ من قبل « فلا هى قد أقامت في الأزهر مدرسة للتجديد خاصة ، ولا نهجت فيه منهجاً دراسياً ولا تأليفياً خاصاً ، ولا لمت حولها معسكراً جديداً يرفع معها وبعدها شعلة النور في الأزهر ... الخ »

ثم يحاول الأستاذ تعليل ذلك ، فيجد نفسه « أمام واحد من فرضين : إما أن تكون هذه البعوث لم تفد شيئاً مما درست في جامعات أوربا ، ولم ترتفع بتفكيرها عن أشياخها وعن زملاء أعضائها الذين لم يبعثوا ولم يدرسوا ... وإما أن تكون هذه البعوث العلمية قد أفادت من دراستها الأوربية عقلية جديدة حرة وتفكيراً جديداً حراً ... الخ »

كانت طموحة ، لأن الطموح يتطلب قوة وتضحية ، وهو في مجموعه دليل على كبرياء النفس ، والكبرياء فضيلة إذا كانت سلاحاً من أسلحة النضال

إن مظاهر الكذب التى ألمنا بها تجعلنا نستنتج أن كل الناس يمثلون دور المنفعة على مسرح الزمان ، وأنهم في اطمئنانهم إلى ما يلعبونه يصبح الدور الذى يمثلونه أقرب إلى حقيقتهم من الأصل . لقد أصاب شكسبير كبد الحقيقة عند ما تلهى بهؤلاء الأشباح وجعلهم يمثلون دور المجانين حتى صاروا في حقيقتهم مجانين

إن الأشياء والبشر كافة يغالطون في هذا القمار العظيم الذى ندعوه الحياة .

القلب يغالط العقل ، والعقل يغالط القلب ...

يولد الطفل ممسكا بيديه أوراق لعب كبيرة ثم يرميها في الحياة مناضراً بها فإما أن تنطلى حيلته فينعم بما ربح ، وإما أن تنفضح فيشقى بما فقد

* * *

وبعد ، فقد تعودت كل طائفة من الناس النظر في شئونها عند نهاية السنة المقررة لها . فالزارع يجيل رأيه فيما زرع وحصد ، والتاجر يوازى بين ما اشترى وما باع ، والحكومة توازن بين ما جمعت وما أنفقت ؛ وهكذا فإن من فضائل الموقف بين عامين أنه يثير في النفس شتى الأفكار والتأملات

وقد تنازعت نفسى هذه الأفكار وأنا أصغى إلى صراخ الإنسانية وأنينها ، وإلى دوى المدافع وترجيع صداها ، وإلى خصومات الأمم ودعاياتهم ، وإلى صرير أقلام الكتاب ودوى آلات الإذاعة والطباعة ؛ فرأيت أن أدون ما جال بخاطرى ، ولعلى أصبت المرمى ولم أخطئ السبيل .

صديق شيبوب

ردد الأستاذ بين هذين الأمرين ، ولكنه نفى الأول منهما مستدلاً بأن أعضاء هذه البعوث جميعاً مبرزون فى دراساتهم الجامعية ، وفى درجاتهم العلمية التى نالوها ، وفى البحوث التى فازت بالتقدير ، فهو إذاً يستبعد الفرض الأول ويستبقى الفرض الثانى ، وهنا ينتهى عهده مع الصراحة ، فيفر من مواجهة الحقيقة التى يراها ، ويعود إلى الترديد فيقول : هل يتوجه اللوم فى عدم إنتاج هذه البعثات إليهم أم أين يتوجه ؟

كأنى بالأستاذ الشرقاوى يريد أن يكون صريحاً فى نفس الموضوع كما كان صريحاً فيما وجهه إلى الدكتور البهى ، فهو يهم بأن يطلق لنفسه العنان ثم يعود فيؤثر الإبهام ، وكأنى به متفقاً مع صاحبه فى كل ما ذكره غير مخالف له فى شىء منه ، ولكنه يؤثر أن يظهر فى ثوب المعارض له

ولا علينا من ذلك ، ولكننا نسأل الأستاذ الشرقاوى : ما هى الناحية الثانية التى يحتمل أن يتوجه إليها اللوم ؟ ما هو هذا الشىء الذى يحتمل أن يكون قد صرف أعضاء البعوث عن الإنتاج مع قدرتهم عليه ؟ أتقصد به أن البيئة الأزهرية غير صالحة لتلقى الفكر الجديدة ، وتقبل الإنتاج الحر المبنى على التفكير المستقل لأنها ما زالت تعد التجديد خروجاً على ما ينبغى من تقديس للقديم والفناء فيه ، والدوران من حوله ؟ أم تقصد أن التجديد والإنتاج العلمى مرتبطان بالسياسة التوجيهية ، فكلما كانت هذه السياسة ماضية فى طريقها القويم ، حريصة على تشجيع العاملين وإثارة الجهود ، والانتفاع بالمواهب ، نما الإنتاج ، وكثر المنتجون ، وتشجع العاملون . وكلما انحرفت هذه السياسة عن طريقها القويم وأدخلت فى تقدير الأعمال اعتبارات غريبة عنها ، فترت الهمم ، وكلت العزائم ، وضعف التفكير ، وقل الإنتاج ؟

نحن نعرف أن كثيراً من الاعتبارات قد يعوق سير الإصلاح ، ويصرف الساسة الموجهين عن الطريق ، ويلويهم من حيث يريدون أو لا يريدون عما رسموه من الإصلاح وأخذوا به أنفسهم من التوجيه

فقد يكون فى بيئة من البيئات رجل حر الضمير ، مستقيم الفكرة ، له فى الإصلاح برنامج شريف ، وله غيرة محمودة على هذا البرنامج ، ولكنه مع ذلك لا يرى بأساً من أن يجامل شخصاً ما فيسند إليه عملاً ممتازاً من الأعمال الإصلاحية ، لا لأنه ممتاز فى نفسه ، ولا لأنه ناجح فى عمله ، ولا لأنه لا يوجد فى أقرانه من هو خير منه ، ولكن لاعتبار آخر ، كأن يكون صديقاً مثلاً ، أو أن يكون قد تطلع فى يوم ما إلى منصب ما فلم ينله ، فمن الرأى أن يترضى ، ومن الرأى أن يعوض !

وقد يحيط بالمصلح الشريف المخلص أعوان شرفاء مخلصون لا يدفعهم إلا الإخلاص للفكرة الإصلاحية ، ولكنه مع ذلك ربما أهمل آراءهم ، لا لأنه بحثها فتبين وجه الخطأ فيها ، ولا لأنه اقتنع بأن غيرها أولى بالقبول منها ، ولا لأن أصحابها مشكوك فى إخلاصهم أو فى حسن تقديرهم ، ولكن لاعتبار آخر لا ينبغى أن ينظر إليه ، ولا أن يغلب جانبه ، كالميل إلى تمثيل عنصر معين فى ناحية من النواحى

وقد يخضع المصلح لاعتبارات أخرى غير هـذه وتلك ، يدفعه إليها على الرغم منه قانون تقليدى ، أو عرف قائم ، فتراه مثلاً لا يسند أعمالاً خاصة إلا إلى طائفة خاصة ، لا لأن هذه الطائفة أجدر من غيرها بتولى هذه الأعمال ، ولا لأنها أقدر من غيرها على السير بها فى طريق النجاح ، ولكن لاعتبار آخر قد لا يكون له صلة بهذا الموضوع أصلاً ، كاعتبار شرط التوغل فى السن مثلاً فى حق الأعضاء الذين ينتخبون لعضوية جماعة ما ، أو يرشحون لتولى منصب ما وهكذا

نعرف هذا كله ، ونعرف أنه شر ما تصاب به بيئة من البيئات ، وأنه داء خطير يصيب الإنتاج العام بالشلل ، ويؤدى إلى الجمود والركود ، ثم إلى الانحلال والموت !

ونعرف أيضاً أن العامل الذى يجد أن المقاييس التى من حوله ليس أساسها التفكير والعمل والدأب والإنتاج ، وإنما أساسها شىء آخر غريب عن هذا كله ، وبعيد عن هـذا كله ، هذا العامل لا يلبث أن يفتر ، وأن يضعف ، لأن القدرة على الإنتاج وحدها غير كافية ، ولكن ينبغى أن يصاحبها التشجيع والإغراء

فهل يريد الأستاذ الشرقاوى شيئاً من ذلك ويمنعه شىء ما أن يقوله ، وأن يكون صريحاً فيه ؟

ألا إنه لو علل ما يقول به من عقم البعوث العلمية بالسياسة التوجيهية لما كان منصفاً ، ولما قال صواباً ، فإن على رأس الأزهر شيخاً ممتازاً فى تفكيره ، ممتازاً فى شخصيته ، بعيد النظر فيما يقدم

العقد الفريد

للأستاذ محمد سعيد العريان

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

قد قدَّمنا القولَ فى صدر هذا البحث أنه لم يسبق ابنَ عبد ربه إلى التأليف فى باب الأخبار والنوادر على هذا النحو إلا ثلاثةُ نفر : الجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرّد .

أما الجاحظ والمبرّد فقد كان لهما نهج فى التأليف يخالف نهج العقد ، على اتفاقهما فى الموضوع والغرض ؛ فكان انتفاعه بما اطلع عليه من مؤلفاتهما فى المادة لا فى الطريقة . وأما ابن قتيبة ، فإن بينه وبين ابن عبد ربه مَشَابهَ من وجوه ، حَمَلتْ بعض الباحثين على الزعم بأن صاحب العقد كان فى نهجه وفى تبويبه لاحقاً مقلِّداً ، بل قد غَلاَ بعضهم فى الاستنتاج فزعم أن ابن عبد ربه قد سطا على كثير من كتب ابن قتيبة ، فنقلها نقلاً إلى عقده بحالها من غير تغيير كبير . وإنه مما يقوِّى هذا الزعم ، تلك الشهرة العظيمة التى كان يحظى بها ابن قتيبة عند أهل الأندلس ، حتى كانوا يتهمون من خلت مكتبته من مؤلفاته . ولكن العقد الفريد على الرغم من ذلك غير عيون الأخبار ، وابن عبد ربه غير ابن قتيبة ، ولكل من الرجلين شخصيته المتميِّزة بوضوح من خلال مختاراته ، ولكل منهما مزاجُه وروحه ومذهبه وجوُّه الذى يعيش فيه ويُصدر عنه ؛ فسواء كان هذا الزعم صحيحاً أو مبالغة فى الاستنتاج ، فلن يضيرَ ذلك صاحبَ العقد شيئاً ، ولن ينقص شيئاً من قدر كتابه ، إذ كانت المادة التى اجتمع منها الكتابان ليست ملكا لأحد الرجلين ، ولا هى أثراً من إنشائه الأدبى الخالص ؛ ولكنها تراثٌ مشترك يتوزَّعه أبناء العربية مما خلَّف آباؤهم

... وليس معنى أنه لم يسبق ابن عبد ربه فى بابه إلا هؤلاء النفرُ الثلاثة أنه لم يأخذ عن غيرهم ، ولكن الذى ننبه أن انتفاعه بكتب هؤلاء النفر كانت أظهر دلالة على نفسها ، وإلا فقد كانت مكتبة قرطبة لهذا العهد حافلة بطائفة من الكتب لم يجتمع مثلها فى زمان فى مكان ، فلا بد أن يكون ابن عبد ربه قد استعان منها بالكثير إلى جانب ما أخذ من أفواه العلماء المغاربة الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق أذاعوا بها علم العربية بين الشرق والغرب

***

ويقول الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب فى جامعة القاهرة ، فى بحث نشره للتعريف بصاحب العقد (مجلة الثقافة ، العدد ٩٤ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠) : « إن أمالى أبى على القالى كانت هى النواة الأولى التى بذرها أبو على فى الأندلس من علوم المشرق ، وعليها تخرج مشهورو الأدباء فى الأندلس ، ومنهم ابن عبد ربه ... »

وظاهر كلام الأُستاذ العميد صريح فى أن ابن عبد ربه كان لاحقاً لأبى على القالى ، وأنه من تلاميذه ، وأن كتاب « الأمالى » أسبق من « العقد الفريد » ، وأنه أول ما نقل إلى المغاربة من علم المشرق ...

وأرى هذا كله خطأ لا يستند إلى دليل من التاريخ ، فقد

عليه أو يحجم عنه من عمل ، وهذا الشيخ العظيم فوق أنه يشرف على الأزهريين من أسمى مكان فى الأزهر ، يتمتع من حبهم وطاعتهم وحسن انقيادهم بما لم يتمتع به أحد من شيوخ الأزهر ، فلا يستقيم مع هذا أن تكون السياسة التوجيهية فى عهده ملتوية عن الطريق ، غير مؤدية إلى الغرض المنشود . ولن يرضى الأستاذ الأكبر بأن يضع بالأمس أسس الإصلاح ، ويرسم منهاج النهوض ، ويضىء شعلة التجديد ، حتى إذا اجتذب بها القلوب ووجه إليها النفوس ، وضعها فى طريق العواصف الجامحة من رغبات أو شهوات

فلنستبعد هذا الغرض ، فلا يبقى معنا إلا أن الأزهر لم يصبح بعد بيئة صالحة لتلقى الإنتاج العلمى الذى أساسه التفكير الحر ، والاستقلال فى النظر ، وعدم افتراض الثقة المطلقة إلا فيما ورد عن المعصوم

فهل هذا هو ما أراده الأستاذ الشرقاوى ؟ إن يكنه فلا ينبغى أن يعد العقم فى الإنتاج قصوراً فى البعثات الأزهرية ، ولا عيباً فى السياسة التوجيهية ؟

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

كان مَقْدَم أبي على القالى إلى الأندلس بعد وفاة ابن عبد ربه بسنتين وأشهر (توفى ابن عبد ربه بقرطبة سنة ٣٢٨ ، وكان مقدم أبي على القالى فى إمارة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٠) ، وكان تأليف كتابه الأمالى بعد مقدمه بسنين ؛ إذ كان هذا الكتاب هو مجموع محاضراته فى جامع قرطبة

فإذا أضفنا إلى ذلك أن ابن عبد ربه قد فرغ من تأليف كتابه « العقد » فى سنة ٣٢٢ على ما نرجحه ، وقدرنا المدة التى أملى فيها أبو على محاضراته فى جامع الزهراء قبل أن يجمعها فى كتاب ببضع سنين ، كان لنا من ذلك برهان لا يدفع بأن العقد الفريد كان أسبق من الأمالى ببضع عشرة سنة ؛ فلا وجه هناك للقول بأن ابن عبد ربه كان من تلاميذ أبي على ، وبأن كتابه على منهاجه

وأما قوله إن كتاب الأمالى كان النواة الأولى من علم المشارقة فى الأندلس ، فينقضه ما كان معروفاً قبل ذلك فى الأندلس من كتب القوم ، حتى روى ابن كثير فى تاريخه : أن أهل المغرب كانوا يتهمون من لم يكن فى بيته من مؤلفات ابن قتيبة شىء ؛ (توفى ابن قتيبة سنة ٢٧٦ ، وكان مولد أبي على سنة ٢٨٨) ، وكان للمغاربة من العناية بتحصيل علم المشرق والتبكير إليه ما دعا المستنصر إلى أن يرسل وراء النسخة الأولى من كتاب الأغانى لأبي الفرج فيشتريها بألف دينار …

أضف إلى ذلك أن رحلة المغاربة إلى الشرق كانت متصلة لطلب العلم منذ أوائل القرن الثالث ؛ فلا يمكن مع هذا أن يكون علم أبي علىّ جديداً على أهل الأندلس فى أواسط القرن الرابع ، وأن يكون نواة وقدوة ، ومنشئَ مدرسة يتخرج عليها مثل ابن عبد ربه مؤلف العقد … …

***

ويتحدث ابن عبد ربه فى مقدمته عن « تأليف الإختيار وحسن الاختصار » ؛ فأى معنى لما يذكر من حسن الاختصار فى هذا المقام ؟ أتراه يعنى حسن الاختصار فى المجموع ، أو فى كل خبر على حدته ؟ أعنى : هل كان ابن عبد ربه يروى الخبر بحروفه كما سمعه أو قرأه من غير اختصار فيه ، وإنما كان يختصر فى كل جملة ما يروى من الأخبار بحيث لا يثبت منها إلا ما تدعو الحاجة إليه ، أو كان يختصر الخبر نفسه فيحذف من حروفه ما يحذف وينقص ما ينقص ذهاباً إلى الاقتصاد فى التعبير عن المعنى الذى ينقله ؟ …

أقول : هذا كتاب العقد بين أيدينا ، وقد نظرت فيه طويلاً ، وعاودت النظر مرات ؛ فبدا لى من طول المراجعة أمر لا بد من التنبيه إليه : ذلك أن بعض دواعى ابن عبد ربه فى تبويب كتابه ، كانت تقتضيه أن يثبت الخبر مرات فى أبواب متفرقة ، لصلاحيته للدلالة فى أكثر من موضوع واحد ؛ فإذا أنت حققت النظر فى هذه الأخبار المكررة فقلّ أن تجد منها خبراً مرويًّا فى موضعين بحروفه على وجه واحد ؛ فثمة الحذف والزيادة والإبدال ؛ وليس هناك من سبب – فيما نرى – لهذا الاختلاف فى رواية خبر واحد فى كتاب واحد لمؤلف واحد إلا أن يكون المؤلف يملك من حرية التصرف فى رواية هذه الأخبار ما يسمح له أن يرويها بلغته ، ويؤديها على الوجه البيانى الذى يراه ؛ فهو يرويها بالحذف والاختصار حيناً ، وبالبسط والزيادة حيناً آخر ؛ … فهل كان ذلك بعض ما يعنيه ابن عبد ربه بـ « حسن الاختصار » ؟ …

… ولقد يكون هذا الخلاف فى رواية خبر واحد نتيجة لازمة لاختلاف الرواة الذين ينقل عنهم ، أو نتيجة لازمة لاختلاف الكتب التى ينظر فيها ويقتبس منها ؛ ولكن كيف يكون التعليل حين يكون راوى الخبر فى الموضعين واحداً ، والكتاب المنقول عنه واحداً كذلك ؟ …

أظن أنه يحق لى بإزاء مثل ذلك أن أزعم بأن ابن عبد ربه لم يكن ينظر إلى شروط الرواية تلك النظرة المتحرجة التى تفرض على مثله فى هذا المقام أن يلزم جانب الحرص فى المحافظة على نص ما يرويه بحروفه ، وأنه كان يجيز لنفسه أن يتصرف فى رواية بعض الأخبار تصرفاً يؤدى بها معناها دون حروفها ؛ وأحسب ذلك يصلح تعليلاً لانفراد ابن عبد ربه فى بعض ما ورد فى كتابه من نصوص تخالف ما أجمع عليه رواتها فى مختلف كتب الأخبار والنوادر ؛ وأحسبه كذلك سبباً فيما التزمه صاحب العقد ونبه إليه فى مقدمته ، وهو حذف الأسانيد فيما روى من أخباره

فإذا صح ذلك ، كان العقد إلى جانب ما قدمنا من التعريف بمزاياه ، مرجعاً لغوياً يمكن الاستناد إليه فى بحث شىء من

التطورات اللغوية لبعض معانى العربية بين الشرق والغرب

صحيح أن بعض هذا الاختلاف فى رواية بعض الأخبار قد يكون مرجعه رواة الكتاب نفسه وكتبته ونساخه ، ولكن ذلك إذا صح فى قليلها لا يصح فى سائرها ؛ وقد نبهنا فى هامش هذه الطبعة إلى كثير من أنواع هذا الاختلاف ، فليرجع إليها من شاء للنظر والاستدلال

* * *

بقى أن نسأل : لماذا قصر ابن عبد ربه كتابه على أخبار المشارقة وهو من هو علماً وتحصيلاً ومعرفة بآداب قومه ، وقرطبة هى ما هى فى ذلك العصر الزاهر فى الأدب والعلم والفن والسياسة ؟

تعليل ذلك سهل ميسور لمن يعرف تاريخ ذلك العصر فى قرطبة وبغداد حاضرتى البلاد العربية فى الغرب والشرق

لقد كان فرار عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية فى الشرق ، محاولة جريئة لإقامة حكومة أموية فى المغرب بإزاء الحكومة العباسية فى بغداد ؛ ولقد حالف التوفيق عبد الرحمن الداخل فتم له كثير مما أراد ، وأقام عرشاً لبنى أمية فى الأندلس يتوارثه بنوه سيداً عن سيد ، كلهم يحرص على النهوض بدولته إلى المنزلة التى يجعلها تناظر بغداد ؛ فمن ذلك كانت المنافسة بين الدولتين فى الشرق والغرب دائبة لا تنى ، وكانت الوفود لا تفتأ ساعية بين الحاضرتين ، فلا يظهر جديد فى بغداد حتى يكون نبؤه فى قرطبة ، ولا ينجم نجم فى قرطبة حتى يذيع خبره فى بغداد ؛ واتخذت المنافسة بين الدولتين مظهراً علمياً يبدو أثره فيما كان من اهتمام المغاربة بالرحلة إلى الشرق للتزود من معارفه ، وفيما كان من تطلع المشارقة إلى الأندلس ليعرفوا كل جديد من خبره وما أحدث علماؤه وأدباؤه فى مختلف فروع المعرفة

على أن المغاربة مع ما كان فيهم من اعتداد بأنفسهم وعصبية لبلادهم لم يكن منكوراً لديهم أن علم العربية فى المشرق كله ، منه نشأ وفيه نما وربا ؛ فكانت إليه أنظارهم ، وإليه حجهم وقبلتهم ، ولا يتم تمام العالم منهم — عند الرؤساء وعند العامة — إلا أن يكون علمه مشرقياً

وكما نشاهد فى مصر لعهدنا من يتزيد فى الفضل بكثرة ما يروى من علم الأوربيين وما يقص من مشاهداته لديهم وما يروى من أخبارهم — كان هنالك فى ذلك العهد ....

... وفى ذلك العهد كان ابن عبد ربه ، وكأنى به وقد رأى المنزلة التى ينزلها علماء المشارقة من نفوس قومه ، والمكان المرموق الذى تحتله مؤلفاتهم وكتبهم ؛ حتى كان شأن ابن قتيبة وكتبه عندهم ما قدمنا — كأنى به وقد رأى ذلك ، فدبر أمراً ، وأحكم خطة ، واتخذ طريقاً ؛ ثم خرج على الناس بكتابه يقول : هأنذا ، وها هم أولاء !

وكان علماء الأندلس يرحلون إلى المشرق ، فرحل المشرق إلى الأندلس فى كتابِ ابنِ عبد ربه ... !

ذلك وجه الرأى فيما أحسب لاقتصار كتاب ابن عبد ربه على أخبار المشارقة إلا قليلاً منه ، لا أرى ذلك وجهاً سواه

ورحل كتاب ابن عبد ربه إلى المشرق تسبقه شهرته ، ووقع فى يد الصاحب بن عباد ، فأقبل عليه مَشُوقاً ملهوفاً يلتمس فيه عِلْمَ ما لم يعلم ، فما هو إلا أن نظر فيه حتى طواه وهو يقول أسفاً : « هذه بضاعتُنا رُدَّت إلينا ! » ... ثم دار الزمان وجدَّت الحوادثُ فى آثار العرب ، فأخذتهم بالسنين ونقص من الأموال والأنفس والثمرات . وتبعثرت المكتبة العربية وخلتْ بعد امتلاء ؛ ولكن علم المشارقة ظلَّ محفوظاً بين دفتى كتاب ابن عبد ربه المغربى الأندلسىّ القرطبى ... !

هذا ، وقد كان كتاب العقد من بعدُ ، مرجعاً له خطره ومقداره عند كثير من علماء المشارقة ؛ فنقل عنه القلقشندى فى صبح الأعشى ، والنويرى فى نهاية الأرب ، والأبشيهى فى المستطرف ، والبغدادى فى خزانة الأدب ، وابن خلدون فى المقدمة ، وغير هؤلاء كثير ؛ حتى قل أن يخلو كتاب من كتب النوادر بعدُ إلا كان العقد مرجعه وخزانة علمه . ولو أننى ذهبت أستقصى أسامى الكتب التى سطا أصحابها على العقد فاحتملوا من خزائنه ما أغناهم وذهب بشهرتهم كل مذهب لأعيانى البحث وانقطع بى دون الاستقصاء

محمد سعيد العريان

من أساطير الهند

شاد لهـــا الحب لؤلؤة

[بتصرف من اج . جى . ولز H. G. Wells]

للأستاذ إبراهيم العريض

إنى لا أستطيع أن أحكم لنفسى فى الخلاف الناشئ منذ العصور حول هذه القصة . أهى أشد القصص مرارة فى الحب ، أم إنها مثل رائع لخلود الحسن ؟ فالقصة وما دار حولها من نقاش بات في علم أولئك الذين يدرسون الأدب الفارسى فى العصور الوسطى .

إنها أقصوصة جد قصيرة . وإن كانت شروحها قد شغلت حيزاً كبيراً من أدب ذلك الجيل المنثور ، فحسبها بعضهم خيالا شعريا ، واعتبرها آخرون رمزية ، فكثرت فى مغزاها الأقاويل ؛ وذهب رجال اللاهوت فيها مذاهب شتى ، واهتموا منها فى الأخص بالجانب المتعلق بالبعث بعد الموت ؛ وضرب رجال الأخلاق بها الأمثال ، واتخذوها موضوعا للعبرة . وهناك غيرهم من لا يرى فيها إلا الحقيقة عارية من كل لبوس .

اج . جى . ولز

جلَوْها له فى نقابِ الجمالِ عروسًا أتمَّ الصِّبا عامَها
وكانَ قريباً بعهدِ الطفو لةِ لمَّا تتـوَّج إذ رامَها
فخلَّت على قلبه كالشُّعاعِ ترى عينهُ فيـهِ أحلامَها
سلِ الزهرَ عن ضحِكـاتها عندَ ما تُفتحُ للطَّـلِّ أكمامَها
سلِ الطيرَ عن نُطقِها عند ما تبثُّ مع الفجـرِ أنغامَها
وما حكَتا من معانى الفتو نِ ما يُلهمُ الشِّعرَ إلهامَها
وما شَرِقَتْ عينُها بالسُّرورِ فتنفضَ من خمره جامَها
إذا خطرتْ شذَّ بينَ القلو بِ من لا يُباركُ أقدامَها
وكانت يدُ الحكمِ عن أمْرِه تُنفذُ فى الخلقِ أحكامَها
فعاشَ لِإمتاعها بالوُجود ونوَّر بالحبِّ أيامَهـا

***

وعاشتْ وإيّاهُ فى روضةٍ من الحبِّ أفنانُها دانيَهْ
إذا عادَ من همِّه بالنها رِ ألْفَى لديْها المُنى غافيه
فمِجْمرةُ العودِ فى جانبٍ ومِعْزفةُ العودِ فى ناحيه
ومِن حولِ هاتينِ شفَّت ستائـ ـرُ عن كلِّ نُمْرُقةٍ غاليه
وقد عقدَ الوردُ حولَ السريـ ـرِ من مثْلِ ألوانِها حاشيه
فتُسرعُ باسمـــةً نحوه وتأخذُ يُمناه كالشاكيه
وتهْوِى به بينَ تلكَ الظِّلالِ وتبْقَى الظِّلالُ على ما هِيه
فلا تسْمعُ الأذنُ غيرَ الصَّدى صدى الرُّوحِ تهفو إلي ثانيه
ولاَ تُبْصِرُ العينُ إلاَّ بداً تمرُّ برِفْقٍ على ناصـيه
إلى أن تذُوبَ الشِّفاهُ التى تُناغيهِ فى همْسـةٍ خافيه

***

وكانت قِصاراً ليالى الهناء ولكنّها ازْدهرتْ كاملَهْ
فلمْ يشْعُرا بحُداءِ الربيعِ ولا كيفَ مرَّتْ بهِ القافلَه
وحلَّ الخريفُ لتنعَى الطيورُ إلى الروْضِ أوراقَه الماطله
تبدَّلَ فى عينِها كلُّ لونٍ فيا لكِ مِنْ صُفْرةٍ قاتلَهْ
فهامتْ فرادَى على وجهِها وكانت تقـرُّ ممَّا نازله
وماذا تؤمِّلُ بينَ الغُصون وقد تركتْها الصِّبا عاطِله
على كلِّ صاوٍ لها رنَّةٌ تُسائله ، لو وعَى سائلَه
وأمسى أديمُ الثرى صورةً لِما رسَمتْه الخُطا العاجله
ومن بينِ مِنْ شيَّعتْها الطيورُ إلى عالمٍ لا ترى ساحلَه
على صِغَرِ السِّنِّ بين الحسا نِ زهرةُ آماله الذابـله

***

وأدمَى المُصابُ فؤادَ الأميرِ وأفقدَهُ رُشْـدَهُ فى أساه
فظلَّ ثلاثاً بلا بُلْغـةٍ وقد برِمتْ نفسُه بالحياه
يلوحُ لناظرِه طيفُها فيجزعُ من دمعِه إن محاه
ويضحكُ مِنْ قلبِه ساخرًا إذا لم يرِنَّ اسْمُها فى صداه
وكم أطرقَ الرأسَ حتى إذا أحسَّ بذلكَ جُنَّتْ يداه
وكم لبثتْ عينُه فى الظلام شاخِصةً لا ترى ما يراه

وتلى على صَوْمِهِ رابعٌ … وما زال جُثمانُها في كراه
فلم يجتَرِئ أحدٌ بعدُ أنْ … يوارِيَ هيكلها فى ثراه
تمُدُّ النساء عليها الحريرَ … فيحسَبْنَهُ قائماً فى صلاه
إلى أن تمثلها فكرةً … فقرَّر تنفيذها ، فى ضحاه

* * *

فأصدرَ أمرًا إلى شعبه … دعا فيه بادِيَهُمْ والحضَرْ
فما خطرتْ قبلَه فكرةٌ … كتلكَ ببالِ جميعِ البشر
ووافاهُ مِنْ كلِّ فجٍ عميقٍ … بُراةُ الدُّمَى والفنونِ الأُخر
ونمَّ له من مُعدّاتِهمْ … وأسبابِهم ما اقتضاهُ الأثر
فصبَّ لتابوتِها فضةً … وزخرفَ أطرافَه بالصُّوَر
وقوَّمَ بالعاجِ أركانه … وزانَ قوائمَه بالدُّرر
وشادَ على قُدْسِهِ حضرةً … بناها من المرمرِ المُختَفر
وقدَّرَ شُبَّا كها صَندَلاً … وجمَّلَ كِسْوتَه بالطُّرَر
وقامت له شُرْفةٌ فى البِنا … ءِ مقصورةٌ غُلِفَتْ بالسُّتُر
فكانَ يُفارِقُها بالعِشاءِ … ويأتى لزَوْرَتِها فى السَّحر

* * *

ومرَّتْ سِنونَ على صرْحِهِ … وما زالَ يعملُ فى شانِهِ
يُحِسُّ إلى حُبِّها فى الضُّلو … عِ كالبحرِ يغشَى بطُوفانه
فيَسْعَى ليُعْلِنَهُ للأنامِ … ولا يستريحُ بإعْلانه
وتلكَ التى أجَّجَتْ قلبَهُ … فأغرتْ حَشاه بطُغْيانه
ففى طَرْفِهِ أبداً حيْرةٌ … إذا جالَ فى حُسْنِ بُنيانه
فكم عاودَتْ يدُه بالصلا … حِ شَكْلاً يُدِلُّ بإتقانه
وكم أعْجَب الناسَ ما شادَهُ … وأنكره هُو فى آنِه
فهدَّم من سقفِهِ ما استقرَّ … وبدَّل هيئةَ أركانه
وفى البدْءِ كانتْ له نزْعةٌ … إلى المُستقلِّ بألوانه
فخفَّفَ حِدَّتَها تَوْقُه … حَديثاً لإظهارِ سُلْطانه

* * *

مضى فى التطوُّرِ ذاكَ البِناءُ … ومهَّدَ أوَّلُهُ آخِرَهْ
فيأخذ إيوانُه فى اتِّساعٍ … تحيط السوارى به دائِره
وتلكَ هىَ النارُ فى صدْرِه … ولكِنها التهبَتْ زاهِره
ففى كلِّ رُكْنٍ لها آيةٌ … تُحدِّثُ عن حُسْنِها شاعِره
لقد كانَ يُرْضِيهِ منها البَهاءُ … فأصبحَ لا يَرْتضِى الباهِره
وأكسَبَهُ ضرْبُه فى الفنو … نِ ذوْقاً هدَى فِطرةً طائِره
ليختارَ من وحْيِها ما يَجِلُّ … ويُهْمِلَ عن عَمَدٍ سائِره
فكم شُرْفةٍ أثقلَتْها النُّقو … شُ ردَّ مُرادِقَها حاسِره
لِتَنْهَضَ من فوْقِها قُبَّةٌ … تخالُ السماءَ بها غائِره
يغيبُ عن الحسِّ مَنْ زارَها … ويَشْهَدُ فى ظلِّها الآخِره

* * *

تهلَّل بالحُسْنِ وجهُ الضريحِ … وقامتْ منائِرُه باتِّزانْ
تُطِلُّ على أثرٍ للخلو … دِ قامَ على آخر وهْوَ فانْ
وكانت تجىءُ إليهِ الوفود … تُبارِكُ سُمْعَتَهُ بالعِيانْ
فتَشْدُو أدِلاَّؤُهُمْ بالتى … على حُسْنِها عُقِدَ المهرَجانْ
وكيفَ قضتْ فى صِباها فشادَ … لها الحُبُّ لؤلؤةً فى الزمانْ
فتَخْشَعُ أطرافُهم للمكينِ … وتخفِتُ أصواتُهم فى المكانْ
وكم شاعرٍ هائمٍ فى الخيالِ … تمثَّلَها فبكَى من حنانْ
وحسناءَ تحبسُ أنفاسَها … لعاقبةٍ - مِثْلَها - فى الحِسانْ
وعاشَ الأميرُ على عَهْدِهِ … يقومُ لها كلَّ يومٍ بشانْ
ومَنْ حَوْلَه مُلْهِماتُ الفنونِ … تَرِفُّ على قلبِهِ بالأمانْ

* * *

وأمْسَى بشَيْبَتِهِ ذاتَ يومٍ … تُنادِمُه روحُها السارِيَهْ
يرى الوافِدَاتِ إلى قبرِها … وهُنَّ يُزَغْرِدْنَ فى عافيه
فيُشْمِلُه حُسْنُ ما قدْ أتمَّ … ويَذْكرُ ما لم يَكُنْ ناسِيَه
لقد لبِسَ الصرْحُ هذا الجلالَ … بأشرافِ قُبَّتِهِ العاليه
ولم يَبْقَ رُكْنٌ على حَجْمِه … سِوَى موضعِ التُّربةِ الزاكيه
ونظْرَتُه ترْتمى فى البِناءِ … فتسْبحُ فى جَوِّهِ صافيه
ولكنَّها كلَّما راجعَتْ … سوارِيَهُ ... ساريةً ساريه



شئ نادر :

الوصـــــول

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

كن فى مجتمع وانظر إلى الناس من حولك وتفرس فيهم ، فإنك تستطيع بعد شىء من التدرب والتعلم أن تحدد ، ولو بالتقريب ، شخصيات الكثيرين منهم ، فتقول إن هذا الأول شخص جاد مستقيم فى عمله مستقيم فى لهوه ، فهو يعمل ليعيش ، ويلهو ليعمل ، كأنما هو آلة حكم عليها أن تدور دورتين دورة ذات اليمين ودورة ذات الشمال . فإذا تركته ونظرت إلى الثانى قلت إن هذا الثانى شخص حائر لا يعرف لماذا نوجد فى هذه الحياة ولا يعرف أى أعباء الحياة يحمل ولا أيها يدع ، فهو يرمق كل شئ باهتمام ، ولا تعدو رمقته إلى الأشياء هذا الاهتمام ، ولا تجوزه إلى الاختبار والمعرفة ثم الاستغلال . فإذا تركته ونظرت إلى الثالث قلت إن هذا الثالث مغالط اختلس فى الدنيا ما كان غيره أحق به منه ، وهو يعرف أنه مختلس ، ويعرف أن المختلس مهدد بالانفضاح ، ولذلك فإنه يعمد إلى تغطية مغالطته الأصلية المجرمة بمغالطات أخرى فرعية هى أيضاً مجرمة . فإذا تركته ونظرت إلى الرابع قلت إن هذا الرابع ضعيف هزيل ولكنه راغب فى الحياة ، وفى لون صريح من ألوان الحياة برضاه ، فهو يتوسل إليه بإهدار كل مواهبه وكل قواه لا يعبأ بأن يكون موضع النقد ، ولا بأن يكون موضع السخرية ، ولا بأن يكون موضع التحقير ما دام يصل إلى الذى يريد من الراحة الرخيصة التى استهونه والتى طمع فيها على غير جدارة منه لها ... فإذا تركته ونظرت إلى الخامس قلت إن هذا الخامس حقود ، فإذا تركته ونظرت إلى السادس قلت إن هذا السادس بخيل ، فإذا تركته ونظرت إلى السابع قلت إن هذا السابع بحاثة ، فإذا تركته ونظرت إلى الثامن قلت إن هـذا الثامن فنان ... وهكذا ...

بل إن من الناس من تستطيع بالنظرة الأولى إليه أن تعرف الحرفة التى يحترفها ، فهذا تعرفه معلماً من عنايته بالنظافة والنظام ، ومن حركاته الميكانيكية التى اصطنعها لتكون نموذجاً للتلاميذ يتحركون على نمطها ، ولتكون فى الوقت نفسه ستاراً بينه وبين التلاميذ فلا يكشفون مع وجودها حركات نفسه الطبيعية التى فطره عليها الله ، وأنت تعرفه كذلك من صوته وإشاراته وحديثه الذى يتكلف به التفهيم بحسب أصول البيداجوجيا . . . وذاك تعرفه محامياً من لباقته ورشاقة ضميره التى تبدو فى اتساع آفاق أحاديثه ، تلك الأحاديث التى يحرص المحامى البارع كل الحرص على أن تكون كلاماً لا معنى له حتى إذا اختلف مع موكله بعد الحكم الابتدائى استطاع أن يتفق مع خصم موكله ليترافع عنه لدى محكمة الاستئناف . . . وذلك تعرفه سمساراً من سهولة دخوله على الناس وسهولة خروجه من الناس ، فهو يحدث من يشاء بما يشاء إلى أن يشاء قطع الحديث ليحدث آخر بما يشاء أيضاً حتى يرى أن يصل الاثنين وأن ينسحب هو ليصل غيرهما بالحلال أو الحرام ... وآخر تعرفه عسكرياً من سماحة عقله وسماحة نفسه

أصابتْ عِثاراً على نُقطَةٍ فـكرّتْ على نفسِها ثانيه
فيشعُر كالشّوْكِ فِى صدْرِهِ يُوخَز من قلبِـهِ داميَهْ
فينهَضُ فِى قبضَةٍ مِنْ ذُهُولٍ يجرُّ خُطاهُ بلا واعيَـه

* * *

وعادَ غداةَ غَـدٍ واجمًا وفى سِرِّهِ الخُطةُ التاليَهْ
وسادَ السكونُ على المُلْهِينَ كأنهُمُ الجَمْرةُ الخابيه
فشاعِرُهم قائمٌ بِالوَصِـيدِ يُسائِلُ عمّا جَرَى رَاوِيَه
ودارَ بنظرَتِه فى المكانِ وألقَى على صحنِه ثانيـه
ورَوَّى طويلاً وقال : ارْفعُوهُ ! وَأوْمأَ لِلتُّرْبَةِ الزاكيه

(البحرين) ابراهيم العريض

فهو لا يطمع من الدنيا فى شىء أكثر من الذى يطمع الإنسان فيه إذا كان فى « استراحة » إحدى المحطات : لقمة سائغة ، وشربة هنية ، بعدهما جرس القيام .. ثم الصحافى تعرفه صحافياً بقدرته العجيبة على دس نفسه فيما يعرف وفيما لا يعرف ، وبقدرته الأخرى على الاستخفاف بحكم الناس عليه ؛ فهو يقبل عليهم فى النكبة لا ليشاركهم الأسى ولا ليواسيهم ولا ليخفف عنهم وإنما ليراهم كيف يبكون ، وكيف يذرفون الدمع ، وليته مع ذلك يحاول أن يعرف هذا البكاء وهـذا الدمع هل هما صادقان أو هما كاذبان وإنما الذى يعنيه هو تسجيل الوقت الذى بدأ فيه البكاء والوقت الذى انتهى فيه ، وتقدير الدمع الذى ذرف كأنما ناس يريدون أن يشربوه أو أن يعوموا فيه ... وهكذا

هذا شىء يحدث ... وأنت تستطيع - كغيرك - أن تميز الناس بالنظرة الأولى أو بالنظرة الثانية ، فما الذى يحدث للناس حتى يتشكلوا هذا التشكل الذى يحددهم ويحصر شخصياتهم ؟ وهل تحدد الشخصية وانحصارها مما يدل على قوتها ، أو مما يدل على ضعفها ؟

أما الذى يحـدث للناس ، فيكون من أثره أن تتشكل شخصياتهم وأن تتحدد وأن تنحصر وأن تتميز ، فهو أن الواحد منهم يقع تحت تأثير عاطفة من العواطف أو حرفة من الحرف ، ويتركها تعمل فى نفسه . والنفس كما نعلم تعمل فى البدن ، ولكل عاطفة لون من العمل تنصبغ به النفس ويتشكل به البدن . ومهما كان من الخير فى العاطفة الواحدة أو فى الحرفة الواحدة ، فإن تغلبها على الإنسان فيه اختلال لتوازنه النفسى وفيه تشويه لشكل بدنه ، فالله لم يخلق إنساناً بعاطفة واحدة طاغية عليه ، كما أنه لم يخلق إنساناً محترفاً حرفة واحدة تؤثر فيه هذا الأثر الشنيع

وإنما الناس الذين خلقهم الله أطفال ، أصفياء ، عواطفهم موجودة لا حصر لها : فالسعيد منهم هو ذلك الذى إذا نما العقل فيه تمكن به من حفظ التوازن بين هذه العواطف الموجودة الكثيرة فلم يسمح لإحداها بأن تتغلب على أمره ... فإذا استطاع هذا ، فهو ينمو ويكبر ولا يزال وجهه كوجوه الأطفال ، ولا تزال شخصيته كشخصيات الأطفال ، فيها هذا الشيوع السمح الذى لا يستطيع الناظر إليه أو المحقق فيه أن يجزم به فيقول : إن هذا الإنسان حقود ، أو إنه غيور ، أو إنه طماع ، أو إنه محام أو إنه معلم ، أو إنه مهندس ، أو إنه شىء ما ... وإنما يقول هذا إنسان ، فإذا أراد أن يعرف أى إنسان هو كان عليه أن يباشره وأن يختبره ، فعندئذ تتبين له مواهبه واتجاهاته العقلية والنفسية. ولا بد فى هذه الحال أن تنكشف له ميزات عجيبة ، لأن الإنسان الذى يستطيع — وعلى الخصوص فى هذا العصر — أن ينجو بنفسه من الخضوع لإحدى العواطف أو لمجموعة خاصة منها ، وأن ينجو من آثار الحرفة والمهنة ، لهو إنسان قوى النفس استطاع أن يصل أو أن يعود إلى الأصل الطبيعى لنفسه ، وهو الأصل الذى فطره الله عليه ، وهو أصل خصب صاف غنى فيه كل العواطف ، وكل المواهب ، وكل القوى الخلقية ، وإن تفاوتت مقاديرها عند الناس

ومن الفنانين الذين استطاعوا أن يصلوا إلى هذا الصفاء : شارلس لانون ، فأنت تنظر إلى وجهه فترى وجه طفل لا يستطيع اللحم المتراكم فيه أن يحجب صفاءه ولا نقاءه

ونجيب الريحانى يقترب اليوم من الستين ، ومع هذا فمهما تفرست فى وجهه فإنك لا تستطيع — والصلاة على النبى — أن ترى فيه تجعيدة أو خطاً يستر عاطفة حادة أو يشير إلى أن هذا الرجل قد قهره الزمن على أن ينصبّ فى قالب ما . ولذلك فإنه قدير على أن يمثل كل شخصية من الناس ، وعلى أن يعلم الممثلين كيف يمثلون ما اختلف من الشخصيات

والأستاذ أحمد أمين — على ما أنا متحامل عليه — تراه فلا تعرف أهذا الرجل أديب ، أم هو عالم ، أم هو تاجر ، أم هو من ذوى الأملاك ، أم هو ممن يرزقهم الله يوماً بعد يوم ... ولست أدرى أأتاه ذلك لأنه من أولئك الذين تحدثنا عنهم ، أم لأنه مجموعة من الرجال : فهم الأديب والعالم والتاجر وذو الأملاك ، والذى يرزقه الله يوماً بعد يوم ، وقد تعادل فيه هؤلاء جميعاً فلم يقو واحد منهم على أن يختص بالظهور فيه

ويشبهه فى ذلك الأستاذ الزيات ... بل إنه يزيد عنه غموضاً فى صوته ، فهو لا يزال إلى اليوم يشبه أصوات الأطفال ...

أما الرجل الجبار فى هذا الوصول فهو الاقتصادى الفنان الكبير طلعت حرب ... فهذا رجل إذا لم تكن تعرفه ورأيته وأقسم لك جمهور من الناس بأنه طلعت حرب لما صدقت ، فهو لا يبدو عليه أنه باشا ، ولا أنه اقتصادى ، ولا أنه صاحب



الجيل

يعضد مقالة الدكتور زكى مبارك فى (الجيل) مستدرك التاج « والجيل القرن » « والقرن — كما فى النهاية — أهل كل زمان وهو مقدار التوسط فى أعمار أهل كل زمان ، وكأنه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم . وقيل : القرن أربعون سنة ، وقيل : ثمانون ، وقيل : مائة ، وقيل : هو مطلق الزمان »

والجيل فى هذه اللزومية :

دين وكفر وأنباء تقص وفرقان (م) ينص وتوراة وإنجيل

فى كل جيل أباطيل يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل ؟

وما تزال لأهل الفضل منقصة والأصاغر تعظيم وتبجيل !

الجيل فى قول الشيخ قد يراه الدكتور من حججه

له

حول مسابقة الأدب العربى

فى هذا العدد من الرسالة يظهر المقال التاسع ، وفى العدد المقبل إن شاء الله يظهر المقال العاشر فى نقد كتاب « المختار » للأستاذ عبد العزيز البشرى ، ويرى طلبة السنة التوجيهية أن موعد المسابقة اقترب وأنه صار من المتعذر أن نكتب عن « تحرير المرأة » و « ديوان إسماعيل صبرى »

أما كتاب تحرير المرأة فقد نشرت عنه « الرسالة » مقالين لباحثين فاضلين ، فأنارت الطريق أمام الطلاب ، وأما ديوان إسماعيل صبرى فمه أربع دراسات لحضرات الأساتذة الأفاضل طه حسين وأحمد أمين وأنطون الجميّل وأحمد الزين ، وفى هذه الدراسات ما يوضّح ملامح هذه الشاعرية أحسن توضيح

لكن بقى جانبٌ من هذه الشاعرية لم يلتفت إليه هؤلاء الباحثون ، وذلك الجانب هو تأثير إسماعيل صبرى فى الشعر الحديث من الناحية الوصفية ، وأريد بها وصف الآثار المصرية وكنت أحب أن أنشر فى « الرسالة » مقالة فى خصائص هذا الجانب من شاعرية صبرى ، ولكنى لم أجد ما أقوله بعد البحثين اللذين أثبتهما فى الطبعة الثانية من كتاب « الموازنة بين الشعراء » وهما يقعان فى سبع وعشرين صفحة ، فإن رأى الطلبة أن يرجعوا

مشروعات ، ولا أنه صاحب جهاد ، وإنما هو رجل منكسر ينثنى رأسه وهو جالس إلى صدره ذلاً واستغفاراً ، وتتطلع عيناه إلى السماء رجاء واستعطافاً ، ويتهادى صوته فى حديثه كأنما يخشى التعثر أو الخطأ ، مع أنه اليوم فى السبعين أو نحوها ، ومع أنه الرجل الأول فى مصر

السنون مرت به ولكنها لم تفعل به شيئاً ، والصعاب صدمته ولكنها لم تحفر فى نفسه مجرى ، وإنما كان يقبل فى السنين الماضيات جميعاً على اليوم بعد اليوم ، أو على الساعة بعد الساعة يبحث عن موضع الحق أين هو فيلصق به ، والصعاب كانت تصدمه فكان يردها بدرع الحق أيضاً فلم تكن لتؤثر فيه ، ولذلك استطاع أن يبقى إلى اليوم كأنه طفل كبر جسمه ولكن نفسه ما تزال صافية مرتاحة

وإذا كان الوصول إلى هذا الصفاء لازماً للناس جميعاً ، لأنه أهم أسباب الراحة والاطمئنان ، فهو ألزم ما يكون لأهل الفن ما دام تعبيراً من حياة الروح عند صاحبه وعند غيره من الناس ، فهذا الصفاء يمكن الفنان من الاطلاع على حقيقة نفسه كلما اعتراها طارئٌ من طوارئ الحياة ، فيلحظ بهذا الاطلاع ما ينتاب النفس الطبيعية عند هذا الطارئ بالذات ؛ فإذا ضمن صفاء نفسه واستقامتها فقد ضمن بها مقياساً لا يخطئ يمكنه من الحكم على سائر النفوس وهى تحت تأثير الطوارئ المختلفة ، فإذا لحظ بعد ذلك كيف تعبر نفسه عما تفعله بها الطوارئ ، وكيف تنزع إلى الاستغراق فى هذا الطارئ أو التنصل من ذاك الطارئ ، استطاع بعد ذلك أن يقيس نفوس الناس على نفسه الصافية فإذا وجد اختلافاً بحث عن علته وسببه عندهم ...

وهذه موضوعات للأدب ، وللموسيقى ، وللتمثيل ، وللغناء ، وللرسم ، وللرقص ...

إنها حياة النفس وما الفن إلا تصوير هذه الحياة ، وما الوصول إلى الفن الصادق إلا من هذه الطريق ...

كان الله فى عون الفنان إذا أراد أن يكون صادقاً ...

عزيز أحمد فهمى

إلى هذين البحثين فى كتاب الموازنة بين الشعراء فسيكون لذلك بعض النفع، لأنهم سيرون ملامح لم يروها فى تلك الدراسات، وقد يكون فيما فصلنا من الموازنة بين صبرى ومطران مما لم يلتفت إليها الطلبة من قبل

وأنا أرجو أن يكتب الله التوفيق لجميع المتسابقين، وأنتظر بعون الله ورعايته أن يكون إجابات المتسابقين شاهداً على اهتمام الشبان فى مصر بمسايرة الأدب الحديث والله عز شأنه هو الموفق

زكى مبارك

الرواية الإسلامية فى عدد أصحاب الكهف

ذكر الأستاذ الجليل زكى مبارك فى العدد (٣٩١) من مجلة الرسالة الغراء أنه بمراجعة التفاسير فى قوله تعالى: (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) يعرف أن أصحاب القول الأول هم اليهود، وأصحاب القول الثانى هم النصارى، وأصحاب القول الثالث هم المسلمون، وقد جعل الرواية الإسلامية أن عددهم ثمانية بإضافة كلبهم إليهم

ولعل صديق الأستاذ زكى مبارك يقصد الرواية الإسلامية المشهورة، فلا تكون هذه الرواية فى الإسلام ضربة لازب وإن اشتهرت بين المسلمين، فكم من أمور اشتهرت بيننا معشر المسلمين وليست فى شىء من ديننا. والحقيقة أن ظاهر القرآن الكريم على أن هذه الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب خاصة، فهم الذين قالوا مرة إنهم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالوا مرة إنهم خمسة سادسهم كلبهم، وقالوا مرة إنهم سبعة وثامنهم كلبهم، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يرد عليهم أقوالهم المختلفة بقوله: (قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) ثم أمره بعد هذا ألا يمارى فيهم إلا مراء ظاهراً، واختيار أحد هذه الأقوال وحمله على القرآن والإسلام ليس من المراء الظاهر فى شىء، والحكمة ظاهرة فى ترك ذلك المراء، لأن الإسلام لا يعنى بعدد أصحاب الكهف ولا غيره من شأنهم، وليس من شأنه أن يدخل فى جدال مع أهل الكتاب فى تلك التفاصيل، وإنما يسوق قصة أهل الكهف للعبرة والعظة، شأنه فى كل ما قصه علينا فى القرآن الكريم، والعناية بتلك التفاصيل من شأن علم التاريخ لا من شأن الكتب السماوية.

وقد تمسك الذين رجحوا أن يكون عدد أصحاب الكهف ثمانية من علمائنا بهذه الواو التى وردت فى قوله تعالى: (وثامنهم كلبهم) إذ لم يقل قبلها ورابعهم وسادسهم، ولكن هذه الواو إذا دلت على مثل هذا فإنما تدل عليه فى قول الذين حكى الله تعالى هذا القول عنهم، ولا تدل على ترجيح الله تعالى لهذا القول على القولين قبله

وإذن يكون الراجح عندنا فى عدد أصحاب الكهف أنه مما استأثر الله بعلمه مع القليل الذى ذكره فى كتابه، وليكن بعد هذا عددهم أربعة أو ستة أو ثمانية، فكل هذا من الرجم بالغيب. ولا يهمنا فى ديننا بشىء، ولو كان المسلمون كلهم يعرفون عددهم وأنه ثمانية ما قال الله تعالى فى عددهم (ما يعلمهم إلا قليل)

عبد المتعال الصعيدى

فى ديوان اسماعيل صبرى باشا

قرأت ديوان اسماعيل صبرى باشا الذى صححه وضبطه وشرحه ورتبه الصديق الشاعر الأستاذ أحمد الزين والذى قامت بنشره لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م فلفتَ انتباهى خطأ وقع فيه الأستاذ الزين رأيت أن يصححه كل من اقتنى الديوان. ففى صفحة ١٨٦ قصيدة عنوانها «الحرب الإيطالية فى طرابلس أيضاً» أولها:

يا بنتَ رُومَا لا تكونى كمَا ... كانَتْ أثينا بَيْنَ قِيلٍ وقالِ

وهذه القصيدة مُشكلةٌ كل أبياتها بكسر اللام فى القافية وهذا خطأ تصويبه تسكين اللام كى يصير وزن القصيدة:

مُستفعلن مستفعِلُنْ فاعلنْ ... مُستفعلنْ مُستفعلنْ فاعلانْ

فليس من الجائز أن نقول:

مُستفعلنْ مُستفعلنْ فاعلنْ ... مُستفعلن مُستفعلن فاعلانِ

والخطأ فى القول الثانى هو كسر النون فى «فاعلانِ» وصحته تسكين اللام بقول «فاعلانْ»

عبد الرحمن الخميسى

قصيدة كبلنج

قرأت فى العدد (٣٨٩) من الرسالة الغراء ترجمة الأستاذ عبد الواحد الخطيب لقصيدة كبلنج الخالدة (إذا ...) فوقفت عند السطر الثانى والثالث منها عند ما لاحظت اضطراباً فى المعنى فقد جاء فى ترجمة الأستاذ ما نصه (وكان فى إمكانك أن تثق بنفسك حينما يشك فيك بعد أن تعرف رأيهم ووجهتهم التى يعيبونك فيها) فالضمير فى رأيهم يعود على فاعل يشك التى بناها الأستاذ لصيغة المجهول ، وكان الصواب أن يذكر فاعلها وهو (الناس) كما ورد فى الأصل الإنجليزى

هذا وإننا نشكر للرسالة الغراء فتحها المجال لأبناء العربية ممن قدّر لهم الوقوف على الأدب الإنجليزى الزاخر ليطلعونا على عيونه وفرائده .

(عكا . فلسطين) عرفات الطاهر

ميكرسكوب كهربائى يكبر ٢٥ ألف مرة

من أخبار أمريكا الأخيرة أن أحد المصانع الكبرى بها R. C. A. وهو مصنع للراديو قد تمكن من إخراج ميكرسكوب يستمين بالقوة الكهربائية لإعطاء نظر قوته ٢٥ ألف مرة . وهذا الميكرسكوب قد وضع تصميمه العالم الدكتور فلاديمير زوركين Vladimir K. Zworykin ، العالم فى علم الرؤيا اللاسلكيـة (تلفزيون) ، وتمكن المصنع من صنعه بمعونة نفر من أقطاب صناعة المدسات وعلى رأسهم الدكتور لادسلوس ماركون أشهر إخصائى فى صنع الميكرسكوبات

ولا شك أن هذا المجهر يفتح مجالاً كبيراً للعلماء فى شتى الأبحاث التى ظلت خفية أو مجهولة ، بل وفى شتى الصناعات الكيميائية التى تعتمد على الكيمياء الصناعية كما هو الحال فى الراديو ، وقد يفسر هذا إقدام هذه الشركة على تمويل المشروع

ومن البديهى أن استخدام هذا المجهر فى علم البيولوجيا سيعود بأعظم النفع على الإنسانية إذ سيكشف عن جزئيات الميكروبات ، كما أنه سيكون ذا فائدة كبيرة فى دراسة علم المادن المضوية Organic وغير المضوية Inorganic التى لا يمكن رؤيتها بالمجاهر المادية

ومن قوة هذا المجهر أنه يستطاع به رؤية الميكروبات الدقيقة التى لا يمكن رؤيتها بالضوء المادى ، فلقد استعمل المصنع ضوءاً قوته من ٣٠ ألف — ١٠٠ ألف فولت حتى استطاعوا أن يشاهدوا به الموجات الضوئية الدقيقة

وهذا المجهر مزود بآلة فوتوغرافية غاية فى الدقة تستطيع أن تصور التطورات المختلفة التى تمر تحت عدساته . وحسب القارىء فى الدلالة على دقتها أن يعرف أن فى استطاعتها تصوير جزء من مليون من السنتيمتر . وشريطها رقيق جداً بدرجة حساسة وهو مصنوع من مادة النتركيلولوس

وعدسات هذ المجهر ثلاث : الأولى تحمل المشاهدة حوالى مائة مرة ، والثانية تصلها إلى ٢٥٠ مرة ، والثالثة تضاعفها إلى ٢٥ ألف مرة ؛ وجميع هذه المكثفات واقعة تحت تأثير منبع كهربائى قوته كما قلنا أقلها ٣٠ ألف فولت وآخرها ١٠٠ ألف فولت ، وفى أسفل هذه المدسات الآلة الفوتوغرافية الدقيقة ... وأرجو أن أستطيع فى فرصة أخرى توضيح هذا الشرح بصور لهذا المجهر المجيب

مصطفى مشعل

سفساف لا سفاسف

جاء فى كلمة الدكتور عبد الوهاب عزام عدد (٣٨٨) هذه الجملة :

« ويعلو عن (سفاسفه) » . فقد ند قلم الدكتور السيال عن هذه اللفظة ، فاستعملها بمعنى الردىء ، والذى ورد فى كتب اللغة « سَفْساف » ولم يرد إلا سُفاسِف بالضم بمعنى شديد

جاء فى القاموس مادة (سفف) ، « وجوعٌ سُفاسِف بالضم شديد ، والسفساف الردىء من كل شىء والأمر الحقير ، وسفسف عمله لم يبالغ فى إحكامه » وفى لسان العرب السفساف الأمر الحقير وأورد شاهداً ما جاء فى الحديث : « إن الله سبحانه وتمالى يحب معالى الأمور ويكره سفسافها » وأنكر سفاسفه قال : « وفى حديث فاطمة بنت قيس إنى أخاف عليك سفاسفه

قال ابن الأثير هكذا أخرجه أبو موسى فى السين والفاء ولم يفسره وقال: ذكره المكبرى بالفاء والقاف ولم يورده أيضاً فى السين والقاف قال: والمشهور المحفوظ فى حديث فاطمة هو: إنما هو إنى أخاف عليك قسقاسته وهى العصا قال: فأما سفاسفه وسقاسقه فلا أعرفه إلا أن يكون من قولهم لطرائق السيف سفاسقه وهى التى يقال لها « الفرند » فارسية معربة

وأستفهم من حضرة الدكتور الأديب: هل هناك فرق بين الصبر الجميل والصبر. فقد جاء فى القرآن الكريم حكاية عن سيدنا يعقوب « فصبر جميل » وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: فاصبر صبراً جميلاً، وبقوله: فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فهذا دليل على أن هناك أنواعاً للصبر بينها فروق. أرجو الإجابة على هذا مع جميل الثناء

(القاهرة) فخر الدين غزى

الى الدكتور عبد الوهاب عزام

إنك وحدك - فيما أعلم - الذى تستطيع بلسانك الفارسى أن تسلك القلم العربى المبين فى هذه الناحيـة التى عنت لى فى دراسة الأدب العباسى. تلك الناحية هى تأثير اللغة العربية فى اللغة الفارسية تأثيراً شاملاً لا ريب فيه، وتلك الثغرة أتقدم إلى فتحها فى البحث الأدبى إذ المستفيض فى كتابات الناس على كثرتها وتنوعها أنها لم تتعد الحديث عن تأثير الفارسـية فى العربيـة تأثيراً عاماً فى الألفاظ والأساليب والأخيـلة والمعانى وكل ما يضرب فى هذه السبل، ويذهبون فى العوامل التى أدت إلى ذلك كل مذهب، وليس يعنيننا هنا أن نقول إن العربيـة اقتحمت على الفارسية معاقلها أو كادت تمحوها حيناً من الحين، أو أن نتاج المقول الفارسية الراجحة إنما هو بالعربية، إذ كان شعر الشاعر منهم بالعربية كبشار، وأدب الأديب منهم بالعربية كابن المقفع، وتأليف المؤلف منهم بالعربية كابن قتيبة والطبرى، نعم هذا حسن ولكنى أعتقد أن هناك شيئاً وراء ذلك كله وهذا الشىء لم يعرض له أحد من الباحثين فيما قرأت من تواريخ اللغة والأدب. وهل رأينا أحداً ألف كتاباً أو بحث بحثاً فى تأثير اللغة العربية فى الفارسية وآدابها. لا نقول إن هذا لون فى البحث لا يعرض له إلا مؤرخ الفارسية وأدبها، فالباحث الحديث لا يقف قلمه عند النظرة البدائية أو نظرة الطائر كما يقولون. والمهم هنا هو أن أنص بقوة على أن اللغة الفارسية لا بد أنهـا تأثرت تأثيراً عميقاً باللغة العربية فى الألفاظ والأساليب والأخيلة والمعانى والأفكار، إذ المعلوم أن سريان مثل هذه التأثيرات شىء معنوى لا يمكن أن تضع يدك عليه وتقول إنه وصل إلى هنا وابتدأ من هناك، أو تستطيع أن تقف تياره عند حد معين، فذلك بالماديات أليق، وإذا كان كذلك فإنى أتقدم إلى الدكتور الفاضل عبد الوهاب عزام راجياً أن يسلك القلم فى هذا الموضوع الخطير وله فى العربية العرفان بالجميل، وهذه إشارة عجلان لعلها تحظى بالجواب من العالم الوقور.

احمد عبد الرحمن عيسى



الحب والسحر

للأستاذ نجيب محفوظ

انتهى من فرش شقته – أو حجرته إن أردت الدقة – لأنها كانت مكونة من حجرة متوسطة الحجم وردهة صغيرة ، وكان الأثاث في غاية البساطة كذلك لا يعدو الفراش الخشبي الصغير وخواناً يستعمل مائدة للطعام ومكتباً للمذاكرة وكرسياً وصندوقاً لحفظ الملابس والكتب ومسطرة مدرسة الصنائع المعروفة بطولها .

وهذه الشقة هي الطابق الأول لمنزل صغير مكون من طابقين متماثلين بحارة دعبس بالوايلية . هداه إليه أهل الخير ، فوجده صالحاً لتلميذ مثله بمدرسة الصنائع ومن أسرة ريفية متوسطة الحال بقليوب ، واكترى الشقة بخمسين قرشاً بعد أن رفضت صاحبة البيت تخفيض مليم من أجرتها ...

واستقبل الحياة في البيت الجديد بنفس راضية ، وعلم أن صاحبته تدعى « أم فردوس » ، وأنها أرملة أسطى عربجي كارو ولكنها تعيش الآن من أجرة شقته وما تربحه من بيع مواد للسمنة : كالفتقة والمفات وبعض التركيبات الأخرى ؛ ثم هدايا الأسر التي تعمل بها : « كبلانة » أو « خاطبة » . وكانت امرأة قصيرة بدينة قوية البنية ، تصبغ شعرها بالحناء ، وتملأ ساعديها بالأساور الذهبية ؛ وكانت قسماتها مقبولة ، ولكن صوتها خشن جهوري ، للسب أهون ما يقذف به مما جعلها مرهوبة الجانب في الحي كله . وتساءل منذ اليوم الأول لإقامته في البيت : ترى هل لأم فردوس بنت تدعى فردوس حقاً ؟ ... وأين هي ؟ هل تقيم معها في البيت أم أنها في بيت زوجها ؟ ... وربما كان الباعث على السؤال حب الاستطلاع ليس إلا ، وعلى أية حال جاءه الجواب سريعاً ، ففي صباح أحد الأيام ، وكان يهم بمغادرة شقته إلى المدرسة سمع وقع أقدام خفيفة فصوب بصره إلى أعلى السلم فرأى فتاة في السادسة عشرة مرتدية مريلة المدرسة الزرقاء تهبط في تؤدة حاملة حقيبتها ، فانتظر حيث هو موسعاً لها الطريق ، وقد التقى بصره ببصرها وهي تعاينه بعين يعلوها الارتباك، ولما حاذته خال أنه سمعها تحييه بصوت خافت قائلة « صباح الخير » فقال لها بلهجته الريفية القحة « صباح الخير » ... ثم تبعها على مهل حتى خلصا إلى الطريق ، ولم تلتفت الفتاة إلى الوراء، ووضعت حقيبتها على خاصرتها وأحاطتها بذراعها ومضت ...

ترى هل تكون الفتاة فردوس بنت أم فردوس ؟ ... رجح ذلك مستدلاً بتحيتها له ، وعلى أية حال كانت الفتاة خمرية اللون ، سوداء العينين والشعر ، ناهدة الثديين ... فبدت لعينيه الريفيتين آية من الحسن ، وكان يتمثل فردوس من قبل كأمها : غليظة ، تسعى في الأسواق ملتفة بالملاءة اللف ، فإذا به يجدها تلميذة لطيفة تسر الناظرين ... فجرت ابتسامة على شفتيه الغليظتين ، وولول قائلاً بلهجته الريفية : « وي وي يابوي » ... وأتيح له أن يعيش في بيت واحد مع هذه الفتاة الجميلة ، ولكنه كان قليلاً ما يسعد برؤيتها بخلاف أمها التي كانت تقوم بتنظيف شقته ، وتجالسه في أوقات الفراغ ، وتحدثه – بمناسبة وبغير مناسبة – عن شئون مختلفة وعن أناس كثيرين من الجيران ، وقد ساق الحديث يوماً إلى ناحيته فسألته عن أسرته ومستقبله وصارحها الشاب بأنه من أسرة سيدهم !... وإنه يملك فدانين وعدداً من القراريط وجاموسة، وأنه التحق بمدرسة الصنايع بعد أن قضى ثلاث سنوات بالمدرسة الثانوية وقال لها في شيء من المباهاة أنه سيكون يوماً ما مهندساً وأصغت المرأة إليه باهتمام وانتباه وكانت تتمثل الفدانين والجاموسة والمهندس الشاب وتختلس منه نظرات عميقة تدل على الحذر والدهاء ... ثم دعت له دعاء طيباً بصوتها الأجش ...

وسارت الحياة على وتيرة واحدة ولم يكن يغير من رتابتها إلا سفره كل أول خميس من الشهر إلى قليوب حيث يبيت ليلته ويعود مساء الجمعة حاملاً معه بيضاً وفطيراً وزبدة يهدي إلى أم فردوس منها نصيباً معلوماً ...

وفي يوم من الأيام وكانت المرأة تجالسه خاطبته برجاء قائلة :

— والنبي ياسي حماد تفهم فردوس الحساب لأنها ضعيفة فيه

وابتهج الشاب بالدعوة أيما ابتهاج . ولم يكن الأمر سهلاً كما يبدو لأنه كان نفسه ضعيفاً في الحساب وكان بينه وبينه ثأر قديم منذ اليوم الذي اضطره فيه إلى اليأس من الاستمرار في المدرسة الثانوية وإجباره على اختيار مدرسة الصنائع بدل المدرسة الحربية التي كان على استعداد لأن يجود في سبيل الالتحاق بها

بيبيع الفدادين والجاموسة . ولكنه قبل الدعوة دون تردد وصعد إلى شقة أم فردوس ، ووجد الفتاة وكأنها فى انتظاره وكانت ترتدى فستاناً أنيقاً ، وترسل شعرها الأسود فى ضفيرة طويلة جاوزت ردفيها . فقامت لتحيته وجلسا تفصل بينهما مائدة وضعت عليها كراسة الحساب ، وقالت لها أمها : إن « حماد افندى قبل أن يدرس لها الحساب » وجلست معهما برهة ثم خرجت إلى الردهة لأعمالها التى لا تنتهى ، وكان الدرس شاقاً على المعلم والتلميذة على السواء ، ولكنه لم يرض بالهزيمة وإفلات الفرصة السعيدة من بين يديه فشرح لها الدرس على قدر فهمه . وكان إذا غلبه الارتباك نظر إليها وسألها قائلاً : « فاهمة ؟ » فتهز رأسها بالإيجاب سواء أكانت فاهمة أم غير فاهمة . ووجد حامد فى هذه الدروس فرصة جميلة للاجتماع بفردوس ، وكان يجذبه إليها ما يجذب فتى مثله فى فورة الشباب إلى فتاة فى نضوجها وحسنها انطوى عليهما بيت واحد ، وربما كانا معاً يكابدان هذا الشعور الطبيعى ولكنهما لم يتقدما فى علاقتهما عن أول يوم لتقيا فيه لأن الشاب كان ريفياً « خاماً » وكان يقنع بأن يقول لها صباح الخير أومساء الخير وهو يحدجها بنظرة ذات معنى كأنها تتوسل إليها أن تفهم ، أو أن يضغط على يدها إذا مدتها إليه بالسلام . وكان كثير الحذر فى التعبير عن شعوره خشية أن تتنبه إليهما أم فردوس لأنه كان يتوهم أنها لم تتنبه إليهما بعد ...

واطردت الأيام وهو جد سعيد بحياته ، حتى كان صباح جمعة ، وكان من عادته أن يمضى صباح الجمعة خارج البيت إلى ما بعد الصلاة ؛ وكان يقطع حارة دسوقى فى طريقه إلى شارع الملك فالتقى بأم بخاطرها الغسالة وهى ملتفة فى ملاءتها القذرة كغرارة الفحم ، وكانت تنسل له ثيابه ثم انقطعت على أثر شجار قام بينها وبين أم فردوس تبودل فيه القذف والسب وشد الشعر والبصق وحركات أخرى غاية فى الغرابة ، فأقبلت المرأة عليه وحيته وقالت :

— يا سي حماد أنا أرغب فى مقابلتك منذ زمن طويل فالحمد لله الذى أراد بك كل خير ... تعال أحدثك حديثاً يهمك ...

وانتبذت به مكاناً خالياً من الحارة ثم استدركت تقول :

— أنت شاب طيب القلب لا تدرى من أمور الدنيا شيئاً فاحذر هذه المرأة ... أم فردوس داهية شريرة تجد منذ زمن طويل فى الإيقاع بك ...

فبوغت الشاب بهذا القول وأخذه العجب وسألها فى ارتباك ظاهر : « أى إيقاع بى تعنين ! »

فقالت المرأة وهى تخافت من صوتها :

— إبنتها ؟ ... ألا تفهم ؟ ... إبنة المرىجى ... فردوس التى تسير فى الطريق عارضة ردفيها وساقيها لكل من رأى ، فلا هى من مقامك ولا من مقام أسرتك وأنت الحسيب النسيب مالك الفدادين ... فاحذر ثم احذر، إنها تحتال عليك مستعينة بالشياطين ..

وسكتت المرأة ريثما تستريح وجعلت تلحظ الشاب وتقرأ الدهشة المرتسمة على وجهه بارتياح ثم أدنت رأسها من رأسه غير مشفقة عليه من رائحة رأسها ونكهة فمها واستطردت تقول :

— لقد أخذت منديلك خفية وأعطته للشيخة زهية وأعطت قميصك للشيخ لبيب وأنت لا تدرى شيئاً والسحر فى فعله ، والبخور فى عمله ، وأرواح الشياطين تطوف ليل نهار

فتبدى الخوف على وجه الشاب وعبس وجهه ... ولم يكن خالى الذهن من هذه الأمور ، ولا كان ممن يستهينون بها فساوره القلق وتساءل متجاهلاً عواطفه ، ظهراً عدم اكتراث

— وما عسى أن يعنى هذا ؟

فضربت المرأة صدرها بيدها وقالت :

— هذا يعنى كل شىء يا مسكين ؛ هذا الذى أوقع المرحوم الأسطى شلبى من قبل . واعلم أنها دخلت فى الممبق ، وحصلت على حجاب رهيب دسته تحت حشية سريرك ، وحفظت ابنتها كلاماً سحرياً مخيفاً تتلوه صباح كل جمعة على فراشك وهى تثابر على ذلك أسبوعاً بعد أسبوع ، فأفسد عليها عملها الشيطانى ، وانج بنفسك ... والآن وقد حذرتك ، فإنى تاركتك لحكمتك والله يلهمك الصواب ...

وسارت المرأة فى سبيلها ، ولبث هو فى مكانه لا يريم عنه متفكراً قلقاً يعجب لتلك الأمور الجليلة التى تدور من حوله وهو عنها غافل ... رباه ! أسحر وبخور وشياطين ؟ ! ... أكل هذا ليتزوج من فردوس ؟ وكان بغير شك قلقاً خائفاً ولكنه أحس لذة خفية وتخاذراً ، ثم تساءل : هل يستمر فى طريقه أم يعود إلى البيت ليرى بنفسه ما يحدث فى غرفته ؟ وولى وجهه شطر حارة دعبس دون تردد فبلغ البيت بعد زمن قصير وكانت النوافذ مغلقة والباب مواربا كعادته فدخل بهدوء لا يحدث صوتاً ورأى باب شقته مغلقاً ، ترى هل هو مغلق بالمفتاح ؟ وهل فردوس حقاً بالداخل؟ ثم صعد ببصره إلى أعلى السلم وأدار الأكرة بخفة ودفع الباب

فى حذر فانفتح ، نخفق قلبه وقال لنفسه إن أم فردوس لا تترك الباب هكذا إذا لم يكن أحد بالداخل ، ثم دخل ورد الباب بهدوء ، وهنا اقتحمت أنفه رائحة بخور جميلة مخدرة فانتفض رعباً وتمتم بصوت غير مسموع قائلاً : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم » ولكن شغفه تغلب على خوفه فتقدم بخفة كأنه يسير على حبل فى ملعب ووضع أذنه على باب الحجرة فلم يسمع حركة ولا نأمة فانحنى حتى استطاع أن ينظر إلى الداخل من خصاص الباب فرأى دخان البخور تتصاعد سحائبه فى هدوء إلى سماء الغرفة ، واستطاع أن يرى سريره بوضوح ... رباه ... لم يكن خالياً ... كانت فردوس تتربع عليه فى ثوب أبيض ناصع البياض متلفعة بخمار أبيض كذلك كأنها على وشك صلاة ، ورآها تضع على كفها رسالة مطوية تستغرق فى النظر إليها وتحرك شفتيها حركة منتظمة كأنها تتلو آية ؛ ولبث ينظر إليها فى سكون ودهشة، وكان يجد قلقاً غريباً ، ولكنه لم يشعر بغضب أو سخط بل جعل يراقبها أخيراً فى شغف ثم رآها تثنى حافة المرتبة وتضع ما بين يديها تحتها ، ثم رآها تتمدد على ظهرها فى هدوء وهى تظن أنها بمأمن من الرقباء وتسحب الوسادة وتضمها عليها بالطول ، ثم احتضنتها بيديها وكأنما راحت فى سبات عميق ، وراقبها بعينين دهشتين وراح يتساءل أكل هذا حقاً من أجلى أنا ؟ ! ... أكل هذا لكى تتزوج منى أنا ... واطمأن إلى المنظر الغريب ووجد فى مراقبته لذة لا تعادلها لذة ؛ وأحس تخديراً ود لو لم يصح منه أبداً . وتدفق الحنان من حناياه فتمنى لو يحتويها فى تلك اللحظة بين يديه ...

ثم رآها تزيح الوسادة عنها وتعيدها إلى مكانها وتعتدل جالسة ثم تهبط إلى الأرض وتميل إلى المبخرة لترفعها فتوقع أن تمضى بعد ذلك إلى الباب وانتبه إلى حاله ، فسارع إلى الباب وفتحه وأغلقه بقوة متعمداً أن يحدث صوتاً مسموعاً واتجه نحو غرفته وهو يصفر صفيراً عالياً فانفتح باب غرفته وبرزت الفتاة وقد علا وجهها شحوب وارتباك وقالت باضطراب :

— عدت مبكراً ... أنا كنت أنظم حجرتك وأبخر الشقة

واتجهت نحو الباب مهرولة فاعترض سبيلها ، وكانت عواطفه المضطربة تشجعه على الاستهانة فقال برقة :

— شكراً ، لقد عدت لأنى أحسست بتعب ، وإنى لآسف على إزعاجى لك ... استريحى ، ولكنها قالت بسرعة ولم تكن أفاقت بعد من ارتباكها

— دعنى أخرج وإلا استبطأتنى أمى

فقال لها برجاء وهو يشير إلى الكرسى :

— استريحى قليلاً ... أرجو أن تمكثى معى هنيهة فإن لدى ما أقوله لك ...

وكانت عواطفه ثائرة فدفعها برقة نحو الكرسى حتى جلست كارهة ، ثم قال لها بصوت متهدج :

— فردوس ! هذه فرصة سعيدة لأنفرد بك وأقول لك ...

وأعياه القول فسكت ؛ ولكنه كان يشعر بأنه ينبغى أن يقول شيئاً وإلا لم يجد عذراً ينتحله لإبقائها . فقال بصوته المضطرب :

— أنت جميلة فى الثوب الأبيض ... أعنى أنك فيه أجمل منك فى أى ثوب آخر ... الواقع أنك جميلة دائماً وفى أى ثوب كان ...

فاشتد الارتباك بالفتاة وتضرج وجهها بالاحمرار فازدادت فتنة وازداد افتتاناً . فلم يملك أن قال لها :

— فردوس ... أنا ... أنا أحبك ... وقد أبقيتك هنا لأقول لك إنى ... أريد أن أتزوج منك

لم تستطع الفتاة البقاء فقامت واقفة واتجهت نحو الباب ولكنه اعترض سبيلها مرة أخرى وقال لها :

— هل أنت غاضبة ؟ ... صدقينى يا فردوس سأتزوج منك

ونظر إلى وجهها بعين فاحصة فلم ير غضباً ولكنه أحس ارتباكها وتعثرها بالخجل فأوسع لها ، ولما حاذته هوى بفمه فقبل خدها ، ولم تقل له شيئاً ، وسارت حتى غيبها الباب ، ودخل الشاب إلى حجرته ، وجلس على حافة سريره كعادته ؛ ثم دس يده تحت الحشية حتى عثرت بالحجاب ، فوضعه على كفه يديم إليه النظر فى سكون وتهيب ، ولم يجسر على فك رباطه فأعاده إلى مكانه ، وتفكر ملياً ثم قال وهو يبتسم : « من يستطيع أن يقول بعد اليوم أن السحر خرافة ؟ ! »

أما فردوس فصعدت السلم مسرعة تقفز كل درجتين معاً ، ولم تكن أمها فى الشقة ، فجرت إلى الغرفة يكاد يصرعها الفرح وجعلت تروح وتجىء وهى تقول باضطراب : « يا بركتك يا شيخة زهية ... يا بركتك يا شيخة زهية ... ! »

نجيب محفوظ

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 394

Lundi - 20 - 1 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٩٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهــــرس

صفحة

٥٧ خواطر مريض ... . : أحمـد حسن الزيات .. ...

٥٩ « المختار » لعبد العزيز البشرى : الدكتور زكى مبارك ... ...

٦٤ أومن بالانسان ... . : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

٦٧ لامرتين ولوروج يتحدثان النبي عليه أفضل السلام ... } الأستاذ محمد توحيد السلحدار

٦٨ ويلات السلم ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...

٧١ يا قمر ... ! ... ... : الأستاذ محمود البشبيشى ...

٧٣ « اللورد روبرت بادن باول » الكشاف الأعظم العالمى ... } الأديب خميس زهران ...

٧٦ « كلمات » ... ... : الأستاذ « محمود » ... ...

٧٧ من نوازى القلب .. [قصيدة] : الأستاذ محمود الخفيف ...

٧٨ وفاة « هنرى برجسون » : ... ...

٧٨ حقوق المؤلفين فى الدانمرك : ... ...

٧٨ إعلان الحرب على الفقر ... : ... ...

٧٨ حول أهل الكهف ... ... : الأديب حسين محمود البشبيشى

٧٩ الوزينج ... ... : الأديب فخرى الدين فخرى ...

٨٠ حول الفيتامين ... ... : الأديب بهجت قدورى سلمان

٨٣ كنز فى فندق ... [قصة] : الأستاذ عبد اللطيف النشار

خواطــــر مريض

عقدنى « الروماتزم » شهراً بالسرير لا أنورك ولا أتحرك . وكانت دنياى فى هذه الفترة الفاترة قد انحصرت فى غرفة المرض كما تنحصر دنيا الطائر السباح فى القفص ، أو حياة المخاطر الطماح فى السجن . فالنشاط الحيوى الجياش بالعمل والأمل ينقلب فى المريض والسجين نوعاً من الهدوء الفلسفى الصوفى يردُّ كل ثورة إلى السكون ، ويروض كل رغبة على الرضى ، ويزيل عن البصر والقلب غشَوات الباطل فيرى المرء كل شىء على طبيعته ، ويدرك كل معنى على حقيقته

أين القفص الضيق الحاصر من جو السماء يسبح فيه الطائر ملء جناحيه ، فيرى فى كل دوحة عشاً لحبه ، وفى كل روضة مسرحاً لغنائه ؟ ولكن البلبل الأسير يعرف بعد قليل كيف يطوى جناحيه على الصبر ، ويختصر سماءه وهواءه وأرضه وروضه فى هذه الأسلاك المعدنية الباردة يغرد بينها ويثب فوقها ويستقبل الصباح بمرح النشوان ، والمساء بهدوء الخلىّ

وأين السجن الموحش المظلم من رقعة الأرض يضرب فيها المغامر طليق العنان حر الإرادة ، يفترس مع القوة ، ويختلس مع الضعف ، ويجمع فيشح ، ويطمع فيهتلك ؛ ولكن أشعب السجين يعرف كيف يرد طماحه ، فيرى فى جدران السجن حدود مطامعه وغاية دنياه ، فيسخر من كيد المنافسة وبغى الخصوم ،

ويخطو بأنفاسه الرخية إلى أجله وهو زهيد العين مطمئن الجوانح

كذلك أنا: وجدتني بعد معركة رابحة على أمر من أمور الدنيا دارت ثلاثة أشهر بين العجز والفقر يقودهما الحق المعيوب في صف، وبين القدرة والغنى يؤيدهما الباطل الجريء في صف آخر. وجدتني بعد هذا الجهاد المجهد على سريري كما يكون الميت في نعشه! غير أن الميت فقد الحس والوعي فلا يتألم ولا يتكلم؛ أما أنا فكنت قوي الشعور بالألم، شديد الرغبة في الكلام، أبصر في كل صباح حواجبَ الشمس تنفذ إليّ من خلال الزجاج رخية لينة، فتغمرني بالدفء، وتشيع فيّ سر الحياة، وتُسكت عني صوت المرض؛ ثم تتركني لتعطي الدنيا الكبيرة، ما أعطته دنياي الصغيرة، وأظل أنا محدود الآمال محدود المطامع لا يصلني بحياة الناس غير طنُفٍ مقابل تتمثل عليه طولَ النهار صباحة الشباب في أفواف الربيع؛ والشباب الجميل لا يعنيه إلا أن يُعجِب ويجذب ويلذ

تلك هي حياتنا الدنيا! أراها من وراء المرض على لونها الأصيل ووضعها الحق: ظاهرةٌ متغيرة من ظواهر الطبيعة المتجددة، مَثَلها في الإنسان كمثلها في الحيوان، تعيش بالغذاء إلى أمد مأمود، وتبقى بحفظ النوع إلى أبد محدود. ولو لم يتدخل الإنسان بعقله وعلمه في نظم الطبيعة لجرى تيار الحياة دفاقاً مستقيماً في مجراه المرسوم المحتوم كما يجري في النبات الوحشي والحيوان الآبد. ولكن آدم جعله الله خليفة في الأرض فلا بد أن يكون كل ما فيها خاضعاً لتدبيره مسخراً بأمره. وكان أمره وتدبيره على الرغم من اعتماده فيهما على دين الله وفلسفة العقل لا يخلصان من سلطان الهوى وطغيان الغريزة؛ ومن أجل ذلك كانت حياة الإنسان وحدها عرضة للتعقيد والارتباك والتناقض

ومن أعجب أمور الإنسان أنه هو وحده الذي فطن عن طريق العيان والبرهان أن حياته على هذا الكوكب الفاني موقوتة؛ ومع ذلك كان هو وحده الذي استعمر هذه الأرض على أنه باق وهي خالدة؛ فهو يكدح حتى ما يعرف طعم الراحة، ويجمع حتى ما يدري معنى الإنفاق، ويسلب أخاه أو وديده حق الحياة ونعمة السلام ليزيد في ماله الضخم قطعة، أو يضم إلى أرضه العريضة رقعة. وقد سول له غروره أن يتبجح بأنه سخر الطبيعة لخدمته، وذلل قواها لمشيئته؛ والحق الذي طمسته الكبرياء في ذهنه أن نوعه هو الوحيد في أنواع الحيوان الذي استخدمته الطبيعة ليعمرها بعمله، وينظمها بعلمه، ويزخرفها بفنه، ويهيئ لها أسباب الازدهار والاستمرار والنمو بما يبتكر من وسائل، ويسن من نظم، ويؤثل من مال، ويدخر من رزق

والطبيعة كما تستخدم الإنسان في البناء لاطراد العمران، تستخدمه في الهدم لحفظ التوازن، فهي تستعين بحروبه الطاحنة كما تستعين بالبركان والفيضان والموَتان على قطع الفاسد، وحذف الزائد، وتجديد البالي، وتعديل القُوَى، وكفكفة الباطل

هؤلاء الذين يجمعون ما لا ينفقون، ويبنون ما لا يسكنون، ويدخرون ما لا يأكلون؛ وأولئك الذين زعموا لقومهم سيادة العالم، وأجازوا لأنفسهم قتل الشعوب، ووقفوا على شهواتهم طيبات الأرض، قد استغلتهم إرادة الطبيعة القهارة التي لا تعرف اليوم ولا المكان ولا الفرد، وإنما تعمل للأبد والكون والجنس

الغذاء والماء والهواء والمأوى وصلات الجنس هي النعم المبذولة لكل حي بحكم وجوده، فلو كان مما ينفع الطبيعة ويصلح الأرض سلامُ الناس وهدوء العيش لألهمتهم القناعةَ وعودتهم الرضى وجنبتهم الأثرة؛ ولكن فوضى الطبيعة هي نظامها المطرد، وفسادها الظاهر هو صلاحها المضمر؛ والفرد هو الأضحية المحتومة لبقاء الجنس، والحاضر هو القنطرة المهدومة لعبور المستقبل!

في المرض يزداد يقين المرء بأن الدنيا زائلة، فهو يأسى على ما جنى ويندم على ما جمع؛ ولكنه حين يصح تمتد آماله وتتشعب مطامعه ويعود عبداً للطبيعة يعمل لأنها تريد، وينفذ لأنها تحكم، فليت شعري إذا عقل كل الناس فعمل كل امرئ ما يلزم، وقنع بما يقوت، وكف عما لا يحل، فماذا يشتغل قضاة المحاكم وقواد الجيوش وصناع الأسلحة ورؤساء الأحزاب؟

أوشكت يدي من برح الألم أن تقف! فعسى الله أحكم الحاكمين أن يبتلي الدكتاتورين الكبير والصغير بروماتزم العقل والقلب فتقف رحى الحرب وتغلق أبواب جهنم!

الشمس تجمع هلاهل نورها على المنازل العالية لتهرب من رؤية الأكداس المكدسة من جثث الإنسان على عُدْوتي البحر الأبيض. وفتاة الطُّنُف الحسناء تلم غسيلها المنشَّر لتغلق عليها الباب من البرد القارس. وليل (طوبة) الطويل يقترب بأوصابه رويداً من المريض المسكين! فاللهم حنانيك ورحماك!

أحمد حسن الزيات

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

«المختار» لعبد العزيز البشرى

للدكتور زكى مبارك

— ١٠ —

حديث اليوم عن « المختار » للأستاذ عبد العزيز البشرى « عضو مكتب المجمع اللغوى » لا عضو المجمع اللغوى ، كما ظن من أخطأوا فهم قرار وزير المعارف . ولسنا بهذا نستكثر عليه عضوية المجمع وقد ظفر بها الأستاذ أحمد أمين ، وإنما أردنا تحديد مكانه بجوار « الخالدين »

فمن صاحب هذا الكتاب ؟

كانت بينى وبين الأستاذ عبد العزيز البشرى مصاولات سجلتُها فى كتاب « الأسمار والأحاديث » ثم انتهت تلك المصاولات بالحقد من جانب ، وبالصفح من جانب ، فمن الذى حَقَد ؟ ومن الذي صفح ؟ لقد رجعتُ إلى قلبى أستفتيه فلم أجده يضمر لهذا الرجل غير الإعزاز والتبجيل ، ولكنى مع ذلك أُنكر مذهبه فى الإنشاء ، ولا أرى رأى وزارة المعارف فى إفهام الطلبة أن نثر البشرى يصلح للاقتداء والاحتذاء ، إن صح أن لوزارة المعارف رأياً فى الكتب التى تفرضها على الطلاب ، فسيأتى يومٌ تتبين فيه أنها قد تحكم على بعض الكتب بالسَّماع ، وهو يومٌ غير بعيد ، ما دامت وزارة المعارف إلى رجال لا تؤذيهم كلمة الحق من أمثال الدكاترة هيكل والسنهورى وغربال[1]

عبد العزيز البشرى كاتب مشهور ، مشهور جداً ، حتى جاز للأستاذ خليل مطران أن يحكم بأنه « أعرف من كل معرَّف بين الناطقين بالضاد » ومن كان كذلك فهو أقوى من أن يُهدَم ، ولا خوف عليه من صيحة النقد الأدبى ، وإذاً فلا بأس من إسماعه قول الصدق بتلطف وترفق ، عساه يغيِّر ما بأسلوبه من تكلف وتصنع وقمقمة وعجيج .

البشرى كاتب « على الطريقة البشرية » . كاتب يذكِّرك فى كل سطر بأنه أديب بتصيُّد الأوابد من مجاهيل القاموس واللسان والأساس ، وتلك حال المنشئين المبتدئين ، وهى حال يُنكرها أعلام البيان ، لأنها تشهد على أصحابها بالبعد من الاتسام بوسم الفن الرَّفيع

الكاتب الحق هو الذى يشغلك بنفسك ، ويوجهك إلى مصيرك المنشود ، ويفرض عليك درس غرائزك وأهوائك ، بدون أن يفكر فى حملك على الإعجاب بخصائصه الإنشائية . ولو شئت لقلت إن الكاتب الحق لا يخطر فى باله حين يكتب أنه من أصحاب الأساليب ، لأن الكاتب العظيم تصبح عنده الكتابة من وحى الفطرة والطبع ، بحيث لا يشعر أن التأنق غرض مقصود ، وإن أضافه الفن الجيل إلى طوائف المتأنقين

الكاتب الحق يقتنص قلبك وعقلك فى مهارة الصائد الختول الذى يرى الصيد ولا يراه الصيد . الكاتب الحق يروضك على تغيير ما بنفسك بنفسك ، فلا تتوهم أن له يداً فى نقلك من حال إلى أحوال ، وإنما تشعر أنه يعبِّر بالنيابة عنك ، وأنك لو حملت القلم لكنت أقدر منه على الإبانة والإفصاح .

الكتابة من فنون التدريس ، والمدرس الحق هو الذى يحاورك وكأنه تلميذ مثلك . هو الذى عناه لامرتين حين قال :

Et mon cœur dans leurs cœurs se verse goute à goute

والأساس فى الكتابة أن تكون فنًّا أخفى من نظرة العاشق بحضر الرقباء . هى سياسة دقيقة جدًّا . هى سياسة تشبه سُرى العافية إلى الجسم العليل ، وقد تشبه تسرُّب الداء إلى الجسم الصحيح ، لأن الكتابة فن ، والفنون تتجه إلى الهدم كما تتجه إلى البناء ، على فرض أن الفن قد يسىء فى زعزعة بعض الأمور من التقاليد

الكاتب الحق هو دائماً من أصحاب المبادئ والعقائد ، فى حدود ما يتصور من المبادئ والعقائد ، لا فى حدود ما يتصور الناس ، ومن هنا يجوز للكاتب أن يلقاك بما تحب وبما لا تحب ، وهو حين يستفحل قد يزلزل رأيك فى جميع الشؤون ولو حدثك عن مواقع هواك

والوصول إلى هذه الغاية يحتاج إلى سياسة عالية ، وتلك السياسة قد تستوجب أن يطوى عنك الكاتب ما يرى إليه من مقاصد وأغراض ، ليضمن غفوة عقلك عن مقاومة ما يدعو

(١) لست بهذه الاشارة أتودد إلى هؤلاء الرجال ، وإنما ذلك هو رأيى فيهم سراً وعلانية .

إليه . وقد تحار فيما يريد منك الكاتب ، ثم تعرف بعد قليل أنه لم يُرد لك غير ما تريد لنفسك ، وهو فى الواقع أصاب مقاتلك من حيث لا تشعر ، وكيف تشعر وقد استدرجك بأسلوب ألطف من اللطف وأخفى من الخفاء ؟

فأين البشرى كاتباً من هذه المعانى ؟

هو رجلٌ صخّاب ضجّاج يدقّ الأجراس الضخام حين يدخل الغابة للصيد ! !

ألم يَعجب للبشرى من أن يصل على يوسف إلى قمة البلاغة وليس فى كلامه نظمٌ متكلف ؟ وما ذلك النظم ؟ هو عنده نظم يتكلفه « صدور الكتّاب » ، كأن صدور الكتّاب لا يكونون إلا متكلفين ! وكان الأمر كذلك عند البشرى ، لأنه لم يفهم البلاغة على وجهها الصحيح ، فكانت فى ذهنه أجراس طنطانة وأصوات ضجيج

كل همّ هذا الرجل أن يفنمك فى كل حرف بأن الكتابة شىءٌ ضخمٌ فخمٌ يروعُك ويَهولُك ، وإن لم يكن لذلك موجب توحيه الفكرة أو يفرضه البيان ، فلأى غرض يصنع بنفسه هذا الصنيع ؟ ومتى يعرف أن السحر من أوصاف البيان ، والأصل فى السحر أن يقدّم الأباطيل وهى فى مرأى العين حقائق لا أباطيل ؟

هل سمعتم بالرحا التى تطحن القرون ؟ هى البشرى فى بعض نثره القعقاع !

يندُر أن تجد فى نثر هذا الرجل صفحة خلتْ من التكلف . ويندر أن تشعر بأنه خلا لحظة إلى قلبه يستلهمه ويستوحيه ، فهو مشدود فى كل وقت بزمام التفصّح الثقيل ، إلا أن يثور على « حرفة » الكتابة فيرسل نفسه على سجيتها الأصيلة ، وذلك لا يقع منه إلا فى أندر الأحايين

عبد العزيز البشرى من الأذكياء ، ولكن ذكاءه انحرف بعض الانحراف ، فلم يكن له فى أدبه من أثر غير ما عرفنا وعرفتم من القرم إلى التندر والإغراب

كنت أتمنى أن يدرك البشرى كنه الوشائج بين جذور الفن وجذور الذكاء ، ولكن البشرى مضى لطيته فلم ينتفع بآراء الناقدين .

كان البشرى يستطيع أن يكون كاتباً عظيما ، لأن لهذا الرجل ذخيرة منسية من الفطرة والطبع ، ولو أنه استجاب لوحى روحه لأتى بالعجب العجاب ، ولكنه تكلف ما لا يطيق ، فأضيف إلى المتحذلقين

ولكن ما الموجب لمواجهة هذا الكاتب الفاضل بهذا النقد الجارح ؟

هو الموجب الذى فرض أن أفسد ما بينى وبين المرحوم مصطفى صادق الرافعى وكان من كرام الكاتبين

فأنا بصريح العبارة أتهم أهل التكلف وأراهم أطفالاً فى دولة البيان

وليس معنى هذا أنى أنكر قيمة الصياغة الفنية ، فالكتّاب الكبار قد يشقون فى تحبير ما يكتبون أعنف الشقاء ، ولكنهم ينتهون إلى عرض آرائهم بأساليب هى الغاية فى الوضوح والجلاء ، فلا يتوهمُ متوهمٌ أنهم عانوا عَنَت الإنشاء وقد هاموا على وجوههم فى تجاليد الليالى

هل سمعتم بالسمك الرّعاد الذى لا يوجد فى غير نهر النيل ؟

هو سمك كسائر الأسماك ، ولكن فيه قوة كهربائية ، وكذلك الكلام البليغ : فهو كلام كسائر الكلام ، ولكن فيه قوة كهربائية وصلت إليه من ثورة الروح أو فورة الوجدان

ليست القوة فى اللفظة اللغوية ، اللفظة التى يدلنا المجمع اللغوى على قبرها المجهول ، وإنما القوة فى اللفظة التى يحمّلها روح الشاعر أو الكاتب فتصبح وهى محمّلة بالمعنى الفائق والخيال الطريف

فكيف جاز للشيخ البشرى أن يمنّ علينا بأنه أحيا بعض الألفاظ من موت ، وهو لم يسكب عليها قطرة واحدة من دم القلب ؟

حدثنا الأستاذ خليل مطران فى مقدمته لكتاب الشيخ البشرى أنه وقف منه موقف الدليل من المتحف ، وقد صدّق ثم صدق ، فزائر المتحف يخرج كما يدخل ، فلا يكون محصوله غير ذكريات ، ولا كذلك زائر المعرض فهو يقتنى ما يروقه من النفائس حين يشاء

فهل كان الأستاذ خليل مطران يعنى ما يقول وهو يجعل كتاب الشيخ البشرى متحفاً من المتاحف ، لا معرضاً من المعارض ؟

المتاحف نفائس ، ولكنها لا تصلح للاقتناء ، لأنه يعرّضها للبوار الشنيع !

فالتحف المصرى هو أعظم ما فى العالم كله من النفائس ، وهو يقدَّر بألوف الملايين من الدنانير ، ولو بيعت ذخائره لجعلت المصريين أغنى الناس أجمعين ، ولكن هذا التحف النفيس يمسى وهومن سَقَط المتاع إذا عُرض للبيع ، لخيانته فى الموت ، ونباهته فى الخمول

وكذلك تكون « آثار » الكتّاب المولعين بالزخرف والبريق ، فألفاظهم نفائس ، ولكنها رسومٌ هوامد ، وهى لا تُنقل من المعاجم إلى « المختار » إلا كما ينقل الرفات إلى « الضريح »

والقول الفصل أن الكتابة قلبٌ يُفصح وعقلٌ يبين ، وليست ألفاظاً تُضَمّ إلى ألفاظ . الكتابة قوة روحانية لا تتفق للكاتب إلا بموهبة سماوية ، فمن أراد أن يكون كاتباً فليرحل من طبقات الأرض إلى أجواز السماء

الكتابة رزق من الأرزاق ، فمن حدثكم أنه يملك منها ما يريد فهو جهول ، فما كانت الكتابة إلا بوارق يمنّ بها الرزاق الوهاب ، وهو قد يمنّ بها على من يجهلون أنه أهلٌ لأعظم الحمد وأجزل الثناء ، لأن المنة لا تعظُم إلا حين تساق إلى أهل الجحود !

محصول « المختار »

بعد هذا الشؤبوب ننتقل إلى الجزء الأول من « المختار » فنراه محصولاً من الجهد المحمود فى عرض طوائف كثيرة من صور الدنيا والناس ، وإن كان قُدّم بروحٍ مكدود ، ونفسٍ مجهود ، لأن الكاتب لا يفصح عما بنفسه إلا بعد أن يعانى من المشقات ما لا يطاق

هو تحفة فنية ، وكيف لا يكون كذلك وهو عصارة ذهن البشرى مدة الحياة ، كما طاب له أن يقول فى عبارة الإهداء ، والبشرى من كتابنا الكبار ، وإن قيل فى أسلوبه ما قيل

وهل من القليل أن يكون عندنا كاتب يقضى الليل والنهار فى تعقب الألفاظ والتعابير ليؤلف منها قافلةً حائرة لا تعرف أين السبيل فى بيداء الوجود ؟

هل من القليل أن يكون عندنا رجلٌ يستطيب الحبس بين جدران داره ليتسقّط مرابع العشب اليابس من خيالٍ آبد ، أو لفظ مجهول ؟

هذا المنى وحده مما يُطلَب ، فليكن عندنا ألف بشرىّ ، لأن تنوع الأساليب من شواهد الحيوية فى الشعوب ، وبضدها تتميز الأشياء

عبد العزيز البشرى كافَح فى ميدان الكتابة كفاح المستميت ، فلنعرف له هذا الفضل ، ولنذكر أنه قضى ثلاثين سنة وهو معدودٌ من أبطال القلم فى هذه البلاد . ولنذكر أيضاً أنه رجلٌ ذوّاق إلى أبعد الحدود ، فقد يندُر أن يكون له مثيل فى الطرب لأطايب الدقائق الذوقية لعوامّ الناس ، أما فهمُ الشيخ عبد العزيز للشعر فهو أعجوبة الأعاجيب

ينقسم كتاب البشرى إلى ثلاثة أبواب : الأدب والوصف والتراجم ، وفى كل باب فصول منها الوسط والجيد والرائع ، وهو يحتفل بالأسلوب فى جميع الفصول على الطريقة البشرية ، ويكفى أنه صار كاتباً له أسلوبٌ خاصّ

مَطلَع الكتاب محاضرة ألقاها البشرى فى أول اجتماع لنادى القلم المصرى ، وهو النادى الذى يجتمع أعضاؤه مرة فى كل سنة ليتناولوا معاً طعام العَشاء !

فما الذى قال فى تلك المحاضرة الافتتاحية ؟

كان الظن أن تكون محاضرة ينقلها روتر وهافاس إلى جميع بقاع الأرض ، لأن مصر أول أمة فى التاريخ أقيم فيها لحامل « القلم » تمثال ، ولكنها كانت محاضرة سطحية لم يرسم فيها المحاضر غير خطوط يغلب عليها العِوَج والانحراف ، فى غير موجب للعِوج أو الانحراف

فمن أغلاط هذه المحاضرة أن الكاتب جعل توليد الفنون الشعرية فى الأندلس أثراً من آثار الانحطاط . ألم يقل إن الأندلسيين « ولّدوا فى الشعر فنوناً لتؤدى من الأغراض اللينة الرخوة ما عسى أن تثقل عليه أوزان الشعر ؟ » ذلك ما قال بالحرف ، وهو شاهدٌ على غفلته عن الغرض الذى استوجب أن يفكر الأندلسيون فى توليد القوافى والأوزان

ومن أغلاط هذه المحاضرة أن الكاتب عاب التكلف على « أصحاب البديعيات » فهل يعرف مَن « أصحاب البديعيات » وقد عدَّهم من الشعراء المتكلفين ؟

أصحاب البديعيات لا يعاب عليهم التكلف ، يا فضيلة الأستاذ لأن التكلف عندهم غرض مقصود ، فهو نظم تعليمىّ يجرى مجرى « المتُون »

ومن أغلاط هـذه المحاضرة أن يظن الكاتب أنه كان من الطبيعي أن ينحط الأدب المصري في عهد الأتراك « ولو قد ظل مع هذا على شأنه الأول من القوة وسعة التصرف لما كان أدباً مصريًا ، ولا كان مما يتسق لأذواق المصريين »

فما معنى ذلك ؟ هل يتوهم أن مصر فى العهد التركى كانت تحولت إلى بيئة تركية ؟ هو إذاً يجهل أحوال مصر فى تلك العهود ، فقد كانت فى مصر بيئات منفصلة عن المجتمع السياسى كل الانفصال ، وبفضل تلك البيئات ظلت مصر موئل اللغة العربية فى عصور الظلمات ، إلا أن يجوز قياس المجتمع فى العهود الماضية على المجتمع فى هذه العهود !

محاضرة البشرى فى افتتاح نادى القلم المصرى تشهد بأن اطلاعه على تاريخ الأدب فى مصر مبتور الأطراف

ثم ماذا ؟ ثم نقرأ بحثه عن « حيرة الأدب المصرى » فنعرف أن الكاتب هو الحيران :

هو بحث نُشِر فى مجلة المعرفة سنة ١٩٣٢ وإنما نصصتُ على التاريخ لأمسك بتلابيب الكاتب الذى يقول :

« وعلى الجملة فإنك لو تصفحت هذا الأدب المصرى القائم لرأيته موزعاً بين حياة فى الجزيرة لعصر الجاهلية وصدر الإسلام ، وبين حياة فى بغداد أو الأندلس ، وبين حياة فى لندن أو برلين أو باريس أو روما أو موسكو ، ولكن أين هذا الأديب الذى يصور عواطفه المصرية التى يُلهمها ما ينبغى أن يُلهم المصرىّ من عواطف وإحساس »

ذلك هو فهم الشيخ البشرى للأدب المصرى فى سنة ١٩٣٢ فهل رأيتم فهماً أغرب من هذا الفهم ؟

فى سنة ١٩٣٢ كان أدباء مصر فريقين : فريقاً لا يعرف غير الأدب العربى القديم ، وفريقاً لا يعرف غير الأدب الأوربى الحديث كما يتصور الشيخ عبد العزيز ، فأين كان أدباؤنا الكبار من أمثال حافظ وشوقى والزيات وهيكل والمازنى والعقاد وتيمور وطه حسين ؟ هل كان هؤلاء جميعاً من المذبذبين بين القديم والحديث ؟ وأين كان الصحفيون من أمثال حافظ عوض وعبد القادر حمزة وتوفيق دياب ؟

أشهد أن عبد العزيز البشرى لم يصدُر فى حكمه إلا عن وَهمٍ هو أشبه الأشياء بالإفك المدخول !

أما بعد فما جملة القول فى هذا الكاتب ؟

هو من أمهر الوصافين للمرئيات ، حتى لتحسب أن قلمه ريشة رسام تتنقل بين الألوان ، ولكن أين الكاتب المنشود ، الكاتب الذى يحدثنا عما نعرف أو نجهل من أسرار النفوس وسرائر القلوب ؟

لقد تفقّدتُ هذا الكاتب فى مقالات عبد العزيز البشرى فلم أجده ، بالرغم من طول الصبر على البحث والتفقد ؛ فأين ذهب وكنت أرجو أن أراه فى ثنايا تلك المقالات ؟

تحدثك مقالات البشرى أنه صحب كثيراً من الناس ، وتنظر فتراه وصف ملامح من صحب من الناس ، ولكنك لا تجده تنبه إلى ما تدل عليه خصائص تلك الملامح ، فهل يكون من حق الناقد أن يفترض أنه لم يرَ وجوه الناس إلا عن طريق « الصور الشمسية » ؟

البشرى الكاتب له عينان تريان الألوان ، وأذنان تسمعان الأصوات ، ولكنه عاش بلا قلب ، فلم يدرك دقائق الفروق بين الألوان والأصوات من حيث الدلالة على المعنويات

كان البشرى فى مختلف أطوار حياته موصول الأواصر بكبار الرجال ، فماذا استفاد ؟ وماذا أفاد ؟ هل سمعتم أنه نقل رجلاً من رأى إلى رأى ؟ هل سمعتم أنه انتقل من حال إلى حال ؟ البشرى هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، فقد قامت الشواهد على أنه ظل دهره على مذهب واحد فى فهم الأدب والحياة ، مع أن الدنيا تثور من حواليه فى كل حين

أنظروا ما صنع البشرى وهو يصف « بنك مصر » لتروا كيف وقف عند المرئيات ولم يتعدها إلى المعنويات !

ما هو بنك مصر فى نظر البشرى ؟

هو قصرٌ « فُرشتْ أرضه بجلود الصِّلال ، أو بالوشى الصنعانىّ نُمنِم بمثل أكارع النمال »

أتلك هى صورة « البُنُوك » فى نظر الأديب ؟

كنت أرجو أن ينظر البشرى نظرةً أبعد من هذه النظرة ، فللبنوك معانٍ أخطر وأعظم من السقوف والجدران ، ولكن البشرى لا يفكر فى غير المرئيات

ثم أسأل نفسى مرة ثانية عن الموجب لإيذاء هذا الكاتب الفاضل بهذا النقد الجارح

وأجيب بأن هذا أثر الغيظ من تجيمتى فى هذا الكاتب ، فهو من عصابة أدبية أساءت إلى الأدب المصرى حين صيرته متاحف تهاويل ، ومعارض تزاويق ، ثم فرضت على الدولة وعلى الجمهور أن يفهموا أن هذا هو الأدب الحق ، وأن لا أدب سواه !

لم يُجِد البشرى إلا فى فن واحد : هو وصف المرض ، فما نظرتُ فيما كتب فى وصف بلائه بالأمراض إلا صرخت بالتوجع له من أعماق القلب ، ومن أجل حزنى عليه مزقت الصورة الأولى من هذا المقال وكتبته مرة ثانية ، وما أذكر أنى كتبت مقالاً مرتين منذ عهدٍ بعيد ... أجاد البشرى وصف المرض ، ولكنه وقف عند الغرض القريب فلم يتغلغل فى وصف بلاء الرجال بالأمراض ؛ فأين هو من مقال شِبلى شُميِّل فى وصف عناء المريض ؟ شِبلى شميِّل الذى يقول :

« ذقتُ ذل السؤال ، بعد عزّ الإفضال ، فلم أجد أشق من المريض » !

إن الفرق بين مقال البشرى عن المرض ومقال شميل عن المرض أبعد مما يتصور القراء ، فما السبب فى هذا البعد ؟

السبب أن شميِّلا تأذى بالمرض فوصفه بصدق ، أما البشرى فرأى المرض فرصة لمقالة أدبية فقال كلاماً يُعوزه الصدق ، ولو صدق البشرى فيما حكى عن مرضه لكان من الحتم أن يموت قبل أعوام طوال !

عبد العزيز البشرى مزخرفٌ ومبهرج ، وبفضل الزخارف والبهارج وصل إلى أشياء ، لأن الجمهور عندنا قد يكتفى من الكاتب بإجادة التزيين والتلوين

يسأل البشرى عن الكاتب الذى يصور العواطف المصرية وأنا أسأل عن الكاتب الذى يصور العواطف الإنسانية ، فما يهمنا أن نكون مصريين كما يهمنا أن نكون إنسانيين ، فالشاعر الإنسانى يجد لعواطفه صدًى فى جميع البلاد ، أما الشاعر « المحلى » فأفقه ضيق محدود ... وما أريد الغض من العواطف التى توحيها الأجواء المحلية ، وإنما أريد أن يتغلغل الشاعر والكاتب فى أعماق الأرواح والقلوب بحيث يحدّث قراءه عن آفاق روحية وعقلية لا يهتدون إليها إلا بوحى من العقل الملهم والقلم البليغ

أنا أرجو أن يدرك كتّاب هذا العصر أننا مللنا من الحديث المعاد ، وأننا نودّ أن يكون لهذا العصر تاريخ جديد فى الأدب العربى ، تاريخ ينطق بأننا عبّرنا عما فى نفوسنا وقلوبنا بصراحة وصدق وإخلاص ؛ تاريخ يشهد بأننا تغنّينا صادقين بعواطف هذا الجيل ، وتألّمنا صادقين من مآثم هذا الجيل

لا أريد أن يكون الكاتب مصريًا ، وإنما أريد أن يكون إنساناً مصريًا ، إنساناً تَعنيه الوشائج الإنسانية ، ومصريًا تَعنيه الأواصر المصرية ؛ وأنتظر أن يكون الكاتب المنشود رجلاً قديراً على تشريح العواطف والأحاسيس قبل أن يكون رجلاً قديراً على ترقيش الألفاظ والتعابير . وأرجو أن يفهم أن له مهمة أسمى وأعظم من القناعة بإعجاب أهل هذا الجيل ؛ فالكاتب الحق لا يخاطب العصر الحاضر وحده ، وإنما يسكب رحيق قلمه فى أذن الزمان وقلب الوجود

الكاتب الحق هو الذى يفرض علينا أن ندرس عواطفنا وأهواءنا فى كل وقت ، ويشعرنا بأن حساب الضمير لا يقِلّ قدسيةً عن أداء الصلوات . الكاتب الحق هو الذى يروضنا على الاقتناع بأن نعمة القلم الصوّال أعظم من جميع النعم ، وأنفس من جميع الذخائر ، وأشرف من جميع ألوان التكريم والتعظيم والتشريف ، لأنه يمكّن صاحبه من مناجاة الضمائر والقلوب ، ويوحى إلى القارئ أنه قَبَسٌ من السر المكنون فى سرائر الغيوب

الكاتب الحق هو الذى لا تصرفه الأكاذيب والأراجيف عما يجب عليه من الفناء فى خدمة الواجب . هو الذى يستعذب الأذى فى سبيل الشريعة الأدبية — والأدب من الشرائع — هو الذى يرى أن لا بأس عليه من الحرمان فى أبشع جوانبه ونواحيه ، ما دام يؤمن بأنه كاتب موهوب ، لأنه يعرف أن نعمة الكتابة لا توهَب لغير المصطفَين من أذكياء الرجال

الكاتب لا يستوحش من زمانه إلا وهو متكلف ، لأنه يستفيد من الظلم أكثر مما يستفيد من العدل ، ولأنه ينتفع بالفوضى أكثر مما ينتفع بالنظام ، ولأن الإساءة من أهل زمانه قد تصيّره رجلاً لا يعتمد على غير صاحب العزة والجبروت

الكاتب رجلٌ مؤمن . ألا ترون كيف يحتقر ما بأيديكم يا ظالمى أنفسهم بعبادة المنافع الفانية ؟

زكى مبارك

٣ - أومنُ بالإنسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

نظرة واسعة — لمن الحياة ؟ — ممثل مجهول ... — زواج الفكر بالمادة — أعماق النفس هي أعماق الكون — الحياة هي الإنسان — الباقيات — أمومة الأخلاق وأبوة العلوم — نوعان من الرجال — المكازتان ...

في السماء : كل نجم عليه غشاء سرمدى من السكون ... ولو ألقيت نظرة على النجوم والكواكب لم تر شيئاً إلا لمحة عينك أنت واختلاج ضوء يكاد يكون من خداع النظر ...

وفي الأرض : كل شيء يسير في حركات محدودة وسنن مطردة وتكاد لا تسمع إلا أصوات هبوات الريح أو لطمات الموج أو أصواتاً تظهر من تلاقى الريح بالأشياء أو عبث الأمواج بالأشياء ... وما عدا ذلك فأصوات حيوان لا تعدو أن تكون مقاطع ونبرات بسيطة محدودة يصح أن تلحقها بمزيف الرياح على شعاب الجبال وقصبات الأشجار ، أو بهدير الأمواج ذلك الصوت الواحد المكرر على توالى الأزمان .

ولا ترى إلا تلك الدورات الأبدية من ليل ونهار ، وربيع وخريف ، وشتاء وصيف ، ورياح وأمطار ، وفيضانات دورية ، وأرحام تدفع وأرض تبلع ، وحياة رتيبة للبهائم والوحش والطير والأسماك ...

تلك هي الحياة في الأرض من غير الإنسان ... لا تجديد في أساليبها ولا تنويع إلا ما خلق الله على الجلود والريش والأزهار والثمار والجدد البيض والحمر في السفوح والجبال ... وإلا ما تنقله الرياح والمياه في دوراتها من مكان إلى مكان ... وإلا ما توزعه قوى الطبيعة بالمكيال الوافي والوزن الواسع الكريم . فلا يضاف للطبيعة شيء لم يكن منها ، ولا يقلقل فيها شيء من موضعه ، ولا ينقح فيها شيء يستحق التنقيح

إذاً لمن هذا كله ؟ لمن الليل والنهار ، وهذه الآلات الهائلة التي تدار ، والحيوان الآبد والداجن والأزهار والثمار والأنهار والجبال وألوان الشفق في الأصائل والأسحار ؟ . أهو للحمير والقرود والنمور والثعالب والفيلة والآساد والفهود والثعابين والخفافيش والبوم والغربان والحشرات والديدان ؟ !

كلا ! ليس في هؤلاء من يصح أن يفقه شيئاً من ذلك الإبداع والجمال ولا أن يسند إليه الدور الأول في رواية الحياة ... وإنما هذه مخلوقات على هامش الحياة ... هن أعاجيب وتهاويل وصور لزينة المسرح ودواب لحمل الأدوات والآلات إليه ... أو إن شئت فقل إن هؤلاء « حروف » في أبجدية « الأسماء » التي يلزم أن تتألف منها رواية الحياة التي يمثلها ممثل مجهول ... ممثل لا بد أن يكون حراً يذهب في أي اتجاه على المسرح ، ويجدد في التمثيل والإخراج كل يوم ، ويقوم بأدوار جميع ما على الأرض ويتمثل فيه الابتكار الذي يجمل الحياة غير يوم مكرور دائم مملول لدى النظار من سكان السماء ، وسكان الأرض من الراصدين الواعين ... ويحشر كل شيء في رواياته ويضع عقله وقلبه على كل شيء ...

وَمنْ هذا غير الإنسان ؟ !

لقد وزع الله عقوله وقلوبه على المواد والقوى سافلة وعالية ، فجعل أفئدة من الناس تهوى إلى خدمة شيء ، وأفئدة أخرى تهوى لخدمة شيء آخر كي لا يتعطل أفق من آفاق الحياة من غير نظر إليه وتفرس فيه . ولكي يزاوج بين خواطر الفكر وخواص المادة فتنتج الأحكام عليها ، وتتبين حكمته المخبوءة وراء أسرارها ولتطلع المعقول على فنه وإحاطة علمه بكل شيء ...

قانون المزاوجة هنا أيضاً : فبين فكر الإنسان وبين أسرار المادة زوجية تنتج علماً أو فناً أو إحساساً أو شعوراً ... « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

والإنسان كالقيثارة ذات الأوتار الكثيرة ... تظل صامتة ساكتة حتى تضربها يد الأقدار بالملومات والأحزان والأفراح فيظهر ما في أوتارها من نغم عجيب ...

فالأرض من غير الإنسان هي ذلك البيت الصامت وذلك الدولاب الدائر وتلك الدورات الأبدية التي لا غاية لها ولا بد تتلقى فيضها وتنتفع بقواها . ولا اطراد في ارتقائها ولا تغير في أوضاعها ولا زيادة فيها

فأين المخرج من تلك الحدود الواقفة الجامدة ؟ وأين الباب إلى ما هو أعظم وأوسع ؟

إن عمق النفس هو الذى يوحى بعظمة الدنيا وتنوع المناظر فإذا خرج المرء من نفسه العميقة تبين له أن الحياة فى وحدة قوانينها وتشابه دوراتها ومقاطعها ما هى إلا شىء محدود ممل مسئم ... ولكن الإنسان أدرك عظمة الله وعظمة الكون لما أدرك عمق نفسه وعرف الطريق إلى الكمالات والصور التى لا تتناهى لما عرف باطن نفسه وخرج إلى عالم أرحب وأوسع لما أطال النظر فى نفسه

وما عرفت الإنسانية جلال الله ولا تبينت صفاته وتوضحت لها حكمته ، إلا من عقل الإنسان الفائق الذى أطال النظر فى الدنيا ذات الدورات المحدودة المكررة وأطال النظر فى النفس ذات الدورات غير المحدودة وزاوج بين هذه وتلك

وهذا يسلمنا إلى أن نقول : إن الإنسان هو الحياة الدنيا بالمعنى المعقد المركب غير المتناهى . . .

ولا حد للحياة إذا التقت الطبيعة بالعقل الإنسانى الذكى الحساس المفكر . . .

ولا دخل للطبيعة إلا فى تقديم المواد الخام إلى يده وفكره ليصنع بهما ذلك التنويع المدنى . . .

ويخيل إلى أن فى روحه ميراثاً خفياً من نظام الجنة وجمالها وراحتها واتساعها ، وهو يحاول بعد طرده منها أن يوجدها فى الأرض . . . والله معه !

وإذا كان كل شىء فى هذا الوجود يرمز إلى معنى بسيط فإن النوع الإنسانى يرمز إلى جميع أنواع الحياة وألوانها مضروباً بعضها فى بعض كما يضرب عدد هائل من الأرقام فى نفسه من الواحد إلى آخر المدد إن كان للمدد آخر . . .

فالإنسان هو « مكان » التقاء عوالم الوجود المشهود كله ليحدث من التقاء كل شىء بكل شىء منفردين نتائج وصور بسيطة ، ومن التقاء جميع الأشياء بعضها ببعض نتائج وصور معقدة لا يمكن تقريبها إلا للعقول الكبيرة التى لا تكاد تدركها إلا بالوهم أو بالذهن الرياضى صياد الأخيلة والأحلام والفروض

* * *

وعمار عالم الفكر بتلك المعانى الناتجة عنه هو وتنوعها إلى ما لا نهاية أمره معجب ! وخصوصاً إذا تصورنا أنها معان محدودة بحدود الرءوس البشرية ، معدومة فى غيرها ، إلا إذا خرجت وتجسدت وتشكلت فى قميص مادى ...

ترى هل هى ذات وزن وحياة عند الله الكبير ذى العقل المحيط والعلم الواسع ؟ وهل هى على تناقضها واختلاف الانفعالات المتصلة بها ذات قيم عنده ؟ أم هى ملاء وسلويات لذلك النوع المدلل فى الأرض تموت معه وليس لها فى سجل الوجود أثر بعده ؟

إن تصور فناء عالم الأفكار العظيمة الرائعة التى تتداول عقول الإنسانية كاف وحده أن يقذف فى قلوبنا الإيمان بوجود عالم ثان وعقل آخر يحصى ذلك الحصيد ويجنى ذلك القطاف العجيب الناتج من ازدواج الحياة المادية والروحية فى الإنسان

أسرتان اثنتان من أفكار الإنسان هما الباقيتان فيما أرى على وجه الزمان فى سجل الأرض :

أسرة الأفكار الخلقية وأسرة الأفكار العلمية التجريبية ...

والأسرة الأولى هى التى سددته إلى غايته وهيأته للخلافة فى الأرض ، وتحدرت فى أعصابه ، وأيقظته إلى سموه ، وجعلته ذا قيمة لدى نفسه ... وإلى تلك الأسرة ينتمى الدين ، ومنها انفتحت أبواب السماء للانسان ونزل إليه وحيها

والأسرة الثانية هى التى مهدت له طريق الحياة المادية ، وسلطته على الطبيعة يرتفق منها مرافق حياته ما وسعته الطاقة ، وهى التى أعت ثقته بنفسه وأظهرت آثار وجوده وجعلته متصرفاً فى المادة بما لا طاقة لغيره من الأنواع به ...

والأسرة الأولى كانت الأساس فى بناء الحياة المدنية وإتاحة الفرصة للفرد أن يفكر ويعمل لخدمة المجموع فى حماية القوانين والمعاهدات ، وكانت الأساس فى توجيه روح الفرد إلى المثل العليا وبناء سيادة الإنسان ...

وقد استصبحت الإنسانية بأنوار الأنبياء بناة الأخلاق قبل أن تستصبح بأنوار العلماء بمئات القرون ... وكانت الأخلاق للحياة بمكان الأمومة الرحيمة تنمو فى رعايتها الطفولة وتشب وترشد . وكانت العلوم بمكان الأبوة الساعية الجاهدة ...

فالأرض مدينة لنوعين من الرجال : الباحثين فى أطواء الروح الإنسانية ، المستخرجين منها وسائل طمأنينتها ، السباقين إلى إدراك سموها وتفردها ، الواضعين لها أسس قيمها الذاتية ،

الرائدين بأبصارهم وبصائرهم كل أفق فى الأرض والسماء ، المستنزلين لها أسرار السماء بالإخلاص والبكاء ... وهم لا شك الأنبياء والأصفياء الذين لم يقفوا عند حدود الكثافات والسدود والقيود المادية ، بل ارحبوا وافضوا فأتوا بالخير والتفاؤل والاطمئنان

والنوع الثانى هو نوع المخترعين الذين يزيدون فى وسائل راحة الأجسام ويخففون المشقات والآلام وينمون قوة الخلق والتقليد فى يد الإنسان ويزيدون صور الحياة بالتنويع والترصيع والتوشيع والافتنان

ولئن كان النوع الثانى هو صاحب الدولة على عقول الناس الآن لكثرة ما فتح عليهم من بركات الأرض فينبغى ألا ينسى المفكرون أن النوع الأول هو مقيم أساس الحياة الإنسانية والآخذ بيد البشرية حتى بلغت دور الرشد . وهو الأكبر خدمة والأبعد أثراً ، إذ هو الذى بعث فى النفوس طمأنينتها على قيمتها وأيقظها لذاتها وأرشدها لمدخرات روحها وعقلها ، وهو الذى أوجب عليها الملاءمة بين ما تصنع وما تنتظر

وستستحيل كل بركات العلم إلى آفات ونقم وشرور إذا لم تتذكر الإنسانية جهاد آبائها الأنبياء القدماء وتقيم حياتها الجديدة على أسس ما أفنوا أعمارهم فى وضعه وتوسيده ، وما قتلوا وسلبوا فى سبيل إعلائه وتشييده

***

غير هاتين الأسرتين المسالفتين من الأفكار فهو زبد يذهب جفاء ... هو باطل لا حقيقة له ثابتة دائمة . هو صور عابرة لتسلية النوع فى جهاده وتخفيف إعناته

ويخيل إلىّ حتى درجة الظن ... أن فكر الإنسان لا يجدى عليه شيئاً إلا حين يتجه إلى فتح جديد فى عالم أخلاقه أو فى عالم المادة للانتفاع بها وكشف خصائصها ، ولقط أسرارها واستخدامها ، وأنه ما وضع فى الحياة موضعاً أصيلاً إلا فى هذا الموضع . . .

فمعرفته بأخلاقه تقيم حياته على الصراط السوى الذى ليس فيه عقبات وسدود من فعل الغرائز والشهوات وعقابيل الطفولة وتفرغه للعمل المثمر الدائم فى المادة

ومعرفته بأسرار الطبيعة تفتح له أبواب العمل فيها وتنتج له بركات من السماء والأرض وتريحه وترقيه وتفرغه للعبادة بالفكر والعمل

أما فترات التفلسف النظرى والهيام وراء البدوات والفروض فتلك لا محصول وراءها أو هناك محصول ضئيل

***

هاتان عصوان لا يستطيع الإنسان أن يمشى بدونهما خطوة واحدة ، وإنما يدور على نفسه كما كان فى العصور الأولى ولو كان فى القرن العشرين ...

ولا يمشى بإحداهما ويترك الأخرى إلا أصيب بالعرج والتعثر فأمم الأخلاق بدون علم وعمل فى المادة أمم بائدة مستضعفة معطلة القوى ، محدودة الحياة ، مسلوبة الحقوق .

وأمم العلم بدون أخلاق سباع ضارية يأكل بعضها بعضاً وتأكل غيرها ، ويتجه كل علمها وفنها إلى خدمة الشر والإثم وتستحيل بركات العلم فيها إلى نقم ، كما يتجه كل العلم والهندسة فى الشوكة إلى قمتها الحادة ، وكما يستحيل الدسم فى الطعام إلى سم إذا ذهب صلاحه واختلت أخلاطه .

عبد المنعم خلاف

الرسالة فى سنتها التاسعة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والإهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا بدأوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك .

لامرتين [1] ولوروج [2]

بمدحهما النبي عليه أفضل الصلاة والسلام

للأستاذ محمد توحيد السلحدار

الله يهدى من يشاء و « لكل نفس هوى فى الدين يمنيها » . فليس غريباً ألا يؤمن المسيحى إيمان المسلم ؛ غير أن بعضهم جهل أو تجاهل ، من كل وجه ، فضل الإسلام على الإنسانية والمدنية وقدر نبى المسلمين . وشعر بعضهم ، فى أحوال شتى ، بحاجة إلى تقرير جانب من الحق فى شأن هـذا الدين القيم وآثر الاعتراف بعظم نبيّنا الكريم . ومن هذا الفريق ريمون لوروج الذى ألّف كتاباً عنوانه « حياة محمد » ، طبعه فاسكيل [3] سنة ١٩٣٩ ، فى باريس

وقد كتب له السيد قدّور بن غبريت مقدمة ذكر ضمنها أن تقديم مؤمن لكتاب صاحب له غير مؤمن أمر دقيق، خصوصاً فى مقدمة لموضوع ليس بد من أن يتضح اختلاف نظريهما فيه ؛ وأنه هو لا يسلّم من غير تحفّظ بالمعنى البشرى البحت الذى تصوّره المؤلف فى النبى ، لبعد هذا المعنى عن الشهادة بالرسالة ، ولاعتقاد المسلم أن الحوادث والأزمات التى قد تكون وجهت محمداً نحو الرسالة هى أمور فوقها ذلك النداء السماوى وكلمات الله نشرها الرسول بأمانة وإقدام بين الناس . وإن السيد ، بعد أن تحفظ لهذا الخلاف على الأصل ، هان عليه أن يحيى ضمير المؤلف ونبوغه فى ترجمته النبى

وذكر أيضاً أن المؤلف فيلسوف لا تضطرب نفسه من مسائل الأجناس ولا من تعارض المذاهب ؛ فهو بعيد المشاكل السياسية والاجتماعية كلها إلى مستوى المصالح المشتركة بين البشر أجمعين ، لأنهم على رغم الاختلاف الثانوى الوقت الذى يفرقهم فيه جهلهم وحدّتهم الأصيلة ، ليس يمكن فى الحقيقة تصورهم منقسمين انقساماً لا مرجع عنه

وذكر أن الكتاب يمثل جهداً من أصدق الجهود التى بذلت فى حمل الكثيرين من غير المسلمين يعرفون قدر النبى ورفيع شأن الإسلام فى تاريخ المدنية

وأهم ما جاء فى هذه المقدمة كلام عن النبى للشاعر لامرتين يجانس الموضوع ، أورده السيد قدّور و « عرف فضله لفرنسا » وقصد بإيراده أن يعجب به أبناء ملته . وقد نقله من « تاريخ تركيا » حيث قال [1] ذلك السياسى الفرنسى ما ترجمته الحرفية :

« لم ينو إنسىٌ قط ، عن إرادة ذاتية أو غير إرادة ، أن يبلغ غرضاً أسمى من غرض محمد إذ كان بلوغه فوق طاقة البشر : فهو تقويض الأباطيل التى جعلوها بين الخالق والمخلوق ، وهداية الإنسان إلى الله ، وإقامة معنى الربوبية المبنى على العقل والتقديس فى بهرة ذلك الزحم المختلط من آلهة الوثنيين المادية المسيخة . ولم يعتزم إنسى صنعاً قط ويبدأه بوسائل على مثل ضعف وسائله ومثل هذا التفاوت بين القوى البشرية والعمل المنوى : إذ أن محمداً ، فى تصوره مشروعاً على هـذه الضخامة وفى إنفاذه ، لم يكن له من وسيلة سوى نفسه ، ولا من مساعد غير عدد قليل من الرجال فى ركن من الصحراء . وأخيراً لم يتم أنسىّ قط ، فى زمن أقصر من زمنه ، انقلاباً فى الدنيـا على مثل هذه السعة وهذا الدوام : إذ لم يمض قرنان على الدعوة الإسلامية حتى كان الإسلام منادى به ، مسلحاً ، سائداً فى ثلاثة البلاد العربية ، فاتحاً للتوحيد فارس وخراسان ، ومصر وأثيوبية والمعروف من أفريقيـة الشمالية بأسره ، وعدة من جزر البحر المتوسط ، وأسبانيا وجانباً من فرنسا

وإذا كان سمو الغرض ، وضعف الوسائل ، وجلال النتيجة ، أموراً هى ثلاثة المقاييس لعبقرية المرء ، فمن ذا الذى يجرؤ على أن يوازن من الجهة الإنسانية بين محمد ورجل من عظماء التاريخ الحديث ؟ فإن أشهرهم لم يقلّبوا غير أسلحة وقوانين وإمبراطوريات ؛ ولم يؤسسوا ، حين أسسوا شيئاً ، سوى دول مادية كثيراً ما انهارت قبلهم ؛ أما هذا فقد قلّب جيوشاً وشرائع وإمبراطوريات وشعوباً وبيوتات مالكة وملايين من الرجال فى ثلث المعمور من الكرة ؛ لكنه زاد فقلب مذابح وآلهة

(١) Lamartine الشاعر الفرنسى ، السياسى ، المشهور (١٧٩٠ م – ١٨٦٩ م) ؛ دخل مجلس النواب سنة ١٨٣٤ ، ثم كان عضواً فى الحكومة الموقتة التى أعلنت الجمهورية الثانية سنة ١٨٤٨

(٢) Raymond Lerouge كاتب من رجال فرنسا فى مراكش

(٣) Fasquelle

(١) « تاريخ تركيا » لصاحبه لامرتين ، الجزء الثانى من طبعة باريس لسنة ١٨٥٤ ، ص ٢٧٦ وص ٢٧٧

ويلات السلم . . . !

للأستاذ سيد قطب

هذه الحياة الدنيا عجيبة ، فهى ما تزال تنشئ السم وتدس فيه الترياق ، وتخلق السقم وبين طياته عناصر الشفاء . وما تزال تخيل لأبنائها السذج أنها موشكة على التلف مشرفة على البوار ، فتثير فيهم قواهم الكامنة ، وتستحث منهم هممهم الراكدة ؛ ثم إذا هى تنصل من الداء ، وتنهض من الكبوة ، أشد ما تكون عافية ، وأوفر ما تكون قوة ؛ كصحو الطبيعة غب الوابل المنهمر ، وصفو السكون بعد العاصفة الهوجاء !

وإن من عجائب هذه الحياة أن تكون للسلم ويلات ، ربما فاقت ويلات الحرب ، بل هى تفوقها بكل تأكيد . ألا وإن من عجائبها أن تحمل الحرب ترياقاً لسموم السلام !

وما يخالجنى الشك فى أن فرنسا كسبت بهذه الهزيمة أضعاف ما كسبت غداة الهدنة بالنصر . ومهما بدا هذا القول عجيباً فإنه قمين بالتصديق . ومن شاء أن يختبر صدقه فلينظر فيما كانت عليه فرنسا قبل الحرب ، وما يلوح أنها ستكون عليه بعدها

لقد عبث النصر السابق والرخاء الغابر بفرنسا عبثاً شديداً ، فلقد غدت قبل الهزيمة شيعاً وأحزاباً لا حصر لها ، ولا تدرك أسماؤها فضلاً على مبادئها ، بل أهوائها . ولقد كان التشعب السياسى والحزبى أهون ما نكبت به فرنسا ، فلقد أصابها ما يصيب الأمم المنحلة من تدهور خلق ، وإباحية ، وبيئة ، وفردية مقيته ، واستهتار معيب ؛ ولقد نُسيت فرنسا ليُذكر الفرنسىّ ! وبات كل فرد أمة ، فكل فرد وشأنه ، وكل امرئ ولذائذه ، وكل نفس وشهواتها ، وعاد الأخذ نهباً والمنح ميراً وغلبت الرفاهة وحب الراحة على الجميع

هذه فرنسا التى هزمت فى أسبوعين ، وكانت ستهزم نفسها لو لم يهزمها الجرمان ، وكانت ستخذل قضيتها لو لم تخذل فى الميدان . . .

وهذه ـ ولا شك ـ بعض ويلات السلام ، أو الاطمئنان إلى السلام ! أما فرنسا بعد الهزيمة ، فها هى ذى مغلوبة على أمرها

وديانات وأفكاراً وعقائد ونفوساً ، وأسس قومية روحانية على كتاب أصبح كل حرف منه شرعة قومية روحانية تضم شعوباً من كل لسان وكل لون ، وجعل لهذه القومية الإسلامية طابعاً لا يبليه الزمان بما نفث فيها من بغض للآلهة الزائفة ، وحب لله الواحد المنزه عن المادة . وهذه الوطنية المنتقمة من الاستهانة بالله هى خاصة أتباع محمد وفضيلتهم . ولقد كان فتح ثلث الأرض لعقيدته معجزته ، والأحرى أنها لم تكن معجزة رجل ، بل كانت معجزة العقل . وإن معنى وحدانية الله التى نادى بها والناس فى سأم من العبادات الوثنية كان معنى له فى ذاته من القوة ، حين تفجر على شفتيه ما أضرم معابد الأصنام العتيقة جميعاً ، وأشعل بأضوائه ثلث العالم

. . . إن حياة محمد وتأمله الدينى ولعناته الشديدة للفعّالة لأباطيل بلاده ، وإقدامه على مواجهة حفيظة الوثنيين وحنقهم مواجهة الجسّار ، وثباته على احتمالهم فى مكة خمس عشرة سنة ، وقبوله أن يُعد بين مواطنيه فضيحة علنية (يعنى قدوة سيّئة تثير السخط) حتى كاد يكون ضحيّة ، وهجرته أخيراً ، ووعظه بلا انقطاع ، وحروبه السجال ، وثقته بالنجاح ، وأمنه فى الهزيمة أمناً فوق القدرة الإنسيّة ، وحلمه عند الفوز ، وطموحه الفكرى الخالص البرئ من طلب السلطان وصلواته بلا نهاية ، وحواره فى البُرَحاء ، ووفاته وظفره بعد القبر ، كل أولئك يشهد بأكثر من الكذب بل يشهد بالإيمان ، وكان هذا الإيمان هو الذى جعل له القدرة على إقامة عقيدة ، وكانت هذه العقيدة مثناة : وحدانية الله وتنزّه الله عن المادة ، فواحدة تقول إن الله موجود والأخرى تقول ما ليس الله به ، واحدة هادمة بالسيف آلهة زائفة والأخرى مُشهرة بالكلام سيرة

إن محمداً فيلسوف ، خطيب ، داع ، مشرّع ، محارب ؛ وهو فاتح أفكار ، مقيم عقائد معقولة وعبادة بلا صور ؛ وهو مؤسس عشرين دولة دنيوية ودولة واحدة دينية ، ذلكم محمد ! فأى إنسى كان أعظم منه بكل المقاييس التى يقاس عليها العظم الإنسانى »

محمد توحيد السلحدار

ولكنها أشد حيوية وأكثر يقظة ؛ فلقد تنبهت فيها كل حاسة ؛ ولقد وحدها الخطر وهي ممزقة كل ممزق — والجسم الحي يتنبه ليدفع الخطر — ؛ وأخذ كل فريق يعمل على طريقته ، ولكن لفرنسا ، لفرنسا وحدها لا لنفسه أو حزبه ، ولا لمطامعه ولذائذه

فهذا « بيتان » الشيخ يجدد شباب فرنسا ! ويوحي إليها في كل حركة وكل عمل وكل خطابة أن تنهض ، ويبشرها بالنهوض ، وهو في الوقت ذاته يذكرها بالخطر الجاثم والهول المحدق ، ويستنهض فيها الماضي والمستقبل ، ويقودها إلى الإيثار بعد الأثرة ، وإلى التضامن بعد الفردية ، وإلى الإنسانية الدفة بعد الارتكاس في الشهوات

وهذا « فيجان » يحتمي في الشمال الإفريقي ، ليشد ساعد الشيخ ، ويثبت أقدامه أمام الغول الجرماني ؛ وليبث في نفوس الفرنسيين الثقة بأن لهم بقية من قوة ، ومسكة من مقاومة ، وأنهم خليقون بالثبات بعد التقهقر ، والنهوض بعد العثار ، والرجاء بعد القنوط ، والعزة بعد الاستسلام

أما « ديجول » ، فالحديث عنه نافلة ، ذلك أن موقفه خطبة صامتة أبلغ من كل خطبة ، وذلك أنه يمثل قلب فرنسا الحي ، قلبها الشجاع الأبيّ ، الذي لم يعترف بالهزيمة غداة الهزيمة . وإن « ديجول » وحده لشهيد بأن في هذه الأمة حياة ، ولو طمست كل الأدلة والبراهين

وما من شك أن فرنسا ستنهض وقد تطهرت من أرجاسها ونقيت من أدرانها . ستنهض باسم الرجولة والتضحية والأخلاق، وستكون خيراً لنفسها وللعالم من فرنسا الممزقة الغارقة في الشهوات .

ولقد صنعت ألمانيا سنة ١٩١٨ ما تصنعه فرنسا اليوم ؛ فكانت الهزيمة حافزها الأول إلى وثبتها الجديدة . ولو لم يقم على هذه النهضة رجل مريض النفس ، شاذ السليقة ، لانتفع بها العالم في التعمير بدل التخريب ، وانصرفت هذه الطاقة الضخمة من القوة الخارقة في غير هذا السبيل

وما أريد أن أضرب المثل بانجلترا ، فقد يكون الخلق الإنجليزي فوق مستوى أفهامنا ، بل فوق مستوى أفهام العالم . هذا الخلق الذي يخلق من الشعب كله أبطالاً في ساعة المحنة ، ويجعل من البشر ملائكة في لحظة الخطر ، ويحيل الأفراد كتلة واحدة ما لها من فكاك

ومع هذا فقد كاد السلم ، وكاد الغنى ، يضعفان من أعصاب هذا الشعب ، فذهب إلى الحرب متثاقلاً ، ونام عن الاستعداد حتى دهمته الأهوال . ومن يدري لو طال به السلم ، وأُمليَ له في الدعة ما كان يصيب هذا الخلق المتين من الوهن ، وهذه الأعصاب الفولاذية من الانحلال

* * *

للسلم ويلات ...

ومصر — كنانة الله في أرضه — أشد أمم الأرض بلا استثناء إصابة بهذه الويلات !

فأين ما كان في فرنسا من تشعب وتشتت مما في مصر ؟ وأين ما كان هناك من فردية مقيتة وأثرة بغيضة مما في كنانة الله ؟ وأين ما كان في وطن نابليون من رفاهة مريضة وترف ذليل ، وفساد في الخلق والضمير ، مما يجري هنا في وطن رمسيس ؟

لا يحاول أحد أن يكتم عنا ما نحسه في أعماقنا ، ولا يجادل أحد فيما تلمسه أيدينا وتراه عيوننا ، ولا يفهم أحد أنه من الخير لنا أن نعصب عيوننا فلا نرى سوءاتنا

إن في مصر من « ويلات السلم » ما لا يتصوره أي أجنبي عنها؛ وفرنسا المنحلة المريضة الغارقة في الشهوات كانت قديسة طهوراً بالقياس إلينا ... كانت أمة ولسنا نحن أمة ، وهذا أخصر ما يصورنا من ألفاظ

في مصر ما لا يحفظ التاريخ من   فحش يعج بها وفحش يكتم

كما قلت في قصيدة منذ سنوات

وليس هذا « الفحش » بقاصر على ما ينصرف الذهن إليه أول وهلة ، ولكنه فحش يشمل كل شيء . يشمل الضمائر والأسرار ، ويشمل التصرف الشخصي اليومي للألوف والملايين

في مصر فحش من الفقر وفحش من الغنى ، فحش من الحرمان وفحش من المتاع . وفيها فحش من النعومة التافهة يقابله فحش من الخشونة العارمة

وفي مصر مشاحنات ومنازعات ، ولكنها ليست على شأن جليل ولا غرض عظيم . وفي مصر أثرة عمياء صغيرة المطامع قريبة الآفاق لا تعدو لذة كلذة الحشرات والهوام

ومنشأ هذا كله طول عهدنا بالسلم الرخيصة والدعة المريضة والأمان التافه . كل ذلك عبث بأعصابنا فأوهنها وبآمالنا فقرب مداها ، وبهمومنا فأصغر قيمتها ، والخطر الذي يثير الأعصاب ،

وينبه الحواس، ويكبر الهمم، ويغذى الطموح قد حرمتنا الأقدار إياه، فمنحتنا طبيعة سمحة لا تحوجنا للجهد ولا تثير فينا الجهاد، وسلبتنا نعمة الاستقلال أحقاباً متطاولة فلم نضطلع من عهد طويل بأعباء الاستقلال

علم الله لقد كانت أكبر أمنية لى أن أعيش حتى أرى مصر تخوض معركة. معركة واحدة، تطهرها كما تطهر النار الخبث، وتبعث فيها الرجولة الكامنة والتضامن الوطيد، وتشفيها من رخاوة السلم وانحلال الدعة ونعومة الفراش!

وإن مصر لكاسبة كاسبة لو خاضت المعركة. كاسبة ولو تحطمت دورها وتمزقت أجسادها، لأنها ستبنى أخلاقاً وتوحد كياناً، وترتفع فوق مستوى الحرص الحيوانى على الحياة إلى مستوى الحرص الإنسانى على الكرامة. ولأن حيويتها ستنبض فى ساعة العسرة، وأعصابها ستشتد فى مواجهة الخطر، فتعوض فى المستقبل أضعاف ما تخسر من دور وما تفقد من أجساد!

لو خضنا المعركة - أية معركة - ما بقى ذلك الشباب الناعم الناعس، وما كان الإنذار بغارة جوية - لا الغارة - سبباً فى ارتماد الفرائص من الهلع، واصطكاك الأسنان من الذعر، وتساوى الرجال بالنساء فى العويل والصياح!

لو خضنا المعركة - أية معركة - ما حدثك شاب «أرستقراطى» عن «النكبة» التى حلت به لأن «مهرة» فاتته، ولا عن «الكارثة» التى تسود حياته لأن منافساً له من بنى طبقته فاز بقلب راقصة - إن كان لها قلب!... ولا عن «ويلات الحرب» التى رفعت من أثمان العطور والخمور!

أى والله هذه أحاديث شباب «الوسط الراقى» فى مصر، وتلك مطامعه وآفاقه فى الحياة. وإن كثيرين من أبناء الطبقة الوسطى - عماد الأمم - ليقلدون هؤلاء مع الأسف، فإن لم يقلدوه فى هذا، فالكارثة عندهم أن لم يجدوا وظيفة بعد تخرجهم، والنازلة أن بعض زملائهم سبقوهم فى الدرجات، وويلات الحرب عليهم هى وقف العلاوات والترقيات!

لو خضنا المعركة - أية معركة - لبرئنا من الأثرة الحمقاء التى يحسب فيها التبرع بالجنيه من صاحب الألوف مفخرة تشيد بها الصحف، وتطوع فتاة فى مستشفى مبرة تنشر من أجلها الصور. ذلك أن التبرع بالأرواح والتطوع بالدماء يصبحان إذ ذاك عملاً يومياً لا يلفت الأنظار!

لو خضنا المعركة - أية معركة - لسكتت ألسن الدعاة الحزبيين عن الخوض فى الشخصيات ولترفعوا عن المشاتم والأسلاب، ولكان لهم من هموم مصر ما يشغلهم عن هموم الحكم، ومن مطالب الوطن ما يلهيهم عن مطالب الأنصار!

ولو خضنا المعركة لكان لنا أدب غير أدبنا الباكى الحزين ولكانت لنا أمجاد نتغنى بها، ومخاطر ندعو إلى اقتحامها، ومخاوف تثير الهمم إزاءها، ولكانت لنا عزة تستشعرها نفوسنا ويتغذى بها إحساسنا

إى والله، ولا سمعنا فى ذلة باكية «ما يهونش» أو «ميلت بختى فى الحب يختى» أو «ياحبيبى تعال الحقنى شوف اللى جرالى من نار حبك» أو «ليه تلاوعينى وانت نور عينى». ولأنفنا أن يكون نشيدنا القومى المختار: «لا والنبى ياعبده»!

***

اللهم إن تكن قد كتبت علينا ألا نخوض المعركة، فابعث اللهم علينا بركاناً ثائراً أو زلزالاً محطماً أو سيلاً جارفاً أو كارثة ما من كوارثك الرحيمة التى تنقذ بها عبادك من نعومة الأمن ورخاوة الدعة وويلات السلام!

فإن تكن اللهم قد أردت حرمان هذا الجيل من رحمتك فلا تحرم الأجيال الآتية ما حرمتنا، إنك أرحم الراحمين!

«حلوان» سيد قطب

يا قمــــر !

للأستاذ محمود البشبيشي

يا سمير الحزين فى خلوته ، ورفيق السعيد فى جلوته !
كل ما فيك سحر ... وكل ما فيك بِشْر
سحر يغمر القلوب بشعاع النور فتطرب
وبشر يشمل النفوس فترتاع الآلام وتهرب !
... لا حزن معك ... ولا ضلال بظلك يا قمر !
يا هادى السارى فى البيداء ... وقاهر الظلمة بالضياء

***

شراع أنت للملاح لايبلى مع الزمن ، ولا يضطرب مع الريح فيصيبه الوهن ! يقهر موج البحر ، كما يقهر أمواج الفكر ، فتسير السفينة بفضله فى أمان ! ويهدأ الملاح فيصوغ لك شكره فى ألحان

***

كم لك على الأمواج من قُبل ليست كالقبل ! بل زادت عليها معنى النور !

قبلٌ من نور ! يا سحرك يا قمر ! ترقص من فرحة اللقاء ، على ثغور الماء ...

قبلٌ من نور ! يا سحرك يا قمر ! تخشى الرقيب فتضطرب وتتنقل !

ولا تقع فى اضطرابها وتنقلها إلا على شفة من موج ، أو خد من زورق !

قبلٌ من نور ! يا سحرك يا قمر ! تبعث النيرة فى قلوب الأشجار الحالمة ، فى الضفاف الناعمة ، فتمد لك أوراقها ثغوراً تطمع فى قبلة من نور !

. . . ومن عجب يا قمر أنك تقبلها وتقبلها غير ما هائب ولا خائف من عتاب الأمواج وثورة قلوبها

***

للحقائق المجردة فمل السحر فى كل شىء ، تنزل بالغنى إلى الفقير لتقربه من النجاة ، وترتفع بالفقير إلى الغنى لتشعره بالحياة ... فكيف وحقيقتك يا قمر من نور !!

تنزل بالسماء فى معنى الشعاع إلى الأرض لتقول لها إنك لازلت تراباً !! وترتفع بالأرض إلى السماء فى معنى الظلال وانعكاس النور لتقول للسماء إنك لا زلت سماء ما دام فيك ضياء !!

***

فى نورك يا قمر معنى قلب المؤمن ، لا يلمس شيئاً من أشياء الحياة إلا طهره !

فى نورك يا قمر معنى كلمة الحق ! لا تحل فى مكان إلا خرجت منه كلمة الكذب !!

فى نورك يا قمر معنى كلمة الحب ! لا تزن فى مكان إلا جمات من صخوره قلوباً !

فى نورك يا قمر ماذا فى نورك يا قمر ؟! ...

***

حقيقة أنت ... ولكن حقيقة متغيرة ... !

فأنت عند الجاهل قرص لا أكثر ولا أقل من ضياء وسناء !

جُمات لتخفف من وحشة الانتقال من معنى النور إلى معنى الظلام

لا يعلم من سرك غير أنك تغيب لتطلع الشمس ، وأن الشمس تغيب لتطلع أنت !

وأنت فى عين الفيلسوف حقيقة النور ، ولسان السماء الذى تخاطب به الأرض لتذكرها أن هناك رقيباً عليها خبيراً يرى كل شىء حتى دبيب الخواطر فى النفوس !

ومن عيونه المحسوسة لو عقل القوم ! عيونك يا قمر .

عجباً يا قمر ! نظرة سطحية جعلتكَ قرصاً من ضياء ، ونظرة عميقة جعلتكَ عيناً من سناء !

فما نظرة العاشق إليك يا قمر ؟

***

نظراته لا تنتهي إلى أمد . كل نظرة فيها تنعطف على نظرة انعطافاً لا نعلم كيف يكون ، لأنه سر من أسرار قلبه وأسرار نورك ! تقلبت على قلبه وجوه الأيام بما فيها من لقاء وما فيها من فراق فنظر إليك يا قمر كأنما فيك مفتاح قلبه ، وتكلم كلاماً ، إني لا أعلمه ، فهل تعلمه يا قمر ؟

لقد أحصرني التطول إلى أسرار نظراته إليك ، فهل من معين منجد ومساعد منشد ؟

أين أنت يا دكتور مبارك وهذا الموقف موقفك ! وإنك لناصح أمين لا نعرض الرأي على تهمة ؟

وأين أنت يا زيات وهذا حديثك (في الجمال) ، فإن المعاني هنا أصبحت لقلبي قُلَّباً ؟

وإني لأخوض في أوعاث وأوعار !

فما نظرة العاشق إليك يا قمر !

***

يا قمر ! أنت قمر !

وهذا كل ما يستطيع الشاعر أن يقول لأنك فوق كل ما يقول

نعم أنا لا أستطيع
أن أصفك وصفاً يحمل
كل معانيك يا قمر
ويكون في ألفاظه
معنى النور والسحر
والجمال والأحلام

لا أستطيع إلا إذا
قلت: أنت قمر !... يا قمر

وهكذا لا توصف
الحقيقة إلا بالحقيقة ! !

***

يا أفكاري ! لقد
تمجدت اليوم رغم
الجاحدين الحاسدين

لقد بلغت اليوم عرش النور رغم خفافيش الظلام

لقد أنصت لك القمر وتفتحت آذان السماء !

يا أفكاري لقد تمجدت اليوم ، فأنصت لك القمر !

***

يا قمر هأنذا أناجيك فهل تسمع النجوى ؟

هأنذا أعيد لك أنشودتي المنظومة شعراً يأرج ويتوهج بعبيرك وأنوارك . . .

يا أيها القمر السخي بنوره ... فيم احتجابك عن وحيد ساري
في ظل نورك حين تبدو باسماً ... أرب النفوس ومتعة الأنظار
كم في الدجى مذ غبت من متأمل ... بين النجوم ينوء بالأكدار
أمهدئ الأفكار إن جد السرى ... هلا رحمت مبلبل الأفكار
يا مشرق القسمات طبعك رحمة ... فإلام تتركني لوقت مرار
يا باعث الأنوار تنتظم الربى ... والوهد ، طال الشوق للأنوار

***

« انظر القمر ، وارقب الخطر ، واسأل القدر ! »

محمود البشبيشي

اللورد روبرت بادن باول
الكشاف الأعظم العالمي
للأديب خميس زهران

توفى اللورد بادن باول الكشاف الأعظم فى نيرى بكينيا فى صباح ٨ يناير وهو فى الثالثة والثمانين من عمره . وكان قد مرض مرضاً خطيراً بنوبات قلبية فى نوفمبر من السنة الماضية ثم تحسنت صحته ولكنها ظلت معتلة ... وقد احتفظ الفقيد بصحته ونشاطه حتى الثمانين ثم أخذت بعد ذلك فى الانحطاط .
ومما يذكر عنه أنه اتخذ له داراً فوق منحدرات جبل كينيا حيث عاش مع قرينته حتى توفى
واشتهر الفقيد فى حرب البوير فى جنوب أفريقيا ودافع عن مافكنج ؛ ولكنه نال شهرته العالمية عندما أسس حركة الكشافة عام ١٩٠٨ فنجحت نجاحاً عظيما وأصبح عدد الكشافين والمرشدات فى العالم قبل وفاته نحو خمسة ملايين

بادن باول اسم يعرفه كل من له إلمام بتاريخ الكشافة، ويمجده كل من درس مبادئها واعتنقها فى أى قطر من أقطار المعمورة ، فهو يتزعم تلك الحركة المضنية التى ابتكرها ، وقد وقف نفسه على خدمة الشباب فى العالمين . وهو هو فى نفسه وأخلاقه وعاداته ونزعاته لا يفرق بين جنس وجنس ، ولا يوازى إلا بين النفس والنفس مجردة

ولد الطفل الإنجليزى « روبرت » مؤسس مذهب الكشف من أبوين كريمين هما « بادن باول » والسيدة « هزيتا هراس » ورأى النور فى هذه الحياة لأول عهده بها فى ٢٢ فبراير عام ١٨٥٧ فى شمال هايدبارك بلندن ، وكان أبواه ممن اشتغلوا بالتربية ولم يكن يدور بخلدهما أن ذلك الابن السادس سوف يأتى بمذهب فى التربية هو خلاصة آراء علمائها وأظهره عملياً فى ثوب الكشافة ، فحقق بذلك نظريات سقراط وأفلاطون ، ثم أقوال ابن خلدون ولوثر ومن بعدهم روسو وبستالوتزى وسبنسر فقد أجمع كل هؤلاء الفلاسفة الأخلاقيين وغيرهم أن أول الواجبات الإنسانية تأهيل النفوس إلى اكتساب الكمال الممكن بتأسيس الملكات الصالحة وتأصيل الفضيلة الذاتية بإصلاح الأنفس الناطقة حتى تستحق النظر فى حال غيرها أو تمرن سواها ؛ ووافقهم على هذا المبدأ الحقيقى حكماء السياسة والشرع عموماً لتسليم البرهان القاضى بعلو الغاية من التربية وإن اختلفوا فى الكيفية على حسب المدارك والاقتضاءات الزمنية



اللورد روبرت بادن باول الكشاف الأعظم العالمى بملابس الكشافة تتقدمه ابنته « بتى » بملابس المرشدات (الفتيات الكشافة) وخلفه المستر « ولسن » مدير معهد جلويل عند دخوله المعسكر الدولى للكشافة (جامبورى) الذى أقيم فى هولندا سنة ١٩٣٧

وقد دخل فى العقد التاسع من عمره وقد منحته الطبيعة ما عندها من فتوة وقوة ولم تحرمه لذة الألقاب والغنى فتدرج فيهما إلى أن بلغ ذروة الأولى وأصبح فى درجة لا بأس بها من الثانية وكان لا يزال قدوة للشباب ومرجع المربين : يلبس كالطفل وكالشاب وكالرجل وهو فى الواقع كهل لا بل شيخ . إنما تعاليم الكشف وحياة الكشف جعلت من شيخوخته الشباب الغض والعامل الجد الآخذ من المجتمع بأكبر نصيب . فبادن باول فى حركاته وسكناته كان يمد من الشباب الناهض وإن يكن شيخاً فى مظهره وفى منظره ، لأنه كان يلبس ما يتذوق الشباب ويتحرك كما يتحرك الشاب ، ويجانس الفتية ويجالسهم دون غضاضة أو تنافر . ولعله فى هذا كان يتحدى الطبيعة ويتحدى الذين إذا استقبلوا الخمسين ترحموا على الدنيا وعلى الحياة ، وعاشوا أمواتاً يبحثون عن القبر ويستضيفون اليأس فى كل أطوارهم

وتاريخ طفولة روبرت مملوء بالحوادث والمفاجآت فقد مات أبوه « بادن باول » الأستاذ بجامعة أكسفورد وهو فى الثالثة من عمره فكفلته أمه السيدة هزيتا ابنة الأميرال « السير سدنى سميث » من أعلام البحرية مدة الحملة الفرنسية مع إخوته الستة وكذا أخته الوحيدة . ولم تلحقه بمدرسة ما بل اكتفت بتعليمه المنزلى . وكانت لدى بادن وإخوته سفينة يمخرون بها عباب اليم

فيجازفون بأنفسهم متغلبين على الأعاصير حتى قويت ملكاته وصار يستعمل المجداف بلباقة وذكاء وتعلم الاعتماد على النفس . وبقى بادن يتلقى بعض العلوم الخفيفة والمعارف السهلة فى منزله إلى أن بلغ الحادية عشرة من عمره فأدخل مدرسة روزهيل الابتدائية فمكث فيها سنتين كان خلالهما العلم الفرد فى الألعاب مما جعله محبوباً من أقرانه وأساتذته . ولقد قال عنه الدكتور هايج برونى فى سياق كلام له : « ماشككت قط فى كلمة قالها. ولقد برهن فى جميع أدوار حياته أنه رجل شريف لا يعرف زوراً ولا بهتاناً ولا يخاتل ولا يشك فى كلامه » . ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره التحق بمدرسة تشارترهاوس تلك المدرسة التى تحدث « ثكرى » عنها وأشاد بذكرها فى رواياته القصصية . وكان سيره التعليمى عاديا كشأن الطلبة المتوسطين إلا أنه يبزهم فى اللغتين اللاتينية واليونانية ، وينافسهم فى الأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة . أما فى الألعاب بأنواعها فهو ابن بجدتها وفارس حلبتها ؛ شهد بذلك ناظر مدرسته حيث كتب على لوحة الإعلانات قبيل انعقاد مباريات كرة القدم السنوية : « إن للطالب روبرت بادن باول حارس مرمى يقظ هادئ الخلق يعتمد عليه دائماً »

وفى عام ١٨٧٦ ترك الفتى روبرت مدرسة تشارترهاوس ، وكان عمره إذ ذاك تسعة عشر عاماً ، فأخذ يفكر فيما عساه يكون مستقبله ، ولم يكن قد قرر اتجاه حياته بعد . وفى بعض الأحيان تخضع مصاير الناس لمصادمات تافهة لا وزن لها ، وقد يتغير حظ الإنسان ويتبدل مصيره ، لا لشيء إلا أن القدر يريد أن يحقق ما كتب فى صفحته . ومن المحقق أن الامتحان العسكرى الذى صادف انعقاده وقت خروج روبرت من المدرسة كان له من الأثر فى حياته أكثر مما كان يتوقع ، فإن تفوقه ونجاحه بين سبعمائة طالب آخرين دخلوا معه هذا الامتحان بالرغم من عدم ميله إلى الجندية أرغمته على الالتحاق بالفرقة الثالثة عشرة من الهوزار بالهند، وهكذا هيأت له المصادفة الدخول فى جيش بلاده

ولما ذهب إلى الهند ضابطا فى الجيش أعجبته الطبيعة وهام بها ، فأخذ يرى بنفسه فى أحضانها ، ويطبخ طعامه بيده ، ويهيئ فراشه من أغصان الشجر ويهتدى إلى الاتجاهات : بالرياح والنجوم والشمس والقمر ؛ ويعيش مع الحيوانات والطيور ، ويلاحظ نظم حياتها ويدرس أنواعها حتى نمت لديه قوة الملاحظة والاستنباط ، واتسع نطاق ذاكرته ورهفت حواسه ودقت .

ولقد قيل إن أول عمل قام به هناك هو أنه جمع عدداً كبيراً من أولاد الأوربيين الصغار ونظمهم واخترق بهم شوارع مدينة لكنو ، لاعبين على بعض الآلات الموسيقية ، وكان يعزف هو على آلة تدعى « أوكارينا »

واللورد بادن باول ذو اطلاع وافر على شئون ممالك كثيرة ، فقد انتقل من الهند إلى بلاد الزولو بجنوبى أفريقيا بعد أن قام بسفرات أخرى طويلة كان له فيها مغامرات جريئة وتجارب قيمة

لا ننظر إلى بادن باول كما ننظر إلى كل شاب ، فهو فى طفولته وفى شبابه كـكل منا ، ولـكن النظرة التى تهمنا هى من يوم أن هداه الله ، أو قل من يوم أن بعث الكشف من رقدته فى صدر « توماس ستون » ؛ فقد وقع فى سنة ١٩٠٤ أن تنبه الأمريكيون إلى مسألة الكشافة وما يكون لها من وقع حيوى . فذهب المستر توماس ستون الذي كان يتولى إدارة غابات كندا إلى تأليف نفر من أبناء الإنجليز هناك لاستغلال هذه الغابات فجعلهم فرقاً على رأس كل واحدة منها واحد يقوم عليهم يدربهم على النظام والعيش فى العراء ، يأخذهم إلى الغابة ليعلمهم تسلق الأشجار واقتفاء الأثر ، والمراوغة ، والاختفاء عن أعين الرقباء، والتعرض للشمس . ويعلمهم كذلك السباحة وبعض الحرف النافعة ، ويمنعهم شرب الخمر والتدخين

فلما رأى ذلك السير روبرت بادن باول وكان إذ ذاك فى أمريكا الشمالية أعجبته خطة الرجل وصادفت هوى فى نفسه ، ولكن ما لبث أن أسدل النسيان عليها ستاره

وذلك اليوم هو حين صدرت له الأوامر بالذهاب إلى جنوب أفريقيا لتأدية خدمة عسكرية ، وحين عهد إليه تدريب قوة من الوطنيين لم يكن لهم عهد بالحربية

مائة شاب من سكان جنوب أفريقيا كانوا الزرعة التى غرس فيها « الماجور بادن باول » تعاليمه كتجربة . ومائة لا أكثر استطاعوا أن يؤيدوا صدق مذهب الكشف ، لكن بقيادة هذا الزعيم الكبير ، وهم اليوم يعدون بالملايين فى أنحاء المعمورة ، لا يقف تيارهم جنس أو دين أو مذهب ؛ بل كلهم يعتنقون مذهب الكشف راضين قانعين بفوائده سواء لأجسامهم ولعقولهم ولاستعدادهم للحياة كأفراد عاملين وكأعضاء فى المجتمع نافعين .

واللورد بادن باول فضلاً عن شهرته ككشاف أعظم كان يعتبر بحق بطل واقعة مفكنج ، فقد أظهر أثناء حصار مدينة مفكنج عام ١٨٩٩ من النبوغ والعبقرية فى الفنون العسكرية ما أطلق ألسنة مواطنيه بالمدح والثناء عليه

وتلك ولا شك كانت حرباً هائلة لم يكن الإنجليز يتوقعون أن يكون للكشافين أثر فيها . فلم يلبث أن دعى الجنرال بادن باول إلى جنوب أفريقيا عند قيام حرب البوير ، فقام بأعمال جليلة رفعت من ذكره فى بلاده

ومما يذكر فى هذا الشأن أن الجنرال الإنجليزى حصر بجيشه فى مفكنج وهى مدينة صغيرة واقعة فى سهول أفريقيا الجنوبية ولم يكن أحد يظن بأنها ستهاجم من العدو كما لا تتوقع أنت مهاجمة العدو لبلدتك أو قريتك إذ أن هذا بعيد الاحتمال

قال بادن باول : « ولما وجدنا أننا سنهاجم فى مفكنج أخبرنا حاميتنا عن النقط التى ينبغى الدفاع عنها . وكان عدد رجالنا قريباً من ٧٠٠ ما بين شرطى ومتطوع ومنظم . ثم سلحنا من الأهلين ٣٠٠ وكان بعضهم من رجال الحدود القدماء الذين هم أهل لهذه المهمة . غير أن كثيراً منهم كانوا تجاراً وكهنة وغير ذلك ولم يشاهدوا سلاحاً من قبل ولم يجربوا تعلم الحركات العسكرية أو الرمى . لذا لم يكن يرجى منهم خير فى البدء . اجتمع لدينا بعدئذ ألف رجل كلفوا بالدفاع عن المكان الذى يضم ٦٠٠ امرأة (بيضاء) وولد ، ٧٠٠٠ من الأهلين وكان محيطه نحو خمسة أميال . أليس من المضحك أن تلقى عدواً يقصد قتلك وأنت لم تتعلم الرمى قط ؟ »

لقد اضطرب الجيش لهذا الحصار الشديد ولم تعد هناك نفس لم يداخلها الخور إلا صاحب ذلك القلب العظيم الذى عرف الحرب من قبل وبلاها فقد كان على بينة من أمره ؛ ومعنى هذا أن لا سبيل أمامه غير الإذعان لمشيئة الظروف فلا بد مما ليس منه بد

اختلى بعد ذلك بزميله اللورد « ادوارد سيسل » لحديث قصير استشاره خلاله فيما يختص بالدفاع وأدلى باقتراحه ذاكراً خطة صديقه « توماس ستون » نوافقه عليها ، وقد سره وأحيا الأمل فى نفسه أنه قد وجد على الأقل رجلاً خبيراً بالعمل الذى ينتويه والذى عهد به إليه وخفف من غم الجنود وشجعهم ، كما أعاد الثقة إلى نفوسهم مشهد هذا القوام العسكرى المهيب وتلك اليد القابضة أبداً على السيف المتدلى بجانبه كأنه قد استحال قطعة متصلة بيدنه ، وهاتان العينان اللتان كانتا أبداً لا تضطربان ولا تختلجان ، وحديثه كلما تكلم عن المخاطر بلهجة المحتقر لها المستخف بها كل الاستخفاف « أرجو أن تحلونى مكاناً حامى الوطيس متأجج النيران » « نعم قد يحاولون الاقتحام ولكنى أظن أن لا حاجة بى إلى أن انبه جندياً أن عشرين رجلاً من البواسل أولى العزم — وهو ما أعتقده فيكم جميعاً — قادرون بلا شك على الثبات فى الدفاع عن مدينة كهذه إزاء عشرة أمثال أو قل عشرين من أمثال العدد الذى يتقدم به البوريون لاقتحام مفكنج » « وما أنا إلا جندى مثلكم وما سيقع لكم هو واقع لى . فهل رأيتم أثراً للضعف أو التخاذل عندى ، أو لمستم منى ناحية شك فى النصر ؟ » ولما ضربت مدينة مفكنج لأول مرة طير خبر ذلك وعلق عليه قائلاً : « كسر إناء طبيخ ومات كلب » ولقد كتب إلى أحد القواد البوريين : « إنك لم تأخذ المدينة بالقعود عنها والتطلع إليها »

وجعل بادن باول يظهر الاستخفاف من الحصار إلى درجة جعلت رجال الحامية جميعاً مطمئنى الصدور مرتاحى الخواطر ، كما أن ثقته التامة بالنتيجة واستعجاله القتال تركهم فى ذهول من أمره وإعجاب بشجاعته

(البقية فى العدد القادم)

خميس زهدانه
زعيم جوالة باسكندرية

كلمات ...

رجل كسيح

رجلان أبرزتهما هذه الحرب وأبانت للعالم كله عن قيمتهما وأن كليهما يصدق فيه قول شاعرنا العربي القديم : وما كل ألف لا تعدّ بواحد

أما أولهما فهو تشرشل ، وأما ثانيهما فهو روزفلت

وقصة الحياة التي حيِيَها روزفلت ، هي قصة فذة عجيبة بين حيوات البشر . بل هي مثال كامل فريد لا يمكن أن تصل إليه الإرادة البشرية وقوة الخلق والكفاح

فهذا الرجل الذي استوى على كرسي الرياسة في أكبر جمهورية في العالم القديم والحديث ، وتولى سياسة أعظم الدول مالاً وقوة وفتوة ، والذي اختارته هذه الأمة ليسوس أمرها ثلاث دورات متواليات ، ولم تُنل هذا الشرف ولا هذه الكرامة ولا هذه الثقة أحداً قبله في تاريخها

وهذا الرجل الفرد الذي يقف من وراء المحيطات يخطب مائة مليون من الناس يرسل في خطابه الصواعق والحمم ، والذي يضع قوته وقوة أمته على كفة من كفتي هذه الحرب العاتية فتشيل ، ويسيّر بقوته وفكرته وعزمه تاريخ العالم الحديث والمستقبل ، وتاريخ الحضارة البشرية ومستقبلها إلى وجهة خاصة من السير .

هذا الرجل الذي بلغ بنفسه هذا المبلغ هو إنسان مغلول كسيح ... !

وقد رأيت هذا الرجل منذ أيام على شاشة السينما يخطب الناس لانتخاب الرياسة فيستولى على عقولهم وقلوبهم وعواطفهم ويكادون أن يدموا أكفهم تصفيقاً له . ويزور المصانع والمعامل فيتحدث ويسير ويضحك ويداعب كأنه شاب في الثلاثين فتوة وحيوية . وكان يقف يتوكأ على عصاه ويسير يجر نصفه الأسفل كأنه لا حياة فيه . إنه كسيح أصيب في طفولته بالشلل .

***

سألت نفسي يا ترى لو أن طفلاً مصرياً أو شرقياً أصيب بما أصيب به روزفلت في طفولته فمات نصفه من الشلل ، فأيّ إنسان وأي رجل وكهل يصير هذا الطفل المصري أو الشرقي ؟

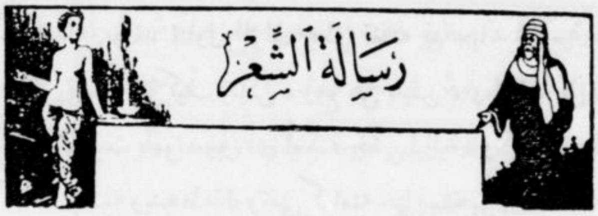
أما إن كان غنياً فسينشأ شاباً مدللاً تافهاً ساقط النفس خائر العزم مريض القلب والنفس كمرض جسده . شاب مدلل تافه يأكل خير الطعام ويلبس خير اللباس لا رجاء لنفسه في نفسه ولا رجاء لأحد فيه ، فقد خلقه الله — في زعمه — غير صالح لعمل ولا لرجاء . ستبكي أمه ويحوقل أبوه ويزعم الثلاثة أنهم خاضعون لما قدّر الله حين ابتلاهم . فهو إنسان يطعم ويشكو حتى يجيء فيه قضاء الله

وأما إن كان فقيراً فهو كصاحبه ساقط الهمّة خائر العزم مريض النفس والقلب مشلول الفكر والعقل والعزيمة كمرض جسده . مستسلم — في زعمه — لقضاء الله لا عمل ولا رجاء حتى يحين فيه القضاء

بل إن صديقي يقول : لو أن روزفلت نشأ في مصر أو في بلد شرقيّ لوجدنا مكانه إلى جانب ضريح من أضرحة الأولياء قد مدّ نصفه الكسيح في الشمس يعرضه على الناس "فُرْجة"(1) ، ثم يمدّ يده يسأل الناس أن يدفعوا إليه ضريبة الصدقة ... !

« محمود »

(1) في القاموس : الفرجة التفصى من الهم . والتفصى الخروج والتخلص



من نوازى القلب !

للأستاذ محمود الخفيف

أينَ لَيلاتُ أدمُعى وسُهادى وَرِضائى بِشِقْوَتى وعِنادى ؟
أينَ منّى ضَلالتى أشتريها بالذى قد أضلّنى من رَشادِ !

* * *

أنا أشقى يا وَيْلَتا بانطلاقى من إسارى فأينَ منّى وِثاقى
آهِ ! مَنْ لى بِساعةٍ مِنْ زَمانٍ كانَ بعضَ النعيمِ فيه احتراقى !

* * *

لمْ يعُدْ ثَمَّ بعدَ موتِ الأمانى غيرُ ماضٍ أصبو لهُ وأعانى
إن يكنْ عودُ عيشِهِ مستحيلاً فَشِفائى فى غَفوةِ النّسيانِ

* * *

كيفَ أنسى ؟ اللهُ لى ! ما لقلبى مِنْ جِراحاتِه عُلالةُ طِبّ
وقُصارى العذابِ ذِكرى حبيبٍ لمْ يعُدْ بعدُ غيرَ سالفِ حُبٍّ !

* * *

أىُّ طِبٍّ لحائرٍ فى الضلوعِ بينَ يأسٍ فى خفقِهِ ونُزوعِ
ذِكرُهُ اليأسَ إنْ توثّبَ يثنيــهِ ويُغريهِ ثَمَّ طولُ الهجوعِ !

* * *

سِحرُ ماضىَّ غيّرَتكِ الليالى بعضَ هذا لمْ يجرِ يوماً ببالى
لا ترى العينُ فى مُحيّاكِ معنًى غيرَ ما تدّعينَ مِنْ إقبالِ

* * *

فى مُحيّاىَ لهفتى وأوامى وخيالُ القديمِ مِن أحلامى
أزهقتْ بسمتى على شفتيّا خطراتٌ فيهنّ ماضى هُيامى

* * *

لا تخالى ادّعاءكِ الودَّ يُغنى تقرأُ الصَّدَّ فى ودادِكِ عينى
وسواءٌ لدىَّ ما تُبصرُ العيــنُ وما غابَ فى ضميركِ عنّى !

* * *

يستوى اليومَ وَيحَ نفسىَ وُدُّ إنْ أردتِ الولاءَ حقًّا وصدُّ
رِعدةُ الأمسِ عندَ مرآكِ إثمٌ وَلَئِنْ ألهبَ الحشا منكِ وَقْدُ

* * *

السُّلُوَّ السُّلُوَّ ... وَيكَ فؤادى لنْ يَبُلَّ السرابُ غُلّةَ صادى
قدْ تولّى بعدَ الثلاثينَ عاما نِ فقَصْرُ الشبابِ فى الزُّهّادِ

* * *

لَحرامٌ علىَّ كلُّ حلالِ مِنْ مِراحِ الشبابِ حُلوِ الليالى
بعدَ فيضِ النعيمِ لستُ أُبالى مِنْ نعيمِ الحياةِ بالأوشالِ

* * *

إنْ دعانى للهوِ بعضُ صِحابى واستخفّتهمو نَوازى الشبابِ
فأنا فيهمو الضحوكُ الذى يُخــفى عن الصحبِ غاشياتِ العذابِ

* * *

ضحكُ الزَّهرِ فوقَ مُوحِشِ رَمْسٍ ضحكاتى بينَ الأسى والتأسّى
ومُجونُ الرفاقِ حولىَ ضوضــاءُ صداها فيهِ عذابٌ لنفسى

* * *

وإذا الليلُ هزَّ فى أسحارِهْ ساجعاتِ الخميلِ مِنْ أطيارِهْ
والنهارُ الضحوكُ هلَّ مِنَ الأُفْــقِ وفاضَ الوَضِىءُ مِنْ تيّارِهْ

* * *

وإذا ما الربيعُ فى رَيعانِهْ ألفَ السحرَ فى رُؤى مِهرجانِهْ
وتعالتْ ألحانُهُ فى الضحى الطّلْــقِ فهاجَ الحنينَ فى ألحانِهْ

* * *

لا النهارُ الضحوكُ يَمْلِكُ لُبّى لا ولا فى الربيعِ عيدٌ لقلبى
ماتَ فى مُهجتى السرورُ وأمسى علقماً بعدَ موتِهِ كلُّ عذبِ !

الخفيف



وفاة هنرى برجسون

توفى فى الأسبوع الماضى الأستاذ هنرى برجسون الفيلسوف الفرنسى العظيم وعضو الأكاديمية الفرنسية عن ٨٢ سنة

وقد تخرج برجسون فى مدرسة المعلمين العليا وبعد أن حصل على دكتوراه الدولة فى الفلسفة أخذ يدرّس العلوم الفلسفية فى مدرسة فرنسا فلم يلبث أن أصبح من أبرز أساتذتها منذ سنة ١٩٠٠ ، وطبقت شهرته الآفاق فأخذ الطلبة يفدون عليه من جميع أنحاء العالم لسماع محاضراته وتعاليمه

وقد وضع برجسون مؤلفات عديدة فى الفلسفة منها « قوة التطور المبدعة » و « القوة الروحية » و « الضحك » . وقد انتخب عضواً فى الأكاديمية الفرنسية سنة ١٩١٤ ونال جائزة نوبل للآداب فى سنة ١٩٢٧

حقوق المؤلفين فى الدانمرك

فكرت الحكومة الدانمركية فى حظ المؤلفين وفيما يلحقهم من غبن فقررت أخيراً زيادة دخلهم المادى تشجيعاً لهم على مواصلة العمل والإنتاج

ومن التدابير التى اتخذتها أنها فرضت رسماً على كل من يطالع أى كتاب من المكاتب العامة أو فى أندية المطالعة ، وفرضت رسماً آخر على كل من يقتبس جزءاً من كتاب ويذيعه بالمذياع أو الحاكى

وهذه الرسوم تجمع بعد انقضاء فترة معينة وتوزع على الكتاب الذين انتفع بمؤلفاتهم للاذاعة أو المطالعة .

اعلان الحرب على الفقر

نصب الأديب الأمريكى توم كروس نفسه مدافعاً عن فقراء نيويورك ، وعقد العزم هو وجمع من أنصاره على إعلان حرب شعواء على الفقر والتعطل ، وقد أخرج كتاباً بعنوان « طريد الجوع » ، رسم فيه صوراً مروعة من حياة رجل أمريكى متعطل شريد .

ولقد تناول المؤلف بطل قصته فى حياته اليومية ، فأظهر لنا كيف يعيش ، ومع من يعيش ، وماذا يأكل ، وكيف يلهو ، وفى أى أمكنة يقضى لياليه ، وكيف ينحط جسمه وينحط عقله وتفنى كرامته حتى يستحيل إلى آلة صماء

وقد أعجبت هيئة اتحاد العمال الأمريكيين بهذا الكتاب ، واتخذت منه وسيلة لمكافحة الفقر والدعاية للطبقة العاملة ومحاربة التعطل، فطبعته على نفقتها ووزعت منه آلاف النسخ بثمن زهيد ليكثر انتشاره بين العمال وصغار الموظفين

ومن الظواهر التى أحدثها هذا الكتاب اهتمام الرئيس روزفلت به واعترافه فى جمع من الصحفيين بقيمته ومصارحته لهم بأن توم كروس هو أول أديب شعبى ظهر فى أمريكا وأول قصصى إنسانى تحرر من دراسة أخلاق الطبقة الوسطى وأقبل على دراسة حياة العامل والفلاح من الجانب الاجتماعى الاقتصادى الذى يسيطر فى هذا العصر كل السيطرة

حول أهل الكهف

إلى أستاذى الدكتور زكى مبارك

قلت يا سيدى فى تحليل كتاب « أهل الكهف » إن عندك ثلاثة فروض كان توفيق الحكيم تحت تأثيرها عند كتابته القصة ... وهى قوة الشهوة ، وقوة الحب ، وقوة الإيمان

وأنا معك أيها الأستاذ الجليل حين تقول إن الكاتب لم يصور الشهوة العارمة التصوير الذى يجعلها شهوة عارمة .

ولكنى لا أفهم الغرض الذى يرمى إليه الدكتور حين يقول إن توفيقاً عرض للحب فى أدب ولطف كما يصنع العذريون الضعفاء ... وهل عند الدكتور أن العاشق العذرى ضعيف ؟ وكيف يجوز هذا ؟ وأهل الصبابة العذرية يكابدون فى الحب أهوالاً ، بل ويقاومون فى الحب قوتين : قوة الحب نفسه والدكتور خبير بها عليم ، وقوة كبت العواطف الملتهبة بنار الشهوة ؟ إن العذريين لم يكونوا ضعفاء وعندهم قوة الصبر وقهر النفس وشهواتها . . .

وأكثر من هذا أن توفيقاً صور الحب تصويراً عاصفاً قوياً فى مواضع كثيرة . وما ظنك بمن يقبر ويبعث فتكون أول عاطفة تموج فى صدره هى عاطفة الحب . حب مشيلينا

لبريسكا ... ويظهر ذلك فى حديثه مع مرنوش فى أول فصل وفى حب مرنوش لزوجته وولده ، وهو نوع نبيل من الحب جمله فى آخر الأمر بعد أن شعر بفقدها بفضل الموت فى الكهف على الحياة بغير قلب !

وأكثر من هذا أيضاً أن قوة الحب فى نفسه جملته يعشق بريسكا الثانية مجردة عن حقيقة الأولى ! ويظهر ذلك حين يقول (سيان عندى أن تكون هى أو لا تكون . أحب هذه المرأة التى رأيتها فى اليقظة ...)

هذا من ناحية الحب ... أما من ناحية الإيمان والارتياب ، فأنا أرد على سؤال أستاذى الجليل : « ماذا صنع توفيق فى وصف الإيمان ، وماذا صنع فى تشريح أوضار الارتياب ، وأين المعركة التى أثارها بين نسائم الهوى وزوابع الضلال ؟ »

إن توفيقاً صنع كثيراً فى وصف الإيمان . . . بل الإيمان المتجسم الذى يبلغ حد التسليم بكل شىء فى شخص يمليخا ... حين أجرى على لسانه الفرق بين التدين بالوراثة والتدين عن عقيدة وإقناع ؛ وحين يقول : إنه لا يتصور الوجود بدون عقيدة الإيمان ولا انتهاءه بدونه ؛ وحين يقول : إنا لا نملك حق السؤال ... إنما ينبغى لنا أن نعتقد

تلك ناحية الإيمان القوى ، أما ناحية الارتياب فتبدو واضحة فى حيرة وتهكم مرنوش حين يقول له يمليخا : « إن رحمة الله قريب » ؛ فيصرخ : « حقيقة ! قرب السماء من الأرض تلك الرحمة التى لا تسعف إلا من يستطيع الانتظار » ؛ وحين يقول له يمليخا : « لا تسخر ، إن الله حق » ؛ فيقول : « لا شأن لله بنا ها هنا ... نحن اللذان أوقعنا بنفسينا ! »

وحين يقول له يمليخا « كل شىء على الأرض بأمر الله » ؛ فيصرخ : « إلا ما نحن فيه ، فقد حدث بفعل الإنسان » ... ألست ترى أن توفيقاً تعرض هنا لأخطر نواحى الارتياب حين يشك فى رحمة الله ... وحين لا يجعل له يداً فى حالته ... وحين يقول : إن ما يفعله الإنسان لا سلطان لله عليه

إن توفيقاً لم يكتب هذه القصة ، ولم يعرض هذه الأفكار — وإن لم تكن جديدة — إلا لغرض فى نفسه ، وما أقام الإيمان يناقش الارتياب إلا ليعالج إحساساً اضطرب فى نفسه من قبل . أنا أشعر بهذا فهل للدكتور العظيم أن يتكرم فيلقى نظرة كاشفة على حقيقته ؟

« المنصورة » حسين حسنى محمود البنبيشى

اللوزينج

جاء فى عدد الرسالة (٣٨٧) فى كلمة الدكتور زكى مبارك هذه الجملة :

« وحشو اللوزينج فى تعبير كتاب القرن الرابع يضرب مثلاً للشىء يكون حشوه أجود من قشره ... » ، وهـذه كلمة عابرة لا تعطى القارئ الثمرة الكافية ، وبخاصة من وجهت إليهم تلك الدراسات . فتوضيحاً للفائدة وبسطاً للمقام . أذكر هذه الكلمة :

قال فى المصباح : مادة لوز « اللَّوْزِينَج — بهذا الضبط — شىء من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز » وهو جمع مفرده « لَوْزِينَجَه » . جاء فى كتاب حصاد الهشيم ص ٣٤٧ « بإجمال » « جاء فى يوم أمام المكتفى (لوزينجه) فقال : هل وصف ابن الرومى اللوزينج ؟ فأنشدِ قوله :

لا يخطئنى منك لوزينج	إذا بدا أعجب أو عجبـــا
لم تغلق الشهوة أبوابها	إلا أبت زلفاه أن يحجبا

وهو على حسنه نادر جداً فى اللغة قال فى ثمار القلوب للعلامة الثعالبى ص ٤٨٨ : سمعت أبا الفرج يعقوب بن ابراهيم يقول : سمعت أبا سعد رجاء يقول : دخلت يوماً على أبى الفضل ابن العميد فقال لى : امض إلى ابى الحسين بن سعد فقل له : هل تعرف لقول عوف (إن الثمانين وبلغتها) ثانياً فى كون الحشو أحسن من المحشو ؟

قال : فسرت إليه ، وبلغته الرسالة فقال : سألنى عنه محمد بن على بن الفرات فسألت عنه أبا عمر غلام ثعلب فقال : سألت عنه ثعلباً فلم يأت بشىء ؛ ثم بلغنى أن عبيد الله بن عبد الله سأل المبرد عنه فأنشده قول عدى بن زيد لابنه زيد بن عدى فى حبس النعمان

فلو كنت الأسير ولا تكنه إذا علمت معد ما أقول

قوله : ولا تكنه . حشو مستغنى عنه ولكنه فى الحسن نظير ، وبلغتها :

ومما عثرت عليه فى حشو اللوزينج من الشعر قول البحترى يمدح المتوكل :

وجزيت أعلى رتبة مأمولة   فى جنة الفردوس غير معجل

فقد تم الكلام عند قوله : فى جنة الفردوس ؛ وقال : غير معجل أى بعد عمر طويل لأن الجنة إنما يوصل إليها بالموت

وقول أبى الطيب يمدح كافوراً :

ومحتقر الدنيا احتقار مجرّب   ترى كل مافيها ـ وحاشاك ـ فانيا

فقوله : وحاشاك . حشو فيه حلاوة ، وعليه طلاوة

قال العكبرى : وحاشاك من أحسن ما خوطب به فى هذا الموضع ؛ والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر »

وضد هذا الحشو . حشو الأكر لأنها تحشى بكل شىء ساقط : قال جحظة : أنشدت لأبى الصقر شعراً لى فقال : يا أبا الحسن ، لا زلت تأتينا بالغرر والدرر ، إذا جاءنا غيرك بحشو الأكر (٤٩٠ ثمار القلوب) . ثم إنه قد ذكر مؤلف كتاب الثمار أنه افتتح كتاباً صغير الجرم لطيف الحجم فى نظائر هذا الحشو وترجمه بحشو اللوزينج . فأطرح هذا السؤال على الدكتور المبارك : أين يوجد هذا الكتاب ؟

فخر الدين غزى

حول الفيتامين

جاء فى مقال قصة الفيتامين للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى المنشور بالعدد (٣٨٢) من الرسالة عن البلاجرا

١ — « ويوجد هذا المرض فى بلاد البترول » وأظنه يقصد بلاد التيرول

٢ — فى العمود الثانى من الصفحة ١٦٣٦ يقول : « زد حقيقة ثابتة أخرى وهى انتشار مرض البلاجرا فى الأوساط الفقيرة فقط فى البلدان التى تعتمد فى غذائها على الذرة اعتماداً كلياً فاستنتج من هذا ارتباط مرض (البرى برى) بالتغذية »

وهذا خطأ إذ اعتقد أن الأستاذ يقصد مرض البلاجرا كما هو مفهوم من معنى الجملة . فتكون « فاستنتج من هذا ارتباط مرض البلاجرا بالتغذية »

٣ — وجاء فى الصفحة ١٦٣٧ ـ العمود الثانى ـ « وتارة أخرى تتعاونان معاً على تنبيه (النخاع الشوكى) ودفعه إلى تكوين الكرات الحمراء ... الخ »

وهنا أخطأ الأستاذ أيضاً فهو يقصد النخاع العظمى (Bone Marrow) لأن النخاع الشوكى (Spinal Cord) هو قسم من الجهاز العصبى والموجود فى القناة العظمية داخل العمود الفقرى وليس له أى وظيفة فى تكوين الكريات الحمراء كما هو معلوم . أما الذى يكوّن هذه الكريات الحمراء فهو النخاع العظمى الأحمر أى (Red Bone Marrow) الموجود داخل العظام . كما أن هذه الغلطة مكررة أيضاً فى شرح الشكل المرسوم فى الصفحة ١٦٣٦

بهجت قدورى سلمان
بكلية الطب ببغداد

وزارة المعـــارف العمومية

إعلان مسابقــة (٢)

عن كتب دراسية للمدارس الثانوية

تعلن الوزارة فى هذه المسابقة عن حاجتها إلى الكتب الآتية بعد ، للاستعمال بالمدارس الثانوية ابتداء من العام الدارامى ١٩٤٢ — ١٩٤٣ . وستشترى الوزارة حق تأليف الكتب التى تسفر المسابقة عن تقريرها للمدارس الأميرية لمدة أربع سنوات نظير المكافأة المقدرة .

وآخر ميعاد لتقديم الكتب للوزارة هو أول ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وعلى كل مؤلف يرغب فى دخول المسابقة أن يتقدم للوزارة فى ميعاد غايته آخر مارس سنة ١٩٤١ باسمه ، وأن يدفع للوزارة ، مع الطلب الذى يقدمه عن هذه الرغبة رسماً قدره ٣ ٪ من قيمة المكافأة المقررة للكتاب الذي يعتزم تقديمه فى المسابقة على ألا يرد هذا الرسم بحال من الأحوال .

والكتب المطلوبة هى : —

١ — كتاب فى الدين فى جزءين أحدهما للسنتين الأولى والثانية ، والآخر للسنتين الثالثة والرابعة ؛ مكافأة الجزءين معاً مائة جنيه .

٢ — ثمانية كتب فى الرياضة ثلاثة منها لمرحلة الثقافة ، هى كتاب فى الحساب مكافأته مائة وعشرون جنيهاً ، وكتاب فى الجبر مكافأته مائة وخمسون جنيهاً ، وكتاب فى الهندسة والمبادئ الأولية لحساب المثلثات مكافأته مائتا جنيه . وخمسة كتب للسنة التوجيهية شعبة الرياضة : هى كتاب فى الجبر مكافأته مائة وعشرون جنيهاً ، وكتاب فى الهندسة مكافأته مائة وخمسون جنيهاً ، وكتاب فى الهندسة التحليلية (التحليل الرياضي) مكافأته مائة وعشرون جنيهاً ، وكتاب فى حساب المثلثات مكافأته مائة وخمسون جنيهاً ، وكتاب فى الميكانيكا النظرية والعملية مكافأته مائة وخمسون جنيهاً أيضاً

٣ — كتابان فى الطبيعة أحدهما لمرحلة الثقافة العامة فى أربعة أجزاء : الأول فى خواص المادة للسنة الأولى مكافأته مائة جنيه ؛ والثانى فى الحرارة للسنة الثانية مكافأته مائة جنيه أيضاً ، والثالث فى الضوء والصوت للسنة الثالثة مكافأته مائة وعشرون جنيهاً ، والرابع فى المغناطيسية والكهرباء للسنة الرابعة مكافأته مائة وعشرون جنيهاً كذلك . والكتاب الثانى للسنة التوجيهية فى جميع فروع المادة مكافأته خمسمائة جنيه .

٤ — كتابان في الكيمياء : أحدهما لمرحلة الثقافة العامة ، والآخر للسنة التوجيهية ؛ كل منهما فى جزءين : أحدهما فى الكيمياء النظرية ، والآخر فى الكيمياء العملية ؛ مكافأة الكتاب الأول بجزءيه معاً مائة وعشرون جنيهاً ومكافأة الكتاب الثانى مائتا جنيه .

١٦٠٦

٥ — أربعة كتب فى التاريخ الطبيعى : أحدهما فى علم الأحياء للسنة الرابعة مكافأته مائة جنيه والثلاثة الأخرى للسنة التوجيهيه واحد منها فى علم الحيوان والثانى فى علم النبات مكافأة كل منهما مائتا جنيه ؛ والثالث في الجيولوجيا مكافأته مائة وخمسون جنيهاً .

٦ — سبعة كتب فى التاريخ : الأول فى تاريخ مصر القديمة ، والثانى فى تاريخ العصور الوسطى مكافأة كل منهما مائة جنيه ، والثالث فى تاريخ أوربا من عهد النهضة إلى الثورة الفرنسية مكافأته مائة وعشرون جنيهاً ، والرابع فى تاريخ مصر الحديث ، والخامس فى تاريخ أوربا الحديث ، والسادس فى النصوص التاريخية عن مصر الحديثة ، والسابع فى النصوص التاريخية عن أوربا من عهد الثورة إلى الوقت الحاضر مكافأة كل من هذه الأربعة الأخيرة مائة وخمسون جنيهاً .

٧ — سبعة كتب فى الجغرافيا : الأول فى بسائط الجغرافية الفلكية والطبيعية وأفريقية ، والثانى عن آسيا وأسترالاشيا ، والثالث عن الأمريكتين ، والرابع عن أوربا مكافأة كل من هذه الأربعة مائة جنيه . والخامس فى حوض النيل ومصر والسودان مكافأته مائة وخمسون جنيهاً ، والسادس فى الجغرافية الطبيعية والبشرية للسنة التوجيهية مكافأته مائة جنيه ، والسابع فى الجغرافية العملية للسنة التوجيهية مكافأته ثمانون جنيهاً .

٨ — كتاب فى الأخلاق للسنة الثالثة مكافأته ستون جنيهاً

٩ — كتاب فى الرسم الهندسى مكافأته مائة وعشرون جنيهاً

١٠ — كتابان للتعليم الثانوى للبنات . أحدهما فى صحة الأم والطفل مكافأته مائة جنيه ، والآخر فى التمريض المنزلى مكافأته خمسون جنيهاً

١١ — كتاب فى تربية الطفل ومبادئ علم النفس للتعليم الثانوى للبنات مكافأته مائة وخمسون جنيهاً

١٢ — ثلاثة كتب فى التدبير المنزلى للتعليم الثانوى للبنات . أحدها فى الطهى مكافأته مائة جنيه ، والثانى فى الغسل والكي مكافأته سبعون جنيهاً ، والثالث فى إدارة المنزل مكافأته خمسون جنيهاً

١٣ — ثلاثة كتب فى اللغة الفرنسية : الأول لمرحلة الثقافة فى أربعة أجزاء مكافأتها معاً ثلثمائة جنيه ، والثانى للسنة التوجيهية شعبة الآداب مكافأته مائة جنيه ، والثالث للسنة التوجيهية شعبة الرياضة والعلوم مكافأته ثمانون جنيهاً

وكتب المواد التى لم تذكر فى هذا الإعلان لا تزال موضع نظر الوزارة . وقد وضعت الوزارة لهذه المسابقة شروطاً وتوجيهات خاصة يمكن المتسابقين الحصول عليها من إدارة التوريدات بشارع درب الجماميز بالقاهرة مقابل قرشين عن كل نسخة ٧٦٣٢



كنز فى فنـــدق

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

فتح إدوارد لانجتون الباب فى رفق وأطلّ فى الغرفة الخالية إطلال الخائف الحريص ، والحرص من دأب الذى يقدم على الإتيان بعمل يحرمه القانون . وكان لانجتون لصاً لا يحترف اللصوصية ولكنه من هواتها كأنها عنده بعض الألعاب التى تراد للتسلية .

ولما وجد الغرفة خالية دخل مسرعاً وأغلق الباب دونه ، ثم دخل إلى غرفة أخرى بداخل الأولى فوجدها غرفة زينة ليس بها سوى فرش قليلة ، وأمشاط ومرآة فوق دولاب صغير ، وبضعة دبابيس ، فقرر لانجتون أن هذه الأشياء لا تساوى المخاطرة التى قام بها لدخول الغرفة

وتردد لحظة ليقرر الخطة التى يتبعها . وفي هذه الأثناء كان « الكابتن كورنيش » نائماً فى فندق بارزيان فى ميدان أفرتون فى لوندرا وهو فى هذه اللحظة تحت رحمة هذا اللص الذى احتل جزءاً من المكان الذى استأجره الكابتن

ورأى اللص أن يفتش تحت المناضد لعله يرى شيئاً ثميناً قبل أن يخرج . فلما لم يجد شيئاً فتح الأدراج فى دولاب الزينة وهو مغضب ، فكاد الدرج الأول أن يسقط على الأرض للشدة التى استعملها فى فتحه . وفى هذه الحركة رأى اللص فى الدرج ذهباً . وفى اللحظة التالية لاحظ أن مع الذهب شعر سيدة فرفع الصرة ووجد تحتها صورة شمسية لفتاة يعرفها وهى الآنسة « بورلورن » ، فوضع الصورة فى جيبه وهو مغتبط كأن حصوله على الصورة قد أدناه من الفتاة نفسها . وشعر بعامل سرى فى ضميره يدعو إلى السرور بهذا الاستكشاف ، ونظر إلى الباب نظرة طويلة ، ثم خرج فى صمت وهدوء تاركا الذهب ومكتفياً بالصورة . واختار لخروجه ممراً لم يخط بضع خطوات فيه حتى وقف خلفه ، فوجد أنه قد غادر المكان المخصص للكابتن كورنيش ، وأنه صار فى مأمن ، واستأنف سيره وهو يتصنع مشية طبيعية حتى لا يكون موضع ارتياب ، ولكنه رغم تصنعه الهدوء ، كان يلمس بيده اليمنى جيبه الذى فيه المسدس ليستوثق منه

* * *

وأخيراً وصل إلى منزله ، وهو منزل صغير نظيف ، يبعد نصف ساعة عن الفندق ؛ وكانت أمه فى الفراش ، ولكنها غير نائمة ، ولم تحس بحركته وهو خارج ، لأنه توخى الابتعاد عن غرفتها فى أثناء ذهابه إلى الفندق

لكنها الآن أحست بحركته وهو عائد ، وسمعت صوت المفتاح وهو يفتح به الباب ، ووقع أقدامه وهو يمشى فى الممر . وأحست بحركته وهو يتناول الطعام على عجل ، ويدخل غرفة نومه فيغلق دونه بابها . وبعد أن امتنعت الأصوات من جهته ، اطمأنت الأم وأدركها النعاس ... ولقد كان يكفى لقتلها غماً أن تخالج نفسها أية ريبة فى أن ابنها ، وهو سليل أسرة كبيرة ، يجرؤ على الاتيان بما يأتى به من الأعمال . ولم يخطر ببالها كذلك أنه الآن يشعر مشاعر غريبة شاذة لعثوره على صورة هى أهم عنده من الطلاسم التى يقتنيها الغير لجلب الخير ودفع الشر

وبعد يومين كان لانجتون يكتب خطابات متعددة لأناس يعتقد أنهم على اتصال بمرجريت بورلورن ، وكتب كذلك إليها يطلب موعداً للقاء

وبالرغم من أنها لم ترد على خطابه ، فإنه ذهب إلى المكان المعين فى الموعد المضروب ؛ وبعد ربع ساعة كانت الفتاة مقبلة نحوه ، وكانت تحيط بها من الجلال والفتنة هالة مثل التى كانت تحيط بها فى أول يوم رآها فيه منذ سنين

وبدأته بالسؤال عن سبب كتابته لها وتعيين الموعد، فقال : إننى ما كنت لأجرؤ على طلب مقابلتك فى هذا المكان وفى هذه الساعة لولا أن معى شيئاً أريد أن أقدمه إليك

وكان صوته فى مخاطبتها صوت من يعلم سراً ؛ وقال لها بصوت خافت : أكنت لا تظنين سبباً لطلبى إياك غير الرغبة فى رؤيتك ؟

فقالت وقد احمرت وجنتاها : لست أعرف

قال : « إننى فى المرة السالفة أديت لك خدمة ولكنها لا تذكر بالقياس لخدمتى فى هذه المرة فإننى دخلت خلسة فى مكان لا بد أن تكونى قد زرته فى إحدى المرات ، ولكننى لم أجدك فى هذه المرة ووجدت ... ماذا عراك حتى تتغير لونك »

وكان لون الفتاة فى هذه الآونة يكاد ينبط منه الدم

فقالت : « يظهر أنك تريد أن تكلمنى عن شىء مضى ولكن ... »

فقال مقاطعاً :

« كلا ... إننى لا أريد أن أكلمك عن شئ ماض ، فإنى كنت فى مكان الكابتن آرثر كورنيش بالفندق

لم تكن مرجريت بعد ذكر هـذا الإسم بحاجة إلى كلمة أخرى تنبه شعورها فأرخت أهدابها إلى الأرض وأنصتت ، وكان إصغاؤها سؤالاً ، فأجاب عليه لانجتون : « إن الكابتن لم يعلم إلى الآن أننى زرت مكانه . ولعله لا يعلم كذلك أننى أخذت شيئاً »

قالت الفتاة :

« ولكن كيف عرفت أننى أعرف الكابتن ؟ »

فقال وهو يتظاهر بأنه لم يسمع سؤالها :

« لقد دخلت مكانه فى الفندق منذ ليال ... »

قالت الفتاة مقاطعة إياه :

« وهل تريد بواسطتى أن ترد إليه ما أخذته من عنده ؟ »

فهز لانجتون رأسه وقال :

إننى إن رددت ما أخذته فلن يكون ذلك باختيارى

ثم أدرك أن فى قوله شيئاً من المناظلة فقال : « إن كورنيش لن يعلم أننى زرت حجرته؛ وأنا إنما فعلت ذلك لمصلحتك ولمصلحتى»

قالت : « شكراً » ثم وقفت مرتبكة لأنها لا تعرف كيف يكون لها مصلحة فى دخوله الفنادق خلسة . وعاد لانجتون إلى الكلام فقال : « بقى أن تعرفى ماذا فقده الكابتن »

ثم ابتسم ابتسامة ضعيفة وقال : « إننى على كل حال لم أستطع مقاومة الرغبة فى رؤيتك »

وظل ينظر إليها وهو صامت وظلت هادئة فقدم إليها الصورة وتركها فى مكانها وعاد إلى منزله .

***

بعد أيام قليلة كان الكابتن أرثر كورنيش واقفاً فى بيت مارجريت بورلون . وكان يقول : « منذ أيام قليلة وصلت إلىّ صورتك بالبريد دون أن أعرف أنها فقدت منى ، وإنى لأعجب كيف حصل عليها من ردها إلىّ »

قالت : « إن الذى تقوله يدهشنى ، فإنى كنت أحسبك تحرص على تذكار مثل هذا فتصونه فى مكان أمين

فقال كورنيش : سأفعل ذلك فى المستقبل

وكان يحاول أن يحدق فى عينيها ، ولكنها كانت تتجنب نظراته ؛ وعاد إلى الكلام فقال : لكن الخط الذى كتب به عنوانى على المظروف يشبه خطك ، فهل أنت التى أرسلتها ؟ كيف وصلت إلى يدك وكيف سرقت من عندى ؟

ولما رأى الابتسامة التى على ثغرها تدل على صدق ظنه مد إليها يديه ليضمها إلى صدره ، فقالت بهدوء : سأخبرك على شرط أن تبرهن لى على حبك

قال : أنت تعرفين أننى لم أكن فى وقت من الأوقات قليل الحب لك ، فما الداعى إلى هذا السؤال ؟

فقالت : إن هذا التأكيد هو كل ما أريده منك . إن الذى أعطانى الصورة هو ذلك اللص الخاطر الذى أسدانى خدمة فى يوم من الأيام ، هل تعرف اللفتنانت دورن ؟

قال آرثر : اللفتنانت دورن ! يستحيل أن يكون هو الذى أخذ الصورة

فقالت : نعم ليس هو ، ولكنه الرجل الذى أنقذنى من اللفتنانت دورن

قال وقد جرى فى عروقه دم الغيرة : « وماذا حمله على ذلك ؟ ولماذا يدخل غرفتى ليأخذ صورتك ؟ »

فقالت : «ألا تزال تشعر بالغيرة بعد أن رددت إليك صورتى وبرهنت على أننى لك وحدك ؟ »

فضمها الكابتن إلى صدره وقبلها .

***

وبعد هذا اليوم صينت صورة الفتاة فى مكان أمين ، ولكنه بالأسف ليس مكان إدوار لانجتون المخلص فى حبه الشديد المهارة ، فإن حسن الحظ لا ارتباط له بهاتين الصفتين .

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 395

Lundi - 27 - 1 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

	م
في مصر والسودان	٦٠
في الأقطار العربية	٨٠
في سائر الممالك الأخرى	١٠٠
في العراق بالبريد السريع	١٢٠
ثمن العدد الواحد	١

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٩٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٧ يناير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٨٥	فى سوق الوارقين	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٨٨	أخلاق القرآن	الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٩٠	الحديث ذو شجون	الدكتور زكى مبارك ... ...
٩٤	فرق لمكافحة الغناء المريض	الأستاذ سيد قطب ... ...
٩٦	دير مديان	الأستاذ صلاح الدين المنجد
٩٨	مرابى الفلاح	الأستاذ محمود الشرقاوى ...
٩٩	« اللورد روبرت بادن باول » الكشاف الأعظم العالمى ...	الأديب خميس زهرات ...
١٠٢	من وراء المنظار	الأستاذ محمود الخفيف ...
١٠٣	نهر النسيان ... [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٠٥	أربعة قتلى ، والخامس له الله	الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
١٠٨	العوائد	لأستاذ جليل ... ...
	بشر بن عوانة	. ...
١٠٩	حول العدد الممتاز من مجلة الحديث السورية	الأستاذ صلاح الدين المنجد
	إلى الدكتور زكى مبارك ...	الأديب إلياس سليمان بحوث
١٠٩	فتيات فى الأزهر	الأديب إبراهيم إبراهيم الحولى
	تصحيح	الأديب محمود عزى ... ...
١١٠	أسئلة	الأديب يوسف عمر أغا ...
	الجمعية العربية ببريطانيا ...	الأستاذ عبد العزيز الدورى
١١١	مكافأة رلف ... [قصة]	الأستاذ عبد اللطيف النشار

فى ســـــوق الوراقين

للأستاذ عباس محمود العقاد

راجت سوق الكتب القديمة بعض الرواج فى هذه الأيام كما راجت فى أيام الحرب الماضية ، لأن الوارد من كتب أوربا قليل ، ولأن طالب الكتاب الأوربى الجديد ينتظره طويلاً قبل أن يتلقاه فى البريد ، فإذا وجده مقروءاً قديماً فذلك خير من انتظاره جديداً بكراً بعد أشهر أو أسابيع ، ومن هنا تروج الكتب العربية القديمة التى ترد من أوربا أو التى طبعت فى هذه البلاد ، لأن الذى يبيع مكتبته عند إحساسه بارتفاع الأسعار يبيع منها الأفرنجى والعربى على السواء

وفى سوق الوراقين وباعة الكتب القديمة فلتات كثيرة من التاريخ ، وفلتات كثيرة من الأخلاق ، وفلتات كثيرة من العجائب : نسميها فلتات لأن المرء يجدها معروضة بين يديه دون أن يطلبها ، وقد تكون الفلتة منها أنفس وأولى بالاقتناء من البغية المطلوبة

أذكر أنى عثرت بكتاب لى عليه تعليقاتى وملاحظاتى بعد فقده بخمس وعشرين سنة ، ولو علم بائعه سره عندى لغالى بثمنه ، ولكنه أعطانيه وهو مفرط فيه مسرور بما نقدته من ثمن قليل بالقياس إلى رغبتى فيه ، كثير بالقياس إلى رغبة البائع فى تصريفه

وأذكر أني عثرت على عدة أجزاء من كتاب في إحدى المكتبات، ثم عثرت بعد حين على الناقص منه في مكتبة أخرى

وأخبرني بعض الإخوان أن كتاباً من مكتبة الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل التي بيعت في انجلترا وفاء ببعض الغرامات مازال يطوف الأرض حتى وصل في مصر إلى يد أديب من المعجبين بالفيلسوف العظيم، فاشتراه وأرسله إلى صاحبه وتلقى منه جواباً بالشكر والتحية لا يزال من أعز محفوظاته

وإلى جانب هذه العجائب والمصادفات عجائب أخرى من أخلاق الناس وولعهم بضروب الاقتناء والادخار

فهذه كتب جديدة قديمة معروضة للبيع بعد طول احتباسها على الرفوف، وهي جديدة لأنها غير مفضوضة ولا مقروءة، وقديمة لأنها اشتريت منذ عهد بعيد

لماذا اشتراها المشتري وهو لا يقرأها، ولعله لم يكن ينوي أن يقرأها؟... هنا العجب من بعض الأخلاق والعادات. فقد عرفت أناساً يغالون بشراء الكتب على قدر قدمها في الطبع وندرتها في الأسواق؛ وأناساً يبذلون في الكتاب من الثمن على قدر سعة الهامش وصلاح الكعب للتجليد!

ويحضرني هنا أن الأوربيين يصنعون من الخشب نماذج لها شكل الكتب من بعيد، يملأون بها الرفوف العالية من المكتبات ويشغلون الرفوف السفلى بالكتب الصحيحة التي تقتنى للمظهر لا للقراءة، لأن قصراً بغير مكتبة معابة في البلاد الأوربية، فلا غنى لبعض أصحاب القصور عندهم عن هذا التشبيه والتزييف

أما نحن فلم نرتفع بعد إلى هذه المرتبة!

لأن خلو القصور من المكتبات عندنا لا يعاب، فلا حرج على صاحب قصر أن تسأله عن مكتبة فلا تراها، وإن كان يتحرج من خلو القصر من الاسطبل... والقصر كله عن فيه وما فيه أحرى أن يحسب في الاسطبلات!

***

والمصادفة التي صادفتها اليوم في سوق الوراقين هي شيء من غير هذا القبيل: هي كتب الدكتور شبلي شميل مرصوصة كلها في رزمة واحدة، ومعها رواية له عن الحرب الماضية كنت أتوق إلى الاطلاع عليها ولا سيما بعد شبوب نيران هذه الحرب القائمة، فكانت مصادفة «ورّاقية» من أحسن المصادفات

نظرت إلى كتابه عن «فلسفة النشوء والارتقاء» — وهو الجزء الأول من مجموعته — فعادت بي الذاكرة ثلاثين سنة إلى يوم صدور هذا الكتاب النفيس

كان الدكتور شبلي شميل فقيراً كما ينبغي للأحرار الشرفاء من أمثاله في بلادنا الشرقية، وكان عسيراً عليه أن يطبع مجموعته بغير معونة من أصحاب الأريحية الغيورين على العلم والثقافة. فلما تبرع له المتبرعون بالمعونة الكافية طبع المجموعة في جزءين، وذكر أسماءهم جميعاً ومقدار ما تبرعوا به في ختام الجزء الثاني، وقدم الأسماء بهذه العبارة الصريحة الحكيمة: «أذكرها مجردة عن النواتيء مكتفياً بجمال الأعمال، وكم يجمل بالناس أن يتعودوا ذلك اختصاراً للوقت وانصرافاً للجد. وسيكون ذلك منهم متى غلب النظر إلى الجوهر على الاستمساك بالعرض في كل أعمالهم»

وجعل الدكتور ثمن المجموعة الواحدة جنيهاً مصرياً عدا أجرة البريد، وهو ثمن معتدل لنفاسة طبع الكتاب ونفاسة موضوعه، وقلة الراغبين في قراءة هذه الموضوعات

ولكن الجنيه ثمن مرهق للشاب الخالي من العمل، وكنت يومئذ خالياً من العمل مريضاً أستشفي ببلدتي أسوان وأشعر بما يشعر به المريض الخالي اليدين من تكاليف العلاج

فكتبت إلى الدكتور ما فحواه: «إني أعلم أنك تدعو إلى الاشتراكية الصالحة التي تتجنب الغلواء، ومعنى ذلك أنك تأبى على الأغنياء أن يحتكروا موارد المال، فما بالك الآن تريد أن يحتكروا موارد العلم والمال معاً، وهل تحسب أن أحداً من غير الأغنياء يقوى على شراء كتاب بجنيه؟»

فما هو إلا أن وصل الخطاب إلى الدكتور ووصلت الصحف اليومية إلى أسوان حتى قرأت فيها أن الدكتور شميلاً قد أهدى مائة نسخة من مجموعته إلى الأدباء والطلاب، ولم يمض يوم أو يومان حتى جاءني الجزء الأول ومعه خطاب منه يشبه الاعتذار لما فاته من ذكر هذه الحقيقة بغير تذكير، ويشبه الشكر على أنني قد نبهته إلى ما كان خليقاً أن يتنبه إليه!

هذه قصة عارضة تلخص مناقب هذا الرجل الحر الصريح الشريف أوفى تلخيص

فهو عالم يحب العلم والتعليم ، ويعمل بما يقول ، ويؤمن بالحجة المقنعة ولو كانت فيها خسارة عليه ، ثم يبادر إلى العمل بما يقتضيه ذلك الإيمان ، وليست مائة جنيه بالخسارة الهينة على رجل محدود الموارد كانوا يحاربونه في رزقه وفي طبه وفي مؤلفاته وإن كان كسب الألوف ميسوراً له لو أنه نسى أمانة العلم وانصرف إلى طلب الثراء من حيث يطلبه أصحاب الأقلام

أخذت المجموعة كلها من جديد ، وأخذت معها الرواية التي كنت أتوق إلى مطالعتها فإذا العجب فيها أعجب من هذه المصادفة ، لأنها نبوءة صدقت في الحرب الماضية قبل انتهائها بأكثر من ثلاث سنوات ، ولو نشرها ناشر على أنها مما يقال في الحرب الحاضرة لما احتاج في إعادة نشرها إلى تبديل كثير .

قال بلسان أحد أبطال الرواية وهو المدعى العام الذي يشرح تهمة الإمبراطور أمام المحكمة الدولية : « إنه لغريب جداً أن أمة كالأمة الألمانية حاصلة على قسط وافر من العلم تخضع خضوعاً أعمى لنظام إمبراطورية كنظامها عريق في الأثرة والاستبداد . وأغرب من ذلك دعواها وهي في رق هذا الحكم أنها ذات (كلتور) يجعل تربيتها أرقى من تربية سائر الأمم العريقة في الحضارة . ونحن مع اعترافنا بأنها بلغت شأواً بعيداً في العلم والصناعة ونالت امتيازات جمة على سواها لا يجوز لنا أن نجهل أن هذا الكلتور الذي تفاخر به يجعلها عبدة لنظام حكومة يديرها فرد أو أفراد غير مسئولين حقيقة . وقط ما كان العبد أرقى من الحر . وإذا كان في علمها وعملها شيء كثير من الإتقان فإنك قلما تجد فيهما شيئاً من الابتكار ، لأن العبد إذا كان أصبر على العمل فالابتكار من امتيازات الحر وحده . وإذا كنا نراها تتعمد الشر كثيراً لسواها وتستخدم علمها لهذه الغاية خلافاً للآخرين فلأن ذلك من أخلاق العبيد . ولولا أن تكون هذه الأخلاق غريزية في هذه الأمة لما مالأت إمبراطورها على جنايته الكبرى مع ما هي عليه من العلم ، ولأدركت حينئذ أن الأمم التي قامت لتذلها وسعت لتبديدها لكي تحل محلها إنما هي أعضاء نافعة في جسم العمران ، بل لعرفت أن نجاحها هي نفسها لا يتم لها بدون التعاون معها ... »

إلى أن قال وما أشبه الليلة بالبارحة : « وليس الملام على الأمة الألمانية المتضامنة مع حكومتها في السراء والضراء مهما أساءت فهم مصلحتها بقدر الملام على مجموع الهيئة الاجتماعية التي يجب عليها أن تكون هي نفسها متضامنة لدفع الشر عنها وتوفير المصلحة لها عموماً ، وهذا انحطاط في هذه الأمم وحكوماتها يخجل منه اليوم . فعوضاً من أن تهب جميعها هبة واحدة لنصر المجتمع والقبض على الجاني تركته يسرح ويمرح ويعيث في الأرض فساداً ، وادعت الحياد كأن لا ناقة لها في ذلك ولا جمل ، وزعمت أنها تستفيد من ممالأته ، فشرعت تنصره في السر وهي تدعى العزلة في الجهر ، وهو لو أتيح له النصر لما كان حظها منه إلا الإذلال ؛ وكيف يكون غير ذلك وحظ حلفائه منه ليس أفضل ... أنظروا إلى حليفتيه العظيمتين النمسا وتركيا كيف أنه قبض عليهما بيد من حديد واستخدمهما لمصلحته دون مراعاة أقل مصلحة لهما ، حتى لو أرادتا الانفصال اليوم عنه لما استطاعتا ، كأنهما جزء من مملكته أو مستعمرة من مستعمراته »

وانتهى تأليف الرواية في نهاية شهر يونية سنة ١٩١٥ قبل انتهاء الحرب الماضية بأكثر من ثلاث سنوات ، وقبل ظهور الهزيمة في صفوف الألمان بعهد بعيد ، بل انتهت وهم منتصرون متقدمون ، فإذا به يجزم بهزيمتهم ويصدق النبوءة حين يقول في لهجة الثقة واليقين :

« قد يستغرب القارئ — وقد أنهيتها بهذه الصورة — مع أن الألمان حتى الآن في انتصار . ولكن من يتدبر الأمور بعين الناقد البصير يعلم أن الألمان من بعد فشلهم في حملتهم على باريس لم يعد يرجى لهم تحقيق حلم ، وما انتصاراتهم الجزئية اليوم إلا تطويل لأجل الحرب . ولذلك هم اليوم يتخبطون ويبذلون آخر ما عندهم من الجهد عسى أن يحرزوا من النصر ما يحمل الآخرين جميعاً أو فرادى لعقد صلح لا يغبنون فيه ولا يثلم مقام امبراطورهم لدى أمته التي جر عليها كل هذه المصائب على غير جدوى أو بخسائر لا تعوض . لأنه يستحيل اليوم أن يرجع العالم ويثق بهم ويخلص لهم ويفتح أبوابه لمتاجرهم ويحسن الظن بعلمهم وعلمائهم كما كان في الماضي . فهم في هذه الحرب خاسرون كل شيء : المقام الأدبي والمركز الاقتصادي التجاري ... وانتصار الألمان على الروس اليوم وحفظ مراكزهم في الأماكن

أخلاق القرآن

العفو

للدكتور عبد الوهاب عزام

العفو خلق يسمو بصاحبه عن الانتقام ، ويكبر به عن المجازاة ، ويتعالى عن أن يلق الشر بالشر ويجزى السيئة بالسيئة . العفو خلة تؤثر الرحمة على العقاب ، وتحل المودة محل العداوة ، والوئام محل الخصام . ترى الرجل يؤذى فى نفسه أو ماله فإذا قدر على خصمه استكبر أن ينزل إليه فيأخذه بجريرته ، وآثر أن يغفر ويرحم ، ووجد فى هذا الإحسان من العزة والعظمة والطمأنينة ما لا يجد فى الانتقام ، ولقاء الجناية بجزائها

وإنما العفو عند القدرة . فليس الذى يصبر على الضيم ، ويخنع للقوة ، ويستسلم للظالم عفوا ، ولكن خائفاً ذليلاً . رحم الله أبا الطيب الذى يقول :

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام

وقد قال تعالى فى وصف المؤمنين : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . وقال بعض المفسرين : « كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا »

وعظماء الناس يؤثرون العفو ما لم يجدوا فيه مفسدة لأمر من أمور الدين أو الدنيا . وقد عرف بذلك كثير من ملوك المسلمين ولا سيما الخليفة المأمون العباسى . ورويت فى العفو عند المقدرة أخبار تنبئ عما يملك قلب الرجل العظيم من الحلم والعفو فى الخطوب الجسام . كما أُثِر من استعطاف المؤمنين فى مقام العقاب ما يذهب بالحفيظة ، ويوجب المغفرة

كانوا يرون العفو وسيلة إلى استصلاح النفوس وإزالة الأحقاد ، وإحلال الوئام محل الخصام فيؤثرونه على الانتقام

قال خالد بن الوليد لسليمان بن عبدالملك : « إن القدرة تذهب الحفيظة ، وقد جل قدرك عن العقاب ونحن مقرون بالذنب . فإن تعف فأهل للعفو ، وإن تعاقب فبما كان منا »

وقال رجل لبعض الأمراء : « أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا نظرت فى أمرى نظر مَن بُرْئى أحبُّ إليه من سقمى ، وبراءتى أحب إليه من جُرمى »

وقال بعضهم : إن عاقبت جازيت ، وإن عفوت أحسنت ، والعفو أقرب للتقوى

والقرآن الكريم يحث على هذا الخلق الكريم ويهدى الناس إلى هذه الخلة التى تلق جهل الجاهل بحلم العفو ، وشر المسىء بخير المحسن

سمى الله تعالى نفسه العفوَّ ، قال : فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوًّا غفورا ؛ وفى آية أخرى : وهو الذى يقبل

التى احتلوها فى الغرب لا يستغربان لمن يعلم أنهم منذ أكثر من نصف قرن ولا سيما فى عهد امبراطورهم الحالى يستعدون لهذه الحرب ويعدون لها العدة . بخلاف خصومهم فقد ثبت أنهم من قلة حذرهم منها وفراغهم من العدة لم يكونوا ينوونها ...

فإذا كان الألمان حتى الآن أقوياء أشداء فذلك طبيعى ، وهم ما خاضوا غمار هذه الحرب إلا وكانوا على أتم الأهبة لها . لكن إذا كان الألمان وهم فى منتهى قوتهم لم يتمكنوا من تحقيق حلمهم ، وخصومهم فى غفلة غير مستعدين ، فهل يرجى ذلك لهم بعد سنة وهم فى تناقص وخصومهم فى تزايد ؟ هذا أمر لا يقبله العقل ، ولا سيما إذا رأينا ما تؤول إليه حالهم بحصر البحار ... ولهذا كله نرجع ونكرر القول أن انتصارات الألمان اليوم ليست إلا تطويلاً لأمد الحرب وأن مصيرهم فى الآخر إلى الفشل التام »

صدق الدكتور وأصاب فى ذلك الزمان ، وكذب الأغبياء وأخطأوا فى كل زمان . ولقد ذكر الأوربيون لحكمائهم أمثال هذه النبوءات النافذة والنظرات الثاقبة ولم تذكر هذه النظرة للدكتور شميل بين قراء العربية الذين هم أحوج إلى التذكر والاعتبار

فإذا كان صواباً قول بعض الأدباء المازحين للدكتور : « إنك يا صاح نكبة على الناس ، لأنك تخالفهم فى كل ما يقولون » ... فأصوب منه جواب الدكتور على تلك التحية الجافية حيث قال : « إن كنت أنا نكبة على الناس لأنى أخالفهم فكم نكبة أعانيها وحدى من أولئك الناس وأنا واحد وهم ألوف ؟ » .

عباس محمود العقاد

التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ؛ وقال أيضاً : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ؛ وقال : إن تبـدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء ، فإن الله كان عفوًّا قديرا .

وقد أمر الله سبحانه الناس بالعفو فقال للرسول صلوات الله عليه : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ؛ ويقول : فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر . ونهى أن يعاقب المسىء بحرمانه من الصدقة والبر فقال : ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لـكم ؟ والله غفور رحيم

وأجاز القرآن المجازاة بالعدل ولـكن جعل العفو أقرب للخير فقال : « وأن تعفوا أقرب للتقوى . » كما قال فى وصف المؤمنين : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور . »

وقد أشاد القرآن بالعافين عن الناس ، وبين عظم جزائهم فى قوله : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والـكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

وكانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عملاً بأمر القرآن وتأدبا بآدابه . قال رسول الله : « أمرنى ربى أن أصل من قطعنى وأعفو عمن ظلمنى . »

فانظر إليه يوم فتح مكة والجزيرة العربية فى سلطانه ، وصناديد قريش طوع أمره ، وقد لقى ما لقى منهم أكثر من عشرين عاماً وفى كل بقعة من مكة والمدينة ذكرى ما لقى من ظلم وعدوان وأذى ، وفى كل جماعة من قريش رجال قد قسوا عليه وعلى أصحابه ونالوا منه ومن دينه ، وصدوا عن دعوته جهد طاقتهم . فما مد إليهم يوم الفتح والقدرة يداً بعقاب ، ولا جازاهم بما فعلوا ولا بأقل مما فعلوا ، بل عفا عنهم عفواً عاماً شاملاً وكان أكبر أعدائه أعظمهم نصيباً من عفوه ورحمته . قال : يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . وفر صفوان بن أمية أعدى أعدائه خوفاً من ذنبه ويأساً من العفو ، فأرسل وراءه النبى من يؤمنه وأعطاه عمامته أمارة الأمان . فلما طلب منه أن يجعل له الخيار شهرين ليدخل فيما دخل فيه الناس أو يهاجر قال : أنت بالخيار أربعة أشهر

ولما اجتمعت عليه قبائل هوازن بعد الفتح وأرادت أن تؤلب عليه القبائل وترد فتح مكة هزيمة خرج الرسول لحربها وكانت واقعة حنين التى لقى فيها المسلمون ما لقوا من الهزيمة أول الأمر ثم وثب الرسول وانحاز إليه أنجاد أصحابه حتى أنزل الله سكينته ونصره . فلما ظفر بالقوم وقد عظمت جنايتهم ، جزاهم بالإساءة إحساناً وبالذنب عفواً . يقول الطبرى :

أتى وفد هوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا يا رسول الله إنما أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك ، فامتنّ علينا منّ الله عليك . فقام رجل من هوازن ... فقال : يا رسول الله إنما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كنّ يكفلنك (يعنى أنهم قوم حليمة مرضعة الرسول)

أمنن علينا رسول الله فى كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر

فقال رسول الله : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالـكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؛ بل تردّ علينا نساءنا وأبناءنا فهم أحب إلينا . فقال : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لـكم . فإذا أنا صلّيت بالناس فقولوا إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لـكم

فلما صلى بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به . فقال رسول الله : « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لـكم » وقال المهاجرون : « وما كان لنا فهو لرسول الله » ؛ وقالت الأنصار : « وما كان لنا فهو لرسول الله » . وقال الرسول :

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

أدباء مصر الجنوبية — الفقاد المفقود ! — أين متحف وزارة المعارف ؟ — جريمة السكمان فى نظر الجنية الحسناء

أدباء مصر الجنوبية

مصر الجنوبية هى السودان ، وهو تعبير جميل ، وزيده جمالاً أنه لم يصدر أول مرة إلا عن أدباء تلك البلاد

والحق أننا فرطنا فى حق السودان كل التفريط من الوجهة الأدبية ، وإن لم نغفُل عنه من الوجهة السياسية . ولو أننا بذلنا فى خدمة السودان أدبياً معشار ما بذلنا فى خدمته سياسياً لوصلنا إلى نتائج باهرة فى توحيد القلوب بين من يقيمون هنا ومن يقيمون هناك ، ولكننا تركنا أمر السودان للساسة ، والساسة عندنا لا يفكرون كثيراً فى الوسائل التى تجعل تعاطف سكان وادى النيل أمراً طبيعياً لا يحتاج إلى تعب أو نضال

ومن العجيب أن يفكر السودان فينا قبل أن نفكر فيه ، فهو يهتم بأخبارنا ، ويساير حياتنا الأدبية والاجتماعية والسياسية ، ويرى من الواجب أن يتعرف إلينا فى كل وقت ، فأين نحن من هذه الشمائل الروائع ؟

أين الباحث الذى فكر فى قضاء شهر أو شهرين فى السودان لدرس ما هنالك من تطور الآداب والفنون والأذواق ؟

« أما من تمسك بحقه من هذا السبى منكم فله بكل إنسان ست فرائض من أول شىء نصيبه . فرُدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم »

ذلكم مثل من أمثال تُبين عن خلق رسول الله ، وهو الخلق العظيم الذى أوحاه إليه القرآن ، وإنما تتجلى عظمة العظيم بالعفو حين القدرة ، والترفع عن الاقتصاص بالذنوب

وذلكم تأديب القرآن أمةَ القرآن ، وتعليم رسول الله عباد الله . وإنما يريد القرآن أن يكون المسلمون أكبر من أن يُذلّوا إذا غُلبوا ، وأعظم من أن ينتقموا إذا قدروا .

عبد الوهاب عزام

أين الشاعر الذى رأى من واجبه نحو وطنه أن يستلهم الوحى من منابع النيل ؟

أين المؤلف الذى خاطر بجزء من وقته وماله ليخرج كتاباً عن السودان ، وهو اليوم فى يقظة أدبية تستحق التسجيل ؟ (مع عرفان الفضل للباحثين داود بركات وعبد الله حسين)

ولنفرض جدلاً أن السودان لا يرتبط بمصر من الوجهة القومية أو السياسية ، فكيف يغيب عنا أن السودان قطر أصيل فى العروبة ، وأن أهله من النماذج الجيدة لأدب النفس وشرف الوجدان ، ومَن كانوا كذلك فهم جديرون بعناية الباحثين والمفكرين من كتاب وشعراء !

الفطرة السليمة لا تزال من حظ أهل السودان . ولو أن معالى الدكتور هيكل باشا كان أقام بينهم مدة أطول من المدة التى أثمرت كتابه الطريف « عشرة أيام فى السودان » لظفر بمحصول نفيس فى تقييد الأوابد من مكارم الأخلاق

أقول هذا صادقاً ، فما أذكر أبداً أننى رأيت ما أكره فيمن عرفت من السودانيين ، فالسودانى مفطور على طيبة القلب ، وهو يرى نكران الجميل من أفظع العيوب ، وله بوارق من الذكاء تؤهله لاحتلال الصف الأول بين رجال الفكر إذا ظفر بالتوجيه الرشيد .

فتى نعرف واجبنا نحو أدباء مصر الجنوبية ؟

ومتى نفهم أن الأُخوة لها حقوق ؟

أما بعد ، فأنا أتأهب لكتابة سلسلة من المقالات عن الأدب الحديث فى السودان ، ولكن المصادر بعيدة منى ، إلا شذرات قليلة قدمها إلىّ أحد أعضاء النادى السودانى بالقاهرة ، وهى شذرات لا تحقق ما أريد ، فاذا أصنع ؟

كنت أتمنى أن تتاح فرصة لزيارة السودان والوقوف على أخبار الحياة الأدبية هناك لأحدث قراء « الرسالة » فى جميع الأقطار العربية عن إخوان مجهولين حفظوا عهد العروبة والإسلام فى بلد جميل ، يغفُل عن جماله أكثر العرب والمسلمين

كنت أتمنى أن أرى السودان ، ولو فى وقدة الصيف ، لأقول لإخوانى هناك : إن مصر لا تنساكم ، ولن تنساكم ، ولو ضُرب بينها وبينكم ألف حجاب

فمتى أرى السودان ؟ متى ؟ متى ؟

سأسارع فأراه فى وجوه شعرائه وكتابه وخطبائه فى حدود ما أصل إليه من آثارهم الأدبية ، إلى أن يمنّ الله بزيارة أشرب فيها ماء النيل ممزوجاً بالطين ، كما شربت ماء الفرات ممزوجاً بالطين ، لأقول : إنى ذقت رحيق النيل كما ذقت رحيق الفرات .

متى أشرب أول كوب من النيل وأنا بنادى المعلمين فى الخرطوم ، كما شربت أول كوب من دجلة وأنا بنادى المعلمين فى بغداد ؟

لن أنسى أبداً كيف ذقت ماء دجلة أول مرة ، ولن أنسى أبداً كيف رحلت إلى « الفلوجة » لأذوق ماء الفرات فى طعمه الأصيل قبل أن ترفع عنه الأقذاء

اللقاء قريب ، يا إخوانى فى السودان ، فسأتحدث عن أدبكم بعد أسابيع ، على شرط أن تذكروا أن الخطأ يغلب فى الحكم على المجهول ، وقد قضت الأقدار بأن تكون أحكامى على أدبكم منقولة عن السماع ، وهو يخطىء أكثر مما يصيب

أما وفاؤكم لمصر ، فلن يجزيكم عنه قلمى ، وإنما يجزيكم عنه من شاءت إرادته العالية أن تكونوا مضرب الأمثال فى الصدق والمروءة والإخلاص

العقاد الحقود

فى صبيحة اليوم الذى ظهر فيه مقالى عن نقد كتاب « المطالعات فى الأدب والحياة » ، طلبنى الأستاذ عباس العقاد بالتليفون وأنبأنى أن صدره انشرح لذلك المقال ، وأنه موافق على ما ورد فيه من الملاحظات ، إلا عبارة واحدة آذته أشد الإيذاء وهى العبارة التى تسجل أنه رجل « حقود » ؛ فأجبته بأنى نظرت إلى الحقد من بعض جوانبه الأخلاقية ؛ ثم وجهته توجيهاً يرضيه رجال الأخلاق ، وأضفت نفسى إلى جملة الحاقدين لنكون سواء فى التخلق بهذا الخلق الجميل ! مع الاعتذار لحضرة الأستاذ نجيب هاشم الذى ساءه أن يكون لى بين أهل الحقد مكان

وهل ينكر العقاد أنه رجل حقود ؟

إليكم القصة الآتية :

فى مصر شاعر « مشهور » هو الدكتور أحمد عارف الودينى المقيم بشارع المعجم فى مصر الجديدة [1] ، وهو شاعر قصر شعره على الإخوانيات ، فلا يقرض الشعر إلا فى تحية صديق ، أو تهنئة زميل ، وقد تسمو به همته إلى مجاملة الأمراء والملوك فى المواسم والأعياد

لقيته مرة فى « الترو » بصحبة الأستاذ العقاد ، فسألنى عن الرأى فى شعره ، فقلت : أنت يا دكتور ودينى أشعر رجل فى مصر بعد الأستاذ الجارم ! فظهرت عليه أمارات الاكتئاب ، ولكن الأستاذ العقاد تلطف فصرح بأنه أشعر من الجارم فى بعض الفنون !

ومضى الدكتور الودينى إلى الجارم بك فحدثه بما قلت وبما قال العقاد ؛ فأعلن الجارم أن الرأى ما رأى العقاد ! ثم لقينى الدكتور الودينى بعد أشهر وهو يقول :

— هل تعرف كيف ناقضك العقاد ؟

— وكيف ناقضنى العقاد ؟

— العقاد يرى أننى شاعر العرب

— أنت شاعر العرب ؟ أنت ؟

— وبشهادة العقاد !

— وكيف والعقاد يرى نفسه أمير الشعراء ؟

— هو أمير الشعراء ، وأنا إمام الشعراء ، والأمير يأتمّ بالإمام ، كما قال الجارم الصنّاج

— هذا جائز ، ولكن ما الدليل على أن العقاد يعدُّك شاعر العرب ؟

— كتب إلىّ خطاباً يقول فيه :

« إلى المفرد العَلَم ، صاحب الإنبيق والقلم ، شاعر العرب فى شارع المعجم ؛ عزيزى ونور عينى ، الدكتور عارف الودينى »

— وهل ترى أن العقاد مدحك بهذا القول ؟

— تلك غاية المدح !

— وهل ترى أن العقاد صنع معك أجمل مما صنعتُ ؟

— بالتأكيد !

— إسمع ، يا دكتور ، أنا جعلتك أشعر الناس فى مصر بعد الجارم ، والعقاد جعلك شاعر العرب فى شارع المعجم

— وما العيب فى ذلك ؟

(١) سنعرف قيمة النص على اسم الشارع بعد لحظات

— العيبُ أنه جعلك أشعر من الأستاذ أمين الخولى ولم يزد، والخولى جارك !

وعندئذ تربّد وجه الدكتور الودبنى وقال : يظهر أن العقاد رجلٌ حقود !

والحق أن العقاد حقودٌ حقود، وإلا فكيف جاز أن يجعل الدكتور الودبنى شاعر العرب فى شارع المعجم، فقط، مع أنه شاعر العرب بعد الجارم !

والحق أيضاً أن الخطأ لم يقع إلا منى، فالدكتور الودبنى كان استراح إلى ذلك اللقب الظريف وعدّه تلطفاً من الأستاذ العقاد، والعقاد يلاطف أصدقاءه فى أكثر الأحايين، ولكنه فى هذه المرة يسىء مع سبق الإصرار ؛ فقد غاظه أن تتسع آفاق الشاعرية « الودبنية » بحيث يكون صاحبها أشعر الناس بعد الجارم، والشعراء يحقد بعضهم على بعض !

وعزاءٌ للودبنى، فلن يكون إلا شاعر العرب فى شارع المعجم، بفضل ما فى هذه العبارة الظريفة من عذوبة الطِّباق والجِناس .

أين متحف وزارة المعارف ؟

عرف قراء الرسالة خبر الخطاب الذى تلقيته وأنا فى باريس من الدكتور طه حسين، الخطاب الذى قال فيه « أحمد الله إليك » وهى العبارة التى عدّها من المخترعات، وصار يبدئ ويعيد بأنى تعودت الافتراء عليه ؛ ثم ظهر أن الخطاب صحيح بشهادة كاتبه الأمين « توفيق »، وقد رجوت الدكتور طه أن يشترى منى ذلك الخطاب قبل أن أبيعه لمتحف وزارة المعارف، ولكنه لاذ بالصمت البليغ

أتركُ الدكتور طه لشأنه، فقلبى يحدثنى بأنه رجلٌ لا يحفظ العهد، وأنتقل إلى الأستاذ مصطفى أمين المفتش المساعد لكبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف

عندى ذخيرة للبيع، ذخيرة أدبية ولكن أين المشترى ؟ وأين من يعرف حاجتى إلى المال وقد شاع وذاع أنى من الأغنياء ؟

عندى كتاب لا يصلُح للاقتناء من حيث هو كتاب، فى مكتبتى منه نسختان، وإنما يصلح للاقتناء حين يتبرأ منه من أُهدِىَ إليه، وهو صديق « أمين » !

هذا الكتاب هو « تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى » للمرحوم الشيخ احمد الاسكندرى وعليه إهداء بإمضاء المؤلف « إلى حضرة صديقه الفضال مصطفى أمين » وبتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩١٣

فأى أثر أعظم وأشرف من كتاب يهديه الشيخ أحمد الأُسكندرى إلى صديقه الأُستاذ مصطفى أمين فى مثل ذلك العهد البعيد، يوم كان الناس يعرفون قيمة الوداد ؟ !

أين نحن من سنة ١٩١٣ ؟

وهل هان كتاب الشيخ الأُسكندرى وكان من المراجع التى اعتمد عليها مؤلف « ذكرى أبى العلاء » ؟

هو كتابٌ وجدته عند أحد البقالين بمصر الجديدة وقد اشتريته بنصف درهم، فأين من يشترى منى هـدية أحمد الأُسكندرى إلى مصطفى أمين ؟

وأين متحف وزارة المعارف لأُقدم إليه تلك التحفة السنية ؟ أين لا أين ؟ !

جريمة الكتمان فى نظر الجنية الحسناء

لم يكن الكتمان جريمة قبل أن أُسرف على نفسى بالكلمة التى نشرتها فى « الرسالة » عن الجرائم الأُدبية، وكنت نسيت تلك الكلمة، فلم يذكّرنى بها غير اللام الذى عانيتُه من الجنّية التى كانت ترى أن أعلم الغيب فأعرف لأى سبب قضت أيام الصيف فى الصعيد، الجنية الرخيمة الصوت التى تُزلزل وجودى حين تباغمنى الحديث من وراء حجاب، الجنية التى تقرأ الأشعار والمقالات والأُقاصيص وتزعم أنى أسرق أفكارها المبتكرة فى كل ما أحدث به قرائى من ألوان الجد والفتون، والتى تهدد برفع أمرى إلى القضاء إن عدت إلى انتهاب ما تُيسرٌ إلى أذنى أو عينىّ من معانى وآراء(١)

من الذى يهدّد، يا شقية، أنا أم أنتِ ؟

ومن السارق والناهب ؟ أنا أم أنتِ ؟

أتحداك فى السر والعلانية أن تمضى خطوة واحدة فى تنفيذ ذلك التهديد، فإن فعلتِ فسوف ترين كيف أقتلع جميع الأشجار

(١) لا أرى إعلال كلمة « معانى » فى حال الخفض، لأنها تجر بالفتحة والفتحة لخفتها بقيت فى حال النصب فلا موجب لحذفها فى حال الخفض

والأزهار من الجيزة الفيحاء ، وكيف أصيّرها أقفر من الفؤاد الذى جازه غيث الحب فأمسى وهو يَباب

ومن أنتِ حتى أسرق منكِ ؟ هل كنتِ إلا طيفاً شفافاً يحاور روحى وهو معتصم بأجواز السماء ؟ هل كنتِ إلا روحاً يتمثل فى صوت رنان حنان نُقِل من وادى الخلود إلى وادى الفناء ، إن جاز القول بأنك من أهل دنيانا الفانية ؟

من أنتِ حتى أسرقُ منك ، ومن دمِي المسفوح على سنان القلم خُلِق روحك الظَّلوم ؟ أنا أسرق منكِ وما كان ذكاؤك الوهّاج إلا شرارة طارت عن فؤادى ؟ ويطيب لك أن تحتجبي عنى لتصح دعواك فى التأبى والتمنع . فهلا نطقت بقولة الحق فاعترفت بالخوف من المصير المحتوم لمن يواجه الدب العاصف ؟

حماك الله من روحى ، يا شقية ، وكتب لك السلامة من غزوات قلمى !

ثم تعالَىْ إلى كلمة سواء :

لقد هدّدتِ بالقطيعة الباغية إن لم أكتب « الصفحتين المزقتين من جديد ، الصفحتين المظلومتين بسبب التخوف من الأكاذيب والأراجيف

فمن يردّ عنى عدوان أبناء الزمان ، إذا خرجت على شريعة الكتمان ؟

أنت يا طفلتى جاهلة جهلاء ، ولو كنت تعرفين من خلائق أهل العصر بعض ما أعرف لعز عليك أن تمدى الكتمان من الذنوب

أهل العصر ، يا طفلتى الغالية ، لا يسرهم أن يَنْبُغَ فيهم كاتب بليغ إلا أن يكون بوقة ضجّاجة تهتف بما يرتاحون إليه من الإفك والرياء

الكاتب ، يا طفلتى الغالية ، قد يستبيح ما لا يباح من النقد الجرىء ، وبعض أهل العصر يفهمون جيداً أن منازلهم الأدبية لم تكن إلا ضرباً من المتاع المسروق ، فهم يتصورون الناقد فى شبح رجل يقدم عنهم بلاغاً للنيابة العمومية !

ومن أجل هذا يحرص قوم على إفهام الجمهور أن الرجل لا تكون له إلا شخصية واحدة ، فهو موظف فقط ، أو كاتب فقط ، وليس من حقه أن يكون موظفاً بالنهار وكاتباً بالليل ، وكيف يحق له ذلك وهو بَشرٌ مثلهم خُلقَ للوظيفة بالنهار ، ولمنادمة السخفاء بالليل ؟ !

الكاتب ، يا طفلتى ، رجل مهدد فى كل وقت ، لأنه من عنصر غريب لا يرتاح إليه المجتمع ، إلا أن يكون من أهل البراعة فى خل المجتمع ؟ وذلك خلق لم أفكر فيه ، ولا يسرنى أن أصير إليه ، لأنى أمقت الفناء فى أقوام كل محصولهم من الشرف أن يقال إنهم يبغضون الاستعباد ، وكنت أرجو أن يكون قرائى ملوكا يسيطرون على جميع الممالك والشعوب ، فعزة الكاتب من عزة القارئ ، ولا يستريح إلى السامع الذليل إلا المحدث الذليل

وقد أنفقت من شباب القلم ما أنفقت فى خلق جيل يفهم عنى ما أريد ، ثم كانت فجيعتى فيك يا شقية ، فأنت تريدين أن أخضع للجمال ، وأنا لا أعرف إلا خيلاء السيطرة على الجمال ، والرجال قوامون على النساء ، ولو كره المتظرفون من أبناء الجيل الجديد !

وأنا مع هذا شديد الرغبة فى الخضوع لإرادتك السامية ، كما يتطامن الصائد فى أصول الأدغال ، فاذا تريدين أن أقول ؟ هل تريدين أن أكتب الصفحتين المزقتين من جديد ؟

أنا عند ما تريدين لتكونى بإذن الهوى عند ما أريد ؟

وإلى قلبك البكر أسوق الحديث فى غير هذا الحديث

زكى مبارك

الرسالة فى سنتها التاسعة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا بدأوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك .

فرق لمكافحة الغناء المريض

للأستاذ سيد قطب

إذا صح ذلك الصدى الذى استرجعته لكلمتى فى العدد الأسبق من « الرسالة » عن « الذوق الفنى ونهر الجنون » من إخوان لى فى الفكرة لم أعرفهم من قبل ، كان عدد الذين « لم يشربوا من النهر » أكثر كثيراً مما قدرت ، وكان عجيباً أن يضيموا هكذا فى غمار الشاربين المخمورين !

وإنهم ليفضون إلىّ بأسباب غريبة لصمتهم عن الجهر بآرائهم ، أسباب لم تصادفنى مرة واحدة ، ولو صادفتنى لعرفت كيف أثور عليها وكيف أحطم شباكها ، ولكان مجرد اصطدامى بها حافزاً للثورة المحطمة لا للسكون الكظيم

إنهم يشكون نفوذ بعض المشتغلين والمشتغلات بالغناء المريض فى مصر ، هذا النفوذ الذى يعوّق المقالات فى إدارات الصحف فلا تنشر إذا كان فيها تصحيح لطريقتهم فى الموسيقى والغناء ، ويحبس الأغانى والألحان فى محطة الإذاعة فلا تذاع ، إذا كان فيها كشف للضعف وتأثير فى الشهرة ، وفرصة للموازنة بين المشهورين وغير المشهورين ... هذا النفوذ الذى يشتريه بعض المشهورين والمشهورات بالمال والشفاعات تارة ، وبجاه المعجبين بهم الشاربين من النهر معهم من أصحاب السلطان والمرشحين للسلطان تارة !

ولست أدرى مدى هذه الشكايات من الصحة ، ولكن تواترها على ألسنة لا مصلحة لها فى الادعاء ، وبسط حوادث معينة فى صحف « محترمة ! » معينة . كل هذا جعلنى أوجس شراً ، خشية أن تقبر هذه الكلمة التى يخطها قلمى فلا تبصر النور ، وأن تصدها الشفاعات والدسائس عن الظهور !

وعلى الرغم من ثقتى بالرسالة التى أوسعت صدرها غير مرة لنقد عظماء الفكر فى الشرق والغرب ، فأنا أرجو أن تعذرنى فى هذا التوجس ، فإن الحوادث التى سمعت عنها تشير إلى خطة منظمة يتوسل إليها بعض المشهورين والمشهورات بكل وسيلة مهما كلفتهم من جهد وتضحية ، لكتم النقد وإذاعة الثناء ، وقبر كل نبوغ يبزغ ، ويهدد شهرتهم بين الغوغاء

وحين يصح هذا يكون جناية على الفن والذوق والخلق ، وعلى كل إحساس رفيع فى الأمة وكل شعور كريم ، جناية تجب مكافحتها ، وأننى لأهب هذا القلم لهذا الكفاح وأعلم أن الحواجز والسدود التى يشكو منها الشاكون لن تحول دون هذا القلم حين يريد

إننا لن نشتم هؤلاء الناس الذين يسحقون روح الشعب فى كل أغنية ، ويهدون عزيمته فى كل لحن ؛ ولن نوجه إليهم فاحش اللفظ ولا هجر القول ، ولا شأن لنا بأشخاصهم ، ولكننا ننتقد طريقتهم ، ونندد بآثارها المقيتة فى النفوس . وما دام الأمر كذلك فسنجد لهذا القلم مجالاً غير محدود ، على الرغم من كل الحواجز والسدود ، ولن يكون هؤلاء المشتغلون والمشتغلات بالغناء الزائف المريض بأعز من عظماء الفكر الذين تناولهم النقد فى أبعد الحدود

والأمم تنشئ الفرق لمكافحة المرض حين ينتشر الوباء ، ولمكافحة الذهب حتى يصب الحم على الأبرياء ، ولمكافحة المخدرات حين تهدد سلامة البلاد ... فمن واجب مصر أن تنشئ الفرق لمكافحة الغناء المريض الذى يسحق كبرياءها ، ويحطم رجولتها وأنوثتها ، ويثير أحط غرائزها ، ويخدر أعصابها كالمخدرات

وما أمزح أو أتهكم ! فأنا أقترح جاداً إنشاء هذه الفرق ، من كل ساخط على هذا الترنيم الوجيع ، مشمئز من هذا التكسر الخليع . وهذه الفرق تستطيع الشىء الكثير : تستطيع بث الدعوة ، وضرب الشل ، ومقاومة كل نفوذ مجارى يبذل فى إدارات الصحف ومحطة الإذاعة ... وتستطيع تتبع هذه الأنغام بالتجريح والتهجين فى كل مجتمع وناد ، مع تصحيح الأفهام وتقويم الإحساس

ولست أبالغ حين أنهى إلى وزارة الشئون الاجتماعية وإلى وزارة الدفاع أن هذه الأغانى تعوق جهودهما فى انتشال المجتمع المصرى وتقويمه ، وفى بث روح الحماسة وتقويتها ، فشبان البلد وشوابها مشغولون ومشغولات بالمأتم الدائم فى كل مذياع ، الحافل بالنائحين والنائحات ، وبالدموع الرخيصة

المتصنمة ، وبالدغدغات الخليعة المتكسرة فى الألحان والأغنيات

وحين نكافح « الطابور الخامس » يجب أن نحسب حساب « الغناء المريض » ويجب أن نسكت هذه الدغدغة وهذا التميع وتلك المخدرات المتسربة إلى الضمائر الهامسة فى الأخلاد

وما كان لأى « طابور خامس » أن يؤثر ما تؤثر هذه الأغانى — حتى الأناشيد الوطنية والحماسية التى خرجت أشبه بالمناحة مرة ، وبالنشيج المترنح مرة — إذا استثنينا « نشيد الجامعة » لأم كلثوم

لم تبق عاطفة إنسانية نبيلة لم يشوهها هذا الغناء ، ولم يبق شعور وجدانى كريم لم يفسد طبيعته

فالحب مثار الحيوية فى النفوس ، ومبعث القوة فى الوجود . هذا الحب الذى تدخره الحياة لأبنائها ، لتبيحه لهم فى أفضل ساعاتهم وأملئها بالفيض الروحانى ، والتفتح العقلى ، والنضوج الجسمى ، وتعبر به عن أقصى غبطتها بهم ورضاها عنهم ، وتدل به على صلاحيتهم لها وأدائهم لحقوقها . هذا الحب الذى هو « جواز المرور » من حمله من الأحياء أباحت له الحياة خدرها وأعز مكنوناتها (كما يقول العقاد) . هذا الحب الذى يفجر فى الإنسان كل منابع السمو والعطف والمرح والاستعلاء كما يفجر فى الحيوان — فى سورة الغريزة — كل منابع النضج والقوة والازدهار

هذا الحب كله عاد فى ذلك الغناء رجع الصدى الهزيل للغريزة المضموفة ، وصوت الأسى الذليل للحيوانية المريضة ، ودمعة الضعف الكسير للرغبة العاجزة

والألم أنفس الأحاسيس الإنسانية . الألم الطهور الكريم صقيل الطبيعة البشرية ، ومنضج الشاعر الفجة ؛ وبوتقة الشهوات الخبيثة . . .

هذا الألم عاد فى ذلك الغناء تصنعاً زرياً ، وتكسراً شائهاً ، وتميعاً « مقرفاً » ونعومة خبيثة

والفنون على الإجمال ، هى رمز الأمل الطليق من قيود الواقع المحدود ، المتعالى على مطالب الضرورة القاصرة ، وهى مهرب النفس الإنسانية الطموح حين يعجز الواقع عن تلبيتها فتجد فى الفنون دنيا من المستقبل ، وعالماً من الملأ الأعلى ، وفسحة من الكمال الموموق

ولن تكون الفنون تعبيراً عن جوعات الأجسام ، ولا شهوات اللحم والدم إلا فى أحط صورها وأولى درجاتها ، ولكن ألواناً من القوة الحيوانية العارمة ، والنشاط الغريزى الفاره ، والجوع البهيمى المتنزى قد يعجب النفس لما فيه من معنى الحيوية المتوثبة والقوى المتحفزة

فوسيقى الجازبند تعبير عن الحيوانية الهائجة ولكنها قد تجد لها شفيعاً فى الدنو من دائرة الفنون بما فيها من قوة الهياج ، وضجة الزياط ، وثورة الدم فى العروق

ولكن أى شفيع للحن أو أغنية هى تعبير عن الحيوان المضموف السقيم ، يتميع بالغريزة العاجزة الكليلة ، ويتخلع بالرغبة العجفاء الهزيلة ، ويدغدغ غرائز السامعين الخدرين ؟

ما سمعت أغنية واحدة أو لحناً واحداً ، ولا سيما الأغنيات الأخيرة إلا أحسست بالتقزز للرجل المتراخى النائم على نفسه ، المتخاذل فى حركاته ، المهوم للنعاس فى نغماته ، وللمرأة المتخامة فى نبراتها ، المدغدغة فى تأوهاتها ، ولشواب البلد وشبانها يتهالكون من الرخاوة ، ويتحاملون من الهزال ، ويرفعون عقيرتهم بالنواح : « يالوعتى ياشقايا ياضنى حالى — طول عمرى عايش لوحدى — مابهونشى »

وكل هـذا هين لولا فجيعتى فى شاعر أعزه وتربطنى به روابط ودية وثيقة ، وصلات أدبية طيبة . وقف مرة أمام المذياع يقدم قطعة من تأليفه لحنت هذا التلحين ، وأديت هذا الأداء ؛ فقال : إنها فى صورتها هذه الممسوخة تعبر عما أحس به وهو ينظم مقطوعته ، وأنه يهتز بهذا التعبير كل الاهتزاز

شعرت بالفجيعة مع ثقتى بأن عوامل غير عامل الإعجاب الفنى بكل تأكيد هى التى أوحت إليه بمـا يقول . شعرت بالفجيعة لأنه شاعر وصاحب قلم ، وكل ذوى الأقلام يتعين أن يكون مكانهم فى صفوف المكافحين عن ذوق الأمة الفنى وعن سلامة فطرتها التى تنهكها هذه الألحان

ولقـد انتهيت إلى مقاييس لا تخطئ فى تقدير صحة الفطرة الفنية وسلامة الشعور الإنسانى ، وهى فى يدى كمقياس الحرارة فى يد الطبيب . فأيما إنسان دل مقياس الحرارة فى فمه على رقم غير الرقم الصحى ، فهـو مريض مهما نطقت ملامحه بالصحة

دير مِـــديان (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد

قال الشابشتى : « وهذا الدير على نهر « كرخايا » ببغداد ؛ وكرخايا نهر ينبثق (١) من المحوّل الكبير ويمر على العباسية (٢) ويشق الكرخ ويصبُّ فى دجلة ، وكان قديماً عامراً والماء فيه جارياً ، ثم انطم (٣) وانقطعت جريته بالبثوق (٤) التى انفتحت فى الفرات

وهو دير حسنٌ نَزهٌ حوله بساتين وعمارة ؛ ويُقصد للتنزه والشرب . ولا يخلو (٥) من قاصد وطارق . وهو من البقاع الحسنة النزهة . وللحسين بن الضحاك فيه :

(*) راجع أخبار هذا الدير فى ياقوت (ج ٢ ص : ٦٩٥) طبعة أوروبا — وفى مسالك الأبصار ص ٢٧٧

(١) فى الأصل « يشق » ولا معنى لها ، وقد أوردها كذا ياقوت فى معجمه والعمرى فى مسالكه . ولعل الصواب كما أثبتنا .

(٢) محلة كانت ببغداد . قال ياقوت ج ٣ ص ٦٠٠ : « وأظنها قد خربت الآن ، وكانت بين يدي قصر المنصور قرب باب البصرة . وهى منسوبة إلى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس »

(٣) من العامى الفصيح .

(٤) فى الأصل « بالسوق » على أن ياقوتا أثبتها « البثوق » . جمع بثق . جاء فى الأساس « انبثق عليهم الماء إذا خرق الشط أو كسر السكر لجرى من غير لجر . والبثق المكان المكسور ، فعل بمعنى مفعول . »

(٥) فى الأصل « يخلوا »

وجوارحه بالعافية ؛ وأيما إنسان أحس فى ضميره اختلاجة للحن من تلك الألحان المريضة ، فهو مشوه الفطرة سقيم الطبع ، شارب من النهر مخمور

وللصحافة رسالة يجب ألا تنكل عنها ، وواجب يجب أن تؤديه ؛ وقد تعاورنى الرجاء واليأس فى إصلاح هذه الحال ، ولكن يجب أن تكون فداحة العبء مثيراً لمطامح الجهد ، ومن يدرى ، فقد نعثر على كنز مخبوء فى طبيعة هذه الأمة ، أو منبع مطمور من منابع الفطرة ، نزيل عنه الركام ، فإذا تفجرا كتسح هذه الرواكد وتلك المخلفات

« حلوان » سيد قطب

حث المدام فإن الكأسَ مترعة
مما يهيج دواعى الشوق (١) أحياناً
إنى طربت لرهبانٍ مجاوبة
بالقدس بعد هدوٍّ الليـــل رهبانا
فاستنفرتْ شجناً منى ذكرتُ به
كرخَ العراق وأحزاناً وأشجانا
فقلتُ والدمعُ فى عينيَّ مطّردٌ (٢)
والشوق يقدح فى الأحشاء نيرانا
يا دير مِديان لا عُرّيت من سَكَنٍ
ما هِجْتَ من سَقمٍ يا دير مِديانا
هل عند قَسِّك من علم فيخبرنى
أن كيف يسمد وجه الصبر من بانا (٣)
سَقياً ورعياً لكرخايا وساكنه
بين الجنينة والروحاء من كانا (٤)

قال : وكان أبو على بن الرشيد يلازم هذا الدير ويشرب فيه . وكان له قيان يحملهم (٥) إليه ويقيم به الأيام لا يفتر (٦) عزفاً وقصفاً . وكان شديد التهتك ، وكان من يجاور الموضع يشكون ما يلقون منه . فانتهى الخبر إلى إسحق بن إبراهيم الطاهرى وهو خليفة السلطان ببغداد ؛ فوجّه إليه يقبّح له فعله وينهاه عن المعاودة لمثله . فقال : « وأيّ يد لإسحق عليّ وأيّ أمر له فيّ ؟ . . . أتراه يمنعنى من سماع جوارىّ والشرب بحيث أشتهى . . . ؟ » فلما أتاه هذا القول منه أحفظه ، وأمهل حتى إذا كان الليل ركب إلى الموضع وأحاط به من جميع جهاته . وأمر أن يُفتح باب الدير ويُنزلَ به على الحال التى هو عليها . فأنزل به وهو سكران فى ثياب مصبّغة ، وقد تضمخ بالخلوق (٧) فقال :

(١) فى الأصل إلى جانب الشوق « الحزن »

(٢) فى معجم البلدان « فى عينى منحدر ... »

(٣) فى مسالك الأبصار ص ٢٧٧ : « ... وجه الصبر من خانا » ورواية الشابشتى أحسن .

(٤) فى مسالك الأبصار ص ٢٧٧ : « ... لكرخايا وساكنها »

(٥) كذا فى الأصل ، والضمير يعود إلى القيان ج قين وهو العبد (القاموس)

(٦) فى الأصل « لا نفتر » وهو تحريف

(٧) الخلوق نوع من الطيب

سوءة لك ! رجل من ولد الخلافة على مثل هذه الحال ! » ثم أمر ففُرش بساط على باب الدير وبُطح عليه وضربه عشرين درّة ، وقال : إن أمير المؤمنين لم يولني خلافته حتى أضيّع في الأمور وأهملها ، ولا حتى أدعك وغيرك من أهله تمرونه [1] وتفضحونه وتخرجون إلى ما خرجت إليه من التبذل والشهرة وهتك الحرمة [2] إلى الديارات والحانات ، وفي تأديبك صيانة للخلافة وردع لك ولغيرك عن هذه الفضيحة . ثم أمر بعماريات [3] كانت معه فأركب فيها مع حُرمه وردّه إلى داره . فبلغ ذلك المعتصم فكتب إليه يصوب رأيه وفعله ويأمره ألا يرخص لأحد من أهل بيته في مثله

وأم أبي على هـذا تعرف « بشَكل » . وكان الرشيد قد اشتراها وصاحبة لها تعرف « بشذر » في يوم واحد . فحملت شذر وولدت « أم ابنها » [4] ؛ فحسدتها « شكل » وبلغ بهما الحسد إلى أمر عظيم من العداوة حتى اشتهر ذلك . وحملت « شكل » وولدت أبا علي . وماتت أماها ؛ وبقيت العداوة بين أبي علي وأم ابنها ، حتى بلغ الأمر إلى أن تهاجيا بالأشعار ، وشاع أمرهما في جميع آل الرشيد . فلما قتل الأمين وورد المأمون إلى بغداد جلس يوماً وعمه إبراهيم بن المهدي وأبو إسحاق [5] أخوه والعباس ابنه ، وتذاكروا العداوة التي بين هذين ، فقال : لقد سمعت بخبر عداوتهما بخراسان ولقـد هممت أن أصلح بينهما . ووجّه فأحضر أم ابنها وأقبل يعاتبها وهي مطرقة لا تردّ جواباً . ثم أمر بإحضار أبي علي ، فلما رأته أم ابنها تنقّبت وسترت وجهها . فقال المأمون : كنت مُسفرة فلما حضر أخوك تنقبت ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين لسفوري بين يدي عبد الله بن طاهر وعلي بن هشام ، أوجب من سفوري لأبي علي ، فوالله ما هو لي بأخ ولا للرشيد بابن ، وقد قال الله عز وجل : « الذين أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » . قال ابن عباس : « آمنهم من البرص والجـذام » ... وهو والله أبرص ، ما هو إلا ابن فلان الفراش ... ! فأمر المأمون أخاه أبا إسحاق فجلدها حداً . فقالت : « سوءة يا أمير المؤمنين أن تحد أختك لابن الفراش وسننت على بنات الخلفاء الحد ، فوالله لقد ظننت أن أمره يستتر : فأما الآن فوالله لتتناقلنه الرواة وليتحدثن به إلى أن تقوم الساعة . ونهضت فقال المأمون : قاتلها الله ... فلو كانت رجلاً لـكانت أقعد بالخلافة من كثير من الخلفاء ... وقلد أبا علي الصلاة على جنائز أولاد الخلفاء ليدرأ عنه العيب [1]

(لهذا الفصل بقايا)

(دمشق) صلاح الدين المنجد

---

(١) في هامش الكتاب عند هذه السطور ما يلي : « ألا رحم الله لي أمير المؤمنين المأمون ما كان أوسع علمه وأغزر عقله في أمره وتقليده لأبي علي في الصلاة على الجنائز من أولاد الخلفاء ... ... » بخط رديء غير خط الناسخ

---

(١) مر فلان إذا لقب بلقب يمره أي يشينه (اللسان ٦ : ٢٣٤)
(٢) في الأصل كلة طمست وغابت
(٣) العماريات ضرب من الهوادج يجلس فيه (معجم دوزى ج٢ : ١٧٢)
(٤) في الأصل : أم أبيها ، وهو تحريف
(٥) كذا في الأصل ، والأولى أن تكون أبا إسحاق بالعطف على المفعول منه

عرابى الفلاح

حديث شيخ معمر من قرية عرابى باشا

للأستاذ محمود الشرقاوى

سيظل اسم عرابى باقياً مذكوراً فى التاريخ المصرى الحديث ما بقى فى مصر شعور بالقومية المصرية . وستظل الحركة العرابية أو « هوجة عرابى » باقية مذكورة فى ضمير الشعب المصرى حية على لسان أفراده وفى قلوبهم حتى تتمكن لمصر الحياة الحرة وحتى تتمكن للشعب المصرى « الفلاح » السيادة التى جاهد عرابى لها ولقى فى سبيلها ما لقى وما يلقى المجاهدون الأحرار

ومهما تكن نتائج الثورة العرابية . ومهما يكتب المؤرخون عن أخطائها فستظل ويظل اسم عرابى معها مذكوراً فى ضمير الأمة المصرية كأول حركة قومية خالصة ، وأول « تنبّه » للشعور بالقومية المصرية فى العصر الحديث ، وأول هبة لتحقيق السيادة المصرية للدم المصرى

وقد عرف الكاتبون وكتب المؤرخون البحوث والتحقيقات عن عرابى البطل وعن ثورته . ولكنى عرفت بمصادفة موفقة حديثاً عن المظمة النفسية التى كان يتميز بها عرابى ؛ وعن الشعور الراسخ بالعزة الذاتية التى كان يحسها لمجرد أنه مصرى وفلاح

وقد بلغ شخص عرابى من الرفعة والمجد ما بلغ ، وارتفع اسمه وعلا إلى حيث ارتفع ، ولكن هذا كله لا يغير من نفسه ولا من شعوره بالفخار أنه مصرى وفلاح ، وبيننا إلى اليوم من لم يبلغ شيئاً ولا ارتفع اسمه شيئاً ولكنه يعلو بنفسه أن يكون فلاحاً وهو من طينه ومن ترابه

بل لقد جعل عرابى نسب فخره أنه فلاح تحدر من أصلاب فلاح ونشأ مثلهم ومعهم بين الماء والطين

وحديث هذه الواقعة هو ما سأكتبه لقراء « الرسالة » كما سمعته

***

منذ أيام عشرة قبض الله إليه شيخاً معمراً فى قرية « هريّة رزنة » قرية عرابى باشا فى جوار الزقازيق وقد جاوز المائة

وهذا المعمر هو الشيخ على نجم معلم القرية ، وكان فيها صاحب « كتّاب » تعلم فيه وحفظ القرآن أبناء هذه القرية وما جاورها جيلاً بعد جيل ، وكان أبوه من قبله معلماً صاحب « كتّاب »

وقد قدر لى أن أجلس إلى هذا الشيخ المعمّر قبل أن يقبضه الله إليه ، وأن يحدثنى عن نبْت قريتهم عرابى وأنه كان يتعلم القراءة ويحفظ القرآن فى كتاب أبيه ، وكان « عرابى » يصغره سناً وإدراكا ويتخلف عنه فى الحفظ . فكان الشيخ محدثى ـ رحمه الله ـ « عريفاً » عليه كما يقولون فى لغة كتاب القرية

وبقيت العلائق بين « العريف » المعلم الشيخ على نجم وبين أحمد عرابى حتى انتهى لما بلغ من مجد ومن مكان ، وكان من خاتمة الثورة العرابية ما عرفنا ونقل عرابى باشا إلى جزيرة سيلان ثم أعيد بعد عشرين سنة فيها

قال الشيخ المعمر رحمه الله :

وقصدت ومعى زميل من شيوخ القرية نهبط مصر لنرى عرابى باشا بعد رجوعه من المنفى ، وكان يوم جمعة وحلّ علينا وقت صلاتها قريباً من عابدين ، فدخلنا مسجداً نصلى فإذا بنا ونحن خروج ننتعل أحذيتنا على باب المسجد نرى عربة تقف أمامه وقد صعد إليها رجل كبير ضخم عرفته ، فقلت لصاحبى الشيخ : أليس هذا عرابى باشا ؟ لقد تغير كثيراً ، وكأنه لم يعد يُبصر . فقال صاحبى بعد صمت : ألا ترى من الخير لنا أن نعود وألا نذهب إلى بيت عرابى ، فإنى لا أستطيع أن أراه هكذا فى ختام أيامه كسيراً مخذولاً مهيضاً

وهل تظن أنه يعرفنا بعد كل هذه السنين وهذه الأحداث وهذه الغربة ؟ وإننا نخجل أنفسنا حين نعرض عليه أو يستأذن لنا منه فلا يذكر أشخاصنا بأسمائنا . فهلم بنا نعود . قال محدثى ولكنى عارضت صاحبى وشجعته وقلت له لقد جئنا إلى القاهرة لنزور عرابى ولا بد إن شاء الله أن نزوره . وقصدنا إلى بيته فى شارع خيرت بعد صلاة الجمعة بساعات

فلما قدمنا منزل عرابى باشا استقبلنا على بابه بعض الخدم والعبيد واستقبلنا واحد من أبنائه وهو لا يعرفنا . فلما عرفناه أنفسنا قال إن الباشا ليس فى البيت وترك لنا أن نجلس أمام البيت على « دكة » البواب حتى يعود فيستأذن لنا عليه الخدم ، فجلسنا وقد نظر إلىّ صاحبى كأنما يذكرنى ما قال ونحن نترك

اللورد روبرت بادن باول

الكشاف الأعظم العالمي

للأديب خميس زهران

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

انطلق بادن باول ومعه زميله إدوارد سيسل لتنفيذ التدابير التي ارتأياها. فوضع كل المتدربين في خط القتال وأخذ يجمع الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢، ١٦ سنة وألف منهم فرقة ألبسها الزي العسكري وعهد إليهم ببعض الأعمال مثل نقل البريد والمؤونة والأشارات وحراسة المخازن وغير ذلك من الأعمال التي تحتاج إلى نشاط أكثر من احتياجها إلى تمرين « لقد كانوا فتياناً لا يسددون الرماية، ولكنهم كانوا يركضون حولنا كالأرانب». وشرع هو ورجاله في حفر الخنادق حول المدينة لتكون بمأمن من الأعداء

« كان لكل رجل قيمة وبما أن عددهم أخذ في النقصان شيئاً فشيئاً بسبب سقوط القتلى والجرحى، أصبحت واجبات القتال والمراقبة ليلاً أصعب على الباقين. ثم إن اللورد إدوارد سيسل رئيس أركان الحرب جمع الأولاد في المكان وجعل منهم فرقة تلامذة حربيين وألبسهم وشرع في تدريبهم وأصبحوا بعد حين جماعة لبقين منظمين، وكنا حتى ذلك الحين نستعين بعدد وافر من الرجال لحمل الأوامر والرسائل والمراقبة وأمثال ذلك. فأضحت هذه الواجبات الآن على التلامذة الحربيين وذهب الرجال لتدعيم خط النار

ولقد أدى هؤلاء الأولاد تحت رئاسة « جوديير » أعظم خدمة واستحقوا الأوسمة التي نالوها عند نهاية الحرب. كان معظم هؤلاء يحسن ركوب الدراجة، لذلك تمكنا من تأسيس بريد، استطاع الناس بواسطته إرسال الخطابات إلى رفاقهم الموجودين في مختلف القلاع أو حول المدينة دون أن يعرضوا أنفسهم لخط النار. وجعلنا لهذه الرسائل طوابع بريد رسم عليها صورة تلميذ حربي يركب دراجة

قلت لأحد الأولاد مرة عند ما جاء تحت وابل من النيران: ستصاب يوماً وأنت تركب على هذه الصورة والشرر يتطاير من كل صوب. فأجاب: سيدي إنني أنطلق سريعاً بالدراجة ولن يستطيعوا الوصول إليّ».

المسجد وقد رأينا عرابياً وهم بنا صاحبي أن نعود.

ونحن وقوف على هذه الحال إلى حائط البيت انتهت إلى الباب عربة عرابي ونزل منها أمامنا يتمهل ووقع بصره علينا، وبعد دقيقة أو دقيقتين وقد هممت بالتقدم للسلام عليه ناداني: ألست أنت « عربني » الشيخ على نجم ؟

وسألني وصاحبي فقصصت عليه كيف جئنا وما قال لنا خدمه وابنه؛ وكنا دخلنا معه وقربنا إلى حيث يجلس يستقبل؛ فلما سمع منا تغير لونه ووقف ووقفنا؛ ثم رجع إلى أول الحديقة ونادى ابنه الذي استقبلنا وطلب معه من في البيت من اخوته ثم وقف وهم جميعاً أمامه، فحدثهم باللغة التركية حديثاً طويلاً كان فيه ظاهر الغضب. وقد وقفوا جميعاً أمامه صفاً واحداً رؤوسهم على صدورهم مشتبكة أيديهم كأنهم في صلاة؛ ثم قال ختام كلامه باللغة العربية، وقد فهمنا منه غضبته وما حدث أبناءه — وخدمه واقفون — باللغة التركية؛ وكان ختام عرابي باشا حديث أبنائه كأني أسمعه الآن يقول مشيراً إليّ وإلى صاحبي:

هذا زميلي في الكتّاب، وهذا عربني جلست إليه يسمع مني القرآن فهو معلمي؛ وأنا فلاح ابن فلاح تحدرت من أصلابهم وأنا بهم فخور، فخور بأني نشأت ولعبت في الماء والطين معهم؛ وأنا عرابي باشا، ولكني فلاح ومن قرية « هرّية »، وهؤلاء الفلاحون هم أهلي وعشيرتي ومنهم دمي، فمن جاء منهم إلى لا يجلس بالباب.

ثم أمر أولاده فانصرفوا وهم سكوت: ودخلنا فجلس معنا ساعات يحدثنا عن صبانا وأيام الطفولة ويسألنا عن رفقاء الكتاب. وأراد أن يستبقينا ليلتنا فشكرنا واعتذرنا. ولم يتركنا عرابي باشا حتى خرج معنا خطوات من حجرته واستحلفنا أن نعود إليه وأن نراه

قال محدثي الشيخ المعمر: ولم يشأ الله أن نزوره ولا أن نراه. ولكننا نحبه كما كان يحبنا

قلت يرحمك الله أيها الشيخ كما يرحم الله عرابياً البطل الفلاح

محمود الشرقاوي

يظهر أن هؤلاء الأولاد لم يفكروا فى القذائف قط . كانوا دائماً على استعداد لتنفيذ الأوامر مع أن الخطر كان منهم على قاب قوسين أو أدنى . وهكذا سارت المدينة فى حركة ونشاط متواصلين وقد سرت فى نفوس الجميع روح الثقة والأمل

فإن نعجب فلنعجب لهذا الساحر كيف أوتى هذه الجاذبية المدهشة التى سرعان ما أحالت الحامية خلقاً جديداً وأشاعت فى جنودها النشاط والرغبة فى العمل

وحدث فى تلك الأثناء حادث طريف يدل على ذكائه الفطرى فقد نصب أعلاماً سوداء حول المراعى الخضراء موهماً العدو أنها ملأى بالفرقعات والألغام لكى يتقى شر الإغارة عليها ولتبقى سليمة ترعى فيها إبله وماشيته وهما قوام حياة جيشه المحاصر . فلما رأى جنود العدو هذه الأعلام ساروا فى طريقهم ولم يصوبوا أفواه بنادقهم ولا قذائفهم صوب هذه المراعى خشية انفجار الفرقعات المهلكة والتى ظنوها شراكا منصوباً لهم . ومما ساعد على نجاح خدعته هذه أن حدث أن الأعداء أطلقوا أعيرتهم النارية على إحدى عربات السكك الحديدية ظانين أن بها بعض رجال الحامية الإنجليزية ولم يكن بها إلا مفرقعات حقيقية فما لبثت أن تطايرت الشظايا والفرقعات فأصابت المئات منهم . وهكذا سنحت الفرصة لرجال الحامية الذين هجموا على الأعداء فأدخلوا الذعر فى قلوبهم وجعلوهم يلوذون بالفرار

تلك واقعة واحدة سقناها للتدليل على شجاعة بادن باول فى تلك الحرب التى استمر لظاها مدة ٢٨٠ يوماً وانتهت بأن طلب قائد الجيش البويرى الصلح حقناً للدماء معترفاً بما أبدته تلك الحامية الضئيلة العدد من البسالة الفائقة والمقدرة النادرة

ولنترك الآن روبرت نفسه يصف الحالة أثناء الحصار بتلك الجمل التى خاطب بها رجال حاميته مفكنج بعد أن فك الحصار عنها ومودعاً لهم « لقد كان مثلنا إبان ذلك الحصار كمثل أسرة سعيدة واحدة ، والآن جاء وقت الفراق . إنى أذكر أنى قلت لكم يوم أن حوصرنا وتقطعت بنا الأسباب : اربضوا ربضة الأسود . صوبوا إلى المرمى بنادقكم . ولقد قمتم بذلك خير قيام فكانت النتيجة ما ترون . ولقد أثنوا على شخصى الضعيف ، ولهجت الألسن بذكرى والثناء علىّ الثناء كله وفاتهم أنه من السهل أن يكون المرء ربان سفينة ونسوا الحامية التى هى شراع السفينة مفكنج التى أخرجتها من العواصف القاصفة والزعازع المتلفة وأوصلتها إلى الميناء بسلام »

كل هذا حدث بفضل بادن باول الذى كان الناس يشكون فى نجاحه فى هذا الحصار ولكنه بجده ونشاطه ومثابرته على العمل وإيمانه بقدرته على النصر تمكن من التغلب على الصعاب التى اعترضته وفاز بنصر مبين رفعه إلى أوج المجد والشهرة

حياة بادن باول الملأى بالمجازفات والأخطار وما شاهده من بطولة الصغار فى ظروف عدة وما لديهم من قوى كامنة تدفعهم لاختراق النيران بغية القيام بالواجب ، وجهل الجنود بمعرفة الاتجاهات واستعمال الفؤوس فى الغابات ، وجهلهم أيضاً إيقاد نار فى يوم اشتدت فيه الرياح أو هطلت فيه الأمطار : كل هذه أوحت إليه المبدأ الذى نسير عليه

فلما وضعت حرب البوير أوزارها آلى السير روبرت بادن باول على نفسه أن ينشر نظام الفتية الصغار بطريقة أوسع وأنظم فى بريطانيا العظمى إذا ما ألقى عصاه بها . ولما رجع إلى وطنه لم يأل جهداً فى تنفيذ فكرته فأقام معسكراً تدريبياً فى جزيرة صغيرة تسمى برونس ونجح نجاحاً جاوز الآمال فيه . شجع نجاح ذلك المعسكر السير روبرت بادن باول على المضى قدماً فجاهر بفكرته وأعلنها للملأ ؛ فندد بها الاستعماريون لما فيها من إخاء عالمى ولما تحويه من إزالة للفوارق الصناعية بين الإنسان وأخيه الإنسان ؛ وازدراها الاشتراكيون لأنهم توهموها عسكرية مقنعة ليس فيها لخير الإنسانية من شىء ، وسخر كثير من زيها ورأوا فيه خروجاً عن اللياقة وضرباً من التصابى ، فصمد لهم جميعاً وصابرهم إلى أن أصدر كتابه "Scouting for Boys" فى ربيع سنة ١٩٠٨ وقد وجه فيه الخطاب للفتيان أنفسهم فأقبلوا عليه إقبالاً عظيماً والتهموا ما فيه التهاماً ، وانخرطوا فى سلك الحركة مؤمنين بمبادئها مصدقين بتعاليمها

وفى عام ١٩١٠ أسست الكشافة ليتعلم فيها معتنقوها الصبر واحتمال المكاره والاستمساك بالعقيدة والاستهانة بكل شىء فى الحياة عداها ، ويلقنهم البساطة والحياة الطبيعية لتطهر نفوسهم من الأطماع ولتخلص من الدسائس والهواجس فيجتمع لكل

أبنائها إرادة قوية وعزم من حديد ، فإذا اجتمع للانسان الإرادة وظهرت نفسه وقوى إيمانه بفكرته فمن ذا الذى يستطيع أن يقف فى طريقه ؟

وعاش الكشافون عيشة التقشف : ألم يعش الخلفاء الراشدون عيشة الفقر وأملاك دولتهم تمتد وتتسع ، ورقعة امبراطوريتهم تعظم وتترامى ؟ ألم يكن رداء عمر (مرقعة) ذهب أساها وبقيت رقعها وجيوش المسلمين تهد امبراطورية الروم ؟ ألم يرسم محمد صلى الله عليه وسلم للقادة والزعماء وأصحاب الرسالات والمبادئ والعقائد دستوراً جليلاً حكيما حين قال : « طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة . اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً وأدخلنى فى زمرة المساكين » . اتخذ بادن باول لجماعته زيًا خاصاً خاكى اللون رخيص الثمن بسيط المظهر ؛ وشجعهم على عقد الاجتماعات والقيام بالرحلات والمخيمات ، وعلمهم الاقتصاد فى معيشتهم ، وعودهم إلى الأخوة فى مأكلهم ومشربهم ، والمحبة فى معاملاتهم والإخلاص فى صداقتهم ، ومنعهم عن التدخين وشرب الخمور ، وحرم عليهم الفسق والفجور ، ليحفظ لهم صحة أجسادهم وقوة أبدانهم وسلامة عقولهم وبارز شخصياتهم ووافر كرامتهم . لم يكن وقت التمرين قاصراً على التربية البدنية ، بل تعداها إلى التربية الروحية ؛ فأقام المخيمات التدريبية لبث الروح العسكرية فيهم ، وألقى المحاضرات التاريخية ليزيدهم تعلقاً بكل ما هو قوى ، ومحبة لكل ما هو وطنى ، وأذكى فيهم شعلة الحماس بالأغانى القومية والأناشيد الوطنية . ويعزى السبب فى انتشار الكشافة إلى إيمان بادن باول وعقيدته فى صحة ما يدعو إليه . ولا غرو ، فإن أصحاب المذاهب والمبادئ الاجتماعية الكبرى التى أثرت فى تاريخ العالم وغيرت مجراه لم يتمكنوا من جذب النفوس إلى مبادئها إلا بعد أن ثملوا بخمرتها ، وبذلك أمكنهم توليد تلك القوة العظيمة الأثر فى النفوس ، ألا وهى الإيمان ، وهى التى تجعل المرء عبداً لمذاهبه .

وقد تزوج اللورد روبرت بادن باول فى اكتوبر سنة ١٩١٣ بمس أوليف ورزق منها ولداً وابنتين ، وانتخب كشافاً أعظم للعالم فى أول معسكر دولى أقيم فى انجلترا سنة ١٩٢٠ ، ولقد أنعم عليه صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى جورج الخامس عام ١٩٣٠ بلقب لورد جزاء وفاقاً على قام ما به من عمل جليل .

وكرمته جامعة ليفربول ومنحته لقب دكتور فى القانون (L. L. D.) ولقد جمع اللورد بادن باول خريجى معهد جلويل بارك Gilwell Park المخصص لتدريب معلمى الكشافة على فنونها المختلفة نظرياً وعملياً ، وهو قصر فخم وسط ضيعة كبيرة فى مقاطعة اسكس بالقرب من لندن وسألهم أن ينتخبوا له اسمه الجديد الذى يضاف عادة بعد اللوردية فأجمعوا على جلويل فاغتبط به وأظهر ارتياحه

فبادن باول رجل خليق أن يعلم عنه شيئاً وأن يشغل حيزاً فى ذاكرة كل فرد منا ومكانة فى نفس كل واحد ؛ ولا غرو إذا تقدمنا لقراء الرسالة بسيرة هذا البطل إعجاباً بهذا الطراز الجديد من الرجال وهم الذين لم يشهدوا فى عصرنا غير رجال مزيفين من الحواشى . رجال أو أشباه رجال ولا رجال ممن لم يحذقوا غير التخنث والأناقة ولم يبرعوا فى غير الخبث والمكر ومضغ الكلام وتزجيج الحواجب ! أو بالاختصار رجال من أولئك الذين تلقى بهم المصادفة فى طريق العظماء وتأتى بهم الظروف إلى مجالس الأمراء وأهل الخطر والشأو البعيد . وما أوسع المسافة بين أمثال هؤلاء وبين هذا الرجل النبيل العزيز الجانب الذى تعبق منه روائح المعسكر والخيام كما يعبق منه أريج المخدع والصالون ! رجل وأى رجل !

من كان يدور بخلده أن صبى فرنسا وصبى استراليا وصبى مصر وصبى أمريكا يتلاقون فى مكان واحد : لا يفرقهم جنس ولا تنفرهم ديانة ولا تبعدهم لغة أو سياسة ؟ ومن كان يتوهم ولو على سبيل التفكهة أو الدعابة أن ابن مصر الشرق الناطق بالضاد تأخذه العصبية الكشفية فينهض إلى منافسة ابن التاميز الغربى فى اعتناق مذهب التربية الحديث

إنها آية الكشف وإنها معجزة بادن باول أن يأتلف الشباب حول المبادئ الكشفية ، وإن شئت فقل إنها مبادئ الشباب الحديث الذى يريد أن يرث الأرض جيماً لا فرق عنده بين وطن وغربة

إن شئت فقل عنها إنها آداب المعاشرة وآداب المؤاكلة وآداب العائلة وآداب الإنسانية وآداب المجتمع الراقى وآداب الحياة الصحيحة الخالية من شوائب السعادة . فما أعذبها مبادئ لو أن السياسة تتركها وشأنها فى الدنيا دون أن تعكر لها صفو أو تكدر لها مجتمعاً

إنما هى فى الواقع توحيد لنظم التربية وعامل قوى لإزالة

الفوارق ، لكن أبى للكشف وغير الكشف أن يزيل الفوارق وفى الدنيا من جنود الشيطان أضعاف أضعاف بنى الإنسان

رحمك الله يا جبار الكشف وأنعم بك من صرح حطم القيود وزحزح العقبات من طريق مبادئه الصحيحة !

ها هى ذى الفقرة الأخيرة من رسالته التى أذاعها لأبنائه كشافى العالم من روديسيا : « لقد عشت جندياً ثم كشافاً ، أما المرحلة الثالثة من حياتى فتتوقف على ما يريده لى الأطباء »

ذلكم هو المرحوم الدكتور روبرت بادن باول ولورد جلويل وملك قلب كل كشاف ، فرحمة الله رحمة واسعة

خميس زهران
زعيم جوالة باسكندرية



محمد أفندى . . . !

قيل وما أكثر ما قيل إن قلة الذوق فى مجتمعاتنا مردها فى الغالب إلى خلوها من المرأة ؛ وإلى هذا أشار صاحب الرسالة فى أكثر من مناسبة ، وعنده أن الشباب إذا ازدانت مجتمعاتهم بالأوانس شدوا الشكيمة وكبحوا جماحهم وحرص كل امرىء منهم على أن يظهر على خير ما يحب من دماثة الخلق ورقة الحاشية ولطف الحديث

ولكن منظارى قاتله الله بل عافاه الله وصرف عنه كل غشاوة يأبى إلا أن يكشف لى عن موقف لا تتحقق فيه هذه الفكرة بل لقد نقضت فيه من أصولها وجاء الأمر على عكس ما تفاءل المتفائلون وتمنى المكانبون

كنت مسافراً إلى الريف الحبيب فى قطار فالتقيت فى ممر من ممراته بثلاثة من الشبان تقاربت أعمارهم ، وكان كل منهم بادى العافية حسن البزة منهدل القسمات ؛ ونادى أحدهم رابعاً لهم كان فى اتجاهى يسبقنى بخطوات فقال له : أمامك فى هذه العربة قبل الآخر بديوان تجد محمد أفندى إلى جانب الشباك الأيمن وقد حجزنا أمكنة فانتظرنا هناك

ودخل « رابعهم » هذا الديوان المشار إليه وأحسست كأنى أنجذب إلى هذا الديوان نفسه فدخلت واتخذت مكانى ، ولكنى لم أجد إلى جانب الشباك الأيمن غير آنسة أجنبية لم تقع عينى فى نهارى كله على أجمل منها صورة وأملح منها محيا ، وبدت لى فى منتصف العقد الثالث من عمرها كالوردة فى زمن الورد بلغت أقصى تفتحها ومنتهى ريعانها

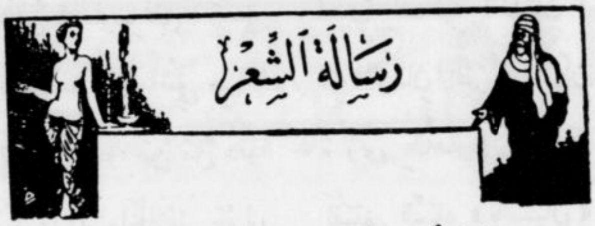
وكانت متجهة ببصرها إلى النافذة ، لا تلتفت إلا ريثما ترمق الداخل ، ثم تعود فتتجه اتجاهها الأول ، وكان على محياها الجميل ما يشبه الهم من فرط سكونها واحتشامها

وتحرك القطار وجاء الشبان الثلاثة وجلسوا فى ضوضاء بعد أن نظر كل منهم إلى هيئته فى المرآة ، فأصلح ما تشعث منها ، وتشاغلت عنهم بكتاب فى يدى ، ولكن منظارى لم يغفل عنهم ، فرأيتهم يتخاطبون بالأحداق لحظة ، وعلى فم كل منهم ابتسامة خبيثة ، وكلهم يومىء لصاحبه برأسه نحو النافذة اليمنى

وقطع أحدهم فترة هذه الإشارات اللاسلكية بقوله : « محمد أفندى تقلان علينا يعنى قوى » ؛ وضحك الآخرون ضحكات ماجنة مائعة ... وفطنت أن محمد أفندى لم يكن غير تلك الآنسة التى تتجه بنظرها إلى الفضاء الممتد خارج القطار !

وأيقن أربعتهم أنها لا تعرف العربية . فانطلقت ألسنتهم بألوان من الفحة ، عجبت ولن أزال فى عجب ، أن لم يبد على وجه أحدهم أى قدر من الخجل لتلك الألفاظ التى أخجل الآن لمجرد أن أتذكرها ! ثم ذهب كل منهم يتظرف بما وسعته سماجته ، فهذا يأتى بضروب من النكات لا يسيغها إلا ذوقه وذوق أصحابه ، وذلك يداعب خاتمه الماسى وساعته الذهبية ، وآخر يخرج حافظة نقوده فيقلب الأوراق المالية ثم يردها إلى جيبه ، هذا فضلاً عما تنافسوا فى سرده من المغامرات التى صرف فيها ما صرف من الأموال وكلها بالضرورة من نسج الخيال — كل أولئك و « محمد أفندى » فى شغل عن ظرفهم ولطف حديثهم بالنظر إلى فضاء الأرض

ولما أفرغوا ما فى جعبهم من بارد النكات وسخيف الحكايات انتظرت أن يتطرق إليهم اليأس أو يمسهم شىء من برودة الموقف فيخجلون ؛ ولكنهم انتقلوا إلى ما هو أدهى وأمر مما كانوا فيه فراحوا يصفون فى طريقة بهيمية جمال تلك الآنسة التى لم يبد على قسماتها إلا ما يبدو على قسمات تمثال من التماثيل من الثبات



نهر النسيان ... !

[إلى الذين هموا بالرحيل ولم يعرفوا إلى أين .. !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

اِسقِيانى من خمرة النسيانِ   وانسِيانى فقد نسيت زمانى !
ونسيت الشباب والسحر والأحـلام والفن والرؤى والأغانى
ونسيت المنى وكانت شعاعا   باهت الظل حائرا فى جنانى
ونسيت الأسى وكان رياحا   أزجت الجن خطوها فى كيانى
ونسيت الأيام حتى تلاشت   كهشيم على تراب الزمانِ
ونسيت الأنغام رعاشة الشد   و حيارى حزينة العيدان
ونسيت الدموع وهى أغان   أخرستها زوابع الأحزانِ
غردات الشكون مخنوقة اللحـن تشاجت بسحرها أجفانى !

على حال واحدة ، ثم شاءت لهم دماثتهم أن يجعلوها موضعاً لفكاهتهم فهى ابنة بائع اسفنج فى الريف أو هى لا تكلف أكثر من نصف ريال يدفع لحزبى إلى غير ذلك مما أمسك القلم عن ذكره من عبارات هؤلاء الظرفاء المهذبين !

ودنا القطار أخيراً من إحدى المدن فنهضت الفتاة لتنزل ومدت يدها إلى الرف لتأخذ حقيبة صغيرة فتقدم أحد هؤلاء الظرفاء وأنزلها لها فتناولتها وهى تقول له فى عبارة فصيحة : « أشكرك جداً يا أفندى » ثم خرجت من الديوان

ونظرت إلى وجوههم وحمرة الخجل تلهب وجنتى ، وأشهد لقد شاعت فى تلك الوجوه الصفيقة شىء من هذه الحمرة ولكن لعل ذلك مرجعه إلى وجودى ، ولعلهم لو كانوا وحدهم لأجابوها بضحكة من ضحكاتهم أو بنكتة من ظريف نكاتهم .

الخفيف

ونسيت الجمال حتى كأنى   لم أضمخ بنوره ألحانى
فنسيت العبير والزهر يذكيـه بفجر الطبيعة النعسان
ونسيت الندى وقد كان خمرا   لبنى الطير لم ترق فى دنان
ونسيت الأنسام تنقل فى المر   ج صلاة الطيور للغدران
ونسيت النجوم وهى على الأفـق نشيد مبعثر الأوزان
ونسيت الربيع وهو نديم الشـعر والطير والهوى والأمانى
ونسيت الخريف وهو صبا ما   ت فسجته شيبة الأغصان
ونسيت الظلام وهو أسى الأر   ض وتابوت شجوها الحيران
ونسيت الأكواخ وهى قلوب   داميات تلفعت بالدخان
ونسيت القصور وهى قبور   ضاحكات البلى من البهتان
ونسيت النعيم والبؤس ماذا   تركا لى من شقوة أو أمان ؟
ونسيت السلام والحرب سيا   ن شذا النور أو لظى البركان
ونسيت الهدوء والضجة الهو   جاء سيان سكتتى أو بيانى !
ونسيت الكلام ماذا جنى المصـغى إليه سوى بغاء اللسان ؟
ونسيت السكون وهو عزيف   أبدى الصدى أشل المثانى
ونسيت الحياة وهى رماد   نفخت ذره يد الشيطان
ونسيت الفناء وهو بجسمى   هادم يرصد الفناء لبانى !
ونسيت النسيان والذكر حتى   صرت وهما فى خاطر النسيان !
وتجردت من زمانى وكونى   لزمان محجب عن عيانى
وإذا بى فى قفرة ألفت الصمـت عليها صوامع الرهبان
خاصم الدهر ليلها فهى دهر   ما رأته مدبرة الأكوان
ولوى الجن خطوه عن ثراها   فهى حتف لكل إنس وجان
لا ظلام ، ولا ضياء ، ولكن   غيهب حائر على الكثبان
لا سكون ، ولا ضجيج ، ولكن   همهمات يلقطن فى وجدانى
جبت فيها حيران أقذف نفسى   فى خضم مغيب الشطآن
وإذا أشيب يغمغم كالمجـنون بين السهول والوديان
شعوذته الدنيا فهو خيال   يتزيا بصورة الإنسان

آدميّ الرؤاء أذهله الوهـــم وغشّته هبلة الحيوان
نقش العنكبوت فوق محيّا ه ظلالاً من صفرة الأكفان
مقلتاه بئران دلوهما الظّـــنّ وغيبان في الدجى تائهان!
وبداه لقامة الزمن الأعـــرج عكازتان مشدوختان!
ثم إحداهما ولوّح بالأخـــرى لوادٍ مخدّر نعسان
فيه نهر من الدموع، وجبّ مترع بالأنين والأشجان
وقلوب أقلها بين جنبيـــه سفين يجري بلا ربّان
والمات، مجرّحات، حزانى مزّقتها فواجع الأزمان
بينها ثاكل، وآخر شجّتـــه يد للأسى بغير سنان
وشقيّ يسوقه نحس دنيا ه إلى مرفأ شقيّ المكان
ويتيم، وبائس، وغريب وشريد مقطّع الأرسان
ومناد دعا الأماني فصدّتـــه! وعادت إليه بعد الأوان
وحبيب أردته في لهب الأســقام والسهد صرعة الحرمان
وطعين بخنجر الظلم باك دفنت نوحه يد الطغيان
أرعشتني السنين واستلب الأشـــيب وعيي، ربّاه ماذا دهاني؟
فتهاويت كالهشيم على أشـــلاء روحي المفزّع الأسيان!
ثم ناديته فأمعن في الصمـــت قليلاً وصاح بي: من دعاني؟
قلت: روح معذّب! قال: من أيـــن؟ فقلت: الأسى إليك رماني
علّني أستقي الهدوء، وألقى بين كفّيك راحة السلوان!
قال: أقبل فكم بدنياك صرعى شربوا من يدي رحيق الحنان
فتلاشت دموعهم، أرأيت الشـــك تبليه ثورة الإيمان!
واستطارت شجونهم أرأيت الطيـــف تطويه هبّة الوسنان!
قلت: من أنت؟ قال: رؤيا خيال كل حيّ على الوجود رآني!
أنا معنى في خاطر الغيب ذابت حول أسواره جميع المعاني
أنا كهف مغلّف في حشا الدهـــر يشعّ الفناء من جدراني
غلغلت في ثراي دنيا الشقيّيـــن، ولاذ الوجوم في أركاني
وارتمت حولي الحظوظ التعيســـات، ونام العذاب في أحضاني
مدفن للخطوب قلبي، ومنفى أبديّ لنكبة الحدثان!
أنا طبّ الأيام أشفي جراحا ت الزمان المرزّإ الظمآن
أنا بحر الهدوء من ملّ دنيا ه رمى عبأها على شطآني
منذ ما دبّت الخلائق حولي لقّبتني السماء « بالنسيان »
فنسيت الحياة والموت ما أد ري أحيّ أنا هنا أم فان؟!
مرّ بي « آدم » قديماً فأوما ت إليه بطرف هذا البنان
فسقي قلبه من النهر كأساً وتلاشى عن أعيني في ثواني
وإذا بي أراه يهتك سرّ الـــخلد في غير هدأة أو توان
مال بالدوحة التي قدّس اللـــه جناها فلم تنلها يدان
وجنى من ثمارها هذه الدنـــيا وأحداث هذه الأكوان
عبّ خمري فأذهلته عن الغيـــب وأقصته عن ظلال الجنان!
ليته لم يذق رحيقي ولم يهــــرع لنهري ولم يطاوع بناني!
أنا سرّ الوجود من رام سرّي نسي الحشر قلبه في جناني..

... ...

قلت: يا حادي الخطايا لقبر مرّدت ركنه يد الغفران!
يا هواي الذي تهافت بالرو ح عليه وبالحجا واللسان
أينما سرت جرّ طيفك أحلا مي ومن نهرك المصفّى سقاني
منذ ما جئت للثرى وأنا صبّـــك فارحم عبادتي وافتتاني
مزّقتني أشواك دنياي واغتا لت شبابي وأزعجت ألحاني!
الهوى والنشيد — يرعاهما اللـــه — بتيه الخلود قد ضيّعاني!
تركاني أهيم كالعاصف المشـــدوه في كل بقعة ومكان
لاذ عمري بشاطئيك فدعني في ثراك الغريب أدفن زماني
فتمطّى فزلزل الأرض تحتي وطوى الصمت في الفلا إذ طواني

محمود حسن اسماعيل

حكم استئنافيا بتغريم عبد القادر حسن المداوى التاجر بمصر القديمة بالقضية ١٦٠٩٩ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٠ جنيهان لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة .



شىء فظيع

أربعة قتلى، والخامس له الله

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

أيام العصر الذهبي لشركة ترقية التمثيل العربى، أخرجت هذه الشركة رواية عن «محمد على الكبير». وأسرفت الشركة فى الإنفاق على إخراج هذه الرواية إسرافاً كان يريد أن يناسب ذكرى ذلك الأسد الذى جاء مصر جندياً صغيراً ثم استولى عليها بأخلاقه وعقله وشخصيته، ثم نفخ فيها من هذه الأخلاق وهذا العقل وهذه الشخصية الملكية ما استطاعت مصر أن تستولى به على غيرها من جاراتها القريبات والبعيدات، حتى لقد هجمت على تركيا الشامخة بقوتها الفتية الحقة، وحتى لم تجد تركيا مفراً من أن تستنجد بانجلترا وفرنسا، وروسيا أيضاً على ما أظن، لتقف هذه الدول مجتمعة تيار الهجمة المصرية الجارفة ...

هذه الذكرى الجبارة، أرادت شركة ترقية التمثيل العربى أن تخلدها برواية «محمد على الكبير» فلم تأل جهداً فى إعداد العدة لها، ولقد استعانت الشركة أيامها بالسراى الملكية نفسها، فاستأذنتها فى أن يطلع مندوبون منها على مخلفات محمد على الكبير فى متحف القصر، وأن يأخذوا لها صوراً ورسوماً ما أرادوا ذلك، وكان أن تم كل الاستعداد على أكمل الوجوه، وكان أن وعد المنفور له الملك الأسد المسلم فؤاد الأول بشهود التمثيل فى الليلة الأولى ...

وهنا نقف وقفة أمام طيف فؤاد الأول فقيدنا الكريم

لقد كان رحمه الله رجلاً فذاً له جلال وله رهبة. وكانت تنبعث من ذاته ملكية طبيعية تنتشر حوله فإذا كل ما اشتملته خاضع لها خضوعاً طبيعياً لا إرادة فيه، وكان فيه من الحيوية ما ينشر هذه القوة إلى أفق بعيد قد لا تستطيع شخصية أخرى أن تمد سلطانها الطبيعى إليه. وقد لحظت هذا عند ما افتتح رحمه الله الجامعة المصرية فى سنة ٣١ أو ٣٢ إذ أعدت الجامعة له سرادقاً هائلاً فى الفضاء الذى كان خلف كلية الآداب، وأعدت له الجامعة عرشاً نصبته على منصة عالية، فلما جلس جلالته على العرش مستمعاً إلى الخطباء، ولما وقف الجارم بك يلقى شعراً انصرفت أنا عن الشعر، وكنت بين الطلاب، إلى مشاهدة هذا الجمع والتأمل فيه، وكان أن مددت بصرى إلى نهاية السرادق أو نهاياته جميعاً، فإذا بى أرى كل فرد من هذا الزحم قد ترك الشعر مثلما تركته أنا، وأسلم نفسه بحواسه جميعاً إلى هذا الملك كأنه ينتظر منه أن يلقى إليه إشارة فيسرع إلى تلبية الإشارة ... كل فرد كان على هذه الحال، ومن يومها آمنت بأن فؤاد الأول لو لم يكن ملكاً لكان ملكاً ...

أمام هذه الشخصية ... من الذى يستطيع أن يمثل دور محمد على الكبير تمثيلاً حياً، يبدأ حياً، ويستمر حياً وينتهى بانتهاء الرواية حياً لا تخلخل فيه ولا هبوط ؟!...

لقد كانت مشكلة، ولقد حلتها شركة ترقية التمثيل العربى بأن عهدت بالدور إلى عبد العزيز خليل ...

ووجدها عبد العزيز خليل فرصة العمر

وفى ليلة الملك هدر عبد العزيز خليل ساعتين أو ثلاث ساعات من ساعات يقظته الفكرية وهى الساعات القليلة التى تمد فى حياة الفنان الإنتاجية فى إعداد شكله ونفسه بالمكياج، أما شكله فقد لعب فيه بالأدهان والشعر والأصباغ، وأما نفسه فقد لعب فيها بالكبر ليكون كالرجل الكبير الذى سيمثله، وبالتقوّى حتى يكون كالرجل القوى الذى سيفيده إلى الأنظار والأسماع والأفئدة، وبالتسلط حتى يكون كذلك السلطان محمد على

ورفعت الستار، وبدأت الرواية ودخل محمد على ... محمد على الممثل دخل إلى المسرح

ولكن حدث أن حضرة صاحب الجلالة الملك بالقوة والحق فؤاد الأول وقف احتراماً لمحمد على ... فوقف الشهود معه أمراء ووزراء ومن هم دون ذلك

فهل كان جلالته يقف لأى ممثل آخر ... مهما كان الممثل! لا . وإنما جلالته وقف جزاء وتكريماً لهذا الممثل الذى أفنى نفسه واستحضر بدلاً منها نفس محمد على ، فلم يبد من نفسه شيء وإنما دخل إلى المسرح وهو محمد على فلم يكن عجباً من حفيد محمد على أن يقوم إجلالاً لمحمد على هذا الذى يراه ماثلاً أمامه ...

لقد اضطرب عبد العزيز خليل ولم يعرف كيف يتخلص من هذا الموقف المربك ، فكان أن ألهمه الله الخلاص إذ أشار بيده إشارة شاملة إلى الممثلين من حوله وقال : تفضلوا يا أولادى

وانتهى التمثيل ، وبلغت السراى إعجابها إلى الأستاذ عبد العزيز خليل ، ومنحت شركة ترقية التمثيل العربى ممثلها هذا الفذ مبلغاً كبيراً من المال مكافأة له على تشريفها فى عينى الملك

ودارت الأيام ، وانفضت شركة التمثيل العربى ... وإذا بعبد العزيز خليل ممثل معطل ، حتى الفرقة القومية التى تضم الأساتذة : محمد على إسماعيل ، وإبراهيم محمود عبد الله ، وعبد الله محمود إبراهيم ، لا تريد أن تعترف بالأستاذ عبد العزيز خليل ممثلاً لماذا ... ؟

ليس هناك سبب إلا أنه ممثل عظيم ، وأنه وصل إلى ما لم يصل إليه ممثل مصرى ؛ وهذا عند أهل التمثيل كاف جداً لأن يكون مبرراً للقتل ؛ فكلما جاء ذكر عبد العزيز خليل جاءت معه النميرة وجاءت معه النميمة ، والاغتياب ، والتهم الحقة والتهم الباطلة ، وكل ما يمنع عنه الرزق والخبز والماء والهواء إذا أمكن ...

فإذا ثار عبد العزيز من شدة هذا الضغط الحرام وقال كلمة نابية ، أو كلمة خارجة استشهد على هذه الكلمة الشهود وحوسب عليها أشد الحساب . . . وغيره يا ما أكثر ما يقول ، ويا ما أكثر ما يفعل ، ولكنه مسامح ومقبول منه كل ما يقول وكل ما يفعل إذ لا خطر منه على أهل الفن كالخطر المنظور من عبد العزيز خليل والرؤساء يسمعون الداهنين المتملقين ، ولا يسمعون الصادقين

وعلى هذا الأساس سيموت عبد العزيز جوعاً فى مصر بعد أن مات عطشاً إلى فنه ...

فإلى من يشكو عبد العزيز وأمثاله ؟ ! ...

إلى الله وإنه سميع مجيب ... وهو الرزاق وحده ، وهو المنتقم الغفار ، الجبار الرحيم

***

وعبد الحميد الديب ، الشاعر الذى يهجو بالشعر الأستاذ العقاد ويأخذ منه أجر الهجاء

لماذا يعطيه الأستاذ العقاد أجراً على هجائه وهو الذى إذا عمد إلى القلم هاجياً تقصفت أمام هجائه الأقلام ؟ ... لاريب أن العقاد يشعر بحلاوة فى هجاء الديب ، وهذا الشعور اعتراف من العقاد بأن الديب أديب كبير وشاعر يفاجئه بمعان وأخيلة يستحسنها ويطرب لها ... وشهادة العقاد واعترافه لها أثرهما فى حياة الكثيرين من الأدباء فى مصر ؛ فهناك ناس أصبحوا بين الأدباء المعدودين والشعراء الملحوظين ، وما كانوا ليكونوا شيئاً مذكوراً لولا أن العقاد زكاهم بكلمة أو كلمتين ...

وهذا عبد الحميد الديب لا ريب أنه كان يحب من الأستاذ العقاد كلمة عن شعره وأدبه ينشرها فترفعه من صفوف المغمورين الجياع إلى صفوف البارزين المرتاحين ...

ولكن الأستاذ العقاد له من شغله ما ينسيه عبد الحميد الديب فلا يذكره إلا وقت ما يراه ، ووقت ما يستمع إلى هجائه ، ووقت ما يدفع ثمن هذا الهجاء ... ثم ينساه ...

لقد ضاقت الحياة النظيفة بعبد الحميد الديب . وانجرف فى تيار لا ريب أنه أول من يكرهه ويمقته ، ولكن كيف سبيله إلى الحياة النظيفة وهو كلما طرق باب عمل فى صحيفة طن الذباب وأزت الصراصير فى آذان أصحاب العمل بأن هذا رجل فاسد وأنه كيت وكيت ، كأن أولئك الذباب والصراصير من مختلسى حرفة الأدب والشعر لا فساد فيهم ولا كيت ولا كيت ، والواقع الذى يعلمه الله أنهم كلهم فساد وكيت وكيت ...

الذباب والصراصير ...

أنقذ الله منهم عبد الحميد الديب . . .

وحسن سلامة ... الملحن الذى انجذب إلى حسن الأنوثة وجمالها فانطبعت فى روحه بحركاتها وسكناتها ، والذى يلحن كلما ضاق به الحال لبديعة أو بيا لحناً أو لحنين ولا يعود إليهما إلا إذا ضاقت به الحال مرة أخرى ... والذى كلما لحن لحناً اغتصبته « المونولوجيستات » و « العوالم » ورحن يتاجرن به فى الليالى والأفراح ملاقيات ما شاء الله من النجاح والترحيب والأجر الكريم ... وصاحب الحق الأول فى هذا كله مغمور مفلس لا يهتم به أحد لأنه إذا اهتم به أحد ظهر فى الميدان ظهوراً قد تنكسف معه أضواء الكثيرين من الكواكب والنجوم ...

وعلى هذا أيضاً تلوثت سمعة حسن سلامة ، فكلما اقترح مقترح على واحد أو واحدة من أصحاب العمل باستغلال مواهب حسن سلامة هيأ الشيطان لحسن عقلاً ذميماً مناعاً للخير معتدياً أثيما يقول إن حسن سلامة مجنون بالنسوان وأنه خطر على الراقصات والمغنيات اللواتى يجمعهن به العمل ، وأنه خطف فلانة من مسرح كذا ، وفلانة من صالة كذا

والمسكين لا يخطف ولا يغتصب وإنما هو يتزوج ويطلق بحثاً وراء الراحة والعيش المطمئن ...

إن هذا الملحن جدير بأن يمهد إليه استوديو مصر تلحين الأغانى فى أفلام استعراضية قصيرة يتوفر عليها مخرج لبق رشيق وتقوم بآدائها فنيات خفيفات كأولئك اللواتى نراهن فى استعراضات هوليود ...

هذا صحيح ... ولكن أين هو ذلك المخرج ، وأين هن الراقصات ، وأين هو ذلك المدير الذى يسمح للحن شاب بالتجلى والظهور يتبعهما المجد والربح الوفير

لا شىء من هذا فى مصر ... وإنما يجب على حسن سلامة أن يموت ...

***

وسيد سليمان ... الذى لا تنقصه الصبغة ليكون مثل « آل جولسن » ... إنه مغن وممثل ومونولوجست وزجال أيضاً لو أن الفرصة أتيحت له للظهور فى السينما لجذب الجماهير وقفز قفزة قد يعلو بها على مرتبة القابضين والقابضات على خناق الفن فى مصر ... ولو أنه أتيح له أن يلقى مونولوجاته الاجتماعية الحية بين الفصول الدسمة جداً التى تمثلها الفرقة القومية لغطى الفرقة وفنها الهائل جداً ...

ولكن منذا الذى يسمح له بهذا ؟ ... أهم مجانين ... إن عليه أن يموت ... ولكنه لن يموت ...

***

هؤلاء أربعة ... والخامس ...

عزيز أحمد فهمى



العوائد[1]

الأستاذ مصطفى محمد ابرهيم ضم (الأهالى) محسناً إلى قبيل العربية ، والأهالى والأهلون والأهلات[2] عربيات خالصات .

وحاول الأستاذ أن ينقذ (العائلة) فى (تحرير المرأة) إنقاذاً لغوياً ... بيد أنه نسى (العوائد) أو تناساها ، فهل يحاشى صاحبه ناقدها الأستاذ محمداً أبا بكر ابرهيم فى تخطئته إياها ؟

إن العلامة الفيومى فى (المصباح المنير) يقول : العادة معروفة والجمع عاد وعادات وعوائد[3]

والعلامة الشيخ ابرهيم اليازجى تقبل (العوائد) فى (الضياء) تقبلاً مليحاً على حنبلية فى اللغة عنده وعلى ولعه بتخطئة الصحيح ، فقد ورد هذا الجمع فى مقالة له لا لغيره فى مجلته : « ... ولا يطلب علماء هذه الأيام الوقوف عليها (أى على طائفة من الكتب) ، إلا بقصد الاطلاع على الشىء الغريب ، كما يحب أحدنا الاطلاع على (عوائد) أهل الصين »[4] . وروى نصاً فى التاج فى جواب سؤال : ومن جموع العادة عوائد ذكره فى المصباح وغيره وهو نظير حوائج فى جمع حاجة نقله شيخنا » ثم قال - أعنى اليازجى - : « فالظاهر من هذا النص أن هذا الجمع منقول عن العرب لثبوته عند أئمة اللغة[5] »

وبين العلامة الفيلسوف ابن خلدون وبين[6] (العوائد) حلف أو محالفة أو معاهدة متينة مستمرة فهو لا يترك (عوائده) هذه فى حال فى مقام يقتضيها :

« ... — فى أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله و (عوائده) — والسبب فى ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فى من غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وقر[1] عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى إنما هو لكمال الغالب ، فإذا غالطت بذلك انتحلت جميع مذاهب الغالب ، وتشبهت به ؛ أو لما تراه من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس ، وإنما هو بما انتحله من (العوائد) والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب ، وهذا راجع للأول ، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلامه وفى سائر أحواله »

« أن (العوائد) تقلب طباع الإنسان إلى مألوفها ، فهو ابن (عوائده) لا ابن نسبه »

« ... — فى أن رسوخ الصنائع فى الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها — والسبب فى ذلك ظاهر ، وهو أن هذه كلها (عوائد) للعمران والألوان ، و (العوائد) إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد ، فتستحكم صبغة ذلك ، وترسخ فى الأجيال[2] »

فهذه (العوائد) التى طولنا الكلام فيها أو عليها هى من جموع العادة والسلام .

* * *

بشر بن عوانة

قالت جريدة المكشوف البيروتية فى مقال نشرته فى العدد (٢٨٣) بعنوان « شاعر جاهلى غير موجود يعيش ألف سنة » : إن الأستاذ بطرس البستانى صاحب كتاب « أدباء العرب » كان فيما تعلم أول من أنكر وجود بشر بن عوانة ، وأظهر أنه هو

(١) تراجع الرسالة ٣٨٩ و ٣٩١ ص ١٨٢٢ و ١٨٧٨

(٢) الأهلات من جموع الأهل وهى بسكون الهاء وفتحها ، وفى اللسان : الأهالى جمع الجمع

(٣) زاد بعضهم العيد . . .

(٤) السنة ٤ ص ٣٥٥

(٥) السنة ٢ ص ٤٠٤

(٦) تكرير بين مع الظاهر أكثر من الكثير فى كلام الجاهليين والاسلاميين والأئمة ، وقد أخطأ الحريرى فى تخطئة ذلك

(١) وقر فى قلبه كذا : وقع وبقى أثره (الأساس)

(٢) إنما يعنى ابن خلدون بالأجيال هنا هو مايقصده الدكتور زكى مبارك . وفى فصل آخر فى المقدمة . « . . . ولا يزال الفكر يخرج لصنائفها ومركباتها (يعنى الصنائع أو الصناعات) من القوة أو الفعل بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدريج حتى تكمل ، ولا يحصل ذلك دفعة ، وإنما يحصل فى أزمان وأجيال » ويضاف إلى قول التاج فى الرسالة ٣٩٢ قول المصباح وهو هذا : « والقرن أيضاً الجيل من الناس »

وقصيدته فى وصف قتاله للأسد من خلق بديع الزمان الهمذانى فى مقامته البشرية . والكشوف التى جعلت من همها حماية الإنتاج الأدبى وتصحيح نسبته إلى صاحبه ، يسرها أن نعلم أن الرسالة هى أول من نبه إلى أسطورة بشر بن عوانة فى الصفحة ٣٥ من عددها التاسع والسبعين الصادر فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ ، وهو العدد الأول من سنتها الثالثة ، فترجو أن تنبه إلى ذلك

حول العدد الممتاز من مجلة الحديث السورية

نوّه الأديب السيد نصار فى العدد (٣٨٨) من (الرسالة) بالعدد الممتاز الذى أصدرته مجلة الحديث السورية ، وخصت به المستشرق المنتحر الدكتور (اسماعيل أحمد أدهم) ، وقد أشار إلى ما كتبه أدباء مصر الأعلام عن المستشرق المذكور ، وأغفل ذكر الكتاب الآخرين وقال : « وعداها لا توجد كلمات أخرى لكاتب مصرى . . . ! » كأن الكلمات الأخرى لا تستحق التنويه والإشارة ، مع أن الوفاء كان يقضى على الأديب بأن يذكر الكتاب السوريين الآخرين (والمجلة سورية) ولا بدّ من التنويه بأنه إلى جانب كلمات إخواننا المصريين كلمات أخر . منها كلمة عنوانها « دمعتى على أدهم » لأديبة الشام السيدة وداد سكاكينى ، وأخرى عن « قوة الإيمان وعذاب المفكرين » للأديبة الرقيقة الآنسة فلك طرزى صاحبة (الآراء والمشاعر) ، وقصيدة رائعة للشاعر المعروف عمر أبى ريشة عنوانها « ظمأ الروح » ، وثانية للشاعر الأديب الأستاذ زكى المحاسنى عنوانها « الستار » ، وثالثة للشاعر صلاح الأسير ، ورابعة للشاعر شارل بحورى ، وهؤلاء كلهم سوريون

ولعلى أعود إلى نقد العدد ومضامينه بعد حين .

(دمشق) المجد

الى الدكتور زكى مبارك

قرأت مقالكم النفيس « مطالعات فى الكتب والحياة » لعباس العقاد فى مجلة الرسالة الغراء ولشدّ ما أعجبنى حين اطلعت على ملاحظتكم الصغيرة حول كلمة الظرف إذ أنكم ضممتم الظاء فيهما مراعين فى ذلك الاتباع خصوصاً لأن الجمهور فى مصر ينطق الظرف بضم الظاء ؛ فهل لى أن أستبين من ملاحظتكم هذه وأنتم من خلفاء سيبويه القرن العشرين أنكم لا تبالون بقواعد النحو والصرف بل تسيرون على منهاج المراعاة فى الاتباع من الألفاظ وتتنالون فى تحوير أصول النطق الصحيح وقواعده السليمة ؟ وهل لى أن أنقدكم وأؤاخذكم على ذلك وأنتم أول من سبقنى فى نقده للأستاذ أحمد أمين وجنايته على الأدب العربى ، فحملتم حملة شعواء عليه لغلطة فى التحريك ارتكبها وهو أمام المذياع .

وتفضلو بقبول أسمى تحياتى إلى روحكم الطيبة من أبناء الجيل الجديد .

(حيفا — فلسطين) الياس سليمان بحوث

فتيات فى الأزهر

أتيح لى أن أستمع إلى المناظرة الطريفة التى أقيمت بطنطا بين فريقين من طلاب الأزهر . وكان موضوع المناظرة يدور حول السماح للفتيات بالانتظام فى سلك طلاب الأزهر على نحو ما هو متبع الآن فى كليات الجامعة المصرية . . .

وأذكر أن الأديبة أمينة السعيد كانت أول من أثار موضوع تعليم الفتاة فى الأزهر ، فتحدثت إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى حديثاً نشرت خلاصته الصحف . أذكر منه أن فضيلته رحب بالفكرة على أن تكون الفتيات فى عزلة عن الشبان ، أى أن تنشأ لهن فصول خاصة يتلقين فيها أصول الدين الحنيف »

وقد ذكر المستشرق الإنجليزى (مستردن) فى كتابه « الحياة الفكرية والتعليمية فى مصر فى القرن التاسع عشر » ما خلاصته « أن الحملة الفرنسية فى قدومها إلى مصر وجدت فى صحن الأزهر بضع نساء يتعلمن إلى جانب الشبان ويتفقهن فى قواعد الدين . وكانت هناك حالة ضريرة يلتف الشبان حولها ويتلقون الدروس عنها ؛ كما أنه كان فى معهد طنطا الدينى جماعة من الفتيات يحضرن الدروس الدينية ويستمعن إلى التفسير والحديث »

ابراهيم ابراهيم الخولى

تصحيح

كتب الأستاذ سيد قطب كلمة فى العدد الماضى من الرسالة الغراء عن الذوق الفنى فى مصر وجهها إلى المدرسة الحديثة ، ولا أريد الآن التدخل بين الأستاذ وجماعة الأدب الحديث ،

ولكنى أريد — وأرجو الأستاذ أن يغفر لى تطاولى — أن أصحح خطأ جاء فى حديثه عما سماه سهواً منه « أسطورة نهر الجنون » . فقد أراد الأستاذ أن يستند فى حديثه إلى أسطورة قديمة ولكنه ذكر بدلاً منها مسرحية للأستاذ توفيق الحكيم على أنها الأسطورة القديمة

أما الأسطورة فإنما تتحدث عن بئر شرب منها الناس فجنوا ولم يجد الملك ووزيره بداً من الشرب منها هما أيضاً ليكون شأنهما شأن الناس ، ولم يجيء فى الأسطورة أى ذكر للملكة

وحديث النهر وحديث الملكة وقصة قلقها وحزنها كل ذلك من خيال مؤلف المسرحية ، ذكرها ليصور مسرحيته وعرض مشاهدها ونسقها كما شاء له خياله متخذاً أسطورة البئر أساساً للمسرحية ...

هذا هو التصحيح الذى أردته ، وأسأل الأستاذ قطب المعذرة مرة أخرى

محمود عزى

أسئلة

سيدى رئيس تحرير الرسالة

تتبعت كل ما قيل فى تفسير بيت ابن عربى . بذكر الله تزداد الذنوب الخ فى أعداد الرسالة السابقة وقد ذهب الأستاذ الباجورى إلى أن لرجال التصوف نظرات عكسية تقلب الحقائق المعلومة إلى حقائق أخرى عليا لا يدركها غير أهلها . لذا أرجو من الأستاذ الباجورى أو الدكتور زكى مبارك الذى توصل لحل الكثير من قول أعلام الصوفية أن يفسر لى أحدهما تفسير ابن عربى لقوله تعالى: «مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً» . ولقوله تعالى : « أنا ربكم الأعلى »

قال ابن عربى أغرقوا أى قوم نوح فى بحار العلم بالله وهو الحيرة ، فأدخلوا ناراً أى نار المحبة ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ، فكان الله عين أنصارهم وأن الكل بالله ولله بل هو الله

أما قول فرعون أنا ربكم الأعلى وإن كان الكل أرباباً فصح قوله أنا ربكم الأعلى وإن كان عين الحق ، فالصورة لفرعون باختصار من كتاب النصوص. إﻫ . والسلام عليكم ورحمة الله

(بواد نوباوى . أم درمان) يوسف محمد أغا

الجمعية العربية ببريطانيا

اجتمعت الهيئة العامة للجمعية العربية ببريطانيا يوم الأحد الموافق ٧ يولية سنة ١٩٤٠ فى الساعة الخامسة بعد الظهر وقررت ما يلى :

أولاً : أن تبقى أموال الجمعية (ومقدارها مائة وثمانية وعشرون جنيهاً وستة عشر شلناً وبنسان) باسم « الجمعية العربية » فى المصرف . ويودع حق نقل مالية الجمعية إلى ثلاثة أشخاص يمثلون ثلاثة أقطار عربية يكون لهم كاتم للسر من بينهم . وانتخب السادة : عبد المعز نصر (عن مصر) وموسى الحسينى (عن فلسطين) وعبد العزيز الدورى (عن العراق) . ثم انتخب السيد عبد العزيز الدورى ليكون « نقيب الجمعية » أو كاتم السر

ثانياً : فى نهاية الحرب ، ترسل الهيئة الموكلة بياناً إلى الطلاب العرب فى انجلترا بواسطة :

(ا) المفوضيات والقنصليات العربية فى انجلترا

(ب) مكاتب البعثات والنوادى العربية فى انجلترا

(ج) الجامعات

(د) الصحف العربية

تنبئ فيه الطلاب العرب فى انجلترا بأن « الجمعية العربية » (١٩٣٧ — ١٩٤٠) تركت مبلغ (١٢٨ جنيهاً و ١٦ شلناً وبنسين) لجمعية عربية تؤسس بعد الحرب فى انجلترا بشرط :

(ا) أن لا يقل عدد أعضائها عن خمسة عشر عضواً على أن يمثلوا قطرين عربيين على الأقل

(ب) أن تقبل مبدئياً دستور الجمعية العربية (ببريطانيا) السابقة .

(ج) أن يشهد بذلك أحد الوزراء المفوضين العرب فى لندن

(د) وينتقل حق التصرف بأموال الجمعية لأول جمعية عربية تثبت تحقق الشروط السابقة فيها .

ثالثاً : وإذا لم تؤسس جمعية عربية فى انجلترا بعد انتهاء سنتين من إمضاء معاهدة الصلح فإن اللجنة تتصرف بأموال الجمعية حسب مواد قانونها الأساسى

هذا مع العلم بأن الجمعية العربية قد وقفت أعمالها مدة الحرب

عبد العزيز الدورى
نقيب الجمعية العربية ببريطانيا



مكافأة رلف ...

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان النسيم يهب من جانب البحر لطيفاً هادئاً ولكنه بارد على الرغم من هدوئه ، وكان رلف مانرنج يرتعش وهو واقف ويدثر نفسه بردائه وقد قلب ياقة السترة ولفها حول عنقه ، وقد استمر وقوفه مدة طويلة وهو عديم الحركة . ثم مشى وهو يتلفت نحو كل باب يمر به ليعرف أي المنازل هو الذي يريد ، ورأى على ضوء المصباح الرابع في ذلك الطريق منزلاً ذا حديقة صغيرة فوقف أمامه واشتد خفوق قلبه وحاول عبثاً أن يهدئ من اضطرابه ، ثم أخرج من جيبه مظروفاً وراجع وصف المنزل الذي يراه على ما كتب على ذلك المظروف بالرغم من أن ما يقرؤه كان منطبعاً في ذاكرته وبالرغم من أن هذا المنزل هو الذي يريده بغير شك

وحاول رلف أن يفحص المنزل فيما وراء الحديقة ؛ ولكن النور كان قليلاً فلم يستطع أن يرى غير هيكل يحيط به الظلام . ففتح باب الحديقة ومشى فوق ممر ضيق بين النبات . ولما صار أمام باب المنزل عاد إلى الوقوف مرة أخرى وهو يحاول تهدئة نفسه ، ورفع بصره فوجد مصباحاً ضئيلاً يضيء في إحدى الغرف . أما سائر النوافذ فكانت مغلقة ؛ فدق الجرس وهو يسائل نفسه كيف يقابل الفتاة التي جاء لمقابلتها ؟ وفتح الباب فتنهد تنهد الراحة ، وأطلت الخادمة فسألته ماذا يريد . فسكت لحظة ثم قال : هل بيرتا كاستر هنا ؟

قالت : سأسأل ، ولكن من أنت ؟

فتردد رلف قبل الإجابة ثم قال : قولي لها إن صديقاً قديماً يريد مقابلتها !

فظهر الارتباك على وجه الخادمة من عدم ذكر الاسم ، وقالت : إنتظر قليلاً حتى أعود

ثم أغلقت الباب ودخلت . فابتسم رلف ابتسامة مؤلمة من لجوئها إلى هذا الاحتياط

وبعد قليل عادت وقادته إلى غرفة الاستقبال ، فجلس وهو يدير لحظه في كل ما حوله ليفحص المكان ، وقد اجتمعت في ذهنه في هذه اللحظة كل الذكريات القديمة . ورأى على المكتب صوراً في أطُر ، فنظر إلى إحداها نظرة طويلة وقد علت وجهه مسحة من الحزن وهو ينظر إلى الوجه الجميل الذي يراه في الصورة ويوازن بينه وبين الوجه الذي شهده في أيامه الأخيرة

وقد شوش عليه هذه الخواطر فتح الباب ودخول فتاة ، فالتفت إليها ولاحظ أنها تتجاهله رغم ما كان بينهما من صداقة متينة منذ سنوات . فقال في نفسه : هل يحدث مرور سبع سنوات كل هذا التغير أم لأن الخمس الأخيرة من هذه السنوات قد قضيتها في السجن ؟

ثم دنت بيرتا فلاحظ اضطرابها وسألته : هل تريد مقابلتي ؟ فلم يجبها ، لأن اضطرابه كان أشد مما سبق فأعادت سؤالها : لماذا جئت إلى هنا ؟

وكانت كلماتها تخرج ببطء وفي شيء من التردد . فمشى نحوها وقد خانه النطق ، فقد كان منذ عهد طويل يحلم بهذه المقابلة ، وكان قد أعد ما سيقوله في كل مرة فكر فيها في هذه المقابلة . ولكنه الآن لا يذكر حرفاً واحداً

قال : ماذا تريد ؟ فأجابها : لقد جئت ... ألم تلاحظي يا بيرتا أن حبي إياك لم يتغير بعد كل هذه السنوات ؟

قالت بيرتا : لقد كنت أظن بعد حدوث . . . ثم سكتت فجأة كأنما أرادت أن تصوغ جملتها في أسلوب آخر . وقالت : لقد كنت أعنى بحبك لما كنت تستحقه . ولو أنك كنت تحبني حقاً لما هبطت هذا الهبوط

فاصفر وجه رلف وعرته رعشة وقال : هل أنت تعتقدين إجرامي ؟

فتراجعت بيرتا قليلاً وقالت : ماذا كنت أعتقد غير ذلك ؟ إن القرائن كلها ضدك وأنت لم تدافع عن نفسك أي دفاع ؛ وقد حاولت أن أفهم كيف لا تكون أنت المجرم ؟

فمشى رلف فى الغرفة ذهاباً وجيئة وهو مفقود الصبر ، ثم وقف أمامها فجأة وقال : أقسم بشرفى أنى لم آخذ المال ، وأنت تقولين أنك تحبينني ، ولكنك تعتقدين أنني مجرم ؛ وأنا أقسم بشرفى أنى برىء يا بيرتا

ثم قال بلهجة مؤلمة : لقد قضيت خمسة أعوام فى الجحيم ؛ ولكن آلامى فى هذه المدة لا تذكر بجانب الآلام التى أعانيها فى المستقبل إذا أنت طردتنى

لم تجبه بيرتا وكانت فى أعماق نفسها تعرف أنها تحب الرجل ولكن شبح الجريمة المنكرة التى كانت تعتقد أنه ارتكبها قد حال بينها وبين الجواب الذى تود من صميم قلبها أن تجيب به

ومشى رلف نحو الصورة التى كان ينظر إليها أولاً ويلاحظ الشبه التام بين صاحب هذه الصورة وبين أخ لبيرتا ؛ ثم عاد إلى الالتفات نحوها وقال : وإذا برهنت لك على براءتى ، فهل تتزوجين منى ؟

فأطالت نظرتها إليه وقالت : ربما ، ولكن من الصعب أن أعد . إنك الآن غريب وإن أخى ...

ثم أحنت رأسها فاغرورقت عينا رلف بالدموع وقال بصوت يدل على التأثر : لقد علمت

قالت بصوت فيه رنة البكاء : هل سمعت ؟

فلم يجبها ولكنه عاد إلى الالتفات للصورة

قالت : لقد كنت أحبه ؛ وبعد ذلك الحادث استقال من منصبه ، وكنت أحاول منعه عن السفر ولكنه سافر وحصل على عمل فى روسيا وقد مات بعد عهد قصير وكنت يوم سفره أشعر بأنى فقدت كل شىء

فقال رلف : لقد كنت معه عند موته

التفتت بيرتا واصفر لونها وابيضت شفتاها وأخذ يقص عليها كيف قام بواجباته فى مدة المرض والاحتضار وبعد الوفاة .

فقالت : شكراً لك يا رلف ولكن كيف قابلته ؟

قال : بعد خروجى من السجن أردت السفر لأتناسى هذه النكبة وعلمت أنه سافر إلى روسيا فسافرت إليها فأدركته فى الوقت الأخير

وكان وهو يتكلم يلاحظ ما يبدو عليها من التأثرات ، فأدرك أنه إلى ما قبل هذه اللحظة لم يكن يعرف مقدار حبها لأخيها

وكره استمرارها على هذه الحالة النفسية فحاول تغييرها وجثا على ركبتيه بالقرب منها وأمسك بيديها وقال : ألا تسمحين يا بيرتا بأن تجعلى لى من قلبك مكان أخيك ؟ إننى أجعل حياتى كلها وقفاً على إسعادك . تعالى نسافر من هنا فنقيم فى مكان بعيد نحاول فيه نسيان هذه الذكريات

فخلصت بيرتا إحدى يديها من بين يديه ووضعتها فوق رأسه . فشعر رلف فى هذه اللحظة بالسعادة التامة . وقالت : أنت تعرف يا رلف أننى أحبك ولكنك تعرف الذى يحول بينى وبينك . وعليك أن تبرهن على أنه خطأ

قال رلف : إننى لا أستطيع يا بيرتا أن أبرهن على أنى برىء؛ ولكن ألا تثقين بما أقول ؟ إذا كنت تحبيننى فيجب أن تثق بما أقول

فلم ترفع بيرتا رأسها ولم تجب . فوقف رلف ثم مشى متباطئاً نحو الباب وهو يأمل أن تستوقفه بكلمة . ولكنها لم تتكلم . ففتح الباب ورأسه منحنٍ إلى الأمام ، واجتاز الممر على مهل وهو لا يزال يأمل أن تناديه . فلما صار عند باب الحديقة أخرج من جيبه اعتراف أخيها ومزقه بحالة تدل على أن عزمه على تمزيقه كان نتيجة فكرة فجائية . ووقف ذاهلاً وهو لا يعرف كم وقف

وشعر بيد توضع فوق كتفه ، وصوت رقيق يقول : « إننى يا رلف أكتفى بقولك فإنى أثق بك وبما تقول »

عبد اللطيف النشار

تعليق المترجم

رحم الله الشاعر العربى الذى يقول :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له	ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل	به سكتة حتى يقال مريب
لقد ظلموا ذات الوشاح ولم يكن	لنا فى هوى ذات الوشاح نصيب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)

Lundi - 3 - 2 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

9me Année No. 396

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٩٦ — « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣ فبراير سنة ١٩٤١ » — السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١١٣ تقليد كريم ... ... : لـكاتب كبير ... ...
١١٥ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١١٩ تطور الدلالة ... ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
١٢٢ أومن بالانسان ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
١٢٥ لست أومن بالانسان ... ... : الأستاذ زكى نجيب محمود ...
١٢٧ أسبوع فى تاريخ الأزهر ... : الأستاذ محمد محمد المدنى ...
١٢٩ كلمات ... ... : الأستاذ « محمود » ... ...
١٣٠ تجديد أغراض المجمع اللغوى : لصاحب المعالى وزير المعارف
١٣٣ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محـمود الخفيف ...
١٣٥ وداع الشعر ... [قصيدة] { للشاعر الفرنسى لامرتين ... / ترجمة الأستاذ محمد أسعد ولاية
١٣٧ المجمع اللغوى والمعجم الوسيط : . ...
خبيرات فى الـكذب ... : الأستاذ عبـد اللطيف النشار
التعليم فى مصر فى السنوات العشرين الماضيـة ... ... } . ...
١٣٨ تصحيح رواية فى مقال ... : الأديب خالد عبد المنعم ...
فتيات فى الأزهر ... ... : الأديب محمد أمين حسونة ...
١٣٩ الرفاق الثلاثة ... [قصة] : الأستاذ عبـد اللطيف النشار

١٦ ـ ٨

فى عيد الهجرة

تقليـــد كريم

يسنه صاحب الجلالة الفاروق

« لكاتب كبير »

لم يكن رأس السنة الهجرية من الأيام التى تحتفل بهـا الحـكومة المصرية بصفة رسمية ، وإنما يرجع هذا التقليد المحمود إلى دعوة هتف بها شباب الحزب الوطنى قبل أكثر من ثلاثين سنة على لسان « إمام واكد » الذى سُجن فيما بعد مدة طويلة بعـد أن حوكم فى قضية سياسية كان لها فى قلوب الجماهير دوىٌّ وضجيج

وقد استجابت الحكومة لتلك الدعوة فى سنة ١٣٢٧ وكان رئيس الحـكومة يومئذ بطرس غالى باشا ، فتقرر أن تُغلق المصالح والدواوين فى اليوم الأول من السنة الهجرية ، وبهذا أضيف يوم الهجرة إلى الأعياد الرسمية

ولـكن الاحتفال بذلك اليوم لم يُصبَغ بصبغة التعميم ، فقد كان فى بداية أمره مقصوراً على حفلة يقيمها الحزب الوطنى

لا يزال صديقنا الزيات يعانى مضاعفات المرض ؛ ولعل انقطاعه عن قرائه هـذا الأسبوع أيضا أشق عليه من مرضه ، فنطلب له من الله الشفاء ولنا من القراء المعذرة

فى « كاية مصطفى كامل » بحىّ الجمالية . وقد حضرت ذلك الاحتفال مرة واحدة ، وهى أول مرة وآخر مرة رأيت فيها الزعيم محمد بك فريد الرئيس الثانى للحزب الوطنى . وكان خطيب الحفلة على فهمى كامل بك ، الذى مات وهو يخطب فى رثاء محمد فريد ، فى مساء الحادى والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩٢٦

ثم اتسع نطاق الاحتفال بعيد الهجرة بعد ذلك ، فكان يحتفل به فى الأزهر وفى الجمعيات الإسلامية

ويظهر أن أول وزير أشار بأن تقام الحفلات فى المدارس الأميرية تكريماً لعيد الهجرة هو معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف

ثم ماذا ؟

ثم صار الاحتفال بعيد الهجرة موسماً عظيماً بفضل التقليد الكريم الذى شرعهُ جلالة الملك حين رأى أيده الله أن يحضر الحفل الجامع بالأزهر الشريف . وهى أول مرة يظفر فيها عيد الهجرة بمثل هذا الاهتمام المرموق من ملك مصر والسودان ، وفى معيته الشيوخ والنواب والوزراء وسفراء الممالك الإسلامية

وحفلة عيد الهجرة فى الجامع الأزهر بالقاهرة تذكِّر بصلاة « الجمعة اليتيمة » فى جامع عمرو بالفُسطاط . فالجمعة اليتيمة يحضرها ملك مصر فى كل سنة باحتفال جليل فى جامع عمرو ، لأنه أول مسجد أسس فى الديار المصرية بعد أن فتحها عمرو بن العاص ؛ وكذلك ظفر الأزهر بمغنم جديد هو جعله بصفة رسمية مكان الاحتفال بهجرة الرسول

ولكن بقى شىء وأشياء

بقى التفكير فى جعل هذا العيد موسماً حيويًّا يتصل بأذواق الناس فى فنون المعاش ؛ ولا يكون ذلك إلا يوم يصبح هذا العيد وله فَرحة دنيوية تشبه فرحة الميلاد فى الغرب ، وفرحة النيروز فى الشرق . وهذه الفرحة لا تتمّ إلا إذا وصلناه بحياتنا الاجتماعية ، فمنحناه فرصة من الوقت تسمح بأن تكون أيامه مجالاً للهدايا والرحلات والانشراح

من الجميل حقاً أن يبكّر إمام جلالة الملك فيصلى الصبح بمسجد الحسين ، ثم يخطب فى الناس مذكراً بما عانى الرسول من مكاره الاغتراب فى سبيل الدين . ومن الجميل حقاً أن يخطب شيخ الأزهر بعد صلاة المغرب مذكراً بفضل الأذى فى إذكاء الأرواح والقلوب

كل أولئك جميل ، ولكنى أعتقد أنه لا يصيِّر هذا العيد موسماً شَعْبياً بالمعنى الذى نريد ، كموسم « المولد النبوى » ، وهو موسمٌ اتصل بأذواق الناس إلى أبعد الحدود ، وإن لم يصل إلى الغاية فى خلق فنون أدبية تذكِّر بالفنون التى خلقها النيروز فى العصور الخوالى

فما الذى يمنع من أن تفكر وزارة الشؤون الاجتماعية فى تنظيم عيد الهجرة تنظيماً دنيويًّا بعد أن فكرنا فى تنظيمه تنظيماً دينياً ؟

عيد الميلاد فى الغرب له تقاليد دنيوية هى السبب الأكبر فيما له من جاذبية ، فكيف يفوتنا أن نجعل لعيد الهجرة تقاليد دنيوية بخصائص تغاير خصائص عيد الميلاد ؟

قد يقال إن قرب عيد الهجرة من عيد الأضحى يمنع الحكومة من السخاء بالامتيازات التى تجود بها فى الأعياد ، وهذا حق ، ولكن لا بدّ من التفكير فى خلق أسلوب جديد يجعلنا نشعر فى أول ليلة من المحرّم بأننا مقبلون على عيد سعيد

تعوّد المصريون أن يذكروا موتاهم فى الأعياد الإسلامية ، وبذلك ضيموا على أنفسهم فرصة الانشراح فى ليالى الأعياد ، فهل يكون عيد الهجرة فرصة لموسم جديد لا تَذرف فيه الدموع ولا تشقّ الجيوب ؟

إفرحوا ، أيها الناس ولو متكلفين !

إفرحوا ، أيها الناس ولو متصنعين !

إفرحوا ، إفرحوا ، فالفَرَح هو الزاد الوحيد الذى لم يذقه الناس جيداً فى مصر والشرق

إفرحوا لأفرح معكم ، ولأذوق بفضلكم نعمة الشهود لمواكب الأفراح !

« ... »

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

فى قصر جلالة الملك — التجنى على مصر والشرق — أهل الكهف — حشو الوزينج — مناجاة القمر ومناجاة الشمس — إلى طلبة السنة التوجيهية — الهجوم الآثم على الشيخ سيد المرصفى — إن قول الحق لم يدع لى صديقاً

فى قصر جلالة الملك

كان من الحظ السعيد أن ألتفت إلى الروح اللطيف الذى يسود جوّ التشريفات يوم دخلت قصر عابدين مع المهنئين بقدوم العام الهجرى الجديد

فاذا رأيت هنالك ؟

كنت أحسب أن الناس يقيدون أسماءهم فى الدفاتر ثم يخرجون ، كما كنت أصنع قبل أن ألتفتَ إلى ذلك الروح اللطيف ؛ ولكنى فى هذه المرة عرفت ما لم أكن أعرف ، فقد رأيت المهنئين من وزراء ونواب وشيوخ وأعيان وعلماء يتلاقون فرحين مبتهجين ، ثم يتبادلون الأحاديث الطوال ، وكأنهم تلاقوا على ميعاد فى مكان يرحّب بتلاقى القلوب أطيب الترحيب

كان الرجال يستقبل بعضهم بعضاً فى بشاشة وأريحية ، وكان كل زائر يرى نفسه فى داره ، وقد تجرّد مما يجرى خارج القصر من مختلف الشؤون ؛ فهو فى حَرَم مقدّس لا تهتف فيه النفوس بغير معانى الرفق والصدق والإخلاص

فى قصر جلالة الملك ترى للوجوه ملامح لا تراها إلا هنالك ؛ فقد ترى رجالاً يتلاقون مبتسمين منشرحين ، وكنت تعرف من قبل أنهم لم يكونوا إلا متباعدين متنافرين ، فتدرك أن جلال المكان يوحى بالتآخى والصفاء

إن باب ذلك القصر يُفتَح للجميع فى المواسم والأعياد ، فما الذى يمنع من اغتنام هذه الفرصة السخيّة لنتخذ منه ملتقى لأرواحنا وقلوبنا فى كل موسم وفى كل عيد ؟

لا بدّ من لحظات ننسى فيها شواجر الخصومات اليومية ، ونلتقى فيها منزهين عن أسباب التمادى والشقاق ، فكيف يفوتنا أن نجعل رحبات ذلك القصر ميادين لسباق العواطف فى تلك اللحظات ؟

أقول هذا وقد شفى الله صدرى من خصومات محاها تلاقى الوجوه والقلوب فى قصر جلالة الملك ، فرجعت وفى صدرى أنوار لم أشهد مثلها من قبل ، والمكان الطيب كالبلد الطيب لا يثمر غير الخيرات والبركات

أعزّ الله جلالة الملك ، وجعل قصره موئل العواطف والأرواح والقلوب ، وأدام على أمته نعمة الأنس بنفائس المعانى وكرائم الأغراض

التجنى على مصر والشرق

أنا لا أقول بوجوب التغاضى عما فى مصر والشرق من عيوب ، فالدعوة الإصلاحية قد توجب أن نكشف عن مواطن الضعف فى مصر والشرق ، وإنما أكره أن نتجنى على بلادنا بلا موجب معقول ، فنذلك يوحى إلى القراء أننا خلقنا متخلفين عن جيش العبقرية والنبوغ

أكتب هذا وقد قرأت كلمة الأستاذ « محمود » عن روزفلت وهو العبقرىّ « الكسيح » ففى رأى هذا الكاتب أن الشلل لو أصاب طفلاً مصريّا أو شرقياً بمثل ما أصاب به روزفلت لكان مصيره أن يكون « تافهاً ساقط النفس خائر العزم مريض القلب »

وما لمثل هذا التجنى حملنا الأقلام ، أيها المربى الفضال

فى مصر والشرق مئات من أصحاب العاهات وصلوا إلى منازل لا تقل فى قيمتها الجوهرية عن منزلة روزفلت ، إلا أن تكون « رياسة الحكومة » هى المثل الأعلى بين منازل التشريف !

وما خطر الكساح فى أرض مثل أمريكا ، وقد عرف أهلها أن مرجع الحكم إلى العقل ؟

إن كان عندك بقية من الإنصاف ، أيها الأستاذ ، فوجهها مشكوراً إلى المجاهدين فى مصر والشرق ، ولا أقصد المجاهدين من أصحاب العاهات ، فأولئك رجال أقاموا ألوف البراهين على ما يملكون من قوة العزائم والنفوس ، وإنما أقصد المجاهدين من أهل السلامة فى الأجسام والحواس ، فأولئك أقوام يعانون كساحاً أفظع وأثقل من الكساح الجثمانى ؛ فالكسيح جسمياً يشعر بأنه مشدود إلى الأرض من وجهة حسيّة ، أما الكساح الذى

يرزأ به الرجل السليم من أهل النبوغ والعبقرية فيُرمى عليه من المجتمع المتخلّف ، المجتمع الذى ينظر إلى النوابغ والعبقريين بارتياب واحتراس ، ثم يشدهم بعنف ليقيموا حيث أقام فى حضيض الغفلة والجمود

فى أوربا وأمريكا يتلهف الناس إلى المبتكر الطريف فى الآداب والفنون ، فيمضى الأديب إلى غايته وهو مطمئن إلى السلامة من تجنى المجتمع عليه ، فكيف ترى الناس يصنعون فى « أفريقا وآسيا » أو فى « مصر والشرق » وقد أقفِل باب الاجتهاد فى الأدب ، كما أقفل باب الاجتهاد فى الدين

كل ما ظفرنا به من الحرية فى الأدب هو الجدال حول القديم والجديد . وقد ظهر بعد أن انجلت المعركة أن الخلاف لم يَدُر إلا حول الأسلوب ، ففلان من أنصار الجديد لأنه لم يستأسر لمثل أسلوب الجاحظ أو ابن العميد ، وفلان من أنصار القديم لأنه لم يتحرر من أساليب القدماء

أما التجديد فى الفكر ، فهو محرمٌ علينا تحريماً قاطعاً . وليس من حقنا أن نصارع الأمواج الفكرية إلا إذا جازفنا بحقوقنا المشروعة فى التمتع بثقة المجتمع ، وهو لا يثق بنا إلا إن جاريناه فيما درج عليه من إيثار القرار والركود

وليس هذا شهادة على أننا خضعنا لأهواء المجتمع فيما نعالج من فنون الفكر والعقل ، فقد ثُرنا عليه فى كثير من الظروف لنوجهه كما نريد ، ولكن تلك الثورة لم تمر بلا عقاب ، فقد رأينا أن المناصب الفكرية أصبحت وقفاً على الموسومين بمسايرة المجتمع فى ضلاله وهداه ، ولم يصل إليها من أحرار العقل إلا أفرادٌ آزرتهم قوى سياسية لا فكرية . ولو كان العقل وحده هو الذى يقدّم ويؤخر لرأينا فى مصر والشرق موازين غير تلك الموازين ، ولكان من المؤكد أن تشهد مصر ويشهد الشرق موسماً جديداً من مواسم المذاهب والآراء

إن رئيس الحكومة يستهدى جلالة الملك ألقاب التشريف لمن يتبرع بمبلغ من ماله الموروث لإحدى الجهات الخيرية ، وذلك تشجيعٌ واجب ، وهو يحض الأغنياء على بذل أموالهم فى أبواب الخير ، ويروضهم على الاقتناع بأن الدولة ترعى الضمائر اليواقظ ، فتجزيها خير الجزاء

ولكن الدولة التى تحفظ جميل المحسنين بأموالهم تنسى جميل المحسنين بعقولهم ، وإلا فهل تذكر الدولة جماعات المكافحين فى سبيل الأدب والبيان وهم يؤدون خدمات تعجز عنها المدارس والمعاهد والكليات ؟

المال يُعَدّ فيكون له حساب ، أما الدم الذى يُسفح على سنان القلم فى تجاليد الليالى فليس له حساب . ولو أن حملة الأقلام الجياد كانوا أنفقوا أعمارهم الذواهب فى الاتجار بالتراب لوصلوا إلى إدانة الدولة بما يستوجب أن تستهدى لهم من جلالة الملك ألقاب التشريف ، بدون انتظار أو اقتضاء ... فمتى تسمع الدولة هذا الصوت وهو تذكيرٌ بواجبها فى إعزاز العقل ؟ لقد حَفِىَ قلمى وهو يذكّر الدولة بحقوق الأدب الرفيع ، الأدب الذى تَدين له الدولة دَيناً أرزن من الجبال ، وهى تعرف وكأنها تجهل ، وتجاهلُ العارف قد يَثقل فى بعض الأحايين !

ذلك المصير المحزن هو مصير أرباب الفكر فى مصر والشرق ، فمن توهم أنهم فى بلادهم سعداء فهو مخلوق نقلته الغفلة من أرض الواقع إلى سماء الخيال ... وما أسعد الغافلين !

هل سمعتم بالأدب القديم عند السُّريان ؟

قيل : إن السريان كانوا أقدر الأمم القديمة على نظم أغانى الحزن والبكاء ، فهل كان لذلك من سبب غير ابتلائهم الموصول بالكوارث والخطوب ؟

ونحن فى مصر أمعنّا فى الدعوة إلى نظم أناشيد الجهاد ، مع أننا كل لحظة فى جهاد ، فمتى ندعو إلى نظم « نشيد العدل » ومن بلوانا بالظلم صرخ الدهر صرخة الإشفاق ؟

كم مرة فكر فينا مَن نخاطر فى سبيل إسعادهم بأعز ما نملك وهو العافية ؟

إن الزميل الذى يعرف فى سريرة قلبه أنه مَدينٌ لك ولو بلمحة من لمحات القلب والعقل ، والذى يؤمن بأن الحياة الأدبية مدينةٌ بعض الدَّين لصرير قلمك ، والذى يوقن بأنك نقلت صوت مصر إلى أسماع الشرق ، هذا الزميل يتلقف أخبارك من أفواه أعدائك ليجوز له التطاول عليك فى غيبتك ، عساه يشفى صدره الموبوء بجراثيم الضغائن والحقود

وفى مثل هذا الهواء الفاسد يعيش الأديب فى مصر والشرق ثم ينسى الناسون أنه لم يكن من المكافحين ، وأن الشلل لو أصابه بمثل ما أصاب روزفلت لأصبح من المتسولين !

حدثتنا إحدى المجلات أن جرائد أمريكا عابت على روزفلت أن يُرقى كاتبه بلا استحقاق ، وأنه أجاب : كيف لا يستحق الترقية وهو الذى يكتب خُطبى ؟

فأى رئيس فى مصر أو فى الشرق يطمئن إلى عقل أمته فيصرّح بمثل هذا التصريح ؟

وأين من يعترف للكاتب بأنه عنوان مصر من الوجهة العقلية أو السياسية ؟

وهل يستطيع « خلف الأحمر » أن يميط اللثام عن وجهه ليقول : إنه المنشئ الأصيل لهذه الخطبة أو تلك ، والمؤلف الأصيل لهذا الكتاب أو ذاك ؟

وهل صدّق الناس قول « خلف الأحمر » قديماً حتى يصدقوا قوله حديثاً ؟

الفرق بين « الخلفين » أن الأول استفاد من تزوير القصائد والأراجيز ، أما الثانى فلم يظفر بغير الخيبة والحرمان

أما بعد ، فأين أنا مما أريد ، وقد انتقلت من الدفاع عن مصر والشرق إلى الهجوم على مصر والشرق ؟

أنا أريد القول بأن الحيوية لم تنعدم أبداً من مصر والشرق ، والكساح الذى فرضته الصروف على الأفكار والعقول لم يمنع المصريين والشرقيين من الجرى فى ميادين الفكر والعقل ، ولو اعتدل الميزان لعرف قوم أن القليل منا كثير وفوق الكثير ، لأنه يُبذَل من دماء القلوب ، ولأنه يقدّم بلا انتظار الثواب ، وقد يقدّم مع انتظار العقاب ، فالفضل ذنب من لا ذنب له فى « بعض » البلاد !

السائر الذى يقطع ألف مِيل فى طريق مسلوك ليس أعظم من السائر الذى يقطع مئة خطوة فى طريق شائك ، ولكن أين من يعرف ؟

والكاتب الذى يُعَدّ قراؤه بالملايين ليس أعظم من الكاتب الذى يُعَدّ قراؤه بالألوف ، وقد ظهر الأول فى الغرب وظهر الثانى فى الشرق

ارفعوا عن كواهلنا الأثقال ، وانزعوا من أقدامنا الأغلال ، ثم انظروا كيف نستبق إلى أجواز الفكر والخيال

فإن عجزتم عن تحرير كواهلنا وأقدامنا فحرروا قلوبكم من آصار الحسد والحقد لنشعر بأننا سنُجزَى على صدق الجهاد ، ولو بالبَسمات والدعوات الصالحات

إلى من يتوجه قلب الأديب فى أمثال هذه البلاد ، وهو من كيد الزملاء فى عناء ؟

إلى من يتوجه ؟

يتوجه إلى الله الذى جعل سواد المداد أشبه الأشياء بسواد العيون فهو يحيى ويميت كيف يشاء

يتوجه إلى الله ، وهو الأنس الأنيس لغرباء الأرواح والقلوب

يتوجه إلى الله خالق الشرق والغرب وفاطر الأرض والسموات ، الله الذى أقسم بالقلم فى كتابه المجيد ، فكان بشهادته السامية أكرم ذخائر الوجود

يتوجه إلى الله الذى جعل بأس القلم أفتك من بأس النار والحديد ، ومن القلم يخاف من لا يخاف ، ومن صريره استعاذ من لا يَهُولهم زئير الأسود

يتوجه إلى الله الذى يجعل من عزلة الكاتب دنيا صاخبة هى العِوض الأنفس من كل مايفوته من الأنس بالمجتمع الصخاب . وهل يعرف الكاتب ما هى العزلة ودنيا الناس جميعاً ليست إلا سُمّ الخياط بالقياس إلى دنياه الفيحاء ؟

يتوجه إلى الله الذى يخلق الضر للنفع ، والذى يبتلى الأديب بما يشاء ، ليصوغه كما يشاء ، وليكون حجته البالغة على أن العاقبة للصابرين

متى أومن بك يا ربى ؟ ومتى أعرف حكمتك فى بعض ما سوّيت من المخلوقات ؟

إرفع الحجاب لحظة واحدة لأومن بأنْ ليس فى الإمكان أبدع مما كان

حول أهل الكهف

أحسنَ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى فى استدراكه على ماسميته « الرواية الإسلامية » فى تحديد عدد أهل الكهف ، فهذه التسمية قد توهم أن ذلك هو الرأى الإسلامى بدون موجب لذلك . والحق أنى لم أرد غير إثبات رأى كان قال به فريق من المسلمين قبل نزول سورة الكهف ، وفى هذا الرأى ما يكفى لمناقشة المؤلف فى خلق بيئة الرواية المسرحية ، لأن هذا الرأى كان يحمل جمهوره أعظم وأضخم فيتيح له فرصة التعمق لدرس طوائف من المعضلات الاجتماعية

أما كلمة الأديب حسين محمود البشبيشى فهى تشهد بأنه قرأ

الرواية وقرأ النقد بفهم وعقل ، ولكنى أرجوه أن يلقانى بعد عامين ، فقد يعرف من الإيمان والارتياب مالم يعرف ، وقد يدرك أنى رميت إلى غرض فات عليه ، لأنى أرمز إلى معانٍ كثيرة فى أغلب ما أعرض له من الشؤون

وهنا يجب النص على أن مقالى فى نقد رواية أهل الكهف وقع من الأستاذ توفيق الحكيم موقع القبول ، ولم يعترض إلا على عبارة واحدة ، وهى العبارة التى تقول بأنه ليس من أرباب الفكر العميق ، وهو اعتراض يؤيده أسف الشاعر صاحب « الجندول » فهو يرى أن الحكيم مفكر متعمق وإن أظهرته السخرية بغير ما هو عليه . وأنا أيضاً أرى الأستاذ الحكيم من ذخائرنا الأدبية ، وقد أعلنت إعجابى بكتابه « عصفور من الشرق » فى كثير من المناسبات ، وفى بيئات لا تخطر له فى بال ، فقد وجهتُ إليه أنظار أهل الأدب فى العراق ، وليس ذلك بالقليل فى تكريم هذا الصديق

الأستاذ الحكيم رضى عن مقالى فى نقد مسرحية أهل الكهف ، فما شأنك أنت ، يا سيد حسين ؟

التفت إلى دروسك ، أيها التلميذ النجيب ، قبل أن أشكوك إلى أبيك !

حشو اللوزينج

سألنا الأديب فخر الدين عزى عن كتاب الثعالبى فى « حشو اللوزينج » أين يوجد ؟

وأجيب بأن الثعالبى قال إنه كتاب « صغير الجرم لطيف الحجم » ومعنى ذلك أنه رسالة صغيرة سجّل بها ما صعُب عليه تسجيله فى كتاب « ثمار القلوب » لئلا يخرج على شرط التأليف ولم يتفق لى أن أظفر بهذه الرسالة ، فأرجو هذا الأديب أن يؤلف رسالة فى معناها ، فقد وَضَح المنهاج ، ولم يبق إلا تقييد الشواهد وهى مبثوثة فى رسائل الكتّاب وقصائد الشعراء

مناجاة القمر ومناجاة الشمس

خطرتُ فى بال الأستاذ محمود البشبيشى وهو ينظم مقالهُ فى مناجاة القمر ، فهل يعلم أنه خطر فى بالى وأنا أنظم مقالى فى مناجاة الشمس ؟

سأوجه إليه هذا المقال بعد أن تنشر « الرسالة » كلمتى عن البلبل والروض ، تعقيباً على كلمة وجّهها إلىّ منذ أسابيع ، وهى كلمة لم يسرقها من « الجنينة الحسناء » لأنها صدرت فى اليوم الذى تلقيت خطابها فيه ، فكان ادعاء السرقة من المستحيلات !

آه ، ثم آه ! !

لقد ذكرتنى نجوى القمر حين صدرتْ عن البشبيشى وهو فى المنصورة بنجوى القمر حين صدرتْ عن صاحب « مدامع العشاق » وهو فى سنتريس ؛ فقد جاء فى مقدمة ذلك الكتاب ما نصُّه بالحرف :

« وإنك لتعلم ، أيها القمر ، كيف كنت أصدِف عنك ، وأنا أطالع ذلك الوجه الذى نَعِمتَ مى بثغره المفلّج ، وأنفه الأقنى ، وطرفه الأحور ، وجبينه الوضّاح . وإنك لتعلم ، أيها القمر ، كيف هجرتك حين غاب ، وتعلم أنى لا أنظر إليك إلا حين السّرار لأرى كيف يفعل الشحوب بك ، وكيف تنال منك الليالى ! وإنها لشماتة طفيفة أحزن من بَعدها على خلود متعتك بصِباح الوجوه ، وعلى عودتك لشبابك ، فى حين أنى أودّع كل يوم جزءاً من شبابى ، وواحسرتاه على ما أُودّع من أجزاء الشباب ! ! »

ولكن لا بأس ، فقد نويت أن أعيش إلى أن أرى الشمس والقمر من بعض ما أملك ، وما دام هذا القلم طوع يمينى فلن يَبيت قلبٌ إلا وهو منى على هوًى أو بغض ، فما كنتُ فى زمانى إلا صوت القلب والوجدان

نويت أن أعيش ، نويت أن أعيش ، وليس على الله بعزيز أن ينصر أرباب القلوب

إلى طلبة السنة التوجيهية

تلقيت خطاباً من الأقصر « بفتح الهمزة وسكون القاف وضم الصاد ، وهى جمع قصر ، وبذلك سمّى العرب تلك المدينة لكثرة ما رأوا فيها من أقْصُر الفراعين » . أقول تلقيت خطاباً من الأقصر بإمضاء « غريب جادو » يثنى فيه على الدراسات التى نشرتها « الرسالة » فى تشريح الكتب الخاصة بمسابقة الأدب العربى . ثم يقترح أن أكتب مقالاً مفصّلاً عن كتاب « المكافأة » ، ومقالاً آخر عن كتاب « الأدب التوجيهى »

وأجيب بأنى فصّلت القول عن كتاب المكافأة ومؤلفه أحمد بن يوسف فى بحث يقع فى تسعَ عشرة صفحة من كتاب

في الاجتماع اللغوي

تطـــور الدلالة

أنواع التطور الدلالي وخواصه

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ترجع ظواهر التطور الدلالي إلى ثلاثة أنواع :

(أحدها) تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة ... وما إلى ذلك ، كقواعد الاشتقاق والصرف (المورفولوجيا) والتنظيم (السنتكس) ... وهلم جرا . وذلك كما حدث في اللغات العامية المتشعبة من اللغة العربية إذ تجردت من علامات الإعراب [1] وتغيرت فيها قواعد الاشتقاق [1] واختلفت مناهج تركيب العبارات [2] .

(وثانيها) تطور يلحق الأساليب ، كما حدث للغات المحادثة العامية المتشعبة عن العربية إذ اختلفت أساليبها اختلافاً كبيراً عن الأساليب العربية الأولى ، وكما حدث للغة الكتابة في عصرنا الحاضر إذ تميزت أساليبها كذلك عن أساليب الكتابة القديمة تحت تأثير الترجمة ، والاحتكاك بالآداب الأجنبية ، ورقي التفكير ، وزيادة الحاجة إلى الدقة في التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع ... وهلم جرا .

(وثالثها) تطور يلحق معنى الكلمة نفسه ، كأن يخصص معناها العام فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل ، أو يعمم مدلولها الخاص فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات ، أو تخرج عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه به علاقة ما وتصبح حقيقة

(١) يوقف في جميع هذه اللهجات بالسكون على جميع الكلمات المعربة بالحركات ، وتلتزم حالة واحدة في الكلمات المعربة بالحروف (المثنى ، جمع المذكر السالم ، الأسماء الخمسة ... الخ . فيقال أخوك مجتهد ، ضربت أخوك ، سلم لي على أخوك ...) . فوظيفة الكلمة في الجملة لا تفهم في لغاتنا العامية إلا من مجرد السياق أو من ترتيبها بالنسبة لبقية عناصر الجملة

(١) تغيرت وجوه التصريف العربية تغيراً كبيراً في اللغات العامية ، حتى لا نكاد نعثر فيها على فعل باق على حالته العربية الصحيحة من هذه الناحية

(٢) فمن ذلك مثلا نعت المثنى بصيغة الجمع (فيقال « كتابين كبار » ، بدلا من « كتابين كبيرين) وتأخر الاشارة في تركيب الجملة عن المشار إليه ، (فيقال مثلا في عامية المصريين : « الكتاب ده ، الكتابين دول ، الرجاله دول » ، بدلا من : « هذا الكتاب ، هذان الكتابان ، هؤلاء الرجال »)

« النثر الفني » ، وليس عندي ما أقوله بعد ذلك البحث المفصّل ، فمن كان يهمه أن يعرف أسرار « المكافأة » فليقرأ ذلك البحث . أما كتاب الأدب التوجيهي فسأخصه بمقال أو مقالين بعد أسابيع

الهجوم الآثم على الشيخ سيد المرصفي

كثرت الخطابات التي تَرِد إليّ في تحقيق ما ادعاه الأستاذ السباعي بيومي في حق الشيخ سيد المرصفي ، وكنت أغفلت هذا الموضوع عن عمد ، لأن الأستاذ السباعي له عليّ حقوق ؛ فقد كان دائماً من أنصاري ، ولم آخذ عليه ما يريب ، ولأن مقام الشيخ المرصفي أقوى من أن يُهدَم بكلمةٍ جارحة تساق إليه في إحدى المحاضرات

ولكن سكوت الأزهريين عن الانتصاف للشيخ المرصفي أزعجني ، وكنت أرجو أن يكونوا درعاً واقية لذلك الشيخ الجليل ، وهو رجلٌ لم يرِ مثله الأزهر منذ أجيال طوال

فماذا أصنع ؟

مضايقةُ الأستاذ السباعي بلاء ، لأنه صديق ، والسكوت عن نصرة الشيخ المرصفي بلاء ، لأنه أستاذي ، فماذا أصنع ؟

سأنقل القضية من وضع إلى وضع ، فأصيرها قضية أدبية لا قضية شخصية ، وأبيّن أن السباعي بيومي يستُر جنايته على المبرِّد بجنايته على المرصفي

ولكن كيف ؟

سيرى صديقنا السباعي أن « تهذيب الكامل » لم يكن إلا جناية أدبية ، وسيعرف أن التطاول على مقام الشيخ المرصفي لا يذهب بلا عقاب

وقد زعم الأستاذ السباعي أن الشيخ المرصفي سرق بعض أفكاره ، فليستعدّ للدفاع عن النظرية التي نهبها نهباً من كتاب « النثر الفني » ونشرها في مجلة « السراج »

ولكن على شرط أن يؤمن في سريرة نفسه بأني أكره البغي على أصدقائي ، وأن أمري لم يكن إلا شبيهاً بأمر أكثم ابن صيفيّ حين قال : « إن قول الحق لم يَدَع لي صديقاً »

وإلى اللقاء في غير بغي ولا عدوان ، فما أستبيح إيذاء أصدقائي ، ولو ظلموا أنفسهم فظلموني

زكي مبارك

فى هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازاً فيه ، أو تستعمل فى معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول ... وهلم جرا .

***

هذا وللتطور الدلالى بمختلف أنواعه خواص كثيرة من أهمها ما يلى :

١ — أنه يسير ببطء وتدرج . فتغير مدلول الكلمة مثلاً لا يتم بشكل فجائى سريع ، بل يستغرق وقتاً طويلاً ، ويحدث عادة فى صورة تدريجية ، فينتقل إلى معنى آخر قريب منه ، وهذا إلى معنى ثالث متصل به ... وهكذا دواليك حتى تصل الكلمة أحياناً إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول . فكلمة bureau مثلاً كانت تطلق فى المبدأ على صنف خاص من الأقمشة الصوفية étoffe de bure ، ثم أطلقت على غطاء مائدة المكتب لاتخاذه غالباً من هذا الصنف ، ثم أطلقت على مائدة المكتب نفسها ، ثم أطلقت على مقرّ العمل والإدارة لملازمة المكتب له . فلا علاقة مطلقاً بين أول مدلول لهذه الكلمة وهو القماش الصوفى وآخر مدلول لها وهو مقر العمل والإدارة ، على حين أن العلاقة وثيقة بين كل معنى من المعانى التى اجتازتها والمعنى السابق له مباشرة[١]

٢ — أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلىّ لا دخل فيه للإرادة الإنسانية . فسقوط علامات الإعراب فى اللهجات العربية الحاضرة ، وتغير أوزان الأفعال[٢] ، وتأنيث بعض الكلمات المذكرة ، وتذكير بعض الكلمات المؤنثة[٣] ، وجمع صفة المثنى ، وتأخير الإشارة عن المشار إليه ، وتزحزح كثير من المفردات عن مدلولاتها الأولى إلى حقائق جديدة ... كل ذلك وما إليه قد حدث من تلقاء نفسه فى صورة آلية لا دخل فيها للتواضع أو إرادة المتكلمين

٣ — أنه جبرىّ الظواهر لأنه يخضع فى سيره لقوانين صارمة لا يد لأحد على وقفها أو تعويقها أو تغيير ما تؤدى إليه . وإليك مثلاً حالة اللغة العربية ، فعلى الرغم من الجهود الجبارة التى بذلت فى سبيل صيانتها ومحاربة ما يطرأ عليها من لحن وتحريف ، ومع أن هذه الجهود كانت تعتمد على دعامة من الدين ، فإن ذلك كله لم يحل دون تطورها فى القواعد والأساليب ودلالة المفردات إلى الصورة التى تتفق مع قوانين التطور اللغوى فأصبحت على الحالة التى هى عليها الآن فى اللهجات العامية

٤ — أن الحالة التى تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التى انتقلت منها بإحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعى المعانى[١] ونعنى بهما علاقة المجاورة والمشابهة[٢] . فتارة يعتمد انتقال الدلالة على علاقة المجاورة المكانية ، كتحول معنى ظعينة (معناها فى الأصل المرأة فى الهودج) إلى معنى الهودج ومعنى البعير[٣] ؛ وتحول معنى ذقن فى عامية المصريين إلى معنى اللحية[٤] ، وتحول معنى bureau من غطاء المكتب إلى المكتب نفسه ، وكتأنيث الرأس فى عامية بعض المناطق المصرية (انتقل إليه التأنيث من الأعضاء المجاورة له وهى العين والأذن) ... وهلم جرا . وتارة يعتمد على علاقة المجاورة الزمنية ، كتحول معنى الوغى إلى معنى الحرب ، بعد أن كان معناها اختلاط الأصوات فى الحرب (فلا يخفى أن العلاقة بين هذه الأصوات والحرب هى علاقة المجاورة الزمنية) ؛ وكتحول معنى العقيقة (هى فى الأصل الشعر الذى يخرج على الولد من بطن أمه) إلى معنى الذبيحة التى تنحر عند حلق ذلك الشعر[٥] . وكتذكير كلمة été (فصل الصيف) التى كانت مؤنثة فى الأصل لمجاورة مدلولها مجاورة زمنية لمدلول كلمة مذكرة وهى Printemps فصل

---

(١) هذه الخاصة صحيحة فى تطور الكلمات وتطور الأساليب . أما تطور القواعد فكثيراً ما يحدث بدون تدرج

(٢) فيقال مثلا : « كِبِر ، يِكْبَر » بدلا من « كَبِر ، يَكْبَر » أو « كَبُر ، يكبُر » ومثل هذا يقال فى معظم الأفعال العربية

(٣) فيقال مثلا فى عامية المصريين : « رأس كبيرة وبطن كبيرة » . بدلا من « رأس كبير وبطن كبير »

---

(١) من المقرر فى علم النفس أن حضور معنى ما يدعو إلى الذاكرة بعض المعانى المرتبطة معه بعلاقة المجاورة أو المشابهة

(٢) هذا هو تفصيل ما يقصده علماء اللغة ، إذ يقررون أن تطور الدلالات خاضع لقانون التماثل Loi de l'analogie

(٣) المزهر للسيوطى الجزء الأول ص ٢٠٧

(٤) الذقن فى الأصل هو مجمع مقطمى الحنك . ولا يخفى أن هذا الوضع مجاور الشعر النابت فى الوجه

(٥) المزهر للسيوطى الجزء الأول ص ٢٠٧

الربيع[1] . وتارة يعتمد على علاقة المشابهة ، كتحول معنى الأفن (وهو فى الأصل قلة لبن الناقة) إلى معنى قلة العقل والسفه ، وتحول معنى المجد (وهو فى الأصل امتلاء بطن الدابة من العلف) إلى معنى الامتلاء بالكرم ... وهلم جرا[2]

٥ — إن التطور الدلالى فى غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان . فمعظم ظواهره تقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص . ولا نكاد نعثر على تطور دلالى لحق جميع اللغات الإنسانية فى صورة واحدة ووقت واحد

٦ — أنه إذا حدث فى بيئة ما ظهر أثره عند جميع الأفراد الذين شملتهم هذه البيئة . فسقوط علامات الإعراب فى لغة المحادثة المصرية لم يفلت من أثره أى فرد من المصريين

* * *

ومن هذه الخواص يتبين فساد كثير من النظريات القديمة بصدد هذا التطور

فليس بصحيح ما ذهب إليه بعض العلماء من أن هذا التطور نتيجة لأعمال فردية اختيارية يقوم بها بعض الأفراد وتنتشر عن طريق المحاكاة[3]

وليس بصحيح كذلك ما ذهب إليه أعضاء المدرسة الإنجليزية وبعض الباحثين من الفرنسيين كالعلامة بريال Bréal إذ يرون أن التطور الدلالى يسير باللغة نحو التهذيب والكمال ويسد ما بها من نقص ويخلصها مما لا تدعو إليه الحاجة . وذلك أن اتجاهات كهذه لا يمكن أن تتحقق إلا فى تطور اختيارى مقصود تقوده الإرادة الإنسانية فى سبيل الإصلاح . أما وقد ثبت أن التطور الذى نحن بصدده تطور تلقائى آلى لا دخل فيه للارادة الإنسانية فلا يتصور أن يتقيد فى اتجاهه بالسبل التى تقول بها هذه النظرية . وإن موازنة بين الحالة التى كانت عليها اللغة العربية فيما يتعلق بدلالة ألفاظها وقواعدها فى الإعراب وغيره وما آلت إليه فى اللغات العامية الحاضرة لأكبر دليل على ما نقول ؛ فمن الواضح أن هذا التطور لم يتجه دائماً نحو التهذيب والكمال ، بل أدى فى معظم مظاهره إلى اللبس فى دلالة الكلمات والخلط بين وظائفها وأنواعها وجرد اللغة مما بها من دقة وسمو ، وهوى بها إلى منزلة وضيعة فى التعبير . وما حدث فى اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله فى كثير من اللغات . وإليك مثلاً قواعد اللغة اللاتينية التى انقرضت فى اللغات المنشعبة عنها ، فإن معظم هذه القواعد كان كبير الفائدة فى بيان وظيفة الكلمات وتحديد مدلولاتها وتعيين العلاقات التى تربط عناصر العبارة بعضها ببعض ، وقد أدى انقراض هذه القواعد فى اللهجات المنشعبة عن اللاتينية إلى كثير من اللبس والاضطراب

حقاً إن هذه المذاهب تصدق على بعض مظاهر التطور الدلالى الخاص بلغات الكتابة ، فتطور لغات الكتابة يعتمد فى كثير من نواحيه على عوامل أدبية مقصودة ترمى إلى تنقيح اللغة وتهذيبها والسير بها فى سبيل الكمال .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(١) كانت الفصول فى الفرنسية القديمة من حيث التذكير والتأنيث على النحو الآتى : الربيع (مذكر) ، الصيف (مؤنث) ، الخريف (مذكر) ، الشتاء (مذكر) . ثم انتقل تأنيث الصيف إلى الخريف ، وانتقل فيما بعد تأنيث الخريف إلى الشتاء ، فأصبحت الفصول جميعها مؤنثة ماعدا الربيع ، ولكن تذكير الربيع لم يلبث أن انتقل فيما بعد إلى الصيف وتذكير الصيف رد إلى الخريف والشتاء توهمها المذكر القديم فأصبحت جميع الفصول مذكرة فى اللغة الفرنسية الحالية

(٢) قد يعتمد انتقال الدلالة من حالة إلى حالة على علاقة التضاد بين الحالتين (إطلاق الكلمة مثلا على ضد مدلولها القديم) ، والتضاد فى الواقع مظهر من مظاهر التشابه ، إذ لا يوجد تضاد شيئين يشتركان فى صفة عامة كالطويل والقصير ، والأسود والأبيض ، وهلم جرا . أما الأمران اللذان لا يشتركان فى صفة ما فلا يوجد بينهما تضاد كالأحمر والطويل مثلا

(٣) قال بهذا الرأى الفاسد جماعة من العلماء على رأسها Sayce, Sweet, Jespersen, Iard

٤ – أومن بالانسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

عود لتوضيح معنى جليل — دنيا المهندسين — صوفية مادية — إلى المتمردين على المباحث الروحية — نتائج لقانون التسلسل والترقى — فرضية لا بد منها — إشارة قرآنية عجيبة — ضروب من العقول — أدوار المعرفة وأدوار العلم — إنسانية الشرق المضيعة — العلم دين — أين رجال القمة فى الفكر والخلق ؟

يدفعنى التفاوت الكبير الذى أشرت إليه سابقاً بين قوة بعض الآلات التى صنعها الإنسان من الحديد وغيره من المعادن وبين قوة الحيوان والإنسان نفسه ، إلى أن ألح بالبيان والتوضيح على هذا الموضع لأثبت به الحجة فى الدعوة إلى الثقة بالإنسان بعد أن استطاع أن يصنع موجودات عظيمة قوية تخالفه وتخالف الحيوان فى السرعة والاحتمال والانبعاث والدقة فى الحساب والرصد وقياس الدقائق وإبراز الخفايا وجلب المنافع والأضرار .

وهذا لا يعنى أن هـذه الآلات مستقلة بحياتها ومدركة لما تفعله ، ولكنه يعنى أن الإنسان مد حياته وتفكيره إليها ، وأقامها مكانه فى رصد حوادث الحياة وأداء بعض أعماله فيها كى يتفرغ لغيرها ويتجه إلى فتوح وغزوات جديدة فى مجاهل الكون . . .

ولست أستطيع أن أغفل هذا التفاوت العظيم بين هذه الآلات ، وبين النماذج الحية من أجسام الحيوان التى اتخذها الإنسان أساساً لعمله وطرق إيجاد ما أوجده بدون أن أصل منه إلى مدى بعيد من الاستنتاج قد ينفع العلم وينفع الدين وينفع علم الاجتماع فى تحديد وضع الإنسان . . .

وينبغى قبل كل شىء أن أقول لمن عساهم يخشون من مغالاتى فى تقدير قيمة الإنسان وإعجابى بما صنعه من الآلات التى فاقت قدرة الحيوان وقدرته هو على العمل والاحتمال آلاف الأضعاف : إننى لا أبغى من وراء ذلك إلا لفت أنظار الغافلين إلى قدرة الفكر الإنسانى وإلى وجوب تمجيده عن السفساف الحقير من التصرف وإطلاقه يرود وينظر ويعمل فى ملكوت الطبيعة . . .

ولا أقصد بتمجيد الفكر الإنسانى إلا تمجيد بارئه وواضع أسراره فى هذا الجسم المحدود الضئيل . . . فلا يتوهمن متوهم أننى سأخرج بغلوى فى تمجيد الإنسان إلى شىء أشبه بإشراكه فى الخلق والإيجاد ، فإننى قد حددت هذا النوع فى مقال سابق بأنه آلة فى يد البارئ يتمم بها التنويع والتفريع فى خلق المادة وتصويرها .

ولا يعنى غير هـذا بعد أن رأيت وفكرت فى أعمال تلك الطائفة المجيدة التى لم يلتفت إلى وضعها فى الحياة بعد ولم يعرف لها خطرها فى تحقيق الغرض من خلق النوع ولم ينظر إليها ولم تنظر لنفسها نظراً صوفياً . . . وأعنى بها طائفة المهندسين . . . أولئك الشعراء الصامتين الذين يرسلون قصائد مجسمة ويفعلون الأعاجيب من المواد المبعثرة المشوشة المختلطة الملقاة بدون نظام وتنسيق ، ويقيمون منها هذه الأشكال الموزونة المصقولة المنوعة التى عملت فيها آلاف العقول والأيدى بالتلوين والتزيين والإخراج الفنّى الغنى باللفتات الذهنية واليقظة لألوان الشفق وأفواف الزهر ، ومزج الأضواء والظلال . . .

أو يقيمون أجساماً آلية تنبض بالنار والبخار وتسير بهما أو بالكهرباء وتضيف إلى عالم الحركة فى الأرض قوى أخرى تملأ مسمع الزمان مع كل ما يدور فوق وتحت . . .

أولئك الذين تسير أعينهم على مواقع يد الله يلقطون أسرارها من غُمار الحياة الزاخرة وعباب المائع و « المتبلور » والجامد ، ثم ينظمون كل هذه الأفانين ويتخذونها أساساً لقوة التقليد وقدرة الابتكار التى فى أفكارهم وأيديهم

أولئك الذين يسيرون على أسلوب الله من العمل فى المادة مع الصمت . . . ويتلقون فيوض المواد والقوى الطبيعية من يده الكريمة فيقسمونها ويوزعونها ويتممون ما أراده فيها ويجلون ما أخفاه فى أطوائها وثناياها ثم يضعونها فى الأرض مجلة منسقة متاعاً للعيون ومثابة للأجسام ومظهراً وتأويلاً لأحلام الروح فى عالم الجمال

ولن ينتهى العمل الهندسى للانسان فى الأرض إلا بعد أن يملأ شمابها وهضابها وهواءها وماءها وسهولها وأوعارها بآثار يده وفكره . فإنه مخلوق برهن على أنه يصلح للعيش فى اليابس والماء والهواء ، وأنه لا شىء إلا وهو واجد فيه حقلاً ليده يعمل فيه ويأخذ منه . . .

وإننى ما سمعت صوت قارىء واحد يتلو كلام الله فى تمجيد ذاته العليا فى محطة الإذاعة فتردد صوته جميع آلات الالتقاط

في جميع الأنحاء وتبث ذلك التمجيد إلى زوايا الدنيا وأركانها وطبقات الجو إلا أحسست أن الإنسان ابتدأ يؤدى رسالته وعبادته ويُنطق بها الجماد ويُسمع بها على رغم الأبعاد ...

* * *

تلك صوفية مادية حديثة ينبغي أن تكون من مظاهر التدين في هذه العصور التي تسير فيها المدنية المادية بحياة الإنسان في ساعة واحدة أضعاف ما كانت تسير به مدنيات العصور السالفة في عشرات السنين ...

نعم إن أصول الدين واحدة ثابتة لا تتغير ، ولكن ما نشأ حولها بفعل جهالات الإنسان وتزيداته ينبغي ألا يجعلنا جامدين متحجرين في طرق العبادات ، فنفهم أن عباداتنا قاصرة على الأشكال الموروثة بل يجب أن تكون انتقالات العلوم بنا سبباً في أن نعبد الله بها وأن نزيد فكرنا فيه من أجلها . وتلك عبادة مطلقة من قيود الطقوس والرسوم والأشكال ... عبادة يستطيع أن يقوم بها من يسير بسرعة ألف ومائتي ميل في الساعة ... ويرتفع إلى طبقات الجو العليا ، وينخفض إلى أعماق البحار السفلى ... ويتنفس في أقصى الشرق فتسمع أنفاسه من أقصى الغرب ... ذلك الذي يستطيع أن يترك في كل مكان كلمة تشهد بالله وينطق بها الأحجار والأشجار والماء والهواء ...

فبين العلم المادي والتصوف هنالك يجب أن يقف الإنسان الحديث ينادي الله وفي قبضة يده مفاتيح أسرار المادة ونواميسها وفي قلبه صلاة دائمة جامعة ... !

* * *

وهذه الصوفية المادية تمجد العلم المادي والعمل به وتخضع لدولة الأجسام ولا تثور عليها ولا تعطل قواها بل تنميها ، لأنها تعرف أننا ما خلقنا في عالم الأجسام إلا لنعرف قوانينها ونؤمن بها

وينبغي أن نقول هنا لبعض المغرمين بمباحث الروح الذين يفرحون إذا عثروا على حادثة غريبة لا يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً ليتخذوها حجة على وجود قصد وعالم آخر وراء هذا العالم المادي : إن ما تغرمون به وتنفقون حياتكم من أجله لا يمكن أن يبلغ مهما كثر إلى عشر معشار الحجج التي تستطيعون أن تأخذوها من ذلك العالم الظاهر الملىء بالعجائب والمعجزات التي لا تحتاج العقول معها إلا إلى حركة ارتداد إلى مبادئ الأشياء، وإلا إلى اليقظة الدائمة لمراقبة كل شيء والدوران حوله

وما حاجتنا إلى أن نستمد من عالم غير مرئي حججاً إن رآها شخص فسوف لا يراها آلاف ؟ مع أن ما بين أيدينا وما خلفنا ملىء بالعجائب التي يراها كل فرد ، ويخضع للمنطق المستمد منها كل سليم الطبيعة غير شاذ ولا شارد . « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

فنحن نستطيع بجهد فكرى قليل أن نأخذ من هذا العالم المادي الظاهر أدلة كثيرة على أن وراءه عالماً آخر بل عوالم أخرى مجردة من قيود حياتنا هذه ولو لم نر من ذلك شيئاً ... فإن الرؤية ليست هي الطريق الوحيد إلى التصور والحكم

والنظرة العلمية المبنية على إدراك قانون الترقي وقوة التطور تبين لنا أنه ما دام قد وقف الإدراك بواسطة جسم من الأجسام عند حد الإنسان بعد أن تدرج إليه في سائر أنواع الحيوان ، فينبغي أن يكون وراء الإنسان أفق حياة عاقلة أخرى هي بطبيعة سلم الترقي مجردة من الأجسام . وكما أن هذه الآثار والمشاهد البارعة التي نراها في العالم المادي نتيجة لعوامل خفية نوعتها وشكلتها فلا بد أن يكون في غير الأرض آثار ومشاهد أخرى هي نتيجة لعوامل ونواميس أخرى غير التي كان من نتائجها ظهور عالمنا الذي ندركه بحواسنا . وهذا هو اللائق باتساع الكون الذي أرضنا فيه كذرة رمل في صحراء . فلا يصح أن تكون أساساً في الحكم على جميع ما فيه

وهذا حكم نحكمه خضوعاً للفرضية الآتية التي تحل لنا هذا الإشكال وإن أوقعتنا في غيره ... :

تخيل إنساناً خرج إلى الحياة أعمى أصم أبكم معدوم اللمس والشم ... فهل مثل هذا يكون لعالمنا وجود عنده ؟ بالطبع ، لا ... ولكننا مضطرون إلى أن نحكم أن عالمنا هذا موجود ولو لم يوجد في حواس هذا الممسوخ ...

وكذلك نحن مضطرون إلى أن نحكم أن وراء عالمنا هذا عوالم أخرى ، ولو لم توجد لنا حواس تدركها ... لأن هذا هو الذي يتلاءم مع اتساع الكون واتساع قدرة المسيطر عليه ، واتساع عالم الفروض والصور في بعض العقول

وقد أشار القرآن إلى معنى عجيب يتفتح معه خيالنا ويأخذنا في عالم لا نهاية له من الفروض وإن كان لا طاقة لنا بإدراك ما فيه من الصور . قال : « أفرأيتم ما تُمنُون ؟ أأنتم تخلقونه

أم نحن الخالقون ؟ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ... »

وما تحته خط هو موضع النظر الطويل ، وباب للخيال الجَنَّح ... ولكنه خيال مطموس الصور لأنه لم يجد أصباغاً وألواناً ينتزع منها ما يريد أن يؤلفه ويركبه ويَفتَنّ في تهاويله

وكيف ذلك وقد قالت الآية : « فيما لا تعلمون ... ! »

***

وينبغي لمن لم يدرك ألا ينكر على من أدرك ... فإن جوانب الكون واسعة ورسالات علم الله إلى العقول كثيرة ... وليست كل العقول قادرة على الغوص في أعماق الكون . كما أنه ليست كل الأجسام قادرة على الغوص في أعماق الماء . فمن لم يستطع السباحة والغوص في تلك اللجج والرجوع إلى الشاطئ فليلزم وليحذر حتى لا يغرق ويذهب في أهوال المعاني ...

وما في العالم « المتبلور » شيء تافه بالنسبة للعالم الذي تلتقي فيه أمواج المعاني ويمس عباب الفروض والغيوب والرموز ، ولكن ما فيه لا يكون أساساً لأحكام الحياة الدنيا ... وعقل الإنسان كطفل الأم : ينبغي ألا تطلقه في المخاطر والمزالق إلا إذا شب وكان له قوة واقتدار ...

ومن العقول نوع لا يعيش إلا في أعماق الكون . فإذا طفا على السطح وأخذ بظاهر الحياة اختنق وقلت فيه الحياة ، كالسمك الكبير ...

ومن العقول ما هو مساير لظاهر الحياة لا يتخلف عنها ولا يتقدم ...

ومن العقول ما هو واقف متخلف انقطعت به الطريق فلم يصل إلى العالم الفكري الموجود الآن في أذهان الأمم المتحضرة ، وهذا عقل محروم فاته كثير من رسائل الله إلى الفكر الإنساني

ومن العقول ما هو أسرع من الحياة بحيث يرى مشاهد آخر ساعة فيها كصور مكررة قديمة لا تثير في نفسه تطلعاً ، فلو خرج من الحياة لم يخسر شيئاً ولم يفته شيء ، وهذا هو العقل الفائق السابق

والنفس إذا عرفت قرار الحياة وأصولها لم تبال بما يحدث في فروعها من تلون وتبدل ، وما عند هذا الصنف من صور كمال الحياة أرحب من الوجود وأكمل . فهو يسير في مستحدثات الأيام كما يسير المرء في طريق معروفة له تردد عليها مراراً من كثرة فكره في الموجود والمعدوم وما يصح أن يوجد

وهذا قد يعمل في الحياة بجد وصبر ، ويسير كما يسير الغافلون بدفعة دولاب الحياة ، وطواعية لحركات سيرها بالناس . وإنما يطيع آمالها ويزاول أعمالها خضوعاً لقانونين عظيمين من قوانينها: وهما الأمل والعمل ...

وهكذا الطبيعة رسالات من علم الله إلى الفكر الإنساني العام . يتلقاها كل عقل حسب طاقته واتساع حوزته ، ويأخذ منها ما قدر ويسر له ...

فينبغي لمن لم يدرك ألا ينكر على من أدرك ... ينبغي لرجل الشارع ألا يجادل في عالم « أينشتين » أو « أديسون » أو للغزالي ومن إليهم من العقول الفائقة التي أطلت على الأرض وكانت فيها كالثمرات التي تلقط أسرار نوعها وتحفظ بذوره وترقيها

***

وبين الإله البارئ الكبير وما عنده من عوالم المعاني والقوى المجردة والكمالات التي لا تتناهى ، وبين عالم الولد والكثافات ، وقف الإنسان التائه المتأمل الساعي وراء المعرفة حيناً من الدهر لم يتقدم فيه خطوات كثيرة ، ثم انقسم فريقين : فريقاً استمر في التفكير المجرد في الطبيعة وما وراءها ، وأدرك بعض اتجاهات الكون باللمحات والنظرات الشعرية الخاطفة ، وقنع بذلك حتى خرج من الحياة « عارفاً » غير « عالم » ولا « عامل » ...

وفريقاً أعياه التفكير المجرد ، ولم يجد له محصولاً يملأ يديه ويشهد له الناس بأنه أدركه وقنصه ، فانصرف إلى أنواع الحياة في الأرض وأشكال المادة يعبث فيها ويدور حولها ويخرج أسرارها حتى « علم » ثم أخذ يقلد ويبتكر

وكما أن الأقدمين كانوا ينظرون إلى أعمال الطفولة وحب استطلاعها الأشياء على أنها عبث ولعب لا طائل تحته ... كذلك نظروا إلى أعمال أكثر الرجال في المادة وتنويعها وملء الحياة بضجاتها وأصواتها على أنها عبث ولعب لا يليق بمن يسير إلى الموت والفناء . وكان المثل الأعلى للحياة الصالحة عندهم أن يطلق الناس أعمال الدنيا ويذهبوا إلى المعابد والمعاهد يتلون الأوراد ويفلسفون ويرسلون الأشعار ولا يرفعون في الأرض حجراً على حجر ، فيكونون عنصراً مستهلكاً غير منتج يأخذون من الحياة أغذية وأعمالاً ، ولا يعطونها إلا أقوالاً وأشعاراً ،

لست أومن بالإنسان

للأستاذ زكي نجيب محمود

وقع لى منذ سبع سنوات كتاب ، لعله أنفع ما قرأت من الكتب ، لأنه غاص بى إلى قلب الطبيعة ولبابها ؛ فقد كنت قبل قراءته لا أفهم إلا عن بنى الإنسان دون ألوف الألوف من الكائنات التى تملأ فجاج اليابس وأغوار الماء ، فعلمنى هذا الكتاب النفيس كيف أفهم عن الحيوان ما يريد . فلئن كان الإنسان يلوك لسانه يميناً ويساراً ويخبط به فى أعلى وأسفل ليرمز بهذه الحركات إلى معان ، فليس الحيوان بأقل قدرة منه فى ذلك . يتناقل أفراده المعانى بهز الأذناب وتحريك الأهداب ... وقد كان علمى بلغة الحيوان موضوع فكاهة وسخرية من أصدقائى جميعاً ، يلذعوننى بتنكاتهم كلما نهق حمار أو زقزق عصفور ، ولكنى مضيت فى دراستى لا يثنينى ما لقيت فى الدرس من مشقة وعناء ، لأنى رأيت أنه إن جاز لمعاهد العلم أن تفنى من طلابها زهرات أعمارهم فى دراسة لغة قديمة دَرَسَ أهلها وطواهم الزمن فى جوفه العميق ، لخليق بواحد من بنى آدم أن يعنى بلغات « أقوام » تعاصرنا وتعاشرنا وتبدل لنا وحشة العالم بهجة وأنسا .

وأحمد الله أن كتب لى التوفيق فأعاننى على بلوغ ما أريد . فها أنذا أجلس إلى مكتبى ذات مساء ، والليل منشور الذوائب ضارب بجرانه ، والسكون عميق لا أسمع فيه إلا حفيفاً خفيفاً وهمساً خافتاً ، وهاتان فراشتان قد التقتا تحت مصباحى وأخذتا تسمران بحديث رائع جذاب ، لم أملك معه إلا أن ألقى الكتاب جانباً لأنصت ...

— لقد أنبأتنى زميلة حديثاً عجيباً هذا المساء : أنبأتنى أن كاتباً بليغاً من بنى الإنسان قد رفع القلم يجول به ويصول فى عشيرته من بنى آدم ، ليقول فى ورع وإيمان إنه يؤمن بالإنسان !

— وفيم كل هذا العناء ؟

— لأنه واحد من بنى الإنسان ! ياليت شعرى ماذا تقول الأبقار لو تحركت بين حوافرها الأقلام ، وماذا تزعم الأطيار لو كان تغريدها كلاماً من الكلام ؟

— وهل تؤمن البقرة إلا بفصيلة الأبقار ، والعصفور إلا بقبيلة الأطيار ؟

وجاء برغوث يقفز حول الفراشتين جذلان فرحاً ، ويحوم فوقهما صاعداً هابطاً ؛ ولم أكن وا أسفاه قد أتقنت لغة البراغيث

ويقفون فى طريق تحقيق بعض الغايات الكبرى من خلق الإنسان

هؤلاء لا تزال منهم بقايا كثيرة فى الشرق ، بل هم الكثرة الغالبة فيه . وهم الذين جعلوا إنسان الشرق كأكداس الحصيد وأهراء الغلال التى تترك فى أماكنها حتى تقتلها الآفات وينخر فيها السوس ... وهم بذلك يضيعون على الإنسانية ثروات تحصل عليها من تشغيل أفكار هؤلاء الملايين وأيديهم . وهم بذلك يتركون أفراد الناس من غير تنسيق وتنظيم فى الحشد والتعبئة للمعابد والمعاهد والمعامل والحقول والجيوش ...

هؤلاء ينبغى أن يزيلوا عن عيونهم غشاوات القرون الأولى ويعدلوا أفكارهم على مقتضى ما توحيه سنن الله الدقيقة التى تجعل من تصرفات جميع قوانين الطبيعة فى وقت واحد لحناً موسيقياً متسقاً يشترك فى توقيعه كل شىء ... ويعلموا أن الكفر بعلوم الطبيعة والفسق عن نظمها كالكفر بعلوم العقائد والفسق عن نظم الأخلاق

إن الإيمان بالعلم وتنظيم الحياة الإنسانية بطرقه وإطلاق الأفكار فيه هو الدين الواحد الذى يدين الإنسانية جميعها وتلتق عليه بأفكارها وأيديها ... وقد جعلها تلمس عرشها المرموق ، وتعرف دولتها المأمولة فى مستقبل الحياة ...

ولكن أين العصا السحرية التى ستفعل فى تعديل شهوات الأمم وغرائزها وتعصباتها الذميمة ، بحيث تجتمع على خدمة العلم والحياة بأفكارها وأيديها ؟

ذلك ما يسأل عنه رجال التربية والمفكرون فى الدين والاجتماع

رجال التربيـة فلاحو حقول الطفولة : منطقة النمو الدائم وُعلَب أسرار المستقبل ...

ورجال الفكر رسامو المثل العليا القادرون على استدراج الناس إليها وسجنهم فيها ...

ولكن هؤلاء وأولئك لا يزالون بعيدين عن مقاليد الحكم وتسلم مقاود القطيع بينما مكانهم هناك لو صحت الأوضاع ...

ولا يزال محترفو السياسة والدجاجلة بها المتخلفون عن بلوغ القمة فى الفكر والخلق هم الغالبين المتسلطين ...

وهؤلاء هم سر البلاء النازل الآن بالناس ، كما كانوا فى القديم ...

عبد المنعم خلاف

لما فيها من عسر وتعقيد ، ولكنى استطعت رغم ذلك أن ألتقط من حديثه مع إحدى الفراشتين ألفاظاً متناثرة علمت منها ما يريد.

قالت فراشة تحدث البرغوث الوثاب ، وقد ضاق صدرها بلهوه وعبثه :

— هلا اصطنعت يا أخى شيئاً من الجد فى ساعة يجد فيها الحديث ؟ ما كل ساعة للهو والطرب

— وفى أى أمر خطير تتحدثان ؟

— فى هذه النشوة التى أخذتك بغير مبرر معقول

— وأى حافز للطرب أشد وأقوى من عالم فسيح خلقه الله لى ألهو فيه وأمرح ؟ ...

فقالت الفراشة الثانية :

— أخلق الله هذا العالم الفسيح لك أنت ؟ وماذا تقول إذن فى الإنسان الذى سخر الطبيعة بعقله الجبار ؟ !

— ومن تقصدين ؟ أتريدين هذا الحيوان الذى ضمزت فيه رجلان وطالت رجلان ؟ هل تعلمين لماذا خلق الله هذا الإنسان ؟ هل تعلمين فيم سعى هذا المسكين آناء الليل وأطراف النهار ؟ ليطعمَ فيجود لحمه فيصبح طعاماً شهياً للبراغيث . ألا ما أشقى عالم البراغيث إن لم يكن بين صنوف الحيوان هذا الإنسان ! !

وجاءت بعوضة تسعى ، تهز جناحيها الصغيرين طياً ونشراً ، وأخذت تدنو من الفراشتين قليلاً قليلاً ، ومالت برأسها تستمع للحديث ، فلما استجمعت أطرافه اقتربت من الفراشتين ولبثت بينهما صامتة . وحدّث ما شئت عما ملأ نفسى من سرور حين رأيت البعوضة تهم بالكلام ، لأنى بلغت فى فهمها حداً بعيداً بحيث لا تخفى على من ألفاظها خافية ، ولأنى عهدت فى البعوض حكمة عجيبة وعلماً واسعاً ، لست أدري أنى له بمثله ، ولا أنفك يوماً عن التفكير فى هذه الحشرة الغريبة ، فهل جاءها العلم مكسوباً من تجاريب الحياة ، أم هو موهوب مفطور فى جبلّتها ؟

قالت البعوضة بعد صمت :

— فيم الحوار ؟

فأجابت الفراشة المتحمسة، ولعل حماستها مستمدة من شبابها:

— فى آدمى زعم لقومه أن كل شىء فى الطبيعة يرقب أملاً واحداً هو الإنسان ، كما ينتظر كبار البيت بلوغ طفل عزيز : كل شىء فى البيت مسخر للطفل ، يضحك له إذا ضحك ، ويألم إذا تألم ! ثم زعم لقومه — ويا هول ما زعم — أن الليل والنهار والحيوان الآبد والداجن ، والأزهار والثمار والأنهار والجبال ، وألوان الشفق فى الأصائل والأسحار ... كل هذا وغير هذا من صنوف ما يطوى الكون بين دفتيه ، إنما خلق للإنسان ! !

قالت البعوضة :

— ومن يكون هذا الإنسان ؟

— قرد نهض على قدميه

— أو يكون النهوض على الأقدام كفيلاً له بهذا كله ؟ هل تعلمين يا عزيزتى أن هذا الإنسان أحدث صنوف الحيوان عهداً بهذه الأرض

— عرفت ذلك من زميلتى منذ دقائق

— إن كانت كائنات الله قد خلقت لينعم بها الإنسان وحده ، فمن ذا كان يستمتع بها قبل ظهوره ؟

فأجابت الفراشة العجوز فى رزانة :

— قال كاتبهم هذا البليغ ، إن ذلك كله صُوَرٌ جاءت قبله لتزخرف له المسرح ... إنها حروف تتألف منها الرواية التى يمثلها الإنسان !

— ويحه ! هل صوَّرَ الخيال لهذا المغرور أن الله قد زيَّنَ الطاووس بريشه الجميل ليُمتِعَ الإنسانُ ناظريه ، ورقَّشَ الأفعى لينظر إليها الإنسان وهى تتلوى وتتحوى فى صندوقها الزجاجى فى حديقة الحيوان ؟ وماذا هو قائل فى الجراثيم التى تفتك بيدنه لتعيش ؟ تلك الجراثيم التى إن أفلح فى نزع واحدة منها مما يسكن فى جوفه ، باضت له ألوف الألوف من صغارها ؟ ... لو أنصف المسكين لعلم أن الله جلت قدرته أبدع قصيدة الكون العظمى منظومة منغومة ، والإنسان بيت من أبياتها . إن سر الوجود ليستعلن فى الجرثومة الضئيلة كما يستعلن فى الإنسان والقرد والأفعى ! إنها أنغام تتسق كلها لتنشئ موسيقى الوجود ! وهل يعظم الشاعر ببيت واحد أكثر مما يعظم بقصيدة عامرة بالأبيات والقوافى ؟

فقالت الفراشة العجوز :

— أرا كم تعجبون وليس فى الأمر ما يدعو إلى العجب ؟ لقد ذكرتم أن الإنسان بين صنوف الحيوان طفل وليد . إنه ما يزال يعبث فى مهده ويلهو ، أفيكون عجيباً من الطفل أن يتشبث بالأشياء ويمسك بها فى قبضته صائحاً : هذا كله لى ، لى وحدى دون سواى ؟ فاغفروا له هذه النزعة الصبيانية حتى تُعَلِّمه

أسبوع فى تاريخ الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدنى

ليس الأزهر جامعة من هذه الجامعات المحدثة التى عاصرت جيلاً أو جيلين من الزمان ؛ وليس الأزهر وليد ثقافة واحدة لم تبلُها الأحداث ، ولم تصقلها التجارب ، ولم تمحصها العقول والأيام ...

إنما الأزهر تاريخ حافل بأمجد الذكريات ، وسفر ممتلئ بأروع الآثار ؛ إنما الأزهر عمر ثقافة عالية فى اللغة والفقه والتشريع ، ومثال من أمثلة التدرج الهادئ الرزين فى العلم والتفكير والنضوج

أليس من العجيب مع هذا أن يقال : « أسبوع فى تاريخ الأزهر » وهل تحسب الأسابيع والشهور فى تاريخ طويل ممدود لا يحسب بالعشرات من السنين ، وإنما يعد بالمئين ؟

بلى إنه لعجيب ، ولكنه مع ذلك أسبوع ، وسيظل أسبوعاً معروفاً متميزاً لا تغمره هذه المئات من السنين !

ذلك هو الأسبوع الذى ابتدأت فيه مناقشة الرسائل التى قدمها لأول مرة الطلاب المتخرجون من كلية الشريعة لنيل شهادة « الأستاذية » فى الشريعة الإسلامية

احتفل الأزهر لهذه المناسبة احتفالاً ظاهراً لا فيما أعده لها من مكان منظم منسق ، ولا فيما وضعه لها من نظام محكم دقيق ، فإن الأزهر يسير فى أمثال هذا على طبيعته الساذجة التى لا تعرف الدعاوة ولا تحب الإعلان

ولكنه كان احتفالاً ظاهراً لما احتشد له من علماء وطلاب ، ولما شهده من رجال الفكر وأهل العلم ، ولما ضم فى نسق واحد بين ألوان مختلفة من التفكير ، وعناصر متباينة فى وجهات النظر

جمع هذا الحفل بين العالم الكبير الذى عاش طول حياته فى ظل ثقافة محافظة ترى التجديد خروجاً على الدين ، وافتياتاً على السلف الصالح من علماء المسلمين ، وترى الاجتهاد والنظر مزلقة من مزالق الهوى والضلال ، وبين العالم الشاب الذى يرى الحياة أمام عينيه قد اصطبغت بصبغة غير التى يعهدها هؤلاء الآباء ، واتسمت بطابع غير هذا الطابع الذى ألفوا أن يروها متسمة به ، والذى يرى من حقه بل من واجبه ألا يعيش بعقله وروحه فى عصور عفّى عليها القدم ، وأخنى عليها الزمن ، بينما يعيش

الدهور أنه جزء من كلٍّ عظيم . . .

وهنا قفز البرغوث قفزات لفتت له الأنظار ، فقال :

— حدثونى — نشدتكم الله — ماذا حدا بالإنسان أن يتبجح فيزعم لنفسه ما زعم ؟

فأجابت الفراشة المتحمسة :

— أغراه بذلك ماله من علم وأخلاق ؟ وما يدرى أنه بعلمه يكمل النقص فى غريزته وفطرته ، وأن أخلاقه حين تحلم بالمثل الأعلى فهى فى أحلامها دون ما يسود ممالك النمل والنحل من أخلاق ! إن الحيوان لا يعرف العرى والجوع ، وأما الإنسان بكل ماله من علم وأخلاق ... آه ! وددت لو خرج هذا الكاتب البليغ من لفائفه « الصوفية » فيخوض فى برد الليل ساعة فيرى بنى جنسه قد ألقاهم البؤس فى العراء . حرمتهم الطبيعة الغراء اتكالاً على علم الإنسان وأخلاقه ، فعجز العلم والأخلاق أن يهيئا لهؤلاء الأشقياء وطاء أو غطاء ! وددت لو خرج الكاتب البليغ لحظة من « تصوفه » الذى يدفئه بين جدران داره وفوق حشايا مخدعه ليرى كم من بطون قومه قد باتت خاوية على الطوى ...

ولكنه لن يبارح هذا الغشاء « الصوفى » ليرى الحقيقة « عارية » حتى يخزه فى رقاده واخز

فقال البرغوث وهو يثب فى جذل طروب :

— لكم منى هذا الصنيع . والله لأقضَّنَّ مضجعه هذا المساء ، لعل السهاد أن يحفزه على التفكير فى هؤلاء الذين ينبتون القمح حتى يملأ الأهراء ثم لا يأكلون ، والذين يزرعون القطن حتى تنص به المخازن ثم لا يكتسون ... والله لأؤرقنه هذا المساء لعله يعيد التفكير فى هذا الإنسان الذى يقتل بعضه بعضاً بأدوات من العلم ، ويهلك بعضه بعضاً بنزوات من الأخلاق

. . . قال ذلك البرغوث وانصرف ، وكان الليل قد انتصف ، فأطفأت سراجى وأويت إلى مخدعى ، وبى إشفاق على صديقى خلاف من هذا البرغوث اللعين !

***

خلافُ يا صديقى ، لا تسرف ! أفيكون هذا الإنسان الذى جارت به السبيل وحار الدليل جديراً منك بالإيمان ؟

زكى نجيب محمود

بجسمه وعمله فى عصر العلم ، والتفكير الحر ، والتجديد النافع ! جمع هـذا الحفل بين العالم الذى ظل عمره فى أحضان الأزهر وبين ربوعه ، وبين العالم الذى عاش دهراً فى أوربا فرأى ما لم يكن قد رأى ، وعلم ما لم يكن قد علم ، فاشتجر فى نفسه القديم مع الحديث ، وامتزج فى ثقافته الشرق بالغرب

وكنت ترى إلى جانب هؤلاء وأولئك طلاباً أزهريين يحرصون فى لهف وشوق ، وإلحاح وإصرار على شهود هذا الحفل ، والاستماع إلى نقاش فيه وجدال بين طالب منهم ، وأعلام من أساتذتهم على أساس الحجة والبرهان ، والبحث الحر ، والنهج العلمى المستقيم

وكنت ترى فى هـذا المحيط الأزهرى الصاخب زواراً من غير الأزهر ، جاءوا ليشهدوا هذه المناقشة العلمية التاريخية التى تدور فى الأزهر لأول مرة والتى يرأسها رجل من أفذاذ المفكرين ، وكبار المصلحين ، وهبه الله عقلاً ممتازاً وفكراً رشيداً وقلباً جريئاً

ودارت المناقشة ، وتجلت فيها حرية الرأى سافرة ليس من دونها حجاب ، سليمة لم تفسدها مداراة ولا مصانعة ولا تخوف . وانطلق العلم فيها على سجيته لا يتعثر فى تركيب من تراكيب المؤلفين ، أو لفظ من ألفاظ المصنفين ، وسمعنا مبادئ لا نعدو الحقيقة إذا عددناها جديدة فى جو الأزهر ، أو حسبناها توجيهاً صالحاً للتفكير العلمى بين العلماء والطلاب ، ومبدأ لتحول دراسى خطير فى حياة هذا المعهد المعظم

وكان من المبادئ الجليلة التى سمعناها ما قرره فضيلة الأستاذ الإمام المراغى من أن الدين فى كتاب الله غير الفقه ، وأن من الإسراف فى التعبير أن يقال عن الأحكام التى استنبطها الفقهاء وفرعوا عليها ، واختلفوا فيها ، وتمسكوا بها حيناً ، ورجعوا عنها حيناً : إنها أحكام الدين ، وأن من أنكرها فقد أنكر شيئاً من الدين ، فإنما الدين هو الشريعة التى أوصى الله بها إلى الأنبياء جميعاً؛ أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل والدافعة للحرج فهى آراء للفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية تختلف باختلاف العصور والاستعدادات ، وتبعاً لاختلاف الأمم ومقتضيات الحياة فيها ، وتبعاً لاختلاف البيئات والظروف . ولو جاز أن يكون الدين هو الفقه مع ما نرى من اختلاف الفقهاء بعضهم مع بعض ، وتفنيد كل آراء مخالفيه ، وعدها باطلة ، لحقت علينا كلمة الله :

« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء »

وهذا معنى قد جلاه الأستاذ الأكبر فى هذه المناسبة ، وكان قد عرض له برفق فى أحد دروسه الدينية عند تفسير قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

وكان من المبادئ التى قررها فضيلة الأستاذ الأكبر أيضاً مسألة تأثير العرف فى المعاملات ، وقد ضرب لذلك مثلاً بأن عُرفنا الحاضر قد أهدر المعايير والأوزان فى التعامل بالذهب والفضة ، فأصبحنا نصرف الذهب بالفضة من غير نظر إلى الوزن ولكن على أساس العد ، وكذلك الأمر فى صرف الفضة بالفضة

وكان من المبادئ التى قررها فضيلته أيضاً التفريق بين ما حرم لنفسه وما حرم لغيره ، وما ينبنى على هـذا التفريق من جواز إباحة الأخير عند الحاجة

وسمعنا أيضاً مبدأ من المبادئ الهامة فيما يتصل بالروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقوم على أساس التفريق بين ما يقرره النبى صلى الله عليه وسلم على أنه مبلغ عن الله ، وما يقرره على أنه أمام للمسلمين ، وما يقرره على أنه قائد للجيش فى زمن الحرب ، وما يقرره على أنه قاض ... الخ ، وأن بعض ذلك يكون ملزماً للمسلمين فى جميع عصورهم ، وبعضه لا يكون ملزماً

سمعنا ذلك كله ، ورأينا آثاره بين السامعين ، وسمعنا غيره من أعضاء الهيئة العلمية التى كانت تناقش الرسائل ، ثم تحرينا أن نعرف آثاره فى أحاديث العلماء والطلاب ، وتحرينا أن نعرف آثاره فى الفصول الدراسية ، فإذا الجميع طوال هذا الأسبوع مشغولون بهذه المبادئ يتناقش فيها الأستاذ مع الأستاذ ، والطالب مع الطالب ، ورغب الطلبة إلى أساتذتهم فى تفصيل مجملها ، وتوضيح مشكلها ، والتمثيل لها ، والتطبيق عليها

ولعل من الظواهر السارة التى تستحق التسجيل أننا رأينا لأول مرة احتياطاً فى التعليق ، وحرصاً عند التعقيب ، وزهداً فى وصف الناس بالخروج أو المروق ، وانصرافاً إلى الفكرة من حيث هى فكرة ، لا باعتبارها قولاً يخفى وراءه غرضاً من الأغراض ونحن نسجل هذه الظاهرة الهامة فى تاريخ الأزهر مغتبطين

كلمـــات

مكافآت للقراء . . . !

فى بريد « الرسالة » الأدبى من عددها الأخير خبر قرأته ووقفت عند تلاوته بالعجب والحسرة

ذلك الخبر الذى يقول فى عنوان : « حقوق المؤلفين فى الدنمرك » . إن حكومة هذه الدولة فكرت فى حفظ حقوق المؤلفين وفيما يلحق بهم من غبن ، فقررت زيادة دخلهم المادى تشجيعاً لهم على مواصلة الإنتاج والعمل

ومن التدابير التى اتخذتها لذلك أنها فرضت رسماً على كل من يطالع أى كتاب من المكاتب العامة أو فى أندية المطالعة ؛ ورسماً آخر على كل من يقتبس جزءاً من كتاب ويذيعه بالمذياع أو بالحاكى

قرأت هذا الخبر مرة ومرة ، ثم أخذنى — كما قلت — العجب والحسرة ، وكيف لا أجد فى قلبى الحسرة وقد مرّ فى خاطرى اسم فلان ، كاتب من أساتذة الجيل ، وقد أوشك منذ سنتين أن يُطرد من بيته لأنه عجز عن وفاء أجره شهوراً . ومرَّ فى خاطرى اسم فلان ، مفكر من الطراز الأول ، قضى سواد عمره فى الكتابة والترجمة والتحرير ، يكدح الكدح كله الليل والنهار فى جزاء جنيهات قلائل ينفقها نصف حيوان ، أو نصف إنسان مستكرش ، لأنه قريب فلان أو محسوبه أو حميمه فى سهرات الليل . . . !

وذلك الكاتب المفكر كان منذ سنوات عشر يربح فى كل شهر ثمانين جنيهاً ، فإذا هو الآن بعد الكهولة والجهد وكثرة العيال ينحدر منها إلى عشرين أو ثلاثين ، كأنما عمله من نوع ذلك الذى قاله فيه ابن الرومى تهكمه الظريف اللاذع :

فيا له من عمـل صالح يرفعه الله إلى أسفل !

ومر فى خاطرى اسم فلان الكاتب الشاب الملتهب الذى قعد به المرض والعجز من طول ما أجهد عقله وأعصابه وفكره ليكتب ويفيد ، فلم تفده كتبه ولا مؤلفاته ولا بحوثه وترجماته حين عجز وانهد[1] بالعجز والمرض ، لم يفده شيئاً من ذاك كساء ولا طعاماً ولا دواء .

* * *

فهذا حظ الكاتب والكتاب فى مصر منار الشرق وزعيمه وطليعة أقطاره

وذلك ما يجد الكاتب والكتاب فى بلد من بلاد أوربا كما نقلت لنا الرسالة فى بريدها ، وحين تفرض هذه الضريبة على القراءة فى دنيمرك لن ينقص بسببها عدد القارئين، فإن الكتاب عندهم كالطعام والشراب ، وتريد حكومتهم أن تزيدهم براً ورعاية

وقد وجدنا فى مصر وزارة معارفنا تجرى اختباراً وتقيم مسابقة للسنة التوجيهية تهدى فيها الجوائز تحايل تلاميذ مدارسها حتى تعودهم أن يقرأوا ، ووجدنا الصديق الدكتور زكى مبارك وهو يكتب عن واحد من تلكم الكتب المختارة يذكر أنه طبع مرتين . وذلك دليل على حظه من الرواج . . . ! وعما قليل تخصّص الجوائز فى مصر للقراء . . . ! وفى دنيمرك تفرض عليهم المكوس

وقد يخرج بعضنا بل أكثرنا قد نال درجة كبرى من الجامعة وهو لا يعرف أن يقرأ كتاباً ، ولا يعرف أين فى القاهرة دار الكتب ، ولا يجد أن ذلك ينقصه ولا يعيبه . . . !

إنه لا يزال أمامنا شوط كبير تنقطع دونه الأنفاس حتى تصدق علينا القولة التى قالها الخديو إسماعيل :

« إن مصر قطعة من أوربا »

« محمود »

(١) يقال هدّته المصيبة أوهنت ركنه

ونهنئ علبها فضيلة الأستاذ الإمام ، كما نهنئه بهذا الأسبوع الفريد فى حياة الأزهر العلمية ، ونرفع إلى فضيلته اقتراحين

الأول : أن يأمر بوضع خلاصة لهذه المناقشات تعرض فيما بعد على فضيلته لاقرارها وإذاعتها بين أهل العلم ، فإن هذه الصفحة جديرة بأن تضاف إلى تاريخ الأزهر كظاهرة من ظواهر الرقى الفكرى فى عهد الإمام المراغى .

الثانى : أن يعمل على أن تكون مناقشة السادة الأجلاء ، المرشحين لجماعة كبار العلماء ، مناقشة علنية ، فإنى أعتقد أن من حق العلم عليهم أن ينشروا بين الناس ثمرات عقولهم ، وأن يقطعوا ألسنة الناقدين ، وأن يردوا بذلك على الذين يتساءلون : لماذا يفرض على طلاب الأستاذية هذا اللون من التمحيص العلمى على ملأ من الناس أجمعين ، بينما تمر رسائل « أساتذة الأساتذة » متسللة فى خفية وتستر ؟

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

تجديد أغراض المجمع اللغوى

لصاحب المعالى وزير المعارف

نص كلمته فى افتتاح مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية

سيدى الرئيس . زملائى المحترمين . سيداتى . سادتى

تفضل معالى الرئيس فسألنى خلال هذا الأسبوع الأخير : أأنا على استعداد لأن ألقى كلمة فى هذه الجلسة الافتتاحية للمؤتمر أتناول فيها شأناً من الشؤون المتصلة بأغراض مجمعنا ؟ وقد شكرت لمعاليه هذه الدعوة وقبلتها ، مغتبطاً أن أتحدث إليكم ، رغم ضيق الوقت ، فى أمر أعده جليل الخطر فى حياتنا وفى مستقبلنا

وأود قبل أن أعرض لهذا الأمر أن أشكر لمعالى الرئيس ما وجهه إلىّ وإلى زملائى الجدد من عبارات التحية ، كما أود أن أنوه بالجهود الكبيرة التى بذلها المجمع قبل أن أنضم أنا وهؤلاء الزملاء الأفاضل إليه . وحسب من شاء أن يطلع على الذكرة الموجزة التى وضعها المجمع ووزعت فى هذا الاجتماع ليقدر ما بذل من هـذه الجهود . أما الذين اطلعوا على مجلة المجمع وعلى محاضر جلساته ، فهم لا ريب أعظم تقديراً لجسامة هذا المجهود . وإن جاز لى أن أعبر عن رأى زملائى الجدد فليس يسعنى إلا أن أشكر باسمهم وباسمى زملاءنا المحترمين الذين قاموا بهذا المجهود ، وأن نذكر الذين قضوا أجلهم بالخير ، وأن نطلب لهم من الله مثوبة ومغفرة

وليس ينقص من قدر هذا المجهود الكبير أنه ما يزال فى بدايته ، أو أن لى أو لغيرى بعض ملاحظات عليه يراد بها مزيد من دقة التوجيه إلى الغرض المنشود حيناً ، وتبلغ حد النقد فى بعض الأحيان . فالغرض العظيم الذى أنشئ المجمع لتحقيقه ، والعمل الجسيم الذى لا بد منه لبلوغ هذا الغرض ، يحتاجان إلى كثير من الأناة والروية ، وإلى زمن لا تعد السنين شيئاً مذكوراً فيه . لقد قضى المجمع الفرنسى منذ أنشأه ريشليو عشرات السنين قبل أن يضع معجمه الأول للغة الفرنسية . ومع هـذه الأناة ، ومع ضخامة المجهود الذى بذل خلال هذه السنين الطويلة ، وجهت إلى هذا المعجم ألوان كثيرة من النقد كانت موضع اعتبار المجمع وتقديره أثناء مراجعة معجمه . ولا تزال لجنة المعجم فى المجمع الفرنسى تراجعه وتضيف إليه وتحور فيه تبعاً للتطور اللغوى فى تلك البلاد ، متوخية فى عملها أن تحافظ على سلامة اللغة الفرنسية وعلى ملاءمتها لحاجات الحياة وتطورها ، مؤمنة دائماً بأن اللغة كائن حى متصل أوثق الاتصال بكل صور الحياة ، يسايرها فى نمو ما ينمو وانقراض ما ينقرض وتطور ما يتطور . فالمجمع الفرنسى ، ككل من درسوا اللغة ومارسوها ، يرى أن اللغة هى صورة الحياة فى إدراك الذين يتكلمون هذه اللغة ، وأنها لذلك مرآة تقدم هؤلاء القوم أو تأخرهم ، نشاطهم أو قعودهم ، قدرهم الصحيح لحقائق الحياة أو توهمهم الباطل لهذه الحقائق :

وكيف لإنسان أن يغمط المجهود الذى قام به المجمع وقد أقر أكثر من أربعين قاعدة فى اللغة تيسرها وتوسع أقيستها ، وتلينها للترجمة عن مستحدثات المعانى ، وقد استخرج آلافاً من المصطلحات فى علوم الأحياء ، والرياضة ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسى ، والقانون ، وتاريخ القرون الوسطى ، والموسيقى ، والرسم ، والعمارة ، وقد أقر طائفة جليلة من المسميات الحديثة فى الشئون العامة كأدوات المنازل وأثاثها ، وما تتناقله الألسن والأقلام فى الأسواق والأندية والصحف ، وقـد بدأ بوضع المعجمات التى تدعو إليها الحاجة ، وقد صحح من الأعلام الجغرافية فى مصر وأفريقيا وآسيا عدداً عظيما ، وقد نشرت مجلته بحوثاً بلغت صفحاتها نحو ألف وخمسمائة . هذا وما إليه جدير بتقدير الناس جميعاً وثنائهم ، وإن وجه إلى بعضه من النقد ما قد يقره المجمع نفسه ، وما قد يدعوه إلى أن يعدل عن شىء أقره إلى ما يراه خيراً منه وأدنى إلى تحقيق غايته .

سادتى : لقد كان ما يتصل باللغة من شئون التعليم مما وجه إليه المجمع عناية مذكورة ؛ وأنتم تقرأون فى المذكرة التى وضعها المجمع بين أيديكم أنه وضع نصب عينيه أخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون ، وأنه قد وجه جل همه من هذه العناية إلى المصطلحات التى تدخل فى التعليم الثانوى ، وأن بين المعجمات التى يتوفر على وضعها معجما علمياً صغيراً للتعليم الثانوى فى الأقطار العربية ، وآخر تثبت فيه طوائف من المواد والألفاظ والصيغ تغنى الطالب الثانوى والمثقف الوسط عن غيره من المعجمات ، وأنه وافى وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح لإدخالها فى كتب التعليم وفى التدريس .

ولم يتم بعد وضع المعجمين اللذين أشرت إليهما ليتسنى إبداء الرأي فيهما . وقد سألت وزارة المعارف عما وافتها به إدارة المجمع فعلمت أن هذه المصطلحات لما تعرض على رجالها ، وأن تجارب الطبع لهذه المصطلحات لا تزال حبيسة في المطبعة الأميرية منذ سنة ١٩٣٩ . وقد أرسلت إليّ إدارة المجمع من أيام هذه المصطلحات فعرضتها على الفنيين من رجال الوزارة فأقروا طائفة مما اطلعوا عليه ولم يقروا طائفة أخرى . ثم إنني ألقيت على هذه المصطلحات نظرة عجلى ألهمتني ما أريد أن أتحدث إليكم اليوم فيه .

جاء في المذكرة التي وضعها المجمع بين أيدينا تمهيداً لهذه الجلسة أن من يترسم آثار المجمع « لا يرتاب في أنه ، في تشدده في المحافظة على لغة العرب ، وبعث ما لا عهد للجمهرة به من قديمها ومجفوها مما يقع عندها موقع الغرابة أو ما هو أشد من الغرابة في أول الأمر ، فإنه من ناحية أخرى لا يفتأ يترخص أعظم الترخص ، وييسر أبلغ التيسير . على أن ترخصه هذا وتيسيره إنما يقفان في حدود اللغة ، وما مضى من مذاهب علمائها الأعلام ؛ فلا سيادة لعامية ، ولا طغيان للعجمة على لغة الكتاب »

هذه الفقرة من مذكرة المجمع قد جلت أمامي كثيراً مما رأيته في المصطلحات التي اطلعت عليها ، وفي المسميات التي وضعها المجمع لحاجات الحياة المتداولة . فهو قد آثر أن يبعث من تراث اللغة المهجور ما رآه معادلاً لهذه المسميات والمصطلحات . ولا إخالني مخطئاً في هذا التصور وقد وضع المجمع منذ سنوات جوائز مختلفة لمن يضعون طوائف من الكلمات العربية الفصيحة للمسميات الحديثة وللمصطلحات العلمية والفنية والأدبية ؛ ثم نبه الذين يتقدمون لهذه الجوائز أنه يفضل عند التسمية ما وضعه القدماء من الكلمات الصحيحة ثم هجر وتنوسي ، واستعمل بدلاً منه ألفاظ مولدة حديثة ، أو عامية ، أو أعجمية ؛ فإن لم يعثر على شيء من ذلك وضعت الكلمة وضعاً جديداً بطريقة من طرق الوضع القياسية

لست أتردد في الموافقة على هذه الخطة في أمر المصطلحات العلمية كلما وجد اللفظ العربي القديم الذي يؤدي الغرض من هذا المصطلح أداء دقيقاً يقره المتخصصون من العلماء . ولعلي لا أتردد كذلك في الموافقة عليها إذا استعمل لفظ أجنبي للتعبير عن معنى قديم كان العرب يعبرون عنه بلفظ عربي . لكني أقف متردداً ، ويطول ترددي ، فيما خلا هاتين الصورتين ؛ وفيما يوضع من المسميات لحاجات الحياة المتداولة . ولا أحسبني دون ذلك تردداً في أمر الألفاظ العامية إذا أمكن تقويمها لتسترد صورتها العربية الصحيحة

أيها السادة : إن الغرض الأساسي من إنشاء هذا المجمع إنما هو جعل اللغة العربية ملائمة لحاجات الحياة في عصرنا مع المحافظة على سلامتها . هذا الغرض يتضح جلياً في المذكرة التي وضعها المجمع اليوم بين أيدينا ، فكل ما بذل من جهود الأفراد والجماعات في أمر اللغة من عهد محمد علي الكبير إلى اليوم قد توخى هذا الغرض . وقد سجل مرسوم إنشاء المجمع هذا الغرض في المادة الثانية منه تسجيلاً صريحاً . ولكي تلائم اللغة حاجات الحياة في عصر من العصور يجب أن تكون صورة صادقة لكل ما تتناول الحياة في هذا العصر . ويجب أن تكونَ سليقة للمتكلمين بها والكاتبين لها ، ويجب أن تكون بذلك أداة التفاهم بين هؤلاء جميعاً تفاهماً يتم في غير عسر ولا مشقة . ويجب لذلك أن يكون القدر المشترك منها بين الجميع ، من الصبي الناشئ إلى العالم الكبير ، ومن ربة البيت في أهلها إلى المتحدث في الفنون والعلوم والآداب . يجب أن يكون عظيماً بحيث ييسر هذا التفاهم ويجعله في متناول الجميع ؛ فلا يقع خلاف بينهم فيه بسبب اللغة وألفاظها وإن أمكن أن يقع بسبب تفاوتهم في الثقافة . وكل جهد يبذل لزيادة القدر المشترك تيسيراً للتفاهم المتبادل ، يدني من الغرض الذي تنشأ مجامع اللغة لتحقيقه

إذا كان هذا صحيحاً ، وأعتقد أنا صحته ، وجب ألا نتقيد في جعل لغتنا ملائمة لحاجات عصرنا بالحدود التي وضعت في عصر العباسيين أو في عصر الأمويين ، أو في الجاهلية ، لحاجات عصرهم . فإذا أردنا أن نضع معجماً يغني المثقف الوسيط ، ويغني الطالب الثانوي ، وجب مع محافظتنا على سلامة اللغة ألا نهمل تطورها إلى حيث وصلتنا اليوم ، ووجب أن ندرس بعناية هذا التطور في لغة الكتابة وفي لغة الكلام

لقد رأى العالم العربي في كل العصور ، إلى عصرنا الحاضر ، خطباء اهتزت لبلاغتهم المنابر ، ومحامين كانت مرافعاتهم مثلاً عالياً للبلاغة القضائية ، وكتّاباً في الصحف وفي المجلات ومؤلفين قدرهم أهل هذه الأمم أسمى التقدير . هذه الخطب ، وهذه المرافعات ، وهذه الكتابات على اختلاف أنواعها وعصورها ، تصور تطور اللغة ، فلا سبيل إلى إنكارها . وهذه الخطب

والمرافعات والصحف والمجلات والكتب تحوى قدراً مشتركا عظيما جداً من ألفاظ اللغة وتراكيبها ! ومن أساليبها التى تتفق مع تصور الناس للحياة فى هذا العصر ؛ وأبناؤنا فى المدارس ، وجماهيرنا المثقفة تثقيفاً وسطاً ، تستمع إلى هذه الخطب والمرافعات ، وتقرأ هذه الصحف والمجلات والكتب ، بشغف أكثر من شغفها حين تقرأ الكتب القديمة . أفيقال مع هـذا أن فى هذه الخطب والمرافعات والصحف والكتب ألفاظاً عامية لا يجوز أن تكون فى معجمات اللغة ؟ أم الحق أنه يجب علينا ألا نهمل هذه الثروة اللغوية الحية ، وأن نسجل منها كل ما يتفق مع ذوق العربية وأقيستها ، وأن ما نقوم به من ذلك هو الذى يجعل اللغة لغة الحياة تسير معها وتتطور بتطورها ؟

وأذهب إلى أبعد من هذا . إن فى اللهجات العامية للبلاد العربية المختلفة لقدراً عظيما من الكلمات المشتركة ، والتى يمكن أن ترد إلى أصل عربى دون حاجة إلى أكثر من تقويمها بعض التقويم . هذه ثروة ضخمة تقابل حاجات الحياة وتعبر عنها أصدق تعبير . مع ذلك درجنا على التنكر لهذه الألفاظ والعبارات ، وعلى اعتبارها مبتذلة لا يجوز للمتكلم الفصيح ، أو للكاتب البليغ ، أن يكتبها أو يتكلم بها . أما وقد انحدرت هذه الألفاظ إلينا من العرب الأولين الذين نزحوا إلى مصر وإلى غير مصر من البلاد العربية ، فلست أدرى لم تكون مبتذلة ، ولم لا تدخل فى معجماتنا وفى كتابتنا وخطابتنا ، وفى مصطلحاتنا المختلفة ؟ السبب الوحيد فى نظرى هو أننا نريد أن تكون اللغة وقفاً على طائفة خاصة ، وأن تكون لها من أجل ذلك أسرار تغيب عن الكافة ، كما أراد الكهنة فى عهد الفراعنة أن يجعلوا حقائق الدين سراً موقوفاً على طائفتهم ، وأن يدعوا للناس من الزيف ما يتنزهون هم عنه ، وما يسخرون منه

أيها السادة : إن ما أطالب به المجمع من إقرار ما يجوز إقراره من هذه الألفاظ المتداولة فى الكلام وفى الخطابة وفى الكتابة بعد رده إلى حدود اللغة السليمة هو ما تقوم به مجامع اللغة فى بلاد العالم أجمع ، وهو ليس بدعاً فى لغتنا العربية منذ عهدها الأول ؛ والمادة الثانيـة التى حددت أغراض مجمعنا تطالبنا به ، فهى قد نصت على أن يقوم المجمع بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ؛ وهذان الأمران يتصلان أوثق الاتصال . فاللهجات الحديثة تشتمل كما قدمت على قدر عظيم مشترك من الألفاظ والعبارات العربية ، كما أنه قد اندس إليها بحكم الحوادث التاريخية واختلاط الأمم العربية بشعوب أجنبية عدد عظيم من الألفاظ غير العربية . فالدراسة العلمية المقصودة هنا ، والتى تتفق مع مهمة المجمع ، لا بد أن يكون مرماها تحديد الألفاظ العربية فى هـذه اللهجات المختلفة تحديداً علمياً دقيقاً للاستفادة منها فى وضع المعاجم التى نص عليها فى أغراض المجمع ؛ أما المعجم التاريخى ، فيجب أن يتناول تطور اللغة على العصور إلى وقتنا الحاضر ، وأن تكون الألفاظ العربية السليمة التى يصطنعها الناس فى أحاديثهم وخطبهم وكتاباتهم بعض هذا الذى يتناوله

أيها السادة: إن هذا الذى قدمت صحيح فى نظرى كل الصحة، واضح كل الوضوح . لذلك كان عجبي ولا يزال شديداً ألا يفصل من تاريخ اللغة وآدابها فى معاهدنا شىء فيما وراء العصر العباسي ولم يدرس الأدب الحديث إلا من عهد قريب ، وعلى نحو لا يزال بدائياً غير متصل بما سبقه من تاريخ الأدب واللغة . ولقد لاحظت منذ سنوات على المعجم التاريخى للدكتور فيشر ، وهو المعجم الذى يعنى المجمع بطبعه الآن ، أنه لا يتناول إلا العهد الأول من صدر الإسلام ، وكنت قد فهمت يومئذ أن هذا المعجم سيضاف إليه ما يتم الغرض منه بتناول تاريخ اللغة إلى وقتنا الحاضر . ولا أظن أحداً يخالفنى فى أن ما دون كتب الفقه والأدب والفن والعلم فى العصور المختلفة يجب أن يكون بعض هذا التاريخ ، ولا أظن أحداً كذلك يخالفنى فى أن الألفاظ العربية الأصل ممـا تتناوله لهجات العصر الحديث تدخل فى نطاق هذا التاريخ

أيها السادة: إننى أعتبر هذا العمل أساسياً لتلاؤم اللغة حاجات الحياة فى العصر الحاضر . فاللغة اليوم ملك مشاع للجميع . يقرؤها الناس فى الصحف ، ويسمعونها فى الإذاعة ، ويخطبهم بها الخطباء ، ويتلونها فى الكتب . لم تبق وقفاً على القارئين والكاتبين ممن تثقفوا ثقافة لغوية عالية ، بل صارت أداة التفاهم فى هـذا العصر الكثير الحاجات والمطالب ، والذى يسر للناس من كل الطبقات أن يقفوا على السر من كل شىء ، لا تختص فئة منهم دون الأخرى ، بمـا يزاول الناس من علم وفن وأدب وصناعة وتجارة . فكلما تيسرت اللغة للناس ، وكلما شعر الطالب فى دور العلم بأنها لا تقف عقبة فى سبيل المعرفة التى يبتغى النهل من وردها كانت الأداة الصالحة للغرض الذى وجدت اللغات من أجله . بذلك يحب الناس اللغة ويرون جمالها فى بساطتها ، وفى وضوحها



صاحب السلطان الزائل

أقبل فسلم فى صوت كأنه الهمس ، وأحسست ولم أكن عرفت بعد شيئاً من أمره روح الذلة فى صوته ؛ ومد إلى من نهض لتحيته يداً معروقة مرتعدة كأن بها استخذاء من أن تصافح الأيدى الممدودة إليه ، ونهضت فيمن نهضوا فسلمت وأنا فى حيرة من عبارات التحية توجه إليه مشفوعة بلقب « البك »

وأخذت نعته بهذا اللقب على أنه ضرب من المزاح ، فكثيراً ما رأيت بعض المازحين فى القرية ينادون بهذا اللقب رجلاً بلغت به الفاقة حداً جعله مضرب المثل فى البؤس ، وجعل لقب « البك » مضافاً إليه أكثر بلاغة فيما يتضمن من تهكم وفيما يثير من ضحك باستمهاله هذا الاستمهال

ولكنى لم أر للمزاح أثراً فى وجوه الجالسين ، بل لم أر فيها إلا التزام الجد والحرص على مظهر الاحتشام والسكون ، وفهمت أن الابتسام يتقى بين الجلوس فيما يدور بينهم من حديث ، فما تكاد تنفرج الشفاه حتى تنضم فى استدراك سريع

واتجه منظارى إلى هذا البك الجديد ، وأخذت أختلس النظر إليه ، وكان كلما زدته نظراً زادنى دهشة ذلك اللقب الذى يسبغ عليه فى جد لا أثر للعبث فيه . وظللت أنظر إلى معطفه الذى تراكم عليه ما تراكم من آثار الزمن ، وإلى جلبابه الذى لم أعرف ماذا كان لونه قبل أن يعلق به ما علق من تشويه ، والذى راح يستر خروقه بأطراف ذلك المعطف الذى بعد تسميته بالمعطف وهو على تلك الحال من قبيل تسمية صاحبه بالبك ... !
أما طربوشه ، فقد اتسق فى هذا النظام اتساقاً بليغاً ، إذ كانت اسطوانته من لون وقرصه من لون آخر ، غير أن أحد جانبيه أكثر كدرة من الجانب الثانى ، وإن كانت تلك الألوان جميعاً بقايا حمرة زائلة

وعرّفه إلىّ وعرّفنى إليه أحد الخبثاء الذى أخذ ينظر إلى منظارى ، وكأنه كان يرى فيه — كما حدثنى بذلك بعد — آلة تصوير ، وما كاد يذكر لى اسمه حتى ذهب اللغز من ذلك اللقب الذى لقب به ؛ وقلت فى نفسى : أهذا هو الذى سمعت من أخباره ما سمعت ؟

وتزاحمت فى ذهنى صور ما علمت من أنبائه ، وبرزت من بينها صورة كانت بين غيرها من الصور ، كما يكون المارد بين الأقزام . فهذا الرجل الذى أراه أمامى ، هو بعينه الذى أشعل ذات ليلة دخينة لإحدى المغنيات فى بندر قريب ، لا بعود من الكبريت كما يفعل عامة الناس ، ولكن بإحراق رقعة من الورق تركها حتى أتت عليها النار بعد أن أشعل بلهيبها تلك الدخينة . ولم تك هاتيك الورقة بذات قيمة كبيرة ، فهى من فئة الخمسة جنيهات فحسب !

واضطجع صاحب السلطان الزائل اضطجاعة فيها بقايا الكبرياء ، ونظرت إلى وجهه فرأيت فى سحنته خيال تعاظمه الماضى ، واستكباره يحيط به خيال استخذائه الحالى ومسكنته . والحق لقد كانت نظراته مزيجاً عجيباً من العظمة والذلة والرضاء والضجر والخجل والتبجح ، ثم كان وجهه الشاحب يذكرنى بتلك الصورة التى كانت تعلق على الجدران لمحاربة « الكوكايين » !

ووجهت إليه بعض عبارات التحية فرد فى هدوء واتزان وهو ينظر إلىّ نظرات من يريد أن يستوثق من صدق تحياتى ،

وفى تكشفها غير محجوبة بحجب التعقيد الذى يحتاج دراسة السنوات الطوال لحل رموزه وتبين أسراره

أيها السادة : هذا ما تيسر لى أن أحدثكم اليوم فيه . وهو بعض ما نطلب به فى هذا المجمع لتيسير اللغة العربية حتى تفى بحاجات حياتنا ومطالبها . وقد أحيلت على المجمع مسألة الكتابة العربية وتيسيرها ؛ وهذه مسألة جوهرية فى نظرى ونظر الكثيرين ، لعلها تزيد الناس إقبالاً على القراءة وعلى اللغة ودراستها . وأرجو لذلك أن تنال ما هى جديرة به من البحث

وأختم كلمتى معتذراً لحضراتكم عما قصرت فيه ؛ فقد كان واجباً علىّ أن أزيد فكرتى جلاء ؛ لكن الوقت لم يتسع أمامى . فلعله يتسع من بعد . ولعلنا نوفق إلى الوفاء بما يجب علينا من تيسير اللغة لتلائم حاجات العصر ، مع المحافظة على سلامتها ، والعمل على ما يزيدها حياة وقوة وجمالاً .

محمد حسين هيكل باشا

كأنه لا يصدق أنه اليوم أهل للتكريم بعد أن هلك عنه سلطانه . على أنه ينتمى إلى أسرة ممرقة لا يزال لبعض أفرادها جاه عظيم وثراء ، وإن كان ثراؤها لا يبلغ اليوم فى مجموعه عشر ما كان لها منه بالأمس . ولعل خيال ذلك الجاه الباقى فى أسرته هو الذى يجعل الكبرياء تتغلب فى وجهه أحياناً على الاستخذاء وإن كان الاستخذاء قد بات وهو طابعه الجديد

وقدم إليه أحد الجلوس دخينة فتناولها فى صورة عجيبة وفى وجهه أمارات توحى بأنه يفهم من هذه التحية أنها ضرب من إعطاء المحروم ، وعلى شفتيه ابتسامة تصور هذا المعنى وتبرز ما فى قرارة نفسه منه . وأيد ذلك لى إسراعه بأخراج علبة الدخائن من جيبه وتقديمه دخينة إلى من سبق فقدم إليه مثلها ، ثم إنه تقدم فى خفة وظرف فيهما طيف أريحيته الماضية فأشعل الدخينة لصاحبه ولكن بعود من (الكبريت) . . .

وأردت أن يتكلم لعل الحديث يميل به إلى الإفضاء ببعض ما يقوم فى نفسه من هذه الحال التى تدلى إليها بعد عزة ، ولكنه لزم الصمت ، وكان صمته أيضاً يجمع بين الحياء والاستعلاء . . .

ودخل علينا شيخ من أهل القرية فما وقعت عيناه على ذلك البك حتى أقبل عليه فى اهتمام شديد وهو لا يفتأ يكرر قوله : « شرفت بلدنا يابك ! أهلاً وسهلاً يابن الأكابر . دى البلد كلها منورة بوجودك فيها ! الله يرحم والدك البك الكبير »

وأخذ ذلك الشيخ يفيض فى وصف سجايا البك الكبير وأبهته وجاهه ، ويحكى فى ذلك الحكايات الطويلة ، ويذكر الضياع التى عمل فيها بأسمائها ، ويقارن بين ما كانت تخرجه من خيرات هاتيك الضياع ، مستشهداً برأى البك الصغير كأنها لا تزال ملك يديه يتمتع بخيراتها جميعاً ؛ ثم تنهد ذلك الشيخ وختم حديثه فى سذاجة محبوبة قائلاً : « هيه سبحان من له الدوام ! يا ابنى ما تزعلش انت ابن الأكابر على كل حال ، وعندنا احنا يا فلاحين نقول إن دبلت الوردة ريحتها فيها »

ومضى الشيخ وأنا أفكر فيما ضرب من مثل ، وأنظر إلى تلك الوردة الذابلة فلا أحس من سابق رائحتها فيها ، ويتملكنى الإشفاق حيناً ، ولكنى أذكر الورقة ذات الجنيهات الخمسة وأتصورها مشتملة فى يده فينفى الإشفاق من قلبى شعور يكاد يقرب من الشماتة لولا أنى أكره الشماتة ، شعور هو فى الواقع إحساس خفى بعدالة الجزاء وتطابق الجريمة والعقوبة

ولما ذكر أمامى اسم البك الكبير وذكرت ثروته الهائلة التى انتهت إليه هو أيضاً من والده ، وموطن هؤلاء وأسرتهم الكبيرة قرية تقع غير بعيد من قريتنا ، عجبت كيف بدد هذا البك الصغير الماثل أمامى أو هذا الشيطان الكبير ثروة أبيه على هذا النحو حتى لم يبق له منها إلا الذكرى

وتكلم أخيراً صاحب ذلك السلطان الضائع ، وكأن حديث ذلك الشيخ أثار شجونه ، وأخذ يصف لنا كيف كان يعيش ، وهو لا يدرى أنه يسرد علينا قصة سفهه ! ولعله كان يحس أن لم يبق له من الثروة إلا فخاره بما كان له من ثروة ، إن كان ذلك من دواعى الفخار ، ونسى سكونه الأول فأطنب وأفاض فى غير تحفظ أو استحياء . ومن درر حديثه قوله : « ياما شوفنا عز ! دا الواحد كان يأخذ معه ألف جنيه إلى الإسكندرية فيعود بعد أسبوع ما فيش فى جيبه غير أجرة الوابور ... دا أنا كنت هرون الرشيدى اللى بيقولوا عليه »

وقلت وكان ذلك المال من إيراد أملاكك طبعاً ، فتلعثم قليلاً وقال لو كان ذلك المال من إيراد أملاكى ما ضاعت أملاكى ؛ إنما كان بعضه من الإيراد وبعضه من البنك ، وآه من البنك . . . آه من البنك !

وإذ ذكر لى البنك ذهب من نفسى كل عجب ، فكم استدرج البنك من أمثال هذا الذى ورث ما ورث فلم يشعر بقيمة ملكه حتى ذهب عنه كما جاء إليه . ثم سألته عن مصير هذه الضياع فقال أخذها الخواجه خريستو تاجر القطن . وأحزننى أن يمتلك مثل خريستو من ثرى هذا الوادى أرضاً أولى بها بنوه ، أرضاً كانت تكفى لأن يعيش عليها أكثر من مائتى أسرة من تلك الأسر التى تكدح صابرة فى وهج الشمس وتسقى بعرق جباهها تربة وادينا ولا تمتلك الواحدة أكثر من فدانين أو ثلاثة فدادين

وسألته عن شعوره إذا مر اليوم بهاتيك الضياع . ولشد ما أدهشنى قوله إنه لم يرها كلها ، وأنه لا يعلم إلا موضع ما كان يحيط بقصره منها ؛ فلقد كان أمر زراعتها وتعهدها مفوضاً إلى نظاره الثلاثة الذين يمتلك الواحد منهم اليوم ما لا يقل عن ثلاثين فداناً ، من أرض أجداده

وكان مجلسنا هذا فى دكان بدال . ولما هم البك بالانصراف

وداع الشعر

A DIEUX A LA POESIE

للشاعر الفرنسى لامرتين

كان لامرتين من أعظم شعراء فرنسا فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وهو غنى عن التعريف ، وتعد آثاره الأدبية من أنفس ما أبدعه الخيال الرائع .

ومن تلك الآثار قصيدة بديعة نسج بردها يوم كان ملحقاً بمفوضية فرنسا بنابولى عام ١٨٢٠ حيث كان انهماكه فى تحبير الرسائل الدبلوماسية يحول بينه وبين استرساله فى قرض الشعر فأفرغ فى هذه القصيدة وداعه للشعر (المترجم)

لما اعتزمت اعتزال الشعر خالجنى موطد العزم لكن خاب تصميمى
ودعته صادقاً لكنما عرضت منازع الفكر تدعونى لترنيم

تألبت وهى شتّى فى بواعثها وطالما ناشدتنى نظم تلحينى
هناك فى ساعة حل السكون بها فى وحدة الصمت عاد الشعر يغرينى

حيث الوجود حليف النوم أجمعه حتى الأمانى استكنّت فى زواياها
فى غابة برزت كالطيف نابتة فما تهادى نسيم فى حناياها

هناك مرحلة فى العمر شاردة كأنما النفس فيها نفس وسنان
فلا التنفس فى الأحشاء منسجم ولا الحماس لقرض الشعر نادانى

والطير وهو الذى يُضنى ببهجته على الرياض سروراً بالغ الأثر
لا ينجلى ساجعاً فى كل آونة وفى الظهيرة يهوى ظُلَّة الشجر

فإن بدا الفجر ناغى الكون مبتهجًا وفى الغروب يناجى دورة الفلكِ
يشف تلحينه فى الصبح عن طربٍ وفى المساء يناغى وحشة الحلكِ

ربابتى ، ساعة الهجران قد أزفت لكِ الوداع إذن من مغرمٍ دَنِفِ
يا من تنهُّدكِ المشجى يثير جوًى وكم يثير وداعى بالغَ الأسَفِ

أنَّى تلامس كفى منكِ ناصيةً ولم يزل باكياً من شجوه الوتَرُ
قد أقبلت ساعة التوديع مسرعةً فهاكِ عَبْرَةَ ودٍّ وهى تنهمر

أينّا لعينى أن تُخفى لها أثراً وتلك ثائرة من واكف الشجنِ
كم دمعةٍ سكبَتْها النفسُ وأسفى فبلَّتْ وتراً أوفى ولم يخنِ
لم تستطع زفرات منكِ صاعدةٌ تجفيفها ، فحكت طلاً على فَنَنِ

إن الربابة لم تُمنح مُكلَّلةً بالسرو للناس فى هذى الدنا التعِسه
إلا لتسكين آلامٍ لنا انتشرت حيث الدموع من الآماق منبجسه

ما كل ما يرسل الأنغام مُشْجِيةً إلاَّ يردد آلامًا وآمالا
أما السعادة لم ينطِق بها وترٌ بل حالف الصمتَ تلو الصمتِ أجيالا

أحلى الأغانى أغانٍ طاب مسمعها من بلبلٍ ناحبٍ أو شاعرٍ باكِ
تحت الظلال على قبر توسده[1] أعز خدنٍ يناجى روحَه الشاكِى

ربابتى ، أنتِ مثلى سرتِ فى أثرى حزينةَ الصوتِ والإنشادِ والنَّغَمِ
لم تمتزج قط بالأنغام يُنشدها أهل السعادةِ والإقبالِ والنعم

بغصن صفصافة فى الشط عالقة طليقة كطيور الغاب فى الأيك
أبت يدى لكِ ربطاً كالأسير على أبواب قصر عظيم أو حِمَى مَلْك

لم تُلهمى أبدا فى أى آونةٍ نوائر النفثِ تعزيزاً لذى حزب
فأنتِ قد فقتِ طهراً كل خاطرةٍ ولم تداعبكِ إلاَّ نفثة الحب

(١) يلمح الشاعر إلى شعره الملهم من حزنه على عشيقته ألفير Elvire بطلة قصته (روفائيل) التى شغفته حباً فى نابولى ثم قضت بعد أن صرعها مرض السل

طلب من التاجر أشياء ولكن التاجر نفى وجودها عنده . فلمحت عينا البك بعض الأصناف المطلوبة على رف من الرفوف فأشار إليها قائلاً : « أمال إيه ده ؟ » وأجاب التاجر بأن غيره دفع ثمنها وسيرسل فى طلبها . وضحك صاحب السلطان ضحكة مُرّة وهو يهز رأسه قائلاً : « هيه ... طيب ! السلام عليكم » ثم خرج وتنفس التاجر الصعداء

واتجه إلينا ذلك التاجر وقال فى لهجة اعتذار : إن قريبه فلان بك الذى ينفق عليه أمره ألا يعطيه شيئاً إلا بإذن كتابى قال : « دا مسكين ضيع كل ما يملك فى المكيفات ، اللهم احفظنا وباع عفش بيته . وهل تاب بعد كده ؟ لا ، دا صنف لا يستحق النعمة »

ومضيت وفى نفسى كلمة التاجر الأخيرة وأنا أحدث النفس قائلاً كم ذا بمصر من هذا الصنف الذى لا يستحق النعمة !

الخفيف

هل قُطِّبت جبهتى يومًا لـكارثة   هوجاء عاتية من قسوة القدر ؟
كلا ، بفضلك لم أجزع لصدمتها   ولم أبالِ بما ألقاه من خَطرِ

وأينما ذهبت نفسى سمعتُ صدًى   من السماء لصوتٍ حين تبعثه
نفسى الغريبة فوق الأرض مابرحت   تُصغى لما دأب الإلهام ينفثُهُ

على الربا حيث يبدو للرقيب إذا   لاح النهار كما لو فوقها بزغا
إذ كنتِ فى صحبتى كيما أرددَ ما   نظمتُ فى مدح معبودى له صِيَغا
ما كان أول إشعاعٍ يُفيق بها   إلا وقد فتر الإنشاد أو فرغا

كم كنتِ تُلْقين بالأنغام موحشةً   على هدير حبالِ الفلك والموجِ
وقد بدا البرقُ خلاَّباً بزرقته   يخبو ويسطع عَبْرَ الأفق فى الأوجِ

وكنتِ مثل طيور العاصفات تُرى   محلِّقاتٍ على الأمواج فى البحرِ
وكدتِ أن تلمسى من فوقها زَبَدًا   يعلو ويهبط بين المد والجزرِ

تلك التى طالما استرعت مناظرها   مرآى قد حالفت أنغامها نَغَما
تنهُّداتُك مع أصواتها امتزجت   فكان رجع صدي الحنين منسجما

وطالما ارتعشت شجواً حبائلها   القائمات عليها نفثى الرخوة
تحكى ارتعاشاً عرا الأوتار من سُجن   أناملى حرَّكت فى روحها النشوة

ربابتى ! ربما ألقاكِ بعدُ ، متى   رأيتِ يوماً نذير الموت يقتربُ
تليه غاشيةُ الأحلام موحيةً   من السماء أموراً ما بها لَعِبُ
تكون قد بعدت عنا الحياة كما   لو أصبحت ذِكرياتٍ مهدها الكتبُ

وإذ يعود شباب الخلق ثانيةً   يحفه طائف حـلو لنسيان
قد ينحنى المرء أوقاتاً عليكِ فنى   رنينكِ العذبِ تلطيف لأحزان

وهذه الريح إذ تجرى محلقةً   من فوق أرواحنا فى برزخ العدم
تهب فى الفجر أحياناً مُبكِّرَةً   كما تهب بياتاً هبَّ مُحترِم
وكم يروق لها إمعانها عبثاً   بشعر ريحانةٍ أو ذقن ذى هرَم

إيهاً للحية هوميروس[1] تحجبها   قُطَّاعةٌ من جليد عن ذوى النظر
وكأن لمع شعاع الفكر مؤتلقاً   يعيد نوراً خبا من قبلُ فى البصر

(١) تصور لنا الأقصوصة القديمة (هوميروس)

ألم يكن ملتن[1] الأعمى بذى بصر   فكم جلا غيهباً فى حومة الفِكَرِ ؟
ألم تحم حول عينى ملتنٍ طُرَفٌ   من رائع الحب والآمال والصور ؟
تحكى الفراشة حامت قبل أن هبطت   على فلورا[2] التى تهوى على الأثر
يبدو وميض جناحيها كبارقةٍ   أضاءها شَفَقٌ وضّاء كالشرر

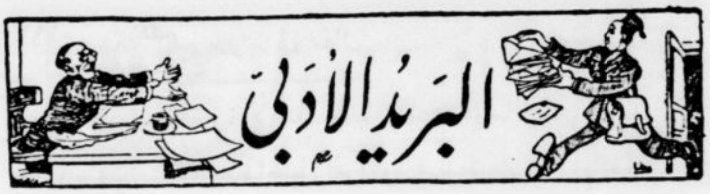
ربابتى ، ربما تأتين قاصدةً   زيارتى بينما الميعـاد لم يَحِنِ
فتمتطين مياه البحر طافيةً   من شاطئٍ لسواه طفو متزن
أكون قد غالبتنى موجة فقضت   على حياتى غريقاً ماؤها كفنى
وغيَّب اليم صوتى تحت تَجّته   فضاع لحن شَكاتى فيه من زمن
وقد نأى بى مصيرى فى غياهبه   عن السموات ، إن الهجر يؤلمني
كخُشبة البحر تحت الماء شاردة   وقدرمى الموج عظمى رمى مُمْتَهِن
على الرمال يُرى ملقًى بشاطئه   فيا لهول رُفاتٍ هالكٍ عَفِنِ

لـكنما أنتِ يا من ترسلين على   شتى المسامع أمواجاً من الطرب
وتركبين متون الموج سابحة   لا ترهبين دنو الموت والعطب
إن البماج على متن البحار جرت[3]   تحكيكِ من حسدٍ فى موكبٍ لجب

(الأسكندرية)   محمد أسعد ولاية

(١) (ملتن) شاعر انجليزى (١٦٧٤ — ١٦٠٨) كفيف البصر أيضاً . ومن أشهر مؤلفاته الشعرية (الفردوس المفقود)

(٢) (فلور) إلهة الأزهار عند الرومان (٣) تقول الأقصوصة تغنى البماج عند ما تشعر بدنو منيتها غناء ممتازاً ويستحوذ عليها الابتهاج لاعتقادها أنها مقبلة على لقاء الاله (أبولون) التى هي في خدمته



المجمع اللغوى والمعجم الوسيط

حدثنا ثقة من المتصلين « بالمجمع اللغوى » أن اللجنة المؤلفة لوضع المعجم الوسيط قد أنجزت حتى الآن مائة وستين صفحة فقط من هذا المعجم ، إذا صفت حروفاً وطبعت لا تتجاوز جميعها مائة صفحة ؛ وإن هذا العمل استغرق من عمر المجمع سنة ونصف سنة ، وإنه استغرق من عمر المعجم ثلاثة أرباعه ، لأن الزمن المحدد لإتمامه سنتان . وزاد محدثنا على ذلك أن العمل فى هذا المعجم يكلف الدولة لا أقل من مئة وعشرين جنيهاً فى الشهر . فكأن هذه الصفحات المئة قد كلفت الدولة ٢١٦٠ جنيهاً مصرياً وأن الصفحة الواحدة كلفت الدولة قرابة ٢٢ جنيهاً . فإذا كانت صفحات هذا المعجم ستبلغ على ما يقال ألفى صفحة ، استغرق تأليفه ثلاثين سنة ، وبلغت نفقات نقله من المعجمات القديمة ٦٤٨٠٠ جنيهاً مصرياً . هذا غير ما يستهلك فيه من ورق وآلات كاتبة وجزازات ونفقات طبع وأجور إخصائيين يحققون ما يرد به من الألفاظ العلمية وأسماء الحيوان والنبات ورد بعض الكلمات غير العربية إلى أصولها الصحيحة ، وهذه قد تجعل نفقات هذا المعجم ١٠٠ر٠٠٠ جنيه

وبعد ، فإذا قلنا إن المال لا قيمة له إلى جانب العلم ، فما بالكم بالزمن ؟ وإذا قلنا إن الزمن لا قيمة له إلى جانب المال ، فما بالكم بالعلم ؟ وإذا قلنا إن العلم لا قيمة له إلى جانب الزمن ، فما بالكم بالمال ؟

خبيرات فى الكذب

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير الرسالة الغراء

يقول كثير عزة :

وإن حلفت لا يخلف النأى عهدها
فليس لمخضوب البنان يمين

ويقول المثل العربى القديم :

« لا يفل الحديد إلا الحديد »

ولعل وزارة الاستعلامات الإنجليزية ترى هذين الرأيين فى الجنس اللطيف وفى وجوب الاستعانة به على فل حديده ؛ وذلك أنها أنشأت كما ورد فى البريد الإنجليزى الأخير مكتباً أسمته مكتب فحص الأكاذيب وعهدت برياسته إلى آنسة تدعى « اليزابيث مونرو » يعاونها أربع أوانس انجليزيات يحذقن اللغة الألمانية ويعمل معهن عدد كبير من النساء. ومهمة هذا المكتب فحص الأخبار الواردة من ألمانيا والتعرف على الكاذب منها بالمقارنة ، لتظهر مواضع التناقض وبوسائل أخرى يعرفنها

وتقول رئيسة هذا المكتب أن مكتبها مفتوح للعمل آناء الليل وأطراف النهار ، وأن عدد الموجودات به فى أية ساعة لا يقل عن اثنتى عشرة . ولما سئلت عن عدد الأكاذيب التى يستكشفنها كل يوم أجابت : « إننى لا أحب أن أقترف أكذوبة أنا الأخرى . ولذلك أقول فى غير مبالغة أننا نستكشف ما لا يقل عن مائة أكذوبة ألمانية كل يوم »

ومن أمثلة تلك الأكاذيب ما أذاعه الألمان من أن ساعة « بيج بن » دقت فى منتصف الليل ثلاث عشرة دقة بسبب ما أصابها من التلف الناشئ عن الغارات . وأن أهل لندن فزعوا فزعاً شديداً من هذا الفأل السيء لأن معظمهم يتشاءم من العدد ١٣

وثبت أن الساعات مهما أصابها من التلف فلا يمكن أن تزيد دقاتها عن الحد المعتاد

ولست أرى رأى كثير عزة فى نسبة النساء إلى الكذب ؛ ولكن النساء تتوقف سعادتهن وسعادة أطفالهن على صدق الرجال فهن أقدر على استكشاف الكذب ... هى خبرة فنية فيهن !

عبد اللطيف النشار

التعليم فى مصر فى السنوات العشرين الماضية

قال صاحب المعالى وزير المعارف من كلمة قيمة ألقاها فى الاجتماع الأول للمجلس الأعلى للتعليم :

حسبي لتصوير السرعة التى سار بها التعليم وتطور فى مصر أن أذكر لحضراتكم أن مصروفات التعليم المدرجة فى ميزانية الدولة العامة كانت فى سنة ١٩٢٠ (١ر٠١٣ر٥٠٣) جنيهات مصرية ، وأنها الآن ٥ر٦١٩ر١٨١ جنيهاً مصرياً ، منها لوزارة المعارف ٤ر٧٦٩ر٨٨١ جنيهاً وللجامعة ٨٤٩ر٣٠٠ جنيه . وقد كان عدد

المدرسين بمدارس الوزارة فى مراحل التعليم المختلفة سنة ١٩٢٠ (١٢٩٣) مدرساً ، وهم اليوم ٧٢٧٧

وكانت مدارس التعليم الثانوى سنة ١٩٢٠ تسعاً بها ٣٣١٤ تلميذاً ، أما الآن فهى ست وثلاثون بها ١٩٧٤٩ تلميذاً

وقد انتقل عدد مدارس التعليم الابتدائى من ٣٤ فى سنة ١٩٢٠ إلى ١٣٢ مدرسة الآن، وانتقل عدد تلاميذها من ١٠٧٤٩ فى سنة ١٩٢٠ إلى ٢٤٣٠١ الآن

أما التعليم الفنى (صناعى وتجارى وزراعى) فكانت مدارسه سبعاً فى سنة ١٩٢٠ وأصبحت الآن سبعاً وثلاثين . وكان عدد تلاميذها ١٤١٢ سنة ١٩٢٠ فأصبحوا الآن ١٣٨٠٠

ولم يكن بمصر فى سنة ١٩٢٠ غير مدرسة ثانوية واحدة للبنات ، عدد تلميذاتها ٢٨ . أما اليوم فعندنا ثمانى مدارس من هذا النوع بها ألف وستمائة تلميذة

وفى هذه الفترة أنشئت إلى جانب التعليم الثانوى للبنات المدارس النسوية الراقية والمدارس الفنية والخصوصية : كالفنون الطرزية ، والثقافة النسويه ، وكلية البنات وما إليها . وقد بلغ عدد هذه المدارس الآن خلا مدارس المعلمات اثنتى عشرة مدرسة بها ٢٤١١ طالبة

وكانت مدارس البنات الابتدائية خمساً فى سنة ١٩٢٠ عدد تلميذاتها ٨٤٣ ؛ أما الآن فعدد هذه المدارس اثنتان وثلاثون ، وعدد تلميذاتها ٣٤٨٩

وقد تضاعف نشاط التعليم الحر واستأثر بالحظ الأكبر من التعليم الابتدائى ، وبحظ غير قليل من التعليم الثانوى . كانت مدارسه فى سنة (١٩٢٠) ٦١ مدرسة للبنين ، و٢٥ مدرسة للبنات بها ١٤٦٣٨ تلميذاً وتلميذة . أما الآن فللتعليم الحر الابتدائى ٢٥١ مدرسة للبنين و٩٢ مدرسة للبنات ، بها جميعاً ٥٦٦٩١ تلميذاً وتلميذة . وكانت مدارس التعليم الثانوى الحر فى سنة (١٩٢٠) ٣٢ للبنين فقط بها ٤٤٩٠ تلميذاً ؛ أما الآن فقد صارت ٥٩ مدرسة للبنين و ١٢ مدرسة للبنات بهما جميعاً ١٤٦٢١ تلميذاً وتلميذة

وكانت مدارس التعليم الأولى والتعليم الإلزامى فى سنة ١٩٢٠ ٣٩٧٨ مدرسة بها ٥٨٥١ معلماً و٢٦٢٥٥٣ تلميذاً . أما الآن فمدارسه ٤٦٣١ مدرسة بها ٢٥١٣٠ معلماً و١١٤٨٢١٩ تلميذاً . وحظه من ميزانية وزارة المعارف ١٥٤٨٨٨٤

تصحيح رواية فى مقال

حضرة الأستاذ الجليل صاحب الرسالة الغراء

لأستاذنا الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام أسلوب قوى رائع فى أبحاثه القيمة عن أخلاق القرآن نتابعها بدقة وشغف ... ونستزيده منها . وإنه لماض أعزه الله

... غير أنى لاحظت فى موضوع (العفو) المنشور فى العدد ٣٩٥ من الرسالة ما يلى :

قال خالد بن الوليد . لسليمان بن عبد الملك : « إن القدرة تذهب الحفيظة . وقد جل قدرك عن العقاب ونحن مقرون بالذنب. فإن تعف فأنت أهل للعفو ، وإن تعاقب فبما كان منا » ويبدو لى الخطأ فى اسم خالد بن الوليد أو السهو أو إنه يقصد خالداً آخر ، فما كان رضي الله عنه من رجال سليمان بن عبد الملك ولا شاهد عصره . ولا إخال أحداً يجهل تاريخ موت خالد إذ وافاه الموت فى حمص سنة إحدى وعشرين فى عهد الفاروق عمر ابن الخطاب . وهو القائل على فراش الموت : لقد طلبت القتل فى مظانه، فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى، وما من عملى شيء أرجى عنده بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلني بمطر إلى صبح حتى نغير على المشركين فإذا أنا مت فانظروا فى سلاحى وفرسى فاجعلوه فى سبيل الله ...

وأوصى وصية واختار أميناً عليها عمر بن الخطاب على ما كان بينهما ، فلما بلغ أمير المؤمنين عمر نبأ موته ووصيته قال فى حزن وألم : ما على نساء الوليد أن يسفحن على خالد دموعاً

وسمع راجزاً يذكر خالد فقال والأسف ملء فؤاده : رحم الله خالداً . رحم الله خالداً .

(المنصورة) خالد عبد المنعم

فتيات فى الأزهر

نشرت الرسالة فى عددها رقم (٣٩٥) نبذة بقلم الأديب « ابراهيم ابراهيم الخولى » بعنوان : « فتيات فى الأزهر » ورد فيها أن المستشرق الإنجليزى « مستر دن » فى كتابه : « الحياة الفكرية والتعليمية فى مصر فى القرن التاسع عشر » ذكر ما خلاصته أن الحملة الفرنسية فى قدومها إلى مصر وجدت فى صحن الأزهر بضع نساء يتعلمن إلى جانب الشبان ... الخ

والذى أعرفه أنه ليس للأستاذ « هيورث دن » مدرس



الرفاق الثلاثة

عن الإنكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« عزيزى :

إن خطابك المؤرخ فى ١٦ من هذا الشهر قد تضمن من الحماقات ما تضمنه كل خطاب تكتبه لأن المركز الذى وضعت نفسك فيه سببه فقدانك التروى والتعقل . . . »

بهذه الألفاظ بدأ هنرى وارنج خطابه الذى كان يمليه على كاتبته وهو جالس إلى مكتبه وهى بجانبه تكتب على الآلة الكاتبة . ثم نهض متبرماً ومشى وعلائم الملالة والسأم بادية عليه حتى وصل إلى النافذة فأطل منها ثم أخرج من جيبه خطاب ابنه فأعاد تلاوته وهو يتأفف وقال : « خمسون جنيهاً ! هذا كثير ! هذا تصرف غير معقول »

ثم عاد إلى السكوت وإلى الإطلال من النافذة فنبهته الكاتبة قائلة : « ألا تريد إتمام الخطاب ؟ »

فمشى نحوها ووضع يده على كتفها برفق وقال فى صوت يتصنع فيه العذوبة : « لقد كنت شارد الذهن - إن ابنى الشقى - »

وتنهد ثم قال : « إن ابنى يعاملنى معاملة سيئة ، فقد رفض مساعدتى إياه على اختيار عمل مناسب واشتغل بحرفة التمثيل ثم تزوج من ممثلة تعسة »

وكان الأب يرتعش عند ما ذكر الجملة الأخيرة . فقالت الكاتبة : « هل هذه الممثلة جميلة ؟ »

قال هنرى : « إننى لم أرها ولا أريد أن أراها » . فقالت الكاتبة : « والخطاب ؟ »

قال : « أتركيه الآن » . ثم أنعم نظره فى عنق الكاتبة وذراعيها وقال : « ألا تتعبين من العمل يا مس ماسترز ؟ »

فقالت : إننى أتعب كثيراً ولكن لى جلداً على العمل

قال : ألا تحبين التنزه و ... والسرور ؟ فقالت : إننى أجلس أحياناً فى مقهى من مقاهى حى سوهو

قال : إن المقاهى كثيرة فى أحسن من هذا الحى الحقير . ثم سكت وعاد ذهنه إلى الشرود ، وبعد قليل التفت إليها وقال : ماذا كنت أقول لك الآن ؟

فقالت : هل كنت تدعونى إلى العشاء ؟

قال : إننى آسف ، لقد كنت أفكر ...

فقاطعته قائلة : إننى أقبل إذا أردت

فابتسم وبدا على وجهه السرور ؛ وقال : هذا حسن

قالت : ولكن خطاب ابنك ؟

فتحولت حالته مرة أخرى إلى الغضب وقال : إننى لن أبعث إليه بدرهم واحد

قالت : إذا كانت هذه هى معاملتك لابنك فإنى لن آمنك على نفسى

فقال الأب فى شىء من الغضب : لماذا تهتمين كثيراً بابنى؟

قالت : أنا لا أهتم ؛ فقال : إذن فلماذا ... ؟ فأحنت رأسها

العربية بقسم اللغات الشرقية بجامعة لندن كتاباً يحمل العنوان الذى ورد فى سياق النبذة التى سجلها الأديب ، وإنما عنوان كتابه هو : « مقدمة عن تاريخ التعليم فى مصر الحديثة »

An Introduction to the History of Education in Modern Egypt.

والكتاب مطبوع فى لندن عام ١٩٣٨

ولا يحوى هذا الكتاب أية معلومات من النوع الذى ذكره الكاتب ، وإنما الشائع أنه كانت فى مصر فى الجيل الماضى بضع نساء لمن إلمام بالنحو والعروض والشعر ومنهن : « فاطمة الأزهرية » و « ستيتة الطبلاوية » . وقد درست عليهما السيدة « عائشة التيمورية » القصائد والموشحات والأزجال . فإذا كان حضرة الكاتب يعرف غير ما تقدم ، فأرجو ألا يبخل بإرشادنا إلى ما فيه النفع

محمد أمين حسونة

ولم يجبه ؛ وكان منظرها وهى تتحدث باعثاً لخاطر جنونى فى نفس هذا الشيخ الفانى فانحنى وقبل شعرها اللامع ؛ فقالت بصوت خافت وهى لا تزال مطأطئة الرأس : متى ... غداً ؟

فأجابها : نعم فى الساعة السابعة

قالت : وماذا تقول في الخطاب ؟

ثم نظرت إليه وهى تبتسم ابتسامة مغرية ؛ فقال : أنمى الخطاب كما تريدين

فقالت وهى تستأنف الكتابة : أما عن المال ، فإن طلبك إياه وقاحة

قال : اكتبى كما تريدين . فعادت إلى الكتابة وهى تقرأ ما تكتبه : ولكننى مع ذلك أبعث إليك تحويلاً بمبلغ خمسين جنيهاً ، ثم قالت : هل أوقع الخطاب بتوقيع « والدك الحنون » ؟

فلم يجبها ؛ وسكتت هى أيضاً

* * *

كان مطعم لويز بلو مزدحماً عنـد ما دخل هنرى وكاتبته فجلسا متقابلين فى وسط الزحام على جانبى منضدة ، وكانت تحدثه بصوت رخيم وينظر إليها نظرة إعجاب وسألها : « هل أبواك على قيد الحياة ؟ »

فبدا عليها الاضطراب وقالت بصوت متغير : « إن أبى لا يزال حياً »

فقال هنرى : « إننى آسف إذا كان هذا السؤال قد جدد لك ذكرى تريدين نسيانها ، ولكننى أشتاق إلى معرفة شىء عنك

قالت : « إن أبى تزوج بعد أمى ولم أستطع الحياة مع زوجته فتركتها » فقال هنرى : « ألم تفكرى فى العودة ؟ »

قالت : « إذا أردت فإننى لا أستطيع لأنه طردنى من المنزل »

فقال : « ولكنه بغير شك أعطاك شيئاً من المال »

قالت الكاتبة : لقد أرسلت إليه مرة أطلب مالاً فرفض

فقال هنرى : « ياله من وحش ! أيستطيع الآباء أن يفعلوا هذا ؟ ... »

ثم تذكر الأب بعد ما نطق بهذه الجملة أنه كان بالأمس يريد أن يرفض مطلب ابنه فى المال فخجل ، وفى هذه اللحظة رأى شاباً يدخل المطعم وقد دلت حالته على أنه يبحث عن إنسان بعينه ، لأنه كان يدور بلحظه حول كل المناضد ، ولما أدار هذا الشاب وجهه عرفه هنرى وإذا به ابنه

احمر وجه هنرى فجأة ونظرت إليه الكاتبة مستغربة ، ثم تمتم بكلمات فهمت منها أنه قد آن أوان الذهاب

ولكن قبل أن يتحرك امتدت إليه يد الشاب وقال : سعدت مساء يا أبى

فسأله هنرى : ما الذى تعنيه باقتفاء أثرى ؟

قال الابن : أليس لى يا أبى أن ... ولكن قبل أن يتمم جملته وقع نظره على الكاتبة فسكت ، وأشار له أبوه بالجلوس فشكره وجلس ، وقال هنرى وهو يقدم لابنه كأساً من النبيذ : قل لى لماذا أتيت إلى هنا ؟

فقال الابن ببرود : أليس لى أن أبحث عمن يأخذ زوجتى فيدعوها إلى العشاء فى المطاعم ؟

قال هنرى وقد احتدم غيظاً : زوجتك ! هـذه كاتبتى يا روبرت » . فقال روبرت : « هذه السيدة كاتبتى أنا يا أبى »

فنظر هنرى إلى ابنه ثم إلى الكاتبة فابتسمت ووافقت على قول روبرت فعادت إلى الأب حالة الغضب، فقال روبرت : « إننا نريد يا أبى أن نصطلح . فزمجر هنرى وقال الابن : « لقد مرت بى وبزوجتى ظروف عصيبة ففكرت فى هـذه الحيلة . وجاءت للاشتغال عندك ونحن آسفان على إغضابك »

وقالت الكاتبة : « إننى على ما أراه قد حزت رضاك وإعجابك فلا أظنك تظل على غضبك من زواج ابنك بى »

ومدت قدمها من تحت المنضدة نحو قدمه لتماكسه كما كان يفعل منذ خمس دقائق . ولكنه لم يجرؤ على ذلك ، وقال وهو مغضب : « لقد خسرت كاتبتى يا روبرت »

فقالت وهى تبتسم : « خير لك أن أكون زوجة ابنك »

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 397

Lundi - 10 - 2 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٩٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ محرم سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٠ فبراير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١٤١	فلسفة الضحك	: الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٤٤	أخلاق القرآن	: الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٤٦	الحديث ذو شجون	: الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤٩	أومن بالانسان	: الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
١٥٥	الموسيقى والغناء والحروب	: الأستاذ محمود البشبيشى ...
١٥٧	دير مديان	: الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٥٩	الانتاج الأزهرى	: الأستاذ عبد العزيز محمد عيسى
١٦١	فتنة الزنج ورثاء البصرة فى شعر ابن الرومى	الأستاذ محمود العرقاوى ...
١٦٣	نهاية زعيم ... [قصيدة]	: الأستاذ أحمد فتحى مرسى
١٦٤	خزائن الكتب فى قصور الأندلسيين	« باحث » ... ...
	المجمع اللغوى والمعجم الوسيط	: الأستاذ عبد العزيز البشرى
١٦٥	خصومة أدبية	: الأستاذ السباعى بيومى
	إلى الدكتور مبارك	: الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٦٦	متحف وزارة المعارف . .	: الأستاذ إبراهيم أدهم ... ...
	تصويب	: الأديب محمد الساكت ...
١٦٧	البغض الأول ... [قصة]	: الأستاذ عبد اللطيف النشار

فلسفة الضحك

للأستاذ عباس محمود العقاد

والذى ذكرنى هذا الموضوع نبى الفيلسوف الفرنسى « برجسون » ، لأنه صاحب رأى من الآراء المعدودة فى « فلسفة الضحك » ، ولأن الأشياء التى توضع فى الذهن موضع المتناقضات من دأبها أن يذكر بعضها ببعض ؛ فالبكاء من ألزم الأشياء لفجيعة الموت ، والضحك يناقض البكاء على جميع الألسنة ، وإن لم يكونا فى الواقع نقيضين أو طرفين متقابلين

فالحزن نقيض السرور ولكنه ليس بنقيض الضحك ؛ وقد يحزن الحيوان الأعجم ولكنه لا يضحك أبداً ولا يستطيع أن يضحك ، إذ الضحك خلة إنسانية ملازمة للعقل والضمير . ويقال : إن الإنسان حيوان ضاحك ، كما يقال : إن الإنسان حيوان ناطق : كلاهما وصف لا ينفصل عن التمييز الإنسانى ولا يكون لغير الإنسان

وهنا ينبغى أن ننبه إلى أن قهقهة القرد ليست من الضحك إلا فى الصوت ، وأن الببغاء قد تحاكى الإنسان الضاحك كما تحاكى الإنسان المتكلم ، ولكنها جميعها أصداء وأصوات ليس لها من التمييز المنطقى نصيب

ولا غرابة فى أن يُعرَّف الإنسان بالضحك كما يعرَّف بالمنطق

والتمييز، لأن المنطق هو الذى يجعلنا نضحك، وكل عمل مضحك فهو فى حقيقته منطق ناقص أو قضية يختل فيها القياس والترتيب

ومن ثم يضحكنا الأطفال لأنهم لا يحسنون القياس، ولكنهم يركبون القضايا المنطقية تركيباً فيه نقص واختلال

فالطفل الذى يرى أباه يحلق ذقنه فيصر على أن يحلق ذقنه مثله يقيس قياساً منطقياً لا يدرى موضع النقص فيه

وكذلك الطفل الذى يصيح فى أهله أن يردوا شعره إليه بعد حلقه، إنما يقيس الشعر على الأشياء التى تؤخذ منه وترد إليه كلما شاء استردادها، فيخطىء القياس

والكبار الذين يضحكوننا إنما يصنعون مثل هذا: يقيسون ويخطئون القياس، ويكتفون بالمحاكاة ولا يتصرفون

ولو أننا نظرنا إلى كبار الممثلين المضحكين لوجدنا أنهم يتعمدون الخطأ على هذا المنوال، ويتبعون أسلوباً فى وضع الأمور فى غير مواضعها يتنوع ويختلف على حسب أمزجتهم وملكاتهم ولكنه يلتقى فى خلة واحدة وهى اختلال القياس

فلوريل وهاردى مثلاً قد أدخلا السجن فى إحدى رواياتهما ثم استطاعا الإفلات منه ونعما بالسكر والنزهة وهما مفلتان، فلما طاردهما الحراس فى الطريق هربا إلى باب السجن يلتمسان الخلاص هناك: قياس منطقى لا شك فيه، ولكن النقص فيه ظاهر للمتفرجين وإن لم يظهر للممثلين على حسب الدور الذى كانا يمثلانه

وشارلى شابلن قرأ فلسفة الضحك للفيلسوف برجسون قبل أن يمثل لنا الإنسان الآلى الذى يأكل بالمدد المتحركة فى روايته (أنوار المدينة)، وكذلك لاحظ هذه الفلسفة على ما نظن فى الكلمات التى كان يغنيها بغير معنى ولا وحدة فى بعض مواقف تلك الرواية، لأن مذهب برجسون أن سبب الضحك هو تصرف الإنسان كما تتصرف الآلة، بغير تمييز بين المتفقات والمختلفات، وبين ما يقتضى التغيير وما ليس يقتضيه

وهذا مذهب مطابق لما أسلفناه من تعليل الضحك باختلال القياس أو الاطراد على نسق واحد لا يوجب الاطراد

رجل دخل السجن مرة فهرب وسكر وطرب فهو يحسب كل دخلة إلى السجن منتهية إلى هذه النتيجة، ويمضى على هذا السنن كما تمضى الآلة التى تأتى بحركة واحدة ولا تقدر على تغييرها إذا تغيرت الدواعى والموجبات

فالضحك إنما هو سلاح الإنسانية للمحافظة على الرتبة التى وصلت إليها فوق الجماد وفوق الحيوان، ومن هنا استحال على الحيوان أن يضحك لأنه لم يصل إلى هذه الرتبة وليس عنده من التمييز ما تستدعيه

ومذهب برجسون هذا هو جزء متمم لفلسفة كلها فى حقيقة التطور وحقيقة المادة والفكرة، فهى تركيبة شاملة يفسر بعضها بعضاً ويقوم الدليل من إحدى نواحيها على إثبات سائر النواحى. وله براعة فى هذا التوفيق مع سهولة فى التعبير لم يرزقها فيلسوف حديث بعد «شوبنهور» الذى انفرد بهذه المزية بين فلاسفة الألمان وسائر الفلاسفة فى عصره

***

وللقارئ أن يراجع النكات أو المواقف التمثيلية التى أضحكته ليعرضها على هذا المذهب، فهو واجد فيها لا محالة تصرفاً هو أشبه بحركة الآلة منه بتمييز الإنسان الناطق، أو واجد فيها شيئاً من وضع الأمور فى غير موضعها وقياسها على غير مقياس صحيح

ومن أمثلة ذلك تلك النكتة التى تروى عن ظريف من أبناء البلد يقول عن أحد الأطباء إنه يعلق مريضاً على باب المستوصف!

فذلك الطبيب على حسب هذه النكتة يرى أن أصحاب الدكاكين يعلقون على وجهاتها نماذج مما يعملون فيه، وهو يعمل فى المرضى ويستمد منهم تجارته، فلماذا يا ترى لا يعلق مريضاً على باب دكانه؟

وهذا هو التصرف الآلى كما يقول برجسون، أو هذا هو القياس بغير المقياس الصحيح

ومن أمثلة ذلك «حانوتى» فى إحدى الروايات الهزلية التى عرضت بمسارحنا المصرية يملأ جيوبه بالمناديل المطوقة بالسواد ليقدمها إلى الباكين من أهل الموتى على سبيل الإعلان «عن المحل»!

فالتصرف فى هذا الموقف كتصرف الطبيب المزعوم، والقياس هنا كالقياس هناك

ومن الواجب أن نفرق بين موضوع الضحك وبين شعورنا الذى نواجه به الإنسان المضحك، فإنهما شيئان منفصلان كل الانفصال كانفصال حقيقة الجمال عن شعورك أنت بالإنسان الجميل

فنحن نعطف على الطفل الذى نضحك منه ، ونزدرى الرجل الكبير الذى يصنع مثل صنعه ، وننفر من المغرور المكابر الذى يبعث الضحك والسخرية ، ونألم للمريض الذى يخطئ كما يخطئ الأطفال وأشباه الأطفال ، وما من إحساس من هذه الأحاسيس داخل فى طبيعة الضحك وحقيقته الفلسفية ، بل هو عارض يلازم الضحك أو يفارقه ويكون عند هذا الإنسان على خلاف ما يكون عند غيره : فقد يؤلمنى ما يوجب الازدراء عند الآخرين؛ وقد تغتبط لرؤية العدو فى موقف السخرية وتأسى لرؤية الصديق فى ذلك الموقف بعينه

***

إن نبى برجسون لم يذكرنى فلسفة الضحك وحدها بل ذكرنى أموراً كثيرة منها ما يحزن ومنها ما يبعث الرجاء

ذكرنى نصيب الفلسفة بيننا نحن المصريين منذ عشرات الآلاف من السنين ، فلم يكن للفلسفة قط نصيب حسن بين المصريين أقدمين كانوا أو محدثين

لم ؟ لأن الدولة القوية تنشأ إلى جانبها الكهانة القوية ، ولأن الكهانة القوية قد استأثرت فى مصر القديمة بالبحث عن حقائق الكون وأسرار الحياة ، وأدخلتها فى عداد المراسم الدينية التى تفرضها على الأفكار ، ولا تسيغ فيها التجديد والابتكار

أما بعد انقضاء الدولة القديمة والكهانة القديمة فالاستعباد علة محققة من علل القضاء على الفلسفة فى هذه الأمة ، لأن الفلسفة هى المعرفة التى يطلبها العقل لذاتها أو يطلبها لذاته ؛ فهى من مطالب الأحرار وليست من مطالب المستعبدين الذين يريدون ما يرادون عليه ويحصرون همتهم فى المنفعة والجزاء

وقد ينبغ بين هؤلاء المستعبدين حكماء من معنى الحكمة التى هى اختبار واتعاظ وانتفاع بتجارب السابقين

أما الحكماء من معنى الحكمة التى هى نفاذ إلى كنه الحقائق ، فظهورهم وارتفاع شأنهم بين المستعبدين مستحيل أو كالمستحيل

هاتان علتان أرضاهما لتعليل كساد الفلسفة بين أبناء هذه الأمة فى الزمنين القديم والحديث ، ولا بد من مرانة طويلة على الحرية قبل أن يزول هذا الأثر من آثار الاستعباد

ولكن هل العلة التى أرضاها هى العلة التى تطابق جلة الأسباب ؟ وهل هى دون غيرها التى تطابقها ، أو هنالك علل أخرى يقول بها من ليس يرضيهم من أمر هذه الأمة ما نرضاه ؟

العلل التى تقال فى هذا الصدد كثيرة ، ومنها ضيق الواعية وانطباع الذهن على سهولة التفكير والتقيد بالمحسوسات والعمليات

ومنها قلة الجد والجلد وأخذ الحياة بالظواهر والوقوف بها عند السكك المطروقة والعادات المكررة التى تصد عن الإبداع وتغلق منافذ الاستغراب والتساؤل والاستطلاع

وكلتا العلتين تستند إلى الأخرى ، وكلتاهما لا نرضاها ولا نجزم بنفيها لأننا لا نرضاها !

***

قلنا إن نبى برجسون ذكرنا أموراً تحزن وأموراً تبعث الرجاء . فهذا الذى يحزن وهو حزن هين فى عرف الكثيرين !

أما الذى يبعث الرجاء فهو تلك النبوءة التى أنبأ فيها الفيلسوف بهزيمة السلاح المادى أمام الآداب الإنسانية يوم أن نشبت الحرب الماضية وكان الناس فى شك من عقباها لما شاهدوه من بطش السلاح المادى خلال المعارك الأولى

فقد كان برجسون مؤمناً بغلبة الروح على القوة المادية ، وكان يبنى ذلك الإيمان على مثل السبب الذى اعتمده فى تعليل الضحك ، وهو أن التقدم الإنسانى مرهون بتقدم الروحيات على الآليات ، وأن الإنسان لم يخلق ضاحكا ليصبح آلة مغلوباً بقوة الآلة ، بل خلق ضاحكا ليسخر من الآلات ، ومن يردونه إلى حكم الآلات .

عباس محمود العقاد

أخـــــلاق القرآن

صلة الأرحام

للدكتور عبد الوهاب عزام

(خاتمة)

أمر القرآن الكريم بالرحمة العامة والإحسان الشامل — الرحمة التى تنال القريب والبعيد والإنسان والحيوان ، والإحسان الذى يعم الناس جميعاً ويشمل كل فعل وكل قول . . .

ثم خص ضروباً من الناس فوكد الأمر بالإحسان إليهم ، وكرر الوصية بالبرّ بهم ، ومن هؤلاء ضعاف الناس من الفقراء واليتامى إذ كانوا أحوج إلى العطف ، وأجدر بالبر ، وأولى بالإحسان .

وممن وكد القرآن الأمر ببرهم والإحسان إليهم ، ذوو القرابة . لأن القريب أعرف بقريبه وأدنى إليه ، ولأن الإحسان العام يبدأ بالقرابة ثم يتسع فيهم ، ولأن مودة القرابة تمكن الأواصر بينهم وتشيع المحبة فيهم ، وتقربهم إلى التعاون . ومن هذه المودة فى القربى تستحكم روابط الأسر ، ومن الأسر تتألف الأمة متينة الأساس محكمة البناء . فمودة القربى دُربة على المودة العامة ، وتمهيد للاحسان الشامل . والقطيعة بين الأقرباء فسادٌ وإن صغر كبير ، وشر وإن قل مستطير ، وعلة فى النواة تبين فى الشجرة ، وخلل فى الأسرة يظهر فى الأمة

لذلك وكد كتاب الله الأمر بمودة ذوى القرابة وصلة الأرحام ولا سيما الوالدان

عظّم القرآن صلة الأرحام إذ قرن تقواها بتقوى الله تعالى فقال : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » . وأمر بتوفية القرابة حقها إذ قال : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » . وقرن قطع الأرحام بالإفساد فى الأرض إذ قال : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم »

وقد جاء فى حديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه أن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم : « هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب . قال : فهو لك » وقال رجل للرسول : « أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة » فقال : « تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم » وفى الحديث أيضاً : « لا يدخل الجنة قاطع »

ذلكم أمر القرآن والسنة بصلة الأرحام عامة والنهى عن قطعها . وأما بر الوالدين خاصة فقد أعظم القرآن أمره ، وكرر الأمر به فى آيات كثيرة . وحسبك أن القرآن قرن الإحسان إلى الوالدين بتوحيد الله ، وشكر الله بشكرهما فى آيات قال : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » وقال : « قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » وقال : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا . »

بل أمر القرآن الكريم أن يحسن الولد المسلم إلى أبويه غير المسلمين وإن دعواه إلى الكفر واجتهدا فى ردّه عن الإسلام . قال : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكرلى ولوالديك . إلىّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون »

وجاء فى الحديث أن رجلاً سأل رسول الله أى العمل أحب إلى الله عزّ وجلّ ؟ قال : الصلاة على وقتها . قال ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . قال ثم أى ؟ قال الجهاد فى سبيل الله . وروى عبد الله بن عمرو « أن رجلاً قال للنبى : أجاهد . قال : ألك أبوان ؟ قال نعم . قال : ففيهما فجاهد . » وقد ذكر رسول الله الكبائر فقال : الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين . »

وأما الإحسان إلى الأولاد فله من شفقة الوالدين ما يغنى عن الترغيب والإيصاء ؛ ولكن يقع فى البشر شذوذ يصيب الولد بقسوة الوالد . وقد علم القرآن الناس البر بالأولاد ولا سيما

البنات فعصم دماءهن وجعل لهن حقاً في الميراث ، ورفع مكانة المرأة وجعل لها مثل ما عليها من الحقوق والواجبات

وفي رسول الله أسوة حسنة للوالد الشفيق والأب البار .

قبّل رسول الله الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالساً ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً . فنظر إليه رسول الله ثم قال : من لا يرحم لا يرحم . وقال أعرابى للنبى : تقبلون الصبيان ؟ فما نقبّلهم . فقال : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ »

هكذا أشاد الإسلام بحقوق القرابة وأواصر الأسرة ووكد رعايتها وجعل لها مسحة من التقديس ، لأن الناس لا يتحابون ويتوادون ويتعاونون إلا أن تبدأ هذه المحبة وهذا التعاون من الأسرة ، ثم تتسع عاطفة الخير فتعم القريب والبعيد ، وتفيض على الأمة كلها ثم تنال الناس جميعاً

وإنّا لنرى اليوم أواصر الأرحام تتقطع ، وعرى القرابة تنفصم ، وبناء الأسرة يهن بما بعدنا من قرآننا وديننا وتاريخنا وسنتنا . شغل رب الأسرة عن أسرته ، وثارت بالأولاد الفتنة ، وظن الأحداث أن الحرية أن ينتهكوا حرمات الأسرة ، وأن الجِدّة أن يثوروا على سلطان الوالدين

ألا إن على المصلحين أن يطبوا لهذا الداء ، وأن يبذلوا ما يملكون من فكر وعمل في تقوية أواصر القرابة وإحكام بناء الأسرة على قواعد من الحب والإيثار ، وإكبار الكبير والعطف على الصغير ، والتعاون على الخير والحق

خاتمة

قصصت عليكم طرفاً من أخلاق القرآن ، وحدثتكم بنبذة من آدابه وشذرة من وصاياه ، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

تكلمت عن العدل ، والوفاء بالعهد ، وعن الإحسان والصدق والصبر والعفو ولم أرد أن أستقصى أخلاق القرآن وآدابه فهى شريعة الإسلام الأخلاقية كلها ، وهى تهدى إلى ما بعدها ، وترشد إلى ما وراءها . والقرآن الكريم كنز من الأخلاق لا يفنى ، ومنبع للفضائل لا ينضب . فليت المسلمين يرجعون إليه ليتبينوا سننه ، ويتخلقوا بأخلاقه ، ويتأدبوا بآدابه ، لتكون لهم عصمة في هذا العصر المفتون ، وقبساً وعزاً من هذا الذل ، واجتماعاً من هذه الفرقة ، وعلماً من هذه الجهالات ، وهدى من هذه الضلالات ، ولتكون لهم بعد الشقاء سعادة ، وبعد الشدة رخاء ، وبعد العسر يسراً .

ألا إن كتاب الله الكريم لا يدعو إلى أخلاق الصوامع كما بينت لكم ، ولكن يدعو إلى أخلاق تسعد الناس في معارك الحياة ، وترشدهم في فتنها ، وتوفى بهم على الغاية التى أرادها الله لخلقه ، وهدى لها عباده ، وبعث من أجلها رسله . الأخلاق التى يحيا بها موتى الشقاء لا التى يموت بها الأحياء . وإن فيها لسعادة الفرد والجماعة وسعادة الناس كافة ، وإن فيها لنجاة العالم من كوارثه ، وخلاصه من مهالكه ، وإنما هى السلام فى نفس الفرد ، وفى جماعة الأسرة ، وفى نظام الأمة ، وفى مجتمع البشر . وهل هى إلا تخليص النفس من ضلالاتها ، وتطهيرها من أرجاسها ، وإبراؤها من أهوائها ، ثم حكمها بعدل الله الذى يبصر بالواجب كما يبصّر بالحق ، ويدعو إلى العطاء كما يدعو إلى الأخذ ، وينزل الناس على حكم الإنصاف المؤلف للقلوب ، والألفة المعينة على الخطوب ، والتعاون الذى يذلل الصعاب ، ويُبلّغ المقاصد ، وينيل المطالب ، ثم إقامة الجماعة فى نظام جامع من الإنصاف والألفة والمودة والتعاون يردّ عداوتهم محبة ، وحربهم سلاماً ، وظلمهم عدلاً ، وجشعهم قناعة ، ويجمع القلوب والعقول والأيدى على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

إلى هذه الأخلاق يدعو القرآن ، وإلى هذه المقاصد تقصد أخلاق القرآن . فمن لى بأن يهتدى المسلمون بها لتهدى الأمم بهم ؟ ومن لى أن يلجأ المسلمون إليها ليكونوا لها حجة قائمة وإليها دعوة صادقة ، ويذكروا أنهم أمة واحدة يهديها كتاب واحد ، وأن أخلاق القرآن هى الوشائج التى تجمعهم والسنن التى تنظمهم ، والأسطر التى تؤلف بين كلماتهم ؛ ثم يحذروا أن يذهب نظامهم بدداً ، واجتماعهم اضطراباً ، بما فرطوا فيما أورثوا من هذه الأخلاق القويمة ، وهذه السنن الصالحة ، وهذه القوانين الجامعة

يقول الله تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » . ويقول : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » . صدق الله العظيم .

عبد الوهاب عزام

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

البلبل العائد إلى الروض — بيني وبين أصدقائي

البلبل العائد الى الروض

كنت أحب أن أجزى الأستاذ البشبيشي ثناء بثناء ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ ولكن غرامى بالشاغبة غيَّر مقام الخطاب ، فأنا سألقاه بالملام لا بالثناء ، وهو المسئول عما سيقع فى كلامى من قسوة وعنف ، لأنه حدثنا أنه مُقْبلٌ على أمر عظيم هو العودة إلى الروض ، وقد كادت كلته بالرسالة تشهد بأنه يعانى مشقة ألنية فى رياضة جناحيه على النهوض ، بعد طول القرار بأرض المجُود ، إن جاز الوهم بأن النفوة تجوز على قلب ذلك الصديق

وما لى لا أقول الحق فأصرح بأنى أخاف على الأستاذ البشبيشى عواقب العودة إلى روض الأدب والبيان ؟

أنا أخاف على هذا الصديق أشد الخوف ، لأن ماضيه القريب دلنى على أنه تعرّض لغضب الأدب مرتين ، ولو شئت لقلت إنه تعرض لغضب الله مرات ... ولكن كيف ؟

نسى الأستاذ البشبيشى أو تناسى أن الله يسوق المكاره إلى النوابغ من وقت إلى وقت ليفتح عيونهم وقلوبهم على ما فى الوجود من أنوار وظلمات ، ونسى أو تناسى أن الله يطالب أولئك النوابغ بالحمد على تلك المكاره ، لأنها فى الواقع نِعم سوابغ

فما الذى صنع ذلك الصديق وقد تفضل الله بامتحانه مرة ومرتين ومرات ليشرع القلم فى وصف ما يعتلج فى ضمير الوجود من آراء وأهواء وحقائق وأباطيل ؟

أوذىَ البشبيشى بالظلم والغدر والعقوق ، فهل استفاد قلمه من ذلك الإيذاء ؟

أيكون آثر العفو عن ظالميه ؟ إن كان ذلك فما الذى صدر عن قلمه فى ذلك الصفح الجميل ؟

المهمّ هو أن ينتفع الكاتب من جميع الظروف ، فيكون لقلمه حنين ورنين وصرير وزئير ، وَفقاً لاختلاف الأحوال من قلق وهدوء ، وبؤس ونعيم ، فإن ضيّع هذه الفرص السوانح وترك عواطفه تخمد وتبيد فهو غير أهل للعودة إلى الروض ، ونحن على صده قادرون ، فليس منا مَن يضيّع فرصة الانتفاع بمواسم القلوب فى القبض والبسط واليأس والرجاء

إن روض الأدب ليس حديقة مصقولة الحواشى كالحدائق التى تقام فى قصور الأمراء والوزراء ، فتلك حدائق لا تغنِّى فيها البلابل إلا وهى محبوسة فى أقفاص ، أو ما يشبه الأقفاص من المغانى المسقوفة بأسلاك الحديد

روض الأدب ليس من تلك الحدائق حتى يقول الأستاذ البشبيشى إنه قادم للغناء وفى يده وَتَرٌ حنّان هو قلمه البليغ

هيهات ، هيهات ، وإنما روض الأدب جنة وحشية تشبه الجنة التى اعترك فيها الخير والشر والهدى والضلال لعهد آدم وحواء

فى روض الأدب أزهار ورياحين ، وفيه أيضاً أشواك وحيات وشياطين

هو روضٌ وحشى تجاورَ فيه الكِناس والعرين ، واقترب فيه عش الطائر من وكر الثعبان ، وأنتَ واجدٌ بذلك الروض ما شئت من صنوف السم والترياق ، ففيه أنهار من الشهد وبحار من الصاب ، وفيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أفانين الود والحقد والصدق والبهتان

فى ذلك الروض الوحشى لا يغرد البلبل إلا وهو مطمئن إلى أنه تفرد بالقدرة على السباحة فى لجج الهواء ... وفى ذلك الروض يزأر الأسد وهو واثق بأنه السيد المطلق ، وفيه يبغم الظبى حين يعرف مسالك الأمان من كيد أولئك « السكان »

كل شىء حىّ فى ذلك الروض حتى هوامد الأعشاب وصوامت الغدران . فما الذى أعددت ، أيها البلبل ، لزيارة هذا الروض ؟

ما أشد خوفى عليك ، يا صديقى ، فأنت فيما يظهر لم تسمع بأفاعى الرياض

البلبل فى ذلك الروض يغنى بالنهار ، ويسهر خائفاً بالليل ، لأنه يعرف أن فى ذلك الروض خلائق مؤذية تتسلق الأشجار فى الظلمات لتعصر رقاب البلابل ثم تبتلعها برفق ؛ والموت هو الموت ولو جاء فى أعقاب النشوة بكؤوس الرحيق

وأنا جربت الحياة فى روض الأدب ، وعرفت من أهوال ذلك الروض ما لا تعرف . وهل تعرف أنى كنت فى روض

الأدب بُلبلاً وأفنوانًا ورئبالاً ؟ هل تعرف أنى غنّيتُ ولدغتُ وهصرتُ ؟ هل تعرف أنى قابلتُ خلائق ذلك الروض بأسلحةٍ مختلفات : منها الصوت الرخيم ، والناب المسموم ، والمِخلبُ الفاتك ؟

وهل ألام على ما صنعت وأنا أعيش فى مَسبعة سميتْ تفاؤلاً بالروض ؟

وتقول : إننى اجتذبتك إلى هذا الروض ؛ وما قلت إلا الحق فقد كان قلمى ولن يزال مسموع الصوت ، مستجاب الدعاء ، ولكن كيف اجتذبتك ؟ ما صنعت ذلك ترفقاً بك ولا عطفاً عليك ، وإنما أردت أن تكثر النفوس فى تلك المسبعة الفيحاء ، ليذهب عنى بروحك المؤنس بعض ما أقاسى من مُضجِرات الاستيحاش ، إن صح لمثلى أن يتهيب العزلة والانفراد فى روض السباع الضاريات

أما بعد ، فهذا روض الأدب ، وهذا بلبل يعود بعد طول الغياب ، ليغرِّد فوق أفنان « الرسالة » الشَّجراء

والحق أنه لن يرى لأول وهلة أن روض الأدب من الغابات الوحشية ، وكيف وفى ذلك الروض كتاب وشعراء وعلماء ؟ ولكن العبرة بالخواتيم ، والخواتيم فى أيدى أناس غير أولئك ، ناس لا يعرفهم ولا يعرفونه ، وهم الذين يحكمون على الأدب وهو منهم بَراء

لو فهم كل قارئٌ ما تريد أن تقول ، لكان من السهل أن يأتلف الأسد والغزال ، والبلبل والثعبان

ولو فهم كل قارئٌ أن للكاتب حقًا فى أن يؤدى رسالته بالأسلوب الذى يختار لعرف قومٌ أنْ لا موجب للحيرة فى أمرى وقد طويتُ محاسنى ونشرتُ عيوبى ، لأسلم من آصار التكبر والازدهاء ، ولأجمل الرأى فى سعادتى وشقاوتى لمن تفرد بالعزة والجبروت ، له الحمد وعليه الثناء

هذا روض الأدب ، وهذا بلبل يعود
أهلاً وسهلاً ومرحباً ! !

ولكن يجب أن يعترف الأستاذ البشبيشى بأننا خصصناه بالأهل والسهل والمرحب ، وهى ألفاظ لم نسمع بها فى هذا الروض فما كان إلا مسارب ضِلال ومدارج ذئاب

الأدب ؟ الأدب ؟

ماذا جنينا من أيامه ولياليه وقد سبقَنا المتجرون بالنمائم والدسائس والأراجيف ؟

إن الجاسوس يملك من الثروة أضعاف ما يملك الأديب ، وأهونُ الحظوظ فى الدنيا هى حظوظ الأديب ؛ فأين من يتوجع لبلائنا بالدنيا والناس ؟

آمنت بالله ، وتُبتُ إلى الله ؛ فما عرفت نعمةً أعظم من نعمة الخلوة إلى القلم فى لحظات السيطرة الروحية على زِمام الوجود إلى القلم ، إلى الروض ، إلى مُعْتَرَك الهدى والضلال ، إلى حيث نصافح بالفِكر والروح شياطين النفوس وملائكة القلوب !

ومن الله الذى أقسم بالقلم وما يَسطُرُون نسأل الأمان من إخوان الزمان

بينى وبين أصدقائى

وأصدقائى فى هذا الحديث هم قراء « الرسالة » الذين تطيب لهم مراسلتى من حين إلى حين ، وهم خير الأصدقاء ، لأن الصلات الروحية أعظم وأنفس من جميع الصلات ؛ ومع اعترافى بهذه الحقيقة التى تؤنس روحى فأنا لا أؤدى حقوق هذه الصداقة إلا فى أندر الأحايين ، لأن صفحات « الرسالة » تضيق عن تسجيل ما يدور بينى وبينهم من فنون الأحاديث ؛ فماذا أريد أن أقول لهم فى هذه الكلمات ؟

١ — أريد أن أطمئن الأديب « البيسى » الذى نقل إلىَّ عواطف بعض إخوانه فى الإسكندرية عما كتبته فى تأنيب الشاب المقيم بإحدى قرى المنوفية ، فقد عدّوا كلامى تثبيطاً لعزائم الشبان ، وتخوفوا عواقبه فى قتل مواهب ذلك الأديب الناشئ .

وأجيب بأن ذلك الشاب لم ينتحر — كما توقعت — وإنما أجاب جواباً يشهد بأنه خُلق للحياة لا للموت ، وذلك ما كنت أبغى ، فما يسرنى أن تكثر الأرقام ، وإنما يسرنى أن تكثر الأعلام ، وأديبٌ واحدٌ متمكن أنفع للأمة من ألوف الأدباء الموسومين بالجهل المصقول ، وأعيذ الأديب « الدسوق » أن يكون من هؤلاء

٢ — وأريد أن أقول للأديب « . . . . » إن ثناءه على ما أكتب فى النقد الأدبى لا يغرينى بالسير فى ذلك الطريق إلى نهاية الشوط ، لأن الجمهور يغيب عنه الفرق بين النقد والتجريح ، وهو يتوهم أن لنا غاية فى تعقب الآثار الأدبية بالتزييف والتصحيح . . . يضاف إلى ذلك أنى أكره أشياء من بعض الناس ، ففيهم من يعيش بوجهين ، فيكتب إلىّ مشجعاً ، ويكتب إلى من أنقدهم متوجعاً ؛ كالذى صنع فلان حين رجا أن يكون كتابه خاصًّا لا يصل إلى أسماع القراء ! فهل تراهم سمعوا منه شيئاً ؟ ! وهل عرفوا أنه يقيم فى بلد يقيم فيه شاعر كبير اسمه أحمد . وهو غير الشاعر أحمد الكاشف ؟

٣ — وأريد أن أقول لصاحب « جريدة مصر العليا » إنى راض عن التسمية الطريفة لمصر الشّمالية ومصر الجنوبية ، وهو يعرف ما أعنى

٤ — ثم أنظر فى جريدة « الأحوال » البغدادية فأجد صورة « شارع فيصل » بجانب الكرخ ، وتحت الصورة كلمات موجّهة إلىّ برفق ولطف ، كلمات دبّجها أديبٌ كريم عزّ عليه أن أشكو زمانى فهو يقول :

« أنت أكبر من الزمان ، ما دام لك إخوانٌ أوفياء »

وعندئذٍ أتذكر أن لى فى العراق ذخيرة روحية ، ثم أتذكر تمثال فيصل ، فكم من جلست فى رحاب ذلك التمثال وصدرى يفيض بالكروب فى ليلة عتاب :

يا روعةَ البدر فى سَماهُ ... وفتنةَ الزهر فى الغصونِ
تناسَ ما شئتَ سوف تخبو ... حرارة الدمع فى الشؤون
وسوف تَبلَى على الليالى ... غرائب السِّحر فى العيون
أستغفر الحبّ سوف يَبقَى ... على صروف الأسى حنينى

وتذكرت الخطابات التى تلقيتها من الكرخ ، وأجبت عنها بالصمت ، فراراً من عواقب الافتضاح ، وهل كنت إلا طيفاً زار فى السحر بساتين الكرخ وبغداد ؟!

٥ — وهذا خطاب من الأستاذ جاسم الرجب يشرح خلافاً بينه وبين الأستاذ شاكر الجودى حول مقال نُشر فى « الرسالة » بدون إمضاء ، ثم فنّدتُه بعُنف ، ويرى السيد جاسم أن الناقد هو الكاتب ، وأجيب بأنى نسيت ظروف ذلك المقال !

أما ثورة السيد جاسم على فِلم « فتاة متمردة » ودعواه أنه ينقض من المجتمع المصرى فهو كلامٌ لا أوافقه عليه ، فذلك الفلم من الأفلام الجيدة ، وقد شاهدته فأبكانى ، وهو يمثل صورة من أزمات النفوس تقع فى مصر كل يوم ، وقد تقع أيضاً فى العراق ، لو التفت هذا الصديق إلى ما يمرّ بالنفوس من مكاره وخطوب .

٦ — وذاك خطاب من أخ صادق يقول فيه : « هل يذكر الدكتور زكى مبارك أنه ألقى فى البريد المصرى تذكرة واحدة لإخوانه فى بغداد وما عرف فيهم غير الصدق والوفاء ؟ »

وأجيب بأن العراق شغلنى عن العراقيين ، ولو جُمع ما كتبته فى الجرائد المصرية عن العراق لكان مادة تكفى لتأليف ألف خطاب ، فهل ينفعنى هذا الاعتذار الطريف ؟

وأنتهز هذه الفرصة فأوجه العتاب إلى رقابة البريد فى مصر ، فهى تفتح جميع الخطابات التى تَرِد إلىّ من العراق ، فماذا ينتظر الرقباء ؟ هل يتوهمون أن من المحتمل أن يكون فى تلك الخطابات ما يستوجب السؤال والجواب ؟

وماذا يصنع رجل مثلى أكثر من الذى صنع ليقنع قومه بأنه لا يعرف غير الهيام بخلق الودّات لمصر فى أقطار الشرق ؟ وكيف كانت تصير الصلات بين مصر والعراق لو صفح قلمى عمن حاولوا تكدير تلك الصلات ؟

الرقباء ينفذون خطة يقضى بها الواجب ، ولكن من حقنا على الدولة أن نذكّرها بأننا نعرف من المسئولية مثل الذى تعرف ، فنحن جنودها الأمناء ، وما يجوز لها أن تؤذينا ولو بالتلميح ، إلا أن يقال إن الرقباء لا يعرفون اسم زكى مبارك وهو عُذرٌ مقبول !

٧ — وأريد أن أشكر للأديب الذى يكتب إلىّ من « فارسكور » حماسته البالغة فى ملاحقتى بالنقد العنيف ، ثقةً بأن خفاء اسمه ينجيه من بطش قلمى ! ثم أرجوه أن يتذكر أن عنوانى هو « مصر الجديدة » فلا موجب لهيام خطاباته بين إدارة الرسالة ووزارة المعارف ، فقد يعرّضها ذلك الهيام للضياع

أما التوجيه الذى ينتظره منى فهو سهل ؛ فقد دلت رسائله على تباشير من الفهم الصحيح ، ويكفى أن يثابر على المطالعة الجدية بدون انقطاع ، وليقصر مطالعاته مؤقتاً على أطايب

٥ – أومن بالانسان !

رد وتعليق

للأستاذ عبد المنعم خلاف

من الدفتر القديم — فى حدود البداهة — فليكن قرداً نهض على قدميه ، ثم ماذا ؟ — وارث الحياة — الشعر يلد والعلم يدفن — الأشقياء الهالكون — نتائج الإيمان بالانسان ونتائج الكفر به — أخلاق العلماء — الألمان والانجليز والعرب — المناكة وعبادة الأبقار والثعابين — صوفية شاردة تتخيل وصوفية مادية تتحقق — استغلال سر الوجود على تفاوت — برغوث أبى العلاء — مذهب هدامة — فترات التمهيد لظهور الانسان — لا ثقة فى غرائز الانسان — العلم أضاف حياة للحياة — ما أشدت بأخلاق الانسان — الدولة كائن عضوى واحد — تقدم العلم وتخلف الخلق — لو آمن بنفسه — يوم قريب — لغير المؤمنين

قرأت المقال الطريف لصديقى الأستاذ زكى نجيب محمود الذى أخرجه مخرج الإنكار لما ذهبت إليه من رأى فى القيمة السامية لحياة الإنسان وتفرده بالسيادة بين الكائنات، وبتوجه منافع ما فى الأرض كله إليه، وبتفرده بالتغلب على كثير من قوى الطبيعة الأرضية وتسخيره إياها، وببساطة الحياة فى الأرض بدونه، وبقدرته على إيجاد عوالم وممالك وصناعات ومدن وآثار ورسالات لم يكن فى الحياة شىء منها، وبقيامه وسط دورات الأرض الأبدية المحدودة المكررة، بحياة حرة تذهب فى أى اتجاه وتكاد تكون منفصلة عن حياة الطبيعة

وكنت أود أن أعيد فى صدد الرد على صديقى ما سبق أن ذكرته فى العددين ٣٥٣ ، ٣٥٦ من هذه المجلة رداً على سائل بيروتى سألنى عن مسائل تدور حول الإنسان، وآخر مصرى رأى أن يذكرنى بحياة النظام والدقة التى تحياها أمم النمل والنحل وغيرها حين رأى إشادتى بالقيمة السامية لحياة الإنسان، ولكن إعادة ذلك الحديث على قرب العهد به مما يضيق به صدرى ويضيق عنه نطاق «الرسالة» ومنهاجها ؛ فأحيل صديقى والذين قرأوا مقاله فأثر فيهم على هاتين المقالتين السالفتين فإن ما فيهما كفيل — فيما أرى — أن يلقى ضوءاً عريضاً غزيراً كاشفاً على الفروق بين أمم الحيوان وأمة الإنسان أبى العجائب ...

غير أنى أود أن أزيد هنا بعض أفكار أقدم قبلها أسئلة بديهية

المؤلفات فى الأدب الحديث ، لأنه أقرب إلى الأفهام والعقول ، إذ كان صوراً تمثل أذواق الناس فى هذا الجيل ، وله بعد ذلك أن يطالع من الأدب القديم ما يشاء

وأعتقد أن من حقه أن ينشر فى «الرسالة» بعض خواطره ، لأنه يملك القدرة على التعبير المقبول

٨ — وأريد أن أقول للأستاذ «م . م . م» إن نثرك أقوى من شعرك ، وقوة الروح لا تعوزك ، وإنما يعوزك ما كان يسميه القدماء «شدة الأسر» فى صوغ القصيد ، فأرجو أن تكثر من حفظ القصائد الجياد ليرتاض طبعك على النظم الرصين

أما الأديب «مجنون القريض» فسيكون له بين الشعراء مكان

٩ — وأريد أن أقول للأديب «الصنمانى» إنى تلقيت خطابه بأطيب القبول ، ونحن أنصار الحرية فى الرأى ، فمن واجبنا أن نرحب بكل ما يؤيد دعائم الحرية ، وإن أخطأ صاحبه فى التعبير عن قلبه السليم

١٠ — وأقول للأديب إلياس سليمان بحوث إنى لا أصدّق أن فى الدنيا رجلاً أغير منى على لغة العرب ، فليس من حقه أن يتوهم أنى لا أبالى قواعد النحو والصرف حين ألتمس وجهاً لضم الظاء من «الظرف» فى نطق المصريين ، وما شأن هذه المسألة بالنحو والصرف ، يا حضرة الأديب ؟

أنا أقول إن «الظُّرف» أخذ حكم «اللُّطف» عن طريق الإتباع ، ثم بقى له الحكم مع الانفراد ، وهناك علة ثانية وهى التمييز بين المحسوس والمعقول ، والمصريون عرب ، وهم لا يخطئون فى لغتهم عن جهل ، وإنما «يخطئون» لأسرار قد تخفى على بعض القراء ، فيتوهمهم مخطئين وهم على صواب

والحق أنه لا بدّ من التماس العلل والأسباب لانحراف النطق عند بعض الجماهير ، فذلك الانحراف قد يصدُر عن سليقة مستورة لا يتنبه لها اللغويون ، وهذا ما أردت النص عليه يا سيد «سليمان» !

زكى مبارك

ألقيها على صديقى خليفة (سليمان بن داود) (مفهم الطير والبهائم والردة) وللفراش المبثوث والبعوض والبرغوث :

هل رأى أو سمع أن أمة من أمم الحيوان والحشرات اصطادت إنساناً ووضعته فى قفص وعرضته أمام الأنظار ؟

وهل رأى أو سمع أن فرساً أو حماراً ألجم إنساناً وركبه أو حرث عليه حقله أو وضع على ظهره حمله ؟

وهل رأى أو سمع أن جملاً أو فيلاً أو ديكا أو خروفاً قدم لإنسان حفنة من شعير أو أعواد برسيم أو قدح ماء ؟

وهل رأى أو سمع أن برغوثاً أو بعوضة أو فراشة صنعت دواء ووضعته فى مضخة ماصة كابسة ثم أطلقته على الإنسان لتخدره أو تدفع أذاه أو تقتله ؟

وهل رأى أو سمع أن حيواناً ما قطف زهرة ووضعها فى أصيص يتأمل جمالها ويزين بها مسكنه ، أو أقام معرضاً أو متحفاً للبذور والثمار أو منتجات الحيوان والإنسان ؟

هل رأى أو سمع أن جماعة من الأبقار أو الأغنام ثارت على جزار وأمسكت به وذبحته وسلخته، وأخذت من لحمه وشعره وجلده وظفره منافع ؟ أو على الأقل أدركت لماذا تساق هى إلى المذابح ؟

هل اصطنع ذئب أو سبع من سباع الأرض سلاحاً يدفع به غائلة الإنسان ومكايده وحبائله ؟

أترك لصديقى زكى أن يدرك سير الحياة بالإنسان ، ووضعه بين الأحياء من خلال الأجوبة على هذه الأسئلة

ثم لنفرض ما يقوله بعض شراح نظرية النشوء والترقى صحيحاً من أن الإنسان أصله قرد نهض على قدميه ... ثم ماذا ! ؟

لقد سبق هو وتخلفت سائر الأنواع ... إذاً هو وحده كان محفوفاً بعناية الذى خلق الأنواع كلها حتى جعله فى قمة الحياة العضوية الحيوانية ، ثم بثق فى رأسه بثقاً صار منبع عالم جديد عريض مخالف لسائر أساليب الحياة المعهودة ، إذ جعله يصنع موجودات تفوق قدرة الحيوان، وقدرته هو على السرعة والاحتمال والنقل والسمع والبصر والتكبير والتجهير والتقريب ، ولم تر غيره حيواناً يخترع آلة لصيد فريسته . ولم تر أمة من أمم النمل تخترع عجلة تحمل عليها الأثقال التى تعانى نقلها من مكان إلى مكان ، ولم تر أمة من أمم النحل تفكر فى دفع عدوان الإنسان على عسلها الذى تتعب وتدأب فى جنيه واشتياره من رحيق الأزهار ونوار الثمار على كثرة ما جربت من غزواته لها ، وكل حيوان يعيش فى نطاق ضرورات حياته لا يتجاوزه . فلئن كان قانونا « الانتخاب الطبيعى » و « بقاء الأصلح » أقنومين عظيمين من أقانيم نظرية النشوء والترقى كما يعترف بذلك أنصارها — وصديقى زكى منهم — فهما اللذان وضعا الإنسان هذا الوضع الممتاز ... موضع القمة فى سلسلة الأنواع . وما دام الإنسان استطاع أن يتغلب على سائر حيوان الأرض يستبق منه ما له فيه نفع ويبيد منه ما يشاء ويجد من الطبيعة إقبالاً عليه وكرماً فى إمداده بوسائل التغلب على ما يريد إبادته ولا يصده صاد عن اقتحام الغابات والأجات والبحار والمناقع للصيد والتلهى بالقتل ... ما دام الإنسان استطاع أن يفعل كل هذا والطبيعة تساعده على فعله فهو إذاً الابن البكر للحياة فى الأرض، وهو المقصود بها بحكم قانون « انتخاب الأصلح » ، وهو وارثها لأنه الأقوى ...

سيقول صديقى زكى : « وماذا أنت قائل فى الجراثيم التى تفتك ببدن الإنسان لتعيش ؟ تلك التى إن أفلح فى نزع واحدة منها مما يسكن جوفه باضت له ألوف الألوف من صغارها ! ؟ »

وأقول : إن مصير هذه الجراثيم مصير غيرها من قطعان الوحش وسائر أعداء الإنسان التى تغلب عليها وتحصن منها وأوشك أن ينظف الأرض من غوائلها ... وإن تاريخ كشفه لها قريب جداً ، ومع ذلك استطاع أن يقيم أسباب المناعة منها فى المسكن والملبس والمطعم والمستنشق ... وما دام قد رصد حياتها وعرف أوكارها ، وسلط عليها حرساً من المجاهر والمخابير والمقاقير ، فهو لا شك واصل إلى التغلب عليها فى سائر البقاع ما دام قد تغلب عليها فى مناطق المستشفيات ودور النقاهة وكثير من المنازل والمدن التى لا تهمل وسائل الوقاية العلمية ...

وإنه لجهاد مشكور وأمر عظيم أن يقتحم الإنسان بعلمه وأدواته هذه المناطق التى عاشت دهوراً وراء نظره وفوق وهمه وتخيله ...

وإنها لعناية من بارئ الطبيعة بهذا النوع أن يعرفه أعداءه واحداً واحداً ويمكن له في الأسباب حتى يتغلب عليها جميعاً ...

وإنه لبدء حياة جديدة لهذا الإنسان في الأرض أن يعلم ما ظهر وما بطن وما خفي وما استعلن من هؤلاء الأعداء ...

وأظن يا صديقي أن من السهل على الذي تغلب على أعدائه من الجراثيم الخفية أن يتغلب على غيرها من البراغيث الظاهرة ... تلك التي حسبت واحداً منها جديراً أن يقض مضجعي فأشفقت عليّ ...

فلتلد بطون الشر والألم ما تستطيع من أطفالها ... فستلد قوانين العلم مقامع ومهالك لهذه الأطفال ...

وإن الأشقياء الهالكين في الحياة الدنيا هم الكافرون بالعلم وبالإنسان الذي أنتج هذا العلم ...

أولئك الذين يعيشون بأساليب القرون الجاهلة العاجزة، وينظرون إلى الحياة نظر العجز وضعف الثقة بروح الإنسان وعقله، ونظر القاصرين الذين لم يدركوا ذلك النمو السريع للحياة الإنسانية في مدى قصير جداً من الزمن وهو أربعة آلاف سنة وهي عمر التاريخ الذي نعرفه ...

أولئك الذين لم يدركوا بعد كيف قفز الإنسان في السنوات الخمسين الأخيرة من عمره قفزات حققت كثيراً من أحلامه في الانطلاق والسيطرة والإنتاج والاستغلال والتوليد والتقارب بين أجناسه وأقطاره واختزال المسافات والأبعاد وإقامة الأرصاد لحوادث الحياة وظواهر الطبيعة

أولئك الذين لا يزالون يعيشون كما كان يعيش آباؤهم الأولون الذين لم يكونوا يعرفون من الدنيا إلا حدود البقعة التي ولدوا فيها أو القطر الذي ينتمون إليه ... ولم يكونوا يعرفون أن في الأرض محيطات هائلة وقارات مجهولة وعوالم مستورة، وأن الأرض ما هي إلا كرة صغيرة جداً كذرة رمل في صحراء ... الذين كانوا يبيتون في الظلام والبرد، وأنهارُ النور والنار على بعد ضربة

عددنا السنوى الممتاز

سيصدر في أواخر المحرم عددنا السنوي الممتاز حافلاً بتحليل الشخصيات العظيمة والمواقف الكريمة في الغزوات النبوية والفتوح الإسلامية بقلم أعلام البيان في مصر والشرق العربي. وسيكون بعون الله على الرغم من سوء الأحوال الحاضرة جديراً بجلال الموضوع ومكانة الرسالة.

معول منهم في منابع النفط والبترول ... ويعيشون تحت رحمة غيض الماء وفيضه بدون أن يقيموا سداً أو خزاناً يحفظ الماء ويحفظهم من طغيان الماء ... والذين كانوا يأكلون الموت ويشربونه في المطاعم والمشارب الملوثة بالجراثيم ...

أولئك الذين كان كفرهم بالإنسان وعدم إدراكهم لسموه وتفرده بين سائر الأنواع السبب الأكبر فيما نراه يسود حياته من اصطناع أساليب الحيوان الفاتك الضاري المتشهي الغافل الذاهل عما يدور في السماء ويجري في الأرض من العجائب والمعجزات وأفانين الحياة ...

وما يجر الشر والإثم والسفالة على النفس الإنسانية إلا غفلتها عن مقامها الممتاز في الحياة، وإلا أخذها بظاهر الحياة الجسمية الآلية التي تجعلها والحيوان في حظيرة واحدة. وما كان جهاد أنبيائها وحكمائها الذين خطوا بها خطوات واسعة إلى الأمام إلا نتيجة لإدراكهم امتيازها وما فيها من قوى زائدة عما في غيرها من سكان الأرض ...

وأخلاق العلماء شيء عظيم عميق لأنها أخلاق بنيت على العلم بأعماق النفس الإنسانية. وقد قال سقراط «الفضيلة معرفة، والرذيلة جهل»

والفرق بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد هو مبدأ الفلسفة الألمانية الحديثة التي سنها «نيتشه» للألمان فكان إدراكهم معنى السيادة وحديثهم حولها أكبر باعث لهم على نهضتهم الجبارة التي جعلتهم يفهمون في أنفسهم أنهم فوق مستوى سائر الأجناس

وأخلاق الإنجليز المبنية على ثقتهم بأنفسهم وتفردهم من بين سائر البشر بطبيعة ممتازة وروح ممتازة هي التي جعلتهم فوق المستوى الإنساني الحالي في الصبر والاحتمال والثبات وسعة الحيلة والوقار والسكينة في السلم والحرب

فهم يؤدون لهذا الاعتقاد وتلك الثقة بالنفس مهرها من الفعال الكريمة والصبر الجميل والدم العزيز والمال المبذول والمساكن المترفة

وقديماً كانت العرب أمة ضائعة المكانة لما كانت مفقودة الإحساس بسمو نفوسها ومواهبها ، مغمورة فيما يحيط بها من الطبيعة ، مدمجة فيها ، عابدة للحقير والجليل منها حتى تسمى أفرادها بأسماء الجماد والحيوان السافل والنبات الحقير : فقالوا حجر وصخر وكلب ويربوع وحنظلة ، إلى آخر أسماء ما يحيط بهم ، وطافوا بالأحجار والأشجار عابدين عاكفين ... فلما أيقظهم موقظهم العظيم لأنفسهم وما فيها من امتياز على سائر ما يحيط بها فلا يليق بها أن تلتمس لشيء من هذا المحيط عبادة ، ولا أن تبتغي إليه زلفى أو وسيلة ، ولا أن تقدم إليه قرباناً من دمائها ودموعها وسائر قرباتها ؛ بل يجب أن تبتغي بذلك كله وجهاً أسمى وقدرة أعظم لا تدركها الابصار ولا تستوعبها الأفكار ... حين هذا بدا السر الخفي في هذه النفوس الضائعة واستعلن كما يستعلن نور الصباح عريضاً في الآفاق ، ومضى أفرادها إلى فجاج الأرض حاملين رسالة وموطدين دولة ومقيمين حضارة

وها نحن أولاء نرى « المندوكيين » يأتون في عباداتهم للأبقار والحيات وكثير من الحيوان مخازي وسخافات تلطخ وجه الإنسانية بالحياء والخجل والعار ... كل هذا لأنهم توهموا أن في البقر والثعابين سراً وروحاً مقدساً يعبد ، فتركوها تعيش وتسرح وتهيم في الشوارع والبيوت والطرقات وهاموا وراءها وأكلوا روثها وشربوا بولها وتقربوا للثعابين ورحبوا بلدغاتها وموتهم بأنيابها وتركوا بلادهم تصاب بطواعين الأبقار التي تترك حتى تشيخ وتصير عشاً للجراثيم التي تنتقل منها إلى عابديها وساكني بلادها ... والأبقار المسكينة في ذهول وغفلة عن قربات هذا الإنسان الضال وتقديسه إياها ... فهي تبول عليه وتنطحه ولا تنفعه ...

وهكذا كان الإنسان فريسة للأوهام وعبادة الأحجار والأبقار والجعلان والقطط والحيات وغيرها حين لم يكن مؤمناً بنفسه وطيد الثقة بها ، فاهماً أن جميع ما في الأرض مخلوق له ومسخر لمنفعته ...

ولست أدري من منا الذي أوغل في لفائف الصوفية وشرودها أنا أم صديقي زكي ؟

إن صوفيتي مادية تؤمن بالعلم وتعترف بدولة الأجسام ولا تشرد وراء الأوهام ، فلا تتخيل أن الإنسان العظيم الخصيم المبين المفكر المبتكر مخلوق ليكون طعاماً للبراغيث والبعوض والقمل ... وإنما تعلم أن هذه الحشرات مخلوقة لحمل الإنسان على تنظيف جسده وثيابه ومسكنه وبيئته من القاذورات والعرق والأتربة والمناقع الراكدة الآسنة ... فلولاها لأصابه الكسل عن كثير من أعمال النظافة والتطهير والتجميل

وقد كانت هذه الحشرات تعيش في الأصل على النبات والحيوان ، ثم لصقت بجسم الإنسان وتطورت بلصوقها به . فلا يصح أن يقال إن الإنسان خلق لأجلها ...

وصوفيتي لا تخيل إلى « أن سر الوجود يستعلن في الجرثومة الضئيلة كما يستعلن في الإنسان والفرد والأفق ! » كلا ... هناك فروق هائلة بين استعلان قدرة الله في الجرثومة ذات الخلية الواحدة ذات الوظيفة الواحدة ، وبين استعلانها في الإنسان ذي الخلايا التي لا عدد لأنواعها وأشكالها وصورها وأوضاعها ووظائفها منفردة وموضوعة في مجاميع ومنتجة حياة كلية . هو كالفرق بين جزيء صغير في قالب حجر موضوع في عمارة من ناطحات السحاب ، وبين العمارة نفسها بما فيها من زخرف وزينة ... وفي هذا التشبيه تجاوز كبير وقياس مع الفارق الهائل . نعم إن الجرثومة شيء ثمين عظيم كأول خطوة في سبيل الحياة ... ولكنها لن تبلغ مبلغ الإنسان الذي هو آخر خطوات الحياة وحلقتها النهائية كما تقول نظرية النشوء

وما أعتقد أن خالقاً عظيماً حكيماً يخلق كرة أرضية هائلة ، ويجعل فيها رواسي من فوقها ، ويجري فيها بحارها وأنهارها ، ويقدر فيها أقواتها ليعيش عليها عالم من البراغيث أو النمال أو الثعابين أو الأبقار أو السباع عيشة أبدية بدون خليفة فائق عليها يستطيع أن يضع الحمل بجوار الذئب ، والأسد بجوار الغزال ، وكل عدو بجوار عدوه كما هو الحال في حدائق الحيوان . إن الحياة حينئذ تكون عبثاً وفيضاً لا يتلقاه أحد يعي ويفكر ويعمل في الأرض عملاً مجيداً

وإن الصوفية التي تقول بهذا ما هي إلا شرود وراء الأوهام

وعدم الإدراك لغايات الحياة والتمييز بين آفاقها

إنها صوفية كصوفية أبي العلاء المعرى المريض شاذ الطبيعة الذى يقول :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا !
كلاهما يتوق ، والحياة له عزيزة ويروم العيش مهتاجا

ولنتصور الناس جميعاً على مذهب أبي العلاء وبعض متصوفة الهند ... لا يأكلون اللحوم ولا الألبان ولا العسل ولا سائر منافع الحيوان ... ويتركون البراغيث والقمل والضفادع والعقارب والثعابين وسائر الحشرات ، والسباع والبهائم حرة طليقة فى الحياة ما دامت الأرض ميراثاً مشتركاً بينها وبينهم ، وما دامت جميعها مقصودة بالحياة ، وما دام « سر الوجود » قد استعلن فيها استعلانه فى الإنسان ... فماذا تكون النتيجة ؟

هى فناء الإنسان بفناء أقواته التى تأكلها قطعان الأنعام والسباع وعراجل الحمير وأسراب الطير والحشرات وغيرها ... هذا إن عاشت وعمرت دهراً ، فإن فنيت فالأرض خراب ...

* * *

تساءل صديق على لسان أحد حشراته : من ذا كان يستمتع بكائنات الله فى الأرض قبل ظهور الإنسان ؟

وأجيب : كان يستمتع بعضها ببعض ويعيش بعضها على بعض كما هو الحال الآن ... فالسباع تأكل الأنعام ، والأنعام تأكل النبات ، والحشرات يعيش بعضها على النبات وبعضها على الحيوان ...

ولكن ينبغى أن نعلم ما يقوله العلم من أن الحياة الحيوانية على الأرض لم تكن غزيرة ولا كثيرة الأنواع قبل عصر ظهور الإنسان ... نظراً لقسوة عوامل الطبيعة من الأمطار والثلوج والبراكين والزلازل التى لم تكن تسمح بحياة كائن ضعيف ؛ فلما استقرت القشرة الأرضية قليلاً وهدأت عوامل الغليان والتشقق ، وصارت الأرض صالحة للحياة ، خلق الله فيها الحيوانات الضخمة الزاحفة ، ثم انقرضت بفعل الزلازل والفيضانات واختلافات الطقس ...

وهكذا الأرض مرت بأدوار وراء أدوار حتى صلحت لحياة هذه الأنواع التى نراها تعمر الأرض ... وكان كل هذا تمهيداً لإخراج ذلك النوع الذى صار خليفة الأرض وفاتح أغلاقها ومخرج أسرارها ...

وفترات التمهيد لهذه الحياة الصالحة المعمرة لا يصح أن يعترض عليها معترض بأنها ضاعت هباء ... فإن أيام الله ليست كأيامنا تقاس بالسنين الشمسية والقمرية ، بل هى دهور بالنسبة لنا ، ولكنها لحظات بالنسبة للذى خلق الأزمان ويدير الأفلاك دورات هو أعلم بمقدارها ... والله أعلم متى ينضج الثمار !

* * *

زعمت فراشة الأستاذ أن علم الإنسان وأخلاقه هما سر تبجحه ودعواه الامتياز ، مع أن علمه يكمل النقص الذى فى غريزته وفطرته ، ومع أن أخلاقه فى مثلها الأعلى الذى تحلم به هى دون ما يسود ممالك النمل والنحل من أخلاق ...

وأنا أنكر إنكاراً باتاً أن يكون فى غرائز الإنسان نقص يحتاج إلى تكميل ، وأن يكون العلم هو هذا المكمل ... وإنما أرى أن غرائزه التى تضمن له حياة آلية رتيبة كحياة أنواع الحيوان ، غرائز كاملة يستطيع أن يعيش بها فى مفتتح حياته وتكفيه ... فإذا نظرنا للعلم على أنه نتيجة لغريزة حب الاستطلاع فهو إذاً أثر من آثار هذه الغريزة ، ولكن لا يقال إنه تكميل لها إذ لا نقص فيها ...

فالعلم نتيجة لهذه الغريزة كما أن الولد نتيجة للغريزة الجنسية . وحب الاستطلاع غريزة مشتركة فى جميع أنواع الحيوان ، ولكنها فيما عدا الإنسان محدودة بحدود ضرورات حياة الأنواع وفى الإنسان لا حد لها . ولذلك أنتجت للانسان علماً زائداً عما يحتاجه وعما يمكن أن يدركه أى حيوان . وهذه القابلية الطبيعية الدائمة فى هذه الغريزة هى التى أنتجت نمو علم الإنسان وفكره ونمو الحياة به دائماً ...

والإنسان الفطرى المحدود الذكاء يكاد يعيش بالغريزة وحدها فهو لا ينوع ما ورثه من الحياة ولا يزيد عليه ولا ينقص منه . وهو مع هذا يحيا وينمو وسط الأهوال ...

فغرائز الإنسان التى تكفل له حياة كحياة الحيوان غرائز كاملة يحيا بها حياته الضرورية

أما العلم فيفتح له أبواب حياة خاصة منفصلة عن حياة الطبيعة . . .

فالقول بأن علم الإنسان يكمل النقص الذى فى غريزته وفطرته قول غير مفهوم . . .

وأما أخلاق الإنسان الحالية فلم أدافع عنها بل نعيت عليها واعترفت بفسادها وقصورها إلا فى قليل من الأمم وهى التى أدركت أن للحياة الإنسانية قوانين تشبه قوانين الطبيعة فى صرامة عقابها لمن يخالفها . . .

واعتقادى أن الدولة كائن عضوى يسرى عليه ما يسرى على أى جسم ذى أعضاء من وحدة المنفعة والضر ... الدولة كالجسم الواحد لا يصح أن يترك فيه شىء فاسد ولو كان ظفراً وإلا فسد كله ... ولا يليق أن يكون فيه عضو مريض وآخر صحيح بل يجب أن يصح كله ...

والقلب فى الجسم يقذف الدم إلى كل خلية لتحيا ، وكذلك يجب أن يقذف قلب الدولة إلى كل فرد فيها غذاء الجسم والفكر والروح ليحيا الحياة الكاملة

والفكر فى الجسم الواحد حارس يقظ أمين يتلقى الرغبات ويصدر الأوامر ، وكذلك يجب أن يكون قادة الأمم والمسيطرون عليها ...

فأنا لم أشد بأخلاق الإنسان الحالية وإنما أشدت بعلومه وفتوحه فى مجاهل الكون ، وأريد من وراء هذه الإشادة يقظة النفس المادية الدائرة مع الحديد البليد القاسى فى غير وعى وإحساس إلى آثارها وتفردها بين الكائنات حتى تعلم وضعها الصحيح ...

والواقع أن أخلاق الإنسان لم تتطور كما تطور علمه وفكره ، بل لا يزال يعيش بمواريث التاريخ السيئة المغلوطة ، ولم يجد له زعماء انقلاب فى روحياته ، كما وجد زعماء انقلاب فى مادياته ...

فالانقلاب الجسمى والآلى والصناعى فى حياة الإنسان لم يصحبه انقلاب نفسى يجمله يصفى تركات الماضى فى الأخلاق ويتحرر من مواريث التاريخ السيئة ويقيم حضارة روحية تناسب هذه الحضارة المادية التى أقامها فى مدى السنوات الخمسين الأخيرة .

ولو آمن الإنسان بالإنسان وأدرك مدى الرحلة التى رحلها فى الحياة والخطوات التى سارها فى التاريخ ومركزه بين الكائنات كخليفة فى الأرض خلف الله على جميع مقدراتها ، وصنع فيها موجودات فاقت نماذج الحيوان فى الدقة والاحتمال والسرعة والخدمة آلاف الأضعاف ، وعرف أن الله ما كان ليعطيه هذه القدرة العظيمة على الصنع والإنشاء والافتنان إلا وهو به حفىٌّ ، وعليه متفضل ، وله مكرم ، وإياه مسدد وموفق ، ولتطوراته مرتقب ومنتظر بلوغه رشده ؛ لو آمن بهذا كله لأسرع إلى إقامة الحياة على ما أقام الله الطبيعة عليه من العدل الموزون والرحمة السابغة والتوزيع الكريم ، فإذا لم يذهب الإنسان إلى هذا طائعاً مختاراً كما فعلت أمم الشمال فى أوربا ، فسوف يذهب إليه مكرها بالحديد والنار فى يوم أحسبه قريباً ...

***

ملء يدى الاثنتين نصوص من القرآن تثبت أن جميع ما فى الأرض خلقه الله للانسان وخوله إياه واستخلفه عليه وجعله متاعاً وتذكرة له ، ولكننى آثرت أن أقدم حججاً من الفكر الطليق والنظر الحر والعلم العصرى حتى لا يقول قائل من المنكرين المفتونين : أساطير الأولين ...

عبد المنعم خلاف

الموسيقى والغناء والحروب

للأستاذ محمود البشبيشي

لا تستطيع النفس أن تتخلص من مشاعرها وعواطفها لأنها بضعة منها ، بل إن الشعور والعاطفة هي الحياة نفسها ... وما تُحسب من الأعمار أيام تمر من غير أن يشعر بها الإنسان ولا يصيبه فيها ألم أو فرح ... وإذا كانت الحياة هي الشعور بما في الحياة كانت مصادر الشعور من أسس الحياة التي لا سبيل لإنكار وجودها ؛ ومن هذه المصادر : الجمال ، والشعور به هو عاطفة الحب والوفاء ، والوطن ، والشعور به هو عاطفة الحنين والفداء

وليس في مقدور الإنسان وقد خلق وفي نفسه تقدير الحسن من الأشياء ، ألا يعجب به ويتأثر . . . بل إن الإنسان إذا فقد هذا الشعور فقد معه صفة الإنسانية ، وأصبح كالصخر يحتضن الزهر والشوك ولا يفرق بين رقة هذا وغلظة ذاك . . .

تمر الصور بالإنسان فيتأثر بها ، وقد يزداد هذا التأثر فيصير حباً يلازمه ، فيتعلق بها تعلق روح وقلب . فإذا فارقها تعلق بها تعلق ذكرى وحنين . وإذا طال الفراق ، وتمرد الشوق ، صاغ أشواقه نغماً ورتلها نشيداً ؛ وإن ذلك منه لهو الوفاء بعينه ، الوفاء الذي ضاق بأسلوب الحديث والكتابة . فخرج في أسلوب منغم منظم أصدق في التعبير عما فيه من عاطفة روحية من كل الأساليب

ومن هنا كانت الموسيقى والغناء !

كانت الموسيقى وليدة الإعجاب بالشيء ، فهي شعور وعاطفة نحو هذا الشيء . وكذلك الغناء ، كانت الموسيقى تعبير الروح الذي عجز عن عرضه اللسان بلغة الكلام ، فهي إحساس روحي نبيل لا سبيل للخلوص منه ، وكذلك الغناء

الموسيقى إذن من مادة الشعور والعاطفة والروح ، وليست من مادة الفكر والمنطق والاجتماع ... ومن ثم لا يعقل أن نقيدها بموازين الفكر والمنطق والاجتماع . وكذلك الغناء . فمثلاً مما يقع تحت النقد الدعوة إلى تثبيط العزائم وقت الحروب . ومما يقع تحت النقد تنفير الناس من الجهاد بأساليب الخوف والتهاون

ومما يقع تحت النقد اشتغال القوم بالنظريات الفكرية والجدل والخطر يتوثب ! كل هذا قد ينتقد لأن من ورائه الضرر

ولكن ليس من المعقول أن ينتقد التعبير الموسيقى في مختلف صوره الوجدانية وكذلك الغناء

لأن الموسيقى من الشعور ، والشعور فوق القيود ، بل هو قيد اتجاهات الحياة فينا

فقد يجوز أن تنتقد فكرة أو رغبة أو طريقة حياة وعمل ، لأن العقليات صاحبة الحكم هنا ، تتفاوت وتتباين . يجوز هذا ولا يجوز أن تنتقد وتنكر أو لا تقبل قطعة موسيقية وجدانية ، لأن المشاعر والأحاسيس تتلقاها ، إما بعاطفة الطرب للنغم ، أو بعاطفة الحنين والذكرى ؛ والمشاعر في الحالتين محتاجة لها

ومن ثم لا يجوز لكائن من كان أن ينكر أناشيد العاطفة وموسيقى العاطفة في زمن الحروب

لأنها صورة من صور الروح الإنسانية ، وعبير من مشاعرها ولون الحياة فيها ، ولا يمكن أن تقيد أو تفقد ... بل من العار أن يتجرد الإنسان منها ، لأنه حينئذ يتجرد من آدميته — وإن ظن بعض الناس غير هذا — إنه لو تجرد منها فقد أصبح لا يقيم لحوادث الحياة وزناً ، وساء تقديره لمؤثرات العيش ... فلا حظ يحركه ، ولا حزن يؤرقه ، ولا فرح يطربه ، ولا شوق يقلقه . وغاية القول أنه لو تجرد من عواطفه التي تطرب للنغم الوجداني في كل زمان ومكان ، سقط من سجل الوجود ، لأنه حينئذ لا يتأثر بما يدور في المجتمع وما يطرأ عليه من تقلبات الحياة

أجل ، إن من لا تتأثر عواطفه ، وتتحرك مشاعره ، ومن لا تكون في نفسه عقيدة الحب لا يكون جديراً بالحياة ولا تنتظر منه المنفعة ، ولا يكون فيه رجاء وغناء . وكيف وقد انفصل عن كل شيء ، فلا تربطه عاطفة بشيء !!

يا قوم إن موسيقى العاطفة والحب تلهب في النفس الحنين وتؤجج الشوق . واشتداد الحنين والشوق إلى المحبوب مثلاً يكون في الجندي خاصة ألواناً من المثل العليا منها الرغبة في حماية هذا المحبوب لتدوم له السعادة به ، وحمايته تقتضي حماية الوطن لأنه منه ، وما الوطن إلا موطن الأهل وروض الأحبة

ومن هذه المثل الشعور بالعاطفة الروحية التي تربطه بالمحبوب .

وإن هذه العاطفة نفسها لصورة مصغرة لما يربطه بوطنه الذى يرتع فى ظلاله ويحب

وحقيق بالذى ينجذب إلى محبوب ويحس بعاطفة روحية نحوه ، ويميل إلى حمايته أن ينجذب إلى الوطن ، وتتغلغل عاطفة الوفاء له فى نفسه ، ويجد نفسه مدفوعاً إلى حمايته ، لأنه بذلك يحمى الأحبة فيه

وقد تكون الأغنية الوجدانية أشد أثراً فى إشعال حمية المحارب من أى مؤثر آخر ، لأنها تحرك فى نفسه رغباته ورغبات الأحبة ، وتهيج أشواقه وأشواقهم ، وتصور آماله وآمالهم ، فيستميت فى القتال رغبة فى النصر ، ويرد الموت حباً فى الحياة ، بل حباً فى العودة إلى الحبيب قاهراً لا مقهورا

والموسيقى فى حالة الحرب والسلم ترتفع بالإنسان عن عالم الأرض فيحتقر الأغراض والشهوات ، وتصوغه فى قالب روحى نبيل ، يجعله يرى الحياة بعين الروح التى لا تقيم لعرض الدنيا وزناً ، ولا تهتم إلا بصيانة الشرف والكرامة

ومن عظمة الموسيقى الوجدانية خاصة أنها تخاطب كل النفوس لا فرق بين كبير وحقير ، لأنها تخاطب الروح المشترك فيهم . ومن هنا يكون أثرها فى تهذيب الاحساس أعظم خطراً من كل المؤثرات المادية ومن الترهيب والترغيب

وليس هناك عيب فى أن جنـدياً يتغنى بأغنية حب . . . بل العيب فى أن يتجرد الجندى من معنى القلب فلا تكون له صفة غير صفة إراقة الدماء ولو فى الدفاع عن النفس . إنك حين تقول للجندى : يا لك من رجل لا يعرف غير القتال ، تجرده من كل معانى الحياة ؛ ولكنك لو قلت له : يا لك من رجل جمع بين حاجات القلب والدفاع عن حاجات القلب ، وألف بين نزعات الروح والدفاع عنها . . . إنك لو قلت له هـذا ترفعه إلى مرتبة البطولة والروحانية

ليس فى الأمر كارثة ، ولن تكون فيه كارثة ، بل إن فى الأمر طبيعة . . . وطبيعة فطر عليها المصرى فلا سبيل لفك قيودها لأنها فيه وهو فيها

عجباً أى عجب ! ماذا يريدون من المصرى أن يغنى ؟ أنشيد القوة ؟ ولم يفسّر لنا أحدهم معنى تلك القوة . وكيف يكون الغناء قوة وهو فى طبيعته محاولة تحكم فى مخارج الصوت بالمواطف الرقيقة ، فلا يخرج لفظ إلا وقد مسحه المغنى بيد العاطفة تخرج فى ثوبها الرقيق الأنيق الندى

ليس فى الأمر كارثة ولن تكون فيه كارثة

ولغة الغناء فى مصر وعاطفة الغناء الرقيقة « المتهمة عند بعض الفضلاء » هى لغته وعاطفته فى المغرب ، والهند ، وسوريا ، وفلسطين ؛ ثم هى نفسها عند الأتراك . وغاية القول أنها مشتركة فى جميع بلاد الإسلام ... فما السر فى ذلك ؟ والبحث وراء هذا السر هو الذى يجب أن يكون مجال القول ... وكل ما عداه ضرب من الأوهام والأباطيل

السر فى ذلك هو أن الإسلام طبعها بطابع الروحانية الرقيق النبيل . وكان القرآن الكريم أعذب ما يكون ألفاظاً يترنم بها ويتغنى . ومن منا لا يسبح فى عوالم روحانية إذا مسه سحر من ترتيل « الشيخ رفعت » ؟ ومَن من هؤلاء الدعاة يدلنا على طريقة أوقع أثراً فى النفس من هذه الطريقة الرقيقة فى ترتيل القرآن ؟

أو ليس القرآن حافلاً بأبلغ معانى القوة وأبلغ معانى التوسل والدعاء وأبلغ معانى الوعيد ؟ ... ولماذا ترى الناس يتلونه فى نغم رقيق نبيل ؟ ولماذا يشتد أثره وفعله إذا تلى كذلك وهو العظيم الأثر البالغ الغاية ؟ ؟

السر فى ذلك هو الوصول إلى مخاطبة المشاعر والروح قبل مخاطبة العقل ، فيتذكر الإنسان ويتعظ ... فتلك العاطفة النبيلة الضغط على النفوس ، هى العاطفة التى سار على هديها الغناء فى الشرق كله ، وسلكت موسيقاه سبيلها . ومن هنا كانت الأغنية الوجدانية تدخل على النفس برقتها ، فتهيج أشجاناً ، وتحرك عاطفة ، فيتذكر الإنسان المعهود ويرتبط بالوفاء ، ذلك الخلق النبيل السامى ... وحين تكون الذكرى متصلة بالوفاء ، يكون من ورائها الخير كل الخير والفداء والتضحية

... ليس فى الأمر كارثة ، ولن يكون فيه كارثة ، لأن الأغنية منتزعة من صـور الطبيعة المصرية السهلة الباسمة ... هنا النيل ينساب فى حلم كأنما يخشى أن يوقظ الشاطئ الحالم ! والسماء أصفى من ضمير الوليد ... ليس فى مصر براكين ثائرة ، وليس فى مصر جبال شاهقة وعواصف وأنواء ...

فكيف تنكرون أن يكون فى الموسيقى هذا الصفاء وتلك الرقة ؟ غيروا الطبيعة نفسها قبل أن تغيروا المواطف الصادرة عنها

من الغريب أن يعيب إنسان على جندى مصرى أنه يتغنى بأغنية حب ، وما علم أن هذا الجندى مقبل فى يوم من الأيام

من فصول كتاب « الديارات » للشابشتي

٢ ـ دير مـــديان

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... ونرجع إلى ذكر إسحاق بن ابراهيم ، ونورد طَرَفاً من أخباره فى حزمه وضبطه بقدر ما يليق بالكتاب

إسحق هذا هو ابن طاهر بن الحسين ، ويكنى أبا الحسين ، وكان المأمون اصطنعه وولاّه خلافة عبد الله بن طاهر بحضرته لما أخرج عبد الله إلى خراسان . وكان أشد الناس تقدّماً عنده واختصاصاً به . فذكر عبد الله بن خرداذَبَة أنه حضر مجلس المأمون يوماً وقد عرض عليه أحمد بن أبى خالد رقاعاً فيها رقعة قوم متظلمين من إسحاق بن ابراهيم ؛ فلما قرأها المأمون أخذ القلم وكتبَ على ظهرها : « ما فى هؤلاء[1] الأوباش[2] إلاّ كل طاعن واش . إسحاق غرسُ يدى ، ومَنْ غرستُه أنجب ولم يخلف[1] ، لا أعدى عليه أحداً[2] . » ثم كتب إلى إسحاق رقعة فيها : « من مؤدب مشفق إلى حصيف متأدب . يا بنى ! من عز تواضع ، ومن قدر عفا ، ومن راعى أنصف[3] ، ومن راقب حذر ، وعاقبة الدالة غير محمودة ، والمؤمن كيّس فَطِن والسلام . »

(١) فى الأصل : هولا وهو تحريف
(٢) الأوباش من الناس الأخلاط مثل الأوشاب وهو جمع مقلوب من البوش

وذكروا أن بعض ولد الرشيد ـ وكان له موضع من النسب ومكان فى المعرفة والأدب ـ مرض ببغداد مرضاً طال ، ولم يقدر على الركوب ، واشتهى التفرج والتنزه فى الماء ، فأراد أن يبنى زلاّلا[4] يجلس فيه فمنعه إسحاق وقال :

« هذا شىء لا نحب أن يُعمل مثله إلا بأمر أمير المؤمنين »

فكتب إلى المعتصم يستأذنه فى ذلك ، فخرج الأمر إلى إسحاق بإطلاقه له . فكتب إسحاق : « ورد علىّ كتاب من أمير المؤمنين بإطلاق بناء زلاّل لم يحدّ لى طوله ولا عرضه ، فوقفت أمره إلى أن أستطلع الرأى فى ذلك ... » فكتب إليه يحمده على احتياطه ويحد له ذرع الزلاّل

***

قال أبو البرق الشاعر : كان إسحاق يجرى علىّ أرزاقاً . فأنشدته يوماً ؛ فسألنى عن عيالى وما أحتاج إليه لهم . ثم قال لى : يحتاج عيالك فى كل شهر من الدقيق كذا ، ومن كذا كذا ... فما زال يخبرنى بشىء من أمر منزلى كثير جهلته وعلمه هو

***

وذكر أبو حشيشة الطنبورى قال : كنت يوماً فى منزلى إذ طَرَقَ البابَ صاحبُ بريد وقال : أجِبْ . فلما قال أجِبْ علمتُ أنه أمرٌ عال . فلبست ثيابى ومضيتُ معه حتى دخلنا دار إسحاق بن ابراهيم . فعُدِل بى إلى ممر طويل فيه حُجَر متقابلة ، تَفوح من جميعها روائحُ الطعام . فأُدخلتُ حجرة منها ، وقُدِّم إلىّ طعام فى نهايةِ النظافة وطيبِ الرائحةِ ، فأكلتُ . وجاؤونى

(١) من الاخلاف ، يقال أخلف ما وعده ، هو أن يقول شيئاً ولا يفعله في المستقبل
(٢) أى لا أجعل أحداً يسمو عليه
(٣) كذا فى الأصل ولعلها « رعى » ولكل وجه
(٤) الزلال : ضرب من السفن

على الموت ... فمن الرحمة بنفسه أن يعيش على عبير الذكرى ...

لقد أدركت بريطانيا العظمى خطر الموسيقى وخطر الغناء واللهو البرىء فى إيقاظ عواطف الجنود ، فأنشأت فى مصر أماكن خاصة (كفندق المتروبوليتان) ، تعرض فيها عليهم شتى أنواع الأغانى والموسيقى واللهو الطاهر ...

فعلتْ هذا لأن الخير فيه عظيم : فهى تعرض عليهم الأنشودة لتلهب فيهم الذكرى والحنين ... فيشتد الوفاء ، وترتبط أرواحهم بأرواح الأحبة فى الوطن ...

ومن ثم يكون الشوق إلى العودة ظافرين . وليس الأمر ببعيد ، وها هى ذى صفحات التاريخ العربى المجيد ، ترينا كيف كان العرب فى أشد المواقف حرجاً ، وفى ظلال السيوف والرماح يتغنون بذكرى الأحبة . وكفى أن نتذكر قول عنترة فى معلقته :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

« المنصورة » محمود البشبيشى

بثلاثة أرطال فشربت ، وأحضرونى صندوقاً فيه طنابير ، فاخترت طنبوراً منها وأصلحتُه على الطريقة ، وأخرجتُ من الموضع إلى حجرة لم أر أحسن منها ، وإذا فى مجلسها رجلان على أحدهما قباء ملجم وقلنسوة سمّورية[1] ، وعلى الآخر ثياب خزّ وستارةٌ مضروبة . فسلّمتُ وأمرتُ بالجلوس ، فجلستُ . فقال لى صاحب السمّورية : غنّ ، فتغنيتُ :

ما أرانى إلا سأهجرُ مَنْ لَيـــس يرانى أقوى على الهجران
ملّنى واثقاً بحُسْنِ وفائى ما أضر الوفا على الإنسان[2]

فغنيته فشرب رطلاً ، ونقر الستارة وقال : غنّوه . فغنى الصوتُ أحسن غناء فى الدنيا ، وخِلْتُ أن البيت يرقص ! . فقال لى : كيف ترى ؟ قلت : والله يا مولاى بقّضوا إلىّ هذا الصوت وسمّجوه فى عينى . فضحك واستعادنيه ثلاث دفعات ، فشرب فى كل دفعة منها رطلاً . ثم قال : أتعرفنى ؟ قلت : لا ، قال : أنا إسحاق بن ابراهيم ، وهذا محمد بن راشد الخناق[3] ووالله لئن ظهر حديث هذا المجلس منك لأضربنك ثلاث مئة سوط . قم ، إذا شئت . فقمت من بين يديه ، فلحقنى الغلام بصرة فيها ثلاث مئة دينار فاجتهدت أن يأخذ منها شيئاً ، فأبى .

وذكر عمرو بن بانة قال : وجه إلى إسحاق بن ابراهيم فى آخر النهار . . . فصرت إلى داره ، وأدخلت عليه وهو جالس فى طارمة[4] ملبسة بالخز على دجلة ، وقد انبسط القمر على الروشن[5] وعلى دجلة ، وهو من أحسن منظر رأيت قط ، والمغنون جميعاً بين يديه . و (بذل) جالسة وراء مقطع فى الطارمة . فلم يزل جالساً بموضعه ونحن بين يديه إلى أن نودى بالفجر ، فقام وقمنا . وقال لنا الغلمان : انصرفوا ، فنزلنا إلى الشط ودعونا بسميرية[6] فجلسنا فيها جميعاً ، وقلت لهم : إن منزلى أقرب من منازلكم فاجعلوا مقامكم اليوم عندى ففعلوا و . . .[1] فى المنزل ؛ فطلبت فيه شيئاً يؤكل فلم أجد : فأمرت بإحضار المائدة ، فأحضرت فارغة ، وطرحت فى وسطها مئة درهم صحاحاً وقلت : يوجه كل واحد فيشترى له ما يريد . فما كان بأسرع من أن امتلأت بكل شىء . . . فأكلنا وشربنا ، ومرّ لنا يوم طيّب ، وتفرقنا فى آخر النهار ، وفى قلوبنا غصص مما فعله بنا إسحاق ، وما فاتنا من تلك الليلة الحسنة فى ذلك الموضع الحسن . فمضيت بعد ذلك إلى « بذل » وسألتها عن السبب فيما فعله . فقالت : قد سألته عن ذلك فقال : ويحكِ أنا أشتهى الشرب فى مثل هـذه الليلة منذ سنة وأواقع[2] نفسى به . فلما حصل لى جميع ما أريده واشتهيته أردت أن أرى نفسى سلطانى عليها ، وقهرى لها ومنعها مما تحبه لئلا[3] تقودنى إلى ما تريد ففعلتُ ما رأيتِ

وكان مع ذلك حسن المروءة كريم النفس فذكر أبو حشيشة الطنبورىّ قال : دعانى فى بعض الأيام فصرت إليه وجلست أغنيه ، وعليه درّاعة خز خضراء لم أر أحسن منها قط . فجعلت أنظر إليها ، وفطن لنظرى[4] فدعا بالخازن وقال : كانوا جاؤونا منذ أيام بعشرة أثواب خز خضر ، هذا أحدها ، فجئنى ببقيتها . فأحضر تسعة أثواب يتجاوز حسنها كل وصف فأعطانيها ، فبعت من رذالها الثوب بمئة دينار

* * *

وكان المأمون يصير إليه فى داره ، فيقيم عنده الأيام هو وغلمانه وحشمه أنساً به وثقة بمكانه[5]

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) لعلها نسبة الي السمور : دابة يتخذ من جلدها فراء

(٢) الشعر للعباس بن الأحنف . وقد ورد كذا فى الديوان (طبعة الجوائب بالآستانه) . وفى الأغانى : ج ٧ : ٢٩٩ (دار الكتب) :

قد حدا بى إلى الجفاء وفائى ما أضرّ الوفاء بالانسان

(٣) نديم ومغن

(٤) بيت من خشب يبنى كالقبة (القاموس والأساس)

(٥) الروشن : مكان عال مشرف وكأنه «الشرفة»

(٦) السميرية : ضرب من السفن (اللسان) وفى (تكملة إصلاح = ما تغلط فيه العامة) للجواليقى ما يلى: «وهى السميرية لضرب من السفن بالياء ، وهى منسوبة إلى رجل يقال له سمير أظنه كان بالبصرة وهو أول من عملها فنسبت إليه ، ولا تقل سمارية فانه خطأ » ، (التكملة للجواليقى مطبوعات المجمع العلمي العربى وتحقيق التنوخى ص ١٩١)

(١) كلمة مبهمة : ولعلها فى معنى : اقتنا

(٢) فى الأصل أدافع وهو تحريف . وفى القاموس أواقعه : أحاربه وهو المقصود هنا

(٣) فى الأصل : ليلا وهو تحريف

(٤) فى الأصل : فطن بنظرى ، والأولى فطن لنظرى يقال فطن للأمر (الأساس — والقاموس)

(٥) روى الشابشتى طرائف كثيرة من إسحاق انتخبنا منها ألطفها وأبينها

الانتـــاج الأزهرى

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

« إن الأزهر إذا أصلح كان بثقافته أهدى إلى تربيتنا من أية جامعة . » (الزيات)
[افتتاحية الرسالة فى عامها التاسع]

عادت الرسالة الغراء إلى العناية بالشئون الأزهرية على دأبها ، بعد ما عادت الحياة إلى الأزهر أثر إجازته الطويلة ، وبعد ما اطمأن الأساتذة والطلاب إلى موضوعاتهم وساروا فيها شوطاً ليس باليسير . وعدت أساهم مع الكاتبين ، وألقى بدلوى فى الدلاء ، ولسنا نبتغى من وراء ذلك - علم الله - إلا الخير لهذا المعهد المبارك الذى نرجو أن ينال من الإصلاح ما يتمناه المحبون المخلصون .

وفى النفس حاجات ، وللقلب خفقات ، إذا ما ذكر إصلاح الأزهر وجرى على الألسن . ولكننا نقف فى كلمتنا اليوم عند الحديث عن الإنتاج الأزهرى لتردده على أقلام الكاتبين

فقد نغمط الأزهر حقه إذا وقفنا بالإنتاج عند ما كان من جماعة كبار العلماء وجعلنا ذلك الأساس الذى يبنى عليه التقدير والاعتراف بشخصية الأزهر العلمية . ونحن لا نؤمن بأن إنتاجهم يمثل هذه الشخصية ، وإنما يمثل شخصياتهم أنفسهم ومدرسة تلقوا عنها وعقيدة فى التحصيل والتأليف درجوا وما زالوا عليها

وسواء لدينا أنشر إنتاجهم أم لم ينشر فرسائل كثير منهم على ما نعتقد صورة أريد بها تبرير الرسميات ، وأغلب الظن أنها لا تعدو فى الجودة رسائل المتخصصين إن لم تكن الأخيرة أفضل من بعضها . فمن الغبن الكبير إذن أن نجعل إنتاج هذه الجماعة دليلاً على شخصية الأزهر العلمية

وفى الأزهر غير هذه الجماعة طائفة مهما قل عددها لها استقلال فى البحث والتفكير، ولها حرية فى الرأى والنقد وأبحاث قوية نشرت وتداولتها الأيدى ، وهذه الطائفة من غير شك - لاعتراف الجميع بها - تمثل الأزهر الناهض من الناحية الفكرية ، وهى بحق أولى أن تدل على شخصية الأزهر العلمية

قد يكون من الإحراج أن نقصر الإنتاج على إبداء رأى خاص فى مشكلة من مشاكل العلم . ولو أننا فعلنا ذلك لكان كل ما نسميه الآن إنتاجاً للأزهر وما عدا الأزهر غير إنتاج ؛ أو لكانت كثرته الغالبة على هذا الوصف . ولم لا نعد الإنتاج المدرسى إنتاجاً متى كان قائماً على الشخصية والتصويب أو التخطئة لما للعقل فيه مجال ، والمناقشة للموروث والتعقيب عليه ؟ أليس ذلك هو الاستقلال فى التفكير والإعلان للرأى الخاص بعد الدرس والبحث ، وإذن ففى الأزهر إنتاج قل أو كثر

هناك فرق بين الإنتاج والقدرة عليه وإن كان أحدهما لازماً لصاحبه وأثراً من آثاره . ومما لا شك فيه أن هذه القدرة على الانتاج موفورة لدى الكثير من رجال الأزهر وإن لم يظهر الانتاج الفعلى إلا من قليل منهم

وإذا أنت سألت عن السبب فى إحجام الكثير عن الانتاج فلا يستطيع منصف أن يجيبك إلا بأن فقدان التشجيع والاغراء من ناحية القائمين بالأمر فى الأزهر هو السبب الوحيد لذلك . فهم قد رأوا إخواناً لهم حاولوا أن ينتجوا بل أظهروا صوراً من إنتاجهم كان معترفاً بها ؛ ولكن أحداً من الرجال الرسميين لم يقل لهم إنكم أحسنتم ، ولم يشجعهم بكلمة تجعلهم يدأبون على مثل هذا العمل أو تجعل غيرهم يسير فى طريقهم . فخير لهم إذن ألا يسيروا فى طريق لا يحمد السائرون فيها

إن الأزهر يطالب من علمائه أن يكونوا منتجين ، وأن يعرضوا علمهم لناشئة الجيل الجديد فى صور تلائم جيلهم ، ولكنه لا يأخذ بأسباب ذلك . فهو مثلاً لا يأخذ بسنة وزارة المعارف فيعلن عن حاجته إلى الكتب اللازمة لتحقيق مناهجه ، ويشترط فيها ما يشترط من نظم وتوجيهات ، ويجعل ذلك كل عام أو عامين أو أكثر ليكون له من ورائه ثروة طائلة من الإنتاج سواء فيما يقرره من ذلك أو فيما ينشره أصحابه على الناس ليوازنوا بينه وبين ما اختير

إنه لو فعل ذلك لزرع فى نفوس علمائه الاستقلال فى الفكر والجهر بالرأى والصراحة فى الحق - وهى أهم مقومات الإنتاج الصحيح - ولقضى على فكرة اعتقاد عجز العلماء عن مسايرة الحياة الجديدة وعن الخروج عما درسوه من كتب وعبارات

أليس من العيب أن يظل الأزهر إلى الآن يقرأ فى سنتيه الأولى والثانية الثانويتين كتباً فى البلاغة لمعاصرين من غير

الأزهريين وفيه مائة من المتخصصين فى البلاغة كل واحد منهم قادر على أن يخرج كتاباً مثلها إن لم يكن أفضل منها !

لا تقل أيها القارئ بعد ذلك مالهم لا يؤلفون ، فإن عدم التشجيع كما قدمنا وعدم الإغراء بتقرير الكتاب أو بشراء حق التأليف أو ما إلى ذلك هو الذى صرفهم فكان سبباً مهماً فى قلة الإنتاج ؛ ولو أن هذا الباب فتح لجاءت كتب كثيرة ولنشرت أبحاث ينبغى أن تحسب فى إنتاج الأزهريين كما حسب مثلها لغيرهم

أو ليس من العيب كذلك أن يقرر الأزهر فى أقسامه الثانوية كلها كتاب فى تاريخ أدب اللغة لفظته وزارة المعارف منذ زمن طويل ؛ وفيه كذلك مائة أو يزيدون من المتخصصين فى أدب اللغة ! وليس ذلك لعجزهم عن إخراج أفضل منه ، فقد برهنوا على انتفاء ذلك عنهم ، ولكن لاعتبارات أخرى على نحو الاعتبارات التى أشار إليها صديقى الأستاذ المدنى فى مقاله « السياسة التوجيهية فى الأزهر » عدد الرسالة ٣٩٣

ففيم كان يضيع هؤلاء وأمثالهم سنى تخصصهم إذا لم يستطع أحدهم أن يؤلف كتاباً يرضى به منهج الدراسة ويعلن به رأيه فى هذه الموضوعات الأدبية مثلاً التى لا ينبغى أن يعتقد الإنسان فيها رأى غيره ، ولا أن يلقن الطلاب فيها عبارات كتاب بعينه

ذلك عيب واضح يشكو منه الأساتذة والطلاب جميعاً .

ونحن إذ ندل عليه نرجو أن يلتفت إليه القائمون بالأمر فى الأزهر فيعملوا على تلافيه وإبعاده حتى لا يظل الأزهر كلاًّ على غيره فيما تخصص فيه أبناؤه وعطلوا أنفسهم سنوات للعناية به ومعرفة مناهج بحثه

ونستطيع أن نقول مثل ذلك فى كثير من مواد الدراسة ، فإنها تقرأ فى كتب لا صلة لها بالعقلية الحاضرة ولا بالأسلوب المألوف . ومن الخير كل الخير أن يعدل عنها إلى ما يوافق ذلك وأن يوسع المجال للمستطيعين وتعطى الفرصة لهم . ولست أقصد بذلك — طبعاً — إلى عيب هذه المواد والتنقيص من قيمة كتبها . ولكنى أعتقد أنها جعلت لزمان مضى ، فمن الجائز أن يصلح بعضها لزماننا ، وأن يتعارض بعضها الآخر معه فلنبق على ما يصلح ولندع ما عداه . فإننا إن لم نفعل ذلك صدق علينا أننا نعيش فى عصر غير العصر الذى يعيش فيه الناس

على أنه مما يعوق الانتاج الأزهرى ويقف فى سبيله أن الدراسة فى الأزهر ما تزال تلتزم « طريقة الكتاب » . فأنا كمدرس حريص على أن أهضم عباراته وأساليبه : السائغ منها والملتوى ، وأفهم ذلك الطلاب كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ما له ضرورة وما ليس له ضرورة ، لأنه فى الكتاب المقرر ، والطالب أمامى يهتم بذلك ويوليه عنايته ، لأنه يرى شبح الامتحان مخيفاً ، ويرى أنه لا ينجيه منه إلا أن يفهم كلمات الكتاب ، وكلما تمثل له هذا الشبح فى أثناء (الحصة) حقق ودقق وأخذ وأعطى وفكر وقدر

وعلى فرض أنه لا بد من ذلك فى بعض المواد ، فمالنا لا نعدل فى بعضها الآخر إلى « طريقة الموضوع » ، لتمكن للمدرس من الجمع والتحصيل والإبقاء والإلغاء ، فيظهر بذلك شخصيته ويظهر إنتاجه واستقلال فكره . ألا إننا لو فعلنا ذلك لكنا محسنين إلى الأزهر ، إلى علمائه وطلابه ، وإلى العصر الذى نعيش فيه

إن الدراسة على هذا النحو فرصة من الفرص الجيدة التى تمهد السبيل لظهور الانتاج الأزهرى والانتفاع به ، فإذا لم تتح هذه الفرصة لعلمائه ، فعلى من يقع إثم التعويق عنها ؟

لا ينبغى أن نسرف فى التشاؤم ولا أن نقول : إن مدرس الموضوع لم يخلق ، ففى الأزهر كثير عندهم هذا الاستعداد ، فليكن عملهم بدء الغيث . فإن أصابوا فذلك ما نرجوه ، وإلا كانوا النواة الحسنة لمن يجيء بعدهم من إخوانهم وأبنائهم .

وإذا نحن انتظرنا بالدراسة الموضوعية إلى أن يخلق مدرس الموضوع ولم نعمل على خلقه وتكوينه ، تقطعت بنا السبل وخلفتنا القافلة ولم نصل إلى ما نريد

إن أنسب الأوقات لإعلان هذه الآراء والمناداة بها هو ذلك الوقت الذى يدير الشئون فيه شيخ هو خير شيوخ الأزهر فيمن رأينا

ونحن إذ نجهر بذلك وننادى به فإنما نعبر عن رأى الكثيرين من العلماء ، وبخاصة ذووا الصراحة منهم ، ونحتذى فى الوقت نفسه خطة المصلح الأكبر الإمام المراغى التى رسمها فى أول خطاب له فى الجامع الأزهر حين عاد شيخاً له للمرة الثانية

فهل يجد هذا النداء المتواضع من سميع ؟

عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

فتنـــة الزَّنج (*)

ورثاء البصرة فى شعر ابن الرومى

للأستـــاذ محمود الشرقاوى

فى هذا الوقت الذى نسمع فيه ونقرأ أنباء ذلك الخراب الذى يصيب المدائن العظيمة من هذه الحرب بين انجلترا وألمانيا ؛ وذلك العذاب الذى يصبّ على الآمنين من أهلها ، ينزل عليهم من السماء ، ذكرت قصيدة من عيون الشعر وعجائبه قالها « ابن الرومى » فى حال تشبه هذه الحال ، هى قصيدته فى رثاء البصرة . وقبل أن أقدم لقراء « الرسالة » هذه القصيدة العجيبة أذكر خلاصة سريعة من التاريخ عن « فتنة الزنج » الذين جرى على أيديهم خراب البصرة فى القرن الثالث الهجرى :

صاحب الزنج

فى شهر شوال من سنة خمس وخمسين ومائتين ، خرج فى فرات البصرة رجل وزعم أنه على بن محمد بن حمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ؛ وجمع الزنج الذين كانوا يسكنون السباخ وعبر دجلة فنزل الديناري ، وكان قد شخص من سامرّا سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين ، فادعى بها أنه على بن عبد الله بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله ابن العباس بن على بن أبى طالب ، ودعا الناس بهجر إلى طاعته ، فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم . وكان أهل البحرين قد أحلّوه بمحل نبى ، وجبى الخراج ونفذ فيهم حكمه ، وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه

ذلك هو مبدأ ظهور صاحب الزنج كما رواه ابن الأثير فى تاريخه الكامل ، ومنه نعرف أنه رجل دعىّ أفاق ، كان اسمه الحقيقى على بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه فى عبد القيس ، وأمه من قرى الرى ، وأن أمه لأبيه كانت جارية سندية ، وكان متصلاً بجماعة من حاشية المنتصر ، كان معاشه منهم يمدحهم ويستميحهم بشعره منهم ومن غيرهم

وقد جعل هذا الرجل العجيب لنفسه خطة بارعة للوصول إلى غرضه والحصول على ما يبتغيه من الحكم والسلطان . فجعل لنفسه زوراً هذا النسب الشريف يصل به إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . مرة على أنه ابن محمد بن أحمد بن عيسى إلخ ... ومرة على أنه ابن عبد الله بن محمد بن الفضل . وهو فى كليهما واصل نسبه إلى على بن أبى طالب . ثم استولى على جماعة من ضعاف العقول فى أهل البحرين ، فجعل نفسه بينهم نبياً يزعم لنفسه الآيات حتى قال : « إنى فكرت فى الموضع الذى أقصده حيث نبت بى البلاد فأظلتنى غمامة وخوطبت منها فقيل لى : إقصد البصرة »

ومن الدهاء العجيب الذى تحايل به صاحب الزنج أنه بدأ دعوته بين العبيد والدهماء والأراذل من الشعب فزعم أنه ناصرهم وخارج بهم من الذل والفقر والعبودية

ذكر ريحان — أحد أصحابه الأول — قال : « كنت موكلا بغلمان مولاى أنقل لهم الدقيق ، فأخذنى أصحابه فساروا بى إليه وأمرونى أن أسلم عليه بالأمرة ففعلت . فسألنى عن الموضع الذى جئت منه فأخبرته . وسألنى عن أخبار البصرة فقلت : لا علم لى . وسألنى عن غلمان السودجيين وعن أحوالهم وما يجرى لهم فأعلمته . فدعانى إلى ما هو عليه فأجبته فقال : إحتل فيمن قدرت عليه من الغلمان وأقبل بهم إلى . ووعدنى أن يقوّدنى على من آتيه به واستحلفنى ألا أعلم أحداً بموضعه وأن أرجع إليه ؛ وخلى سبيلى »

« وما زال يدعو غلمان أهل البصرة ويقبلون إليه للخلاص من الرق والتعب ، فاجتمع عنده منهم خلق كثير فخطبهم ووعدهم أن يقوّدهم ويملّكهم الأموال . وحلف لهم بالأيمان ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئاً من الاحسان إلا أتى به إليهم »

وكان من الطبيعى وقد دخل هذا الأفاق على العبيد من هذا الباب وأطمعهم أن يكونوا أحراراً ، بل وعدهم أن يملكهم الأموال وهم أنفسهم مملوكون لمواليهم ، كان من الطبيعى أن يجد من نفوسهم قبولاً لدعوته وحماسة فى الدفاع عنها

فهذا الرجل الماكر أقام دعوته على ثلاثة عمد رواسخ : أولها هذا النسب الشريف الذى ادعاه لنفسه متصلاً بالحسين بن على . وثانيها دخوله على المستضعفين الأذلاء من العبيد حتى قال الطبرى إنه جمع لدعوته الزنج الذين كانوا « يكسحون السباخ » وكذلك فى النجوم الزاهرة . وهؤلاء يدفعهم ما هم فيه من البؤس والتعس والشقوة إلى المغامرة والاندفاع . وكيف بهم يقودهم رجل شريف من نسل الامام على يمنيهم ويعدهم ويجعل نفسه

(*) الزنج بفتح الزاى (وتكسر) جيل من السودان وهم الزنوج « القاموس والمصباح »

موكلا بخلاصهم من الرق والذل والفقر والهوان . ويصل نفسه بهم حتى يكون وهو الرجل الشريف « صاحب الزنج »

وثالث هذه العمد ادعاؤه النبوة أو ما هو قريب منها . وقد آمن بدعوته قوم من هؤلاء العبيد . وبذلك أثار فى نفوسهم أشد ما فيها من العواطف قوة وجوحاً من العواطف : الإيمان والنفع الذاتى بعد الوصول إلى الحرية ، وهى أعز ما تشتهيه النفس الإنسانية .

ظهور الفتنة

لا أريد بعد ذلك أن أتابع الخطوات التى مشت بها فتنة الزنج فى العراق ؛ ولكنى أبرز من ذلك أمرين يستطيع القارئ أن يعرف بهما إلى أى حد استطاع صاحب الزنج أن يكوّن مع عبيده السود قوة قاهرة تخيف الولاة وتحارب جند الخليفة ، وتدخل الرعب فى قلوب الناس

أذكر أن صاحب الزنج استطاع فى سنتين اثنتين أن يأخذ من جند الخليفة بلاد الأبلة وعبادان والأهواز والبصرة ، واستطاع فى هاتين السنتين (وهما سنتا ست وخمسين ومائتين وسبع وخمسين) أن يحارب من الولاة ومن القواد سعيدا الحاجب وابن المدبر ، ومسيرا المولد وموسى بن بغا وعدة غيرهم ، واستطاع أن يهزم كثيرين منهم وأن يأخذ منهم ما أخذ من البلاد

وأذكر هذه القصة التى رواها ابن الأثير تدل على ذلك الفزع والرعب الذى ملأ به صاحب الزنج قلوب الناس ، وذلك الحقد والجبروت الذى ملأ به قلوب زنوجه العبيد على أسيادهم ومواليهم

يقول ابن الأثير إن موالى هؤلاء العبيد وقد رأوا سلطان صاحب الزنج على عبيدهم وخافوا بطشه أتوا إليه « وبذلوا له على كل عبد خمسة دنانير ليسلم إلى كل منهم عبده . فبطح أصحابهم وأمر كل من عنده من العبيد فضربوا مواليهم . . . أو وكيلهم كل سيد خمسمائة سوط . ثم أطلقهم »

فتأمل ذلك الرجل الذى يبطح السيّد المالك ليضربه عبده ومملوكه خمسمائة سوط . ولا يبيع هذا العبد بخمسة دنانير لسيده وصاحب رقبته ، وهو لا يملكه ... !

خراب البصرة

وبقى هكذا حال صاحب الزنج وزنوجه يستفحل أمرهم ، ويستشرى داؤهم ، حتى كان شهر شوال من سنة سبع وخمسين ومائتين ، فاجتمع الأعراب من البحرين بإمرة محمد بن يزيد الدارمى ، وتجمع عليهم كثيرون من مثلهم أتباع صاحب الزنج ، وأحاطوا البصرة من أطرافها فدخلوها وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال . وأباح صاحب الزنج لزنوجه البصرة يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت يفعلون بها وبأهلها ما يشاؤون ... ! حتى حرق المسجد وأحرقت البصرة فى عدة مواضع ، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل

وقدّمت الخدعة إلى أهل البصرة بأن من دخل دار فلان فهو آمن ؛ فجاء أهل البصرة قاطبة إلى دار الأمان ثم غُـدر بهم وقتلوا ، فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة ، فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم إلا النادر منهم . وعظم الخطب بالقتل والتحريق والنهب ؛ فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ، ومن كان فقيراً قتلوه لوقته . وبقوا كذلك عدة أيام (١)

ابن الرومى

هذه الصورة الدموية البشعة التى تلخصها تلك السطور السابقة عن خراب البصرة على يد الزنج قد أوحت لعلى بن العباس ابن جريج (ابن الرومى) قصيدة عجيبة هى من غرائب الشعر العربى وضوح بيان وقوة تصوير وإعجاب خيال وصدق عاطفة . وهى من بدائع الشعر العربى كله . هذه القصيدة هى التى نقدمها لقراء الرسالة

(البقية فى العدد القادم) محمود الشرقاوى

(١) اعتمدت فى كتابة هذا الفصل على رواية الكامل فى التاريخ ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى

من أدب الحرب

نهـــاية زعيم ...

[مرفوعة إلى المغفور له خالد الذكر السنيور موسولينى !]

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

خفّضْ عليكَ مِنَ العذابِ   الصّبْرُ أجملُ فى المُصابِ
وَلَّى صوابُكَ لا أصبْـ   ـتَ ولا رَجعتَ إلى الصّوابِ
لكَ إنْ تشأْ فى الخطبِ تَهْـ   ـزِيَتي وَإنْ شِئتَ انتحابى
هوّنْ عليكَ فهـــذهِ الدُّ   نيا كَلمّاحِ السَّرابِ
فيها القَريبُ إلى ابتِعا   دٍ ، والبعيدُ إلى اقترابِ
لا تجزَعَنَّ مِنَ الصِّعا   بِ فأنتَ غلاّبُ الصِّعابِ
كم ذا خدعتَ النّاسَ بالـ   ـتّمويهِ وَالكَلِمِ العِذابِ
فلكَ الجوارِى المُنْشئا   تُ مَلأْنَ آفاقَ العُبابِ
وَلَكَ الأســـودُ الضارِيا   تُ بغيـــرِ أظفارٍ ونَابِ
ولك التّحيّـــةُ والتّجِلّـــةُ فى مَجيئِكَ والذّهابِ
ولك اللّسانُ الطَّلْـ   ـقُ فيّاضُ البلاغةِ والخِطابِ
يأتيكَ من تَضْلِيلهِ الغرّا   رِ بالعَجَبِ العُجَابِ
ولكَ الضميرُ العفُّ يُلْبَـ   ـسُ ثمّ يُخْلَعُ كالثيابِ
يتخلّصُ الوَعْدُ الكِذا   بُ بهِ إلى وَعْدٍ كِذابِ
ولكَ القليلُ من الفطا   نةِ والكثيرُ من الرّغابِ
وَلدَيكَ من خُدَعِ السّيا   سةِ ما يزيدُ عَلَى الجِرابِ
كَذَبتْكَ أحلامُ الكَرَى   وَزَهَتْكَ أوْهامُ الشّرابِ
أسَدُ اللّسانِ وَلستَ فى   ساحِ الوَغَى أسَدَ الوِثابِ
ضَلّ الذى ركبَ الضّلا   لَ إلى الرّغائبِ والطِّلابِ

إنّى أناشِـــدُكَ الدّمَ الْـ   ـمُهْرَاقَ فى شُعَبِ الهِضابِ
والرّفقَ بالأرواحِ تَذْ   هَبُ فى العِراكِ والاحترابِ
وفلولَ جنـــدِكَ هائما   تٍ فى السّهولِ وفى الرّوابى
وكتائِبَ الأسْرَى توَا   لَى فى شُحُوبٍ واكتِئابِ
هَلاّ قنِعتَ من « الغنيـ   ـمةِ » والهزيمةِ بالإيابِ

يا أوْحَدَ القوّادِ قُــلْ   لِي ما لِجَيشِكَ فى اضطرابِ
أعلِمتَ غيرَكَ عَبقرِىَّ (م) الجَهلِ ، مشئومَ الرِّكابِ
فِيمَ الترفُّـــقُ والتلطُّـ   ـفُ بالمغيرينَ الغِضابِ
أأقولُ مُحتشمٌ - هَداكَ اللّـــهُ - بلْ خوفُ الغِلابِ
أينَ الرِّجالُ ، وَأينَ أبْـ   ـطالُ « الصِّراعِ » وَالانسحابِ
قد سُقْتَهُمْ بل سُقْتَهُنَّ (م) إلى المَماتِ بلا حسابِ
ألطفْ بهنّ فما يُطِقْـ   ـنَ - فديتهنّ - أذى الضِّرابِ
رِفقاً ، فما صبرٌ لهنَّ (م) عَلَى البِعادِ والاغترابِ
من كلّ ممشُوقِ القوا   مِ حشدتَهُ غضّ الإهابِ
ما تفعلُ الصّحراءُ بالأ   غنامِ فى الأرضِ اليَبابِ
قد أجدَبَ المرعَى وَجفّ (م) لديهِ مُنْهَلُّ السّحابِ
ليسَتْ مُوَطّأةَ الفرا   شِ ، ولا مُمَهّدَةَ الجَنابِ
يَخْلُصْنَ من صَلْبِ القَنا   ةِ إلى الألوفِ من الصِّلابِ
لما بدَا يومُ الهـــزيـ   ـمةِ فى دُنُوٍّ واقترابِ
زِنَّ الخُدودَ لها وَخضّبْـ   ـنَ الأظافرَ بالخِضابِ
وَرَمَيْنَ مُشْرَعَةَ القَنَـــا   ونبذنَ مُرْهَفَةَ الحِرابِ
وأخذنَ أهْبَتَهُنّ للأســـرِ المُبارَكِ والذّهـــابِ
وَجعَلنَ يَنْشُدْنَ الدقا   ئِقَ فِي اشتياقٍ وارتقابِ
إن تحملْ السيفَ النسا   ءُ ، فالفُ بشرَى لِلرّقابِ

أقسَمتُ باللهِ العــــلِىّ   وَبالرّســـولِ وبالكتابِ
وَالليلِ وَالإصـــباحِ وَالـــجيشِ المُشَرّدِ فِى الشّعابِ
لولا التعفّفُ وَالترفُّـــقُ وَالجُنوحُ عن السِّبابِ
لجعلتُ منكَ ، وَقدْ جلوْ   تُكَ لِلعيونِ بلا نقابِ
أضحُوكةَ الدُّنيَـــا وَسُخـــرِيَةَ المجالسِ وَالصِّحابِ



خزائن الكتب في قصور الأندلسيين

حديث حضرة العلامة الأستاذ عباس محمود العقاد عن مكتبات القصور الأوربية في المقالة الأولى في الرسالة الغراء (٣٩٥) ـ ذكرنا بشيء في (نفح الطيب) أرويه حاشية لحديث حضرة الأستاذ. وفي خبر النفح فائدة تاريخية وأملوحة:

قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب. صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها، ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به

قال الحضرمي: أقمت مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة، أرقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع، وهو بخط مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة علي، إلى أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي. فأراني شخصاً عليه لباس رياسة، فدنوت منه وقلت: أعز الله سيدنا الفقيه! إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده

فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير

قال الحضرمي: فأحرجني وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك. يُعطى الجوز من لا أسنان له! وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلاً، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه!

«باحث»

المجمع اللغوي والمعجم الوسيط

أخي الأستاذ الجليل صاحب «الرسالة» الغراء

بعد التحية اللائقة، قرأت كلمة تحت عنوان: «المجمع اللغوي والمعجم الوسيط» عرض فيها كاتبها لنفقات هذا المعجم وظل يترقى بهذه النفقات حتى أبلغها ١٠٠٠٠٠ جنيه مائة ألف من الجنيهات !!!

والواقع أن وزارة المعارف تعاقدت مع سبعة من العلماء اللغويين بعضهم من حضرات أعضاء المجمع، وبعضهم من حضرات أساتذة الجامعة، على أن يقوموا في مدى عامين بوضع هذا المعجم على أحدث الأساليب في نظير مبلغ معين يقل عن ألف وسبعمائة جنيه لهم جميعاً. وقد قام تقدير هذا المبلغ على أساس ما تجيز به وزارة المعارف المؤلفين الآخرين

أما دعوى أنهم لم ينجزوا إلا مائة وعشرين صفحة إلى الآن فهي من نوع ذلك الحساب أيضاً!

وتفضل يا صديقي بقبول أزكى السلام، وأخلص الاحترام.

المخلص

عبد العزيز البشري

المراقب الاداري للمجمع

عطفاً على بلدٍ ضعيفِ الركنِ مخذولِ الشبابِ
قد عادَ مهجورَ الرحا ... بِ وكان محشودَ الرحابِ
عمّى بصائرَهُ الضلا ... لُ عن الحقيقةِ والصوابِ
والعينُ تبصرُ في الضيا ... ءِ وليسَ تبصرُ في الضبابِ
قد سُقْتَهُ ـ ثَبْتَ الجنا ... نِ ـ إلى الهزيمةِ والخرابِ
وتركتَ للآمالِ، والآ ... مالُ أمنعُ من عُقابِ
كفَّ الخداعَ عن الورى ... قد جاءهمُ فصلُ الخطابِ
إنّ المحجّبَ سوفَ يَبْـدُو للعيونِ بلا حجابِ
دَعْهُمْ وشأنَهمُ جـزا ... كَ اللهُ موفورَ الثوابِ
لا يومَ للأقوامِ حتّى ... تذهبنَّ بلا إيابِ

(القاهرة) «فتى»

خصومة أدبية

ما أحبها إلى نفسي خصومة أدبية تقوم على صفحات الرسالة الغراء بيني وبين صديقي الدكتور زكي مبارك ، فإن في الخصومات الأدبية للمتخاصمين مجالاً واسعاً للبحث والتدقيق ، ولحضرات القارئين مجالاً أوسع للموازنة والتحكيم

وإني لأشكر لصديقي الدكتور إثارة هـذه الخصومة ، وأطمئنه على نزولي ميدانها عن طيبة خاطر واستراحة فؤاد ؛ غير أني قبل الخوض في هذه الخصومة أرى من حق نفسي وحق الموضوع عليّ ، كما أرى من حق الرسالة وقرائها كذلك ، أن تتسع صفحاتها في العددين المقبلين لـكلمتين اثنتين لي

فأما إحداهما فلوضع الأمر الأصيل في نصابه وتقريره على وجهه ، لأنه الذي دعا الدكتور إلى كلمته الأولى المنشورة في العدد ٣٩٢ وكنت أغفلت الرد عليها عسى أن يتحرى الحقيقة ولكنه لم يفعل .

وأما الأخرى فحول النظرية التي ادعى في العدد الأخير أني نهبتها من كتابه النثر الفني ونشرتها في مجلة السراج حتى يعلم حضرات القراء أينا الناهب

وأما الذي يهدد به ويعتزم تبيينه ، من أن تهذيبي للكامل لم يكن إلا جناية أدبية ، ومن أن التطاول على مقام الشيخ المرصفي لا يذهب بلا عقاب ، فهو ما سيكون حلبة الخصومة ، وليعرف الملأ إذ ذاك — إن هو اجترأ على الـكتابة بعد كلمتي هاتين — أينا الجاني على الأدب بآثاره ، وأينا القليل الاطلاع الطائش الأحكام في أبحاثه ، وإلى اللقاء

السباعي بيومي
أستاذ بدار العلوم

إلى الدكتور مبارك

كان قلمكم الثائر قد خط في مقالكم الخامس في نقد آراء الأستاذ أحمد أمين وتبيان جنايته على الأدب العربي (الرسالة ٣١٤ — ١٠ يولية سنة ٩٣٩) أن هذا الأستاذ لم يؤت أسلوباً خاصاً ، وأنه ما كان في يوم من الأيام أديباً ، وكان مما قلتموه يومئذ :

— إن أحمد أمين ليس له أسلوب

وإن الرجل لا يكون له أسلوب إلا يوم يصح أنه يحس الثورة على ما يكره والأنس بما يحب . فعندئذ تعرف نفسه معنى الانطباعات الذاتية ، ويعبر عن روحه وعقله وقلبه بأسلوب خاص . . .

ولقد عانى أحمد أمين في الواحات فلم يصفها ، واشتغل بالقضاء الشرعي فما توجع مرة واحدة للمآسي التي رآها ، ولو كان أحمد أمين أديباً لـكتب خواطره وسطر إحساساته في القضاء وفي الواحات ، « ولـكن أحمد أمين لم يكن أديباً وإنما كان موظفاً مخلصاً لواجب الوظيفة لا يرى ما عداها من الشئون » (الرسالة ٣١٤ ص ١٣٣٧ — ١٣٣٨)

ويمضي على ذلك سـنة ونصف سنة ، ويأتي العـدد (٣٨٤ — ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٠) من الرسالة فما نجد يا ترى ؟ وما ذا نرى ؟

نجد أن الدكتور زكي مبارك يقول : « يجب الاعتراف بأن لأحمـد أمين أسلوباً ... وبأن لهذا الأسلوب شخصية تتميز بالسهولة والوضوح ... » ؛ وبأن في كتابه « فيض الخاطر » مقالات من الأدب الذاتي ، « وهو الأدب الذي يصور الـكاتب وإحساساته ...

ثم رجا طلاب السنة التوجيهية « أن يفطنوا وهم يقرأون كتاب « فيض الخاطر » إلى أن المؤلف أديب . . . يصور لواعج نفسه »

فهـل للأستاذ أن يجلو لنا السر الذي جعل أحمد أمين أديباً ؟ أم إن ذلك كان من باب : (رضيت فكسوته ، وغضبت فجردته ...!)

وللدكتور مبارك منا أجل التحيات

« دمشق » صلاح الدين المنجد

متحف وزارة المعارف

تساءل الدكتور زكي مبارك في أثناء مقاله في عدد الرسالة (٣٩٥) عن متحف وزارة المعارف ليقدم إليه هدية سنية ، هي رسالة من الدكتور طه حسين ، وكتاب من مؤلفات الأستاذ أحمد الاسكندري كان أهداه للأستاذ مصطفى أمين ، وعلى الكتاب عبارة « إهداء بقلم الاسكندري »

وأذكر بهذه المناسبة أني بحثت عبثاً عن متحف وزارة المعارف لأهدى إليه تحفة تاريخية لها قيمتها الأدبية ، وهذه التحفة هي عدة رسائل بخط المغفور له إبرهيم أدهم باشا ثاني نظار المعارف المصرية على عهد ساكن الجنان المغفور له الخديو إسماعيل

ولا شك أن مثل هذه الرسائل مكانها متحف وزارة المعارف الذي يصونها من التلف ويحفظها من الضياع ، فمثل هذه الرسائل أصبحت ملكا للتاريخ والأجيال المقبلة

ومن العجيب أن يكون للبريد متحف ، وللسكة الحديد متحف ، وللصحة متحف ، ثم لا يكون لوزارة المعارف متحف ! حقاً إن هذا نقص يجب أن يكمل ، وثغرة من الواجب سدها ونرجو أن تولى وزارة المعارف هذه الملاحظة عنايتها ، وأن تنظر إليها بعين الاعتبار ، ولا سيما وعلى رأس هذه الوزارة أناس عرفوا برجاحة العقل وقوة العزيمة ومضاء الهمة

(القاهرة) إبرهيم أدهم

تصويب

جاء بالعدد ٣٩٥ في مقال (دير مديان) : قال الله عز وجل « الذين أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » والصواب « الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »

محمد الساكت
بكلية أصول الدين



البغض الأول

للقصصي الروسي أنطون شيخوف

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

جلس جماعة من المصطافين في كوخ بين الحشائش الخضر وكانت الليلة قمراء ونافذة الكوخ مفتوحة ينفذ منها ضياء القمر. وكانت روائح النبات تفوح في المكان والأصدقاء يتحدثون أحاديث مختلفة، وتناول الحديث ذكر النساء والحب فقص كل منهم أقاصيص كثيرة حتى تجاوز عدد هذه الأقاصيص المائة أقصوصة

وكان في ركن من الكوخ ضابط لزم الصمت من أول الليلة وظل يتثاءب؛ فلما جاء دوره صاح:

« ليس في التحدث عن الحب غرابة، فكل النساء قد خلقن للحب، وليس لأحدكم أن يفاخر بالحب؛ فهل منكم من جرب البغض الحق؟ هل عرف أحدكم الكراهية؟ »

لم يجبه أحد، واستمر الضابط يقول: « أنا قد جربت هذا البغض فقد كرهتني فتاة فدرست في شخصي أعراض الكراهية الأولى؛ وإنما قلت الكراهية الأولى كما يقال الحب الأول. ولكن هذه التجربة الغريبة قد حدثت في عهد من العمر لم تكن لدي فيه فكرة واضحة عن الحب والبغض فقد كنت لا أتجاوز الثامنة من العمر » وليس هذا مطلب القصة بل مطلبها فتاة فأنصتوا:

خرجت من المدرسة في أصيل يوم من الأيام وجلست أمام مكتبي في الغرفة التي أذاكر فيها، وكانت مربيتي — وهي فتاة حديثة عهد بالمدرسة — تطل من النافذة

نظرت إلي فتبينت على وجهها الارتباك، وسألتني وهي لا تكاد تعني ما تقول: هل الأشجار تتنفس الأكسجين؟

فقلت: نعم

قالت: وماذا نتنفس نحن؟

فقلت: ثاني أكسيد الكربون؟

قالت: أصبت، وثاني أكسيد الكربون غاز خانق يوجد في الكهوف وفي بعض المياه، وقد رأيت كهفاً بالقرب من مدينة نابولي يكثر فيه هذا الغاز، ورأيت كلباً ألقي فيه فمات لساعته

قالت لي مربيتي بعد هذا الحديث: إن أبي وأمي ليسا بالمنزل، وإن أخي يشكو الصداع وأنه ذهب للطبيب وأن ليس بالمنزل غيري وغيرها، ثم سألتني وهي لا تزال تطل من النافذة على الأشجار وما يليها من الفضاء:

ما هو الأفق؟

فقلت: هو الخط الوهمي الذي عنده تلتقي السماء بالأرض

وعادت فسألتني وهي لا تزال تنظر إلى الأشجار: وهل الأشجار تتنفس الأكسجين؟

فقلت: نعم، ثم رأيت في يدها ورقة مطوية قد شدت عليها أناملها ونظرها يرتد عن الأشجار وقالت: في إيطاليا كهف بالقرب من نابولي يكثر فيه هذا الغاز الخانق، هل تقول: إن الأفق هو الذي تلتقي عنده السماء بالأرض؟

وكانت وهي تقول ذلك كالحالمة، وتجلى اضطرابها الشديد، ثم مشت ذهاباً وإياباً في الغرفة بحالة تدل على القلق وقالت لي: إقرأ درس الرياضة حتى أعود بعد نصف ساعة

خرجت مربيتي من الغرفة، ورأيتها وهي تمشي في الحديقة بخطوات كخطوات المحموم، وكان وجهها أكثر احمراراً من عهدي به، واضطرابها جلي إلى درجة استلفتت نظري، فقلت في نفسي: إلى أين تذهب يا ترى؟

وطويت الكتاب وقلت: أتبعها وكنت أحسبها ستنتهز غياب أمي فرصة وتسرق بعض الفواكه من أشجار الحديقة. ولكنها لم تفعل بل تجاوزت كوخ البواب وخرجت من المنزل، وتبعتها مختفياً وراء الأشجار حتى وصلت إلى البحيرة. وهنالك... هنالك وجدت أخي الذي قالت إنه مريض وأنه ذاهب إلى الطبيب

لم يكن أخي عند ما شاهدته مريضاً بل وقف عند ما رآها وكأن قوة غريبة دفعت كلا منهما إلى الآخر فتعانقا وقبلها وقبلته وفهمت من كل حركاتهما وإن كنت صغيراً أن هذه أول مرة فعلت فيها مثل ذلك

وكان وراءها أكمة عالية فنابا خلفها وعدت إلى المنزل وأنا أشعر بخجل شديد. ولم أر أكثر من ذلك، ولكن لكونى متقدماً فى الذكاء عمن كانوا فى مثل عمرى فقد فكرت فى الأمر وقلت لا بد من الاستفادة منه. ثم ابتسمت ابتسامة المنتصر، وذلك لأن فى معرفة الأسرار لذة لا يستهان بها خصوصاً إذا كانت أسرار أخى الذى له نفوذ بالمنزل، ومربيتى التى لها نفوذ علىّ

لما عادت مربيتى إلى الغرفة كالعادة نظرت إلى وجهها الجميل وعينيها البراقتين، وكان السر الذى أكتمه يكاد يمزقنى فقلت: لقد عرفت! لقد رأيت!

قالت: «ما الذى رأيته، وما الذى عرفته؟»

فقلت: «رأيت أخى يقبلك وأنت تقبلينه عند البحيرة»

عند ذلك وجدت النار تكاد تتقد فى عينيها، وجلست خائرة القوى على المقعد ولم تنطق بحرف، وأعدت جملتى وزدت عليها: «انتظرى حتى أخبر أمى»

فنظرت إلى باهتمام ورعب؛ ثم لما تبينت أنى لن أفعل أمسكت بذراعى وهى فى حالة شديدة من اليأس، وقالت بصوت خافت: «هذا لا يليق ... أتوسل إليك ... ! بالله لا تقل شيئاً! إن الشرفاء لا يتجسسون ... أتوسل إليك ... !»

لقد كانت مربيتى المسكينة تخاف من أمى، وهذا سبب من أسباب فزعها، ولكن أهم هذه الأسباب هو افتضاح حبها الأول. وأنتم بلا ريب تقدرون شعورها فى هذه الحال. وفى الصباح عرفت أنها لم تنم طول ليلتها لأنى رأيت حول عينيها هالة زرقاء مسودة، ورأيت على عينيها علامة السهاد. ولما وجدتها وحدها بعد ذلك فى غرفتى قلت: «لقد عرفت، لقد رأيت!»

فنظرت إلى ولم تجب، ثم لما رأيت أخى وحده قلت له هذا القول، فلم يكن ليخاف خوف المربية، بل شتمنى فخفت أنا ... ولم أعد أجرؤ على تكرار كلمتى أمامه. أما المربية فقد أردت الاستفادة من معرفة سرها، فصرت لا أذاكر، وصرت أعبث فى غرفتى كما أشاء فلا تشكو إلى أمى ولا تظهر لى الضجر. وحافظت على تلقينى دروسى متى أردت وعلى شرح ما أطلب شرحه، وهى تتغاضى وتلتزم الوقار. ولكن مضى أسبوع وضاق صدرى بالسر فجلست مرة مع أمى وكانت معنا المربية وأخى فقلت لأمى: «لقد عرفت! لقد رأيت!» فبدا الفزع والرعب على وجه المربية وبدا الغضب على وجه أخى ولكنى لم أزد ولم تسألنى أمى.

ومن ذلك اليوم صرت أرى نظرات المقت والكراهية الجنونية على عينى المربية وصارت تقرض أسنانها كالذئب كلما رأتنى؛ وبدأت أعرف كيف تكون كراهية الشياطين.

وفى يوم من الأيام كانت تلقننى الدرس فسمعتها تقول: «إننى أمقتك؟ ليتك تعرف مقدار كرهى لك أيها الحيوان» ثم زادت على ذلك: «إننى لا أخاطبك ولكننى أعيد جملة من رواية.»

كانت بعد ذلك تأتى إلى غرفة نومى وتنظر إلى وأنا بين النوم واليقظة نظرة مقت؛ وصارت الحالة تزداد حتى أمسكتنى من ذراعى مرة من المرار وقالت: «إننى أكرهك وما تمنيت لإنسان من الشر مثل الذى أتمناه لك وأريد أن تفهم ذلك.»

كان ذلك فى الليل، وكان ضياء القمر الشاحب ينير الغرفة، ونظرت إلى عينيها فسررت أولاً، لأن هذا الشىء جديد، ثم خفت فصرخت بصوت عال، ثم عزمت على أن أخبر أمى؛ على أنى لو كنت أعرف جوابها لما عزمت هذا العزم الأحمق

لقد أجابتنى: «وما شأنك أنت؟ أنت صغير فلماذا تتدخل فيما لا يعنيك؟»

وكانت أمى فاضلة رقيقة الإحساس؛ وكانت تتجنب ما يؤدى إلى الفضيحة فلم تطرد مربيتى فى الحال بل انتظرت مدة كانت تنصرف فيها عن المربية شيئاً فشيئاً ثم أخرجتها بعد مدة من المنزل لسبب آخر انتحلته. وأنا لا أزال أذكر تلك النظرة التى رمتنى بها المربية وهى تغادر المنزل

بعد ذلك بعهد طويل صارت مربيتى زوجة لأخى وهى فلانة التى تعرفونها جميعاً. وتغيرت ملامحى فلم أعد أشبه ذلك الغلام الذى كنته، ولكنها بالرغم من ذلك لا تزال تنظر إلىّ إلى اليوم نظرة بعيدة عن الود، وتعاملنى كلما زرت أخى معاملة غير معاملة الأصهار، وما ذلك إلا لأن البغض الأول كالحب الأول ليس من السهل أن يزول

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 398

Lundi - 17 - 2 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٩٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٧ فبراير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١٦٩ محمد محمود باشا ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٧١ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٧٥ خصومة أدبية ... ... : الأستاذ السباعى بيومى ...
١٧٧ تطور معانى المفردات : عوامله وآثاره ... ... } الدكتور على عبد الواحد وافى
١٧٨ أومن بالانسان ! ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
١٨١ أيام الرواق ... ... : الأستاذ محمد محمد المدنى ...
١٨٣ بين رجال الدين والفلسفة ... : الأستاذ محمد يوسف موسى
١٨٤ فتنة الزنج ورثاء البصرة فى شعر ابن الرومى ... ... } الأستاذ محمود الشرقاوى ...
١٨٧ من وراء المنظار* ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
١٨٩ ... فهذه نفسى ... ... : الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
١٩١ الملوث « قوارى » الله فى الأرض ... ... } لأستاذ جليل ... ...
ضبط الكتابة العربية ... : . ...
١٩٢ تحريف معنى بيت بالنحو ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
حول الانتاج الأزهرى ... : الأستاذ محمود أحمد وصيف
١٩٢ كتاب « تفيرتشل » ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
١٩٤ فندق الدانوب [قصة] : الأستاذ محمود البدوى ...

محمد محمود باشا



رجلان يُرْبكان الكاتب إذا حاول أن يكتب عنهما : رجل لا يستطيع أن يجد ما يقوله فيه ، ورجل لا يستطيع أن يَختصر مايعرفه عنه . ووصْف (الأول) بالرجولة تساهل فى التعبير ، وإطلاق لفظ الرجل على (الآخر) قصور فى اللغة ؛ فإن من المسلَّمات فى تاريخ الإنسان أن من أفراده من يعلون حتى يكونوا خيراً من الملائكة ، ومنهم من يسفلون حتى يكونوا شراً من البهائم . أولئك هم أصحاب الرسالات لحياتهم للناس ، وهؤلاء هم أصحاب الشهوات لحياتهم لأنفسهم . ولا مراء فى أن الرجل الذى فقدته مصر فى هذه الأيام السود كان من البابة الأولى فى الرجولة : تجلت فى خلائقه مزايا الإنسان الرفيع فاتفق على نبله الصديق الحميم والعدو الكاشح ؛ وتمثلت فى أفعاله خلال الشريف الحر فاعترف بفضله الوطنى النزيه

والأجنبي المنصف ؛ وعاش محمد محمود عمراً ثم مات ، كما اشتعل القبس حيناً ثم انطفأ ، فقال قوم هو النور والإشراق ، وقال آخرون بل هو النار والإحراق ؛ وما أرسل الله من قبلُ حكيما ولا زعيماً إلا آمن به بعض وكفر به بعض . وليس الإيمانُ بالدعوة دليلاً على الصدق ، ولا الكفران بها دليلاً على الكذب

* * *

لا يَعنى « الرسالة » من تاريخ صاحب الهوى الرفيع والنفس الكبيرة محمد محمود إلا دينه وخلقه وأدبه ؛ وهو فى هذه الثلاثة بإجماع الكلمة كان مضرب المثل وموضع القدوة . فدينه دين المعتقد عن علم ، وخلقه خلق التقى عن عقيدة ، وأدبه أدب السرى عن أصالة . وما اجتمعت هذه الصفات فى زعيم حكيم إلا كانت ضماناً لحسن نيته وأماناً من سوء عمله

أما السياسة فلا تزال فى الشرق العربى كله أثراً للعوامل الأجنبية ، فلا تتأثر برأى حزب ولا تتغير بإرادة حكومة . فمن الخطل أن ندخلها فى أسباب الحكم على زعيم أو حاكم ما دام يتأثر بها ولا يؤثر فيها . وإذا اعتبرنا السياسة على هذا الوجه السلبى شهوة من شهوات النفس الطموح تصل من طريقها إلى المال أو الجاه أو الحكم ، فقد أبى لزعيم الأحرار الدستوريين نبل فطرته وكرم أسرته أن يجعل أى عَرَض من هذه الأعراض الدنيا غاية لهذا الطريق

اجتمعت لمحمد محمود باشا أرستقراطية النسب والمال والعلم والمنصب . فلو أنه كان يندلق على الناس بالبطر والزهو فى الشوارع والمجامع لما كان ذلك بِدْعاً من الأمر ، ولكنه - برّد الله بالرحمة ثراه - ظل طول حياته يطالع الجمهور ويعالج الأمور ومن دونه حجاب من التصون الكريم لا يسمح له أن يتخذ الشعب إطاراً لصورته ، ولا مظهراً لعظمته

لم يقل أحد من الناس فى وقت من الأوقات :

هذا محمد محمود يعرض سلطان منصبه على عيون الفقراء ، أو يفرض إعلان موكبه على حناجر الدهماء ، أو يرفد ثروته الضخمة بعضوية ظنينة فى شركة من الشركات أو فى بنك من البنوك !

ولم يقل أحد من الناس فى مناسبة من المناسبات :

هذه زوج محمد محمود تتمرد على تقاليد الشرق وآداب الإسلام ، فتشهد مع الرجال حفلات النهار وسهرات الليل !

ولم يقل أحد من الناس فى حالة من الحالات :

هذا ابن محمد محمود ينبو على القانون فى الدواوين ، أو يعربد على الناس فى عماد الدين ، أو يتنبل باللباس والمركب فى طريقه إلى نادى القمار أو إلى سباق الخيل !

إن بيت آل محمود وبيت آل عبد الرازق هما المثلان الصحيحان فى مصر للأسرة المسلمة الحديثة . ذلك لما تهيأ لهما من وسائل التودد وشمائل الفتوة ؛ وجماع هذه الوسائل وتلك الشمائل قيامهما على أركان من المجد والمال والعلم والشخصية القوية قلما تجتمع كلها لبيت واحد . والسر كله فى الشخصية الأصيلة التى خلقت من التليد والطريف والشرقى والغربى مدنية مستقلة كانت أبلغ حجج الإسلام والشرق على من يقولون بلسان الجهالة والوضاعة إن الإسلام ينافى التمدن ، وإن الشرق يجافى الحضارة

ومن هنا كانت حياة الفقيد العظيم بخصائصها المميزة من العزة والعفة والإباء والصدق ، رسالة خلقية تقوم على الدعوة والقدوة فى فترة من المصلحين الصالحين تفككت فيها الأواصر وتحللت العقد وانماعت النفوس ، وأصبح كل عمل يجوز ، وكل شىء يمكن ، وكل وضع يستقر !

* * *

رحم الله محمد محمود ! لقد كان فوق الشهوات والحزازات والحوادث فكان عفَّ اليد واللسان والضمير . وكان الناس لندرة هذه الخلال فيهم يحسبونه قد نزع فى ذلك إلى أبناء « أكسفُرد » ؛ وما كان الشبه بينه وبينهم إلا فى صفات القوة كصراحة الخُلق وصرامة النظام والاعتداد بالنفس والاستقلال فى الرأى وما يستتبع أولئك من المحافظة على السُّنن الموروث والاكتراث للعرف المتَّبع . وأصول هذه الأخلاق مما ينبت طبيعةً فى أقاليم الصَّعيد ؛ ولكنها تزكو زكاء الكلمة الطيبة إذا غذت أرومتها خصائص الجنس الممتاز وفضائل الدين الصحيح

فإذا برّح بالأمة الحزن عليه فذلك لأنه كان المثل الشاهد على أنها تلد الرجال الكمَلة إذا نشَّأتهم على سننها القويمة ، ولأنه كان القدوة الحسنة لمن كان يشك فى نجاح الأخلاق الكريمة

رحم الله محمد محمود ، وعزى أسرته على رزئه أجمل العزاء ، وعوض أمته من فقده خير العوض !

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

اتجاه جديد فى وزارة المعارف — الهجوم الآثم على الشيخ سيد المرصفى سيزلزل الهاجين عليه وسيقهر بعض الناس على الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية والفنية ... والحق أنوى وأغلب

اتجاه جديد فى وزارة المعارف

لا يمرّ أسبوع بدون أن يطّلع الجمهور على أخبار جديدة عن وزارة المعارف ، فهى فى هذه الأيام مثار حركة ومجال نشاط ، والحركة فى أقبح صورها أجمل من السكون ، لأن السكون فى أجمل صوره من نُذُر الفناء

ومن مظاهر الحيوية فى وزارة المعارف لهذا العهد خطب الدكتور هيكل باشا ، وهى خُطب تشهد بأن هـذا الرجل يريد أن يجعل لنفسه تاريخاً فى تطوّر التعليم ، وهو بذلك خليق ، فلهذا الرجل لفتات ذوقية واجتماعية تضعه فى الصف الأول بين أقطاب الفكر فى هذا الجيل

والظاهر أن وزارة المعارف أصبحت من الوزارات المجدودة ، فهى منذ أعوام طوال صاحبة الحظ الأوفر من أحرار الرجال . ألم يتول ّأمورها أعلامٌ كان منهم : زكى أبو السعود ، وأحمد ماهر ، ولطفى السيد ، وبهى الدين بركات ، وعلى ماهر ، ومحمد على علوبة ، وحلمى عيسى ، وعلى زكى العرابى ، وأحمد نجيب الهلالى ، ومحمود فهمى النقراشى ؟

وزارة المعارف هى تاج الوزارات ، وإليها يرجع الفضل فى تكوين العقول والقلوب والأذواق ، وعن وزارة المعارف يصدُر النشاط الأدبى والفنى والاجتماعى ، وهى صوت مصر فى الشرق والغرب يوم يوضع للفضل ميزان

تلك وزارة المعارف ، فما حالها فى هذه الأيام ؟

كان يُظَنّ أن المسيطرين على وزارة المعارف قد يفوتهم النظر فيما يوجّه إليهم من الملاحظات عن طريق الجرائد والمجلات ، ثم ظهر أن فى الوزارة رجالاً يقرأون ما يكتب ويسمعون ما يقال ، وإن كان فريق منهم يعيش فى أبراج من العاج !

لقد آمنت وزارة المعارف بأن من الواجب أن يظفر التلميذ المتوسط بالنجاح فى امتحانات النقل والامتحانات النهائية ، فأوصت بأن « توضع الأسئلة بحيث تكون الإجابة فى متناول الأوساط من التلاميذ »

وهذا فتح جديد ، فقد كان مفهوماً أن الامتحان من ضروب التأديب ، ليصح القول بأن « من المحنة جاء الامتحان » !

وماذا تغنم الأمة حين ينجح التلميذ المتوسط ؟

يقول المتحذلقون إن نجاح الأوساط من التلاميذ قد يجنى على سمعة العقلية المصرية ، وهؤلاء المتحذلقون هم مصدر البلاء ، وهم عند التحقيق بعيدون كل البعد من السياسة الحكيمة فى رياضة العقول ، والزمن الغافل هو الذى قضى بأن يكونوا من المربّين

إن النجاح — ولو عن طريق التسامح الرفيق — يقوّى الشخصية المعنوية ، ويزيد فى عزائم التلاميذ ، ويُشعرهم بأن الجِدّ له جزاء ، ولو كان أقل مما يجب أن يتحلى به الطالب الرشيد

لم يعرف المربّون فى مصر أن نتائج الامتحانات العمومية — تلك النتائج الضعيفة الهزيلة — كانت الشاهد على أنهم حُرموا نعمة التوفيق فى إيقاظ النوافى من عزائم التلاميذ ؛ وكانت البرهان على أن الجاذبية بينهم وبين تلاميذهم قد انقطعت أقبح انقطاع ؛ وإلا فكيف جاز أن يقضى التلميذ سنة كاملة بين أيدى أساتذته بدون أن يستفيد ، أو بدون أن تعى آذانه نصف ما يسمع ، أو بدون أن يتجه قلبه إلى معانٍ جديدة تسوقه سوقاً إلى منازل الفضل والتشريف ؟

المربّون هم علة العلل فى فساد هذا الجيل ، فهم السبب فى ذهاب البشاشة من الحياة المدرسية ، وهم الذين حوّلوا الجوّ المدرسى إلى مجازر نفوس ، ومصارع قلوب ، بفضل ما وَقر فى أذهانهم من أن وزارة المعارف لا تريد إلا أن يكونوا جبابرةً مستكبرين

لا يصلح المدرس لمهنة التدريس إلا حين يشعر التلميذ بأنه أبرُّ به من أمه وأبيه . أما المدرس الجهم الوجه ، الغليظ الكبد ، القاسى القلب ، فله مكان آخر هو حراسة السجون . ومن العجيب فى مصر ألا تنال المدارس من العناية بعض ما تنال السجون ! فالسجون مصدر خير على من يعيشون فيها ، لأنها تؤهلهم للحياة ؛ أما المدارس فهى تؤهل بعض أبنائها للتشرد البغيض ، لأنهـا ترى ثلاثة أرباعهم فى الشوارع بلا رحمة ولا إشفاق ، بحجة أنهم لا يجيبون وفقاً لنماذج الإجابة ، وهى

صور لا يضعها من شابت نواصيهم فى التعليم إلا بعد إجهاد الفكر فى غفَوات الليل ! !

ليت المدرسين يعلمون ! ليت المدرسين يعلمون ! ولو استطعت لكررت هذه العبارة ألف مرة ! ولكن أين من يسمع ؟ !

يدخل المدرسون إلى أماكن التصحيح فى الامتحانات العمومية وهم لا يدركون ما يُقبِلون عليه من شؤون لا يجوز فيها المزاح ، فيصنعون ما يصنعون بمصاير جيل برىء لا ذنب له غير الاعتراف بأبوّة أولئك « الراحمين » ، وتكون النتيجة أن يفقد أكثر الشبان فضيلة « الاكتراث » لأنهم يشهدون أن المقصر قد يفوز ، وأن المجاهد قد يخيب . وأين الفوز فى امتحانات لا ينجح فيها بين كل مائة تلميذ أكثر من ثلاثة وعشرين ثم لا يُقبل منهم فى الجامعة غير آحاد !

والأمة المصرية التى تبحث عن المعادن المطمورة فى الصحراء الشرقية والغربية هى ذاتها الأمة المصرية التى تقتل عواطف شبانها بسيوف الامتحانات العمومية ؛ ثم يأخذ بعض جلاّديها جزاءهم على ذلك القتل ، ولم يبق إلا أن تُحلّى صدورهم بالأوسمة والنياشين ! !

غيّروا ما بأنفسكم ، يا بنى آدم ، من المدرسين بهذه البلاد .

غيّروا ما بأنفسكم ، قبل أن يضع الله السم فيما تنالون من أجور الامتحانات !

المعروف للجميع أن البكالوريا فى مصر أصعب منالاً من البكالوريا فى فرنسا وانجلترا وألمانيا . فهل نحن أعظم من الفرنسيس والإنجليز والألمان ؟

وماذا غنمنا من قوة البكالوريا فى مصر وهى لا تكفى للانتساب إلى الجامعة المصرية إلا فى حدود أضيق من سم الخِيَاط ؟

نريد أن نعرف مصاير أبنائنا فى هذا البلد الذى قيل فيه إنه مَجمَع الغرائب !

نريد أن نعرف إلى أى حد تنتهى الخصومة بين الجامعة ووزارة المعارف !

ولكن من يبلغ هذا الصوت إلى الرجال المسئولين ؟

من يبلغهم هذا الصوت والشيوخ والنواب لا يهتمون بغير مسائل فردية يتقدم فيها طالب على طالب بدرجة أو درجتين ؟

ليس المهمّ أن يُستجوَب وزير المعارف عن هذه التوافه من الشؤون ، وإنما المهمّ أن يُستجوَب عن مصاير المتعلمين فى هذا الجيل

المهمّ حقاً وصدقاً أن ينسى الوزير أنه مسئول أمام الشيوخ والنواب، وأن يذكر أنه مسئول أمام الضمير المصرى، والضمير المصرى يصرخ صراخ الجزع والرعب من ضياع أبنائه بين الجامعة ووزارة المعارف

وقد ظهرت تباشير تشهد بأن الوزير قد سمع صراخ الضمير المصرى لهذا العهد ، فمتى يقال إنه نودىَ فأجاب ؟ ومتى نسمع أن التعليم صار من وسائل الحياة الكريمة فى هذه البلاد ؟ متى ؟ متى ؟ علينا أن ندعو ، وعلى الوزير أن يجيب !

الهجوم الآثم على الشيخ سيد المرصفى

فى العدد ٣٩١ نشرت الرسالة كلمة بإمضاء محمد فهيم عبية جاء فيها أن الأستاذ السباعى بيومى وصف الشيخ المرصفى « بكثير من الأخلاق الذميمة كالغل والحقد والحسد وسطحية البحث والتطاول الذميم » وأنه « حكم بأن أخلاقه ذهبت بفضله كما تذهب الريح العَصوف بسحيق التراب »

وفى العدد ٣٩٢ نشرت الرسالة ردًّا بإمضاء عبد الرحمن أيوب مع كلمة من الأستاذ السباعى بيومى تشهد بأنه أقرّ ما جاء بذلك الرد ، وهو يلخّص فى أن الأستاذ السباعى حكم بأن الشيخ المرصفى « كان يملكه الغرور » وأن « الأستاذ السباعى فى حديثه عن المبرد وما يتصل به إنما يصدُر فى ذلك عن دراسة بعيدة الأمد » وأن كتابه ظهر فى سنة ١٩٢٣ على حين لم يظهر كتاب الشيخ المرصفى إلا فى سنة ١٩٣٠ ، وأن فهارس كتاب الشيخ المرصفى وعناوينه سُرقت من كتاب الأستاذ السباعى ، وأن المرصفى لم يكن أستاذ السباعى !

وفى العدد نفسه ٣٩٢ نشرت لى الرسالة كلمة عتاب موجهة إلى الأستاذ السباعى بيومى ، وقد جاء فى تلك الكلمة أن الأستاذ تحدث عن أخلاق الشيخ المرصفى بما لا يليق ، « فإن كان ذلك الكلام لم يقع منك قانفية فى العدد المقبل ، وإن كان وقع منك فسارع إلى الاعتذار ، إبقاء على ما بينى وبينك من وداد ، فما أستطيع السكوت عن رجل يتعرض لأخلاق الشيخ المرصفى بسوء ، ولو كان من أعزّ الأصدقاء »

ثم لقينى صديق عزيز فقال : لم يرضنى تحدّيك للأستاذ السباعى بيومى ، فقد كان يتفق فى أحيان كثيرة أن يحمل

مقالاتك من موضوعات الدروس بدار العلوم وذلك من شواهد الإعجاب

وعندئذ رجعت إلى نفسي لحفظتُ للأستاذ هـذا الفضل ، وآثرت الصمت ، ولـكن الأديب على محمد حسن كتب إلىّ خلاصة ما تجنّى به السباعى على المرصفى وأكد أنه قال :

« أنا أحذركم من قراءة كتاب المرصفى فإن فيه من الخطأ أكثر مما يتوهم أن يكون فى كتاب الـكامل من الخطأ ، وأنا أدعوكم مرة أخرى إلى إساءة الظن بهذا الرجل ، فقد كان ممتلئاً غروراً » وأكد هذا الأديب أن الأستاذ السباعى لن ينكر ذلك الـكلام « وقد كان الحضور كثيرين من أساتذة وطلاب »

ومع هذا فقد كان فى النية أن أسكت عن الأستاذ السباعى لأنه صديق ، ولأن هجومه لن يقلقل مركز الشيخ المرصفى وهو أرزن من الجبال، ولأن الأقدار قضت بأن يكون الأستاذ السباعى من زملاء الأستاذ محمد هاشم عطية والأستاذ أحمد زكى صفوت ، وهذه الزمالة تمنحه عندى طوائف من الحقوق

ثم ماذا ؟ ثم رأيت أنه ليس من الصعب أن أدفع الشر عن تاريخ الشيخ المرصفى، وأن أقدّم فى الوقت نفسه خدمة أدبية للأستاذ السباعى ، ولن يُخدَم الأستاذ السباعى وهو صديق إلا بجذبه إلى الجدل على صفحات الرسالة فى أسلوب رفيق لا يغض من مركزه بين تلاميذه بمدرسة دار العلوم

وإنما نصصت على الأسلوب الرفيق لأن أكثر الأدباء يفرّون من وجهى بحجة أنى لا ألقاهم إلا بقلم تطير عن أسلاته شظايا الشراسة والعنف

وقد استجاب الأستاذ السباعى لهذه الدعوة ، وأعلن على صفحات الرسالة أن فى الخصومات الأدبية مجالاً واسعاً للبحث والتدقيق

وما دام الأمر كذلك فأنا أقدم الحقائق الآتية :

أولاً — قضى الشيخ سيد المرصفى شبابه فى خدمة كتاب الـكامل للمبرد ، وظفر من ذلك الجهاد بكتاب اسمه : « رغبة الآمل فى شرح الـكامل » وقضى الأستاذ السباعى بيومى شبابه فى خدمة كتاب الـكامل للمبرد ، وظفر من ذلك الجهاد بكتاب اسمه : « تهذيب الـكامل »

فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة أن يكون الفرق بين « رغبة الآمل » و « تهذيب الـكامل » كالفرق بين المرصفى والسباعى ، وهو بونٌ شاسعٌ جدًّا بحيث يعجز عن اجتيازه نوابغ الطيارين من الإنجليز والألمان ، ولو كانوا أقدر من بعض الناس على التحليق فى جِواء الادعاء

ثانياً — أعلن الأستاذ السباعى أن كتاب الشيخ المرصفى ظهر فى سنة ١٩٣٠ والصواب أنه ظهر سنة ١٩٢٧ وليس لهذا التاريخ أهمية ، وإنما الأهمية للتاريخ الذى أخذ فيه الشيخ المرصفى يشرح الـكامل ، وهو تاريخ يرجع إلى أكثر من أربعين سنة يوم أوصاه الشيخ محمد عبده بتدريس «الـكامل» لطلاب الأدب من الأزهريين، ففى ذلك العهد ثار الشيخ الشنقيطى وطلب إلغاء ذلك الدرس ، وكان مفهوماً عنده أن المبرّد أكبر من أن يتسامَى إلى نقده رجلٌ من المحدّثين ، ولـكن الشيخ محمد عبده تلطف فأرسل الشيخ ابراهيم عامر إلى الشيخ الشنقيطى ومعه ملزمة من شرح الشيخ المرصفى ، فدهش الشيخ الشنقيطى وسارع إلى الاعتذار ، ثم صارحَ الشيخ محمد عبده بأن المرصفى لا يقلّ علماً بأسرار اللغة عن المبرّد

ثالثاً — كان كتاب « رغبة الآمل » كاملاً من جميع الجوانب حتى الفهارس فى سنة ١٩١٥ وقد رأيته بعينىَّ فى ذلك العهد ورآه معى الشيخ الزنكلونى طيّب الله ثراه !

ولن أنسى ما حييتُ تلك العبارة الشعرية التى صرح بها الشيخ المرصفى وهو يقدّم إلينا شرحه على كتاب المبرد ، لن أنساها أبداً ، فقد قال شيخنا العظيم وهو يخاطب المبرّد :

« الله على أيامك ، يا بَطَل ! ! »

والـكتاب الذى كان كل من جميع نواحيه حتى الفهارس

عددنا السنوى الممتاز

سيصدر فى أواخر المحرم عددنا السنوى الممتاز حافلا بتحليل الشخصيات العظيمة والمواقف الكريمة فى الغزوات النبوية والفتوح الاسلامية بقلم أعلام البيان فى مصر والشرق العربى . وسيكون بعون الله على الرغم من سوء الأحوال الحاضرة جديراً بجلال الموضوع ومكانة الرسالة .

قبل سنة ١٩١٥ هو الكتاب الذى سُرقتْ بعض فهارسه من كتاب ظهر فى أواخر سنة ١٩٢٣

رابعاً — لم يكن الشيخ المرصفى يطّلع على شيء من مؤلفات المعاصرين ، فكيف اختص الأستاذ السباعى بتلك العناية ؟ تلك والله إحدى الأعاجيب !

خامساً — كان الشيخ المرصفى أول رجل تسامَى إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء ، وكان أول رجل أقرّ « كرسى الأدب » فى الأزهر الشريف ، وكان أول رجل جعل للأديب مكاناً بين « جماعة كبار العلماء » فكان بتلك الصفات أوحد عصره بلا جدال

فماذا صنع الأستاذ السباعى فى دار العلوم ، ولن يكون إلا الرابع أو الخامس بين أساتذة تلك الدار، مع التسامح الشديد؟

سادساً — برّأ الأستاذ السباعى نفسه وطهّر تاريخه من التلمذة للشيخ سيد المرصفى ، فأين هو من تلاميذ الشيخ المرصفى وكان منهم محمد ابراهيم هلال ، ومحمود حسن زنانى ، وأحمد حسن الزيات ، وعلى عبد الرازق ، وطه حسين ؟

سابعاً — ترك الشيخ المرصفى ذخيرة عظيمة ، منها : شرح الكامل ، وشرح الأمالى ، وشرح الحماسة ، وشرح العقد الفريد، وشرح أراجيز رؤبة وأراجيز العجاج ؛ ومنها : التعقيب على لسان العرب ، والنص على أغلاط صاحب المفصّل والكشاف . فماذا صنع الأستاذ السباعى ، وكان عمره موقوفاً على نقل نصوص الكامل من مكان إلى مكان ؟ !

ثامناً — أثّر المرصفى فى عصره أبلغ التأثير ، فكان الرجل يتشرف بالانتساب إليه ، كما صنعتُ حين رثيته يوم وصل نعيه وأنا طالب فى جامعة باريس ، فكم طالباً يسرّهم أن يقولوا : إنهم تلاميذ السباعى بيومى ؟ !

تاسعاً — كان تلاميذ المرصفى يقيّدون جميع ما ينطق به ، ولو عن طريق المزاح ، وقد قيدتُ من كلامه ثلاثين كراساً ، فأين ما قيّد تلاميذ السباعى من كلامه البليغ ؟

عاشراً — دخلتْ مؤلفات الشيخ المرصفى على القلوب بدون استئذان ، ولم يدخل كتاب الأستاذ السباعى دار العلوم إلا بعد أن صار أستاذاً بتلك الدار ، وبعد أن مات الشيخ علاّم !

أما بعد ، فهذه طلائع لغزوة شريفة تنقل عقل الأستاذ السباعى من وضع إلى وضع ، وذلك فضلى عليه ، وهو واجب الصديق نحو الصديق ؛ وقد تلطّف فأشار إلى أنه سيخاصمنى خصومة أدبية ، وهى خصومة أرحب بها كل الترحيب ، لأنى أشعر شعوراً صادقاً بأنى موكلٌ بإحياء العزائم والقلوب

وقد أسرف فى الكرم فأعلن أنى لن أجترئ على الكتابة بعد أن ينشر فى « الرسالة » كلمتين !

وأقول : إنى لن أصفح عنه أو يشتغل محرراً متطوعاً بمجلة « الرسالة » ثلاث سنين ، كما قهرت أخاً له من قبل على أن يشتغل محرراً متطوعاً بجريدة « البلاغ » ثلاث سنين !

هى محنةٌ صُبتْ من شاهق على الأستاذ السباعى ، فليتحملها صابراً ، وليوطن نفسه على أن الخصومة بينى وبينه لن تنتهى قبل بداية شهر مايو ، وهو الموعد الذى حدده الشيخ الأسيوطى لنهاية الحرب بين الإنجليز والألمان ! !

وكيف يخيفنى تهديد الأستاذ السباعى وليس فى ماضيه الأدبى غير نقل نصوص كتاب الكامل من مكان إلى مكان ، وتلك مهمة يقوم بها أحد النساخين بدراهم معدودات ؟ !

أمثلى يخاف من عواقب الجهر بكلمة الحق وقد قضيت دهرى ممتحَناً بعداوات الرجال ؟

الأستاذ السباعى يهدد بمقالتين اثنتين ، وهو يعرف من نفسه أكثر مما أعرف ، فهل يتوهم أنى سأخلى له الميدان ليخاطر نفسه كيف شاء ؟ !

لقد تلطفت معه أكثر مما يجب ، ولم يحفظ جميلى ، فكيف يرانى أعطف عليه وقد تردّى بثوب العقوق ؟

ثم أما بعد ، فقد حكمت على الأستاذ السباعى بترك دروسه فى دار العلوم ليشغل نفسه بمخاطرتى ، وليقول : إن « تهذيب الكامل » أعظم من « رغبة الآمل » ، كما كان نجم الأرض أعظم من نجم السماء ! ! !

وماذا يمنع من أن يكون السباعى أعظم من المرصفى ؟ ماذا يمنع وقد اختلت الموازين وفسدت الدنيا إلى أبعد حدود الفساد ، حتى جاز للأستاذ السباعى أن يهدد صديقه القديم :

زكى مبارك

الى الدكتور زكى مبارك

خصومة أدبيــــة

للأســتاذ السباعى بيومى

أولى الـكلمتين

وعدت حضرات القراء فى عدد الرسالة الأخير أنى سأنشر فى عدديها المقبلين كلمتين اثنتين ، أتوجه فيهما بالحديث إلى صديقى الدكتور زكى مبارك . وهذى أولى الـكلمتين ، وهى كما رسمت حين وعدت ، ترمى إلى تقرير الموضوع الأصيل الذى من أجله كتب الدكتور

ألقيت محاضرة بمدرج على مبارك باشا فى دار العلوم عن « أسلوب المبرد فى كامله » وعقب انتهائى منها طلب أحد مستمعيها من طلاب كلية اللغة العربية السماح له بكلمة ، فأجبته إلى ما طلب ، وكانت كلمته أربعة أسئلة ألقاها ، رمى المبرد فى رابعها بالغرور والادعاء ، وأنه كان لا يتحرى إذا أجاب . فرأيت الموقف يقضى علىّ أن أرد عليه ، وفعلاً رددت ، وكانت إجابتى عن السؤال الأخـير تتلخص فى نفى تلك الصفات الذميمة عن المبرد نفياً قاطعاً ، استدللت عليه بأمور ، منها أن من شأن من لا يتحرز فى إجابته ألا يمسك إذا لم يتثبت ، وإنما يرمى بالقول جزافاً ، ويخترع الإجابات اختراعاً ، وعهدنا بالمبرد أنه غير ذلك ، فقد رأيناه فى كامله إذا عرض له مالا يعرفه اعترف بذلك ، خضوعاً لتلك الـكلمة الجامعة التى لا ينزل على حكمها إلا الثقات الأعلام ، وهى « من قال لا أدرى فقد أجاب » ثم أخرجت من الـكامل شاهداً على ذلك أسمعته الحاضرين ، ومنها أن من خالط قلبه الغرور وتملكه الادعاء لم يك فى مقدوره أن يخفى ذلك فى مصنفاته ، بل لا بد أن يفضحه أسلوبه

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وليس فى كامل المبرد على كثرة كسبه فيه ونسجه حول أصوله ، ما ينفى عنه صفة التواضع العلمى ، أو يلقى على أبحاثه ولو ظلاً صغيراً من الـكبرياء والادعاء

ودعماً لهذا الاستدلال الأخير فى أن أسلوب الـكاتب يشف عن خلائقــه ، قلت للسائل — وقد ذكر أنه استقى ذلك من شرح الشيخ المرصفى على الـكامل — إن مؤلفات المرصفى هى التى تنم عن خلق الغرور والادعاء فيه ، كما يعلم ذلك من اطلع على هذا الشرح ومقدمته ؛ وكذلك من اطلع على مثلهما فيما عمله بديوان الحماسة . وقلت : وإنه لتأصل هذا الخلق فيه كان شديد التحامل على المبرد والتشهير به فيما يظن أن المبرد أخطأ فيه ؛ ثم قلت : وكم كنا نتمنى للشيخ المرصفى أن يجرد علمه من غروره ، ويسبل على تأليفه ثوباً ضافياً من التواضع والاعتدال ، حتى يكون ذلك أبين لفضله وأدل على نبله

وأخيراً قلت : ولا يبعد أن تكون البيئة العلمية التى عاش فيها المبرد قد تقولت عليه ما تقولت حسداً وبغياً ، فإن علماء عهــده ما كانوا يعهدون من علمائهم إمامة فى اللغة إلا فى ناحية واحدة منها ، كناحية قواعدها ، أو ناحية مفرداتها ، أو ناحية آدابها ، ولـكن المبرد كان إماماً ذا آراء فى هذه النواحى الثلاث جميعاً ، فهم بما كانوا يتقولون عليه إنما يريدون انتقاصه شفاء لما دب فى صدورهم عليه من حقد وحسد

ولقــد خفت أن يهجس فى نفوس السامعين تنزيه قلوب هؤلاء العلماء من رذيلة الحسد فأتبعت ما سبق بقولى لحضراتهم : ولا تستبعدن الحسد على العلماء ، فإن من طبيعته أن يكون أقرب إلى الأدنين منه إلى الأباعد ، وأسرع إلى قلوب العلماء منه إلى قلوب الجهال ، وإذا ما شئتم مزيداً فى معرفة هــذه الطبيعة — طبيعة الحسد — فاقرءوا رسالة الجاحظ فيه ، وهى أكثر من اثنتى عشرة صفحة

ذلك ما قررته فى إجابتى عن السؤال الأخير ، بعد الذى قررته فى الإجابة عن الثلاثة قبله . وما كان أشده عجباً وأبعده غرابة أن تطوى صحيفة الإجابات الثلاث وقد سلخت فيها نحو الساعة ، ثم تشوه هذه الإجابة الأخيرة تشويهاً يمسخها مسخاً ، وإذا أنا أمام الواصل إلى منها كالذى يستمع إلى الآية « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة » دون ذكر هذه الجملة الحالية بعدها « وأنتم

سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فقد كان هـذا الواصل أننى وصفت الشيخ المرصفى « بكثير من الأخلاق الذميمة كالغل والحقد والحسد وسطحية البحث والتطاول الذميم » وأننى تعديت ذلك إلى « تجريح طوائف العلماء على اختلاف مهنهم وحكمت بأن طباع الحسد والحقد لا تجد لها مراحاً خصيباً كالذى تجد من قلوب العلماء »

وارحمتا للأخبار من رواتها ! فما كان منى عن الشيخ المرصفى علم الله إلا أسفى على ما خالط مؤلفاته من غرور وادعاء وتطاول على المبرد فى أسلوب غير حميد ؛ وما زلت معتقداً هذا رضى الدكتور أم سخط ، وواثقاً أن كثيراً من أهل العصر يعلمونه على ، ويعرفون كيف يستدلون عليه استدلالى . وكم كنت كما قلت فى إجابتى أتمنى خلوّ مؤلفات المرصفى من غروره ، حتى لا يذهب هذا الغرور بفضله ، وما كان منى عن العلماء شهد الله إلا أنهم فى بيئة المبرد حسدوه تنوع ثقافته وتعدد إمامته ، وأن هذا الحسد لم يك من شأن علمهم أن يبعده عنهم ، لأن الحسد كما يقولون مُوَكل بالأدنى، وهو كما ذكر الجاحظ فى رسالة الحسد : « قد صار فى العلماء أكثر منه فى الجهال ، ودب فى الصالحين أكثر منه فى الفاسقين » . وأنا بهذا الرأى لا زلت ولن أزال أدين ، وافق الدكتور أم خالف .

هذا يا صديقى الدكتور هو الأمر الأصيل على جليته ، قد بسطته موضوعاً فى نصابه مقرراً على وجهه ، لا كما تطايرت به الإشاعات بل الإشاعات المغرضة ، وأنت بما تدخله روايات السوء على الأخبار جد خبير . وقديماً قالوا : وما آفة الأخبار إلا رواتها . ولعلك يا صديقى عتبت علىّ أنى لم أجبك أول ما سئلت ، وما كان لك أن تعتب ، فتلك عادة الناس فيك وموقفهم منك . على أنى أخالف تلك العادة وأجيبك عسى أن تستريح .

تعلمْ يا صديقى أن إغفال إجابتك ما كان إلا استبعاداً عليك أن تفهم ما فهمت ، وإلا أملاً أن يردك هذا الاستبعاد إلى الحقيقة تستقيها بعيداً عنى ، من غير كاذب فيها أو مشوه لها ، وشهود المحاضرة كانوا بحمد الله كثيرين . ولا أكتمك سبباً آخر قوى هذا الإغفال فى نفسى ، ذاك هو أمرك لى أن أسارع إلى نفى ما سمعت إن كان لم يقع ، وإلى الاعتذار منه إن كان قد وقع ، وإسرافك فى هذا الإسراع تطلبه فى أول عدد يصدر من الرسالة ، وثالثة الأثافى أن تقول لى : « إلى أن يثبت أن الراوى افترى عليك ، أعلن غضبي على ما بدر منك » . سبحانك اللهم وتعاليت ! فما كان لأحد أن يقول : «ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى » إلا أنت .

تلك الثلاث يا صديقى وغيرهن كن محرضاتى على ترك أول عدد من الرسالة يصدر خلواً من نفيي واعتذارى ، لأقف على ما فى كنانتك من سهام ، ولأتذوق ما قد يصبه غضبك فى الجام . وهأنت قد اغتررت فكتبت كلمة ثانية تؤذننى فيها بخصومة تريدها أدبية ، والله أعلم بما تريد ، وترمينى فيها بفرية السرقة منك ، جاهلاً كما ستعلم فى كلمتى الثانية أنك أنت الذى افتريت وسرقت

وبعد فإن وصاتى لك يا صديقى أن تتريث ، فإن فى العجلة وبالاً عليك ، وألا تعود تغتر بسكوتى عنك ، فما مثلى ومثلك فيه إلا كما قال الأول :

ما بال من أسى لأجبر عظمه
حفاظاً وينوى من تطاوله كسرى

أظن خطوب الدهر بينى وبينهم ستحملهم منى على مركب وعر
وإنى وإياهم كمن نبه القطا ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى
أناة وحلماً وانتظاراً بهم غداً فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

السباعى بيومى

في الاجتماع اللغوى

تطور معانى المفردات

عوامله وآثاره

للدكتور على عبد الواحد وافى
مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

لهذا النوع من التطور الدلالى[1] عوامل كثيرة سنعرض لبعضها فى هذا المقال، مرجئين تكملتها إلى مقال آخر إن شاء الله

١ — عوامل تتعلق بانتقال اللغة من السلف إلى الخلف. فكثيراً ما ينجم عن هـذا الانتقال تغير فى معانى المفردات. وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذى يفهمها عليه الجيل السابق. ويساعد على هـذا الاختلاف كثرة استخدام بعض المفردات فى غير ما وضعت له عن طريق التوسع أو المجاز. فقد يكثر استخدام الكلمة مثلاً فى جيل ما فى بعض ما تدل عليه، أو فى معنى مجازى تربطه بمعناها الأصلى بعض العلاقات، فيعلق المعنى الخاص أو المجازى وحده بأذهان الصغار ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد. وإليك مثلاً كلمة saoul الفرنسية؛ فقد كان معناها فى الأصل «الشبعان» من الطعام، ثم كثر استخدامها فى عصر ما فى النشوان من الخمر، عن طريق المجاز والتهكم، وللتحرج من استخدام الكلمة الصريحة فى هذا المعنى وهى ivre. فعلق هذا المعنى الجديد وحده بأذهان الصغار فى هذا الجيل، وتحول إليه مدلول هذه الكلمة فأصبحت صريحة فيه[2]، وانقرض معناها القديم فى لغة التخاطب

وإلى هذا العامل ترجع أهم الأسباب فى تحول الكلمات إلى معان كانت مجازية فى الأصل، وفيما يعترى المدلولات فى نطاقها من سعة أو ضيق. بل إن طائفة من العلماء، على رأسها العلامة هرزوج Herzog قد رجعت إلى هذا العامل وحده كل ما يحدث من تطور فى الدلالة[3]

٢ — وكثيراً ما يتغير مدلول الكلمة على أثر انتقالها من لغة إلى لغة؛ فقـد يخصص مدلولها العام، وتقصر على بعض ما كانت تدل عليه فى لغتها الأصلية، وقد يعمم مدلولها الخاص، وقد تستعمل فى غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين، وقد تنحط إلى درجة وضيعة فى الاستعمال فتصبح من فحش الكلام وهجره، وقد تسمو إلى منزلة راقية فتعتبر من نبيل القول ومصطفاه... كما أشرنا إلى ذلك فى بعض مقالاتنا السابقة

٣ — وقد يكون العامل فى تغير معنى الكلمة أن الشىء نفسه الذى تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به... وما إلى ذلك. فكلمة «الريشة» مثلاً la plume كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلى تبعاً لتطور المادة المتخذة منها آلة الكتابة، فأصبحت تطلق على قطعة من الحديد مشكلة فى صورة خاصة. والقطار كان يطلق فى الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم فى السفر والنقل، ولكن تغير الآن مدلوله الأصلى تبعاً لتطور وسائل المواصلات فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية. و«البريد» كان يطلق على الدابة التى تحمل عليها الرسائل، ثم تغير الآن مدلوله تبعاً لتطور الطرق المستخدمة فى إيصال الرسائل، فأصبح يطلق على النظام والوسائل المتخذة لهذه الغاية فى العصر الحاضر. و«بنى الرجل بامرأته» كانت تستخدم كناية عن دخوله بها؛ لأن الشاب البدوى كان إذا تزوج يبنى له ولأهله خباء جديداً؛ ولا نزال نستخدم هـذه العبارة كناية عن نفس المعنى مع أن الزفاف لا علاقة له فى نظامنا الحاضرة بالبناء. وقد جرت العادة فى بعض العصور بفرنسا أن يقضى المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة مدة عقوبتهم فى أعمال التجديف على ظهر السفن الملكية؛ ومن ثم جاءت عبارة envoyer aux galères ووصف galerien ولكن تغير الآن مدلولها، مع بقائهما فى الاستعمال، تبعاً لتغير النظم المتصلة بهذه العقوبة ونوعها

٤ — عوامل تتعلق باختلاف الطبقات والجماعات. فكثيراً ما ينجم عن اختلاف الناس فى طبقاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى. ويؤدى إلى ذلك ما يوجد بين الطبقات الناطقة باللغة الواحدة من فروق فى الخواص الشعبية

---

(١) ذكرنا فى المقال السابق أن التطور الدلالى ينتظم ثلاثة أنواع: تطور القواعد، وتطور الأساليب، وتطور معانى المفردات (٢) لا تقل الآن كلمة saoul عن كلمة ivre فى صراحتها فى التعبير عن النشوان إن لم تزد عنها فى ذلك

(٣) "V. Meillet : Comment les mots changent de sens" dans " L'Année Sociologique " T. 9. p. p. 6, 7. — V. aussi Herzog : Streitfrangen der romanischen Philologie.

والجسمية والنفسية ، وفى شؤون السياسة والاجتماع والثقافة والتربيـة ومناحى التفكير والوجدان ومستوى المعيشة وحياة الأسرة والتقاليد والعادات ... ، وفى الظروف الطبيعية والجغرافية المحيطة بكل جماعة منها ، وما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف ، والآثار العميقة التى تتركها كل وظيفة ومهنة فى عقلية المشتغلين بها ، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته ، وإنشاء مصطلحات خاصة بصـدد الأمور التى يكثر ورودها فى حياتهم ، وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات فى غير ما وضعت له ، أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم ... وهلم جراً . فن الواضح أن هذه الأمور وما إليها من شأنها أن تخرج بالـكلمات عن مدلولاتها الأولى وتوجه معانيها فى كل طبقة وفى كل جماعة وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها فينشأ من جراء ذلك ما يعرف « باللهجات الاجتماعية » التى تكلمنا عنها فى مقال سابق

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

٦ـ أومنُ بالانسـان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

بين الغفلة واليقظة — صيحة فى أذن الانسان — لو ، ولعل ، وربما — لا ملام على الأقدار — لم تفت الفاية — نقطة البدء فى الحياة الفكرية — الجناية الأولى — حادث عظيم — آثار من الوثنية — الوضع الأصيل للدين — ديانة الحياة

حينما أعس وأندس إلى مجلس فى مقهى بلدى حقير أرقب الحياة الإنسانية فى بعض جوانبها ، وأتفرس فى وجوه القوم ونواصيهم ، وأتسمع إلى أحاديث دنياهم وآمالهم وأعمالهم ، وأتتبع نظراتهم للحياة فأجدها لا ترتفع إلى شىء سام ، ولا تدور حول قضية من القضايا العليا للحياة ، ولا تفكر فى مبدأ أو مصير ، ولا تتساءل عن صلاح أو فساد ...

وحينما أقذف بجسمى فى زحمة سوق من الأسواق بين ضجيج الحركات والأصوات والأبواق وصفقات الأيدى الحائلة على الأيدى المختولة فى العقود والمبايعات ، وسائر الارتفاقات والمشاحنات وحينما أرصد حياة الأفراد اليومية . فأجدها سلسلة من الغفلات والأكلات واللذات والأعمال الآلية التى لا استحضار فيها لمعان كريمة ، ولا يقظة فيها إلى أسرارها ومآل الإنسانية بها ... وإنما هى دورات رحوية وسير أعمى وراء دولاب الحياة من غير سؤال : إلى أين المسير ؟

حين هذا كله أجد فى نفسى كأن الإنسانية عريقة فى غفلتها وذهولها ، وكأنها خلقت لهذه الغفلات ولن تكون لغيرها ، ولن تكون لحياة أخرى وراء هذه الحياة ... وكأنها منفصلة عن حياة الطبيعة الحادة الواعية العادلة الموزونة انفصالاً يكاد يجعلها عالماً مستقلاً ...

ذلك وحى رؤيتى لغفلات الناس وانقطاعهم عما يدور فى الأكوان ، وإهمالهم التفكير فى مبدأ الحياة ومنتهاها وفى خفايا الطبيعة وأسرارها ...

وحين أجلس مجلساً تثار فيه الأفكار عن الـكون والفساد والحقائق والأباطيل وتصول فيه العقول وينبرى بعضها لبعض بالاعتراض والرد والتعليق والتشقيق والبيان الساحر والحجج اللاقفة ...

أو حين أقرأ كتاباً يعرض فكرة من أمهات الأفكار ويسيل به سيلها فيفيض على الفكر والفؤاد ...

أو حين أرى آلة معقدة التركيب تطير أو تسير أو تخفق بالأصوات والبرقيات مما أخرجه عقل مهندس ذى قدرة على الاستيعاب والتقليد والابتكار ...

أو حين أرى شيخوخة جليلة واقفة فى محراب تتلو صلوات أو ترتل آيات فى إطراق وخشية واستحضار لعظمة الـكون وجلال بارئه ...

أو حين أسمع نشيداً من شاعر ذى قلب اتسع وتيقظ للأحاديث الصامتة والناطقة فى الطبيعة ، واسترق السمع للنغم الدائب فى الـكون ، والموسيقى الأبدية فى حركات نجوم السماء ونجوم الأرض ...

حين هذا وذاك وذلك أقول : هنا موضع تكريم هذا الجنس ومؤهلات خلافته ...

هنا الإنسانية التى تقنع العقل الحائر بقيمته وقيمة الطبيعة وقيمة الخير والحق والجمال

هنا وضوح وانكشاف لمعنى سيادته وملكوت واسع يصح

أن نستند إليه فى تخيل مستقبله وفى تبين موضعه وسط ما يعمر الكون من المخلوقات ...

ثم أصيح : أيها الإنسان ! تيقظ لنفسك لتفرح بها . . .

تيقظ إنك حى تسمى وترى وتفكر وتتجه فى أى اتجاه تريد وسط الظلام والجماد والنور والصمت والبكم والصمم والعمى

أنت الذى تفقه وتدرك تلك الحياة التى لا تجد غير عينك وأذنك وسائر حواسك

تذكر أنك المقصود بكل هذا الذى يحيط بك وأنك خليفة على مقدرات الأرض وأن فى يدك قوة من قوى التعمير والإنشاء والتوجيه والتغيير والتنويع والتفريع ، وذلك شرف عظيم !

تيقظ واهتف فى سمع الزمان والمكان : أنا أنمو وأرقى وأتكلم وأفكر وليس أمامى حدود وسدود أيتها الخلائق الواقفة المحدودة ...

واجلس بجانب الجماد والنبات والحيوان فترات لترى الفوارق بينك وبينها ... ولن يغفر خالق الإنسان لامرئ جاء إلى الحياة ولم يجلس مجلساً بين هذه الكائنات يوازن بينها وبين نفسه ويحدد موضعه منها ، ثم يرفع عينه إلى السماء ويخفضها إلى القبر حتى يرى الطريق بينهما . . .

تيقظ إلى الذى مسنا بالحياة ونحن نجهلها ونجهله ، وأخرجنا ذاهلين إلى ضحى النهار وسواد الليل ، وأرانا مشاهد ثابتة صارمة فى السماء ومشاهد مَرِنة متغيرة فى الأرض ، وبدأ حياتنا من نطفة ، ومَطَّ أجسامنا من مضغة لحم ملقاة فى ظلمات الأرحام إلى أجنة مكتملة التخليق إلى أطفال دراجين إلى غلمان يافعين إلى مراهقين متفتحين إلى شبان مشبوبين إلى كهول وشيوخ منتظرين لا يعلمون وراء أيامهم أياماً ...

إلى الذى أدار الشمس أمام عيوننا دوراناً يبلى فى أجسامنا نسيجاً وينسج آخر ، ويزيد فى أفكارنا صوراً وينقص أخرى ، ويطوى الأيام تحت أقدامنا سفراً فى الزمن ، ثم يطوينا بالأيام عضواً عضواً وذكرى وراء ذكرى ...

إلى الذى فتح فى نفوسنا نهماً لا يشبع من أطايب الوجود وحقائق الوجود ، ثم سجننا فى سجون القبور إلى يوم النشور ...

إليه منا نحن الذين نبحث عنه منذ أن دخلنا عالم الفكر ونتنظره وراء الأستار ونقرع باب الزمان والمكان فى غرة كل يوم وقَفَا كل مساء نسائل عنه ، ومعنا عيون تقود وأقدام تسير وقلوب تتلفت وراء كل ورقة فى كل شجرة وكل ذرّة فى كل مَدَرَة . وتنظر فى الوجوه والعيون والألسنة ، وما يزحف وما يمشى وما يطير وما تحمله الريح وما يحمله الماء والأثير وما تحمله قوة القوى : الفكر !

أواه ! أية غفلة هذه التى تنشى الناس وتتركهم عمياً ذاهلين عن مجىء الحياة بهم من غير اختيار إلى دار العجائب وعن سيرها بهم إلى دار المجهول ! وعن سير الشمس والقمر وتوارد الأيام وسقوط الأمطار وأسفار الرياح إلى مختلف النواحى !

ثم أية غفلة هذه التى تنشى عقولهم وتصرفها عن الفكر فيمن جاء بهم وسيذهب ... ذلك الذى استتر وأصر على تكبره واختفائه؟

* * *

ولو دخل الإنسان الدنيا بكامل نفسه وفكره حين يولد ، ولم يدخلها فى غيبوبة الطفولة وذهولها وتدرجها به من البسائط إلى المركبات إلى المعقدات وهو فى شغل عن الأسباب والمسببات إذاً لخرج منها مجنوناً بمجرد دخوله إليها من شدة الفجأة ودهشة العجب !

ولعل الله الخالق المبدع شغل أكثرهم بصغائر الحياة والنزاع عليها ، وجعلهم كالقطيع الغافل المرتاح السادر فى غفلته وعماه عن المعلوم والمجهول من أمور الحياة ... وأخرجهم فى خطوط مرسومة وحلقات مفرغة ليعملوا فى الأرض كما تعمل الثيران فى الطواحين ... تدور وهى لا تعلم أنها تدور ولماذا تدور ... وضربهم بفتنة الدنيا ، فزاغت منهم الأبصار عن الحقائق إلا فى فترات الدين والصلوات ... وحتى هذه أدركوها وهم فى خمار المادة وسمار الشهوات ، إلا قليلاً منهم وهم العارفون المدركون لأرصاد الطبيعة وشىء من تدبير الله فيها ... لعله فعل هذا ليخفف عنهم دهشة الفكر فى أعاجيب صنعه التى كلما زاد فيها الإنسان تفكيراً زاد حيرة ...

وهؤلاء العارفون لو اطلعوا على الغيب لاختاروا الواقع وانصاعوا تحت حكم الأقدار ، ولو فى مقارفة الأضرار والأوصاب ، إذ قد عرفوا أنهم لا بد أن يخضعوا ليشتركوا فى حبك الخديعة التى أرادها الخالق المبدع لأطفال الحياة الذين هم جمهور الإنسانية العاملة التى عليها عمار الأرض بالأسلوب المادى المعروف

وربما كانت غرائز القطيع العنيفة هى التى تنمى حركة الحياة الدنيا وتوسع آفاقها ، كما ينمى عنف غرائز الطفل مستقبله ويوسع من آفاق حياته ...

إذاً ، فلا ملام على الأقدار التى تدبر كل شىء وتضعه بميزان ولا يجوز مطلقاً أن نتوهم أن حياة الإنسان بما فيها من أزمات ومآثم قد خرجت على الأقدار ، وأنه قد فاتت على الله الغاية من خلق هذا النوع — كما توهم بعض من كتب إلىّ منذ حين — فإن الإنسانية لا تزال فى دور تفتح المدارك واستقبال الشباب ، والشباب فيه لوثات كثيرة ، ولا بد أن تتدرج إلى أدوار الرشد الخالص فى كهولتها وشيخوختها ، وأن تحقق الغاية من خلقها كما أرادها ربها ...

وكل مآثم الحياة الإنسانية وأزماتها قد تغتفر ويجد الفكر لها تعليلاً ، إلا الكفر بخالق الحياة أو الإشراك به !

وكذب من يريد خديعة نفسه وخديعة الطبيعة وخديعة رب الطبيعة !

ذلك الذى يريد أن يفرض للحياة الفكرية الإنسانية مبدأ غير نقطة البدء التى يراها الفكر أول حياته ومفتاح عالمه ...

كذب وضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً ، وقلب الحياة على أم رأسها وأم رأسه !

إن نقطة البدء فى الحياة الفكرية ، هى الفكر فى صاحب الدنيا : هذا البيت الكبير الهائل الذى جاء بنا إليه وأسكننا فيه من غير اختيار منا ... الفكر فيه حتى نعرفه وندرك طرق تسييره للحياة والطبيعة ، فنسير على خطواته وأسلوبه ...

إنه مجهول للحواس ولكنه معلوم للفكر ... وقد رأينا ظل يده يقع على كل شىء ويضع كل شىء فى موضعه

ومن أضلُّ ممن يأخذ أطفال الحياة أول نشوئهم ويباعدهم عن نقطة البدء هذه ويضعهم فى مكان سحيق ، فيستمر أول الطريق عندهم مجهولاً وآخره مجهولاً ، ووسطه مختلطاً مشوشاً كذلك !

الجناية الأولى هى إهمال الفكرة الأولى : وهى السؤال عمن جاء بنا إلى هنا ، ويمضى بنا كعابرى سبيل . ومن وراء الجناية الأولى تتلاحق أخواتها التى تجعل الحياة أغلاطاً مسلسلة

***

إن انفصال جنين إنسانى من رحم أمه حادث عظيم ينبغى للإنسانية أن تتلفت إليه وتوليه أجل عناية ؛ فلعل فى الوليد حلقة جديدة فائقة تحمل سراً جديداً من أسرار تكوين هذا النوع

ولكن الإنسانية أو الدولة تجنى على نفسها إذ تهمل وصل كل عقل ناشئ بمفتاح الحياة ، ومفيض فيضها وموصل رحماتها

وكأن الوثنية لم ترتفع ببعض آثارها من الأرض للآن ...

وما الوثنية ؟ هى انصراف العقل الإنسانى عن الفكر فى مصدر الحياة وما يليق له من الكمالات وعن شكره الدائم ما دامت آلاؤه وفيوضه تملأ النفس بالحياة وتتواتر على الجسم ... ثم الركون إلى حجر أو بشر أو شىء من الأشياء ينسى الإنسان معه الإحساس بالحياة ورب الحياة ويستغرق فى ذلك النسيان حتى يتعبد ويلوذ بما ركن إليه ...

وها نحن أولاء نرى فى هذا العصر آلهة منصوبة من المتاع والشهوات والآلات والأعمال والصناعات يستغرق عقل الإنسان فيها حتى ينسى صاحب الحياة ...

قد يظن ظان أنى مغال فى الصوفية حين أدعو إلى أن يكون عقل الإنسان دائماً مرآة لشعاع ساقط من سماء الله ... ولكن هذا هو الوضع الأصيل الحقيقى للدين على ما أفهمه وعلى ما فسرته به فى مقال سابق من أنه الإحساس الدائم بالحياة والفكر فى مبدعها لتكون لذاتها وآلامها وأطرابها وأوصابها صوراً وألواناً من العبادة ...

والإسلام الذى هو دين الطبيعة ودين الحياة قد رسم لنا هذا حين سن رسوله أن يذكر اسم رب الحياة عند الأكل والشرب والجماع وسائر الأعمال والآلام ، حتى عند ما يريد الإنسان أن يدخل المكان الذى يخرج فيه ما فى جوفه من الأذى ... !

ولن يكون الدين غير هذا ... فليحمله فى نفسه من شاء ، وليتركه من شاء ...

***

ألا إنها « ديانة الحياة » التى تستحق وحدها أن يحيا الإنسان بها ويسعى جاهداً فى سبيلها لتحقيق غاياتها ...

وغاياتها : العقيدة الثابتة التى لا تتزعزع بخالق الحياة الواحد وحفظ الحياة نقية قوية متجددة كما هى فى الطبيعة ... ورصد قوانين الطبيعة التى تسير الحياة بنظام دقيق فى الجليل والحقير ...

أيام الرواق . . .

للأستاذ محمد محمد المدنى

الرواق العباسى هو أشهر أروقة الجامع الأزهر ، وكان الأستاذ الامام محمد عبده عليه رضوان الله ، يلقى فيه دروسه التاريخية التى هى من مفاخر الأزهر ، وقد شهد الرواق فى الأيام الماضية القريبة مناقشات الرسائل الفقهية التى تقدم بها طلاب الأستاذية من كلية الشريعة ، وكانت هيئة الامتحان برياسة فضيلة الأستاذ الامام المراغى الذى انتهز هذه الفرصة ليلقى على الأزهريين أنفع الدروس ، ويضرب لهم أحسن الأمثال ، فما أشبه الليلة بالبارحة !

شفاك الله يا صاحب « الرسالة » ، وألبسك ثياب الصحة ضافية ، وأدالك من هذا المرض عافية سابغة كما يتمنى لك أصدقاؤك ومحبوك !

فى مثل هذه الأيام من العام الماضى ، كنت تكتب ، وكنا نكتب معك عن « فقهاء بيزنطة » الذين شغلوا الناس عما يجدى من العلم النافع ، والفقه المفيد ، بالجدال فى المحراب والشيطان وفائدة الأربعاء ، كما شغلوهم من قبل فى زر العمامة : « أيبتر أم يُضفى ، وفى شعر الذقن أيُحفى أم يُعفى ، وفى قبور الموتى : أتسوّى بالأرض أم تقام ! »

وكنت تأسف ، وكنا نأسف معك ، على الواقع الذى يكسف البصر ، ويرمض الفؤاد ، ويثير الظنون ، من أن أحداً من هؤلاء السادة لم يضم إلى المكتبة الإسلامية — على كثرة ما أرغموها عليه من رسائلهم — سفراً واحداً يشرح للناس عبقرية هذا الدين ، وفلسفة تشريعه ، ووجوه إصلاحه ، وأسباب خلوده ، على ضوء العلم الكاشف ، ونظام التأليف الحديث !

فليتك الآن كنت معافىً طليقاً ، لم يقعدك هنا العاقد الكريه ، لتشهد معنا « أيام الرواق » !

إذن لرأيت فقهاء من غير الطراز الذى أثار بالنقد قلمك ، وأسال باللوم والتثريب بيانك ، ولرأيت الأزهر يكتب صفحة خالدة سوف تسجل فى تاريخه العلمى بيضاء ناصعة ، وسوف يتحدث عنها الأبناء والأحفاد كما نتحدث نحن عن صفحات الفخار فى ماضينا المجيد !

لم يكن الإمام المراغى فى هذه الأيام رئيس هيئة الامتحان فحسب ، ولو أراد ذلك واكتفى به لمرت هذه الأيام كما تمر غيرها من أيام الأزهر ، لا تلفت نظراً ولا تثير عبراً ، ولكنه أراد أن ينتهزها فرصة يضرب فيها للأزهريين جميعاً أروع الأمثال فى شتى نواحى العلم والفقه والتأليف والإفصاح !

فرأيناه وهو يناقش رسالة « النسخ » يأخذ على صاحبها أنه نقد أبا مسلم الأصفهانى نقداً مراً ، وتعصب عليه تعصباً ظاهراً ، لا لأنه هدم فكرته ، ووصل إلى أنها باطلة بالدليل العلمى الواضح ، ولكن لأنه يخالف جمهور العلماء وأكثرية المفسرين القائلين بوجود النسخ فى القرآن

وجه الأستاذ الأكبر هنا درساً نحب أن يلتفت إليه الأزهريون وأن ينتفعوا به ، فإنه قال للطالب : لقد كنت قاسياً على أبى مسلم فى غير ذنب جناه ، ولا شطط صار إليه ، فإن هؤلاء الذين قالوا بالنسخ فى القرآن مثلوا له بآيات بلغت عدتها عشرين آية ، فجاء الفخر الرازى وناقشهم فى تسع منها أو ثمان فظهر له أنها لا ينبغى أن تعد من باب النسخ ، فإذا جاء أبو مسلم ونقض بقية العشرين مبيناً بالدليل والبرهان ما صار إليه ، أيكون مستحقاً لهذا اللوم العنيف ، وكيف تحرمون على أبى مسلم ما تبيحون للفخر الرازى ؟

ورأينا الأستاذ الأكبر فى مناقشته لرسالة الزكاة ، ثم فى مناقشته لرسالة الحجر ، مثال العالم الذى درس نظم المعاملات دراسة موضوعية وافية ، وأدركها إدراكا صحيحاً ، فأصبح بصيراً بكل ما حوله ، لا يُخادَع ، ولا يُغالَط فيه .

تجلى هذا المعنى مرة فى رسالة الزكاة ، فقد أراد الطالب

واستخدام تلك القوانين لصنع موجودات جديدة على النماذج والأساليب التى فى الطبيعة ... وعدم الغفلة والذهول حتى لا نرى نهار اليوم كنهار أمس ... فلا يكون الزمان عندنا يوماً مكرراً مملولاً ، ولا يكون إحساسنا بالحياة واحداً فى مراحل عمر الفرد وعمر الجماعة ، فإن ذلك إحساس جسدى فقط بالحياة ... ووراءه إحساس فكرى روحى عند من لهم إخلاص الفكر فى الكون ...

أولئك الذين يرون كل يوم جديداً ... ثم يسبقون الحياة والزمن ... ثم يموتون ليولدوا مرة ثانية من بطن الدنيا ليروا مشاهد أخرى جديدة ... فإن العالم لا ينتهى أمده عند رؤية النفس والأرض والنجوم

وإن الذى صنع هذا العجب الذى نراه ، لا بد قد صنع غيره لا نراه

عبد المنعم خلاف

أن يعتبر (البنكنوت) من جنس الحوالات بالديون ، فسأله الأستاذ الأكبر : هل تحققت فى هذه الأوراق شروط الحوالة بالدين من رضا المحال والمحال عليه ، حتى تكون حوالة صحيحة ؟ ثم أفاض فى شرح اقتصادى تاريخى لنظام التعامل بالورق قديماً وحديثاً جلّى به المسألة للسامعين ، وضرب بهذه الدراسة الوافية أحسن الأمثال لمن يريد أن يصل إلى استنباط فقه جيد مستقيم !

وتجلى هذا المعنى مرة أخرى فى رسالة الحجر ، فقد قرر الطالب أن قانون المجالس الحسبية قد أخذ بمبدأ معين ، فأنكر عليه الأستاذ الأكبر ذلك ، وسأله عن مرجعه الذى اعتمد عليه فى تقريره ، فظهر أنه اعتمد على سؤال شفوى وجهه إلى أحد العارفين بنظام المجالس الحسبية واطمأن إلى جوابه ! وهنا ألقى الأستاذ الأكبر درساً عاماً فى الأمانة العلمية ، وما يجب على الباحث من التحرى وطول الصبر والأناة حتى لا يقع فى مثل هذا الخطأ الكبير !

وقد أثار الأستاذ الأكبر فى مناقشته لرسالة الطلاق مسألتين تستوقفان النظر ، وتستحقان البحث والدرس

إحداهما : أن الطالب كان يقرر أن الشريعة الإسلامية إنما أعطت حق الطلاق للرجل دون المرأة ، لأن الرجل أسمى من المرأة تصرفاً وأرجح عقلاً ، وأقدر على أن يحسن استعمال هذا الحق فيسمو به عن مواطن العبث ومواقع الهوى والغرض

فقال له الأستاذ الأكبر وهو يحاوره : إننا أولاً لم نجرب المرأة لنعرف إن كانت تستطيع أن تحسن استعمال هذا الحق لو أعطى لها أو لا تستطيع ، ولكننا إذا نظرنا إلى الرجل وجدناه قد أساء استعمال هذا الحق إساءة أصبحت مضرب الأمثال ، فهو يقسم بالطلاق حين يبيع ويشترى ، ويقسم به حين يمزح مع أصحابه ، ويقسم به حين يلعب النرد ، ويقسم به فى كل تافه من الأمر ، فإذا كانت العلة تدور حول إحسان استعمال هذا الحق أو إساءته ، فها هو الرجل قد أساء ، فهل لنا أن ننتزع منه هذا الحق لنضعه فى يد القاضى ؟ وحينئذ لا يجوز للزوج أن يطلق زوجته إلا أمامه ، فنكفل بذلك مصلحة الرجل والمرأة معاً ، ونجعل بذلك رباط الأسرة فى يد أمين بعيد عن الهوى ، خال من الغرض ، قدير على التدبر والنظر والموازنة والحكم العادل!

هكذا أورد الأستاذ الأكبر سؤاله واضحاً لا يكتنفه غموض، جلياً لا يحيط به لبس ولا تعقيد ، ولكنه مع ذلك كان حريصاً على ألا تنسب إليه هذه الفكرة ، على أنها أمر قد بُت فيه وفرغ منه ؛ ولكن على أنها سؤال قابل للمناقشة والبحث ، ولذلك قال للطالب : إنى سائل فقط ، ولست قائلاً بهذه الفكرة ، ولا مقترحاً الأخذ بها ، ولا مشيراً بتشريع فيها !

ومسألة أخرى فى رسالة الطلاق ، عرض لها الأستاذ الأكبر ، وشرحها شرحاً وافياً ، ذلك أنه ورد فى الصحيحين أن الطلاق الثلاث فى لفظ واحد كان سبباً فى وقوع طلقة واحدة فقط على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة الصديق رضى الله عنه ، وفى صدر من خلافة عمر ، ثم قال عمر رضى الله عنه : إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه . فهل لعمر بوصفه إماماً للمسلمين أن يشرع ما لم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل له أن يبطل سببية معتبرة شرعاً ويضع موضعها سببية أخرى ؟ وكيف ذلك مع أن الحكم بسببية صيغة من الصيغ فى استتباع أمر ما مما اختص به الشارع دون سواه ؟

يقول الأستاذ الأكبر : إن عمر لم يبطل سبباً ، ولم يضع سبباً ، وإنما رأى مصلحة فى أن يمنع الناس من بعض ما أبيح لهم من قبل ، ذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثاً فى لفظ واحد لم يلحقها بذلك إلا طلقة واحدة يباح للزوج معها أن يراجعها ما دامت فى عدتها ، ويباح له أن يتزوج بها مرة ثانية إذا خرجت من هذه العدة بدون أن تنكح زوجاً غيره ؛ فكل ما فعله عمر أنه منع الأزواج من هذا الحق الذى كان مباحاً لهم ، فأصبح الزوج لا يستطيع أن يراجع زوجته من هذا الطلاق وهى فى عدتها ؛ وأصبح لا يستطيع أن يعقد عليها إذا خرجت من عدتها إلا بعد أن تتزوج سواه ويطلقها ، وإنما منعهم من ذلك لمصلحة رآها . ومن المقرر أنه يجوز للحاكم أن يمنع الناس من شىء كان مباحاً لهم من قبل إذا كان للصالح العام مصلحة فى ذلك

هكذا قرر الأستاذ الأكبر المسألة على هذا الوجه ، وفيها بعد ذلك وجه آخر لم يعرض له فضيلته هنا ، ولعله عرض له فى مذكرة قانون الطلاق سنة ١٩٢٨

بين رجال الدين والفلسفة

تمهيد . . .

للأستاذ محمد يوسف موسى

هذا موضوع لا زلت به حفياً وله متطلباً . تصديت لبحثه منذ زمن ، وقرأت لأجله كثيراً من المراجع التي أرّخت الإسلام وحالة العلم والعلماء في العصور المختلفة . وقد أعلم أن بحث الخلاف بين رجال الدين والفلسفة أبيّ الزمام عسير العلاج ، وأنه حرى أن يجعلني مرمى النظر الشزر وغرض الألسنة الحداد . ولكن الأيام وما خلعته من قداسة على بعض رجال الدين حالت دون نقد ما كان لهم من آراء وأحكام بالتحليل والتحريم والإيمان والتكفير ، وما كان لهذا من أثر جعل كثيراً يجمدون مع الزمن ويأبون إلا أن يجعلوا أصابعهم في آذانهم . ولكن الخصومة المشبوبة النار بين أنصار القديم وبين أنصار الجديد في الأزهر وغير الأزهر ؛ لكن هذا وذاك جعلني أستسهل الصعب ، ولا أتهيب الخطر ، وأحاول أن أبين ـ بعد استعراض مراحل هذا الخلاف وألوانه ومظاهره عصراً بعد عصر ـ أن ما كان يوماً ما بين الدين وبين الفلسفة ، بل كان بين بعض رجال الدين وبين الفلسفة لبواعث يرجع بعضها لحب الدين والعمل على الذب عنه ، وبعضها يرجع للجهل والتعصب وحب الرياسات . هذا واجب يتعين على بعضنا أن ينتدب له نفسه ؛ لأنه مما يوجع القلب ويحز في الصدر ألا يزال الكثير — حتى في هذه الأيام — يرى ما كان يراه بعض الذين اتخذوا الدفاع عن الدين وسيلة لذيوع الاسم من أن هذا الفيلسوف ملحد وذاك كافر من غير بينة أو دليل ، إلا ما سمعه عن أحد أولئك الذين تقدم بهم الزمن ، دون أن يكلف نفسه محاولة الاطلاع على شيء من الآراء التي كانت السبب في الحكم بالكفر أو الإلحاد في الدين ، ودون أن يتعرف البواعث الحقة التي بعثت على هذه الأحكام ليعرف ما كان منها لله وما كان للدنيا وزينتها ! وأحب قبل كل شيء أن أجلو أمري وأشرح قصدي من هذه المحاولة .

١ — لست من القائلين ببقاء القديم على قدمه ، ولا من الذين يعيبون بعض الشيوخ لما شبوا عليه ، وانطبعوا بمرور الأيام به ، من الحياة حسب مناهج القرون الماضية وأساليبها ، والعزوف عن الجديد والتخوف منه ، وعدم القدرة على تحضير البحوث العميقة الشاملة التي تحتاج لكثير من مراجع لا طاقة لهم بالرجوع إليها .

٢ — ولست لهذا من الذين يرون أن شخصية الأزهر العلمية منوطة بجماعة كبار العلماء وما يقدمون من رسائل لا نعلم عنها شيئاً إلا أنها تتفق ومبلغ جهود مقدميها ، وإلا أنها صور لا يستغنى عنها المؤرخ لأنها تعبر عن الحياة التي حيوها والنهج الذي درجوا عليه

هذه الشخصية العلمية للأزهر يجب أن يخلقها — إن كانت غير موجودة — الشبان الذين واتهم الوسائل ، أو تهيأت لهم السبل ، وعرفوا طرق البحث وأساليبه ، وعلى حبل الذراع منهم ما يدنيهم من الغاية ويقربهم من القصد . فلنقتصد من أجل هذا في اللوم ، ولنعمل على تدارك ما عجز عنه الآخرون غير ملومين ، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

إن في ميدان العمل لمتسعاً لجميع الجهود الصادقة . هناك مثلاً كتب علم الكلام في حاجة شديدة لمن ينفي عنها ما دخلها من آراء غير صحيحة النسب لمن تعزى إليهم من الحكماء والفلاسفة وغيرهم من أصحاب المذاهب الكلامية . هذه الكتب يجب أن يتوفر على دراستها نفر من الأكفاء الذين درسوا علم الكلام على النحو المعروف في الأزهر ، وآخرون من الأزهريين الذين درسوا الفلسفة الإغريقية في مصادرها الصحيحة ، ليكون في مقدورهم تقويم ما فيها من تلك الآراء ونسبة ما يصح منها لأصحابها ، وتبيين ما دخل علم الكلام من فلسفة اليونان تبييناً

أما بعد . فهذه أمثلة مما اضطلع به فضيلة الأستاذ الأكبر الإمام المراغي من توجيه للأزهريين في « أيام الرواق » لم نقصد بها إلى الاستيعاب وإنما أردنا تنبيه الأساتذة والإخوان والأبناء إلى وجه العبرة منها ليستخلصوه وليعتبروا به ، وليعلموا أن مجال العلم والتحقيق أوسع وأجدى مما يتصوره عليه سادتنا الأعلام « أعضاء الجماعة » ، أولئك الذين قضوا عاماً كاملاً يتناقشون في حملة العرش ، وما صفتهم ، وهل هم أوعال أو غير أوعال !

محمد محمد المدني

المدرس بكلية الشريعة

فتنـــة الزَّنج

ورثاء البصرة فى شعر ابن الرومى

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ٢ —

خلاصة

جئنا فى مقالنا الأول عن فتنة الزنج[1] على مبدأ ظهور صاحب الزنج وبدء فتنته واستيلائه على العبيد والزنوج وخروجه بهم على الولاة حتى دخل بهم البصرة وخرّبها فى شهر شوال من سنة سبع وخمسين ومائتين . وكان دخوله إليها وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت منه ، فأباحها صاحب الزنج لأتباعه ليلة ويومين يفعلون بها وبأهلها ما شاءوا .

رثاء ابن الرومى

بدأ ابن الرومى قصيدته فى وصف هذه الحال بهذه البداية الجازعة :

ذاد عن مقلتى لذيذ المنـام   شغلها عنه بالدموع السجام

أىّ نوم من بعد ما حل بالبصـ   ـرة ما حل من هنات عظام ؟

أى نوم من بعد ما انتهك الزنـ   ـج جهاراً محارم الإسلام ؟

إن هـذا من الأمور لأمر   كاد ألا يقوم فى الأوهام

ومن هذه البداية يشعر القارئ بما يريد ابن الرومى أن يوحى إليه من الجزع والتهويل والتقديم لأمر عظيم « انتهكت به محارم الإسلام » حتى أن هذا الأمر العظيم يكاد ألا تصدقه الأوهام

ثم ينتقل بعد هذا الإيحاء وإثارة الغضب والسخط فى قلب سامعه وقارئه إلى وصف ما يريد فيقول مجملاً فى بيت واحد :

أقدم الخائن اللعين عليهـا   ـ وعلى الله ـ أيّمـا إقدام

ثم يعود بعد هذا الإجمال البارع إلى ما فى نفسه من الحزن واللهفة على ما أقدم صاحب الزنج من أمر فيقول هذه الأبيات :

لهف نفسى عليكِ أيتها البصـ   ـرة لهفاً كمثل لهب الضرام

لهف نفسى عليك يا معدن الخيـ   ـرات لهفاً يعضنى إبهامى

لهف نفسى عليك يا قبة الإسـ   ـلام لهفاً يطول منه غرامى

لهف نفسى عليك يا فرضة البلـ   ـدان لهفاً يبقى على الأعوام

لهف نفسى لجمعك المتفانى   لهف نفسى لعزّك المستضام

بهذه اللهفات المتواليات قد هيأ ابن الرومى قارئه لأن يقرأ وصفه القادم لما حلّ بالبصرة ، وقد امتلأ قلبه بالغيظ والغضب الذي أوحاه إلينا فى مطلع قصيدته . ثم يقول :

بينما أهلها بأحسن حال   إذ رماهم عبيـدهم باصطلام

دخلوها كأنهم قطع الليـ   ـل إذا راح مدلهم الظلام

---

(1) عدد ٣٩٧ من الرسالة

يرتفع به الشك وينجلى به الحق ، وتسهل معه دراسة علم الكلام .

وهناك أيضاً مسألة أخرى أعدها هامة من الطراز الأول ، أعنى بها تأريخ الأزهر ببيان الرسالة التى أنشئ أولاً لأجلها ، ومدى تطور هذه الرسالة على مدى القرون ، وما يجب أن تكون عليه فى المستقبل ، وتأريخ رجالاته الأعلام حتى تصل للعصر الحاضر . إن من أعجب العجب أن يؤرخ مفكرى الإسلام كثير من المستشرقين ومن بينهم العالم الفرنسى كارّادى فو Carra de Vaux فى خمسة مجلدات تشمل ما يزيد على الألفين من الصفحات وأن نجد فى المعجمات الفرنسية ترجمات لمن يجب أن يكون لهم ذكر فى التاريخ ، بينما كبار من خرجهم الأزهر ، ومن لهم علينا أكبر المنة — بما تدرس من مؤلفاتهم وبما أفادوا العلم فى النواحى المختلفة — أصبحوا منسيين منا ولا نجد السبيل لتراجم لهم إن أردناها ! هـذا وذاك من الأعمال جدير بأن يستأثر بكثير من جهود من يرى فى نفسه الكفاية منا حتى يكون لنا شىء نباهى به فى العيد الألفى للأزهر ، وأرجو أن يكون منا غير بعيد

٣ — الغاية التى أستشرف إليها هى إذاً المساهمة — فى غير تثريب على الغير من كبار الشيوخ الذين أدوا ما طلب منهم كما فهموه — فى تهيئة بيئة علمية ينظر فيها الطالب بعقله لا بعقل أحد ممن سبقوه ، ويرى فيها الرأى لأن الدليل يعضده لا لأن الغزالى أو مثله ذهب إليه . بذلك يصح لنا وجه الحكم فى العداء الذى زعموه بين الدين والفلسفة ، ويسهل الإقناع والاقتناع ، ونصحح كثيراً من قضايا الماضى وأحكامه ، ونبنى على ماض غير مدخول ، وأساس متين لا وهن فيـه . وإلى اللقاء القريب — إن تفضلت الرسالة الغراء — إن شاء الله تعالى

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

أيّ هول رأوا به أي هول ... حقّ منه يشيب رأس الغلام
إذ رموهم بنارهم من يمين ... وشمال، وخلفهم، وأمام
كم أغصوا من شارب بشراب ... كم أغصّوا من طاعم بطعام
كم ضنين بنفسه رام منجّى ... فتلقوا جبينه بالحسام
كم أخٍ قد رأى أخاه صريعاً ... تَرِب الخد بين صرعى كرام
كم أبٍ قد رأى عزيز بنيه ... وهو يُعلى بصارم صمصام
كم مفدّى فى أهله أسلموه ... حين لم يحمه، هنالك، حامى
كم رضيع، هناك، قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام
كم فتاة - بخاتم الله - بكرٍ ... فضحوها جهراً بغير اكتتام
كم فتاة مصونة قد سبوها ... بارزاً وجهها بغير لثام
من رآهن فى المساق سبايا ... داميات الوجوه للأقدام
من رآهن فى المقاسم - وسط الزنج - يقسمن بينهم بالسهام
من رآهن يتّخذن إماء ... بعد مُلك الأمام والخدام

هذه القطعة من قصيدة ابن الرومى قد رأى فيها القارئ كيف دخل الزنج على البصرة وأهلها على أحسن حال، فكان جيشهم كأنه قطع الليل. وكيف أخذتهم نار الزنج من خلفهم وأمامهم ومن يمين وشمال. ثم هو يقدم إلينا هذه الصور الشعرية الرائعة كأنها الرسوم أو التماثيل فى قوة تصويرها. فهذا شارب أو طاعم حين هجم عليه الزنج غصّ بشرابه وطعامه، وهذا هارب ضنين بنفسه قد جبهته سيوفهم وتلقت جبينه، وهذا أخ يرى أخاه صريعاً قد عفّر التراب خده بين كرام غيره، معفرة خدودهم. ثم يقدم إلينا صورة من تلكم الفتيات الأبكار على خاتم الله قد فضحهم الزنج وفضّوهن جهرة بغير اكتتام. ثم ساقوهن إلى السبى يفرقونهن بينهم ويقتسموهن مماليك وكنّ من قبل يملكن الإماء والخدام

ثم يعود بعد إبراز هذه الصورة القوية من السفك والقتل والعدوان إلى شعوره النفسى يوحى به فيقول :

ما تذكرت ما أتى الزنج إلا ... أضرمَ القلبَ أيما إضرام
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا ... أوجعتنى مرارة الأرغام

ثم يعرج إلى ذكر صور مجملة بعض الأجال عن بيع السبايا وتخريب البيوت البارة كانت مأوى الضعاف والأيتام. ودخول القصور العامرة كانت من قبل صعبة المرام. ثم يقدم لنا بعد ذلك صورة كلها حياة وكلها حركة وكلها دقة ووضوح وهى قوية غاية القوة عن مدينة البصرة وكيف كان زحام الخلق فيها وعماد أسواقها وتلك الفلك التى تسير منها وإليها بالتجارة والناس، وتلك القصور ذوات الأحكام من بنيانها، وكيف استحال هذا كله — بفتنة الزنج — إلى خراب وصمت لا يرى فيه غير أيد وأرجل مقطوعة ورؤوس مهشمة ووجوه دامية بين الخرائب تسفى عليها الرياح :

عرّجا صاحبىّ بالبصرة الزهـراء تعريج مدنف ذى سقام
فاسألاها — ولا جواب لديها ... لسؤال — ومن لها بكلام ... ؟
أين ضوضاء ذلك الخلق فيها ؟ ... أين ذاك البنيان ذو الأحكام ؟
بدلت تلكم القصور تلالا ... من رماد ومن تراب ركام
سلط البثق[1] والحريق عليها ... فتداعت أركانها بانهدام
وخلت من حلولها، فهى قفر ... لا ترى العين بين تلك الآكام
غير أيد وأرجل بائنات ... نبذت، بينهن أفلاقُ هام
ووجوه قد رملتها دماء ... بأبى تلكم الوجوه الدوامى
وطئت بالهوان والذل قسرا ... بعد طول التبجيل والإعظام
فتراها تسفى الرياح عليها ... جاريات بهبوة وقتام
خاشعات كأنها باكيات ... باديات الثغور، لا لابتسام ...!

ولا شك فى أن القارئ يشعر بتلك القدرة الفائقة التى صور بها ابن الرومى ذلك المشهد، مشهد خرائب البصرة وقصورها التى أضحت تلالاً، ومشهد تلك الأيدى والأرجل مبعثرة فيها قد نبذت بينهن أفلاق هام، ومشهد تلك الهام ملقاة خاشعة باكية قد بدا منها الثغر وبرزت النواجذ ولكن لا لتبتسم ... !

ثم ينتقل ابن الرومى بعد ذلك إلى ذكر مسجد البصرة وما حل به فيقول مخاطباً صاحبيه أيضاً :

بل ألما بساحة المسجد الجا ... مع إن كنتما ذوى إلمام
فاسألاه - ولا جواب لديه - ... أين عباده الطوال القيام ... ؟
أين عمّاره الألى عمّروه ... دهرهم فى تلاوة وصيام
أين فتيانه الحسان وجوها ؟ ... أين أشياخه أولو الأحلام

(١) فى القاموس [بثق النهر بثقاً وبثقا وتبثاقاً كسر شطه ينبثق الماء] ولعل صاحب الزنج كان قد كسر « شط العرب » الذى تقع عليه البصرة، فتصدق صورة ابن الرومى عن حصارها بالماء والنار .

تحريض وإثارة

إلى هذه الغاية يكون ابن الرومى قد أبرز تلك الصورة البارعة القوية الصادقة عن وصف ما حل بالبصرة وأهلها على يد الزنج ، فهو ينتقل بعد ذلك الوصف إلى تهييج الناس وتحريضهم وإثارة نفوسهم على صاحب الزنج وزنوجه حتى يثأروا منه لأنفسهم وأهليهم . وهنا تبرز الغاية التى قصد إليها ابن الرومى ، ونعتقد أنه تعمدها حين بدأ قصيدته بتلك البداية . . . وقد أشرنا إلى ما تشعر به من الرغبة فى التحريض والإثارة حين ذكر ابن الرومى « محارم الإسلام » ، وحين قال بعد ذلك بيتاً قصدنا أن نسقطه من موضعه لنذكره الآن وهو :

وتسمى - بغير حق - إماماً   لا هدى الله سعيه من إمام

وقد ذكر هذا البيت بعد ذلك الذى يقول فيه إن الخائن اللعين صاحب الزنج قد أقدم عليها وعلى الله

كل هذه الإيحاءات بالهياج والثأر يحملها ابن الرومى دعوة صريحة فى هذه القطعة التى ينتقل إليها بعد ذكر المسجد الجامع وعباده وفتيانه وشيوخه أولى الأحلام

أى خطب ، وأى رزء جليل   نالنا فى أولئك الأعمام
كم خذلنا من ناسك ذى اجتهاد   وفقيه فى دينه علام
واندامى على التخاذل عنهم !   وقليل عنهم غناء ندامى
وأحيائى منهم — إذا ما التقينا   وهم — عند حاكم الحكام
أى عذر لنا ؟ وأى جواب ؟   حين ندعى على رؤوس الأنام :
يا عبادى ! أما غضبتم لوجهى   ذى الجلال العظيم والإكرام ؟
أخذلتم إخوانكم وقعدتم   عنهم - ويحكم - قعود اللئام ؟
كيف لم تعطفوا على أخوات   فى حبال العبيد من آل حام ؟
لم تغاروا لغيرتى ، فتركتم   حرماتى لمن أحلَّ حرامى
إن من لم يغر على حرماتى   غير كفء لقاصرات الخيام
كيف ترضى الحوراء بالمرء بعلاً   وهو - من دون حرمة - لا يحامى

ثم يقدم لنا ابن الرومى بعد هذا التحريض القوى هذه الصورة البارعة عن خصومة تخيل أنها واقعة بينه وبين النبى عليه السلام عن هؤلاء الشيوخ والفتيان وكيف لم يثأر لهم :

واحيائى من النبى إذا ما   لامنى فيهم أشدَّ اللام !
وانقطاعى إذا هم خاصمونى   وتولى النبى عنهم خصامى !
مثّلوا قوله لكم - أيها النا   س - إذا لامكم مع اللوام
« أمتى ! أين كنتمُ إذ دعتكم   حرة من كرائم الأقوام . . . ؟
صرخت : يا محمداه . . . ! فهلاً   قام فيها رعاةُ حقى مقامى . . . !
لم أجبها إذ كنت ميتاً فلولا   كان حى أجابها عن عظامى ! »

وأريد هنا أن أشير إلى براعة ابن الرومى إذ انتقل من خطاب نفسه فى الأبيات الأول إلى خطاب من يحرضهم حين بدأ يصف خصومة النبى عن قتلى الزنج فقال : « مثّلوا قوله لكم أيها الناس »

ثم يندرج ابن الرومى بعد هذه الإثارة وإهاجة النفوس إلى الدعوة الصريحة إلى الثأر من صاحب الزنج فى هذه القطعة التى هى ختام قصيدته ، والتى نكتفى منها بهذه الأبيات :

انفروا - أيها الكرام - خفافاً   وثقالاً إلى العبيد الطغام
أبرموا أمرهم وأنتم نيام ،   سوءة سوءة لنوم النيام
صدّقوا الظن إخوة أملوكم   ورجوكم لنوبة الأيام
أدركوا ثأرهم فذاك لديهم   مثل ردّ الأرواح فى الأجسام
لم تقروا العيون منهم بنصر   فأقروا عيونهم بانتقام
أنقذوا سبيهم - وقلّ لهم ذا   ك حفاظاً ورعية للذمام
عارهم لازم لكم ، أيها النا   س ، لأن الأديان كالأرحام
لا تطيلوا المقام عن جنة الخلـ   ـد فأنتم فى غير دار مقام
فاشتروا الباقيات بالعرَض الأد   نى ، وبيعوا انقطاعه بالدوام

***

هكذا ينتهى ابن الرومى من قصيدته فى رثاء البصرة وفيما أصابها وأهلها من صاحب الزنج وفتنة الزنج وتحريض الناس على الثأر منه ومنهم

وأعتقد أن القارئ يجد أنى لم أكن مغالياً حين قلت فى ختام مقالى الأول عن هذه القصيدة من شعر ابن الرومى إنها قصيدة عجيبة من غرائب الشعر العربى ، وضوح بيان ، وقوة تصوير ، وإعجاب خيال ، وصدق عاطفة ، وأنها من بدائع الشعر العربى كله

وأزيد على ذلك اليوم أن ابن الرومى كان فى تحريضه الناس وتهييجه لهم ، ماكراً خبيثاً وقوياً عارماً شديد التأثير ، يكاد شعره فى ذلك يدفعنا نحن الآن — أحد عشر قرناً — إلى الثورة والهياج

محمود الشرقاوى



المتعاظمون

هذا الفريق من بنى آدم أو هذا الصنف كثير شائع ، ولكنى أقصر الحديث هنا على بعض أصحاب السلطان منهم ؛ ولسوء حظك أو لسوء حظى أنا — على أقرب الرأيين إلى الصحة — أن ترى هؤلاء فى كثير من المجالس . ولست بحاجة إلى منظار ، بل ولا إلى عينين — لا قدر الله — لترى هؤلاء الناس ، أو تحس سلطانهم إن صح عندهم أنهم ناس من الناس ...

ومن عجيب أمر هؤلاء أنهم وإن كانوا على رغم أنوفهم الشم ناساً يجرى عليهم ما يجرى على سائر الخلق لا يؤمنون إلا بأنهم فوق مستوى الناس ، وعسير عليك أشد العسر أن تقنعهم من بعيد أو من قريب بأن لهم مثلك يدين ورجلين وحواس وما إليها من جوارح وأحشاء ، وأنهم يأكلون كما تأكل ، وإن لم يكن مما تأكل ، وأنهم يشربون وينامون ويفرحون ويغضبون ويمرضون ويموتون كما يجرى عليك من أحكام الطبيعة سواء بسواء

هذا الفريق الذى أتحدث عنهم هم أصحاب السلطان من أصحاب الديوان . ولعلك لم تنس بعد أحاديثى عن أصحاب الديوان ، وإن كنت وقفت بك عند صغارهم لا خوفاً من كبارهم علم الله . ومالى أقسم وها أنذا أعرضهم عليك جملة وأحشرهم أمام المنظار فى غير تهيب ولا رفق :

ترى الشخص منهم — وهو شخص رضى أو لم يرض — فى ردهة من ردهات دور اللهو ، أو فى سيارة عامة ، إن لم تكن له سيارة خاصة ، أو فى عرض الطريق ، فتحييه تأدباً منك وعملاً بمـا يوجبه الذوق وتفرضه الإنسانية ، فيدهشك أنه يبدو عليه كأنه لا يلقى منك تحيـة ، بل تراه وكأنه يلقى منك إهانة ؛ وإلا فما باله وقد كان منبسط الأسارير : يتجهم لك ويشمخ بأنفه ويرميك بنظرة كريهة كأنه يريد أن يخيفك فى غير داع لذلك ولا مناسبة ؛ ثم يرد تحيتك الحارة برفع سبابته قليلاً تجاه رأسه العالى ، أو بإيماءة بسيطة ، ويمضى وكأنه لم يكن يرد تحية ، وإنما كان يرد على توسل سائل بإلقاء مليمين فى كفه المبسوطة ! ...

ولقد تعجب لذلك ، ولـكن عجبك دليل بساطتك أو طيبة قلبك ... والحق أنى أريد أن أقول دليل « عبطك » فاقبلها منى ولا تدعنى أموه فأتحايل على الألفاظ ، والخير لك على أى حال أن تكون كما أذكر ، وتكون لطيفاً ، من أن تكون فظاً غليظ القلب ، وإلا فلك الخيار ، ولكن على شرط أن يتوافى لك السلطان قبل كل شىء ...

وفيم تعجب وعنده أن التحية توجه إلى مقامه ممن هم دونه ، إنمـا هى ضرب من عدم الاحتشام بين يديه ، فهى لذلك ضرب من عدم اللياقة ، أو هى جرأة تلحق بقلة الأدب عند بعضهم ، وما أردت أنت إلا أن تكون مؤدباً ... ولقد يصور له كبرياؤه وغروره أن ذلك منك تحد لذاته الخطيرة والعياذ بالله ، وفى ذلك سر تجهمه وتعاظمه وكريه نظراته وتفسيره تأدبك بأنه قلة أدب

وكأنى بك ، أيها القارئ ، تضحك منى وتقول فى نفسك إنما يصور بما يكتب ما وقع له ، وأريد أن أكون صادقاً ، فأسلم لك بصحة هذا ، ولـكن قل لى بربك ، ما ذنبى لتضحك منى يا أخى — سامحك الله — وأينا أجدر بضحكاتك ، أنا أم ذلك المتعاظم المتكبر ؟ ثم اعلم أنى لم أغضب ولن أغضب لمـا يكون بينى وبين هؤلاء المتعاظمين . لم أغضب لأن ما حدث هو ما كنت أتوقعه ، بل إنى لأضحك إذ أقع من ذلك على مادة لمنظارى ، ثم إنى لن أغضب لأنى أعرف كيف أكيل لهم بنفسى كيلهم متى أردت ، فأزيدهم غيظاً وأزداد منهم ضحكا ، ولو علمت الحق لرأيت أنى دائماً ألقاهم بالعصيان المدنى ، وهو سلاحى السلبى الوحيد الذى لا سبيل لى إلى غيره

جمعنى بفريق من هؤلاء مجلس من المجالس ، أو قل قادتنى الظروف على رغمى إلى هذا المجلس ، فما كان لى أن أغشى مجالس أصحاب السلطان مختاراً ، فانتحيت ناحية وجلست ، وقادت الظروف كذلك بعض أصدقائى ممن هم فى مثل سنى ، وفى مثل مركزى الصغير ، فحمدت الله وزال عنى القلق ، فلقد كنت أحس نفسى غريباً قبل مجىء هؤلاء الذين لا حول لهم ولا سلطان ، وانفرجت شفتاى لأول مرة منذ جلست أرد على تحيات هؤلاء الأصدقاء ، فما وجه إلى أحد من أصحاب السلطان تحية تنفرج لهـا الشفاه ،

فلم تك ثمة إلا إيماءات متكلفة لاذعة قصيرة، أو إشارات باليد آلية لا روح فيها ، اللهم خلا رجل منهم تلطف فجاد عليّ بتحية منادياً إياي باسمي ولـكن بعد أن فعل ذلك من هم على شاكلتي من الخلان

وجلست صامتاً أترقب وأنا أخفي ضحكي مما رأيت على وجوه أصحاب السلطان من معاني الازدراء عند دخول أصحابي ، ولقد حياهم هؤلاء السذج في أصوات طلقة ، وفي إشارات وانحناءات دمثة جميلة ، فما عادوا إلا بأشارات وإيماءات أرستقراطية كانت هي الأخرى جميلة على رغمي وعلى رغم منظاري !

واستأنف أحد أصحاب السلطان ما كانوا فيه من حديث ، واحتدم النقاش بين هؤلاء السادة، فهذا يعترض على ذاك، وذلك يرى ما يرى جاره أو لا يرى الصواب في رأيه ، وفي وجوه الجميع بشر أو تحمس أو ضحك من دعابة أو نكتة يطارد من هاتيك الوجوه شبح الـكهولة أو يستمهل الشيخوخة لحظات

وبدا لأحد السذج من الرفاق ــ رفاقي أنا ــ فحشر نفسه في الحديث يحسب أنه يكلمني أو يكلم أحد أقرانه ، فما أسرع ما بدت الدهشة على وجوه الجميع ! ثم تغافلوا عنه بأطراقهم ، وقطع عليه أحدهم كلامه فساق الحديث إلى رأى جديد ، وذهبت كلمات المسكين هباء أو أقل من الهباء

ثم تكلم شاب آخر لم يتعظ بما جرى لسالفه فكان من أحب المناظر عندي ، ولا أقول من أبغضها أن أرى على وجوه أولئك السادة ذلك الاتفاق الذي لم يقصدوا إليه لأنهم اعتادوه كلما تطفل على حديثهم العالي متطفل لم تصل بعد مداركه إليه ولا هيأه مركزه حتى لمجرد الاستماع له ، وهو اتفاق على المقاطعة أو الإغفال لأمر المتكلم . وأحسب أنهم لو نظروا ساعتئذ إلى ذلك الساذج الثاني لأخذتهم الشفقة لحمرة الخجل تتوقد في محياه فما تقسو قلوبهم إلى حد أن يعرضوا عنه وهو على تلك الحال

على أن اثنين منهما رمياه بنظرة ولكن بعد أن خفت في وجهه حمرة الخجل ورأيتهما يزدريانه في صمت، فهو مرؤوسهما في الديوان ولا يجمل به أن يجرؤ مثل هذه الجرأة فيناقش رؤساءه . وكم أتمنى لو يتاح لي من البيان ما أصور به ما ارتسم على محياها الـكريمين من اشمئزاز ! وكم يؤلمني ألا تسعفني الألفاظ بما أريد !

وأتى أحدهم بنكتة تصلح لأن تكون نكتة ولكنه أتى بها لسوء حظه في ضجيج من النقاش فلم يفطن إليها غيري فضحكت بصوت يسمع فالتفت نحوى ضاحكا مسروراً وصاحب النكتة يبحث دائماً عن الضاحكين من نكتته ويسر إذ يجدهم . . . على أن هذا ما لبث أن قطع ضحكته بغتة كأنما أزعجه أن يتبادل وإياي الضحكات ثم تكلف العبوس ونظر إليّ ولـكني لم أقطع ضحكتي فقد كانت هـذه الحركة منه أدخل في معنى النكتة من عبارته وأدعى إلى الضحك منها

وما يريد أصحاب السلطان ممن هم أصغر منهم إلا أن يتزلفوا إليهم فينهضوا وقوفاً إذا أقبل أحدهم ويشيعوه إذا انصرف ، فإذا تقدم أحد هؤلاء الصغار ففتح باب السيارة حتى يركب « سعادة البك » أو حمل له معطفه حتى يلبسه فذلك هو ما يكبر به في عين سعادته ولذلك دخل كبير في قياس كفايته في عمله وإن لم يكن لعمله صلة ما بعمل « الجرسونات » ! والعجيب أنك ترى الرجل من هؤلاء يتصاغر وينكمش كأنما يدخل بعضه في بعض إذا كان أمام من هم أكبر منه وذلك بقدر ما يتعاظم وينتفخ إذا نظر إلى من هم دونه

وبعد فقد أفهم أن أرى أصحاب السلطان في دواوينهم متعاظمين وإن عد ذلك مرذولاً منهم أينما كانوا ، فإن الرجل منهم يكون هناك في « منطقة نفوذه » وما يذهب إليه في الغالب حيث مقر سلطانه إلا طالب حاجة عنده

ولـكن كيف أفهم لعمري أن يتعاظم عليك هؤلاء خارج دواوينهم ولقد تكون بحيث لا تربطك بهم صلة من عمل أو من حاجة ؛ بل كيف يتعاظمون وإن كان يصلك بهم العمل أكبر صلة وإن منهم من لا يفضلك إلا بما ساقته إليه الظروف من منصب بحيث لو رجع القهقرى إلى مثل سنك لكنت أحسن منه عقلاً وأقوى تفكيراً وأكثر اطلاعاً . ولقد تكون اليوم أكثر منه ذكاء على رغم جاهه ، بل ولقد يكون من الغباء بحيث لا يصح أن تقيس عقلك إلى عقله إلا إذا أردت أن تمتهن نفسك

وبعـد فنحن أمة تكثر الـكلام في الديموقراطية وتبالغ في السخرية أحياناً من حيث لا تدري فتطيل الـكلام عن الانتخابات مثلاً أتكون مباشرة أم غير مباشرة ؟

الخفيف



إن كنت فناناً !

... فهـــــذه نفسى !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يارب محمد ! أستغفرك يارب محمد !

أعصابى متراخيـة . عقلى نائم . عيناى تريدان أن تنطبقا كأنهما زهدتا النور ، وما هو زهد ولـكنه تسليم

نفسى تهرب منى ، وتتحجب عنى ... أريد أن أعرف ماذا بها ؟ أسألها فيقع السؤال فيها كما تقع الحجرة على كومة التبن المحروق ، فلا صوت ، ولا رد على الصوت ، ولا شىء

إذن فماذا بقى لى ؟ لا شىء !

وإذن فماذا أصنع ؟ ... لا شىء . والصبر طيب . والنجدة عند رب محمد ...

اللـهم إنى قد أسأت ، اللـهم إنى قد أسأت !

هأنذا أعترف لك وما أنت بحاجة لأن يعترف لك مذنب . ولكنى أريد أن أفضح نفسى لعلك تريد بعد ذلك فتمحو بلطفك وكرمك ما سطرته على جبينى بحكمتك وخبرتك من الإثم ، وآثار الإثم ...

لن أعدد ما ارتكبت ، فإنى لا أحصيه . ولـكنى أقول إنى ما تركت إثماً إلا واقترفته

ولقد كان شر آثامى أنى فى يوم أنكرتك . أعوذ بك من نفسى . وأعوذ بك لها

لقد انطلقت يوماً أعربد بروحى وبدنى ، وأقول — وبئسما كنت أقول — إن الخبطة العشواء التى أوجدت هذا الـكون وإنما أوجدتنى حكمتنى فى الكون كما حكمت الكون فىّ ، فادام هو يأخذ منى فلآخذ منه ، ومادام هو يستبد بى فلأستبد به ... ومن أنا ... ؟؟

حقاً إنى كفرت يا ربى . ولـكنى لا زلت أتوسل إليك حتى بكفرى . فقد كنت أحبك وأنا منكرك

ألست أنت صاحب هـذا البحر الذى كنت أسارع الريح وأنا ساع إلى أعتابه فى ليالى الشتاء العاصفة المقمرة لأجلس عنده وأنا سكران فى يدى السيجارة كلما نهقت منها نفساً شهقت معه من البحر أملاً ، وكلما زفرت نفساً زفرت معه إلى البحر هماً . لقد كنت أتبادل الأنفاس مع البحر ، هذا الوحش المحبوس عن الأرض الراضى بالحبس

لقد كنت أحبه . ولقد أحبنى هو أيضاً فأعطانى الـكثير من نفسه : جلداً ، وصبراً ، وصفاء ، وغنى ، وحياة ، وقوة ... ومسكنة مع هذا كله وذلاً

لقد سبحتك فيه يارب لأنى كنت أراه وأبادله الحب ، وكان عقلى أصغر من أن يؤمن بك غيباً

ثم ألست أنت صاحب تلك الماسة التى كانت تربق علىّ أضواءها فأشرب منها وأشرب وأشرب وأنا لا أدرى لماذا لا أرتوى على كثرة ما أنا شارب حتى علمت أن ما كنت أشربه لم يكن إلا نوراً ، والإنسان لا يرويه النور وحده إن لم يمزجه بشىء من الظلمة . فلما بحثت عن الظلمة انفلت النور منى ، وكف يده عن أوتار قلبى

من يومها يارب وأنا غارق فى ظلمات وظلمات ولـكن بعد أن آمنت بالنور . فالهم شعاعاً ، رحمة منك وعزاء

ثم ألست أنت صاحب حديقة النزهة ... أنت صاحبها رغم أنف المجلس البلدى

كنت كلما اكتأبت وثقلت على واجبات الجبر والـكيميا ، وأرهقتنى حياة المدرسة الجـافة التجأت إلى النزهة أفرغ فيها ذبولى وآخذ من أزهارها وأشجارها نضرة ... وبهجة ... واطمئناناً وفرحاً ...

ما أكرمها الأشجار والأزهار ! ما أحلاها ! إنها تتضور حباً ، وتشرئب إلى عاشق يهفو إليها بنظرة ... وخفقة

وما أقسى عشاق الأشجار والأزهار ... أطمعهم صمتها وسكونها واستسلامها فانهالوا عليها قطفاً ... والقطف قتل ... وأكرمهم يجود عليها بشعر . والشعر كلام ...

إننى لم أسرف يا رب فى قطف الأزهار ، واسألها

كنت أقنع بالذى تنفثه هى راضية من الحنين المؤمل ، والشهوة المتبخرة الرطبة ... وكنت أعود عنها إلى المدرسة وأنا كالقرنفلة الناطقة الحية : أبذر فى قلوب الناس حباً أبعثره وأبعثر وراءه من

تلك الزرقة التى أعطانيها حبيبي الأزرق ذو الأمواج وذو الأنفة !

ثم ألست أنت صاحب هذه السماء التى كنت أنقلب على الرمال إليها لأسرح بنفسى فيها مرتحلاً من نجم إلى نجم ، ومن كوكب إلى كوكب ، متباعداً عن الأرض ما استطعت ، مختاراً من أكوانك أقصاها كأنما كنت أريد أن أستوعب ملكك ، فما استوعبت شيئاً وما كنت إلا لأرتد حسيراً ، ولكن بعد أن تطول حيرتى فيك وفى ملكك ...

سبحانك ! قد خليت لى ...

يا صاحب الصحراء تخرج فيها الحى من الميت ... يا لمسرحك هذا الأقفر من مسرح !

يا صاحب الناقة الصابرة ! يا صاحب النخلة المتكبرة ! يا صاحب السلحفاة الصائمة الساخرة ! يا صاحب الغزالة النافرة ! أليس هذا فنك ! وهل عشقت سواه حين كنت أنكرك ؟ ما عشقت سواه وأنا منكرك ! ولا عشقت سواه وأنا راج أن أعرفك ! وما سوى ذلك إلا العدم ، فكل موجود من أثرك وصنعك

يا رب محمد ! أستغفرك !

وأحمدك وأشكرك . فلقد ذكرتنى بك حين أنسيتنى نفسى ، وأنا حين أذكرك أهدأ وأطمئن ، لأنى أعرفك الرحمن الغفار الذى ينقشع أمام رحمته وغفرانه كل ضلال وكل عطب ؛ والذى إن عاقب أرسل فى العقاب راحة ورضى ، وقرن بالعسر يسراً . وإن مع العسر يسراً

بدأت أنتعش ...

زوابع من الإسكندرية تنادينى . أريد أن أنطلق . أريد أن أعربد مرة أخرى ؛ ولكن عربدة المؤمن المطمئن

أريد أن أصرخ . أريد أن أبطش بهذه الظلمات التى بطشت بى حين أمنت إليها . أريد أن أقيم الدنيا وأقعدها . فهل أنا قادر من ذلك على شىء ...

إذا أردت أنت فإنى قادر ، وإذا لم ترد فهأنذا كما أردت ...

قلبى ينبض بالأمل فيك ، وعقلى شارد وراء هذا الأمل يريد أن يعرف ما هو ، ولكنه تعب ولم يعرف ما هو ... فأرشدنى .

ليس أشهى لدى من أن أشعر بأنى أرضيتك وأنك أرضيتنى وأنا طماع ، دنىء النفس . قد أتخم ولكنى قد لا أشبع .

أنت الذى خلقتنى . فساعدنى على نفسى . وخذ بيدى ، وأنت تستطيع . ولا أحد غيرك يستطيع .

أنت تطالبنى بالتوبة ؛ ولكنك أرجأت التوبة فى قرآنك إلى سن الأربعين . فلى الآن إن مددت فى عمرى عشر سنوات باقية قد أستجديك بعدها عشراً ، وقد أستجديك بعدها عشراً ، فما أحسب التوبة ممكنة وفتنك الخلاب يدغدغ العيون ، ويناوش الأسماع ، وينكث القلوب ...

ثم لماذا يتحتم على أنا أن أتوب ؟ !

أأنا إنسان عاقل ورشيد ؟! إنى لا أظن ذلك . فليس عاقلاً رشيداً هذا الذى يستمرىء أن يفضح نفسه بنفسه . ولا هو عاقل رشيد هذا الذى يطاول من هم أشد منه قوة وآثاراً فى الأرض ، وينوخ للضعيف الهزيل يركبه ويضرب بطنه برجليه ...

أنا يارب كما تعلم . فمافنى . واسمح لى أن أقضى فى ملكك هذا ما قدرت لى من البقاء وأنا تحت رعايتك وعطفك . فلست إلا طفلاً غراً آفته دلال استحكم فى نفسه من كثرة ما استقاه وعَبَّه من نفح القرنفل والياسمين

واحمنى يا رب من الشر أن يسكن نفسي . واملأ قلبى سلاماً . وانزع منه كل حقد وكل غل

واحمنى يارب من الشر أن يقذفنى به حاقد أو مغلول ؛ فأنا أعجز من أن أتاقى قذائف الشر المستتر ، ولدغات الحقد والغل

يا رب محمد . إحفظ يحيى السيد فقد أقرضنى اليوم عشرة قروش ، وإن كان لا يعرف متى سيستردها

هو طالب فى ليسانس الحقوق . فخذ بيده فى امتحانه القريب ... أرجوك بحق محمد

عزيز أحمد فهمى



المسلمون « قوارى » الله فى الأرض

وردت لفظة من الجموع الشاذة فى قول لابن الخياط (أوغيره) فى الإمام مالك :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
هدْى التقى وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

فى كتاب (الحيوان) للامام أبى عثمان الجاحظ ذى الأحاديث الطلّة[1] المنورة ، فقال محققه وشارحه الأستاذ عبد السلام محمد هرون فى أمر تلك اللفظة :

« نواكس جمع ناكس وهو من الجمع الشاذ وقد أسهب البغدادى عن نحو هـذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ — ١٩٥) وفى مجلة الرسالة العدد (٣١٥ ص ١٣٩٤) بحث قيم ، واستدراك طيب لهذا الشذوذ[2] »

راجعنا هذا البحث فى (المجلة) فألفينا فيه ثمانية عشر جمعاً لكنه قد فاته جمان ذواشان . ولا نقول : إن سبب هذا الفوت هو قلة الاستقراء أو العجز إذ لا نجهل أنها لغة العرب بل لغات العرب كما أنا ما نسينا ما روى فى (الرسالة) عن (رسالة الإمام الشافعى فى أصول الفقه) : « لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى »

وذانك الجمان الشاذان الفائتان هما القوارى والسوابق

١ — فى الفائق : فى الحديث : الناس قوارى الله فى الأرض ، وروى المسلمون ، وروى الملائكة . وفى الصحاح : الأصمعى : الناس قوارى الله فى الأرض أى شهداء الله ، أخذ من أنهم يقرون الناس أى يتبعونهم فينظرون إلى أعمالهم . حكاه أبو عبيد فى المصنّف . وفى النهاية : أى شهوده فإذا شهدوا الإنسان بخير أو شر فقد أوجب[3] ، وأحدهم قار ، وهو جمع شاذ ؛ حيث هو وصف لآدمى ذكر كفوارس ونواكس .

جرير :

ماذا تمـد إذا عـددت عليكم والمسلمون بما أقول قوارى[1]

راجز :

حـدثنى الناس وهم قوارى
أنك من خـير بنى نزار
لكل ضيف نازل وجارى

٢ — قال محمد بن مالك : ... وشذ فى الفارس مع ماماثله .

قال ابن عقيل : وشذ فارس وفوارس وسابق وسوابق

حماسى[2] :

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

للقنانى فى مدح الكسائى :

أبى الذم أخلاق الكسائى وانتحى
به المجد أخلاقَ الأبُوّ السوابق[3]

أغلب الظن أن نديدة سيبويه قد أجبره تضمين فى الفعل (انتحى) أو حذف وإيصال كما سره هذا الجمع اللطيف للأب وهذا الجمع الشاذ ، إنهم النحاة ...

***

ضبط الكتابة العربية

أصدر معالى وزير المعارف قراراً جاء فيه : أنه رغبة فى ضبط الكتابة العربية ، بحيث يمكن أن تقرأ فى غير تعرض للخطأ واللحن ؛ وفى تقريب قواعد اللغة العربية إلى فهم الجيل الحديث

---

(١) طل وطلة لا طلى ولا طلية . يراجع (حديث طل) الرسالة ٢١٨ ص ١٤٧٤

(٢) الجزء ٣ بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون ص ٥٨٢

(٣) أوجب فلان وجبت له الجنة أو النار ، وهذه موجبة ، وركب للوجبات (الأساس) قالوا : الموجبة تكون من الحسنات والسيئات

---

(١) هذه رواية الفائق ، وفى الديوان : ماذا تقول وقد علوت عليكم

(٢) فى الحماسة : بعض بنى قيس بن ثعلبة . وفى الكامل : رجل يكنى أبا مخزوم من بنى نهشل بن دارم . هو بشامة بن حزن النهشلى

قلت : أما أبو العباس فقد سكت عن السوابق وأما التبريزى فقد قال : إنما قال (المصلين) ولم يقل المصليات مع السوابق لأن قصده إلى الآدميين وإن كان استعارهما من صفات الخيل ، ويجوز أن يكون أخرج السابق لانقطاعه من الموصوف فى أكثر الأحوال ولنيابته من المجلى — وهو الاسم الأول منها — إلى باب الأسماء فجمعه على السوابق ... قلت : قل : إنه شاذ واسترح ...

(٣) هذه رواية ابن يعيش في شرح المفصل ورواية اللسان والتاج هي هذه :

أبى الذم أخلاق الكسائى وانتمى له الذروة العليا الأبو السوابق

روايات ...

دون أن يكون فى ذلك مساس بجوهر اللغة وأصولها . ورغبة فى تشجيع الأدباء المعاصرين على تصوير الحياة الحديثة فى أدب يجمع بين نشر اللغة وروعة الأسلوب ، تقرر أن يعهد إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى أن يدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية وقواعد النحو والصرف ، والتماس الوسائل إلى تشجيع الأدباء على التنافس فى الإنتاج الأدبى الممتاز ؛ على أن يعرض المجمع على معالى الوزير فى نهاية هذا العام ما تصل إليه مباحثه من النتائج

وقد أبلغ هذا القرار إلى حضرة المراقب الإدارى للمجمع للعمل على تنفيذه

تحريف معنى بيت بالنحو

وعجيب أن يحرف معنى بيت بالنحو وهو لم يوضع إلا لصون اللسان عن الخطأ فى الكلام ، ليصح المعنى ويستقيم الفهم ، وهذا البيت الذى حرف النحو معناه هو قول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

فأو فى البيت من النواصب التى تنصب الفعل المضارع بنفسها عند الكوفيين . وبأن مضمرة عند البصريين ، وهى فى البيت بمعنى إلى ، وعلى هذا يكون معنى البيت : ليكونن منى استسهال للصعب إلى إدراك المنى ، لأن الآمال لا تنقاد إلا لمن يصبر على تحمل الصعاب فى سبيلها — فهناك صعاب يستسهلها أولاً ؛ ثم يكون بعدها إدراك المنى ، ويجتمع فى ذلك الأمر أن اجتماع السبب والمسبب ؛ ولكن علماء النحو لا يرضون إلا أن تكون أو عاطفة مع كونها ناصبة ، ويجعلون المعطوف المصدر المنسبك من الفعل المنصوب بها ، ويجعلون المعطوف عليه مصدراً متصيداً من الكلام السابق عليها ، ويكون تقدير البيت على ذلك العطف الذى يتكلفونه : ليكونن منى استسهال الصعب أو إدراك المنى — وهنا يقع التحريف فى معنى البيت ، لأن أو العاطفة لها معان غير معنى أو الناصبة ، وقد جمع ابن مالك معانى العاطفة فى قوله :

خَيِّرْ أَبِحْ قَسِّمْ بأو وأَبْهِمِ ... واشكك وإضراب بها أيضاً نُمى
وربما عاقبت الواو إذا ... لم يُلف ذو النطق للبس منفذا

أما أو الناصبة فتكون بمعنى إلى أو إلا ، وكلاهما ليس من من معانى أو العاطفة ، ولهذا كان تقدير البيت على العطف تحريفاً لمعناه ، وخروجاً به عن معنى إلى المقصودة منه

عبد المتعال الصعيدى

حول الإنتاج الأزهرى

قرأت فى مقال الأستاذ عبد العزيز محمد عيسى « الإنتاج الأزهرى » فى عدد الرسالة ٣٩٧ ما يلى :

« أليس من العيب أن يظل الأزهر إلى الآن يقرأ فى سنتيه الأولى والثانية الثانويتين كتباً فى البلاغة لمعاصرين من غير الأزهريين وفيه مائة من المتخصصين فى البلاغة كل واحد منهم قادر على أن يخرج كتاباً مثلها إن لم يكن أفضل منها »

ولعل هذا الذى يراه الأستاذ لا يراه أحد سواه ، أو لعله إذا نظرنا إليه بالعين التى رآه هو بها لعددناه آخر العيوب إذا لم يكن بد من احتسابه أحد العيوب

وإذا كانت الجامعة المصرية قد تقدمت الجامعة الأزهرية خطوات فى الانتاج والتأليف فهل قال أحد أساتذة الجامعة بوجوب أن تكون كل الكتب التى تقرأ فى الجامعة من إنتاج الجامعيين

ولقد أشار الأستاذ إلى ما سنته وزارة المعارف فى إعلانها عن الكتب التى هى فى حاجة إليها ، وأريد أن أقول فى هذا الصدد هل طلبت وزارة المعارف أن يكون المتقدمون للمسابقة ذوى ثقافة معينة أو يشغلون مراكز معينة فى شعب التعليم ، ولعله ليس ثمة شك فى أنه لو تقدم أحد الأزهريين لمسابقة وزارة المعارف ورأت لجنة التحكيم أن كتابه أفضل الكتب المقدمة لما وقع الاختيار على غير كتابه

محمود أحمد وصيف

كتاب « تشرتشل »

لا شك أن ونستون تشرتشل هو رجل الساعة فى بريطانيا ؛ ويتصل التطور الذى حدث فى الحرب أوثق اتصال مع رآسته للوزارة الإنجليزية

ومن عجب أن هذا الشيخ الكبير لا تزال فيه ذخيرة من الفتاء والشباب تستمد منها انجلترا فى أحرج الساعات التى تمر بها الآن

ولقد كتب الكاتبون عن أعداء الديمقراطية وذكروا حياتهم ؛ ولكن صديقنا محرر المقتطف يكتب أول كتاب عن أول منافح عن الديمقراطية وأول مكافح لشرورها فى العالم . ولعله يتحفنا بعد كتابه هذا بكتاب عن حياة (روزفلت) صديق الديمقراطية فى العالم الجديد ، فإن سير هؤلاء العظماء تعمل عملين : تحييهم من ناحية ، وتحيي همم القارئين من ناحية أخرى

وكتاب تشرشل ظهر فى سوق الأدب فى حينه المناسب ، وفرصته السانحة ، فإن هذا الرجل يزداد نجمه كل يوماً ألقاً وسطوعاً ؛ وهو إلى جانب إرادته الماضية وعزيمته المصممة أديب كبير ، وأدبه من نوع خلقته القوة وصاغته المشيئة فخرج أدباً قويًّا . فله كتاب فى وصف الحرب العظمى . وله ترجمة لوالده اللورد راندولف تشرتشل ؛ وله مئات من المقالات وعشرات من الخطب التى تفيض بالإيمان القوى : إيمان الواثق بنفسه لا المغرور بما يملك

يصور هذا الكتاب حياة تشرشل تصويراً عذب السياق ، حلو السرد ؛ قرأته فما مللته ولا غالب النوم جفونى أثناء مطالعته . وكيف ينام الإنسان وهو يقرأ حياة حية يقظة ، حياة قوية فتية ، حياة ملأى بالمفاجآت والمغامرات

وتشرشل من يومه يحب الصيال والنضال ، ولعل نضاله اليوم هو أعلى مثل لما يستطيع الرجل المسئول أن يفعل ، وهو يتكلم ... ولكن أفعاله دائماً أكثر من كلامه . وقد أشار هو نفسه إلى ذلك فى خطبته الأخيرة التى أذاعها على الشعب يوم ٩ فبراير حيث يقول : « فى أوقات الحرب توجد أشياء كثيرة تستحق القول ولكن شعارنا دائماً الأعمال لا الأقوال »

إن كتاب الأستاذ فؤاد صروف عن تشرشل هو قطعة من أدب الحرب ؛ وكثيراً ما كتب صديقنا فى أوقات السلم عن العلم والصناعة فأجاد فى كل فن تناوله . وهو حين يكتب اليوم عن حياة رجل كُتب له أن يدير أفظع حرب عرفها التاريخ فإنما تجيء كتابته دائماً على القرار الذى عودنا والنهج الذى طالعنا . وهو غزار فيه وضاحة فى التعبير ، وتسلسل فى الأداء ، ومتابعة للحوادث

لقد قرأنا كثيراً عن وحوش هذه الحرب الطحون . فهل آن لنا أن نقرأ عن مصارعى تلك الوحوش ؟

الحق أن كتاب تشرشل هو أول خطوة فى هذه السبيل ؛ فلعلنا نسمع غداً عن وايفل ، وويلسون ، وأوكونور ، وماكى ، وبيفر بروك ، ومانكساس ، وغيرهم من أبطال النضال وأعلام القتال ؟

إن تاريخ هؤلاء العظماء يجب أن يتلى فى كل زمان ومكان ، ويجب أن ينقل إلى كل لسان . لأنهم — كما كتبت إلىّ مس صانتيز الكاتبة الأمريكية — لا يدافعون عن بريطانيا فحسب ، ولكنهم يدافعون عن قضية الحق والسلام .

محمد عبد الغنى حسن



فنـــدق الدانوب

للأستاذ محمود البدوى

عدت إلى كونستنزا ونزلت فى « فنـدق الدانوب » مرة أخرى كما شاءت كاترينا ، على الرغم من أنه ليس من الفنادق التى نشتهى فى هذه المدينة ، فهو يبعد عن البحر ويبعد كذلك عن أنظار السائحين ، والجانب الأكبر من حجراته لا يدور مع الشمس ، ولا يشرف على مناظر خلابة ، وهو إلى جانب هذا يقع فى قلب المدينة ، وعلى خطى قليلة من الخط الحديدى ، فالمقيم فيه ينام على صـوت العجلات وهى تدوى على القضبان ، وينهض على صفير القطر وهى تبرح المحطة !

على أن كل شىء يتحول فى نظرك إلى جمال وفتنة عندما ترى كاترينا ... تلك الفتاة الروسية الجميلة التى تعمل فى الفندق

وكنت قد لبست حلتى وتهيأت للخروج عندما دخلت كاترينا غرفتى فحيتنى فى ابتسامة ساحرة ! وحسرت ستر النافذة وقالت ووجهها مشرف على الطريق :

— نمت نوماً عميقاً وحلمت بكاترينا كالعادة ؟

— أجل يا كاترينا ... وحلمت أننا نجرى على ساحل البحر فى كارمن سلفيا ... وأنت تطفرين من المرح وتقذفيننى بالكرة ... والآن ، هل تحققين هذا الحلم ... ؟

— ماذا ؟ أتنزه معك ؟ والعمل والفندق ؟ ... أنا لا أمشى مع الشبان فى الطرقات ... !

— طبعاً يا كاترينا ... أنت لا تمشين مع الصعاليك من أمثالى ... !

— آه ... صعلوك ... ماذا تقول صعلوك ؟ ... لا تقل هذا

ومالت بخصرها على مائدة صغيرة فى الغرفة وهى تهتز من الضحك وتزيح خصل الشعر المتدلية على جبينها ، وتمر بأناملها على فمها ، وقد تورد وجهها وأشرق محياها ... ثم سكنت نأمتها ... وأخذت ترنو إلى وعلى وجهها سحنة الفتاة الريفية التى لا تعرف من حروف الحياة شيئاً ... وقالت بصوت حلو لين النبرات :

— أنت لا تعرف شعور الفتاة يا شوقى ... كيف أخلع رداء الحياء وأمشى على شاطئ البحر شبه عارية وعيون الشبان تأكلنى ؟ كلا ... أنا فتاة من أسرة روسية معروفة ... وأنت تقول لى هذا الكلام لأنك لا تعرفنى ... ترى أمامك فتاة فقيرة تعمل فى فندق ... هذا هو كل ما تعرفه عنى ... إفهم شعور العذراء يا شوقى !

— طبعاً ... أنا أعرف شعور العذراء يا كاترينا ... ولكن هذا لا يمنعك من التنزه معى لترى الدنيا ... الدنيا ليست هنا فى هذا الفندق ...

فاحمر وجه كاترينا ، وأسبلت جفنيها ، وغضت رأسها كطفل صغير ارتكب عملاً يعده مزرياً ... ثم رفعت أهدابها وقالت بصوت خافت :

— كيف أخرج معك بهذا الثوب ... ؟ أنظر ... !

ونظرت إلى ثوبها وكان يبعث على الرثاء حقاً ... !

— أليس معك غيره يا كاترينا ؟

فغضت رأسها ثانية ، وانسدلت أهدابها على هاتين العينين الزرقاوين اللتين لا تعرف من أسرارهما وتعابيرهما شيئاً ...

ورفعت جبينها وقالت ويدها على عاتقى :

— أبداً ... أنا فتاة وحيدة وفقيرة ... !

— سأجود لك بثوب جديد يا كاترينا ...

فاهتز جسمها ... كأن مسيالاً كهربائياً سرى فى ألياف لحمها ... وطوقتنى بذراعيها وقالت وهى نشوى طروب :

— والآن ، سأجئ لك بالإفطار ... وسنفطر سوياً ... ولـكن لا تأكل الطعام كله كما تفعل دائماً ، ولا تدع للصغيرة المسكينة كاترينا شيئاً ... أوه ... أنت مروّع !

* * *

رجعت ذات ليـلة إلى الفندق متأخراً ، بعد أن قامرت وأفرطت فى الشراب ... لعبت الروليت فى الـكازينو وخسرت كثيراً ، وطيرت الخسارة الأحلام من رأسى ... وصعدت

درجات الفندق متثاقلاً حتى بلغت غرفتي ... وقد خيم السكون العميق على الطابق كله . . . وفيما أنا أدير المفتاح في الباب سمعت رنين قبلات في إحدى الغرف ... ثم صوت ضحكات ... ضحكات كاترينا بعينها ، فلا أحد يضحك مثلها بقلب طروب ... وسمعت إثر ذلك صوتها وهي تتحدث في همس ... وفتحتُ باب غرفتي ودفعته ورائي بغيظ وحنق ...

وبعد لحظات فتح الباب برفق ، ودخلت كاترينا وهي تتثاءب وعيناها شبه مغلقتين كأنها مستيقظة من نوم عميق ... وأفاقت في التو من تأثير مخدر ! وجلست على الديوان وهي تفرك عينيها ووضعت ساقاً فوق أخرى ومالت بجسمها إلى الوراء وقالت وهي أشبه بالناعسة أو الحالمة :

— لماذا تأخرت هكذا ؟ كنت في الكازينو طبعاً ... لقد أبصرت بك ليزا مع بعض الغواني ...

فصمت ولم أجب ... ونظرت إلى هذه الفتاة وهي تتكسر وتتثاءب ، وتتصنع التعب الشديد وتحاول الاستفاقة من النوم ، وقد كانت منذ لحظة في أحضان رجل ، وحاولت أن أقرأ في عينيها شيئاً ينم عن حقيقة أمرها فلم أستطع

وجلست وهي تسارقني النظر . ثم نهضت ومشت إلى صوان الملابس وجاءت لي بجلبابي . فتناولته منها ، ودفعتها عني فابتعدت قليلاً ولم تقل شيئاً ، وظلت هادئة ووجهها ساكن الطائر ونظراتها لا تتغير

وقلت بصوت خشن وقد تحول بصري عنها

— والآن أريد أن أنام يا كاترينا

— ألا تريد شيئاً ... ؟

فرفعت وجهي ونظرت إليها نظرة يتطاير منها شرر الغضب . فوقفت في وسط الغرفة أكثر من دقيقة وهي لا تبدي حراكا ولا تحرك ساكناً ... ثم مشت متثاقلة إلى الباب ...

وأغلقتُ الباب وراءها بعنف وغيظ ولا أدري لماذا كنت أحنق إلى هذا الحد

* * *

وذهبت مرة إلى مطعم من مطاعم السمك الفخمة في شارع كارول لأتعشى ... بعد أن ترددت طويلاً في ولوج بابه ... وجلست في ركن بعيد عن الخلق وأنا شاعر بالنفور والقلق ... ودرت ببصري الحائر فيمن حولي ... كما ينظر الرجل الغريب إلى قوم لا يعرفونه ... وشد ما كانت دهشتي عند مالمحت كاترينا جالسة إلى مائدة في وسط القاعة مع كهل أنيق الملبس رائع المظهر . . . وكانت ترتدي ثوباً من الحرير الفاخر لا ترى مثله إلا في قصور الأمراء ! ... ولما وقع بصرها علي ابتسمت وأحنت رأسها في أرستقراطية أصيلة ! ... ولمحت في عينيها وهي تنظر إلي ذلك البريق الخاطف الذي يبدو ثم يختفي في لمح الطرف ... ولا تعرف منه شيئاً على الإطلاق ... ونظرت إلى هيئتها وزيها وقارنتها بالنساء الجالسات في المطعم فإذا بها تبزهن جميعاً ... فهي آنق مظهراً وأحلى شكلا وأنضر وجهاً ورجعت أذكرها وهي في ثوبها الأبيض البسيط في الفندق كفتاة ريفية ساذجة يبدو من مظاهرها أنها لا تعرف من شئون الحياة شيئاً ... وأدركني العجب

وغافلتها وهي تحادث صاحبها وانسللت إلى الخارج وعدت من بعض المراقص إلى الفندق فوجدتها جالسة في غرفتي منكبة على المكتب تكتب رسالة ! ورفعت وجهها لما شعرت بي . . . وتوقفت عن الكتابة ونظرت إلي وهي باسمة ... ثم عادت تكتب وبعد دقيقتين طوت الرسالة وغلفتها وقالت : « إنني أكتب رسالة إلى صديقة عزيزة في بلغراد ... هل رأيت ذلك العجوز الذي كان معي الليلة في المطعم ؟ إنه عمي ! جاء أمس من بلغراد وحدثني عن مرض كاتوشتكا العزيزة فجلست أكتب إليها هذه الرسالة في الحال . إنها من أعز صديقاتي وقد طَرَدَنا الحر معاً . وكنا نعمل سوياً في بودابست ، ثم طوحت بنا الأقدار ... وما زلت أنحط حتى وصلت بي الدرجة إلى العمل في هذا الفندق ! هل تتصور أنني سأترك هـذا اليهودي يحاسبك على هواه ... ويقدم إليك الكشوف في آخر الشهر كأنك مهراجا من الهند ... كل شرقي عند هذا الرجل الجشع مهراجا ... لا ... أنت طالب مسكين يا شوقي ؛ عند ما يجيء ديمتري ويدفع لك بهذه الأوراق ألقها في هذه السلة ... سأحضر الحساب فلا تسل عن ذلك اليهودي يا شوقي ! »

وكانت تتكلم بسرعة كأنها تتلو من ورقة أمامها ثم كفت من الكلام . ونظرت إليها فإذا بها ساهمة كأنها تفكر ... ولأول مرة في حياتي أشاهد كاترينا تفكر ، فإن رأسها الصغير الجميل لا يتسع للتفكير ...

وطوقتها بذراعي وقلت لها :

— هل نذهب غداً إلى أيقوريا ؟

— أجل ... ولكن ليس أيقوريا ... أو كارمن سلفيا ... أو مامايا ... سنذهب بعيداً بعيداً عن كل هذه البلاد

وكانت تحلم ؛ وما أعذب الأحلام في رأس فتاة في مثل سنها وجمالها ... وضممتها إلى صدري فسكتت واستراحت وأغمضت عينيها نصف إغماضة ، ثم انتفضت فجأة واعتدلت في جلستها وصاحت :

— ما هذا ... هل تعلمت هذا المجوح في بخارست ؟ أنت تعرف أنني عذراء ... أنت مروع !

وسافرت من كونستنزا إلى مدينة صغيرة على الدانوب ، وعدت منها بقطار بوخارست السريع إلى الميناء مباشرة ... ولم أشأ الذهاب إلى الفندق مخافة أن ألتقي بكاترين فتبقيني أياماً أخر

ولما اقترب موعد السفر صعدت إلى ظهر السفينة ووقفت على الجسر أرقب حركة المسافرين والمودعين وقد علت وجهي تلك الكآبة التي تملو الراحل من بلاد يحبها ... بلاد قضى فيها أسعد أيامه وأمتع لياليه . وكانت الشمس قد غربت وبدت تلك الميناء الصغيرة تتلألأ في غبش الغسق ؛ وأخذت أستعرض في ذهني الصور الجميلة التي مرت علي في تلك البلاد ... مناظر سينايا الخلابة ... وشواطئ الدانوب الساحرة ... وحسان بخارست ... وغانيات كارمن سلفيا ... وفاتنات ممايا ... وفندق بولونا ... وفندق الدانوب ... وكاترينا ... أجل كاترينا ... ! واتكأت على السور الحديدي وعيني إلى الأفق وكل شيء يمضي سريعاً ... ولمحت فتاة تهبط المنحدر المشرف على الميناء . وكانت تمضي على عجل وبصرها لا يتحول عن السفينة ... وفتحت عيني وتبينتها فكانت كاترينا . وقفت لحظة حائرة ... ثم نقلت بصرها في الركاب ... ولمحتني فجرت على الرصيف حتى وقفت أمامي وهي تلهث ... فنظرت إليها مشدوهاً وسألتها :

— ما الذي جاء بك ... ؟ وكيف عرفت أنني سأسافر اليوم ... ؟

— هذا مهل ! ... دعك من هذا الآن ... كيف حالك ... شد ما تغيرت ونسيت كاترينا المسكينة التي لا يذكرها أحد ...

ولم أستمع لباقي حديثها ... فقد درت ببصري في الركاب لأحصي عدد الذين جاءت تودعهم كاترينا ... فلا بد أن يكون منهم من نزل في فندق الدانوب والتقى بها !

ورأت نظراتي ، وقرأت ما دار بخلدي ... فامتقع لونها وغضت طرفاً ... ثم رفعت رأسها وقالت وقد اختلجت نبرات صوتها :

— شوق ... هل تحسب أنني جئت أودعك كلا ... أنت مروع ! إنني جئت أرقب هذه السفينة وهي مقلعة وسائرة برهة في الطريق الذي تسير فيه السفن إلى وطني ... سأركب هذه السفينة يوماً ما ... وأعود إلى وطني ، وأرى بافلوفنا ، وسونيا ، وأولجا مرة أخرى ... إنني أجيء إلى هنا كل أسبوع وأرقب السفن وهي مبحرة وأتخيل أن ذلك اليوم سيأتي ولا بد أن يأتي ... فلا تحسبن أنني جئت أودع الصماليك أمثالك ! ... فاستغرقت في الضحك

— لا تقولي هذا يا كاترينا ... إنني مسافر اليوم وسأعود غداً لأراك ولا بد أن نلتقي ثانية

— حقاً ... ؟

— أجل ... لا بد وأن أعود في العام المقبل وكل عام بعده لأرى كاترينا ...

— والآن اصمت واقترب ... أرأيت ؟ إننا لا نستطيع أن نتصافح ... إنتظر لا بد من ذلك ...

واحمر وجهها ولمعت عيناها ، وظهرت في أبدع ما كونها الله ... وقد اختلجت شفتاها ، وتهدل شعرها ، ورف لونها ، وتورد خداها ... وعلت أنفاسها ، ومالت برأسها إلى الوراء ، وارتفعت بجسمها قليلاً ... وانحنيت عليها ... والتقت يدانا ... وتصافحت أنفاسنا ...

ودوى صفير الباخرة ... وتراجعت كاترينا ... ووقفت جامدة كالتمثال ... وعيناها مخضلتان بمثل الدمع ...

وشيعتها ببصري وهي تصعد المنحدر الذي جاءت منه ... ولكنها لم تكن تمضي مسرعة ... بل كانت تسير على مهل كاسفة البال حزينة ، كأنها استفاقت من حلم ...

محمود البدوي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 399

Lundi - 24 - 2 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٣٩٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١٩٧ بين اللاتينية والجرمانية ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٩٩ السباعى بيومى يستر جنايته على للبرد بجنايته على المرصفى ... } الدكتور زكى مبارك . . ...
٢٠٣ خصومة أدبية ... ... : الأستاذ السباعى بيومى ...
٢٠٧ فى النقــد ... ... : لأستاذ جليل ... ...
٢٠٩ سراب وأمل ... ... : الأستاذ شكرى فيصل ...
٢١١ الفنون وضمائر الشعوب ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٢١٣ جوفرى شوسر ... ... : الأستاذ أحمــد الطاهر ...
٢١٥ معركة السياسة بين هتلر وبيتان : الأستاذ يوسف شبلي ...
٢١٧ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
٢١٨ الفنان ... ... [قصيدة] : الأستاذ عبـد المعطى حجازى
٢١٩ زهر الآداب — الوحـدة العربية — نقل الأديب ... } الدكتور زكى مبارك ... ...
بعد انتهاء مناقشات رسائل الأسـاتذة ... ... } الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى
٢٢٠ تعليق ... ... : الأستاذ محمود حمزة ... ...
٢٢١ إلى الأستاذ محمود الخفيف ... : الأديب حسين فهمى صادق
إلى الأديب حسين فهمى ... : الأستاذ محمـود الخفيف ...
شبابيك القلل ... ... : الدكتور محمد مصطفى ... ...
٢٢٣ الرجـل الصامت [قصة] : الأستاذ عبد اللطيف النشار

من دروس الحرب

بين اللاتينية والجرمانية

كان بعض المولعين بتصنيف الناس من علماء الأجناس يقولون إن الله اصطفى الآريين على الساميين بمواهب العقل الأصيل فآتاهم الحكمة ؛ ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتى العلم والحكم وهيئ بفطرته لملك الأرض وتمدين العالم . واستغل المستعمرون هذه الفكرة فسرقوا بها مُلك العرب ، ونسوا أن العرب ، وهم ساميون ، كانوا خلفاء الله وورّاث المعرفة فى الدنيا ؛ واستغلها النازيون آخر الأمر فسرقوا بها مال اليهود، ونسوا أن اليهود، وهم ساميون ، كانوا الرأس الخلاق واليد المصرفة فى ألمانيا

ولعل هؤلاء المصنفين لخلق الله يشغلون بالهم اليوم بما يتجلى من الفروق بين اللاتينية والجرمانية وهما شعبتان من الآرية ، ليعلموا أن من عوامل البيئة والتربية وطريقة العيش ما لا يقل أثراً فى اختلاف العقل وتغير الُخلق عن عوامل الجنس والوراثة . ولئن كان فى فكرة الآرية والسامية أكثرُ الكذب الذى يسنده الغرض ؛ فإن فى فكرة اللاتينية والجرمانية أكثر الصدق الذى يؤيده الواقع . وإذا كان الغربيون قد انتفعوا بفكرتهم فى أن يسودوا ، فإنا حريون أن ننتفع بفكرتنا فى أن نتحرر

***

لأمرٍ ما تنهار اللاتينية وتتماسك الجرمانية وقد مسهما من هذه الحرب الطحون عذاب لا يختلف !

هنا الديمقراطية الوادعة تتمثل فى دولةٍ جرمانية هى انجلترا، ودولة لاتينية هى فرنسا ؛ وهناك الدكتاتورية الباغية تتمثل فى دولة من الدول الجرمانية هى ألمانيا، ودولة من الدول اللاتينية هى إيطاليا ؛ فما هو إلا أن امتحنت الحرب بنارها معدن الفريقين حتى ذابت فرنسا هنا وتفككت إيطاليا هناك، وظلت الأمتان الجرمانيتان ثابتتين، تتصارعان بعبقريات الذهن، ومبتكرات العلم، ومهلكات المادة، والعالم كله يشهد هذا الصراع المنيف المخيف وهو من هوله الهائل لا يتقارُّ ولا يتماسك. وسيكون النصر ولا ريب للفريق الذى يحالفه الحق والصدق والصبر ؛ ويومئذ تنقسم الجرمانية كذلك إلى سكسونية تعتمد على قوة الُخلق، وتوتونية تعتمد على سمة الحيلة

ليت شعرى من أين أُتيت اللاتينية حتى انخرعت فما تقوم، وانماعت فما تتماسك ؟ لم تُؤت يا زعماء الشرق إلا من جهة خصائصها التى تبجحت بها حيناً من الدهر، وهى الإفراط فى الأدب والفن والكلام، حتى غلب فيها النظر على العمل، والحفظ على التفكير، والخيال على الواقع. وقاعات التمثيل على أندية الرياضة ؛ فمن المعقول ألا يقام لها وزن مع الجرمانية التى كان من أظهر خصائصها الممتازة أن ألَّفت ثقافتها وحضارتها من عناصر معلومة المقادير مضبوطة النِّسب من كل مايتصل بالمادة والأدب، ويدخل فى غـذاء الجسم والروح، فلا يطغى معنًى على معنى، ولا يجور شىء على شىء ؛ ثم هى لا تفهم الفرد إلا بالأمة، ولا العلم إلا بالتطبيق، ولا العمل إلا بالتجويد، ولا رياضة العقل إلا برياضة البدن، ولا غاية الآخرة إلا بطريق الدنيا. وكل ما يصدر عن الجرمانية من نتاج الفكر واليد موسوم بسمات القوة والدقة والجد

***

ماذا عسى أن نصنع يا زعماء الشرق العربى وهذه اللاتينية المتخلفة المجفاء قد غلبت علينا لوجودنا على البحر الأبيض المتوسط، واتصالنا بشعوبها المختلفة فى العمل والتجارة، واعتمادنا على رسلها الدينيين فى التربية والتعليم، فأخذنا من أهلها حب الكلام وشهوة الجدل. فقادتُنا كتَّاب ومحامون، وجيشنا هُتَّاف ومتظاهرون، وعُدتنا أحزاب وصحف ! وإذا لم يكن زعيمنا من صاغة الكلام وراضة المنابر انصرفت عنه الأسماع ونبت عليه النفوس ولو كان ملء سكوته العمل المثمر !

من صفات اللاتينية فينا أننا لا نزال نتعلم بالحفظ، ونتقدم بالمحاباة، ونعمل بالواسطة، ونقنع بالشكل، فلا يهمنا من النظام إلا أن يبقى مظهره وإن ذهب جوهره

ومن مظاهر اللاتينية فينا أنْ ضعف إيماننا بالمثل الأعلى والخير الأعم. فالأمة معناها : أنا أكون، والوطنية مغزاها : أنا أعيش. فإذا تناقضت منفعة الفرد ومنفعة الأمة، وتعارضت رغبة النفس وإرادة الوطن، وقع الضمير الاجتماعى فى غشية ثقيلة لا يبالى المرء فيها أن يخون أو يسف أو يسقط

ومن بلايا اللاتينية فينا أننا نسرف فى الوعود، ونتزيد فى الحديث، ونداجى فى النصيحة، ونكابر فى الحق، ونجاحش فى النقاش، ونركن إلى شعبذة الحظ، ونستكين إلى معابثة القدر، ونستأمن إلى مخادعة السلامة

فإذا شئنا أن نتقى العواقب المحتومة لهذه التربية الفاشلة، فلنطهر قلوبنا من رواسبها المتراكمة، ولنهيئ نفوسنا لحياة جديدة تنكشف عنها هذه القيامة القائمة. فإن مما لا شك فيه أن الحياة الحاضرة بمذاهبها ونظمها تنصهر الآن فى نار هذه الحرب لتصوغها يد الخالق المصور صياغة أخرى تتفق مع تقدم الإنسانية فى سبيل الخير المحض والكمال المطلق ؛ ومتى خلصت العقول من الهوى، وبرئت النفوس من الأَثَرة، وطهرت القلوب من الحقد، عاد الناس إلى شريعة الحق الخالد فيلتقى الشرق والغرب، ويأتلف الأحمر والأسود، وتطمع الأمم والشعوب أن يعيشوا فى عالم من الإخاء والرخاء جديد. وهل ذلك على الله ببعيد ؟

احمد حسن الزيات

لنحكم رجال الأدب العربي

السباعى بيومى

يستر جنايته على المبرد بجنايته على المرصفى

للدكتور زكى مبارك

— ١ —

عرف قراء « الرسالة » أن الأستاذ السباعى توعدنى بمقالتين خطيرتين : الأولى فى تحديد ما قال فى الشيخ المرصفى ، والثانية فى دفع النظرية التى نهبها من كتاب النثر الفنى ، وكان يرجو أن أنتظر إلى أن يفرغ من المقالتين المرتقبتين ، لعلنى أعتبر فلا أجترئ عليه ، وقد شاع أنى من كبار المجترئين !

وقد نشر مقالته الأولى ، فعرفنا أنه يصر على اتهام الشيخ سيد المرصفى بالغرور ، ولم يبق إلا أن ينشر مقالته الثانية ، وهى مقالة عرفنا مضمونها مقدماً ، فهو سيُثبت أنه لم يَسرق من كتاب « النثر الفنى » وإنما سَرق منه مؤلف « النثر الفنى » فكان حاله حال اللص الذى رأى صاحب الدار يمشى من بُعد فصاح : « مين اللى ماشى هناك ! »

وأنا لن أنتظر إلى أن يفرغ الأستاذ من تحبير مقالته الثانية ، فما كان أول باحث سَرق من كتاب النثر الفنى ، ولن يكون آخر باحث يسرق من كتاب النثر الفنى ، فقد كتمتُ سرقته من كتابى أربع سنين ، لأنى أشعر بالارتياح كلما تذكرت أن عندى ذخائر يتطلع إليها الناهبون من الفضلاء

لن أنتظر ، لن أنتظر ، فليواجهنى إن استطاع ؛ وأنا ماضٍ إليه بقلمٍ أمضى من السيف وأعنف من القضاء ، ولن أتركه بعافية أو يعترف بأنه يستر جنايته على المبرد بجنايته على المرصفى .

ولكن كيف جَنى على المبرد وقد قضى شبابهُ فى خدمة كتاب « الكامل » ؟

تلك هى النقطة ، كما يقول لافونتين !

اسمعوا كلمة الحق ، أيها الناس :

المبرّد دان اللغة والأدب والنحو والتصريف والتاريخ الإسلامى بكتابٍ نفيس اسمه « الكامل » وهذا الكتاب قد شرّق وغرّب فانتقل من يد إلى يد ومن بلد إلى بلد على اختلاف الأجيال ، وبذلك تعرّض للتصحيف والتحريف ، وإذاً كان من الواجب ألا يتقدم لنشره من أبناء العرب غير من يملك القدرة على إصلاح ما أفسدت تلك الأجيال

فهل يكون السباعى بيومى هو المصلح المنشود وما قال أحدٌ بأن الله وهبه نعمة الذوق الأدبى ، وهى نعمةٌ سامية لا يظفر بها من كل جيل غير آحاد ؟

كان المصلح المنشود لكتاب الكامل هو شيخنا المظيم « سيد بن على المرصفى » الذى قضى من عمره عشرين سنة وهو يراوح المبرّد ويغاديه بالنظر الثاقب والفهم العميق

ولكن المرصفى مات وصار من حق كل باغٍ أن يتقوّل عليه كيف شاء ، ولو كان فى منزلة السباعى بيومى ، وهو كما وصف نفسه أستاذ بدار العلوم !

هل سمعتم أشياء من أقوال الدكتور طه حسين ؟

أتعب الدكتور طه نفسه فى النّيل من « دار العلوم » فكان يقول : هى مدرسةٌ عاقر ، ومن الواجب أن تُغلَق بدون تسويف !

فهل غضب السباعى بيومى وهو « أستاذ بدار العلوم » كما ذيّل اسمه وهو يحاورنى بمجلة الرسالة الغرّاء ؟

وكيف يغضب والدكتور طه رجلٌ يضر وينفع ، وهو يملك المحو والإثبات فى أعضاء بعض اللجان بوزارة المعارف ، والسباعى يطمع فى أن يعيّن عضواً باللجنة التى تنقل كتاب « هانوتو » من الفرنسية إلى العربية ؟ !

أما الشيخ المرصفى فهو اليوم جسدٌ هامد لا يملك دفع الضر عن سمعته ولو صدر عن باغٍ فى منزلة السباعى بيومى

الشيخ سيد المرصفى مات وشبع من الموت ، وهو اليوم لا يملك دفع عادية الذباب

مات المرصفى ثم مات ، ولكن تلاميذه أحياء ، والويل كل الويل لمن يتعرض لشيخنا المظيم بكلمة سوء ، ولو كان من أعزّ الأصدقاء

أيُشتَم المرصفى فى مصر وهو قَرِيع الزمخشرى والمبرّد ؟

ألم يكف المرصفى أن يعيش غريباً ويموت غريباً ؟

لم يوجد فى الأزهر من يدرك قيمة الشيخ سيد المرصفى غير الشيخ محمد عبده ، وبموت « الأستاذ الإمام » أصبح المرصفى من الغرباء

وقد عرف المصريون قيمة الشيخ محمد عبده بعد الموت ، فكيف يجهلون قيمة الشيخ سيد المرصفي بعد الموت ؟

السباعي بيومي هو الذي أراد الإعلان عن نفسه بالقدح في الشيخ المرصفي ، فليدفع ثمن ذلك الإعلان بلا إمهال

ولكن كيف يدفع ذلك الثمن ؟

إلى رجال الأدب العربي أسوق الحديث :

أخرج السباعي كتاباً سماه « تهذيب الكامل » في جزأين أولهما في المنثور وثانيهما في المنظوم ، ومعنى ذلك أنه قدَّم وأخر في نصوص الكامل ليقع المنثور في جانب والمنظوم في جانب . فهل يرى القراء أن هذا عملٌ مطلوب ؟ وهل يرون أن المبرد كان يعزّ عليه أن يصنف كتابه على هذا الوضع لو أراد ؟

المبرد راوَحَ بين المنثور والمنظوم لحكمة تعليمية ، هي نقل الذهن من فنّ إلى فنّ ليبعد عنه السآمة والملال ، وقد أضاع السباعي تلك الحكمة التعليمية بصنيعه « الجميل »

والفرق بين الكامل وتهذيب الكامل هو الفرق بين روح المبرد وروح السباعي ، فأنت حين تقرأ الكامل تواجه روحاً لطيفاً هو روح أبي العباس ـ طيب الله ثراه ـ وقد كان مثلاً رائعاً في صباحة الوجه ولطافة الروح ، وحين تقرأ تهذيب الكامل تواجه روح السباعي بيومي ، وهو روح السباعي بيومي بلا نزاع ولا جدال !

ومهما يكن من شيء فقد استطاع السباعي أن يطارد المرصفي ، المرصفي شارح الكامل ، المرصفي الذي أقام البراهين على أن مصر وُجِد فيها رجلٌ يصاول المبرد ، ويمشي إليه مَشْيَ البازل إلى البازل في شراسة وكبرياء

استطاع السباعي أن يحرّم على شرح المرصفي دخول « دار العلوم » ليجهل طلبة تلك « الدار » أسرار كتاب الكامل ، وليجهلوا مبلغ أستاذهم السباعي من « العلم » بما وقع في « الكامل » من تحريف وتصحيف

أنا أعرف أن دار العلوم مدرسة عالية لا يزورها أحدٌ من المفتشين ، إلا إن ظمئ إلى فنجان من القهوة يحتسيه في مكتب العميد أو مكتب الوكيل ، وإذاً فمن العسير أن تسنح الفرصة لمحاسبة الأستاذ السباعي بيومي على ما يصنع في تكوين الطلبة بتلك الدار ، وهم الجيل المقبل من رجال التربية والتعليم

أعرف ذلك ، وأعرف أن الذوق نهاني عن زيارة دروس الأستاذ السباعي بالجامعة الأمريكية ، وأنا عن تفتيشها مسئول ، لأنه لا يجوز ذوقاً أن أفتش على مدرس رأته وزارة المعارف صالحاً للمشاركة في إعداد المدرسين

ولكن يظهر أن الأستاذ السباعي محتاج إلى من يعاونه على إعداد دروسه بدار العلوم ، فقد رأيت أنه لم يفطن إلى ما في كتاب « تهذيب الكامل » من تصحيف وتحريف قضى بهما انتقال « الكامل » من يد إلى يد ومن بلد إلى بلد على اختلاف الأجيال !

يضاف إلى ذلك أن كتاب « تهذيب الكامل » تسرَّب إلى « كلية اللغة العربية » وقد يتسرب إلى « كلية الآداب » بحجة أن الدكتور طه حسين قرَنَه بكتاب « مدامع العشاق » في أحد فصول « حديث الأربعاء »

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص على الأغلاط التي عجز عن إدراكها ذهن السباعي ، وفطن لها عقل المرصفي ، وهي أغلاطٌ ستؤذي السباعي أعنف الإيذاء ، لأنها ستقنعه بأن ثناء الدكتور طه حسين على صنيعه في كتاب خدمة الكامل لن ينجيه من عذاب النقد الأدبي ، وهو عذابٌ أليم

سأقوم بهذا الواجب خدمة لأبناء دار العلوم وخدمة لجميع طلاب الأدب العربي ، وعلى الأستاذ السباعي أن يناقشني إن استطاع ، وهو لن يستطيع ، ولو ظاهره ألوف من المعجبين بقدرته على الاستهانة بفضائل التدقيق والتحقيق

والأستاذ السباعي قد شتمني بمجلة الرسالة مرتين ، فليكف عن شتمي — غير مأمور — فإن الألسنة والأقلام لم تُبق في شتمي مزيداً لمستزيد ، ولو حاسبَ الله أعدائي وخصومي على ما اجترحوا آثمين في إيذائي لسلط عليهم شآبيب البلاء

لا تشتمني ، يا سيد سباعي ، فحسبي ما أعاني من البلوى بمحنة النقد الأدبي . ألا تراني أحاور أناساً لا أرتضيهم نسَّاخاً لمقالاتي ومؤلفاتي ؟

لقد لامني الناصحون على ما اقترفت من التنازل إلى مساجلة بعض الناس ، فهل تعرف كيف كان جوابي ؟

لقد أجبت بأن الأدب كالعلم ، والعالم يشرّح جسم الضفدعة كما يشرّح جسم الإنسان ، فمن واجب الأديب أن يفهم أنْ لا عيب في أن يهتم بتشريح ما يضاف إلى الأدب ولو صدر عن نكرات

لا تشتمنى ، يا سيد سباعى ، ولا تصفنى بالغرور والاجتراء ، فلو أنك رأيت الدنيا بعينىّ لطاب لك أن تتخلّق مثل أخلاق ، فما اغتررت ولا اجترأت إلا وأنا أعرف أن فى الدنيا ناساً أخف وزناً من الهباء

لا تشتمنى ، يا سيد سباعى ، فأنا رجلٌ « شَتِيم » وذلك حرفٌ لا يخفى عليك

لا تشتمنى ، يا سيد سباعى ، فما أملك محاسبتك لو أردت الانتصاف لنفسى ، وماذا أقول فى تجريحك ولستَ بشاعر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب ؟

ليس لك غير نقل نصوص « الكامل » من مكان إلى مكان ، فهل فهمت أسرار « الكامل » ؟ وهل « هذبت » أو « شذبت » تلك الغابة الشجراء ؟

ما أنت و « الكامل »

أيها الفضال ؟ !

الأمر فى ذلك لشيخنا العظيم سيد بن على المرصفى ، الشيخ الذى ربانا على الصراحة والصدق والإخلاص ، وهو المنافس الأعظم للأساتذة الأماجد : محمد المهدى ومحمد الخضرى وإسماعيل رأفت ومنصور فهمى وأحمد ضيف وطه حسين

أما بعد فقد آن للأستاذ السباعى أن يقرأ ما يرضيه ، وعليه أن يجيب ، إن كان يملك الجواب ، وهيهات ثم هيهات ! !

١ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٢٦٢ قال الأخطل :

نازعتهم طيّب الراح الشمول وقد
صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

ولم يلتفت السباعى إلى التحريف فى « نازعتهم » وقد التفت إليه المرصفى ، فنص على أن الصواب « نازعته » لأن الأخطل يقول قبل هذا البيت :

وشاربٍ مربحٍ بالكأس نادمنى
لا بالحصُور ولا فيها بسوّار

٢ — فى تهذيب الكامل ج ١ ص ٣٨ ورد قول الشاعر :

إذا ما حقبٌ جالَ شددناه بتصدير

وهنا أتعب السباعى نفسه فأثبت فى الهامش نقلاً عن المضاف إلى المتن أن هذا الشاعر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهذا خطأ ظاهر ، وإنما الشعر ليزيد بن ضبة الثقفى يمدح الوليد بن يزيد ، وقد أفضت إليه الخلافة « انظر تحقيق الشيخ المرصفى ج ١ ص ١٠١ من رغبة الآمل فى شرح الكامل »

وعذر الأستاذ السباعى أنه غير مسئول عن التحقيق ، لأنه أستاذ بدار العلوم ! !

٣ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص٣٠٧ قال المبرد : رُوى لنا أن رجلاً من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فأنشد إبراهيم قول الشاعر :

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصيةٌ
وإذ أجرّ إليكم سادرًا رسنى

فقام ذلك الرجل فرمى بشق ردائه وأقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ، ثم رجع على تلك الحال فجلس ، فقال له هشامٌ : ما بك؟ فقال : إنى كنت سمعت هذا الشعر فاستحسنته فآليت أن لا أسمعه إلا جررت ردائى كما سحب هذا الرجل رسَنه

والشاهد فى كلمة « رجل من الصالحين » فقد أشقى الأستاذ السباعى نفسه بالنص فى الهامش على أنه ابن أبى عتيق ، نقلاً عما أضيف إلى متن الكامل ، فهل سمع أحد أن ابن أبى عتيق كان يُعَدّ فى الصالحين ومساعداته لعمر بن أبى ربيعة تشهد بأنه كان من أهل الخلاعة والمجون ؟ لا يُطالَب من السباعى فهم هذه الدقائق ، فلنرض بتحقيق الشيخ المرصفى وقد نقل أن ذلك الرجل الصالح هو أبو عبيدة بن عمار بن ياسر « رغبة الآمل ج ١ ص١٥٥ »

٤ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٣٠٨ قال الشاعر :

فقلت له تجنّبْ كل شىء
يعاب عليك إن الحرّ حرّ

ثم قال المبرد فى التعقيب على هذا البيت : فهذا كلام ليس فيه فضلٌ عن معناه ، وقوله « إن الحر حر » إنما تأويله أن الحرّ على الأخلاق التى عهدنَ فى الأحرار ، ومثل ذلك « أنا أبو النجم وشعرى شعرى » أى شعرى كما بلغك وكما كنت تعهد ، وكذلك

عددنا السنوى الممتاز

سيصدر فى اليوم الثالث من شهر مارس المقبل عددنا السنوى الممتاز حافلا بتحليل الشخصيات العظيمة والمواقف الكريمة فى الغزوات النبوية والفتوح الإسلامية بقلم أعلام البيان فى مصر والشرق العربى . وسيكون بعون الله على الرغم من سوء الأحوال الحاضرة جديراً بجلول الموضوع ومكانة الرسالة .

قولهم « الناس الناس » أى الناس، كما كنت تعهدهم

وتعقيب المبرد سديد ، ولكن الأستاذ السباعى ينقل فى الهامش أن من هذا قول الله عز وجل : « فغشيهم من اليم ما غشيهم » بدون أن يدرك أن الأخفش الذى نقل عنه قد أخطأ الفهم ، فالآية ليست مما اتحد فيه المبتدأ والخبر لفظاً ، وإنما هو موصول أسند إليه فعلٌ جُعل مثله صلة ، للمبالغة فى التهويل (رغبة الآمل ج ١ ص ١٥٥) . وكان المأمول أن لا تغيب هذه المسألة البسيطة عن ذهن أستاذ بدار العلوم

٥ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٣٠٩ تكلم المبرد عن الخيل المحبوكة الأصلاب فقال : « المحبوك الذى فيه طرائق ، يقال لطرائق الماء حُبك واحدُها حِباك » . وبهذا سها المبرد سهواً لم يفطن له السباعى ، فقد فسر الكلمة بما لا يراد منها فى تركيبها ، والصواب أن يقول : فالمحبوك الذى أحكم خَلقه ، من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه ، يريد أن أصلاب الخيل موثقة مدمجة . ثم يقول : والمحبوك أيضاً الذى فيه طرائق (رغبة الآمل ج ١ ص ١٦١) وهو كتاب المرصفى المحكوم عليه بالغرور والادعاء ! !

٦ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٢١٢ ، أنشد المبرد قول حاتم الطائى :

إن الكريم من تلفّت حوله   وإن اللئيم دائم الطرف أقودُ

وقد غيّر المبرد لفظ البيت وروايته ، بدون أن يتنبه السباعى لذلك ، والصواب :

فمنهم جوادٌ قد تلفّت حوله   ومنهم لئيم دائم الطرف أقود

لأن حاتماً يقول قبل هذا البيت :

كذاك أمور الناس راضٍ دنية   وسامٍ إلى فرع العلا متورد

« راجع رغبة الآمل ج ١ ص ١٧٧ »

٧ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٣١٢ ورد قول الأشهب ابن رُمَيْلة :

أسود شرًى لاقت أسود خفية   تساقوا على حرد دماء الأساود

وقد تفضل الأستاذ السباعى فأثبت فى الهامش أن رميلة هى أم الشاعر ، ولم يتعب الأستاذ فى هذا التحقيق ، فقد نقله عما أضاف أبو الحسن إلى متن الكامل ، فكيف يجيب لو سأله أحد طلبة دار العلوم عن أبى هذا الشاعر وهو قد عرف أمه وجهل أباه ؟

الجواب عند الشيخ المرصفى « المغرور » فقد جاء فى رغبة الآمل ج ١ ص ١٧٩ أن أبا هذا الشاعر هو ثور بن أبى حارثة ابن عبد الدار

٨ — وفى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٩٢ ورد قول ابن الإطنابة

وإجشامى على المكروه نفسى   وضربى هامة البطل المُشيح

وسكت السباعى عن « الإطنابة » فلم نعرف أهو اسم أمّ الشاعر أم اسم أبيه ، وإنما سكت السباعى لأنه لم يجد ما ينقله عن أبى الحسن ، فليعرف إن شاء أن الإطنابة هى أم الشاعر ، أما أبوه فهو عامر بن زيد مناة أحد أشراف الخزرج « رغبة الآمل ج ٢ ص ٢٣ »

٩ — فى تهذيب الكامل ج ٢ ص ٣١٥ قال رجل من بنى عبس يخاطب عروة بن الورد :

لا تشتمنّى يا ابن ورد فإننى   تعود على مالى الحقوق العوائد
ومن يُؤثر الحق النئوب تكن به   خصاصة جسم وهو طيان ماجد
وإنى امرؤٌ عافى إنائى شِركةٌ   وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أقسّم جسمى فى جسوم كثيرة   وأحسو قَراح الماء والماء بارد

والسياق الذى أورده الأخفش وغفل عنه السباعى يوهم أن الأبيات الأربعة من شعر ذلك العبسى ، والصواب أن العبسى لم يقل غير البيتين الأولين ، أما البيتان الأخيران فهما جواب عروة بن الورد ، وقد نقل الشيخ المرصفى (ج ١ ص ١٩٥) أن عبد الملك بن مروان كان يحفظ لعروة الأبيات الأخيرة ، وثانيها هذا البيت :

أتهزأ منى أنْ سمنتَ وأن ترى   بجسمى شحوب الحق والحق جاهدُ

فإن ارتاب الأستاذ السباعى فى تصحيح الشيخ المرصفى فليرجع إلى ديوان الحماسة فى باب الأضياف والمديح ليرى هذه الأبيات الأخيرة منسوبة إلى عروة بن الورد ، والمفهوم أن ديوان الحماسة مما يحفظه الطلبة بمدرسة دار العلوم !

ثم أما بعد ، فهذا هو المنهاج الذى سنسلكه فى بيان فضل المرصفى على السباعى وعلى جميع من يقرأون الكامل للمبرد ، وسنرى فيما بعد غرائب وأعاجيب من غفلة السباعى عن فهم أغراض المبرد ، فكيف ترونه يصنع ؟ هل يصرّ على القول بأن المرصفى كان رجلاً مغروراً ، وأن من الجريمة أن يدخل كتابه « دار العلوم » ليخلو الجوّ لمن تفوتهم البسائط من الأغلاط ؟

الى الدكتور زكى مبارك

خصومة أدبيـــة

للأســتاذ السباعى بيومى

معذرة يا صديقى الدكتور ، فقد حانى ما ظهر فى كلمتك السالفة من مخالفة الرفق الذي تطلبه قولا وتنبذه عملا أن أقسو عليك فى عبارة هذه الـكلمة بعض القسوة ، ولدينا مزيد . . .

كلمتى الثـــانية

أينا الذى نهب وادعى ؟

وجه إلىّ صديقى الدكتور زكى مبارك كلة بعدد « الرسالة » رقم ٣٩٦ كان مما ذكره فيها قوله :

« وقد زعم الأستاذ السباعى أن الشيخ المرصفى سرق بعض أفكاره ، فليستعد للدفاع عن النظرية التى نهبها نهباً من كتاب « النثر الفنى » ونشرها فى مجلة السراج »

فهالنى من صديقى أن يهفو تلك الهفوة ، بل أن يسقط تلك السقطة ، لأنه بنى هذا الزعم الفاسد على شىء سطحى ظاهرى لا يأخذ به محقق ولا يغتر فيه باحث ، ذلـكم هو أنه رأى تاريخ العدد الذى نشرت فيه تلك النظرية بمجلة السراج ، لاحقاً لتاريخ نشر كتابه المذكور — ناسياً أنها ثابتة لى قبل تاريخ هذا النشر بزمن طويل — فادعى أنى نهبت وسرقت ؛ وهأنذا باسط هذه المسألة للقارئين بسطاً يجعلهم يوقنون أن صديقى هو الذى نهب وسرق ؛ ثم أبى إلا أن يصحب ذلك بجاه عريض من الادعاء والتطاول على رجالات الأدب قدماء ومحدثين ، وإلى حضراتهم البيان :

قال الدكتور فى كتابه « النثر الفنى » من كلامه على نشأة المقامات : « وكان المعروف أن بديع الزمان الهمذانى هو أول من أنشأ المقامات ، ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب فى سبق بديع الزمان » ؛ ثم قال : « وقد وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سـنة ٣٢١ ، وإلى القارئ النص الذى اعتمدت عليه فى تحرير هذه المسألة » ؛ وهنا ساق النص الآتى :

«قال أبو إسحاق الحصرى حين عرض لـكلام بديع الزمان: — كلامه غض المـكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً ؛ ولما رأى أبا محمد بن الحسن بن دريد الأزدى أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصـار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، فى معارض عجمية وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الأسماع ، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها فى وجوه مختلفة وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمائة مقامة فى الـكدية ، تذوب ظرفاً وتقطر حسناً ؛ ولا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى ، وعطف مساجلتها ووقف مناقلتها بين رجلين ، سمى أحدهما عيسى ابن هشام، والآخر أبا الفتح الأسكندرى ؛ وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر ، فى معان تضحك الحزين وتحرك الرصين ، يتطلع منها كل طريفة ، ويوقف فيها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحـكاية ، وخص أحدهما بالرواية » . إنتهى النص

وأنا أؤكد لحضرات القارئين أن قول الدكتور « وكان المعروف أن بديع الزمان الهمذانى هو أول من أنشأ المقامات » لم يكن المعروف وإنما كان المنكر الذى ينكره التاريخ ويبرأ منه

لقد أنذرنى الأستاذ السباعى ، فهل يجيب عن هذه المؤاخذات قبل أن ينفذ ذلك الإنذار الفظيع ؟

المهمّ هو أن ينظر أبناء دار العلوم فى هذه المؤاخذات الموّجهة برفق إلى نسخة « تهذيب الـكامل » لا إلى الأستاذ السباعى ، فـا أجرؤ على الهجوم عليه ، وهو أديبٌ يرانى ويرى أستاذى من المغرورين المجترئين !

المهمّ هو الصدق فى خدمة اللغة العربية ، وأنا بهذه الدراسات أخدم لغة العرب خدمةً يعجز عنها السباعى بيومى . وإن طال الشوط وسيطول فسيندم السباعى على ما اجترح من ستر جنايته على المبرد بجنايته على المرصفى

إن قلبى ليكتحل بالغُبار الذى يثيره قلمى ، فن طاب له أن يلقانى فى ميدان النقد الأدبى فليوطّن نفسه على مكاره لا يصبر على لأوائها غير الخناذيذ

وإلى اللقاء ، فللحديث شجون وشجون

زكى مبارك

الأدب قديماً وحديثاً ، وإنما هي مقدمة ساقها الدكتور باطلة ليبني عليها تلك النظرية التي طنطن بها وعج . وليسمح لي صديقي أن أعيد على مسمعه ما سبق أن رميته به من قلة الاطلاع ، فإن ذلك النص التاريخي لم يكن هو الذي كشف عنه . وكيف وقد كان نصاً معروفاً متداولاً نقله كثير من الأقدمين تدليلاً على أن البديع لم يكن المنشىء الأول للمقامات ، كابن خلكان وياقوت في كتابيهما وفيات الأعيان ومعجم الأدباء ، وكالشريشي في شرحه لمقامات الحريري . ولولا ضيق (الرسالة) في هذه الظروف لنقلت نصوص هؤلاء الأعلام ، ثم لذكرت غيرهم وأتيت على نصوصهم ، في سبيل نقض هذه الدعوى التي ادعاها الدكتور ، تلك التي أخجل أن أسميها دعوى بالمعنى المعروف لأنها ظاهرة الفساد والبطلان ، وليس للخصومة بشأنها أي مجال ، ولكن صديقي حين صادفه هذا النص وهو يقوم بما يقوم به في زهر الآداب - بتكليف من طابعه الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية ولولاه ما كان عثر - اعتقد أنه عثر على ما لم يعثر عليه إنسان، وأنه بهذا الكشف عن ذلك الكنز : كنز توت عنخ أمون قد أصبح فارس ميدان أو فارس البدان ، وإذن فليجل وليصل وليمش في الأرض مرحاً حتى يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولاً ؛ ثم ليستمع الناس له مرغمين ساكتين وهو يقول بعد القول الذي فندناه : « ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان إلى هذا الفن ، وإنما رأيت من يطال سبقه بنزعته الفارسية » جاهلاً أن رجال النقد يأبون عليه ذلك إن كان قد عرفهم ؛ فإن تلك النظرية التي يزعم كشفها بيده وتقديمها للأدباء مخترعة ببحثه ، معروفة للأدباء الحديثين ، ومدروسة منهم للمتأدبين . وها نحن أولاء أبناء دار العلوم فتحنا عيوننا أول ما درسنا الأدب بتلك الدار على هذه النظرية المزعوم كشفها وتلقيناها على أيدي أساتذتها في العُشر الأول من هذا القرن الذي أوشك أن ينتصف ، أي منذ أربعين من السنوات

هذه هي الحقيقة ناصعة، ولكن ليس لي أن أتركها من غير دليل أقدمه لصديقي الدكتور ، بعد الذي قدمه عن نفسه من أنه لا ثقة للناس في اطلاعه ولا علم لهم باتساع أفقه ، وإذن فليتلق هذا الدليل من إحدى مذكرات المرحوم الشيخ أحمد الإسكندري ، فقد كان يدرس تلك النظرية لطلبة دار العلوم قبل أن يكون الدكتور شيئاً . قال رحمه الله في الصفحة ٣١٠ من مذكرة مطبوعة في الأدب العباسي لطلاب السنة المكتبية ١٩٢٩ — ١٩٣٠ طبعة أخيرة ، وهو يتكلم على المقامات في ترجمة البديع ما نصه :

« وكان ممن أعجبته هذه الطريقة - يعني طريقة المقامات - ابن دريد ، فأراد أن يلقن نابتة زمانه اللغة والأدب في هذا النوع من الكلام . قال أبو إسحاق الحصري في كتابه (زهر الآداب) : وقد ذكر أبا الفضل الهمذاني بديع الزمان - وهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، كلام غض المكاسر، أنيق الجواهر » إلى آخر هذا النص الذي ادعى كشفه الدكتور ثم نقله في نثره معجباً به أيما إعجاب

أصدقت إذن يا صديقي أنك كنت في قولك : « ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان إلى هذا الفن » أجرأ منك في قولك السابق : « وكان المعروف أن بديع الزمان هو أول من أنشأ المقامات »

صدق صدق يا دكتور ثم اخل إلى نفسك واحسب عدد من درسوا في دار العلوم على هذا العالم الجليل حقبة تقرب من ثلث القرن ؛ وما كان متوسط عدد كل فرقة على سنيه ينقص عن الستين ؛ فإذا ما حسبت علمت أن من يعرفون تلك النظرية من خريجي دار العلوم وحدهم ، فما بالك بغيرهم ، يناهزون الألفين بل يزيدون . ثم اذكر يا صديقي أن هؤلاء الخريجين يدرسون ذلك لتلاميذهم في مختلفات المدارس ، وفيهم من درسوها لطلاب دار العلوم وطلاب كلية اللغة العربية ؛ ودونوا هذا في مذكراتهم مفصلاً مبسوطاً ، قبل أن تدونه أنت في كتابك موسوماً بسمة الاختراع ؛ وأنا أحد من فعل ذلك لطلابي في المعهدين المذكورين منذ أن بدأت دراسة الأدب فيها سنة ٣٢ — ٣٣ وكتابك لم يطبع إلا سنة ٣٤ ؛ وكذلك فعل زميلي وابن دار العلوم الأستاذ محمود مصطفى في كلية اللغة العربية التي لا يزال فيها إلى الآن

الحق يا صديقي أنك كنت جريئاً إن صح أن يسمى جراءة هذا الادعاء ؛ والحق أن الخجل كان قد رفع حينما زهوت بهذا الكشف المزعوم زهو الطاووس ، فقلت إنك حين أطلعت عليه المسيو مرسيه بباريس دهش وعجب كيف اتفق الناس مع هذا

على أن بديع الزمان هو منشئ فن المقامات ، وأنه أتحفك بهذه العبارة يقولها لك من باب الإطراء وهى : « يظهر أنه ضاع علينا من تاريخ الأدب العربى شىء كثير » ؛ ثم زدت فى الزهو فنسبت إلى الدكتور طه حسين من العجب والدهش مثل ما نسبت إلى المسيو مرسيه ، وأنه جال معك فى حديث ألهمه إياه نبأ هذا الاختراع ، ولم يك باقياً عليك إلا أن تذيع أخبار هذا الكشف على تيارات البرق وموجات الأثير

والآن ، أفما كان الأجدر والأولى بالأستاذ الإسكندرى وأمثاله من المحدثين الذين سبقوا إلى هذا الكشف بسنين أن يدعوه لأنفسهم إن كان هناك اختراع ؟ ولكن حاشا لهم وهم ممن يحترمون الحقيقة ولا يتنفلون السواد أن يدعوا دعواك . وأما كان لى أن أرميك — إذ رميتنى بالسرقة والنهب — أنك أنت الذى على افتريت ومنى نهبت ؟ ولكن حاشا ونحن كأساتذتنا نحترم الحقائق ولا نتنفل السواد ، أن نفعل ما فعلت ؛ فإنما الأمر مفهوم معروف ، وأنت فيه المتأخر المسبوق . والذى لا شك فيه بعد هذا البيان أنك كذبت على القدماء ، واغتصبت جهود المحدثين ، ثم لم تتسلل لواذاً ولم تخلص نجياً كما يفعل السارقون ، ولكن أبيت إلا أن تهلل وتكبر ، وتتعالى وتتجبر ، ثم تتغالى فى الزهو بنفسك ، واجتذاب الإعجاب بك من غيرك ، وإذا بالحق يصرعك وينتقم للأدب والجماهير منك ... وإنى أستحلفك بالله يا صديق صادقاً ، كيف وصفت نفسك إزاء ما سميتها نظرية وهى من البدهيات بما وصفت ؟ أ كان ذلك عن جهل منك إلى هذا الحد ، أم هو تغرير وادعاء ليس من بعده بعد ؟

وبعد فقد آن لى أن أكر راجعاً على كلمتك التى رميتنى فيها بالسرقة منك بعد أن قبضت عليك متلبساً بالسرقة التى ادعيت ، فأعلق على باقى ما ذكرت فيها بعبارات خاطفة ؛ إن شئت بسطت كل عبارة منها فى مقال كالذى سمعت :

١ — جعلت عنوان كلمتك « الهجوم الآثم على الشيخ سيد المرصفى » وهذا أمر غبت عنه ولم تشهده فكيف أقدمت عليه قبل أن ينجلى لك ؟ وإذا سوغك تطاولك أن تسميه هجوماً فكيف وصفته متسرعاً بالآثم فكنت الآثم بما وصفت ؟

٢ — تزعم أن الخطابات قد كثرت عليك فى تحقيق ما ادعيته على فى حق الشيخ المرصفى ، وأنا أجزم قاطعاً ، وأحلف غير حانث ، أنه لا خطابات ؛ وإذا كانت فإنها لا تعدو ركب النميرى الذى قال فيه :

ولما رأت ركب النميرى أعرضت ... وكن من أن يلقينه حذرات

فلما سئل فيم كنت ؟ قال والله إن كنت إلا على حمار هزيل ولى رفيق على أتان مثله

٣ — تقول : « وكنت — أى لولا تلك الخطابات — أغفلت هذا الموضوع عن عمد ، لأن الأستاذ السباعى له على حقوق » وما كنت أفهم إلا أن تلك الحقوق إنما هى حقوق الصداقة ، فإنى لا زلت بها حفياً وعليها حريصاً ، ولكنك جعلتها يا صديق : « أننى كنت دائماً من أنصارك » وليس لمثلى أن ينخدع بخدعة الصبى هذه تسوقها إليه ، فالحقيقة المرة التى أسمعك إياها الآن بعد أن طغيت زماناً ولم ترد ، أنك ما كنت فى يوم زعيماً فى الأدب حتى يصح أن يكون لك أنصار ، وإنما زعامتك نسج عنكوت حكته من حولك ، وتركك الناس تلهو به وتلعب ، ثم زدت هذه العلة أخرى تقول فيها : « ولأن مقام الشيخ المرصفى أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تساق إليه فى إحدى المحاضرات » . وإنى أحذرك جريئاً على تحذيرك إن كنت تريدها خصومة أدبية بينى وبينك أن تترك الآن الشيخ المرصفى ، فإن التحكك به لن يغنى عنك فى الموضوع شيئاً ؛ وإذا ما صفى الحساب بيننا عدت أبين لك أن مكانة الشيخ المرصفى لا تعلو على النقد ؛ وأن الذى يصفه بمض ما وصف به المبرد لا يكون قد عدا الحقيقة ، ولا تعدى على السلف الصالح ، فإن المبرد على أية حال أعلم من المرصفى علماً ، وآدب منه أدباً ، ثم هو أدخل منه فى السلفية الصالحة دخولاً يقوم شاهداً عليه عدد وافر من القرون

٤ — ورابعاً تقول : « ولكن سكوت الأزهريين عن الانتصار للشيخ المرصفى أزعجنى وكنت أرجو أن يكونوا درعاً واقية لذلك الشيخ الجليل وهو رجل لم ير مثله الأزهر منذ أجيال طوال » . وأنا أصدقك القول يا صديقى بغض النظر عن نصيب هذا التفضيل الذى أسبغته على الشيخ من الحقيقة والواقع ، بأن عبارتك هذه من باب الاستعداء الذليل والملق الرخيص الذى ينقص منك ولا يزيد فيك ، فقد فاتك أن الأزهريين يقدسون حرية البحث فى دراساتهم أول ما يقدسون ، وأنهم يرون المبرد

قبل أن يرثوا للرصفى ، وأن ديدنهم فى ماضيهم وحاضرهم يأبى عليهم إجابتك إلى ما تطلب ، لما يحسونه فى طلبتك من غرض وهوى ، ولأنه إذا كانت هناك حقيقة اعتدى عليها كان من شأن هذا الاعتداء أن يحفزهم على نصرتها من دون صراخ لك فيها ولا استعداء منك بشأنها .

٥ — وخامساً تعتبر مضايقتى بلاء لصداقتىّ ، والسكوت عن الرصفى بلاء لأستاذيته ، ثم تخرج من هذه الحيرة بنقل القضية من وضع إلى وضع ، لتصيرها أدبية بعد أن كانت شخصية ، ثم تعلن عن هذه الخصومة فإذا هى أمران ، أحدهما زعمك أنى زعمت الشيخ الرصفى قد سرق بعض أفكارى ، وإهابتك بى أن أستعد للدفاع عن النظرية التى نهبتها من كتابك النثر الفنى ونشرتها فى مجلة السراج ، والآخر أننى أستر جنايتى على المبرد بجنايتى على الرصفى ، وأنك ستعرفنى أن تهذيبى للكامل لم يكن إلا جناية أدبية ، وأن التطاول على مقام الشيخ الرصفى لا يذهب بلا عقاب

ورأيى لك يا صديقى فى الأمر الأول، أمر سرقتى من نثرك إلى مجلة السراج قد سمعت فيه كلمتى الثانية هذه التى سقتها إليك بشأنه، واثقاً أن لك فيها دواء ناجعاً من الادعاء وشفاء شافياً من الغرور، وراجياً أن تكون أهلاً لثقتى هذه فيك

أما رأيى لك عن الأمر الثانى فقد أنبأتك آنفاً بإرجائه إلى ما بعد كلمتى هذه والسابقة ، لأنه موضع الخصومة وفيه سيكون النزال . وإنى بهذه الخصومة لجد مسرور ، أتدرى لماذا ؟ لأنى سأعرضك فيها للجمهور على حقيقتك التى غشيتها ما غشيتها ، وتسامح الناس معك فيها ما تسامحوا . وسيكون أول كشف لك فيما عملت ، واقعاً على زهر الآداب إن شاء الله ، لأنه دون سائر أعمالك أشبه بما عملت فى تهذيب الكامل الذى عددته جناية أدبية ، حتى إذا ما أخرجتك بمقالاتى فيه ، معترفاً لى ببراءتى من هذه الجناية ، ومعترفاً على نفسك بإجرامك على الزهر وصاحبه وعلى الأدب ، انبريت إلى تصانيفك — التى لا شبه لها عندى إلا أفراخ البنات كثرة عدد وقلة غناء — أرد ما ليس لك فيها وهو أكثرها إلى مآخذه ذاكراً ما أوقعت فيه من تحريف ،

وأبين زيف ما هو من صنع يدك وهو القليل ، بما لا مخرج لك منه أمام الناس لا أمام نفسك

٦ — بقى قولك فى نهاية كلمتك إنك تكره البغى على أصدقائك وإن أمرك معهم لم يكن إلا شبيهاً بأمر أكثم بن صيفى « إن قول الحق لم يدع لى صديقاً » وما كان أكثم لك بشبيه ، فإن الذى لم يدع لك صديقاً إنما هو دأبك على الباطل فى كثير مما تبحث ، وبغيك على حق الصديق فى جل ما تنقد ، حتى لقد أمللت ومللت . ولقد حدثتنى نفسى أن أكون فيما بغيت علىّ عاملاً بالآية (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) كما فعل كثير ، ولكنى رأيت فى بعض وجوه الحزم — وأنت عالم بالوجه الذى رأيت — أن أحيد فى معاملتك عن تلك الآية السمحة إلى هذه الآية العادلة (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) وحقاً لا تثريب علىّ ولا سبيل (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم)

وإليك يا صديقى سلامى حتى ألقاك فى مقالى المقبل بالدفع المنيف لما كتبت فى العدد الماضى مصحوباً بالهجوم الأعنف على ما صنعت بزهر الآداب

السباعى بيومى

فى العقـــد

لأستاذ جليـــل

— ١ —

طالعت الجزء الأول من كتاب العقد الذى أظهرته فى هذا الوقت لجنة التأليف والترجمة والنشر، أو دولة العلم والأدب والفضل فى مصر، وضبطه العلماء الأجلاء : الأستاذ الكبير أحمد أمين، والأستاذ الفاضل أحمد الزين، والأستاذ الفاضل إبراهيم الإبيارى، فرأيت فى هذه الطبعة الرائعة تحقيقاً كثيراً، وفضلاً فى الشروح والتعاليق كبيراً. وقد عثرت على أشياء فى هـذا الجزء فى أربع مئة[1] صفحة كنت أعاين ضعفها (والله) فى صفحة واحدة من تلك الطبعات القديعات الخبيثات[2]. ولا ريب فى أن أكثر الخطأ فى طبعة اللجنة إنما هو تطبيع، وإن لم يرد فى جريدة الإصلاح، وسأكتب فى هذا (الإملاء) معظم ما وجدت غير متبع ترتيب الأقوال فى صفحاتها.

***

١ — ص (١١٩) قال الشنفرى :

إذا حُملتْ رأسى وفى الرأس أكثرى
وغـودر عنـد الملتقى ثَمّ سـائرى

وجاء فى الحاشية : فى ١ : احتملت. وفى عيون الأخبار : هم ضربوا وفى البخلاء : إذا ضربوا

قلت : هذا البيت فى مقطوعة (ثلاثة أبيات) رويت فى العقد وفى ديوان الحماسة، ورواية أبى تمام : (إذا احتملوا)، وفى شرح التبريزى : (ويروى إذا احتملت)، واللفظة غير مشكولة. وإذا صحت هذه الرواية، فالفعل مبنى لما سمى فاعله، فيعود الضمير إلى (أم عامر) فى البيت قبله فى أول المقطوعة :

لا تقـبرونى إن قبرى محرم … عليكم ولكن أبشرى أم عامر[1]

أو إلى شىء حذفه أبو تمـام، فقد كان يختار من قصيدة طويلة بعض أبياتها. وضبط (حملت) بالبناء لما لم يسم فاعله مشكلة أى مشكلة، بل مصيبة … إذ يؤنث بها (وطن النهى)[2] والرأس فى أقوالهم فى جميع أزمانهم مذكر. قال التاج : اجمعوا على أن الراس مذكر

ويلوح لى أن صاحب هذه الأبيات هو صائغ اللاميتين : لامية الشنفرى ولامية تأبط شرًّا … فى الرثاء، وأولها :

إن بالشعب الذى دون سلع … لقتيـلاً دمه ما يُطـل[3]

قال التبريزى : (إنها لخلف الأحمر وهو الصحيح)؛ وقال أبو على فى أماليه : كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة، وأشعر الناس على مذاهب العرب. حدثنى أبو بكر بن دريد أن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم … فإنى إلى قوم سـواكم لأميل

له، وهى من المقدمات فى الحسن والفصاحة والطول؛ فكان أقدر الناس على قافية

قلت : وأبو بكر بن دريد كان خير خلف لخلف ولمن سلف من الصواغين المزخرفين، فصنع ما صنع، وأمالى القالى ملآنة مما ابتدع

٢ — ص (٣٦١) ودخل أعشى ربيعة على عبد الملك ابن مروان، وعن يمينه الوليد، وعن يساره سليمان، فقال له عبد الملك : ماذا بقى يا أبا المغـيرة؟ قال : مضى ما مضى وبقى [ما بقى] وأنشأ يقول. ورويت مقطوعة بيتها الرابع هو هذا :

وإن فؤادى بين جنبى عالم … بما أبصرت عينى وما سمعت أذنى

وجاء فى الحاشية : زيادة (ما بقى) يقتضيها السياق والذى فى ب : مضى وبقى

---

(١) لقد آن أن ندع الهزل فى الهجاء، وأن نرسم ألفاظ العربية جادين، فأكتب (يا فتى) أربع مئة أو خمس مئة بهذه الصورة كل لفظة على حدة دون نقصان فى ثلاث ولا زيادة فى مئة

جاء فى صبح الأعشى : أثير الدين أبو حيان : أكتب أنا مئة بغير ألف كما تكتب فئة لأن كتب مئة بالألف خارج عن القياس.

(٢) لم أقف على الطبعة التى أخبرنا بها فى (الرسالة ٣٩٢ ص ٨) الأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان؛ ولم نعلم بظهورها فى السوق

(١) فى البيت خذم. والرواية فى طبعة العقد (فلا تدفنونى) وقد ذكرت فى الحاشية الرواية الصحيحة فى الحماسة والأمالى

السيدة أم عامر . . . هى الضبع

(٢) ابن الأثير فى الفصل الخامس فى جوامع الكلم، فمما جاء من ذلك قول أبى تمام :

سبق المشيب إليه حتى ابتزه … وطن النهى من مفرق وقذال

فقوله وطن النهى من الكلمات الجامعة، وهى عبارة عن الرأس، ولا يجاء بمثلها فى معناها مما يسد مسدها

(٣) قالوا : إن شاعر الجرمان الأعظم (غوته) نقل هذه القصيدة إلى الجرمانية وسماها نشيد الانتقام

قلت : جاء فى شرح الحماسة للتبريزى : ... فقال له : يا أبا المغيرة ما بقى من شعرك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد بقى منه وذهب ، على أنى الذى أقول ... الأبيات . وقوله : ذهب أى ذهب منه ، وهو قول حلو محكم . والبيت الرابع هذه روايته فى الحماسة :

وإن فؤاداً بين جنبىّ عالم بما أبصرت عينى وما سمعت أذنى

قال الإمام التبريزى : « نكّر فؤاداً لأنه باتصال قوله بين جنبىّ — اختص ، حتى علم أنه قلبه من بين القلوب » وقد ائتم المتنبى بهذا الشاعر فى قوله :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلباً بين جنبى ماله مدى ينتهى بى فى مراد أحده

وتنكير فؤاد الربعى وقلب الكندى فى هذا المقام — من الطف الكلام

٣ — (ص ٣٦٧) والدهر « أطرقُ مستتب »

وجاء فى الحاشية : كذا ورد هذان اللفظان (أطرق مستتب) فى الأصول والأغانى (ج ١٨ ص ٧٤ طبعة بولاق) ، وكذلك فى النسخة الخطية ولم تتبين معناها

قلت : هذا القول من أمثالهم ، وقد رواه الميدانى فى (مجمع الأمثال) ، وقال فى تفسيره : أى مطرق منغض منقاد . وفسره فى مكان آخر بقوله : الطرق استرخاء وضعف فى الركبتين[١] ، والاستتباب: الاستقامة : يريد أن الدهر تارة يعوج وتارة يستقيم

قلت وأطرق فى التفسير الأول مبنى من (أفعل) قال الرضى : وعند سيبويه هو قياس من باب أفعل مع كونه ذا زيادة ، ويؤيده كثرة السماع ، ويجوزه قلة التغيير لأنك تحذف منه الهمزة وترده إلى الثلاثى ، ثم تبنى من أفعل التفضيل ، فتخلف همزة التفضيل همزة الأفعال ، وهو عند غيره سماعى مع كثرته

٤ — (ص ٣٦٧) فلا تجمل بيننا وبينك الأسدة

قلت : لا تجعلن بجنبك الأسدة . وهو من أمثالهم . قال الميدانى فى كتابه : هذا مثل يقع فيه التصحيف ، فقد روى بعض الناس : لا تحفلن بجنبك الأشد ، وتمحل له معنى يبعد

(١) فى الركبة واليد يكون فى الناس والأبل ، وقد طرق كفرح فهو أطرق وهى طرقاء (التاج)

عن سنن الصواب . وقد تمثل به أبو مسلم صاحب الدولة حين ورد عليه رؤبة بن العجاج ، وأنشد شعره[١] ثم قال له أبو مسلم : (إنك أتيتنا والأموال مشفوهة[٢] ، والنوائب كثيرة ، ولك علينا معول ، وإلينا عودة ، وأنت لنا عاذر ، وقد أمرنا لك بشىء وهو وَتِح[٣] . فلا تجعلن بجنبك الأسدة ، فإن الدهر أطرق مستتب) ؛ ثم دعا بكيس فيه ألف دينار فدفعه إليه . قال رؤبة : فوالله ما أدرى[٤] كيف أجيبه ... قال الجوهرى: السد بالفتح واحد الأسدة ، وهى العيوب مثل العمى والصمم ، جمع على غير قياس ، وكان قياسه سدوداً ، ومنه قولهم : لا تجعلن بجنبك الأسدة ، أى لا يضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم أو بكم ...

قلت : كان أبو مسلم من كبار البلغاء الفصحاء . أورد الإمام الزمخشرى فى الكشاف قراءة له فى تفسير الآية الكريمة : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق . ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً ، فلا يسرفْ فى القتل ، إنه كان منصوراً) فقال : (وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة : فلا يسرفُ بالرفع على أنه خبر فى معنى الأمر ، وفيه مبالغة ليست فى الأمر

وهذا الخبر فى الكشاف يدلنا على مكانة أبى مسلم فى العربية وقدره العظيم عند جار الله

ووصف المدائنى أبا مسلم ـ كما نقل ابن خلكان ـ فقال : كان قصيراً أسمر ، جميلاً حلواً ، نقى البشرة ، أحور العين ، عريض الجبهة ، حسن اللحية وافرها ، طويل الشعر ، طويل الظهر ، قصير الساق والفخذ ، خافض الصوت ، فصيحاً بالعربية والفارسية ، حلو المنطق ، راوية للشعر ، عالماً بالأمور ، لم يُرَ ضاحكاً ولا مازحاً إلا فى وقته ، ولا يكاد يقطب فى شىء من

(١) فى العقد : فأنشدته :

ما زال يأتى الملك من أقطاره
ومن يمينه ومن يساره
مشمراً لا يصطلى بناره
حتى أقر الملك فى قراره

قلت : فى ديوانه : مشمر ، أى هو مشمر

(٢) الأساس : وماء مشفوه كثرت عليه الواردة ، ومن المجاز : قول أبى مسلم لرؤبة : أتيتنا وأموالنا مشفوهة

(٣) شىء وتح : قليل وتح بفتح الأول وسكون الثانى وفتحه وكسره

(٤) يصور رؤبة تلك الحال

بين عامين

سراب وأمـــل ...

للأستـــاذ شكرى فيصل

— ١ —

رجعت اليوم مبكراً إلى غرفتى المتواضعة فى الضاحية النائية ، فى موكب من الوحدة والصفاء والانطلاق ، فلم يعد يحلو لى أن أطوّف فى أرجاء المدينة ، أو أذرع شوارعها العابسة بعد أن لفّتها الظلمة ، وغيض منها النور ، وكرهت نفسى هذا الرداء الأسود ذا النجوم الزرقاء الكابية الذى يضفونه على جنباتها الزاهية ، فلم أجد إلا مصباحى وزاويتى ... أعوذ بهما من شر الظلام الحالك

جلست إلى جوار النافذة أرقب النهار المدبر . لقد تجهمت السماء ، وأخذت تودع ألقها الصافى ، وانتشرت فى أطرافها البراقع القاتمة كأنها نذر الليل الزاحف ... ولم يبق من الشمس إلا تلك الشعاعات الجريئة القوية التى أبت الهزيمة ، وكرهت الفرار ، فوهبت دمها القانى لهذا الطرف البعيد من الأفق كآخر ما تملك من فداء وتضحية ! !

لشد ما يأسرنى الغروب ..! إنى لأجد له فى نفسى أجل الوقع . أترى كان ذلك لأنه يذكرنى آمالى الغاربة التى بددتها الريح وابتلعها اليأس ؟

— ٢ —

كان كل ما فى الضاحية يتشح بالسكون ، ويغرق فى الصمت ، ويدعو إلى التأمل ... هذه الأرض الحلوة الطيبة تضم ذراريها التى تفتحت عنها من الخضرة الزاهية ، وتنام معها على هدهدة المساء ؛ وهذا النخيل القائم ، يرتكز إلى نفسه ، كأنما مَل هذا الانتصاب ؛ والشارع الطويل الممتد ، كأنما كان طريقاً فى صحراء لا يقطعه إنسان ، ولا تجوزه مركبة ، ولا تخترقه سيارة ؛ وهذه الخراف الصغيرة فى أرض الجارة العجوز قد اطمأنت إلى حظيرتها الناعمة ... لم يبق أحد أو شىء ... إلا أنا ... أنا وهذه الساعة التى لا تنى تتحدث وتتحدث .

— ٣ —

واستغرقت فى هـذا التأمل ، وأصغيت إلى هذا الحديث ، وأحسست له معنى جديداً . لقد كنت أستمع إليه فى الصباح وعند الظهيرة وفى المساء ، فلم يكن ليحظى بشىء من انتباهى إليه وإصغائى له ، ولـكنه يأتى إلىّ الآن معنى رهيباً أجد له فى نفسى ألواناً من الصدى ، وأنواعاً من التأثير ، ثم هو يقترن إلى هذه الشعاعات الأخيرة الذاهبة فى الفضاء فيكون معها شيئاً رائماً ينفذ إلى أعماق ، ويستثير فيها الذكريات الجائمة التى احتضنها الألم وغشاها الحزن

أيظل الإنسان رهن هذه اللفتات النفسية التى تصرفه عن دنياه ، وتباعد بينه وبين أجوائه ، وتقذف به فى عوالم مواجة ، وتطيح به هنا وهناك ألعوبة فى يدها . يذكر كل شىء وينسى كل شىء ، ثم لا يخرج من هذا الذكر والنسيان بغير الابتسامة الفاترة أو النظرة القلقة أو الأمل المريض

وتثاءب الـكون ، فسرت فى جسم الأرض نسمة هادئة اهتز معها العشب الأخضر ، وانثنت لها أغصان النخيل ورقص قرص الشمس المضطرب فى كبد الأفق وهو يغوص فى بحر اللانهاية

— ٤ —

فى هذه الساعة كانت تتمثل آخر معارك النور والظلمة على مشهد الـكون . لقد ظلت هذه المعارك أياماً كثيرة ما أطولها ! لقد امتدت مع العام الراحل كله ، تسجل غدر الزمان وغلبة الشر وتظهر هذا الإنسان المتفائل على مكاره الحياة ومصاعب الدهر ، ولـكنه يأبى إلا أن يسرف فى التفاؤل ، ويُغرق فى الضحك ، ويرى الحياة بعينى طفل غرير

وأصغيت من جديد إلى حديث الساعة ، كما أصغى لوحى الحنين حين يهيج بى الشوق ، وعجبت لنفسى كيف تأخذ على هذه التمتمات الخافتة كل مشاعرى وانتباهى ، أكان ذلك لأنها نشرت لعينى

أحواله ، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور ، وتنزل به الحوادث الفـادحة فلا يرى مكتئباً ، وإذا غضب لم يستفزه الغضب

وكان أبو مسلم ينشد فى كل وقت :

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت ... عنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم ... والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

١٤ ه ١٦٠

***

حديث الماضي ، وطوفت بي فى ثنايا العام ، ووقفت بي عند هذه اللحظات من سنة خلت ، حين كنت أرقب مطلع الشمس من ضمير الأفق ومنبت البذور فى مغرس الأمل ، وحياة النعيم فى دنيا الشقاء ؟ أم كان ذلك لأنها تريدنى أن أعب من هذا النور المرتجف قبل أن يخنقه الظلام ، وأتزود بهذه الحرارة قبل أن يودى بها العدم ، وأشهد ساعة الوداع قبل أن يطغى الليل ؟ !

سواء لدى الأمر فلقد أثرت أيتها الساعة القابعة فى طرف الغرفة كل شجونى فاستفاقت على أنغامك العذبة ذكرياتى الغافية كما تستفيق جماعة الطير على أنداء الفجر ، وتحركت نفسى الراكدة على نبراتك الساحرة كما تتحرك صفحة الماء فى استقبال النسيم ، وأحسست حرارة الحياة حين خضت على هدى منك هذا الفضاء الذى أخلفه ورائى فى العام الراحل

لقد كنت أتجنب أن أنظر إليه ، لأنه يرهبنى أن أرى الزهرة الناضرة تذوى فى الكهف المظلم ، والبرعم الحلو ينطفئ فى رطوبة الفناء ، والشعلة المقدسة تخفت فى مهب الريح العاتية

— ٥ —

فى مثل هذه اللحظات من العام الماضى كنت اقتطفت هذه الزهرة من روضة الصبى فغرستها فى أرض الحياة ، وسقيتها بماء الأمل ، وغذيتها بالأمانى ، وانتظرت ثمرتها الغضة ... ولكن الحياة التى ألفت الغدر وعشقت الشر ، تريد أن تمنع عنى الأريج وتحول بينى وبين الثمرة !

وفى مثل هذه اللحظات من العام الفائت ، حملت بداى المصباح الذى يستمد حرارته من دم القلب ، ونوره من شعاع العقل ، وطوّفت به أنشد الهدف وأرنو إلى الغاية ... ولكن السبيل ما تزال تملؤها العقبات ، وتعترضها الحواجز ، وأنا أمضى وأمضى ... ثم أجدنى حيث كنت ... كأنما أدور حول محيط الدائرة دون أن أستطيع بلوغ مركزها ، والمصباح يرف رفيف الأمل المنكسر ، كأنما يظهرنى على خفقات القلب الآيسة من هذا الطواف الممل ...

وفى مثل هذه اللحظات أيضاً مددت يدى إلى الحياة ، فى نفسى السرور ، وعلى وجهى البشر ، وفى يمينى الحق ... وانطلقت أصافحها ، تملأنى الثقة ، ويزدهينى المستقبل ، ولم أفطن لهذا الغطاء الناعم الذى كان يكسو يدها ويريق عليها مظاهر الفضيلة ... ثم أدركت بعدُ أن القفاز يستر الشوك ، وأن الشوك ينطوى على السم ، وأن السم يكيد للحق ويخنق المستقبل

لقد أدركت الآن لماذا كان لدقات الساعة فى هذه اللحظات مثل تلك الروعة وذاك الأثر ... لقد كانت توقع بنبراتها الحادثة رنين الأمل الهادى فى قرارة اليأس ، وتمثل حشرجات الأمانى فى صدر الزمن ، وتبكى بنغمتها المؤثرة العام الراحل ... وكانت تستفزنى أن أرفع بصرى إلى السماء ، وأدير نظرى فى الكون لأشهد هذا الوداع . فما كنت أستطيع أن أرى شيئاً ، فقد اختلط علىّ الأمل واليأس ، كما يختلط قتام الليل بوضح النهار ، وتساوى عندى الأمس واليوم ، كما تساوى الماضى والمستقبل فى عمر الدهر ، وأحسست فى نفسى فراغاً كبيراً ممتلئاً بكل شىء ويتسع لكل شىء ... يتجاوب فيه كل صدى ، وترن فيه كل نغمة ... ثم تضيع فيه هذه الأشياء والأنغام والأصداء ، كما تضيع هذه الأشعة فى كهوف الأفق

— ٦ —

إنى لأفتح عينىّ الآن فلا أرى شيئاً ، لقد امتزجت فى أذنى الأصوات المنبعثة عن حداء الزمن ، وضحك الأمل ، وصعقات العاصفة ، كما اختلطت فى عينىّ الأنوار المنبعثة من جوف الماضى وغياهب الآتى ، وصفحات الحاضر ... فما تغرينى دقات الساعة لأن الزمن لم يعد شيئاً فى حياتى ، فقد أسفت للزمن ، وما تبكينى الشجون ، لأن اليقين قد طوى الألم ، وما ينتابنى القلق ، لأن الإيمان يصرع الهواجس

سأقتطف الزهرة الجديدة من قلب الصبى الناعم ... وسأغرسها فى رعاية الله وحنانه وبره ، وستمتد يدى من جديد لتصافح ملائكة السمو والمجد ، وسأحمل المصباح ، يستمد نوره من الإيمان واليقين ، وسأنشد الغاية رضى النفس ، وسأقطف الثمرة ، تباركها يد الله ، وأحقق الهدف يهدى إليه نور الله ...

فى طرف الأفق ، كانت تغيب الأرض غلالة النور ، وفى كبد الجو كانت تطلع السماء أنوار النجوم ، وتبعث شعاعاتها المهتزة على الأرض المكروبة ، تبشرها بالنور الطالع والفجر القريب ، وفى الحاشية البعيدة ، كان يرقص خط دائر من النور . لقد طلع الهلال ، وولد العام ، فماشت معه آمال ، وانتعشت أمانى وضحكت نفوس

« القاهرة » شكرى فيصل

الفنون وضمائر الشعوب

للأستاذ سيد قطب

حين تفسد الفنون فى أمة من الأمم تفسد فطرتها، والعكس صحيح، فما تفسد سليقة الأمة حتى تتبعها الفنون؛ ومن هنا كان اهتمامنا بمكافحة «الغناء المريض» لأننا نكره لهذا الشعب أن تفسد فطرته، كما نكره له أن يكون عنوان هذه الفطرة هو هذا الغناء

والموسيقى والغناء أمسُّ بضمائر الشعوب من سائر الفنون، فقد يكون الأدب كما يكون النحت والتصوير لغة جماعة من خواص المثقفين المدربين على الإحساس والفهم، أما الموسيقى والغناء فهما لغة البداهة والتعبير المباشر عن أعماق السليقة

نعم إن الطبائع تتفاضل فى فهم الموسيقى والغناء والحس بهما، ولكن يبقى مع ذلك فارق أصيل بين السلامة — وهى أولى درجات الفنون، والمرض — وهو لا يلتبس على طبيعة مستقيمة أو فطرة سليمة

ونحن لا نتطلب من الملحنين والمطربين اليوم سمواً فى التعبير عن الفطرة الإنسانية ولا امتيازاً فى الإحساس على الجماهير، ولكننا نقنع فقط بالسلامة فى الشعور الإنسانى، بل نتواضع فنقنع بالسلامة الحيوانية، غير أننا لا نجد حتى هذا المطلب المتواضع فيما يذيعونه من أغنيات ولحون

ويبدو أننا مبالغون فيما نطلب من هؤلاء الناس، وأنه تكليف مجهد لطبائعهم ولثقافتهم ذلك التكليف الذى نسومهم إياه. وإذا كانت هناك بارقة من أمل فلن تكون فى محاولة توجيههم أو تقويم فطرتهم أو رفع مستوى إحساسهم؛ فذلك ما لم يتهيئوا له، ولكن المحاولة يجب أن تتوجه إلى وخز طبيعة هذه الأمة، فإن كان فيها خير عافت هذا الترجيع وانصرفت عن هذا الترنيم، وإلا فقد «وافق شن طبقة» وعفاء على الجميع!

ووجه المبالغة فيما نكلفه هؤلاء الناس أن الموسيقى والغناء مهما يكونا لغة الفطرة وتعبير البداهة، فهما فى حاجة إلى طبائع سليمة، وتلك موهبة لا يؤتاها إلا القليلون وإن كانت تبدو حقاً مباحاً للجميع، وفى حاجة إلى ثقافة عقلية ونفسية كذلك وإلى فهم أو إدراك لدُنّى لمهمة الفنون، وتلك شقة بعيدة على نشأة هؤلاء القوم، وآفاق لم يفتحوا أعينهم عليها ولم يتطلعوا مرة واحدة إليها.

الفن — شعراً كان أم تصويراً أم غناء أم موسيقى ... — هو «صورة الكون فى نفس إنسان» وهو «تبلور الحياة فى حس فنان» فهل ترى حين تقول هذا الكلام لكان من المشتغلين بالموسيقى والغناء فى مصر يحسبك تتحدث بلغة مفهومة أم يفغر فاه عجباً من هذه اللغة الغريبة التى لم يسمع بها فى لغة أبناء هذا الزمان ولم يحس لها تفسيراً فى نفسه وهو يعالج ما يعالج من ألحان؟!

الموسيقى والتلحين، هما هذا الذى يدرسونه فى معهد الموسيقى الشرقى من السلم الموسيقى والمسافات فى النوتة والتوفيقات التوقيمية بين وزن القطعة التى بين يدى الملحن وبين النغمات التى تناسبها — أيا كان معنى هذه القطعة وجوها الفنى فذلك آخر ما يفكر فيه الملحنون. فإن خرج (موسيقار مجدد) عن هذه الحدود، فإلى بعض الألحان الإفرنجية وبعض ألحان سيد درويش: سرقة واقتباساً وتمزيقاً وتشويهاً، ويا ليتها سرقة صريحة واضحة ولكنها «مرمطة» لهذه الألحان المسروقة حتى تلين وتتكسر وتتخلع وتناسب هذه الدغدغة الماجنة التى يدعونها تجديداً فى التلحين

هذه وتلك آفاق المشتغلين بالموسيقى والغناء فى مصر، فما تكون إذن «صور الكون فى نفس إنسان وتبلور الحياة فى حس فنان»؟ ما يكون هذا الكلام الذى يشبه المعميات والألغاز عند هذه النفوس الضعيفة الصغيرة، وهذه العقول المسكينة المحدودة؟!

بلغتنى قصة طريفة عن مولد قطعة غنائية يتميع بها شبان البلد وشوابه فى هذه الأيام، ولست متأكداً من صحة جميع تفصيلات هذه القصة ولكنها ليست بعيدة التصديق ولا متعارضة مع المعروف عن هؤلاء «الفنانين»!

قال مغنى القطعة لمؤلفها: ما رأيك فى «مايهونش» ألا ترى أنها تكون «مؤثرة»؟ قال المؤلف: تكون!. قال المغنى: وحياة أبيك تضع لنا عليها «طقطوقة» ... فكان!

هذه قصة لا أجزم بصحة تفصيلاتها هى بالذات ولكنها تتفق مع ما أجزم به من طريقة تأليف القطوعات الغنائية وبواعثه وعن غناء. هذه القطع وأسبابه فى نفوس المؤلفين والمطربين، فليست هذه البواعث أحاسيس نفسية تبعث بالقطعة فى نفس مؤلفها ألفاظاً وأوزاناً وفى نفس مغنيها نغمات وألحاناً

فكيف يتأتى إذن لهذه الأغانى أن تكون شعوراً إنسانياً كريماً، أو شعوراً حيوانياً وتلك بواعث القول والغناء عند هؤلاء وهؤلاء!

ولكنني أغمط التأليف الغنائي حقه حين أسوي بين مستواه ومستوى التلحين والغناء في هذه الأيام ، فنحن إذا تجاوزنا عن المؤلفين المحترفين الذين يطنون كالذباب حول المطربين والمطربات نجد آخرين من كرام الشعراء ومشهوري الأدباء قدموا بعض مقطوعاتهم للغناء ، ولكنها خرجت من يدي اللحن جثثاً هامدة بعد إخضاعها للنغمات المحفوظة والترنيم الممجوج

ولو سارت خطوات الموسيقى والتلحين في مصر على هدى خطوات الشعر ، لكان لنا فن موسيقي محترم ، ولكننا شيئاً في رقعة العالم المريضة التي تموج بالفنون الحية، بينما نحن منها في الرميم

ولا زلت أذكر أن مطربة كبيرة مشهورة ذات صوت فريد في جوهره مستعد لأداء كل النغمات ، كانت تغني في مناسبة بهيجة قطعة تفيض ألفاظها غبطة ، ولكني كنت أتصورها هناك وراء « الميكرفون » وهي تعتصر دموعها اعتصاراً وتنوح نوح المفجع المكلوم !

وإذا ذكرنا الأصوات فلنعترف مرة أخرى أن لدينا منها ثروة لم نحسن استغلالها بالتلحين ، كما لم نحسن استغلال ثروة التأليف ، فالتلحين هو علة العلل ، لأنه جوهر الإحساس الفني وموجه الأصوات والأنغام ، وهو في أيدي هؤلاء الفارغين المشوهي الفطرة ، بل في يد هذا الحطام الآدمي الذي لا يقوى على إحساس الآدميين

وكل لفظ مؤدب عف لا يكفي لتصوير جريمة التلحين على بعض المطربات والمطربين ، وعلى سبيل المثال أذكر المطربة « أسمهان » ففي جوهر صوت هذه المطربة تعبير عن لذة الغريزة وفورة الجنس ، وهو في نظر المعدمين من التعبير السليم مثلنا مكسب كالسكة في يد اليتيم ! لأن السلامة الحيوانية مطلب من المطالب البعيدة عنا في عالم الغناء ، ولكن التلحين المشئوم لم ينتبه إلى هذه الخاصة في ذلك الصوت ، فما هي إلا أغنية أو أغنيتان تبدو فيهما حتى تتوارى وراء التلحين المريض الشائه والتكسرات المنشوشة التي ينفر منها حتى الحيوان السليم !

وبعد فما كان لنا أن نأمل شيئاً في محترفي الغناء والتلحين ، ولكن أملنا كله كما أسلفت في طبيعة هذه الأمة ، وفي ضمائر القلة القليلة التي « لم تشرب من النهر » أن يثيرها الاشمئزاز من كل ما ترجعه الأوتار والحناجر في هذه الأيام ، وأن تدفعها حوافز البشرية الحساسة ، فتقوم بالدعاية الواجبة في كل مجتمع وكل صحيفة ضد هذا الزيف الكريه

ولقد حمدت للأستاذ « عبد الحميد يونس » المذيع بمحطة الإذاعة برنامجه المختار « نصف ساعة من الموسيقى الغربية » وهممت أن أرسل إليه – على غير معرفة – رسالة شكر وإعجاب بحسن اختياره للاسطوانات التي أذاعها لولا أن صرفتني عن ذلك بعض المشاغل العارضة

وإني لأذكر ذلك اليوم علاجاً مضمون العاقبة للسامعين وجرعة منبهة إلى ما في الكون من تعبير رفيع عن المشاعر الإنسانية في الموسيقى العالية يجب تكراره وتكراره كل يوم ضمن برامج محطة الإذاعة لا بين الحين والحين

وإني لأخشى أن يكون وقف هذا البرنامج ثمرة لمسعى بعض المشهورين بالغناء المريض ، فقد كان في بعضه كشف لمواضع مرقاته وفي بعضه عرض لمثل حية رفيعة تعاف النفوس بجوارها فهم الرخيص .

سيد قطب

دراسة شاعر

جوفرى شوسر

للأستاذ أحمد الطاهر

إذا أنست لهذا الشاعر وتذوقت شعره ، فإنك واجد فيه صورة ناطقة لبلاد الإنجليز فى العصور الوسطى ، أو فى القرن الرابع عشر الميلادى . وأجمل ما فى هذه الصورة أن « شوسر » يمثل بأسلوبه البارع - الذى وصفنا فى مقال سابق - نظرية اجتماعية أخلاقية ، تتلخص فى أن الغرائز الإنسانية باقية كما هى على مدى الدهر ، لا تتغير ولا تتحول ، وهى سواء فى الناس جميعاً ، وأما ما يكتنفها أو يخفيها من التخاذل أو اكتساب العادات أو ما إلى ذلك ، فما هو إلا عرض لا يتصل بجوهرها . خذ مثلاً رجال الدين - كما أراد شوسر - أولئك الذين هاجمهم فى عنف وشدة، تر أنه لا يحفل بما يبالغ فيه بعضهم من إبداء النسك والتبتل والتظاهر بالتأبد والتنطس ، وإنما يعمد إلى المسوح السوداء فيرفع أسدالها ، وإلى المسابح فيقطع أوصالها ، ثم يبرز لك الرجل من وراء ذلك إنساناً كـكل الناس : يأكل ويشرب ويلعب ويطرب ويضطرب فى كل شأن من شئون الحياة ، كما يضطرب سائر الناس . فينزع إلى الهدى والرشد أحياناً ، وإلى الغواية والعشوة أحياناً . والشاعر حين يتناولهم بقلمه ، لا يصدر عن ضغينة فى نفسه ، ولا عن ميل إلى التندر والتظرف ، ولا عن استخفاف بالدين . كلا ، بل لقد كان هو من أكثر الناس تديناً وإغراقاً فى الصلاح والتقوى . إنما هى أسباب أخرى لو سمعها اليوم « شوسر » لم يرض عنها ، أو لم يعترف بها : فعصره كان عصراً تغلى فيه مراجل الثورة النفسية ، يؤجج أوارها عناصر أربعة متنافرة متدابرة : الـكنيسة والشعب والبرلمان والقصر .

فنى القصر إدوارد الثالث ثم ريشارد الثانى يرهقان الشعب بالجبايات والأتاوات ، ويسرفان فى التمكين للأشراف وأصحاب الضياع من إذلال الدهماء عبيدهم ومواليهم يبتزون جهودهم ويستغلون نشاطهم ، ولا أقول أموالهم فما كان للعبيد والموالى أموال ولا أملاك . والبرلمان يأنس فى الملك ضعفاً وخوراً فى حين من الأحيان، وجبروتاً غاشماً فى حين آخر، وطراءة فى الشباب فى عهد من العهود فيحفزه للنضال حقه المهضوم وسلطانه المكلوم وتغريه كثرته فيثور ثم يناوئ ثم يعتدى ثم يغالى . كل ذلك على حساب الشعب ؛ والشعب مرهق مغلول ضعيف مفلول يتلقى العذاب من ملك يرميه بالتمرد ويكديه بالجباية، ومن أمير أو شريف يتهمه بالكسل ويرهقه بالعمل . والكنيسة يطيب لها أن تثبت وجودها بأن تتهم الناس بالكفر والضلال وتعزو سوء الحال إلى إسراف الملك فى سلطانه والحد من سلطانها فتصور الشعب فريسة أطماع الملك الضليل ، وتصور الملك مغلوباً على أمره من شعب مغرق فى الأباطيل، وتستعدى الشعب على الملك والبرلمان يوماً، وتستعدى البرلمان أو الملك على غيره يوماً آخر . وهكذا ألقيت بينهم العداوة والبغضاء وألبسوا شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض . تلك أمة قد خلت .

وهنا نتساءل أين موضع شاعرنا من هذا المعترك المصطخبة أمواجه المتلاطمة أفواجه ؟ كان من رجال القصر وسفرائهم ومن خدم الملك ، فليس عجيباً أن نراه من رجال الدين فى الموضع الذى رأيناه ؛ وليس غريباً أن نراه يصورهم بالصورة التى تغزعهم وإن تلطف أو داجى ، ولا يتعاظمنا أن ينظم قصة فيسلكهم فى صدرها ساخراً مقذعاً متندراً : قال :

فى عصر الملك الصالح أرثور كنت ترى بلادنا الإنجليزية مشرقة بالبشر رافلة فى حلل النعيم تمرح فى أرضها وغابها أميرات الجن يحوطهن صاحبات لهن من الخود الرعابيب، فإذا أمسى المساء خطرن على مروج الزهر، وإذا أصبح الصباح رأيت فى الأرض ما تناثر من عقود الزهر التى نظمنها فى حلقات رقصهن . وأما الآن فما بقى فى الأرض إلا شحاذو الكهان والرهبان نفروا كل مليحة من أميرات الجن، وأفزعوا كل غضة من بنات الغاب، وملئوا المكان بعد أن كان زاخراً بالأميرات . كان أحد فرسان ذلك الملك الصالح ممتطياً صهوة جواده وعلى وجهه سحابة من الحزن وغشاوة من الشجن فأفضى به التسيار إلى جانب من الغابة قد اتخذته أميرات الجن مرقصاً فركض إليهن جواده يلتمس عندهن شفاء من آلام نفسه وأوصاب صدره ، فما إن رأينه حتى

شردن وتوارين ولم تبق إلا عجوز شمطاء شوهاء قامت إليه وأخذت عليه السبيل ثم قالت: « أأكول في عونك أيها الفارس؟ » قال: « نعم أيتها الجدة، وإن لم تفعلي لأكون من الهالكين » لقد سلفت مني بادرة لا تليق بالسادة الأشراف. أسأت إلى فتاة فحكمت عليّ الملكة بأن أقصى عن بلاطها سنة ثم أعود فأنبئها وفتياتها الناضبات بجواب عن سؤال حيرتني به ألا وهو « ما أحب شيء للمرأة؟ » فإن أعجبهن جوابي كنت سعيداً موفقاً، وإن أخطأني التوفيق فهنالك هلاكي. ولقد تصرم يا جدتي العام بعد أن التمست الجواب عند الأمهات والزوجات والعانقات فما اتفقن على رأي ولا عرفن شيئاً واحداً هو أحب ما يحب النساء: قيل لي إن النساء يعجبهن الملق والمداجاة؛ وقيل لي أحب شيء إليهن الحب والهوى؛ وقيل بل الزواج وقيل المرح والطرب؛ وقيل التكريم والثناء، وقيل البذخ والثراء؛ وقيل غير هذا وأنا لا أزال حائراً مضطرباً. فهل عندك الجواب وعندي لك كل حاجة تريدين قضاءها وكل مطلب مجاب؟ » قالت العجوز: « أتقسم أن لي عندك كل حاجة مقضية؟ » قال: نعم. وأقسم بشرفه ليفينّ لها بما وعد: قالت: « هلم معي إلى القصر » وأفضت إليه في الطريق بالجواب.

فلما بلغا القصر عقدت الملكة مجلساً ومثل أمامها الفارس وقالت له: « حياتك رهن بالجواب عن هـذا السؤال: أي شيء أحب إلى المرأة سواء أكانت عانساً أم بكراً أم زوجة » قال الفارس: « ليس أشهى إلى المرأة يا صاحبة الجلالة من السيطرة والسلطان تشتهي السيطرة على زوجها وعلى بيتها وعلى ثروتها وعلى ضيعتها وعلى كل شيء وكلهن في ذلك سواء. أنتن أيها النساء تردن الحكم، تردن التحكم في جميع الناس، تردن أن يكون لكن الأمر وعلى الرجال الطاعة. » وما فرغ من إلقاء جوابه حتى أمّن الحاضرات عليه وغشيت وجه الملكة حمرة لا تخفيها. وهنا برزت العجوز وصاحت: « أنا يا مليكة صاحبة هـذا الجواب لقنته إياه بعد أن أقسم ليأتمرن بأمري ويجيبن مطلبي؛ وهأنذا بحضرتك أتنجّزه وعده. وما حاجتي إلا أن يتزوجني » شده الفارس لهـذا المطلب العسير الفظيع، والتمس إليها الوسيلة للخلاص من وعده، وأخذ يغري هذه العجوز بالثروة والنشب فما أغنى عنه ماله وما كسب، وكرهت الملكة أن تكون هذه الشمطاء زوجة لفارس من فرسان القصر؛ ولكنها آثرت ذلك على أن يدنس الفارس شرفه فينقض عهده وينكث وعده وأمرته أن يتزوجها. وبنى بها الفارس مكرهاً في ليلة لم ير أسود منها. ولم يخف عليها حنقه وغيظه إذ قال: « ليت مصابي بك كان عند قبح وجهك وكبر سنك، ولكنه تجاوز هذا إلى خسة منبتك وضعة نشأتك » قالت العجوز: « أهذا كل ما يؤلمك ـ ألا تعلم أن شرف المنبت وطيب الأعراق ليست إلا ثروة عتيقة موروثة، وماذا يغني عنك حسبك ونسبك؟ إن كان لك مجد تليد فالفضل فيه لمن كسبه من آبائك وأجدادك؛ وإن كان لك مال قد خلفوه لك واسم كريم قد ألصقوه بك واعتمدت على هذين في طلب المجد والشرف، فما أخيب مسعاك وما أبعدك عن بلوغ القصد. المجد والشرف لا يشتريان بالمال. هأنذي امرأة وضيعة المنبت لا أملك طارفاً ولا تليداً، ولكنني لست امرأة سوء هل كان المسيح غنياً وهو مثلنا الأعلى في المجد والشرف؛ كلا بل كان جهده أن يفعل أفعال الكرام. أما قبح وجهي وكبر سني فإني أعرض عليك في ذلك اختياراً: أتريدني عجوزاً حصيفة الرأي أم فتاة ضالة في سبيل الحياة؟ » قال الفارس: « الرأي لك أيتها العجوز العاقلة » قالت: « ألا ترى أنني بسطت عليك سلطاني وأخضعتك لأمري فأذنت لي أن أفعل ما أريد » قال: « نعم » قالت: « انظر إليّ واعجب لما تحولت إليه قسماتي » فنظر الفارس وإذا بالعجوز قد تحولت إلى فتاة نضرة غضة لم تقع عيناه على أجمل منها.

الصاغ
أحمد الطاهر
(الأسكندرية)

معركة السياسة

بين هتلر وبيتان

للأستاذ يوسف شبلى

كان المحور الدكتاتورى فى المدة التى سبقت إعلان الحرب فى سبتمبر فى سنة ١٩٣٩ ، وفى المدة التى لحقت إعلانها لا يقوم على أساس مشترك فى العمل بين طرفيه ، أو تساو عادل فى إبداء الرأى والقطع فيه ، بل استقل بتوجيه المحور فى أعماله وفى أفكاره طرف واحد دون الآخر ؛ وتطور الأمر فيما يختص بأحدهما إلى احتلال المقدمة ؛ وفيما يختص بثانيهما إلى الوقوف فى المؤخرة ؛ حتى أهمل أمره وهان شأنه فى الكبيرة والصغيرة على السواء

ولقد حار الكل فى تعليل الوقف فى مظهره الجديد ، وطارت الأفكار فى تلمس المعاذير والأسباب كل مطار ومدار ؛ فكثرت الاحتمالات ، وتعددت الإشاعات ، واجتهد القريب والغريب فى الاستنتاج والاستخراج ؛ ونشط الفهيم والمقيم فى الإفصاح والإيضاح . إلا أن شيئاً واحداً انقطع دونه التفكير وجف عنده مداد التحبير ، وهو أن يكون الضعف سبب الجمود ، ونفاد الحيلة العلة الأصيلة فى هذا الهبوط والقعود

أليس من دلائل القوة أن يعمد الزعيم الإيطالى فى كل مناسبة وغير مناسبة إلى الخطب الحماسية يلهب بها أعصاب سامعيه ، حتى إذا انتهى من إلقاء الخطاب تأبط شباب الفاشست — وكلهم دون سن النضوج — منشورات مليئة بالقذف والبذاء فى الإنجليز والفرنسيين ، وهرولوا مسرعين إلى حيث يقيم السفير الإنجليزى فيقابلونه بالصفير والتهليل ، وبإلصاق تلك المنشورات على سيارته وعلى دار سفارته !

بل أليس من دلائل القوة أن يعمد السنيور موسولينى فى تقديم مطالبه ونشر مآربه إلى رأس المدفع فيتخذ منه مسنداً ، وإلى جناح طائرة فيجعل منه مقعداً ، ليكون من مجمل هذه المظاهر الجوفاء والحركات النكراء صورة لقوة الزعيم ورمزاً لغضب الحليم !

ما كان أحد يتوسم فى إيطاليا غير القوة والجبروت ، حتى إذا أشرفت معركة فرنسا فى الميدان الغربى على الانتهاء ، وأعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء ، طمعاً فى كسب غير مشروع ، ورغبة فى غنم مأمون ومضمون ؛ وحتى إذا فوتت انجلترا على الدكتاتورية قصدها بإطالة أجل الحرب ، وتعين على إيطاليا أن تقوم بدورها فى القتال ، تكشفت الحقيقة السافرة عن ضعف تام فى جميع ميادين الحياة والنشاط

وبينما أحد طرفى المحور يعانى مرائر الهزائم المتوالية فى ميادين القتال : ففى الميدان الشرقى انقلبت الجيوش اليونانية فى المقاع فى بادئ الأمر إلى الهجوم ؛ وانتقلت بالحرب من البلاد اليونانية إلى الميدان الألبانى فى بضعة أيام . وفى شمال أفريقيا وشرقها ، أحرزت الجيوش الإنجليزية انتصارات حاسمة فى معارك فاصلة ، فوصلت فى الشمال إلى ما بعد بنى غازى وأسرت ثلاثين ومائة ألف أسير ، وغنمت كثيراً من عتاد القتال ؛ كما توغلت فى الشرق أميالاً عديدة فى المستعمرات الإيطالية . نقول بينما أحد طرفى المحور يعانى كل ذلك ، إذا بالطرف الثانى يفشل فشلاً تاماً فيما كان يأمله من غزو الجزر البريطانية جواً وبحراً ، وما كان يرومه من إنهاء الحرب فى هذا الميدان ؛ وكلما امتد الوقت بالحرب زاد استعداد الجزر البريطانية لملاقاة العدو إذا غامر بغزوها ، حتى صارت فكرة الغزو اليوم مما لا يمكن تحقيقه أو الإقدام عليه

وهنا وجب على إيطاليا أن تطلب المساعدة الألمانية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من حطام ومخلفات ... كما وجب على ألمانيا أن تبحث عن ميدان جديد تقهر فيه إنجلترا ، يكون أقل مناعة ، وأضعف حصانة

ولما كان أمام الألمان خطة واحدة يجب عليهم أن يسلكوها ، وهى إما الاتجاه شرقاً ، والانتقال بالحرب إلى البلقان ، ثم إلى الشرق الأدنى ؛ وإما الاتجاه جنوباً ، لتجربة خطة الغزو بحراً فى ميدان ضيق إلى شمال أفريقيا ؛ فقد وجدت فى هزيمة حليفتها واضطرارها إلى طلب المساعدة الفرصة المرتجاة ؛ فتسللت الجنود الألمانية إلى شمال إيطاليا ، واحتلت أسرابها الجوية جميع المطارات لتعمل هذه القوات فى ميدان البحر الأبيض المتوسط ، وتمنع النجدات البريطانية فى حالة الاتجاه شرقاً ، أو الاتجاه جنوباً

غير أن المطارات الإيطالية ، صار يقابلها فى ليبيا بعد الانتصارات الإنجليزية الأخيرة عدد مضاعف من هذه المطارات ، مما يجعل التفوق للقوات الإنجليزية فى هذا الميدان

إذن يجب البحث عن قواعد بحرية وجوية جديدة تطل على البحر الأبيض لضمان التفوق والاطمئنان على نجاح التجربة الجديدة

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ، ولم يبق إلا أسبانيا وفرنسا . أما أسبانيا فقد قال جنرالها لهر هتلر : إن للبحر الأبيض بابين ، أحدهما غربى ، والآخر شرقى ؛ فإذا تمكنت من إقفال الباب الشرقى ، فكرت فى مساعدتك فى إقفال الباب الغربى فى جبل طارق ، وهذا رد لا يفوت معناه ومغزاه على لبيب

اتجه الهر هتلر إلى فرنسا ، فهى أولى بأن تتحمل نتائج الهزيمة ، وغرم الانكسار . فكاشف المسئولين من رجال حكومة فيشى بأغراضه ونياته ، من الاستيلاء على الموانى الفرنسية ، فى فرنسا غير المحتلة وفى المستعمرات ؛ ومن انضمام وحدات الأسطول للعمل مع الأسطولين الألمانى والإيطالى ، ضارباً بشروط الهدنة التى حفظت لفرنسا أسطولها ومستعمراتها ناحية الأفق ؛ فأبى عليه المريشال بيتان وصحبه أن يجيبوه إلى هذه المطالب والأغراض ؛ وابتدأت المعركة السياسية بين هتلر وبيتان، تلك المعركة التى كانت منذ شهر يونيو من السنة الماضية ، تتفاوت بين مظاهر اللين والشدة ، وبين الاعتدال والاحترام ، تبعاً لتطورات الحال ، وظهور المفاجآت بين آن وآن

ففى الأيام التى تلت انكسار فرنسا فى الميدان الغربى ، كانت هذه المعركة بين ألمانيا وفرنسا ، تعلوها مسحة من اللين والتهاون ، حيث كان الزعيم الألمانى يمنى نفسه بقرب غزو إنجلترا ، والدخول إلى قصر بكنجهام ، إذ يشرب فيه نخب الانتصار !

وأما اليوم ، وقد أغلقت جميع الأبواب ، وسدت كل المنافذ والفتحات ؛ ولم تمد يد تمتد إلى الزعيم الألمانى بالمصافاة ، فقد تطورت المعركة بينه وبين بيتان إلى احتدام عنيف ، وصفته التلغرافات بأنه نضال البقاء أو الفناء

والحقيقة أن الهر هتلر يحسب حساباً خاصاً للفرنسيين ، لما يعرفه عنهم من حدة المزاج ، ولما يعلمه تمام العلم من استعداد المستعمرات لاستئناف القتال ضده عند الإشارة الأولى . لذلك جاملهم كثيراً فى بداية الأمر ، وحاول جاهداً أن يستدرجهم إلى داخل الدائرة الألمانية بالحسنى ولين الجانب . ولم يطرق بابهم بشدة إلا عند ما أفزعته الحوادث ، ووصل إليه فعل التيارات الآخذة فى الاقتراب منه . حتى لقد فضل أن يلج الباب الإيطالى ، بحيلة هتلرية ، تحت ستار المساعدة ومباشرة عملية الإنقاذ ، قبل أن يطرق الباب الفرنسى ، ويلح فى طلب ولوجه

وإذا كانت الأنباء قد أجمعت على القول بثبات المرشال بتان أمام تهديد الألمان ، ورفضه إجابة مطالبهم ، معرضاً فرنسا لما يحتمل أن تتعرض له ، من ظروف قاسية ، لن تكون بحال أقسى مما هى عليه الآن ؛ فليس الغريب أن تأتينا الأنباء بمثل ذلك ، بل الغريب أن يجيب المريشال بتان هـذه الطلبات ، ويستسلم للتهديدات ، فى وقت وضح فيه الطريق أمام الحلفاء ، واتسعت فرجات النور وسط الظلام الذى كان مخيما على أوربا عند عقد الهدنة بين الفرنسيين والألمان

إن العوامل التى ترغب الفرنسيين فى استئناف القتال ، وتحفزهم إلى تجديد النضال ، كثيرة وعديدة . نجد هذه العوامل فى ثبات البريطانيين ، وظهور قدرتهم التامة على الوصول بالحرب إلى نتيجة مرضية . وفى موقف أمريكا التى وعدت رسمياً بمساعدة الحلفاء مساعدة لا تسمح لدولتى المحور بالانتصار بأى حال من الأحوال ؛ كما أن القانون الذى يطلق يد الرئيس روزفلت فى العمل ، على وشك أن يفوز بالإقرار فى مجلس الكونجرس . وفى شجاعة اليونانيين ، واستبسالهم فى الهجوم فى الميدان الألبانى وفى الانتصارات الباهرة التى أحرزتها الجيوش الإنجليزية فى ميادين الحرب الإفريقية الثلاثة ، مما يبشر بضياع الإمبراطورية الإيطالية قريباً . وفى موقف الدول التى لم تدخل الحرب بعد ، ولكنها أعلنت فى صراحة تامة عن عزمها على الدفاع عن كيانها ضد كل من توسوسه نفسه بمباشرة الاعتداء عليها . وأخيراً فى روح الحماس البالغة عند أهل المستعمرات الذين يتحرقون شوقاً إلى ملاقاة العدو ، والانتقام للشرف الفرنسى من هزيمة يونيو من السنة الماضية

وإذا تركنا كل ذلك ، نجد أن لفرنسا قوة مادية فى أسطولها، وفى مستعمراتها كفيلة بترجيح كفة الحلفاء إذا اختارت أن تستأنف القتال إلى جانبهم . وإذا عرفنا أن الخمسين مدمرة التى أرسلتها أمريكا إلى إنجلترا ، كانت سبباً حاسماً فى بعض الميادين ، خصوصاً فى ميدان البحر الأبيض المتوسط ؛ فكم بالحرى يكون الفصل لمائة وخمسين مدمرة تملكها فرنسا . لا شك أن عدداً كهذا ، يضاف إلى قوة المدمرات البريطانية ، وما عساه أن يرد من أمريكا ، وما تخرجه المصانع قريباً يكون له فصل الخطاب فيما هدد به الهرهتلر فى خطبته الأخيرة من عزمه على مباشرة حرب الغواصات فى الربيع القادم



من وراء المنظار

المتعاظم الصغير

يملك حب العظمة عليه نفسه ، ولقد ركبه هذا التعاظم منذ مدرجه وكبر معه ، فهو اليوم فى منتصف العقد الرابع ، طفل فى الخامسة والثلاثين . قتر على نفسه حتى اقتنى سيارة قديمة راح يتشبه بها بذوى اليسار من أصحاب السيارات الفخمة ، وإن كان مرتبه كله لا يساوى ما يدفع هؤلاء من (بقشيش) ؛ وقتر على نفسه مرة أُخرى ، فقضى الصيف فى أوربا ، وإن كان من ذوى رحمه الأدنين من لا يكاد يجد قوته .

ومن أحب الأشياء إليه أن يذهب فى سيارته إلى القرية ، فيطلق نفيرها هناك عالياً فى داع وفى غير داع ، وينظر الفلاحون البسطاء إلى هـذا « الحدث » مبتسمين ، فيزهى إذ يخيل إليه غروره أنها ابتسامات الإعجاب . ولقد رأيته مرة — وكأنه أحد الدكتاتورين يدخل مدينـة على رأس قوته المصفحة لـكثرة ما تجبر يومها وتعاظم ، ولـكن سيارته لسوء حظه أصابها فى تلك اللحظة عطل فوقفت ، ونظر مبهوتاً على صوت ضحكات قريبة ، وكنت غير بعيد من الفلاحين الضاحكين ، فحبست ضحكاتى مخافة أن يفهم الدكتاتور أنى غيران !

ومن آلم الأشياء عنده أن تمر به فلا تحييه ، فنى ذلك إنكار منك لعظمته ، ولقد يبلغ به الألم من ذلك حد الحمى ، فإذا أقبلت مع ذلك تحييه : تباطأ وهو يقبل عليك ، وتكلف سلام العظماء ونبرات العظماء وحركة رؤوس العظماء وعبوس العظماء أو تبسمهم حسب مقتضيات الظروف

وشاع فى القرية أو أشاع هو فيها أنه ما من كبير من رجال الحـكومة إلا وله عنده مكانة مهما اختلفت على كراسى الحكم ألوان الأحزاب ، وتهـاوت عليه عرائض البسطاء يطلبون الاستخدام وما تزال تتهاوى عليه وهو يدسها كل مرة فى جيبه فى اتزان ووقار بالغين ولكنهما مع ذلك يثيران الضحك العميق !

وهو ينظر إلى هؤلاء من عل ويفرح أشـد الفرح إذ يجد من يتملقه ، ويفتر إذ يكون بعض الناس منه كما يكون هو ممن يطرق أبوابهم من ذوى المناصب مستجدياً متملقاً ، وهو كثيراً ما يتملق ويستجدى ، وقصارى أمره أن يظفر بتعيين فراش أو نقل ساع من جهة إلى أخرى يحبها ويحسب ذلك هو الجاه أعظم الجاه ، وهكذا يتمـكن ويتضاءل فى المدينة ليزهى ويتعاظم فى القرية ويريق ماء وجهه عند أولى المناصب من يعرف منهم ومن لا يعرف ليصعر خده لطالبى الرزق وذلك عنده من أعظم لذات حياته

وإذا جلس أحب أن يلتف حوله طالبو جاهه وفضله وتراه ؛ يعجب أشد العجب إن صغرت الحلقة من حوله ، فهو يعتبر نفسه كبيراً عظيماً ومن حقه أن يلتف حوله الناس كما يلتفون حول

فإذا ألانت فرنسا قناتها ، مع توفر أسباب الثبات ، وأجابت الألمـان إلى ما يطلبون ؛ وقنعت بنصيبها الذى بذلته فى هذه الحرب ، وبنصيبها الذى قدر لها أن تنتهى إليه ، من جرها فى ذيل العربة الألمانية ؛ فكيف يكون موقفها من مؤتمر الصلح القادم ، عند ما تنتهى الحرب بنصرة الحلفاء !

أترضى فرنسا لنفسها ، ويرضى كبرياء شعبها ، وكبرياء قوادها ، وفيهم أبطال فردون ، وأبطال المارك الهائلة فى الحرب المـاضية ، أن تلعب اليونان ، وبولندا ، وهولندا ، والنرويج ، وتركيا ، دوراً رئيسياً فى هذا المؤتمر ، ولا تستطيع فرنسا أن تمثل دوراً ثانوياً فيه ! وإذا أجلستها إنجلترا إلى جانبها فى مكان الصدارة من المؤتمر ، فكيف يكون موقفها فيما بينها وبين نفسها وهى تعلم الدور الذى قنعت بتحمله والقيام به

لا شك أن كل ذلك ، فى جملته وفى تفصيله ، قد قدره المرشال وأعوانه حق قدره وحسبوا حسابه فى المفاوضات الدائرة الآن بين فرنسا وألمانيا ، فى صدد المطالب المزجاة . ومن يدرى ! فقد يرى المسئولون عن مصير فرنسا من رجال حكومة فيشى ، أن متاعب الحرب من جديد إلى جانب حليفتهم أقل من المتاعب التى تنشأ عن مزيد ومزيد من التسليم ، فيفضلوا الحل الأول على الثانى ويصلوا بدورهم فى الحرب إلى النهاية المفروضة على أمثالهم

وليس الغريب أن يقر قرارهم على شىء من هذا ، بل الغريب أن يقف الفرنسيون جامدين ، وأن يدوم تصميمهم بالتخلف فى الطريق . وستأتينا « جهيزة » فى الأيام القليلة القادمة بفصل الخطاب فى هذا الشأن الخطير ، عند ما يقول المرشال بتان كلمته النهائية فى شأن المطالب الألمـانية ، وهى كلمة الشرف والإباء ، والأنفة والـكبرياء ، على ما نظن ، ويظن معنا الـكثيرون .

(دار الأهرام) يوسف شبلى

الفنـــان

[مهداة إلى الصديق النابغة صلاح الدين طاهر]

للأستاذ عبد المعطى حجازى

كلما أسفر فى الليل القمرْ ... مثل معنى فى خيال الشاعرِ
أو مشى الموج صفوفاً واندثر ... كأمانٍ هجستْ فى خاطرِ
أو سرى برق أو انهلّ مطر ... كسنا الشرّ ودمع الحائرِ
أو تهادى فى الأصيل الجدْوَلُ ... خافتَ الأنغام حلو النّبراتْ
قبس الفنان عنها ... بعض ألحان الخلود
وجلا للناس منها ... بعض أسرار الوجود
وإذا احمرّتْ من العُتب خدود ... أوشكتْ من خجل تستعرُ
وإذا ماست من الدّل قدود ... عبث الكاس بها والوتر
وإذا ثارت على الصدر نهود ... يأمر الثوبُ فـــلا تأتمر
أو تناجت فى الشفاه القُبل ... فتلاقت فاستحالتْ لثماتْ
ترجمتها ريشة الفنـ ... ـان للحسن نشيدا
وكستها روعة الأل ... ـوان أبداعاً جديدا
وجمال العيش فى صبح الربيعْ ... وجلال الموت فى ليل الخريف
والمنى تشرق فى الوجه البديع ... والأمى يعصف بالقلب الضعيف
وحنان الأم للطفل الرضيع ... ووميض الفدر فى الوجه المخيف
وابتسام الدهر لما يقبلُ ... وعبوسُ الحظ عند النائبات
كلها أصداء حس ... وخيال عبـــقرى
مزجت سعداً بنحس ... وجميـــلاً بِزَرِى
أيها السابح فى دنيا الجمالْ ... كشعاع الشمس فى الروض الأنيق
تنثر النور وتلقى بالظـــلال ... كسنا العين من الهدب الرشيق
تمزج الحس بألوان الخيال ... مثلما يمزج بالمـاء الرحيق
أنت للفن نبى مرسل ... شهدت عيناى منك المعجزات
أنت ظل الله فى الأر ... ض افتناناً وابتداعا
أنت وحى الشمس للرو ... ض حياة وشعاعا
أيها الطائر كالنسر الجسورْ ... بجناحين : سموّ وابتكار
تحت ظل الغصن أو فوق الصخورْ ... ترسل الوحى إلى غير عثار
فإذا الطّود على الرق سطور ... وإذا الروض نزيل فى إطار
وإذا المـاضي جديد مقبل ... هب كالنائم من طول سُبات
أيها الجبار هذا الكو ... ن مَغْنًى فى خيالك
وصدى سجله الفن ... ليحيا فى ظلالك
أيها الساهر والناس نيـــامْ ... تصنع الحسن وتلهو بالخلود
أيها الراهب فى دير الظلام ... تكشف الأستار عن لغز الوجود
هذه دنياك ، دمع وابتسام ... وأغاريد عِـذاب ورعود
ونعيم بالأمانى مثقـــل ... وجحيم مستطير الجمرات

أقرانه من العظماء ، وما كان فى حلقته إلا من يضمر له السخرية حين يريه الاحترام

وتراه يلوك بمض كلمات إفرنجية تمد على أصابع اليد فيحرك بها لسانه فى لهجة محاماة أكثر محطها من سيارته ، لهجة أشبه بلهجة الأوربى الذى ينطق كلمات عربية لم تطرق سمعه إلا منذ شهر ، وأرى شأنه فى هـذا كشأنه فى استبدال ملابسه العربية بحلة إفرنجية

أما مكانته عند من يزعم من الكبراء فقصاراه فى هذا السبيل ألا تفلته فرصة إذا رأى أحد هؤلاء أو بعضهم فى أى مكان فيتقدم إليهم محيياً متهللاً يهز الأيدى التى تمتد فى فتور إليه هزاً حماسياً قوياً وهو يقول : « أهلاً فلان بك ... كيف حال سعادة البك » . ولا ينصرف إلا بعد أن يكرر تحياته وإن هموا هم بالانصراف دون أن ينظروا إليه لأنهم لا يعرفونه ! وهى بعد مقدرة على أى حال أميل إلى أن أسميها (فن الحياة) فنى الناس من لا يستطيع أن يسلم على من يعرف حق المعرفة ممن هم أكبر منه !

رأيته ذات يوم يطلع المحيطين به على البطاقات الكثيرة التى جاءته فى العيد ، وقد مهد لذلك بذكر ما شاء له زعمه ممن يعرف من « الباشوات والبكوات » . وكانت البطاقات كلها مرسلة إليه حقاً وفيها من هذه الألقاب حقاً ؛ ولـكن لم أر على واحدة منها غير كلمة (للشكر) فحسب !

وآخر مرة رأيته فيها كان محنقاً فقد حياه أحد الريفيين بقوله يا شيخ فلان ، وهذا هو اللقب الذى يجرى على ألسنة البسطاء من أهل الريف إذا أرادوا التعظيم ، وعجبت لم يغضب وهو شيخ فى نشأته العلمية قبل كل شىء وكان أولى به أن يجعل هذا اللقب مدعاة نخره ، ولـكن هيهات أن يرضى حتى بالأفندى وهو عند نفسه سعادة البك !

الخفيف



زهر الآداب

أخبرني جماعة من الأصدقاء أن الأستاذ السباعي بيومي حدثهم أنه سيكشف الأغلاط التي فاتتني وأنا أنشر كتاب الحصري، كما أصنع في كشف الأغلاط التي فاتته وهو ينشر كتاب المبرد

وأقول: إني طبعت كتاب «زهر الآداب» مرتين، وقد تداركت في الطبعة الثانية ما فاتني في الطبعة الأولى، فإن كان الأستاذ يريد كشف أغلاط الطبعة الثانية فسيؤدي إليّ جميلاً أذكره له مع الثناء في الطبعة الثالثة. أما إن كان يريد كشف أغلاط الطبعة الأولى فجهده ضائع، لأني سبقته إلى ذلك بنحو عشر سنين، ولأن صفحات الرسالة تضيق عن الحديث المعاد

أنت عنوان الحياة — أنت رمز للزمان
مستبد أنت عاتٍ — ورفيق أنت حانٍ
إن يكن في الأرض سحر أو جمالٌ — فهو الفنان في الدنيا سناهْ
أو يكن في الحب شوق أو ملال — فهو الفنان للحب صداه
أو يكن للشمس نور أو جلال — فهو الفنان مشكاة الحياه
ذلك الفنان وحي منزل — أنطقَ الصامتَ بل أحيا الموات
أوقفت ريشته الدهر — فلبى واستجابا
وكست من خلدها العمر — مدَى العمر شبابا
بَشَرٌ مثل جميع البشر — رفعته ريشة عن مستواهْ
كاد لولا قطرة من حذر — يزدري الناس ويحيا كإله
إنه الفنان، صوت القدر — وهوي الفنان دستور الحياه
هو دنيا رف فيها الأمل — وثوى اليأس ودارت دائرات
عالمَ تصطخب الآلا — م والآمال فيه
ويضل العقل والأفها — م فيما يحتويه

(الاسكندرية) — عبد المعطي حجازي

الوحدة العربية

أجبت دعوة «جماعة الطلبة العرب» بكلية الآداب لسماع محاضرة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام في شرح (عناصر الوحدة العربية) فالتفت ذهني إلى ظاهرة تستحق التسجيل، وهي إقبال الجمهور على تلك المحاضرة مع بعد المكان، فهل يكون ذلك إلا دليلاً على أن فكرة الوحدة العربية صارت في مصر من الأمور ذوات البال؟

أرجو أن ينشر الدكتور محاضرته تبليغاً لما دعا إليه من كرائم الأغراض

نقل الأديب

من واجبي نحو نفسي أن أعلن أني استوحشت لغياب الشذرات النفيسة جداً، الشذرات التي كان ينشرها الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي على صفحات (الرسالة) فمتى يعود؟

هي مختارات منقولة من هنا وهناك؛ ولكن الذوق في نقلها قد بلغ الغاية في شرف التحليق؛ وأظنها ستصبح كتاباً يحق له أن يسمى «كتاب الأمة العربية»

زكي مبارك

بعد انتهاء مناقشات رسائل الأستاذية

في يوم الإثنين الماضي انتهت المناقشات العلنية لرسائل «الأستاذية» الأزهرية المقدمة في هذا العام. وقد رأيت بهذه المناسبة أن أدلي ببعض الملاحظات بشأن هذه الدرجة العلمية التي لا أشك في أن الأزهر يفتتح بها في حياته الدراسية الحافلة عهداً جديداً سيكون ذا أثر بعيد في توجيه نشاطه العلمي توجيهاً صحيحاً.

وقبل أن أدلي بهذه الملاحظات، أود أن أنوه بظاهرتين جديرتين بالتسجيل، تجلتا بوضوح أثناء المحاضرات العامة والمناقشات العلنية:

الأولى: أن الأزهريين قد خطوا خطوة موفقة في التقريب بين طريقتهم الخاصة في التعمق في النقاش والبحث والتحليل اللفظي، والطريقة الحديثة في العرض المنظم والابتكار، بما جعل

جمهور المستمعين يدرك أن الطريقين تتكاملان ، ولا غنى عن الاستعانة بهما معاً فى الدراسات الأزهرية فى العصر الحاضر .

الظاهرة الثانية : وجود مدرستين علميتين فى الأزهر : المدرسة القديمة التى تتشبث بما خلف السلف من تراث علمى تقف بنشاطها عند حد تفهمه وتفهم أحكام الشريعة والعلوم المتصلة بها فى نطاقه ؛ والمدرسة الحديثة التى ترى أن السير على منهاج أولئك الأئمة الأمجاد يقتضى بذل المجهود الشخصى المستقل لأداء رسالة العصر الحاضر للشريعة وعلومها ، كما أدوا رسالة عصورهم لها ؛ ومن وافر حظ الأزهر أن تتم الغلبة للمدرسة الحديثة فى ظل إدارته الحالية

تفضل الأنظمة التى اتبعت فى امتحان هذه الدرجة نظائرها المتبعة فى امتحانات الدكتوراه فى الجامعات الأخرى فى نواح ، كما تقصر عنها فى نواح أخرى

أما ما تفضلها فيه فهو :

١ — إلزام طلاب « الأستاذية » بإلقاء محاضرات عامة تعطى مع الرسائل فكرة صحيحة عن مقدرة كل منهم فى الإبانة بالقول والكتابة والبحث

غير أننا نلاحظ على المحاضرات والرسائل أن موضوعات معظمها أبواب عامة من الفقه لا يكون للمجهود الشخصى فيها سوى أثر ضعيف قوامه التجميع والتنظيم . وعهدنا بموضوعات الرسائل والأبحاث الجامعية التى من هـذا القبيل أن يتناول كل منها بالبحث نقطة معينة يتولى الباحث تقرير كيان مستقل لها مما لا يبرز فيه سوى المجهود الشخصى المستقل

٢ — خضوع كل عضو من أعضاء لجنة مناقشة الرسائل لرقابة بقية الأعضاء أثناء دوره فى المناقشة ، تلك الرقابة التى يظهر أثرها بتدخلهم للفصل فيما يكون موضع خلاف بين الأستاذ وصاحب الرسالة ، أو لجلاء بعض النقط الغامضة أو لغير ذلك مما تتكشف المناقشة عن ضرورة الاشتراك فى بحثه . وإننا مع ترحيبنا بمثل هذا التدخل النافع لا يفوتنا أن ننبه إلى أن ما تقضى به الضرورة يتقدر بقدرها الذى لا ينبغى تجاوزه بحال

٣ — جعل الحكم فى صلاحية الرسالة للمناقشة فى يد هيئة بدلاً من فرد

ويقصر نظام هذا الامتحان عن نظام « الدكتوراه » فى النواحى الآتية :

١ — لا يخصص لكل رسالة أستاذ يكون لصاحبها نصيب فى اختياره ليشرف على توجيهه توجيهاً علوياً أثناء كتابتها

٢ — التساهل فى إقرار صلاحية رسائل المناقشة ظهر أنها لم تكن جديرة بذلك مما أدى إلى تكليف أصحابها تقديم رسائل أخرى .

٣ — لم يتبع التقليد الجامعى فى إتاحة الفرصة لصاحب الرسالة لعرضها بإيجاز على جمهور المستمعين قبل البدء فى المناقشة

٤ — لم يبدأ أعضاء اللجنة أدوارهم فى المناقشة بالتنويه بما يعتبرونه مواطن إجادة فى الرسالة المقدمة ، بل كان كل همهم محصوراً فى تقصى النقائص أو الإطراء بصفة عامة مما فوت كثيراً من التشجيع النافع والتنويه بما يستحق التنويه

٥ — كانت الأحكام التى صدرت فى الرسائل متأثرة فى الغالب بمـا أصابه أصحابها من التوفيق فى المناقشة الشفوية ، لا بمجهود كل منهم فى كتابتها وأثره الشخصى فيها

٦ — لا يقضى النظام الحالى — فيما نعلم — بطبع الرسائل ولم توضع قواعد لتبادلها مع الجامعات الأخرى ؛ وينبغى — على الأقل — أن يقوم الأزهر بطبع الممتاز منها على نفقته مع تقرير نظام التبادل حتى يعم النفع

ابراهيم زكى الدين بدوى

المتخرج فى الأزهر وكليتى حقوق باريس والقاهرة

تعليق

طلب منى من لا تسعنى مخالفته ، أن أعلق على ما كتبه الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم فى العدد الأخير من الثقافة فى إيجابه أن تكون مفاتيح جمعاً لِمِفْتَح ، وتخطئة من يقول إنها جمع مفتاح

وعندى أن الأستاذ قد أسرف فى دعوى التخطئة ، ولو قال إن جمع مفتاح على مفاتح فى غير ضرورة مخالف لرأى البصريين لكان قوله أدنى إلى الصواب .

فلقد جوَّز الكوفيون زيادة الياء فيما يماثل مفاعل فى عدته وهيئته ، وحذفها مما يماثل مفاعيل ؛ فقالوا فى جمع جعفر :

جمافر وجمافير ، وفى جمع عصفور : عصافر وعصافير . وجملوا من الأول قوله تعالى : « ولو ألقى معاذيره » ومن الثانى قوله : « وعنده مفاتح الغيب » على أن يكون مفرد الجمع الأول مقدرة ، ومفرد الجمع الثانى مفتاح .

محمود حمزة
مفتش بالمعارف

الى الأستاذ محمود الخفيف

تحية طيبة ... وبعد فقد تهجمت (من وراء المنظار) على نائب محترم نعزه ونجله ويعظمه أعيان دائرته فكتبت إليك هذه الكلمة رداً على مقالك من غير تعليق

قرأ أحد النواب الفرنسيين ذات صباح مقالاً يهاجمه فيه الكاتب هجوماً بلغ حد الإهانة ، فبلغ به الغضب مبلغاً عظيما وأسرع إلى صديق له يسأله كيف يستطيع أن يرد هذه الإهانة : أيدعو الصحفى إلى المبارزة ؟ أم يطلب منه أن يعتذر رسمياً ؟

ولكن صديقه كان عاقلاً إذ ابتسم وقال : « لا عليك يا صاحبى من هذا كله ، فإن نصف قراء الصحيفة لم يلاحظوا هذا المقال ، ونصف الذين لاحظوه لم يقرأوه ، ونصف الذين قرأوه لم يفهموه ، ونصف الذين فهموه لم يصدقوه ، ونصف الذين صدقوه لا قيمة لهم ... فماذا يبقى بعد ذلك ؟ »

هل أنت فاهم يا صاح ؟ وهل عرفت أنك كالحادى وليس له بعير ؟

حسين فوزى صادق
بكلية الحقوق

الى الأديب حسين فهمى

حيرتنى فى غير داع بكلمتك ، فما كتبت مقالى عن شخص معين ؛ والذى كتبت عنه ليس بنائب ولا بذى دائرة بالطبع ، ولا هو ممن يعزه أحد بالضرورة

وما قابلت إنساناً ممن يفهمون ما يقرأون إلا حدثنى أن هذه الصور التى أجلوها إنما هى صور شائعة فى كل بلد فلا تعنى واحداً بالذات

أما عن قصتك فيكفى أن أنبهك وكنت خليقاً أن تنتبه من تلقاء نفسك أنى لم أكن حادياً بغير بعير ، وأظنك فهمت الآن مَنْ بعيرى . . . فأنت بلا شك من ذلك النصف الذى فهم ، ولا علىّ إن كنت صدقت أم لم تصدق

الخفيف

شبابيك القلل

كتب الدكتور زكى محمد حسن فى العدد ١١٢ من (مجلة الثقافة) مقالاً بهذا العنوان أود أن أعلق عليه بكلمة صغيرة فقد قال فيه : « ومن العجيب أن يعنى بزخرفة شبابيك القلل إلى هذا الحد بينما تبقى القلل نفسها بغير طلاء أو رسوم زخرفية » .

ولقد فات الزميل الفاضل أن القلل فى العصور الوسطى كانت على نوعين أحدهما نسميه – فى اصطلاحنا العرفى – « القلل الصيفية » وتستعمل صيفاً وهى من الفخار غير المطلى ، لأن مسامها تساعد على تبريد الماء . والنوع الثانى « القلل الشتوية » وتستعمل شتاء لأنها مكسوة بطلاء زجاجى يحفظ على الماء درجة حرارته الطبيعية

وقد لاحظنا أن بعض أبدان القلل التى وصلت إلينا من هذين النوعين تزدان برسوم زخرفية غاية فى الجمال كما يظهر ذلك فى اللوحات الثلاث الأول من كتاب الأستاذ أولير الذى ذكره فى مقاله . وإذا كنا لم نجد كثيراً من القلل ذات الرسوم الزخرفية فهذا يرجع إلى أن الأجزاء التى عثرنا عليها هى بقايا من هذه القلل فقط ، ولا ينهض ذلك دليلاً على ما ذهب إليه الدكتور من أن أبدان القلل لم تكن مزخرفة

وقال أيضاً : « إن الرسوم الآدمية ورسوم الحيوان والطيور والأسماك التى نراها على تلك الشبابيك يشهد معظمها بأن صانعها كانت تنقصه المهارة ودقة الملاحظة حتى أن رسومه تبدو صبيانية وغير دقيقة »

ولئن صحت هذه الملاحظة نسبياً فيما يختص بالرسوم الآدمية فإنها لا يمكن أن تصح بأى حال فى الحيوانات والطيور والأسماك

وأن نظرة واحدة للرسوم التي نشرها الدكتور – وهي ليست بأجمل ما في مجموعة شبابيك القلل – لكافية للاقناع بما كان عليه هؤلاء الفنانون من دقة الرسم وحرية التعبير

وعند ما تعرض لتأريخ هذه الشبابيك قال « وليس من السهل تأريخ شبابيك القلل المحفوظة في المتاحف والمجموعات الأثرية لأنها من منتجات الفن الشعبي »

فهل للزميل المحترم أن يعرّف لنا ما يفهمه هنا من اصطلاح الفن الشعبي ؟ ألم تكن القلل كباقي أنواع الصناعات الزخرفية في الفن الإسلامي مثل الخزف والخشب والمنسوجات والزجاج الخ ... فيها الثمين والرخيص ، يشتريها خاصة الناس وعامتهم كل على حسب مقدرته المالية ؟ وكانت الرسوم الزخرفية والدقة الفنية في الصناعة توزع بين هذا وذاك كل حسب قيمته ؟

وفي ختام كلمته قال الدكتور زكي بعد أن أشار إلى كتاب الأستاذ أولمر عن شبابيك القلل : وصفوة القول أن الأستاذ أولمر ظن أنه يستطيع الوصول إلى تأريخ بعض شبابيك القلل بواسطة الموازنة بين رسومها ورسوم سائر التحف الممكن معرفة تاريخها ، ولكنا نظن أنه بالغ في تقدير النتائج التي تؤدي إليها هذه الطريقة

فهل فات زميلي الدكتور أننا عثرنا على بعض هذه الشبابيك مطلية بالطلاء ذي البريق المعدني ، وكان الفضل الأكبر في ذلك إلى الأستاذ حسين راشد رئيس أمناء دار الآثار العربية ، كما ذكر ذلك الأستاذ أولمر في مقدمة كتابه (ص ٨ وما بعدها) ، ونشر صورها في اللوحة الأولى ، وكان لهذه المجموعة أكبر الأثر في تأريخ شبابيك القلل التي تنسب إلى العصر الفاطمي ؛ والبريق المعدني كما يعلم صديقي الفاضل معروف وقت استعماله في الخزف المصري . ولا أدري لماذا لم يذكر حضرته هذا النوع في مقاله . ولعله على رأي آخر في هذا الصدد نود لو يكشف لنا عنه

دكتور محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية



الرجـــل الصامت

عن الروسية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان فى فندق للقرية ضيوف كثيرون لا أعرف معظمهم ، وانقضى النهار وجانب من الليل ونحن فى هرج وضوضاء ، فلما بلغت الساعة الثانية بعد منتصف الليل بدأنا نفكر فى النوم فانصرف من انصرف وبقى فى الفندق ثمانية . ولم يكن خالياً من غرفه غير أربع ، فقالت لى صاحبة الفندق : إن هذا الضيف سيكون شريكا لك فى غرفتك واسمه (ماكسيم سيمونوفتش) وأشارت إلى رجل قصير القامة ضئيل الجسم فقلت : لا بأس وإن كنت أوثر أن تكون لى غرفة وحدى

تقدم نحوى سيمون وقال : أترى مانعاً من مشاركتى إياك ؟ . . .

فقلت : كلا وماذا عسى أن يكون المانع ؟ . فقال إننى قليل الكلام وأخشى أن يكون من عاداتك قبل النوم أن تتحدث فلا تسر برفيق صامت مثلى

قلت : وأنا أيضاً أحب الصمت . فقال : إذن فلن يؤذيك صمتى الطويل

ودخلنا غرفة النوم فقال : فى الناس من لا يستطيعون الصبر على صاحب صامت ، ولذلك سألتك حين رأيتك هل تحب الكلام فإن كثيرين ممن عرفونى أبغضونى لأنى قلما أتكلم

ابتسمت وقلت له : لا يشغل بالك هذا الخاطر . فقال : شكراً لك . وخلع إحدى حذائيه وأمسكها بيده . ثم أطرق لحظة وقال : لقد حدثت لى حوادث بسبب الصمت أذكر لك منها : أننى سكنت فى عهد شبابى فى غرفة واحدة مع صديق لى اسمه أورلوف وكان ينقضى اليوم واليومان وأنا صامت ؛ فتضجر وصار يسخر منى ويتهمنى بأننى سيء الضمير ، وسألنى : هل أقسمت لا أتكلم ؟ فقلت : كلا . فقال : إذن تكلم . فقلت : عن أى شيء ؟

وانقضى يومان وأنا صامت ، فأمسك زجاجة وقال : تكلم وإلا ضربتك بها فى رأسك

قلت : إن ذلك لن يكون جيلاً منك لو فعلته

ومضت ثلاثة أيام ولم أتكلم . ودخلنا لنبدل ثيابنا كما نفعل الآن نخلع حذاءه ورمانى به وقال : أنت كالميت لا تنطق ولا تتحرك ، وأن الحياة معك كالحياة بين المقابر ؛ فسأترك لك الغرفة غداً . هذا ما قاله ولكن هل تعرف ماذا فعل ؟

قلت : كلا

فضحك سيمون واستمر يقول : والله لقد خرج ... خرج من الغرفة ولم يعد إليها وقد كان فى حالة عصبية ... ولكن هل تعرف أن فتاة غضة الشباب موفورة الصحة تنتابها هذه الحالة ؟ لقد كانت لى خطيبة أحبها وكانت تحبنى وقالت إنها أحبتنى لأنى رجل جد وعمل ولأننى مفكر غير ثرثار . لقد قالت ذلك فى أول عهدى بها ولكن لما تقدم العهد بيننا سألتنى لماذا أنا كثير الصمت؟ فقلت ولماذا أتكلم ؟ فقالت أليس لديك ما تقول ؟ قل ما فعلته اليوم أو ما رأيته. فقلت لها باختصار لقد كنت فى مكتبى ثم تغديت وجئت لزيارتك . فقالت : إنها تخافنى لأنى قليل الكلام فقلت : هذه طريقتى فأحبينى كما أنا...

وبعد أيام زرتها فوجدت معها شاباً كثير الكلام ، فظل يحادثها بغير انقطاع ، وكان كل حديثه تافهاً ، وإننى لأعجب له كيف كان يؤاتيه هذا الكلام . لقد كان يسألها هل تعرف الرقص ، ثم يقص عليها خبراً رآه ويسألها عن معنى إهدائها إليه وردة صفراء ... كلام كثير لا أعرف من أين يختلقه وهل لإهداء وردة صفراء أى معنى ؟ وكانت تصغى إليه ... إلى أحاديثه التافهة ... إلى أسئلته ... وكانت تجيبه ... وكنت أراهما ولا أتكلم . ثم أخذا يتهامسان ويبتسمان وهما ينظران إلى . وبقيت صامتاً ثم تركت لهما المكان ... وبعد أيام زرتها فجاء هذا الشاب وقال لى : ما الذى تفعله هنا ! اذهب وإلا قتلتك فقلت : جئت

لأزور ماريا بتروفنا فقال : اذهب أيها الوغد

وأردت إقناعه بأنه مخطئ ولكننى رأيت الفتاة تضحك وتقول : اذهب فإننى لا أحبك لأنك قليل الكلام ! آه ما أحمق هذه الفتاة !

لما بلغ سيمون هذا الحد من حديثه كنت شعرت بحاجة شديدة للنوم ، فابتسمت وقلت : قصة جميلة ! أسعدت مساء

فقال : سعد مساؤك وطاب نومك . إن الرجال خير من النساء ، فهم يزنون الأمور بميزان المنطق ، وأما النساء فهن غاية فى الغرابة . إننى أعترف لك بأننى أحببت امرأة متزوجة وأحبتنى فى أول الأمر ، ولكنها بعد ثلاثة أيام فقط زهدت فىّ واحتقرتنى وقالت : لقد قبّلتُ قبلك كثيراً من الرجال ، ولكننى لم أقبّل غيرك جثة هامدة ... أنت رجل مضحك فاذهب من أمامى ... لقد قالت لى ذلك ؛ فلما لم أذهب ، خرجت هى من تلك الغرفة ، وقالت لزوجها بنفسها : إن فى المنزل رجلاً غريباً ... هل أنت سامع ؟

فقلت له وأنا بين النوم واليقظة : إننى أريد أن أنام ، فنحن فى منتصف الساعة الرابعة ، فقال : أنحن فى منتصف الساعة الرابعة ؟ لقد آن وقت النوم

وخلع حذاءه الثانى وقال : لقد كنت مسافراً مع أحد الأعيان ، فبقيت كعادتى صامتاً فى الطريق

عند ذلك أغمضت عينى ودفنت صوتى بالغطيط لكى يحسبنى نائماً فيسكت ، ولكنه استمر يقول : فسألنى عن الجهة التى أسافر إليها ؛ فقلت له : نعم ... هل نمت أيها الشاب ؟ هل أنت سامع ؟ أنائم هو ؟ أهو غير نائم ؟ ها ها ! لقد كان الشاب الذى سكنت معه يفعل مثل ذلك ... لقد كان ينام ساعة يضع رأسه على الوسادة ... إن الناس لا يحبون كلامى ... ها ها !

فرفعت رأسى وقلت له بلهجة التهكم :

— لقد قلت لى إنك رجل صامت ، وأنا الآن أشك فيما تدعيه

فقال : إننى أتكلم عن حوادث جرها حب السكوت . ومن تلك الحوادث ، أننى ذهبت مرة لأعترف للقسيس فسألنى :

— أى خطيئة ارتكبتها ؟ فقلت : خطايا كثيرة

فقال : قلها . قلت : كل الخطايا

فسكت القسيس وسكت أنا

فقلت له بصوت الغضب وقد جلست على الفراش :

— كلما زدت فى حديثك عن الحوادث المؤيدة لحبك للصمت زاد فى نفسى اليقين بأنك كاذب !

فقال : لماذا ؟ هل فى حديثى ما يبعث على الشك فى حبي للصمت ؟ إن حبي للصمت قد آذانى كثيراً ، فقد كنت مرة بالمكتب ، فجاء رئيسى وسألنى : هل لدى أخبار ؟ فقلت : كلا ، فقال : ما معنى قولك كلا ؟

قلت : إننى نائم ، ليلتك سعيدة ! ليلتك سعيدة !

فقال سيمون : ليلتك سعيدة ، وقد قلت له إننى لا أعلم شيئاً من الأخبار ، فقال : هذا جواب غير مناسب ؛ فقلت : وبأى جواب أجيبك ؟

غلبنى النعاس فنمت نوماً عميقاً ، ولما استيقظت فى الصباح سمعت صوتاً بجانبى ، ونظرت إلى سيمون فوجدته يقول :

— وقد طلبت منى زوجتى الطلاق لأننى صامت ، وهى تريد إنساناً لا جاداً ؛ فقلت لها : يا عزيزتى ليدا وعن أى شىء أتكلم ؟

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 400

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
٢ ثمن هذا العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 3-3-1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٠٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ صفر سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣ مارس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
٢٢٥ يومان من أيام الرسول ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٢٧ الدين مصدر للدنية الفاضلة : الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي
٢٢٨ أدين قتال هو ؟ ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٢٣٠ المنصور بن أبي عامر ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٢٣٢ فتح مصر كما صوره الأديب المجهول ... ... : الدكتور زكي مبارك ...
٢٣٥ أثر الهجرة في التشريع الاسلامي : الأستاذ محمد محمد المدني ...
٢٣٨ طارق بن زياد ... [قصيدة] : الأستاذ علي محمود طه ...
٢٣٩ العقيدة الاسلامية تكون البطولة (عمر المختار) . ... : الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي
٢٤٢ بماذا كان ينتصر الاسلام ؟ : الأستاذ عبد العزيز البشري
٢٤٥ فارس وفارس ... [قصيدة] : الأستاذ محمود الخفيف ...
٢٤٨ مشروعية الحرب في الاسلام : الأستاذ محمد فريد وجدي ...
٢٥٠ على طريقة الصين أو طريقة أبي دلامة... ... ... : الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني
٢٥٢ مزامير النفس العربية ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٢٥٣ غضبة إسلامية ... ... : الأستاذ عبد الله عفيفي بك
٢٥٦ كتيبة الاسلام ... ... : الأستاذ محمد سعيد العريان
٢٥٨ درس في التصوف ... ... : الأستاذ زكي نجيب محمود ...
٢٦١ في الغار ... ... [قصيدة] : الأستاذ محمود غنيم ... ...
٢٦٢ قبس من نور صاحب الهجرة : الأستاذ محمود البشبيشي ...
٢٦٤ وأد البنات عند العرب في الجاهلية : الدكتور علي عبد الواحد وافي
٢٦٨ الرنوك في عصر المماليك ... : الدكتور محمد مصطفى ... ...
٢٧٢ صفحة لامعة من تراث العرب العلمي (ثابت بن قرة) ... : الأستاذ قدري حافظ طوقان
٢٧٦ هو النبي المنتظر ... ... : [مسرحية شعرية] ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٢٧٩ يبني ربأ ... ... : الأديب لبيب السعيد ...

١٥ ١٦

يومان من أيام الرسول



يومان من أيام الرسول تضمنا سر النبوة كما تتضمن النواة سر النخلة ، ولخصا تاريخ الإنسانية كما يلخص الجنين تاريخ الإنسان . ذانك يومه الخائف المجهود وقد خرج مهاجراً إلى المدينة، ويومه الآمن المشهود وقد رجع ظافراً إلى مكة !

كان يومه الأول خاتمة لثلاثة عشر عاماً من المحن الشداد والآلام الفواتن تظاهرت على الإيمان والصبر حتى قال الرسول وهو يلوذ بحائط من حوائط ثقيف : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ...

وكان يومه الآخر فاتحة لثلاثة عشر قرناً من النصر المؤزر والفتح المبين، خنس فيه الشرك واستخذت الجهالة وذلت قريش حتى قال الرسول وهو واقف بباب الكعبة: لا إله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده!

وإذا كان للرسول في تاريخ الإسلام يومان لا تزال العقول تقع منهما كل يوم على سر، فإن مصدر هذه الأسرار معجزتان لله لا تزال الأفهام تكشف فيهما كل حين عن آية: معجزة الرسول في خلقه، ومعجزة القرآن في بيانه. وقد انكسر القرن الرابع عشر على هاتين المعجزتين والأذهان البصيرة الوالية والمادية تدرس آثارهما وتستبطن أسرارهما، فما بلغت من ذلك كنهها ولا غاية

كان محمد في يوميه العظيمين مثل الإنسانية الأعلى: حمل رسالة الله وحمل أبو جهل رسالة الشيطان، واستحالت مكة المشركة جبلاً من السعير سد عليه طريق الدعوة، فكان يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفُتون وتتسعر بالعذاب؛ وتتفجر عليه من كل مكان سفاهة أبي لهب بالأذى والهون والمعاياة والمقاطعة. وكل قريش كانت يومئذ أبا لهب إلا من حفظ الله. وافتن شياطين مكة في أذى الرسول، فعذبوه في نفسه وفي قومه وفي أصحابه ليحملوه على ترك هذا الأمر فما استكان ولا لان ولا تردد. وحينئذ تدخّل الشيطان بنفسه في (الندوة) فقرر القتل، وتدخّل الله برَوْحه في (الغار) فقدر النجاة. وانطلق محمد وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المشركين في الطريق الموحش الوعر إلى يثرب. وكأن هؤلاء الناجين بدين الله لم يكادوا يدخلون في غيب الطريق حتى انشقت الصحراء عنهم فإذا هم عشرة آلاف من جند الله يجرّون الحديد على النياق الكوم والخيول الجرد، والرسول في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار لا يظهر منهم وراء الدروع غير الحدَق، وإذا أبو سفيان زعيم قريش قد اشترى حياته بإسلامه، ثم وقف مع العباس بمضيق الوادي يشهد جيش الفتح وهو زاحف إلى مكة ويقول: هذا والله ما لا طاقة لنا به! لقد أصبح ملك ابن أخيك يا أبا الفضل عظيماً. فقال له العباس: يا أبا سفيان، إنها النبوة!

ثم نجا أبو سفيان إلى مكة فصاح بأعلى صوته: يا معشر قريش، لقد أتاكم محمد بما لا قبل لكم به، فسلموا تسلموا

أهذه مكة الطاغية التي لبثت إحدى وعشرين سنة تفور بالسفه والحقد والإفك والضغينة والمعارضة على محمد ودين محمد وأصحاب محمد؟ ما بالها خشعت خشوع الجناح الكسير وسكنت سكون المقبرة المهجورة؟ لقد باتت ليلة من ليالي يناير الباردة الطويلة وقلبها يرجف من هول الغد وانتقام الفاتح. ثم أصبحت مكة الساهدة فإذا أهلها بين قابع في منزله، أو عائذ ببيت الله، أو لائذ بدار أبي سفيان؛ وإذا فرق الجيش المحمدي الظافر تنحدر من (ذي طوى) مكبرة مهللة إلى جهات مكة الأربع. فلما ارفضّت المخاوف عن الناس خرج القائد الأعظم من قبته المضروبة بأعلى مكة يؤم المسجد الحرام، وعلى جوانب الطرقات ألسنة المسلمين تذكر، ومن وراء الحجرات عيون المشركين تنظر، والرسول الكريم قد طأطأ رأسه على رحله حتى كاد أن يمس قادمته؛ فلم يجر على باله أن هذه الأرض التي طورد فيها وسال دمه عليها قد أصبحت ملكه، وأن هؤلاء الناس الذين قذفوه بالأحجار ورموه بالأقذار قد أصبحوا أسراه، حتى دخل المسجد فطاف؛ ثم أقبل على الأرستقراطية الصاغرة وهي تتطامن من القلق والفرَق وقال لأهلها الذين أفرطوا عليه في البذاء والإيذاء: يا معشر قريش، اذهبوا فأنتم الطلقاء!

* * *

كان يوم الهجرة وما قبله تشريعاً من الله في حياة الرسول للفرد المستضعف إذا بغى على حقه الباطل، وطغى على دينه الكفر، ليعرف كيف يصبر ويصابر، وكيف يجاهد ويهاجر، حتى يبلغ بحقه ودينه دار الأمان فيقوى ويعز

وكان يوم الفتح وما بعده تشريعاً من الله على لسان الرسول ويده للأمة إذا اتسعت رقعتها واجتمعت كلمتها واستحصدت قواها لتعلم كيف تنسى الضغائن إذا ظفرت، وتحتقر الصغائر إذا كبرت، ثم لا تحارب إلا في الله ولا تسالم إلا في الحق

كانت المدينة وحدها بعد يوم الهجرة مجالاً لسياسة الرسول يضم شتات الجماعة ويوثق عقدة الدين ويجمع أهبة الحرب؛ فألف بين الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعاهد بين المسلمين واليهود، حتى تكتب في يثرب جيش الله الذي فتح الدنيا بفتح مكة!

ثم كان العالم كله بعد يوم الفتح مشرقاً لوحي الله وهدى الرسول، فطهره الإسلام من الأرستقراطية بالمساواة، ومن

الدين مصدر المدنية الفاضلة

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر



فى هذا الوقت العصيب الذى يَفرق الله فيه بين عهد وعهد، وبين نظام ونظام، تعود ذكرى الهجرة النبوية التى فرق الله بها بين الشرك والوحدانية، وبين الحيوانية والإنسانية، فتكون للقلوب المؤمنة هدى يزيل الضلال، وأملاً يذهب اليأس

وذكرى الهجرة هى ذكرى ما لقيت دعوة الحق من كيد الباطل، وما أدركت بالصدق والصبر من نصر الله؛ إذ لم تكد تشرق من غار حراء حتى استخفت فى دار الأرقم، ثم لجأت إلى غار ثور وقد طاردها الظلم من كل سبيل، وهاجمها الكفر من كل جانب. وهناك أراد الله سبحانه وتعالى أن تدرك قدرتَه كلمتَهُ فطمس عين الباطل فلم ير، وزلزل قدم الشرك فلم يلحق، ومكن لرسالته أن تشرق فى الأبصار والبصائر، فاهتدى من حار ورشد من غوى وقوى من ضعف وعز من ذل. ذلك لأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وقد «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً». ثم صدقهم الله وعده، فجعلهم وراثاً للأرض، وخلفاء على الناس، ووطد لدولتهم الملك، وأسعد بمدنيتهم العالم، حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم، واستجرّوا للهوى فأخضعهم لغيرهم، وتركوا الجادّة وسلكوا البُنيَّات فضلوا آثار السلف، وغفلوا عن تطور الزمان، وقصّروا فى اتخاذ العدة، حتى تمزقت وحدتهم، وضاعت هيبتهم، وأصبحوا أتباعاً وأوزاعاً، يُقضى عليهم ولا يقضون، ويُمضَى لهم ولا يمضون

«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون»؟

لقد تحدث بعض الذين مكنتهم القوة المادية من السلطان عن نظام جديد للعالم يكفل له السلام والعدل؛ ومثل هذا النظام لا يمكن أن يقوم إلا على أساس الدين؛ فقد دلت تجارب الماضى الطويل أن نظم الإنسان لا تبرأ من النقص لإعواز الكمال فيه وغلبة الهوى عليه. وإذا استحال على العالم كله اعتناق مدنية دينية واحدة، لأن الله لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة، فإن المسلمين أولى الشعوب بالمبادرة إلى هذه المدنية الفاضلة، لأنهم مدينون لدين الله بسلطانهم الذى طبق الأرض، وعمرانهم الذى جمّل الدنيا، وشريعتهم التى نظمت فوضى الطبيعة؛ ولولا الدين ما كان لهم علم ولا حكم ولا حضارة

ولعل الذين استهوتهم مدنية الغرب من الشرقيين فقلدوها تقليد التابع الذليل، قد أدركوا اليوم بعد أن زيفتها التجارب وكشفتها الأحداث وحكم عليها أهلها، أن الرجوع إلى مدنيتهم أحق، واقتباس النافع من حضارة الغرب أولى، وإنشاء مدنية فاضلة مستقلة تقوم على الدين الصحيح والأخلاق القويمة والتقاليد الصالحة، هو الأشبه بأبناء الذين ورثوا مدنيات الشعوب وثقافات الأمم، ثم أجروها على دستور القرآن، ووسموها بطابع العرب، حتى جعلوها مدنيتهم الخاصة، إليهم تُعزى وعنهم تؤخذ

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهم المسلمين الصواب، ويسدد خطاهم فى طريق الحق، ويهيئ لهم من أمرهم رشداً

محمد مصطفى المراغى

الرأسمالية بالزكاة؛ ثم علم الناس حكم الشورى، وألزمهم قضاء العدل، حتى أخرجهم من الوطنية المحدودة إلى الإنسانية المطلقة

ذانك يومان من أيام الرسول تضمنا أسرار نفسه ولخصا أطوار حياته. فهل تطمعون يا من تظنون أن الزعامة تجوز من غير صدق، والجهاد يفوز من غير صبر، والحياة تصلح من غير إيمان، أن تكون لكم فى رسول الله أسوة حسنة؟ احمد حسن الزيات

أدين قتال هو ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد



من المطاعن التى وجهها أعداء الإسلام إليه أنه دين سيف وليس بدين إقناع : يريدون بذلك أنه لا يقنع الأمم التى دعيت إليه لولا الغزو والإكراه بقوة السلاح

ولتمحيص هذا القول الذى يقال ويعاد فى كل زمان نقرر هنا بعض الحقائق التى يسلّمها المنصف ولا ينكرها إلا المكابر ، لنثبت أن الإسلام شأنه فى استخدام القوة كشأن كل دين ، وأنه ما كان لينتصر بالقوة لو لم يكن إلى جانب ذلك صالحاً للانتصار

« فالحقيقة الأولى » أن هذا الطعن لو صدق لوجب أن يصدق فى بداية عهد الإسلام الذى دان فيه بهذا الدين كثير من العرب المشركين ولولاهم لما كان له جند ولا حُمل فى سبيله سلاح

لكنّ الواقع أن الإسلام فى بداية عهده كان هو المعتدَى عليه ولم يكن من قِبله اعتداء على أحد ، وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القوم حول النبى عليه السلام ، فإنهم كانوا يقاتلون من قاتلهم ولا يزيدون على ذلك : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

وكانوا يحاربون من لا يؤمَن عهده ولا يتقى شره بالحلف والمسالمة : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون »

وقد صبر المسلمون على المشركين حتى أمروا أن يقاتلوهم كافة كما يقاتلون المسلمين كافة ؛ فلم يكن منهم قط عدوان ولا إكراه

وحروب النبى عليه السلام كلها حروب دفاع ، ولم تكن منها حرب هجوم إلا على سبيل المبادرة بالدفاع بعد الإيقان من نكث العهد والإصرار على القتال ، وتستوى فى ذلك حروبه مع قريش وحروبه مع اليهود أو مع الروم

* * *

« والحقيقة الثانية » أن الإسلام إنما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارَب بالبرهان والإقناع

ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف « سلطة » تقف فى طريقه وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للاصغاء إليه

لأن السلطة تزال بالسلطة ، ولا غنى فى إخضاعها عن القوة ، ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية ، بل كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة فى الأبناء بعد الآباء ، وفى الأعقاب بعد الأسلاف ، وكل حجتهم التى يذودون بها عن تلك التقاليد أنهم وجدوا آباءهم عليها ، وأن زوالها يزيل ما لهم من سطوة الحكم والجاه

وقصد النبى بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها لأنهم أصحاب « السلطة » التى تأبى العقائد الجديدة ، وتبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هى التى كانت تحول دون الدعوة المحمدية وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء ، لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كانت تمنع العوائق التى تصد الدعوة الإسلامية ، فيمتنع القتال

ومن التجارب التى دل عليها التاريخ الحديث كما دل عليها التاريخ القديم أن السلطة لا غنى عنها لإنجاز وعود المصلحين ودعاة الانقلاب ؛ ومن تلك التجارب تجربة فرنسا فى القرن الماضى ، وتجربة روسيا فى القرن الحاضر ، وتجربة مصطفى كمال فى تركيا ، وتجارب سائر الدعاة من أمثاله فى سائر البلاد

فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكرة بالقوة ، ولا بد من التمييز بين العملين لأنهما جد مختلفين

* * *

« والحقيقة الثالثة » أن الإسلام لم يحتكم إلى السيف قط إلا فى الأحوال التى أجمعت شرائع الإنسان على تحكيم السيف فيها

فالدولة التى يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها ماذا تصنع إن لم تحتكم إلى السلاح ؟

وهذا ما قضى به القرآن الكريم حيث جاء فيه : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين »

والدولة التى يحمل أناس من أبنائها السلاح على أناس آخرين من أبنائها بماذا تفض الخلاف بينهم إن لم تفضه بقوة السلطان ؟

وهذا ما قضى به القرآن الكريم أيضاً حيث جاء فيه : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ؛ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله . فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين »

وفى كلتا الحالتين يكون السلاح آخر الحيل ، وتكون نهاية الظلم والاعتداء نهاية الاعتماد على السلاح . ثم يأتى الصلح والتوفيق أو يأتى التفاهم بالرضى والاختيار .

* * *

« والحقيقة الرابعة » أن الأديان الكتابية بينها فروق موضعية لا بد من ملاحظتها عند البحث فى هذا الموضوع

فاليهودية كانت كما يدل عليه اسمها أشبه بالعصبية المحصورة فى أبناء إسرائيل منها بالدعوة العامة لجميع الناس ، فكان أبناؤها يكرهون أن يشاركهم غيرهم فيها كما يكره أصحاب النسب الواحد أن يشاركهم غيرهم فيه ، وكانوا من أجل هذا لا يحركون ألسنتهم ، فضلاً عن امتشاق الحسام ، لتعميم الدين اليهودى وإدخال الأمم الأجنبية فيه ، ولا وجه إذن للمقارنة بين اليهودية والإسلام فى هذا الاعتبار

أما المسيحية فهى قد عنيت « أولاً » بالآداب والأخلاق ولم تعن مثل هذه العناية بالمعاملات ونظام الحكومة

وهى قد ظهرت « ثانياً » فى وطن تحكمه دولة أجنبية ذات حول وطول وليس للوطن الذى ظهرت فيه طاقة بمصادمة تلك الدولة فى ميدان القتال

أما الإسلام فقد ظهر فى وطن لا سيطرة للأجنبى عليه ، وكان ظهوره لإصلاح المعيشة وتقويم المعاملات وتقرير الأمن والنظام ، وإلا فلا معنى لظهوره بين العرب ثم فيما وراء الحدود العربية

فإذا اختلفت نشأته ونشأة المسيحية فذلك اختلاف موضعى طبيعى لا مناص منه ولا اختيار لأحد من الخلق فيه

وآية ذلك أن المسيحية صنعت صنع الإسلام حين قامت بين أهلها الدول والجيوش ، وحين استقلت شعوبها عن الأجانب المتغلبين ، وأربت حروب المذاهب فيما بين أبنائها على حروب صدر الإسلام مجتمعات ...

* * *

« والحقيقة الخامسة » أن الإسلام شرع الجهاد ، وأن النبى عليه السلام قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »

وجاء فى القرآن الكريم : « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً »

وحدث فعلاً أن المسلمين فتحوا بلاداً غير بلاد العرب ولم يفتحوها ولم يكن يتأتى لهم فتحها بغير السلاح

لكنّ هذه الفتوح لم يتم شىء منها قبل استقرار الدولة للاسلام ، فلا يمكن أن يقال إنها كانت هى وسيلة الإسلام للظهور وقد ظهر الإسلام قبلها وتمكن فى أرضه واجتمعت له جنود تؤمن به وتقدم على الموت فى سبيله

ثم إن هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة إن لم تفرضها الدعوة إلى دينها

فلو قدرنا أن الخليفة المسلم لم يكن صاحب دين ينشره ويدعو إليه لوجب فى ذلك العهد أن يأمن على بلاده من الفوضى التى شاعت فى أرض فارس وفى أرض الروم ، ووجب أن يكف الشر الذى يوشك أن ينقض عليه من كلتيهما ، وأن يمنع عدوى الفساد أن تسرى منهما إلى حماه

هذا إلى أن الإسلام قد أجاز للأمم أن تبقى على دينها مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة ، وهو أهون ما يطلبه غالب من مغلوب

* * *

المنصور بن أبي عامر

للدكتور عبد الوهاب عزام

[مفخرة من مفاخر التاريخ العربي ، ومثل من الهمة الطامحة ، والنفس الهمامة ، والعزم الذى لا يفل]



— ١ —

ينتسب إلى قبيلة مُعافر إحدى قبائل اليمن. دخل جده عبد الملك بن عامر الأندلسى فى جند طارق بن زياد، وأقام بعد الفتح فى الجزيرة الخضراء فكان له ولبنيه شأن؛ واتصل أبو عامر جدُّ المنصور بالخلفاء فى قرطبة، وعدّت أسرة أبى عامر فى أسر الوزراء. وكان أبو حفص والد المنصور متألهاً زاهداً، شغل بالحديث عن خدمة الخلفاء، ومات قافلاً من الحج فدفن بمدينة طرابلس.

وأمّ المنصور من أسرة تميمية — أسرة بنى برطال —

ويقول القسطلى فى المنصور:

تلاقت عليه من تميم ويعرب شموس تلالا فى العلا وبدور
من الحميريين الذين أكفهم سحائب تهمى بالندى وبحور

— ٢ —

ونشأ محمد (المنصور) نجيباً، طامحاً، عظيم الهمة، كبير القلب. أُثر عنه أيام طلبه العلم بقرطبة نوادر تنبئ باعتداده بنفسه واستشرافه المعالى. يقول محمد بن إسحق التميمى:

« كان محمد بن أبى عامر نازلاً عندى فى حجرة فوق بيتى، فدخلت عليه فى بعض الليالى فى آخر الليل، فوجدته قاعداً على الحال التى تركته عليها أول الليل حين فصلت عنه؛ فقلت له: ما أراك نمت الليلة. قال: لا. قلت: فما أسهرك؟ قال: فكرة عجيبة. قلت: فيماذا كنت تفكر؟ قال: فكرت إذا أفضى إلىّ الأمر ومات محمد بن بشير القاضى، بمن أستبدله، ومن الذى يقوم مقامه؟ جُلت الأندلس كلها بخاطرى، فلم أجد إلا رجلاً واحداً. فقلت: لعله محمد بن السليم. قال: هو والله، لشدّ ما اتفق خاطرى وخاطرك »

وكذلك رشحته المعالى نفسه العظيمة وآماله الكبيرة، والمرء حيث يضع نفسه

« والحقيقة السادسة » أن المقابلة بين ما كانت عليه شعوب العالم يومئذ قبل إسلامها وبعد إسلامها تدل على أن جانب الإسلام هو جانب الإقناع لمن أراد الإقناع

فقد استقر السلام بين تلك الشعوب ولم يكن له قرار، وانتظمت بينها العلاقات ولم يكن لها نظام، واطمأن الناس على أرواحهم وأرزاقهم وأعراضهم وكانت جميعها مباحة لكل غاصب من ذوى الأمر والجاه

فإذا قيل إن المدعوين إلى الإسلام لم يقتنعوا بفضله سابقين، فلا ينفى هذا القول أنهم اقتنعوا به متأخرين، وإن الإسلام مقنع لمن يختار ويحسن الاختيار إلى جانب قدرته على إكراه من ركب رأسه ويقف فى طريق الإصلاح

ومن نظر إلى الإقناع العقلى تساوى لديه من يستميلك إلى العقيدة بتوزيع الدواء والطعام، ومن يستميلك إليها بالخوف من الحاكم على فرض أن خوف الحاكم كان ذريعة من ذرائع نشر الإسلام

فالشاهد الذى تطعمه وتكسوه ليقول قولك فى إحدى القضايا، كالشاهد الذى ينظر إلى السوط فى يديك فيقول ذلك القول: كلاهما لا يأخذ بإقناع الدليل ولا بنفاذ الحجة ولا يدفع عن عقيدته دفع العارف البصير

وصفوة ما تقدم أن الإسلام لم يوجب القتال إلا حيث أوجبته جميع الشرائع وسوّغته جميع الحقوق، وأن الذين خاطبهم بالسيف قد خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك: إلا أن يحال بينها وبين انتضائه أو تبطل عند أبنائها الحاجة إلى دعوة الغرباء إلى أديانها، وإن الإسلام عقيدة ونظام، فهو من حيث العقيدة قد نشأ وتأسس قبل أن تكون له قوة، وهو من حيث النظام شأنه كشأن كل نظام فى أخذ الناس بالطاعة ومنعهم أن يخرجوا عليه.

عباس محمود العقاد

— ٣ —

صار محمد من أعوان قاضي قرطبة محمد بن السليم، ثم تقلب في القضاء، وجعل وكيلاً لعبد الرحمن ابن الخليفة المستنصر وأمه. ولما مات عبد الرحمن، جعل وكيلاً لأخيه هشام، ورتب له خمسة عشر ديناراً كل شهر

وعرف الخليفة قدر الرجل، فكان ينـدبه فيما يُعضل من الأمور، ثم ولاه الشرطة الوسطى. ولم يأل ابن أبي عامر جهداً في التقرب من هشام وأمه صبح، وكانت ذات مكانة عند الخليفة

وعهد الخليفة إلى ابنه هشام فحرص ابن أبي عامر على أن يحتفظ لهشام بولاية العهد، ثم الخلافة بعد أبيه، على كثرة ما اجتهد الصقالبة في تولية المغيرة بن عبد الرحمن الناصر عم هشام

وتولى قيادة الجيش إلى غزوة نكص عنها كبراء الدولة، ورجع منها مظفراً فزاد هيبة ومكانة. ثم ولي شرطة قرطبة فسيطرت على المدينة هيبته وعدله. فأمن الأخيار وسكن الأشرار

يقول صاحب البيان المغرب:

« فضبط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة مَن سلف من أفراد الكفاة وأولي السياسة، وقد كانوا قبله في بلاء عظيم يتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعات طرّاقه ما لا يكابد أهل الثغور من العدو. فكشف الله عنهم بمحمد بن أبي عامر وكفايته وتنزهه؛ فسد باب الشفاعات، وقمع أهل الفسق والدعارات، حتى ارتفع البأس وأمن الناس. وأمنت عادية المتجرمين من رجال السلطان حتى لقد عثر على ابن له فاستحضره في مجلس الشرطة وجلده جلداً مبرّحاً كان فيه حمامه. فانقطع الشر جملة »

ولما رجع من غزاته الثالثة ظافراً رفعه الخليفة إلى الوزارة وجعل راتبه ثمانين ديناراً وهو راتب الحجابة، ثم شارك أبا جعفر الحاجب ثم استبد بالحجابة عام سبعة وستين وثلاثمائة؛ فقد بلغ أرفع مناصب الدولة

— ٤ —

سيطر ابن أبي عامر سبعة وعشرين عاماً على الأندلس كلها فصرف أمورها في الحرب والسلم كما يشاء، ولم تجتمع أمور الأندلس في يد واحدة قادرة إلا يد عبد الرحمن الناصر ويد المنصور ابن أبي عامر. فأما الناصر فقد ورث ملكاً ثبّتته رأيه وعزمه ومضاؤه وإقدامه، وأما ابن أبي عامر فقد رفعه إلى السلطان نفس طماحة وعزيمة ماضية وخلق مرير. ولم تكن هيبته في نفوس أعداء الأندلس دون هيبته في الأندلس، فقد أولع بالغزو وانتدب للجهاد فغزا خمسين غزوة في شمالي الأندلس، لم تنكس له راية، ولا بعدت عليه غاية، حتى بلغ (شنت ياقوب) في أقصى الجزيرة إلى الشمال والغرب، وما طمع أحد من المسلمين قبله أن تنال همته هذا المكان القصي. لقد صدق صاحب البيان حين قال:

« ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر: هل من مبارز؟ فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده. فاستقام أمره منفرداً بمملكة لا سلف له فيها. ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها، وما توجهت قط عليه هزيمة، وما انصرف عن موطن إلا قاهراً غالباً على كثرة ما زاول من الحروب، ومارس من الأعداء، وواجه من الأمم؛ وإنها لخاصة ما أحسبه يشركه فيها أحد من الملوك الإسلامية. ومن أعظم ما أعين به، مع قوة سعده وتمكن جنوده، سعة جوده، وكثرة بذله؛ فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان »

— ٥ —

وكان المنصور عادلاً شديداً في الحق لا تأخذه فيه محاباة ولا شفقة، ولا يعرف في إنفاذ الحق هوادة: « جاء إلى مجلسه رجل فناداه يا ناصر الحق لي مظلمة عند هذا الفتى ـ وأشار إلى أحد فتيانه ـ وقد دعوته إلى الحاكم فلم يأت. قال المنصور: اذكر مظلمتك، ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية. وقال للفتى: انزل صاغراً وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك. وقال لصاحب الشرطة: خذ بيد هـذا الظالم الفاسق وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم ينفذ عليه حكمه بأغلظ ما توجبه الحق »

ولـما عاد الرجل المتظلّم إلى المنصور يشكره قال له: « قد انتصفت أنت فاذهب لسبيلك. وبقي انتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي ». وعاقب الفتى وعزله

ما ثبت سلطان هذا الرجل الطماح المتسلّـط المقدام إلا بهذا العماد من العدل والإنصاف وإيثار الحق على نفسه وخاصته

وكان له فصّـاد فاحتاج إليه يوماً فقيل له إنه في حبس القاضي لحيف كان منه على امرأته. فأمر المنصور بإخراجه مع رقيب من رقباء السجن ليفصده ثم يعود إلى محبسه. وشكا الرجل إلى المنصور ما ناله من القاضي فقال: « يا محمد إنه القاضي!

فتح مصر

كما صوره الأديب المجهول

للدكتور زكي مبارك



دخل العرب مصر يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين لهجرة الرسول ، على خلاف في ذلك لا يغير الجوهر من موضوع هذا الحديث

ولم تكن مصر بعيدة عن أذهان العرب في الجاهلية ؛ فقد تحدث القرآن عن أخبار مصر بإفاضة وإطناب ، وذلك يشهد بأن العرب كانوا يسايرون ما يقع في مصر من حوادث وتقلبات ، ومن هنا كانت الحكمة العالية في عناية القرآن بالتحدث عن مصر وملوك مصر وهو يدعو إلى الاعتبار بمصاير الجبابرة والظالمين

كان العرب يعرفون مصر قبل الفتح ، وكانوا ينزحون إليها من وقت إلى وقت ، طلباً للغنى والثراء . ومن شواهد ذلك شدة القرب بين اللغة العربية واللغة المصرية ، وهو قرب يؤيده الاتحاد في ألفاظ كثيرة تعد بالمئات ، ألفاظ نطق بها العرب والمصريون مع تشابه في الجرْس والمدلول ، وذلك لا يقع بين أمتين عن طريق المصادفات ، وإنما هو برهان على قوة التعارف فيما غبَر من عهود التاريخ .

والحق أن الفترة التي سبقت ظهور الإسلام كانت من مواسم اليقظة العربية ، فكان للعرب سفراء من التجار بأكثر البلاد التي فُتحتْ في أيام الخلفاء ، ولا سيما مصر والشام ، فمن العسير أن نصدّق أن مصر لم تخطر في بال العرب إلا قبيْل سنة عشرين وكانوا يعرفون في جاهليتهم أنها أعظم مصادر الخيرات والثمرات ، وأنها الطريق إلى أفريقيا الشمالية ، وبأفريقيا الشمالية أقطار تسامع بها العرب ودخلت في أساطيرهم قبل الإسلام بأزمان

أقول هذا — وهو حق — لأثبت أن ما سطّر التاريخ من أخبار فتح مصر لم يكن إلا من صنع الأديب المجهول ، فمن هو ذلك الأديب ؟

في الأدب العربي عشرات أو مئات من الأدباء المجهولين ، فالذي سطّر خطب وفود العرب على كِسرى أديبٌ مجهول ، والذي دوّن مشاورة المهدي لأهل بيته أديبٌ مجهول ، والذي

وهو في عدله . ولو أخذني الحق ما أطقت الامتناع عنه . عُدْ إلى محبسك أو اعترف بالحق فإنه هو الذي يطلقك »

فمن يسأل عن ملك العرب والمسلمين كيف ثبت هذه الحقب الطويلة على أعاصير الخطوب ففي هذا وأمثاله جواب

— ٦ —

وكان على كثرة مشاغله ذا عناية بالأدب والعلم يجتمع العلماء والأدباء كل أسبوع ويتناظرون في حضرته ، ويمدحه الشعراء وكان رحمه الله ديّنا متألها ورعاً كتب بيده مصحفاً كان يحمله في أسفاره . وجمع ما علق بثيابه من غبار الحرب وأوصى أن يجعل في حَنوطه إذا مات ، كما فعل أمير العرب ابن حمدان من قبله : صنع من غبار الوقائع لبنة لتوضع في قبره تحت رأسه .

واتخذ المنصور كفنه من مال موروث من أبيه ومن غزل بناته اتقاء للشبهة ، وتورّعا أن يكون في أكفانه مال يرتاب فيه .

— ٧ —

توفي المنصور سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة غازياً بمدينة سالم في أقصى الثغور الأندلسية ففرح أعداؤه بموته وصوّروا جنازته ولا تزال صور الجنازة في متاحف أوربة

رحم الله المنصور بن أبي عامر ! إن في سيرته لقدوة حسنة لكل طامح يسمو بنفسه إلى الدرجات العلى في المنصب والدين والخلق .

رحم الله المنصور ! إن في سيرته لحجة يوم نفاخر بتاريخ العرب والإسلام .

عبد الوهاب عزام

ألف رسالة الطير والحيوان بين رسائل إخوان الصفاء أديبٌ مجهول ، والذى حرّر المساجلة بين المقوقس وعبادة بن الصامت يوم حصار حصن بابليون أديبٌ مجهول ، فماذا صنع هذا الأديب ؟

يجب أولاً أن نفهم أن العرب لم يدونوا أخبار الفتوحات يوماً بيوم ، كما يصنع الناس فى هذا العهد . فقد كان العرب محمومين بالقتال والصيال ، وهل دونوا القرآن إلا بعد الخوف عليه حتى يهتموا بتدوين أخبار الفتوحات ؟

إذا فهمنا هذا أدركنا بسهولة أن ما دُوِّنَ من أخبار فتح مصر لم يكن إلا صورة من التاريخ المزخرف ، وهو تاريخ يمثل عقل الكاتب أكثر مما يصور الواقع ، وإلا فكيف جاز أن يتفق عمر بن الخطاب مع عمرو بن العاص على خطاب يتلقاه عمرو فى الطريق وفيه هذه الكلمات : « إن أدركك كتابى هذا قبل أن تدخل مصر فارجع إلى موضعك ، وإن كنت دخلت فامض لوجهك ... »

ليس هذا خبراً من الأخبار ، وإنما هو أقصوصة من الأقاصيص ؛ فعمر بن الخطاب لا يسيِّر جيشاً لفتح مصر إلا وهو مصمم على ضم مصر إلى الممالك الإسلامية . وعمرو بن العاص لا يُدافع رسولاً يحمل إليه خطاباً من أمير المؤمنين ، كما تشاء « القصة » أن تقول لغرض شريف هو وصف عمر بالحذر ، ووصف عمرو بالإقدام ، وكذلك وُصف عمر وعمرو فى أكثر ما تحدث به القصاص ، وهم أقطاب التاريخ المزخرف فى شباب العصر الإسلامى

ثم انتقل الأديب المجهول إلى وصف الحوار الذى دار حول حصن بابليون ، وهو حوار نرى فيه المقوقس يتكلم اللغة العربية بفصاحة يصورها هذا التحذير الطريف :

« إنكم قد ولجتم بلادنا ، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم ، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبكم ورجائكم ، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء »

ثم يتلطف الأديب المجهول فيجعل رسول عمرو إلى المقوقس هو عبادة بن الصامت مع جماعة من الفرسان ، فلأى غرض تخير عبادة لذلك اليوم المشهود ؟

أنا أفترض أن الفن الأدبى هو الذى قضى بذلك التخير ، فقد كان عبادة أسود ، وكان العرب يعيَّرون بالسواد ، فلم يكن بد من قرن الشجاعة بالسواد ليصبح وهو من مزايا الرجال

المقوقس : كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإنما ينبغى أن يكون دونكم ؟

أصحاب عبادة : إنه وإن كان أسود ، كما ترى ، فإنه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً ، وليس يُنكر السواد فينا

المقوقس : تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فإننى أهاب سوادك

عبادة : قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلفتُ من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى وأشد سواداً منى

من هذا الحوار نفهم أن ذلك الأديب المجهول قد اتجه إلى الدفاع عن اللون الأسود ، وهو لون كان يعيَّر به العرب فى بلاط كسرى وبلاط قيصر ، وشعور العرب بالتأذى من السواد هو الذى فرض على شعرائهم أن يكثروا من التغنى بالبياض ، وهم لم يجعلوا « البياض نصف الحُسْن » إلا لكثرة ما عيَّرهم الناس بالسواد ، وهل كانت رسالة الجاحظ فى تفضيل السُّود على البيض إلا دفعاً لما تأذى به العرب من أراجيف الشعوبية وهم قومٌ ألحوا فى تعيير العرب بالسواد ؟

أنا أفترض أن سواد عبادة له دَخلٌ فى جعله رئيس القوم عند محاورة المقوقس وقد شجُع عُبادة وهو أسود ، وجَبُن المقوقس وهو أبيض ، ليُظهر الأديب المجهول فضل الأخلاق على الألوان ، إن لم أُخطئْ فى هذا الافتراض

ولكن ما الغاية الأصيلة لذلك الحوار الجميل ؟

هو حوار يصور الخصائص الإسلامية فى أدب النفس ، وينفى عن العرب تهمة القول بأنهم لم يفتحوا الممالك إلا حبًّا فى المغانم الدنيوية

لهذا نرى الأديب المجهول يُنطق رسل المقوقس إلى عمرو بهذه الكلمات :

« رأينا قوماً الموتُ أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على رُكَبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يُعرَف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد »

فهذا كلام مصنوع قد ابتدعه ذلك الأديب المجهول ليصور شمائل المسلمين على ألسنة رسل المقوقس ، وإلا فكيف يمكن الحكم بأن هـذا الكلام وقع بألفاظه ومعانيه ، وما كان رسل المقوقس يتكلمون العربية ، ولا كان الغزاة بقادرين على تسمُّع ما دار فى مجلس المقوقس من وصف العرب بتلك الأوصاف ؟

والظاهر أن الأديب المجهول كان حريصاً على تأكيد هذه المعانى ، فلم يكتف بإجرائها على ألسنة رسل المقوقس ، وإنما أجراها بصورة أروع على لسان عبادة بن الصامت ، إذ تصوره يقول وهو يحاور المقوقس :

« أنا قد وليت وأدبر شبابى ، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مئة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعاً ، وكذلك أصحابى ، وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوًّا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى واقتصر على ما يبلّغه ، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ، بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا فى الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه وجهاد عدوه »

ثم ترفق الأديب المجهول فأدار الحوار بأسلوب رشيق يجد القارئُ تفاصيله فى الجزء الأول من « النجوم الزاهرة » ويرى فيه ملامح من الحِجَاج الذى دار بين كسرى وأشياخ العرب يوم صاولهم وصاولوه فى الصورة التى زخرفها أديب آخر مجهول

ومن الطريف أن نرى المقوقس يزيّن لأصحابه الصلح مع العرب بطريقة تشبه ما يسمى فى هذا العصر « حجة دعاة التردد والهزيمة » فنفهم أن ذلك الأديب كان من أئمة الابتداع

المقوقس لأصحابه : أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث[1] فوالله ما لكم بهم طاقة ، ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين

أصحاب المقوقس : وأى خصلة نجيبهم إليها

المقوقس : إذن أخبركم ، أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة « وهى دفع الجزية »

أصحاب المقوقس : فنكون لهم عبيداً أبداً ؟

المقوقس : نعم . تكونون عبيداً مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم

أصحاب المقوقس : فالموت أهون علينا

وبهذا انقطع الأمل فى الصلح ، ودارت الحرب فاقتحم المسلمون الحصن ، وانتهت الأمور إلى الخصلة الثالثة بعد أن أدى المصريون واجبهم فى الدفاع عن بلادهم دفاعاً سلم من الخضوع لتخاذل المقوقس ، وإن انتهى بالتسليم بعد احتدام نار القتال ، والهزيمة فى الحرب لا تغض من أقدار المحاربين ، فالغالب والمغلوب فى شرف الرجولة سواء

قد يعترض معترض فيقول : وهل تظن أن يوم الحصن خلا من مفاوضات بين عمرو بن العاص والمقوقس حتى تحكم بأن ما دُوّن من ذلك لم يكن إلا بِدعاً حبّره أديب مجهول ؟

وأجيب بأنى واثق بأن المفاوضات دارت بين الفريقين ، وإنما أرتاب فى صحة الوثائق التى صوّرت بها تلك المفاوضات ، لأنها أصغر مما يجب أن يكون ، ولأنها أنطقت المقوقس وأصحابه بألفاظ صنعها كاتب فنان

ثم ماذا ؟ ثم أهجم على خطاب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فى وصف مصر الخطاب الذى يقول : « مصر قرية غبراء وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عَشر يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات » والذى يقول : « فبينما مصر

(١) هى الشروط التى عرضها عمرو بن العاص على المقوقس

يا أمير المؤمنين ، لؤلؤة بيضاء ، إذا هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زمردة خضراء ، فإذا هي ديباجة رقشاء ، فتبارك الله الخالق لما يشاء »

أجمع على هذا الخطاب فأحكم بأنه موضوع لأنى أستبعد صدوره عن عمرو بن العاص ، ولأنى أراه عَبث عابث ، لا كلام رجل مسئول

أما بعد فقد كان أسلافنا يقولون فى ختام كل بحث : « والله أعلم » فأنا أختم هذا البحث بعبارة « والله أعلم » تأدباً بأدب السلف وفراراً من وصمة الرجم بالغيب

كتب الله لنا النجاة من الخطأ وهدانا إلى الصواب ، إنه قريب مجيب

زكى مبارك

أثر الهجرة في التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد محمد المدني



فى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عبر عظمى ما تزال الأقلام والأفكار جاهدة فى كشفها، والبحث عنها ، وتجلية أسرارها ومن هذه العبر التى ينبغى أن يلتفت إليها المسلمون وينتفعوا بها، ما نجعله اليوم مساق الحديث وموضوع المقال

كان للهجرة فى التشريع الإسلامى أثر معروف مذكور ، ولهذا الأثر ناحية دلالة وإرشاد ، ربما كان القول فيها جديداً ، والبحث عنها مفيداً

فأما الأثر المعروف المذكور ، فهو أن القرآن الكريم ظل ينزل بمكة ثلاثة عشر عاماً لا يعرض فيها إلا إلى أصول الدين ، وقواعد الإيمان ، وبرهان التوحيد ، ومحاسن الأخلاق ، يريد بذلك أن يقتلع ما كان للعرب من العقائد الفاسدة ، والأخلاق المستنكرة ، ويزيل ما فى نفوسهم من شُبه فى إرسال هذا الرسول إليهم على فترة من الرسل ، وظلام من الشرك ، وإغراق فى الجهل ، وجمود على تقليد الآباء والأجداد ولو كانوا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون !

ولا يكاد يُعرف أن القرآن الكريم عُنِىَ فى هذه الفترة إلا بهذه الناحية يضرب لها الأمثال ، ويقص لها القَصَص ، ويحشد لها الآيات البينات ، فإذا عنى بغيرها فإنما يعنى بما كان من سبيلها من التشريع الذى له صلة بحماية العقيدة والحفاظ على أساس الدعوة

فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جعل القرآن ينزل بياناً للعبادات والمعاملات والنظم وأحوال الناس ، وجعلت آياته تترى فى تشريع كل ما يتصل بحياة الفرد والجماعة من المواريث والوصايا والزواج والطلاق والقضاء والجنايات والحدود والجهاد وغير ذلك

هذه السياسة التى ساس بها القرآن أمر الإسلام فى مكة والمدينة ، وأخذ بها المسلمين فى سبيل التمكين لهم ، والتثبيت لسلطان دينهم ، سياسة ظاهرة الرشاد ، مضمونة النجاح ، متفقة مع نظام التدرج الطبيعى الذى أخذ الله به جميع الكائنات فما كان الله ليدع الناس فيما هم عليه من رجس وعبادة أوثان وتقاطع وتدابر وحروب وفتن وسفك دماء ، ثم يدعوهم فجأة إلى النظام المطلق الشامل ، وقد ألفوا الفوضى ، ويأخذهم بالتشريع المحكم المفصل ، وقد عاشوا فى كفالة الأهواء والشهوات ، ويتعبدهم بأنواع من العبادات فيها سمو وفيها تهذيب ، وهم الذين كانوا فى مراتع لئن يسيمون !

ذلك هو المعروف المذكور من أثر الهجرة فى التشريع الإسلامى : أما موطن العبرة فيه ، وناحية الإرشاد والدلالة منه ، فهى أنه يحسن بنا ، ونحن بصدد الدعوة إلى أن يكون التشريع الإسلامى أساساً للقانون العام فى مصر والشرق ، أن نطبق هذه السياسة الرشيدة التى ساس بها القرآن أمر المسلمين الأولين ،

لنضمن نجاح هذا المسعى الشريف ، وليعود ذلك على الإسلام بالعزة والقوة !

إن أهم ما يعترض هذا المسعى ، ويقف فى سبيل تنفيذ هذه الفكرة ما يتخيله كثير من الذين بيدهم الحول والطول ، وتحت إشرافهم مراكز المال والاقتصاد ، وفى عهدتهم حراسة الأمن والطمأنينة فى الدولة ، وبث أسباب الرغد والرفاهية فى الأمة من أن فى الأخذ بالشريعة الإسلامية الآن إعناتاً للناس وإرهاقاً ، وشلاً لحركات التعامل التى أصبحت جزءاً من النظام العامة فى العالم كله ، وتنفيراً للأجانب من الإقامة بيننا ، ونحن أحوج ما نكون إلى التعاون معهم ، والانتفاع بنشاطهم ، وما يديرون بيننا من أموالهم !

يقول هؤلاء للذين يطالبون بالتشريع الإسلامى : ماذا تصنعون فى هذه المصارف التى انبثت فى صميم الحياة المالية ، وأصبحت فى سائر الدول أساساً من أسس الاقتصاد لا يستغنى عنه تاجر ، ولا زارع ، ولا موظف ، ولا صاحب مال ؟ وماذا تصنعون فى هذه الشركات التى فتح الله بها للصناع أبواباً من الرزق ، وجعل منها للأموال الراكدة حظاً من الربح ، وسد بها حاجة بعد حاجة مما لا يستغنى عنه الناس ؟ لا شك أنكم ستضطرون إذا بسطتم سلطان الشريعة الإسلامية إلى إغلاق هذه المصارف ، ونقض هذه الشركات ، التى تتصرف تصرفاً لا يتفق وآراء الفقهاء ، فإذا لم تغلقوا المصارف ولم تنقضوا الشركات ، أرهقتموها بالشروط والنظم التى توافق شريعتكم إرهاقاً لا تستطيع معه الحياة ، ولا أداء ما تؤديه إلى الناس من خدمات !

ثم كيف تنفذون الحدود ؟ كيف ترجمون الزانى ، وتقطعون السارق ، وتقتصون من عين بعين ، ومن سن بسن ؟ بينما العالم ناظر إليكم ، متعجب من هذه العقوبات الصارمة تنزلونها على الجناة بلا رحمة ولا شفقة فى الوقت الذى اتجهت فيه أنظار المصلحين إلى مداواة الإجرام ، بإصلاح نفوس المجرمين ، وإلى اقتلاع أسباب الشر ، بتهذيب الأشرار فى غير عنف ولا تغليظ ؟

ومتى تصبر على سياط الجلاد أجسام غذيت بالنعيم ، ونشئت على الرفاهية وعاشت فى عصر الطب والكهرباء والدافئ والمراوح بين صروح الحدائق ، وفى متاع القصور ؟

ومتى يعيش معكم أجنبى إن لم تنفذوا الحد فيه نفذتموه فى صديق له أو جار أو عميل ، فإذا هو يلقاه بيد مبتورة ، أو عين مفقوءة ، أو سن كسير ؟

هكذا يقول الذين يُدْعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ! وهم من غير شك مخطئون ، لأن الشريعة الإسلامية تستطيع أن تنظم أحوال المصارف والشركات بما لا يتنافى مع قواعدها ، ولا يرهق القائمين بها ، ولا المتعاملين فيها

وهم مخطئون فيما تخيلوه من أمر الحدود والقصاص ، فإن هذه الأشياء التى اعترضوا بها هى الوسيلة إلى اقتلاع الإجرام من أساسه ، واجتثاث الفساد من أصوله ، وتوفير الجهود العظيمة التى تذهب سدى فى مكافحة الإجرام والمجرمين !

وهم مخطئون لأنهم حين يظهرون بهذا المظهر الذى يفيض رحمة وشفقة بالمجرمين وأهل الفساد ، يتناسون إجرامهم وفسادهم وما أساءوا به إلى الآمنين !

وهم مخطئون لأنهم حين يذكرون اتجاه المدنية الحديثة إلى تهذيب الجناة وإصلاح نفوسهم بالرفق واللين ، ينسون اتجاه بعض الأمم إلى إعدام المجرمين ، وأصحاب الشذوذ ، والمصابين بالأمراض التى لا يرجى لها شفاء ، رفقاً بالأمة فى مجموعها وصيانة لها كما يصان الجسم ببتر بعض أعضائه الفاسدة التى لا يرجى لها صلاح !

هم مخطئون لهذا كله ، ولكنهم لا يقتنعون بخطئهم ، ولا يرجعون عن غيهم ، ومن العبث أن ننفق الوقت والجهود فى سبيل إقناعهم وما هم بمقتنعين ، ونحن لا نستطيع أن نمضى فى طريقنا ، ونغض النظر عنهم ، لأن هؤلاء — كما قدمنا — لهم أثر لا ينكر فى توجيه سياسة البلاد ، ولهم قوة وسلطان يستطيعون بهما إقامة العراقيل ، ووضع العقبات فى سبيل كل مشروع لا يرضون عنه ، ولا يقتنعون به

فما هى الحيلة التى ينبغى أن نتوسل بها إذن إلى تنفيذ هذه الفكرة الجليلة ، فكرة إحلال التشريع الإسلامى محل التشريعات الوضعية ؟

إن أثر الهجرة فى التشريع الإسلامى يوحى إلينا بهذه الحيلة ، ويرشدنا إلى هـذه الوسيلة ، فما دام الله القادر العليم الحكيم ،

قد ارتضى للمسلمين أن يعيشوا حيناً من الدهر موقتاً بدون تشريع تفصيلي شامل ، لأن المصلحة كانت يومئذ تبرر ذلك ، وما دام هذا لم يؤثر فى اطراد تقدم المسلمين ونجاح دعوتهم ، فيحسن بنا أيضاً وقد عاد الدين غريباً كما بدأ ، أن ننادى بتنفيذ ما ليس بيننا وبين أحد خلاف عليه ونؤجل تنفيذ ما فيه الخلاف ، حتى إذا اقتنع الناس فيما بعد بما لم يقتنعوا به اليوم مضينا فى تنفيذه أيضاً ، وإلا صبرنا حتى نهيىء لذلك العقول والأفكار

ينبغى أن نقول لهؤلاء الذين يحاجوننا عن دعوتنا : سنترك لكم المصارف والشركات تسير على النظام الذى شرعتم لها حتى نستطيع إقناعكم بنظام أفضل منه يتمشى مع التشريع الإسلامى وينهض بحاجات الأمة ، وسنترك تنفيذ هذه العقوبات التى ترونها صارمة منافية للرحمة حتى نقنعكم يوماً ما بخطأ فكرتكم ، وفساد تخيلكم ، وسننفذ ما نحن وأنتم عليه متفقون ؛ فقد رضى الله مثل ذلك للمسلمين من قبل . فتعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ولنتعاون جميعاً على جعل التشريع الإسلامى أساساً لما نشرع بعد اليوم من قانون أو نضع من نظام !

إن الشريعة الإسلامية لا تأبى مثل ذلك ، وقد أوقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه تنفيذ القطع فى عام المجاعة ، وأخذ بذلك أحمد بن حنبل والأوزاعى [1] . وقد روى فى سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو .

وروى صاحب أعلام الموقعين أن عمر رضى الله عنه كتب إلى الناس : « أن لا يجلدن أمير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين حداً وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلاً لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار [2] »

وفى كل هذا توسيع على المسلمين وإرشاد لهم إلى رعاية المصالح وتقرير الظروف والأحوال ؛ ولا شك أن من مصلحة الإسلام الآن أن نأخذ فى تشريعنا الحاضر بما نستطيع أن ننفذه من أحكامه ، على أن نوقف ما لا يمكن تنفيذه حتى يهيئ الله للمسلمين من أمرهم رشداً

هذه فكرتى ، ولعلى أكون قد جليّتها وأوضحتها حتى لا أثير بها ثائرة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

(١) أعلام الموقعين ج ٣ ص ٣٣

(٢) أعلام الموقعين ج ٣ ص ٢٩

طارق بن زياد

من شاطئ إلى شاطئ

للأستاذ علي محمود طه



أشباحُ جنٍ فوق صدرِ الماءِ ... تهفو بأجنحةٍ من الظلماءِ ؟

أم تلك عُقبان السماء وَثَبْنَ من ... قُنَنِ الجبالِ على الخضمِّ النائى

لا ، بل سفينٌ لحنَ تحت لواءِ ... لمن السفينُ تُرَى ! وأيُّ لواءِ ؟

ومَن الفتى الجبّارُ تحت شراعها ... متربّصًا بالموج والأنواءِ ؟

يُعلى بقبضتهِ حمائلَ سيفهِ ... ويضمُّ تحت الليل فضلَ رداءِ

ويُنيلُ ضوء النجم عاليَ جبهةٍ ... من وَسْمِ (إفريقيّة) السمراءِ

ذَهَبٌ ببوتقةِ السَّنى من ذَوْبهِ ... مَسَحَتْ مُحَيّاهُ يَدُ الصحراءِ

لونٌ جَلَتْ فيهِ الصحارى سحرَها ... تحت النجوم الغُرِّ والأنداءِ

وسماءِ بحرٍ ما تطامنَ موجُهُ ... من قبلُ لابنِ الواحةِ العذراءِ

بحرٌ أساطيرُ الخيالِ شطوطهُ ... ومسابحُ الإلهامِ والإيحاءِ

ومدائنٌ سحريةٌ شارَفْنَهُ ... بنخيلها وضفافِها الخضراءِ

ومعابدٌ شُمٌّ ، وآلهةٌ على ... سُفُنٍ ذواهبَ بينهنَّ جوائى

أبطالُ يونان على أمواجه ... يطوون كلَّ مفازةٍ وفضاءِ

يتجاذبون الغارَ تحت سمائهِ ... يتناشدون ملاحمَ الشعراءِ

مازالَ يرمى الرُّومَ وهو سليلُهم ... ويُديلُ من (قرطاجة) العصماءِ

حتى طَلَعْتَ به فكنتَ حديثَه ... عجباً ! وأىَّ عجائبِ الأنباءِ

ويساءلونَ بك البروقَ لوامعاً ... والموجَ فى الإزبادِ والإرغاءِ

من علَّمَ البَدَوِىَّ نَشْرَ شراعِهِ ... وهداهُ للإبحارِ والإرساءِ !

أين القِفارُ من البحارِ؟ وأين من ... جِنِّ الجبالِ عرائسُ الدأماءِ

يا ابن القِبابِ الحمرِ ويحك! من رمى ... بكَ فوق هذى اللجّةِ الزرقاءِ ؟

تغزو بعينيك الفضاء وخَلْفَهُ ... أفقٌ من الأحلامِ والأضواءِ

جُزُرٌ مُنَوَّرَةُ الثغورِ كأنها ... قطراتُ ضوءٍ فى حفافِ إناءِ

والشرقُ من بُعْدٍ حقيقةُ عالَمٍ ... والغربُ من قُرْبٍ خيالةُ رائى

ضحكتْ بصفحتهِ المنى وتراقصتْ ... أطيافُ هذى الجنّةِ الفيحاءِ

ووثبتَ فوق مروجها وتلمّستْ ... كفاكَ قلباً ثائرَ الأهواءِ

فكأنما لكَ فى ذَراها مُوعِدٌ ... ضَرَبَتْهُ أندلُسيةٌ للقاءِ !

ووقفتَ والفتيانُ حولكَ وانبرتْ ... لكَ صيحةٌ مرهوبةُ الأصداءِ

هذى الجزيرةُ إن جهلتم أمرَها ... أنتم بها رهطٌ من الغرباءِ

البحرُ خلفى والعدوُّ إزائى ... ضاع الطريق إلى السفين ورائى

...وتلفتوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ ... حمراءُ مُطْبِقَةٌ على الأرجاءِ

قد أحرقَ الربّانُ كلَّ سفينةٍ ... من خلفهِ إلاّ شراعَ رجاءِ !

ألقى عليهِ الفجرُ خيطَ أشعةٍ ... بيضاءَ فوق الصخرة الشمّاءِ

وأتى النهارُ وسار فيه طارقٌ ... يبنى لملكِ الشرق أيَّ بناءِ

حتى إذا عبَرَتْ ليالٍ طَوَّفَتْ ... أحلامُه بالبحر ذاتَ مساءِ

ترعى على الأفقِ المرصّعِ قريةً ... أعْظِمْ بها للغزوِ من ميناءِ !

مَدَّ المساءُ لها على خلجانها ... ظِلاً فنامتْ فوق صدر الماءِ !

علي محمود طه

العقيدة الإسلامية تكوّن البطولة

عمر المختار

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي



دخلت الهزيمة على الطليان من أقطار الصحراء ، فأممنوا فى الفرار لا يتلبثون ولا يستأنون . . . لا ينتظرون عند المساء صباحاً ، ولا عند الصباح مساء ، كأنما يغزوهم الرعب ، ويقتلهم الخوف ، من قبل أن تدهمهم الجيوش ، ومن قبل أن يحاط بهم

كلما طلع نهار أو غسق ليل ، تتتابع الصور الشاحبة لتلك الهزيمة النكراء ، وفى أعقابها ألمح صوراً مُشرقة لأبطال (طرابلس) ومن بينها صورة فريدة تتألق أمام عينى فى هالة من الجلال والتهيب . تلك هى صورة البطل المسلم الشهيد (عمر المختار) ومن عجب أن تتلاحق الصورتان : صورة الهزيمة النكراء ، وصورة الشجاعة البلقاء !

هذه صورة للأفئدة الهواء ، وتلك صورة للأحلام الرّزان ، وللنفوس الوثابة مطمئنة راضية مرضية

***

تباركت يا ألله ! ! تجلت آيتك الكبرى فى هذا البطل المسلم الصحراوى ، فقد أفرغت عليه إيماناً من فرعه إلى قدمه ، فإذا هو وقد خرج صورة مجسدة للعقيدة الإسلامية ، يضرب للناس أروع الأمثال : من حمامة نفس وقوة بأس ، لا يحدث نفسه بالإدبار ، ولا يفسد مروءته بمرض زائل ، ولا ينتقص رجولته بقبول المضيمة والهوان

فى شوال من عام ١٣٢٩ هـ اندفعت القذائف (الطليانية) الغادرة ، مصوبة إلى طرابلس وبرقة ، فكانت مؤذنة بتوقد جذوة الإيمان فى قلوب المجاهدين ؛ ومن بينهم عمر المختار

لم يكن لهم من العتاد ولا من الذخر ولا من الحشد ما اجتمع لأولئك الغادرين ، ولكن كان لهم شأن واحد أغناهم عن كل أولئك الشئون ... كان لهم إيمان ، وكانت لهم عقيدة ، ولم يكن لهم أهواء ، ولا بهم نزوات ... وحسبك هذا غناء أى غناء ... ! فلقد بقى عمر المختار يفل شوكة أعدائه ، ويقلم أظفارهم ، ويتخطفهم من حولهم ، ويكسر من سلطانهم ، حتى كانت سنة خمسين وثلاثمائة وألف الهجرية !

ثنتان وعشرون سنة دأباً ، وعمر لا تُخضَد شوكته ، ولا تُفل عزيمته ، تتكسر الأحداث أمام يقينه وإيمانه

وما خطبُه بعد ذلك ؟ — نضر الله وجهه — امتدت يدٌ غادرة من وراء ظهره ، فعبثت بحريته ، ثم عبثت بحياته الدنيا ! لكنها — فى الحق — قد أطلقت روحه إلى أعلى عليين ، فإذا موته حياة ، وإذ ذكره خلود ، وإذا سيرته سناء ...

ويا فرق ما بين ثبات الأعزاء ، وبين فرار هؤلاء الأذلاء ، وبضدها تتميز الأشياء

***

نشأ «عمر المختار» ببرقة ، من أبوين مسلمين ، لقناه العقيدة الإسلامية ، وثقفاه بالقرآن الحكيم ، ونشأه أبوه «المختار» فى زاوية «الجغبوب» فى البيئة السنوسية ، تلك البيئة التى تلهم النفس فجورها وتقواها ، وتفقهها أن قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ، ثم تبعث فى الإنسان : حرية الإرادة وحرية الفكر ، وسلامة الرأى وصفاء الطوية ؛ وقلما ينحرف ربيب تلك البيئة عن الفطرة النقية : فطرة الله التى فطر الناس عليها

فلما بلغ « عمر » أشده واستوى ، اكتملت فيه معانى الرجولة ، وبرزت صورته صورة « للرجل الكامل المسلم »

***

اختاره — فى صدر شبابه — « السيد المهدى السنوسى » ليرافقه فى رحلة إلى السودان ، وكانت فراسة السيد المهدى فراسة صادقة ، فقد اجتمع حول « عمر » بالسودان رجال أولو بأس وأولو قوة ، عرفوه بالحاسة الصادقة ، وعرفهم بنور الله ؛ ثم أحبوه وأكبروه وأعظموه

والسيد المهدى معنى بأمره ، معجب بإيمانه ، يرى أنه قد جمع – فى برديه – ما تفرق فى القبيل وتناثر فى الرجال ، فكان يقول : ليت لنا عشرة كعمر ، إذن لفتحنا بهم كل قلب موصد ، وأنرنا كل بصيرة مطموسة ... ! ثم تركه فى السودان يعلم الناس الرجولة الإسلامية

***

عُقِدَ الصُّلح الأبتر بين تركيا القديمة وبين الطليان سنة ١٩١٢ م واشتعلت نيران الحرب فى البلقان ، واستقدمت الدولة « أنور » فسلم الأمر « لعزيز » المصرى ، وهم « عزيز » أن يدع القتال وأن يذهب إلى الحدود المصرية ، فتحرج الموقف ، وثارت روحٌ عاصفةٌ عنيفة بين المجاهدين ؛ وأخذ كل فريق يكافح الفريق الآخر ، وغشت فتنة عمياء صماء ، وكاد المجاهدون يخربون بيوتهم بأيديهم

وهنا تتدارك الجميع رحمة الله ، ويظهر الفيصل المغوار « عمر المختار » ، فيطفئ نيران الشر ، ويجدع أنف الفتنة ، ويهيب بالمختلفين : يا للفضيحة ويا للعار ... ! لو تسامعت الأمم : أن المجاهدين قد أصبحوا – وبأسهم بينهم شديد – تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى

دوت تلك الصرخة فى شعاب الصحراء ، وفعلت فى النفوس كما يفعل السحر ، ونزل الثائرون على حكم « عمر » ؛ عزمهم جميع ، وقبلتهم واحدة

وهكذا يكتب لهذا البطل الظفر على نوازع النفوس ، وينبسط سلطانه على نزوات القلوب ، ويستل السخائم والتِّرات بهدْى الدين ، وبترياق الإخلاص

أحصى الرواة « لعمر » ألف معركة اشتبك فيها مع الطليان فى ثنتين وعشرين سنة ، وهو يتعقبهم ، وهم يحتالون لأسره ، ويتحيرون فى القضاء عليه ، ويستبدلون القائد بالقائد ، وعمر وحده هو القائد الصامد ، حتى ظنوا — آخر المطاف — أنهم قد رموه بالداهية الدهياء « بجرازيانى »

ويتحدث جرازيانى فى مذكراته : أنه قد نازل عمر فى ثلاث وستين ومائتى معركة ، كانت مدتها عشرين شهراً

وعمر — كما وصفه شوقى — :

لم تُبق منه رحى الوقائع أعظماً تبلى ، ولم تُبق الرماحُ دماء

***

كان عمر قافلاً إلى برقة من رحلة له فى مصر يصلح ذات البين ، فلقيه عسس الطليان وتصدوا لقتاله وهم فى سيارات ثلاث ، مسلحات فتاكات مزودات ، وعمر فوق صهوة جواده ، وسلاحه سلاح أبناء الصحراء ، فما هو إلا أن كر كرة فى حصانة اليقين وثبات المؤمنين ؛ فإذا بالسيارات الثلاث ، وقد صِرْن سلباً وغنائم ، وإذا بأصحابها الطليان ، وقد صاروا خبراً من الأخبار ؛ ولله إلهام شوقى :

بطل البداوة لم يكن يغزو على «تنك» ولم يك يركب الأجواء
لكن اخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

***

ما نسى جند عمر ولا قواده : أنهم يحمون عقيدة ، وأنهم جند الله ...

ويا ما أروع وأرهب الصورة التى يصفها عمر لوقعة كِرسَّه بالجبل الأخضر ، وقد حانت صلاة الظهر ، وقائد الوقعة الشهيد « الفضيل أبو عمرو » ، فقسم الجند طائفتين ، وصلى بهم صلاة الخوف ، فطائفة تأخذ حذرها وأسلحتها ، وطائفة تتوجه إلى ربها وقد انجلت الوقعة عن قتلى عددهم خمسمائة طليانى بينهم (ماجور) وثلاثة ضباط

***

أعجز الطليانَ شأن عمر ، وأعياهم أن يأخذوه أخذ الجند للجند ، فهو لا يضجر ولا يستخذى ، فأعملوا السفارة بينهم وبينه ليتها دنوا ، وأرادوا أن يعرفوا شرطه لوضع السلاح

وحقن الدماء ، فكانت شروط عمر ، قطعةً من عقله ، كلها سياسة رشيدة ، وكلها من العزة والكرامة والسداد

فأولها : أن يشهد المفاوضات مندوب من (مصر) ومندوب من (تونس) ليكون الناكث مسئولاً أمام العالم بشهادة مندوبى الأمتين .

وثانيها : حرية المسلمين الدينية ، وتأديبهم لكل خارج على الدين أو هازئ به أو مستخف بتعاليمه أو متهاون فى شعائره

وثالثها : أن تكون اللغة العربية لغة رسمية فى البلاد ، كالطليانية سواء بسواء

ورابعها : أن تنشأ مدارس يعلم فيها التوحيد والتفسير والحديث والفقه وعلوم الدين

وخامسها : أن يلغى قانون سنة ١٩٢٣م الذى يحرم على الوطنيين دخول المدارس العالية ، كما يلغى القانون الذى ميز حقوق الطليان عن حقوق الوطنيين ، وأن ترجع الحكومة ما غصبته من الأملاك والأموال

عرف الطليان من تلك الشروط أن الأيام والأحداث لم تنل من شدة الشكيمة العمرية ، فأظهروا له وفاء بشروطه ، وأضمروا لها الغدر والخيانة . ثم راحوا يدبرون للمجاهدين الحصار والإجاعة ؛ وفكروا أن يذرُّوا عليه الصحراء من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها بالإجاعة .

وقد اختار عمر المبيتَ على الطوى ، وأن يسلم له الشرفُ الرفيع ؛ كما وصفه شوقى :

خُيِّرتَ فاخترت المبيتَ على الطوى

لم تبن جاهاً أو تلم ثراء

إن البطولة أن تموت من الظما ليس البطولة أن تعب الماء

وهكذا بقيت البطولة العمرية تبعث اليأس فى نفوس الطليان منها ، حتى أصيبت من مأمنها ! أصيبت من مأمنها يوم سلمت (جغبوب) للطليان ، فحصروا — بالأسلاك الشائكة — الرقعة التى يأوى إليها المجاهدون ، وحرموهم أن يتصلوا بالحدود المصرية ، حتى لا يجدوا قوتاً ، وحتى تتقطع بهم الأسباب

وبينما (عمر) يتنقل — بين الغداة والأصيل يوم الجمعة الثانى والعشرين من ربيع الثانى سنة ١٣٥٠ هـ — يستطلع كمينا ، أو يناوش شرذمة ، وهو فى خمسين فارساً من رجاله ، إذ التقى بطائفتين من الطليان كانتا مجدَّتين فى قص أثره ، فأحدقوا به ، وثارت فى نفسه — تلك الساعة — كل المعانى التى قامت عليها بطولته ، فهاجمهم هجوم المستأسد ، من اليمين ومن الشمال ، حتى تساقط رجاله ، ونفق جواده من تحته ، فنزل عنه ينزع من الجراح ، ثم يحاول النهوض ، فتكاثروا من حوله رجالاً وركباناً

واهتزت الأسلاك البرقية فى جوف الصحراء ، ومن فوق أعلام الشواطئ : أن البطل قد أمسى أسيراً ، فسالت الأودية بالكتائب والفصائل ، واجترأت السرايا والأجناد ، وكانت من قبل تتحاماه وتخشاه

وجاء طراد حربى فنقله إلى بنى غازى ، وتقررت محاكمته هناك فى مركز الإدارة الفاشستية

وإنها لمحاكمة أبانت عن نقائب وصفات فى عمر ، ما سمعنا بمثلها من قبل فى الموقف الضنك والساعات الفاصلة

وقف عمر أمام الحكام العسكريين كما قال فيه شوقى :

لبى قضاء الأرض أمس بمهجة لم تخش إلا للسماء قضاء

وافاه مرفوع الجبين كأنه سقراط جر إلى القضاء رداء

* * *

سئل عمر : هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا ؟

فأجاب بنبرات قوية وفى حزم قاطع : نعم !

سئل : هل شهرت السلاح واشتركت فى القتال ، وأمرت بقتل الجنود ، وجبيت الضرائب ؟ فأجاب على كل ذلك بنعم !

سئل : هل لديك ما تقوله بعد ذلك ؟ وكأنما أرادوا أن ينتزعوا من عمر — فى البرهة الذاهلة — ضراعة أو استعطافاً ، ولكن هيهات هيهات ، فقد أجاب :

ليس لدى شىء وراء ذلك :

الأسد تزأر فى الحديد ولن ترى فى السجن ضرغاماً بكى استخذاء

واختلى الحكام العسكريون ثم أعلنوا حكم « الإعدام »

ولم يستطع محاكمو « عمر » إلا أن يصرحوا وقت المحاكمة بقولهم : إن المتهم يمتاز عن بقية الزعماء بأنه لم يبتز أموال الدولة

شهادة بأفواههم تسجل عليهم عار الحكم ، وتخلد للشهيد النزاهة والعفة فى جهاده المتصل العنيف ! !

في الحروب

بماذا كان ينتصر الإسلام

للأستاذ عبد العزيز البشري



ما وقع حدثٌ من أحداث هذه الحرب، وخاصةً في ألبانيا التي أصبحت معتركاً حامىَ الوطيس، بين دولة صغيرة، قليلة العَدَد، قليلة العُدد، ضئيلة الموارد، كلُّ همها من العيش أن تحظى داخل حدودها بالأمن والسلام، قانعةً باليسير مما أفاءت عليها الطبيعة، وما يعالجه أبناؤها النشيطون من فنون الصناعات، وما يُزْجونه إلى أسواق العالَم المختلفة من ألوان التجارات؛ لها من كلّ أولئك مَقنع وليس لها فيما وراءه أي مطمع، فإذا كان لها جيش أو كان لها أسطول فبقدر ما تؤمّن الحدود وتمنع الثغور، ولو إلى حين — أما الطرفُ الثانى من هذا المعترك فدولةٌ عظيمة، قويةٌ بعَددها، قويةٌ بعُددها، قوية بصناعاتها وبتجاراتها، قوية بمستعمراتها الواسعة الشاسعة التي ضمِنت أرَضوها من الكنوز المدنية ما يُغنى فى كل شىء من أسباب الحياة القوية الغنية ليس أعزَّ منها فى هذا العالَم حياة — ومع هذا فإننا نرى أن هذه الدولة الصغيرة الدقيقة فى كل شىء، لا تفتأ تضرب هذه الدولة العظيمة الضخمة فى كل شىء، كلما طلعت الشمس ضربة، وتركلها كلما غربت الشمس ركلة. وبين ذلك لا تفتأ فى كل ساعة تجرعها من الصاب والعلقم ما يَفرى الحناجر، ومن الغِسلين ما يذيب الأحشاء. وتلوّن لها من المهانات ما أجراها مثلاً للخزى على ألسُن العالَمين

لعمرى ما وقع حدثٌ من هذه الأحداث إلا أذكرنى سيَر العرب السابقين، وأحضرنى شأنَهم فى فتوحهم ومغازيهم. فلم يكن هؤلاء فى الأكثر الأغلب أكثر من عدوّهم عَدداً، ولم يكونوا كذلك أقوى منه عُدداً، ولم يفوقوه فى تنظيم الجيوش وتنسيق الكتائب، وتدبير المكايد، وإحكام خطط الحرب، وتدبير وسائل الكر والفر؛ بل لقد كانوا أضعف وأهون شأناً فى كل أولئك جميعاً! ومع هذا فإنهم ما صارعوا إلا صرعوا، ولا قارعوا إلا قرعوا، ولا شدوا إلا ظفروا، ولا حلوا إلا قهروا، ولا هجموا إلا انتصروا؛ ففتحت بين أيديهم أبواب المعاقل، ومهدت لهم السبل إلى أمنع المدائن، وحشدت لهم أضخم المغانم، واستأسر لهم من المقاتلة أضعاف أضعافهم فى يسر، يلفت عين الدهر. وكذلك لم تجهد دورة الفلك إلا قرناً واحداً حتى دانت لهم مناكب الأرض، وذلت نواصى البر والبحر![1]

(١) كان يوم اليرموك لا يزيد جيش العرب فيه على سبعة وعشرين ألفا، إذ كان جيش الروم لا يقل عن مائتى ألف مقاتل، أما حرب القادسية سنة ١٦ هـ، فكان جيش العرب بين تسعة آلاف وعشرة، فى حين كان جيش الفرس لا يقل عن مائة وعشرين ألفا، وأما فتح الأندلس سنة ٩٢ فلم يزد جيش المسلمين الغزاة فيه على بضع مئات من العرب وعشرة آلاف من البربر، بينا كان عدد جند العدو لا ينقص عن مائة ألف، ومما ينبغى ذكره هنا أن هذا الفتح العظيم تم فى ثمانية أيام لا أكثر!

لقد لخص «الطليان» تلك المقاومة المصرية فى ثنتين وعشرين سنة، فإذا هى قد تركزت فى البلاغ الرسمى الذى صدر عقب تلك الأحداث يقول:

«هكذا انتهت حياة الرئيس المعظم «البرقاوى» أحد تلاميذ مدرسة «جغبوب» القرآنية»

* * *

فيا أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها:

مَن مبلغ أبناء هذا الجيل من المسلمين: أن تاريخ البطولة الإسلامية لا يتصل حاضره بماضيه، إلا إذا وجدت مدارس على غرار مدرسة جغبوب القرآنية، تعلم القرآن، وتعلم العقائد، وتعلم العزة والكرامة!!

الجديلى

إذن لم يظفر العرب ، فى حروبهم ، بكل هذا الظفر ، ولم يتهيأ لهم ما دوّخوا من البلاد ، وما ملكوا من الأقطار ، وما فتحوا من هذه الفتوح العظيمة فى قواصى الأرض وأدانيها لأنهم كانوا أكثر من عدوهم عدداً ، ولا أمضى سلاحاً ، ولا أعلم بفنون الحرب وأخبر بأساليبها ومكايدها ؛ بل لقد علمت أنهم كانوا دائماً دونه فى جميع أولئك بما لا يجوز فيه تشبيه ولا يصح معه القياس

وبعد ، فلعمرى ما مشى النصر بين أيديهم أنّى قاتلوا فى شرق الأرض وفى غربها ، بالغاً ما بلغ من الضآلة عددهم ، وواقعاً حيث وقع من الضعف سلاحهم ، إلا بأسباب ثلاثة :

١ — الإيمان ٢ — الرحمة ٣ — العدل

فالإيمان يُيسر على النفس التضحية ، مهما جلّت ، بل لقد يُغرى بها ويدفع إليها فى المطالب الجسام .

ولا تنس أن من أثر الإيمان بناء النفس على الصبر عند معاناة الشدائد وخوض المكاره ، فإن إصابة الغرض الذى يدفع المجاهد إليه إيمانه لحقيقة بأن تحد من عزمه ، وتشد من متنه ، فلا يعتريه خوَر ولا خِذلان ، وأنت خبيرٌ بأن الصبر هو مفتاح النصر ، وصدق من قال : الشجاعة صبر ساعة ، والأمثلة على هذا مما لا يحيط به الحساب !

وبعد هذا أحسب أن العجب قد أخذ فيك بادئ النظر ، من نظم الرحمة والعدل فى أسباب الظفر فى الحروب والتنكيل بالأعداء ، والواقع أنهما قد يكونان أمضى من السيف في كسب الحروب ، وذلك بأن القسوة وغلظة الكبود لا تجدى على القاتل شيئاً ألبتة ، بل إن شهرته بين مقاتليه بالرأفة إذا تمكّن ، والعدلة إذا حكم ، لما يخزلهم عن الاجتهاد فى قتاله ، ويُشيع فيمن وراءهم قلة الاستحماس لهم وتثقل القادرين على القتال عن نجدتهم ، بل لقد يرجون النصر لهذا العدو ليخرجوا من ظلمهم ، وينعموا فى ظلال حكم ملائكة الرحمة والرقة والعدل والإحسان

وكذلك ساد العرب الدنيا ، وما هداهم إلى هـذا إلا دينهم العظيم ...

والشواهد على هذا فى حروب المسلمين مما لا يبلغهُ ، كذلك الإحصاء

وبحسبنا أن نورد فى هذا الباب مثلين يسيرين : أولهما أن أبا بكر الصديق ، رضى الله عنه ، قال فى وصاة له لأسامة ابن زيد قائد أحد جيوشه ولأصحابه ، وهم مرتحلون إلى الحرب التى وجههم إليها : « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا[1] ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تتبعوا مولياً ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا للأكل ، وإذا مررتم بقوم فرّغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . الخ »

أسمعت حديثاً فى الرحمة بالعدو القاتل والرقة له أبلغَ من هذا الحديث ؟

ذلك بأن الإسلام لا يبنى بالحرب كيداً ولا شفاء ضغن ! إنما يبنى بالحرب أعلى المُثُل : فإما دفع أذًى ، وإما بسط الحق والخير والفضيلة فى هذا العالم . قال الله تعالى يخاطب رسوله الكريم : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) صدق الله العظيم

ولقد قال تعالى فى كتابه العظيم : (إن الله يأمرُ بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربىَ ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون)

وكيف ظنك بدين يأمر بالإحسان حتى فى القتل ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة) .

أما التمثيل حتى بالحيوان فقد أغلظ هذا الدين فى النهى عنه ، واشتد فى الوعيد عليه ؛ فقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (مَن مَثّل بحيوانٍ فعليه لعنة اللهِ والملائكةِ والناس أجمعين)

وتلك كانت سنة الغزاة والفاتحين فى صدر الإسلام

وإن تعجب فعجب أن يكون ذلك أدب الإسلام فى عصر كان من السائغ المألوف فيه سَوم المحكومين المقهورين ألوان الخسف من إهدار الدماء ، وتخريب الدور ، واستصفاء الأموال ، فى غير جرم يُقترف ، أو إثم يجترح ، حتى كاد يكون ذلك شرعاً مشروعاً وواجباً مفروضاً !

---

(١) مثل بالقتيل : نكل به ، كأن يفقأ عينه ، أو يشق بطنه ، أو يقطع عضواً من أعضائه

وأما المثل الثانى فأجلوه لك فى حادثين مأثورين عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وهـذان الحادثان معروفان شائعان ، وما كنت لآتى بهما لولا أنه قد اقتضى الإلمام بهما نظم المقال : وأولهما ما حكى من أن جبلة بن الأيهم — وكان آخر ملوك بنى غسان — أسلم وخرج إلى مكة ، فلما كان فى بعض طوافه ، داس رجلٌ من فزارة على طرف ردائه فحل أزراره ، فلطمه جبلة ، فاستعدى الرجل عليه عمر ، فدعى به ، وخيره بين أن يترضى الرجل أو يقيد له منه . فقال : يا أمير المؤمنين : أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال : ولكن الإسلام سوى بينكما !

وأما الحادث الثانى ، فما حكى عن رجل من أهل مصر قدم على عمر ، فقال : عائذ بك يا أمير المؤمنين ! فقال رضى الله عنه : عذت بمعاذ ! فقال : لقـد ضرب ولد عمرو بن العاص ولدى (وكان عمرو يومئذ عامله على مصر) ، فأرسل فى طلبه مع ولده واستقاد من الولد والوالد جميعاً ؛ ثم أقبل على عمرو وقال : يا عمرو بماذا استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

***

هذه الأمثلة ، على قلتها ، تريك مبلغ ما يدعو إليه الإسلام من الرحمة بالمقهور والرقة له ، وإقامة العدل بين الناس ، مهما يكن الفرق بين الظالم والمظلوم ، وأخـيراً توطيد الحرية وتوكيدها على أنها حق طبيعى للانسان ، كائناً من كان

أما الحرب فى هذا العصر ، فلقد صارت إلى ما ترى ، وهى إن امتازت بشىء فأبرز ما فى وجوه هذا الامتياز أن ضحاياها وصالو حرها من المستأمنين الوادعين ، أصبحوا أكثر كثيراً ممن تجردوا للقتال ، واستنفروا للكفاح والنزال ؛ بل لقد تعدل الموبقات القواصف من الطائرات عمداً عن المسالح ومستودعات الذخائر ، وثكنات الجند ، وغير ذلك من أسباب الحرب ، إلى دور المستأمنين ، حيث المرأة ترضع ولدها ، وحيث الرجل الذى نام ليستجم للعمل من بكرة الصباح إلى غاية النهار الأطول ، سيما على الأم الشيخة والزوج والطفل الثلاث أو الأربع ، وحيث الربض الدنف يتلوى على الجنبين من ألم وعذاب — لقد تعـدل تلك المدمرات القواصف إلى هؤلاء عمداً ، وتزلزل عليهم الأرض زلزلة ، وتدمر الدور تدميراً ، فإذا هؤلاء أجزاء تتناثر ، وأشلاء تتطاير . فمن سلم منهم على الموت ، فليستقبل حياة شراً من الموت

فإذا جاءك أن الإسلام فتح كل هـذا الفتح ، ومَلَك كل هذا الملك ، وانبسط له على وجه الأرض كل ذلك السلطان فى أقل من قرن واحد ، فإن السر لا يعدو ما قدمنا لك من قوة الإيمان ، وإشاعة العـدل بين الناس ، وإيثار الرقة والرحمة بالإنسان وبالحيوان !

وإذا طلعت عليك الأنباء فى كل صباح وكل مساء بأن الجيش اليونانى الصغير الضئيل لا يفتر لحظة واحدة عن صفع الجيش الطليانى الضخم الكثيف باليد ، وركله بالرجل ، إذ لا يكاد يرى فيالقه وكتائبه إلا من الأقفاء من انهزام بعد انهزام — إذا طالعتك الأنباء كل ساعة بهذا فصدق ، وأحل الأمر كله على قوة الإيمان بحق الوطن المعتدى عليه بغير إثم ولا عدوان !

فإذا قال لك قائل ، لقد ذهب عنك ما فعلت القوة القوية من اجتياح الممالك ، وقبض على نواصى الشعوب ، واستصفاء لأموال الأمم ، وامتصاص لدمائها ، واتخاذها عبيداً ، فقل له لا تعجل بالحكم ، فإن الله ليملى للظالم ، ولتعلمنّ نبأه بعد حين

عبد العزيز البشرى

فارس وفارس

للأستاذ محمود الخفيف



بني الشرقِ أيامُ أبطالِكم   شدوتُ أحدِّثُ أخبارَها
أغنّي لكم لحنَ قيثارةٍ   تهزُّ البطولاتُ أوتارَها
وأُسمعُكم من حديثِ الخلودِ   أغاني الليالي وأسمارَها

بنو السيفِ نحنُ، بُناةُ العُلا   ركِبْنا الرمالَ وخُضْنا البحارا
شرعْنا على الدينِ منها جنًى   وسِرْنا إلى حيثُ شِئنا اقتدارا
وأخلاقُنا ... كم بأخلاقِنا   ركزْنا صُوًى ورفعنا منارا
وكم أُفقٍ في سماءِ العقولِ   شأَوْنا بني الأرضِ فيه ابتكارا

إلى فتيةِ الشرقِ هذا النشيد   تقارعَ فيه القنا واشتجرْ
وقعقعتِ البيضُ بين الصفوفِ   وغالَ الكماةَ الردى واستعرْ
وحمحمتِ الخيلُ تحتَ الغبارِ   أضاءتْ جوانبَه بالشررْ

أُديرُ النشيدَ إلى فارسَيْنِ   حوتْ رُكنَي الأرضِ لُقياهُما
فمن أنجُمِ الشرقِ هذا الكميُّ   ومن أُفقِ الغربِ ثانيهما
وكلٌّ يُرى بين فرسانهِ   غداةَ الوغى الفارسَ المُعْلَما
على هذه الأرضِ تفنى القرونُ   وتوحي البطولةَ ذكراهُما

سما بابنِ أيوبَ مُلكٌ بناهُ   فأعلى على السيفِ هذا البناء
أخو الخيلِ والسيفِ والبيدِ والليـ   ـلِ يمضي فيزجي الردى كيف شاء
فتى كان في الشرقِ بعد الظلامِ الضيـ   ـاءَ وكان بمصرَ الرجاء
كريمُ الخصومةِ عفُّ الحسامِ   يُريكَ التقى ويُريكَ المَضاء

فتى الغربِ إفرندُهُ فيصلٌ   به المُلكُ في ظلِّه يحتمي
له لقبٌ فوقَ تاجِ الملوكِ   به باتَ يُقرَنُ بالضيغمِ
على الماءِ كرسيُّهُ قائمٌ   وذروتُهُ في ذرى الأنجمِ

مشتْ في التجمّعِ إلى (أُرْشَليمَ)   جيادٌ من الغربِ رُعْنُ الخببْ
خببْنَ بكلِّ مُدِلِّ الحسامِ   صريمِ الخصامِ دعيِّ الحسبْ
لقد كان للدينِ ما هزَّهُ   فأصبحَ للمُلكِ حين اغتربْ

مضَوا يزدهي الفوزُ أفراخَهم   ويُغري بُزاتِهمُ المأربُ
غلاظٌ، سرابيلُهم من حديدٍ   من الصخرِ أكبادُهم أصلبُ
يُحدِّثُ كلًّا هواه بما   يُجندِلُ في القدسِ أو يسلبُ
ويستهزئون بدنيا الهلالِ   وحشدُهمو بالمنى يصخبُ

فما إن نجا قطّ من بطشِهم   صبيٌّ ولا طفلةٌ لاعبهْ
ولا مُقعَدٌ قوّستْهُ السنونَ   ولا جدّةٌ شمسُها غاربهْ
ولا سلِمتْ من بناتِ الحجالِ   عروسٌ مُلفّفةٌ هائبهْ

لدى مدرجِ السمحِ عيسى المسيح   أثارَ دعاةُ السلامِ القتالا!
مُسوحُ الرهابينَ باتتْ حديدًا   وألسنةُ الزاهدينَ نصالا
وعدّ هدى كلُّ غويٍّ جسورٍ   وأصبحَ كلُّ حرامٍ حلالا

وطالَتْ عَلَى الشرقِ سودُ السِّنين   أذلَّ الصَّليبُ بِهنَّ الهِلالا

أقاموا على البَغْىِ بُنيانَهمْ   وعاشوا على البغىِ دهراً طويلا
وَغَمَّ عَلَى الشرقِ تِسعينَ عامًا   فَمَا يَلمَحُ النورَ إلاَّ ضَئيلا
يَسيلُ عَلَى الأُفقِ جُرْحُ الهِلال   إذا ما أطَلَّ، سَقيماً هَزِيلا
وتَسمعُ مِصْرُ وَمَنْ بالحجازِ   وَمَنْ بالعراقِ الأذَانَ عَوِيلا

وما زال يَبْطِشُ طُغيانُهمْ   إلى أن تألَّقَ فجرُ الأملْ
وَهَلَّ من الشرقِ مثلَ الصباحِ   زعيمٌ تَرَدَّى ثِيابَ البَطَلْ
نُجدِّدُ وَنبَاتُهُ ابنَ الوَليدِ   وَسَعْدًا وعَمْرًا بنيه الأوَلْ

إذا سارَ فالنصرُ من يُمْنِهِ   فتًى لا يرَى العيشَ إلا كِفاحا
فتًى ذِكرُهُ هَزَّ شُمَّ الحُصونِ   ويغزو اسمُهُ إذ يَهُزُّ السِّلاحا
صلاحٌ ومن كابنِ أيوبَ سيفاً   إذا ذكرَ الدَّارِعونَ صَلاحا؟
وَمَنْ مِثلُهُ حينَ يُعطِى العُهُودَ   وَيَرعَى الحُدودَ وَيَأسو الجِراحا

مشى نحوَ «حِطِّينَ» فى فَيْلَقٍ   يَرِفُّ له النصرُ حولَ العَلَمْ
يَدِينُ لِأرْوَعَ ثَبْتِ الجَنانِ   جَميلِ الفَعالِ كريمِ الشِّيَمْ
ذَلولِ السَّماحةِ حُلوِ اللِّسانِ   عَصِيِّ الإباءِ بعيدِ الهِمَمْ

تقدَّمَ فانهارَ مِنْ حَوْلِهِ   عَلَى البَغْىِ رُكنٌ أُقيمَ اغتِصابا
رَأى يومُ حِطِّينَ تحتَ العَجاجِ   جُنودَ صلاحٍ أُسُوداً غِضابا
ألوفُ الرجالِ لدَيْهِ أسارَى   ومَن فَرَّ ليس يطيقُ اقترابا
وَيُذْعِنُ كلُّ قويٍّ عزيزٍ   وتهوِى المعاقلُ باباً فبابا

وَدَانَ له القُدْسُ بعد الإباءِ   وَأعْظِمْ بهِ لِلهِلالِ انتِصارا
وراحَ المُظفَّرُ يُولِى الأمانَ   ويُطلِقُ فى «أُرْشَليمَ» الأسارى
وَأجْمَلُ ما كان عَفْوُ الرِّجالِ   إذا سَبَقَهُ مانِحُوهُ اقتدارا

تَرفَّعَ لا سَيْفُهُ قاتلٌ   بريئاً، ولا وَعْدُهُ خاتِلُ
ولا غَرَّهُ النَّصْرُ فى أوْجِهِ   ولا خابَ فى عَدْلِهِ آمِلُ
وديعُ السِّماتِ جَميلُ الأناةِ   وفى دِرْعِهِ أسَدٌ باسِلُ
يَلوذُ بهِ الحقُّ مُسْتَعْصِمًا   وَيَفْرَقُ من وَجْهِهِ الباطلُ

وَأدْهَشَ أعداءهُ نُبْلُهُ   وذاعَتْ أحاديثُ أفعالِهِ
وأروَعُ ما هَزَّ سَمْعَ الفِرِنج   من الفضلِ غُرَّةُ أفضالِهِ
يجودُ لفِدْيَةِ بعضِ الأسارى   لفُرْسانِهِ الشُّمِّ من مالِهِ!

تألَّقَ فى الشرقِ نورُ الهلال   وصاحبهُ اليُمْنُ فى طَلْعَتِهْ
وكانَ غريباً بأوطانِهِ   خَيالُ المذلَّةِ فى هالَتِهْ
تَبسَّمَ فى الأُفْقِ بَعْدَ الشُّحُوبِ   ففاظَ وَأعجَبَ فى بَسْمَتِهْ
وَدَوَّى فأطرَبَ صوتُ الأذانِ   جلالُ المصلِّينَ فى نَبْرَتِهْ

أفاقَ على نَبَأٍ جاءَهمْ   بنو الغَرْبِ، يَكرَهُهُ السامِعُونا
تثيرُهُمُ النُّذُرُ الشائعاتُ   وَيَقتَنِصُ الفرصةَ الطَّامِعُونا
وَيَنْفُخُ فى الصُّورِ رُهْبانُهُمْ   فيأتى على الصَّيحَةِ الدَّارِعُونا

وهبَّتْ منَ المَغرِبِ العاصفهْ   على الشرقِ تُنْذِرُ بالراجفَهْ
ففى البحرِ طائفةٌ فى السَّفينِ   تُسارِعُ فى إثْرِها طائفَهْ
وفى البَرِّ فَوْقَ مُتونِ الجِيادِ   ألوفٌ مُدَجَّجَةٌ زاحفَهْ
إذا هاجَها الزَّحفُ غنَّى الحديدُ   وغنَّتْ حناجرُهُم هاتفَهْ

أطَلَّتْ على الحشْدِ أسوارُ عَكَّا   خِضَمًّا يَزيدُ لديْها ارْتِطاما
حَوَى المُرْدَ والشِّيبَ والعِلْيَةَ الصِّيدَ والتَّابِعِيهم خليطاً تَرامى
نَشاوَى النِّصالِ، بأرماحِهِمْ   جُنونٌ سَقاها هناكَ احتداما

ومِن دونِ عَكَّا شُبُولُ العَرينِ   من الشرقِ تَمنَعُ أسوارَها
يطوفُ على الجُنْدِ سلطانُهمْ   مَهيبَ الملامِحِ قَهَّارَها
مُطاعًا له طَلْعةٌ فى الصُّفوفِ   تَعوَّدَتِ الجُنْدُ إكبارَها
وَيَفْدِيهِ في الحرْبِ أجنادُهُ   إذا راحَ يَرْكَبُ أخطارَها

وَعَزَّتْ على الطالبينَ القِلاعُ   وإذ مَرَّ عامانِ زِدْنَ امتناعا
وَذاقَ حُماةُ الصليبِ الهوانَ   فما شَهِدوا مِثلَ هذا صِراعا
أهابوا وقد عَجَّ مَوْجُ المَنايا   بِأوْطانِهِمْ فأجابَتْ سِراعا

وَلبّى الملوكُ النِّداء فنى البَرِّ جيشُ «فِردريكَ» جَمُّ العددْ
وجيشُ الفِرنسِيسَ حشدٌ عظيمٌ ... وفى البحرِ أسطولُ قلبِ الأسدْ
فتَى الغرب رِيكَرْدُ خيرُ السيوفِ ... الجسورُ النجيدُ القويُّ السَّنَدْ
فتًى ليسَ يَنْزِعُ عن قَوْسِهِ ... سِواهُ ولا جَلَّ عنهُ أحدْ

وَأرْغَمَ «رِيكَرْدُ» تلك الحصونَ ... فما إنْ تَطَامَنُ إلاّ لهُ
وَإنْ كان لاَقَى من ابنِ القِفارِ ... من البطشِ والبأسِ ما هالَهُ
وكانَ «صلاحٌ» رَمَى بالرِّجالِ ... «فِرِدْرِيكَ» يَدْفَعُ إقبالَهُ

وما كادَ يُزْهَى بإكليلِهِ ... فتَى الغَرْبِ حتّى اعتراهُ الهُزالُ
ألَحَّ على جِسْمِهِ القَشْوَرِىٌّ ... لدى ساحةِ المَوْتِ داءٌ عُضال
ثوَى اللَّيْثُ حيناً على رَغمِهِ ... وَعُلِّقَ ـ حَتّى يُبِلَّ ـ القِتال
يَعَذِّبُهُ خَوْفُهُ أن يطولَ ... ضناهُ، وأن يَتراخى الرِّجال

وَأعْجَبَ ذاكَ المصورَ المريضَ ... طَبيبٌ سعى من لدُنْ خَصْمِه
يقول لهُ قومُهُ: أقْصِـهِ ... وَنَجِّ دِماءكَ من سُمِّهِ
فقال: جَهِلْتُمْ لعَمْرِى صلاحًا ... تَنَزَّهَ عن ذاكَ عالى اسمِهِ!

سقاهُ وناولهُ رُقعـةً ... تَنَزَّي وَغَمْغَمَ لمَّا تلاهَا!
نمى لهُ البُرْءِ فى طيِّهَا ... صلاحٌ لِتَدْرِى الوَغَى من فتَاها:
«إذا رُمْتَ سِلمًا مَنَنْتُ بها ... وإن رُمْتَ حَرْبًا أدَرْتُ رَحاها
وأعْزِزْ بِنَفسٍ كَنَفْسِكَ أن ... يكونَ بِغَيْرِ الحُسامِ رداها»

وَأكْبَرَ «ريكرْدُ» هذا العَدُوَّ ... فأثنَى وأطنبَ فى حَمْدِهِ
وكم أخجلته لدى ذِكْرِها ... شمائلُهُ الغُـرُّ فى جُنْدِهِ
أخو البيدِ أسمَى فروسيَّةً ... فأنَّى لهُ ذاكَ فى بِيدِهِ؟

أتَتْ بابَهُ من بَنَاتِ الفِرِنجِ ... تُوَلْوِلُ أمٌّ، وَتَدْعُو بهِ
قَدْ اختَطَفَ ابناً لها فارِسٌ ... وَيا هَوْلَ ما كان من غَصْبِهِ
بكى رَحْمَةً وَهْوَ ذاكَ الذى ... إلى اللّيْثِ يُنْسَبُ فى وَثْبِه
وَأجْزَلَ لِلجُنْدِ من مالِهِ ... فِدًى للصَّبِىِّ، فجِئ بهِ

وَمَالَ إلى السِّلمِ قَلْبُ الأسَدْ ... وَلَبَّى صلاحٌ فأمضَى العُهُودا
وَلكِنَّهُ رِيعَ أنْ جَاءهُ ... من الخَصْمِ خُلْفٌ أثارَ الجُنودا
لقد فتَكَ القَوْمُ بالأبرِياء ... وَما إن رعَوا لِعُهُودٍ وُجُودا

سقَتْ أرْضَ عَكا دِماءٌ حرا ... وَطافَ الفِرِنجُ بها باطشينا
فوارِسُهُمْ يَذبحونَ النِّساء ... وَزُغْبَ البنات بها وَالبنينا
وَكم ذَكَرُوا الشرق سُلطانَهُ ... وَصَفْوَةَ فُرْسانِهِ هازِئينا
أهَابَ صلاحٌ بفُرْسانِهِ ... فَسَلُّوا سُيوفَهُمو صائحينا

لدى غابِ أرْسُوفَ سَوَّى الرجالَ ... صُفُوفًا تَلاحَق تحتَ العَلَمْ
مِنَ الفِيلِ أصْحَرَ أجنادُهُ ... وَجَرَّ الحدِيدَ أسُودَ الأجَمْ
ونادَى المنادُون فيهم هَلُمُّوا ... تراءى العَدُوُّ لنا من أمَمْ

هُنَا الشرْقُ جُنْدُ الهلالِ، هنا ... بنو الشَّمْسِ والبِيدِ شُمُّ القَنَا
دماءهُمو كم كَوَتْهَا الصَّحَارى ... وأعْظِمْ بِصَحْرَائهم مَوْطِنا
خِفَافُ المِيا كِلِ ضُمَّرُ الجِيَادِ ... إذا زَحَفُوا قلتَ وَمْضُ السَّنَى!
تَنَادَوْا على نقرَاتِ الطُّبولِ ... فداعٍ هناك وشادٍ هنا

على فرْسخين يُرَى الغرب حَشْدًا ... خَلِيطاً هناكَ تَلاقَوْا دِرَاكا
فمِنْ كلِّ لِسْنٍ ومن كلِّ شَعْبٍ ... وَمَلْكٌ هنا وَأميرٌ هناكا
حُمَاةُ الصَّليبِ نَسُوا فى الصَّليبِ ... خِصامًا فَشَى بينهم واعتِراكا

وَدَارَ القِتَالُ فطَارَت سِهامُ ... بَنِى البيدِ يَغْرَقُ فيها البَصَرْ
تُصَوَّبُ تحْتَ مُثَارِ العَجَاجِ ... وَتَنْقَضُّ يقْدَحُ منها الشَّرَرْ
فَتَصْمِى الجِيَادَ وَتُلْقى الرِّجالَ ... على الرَّمْلِ مُلتَهِبًا وَالصَّخَرْ
كأنَّ الجحِيمَ رَمَتْ باللَّظَى ... على مُلتَقًى بالغُبَارِ اعْتَكَرْ

وَذَاقَ الفِرِنجُ صُنُوفَ العَذَاب ... ففى كلِّ يوْمٍ يَرَوْنَ الرَّدى
وَرَاحَ قَبيلٌ يقولون: ماذا ... نَرَى من سِهام العَدُوِّ غدا
يُسِرُّونَ سُخْطاً على من دَعاهمْ ... وَأوْرَدَهُمْ ذلِكَ الموْرِدا

وَغيظَ الفِرِنجُ فشَدُّوا الوَثَاقَ ... وَجَدَّتْ لهمْ كَرَّةٌ خاسِرَه!
وَهَرْوَلَ ريكردُ بين الصُّفوفِ ... يَشُـدُّ عَزَائِمَها الخائِرَه
وَزَمْجَرَ كاللَّيْثِ يَدْعُو الجُنودَ ... وَيَجْمَعُ آلافَهَا النَّـافِرَه
وَهَاجَ، فجُنَّ جنونُ الرِّجالِ ... وَكَرَّتْ عَلَى صَوْتِهِ زائرَه

مشروعية الحرب في الإسلام

دفع شبهة لا موجب لها

للأستاذ محمد فريد وجدي



اشتد خصوم الإسلام عليه فى إقراره الحروب، ذاهبين إلى أن الدين الذى يشرع لتطهير قلب الإنسان من الميول العدوانية، وتخليص نفسيته من آثار الحيوانية والوحشية، لا يجوز له أن يقر مبدأ التناحر فى العالم الإنسانى ؛ فإن كان ولا بد فدفاعاً عن النفس، أو ذياداً عن الحوزة ؛ أما الهجوم على الآمنين فى ديارهم للتبسط فى الأرض، والتوسع فى وسائل الثروة، فإن رآه طلاب الدنيا سائغاً، فلا يصح أن يمده دعاة السمو الخلقى من محاولات الصالحين

كثرت هذه الشبهة فى رؤوس خصوم الإسلام، ورأوا فيها مثاراً خصباً للتشهير به، ونبزه بالألقاب، حتى تأثر بذلك بعض المدافعين عنه، فأخذوا يحاولون أن يثبتوا أن كل ما ورد فيه خاصاً بالحرب، فالمراد منه الدفاع لا الهجوم، وغاب عنهم أنهم بعملهم هذا يضرون بقضية الإسلام، ويسجلون عليه الشبهة أصرح تسجيل

الحق أن الإسلام أقر الحرب دفاعاً وهجوماً، لأن مهمته التى شرع من أجلها لا تتم إلا على هذا الوجه ؛ فليس الإسلام بدين خاص شرع لجماعة من الناس فى بيئة محدودة من الأرض كما كانت عليه حال جميع الأديان التى شرعت للأمم قبله، ولكنه شرع ليكون ديناً عاماً للأمم كافة، فهو بحكم الغاية التى أنزل من أجلها يجب أن يماشى ما فطرت عليه الطبيعة البشرية، فى كل ما تدفعها إليه الغرائز النفسية، من الحركات الاجتماعية ؛ وقد اندفعت الجماعات فى التناحر لا لمجرد توفية أغراضها المادية، ولكن لحاجتها الأدبية أيضاً، فلولا الحروب التى ثارت بين الجماعات، لتعطل تقدمها فى طريق العمران والمدنية

دَعا وَتقدَّمَ تحتَ السِّهامِ بِيُمْناهُ صَمْصَامُهُ الهائِلُ
تحدَّى الرَّدى وَمَشَى تحتَهُ فما إن تَصدَّى لهُ صائلُ
يُهزْهِزُ فى النَّقْعِ إفرِنْدَهُ فيُومِضُ عاليهِ وَالسَّافلُ

———

مَضى مُغْضَبًا خَافَهُ جُنْدُهُ يُفَزِّعُ ذاكَ وذا يَضربُ
يُجَنْدِلُ كلَّ فتيً مِن عِدَاهُ وَما كلٌّ من سيفِهِ المَضْرِبُ
لهُ وَثبَةُ الأُسْدِ ، صَمْصَامُهُ كما نقَضَّ فى الحُلْكَةِ الكوكَبُ
وَطاشَ الكُماة جنودُ صلاحٍ وَطابَ لهم فى الوغَى المهْرَبُ

———

تَلَفَّتَ تحتَ اللّوَاء صلاحٌ إلى جَحْفلٍ حَوْلهُ رُوَّعا
تَفَرَّقَ فى البيدِ إلاَّ فَرِيقاً يُفَدُّونَ ذا الباسِلَ الأَرْوَعا
وَمَا طاشَ فى الرَّوْعِ مِمّا رَأى وَهَلْ شِيمَةُ اللَّيثِ أن يَفزَعا ؟

———

رَأى جُنْدُهُ اللَّيثَ تحتَ اللِّوَاءِ فعادُوا يمُوتُونَ دُونَ اللِّوا
وَجدَّ اللِّقاءُ وَحَقَّ الفِداءُ وَأجْفَلَ بَعْدَ الصِّيالِ العدا
وَخَفَّ صلاحٌ فقادَ العديدَ وَأعمَلَ فى الزاحِفين الظُّبا
رَأى هَيْبَةَ الأُسْدِ من دُونهِ فخافَ العَدُوُّ الوَغى وانثنى

———

وأرسَلَ ريكرْدُ يدعُو صلاحًا إلى السِّلْمِ حينَ توانى الأمَلْ
يقول : لَقِيتُ هنا مُشْبِهى وَأحْبَبْتُ فى الشَّرْقِ هذا البطلْ
وَلبّى ابنُ أيُّوبَ عالى الجبين عَلَيْه من المجدِ أضْفَى الحُلَل

الخفيف

كما نبه إليه علم الاجتماع نفسه ، ودورة الحياة الإنسانية العامة تجعل الحرب من ضروريات التطور أيضاً ، فإن تلاشى الجامدين وعديمى الصلاحية للحياة ، وضرورة نبوغ الأصلح فالأصلح للبقاء ، لا يمكن أن يتم فى بيئات يسودها السكون المطلق . هذه أمور يدركها أولو العلم إدراكهم للبديهيات ، وهذا لا يمنع أن يجىء عهد تصبح فيه الحرب شراً مستطيراً بسبب زوال الموجبات الطبيعية لها ، ونشوء عوامل أدبية تقوم مقامها فى تطوير الجماعات دون أن تضطرها إليه بواسطة الحركات العنيفة ؛ يجوز أن يكون قد أظلنا الآن ذلك الزمان ، فيقرر البشر بعد هذه الحرب المستعرة حذف هذه الوسيلة الجائحة ، فينعم الناس بسلام يناسب ما وصلوا إليه من علم ومدنية ، وقد أشار الإسلام نفسه إلى إمكان حدوث هذا العهد ، فجاء فى كتابه : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

ولكن إلى العهد الذى شرع فيه الإسلام وما بعده إلى أكثر من اثنى عشر قرناً ، لم تكن فكرة السلام العالمى قد نشأت ، وقد رأينا الأديان التى جاءت ناهية عن الحرب كالبوذية والنصرانية قد اضطرت إليها ، وتوسلت بها ، وهذه الديانة الأخيرة لم تستطع أن تستقر كدين إلا بواسطة حروب شنتها ، حتى اضطرت البابوية إلى اتخاذ الجيوش البرية والبحرية ، وإلى الاشتراك فى الحروب دفاعاً وهجوماً على حد سوا

فكيف يراد من الإسلام وقد شرع ديناً عالمياً ، أن يتجرد منها ، وهو مضطر بحكم مهمته أن يسيطر على الغرائز الجبلية ، ويهيمن على الميول النفسية ، محاولاً التأثير فيها بالتعديل والتقويم ، دون أن يعرقل ناموس التطور الذى يعمل إلى إيصالها لغاياتها البعيدة من السمو الذى قدر لها أن تبلغه بجهودها الذاتية

إن الصفة المميزة للاسلام أنه دين يماشى الطبيعة ويعدلها ، ولا يلاشى عاطفة منها ؛ ولو كان غير ذلك لما صلح أن يكون ديناً عاماً للبشرية بأسرها ، ولا أن يكون محترم الأصول ، مراعى التعاليم ، لا عذر للمتخلف عنه ، أو للخارج عليه

أفكنت تريد أن ينشأ الإسلام ناهياً عن الحرب فلا يتم له قيام أصلاً ، بدليل لجوء جميع الأديان إلى الحرب بعد أن أعيتها الحيل فى القيام بدونها ؟ أم كنت تريد أن يحرمها على أتباعه ، ثم متى اضطرتهم الحياة لها لجأوا إليها ، غير آبهين لنهيه عنها ، كما حدث ذلك لأهل الأديان التى كانت قبله ؟

لا هذا ولا ذاك ، فالإسلام دين صراحة ومنطق ، يعطى كل حالة من حالات الإنسان حقها من التقدير والرعاية ، ويبنى حكمه فيها على مصلحتى المادة والروح معاً

فالحرب إن كانت شراً فهى من الشرور الضرورية ولو فى أوائل الأدوار البشرية ، وإغفالها أو تركها بلا ضوابط قد يفضى بالآخذين به إلى الإفراط أو التفريط فيها ، وقد يكون فى ذلك القضاء عليهم ، فجعلها الإسلام لهذا السبب من أهم ما عنى به ، وختم كل آية نزلت فى الحرب بوصاة مؤكدة بوجوب العدل فيها وعدم توخى العدوان بوساطتها ، إلى حد لم يسبق له مثيل فى كل ما أثر عن تعاليم الأمم قديماً وحديثاً

لم يكتف الإسلام بكل هذا فوضع للسلم والحرب أصولاً بدأها بوجوب احترام العهود ، وبوجوب تتبع الحوادث الاجتماعية ، مع إحاطة كل منها بما يحميها من التطرف والظلم ، حتى إذا أفضت الأمور إلى تحكيم السيف أحاط حكومته بالملطفات من كل ضرب ، عاملاً على ألا تراق قطرة دم لم يكن لإراقتها موجب يوجبها ، حتى أمر بعدم تعقب المهزومين ، وباحترام حياة خدَمة المحاربين ، وحياة الهَرْمى والنساء والأولاد ورجال الدين

فى تاريخ الإسلام من هذه الناحية طرائف لا يروى مثلها عن جماعة من الجماعات الإنسانية إلى اليوم ، منها أن أسامة بن زيد تعقب مهزوماً حتى صعد وراءه الجبل ؛ فلما رأى الرجل السيف يهوى عليه نطق بالشهادتين ، فلم يكترث أسامة له وقتله ، فلما بلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم استحضره وعنفه على فعله ، فقال أسامة : يارسول الله إنه نطق بها تقية لينجو بنفسه . فقال النبى منكراً عليه : أشققت عن قلبه ؟

لا أظن أن بعد هذا غاية فى التنبيه على وجوب احترام الحياة البشرية

محمد فريد وجدى

على طريقة الصين

أو

طريقة أبي دلامة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني



قرأت فى بعض ما كتب عن الصين الحديثة وحروبها الداخلية – قبل أن تغزوها اليابان – أنه كان يحدث أن يخرج القائد من القواد الصينيين لقتال غريمه فيلتقى الجمعان ويصطف الجيشان ويبرز أحد القائدين، ويدعو خصمه فيخرج إليه ويقفان بين العسكرين يتبارزان ولكن بالحجة والمنطق، ويتصاولان ولكن على الورق والخرائط، ويتجادلان فى أى الخطتين كانت خليقة أن تجيء صاحبها بالنصر، حتى يقتنع أحدهما بأن الدائرة كانت ستدور عليه لا محالة، فيعد نفسه مهزوماً، ويرتد بجيشه عن الساحة، وينصرف خصمه وقد رفع ألوية النصر

كذلك قال بعض الكتاب. وقد زعموا أيضاً أن هذا بعض ما أطمع اليابان فى الصين وأوهمها أن قتالها أمر هين، وأن المنال قريب والنكاية فى حكم المدركة، فإذا بها تتورط فى حرب لا تعرف لها منها مخرجاً ولا تتبين لها نهاية قريبة، بعد أربع سنوات طويلات دخلت فى خلالها مئات من المدائن، واحتلت رقعة أوسع من نصف القارة الأوربية ومازالت الحرب – إذا اعتبرنا قوة المقاومة – كأنها فى بدايتها

وليس من همى أن أقول شيئاً فى الصين، وإنما سقت هذا الخبر لأنى ذكرت به مشبهاً له من أخبار أبى دلامة الشاعر الماجن الظريف فقد حكوا عنه – وحكى هو عن نفسه فيما يروون عنه – أن الخليفة – المنصور أو المهدى – غضب عليه لاعتكافه على الخمر، فأمر به فخرج فى بعث حرب مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة. قال أبو دلامة: « فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثراً ترتضيه » فضحك وقال: « والله لأدفعن ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك » ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلىَّ ودعا بغيرهما، فلما حصل ذلك فى يدى زالت عنى حلاوة الطمع فقلت له: « أيها الأمير هذا مقام العائذ بك » فقال: « دع عنك هذا » وبرز رجل من الخوارج يدعو إلى المبارزة فقال: « اخرج إليه يا أبا دلامة » فقلت: « أنشدك الله أيها الأمير فى دمى » قال: « والله لتخرجن » قلت: « أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبعت منى جارحة من الجوع، فمر لى بشيء آكله ثم أخرج » فأمر لى برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعيناه تتقدان، فقلت له: « على رسلك يا هذا كما أنت » فوقف، فقلت: « أتقتل من لا يقاتلك... » قال: « لا » قلت: « أتقتل رجلاً على دينك » قال: « لا » قلت: « أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتل إلى دينك » قال: « فاذهب عنى إلى لعنة الله » قلت: « لا أفعل أو تسمع منى » قال: « قل ». قلت: « هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة، أو تعرفنى بحال تحفظك علىّ، أو تعلم بين أهلى وأهلك وتراً » قال: « لا والله » قلت: « ولا أنا أعرف والله لك إلا جميل الرأى، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأريد السوء لمن أراده لك » قال: « يا هذا جزاك الله خيراً

فانصرف» قلت: «إن مى زاداً أحب أن آكله معك لتتأكد المودة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا» قال: «أفعل» فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس يضحكون، فلما استوفينا ودعنى، فقلت له: «إن هذا الجاهل -يعنى روح بن حاتم- إن أقمتَ على طلب المبارزة ندبنى إليك فتتعبنى وتتعب، فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل» قال: «قد فعلت» ثم انصرف وانصرفت، فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قرنى فقل لغيرى أن يكفيك قرنه كما كفيتك. فأمسك. وخرج آخر يدعو إلى المبارزة، فقال لى: اخرج، فقلت له:

إنى أعوذ بروح أن يقدمنى · إلى النزال فتخزى بى بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه · مما يفرق بين الروح والجسد
إن المهلب حبَّ الموت أورثكم · وماورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها · لكنها خلقت فرداً فلم أجد

فضحك وأعفانى

وهذا الذى كلم به أبو دلامة قرنه فكفاه شره، احتجاج قوى لترك الحرب، ولو كان الأمر إلى الجنود المسوقة وخوطبت بمثله لكان الأرجح فى الرأى والأغلب فى الاحتمال أن تلقى السلاح وتنفض يدها من كفاح لا تعرف باعثاً عليه أو موجباً له، ولكن الأمر للقادة والرؤساء وهؤلاء لا يعبأون إلا بما يطمعون فيه ويسمون له، ولا يبالون من رضى ممن سخط، ومن بقى ممن هلك، إذا هم أدركوا بغيتهم ونالوا وطرهم

وقد خاطب الألمان جنود فرنسا بمثل كلام أبى دلامة — فى هذه الحرب فكانوا فى الشهور الأولى — شهور الركود والتربص — كل ليلة ينادونهم من خط سجفريد «أن لماذا تحاربوننا يا معاشر الفرنسيين ولا عداء بيننا وبينكم ولا مطمع لنا فى مستعمراتكم، وقد سمعتم «الفوهرر» يقول فى خطبته إن بناء خط سجفريد اعتراف من ألمانيا بأنها تعد الحدود بينها وبينكم نهائية، ولولا ذلك ما جشمت نفسها مشقة البناء ونفقاته، إنما غريمنا وغريمكم الإنجليز، وقد زجوا بكم إلى الحرب ليقاتلونا بكم» الخ الخ وقد فعل هذا الكلام فعله فى نفوس الفرنسيين وظهر أثره فى معركة فرنسا

وأعود إلى صاحبنا أبى دلامة فأقول: إن الرصافى — شيخ شعراء العراق فى هذا الزمان — أسبغ الله عليه برد العافية صنع شعراً فى خبر أبى دلامة مطلعه «قضت المطامع أن نطيل جدالاً» قال فيه:

أمن السياسة أن يقتل بعضنا · بعضاً ليدرك غيرنا الآمالا
تفنى الجيوش ولا ضغائن بينها · سبقت ولا ترة ولا أذحالا

واستطرد إلى قصة أبى دلامة ثم ختم القصيدة بقوله:

إن الدهور — وهن أمهر سابك —
سترد أضداد الورى أشكالا
حتى كأنى بالطباع تبدلت · غير الطباع وزلزلت زلزالا
وكأننى بينى الملاحم أصبحوا · لأبى دلامة كلهم أشكالا

وياعسى ولعل، وسمع الله منك يا صديقنا، ولكن هيهات... هيهات! والسلام عليك إذا لم يكن على الأرض سلام

ابرهيم عبد القادر المازنى

مزامير

للنفس العربية

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

٢ — غول المهد الأول (١)



كان فى المهد الأول للعربيـة « غول » عجوز شوهاء، عُمّرت هناك دهراً طويلاً تأكل أكباد الرجال بالحقـد والضغينة والحسد والأنانية والتفرد، وتلعب بقلوبهم، تتخذ منها عقوداً وقلائد، وتفترس القبائل، إذ تثير بينهـا العـداوة والبغضاء، فتوقد نيران الحرب الطاحنة لتلغ فى دماء الجميع : القاتل والمقتول، والخاذل والمخذول ...

وقد اتخذوها إلٰهةً معبودةً وقدموا لها القرابين من دماء الأحرار، وزينوا عرشها بجماجم الشباب المفتون دائماً بالبطش والحرب، وأنشدوها الأشعار، واجتلبوا لها الأسمار، وقرعوا الطبول، ونفخوا الزمور ...

ما تركتْ فيهم شاباً يكتهل أو كهلاً يشيخ ؛ فـكبدها عَطشى مخلوقة من نهم الرمال، وجشعها للدم المسفوح والدمع المنضوح ... فلم تكُ تبقى للحياة إلا النساء والأطفال والمستضعفين، من الذين يقال فيهم : بقايا السيف، وطلقاء عفو القادرين ...

وكان لها كأسان : تلتقى فى إحداهما دم الرجال، وفى الأخرى دمع النساء على الرجال ... ثم تمزج وتشرب وتعربد وتقهقه ... كاشفة عن أنيابها الزُّرق المسنونة ... !

* * *

تلك هى الفُـرقة ! حليلة الشيطان المحظيّـة ... يقدمها بين يدى الجليل الخطير من كيده، ويرصدها لتحطيم الشأن المظيم فى حياة الإنسان غريمه ... أخرجه بها من الجنة حين فرق بين هوى آدم وحواء ووصايا ربهما، فأزلهـما ... فهبطا إلى الأرض للمحنة والعناء ... فكانت فى يده مفتاحاً عريقاً يفتح به قلوب بنى آدم للشر، ويغلق به أبواب الخير ...

وقد أسكنها قلب الجزيرة العربية، وأوصاها ألا تترك قلوب هذه الأمة تجتمع وشملها يلتئم وذكاءها الخارق وبيانها الحاذق ييسران لما خلقا من أجله ؛ إذ كان يعلم أن وثيقة ملاعنه وبيان خدائعـه للنفس البشرية، ستكتب بقلم هذه الأمة، وتسجل فى « كتابها »، وتنزل على قلب أحد أبنائها ؛ فاستجمع لها كل خبائثه ومكايده، واستمان حليلته وأرصدها لها بكل سبيل، وفتنها بأكرم خصالها : الشجاعة والكرم والبيان !

حوّل الشجاعة إلى وحشية وإسراف فى سفك الدماء، كأن ذلك حرفة ...

وحوّل الـكرم إلى إسراف فى مقـومات الحياة وتفريط فى بنائها المادى، حتى لا يحصل تمدين فيستقر السلام، فيكون وراءه عمران مستفحل وخدمة باقية فى الذريات والأعقاب، للتحضير والترقية والتهذيب ...

وحول البيان إلى شقاشق تهدر ثم تضيع، وأناشيد ترسل فيما لم تخلق له ؛ إذ تسجل المخازى وتعرض العورات على الأسماع، وتهيم بأصحابها فى أودية الخيال ...

وكان يعلم أن الظلم والشرك والعبودية والجهالة — وتلك هى قوائم عرشه — ستهدم بأيدى هـذه الأمة، وأن ألاعيبه وتماثيله التى كان يملأ بها معابد الأقوام وجوامع إنسانية الشرق والغرب ستتركها معاول العرب حطاماً وجذاذاً ... فجعل من بينها سداً ومن خلفها سداً، وغشى أبصارها عن إدراك مواهبها ومكارمها وما عندها من الفطرة الصادقة . ووضع همه الأول فى تفريق قلوبها وتمزيق وحدتها، ووسوس لـكل قبيلة أنها

(١) انظر العدد ٣٥٥ من « الرسالة »

أمة لها دم خاص منحدر من ماء السماء وضياء النجوم ... وإلى كل فرد أنه خير هذه الأمة ، وأنه عَلَمها المفرد، وبدرها والفرقد ! فغنى لنفسه وشرب على هواها مع النجوم فى ظلمات الليل ، ومع الشمس والشياه والبعران فى مراعى الصحراء ...

وفى الأرض أمامه سعة ومذهب لكل من أراد الاستقلال والتملك ...

وفى السماء هول وعظمة يغريانه بعد آفاق نفسه كما يشتهى ...

وفى القلب الإنسانى حطب ولهب لكل فُرقة ولكل شرود وجموح فلا عليه أن ينشد الإمارة ولو على الحجارة ...

* * *

يالهذه الصرخات الداعة فى أذن الصحراء من حناجر فتيان هذه الأمة !

يا لَبكر ... ! يا لَتغلب ! يا لَمضر ! يا لَربيعة ! يا لَعدنان ! يا لقحطان ! يا لكل قبيلة على كل قبيلة !

وسباع الأرض وهوامُّها وخشاشُها ، وعقبان السماء ونسورها، تتسمع إلى هذه الصيحات وتتبعها ؛ لأنها أبواق دعوتها إلى الولائم التى تقام من الدماء التى تَشْخَب ، والبطون التى تبقر ، والأكباد التى تُفرى ، والقلوب التى تسحق ، والعيون التى تفقأ ، والأشلاء التى تتناثر ...

فكم من قلب كبير لبطل كريم فى فم ذئب لئيم ... !

وكم من لسان فصيح بليغ فى منقار غراب بكىء منكر الصوت قبيح المرآة ... !

وكم من عين نجلاء صافية تحت خنفساء قذرة وعقرب عمياء !

ثم يصحو الذين نحروا الجزور وشربوا الخمور وأنشدوا الأشعار وهتفوا وصرخوا بدعوى الجاهلية ، ويستيقظون بعد ابتراد الغُلة وذهاب الحميّة وسكون التِّرة ، ويعودون إلى الخيام يسمعون للبوم والخفافيش وندب النساء وعويل الأطفال على الجثث الطريحة على الشراجع والنعوش ...

والغول واقفة تقهقه فيذهب صوتها كصرخات مفزعة فى شعاب الجبال وبطون الوديان وأغوار الكهوف ...

ثم يسمع لقهقهتها صدى بعيد من حناجر الشباب الهاتفين : إلى الحرب . . .

إلى الفطام من الحب ونعيم السلم وقرار الأمن ...

إلى الثأر من الذين قتلوا الآباء واستحلوا الحرمات ...

ثم تدور الرحى على أمواج الرمال وضفاف بحار السراب والآل فيلتق رجل برجل « تحيةُ بينهم ضربٌ وجيع »

ثم ترقص الحرب عارية حمراء ، تنوس على الآفاق ذوائبها السود وغدائرها التى نسجت من ريح السموم ... !

* * *

وتحولت الأمة العربية تحت سحر هذه الغول إلى أمة من الأحطاب ... لا تتوهج عناصرها وتظهر عبقرياتها الكامنة إلا إذا مستها النار برهة تستحيل بعدها إلى رماد وهباء منثور تذروه الرياح على وجه الصحراء أرض الفناء والصمت الذى لا يخرقه إلا صرخات هذا الإنسان الضائع الفريد ...

أما النمو والإيراق والإزهار والإثمار فتلك أدوار لم يكن لشجرة الأمة العربية منها نصيب كبير ... وأنى للأخشاب والأحطاب أن تثمر وأن يكون فيها مناطق نمو ؟ لقد أوشك الجفاف المادى والمنوى أن يميت جذور هذه الشجرة العظيمة العريقة فاحتبس عنها فيض السماء وسيْح الأرض مدة جعلت لبابها يوشك أن يموت ويقسو كالأحجار أو يكون أشد قسوة

ولكن الله رب الطبيعة وموزع إنسانها وحيوانها ونباتها على بقاعها بقدر موزون ، ومخرج الحى من الميت ومفجر العيون الثرّارة من قسوة الحجارة ... كان يصنع هذه الأمة هكذا تحت عوامل الحرمان والقسوة والجفاف والجهالة ليصنع منها معجزته الأخيرة ويخرجها لجأة على إنسانية الشرق والغرب الناعمة المتملة الغنية بموارد الخصب والمال وأفانين الحكمة والجمال كما يخرج الفجر الصادق الوضاح من ظلمة الليل البهيم ... ليعلم الإنسان أن عقله وقلبه فى قبضة الذى « الأرضُ جميعاً قبضَتُهُ والسموات مطويات بيمينه ... » الذى يجلو بياض النهار وينسخ سواد الليل ويحيى الأرض بعد موتها ويحول بين المرء وقلبه ... الذى وضع قوانين الطبيعة وإن شاء خرقها : فهو لا يخضع لها كما يخضع أبناء العجز والفناء ...

فقال للفجر الصادق فى حياة الإنسانية : ابزغ من هنا ... من أفق هذه العقول المحرومة من هدى النبوات وإرشاد العلوم، واسطع من هذه السماء التى لا ينظر إليها أحد من عبّاد دنيا الروم وفارس والمفتونين بعلوم اليونان ... وأشرق من أرض الأوثان على المعابد والهياكل والبيَع والصوامع «لئلا يعلمَ أهلُ الكتاب ألاّ يقدرون على شىء من فضل الله وأن الفضلَ بيد الله يؤتيه من يشاء »

وقال للنهر الدافق خصب العقول البشرية : تفجر من هنا . من هذه الرمال الظامئة والجبال الكزّة القاسية، من غير نطفة دافقة

غضبة إسلامية

للأستاذ عبد الله عفيفي بك



استهل عام اثنين وستين وثلثمائة والدولة الإسلامية ببغداد تعانى جرحاً أليماً أصابها فى الصميم، فقد اقتحم الروم بلاد الجزيرة وأمعنوا فيها، ودخلوا نصيبين واستباحوا وقتلوا وسبوا أهلها إلا من نجا بنفسه وهم عدد قليل

وجاء الناجون إلى بغداد ودخلوا المساجد وكسروا المنابر ومنعوا الخطباء ووقف رجالهم ونساؤهم وأطفالهم يخطبون الناس.

وهل هنالك أخطب من امرأة تقص على الناس مأساة ابنتها العذراء، أو طفل يحدثهم عن مذبحة إخوته الصغار؟

هنالك ثار المسلمون ومادت بغداد بثورتهم حتى أصبحت أرضها وسماؤها وجوها ونهرها وجبلها رجوماً من النار

وكان عز الدولة بن بويه القائم بالأمر فى خلافة المطيع لله غائباً بالكوفة، فذهب إليه وفد من علماء المسلمين ووصفوا له الخطب الفادح والثورة الجائحة، وأن ليس للمسلمين طريق إلا أن ينتقموا أو يموتوا، وعادوا وعاد معهم عز الدولة، ونادى بالنفير فى الناس ...

هنالك ثارت الجماهير، وتألبت العامة، وخرج كل رجل عما يملك، وخرجت كل امرأة عما تملك، حتى عن أولادها فتياناً وصبياناً، وكل من يغنى غناء قل أو كثر فى سبيل الله

ونزل الخليفة عن ماله كله، وأثاث بيته كله، ثم جمع ثيابه وباعها، وهدم داره وباع أنقاضها، وقدم الحديد العاصم لها ليستعين به المجاهدون فى الله

وسار الجيش كالسيل المندفع، أو كالعاصفة الثائرة، وأقوى أسلحته الغضبة الحامية لما أصاب المسلمين من ذل وهوان؛ وغضبة المسلم لله هى شعلة الإيمان فى صدره وقوة الله فى يده

ورحم لاقفة واعية، وأَفِضْ فيضك وأرسل سَيْحك على المواضع المعفنة والبؤر الفاسدة التى اطمأن فيها الشيطان وعشش، ثم باض وفرخ ... واغسلها؛ فإن استعصت على التطهير فليجرفها عبابك وليحدر بها سيلك مع القش والغُثاء والزبد الذى يذهب جفاء

« هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفى ضلال مبين! »

وقال للوحدة القومية بل للوحدة الإنسانية الجامعة: استعملنى من هذه الأرحام المقطعة والعرى المنفصمة، واقتلى « الغول » واجمى الفلول ... « ... وألفَ بين قلوبهم. لو أنفقتَ ما فى الأرض جميعاً ما ألفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم »

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

فإذا أمة من الرهبان الفرسان يحملون المصحف والسيف لرسم الطريق وحماية السائرين فيه. يأخذون الدين بكاء وخشوعاً بالقلوب فى المحاريب، ودفاعاً نبيلاً فى الميادين، وعملاً صالحاً مثمراً فى الأسواق والمعاهد والحقول والمصانع والجيوش ...

وإذا دولة يحكمها سائسون قديسون! ليس فيهم خيلاء الحكام ومطامعهم وغطرستهم، وخداع الساسة وختلهم ونفاقهم، إذ كانوا يفقهون أن الحاكم خادم، والأمير أجير، والسياسة نصح وتربية وإرشاد، لا تجارة واحتراف وذبذبة مع اتجاه رياح المطامع، وخطب جوفاء، ووعود خلابة، وأمانىّ براقة كالتى يلقيها ساسة هذا الزمان على آذان الإنسانية الشقية ليحشدوها بها فى مواكب مجدهم الشخصى الكاذب وخيلائهم العاهرة ...!

عبد المنعم خلاف

وكان الروم قد أقاموا مقالع الصخر ومجانيق الحديد ومقاذف اللهب على أسوار نصيبين ؛ فلما جاء المسلمون قذفهم الروم بذلك كله فلم يبالوا بشيء منه . وما أسرع ما أحاطوا بالعدو وأوقعوا به وقعة قد لا يكون لها نظير في التاريخ . وأسروا أمير الجيوش وقواده وبطارقته والسفاحين من رجاله وساقوهم إلى بغداد ليقضى فيهم أمير المؤمنين بقضاء الله المنتقم الجبار

***

وبعد ثلاث سنوات حشد الروم قوى هائلة ولم يهاجموا هذا الحصن من حصون الإسلام بل هاجموا الحصن الثانى وهو الدولة الفاطمية واقتحموا حلب وحمص وحماة وفعلوا بها مثل ما فعلوا من قبل بنصيبين

وهنا يظهر الروح الإسلامى النبيل

فقد كتب عز الدولة إلى العزيز بالله الخليفة الفاطمى يقدم له ولاءه وولاء الخليفة العباسى ليشترك المسلمون في مصر وبغداد على دفع العدو المشترك ، فتقبل العزيز هذا الود الإسلامى بأحسن القبول وقال إن الجيش المصرى سيحمل هذه المرة العبء كله

وسار الجيش الفاطمى يحمل الراية الإسلامية من نصر إلى نصر ، حتى دفعوا العدو أمامهم دفعاً وراء الحدود ، ثم وقف الفريقان متحاجزين يحجزهما نهر يسمى « نهر المقلوب » ولكن الجيش الإسلامى آلى على نفسه أن يضرب العدو فى عقر داره ، حتى يقلم أظفاره عن الغدر بالمسلمين ، فكيف وليس على النهر جسر ، وليس فيه مخاضة ؟ هنالك تظهر القوة الإسلامية التى لا تخاف الموت ، فقد خلعت إحدى الفرق الإسلامية ثيابها الظاهرة ، وتقدمت فى النهر سابحة ، وبينما هى تسبح كانت تضرب العدو بالنشاب ! ! وكان العدو يضربها كذلك بكل ما ملكت يداه

وبعد جهاد محار من هوله العقول بلغت الفرقة الشاطئ وتبعها الجيش كله وضربوا العدو ضربة مزقته أشنع تمزيق . ولو طال عمر العزيز بالله أياماً لسار هذا الجيش يحمل رسالة الله إلى آخر مداه

***

أيها المسلمون فى بغداد وفى مصر ! بل أيها المسلمون فى بقاع الأرض جميعاً :

بعد عامين اثنين ينقضى على موقعة نصيبين التى باع فيها الخليفة ثيابه ونزع الحديد من أنقاض بيته ألف عام

وبعد خمسة أعوام ينقضى على موقعة حلب التى ضرب فيها المسلمون عدوهم وهم مندفعون سابحين فى النهر ألف عام

وبعد خمسة أعوام ينقضى على الوحدة المقدسة التى انعقدت بين المسلمين فى مصر وبغداد ألف عام

فهل تتأهبون لإقامة الأعياد الألفية لهذه الأحداث الجسام؟ وليست الأعياد زينات تمر ولا أعلاماً تقام ، ولكن الأعياد الشاملة عرض للقوة ، وتوثيق للوحدة ، وإبرام للعهد ، وإذكاء للعزيمة ، وإعزاز للاسلام

فهل أنتم مستعدون ؟

عبد الله عفيفى

كتيبة الإسلام

للأستاذ محمد سعيد العريان



مضى الركبُ على وجهه يطأ الحزُونةَ ويجوبُ الصخر فى المفازة الجرداء، لا يتكاءده سهل ولا جبلٌ، فما هو إلا أن انتهى إلى « ثنيّة المرار » من أسفل مكة، حتى حطّ رحاله ووقف ينتظر ما يكون من أمره وأمر قريش ...

أربعَ عشرةَ مائة من أصحاب محمد عليهم الدروع والحلق، وفى أيديهم سيوف طالما رويت من دماء المشركين علاً بعد نهل؛ لو شاءوا لدخلوا « مكة » دخول الفاتح لا يقف دون غايته شىء ولا يثبت له بطل؛ ولكن محمداً وأصحاب محمد لم يَسِموا مَسامهم ذلك لحرب يَحُشُّون نارها فى الشهر الحرام فى البلد الحرام؛ وإنما جاءوا معتمرين حاجّين يدعون دعوة السلام فى دار الأمن والسلام ...

أفترى قريشاً وقد أخرجت محمداً وأصحابه بليلٍ منذ ست سنين فأجلتهم عن ديارهم وأموالهم عَنوة، تأذن لهم اليوم أن يدخلوا البلد الحرام فى عدّة وعَدد ليستعلوا ويطوفوا ويدعوا دعوتهم بين سمع العرب وبصرها؟ ...

وكتّبت قريش كتائبها وأجمعت أمرَها على أمر؛ وخرج بنو عبد مناف وأحلافهم فى جلود النمور، معهم النساء والولدان، يقفون لمحمد على الطريق معاهدين ألا يدخلها عليهم عنوة أبداً!

ونظر محمد إلى أصحابه عليهم الدروع والحلق، وأيديهم على مقابض سيوفهم يريدون أن يقابلوا عدواناً بعدوان؛ ثم ارتد نظره إلى قومه الذين فارقهم وفارقوه، قد اجتمعت جماعتهم هناك تترقرق دماؤهم بين اللحى والترائب؛ ثم هتف محزوناً أسوان: « يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب! فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة! »

* * *

هنا جيش وهناك جيش، والرسل ما تزال ساعية ذهاباً وجيئة تحاول (الهدنة) بين المعسكرين المتعادين، حفاظاً على حرمات الشهر والبلد؛ وهدأت فورة الدم حيناً ريثما ينتهى أمر المتفاوضين إلى أمر؛ ولكن هناك، فى مكة، على مسيرة ساعة أو بعض ساعة، كان بضع عشرات من المسلمين بعض الحديد على أرجلهم، ويعانون ذلّ الأسر فى ظلمات فوقها ظلمات؛ أولئك جماعة من المستضعفين قد تقطعت بهم الوسائل، فلم يهاجروا فيمن هاجر من المسلمين إلى المدينة، وضَرَبَ عليهم أهلهم ومواليهم بسور ليس له باب، يجرعونهم الذل ويسومونهم سوء العذاب ليفتنوهم عن دينهم؛ ولكنهم صُبُرٌ على الضراء، مؤمنين بأن يوماً قريباً يوشك أن ينطلقوا فيه من إسارهم إلى حيث يعبدون الله جهرة، ويتملون وجه محمد وأصحاب محمد ...

متى الميعاد ... ؟

كذلك راح كل واحد من هؤلاء الأسارى يسأل نفسه؛ فما هو إلا أن جاءهم النبأ بأن محمداً وأصحابه قد بلغوا ثنية المرار من أرض الحديبية، حتى راح كل منهم يأمل أملاً ويتمنى أمنية، ومضى يُعد عدّته لأمر؛ أليس جيش محمد يوشك أن يدخل مكة فاتحاً منصوراً لا يقف له شىء؛ فما بقاؤهم فى الذل والإسار بعد؟

* * *

... وانتهى المعسكران إلى شروط الهدنة الموقوتة، وراح محمد يملى على كاتبه:

« هذا ما صالحَ عليه محمدُ بن عبد الله سهيلَ بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض؛ على أنه من أتى محمداً من قريش

بغير إذن وليه رَده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ... ! »

ووثب عمر بن الخطاب كالملسوع يقول : عَلامَ نعطى الدنيَّةَ فى ديننا ؟

قال محمد : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى ... !

ومضى الكاتب يكتب ... ولاح شبح من بعيد يتقارب ، تُجاذبه أثقالُ الحديد فى رجليه ؛ وطلع فتى أشعثُ أغبر على وجهه قترة وفى عينيه ذبول ، فما هو إلا أن لاح له مجلس محمد وأصحابه حتى ترامى عليه وهو يهتف : الحمد لله الذى آمننى بك يا رسول الله من ذل الإسار وعَسف الكَفَرة !

ذلك « أبو جندل » بن سهيل بن عمرو ، قد فر من أسر المشركين إلى رسول الله يستعينه على الخلاص ...

وصمت محمد ، وغمغم أصحابه بكلام ؛ ونظر إليه أبوه سهيل ابن عمرو وقال وفى لهجته شماتة وسخر : هيهات أن يُؤمِنَك محمد بعد ! ...

وعاد الفتى إلى محبسه وبين جنبيه همٌّ يضيق به !

***

وكان ثمة رجل آخر يتربص ، ذلك « أبو بصير » بن أسيد ابن جارية ؛ إن الحديد ليعض على رجليه فى محبس بنى زهرة بمكة منذ سنوات ؛ فتى يحين له الخلاص بنفسه ودينه ؟

وجاءه ما كان من أمر «أبى جندل» وما حكم فيه رسول الله ، ولكنه لم يجزع

وآب النبى فى صحابته إلى المدينة وإن قلوبهم لتفور بالحقد والحفيظة ، فلولا أن رسول الله نهاهم لما انتهوا عما أرادوا ؛ وتوزعتهم خواطر وهموم ، وثقل عليهم ما يلقى إخوانهم هناك ، ولكنهم طائعون لأمر الله ورسوله !

... ووجد أبو بصير سهوة من حراسه فحطم أغلاله ومضى ، وتقاذفته الفلوات وحيداً بلا زاد ولا راحلة ، حتى بلغ يثرب ، وإنه ليعلم ما هناك ...

وجدَّ الطلب فى أثره ، فما أدركه قومه إلا وهو فى أمان محمد ، وما كان أمان محمد ليغنى عنه وذلك العهدُ بين محمد وقريش قائم ، ولكن أبا بصير قد أعد عُدته لأمر ... ...

وجاء رسولا بنى زهرة يذكّران محمداً العهدَ القائم ويطلبان إليه أن يرد أبا بصير إلى قومه ؛ وما كان لمحمد أن يغدر بما عاهد عليه القوم ...

... وطأطأ أبو بصير رأسه وعاد مع الرسولين أدراجه وعيون المسلمين تشيعه بالدمع ، وإن قلوبهم لتفيض بالألم والحسرة ؛ ولكن أبا بصير لم يلبث أن عاد إلى المدينة وحيداً وعلى ظُبة سيفه دمٌ يسيل ! ...

وماذا على محمد بعدُ وقد وفّى بما عاهد عليه القومَ فرد إليهم رجلهم ثم اختار الرجل لنفسه ؟

حرٌّ انتصر فلا جناح عليه !

وافتر ثغر النبى عن ابتسامة وهو يقول : « ويلُ أُمِّه مِسعَرَ حرب لو كان معه رجال ! »

وسمعها أبو بصير فوعاها ، ثم ودع صحابته ومضى لأمره وما تزال يده على قائم السيف ...

***

وعلى سِيف البحر من ذى المروة ، كمَنَ أبو بصير كونَ القدَر يتربّص لكل رائحة وغادية

« ويلُ أُمه مِسعَرَ حرب لو كان معه رجال ! »

كلمة تجاوبتْ بها نسائمُ القفر بين مكة ويثرب ، فإذا صداها يتردد بين جدران المعاقل والسجون حيث يرسف المستضعفون من المسلمين تحت حكم قريش ؛ فلقفتها آذانٌ ووعتها قلوب ...

« بلى ، إن معه لرجالاً لا يريدون شيئاً إلا كان ! »

ذلك كان رجعُ الصدَى !

وفى ظلال صخور الحرة من ذى المروة على سيف البحر ، كانت جموع تتجمع ؛ وكما تجتمع الظلال ثم تفترق فتراها العيون ولا تلمسها الأيدى ، كان أبو بصير وصحابته ؛ وانطلق السجناء من محابسهم يدّرعون الظلماء من كل حَدَب ليجتمعوا بذى المروة ؛ وركز أبو بصير رايته فى الوادى الأفيَح يستظل بها بضعُ عشرات مرابطين على طريق قريش لكل غادية ورائحة ؛ وانثال عليه المددُ ، فإذا العشرات بضعُ مئين ؛ وعسكرتْ « كتيبة

درس فى التصوف

للأستاذ زكى نجيب محمود



— مالى أراك يا بنى مُزْوَرّاً عن الدرس نافراً ؟

— أخشى ، يا أبتاه ، أن يثقل على سمعى فيثقل ذلك على نفسك ، فما لشبابى الغض وهو فى شرخه وعنفوانه ولهذه النظرة اليائسة العابسة ، وهى نظرة المدبرين العاجزين ؟

— انظر يا بنى إلى هذا الفضاء الطليق ، وأرسل بصرك فى أرجاء الكون الفسيح ... أوَ ينقص من عنفوان شبابك يا بنىّ أن تكون هذا السيل الدافق وذلك الطود الشامخ ؟ هل يحد من شبابك يا بنى أن تكون هذا البركان الفوار وذلك الخضم المنيف الجبار ؟ هل يضيرك يا بنى أن تكون هذه الزهرة فى رقتها وجمالها وهذا الليث الكاسر فى جده وصرامته ؟

— ومالى ولهؤلاء يا أبتاه ، وأنا إنسان ، وهى من الجماد والنبات والحيوان ؟

— أنت يا بنى كل هؤلاء ؛ وهؤلاء كلها أنت ... أنت الكون العظيم بكل مافيه من قوة وفتوة وجلال وجمال ...

— ولكنى يا أبت أرانى فرداً واحداً محدوداً ، فها هى ذى حدودى أراها بعينى وأحسها بأصابعى

— ذلك يا بنى عند النظر الضيق السقيم ، أو إن شئت فقل هذه لغة العيون والأيدى ، ثم هى كذلك لغة العقل وحده ، وهذه كلها أدوات لم يخلقها الله إلا لتفهم المادة المحدودة بالموازين والمكاييل ...

— فإن لم أركَن يا أبت إلى حواسى وعقلى ، فإلى أى شىء أركن فى فهم الوجود ؟

— إلى فطرة عليا يا بنى ، هى فوق العقل والحواس ... اركن يا بنى إلى البصيرة لا البصر ، فالبصر خادع خادع خادع ، فهو تارة لا يريك الموجود ، وهو طوراً يريك غير الموجود ...

الإيمان » على الطريق يحمى الحى ويمنع الجار ، وكان على الميمنة « أبو جندل » وعلى الميسرة « أبو بصير » ؛ وكانت قريشُ الكافرة تزوّدها وتَميرها بكل قافلة تغدو وتروح ! ... وانقطع طريق الرائح والغادى على مكة إلا من أراد أن يُطَلّ دمُه !

***

... وتسامع الناس بما هنالك ، ففزعوا وراحوا يداولون الرأى ...

وسعى ساعى قريش إلى محمد فى المدينة : يا محمد ، نسألك بالرحم إلا ما آويتهم ، فلا حاجة لنا بهم بعد !

وابتسم محمد ، ثم دعا كاتبه ليكتب إلى أبى بصير يدعوه إلى الأمن والدعة ...

ومضى الرسول بكتاب محمد يغذ السير إلى ذى المروة ليدفع كتاب محمد إلى أبى بصير يدعوه إلى الأمن والدعة ، بعد جهاد العمر ومشقة الحياة ؛ فما بلغ الرسولُ حتى كان أبو بصير سطيحاً بين اثنين من صحابته وهو ينشد فى صوت يختلج :

الحمدُ لله العلىّ الأكبرْ   من ينصر الله فسوف يُنصرْ !

ودفع الرسول إليه الكتاب ، فتناوله ونظر فيه نظرة ثم أغفى ، وكانت إغفاءةَ الأبد !

وسكنت الريح ، وخفت الصوت ، وتجاوب بين الصخور الصم صدى هاتف :

« اللهم قد بلغتَ ! اللهم إلى أمنك ودَعتك ! »

محمد سعيد العريان

إن الوجود يا ولدى كائن واحد ضخم . وهذه الاشياء منه جذوع وفروع وأطراف ؛ وهذا الوجود الواحد هو أنت ، وأنت هو هذا الوجود ...

— كيف لى أن أفهم هذا القول يا أبت ؟

— إيتنى بثمرة من تلك الشجرة ، فسأحدثك بلغة تفهمها

— ها هى ذى

— ماذا ترى فى جوفها ؟

— أرى فى جوفها بذوراً صغيرة

— اقطع بذرة منها نصفين

— هأنذا ، يا أبت ، قد فعلت

— ماذا ترى فيها ؟

— لا أرى شيئاً

— إن الجوهر الدقيق الذى عجزت عيناك أن تراه قد نبتت منه هذه الشجرة الباسقة . فصدقنى إن زعمت لك أن من مثل هذا الجوهر الدقيق جاء الوجود ، وهـذا الجوهر الذى لا تراه هو الحق الموجود ، هو الروح الشامل لأطراف الوجود ، هو أنت !

— . . . . . .

— تعالَ يا بنى فضع هذه القطعة من الملح فى الماء ، ثم أذبه

— لقد فعلت

— إيت لى بالملح الذى وضعته فى المـاء

— لست أراه يا أبت ...

— ولـكن ذلك الماء كيف مذاقه ؟

— إنه ملح !

— دع المـاء جانباً واقترب منى ... إن الملح الذى لا تراه موجود ؛ وهكذا نعجز أن نرى الوجود الحق فى دخيلة أجسامنا ، ولـكنه موجود ، ومن وجود هذا الجوهر الدقيق جاء الوجود . إنه الحق ، إنه الروح ، إنه أنت

فهذا الرباط الخفى الذى يصلنا بأجزاء الوجود فيجعل منا كائناً واحداً ، قد لا تبصره العيون ، ولا تحسه الأيدى ، ولكنه مع ذلك موجود . وذلك يابنى أول ما أريد أن أعلمك إياه : الوجود كله حقيقة واحدة لا فرق بين إنسان عارف وكون معروف ؛ فإن زعمت أنك شىء والوجود شىء آخر، فأنت فى نغمة العالم « نشاز » بغيض ... والتطبيق العملى على هذه الخطوة الأولى هو أن تحطم من ذهنك كل ما يميز إنساناً من إنسان ، حطم هذه الفواصل التى تباعد بين الغنى والفقير ، حطم هذه الفواصل التى تفرق بين القرشى والحبشى ، حطم هـذه الفواصل التى تفاضل بين سامى وآرى ... فالإنسانية كلها عند الصوفى رجل واحد

أستغفرالله، بل حطم هذه الحواجز بين الإنسان وأبناء عمومته وخؤولته من بنى الحيوان ، فليس عبثاً أن حرم الله قتل الحيوان آناً من الزمان ، فالحياة كلها عند الصوفى آية واحدة ...

أستغفر الله ، بل حطم هذه الحدود التى تجعل من النبات كائناً ومن الحيوان كائناً ؛ ثم ماذا ؟ ثم امح يا بنى ما أقامه العقل المتكلف بين الحى والجامد من سدود ... فإن الوجود بأسره عند الصوفى كائن واحد

* * *

إن أس البلاء يا بنى هى هذه الحواس التى تجزىء لنا الوجود قطعاً قطعاً فنحسب الوجود أشتاتاً وما هو بأشتات ...

— وكيف السبيل إلى النجاة يا أبت ؟

— عليك بثلاثة أمور : أولها الصلاة وثانيها الصلاة وثالثها الصلاة ... عليك بالصلاة يا بنى ، فهي فترات أراد لنا الله فيها أن نخلص من جزئيات الوجود ، لنتصل بالواحد القيوم خمس مرات كل يوم . ألست ترى كيف يحاول الماثل بين يدى ربه أن يغلق حواسه فلا يبصر مما حوله شيئاً ولا يسمع شيئاً ؟ ذلك لئلا تعطل حواسُّه الفكرَ عن الوصل المنشود ..، ألا ترى إلى المساجد كيف تزداد روعة على روعة ، ورهبة على رهبة ، حين يخفت ضـوؤها ويهمس صوتها ، وحين لا تكون فيها الحركة إلا فى بطء وتثاقل ... ؟ ولم ذاك ؟ ليساعد الفكر على التركز فى الغرض المقصود ، والحد من عوائق الحواس ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً : فلا نور يبهر البصر ، ولا صـوت يملأ السمع ، ولا حركة تثير الأعصاب ... عندئذ يتحقق ما أجراه أفلاطون فى محاورة فيدون على لسان سقراط :

« ... يكون الفكر على أتمه حين ينحصر العقل فى حدوده

نفسه ، فلا يعكر صفوه أصوات فى السمع ولا رؤية فى البصر ، ثم لا يعكره شعور بألم أو شعور بلذة ... يكون الفكر على أتمه حين تنحصر روابطه بالجسم فى أضيق دائرة ممكنة ، فلا إحساس فى الجسم ، ولا وعى فى الشعور ... عندئذ يطمح الفكر أن يصل إلى الكائن الأسمى »

وتلك هى الفكرة الثانية التى أريد أن أعلمك إياها يا بنى هذا المساء : فارتفع عن صغائر الأشياء ما استطعت إلى الترفع عنها سبيلاً ... إن هذه الأجزاء أشباح زوائل ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ...

* * *

— يا لهـول ما تريد منى يا أبتاه ! إن لحمة الحياة وسداها هى هذه الأجزاء التى تدركها الحواس ، فإن حكمت لى على الحواس بالطمس ، وعلى هذه الأجزاء بالبطلان ، ففيم عساى أن أجاهد فى حياتى ، ولطالما علمتنى أن الحياة جهاد ! ؟

— لقد أخطأت يا ولدى ، فإنما أردت لك أن تهمل أحداث الحياة الصغرى لتتعلق نفسك بمعانيها الكبرى ، وفى هذا فليجاهد المجاهدون ... إنما أردت لك أن تهمل القشور لتصُبَّ من اللباب ... فاهجر ما تغريك به الحواس ، ليتسنى لك أن تقبل على الحياة إقبال الجرىء الباسل الذى لم تعد تهزمه المخاوف الصغرى والأخطار التوافه !

إن النبى عليه الصلاة والسلام حين قال : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته ... إنه حين قال ذلك كان المتصوف الأكبر الذى أهمل صغائر الحياة ولذائذ الحس لينصرف إلى أداء الرسالة الكبرى مهما لقى فى سبيل أدائها من عناء

وتلك هى الفكرة الثالثة التى أردت أن أهديك بها اليوم : اترك جانباً من الحياة لتمعن فى جانب . انفض عن كاهلك غبار الدنيا من ناحية لتقبل عليها نقياً نقياً من ناحية أخرى ...

إن التصوف يريدك أن تقف من دنياك موقفاً وسطاً بين الإهمال والإقبال ، فإن أنت أهملت الحياة كأنك لست منها ، فلست بالمتصوف الحق ، وإن أنت أقبلت على الدنيا كأنها عندك كل شىء فلست بالمتصوف الحق ... إن شغلت منصباً من مناصب الدولة الملحوظة ، فأهملته ولم تأبه لشىء مما يتصل به ، فلست بمنصبك جديراً ، وإن شغلك المنصب بحيث تندك قوائم نفسك لو أفلت منك ، فلست كذلك بالمنصب جديراً . فالرجل الحق هو الذى يبذل وسعه مجاهداً يريد النجاح ولا يخور للفشل ... إن التصوف الصحيح ليريدك على أن تنغمس فى العالم بقدر وتنسحب منه بقدر ، بهذا تكون سيد نفسك ، ولا تصبح ألعوبة لاعب فى أيدى القدر ...

* * *

ولتعلم يا بنى أخيراً أن العالم الحق لا يكون كذلك إلا إن كان متصوفاً ، فهل رأيت عالماً لا يُفنى نفسه إفناء فى سبيل علمه ؟ هل رأيت عالماً لا يضحى بشواغل الحياة الصغرى ليصل فى بحثه إلى الحقيقة الكبرى ؟ هل رأيت عالماً صحيحاً يميل مع هواه فيثبت حقيقة تعجبه ويحذف حقيقة تؤذيه ؟ ثم ماذا ؟ ثم هل رأيت عالماً لا يحب موضوعه إلى درجة الفتنة والجنون ؟ وما موضوعه ؟ هو الوجود أو ناحية من نواحيه !

— لو كان التصوف يا أبت هو أن أؤاخى بين أجزاء الوجود فأنا أول المتصوفين ، ولو كان التصوف يا أبتاه يدعو إلى إهمال الأجزاء الحسية الصغرى لينعقد الفكر على مهمة كبرى فأنا أول المتصوفين ، ولو كان التصوف معناه الجهاد المخلص فى سبيل الحق فأنا أول المتصوفين

زكى نجيب محمود

فى الغار

للأستاذ محمود غنيم



« ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن . إن الله معنا »
(قرآن كريم)

مَنْ ذلك السارى على وَجْنائِه ... يطوى الدُّجى ويَخُبُّ فى أحشائِه
فى قِلَّةٍ من صحبه ، لكنه ... فى فيلق من عزمه ومَضائه
ما ضرَّه حَلَكُ الظلام وقلبُه ... يتألق الإيمانُ فى أرجائه
الصبر والتسليم حَشْوُ إهابه ... والهمّ والتصميمُ مِلءُ ردائه
ينسابُ فى آثاره أعداؤه ... وحمامةٌ تنجيه من أعدائه
لو يُحسِنُ الترحيبَ طيرٌ أعجمٌ ... هشَّ الحمامُ مرحِّباً بلقائه
أخفاه نسجُ العنكبوتِ ولم تكن ... أُسْدُ الشرَى تقوى على إخفائه
جاء النفيرُ بخيله وبرَجْلِه ... تتزلزلُ الصحراء من ضوضائه
نفرت وحوشُ الغاب خشية بأسه ... ومحمدٌ كالطَّود فى إرسائه
ما طوَّفت أشباحهم بخياله ... إلا طوافَ الحُلْم فى إغفائه
ضاق الفضاء بهم وصدرُ محمدٍ ... ماضاق فى اللأواء رَحْبُ فضائه
كهفٌ كَكِفَّةِ حابل فى طيِّه ... صدر يتيه الظنُّ فى بيدائه
نزلت عليه سكينةٌ من ربِّه ... ففؤاده مستسلم لقضائه
ما همُّهُ نفسٌ يريد نجاتها ... بل مذهبٌ يسعى إلى إعلائه
غرماؤه شدوا إليه رحالهم ... واللهُ كان أشدَّ من غرمائه
ضلُّوا فلم تأخذه أعيُنهم ولم ... تمتدَّ أيديهم إلى إيذائه
وكذلك شاء الله نصرةَ عبده ... وارتدَّ شانئُهُ بوجهِ شانه
ما كان أوفى صاحبين كلاهما ... يَفدِي أخاه مرحِّباً بفدائه
سَهْلٌ عليه أن تسيلَ دماؤه ... ويفوزَ صاحبُه بحقن دمائه
غار يضلُّ النجمُ فى دَيجوره ... لا فرق بين صباحه ومسائه
لا يأمنان النابَ من ثعبانه ... أو يأمنان الذيلَ من رَقطائه
لا أرضُه الجدباء مُثمرة ولا ... فى صخره نَبْعٌ يجود بمائه
قضيا النهار على الطوى فى جوفه ... وتقلَّبا ليلاً على حصبائه

***

قم سائل الصِّدِّيقَ ماذا صدَّه ... عن ماله وثناه عن أبنائه ؟
وعَلامَ يضربُ فى المهامه هائماً ... فى سيره كابن السبيل التائه ؟
ما بين ليلٍ حالكِ الأسحار أو ... مُستقبَل كالليل فى ظلمائه
ما بين شدة رُعبه ويقينه ... ينْبَتُّ أو يمتدُّ حبلُ رجائه
لم يخش إلا أن يُصابَ محمدٌ ... بأذى فيفنى دينُه بفنائه
عجبى على الصِّدِّيق ، ماذا يتَّقى ... واللهُ ربُّ العرش من رفقائه ؟
ما أصدقَ ابن أبى قُحافة صحبةً ... لمحمد عند اشتداد بلائه

لِمَ لا يكونُ خليفةً من بعده ... أرأيت كالصدِّيق أو كوفائه؟

***

ما ضرَّ غاراً بات يُئوى المصطفى ... إجدابُ واديه وضيقُ فِنائه

وَدَّت بُروجُ النجم لو آوَينَه ... إذ ذاك أو شاركن فى إيوانه

غارٌ على «الإيوان» جرَّ ذيوله ... عُجُبًا وتاه عليه من غُلَوائه

ما سدُّ ذى القرنين قِيسَ به ولا ... هَرَمُ الكنانة فى علوِّ بنائه

هل كان يدرى الغارُ أن نزيلَه ... سيرجُّ ركنَ الأرض بعد نجائه؟

وَيُزلزل الدنيا بعزم رفيقه ... وثلاثةٍ كالشُّهب من خُلفائه

فإذا رجالُ الروم بعضُ عبيده ... وإذا نساء الفرس بعضُ إمائه

وَإذا بدين محمد يغزو الورى ... غزوَ الكتائب تحت ظلِّ لوائه

وإذا كتابُ محمد متغلغلٌ ... فى الكون والثقلان من قُرّائه

نجمٌ من الصحراء كان بزوغُه ... فإذا الحواضرُ تهتدى بضيائه

اللهُ قدَّر أن يُتمَّ نورَه ... مَن ذا الذى يقوى على إطفائه؟

(مدرسة فؤاد الأول الثانوية) **محمود غنيم**

قبس من نور صاحب الهجرة

أدبنى ربى فأحسن تأديبى

للأستاذ محمود البشبيشي



... وأخذت القوم الحيرة الممزوجة بالإعجاب من سحر ما أبان، وصدق ما أظهر. وزاد من حيرتهم وإعجابهم أنه كان أمياً؛ فتلطف أبو بكر رضى الله عنه وقد أصابه ما أصاب القوم وأخذه ما أخذهم، وهو العالم الخبير بأنساب العرب وأخبارهم، فقال يا رسول الله: لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك؛ فمن أدبك؟ قال: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى)

إنها لكلمة جامعة، مركبة من كلمات قليلة فى منطق اللغة، كثيرة فى منطق العقل، تملك القدرة التى تأسر بها كل الحواس. يخيل إلىّ أن الحروف فيها ليست كالحروف؛ فهى من مادة الروح، وهى من عنصر القلوب، ثم هى بعد ذلك كله من جوهر النور السماوى، ينزل هبةً علوية لخير من يعرف أقدار الهبات.

(أدبنى ربى فأحسن تأديبى)

جماع الحكمة فى ألفاظ حكيمة، ومبعث النور فى ألفاظ من نور، وروض الأخلاق الكريمة فى حروف كريمة، نطق بها أكرم الخلق فزادت فوق سموها سمواً، لأن الرسول الكريم ترنم بها ...

يكاد المرء يلمس رحمة الله فى طياتها تتحرك، ويحس هداية الرحمن خلال كلماتها تتلألأ، وهى من سر الروحانية؛ يخيل إليه أن رقتها سالت فجرت سيلاً من طبيعة الحياة لا التدمير، فهو ينهل من عذبها، ويرى فى ثناياها ألوان الروحانية السماوية تتألق بمعانى الهداية، وتتلألأ بأنوار الحكمة، فهو يتأملها ويكاد البصر يتعلق بها فلا يبرحها

ثم هو يوشك أن يشعر بألفاظها تتحرك من سحر ما فيها، وتحيا فكأنما يلمسها ويراها، وهو لِما يغامر فيها من نُضج الحكمة واكتمال ثمارها يكاد يلتهم أطايبها التهاماً، ثم هو لا يشبع من معانيها. ومن ذا الذى يشبع من أطايب حديث الرسول؟

(أدبنى ربى فأحسن تأديبى)

يا له من اعتراف نبيل من أكرم الخلق بفضل بارىء الخلق! اعتراف سلك فى الحياة مسلك الهداية، وقول نهج للناس منهج

السعادة . نعم أدبه ربُّه فأحسن تأديبه ، فكان المثل العالى فى خلقه ؛ فهو الأمين طفلاً ، وهو الأمين شاباً ، وهو الأمين شيخاً . ائتمنه قومه فكان له فى الطيبات فضل سابغ ، وفى المكرمات مجد سامق . وأئتمنه ربه فاختصه بأعباء الرسالة ، فنهض بها على أكمل الوجوه ، وما اختصه بها إلا وقد طهره من كل غرض ونزهه عن كل دنس . أدبه ربه فكان أميناً ، ومن أمانته تشعَّت أنوار أخلاقه . لقد أدب الرسولَ ربُّه فسمت أخلاقه ، ونبلت صفاته ، فكان أصدق الخلق حيث يقول : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) ؛ لا يقف صدق هذه الكلمة الروحانية على نبل صفات الرسول وأمانته ، وصدقه ، وسُمُو غايته ؛ بل إنها لصادقة فى كل تصرفاته كرجل اجتماعى . ومن ذا الذى جمع دقيق أمره وجليله مثلما جمع ؟ ومن ذا الذى ربط بين أغراضه وأغراض الإنسانية مثلما ربط ؟ ومن ذا الذى قلب الرأى قبل الفصل مثلما قلَّب ؟

من ذا الذى جرى فى أعماله وراء الضمير الطاهر مثلما جرى ؟ أفلم يبعث للعرب ولم تكن تقيدهم غير تيهاء مترامية ، فلم الشمث ، وألف القلوب ، وآخى بين النفوس ، ورأب الصدع ، ووحد الثقافة وناهيك بتوحيد الثقافة فى إنهاض الأمم ! لكم كان الرسول محقاً حين قال : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) فهو مثال المصلح الاجتماعى الذى يعلم أن إدراك الداء هو سر الدواء ، المصلح الذى يخاطب القلوب والعقول ، المصلح الذى يلابس الحياة وما يضطرب فى الحياة ، فتسوقه هذه الملابسة إلى كل مناحى الإصلاح

ولقد كان الرسول كل هذا ، وكان فوق هذا المصلح القوى الكريم الذى لا يغويه السلطان فيبطش ، وما كان منه إلا ما يدل على قوة اليقين ، والترفع عن الأهواء ، والعفو عند المقدرة ، والنفور من الطمع . ألاَ إن هجرة الرسول الكريم لأعظم دليل على إدراكه لروح المجتمع ، وحسن تصرفه كمصلح سماوى ذى رأى سديد ، وفكر صائب . ما هاجر رجل وصاحبه ، وإنما هاجرت فكرة وعقيدة . وما اضطهد رجل وأنصاره وإنما اضطهدت فكرة وعقيدة . وما انتصر رجل ، وإنما انتصرت فكرة وعقيدة

ما هاجر الرسول إلا وقد عقد العزم على العودة ، ولكن بعد أن يستشعر القدرة على رياضة تلك النفوس الجامحة . ما هاجر الرسول إلا بعد أن أدرك أن من العبث نقاش عقول جامحة غلى عليها الغضب ، وران عليها الحقد ، فلا سبيل لتقويم عوجها ، وتثقيف منآدها إلا بعد أن تسكن فيها عوامل الثورة ، وتبرد جمرات التحفز . أدرك الرسول هذا فكان حكيما ، وعلم أن امتداد الزمن بينه وبينهم وابتعاد الشقة — ولو إلى حين — سيفعل فى النفوس الجامحة فعله فتتحرك الضمائر ، وتحيا القلوب . ولقد كان كل هذا ، ودارت السنون ، واجتمع للرسول العدد والعدة ، وفعلت العوامل النفسية فى القوم فعلها ، فرجع فاتحاً منتصراً ؛ ولكنه كان كريم الخلق ، جميل العفو . لقد ضرب للناس بآدابه مثلاً لو أدركوه وساروا فى هديه لمَّ العالمَ السلام ، ولصفَّق فى جوه الإخاء ، ولكن العالم قد فسد تأمله ، ففسدت أغراضه ، وسار أكثره وراء الطمع ، فكان ما كان من جور وطغيان ، واستسلم العالم لحروب تأتى على الأخضر واليابس

وكان الرسول كريم الخلق ، وكان المصلح الاجتماعى البصير ، وكان الخطيب الذى لا يصيبه فى اللمات عِى ، ولا يدركه فى المخوفات بُهْر ، يزن كلامه بميزان الحكمة ، وما كانت آياته السامية إلا صورة لنفسه السامية . كان خطيباً لا يبارى ؛ وكان الشجاع الذى لا يبالى الحالكات

اجتمعت له النجدة والبسالة والشدة ، وكان شهماً فيه صرامة وفيه قوة لا يُطمع فى خداعه ، ولا يُغمز جانبه ؛ وكان عظيم الثقة بنفسه ، وتلك صفة الرجل الذى يعلم أن الله معه وأن الثقة بالنفس من لوازم الرسالات ، حسنت معاشرته واستقامت أغراضه ؛ وكانت له هيبة الروح وسمة الحلم ، وكرم العفو ، ورعاية الرحمن

انظر إليه وقد لقيه على غرة أحد أعدائه ، وشهر السيف على رأسه قائلاً : يا محمد ؛ من يمنعك منى ؟ فقال : (الله) ما أروعها كلمة ! نعم يمنعه الله ، ولقد منعه حقاً ، فسقط السيف من الرجل وأخذه الرسول وقال : ومن يمنعك منى ؟ فقال الرجل وقد أسقط فى يده : كن خير آخذ . فقال الرسول : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . فقال : لا ، غير أنى لا أقاتلك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى الرسول سبيله

وأد البنات عند العرب في الجاهلية

عوامله الصحيحة وموقف الإسلام منه

للدكتور علي عبد الواحد وافي



لم يكن نظام وأد البنات متبعاً عند جميع العرب فى الجاهلية ، بل كان مقصوراً على بعض عشائر من ربيعة ، وكندة ، وطيء ، وتميم . وكانت الطريقة السائدة فى الوأد أن تحفر بجانب الموضع الذى اختير لولادة الأم حفرة عميقة ، فإذا ظهر أن المولود أنثى ، قذف بها حية عقب ولادتها مباشرة فى هذه الحفرة ، وهيل على جسمها التراب ، وبعضهم كان يلجأ إلى وأد بناته فى أمكنة خاصة بعيدة عن المنازل حتى لا يدنسها بجثثهن ورفاتهن . وأشهر مكان كان يجرى فيه الوأد على هذه الطريقة هو جبل أبى دلامة

وقد ظل هذا النظام متبعاً عند العشائر السابق ذكرها حتى قبيل الإسلام ، ثم ألقيت فى نفوس كثير من العرب كراهته ، وانكشفت لهم شروره ، وظهر لهم تنافره مع سنن الطبيعة ونواميس العمران ، فنهض كثير من ساداتهم إلى محاربته والعمل على التخفيف من آثاره ، وكللت جهودهم هذه بالنجاح ، إذ كانت النفوس مهيأة لما يدعون إليه ، فلم يجىء الإسلام حتى كان هذا النظام على وشك الانقراض ، وقد شن الإسلام على البقية الباقية منه حرباً شعواء انتهت بمحوه محواً تاماً ، فلم نسمع بعد وفاة الرسول عليه السلام بأى حادث من هذا النوع ، حتى بين العشائر التى بقيت على دينها القديم

وقد اختلف الباحثون فى العوامل التى حملت العشائر السابق ذكرها على اتباع هذا النظام الوحشى ؛ وانقسموا بهذا الصدد إلى فريقين : فريق يعلله بالفقر ، وآخر يتلمس أسبابه فيما جبل عليه العربى من شدة الحرص على صيانة عرضه ، واتقاء ما عسى أن يصيبه بمكروه

فأما الفريق الأول[1] فيرى أن أسباب هذا النظام ترجع إلى الإملاق وعدم القدرة على تربية الأولاد ؛ وأن التبعة فى هذا تقع على بيئة بلاد العرب وحالتهم الاقتصادية : فإجداب أرضهم وضآلة دخلهم من مهنة الرعى التى كان يزاولها كثير منهم ، واحتكار التجارة فى يد أفراد من سراتهم ، وحياة الشظف التى كانت تعانيها الدهماء ، والمجاعات المتوالية التى كانت تنتابهم ، وكثرة تنقلهم فى طلب الكلأ لأنعامهم ... كل أولئك وما إليه جعل من الصعب على كثير منهم تربية أولاده ، واضطر القبائل السابق ذكرها إلى طريقة الوأد للتخلص من هذا العبء الثقيل . ويرى هـذا الفريق فى قوله تعالى : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ... ما يزيد مذهبه تأييداً

(١) من بين أفراد هذا الفريق الأستاذان روبرسن سميث الأنجليزى ، ووسترمارك الفنلندى R. Smith, Westermarck

---

فهل رأيت أعظم نفساً من هذه النفس الروحانية ؟ وهل رأيت رجلاً يقدر الرجولة ولو فى عدوه هذا التقدير ؟ الرسول الكريم يطلب منه الإيمان فيأبى ، ولكنه يعاهده على السلام فيكون له العفو الجميل . إن فى ذلك لآية رائعة للقدرة حين ترحم . إن فى ذلك لفلسفة عالية لو أدركها العالم لتجمعت أطرافه ، ولرفرفت عليه أجنحة السلام

إنها الحكمة من الرسول الكريم الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه

(المنصورة) محمود البشبيشى

وهذا المذهب لا يتفق فى شىء مع حقائق التاريخ ولا مع المنطق السليم . فمن الثابت أن هـذا النظام لم يكن معمولاً به فى الطبقات الفقيرة وحدها ، بل كان عاماً عند الفقراء والأغنياء فى العشائر التى أخذت به . وقد حدثنا التاريخ عن بعض من وأدوا بناتهم فى العصر الجاهلى ، وذكر من بينهم عدداً كبيراً من سراة القوم وأغنيائهم ، ومنهم عمر بن الخطاب نفسه ... هذا إلى أن فى قصر الوأد فى العشائر السابق ذكرها على البنات دون البنين ، لدليلاً على أن الدافع إليه شىء آخر غير الفقر ؛ إذ لو كان الفقر هو الدافع إليه ، للحق جميع الأولاد بدون تمييز بين الذكور والإناث ... ويزيدنا اقتناعاً بفساد هذا المذهب أنه لم يرد مطلقاً ذكر للفقر فى أى آية من الآيات التى نزلت فى وأد البنات . أما الآيات التى ورد فيها قتـل الأولاد مقروناً بخشية الإملاق ، والتى يزعم أصحاب هذا المذهب أنها تؤيد وجهة نظرهم فهى لا تتحدث عن النظام الذى نحن بصدده ، بل تتحدث عن نظام آخر كان متبعاً عند بعض عشائر العرب ، وهو قتل الأولاد على الإطلاق بدون تمييز بين ذكورهم وإناثهم ، تحت تأثير الفقر وعدم القدرة على تربيتهم

* * *

ويذهب الفريق الآخر من الباحثين إلى أن أسباب هـذا النظام ترجع إلى مبالغة بعض العشائر العربية فى الحرص على صيانة أعراضها واتقاء ما يحتمل أن يصيبها بمكروه . فكان الواحد منهم يخشى ، إن هو أبقى على بنته ، أن تجر عليه وعلى عشيرته عاراً فى المستقبل ، إذا وقعت سبية فى يد الأعداء واستباحوا عرضها أو زلت فى حياتها وقدر لها السقوط . ويروى أنصار هذا المذهب قصة يدعون أن حوادثها كانت السبب الأول فى توجيه العشائر السابقة هذا الاتجاه . وخلاصة هذه القصة أن عظيماً من عظماء العرب يدعى قيس بن عاصم قد سبيت بنته فى غارة شنتها عشيرة معادية على عشيرته ، ثم عقد بين العشيرتين صلح كان من شروطه أن ترد السبايا فى مقابل فدية مالية . غير أن ابنة قيس هذا كانت قد شغفت حباً بمن وقعت فى يده ، فآثرت البقاء عنده ، ولم تقبل الرجوع إلى أبيها وعشيرتها . فآلى أبوها على نفسه ليئـدن كل بنت تولد له ، وسارت عشيرته على سنته ، واقتدى بها بعض العشائر الأخرى

وهذا الرأى لا يقل فساداً عن الرأى الأول . فالقصة التى يستند إليها تبدو عليها علامات الاختلاق وأمارات الأساطير . هذا ، إلى أن ما تقرره يتعارض مع النواميس التى تخضع لهـا الظواهر الاجتماعية فى نشأتها وتطورها . فعهدنا بهذه الظواهر أنها لا تنشأ من حادث فردى ، بل تنبعث من العقـل الجمعى ، وترتكز على اتجاهات المجتمع وعقائده ونظمه العامة . على أن قيساً هذا قد شهد الإسلام ومات حوالى السنة العاشرة بعد الهجرة . فلا يعقـل أن يكون هو الذى قد سن نظام الوأد عقب حادث حدث لبنت كبيرة له . إذ يترتب على ذلك أن نظام الوأد لم يظهر إلا قبيل الإسلام ببضع سنين ؛ مع أنه من الثابت أنه سابق لبعثة الرسول بعهـد طويل ، وأنه كان على وشك الانقراض قبيل الإسلام ؛ وفضلاً عن هذا وذاك ، فإنه لم يرد فى أى آية من الآيات الخاصة بالوأد إشارة ما لسبب من هذا القبيل . ولو كان هذا السبب هو الباعث الحقيقى على الوأد ، لعنى القرآن بإظهاره وتقبيحه وبيان ما ينطوى عليه من سخف وانحراف عن التفكير السليم ...

* * *

وقد رأيت ، بعد أن تبين لى فساد هذين المذهبين ، أن خير طريق للوقوف على أسباب هـذا النظام هو الرجوع إلى الآيات القرآنية التى نزلت بصدده ، وربطها بما يتصل بها ، والتأمل فيما عسى أن تتضمنه من إشارة ظاهرة أو خفية إلى العوامل التى دفعت إليه . وقد هدانى ذلك إلى النظرية التى أعرضها فيما يلى:

كانت طائفة من عشائر العرب تلجأ إلى قتل أولادها تحت تأثير الفقر ورغبة فى التخلص من تـكاليف تربيتهم . وهذه الطائفة ما كانت تفرق بين ذكور الأولاد وإناثهم . وهـذا هو ما تشير إليه الآية الواحدة والثلاثون من سـورة الإسراء : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم

كان خطئاً كبيراً) ، والآية الواحدة والخمسون بعد المائة من سورة الأنعام : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ... الآية)

وغنى عن البيان أن هذا نظام آخر غير النظام الذى نحن بصدد الكلام عنه

وكانت طائفة أخرى من العشائر العربية تئد البنات من أولادها على النحو الذى شرحناه فى صدد هذا المقال . ولم تكن تفعل ذلك خشية الفقر أو العار كما زعم أصحاب المذهبين السابقين ، بل كانت تفعله بدافع دينى بحت . وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن البنات رجس من خلق الشيطان أو من خالق إله غير آلهتهم ؛ وأن مخلوقاً هذا شأنه ينبغى التخلص منه . وأصل عقائدهم هذه أنهم كانوا يقسمون ما تخرجه الأرض وما تنتجه الأنعام قسمين : قسم ينسبونه لآلهتهم (اللات ، العزى ، مناة ... الخ) ويعدونه من خلقها ، وهو قسم طاهر زكي ؛ وقسم ينسبونه لله تعالى[1] ويعدونه من خلقه ، وهو قسم كانوا يعتقدون أنه مدنس بالرجس ، فكانوا يحرمونه على أنفسهم ، أو يرون أن واجبهم الدينى يقتضيهم التخلص منه أو تقديمه قرباناً لآلهتهم ، وما زُين لهم اعتقاده بصدد نتاج الحرث والأنعام زين لهم اعتقاد مثله بصدد نتاج الإنسان ، فقسموا ما يولد للانسان قسمين : قسم طاهر زكى من خلق آلهتهم وهو جنس الذكور ، وقسم من خلق الله وهو نوع الإناث ، وهو قسم مدنس بالرجس كانوا يحرمون بقاءه ويرون أن واجبهم الدينى يقتضيهم التخلص منه[2] ومن أجل ذلك كانوا يتقون ذبحهن ويؤثرون وأدهن عقب ولادتهن مباشرة حتى لا تنتشر دماؤهن فتنتشر معها ما تحمله من نجس ورجس[3] .

بل كان بعضهم يبالغ فى هذا التحرج فيئدهن بعيداً عن المنازل كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ولم يقف أمر اعتقادهم هذا عند حدود العالم الطبيعى : عالم النبات والحيوان والإنسان ، بل جاوزه إلى عالم السماء . فكانوا ينسبون لله تعالى من هذا العالم كل ما يعتقدون أنه من نوع الإناث ، ومن أجل ذلك نسبوا إليه الملائكة لاعتقادهم أنهم من هذا النوع

وإليك جميع الآيات التى عرضت لوأد البنات ، وسيتبين لك من التأمل فيها وربطها بعضها ببعض صحة ما ذهبنا إليه

١ — « ويجعلون لما لا يعلمون (أى لآلهتهم التى لا علم لها لأنها جماد . اﻫ بيضاوى) نصيباً مما رزقناهم (من الزروع والأنعام اﻫ البيضاوى) تالله لتسألن عما كنتم تفترون . ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم (أى لآلهتهم) ما يشتهون (يعنى البنين) وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون » (النحل ٥٦ — ٥٩)

فالآية الأولى تقرر عقائدهم فى نتاج الحرث والأنعام ونسبة بعضه لآلهتهم . والآية الثانية تقرر عقائدهم فى نتاج الإنسان ونسبة جنس الذكور لآلهتهم وجنس الإناث لله . والآية الثالثة تصف ما كان يفعله أحدهم إذ يبشر بالأنثى . وغنى عن البيان أن فى مجىء الآية الثالثة عقب الثانية مباشرة لدليلاً على أن ما كانوا يسلكونه حيال البنات من وأدهن أو إمساكهن على هون كان مترتباً على نسبتهم الإناث إلى الله تعالى ، فبدون هذا التفسير يكون المعنى الذى تقرره الآية الثالثة مجرد استطراد لا تربطه بالحقائق التى تقررها الآيات السابقة أية رابطة منطقية وهذا ينبغى أن ننزه كلام الله عنه

٢ — « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هـذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا (أى لآلهتهم) فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم (عن طريق تقديمه قرباناً لهم مثلاً) ، ساء ما يحكمون . وكذلك زَين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون . قد

---

(١) كان الوثنيون من العرب يعتقدون أن الله تعالى هو إله اليهود لأنهم عرفوه من طريقهم ، وكانوا ينظرون إليه نظرة لا تختلف كثيراً عن نظرة المسلمين إلى الشيطان

(٢) كانت عقيدتهم فى الاناث تشبه من بعض الوجوه ما يعتقده عامتنا فى بعض أولاد يرون أنه قد « سبق فيهم الشيطان » أى اشترك فى تكوينهم .

(٣) يقرر كثير من ديانات الأمم البدائية أن الدم هو أهم موطن للزكاة أو الرجس فى الحيوان

خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله ، افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (سورة الأنعام ١٣٦ — ١٤٠)

فالآية الأولى تقرر ما كانوا يعتقدونه بصدد ما ينتج من الحرث والأنعام وقسمتهم هذا النتاج بين آلهتهم وبين الله تعالى على النحو الذى شرحناه . والآية الثانية تقرر أن قتلهم أولادهم كان مبنياً على نفس الأساس الدينى الذى بنى عليه تقسيمهم السابق ، كما يستفاد ذلك من عطف هذه الآية على ما قبلها ، ومن تصديرها بقوله « وكذلك » ومن نسبة تزيين هذا الفعل إلى الشركاء (وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) ، ومن قوله « ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم » . ويستفاد من الآية الثالثة أن الذين كانوا يقتلون أولادهم على هذه الطريقة هم الذين كانوا يحرمون بعض منتجات الحرث والأنعام ، وأن الباعث لهم على الأمرين عقيدة واحدة ، والمقصود من الأولاد فى هذه الآيات البنات وحدهن ، كما أشار إلى ذلك كثير من المفسرين[1] وكما يدل عليه السياق

٣ — « وجعلوا له من عباده جزءاً (وهو الإناث) إن الإنسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين . وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً (أى بالجنس الذى نسبه لله) ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، أشهدوا خلقهم ؟ ! ستكتب شهادتهم ويسألون » (الزخرف ١٥ — ١٩)

ولست فى حاجة إلى أى تعليق على هذه الآيات ، فهى صريحة فى المعنى الذى قررناه ، وخاصة إذا ربطت بالآيات السابقة

٤ — « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذن قسمة ضيزى ... إن الذين لا يؤمنون

(١) انظر البيضاوى مثلا فى تفسير قوله تعالى : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ... الآية » فقد ذكر ما نصه : « يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم ... »

بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ... الآية » النجم ١٩ — ٢٧)

٥ — ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً محصوراً . أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيما » (الإسراء ٣٩ — ٤٠)

٦ — « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ؟ ! أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ؟ ! ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله ، وإنهم لكاذبون . أصطفى البنات على البنين ؟ ! مالكم كيف تحكمون ؟ ! ... » (الصافات ١٤٩ — ١٥٤)[1]

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) ورد الوأد فى آية أخرى ، ولكنها لم تشر إلى الدافع إليه ، وهى قوله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » (التكوير ٨ ، ٩)

الرنوك في عصر المماليك

للدكتور محمد مصطفى

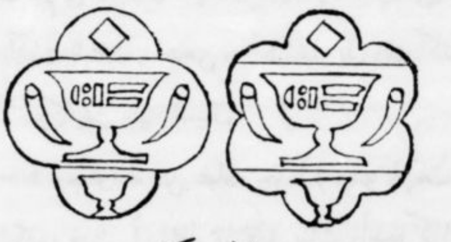


للرنوك شأن عظيم عند الغربيين ، لها سجلات رسمية خاصة بها ، يسجلون فيها شكل الرنك (الشعار) وألوانه والرسوم التى فيه ، مع لقب العائلة التى يحق لها حمله ، وأسماء أفرادها ، وكل ما يتعلق بهم من البيانات عن تواريخ ميلادهم ونشأتهم وحالتهم المدنية مع إضافة علامة جديدة لبعض أفراد العائلة الجدد . وللرنوك عندهم علماء تخصصوا فى البحث فيها ، وفى تتبع رنك كل عائلة واستقصاء أصله وتاريخ نشأة العائلة . وهنالك رنوك أخرى للمدن والبلاد فى أوربا لتمييز جماعات كل بلد أو صناعاتها أو مناخها عن غيرها . وقد حاول بعض هؤلاء العلماء إرجاع أصل الرنوك عند الغربيين إلى الشرق ، وقالوا إنهم اقتبسوا فكرتها أيام اتصالهم بالسلاجقة والأيوبيين والمماليك إبان الحروب الصليبية ، بدليل وجود رنوك سلجوقية وأيوبية ومملوكية مشابهة لرنوكهم على بعض الآثار فى مصر وسوريا وفلسطين



رنوك بسيطة

وبينما نرى أن للرنوك فى أوربا صفة عائلية محضة يتوارثها الابن عن أبيه وجده ، نجد أنها كانت تدل فى عصر المماليك على الوظيفة التى كان يتقلدها حامل الرنك فى البلاط السلطانى . وكان للمماليك فى جيشهم نظام عسكرى لا يحيدون عنه ، فكانوا يعتمدون فيه على الجند من المماليك فقط ، يجددون دائماً بشراء مماليك صغار ، يتولى جلبهم إلى مصر موظف معين لذلك يلقب بتاجر المماليك . وهؤلاء المماليك الجدد كانهم حديثو السن ، يلحقون بمدرسة المماليك بالقلعة حيث يقيدون كمماليك كتابية ، ويتعلمون القراءة والكتابة ، ويدربون على الأعمال والنظم الحربية . فإذا ما تم تعليمهم وتدريبهم ، أعتقهم السلطان ، ووهبهم ما يبدأون به حياتهم الحرة ، وما يتناسب مع تدريبهم الحربى ، أى ملابساً تميزهم عن إخوانهم الأرقاء وأسلحة وخيلاً . وتطلق كلمة مملوك عليهم بعد عتقهم أيضاً ، فكان مؤرخو العرب يستعملون اسم « مملوك » لمن يؤدى أعمالاً داخلة فى النظام العسكرى ، وكلمة « عبد » لمن يستخدم فى أعمال منزلية مثلاً وهو فى الرق .



رنوك مركبة

(عن الدكتور ماير ، نفس المرجع ص ٢٧)

ثم يعين السلطان المماليك « الأحرار » الجدد للخدمة فى الجيش أو فى المقاطعات والبلاد ، بعد أن ينتخب منهم عدداً لحراسته وخدمته الخاصة ، ولذلك يسمون بالخاصكية . وهؤلاء هم نخبة الجند ، يقلدهم السلطان درجات ضباط الجيش ووظائفهم ، فيبدؤها الخاصكى برتبة أمير عشرة ، فأمير طبلخاناه ، فأمير مائة فمقدم ألف ، وهذه أرقاها[1] . وكان لكل من هؤلاء الضباط أو الأمراء شعار خاص به يسمى « رنكا » يرسمه على كل ما يمكن أن يتصوره العقل من الأدوات التى يستعملها فى حياته اليومية كالأسلحة والمشكاوات والأقمشة والمخطوطات

(١) انظر : Mohamed Mostafa : Beiträge z. Gesch. Aegyptens z. Zeit d. türk. Eroberung; in : ZDMG, Bd. 89 (1935)

وأدوات الزينة وأوانى الطعام والشراب ، وعلى واجهات المبانى والشبابيك والأبواب والأعمدة وتيجانها وغير ذلك .

والرنوك فى مصر والشام كانت موضوع بحث عند كثيرين من العلماء الأوربيين أذكر منهم Rogers Bey و Karabacek و Van Berchem ويعقوب أرتين باشا . وكان آخر من بحث هذا الموضوع الأستاذ الدكتور L. A. Mayer الذى ألف كتاباً فيه[١] . ولا يزال يتابع البحث ، وينشر ما استجد من الأبحاث فى المجلات العلمية .



شباك قلة عليه رنك به علامة السبع

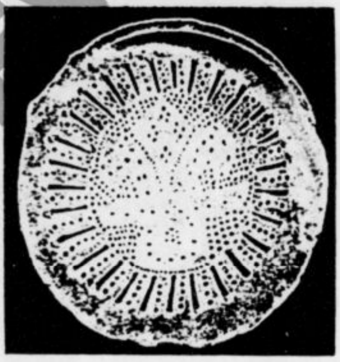
ومما يؤسف له ألا نجد شيئاً وافياً عن هذا الموضوع فى كتب مؤرخى العرب الذين عاصروا المماليك : كأبى الفداء وكالمقريزى والقلقشندى وأبى المحاسن وابن إياس سوى ما ذكروه من الرنوك عرضاً — وفى حالات قليلة — فى سياق كلامهم عن الحوادث أو وفيات بعض الأمراء . ومن هذه الحالات القليلة ما ذكره أبو الفداء فى تاريخه من علامات وظائف الدوادار والسلاحدار والطشتدار والجمدار والأمير آخور والجاويش . وإننا نعتقد أن مؤرخى العرب اعتادوا رؤية الرنوك ، فلم يجدوا فيها ما يستلفت النظر ولذلك لم يبحثوا فيها ، ويؤيد هذا الرأى الأستاذ جاستون فييت فى نقده[٢] لكتاب الدكتور ماير ، ويقول إن الذهبى وصف مرة رنك السلطان كتبغا مع رسم توضيحى له[٣] . ولهذا فنحن مضطرون فى دراستنا للرنوك إلى الاعتماد فقط على الكتابات التاريخية التى ترافقها فى بعض الأحيان ، ودراسة تراجم الأمراء

(١) L. A. Mayer : Saracenic Heraldry, Oxford 1933.

(٢) فى مجلة Syria ، ج ١٥ ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٩٥ وما بعدها .

(٣) انظر أيضا الدكتور ماير Saracenic Heraldry ، ص ١٤٤ ، حيث أورد ما قاله الذهبى فى كتابه : المنتقى من تاريخ الاسلام

المذكورة أسماؤهم فى هذه الكتابات لكى نصل إلى معرفة الوظائف التى كانوا يشغلونها ، ونستخلص من ذلك ما نفسر به رنوكهم



شباك قلة عليه رنك به علامة زهرة الزنبق

وقد دلت هذه الدراسات على أن الوظائف الممثلة فى الرنوك هى وظائف صغيرة فى البلاط السلطانى يشغلها الخاصكية ؛ واستنتج الدكتور ماير أن المماليك كانوا يحتفظون مدى حياتهم برنوك وظائف الخاصكية التى شغلوها فى خدمة السلطان قبل ترقيتهم إلى درجات الأمراء ، بل إن كبار الأمراء كانوا يفخرون بما تولوه فى أول عهدهم بهذه الوظائف الصغيرة .

وأثبتت هذه الدراسات أيضاً أن سبع علامات من التى ترى على الرنوك يمكن الاستدلال بها بوجه قاطع على الوظائف التى تمثلها[١] ، وهذه العلامات هى : الكأس للساقى أو الشراب دار وهو من يتولى سقاية السلطان ، والخانجة أو المائدة المستديرة للجاشنكير الذى يتذوق الطعام للسلطان ، وعصاتا لعبة البولو للجوكندار وهو المشرف على هذه اللعبة . والدواة للدوادار أى كاتب السر — وكان المرحوم عبد الحميد مصطفى باشا أول من أثبت أن الدواة علامة كاتب السر — والبقجة المربعة للجمدار أى حامل الملابس ، والسيف أو الخنجر للسلاحدار وهو الذى يحمل أسلحة السلطان ، والقوس للبندقدار أى رامى النشاب . وجل هذه الوظائف لها صبغة عسكرية يتقلدها — على حد قول مؤرخى العرب — « أرباب السيوف » من المماليك . وهنالك علامات أخرى نراها على الرنوك ، منها : السبع والنسر وزهرة الزنبق والوردة والهلال وغيرها . وهذه العلامات إما شخصية كالسبع[٢]

(١) أنظر الدكتور ماير ، نفس المرجع ص ٥

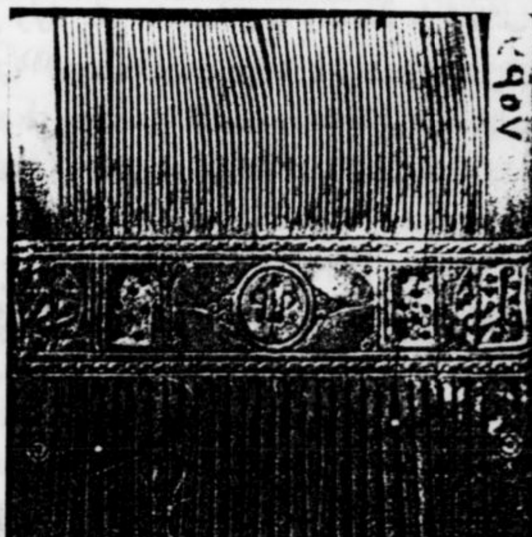
(٢) قال ابن إياس فى بدائع الزهور (طبعة باول كاله ومحمد مصطفى) ج٣ ص٥٠٦ ، إن الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير « صنم فى رنكه سبعا » ولكننا لم نعثر للآن على آثار باسم هذا الأمير عليها رنك السبع

الذى يرى على نقود السلطان بيبرس البندقدارى ومبانيه ، أو علامات لم يمكن معرفة ما تدل عليه ، لأن تراجم الأمراء المذكورين فى الكتابات المرافقة لها غير مستوفاة ، أو لا تشير إلى



شباك قلة عليه رنك به علامة النسر

الوظائف التى كانوا يشغلونها قبل ترقيتهم إلى درجات الأمراء . وقد استطاع أخيراً الدكتور ماير(١) أن يفسر إحدى هذه العلامات تفسيراً قريباً من المنطق ، وهى على شكل قرن ، وقال إنها تدل على القرن الذى كان يحفظ فيه البارود ، وذلك لأن أول ظهورها كان فى رنوك الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى ، أى عند ما عمَّ استعمال البارود فى الأسلحة .



مشط من الخشب عليه رنك به علامة زهرة الزنبق

وللرنك أشكال مختلفة منها المربع والمدبب والذى يتألف محيطه من تقاطع عدة دوائر ، ولكن أكثر هذه الأشكال انتشاراً هو الذى يتكون من دائرة يقسمها خطان متوازيان إلى ثلاثة أقسام يسمى القسم الأوسط منها «الشطب» . وتلون الرنوك بألوان مختلفة حسب ما يختاره صاحبها ؛ وتظهر هذه الألوان فى رونقها فى الرنوك المرسومة على الزجاج والخزف والفسيفساء والرسوم الحائطية



مشكاة من الزجاج عليها زخارف وكتابة بالمينا باسم الأمير الملك ورنك به علامة عصاتى البولو

ويقسم الدكتور ماير(١) الرنوك إلى نوعين : رنوك بسيطة ، ورنوك مركبة . فالرنوك البسيطة هى التى تحوى علامة أو أكثر على الشطب ، أو على الرنك مباشرة إذا لم يكن بوسطه شطب ، وهى رنوك شخصية تدل على الوظيفة التى كان يشغلها حاملها قبل ترقيته إلى درجات الأمراء . أما الرنوك المركبة فيرى عليها علامات متعددة على أقسام الرنك الثلاثة ، وهى ليست شخصية ، كما هى الحال فى الرنوك البسيطة ، بل هى رنوك جماعات من المماليك تنتسب كل جماعة منهم إلى أحد السلاطين أو أحد كبار الأمراء كالمماليك المؤيدية والأشرفية والظاهرية مثلاً

(١) انظر : L. A. Mayer : Une énigme du blason Musulman, B. I. E., T. XXI, 1939 p. 141 f.

(١) انظر : L. M. Mayer : A propos du blason sous les Mamluks Circassiens, Syria, 1937, p. 390 f.

وكانت الرنوك البسيطة هى الشائعة فى عصر المماليك البحرية . ولم تظهر الرنوك المركبة إلا فى عصر المماليك الشراكسة ، فبدأت بعلامتين فقط على الرنك أيام السلطان برقوق ، وتدرجت إلى أن وصلت إلى سبع علامات على الرنك الواحد فى عهد السلطان قايتباى والسلطان قانصوه الغورى

ويوجد نوع آخر من الرنوك خاص بسلاطين المماليك فقط ويسمى فى الاصطلاح العرفى - نقلاً عن الغربيين - (خرطوشاً) . وهذا النوع على شكل دائرة مقسمة إلى شطب فى الوسط وقسمين آخرين أحدهما أعلاه والآخر أسفله ولا توجد عليه علامات كما فى الرنوك الأخرى ، بل عليه كتابات باسم السلطان، مثال ذلك كتابة باسم السلطان قايتباى (انظر الشكل) تقرأ : على الشطب : عز لمولانا السلطان الملك الأشرف ، وفى أعلاه : أبو النصر قايتباى ،



لوح من القاشانى عليه « خرطوش » باسم السلطان قايتباى

وفى أسفله : عز نصره . ويرجع أقدم هذه « الخراطيش » إلى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى[1] فظهرت أولاً على الأوانى كالمشكاوات الزجاج ، وأقدم ما نعرفه منها على المبانى خرطوش باسم السلطان الناصر محمد بن قلاون على حائط فى حوش بردق بجوار مسجد السلطان حسن

وتوجد بدار الآثار العربية مجموعة قيمة من الرنوك على الأوانى والأدوات المختلفة الأشكال والأنواع من الزجاج والخشب والأقمشة والرخام والأحجار والقاشانى والخزف والفخار المطلى



علبة من النحاس باسم الأمير طفيتمر وعليها رنك به علامة الكأس

والنحاس إلى غير ذلك . وكذلك فى المتاحف الأخرى والمجموعات الخاصة ، ولكن عدد الرنوك المصحوبة بكتابات تاريخية قليل بالنسبة إلى العدد الهائل الذى وجد منها فى حفائر الفسطاط .

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر الدكتور ماير : Saracenic Haraldry ، ص ٣٤ وما بعدها

صفحة لامعة من تراث العرب العلمي

ثابت بن قرة

للأستاذ قدري حافظ طوقان



يدهش المؤرخون من حياة بعض العلماء ومن نتاجهم الضخم الملىء بالمبتكرات والنظريات والآراء، ويحيط هذه الدهشة إعجاب إذ يرون هؤلاء المنتجين يدرسون العلم للعلم وقد عكفوا عليه رغبة منهم فى الاستزادة وفى كشف الحقيقة والوقوف عليها . ومما لا شك فيه أن هذا النفر كان يرى فى البحث والاستقصاء والمتابعة لذة هى أسمى أنواع اللذات ، ومتاعاً للعقل هو أفضل أنواع المتاع ، فنتج عن ذلك تقدم فى فروع العلوم المختلفة أدّى إلى ارتقاء المدنية وازدهارها .

ولقد كان فى العرب نفر غير قليل رغبوا فى العلم ودرسوه حباً فى العلم وعرفوا حقيقة اللذة العقلية فراحوا يطلبونها عن طريق الاستقصاء والبحث والإخلاص للحق والحقيقة والكشف عن القوانين التى تسود الكون والأنظمة التى يسير العالم بموجبها .

ومن هؤلاء ثابت بن قرة فقد كان من الذين تعددت نواحى عبقريتهم ، فنبغ فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ووضع فى هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ، ودرس العلم للعلم ، وشعر بالذة العقلية فراح يطلبها فى الرياضيات والفلك فقطع فيها شوطاً بعيداً وأضاف إليها ومهد إلى إيجاد أهم فرع من فروع الرياضيات — التكامل والتفاضل Calculus .

كان ثابت يكنى بأبى الحسن ، ويعجب كثيرون من هذه الكنية لأن (ثابتاً) لم يكن له ولد اسمه حسن ، ولكن الثابت أنه كان له ولدان أحدهما اسمه سنان والآخر إبراهيم . وكنية (أبى الحسن) هى لسنان بن ثابت . أما سبب تكنية ثابت بأبى الحسن فلأن الخليفة المتضد كان يكنيه بها تحبباً .

ولد ثابت فى حران سنة ٢٢١ هـ ، وتوفى فى بغداد سنة ٢٨٨ هـ « وكان فى مبدأ أمره صيرفياً بحران ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها وبرع » ويقال إنه حدث بينه وبين أهل مذهبه (الصابئة) أشياء أنكروها عليه فى المذهب ، فحرّم عليه رئيسهم دخول الهيكل ، فخرج من حران وذهب إلى كفر توثا حيث اتفق أن التقى بمحمد بن موسى الخوارزمى لدى رجوعه من بلاد الروم فأعجب هذا بفصاحة ثابت وذكائه فاستصحبه معه إلى بغداد ووصله بالخليفة المتضد فأدخله فى جملة المنجمين ، ويقول ابن النديم : « ... قيل قرأ على محمد بن موسى فتعلم فى داره فوجب عليه حقه فوصله بالمتضد وأدخله فى جملة المنجمين . . . » وعلى ذكر المتضد نقول إنه كان يحترم العلماء وأصحاب المواهب والكفاءات ويجلبهم ويغدق عليهم العطايا ، فقد روى أنه لما تقلد الخلافة أقطع ثابتاً وغيره (الضياع الجليلة) ، ومما يدل على تقديره لمواهب ثابت وفضله أنه بينما كان يمشى (ثابت) مع المتضد فى الفردوس وهو بستان فى دار الخليفة ، وقد اتكأ على يد ثابت إذ نزع الخليفة يده من يد ثابت بشدة « ... ففزع ثابت فإن الخليفة كان مهيباً جداً ، فلما نزع يده من يد ثابت قال له : يا أبا الحسن ، سهوت ووضعت يدى على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون ، فإن العلماء يعلون ولا يُعلون ... »

كان ثابت من ألمع علماء عصره ومن الذين تركوا مآثر جمة فى بعض العلوم ، وكان يحسن السريانية واليونانية والعبرية جيد النقل إلى العربيـة ، ويعدّه سارطون من أعظم المترجين ،

وأعظم من عرف فى مدرسة حران فى العالم العربى . وقد ترجم كتباً كثيرة من علوم الأقدمين فى الرياضيات والمنطق والتنجيم والطب . وثابت أصلح الترجمة العربية لمجسطى بطليموس وجعل متنها سهل التناول . ولبطليموس كتاب آخر اسمه — كتاب جغرافيا فى المعمور وصفة الأرض — نقله ثابت إلى العربية ، وأصلح أيضاً كتاب الكرة والأسطوانة لأرشميدس المصرى ، والمقالة الأولى من كتاب نسبة الجذور . وكذلك أصلح كتاب المعطيات فى الهندسة لأقليدس ـ وقد عربه إسحق وهو خمسة وتسعون شكلا . واختصر المجسطى اختصاراً لم يوفق إليه غيره . ويقول ابن القفطى : « ... إنه لم يختصر المقالة الثالثة عشرة ... » وقد قصد من هذا المختصر تعميم المجسطى وتسهيل قراءته . ولا يخفى ما أحدث تعميمه من أثر فى نشر المعرفة وترغيب العلماء فى الرياضيات والفلك

وفى بداية القرن الثالث للهجرة استُعملت الجيوب بدل الأوتار ، ومن الصعب تعيين الشخص الذى خطا هذه الخطوة ، ولكن ثبت أن ثابتاً هو الذى وضع دعوى (منالاوس) فى شكلها الحاضر . وفوق ذلك فقد حل بعض المادلات التكعيبية بطرق هندسية استعان بها بعض علماء الغرب فى بحوثهم الرياضية فى القرن السادس عشر للميلاد ككاردان Cardan وغير ذلك من كبار الرياضيين ، وقد لا يصدق بعض الذين يمنون بالعلوم الرياضية أن ثابتاً من الذين مهدوا لإيجاد التكامل والتفاضل Calculus ، ولا يخفى ما لهذا العلم من أهمية على الاختراع والاكتشاف فلولا هذا العلم ولولا التسهيلات التى أوجدها فى حلول كثير من المسائل العويصة والعمليات الملتوية لما كان فى الإمكان الاستفادة من بعض القوانين الطبيعية واستغلالها لخير الإنسان . جاء فى كتاب تاريخ الرياضيات للعلامة سمث الأميركى ما يلى : « .... كما هى العادة فى أحوال كهذه يتعسر أن نحدد ـ بتاً كيدـ لمن يرجع الفضل فى العصور الحديثة فى عمل أول شىء جدير بالاعتبار فى حساب التكامل والتفاضل ، ولكن باستطاعتنا أن نقول إن ستيفن Stevin يستحق أن يحل محلاً هاماً من الاعتبار . أما مآثره فتظهر خصوصاً فى تناول موضوع إيجاد مركز الثقل لأشكال هندسية مختلفة اهتدى بنورها عدة كتاب أتوا بعده . ويوجد آخرون حتى فى القرون المتوسطة قد حلوا مسائل فى إيجاد المساحات والحجوم بطرق يتبين منها تأثير نظرية إفناء الفرق Theory of Exhaustion اليونانية . وهذه الطرق تم نوعاً ما على طريقة التكامل المتبعة الآن . من هؤلاء يجدر بنا أن نذكر ثابت بن قرة الذى وجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافىء حول محوره ... »

وأظن إن أساتذة الرياضيات يوافقوننى على أن العقل الذى استطاع أن يجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافىء حول محوره لهو عقل جبار مبدع ، يحق لنا أن نباهى به أمم الاختراع والاكتشاف فى هذا العصر ، وهو دليل ساطع على خصب العقلية العربية ، وعلى أنها منتجة إلى أبعد حدود الإنتاج

ولثابت أرصاد حسان تولاها ببغداد وجمعها فى كتاب بيّن فيه مذاهبه فى سنة الشمس، وما أدركه بالرصد فى مواضع أوجهها ومقدار سنيها وكمية حركاتها وصورة تعديلها ... فقد استخرج حركة الشمس وحسب طول السنة النجمية ، فكانت أكثر من الحقيقة بنصف ثانية ، وحسب ميل دائرة البروج وقال : بحركتين مستقيمة ومتقهقرة لنقطتى الاعتدال

وهو أيضاً من الذين اشتغلوا فى الهندسة التحليلية وقد أجاد فيها إجادة عظيمة وله فيها ابتكارات لم يُسبق إليها . وقد وضع كتاباً فى الجبر بيّن فيه علاقة الجبر بالهندسة وكيفية الجمع بينهما . وله أيضاً مقالة فى الأعداد المتحابة ، وهو استنباط عربى يدل على قوة الابتكار التى امتاز بها ثابت . ومن هذه المقالة يتبيّن أن ثابتاً كان مطلعاً على نظرية (فيثاغورس) فى الأعداد ، وأنه استطاع أن يجد قاعدة عامة لإيجاد الأعداد المتحابة . وقد أوضحناها فى كتابنا « تراث العرب العلمى » ، الذى انتهينا منه ، ومنعتنا ظروف الحرب من طبعه فى هذه الأوقات

وثابت أول شرق بعد الصينيين بحث فى المربعات السحرية وخصائصها ؟ ويقال إنه قسم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية

بطريقة تغاير الطرق التى كانت معروفة عند اليونان

واشتهر ثابت بالطب وبمؤلفاته القيمة فيه ، ولم يكن فى زمنه من يماثله فى هذه الصناعة . ولا أظن أنى بحاجة إلى القول أنى لست من فرسان هذا الميدان ، لذا أترك البحث فى مآثره الطبية إلى من يُعنون بناحية الطب عند العرب ، ولكن لا بأس من إيراد القصة الآتية التى تدل على ثاقب نظر ثابت وسرعة خاطره وحدة ذكائه . جاء فى كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » ما يلى : « ... وحكى أبو الحسن بن سنان قال : يحكى أحد أجدادى عن جدنا ثابت أنه اجتاز يوماً ماضياً إلى دار الخلافة . فسمع صياحاً وعويلاً ؛ فقال : مات القصاب الذى كان فى هذا الدكان ؟ فقالوا له : إى والله يا سيدنا البارحة فجأة ؛ فقال : ما مات، خذوا بنا إليه . فعدل الناس معه وحملوه إلى دار القصاب ، فتقدم إلى النساء بالإمساك عن اللطم والصياح ، وأمرهن بأن يعملن مزورة (وهى أكلة معروفة فى ذلك العصر) ؛ وأومأ إلى بعض غلمانه بأن يضرب القصاب على كعبه ، وجعل يده فى يده فى مجسه ، وما زال ذلك يضرب كعبه إلى أن قال : حسبك . واستدعى قدحاً وأخرج دواء وضعه فى القدح مع قليل من الماء ، وفتح فم القصاب وسقاه إياه فأساغه ، ووقعت الصيحة والزعقة فى الدار والشارع بأن الطبيب قد أحيا الميت ، فتقدم ثابت بغلق الباب ، وفتح القصاب عينه وأطعمه (مزورة) وأجلسه وقعد عنده ساعة ؛ فإذا بأصحاب الخليفة قد جاؤوه يدعونه فخرج معهم والدنيا قد انقلبت ، والعامة حوله يتعادون إلى أن دخل دار الخلافة . ولما مثل بين يدى الخليفة قال له : يا ثابت ، ما هذه المسيحية التى بلغتنا عنك ؟ قال : يا مولاى كنت أجتاز على هذا القصاب وألحظه يشرح الكبد ويطرح عليها الملح ويأكلها ، فكنت أستقذر فعله أولاً ، ثم قدرت أن سكتة قلبية ستلحقه ، فصرت أراقبه ، وإذ علمت عاقبته انصرفت وركبت للسكتة دواء أستصحبه معى فى كل يوم ... فلما اجتزت اليوم الدار وسمعت الصياح قلت : مات القصاب ؟ قالوا : نعم مات فجأة البارحة . فعلمت أن السكتة قد لحقته ، فدخلت إليه ولم أجد له نبضاً ، فضربت كعبه إلى أن عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ففتح عينه وأطعمته (مزورة) ، والليلة يأكل رغيفاً ، وفى غد يخرج من بيته ... »

والآن نأتى إلى مؤلفات ثابت فنقول إن المجال لا يتسع لذكر كل مؤلفاته لكثرتها . ويمكن لمن يرغب فى الاطلاع عليها أن يرجع إلى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة حيث يتجلى له فضل ثابت على العلم وأثره الكبير فى تقدمه . لقد ألف كتباً عديدة ورسائل كثيرة فى الطب والرياضيات والفلك نأتى على بعضها :

كتاب فى العمل بالكرة . كتاب فى قطع الإسطوانة . كتاب فى الشكل الملقب بالقطاع . كتاب فى المخروط المكافئ . كتاب فى مساحة الأشكال وسائر البسط والأشكال المجسمة . كتاب فى قطوع الإسطوانة وبسيطها . كتاب فى أن الخطين المستقيمين إذا خرجا على أقل من زاويتين قائمتين التقيا فى جهة خروجهما . كتاب فى المسائل الهندسية . كتاب فى المربع وقطره . كتاب فى الأعداد المتحابة . كتاب فى إبطاء الحركة فى فلك البروج . كتاب فى أشكال إقليدس . كتاب فى النسبة المؤلفة . مقالة فى حساب خسوف القمر والشمس . كتاب فى صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك . كتاب فى مساحة الأشكال المتكافئة . كتاب فى عمل شكل مجسم ذى أربع وعشرين قاعدة تحيط به كرة معلومة . كتاب فى إيضاح الوجه الذى ذكر بطليموس به استخراج من تقدمه مسيرات القمر وهى المستوية . كتاب فى الهيئة . كتاب فى تركيب الأخلاق . كتاب فى تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية . رسالة فى عدد الوفق . كتاب المفروضات ، وهو ستة وثلاثون شكلا ... وترجم ثابت أيضاً بعضاً من كتاب المخروطات فى أحوال الخطوط المنحنية . ويقول صاحب كشف الظنون : « وهو (أى الكتاب المذكور) سبع مقالات لأبولونيوس النجار الحكيم الرياضى ؛ ولما أخرجت الكتب من الروم إلى المأمون أخرج منه الجزء الأول فوجده يشتمل على سبع مقالات . ولما ترجم دلت مقدمته على أنه ثمانى مقالات ، وأن الثامنة تشتمل على معانى المقالات السبع وزيادة ، واشترط

فيها شروطاً مفيدة ، فمن عصره إلى يومنا هذا يبحث أهل الفن عن هذه المقالة فلا يطلعون لها على خبر . لأنها كانت فى ذخائر المأمون لعزتها عند ملوك يونان . وقال أبو موسى شاكر : الموجود من هذا الكتاب سبع مقالات وبعض الثامنة وهو أربعة أشكال ، وترجم الأربع الأول منه أحمد بن موسى الحمصى ، والثلاث الأواخر ثابت بن قرة ... » — كتاب المختصر فى علم الهندسة . ولمنالاوس كتاب فى أصول الهندسة عمله ثابت فى ثلاث مقالات . كتاب فى أشكال طرق الخطوط التى يمر عليها ظل المقياس ... الخ

ولثابت عدا هـذه كتب أخرى فى الطب منها : كتاب فى مسائلة الطبيب العليل . كتاب فى صفة كون الجنين . كتاب فى المولودين لسبعة أشهر . كتاب فى أوجاع الكلى والمثانى . كتاب فى أجناس ما توزن به الأدوية

أما مؤلفاته فى الموضوعات الأخرى فهى كثيرة منها : كتاب فى حل رموز كتاب السياسة لأفلاطون — مختصر فى الأصول من علم الأخلاق — رسالة فى اعتقاد الصابئين — رسالة فى الطهارة والنجاسة — رسالة فى الرسوم والفروض والعبادات — رسالة فى ترتيب القراءة فى الصلوات وصلوات الابتهال إلى الله عز وجل وكتاب فى الموسيقى ويشتمل على خمسة عشر فصلاً

ومن المؤسف حقاً ألا يصادف المرء إلا القليل من هـذه الآثار التى تركها ثابت إذ القسم الأعظم منها ضاع أثناء الحروب والانقلابات ، ومنها ما هو غاية فى الخطورة من الوجهتين الرياضية والطبية ولو عثرنا على بعض كتبه لانجلت بعض النقط الغامضة فى تاريخ الرياضيات فلقد ظهر من رسالة فى النسبة المؤلفة أنه استعمل (الجيب) وأيضاً الخاصة الموجودة فى المثلثات والمسماة (شكل المغنى) أو دعوى الجيوب ، وكذلك لولا بعض القطع التى وصلت إلينا من كتاب له فى الجبر لما عرفنا أنه بحث فى المعادلات التكعيبية

هذا مجمل عن آثر ثابت فى الفلك والرياضيات يتبين منها الأثر الكبير الذى خلفه فى ميدان العلم كما تتجلى منها العبقرية المنتجة التى تقدمت بكثير من العلوم خطوات واسعة ، وقد اعترف معاصروه بفضله وقدروا نبوغه ونتاجه فسجل بعضهم ذلك فى قصائد رائعة قيلت فى رثائه

جاء فى قصيدة أبى أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم النديم ما يلى :

ألا كل شىء ما خــلا الله مائت
ومن يغترب يُؤمل ومن مات فائت

أرى من مضى عنا وخيم عندنا … كسَفر نوى أرضاً فسار وبائت
نعينا العلوم الفلسفيات كلها … خبا نورها إذ قيل قد مات ثابت
وأصبح أهلوها حيارى لفقده … وزال به ركن من العلم ثابت
ولمـا أتاه الموت لم يغن طبه … ولا ناطق مما حواه وصامت
فلو أنه يسطاع للموت مدفع … لدافعه عنــا حماة مصالت
ثقات من الإخوان يصفون وده … وليس لمـا يقضى به الله لافت
أبا حسن لا تبعدن وكانا … لهلكك مفجوع له الحزن كابت

* * *

إلى أن يقول :

وكم من محب قد أفدت وإنه … لغيرك ممن رام شأوك هافت
عجبت لأرض غيبتك ولم يكن … ليثبت فيها مثلك الدهر ثابت
تهذبت حتى لم يكن لك مبغض … ولا لك لما اغتالك الموت شامت
وبرزت حتى لم يكن لك دافع
عن الفضل إلا كاذب القول باهت
مضى علم العلم الذى كان مقنعاً … فلم يبق إلا مخطىء متهافت

ولقد توارث آل قرة العلم عن ثابت ، فكان منهم ابنه أبو سعيد ابن سنان ، وكان منهم أحفاده : ابراهيم ثابت وأبو الحسن ثابت وإسحق أبو الفرج . وهؤلاء نبغوا فى الرياضيات والفلك والطب فقد كان منهم الطبيب والعالم والفيلسوف والمهندس ، فأبو الحسن ابن سنان بن ثابت مثلاً كان طبيباً عالماً نبيلاً قرأ كتب أبقراط وجالينوس ، وكان فكاكاً للمعانى ، سلك مسلك جده فى الطب والفلسفة والهندسة وجمع الصناعات الرياضية للقدماء وله تصنيف فى التاريخ .

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

هو النبي المنتظر

مسرحية شعرية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



تقدمة

أبطال هذه المسرحية الشعرية جماعة من شعراء العصر الجاهلي ، هم : زهير بن أبي سلمى ، وحسان بن ثابت ، وأعشى قيس ، وقس بن ساعدة. قد جعلناهم في المسرحية هنا يلتقون ويتحادثون ؛ وقد لا يكونون من الناحية التاريخية الزمنية التقوا ، أو جمعتهم دار واحدة ، أو ضمهم مجلس يدور فيه الكلام ، أو تقع فيه الأحاديث

وأولهم « زهير » مات قبل البعثة ، وثانيهم « حسان » عاش في الجاهلية وعمر في الاسلام ، وثالثهم أعد للنبي قصيدة يمدحه بها ويعرض إسلامه ، إلا أن الله لم يشرح صدره ولم يوفق له ، ورابعهم عاش في الجاهلية

ولقد حاولت أن أعرض هنا ألوانا من تفكير كل واحد منهم ، وطرفا من معيشته يبدو خلال حديثه ، كما تدلنا على ذلك كتب التاريخ والأدب .

« فزهير » حكيم مفكر يؤمن بالبعث والحساب ، ويعتقد بالثواب والعقاب ، وقس يشعر ويخطب ، وينظر في الكون وما فيه من ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج فيؤمن بأن له موجداً أوجده ، ومنشئا دبره ، « وحسان » يحس في قرارة نفسه بأنه سيكون له في الغد شأن ، وأن الأقدار تمده ليكون لساناً صارما ، ويكاد يلمح من خلال الغيب ومن وراء السحب مكانه في الاسلام وشهادة النبي له بالجنة

أما « الأعشى » فهو عابث خليع . . . يلهو ويلعب ، ويشرب ويطرب ، ويرى الحياة لذة ومتاعا

المشهد

يجلس هؤلاء الشعراء الأربعة في ناحية من نواحي مكة ، بعد أن جمعهم موسم الحج ، وعلى « زهير » وقار وهدوء ، وهو مطرق إلى الأرض ، بينما يرنو « قس » ببصره ، ويقلب وجهه في السماء ، « والأعشى » يبدو في المجلس وقد عاودته خفة الطرب ، وظهرت عليه مسحة من روح عابثة ماجنة ، وبجانبه « حسان » تتحرك شفتاه ويكاد يبدو من بينهما لسانه كأنه يريد أن يقول شيئا ... ثم يبدأ الحوار هكذا :

الأعشى :

حَلَفْتُ بهـا وبأَرْبابها … وَبالنَّعَمِ الحُمْرِ فى بابهـا
وبالمَعْبَدِ الطُّهْر فى أرضها … وبالرُّكْنِ منها وَمحرَابها
وَكُومِ المطَايا وقد أقبلتْ … تُساقُ إلى يَدِ حُجَّابهـا
لأَتخذنَّ بهـا طَوْفتى … وَأَقضِى الحقوقَ لأصحابها
وَأَرْجعُ بَعْـدُ إلى دارتى … وفى النَّفْس من حُبِّهَا ما بها
فأَنْشقُ من طِيب رَيْحَانهَا … وَأَشربُ من خَمْـرِ أعنَابها
وَأَلْوِى بهاَ غُصْنَ فتَّانةٍ … يُلَفُّ الشـبابُ بأثوابها
فأُسمِعهـا الشِّعْر مُسْتَعْذَبا … وَتُسْمِعنى لحن أقصابها

زهير :

ظننتَ حياةَ المرءِ يا شيْخُ غادةً … تُلَفُّ وأكوابًا تُراقُ وتُسكَبُ
دَع القَصَبات اليومَ واسمع لحكمةٍ … يؤلِّفها شِعْرًا حكيم مجرِّبُ
أمَا لك فى الشِّعر المهذبِ غايةٌ … ومالك فى صدق التجارب مَطلَب
وَحَتَّامَ تلهو والزَّمانُ كما ترى … يجىء بأحداث جِسام ويذهب
عجبتُ لمن يَقضِي الحياةَ مُلاعباً … وأيامُهُ من جِدِّها ليس تلعب !

الأعشى :

ما العيشُ إلاّ صبَاباتٌ موزَّعَةٌ … وَمُتعةٌ وَلَذَاذاتٌ وأوْطَارُ

كم مجلسٍ كان لى فيه مُعابثةٌ ... وأربُعٌ كان لى فيهن أسمارُ
تظل فيها العذارى يرتمين على ... بُسْطٍ وشاهدُنا جُلٌّ وأزهارُ
وكم وقفتُ على الأطلالِ أسألُها

قس : وهل تجيبُك فى الأطلال أحجارُ ؟

الأعشى :

بالله هل نفعتكَ اليومَ فلسفةٌ ... وحكمةٌ نظمتها منك أشعارُ ؟
وهل تجارِ بُك الغرّاء نافعةٌ ... إذا نأت بكَ بعد الموتةِ الدارُ
وهل أتتنا من الماضين تذكرةٌ ... أو طالعتنا من الفانين أخبارُ

قس :

عجبتُ لأعشى قيسٍ وهو يداورُ ... ويُمعنُ فى أهوائه ويُكابرُ
فما صرفتهُ عن هواهُ شريعةٌ ... ولا ردّه عن لهوهِ اليومَ زاجرُ
تجاذبه تلك القيانُ فؤادَهُ ... وتفتنهُ تلك المها والجآذر
فهل فتنتهُ فى السماء نجومُها ... وهنّ بآفاق السماء زواهر ؟
وهل ليلها الداجى يُفتّقُ ذهنه ... وهل صبحُها اللمّاحُ والضوءُ باهر
وهل فتنته الريحُ والريحُ عاصفٌ ... وأثّر فيه البحرُ والبحر هادر
بدائعُ شادتها يدُ القادرِ الذى ... تدين لهُ الدنيا وتعنو الجبابر
هو الموتُ ما فى الموتِ شكٌّ على امرئٍ ... ولله من بعدِ الحياةِ المصائرُ
وما نحن إلا الواردون على الردى ... ولو كثُرت بالواردين المصادر

زهير :

يا قسُّ إنك قد رُزقتَ لقانةً ... ووُهبتَ من فصل الخطاب نصيباً
وأرى عليك من الحكيم ملاحظاً ... ترمى الغيوبَ فلا يعدْنَ غيوبا
عينُ البصيرة فيك وهى قويةٌ ... نظرتْ تزودُ العالمَ المحجوبا
أنا ما عرفتُك قبلَ ذلك شاعرا ... لكن عرفتُك فى النديّ خطيبا
سبحان من لقّاك من آياته ... وحباك من صدق اليقين ضروبا

قس :

إنى وجدتُ فى السماء خبرا ... كما وجدتُ فى دُجاها عِبرا
أمعنتُ فيها وأطلتُ النظرا ... ورُحتُ أطوى فى مداها الفكرا
أستقرئُ الشمس بها والقمرا ... وأقطعُ الفكرَ إليها سفرا
كأنّ لي عند السماء وطرا ... فألهمتنى من ذراها سُورَا
رأيتُ فيها الخالقَ المصوّرا ... وقد تجلّي وجهُهُ وأسفرا
يا ليتَ مَنْ أضاء لى ونوّرا ... أضاء للأعشى الظلامَ الأكدرا

وفي هذه اللحظة تمر على الشعراء الأربعة فتاة فى برد يمانى مخطط. وقد اعتدل قوامها وأسرعت خطواتها . . . فتنفض عنها عيون ثلاثة من الشعراء ... أما الأعشى فيتابعها بنظراته الطامعة المتلهفة ... ولا ينصرف من النظر إليها حتى تواريها بعض الجدران فيوجه الكلام إلى « قس » :

الأعشى :

يا ناظراً فى السماء اليومَ نظرته ... هلاّ أطلت لتلكَ القينةِ النظرا
مرّتْ بنا كوميض البرقِ مُعجلةً ... كأنها الحُلم بعد النوْم قد عبَرا
تفوح أردانُها مِسكاً وأصوِرةً ... وينفحُ الغصْنُ منها زنبقاً عطِرا
ما البدرُ أجمل إشراقاً ولألاءً ... منها إذا ما بدا فى الأفقِ أو ظهرا
انظرْ إلى الشمس فى أحضانِ غانيةٍ ... وناجِ بين ذِراعىْ حِبّكَ القمرا
لا تقطع العُمْرَ تفكيراً وفلسفةً ... تجنى بها الشوكَ لا تجنى بها الزهرا

زهير :

صاحبُنا الأعشي نطقْ ... بفِسْقِه وما صدقْ
ما الشّعرُ يا أعشى جنو ... نٌ ومُجونٌ يستَبِقْ
الشعرُ حِكمة تُصا ... دُ من جوانب الأُفقْ
في الأرضِ ! فى السماء ! فى ... ضوْء الصّباحِ ! فى الغسَقْ

صابه :

صَدَقتَ يا زُهَيرُ فالشّعْرُ هِدَايَةُ البَشَرْ
مَنْ لى بميدانٍ أصُو ... لُ وأجولُ بالغرَزْ

أَنشُرُ عَضْباً قاطِماً كأَنَّهُ وَخزُ الإبَرْ ...

وهنا يمسك حسان لسانه ويضرب به أرنبة أنفه فى زهو وخيلاء ... من زهو الجاهلية ! ثم يتابع قائلا :

لسانُ حسّانَ الذى يَفرِى به صَلْدَ الحَجَرْ

يَقذِفُ بالحقِّ عَلَى الباطل مَهزومَ الزُّمَرْ

إِنى أُحس أنْ لِى غداً مَكاناً يُدَّخَرْ

وأننى يَكونُ لِى فيه المَقامُ والخَطَرْ !

الأعشى :

لعلها أضغاثُ أحلامٍ فَدَعْ عنك الهَذَرْ

فأىّ شأنٍ تَرتَجى ؟ وأىُّ أمرٍ تَنتَظِرْ ؟

حسان :

لعَلَّ هَادياً بدَا لعلَّ مُصْلحاً ظهرْ

فَفى بطاحِ مَكةٍ شَواهدٌ مِن الخبرْ

زهير :

حَسّانُ ! أنتَ مُلهمٌ وأنتَ صادِقُ النَّظَرْ

بَشَّرَ عيسى بِنَبِىٍّ مَنْ عَصاهُ قد كَفَرْ

يَا ليتنى يَطُولُ بى إلى لِقَائِهِ العُمُرْ !

حسان :

إنى أُحِسُّ أننى مُدْرِكُهُ على الكِبَرْ

إنَّ دَليلى صادقٌ ما خاننى ولا غَدَرْ

زهير :

والحكماءُ عِندَهُم على ظُهورِه أَثَرْ

تَرامَتِ البُشرَى به عِندَ النَّصارَى فى السُّوَرْ

حسان :

هُوَ الرَّسولُ المُرتَجَى هُوَ النَّبىُّ المُنتَظَرْ

وهنا يخفض قس طرفه من السماء قائلا :

هُوَ النَّبىُّ المُنتَظَرْ ...

محمد عبد الغنى حسن

يبغي ربا

للأديب لبيب السعيد

كان كغيره في القبيل يعكف على « نهم » : يرجو رحمته ويخشى عذابه ، ويتقرب إليه زلفى ... وكان على سنة آله يسعى إلى معبوده بالقربات يؤدي إليه بها بعض حقه ، ويدرأ بها غضبه ، ويبتغي بها مرضاته !

كان في هذا على آثار آبائه مقتديا ، ولكن شيئاً من القلق كان يغمز على قلبه ، ولكن جمرات من الشك كانت تلسع ضميره ، ولكن أقباساً كانت تبدو لعقله حيناً بعد حين فتشعره أنه يخبط في ظلمات ...

أهو الهدى يبدو له ، أم هو الضلال توسوس به نفسه ؟ وصبر أو تصبّر ...

وأتى يوماً إلى « نهم » يصبُّ له لبناً ، وإن فيه لإيماناً يمتزج بالشك ، ونوراً وظلمةً يتصارعان ... على أنه قدّم قُربتَه المتواضعة خاشعاً ، ثم انصرف ...

كانت نفسه تبتغي طمأنينة وهداية ، فإما أن تعالج إيمانها بنهم ، وإما أن تطرح هذا الإيمان طرحاً ، لتؤمن إيماناً حقاً بإله لا ترتاب في أنه حق ...

وحانت منه التفاتة عارضة لمعبوده ، فما كان أبلغ دهشه ! لقد رأى — ويا عجباً ! — كلباً يشرب اللبن المقدّس ، والمعبود مغلوب على أمره : أصم ... أبكم ... أعمى ...

وتريّث قليلاً ... فرأى الكلب وقد فرغ من اختلاس قرْبة المعبود العاجز يرفع رجله فيبول عليه !!

أذلك مبلغ « نهم » من الحول والقدرة والعزّة ؟ أهذه جلالته وذاك سلطانه :

ألا يا نهم إني قد بدا لي مدى شرف يبعد منك قربا
رأيت الكلب سامك حظ عسف فلم يمنع قفاك اليوم كلبا

لقد تمرّد فؤاده على الإيمان بالتمثال المهين ، وقد بدا له ما كان يخوض هو وقومه من ضلال ...

وسمعته أمه يسخر بالهها وإله ذويها فهالها الأمر وأقبلت عليه غضبى تنبهه إلى فداحة جرمه وضلالة حكمه وهول زعمه ، مشفقة عليه من عذاب « نهم » !

بيد أن إنكارها مالبث أن استحال إقراراً ، وإخلاصها لنهم مالبث أن عاد ازوراراً ، ذلك أنها سمعت حكاية الإله التعس ، والحق أبلج لا يستعصى على البصائر إدراكه ، ما دام القلب سليما والنية خالصة

وأنشأت تقول :

فديتك فابغنا ربًّا كريما جواداً في الفضائل يا ابن وهب
فما من سامه كلب حقير فلم تمنع يداه لنا برب
فما عبد الحجارة غير غاو ركيك العقل ليس بأهل لب

وظلّ النجل المشوق إلى الحق يتحرّى ما تريد الأمُّ المشوقة إلى الحق ... يتحرى ربًّا كريماً جواداً في الفضائل ...

وَصَرَمَ نهماً ، وابث يصلى حيث يستريح جنانه ، وحيث توجهه القوة العظيمة التي بيدها مقاليد كل شيء ...

***

الكون يريد الله به الخير والرحمة ؛ والقلوب التي عذبها القلق وأضنتها الحيرة يريد الله لها السكينة والاستقرار والمعرفة ، والدجنة الغالبة على الدنيا يريدها الله على أن تنقشع ، والنور الذي أكنّ الله للمهديين من عباده آن انبثاقه ... فالإنسان الكريم الذي اصطفاه الله لهذا كله قد أرسل ...

وبلغ أبا ذرّ مبعث محمد صلى الله عليه وسلم[1] ، فخفقت الأماني في صدره ، وود لو صح الأمل ، وقال لأخيه : « اركب إلى هذا الوادي ، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ، ثم ائتني . »

(١) اخترنا من روايات إسلام أبي ذر رواية البخاري

وتلبث أبو ذرّ يرقب عودة أخيه بصبر فارغ، وعاد أخوه يقول: « رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، ويقول كلاماً ما هو بالشعر »

لم يبلّ هـذا القول من أبي ذرّ أواما، فهمّ يتزوّد لرحلة يقوم بها هو نفسه، وحمل شنّة له فيها ماء، حتى قدم مكة بلد الرجل الذي يأمر بمكارم الأخلاق، ويقول كلاماً تذهب فيه العقول مذاهب ... وأتى المسجدَ يلتمس هذا الرجلَ، ولـكنه لم يكن يعرفه، وقد كره أن يسأل عنه ...

وفي اليوم الثالث لمقدمه أقبل عليه عليّ بن أبي طالب، وقد أدرك أنه غريب، فقال: « ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ » قال أبو ذر: « إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنني فعلت » فلما أخذ موثقه، أخبره بطَلِبته

إذن لقد هدى الجدُّ الموّفق أبا ذر إلى أحد أصفياء الرسول السابقين إلى الانتهال من معينه، الراغبين في نشر دينه

ولـكن الظلم يومئذ كان للمؤمنين بالمرصاد، وكانت متابعة محمد يومئذ تكلف فاعلها مالا صبر معه إلا أن تكون الحسنى قد سبقت له من الله هذا، وقد كان من دون لقاء الرسول أذى كثير

على أن عليًّا ذلل الصعب، فبلغ الغريب غايته، وحظى بلقاء الرسول، وسمع إلى الحكمة منه وفصل الخطاب

ووضحت المحجة لأبي ذر، واستضاء الحق أمامه كأنه النهار إذا تجلى، وعرف الرب الذي طالما حن إلى معرفته ... فأسلم مكانه ليكون من السعداء بالـكرامة قبل أن تكون كرامة، وبالهداية قبل أن تكون هداية، وليكون من المؤمنين القليل قبل أن يكون مؤمنون كثير!

وقال له الرسول رءوفاً به رحيما: « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » ولـكن أبا ذر كان من إيمانه كالنهر الطافح الفياض لا بد أن يهدر بما فيه ويتدفق على ما يلاقيه، فهو يجيب الرسول في لغة الواثق بربه، المعتز بعقيدته، المتفاني في حبها والدعوة إليها «والذى نفسى بيده لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم» ألا فليصرخ أبو ذرّ بها، فما أعذب وما أحلى!! وما الظلم، وما البطش، وما الناس، وما الدنيا تلقاء إيمان أقمر في الصدر فأضاء جنباته؟ ما الآلام توجع الضعيف، وما الإهانة تلحق الأبيّ، وما الموت نفسه يلحق الحيّ ما دام يحرز إيماناً ينيله رضوان الله وإعزازه، وينيله الآخرة التي هي الحيوان؟!

أتحسبها كلمةً كان أبو ذرّ قائلها طواعيةً لعاطفة ملتهبةٍ تنثنى بعد حين هامدة؟ كلا! لقد خرج حتى أتى المسجدَ — وأهلُ المسجد يومئذ هم ما هم كراهيةً مجنونةً لمحمد وأتباعه، ورغبةً متسعّرةً في حسم شأفتهم جميعاً — خرج حتى أتاهم، فصاح بها ما وسعه الصياح، صاح بالشهادة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله!

وكان ما كان مرتقباً. كان أن ضربوه حتى أضجعوه، ولم ينقذه منهم إلا العباس الذي أكبّ عليه منذراً إياهم انتقام « غفار » الضاربة في طريق تجارتهم إلى الشام

ولـكن أتحسب ثانية أن ذلك كان ليصدّ أبا ذر عن العودة إلى الجهر بشمار الإسلام الذي تشرّبه قلبه؟ أتحسب خشية العدو المتجبر دلفت إلى قلبه الكبير فنمته الهتاف بكلمة الإيمان؟ أتحسب ضعفه وكونه وقتئذ خامس خمسة هم كل مسلمى الأرض ... أتحسب ذاك ليوهن منه ويقهره على كتمان قولة الحق؟ هيهات! فلقد عاد من الغد لمثل ما كان أمس، وقد عادوا فضربوه، وثاروا إليه، لولا أن عاد العباس فأكبّ عليه ...

وقدم أبو ذرّ على أخيه فأخبره بإسلامه فأسلم؛ وانطلقا إلى أمهما وقد وجدا مُبتغاها ... وجدا (الربّ الـكريم الجواد في الفضائل)، فلم يكنْ إلا أن تؤمن! ودخلت بعدهم « غفار » جلّها في دين الله، فكانت من كتائبه المجاهدة، وكانت أهلاً لقول الرسول الـكريم فيها: « غفار، غفر الله لهـا! »

(المنصورة) لبيب السعيد

حكم استئنافيا بتغريم سيد أحمد ابراهيم البقال بروض الفرج بالقضية نمرة ٦٨١٦ بجلسة ٤ فبراير سنة ١٩٤١ خمسون قرشا لبيعه كبريتا بأزيد من التسعيرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 401 — Lundi - 10 - 3 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٠ مارس سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٠١

الفهـــــرس

صفحة
٢٨١ الفكر و « السلطة » ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٢٨٤ السباعى بيومي يستر جنايته على المبرد بجنايته على المرصفى ... } الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٨٨ زكى مبارك يكتب كثيراً ولا يقول شيئاً . ... } الأستاذ السباعى بيومي ...
٢٩٢ فى العقد ... ... : لأستاذ جليل ... ...
٢٩٤ شكاة ونجوى .. ... : الأستاذ شكرى فيصل ...
٢٩٦ من سماحة الاسلام ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب
٢٩٨ بناءون منسيون ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٣٠٠ التقليد فى الفنون أو نسخ « الكربون » ... ... } الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٠٢ من وراء المنظار .. ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
٣٠٣ خصومة لا عداوة .. ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٠٤ تصويبات ... ... : الأستاذ (ا . ع) ... ...
٣٠٥ صواب بيت ... . : الأستاذ إبراهيم على أبو الخشب
٣٠٦ مازيا ... ... [قصة] : الأستاذ محمد محمد مصطفى . .

الفكر و « السلطة »

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءتنى هذه الرسالة من الأديب صاحب الإمضاء أجتزئ منها بما يأتى للتعقيب عليه . قال حضرته :

« ... ما قصدت بهذه الرسالة إلا إلى استجلاء نقطة دقيقة فى حياة الإنسان المفكر . وهى الصلة فى شخص الكاتب بين العقل الكبير مصدر الآراء النافعة التى يرسمها القلم البليغ وبين الطموح إلى السلطة التى هى وسيلة تنفيذ تلك الآراء الداعية إلى الهداية والإصلاح . ولا أعرف مدى طموحك وما تريد . غير أنى أعلم أنك تحمل عقلاً كبيراً وشخصية قوية ، ومن اجتمعت له الشخصية المؤثرة والعقل النفاذ ، لا بد أن يكون عنصر حب السلطة والقيادة من أقوى عناصر طبعه ... لقد جاهدت كثيراً فى ميدان الصحافة والأدب ، ثم بلغت مرتبة نائب ، فهل هذا منتهى جهدك ؟ يبدو لى أنك تبلورت فى مركزك الأخير !

« قد تقول إنك لم تسع إلى منصب القيادة الإدارية مكتفياً بالقيادة الفكرية والأدبية ؛ وقد تقول إن الرجل ذا الفكر الحر لا يمكن أن يطمع فى السيطرة والسيادة ؛ ولكن هذه بالذات هى النقطة التى أريد أن أبحثها معك . فهل يستطيع الكاتب

النابغة أن يعمل كما يكتب ، أم إن مهنة الكتابة والأدب تقتل فيه القدرة على العمل والتنفيذ ؟ يبدو لى أن الكتابة تقضي تدريجاً على قوة البناء والتنفيذ فى نفس الرجل ، وتنمى بدلاً منها قوة سلبية — إن جاز هـذا التعبير — حتى إذا اختمر فى رأسه مشروع أو فكرة عجز عن إبرازه إلا على الورق . وقد يعزى الكاتب نفسه بأنه يعمل عملاً إيجابياً من حيث تنوير عقول الغير ، ولكن هذا غير العمل المباشر الذى يسعد المرء به عند تطبيق فكرة أو تنفيذ مشروع

« وقد كان ديزرائيلى كما تعلم أديباً وكاتباً ، وكان يقرض الشعر قبل أن يخوض ميدان السياسة ؛ ولكنه كان يقول : إن الشعر هو صمام الأمان لنفسى ، غير أنى أريد أن أفعل ما أقول . وكان ديزرائيلى من أقدر وأبرع رجال الحكم الذين عرفتهم انجلترا فى تاريخها الطويل

« إنى أعتقد أن مصر بحاجة إلى رئيس حكومة من هذا النوع من الرجال الأدباء بطبعهم ذوى العقول النابغة . فما رأيك ؟ أرجو أن أسمع رأيك ، ولو كبدك ذلك كتابة رسالة إلىّ ، أو مقال « للرسالة » ، فإنى من قرائها المدمنين ، ولك منى ألف تحية ...

الخلص

« الاسكندرية » الياس ابراهيم بدوى

***

والمسوغ الوحيد عندى للتعقيب على هذه الرسالة هو أن أتخذ منها موضوعاً لدراسة نفسية ، وإن تناول هذا الموضوع شخصى فيما يتناوله من أطرافه وشعابه

فكان الخطأ فى رأى الكاتب — على ما أرى هو اعتقاده أن « السلطة » نهاية كل قدرة ، وأن السلطة والقدرة شيئان من معدن واحد ، أو شيئان لا ينفصلان

ولبيان هذا الخطأ نسأل : لماذا يطلب الإنسان السلطة ؟ وجواب هذا السؤال أنه يطلب السلطة لسبب من هذه الأسباب الأربعة : أولها أن تسخير الناس طبيعة فيه كالطبيعة التى تشاهد فى رأس القطيع بين الحيوانات الاجتماعية ، وفى هذه الحالة تكون السلطة عنده بمثابة الوظيفة الحيوية أو التركيب البدنى الذى لا علاقة له بقوى الفكر والروح . إنسان يسود لأنه لا بد أن يسود ، كالقوة المادية الدافعة التى لا بد أن تدفع غيرها ، فلا شأن لها بالتفكير ولا بالضمير

وثانى هـذه الأسباب أن الإنسان يطلب السلطة ليشعر بالامتياز ، وفى هذه الحالة يكون هذا الإنسان ناقصاً بين النقص إن لم يشعر بالامتياز من غير سلطة ، ويكون ناقصاً بيّن النقص إن كان سبيله الوحيد إلى الشعور بامتيازه أن يرى إنساناً يقصده فى حاجة ، ويرى إنساناً آخر يقف مكتوفاً بين يديه ، ويرى إنساناً ثالثاً يطيعه وإنساناً رابعاً يخشاه . فإن امتياز الفكر والروح يتحقق لصاحبه ولو لم ير بعينيه مظهراً من هذه المظاهر ، كما أن هذه المظاهر تسقط عن صاحبها متى زالت عنه السلطة وزال عنه الأمل فى العودة إليها ، فلا يقصده بالحاجة من كان يقصده بها ، ولا يقف مكتوفاً بين يديه من كان يقف بين يديه هذه الوقفة ، ولا يطيعه أو يخشاه من كان يربه الطاعة والخشية ، ولا يحس يومئذ شيئاً من الامتياز الذى أضافته السلطة إليه ثم زال عنه بزواله

أما صاحب الامتياز الحق فهو يشعر به ولو لم يشعر به غيره ، كصاحب الجسم القوى يأكل أكل ذوى المعدات القوية ويعدو عدو أصحاب السيقان القوية ، ويقاوم عوارض الجو كما يقاومها أصحاب البنية القوية ، ولو لم يعلم أحد أنه بهذه المنزلة من قوة البدن . بل إنه ليأكل ذلك الأكل ويعدو ذلك العدو ويقاوم تلك المقاومة ولو اعتقد أناس أنه ضعيف ممعود

وإن صاحب الامتياز الحق ليشعر بامتيازه ويزداد شعوراً به حين ينظر إلى الممتازين الذين يقوم امتيازهم على مظاهر الخشية والرجاء والركوع والانحناء ، فلا يحب أن يبادلهم ما هم فيه ، ولا يهون عليه أن يفقد من حريته ووقته ومتعة عقله ما يفقده هؤلاء للوصول إلى « السلطة » التى تناط بها تلك المظاهر

أيظن الأديب كاتب الرسالة أن الدينار الذهب يتضاءل بين يدى الورقة الزائفة ذات العشرة الدنانير ؟ أيظن أن رواج هذه الورقة التى لا تساوى نصف درهم يغض من قدر المعدن الأصيل الذى لا زيف فيه ؟ إن الطريق السهل لأحرى بالاتباع ، وأسهل الطريقين هنا هو احتقار الذين تروج بينهم الورقة الزائفة ويعمون

عن الذهب الصحيح . فذلك أسهل من الإعجاب بالورقة الزائفة ، ومن مجاراة الغافلين فى غفلتهم والجاهلين فى جهالتهم ، ومن نسيان القيم الصحيحة ذهاباً مع قيم الطلاء الذى يتراءى على وجوه الأشياء ، ومن فقدان الوقت والأمانة والمتعة الفكرية والنفسية التى لا بد من فقدها فى كل سعى إلى لبانة من هذا القبيل

والسبب الثالث الذى يحفز الإنسان إلى طلب السلطة هو اتقاء شرور السلطة والأمان من سيطرة الغالبين ، فهو يتقلد سلاحهم ليدفعهم به لا لأنه يحب ذلك السلاح ويتزع إلى الضرب به لغير اضطرار

والسبب الرابع الذى تطلب السلطة من أجله هو الانقلاب الاجتماعى الذى لا يتم بغير قوة مشروعة أو غير مشروعة ؛ فيطلبها صاحب المذهب الاجتماعى ليستخدم سلطان الحكومة فى إصلاح ما يحتاج عنده إلى الإصلاح

تلك هى الأسباب الأربعة التى تغرى المرء بطلب السلطة فيما أراه

فإذا شاء بعض القراء أن نمد الشرحة قليلاً لنضع عليها حالة نفسية محققة فى مواجهة كل سبب من هذه الأسباب فإليهم خلاصة هذه الحالة النفسية مع الإيجاز

فالرجل الذى يطلب السلطة لأنها وظيفة حيوية أو تركيب بدنى هو رجل محمود فى رأى كثير من الناس ، ولكنى أنا لا أحسده ولا أشعر بإكباره ، لأن قوته من قبيل القوى التى تحسب بعدّاد، وتقاس بمقاييس العضل والأوصال ، وتخرج من نطاق الفكر والضمير

والرجل الذى يطلب السلطة ليشعر بامتيازه حين يخشاه من يخشى ويطيعه من يطيع ، هو كذلك رجل محمود فى رأى كثير من الناس ، ولكنى أنا أرثى له وأستصغر همومه ، وأرى أنه يشغل عقله ونفسه بالحواشى والظواهر التى تزول بزوال السلطة وتنتقل إلى غيره بانتقالها ، فليست هى من أصالة الخلق ولا من حقائق الطباعة والملكات

والرجل الذى يطلب السلطة ليتقى بها السلطة هو رجل معقول مفهوم ، ولكنى أراه مسرفاً فى طلبه إذا ترك ما خلق له وشغل حياته بالبحث عن سلاح قد يحتاج إليه وقد يستغنى عنه كل الاستغناء ، لأن طلب السلطة شغل شاغل لا يجتمع مع التفرغ للمتعة الفكرية والذوقية ، وسبيلى الذى أوثره فى هذا الصدد أن أرسم لحياتى الخاصة وحياتى الروحية حقوقاً لا أقبل المساس بها أقل مساس ، فإن تركت لى تلك الحقوق فذاك ، وإن اعتدى عليها معتد فيومئذ أرجع إلى سلاحى فلا أدعه حتى أدع ذلك المعتدى نادماً على ما جناه

أما طلب السلطة للإصلاح فله موضعان : موضع الهدم فى المجتمع الذى لم يبق فيـه ما يقيمه على أساس ؛ ولا اختيار فى هذا الموضع لأحد من الناس ، لأنه إنما يفرض نفسه فرضاً على المصلحين ، إما برسالة دينية أو بانقلاب يأتى فى أوانه ، وهو لا يأتى ولم يأت قط إلا فى أعقاب الحروب والهزائم الكبار

والموضع الثانى موضع الإصلاح الحكومى وهو عمل نافع لا شك فيه ، ولكنه يقتضى التفرغ له من البداية ، ولا يعالج فى فترة بعد فترة ، ولا مناوبةً منتظمة بين الأدب والإدارة . وأكبر ما يأتى به المصلح فى هذا الباب ليس بأكبر من فكرة أدبية أو ثمرة فنية يتفرغ لهـا الأديب جهد ما يتاح له التفرغ فى بلادنا الشرقية ، فإن إصلاح سنة أو سنتين لن يكون فى نهايته غير إصلاح مرحلة قصيرة من مراحل الحياة البشرية فى أمة واحدة ، ولكن الثمرة الفنية حقيقة خالدة لذاتها ولو لم يكتب لها البقاء

وقد ذكر كاتب الرسالة اسم دزرائيلى نموذجاً للأدباء والكتاب الذين يريدون أن يعملوا ما يقولون ؛ فهل لكاتب الرسالة أن يذكر لنا ما هى الفكرة الأدبية التى عملها دزرائيلى فى أيام حكمه ؟ وهل له أن يذكر لنا مثلاً آخر من الأدباء والكتاب الذين يعملون أدبهم فى مناصب الحكومة ؟

فما طلب دزرائيلى الحكم ليعمل فيه ما يفكر فيه الأديب أو الشاعر أو القاص أو الفنان ، ولكنه طلبه ليدفع به الهوان الذى كان يلقاه بين البيئات الأوربية ، وليكره من يزدرونه على أن يحسبوا حسابه ويرجعوا إليه . ولو ازدرانى أحد لرجعت إلى

لنحكم رجال الأدب العربي

السباعي بيومي

يستر جناية على المبرد بجناية على المرصفي

للدكتور زكي مبارك

— ٢ —

ما الذي يوجب أن تشعر يا سيد سباعي بمثل لسع العقرب كلما لوّحتُ لك باسم الشيخ المرصفي ؟

ما الموجب لهذا الفزع وقد مات المرصفي ومات ثم مات ؟

السبب أوضح من أن يحتاج إلى من ينبّه إليه القراء ، وهو عرفانك بأني سأقهرك على الاعتراف بأن كتابك « تهذيب الكامل » لن يظهر سليما من الأغلاط يوم تطبعه للمرة الثانية إلا وأنت مدينٌ أثقل الدَّين لكتاب « رغبة الآمل في شرح الكامل » وهو الكتاب الذي دعوتَ الناس إلى الصدوف عنه ليخفى عليهم فضل مؤلفه عليك

وشبح الشيخ المرصفي سيلاحقك في يقظتك ومنامك ، لأن كتابك لن يطبع بعد اليوم قبل أن تشهد كل صفحة من صفحاته بأنك استعنت بتحقيقات الشيخ المرصفي ، وقبل أن تعترف علانيةً بأنك خضعت لجبروت الحق ، بعد أن طال جدالك فيه

ولو كان الله منحك نعمة الذوق لقدرت قيمة التعصب لرجل ميت لا أنصار له ولا أشياع ، ولا ينتظر أن يكون للتعصب له بارقة من بوارق الثواب ، وقد عاش ما عاش وهو معدوم السناد من العصبيات ، فما استهانتك بالوفاء وهو معنى لا يقيم له الميزان غير أحرار الرجال

ثم ماذا ؟ ثم وجدتَ الفرصة للتخلص من تهمة السرقة من كتاب النثر الفني فيما يتصل بنشأة فن المقامات في الأدب العربي ، لأن كتاب النثر الفني ظهر في سنة ١٩٣٤ وأنت فيما تزعم أعلنت هذا الرأي في سنة ١٩٣٣

نفسي أسألها : لماذا يزدريني هذا الأحد ؟ فإن كان لسبب حق فالحكم لا يدفعه عني ، وإن كان لسبب من هذه الأسباب العارضة ، فأنا إذن أولى بأن أزدري ذلك الأحد ، وهو على خطأ وأنا على صواب

وقال كاتب الرسالة : « لقد جاهدت كثيراً في ميدان الصحافة والأدب ثم بلغت مرتبة نائب . فهل هذا منتهى جهدك ؟ يبدو لي أنك تبلورت في مركزك الأخير ! »

فالذي يقرأ هذا الكلام يخيل إليه أن كرسي النيابة نهاية طريق لي أو مرحلة على الأقل في تلك الطريق

على أن الحقيقة فيما أرى أن كرسي النيابة تعريجة في منعطف الطريق الذي أسير فيه، وأعني به طريق الأدب والكتابة . وكل ما ألتزم به على هذا الكرسي أن أخدم الدائرة التي أنوب عنها ، وقد فعلت ؛ ولي أن أقول إن نائباً آخر لم يفعل لدائرته الانتخابية خيراً مما أفعل . وإلى جانب ذلك أؤدي عملي في النيابة على الوجه الذي أراه ، ولا أستبيح لنفسي أن أتخلف عن جلسات المجلس إلا لعذر قاهر سواء كان لي كلام في الجلسة أو لم يكن لي فيها كلام

تلك هي الصورة الصحيحة لمكان النيابة من حياتي العامة ، وسأعود من تلك التعريجة راضياً مغتبطاً في اليوم الذي تأذن لي فيه حالة الأدب بيننا نحن الشرقيين أن أفرغ للكتابة و« العمل» الأدبي الذي أرتضيه

وصفوة القول أنني أعز الأدب هذا الإعزاز لأنه منحة لا يعطينيها إنسان ، فلن أعلق حياتي ولا قيمتي بمنحة يعطينيها أحد من الناس ولو كانت الشهرة الأدبية التي قد يخيل إلى قوم أنها بغية المتمني وغاية الغايات ، فإن جاءت الشهرة غير ممنونة ولا مبخوسة فقد سمت إلى وما سعيت إليها، وإن أبت أن تجيء على ما أختار فلست أخطو إليها خطوة ... فكيف بالوظيفة والمنصب وما إلى هذه الاشياء ؟

عباس محمود العقاد

فهل تصدق فى سريرة نفسك أنك نجوت من صولة الحق ؟ وهل تظن أن الأسانيد المدونة فى مقالاتى ومؤلفاتى غير قديرة على إلقاء تهمة السرقة فوق منكبيك بصورة لا تُبق لك فرصة من فرص المكابرة والروغان ؟

إليك أسوق البراهين التى تقطع بأن الشيخ الإسكندرى نقل عنى ، والتى تجزم بأنك سرقت من كتابى

والحمد لله الذى أتاح هذه الفرصة ، ليعرف تلاميذك بدار العلوم أنك تقدم إليهم معارف أدبية لم تشق فى تحصيلها لحظة أو لحظتين ، وإنما نهبتها فى الخفاء ، ولم تكن تعلم لسوء حظك أن الحقوق تردّ إلى أصحابها ، ولو بعد حين

أنت قلت فى كلمتك الثانية إنى التفتّ إلى نص زهر الآداب مصادفة حين قمت بتصحيحه فى سنة ١٩٢٥ ، وهذا حق ، فالمصادفة هى التى هدتنى إلى النص الذى يجعل بديع الزمان متأثراً بابن دريد فى إنشاء المقامات ، ولكن كيف رأيتُ لهذا النص قيمة تستحق التسجيل ؟ إنما كان ذلك لأن الدكتور « أحمد ضيف » كان حدثنا فى محاضراته بالجامعة المصرية أن فن بديع الزمان فى المقامات مستوحى من الآداب الفارسية ، ولولا ذلك لكان من الجائز أن يمرّ نص زهر الآداب بدون أن ألتفت إلى قيمته فى تاريخ الفنون الأدبية

وقد حدثت الدكتور أحمد ضيف عن هذا النص فأجاب بأنه لا يزال عند رأيه الأول ، ثم حدثت الدكتور طه حسين عن هذا النص فجادلنى فيه وانتهينا إلى رأى سجلته فيما بعد بالتفصيل

وفى سنة ١٩٢٧ شرعت فى تأليف كتاب النثر الفنى باللغة الفرنسية وأثبتّ فيه النص الذى اهتديتُ إلى قيمته فى زهر الآداب ، ومعنى ذلك أنى حررت هذه المسألة قبل أن يلتفت إليها الشيخ الإسكندرى فى سنة ١٩٣٠

ولكن كتاب النثر الفنى لم يظهر فى مكاتب باريس إلا فى سنة ١٩٣١ فكيف يصح القول بأن الشيخ الإسكندرى نقل عنى ؟

لم ينقل الشيخ الإسكندرى فى سنة ١٩٣٠ عن كتاب ظهر بالفرنسية فى سنة ١٩٣١ فذلك غير معقول ، وإنما نقل الشيخ الإسكندرى عن كتاب نشره زكى مبارك فى سنة ١٩٢٩ وهو الطبعة الثانية من زهر الآداب ، ففى هامش الصفحة ٣٠٧ قال زكى مبارك فى التعليق على عبارة الحصرى ما نصه بالحرف :

« مؤدّى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وأنه حاكى ابن دريد فى أحاديثه ، وقد استغللتُ هذا النص فى كتابى الذى وضعته بالفرنسية عن النثر الفنى فى القرن الرابع ، وقد دهش المسيو (مرسيه) لهذه الفكرة وعجب كيف اتفق الناس على أن البديع هو منشئ فن المقامات ، ولكنى من جانب آخر أذكر أنى لم أر مثل هذا الكلام فى غير زهر الآداب ، ولا أزال ألتمس له مصدراً آخر ، ولم أعثر على شىء إلى اليوم ، ويزيد فى الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروى المسألة على أنها مقبولة معروفة لم تُمسّ بنقض ولا تكذيب ، وقد نقلها عنه ياقوت فى معجم الأدباء » .

ذلك ما جاء فى هامش الجزء الأول من كتاب زهر الآداب وقد ظهرتْ طبعتُه الثانية سنة ١٩٢٩ وكان الشيخ الإسكندرى يقتنى جميع الطبعات كما حدثنى غير مرة ، رحمه الله

ومع ذلك لم تقف المسألة عند كلام أحدّث به أساتذة الأدب العربى ثم أثبته فى هامش كتاب يظهر فى سنة ١٩٢٩ فقد نشرتُ مقالاً رنّاناً فى مجلة المقتطف (عدد إبريل سنة ١٩٣٠) نشرته وأنا مزهوٌّ زهو الطاووس تحت عنوان : « إصلاح خطأ قديم مرّت عليه قرون فى نشأة فن المقامات »

وكان من أثر ذلك المقال الرّنان أن تثور بينى وبين المرحوم مصطفى صادق الرافعى معركة قلمية على صفحات المقتطف

فهل من المعقول أن تثور معركة قلمية بين زكى مبارك ومصطفى الرافعى ولا يصل صداها إلى الشيخ الإسكندرى « وكان من المشتركين فى المقتطف » وهى فى موضوعٍ يتصل بدروسه فى دار العلوم ؟ !

من الكلام الذى نشرته فى سنة ١٩٢٩ بهامش الطبعة الثانية من زهر الآداب ، والمقال الذى نشرته فى المقتطف سنة

١٩٣٠ أخذ الشيخ الإسكندرى فكرة القول بأن بديع الزمان نقل فن المقامات عن ابن دريد ، وإلا فكيف سكت الشيخ الإسكندرى عن هذه المسألة فى كتابه : « تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى » الذى ظهر سنة ١٩١٣ وكتابه الموسوم بالوسيط الذى شاركه فى تأليفه الشيخ مصطفى عنانى وقد ظهر قبل سنة ١٩٢٥ ؟

لماذا أجّل الشيخ الإسكندرى هذه المسألة إلى المذكرات التى ظهرت فى سنة ١٩٣٠ وهى المذكرات التى حدثتَنا أنها « طبعة أخيرة » ؟!

إنما اهتدى الشيخ الإسكندرى فى « الطبعة الأخيرة » بما قرأ لزكى مبارك فى هامش زهر الآداب سنة ١٩٢٩ وبما نشر زكى مبارك فى المقتطف سنة ١٩٣٠

ولك أن تغيِّر هذه الوقائع ، إن استطعت ، ولن تستطيع

ثم أذكر أن الأستاذ أحمد الزين أرسل إلىّ خطاب ثناء بعد قراءة مقالى فى المقتطف ، وأحمد الزين كان يسمُر كل ليلة مع الشيخ محمد عبد المطلب ، فلو كان من الصحيح أن أبناء دار العلوم كانوا يعرفون جلية هذا الأمر منذ بداية القرن العشرين لكان من الواضح أن يفهم الأستاذ الزين أن مقالى فى المقتطف لم يأت بجديد حتى يستوجب خطاب ثناء

وأنا أتحداك أن تثبت أن شخصاً واحداً من أبناء دار العلوم تحدث عن هـذه المسألة فى كتاب مطبوع أو مخطوط قبل أن أتحدث عنها فى هامش زهر الآداب سنة ١٩٢٩

انتهت قصة الشيخ الإسكندرى ، فما قصتك أنت ؟

لا تقل إنك قرأت مذكرات الشيخ الإسكندرى فى طبعتها الأخيرة سنة ١٩٣٠ ، ولكن قل إنك كنت ناظراً لإحدى مدارس المعلمين الأولية ، وهى مدرسة يدخلها فى كل شهر ثلاث نسخ من أعداد المقتطف ، فهل يكون من الممكن أن تثور معركة قلمية بين زكى مبارك ومصطفى الرافعى على صفحات تلك المجلة ولا يلفتك إليها أحد من الأساتذة أو الطلاب ؟

اسمع أيها الأستاذ المفضال :

أنت لم تقدم نصاً يشهد بأنك سجلت كلمتك فى عبارة زهر الآداب قبل ظهور الطبعة العربية من كتاب النثر الفنى سنة ١٩٣٤ فلم يبق إلا النص المسجّل عليك فى مجلة السراج سنة ١٩٣٧ وهو قاطع بأنك سرقت من كتاب النثر الفنى وإليك القرائن :

أولاً — من المفهوم عنـد جميع الباحثين أن الباحث يشير إلى الطبعة الأخيرة من الكتاب الذى ينقل فقرة من فقراته ، فكيف تشير أنت إلى طبعة زهر الآداب القائمة على هامش العقد الفريد وقد انقرضتْ من الأسواق ، ولا تشير إلى طبعة زكى مبارك التى ظهرت فى سنة ١٩٢٩ ؟ أليس ذلك شاهداً على أنك تخشى أن يفطن القراء إلى أنك انتهبت عبارة زكى مبارك ؟

ثانياً — أنا لم أعيِّن النظرية التى انتهبتها من كتاب النثر الفنى حين هددتك بكشفها أمام قراء الرسالة ، فكيف عرفتَ أن هذه النظرية هى المقصودة بالذات ؟ ومن أدراك أيها الأستاذ، أنها مِسكين ؟!

ثالثاً — أشقيت نفسك فى التهوين من هذه النظرية ، فما الموجب لذلك التهوين لو كانت من مبتكراتك أو مبتكرات أحد أساتذتك بدار العلوم ؟

إنك تهوّن من شأن هذه النظرية لأنها من مبتكرات زكى مبارك ، فهى عندك شىء عديم القيمة لا يستوجب أن يُزهى به الرجل زهو الطاووس !!

هذه القرائن هى حجتى عليك ، وهى البرهان القاطع على صحة العبارة التى تقول :

« يكاد المريب يقول خذونى »

ما الموجب لأن تقول إن كشف هـذه النظرية لا يساوى كشف مقبرة توت عنخ آمون ؟

إنما كان مَـثَـلُك مَـثَل اللص الذى يهوّن شأن ما سَرَق لينجو من العقاب وأنت تدرك الخطر الملفوف فى هذا اللحظ الدقيق !!

وهناك نظرية أخرى متصلة بالمقـامات ، وهى نظرية فاتنى النص عليها فى النسخة الفرنسية التى ظهرت سنة ١٩٣١ ولم تفتنى

في النسخة العربية التي ظهرت سنة ١٩٣٤ فهل ترى لها «خبراً» في «الطبعة الأخيرة» من مذكرات الشيخ الإسكندري ؟ وهل تراك حدثت بها قراء مجلة السراج في سنة ١٩٣٧ ؟

وهناك نظرية ثالثة متصلة بالمقامات وفيها ردٌّ على المرحوم الشيخ محمد عبده وهي مثبتة في كتاب «ليلى المريضة في العراق» فهل تعرف هذه النظرية ؟

وهنالك تحقيق متصل بالمقامات ، وهو موضوع مقال حدثت به صاحب «الرسالة» منذ أكثر من عامين ولم أقدمه لمجلة الرسالة إلى اليوم ، لأنه يفرض الرجوع إلى عادات بعضها في النجف ، وبعضها في بغداد ، فهل تعرف موضوع ذلك التحقيق ؟ وهل تعرف ما بقي مطويًّا من أسرار المقامات ؟

أترك هذا الجدال لأوجه الكلام إلى الدكتور عبد الوهاب عزام وكان ألقى محاضرتين عن بديع الزمان في سنة ١٩٣٤ فقد حدثني أمام جماعة من أساتذة الجامعة المصرية أنه اعتمد على كتاب النثر الفني في النظرية التي تقول بأن بديع الزمان نقل فن المقامات عن ابن دريد ، فكيف غاب عن الدكتور عزام أن أبناء دار العلوم نشروا هذه النظرية قبل عشرات السنين ؟

أما بعد فقد ظهر أن الأستاذ السباعي بيومي سَرَق من كتاب النثر الفني ما سرق ، وتبيَّن للجمهور أنه يقدم لتلاميذه زاداً نهبه من كتابي بدون استئذان ، ولست من الملائكة حتى أسكت عمن يسرق مني أكثر من أربع سنين

والأستاذ السباعي يبالغ في شتمي عامداً متعمداً ليقهر أصدقاءنا على وقف هذه الخصومة الأدبية ، عساه ينجو من بطاش قلمي

وأقول إني لم أكن أعرف أن اللغة العربية غنيّة بألفاظ الهجاء قبل أن أقرأ كلمته الثانية ، وأنا من الذين يدينون بوجوب طلب العلم من المهد إلى اللحد ، فمن واجبي أن أرحب بمن يعلمني طرائق السباب ، ومن أجل هذا أرفض كل الرفض أن ينتهي ما بيني وبينه بالصلح ، ولو صدر عن الرجل الكريم الذي أسرّ في أذني عبارات ونحن بوزارة المعارف

لقد شتمني هذا الرجل ليصرفني عن تسجيل ما سَرَق مني ، فهل نجا من تطويقه بتلك السرقة البلقاء ؟

لو كان يعقل لعرف أن السرقة من كتاب النثر الفني لا تنقض من أقدار الرجال ، لأن كتاب النثر الفني كالشمس يعيش في ضيائها أرباب الوفاء ، كما يعيش أصحاب العقوق

السباعي يهدد ويهدد بنقد مؤلفاتي ، وهو من فضلها يعيش ، فهل رأيتم أقبح وأشنع من هذا الكفران ؟

والسباعي يكاثرني بأبناء دار العلوم ، فأين كان يوم دفعت عنها طغيان كلية الآداب وأنا مدرِّس بكلية الآداب ؟

وكيف يُنكِر جميلي في حماية تلك الدار من البغي والعدوان ؟

وفي الأسبوع المقبل يسمع الأستاذ السباعي كلاماً لم يخطر له في بال !

زكي مبارك

خصومة أدبية رضيت فيها الأدباء حكماً

زكى مبـــارك

يكتب كثيراً ولا يقول شيئاً

للأستاذ السباعى بيومى

— ٣ —

ما كنت أحب لك يا دكتور أن تكتب شيئاً مما سودت به مقال العدد ٣٩٨ ، ومعظم مقال العدد ٣٩٩ – بل كله كما ستعلم – لأنه ليس من الخصومة ولا الخصومة منه وليس بذى فائدة للقارئين. وما كنت أحب أن أجول معك فى هذا الخروج لضيق الصفحات الأربع – المحدودة فى الرسالة – عن أن تتسع له ولما أوعدت به من الهجوم عليك فى زهر الآداب، لولا ما تعتقده من أنه فى صميم الخصومة، وما أخشاه من أن تزين لك نفسك أنك به قد انتصرت

ولقد كان واجباً عليك وخيراً لك أن تنتظر كلتى السابقتين ثم تكتب فى الموضوع ، ولكنك تعجلت ولم تستطع منى صبراً . والآن فالى جزاء تسرعك فى الرد على ما ذكرت بعقاليك مما لم تتناوله كلتاى ، مشفوعاً بطلبى منك ألا تعود إلى هذا الخروج ، حتى نفرغ للخصومة الأدبية بالمعنى الذى تحمل وتريده الجمهور

تدعى أن صديقاً عزيزاً قال لك : « لم يرضنى تحديك للأستاذ السباعى فقد كان يتفق فى أحيان كثيرة أن يجمل مقالاتك من موضوعات الدروس بدار العلوم وذلك من شواهد الإعجاب » . وأنك حفظت لى هذا الفضل وآثرت الصمت لولا أن أدبياً أثارك بما كتب إليك . ويظهر يا دكتور أن هذا الصديق من الخبثاء الظرفاء الذين عرفوا فيك ما قرره ابن المقفع من أن عجب المرء بنفسه أرحب باب يدخل عليه منه الضاحك عليه والمضلل له . فهو قد أضلك وضحك عليك بما تخيل فتحققت ، وما كان لشىء من مقالاتك أن يكون من موضوعات الدروس فى دار العلوم ، ولو حدث لما سميت دار العلوم

وتدعى أنك مع هذا كنت على نية السكوت لصداقتى ولأن هجوى لن يقلقل مركز الشيخ المرصفى ، ثم لأنى من زملاء الأستاذين هاشم وصفوت ولهما عليك حقوق ؛ فأما الصداقة فما ينبغى أن تحول دون محاورة الصديقين فيما يفيدهما ويفيد الناس ، وأما أن هجوى لن يقلقل من مركز الشيخ المرصفى فما قريب ستعلم أثره

وتذكر أنك فى سبيل دفع الشر عن الشيخ المرصفى ستقدم لى خدمة أدبية بجذبى إلى الجدل على صفحات الرسالة ، وأنا مرحب بدفع هذا الشر عن الشيخ ، ولكن فيما صوبت أنا إليه ؛ ثم إنى لشاكر لك جذبى إلى التحرير وغير طامع فى رفق أسلوبك ، بل راغب ملح فى أن ترينى ما تزعمه لقلمك من أنه تطير عن أسلاته شظايا الشدة والعنف، حتى أعلمك – إن لم تكن علمت – أن مثل قلمك أمامى مثل بنادق الأطفال تسمع لطلقاتها دوياً ولا ترى لها كلماً . أما القلم الذى ستواجه منى فهو مسدس ذو طلقات تميت فى غير جلبة ولا ضوضاء ، وها أنت ذا قدحت زنده فاصل شرره

وتقول إن المرصفى قضى شبابه فى خدمة الكامل ، وأننى قضيت شبابى فى خدمته كذلك ، وإنى لأكاد أكذبك فى الأولى لأنك غير صادق فى الثانية قطعاً . فما قضيت فى تهذيب الكامل إلا ثلاث سنوات لا تستغرق شباباً ولا بعض شباب ، ثم تتظرف وتحكم بأن الفرق بين الرغبة والتهذيب كالفرق بين المرصفى والسباعى . وإنه لحكم أعاد إلى ذاكرتى هذا البيت :

كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوسٌ حولهم ماء

ثم تكذّب ما قاله الطالب أيوب من أن كتاب المرصفى ظهر سنة ١٩٣٠ وتقول إنه ظهر سنة ١٩٢٧ ، فتكون سطحياً امام طالب ، لأنك أخذت تاريخك من غلاف أول جزء فى الكتاب والطالب أخذه من غلاف آخر جزء منه ، فارجع إلى هذا الجزء رجوع الناقل الذى دل على أنه لم ير الكتاب ، تجد عليه سنة ١٩٣٠ وهو التاريخ الحق الذى لا يعتبر فى مجال الاحتجاج سواه . على أنك شمرت بتفاهة ما لحظت لأن كتابى ظهر سنة ١٩٢٣ فقلت : « وليس لهذا التاريخ أهمية » ولكنك عدت فوقعت إذ زعمت أن شرح المرصفى يرجع إلى أكثر من أربعين سنة ، وأنه كان كاملاً من جميع الجوانب حتى الفهارس قبل سنة ١٩١٥ وأنك رأيته بعينى رأسك ورآه معك الشيخ الزنكلونى.

وما رأيك يا دكتور أن المرصفى نفسه يكذبك فى ذلك بعبارته المدونة فى آخر جزء من أجزاء الرغبة عن إتمامه الشرح فما بالك بالفهارس ، وهى بنصها : « وقد انتهى شرح كتاب الكامل

والحمد لله ليلة ١١ رجب سنة ١٣٤٠ من الهجرة » وهذه توافق سنة ١٩٢٣ ، أى أن الشرح وحده دون الفهارس لم ينته إلا سنة ١٩٢٣ لا قبل سنة ١٩١٥ . أليست هذه العبارة تفهم بصريح العبارة أنك كذبت على عينى رأسك ، وإذا كان لنا أن نتركك حراً تكذب على نفسك ، أفلا نؤاخذك أن تكذب على غيرك . ولكنك يا دكتور كنت لبقاً إذ تخيرت هذا النفر ممن انتقلوا إلى جوار ربهم ، وأنا جد واثق أن الشيخ الزنكلونى لو امتد به الأجل إلى حيث كتبت ما كتبت لأشهدت غيره من الأموات سامحك الله

ثم لك فى هذه النقطة حشوة لا علاقة لها بالتواريخ، ولا هى من العبارات الشعرية كما تقول : تلك هى قولتك « ولن أنسى ما حييت تلك العبارة الشعرية التى صرخ بها الشيخ المرصفى وهو يقدم إلينا شرحه على كتاب المبرد — لن أنساها أبداً — فقد قال شيخنا المعظم وهو يخاطب المبرد (الله على أيامك يابطل) »

وبعد ذلك تقول : « والكتاب الذى كمل من جميع نواحيه حتى الفهارس قبل سنة ١٩١٥ هو الكتاب الذى سرقت بعض فهارسه من كتاب ظهر فى أواخر سنة ٩٢٣ » والآن فلتسمح لى يا دكتور أن أتركك وأخاطب الناس . أيها الناس يعجب الدكتور من أن الطالب أيوب لا يستبعد على المرصفى أن يكون قد استعان فى كتابه الذى ظهر سنة ١٩٣٠ بكتابى الذى ظهر سنة ١٩٢٣ زاعماً أن كتاب المرصفى كان كاملاً من جميع نواحيه حتى الفهارس قبل سنة ١٩١٥ بالرغم من تكذيب المرصفى له كما سبق ومؤيداً هذا الزعم بآخر حاط من قدر المرصفى إن كان حقاً ، هو أن المرصفى لم يكن يطلع على شىء من مؤلفات المعاصرين فكيف اختص الأستاذ السباعى بتلك العناية . هذا ما يقوله الدكتور أيها الناس، وليس لى من تعليق عليه إلا الجملة التى ختم بها ما قال وهى « تلك والله إحدى الأعاجيب »

ويقول الدكتور عنى بعد جعله المرصفى أوحد عصره بلا جدال « إننى الرابع أو الخامس بين أساتذة دار العلوم مع التسامح الشديد » ونحن أساتذة اللغة العربية بهذا العدد تقريباً فى الدار فكأنه جعلنى الأخير . والحقيقة يا دكتور أنك فى تدخلك هذا غريب ؛ فما أنت فينا والفاضل والمفضول والأول والأخير أولئك إخوان فضلهم فضلى ومكانهم مكانى وكلنا أعرف بحق صاحبه منه بحق نفسه .

وتقول إن الشيخ المرصفى أثر فى عصره وتمدد له ذخائر كثيرة ، وليس لى رد على الشىء تعرفه أنت ويجهله غيرك . إنى لا أعرف للمرصفى إلا ما عرف الناس ولا أدعى لنفسى من آثار إلا ما لمسوه . فسلهم لتعلم منهم أن عمرى لم يكن موقوفاً على التهذيب ، ثم سل تلاميذى الذين تتحدث عنهم يخبروك بما يفحمك مخلصين صادقين ونخورين بتلمذتهم لى نخرى بأستاذيتى لهم فى غير زهو ولا إعجاب

ذاك ما جملته طلائع غزوة وبه تباهى . فهل لا زلت على هذه المباهاة بعد تفسيقى لما ذكرت وردى على ما سودت ومع هذا فاليك رأيى فى تلك المباهاة نفسها

تقول إنك لن تصفح عنى أو أشتغل محرراً متطوعاً بالرسالة ثلاث سنين ، وما هذا لى بالتهديد فما أنا ممن يضيرهم التحرير ولا ممن تعودوا أخذ أجر على ما يكتبون، لأنى أكتب للكتابة لا طمعاً فى مال، ولذلك يصدر ما أكتب فى غير كلفة ولا إكراه.

وتقول إن خصومتك لى محنة صبت على من شاهق وتطلب منى أن أتحملها صابراً ، وإنها لا تنتهى قبل بداية مايو ، وليس مثلك معى فى هذا التهديد إلا مثل القبرة التى وقعت على رأس فيل ؛ فلما أرادت أن تطير قالت له إنى مخففة عنك وطائرة فقال والله ما علمت بك نازلة حتى أشعر بتخفيفك طائرة . أما الموعد الذى ضربته فهو أمنية تتمناها وتشفق ألا تكون ، ولست أدرى أتوافقك عليها مطمئناً أم أتجاوزها إلى ما بعدها مزعجاً، لن أبين لك حتى أتركك حينا تتعزى بالأجل إشفاقاً عليك وآخر تجزع لطول الأمد تهديداً لك. وسأعلمك فى حاضرى ومستقبلى أن ماضى لم يكن قائماً على خدمة الكامل وحده وأن تهذيبى له لم يكن عملاً يقوم به أحد النساخين بدراهم معدودات وذلك بما أقفك عليه من أنه كان خدمة يعرفها العارفون

وتزعم أنك قضيت دهرك ممتحناً بعداوات الرجال . ورجائى أن تكون رجلاً فيما أصبت به من عدائى وأن تتمادى فى عدم العطف على، ذلك الذى أزمعت تركه لأنى ترديت لك ثوب المعقوق، والحقيقة يا دكتور أنه لا عطف منك على ولا عقوق منى إليك وإنما هو

نقاش وحساب يتطلب منك أن تكون الجلد الصبور .

ثم تقول إنك حكمت على بترك دروسي في دار العلوم لأشغل نفسي بمخاطرتك . ويلوح لي يا دكتور أنك ما قلت ذلك إلا لعقيدتك أن مخاطرتي لك تشغلني كما تشغلك مخاطرتك لي، ولكن عقيدتك هذه وهم باطل وظن خاطئ ، فإن هجوي عليك وصدى لك لا يشغل مني كل أسبوع إلا الوقت يجري فيه القلم غير متوقف إلى حيث ينتهي المقال وهو وقت يسير في زمن اليوم لا الأسبوع ، ثم هو لذيذ الوقع ترتاح لصريره النفوس .

وبعد فهأنذا مرقل نحو مقالك الأخير فماذا أرى ؟ رأيتك قد سودت أكثر من نصفه بأشياء خرجت فيها عن الجادة وجمعت بينها على الإكراه والقسوة ، فبينا تبدؤه بارد على كلمتي الثانية قبل ظهورها بهذه الجملة التي لا تقدم ولا تؤخر في الموضوع فتقول عني في تبرئة نفسك من السرقة التي ألبستك طوقها : « فكان حاله حال اللص الذي رأى صاحب الدار يمشي من بعد فصاح : مين اللى ماشى هناك » ، ثم تعقب هـذه بقولك : « إني أشعر بالارتياح كلما تذكرت أن عنـدي ذخائر يتطلع إليها الناهبون من الفضلاء » سبحان المنان الوهاب ! وعلى هذا الفرار من قرع طبلك تقول عني « فليواجهني إن استطاع وأنا ماض إليه بقلم أمضى من السيف وأعنف من القضاء » ، وستعرف أينا الذي لن يستطيع ، وأينا الذي سيكون قلمه أمضى من السيف . أما أن قلمك أعنف من القضاء فمعاذ الله أن أشاركك هذا الكفران وقد علمت عن ابن دريد الذي تحدثت عنه في نظريتك المزعومة ، أن تلميذه أبا على القالي قال : « لما أصيب بالفالج كنت أدخل عليه فيتألم من دخولي فأقول : إن الله تعالى لم يبتله بذلك إلا عقاباً على قوله يخاطب الدهر وليس الدهر إلا الله :

مارست من لو هوت الأفلاك من

جوانب الجـو عليه ما شكا

إذا بك تنتقل إلى أن كامل المبرد على ما به من فضل قد حرف وصحف وصار في حاجة إلى إصلاح، وإني لن أكون المصلح المنشود لأني لم أوهب نعمة الذوق الأدبي التي لا يظفر بها من كل جيل إلا آحاد ، وأنت طبعاً من هؤلاء الآحاد إن لم تكن أوحدهم . ثم تقول كان المصلح المنشود له شيخنا المعظم سيد بن على المرصفي وهو طبعاً من الآحاد الذين رزقوا نعمة الذوق الأدبي والآن أقدم للجمهور شيئاً من أشياء أعرفها للشيخ المرصفي برهاناً واضحاً على أن الذوق الأدبي كثيراً ما خانه في أبسط مظاهره ، ذلك الشيء هو أبيات جاء بها المبرد في الهجاء الموجع فجعلها المرصفي في شرحه من المدح البالغ . ولو كان المبرد يعلم أن ذوقه إلى هذا الحد لأنقذه وصرح بأنها هجاء . وها هي الأبيات وتحتها شرح الشيخ من غير تعليق (صفحه ١٣٢ ج ٤)

قال أبو العباس المبرد : ومما يستحسن من شعر إسحق هذا — يريد ابن خلف — قوله في الحسن بن سهل :

باب الأمير عراء ما به أحد ... إلا امرؤ واضع كفا على ذقن

قالت وقد أملت ما كنت آمله ... هذا الأمير ابن سهل حاتم اليمن

كفيتك الناس لا تلقى أخا طلب ... بفيء دارك يستعدى على الزمن

إن الرجاء الذي قد كنت آمله ... وضعته ورجاء الناس في كفن

في الله منـه وجدوى كفه خلف

ليس السدى والندى في راحة الحسن

وإلى القارئين كل ما قال الشيخ المرصفي في شرحها بنصه وصورته ، قال — وقاه الله شر تلميذه الدكتور زكي مبارك — : « في الحسن بن سهل » بن عبدالله السرخسي وزير المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل (باب الأمير) كأنه يريد أميراً غير الحسن (لا تلقى أخا طلب الخ ...) . تريد إن استجديته أغناك ، فلا تجد غريماً يطلبك (ليس السدى) يريد إلا رجاء السدى ، وهو ندى الليل ، (والندى) : ندى النهار ضربهما مثلاً لجوده ، وقد أخر هـذا الاستثناء عن موضعه فتنقل ... انتهى شرح الشيخ ، فـما رأيك فيه يا دكتور ، إن كنت ممن وهبوا نعمة الذوق الأدبي ؟ وهل لا تزال مصراً على أن المرصفي قضى حياته يراوح المبرد ويغاديه بالنظر الثاقب والفهم العميق ؟ أما أني أتقول على المرصفي لأنه مات وشبع من الموت وهذا لا ينبغي ، فهي دعوى لو عمل بها في الأدب ، لمات الأدب وشبع من الموت كما تقول ؟

وإذا بك تقحم الدكتور طه حسين في الموضوع بأنه أتعب نفسه في النيل من دار العلوم ، ولم أغضب ، مع أني أستاذ بها ، وهذا غير ما كان يا دكتور ، فقد كتبت في الصحف والمجلات ، ولكنك لم تقرأ، كما لم تعرف ما ضحيته وما زلت مستعداً لتضحيته في سبيل الدفاع عن دار العلوم ؛ ثم توغل في الإقحام فتدعي أن علة سكوتي هي أن الدكتور طه يضر وينفع ، ويملك المحو والإثبات في أعضاء بعض اللجان ، وردى على هذه الأكذوبة عني وعن الدكتور أني لم أسكت ، ومع هذا كنت عضواً في اللجان ،

وما ذنبي إذا كنت أدمى وتترك ، وأعرف وتنكر ؟

فإذا بك تنادر الدكتور طه إلى الأزهريين ، تحط من قدرهم إذلم ينصروك، وتسلبهم ـ كاذباً في الاثنتين ـ أبسط ما يعرف العلماء من أقدار الرجال فتقول : « لم يوجد في الأزهريين من يدرك قيمة الشيخ المرصفي غير الشيخ محمد عبده ، وبموت الأستاذ الإمام أصبح المرصفي من الغرباء » ؛ ثم تعود إليّ تتهمني بأني أريد الإعلان عن نفسي بالقدح في المرصفي ، وتطالبني بدفع ثمن هذا الإعلان بلا إمهال ، وما كان هذا القدح ولا ذاك الإعلان لي بمراد ؛ أما الثمن ، فأنا على نقده لك عاجلاً ـ كما تقول ـ ولكن فيما يبصر الناس بقدرك

ثم تشرد يا دكتور فتقول : « أنا أعرف أن دار العلوم مدرسة عالية ، لا يزورها أحد من المفتشين إلا إن ظمئ إلى فنجان من القهوة يحتسيه في مكتب العميد أو مكتب الوكيل » ؛ وتخرج منه إلى أن محاسبتي لذلك من المسير ، والحق أني لست فاهماً ما تعني بهذا الشرود . أتريد أن يغير نظام التعليم ، فيدخل التفتيش إلى التعليم العالي قلباً لأبسط مبادئ التعليم ؟ أم تأمل إذا انقلبت الأوضاع أن تكون المفتش لدار العلوم ؟ وإذا كورت الشمس وكان ما تريد، فهل تحملك رجلاك لتقوم بهذا الحساب ؟ أظنك على علم في كل هذه الأسئلة بالجواب ، كما أنك على جهل بأن الدرس الذي أعطيه في الجامعة الأمريكية ، إنما هو في قسم من أقسامها العالية — ولولا ذلك لم أعطه — هو قسم الصحافة والأدب ، وشأنه في ذلك شأن دار العلوم وسائر المعاهد العالية التي يشرف على الدراسة فيها : ضمير الأساتذة ورقابة الطلاب ، وهما أدق تفتيش

وأخيراً تكثر من هذه الجملة « لا تشتمني يا سيد سباعي » معقباً إياها بتعاليل هي الأباطيل . فالشاتم أنت وأنا عن الشتم بعيد ، وإذا كنت تلحن لي في ذلك بأنك « شتيم » ، فأنا ألحن لك « بأني بشر ابن عوانة » . وهاك تعليلاً منها ليس من الشتم، ولكن الشتم منه هو قولك لي : « فما أملك محاسبتك لو أردت الانتصاف لنفسي ، وما ذا أقول في تجريحك ولست بشاعر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب » ؛ وأنا أقول إن لك في هذا أن تجاب :

فأما الشعر ، فلو رضيت لنفسي ما قلته كما رضيت أنت ما قلت، لسويته ديواناً كما سويت ، ولوقعت في الشرك كما وقعت ، فقد اغتررت في طبع ديوانك بنصحك من غرّروا بك ، وخالفت قول من نصحوا لك ، وما ديوانك بشعر شاعر ، ولكنه تجميع ناظم

وأما الكتابة ، فها نحن في ميدانها على صفحات « الرسالة » نجول، وسيصدر الجمهور ـ إن لم يكن أصدر ـ حكمه فيها عما قريب

وأما التأليف ، فقد عرفت من عملي فيه تهذيب الكامل ، وستعرف غيره من مؤلفاتي متى انتهيت منه ، ونقاشنا فيه الآن ، فاثبت ولا تفر من الميدان

أما الخطابة ، فرأيي لك فيها يا دكتور أن نتلاقى في حلبتها أمام جمع من الأدباء وجمهرة من السامعين ويقترح على كلينا التكلم بداهة وارتجالاً في موضوع عام من أدب أو اجتماع ، فهنالك وهنالك فقط ـ ولست مزكياً نفسي ولكني مدافع عنها ـ تجد بحراً يغمرك ، وأمواجاً تقطعك وتبهرك ، فتندم طالباً النجاة ولات حين مناص

إلى هنا أقف ، وقد طال الكلام ، مرجئاً الرد على ما وازنت فيه بين « الرغبة والتهذيب » وكل ما يتعلق بهما في المقال ، وذلك لأن دفعه ـ كما ستعرف ـ لا بد أن يسبق بكلمة مني عن الكتابين، تريك سوء ما زينت ، وهنيئاً لك الآن نفاد الصفحات دون بقية الرد والهجوم .

السباعي بيومي

٢ - فى العقد

لأستاذ جليل

٥ - (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) ولحاتم بن عبد الله :

أماوىّ قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنا عن طلابكم العُذرُ
أماوىّ إنى لا أقول لسائل إذا جاء يوماً حل فى مالى النزْرُ

وجاء فى الشرح : العذر (بضمتين وسكن للشعر) : جمع عذار وهو ما سال على خد الفرس من اللجام . و« عذرتنا . الخ » أى منعتنا الموانع . وأصله من عذرت الفرس بالعذار ، أى شددته به . فالكلام هنا على سبيل الاستعارة

قلت : الشطر الثانى فى البيت الأول هو هذا : (وقد عذرتنى فى طلابكم العذر) وفى الصحاح (عذر) . والشطر الثانى فى البيت الثانى هو هذا : (إذا جاء يوماً حل فى مالنا نذر)

وعذُر جمع عذير[1] — وقد جاء فى الشعر مخففاً — والعذير الحال التى يحاولها المرء يعذر عليها ، والبيت من شواهد الصحاح واللسان والتاج . والنذر معروف ، نذرت أنذِر وأنذُر نذراً إذا أوجبت على نفسك شيئاً تبرعاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك ، كما فى النهاية

٦ - (ص ٢٢) لما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد إلى خراسان . قال له : أوصيك بثلاثة : حاجبك ... وصاحب شرطتك ... وعمال القَدْر . قال : وما عمال القدر ؟ قال : أن تختار من كل كورة رجالاً لعملك ، فإن أصابوا فهو الذى أردت ، وإن أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب

وجاء فى الشرح : يريد (بعمال القدر) ذوى الشرف والحسب . والذى فى ١ : (الندر) ، والذى فى سائر الأصول : (القرى) ، ولا يخفى ما فى كلتا الروايتين من التحريف ، وما أثبتناه عن محاضرات الأدباء (ج ١ ص ١٠٢) فى خبر روى عن عمر بن عبد العزيز ...

قلت : ذوو الشرف والحسب لا يُعذَر الإمام أو الوالى إذا وسّد إليهم الأعمال فاخطئوا أو أساؤا ، ورب وَحد[2] خير من ألف حسيب نسيب ، وقد نقلت فى أحد دفاترى من كتاب لا أتذكره اليوم هذا الخبر : « استشار عمر بن عبد العزيز فى قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل العذر ، قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم ، وإن قصروا قال الناس : قد اجتهد عمر » . وهو يشبه ما رواه محققو (العقد) عن (محاضرات الأدباء) فى الشرح . فأهل العذر هم فضلاء كبار كرام بأنفسهم[1] قد اطمأن إليهم الجمهور ، وقد يكونون من المحسوبين من الحسباء والمنسوبين[2] وقد لا يكونون[3] ، فإذا وليت طائفة منهم فأخطأت عذر الناس من عمّلها أو ولاها

وينصر ما ذهبت إليه قولٌ فى (مشاورة المهدى لأهل بيته) ص ٢٤٨ : « ... واجعلْ عمال العذر[4] وولاة الحجج مقدّمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك أن تأمر قاضى كل بلد وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رجلاً توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فإن أحسن حُمدت ، وإن أساء عُذرت ، هؤلاء عمال العذر[5] وولاة الحجج » والحجج تثبت العذر . . .

٧ - (ص ١٧٦) فرّ أبو خراش الهذلى من قائد وأصحابه ورصدوه بعرفات فقال :

وفونى وقالوا يا خويلد لا تُرَع فقلت وأنكرت الوجوه هم هُمُ

قلت : رفونى . والبيت من شواهد الصحاح والأساس واللسان والتاج . قالوا : فزع فلان فرفوته إذا أزلت فزعه وسكنته[6] ، اعتبر بمشاهدة الوجوه ، وجعلها دليلاً على ما فى النفوس

٨ - (ص ٢٥٢) قال عبد الله بن الزبير لمعاوية — ويقال بل معاوية قالها لعبد الله — : مالى أراك تطرق إطراق الأفعوان فى أصول الشجر

قلت : فى الحديث : إنما هو (فى أصول السخبر) وهو

---

(١) مثل سرير وسرر (الصحاح)

(٢) رجل وحد : لا يعرف له أصل (المخصص)

(١) رجل كريم بنفسه قال الأزهرى : أراد أن الحسب يحصل للرجل بكرم أخلاقه وإن لم يكن له نسب (التاج)

(٢) فى حديث : « كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » هذا هو القول الحق

دعنى من المرء وأعراقه وماله الجم وأوراقه
فما الفتى كل الفتى غير من يستعبد الناس بأخلاقه

(٣) تراجم الرسالة ٣٤٠ ص ٥١

(٤) و (٥) فى طبعة العقد : القدر ، والعذر — كما فى التاج — هو الحجة التى يعتذر بها

(٦) فى خزانة البغدادى : قال المفضل بن سلمة فى الفاخر وللمرزوقى فى شرح الفصيح : رفوت الرجل إذا سكنته وأنشد هذا البيت . . .

شجر تألفه الحيات فتسكن في أصوله ، الواحدة سخبرة

٩ – (ص ٢) ... فعند ذلك يعلم أنها شجرة باسقة الفرع ، طيبة المنبت ، ذكية التربة ، يانعة الثمرة ...

قلت : زكية التربة

في الأساس : زرعٌ زاك ومال زاك : نام بيّن الزكاء ، وقد زكا الزرع وزكت الأرض وأزكت ، ومن المجاز : رجل زكي : زائد الخير والفضل

وفي اللسان : أرض زكية : طيبة سمينة

١٠ – (ص ١٤٩) ... فسلك به سبيل مَهلكة مُعطشة

قلت : مَعطشة

في التاج : المعاطش : الأراضي التي لا ماء فيها ، الواحدة مَعْطَشة . المهلكة (ويثلث) : المفازة لأنها تهلك الأرواح فيها

١١ – ... وفرسي هذا حُبِس في سبيل الله

قلت : حبيس

في الجمهرة : حبست الشيء أحبسه حبساً إذا منعته عن الحركة، وأحبست الدابة إحباساً، إذا جعلته حبيساً فهو محبس وحبيس ، وهذا أحد ما جاء على فعيل من أفعل

في التلويح في شرح الفصيح لمحمد الهروي : (وحبست الرجل عن حاجته وفي الحبس فهو محبوس) إذا منعته من التصرف في أموره أو أحبست فرساً في سبيل الله فهو محبس وحبيس) إذا جعلته وقفاً على الغزاة يجاهدون عليه ، ومنعت من بيعه وهبته

في التاج : وفي شرح الفصيح لابن درستويه[1] : أما قوله : أحبست فرساً في سبيل الله بمعنى جعلته محبوساً فدخلت الألف لهذا المعنى لأنه من مواضعها ، ولا يمتنع أن يقال حبست فرسي في سبيل الله كما تقول العامة لأنه إذا أحبس فقد حبس ولكن قد استعمل هذا في الوقف من الخيل وسائر الأموال التي منعت من البيع والهبة

١٢ – (ص ١٩) ... قال (زياد) لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين ، فقال له ابن عباس : ما ترك الناس التحية بينهم بين يدي أمرائهم ، فقال له معاوية : كف عنه يابن عباس ، فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غَلَبْتَ

قلت : غُلِبت ، فمعاوية لم يخاطب ابن عباس — وقد مره أدب أخيه — مصوباً بل مخطئاً

١٣ – (ص ١٥) ... ثم دخل (معاوية) على أبيه أبي سفيان ، فقال له : يا بني ، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعاً وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيماً من أمرهم ، فلا تخالفن أمرهم ؛ فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه

وجاء في الشرح : لتنفست فيه كناية عن الاستراحة بعد بلوغ الغاية

قلت : لنوفست فيه أي غولبت وقوهرت ، غالبك أقرانك وقاهروك أو نافسوك فيه كنفِسوه عليك ، ونفس عليه بالشيء ضن به ولم يره يستأهله

١٤ – (ص ١٢) ... في جنب صلاح العامة وتلافي الخاصة

قلت : وتألف الخاصة

في حديث حنين : إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر ، أتألفهم ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال

وقد جاء في حاشية (تلافي الخاصة) : في عيون الأخبار : وتلافي الحادث قبل تفاقمه

قلت : هنا يجي التلافي في محله

١٥ – (ص ٣٥٩) ... فأرْوِنى تتألف لي نوافرها ، ويسكن رُوعى . قال : قد فعلت ...

قلت : فأرودنى ، والإرواد الإمهال ؛ وفي غير العقد هذه الرواية في هذا الخبر : (فليمهلني أمير المؤمنين ريثما يتألف نافر القول[1] والروع بالضم القلب ، وبالفتح الفزع

١٦ – (ص ٣٦٨) ... قال : فمن كان أبا النجم مثولاك ؟

قال : رجلين أتغذى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر

قلت : أبا مثواك . أتغدى

في الأساس : وهو أبو مثواى ، وهي أم مثواى : لمن أنت نازل به . قال :

أفي كل يوم أم مثوى تسوسني ... تُنفِّض أثوابي وتسألني ما اسمي ؟

في التاج : الغداء[2] طعام الغدوة ، ج أغدية وتغدى أكل

---

(١) ابن خلكان : درستويه بضم الدال والراء وسكون السين وضم التاء وسكون الواو وفتح الياء وبعدها هاء ساكنة هكذا قاله السمعاني ، وقال غيره ، هو بفتح الدال والراء والواو ...

(١) المعارف لابن قتيبة ، والبستان للنشاشيبي ص ١١٦

(٢) في الصحاح : إذا قيل لك : ادن فتغد قلت : ما بي من تغد ولا تعش ، ولا تقل ما بي غداء ولا عشاء لأنه الطعام بعينه

من وحى الهجرة

شكاة ونجوى ...

[مهداة إلى الرجل الكبير الذى
أخذ بيدى فى الحياة ... إلى خالى]

للأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

... متى يا رسول الله متى ... تكتحل عيناى بالتطلع إلى مقامك الكريم فى أرض النبوة الطاهرة ... ويقدر لى أن أقف بين يديك : أقرؤك السلام ، وأبثك الحنين ، وأفنى فى لثمات أعتابك ؟ ...

لقد طال بى الشوق ، يا رسول الله ، إلى التراب الذى لامس قدميك ، والأرض التى وطأت ركائبك ، والجو الذى نثرت فيه النعيم والسلام ... فتى يا رسول الله ... متى ؟ ...

إن الحنين ليحدونى ، وإن الحب ليهزنى ، وإنى لأجد فى قلبي النور ، وفى عينى الضياء ، وعلى شفتى النغمات الحلوة ... حين أرانى فى مقامك يا رسول الله : هادئ النفس ، مطمئن الخاطر ، كما يطمئن الإنسان إلى خيالات الأمل ، ويهدأ إلى صور الخير ، ويهيم فى أودية من الجمال ...

... متى يا رسـول الله : ينسم عبق مكة ، فأنتشى بهذا النسيم ... وأعب منه ملء رئتى ، وأذكر معه هذه البلاد التى كانت مثـوى الضلالات ، ففاضت بالنور ... وكانت مثابة العصبيات ، فتدفقت بالتسامح ... وعاشت أبداً فى ظلام الجهل وحماقة الهوى وسلطان الغرض ... ولـكنها بدلتها أنوار المعرفة ونعمة العقل وزينة العلم ...

... إنى لتستثيرنى الذكرى يا رسول الله ... يا أسمى من كل إنسان ، وأرفع من كل بشر ، وأكرم من كل مخلوق ... فأصمت لنجواها العـذب ، وأنصت لحديثها الرطب ، وأهيم فى دنياها الرفافة التى تموج بالأمان ، وتزدهر بالسلام ، وتنسم بالحب ... فتى يا رسول الله ... متى أمرّغ خدى بأعتابك الطهور وأقبل بشفتى أرضك الحلوة ، وأغيّب وجهى فى أطراف الستائر التى ترف حواليك رفيف الأمل فى القلوب الآيسة ... كأنما تنعش فيها الموات ، وتبعث فيها الحياة ، وترد عليها التحية ...

— ٢ —

... متى يا رسول الله ... يظللنى المسجد النضر ، لأحدثك حديث هؤلاء الذين تركتهم على بيضاء نقية لا يضل فيها السالك ولا يحار فيها السارى ؛ فإذا هم قد ضلوا الطريق ، وتنكبوا السبيل وتاهوا فى بيد مظلمة ... لا يجدون المخرج ، ولا يلقون المنفذ ، ولا تتراءى لهم أمارات الهداية ...

هؤلاء ، يا رسول الله ، الذين خلفت فيهم القرآن ، وأوضحت لهم الغاية ؛ وحلقت بهم فى أجواء السموّ ، وآفاق المجد ، ودنيا السيادة ؛ قد ذلّوا ... فضعفوا عن الحق ، وسكتوا عن الواجب ، واستخذوا لإرادة الناس الحقيرة . واطمأنوا إلى هذا الاستخذاء وهذا الضعف ... فإذا قلوبهم غلف ، وإذا آذانهم صم ، وإذا الدعوات التى تستمد منك قوتها ، وتستلهم من وحيك نورها ... لا تفعل فيهم إلا ما تفعل النسمات الطلقة فى الصخور القاسية !

... إن الألم ليغمر النفوس العامرة يا رسول الله فتقعد عن العمل ، وإن اليأس ليملأ القلوب النقية ليفسد عليها الأمل ؛ وأن المهجات لتترى ... فن يذكرنا مواطن العظمة فى حياتك وسرّ الخلود فى دعوتك ، وجمال الصبر فى جهادك ؟ من يبث ذلك فى قلوبنا يا رسول الله ؟ ... من ينثره فى أذهاننا كما تنثر السماء سحب الرحمة ؟ ... من يقول لنا هـذا هو الطريق ... بعد أن باعدت بيننا وبينك ضلالات فيها السحر ، وصرفتنا عنك فتن فيها الإغراء

... أين أنت يا رسول الله ، لتشهد المسلمين اليوم وقد نكبوا

أول النهار ، وغديته تغدية أطعمته فى ذلك الوقت

وفى الغداء والعشاء غذاء [1] ...

١٧ — (ص ٣٣٤ ، ٣٣٥) ... وجعل ينادى : أبا عدى أقر أضيافك ...

. . . فقال : إن حاتماً جاء فى النوم فذكر لى قولك وأنه أقراك وأصحابك راحلتك

قلت : أبا عدى ، إقر أضيافك ، وأنه قراك [2]

قرى يقرى (كرمى يرمى) قِرى وقَراء . وأقراه طلب منه القرى

* * *

(١) الغذاء ككساء ما به نماء الجسم وقوامه (القاموس)

(٢) فى خزانة البغدادى : ... ويقول : اقرنا ... وزعم أنه قراكم بناقته ...

قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

بالفرقة ، وابتلوا بالنزاع فإذا هم لا يد فى حكم ، ولا شأن فى سيطرة ، ولا رأى فى مشورة ، يعيشون فى هامش الحياة كما تعيش النبتة الصغيرة فى ظل الشجرة الضخمة فى جو مهتم من الولاء ، لا يمتد لها غصن يقبّل النور ، ولا يشتد لها ساعد يحيي السماء !

أين من يقول لهؤلاء المسلمين يارسول الله إنك كنت تجاهد للحياة التى تحل الضعف ، وتستهجن الصمت ، وتكره الهدوء ؟

أين من يقول لهم إن هذا الهدوء الذى يطمئنون إليه أول نذر الموت ، وأدلة الفناء

لشد ما نحتاج إلى هديك يا رسول الله ··· لندرك أن الدنيا ليست دنيا الشهوات التى نقبل عليها ، والغايات التى نسعى إليها ، والمنافع التى نتكالب فى سبيلها ··· ولكنها دنيا الحياة الحرة التى لا تستعبد فيها نفوس ، ولا تحنى رءوس ، ولا تبذل كرامات .

··· لقد ضل القوم يا رسول الله ··· وزين ذلك فى قلوبهم ··· فمن يكشف لهم عن وضح الحق ؟... من يرفع علهم حجب الضلالات ؟ ومن يصرف هذه السحب القاتمة من فوق رءوسهم ، ومن بين أيديهم تشوه فيهم العقيدة ، وتفسد عليهم الإيمان

— ٤ —

يا رسول الله إلى الناس . . . لقد عمى الناس عن الخير ، لا يفقهون معناه ولا يحسون جماله ، وإنما يتخبطون فى ظلمات الشر وفى دياجير الخصومات . فى أيديهم حراب ، وفى أيمانهم قذائف ، وعلى وجوههم أقنعة ... يتراشقون السهام ويتبادلون القذائف ، ويصطرعون فى هذه الكهوف المعتمة من المادة ، وهذه الأجواء الضيقة من الطيش . . . فهلا انتبه أنصارك يا رسول الله فى هذه الفترة من الزمن ، فانتهزوا الفرصة البارقة ، ينشرون أردية السلام ، ويبعثون دعوة الحق ، ويهتفون بالصيحة الكبرى!...

... حبذا يا رسول الله ... حبذا الساعة التى ينشدون فيها نشيد اليقظة ويرددون صرخة الحق ، ويحققون أروع ما جئت به من مبادئ السلام ، وتتموج على حاشية الأفق راياتهم التى تذكر الناس أكرم ما دعوت إليه وما جاهدت من أجله . . . وتتلألأ فى صفحة السماء آياتك الغر ، تهدى السالكين ، وتأخذ بيد الحيارى ، وتزرع فى النفس معانى الحب والطمأنينة والغبطة

— ٥ —

ألا هل فى قوانا طاقة ، وفى وسعنا جهد ... فنتحمل هذا العبء يا رسول الله ؟ وننهض بهذه الصرخة ، ونوقد المصباح : زيته من دمائنا ، وذبالته من نفوسنا ؟ ونحمل من أجسامنا مغرز الراية ومغرس العلم ؟... وهل فى أعمارنا آجال فنرى هديك فوق كل هدى ، وكلمتك فوق كل كلمة ، وتنعم أعيننا بالإنسانية المطمئنة إلى الحياة الآمنة التى تختطها ، والسبيل السوى الذى ترسمه ؟...

... إن العالم يا رسول الله ليموج فى حالك من الظلمة ، وإنه ليسبح فى جاهلية من الهوى ... كهذه الجاهلية التى بددت ظلماتها ، وكشفت غياهبها ، ونشرت فى جنباتها الهداية ... فهلا أهبت بأنصارك ليتأسوا بك ... وليهاجروا إليك ... وليبدءوا دعوتهم بمثل ما بدأتها من قوة وعزيمة وجلد ؟ !

... ركب الإنسانية يستغيث بك يا رسول الله إلى الناس ... فاسأل الله له السلامة فى مهمه الغرائز ، والخلاص من ربقة الأهواء ، والنجاة من حرب الغل والضغائن ... وخذ بزمامه إلى ساحل النجاة ، فقد سئم صراع الموج ، وزمجرة الغضب ... وضاق بفوضى المذاهب ، وخداع المظاهر ، وتناحر الآراء . وأسلم وجهه إلى الله . إلى الله وحده يؤمن به ، ويعمل له ، ويتكل عليه

... هذه حالنا يا رسول الله ... فمتى ينبثق الفجر من خلال الضباب الكثيف ، ومتى تبصر العين وجه الحياة : لا تغطيها الدموع ، ولا تخدعها المظاهر ... ومتى يجد المدلجون فى سفين الزمن شعاعات الرحمة وأنوار الهداية ؟

— ٦ —

إن الحديث يا رسول الله ليفجر ينابيع الألم ، وإنه لينشر صفحات كابية : فى إطارها سواد ، وفى جنباتها حزن ، وفى رحابها تاريخ يشهد بالضعف والخور . فما أحوجنا أن نهاجر إليك فنملأ صدورنا من روحك الندى ونطهر عزائمنا بعبقك العطرى ، وندفع هذا الصدأ الذى يأتكل نفوسنا بالتمرغ فى أعتابك الطاهرات

إنى لأرنو يا رسول الله إلى هذه الساعات ؟ وإنى لأهيل عليها الصور ، وأريق عليها الزخارف ... فلا أبلغ بها معشار ما يكتنفها من روعة ، وما يحوطها من جلال . . . فمتى أشهد هذا الجلال ، فى مسجدك المتألق ، وروضتك الطاهرة ، وضريحك الحى ؟ !

آه يا رسول الله . . . ما أشد حنينى إلى نسمات الصحراء ، ولفحات الشمس ، وجرعات زمزم

والسلام عليك يا سيدى يا رسول الله

شكرى فيصل

حكم استئنافيا بتغريم عبد المعبود عبد الغنى البقال بمصر الجديدة بالقضية ٦٨٨٢ بجلسة ٧ سبتمبر سنة ٩٤٠ جنيها ونصف لبيعه كبريتا بأزيد من التسعيرة

من سماحة الإسلام

الله الله !

للأستاذ كامل محمود حبيب

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتو الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ؛ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ؛ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ؛ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

(قرآن كريم)

ما لهذا الشيخ يقضي يومه مقبلاً مدبراً يختلس النظر إلى جماعات الأنصار وهم جلوس يتحدثون في هدوء ، وعلى وجوههم نور الهداية يتألق ؟ ماله ينفضهم بنظراته وإن عينيه لتقدحان شرراً ، وإن قلبه ليضطرم حسداً ، وإنه ليحدث نفسه - في مغداه ومراحه - يقول : يا ويلي ! لقد اجتمع ملأ بني قَيْلة بهذه البلاد لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار ! لعله يهيئ أمراً أو يصنع حادثة

إنه شيخ من يهود قد عسا ، عظيم الكفر ، شديد الضِّغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، يحز في نفسه ما يرى بين الأوس والخزرج من ألفة وإخاء ، ويغيظه أن تجمعهم آصرة أو تربطهم وشيجة ، وهو كان يتربص بهم الدوائر منذ يوم بعاث وما كان قبله ... إنه هو شاس بن قيس

لا جرم ، فلقد كان شاس بعض الفئة الباغية من يهود ممن عتوا عن أمر ربهم ونصبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة والبغضاء بغياً بغير حق ولا علم ، يتعنتونه ، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل ، ويحاولون جهدهم أن يفتنوه ؛ ممن انحدر في دمائهم حب العنت ، وأشربوا في قلوبهم روح المكابرة من لدن مَن ْ قال من أجدادهم : « أرنا الله جهرة » حتى مشرق الإسلام على جزيرة العرب ؛ ممن عموا وتاهوا وارتدغوا في حمأة الضلالة على يدي علمهم

أفكان لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يلم شعث هذا الناس ويجمع شتاتهم على كلمة الدين ... كلمة الأمان والسلام بعد ما كان بينهم من تنافر وتنابذ في يوم بعاث ومن قبله يوم مغلس ومضرس ، ثم لا يتلمس هذا الفاسق حيلة يريد أن يطفئ بها نور الله وأن يؤرث بها ضغائن مسحت عليها يد الإسلام الرفيقة ؟ أفكان للدين الجديد أن ينفث سحره في قلوب الأعداء فيصبحوا بنعمة الله إخواناً . ثم لا يجد هذا الفاجر مَسّ الغيظ في قرارة نفسه يوشك أن يعصف به ؟

لعمري إنه ليعلم أن هذا هو الدين الذي كان ينتظر ، يجده مكتوباً عنده في التوراة ؛ وهذا هو النبي الذي كانوا يستفتحون به على أهل الشرك من قبل أن يأتيهم ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وأعرضوا عنه ، وحملوا عليه ، حسداً من عند أنفسهم

***

وانطلق شاس يفتش عن دواء لداء الغل الذي يحز في نفسه فيثور به فيمنعه القرار ، وينفث في حياته قلقاً ما يطمئن ... انطلق والشيطان يدفعه ويوسوس له ، فاستنام إلى رأي الشيطان

ولا ريب ، فللشيطان قدرة على أن يحل كل مشكلة بطريقة شيطانية تبذر - دائماً - غراس الخراب والدمار ، وتلد - أبداً - الشقاق والبغضاء

وجلس الشيخ إلى فتى غِرّ أهوج من فتيان يهود يتملقه حيناً وينشر على عينيه ضعفه حيناً ؛ وراح الشيخ يمكر بالفتى يقول : « ... واتخذوني يا بني سخرية إن أنا أقبلت أو أدبرت ؛ وأنا رجل كبَّار ، قد دقّ عظمي وتقبّض جلدي على مثل ما ترى ، لا حول لي ولا طول ، وهم ما ينفكون يهزأون بكتابنا ويحتقرون ديننا ويتندرون على أحبارنا ، فنستشعر الهوان والذلة ونحن كنا في العز والمنعة . ومَن لنا وللدين إن لم نجد في شبابنا وهم كُثْر ، مَن يرد عنا كيد هؤلاء ويدفع أذاهم . يا بني... يا بني...»

وأطرق الفتى يتسمّع دويّ صوت الشيخ ، وإن الكلمات ليتردد صداها في مسمعيه فيخترق شغاف قلبه فيلقى السَّلم إلى أستاذه رويداً رويداً . ولا ضير فهو يحس مسكنة الرجل وانكساره

ورأى شاس الخديعة تنطلي على الشاب حين أسلس وانقاد فاندفع يحكم العقدة ، فأقبل على الفتى يقول : « يا عجباً ، لقد عرفتك أبداً جلداً إذا حزب الأمر أو أعضلت المسألة ، فما بالك الآن حيران لا تتماسك ؟ لعل خشية القوم قد تسربت إلى قلبك

فانخلع فؤادك رهبة وجزعاً !» . فأجاب الفتى فى سرعة : « كلا ، كلا يا سيدى ، ولكنى لا أجد الرأى »

فقال الشيخ فى هدوء : « الرأى عندى أن نسعى فنفرق كلمتهم ونصدع ألفتهم فتنكسر شوكتهم وتنهد قوتهم ، ونظهر نحن عليهم » قال الفتى : « وكيف ؟ » فأجابه الشيخ : « تعمد أنت إلى القوم وهم فى مجلسهم يتسامرون فتذكرهم بأيام الجاهلية وتبعث فى نفوسهم ذكرى ضغائن شغلتهم عنها أعباء الدين الجديد ، وتنشر على أعينهم حديث يوم بعاث وما كان قبله ، وتنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من أشعار ... هذه، يا بنى، هى الشرارة الأولى؛ ولا عجب إن هى سعّرت بينهم نار الحرب التى انطفأت منذ حين

وراح الفتى يندس بين جماعة من الأنصار يصحبه الشيطان ، وأخذ يحمل القوم رويداً رويداً على ذكر أيام خلت ، ويقص حادثات تبعث ميت الحقد ، وتثير دفائن الغيظ ، ثم هو يتلوى فى حديثه ليذكر غلبة الأوس واستخذاء الخزرج ...

ونفذ الفتى من ثغرات ضيقة إلى قرار القلوب ، فتغلغل الحديث فى نفوس القوم ، وتشعب الكلام فنوناً ، واندفع كل حزب يفاخر صاحبه ويباهيه ، ويتطاول عليه ويكاثره ... ثم شرى الأمر بين أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث من الأوس ، وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتواثبا على الركب يريد واحد أن يبطش بصاحبه ، وتناثرت بينهما ألفاظ طمست على صفاء كان بينهما منذ ساعة ؛ وانحازت طائفة من الأوس إلى صاحبهم ، وأعان الخزرج محاميهم ، وانفرط العقد ، ودبّ دبيب الشحناء ، وبدت البغضاء على وجوه القوم ، وطفت عليهم طبائع الجاهلية التى تنشأوا عليها وعاشت فى دمائهم سنوات وسنوات ؛ فقال واحد لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جذعة » . فغضب الفريقان جميعاً وقالوا : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة » . ونفر القوم وهم ينادون : السلاح السلاح !

***

وأقبل شاس بن قيس فى جماعة من ضلاّل يهود يرقبون ويبسمون ، وفى رأيهم أن كيد الكافر يفلح ، على حين أخذ الفريقان من الأوس والخزرج ينسلون فى السلاح إلى موعدهم ، إلى الظاهرة . وكادت الفتنة أن تقع فينهار صرح مشيد على يدى فاسق زنديق ، لولا أن مَنّ الله على أوليائه ، فأنقذهم وهم على شفا جرف وانطلق رسول السلام إلى رسول الله (ص) يخبره الخبر ،

« ... وطارت الهيمة تجمع شتاتهم على باطل ، فهم هناك فى الظاهرة ، تكاد نقمة الله أن تنحط عليهم فيرتدوا كافرين »

فخرج إليهم رسول الله (ص) قبل أن يبلغ الشيطان غايته ... خرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم وإن سيفاً يوشك أن يقرع سيفاً ، فناداهم : « يا معشر المسلمين ، اللهَ اللهَ ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هدا كم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف به بين قلوبكم »

وأفاق الأنصار من ذهول حين هبطت كلمات الرسول (ص) على القلوب برداً وسلاماً ، فبدت لهم سيئات ما عملوا وتخاذلت أيدٍ كانت تحمل السلاح ، وأقبل بعض على بعض يتعانقون ويبكون ؛ وانسل الشيطان من بين الفريقين وقد كبته الله ، وارتد عدو الله شاس يستشعر الذلة والهوان . وتصافت قلوب كانت توشك أن تتهاوى على أسنة الرماح لأنها أصغت إلى حديث الشيطان ساعة من زمان ... تصافت ، لأن قوة الإيمان سماوية تترفع — أبداً — عن الحزازات الأرضية

(المحلة الكبرى الثانوية) كامل محمود حبيب

من خلال التاريخ

بناءون منسيون
في تاريخ الامبراطورية البريطانية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تقابل الأمبراطورية البريطانية اليوم محنة قاسية ، هى شر ما ابتليت به فى تاريخها . ولا نستطيع أن نسبق الحوادث ، أو نحكم على المستقبل ، فإن فى ذلك رجماً بالغيب ورمياً بالمجهول ، ولكن الذى لا شك فيه أن هذه الأمبراطورية الواسعة الأطراف تتماسك على المحن وتزداد صلابة على الحوادث ؛ وإذا كان فى الماضى والحاضر دلالة على الآتى وعنوانٌ على المستقبل ، فإن ماضى الأمبراطورية وحاضرها يبشران بمستقبل تعود فيه الأمور إلى قرارها ، وترجع الأحوال إلى نصابها

ولم يسبق فى تاريخ البشرية الحافل ومعرضها المملوء بالحوادث الجسام والأحداث العظام أن تجمع الملمات والظروف القاسية قرابة خمسمائة ألف ألف (٥٠٠ مليون) من أناس يختلفون فى العقيدة ، ويختلفون فى لغاتهم وألسنتهم ، ويختلفون فى ألوانهم ، فتراهم جميعاً صفاً واحداً وبناء متماسكاً : تؤلف المصالح المشتركة والعواطف المتحدة بينهم

ولقد قامت فى التاريخ امبراطوريات عظيمة : كالإمبراطورية الرومانية ، والإمبراطورية المصرية القديمة ، والإمبراطورية الإسلامية ؛ ولكنها جميعاً انتابها ما ينتاب الكائنات : فطويت أخبارها وضاعت مقومات وجودها ، ولم يبق منها إلا ذكر يتردد فى أسفار التاريخ

ولكل امبراطورية بناءون اشتركوا فى بنائها ووضعوا فيها اللبنة فوق اللبنة ، والحجر فوق الحجر ، حتى ارتفع البناء واستطال فى الجو ؛ وبعض هؤلاء البنائين مشهورون معروفون تردد الألسنة ذكرهم ، وتقترن أعلامهم دائماً باسم الأمبراطورية التى أقاموا بناءها ورفعوا لواءها ؛ وبعض هؤلاء البنائين منسيون مغمورون لا يهتف باسمهم لسان ولا يتردد ذكرهم على فم ، على حين تبقى أعمالهم خالدة دائمة ، لا تنتسب إلى صانع ولا تنتمى إلى مؤسس

وهؤلاء المنسيون فى كل أمة ، وفى كل واد ، وفى كل ناحية من نواحى الحياة . ففى بناة الأمم منسيون ، وفى العلماء مغمورون وفى الشعراء والأدباء مطويون مقبورون

وليس من الحق أن يطول الأمد على نسيان هؤلاء الناس ، وليس من العدل أن تظل أسماؤهم مكتومة وحياتهم غامضة ؛ وليس مما يشرف الإنسانية أن الجور يجرى على أحكامها ، وأن المحاباة تدخل فى تقديرها وحسابها ، فهى أعدل من تُطلب عنده النصفة ويلتمس منه التقدير

وفى تاريخ الأمة الإسلامية كثير من أمثال هذا النسيان ، كما فى تاريخ غيرها من الأمم . فليس من العدل أن يذكر اسم « الحجاج بن يوسف الثقفى » فى توطيد الملك لبنى أمية وينسى عشرات غيره ممن لا يقلون عنه يداً فى دعائم التثبيت . وليس من الحق أن يذكر أبو مسلم الخراسانى فى الدعوة للدولة العباسية وينسى غيره ممن ساعدوا فى بناء هذا الملك الذى يقول فيه الشاعر العباسى :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بنى العباس

نعم إن فى بناء الممالك وقيام الإمبراطوريات عوامل أخرى تقوم بجانب العوامل الشخصية ؛ وإذا كانت هذه العوامل الأخرى تذكر فى معرض البحث ومجال الدرس ويلقى عليها ضوء يكشف عن دجاها ، فإن العوامل الشخصية أحق بأن تذكر جميعاً ، وألا يطوى النسيان واحداً أو اثنين أو جماعة منها

والذى يتتبع تاريخ الإمبراطورية البريطانية يجد فيها أسماء كثيرة يعرفها كل شخص ، ويرددها كل لسان ، يلقنها الطفل فى مهده ، ويقرأ عنها فى دراسته الأولى ، ويستزيد البحث عنها كلما كبرت سنه ، وكثر ميله إلى المعرفة ، وزاد شوقه إلى الاطلاع

فهناك (رودس) وأعماله الخالدة فى جنوب أفريقية ، وهناك (كوك) الملاح المستكشف الرحالة الذى راح ضحية مغامراته العظيمة فقتل بأيدى جماعة من سكان جزائر ساندويتش الوطنيين ، وهناك (وولف) القائد العظيم الذى وطد للامبراطورية فى كندا وظهر فى حصار (لويسبرج) واحتلال (كويبك) فى مفتتح القرن الثامن عشر ؛ وهناك (نلسون) أمير البحر العظيم الذى جرح جرحاً بليغاً فى معركة الطرف الأغر ضد الفرنسيين فلم يمنعه ذلك أن يقوم بواجبه وهو فى ساعة النزع الأخير ، وقد حشرجت نفسه وضاق بها الصدر

وهناك (دريك) « وكلايف » الذي مكّن لانجلترا في بلاد الهند الواسعة وجعلها ملكاً للتاج البريطاني . وهناك عشرات غير هؤلاء يعرف الناس من أنبائهم الكثير

ولكن من سمع في تاريخ الأمبراطورية البريطانية عن (كلسي) ؟ ومن حفظ اسم السير (جون رينشاردز) ؟ ومن خطر على باله أن يذكر في معرض الحديث عن القارة المجهولة الأفريقية اسم (موفات) ؟

هذه أسماء ثلاثة لا أظن أن قارئاً سمع بها أو عرف نبأ عنها . فهي مطوية في تاريخ الأمبراطورية مسدول عليها ستار كثيف من النسيان ؛ إلى أن تناولها الكاتب الإنجليزي الكبير (آدام بوزويل) في إحدى المجلات الإنجليزية من شهور قريبة ، وعرف كيف يقدمها إلى قرائه في إنصاف بعيد عن التهويل والتهليل، وتجنب أن يضفي عليها ثوباً فياضاً من المبالغة والخيال.

أما (كلسي Kelsey) ؛ فقد نشأ وضيع المنشأ ، فقير الأهل صرعه الجوع يوماً فسقط مغشياً عليه ، فالتقطه أحد الموظفين بشركة (هادسون باي) وحمله معه على إحدى البواخر حتى بلغا (فورت نلسون) ، وهو بناء خرب متصدع الأركان يحيط به فضاء موحش ، وهناك قام عمل الفراء على يد هذه الشركة

وكان (كلسي) غلاماً شقياً لا يطيع أمراً ، ولا يحترم إرادة ، فحمل إلى الحاكم فأمر بجلده . وتقلبت عليه سنون سود اختلط فيها بالهنود في كندا وعاش عيشتهم ، وأخذ أخذهم ، إلى أن حان له وقت البناء لمجد بلاده فألب الهنود على الفرنسيين في كندا ، وكان الهنود يحبونه ولا يعصون له أمراً ؛ فانهالوا على الفرنسيين من كل جانب وأخرجوهم، ومكّنوا للانجليز في السلطان

وكانت القبائل تدخل في طاعته ، وتنقاد إلى زمرته بدافع من المحبة له ، وهو أول إنجليزي كشف شمال كندا الغربي وأضافه برمته إلى أملاك الإمبراطورية

أما (جون رينشاردز) فكان ابن فلاح من غمار الناس لا من خواصهم . دخل في الجيش جندياً صغيراً جداً لا يؤبه له ولا يعتد به ، ثم أصبح في زمن يسير قائداً عاماً

وفي أوائل القرن الثامن عشر كان مؤمراً على كتيبة من الجند في مدينة (أليكانت) ببلاد أسبانيا . وقد كان من حظ انجلترا أن تقاتل ضد فرنسا في ذلك الحين . ولكن شجاعة « رينشاردز » وروحه المعنوية القوية سرت إلى ضباطه الصغار وجنوده ، فقابلوا خطراً محققاً من لغم وضعه الفرنسيون لهم ، ولم يحيدوا عن أماكنهم ؛ أو يتزحزحوا عن مواقفهم ؛ إطاعة لأمر قائدهم . وانفجر اللغم فمات منهم عدد كثير . ومات القائد في طليعة ذلك العدد

ولكن موتهم كانت حياة لمن بقي بعدهم . فقد ثبت الباقون منهم أمام أعدائهم ، ولم يلقوا سلاحاً أو يرموا عدة من عدد الحرب حتى جاءهم عدد كبير تحت قيادة أمير البحر الإنجليزي (بنجز) الذي اضطر الفرنسيين إلى الفرار وتولية الأدبار

وبهذه الشجاعة الأدبية الفائقة ، والتضحية الحق التي بذلها (رينشاردز) استطاع عشرات من الجنود الإنجليز أن يعوّقوا عشرة آلاف جندي من الفرنسيين عن القتال ، وأن يؤخروهم حتى يجيء المدد ويتم النصر ، ويقضي على محاولة فرنسا لتستولي على أملاك الإمبراطورية البريطانية

أما (موفات) فلم يسمع به أحد إلا القليل ممن يقرءون تاريخ الكشف الإفريقي ، وأين منه مثلاً الاسم الواسع العريض الذي يتمتع به ليفنجستون ؟ والحق أن هذا الأخير قد قرر فيما قرره أن أعماله في أفريقية كادت تكون عملاً مستحيلاً لولا أن (موفات) ذلل له السبيل ، ومهد له الطريق

كان (موفات) من أسرة وضيعة الحال ، إلا أن ذلك لم يمنعه أن يكون أحد البنائين المنسيين في الإمبراطورية البريطانية . والحق أن بناء الأمم لا يحتاج إلى شخصيات من ذوي الحسب وأصحاب النشب ؛ بل كثيراً ما تكون الإرادة القوية والعزيمة الصادقة ، والتضحية الفائقة هي العوامل الفعالة في رفع البناء . وإذا تجردنا من الهوى نجد أن أعظم الدكتاتورين المعاصرين هم من أسر رقيقة الحال ، ومن طبقات لم تبلغ مكان السيادة ، ولا محل القيادة .

وكذلك كان (موفات) . فقد ظل يعمل في أفريقية مدة خمسين عاماً بين زنوج أفريقية . وكان أمة وحده في نشر الدعوة للامبراطورية في وقت لم تشهد القارة السوداء فيه وجهاً واحداً من ذوي البشرة البيضاء ، والعيون الزرق .

ولقد أحبه الرحالة العظيم لفنجستون ، ووثق به واطمأن إليه وتزوج إبنته . وكان (موفات) في البعثة التي ذهبت إلى أفريقيا بعد عيشة خمسين عاماً فيها ليبحث عن حميه التائه في مجاهل القارة المظلمة

[مترجمة عن انجلش دیجست]

محمد عبد الغني حسن

كلمة أخيرة

التقليـــد فى الفنون

أو نسخ «الكربون»

للأستاذ سيد قطب

التعبير الفنى فى كل صورة من صوره ـ أدباً كان أم تصويراً أم نحتاً أم غناء أم موسيقى ـ هو انبعاث ذاتى ، وفيض نفسى ، وانفعال شخصى ، يتميز فيه كل فنان عن كل فنان

والله الذى جعل بصمات الأصابع مختلفة فى كل إنسان عن كل إنسان ـ وهى خاصة جسمية ـ جعل الشعور الإنسانى والطبائع البشرية أشد اختلافاً وأكثر تفاوتاً ، لأن الملامح النفسية أجدر بالتفاوت والاختلاف من الملامح الجسمية فى بنى الإنسان

وتفاوت الطبائع الفنية هو المبرر لظهور الفنان بعد الفنان ، حتى يكون للحياة من هـذه الطبائع معرض حافل بصورها المختلفة ، ذلك أن الفن صورة الحياة فى نفس فنان ، وحين تختلف الصور وتتعدد ، يحفل المعرض الخالد بالصور العجيبة

وحين ينعدم هذا التفاوت والتميز المطلوبان فى الفنان ، ينعدم المبرر الأول لظهوره على مسرح الفنون ، ويفقد حجته فى تمثيل دوره فى الحياة التى لا تحفل بالنسخ المكرورة المعادة ، ولا تبالى سوى الجديد المتميز تكثّر به نتاجها الممتاز ، وتزيد فى معرضها العجيب

تلك بديهيات مقررة ، ولـكننا هنا فى مصر نحتاج أن نبدئ فيها ونعيد وأن نشرحها ونضرب الأمثلة لها ، ولو نقلت هذه الشروح والأمثلة إلى أية لغـة لـكانت عجباً هناك بين القارئين ، ودليلاً أى دليل على مبلغ تأخرنا فى فهم وظيفة الفنون ، بينما نحن فى مصر لا نزال فى حاجة إلى المزيد !

وقد كان معيباً أن يقلد شاعر شاعراً ، وموسيقى موسيقياً ، ومطرب مطرباً ، فى طريقة إحساسه أو طريقة أدائه ، ولو كان هذا التقليد غير مقصود ، لأنه يعارض غرض الحياة الأول من إظهار فنان بعد فنان ، ويعطل وظيفة الفن الأولى من إبراز النماذج والأنماط

وظل هذا التقليد المستتر العارض معيباً ، حتى فوجئنا أخيراً ببدعة فاقت كل ما كان يخطر على البال من جراء المسخ الذى أصاب الغناء المصرى ، تلك هى ظهور مطرب أو أكثر يقول علناً : إنه يغنى على طريقة مطرب آخر ، ويذيع فعلاً ، فإذا هو صورة أخرى من أستاذه أو نسخة من نسخ « الكربون » !

كنا ننتظر كل مسخ أو تشويه للطبيعة البشرية ـ ودعك من الطبيعة الفنية الممتازة ـ إلا أن يصل هذا المسخ إلى رضاء إنسان أن يكون نسخة أخرى من إنسان ، ونسخة مشوهة بطبيعة الحال كنسخة « الكربون » بالقياس إلى النسخة الأصلية

ولست أدرى ما يبرر وجود النسخة الثانية متى كان فى الإمكان الاطلاع على النسخة الأولى . ولست أدرى لماذا يكلف إنسان نفسه مشقة الاطلاع على نسختين مكرورتين أو أكثر وفى واحدة غناء عن الأخريات ؟

وما أدرى أسأل المطرب المقلد أو المطربون المقلدون والمطربات المقلدات أنفسهم هذا السؤال ؟ وهل علموا أنهم يلغون وجودهم ويفقدون المبرر الأول لهذا الوجود ، أم لم يدر فى أخلادهم مثل هذه الأسئلة وهم يندفعون إلى التقليد ؟

* * *

وبعد فلو عزت الدلائل على المسخ والتشويه الذى بلى به عالم الموسيقى والغناء ، ففى هذا التقليد الواضح المكشوف دليل لا ينقض على هذا البلاء ، دليل على هؤلاء الذين يتصدون لأرفع وظيفة إنسانية وهم مجردون من المؤهلات البشرية الأولية التى ترتفع بالانسانية عن التماثل أو التشابه الملحوظين بين حجر وحجر أو زاحفة وزاحفة ، قبل أن تتميز الأشكال وتتنوع الأنماط فى عالم الطبيعة وعالم الحياة ...

وهو دليل على أننا لم نكن مبالغين حين نفضنا أيدينا من هؤلاء الناس ، ويئسنا من استطاعتهم تغيير أنفسهم وتبديل طبائعهم ؛ وحين التفتنا إلى هذه الأمة وحدها نفحص عن نبع مطمور فى طبيعتها نرجو أن ينفجر فيكتسح هذه المخلفات

وفى ارتقاب هذه المعجزة نقضى الوقت فى تأملات وملاحظات علها تمهد الطريق للنبع المرموق !

يشقشق العصفور حين تمتلئ حويصلته بالحب والماء ، ويحس بالدفء والراحة ، ويأمن المخاوف والأخطار ، ويستشعر فى قواه فضلة دافقة يناجى بها الأليف ، ويطلب لها كفئاً من الأنيس

ويغنى الإنسان — على مثال ما تشقشق الطير — حين يجد فى نفسه فيضاً من شعور، وفضلة من طاقة، ويحس براحة للتعبير، ولذة فى التنفيس. يستوى أن تكون هذه الطاقة من لذة أو ألم وأن يكون ذلك الشعور من نعمة أو بلاء، والألم فى هذه الحالة دليل قوة كاللذة سواء، ومبعثه امتلاء النفس بعاطفة ملحة، لإفراغها من الطاقة الدافعة

ولن يكون الغناء فى أية حالة من الحالات دليل ضعف وانحسار فى الوجدان، ولن ينبعث حين ينطوى المرء على نفسه وتفرغ الطاقة الدافعة فى شعوره، فهذه الحالة حين توجد تبعث على الصمت لا على التعبير، وتنزع إلى الانزواء لا إلى الظهور

فالذين يغنون فينضح الضعف فى أغانيهم، ويسيل التخاذل فى نبراتهم، والتهالك فى ألحانهم، هم جماعة من الممثلين الزائفين لا يليق بأمة أن تطمئن إلى قيامهم بأرفع وظائفها وهو التعبير الفنى والقيادة الروحية والتطلع إلى الكمال

والحب المظلوم مع المؤلفين والملحنين والمطربين، هو الآخر دليل فيض فى القوة لا دليل انحسار. فلن يحب الحب وهو مضعوف هزيل، ولن يبحث عن الحب إلا حين تفيض قواه، ويطلب لهذا الفيض إنساناً آخر يعاطفه ويكافئه؛ حتى الحيوان — لا يحب! — إلا حين تصح بنيته وتفيض غريزته فيطلب الأنثى، ويجهر بالحب على طريقة الحيوان!

وقد يبعث الحب الألم فى بعض الأحيان، ولكنه لن يبعث الضعف فى حالة من حالاته، ولا التميع فى صورة من صوره؛ إلا أن يكون هـذا الحب «المـوق» المصطنع الذى يفيض به الغناء فى هذه الأيام

إن حرقات الحب فى حرمانه غريزة قوية كلذائذه فى متاعه، وما كل هذه التكسرات و«المياعات» إلا دنس يلطخ وجه هذا الحب العزيز الكريم، ويشوه جبينه الطاهر النبيل، وما هو إلا مسخ للطبائع وتحريف للغرائز، أوقح ما فيه أنه يتزيا بزى الفنون

ومن المؤلم ألا يكون الغناء وحده هو الذى يقارف هذه الجريمة، بل يشاركه الشعر فيها؛ فإذا الحب بكاء ودموع ولا شىء غير البكاء والدموع. ولن يصاب الحب بالمسخ فوق هذا المصاب، ولن يبلى هذا البلاء إلا حين تشيخ الأمم ويصيبها الانحلال. ومن هنا نحن نشتد فى مقاومته خيفة أن يصدق نذيره فى شعب يهم بالنهوض!

إن للحب ألواناً وأنماطاً، وإن له صعوداً وهبوطاً، وإقبالاً وإدباراً، ولذة وألماً، وفيه رجاء وقنوط، ويقين وشكوك، وجوح وانحسار، وقلق واطمئنان؛ وهو فى كل حالة من حالاته يثير أحاسيس ويلهم تعبيرات؛ فأين هذا الغنى كله من ذلك الفقر المدقع فى عواطف الشعر والغناء، ومن ذلك الثوب الواحد الذى يرتديانه فى كل حال؟

ووراء الحب عوالم أخرى من مباهج الحياة، ومجالى الأطياف والظلال، ومعارض الصور والأشكال، فى الطبيعة والكون؛ فأين هذا كله فى الموسيقى والغناء؟

* * *

أيتها الأمة: إن هؤلاء الذين يهتفون لك بأحط غرائزك، ويتملقون فيك أردأ أحاسيسك، ويخاطبون عندك أسوأ وجداناتك، هم جماعة من التجار المهرجين، يختلسون إعجابك، وينهبون نقودك، ويجزونك على هذا بنشر أسباب الانحلال، وبث عوامل التفكك. وغريزة الدفاع عن النفس فى أبسط صورها كفيلة أن تنبهك أيتها الأمة إلى الذود عن نفسك، وإلى نبذ كل من يخاطبك بغير ما تخاطب به الأمم الناهضة والشعوب الكريمة

وإلى اللقاء — أيتها الأمة — حين تقع المعجزة فينهض فيك فنان فى عالم الموسيقى والغناء.

سيد قطب



من وراء المنظار

المتعاظم الصغير أيضا

أحب من أعرف من القراء هذا المتعاظم الصغير وما منهم إلا من يراه فيما قرأ عذب الروح خفيف الظل ، يرق كثافة ويلطف روحاً ، حتى لتكاد ألا تراه إذا وقعت عليه العيون

جلست ذات يوم مع كبير من أصحاب الديوان ، جئته زائراً فحسب ، فراح — ولعله ظن أنى جئته لأمر — يشكو إلىّ من كثرة من يجيئونه من طالبي الوظائف لأقاربهم والمحسوبين عليهم من الناس ، وقال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة : والعجب أنه كثيراً ما يطلب إلىّ ذلك من لا أكاد أعرف أشخاصهم ، فمن هؤلاء من يرى أن مجرد رؤيته إياى مرة فى أية مناسبة ، كفيل بأن يجعل له حق الوساطة لدى !

وما كاد يتم صاحب الديوان عبارته ، حتى ناوله حاجبه بطاقة فنظر فيها نظرة المتسائل وقطب ، ثم ابتسم مثل ابتسامته السالفة وقال لحاجبه فى شىء من الضجر : أدخله . . .

وفتح الباب ، ونظرت ، فإذا المتعاظم الصغير يقبل متهللاً فيسلم على صاحب الديوان سلام الصديق على صديقه ، وبعد أن سأله كيف حاله وكيف حال أنجاله ، وأعاد ذلك مرة ومرة ، دنا منه وكله كلاماً لم أسمعه ، وإنما رأيت فى معارف وجهه التوسل والاستعطاف الشديدين ؛ وأنصت صاحب الديوان وعلى وجهه أمارات من يكظم غيظه ومن يعانى من ذلك ضيقاً شديداً ، ثم نفس عن نفسه بقوله : « يا سيدى الأستاذ هذا ضد القانون »

ولكن الأستاذ راح يتوسل من جديد فى ابتسامات قردية السمت ، وحركات من لَىّ العنق وإدارة الوجه : مرة إلى اليمين ومرة إلى الشمال ، أشبه بما يفعل معك أحد الشحاذين إذا ابتليت به فقطع عليك طريقك

وما فرغ الأستاذ من مسكنته هذه إلا بعد أن راح صاحب الديوان يكرر — وكأنه يصرخ — قوله : « آسف يا سيدى . . . يا سيدى قلت لك آسف . . . لا تؤاخذنى . . . آسف . . . آسف »

وبلغ المتعاظم الصغير منتهى عذوبة روحه وخفة ظله ، فراح يلقى فى روع صاحب الديوان أنه يعرف فلاناً وفلاناً ، وأنه له عند « سعادة الوكيل » مكانة خاصة ، وأن من أصدقائه كيت وكيت من العظماء والكبراء ، وأنه ما جاء يرجو « سعادة البك » إلا لما عرف من كرمه وبره ، ثم سأله ليغطى خجله أو ليحفظ على نفسه تعاظمها وقد يئس من التوسل ، أيجيب طلبه إذا ظفر بموافقة سعادة الوكيل عليه ؟

وإذ ذاك نهض صاحب الديوان فمد إليه يده يسلم عليه أو يصرفه على الأصح وهو يقول مبتسماً : « يا أخى إن من يعرف هؤلاء لا حاجة به إلى أمثالنا » ... ولم يجد المتعاظم بداً من الخروج ؛ ونظرت إليه وهو يهز اليد التى امتدت متراخية إليه هزاً قويًّا حماسياً ، فلم أر فى وجهه شيئاً من خجل أو اضطراب ! . . .

ونظر إلى صاحب الديوان وهو يتنفس الصعداء الطويلة قائلاً وقد رأى فى وجهى الاستفهام : « تالله يا أخى ما أذكر أنى رأيته من قبل ولم أعرف اسمه ولا وظيفته إلا من بطاقته » !

وانصرفت من لدن صاحب الديوان فمررت بذلك المتعاظم وقد وقف فى ردهة من ردهات الديوان يحيط به بعض الريفيين وسمعته يقول لأحدهم : « خلاص يا مصطفى مسألتك انتهت وستعين قريباً ... أما أنت يا حسن فأنا ذاهب إلى سعادة الوكيل من أجلك الآن ... وأنت يا علىّ فكرنى بكره ... فين عبد السميع ؟ موضوعك ينتهى قريباً إن شاء الله ، اطمئن ... »

ومضى المتعاظم الصغير مرفوع الرأس شامخ الأنف يسراه فى جيب سرواله ويمناه يلوح بها مسلما على من يعرف ومن لا يعرف ممن يمر بهم من صغار أصحاب الديوان وكثيراً ما كان يكتفى بإيماءة من رأسه العالى أو ابتسامة من ابتساماته العذبة وإن لم يفطن إليه بعض من كان يجود عليهم بهذه التحيات أو كان يحسبها بعضهم موجهة إلى غيرهم لأنهم يجهلون صاحبها ، وفى نفسه أنه علم يشار إليه أينما سار ؛ وكان كما زعم متجهاً للقاء سعادة الوكيل وإن كنت لأعلم حق العلم أنه لا يعرف عن سعادة الوكيل إلا اسمه وموضع حجرته من حجرات الديوان

الخفيف



خصومة لا عداوة

رأى جماعة من كبار المفتشين وهم الأساتذة جاد المولى بك ومحمد على مصطفى ومحمود محمد حمزة ومصطفى أمين وأحمد على عباس ، رأى هؤلاء الأكابر بأخلاقهم وآدابهم أن أقف الجدال الذى أثرته فى وجه الأستاذ السباعى بيومى ، وحجتهم أنه وصل إلى درجات من العنف تؤذى كرامة المشتغلين بخدمة اللغة العربية

وأنا أجيب هذه الدعوة ، لأنها أول دعوة كريمة صدرتْ لكفّ الشر بينى وبين من أخاصمهم بقلمى لا بقلبى ، فلم أسمع مثل هـذا الصوت يوم خاصمتُ رجالاً أعزاء لم يكن يسرنى أن يفصم القلم ما بينى وبينهم من عهود

وإنصافاً لنفسى أقول : إنى كتبت ما كتبت وأنا أبتسم . فأنا قد أخاصِم ، ولكنى لا أعادِى . فما استطاعت الدنيا بأحداثها الفواتك أن تضيفنى إلى أرباب الضغائن والحُقود ، وإلا فما هى البواعث التى تفرض أن أخص الأستاذ السباعى بالعِداء وهو صديقٌ قديم ؟

أنا أُتهَم بالقسوة والعنف بغير حق، فما كان من همى فى كل ما أثرت من المجادلات إلا إيقاظ الروح الأدبى واللغوى . أما إيذاء الأدباء والباحثين فهو معنى لا يمر بخاطرى ، لأنى أرجو دائماً أن يكون الهدم على عنفه من صور البناء

كان سبب الخلاف هو تبرئة الشيخ المرصفى من تهمة الغرور فما يكون الرجل مغروراً إلا حين يدعى ما لا يملك ، والمرصفى من أقران المبرد ، وجهد المرصفى فى شرح الكامل قد يكون أعظم من جهد المبرد فى تأليف الكامل ، وستُعرف هذه الحقيقة يوم يقام فى هذه البلاد موازين صحيحة لأقدار المفكرين فى القديم والحديث ...

أنا أديت واجبى فى صيانة سمعة الشيخ المرصفى ، فماذا صنع تلاميذ هـذا الإمام الجليل ، وفيهم أحمد حسن الزيات ، ومحمود حسن زناتى ، وعلى عبد الرازق ، وطه حسين ؟

ولكن كيف يصنع أولئك الأساتذة فى البر بذلك الإمام الجليل ... ؟

أنا أدعوهم إلى تأليف لجنة أدبية يكون عملها إنقاذ مؤلفات الشيخ المرصفى من الضياع . وأخص بالعناية شرح المرصفى على «أمالى القالى» فقد أخذ من وقت شيخنا العظيم سبع سنين ، وهو لا يقل عظمة عن شرح الكامل ، وقد يفوقه فى أشياء

منذ نحو ثلاث وعشرين سنة وقف الخطباء والشعراء فى المدرج الذى أنشأه الوزير على مبارك باشا فى ديوان المعارف بدرب الجماميز ، وقفوا يرثون الشيخ حمزة فتح الله ، وكان فيهم محمد الهراوى وعلى الجارم ومحمد الخضرى ، ثم وقف خطيب خُتمت خطبته بالدمع ، فمن هو ذلك الخطيب ؟

هو الأستاذ الشيخ محمد المهدى بك ، أول أستاذ تلقيت عليه دروس الأدب بالجامعة المصرية ؛ فقد كان فى خطبته أن جماعة من المستشرقين أرادوا أن يشتروا مخطوطات الشيخ حمزة فتح الله وأنه أجاب : هذه المخطوطات ملكٌ لوطنى !

وقد بكى الشيخ المهدى فأبكانى حين فاه بهذا التصريح النبيل

وأنا من جانبى أذكر أن الشيخ المرصفى كان يصلى العصر بالأزهر منذ نحو عشرين سنة وبجانبه رجل يترصّده من جماعة الناشرين ؛ فلما انتهى الشيخ من صلاته أقبل الناشر يقول : أرجو فضيلة الشيخ أن يبيعنا حق النشر لشرحه على الأمالى . فصرخ الشيخ : هذا شرح لا يشتريه إلا ملك !

وكان ذلك آخر العهد بشرح المرصفى على الأمالى ، ومصرُ لا تخلو من عقوق إلا أن يتفضل أستاذنا الشيخ محمد مصطفى المراغى فيشترى هذا الشرح من الورثة قبل أن يضيع كما ضاعتْ مئات وألوف من آثار أصحاب الفضل بهذه البلاد

إن نفعتْ هذه الفرصة بعض النفع فى إنقاذ بعض مؤلفات الشيخ المرصفى فسيكون من حق نحو ضميرى أن أتناسى الإيذاء الذى صوّبته إلى الأستاذ السباعى بيومى ، وإلا فسأذكر أنى أهنت رجلاً وادعاً بلا نفع ولا غَناء ، فما آثرت ميدان النقد الأدبى إلا لغرض نبيل هو إيقاظ الغوافى من العواطف والقلوب

المهمّ هو الظفر بنفع محقَّق لخدمة اللغة العربية ، فأين من يستمعون هذا الصوت فينقذون مؤلفات الشيخ المرصفى من الضياع ؟ وأين من يذكرون أن الشيخ المرصفى كان أول رجل أقام دولة للأدب واللغة فى مطلع العصر الحديث ؟

أما العبارات التى آذيتُ بها الأستاذ السباعى بيومى والتى استوجبتْ أن يتوسط بينى وبينه أولئك الأكابر من المفتشين ، وهم لى وله إخوان ، فأنا أراها عبارات هينة رفيقة ، على شرط أن تنبه الغافلين من تلاميذ المرصفى العظيم ، وإلا فهى إثمٌ اجترحتُه فى بلاد لا تعرف حقوق الرجال .

زكى مبارك

تصويبات

حضرة الأستاذ الجليل صاحب (الرسالة)

١ — قرأت فى العدد ٣٩٧ من الرسالة الغراء كلة للدكتور زكى مبارك ، توجيهاً لغلطة فى ضم الظاء من كلة (الظرف) . فقد قال : « أنا أقول إن الظرف قد أخذ حكم اللطف من طريق الإتباع ، ثم بقى له الحكم مع الانفراد ... والمصريون عرب ، وهم لا يخطئون فى لغتهم عن جهل ، وإنما (يخطئون) لأسرار قد تخفى على بعض القراء ، فنتوهمهم مخطئين وهم على صواب » الخ ما قال

ومعنى هذا كله أن الدكتور قد أخطأ ، فشقّ عليه أن يعترف بالخطأ ، فراح يتلمس أمثال هذه العلل . نحن لا ننكر أن جمهرة المصريين من أصل عربى ، وأن لغتهم تتكون من لهجات القبائل العربية التى نزحت إلى مصر ، وأنها تشتمل على كثير جداً من الفصيح ، وعلى كثير جداً مما يحتاج إلى يسير من التهذيب والصقل حتى يعود صحيحاً . ولكنا ننكر أشد الإنكار أنهم لا يخطئون فى لغتهم ، بل الخطأ والتشويه فاشيان فى صميمها . وما ظنك بأمة خالطت الأعجام من كل جنس قروناً وأحقاباً طوالاً ، ولخطر المخالطة والامتزاج جدّ السلف من اللغويين فى ضبط اللغة ووضع قواعدها وجمع مفرداتها من أفواه العرب الخلّص ، حفاظاً عليها من أن تتسرب إليها العجمة والتشويه . أفبعد كل هذه المخالطة والامتزاج نجرُؤ أن نحتج بكلام المصريين وضبطهم للألفاظ ؟

ألا إن هذا المذهب إغراء صريح للشباب بالاستهانة بالبحث وأخذ اللغة من مصادرها الصحيحة

وقد أذكرنى هذا أنى رأيت فى الرسالة منذ قريب كلة لفاضل نبّه فيها الدكتور على أنه من غير الصواب أن يقول : (أمكن له) لأن الفعل متعد بذاته ، ولكن الدكتور لم يجبه . وبينما كنت أتصفح للدكتور من بعد ذلك مقالاً فى (الرسالة) ، وجدته يُؤثّر الخطأ نفسه ، حتى لا يقال — فيما أظن — إنه اعترف بأنه أخطأ . وقد يجيب الدكتور عن هذا بأن المصريين يقولون : « أمكن له » فهو صحيح !

٢ — نشب حوار فى (الرسالة) بين الدكتور زكى مبارك والأستاذ إسماعيل مظهر حول معنى (الجيل) . فأنكر إسماعيل مظهر المعنى المُتعارَف للجيل ، وهو أهل الزمن الواحد . وقال إن الكلمة التى تؤدى هذا المعنى هى (الأهل) ، وساق نصاً من الأغانى يؤيد رأيه وقال — مستنداً إلى ما اطلع عليه من المعجمات — إن الجيل هو الصنف من الناس ، فالمصريون جيل ، والترك جيل ... الخ ، وأصر الدكتور زكى مبارك على أن المعنى المتعارف يُقصد أيضاً من (الجيل) ، ووعد بمواصلة البحث حتى يأتى بالدليل . ولكنه لم يأت به بعد

وإنى أدله على دليل : فنى (المصباح المنير) فى مادة (ق ر ن) ما يأتى : « والقرن الجيل من الناس . قيل ثمانون سنة . وقيل سبعون » فأنت ترى أن للجيل معنيين قد نُص عليهما

أما (الأهل) التى أتى بها الأستاذ مظهر من الأغانى فيظهر أنها قد تنوسيت لذلك المعنى . فأهمل استعمالها

٣ — قرأت فى مجلة « الثقافة » كلة تحت عنوان : (مفاتح جمع مفتح لا مفتاح) قال فيها الكاتب بعد كلام : « والواقع أنه « أى مفاتح » جمع مفتح بالكسر . وهو الآلة التى يفتح بها . أو جمع مفتح بفتح الميم . وهو المكان لا جمع مفتاح ... الخ . ولو كلف الكاتب نفسه المراجعة لما قال هذا القول . فنى المختار : « والمفتاح مفتاح الباب . وكل مستغلق . والجمع مفاتيح ومفاتح أيضاً » . وفى هذا كفاية . ولا ضرورة لهذه الفلسفة الصرفية التى لجأ إليها الأستاذ الكاتب

ع . ا

صواب بيت

فى عدد مضى من الرسالة ، كتب الأستاذ الباحث « عبد المتعال الصعيدى » كلمة قصيرة ، بعنوان خطأ بيت فى النحو ، اتهم فيها علماء النحو — جميعاً — من يوم أن كان هذا الفن بالبصرة والكوفة إلى أن باض وأفرخ فى صحن الأزهر الشريف ، ونسب إليهم من السهو والغفلة الكثير الجم ، إذ أجمعت مؤلفاتهم وأفكارهم على أن « أو » فى البيت :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

بمعنى « حتى » التى هى للتعليل أو الغاية وقد هداه بحثه إلى أن هذا المعنى الذى جاءت له « أو » لم يكن واحداً مما استقصاه ابن مالك فى قوله :

خيّر أبح قسم « بأو » وأبهم
واشكك وإضراب بها - أيضاً - نمى
وربما عاقبت الواو إذا
لم يلف ذو النطق للبس منفذا

والذى يقرأ الكلمة لأول وهلة ، يخيل إليه أن الأستاذ هدم ما بنى البانون ، وقوض ما شيد المشيدون فى حين أن المسألة - كما يقولون - ليست مما يقال فى أمثالها « قضية ولا أبا حسن لها » فإن هذا الذى يقوله ابن مالك ، خاص (بأو) التى تتمحض للعطف ... أما هذه فإنها تكون بمعنى (إلى) إذا كان ما قبلها مما ينقضى شيئاً فشيئاً كالبيت المذكور ... وتكون بمعنى (إلا) إذا كان مما ينقضى دفعة واحدة ... كقول زياد الأعجم :

وكنت إذا غمزت قناة قوم
كسرت كعوبها أو تستقيما

وتكون بمعنى (لام التعليل) كما يقول القائل : لأعطين الفقير أو يرق لى قلبه ... على أننا لو رحنا نتلمس (لأو) فى كل هذه الأمثلة معنى حرف من الحروف التى جمعها صاحب (الألفية) فى بيته - خيّر أبح إلخ - لما ضاقت علينا السبيل

وهل المعنى فى البيت (لأستسهلن الصعب) سوى « ليكونن منى استسهال الصعب وإدراك المنى » ... وهكذا دواليك ... وقد كان مما يؤثر عن علمائنا ، أن نكت النحو - كالورد - تشم ولا تدعك .

ابراهيم على أبو الخشب

٢٠ - ١٦



مازبا...

للأستاذ محمد محمد مصطفى

ليست قصة الصبي البولوني «مازبا» من نسج الخيال. فلا تزال حوادثها مصورة على جدران كنيسة «سانت ماري» في مدينة «جالاتز» برومانيا.

قالت الأميرة «أوجستا» لخادمها وهي تحاوره:

— إني لأعجب من أمر الصبي القائم بباب قصري لا يبرح مكانه منه إلا ليطوف طرفه بنوافذ غرفتي، فإن عرضت لي حاجة خارج القصر علق بي نظره ما يرتد إلا إذا غبت في حشد الطريق.

فقال الخادم: إنه مازبا يا مولاتي

— ومن يكون مازبا؟

— هو شريد غريب الأطوار طالما رقت له قلوب الناس ولكنه يمتنع عن أن يناله أحد بعطف أو إحسان إلا أجراً لخدمة يؤديها

— وما مقامه ببابي؟

وأرتج على الخادم ولوى شدقيه بكلمات لم تدرك منها الأميرة شيئاً. وكانت لحظة هائلة على الخادم المسكين، أيكذب على سيدته وما كذب في حياته قط... أم يقول الحق... ويله من حق...

أيقول لها إن هذا الشريد هائم بك قد تناهى كل جمال في دنياه إلى صورتك لايقوم إلا بها ولا يغمض عينيه إلا عليها؟ أيقول لها: إن قلبه لا يفتر عن الوجيب كلما خطرت أمامه خارجة من القصر أو عائدة إليه؟ أيقول لها إنها سافرت إلى الريف أياماً قضاها البائس بين سعير وجده ولهيب حبه؟ أيقول لها إن المدينة كلها تتندر بغرامه وشغفه؟

وقال الخادم أخيراً:

— سليه يا مولاتي فهو أقدر مني على الجواب الصحيح

***

وخيل لمازبا أن الدهر قد ملأه، وأن كل شيء في الوجود يبسم له حين دعاه الخادم للمثول بين يدي الأميرة، وكان يذرع الأبهاء لا تأخذ عينه تحفة، ولا يستوقف نظره أثاث... كان كل شيء يبدو في عينيه طبيعياً كأن له به عهداً. ولما أشار الخادم إلى غرفة الأميرة شحب لون الصبي قليلاً ولكنه واصل السير، وقالت له الأميرة: أخلت رقعة الأرض من مكان يأويك فجئت تصوّب إليّ في كل حين نظرة التصحين للشر؟

— شر!... إني لا أحب الشر ومع ذاك فأنا... ومن أنا حتى أملك للأميرة شراً؟

وسمعت الأميرة ضجة خارج غرفتها فسألت الخادم عنها فقال:

— إنهن أتراب مولاتي أتين للسمر. فقالت: دعهن يدخلن

وحينما دخلن على الأميرة شدهن وفغرن أفواههن وصاحت إحداهن: يا لمعجزة الحب... لقد وصل العاشق الشريد إلى مخدع الأميرة. وقالت أخرى:

— بالله لنتركهما يتناجيان فنسمع نجواهما... يا المنظر الفريد والحدث الفذ!

وعلت قهقهتهن والأميرة تنظر ولا تدرك شيئاً من حديثهن ثم قالت: إنه مازبا يا رفيقات. يبدو أنكن تعرفنه فصحن جميعاً:

— وهل في المدينة من لا يعرفه؟

فقالت الأميرة: لقد كان يرسل إليّ كلما مررت به نظرة أفاق فأوجست منه شراً. فقلن:

— كيف! ألا تفرقين بين النظرات؟

وأمرت الأميرة خادمها أن يطعمه ويكسوه وأضافت:

— ولكنك يا مازبا ستقيم بعيداً عن القصر فلا تعد إلى مكانك منه مرة أخرى

فقال الصبي: بالله يا مولاتي... دعيني... لا أريد طعاماً ولا رداء، ولا تحولي بيني وبين مكاني فما في الأرض مكان أحب إليّ منه، وما وجودي به بضارك شيئاً

فرقت له نفس الأميرة وقالت: لك ذلك يا مازبا

وحينما هم بالسير قالت إحدى رفيقاتها:

— مسكين! لقد شفه الهوى وأضناه الحب.

ودهشت الأميرة ونادته ثانية وقالت:

— أسمعت يا مازبا... إنهن يقلن إنك عاشق مدنف... فمن ترى تلك السعيدة التي سلبتك قلبك؟

وأخذت أذنا المسكين تتجاوب صدى ضحك الفتيات وقد سمر في مكانه لا ينبس ولا يطرف، وطال صمته والفتيات ينظرن إليه ويضحكن. فقالت الأميرة:

— تكلم يا مازبا... من هي تلك السعيدة... أتكون بائمة

الزهور أم بنت بوابة المنزل المواجه لقصرنا ؟

فقال الصبي : لا هذه ولا تلك

— فمن تكون إذاً ؟

— إنها فتاة كبدر السماء أنظر إليها ولا أطمع في قربها . يغمرها الترف الذى نشأت فيه ، وتغمرنى الأحزان التى ولدت فى أحضانها . على أنه إذا كان ذلك بلاء بليت به فما أسعدنى بهذا البلاء ، وما أكثر جذلى حين أرقب وجهها فى الليالى القمراء كأنها ملك هابط ، أو كأنما قد فرت من الجنان حوراء

وأدركت الأميرة من كلام الصبي وضحك أترابها وتدله عيناه وخفق قلبه المتدارك أنها معشوقة ذلك المهزأة الشريد فانتفضت كمن مسها الخبل وصفعته صفعة طار لها صوابه ، وأمرت الخادم أن يربطه عارياً على ظهر فرس يطلقها إلى غير وجه فى برارى الدانوب

وكان وجه مازبا إلى السماء ، والفرس تنهب به أرضاً عذراء لم تطأها قدما إنسان ، وطوت فى الفلاة أياماً ، ثم ظهر لعينيها العمران فاتجهت إليه مسرعة كأنما كانت تحس أن حملها لاغب وهنان . ولما اقتربت الفرس من مضرب قبيلة (ساشا) القوقازية اشتد عليها نباح الكلاب . وسرعان ما رفع الخبر إلى زعيم القبيلة (دروفسكى) الذى انطلق يسائل مازبا عن قصته ، ولكن الصبي كان لاه عن لفظهم وأسئلتهم بما قدم إليه من حساء وشواء ، وكان لا يفتأ يسأل بين الحين عن فرسه وما قدم إليها من علف وماء .

وقال مازبا بعد ما طعم وروى : أشكر لكم أيها السادة هذا الطعام وهذا الكساء وأستودعكم الله . . . إلى اللقاء

فقال زعيم القبيلة : إلى أين يا مازبا ؟

— إلى أين ؟ حقاً إلى أين ؟ عفواً أيها الزعيم فإنى لا أعرف إلى أين أذهب . فقال دروفسكى :

— يا بنى . إن امرأتى عاقر ولم أعقب ولداً وقد أرسلك الله لى فلا تخفر ظنى فيك

— لك ذلك أيها الزعيم على ألا تسألنى عن ماضى لأنه قد تصرم وطواه الظلام .

وبدت طلائع الفجر ولما يرقأ لعين الأميرة دمع ، وطفقت تحدث نفسها : أى ذنب جناه الصبي لأميته على الصورة التى أوحاها لى غضبى ونزق . الحديث حبه السامى وتدلهه بى . لقد أتيت أمراً إدًّا . وعاشت الأميرة ساهمة واجمة يروعها طيف الصبي يلاحقها فى الغدو والرواح

ولا نقول أن مازبا قد سلاها ، ولكنه طرحها فى زاوية معتمة من زوايا قلبه ، وراح ينسج عليها الزمن خيوط النسيان وتحجرت عاطفته ، فوجه كل حبه إلى وطنه الجديد ، وتعلم الفروسية على فرسه وعلمها لشباب قبيلته ، وأكسبته فطنته ودرايته ومكانته من زعيم القبيلة مهابة كان يزيدها عزوفه عن النساء وبغضه لهن ، وكان الزعيم الكهل يفرك يديه سروراً كلما رأى مازبا جالساً على محفته يحكم بين الناس بالعدل ويصرف الأمور بعزم الشباب وحكمة الشيوخ . وحل موعد جباية الضرائب فى عام كان الناس فيه يعترون ، فجأرت القبائل بالشكوى قائلين : يا مازبا ، كن شفيعنا لدى بطرس الأكبر ليرفعها عنا . إنك بمواردنا عليم

ويأسى مازبا لبنى وطنه الجديد ولا يدرك فيم تنفق الأموال التى تأخذ منهم قسراً لتحشر فى خزائن بطرسبرج فيتصل بزعماء القبائل يحضهم على العصيان والإبقاء على أموالهم قائلاً فى حماسة :

— فليأت هذا البطرس هنا ليأخذ منا ضرائبه عنوة إن شاء . يا شباب القوزاق : أفيقوا من سورة الخمر وسحر النساء ، وهبوا لشمل أوار المعركة لتظفروا بالحرية والمجد

وهكذا نفث مازبا فى روح القبائل جمراً من الوطنية يستعر ورغبة جامحة إلى خوض ميدان القتال . وكان بطرس الأكبر داهية أريب ، فأقام ليلة عيد الميلاد حفلاً هائلاً دعا إليه الملوك والأمراء من كل قطر ومصر ، واستدعى إليه مازبا وأمنه على نفسه ووطنه ووعده بالنظر فى رفع ضريبة الدولة على أن يظل القوزاق تحت حكم الروس

وكان القصر الإمبراطورى شعلة تتوهج بين الدوح السامق والرياض المزهرة ؛ وقد نشرت الصحاف مثقلة بالذ الشهى من ألوان الطعام ، وقام وزير الخارجية بتقديم المدعوين إلى بعضهم ، فهؤلاء مندوبو فنلندا واستونيا والقابعون على الشراب فى البهو الخشبى حكام سيبيريا والقادمون علينا يامازبا أمراء وأميرات بولونيا بولونيا ... وقبض مازبا على صدره كأن طعنة أصابته ؛ فذعر وزير الخارجية وقال : أبك شىء يا مازبا ؟

— لا ... لا ... إنه جرح قديم ... قديم جداً ولا أدرى كيف آلمنى الساعة

واقتربت أميرات بولونيا ، وكان أبرز ما فيهن جمالاً أوجستا وشخص مازبا إلى وجهها المتلألئ ، فانبعث غرام عشرون عاماً من قلبه كبركان ثار بعد طول رقاد ...

وعرفته أوجستا ، فجاءته على استحياء ، ومدت إليه يدها ،

وقد تضرج وجهها وخشع طرفها وانتحت به ناحية ، وأخذت تخالسه النظر ، وازدحمت الكلمات على شفتيها ثم قالت : كأني بك طفل الأمس يا مازبا ، لم تغير من معارفك الحدثان

— طفل الأمس ... إنه مات فى برارى الدانوب

— وقلبه وحبه ؟

— كلاهما معاً ...

— ولكني أرى بريق عيناك والتماعها بتلك المعانى الغامضة

— تلك أوهام ...

— إنك تجاهد غرامك يا مازبا ، ولقد لقيت قصاصى بما سهرته من ليال أذرف الدمع على ما قدمت يداى . فهل أنت مقيل لعثرتى ؟

— ما كان لى أن أصفح عنك ولا أرى لك ذنباً

— ألا زلت تحمل لى موجدة ؟

— لا ... ولكني أوصدت قلبي دون النساء ، ثم أنى على موعد مع القيصر ، فاستودعك الله ...

— مهلاً يا مازبا ...

ولكنه انسل بين الأضياف ، وحينما بعد عنها حدث نفسه :

كادت المرأة تصرعك يا مازبا ... أيها القلب الخائن ، لن أصغى لحديثك المعسول مرة أخرى ...

لقد عاهدت نفسي على خدمة وطنى الذى أطعمنى حين حرمتنى هذه المرأة ، وكسانى حين جردتنى ، وآوانى حين أطلقت بى فرساً تنهب بى البرارى . فليكن جل تفكيرى فيك ولك أيها الوطن أما أنت يا أوجستا ، فسأحاربك فى قلبي حتى تموتى فيه

وانطلق فى طريقه حتى مثل بين القيصر

وقال القيصر لمازبا : قد رفع إلينا قرار المالية فلم نجد بدآ من استمرار الضرائب ، فهل تعدنى بشرفك أن تقوم على جبايتها ؟

— لقد أقسمت لمواطنى أنكم سترفعونها

فقال القيصر لمن حوله : اقبضوا على هذا العبد

وألقى مازبا فى حجرة ببرج القصر تحوطه الأحراس ، واندلعت الثورة فى القوزاق من أقصاها إلى أقصاها ، وأرسل بطرس الأكبر حملة لإخمادها فزادت النار اشتعالاً

وكان الليل قد لف الكون بغلالة سوداء ، والقصر ساكن حينما اعترض الأميرة أوجستا حارس البرج ، فأبرزت له أمر القيصر فتخلى الحارس عن الباب . وكان مازبا يقف هادئاً إلى نافذة البرج كأنما ينتظر أحداً أو كأنه واثق من نجدة القوزاق ، وقالت أوجستا :

— تبعت القيصر فى كل مكان ولم أبرح مقصورته فى الأوبرا حتى وقع على صك العفو عنك ، وقد وعدته أن تقسم لى على طاعته فيما آمرك به . فقال :

— لقد سمع القيصر أنى لا أقسم على ذلك

— إن وطنك الجديد فى حاجة إليك يا مازبا ، فقم الساعة وأخمد فتنته ، وانج بنفسك فإنك لا تدرك أى حتف ستلقاه إن بقيت هنا ليلة أخرى

واستقبل مازبا استقبال الفاتحين ، وكانت الفتيات ينثرن فى طريقه الورود والرياحين ، وكان ألمه بادياً لما حل بقومه على يد جنود القيصر . فقابل قائد الحملة وطلب منه أن يرحل فوراً عن أراضى القوزاق ، وقال قائد الحملة إنه موفد من قبل القيصر وليس لأحد أن يأمره سواه . فقال مازبا : إذاً هى الحرب

وطلب القائد من بطرس الأكبر مدداً سريعاً فأرسل إليه جيوشاً جرارة لم تصمد لها جموع مازبا التى دافعت عن وطنها دفاع الأبطال وأحرقت عاصمة القوزاق وانتقم منهم جنود القيصر أبشع انتقام . وفر مازبا إلى سلطان تركيا عدو القيصر ليجيره ويمده بعتاد يستطيع بها مواصلة القتال ولكن السلطان اعتذر له ونصحه بإلقاء السلاح . وهكذا تخلى الحظ الباسم عن الزعيم الشريد فصوحت به الأيام من بلد إلى بلد يفلح الأرض لهذا ويحتطب لذاك وكنت تراه بوجهه الكابد قابعاً فى أسماله ومزقه يصطلى النار التى يضرمها فى إحدى الخرائب فلا تصدق أنه ذاك الذى كان يغشى الولائم فى أبهة الأمراء

وفى قرية (كييف) عثر حطاب فى الغابة على جثته فأمر قسيس القرية بإلقائها فى مقبرة المجهولين الغرباء

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

9me Année No. 402 — Lundi - 17 - 3 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

ـــــ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٠٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٧ مارس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة		
٣٠٩	العصبية داؤنا الموروث ...	أحمد حسن الزيات ... ...
٣١١	الأدب العربى الحديث فى مصر الجنوبية	الدكتور زكي مبارك ... ...
٣١٥	فى العقـــد	لأستاذ جليل ... ...
٣١٧	كلمـة حق	الأب أنستاس مارى الـكرملى
٣٢٢	الفكر و « السـلطة » ...	الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٣٢٦	الغناء والموسيقى وحالهما فى مصر والغرب	الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٣٢٩	ذكرى محمد محمود باشا [قصيدة]	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
	» » » » »	الأستاذ خليل مطران بك ...
٣٣٠	نشيد اللغة العربية القوى ...	الأستاذ محمد سعيد العريان ...
٣٣١	فى مقالة الأستاذ الساعى بيومي	لناقد جليل ... ...
	مراجعات لغوية	الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٣٢	خصومة لا عداوة	الأستاذ سيد قطب ... ...
	بستان النشاشيبى	الأستاذ محمد بهجة الأثرى ...
٣٣٢	شبابيك القلل	الدكتور محمد مصطفى ... ...
٣٣٣	تحريف معنى بيت بالنحو ...	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٣٣٤	مرض طبيب ... [قصة]	الأستاذ نجيب محفوظ ...

العصبية داؤنا الموروث

كنا ستة فى أحـد مجالس القطار السريع الصاعد إلى القاهرة . وكانت غريبةُ الغرائب أن يجتمع فى هـذا المجلس الطائر القلق ثلاثة ينتسبون إلى ثلاثة أحزاب سياسية ، واثنان ينتمى كل منهما إلى فرقة دينية ؛ وكنت أنا وحدى المستقل فيما بينى وبين الله والناس . وكان مما ليس بُد منه أن يترامى بهم الحديث إلى ذكر ما يشغل الخواطر من شؤون الدين والسياسة والحرب ؛ فكان لكل منهم هوى لا يتابعه هوى ، ورأى لا يشايعه رأى ، حتى انقلب الحديث اللطيف جدلاً صخاباً لا حيلة فيه إلا للإشارة المنيفة والحنجرة الصُّلبة

حينئذ ابتلعت لسانى ودخلت فى نفسى وتركت هذه الأفواه يقذف بعضها فى وجه بعض ؛ ثم أخذت أفكر فى هذه الصدَعات التى مزقت الكلمة وفرقت الدين ، وجعلت بعضنا يبنى وبعضنا يهدم ، وأحدنا يسوق والآخر يعوق ، فلم أجد لها مصدراً تشتق منه إلا العصبية !

تصورت فى هذا المجتمع الصغير ، صورة ذلك المجتمع الكبير ، فعجبت كيف يتسنى فى هذا الجمع الشتيت أن يتفاهم لسان ولسان ، ويتآلف قلب وقلب ، وتتعاون يد ويد ، حتى يجوز أن تنتج من اتحاده قوة ، وأن تنشأ من آحاده أمة !

الفرد فى نفسه هو كل الناس ، وشيئه فى عينه هو كل شىء ، ورأيه فى عقله هو كل رأى ؛ وذلك داء موروث من أدواء العصبية التى أفسدت كيان العرب وأوهنت بناء الإسلام بما يلازمها من حب الاستئثار وشهوة الرياسة

لم تمتْ العصبية من حياة العرب إلا فترة موقوتة بحياة الرسول . فلما استعز الله برسوله انبعثت فى (السقيفة) بين المهاجرين والأنصار تقول : منا أمير ومنكم أمير . ثم سلطها الشيطان على الخلافة فانقسم العرب إلى هاشمية وأموية ، ثم إلى قيسية ويمنية ، ثم إلى علوية وعباسية ، ثم إلى عربية وشعوبية . وأغراها بالدين فانشعب المسلمون إلى اثنتين وسبعين فرقة ، تتقاطع بالضلال ، وتتمادى فى الباطل ، وتزعم كل فرقة أنها هى وحدها الناجية ! ولو كان تحزب العرب وتشعب المسلمين لمبادئ تصلح الدنيا وتعز الدين ، لكان ذلك أخلق بمن جعلهم الله أمة وسطاً ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ؛ ولكنهم اختلفوا تعصباً للنفس أو الجنس أو الرأى ، وتوسلاً لبلوغ الحكم أو خضوع الخصم أو فتون العامة

وحب الرياسة وشهوة الحكم هما شر أدواء العصبية وبالاً وأشدها استفحالاً فى الشرق القديم والحديث. ولو ذهبتَ تستقرى عوامل الشقاق والانشقاق بين العرب فى جميع الأطوار والأقطار لما عدوت ما رُكب فى طباعنا من حب الظهور ، ورغبة التفرد ، ورذيلة الحسد

إذا جاء الأمةَ خير لا نصيب لى منه ولا سلطان لى عليه ، جعلته شراً يستعان على درئه ببدَع تتسم بسمة الدين ، وخدَع تتستر بستار الوطن . وإذا نهضت فى الأمة جماعة للإصلاح ولم يكن لى موضع الرياسة فيها ولا مرجع الفائدة منها ، أشعتُ حولها الريَب ، وأطرتُ فوقها الظنون ، حتى يستوحش من ناحيتها الناس فتفشل

تنازع زعيمان عظيمان من زعمائنا على الرياسة أو ما يشبه الرياسة ، فقسما الأمة بنزاعهما قسمين متعارضين لكل منهما آراؤه وحججه ومبرراته ؛ وكاد يدخل على الناس أن هناك مذهبين فى سياسة البلد : أحدهما يصل والآخر ينقطع ! وكان مبعث الأمر كله عصبية الرأى وشهوة الرياسة .

واجتمع أعضاء مجلس الإدارة لجمعية المعلمين فى بغداد يوم أنشئت لينتخبوا من بينهم رئيساً فلم يفز أحد من الثلاثة عشر عضواً إلا بصوت واحد ! ذلك لأن كل عضو منهم أراد أن يكون الرئيس فانتخب نفسه !

***

أحزابنا السياسية وجماعاتنا الدينية أسماء وأزياء لا تجد وراءها مسمى يتميز من مسمى ، ولا جسما يختلف عن جسم . وإن طالب الثقافة ليستطيع أن يذكر لك فى يسر ووضوح جملة الفروق فى الوسائل والغايات بين اليسوعية والماسونية والشيوعية والنازية والفاشية ، أو بين حزب وحزب من الأحزاب البرلمانية فى جميع البلاد الدستورية ؛ ولكنى أتحدى أستاذ الجامعة أن يذكر لى فرقاً أو شبه فرق بين الوفديين والسعديين والدستوريين والمستقلين والوطنيين والشعبيين والاتحاديين ، أو بين الشبان المسلمين ، والإخوان المسلمين ، والأخوة الإسلامية ، والهداية الإسلامية ، وشباب الإسلام ، ومجد الإسلام ، ومن لا علم لى به من هذه الجماعات . ولئن سألتهم ماذا يمنعهم أن يضموا الشتات ويوحدوا الكلمة ويحددوا الغاية ما داموا إخوة فى الوطن أو فى الله ، ليقولُنّ كل حزب منهم : ما يمنعنا إلا أن يكون لغيرنا زعامة الأمة ورياسة الحكومة . ولو سمحت العصبية الآثمة أن يكون للمتحزبين غاية غير هاتين لأمكن الوفاق وسلمت الوحدة ؛ ولكن العصبية هى داؤنا الموروث لا يحسمه عنا إلا طِبابُه الذى عالجه به الله ورسوله : محو الفروق بالحرية والشورى ، وشفاء الصدور بالأخوّة والمساواة ، ورفع النفوس بالإيثار والتضحية !

ويومئذ يحيا فينا الضمير الاجتماعى فنعمل مرؤوسين ومجهولين ، أصدق مما كنا نعمل رؤساء ونابهين ، فنخلص للأمة كما نخلص للأسرة ، ونحب لعامة الناس ما نحب لخاصة النفس ، ونخرج من حدود العصبية إلى آفاق الوطنية سالكين سبيل القانون إلى غاية الحق ، كما يسلك هذا القطار صراطه المستقيم إلى غايته المعلومة !

احمد حسن الزيات

الأدب العربى الحديث
فى مصر الجنوبية
للدكتور زكى مبارك

كان من توفيق الله — تباركتْ أسماؤه ! — أن ألتفت إلى الأدب العربى فى السودان ، فقد تلقيت وتلـقّى الأستاذ الزيات رسائل كثيرة تشهد بأن ذلك الالتفات صادفَ هوًى فى أفئدة أهل الغيرة على الأدب فى ذلك القُطر الشقيق

ومن الحديث المعاد أن أقول : إن المصريين والسودانيين إخوة ، ولكن يجب أن نعترف صراحةً بأننا فرّطنا فى حق تلك الأُخوّة ، فلم نؤدّ لها كل ما يجب من التعهد والرعاية ، ولم نبذل فى سبيل إعزازها جهداً يستحق التسجيل

ويزيد فى الأسف على ما وقع من التفريط أن البرّ بأشقائنا فى مصر الجنوبيـة لم يكن يكلفنا عَنتاً لو أردناه ، فالسودان قريب ، وجوّه مقبول فى أكثر الفصول ، والاتصال بأهله يفتح أمام قلوبنا آفاقاً جديدة من المعانى الأدبية والروحية ، لأنهم يغارون على العروبة غيرةً لا يعرف صدقها إلا من عرف بعض رجالهم الأمجاد ، ولأنهم حفظوا عهد الإسلام فى أوقات قلّ فيها المؤمن الصادق والمرشد الأمين

ومن المؤكد أن السودان قادرٌ على المشاركة الجدية فى إحياء الأدب العربى ، فلأهله الأماجد ماضٍ مجيد فى خدمة اللغة العربية وإن جهله الأكثرون ، ولشبانه فى هذا العهد مطامح وآمال ، وقد يقدرون بعد قليل على الظفر بمنازل أدبية يصل صداها إلى جميع الأسماع بالبلاد العربية

فى السودان تطلّع شديد إلى الاستفادة من تقدُّم العلوم والآداب فى العصر الحديث ، ولهذا التطلع سنادٌ مما ورث أهله من معارف العرب القدماء . وإن دام هذا الحال وسيدوم ، فلن يمضى إلا زمن قليل حتى يصبح للخرطوم وأم درمان مكانٌ بين العواصم التى تحمل مشاعل الثقافة العربية من أمثال : القاهرة والقدس ودمشق وبيروت وبغداد ...

أغلب أهل السودان من أرومة عربية ، فغيرتهم على العروبة غيرة طبيعية . يضاف إلى ذلك مُقامهم فى بقاع توصف عند القصد فى الوصف بأنها الشؤون التى تذرف ماء النيل ، وهو أكوابٌ من التِّبر المُذاب

كان من الخطأ البيّن أن نترك أمر التفكير فى السودان لرجال السياسة ، وهم قومٌ لا يلتفتون — حين يلتفتون ! — لغير الاتفاقات والمعاهدات ، ولا يذكرون إلا أن السودان جزء من مصر تمرّض لمصاعب قد تزول بعد زمن قصير أو طويل .

والأمة التى تعتمد على ساستها فى « جميع » الشؤون ، غير جديرة بشرف الاستقلال

يجب على رجال الأدب أن يعرفوا واجبهم نحو السودان ، السودان العربى ، بغض النظر عن صفته المصرية ، فمن التقصير الذميم أن ننسى أن السودان من موائل العروبة ، حين نتحدث عن : المغرب واليمن والحجاز وفلسطين وسورية ولبنان والعراق

والعتْب الذى أوجهه إلى أدباء مصر ، أوجهه إلى إخوانهم بسائر الأقطار العربية ، فقد كان يجب على إخواننا فى الشرق العربى أن يذكروا إخوانهم فى السودان ، فما خلا رأس أديب بمصر الجنوبية من شواغل نبيلة تصل عقله وروحه بأقباس العروبة فى هذا الزمان ، وإن لمتْ من أفق سحيق كالأفق الذى تشعّ منه بوارق العروبة بين المهاجرين فى أمريكا الجنوبية

أليس من العقوق أن يجهل بعض أبناء العرب أخبار السودان ، مع أن السودان يعرف من أخبارهم كل شىء ؟

لمصر فرصة من فرص الجاذبية ، وهى مكانتها العلمية ، وللحجاز فرصة أعظم ، لأنه وطن الحرمين الشريفين ، والشام معهد ملك بنى أمية ، والعراق معهد ملك بنى العباس ، فما ذا بقى للسودان حتى يهتم به العرب والمسلمون ؟

بقى للسودان حق شريف نبيل : هو تفرده بالصدق الأصيل ؛ فما تعب العرب ولا تعب المسلمون فى توطيد سلطانهم الأدبى والروحى فى البلاد التى ينبع فيها النيل ، وإنما صدق السودان للعروبة والإسلام بلا دعوة ولا دعاة كأنه أبى أن يتلقى وحى الهداية عن أحد من الوسطاء

السودان العربى حصن حصين ، والسودان المسلم كنز ثمين ، ولو صدق جميع العرب والمسلمين كما صدق السودان لخفّت بليتنا

بالخوارج على العروبة والإسلام فى بلاد لم يحفظ فيها مجد الآباء غير أفراد لا يزيدون عن مئة مليون ، مع أن هَدْىَ العروبة والإسلام كان وصل إلى مئات الملايين

قيل إن أهل السودان وصل عددهم إلى ثمانية ملايين من النفوس ، وأقول إنه ثبت عندى أن أهل السودان وصل عددهم إلى ثمانية ملايين من القلوب ، فما فى عرب السودان رجل بدون قلب ، ولا جاز عند أهل السودان أن يكون الصديق مَلَكا فى الحضر وشيطاناً فى المغيب ، وإنما السودانى عدو أو صديق ، لأنه يكره الختل والخداع ، إلا أن يكون دخيلاً فى الانتساب إلى تلك البلاد !

نصحنى أحد الأصدقاء بأن أحافظ على الصلوات حين أزور السودان ، لأن أهله لا يحترمون غير من يحافظ على الصلوات

فتى أزور السودان لأعرف المدلول لكلمة الفجر وكلمة الشفق ؟

كان أبى رحمه الله يوقظنى من النوم لأؤدى صلاة الصبح قبل الشروق ، وقد مات أبى ، مع الأسف الوجيع ، ولم يبق لى صديق يذكرنى بأوقات الصلوات

فما أسعد المصرى المقيم بالسودان ، لأن الجو هناك يقهره على مراعاة النوافل قبل أن يقهره على مراعاة الفرائض !

السودان السودان ، السودان المسلم ، السودان العربى ، السودان المصرى ، وتلك أواصر لا ينكرها إلا جحودٌ أو جهولٌ

إن الذين غلبونا باسم السياسة لا يستطيعون أن يغلبونا باسم الوجدان ، فتى نعرف قيمة ما خصصنا به من القدرة على الظفر بثقة الأرواح والقلوب ؟

مصر غنية بالعواطف ، ولكنها لا تعرف كيف تنتفع بذلك الغنى الجميل

مصر التى عذّبت زعماءها وهى تذكّرهم بواجبهم نحو السودان لم تقهر واحداً منهم على زيارة السودان

أليس من العيب أن يشهد التاريخ أن السودان لم يزره مصطفى كامل ولا سعد زغلول ؟

إن الشيخ محمد عبده زار السودان وهو موقوذٌ بمرض السرطان ، فكانت تلك الزيارة آية على أنه يعرف معنى الاستشهاد فى سبيل الوطن الغالى ، ومحمد عبده هو محمد عبده ، فتى يجود بمثله الزمان ؟!

أنا أرجو أدباء مصر أن ينسوا الجدل السياسى حول مركز مصر فى السودان بعد أن انتهت الأمور إلى ما انتهت إليه ، وبعد أن صح أن الهجرة إلى السودان لا تستهوى ألباب المصريين لأن مصر تشدهم إلى ثراها الخصيب بقيود مجدولة من وشائج الخيرات والثمرات ، وهم لهذا السبب أزهد الأمم فى الانتقال من مكان إلى مكان

كل ما أرجوه من الأدباء والفنانين أن يذكروا أن بلادنا تنقسم إلى شطرين : مصر الشمالية ومصر الجنوبية ، فإن فهموا هذا فقد يصبح من واجبهم أن يصطافوا فى الخرطوم كما يصطافون فى الأسكندرية . ولم يخبرنى الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد بجديد حين تلطّف فكتب إلىّ يقول : إن جوّ السودان فى يوليه وأغسطس وسبتمبر لا يعرف ما سميتُه « وقدة الصيف » : لم يخبرنى هذا الصديق بجديد فقد كنت أتابع ما ينشر المذياع من درجات الحرارة فى الصيف وكان يسرنى أن أعرف أن الحرارة فى الخرطوم أقل من الحرارة فى الأسكندرية بنحو عشر درجات

فما تفسير ذلك ؟

تفسيره سهل ، فالصيف فى السودان هو موسم الأمطار ، الأمطار التى تعيش بفضلها مصر الشمالية منذ الأبد الأبيد ، فأين الشاعر الذى تهزه هذه المعانى فيعيش موسماً أو موسمين فى ضيافة الأمطار بالسودان ليعرف أن المصريين القدماء لم يسموا النيل « حابى » إلا وهم يدركون أنه حبَاهم الخيرات والبركات ، بفضل ما ينقل إليهم من أمطار السودان . والحابى هو الوهاب ، وذلك حرف نقله المصريون عن العرب ، أو نقله العرب عن المصريين .

أين الشاعر الذى تهزه هذه المعانى فيزهد مرة واحدة فى تعقب أسراب الملاح فى الشواطىء المصرية أيام الصيف ليرى بعينيه كيف تقتتل الأمطار فى أعالى مصر الجنوبية ليكون من حظنا أن نجد الفرص لملاعبة الأمواج فى أسوان والأقصر وأسيوط والقاهرة والمنصورة ودمياط ؟

إن مصر الشمالية فتنت أبناءها أعظم الفتون ، فلم يعرفوا

أن الرواضع مدينة للروافد ، وقد يكون فيهم من يجهل الفرق بين الروافد والرواضع [١]

فتى نصبر على هذه البلادة الدميمة ، البلادة التى قضت بأن نجهل كل شيء من الجوانب الروحية والأدبية فى السودان ، وبحياضه وأرباضه قبائل صحيحة النسب إلى يَعرُب وقحطان ؟

كتب الأستاذ الهادى إلى مجلة الرسالة كلمة تحدث فيها عن زعماء السودان ، فمن أولئك الزعماء ؟ لم أعرف منهم غير اسمين اثنين ، مع أنى أعرف مئات الأسماء من أهل الفضل فى مختلف البلاد العربية والإسلامية ، فكيف جاز أن أطوّق بهذا الغُـلّ ، وأنا أعرف أن أقبح الأغلال هو غُلّ الجهل ؟

وهل تفردتُ بالجهل حتى أسوق إلى نفسى هذا اللام المنيف ؟

لقد شاركنى فى هـذا الجهل جماعة من الفنانين الفضلاء ، ألم تشهدوا بأعينكم أفلاماً مصرية أُخذت مناظرها من البلاد السورية واللبنانية والعراقية ولم يؤخذ منها منظر واحد من مناظر مصر الجنوبية ؟

إن أردتَ التعرف إلى مناظر السودان عن طريق السينما — أو الخَيّالة كما يسميها بعض أساتذة اللغة العربية — فاطلب مشاهدة بعض الأفلام الإنجليزية أو الأمريكية ، ولا تنتظر الأفلام المصرية ، لأن الفنانين فى مصر لم يعرفوا أن فى الدنيا بلاداً غنية بالمناظر الطبيعية مثل السودان وهو الجزء الجنوبى من الوطن الغالى

ومع هذا يقال : إن المصريين يقدّمون دروس الوطنية إلى شعوب الشرق !

قد يجيب بعض الفنانين بأن مناظر السودان ممزوجة بسكان السودان وفيهم أقوام لهم أشكال وأزياء ينكرها الذوق الحديث (؟!)

وأقول إن الجمال الحق هو جمال النفوس والقلوب ، لا جمال الأشكال والأزياء ، فالبدوىّ الممزّق الثياب قد يكون أكرم نفساً وأطهر سريرة من الحضرى الأنيق

ولسنا أطفالاً حتى ننخدع بالظواهر الكواذب ، وإنما نحن طلاب حقائق ، وطالب الحقيقة يعلم كل العلم أنها غانية عن التزيين والتلوين ، فمن ظن أنه يؤذينا أو يؤذى تلك البلاد بنقل ما فيها من صور تمثل بعض من يعيشون هنالك على الأساليب الطبيعية فهو جاهل بالقيم الصحيحة لحيوات الشعوب ، وهى حيوات تتأثر بظروف المكان إلى أبعد الحدود

وبأى حق نطالب أهل السودان بأن يُستعبَدوا كما استعبِدنا للأزياء الأوربية ؟ وبأى حق يجوز لبعض الموظفين فى السودان أن يدخلوا مكاتبهم فى ملابس لا ترى الصيف والشتاء إلا بعيون الأوربيين ؟

وهل ظفر الأوربيون بالسلامة من سواد قلوبهم حتى نحاكيهم فى جميع الشئون ؟

أوربا هلكتْ بسبب التصنع ، فلنرحم أنفسنا من مهالك التصنع ، ولنتذكر أن نجاحنا فى ماضينا يرجع إلى فضيلة الاحتكام إلى العقل فى جميع الأمور ، وهى فضيلة حفظت وجودنا سليما على اختلاف الأجيال

أما بعد فأين أنا مما أريد ؟

أنا ماضٍ فى نظم سلسلة من الأبحاث عن الأدب الحديث فى السودان ، ولكن السودان يصدّنى عما أريد ؟ فكيف وقع ذلك ؟

هنا يظهر نضج العقل فى تلك البلاد ، فما كاد يصل مقالى بالرسالة إلى مدينة الخرطوم حتى سارعت إحدى الجماعات الأدبية هنالك فأرسلتْ إلىّ برقية ترجونى فيها إرجاء الحكم على أدب أهل السودان إلى أن أزور السودان . وكذلك صنع الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد ، فقد كتب إلىّ خطاباً قال فيه : إن أدباء أهل السودان مع ارتياحهم للحديث عنهم يرجون أن أؤجل هذا الحديث إلى أن أزور السودان

فهل تعرفون السرّ فى هذين الاقتراحين ؟

يظهر السرّ جلياً حين تعرفون أنى لم أتأهب لإنشاء بضع مقالات للتعريف بالأدب الحديث فى العراق تيسيراً لمهمة المدرسين الذين سيتقدمون لمسابقة الترقية للتعليم الثانوى إلا بعد أن كتبت لسعادة مدير التربية والتدريس فى بغداد خطاباً أرجوه فيه

(١) الروافد هى النهيرات التى تمد النهر بالماء ، والرواضع هى النهيرات التى تحيا بفضل ما تنقل عن النهر من الماء

أن يتفضل فيحدد المعالم الواضحة لأدب أهل العراق ، خوفاً من أن ينشط قلمي فيخوض في أحاديث ينكرها أهل العراق

فإذا جاز أن أتحفظ في الحكم على الأدب العراق بعد أن زرت جميع الحواضر العراقية ، وبعد أن تعرفت إلى جمهرة أهل الأدب هنالك ، فكيف لا أتحفظ في الحديث عن أدب أهل السودان وأنا لم أزر تلك البلاد ؟

الحق أن هذين الاقتراحين على جانب عظيم من السداد ، ومهما يظهر أنه لا بدّ من تأجيل الحديث عن أدب أهل السودان إلى أن أتشرف بزيارة ذلك القطر الشقيق ؟ ولكن متى ! سيكون ذلك بإذن الله في شهر أيلول ، وهو موسم طغيان النيل ، فعندئذ أزور السودان بصحبة صديق يحبه السودانيون وهو الأستاذ الزيات ؛ ثم أكتب عن الجوانب الأدبية ، ويكتب هو عن الجوانب الاجتماعية ، وبهذا يمكن تسجيل صور صحيحة عن السودان ينتفع بها المتشوفون لأخباره من أبناء الأمم العربية

ثم ماذا ؟ ثم أقول : إني علمت أن جريدة « صوت السودان » أخذت تُصدِر أعداداً خاصة في التعريف بأدباء مصر الجنوبية تمهيداً لتحقيق المشروع الذي فكرتُ فيه ، فأرجو أن يتفضل الإخوان هناك بإرسال تلك الأعداد باسم : « زكي مبارك بمصر الجديدة » لأستطيع متابعة هذه الدراسات الأدبية ، ثم أقول أيضاً : إني أرجو أن يتفضل أحد أدباء « السودان » فيرشدني إلى ما صدر عندهم من المطبوعات الحديثة مع النص على المكاتب التي تبيعها لأقتني منها ما يساعد على فهم هذا الموضوع الجليل .

والمهمّ هو أن نكون رجال أعمال ، لا رجال أقوال ، فلن يكون الوعد بزيارة « السودان » زُخرُفاً من القول نلاطف به إخواننا في ذلك القطر الشقيق ، وإنما يجب أن يكون من نياتنا الصوادق أن نعاون معاونة صحيحة على تأريث الأدب العربي في السودان ، وأن نسجل تطوّر الخواطر والأفكار في ذلك الشطر من وادي النيل ، النيل الذي فتن « إميل لودفيج » فزاره في منابعه ، ثم أنشأ فيه كتاباً خلق للسودان ملايين من الأصدقاء

كان أسلافنا أصدق منا يوم عبَدوا النيل ، وكنا عاقين حين اتهمناهم بالوثنية ، فما كان التملق بمصادر الخيرات إلا فناً من الثناء على واهب الخيرات

لما هبطت أسعار الفرنك في فرنسا منذ بضع سنين هتف صوتٌ يقول : أيها الفرنسيون ، انتهزوا فرصة هبوط الفرنك وزوروا أقاليم وطنكم الجميل !

وأقول : إن الحرب قضت بأن تقفَل أبواب أوربا في وجوه المتشوفين إلى ما في أوربا من ملاعب الصيف ومراتع الشتاء ، فانتهزوا هذه الفرصة يا أبناء العرب وزوروا أقاليم وطنكم الجميل ، على شرط أن تذكروا السودان ، فهو اليوم أكبر قارئٌ للمؤلفات والجرائد والمجلات ، مع تفرده بالاغتراب ظلماً عن قافلة الوحدة العربية

وفي ختام هذه الكلمة أذكر بالثناء العاطر ما صنع طلبة كلية الآداب ، فقد تألفت منهم بعثة سنة ١٩٣٨ لزيارة السودان كما تألفت منهم قبل ذلك بعثات لزيارة العواصم العربية ، فصنيع كلية الآداب يشهد بأن فيها عقولاً تدرك أن وصل الأمم العربية بعضها ببعض غرضٌ يوجبه الصدق في إحياء الأدب العربي والتراث الإسلامي . وسيكون لكلية الآداب في توكيد هذه المعاني مقامٌ يسجله التاريخ بأحرف مسطورة فوق جبين الوفاء .

زكي مبارك

---

٣ ـ فى العقد

لأستاذ جليل

١٨ — (ص ٥٠) قال زياد : ما غلبنى أمير المؤمنين معاوية فى شىء من السياسة إلا مرة واحدة : استعملت رجلاً فكسر خراجه ، فخشى أن أعاقبه ففر إليه واستجار به فأمنه ، فكتبت إليه : إن هذا أدب سَوْءٍ مَن قِبَلى ...

قلت : إن هذا أدبُ سوْء لمن قِبَلى

فى (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبرى : ... فبلغ الخبر المغيرة بن شعبة أن الخوارج خارجة عليه فى أيامه تلك وأنهم قد اجتمعوا على رجل منهم ، فقام المغيرة بن شعبة فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فقد علمتم (أيها الناس) أنى لم أزل أحب لجماعتكم العافية ، وأكف الأذى . وإنى والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم ، وأما الحلماء الأتقياء فلا . وايم الله لقد خشيت ألا أجد بداً من أن يعصب الحليم التقى بذنب السفيه الجاهل . فكفوا (أيها الناس) سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم . وقد ذكر لى أن رجالاً منكم يريدون أن يظهروا فى المصر بالشقاق والخلاف ؛ وايم الله لا يخرجون فى حى من أحياء العرب فى هذا المصر إلا أبدتهم ، وجعلتهم نكالاً لمن بعدهم . فنظر قوم لأنفسهم قبل الندم ، فقد قمت هذا المقام إرادة الحجة والإعذار

١٩ — (ص ٣٦١) ... دعنى من شعرك الذى لا يأتى آخره حتى ينسى أوله ، وقل فىّ بيتين يعقلان أفواه الرواة

قلت : يعلقان أفواه الرواة . يقال علق به وعلقه . ومن التفريط أن يغفل القاموس هذا حتى يستدركه التاج . قال : « وما يستدرك عليه علق بالشىء علقاً وعلقه نشب فيه » . وفى الأساس والتاج : قال أبو زبيد يصف أسداً :

إذا علقت قرنا خطاطيف كفه رأى الموت فى عينيه أسود أحمرا!

ويخاطب الشاعر إنما رغبه سيرورة بيتيه ، انتشارهما

٢٠ — (ص ٣٤٦) ... أخبرنى عن مالك فقد نُبئت أنك تتحرَّى فيه . قال : ياأمير المؤمنين ، لنا مال يخرج لنا منه فضل ؛ فإذا كان ما خرج قليلاً أنفقناه على قلته ، وإن كان كثيراً فكذلك

قلت : فقد نبئت أنك تتجر فيه

٢١ — (ص ١٤٠) قال أبو سعيد المخزومى وكان شجاعاً :

وما يريد بنو الأغبار من رجل بالجر مكتحل بالنبل مشتمل

وجاء فى الشرح : الأغبار إما جمع غبر (بالضم) وهو بقية الحيض ، أو جمع غبر (بالكسر) وهو الحقد ، والذى فى الأصول (أغيار) ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق

قلت : فى البيت تبديل وتصحيف قديمان ، وهو فى قصيدة صالحة رواها أبو على فى أماليه ، وهذه أبيات منها ، وفيها ذاك البيت كما بناه صاحبه :

فى الخيل والخافقات السود لى شُغُل
ليس الصبابة والصهباء من شغُلى
ما كان لى أمل فى غير مكرمة
والنفس مقرونة بالحرص والأمل
ذنبى إلى الخيل كَرِّى فى جوانبها
إذا مشى الليث فيها مشى مختبل
ولى من الفيلق الجأواء غمرتها
إذا تقحمها الأبطال بالحيل[1]
سل الجرادة عنى يوم تحملنى
هل فاتنى بطل أو رُعت عن بطل[2]
وهل شآنى إلى الغايات سابقها وهل فزعت إلى غير القنا الذبل
مالى أرى ذمتى يستمطرون دمى ألست أولاهم بالقول والعمل؟!
كيف السبيل إلى وَرد خُبَعْثِنة
طلائعُ الموت فى أنيابه العُصُل[3] ؟!
وماريدون لولا الحين من أسد بالليل مشتمل بالجر مكتحل؟!
لايشرب الماء إلا من قليب دم ولا يبيت له جار على وجل
لولا الإمام ولولا حق طاعته لقدشربت دماً أحلى من العسل!

(١) (الفيلق) رمام بفيلق سهباء وهى الكتيبة المذكرة (كتيبة جأواء) كدراء اللون فى حمرة وهو لون صدأ الحديد . تقول : جاء فى كتيبة جأواء ، ثم لوى ذنبه مع لأواء ... كل ذلك من الأساس

(٢) الجرادة : فرس الشاعر

(٣) الخبعثنة : الأسد العظيم الشديد ، واخبعثن الرجل : مشى مشية الأسد (المخصص)

ومن طرف أمثاله السائرة — كما يقول الثعالبي في الإيجاز والإعجاز — قوله :

ليس لبس الطيالسْ   من لباس الفوارسْ
لا ولا حومة الوغى   كصـدور المجالسْ
وظهور الجياد غيــ   ـر ظهور الطنافسْ
ليس من مارس الحرو   ب كمن لم يمارسْ

٢٢ — (ص ٥٩) لما منع أهل مرو أبا غسان الماء ، وزجّته إلى الصحارى ، كتب إليهم أبو غسان : إلى بني الإساءة من أهل مرو ، ليمسّينّي الماء أو لتصبحنّكم الخيل . فما أمسى حتى أتاه الماء . فقال : الصدق ينبئ عنك لا الوعيد

قلت : الإساءة أو الاستناءة في الطبعات القديمة يصلحها ابن أوس الطائي :

وأغر يلهو بالمكارم والعلا   إن المكارم للكريم ملاهِ[1]
يمسى ويصبح عرضه في صخرة   شدخت شواة العائب المضاه
قل للمداة الحاسديه على العلا :   رغماً لأنفكم بني الأستاه[2] !
هو للوفي المهد ظل أراكة   ولمضمر الشنآن شوك عضاه

٢٣ — (ص ١٧٧)

فلولا ادّراك الشر قامت حليلتي   تخيّر من خطابها وهي أيّم
ولولا ادراك الشر أتلفت مهجتي   وكاد خراش يوم ذلك يُيتم

قلت : هو الشد في البيتين (أي العدوْ) وشد واشتد : عدا ، قال :

هـذا أوان الشد فاشتدى زيم[3]

ويُيتم هي يَيتم بفتح أوله ، وعين الفعل تفتح وتكسر . والبيتان في حماسة البحتري في قصيدة لأبي خراش في أول الباب (٣٥) (فيما قيل في الفرار على الأرجل) وهذه روايتهما هناك :

(١) الأغر : الكريم الأفعال الواضحها (القاموس)
(٢) في التاج : قال الأزهري قرأت بخط شمر :
العرب تسمى بنى الأمة بنى ...
(٣) البيت من أمثالهم ، نسبه أبو الحسن الاخفش في حواشي الكامل إلى (رويشد بن رميض العنبري) ويقال : رميص بالصاد كما في اللسان . والعنبري في الصحاح واللسان والتاج وغيرها . وفي (رغبة الآمل) للعلامه المرصفي : « العنبري غلط ، صوابه العنزى من بنى عنزة بن أسد . وكثير من الرواة يقولونه رشيد بن رميض بالتصغير فيهما »

فلولا دِراك الشد قاظت حليلتي   تخيّرُ في خطابها وهي أيّم[1]
فتسخط أو ترضى مكاني خليفة   وكاد خراش يوم ذلك ييتم

٢٤ — (ص ٢٥٤) ثم جمل ينشدد عليهم ويقول :

احملْ على هذى الجموع حوثره

قلت : يشد عليهم

شد على القوم في الحرب يشِد ويشُد : حمل ، وفي الحديث : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب : أي حمل عليه فقتله ، وشدوا عليهم شدة صادقة

وروى محققو الكتاب في الشرح عن الكامل : « ثم حمل (أي حوثرة) على القوم وهو يقول » وحمل عليهم مثل شد عليهم. وجاء في ص ٢٥٥ من هذه الطبعة : « فشدوا عليه شدة رجل واحد فهزموه »

٢٥ — (ص ٧٥) قال القَطامي :

ومعصية الشفيق عليك مما   يزيدك مرة منـه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه   وليس بأن تتبعه اتباعا
كذاك وما رأيت الناس إلا   إلى ما جر غاويهم سراعا !
تراهم يغمزون من استركوا   ويجتنبون من صدق المصاعا !

قلت : استجدت القول فرويته ، والقصد هو البحث في (القطامي) في فتحة قافه وضمها ، فقد شغل هذا الاسم فضلاء في القديم وفي هذا الزمان . وسأورد طائفة من أقوالهم لتزول الشبهة ، ويستبين الحق :

قال العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي في نقده طبعة (لسان العرب) : ضُبط القطامي بفتح القاف ، وصوابه بضمها كما صرح به المؤلف في موضعه[2]

وهذا قول اللسان : والقطامي بالضم من شعرائهم من تغلب واسمه عمير بن شُييم . وقد تبع اللسان الصحاح ، قال الجوهري : والقطامي بالضم لقب شاعر من تغلب . . .

ولما وقف العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثري على

(١) (دراك) الدراك للمداركة يقال : دارك الرجل صوته أي تابعه ، (الصحاح) الدراك : إتباع الشيء بعضه على بعض في الأشياء كلها (اللسان) قاظ بالمكان أقام به في الصيف (الصحاح)
(٢) الضياء السنة ٦ ص ٣٥٧

كلمة حق

الدافع الى كتابتها

للأب أنستاس مارى الكرملى

كنت اشتريت فى ١٣ فبراير (شباط) من سنة ١٩٣٤ (كتاب الذخيرة فى علم الطب) المنسوب وهماً إلى ثابت بن قرة ، والذى نشره حضرة الدكتور جورجى بك صبحى ، فطالعته مراراً لأستفيد من الوقوف على مصطلحاته ، فخاب أملى ، ثم كتبت إلى حضرة ناشره ، بعد مضى نحو من سنة ونصف ، أى فى ٢٩ يونيو من سنة ١٩٣٦ :

« بعد إهدائى إليك أعطر السلام وأطيبه ، أقول : اقتنيتُ (كتاب الذخيرة فى علم الطب) ، فألفيتُ نسبتهُ إلى ثابت بن قرة غير صحيحة ، وإنى أوافق وِدْمَن Wiedmann على أنه ليس لهذا الرجل الشهير كما ذكرت أنت ذلك ، ناقلاً كلام ودمن فى ص X من مقدمتك الإنكليزية . وأظنه لواحد من الأقباط من المائة السادسة أو السابعة للهجرة ، وكان يجهل كل الجهل أحكام اللغة العربية ، إذ فيه شيء كُثَار من الأغلاط ، وشيء لا يحصى من أوهام المصطلحات الطبية المشوهة أقبح تشويه .

ثم جئت أنت ، فزدت الطين بلة ، والطنبور نغمة ، فصحفت المتن تصحيفاً فظيعاً ، وتحريفاً شنيعاً . ولم تجتزئ بذلك ، فأتيت بتصحيفات هى بالحقيقة تقبيحات ، وأوردت تفاسير هى من أبعد التأويلات عن حقائق العلم ، ودقائق العرفان .

فقد ذكر المؤلف مثلاً صفة لداء الثعلب وداء الحية فى ص ١١ عدة أدوية ، ومن جملتها هذه الصفة : « وكذلك ذباب محرق . وكذلك قشور القنفذ وأصل القصب الجفف يدق ويطلى به » .

— فقلت فى الحاشية تعليقاً على قشور القنفذ : « البندق . (خط جديد) . ومعنى ذلك أن أحد الأدباء الذين اقتنوا الكتاب وضع فى مكان « قشور القنفذ » : « قشور البندق » . — قلنا : وكان يحسن بك أن تقول : « ما فى المتن هو الصحيح وما جاء بخط جديد أى البندق هو الخطأ ؛ لأن المراد بقشور القنفذ هنا ،

قول العلامة الشيخ ابرهيم كتب فى شرحه « بلوغ الأرب » لفخر العراق الإمام الشيخ محمود شكرى الألوسى :

القطامى بفتح القاف وضمها كما نص عليه ابن الشجرى فى أماليه ، والمجد فى قاموسه ، وعبد الرحيم العباسى فى معاهده . وقول ابراهيم اليازجى فى مجلة الضياء : إن الصواب الضم ، وهم من أوهامه الناشئة من غروره وهوسه ، وقلة تتبعه ودرسه . والقطامى لقب غلب عليه ، واسمه عمير بن شييم ، وهو شاعر إسلامى مقل ، رقيق الحواشى ، كثير الأمثال ، حسن التشبيب وهو صاحب هذا البيت :

إنّا محيوك فاسلم أيها الطلل   وإن بليت وإن طالت بك الطيل

الذى انتحل صدره جميل الزهاوى المتفلسف فقال فى مدح أمير عربى :

إنا محيوك فاسلم أيها الملك
ومصطفوك لعرش شاده الفلك[1] !!

(١) الجزء ٣ ص ٤٢٥

وينصر قول العلامة الأثرى شيخ العربية الإمام بن جنى قال فى (المبهج) كتابه الذى فسر فيه أسماء الشعراء فى ديوان الحماسة : القطامى بضم القاف وفتحها هو الصقر سمى الشاعر (يعنى قطاميّنا هذا) به لقوله ...

وضبط العلامة محمد محمود الشنقيطى هذا (القطامى) بالفتح فى (المخصص[1]) وضبطه العلامة الشيخ سيد بن على المرصفى فى (الرغبة[2]) بالضم ، وقال الإمام ابن سيدة فى المخصص[3] : أبو عبيد : القَطامى والقُطامى الصقر لأنه يقطم إلى اللحم[4] .

وفى التاج : القَطامى ويضم ، الفتح وسائر العرب يضمون

فمن المستحسن فى طبعة (المفد) هذه أن يضبط القطامى — وتلك قصته ... — بالضم والفتح فى المتن أوفى الشرح

***

(١) الجزء ١٧ ص ١٣ (٢) الجزء ١ ص ٢٠٩
(٣) الجزء ٨ ص ١٤٩ (٤) يشتهيه

قشور القسطل أي الشاهبلوط، المعروف عند بعضهم بأبو فروة . وسبب تسميته بالقنفذ أن على قشره شوكا يشبه بعض الشبه ظهر أو قشر القنفذ الشائك

وقلت في الصفحة المذكورة « أو بجلد السمكة الخشنة الجلد وهو السفن » — قلنا : وليس في لغة من لغات العالم قشر سمكة اسمه السفن (بالضاد) إنما هو السَّفَن ، وهو جلد سمكة تعرف بالأطوم وهي بسين وفاء ونون كما ترى

وقلت في تلك الصفحة : « وتين يابس محرق مذيف » ولم أعثر على فعل (ذاف) بالذال المعجمة . ولا على اسم المفعول منه (مذيف) . والذي أعهدهُ أنه (مدوف) ، وزان مخوف بدال مهملة

وقلت — ونحن لا نزال في تلك الصفحة — : « ويجب أن يمنع أصحاب هـذه العلة جميع الأنبذة والتملي من الطعام » — والصواب : « والتملؤ من الطعام — ولا أريد أن أمعن في تنبيهي إياك على كل ما ورد في هذا المصنَّف من المشوهات ، فإنها لا تحصى . ويحتاج القارىء إلى وقت طويل لتحريرها وتحويرها لإعادة النص إلى نصابه . ومع ذلك ، يبقى أنه ليس لثابت بن قرة ، لأنه كان صحيح العبارة ، بديع الكلام ، عارفاً بالمصطلحات الطبية كل المعرفة ، وواقفاً عليها وقوفاً تاماً . ولما كان الوقت غير متيسر لي في هذه الأيام ، لا يمكنني تصحيح هذا الكتاب

ووفقك الله وسلمك من كل ضر وشر »

الأب أنستاس ماري الكرملي

فأجابني حضرته بتاريخ ٥ يوليه من السنة المذكورة ١٩٣٦ بكتاب أحفظه عندي وأنشره مصوراً إن يُنكر على أنه كتبه إليّ لتسود وجوه وتبيض وجوه . فكتبت إليه بتاريخ ١٩ يوليه من السنة المذكورة ما هذا نصه :

أشكر لكم جوابكم بتاريخ ٥ الجاري ، ولقد طالعت المقدمة الإنكليزية ، وعلمت أن السرعة التي أظهرتم بها هذا الكتاب شفيعة لكم لوقوع الأغلاط فيه ؛ لكن هذه الأغلاط جمة ، لا نكاد تسلم منها صفحة واحدة . على أن الأغلاط المتعلقة بالكلام المنثور لا أهمية لها ، إنما الأهمية في المصطلحات العلمية . وحالما وصل إلى هذا الكنز ، كتبت على أول صفحة منه « إنه ليس لثابت بن قرة ؛ ومن المحال أن يكون له ، لأن عبارته سقيمة ركيكة ، مشوهة ، كثيرة الأغلاط ؛ ومن البعيد كل البعد أن ينسب إلى ثابت . ولا أريد أن أذكر هذه الأغلاط لكثرتها وأنا أنسب هذا الكتاب إلى رجل صنفه في المائة السادسة للهجرة (لا الثالثة) ، لأن عبارته عبارة ذلك العصر . ثم إنه استعمل « القنفذ » بمعنى « الشاهبلوط » ، بخلاف ما تقول حضرتك ، ولا سيما أنك ادعمت رأيي هذا بأن قلت : إن الأصل لجالينوس هو بمعنى الفندق ؛ إذن ثبت أن القنفذ هو في عبارة الذخيرة (ص ١١) حين قوله: «قشور القنفذ» ؛ هو هذا النبت لا الحيوان ؛ إذ لا يقال للحيوان قشور القنفذ ، وهيهات أن يقال ذلك !

ووجدت ابن العوام يقول : إن القنفذ هو الشاهبلوط ، وفسره كذلك من نقله إلى الأسبانية والفرنسية — راجع معجم دوزي العربي الفرنسي — فإنه يشرحه هكذا شرحاً صحيحاً مما يؤيد كلام المراقبين ، وهذه التسمية لا تعدو المائة السادسة للهجرة .

وهناك شواهد أخر على أن الكتاب ليس لثابت ، وذلك من الألفاظ اليونانية والسريانية شوهت أقبح تشويه ، وأنا أجل ثابتاً من ركوب متن هذه الفظائع ؛ فالألفاظ انتقلت من مصحف إلى مصحف ، ومن ناسخ إلى ناسخ ، حتى جاءت بتلك الصور الشنيعة ، وهي كلها للمؤلف الجاهل لا للنسَّاخ — على ما أظن — . والبراهين التي ذكرتموها في النص الإنكليزي ، لتبينوا بها صحة نسبة هذا الكتاب إلى ثابت لا قوام لها ، وليست منطقية ، بل في نهاية الضعف . وما ذهب إليه العلامة Wiedmann هو الحق بعينه ، وإن لم يبين لنا الأسباب والأدلة التي دفعته إلى ذلك القول . وإنما نسب الكاتب ، أو الواضع ، أو المزوِّر هذا الكتاب إلى ثابت بن قرة ، ليروجه على الناس ، كما فعل كثير من الأقدمين مثل هذه الأفاعيل ، وقد اشتهروا بها

أما أن الواضع استعمل مرة شاهبلوطاً ومرة قنفذاً لمسمى

واحد فهذا ناشئ من اعتماده على عدة مؤلفات، وهذا أيضاً لكثير الوقوع فى كتب القوم ، وعندى شواهد لا تحصى تأييداً لهذا الرأى ، ويحتاج هذا التفنيد إلى وضع مقالة طويلة تشرح فيها ملاحظاتى ولولا كثرة أشغالى لفعلت

وعلى كل حال إنى شاكر لفضلكم وحرسكم الله

الأب أنستاس مارى الكرملى

هذا ما كتبته بيدى للفانية . وأما أن أحدهم « رأى عند الدكتور صبحى بك كتاباً بخط يدى أسأله فيه أجراً على تصحيح الكتاب ، وأن طبيباً بالقاهرة اتصل بالدكتور صبحى بك يغريه على أن يجيب حضرة الأب إلى طلبه ، فرفض صبحى بك معتذراً » فالكذب ظاهر من كل كلمة من هذه الكلام . فإن كان بيد صبحى بك هذا الكتاب فليظهره للملأ حالاً بلا أدنى تأجيل ، ويصوره وينشره ليصدقه الناس ، ولا يزيد على ما عرف به من الكذب على الأموات الكذب على الأحياء ، وهذا من الجراءة فى مكان ظاهر ظهور النار على العلم

وإن كان أحد الأطباء قد اتصل به ليغريه على أن يجيب طلبى ، فلا بد لهذا الطبيب من اسم يعرف به ، فلماذا لم يذكره لنا ؟ وكيف يكون لهذه الأكاذيب المنمقة المزوّرة المزوقة مسحة صدق ، والذخيرة طبعت سنة ١٩٢٨ ، وأنا كتبت إليه أولى رسالتىّ فى سنة ١٩٣٦ ، أى بعد مضى ثمانى سنوات على طبعه ؟ وأى فائدة من تصحيحى لهذا المصنف بعد تلك المدة الطويلة ، وقد انتشر بين الناس ، وعرفت أغلاطه ، إذ شرقت وغربت ، ونسفت هضاب العربية وجبالها ودكتها دكا لا يرجى بعده بناية فى مكانه ؟

وأى طبيب فاقد الحظ يعرض مثل هذا للعرض ، وقد اشتهر غلط ما طبع وذاع بين الخلائق كلها ؟ فكل هذه خزعبلات وترهات لا يصدقها أعظم الناس بلاهة فكيف تجوز على الأدباء ؟

ولهذا سكتُّ طول هذه المدة ولم أنطق بكلمة ، لأن هذه الأباطيل جبال ، لكنها من ثلج ، تذوب عند إشراق شمس الحقيقة عليها ، ولا يبقى منها أثر . إلا أن بعض إخوانى فى مصر وفلسطين وسورية والعراق ألحوا على أن أقول كلمة الحق ، فجئت بها ، وإن كنت فى غنى عنها .

ومهما يكن من أمر ، فأنا أنذر اليوم الدكتور جورجى بك صبحى ، وشريكه المدافع عنه الأستاذ الفاضل والكاتب النزيه اسماعيل أفندى مظهر ، بأن يثبتا ما تقوّلا علىّ بإبراز الكتاب الذى كتبته أنا واطلع عليه الفاضل الأديب مظهر أفندى [1] . وأن يذكرا لى صريحاً اسم الطبيب الذى اتصل فى القاهرة بالدكتور صبحى بك ليغريه على أن يجيب إلى طلبى [2]، وإن لم يفعلا ، فإنى أقيم الدعوى عليهما فى المحاكم المصرية لاتهامهما إياى بشىء أنا براء منه ، ولمعاقبتهما على ما لفّقا على بهتاناً وافتئاتاً . وسوف تظهر المحاكمة من الجانى ومن المجنى عليه ، ومن الظالم ومن المظلوم

وأنا أمهلهما ثلاثة أشهر من نشر هذا الإنذار ، ليتسع لهما الوقت وليثبتا مدعاهما المختلق من أوله إلى آخره

أما قول الأستاذ اسماعيل أفندى [3] : « فإن الكتاب الذى أرسله (كذا) حضرة الأب إلى الدكتور صبحى بك يسأله فيه ذلك (أى أجر التصحيح) ، قد مُزق وألقى به فى سلة المهملات مع الأسف الشديد » فهذا عذر أقبح من ذنب . وكيف يكون هذا الكلام صدقاً ، وهما يزعمان أنى طلبت به أجراً ؟ فلو كان هذا صحيحاً لاحتفظ به الدكتور ، أو لنشره بنصه وفصه ، إذ هو أمضى سلاح بيده ، ليصرعنى به ويقتلنى شر قتلة ؟ - لكنه مزقه (؟ !) - قلنا : « إذا كان التمزيق قد وقع حقيقة ، ولعله صادق ، فهو لكى لا يبقى أثراً فى ربيدته ، يطلع من يأتى بعده على جهله لمبادئ اللغة المضرية ذلك الجهل الذى لا جهل بعده . وحينئذ نطالب من الدكتور النصرانى أن يحلف على الإنجيل بين أيدى الشهود فى المحكمة أنه تلقى منى كتاباً أطلب به منه أجراً على تصحيحى لكتابه الذى نشره ممسوخاً باسم ... ثابت ... بن ... قرة ! . وأطلب مثل هذا الطلب من الأستاذ المسلم اسماعيل أفندى مظهر فيحلف على القرآن بين أيدى أولئك الشهود ، ويؤكد أنه ... قرأ ... هذا الكتاب »

فإن فعلا - ولا شك فى أنهما فاعلان بعد أن بيّنا

(١) راجع الرسالة فى سنتها ٨ ص ١٧٩٥

(٢) الرسالة ص ١٧٩٦

(٣) الرسالة ص ١٧٩٧

أكاذيبهما ـ فإنى أتخلى عن دعواى ، وأكل أمرى إلى الله . « والله يعلم إنهم لكاذبون » .

الأدلة التى جاء بها الأستاذ مظهر لإبانة أوهامى

أما الأدلة التى جاء بها الأستاذ الجليل إسماعيل افندى مظهر لتبرير صديقه المعزيز الدكتور صبحى بك من الأغلاط التى ركب منها ، فكلها موسومة بسمة المنطق المسكت المفحم ودونك أعجمها عوداً ، وأشدها هولا ورعوداً :

١ — ليس الأب فى حاجة إلى دراهم لأنه راهب . وكأنه لا يحل للراهب أن يسند المدارس ، ودور الأيتام ، ومعاهد الشيوخ والعجائز ، ولا مساعدة الأرامل بأى وجه كان .

٢ — إن أصل الكتاب مشوه كل التشويه وهذا وحده يجيز نشر الكتب بأغلاطها من غير تحرير ولا تحوير

٣ — إن الأب تعرض لنقد كثيرين من علماء مصر المشهورين ، وكان عليه أن يسكت ولا يتعرض لهم ويقدس أغلاطهم .

٤ — إن الأب سقط وكبا[1] فى دورة المجمع اللغوى السادسة، فمن اللازم إذن أن يكبو ويسقط إلى آخر نسمة من حياته !

٥ — ومن آيات منطقه ومقنعات كلامه ، هذه الكلمة التى نوردها بحروفها للقارئ[2] : أيليق بنا يا حضرة الأب المهذب أن نسأل : كيف حصلت على لقب لغوى ما دمت تسقط فى مباحث اللغة هذه السقطات الشنيعات . . . — قلنا : وهذه الأقوال من أكاذيبه أيضاً ، إذ لم أحصل على لقب لغوى من مدرسة أو كلية أو جامعة ، أو حكومة ، أو دولة ما ، ولم ادع هذا المدعى فى ما كتبته . ثم لو فرضنا جدلاً أنى حصلت على هذا اللقب ، فهل لكونى سقطت مرة واحدة فى المجمع يدل على تمادى سقوطى ؟

فما هذه البراهين النخرة ، الواهية الباردة ، الخالية من أثر المنطق ؟ — إذ كم وكم من الأحفياء الذين سقطوا ؟ وهل ما تقوله الدكتور فيشر ومن ماشاه هو الصواب ؟ — وقديماً سقط الخليل ابن أحمد وخريجه الليث ، وكبا أيضاً الفراء والأصمعى وابن مكرم والفيروزابادى والزمخشرى وكثيرون آخرون . فهل هذا يدل على أنه لا يؤخذ بما قالوا ، لأنهم سقطوا مرة بل مرات ؟

٦ — وقال أيضاً الأستاذ المفوه اسماعيل افندى : « ولقد يدعى حضرة الأب أنه لا يخطئ ، لأنه لو كان يسلم بأن الخطأ واقع من أبناء آدم لما انزلق[1] فى نقده إلى حيث انزلق (كذا) اهـ

قلنا : ولماذا لم يذكر لنا غلطاً واحداً من أغلاطنا فى تصحيح عبارة صديقه الدكتور صبحى بك ؟

٧ — وقال أيضاً فى ص ١٧٩٨ : « وكلمة أخيرة أتوجه بها (كذا) إلى الأستاذ الفاضل أحمد أمين عميد كلية الآداب ، ومحرر الثقافة فأسأله : هل من اللائق أن يوجه على صفحات الثقافة ألفاظ وعبارات كتلك التى وجهها حضرة الأب إلى الدكتور صبحى بك وهو له زميل فى الجامعة وأستاذ مثله فيها؟

قلنا : جاء فى أمثال الفلاسفة العلماء الرومانيين Amicus Plato; sed magis amica Veritas ومعناه : أفلاطون عزيز على ، وأعز منه علىّ الحق : وجاء فى النهاية لابن الأثير فى مادة (ع ط ا) ما هذا نصه بحروفه : « هـ . فى صفته صلى الله عليه وسلم فإذا تُعُوطِىَ الحق ، لم يعرفه أحد . أى أنه كان من أحسن الناس خلقاً مع أصحابه ، ما لم ير حقاً يتعرض له بإهمال ، أو إبطال ، أو إفساد . فإذا رأى ذلك تنمر وتغيّر ، حتى أنكره من عرفه . كل ذلك لنصرة الحق

هذا هو الأستاذ العلامة الكبير ذو الفضائل العلية الممتازة فهو ذا يشار إليه بالبنان ، دَيّن ، تقىّ ، ورع ؛ فإذا جاء الحق

---

(١) كذا بتقديم السقوط على الكبو . راجع الرسالة ص١٧٩٦ ، وهذا التعبير لا يعرفه إلا سكان جزيرة الوقواق

(٢) ص ١٧٩٧ من الرسالة

(١) كذا بهذا الجهل الفظيع لغة عدنان ، ولعل هذا الفعل وارد فى اللغة الوقواقية التى يجيدها كل الاجادة ، إذ نسب إلى مئة مثينى راجع مقالته فى الرسالة ص ١٧٩٥ وهذه عبارته : « فقد كان موعد الاحتفال بالعيد للثينى القصر العينى قد أزف » مع أن الصواب هو للمئوى والقصر العينى لكن الرجل لا يتقن إلا لغة واقواق ، ومن كان فى تلك الأرجاء .

انتصر له ولم يُحابِ ، إذ كل ما يعرفه هو الأمانة والصدق ومكارم الأخلاق ، وينسى كل ما لم يكن من هذا القبيل ، وهدفه الحق ، لأن الحق صورة الله ، ومن أحبّ الحق فقد أحب الله ، وتعالى فوق كل شيء على الأرض . وهذا هو المطلوب من كل إنسان على الأرض ؛ والسلام على من اتبع الحق واهتدى ، ولم يمارِ ولم يُداجِ ولم يلتفت إلى من سواه عز وجل !

٣ – شكري لمتوخ للحق تائه

لا أمسح قلمي هذا إلا بعد أداء آي الشكر إلى كاتب كبير النفس ، محب للحق حيثما وجده وكل من احتضنه ، مقدر للعلم والأدب ، ومتوخٍّ للصدق ، أعنى به الأديب أحمد الشرباصي ؛ فإنه نشر في (منبر الشرق) الصادر في القاهرة في ١٧ يناير من هذه السنة مقالة مُحجَّلةً عنوانها : « من هنا وهناك » ، انتصر فيها للحق المبين وعدل عن محجة الكاذبين ، إذ لم يستحسن ما نشره الأستاذ إسماعيل أفندى مظهر ، وختم تلك الكلمة البديعة قاصمة الظهور ، وفاتكة ما في مفاسد الصدور ، فبدّدت الأكاذيب والشرور ، بهذه الخاتمة :

« أما تفسير الأستاذ مظهر وكشفه للدافع الذي دفع بالأب إلى نقد الدكتور صبحي فهو — إن صح — حقيق بأن يحدث في الأدباء ثورة ، وأن يورث بين الكتاب حرباً تقوّم المعوج وتهدى الضال إلى سواء السبيل »

لقد صدق — وايم الله — الأستاذ الشرباصي في قوله : « إن صح » إذ هذا الأمر ما صح ولن يصح ، إلا إذا غلب الباطل الحق ، وهذا لا يدوم إلا ريثما تنجلى الحقيقة بوجهها السافر الوُضَّاء . ولا يقع هذا الوهم إلا في من يخدع بالظواهر ، على حد ما يخدع المسافر بالآل أو بالسراب ، ذلكم السراب الذى يحسبه الظمآن ماء . وأما العلماء الحكماء البصراء فهم أبعد الناس عن هذه الخوادع الكواذب . وقانا الله شرها

الأب أنستاس ماري الكرملي

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

الفكر والسلطة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أود أن أعجل بالدخول فى هذا الموضوع الذى أثاره الأستاذ إلياس إبراهيم بدوى وأثار به قلم الأستاذ الكبير العقاد ؛ فإنه موضوع يشغلنى كثيراً فى هذه الأيام وكنت على أن أفرد له مقالاً من مقالات « أومن بالإنسان » بعد ما أشرت إليه فى إحداها فإنه جدير بالعناية ؛ إذ التناقض بين السلطة والفكر هو السبب الأكبر فى شقوة الإنسان وكفره بنفسه وبالعدالة وبالخير والحياة . فليكن هذا الحديث ملحقاً بتلك الأحاديث وإن لم يكن له عنوانها .

قلت فى المقال الرابع من تلك المقالات : إن الإيمان بالعلم وتنظيم الحياة الإنسانية بطرقه وإطلاق الأفكار فيه هو الدين الواحد الذى يدين الإنسانية جميعها وتلتقى عليه بأفكارها وأيديها ... وقد جعلها تلمس عرشها المرموق وتعرف دولتها المأمولة فى مستقبل الحياة

ولكن أين العصا السحرية التى ستفعل فى تعديل شهوات الأمم وغرائزها وتعصباتها القديمة بحيث تجتمع على خدمة العلم والحياة بأفكارها وأيديها ؟

ذلك مايسأل عنه رجال التربية والمفكرون فى الدين والاجتماع ، رجال التربية فلاحو حقول الطفولة منطقة النمو الدائم وعُلب أسرار المستقبل ، ورجال الفكر رسامو المثل العليا القادرون على استدراج الناس إليها وسجنهم فيها

ولكن هؤلاء وأولئك لا يزالون بعيدين عن مقاليد الحكم وتسلم مقاود التطبيع بينما مكانهم هناك لو صحت الأوضاع ... ولا يزال محترفو السياسة والدجاجلة بها المتخلفون عن بلوغ القمة فى الفكر والخلق هم الغالبين المتسلطين ... وهؤلاء هم سر البلاء النازل الآن بالناس كما كانوا فى القديم

فأنا أعنى بذلك أن يكون رجال الحكم فى كل أمة هم رجال القمة فى الفكر والخلق والقدرة على تربية الشعوب ؛ فإن هذا هو الوضع الصحيح للحياة الاجتماعية التى يستقيم فيها كل شيء، ويؤمن المرء فيها بنفسه وبأمته وبالإنسانية جميعاً ؛ إذ لا يجد فى الحياة تناقضاً بين المثل العليا والقوانين المرسومة فى الكتب والواضحة فى نظام الطبيعة ، وبين الوقائع العملية التى يسير بها الناس. وحيث لا تناقض بين ما فى النفس وما فى خارج النفس فهناك السعادة وهناك الإيمان وهناك الأمل والعمل المطرد

إن الذى يؤهل الأب لأن يكون قيما فى الأسرة ، هو بذاته الذى يخول الحاكم والسلطان أن يكون قيما فى مجموع الأمر . وأول صفات الأب الفكر والرشد الممتاز والعدالة بين أبنائه والحب لهم جميعاً

والحكم كالأبوة وصاية وخدمة وقيام على الناس بالرعاية والإصلاح والعدل لا سيادة وسلطان أو مكاثرة أو حب تسخير للناس أو طلب للامتياز عليهم أو اتقاء لشرور سلطة أخرى إلى آخر أسباب الحكم التى ذكرها الأستاذ العقاد وبين تفاوتها فى القرب من الصواب

وكما أن الأب فى الغالب هو أكبر أهل البيت عقلاً وأقدرهم على الكسب والإنتاج والإصلاح ... كذلك يجب أن يكون « الأب الشعبى » أى الحاكم الراعى

وقد أغفل الناس هذه البديهية فى الحكم ووسدوا الأمر إلى غير أهله الطبيعيين ، وصار مالكو رقاب الناس وموجهو الأمم غير رجال القمة فى الفكر والخلق ومعرفة اتجاهات الحياة ، وإنما هم المحترفون للسياسة والجائعون للشهرة والعاشقون للجاه والمناصب والبطش والخيلاء ، والجاهلون بعلوم النفس والتربية وأرصاد القدر وسير قافلة الحياة بالأحياء ... الذين صعدوا إلى المناصب بالمكر والخديعة والدجل السياسى ، لا بالطبع الكريم والفكر الناضج والمجهود الصالح والخدمة النافعة ... الذين نفوسهم نفوس عوام ، أو هم جعلوا همهم تمليق العوام والنزول إليهم بدل أن يرفعوهم بالتربية وقسوة الآباء التى لا بد منها فى بعض الأحيان ...

ومن رأيى أن الأرستقراطية فى الفكر ضرورية للاجتماع ، وليست مقبوحة كالأرستقراطية فى المال . إذ لو اتبع الحكماء

أكثر العلماء ما خطوا بالإنسانية خطواتها فى الترقى ، وماوصلوا بها إلى شىء من أسباب سموها وهداها

والمحترفون للسياسة وعشاق المناصب يحملون همهم تعليق العامة ليركبوها إلى المناصب . أما العلماء والمجاهدون فى سبيل الفكر فهم الذين يحملون الناس على أكتافهم إلى واحات السلام والصلاح والانتفاع ، وقد يضربهم الناس ويهينونهم كما يهينون الدواب التى تحمل متاعهم ، ومع ذلك لا يتخلفون عن أداء رسالاتهم فى نقل الناس من سيئ إلى حسن ومن حسن إلى أحسن

إن رجال الفكر المخلصين للحقيقة الباحثين عنها الحالمين بصور الكمال هم وحدهم الذين لا تبطرهم المناصب والرياسات ولا يسمون لها إلا لأنها تمكنهم من تحقيق ما يحلمون به من وسائل الإصلاح وإسعاد الناس . وهم الذين يقيمون السياسة على قوانين الفضيلة لا على الختل والخداع وتصيد المال والخيلاء بالجاه

واعتقادى أن شقاء الإنسان السياسى ناتج من أن رجال السياسة الآن صاروا بعيدين عن الأفكار العليا الحرة ، وصاروا تابعين لرجال المال الذين يبعدون عنهم كل ذى فكر وأحلام ومثل عليا فى الروح

وعالم المال بؤرة للشهوات العنيفة والغرائز الحادة ، والمنافسة الذميمة ، وحب التملك ، وتبرير الواسطة ، والخوف من التغيير والتحول

وقد نشأ من اللقاح بين هذين الصنفين : محبى تملك الرقاب ومحبى تملك المال ، ذلك الإنسان السياسى القطيع الذى يخدع القطيع ويلعب به ويحلبه ويسوقه ويذبحه حين الضرورة الشخصية على مذابح الهوان والظلم . ولن تتخلص الأمم من شقائها وفوضى حياتها إلا إذا اختارت رجال حكمها من بين مفكريها الذين لهم روح تحلم بالكمال ، ولهم قدرة عملية على التنظيم والإخراج والتنفيذ ، ولهم مع هاتين الهبتين شخصية قوية تصون المنصب وتخلع عليه من هيبتها وسيادتها الذاتية . فعلى الأمم أن تبحث عن هذا الطراز المفكر الحالم العامل القوى الشخصية بين رجالها وشبابها الناشئين ، وأن تربيه فى مدارس خاصة بتخريج الحكام يكون لها برامج تكفل إنضاج المفكر الحاكم السائس المربى

* * *

وحين يوجد الفيلسوف الحاكم يكون التناسق والتربية النفسية والحقيقة والرضا عن الوطن و « المواطنين »

وقد كان عهد الرئيس الدكتور « مازاريك » فى « تشيكوسلوفاكيا » مثالاً صالحاً للحكم تحت وصاية أرباب الفكر الذين لا يخضعون « للروتين » ولا يتحجرون فى قوالب الواقع السئ

فقد فاق « التشك » تحت حكمه جيرانهم جميعاً حتى الألمان ، فاقوهم فى التنظيم الداخلى والاقتصادى والرياضى والعسكرى والاجتماعى . إذ أنهم كانوا تحت وصاية رجل بصير بآفاق الحياة مدرك اتجاهاتها ، برىء السيرة والسريرة من آفات محترفى السياسة الطالبين للمناصب ولو لم يكونوا أهلاً للوصاية للعامة ، الحاذقين « للمناورات » والمقالب والدسائس مع الجهل بالإصلاح

إذاً فمن الخير للأمم أن يتولى سياستها رجال الفكر وعشاق المثل العليا وأن يطبقوا حياتها العملية على أفكارهم النظرية السليمة

* * *

ولكن هل من الخير لرجال الفكر أنفسهم أن يوسد إليهم أمر الناس وتدبير سياستهم ومعايشهم ؟ إن لذة الفكر المجرد والهدوء الذى يغمر عالمه والأنس به والأحلام فيه والانقطاع إليه شىء عظيم قد يفضله كثير من المفكرين على الاشتغال بصغائر الحياة العملية ومضايقات سياسة الناس وتدبير أمورهم ، ولو كان مع هذا جاه ومال وسلطان وقوة وشهرة

بل إن أكثر الذين أخلصوا للفكر والفن يضيقون ذرعاً بحياة الناس العملية ويخلقون لهم جواً خاصاً بهم يعيشون فيه وحدهم ولا يعدلون به سواه . ولذلك قال الجاحظ ما معناه : « ما لذة الأسد بلطع الدم بأعظم من لذة العالم بعلمه » . وقال أحد الصوفية : « لو علم الملوك ما عندنا من اللذات لقاتلونا عليها »

وقد صور « جبران خليل جبران » وجدانىْ رجل الأدب ورجل النشب ونظرتيهما للحياة حين قال : « تبادل غنى وأديب النشب والأدب ، فرأى الأديب ما بيده حفنة من تراب ، ورأى الغنى ما برأسه نفخة من ضباب . . . »

فهل يلذ المفكرين أن ينزلوا عن أبراجهم العاجية المليئة

بصور الكمال والجمال والهدوء إلى دنيا الواقع المليئة بالصخب والتشويش والمتاعب ؟

وهل من الخير للحياة أن يظل رجال الفكر فى نظرياتهم وأحلامهم يتصيدونها من آفاق بعيدة ويؤلفون صورها ويدمنون ذلك وينقطعون إليه ، حتى يكثروا أمام الناس صور الكمال ، وأن يتركوا للملوك والساسة العمليين أن يأخذوا منها الجانب الذى يروقهم ويحلو لهم تطبيقه فى أساليب حكمهم ؟ أم أن من الخير للحياة أن يتولى رجال الفكر بأنفسهم تنفيذ ما فكروا فيه ووفقوا إليه ولو قطعهم ذلك عن إنتاج الأفكار الكثيرة الرائعة ؟

وهل من الخير للرجل أن يخلد ويذكره التاريخ على أنه مفكر أو فنان أو أن يذكره على أنه حاكم سديد مصلح ؟

إن النتاج العلمى والفنى قد يبقى كما هو دائماً فى الكتب والدواوين والآثار . . . يراه الناس كما كان فى عهد صاحبه … ولكن نتاج الحكم والإصلاح مؤقت بحياة صاحبه فلا تدركه الأجيال التالية ، إلا بالحكاية عنه والسماع . وليس فيه خلود ذاتى كالأثر الفكرى والفنى ، وإنما خلوده بتطبيقه على الحياة العملية . وهذا طبعاً ليس مطرداً ولا كثير الوجود فى جميع العصور …

فحياة الإصلاح والقوة فى زمن عمر بن الخطاب وعمر ابن عبد العزيز مثلاً انقضت بانقضائهما ، وصار الحديث عنها حديث حكاية مضى أشخاصها . وقليل أن يقتدى بهما حاكم آخر ، ولكن حياة أى كتاب دينى أو علمى أو فنى تبقى تمثل نفس صاحبها ومنتجها دائماً …

* * *

ومع هذا يجدر بنا أن نعلم أن حياة الفكر وحده لا فائدة منها إلا لفترات « الترف العقلى » والترف العقلى كالترف المالى ما هو إلا شهوة … شهوة رفيعة

نعم إن للعقل شهوات كشهوات الغرائز ! فالمفكر أو الشاعر الذى يتفرغ لعالمه الخاص ويترك العمل على إصلاح ما يحيط به ما هو إلا كالمدمن المستهتر على الخمر أو القمار ؛ إذ يغيب عن حياة المجموع ولا يجعل بين عقله النظرى والعقل العملى صلة

والسؤال الذى يجب أن يقدم قبل البحث فى هذا هو : أمن الخير للفرد الفقير المريض المحتاج فى الأمة أن تقدم له غذاء ودواء وحياة عادلة أم أن تقدم له لحناً جميلاً أو شعراً رائعاً أو نظرية بارعة ؟

إن الحياة العملية هى الحكم فى هذا … وقد مضى العلم والفكر القديمان اللذان كانا يدوران على الذاتية واللذة الشخصية وأتى عصر الفكر العملى الذى ينتج محصولاً ينفع الناس فى مرافقهم الماشية

فصاحب الفكر التجريبى الآن قد صار صاحب الخطوة والخالد الأثر عند الناس . لأنه يشتغل فيما يعود عليهم جميعاً …

وقد لفظت الحياة الحالية كل من يفكر على الأسلوب التجريدى القديم الذى لا ينتج شيئاً يصح انتفاع الناس جميعاً به واحتضنت كل من يقدم لها أعمالاً وأغدقت عليه الثروة والجاه والسمعة …

* * *

وينبغى أن ينصرف حديثنا هذا إلى غير المفكرين من العلماء الطبيعيين الذين يكشفون عن أسرار الطبيعة . فهؤلاء يجب أن يتفرغوا ويعيشوا فى عالمهم وحده إلا إذا كانت لهم قدرة على الجمع بين حياة الحكم وحياة هذا اللون من العلم

أما الذين يفكرون فى النظريات الأدبية ويدرسون الاجتماع ويضعون فلسفته فيجب أن يختار منهم من يستطيع الاضطلاع بأعباء الحكم وتطبيق النظريات على الواقع

ويجب أن يعلموا أنه لا فائدة من أن يضعوا كثيراً من النظريات والأفكار ويتركوها دفينة بين دفات الكتب من غير تطبيق ؛ وإن المفكر الناجح هو من يصنع فكرة ثم يصنع بها أمة أو جماعة

ويخيل إلىّ أن كل المجهودات الفكرية التى ليست داخلة فى منطقة العمل هى هوى ذاتى وترف عقلى وأقرب إلى الوجدانيات كالموسيقى والألحان

إننا لا نمسك ديوان شعر أو نسمع ألحان الموسيقى أو نقرأ قصص التاريخ إلا إذا فرغنا من أعمالنا الماشية وأقبلنا على أوقات

الفراغ نستمتع بها ، ولن يقبل على هـذه الألوان فى كل وقته إلا هاو مستغرق أو محترف مرتزق

وقد يكون من العجيب عند بعض الناس أن يعلموا أننى أعتقد أنه يجب للإصلاح السريع فى مصر أن نضحى بمعيشة الترف العقلى مدة موقوتة تغلق فيها جميع المعاهد العالية مدة سنة أو سنتين نحشد جميع أساتذتها وطلابها للخدمة العامة والاشتراك فى حركات الإصلاح البدائى ونترك التفرغ للبحوث الفكرية والهوايات الفنية ونتفرغ لتدبير أمور الجمهرة الجاهلة من هذه الأمة حتى يعلو مستواها ويتقارب مع مستويات الأمم التى سبقتنا فى التعليم والإصلاح

قد يبدو هذا غريباً عجيباً ، ولكن هو ما أعتقده . لأنى أرى وجود المريض جداً بجانب الصحيح جداً يفقد بهجة الحياة لدى الصحيح ، ويؤلم المريض بالحسد والنظر المحروم ؛ وأرى أن الأولى للعالم والمفكر ألا يوغل فى علمه وفكره ، ويترك غيره جهلاء لا يفهمونه ولا يقدرونه

ووجود عدد من جهابذة العلماء عندنا بجانب ملايين الجهلة التعساء المرضى هو بذاته كوجود الميادين والشوارع الجميلة فى المدن المعدودة فى مصر بجانب آلاف القرى التى تقام من الطين والسرجين والأحطاب والمستنقعات ...

فعلى هذا ينبغى أن يقدر أدباؤنا ومفكرونا أن عملاً صالحاً يقدمونه فى حكم صالح يسمون إلى أن يقوموا عليه ، أولى ألف مرة من تقديم قصيدة رائعة أو مقالة بارعة أو فكرة عبقرية غير عملية ... إذ أن هذا العمل الصالح المثمر أهنأ لدى آلاف من القلوب المحكومة ، وأسرع إلى إسعادها ، وأدنى إلى أسلوب الله فى نفع عباده ، إذ أنه يعمل لهم كثيراً فى تدبير الطبيعة ولا يتكلم ... وإن قانوناً عادلاً يضعه لأمته حاكم رشيد لأنفع ألف مرة من جملة كتب تعرض أفكاراً طلية للترف العقلى . لأن القانون العادل يضمن ضرورات الحياة للناس جميعاً . أما كتب الأفكار ، فتضمن بعض ترف الحياة لبعض الناس ..

ولو ترك محمد عليه الصلاة والسلام القرآن من غير أن يترك أمة قد قام عليها بالتربية والحكم والتوجيه والتعليم لظل القرآن ككتاب من الكتب لمؤلف من المؤلفين ... ولكنه صنع أمة تجسدت فى أشخاصها معانى هذا الكتاب ومشت تسعى بهم وصاروا هم كلمات حية تشرح آياته ..

وأظن أن سعادة الرجل الذى ينجح فى تطبيق مشروع يسعد الناس تربو كثيراً على سعادته بإخراج أثر فكرى أو فنى حبيس فى الورق

فليحمل أدباؤنا ومفكرونا نصيباً من الخدمة العملية ، وليروضوا أنفسهم على إسعاد القلوب بالأعمال كما يسعدون الآذان بالأقوال ، وليجتهدوا أن يحققوا معانى مقالاتهم فى أشخاص وأعمال مجسمة ، وليسموا دائماً إلى أن يكون حكامنا وزعماؤنا هم رجال القمة فى الفكر والخلق حتى نلائم بين ما فى النفس وما فى خارج النفس .

عبد المنعم خلاف

الغنـــاء والموسيقى

وحالهما فى مصر والغرب

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ١ —

هذه أولى أربع كلمات فى الغناء والموسيقى ، وحالهما فى مصر والغرب ؛ وهى ملاحظات عامة لم يُقصد بها إنسان معيّن ، وليس فيها محازبة لمذهب خاص ، وعرضُها قد لا يخلو من فائدة

ذانك الفنان يجوز اعتبارهما من وجهين : القواعد الفنية[١] ؛ وبواعث الطرب الراجعة إلى ماهية الموسيقى والغناء الأصلية ، أى الدلالة الصوتية على الأحاسيس والخواطر[٢]

فالغناء تطريب فى الصوت فى كلام المغنى . والكلام العادى كلمات تدل بذواتها وبنسقها على خواطر وأحاسيس تتلوّن فيه تلون الحال الفكرية النفسية فى المتكلم ؛ فيتلون صوته بالطبع والتبعية إذ يحدث فيه نبرات متفاوتات ، ويجرى فى سرعة وبطء وخطف ووقف ، وذلك كله يقوى دلالات الكلمات والسياق على الخواطر والأحاسيس ، لأنه يزيدها وضوحاً وتأكيداً من حيث لا يشعر المتكلم . فهذا الذى يَحدث فى صوته دلالةٌ صوتية تصاحب الدلالة الكلامية ؛ وهى ماهية الإلقاء ، وقد تكون أصدق من دلالة الكلام الذى تصاحبه : فى مثل عبارة معناها ثناء تلقى بصوت يدل على أن المراد بها مُزاح ساخر ؛ وفى مثل قول غاضب لمغضوب عليه : تفضّل ، بصوت يعنى الطرد مع أن الكلمة مستعملة فى التكريم

وما الغناء ، على الإجمال ، إلا تطريب يُعلى تلك الدلالات الصوتية فى اللحن المطابق لمعانى كلام الأغنية ، ولمقتضى المقام المعين بهذه المعانى ؛ فتعلو الدّلالات درجات متفاوتات على مستوياتها فى الكلام المغنّى به لو أن صاحبه الفرضى تفوّه به ، من غير تطريب ، فى ذلك المقام . يؤيد هذه الحقيقة أن الأغنية إذا جاد لحنها ، وأجاد غناءها صوت حسن موافق ، كانت معانيها أعظم وقعاً عند السامع منها إذا هو قرأها هادىء النفس ، أو سمعها مقروءة بلا ترنيم ولا ترتيل . فن أين تعلو عنده منزلة هذه المعانى والأغنية واحدة على كل حال ؟ أفلا نرى أنها تشرف بتقوية الدلالة الصوتية المبينة عن معانى الكلام وعن حقيقة المراد به ؟ ليس شك فى أن السر والسبب المهم هو تقوية هذه الدلالة ، والأمر صحيح واضح لا فى الغناء وحده بل فى الخطابة والتمثيل أيضاً

تلك الدلالات الصوتية تصاغ فى نغمات متوائمات محكمات على ضوابط فنية ، لتنسجم بالإيقاع فى لحن يبرز معانى الكلام المغنى به ، وعلى قدر المطابقة الواقعة بين نص الدلالات ، أى معانى الملحن ، وبين معانى هذا الكلام يطيب الغناء ولو لم يكن صوت المغنى من أجود الأصوات

***

بديهى أن الملحن لا ينطق بالكلام المراد تلحينه ، ولا يستعين أحداً ينطق به أمامه ، كى يلاحظ ما يقع فى مثل هذا النطق من دلالات صوتية ليرفعها فى نغمات يصوغها لحناً ، لكنه إذا كان حقاً فناناً فقهاً فإنه يتفهم ما فى ذلك الكلام من مقاصد وأغراض ، ناظراً فى دقائق ما يكسوها من معارض وأثواب ؛ ويتأمل ما يصور من صور حتى يتوهمها أمام ناظريه ، وحتى تستقر فى بصيرته

---

(١) كالسلم والمقامات ، ومواقع النغمات على المعازف ، والايقاع وضبط الأوزان ، وقياس الألحان بالتك والدم ، أو بالنوتة وما إلى ذلك .

(٢) هنا يحسن التنبيه على الرأى العلمى القائل بأن الأحاسيس يردها التحليل المتناهى إما إلى غريزة حفظ الذات ، وإما إلى غريزة حفظ الجنس ، كما يرد إليهما سائر الغرائز ؛ وإن الغرائز والأحاسيس أصلها معقولات كثر ترددها فى الذهن وسلوكها مجاريها العصبية حتى استحالت غرائز وأحاسيس ؛ وأن المعقولات والأحاسيس فى الحقيقة يلازم بعضها بعضاً فى العقل الباطن ، لأنها من حياة النفس الكلية والنفس واحدة ، وحركاتها متصلة من طريق التداعى وإن بوبوا ظواهرها ، وميزوا بكل باب ملكة من ملكاتها ، تسهيلا لدراستها وتحليل أحوالها .

وعقله الباطن ، وما تصف من أحوال نفسية حتى يجدها كأنها فى نفسه هو ؛ ثم يأخذ فى التلحين متى تهيأت له ملكاته ، فيأتى اللحن بطبيعة الحال حاملاً تلك الدلالات ، مطابقاً بها معانى الكلام على قدر حساسات الملحن وحسه ، ومواهبه ومحصوله الثقافى ؛ وإذا كان الكلام أغنية من إنشائه ، فقد يكون أقرب إلى السداد فى إنشائه لحناً لها

وشأن المغنى فى التمكن من اللحن وتجويد غنائه شأن الملحن فى تلحينه[1] ، وذلك هو الأساس والصراط المستقيم إلى الإجادة يهديهما إليه الطبع ونصيبهما من تحصيل أصول الفن ومن فهم معناه ، ومن لم يهتد إليه ويوطد صنيعه على هذا الأساس المتين جاء بشىء غير طائل

أما الموسيقى ، ففيها الدلالات الصوتية المصوغة فى اللحن الذى يخرجه العازفون من المعازف ؛ وهذه الدلالات أملتها نفس ملحنه ، إما أخذاً عن أحاسيس وخواطر تضمنها الكلام الذى أنشأ له اللحن ، وإما تعبيراً عن حسها الذاتية حين تيقظت فيها ملكة التلحين ، وهى حالة استكنت فى أعماق تلك النفس بواعثها من خوالج صاحبها فى مدى حياته ، ومن أخيلته وخواطره إزاء ما شاهد فى دنياه وما أدرك من الكون بشعوره وعقله أو بفضل غيره[2]

تلك الدلالات تؤديها معازف تختص بها ، معازف تحدث من تناسق أنغامها السياق الأساسى فى اللحن بينا ترسل معازف أخرى أنغاماً مساعدة ، تتلبّس به متنوعة فيه ، متفاوتة ارتفاعاً وانخفاضاً ؛ فهذه تصاحب السياق الصوتى الأصلى وتزينه بتلونها الملائم ، إذ تجرى معه مؤتلفة ، كصورة الظل مع صاحبه ، فتزيده جمالاً وروعة ، فهى مصاحبة أو تصوير[1] . فما اللحن فى الحقيقة إلا تعبير بدلالات صوتية مدلولاتها خوالج وخواطر وأخيلة جالت فى نفس ملحنه ، أو استعارتها نفسه من كلام لغيره ، من فحواه ودقائق معانيه وما تصف . ومن هنا نظروا إلى اللحن الذى يعبّر هذا التعبير ، ويصور هذا التصوير ، نظرهم إلى الكتابة فقالوا : الإنشاء الموسيقى ، وميزوا بين إنشاء موسيقار وإنشاء موسيقار آخر ، وعرفوا لكل طابعه الخاص

* * *

الفهيم المستمع إلى موسيقى جيدة ، لا يصاحبها غناء ، تصل ألحانها إلى سمعه غير مقيدة دلالاتها الصوتية ، أى معانيها ، بدلالات لفظية . ولذا تجد نفسه بعض الحرية فى فهم هذه الألحان الموسيقية التى تحرك فى وجدانه خوالج وأحاسيس ، وتثير تداعى الصور فى مخيلته والخواطر فى ذهنه ، فتذهب روحه مذاهبها فى تأويل الدلالات الصوتية ؛ فإذا سكنت إليها طرب ووجد الأريحية ، وإذا هو آنس منها ما يعيب اللحن أو العزف أو لم يفهمها ، أو لم توافق طبعه ، فإنه لا تأنس إليها روحه . وعلى قدر موافقتها وسلامتها أو عيوبها يكون الاكتراث لها ، أو الاستكراه والنفور منها

أما الغناء الذى تصاحبه الموسيقى ففيه الدلالة اللفظية تفرض تأدية معان معينة ، هى معانى الكلام المغنّى ، على الدلالتين الصوتيتين : دلالة الغناء ودلالة العزيف الموسيقى معاً ؛

---

(١) كذلك الكاتب ، يفكر فى موضوعه ويشحذ له ذهنه وقريحته ، ويهيىء نفسه حتى يتصوره قائم البناء سوى الهندسة ، قبل أن يمسك القلم لكتابته ؛ فإذا كتب بعدئذ أجاد على قدر ملكاته ، ومعلوماته وأدواته ؛ أو هو يرقم لكتابة موضوعه — من مقال طويل أو رسالة أو سفر — منهجا يرتب فيه مقاصده وأغراضه ويحكم الارتباط والتعلق والنسبة بينها ، ليكون تحت نظره كالرسم الذى يضعه المهندس ليبنى على مثاله ؛ فقد رأى بعضهم أن للكتابة ثلاثة أركان : أولها الاختراع ، وهو التفكير فى الخواطر والأحاسيس التى تكون المقاصد والأغراض ، كالمواد الداخلة فى البناء . وثانيها الترتيب ، ترتيب هذه المقاصد والأغراض فى منهج كالرسم للبناء . وثالثها العبارة ، وهى الكتابة والانشاء فى الموضوع بالأساليب البيانية لتزيين صرحه كزخرفة البناء بأنواع الطلاء وغيره . فإذا كانت المواد جيدة وهندسته جميلة زادته الزخرفة جمالا وإلا ضاعت فيه .

(٢) ولذا جاز أن يقال إن الفن إلهام من تلك البواعث المستكنة فى نفس الفنان ؛ وبالنظر إلى أصناف التحف الفنية ، وهى ثمرة نفوس الفنانين ، =

= صح ما أورد نافد فاضل ضمن مقال له فى العدد الأسبق من الرسالة أو ما قبله ، من أن الفن هو « صورة الكون فى نفس إنسان » وهو « تبلور الحياة فى حس فنان » .

(١) Harmonie

فلا بد من المطابقة والائتلاف التام بين هذه الدلالات الثلاث حتى لا يُعكّر نبوُّ إحداها ونشاز الأخرى صفاء اللحن ونقاء الغناء والموسيقى جميعاً

***

والكلام الذي يغنّيه المغنّي بمصاحبة الموسيقى يصل مع صوتيهما إلى آذان المصغين البصيرين، ويتبيّن معناه اللفظي بيّناً في أذهانهم فيقيد حرية نفوسهم كل التقييد، في فهم تينك الدلالتين الصوتيتين فهماً يغايره، وبذلك يمنعهم من تأويلهما تأويلاً يجعل لهما وقعاً عندهم؛ فإذا لم يكن الائتلاف تاماً بين معاني كلام الأغنية ومعاني لحنها وغنائها ومعاني موسيقاها حال هذا العيب الشنيع دون الطرب، وربما سبب الاستكراه والنفور ولو جاد العزف الآلي وصوت المغني

والمستمع السليم الذوق قد لا يحلل بعقله ما يسمع من الغناء والموسيقى مثل هذا التحليل، ولكنه لا يطرب من غناء وموسيقى تتنافر فيها تلك المدلولات اللفظية والصوتية؛ لأن عقله الباطن يدرك تنافرها، أو لأنها لا توافق مزاجه الروحي، وإن لم يكن بينها تنافر، أو لعدم وضوح معانيها له، ومدار ذلك كله هو الإدراك والذوق

***

ولكن الحقائق المتقدم بيانها ما مبلغ علمنا بها يا ترى؟ وهل يُلتفت إليها في بلادنا؟ الجواب في الكلمات الآتية في الأعداد التالية، وحسبنا الآن إشارة

لما دال الدهر القُلَّب، وطمت أسباب الانحطاط على الشرق، وتفشّاه الجهل، وذهبت الأخلاق، وضاعت فيه الآداب والفنون، لم يبق بعدها من الغناء والموسيقى، في الفترة المديدة التي سبقت بدء النهضة المصرية، سوى بقايا ضئيلة ههنا وثَمّ، مسّتها الأسواء ولمّا نمعن في البحث عنها وعن أصولها وضوابطها، ولم نحسن الاعتناء بما بين أيدينا منها، ولم ندرك ماهيتها ونبني عليها؛ وليس لنا بد من طور آخر نقضيه متلمسين للفن الحق، متعثرين في سبله

نعم، فإن كثيراً من الملحنين والمغنين والموسيقيين والمستمعين — بقطع النظر عن الأُقليات التي تدخل في باب الاستثناء — لا يزالون عندنا من بيئات دون الوسطى، ضئيل محصولهم، أولية عقولهم، ساذجة نفوسهم، سقيمة أذواقهم. وقصارى البارع من هؤلاء الفنانين أن يتقن تقليد ما ترك الجيل السابق، أو أن يعبث بشيء من بعض آثار القدماء، أو أن يمسخ الفن بما يزعم أنه تجديد وابتكار. وكثير من النقاد مثلهم ولم يفطنوا لمواطن الأدواء، فليس في مقدورهم أن يصفوا الدواء، ونقدهم مفترض يساير الشُّهى ويتحرى مظان المنفعة، وخيره أقل من شره، ولو تنزه وصح لكان في مصلحتهم ومصلحة الجميع على السواء.

محمد توحيد السلحدار

ذكرى محمد محمود باشا

في ليلة الأربعاء الماضي وعلى منبر الجامعة المصرية أعلنت مصر ممثلة في زعمائها ووزرائها وأدبائها صادق رثائها وخالص وفائها لفقيدها الجليل النبيل محمد محمود باشا. وكان من خير ما قيل في حفلة التأبين هاتان الكلمتان للشاعرين الكبيرين عباس محمود العقاد وخليل بك مطران؛ والرسالة تساهم بنشرهما في هذه الذكرى الجليلة

قال الأستاذ العقاد:

أكبرتُ في غيب الزعيم محمد   من كان يكبر حاضراً في المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم   يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص الزمان مجادة   للسيد بن السيد بن السيد
فخر الصعيد، وفخر مصر جميعها   بالرأي، والخلق القويم الأيِّد
من يرسل المثنى عليه ثناءه   مسترسلا في القول غير مقيد
جمع القلوب على المديح وإن مضت   نهجين بين مصوب ومصعد
لم نقض في هذي الديار قضية   ومحمد مما قضوه بمبعد
ملء الندىّ وإن تطامن دقة   كم دقة شحذت مضاء مهند

في دارة (الفلكي) قبلة كوكب   يعلو على رصد المنايا الرُّصَّد
تطوى المغارب جرمه وشعاعه   متألق في أوجِه لم يخمد
أكبرت مطلعه ولم يك طالعي   في كل حين عنده بالأسعد
ورأيته أقصى وأقرب رؤية   فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياله لم يختلف   سمت السماء ولا علو المقصد
متحرر مما يعاب كأنه   متقيد المسعى، ولم يتقيد
شفت سرائره فكل سريرة   فيه تضيئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عاداته   لم تلق يوماً منه ما لم تعهد

عز الكنانة فيه فهي نجيعة   تبلو الكنانة في الضمير وفي اليد
ما في مروءات الشعوب مروءة   إلا رعتــه بنظرة المتفقد
البر، والمشهود من آلائه   بين المحافل دون ما لم يشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع   للعاملين بها وبين مزود
وإغاثة الأدب اللهيف وإن تشأ   سرداً فعدد ما بدالك واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية   للمهتدين، وقدوة للمقتدى
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على   مستغلق فيها، ولا متأود
والعزة الشماء، إلا أنها   كالشاهق المخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادي ولم يك رابحا   منها سوى الشجن القيم المقعد
وعزيمة لا تنكره الشورى وإن   كانت لتنكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت   كالقطب عزت في ازدواج الفرقد

عز الكنانة والعزاء ليعرب   ما بين مُتْهِم قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد   والشمل بين مشرد ومبدد
للحق، لا لخبيئة مطوية   تلقى العداة الرابضين بموعد
ولنصرة الإسلام لا لعصابة   تسعى إلى الإسلام سعى المفسد
سمح على ما فيه من عصبية   سهل، وإن أعيا قُوى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده   وعليه تعويل الأخ المتودد
من أكسفورد ولو نماه معشر   للأزهر المعمور لم تَستبعـد
فيه محافظة، وفيه طرافة،   وأراه في الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابراً عن كابر   والأريحيةَ منجداً عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما   سقياه من أصفيه أعذب مورد
فإذا بكت مصر فغير ملومة   وإذا الحجاز بكى فغير مفند

رحم الإله محمــداً وأثابه   في خلده الباقي ثواب مخلد
كأن السبيل السرمدي سبيله   فعليه رضوان الإله السرمد

عباس محمود العقاد

وقال الأستاذ مطران:

هل يعالي الذرى مكان اعتصام   بعــد مهواك يا رفيع المقام
ما انتفاع النسر المحلق في الأو   ج ويرمى به من الأوج رام
أي رزء ألم بالعَـلَم الفر   د فألقى الخشوع في الأعلام
أي خطب أصاب أوحد قوم   فأشاع الأحزان في أقوام
ما جناه الردى بحجبك عنهم   سبقته جنـاية الأسقام
فتحملت في ليـال طوال   ما تحملته من الآلام
كان عمرٌ قضيته في اضطلاع   بالمعـالي وفي مساع جسام
فيه أسرفت بالعزائم حتى   لكأن المبذول بعض الحطام
جدت في حبك البلاد بأغلى   ما به جادها شهيد غرام
همم بَلغتك أسمى الأماني   من ثراء ورتبة ووسام
وأعزت بك البلاد وإن لم   نقض أقصى ما رمته من مرام
فلأمر عاق المهيمن حقاً   عن قضاء ومطلباً عن تمام

مصر تبكى محمداً بفؤاد   أثخنته السهام بعد السهام
كلما لاح كوكب فى ذراها   كوّرته حوادث الأيام
ينقضى الدهر وابن محمود باق   خالد الذكر فى بنيها العظام
الزعيم الخليق منهـا ولا مَـ   ـنٌّ عليه بالحب والإكرام
الرئيس النزيه فى كل معنى   من معانى ولاية الأحكام
الوزير النهاض ما حَزَبَ الأمـ   ـر بأعبائه الثقال الضخام
الخطيب الذى لمنبره الـ   ـالى جلال كهبط الإلهام
الأديب الذى إذا جالت الأقلا   م جَلَّى فى حَلبة الأقلام
الرصين الرزين إلا إذا ما   عجل الرأى خطة الإقدام
العـدو المبين المتجنى   والنصير الأمين للمستضام
الولى الأوفى لكل موال   والمذم الأكفى لراعى الزمام
رجل كامل الرجولة لا يرْ   مى بعزم إلا بعيد المرامى
ليس يُعنى بالترهات ولا ينـ   ـظر إلا من المكان السامى
طبعته شمس الصعيد ولكن   لم يطل منه محمل الصمصام
والنفوس الكبار ليس عليها   حرج من تضاؤل الأجسام
أسمر اللون يعتريه شحوب   قد ترى فيه صُهبة الضرغام
يتلقى الأحداث عسراً ويسراً   وعلى الثغر منه وشك ابتسام
ليس بالأصْيَدِ العيوف ولا بالـ   ـلبق المجتدى تحايا الأنام
شيعته البلاد والحزن غلا   ب على الصبر فى الدموع السجام
جيشها ناكس السلاح تماشـ   ـيه وئيـداً شجية الأنغام
وعلى جانبيـه مشترفات   جزعات مخفوضة الأعلام
ووراء السرير تَطرد الأفـ   ـواج والهـام تلتقى بالهام
أمة أزجت الجنازة فى أسـ   ـنى مجال الإكبار والإعظام
يا محبىّ محمد وهمُ صفـ   ـوة مصر التقت بهذا المقام
عظم الله أجركم إن وعد الـ   ـله حق للصابرين الكرام
يا شقيقيه إن بيت سليما   ن بأن تبقيا متين الدّعام
يا بنيـه بسنة الله لوذوا   فبهـا برء كل جرح دام
قاسمتكم مصر الرزيئة فيه   وعلى قدرها مدى الاقتسام
فاخلفوه بالحق واتخذوا منـ   ـه لكم خير مرشد وإمام
إن تلك الحياة إن تصلوها   لحيـاةٌ جديرة بالدوام

خليل مطران

نشيد اللغة العربية القومى

للأستاذ محمد سعيد العريان

تلحين شريف طاهر

[لمناسبة مهرجان النشاط المدرسى الذى تقيمه وزارة المعارف فى هذا الأسبوع تقدم هذا النشيد لقراء العربية فى مختلف أقطارها] .

لغتى : دينى وطنى

لُغةُ الأمجادِ مُنذُ يَعرُبِ : لغتى
ولِسانُ الحقِّ من عهد النبى : لغتى
مجدُها مجدى وتاريخ أبى : لغتى

لغتى : دينى وطنى

لُغةُ الرحمٰنِ فى قُرآنِهِ : لغتى
ولسانُ الوحىِ فى تِبيانِهِ : لغتى
وبيانُ الحرّ عن وِجدانِهِ : لغتى

لغتى : دينى وطنى

يَغفُلُ التاريخُ فى تَسطيرِهِ   عِزَّةَ الماضى ولا تُغفِلُنى : لُغتى
يَعجِزُ الفنّانُ فى تعبيرِهِ   عن معانيه ولا تُعجِزُنى : لُغتى
ويَضيقُ الفنُّ فى تصويرِهِ   عن معانيه ولا تَخذُلُنى : لُغتى

لغتى : دينى وطنى

وَسِعَتْ كُلَّ طريفٍ وتليدِ : لغتى
ووَعَتْ لى عِزَّةَ الماضى المجيدِ : لغتى
ضَمِنَتْ لى فى فَمِ الدنيا خُلودى : لغتى

لغتى : دينى وطنى



في مقالة الأستاذ السباعي بيومي

في القسم الثالث من مقالة الأستاذ المبجل جمع فخور على فخورين في قوله : « ثم سل تلاميذي الذين تتحدث عنهم يخبروك بما يفحمك مخلصين صادقين وفخورين بتلمذتهم لي ... » والعربية إنما تجمعه على فُخُر ، قال طرفة :

ثم زادوا أنهم في قومهم   غُفُر ذنبهم غير فُخُرْ

ودخلت (هل) في قوله : « فهل لا زلت على هذه المباهاة » على نافٍ ، وهي لا تدخل على نافٍ أصلاً كما قال الرضي . ودخلت (لا) على ماض غير مستقبل في المعنى ، ولم يكرر ، وقد بين (المغني) في الحرف (لا) ما بين . وجاءت (إليك) في قوله : « ومع هذا فإليك رأيي في تلك المباهاة » . وفي (الكتاب) : « وإليك إذا قلت تَنَحّ » قال :

إليكم يا بني بكر إليكم   ألمّا تعرفوا منا اليقينا

وإليك من أسماء الأفعال غير المتعدية إلى المأمور كما ذكر (المفصل) . قال التبريزي : « لا يجوز أن يتعدى إليكم عند البصريين ، لا يقال إليك زيدا لأنه معناه تباعد »

من النفع والخير أن يخلىّ الكبار في حين من الأحايين حتى ينقدوا فتغنى اللغة ويستفيد الناس ... (ناقد)

مراجعات لغوية

نشرت الرسالة كلمة للباحث الفاضل « ا . ع » في التعقيب على ما قلت به في توجيه ضم الظاء من كلمة « الظرف » بمعنى اللطف : ومن رأى حضرة الباحث أنني أخطأت فشق عليّ أن أعترف بالخطأ ، فرحت ألتمس العلل ، إلى آخر ما قال

وأحدد وجه الخلاف فأقول : جاء في مقالي عن كتاب المطالعات للأستاذ عباس محمود العقاد أنه ليس من الخير لمصر أن يكثر فيها أهل اللطف والظرف ، وقد سمت الظرف بضم الظاء عامداً ، لأنها بالضم تؤدي معنى لا تؤديه وهي بالفتح ، فبين اللفظين ما يسميه العرب بالفرق اللطيف وما يسميه الفرنسيون Nuance

ثم انتهزت الفرصة فقدمت للقراء توجيهاً لضم الظاء من الظرف في لغة المصريين فقلت إنه نوع من الإتباع لكثرة اقتران الظرف باللطف ، والإتباع معروف في اللغة العربية ، وله شواهد كثيرة سجلت بعضها في كتاب النثر الفني

ثم وقع بعد ذلك أن انتقد بعض أدباء فلسطين ذلك التوجيه وعدّه دفاعاً عن أخطاء المصريين . وقد أجيب بأن هناك سبباً يضاف إلى الإتباع وهو التمييز بين المحسوس والمعقول ، فالمصريون يفتحون ظاء الظرف إذا أرادوا « الوعاء » ويضمونها إذا أرادوا « اللطف » وأنا أسمي هذا « غريزة لغوية » وأراه من الصواب

وأنا أسأل الباحث الفضال « ا . ع » عما يُعرف في لغة العرب بالمثلثات ، وهي الألفاظ التي تنطق فاؤها بالفتح والضم والكسر أسأله عن السر في هذا التثليث ، فهل يراه لغة واحدة ينطق بها من شاء كيف شاء في جميع البلاد ؟ أم يراه باباً من اختلاف اللهجات يَفْصُح بعضها في مصر ويَفْصُح الآخر في الشام أو في العراق ؟

وإليه هذا المثال : كلمة « جزاف » مثلثة الفاء فهي جَزاف وجُزاف وجِزاف ، ولكن المصريين ينطقونها « جُزاف » بالضم ، فهل ترى من الفصاحة أن ينطقها المصري في خطبته بالفتح أو الكسر بحجة أن المعاجم تبيحه ذلك ؟

الحق كل الحق أن اللهجات المختلفة شرقت وغربت ، وهي جميعاً صحيحة النسب إلى العرب ، ولكن اللهجة لا تفصح إلا في المكان الذي استوطنت فيه ، فإن تجاوزنا بها ذلك كان صنيعنا ضرباً من الإغراب . وعلى هذا يكون ضم الظاء في الظرف على ألسنة المصريين له ثلاثة توجيهات :

الأول : أن يكون اكتسب حكم الإتباع من اللطف ؛ والثاني : أن يكون للتمييز بين المحسوس والمعقول ؛ والثالث : أن يكون لهجة عربية تفردت بها بعض القبائل التي استوطنت وادي النيل

وبهذه المناسبة ، أذكر أن الأستاذ أحمد العوامري بك كان كتب كلمة في مجلة المجمع اللغوي عن « نادي التجديف » بالدال المهملة ، فكان من رأيه أنه « التجذيف » بالذال المعجمة ؛ وقد ناقشته يومئذ في جريدة « البلاغ » ؛ فقلت : إن الشعراني في مؤلفاته رسمها بالقاف فيقول « التقذيف » ؛ وعند مراجعة القاموس المحيط رأيته يثبت ثلاثة حروف هي : المجداف والمجذاف والمقذاف ... فما معنى ذلك ؟ معناه أن العرب لهم في هذا المعنى ثلاثة ألفاظ تنقل بها الحظ من بلد إلى بلد ومن جيل إلى جيل ،

فن الواجب إذاً أن ندرك أن المصريين لم يقولوا « التجديف » إلا وهم يريدون « التقديف » ، فهم قلبوا القاف جيما كما يصنع بعض اليمنيين والعراقيين ، وكما يصنع سكان مصر من أهل الصعيد بدليل أن سكان مصر من أهل المنوفية يقولون « التأديف » ، على عادتهم فى وضع الهمزة مكان القاف

وتلك فائدة لا ينكرها باحث مفضال مثل العوامرى بك ... ألم يسمع بالمثل المصرى الذى يقول : « على قد فوله قدّفوا له »

فهذا المثل يرى التجديف هو التقديف ، وقلبت الدال دالاً على طريقة بعض القبائل العربية فى تحويل المعجمات إلى مهملات

ولهذا البحث تفاصيل سأقدمها لحضرة الأستاذ « ا . ع » إذا بدا له أن يعقّب على هذا البحث من جديد ، فهو فيما أرى من أكابر الباحثين

أما القول بأنى أعدّى فعل « أمكنَ » بالحرف وهو يتعدى بنفسه ، فله توجيه سجلته فى مجلة أبوللو منذ أعوام حين اعترض أحد أدباء العراق على تعدية فعل « حرَم » بالحرف فى بعض قصائدى ، وهو يتعدى بنفسه ؛ وخلاصة ذلك التوجيه أنى قد أرى المعنى فى بعض الأحايين لا يؤدّى تأدية صحيحة إلا إذا عبرت عنه بتلك الصورة ، وكان الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يعرف عنى ذلك الرأى ، فلم أر موجباً لمناقشته فيه ... ولم يكن إيثارى لذلك التعبير ضرباً من العناد ، كما أراد حضرة الباحث أن يقول ، وإنما كان إيثاراً لحرية القلم فى شرح دقائق المعانى ، وهى حرية تفرض الثورة على المعاجم فى بعض الأحايين

زكى مبارك

خصومة لا عداوة

قرأت فى العدد الماضى من « الرسالة » كلمة للدكتور زكى مبارك عن الجدل بينه وبين الأستاذ السباعى بيومى . جاء فيها :

« رأى جماعة من كبار المفتشين وهم الأساتذة جاد المولى بك ومحمد على مصطفى ومحمود محمد حمزة ومصطفى أمين وأحمد على عباس . رأى هؤلاء الأكابر بأخلاقهم وآدابهم أن أقف الجدال الذى أثرته فى وجه الأستاذ السباعى بيومى ، وحجتهم أنه وصل إلى درجات من العنف تؤذى كرامة المشتغلين بخدمة اللغة العربية .

« وأنا أجيب هذه الدعوة ... الخ »

وقد رأيت فى الصورة التى عرض بها الدكتور زكى مبارك هذه الوساطة ما دعانى إلى الاستفسار من حضرات من ذكرهم عن الصورة الدقيقة لتدخلهم ؛ فعلمت منهم أن وساطتهم بين الأستاذ الدكتور كانت منصبة على أسلوب الجدل لا على موضوعه ؛ وفى نظرهم أن مستوى المناقشة بين أديبين ورجلين من رجال التعليم يجب أن يرتفع عن هذه اللهجة . أما الفحص عن الحقيقة وتصاول الأقلام فى الموضوعات العلمية والأدبية فليس لهم عليها اعتراض بل يسرهم أن يشجعوا عليهما ويستزيدوا منهما

هـذا هو رأى حضرات الأفاضل الذين احتج الدكتور بتدخلهم فى الانسحاب من المعركة التى أثارها . فإذا كان لدى الدكتور ما يقوله بالأسلوب اللائق فليستمر فيه غير ملوم من أحد ولا مرجو فى الانسحاب

وما أبغى بهذه الملاحظة تدخلاً فى المعركة ؛ فليس من خلقى أن أتدخل فى نزاع فرعى . ولو شئت معركة لاخترت ميدانها الأصيل .

سيد قطب

(الرسالة) : أرسل إلينا الأستاذ السباعى بيومى مقاله الرابع يهجم فيه على الدكتور زكى مبارك فهيأناه للنشر ، ولكن بعض ذوى الرأى والفضل رغب إلينا أن نقف هذه المناظرة العنيفة عند هذا الحد بعد أن أبى أحد المتناظرين الفاضلين القلم إجابة لدعوة زملائه الكريمة

بستان النشاشيبى

أهدى أديب العربية الأستاذ إسعاف النشاشيبي كتابه (البستان) إلى صديقه الأستاذ محمد بهجة الأثرى مفتش اللغة العربية ببغداد فأرسل إليه هذه الأبيات الرقيقة :

سيدى « إسعافُ » يا أمثل خُلصان وَخِلّ
أنا من بستانك الزا هر فى طيب وظل
بين ورد باسم الثغر وريحان وفل
زمن نسقها الذو ق على أجمل شكل
أتملاها بعينىّ وأرعاها بعقلى
أتلقاها بأنفى وتلقانى بدلّ

***

جل ما أهديت من را ح وريحان ونقل
أسكر الشموم نفسى وغذا المطعوم عقلى

محمد بهجة الأثرى

شبابيك الفلل

كان للكلمة التى كتبتها بهذا العنوان فى العدد ٣٩٩ من « الرسالة » أثر حسن فيما كتبه الدكتور زكى محمد حسن فى العدد ١١٥ من « مجلة الثقافة » تعقيباً على مقاله الأول فى هذا الموضوع، فقد تدارك الدكتور زكى — إلى حد ما — ما فاته فى مقاله الأول

وإذا قلت — إلى حد ما — فذلك لأنه حاول فى مقاله الأخير أن يفسر قوله : « إن من العجب أن يعنى بزخرفة شبابيك القلل إلى هـذا الحد بينما تبقى القلل نفسها بغير طلاء أو رسوم زخرفية » فبعد أن نقل ما كتبته فى « الرسالة » عن القلل الصيفية وهى من الفخار غير المطلى ، والقلل الشتوية وهى المكسوة بطلاء زجاجى ، أراد أن يجد لنفسه عذراً فقال : أما أن هناك قللاً عليها طلاء فأمر لم ننكره أبداً ، وحسب القارئ الذى بادر بالتعليق على مقالنا أن يرجع إلى كتابنا كنوز الفاطميين ولا نخاله يجهله ، ثم استشهد بالعبارة الآتية نقلاً عن الصفحة ١٧٢ من هذا الكتاب

« فالفخار غير المدهون كانت تصنع منه أبسط الأوانى اللازمة لطبقات الشعب ، ولا سيما القلل التى كانت من الفخار غير المطلى ، إلا فى النادر جداً ، لأن المقصود منها تبريد الماء ، ولا بد من المسام للوصول إلى هذا الغرض ، ومن ثم فإن الذى وصل إلينا منها يكاد يكون خالياً من أى دهان زجاجى »

وإنى أود أن أوجه نظر الدكتور إلى أن شبابيك القلل الشتوية ذات الطلاء الزجاجى ، توجد فى دار الآثار العربية وحدها بالمئات — كما كان يجب أن يعلم ذلك — ومن ثم فإنى لا أرى ما يبرر قوله إن هذا النوع منها لا يوجد « إلا فى النادر جداً » و « أن الذى وصل إلينا منها يكاد يكون خالياً من أى دهان زجاجى » ، ولست أرى هنا أى مجال للتفسير اللغوى

وإذا كنت لم أشر إلى كتاب « كنوز الفاطميين » فى كلمتى السابقة فقد كان ذلك لسبب واحد ، وهو أننى اكتفيت بتصحيح ما جاء فى مقال الدكتور زكى ، ولم أجد ما يثير الرغبة فى نفسى لنقد ما أورده فى كتابه

وكيف أجهل هذا الكتاب وقد كان لى — إبان اشتغالى بالتدريس فى جامعة بون — شرف مساعدة الأستاذ باول كالا فى كتابة بحث واف عنوانه « كنوز الفاطميين » وقد نشر هذا البحث ـ كما يعلم حضرة الدكتور الفاضل ـ فى مجلة المستشرقين الألمانية ZDMG فى المجلد ١٤ سنة ١٩٣٥ (ص ٣٣٩ ـ ٣٦٢) ولا ينسى الدكتور زكى محمد حسن ما لهذا البحث ، ولما فيه من حواش قيمة ، من فضل فى وضع كتابه — الذى طبع فى سنة ١٩٣٧ — باللغة العربية فى نفس هـذا الموضوع وبنفس هذا العنوان ! وما كنت أود أن أذكره بهذه الحقيقة ، لولا أنه فى تنويهه عن كتابه ، بدلاً من الاعتراف بالفضل ، وجدت — للأسف — ما هو دون ذلك ، وهـذا ما كنت أنزه الدكتور عنه .

دكتور محمد مصطفى

تحريف معنى بيت بالنحو

فهم صديقى الأستاذ الفاضل إبراهيم على أبو الخشب أن ما ذكرته فى تحريف معنى بيت بالنحو يدخل فيما يؤثر عن علمائنا — إن نكت النحو كالورد تشم ولا تدعك — والحقيقة أن ما ذكرته فى ذلك من صميم النحو وليس من نكته

وأما الذى ذكره من أن أو المتمحضة للعطف وأو الناصبة ، فلم يأت فيه بجديد فى المسألة . ونحن حين نجرى قول الشاعر : « لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى » على معنى : ليكونن منى استسهال للصعب أو إدراك للمنى ، نكون قد خرجنا بأو الناصبة إلى أو المتمحضة للعطف . وقد اعترفت أيها الأستاذ الفاضل بأن أو المتمحضة للعطف لها معان غير معانى أو الناصبة ، فكيف تحمل إحداهما معنى الأخرى ؟

وليس بحق ما ذكرته من أن المعنى فى البيت على محض العطف ، وأن معناه ليكونن منى استسهال للصعب وإدراك للمنى ، لأن هذا يجعل ما بعد أو داخلاً فى حكم ما قبلها من إثبات ونفى وقسم ونحو ذلك ، مع أن المضارع المنصوب بعد أو ، لا يدخل فى حكم ما قبله بذلك الشكل ، ويظهر أثر ذلك صريحاً فى نحو قولك — لا أكلمك أو أرضى عنك — فأو فيه بمعنى إلى ، ولا يصح تقدير العطف فيه ، لأنه لا يصح تقديره على العطف — لا يكون منى كلام أو رضاً عنك — لئلا يدخل الرضا فى حكم النفى مع أنه ليس بداخل فيه

وكذلك الأمر فى نحو — لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ، ولأجتهدن أو أنجح — لأنه على تقدير العطف يكون كاذباً إذا استسهل الصعب ولم ينل المنى ، وإذا اجتهد ولم ينجح مع أنه إذا قال — لأجتهدن أو أنجح — فاجتهد ولم ينجح ، لا يكون كاذباً . على أنه ليس بعد هذا كله ما يدعو إلى جعل أو الناصبة عاطفة ، وإنما ذلك تكلف يلزم البصريين وحدهم

عبد المتعال الصعيدى



مرض طبيب ...

للأستاذ نجيب محفوظ

قبل عامين تفشى وباء التيفود فى مديرية الغربية تفشياً مخيفاً فتك بنفوس الكثيرين، وصادف ذلك انقضاء بضعة أشهر على تعيين الدكتور زكى أنيس طبيباً بمستشفى طنطا وفتحه عيادته الخاصة، وكان فى تلك الأيام يلاقى الشدائد التى يلقاها كل مبتدىء فى فنه أن يلقاها أول عهده بالحياة العملية. فكان ينتظر طويلاً وعبثاً توارد الزوار والمرضى مستوصياً بالصبر والتجلد حتى كاد يلحقه الجزع. فلما تفشى ذلك الوباء الخبيث تضاعف عمله بالمستشفى وشحذ نشاطه ومضى يراقب حركة السيارات التى تطوف بالبيوت وتعود محملة بالضحايا بعينين كئيبتين وعزيمة متوثبة، وأحس بالرغم من كل شىء بسرور خفى، وأحيا قلبه الأمل فى أن يدعى يوماً لعلاج مصاب من الذين تثقل بهم جيوبهم عن الانتقال إلى المستشفيات العامة، ولم ييئسه تقاطر الناس على كبير الأطباء وبعض الأطباء القدماء بالمدينة وأصغى إلى هاتف تفاؤل ما انفك يهمس لقلبه بأن دوره لا محالة آت.

وصدق أمله، وإنه ليجلس إلى مكتبه يوماً يقلب صفحات كتاب وتجرى عيناه على أسطره جريان الشرود والملل إذ طرق بابه كهل يدل منظره الوجيه وزيه الريفى الثمين على أنه من الأعيان؛ ولعله قصده بعد أن يئس من العثور على سواه، فطلب إليه بلهجة تنم على القلق أن يصحبه إلى العامرية على مسير ربع ساعة بالسيارة. وكان الشاب بعد المدة لمثل هذا اللقاء فلم يبد على وجهه أثر مما اضطرب فى صدره من الفرح والظفر، فألقى على القادم نظرة رزينة وقام من فوره فخلع معطفه الأبيض وارتدى الجاكتة والطربوش وأخذ حقيبته وتقدمه إلى الطريق. والتقى أمام الباب بسيارة فخمة فخفق قلبه مرة أخرى وتريث حتى فتح الرجل الباب وقال له «تفضل» وجلسا جنباً إلى جنب وانطلقت بهما السيارة، وحافظ على هدوئه ورزانته وصر بأسنانه ليطرد ابتسامة خفيفة تحاول أن تمتلى شفتيه؛ وكأنه أراد أن يدارى عواطفه فسأل الرجل عن مريضه، وتكلم الرجل فى إسهاب فقال إن المريض ابنه وإنه لم يجاوز العشرين من عمره، وأنه أحس منذ أيام بتوعك وخور ورغبة عن تناول الطعام، ثم ارتفعت حرارته واستسلم للرقاد فسأله: «هل حقن بالمصل الواقى؟» فأجاب الرجل بالنفى، وأعلن عن رجائه الحار ألا يكون الشاب أصيب بالحمى الخبيثة، فصمت الطبيب ملياً يفكر فى هذه الأعراض ويزنها بميزان اختباراته وعلمه، وكانت السيارة فى أثناء ذلك تخترق الطريق الزراعى بسرعة البرق حتى بلغت العامرية وانعطفت إلى حاراتها الضيقة ثم وقفت أمام دار كبيرة، فدخلا معاً واستقبلتهما أوجه كثيرة بأعين يقتتل بها الخوف والأمل، فساوره القلق وتلبسه شعوره حين تمرض لأول مريض بدأ به حياته التمرينية فى قصر العينى منذ ثلاثة أعوام، فاستصرخ قوة إرادته ليضبط بها وجدانه ويجتاز هذه التجربة الجديدة بالنجاح، وأغضى عمن حوله وسدد انتباهه إلى الشاب الراقد بين يديه، وكشف عليه بعناية فائقة وفحصه فحصاً دقيقاً فترجح لديه أنه مصاب بالتيفود، وأبدى رأيه فى تحفظ وقال إنه ينبغى أن يفحص المريض فى اليوم التالى ليستوثق من رأيه، فلا آمنهم من خوف ولا أفقدهم الأمل، وظن أنه ضمن لنفسه أن يتردد على المريض حتى يبلغ به الشفاء بفنه أو يودعه القبر بأمر الله. ثم أخذ حقيبته واتجه نحو الباب بخطى وئيدة كأنه يريد شيئاً، فلحق به والد المريض وهمس فى أذنه قائلاً: «تفضل» فخفق قلبه لثالث مرة ذاك اليوم ومد يده وهو يقول: «شكراً» فأحس بثلاث قطع من ذات العشرة قروش توضع بها، ثم جلس فى السيارة منفرداً هذه المرة، وانطلقت به فى طريق العودة؛ وكانت هذه أول مرة يدعى فيها إلى زيارة مريض فى بيته، فاغتبط ورضى وأشعل غليونه وراح يدخن بحالة من السرور لم تخل من اضطراب عصبى فأخذ «أنفاساً» سريعة فتوهج التبغ وسخن الغليون، ولم يستمر فى التدخين طويلاً فوضعه فى جيب الجاكتة الأعلى وأرسل بناظريه خلل زجاج النافذة يشاهد الحقول الممتدة على جانب الطريق الغارقة فى الأفق البعيد، وكانت تنتهى عند الطريق الزراعى بجدول من الماء ينساب صافياً تستحم فيه أشعة الشمس المائلة للغروب وتنشاه بنور لألاء بهيج يخطف الأبصار؛ فاستسلم لسحر الرؤية، وشعر بتخدير لذيذ، حتى انتبه إلى تغير غريب يسرى فى صدره وجسمه فتحولت أفكاره من الخارج إلى الداخل

فأحس بسخونة تنتشر فى أعضائه جميعاً كأن حرارته ارتفعت بغتة ، فتململ فى جلسته وحرك رقبته بعنف ، ثم لم يحتمل شدتها فخلع طربوشه وفك أزرار الجاكتة وأخرج منديلاً يروح به على وجهه وهو يعجب أشد العجب لأن الجو كان معتدلاً لطيفاً ، واشتدت وطأة السخونة والتهب جسمه بالحرارة ، فجس خديه وجبينه وشعر بثقل فى جفنيه ورأسه وضيق فى التنفس ، وتساءل فى حيرة عما أصابه ، وخطر له خاطر مخيف : هل يكون مريضاً ؟ ! . . . وذكر لتوه الحمى الشيطانية التى تفتك بأهل المدرية فتكاً جهنمياً

وكان قد حقن نفسه بالمصل الواق فكيف انتقلت إليه العدوى ؟ ! . . . هل سبقت الميكروبات المصل إلى دمه ؟ ! . . . ولفه الذعر ، وكان فى الحقيقة جباناً رعديداً شديد الهواجس سرعان ما يستسلم للتشاؤم ويقع فريسة سهلة المخاوف ، فعاد يجس خديه وجبينه فوجدها ساخنة وأحس بجسمه يكاد يلتهب التهاباً فاستولى عليه الفزع وارتعدت فرائصه وقال بذهول « ياللويل ... لقد أصبت وانتهيت ... »

وقطعت السيارة مرحلتها وانتهت إلى عيادة الطبيب الشاب — وكانت عيادته ومقامه فى شقة واحدة — فتركها على عجل وصعد إلى حجرة نومه واستدعى التمرجي وقال له : « ناد الدكتور سامى بهجت بسرعة وقل له إنى أصبت بالتيفود » فجرى الرجل مرتعباً وأخذ الدكتور يخلع ثيابه بيدين مضطربتين وارتدى البيجامة وارتمى على الفراش فى حالة يأس ورعب وغم شديد وقد خيل إليه أن شرايينه ستنفجر من الحرارة . وكان يستحضر فى ذاكرته أعراض المرض فلم يعد لديه ثمت شك فى أنه مريض ؛ وثبت فى وهمه بقوة أن هذا المرض سيختم حياته . كان شديد الجبن متهافت الأعصاب فلم يستطع أن يأمل قط فى النجاة وبات فى يأس عظيم ، وظل يعد الدقائق الثقيلة المرهقة ويصيح غاضباً « هيهات أن يجد الدكتور فى عيادته ، وسأجن هنا وحدى . . . »

وفى أثناء الانتظار فزعت أفكاره المجنونة إلى القاهرة ، إلى أمه ، ووجد حاجة شديدة إليها ، وإلى وجودها إلى جانبه لتسهر عليه ؛ وفكر فعلاً فى أن يبعث إليها ببرقية ، ولكنه لم يقبل هذه الفكرة بسهولة ، وأشفق من إرهاقها وإزعاج حياة والده وإخوته الصغار وربما عرضها للخطر أيضاً — وكان هذا أول شعور طيب يخالط قلبه منذ قدم طنطا — فصدقت نيته على أن يطلب إلى الدكتور بهجت نقله إلى المستشفى ، وربما تمكن من رؤيتها هناك ليودعها إذا اشتد عليه الحال . وقد حن إليها فى تلك الساعة حنيناً موجعاً . . . وأغمض جفنيه هنيهة يلتمس الجمام ويطرد عن قلبه الوساوس والهواجس ، ولكن وجدانه الثائر أبى أن يدعه فى راحة أو طمأنينة ، أو أن يصرفه عن الانشغال الأليم بمرضه . ولم يكن دار له بخلد أن الطبيب بمأمن من الأمراض ، ومع ذلك أحس بمرارة وسخط وحنق وساءه أن يفتضح مرضه الغادر فى أثناء عودته من زورة مريض . أما كان الأجمل أن يجزى غير هذا الجزاء ! ! . . . وقر فى نفسه أن العدوى انتقلت إليه فى أثناء قيامه بواجبه فى المستشفى بالرغم من حذره ويقظته فتضاعف سخطه وحنقه ، وأسى على حياته التى لم يتح له التمتع بها ؛ وكان يدفع إلى فكرة الموت دفعاً عنيفاً ، ويقسر على الاستغراق فيها بقوة شيطانية . . . وحدثه قلبه الرعديد بأن نهايته حمت ، فعطف رأسه إلى المرآة وأدام النظر إلى وجهه ، فخيل إليه أنه محتقن بالدم الفاسد ؛ ولكن كان ما يزال محتفظاً بنضارة الحياة وأثر الصحة الآخذة فى الانحلال ، فألقى عليه نظرة آسيفة حزينة ، كأنما يودع آخر صورة للحياة والصحة عالقة به . . . ثم أدار رأسه قانطاً ، وأسلمه القنوط إلى الاستسلام ، وأسلمه الاستسلام إلى الاستهانة ، ولاذ بها من مخاوفه ، وقال لنفسه علام الخوف والذعر ؟ الموت آت لا ريب فيه ، إن لم يكن اليوم فغداً ... هو النهاية المحتومة على أية حال لمهزلة الحياة ... وماذا يضيره أن يقصر دوره فى هذه المهزلة ؟ فلعل فى قصره اختزالاً لآلام مروعة . على أن تمزبه لم يدم طويلاً . . . وألحت على قلبه الآلام مرة أخرى ... فذكر آماله وأحلامه فى المجد والثروة ، وارتسمت على شفتيه لهذه الذكرى ابتسامة مريرة ساخرة ... وشعر بامتعاض يفوق الوصف ... وذكر الثلاثين قرشاً التى طرب لها فرحاً قبل حين قصير : فازداد امتعاضه ، ولعن رزقه الذى يناله من أيد شحيحة ، لا تفرط فيه حتى يهزلها المرض ، فتراخى عن الضن به ، ولعن النظام الذى يجعل سعادة القوم منوطة ببأساء آخرين ... يالها من مهنة مخيفة ، يستمد رجالها حياتهم من النفوس المريضة كالجراثيم سواء بسواء ... وسخر فى ذعره وتشاؤمه من الإنسانية والتضحية والرحمة ، تلك الألفاظ الصماء التى حفظها عن ظهر قلب ولم تختلج له فى شعور قط ...

فهو لم يشمّر أبداً لغير المجد والثروة ، ولم يتصور ساعة أنه يبلغهما بغير معونة المرض ... فعبده وهو لا يدرى ، ونصبه آلهاً يقدم له القرابين البشرية كبعل القديم ، حتى سقط هو أخيراً قرباناً له ، فأى حياة هذه ؟ ... وذكر أيضاً فى هذيانه وتشاؤمه قروياً بسيطاً عرض له فى العيادة الخارجية لقصر العينى ، وكان يريد أن يكشف على حلقه ، فأمره أن يفتح فمه ... وكان كلما أدنى منه المجهر يرتجف الرجل الساذج ويغلق فمه ، وتكرر ذلك منه حتى اشتد به الحنق ، وكان مرهق الأعصاب من كثرة العمل ، فضرب جبين القروى بالمجهر ، فشجه وأسال دمه ... وقد أسف لذلك حقاً ولكن أسفه لم يخفف عن الرجل شيئاً ... وذكرته هذه الحادثة بما يقع خلف جدران قصر العينى من أعمال القسوة التى تفزع من هولها النفوس البشرية ، فذكر أنه تكاسل مرة عن إجراء عملية لمريض ، لأنه كان أجرى هذه العملية مرات عديدة بنجاح ، فلم يشعر بحاجة إلى تمرين جديد . واسودت الدنيا فى عينيه ، وعافت نفسه كل شىء فى تلك الساعة الخبيثة

ثم سمع وقع أقدام فى الردهة وصوت التمرجى يحادث الدكتور ، فتمشت فى أعصابه موجة نشاط ونسى وساوسه ، وفزع إلى القادم بأمل جديد ، ودعا ربه بصوت متهدج قائلاً : « آه يا رب ، خذ بيدى ! هبنى حياتى مرة ثانية ، أهب الناس أشرف ما فى نفسى حتى الموت »

وما انتهى من دعائه حتى برز الدكتور بهجت من باب الحجرة وهو يقول بصوت مرتفع : مساء الخير يا دكتور . مالك ؟

فقال الشاب بهدوء وإن كان فى الحق يستغيث : أصبت !

ففحصه الدكتور بعينين نافذتين وأصابعه تفتح الحقيبة ، ثم قال : لعلها أنفلونزا

فقال بيأس : كلا ... لا أشكو زكاماً ولا صداعاً ...

— ولكنك لم تشك تعباً أو فقدان شهية فى هذه الأيام ... أليس كذلك ؟ !

وتفكر الشاب قليلاً متحيراً ثم تمتم قائلاً : حرارتى فظيعة ... إنى أشعر بالمرض شعوراً مخيفاً ...

— هل قست الحرارة ؟ !

فعجب كيف فاته ذلك ، وهز رأسه نفياً ولاذ بالصمت ؛ فابتسم الدكتور بهجت ابتسامة ساخرة ، ودنا منه والترمومتر فى يده ، ثم وضعه فى فمه وانتظر هنيهة ، ثم أخذه ثانية ورفعه إلى مستوى عينيه ، ونظر إلى وجه الشاب رافعاً حاجبيه وقال ببساطة : حرارتك طبيعية ... أنظر !

وقرأ الشاب الترمومتر وهو لا يصدق عينيه ، وجس خده ثم قال: هذا عجيب ! خدى ما يزال ملتهباً . كيف هبطت الحرارة؟

وأتى الدكتور بسماعة وطلب إليه أن يفك أزرار الجاكتة ففعل ؛ ووقع بصر الرجل على الفانلا فبدت على وجهه الدهشة وصاح بسرعة وهو يشير إليها قائلاً : « انظر ! »

فأحنى الشاب رأسه ناظراً إلى الفانلا فرأى فوق القلب دائرة مسودة من أثر احتراق خفيف . فاستولت عليه الدهشة وجلس فى فراشه وهو يتساءل : « ما الذى صنع بى هذا ! »

فضحك الدكتور بصوت عال وقال : « ها أنت ذا تكتشف حمى جديدة يا دكتور ! » . وخطرت للشاب فكرة فالتفت إلى الشجب وقفز من الفراش واتجه نحوها ووضع يده فى جيب الجاكتة الأعلى متناولاً غليونه ، وفحص الجيب بعينيه فرأى آثار التبغ الذى أكل البطانة وحرق القميص وأثر هذا التأثير فى الفانلا ، ووقف مرتبكا ينظر إلى الدكتور بعينين تسألان الصفح ، وقد أحس بحرارة جديدة هى حرارة الخجل والارتباك

وبعد دقائق وجد الشاب نفسه وحيداً مرة أخرى ، وكان ما تزال تعلو شفتيه ابتسامة الارتباك والخجل ولكنه كان يحس بغبطة وسلام ، وكان قلبه يشكر الله الذى وهبه حياته مرة أخرى

وبر الشاب بوعده واعتزم أن يكون إنساناً قبل كل شىء ، وعاد إلى عمله تنبض فى قلبه أشرف العواطف وأنبلها ، وكان يظن أنه سيصمد للتجارب لا ينكص على عقبيه مهما امتد به الزمن ، ولكن وا أسفاه إن انقضاء الليل والنهار ينسى ، ومن ينغمر فى الدنيا يذهل عن نفسه ، وللحياة جلبة تبتلع همسات الضمير ، فقد أخذ يتناسى محنته ودعاءه ووعده حتى نسى ولم يعد يذكر إلا عمله ومستقبله وآماله وأطماعه ، ثم ارتد إلى ما كان عليه ، وكانت تلك الأيام القلائل فى حياته كهدوء البحر الذى يصفو ويرق حتى يشف عن باطنه ثم لا يلبث أن تهيجه الرياح والعواصف فيرغى ويزبد وتعلو أمواجه كالجبال . ولعله لا يذكر هذه الحادثة الآن إلا كدعابة يتندر بها ويقصها على صحبه إذا دعا داعى الحديث أو السمر !

نجيب محفوظ

مطبعة الرسالة — ٨١ شارع السلطان حسين عابدين . القاهرة

Lundi - 24 - 3 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

9me Année No. 403

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٠٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٤ مارس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
٣٣٧ دوائر معارفنا الاسلامية ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٤٠ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٣٤٤ في العقـــد ... ... : لأستاذ جليل ... ...
٣٤٦ الغناء والموسيقى وحالهما في مصر والغرب ... ... } الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٣٤٩ الزمن الساحر ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٥١ الديمقراطية البريطانية وأثرها في الحرب الحاضرة ... ... } الأستاذ (م . ح) ... ...
٣٥٣ على هامش حادث أليم ... : الأستاذ عبد الله حسين ...
٣٥٤ مرثية محمد محمود باشا [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٣٥٥ مجد بغداد ... ... « : الأستاذ محمود رمزي نظيم ...
٣٥٦ الفنون الايرانيــة في العصر الاســلامي ... ... } الدكتور محمد مصطفى ... ...
٣٥٩ حول العصبية في الجماعات الدينية : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
شعر ذو وجهين ... ... : . ...
إلى ناقدي لغة في مقالي الثالث : الأستاذ السباعي بيومي ...
٣٦٠ المجمع اللغوي وتشجيع الانتاج الأدبي ... ... } . ...
حول مبدع فن المقامات ... : الأستاذ محمد علي النجار ...
٣٦١ من أدب آل عبد الرازق ... : الأستاذ محمد جاد الرب ...
رحـلة الشتاء والصيف ... : نجدة فتحي صفوة ... ...
٣٦٢ شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي ... ... } . ...
تصويب ... ... : الأستاذ (ا . ع) ... ...
تصويب ... ... : الأديب أحمد محمد شكم ...
٣٦٣ سكون العاصـفة [قصـة] : الأستاذ محمود البدوي ...

٢٢ - ١٦

دوائر معارفنا الاسلامية

للأستاذ عباس محمود العقاد

اقترح على المجمع اللغوي تأليف معجم لألفاظ القرآن الكريم ، فذهبت أنظر في المعاجم والموسوعات التي عندنا وعند غيرنا من هذا القبيل ، فلم ألبث أن رأيت بعد مقابلة يسيرة أننا في هذا الباب جد فقراء

عنـد الأوربيين موسوعات مختلفة الأحجام والأغراض لأسفارهم الدينية ومأثوراتهم المقدسة

فللتوراة والإنجيل موسوعات صغيرة تفسر الأسماء والأعلام والوقائع والألفاظ ، فلا تذكر في الكتابين اسم رجل أو بلد أو قبيل إلا استطعت أن ترجع إليه في موضعه ، فتعرف شيئاً عن تاريخه وموقعه ومناسبة ذكره ؛ فإذا بك أمام كتاب يكاد أن يفيدك في كل شيء ، ولا تنحصر فائدته في فهم التوراة والإنجيل

ولهذين الكتابين موسوعات صغيرة أيضاً تتناول الآيات والأجزاء على الترتيب ، فتقرن بين بعضها وبعض ، وتقابل بين القرائن المختلفة من قديم وحديث ، وتفسر مدلولاتها على حسب العصور والمصادر اللغوية ، فتجمع بين معرفة الشريعتين الموسوية والمسيحية ، وكل معرفة لها بهاتين الشريعتين اتصال

وعنـدهم موسوعة للطيور التي ورد ذكرها في التوراة ،

أو الأشجار والأزهار التى تكلم عنها الأنبياء ، فيستفيد منها الباحث فى علمى الحيوان والنبات ، كما يستفيد منها الباحث فى الدين

أما الموسوعات المطوّلة الشاملة فهى ذخائر من المعلومات لا تند عنها دانية ولا قاصية من موضوعات المسيحية أو الموسوية ، وقد يلتبس على القارىء الأمر بين دوائر المعارف العامة التى تتناول كل شىء وكل مادة ، وبين دوائر المعارف الدينية التى يظن من عنوانها أنها مخصصة ولو بعض التخصيص لناحية من نواحى الثقافة الانسانية

بل عندهم معاجم صغيرة للإسلام ليس لها نظير فى اللغة العربية ولا فى لغة من اللغات التى يتكلم بها المسلمون

من ذلك قاموس الإسلام الذى وضعه توماس باترك هيوز Thomas Patrick Hughes وطبعه قبل نيف وخمسين سنة ثم أعيد طبعه قبل بضع سنوات

فهذا القس قضى فى التبشير بين المسلمين والبرهميين والبوذيين ببلاد الهند أكثر من عشرين سنة ، ودرس خلال ذلك ما استطاع أن يدرسه من التواريخ والمباحث الإسلامية ، ثم جمعها فى هذا القاموس أو هذا المعجم كما قال هداية للموظفين الذين يتولون الحكم بين المسلمين ، ومساعدة للمبشرين الذين يجادلون علماء الإسلام ، وللسائحين الذين يطوفون بلاد المشرق ، وللباحثين الذين ينظرون فى المقارنة بين الأديان ، ولكل من يشغله عمله أو نزعة فكره بشأن من شئون المائة والخمسة والسبعين مليونا « هكذا » من الأناسىّ الذين يتبعون محمداً عليه السلام .

ولكنى أقول معترفاً إننى أرجع إلى هـذا القاموس حين يستعصى على الرجوع إلى المطولات الدينية للوقوف العاجل على مسألة من المسائل الإسلامية ، سواء تناولت الفقه أو التاريخ أو تقويم البلدان ، ولا أرى مناصاً من مراجعة هذا القاموس وأمثاله على علمى بما فيها من الزيغ المقصود ومن التعصب الذى لا تخلو منه كتب المبشرين

ويتفق كثيراً أن يخوض بعض الجلساء فى مسألة من مسائل الفقه الإسلامى لا يحضرنا الفقيه الحجة الذى نستفتيه فيها ، أو نستدل منه على مراجعها ، فما هى إلا لحظات حتى أوافيهم بالفتوى المجملة ، أو بالدلالة على مظانها ومواضع استقصائها . ويعجبون فيزداد عجبهم حين أطلعهم على قاموس من هـذه القواميس التى ليس أسهل من البحث فيها : كتاب انجليزى يدلنا أسرع دلالة على مراجعنا نحن المسلمين أبناء العربية ... فلم لا نعجب ويعجبون ؟!

إننا فقراء

وقد نعلل الفقر فى علوم الدنيا بخروجها فى الزمن الحديث من أيدينا ، فهل خرجت من أيدينا كذلك علوم ديننا ؟ وهل البواعث الدينية التى عندنا أقل من أن تحقق لنا مايحققه الغربيون ببواعث الشوق إلى المعرفة أو بواعث الشوق إلى السيادة ؟

الحق أن الشوق إلى معرفة الدين نفسه يحتاج قبل ذلك إلى شوق المعرفة فى أعم معانيها ، وأن العجز عن العلم والسيادة يورث العجز عن الإيمان والعقيدة ، حتى بين المتدينين المتقدين

***

وإنى لأجيل الفكر فى هذا وأشباهه إذا بالمجلد الرابع من « دائرة المعارف الإسلامية » يصل إلى يدى ، وهى الدائرة التى ألفها نخبة من المستشرقين باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وثابر على نقلها إلى اللغة العربية الأدباء الأساتذة : « أحمد الشنتناوى ، حافظ جلال ، عبد الحميد يونس ، إبراهيم خورشيد » من متعلمى الأدب والقانون

قلت : وهذا عمل ضخم كنا نحن أبناء العربية أولى بابتدائه وسبق الأمم كافة إليه

واستضخمت مع ذلك نجاح هؤلاء الأدباء الشبان فى الوصول بالترجمة إلى هذه المرحلة البعيدة ، لأن عملهم فى ترجمتها أصعب بين الشارقة من عمل المستشرقين فى تأليفها وتحضيرها بين البيئات الأوربية

هناك تمهيد ملايين يعين على هذه الأعباء ، وهنا تمهيد أفراد معدودين قلما يعاونهم أحد ، وقد يغنى عزائمهم ملايين ! !

فى بضع سنوات أتم مترجمو الدائرة الإسلامية ترجمة آلاف ثلاثة من الصفحات المزدوجة : كلها مصطلحات وإشارات مختزلة وإحالة إلى مراجع مختلفة ، وفيها من شعاب المعرفة ما ليس مقتصراً على الدين ولا على التاريخ ولا على السياسة ولا على المواقع الأرضية ، بل يشمل هؤلاء جميعاً ويزيد عليها ما ليس يحصى

ولا بد أن يدخل فى حساب هذه السنوات حساب التبويب والتقسيم وإعادة الحروف الإفرنجية إلى الأبجدية العربية

فقبل أن يتناول القلم بالترجمة صفحة من ألوف الصفحات التي اكتظت بها المجلدات الإفرنجية ينبغي أن تترجم المواد واحدة واحدة ثم تدوّن في أجذاذها وتنتظم في ترتيبها الجديد : فلا تأتى الكلمات المبدوءة بحرف العين في المجلد الأول ، بل تؤخر إلى موضعها من ترتيب الأبجدية العربية ، ولا تبقى « أشبيلية » مثلاً في حرف السين كما تكتب بالإفرنجية بل تقدم إلى حرف الهمزة ، ولا تتأخر أسماء اسماعيل وإبراهيم وإدفو إلى الحرف التاسع أو الخامس بل يؤتى بها مع الحرف الأول والأجزاء الأولى . وليس هذا العناء بأقل من عناء الابتداء بتحضير المواد والكلمات . ولعل النقل وإعادة الترتيب عرضة لأخطاء لا يتعرض لها البادئون بتدوين الأسماء كما تكتب في لغات الأوربيين

فالوقت الذي يقضى في هذا التبويب الجديد ليس بالوقت القصير ، واستدراك الخطأ فيه من أصعب الأمور ، ووراء مشكلة الوقت مشكلة الإقبال على هذه الأعمال ، ومشكلة المثابرة وهى أعضل ما نعانيه في كل عمل مديد الأجل متشعب الفروع ، ومشكلة الأزمات الدولية والأزمات الداخلية التي تثقل على كاهل التجارة الرائجـة والسلع الضرورية للمعيشة اليومية ، فكيف بتجارة العلم وسلع القراءة !

قال الأدباء المترجمون في الجزء الأول من أجزاء الترجمة العربية : « . . . اختمرت فكرة ترجمة تلك الدائرة في رءوسنا منذ أعوام ثلاثة فعكفنا على دراسة المشروع من جميع نواحيه وألممنا بكل الصعوبات المـادية والمعنوية التي كثيراً ما تعترض الأعمال العلمية والأدبية في مصر ، وظلت هذه الصعوبات حائلاً بيننا وبين تحقيق أمنيتنا ، ولعلها كانت عين الصعوبات التي وقفت في سبيل غيرنا ممن حاولوا تحقيق تلك الأمنية ، حتى لاح لنا أننا كنا مخطئين حين حاولنا أن نحل الصعاب كلها دفعة واحدة ، فرأينا أخيراً أن نقسم العمل إلى أقسام ثم نشرع في التطبيق خطوة خطوة ، وشعارنا أن كل شيء متيسر مستطاع »

وعندنا أن هـذا الخاطر هو العلامة الأولى للعزيمة العاملة ، لأن القدرة على تقسيم الصعوبات ضرب من القدرة على تذليلها ، وليس أدل على النصر من قدرة القائد على تفرقة الخصوم وهزيمتهم فرقة بعد فرقة . فلو لم يكن الأدباء مترجمو الدائرة أهلاً لفضيلة المثابرة لـما كانوا منذ البداية أهلاً لتصغير الصعوبات بتفريقها والتغلب على أجزائها ، أو على رهبة الإحجام التي تلازم من يجمع الصعوبات ويستضخمها ويزيد عليها من الوهم ما ليس فيها

لقـد شرع بعض الكبراء كما شرع بعض الدواوين الحـكومية في طبع موسوعات دون هذه الموسوعة في حجمها وتعقيدها ، وكان منها ما ليس يحتاج إلى ترجمة قبل طبعه ، ومنها ما يحتاج إلى ترجمة ولا يحتاج إلى إعادة تبويب . ثم وقفوا عند البداية أو بعد خطوة قصيرة من البداية ، فانفراد الأدباء مترجمي الدائرة بالمثابرة على هذا العمل الكبير مزية جديرة بالتسجيل في حياتنا الفكرية ، ولهم حق في التهنئة بما جاهدوا وثابروا على قدر هذه الفضيلة النادرة ، وعلى قدر الحاجة إلى تلك الدائرة ، وهى حاجة توجبها الغيرة القومية كما توجبها الرغبة في العلم والثقافة

لـكننا لا نكتفي بالتهنئة ، بل نضيف إليها اقتراحاً في صدد ما أسلفناه من شكوى الافتقار إلى الموسوعات الموجزة في أمثال هذه الموضوعات . فمن اليسير على من ينهضون بعبء الدائرة الكبرى أن يتابعوا اختصارها وهم يترجمونها وينشرونها لتخلص لهم من ذلك في سياق العمل موسوعة صغيرة ينتفع بها عدد من القراء أكبر ممن ينتفعون بالموسوعة الكبيرة ؛ بل ينتفع بها من لا يقدرون على التوسع في العربية ولا في اللغات الأفرنجية ، وهم أحوج إلى النفع وأولى بالعناية ، وليس النقص الذي نتممه بتفهيم هؤلاء دون النقص الذي يتم باستيفاء مراجع الإفاضة والاستقصاء .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

هذا عيب ، ولكنه جميل — الظلم البغيض — عتاب موجه إلى الأستاذ الزيات — الدين الاسلامى فى المدارس الأجنبية — تجربة جديدة لتعاون بين المصريين والأجانب — دفع اعتراض — هل انتهزت وزارة المعارف فرصة الاضطرابات الدولية لتصفى ما بينها وبين المدارس الأجنبية ؟ — الحق والتاريخ .

هذا عيب ، ولكنه جميل

أشار أديب غاب عنى اسمه فى مقال نشره بمجلة « الرسالة » إلى أنى أتقاضى أجراً على ما أنشر من المقالات والبحوث فى الجرائد والمجلات ، وهى إشارة جرت مجرى التعريض ، فكان معناها أن قبول الأجر على المقالات والبحوث عيب ، وهو حقيقةً عيب ، ولكنه عيبٌ جميل ، إن كان الكسب الشريف من العيوب

ويظهر أن جمهور القراء فى مصر لا يعرفون ما صارت إليه الصحافة المصرية ، فهى اليوم أعمال اقتصادية يراد منها الربح كما يراد التثقيف . ورجال الاقتصاد لا ينفقون إلا بحساب ، ولا يخرج الدرهم من أيديهم إلا بعد أن يطول حوله الجدال ، وتلك أكبر مزية من مزايا رجال الأعمال ، فهم الصالحون صلاحية حقيقية لتصريف الأمور بعقل وتدبير وسداد ، والكرم رذيلة شنيعة حين يصدر عن رجال الأعمال ، لأنه يشهد بأنهم حُرِموا مزية الضبط والتدقيق . فإن سمعتم أن كاتباً يتقاضى أجراً على مقالاته فى إحدى الجرائد فاعرفوا أن ذلك لم يقع إلا فى سبيل الحرص على منفعة تلك الجريدة ، فهو ليس إعانة تقدَّم إلى الكاتب وإنما هو ربح حلال يناله الكاتب تعويضاً على ما بذل من إجهاد الفكر فى التحرير والإنشاء .

وإن سمعتم أن فى مصر جريدة لا تنشر إلا ما يقدَّم إليها بالمجان فاعرفوا أن تلك الجريدة صائرة إلى البوار ثم الزوال ، لأن القراء لا ينتظرون الكتاب المجهولين ، وإنما ينتظرون الكتاب المعروفين ، والكاتب لا يُعرَف فى وطنه إلا بعد أن يشيب فوْداه فى مساورة الأبكار من الحقائق والمعانى

وما أريد بهذه الكلمة أن أقول إنى جدير بالانتفاع بما أنشر فى الجرائد والمجلات ، فهذا القول قد يُعدّ من الزهو فى موطن لا أريد فيه غير توجيه النصح إلى من يسألوننى من وقت إلى وقت عن إمكان الاستفادة المادية من الصحف المصرية وفى توجيه النصح إلى هؤلاء أقول :

لا تصدقوا أن فى مصر جريدة تدفع قرشاً واحداً لكاتب على سبيل المونة والتشجيع ، ولا تصدقوا أن الصحفيين اليوم يجوز عليهم التلطف ، كما كان يجوز على أسلافهم الكرماء من أمثال على يوسف وعبد العزيز شاويش وأمين الرافعى ، فتلك أيامٌ خلَت ، وأصبحت الصحافة قوة أدبية واقتصادية لا ينتفع بخيرها إلا أقطاب البيان ، ومن أجل هذا صحّ القول بأن الصحافة المصرية تحتل المكان الثالث فى العالم بعد الصحافة الإنجليزية والصحافة الأمريكية ، وستظل كذلك ما دام فيها رجال يعرفون أنه لا عيب فى أن تقوَّم الأفكار بالأموال ، إن جاز الوهم بأن الأفكار توزن بموازين الأموال

الظلم البغيض

للظلم أشكال وألوان ، فهناك ظلمٌ حلوٌ عذب هو ظُلم من يُستملَح منهم الدلال ، وهناك ظلم تافه هو ظلم من لا يُقدِّمون ولا يؤخرون ، وهناك ظلم بغيض هو ظلم من تحسن إليهم فيسيئون إليك . فالذين يعيبون علينا أن نتقاضى أجراً على ما ننشر فى الجرائد والمجلات فيهم أناس يظنون فينا القدرة على كل شيء ، فهم يدعوننا فى كل وقت إلى تزكيتهم عند أصحاب الجرائد والمجلات ، ليجولوا ويصولوا ، كما يجول ويصول من وُهِبوا القدرة على التصرف بالخواطر والقلوب

ولو علم هؤلاء أن حرفة الأدب التى تقضى على صاحبها بأن يموت قبل الأوان بعشرين عاماً أو ثلاثين لزهدوا فى الظفر المكسوب بثقة القراء ، وهل يثق القراء بكاتب إلا بعد أن يطمئنوا إلى أنه يسوِّد القرطاس بالدم لا بالمداد ؟ ثقة القارئ عروس غالية يقدِّم إليها الكاتب خاتماً قد اتخذ حديده من الهم الذى سفحه على سنان القلم فى الليالى الطوال

آه ، ثم آه ! !

من يصدِّق أن الكاتب الموثوق بكفايته البيانية لا يَنقل

عواطفه إلى قرائه إلا بعد أن تنفعل خواطره انفعالاً يحوّلها إلى نسيم تنتعش به أرواح الوجود؟

من يصدّق أن الكاتب الذي يؤثّر في عصره وزمانه لا يجود بكلمة من كلماته إلا وهو يجود بأكواب حِرار من دم الكبد والقلب

ومع هذا يقال إنه أجير لأصحاب الجرائد والمجلات!!

ولو قدّرت مصر الكاتب حق قدره لعرفت أنه عنوانها الصحيح في الشرق والغرب؛ فبفضل الكاتب قيل إن مصر زعيمة الأمم العربية، وبفضل الكاتب قيل إن صحافة مصر تزاحم الصحافة الإنجليزية والصحافة الأمريكية. وهل من القليل أن نكون في الصحافة أعظم من أمم كثيرة تفوقنا في الأنفس والأموال؟

عتاب موجه الى الزيات

إذا صح هذا — وهو صحيح — فكيف يجوز للأستاذ الزيات أن ينشر في مجلته تعريضاً بأجر يتقاضاه كاتب صاحبَ «الرسالة» بصدق وإخلاص أكثر من أربع سنين؟

ومن الزيات الصديق؟

هو الرجل الذي يؤذيني بين قرائي وأصدقائي، فما ينشر لهم كلمة أقدمها إليه إلا بعد اختبار دقيق

أريد أن أعرف كيف يجوز للزيات أن يسمح بنشر كلمة فيها تعريض بمن ينتفعون بجهاد الأقلام، وهم أعظم من الذين ينتفعون بجهاد السيوف؟

وكيف يكون من العيب أن ننتفع بجهودنا الأدبية وهي جهود نخدم بها المجتمع كما يخدمه المشتغلون بالمحاماة والتدريس؟

وإذا جاز أن يُنشر في الرسالة تعريض بمن ينتفعون بثمرات أقلامهم، ففي أي مكان ينتظر أرباب الأقلام كلمة الحق في الثناء على ما يقدّمون من تضحيات، وهم أقل المجاهدين حظاً من الثواب على الجهاد؟

ومتى نجد رَوح الوفاء إذا عزّ وجوده عند من قضوا أعمارهم في الأنس بمعاني الأدب الرفيع؟

وما هو الأجر الذي يقدّم إلى الكتّاب في مصر حتى تصوّب إليهم سهام التجريح؟

ما زلنا نشكو الغبن الذي يلاحق الصحافة الأدبية في هذه البلاد، فليس أمام الكاتب الأدبي فرصة واحدة من الفرص التي يتمتع بها الكاتب السياسي، لأن مصر التي برعت في خلق العصبيات السياسية، لم تفكر في خلق العصبيات الأدبية، والكاتب السياسي قد يستطيع التمتع بأجازة يتذوق فيها طعم الراحة شهراً أو شهرين مع حفظ حقه في المرتب؛ أما الكاتب الأدبي، فهو مقهور على معاقرة الكدح الموصول، إلا أن يغنيه الله عن ذلك الأجر الممنون

من المزعج أن تُنسى حقوق الكاتب الأدبي، وهو يعاون معاونة جدية على ترقية الصحافة الأدبية، وهي صحافة لم تكن ولن تكون إلا لوناً من ترَف العقول، وهي الشاهد على أن الأمة لها في عالم الفكر مطامح وآمال، ولكن أين المنصفون؟

ونحن قد زهدنا في خدمة الصحافة السياسية، وهي الصحافة التي يخطب ودها أقطاب السياسة ورجال الأعمال، والتي تمكّن أصحابَها من نواصي المناصب العالية، فهل كنا من الموفّقين في إيثار ذلك الزهد؟ هيهات ... فما كان زهدنا في الصحافة السياسية إلا ضرباً من الخذلان!

قد نعزّي أنفسنا فنقول: إن الجهاد في الميدان الأدبي أبقى على الزمان، وتلك والله علالة المهزومين؛ وإلا فكيف يُحسد الكاتب الأدبي على الانتفاع بجهوده الأدبية، وهي لن تصل به إلى منازل المجد إلا يوم يتولى أمور الناس رجلٌ في حصافة ابن العميد، أو عقل سعد زغلول؟

وما هي تلك المنافع التي نعيَّر بها في مجلتك، يا صديقي الزيات؟

وما الذي استفدت أنت من خدمة الأدب، وبيدك مجلة أدبية تضرّ بها وتنفع؟

كل ما غنمتَه هو السلامة من مزالق الشبهات، وذلك مغنمٌ عظيمٌ جداً، ولكنه قليل الوزن في العصور الممسوخة، عصور الزهد في معالي الأمور. ولو اعتدل الميزان — كما رجونا ألف مرة — لكان للصحافة الأدبية مكان مرموق في هذه البلاد، ولكنه لن يعتدل إلا بعد أحيان طوال، ويومئذ ينسى الناس أن مصر عاش فيها أقوام حفروا أساس الصحافة الأدبية بأسنة الأقلام، وهم محرومون من عطف الصديق المواسي، والناصر الرفيق

ومهما تكن العواقب، فذلك حظي وحظك، وحظ إخوان كرام رضوا بالشقاء في خدمة الصحافة الأدبية ليرضوا شهوة العقل،

وللعقول شهوات أقوى وأعنف من شهوات العيون والقلوب

وهل أقبلنا على الصحافة الأدبية طائعين ؟

لا ، والله ، فما أقبلنا على هذا المورد إلا مسوقين بسوّاقٍ حُطَم ، هو القلم المفتون باقتراح المعاني

وجملة القول أن ما يعاب عليّ يعاب عليك ، فمتى نكثر هذه العيوب ؟ ومتى يكثُر القادرون على الانتفاع بثمرات الأقلام ؟

العيب الحق هو أن تشهد الوقائع بأن الذين ينتفعون من الصحافة الأدبية لا يزيدون عن آحاد ، لأن أدباء مصر لم يستطيعوا إلى اليوم أن يصيّروا الأدب غاية وجودية ، يحيا بها الناس كما يحيون بالطعام والشراب

فهل يستطيع من عابوا عليّ الانتفاعَ بقلمي أن ينتفعوا بأقلامهم ؟

وهل فيهم من جُعِل رزقه في سنان قلمه ، كما جُعل رزقي في سنان قلمي ؟

ليت الله يُكثر من المنتفعين بأقلامهم ، لنؤمن ونصدّق بأن القلم صارت له دولة في هذه البلاد !

ليت ، ثم ليت ! !

الدين الاسلامي في المدارس الأجنبية

قرأت في الجرائد خلاصة ما انتهى إليه البحث بين وزارة المعارف ونظار المدارس الأجنبية فيما يتصل بتعليم الدين الاسلامي للتلاميذ المسلمين بتلك المدارس ، وقد فهمت مما قرأت أن البحث وصل إلى غايتين :

الأولى أنه لا يجوز أن يعلَّم تلميذ ديناً غير دينه ولو رضى أهله بذلك

الثانية أنه يجب تعليم الدين الاسلامي للتلاميذ المسلمين بالمدارس الأجنبية

وقد حدثني بعض من شهدوا تلك المحادثات أن نظار المدارس الأجنبية لم يعترضوا على النص الذي يوجب ألا يتعلم التلميذ ديناً غير دينه ، لأنهم لا يريدون فتح باب الفُرقة والخلاف بين أبناء هذه البلاد ، ولأنهم يعرفون أنهم مؤتمنون على ضمائر من يدخل مدارسهم من أبناء المسلمين

أما النص الذي يوجب أن يتعلم التلاميذ المسلمون مبادئ الدين الإسلامي فقد وافق عليه نظار المدارس الأجنبية بعد جدال بسيط ، وكانت حجة المجادلين أن بعض المدارس قد تتعدد فيها الديانات والمذاهب ، فمن الإرهاق لجدول الدروس أن تخصص فيه ساعات لتدريس ديانات التلاميذ على ما بينها من تباعد واختلاف ، وهنا وجدت وزارة المعارف الحل فرضيت بأن تكون دروس الدين الإسلامي في أيام الآحاد

ذلك ما حدثني به الصديق الذي شهد تلك المباحثات فما الذي أملك في التعقيب على هذا الموضوع الدقيق ؟

أواجه الموضوع بصراحة تنفعنا وتنفع ضيوفنا الأجانب فأقول : تنقسم المدارس الأجنبية إلى قسمين : مدارس مدنية ومدارس دينية

أما المدارس المدنية فهي على أتم استعداد لتدريس الدين الإسلامي في دورها ، لأن نظامها يقوم على احترام جميع الديانات وإن كانت غير مُلزَمة بتدريس الديانات ، وما دام الرأى العامّ في مصر يرى أن الدين الإسلامي مادة أساسية في تثقيف التلاميذ المسلمين فهي لا تمانع في أن يكون في دورها مكان لتعليم أولئك التلاميذ مبادئ ذلك الدين

بقيت المدارس الدينية ، وهي مدارس لا يُطلَب منها غير الحياد ، فكيف نفرض عليها أن تعلم الدين الإسلامي في دورها ؟ إنما يجب أن نسهل عليها هذه المهمة فنتولى تعليم مَن بها مِن التلاميذ المسلمين في دور المدارس المصرية وفي أيام الآحاد

ذلك ما رأته وزارة المعارف ، وهو رأى أرادت به مجاملة المدارس الدينية ، حتى لا يقال إن وزارة المعارف تجرح إحساس الأجانب من رجال الدين

كل هذا جميل ، وجميل جداً ، وجداً جميل ، كما يعبر الدكتور طه حسين

ولكنه إن وقع فسيشهد بأننا جميعاً نعيش في عصور الظلمات ؛ فنظار المدارس الأجنبية لا ينكرون أن الإسلام دين يتقرب به إلى الله مئات الملايين . فكيف تضيق به مدرسة يديرها أوربيون أو أمريكيون ، وقد نشأوا في بلاد لا ترى من العيب أن تدرس الأوهام والأضاليل حتى تشعر بالحرج في السماح بتدريس الدين الإسلامي « وهو إن لم يكن وحياً من السماء كما يزعم من خاصموه فهو بلا جدال أقوى صورة من صور الضمير الإنساني ، وأعظم شاهد على سيطرة الفكر والعقل والوجدان »

لو جاز لى أن أتهم وزارة المعارف لقلت إنها تريد اختبار بعض رجال الدين من الأجانب ، فهى تريد أن تجرب مبلغ استعدادهم لتقبُّل التعاون السليم من شوائب الأغراض ، فما الذى سيصنع أولئك الرجال فى الرد على وزارة المعارف ؟

أنا أرجِّح أنهم سيفكرون فى منافع تلاميذهم من المسلمين فينظمون لهم دروس الدين الإسلامى بطريقة تعفيهم من التردد على المدارس المصرية وفى أيام الآحاد

فما هى تلك الطريقة ؟

فى المدارس الأجنبية نظام مدرسى يسمى نظام الـ Cours وهو النظام الذى يسمح بأن يقسم التلاميذ إلى فرق مختلفة فى وقت واحد . فمن السهل أن يُتَّبع هذا النظام فى تدريس الديانات فى المدارس التى تختلف فيها الديانات ، وعندئذ يذهب الخطر المتوقع من إرهاق جدول الدروس

دفع اعتراض

قد يقال إن فى تدريس الدين الإسلامى بالمدارس الأجنبية فتحاً لأبواب الشقاق بين التلاميذ المختلفين فى الدين

وأجيب بأن إغفال الدين الإسلامى هو الذى يخلق ذلك الشقاق ، لأنه يفرض على التلاميذ المسلمين أن يتصوروا أنهم مضطهدون ، ويوحى إليهم فكرة الوهم بأنهم يتعلمون فى مدارس تضمر لدينهم معانى العداء المكشوف أو الملفوف

فما مصلحة تلك المدارس فى إغفال الدين الإسلامى ؟

وما الموجب لأن يتعبونا بتجديد خصومات يجب أن تموت ؟

الواقع أن بعض نظار المدارس الأجنبية لم يجدوا من يدلهم على اتجاهات الأفكار والعقول فى هذه البلاد . ولو وجدوا من يرشدهم لأعفونا وأعفوا أنفسهم من الدخول فى محرجات تؤذينا وتؤذيهم أعنف الإيذاء

للمدارس الأجنبية ماض جميل فى نشر اللغات الحية بالديار المصرية ، وذلك الماضى الجميل يحتاج إلى حارس أمين من الحاضر الجميل ...

فمن يبلغ بعض نظار المدارس الأجنبية أن الصديق الحق هو الذى يرشدهم بصدق وإخلاص إلى جلية الأمر فى مواطن قد اشتبكت فيها الأوهام والظنون ؟

إن صدقت النيات فى تحقيق ما تم عليه الاتفاق بين وزارة المعارف ونظار المدارس الأجنبية فسيكون لتلك المدارس مستقبل أروع وأجمل من ماضيها الرائع الجميل

ثم دفع اعتراض

قيل وقيل إن وزارة المعارف قد انتهزت فرصة الاضطرابات الدولية لتصفِّى ما بينها وبين المدارس الأجنبية ، وذلك القِيل كذبٌ وافتراء ، فوزارة المعارف تفكر فى هذه الشؤون منذ أعوام طوال ، وهى بالفعل قد قررت التفتيش على جميع المدارس الأجنبية منذ سنة ١٩٣٨ يوم كان الحديث عن وقوع حرب عالمية رجماً بالغيب ، فمن التجنى على وزارة المعارف أن يقال إنها تنتهز فرصة الاضطرابات الدولية لتحقق أغراضاً سليمة لا يطعن فى سلامتها إلا أهل الأغراض والأهواء

أما بعد فقد علمت أن قانون التعليم الحرّ سيعدَّل بعد تلك المباحثات تعديلاً يضمن السلامة من أخطار الخلاف بين المصريين والأجانب ، ويؤكد الثقة والصفاء بين أولئك وهؤلاء

للحق والتاريخ

حدثنى صديق شهد تلك المباحثات أن أعضاء اللجان الفرعية من الأجانب عز عليهم أن تنتهى فى أسابيع ، فقد راعهم أن يعرفوا أن فى وزارة المعارف رجالاً موسومين بالرفق واللطف فى معالجة الدقائق من المعضلات ، وكانوا يتوهمون أنهم لن يلقوا إلا رجالاً يغنيهم الاعتصام بالحق عن مراعاة الرفق واللطف

وكذلك حدثنى ذلك الصديق أنه لم يكن ينتظر أن تتم تلك المباحثات فى أسابيع ، فقد كانت الاراجيف شاءت أن تصور بعض رجال التعليم من الأجانب بصورة من يعادون العروبة والإسلام فى هذه البلاد . ثم شاء الله أن تشهد الظروف بأنهم أبرياء من مُرَوِّهات تلك الأراجيف

ذلك ما حدثنى به الصديق الذى شهد تلك المباحثات ، وهو لم يخبرنى بجديد ، فقد اتصلت بنظار المدارس الأجنبية عدداً من السنين فلم أجد منهم غير الأدب واللطف والذوق ، ولم أشهد عليهم غير الاهتمام بمراعاة العواطف المصرية ، كتب الله لنا ولهم التوفيق فى خدمة العلوم والآداب والفنون .

زكى مبارك

٤ ـ في العقد

لأستاذ جليل

٢٥ – (ص ١٤٥) كان بعض أهل التمرس (يعني التمرس بالحرب) يقول لأصحابه : شاوروا في حربكم الشجعان من أولى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فإن الجبان لا يألو برأيه ما يقى مهجكم ، والشجاع لا يعدو ما يشد لنصرتكم ، ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معدة الجبان وتهور الشجعان ، فتكون أنفذ من السهم الزالج والحسام الوالج

وجاء في تعليقة (ما يشد نصرتكم) : كذا في ا . والذى في بقية الأصول : « بصائركم » وهو تحريف

قلت : النصرة تصحيف البصيرة أو تحريف البصائر ، والشد يناسب البصيرة أو البصائر ، فالبصيرة الحجة والاستبصار في الشيء ، والبصيرة ما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر . وليس أصل القول — كما أرى — (يشد نصرتكم أو يشد بصائركم) وإنما هو (يُشيد ذكركم أو يشيد بذكركم) كما جاء في هذه الوصية في زهر الآداب وثمر الألباب[١]) وفي (غرر الخصائص الواضحة[٢]) و (الغرر) يروى عن (الزهر) أصل الجملة كما ذكرنا ثم نسى ناسخ نقط الياء فصارت (يشد ذكركم) فاستركت واستبدلت بالذكر البصيرة أو البصائر أو النصرة حتى يجيء معنى مقبول

وقد يكون أصل (السهم الزالج والحسام الوالج) ما سطر في الزهر والغرر : (السهم الصائب والحسام القاضب) والسهم الصائب أقعد في هذا المقام من السهم الزالج

في التاج : زلج السهم يزلج زلوجاً وزليجاً وقع على وجه الأرض ولم يقصد الرمية . وفي المخصص ، وفي المثل : (لا خير في سهم زلج) وإذا وقع السهم بالأرض ولم يقصد الرمية قلت : أزلجت السهم

وقد يصوب (السهم الزالج) في قول القائل بعض التصويب ما ورد في اللسان : قال أبو الهيثم : الزالج من السهام إذا رماه الرامي فقصر عن الهدف ، وأصاب صخرة إصابة صلبة ، فاستقل من إصابة الصخرة إياه ، فقوى وارتفع إلى القرطاس[١] فهو لا يعد مقرطساً

٢٦ – (ص ١٤٥) ... وانفسدت نياتهم

قلت : من يجد هذا الفعل في مثل هذا الكتاب دون تنبيه عليه يثق بصحته وما هو بالصحيح

في الصحاح : لا يقال انفسد . ومثل ذلك في اللسان . وفي القاموس : لم يسمع عنهم انفسد . قال شارحه : في مطاوع فسد وإلا فالقياس لا يأباه

قلت : لم يحرك الفعل (فسد) في التاج ، فإن فسد الثلاثي غير المضاعف فهى هفوة عالم

في ضياء اليازجي : رجل مفسود السيرة وقد انفسد ، وكلاهما خطأ ، لأن فسد لازم فلا يصاغ للمجهول ولا يبنى منه مطاوع

٢٧ – (ص ١٦٩) ... فدخلت في غِمار الناس ...

قلت : في غُمار الناس أو غَمار الناس بالضم أو الفتح كما قيد ذلك بصريح الكلام لا بتوشيح القِلام[٢] — كما يقول المجد — في تهذيب الألفاظ ، والصحاح ، واللسان ، والمصباح ، وحرك بالضم والفتح في الجمهرة والمخصص وغيرها

والأصمعي يقول : دخل في خمار الناس . وغمار الناس خطأ ليس من كلام العرب . وقد نسب صاحب المخصص[٣] هذه التخطئة إلى ابن السكيت ، وهذا وهم من ابن سيدة . وإنما ابن السكيت ناقل وقد قال بعد كلام الأصمعي : الكسائي : دخلت في غُمار الناس وغَمار الناس وخُمار الناس وخَمار الناس[٤] . وأثبت الجوهري في الصحاح هذا القول إثبات الموافق عليه

والغِمار — بالكسر — جمع الغمر وجمع الغمرة ليس بحجة لمن كسر الغمار في (دخلت في غمار الناس أو خمارهم) في كلام القدماء . . .

٢٨ – (ص ٣٥)

(١) الجزء ٣ ص ٢٥٥ الطبعة (الزكية المباركية) سنة ١٩٢٥
(٢) ص ٢١٨

(١) الهدف
(٢) جمع قلم : أي وضع الحركة على الحرف
(٣) الجزء ٣ ص ١٢٧
(٤) ص ٣٦

جانيك من يجنى عليك وقد
تعدى الصحاحَ مبارك الجرب[1]

ولرب مأخوذ بذنب عشيرةٍ ونجا المقارف صاحب الذنب

قلت : عشيره . وقد روى الشريشى فى الشرح الكبير هذين البيتين و (قرينه) فيهما مكان (عشيره)

٢٩ — (ص ٧١) ... قال (الوليد بن عبد الملك للزهرى) : يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيآت ، قال : باطل يا أمير المؤمنين ... قال : إن الناس ليُموّوننا عن ديننا

وجاء فى الشرح : فى الأصول : « ليغروننا » بالراء ، وهو تحريف

قلت : أغواه : أضله ، أو دعاه إلى شىء غوى به أى ضل ؛ وغره يغره : خدعه وأطمعه بالباطل ؛ والقوم قصدوا خدع الخليفة وإطماعه بالباطل ؛ والغر أو الغرور مثل الإغواء ، وربما فضل الأول الثانى فى هذا المقام

٣٠ — (ص ٢٣٤) ... وإذا جرد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحتاً والخير محضاً لم يخالطهما بشدة تعطف القلوب على لينه، ولا بشر يَحيشهم إلى خيره ، فقد ملّكهم الخلع لدذُرهم

وجاء فى الشرح : كذا فى ا ؛ ويحيشهم أى يجملهم يفزعون يقال : حاشه يحيشه إذا أفزعه ؛ والذى فى سائر الأصول : « يحبسهم »

قلت : الحيش : الفزع ، والفزع هنا الخوف والذعر ، لا الفزعَ إلى الشىء ، أى اللجوء إليه ؛ وفى حديث عمر أنه قال لأخيه زيد حين ندب لقتال أهل الردة فتثاقل : ما هذا الحيش والقل[2] ؟ ! أى ما هذا الفزع والرعدة ؟ فاللفظة فى « العقد » هى يحوشهم أو يحيشهم أى يسوقهم ؛ فنى حديث عمر أن رجلين أصابا صيداً قتله أحدهما وأحاشه الآخر عليه ؛ يقال : حشت عليه الصيد وأحشته إذا نفّرته نحوه ، وسقته إليه ، وجمعته عليه كما فى النهاية ؛ وفى الصحاح : حشت الإبل : جمعتها وسقتها ، وحشت الصيد أحوشه إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة

٣١ — (ص ١٧٨) قال كعب بن زهير :

بخلاً علينا وجبناً من عدوكم لبئست الخلتان البخل والجبن

قلت : ... وجبنا عن عدوكم . وقد نسبه أبو تمام إلى قعنب[1] بن ضمرة . وفى المبهج : قعنب بن أم صاحب وهى أمه ، وهو أحد بنى عبد الله بن عطفان ، وكان فى أيام الوليد ابن عبد الملك ، والبيت ثالث ثلاثة فى (الحماسة) شقيقاه[2] هما :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً منى وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

وقد تمثل أبو جعفر المنصور بذلك البيت فى مقامين فى خطبتين ذكرهما الطبرى فى تاريخه فى (الخبر عن بعض سيرة المنصور) والبيت فيهما كما روى ديوان الحماسة

احتلت هذه الضئيلة البئيلة[3] (من) ذلك المكان فى البيت — غير متحلحلة عنه — الدهر الأطول فى طبعات (العقد) وقد لحتها فى ثلاث منها ، ثم لم تتنب (لم تستح[4]) الملعونة من ظهورها فى طبعة اللجنة المبجلة . واليقين أنها من ميراث الناسخين ، لكن لكل كتاب أجل ولكل كاتب ولكل كتابة ولكل شىء ، فلن تكون (من) فى البيت فى العقد — إن شاء الله — بعد اليوم ...

٣٢ — (ص ٣٣٤) ورؤى حاتم يوماً يضرب ولده لما رآه يضرب كلبة كانت تدل عليه أضيافه وهو يقول :

أقول لابنى وقد سُطِّت يديه بكلبة لا يزال يجلدها

أوصيك خيراً بها فإن لها عندى يداً لا أزال أحمدها

تدل ضيفى على فى غلس الليل إذا النار نام موقدها

---

(١) جانيك من يجنى عليك : من أمثالهم . قال الميدانى : أراد صاحب جنايتك من يجنى عليك فلا تأخذ بالعقوبة غيره ، وذكر له معنى آخر . وفى حديث : لا يجنى جان إلا على نفسه . وفى (الكتاب) ولا تزر وازرة وزر أخرى . هذا قضاء الاسلامية .

(٢) القل بالكسر شبه الرعدة يقال: أخذه قل من الغضب (الصحاح)

(١) فى المبهج : القعنب الشديد الصلب من كل شىء

(٢) وله هذان الاخوان فى أدب الكتاب والاقتضاب وهما :

ولن يراجم قلبى ودهم أبدا
زكنت منهم على مثل الذى زكنوا

كل يداجى على البغضاء صاحبه
ولن أعالنهم إلا كما علنوا

على (فى البيت الأول) مقحمة كما فى الصحاح

(٣) ضئيل بئيل : دقيق صغير أو بئيل اتباع

(٤) استحى واستحيا وقرىء بهما

الغنـــاء والموسيقى

وحالهما فى مصر والغرب

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٢ —

نسمع اليوم ضجّة فى مصر بين أنصار القديم وأنصار الحديث ؛ فما هو ذلك الذى توهّموه القديم وثبتوا عليه ؟ وما هو ذلك الذى أحدثوه واعتزّوا به ؟

لمجلس الموسيقى والغناء الجدى عندهم نظام لا يُمس ولا يتغيّر : مقدمة موسيقية ، تقطّعها تقاسيم بكل معزف لا بد منها فى نظرهم وإن تشابهت وتكررت منذ دهور ؛ ثم ليال ناداها المغنون حتى سوأها فرط التكرار ، فموال عامى ، فدور أو طقطوقة ، أو قصيدة مسيخة فى ترتيب ما يختارون من أبياتها ، معذبة على ألسنتهم اللحانة ، وما أشنع لحانة المغنى منتحل الفن والفن الجميل برىء من تشويه الجمال وإن تعمّد تصور الدمامة أحياناً ! وجملة ذلك « وصلة » تجمع بين العامى والفصيح حين تضم الموال إلى القصيدة وتجمع بين المتنافرات والأضداد . أما التواشيح العربية القديمة التى أقحموا فيها « أمان » و « يالا لى » لموازنة ألحانها الحاضرة، فهى فى حكم المهمل ، إذ قلما يغنون بعضها أو جزءاً منها ، وقلما يغنيها أجود الأصوات . وأما الغناء فى السينما وفى التمثيل ، أو فيما يسمونه أوبرا ، فهو أغان مفردة ، مبعثرة يصدق فى أكثرها ما يقال فى غيرها

والأغانى ، على الإجمال ، موضوعها ثابت ثبات الرواسى ، يصور رزيئة عاشق ذليل يومه ناحس ، ومهانة داله عليل ناكس ، وأنين خائر ، وحنين طريد شريد حائر ، سائل حزين يبكى ، مستغيث ولا مغيث ؛ فهو موضوع يصف نحيتة مخلوق مجرد من كل حمية ، شاذ عن سجية الرجل السليم ، كأن العشق مرض مهلك لا تكون فيه هنيهة هناء ، أو لحظة بشاشة ، أو فينة صفاء ؛ وكأن العشق الكئيب لا يُغنَّى سواه ، وكأن الإنسان لا يطرب إلا من العويل والنحيب مذ عمى هذا الفن الأنكد عما يفعم فؤاده من شتى العواطف والأحاسيس البشرية ، وهو موضوع مستهجن مملول زاد سماجته الإمعان فى تكراره

وعبارة هذه الأغانى عامية على الأغلب، ونحن نزعم أننا نحارب الأمية والعامية ؛ فكأن المصريين قاطبة عوام ، وكأن الفصحى

قلت : أقول لابنى وقد سطَتْ يدُه[(1)] ...

٣٣ — (ص ١٧٠) وقال بعض المراقبين فيه (أى فى أكول جبان) :

ضعيف القلب رعديدٌ عظيم الخلق والمنظرْ !
رأى فى النوم عصفوراً فوارى نفسه أشهر !

قلت : رعديدٌ ، إذ لا تصريع[(2)] فى البيت ، ولا احتياج إلى كف[(3)] ، والالفظة مصروفة وهذا ظاهر

٣٤ — (ص ١٢٣) كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول :

أى يومىَّ من الموت أفرّْ يوم لا يُقدر أو يوم قدرْ
يوم لا يقدر لا أرهبـــه ومن المقدور لا ينجى الحذر

قلت : أفرّ بالسكون بلا شدة حتى لا يختل الوزن

ذكرتنى (صفين) فى خبر (العقد) بيتين كانا يقالان فى لياليها وهما هذان :

الليل داج والكباش تنتطح نطاح أسد ما أراها تصطلح !
فمن يقاتل فى وغاها ما نجا ومن نجا برأسه فقد ربح[(1)] !

وإن الدنيا لتتمثل فى هـذا الوقت بهذا القول . والمأمول ـ وقد استجيبت الدعوة فى الرسالة (٢٥٩) ص (٩٣٢) فعادت جذعة ـ أن يكون نفع للناس منها جسيما عظيما مثلها

فيحى فياح[(2)] ... !

* * *

---

(١) سطا عليه وبه . السطو البطش برفع اليد (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) قال ثعلب : يبسطون إليهم أيديهم (التاج)

(٢) صرع البيت من الشعر جعل عروضه كضربه ، وأكثر مايقع التصريع فى أول الشعر وربما صرع الشاعر فى غير الابتداء

(٣) الكف يدخل مفاعيلن من الهزج حشوا وعروضا

(١) (مانجا) حذفت الفاء من الجزاء ضرورة عند الأكثرين والقسطلانى فى شرح البخارى يقول : حذف الفاء من الجزاء سائغ شائع ومن خص هذا الحذف بضرورة الشعر فقد حاد عن التحقيق ، وضيق حيث لا تضييق

(٢) من أمثالهم . قال الميدانى : هـذا مثل قطام مبنى على الكسر أى اتسعى وأنث الفعل على أن الخطاب للغارة . وفى الأساس : ومن قول مغاويرهم : فيحى فياح أى اتسعى بإغارة وانتشرى . قال :

شددنا شدة لا عيب فيهـا وقلنا بالضحى : فيحى فيـاح

ليست فى شىء مما يصلح للغناء ولم تغن بها مدنيات قبلنا ، وكأن الأمم الحية لا تغنى الآن فى لغاتها إلا بعبارات الأوباش من أبنائها . والأغنية محدودة فى قليل من الجمل ، ولولا تكرار المغنى لكلماتها — وأى تكرار — لما استغرق غناءه دقائق معدودات

تبدأ الموسيقى بمقدمة هى جزىء من بشرف ، أو بشرف فى الأندر ، أو تقليد أين هو من البشارف ؟ وهى حين تعزف واحداً منها تقطعه بما تقحم فيه من تقاسيم بالمعازف تنبو لهجتها الطائفة شجواً عن لهجة البشرف الناطقة عن أحاسيس الرجولية ، ولو اتفقتا فى النغمة ، فتكدر صفاء لحنه وتعرقل تسلسله وتسربه فى الآذان ، وتضعف قوة أخذه فى الأنفس الواعية وشده أسره فلا تجد منه كل الطرب وهو عند تتابع روائعه واتصالها مطرب جد مطرب

وهذه المقدمة الموسيقية تباين ما يليها من غناء وإن كان لحنها ولحنه من نغمة واحدة ، كنغمة الصبا أو البياتى ، إذ أننا لم نفطن بعد للدلالة الصوتية ولم نركن معنى الإنشاء الموسيقى ، أو لم نسمع عنه شيئاً

ثم إن الموسيقى تصاحب الغناء أو تتخلله ، أى تعزف وتسكت ، وتارة تخافت بلحنها مع بعض جمل الأغنية أو بعض كلماتها ، وطوراً يأتلف لحنها مع الغناء والأغنية ، ويختلف أطواراً بمباينة دلالاته الصوتية المتضاربة لدلالاتهما : إذ يذهب اللحن الموسيقى بمدلولاته من البكاء إلى المرح مثلاً ، أو من الضعضعة إلى الثورة أو الرقص بينا يقيم المغنى بغنائه مناحة حامية ، يشنف بها آذان المستمعين

ذلك بأن ملحن الموسيقى ليس يعرف أن اللحن إنشاء يتوخى فيه صاحبه أن يجعله معبراً للمستمع عن ذات ما يصل إلى سمعه مع الموسيقى من معانى الأغنية والغناء بها ؛ ولا يدرك أنه لا ينجح فى صنيعه إلا بإحكام الدلالات ، وإتقان المطابقة بينها ، وتحسين الأسلوب بمحسنات صوتية توائم سياق اللحن الأساسى . وإنما هم الملحن أن يتلقط عبارات صوتية يظنها مؤتلفة لمجرد نظمه إياها فى نغمة الأغنية ، وقد تكون الواحدة من هذه العبارات مطربة فى ذاتها ، لو سمعت على حدة ، وإن باينت أخواتها فى لحنه وهو لا يدرى ؛ لأنه لا يقصد سوى التجميد فى اللحن والتوشيع بما يأخذ أو يسرق من هنا وهناك ، ولا يلاحظ إلا ضبط الأقيسة وإحكام الوقف أو « المحط » لتمكين المغنى من استئناف الغناء ولإظهار أنه لم يخرج عن النغمة

الأقيسة والمحطات ! ذلك وحده ما يعنى به الملحنون والعازفون وما فيه يتبارون ! ولذلك يبرزون القياس أى « الوحدة » بالدف أو الطبلة فى عزفهم الألحان ؛ وليس هذا موضع فخر لمنتحل الفن ، إذ هو شىء أولى ، دون مستوى الفن الرفيع ؛ بل إن فى إظهار القياس والوحدة إظهاراً لتكرار يمل النفس اطراده وملازمته للحن والغناء ، إلا أن يقع فى مواطنه من الموسيقى المحركة[1] كالتى تصاحب الرقص . والفن الحق يتفادى هذا العيب بإخفاء مساند البناء الموسيقى من قياس وغيره ، كما يخفى المهندس دعائم البناء الجميل ، وبعض نواتئه وزواياه ، بحيله الفنية وبالطلاء والزخرفة

وما أكثر الجاهلين من ملحنى الأغانى أن اللحن إنشاء صوتى يوجب عليهم المطابقة التامة بين مدلولاته والمدلولات الكلامية . وليس ينفى هذه الحقيقة ائتلاف الحزن الذليل الفائض من الأغانى والحزن الأذل المتدفق من ألحانها : لأنه ائتلاف لم يأت عن دقة فى حساسية المؤلف ويقظة فى مشاعره وملكاته ولا عن فطنة فنية ، بل هو الشاهد باستقرار عادة التذلل والبكاء واستحالتهما شنشنة بالأدمان . يثبت ذلك أن مدلولات لحن الأغنية الحزينة تأتلف مع مدلولات كلامها ، لكن كثيراً ما تختلف معها فى مصاحبتها لألفاظ العاشق المتضعضع الباكى ، بمعان صوتية مرقصة مرة ، أو ساخرة ومتفنجة أخرى ، أو متهيمة ؛ ولو كانت نفس الملحن حساسة لما جاءت بأمثال هذا الاختلاف فى لحنه . ولو كان مدركا معنى الإنشاء الصوتى والغناء ، لأصلح أخطاء لحنه بالتهذيب بعد تأليفه ؛ أو لو كان فناناً حقاً لما تعمد مثل هذا السخف لإرضاء أحد

أما المغنى ، فقد أصبح مثله الأعلى هو التفوق فى حكاية الذل والحزن ، الحزن والذل وحدهما ! كل الحزن والذل ! وفى وصف بنات الصدر ، حتى تشبع قلبه من الكآبة تشبعاً ينفضها على صوته ، شاء أو لم يشأ ، وحتى قد يكون جيد الصوت ، لكن

(١) Musique locomotrice

غناءه على رغم هذه الجودة بكاء حقيقى وعويل ، لا صوت مغن . والفرق عظيم بين الحقيقة والفن الذى يمثلها ، فإن صار تمثيله حقيقة ، فلا يكون فنًّا

وأكثر المغنين إنما صنعتهم مسخٌ لألحان مسيخة ، مسخ زيدها بشاعة بعيوب ليست من الفن ولا الغناء فى شىء كما يتوهمون . وهؤلاء عيوب غنائهم عديدة وبيان بعضها فيما يلى :

فمنها أن المغنى قد يغنى للجماهير بصوت أدركته أعراض الشيخوخة ، ويغنى ولو كان من ذوى الخنخنة أو كان مزكوماً ، ولا يفكر فى سلامة صوته ، ولا يعنى بنقاء حنجرته وصحة صدره ، وهو يزعم أنه مطرب .

ومنها أن يُقدم على رفع صوته إلى أعلى الطبقات وهو غير قادر ، فيظهر ما يعانى من مشقة . وليس هذا الجهد الجاهد بغناء الصوت المكروانى المخاخل الذى يحلق بسهولة عظيمة ، ورقاعته أنه غناء لا عناء .

ومنها أنه يقطع الأغنية كلمة كلمة ، ويكرر الواحدة عشرين مرة زاعماً أن كل مرة تأتى بلون من الإيقاع غير ألوان الأخريات ؛ وهذه وتيرة مملة وإن صدق فى زعمه ، لأن معنى الكلمة لا يتغير جوهره فى هذا التلوين الصوتى الذى يؤكده ؛ وهو زعم لا يصدق فى كل المرات ، وإن صدق أحياناً فى بعضها . على أن التكرار مرة أو مرتين ، بشرط ظهور مزيته ، معقول مقبول مواضعه ؛ وحسب المستمعين والمغنى ، بعد ذلك ، أن يعرض ألوان صوته فى سياق اللحن ويترك ما يسمّ .

ومنها أنه يطيل الوقف بعد الكلمة بلا داع ولا معنى ، وقد يطول الوقف بين كلمتين ، أو كلمة وجملة ، أو جملتين ، لما يُقحم بينهما من عبارات موسيقية معانيها لا تلائم معانى الغناء : كأنْ تدل تلك على غضب ففرح ، فثورة فمداعبة ، بينما تدل هذه على شجن صاعق كالعادة ، فتنفصم سلسلة الغناء وتختلط الدلالات الصوتية المتضاربة ، ويذهب التقطيع والاختلاط بلذة اللحن والصوت الغنّى إن كانت فيهما لذة

ومنها أنه قد يقف على نصف كلمة ، أو ثلث أو حرف منها ، ولو كان همزة ؛ وقد يستأنف من هذه الهمزة ويجأر بها مراراً فيحدث بذلك نوانئ ومنكسرات صوتية ، مع أن المنحنيات آنق وألطف وأحَب إلى الأذن وتلك النوانئُ مؤلمة

ومنها أنه قد يترك السكوت بإطلاق صوته بغتة كالمدفع لقصور ذوقه عن حفظ التناسب ، وقد يتنبه لهذه الفُجاءة ويحاول تخفيفها متمجّلاً فى النضّ من صوته فيزيد وضوحاً .

ومنها أنه يمد كل حرف من كلمة مداً يطول حتى لا يستطيع المستمع أن يجمع حروفها ، فيضيع معناها ؛ وأنه قد يمسخ اللفظة بتأنّق على ذوقه السقيم ، كأنْ ينطق بكلمة الحرية مثلاً : لو حووريييّه ، فلا يفهم أحد هذه الأناقة الشنيعة

ومنها أنه يتأوّه ويتوجّع كأنه بين يدى سفاح يعذبه أو جراح يجرّحه قبل اكتشاف وسائل التخدير الطبّى ، وتارة يتميّع ويتغنّج إثارة للشبق بين بكائه فى غنائه بكاء الثكلى

كل أولئك عيوب تشوه حتى أحسن الأصوات وهى غريبة عن الصوت الفنانى ، وكثيراً ما يجتمع منها وحدها ما يُمِضّ المستمع البصير ، ويوهم أن مجلس الغناء مأتم مجانين ، ويكفى لإخراج هذا الغناء عن الفن

تلك العيوب البيّنة فى غنائنا وموسيقانا قد يلاحظها العامة وأشباه العامة ، لكن لا على أنها عيوب بل على أنها محاسن من صميم الفن ، ومن شواهد النبوغ والعبقرية ؛ ويتبعهم فى الإعجاب بها كل إمّعة ، خصوصاً فى الحفلات حيث تسود روح الجمهرة ، ثم يتأثر من إعجابها السواد الأكبر الذى لا يجرؤ على مخالفة رأيه الأكثرون من الأفراد ، وهذا هو السرّ فى كل صيت كاذب مفسد للأذواق .

محمد توحيد السلحدار

من الأدب الرمزي

الزمن الساحر . . . !

للأستـــاذ سيد قطب

أيها الزمن !

ما أعجبك ! ما أقدرك !

إنني أراك اللحظة - أو يخيَّل إليّ أنني أراك ، أو يخيَّل إليّ أنه يخيل إليّ أنني أراك ! - هنالك قابعاً مُنزوياً وراء منسجك الأبدي ، تطل بعينيك العميقتين النافذتين من خلف المنسج القائم منذ الأزل ، تنسل خيوط الكون وتنسجها ، في دأب لا يمل ولا يفتر ، ونظام لا يتقدم ولا يتأخر

إنك هنـاك في كل ذرة سابحة في الفضاء ، أو غائصة في الأعماق ؛ وفي كل خطرة نابضة في الفكر أو كامنة في الضمير ؛ وفي كل ومضة مشعة في الأفق أو مستكنة في الذريرات . . .

وأنت هناك في البرعم النامي ، والجرح المندمل ؛ وفي الأمنية السانحة والذكرى المتوارية ؛ وفي الأمس والغد ؛ وفي الليـل والنهار ؛ وفي الغدو والأسحار ؛ وفي الأرض والسماء ؛ وفي كل مكان . . . ولـكن أحداً — أيهـا الساحر القادر — لا يحس أنك هناك !

إنك لتلأم الجرح في اللحظة التي تثغره ؛ وأنت هناك في أعماقه تنسج الأنسجة وتنشيء الذرات ، وترتفع بغوره شيئاً فشيئاً ، وإذا الطعنة الغائرة قشرة عالقة ، ربما خيل إلى الرائي أن وراءها ثغرة ؛ وإذا القشرة نفسها تسقط بعد لحظات ، وكأن لم يكن جرح ولا ثغرة ولا قشرة !

وكذلك تصنع بالجروح الغائرة في حنايا القلب وشعاب الضمير . . . !

وإنك لـكامن هناك وراء البرعم المستكن في البذرة الساكنة تدفعه في رفق ، وتمده في هدوء ؛ ثم تنبثق به إلى الضياء نبتة ناحلة كابتسامة الوليد ؛ ثم إذا هو فنن صغير ، ففرع كبير ، فدوحة باسقة ، ذات أوراق وأزهار وثمار . . . ثم ما ذا — أيها الساحر القادر — ثم إذا هي خشبة خشنة اللحاء يابسة اللباب ؛ ثم إذا هي وقود للنار ؛ ثم إذا هي شعاع ذاهب ، وهباب راسب . وأنت هناك من خلفها دائب في الإبلاء والإنشاء ! . . .

وكذلك تصنع بالأمل البازغ ، والحب الوليد . . . !

إنك لا تضيع لحظة واحدة ! ويحي ! وما اللحظات لديك ؟ ليخيل إليّ أنك تسخر منا ونحن نقسم الوقت لحظات ! وكيف نعرف حدودها فنقول : من هنا تنتهي اللحظة الغابرة وتبدأ اللحظة الحاضرة ! والوقت خيط طويل يلفه لولب الزمن فيمر بنا أو نمر به بلا توقف ولا فواصل ولا حدود ؟ . . . ما اللحظات والثواني والدقائق والساعات ؟ ما أولها وما آخرها ؟ . . . ما من أول لها ولا آخر إلا في أوهامنا نحن أبناء الفناء !

إنك هناك وراء منسجك الأبدي تبلي وتجدد في آن ، بعيداً عن الحس والوعي ، بعيداً عن التأمل والملاحظة ، بعيداً عن الشك والريبة . وربما خيل لبعض السذج أن يرقبوك في عملك الدائب ، فإذا أنت تبدو لهم ساكناً صامتاً كلما أمعنوا في الوعي والرقابة ، بينما أنت تعمل عملك ، تنسل وتنسج في كل شيء ، حتى في وعيهم ورقابتهم وهم لا يشعرون !

أيها الساحر القادر . . . إنك لتحتفظ دائماً بسر اللحظة الحاضرة ، فلا تدع عيناً ترقبها ، ولا حساً يدركها ، ولا فكراً يؤولها ، ولا نفساً تلهمها . . . إنها لك وحدك . تنسل خيوطها وتنسج سواها ، ويدك التي تنسل الخيط القديم هي التي تنسج الخيط الجديد ، موصولاً هذا بذاك ، فلا مبدأ ولا نهاية ولا فاصل بين الخيطين تدركه العين أو الضمير . . . فإذا خرجت من منسجك أبحتها لحظة عابرة للأبصار والأفـكار ، ربما تنسل وتنسج نفس هذه الأبصار والأفـكار

وقد يحاول بعض السذج أن يقفوا دورتك ، استبقاء للحظة يحبونها أو تفادياً من لحظة يرهبونها ؛ وقد يتشبثون بالأوهام ، ويثبتون أقدامهم بالوقت والمكان ؛ وإذا أنت في غفلة عنهم تمر بهم ، وتنقل أقدامهم وأوهامهم ؛ وأنت تنسل وتنسج خيوط الأقدام والأوهام !

وكم مرة خيِّل إليهم أن هناك مفاجأة وطفرة . وما كان من ذلك شيء ، إنما كنت أنت هناك ، وراء المنسج ، فى صومعتك الأزلية ، تبلى وتجدد ، وتفنى وتخلق ، وتنسل وتنسج ؛ وهم عنك فى غفلة . ثم استيقظوا أو خيل إليهم أنهم استيقظوا ! فهالهم ما أبليت وما جددت ؛ وصاحوا مشدوهين كالأطفال ، وقذفوا فى وجهك بعلامات التعجب والاستفهام بينما أنت دائب على منسجك تبلى وتجدد ، حتى فى ذلك التعجب وهذا الاستفهام !

***

أيها الزمن !

ما أرحمك ! ما أقساك !

إنك لتلأم الجرح وتفتّح البرعم ؛ ولكنك تبلى الكيان وتذوى الحياة . وإنك لتمسح على الألم وتزوى الوجه الرعيب ، ولكنك تطوى اللذة وتحجب الوجه الحبيب

إنك لتمنحنا الجديد وتهبنا الطريف ؛ ولكنك تسلبنا القديم وتحرمنا التليد ؛ لا بل أنت تسرق منا هيا كلنا ونفوسنا ، وتخطف ذراتنا وخواطرنا ، وأيّا كان ما تعوضنا فإن تعويضك محدود بالعمر صائر إلى نفاد ، وفقداننا إلى غير رجعة ولا يستعاد

من ذا الذى يستطيع أن يقول فى لحظة ما : أنا ... أنا ... أنا الذى كنت منذ لحظة ... إن كل شيء قد تغير منذ اللحظة الفائتة ، فليس هو من كان هناك ... إنك فى هذه اللحظة الخاطفة نسلت منه خيوطاً ، ونسجت فيه خيوطاً !

أين الشموس الغاربة وراء الآباد ؟ أين الليالى السارية فى مجاهل الأبد ؟ أين النجوم مندمجة من السديم ؟ أين مولد الأرض بجانب منابع الزمن ؟ أين أول فجر وأين أول حى على هذه الكرة السابحة فى الفضاء ؟ أين إنسان الغاب فى الكهوف والآجام ؟ أين الزلازل والأعاصير ؟ أين النسائم والنفحات ؟ أين الوسوسة والخرير ؟ أين الرفرفة والصدحات ؟ أين البسمات التى رفت على الشفاه ؟ أين العبسات التى غضنت الجباه ؟ أين الهواجس والأفكار ؟ أين الرغائب والأوطار ؟ أين الحب والبغض ؟ أين الهيام والسلوان ؟ ؟ ...

أين ... أين ... ؟ بل أين كلمة « أين » هذه التى لفظتُها منذ لحظة ؟ بل أين المقطع الأخير من « أين » الأخيرة ؟ ...

لقد نسلت خيوطها ونسجت سواها ... وهأنت ذا دائب على المنسج الأبدى الجبار !

هأنذا أعيد تلاوة هذه السطور التى خطتها يدى ؛ ولكنها ليست هى كما خطتها ، ولست أنا كما كنت لحظة تسطيرها ... إنك نسلت ونسجت فى خيوط يدى ونفسى ، وفى حركاتى وخواطرى ؛ وفى خيوط الصحيفة التى حوتها ، وفى خيوط المداد الذى أثبتها ... وهأنت ذا لا تزال تنسل وتنسج فى هؤلاء جميعاً ولن يكون شيء منها كما كان مرة أخرى !

***

أيها الزمن !

ما أعجبك ! ما أقدرك ! ما أرحمك ! ما أقساك ! ...

« حلوان » سيد قطب

على هامش الحرب

الديمقراطية البريطانية
وأثرها في الحرب الحاضرة

تسربت الديمقراطية — كنظام سياسي — إلى العالم، من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تضمن هذا النظام الاعتراف بما نسميه الآن « حقوق الإنسان » وهى حقه فى أن يعيش حراً ويتكلم حراً، ويعمل حراً، دون أن يتعرض للتعذيب أو السجن. وكان « أبراهام لنكولن » أول من أعلى الولايات المتحدة حكومة تقوم على المبادئ الأساسية لهذا النظام وقد أثر عنه أنه عرف الديمقراطية بقوله: « هى حكم الشعب، للشعب، بواسطة الشعب » أو بعبارة أخرى: « هى حكومة ممثلين للشعب من الشعب ينتخبهم الشعب انتخاباً حراً »

أما فى انجلترا فقد كانت أولى الحركات الديمقراطية الكبيرة تلك التى قام بها « الشارتستس »[1] وقد استمدت فلسفتها من أمريكا، ولكنها منيت بالفشل لأسباب عديدة، وما لبثت أن أعقبتها — بعد فترة من الزمن — حركة أخرى رمت إلى تحقيق « التمثيل العام »، وكان أول وأهم الداعين إليها « برايت » صديق « جوبدن » ومن بعده جاء « جلادستون » الذى تسنى له أن يدرس — خلال برلمان ١٨٤١ — ٤٦ — كثيراً من مبادئ « جوبدن »

استمدت هذه الحركة وحيها من أقوال الفلاسفة الراديكاليين الذين يرجع إليهم — أكثر من غيرهم — تحديد « النظرية الديمقراطية » وتوضيحها. إلا أن نظام الحكومة فى انجلترا كان قد تضمن - من قبل - بعض المبادئ الديمقراطية. ومن أشهر الوثائق التى أشارت تلك المبادئ قانوناً: الوثيقة الشهيرة المعروفة باسم « ماجنا كارتا »، وثيقة الحرية الكبرى لدى الإنكليز: استخلص البارونات هذه الوثيقة من الملك « جون »، وختمت

(١) الشارتستس جماعة من المصلحين كانوا ينادون دائماً بضرورة العمل على سيادة ما جاء فى مطالبهم

فى « رنيميبر » فى اليوم الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٢١٥؛ ومن المبادئ التى تضمنتها:

١ — لا يبقى أحد فى السجن دون محاكمة

٢ — العدالة يجب ألا تباع، أو تؤخر، أو يرفض تحقيقها

٣ — لا يدفع أحد غرامة، ولا يسجن، ولا ينفى إلا بعد محاكمة عادلة، وبموافقة محكمة اللوردات

٤ — أكتسبت الحرية لمدينة « لندن » وعدة مدن أخرى

ثم تأيدت هذه الوثيقة بضع مرات، بواسطة الحكومات التى تولت حكم انجلترا. وفى سنة ١٢١٥ كان السبب الأكبر الذى دعا إلى عقدها، هو الحيلولة بين الملك وبين أن يصبح دكتاتوراً، ويغتصب الحقوق والامتيازات التى كان يتمتع بها البارونات، أى أنها كانت فى الأكثر لفائدة « الأرستقراطية » ولكن الحقوق التى تضمنتها هذه الوثيقة ما لبثت أن أخذت على التدريج تشمل أفراد الشعب، ثم ما لبثت حكومة البلاد بعد ذلك أن أصبحت فى متناول يد كل فرد. وفى النظام الحاضر ما يؤيد ذلك. فمجلس اللوردات يمثل « الأرستقراطية » ومجلس العموم يمثل « الشعب »؛ والمجلس الأخير هو الأشد قوة، والأشمل سلطاناً، ومن حقه على الدوام أن يتأكد من أن مصالح « الشعب » لم تطغ عليها مصالح « الأرستقراطية »

والفرق المهم بين الديمقراطية فى انجلترا، وبينها فى غيرها من البلاد، هو أن الديمقراطية فى انجلترا تقوم - أكثر ما تقوم - على التاريخ والتقاليد. وحسبنا أن نعلم أن المجالس النيابية التى هى أهم مظاهر الديمقراطية الحديثة قامت فى انجلترا منذ القرن الثالث عشر!

وثمة فارق آخر بين « الديمقراطية الإنجليزية » وبين زميلتها الأمريكية، هو أن العاطفة الديمقراطية كانت حتى أوائل القرن الحاضر، زراعية فى أمريكا، بينما كانت وما تزال فى انجلترا، مدنية صناعية؛ ولا يخفى أن الحال تغيرت فى أمريكا فى هذا الزمن، فقد أصبحت العاطفة المدنية الصناعية لا تقل، وربما كانت أزيد، من العاطفة الزراعية

ومن الفوارق الأخرى أن الحركة الديمقراطية كانت فى أمريكا وفى القارة الأوروبية قرينة للحركة الوطنية وللحركات

للعسكرية ، بينما كانت الحال عكس ذلك فى انجلترا . أنظر إلى الثورة الفرنسية وإلى حرب الاستقلال الأمريكية ، تجد أنهما قرنتا الديمقراطية بالقوة العسكرية للدولة ، بينما كانت القوة العسكرية فى بريطانيا قرينة (نقص فى الحرية) ورد الفعل الناجم عن ذلك النقص . واستخدمت انجلترا قواتها العسكرية فى تنظيم الأمم الخاضعة لهـا أكثر مما استخدمتها فى الدفاع عن نفسها ، ومن أجل هذا السبب كانت الديمقراطية الإنجليزية أقل حكومات العالم ميلاً إلى الحرب

وقد أصبح « عدم الميل إلى الحرب » هـذا فيما بعد خاصية من أهم خواص الأمة البريطانية . ومع أن المعروف هو أن الشعب الذى كان لا يحب شيئاً ما ، فإنه عادة لا يتقنه ، فإن هذه القاعدة تشذ ، عند ما يكون ذلك الشعب هو الشعب البريطانى ، ويكون ذلك الشىء هو الحرب . عرف ذلك نابليون سنة ١٨١٥ وقد بدأ (هتلر) يعرفه الآن

عند ما يكون « ذلك الشىء » هو « الحرب » ، تبدأ انجلترا بطيئة ؛ ولـكن متى بدأت ، كان من الصعب إيقاف تلك الآلة الحربية البريطانية الهائلة ، بل قل إنهـا لا تقف حتى ينتهى عملها النهاية الناجحة المرجوة منه . والبدء البطىء والتقدم المتئد يرجعان إلى (الديمقراطية البريطانية)

فى بعض الممالك يستطيع الديكتاتور أن يشن حرباً متى أراد ذلك ، ولـكن — فى انجلترا — لا يستطيع أحد أن يقرر شيئاً ذا أهمية قومية — بل الحرب — دون موافقة الشعب وتأييده الاختيارى له . والإنـكليز يكرهون الحرب لأنهم يعلمون أنها مضيعة ومناقضة للصالح العام . وهم يعلمون ذلك لأن حكومتهم تبيح لهم أن يطالعوا الحقائق فى جرائدهم ، وتشجعهم على أن يفكروا ، ويتحدثوا ، ويعملوا ، بحرية ، ومن أجل أنفسهم وهى هذه المعرفة التى تجعلهم يبطئون فى إبداء موافقتهم وتأييدهم لحرب يعلمون عنها أنهـا تقتضيهم التضحية وتحمل الآلام . وهى الحرية التى يتمتعون بها عند ما يفكرون لأنفسهم ، التى تقنعهم بوجاهة السبب الذى من أجله يحاربون ، وهذا كله هو الذى يصح من أجله القول بأنهم متى وافقوا على أن يحاربوا من أجل الحرية ، فإنهم يوالون الحرب بشجاعة وقوة ، حتى يفوزوا

إنها الديمقراطية التى علمت الإنكليز أن يكرهوا الحرب . وهى هى نفسها التى تعلمهم كيف يقاتلون ، وذلك لأنهم يعلمون السبب الذى من أجله يحاربون . أما فى الدول الدكتاتورية ، فالناس لا يدرون : لم يقاتلون ؟ وهم هناك يغذون بالأكاذيب والتاريخ الزائف ، فلا يجدون مناصاً من الاعتقاد به . وليس ثمة فى وقت السلم ما يؤدى إلى ثلم هذه العقائد ؛ أما فى أوقات الحروب فإنهم يرون أن زعماءهم غذوهم بالأكاذيب والوعود الزائفة ؛ وهذا يؤدى بهم إلى فقدان الثقة بالحـكومة التى أخطأت قيادتهم ، وينتهى بهم الأمر بأن يصيروا عاجزين عن معرفة ما يجب أن يعتقدوه ، وهذا يؤثر فى روحهم المعنوية كمحاربين ، لأنهم متى فقدوا الثقة والعقيدة فقدوا معهما الشجاعة والقدرة على تحمل الآلام .

ألا إن من واجب بريطانيا أن تشكر (الديمقراطية) شكراً جزيلاً ، فهى التى أكسبتها حروبها السابقة ، وهى التى سوف تكسبها حربها الحاضرة ، التى هى أكبر من كل حرب مضت

م . ع

على هامش حادث أليم

للأستاذ عبد الله حسين

روّعت البلاد بالحادث الأليم الذى ذهب ضحيته القائمقام محمد شكيب بك ؛ إذ أن الناس لا يزالون حين يعرضون لتفصيلات الحادث ، تتجاذبهم النواحى المختلفة ، وتجيش فى صدورهم المعانى والعبر التى انطوت عليه . ولا شك أن كل قارئ قد نظر إلى الحادث النظرة التى تتفق وما شهده من أمثاله وما انتهى إليه من الدراسات والعلوم ، وقابل بينه وبين ما وصل إلى مسامعه من أشباهه

ولا مراء فى أن من الصور التى يعرض لها الخاطر معانى الانتقام والريبة والوسوسة وضعف السيطرة على الأعصاب ، والصلات القائمة بين الرجل والمرأة ، وبين القريب وقريبه ، وبين الصديق وصديقه ، وبين الرجل وعدوه ، والوسائل التى تعالج بها المشكلات الاجتماعية ، حتى يسع المجتمع القضاء على ما يخالف القانون والآداب ، وذلك بإزالة البواعث التى تؤدى إلى ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام

ومن واجب المصلحين أن يتناولوا بالتفكير والدراسة علل المجتمع ، وخاصة إذا ما نزلت كارثة ، أو راع الناس خطب عظيم

ولما كان المقام لا يتسع للافاضة فى كل ما انطوى عليه ذلك الحادث الذى ذهب ضحيته ضابط كبير وشاب فى مطالع الشباب ، بل ذهبت ضحيته فتاة كانت لها آمال فى حياة زوجية ، وفزع من أجله صديق برىء لا ناقة له فى الحادث ولا جمل ، اللهم إلا رفقة تبرع بها كرهاً ؛ فإننا نحاول فى هذه الكلمة أن نعالج معنى من هذه المعانى التى قدمنا الإشارة إليها . ذلك أننى عرفت منذ بضع سنوات أحد الموظفين الذين لم يوفقوا فى حياتهم الزوجية لأسباب تتعلق بما كان يملأ رأسه من بواعث الوسوسة والإسراف فى سوء الظن ، وإن بعض الظن إثم

كان صاحبى هذا يستريب من كل شىء ، ويشك فى كل حركة ، لأنه مصاب بآفة سوء الظن فى خلق الله جميعاً وفى مقدمتهم المرأة . فكان يعود فجأة إلى داره لكى يقف على ما تفعله زوجه : أظلت قابعة فى الدار ، أم خرجت على غير انتظار ؟ وهل بقيت فى ثيابها المنزلية ، أم ارتدت ثوباً نظيفاً ؟ فإذا رآها فعلت ذلك ، أطلق لسانه فيها متسائلاً عن سر النظافة ودواعيها ، ذاكراً أن هذا لا بد قد دعا إليه رغبة فى نفسها لكى تلفت أنظار الرجال إليها

فإذا أجابته أنها داخل الدار حيث لن ترى من الرجال غيره ، مضى إلى النافذة المحكمة الإغلاق ونظر إلى الشارع ، حتى إذا لمح الشرطى يقف هنيهة أمام الدار ويلتفت صعداً قال الزوج لزوجته: ها هو الشرطى يقف أمام دارنا ويحدق نظره فى النافذة! إنه عشيقك ، ولا شك ، وهو ينتظرك ويريد منك أن تتحدثى إليه ... ها هو يبتسم . إنه يبتسم لك . يا فاجرة ...

فإذا حدث أن كانت تصحب هذه الزوجة زوجها إلى زيارة أقاربها ، أطلق فيها لسانه ، كلما مر رجل ينظر إليهما نظرة عارضة ، مشيراً إلى أن الناظر رجل يعرفها وتعرفه ، وأنه يومىء إليها لحاجة فى نفس الشيطان !

وهكذا كان أسلوب حياة الزوجين يجرى يومياً على هذا المثال ، حتى وقع ما ليس منه بد ، وهو الطلاق والفراق إلى حيث لا تلاق ، حتى آثرت الزوجة المطلقة أن تفر من مطلقها إلى واق الواق ...!

تلك صورة من صور بعض الأزواج ، وتلك حال زوجاتهم معهم ، ومن العسير أن يقف الناس على الحقيقة ، فإن الناس مطبوعون على إساءة الظن بالمرأة ظالمة كانت أو مظلومة

ومن أجل ذلك وجب على الذين يتتبعون عورات المجتمع ، ألا تفوتهم دراسة النواحى المختلفة ، وألا يتعجلوا بتصديق كل ما يروى ، فإن الحياة مليئة بالغرائب والمدهشات والشذوذ . ومن الإساءة إلى الحق وإلى الإصلاح المنشود ، أن يستقر الرأى على عقيدة لم تمهد إليها دراسة صادقة ، ولم ينته إليها تفكير صحيح وإنما بعث عليها وهم قديم أو ظلم مقيم .

عبد الله حسين

مرثية محمد محمود باشا

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

دفنتْ وراءكَ فجرَها الأيامُ — سِيّانِ بعدكَ صحوةٌ وظلامُ!
نفضَ الردى معنى الحياةِ بخاطري — حزناً، وماتتْ في دمي الأنغامُ
لا الليلُ مسحورُ السكونِ، ولا الضحى — كجبينِ مجدكَ آلقٌ بسّامُ
أنا ذلكَ الطيرُ الذي خلّفتَه — ولظى الهجيرِ لنوحِهِ إلهامُ
تردُ الأسى شبّابتي فكأنها — حطبٌ يجاذبُ صفحتيهِ ضرامُ
وكأنّ عمري زهرةٌ بريّةٌ — لا الظلُّ ينعشُها ولا الأنسامُ
وكأنّ روحي في الدجى صبّارةٌ — بينَ القبورِ حديثُها إعجامُ
سُقيتْ بدمعِ الثاكلينَ فأطرقتْ — ثكلى تفزّعُ صمتَها الأحلامُ
ماذا دهى وترى وكان مجلجلاً — بعلاكَ تنقلُ شدوَهُ الأجرامُ؟
شلّتْ عليهِ أناملي وتململتْ — كبدي وغشّتْ حيرتي الآلامُ
فوجمتُ كالمأخوذِ أيُّ بقيّةٍ — للوعي تنشدُها بهِ الأوهامُ!
أرثيكَ، يا لخطيئةِ الدنيا وهلْ — يرثي المعاني الشمَّ فيكَ كلامُ

ضجّ الأثيرُ وقد رمى الناعي به — خبراً لديهِ انشقّتِ الأفهامُ
والنيلُ كادَ جوًى تميدُ ضفافُهُ — وتصوّحُ الربواتُ والآجامُ
والشرقُ في جلّلهُ السوادُ، فقدسُهُ — دامي الحشا، وعراقُهُ، والشامُ
والأرزُ مرتعشُ الضفائرِ ذاهلٌ — بثّتهُ نارَ جراحِها الأهرامُ!
أمحمّدُ كذبَ النعاةُ فلم تمتْ — من ربعَ يومَ فراقِهِ الإسلامُ
ومنِ التفتْ مصرٌ وراءَ ركابِهِ — شيَماً يؤلّفُها أسًى ووئامُ
ومنِ اصطفاهُ المجدُ حتى لم يكنْ — إلا لهُ صرحُ النجومِ مقامُ
ومنِ انتضى الأخلاقَ سيفاً شرعُهُ — أنّ الغمودَ على السيوفِ حرامُ
ومنِ استعارَ النورَ حجّتَهُ فلا — زيفٌ ولا رهبٌ ولا إيهامُ
ومنِ استجارَ القيدُ حين أذاقَهُ — لهباً يؤزُّ جحيمَهُ الإقدامُ
ومنِ النزاهةُ كالضحى لا رأيُهُ — يزورُّ عن فهمٍ ولا الأحكامُ
ومنِ الحديدُ يُفلُّ دونَ عنادِهِ — إنْ رامَ كيدَ بلادِهِ ظلّامُ
فلكٌ يهابُ الدهرُ بأسَ مدارِهِ — دارتْ عليهِ بضعفِها الأسقامُ
وطواهُ من حصدَ السنينَ بمنجلٍ — ضافي الجلالِ يقالُ عنهُ: حِمامُ!
قدرٌ رمى قدراً على راحاتِهِ — يتبيّضُ من ليلِ الخطوبِ قتامُ
وأتاهُ والأيامُ حولَ سريرِهِ — أبداً يرقرقُ طهرَها الإحرامُ
تدعو السماءَ لعلّ كفَّ طبيبِهِ — رغمَ القضاءِ يعودُها الإلهامُ!
والليلُ تجأرُ بالدعاءِ نجومُهُ — ويئنُّ تحتَ قبابِهِ الإظلامُ
والعائدونَ الجازعونَ حديثُهم — كدموعِهم باكي الصدى همهامُ
والقصرُ مخنوقُ السكينةِ شاردٌ — سجّاهُ في لهبِ الذهولِ منامُ
هتكَ الردى أستارَهُ، فإذا بهِ — قلبٌ يمزّقُ صفحتيهِ حسامُ
وإذا «محمّدُ» أمّةٌ محمولةٌ — فوقَ الرقابِ تلفُّها الأعلامُ
وقصيدةٌ دهريّةٌ يبلى البلى — ونشيدُها تجثو لهُ الأيامُ
من كانتِ الدنيا تهابُ جوارَهُ — أمسى يجاورُهُ حصًى ورجامُ
يا زيفَ هاتيكَ الحياةِ! ويا لها — دنيا حقائقُ سرِّها أوهامُ!

لمحتهُ صحراءُ الإمامِ فأوشكتْ — تخضرُّ في يدِها بلًى ورِمامُ
وتنفّستْ نفسَ الربيعِ كأنما — فضّتْ فوائحَ عطرِها الأكمامُ
وكأنها ظمأى إلى نبعِ الهدى — والطهرُ يقلقُها صدًى وأوامُ
لمحتهُ فارتجزتْ مسابحُ رملِها — لحنَ الجلالِ وكبّرَ النُوّامُ!
وتواكبَ الشهداءُ أيُّ مودِّعٍ — هذا الذي خفّوا إليهِ وقاموا؟
وقفوا معَ التاريخِ صوبَ ركابِهِ — يحدوهمُ التقديسُ والإعظامُ
والشمسُ شلّاءُ الشعاعِ بكى لها — لمّا بكتكَ إلى الغيوبِ غمامُ
غربيّةٌ ودّتْ لوِ انشقَّ الدجى — وأضاءَ ليلَكَ طرفُها السجّامُ
لِمَ لا ومجدُكَ سارَ في أبراجِها — وعلاكَ منها يرتجى ويرامُ!

يا مرسلَ النظرِ البعيدِ بخاطرٍ — في غيبِهِ تتعثّرُ الأحلامُ

مجـــد بغداد

للأستاذ محمود رمزي نظيم

في سنة ١٩٣٦ زار مصر وفد عراقي كان بين رجاله شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي وألقى قصيدة حيا بها مصر ، ودعا الأستاذ محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ يومئذ ورئيس الرابطة العربيـة الوفد العراقي إلى داره بحدائق القبة ، ونظم صاحب الامضاء هذه القصيدة يحيي بها العراقيين وشاعرهم ، ولم تسمح الظروف بالقائها ولا بنشرها . وقد رأى تسجيلها اليوم في الرسالة لتخلد بخلود هذه الصحائف

أهلا بسادة بغداد وشاعرها ... من شاد بالشعر ركنا في مفاخرها
تهز أعطافها تيهاً قصـائده ... لما يصور فيها من خواطرها
في نهضة بعثت بغداد ثانية ... دار السلام لباديها وحاضرها
وآمنت برسول المجد أمتها ... والمجد مازال يجرى في مشاعرها
الهاشمي دعاها يوم صافحها ... بدعوة هي نور في بصائرها
هيهات تذهب بغداد وما صنعت ... والله خلد غرًّا من مآثرها
تلك الرصافة قد عادت مباهجها ... والحسن في الجسر مجد في مرائرها
ونهر دجلة فياض كعادته ... في المجد يربط ماضيها بحاضرها
فكم ليالٍ تغنت في شواطئه ... أصغى الزمان إلى تطريب زامرها
وكم حديث كأزهار الربيع بها ... يفيض في الحي من إلهام سامرها
وكم مجالس علم حوله عقدت ... تجلو القرائح فيها عن جواهرها
واهاً لأيام إخوان الصفاء بها ... وللرسائل تترى في محابرها
قد خلد المجدَ والتاريخ شاعرها ... والعلم والنور من تخليد ناثرها
بالدين والعلم قد سادت أوائلها ... وهكذا الحال يجرى في أواخرها
واليوم عادت لبغداد مظاهرها ... بالجيش أو طائرات في حظائرها
قامت لتحمي من الدنيا كرامتها ... كرامةُ الناس أمست في عساكرها
يا من نزلتم ضفاف النيل تشبهها ... حول الفرات ضفاف من نظائرها
أرض تآخت بغرس في منابتها ... كما تآخت شعوب في حواضرها
وفد العراق بلاد النيل ترمقه ... كأنما هو نور في نواظرها
إن القلوب التي سُرَّت بمقدمه ... تترجم اليوم من أعلى منابرها
بني العروبة حييتم برابطة ... تهدى تحيتها في دار كابرها
دار إذا حلت الأضياف ساحتها ... قامت تهلل ترحيباً بزائرها
أهدى التحية تقديراً لشاعركم ... إن العروبة في زهو بشاعرها
بالأمس قد عطرت مصراً تحيته ... واليوم يسمع منا مثل عاطرها

(الجيزة) أبو الوفاء

محمود رمزي نظيم

قالوا السِّياسةُ قُلْتُ كانَ بهَوْلِها ... الفَارِسُ المُتَجَبِّرُ المِقْدَام !
قالوا الأَمانةَ قلتُ تِلكَ صَحِيفةٌ ... سَيَظَلُّ يَقْرَأُهُ بها الأَقْوام !
قالوا الصَّراحةُ قلتُ رِيحٌ عاصِفٌ ... بِيَدَيْهِ لا رَيْثٌ ولا إِحْجام !
قالوا النَّزَاهةُ قلتُ تِلكَ شَهادَةٌ ... سِيَّانِ فِيها الصَّحْبُ والأَخْصَام
قالوا النَّبالةُ قلتُ أَرْوَعُ آيةٍ ... فِيهِ يُسَاجِلُ نُبْلَها الحُكَّام !
قالوا البيانُ فقلتُ عِفَّةُ مَنطِقٍ ... لَمْ تَقتَرِبْ من طُهْرِها الآثام !
قالوا النَّدَى فأَجبْتُ واهِبُ عُمْرِهِ ... لِلنِّيل تَعْرِفُ جُودَهُ الأَيَّام !
قالوا عُهودُ الشرق قلت شَأَتْ بها ... لِلخافِقَيْنِ عَلَى يَدَيْهِ ذِمَامُ
في الدِّينِ في الأخلاقِ في الحُرَمُ التي ... نَادَى بها لِلعَالَمَ الإِسْلامُ
قالوا.. فقالَ المَوْتُ أَصْبَحَ سِيرَةً ... سَتَظَلُّ تَرْوِي سِحْرَهَا الأَهْرَام
وَأَظَلُّ أَقْبَسُ مِنْ ظِلالِ خُلودِها ... مَجْدًا تُرَقْرِقُ خَمْرَهُ الأَنْغامُ
وَتَذُوبُ رُوحِيَ كُلَّمَا نَادَتْ بِهِ ... مَنْ ذَلِكَ السَّارِي عَلَيْهِ سَلامُ !

محمود حسن اسماعيل



الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامي (*)

تأليف الدكتور زكى محمد حسن

للدكتور محمد مصطفى

لهذا النقد قصة أعرف بها قراء الرسالة قبل أن أمضى فيه . وذلك أن المؤلف قد طلب منى أن أكتب من هذا الكتاب تقريظاً بالانجليزية فى مجلة الآثار القبطية . فلما قرأته رأيت فيه مآخذ لا يسمح لى الضمير العلمى أن أسكت عنها ، ورأيت من اللياقة أن أطلعه عليها ، فتظاهر باغتباطه لتمحيص الحق ، ولكنه لم يكد يعلم أن النقد أوشك أن ينشر فى المجلة حتى نسى أخلاق العلماء ، فحاول أن يمنع المجلة من نشره ، وسعى إلى بالصداقة مرة وبالعداوة أخرى أن أكف من نشر النقد أو أعدل فيه ، فنزلت بعد لأى على حكم بعض الأصدقاء وحذفت من النص الانجليزى بعض الفقرات ولكنى رأيت واجب الأمانة العلمية يقضى بإيثار الحقيقة على الصداقة فعزمت على نشره كاملا فى الرسالة

بدأ المؤلف كتابه ببيان عن الأسرات التى حكمت إيران، ثم أعقبه بالكتابة عن مقام إيران فى تاريخ الفنون ، وتلا ذلك بتقسيم الطرُز الإيرانية فى الفن الإسلامى إلى الطراز العباسى ، والطراز السلجوقى، والطراز الإيرانى المغولى أو التترى، والطراز الصفوى، متناولاً العمارة والخط والتذهيب والتصوير والتجليد والسجاد والخزف والمنسوجات والتحف المدنية والزجاج والخشب فى كل من الطرز السالفة الذكر ؛ وخرج من ذلك إلى الكلام عن العناصر الزخرفية الإيرانية فى العصر الإسلامى ، وتأثير الفن الإيرانى الإسلامى على الفنون الأخرى ، واختتم ذلك بذكر بعض ميزات الفن الإيرانى . وألحق بكتابه باباً ذكر فيه المراجع ، وتلاه بكشاف عام ، وفهرس للوحات ، ثم أورد اللوحات وخريطة لإيران

وقد كانت إيران كما يقول المؤلف فى كلامه عن مقام إيران فى تاريخ الفنون (ص ١١) : « ملتقى الفنون القديمة فى الشرق الأدنى ، ونمت فيها أساليب فنية ، تأثرت بفنون بابل وآشور ومصر والهند وبلاد اليونان ، وانتشرت فى العصور القديمة والعصور الوسطى ، وأثرت فى فنون الأمم الأخرى »

وكان لفتح الإسكندر الأكبر لإيران ، ولأمراء الإغريق الذين آلت إليهم إمبراطورية الإسكندر ، أثر كبير فى نشر الثقافة الإغريقية فى الشرق الأدنى . ثم استولت دولة بنى ساسان على مقاليد الحكم فى إيران منذ سنة ٢٢٤ ميلادية ، وقضى ملوكها السنين الطويلة فى حروب ومناوشات مع الدولة البيزنطية فى الغرب إلى أن جاء الفتح الإسلامى ووضع حداً لذلك

ويقول المؤلف (ص ١٢) : « ولم تكن تلك الحروب الطويلة فى العصر الساسانى تمنع الشعب من العناية بالفنون الجميلة بل كانت من أهم عوامل الاتصال بين الشعبين العظيمين فى ذلك الحين : الإيرانيون (كذا) والإغريق ، فزاد التبادل الفنى رغم أنف الفريقين، وتسرب إلى فنون بيزنطة كثير من الموضوعات الزخرفية الإيرانية ، ولم تلبث هذه الموضوعات أن اندمجت فى الفنون البيزنطية اندماجاً تاماً . ثم نقلتها أقاليم البحر الأبيض المتوسط التى كانت تابعة لبيزنطة فى ذلك الحين . ويبدو ذلك واضحاً فى زخارف كثير من المنسوجات التى عثر عليها المنقبون عن الآثار فى مصر العليا ، كما يظهر أيضاً فى كثير من الزخارف التى استخدمت فى العصر القبطى ، ولا سيما الرسوم المحفورة فى الحجر والخشب »

ولكن المؤلف لم يذكر فى هذا الفصل شيئاً عن مدى هذا « التبادل الفنى » بين دولة بنى ساسان من جهة وبيزنطة ومصر من جهة أخرى ، ولا عن نوع هذه « الأساليب الفنية » و « الموضوعات الزخرفية الإيرانية » ، بل لم يذكر شيئاً عن ذلك فى أبواب كتابه الأخرى إلا ما كتبه فى بابى المنسوجات والتحف المدنية عن بعض أنواع الزخارف وأشكال التحف الفنية . وقد كنا نود أن نعرف مبلغ هذا التبادل فى الأساليب الفنية ومقدار تأثيرها فى الفن الإسلامى ، إذ أن الإسلام أخذ الشىء الكثير من هذه الأساليب مجتمعة أو متفرقة عن حضارات البلاد التى كانت قائمة قبيل الفتوح الإسلامية ، ألا وهى إيران وبيزنطة ومصر ، وكون لنفسه منها فناً ذا شخصية خاصة به

(*) نشر هذا النقد باللغة الانجليزية فى المجلد السادس من مجلة الآثار القبطية الصادر فى هذا الشهر

أما عن تقسيم الطرز الإيرانية فى الفن الإسلامى إلى أربعة طرز مبتدئاً بالطراز العباسى فالسلجوقى فالإيرانى المغولى أو التترى ثم الطراز الصفوى، فإن المؤلف لم يذكر لنا الأسباب التى جملته يفضل هذا التقسيم . وإنى لا أتفق تماماً مع المؤلف فيما يختص بالطراز العباسى ، إذ أن هذه التسمية لا تطابق التقاليد الفنية التى ورثتها إيران عن الساسانيين، لأن حالة سائر الفنون الإيرانية فيما قبل العصر السلجوقى ظلت — كما قال المؤلف فى ص ٢١٤ — « مدة طويلة لا تعرف من التجديد ما يخرجها تماماً من دائرة الأساليب الفنية الساسانية » . ففى العمارة (ص ٤٤) « تطورت الأساليب الساسانية تطوراً بطيئاً » ، وفى التصوير (ص ٨٤) أولى مدارس التصوير هى مدرسة العراق أو المدرسة السلجوقية، وفى السجاد (ص ١٤٨) : « أن أقدم السجاجيد الإيرانية المعروفة ترجع إلى العصر السلجوقى » ، وفى الخزف (ص ١٦١) « كانت صناعة الخزف من أهم الميادين التى حاز فيها الإيرانيون المكانة الأولى بين الأمم الإسلامية » ، وإذا استثنينا الخزف ذا البريق المعدنى الذى اختلف مؤرخو الفن فى موطن صناعته — إيران أو مصر أو العراق — فإن أنواع الخزف الأخرى حافظت كلها على الأساليب الفنية الإيرانية ، وفى المنسوجات (ص ٢١٤) : « إن صناعة النسيج فى إيران ظلت فى القرون الأولى بعد الإسلام متأثرة بالطراز الساسانى » ، وفى التحف المعدنية (ص ٢٣٨) « أن ما صنع منها فى العصر الإسلامى ظل محتفظاً بالأساليب الفنية الساسانية إلى حد كبير »

ومن العبارات السابقة المنقولة من كتاب المؤلف نجد أن الأستاذ زكى محمد حسن نفسه يعترف باستمرار أثر الفن الساسانى فى إيران فى القرون الأولى من العصر الإسلامى

وإذا استعرضنا تاريخ إيران فى العصر الإسلامى[1] نجد أنها ظلت تحت الحكم المباشر للدولة العباسية فى بغداد إلى سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) أى سبعين سنة فقط . فقد قامت فى إيران بعد ذلك عدة دول كان بعض أمرائها يدعون أنهم من نسل الساسانيين ، وكانوا يشجعون الشعراء والفنانين على إحياء التقاليد الفنية الساسانية وقرض الشعر باللغة الفارسية ، فظهر بينهم « رودكى » عميد شعراء الفرس ، وكتب الفردوسى ملحمته « الشاهنامة »

(١) راجع الدكتور زكى محمد حسن « التصوير فى الاسلام عند الفرس » ص ٧ وما بعدها

وهذه الدول هى : الطاهرية والصفارية والسامانية ودولة بنى بويه

ويقول المؤلف (ص ١٧) : إن الطراز العباسى فى إيران يمتاز فى الفنون التطبيقية أو الفرعية باستخدام الموضوعات الزخرفية الساسانية مع تهذيب بسيط يجردها فى بعض الأحيان من العنف والقوة

وهذا يقارب فى مجمله ـ وإن كان يتناقض فى الموضوع ـ مع ما قاله الأستاذ بوب[2] من أن الطرز الإيرانية أيام حكم الخلفاء العباسيين ، استمرت تظهر فى صفات الحماسة والبطولة الساسانية، فكل شىء كان بسيطاً وجريئاً وقوياً ... وفى جهات معينة من إيران تحكم خلق البساطة والقوة هـذا فى الفنون خمسة قرون أخرى بعد الفتح الإسلامى

وإذا بحثنا فى إيران عن تأثير الطراز العباسى — أو بعبارة أخرى طراز سامرا (٨٣٨ — ٨٨٣ م) ، وهو أول الطرز الإسلامية الحقة — نجد أن هذا الطراز الجديد فى الإسلام يظهر فى إيران بعد هجر سامرا بمدة طويلة ، أى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وذلك فى جامع نايين ، وقد قال الأستاذ بوب فى ذلك[3] :

« حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد نجد الطراز الجديد مجسما تجسيما بديعاً فى الزخارف الجصية فى نايين ، وأخذت هوامش نسخ القرآن الشريف تَغنى بالرسوم الدقيقة ؛ وفى هذا الوقت بدأت تختفى التقاليد الساسانية فى الحيوانات الخرافية ، ولكن قوة الفن الساسانى لم تنهك بعد ، بل استمرت فى التعبير عن نفسها فى الأشكال القوية النبيلة من الأوانى النحاسية التى كانت تنادى بما ورثته من شعب الأبطال الساسانى بالرغم من التكفيت (التطعيم فى النحاس) الذى كانت غنية به ، ولا تزال الموضوعات والزخارف الساسانية ترمم إلى يومنا هذا »

ومما تقدم يتبين أن اصطلاح « الطراز العباسى » لا يمكن إطلاقه على الفن الإيرانى فيما بين الفتح الإسلامى لإيران والعصر السلجوقى ، وكذلك لا يمكن إطلاق اصطلاح « عصر الانتقال » على هذه الفترة لأن التأثيرات الساسانية الفنية — كما رأينا — استمرت حتى بعد ذلك العصر . وإنى أقترح لهذه الفترة استعمال

(٢) A. U. Pope : An Introduction to Persian Art after the Seventh Century, Oxford 1930, p. 8.

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠

« العصر الإسلامي الأول » Early Islamic Period ، وهو نفس التعبير الذي يستعمله مؤرخو الفنون الإسلامية الذين اشتركوا في كتابة كتاب A Survey of Persian Art[٤] عند تقسيم كلامهم في الموضوعات المختلفة عن الفن الإيراني في العصر الإسلامي[٥]

وإذا رجعنا إلى كلام المؤلف نجد أنه لم يستعمل اصطلاح « الطراز العباسي » في كتابه إلا في موضعين اثنين : أحدهما (ص ١٧) عند تقسيم الطرز الإيرانية ، والثاني (ص ٢٩٠) حين تكلم عن « أثر إيران في الطراز الإسلامي العباسي » . أما في باقي أبواب كتابه فلم يحافظ على هذه التسمية ، بل استعمل اصطلاح « فجر الإسلام »[٦] متأثراً في ذلك — كما يبدو لي — بطريقة S. P. A.

وفي كلام المؤلف عن الطراز السلجوقي قال في (ص ٢٤) « أجل ، وفق الخزفيون بمدينة الري في القرن السادس (منتصف القرن الثاني عشر الميلادي) إلى صناعة الخزف ذي البريق المعدني ويسمونه ميناني »

وأظن أن هذا غير ما يقصده المؤلف ، لأن الخزف ذا البريق المعدني نوع آخر يختلف عن الخزف المسمى ميناني كما ذكر ذلك فيما بعد (ص ١٦٨ ، ١٨٩) . وأظن كذلك أن المؤلف يقصد هنا النوع الثاني فقط ، لأن الخزف ذا البريق المعدني معروف منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) (ص ١٧٢) ، ولأن نسبته إلى إيران لا تزال موضع خلاف بين مؤرخي الفنون (ص ١٦٩)[٧] ، وفضلاً عن ذلك يقول الأستاذ بوب[٨] إن نوع الخزف في البريق المعدني في مدينة الري « أخذ في الانحطاط المستمر منذ أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، وربما رجع ذلك لسببين : ازدياد ضغط مزاحمة الخزف ذي البريق المعدني المصنوع في مدينة قاشان ، وارتقاء صناعة جديدة في نوع معين من الزخارف على الخزف ، قدر لها أن ترفع الفن إلى منتهى درجات الكمال » إلا وهي صناعة الخزف المسمى « ميناني »

والآن إذا حذفنا كلمات « الخزف ذي البريق المعدني » من جملة الدكتور زكي السالفة الذكر ، فإن العبارة التي تتلوها في كتابه لا تتناسب تماماً في معناها مع وصف الخزف من نوع « ميناني »[٩]

وفي كلام المؤلف عن العمارة يقول (ص ٥٠) تحت عنوان « العقد المدبب الإيراني » ، « وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ذاع استخدام العقد المدبب ، الذي أصبح من ميزات العمارة الإسلامية . وسرعان ما عم استعمال العقد المدبب في كل العمائر الإيرانية وصار ينسب إلى إيران » ، وكذلك في (ص ٢٩٠) يقول المؤلف : « ويمكننا أن نتبين الأساليب الفنية التي انتقلت منها (بغداد) إلى سائر الأقطار الإسلامية ، والتي لا شك في أنها إيرانية الأصل ، ومن ذلك العقد المدبب »

ولم يذكر لنا المؤلف هنا المراجع التي اقتبس منها والتي جملته يقطع بأن العقد المدبب إيراني الأصل ، مع أنه ذكر بين المراجع التي جمعها في آخر الكتاب عدة كتب عن العمارة . يقول الأستاذ كريسويل في أحدها ما يأتي[١٠] : « وهكذا يتبين أن السبعة نماذج الأولى من هذا الشكل (العقد المدبب) توجد كلها في سوريا ، وبناء على هذه الحقيقة يجب ألا نأخذ بآراء الأساتذة رودوكاناكيس Rhodokanakis وديسو Dussaud وديل Diehl وهرتزفلد Herzfeld الذين يقولون إن العقد المدبب إيراني الأصل »

وهذا رأي جدير بالاعتبار في أن العقد المدبب ليس إيراني الأصل . وقد كنا نود لو أن المؤلف ناقش هذا الرأي لنعلم الأسباب التي جعلته يقطع بأن العقد المدبب إيراني الأصل . وكذلك في كلامه عن الأقباء والقباب والمآذن والمقرنصات لم يذكر من المراجع سوى « دائرة المعارف الإسلامية »

وعلى ذكر المراجع أقول : إنني عندما لاحظت قلة عدد المراجع التي ذكرها المؤلف في حواشي كتابه بالنسبة للعدد الكبير من المراجع التي جمعها في آخر الكتاب ، رأيت أن أعدها بنفسي

(٤) A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present, editor, Arthur Urpham Pope, Assistant editor : Phyllis Ackerman, Oxford 1938 — 1939. وسأستعمل لهذا الكتاب هنا الحروف : S. P. A.

(٥) انظر S. P. A. ج ٢ ص ١٤٦٥ و ١٤٦٦ و ج ٣ ص ١٩٩٥ و ٢٢٧٦ و ٢٤٦٦ و ٢٥٩٥ و ٢٧٠٥ .

(٦) انظر ص ١٦٥ و ١٦٩ و ٢١٠ و ٢٣٧ .

(٧) راجع أيضاً A. U. Pope, Ceramic Art in Islamic Times in : S. P. A., II p. 1487 ff.

(٨) نفس المرجع ، ص ١٥٥٩ وما بعدها .

(٩) من هذا النوع من الخزف انظر A. U. Pope ، نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٥٥٩ وما بعدها .

(١٠) انظر ص ٢٨٠ من كتاب : K. A. C. Cerswell; Early Muslim Architecture, Oxford 1932.



حول العصبية فى الجماعات الدينية

يا أخى الأستاذ الزيات

السلام عليكم

قرأت الآن مقالك « العصبية داؤنا الموروث » فرأيته نفثة من عربى مصرى مسلم يأسى لما جره الخلاف على قومه فى ماضيهم وحاضرهم، ويطب لهذا الداء بالحكمة والموعظة الحسنة، فدعوت لك ولكل داع إلى الخير فينا ، وسألت الله أن يجمع عقولنا وقلوبنا وأيدينا على الحق والخير . ولكنى أخذت على الأخ أنه عدّد الجماعات الإسلامية فى مصر ، بعد أن عدّد الأحزاب السياسية ، يرى أن هؤلاء وهؤلاء أنشأتهم العصبيات وفرقت بينهم . ولست أرى رأيك فى الجماعات الإسلامية التى ذكرت ؛ فما أحسب أن تعددها لعصبية أو تنافس ، ولكن أراه تعاوناً على مقصد عظيم ، تتوسل كل جماعة بإحدى وسائله . وحسبك حجة على ما أقول أن هذه الجماعات لا تختلف فيما بينها ولا تتحاسد ولا يفترى بعضها على بعض ؛ وكثيراً ما تتعاون فى أعمالها ، وإن هذه الجماعات لا ينال القائمين بها إلا إنفاق أوقاتهم وأموالهم ابتغاء الخير ولا يطمع أحدهم فى جر مغنم نفسه أو نيل سلطان من وراء عمله .

وقد دعا داع إلى توحيد هذه الجماعات فلم ينفر أحد من هذه الدعوة بل تلقتها الجماعات بالتفكير فيها والنظر إلى ما يرجى منها . وإذا رأوا أن توحيد الجماعات أجدى عليهم ، وأقرب إلى غايتهم ، فعلوا غير مفكرين فى عصبية أو هوى أو رياسة أو جاه .

فإن استثنى الأستاذ الفاضل هذه الجماعات من داء العصبيات كان أقرب إلى الصواب ، وحسن الظن ، والسلام .

عبد الوهاب عزام

يا أخى الدكتور عزام

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء ، لأنى أعلم أن إخوان (قبة الغورى) لم يتآخوا إلا لجمع شتات المسلمين وأجتماعهم على كلمة التوحيد ، وهم بطبيعة مبدئهم لا ينفرون من دعوة الاتحاد . أما الجماعات الأخر فإن عندى من أخبارهم ما يدل على أن ما بينهم من التنافس والتحاسد مثل ما بين الأحزاب السياسية من ذلك . ولنا عودة إلى هذا الموضوع

(الزيات)

شعر ذو وجهين

فى أواخر سنة ١٩٤٠ تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك برتبة « باشا » على الوزير العالم الفيلسوف الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، وغداة ذلك اليوم أسمعنى صديقى الشاعر الشيخ أحمد الزين أبياتاً فى تهنئة الوزير على مسمع من زملائنا بدار الكتب وحملنى أمانة روايتها إلى معالى الوزير — ولعلى فعلت

وفى فبراير سنة ١٩٤١ تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك برتبة (البكوية) على الأديب الكبير الأستاذ أحمد بك أمين ، وإذا بمجلة الثقافة تنشر الأبيات نفسها موجهة إلى الأستاذ أحمد أمين بك فى عددها الأخير

أما الأبيات فهى :

حبوه بهـا أم حبوها به ... لقد حرت : أيهما يزدهى ؟

وما فخر من ليس بالمنتهى ... على أن تقلّد ما ينتهى ! !

لقد نلت ما تشتهى من فخار ... ونال بك الفخر ما يشتهى

وليس الشاعر هو الذى (حار) وإنما الحائر

« أنا »

إلى ناقدى لغة فى مقالى الثالث

قلت أيها الناقد المشكور : « من النفع والخير أن يخطئ الكبار فى حين من الأحايين حتى ينقدوا فتغنى اللغة ويستفيد الناس » . وأنا معك فيما تقول ، ولكنى أزيد : « ومن السهل

على سبيل العلم بالشىء » ، فوجدت أنه ذكر فى حواشى الكتاب واحداً وستين مرجعاً فقط من الثنين والثلاثة والعشرين مرجعاً المذكورة فى آخر الكتاب . وقد كان بودى لو أن المؤلف أكثر من كتابة الحواشى وذكر المراجع التى أخذ منها لتتم الفائدة العلمية . وبهذه المناسبة أقول إن عدد المراجع ٢٢١ لا ٢٢٣ لأن المرجع رقم ٤ تكرر فى رقم ١٩ ، والمرجع رقم ١٢٦ تكرر فى رقم ١٣٠ . وإذا أضفنا إلى هذه المراجع ٦٤ مرجعاً أخر ذكرها المؤلف فى حواشى الكتاب ولم يذكرها مع المراجع فى آخره ، كان عدد المراجع التى جاء ذكرها فى هذا الكتاب ٢٨٥ مرجعاً .

(له بقية)

محمد مصطفى

أن يقال لكاتب عربي قد أصبت ، ولكن من الصعب أن يقال له إنك أخطأت » . وإنما زدت ذلك لأن لغتنا كثيرة مناحى الصواب ، ومن هذه الناحية خذ فيما سألت الجواب :

١ – أخذت على جمع نخور على نخورين بالتصحيح حاتماً أن يكون جمعه على نُخُر بالتكسير، تريد أن نخوراً وصف مشترك بين الذكور والإناث وما كان كذلك لا يجمع جمع تصحيح ، ولكنك نسيت أن هذا الشرط محل خلاف بين النحويين ، ولم يكن النابذون له آحاداً، إنما كانوا الكوفيين جميعاً ، ورأيهم أخذت مؤثراً له على رأى البصريين لما فى تصحيحه من إزالة اللبس، ولأن فى سياق عبارتى من التناظر ما يقتضيه ، فهو مسبوق فيها بجمعين صحيحين كما نقلت وهى : « ثم سل تلاميذى الذين تتحدث عنهم يخبروك بما يفحمك مخلصين صادقين ونخورين بتلمذتهم لى » . ألست ترى أنى لو قلت : « مخلصين صادقين ونخراً » لضاع جرس الكلام ؟

٢ – وأخذت على إدخال هل فى قولى : « فهل لا زلت على هذه المباهاة » على ناف وهى لا تدخل على ناف أصلاً محتجاً بقول الرضى، كما أخذت على فى تلك العبارة نفسها إدخال لا على ماض غير مستقبل فى المعنى ولم يكرر هو « زال » محتجاً بما يثبته المغنى . وأنا أسلم بقول الرضى ، ولكنى لا أسلم بأنها دخلت هنا على ناف، فإن الفعل زال ليس فعلاً تاماً وإنما هو فعل ناقص يستلزم كسائر إخوته نافياً قبله، ولو حذف لقدرناه ، وذلك ليفيد مع هذا النافى الاستمرار ثم هو يكون للمستقبل لا للماضى . ألا ترى أن معنى قولى : « فهل لا زلت على هذه المباهاة » هو : « فهل تستمر على هذه المباهاة » . أما إدخال « لا » على ماض غير مستقبل فى المعنى إلا مع التكرار ففضلاً عن أن المعنى هنا للمستقبل كما تقدم هو محل خلاف ، وقد دخلت « لا » فى الفصيح على الماضى الصرف من غير تكرار ، قال الله تعالى : « فلا اقتحم العقبة »

٣ – ثم أخذت على قولى : « ومع هذا فإليك رأيى فى تلك المباهاة » فاهما أن « إليك » معناه تباعد وتنح ، ولكن له معنى آخر هو خذ وإياه أردت . قال صاحب القاموس وهو يذكر معانى « إلى » ما نصه : « وإليك عنى أى أمسك وكف ؛ وإليك كذا أى خذه » . على أن عبارتى لا تحتم أن يكون « إليك » فيها اسم فعل بل تسمه على أنه جار ومجرور محذوف المتعلق المفهوم هو « أسوق » مثلاً والمعنى صالح على التخريجين

هذا ما به أجيب فى إيجاز وهو محقق لما تريد من غنى اللغة واستفادة الناس ، وإليك سلامى .

السباعى بيومى

المجمع اللغوى وتشجيع الإنتاج الأدبى

قررت لجنة الأدب — فى المجمع اللغوى — وضع القواعد الآتية لتشجيع الإنتاج الأدبى

أولاً : تؤلف اللجنة العامة للأدب ثلاث لجان فرعية : لجنة للشعر ، ولجنة للقصة والرواية ، ولجنة للمقالات والبحوث الأدبية من نقد وتاريخ ونحوها

ثانياً : على كل لجنة من هذه اللجان أن تتقصى الإنتاج الأدبى فى الفرع الذى أسند إليها ؛ وأن تقدم تقريراً فى شهر ديسمبر من كل سنة بملاحظاتها للجنة العامة ، يشتمل على سير الحركة الأدبية فى مصر والعالم العربى طول العام ، وعلى ما يمكن أن يمتاز من الإنتاج فى هذا الموضوع امتيازاً يقتضى تشجيع صاحبه تشجيعاً معنوياً أو مادياً

وعلى اللجنة العامة أن تدرس هذه التقارير فى شهرى ديسمبر ويناير وتعرض تقريرها على مجلس المجمع فى شهر فبراير

ثالثاً : يعقد المجمع جلسة علنية فى شهر مارس ، تعلن فيها قراراته فى ذلك وأسبابها ، وينوه فيها بما استحق التنويه به من الآثار الأدبية

رابعاً : ينشىء المجمع بنصف المبلغ المحدد فى ميزانيته لتشجيع الإنتاج الأدبى جائزتين يمنحان كل عام بعد مسابقة فى فرع من الفروع الأدبية يتغير من عام إلى عام

وينشىء المجمع بالنصف الآخر جوائز تمنح لخير ما يكشف من الآثار الأدبية

خامساً : الآثار الأدبية التى تجاز هى التى تتحقق فيها الشروط الآتية :

(ا) أن يكون الأثر مظهراً للانتاج المستقل

(ب) أن يأتى فى بابه بفائدة محققة

(ج) ألا يكون قد سبق نشره قبل السنة التى تتناولها تقارير اللجان التى سبقت الإشارة إليها

سادساً : لا يجوز لأعضاء المجمع أن يشتركوا فى المسابقات ولا يجيزهم المجمع ، ولا ينوه بأثر من آثارهم الأدبية

حول مبدع فن المقامات

كثر الكلام في هذه الأيام على نص زهر الآداب الذي يجعل ابن دُرَيد أبا عُذْر المقامات ومبدعها ، وقد وقف على هذا النص في هذا المعنى الدكتور زكي مبارك أو غيره ، وإني وقفت على كلام للشريشي شارح المقامات الحريرية يذكر فيه هذا النص وأرى أن أسوقه هنا وهو هذا : « وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبّب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بألفاظ بديعة حُوشيّة . فعارضه البديع بأربعمائة مقامة لطيفة الأغراض والمقاصد ، بديعة المصادر والموارد » . أنظر ج ١ ص ١٢ من هذا الكتاب

محمد علي النجار

من أدب آل عبد الرازق

منذ أيام توفي خادم من خدم بيت آل عبد الرازق ، فخرج أهل الفقيد ومعارفه يشيعونه ، وخرج فيهم ، وسار في مقدمتهم ، صاحب المعالي مصطفى عبد الرازق باشا يشيع الفقيد إلى مقره الأخير .

رأى الشاعر ذلك المنظر ففاض إعجابه بهذا المظهر النبيل بهذه الأبيات :

يا مصطفى ، إن المكارم لم تزل ... فيكم ، ومنكم تستمد جمالها
نشأت ببيتكم ، فكانت منكمو ... نسباً ، وكنتم في الحقيقة آلها
إن المعالي عند قوم رتبةٌ ... وأراك تشرح للورى أعمالها
أنشر مناهجها على طلابها ... واضرب لنا يا مصطفى أمثالها
علّم ، فإنك كنت خير معلم ... إن المكارم أصبحت يرثى لها !
تمشي تشيع خادماً مستعبراً ... مستشعراً عند المنون جلالها
وتسير حولك زمرة من جنسه ... ألفوا المذلة واكتسوا أسمالها
أنا ما عجبت فإنني أدرى بكم ... لكن رأيت الناس قالوا : يا لها !
إن قلت : ما أديت إلا واجباً ... قلنا : فمن في مثل فضلك قالها !
عش للمروءة راعياً من بعد ما ... يَتِمَتْ وأفنى ذا الزمان رجالها

محمد جاد الرب

ولم يسعه إلا أن يرسل إلى معاليه هذه الأبيات ، فتلقى من معاليه الرد البليغ الآتي :

حضرة الفاضل الأديب الأستاذ محمد جاد الرب

السلام عليك ورحمة الله وبركاته — أما بعد ، فقد تلقيت كتابك البليغ في شعره ونثره ، والبليغ في إعرابه عن عواطف نفس فاضلة تسارع إلى التشجيع على مكارم الأخلاق ، وتلمح أدنى مظاهر الوفاء فتجمل منها فضلاً كبيراً

ولقد وقع في نفسي أبلغ وقع ما وجهه إليّ الأستاذ من كلمات عطف وود ، وأسأل الله أن يجعلني عند حسن ظنه ، وأن ينفعني ببركة دعائه ، ولا يفتنني بعظيم ثنائه . وحيا الله الأستاذ وبياه

مصطفى عبد الرازق

رحلة الشتاء والصيف

كتب الأستاذ أحمد أُمين في العدد الهجري الممتاز من مجلة الثقافة (سيرة الرسول في كلمة) وقد جاء في مقالته ما يلي :

« وجده هاشم — والضمير يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم — صاحب إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . سنّ لهم رحلة اليمن والحبشة في الصيف ، ورحلة الشام في الشتاء الخ ... »

وكان مستنداً في هذا إلى قوله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف »

وقد لحظت الخطأ الظاهر في ذلك القول منذ أول قراءتي المقال ، ولكنني كنت أظن أن الأستاذ الفاضل سينتبه إليه ، ويعود إلى تصحيحه ، وقد مرت بضعة أسابيع دون أن يفعل ، فرأيت من الخير أن أعود إلى الموضوع منوهاً عنه بكلمتين . بإذن الأستاذ الزيات عجل الله في شفائه

فمن المعروف أن رحلة الشتاء لم تكن إلى الشام ، ولا رحلة الصيف إلى اليمن والحبشة ، وإنما الأمر بعكس ذلك تماماً؛ وليس من المعقول أن يرحلوا إلى الحبشة واليمن في وقد الصيف وحره ، أو يقصدوا الشام في برد الشتاء وزمهريره . وقد جاء في الجزء الثاني من (الكشاف) للزمخشري (الطبعة الأولى المطبعة البهية المصرية سنة ١٩٢٥) صحيفة ٥٦١ سطر ٣٠ — ٣٢ في تفسير الآيتين الكريمتين المذكورتين آنفاً ما يلي : « وكانت لقريش رحلتان ، يرحلون (في الشتاء إلى اليمن) ، (وفي الصيف إلى الشام) ، فيمتارون ويتجرون ، وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته ، فلا يُتعرَّض لهم ، والناس غيرهم يُتخطَّفون ويغار عليهم » وكذلك في البيضاوي وسائر التفاسير

والمسألة قد تكون من باب السهو أو العفو ، وأغلب الظن

أنها كذلك؛ إلا أن الخطأ فى مثل هذه الأحوال لا يجوز، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على عدم التدقيق . لذا رأيت المبادرة بتصحيح ذلك واجباً لأنه يتعلق بما جاء فى القرآن الحكيم، ويمت إلى تاريخ قريش بأسباب ، وسبحان من تفرد بالعصمة

نجدة فتحى صفوة

شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذى

جمعت شافية ابن الحاجب زبدة فن التصريف فى أوراق قليلة ، وشرح الاستراباذى عليها شرح جليل المباحث ، جزيل الفوائد؛ جمع بين تدقيق ابن جنى ، وتعليل الأنبارى ، وترتيب المازنى ، وتمثيل سيبويه . وقد وفق الله السيد محمود توفيق الكتبى فطبع هذا الشرح الجليل مع شرح فوائده للعلامة البغدادى صاحب خزانة الأدب ، بعد أن وكل مراجعة أصوله ، وضبط مبهماته ، وشرح مفرداته ، والتعليق على مسائله ، لثلاثة أساتذة من خيرة المدرسين فى كلية اللغة العربية فجاء الكتاب على خير ما يحب طلاب العربية من دقة التصحيح ، وشدة التمحيص ، وجودة الطبع

تصويب

جاء فى كلمتى فى العدد ٤٠١ من « الرسالة » — ص ٣٠٤ ما يأتى : والواقع أنه (أى مفتاح) والصواب : (أى مفاتح)

(ع . ا)

تصويب

وقع نظرى فى عدد الرسالة الممتاز ٤٠٠ على تحريف لبعض آى الذكر الحكيم ، فرأيت أن أنبه عليه ، خصوصاً وقد صدرت الأعداد التى تلته خالية من تصحيح ذلك التحريف

ورد فى مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف (ص ٢٥٣) استشهاد بقول الله تعالى : « والأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه » والصواب « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »

وفى مقال الأستاذ الدكتور عبد الواحد وافى (ص ٢٦٧) استشهاد بقول الله تعالى : « ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلق فى جهنم ملوماً محصوراً » والصواب « مدحوراً »

أحمد محمد شكم



سكون العاصفة

للأستاذ محمود البدوى

كان خالد أفندى يتردد على مقهى « الحرية » فى مدينة المنصورة أصيل كل يوم . ومع أن المقهى يشرف على النيل ، ويقع فى أجمل بقعة فى هـذا البلد ؛ فإنه لم يحاول مطلقاً أن يملأ عينيه مما حوله من جمال وسحر ... فهو لم يشاهد منظر غروب الشمس فى النيل ، ولا طلوع القمر من وراء السحاب ، ولا الزوارق الشراعية وهى تسبح فى ظل الغسق ... كما أنه لم يعبر جسر طلخا قط ، ويرى ما وراء الجسر من مناظر خلابة فى مدى السنين التسع التى قضاها فى المنصورة منذ أن نقل إليها كاتباً فى تفتيش الرى !

وكان يجلس على ناصية الطريق زمن الصيف ، فإذا جاء الشتاء انتقل مع الجالسين إلى الجزء الشتوى من المقهى على الرصيف الآخر من الطريق ، وألقى بنفسه فى مكان ضيق يعج بالخلق ويزهق الأنفاس . هـذه المقاهى الغريبة المنتشرة فى طول البلاد وعرضها تضم خلقاً عجيباً من صعاليك الأرض ، ومحترفى النرد ، وأصحاب العقول الذهبية الذين يدخلون أنوفهم فى كل شىء على ظهر البسيطة ، وينتقدون أنظمة الاجتماع الإنسانى قاطبة ! ويشعرون بأنهم ضحية نظم فاسدة لا سبيل إلى إصلاحها ! فما يعوزهم هو شىء خارج عن نطاق البشرية وحدودها ! على أن خالد أفندى كان يختلف عن هؤلاء جميعاً ، فهو رجل قد جاوز بسنه عمر الشباب ، وحاد بتفكيره عن تفكير المخبولين ! ... بيد أنه كان يتفق معهم فى الحيرة والقلق ، والشعور المطلق بالنقص أبداً ، ولهذا ظلت حياته تسير على منوال واحد ممل معذب ... وكان قد أدرك الجيل الذى يتزوج فيه الشبان قبل الأوان ، فتزوج معهم وأنجب ، وكان زواجه من فتاة طيبة من أسرة كريمة ، والأسر الكريمة كثيرة الود ، فالزوجة عند عماتها وخالاتها ، وخالات عماتها وعمات خالاتها ! كما أنهم محط الرحل فى المدينة لكل من يشرف المدينة من الأهل والصحب . ولهذا فر خالد أفندى من المنزل إلى المقهى ، وقعد على حافة الطريق يرقب الرائحات والناديات بعين عطشى ...

ولما امتد لهب الحرب ، وكثر عدد المهاجرين إلى الشرق ، اكتظت المنصورة بالخلق ، وازدحم منزل خالد أفندى بأفراد أسرته من المدن المعرضة لشر الغارات . فلما مضت الأيام على غير حادث ، وقفت حركة الهجرة ، وسئم المهاجرون تكاليف العيش الجديدة ورجعوا إلى بلادهم بالتدريج ، ورحل ضيوف خالد أفندى ورحلت معهم زوجته ، فقد رافقت أختها إلى القاهرة . وهكذا أصبح خالد أفندى وحيداً فى المنصورة ، أو أعزب إلى أجل ! وتنفس الصعداء ، وشعر بالحرية المطلقة فى غدوه ورواحه ، وراح يحن إلى أيام شبابه ولهوه

وكانت تمر أمامه ، بعد غروب كل شمس ، فتاة رائعة الحسن جذابة الملامح ، من هؤلاء اللواتى تدفعهن الفاقة إلى العمل . كانت تبيع الحلوى ، وتمر على الجالسين فى المقهى ضاحكة مازحة . وكانت تخص خالد افندى ببعض وقتها ومزاحها ، لأنه رجل وقور حسن السمعة ! وكان يمازحها ويتلطف معها فى الحديث . ثم يشيعها بنظراته النهمة . وكان جسمها أكبر من سنها بارز المفاتن رائع التكوين . وفى عينيها بريق وإغراء قل أن يجتمعا فى عينى امرأة . وكان خالد افندى يدرك هذه المحاسن كلها ولـكنه كان يرد نفسه عنها تورعاً . على أنها لما مرت أمامه فى ذلك اليوم تثنى وتميل بجسمها وعلى شفتيها الرقيقتين ابتسامة ، وفى عينيها ذلك البريق الأخاذ استوقفها وابتاع منها بعض الحلوى ، وهو يضاحكها ويداعبها . ثم همس فى أذنها كلاماً فتورد وجه الفتاة ، وغضت رأسها . ثم مضت عنه ، وهى تهز رأسها ضاحكة وغابت فى جوف الظلام

وظل ساكناً في مقعده لحظات . وهو ينفض المكان بعينيه ويرقب ! ثم اندفع في الطريق الذي سارت فيه ، وقد زاده تمنع الفتاة حماسة وثورة . وأوسع المجال لخطاه لما اجتاز المقاهي المتناثرة على حافة النهر حتى بدأ يلهث ونفض جسمه العرق . يا لله . . . إنه يسير الآن في الطريق الذي كان يتنزه فيه مع زوجه وأولاده مساء كل خميس حتى يبلغوا شجرة الدر ! لقد مات الآن في نظره كل شيء وانمحت الذكريات وأسدلت الستر على الماضي كله بخيره وشره . وأصبح لا يرى الآن تحت تأثير العاصفة التي ألهبت جسمه وأشعلت النار في كيانه ، غير نساء عاريات سابحات في النهر يتضاحكن ويهتفن به !

وبصر بها وهي تجتاز ميداناً صغيراً على رأس الطريق ينعطف إلى المدينة ، فجمع حواسه في باصرته ، وانطلق في أثرها

* * *

ومضى معها تحت ستار الظلام إلى البيت ، ودارت ببصرها في جوانب القاعة في تهيب وخجل . ثم جلسا للعشاء ، فأرغمها على الشراب ، فزال عنها حياؤها بالتدريج ، وتفتحت نفسها ، فانطلقت تغني وتتبختر في أرض الغرفة كالطاووس الجميل

ولعبا بعد ذلك الورق وتكدست أمامها أكداس القروش ! فرمقته بعينيها وسألته وهي سكرى : « هل تعطيني كل هـذه النقود حقاً ؟ » فضحك وطمأنها

وظهر عليها التعب وبدأت تتثاءب . ورف لون وجهها من فعل الخمر ، وانفرجت شفتاها ، واحمرت عيناها ، وثقلت أهدابها وتفككت أوصال جسمها . فارتمت على أريكة بالقرب من المائدة وظلت تحادثه من حين إلى حين ، وتنظر إليه بعينيها الناعستين ، حتى أحست بلين الفراش فنامت . . .

وبقي في مكانه يحتسي القهوة ويدخن ، وعيناه سابحتان في قرار الكأس . ثم رفع بصره إليها ، وهي نائمة حالمة ، وقد تهدل شعرها ، وتوردت وجنتاها ، وظهرت على وجهها كله آيات الطفولة البريئة ، وانمحت تكاليف العيش ومظاهر الصنعة من جسمها ونفسها . . . فأشرق روحها وبدت على فطرتها . . . وبان لون جسمها في بياض العاج ونعومة الحرير ، وكانت إحدى ذراعيها تحت رأسها والأخرى عند خصرها . . . فتحرك الجسم قليلاً وارتفعت الذراع حتى جاوزت العنق ، وغاصت الأنامل الرقيقة في الخد المورد ، وانحسر الثوب عن الساق ، وانزاح الشعر عن الجبين ، واهتزت الشفتان قليلاً ، وتحرك الجسم حركة من يود الصحو ؛ على أن الأهداب بقيت مطبقة ، والأجفان مسبلة ، والنفَس هادئاً حالماً

ونظر إلى هذه الصورة الرائعة وهو سادر ساهم ، فنهض عن مقعده ووقف أمام النافذة المغلقة ، وفتح مصراعيها ، ومر هواء الصيف المنعش على وجهه وأشرف على الليل ، وأطل على الوادي الصامت . ورأى لأول مرة في حياته محاسن الطبيعة ، وبدائع ما أبدع الله وصور ، واعتمد بجسمه على النافذة وبصره يخترق حجب الليل ويعبر النيل والجسر وماوراء الجسر ، حيث تتجلى الطبيعة في أروع صورها ، وسبحت عيناه في الظلام ، واستغرق في تأملاته ومرت في ذهنه صور كثيرة واضحة وغامضة . . . الحرب . . . والغارات . . . والريف . . . والقرية . . . وزوجه . . . وأولاده . . . وشعر بطراوة الهواء ولينه وهو يصافح وجهه ، وبجسمه يعود إلى حالته الطبيعية ، ورأسه يصفو من فعل الخمر ، فانثنى من النافذة ، وانطلق يتمشى في أرض الغرفة ، وعينه على الفتاة النائمة ووقف أمامها لحظة . . . ثم انحنى عليها ، وحملها على ذراعيه كطفل صغير ، ومشى بها إلى مضجعه ، وأضجعها على السرير بحنان ورفق ، وأسدل على جسمها ملاءة خفيفة ، وأبقى وجهها الناضر عارياً ، وانسحب من الغرفة سائراً على أطراف أصابعه ! !

ونام على أريكة في الردهة نوماً عميقاً هادئاً تشوبه ألذ الأحلام

محمود البدوي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 404

Lundi - 31 - 3 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٠٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣١ مارس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

يوم الفقـــير

تفضل صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فدعانى أمس إلى زيارته فى داره بالزمالك ؛ ومن طبعى أن أتهيب الزيارة الأولى لأولئك الذين رفعتهم مواهبهم أو مناصبهم عن مستوى العرف ؛ لأن اعتيادهم إمضاء الرأى وإنفاذ الأمر بالصوت الرفيع والسلطان القوى أرهف فى نفوسهم الحس بما يجب لهم على الناس من أدب الجلوس ومصطلح الحديث . والرجل الذى يلف رأسه الحياء، ويعقل لسانه التزايل ، لا يسهل عليه وهو يستمع إليهم أن يعرف متى يصح أن يسأل ، ومتى يجوز أن يعارض ، ومتى ينبغى أن ينصرف

على أننى كثيراً ما جلست إلى بعض هؤلاء ، جلسة التحفظ والاستحياء ، فكنت أشعر بعد قليل أن المهابة تنجلى عنى ، وأن الجلالة تنسرى عنه ، حتى أزعم لنفسى أنى أفهم الموضوع وأجدر بالحديث . ولكن على ماهر باشا ليس كأحد من أولئك الطبول ! إنما هو رجل ـ كما توسمته من وراء لفظه ـ ألمعى الذهن يكتفى منك باللمحة الدالة ، رصين اللب لا يحرك لسانه إلا بالكلمة المرادة ، رفيع النفس لا يُسرُّ فى مطاوى حديثه عصبية ولا ضغينة . وأخص ما يميز ماهر باشا رسوخ الطبع الاجتماعى فيه . ولعل نبوغه

الفهـــرس

صفحة

٣٦٥ يوم الفقــير ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٣٦٧ نظرة عامة فى شؤون الصحافة : الأستاذ أنطون الجميل بك ...
٣٧٢ الأدب العربى الحديث فى العراق : الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٧٦ فى النقــد ... ... : لأستاذ جليل ... ...
٣٧٩ هل يكفى التراث الشرقى لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين : الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك
٣٨١ الغناء والموسيقى وحالها فى مصر والغرب ... ... : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٣٨٤ من ليالى كليوبترا [قصيدة] : الأستاذ على محمود طه ...
٣٨٥ الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى ... ... : الدكتور محمد مصطفى ... ...
٣٨٨ إعجاب وتقدير ... ... : الأستاذ الكبير (ا ع)
مقالة الأستاذ السباعى بيومى : لناقد جليل ... ...
٣٨٨ الفقر ... ... : لباحث جليل ... ...
٣٨٩ فى النقـد ... ... : الأديب عبد السميع صبرى
وأد البنات عند العرب فى الجاهلية : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٣٨٩ حول سقط وكبا ... ... : الأديب حسين سلامة دياب
٣٩١ ما ليس يفهمه الطفل [قصة] : الأستاذ عبد اللطيف النشار

فى القانون الدولى العام على الأخص سر من أسرار هذا الطبع . وأصحاب الفكرة الاجتماعية ينفرون من السياسة الحزبية لأنها فردية مجتمعة ، ولا يميلون إلى الأعمال المالية لأنها أثرة محتالة . وإذا طُلبوا إلى الحكم نهجوا فيه منهاج الدين من تنظيم أمر الجماعة ، وإصلاح حال العامة ، على قدر ما يسعه طوق الإنسان الضعيف من توخى الإحسان وإيثار العدل . فإذا خرجوا منه لم يسعوا للدخول فيه ؛ لأن السعى للحكم لا يخلو من خطوات فى سبيل الشهوة الذاتية والمنفعة الخاصة . لذلك كان أظهر العزائم وأصدقها فى وزارتى على ماهر باشا سلسلة من الإصلاح الجماعى تتحقق على وجوهها الصحيحة فى وزارة الشؤون الاجتماعية والجيش المرابط . وكانت حياة الفلاح والعامل موضوع هذا الإصلاح وموضعه . فلو أن طوارق الحدثان نامت عن مصر حيناً آخر من الدهر لكان من الممكن أن يشعر الفقير بأن له حقاً فى خير الله ، وحظاً من نصيب الوطن . ولكن الحرب التى تتنمّر أخطارها على الرمال والمياه من حدود (الوادى) لا تتيح لأولى الأمر أن يرصدوا الأهبة كلها لمعالجة الفقر ؛ فلم يكن بد من قيام المعنيين بإصلاح الجماعة ليحلوا هذه المعضلة الأزلية بما حلها به الله ، فيجمعوا المبرات ، ويجبوا الصدقات ، وينظموا الإحسان ، ويسهلوا العمل ، ويوفروا القدرة عليه بمكافحة الجهل والمرض ؛ وذلك هو مشروع الزعيم الاجتماعى على ماهر باشا ، سماه (يوم الفقير) وجعله يتجدد فى تاريخ بعد تاريخ ، ويتحدد فى إقليم بعد إقليم ، ليكون مظهراً جيلاً لأريحية النفوس المؤمنة المحسنة ، تتعاون فيه على الخير ، وتتنافس فى المعروف ، وتقيم ركن الإسلام الخامس

* * *

حدثنى صاحب المقام الرفيع عن سياسته الاجتماعية وما يتذرع لها باليوم الثامن والعشرين من هذا الشهر وما يتلوه من أيام أخر ؛ فسمعت لأول مرة كلاماً له معناه ، ومنهاجاً له غايته . وكان الأخلق بمن سمع كثيراً من القول ، ورأى قليلاً من الفعل ، ألا يبالغ فى الثقة ولا يسرف فى الأمل ، لولا أن صاحب الفكرة وممضيها على ماهر باشا ، وهو رجل لم يجرب عليه الناس لغواً فى كلام ولا عبثاً فى فعل . والحق أن الفقير يستطيع منذ اليوم أن يأوى إلى ركن شديد من عطف المليك ورعاية الحكومة ومعونة الشعب . ولعل مقاومة الحفاء ويوم الفقير هما المحاولتان الجديتان لمحاربة البؤس ومعاونة البائس ؛ لأن المشروع الأول يعتمد على إرادة كريمة ، والمشروع الآخر يستند إلى إدارة حكيمة . وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية عسيّة أن تكفى المصلحين هذا الأمر لو أنها انتفعت بما توخاه لها الكتاب من مناهج الرشد ؛ ولكنها حصرت معونتها للفلاح فى إقامة الموائد لتفريج الهم عنه ، وتحرير (المجلة) لمعالجة الأمية فيه ! وعسى أن تكون قد بلغت من ذينك مبلغاً يعوض عليها ما تبذل من مال وما تنفق من جهد !

* * *

لقد قطعنا سنة من عمر الرسالة فى تذكير المترفين بأن لهم إخوة من خلق الله يأكلون ما تعاف الكلاب من المآكل ، وينامون مع الحيوان فى المزابل ، ويقاسون من الأدواء ما لا يقاسيه حىّ فى غير مصر ؛ فلم يؤثر فيهم ما كتبناه إلا كما تؤثر النسمات اللينة فى الصخر الأصم . ذلك لأن حق الله فى أموالهم قد وُكِلَ أداؤه إلى ضمائرهم ؛ والضمائر قد نامت على هدهدة الشهوات ، والعواطف قد قست على جفاف المادة ؛ وبين غفوة الضمائر وقسوة العواطف ذهب وازع الدين ولم يبق إلا وازع السلطان ؛ لذلك لا ينتظر ليوم الفقير ما ينتظر لمقاومة الحفاء من الفوز ، لأن الدافع هناك رهبة الحكومة أو رغبة (الرتبة) ؛ أما الدافع هنا فعاطفة البرّ وهى فى أكثر النفوس رسم دارس بين الجشع والأثرة !

* * *

يا أغنياءنا ، لقد جربتم بذل المال فى اللهو ، وقتل العمر فى العبث ، وفقد الصحة فى المجون ؛ فهل كسبتم من وراء ذلك مجداً ، أو وجدتم فى عواقبه سعادة ؟ جربوا ولو مرة واحدة أن تمسحوا دمعة على خد حزين ، أو تنفسوا كربة عن قلب بائس ، أو تسهلوا طلب العلم لفقير ، أو تمهدوا سبيل العمل لمتعطل ، أو تشاركوا أبناء الشعب فى منفعة عامة ؛ ثم انظروا بعد ذلك كيف يشيع فى صدوركم الرخاء ، ويرتفع بقلوبكم الإخاء ، وتنعم نفوسكم فى الحياتين بين عاجل المجد وآجل الخلود !

احمد حسن الزيات

نظـــرة عامة
في شؤون الصحافة (*)
لصاحب العزة أنطون الجميل بك

كل شيء كان يغريني بالإقبال على التحدث إليكم هذه الأمسية في كثير من الارتياح، بل من الاشتياق.

فموضوع الحديث «الصحافة» موضوع شائق طريف، يتصل بعملي اليومي، فلا هو غريب عني ولا أنا غريب عنه.

والمحدَّثون صفوة من الشباب المثقف المتطلع إلى العلم والعرفان، المتوثب إلى الخوض في ميادين البحث والتفكير: طلبة معهد الصحافة، وغيرهم من الذين شرفوني بالحضور من أساتذة الجامعة ورجال الأدب والسياسة والجيش، وصاحبة الجلالة «الصحافة» حرية بمثل هذه البطانة الكريمة.

ومكان الحديث هذا، هيكل من الهياكل المقدسة التي أقامتها الأمم الراقية للحريات: حرية التفكير، وحرية البحث، وحرية الرأي والقول. في جوّه تتقابل الأفكار، وتتصادم الآراء، فتشرق من اصطدامها أنوار الحقيقة واليقين ساطعة زاهية، لا تحجبها سحب الشك والرياء، ولا تشوبها شوائب المصانعة والمداراة. وما أشوق الصحفي الذي يكتب في ظل الرقابة والأحكام العرفية إلى مثل هذا الجو النقي الطليق يتنفس فيه ملءُ رئتيه! فالظروف إذن كلها مواتية للحديث: موضوعاً، ومكاناً، ومستمعين!

لقد وجدتَ مجال القول ذا سعة ... فإن وجدتَ لساناً قائلاً فقلِ

ومع كل ذلك ترددت في تلبية الدعوة التي وجهها إليَّ الزميل الصديق الأستاذ محمود عزمي لإلقاء هذه المحاضرة حتى كدت أحجم. لا لأني لم أجد اللسان القائل أو القلم الكاتب أمام جميع هذه الظروف المواتية والمغرية، بل لأن حصر الحديث عن الصحافة في محاضرة هي بطبيعتها ضيقة النطاق، محدودة المجال، ليس من الأمور السهلة في «معهد الصحافة» أمام طلبة يتلقون دروساً مستفيضة على أيدي أساتذة أعلام في أصول هذه الصناعة وفروعها وتاريخها، حتى حذقوا قواعدها وألموا بأسرارها وبكل ما يمت إليها عن قريب أو بعيد. لذلك كان اختيار موضوع هذا الحديث، على سعة المجال، صعباً. ولم يكن أمامي مفر من جعله يدور حول العموميات فأفرغته في لمحة عامة ونظرة إجمالية ألقيتها إلى الصحافة وشئونها.

تاريخ الصحافة المصرية من بدء عهد الاحتلال هو تاريخ هذه البلاد في ستين سنة. فمن حاول كتابة تاريخ هذه كتب تاريخ تلك في هـذه الحقبة الحافلة بالحوادث التي وصلت بنا تطوراتها إلى ما وصلت إليه البلاد من رقي أدبي ومادي، ومن مركز سياسي واجتماعي.

فما من نهضة قومية سياسية إلا وكانت الصحافة قائدها، وما من حركة اجتماعية أو إصلاحية إلا وكانت الصحف رائدها، عليها اعتمدَ وبها استعان رجالُ الفكر والعمل: من الشيخ محمد عبده، إلى جمال الدين الأفغاني، إلى قاسم أمين، إلى مصطفى كامل، إلى سعد زغلول، إلى سائر زعماء السياسة والاجتماع. فكانت الصحافة في أيدي هؤلاء القادة — وفي أيدي أنصارهم ودعاتهم — السلاحَ الماضي للذود عن آرائهم، والبوق النافخ الذي يذيع صيحاتهم في جميع أرجاء البلاد وفيما وراء حدودها

أي حادث وقع في مصر، وأي إصلاح تمّ في مصر، ولم يكن الدور الأول فيه لصحف مصر؟ وأي اعتداء وقع على الدستور أو على الحرية ولم تصب شظيته الأولى صحف مصر؟ وإذا عاد كل منا إلى تذكر أول نبضة وطنية نبض بها قلبه، أو أول اختلاجة قومية اختلج بها فؤاده، أو أول ثورة فكرية تأثر بها عقله، وجد أن مصدرها كان مقالاً في صحيفة قرأها أو سمع والده يقرؤها

وهذا الذي نذكره عن مصر يجوز أن نذكره عن كل بلد آخر؛ ولذلك قالوا إن صحافة كل بلاد هي مرآة صادقة لأخلاقها وميولها ومثلها العليا

وما دام هذا مقام الصحافة، فما أكثر الصفات الواجب توافرها في من يتجنّدون لخدمتها... إذا وجبت الأمانة والصدق والإخلاص في كل عمل، فإنها في الصحافة أوجب منها في غيرها؛ لأن ضرر الرجل الذي يخون هذه الواجبات في عمله محصور في نطاق محدود؛ ولكن ضرر الصحفي الذي يخونها يتعدى إلى الألوف، بل عشرات الألوف، بل مئات الألوف الذين يتناولون غذاءهم الأدبي والفكري في كل صباح وكل مساء من الصحيفة التي يقرأون، فيكون لهم فيها الغذاء النافع أو السم الناقع

(*) ألقيت في «معهد الصحافة» بكلية الآداب

لذلك نرى الصحافة تتدرج وتترقى من الوجهة المادية ، فتزداد صفحاتها ، وتكثر أبوابها ، وتتنوع أنباؤها ، ويُتفنن فى بحوثها ومقالاتها

ولكنها من الوجهة الأدبية ، لا تزال شروطها وواجباتها كما كانت بالأمس وكما ستكون فى الغد ، واحدة لا تتبدل ولا تتغير « صدقٌ فى رواية الحوادث والأنباء ، وإخلاصٌ فى بسط الأفكار والآراء ، ونقدٌ حيث ينبغى النقد ، وثناء حيث يجب الثناء . ومن وراء كل هذا ، العمل على تنوير الأذهان ، وتثقيف العقول ، وتقويم الميول ، ومقاومة الأهواء لإرشاد الرأى العام ، وتوجيهه إلى الغرض الأسمى والمثل الأعلى »

نعم ما أكثر واجبات الصحفى ! وما أتعبها وأشقها فى التنفيذ ! ولكن ما أنبلها وأسعدها فى النتائج !

قلتُ فى محاضرة ألقيتها منذ أربع سنوات على أسلاف لكم أيها الطلبة النجباء فى معرض الكلام عن واجبات الصحافة :

كم لدينا من المشاكل الاجتماعية والعمرانية والمسائل المالية والاقتصادية والشئون الاشتراعية والإدارية ، ينبغى للصحافة أن تعالجها وتقتلها بحثاً وتمحيصاً ، لتحييها نشراً وتنفيذاً

إن أمامنا أمةً أضر بها النظام الماضى ، يجب أن تتعلم ، فتعرف أن لها عقلاً يجب تثقيفه ، وصحةً يجب تدبيرها ، وثروة دفينة يجب استغلالها ، وأدباً عالياً يجب إحياؤه ، وتراثاً مجيداً يجب إنماؤه ، حتى تدرك الأمة فى نهاية الأمر أنها هى « الأمة مصدر السلطات » حقاً . فمن لهذه الواجبات المقدسة غير الصحافة الوطنية ، وهى بعد السلطة الاشتراعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية رابعة السلطات ؟

إن لنا وطناً كان قد هِيض جناحه وشلت قواه ، واستبيحت حياضه واعتُدِى على حماه ، فيجب الذود عن حقوقه ، والدفاع عن مصالحه وشئونه ، وإعلاء كلمته بين الأوطان ، ليظلَّ زعيم جيرانه ، ويُصبح قِرناً محترماً بين أقرانه . فمن لهذا الواجب غير الصحف ، والصحف كما تعرفون قلاعٌ منيعة من الورق لا تؤثر فيها قنابل المدافع ، والأقلام التى تُكتَب بها مصنوعةٌ من الفولاذ الذى تصنع منه السيوف ؟

إن لنا دستوراً ، وقد حلفنا يمين الأمانة له ، وعلى أساسه قام الحكم النيابى بيننا ، فلا بد من الدفاع عنه لتصان حرياتنا الدستورية . وكيف تصان هذه الحريات إذا فقدت صحافتنا حريتها ؟ إن كلمة «شاتوبريان» أشدّ انطباقاً على تاريخنا الدستورى منها على تاريخ سوانا . قال : « إذا فقدت البلاد دستورها فإن الصحافة كفيلة بأن تجده وترده إلى البلاد » . فلقد ضاع دستورنا أولاً وثانياً ، فكانت صحافتنا فى طليعة من جدّ وراءه وردّه إلى مصر سليما . فواجب الصحافة ألا تتخلى عن هذا الواجب

إن على رأس الأمة حكومة يجب أن تعاوَن فى مشروعاتها الإصلاحية ، مادية كانت أم أدبية . أما معاونة الصحف للحكومة فتقوم على مناصرتها وتأييدها ، كما تقوم كذلك على نقدها ومؤاخذتها فى مواطن النقد والمؤاخذة . فكلتا الصحافتين : المؤيدة والمعارضة تقوم بواجبها الصحفى الحق ، ما دام الإخلاص رائدها والصدق نبراسها ، فلا تميل مع الهوى ، ولا تذهب مذهب الأغراض الملتوية . ومن المسلَّم به أن لكل كاتب أسلوبه ولكل صحيفة خطتها : فهذه تأخذ باللين والهوادة ، وهذه تعمد إلى الشدة والعنف . وأمراضنا الاجتماعية كأمراضنا الجسمية : هذه تحتاج إلى الكمادات والمراهم ، وهذه لا بد لها من المبضع يعمل فيها عمله . والحكومة الرشيدة ترحب بالنقد العادل ترحيبها بالثناء الحق . وإذا كانت الحكومات تجزع أحياناً مما تقوله الصحف ، فإنها أحياناً قد تستهدف للتهلكة من جراء ما لا تقوله الصحف .

أعنى بذلك أن حرية الكتابة يجب أن تكون مكفولة ، وذلك لمصلحة الحكومة نفسها ؛ فإن حرية القول هى الوسيلة الوحيدة لوضع حد لاستباحة التمادى فى حرية الفعل . ولا أعنى بذلك حرية الافتراء والتضليل ، كما لا أعنى أن تنشر الصحف كل ما تعلم ، فللقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع الصواب

هذه واجبات الصحافة . وأكرر القول أنها واجبات كثيرة متشعبة وشاقة . وهيهات أن تستطيع الصحافة النهوض بها وحدها على الوجه المروم ، إذا لم تقم الحكومة والأمة بواجبهما نحو الصحف

ولقد سبق لى فى موقف آخر أن أفضت فى تبيان هذا الواجب ، وأكتفى اليوم بالقول إن الأمل بحصول الصحافة على ما لها من حقوق بات معلقاً على تأليف « نقابة الصحفيين » ويخجلنى أن أذكر أن ليس للصحف نقابة حتى الآن ، فى حين كاد يصبح عندنا لكل صناعة ولكل مهنة نقابة . وتاريخ المحاولات لتأليف نقابة الصحافة طويل مؤلم . وورد ذكرها لأول مرة منذ نصف قرن . فقد كتب منشئ «الأهرام» — طيب الله

نراه — فصلاً فى مثل هذه الأيام منذ ٥٠ سنة جاء فيه :

« لم نقصد فيما كتبناه مراراً عن الجرائد واتفاقها على « سنديك » ينظر فى مصلحتها ، إلا لأننا رأينا هذه المبادئ قاعدة جرائد أوربا المتمدنة وأمريكا الحرة

« وشتان بين أهمية جرائدنا وأهمية تلك ، وبين الرأى العام هنا وهناك ، وبين حكامنا وحكامهم . فأصحاب الجرائد الأوربية أقل احتياجاً منا إلى الاتفاق تحت شروط تضمن نجاح المصلحة ، ولنا من أعمال سانديك الجرائد فى باريز ولندره وغيرهما شاهد عدل

« ومهما تتباين مبادئ جرائدنا سياسة . فهى أقل تبايناً من أخواتها فى باريز ... وعند الاتفاق يمكن أن يكون لجرائدنا شأن معهم فى خدمة المصلحة العامة بتهذيبها الظالم والمرتشى والمستبد ، فضلاً عن الخدمات الجليلة التى تترتب على اتفاقها من نشر المبادئ الصحيحة ، والاهتمام بالأعمال العامة ... فنرجو من زملائنا الذين يعرفون واجبات الجرائد ويعترفون معنا بفضل المشروع أن يهتموا بتحقيقه ، ويسعوا إلى الوصول إليه ، وكلما أسرعوا فى الأمر حققوا للجرائد أغراضها . والله ولى التوفيق »

ومنذ ذلك العهد قام الصحفيون بمحاولات كثيرة لتأليف جمعية أو نقابة لهم ، فكانت هذه الهيئات تعمر سنة أو بعض سنة ، ثم يجرّ عليها العفاء ذيوله ، إلى أن استصدرت وزارة على ماهر باشا الأولى مرسوماً فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ باعتماد « نظام جمعية للصحافة » ، ولكنه لم يوضع موضع التنفيذ . فوجهت بعد مرور سنة — ١٨ أبريل سنة ١٩٣٧ — سؤالاً برلمانياً إلى وزير الداخلية فى هذا الموضوع ، فردّت الحكومة واعدة بالعمل على تأليف هذه الجمعية . ثم مرت الأيام إلى أن انتهى الأمر بتقديم مشروع بقانون إلى البرلمان بإنشاء نقابة للصحفيين

عُرض هذا المشروع على مجلس النواب فأقرّه فى العام الماضى . وجاء إلى مجلس الشيوخ فعدّله وأعاده إلى النواب ، ولكن النواب لم يقروا تعديل الشيوخ . فتألفت لجنة مشتركة من بعض أعضاء المجلسين ، وانتهى بها البحث فى أوائل هذا الشهر إلى صيغة ارتضتها ، وعُرضت على النواب فأقروها يوم الأربعاء الماضى (١٢ مارس) وسيؤخذ الرأى عليها مناداة بالاسم فى جلسة غد . ثم ترسل إلى مجلس الشيوخ حيث شرفنى زملائى بأن أكون مقرراً لهذا القانون . والأمل وطيد بأن يقره المجلس فى الأسبوع القادم فيصبح قانوناً نافذاً ويضمن للصحافة شيئاً من حقوقها الأدبية والمادية لقاء ما عدّدته مما عليها من الواجبات .

وهذا القانون ينص فى مادته الثانية على أغراض النقابة وهى :

١ — العمل على صيانة حقوق الصحفيين وتحديد واجباتهم

٢ — تنظيم علاقات الصحافة مع الحكومة والجمهور

٣ — سنّ القواعد المنظمة لمزاولة المهنة الصحفية وبيان العادات المرعية فيها

٤ — تسوية المنازعات ذات الصلة بالمهنة التى قد تنشأ بين أعضاء النقابة أو بينهم وبين غيرهم

٥ — العمل على تحقيق كل مشروع أو عمل من شأنه رفع مستوى الصحافة وإعلاء كرامتها . يحظر على النقابة الاشتغال بأى عمل خارج عن هذه الأغراض »

كما أن المشروع ينص فى مادته الرابعة على الشروط التى يجب أن تتوافر فى من يرغب فى الالتحاق بهيئة الصحافة . وهذا النص ذو أهمية كبرى للعمل على رفع مستوى المهنة فلا يلتحق بها كل من هب ودب ، ولا يدعى كل من لا عمل له أنه صحفى . أما هذه الشروط المفروضة على طالب القيد فى جدول الصحفيين فهى :

١ — أن يكون مصرياً

٢ — ألا يقل سنه عن ٢١ سنة

٣ — أن يكون متمتعاً بالأهلية المدنية

٤ — أن يكون حائزاً لما يؤهله للاحترام الواجب للمهنة

٥ — أن يكون حاصلاً على شهادة دراسية عالية من مصر أو من الخارج ، أو أن يكون على درجة الثقافة التى تقتضيها مهنة الصحفى

٦ — أن يكون مالكا لصحيفة أو ممثلاً له أو مديراً لصحيفة أو لوكالة استعلامات أو رئيس تحرير صحيفة أو محرراً فيها مدة سنتين على الأقل . وفى تطبيق هذه المادة لا تشمل كلمة صحيفة الصحف ذات الموضوعات الخاصة كالجرائد المالية والرياضية والفنية وغيرها ، ولا المجلات التى لا تظهر مرة واحدة فى الشهر على الأقل

٧ — أن تكون الصحافة مهنته الرئيسية ، وألا يحترف التجارة فيما ليست له صلة بمهنته .

وقد فرض المشروع عقوبات على أدعياء الصحافة . فقد نصت المادة ٢٢ على ما يأتى :

« لأعضاء النقابة وحدهم الحق فى حمل لقب صحفى . ويعاقب بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً كل من وصف نفسه

علناً بهذا الوصف أو استعمله مخالفة لأحكام هذا القانون . فإن عاد تكون العقوبة الغرامة التي لا تتجاوز عشرين جنيهاً والحبس لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر أو إحدى هاتين العقوبتين »

رأيتم أن مشروع القانون الذي تلوت على حضراتكم بعض أحكامه قد عرّفنا من هو الصحفي أو الذي يجوز بعد الآن أن يحمل هذا اللقب . فقد اشترط فيما اشترط عليه أن يكون حاصلاً على شهادة عالية أو أن يكون على درجة الثقافة التي تقتضيها مهنة الصحفي

ذلك أن الصحفي مدعوٌّ بطبيعة عمله إلى الكتابة في شتى الموضوعات ، وهذا الشرط غير مقصور على الذين يدبجون المقالات ويكتبون ما يسمونه « الافتتاحية » أو (Éditorial) بل يمتد إلى الذين يكتبون الأخبار ويترجمون التلغرافات الخارجية . إذ كيف يكتب الصحفي عن الأنباء البرلمانية والوزارية ، وعن أخبار القطن والأوراق المالية ، وعن أعمال اللجان وسائر الهيئات؟ أم كيف يترجم التلغرافات عن الحوادث العالمية وتطورات السياسة الدولية ، إذا لم يكن ذلك المخبر وهذا المترجم كلاهما ملماً بنظام البلد ودستوره ونظمه ، وبعلم الاقتصاد والقانون والجغرافيا والتاريخ العام ؟ لذلك كان البرنامج الذي يسير عليه أساتذة هذا المعهد « معهد الصحافة » حافلاً بأنواع الدراسات القانونية والاقتصادية والتاريخية والجغرافية ليخرجوا لنا صحفيين مثقفين يشرفون لقب « الصحفي » عندما يلقبون به ويتشرفون هم بالخدمة في بلاط صاحبة الجلالة

ولعل أحوج ما يحتاج إليه الصحفي إلى جانب ثقافته العامة شيئان : قوة الملاحظة ، فترى عينه في مشاهداته ما لا تراه عيون الآخرين ، ويلمح خاطره في الحوادث والأنباء ما لا تلمحه خواطر الناس . فإذا قرأوا ما دوّنه من ملاحظات قالوا : « حقاً ... إن الأمر لكذلك »

ويحتاج بعد هذا إلى قلم رشيق يترجم عن آرائه وأفكاره ، ويدون الملاحظات والمشاهدات في أسلوب لبق بعيد عن الركاكة بُعدَه عن التقعر ، وأنتم تقرأون كل يوم الخبر الواحد مصوغاً في أساليب مختلفة : هذا يروقكم ويستوقفكم ، وهذا لا تأبهون له فتمرون به مرّ الكرام . والصحفي أكثر من كل كاتب مفروض عليه الإسراع في الكتابة ، فليس أمامه من الوقت ما أمام الباحث والأديب والمحاضر ليبحث وينقّب ويراجع ، بل هو مضطر إلى تدوين الأنباء تدويناً خاطفاً ، أو إلى التعليق على الحوادث تعليقاً يكون ابن ساعته . فسرُّ الصحافة الحديثة السرعة : السرعة في تلقي الأخبار ، والسرعة في إيصالها إلى القراء . وقد جاء انتشار التليفون والتلغراف السلكي واللاسلكي خير معوان لخدمة الصحافة من هذا القبيل ؛ وإذا كان « الراديو » قد نهض ينافس الصحافة في سرعة نشر الأخبار ، فإن منافسته ستظل محصورة ، لأن العبارة المكتوبة لا تزال أحب إلى العقل من العبارة المقولة

وما دمنا في معرض الكلام عن الأساليب الصحفية وتنوعها فلا بد من القول أن صحافتنا في مجموعها قد أصبحت شاملة لكل هذه الأنواع فتوافق جميع الأذواق . فصحافتنا منوعة في مواعيدها : فمنها الصباحية والمسائية ، ومنها الأسبوعية والشهرية منوعة في موضوعاتها : فمنها السياسية الأخبارية ، ومنها الأدبية العلمية ، ومنها المصورة الفكاهية

منوعة في أسلوبها : فمنها الرزينة المعتدلة ، ومنها المتحمسة المندفعة ، ومنها المنتقدة اللاذعة

ولا سبيل إلى المفاضلة بين هذه الأساليب ، فالأمر راجع إلى ذوق الكاتب ومزاج القارئ . والمهم ، أياً كان الأسلوب ، أن يكون قائماً على الصدق والإخلاص كما ذكرنا

هذه صفات عامة تتناول جميع كتاب الصحف . وهناك صفات خاصة تتناول كل طائفة من كتاب الصحيفة الواحدة : فللكتاب والمحررين صفات ، وللمخبرين والمندوبين صفات ، وللمكاتبين والمصححين صفات ، وللمترجمين صفات ، وللموضبين والذين يتولون عمل « توليت » الصحيفة صفات ، يطول بنا المقام لو شرحناها وفصلنا كل واحدة منها . ولا يقلّ عمل طائفة من هذه الطوائف التي تحضر الجريدة أهمية عن عمل الأخرى ، وإن كان الغرباء عن الصحافة يتصورون خطأ أن الذي يكتب مقالة هو كل شيء في الجريدة

وقبل أن نختم هذا الحديث ، فلنفتح صحيفة من صحفنا اليومية لنرى تطبيق ما قدمت . ماذا نجد فيها عادة ؟

نجد المقالة أو التعليق على أهم حوادث اليوم

ونجد الأخبار والأنباء التي تتصل بحياة البلد

ونجد الأنباء التلغرافية ، وقد طغت في هذه الأيام على سائر

أبواب الجرائد نظراً إلى خطورة حوادث الحرب واشتباك جميع المصالح بها

ونجد أيضاً الإعلانات، وقد أصبح الإعلان فناً قائماً بنفسه من حيث الشكل والأسلوب، وهو ركن أساسي في إيراد الجريدة لا غنى لها عنه لتكفل حياتها، أو على الأقل لتكفل استقلالها

قال لي مدير إحدى كبريات الصحف الأمريكية: «كل مشترك جديد في جريدتنا يخسرنا سبعة دولارات، ولكننا نرحب به، لأن «تعريفة» الإعلانات عندنا ترتفع بنسبة زيادة عدد النسخ المطبوعة فتعوض أجرة الإعلانات هذه الخسارة وتعود علينا بربح»

ولا أريد أن أطوي حديثي معكم على هذه البيانات المادية، بل أستميحكم بضع دقائق أخيرة نتحدث فيها عن أسلافنا البعيدين، وهم الصحفيون عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وقد عنيت بهم «الشعراء» فإنهم كانوا يدونون حوادث القبيلة أو الربع في قصائدهم، فيتناقلها الرواة. وكم من قصيدة سجّلت حوادث القوم ووقائعهم الحربية أوفى تسجيل، حتى لكأنها الصحيفة العصرية تسرد الأنباء والأخبار سرداً ... ودواوين الشعراء زاخرة بهذا النوع من الشعر الإخباري، فنجد فيها الشيء الكثير منه

اسمعوا على سبيل المثال هذين البيتين لبشار بن برد، وقد تكلم في البيت الأول عن الحرب الخاطفة (La guerre - éclair) وضمّن البيت الثاني وصفاً لواقعة حربية جاء أشبه شيء ببلاغ من البلاغات الحربية التي نقرأها كل يوم، قال:

بعثنا لهم موت الفجاءة، إننا
بنو الموت خفاق علينا سبائبه[1]
فراحوا: فريق في الإسار، ومثلُه
قتيلٌ، ومثلٌ لاذَ بالبحر هاربه

وهكذا كان الشعراء يدوّنون الحوادث في أشعارهم كما يفعل الصحفيون اليوم في جرائدهم. وكانوا كذلك يقومون بمهمة الإعلان، ولا نعرف «التعريفة» التي كانوا يتقاضونها عن الإعلان في شعرهم

ولعل ألطف إعلان بالشعر ما ذكره كتاب الأغاني، وخلاصته: أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمُر — والخمار ما تغطى به المرأة رأسها، وقد عادت (موضة) الآن — فباعها كلها، وبقيت السود منها فلم تنفق، وكان صديقاً للدارمي فشكا ذلك إليه. وكان الدارمي قد نسك وترك الغناء وقول الشعر؛ فقال له: «لا تهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع»، ثم وضع شعراً للغناء:

قلْ للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا صنعتِ براهبٍ متعبدِ
قد كان شمّر للصلاة ثيابه ... حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع غناؤه في الناس، ولم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود، حتى نفد ما كان مع العراقي منها

أقف عند هذا الحد، معتذراً عن تقصيري، بأني ما ادّعيت قط حصر جميع شئون الصحافة في محاضرة، بل هي نظرة إجمالية تناولتْ بعض شئون الصحافة، ولكم أيها الإخوان، في محاضرات أساتذتكم في هذا المعهد ما يسد الفراغ ويكمل النقص

ولم يبق لي إلا أن أتمنى لكم التوفيق في الصناعة التي اخترتموها لأنفسكم، وهي صناعة شريفة إذا عرفنا أن نحتفظ لها بمكانتها. وكل ما أرجو ألا تخرجوا إلى ميدان العمل إلا وتكون جميع القيود التي قضت الأحوال الحاضرة بفرضها على الصحافة قد سقطت: القيود المادية التي تحدد عدد الصفحات، والقيود الأدبية التي تقيد جولات الأقلام، فتجدوا المجال أمامكم حراً واسعاً، فالصحافة لا تزدهر إلا في جو الحرية والاستقلال

أنطون الجميل

(1) جمع سبيبة وهي الراية

الأدب العربى الحديث
فى العـــراق
للدكتور زكى مبارك

تمهيد — الصلات الأدبية بين مصر والعراق — كيف صارت العروبة فى ديار الرافدين بعد سقوط بغداد ؟ — الجدال بين السنة والشيعة هو الذى حفظ اللغة العربية فى عهود الاحتلال الفارسى والاحتلال التركى — بواكير النهضة الأدبية في العراق — إحياء الأمجاد العربية — الأدب المجهول — روائد الأدب العراقى — لمحات من الفروق بين الاتجاهات الأدبية فى مصر والعراق .

تمهيد :

صار من المقرر فى وزارة المعارف المصرية أن تكون الترقية من التعليم الابتدائى إلى التعليم الثانوى مقصورة على من يفوزون فى امتحان المسابقة لذلك الترفيع [1] ، وهذا نظام يسوق المدرسين سوقاً إلى تزويد عقولهم بما يجدّ فى ميادين الدراسات العلمية والأدبية والاجتماعية

وفى هذا العام يجب على المتسابقين فى اللغة العربية أن يؤدوا امتحاناً فى الأدب الحديث بمصر وسائر البلاد العربية ، وهى مفاجأة لم يستعدّ لها مدرسو اللغة العربية ، لأن الأدب الحديث فى غير مصر ، لا يعرفه من بين المصريين إلا أفراد سمحت لهم الظروف بأن يتنقلوا فى بعض أقطار الشرق من أمثال : المازنى والزيات وعزام . فكيف السبيل إلى تعرّف اتجاهات الأدب الحديث فى بلاد مثل : المغرب واليمن والحجاز وفلسطين وسورية ولبنان والعراق ؟

وقد دعانى جماعة من المدرسين إلى إنشاء طائفة من البحوث فى التعريف بالأدب الحديث فى غير مصر من البلاد العربية ، فأجبت بعد تردد ، لأنى أعرف أن ذلك عبء لا ينهض به رجل واحد ، فقد تعددت المذاهب الأدبية فى تلك البلاد ، وصار من الواجب أن يلتفت إليها عدد كبير من الباحثين ليسجلوا ما فيها من خصائص ذوقية وأدبية واجتماعية

ولو لم تفاجأ « الرسالة » بغلاء الورق ، لكان فى تنفيذ الاقتراح الذى قدمتُه إليها فى صيف سنة ١٩٣٩ ما يغنى المدرسين المصريين من التعب فى تعرُّف الاتجاهات الأدبية بالأقطار العربية ؟ فقد كنت اقترحت أن تصدر « الرسالة » أعداداً خاصة تصوّر ما بتلك الأقطار من المذاهب الفكرية والأدبية ، وتعرّف المصريين بأحوال إخوانهم فى بلاد لا يعرفون من أخبارها العقلية غير بوارق تنقلها الجرائد والمجلات من حين إلى حين بأسلوب قد يصل فى الإيجاز إلى الإخلال

وأنا لم أبتكر الاقتراح الذى قدمته إلى « الرسالة » فى صيف سنة ١٩٣٩ ، فقد استوحيته من العدد الممتاز الذى أصدرته مجلة « العرفان » عن مصر ، والعدد الممتاز الذى أصدرته مجلة « المكشوف » ؛ وهما عددان يفصّلان الأحوال الأدبية والاجتماعية فى مصر أجمل تفصيل ، فإلى هاتين المجلتين أقدّم أطيب الشكر وأصدق الثناء

ثم رأيت أن أبدأ بالكلام عن الأدب الحديث فى العراق ، إلى أن أستعدّ للكلام عن الأدب الحديث فى سائر البلاد العربية ، فماذا وجدت ؟ وجدت المهمة أصعب مما تصورتُ ، لأن العراق الذى عشت فيه وتعرّفت إلى ما عند أهله من آراء وأهواء ونوازع وميول ، يحتاج إلى دراسة دقيقة تستنفد أوقاتاً لا أملك منها غير سويعات قصار أسترقها استراقاً من العمر الموزّع بين أعباء ثقال أخفُّها الجهدُ الذى أواجه به قرائى من يوم إلى يوم أو من أسبوع إلى أسبوع

فهل أُحجِم عن مواجهة هذا الموضوع الجليل إلى أن أجد الوقت المنشود ؟

سأتوكل على الله وأتحدث عن الأدب العراقى فى الحدود التى يسمح بها جهد المقِلّ ، وجهد المقلّ غير قليل . وسيكون الغرض تصوير أدب العراق فى أشخاص شعرائه وكتّابه بأسلوب يجمع ما تفرّق من مذاهب الأدباء بتلك البلاد ، إلى أن تسمح الظروف بإعداد كتاب شامل عن العقلية العراقية فى العصر الحديث ، والله سبحانه هو الموفق

الأدب العراقى :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبالبسملة أبتدئُ حين أُقدِم على موضوع تعترضه عِقاب وصعاب

وموضوع اليوم هو تحديد المرحلة التى يبتدئُ بها الأدب الحديث فى العراق ، فما هى بداية النهضة الأدبية الحديثة فى تلك البلاد ؟

(١) الترفيع هو الترقية ، فى تعبير أهل العراق

كان العراق يحمل مشاعل الثقافة العربية إلى أن اجتاحه المُغول فى منتصف القرن السابع ، فبعدئذ نهضت مصر بما كان ينهض به العراق ، وقامت القاهرة بما كانت تقوم به بغداد ، ورحَّبت المدائن المصرية بعثات من العائلات الراقية ، ولعل هذا هو السرّ فى التشابه الشديد بين المصريين والعراقيين فى النطق ومخارج الحروف ، وفى كثير من العادات والتقاليد ، بحيث يمكن الحكم بأن المصريين والعراقيين لم يكونوا على بُعد الدار إلا إخوة أشقاء نقلتهم الحوادث من بلد إلى بلاد

فكيف صارت العروبة فى العراق بعد سقوط بغداد وبعد انتهاء ما تلا عهد المغول من خطوب ؟

ظلَّ العراق العربى محتلاً بالقوى الفارسية نحو ثلاثة قرون ، وهو أمدٌ يقدَّر بثلاثة أرقام ، ولكنه أمدٌ طويلٌ جدًّا ، وكان يكفى لمحو اللغة العربية لو صادف أمةً لا تمتّ إلى العروبة بعرقٍ أصيل . ثم جاء عهد الترك فأيد عهد الفُرس من حيث الاستهانة بمقام اللغة العربية ، فماذا صنعتْ تلك اللغة لتحفظ حيويتها إلى أن يجيء يوم البعث ، وهو يوم استقلال العراق ؟

ظفرت اللغة العربيــة فى العراق بأسلحة تضر من جانب وتنفع من جوانب ، وتلك الأسلحة هى مصادر النزاع والشقاق بين المذاهب السُّنية والمذاهب الشيعيّة . فقدْ تناسى العراقيون بلواهم بالاحتلال الفارسى والاحتلال التركى ، وظلوا يتجادلون ويتناقشون بلغة القرآن ، وهى اللغة التى حملت إليهم بذور ذلك الخلاف « السعيد »

ومن المؤكد أن المناقشات بين السنة والشيعة فتقت الأذهان وألانت الألسنة فى العراق . ومن المؤكد أيضاً أن المساجد هى صاحبة الفضل الأول فى تأريث الخصومات العقليــة ، وهى خصومات عادت بالنفع الجزيل على الأدب والبيان ، فمن كان يهمّه أن يعرف كيف عاشت اللغة العربية فى العراق برغم الاحتلال الفارسى والاحتلال التركى فليسأل أساطين المساجد فى البصرة والحلة والموصل وبغداد والنجف وكربلاء

تناسى العراقيون بلواهم بالاحتلال الفارسى والاحتلال التركى وأقبلوا على الجدال فى المفاضلة بين الأمويين والهاشميين ، فعاشوا فى دنيا من الفكر والعقل والوجدان كانت أجدى عليهم من دنيا السيطرة المالية والسياسية ، وبذلك حفظوا لغتهم من التضعضع والفناء . ولله حكمة عالية فى خلق أسباب الشقاق بين الرجال .

اللغة العربية فى العراق مدينة أثقل الدين للخلافات المذهبية ، فتلك الخلافات هى التى أوجبت أن يحرص أقوام على رواية أخبار بنى أمية وبنى العباس ، وأن يحرص قومٌ على رواية أخبار الحسَن والحسين ، وكانت جميع تلك الأخبار مصبوبة فى قوالب هى الغاية فى الفصاحة والبلاغة والبيان

ولو جاز لى أن أستعين هــذا الأسلوب من المنطق لقلت إن اللغة العربية لم تنهزم فى البلاد الفارسية والتركية إلا بسبب انعدام الخلافات المذهبية فى تلك البلاد ، فالفُرس انحازوا إلى جانب ، والترك انحازوا إلى جانب ، وبهذا السلام خَـلَوْا إلى أنفسهم هنــا وهناك خلّت النزاعات القومية محل النزاعات المذهبية ، واستغنى أولئك وهؤلاء عن الاستنصار بلغة القرآن

فمن كان غاب عنه أن الخلاف نعمة من نعم الله فليذكر هذه الحقيقة ليعرف أن الله قد يَبتلى بالخلاف عباده الأصفياء

عاشت لغة العرب فى العراق أجيالاً طوالاً بأسناد مذهبية ، فمتى فكّـر العراق فى أن يجعل لغة العرب لغة رسمية بعد انقضاء عهود الخلفاء ؟

العراق الحديث

هنا يتسع المجال لبيان الأسباب التى أنهضت العراق العربى فى عهده الحديث ، فمتى انبعثت شرارة العروبة فى العراق ؟

ثبتَ عندى بعد مطالعات كثيرة أن الأدب العراقى كان انطوى على نفسه فى عهود الظلمات فلم يكن إلا مطارحات شعرية أو مراسلات نثرية لا تصوّر صراع العواطف ولا صيال العقول ، بغض النظر عن الشجار الذى لم ينقطع بين المذاهب والآراء

فمتى خرج الأدباء العراقيون من صوامعهم ليحدثوا الجمهور عن المطامح السياسية والقومية ؟

كان ذلك يوم صار للعراق مبعوثون فى استنبول ، فهنالك وجدوا إخواناً ثائرين على « الدولة العلية » من رجال مصر واليمن والحجاز والشام ولبنان ، ومن أولئك وهؤلاء تكونت جماعات أدبية وسياسية تنتصف للعرب من الأتراك ، وتطالب بأن يكون للعرب وجود أدبى وسياسى يستردّ الحقوق التى أضاعها الزمان

ولهذه النزعة جذور دخيلة سجلتها بصراحة فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ونشرتُ من أخبارها أشياء فيما تحدثت به إلى قرائى فى مجلة الرسالة ، ولكن المصير واحد وإن اختلفت الأسباب ، وذلك المصير هو الإيمان الراسخ

بأن العروبة فكرة سليمة قد تؤتى أطيب الثمرات إذا تعهّدها الوطنيون المخلصون بالرعاية والتشجيع

إذا عرفنا هذا صح لنا القول بأن النهضة الأدبية الحديثة فى العراق نشأت مع ثورة الأمم العربية على الدولة التركية ، وهى ثورة كانت لها بواعث كثيرة أهمها تطلع تلك الأمم إلى التمتع بنعمة الاستقلال

ومن الواضح أن اللغة العربية كانت أداة التعبير عن تلك الثورة بالتصريح أو التلميح فظهرت مقالات وقصائد ومطبوعات أثارت ما أثارت من نوازع الحمِيّة العربية ، وأنطقت الألسنة والأقلام بأدب جديد هو الأدب السياسى ، وأريد به الأدب الذى لا يقف عند شرح العواطف الذاتية ، وإنما يتسامى إلى شرح ما يعانى المجتمع من أزمات قومية كما يصنع الأدب الاجتماعى

تلك الفترة من حياة العراق الثائر على حُكم الأتراك هى التى نقلت الأدب العراقى من حال إلى أحوال ، وهى التى فتحت عيون أدبائه على فنون الأدب الحديث فى الديار المصرية والسورية ، وهى التى أوحت إليه أن يجعل العروبة عماد سياسته القومية فى أكثر الشئون .

ثم ماذا ؟ ثم نجا العراق من الاحتلال التركى ليواجه مصاعب خلقها مصاعب الاحتلال الانجليزى ، فماذا صنع وقد استبدل احتلالاً باحتلال ؟

كانت شخصيته قد استَحْصَدت وقويت ، وما زالت تستحصد وتقوى حتى صارت أعز من أن يطمع فيها طامع يعتمد على القوة أو يتوسل باللين ، وما هى إلا أعوام قصار حتى شرع العراق ينشر العلوم والمعارف باللغة العربية بعد أن ظلت الفارسية ثم التركية لغة التعليم بتلك البلاد فى آماد لا تُعدّ بالأعوام وإنما تُعدّ بالقرون ، وبفضل هذه الفتوة رجعت السيادة للغة العرب فى بلاد كان لها فى خدمة هذه اللغة تاريخ مجيد

وبجانب هذا الفضل فى جعل اللغة العربية لغة التدريس فى جميع العلوم كان فضل آخر هو الحرص على إحياء الأمجاد العربية والإسلامية ، فأكثر الشوارع وأكثر المنشآت لها أسماء عربية وإسلامية ، وأغرم الناس هنالك بمقاومة الألفاظ الأجنبية ، لتصبح لغتهم جديرة بالمطمح الذى يتسامون إليه وهو إحياء عهد الرشيد

يضاف إلى هذا وذاك حرص العراق على الاتصال بجميع الأمم العربية ، أو الأمة العربية - كما يعبر الأستاذ أبو خلدون - ولذلك الاتصال ألوان مختلفات ، فهو يتابع جميع الحركات السياسية فى البلاد العربية ، ويتابع ما يجد فيها من تطور الآداب والفنون ، ويسره أن يقال إن له فاعلية فى إحياء التمدن العربى الحديث

وخلاصة القول أن بداية النهضة الأدبية فى العراق تؤرخ بثورة العراقيين على الحكم التركى ، ثم تؤرخ بجعل اللغة العربية لغة التدريس فى عهد الاستقلال

الأدب المجهول

وهنا نقف وقفة قصيرة نشير بها إلى لون من الأدب العراقى تصح تسميته بالأدب المجهول ، وهو الأدب الشعبى ، الأدب الذى لم يدوّن ، ولن يدوّن بعد أن صارت اللغة الفصيحة هى الغاية التى يسعى لتأييدها جميع أدباء العراق

فذلك الأدب الذى يتناقله الناس هناك من بلد إلى بلد قد صور طوائف كثيرة من أحلام القلوب ، وأوهام العقول ، وهو الشاهد على أن العقل العراقى لم يذق طعم الغفوة برغم ما مر بالعراق من أحداث وخطوب تعصف بعنابت الأهواء والآراء(٢)

روافد الأدب العراقى

يقال إن الأدب المصرى الحديث قد انتفع من اتصال أدباء مصر بالآداب الأوربية ، وهو قول حق ، فمصر قد نقلت عن أوربا أكثر ما صدر عن أدبائها ومفكريها من المذاهب العقلية والاجتماعية ، وقد تكون مصر أول أمة عربية عُنِيَت عناية جِدّية بنقل آراء أهل الغرب إلى أهل الشرق ، ولعلها أول أمة زودت الغرب بعلوم الشرق فى أزمان الحروب الصليبية

فما هى الروافد التى أمدت الأدب العراقى الحديث ؟

أنا أرجح أن الأدب الحديث فى العراق قد انتفع بثلاثة ينابيع : أولها الأدب الفارسى وثانيها الأدب التركى وثالثها الأدب المصرى « مع الاحتفاظ بفضل الأدب العربى القديم »

ولكن كيف وصلت إليه تلك الينابيع ؟

الجواب حاضر ، فاتصال العراقيين بالأدب الفارسى معروف ، ولا يزال بين أدبائهم رجال يسايرون الآداب الفارسية ويتأثرون

(٢) فى العراق أشعار شعبية تحيا على ألسنة الناس منذ قرون بدون تدوين ، ولو كان الدكتور طه حسين اطلع على تلك الأشعار لعدل رأيه فى رواية الشعر الجاهلى بعض التعديل

ما بها من أخيلة وتعابير ، وقد يكون فيهم من ينظم الشعر باللغة الفارسية كما صنع الزهاوي يوم ذهب إلى إيران للاشتراك في إحياء ذكرى الفردوسي ، وقد يكون فيهم من يؤلف بالفارسية كما يصنع السيد هبة الدين الشهرستاني

واتصال العراقيين بالأدب التركي لا يحتاج إلى بيان ، فقد كان جمهور أدبائهم على صلة وثيقة بالتيارات الأدبية في البلاد التركية ، وأكثر رجالهم الكبار تلقوا دروسهم العالية في استامبول

أما اتصال العراقيين بالأدب المصري فهو أقوى من اتصال المصريين بالأدب المصري ، وهذا كلام يستغربه من تغيب عنه الموازنة بين القراء في مصر والقراء في العراق ، فالقراء في مصر لا يُعنَون بالصحافة الأدبية كما يُعنَون بالصحافة السياسية ، ومن أجل ذلك تفوتهم أشياء وأشياء من النتاج الأدبي . ولا كذلك القراء في العراق فهم يسايرون الصحافة الأدبية في مصر مسايرة جدية ، ويعرفون من أخبار الأدب في مصر أضعاف ما يعرف القراء المصريون

فما السبب ؟ أيكون شبان مصر أقل ذكاء من شبان العراق ؟

لا ، وإنما يرجع السبب إلى قوة الصحافة السياسية في بلادنا وضعف الصحافة السياسية في بلادهم ، فشباننا يجدون من أخبار السياسة ما يلهيهم عن الأدب الصرف ويحولهم إلى جنود سياسيين ، وشبان العراق لا يجدون من أخبار السياسة ما يلهيهم عن الأدب الصرف ، ولهذا يقبلون على الصحافة الأدبية إقبالاً يستوجب الثناء

ونصل بهذه المحاولة إلى النص على أن أدباء العراق لهذا العهد ينقسمون إلى جيلين مختلفين بعض الاختلاف : الجيل الوثيق الاتصال بالآداب الفارسية والتركية ، والجيل الذي يأخذ أكبر مادة لغذائه العقلي والروحي من الآداب العربية المصرية ، والتفريق أو التمييز بين آثار هذين الجيلين لا يحوج الباحث إلى عناء

ولن يمضي زمن قليل حتى يكون من الصعب أن نجد اختلافاً جوهرياً بين أساليب الكتاب والشعراء في مصر والعراق ، ويومئذ نضمن اتحاد المشاعر والعواطف والقلوب بصورة لا يبقى معها مجال لدسائس الطامعين في تمزيق الوحدة العربية ، وهم أقوام يدخلون من أبواب لا تهتدي إليها الشياطين !

خصائص الأدب العراقي

لكل بلد خصائص ذاتية ترجع إلى طبائع الحياة المحلية . واختلاف الخصائص هو المميز الأعظم لثروة الأدب العربي ، وقد تختلف الخصائص في القطر الواحد ، كالذي نجد من الفرق بين اتجاهات الأدباء في القاهرة والإسكندرية ، أو الفرق بين اتجاهات الأدباء في دمشق وبيروت ، أو الفرق بين اتجاهات الأدباء في النجف وبغداد ، فمن السهل إذاً أن نعرف أن للأدب العراقي خصائص لا توجد في الأدب المصري ، أو توجد فيهما ولكن لا على السواء ، وهل اتفق الجوهر الذوقي في الرائيات الثلاث : رائية أبي نواس ورائية ابن درّاج ورائية البارودي ؛ وهي قصائد موزعة الذوق الفني بين مصر والأندلس والعراق ؟

لا جدال في أن لكل بلد خصائص، فما خصائص الأدب العراقي؟

نقيد (أولاً) أن العراق يميل إلى التحرر من التزام القافية والتزام الوزن في القصيد الواحد ، وتلك رجعة إلى نظام الموشحات ، ولكنها من حيث الصورة تخالف نظام الموشحات ، وأشهر شعراء العراق في الميل إلى هذا التحرر هو الزهاوي . وقد يكون فيهم من اتساق مع تيار الموشحات في أغلب ما نظم من القصائد ، وأشهر هؤلاء هو الحبّوبي

وهذه النزعة وُجدت في مصر ، ولكن بأخف مما وجدت في العراق ، وقد ظهرت ظهوراً قوياً بين الشعراء السوريين واللبنانيين الذين أقاموا دولة للأدب العربي في أمريكا الجنوبية

ونقيد (ثانياً) أن الأدب العراقي يمتاز بالإكثار من الحديث عن الأمم العربية ، فلمصر وفلسطين والشام ولبنان صور كثيرة جداً في أشعار العراقيين ، ويرجع ذلك إلى هيامهم بزيارة البلاد العربية وإلى تعرّف أكثرهم بمصر عن طريق القراءة أو طريق الدرس ، فكثير من أدباء العراق عاشوا في مصر وتزودوا من معاهدها العلمية . وكثير منهم زاروا مصر وعرفوا من أخبارها الصحيحة ما زادهم بها فتوناً إلى فتون ، وقد يصفها أحدهم من قبل أن يراها كما صنع الأستاذ شاكر الجودي

وقد اهتم الأدب المصري بوصف البلاد العربية ولكن بأقلّ مما اهتم الأدب العراقي ، وإن كانت قصائد شوقي في وصف مرابع سورية ولبنان سارت مسير الأمثال

ونقيد (ثالثاً) أن الإخوانيات لا تزال مرموقة المكان عند أدباء العراق ؛ فهم يتراسلون بالرسائل والقصائد على نحو ما كان يتراسل أسلافهم القدماء

وقد انقرض هذا النوع من الأدب المصري أو كاد ، فما عدنا نسمع برسالة كرسالة حفني ناصف إلى توفيق البكري ،

٥ – فى العقــد

لأستاذ جليــل

٣٥ – (ص ٢٢١) ... وأنا أنظر متى يرمينى بسهم يَقصِد به قلبى ...

قلت : ضبطت يقصد بفتح الياء وكسر الصاد وإنما هى يُقصد

فى الأساس : رماه فأقصده وتقصده : قتله مكانه . قال أبو حية النميرى :

رمين فأقصدنَ القلوب ولم تجد دماً مائراً إلا جوى فى الحيازم !

وروت النهاية لحميد بن ثور :

أصبح قلبى من سليمى مُقصدا إن خطأً منها وإن تعمُّدا !

٣٦ – (ص ٣٠٩) إبرهيم بن المهدى قال : قال لى جعفر ابن يحيى يوماً إنى استأذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت أن أخلو وأفر من أشغال الناس وأتروّح، فهل أنت مساعدى ؟ قلت : جعلنى الله فداك، أنا أسعد الناس بمساعدتك، وآنس بمخالاتك...

قلت : إن قصد بـ(أتروّح) التروح بنفسه بالمروحة[1] – وما أظن ذلك – فاللفظة فى مكانها وإلا فهى (أتوحد[2]) كما جاء فى الشرح فى (العقد) أو أستوحد[3] ، أى أنفرد، أو أستريح

وقوله (بمخالاتك) فيه تحريف ، قد يكون أصله بمخالتك أو مخادنتك (أى صحبتك) أو خلوتك أو إخلائك ، يعنى خلوته وإخلاءه به أو إليه أو معه . و(آنس) هى آنسهم

ومن معانى (المخالاة) فى اللغة : الترك . المتاركة . المخالفة . المبارزة . المصارعة . قال : (ولا يدرى الشقى بمن يخالى) . قال الأزهرى : كأنه إذا صارعه خلا به فلم يستعن واحد منهما بأحد . وكل منهما يخلو بصاحبه[4] . وهـذا التفسير المتوهم لا ينعش اللفظة المحرفة

٣٧ – (ص ١٢٣) ونظير هذا قول قطرى بن الفجاءة :

(١) فى الأساس : روح عليه بالمروحة ، وتروح بنفسه

(٢) وحد وتوحدبى مفرداً (التاج)

(٣) استوحد : انفرد (الأساس)

(٤) اللسان . وفى الأســاس : خاليته مخالاة : وادعته . وتخلى من الدنيا وخالاها مخالاة ، وما أحسن مخالاتك الدنيا !

أو قصيدة كقصيدة المازنى فى مداعبة العقاد[٣]

ونقيّد (رابعاً) أن الهجاء لا يزال من الفنون الأدبية فى العراق، وإن كان لا يُنشر فى الجرائد ولا يسجل فى المطبوعات ؛ وهذا الفن لم يبق له فى مصر مجال ، وإن كان تهاجى الصحف الحزبية فى مصر قد وصل إلى أبعد الآفاق فى النمز والتجريح !

ونقيد (خامساً) أن أشعار المجون لها بقايا فى العراق ، وهى أشعار تغلب عليها لطافة الدعابة وخفة الروح ، وهذا الفن قد انعدم فى مصر بموت « الحاجّ » محمد الهراوى ، وإنما قلت « الحاج » لأمطر قبره بفكاهة ينتعش بهـا ثراه ، فقد نظم الهراوى قصائد مجونية تفوق مجونيات أبى نواس ، إن جاز القول بأن الدنيا عرفت ماجناً يفوق أبا نواس ، إلا أن يكون الماجن هو الهراوى ، وكان رحمه الله غاية فى التقى والعفاف ، ولم ينظم أشعار المجون إلا حباً فى تزويد الأدب بمختلف الألوان

ثم نقيد أن للأدب العراقى خصيصة تفوق تلك الخصائص وهى إمعانه فى الصدق ، فهو صورة لما يعانى العراق من خطوب وما يطمح إليه من آمال ، ولو عُصِر الروح العراقى كما يُعصَر الورد لكان عصيره دموعاً تشتهيها الحمامة الموصلية يوم فراق الأليف

أما بعد ، فهذا تمهيد للكلام عن الأدب العراقى ، وهو تمهيد أردنا به تحديد المرحلة التى قطعها العراق ليصل إلى ما وصل إليه من إعزاز اللغة العربية ، وأردنا به النص على روافد الأدب وخصائص الأدب فى ذلك القطر الشقيق

ومن المحتمل أن يكون فى الأحكام التى سقناها فى هذا التمهيد ظِلٌّ من الخطأ الطفيف ، ولكنها فى الجملة تستند إلى قواعد سليمة من آفات الميل والانحراف . فما الذى سنصنع بعد هذا التمهيد ؟

سنتحدث عن الأدب الحديث فى العراق بالتفصيل ، وبأسلوب يقرّبه إلى أذهان القراء كل التقريب ، وسنرى ويرى معنا قراء الرسالة فى مختلف البلاد العربية أن البلاد التى أنجبت المتنبى والرضىّ خليقة بأن تؤيد ماضيها الجميل بحاضر جميل

وما توفيق إلا بالله، عليه توكلتُ، وإليه أُنيب **زكى مبارك**

(حاشية) : ستقع فى الأبحاث الآتية أحكام لا يرضى عنها جميع الأدباء فى العراق ، فليعرفوا سلفا أن الغرض من هذه الأبحاث هو التعريف بالأدب العراقى على حقيقته بلا تزيين ولا تهويل ، ليكون العراقيون على بينة من صورهم الصحيحة فى أذهان من يحبونهم حيناً من الزمان . والقسوة الحق لا تعاب، وإنما يعاب الرفق المصنوع . وإيمانى بأن أدباء العراق لا تؤذيهم كلمة الحق هو الذى يشجعنى على المضى فى هذا الدرس الصريح . (ز . م)

(٣) السبب فى انعدام هذا الفن بمصر هو إقبال الأدباء المصريين على درس المذاهب السياسية والاجتماعية

وقولى كلما جشأت لنفسى   من الأبطال ويحك لا تراعى
فإنك لو سألت بقـاء يوم   على الأجل الذى لك لم تطاعى

قلت : رواية البيت الأول هى هذه :

أقول لها وقد طارت شعاعاً   من الأبطال ويحك لن تراعى

وهو مطلع مقطوعة رواها أبو تمام فى حماسته وابن خلكان فى الوفيات . وجاء فيهما بعد ذينك البيتين :

فصبرا فى مجال الموت صبراً   فما نيـل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز   فيطوى عن أخى الخنع اليراع(٥)
سبيل الموت غاية كل حى   فداعيه لأهل الأرض داعى
ومن لا يُعتبط يسأم ويهرم   وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خـيـر فى حياة   إذا ما عُد من سقط المتاع

قال ابن خلكان : هذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله ، وما أعرف فى هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس أبية ، وشهامة عربية !

ومن قول قطرى(٦) :

ألا أيهـا الباغى البراز تقربن
أساقك بالموت الذعاف المقشّبا(٧)
فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة
على شاربيه فاسقنى منه واشربا

٣٨ — (ص ١٩٠)

أو أبلق ملأ العيون إذا بدا
من كل لون معجب — بنَموذج(٨)

قلت : البيت للبحترى فى قصيدة فى الخيـل : والرواية فى الديوان وشفاء الغليل والتاج هى : أو أبلق (يلق) العيون ... ويلق فى هذا المقام أدق من (ملأ) وأكثر بحترية ...

(٥) أخو الخنع الذليـل ، والخنوع الذلة (اليراع) القصبة التى لا جوف لها . والرجل الذى لاقلب له جبان كأنه لا جوف له . فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه (التبريزى)

(٦) كان طامة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا فى الشجاعة والقوة وله مع المهالبة وقائع مدهشة ، وكان عربياً فصيحاً مفوها وسيداً عزيزاً وشعره فى الحماسة كثير (أعلام الزركلى عن سنا المهتدى المخطوط)

(٧) الذعاف سم ساعة، المقشب: الذى قد خلط به أدوية تقوية (التبريزى)

(٨) النموذج : مثال الشىء أى صورة تتخذ على مثال صورة الشىء ليعرف منه حاله ، معرب نموره ، والعوام يقولون نمونه ، والأنموذج بضم الهمزة لحن ، كذا قاله الصاغانى فى التكملة وتبعه المصنف ، قال شيخنا نقلا عن النواجى فى تذكرته : هذه دعوى لا تقوم عليها حجة ، فما زالت العلماء قديما وحديثاً يستعملون هذه اللفظة من غير نكير (التاج)

٣٩ — (ص ١٨٧)

إمليسة إمليدة لو عُـلِّقت   فى صهوتيه النمل لم تتعلق

وجاء فى الشرح : إمليسة إمليدة : أملس أملد ، أى لين ناعم . والذى وجدناه فى كتب اللغة أن الأمليسة : الصحراء التى لا شىء فيها من نبات ونحوه ، فاستعاره الشاعر هنا للفرس

قلت : روى البيت فى العقد فى قصيدة لحبيب يصف فرساً . وأغلب الظن أن القول هو أمليسه أمليده . والهاء فى اللفظتين ضمير يعود إلى (الأديم) فى بيت جاء فى الديوان المطبوع بعد هذا البيت :

صافى الأديم كأنما ألبسته   من سندس برداً ومن إستبرق

والأمليد والأملود الناعم ، وإمليس أفعيل من الملاسة ، النعومة

٤٠ — (ص ١٧٧) وقيل لرجل جبان فى بعض الوقائع : تقدمْ . فأنشأ يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل   أخاف على فخارتى أن تحطما
فلو كان لى رأسان أتلفت واحداً   ولكنه رأس إذا راح أعقما

قلت : زاد الناسخون الواو فى أول البيت وصاحبه لم يجلبه وفى البيت خرم(٩) ، وهو فى شعرهم كثير ، والحركة فى (لى) تطبيع

٤١ — (ص ٤٢) وقال ابن قتيبة : لم يقل فى الهيبة مع التواضع بيت أبدع من قول الشاعر فى بعض خلفاء بنى أمية :

يغضى حياء ويغضى من مهابته   فما يُكلم إلا حين يبتسم

وجاء فى الشرح : الشاعر هو الفرزدق

قلت : الذى قاله ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) هو هذا : « تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل :

فى كفه خيزران ريحها عبق   من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى . . . البيت . لم يقل أحد فى الهيبة أحسن منه »

والبيت للحزين الليثى (عمرو بن عبد وهيب) فى أبيات قالها فى عبد الله بن عبد الملك « ووفد إلى مصر وهو واليها » كما جاء فى معجم الشعراء للمرزبانى ، وقد نسب البيت فى كتب كثيرة

(٩) الخرم حـذف أول الوتد المجموع من أول البيت كحذف فاء فعولن هنا . وفى قول الشنفري (لاتقبرونى أن قبرى محرم) الرسالة ٣٩٩ ص ٢٠٧ وقد جاء فى الشرح : فى البيت خـذم ، وهذا تطبيع وإنما هو خرم

إلى الفرزدق خطأ ، وربه أولى به ، وفى الرسالة ٣١٦ ص ١٤٥٠ بحث فى هذه النسبة وأبيات الحزين

٤٢ — (ص ١٤٤) . . . أى المكائد فيها أحزم . قلت : هى المكايد مثل الخايل ؛ وهمزُ قراء معايش على التشبيه بصحائف خطأ . وقد وردت اللفظة فى الشرح وفى الصفحة ٢٤٣ مضبوطة

٤٣ — (ص ٨٠)

لو عُدّ قوم وقوم كنت أقربهم قربى وأبعدهم من منزل الذام

قلت : البيت فى مقطوعة منسوبة إلى هشام الرقاشى ، وقد ذكرت فى الشرح روايات مختلفة لها ، ورواية الحماسة والخزانة[١٠] التى لم يشر إليها قد تكون أصحها ، وهى هذه[١١]

أبلغ أبا مِسمع عنى مغلغلَة وفى العتاب حياة بين أقوام[١٢]

أدخلت قبلىَ قوماً لم يكن لهم فى الحق أن يدخلوا الأبواب قدامى

لو عُدقبر وقبر كنت أكرمهم ميتاً وأبعدهم عن منزل الذام[١٣]

فقد جعلت إذا ما حاجتى نزلت بباب دارك أدلوها بأقوام

٤٤ — (ص ٣٥٤) ومنهم (أى من الأجواد) يزيد بن حاتم . كتب إليه رجل من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألف درهم . وكتب إليه : أما بعد فقد بعثت إليك بثلاثين ألفاً لا أكثرها امتناناً ، ولا أقللها تجبراً ، ولا أستثيبك عليها ثناء، ولا أقطع لك بها رجاء . والسلام

قلت : فبعث إليـه بثلاثين ألف درهم ، كما جاء بعد ذلك ، والتعدية بالباء هنا أسلم ، ولقولهم بعثه وبعث به قصة طويلة أنقل بعض ما قيل فيها :

فى اللسان : بعثه أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره ...

فى درة الغواص فى أوهام الخواص : ويقولون بعثت إليه بغلام وأرسلت إليـه هدية ، فيخطئون فيهما لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه بعثته وأرسلته[١٤] ، كما قال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا) ، وتقول فيما يحمل بعثت به وأرسلت به ، كما قال سبحانه إخباراً عن بلقيس : (وإنى مرسلة إليهم بهدية)

فى شرح الدرة للخفاجى : قال ابن بَرّى : بعثت يقتضى مبعوثاً متصرفاً كان أو لا ، تقول : بعثت زيداً بغلام وبكتاب ، فلهذا لزمته الباء ، وكذا أرسلت يقتضى مرسلاً ومرسلاً به متصرفاً كان أو غير متصرف ...

فى المصباح : كل شىء ينبعث بنفسه ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، وكل شىء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به . وأوجز الفارابى فقال : بعثه أى أهبّه[١٥] ، وبعث به : وجهه ...

وروى خبر (العقد) فى (الأمالى) وفيه (روح بن حاتم) مكان (يزيد بن حاتم) و (لا أقللها تكبراً) مكان (لا أقللها تجبراً) و (تمنناً) مكان (امتناناً)[١٦]

ونقل البغدادى فى (الخزانة) هذا الخبر من بن عبد ربه ، أى من (العقد) ، وفيها (لا أقللها تحقيراً)

وقد حوت خزانة كتب البغدادى نسخة من (العقد) ؛ وقد تكون هى الصحيحة المضبوطة . فأين هذه النسخة وأين سائر كتب الرجل التى سماها فى مقدمة مصنفه وهى — كما قال — :

« المواد التى اعتمدنا عليها ، وانتقينا منها ، وهى ضروب وأجناس » ؛ وقد « اجتمع عنده بفضل الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار »

وقد كان البغدادى فى القاهرة ، وفيها خزانة كتبه العجيبة الدهشة ، والعهد قريب . قال فى آخر مؤلفه : « وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف . وانتهاؤه فى ليـلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين . فتكون مدة التأليف ست سنين مع ما تخلل فى أثنائها من العطلة بالرحلة . فإنى لما وصلت إلى شرح الشاهد (٦٩) بعد (٦٠٠) سافرت إلى قسطنطينية فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين ،

---

(١٠) ج ٣ ص ٣٤٥ (١١) فى الخزانة : أوردها أبو تمام والأعلم الشنتمري وصاحب الحماسة البصرية فى حماساتهم لعصام بن عبيد الزماني ونسبها الجاحظ فى كتاب البيان لهمام الرقاشى ، وفى الشرح فى العقد : ونسب (الشعر) فى عيون الأخبار إلى أبى القمقام الأسدى

(١٢) المغلغلة : الرسـالة لأنها تغلغل إلى الانسان حتى تصل إليه من بعد ، من قولهم تغلغل الماء إذ أدخل بين الأشجار (الخزانة)

(١٣) قال الطبرسى : يريد لو عـدت القبور قبراً قبرا إلا أنه اختصر وحذف القبور وجعل القبر فاعلا (نائب فاعل) وأزاله عن سنن الحال. وقيل معناه لو عد قبرى وقبر الداخل قبلى لـكنت أكرم منه ميتا ، والذام لغـة فى الذم

(١٤) قلت : هل يرى الحريرى الريح والصيحة والحاصب مما يتصرف بنفسه ؟ ففى (الـكتاب) : إذ أرسلنا عليهم الريح ، إذا أرسلنا عليهم حاصبا ، إنا أرسلنا عليهم صيحة . . .

(١٥) أهبه : نبهه ، بعثه من منامه وهب السيف اهتز وأهبه هزه ...

(١٦) عدى بعث فى (الأمالى) فى الجملتين بالباء

هل يكفى التراث الشرقى

لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين؟

للأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

التراث الشرقى فى العلوم والآداب والفنون هو ولا شك تراث مجيد ، ولكنه مع ذلك لا يكفى لنضج الحياة العقلية الحديثة عند الشرقيين ؛ بل يجب لكى يصل هذا النضج إلى مداه من التقدم أن يجمع إلى التراث الشرقى خير ما أنتجته وتنتجه القرائح والعقل البشرى فى الغرب . ولا غضاضة علينا فى ذلك ، فإن الأمم الأوربية نفسها وهى التى تم نضج الحياة العقلية فيها ، لا تفتأ كل منها تقتبس عن أية أمة أخرى فى الغرب أو الشرق ما يظهر فيها من مستحدثات التجارب والاكتشافات والمذاهب العلمية . ولذلك قالوا : إن العلم لا وطن له ؛ وإن كان العالم له وطنه كما قال « باستور »

إن التراث الشرقى فى ذاته لم يقف عند مستوى واحد ، ولم يقتصر على طابع واحد ، بل كان ينمو ويتطور على مدى العصور . وفى خلال هذا التطور قد اقتبس عن التراث الغربى القديم ، وكان ذلك من عناصر نموه وارتقائه

فالآداب والعلوم والحياة العقلية فى عصر الجاهلية تختلف طبعاً عما صارت إليه فى صدر الإسلام على عهد الخلفاء الراشدين ، ثم فى عصر الأمويين والعباسيين ؛ وإنتاج القرائح والعقول فى هاتيك العصور قد نما وتطور تبعاً لسنة التقدم الإنسانى ، بحيث أن التراث الشرقى يحتوى على أدوار متعاقبة ، لكل دور طابعه وخصائصه . ولست أريد التوسع فى بيان ذلك لكى لا نخرج عن جوهر الموضوع ، وأكتفى بالإشارة إلى أن الحياة العقلية والأدبية فى عصر العباسيين قد نمت وازدهرت واتسعت آفاقها عما كانت عليه فى عهد الأمويين ، وكان من مظاهر هذا الازدهار ظهور العلوم الدخيلة أى المقتبسة عما وضعه رجال العلم والفلسفة والأدب فى الحضارات القديمة : كالمصريين والفرس واليونانيين والرومان . فإذا قلنا : إن علوم المصريين القدماء والفرس تعد من التراث الشرقى ، فإن علوم الإغريق والرومان وآدابهم هى من التراث الغربى القديم

نقل إذن علماء العصر العباسى علوم اليونانيين إلى اللغة العربيـة ، فترجموا الفلسفة والأدب والمنطق عن أفلاطون وأرسطو ، والطب عن أبقراط وجالنيوس ، والرياضيات والفلك عن أقليدس وأرخميدس ، وغير ذلك كثير ، فكان لهذا الاقتباس أثره فى نضج العلوم والأفكار واتساع محيط الحياة العقلية عند الشرقيين . ولا شك أن العصر العباسى فى التراث الشرقى يعـدّ العصر الذهبى من الناحية العلمية والأدبية والفلسفية . وقد ظهر طابع هـذا العصر فى الشعر والأدب والعلم والفلسفة ، وفى تعدد العلوم وظهور علوم جديدة ، كالطب والكيمياء والصيدلة والجغرافيا والموسيقى والفنون الجميلة . فهذا الطابع يدلنا على أن ازدهار الحياة العقـلية فى التراث الشرقى فى ذاته كان مقترناً بالاقتباس عن الحضارات الأخرى

انتهى هذا العصر الذهبى بسقوط الدولة العباسية ، أو بعبارة أخرى بسقوط بغداد فى يد التتار سنة ٦٥٦ للهجرة (١٢٥٨ م) وجاء العصر المغولى ، ثم العصر العثمانى ، وفيهما أصاب التراث الشرقى الركود ثم الجمود ، وتبع ذلك وقوف حركة التقدم . ثم إن قرائح العلماء والأدباء فى الشرق قد استمرت فى الإنتاج

ولم يتفق لى أشرح شيئاً إلى أن دخلت مصر المحروسة فى اليوم السابع من ربيع الأول ثم شرعت فى ربيع الآخر وقد يسر الله التمام وحسن الختام ... »

ومن الكنوز التى ذكرها فى المقدمة : « الكامل للمبرّد(١٧) وشرحهُ لابن السيد البطليوسى ، ولأبى الوليد الوقشى ، ولغيرها(١٨) ... »

فأين هذه الشروح ؟! أين هذه الشروح ؟! هل عثر عليها أحد ؟! هل اطلع على أحدها أحد ... ؟ !

***

(١٧) المبرد بفتح الراء المشددة كما ضبط ابن خلكان ، تراجع الرسالة ١٩٩ ص ٧١٢ والرسالة ٢٠١ ص ٧٩٧ والرسالة ٢٠٥ ص ٩٥٨ وخزانة الحموى ص ٢٥٦ والأساس ٢ ص ١٩٣

(١٨) ومن تلك الكنوز : كتاب النبات فى مجلدات كبار ستة لأبى حنيفة الدينورى ، منتهى الطلب من أشعار العرب فيه أكثر من ألف قصيدة ، تآليف أبى على الفارسى كالتذكرة القصرية والمسائل البغدادية والمسائل العسكرية والمسائل البصرية والمسائل المنثورة ، كتاب الشعر والشعراء للجاحظ ، أشعار لصوص العرب ... ، أمالى الزجاجى الكبرى ، أمالى الصولى ، أغلاط الكامل للمبرد ، الحماسة البصرية

إلى ابتداء العهد العثمانى ، ولكن مما لا شك فيه أنه منذ الفتح العثمانى لمصر سنة ١٥١٧ قد وقفت حركة التقدم تماماً ، فكسدت العلوم ، وانحط الأدب ، وجدت القرائح ، وتراجعت العقول ، وانقضت نحو ثلاثة قرون والشرق فى تأخر من الناحية العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ بينما الغرب قد أخذ بأسباب الحياة والنهوض فسبق الشرق عدة قرون فى النضج العقلى .

فبديهى أنه عند ما ابتدأ الشرق يستفيق من سباته العميق فى نهاية القرن الثامن عشر كان لا بد أن يقتبس من الغرب ما سبقه إليه فى خلال القرون المتعاقبة ؛ لأن العلوم والآداب والاكتشافات والاختراعات قد ضاعفت تراث الغرب بحيث لا يستطيع الشرق أن يأخذ قسطه من الحياة العقلية إلا إذا اقتبس عنه خير ما انتجته قرائح علمائه وفلاسفته وأدبائه فى خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن . فمثل الشرق فى ذلك كمثل التلميذ الذى يقعده المرض أو الكسل عن متابعة الدرس والتحصيل زمناً ما ، فإذا عاد إلى الدرس كان مضطراً إلى أن يأخذ عن أساتذته أو عن مؤلفاتهم ومذكراتهم ما فاته فى مدة المرض أو الكسل لكى يصل إلى مستوى أقرانه فى المدرسة

ولم يتردد الغرب حين بدأ عهده بالبعث والنهوض فى أن يقتبس عن التراث الشرقى حضارته وعلومه ؛ فقد نقل علماؤه فلسفة ابن رشد ودرسوها واقتبسوا منها ، وكانت ينبوعاً لليقظة العلمية فى الغرب

واقتبسوا أيضاً فى عهد الحروب الصليبية العلوم والحضارة الشرقية وحملوها إلى بلادهم وأفادوا منها ، وكانت من العوامل الجوهرية فى نهضة أوربا

فمن الواجب إذن على الأمم الشرقية إلى جانب إحياء التراث الشرقى القديم أن تقتبس عن الغرب تراثه الجديد ، وتأخذ عنه محاسنه ومزاياه . ولو أن حركة التقدم قد تابعت سيرها فى الشرق ولم يقفها ذلك التأخر الذى أصابه خلال قرون عديدة لزاد من غير شك تراثه فى العلوم والآداب ، ولما سبقه الغرب فى هذا المضمار . أما وقد بعد عهده بازدهار الحياة العقلية فعليه إذا أراد بعث هذه الحياة أن يقتبس عن الغرب علومه الحديثة . وهذا على وجه التحقيق ما اتجهت إليه حركة النهضة العلمية والعقلية فى مصر منذ بداية القرن التاسع عشر ، عند ما ولى أمرها محمد على الكبير . فهو إذ أراد أن يبعث الحياة العلمية والعقلية فى مصر لم يقتصر على إحياء التراث الشرقى القديم بل نقل إليها إلى جانب ذلك علوم الغرب وآدابه . وأوفد لذلك البعثات العلمية إلى أوربا فتلقى أعضاؤها العلوم والفنون والآداب فى جامعات فرنسا وغيرها وعادوا إلى مصر وقد اكتملت ثقافتهم فنقلوا إلى اللغة العربية كتب الطب والطبيعيات والرياضيات والفنون الحربية والآداب والحقوق والعلوم الاقتصادية والاجتماعية . فهؤلاء العلماء الذين استوفوا قسطهم من التراث الغربى هم الذين على يدهم بعث التراث الشرقى القديم فى ثوب قشيب ، فعادت إليه الحياة . ولو أنهم اقتصروا على هذا التراث وحده لما كان فى استطاعتهم بعثه واستظهار مفاخره ومزاياه . فعلى ضوء العلوم الأوربية والثقافة الأوربية قد تكشفت لهم حقائق التراث الشرقى وفهموها حق الفهم ، وربطوا بينها وبين عوامل التقدم الحديث بحيث تابعوا هذه العوامل فنهضوا بهذا التراث وجعلوه ملائماً لمقتضيات العصر الحاضر

هناك وجهات نظر ثلاث لا تزال النهضة العلمية والعقلية فى الشرق مترددة حائرة بينها : إحداها ترمى إلى الاقتصار على التراث الشرقى القديم وإحيائه ، وقصر الحياة العقلية على حدوده ومقتضياته ؛ وهذه الوجهة لا تكفى فيما أعتقد لاستكمال أسباب النهضة والحياة فى العصر الحديث . والثانية اطراح التراث الشرقى جانباً وقطع صلاتنا بالماضى واقتباس الحضارة الأوربية والعقلية الأوربية كما هى بما لها وما عليها ، بمزاياها وعيوبها . وهذه أيضاً وجهة نظر خاطئة تنتهى بنا إلى اقتباس العيوب دون المزايا ، وتؤدى إلى نوع من التبعية العقلية والثقافية لأوربا تتطور مع الزمن إلى تبعية سياسية وقومية . والوجهة الثالثة هى إحياء التراث الشرقى مع اقتباس خير ما أنتجه وينتجه التراث الغربى من الناحية العلمية والأدبية ؛ وهى فى اعتقادى الطريقة الوسط التى تكفل لنا نهضة صحيحة فى الحياة العقلية والفكرية

إنى أجد فى تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ما يؤيد وجهة نظرى ؛ فهو الإمام الدينى العظيم ، ومع ذلك قد اقتبس فى علمه وتفكيره عن العلوم والفلسفة الأوربية ، وطالع الكثير من كتب العلماء والمستشرقين والفلاسفة الأوربيين . وكان يتابع دائماً حركة التقدم العلمى فى أوربا ويخالط العلماء الغربيين ويحادثهم ويأخذ

الغنـــاء والموسيقى
وحالهما فى مصر والغرب
للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

- ٣ -

اشتدّ الاتصال بين مصر والغرب منذ أوائل القرن الماضى بتعدد ضروبه ، مع الزمن ، وتشعّب دروبه ؛ فنمت نزعة المصريين إلى تقليد الغربيين ، شأن المتخلّف المُستضعَف مع المتقدم صاحب الشوكة والغَلَبة السياسية

وخرج العالم من الحرب الكبيرة الماضية ظمآن إلى التشييد والتجديد والتفوق ، مبتلى بأنواع من الفساد وصنوف من الادعاء، وأدرك عندنا جيل نبت فى أثنائها أو بُعيدها ، واتسع أمامه ميدان التقليد فى الضلالة والهدى ؛ وكثر بيننا سالكو مناهجه ومدعو العلم والفن ، والابتكار والعبقرية ؛ فوُجد بطبيعة الحال مَن دعا إلى التجديد فى الغناء والموسيقى ، وإلى تقليد الغربيين فيهما ، وأقبل عليه فريق من المشتغلين بهما

قام بعضهم بتقليد طائش وهم يحسبون أنهم يحتذون مثال الغرب فى فنه ؛ وكان الأصوب والأجدى ألا يقلدهم إلاّ من كان على قدر من المعرفة بفنهم ، بماهيّته الأصلية وأصوله وأنواعه ، مع صحة الفهم لتعابيره ، كى يكون فى مأمن من تشويه ما فى يده بأخلاط لا هى من هذا ولا هى من ذاك ، كما صنع أناس لا يعرفون من الغناء والموسيقى جملة ، إن عرفوا ، سوى المقام وربع المقام وبعض النغمات ومواقعها على المعازف ، وسوى أقيسة ما يغنون أو يعزفون من الألحان الشرقية والغربية

تورط هؤلاء فى تخليط قديمهم المسيخ بما يسرقون ويحرفون من الألحان والموسيقى الغربية القديمة والحديثة ، ومن أصوات « الجاز » وهم يسمون هذا الخليط الغريب من ألحانهم وغنائهم وموسيقاهم فناً وتجديداً ، مع أن هذا الجديد موسوم بالعيوب المبينة فى هذه الكلمات ، ومع ركوده فى قرار سحيق يبعد به كل البعد عن مستوى الفن الحقيقى الذى أوضحنا ماهيته الأصلية

فكل لحن من أكثر جديدهم ألف صنف (أو سلطة روسية — على استعارة فى العامية الفرنسية للمجموع الشوَّش من الأشياء المختلفة) فقد تجد فى هذه السلطة العجيبة عبارة صوتية ممسوخة من أوبرا ، تتصل بأخرى من شارلستون ، تعانق ثالثة من لحن دور عربى تنتهى إلى نغم من تنجو أو رُمْبا ، يتعلق بذنبه شىء من موسيقى « عشرة بلدى » وماذلك إلا تنافر صارخ بين دلالات موسيقية على مدلولات تجمع غضبة مستفحلة — مثلاً — إلى خلاعة إلى بكاء إلى إيحاء شهوى ، إلى ما لسنا نفهم فى الغناء الجديد أو المبتكر ، من أصوات يمطّ ويمدّ فيها حرف أو أحرف مداً قلقاً فى مواقعه ، شاطاً خالياً من التناسب مضحكا فى شذوذه ؛ وتسمع منها جلجلات مستنكرة ينبو عنها الطبع ،

عنهم خير ما أنتجوا . ولقد كان لذلك أثر كبير فى اتساع مداركه وتفكيره ، بل فى قدرته على الدفاع عن الإسلام وتخليصه من الشوائب التى علقت به فى عصور الركود والجمود ، وتفهيم المسلمين وغير المسلمين حقائقه السليمة . ولا أعتقد أنه كان يصل إلى هذه المنزلة لو اقتصر فى علمه وإدراكه على مدارك التراث الشرقى . ولا أعتقد أن معاصريه من العلماء الذين اقتصروا على التراث الشرقى قد وصلوا إلى مثل هذه المنزلة أو خدموا الإسلام مثلما خدمه الأستاذ الإمام

لجيما حمل (هانوتو) حملاته المشهورة على الإسلام لم تجد من يرد هذه الحملات ويفندها تفنيداً علمياً سديداً مثل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وكذلك لا تجدون كتاباً دحض حجج الطاعنين فى الإسلام مثل كتابه (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) ومن يطالع هذا الكتاب أو يطالع رده على هانوتو يجد مبلغ ما اقتبسه عن الفلسفة الأوربية والعلم الأوربى والشواهد الأوربية

قد يكون لنبوغ الشيخ محمد عبده دخل فيما بلغه من المكانة العلميـة ، ولكن هذا النبوغ ذاته قد وجهه إلى الاقتباس من التراث الأوربى إذ وجده ضرورياً لا كتمال نضجه وثقافته وعلمه وفى الحديث الشريف : (اطلبوا العلم ولو فى الصين)

وصفوة القول أن التراث الشرقى يحتوى ولا شك على كنوز من العلم والحكمة والأدب ، ولكننا فى حاجة أيضاً إلى كنوز التراث الغربى الحديث لكى يتم لنا النضج والكمال فى حياتنا العقلية

عبد الرحمن الرافعى

وخلخلات مستغربة غالباً ، لوقوعها فى مواضع ليست لها بين عويل ونواح طويل

واللحن البدع فى الغناء على ذوق الآن (الموضة : à la mode) ، مركب أيضاً ، بعضه شرقى وبعضه غربى ، يولد مسخاً على سنة هذا المذهب الحديث حتى فى الأغنية العربية التى يلفقونها على أوزان لحن بأكمله من رمبا مشهورة أو تنجو معروف ؛ إذ يدخلون فيه عبارات صوتية من ألحان غربية مباينة له وإذ تتنافر مدلولاته الصوتية ومعانى كلام الأغنية فى أذن من يدرك اختلاف المقام المعيّن بالنص العربى ، والمقام المعين باللحن خصوصاً إذا كان يعرف كلام الأغنية الغربية التى سُرق منها اللحن ، فأبشع بهذا الفن الزائف !

الحق أننا لم نفهم غرض القائلين بأن الموسيقى الغربية أقدر من الشرقية الحاضرة ، وبأنه يجب من أجل ذلك أن نحتذى على مثل منشئيها فى موسيقانا ؛ فلم نفطن لما يجمل بنا أن نقلّد فيه الغربيين ، بل اعتززنا بفننا الضالّ ، محدود الإحساس والمدى توهما منا أن موسيقانا أوسع مجالاً وأقدر بربع المقام الذى به نفاخر ونكابر ، ومن قلّت معرفته زاد اعتقاده المعرفة

كان الأحرى أن نقلد غناء الغرب وموسيقاه من حيث هما إجهار بالدلالات الصوتية فى الكلام ، أى لغة نغمية تعبر تعبيره عن خواطر القلب وأحاسيس النفس وجلاجلها ، لأن تلك الدلالات مصداق القائل :

« إن الكلام لفى الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا »

نعم ، كان الأحرى أن نقلد غناء الغرب وموسيقاه من حيث هما يصفان ما يصف الكلام ، ويتناولان مثله شتى الموضوعات من نواحى الحياة الإنسانية وظواهر الطبيعة ومظاهرها التى يتأثر منها الإنسان الحى فى أحضانها ، لأنهما يسايران دلالة اللفظ الصوتية ، مُفخِّمين لها بالإنشاء الغنائى وبالإنشاء الموسيقى ، ويصفان مواقف المسرحيات التى تمثل الحياة من الأوجه المختلفة وكان يحسن أن نقلّد الغرب فيما ارتقت إليه موسيقاه من التصوير[1] الذى عظم شأنه بالتحسين والابتكار فى المعازف

ولقد رأى زُوّار معرض الموسيقى بمدينة فرانكفور الألمانية سنة ١٩٢٨ أن معازف الغربيين كانت تشبه معازف الشرقيين ، وأنهم ظلوا يحسّنونها ويستحدثون غيرها حتى أصبحت آلاتهم الموسيقية متقَنة ، ميسّرة للمنشئ الموسيقى أن يزوّق سياق اللحن الأصلى بألوان من أصواتها تصاحبه وتنمّقه وتؤنّقه فى تواؤم بينها وموافقة له ، فتحجب بهذا التصوير كل وحدة مملّة وكل اطراد مسئم . وقد يبلغ عدد العازفين فى النوبة الكبرى زهاء مائة

ذلك كله هو الشىء الجوهرى الذى يجب أن نعالج تقليد الغربيين فيه عسى أن يشبه فنّنا فنّ الأحياء فى العبارة عن الشعور السليم والمدارك السامية ، وإلا فما فضل ربع المقام الزائد ؟ وماذا يفيدنا ونحن نقف جامدين به وبالمقامات والنغمات جميعاً عند موضوع واحد محدود ليس فيه غير الذلة البشعة ، والحزن القتال ، والشهوة الوضيعة ؟ ولماذا نرضى بالجمود وليس فى فطرتنا الشرقية شىء يمنعنا من التعبير الفنى عن حركات ما أودَعنا الخالق وأودع الغربيين على السواء من نفس بشرية واحدة وغرائز وملكات متماثلة ؟

يعتذر بعض المغنين والموسيقيين عن عيوب فنّهم بذوق الجمهور الذى يرتاح إليه ولا يقبل منه بديلاً . وهم على حق من حيث أنهم من هذا الجمهور وأنه يحتملهم ، ومن حيث أن الذوق كالمَثل الأعلى : ثمرة تنتجها عناصر عديدة منها الوراثة ، والبيئة والتطور .

لكن حقٌ كذلك أن من عوامل التطور تأثير البيئة فى الأفراد وتأثرها منهم ، خصوصاً من الشخصيات القوية بينهم ؛ فالفنان يؤثر فى بيئته وجمهوره وإن تأثر منهما ، ومن هنا نصيبه فى تهذيب ذوق الجمهور وإعلاء مثله الأعلى بقدر مواهبه وسحر فنه ، ومن هنا تبعة الفنون الضالة ومسئولية أصحابها الخلقية فى إفساد الأذواق

وحق أيضاً أن أولئك طلاب منفعة وليسوا بفنانين إلا مجازاً ، لأن محب فنه لا يضحيه تملقاً للعامة وللجماهير ، بل يقدسه قانعاً من الكسب بما يُمسك الرمق . وإن شئت مثلاً لتقديس الفن فانظر كيف أن الموسيقار الفرنسى « بيزيه[2] » — منشئ موسيقى كرمن ، الرواية المشهورة عند فنانينا منذ ألف الخلى

(1) Harmonie

(2) Georges Bizet

ألحان أغانيها العربية[٣] — لم يستملح لذوق مواطنيه الفرنسيين ، حين استهجنوا هذه الموسيقى الوصفية التي أبدع فيها صور بها من حياة الإسبانيين ، ولم يهمل أسلوبه الفنى ؛ فلما علا قدره بكرمن في عاصمة الفرنسويين وطار صيته رجعوا عن خطئهم ، وعرفوا فضل نابغتهم .

نحن إن كففنا عن العيش في الظلام ، وفتحنا بصائرنا للنور الحق ، وسلك الموهوبون منا سبل الإصلاح ، ظهر فينا المغني الأحوزى والموسيقار العبقرى

فإذا أتيح للموسيقى والغناء المصريين أن يظهر من محبيهما فنانون لا تعبأ شخصياتهم القوية بغير فنهم ، ويعرفون ما عندنا وعند غيرنا ، فإنهم يأتون بالجديد السليم الذى يسرى في النفوس ، ويسوق طوائف المحترفين والهواة والمستمعين إلى الطريق القويم فينصلح الذوق العام شيئاً فشيئاً ؛ ثم يتصعد مستوى الفن مع انتشار التعليم والثقافة ، وارتقاء البيئة والحياة الاجتماعية ، فنبلغ الشأو بعد حين . ووجود نقاد يدعون إلى سلوك سبل الإصلاح هو علامة أوانه بل آية إبانه .

ومن لم يصدق ما قرأ في هذه الكلمات فإني أوصيه بأن يطلع على بعض كتب الموسيقى الشرقية ، وعلى شيء من تاريخ الموسيقى الغربية ومذاهب أصحابها ونقادها ؛ وبأن يصغى بانتباه إلى مختارات منها بإرشاد من يفهمها[٤] ؛ ولعله يستيقن بعد ذلك أن سبيل الإصلاح والترقى في الغناء والموسيقى عندنا هو دراستهما دراسة فنية ثقافية جدية ، وتقليد الغرب فيما تقدمت الإشارة إليه ؛

وليس شك في أن المعارضين يسلمون بهذا في مستقبل قريب أو بعيد ، تسليم أناس كانوا قبل سنين أدبرت ينمون على المستنيرين معالجتهم إنقاذ اللغة والأدب من جمود طالما أرادوهما عليه ، ويرمون بإبليس دون الكفر كل من قال بوجوب الإصلاح من شئون الأزهر

محمد توحيد السلحدار

(٣) كتبنا تقدأ لتمثيل هذه الرواية بالعربية ، ولألحانها وموسيقاها التي ألفها الحلبي ، ولعله تقد يزيد هذه الكلمات وضوحاً لمن يرجع إليه ؛ وقد نشرته الأهرام بأعداد نقلتها صدرت من منتصف ابريل سنة ١٩١٧

(٤) ان محطة الاذاعة تسمع الجمهور من حين إلى حين بعيد شيئاً من الموسيقى الغربية ، وانها لتحسن عملا اذا هي ساعدت على دفع المغنين والموسيقيين في حركة اصلاح ، وذلك بأن تذيع مرة على الأقل في الأسبوع مختارات من الموسيقى الغربيه تعزفها نوبة كاملة ، جديرة بعزفها ، مختارات مخصوصة يتقدم كلا منها شرح لموضوعه وبيان لدلالاته الصوتية ، والفرق بينه وبين سابقه ولاحقه ، ولو بإيجاز .

من ليالى كليوبترا

للأستاذ على محمود طه

[كتبت إلى الشاعر تقول : « قرأت لك من ليلة النيل والموج ، وهو يروى حلم ليل من ليالى كليوبترة ، فهلا وصفت لنا ليلة من هذه الليالى ؟ وهل لنا بصورة حلم من أحلامها ؟ » فإلى صاحبة تلك الإثارة الرائعة إهداء هذه القصيدة]

كليوبترا ! أىُّ حلمٍ من لياليك الحسانِ
طاف بالموج فغنَّى وتغنَّى الشاطئانِ
وهفا كلُّ فؤادٍ وشدا كلُّ لسانِ
هذه فاتنةُ الدنيا وحسناء الزمانِ
بعثتْ فى زورقٍ مستلهَمٍ من كل فنّ
مرِحِ المجدافِ يختالُ بحوراء تغنِّى
يا حبيبي هذه ليلةُ حبِّى آهِ لو شاركتنى أفراحَ قلبي !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عشاقٍ سكارى
سبقتْ كلَّ جناحٍ فى سماء النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ والفرحةَ والوجدَ المثارا
حلوةٌ صافيةُ اللحنِ كأحلامِ العذارى
حلمُ عذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءِ
فتغنتْ بشراعٍ من خيالِ الشعراءِ
يا حبيبي هذه ليلةُ حبِّى آهِ لو شاركتنى أفراحَ قلبى !

وتجلَّى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يميدُ
يتهاداه على الموجِ نواتىُّ عبيدُ
المجاديفُ بأيديهم هتافٌ ونشيدُ
ومصلُّونَ لهم فى النهرِ محرابٌ عتيدُ
سحرتْهم روعةُ الليلِ فهم خلقٌ جديدُ
كلُّهم ربٌّ يغنِّى وإلهٌ يستعيدُ
يا حبيبي هذه ليلةُ حبِّى آهِ لو شاركتنى أفراحَ قلبى !

إصدحى أيتها الأرواحُ باللحنِ البديعِ
وامرحى يا راقصاتِ الضوءِ بالموجِ الخليعِ
قبِّلى تحتَ شراعى حلمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بين ضفافِ النيلِ فى ليلِ الربيعِ
رنَّحتْه موجةٌ تلعبُ فى ضوءِ النجومِ
وتنادى بشعاعٍ راقصٍ فوقَ الغيومِ
يا حبيبي هذه ليلةُ حبِّى آهِ لو شاركتنى أفراحَ قلبى !

ليلُنا خمرٌ وأشواقٌ تغنِّى حولَنا
وشراعٌ سابحٌ فى النورِ يرعَى ظلَّنا
كان فى الليلِ سكارَى وأفاقوا قبلَنا
ليتهم قد عرفوا الحبَّ فبانوا مثلَنا
كلما غرَّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحنا
يا حبيبى كلُّ ما فى الليلِ روحٌ يتغنَّى
هاتَ كأسى إنها ليلةُ حبِّى آهِ لو شاركتنى أفراحَ قلبى !

يا ضفافَ النيلِ باللهِ ويا خضرَ الروابى
هل رأيتنَّ على النهرِ فتًى غضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ في النورِ المذابِ
سابحاً فى زورقٍ من صنعِ أحلامِ الشبابِ ؟
إنْ يكنْ مرَّ وحيَّا من بعيدٍ أو قريبِ
فصفيه ، وأعيدى وصفَه فهو حبيبى !
يا حبيبي هذه ليلةُ حبِّى آهِ لو شاركتنى أفراحَ قلبى !

أنتِ يا من عذتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى
يا ابنةَ النهرِ الذى غنَّاه أربابُ الخيالِ
وتمنَّتْ فيه لو تسبحُ ربَّاتُ الجمالِ
موجُه الشادى عشيقُ النورِ معبودُ الظلالِ
لم يزلْ يروِى وتُصغِى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضرُ سكرَى والسنَى كأسٌ تدورُ
حلمُ لم تروِه ليلةُ حبٍّ فاذكريه واسمعِى أفراحَ قلبى !

على محمود طه



الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى

تأليف الدكتور زكى محمد حسن

للدكتور محمد مصطفى

— ٢ —

وفى كلام المؤلف فى الفصل الذى كتبه عن « التذهيب » يقول فى (ص ٧٠) — بدون أن يذكر المرجع — ما يأتى :

« أما زخارف الصفحات المذهبة ، فكانت فى البداية خليطاً من العناصر الزخرفية الساسانية والبيزنطية والقبطية ، فضلاً عن الرسوم المنقولة من كتب اليهود وكتب المسيحيين من أتباع الكنيسة الشرقية »

وأجمل المؤلف فى العبارة التالية لهذه كلامه عن بعض هذه الزخارف .

وقد كتب الدكتور ريشارد أتينجهاوزن[11] بحثاً وافياً عن تذهيب المخطوطات فى إيران ووصف هذه « العناصر الزخرفية » فى صفحتى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ من هذا البحث

ومن الغريب أن نلاحظ أن الدكتور زكى محمد حسن فى هذا الفصل الذى كتبه عن « التذهيب » (ص ٦٨ — ٧٣) لم يشر فى أية ناحية منه إلى هذا البحث الذى كتبه الدكتور ريشارد أتينجهاوزن فى نفس هذا الموضوع ، مع أن هذا البحث يعد أحدث بحث على واف عن تذهيب المخطوطات فى إيران ، فضلاً عن أن جميع البيانات التى كتبها الدكتور زكى عن التذهيب فى إيران فى عصوره المختلفة بمـا فى ذلك الحواشى الأربع التى وردت فى هذا الفصل من كتابه ، قد جاءت كلها ضمن ما كتبه الدكتور أتينجهاوزن فى البحث المذكور وما أورده فيه من حواش

فإننا نرى أن ما كتبه الدكتور أتينجهاوزن فى ص ١٩٤٧ مفصلاً عن ميزات المخطوطات المذهبة فى العصر السلجوق ، قد أورده الدكتور زكى مجملاً فى الفقرة الأخيرة من ص ٧٠ ، وفى ص١٩٥١ — ١٩٥٢ تفصيل ما جاء فى الفقرة الأولى من ص ٧١ عن الطريقة الجديدة فى الزخرفة والتذهيب فى هذا العصر . وفى ص١٥٥٩ — ١٩٥٦ ما جاء فى الفقرة الثانية من ص ٧١ عن المصحف المحفوظ بدار الكتب المصرية . وفى ص ١٩٦٠ بما فى ذلك الحاشية رقم ١ ما جاء فى الفقرة الأولى من ص ٧٢ والحاشية رقم ١ فى الصفحة نفسها عن مخطوط الشاهنامة المؤرخ سنة ٨٣١ هـ . وأيضاً فى ص ١٩٦٠ وفى الحاشية رقم ٥ ما جاء فى الفقرة الثانية من ص ٧٢ والحاشية رقم ٢ فى هذه الصفحة عن أعلام المذهبين فى العصر التيمورى . وفى ص ١٩٦٠ — ١٩٦١ ما جاء فى الفقرة الثالثة ص ٧٢ عن رسوم النبات والزهور . وفى ص ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ما جاء فى الفقرة الرابعة من ص ٧٢ عن أعلام المذهبين فى العصر الصفوى . وفى ص ١٩٦٩ ما جاء فى الجملة الأولى من الفقرة الأولى فى ص ٧٣ عن بعض ميزات المخطوطات الصفوية . وفى ص ١٩٧٠ — ١٩٧١ والحاشية رقم ٩ ص ١٩٧٠ ما جاء فى العبارة الثالثة من الفقرة الأولى فى ص ٧٣ بما فى ذلك الحاشية رقم ٢ فى هـذه الصفحة عن مخطوط بستان سعدى المحفوظ فى دار الكتب المصرية ، وما فيه من « رسم بطة تطير بين سحب صينية » . وفى ص ١٩٧٢ والحاشية رقم ٥ فى هذه الصفحة ما جاء فى الجملة الثانية من الفقرة الأولى فى ص ٧٣ والحاشية رقم ١ فى هذه الصفحة عن مخطوط منظومات الشاعر نظامى

ومما تقدم يتبين أن الدكتور ريشارد أتينجهاوزن قد سبق الدكتور زكى محمد حسن فى سرد الحقائق العلمية عن التذهيب فى إيران ، وقد كان من الواجب على الدكتور زكى أن يشير ، فى الفصل الذى كتبه عن التذهيب ، إلى هـذا البحث ، لا سيما وأن جميع البيانات والحواشى التى أوردها في هـذا الفصل قد جاءت — كما رأينا — بنفس التسلسل الذى جاءت به ضمن البيانات والحواشى التى كتبها الدكتور أتينجهاوزن

وفى كلامه عن مسألة كراهية التصوير فى الإسلام (ص ٧٤ وما بعدها) لم يأت المؤلف برأى شخصي قاطع فى هذا الموضوع ، بل اكتفى بأن قال : « على أننا لا نميل إلى أن نصدق أن التصوير كان غير مكروه فى عهد النبي عليه السلام وعصر الخلفاء الراشدين ، بل أكبر الظن أن ... » ثم بدأ الفقرة التالية لهذه العبارة بقوله :

(١١) أنظر تذهيب المخطوطات للدكتور ريشارد أتينجهاوزن في S. P. A. ج ٣ ص ١٩٣٧ — ١٩٧٤ .

١٦ . ٢٥

« ومهما يكن من الأمر فإن . . . » وقد أشار إلى آراء العلماء الأوربيين بدون أن يناقشها وبدون أن يذكر شيئاً مما جاء فى أبحاثهم العلمية

ويقول فى ص ٧٦ : « وقد قيل إن العرب ورثوا عن اليهود كراهية التصوير ، وإن أقل الشعوب الإسلامية اكتراثاً بتحريم التصوير فى الإسلام إنما هى الشعوب غير السامية الأصل

وبنى على ذلك قوله فى ص ٧٩

رابعاً — إن الإيرانيين قوم من الجنس الآرى ، ولم يكونوا كالساميين يحسون شعوراً نفسانياً يبعدهم عن التصوير

ولـكن نسبة العرب إلى الجنس السامى لا تزال موضع دراسة عند علماء الأجناس . والمسألة هنا مسألة أحاديث نسبت إلى النبى (ص) ويهم المسلمين جيماً — سواء منهم العرب أو الإيرانيون والشيعة أو السنييون — أن يعرفوا مبلغ صحة نسبتها إليه . وهل ترتبت كراهية التصوير فى الإسلام على هذه الأحاديث أو على عوامل أخرى دخيلة على الإسـلام[١٢] . وإذا تكلمنا عن نسبة العرب إلى الجنس السامى ، وجب علينا أن نبحث فيما إذا كان مسيحيو الشرق الأدنى من الجنس السامى أو الآرى ، وهم كما نعلم من العرب أيضاً ، وقد أخذت عنهم مدرسة العراق أو المدرسـة السلجوقية « الأسلوب الفنى » فى التصوير ، وكما يعترف المؤلف فى ص ٨٤ أن هذه المدرسة « كانت عربية أكثر منها إيرانية ، فالأشخاص فيها عليهم مسحة سامية ظاهرة، والأسلوب الفنى مأخوذ ـ إلى حد كبير ـ عن الصور فى مخطوطات المسيحيين من أتباع الكنيسة الشرقية »

وفى ص ٨٠ أورد المؤلف حاشية طويلة عن تصوير مخطوطات كتاب كليلة ودمنة، وكذلك بعض العبارات التى قالها ابن المقفع الذى ترجم هذا الـكتاب إلى اللغة العربية ، عن فوائد الكتاب تستنتج منها أن التصوير يمكن إرجاعه إلى عصور مبكرة فى الإسلام . ولـكن المؤلف لم يذكر المرجع الذى أخذ عنه هذه الحاشية . وبالنسبة لما لهذه الحاشية من الأهمية الخاصة فى تاريخ التصوير ، أقول إننى قد عثرت على حاشية مماثلة لحاشية المؤلف كتبها الأستاذ بوب[١٣] يعلق بها على ما جاء فى كلام الأستاذ كينل عن مخطوط كليلة ودمنة

وقال المؤلف أيضاً فى ص ٨٠ « ونحن نذهب إلى أن المسئول عن طبيعة التصوير الإيرانى هى البيئة التى يعيش فيها الفنانون ، والأساليب الفنية التى ورثوها عن أسلافهم من سكان الهضبة الإيرانية وبلاد العراق والجزيرة والشرق الأدنى عامة ، فإن هؤلاء لم يكن لديهم ، من الحفلات والألعاب الرياضية والمناظر الطبيعية والعناية بالتربيـة البدنية وتقوية الأجسام ، ما يمكن أن يدفعهم — كالإغريق مثلاً — إلى دراسة الجسم الإنسانى دراسة متقنة والعمل على تصويره أو صناعة التماثيل له بدقة يراعى فيها صدق تمثيل الطبيعة »

ولكن المؤلف يقول فى ص ١٨٦ : « وقد استعمل الخزفيون فى الرى عدداً وافراً من الزخارف الهندسية والنباتية ، ورسموا معظم الحيوانات التى عرفوها فى ذلك الوقت ، ولا سيما الأرنب وكلاب الصيد ، كما اتخذوا بعض الزخارف من مناظر الرقص والطرب والموسيقى والصيد ، ولعب الصوالجة (البولو) والحفلات الرسمية ، بل لقد رسم أحدهم صورة طبيب يفصد سيدة أنيقة »

وعلاقة خزف مدينة الرى بالتصوير يقول عنها المؤلف ص ٨٥ : « ولعل أكبر دليل على العلاقة الوثيقة بين هذه الصور السلجوقية وإيران أن رسومها تشبه الرسوم الموجودة على الخزف الإيرانى المعروف باسم (مينائى) والتى كانت مدينة الرى أعظم مراكز صناعته »

ومن عبارة المؤلف عن الخزف نرى أنه كانت لديهم من الحفلات والألعاب ما يمكن أن يدفعهم إلى مراعاة الدقة فى صدق تمثيل الطبيعة . ولكنى أظن أن السبب فى ذلك هو كما قال الأستاذ لورنس بنيون[١٤] : « إن الروح التى تسود التصوير الإيرانى هى روح الخيال ، فالإيرانيون يحبون ما هو عجيب ومدهش . والخيال بالنسبة لنا (للأوربيين) هو الهروب من عالم الحقيقة إلى عالم العجائب . أما بالنسبة لهم (للإيرانيين) فهو نسيم الحياة »

ويستشهد المؤلف فى ص ١٢٩ بمثال ضربه الأستاذ لورنس بنيون ولـكنه لم يذكر المرجع . وإنى أظن أنه أخذ هذا المثال من مقال الأستاذ بنيون فى S. P. A.[١٥]

وفى ص ١٣٠ يقول المؤلف « أجل ، إن تصوير المناظر الطبيعية لم يكن عندهم فرعاً مستقلاً من فروع التصوير ، ولم

---

(١٢) أنظر رأى الأستاذ كريسويل فى هذا الموضوع فى كتابه Early Muslim Archikchwre ص ٢٦٩ — ٢٧١ .

(١٣) فى S. P. A. ج ٣ ص ١٨٣١ حاشية ٣ .

(١٤) أنظر : Laurence Binyon, The Qualities of Beauty in Persian Painting, in : S. P. A. III, p. 1913

(١٥) نفس المرجع ص ١٩١٣ .

تكن له المكانة التى وصل إليها عند الغربيين والصينيين ، ولكنهم عرفوه . ولم ينصرفوا عنه لعجز ، وإنما لأنه لم يوافق طبيعتهم الفنية . واعتقادهم أن الإنسان هو المحور الذى تدور حوله هذه الحياة . فالفنان الإيرانى يأخذ من الطبيعة ما يريد ، ولكنه لا يتقيد بها .

وقد جاءت هذه العبارة شديدة الاقتضاب بحيث يمكن أن يفهم منها عكس ما يريد المؤلف قوله ، وإنى أورد فيما يلى عبارة مماثلة من مقال الأستاذ لورنس بنيون[١٦] لشرح ذلك :

« لا تختلف التقاليد الصينية واليابانية فى التصوير اختلافاً جوهرياً عن تقاليد الفنانين الإيرانيين فيما يختص بالصور المخصصة لرسم الأشخاص أو الصور التى يرى عليها أشخاص فى وسط مناظر طبيعية . أما المناظر الطبيعية نفسها فإنها وإن كانت معروفة فى الفن الإيرانى ، إلا أنها لم تصل إلى الدرجة التى تكون فيها كفرع مستقل من فروع التصوير ، فلم تصبح أبداً مرآة تنعكس فيها أعمال الإنسان ، بل كانت تمثل فقط صورة لأحد المناظر . وكانت للمناظر الطبيعية فى الصين هذه الدلالة ، بل وأكثر من ذلك ، فإنها كانت محاولة للتعبير عن صلة الإنسان بالكون ، وبما أن الكل أعظم من الجزء ، وحياة الإنسان جزء من الطبيعة ، لذلك نرى أن الصينيين ينزلون تصوير المناظر الطبيعية فى أعلى منزلة بين فروع التصوير . وهذا الاختلاف فى طبيعة الفن يأتى من الاختلاف فى تكوين عقلية الشعوب . فعند الإيرانيين ، كما هو الحال عند الأوربيين فى أغلب الأحيان ، نجد أن الإنسان وأعمال الإنسان هى الموضوع الرئيسى الذى تعطى له أهمية خاصة ، أما الطبيعة فتبقى فيما بعد ذلك ، ولا تدرس لنفسها »

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ بوب والدكتور أكرمان[١٧] ما يلى : « الحديقة موضوع رئيسى فى كثير من الفنون الإيرانية ... وقد أدى استعمال لوحات القاشانى فى المبانى إلى إمكان تحويل مبنى بأكمله إلى مجموعة ذات ألوان بهجة من الزهور ، تكوّن كتلة واحدة مع الحديقة ذات الزهور الحقيقية التى يقوم المبنى فى وسطها ... وقد تركت الديانة الزردشتية الحياة فى الآخرة غامضة ومبهمة ؛ أما الإسلام فقد كان صريحاً فى ذلك ووعد المتقين بحياة خالدة فى جنات النعيم

(١٦) نفس المرجع ص ١٩١٢ — ١٩١٣ .

(١٧) انظر الحدائق للاستاذ Pope والدكتور Ackerman ، فى S. P. A. ج ٢ ص ١٤٢٧ .

ويقول الأستاذ بوب[١٨] وقد كان معروفاً أن الإيرانيين لم يباشروا أبداً تصوير المناظر الطبيعية الخالصة ، ولكن لا يكاد المرء يكون نظرية فى أى فرع من فروع الفن الإيرانى حتى يظهر اكتشاف جديد يقضى على هـذه النظرية ، وقد وجد الدكتور أجا أوغلو فى استانبول اثنتى عشرة غاية فى الإبداع والجمال ، من المناظر الطبيعية الخالية من أية صورة آدمية

وقد نشر الدكتور محمد أجا أوغلو تسعاً من هذه الصور[١٩] وهو يقول عن تصوير المناظر الطبيعية ما يأتى[٢٠] :

« وإذا حكمنا بما وصل إلينا من الصور إلى الآن ، نجد أن تصوير المناظر الطبيعية لم يعالج كفرع قائم بذاته من فروع التصوير فى إيران ... وليس هذا معناه أن تمثيل الطبيعة كان غريباً على الفنانين الإيرانيين ، فقد كانت المناظر الطبيعية والمبانى فى أشكالها المختلفة موضوعاً محبوباً لديهم لتمثيل الفروسية والحماسة والمناظر الأخرى . ومنذ بدء ارتقاء فن التصوير يمكننا أن نلاحظ ابتهاجاً آخذاً فى الازدياد فى معالجة المناظر الطبيعية كموضوع زخرفى » .

« له بقية » محمد مصطفى

(١٨) انظر : a. u. Pope, An Introduction to Persian Art ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(١٩) فى مجلة Ars Islamica ج ٣ سنة ١٩٣٦ ص ٧٧ — ٩٨ راجع أيضا الأستاذ Kühnel تاريخ التصوير والرسم ، فى S. P. A. ج ٣ ص ١٨٢٩ (٢٠) نفس المرجع ص ٨١ و ٨٥ .



إعجاب وتقدير

أيها الأستاذ الجليل (***)

إني ليطربني يا سيدي أن أقرأ لكم هذه المقالات القديرة، الزاخرة بالفائدة، في نقد الطبعة الأخيرة من (العقد الفريد).

وليست تلك النقدات وحدها هي التي سبتني من علمك الغزير، واطلاعك المنقطع النظير، وإحاطتك بما تكنّه ضمائر أسفار السابقين الأولين من أئمة اللغة وحفاظها، بل قد تتبعت في الرسالة الغراء كل ما دبّجته يراعتك منذ أول عهدك بها، لم تفتني منه فائتة؛ بل لقد اتخذت منه دروساً أتوفر عليها وأعكف على الإفادة منها، والتضلّع من مَعِينها الفيّاض

وإني لأعجب يا سيدي كل العجب - في هذا العصر الذي يُباهَى فيه بالقشور وسُخْف القول - كيف تتستّر وتحتجب، وتقف في تواريك هذا وعزلتك مرشداً وهادياً، لا تبغي غير خدمة وطنك ولغتك

وإن أسفت على هذا التستّر والاحتجاب، فإنما أسفي على أن أمثالي من طالبي المعرفة يودّون لو أتيحت لهم فرصة لقائك، ليستزيدوا منك، وليتحلّوا بما يشهدون فيك من كمال الخُلق، ولكنك زَهِدْتَ في نباهة الذكر، وعِفْتَ الإعلان، وآثرت العمل في جوٍّ خلوٍ من الصخَب والضوضاء

ضربت يا سيدي المثل في التواضع وإنكار الذات، وضربته في طُهْر قلمك من لُوثة الزهو والعجب والمباهاة. فليتعلم من هذا المثل الصالح مَنْ يتصاولون على صفحات الجرائد والمجلات، فيَدَعون ما يتصاولون من أجله، ويخرجون إلى ميادين العيب والتجريح. ليتعلم هؤلاء منك ومن أمثالك الأعفاء، أن يقصروا أقلامهم على ما يدافعون عنه من عقيدة: الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان. ولينسوا أنفسهم وأهواءهم في سبيل الحق، وليدَعوا شهوة الانتقام والتشفي، فإن أوقات القراء لأنفس من أن تبعثر في مثل هذا اللغو والزور من القول.

مزيداً مزيداً أيها الباحث الجليل، فإنا إلى علمك وفضلك وخُلقك لعطاشى

(ا. ع)

مقالة الأستاذ السباعي بيومي

أثبتت مقالة الأستاذ الكريم ما قلته في غنى اللغة واستفادة الناس من خطأ الكبار في بعض الأوقات، فأعطى لسان العرب ما أعطاه إياه، وأفاد القوم بما أملاه وإن أحب أن يخالف الأئمة: سيبويه والزمخشري والتبريزي والرضي وابن هشام. فهل يأذن اليوم (أطال الله بقاءه، ولا زال في حصن العربية: (دار العلوم) من أكبر حماته وحماتها) بملاوات، بشواهد الجاهليين أو إسلاميين أو المولدين الأولين متفضلاً بمراجعة ما قال الأئمة في قوله تعالى: «فلا اقتحم العقبة» وحياه الله، وحيا ربعه!

ناقد

الفقر

الحرب قائمة في هذه الأيام بين الأديب الكبير الدكتور زكي مبارك وبين جماعة من أجل مقالة نعى فيها الدكتور على الفقراء (المساكين) كسلهم وتواكلهم وغير ذلك. وقد ذكرني البحث في الفقر والفقراء — والشيء بالشيء يذكر — بقول موجز للراغب في (الذريعة) فأحببت نشره في (الرسالة) الغراء وإن كان فقراء (الراغب) يخالفون فقراء (الدكتور زكي مبارك). فالراغبيون يبعثهم الفقر على الكد، والباركيون دعاهم فقرهم إلى الكسل ... قال الراغب

«حصول الفقر وخوفه المنتجان للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكد ومنفعة الناس إما باختيار وإما باضطرار. وقد قيل: قيام العالم بالفقر أكبر من قيامه بالغنى، لأن الصناعات القائمة بالغنى ثلاث: الملك والتجارة والكتابة، وسائرها قائمة بالفقر؛ فلو لم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة، ومن كان ينقل المير والملابس من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال؟ وعلى منفعة الفقر نبه الله تعالى بقوله: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض)

ومن تدبر صنع الله تعالى فى ذلك وتأمل ما أشار إليه فى هذه الآيات التى ذكرها لم تعرض له الشبهة التى تعرض لمن يقول: (إذا كان الله جواداً واسعاً فلم خص بعضهم بالغنى، وجعل أكثرهم فقراء؛ ومن حق الغنى الذى لا يفنى غناه، والجواد الذى لا يعرف لجوده منتهاه، ألا يخص بالعطية بعضاً دون بعض) وذلك أن الجواد هو الذى يعطى كل أحد بقدر استئهاله على وجه يعود بمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل ذلك بالعباد.

ذالكم قول (الذريعة)، وتلكم شرعة الدنيا إلى أن تشاء المقادير، تبديل المساتير. «باحث»

فى العقد

ورد فى مقالة الأستاذ (الجليل) الذى يستدرك ما فى طبعة العقد من الخطأ البيتان الآتيان:

جانيك من يجنى عليك وقد تُعْدِى الصحاحَ مباركُ الجرب
ولرب مأخوذٍ بذنب عشيرهِ ونجا المقارف صاحب الذنب

وقد اختلفت روايات البيت الثانى فى الكتب، والرواية التى ذكرها الأستاذ تجعل صدر البيت (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) مع أنها فى صدر الأبيات الأخرى وفى عجزها أيضاً على وزن (متفاعلن متفاعلن فَعِلن أو فَعْلُن) فتجعل قول الشاعر (ولرب مأخوذٍ بذنب عشيرهِ) شاذاً زائداً عن كل صدر وعجز وإن كان وزنه كاملاً تاماً. وشذوذ هذا الصدر مما لا تسيغه الأذن وإن كان العرب قلما كان يكرثهم أن يشذ الشاعر منهم فيخرج من ضرب إلى ضرب ويرد التفعيلة إلى تمام مبناها فى بعض أبيات قصيدته. لكن اختلاف الرواية إذا أضيف إلى الشذوذ والنبو فى الأذن يجعلنا نأخذ برواية البيت التى هى على ضرب وزن الأبيات الأخرى والتى يتفق فيها الصدر والعجز وهذه الرواية هى:

ولرب مأخوذ بلا قرفٍ ونجا المقارف صاحب الذنب

وورد أيضاً (بلا تِرَةٍ) أى من غير وتر؛ وأورده صاحب مجموعة المعانى (ولم يقترف) ولكن روايته تغير فعلن إلى فاعلن. أما الزيادة فى المعنى التى أوجبت الزيادة فى ضرب الوزن فى قوله (بذنب عشيره) فغير ضرورية لأن المأخوذ ظلماً قد يؤخذ ظلماً بذنب غير عشيره. ونرجو من أستاذنا الجليل أن يردنا إلى الصواب إن كان فى قولنا خطأ.

عبد السميع صبرى

وأد البنات عند العرب فى الجاهلية

ذكر الأستاذ على عبدالواحد وافى فى العدد الممتاز أنه لا يصح إرجاع وأد البنات عند العرب فى الجاهلية إلى فقرهم، لأن ذلك كان يفعله أغنياؤهم وفقراؤهم، ولا إلى غيرتهم على أعراض البنات، لأن ذلك يرجع عند من يراه إلى قصة قيس بن عاصم. ووأد البنات أقدم منها عند العرب، وقد رأى أن يرجع ذلك إلى سبب استنبطه من الآيات القرآنية التى وردت فى وأد البنات؛ وهو أن بعض العرب كانوا يعتقدون فى البنات أنهن من خلق إله اليهود، وكانوا ينظرون إليه نظرة كنظرتنا الآن إلى الشيطان؛ أما الذكور فمن خلق آلهتهم، ولهذا كانوا يعتقدون فى البنات أنهن رجس يجب التخلص منه بالقتل، ثم ساق الآيات التى استنبط ذلك منها، فساق أولاً قوله تعالى: (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون. ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به؛ أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب، ألا ساءوا ما يحكمون) الآيات ٥٦ — ٥٩ من سورة النحل، وقد فسر البنات فى ذلك بالأناث من البشر، وحمل قوله تعالى (ولهم ما يشتهون) على أنهم يجعلون لآلهتهم ما يشتهون من البنين، وكل من التفسيرين غير صحيح، لأن المراد من البنات الملائكة الذين كانوا يقولون عنهم إنهم بنات الله، والمراد من قوله تعالى (ولهم ما يشتهون) أنهم يجعلون لأنفسهم لا لآلهتهم البنين الذين يشتهون، فينسبون لله من البنات ما يكرهونه لأنفسهم، وهذا هو الذى ينطق به ما ساقه من باقى الآيات، كقوله تعالى: (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين، أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين، وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد

الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) الآيات ١٥ — ١٩ من سورة الزخرف ، فمن جعلوهم جزءاً هنا لله هم البنات فى آيات النحل ، وهم الملائكة الذين جعلوهم أناثاً هنا ، والمراد أنهم جعلوهم أولاد الله ، فأين هـذا من تفسير الأستاذ وافى لهم بالبنات من بنى آدم ، وأن العرب كانت تعتقد أنهن خلق الله لا خلق آلهتهم ، وكذلك قوله تعالى (وأصفاكم بالبنين) صريح فى أنهم كانوا يجعلون البنين لأنفسهم ، وليس الأمر كما فهمه الأستاذ وافى من أنهم كانوا يجعلونهم لآلهتهم ، وأصرح من هذه الآيات فى ذلك قوله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيما) .

فليس فى شىء من الآيات التى ساقها الأستاذ وافى ما يفيد أن العرب كانوا يعتقدون أن بناتهم من خلق الله ، وأنهم كانوا يئدونهن كرهاً لهن لأنهن غير مخلوقات لآلهتهم . وليت شعرى بعد هذا من أين أخذ الأستاذ وافى أن العرب الذين كانوا يئدون البنات كانوا يعتقدون فى الله تعالى ذلك الاعتقاد ، وينظرون إليه كما ننظر إلى الشيطان ، وهم الذين قال الله فى حقهم من سورة الزخرف أولاً (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) الآية — ٩ — ثم ذكر بعد ذلك الآيات السابقة فى نسبتهم البنات من الملائكة إليه تعالى

والحق عندى أن وأد البنات كان بعضه للفقر من الفقراء ، وكان بعضه لخوف الفقر من الأغنياء ، وكان بعضه لخوف العار والسبى ، ولا مانع من أن يكون بعضه لعقيدة دينية غير التى يذكرها الأستاذ وافى ، فقد كان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب بن هاشم

عبد المتعال الصعيدى

حول سقط وكبا

جاء فى مقال الأب الفاضل أنستاس مارى الكرملى المنشور بعدد الرسالة ٤٠٢ تحت « كلمة حق » يستنكر فيه تعبير الأستاذ اسماعيل مظهر لـكلمة « سقط وكبا » ؛ ويقول فى هامش صفحة ٣٢٠ هذه العبارة : « كذا بتقديم السقوط على الـكبو لا يعرفه إلا سكان جزيرة الوقواق »

فهذا التعبير ، وقد أجازته لغة القرآن فى كثير من آيها ، والواو فيه للجمع المطلق ، ولا تقتضى الترتيب بدليل قوله تعالى حكاية عن منكرى البعث « وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » ، وإنما يريد نحيا ونموت ، وفى آية ثانية « فكيف كان عذابى ونذر » ، والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى « وما كنا معـذبين حتى نبعث رسولاً » ؛ وفى آية ثالثة « إنى متوفيك ورافعك إلى » ، فإن وفاته عليه السلام لا تقع إلا بعد الرفع

صبحى سلامه دياب



ما ليس يفهمه الطفل

قصة روسية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« نيقولاى أليتش » رجل من أغنياء بطرسبرج يبلغ الثانية والثلاثين من العمر ، وهو ممتلئ الجسم ، قوى البنية ، محمر الوجه . وكان قد اتخذ من زوجة المسيو « أرنين » خليلة له ، فقضى معها شطراً من الزمن فى غرام حار متبادل ، ثم خمدت جذوة حبه ، فصار يتردد على منزلها بين حين وحين ، وبينهما نوع من الحب الفاتر ...

وزارها فى يوم من الأيام ، فلم يجدها ، وجلس ينتظرها فى غرفة الاستقبال ، فدخل ابنها الصغير وحياه وقال : إن أمه ستعود سريعاً ، وهى الآن عند الخياطة مع أخته « صونيا » ...

وكان عمر هذا الطفل ثمانية أعوام ، واسمه « أليوشا » ، وهو حسن البزة ، قوى البنية ، عليه ثوب نظيف من القطيفة ، وفى قدميه جورب أسود طويل ؛ وكان يلعب ألعاباً رياضية ، مستمتعاً بما وهبه الله من صحة جيدة ... وبدأ الرجل يحدثه ليمضى الوقت ولكى يداعبه ، فقال : هل أمك فى صحة جيدة ؟

فأقبل الطفل نحوه وقال : « إنها لم تكن قط فى صحة جيدة ، وهى كل يوم تشكو من مرض » ، وأخذ الرجل يتأمل فى وجه الطفل ليرى فيه محاسن أمه فى صباها يوم كان حبهما لا يزال فى سورته وسأله عما يتلقاه فى المدرسة ؛ فقال إنه وأخته صونيا يحفظان قطعة من الشعر الفرنسى . وقال الرجل للطفل : « هل حلقت شعرك اليوم ؟ » فقال : « نعم . وأنت حلقت أيضاً ، لأن لحيتك أصغر من العادة . أتأذن لى أن أمسكها ؟ »

قال الرجل : « لا لا ! لن آذن بذلك » فقال الطفل : « لماذا ؟ هل يؤلمك أن أنزع شعرة أو شعرتين ؟ »

ثم أمسك السلسلة الذهبية المعلقة فى صدر إيلتش وقال : « إن أمى قد وعدتنى أن تشترى لى ساعة إذا انتقلت من فرقتى . إن هذه السلسلة كالتى فى صدر أبى »

قال إيلتش : « ومن أخبرك بذلك ؟ هل رأيت أباك ؟ »

فتلعثم واضطرب وقال : « أنا ... كلا ! »

ولكن الرجل نظر إليه نظرة حادة وقال : « هل رأيت أباك ؟ » فقال : « كلا ... كلا ! »

فقال الرجل : كن شريفاً فإنى أرى من ملامحك أنك تكذب . قل لى : هل رأيت أباك ؟ فقال الطفل همساً : « وهل تعدنى ألا تخبر أمى »

فقال : « أعدك »

قال الطفل : « وهل تقسم بشرفك ؟ »

فقال الرجل : « نعم أقسم »

فنظر الطفل حوله وقال بصوت منخفض : « أستحلفك ألا تخبرها فإنها لو علمت لضربتنى أنا وصونيا والخادم ... أنا وصونيا نقابل أبى كل يوم من أيام الإثنين ، وذلك لأنه اتفق مع الخادم على أن يمر بنا على حانوت ينتظرنا فيه ، وهناك يشترى لنا فواكه وحلوى وبيضاً ويحدثنا »

قال الرجل « يحدثكم بماذا »

فقال : « بكل شىء ، ويقبلنا ويقص علينا قصصاً جميلة ، ويقول إنه سيأخذنا لنعيش معه متى كبرنا . وقد قالت له صونيا لا ، ولكننى قلت له نعم ، وسأبتعد عن أمى ولكنى سأراسلها وأزورها فى أيام العطلة . ويقول أبى إنه سيشترى لى جواداً ، وأنا لست أعرف لماذا لا تدعوه أمى للمعيشة معنا ؟ ولماذا لا تقابله مع أنه يحبها ويسألنا عنها دائماً . ولما مرضت وأخبرناه بذلك بكى وأمرنا باحترامها وطاعتها ... ألسنا بائسين ! ؟ »

قال الرجل : كيف ؟

فاستمر الطفل يقول : أبى قال ذلك ، وقال إن أمى بائسة ، وقال لى كلاماً غريباً لم أفهمه ، لأنه أمرنى بأن أسلى من أجلها

قال الرجل : إذن فأنتم تتقابلون بغير أن تعلم أمك ؟ فقال : لا نستطيع أن نخبرها ، فقد أكد علينا الخادم بذلك . وبالأمس قابلت أبى واشترى لى كثرى !

قال الرجل : ألم يتكلم أبوك عنى ؟

فأجابه الطفل : عنك ! ؟ لماذا ؟ ثم هز كتفيه .

فسأله الرجل : ألم يقل شيئاً ؟

قال الطفل : ألا يغضبك ما يقول ؟

فأجاب الرجل : لماذا ؟ هل شتمنى ؟

قال : كلا . . . ولكنه قال إن أمى بائسة بسببك ، وأنك أفسدت سعادتها ؛ وقد قلت له إنك لا تحبها ولا تهينها ، فهز رأسه !

قال الرجل : هل أبوك يقول إننى أفسدت سعادتها ؟

فقال الطفل : نعم ، ولكن لا تغضب فأنت وعدتنى

عند ذلك مشى أليتش فى الغرفة ذهاباً وجيئة وقال وهو يهز كتفيه ويبتسم ابتسامة التهكم : « أنا أفسدت سعادتها ! أنا ؟ هل قال ذلك يا أليوشا ؟ »

فقال الطفل : « ألست وعدتنى ألا تغضب ؟ » فقال : « أنا لم أغضب ولكن هذا شىء عجيب . . . أنا أقع فى الفخ ولا أسلم من اللوم »

وهنا دق الجرس ، فجرى الطفل نحو الباب ، ودخلت أولجا أم أليوشا وخليلة أليتش ، وقال الأخير عند ما رآها : « نعم نعم إنه مظلوم فهو الزوج المخدوع »

قالت أولجا : « ما الخبر ؟ »

فقال : « اسمعى ما يقوله زوجك ... إنه يقول إننى أفسدت سعادتك وسعادة أولادك »

قالت أولجا : « لست أفهم ما تقول يا أليتش ؟ »

فقال : « سلى ابنك »

فنظرت الأم إلى ابنها فى دهشة ، ونظر الطفل إلى أليتش فى انزعاج ، وقال الأخير : « إن خادمك يأخذه ويأخذ صونيا إلى حانوت يقابلهما فيه زوجك الذى يحسب نفسه شهيداً ، ويحسبنى أفسدت حياته وحياتك »

عند ذلك صاح الطفل : « أنت حلفت لى بشرفك »

فأشار أليتش بيديه وقال : « إن هذا أمر أهم من يمين الشرف »

فقالت أولجا والدموع تملأ عينيها : « أخبرنى يا أليوشا متى قابلت أباك ؟ »

فلم يصغ إليها الطفل لأنه كان ناظراً نظرة غيظ إلى أليتش وقالت الأم : « هذا محال ! سأذهب وأسأل الخادم »

ثم خرجت وصاح الطفل وهو يرتعش : « ألم تقسم لى بشرفك ؟ »

فأشار الرجل بيديه مرة أخرى ثم لم يعد يلحظ وجود الطفل فهو رجل ضخم الجثة لا يعبأ بالأجسام الصغيرة ، وجلس أليوشا فى ركن من الغرفة يخبر أخته كيف خدعه الرجل حتى عرف سره ؛ وكان يرتعش ويبكى ، وكانت هذه أول مرة وقف فيها وجهاً لوجه أمام أكذوبة . وكم فى الدنيا من أشياء لا أسماء لها فى لغة الأطفال !

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 405

Lundi - 7 - 4 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٧ أبريل سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٤٩٣ عود إلى الفكر و« السلطة » : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٤٩٦ نساؤنا بين التقاليد والتجديد : الدكتور منصور فهمى بك ...
٤٩٩ الأندية العربيـــة فى العراق : الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٠٣ فى النقـــد ... ... : لأستاذ جليل ... ...
٥٠٦ يكفى التراث الشرقى لنضـج الحياة العقلية عند الشرقيين } الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٥٠٩ الغناء والموسيقى وحالهما فى مصر والغرب ... ... } الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٥١٣ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمـود الخفيف ...
٥١٤ ميـلاد نبي ... [قصيدة] : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٥١٥ دراسة اجتماعية لبعض قبائل الســودان ... ... } الدكتور محمد محمود غالى ...
٥١٦ تعقيب على مقال ... ... : الأستاذ (ا . ع) ... ...
نصيب الســودان من جهاد الديمقراطية ... ... } الأديب عبدالله عبد الرحمن ...
٥١٧ جريدة الاصلاح فى عامها الخامس : . ...
« مكتوب على الجبين » للأستاذ محمـود تيمور ... } الأديب طه عبد الحميد الشيمى
٥١٨ المذيان ... ... [قصة] : الأستاذ نجيب محفـوظ ...

عود إلى الفكر و« السلطة »

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

راجعنى الأديب إلياس إبراهيم بدوى فيما كتبت بالرسالة منذ أسابيع عن « الفكر والسلطة » ، وكتب إلىّ يقول :

« اسمح لى بأن أضيف إلى الأسباب الأربعة التى ذكرتها فى إيضاح الدافع إلى طلب السلطة سبباً خامساً ، وإن لم يكن بسبب ، فهناك أناس يطلبون السلطة كحق من حقوقهم الموروثة أو تقليد من تقاليد الأسرة التى لا يليق بهم التخلى عنها . ولعل هذا السبب أبرز الأسباب نتائج من حيث طلب السلطة ، ليس فى هذا البلد وحده ، بل فى جميع البلدان بوجه عام »

وأتبع ما تقدم بقوله : « وكان لا بد أن ينشأ عن هذا السبب سبب سادس معاكس له : سبب يدفع بالرجل الموهوب ذى الشخصية العارمة والإرادة المدربة إلى النظر إلى مثل أولئك الأفراد المتهافتين على السلطة نظرة متعالية ، نظرة من يعتقد مخلصاً أنه أحق بها منهم إذا كانت الغاية من الحصول على السلطة استخدامها فى بناء مجد للوطن . وإن مثل هذا الرجل ليعتبر فى رأيى خائناً لرسالة ممتازة خلق لها إذا لم يعمل على نيل الأداة التى يمكنه بها إبراز مواهبه وممكناته وقدرته على الخلق والإبداع . وما قيمة النعمة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بمطلق طاقته وحيويته »

ثم يقول الأديب : « أما صاحبنا « ديزرائيلي » ، فلم أذكر اسمه نموذجاً ، بل ذكرته عرضاً كرجل كانت له نفسية الأديب ودقة إحساسه بالحياة ، وفق إلى كشف عناصر القوة فى نفسه فسخرها فى سبيل بلوغ المنصب الأعلى للحكم ... وربما كان فى التاريخ الأمريكى والبريطانى والفرنسى كثير ممن يصح أن يتخذوا أمثالاً . وربما كان عندنا هنا من يصح أن يذكر فى معرض التمثيل . غير أن عدم وجود أمثال لا يمنع من خلق أمثال وابتداع خطط جديدة فى الحياة والعمل »

ثم يقول فى ختام خطابه : « فإذا كنت تعتقد أنه لا يمكن الجمع بين الأدب والإدارة فهـذا رأيك وأنت حر فيما ترى . ولئن كنت أشك فى صحة هذا الاعتقاد فما يعزز شكي ما قرأته لك فى رجعة أبى العلاء فى معرض كلامك عما كان يساور أبا العلاء من طموح إلى السلطان لولا ظروفه الجسمية الخاصة التى حالت بين عقله الـكبير وما أراد . وهو القائل :

ولم أعرض عن اللـذات إلا   لأن خيـارها عنى خنسنه »

* * *

ويلوح من خطاب الأديب أن صاحبه ممن يحبون الاستدراك لمحض الاستدراك ، وهو طبع فى غير قليل من الناس

فنحن نقول إن أسباب طلب السلطة هى فطرة الرياسة ، أو حب الامتياز ، أو اتقاء شرور المسيطرين ، أو الرغبة فى تسخير الأداة الحـكومية للإصلاح ، فيأتى صاحب الخطاب بسبب خامس هو ميراث السلطة عن الآباء والحرص على بقائها فى الأسرة ! كأنمـا هذا السبب لا ينتهي إلى واحد من الأسباب الأربعة التي قدمناها ! أو كأننا حين نقول إن النـاس يرثون البيوت ننفى أن البيوت تبنى للسكنى ، أو كأننا حين نعـلم أن الناس يصنعون الطعام ليبيعوه ننفى أن نهاية الطعام هى الغذاء سواء صنع فى الأسواق أو صنع فى الدور

فالناس لا يحبون أن يرثوا السلطة إلا لأنها تكفل لهم غرضاً من الأغراض التى قدمناها . وإلا فما بالهم لا يحرصون على وراثة المسكنة من آبائهم الساكين ؟ وما بالهم لا يحتفظون فى الأسرة بالديون والمغارم والوصمات ؟

إنما يحرصون على بقاء السلطة فى ميراثهم لأنها مطلب محبوب ، وإنما هى مطلب محبوب للأسباب التى قدمناها لا لأنهـا تركة موروثة عن الآباء

أما أن المفكر النابغ مفروض عليه طلب السلطان ، فهذا خلاف للواقع ، وخلاف للقياس المطرد فى « تطور » الملـكات .

ففى الواقع لم يوجد قط مفكر موهوب وعبقرى مثمر فى عالم الفنون تخلى عن الفكر والفن ليطمح إلى الحـكم وإدارة الدواوين

وقبل أن يوجّه إلينا الأديب خطابه الأول كنا نكتب « هتلر فى الميزان » فقلنا من فصل عن كفاءته الذهنية : « إن الحقيقة الراسخة من وراء كل جدل وكل مراء هى أن الفنان الموهوب لن يترك فنه ليعقد مصيره بالسياسة وغيرها من المطالب كائناً ما كان نصيبه منها ، لأن الهبة الفنية كالوظيفة العضوية التى لا تقبل الإهمال ، ولا تزال فى إلحاحها على صاحبها كالهيام القلبى فى إلحاحه على العاشق الممتلئ بالحياة ، فلا هو يغفل عنها ولا هى تمهله إلى زمن طويل

« وهذه الحقيقة وحدها بنجوة عن جميع الأقاويل وجميع الأسانيد . هى الحكم الحاسم فى كفاءة هتلر الفنية ، أو فيما يدعيه من مواهب التصوير والبناء . فهى لن تعدو الطبقة الوسطى بحال ، ولن تتجاوز نصاب التذوق الشائع بين مصطنعى النقد والموازنة فى الفنون »

فهذا رأى قديم لنا نبنيه على الواقع كما نبنيه على المعقول ، لأن التاريخ لم يذكر لنا قط اسماً واحداً من أسماء العباقرة الفنيين طلّق الفن ليحكم الناس ويطلب السلطة . وليس بمعقول أن تمتعه السلطة كما يمتعه الخلق فى عالمه الفنى الذى يصرفه تكوينه إليه .

وهذا الرأى مطابقٌ لسنة التطور التى تنتقل من الجمع إلى التوزيع ، من حصر الملكات إلى انتشارها فى عقول كثيرة .

فاتفق فى زمن من أزمان الهمجية أن حاكم القبيـلة كان حكيمها وساحرها وكاهنها وطبيبها وحافظ تاريخها . فهو فيها جامع لوظيفة السياسة ووظيفة الدين ووظيفة العلم ووظيفة الفن والثقافة ، ثم انقضى هـذا العهد وتوزعت الملـكات وأصبحت كل وظيفة من هذه الوظائف شعباً لا تحصى ومقدرة يستعصى الجمع بينها وبين غيرها ، ولا يؤدى هذا الجمع إلى مصلحة للنابغ ولا للمنتفعين بنبوغه

وبعـد هذه الدهور المتطاولة يأتى من يزعم أن إعراض المفكرين وعباقرة الفن عن طلب الحـكم خيانة لأمانة النبوغ إذا كانوا يستخدمون السلطة فى بناء مجد الوطن ... ويسأل :

ما قيمة المتعة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بمطلق طاقته وحيويته ؟

فما قيمة الحياة نفسها بغير متعة فكرية أو ذوقية ؟ وما قيمة مجد الوطن إذا خلا من المفكرين والعباقرة الذين يعيشون ويموتون للفكر ، ويعيشون ويموتون لمتاع الأذهان والأذواق ؟ أكل مجد الوطن إذن في رفع الأيدي بالسلام ، ودق الأرض بالأقدام ، وخطوة إلى الوراء وخطوة إلى الأمام ، وتفرّجٌ على السلطة ومواكب السلطة أيام الزحام ؟

أهذا هو مجد الوطن الذي يخونه أمناء الفكر والذوق لأنهم لا يتطلعون إلى السلطة ولا يتحولون جميعاً إليها كلما وفر عندهم نصيب الفكر والذوق ؟

إن كان الأديب يخال أن المفكر الصادق التفكير لن يشعر بالامتياز إلا وهو متسلط في الحكومة ، ولن يقعد عن طلب التسلط في الحكومة إلا لأنه عاجز عنه ، فهو بعيد كل البعد عن دخائل العظمة الفكرية التي هي عظمة لا شك فيها وإن لم يكن لها في الحكم سلطان

لكنّ العجب في هذا أن الزهو بالعقول شائع بين جمهرة الناس ، فكيف يفوت الأديب صاحب الخطاب أن يفطن إلى زهو العقول العالية التي تشعر بما لها من الرجحان ؟

يقولون في أمثالنا الدارجة إن الخلق غضبوا عند قسمة الأرزاق فأرضاهم القدر بقسمة العقول ، فما منهم إلا راض عن عقله وإن سخف وإن ضاق

وتعليل ذلك قريب ، فإن الأرزاق تنتقل من مالك إلى مالك ، فللطمع فيها معنى مفهوم ؛ أما العقول فلا تنتقل من أصحابها إلى غير أصحابها ، فليس للطمع فيها معنى غير الإقرار بالقصور ، والحرمان من لذة الغرور

ومغزى المثل كما يقولون أن رضى الإنسان بعقله سهل مألوف في جميع الطبائع البشرية ، فكيف بالعقل الذي يعلم ما عنده وما عند غيره علماً ليس بالدعوى ولا بالغرور ؟ أليس خليقاً بامتيازه المرضيّ عنه أن يغنيه عن طلب الامتياز من طريق ولاية الأحكام ؟

قلنا في كتابنا رجعة أبي العلاء : « إن أبا العلاء كان لا يرضى من الدنيا إلا بالسيادة عليها أو بالإعراض عنها . فإما الملك وإما الرهبانية ولا توسط عنده بين الأمرين . فلا يحسبن أحد أن فكرة الملك عارضة في ذهنه كما يعرض الخاطر في خلد الشاعر ، فإن للمجد الدنيوي لنزعة مكبوتة في قرارة ضميره يدل عليها شعره ونثره ، ولا تزال غالبة عليه في جمحات الأهواء وفلتات اللسان . فسرعان ما يثب إليها كلما عرضت لها لمحة ظهور »

وقد ظن الأديب صاحب الخطاب أن ما قررناه هناك شذوذ مما نقرره في كلامنا عن الفكر والسلطة ، وما به في الحقيقة من شذوذ ؛ فالحنين إلى السيطرة في نفس أبي العلاء إنما هو تعبير عن جانب الحرمان من تلك النفس وليس بالتعبير عن جانب الامتياز والرجحان .

وليس الوجه كما فهم الأديب أن أبا العلاء كان يزداد طلباً للسلطان لو أبصر وملك القوة الجسدية ، ولكنّ الوجه أنه كان يقلع عن هذا الطلب لو زال عنه شعور الحرمان الذي داخله من كبريائه مع فقد بصره ووهن جسده . فيغلب عليه جانب الثقة والامتياز

وأي عجب في تداخل النزعات واشتباكها في جميع النفوس الآدمية ؟ ألا يوجد بين ذوي السلطان من يحب أن يشتهر بالكتابة فينتحل ما يكتبه له الكاتبون وليس هو بأديب ؟ أفمن أجل ذلك نقول إن الملكة الأدبية لاصقة بكل حاكم وكل أمير وكل طامع في الشهرة بالمنثور والمنظوم ؟

ومن الخطأ أن نزعم أن أبا العلاء قد عكف على التفكير لأنه لم يظفر بالملك والإمارة ؛ فإن التفكير ليس بالمنحة « الاحتياطية » التي تجود بها الطبيعة على من فاتته المنح الأخرى ، ولكنها منحة أصيلة من رزقها فكر ومن لم يرزقها لم يفكر وإن أراد . وغاية ما هنالك أن المفكر المتكبر المحروم يمثل حرمانه في آماله ودخائل وجدانه شوقاً إلى الغلبة والبأس والولاية ، وهو شوق لا يعد من الملكات ولا من النزعات التي يقاس عليها في غير هذه الحال

وجملة الرأي أن حاجة الحاكم إلى الفكر كحاجة كل عامل إليه ، فلا يلزم من ذلك أن يشتغل المفكرون بجميع الأعمال لأن جميع الأعمال محتاج إلى تفكير

على أن الحكم إلزام والفكر إقناع ، وإذا بلغ الإقناع مداه ألزم الحاكمين أن يستمعوا له فكان سلطة فوق السلطة في هذا المقام

عباس محمود العقاد

في المصادر والأصول

نساؤنا بين التقاليد والتجديد

لصاحب العزة الدكتور منصور فهمي بك
مدير عام دار الكتب المصرية

مقدمة

من الدقة أن يرمي بحثنا إلى تناول أحوال المرأة المصرية المعاصرة ، لأن فينا من مد له في العمر فتيسر له أن يصف مسالك نسائنا في فترة محصورة من الزمن ، لعلها البرزخ الفاصل بين ما كانت تجري عليه أحوال النساء عند السلف القديم ، وبين ما أصبحن عليه الآن ، وما قد يصرن إليه في مستقبل الأيام .

وإني ، مع حرصي الشديد على تضييق مجال البحث وحصره ، قد أتعرض للماضي أحياناً في نظرة خاطفة ، لأجلي فيه بعض المعالم التي ترسمتها المرأة المصرية في مسيرها لكي تتبين : ألا يزال الدرب الذي تعدو الآن فيه موصولاً بالطريق الذي سلكته عدة قرون ؛ أم أصبح مسيرها مقطوع الصلة بماضيها القريب والبعيد ؟ ولعل المرأة حين اتخذت أسلوبها الجديد ، أخذت تتعرض لمنحدر كثير الزلل والخطر . وإني حين أعني بالبحث في أحوال نسائنا ، إنما أعني بحملة الرسالة الكبرى في تشييد أركان الهناء في الحياة ، بل بحملة سر الرحمن وكلمته في بذل المحبة والرحمة والسلام .

وإني إذ أثير اليوم موضوع المرأة المصرية بين التقاليد والتجديد ، إنما أثير موضوعاً حيوياً للزوجات والبنات والأمهات . وعلى الجملة موضوعاً يتصل بكيان الأسرة وكيان الأمة التي تنتمي إليها ، ونرجو أن تحيا بنا عزيزة ونحيا بها كراماً .

لمحة تاريخية

فمن نيف وثلاثين عاماً كان « قاسم أمين » يحلق بخياله في متسع تاريخ مصر الاجتماعي ، ويلقي بنظراته الناقدة في صحائف حياتها العمرانية ، وكان يصيب نفسه وخز من الألم منشأه المظاهر الاجتماعية السيئة التي اتصلت بحياة الأسرة ، دون أن يقرها العقل السليم ، أو يرضاها الشرع الحكيم . ولقد حركت وخزات الألم لسانه وقلمه بما كان ينشده لأمته من ظهور امرأة جديدة تكون على حد قوله : « شقيقة الرجل ، شريكة الزوج ، مهذبة النوع ، مربية الأولاد [1] »

ولعل الصورة المثلى التي كان يتخيلها « قاسم أمين » ويريدها للمرأة المصرية تجمل للنساء كما كان يكتب ويقول :

— رأياً في الأعمال . فكراً في المشارب ، ذوقاً في الفنون ، قدماً في المنافع ، مقاماً في الاعتقادات الدينية ، فضيلة وشعوراً في الوطنية [2]

وكان يعتقد أن المرأة قد تسمو إلى ما ينشده لها من المكانة لو كملت تربية النساء على مقتضى الدين ، وقواعد الأدب ، ووقف بالحجاب عند الحد المعروف في أغلب المذاهب الإسلامية [3]

ومن حق المتأمل أن يجد فيما كان ينشده ذلك المصلح الكبير صورة للمرأة العاملة الجادة الشريفة الكريمة ، وليست صورة المستهترة العابثة في مهازل العيش وترهات المجتمع ، وأن الاختلاط الذي كان يدعو إليه بين المرأة والرجل إنما هو ذلك الاختلاط البريء من مثيرات المفاسد ، وتدعو إليه مقتضيات الحياة النزيهة المثمرة ، وأن ما كان ينادي به قاسم من الحرية إنما هي الحرية التي تعين على الخير ، وليست تلك التي تركب للشرور والآثام . على أن قاسماً كان شأنه في دعوته لمثله الأعلى شأن كل مصلح تملك فؤاده ولبه المثل الذي كان يدعو إليه ، فكان اهتمامه لتحقيق دعوته أشغل لفكره ، وأصرف لنفسه عن الاشتغال بالبحث في مختلف الوسائل التي تقي أغراضه الصالحة من الانحراف

لقاء الدعوة

وجد قاسم أمين حين دعا دعوته للمرأة المصرية من أيدوه ومن عارضوه ، ومن حذروه سوء المغبة إذا لم تتخذ الحكمة وأسباب الاحتياط

فأما الذين أيدوه فكانوا ممن يعتقدون أن نهضات الأمم وعظمتها تفتقر إلى مسعى الرجال ومسعى النساء ، ورقي الرجال ورقي النساء ، ويكون ذلك بإشاعة التربية والتعليم ونشر الحرية بين أفراد الأمة جميعاً

وأما من عارضوه فكانوا ممن يعز عليهم أن يتغير ما ألفوه في حياتهم من عادات راسخة ضيعت على المرأة الكثير من حقوقها في الحرية والتعليم ، وكانوا من المستضعفين لضغط التقاليد التي أثقلت كواهلهم وكواهل عدة أجيال من آبائهم وأسلافهم

(١) من كتاب المرأة الجديدة (٢) عن تحرير المرأة (٣) من تحرير المرأة

وأما من حذروه ، فكانوا يعتقدون أن المرأة صفات نوعية تتميز بها عن الرجل ، وأن مسلكها وتقدمها ينبغى أن يساير ما انتزع عن فطرتها من الصفات ، وألا يتعدى دائرة ما اختصتها به الأقدار ، وألا يخرج عن الميدان الذى يتحقق فيه فوزها فى كفاحها الحيوى ، ويتجلى فيه إنتاجها فى الوجود ؛ وهؤلاء يقررون على نحو ما يقول الأستاذ فريد وجدى :

« أنهم ليسوا بدعاة إلى ظلمة القرون الأولى ، ولا بمروجى خطة أسر المرأة ، بل طلاب كمال يناسب كرامة الإنسانية ، ورواد مدنيـة حقة يقوم عليها الإنسان غير خائن لأمانته ، ولا غاش لنفسه » (١)

على أن دعوة قاسم كان لهـا الفوز على دعوة معارضيه ، ولم يكن تحذير المحذرين من بعض ما لا يرضون من نتائج هذه الدعوة بمعوق لها عن الانتشار المتواصل السريع ، وذلك لأن حركة النهوض المصرى كانت تشتعل فى شتى ظواهر الحياة الاجتماعية من نيف وخمسين سنة . وكان لا بد لها أن تمتد إلى الأسرة وتتصل إلى المرأة التى هى دعامة البيت وركنه الركين

وعلى ذلك سارت دعوة قاسم مجرى الحياة الاجتماعية المندفعة للرقى ، وفسح للمرأة طريق معبد فى النهضة العامة ، وفتحت لها أبواب التعليم ، ونظمت القوانين لمصلحة النساء ؛ وعلى الجملة سارت النهضة النسائية فى بداية أمرها مؤيدة بالحق يشجعها كل ميال لرؤية المجتمع المصرى يسير من السيئ إلى الحسن ، ومن الحسن إلى الأحسن

الانحراف

لـكن بينما كانت تسير نهضتنا النسائية فى مجراها الصافى إذ شابها ما يعكر شيئاً من صفائها برغم أنها صدرت عن نبعها الأول ، ومن دعوة قاسم ، نقية طاهرة ، فتحول خروج النساء من عزلتهن عن أن يكون وسيلة يسوغها شرف الغاية ليكون غاية لذاته ، أو وسيلة لغاية وضيعة . ولعل من أشد العوامل التى أضعفت قيمة الاختلاط بين المرأة والرجل وسوأت خروجها عن معزلها الذى ظلت فيـه طويلاً هو انتشار بعض الآراء دون أن تفهم على وجهها الصحيح ، ودون أن تنضج فى فهم من تخطفوها وتلقفوها ؛ ومن هذه الآراء ذهابهم إلى أن الاختلاط بين النساء والرجال وتوالى المجامع التى يتلاقون فيها من شأنه أن يهذب من المظاهر ، ويعمل على ترفيع النظرات ، وترقيق الآداب . وحقاً أن تلاقى النساء بالرجال فى الحدود التى تقتضيها حيـاة التعاون والعمران من شأنه أن يجر إلى عالم النسيان كل الاعتبارات الجنسية

فالفلاحون الذين يتلاقون فى الحقول مع الفلاحات لاستغلال خيرات الأرض ، إنما يجتمعون اجتماعاً طبيعياً لمقتضيات ناعمة قاهرة فيتلاقون بدافع هذه المقتضيات ويفترقون عند انعدامها . والمتبادلون من الناس فى المتاجر ، إنما يتلاقون لحاجة وينصرفون عند انقضائها ، والمتلاقون فى المعابد قد يجتمعون رجالاً ونساء لأداء حق من حقوق دياناتهم

وعلى الجملة ، فإن فى دواعى الاختلاط الطبيعى الذى يتحقق لدوافعه الداعية ما يعين على ترويض النزعات الجنسية للاستقرار فى مكامنها ، والوقوف عند حدودها التى تحول دون كل مكروه

التوسع فى الاختلاط واضرار ذلك

لكن الناس قد توسموا فى هذا الترخص واستباحوا لأنفسهم أن يجوزوا مجتمعات الجد الطبيعية إلى مجتمعات هازلة مصنوعة من شأنها أن تؤدى إلى تحريك الانفعالات التافهة والشهوات الوضيعة والمواقف الرذولة أكثر مما تؤدى إلى ما تزكو به العقول ، أو تترفع به النفوس ، أو تتحقق به فائدة من فوائد الحياة

فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى أو الخمر (الكوكتيل) فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للتزين والأناقة ، وإلى مضمار للتأنق بالأقوال الرخيصة ، وبذل التظرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المنافقة . وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر فى المرتبة عن زينة الأخريات ، فسرعان ما تنبض القلوب بالغيرة والحسد ، أو تدق دقات الزهو الأجوف . وإذا كان فى هذه المجتمعات من يعوزه يقظة الفضيلة ، وصلابة الخلق ، فثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيئة لنزعات السوء ونزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح الغواية ، ومآسى الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الـكوارث فى هدم سعادة الأسر

وإذا ذكرنا مجامع الشاى وحفلات الخمور ، فلنضف إليها ما هو أسوأ منها أثراً من منتديات الميسر ، والمراقص ، والرحلات المشتركة ، ومسارح التمثيل الخليع ، وحمامات السباحة الجامعة . وعلى الجملة ضروب المجتمعات التى تخلط بين النساء والرجال ، وإثمها أكبر من نفعها لو أن لها نفعاً مذكوراً عند من يحسنونها وينزلقون إليها

(١) عن المرأة المسلمة

وإذا صح أن بعض ما ذكرت من هذه المجتمعات يخلو مما أشرت إليه من المساوئ وبؤدى إلى فوائده المزعومة من جر الاعتبارات الجنسية إلى عالم النسيان ، فإنها تضعف من المرأة عاطفة الحياء ، وتوهن فى الرجل عاطفة الغيرة . وفى إضعاف عاطفة الحياء خسارة كبرى على المرأة ، فإن الحياء زينة لها ؛ وفى إيهان غيرة الرجل خسارة كبرى على الرجولة وحماية الأسرة

ولعل قاسم أمين كان يخشى أن يتجاوز الناس حدود المعقول فيما دعا إليه من الاختلاط حين دعا إليه بعد أن تجاوزوا حدود المعقول فى العزلة فقال :

« والذى أراه فى هـذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة ، ولا ترضاه عاطفة الحياء[1] »

وهكذا ظلت حركة اختلاط المرأة بالرجل تنمو سريعاً وتشيع إلى أن أصبحت الفتاة التى كانت أمها من نيف وثلاثين عاماً لا تستبيح لنفسها الاتصال ببعض المحارم أصبحت هذه الفتاة ترى الاتصال بالرجال للسمر والتسلى حقاً من حقوقها ، وليس فى الحرص على ذلك من عار ولا تأثيم

ومن المقرر أن الاختلاط بين النساء والرجال إذا قام على غير مقتضياته الضرورية الجادة ، وكان مبعثه اللهو والترف ، فإنه لا يلبث أن يقوض دعائم الأمم . وفى تاريخ الرومان شاهد على ذلك :

« فلما دعاهم داعى اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن مجالس الأنس والطرب ، تخرجن خروج الفؤاد من بين الأضالع ، فتمكن ذلك العنصر الهاجم وهو الرجل لمحض حظ نفسه ، من إتلاف أخلاقهن ، وخدش طهارتهن ، ورفع حيائهن حتى صرن يحضرن التياترات ، ويغنين فى المنتديات ، وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول فى تنصيب رجال السياسة وخلعهم . فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولا تدرى[2] » .

الحرية وسوء فهمها

ولقد أساء الناس فهم معانى الحرية كما أساءوا فهم الاختلاط والدعوة إليه ، وجر ذلك إلى عدة شرور . وليس من شك أن الحرية من مطالب النفوس عند ما يشكو الناس من نظم اجتماعية تحول بينهم وبين الحقوق الفطرية التى وهبت لهم لتأدية رسالتهم فى العمران . وقد ينزع الطير المحبوس لحريته ، ويحن للهواء الطلق والأجواء الواسعة ، لأن فى الحبس تعطيلاً لأجنحته التى سواها الله للطيران ، وتتدرج بممارسته لكمال وظيفتها . وقد ينزع الشعب المقهور للحرية التى ضيقها عليه القاهرون لينعم بعزته القومية المسيطرة عليه ، ويطمئن إلى عاداته وآماله المحببة إليه ، ويستغل ثروة بلاده ونتائج كسبه ومسعاه . وقد يطلب المتبادلون المنافع فى أسواق التجارة حرية البيع والشراء ليجد كل من الطالب والعارض ما تتحقق به حاجته ومصلحته وأجره . وقد يهيم المؤلف والكاتب والخطيب حين يصدقون بطلب الحرية لاعتقادهم أن فى دعوتهم عوناً للخير والحق . وعلى الجملة قد تطلب الحرية كأداة صالحة يستعين بها المرء لأغراضه العليا من الخير والكمال . فما هى إذن تلك الأغراض العليا التى يقصد النساء إليها ويتخذن من الحرية لها أداة صالحة ؟

أما إذا كان طلب الحرية ليصبن من العلم ما يصقل نفوسهن ويقوم أخلاقهن ، فلا يمانع فى ذلك أحد ؛ فطلب العلم الذى تتكمل به النفس فريضة على الناس جميعاً . وإذا كان الباعث على طلب الحرية هو القيام بما ينتفع به المجتمع حين يحتاج لنشاط نسائه ، فليس من ينكر عليهن تلك الحرية حين يقتضيها الحال وتدعو إليها الظروف . لكن إذا طلبت المرأة حريتها لغير ما ينفع ، كما لو أرادت أن تلبى داعى النزق لتلهو بمخالطة اللاهين ، وكما لو اتخذت من الحرية ما يستخدم لهجران بيتها لتأنس بالملاهى والمزارات والتسكع فى الأسواق ، وكما لو أرادت أن تتخذ من الحرية مطية للتبرج رغبة فى الزهو بنفسها والغرور بزينتها ، فليس من أحد رشيد يرضى عن حرية تركب للعبث والشطط .

لقد أبيح للكثرة من نساء الغرب تمشياً مع سوء فهم الحرية أن يتعرفن بمن شئن من الناس ويختلطن بالرجال بمحض اختيارهن حينما يشأن طوعاً لحقهن فى الحرية ، أو اعتماداً على ثقتهن الموهومة بأنفسهن ؛ وقد يحاكيهن فى ذلك بعض نسائنا فى هذا العصر ، وفى بعض الطبقات مطوحات بأنفسهن بعيداً عن مألوف العرف المصرى والإسلامى ، غير مكترثات بما قد يجر إليه هذا الإمعان فى الاختلاط من مفاسد خلقية ومن أثر سيء فى بنية الأسر وفى تقدم المجتمع وكيان الدولة . وفى الحق أن هذا التجديد الروع

(١) من تحرير المرأة (٢) من المرأة المسلمة لفريد وجدى

الأندية العربية فى العراق

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — حفلات القبول — السهرات الصحفية بين القاهرة وبغداد — نادى المعارف — نادى المثنى — نادى الشبان المسلمين — نادى الهداية الاسلامية — النادى العسكرى — نادى البصرة — نادى الجزيرة — الرابطة العلمية والأدبية بالنجف — نادى القلم العراقى .

تمهيد

حين زرت بغداد للمرة الثانية سألت معالى الدكتور سامى شوكت عن منزل أخيه الدكتور صائب شوكت فقال : « إنه يقيم فى شارع المرحوم أبى نواس » وقد فخّم كلمة « المرحوم » ليبرز معنى الدعابة فى تعبيره الظريف

والمرحوم أبو نواس يحدثنا فى خمرياته أنه كان يجد الحانات مغلقة الأبواب ، وأنه كان ينادى أهلها من وراء الحُجرات ليسعفوه بالشراب وأدوات الشراب ، وللشراب أدوات مختلفات الألوان

وقد سمعت أن حانات بغداد لا تزال على عهدها القديم : فهى تغلق بعد مضىّ ساعات قلائل من صدر الليل ، ويحوج قاصديها إلى قرع الأبواب ، برفق أو بعنف ، وَفقاً لظرف الزمان وظرف المكان ، فلكل محلة فى بغداد ظروف

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد القول بأن تقاليد العراقيين فى القديم والحديث توجب أن تكون سهراتهم فى البيوت ، على نحو ما كانت الحال فى مصر إلى عهد قريب ، ويشهد بقوة تلك التقاليد إغلاق الحانات فى صدر الليل ، وسهراتُ البيوت فى العراق القديم وجدت خَلَفاً سعيداً هو سهرات الأندية فى العراق الحديث .

فكيف الحال هنالك ؟ وهل بقى للمنازل حظ بجانب الأندية الأدبية ؟

حفلات القبول

فى العراق ما يسمى « يوم القَبُول » وهو ما نسميه فى مصر « يوم الاستقبال » وهو يومٌ من أيام الأسبوع ينتظر فيه الرجل زائريه فى الصباح أو فى المساء : فمعالى السيد محمود صبحى الدفترى يستقبل زائريه فى صباح الجمعة ، وهو صباحية جميلة يتلاقى فيها أعيان أهل الأدب فى بغداد ، ولها تأثير شديد فى توجيه الحياة الأدبية والاجتماعية . ومعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى يستقبل زائريه فى مساء الخميس ، وقد يتلطف باستقبال زائريه فى كل مساء ، لأنه يقيم بضاحية نائية تسمى « الزوية » وله على شط دجلة نادٍ جميل يشرح الصدور ، ويؤنس العيون ، وفى ذلك النادى تثار مشكلات متصلة بالعلوم والآداب والفنون ، وتُسمع فيه أغاريد « أبى كلثوم الوفدى » وهو الشاعر المفتون بأغانى أم كلثوم وأخبار الوفد المصرى ، هو السيد باقر الشبيبى الذى يحب مصر أكثر مما يحبها المصريون أعزه الله وأدام عليه نعمة الوفاء

وخلاصة القول أن لأكثر أهل العراق أندية تقام فى البيوت أيام القبول وهى أندية توجّه الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية وتسير بالمجتمع العراقى إلى غايات فيها القريب والبعيد ، وقد تكون لها صلة بما يظهر فى الجو العراقى من شئون وشجون ، فالرجال هنالك لا يغفلون عن مراقبة الاتجاهات المحلية إلا فى أندر الأحايين

السهرات الصحفية

وبجانب حفلات القبول تقام سهرات الصحفيين فى دور الجرائد والمجلات ، وهى سهرات فاتنة إلى أبعد الحدود . وهل أنسى سهراتى فى إدارة جريدة (العراق) وجريدة (البلاد) ؟ وهل أنسى أن إخوانى فى جريدة (الهدف) كانوا يمدون روحى بأكواب الصفاء ؟ وهل أنسى أن كؤوس الشاى فى جريدة (بغداد) كانت أطيب من كؤوس الصهباء ؟

الصحفيون فى العراق يذكرون بإخوانهم فى مصر من حيث الجاذبية وخفة الروح ، وأنديتهم فى جرائدهم تذكر بأنديتنا فى جرائدنا ، فما ينسى أحد كيف كان النادى الأدبى فى جريدة

فى عادات نسائنا ، هو أشد ما يخشى أثره فى أمة كأمتنا ما زالت فى طورها الحاضر تحبو فى السبيل الموصلة لعظمة الأمم

فإذا كان قد أصاب دولة الرومان ما أصابها من الضعف عند التوسع فى الاختلاط المفسد بين الرجال والنساء ، وعند التوسع فى إطلاق حريتهن ، فإن مثل هذا الاختلاط المنحرف كان له أكبر الأثر فى إضعاف بعض الأمم الغربية المعروفة فى العصر الحديث حين خبت ثقافتها ، وهزل إنتاجها الأدبى المعاصر ، وانحلت قوة المقاومة منها عند الجهاد والكفاح الحيوى

« البقية فى العدد القادم » منصور فهمى

(الجهاد) وكيف يكون النادى الأدبى فى جريدة (الأهرام) وجريدة (المصرى) وجريدة (السياسة) وإن امتزج نادى (السياسة) بنادى الأحرار الدستوريين. وهل كانت (ندوة الدستور) إلا ندوة أدبية قليلة الأمثال؟

إن الأنس الذى يجده من يسمُر بدار (الرسالة) أو دار (الأهرام) له نظائر فتانة فى دار (العراق) أو دار (البلاد)

وكما نجد فى سهرات الصحافة المصرية أقطاب الرجال فى أكثر الميادين، نجد فى سهرات الصحافة العراقية أقطاب الرجال فى الأدب والسياسة والاجتماع

وإذا صح للمنفلوطى أن يسجل أن النادى الأدبى فى جريدة (المؤيد) خلق أكابر الباحثين فإنه يصح لنا أن نسجل أن الأندية الصحفية فى مصر والشام والعراق سيكون لها فضل عظيم فى تكوين الجيل الجديد[1]

نادى المعارف

وأنتقل إلى الحديث عن الأندية الأدبية فأقول:

أول ناد أدبى عرفته فى بغداد هو نادى المعارف، والمعتمد لهذا النادى هو السيد رشيد العبيدى[2]، وهو أديب عراقى تخرج فى مصر بمدرسة دار العلوم، وهو زميل السيد حسين بستانة، إليه وإلى من تخرجوا فى دار العلوم أقدم أطيب التحيات، فهم سفراء مصر فى العراق[3]

ونادى المعارف هو نادى المعلمين، وفيه شربت أول كأس من ماء دجلة، وفيه كنت ألقى من يسألون عنى فى مساء كل خميس

فى نادى المعارف يلتقى المعلمون كل يوم، فيقرأون الجرائد والمجلات، ويتجاذبون أطراف الأحاديث، ويستعدون لاستقبال من يفد على بغداد من رجال العلوم والآداب والفنون

فإن قلتَ إن «نادى المعارف» فى بغداد له تأثير فى توجيه الحياة الأدبية فأنت صادق كل الصدق، لأنه موصول الأواصر بأكثر البلاد العربية، ولأن رجاله من أكابر المدرسين، والمدرسون هم المصلحون الأوائل فى جميع الشعوب

نادى المثنى

ونادى المثنى هو نادى العروبة، ومعتمده هو الدكتور صائب شوكت، ولهذا النادى حفلات أسبوعية لاستماع المحاضرات ومجاذبة الأحاديث، ومن أعضائه السيد محمد مهدى كبة والدكتور عبد المجيد القصاب والسيد عبد المجيد محمود، وقد تفضل أعضاء هذا النادى فمنحونى «عضوية الشرف»، والذى وصلنى بهم هو تلميذى القديم السيد جلال الأورفه لى، ذكَره الله بكل صالحة، وأكرمنى بدوام نعمته عليه، فهذا المحامى النابغ كان السبب فى أن أقضى سهرات جميلة بقصر صاحب السمو الأمير عبد الإلـه قبل أن يصير وصياً على عرش العراق

نادى الشبان المسلمين

هو ناد يقوم بالكرخ فى دار جمعية الشبان المسلمين، وهو ناد خفيف الروح، وتقام به سهرات مصقولة الحواشى، وفيه سمعت محاضرة جيدة للأستاذ محمد بهجة الأثرى، وهو شاعر مجيد يعرفه قراء الرسالة، وله صداقات متينة مع كثير من الأدباء الكبار فى مختلف البلاد العربية. وكانت له مطارحة أدبية مع الأستاذ الزيات سجلها فى كتيب لطيف. وقد عرفته أول مرة حين دعانى سعادة الأستاذ عبد القادر الكيلانى للتسليم عليه فى دار المفوضية العراقية بالقاهرة، والسيد عبد القادر هو اليوم عراقى له دار مصرية فى بغداد، وهو النموذج الحق للذاتية العربية والإسلامية، أدام الله عليه نعمة التوفيق

نادى الهداية الإسلامية

لم أزر هذا النادى، وإنما رأيت آثاره الجميلة فى إحياء المواسم الإسلامية، وله مجلة تصدر باسمه يديرها الأستاذ الطائى، ومن أعاظم رجاله الأستاذ طه الراوى، وهو رجل عظيم لا أملُ ولن أملّ من الثناء عليه، بعد أن رأيت دموعه تنحدر يوم أطلق الرصاص على بعض الأساتذة المصريين فى بغداد

وطه الراوى أستاذ مخضرم تزود من الثقافة الدينية والثقافة المدنية، وهو من أقدر الناس على ضبط النفس، فما تسمع منه كلمة تشوك خصومه فى محضر أو مغيب. ويوم تفكر مصر فى مبادلة الأساتذة سيكون من واجبى أن أقترح استقدامه للتدريس فى كلية اللغة العربية أو دار العلوم أو كلية الآداب.

---

(١) الشام فى جميع ما يخطه قلمى هى البلاد المكونة من فلسطين وسورية ولبنان (٢) المعتمد هو الرئيس فى تعبير أهل العراق

(٣) قد يجهل المصريون أنفسهم أن وزارة المعارف المصرية تؤدى خدمة جليلة لوصل الأمم العربية بعضها ببعض عن طريق التعليم والتثقيف، فهى تقبل جماعات من الطلبة الشرقيين بالقسم الداخلى فى مدرسة دار العلوم بدون مصروفات

فتى تفكر مصر فى هـذا النظام ليتعارف المصريون والمراقيون بدون التعرض للتكاليف المالية ؟

والمهم أن أسجل أن هذه الجمعية لها مجلة تنشر الثقافة الدينية والأدبية كما لجمعية الشبان المسلمين مجلة تسمى « العالم الإسلامى » ولهاتين المجلتين تأثير فى تكوين الأذواق وتهذيب النفوس ، وإن كنت لا أدرى ما صارتا إليه بعد أن حرمت الاستصباح بظلام الليل فى بغداد

النادى العسكرى

هو نادى الضباط، وهو ناد له فى ذهن الأستاذ الزيات تاريخ . فقد قال فيه كلمة لن ينساها البغداديون ، فما هى تلك الكلمة ؟ أظنه قال إنه كان يسمع فيـه صوت السكون ، فما استطعت الاتصال به عند كتابة هذا الحديث فأعرف بالضبط ماذا قال[٤]، لأنى شرعت فى كتابة هذا الحديث وأنا بغبار السفر بعد الرجوع من بغداد ، بل أسوان[٥]

وفى النادى العسكرى سمعت نكتة عراقية : صحبنى إليـه رفيقان : هما السيد صادق الوكيل ، والسيد جواد الشهرستانى ، وأراد السيد جواد أن يدلنى على الطريق ، فقال السيد صادق : لن يحتاج الدكتور مبارك إلى دليل عند الدخول ، ولـكن سيحتاج إلى دليل عند الخروج !

فهل كان يعرف هذا الشقىّ أن نشوة الأسمار والأحاديث ستحوجنى بعد السهرة إلى السؤال عن الطريق ؟

فى النادى العسكرى يسهر جماعات من ضباط الجيش العراق وهم رجال على جانب من العلم والأدب والوطنية ، وفيهم السيد مجيد الهاشمى ، وهو رجل منوّع المواهب ، وله دراية بكثير من فنون المعارف والآداب ، وهو من صلات الوصل بين مصر والعراق ، لأنه موصول القلب والعقل بأكثر ما يصدُر عن وادى النيل

نادى البصرة

هو مجتمع أهل الفضـل بوطن « الجاحظ » و « إخوان الصفاء » ، ولو طالت إقامتى بالبصرة لاستطعت تسجيل ما به من خصائص تمثل ما عند أهل الجنوب من شمائل بيض ، فأهل البصرة بشهادة جميع أهل العراق يمتـازون باللطف والوداعة والـكرم والجود ، وقد سمعت عن السيد الشمخانى أحاديث تذكر بأخبار معن بن زائدة الشيبانى ، وآخر ما سمعت هو ما قرأت فى جريدة الأستاذ عبود الـكرخى عن أخبار السيد الشمخانى فى مواسم الصيد

نادى الجزيرة

هو منتدى أهل الفضل بالموصل ، ومعتمد هذا النادى هو تلميذى القديم الأستاذ جيلمران[٦] ، وهذا النادى يقع على شط دجلة وفى رحاب حديقة جميلة هى معترك العواطف بالموصل ، وله تأثير شديد فى وصل الأواصر الأدبية بين الأمم العربية

الرابطة العلمية

هى أعظم جمعية أدبية بالنجف « الأشرف » ، وإنما وصف النجف بالأشرف منافسةً للأزهر « الشريف » . ففى النجف معهد دينى يسير على أسلوب الأزهر فى أكثر الشئون ، وإن لم يستطع مسايرة الأزهر فى الانطباع بطابع الزمان

والرابطة العلمية والأدبية بالنجف لها لون خاص ، فأدباؤها فى حكم المنعزلين عن أدباء الموصل والبصرة وبغداد ، ولهم فى إنشاد الشعر طريقة لا يعرفها من سكان العراق غير النجفيين ، وهى طريقة تقوم على قواعد الترنيم ، وعلى مثلها كان الشيخ سيد المرصفى ينشد الشعر فى دروسه بالأزهر الشريف

نادى القلم العراقى

هو تاج الأندية العراقية ، أُسّس منذ سبع سنين أسوةً بأندية القلم فى كثير من أقطار العالَم القديم والعالم الجديد ، واختير الشاعر جميل صدق الزهاوى رئيساً ، والدكتور محمد فاضل الجمالى نائب رئيس ، والدكتور متّى عقراوى أميناً للصندوق ، والأستاذ إبراهيم حلمى العمر كاتم أسرار

والرئيس اليوم هو معالى الشيخ محمد رضا الشبيبى ، ونائب الرئيس هو الدكتور محمد فاضل الجمالى ، وأعضاؤه يزيدون على

(٤) فى كتاب (وحى الرسالة) وصف لهذا النادى وحديقته جاء فيه : « والسكون مرهوب الجلال أنيس الوحشة يعمق ثم يعمق حتى تكاد تسمع النبات وهو ينبت »

(٥) أسوان مضرب المثل فى البعد ؛ وأهل مصر يقولون : أبعـد من الشلال !

(٦) « جيلمران » كلة كردية ، عرفت معناها ثم نسيته ، فما اسمك بالعربية ، يا سيد جيلمران ؟

الثلاثين ، وهم يُختارون من بين الرجال الموسومين بالمواهب العلمية والأدبية

ليس لهذا النادى دار ، وإنما يجتمع الأعضاء من وقت إلى وقت فى منازل يتوافَوْن إليها على ميعاد ، فهم اليوم فى منزل الأستاذ عباس العزّاوى ، وهم غداً فى منزل الأستاذ جعفر خياط ، وهم بعد غد فى منزل الأستاذ باقر الشبيبى ... الخ .

وعلى من يجتمعون فى داره أن يقدم إليهم الشاى أو الرطبات ، إن اجتمعوا فى العصرية ، فإن اجتمعوا فى المساء كان من واجبه أن يتلطف بتقديم العَشاء الخفيف . ولا يجتمعون فى المساء إلا إن كانت دار الداعى فى مكان بعيد

وفى كل اجتماع يُلقى أحد الأعضاء مسامرة علمية أو أدبية أو اجتماعية (٧) . ثم يدور النِّقاش بعد استئذان الرئيس ، وقد يصل النقاش إلى درجات من العنف لا يخففها إلا ضحكات الدكتور الجمالى وفكاهات الأستاذ أبى إيناس

وأعضاء هذا النادى فى غاية من الحيوية ، وهم يرسلون من يمثلهم فى المؤتمرات التى يقيمها نادى القلم العالمى .

وقد أصدروا أخيراً مجموعة نفيسة ضمَّنوها طوائف من المحاضرات التى ألقيت فى اجتماعاتهم الدورية ، وتقع هذه المجموعة فى أكثر من ثلثمائة صفحة بالقِطع المتوسط ، وبها رسوم لجميع من حوى هذا السِّفر أبحاثهم الجياد

نجد فى صدر المجموعة مقالاً علمياً عن المجريطى إمام فلاسفة الأندلس فى الرياضيات والطبيعيات ، وهو مقال مفصَّل دبجه الأستاذ محمد رضا الشبيبى . ولهذا الأستاذ الجليل بحث آخر فى هذه المجموعة سماه (قصة فتح بغداد) ، وهو يصوِّر ما كان عليه المغول من القوة الحربية والسياسية يوم استطاعوا اجتياح العراق ؛ ويمكن بسهولة أن نعدّ هذا البحث من فلسفة التاريخ

وهنالك بحث شائق للأستاذ أحمد حامد الصراف عن (الغُلاة) وهى الفِرقة التى تعبد عليًّا وتراه خالق الكون وسر الوجود

ولنا ملاحظات على هذا البحث يضيق عنها هذا الحديث ، وقد نرجع إليها بعد حين

وفى هذه المجموعة خلاصة وافية لأعمال المؤتمر الرابع عشر لأندية القلم وقد عُقِد فى بونيس إيرس بالأرجنتين (٥ — ١٥ أيلول سنة ١٩٣٦) ، وهذه الخلاصة هى تقرير قدَّمه الأستاذ مجيد خدورى مندوب نادى القلم العراق ، وفى هذا التقرير إشارات إلى شئون أدبية وفلسفية تستحق الالتفات

ويهمنى أن أوصى قراء الرسالة باقتناء هذا السِّفر النفيس ، فهو عُصارة جهود محمودة فى خدمة العلوم والآداب ، وهو يصوِّر جوانب من النشاط العلمى والأدبى فى بغداد

ثم ماذا ؟ ثم أجمِل الغرض من هذا الحديث فأقول :

إن الآثار المدوَّنة فى الجرائد والمجلات والمطبوعات لا تمثِّل أعمال الأندية العراقية كل التمثيل ، ففى تلك الأندية تدور مطارحات ومساجلات تفوق العدّ والإحصاء ، وفيها تُدرَس أعمال الأدباء الذين يصل صرير أقلامهم إلى العراق . ولأدباء الرافدَين موازين فى النقد الأدبى لا تخلو من تحرِّى الدقة والعدل ، وهم يعرفون من أخبارنا الأدبية كل شىء ، ولا تغيب عنهم مرامينا إلا فى النادر من الأحيان ، كأن يصدِّقوا أقوال المصريين بعضهم فى بعض ، وما درَوا أن تهاجى الصحف المصرية بابٌ من الرياضة على إجادة التعبير فى مختلف الأغراض

والظاهر أنى مضطرٌ إلى تذكير أدباء مصر بأنهم لا يكتبون لأنفسهم ، وإنما يكتبون لأقطار كثيرة ، وتلك الأقطار قد يغيب عنها غرام المصريين بالنكتة والمزاح ، فما نرسله على سبيل الفكاهة قد يُظَنّ من الحقائق ، ثم يؤوَّل أسوأ التأويل

أما بعد فهل يرى القراء أنى دللتهم على مظاهر الحيوية الأدبية فى أرجاء العراق ؟

إننى أوجزت القول عن الأندية الأدبية لأدَّخر الفُرص للحديث عن رجال الصحافة وقادة الفكر فى تلك البلاد ، فما أحوال الصحافة العراقية ؟

سأرى ويرى معى القراء كيف تجول الأقلام وتصول فى وطن دجلة والفرات ، على شرط أن يُرفَع الحجاب بينى وبين زملائى هناك ، فلا يقال إننى أخرج على آداب الصداقة والأخوة حين أنتقل من الحمد إلى الملام . وهل أذكر أهل العراق بالسوء إلا مصانعةً للكاشحين والحاقدين ؟

كلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً   وكلٌّ عند صاحبه مكينُ
تخبِّرنا العيون بما أردنا   وفى القلبين ثَمّ هوًى دفين

زكى مبارك
عضو نادى القلم العراقى

(٧) المسامرة هى المحاضرة فى تعبير أهل تونس . وأختار أن يكون البحث محاضرة والتعقيب عليه مسامرة

٦ – فى العقد

لأستاذ جليل

٤٥ – (ص ٣٧٢) هند بنة أسماء

(ص ٩٩) يا براهيم

(ص ٣٥) لا ستر الله علىّ إذاً ذنبى

(ص ١١٧) : كان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذمّر[1] الناس ويقول : يأهل الإسلام ، إن الصبر عز ، وأن الفشل عجز ، وأن مع الصبر النصر

قلت : أراد محققو (العقد) أن تظهر (ابنة ، وإذن ، ويا إبراهيم ، ويا أهل) كما رأيت استناداً إلى بعض مؤلفات فى (الإملاء) على أنهم لم يعملوا فى كثير من الألفاظ بما جاء فيها وللفظة (ابنة) بين علمين فى (أدب الكتّاب) لابن قتيبة قول يخالف غيره ، وهو هذا : « وتكتب هذه هند ابنة فلان بالألف وبالهاء ، فإذا أسقطت الألف كتبت هذه هند بنت فلان بالتاء »

وفى (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب) لابن السيد البطليوسى بحث فى إذن وغيرها جدير بالنشر وهو هذا : « قد اختلف الناس فى إذن كيف ينبغى أن تكتب ، فرأى بعضهم أن تكتب بالنون على كل حال ، وهو رأيُ أبى العباس المبرّد . ورأيُ قوم أن تكتب بالألف على كل حال ، وهو رأى المازنى[2] ورأى الفراء أن تكتب بالنون إذا كانت عاملة وبالألف إذا كانت ملغاة . وأحسن الأقوال فيها قول المبرد ، لأن نون إذن ليست بمنزلة التنوين ولا بمنزلة النون الخفيفة فتجرى مجراها فى قلبها ألفا ، إنما هى أصل من نفس الكلمة ، ولأنها إذا كتبت بالألف أشبهت إذاً التى هى ظرف ، فوقع اللبس بينهما . ونحن نجد الكتاب قد زادوا فى كلمات ما ليس فيها ، وحذفوا من بعضها ما هو فيها للفرق بينها وبين ما يلتبس بها فى الخط . فكيف يجوز أن تكتب إذن بالألف ، وذلك مؤد إلى الالتباس بإذاً ؟

وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين فى الهجاء ، ولم يلتزموا فيه القياس ، فزادوا فى مواضع حروفاً خشية اللبس نحو واو عمرو ، وألف مائة[3] ، وحذفوا فى مواضع ما هو فى نفس الكلمة نحو خالد ومالك ، فأوقعوا اللبس بما فعلوه ، لأن الألف إذا حذفت من خالد صار خلداً ، وإذا حذفت من مالك صار ملكا . وجعلوا كثيراً من الحروف على صورة واحدة كالدال والذال والجيم والحاء والخاء ، وعولوا على النقط فى الفرق بينها ، فكان ذلك سبباً للتصحيف الواقع فى الكلام . ولو جعلوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه كما فعل سائر الأمم ، لكان أوضح للمعانى وأقل للالتباس والتصحيف . ولذلك صار التصحيف فى اللسان العربى أكثر منه فى سائر الألسنة ... »

قلت : أصاب ابن السيد فى بعض ما قال ، وأشط فى بعض و « ألقى الشيطان فى أمنيته ... » . وإن الإعجام ولا سيما فى التنقيط[4] ، والعمل بأقوال أئمة فى الإملاء مسهلة ، وعلامات الترقيم ، وشيئاً من التيسير لا يضير ... فى كل ذلك مرغب البطليوسى وأمثاله فى هذا العصر من مستصعبي الحروف العربية وأكثر من مطلوبهم . والحروف العربية والحروف الفرنجية كلها من جنس واحد ، كما ذكر ذلك فى « الرسالة » رقم ٢٢٦ ص ١٧٨١ . وليست المشكلة ولا البلية فى الحرف ، ولكن فى الانحراف ...

٤٦ – (ص ٣٦٠) :

الوحى بين بنى البنات وبينكم ... قطع الحسام فلات حين خصام

قلت : قَطع الحسامَ ، والجملة خبر الوحى ، وهذا ما يعنيه الشاعر المستجدى ، وإن كان لذاك الشكل وجه . والبيت فى قصيدة من أشهر قصائد (التملق) وفحواها أن الله أعطى

---

(١) قلت : ورد هذا الفعل (يذمر) هنا مضعفا ، والذى فى اللغة هو ذمر يذمر ذمراً وهو ذامر مثل قتل يقتل قتلا . وضبط (يذمر) فى طبعة (اللسان) مشدداً — خطأ وذمره على الأمر حضه مع لوم ليجد فيه ، يقال : القائد يذمر اصحابه فى الحرب يسمعهم المكروه ليشحذهم كما فى الأساس . وفى الجمهرة : (ذمرت الرجل أذمره ذمراً إذا أحضضته) والفعل : ذمر تذميراً معنى آخر

(٢) الكاتب الكبير الأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى لا يرى رأى ابن عمه . . .

(٣) ابن قتيبة : مائة زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين منه، ألا ترى أنك تقول : أخذتَ مائة وأخذت منه فلو لم تكن الألف لالتبس على القارىء (قلت) : كان ذلك أيام قلة الاعجام . وإذا قلت وكتبت اليوم أخذت مئة ، وأخذت منه فلن يلتبس على قارىء . . .

(٤) ففدات النقط فى الباء فى الفعل أو الاسم فى كل حالة فى أكثر المطابع المصرية — مشكلة . فمتى تتم مصانع الحروف هذا النقص ؟ وأصحابها قادرون على الاتمام ... وقد أغضب هذا التفريط حضرة العلامة الأب أنستاس مارى الكرملي فنبه عليه فى مقالاته

العباسيين لا العلويين الفاطميين (إمامة) المسلمين وسياسة دنياهم كيف ؟ ولماذا ؟

مروان بن أبي حفصة لا يسأل عن هذا (الإنطاء)، ولا يدرى لماذا ؟

لا يبحث عن كيفية ولا سببية، ولا يهمه عباسية ولا علوية، و(بيت القصيدة) عنده هو تلك النقوشة العسجدية واللينية

« وعلى المنقـــوش داروا »

وفى (الإسلام الصحيح) القول الحق الصريح فى الإمامة وفى أمور ذات بال (٥)

٤٧ — (ص ١٥٨) : قال عيسى بن موسى : لما وجهنى المنصور إلى المدينة لمحاربة بنى عبدالله بن الحسن ...

قلت فى طبعات العقد السابقة : لمحاربة عبدالله بن الحسن، وفى هذا القول خطأ، فزاد محققو الكتاب محسنين الكلمة (بنى) وزيادة (ابنى) أوفق ؛ فالثائران هما : محمد (النفس الزكية) وأخوه ابراهيم ابنا عبدالله بن الحسن

٤٨ — ص ٦٦ ... فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب : ما تقول فى بنى فلان ؟ قال : أشرار من أهل بيت أشرار . قالوا : اسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد — وكان عامله على المدينة — قال : ما تقول فى الحسن بن زيد ؟ قال : يأخذ (بالإحنة) ويقضى بالهوى . فقال الحسن : يا أمير المؤمنين، والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو وصفك بشر . قال : ما تقول فىّ ؟ قال : أعفنى . قال : لا بد أن تقول ؛ قال : لا تعدل فى الرعية، ولا تقسم بالسوية . قال : فتغير وجه أبي جعفر ؛ فقال ابراهيم بن يحيي بن محمد بن على صاحب الموصل : طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين، قال : اقعد يا بُنى، فليس فى دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور (٦)

وجاء فى الشرح فى تعليقة (بالإحنة) : كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : (بما لا يحققه)، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

قلت : الإحنة الحقد، والغضب الطارئ من الحقد . والظن أن (بالأُحنة) هى (الرشا)، ولا يستبعد هذا فى باب التبديل والتحريف والتصحيف، وما بذ (العقد) سائر الكتب بكل ذلك من شىء قليل ... والرجل يسجع، والرشا والهوى يتفقان ... ووصفه العامل بأخذ الرشا أهون خطباً من ذلك (التقريظ) الذى لطم به وجه الخليفة ... وهو الخليفة

٤٨ — (ص ٢٥٠) قال سابق البلوى :

وداهن إذا ما خفت يوماً مسلطاً عليك، ولن يحتال من لا يداهن

قلت : أظن أنه سابق البربرى كما فى حماسة البحترى وشرح المقامات للشريشى . وفى التاج : « سابق بن عبد الله البرق المعروف بالبربرى، روى عن أبي حنيفة رحمه الله وعن طبقته، مشهور عندهم » وروى البحترى له فى حماسته هذا البيت الفذ :

وفى البحث قدماً والسؤال لذى العمى
شفاء، وأشفى منهما ما تعاين

وقد يكون هو وبيت العقد من قصيدة واحدة، وروى الشريشى هذين البيتين لسابق البربرى :

لحتى متى تلهو بمنزل باطل كأنك فيه ثابت الأصل قاطن
وتجمع مالا تأكل الدهر دائباً كأنك فى الدنيا لغيرك خازن

٤٩ — (ص ٢٥٢) قال ابن أخت تأبط شرا :

مطـــرق يرشح موتاً كما أطرق أفعى ينفث السم صلْ

قلت :

مطرق يرشح موتاً كما أطـــرق أفعى ينفث السم صـلّ

وقافية البيت مطلقة، والتشديد غير جائز ولو كانت مقيدة، والبيت من قصيدة تنسب إلى تأبط شراً وإلى ابن اخته وكلاهما من الأسرة الخلَفية ... وقد نقل (جوته) معانيها نظماً إلى الجرمانية وسماها نشيد الانتقام، وسأنشرها وكلمة موجزة فى شاعر الجرمان الأعظم

٥٠ — (ص ٢١٨) ... كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من أهل السلطان أنه يعرض ضيعة له بواسط

(٥) فى ذلك الكتاب : إنما الاسلام دين التساوى، فالصعلوك مثل الرئيس ومثل الملك، والملك والرئيس مثل الصعلوك فى هذا الدين. (وفيه) ما كان محمد زعيم عترة حتى يحفل بعترة، وما كان محمد لقبيلة فيعنى بأمر قبيلة، وما كان محمد لجيل أو أمة « قل يا أيها الناس، إنى رسول الله إليكم جميعاً . وليس (الكتاب) كتاب العرب، القرآن كتاب العالمين « إن هو إلا ذكر للعالمين » ومحمد للناس أجمعين . (وفيه) والله تعالى ما أنزل فرقانه ليكون شرفاً لقريش أو للعرب «إن هو إلا ذكري للعالمين» « وذكري لقوم يؤمنون »، « إن هو إلا ذكر للعالمين » و « هدى للمتقين » فما «أوحى الله إلى عبده ما أوحى» لتوجيه قريش وتشريف هاشم أو أمية

(٦) الطهور مصدر فيما حكى سيبويه (التاج)

في مغرم لزمه للخليفة ، فحمل وكيلاً له على بغل وأترع له خرجاً بدنانير وقال له : اذهب إلى واسطَ

قلت : بواسطٍ ... إلى واسطٍ

قال (الكتاب) : وأما واسط فالتذكير والصرف أكثر ، وإنما سمي واسطاً لأنه مكان وسط بين البصرة والكوفة ؛ فلو أرادوا التأنيث قالوا واسطة ، ومن العرب من يجعلها اسم أرض فلا يصرف

في معجم البلدان : قال أبو حاتم : واسط التي بنجد والجزيرة[7] تصرف ولا تصرف؛ وأما واسط البلد المعروف فمذكر لأنهم أرادوا بلداً واسطاً أو مكاناً واسطاً فهو منصرف على كل حال

قالوا : وقد يذهب به مذهب البقعة والمدينة فيترك صرفه . وأنشد سيبويه في ترك الصرف :

منهن أيام صدق قد عرفت بها   أيام واسط والأيام من هجرا[8]

ولقائل أن يقول : إنه لم يرد واسط هذه فيرجع إلى ما قاله أبو حاتم :

٥١ — (ص ٣٧٠)

إذا ما أبى شيئاً مضى كالذي أبى   وإن قال إني فاعل فهو فاعل

وجاء في الشرح : في الأصول والأمالي في الموضعين (أبى) وهو تصحيف

قلت : في طبعة الكامل في التاريخ لابن الأثير مثل رواية الأمالي والأصول ، ورواية (العقد) هنا أفضل . وفي تاريخ الطبري (ج ٩ ص ٢٠٩)

إذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أبى   وإن قال إني فاعل فهو فاعل

وإن ثبتت هذه الرواية فالمعنى أنه إن قال فعل ، وتصميمه على ما يأتيه ومضيه فيه كإبائه ما يأباه كما قال :

أبى لما آبى سريع مباءتي   إلى كل نفس تنتحي في مسرتي[9]

٥٢ — (ص ١٤٢)

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

قلت : البيت في قصيدة لعمرو بن معد يكرب . وروايته في كتاب سيبويه والكامل والطبري والخزانة وغيرها : (أريد حباءه) ، وكان أحد الفضلاء خطأ في (الرسالة) أريد حياته . وهي رواية في البيت ، ففي شرح شواهد الكتاب للشنتمري : (ويروى أريد حياته) وفي الخزانة للبغدادي : (ويروى أريد حياته بلفظ ضد الممات) فلا خطأ هناك

***

في القول ذي الرقم ٥ (الرسالة ٤٠١ ص ٢٩٢) قلت : وعذُر جمع عذير وقد جاء في الشعر مخففاً . وقد استندت في أمر التخفيف إلى الصحاح وغيره ثم وجدت في المخصص (ج ١٣ ص ٨٢) : والعذير ما يحاوله الإنسان ويلزمه ، والعذير أيضاً الحال منه ، وكل ما يُعذر عليه عذير والجمع عذُر ، وأنشد :

(وقد أعذرتني في طلابكم العذْرُ)

احتاج إلى تخفيفه ، هذا قول أبي عبيد وهو خطأ ، بل التخفيف جاء على اللغة التميمية

وقلت في (حلّ في مالي النزر) : حل في مالنا النذر . وهي رواية الديوان وغيره ، ثم وجدت في الخزانة (ج ٢ ص ١٦٤) حل في مالنا النزر أي القلة

وفي القول ذي الرقم (٢٥) الرسالة (٤٠٢ ص ٣١٧) طارت قيس في (التاج) والجملة هي هذه : في التاج : القطامي ويضم ، الفتح لقيس وسائر العرب يضمون

ويضاف إلى ما ذكره العلامة الأستاذ الأثري وما ذكرته في شأن الفتح والضم في القطامي هذا القول في (تهذيب إصلاح المنطق) ج ١ ص ١٨٦ في باب الفُعال والفَعال : (وقَطامي وقُطامي للصقر) ، وهذا القول في خزانة البغدادي (ج ١ ص ٣٩٢) : ... وله (أي عمير بن شييم) لقبان ، أحدهما القطامي منقول من الصقر ، يقال له قطامي بفتح القاف وضمها

---

(٧) في معجم البلدان : قال الأسود : أخبرني أبو الندى أن العرب سبعة أواسط : واسط نجد ، وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة ، وواسط اليمامة ، وواسط العراق ، وقد نسيت إثنين

(٨) واسط مذكر معروف لأن أسماء البلدان الغالب عليها التأنيث وترك الصرف إلا منى والشام والعراق وواسطا ودابقا وفلجا وهجرا فانها تذكر وتصرف ، ويجوز أن تريد به (بواسط) البقعة أو البلدة فلا تصرفه (الصحاح)

(٩) الشنفرى الأزدي في مفضلية وقبل ذاك البيت :

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي   ومرّ إذا نفس العزوف استمرت

يكفى التراث الشرقى

لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين

للأستاذ عباس محمود العقاد

جرت فى هذا المعنى وضده مناظرة فى كلية الآداب بين الأستاذ العقاد وفريق آخر من جهة ، وبين الأستاذ الرافعى وفريق آخر من جهة أخرى . وقد نشرنا فى العدد الماضى رأى الأستاذ الرافعى، وفى هذا العدد ننشر رأى الأستاذ العقاد

حضرات الإخوان والأبناء

كان من نصيبى فى مناظرة هذه الليلة أن أؤيد الرأى القائل بأن التراث الشرقى كاف لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين

وقبل أن أدخل فى تفصيلات هذا الرأى أسأل سؤالاً لا أنتظر عليه جواباً لأن جوابه معروف . وهذا السؤال هو : هل يستطيع أحد أن يقول بأن الشرق خلا من العقول الناضجة فى العصور القديمة ؟ هل خلا الشرق من الحياة العقلية الناضجة يوم أن كان التراث الشرقى هو التراث الذى لا تراث غيره ؟

فإذا كنا لا نرى أحداً يستطيع أن يزعم ذلك فقد حكمنا بأن التراث الشرقى كاف لنضج الحياة العقلية ، لأننا إذا أنكرنا هذه الحقيقة وجب أن نقول إن الشرق خلا من العقول الناضجة قديماً وحديثاً ؛ وهـذا ما لم يقل به أحد من الشرقيين ولا من الغربيين . وأحسب أن مناظِرىَّ الفاضلين أول من يشتد فى نفى هذا الزعم لو جرى به لسان فى هذا المـكان أو فى غير هذا المـكان

* * *

وبعد فمن الواجب أولاً أن نعرف ما هو التراث الشرقى ؟ ثم نعرف ما هو النضج العقلى ؟ ثم نصل إلى النتيجة التى تؤدى إليها معرفتنا بهذا وذاك على وجه الدقة كما يقول الأدباء مقترحو المناظرة ...

فإذا تكلمنا عن التراث الشرقى أو التراث الغربى خرجت من حسابنا العلوم الطبيعية التجريبية أو العلوم التى اصطلحنا على تسميتها بالعلوم الحديثـة ؛ لأن الحقيقة من حقائق الحرارة أو الضوء أو قوانين الحركة أو خصائص الأجسام — هى حقيقة ثابتة فى جميع الجهات الأصلية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بلا اختلاف . أو هى حقيقة إنسانية عالمية تتقرر فى لندن كما تتقرر فى القاهرة وبغداد ، ولا يكشفها الإنسان حين يكشفها باعتباره شرقياً أو غربياً ، أو باعتباره مولوداً فى الشمال أو الجنوب ، ولكنه يخترعها باعتباره إنساناً مدركا لما حوله حيث كان . وإذا اتفق أن كثيراً من هذه الحقائق العالمية قد كشفها أناس من الغرب فليس معنى ذلك أنها خاصة بالغرب وأهله ؛ إذ هى تتمة للحقائق الطبيعية التى سبقتها منذ بداية عهد الإنسان بالمعرفة ، فهى جزء من التراث الإنسانى لا مراء

ويخلص لنا من ذلك أن التراث الشرقى هو التراث الذى عليه صبغة الشرق وينتمى إليه ولا يمكن أن ينتمى إلى غيره ، وأن التراث الغربى هو التراث الذى عليه صبغة الغرب وينتمي إليه ولا يمكن كذلك أن ينتمى إلى غيره . أما العلوم الطبيعية فليست عليها صبغة شرقية ولا غربية ، ولا مانع من أن يكون الإنسان شرقىَّ التراث وأن يكون ملماً بالعلوم الطبيعية فى وقت واحد . وعلى هذا كيف يتطرق إلينا الشك فى أن التراث الشرقى كاف لنضج الحياة العقلية عند ذويه ؟ بل إذا كان التراث الشرقى وحده قد أخرج عقولاً ناضجة فى جميع العصور ، فكيف لا يخرج

واللقب الآخر صريع الغوانى ، قال النطاح : أول من سمى صريع الغوانى القطامى بقوله :

صريع غوانٍ راقهن ورقنه
لدن شبَّ حتى شاب سود الذوائب

وصريع الغوانى لقب مسلم بن الوليد أيضاً لقبه هرون الرشيد بقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا
وتغدو صريع الكاس والأعين النجل

قلت : أنا أنشد :

هل العيشُ إلا أن تروحَ أخا عُلاً
وتغدو خدينَ النُّبلِ والعلمِ والفضلِ

* * *

هـذه العقول إذا جاز أن يقترب بالعلم الطبيعى وما إليه من تراث الإنسان ؟

***

شىء آخر يجب أن يخرج من حسابنا إذا تكلمنا عن تراث الشرقيين وتراث الغربيين ، ونعنى هنا المعارف الرياضية من هندسة وحساب وما هو من قبيل الهندسة والحساب ، فإن الحقيقة الرياضية لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا بتغير الأمم والأفراد . وليس من شأنها أن تصطبغ بالصبغة الشخصية أو بالصبغة القومية حيث كانت ، بل هى لا تتوقف على المشاهدات والمحسوسات بمقدار ما تتوقف على قوانين العقل المجرد المعزول عن خصائص الأوطان والأزمان . . . وأين هى الحقيقة الرياضية التى يصح على أى وجه من الوجوه أن تُسمى حقيقة يونانية أو مصرية أو صينية ؟ وأين هى الرياضة الشرقيـة أو الرياضة الغربية ؟ إذا قيل إن هذا قانون رياضى فقد قيل هذا قانون إنسانى يملكه الشرقيون والغربيون على السواء ، وامتنع أن يتعارض هذا وما يُسمى تراثاً للشرقيين أو للغربيين

ومما تقدم يتبين لنا أن التراث الشرقى يجتمع مع العلم الطبيعى والعلم الرياضى فى بيئة واحدة . ونعود فنقول مرة أخرى : إن أحداً لم ينكر أن العقول نضجت فى الشرق على تراثه دون غيره ، فكيف ينكر أحد أنها قابلة للنضج إذا جاز أن تضم إليه العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية ؟

ونصل بعد هذا إلى النضج العقلى لنقول فى التعريف به كلمةً وجيزة تؤكد معنى ما قدمناه

فالعقل الناضج لجميع الملكات الناضجة والحواس الصحيحة إنما يتم له النُضج بالمرانة والمزاولة أيا كان الشىء الذى تقع فيه المرانة والمزاولة

فحاسة البصر مثلاً تستوفى حظّها من القوة بالنظر إلى الأشجار كما تستوفى حظها من القوة بالنظر إلى الصخور

وعضلات الجسم تقوى بحمل النحاس كما تقوى بحمل الحديد أو الفضة أو الذهب أو الجواهر الكريمة

والعقل يستوفى نضجه بأن يعمل ويفكر ويبحث فيما يراه ويحيط به ، أيا كانت المسائل التى يتناولها بتفكيره وبحثه

فالمهم فى تصحيح الملكات والقوى العقلية أو الجسدية إنما هو فى العمل والمرانة ، لا فى الموضوعات والمواد التى يتناولها عمل العامل ومرانة المتمرن ؛ إذ هى فى المنزلة الثانية من الأهمية . وقد يقوى النظر فى الصحراء وهى خاوية أشد من قوته فى المدن وهى آهلة حافلة ، مادام النظر فى الصحراء عاملاً لا يكف عن الرؤية والانتباه

ومؤدى ذلك أن المهم فى إنضاج العقل الشرقى أن يعمل ولا يكف عن العمل ، سواء كان موضوعه تراث الشرقيين أو تراث الغربيين

فإذا عمل فهو ناضج ، وإذا وجد مادة التفكير فهو مفكر ، وإذا امتلأ بالإدراك فهو مدرك : أيا كان موضوع تفكيره وإدراكه

والمثل المحسوس هنا أحق بالتقرير من الآراء العامة والأحكام المطلقة ، فلنضرب الأمثلة بالأسماء المعروفة ولا نقصر القول على رأى مقنع أو حكم مسلم البرهان

فما القول فى هارون الرشيد ؟ وما القول فى ابن خلدون ؟ وما القول فى جمال الدين الأفغانى ؟ وما القول فيمن سبقهم أو لحق بهم من « النابغين » الأفذاذ ؟

أكان هارون الرشيد حاكماً ناضج العقل أو لم يكن كذلك ؟ وابن خلدون — ألم يكن مفكراً تاريخياً ناضج التفكير يقل نظيره فى السابقين واللاحقين ؟

وهكذا يقال فى جمال الدين الأفغانى وكل دراسته شرقية ، وكل ما استفاده من قليل الثقافة الفرنجية لم يؤثر فى تكوين عقله ولا فى طبيعة التراث الشرقى الذى نشأ عليه . فهم جميعاً أنضج عقلاً من التلميذ الحديث الذى يعلم من العلوم العصرية ما لم يكونوا يعلمون

هؤلاء ناضجون لا مراء ، وكانت لهم ومن حولهم حياة عقلية ناضجة لا مراء ، وكان التراث الشرقى هو التراث الذى عولوا عليه بغير التباس ولا مناقضة ، إذا جاز الالتباس أو جازت المناقضة فى شئون الرجال النوابغ الذين يعيشون معنا الآن

***

والواقع — أيها الإخوان والأبناء الأعزاء — أن الشرقيين لا يمكن أن تنضج لهم حياة عقلية فى غير تراثهم الذى ينتمى إليهم ويصطبغ بصبغتهم

فغير ممكن كما أسلفنا أن نجعل العلم الطبيعى تراثاً شرقياً أو غربياً بأية صفة من الصفات ؛ وغير ممكن كذلك أن نجعل العلم الرياضى تراثاً ينسب إلى الشرقيين أو إلى الغربيين

فلم يبق إذن إلا التراث الخاص بالشرقيين الذى لا يشاركهم فى خصائصه مشاركٌ من العالمين ، وهو التراث المشتملُ على مالهم من أشعار ومواعظ وأمثال وحكايات وآداب وقواعد سلوك ، وفى طليعته روح العقائد الدينية والحكمة النفسية والفكرية ، وما يصاحب ذلك من فقه شريعة ودين

وقد يسأل السائل فى هذا المعرض : وما الرأى فى الأشعار والأمثال والحكايات التى تنقل من الغربيين ، وهى تراث غربى لا نزاع فيه ؟

فجوابنا على هذا السؤال أن التراث الغربى الذى ينتقل إلى الشرقيين ينقسم إلى قسمين : القسم الذى يمكن أن يمتزج بحياتهم وهو من نوع تلك الحياة فلا يلبث أن يدخل فى الشرق حتى يصطبغ بصبغته ويجرى على سُنّته ، ومثله فى هذه الخصلة مثل التفاحة الأمريكية التى تجرى فى دم آكلها من المصريين : هى تفاحة أمريكية ما فى ذلك خلاف ؛ لكنَّ الدم الذى يتولد منها فى عروق آكلها دم مصرى وليس بالدم الأمريكى أو الذى يُنمى صاحبه إلى الديار الأمريكية

وفرق بين هذه الحالة وحالة النسب الذى يخلط الدماء بالدماء ويخرج لنا سلالة لا هى إلى هنا ولا إلى هناك

والقسم الآخرُ من التراث الغربى الذى ينتقل إلى الشرق هو القسم الذى لا يمتزج بحياة الشرقيين ولا يدخل لهم فى عقل ولا روح . وهذا غريب عنهم وهم غريبون عنه . وحكمهم فيه حكم المتفرج العابر الذى يمر به وكلاهما باق حيث كان : هؤلاء شرقيون وذلك تراث غربى لا يدخل فى عوامل النضج العقلى أو فى عوامل التكوين ، سواء رجعنا فيها إلى الأفراد أو إلى الشعوب

ومعنى هذا أن الحياة العقلية إذا نضجت بين الشرقيين فهى شرقية لاحقة بالتراث الشرقى ، أياً كان المصدر الذى جاءت منه أو حملت عنوانه ، ولا يصح أن تنسَب إلى غير الشرق إلا كما يصح أن تنسب دماؤنا إلى استراليا وأمريكا لأننا نأكل القمح الاسترالى والفاكهة الأمريكية فى بعض الأوقات

وعلى أيةِ حال ليس لنا مناص من إحدى اثنتين : إما أن نقرر أن الشرق خلا من الحياة العقلية الناضجة فى جميع العصور وهو مخالف للمعقول ومخالف لإجماع الآراء ؛ وإما أن نقرر أن الشرق قد عرف الحياة العقلية الناضجة ولو فى عصر واحد من عصوره ، وهذا فى لبابه مرادفٌ لقولنا : إن التراث الشرقى كافٍ لنضج الحياة العقلية بين الشرقيين .

عباس محمود العقاد

الغنـــاء والموسيقى

وحالهما في مصر والغرب

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٤ —

ثلاث الكلمات التي تقدم إيرادها هي بيان وجيز للملاحظات على الغناء والموسيقى في مصر والغرب ، يلاحظها كثيرون منا ، ولم يُقصد بعرضها جيلةً سوى لفت النظر إلى ضرورة الأخذ في إصلاح جدّي يقوّم من أود هذين الفنين وما يتعلق بهما عندنا . فإن استصوبها فنان محب لفنه ، وأحس بقدرة على شيء من هذا الإصلاح وتهيأ له ، فتوخاه ومهد سبيله ، كان له فضل الابتداء والسبق في خدمة جليلة

والذى يجمل بذوى الهمة من الفنانين هو قبل كل شيء ، أن يحاولوا رفع ذلك الحب المريض من حضيض ذله الذليل ، وأن يطبوه بأشمة البشاشة وروح المشاشة لعلهم يزيلون عن قلبه تسعة وتسعين في المئة — على الأقل — من هذا الحزن الذى ران عليه ، وينقذونه من طوفان دمعه السخّين ؛ والمجال ، بعد هذا الإسعاف ، واسع شاسع الأطراف : أفليس أمامهم حب الأصحاء ، سعيدُه وشقيه ؟ وسائر الأحاسيس والخوالج كنز لا يفنى . لهم أن يختاروا منه ما يسهل وصفه : كألوان العواطف الوطنية والعائلية ، وكالحماسة والفرح وغيرهما ؛ وفى الطبيعة جمال مشرق باسم يمرح الشباب أمامه في أحضانها ويلاعب ويداعب ، ويتهكم ويناضب ، ويجالس ويؤانس ، ويتراقص ويتماشق ، ويغنى ويطرب في هناء وابتهاج . كل ذلك قد لا يتعذر على الفنان الحى تصويره بمنظوم شعره ومنثوره ، أو بألحانه ، أو غنائه ، أو موسيقاه ، إن هو اعتمد على بصيرته وبصره ، واستهدى شعوره ، وراد آفاق نفسه ، وطاوع وحى قلبه محترساً من تقليد سواه[1]

وإذا حل أن يُعبر للعامة عن أمثال هذه الموضوعات بالعامية فهل يَحرم أن يُعبر عنها بالفصحى للصفوة المثقفة ، وبالفصيحة السهلة الواضحة للخاصة المتعلمة على أن يكون الاتجاه بها إلى التعميم؟

والمأمول أن ترجح في الغناء كِفة ما كان من النثر والنظم شعراً ما دام مجرد استعمال الكلمات التي ألِفها الشعراء : كالقمر والزهر والفؤاد والوداد والنيل والنخيل ، لا يردّ غثّ الكلام وسفسافه شعراً . وإن بين الناثرين والناظمين شعراء بصراء ، تُشعر أغانيهم بقدرة تمكّنهم من الإتيان بأغان تشرّفها ، لولا استقرار العادة على مراعاة التقاليد التى سلطها الجهل وضعف الطبع ، ولولا طلبات الملحنين والمغنين الخاضعين لأذواق الجمهور الفسيدة

أما الملحن ، فالنصيحة الخالصة له أن يوطّد العزم على نبذ العادة القديمة ومقاومة التقاليد السقيمة ؛ وأن يتحاشى عن نية تقليد الشرقي والغربي على حدٍّ سوًى ، ولا سيما التقليد الأعمى من اقتباس عبارة صوتية معينة — مثلاً — يعجبه أسلوبها فيُقحمها في لحنه غافلاً عن مدلولها[2] ، أو من مد مخصوص ، أو من تمدد التحزن الخارج عن الفن ، وما إلى هذه الأمثلة .

فإن كان صادق العزم ، فسبيله أن يطبّ نفسه أولاً من الذلة والخور والخنوع ، ويشفيها من داء الحزن المضال ، ومن التفجع المقيت والعويل الثقيل ؛ وأن يحررها من بدعة التخنث والتكسر

(١) جاء في المخصص : « ينبغي أن توضع الألحان فيما شاكلها من الأشعار : فمنها ما يبلى ويرقق ، وهو لما كان من الشعر في الغزل ، والتشوق إلى الوطن ، والبكاء على الشباب ، والمراثي والزهد ؛ ومنها ما يطرب ، وهو لما كان في نعت الشراب ، وذكر الندماء والمجالس ، والصبوح والدساكر ؛ ومنها ما يشوق وترتاح له النفس ، مثل صفة = الأشجار والزهر ، والمتنزهات والصيد ؛ ومنها ما يسر ويفرح ويحث على الكرم ، وهو لما كان في المديح ، والفخر ، وصفة الملك ؛ ومنها ما يشجع ، وهو لما كان في الحرب ، وذكر الوقائع والغارات والأسرى ، وغير ذلك ؛ وهذا كله يدعى غناء » . ج ١٣ ، ص ١٠ ، طبعة بولاق سنة ١٣٢٠ هـ .

نقلنا هذه الفقرة لبيان أن العشق لم يكن في العربية ، عند المتقدمين ، إلا واحداً من شتى الموضوعات التى تناولها غناؤهم ؛ وكان لكل موضوع عندهم ما يلائمه من الألحان ، كما ترى ؛ وبديهى أنه ليس حتما أن يكون كل الغزل والتشوق إلى الوطن حزينا وأن يغنى بلحن يبكي .

(٢) في المخصص أيضاً : للألحان لصوص يسرقون النغم كلصوص الشعر . فمن الشعراء المفتضح ، كالسارق القصيدة والبيت كله ؛ ومنهم دون ذلك ، كالسارق الكلمتين والثلاث ، والسارق للمعنى يكسوه كلاما آخر .؛ وكذلك المغنون : فمنهم السارق المفتضح الذى يسرق اللحن كما هو وينقله إلى شعر آخر ، كفعل الطنبوريين في زماننا هذا وغيرهم من مقاربى أصحاب العيدان ؛ ومنهم من يسرق بعض اللحن بصفة له ، أو صيحة منه ، أو ردة ، أو نشيد ؛ ومنهم من تخفى سرقته ، مثل من يسرق تأليف لحن في الثقيل الأول ، وينقله إلى إيقاع آخر إما ثانى ثقيل أو رمل أو هزج ؛ ومنهم من يجى إلى ثلاثة أصوات أو أربعة في الثقيل الأول على أصبع واحدة فيسرق جزءا من هـذا ، أو صيحة من هذا وردة من هذا ، فيصوغ صوتا من أصوات » . ج ١٣ ص ١١

والتميّع ، ليخلص أولاً من كل هذه العلل الوبيلة التى مكنها منه استحسان العامة وأشباه العامة . ومما يعينه على النجاة النزهة الخلوية ، والرياضة البدنية ، والمطالعات المنعشة ، والصاحب المؤنس المفرح ، وإجالة الخاطر فى الموضوعات الملائمة للغرض ، والإيحاء التلقائى .

والأجدى له فى عمله هو أن يمعن فى التفكير بادىء بدء فى فحوى ما هو مقبل على تلحينه من الكلام ، وأن ينظر ملياً فى جمله وكلماته وحروفه ، ليتبين الروح الذى أملاه ، والموقف الذى يصف ؛ ثم يتصور أنه هو فى هذا الموقف ، وأن ذلك الكلام كلامه ؛ فإذا أرهف حسه ، وأيقظ ملكاته ، وهيأ نفسه وشعر بإيحائها وارتياحها إلى التلحين ، أخذ فى الترنم بالأغنية ؛ ثم يكرر التغنى حتى يجىء مدلول اللحن مطابقاً لمدلول الكلام المعبّر عن الحال النفسية التى استمارها لنفسه هو من الموقف الموصوف بالأغنية ؛ ثم يترك اللحن الذى وضعه أول وضع ، ويرجع إليه مرة بعد مرة لتهذيبه وإحكامه على مقياس تلك المطابقة ، لا ابتغاء جعله مشابهاً للحن آخر ، أو مرضياً لذوق خاص ؛ فيدع الصوت يعبّر التعبير الطبيعى ، ويطابق مقتضى المقام المدلول عليه بالكلام بما أنه قد تمهد اعتقاد وجوده هو فى هذا المقام ، واعتاد هذا الاعتقاد حتى استقر ما بفكره ونفسه فى عقله الباطن (٤)

وأما المغنى ، فسبيله أن يعمل فى التدرب على غناء اللحن ما عمل صاحبه فى إنشائه ، بعد أن ينفى عن نفسه ما استطاع من ذلك الحزن المميت وتلك الذلة الساحقة ، سواء أكانت تقليدية أم طبيعية ؛ ولا بد له من أمور منها :

أن يقضى مدة قبل مزاولة الغناء فى تقوية صدره وتعميق نفَسه ومدّه ، وإلانة حِباله الصوتية ، والتمرّن على التنفس فى الغناء ، حتى لا يقطع بقصر نفسه عبارة صوتية من لحن يغنيه ، وحتى لا يظهر أنه يختمها ونفَسه وشيك الانقطاع ، لأن هذا يخدش أسلوب العبارة . ومن مقتضيات الإجادة أن يؤديها أحسن أداء ، ويختمها قادراً بما فى نفسه من بقية وافرة ؛ ولذلك كله وأمثاله طرائق وتمرينات معروفة

وأن يهجر الغناء إذا كان من ذوى الخنخنة ، ولا يغنّى مزكوماً أو متخوماً ، أو مخموراً

وأن يحرص فى غنائه على نقاء صوته وصفائه ، فلا يمرقل جريانه بمثل قلبه الياء من حرف النداء همزة لينطق آ بدل يا ، أو بما يشبه مأمأة ، ونارة عواء ، أو ما يشبه عند الوقف شهقة الحال حين يلقى حمله ، أو ما يماثل توجع الريض والجريح فى تصويره ألم العاشق

وألا يقطّع صوته بالوقف إلا بالقدر الضرورى لإحداث مزيّة ، كتنبيه المستمع إلى معنى الكلمة التى يقع الوقف على آخرها

وألا يطيل غناءه مستعيناً بغناء الجوقة معه ولا يكرر ذلك كثيراً ، وإذا غنّى معها فلا بد له من إظهار صوته على أصواتهم وأصوات معازفهم ، لأن الناس إنما يريدون سماع صوته هو ، وهذا غير الجوقة الغنائية (٥) ؛ لكن لا ينبغى له أن يعلو بصوته إلى طبقة لا يبلغها بغير عناء ، لأن أقله يعكّر صفاء صوته ويزيل رواءه ويعيب غناءه وإن أطرب فى الطبقة التى يقدر عليها . من أجل ذلك يجب عليه أن يتخيّر من الألحان والأغانى ما يلائم طبعه ، وقوة صوته ، ونوعه

إن المتقدمين من أهل المدنية العربية ميزوا أصوات المغنين فقالوا مثلاً : أجشّ ومُجَلْجِل وكروانى؛ والغربيون يميزونها فيقولون مثلاً : باصْ وتينور وكونترالتو وسوبْرانو ؛ فلا يغنى كل صوت إلا ما يلائمه من الألحان ؛ وظننا أنه قد آن لنا أن نبدأ هذا التمييز مثل أصحاب الفن الصحيح

يحسن بمن يزاول فن الإطراب أن يعتبر بهذه الملاحظات ويتحرز من الخطأ الفنى ويتحاشى العيوب المشار إليها فى هذه الكلمات وعن أمثالها ، كعدم إخراج الحروف من مخارجها بالدقة ، وعدم لفظ الكلمة واضحة . ومن الأصوات المسموعة فى مصر ما يطرب ويمكن الافتتان فيه ، وبين الملحنين والعازفين مهرة ليس يستحيل عليهم التفوق على أنفسهم ، وإنما المعول كل المعول على فهم حقيقة الفن ومقاصده ، بدل القناعة بوسائله

ولسنا نقول إن المسلك الذى ننصح بسلوكه يغلب الوراثة وأثر البيئة واستقرار العادة ، فيغيّر الحال فى الساعة ، لكنه مهما كان شأنه فهو مؤثر ، وعامل من عوامل التطور ؛ أو هو كالدواء الذى يوصف لذى علة لا برء منها ، فقد لا يخلو من نفع للعلول إذ الطبائع متفاوتة والشذوذ قد يوجد فى بعضها ،

(٣) Autosuggestion

(٤) Le conscient dans l'inconscient

(٥) Chœur

ولأسرار الطبيعة مفاجآت ، ومحاولة الاهتداء خير من الاسترسال في الضلال ، وكل ما يبلغ غاية ، له بداية

هذا وإن المقدمة الموسيقية تليها التقاسيم بالمعازف ، فالليالي فالموال فالأدوار ، نظام لا بأس به ؛ على أن تقديسه والتزامه في كل حفلة لا يوجبهما الفن كما يتوهمون ، بل إن تحسينه واجب . ولِمَ لا تقام حفلات كبيرة مخصوصة بالموسيقى وحدها وهي مطربة إذا جادت ، وفي البلاد ألوف العازفين والمحبين لها ؟ وفي الغرب قاعات مخصوصات بها مشهورات تكتظ من المستمعين . ولِمَ يصغرون شأن البشرف والتوشيح في حفلاتهم فلا يعنون هذا كله ولا يعزفون ذاك بأجمعه ؟ ولِمَ لا يحاول أحد منهم أن ينشىء شيئاً يماثلهما ، أو يبتكر أنواعاً أُخر إن استطاع ؟

إن موسيقانا لم تدرك شأو غيرها إذ عجزت حتى الآن عن التصوير (Harmoni) ، وليس يعقل أن التصوير مستحيل في الموسيقى الشرقية ؛ لأن الموسيقى الغربية مثلها ، لها سلم ومقامات ونغمات ، ولها الأقيسة الزمنية والإيقاع ، ولها الأساليب الصوتية تعبّر بها عن الأحاسيس تعبير الأساليب البيانية ؛ والأحاسيس جميعاً موطنها النفس ، وشأن النفس واحد في الإنسان أينما كان ؛ والموسيقيَان كاللغتين العربية والفرنسية ، مثلاً ، اللتين فيهما المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والمحسّنات البديعية ، وأوجه البلاغة ، لوحدة المصادر البشرية من الفكر والمخيّلة والمشاعر ، بل بينهما أوجه شبه في النحو والصرف[6] ؛ وقد كانت موسيقى الغربيين ومعازفهم بسيطة ، كموسيقانا ومعازفنا ، فتناولوهما بالتحسين حتى ارتقيا إلى مرتبة التصوير الذي تفوقوا به منذ عرفوا تركيب الأنغام في زمن معاً ، أي في إيقاع واحد[7] ، وإخراج الصوت الآلي من طبقته الضعيفة ، أو من الجزء الضعيف في زمنه[8] ، وإنشاء الجملة الغنائية تسمع بُعيد الجملة الأساسية في انسجام وائتلاف معها[9] فأي شيء في الموسيقى الشرقية يمنع من تقليد هذا الفن ؟ إذن لا يقول بأن التصوير مستحيل فيها إلا جهول كسول . والرأي للمشتغلين بالغناء والموسيقى عندنا أن يجدّوا في ترقيتهما معتقدين أن الموسيقى ستبلغ ، أو سوف تبلغ ، مرتبة التصوير العالية ؛ وإذا اتجه نظرهم إلى مظنة وسيلة للترقية فعرفوها واستخدموها ارتقوا بفنهم درجة ، وطمحت أبصارهم إلى ما فوقها

ونحن ، بحمد الله ، عندنا الناي كالفلوت ، والقانون كالبيانو (وقد استصنع بعضهم بيانو فيه ربع المقام « إيّاه » فصُنع) ، وطبلة كطبلة ، والكمان ، وفي وسع الموسيقيين أن يستعينوا الصناع على تحقيق أغراضهم بتحسين المعازف على الوجه اللائم لما يتفرسون من وسائل الإصلاح ، أو باستحداث ما يعوزهم من الآلات بدل ادعاء الابتكار والتجديد والتفوق بلا حق

فإذا نحن أردنا أن نخرج موسيقانا من حالها البدائية ، أو طورها الأول الذي ما برحت عاربة فيه ، فلا بد من أن نأخذ في نسج ثوب موشى لها — ثوب التصوير ، وهو غير التوافق بين الألحان وأصوات المغنين

ومتى تيسر التصوير ، وتميزت أصوات المغنين بحدود طبقاتها وألوانها ، وتبينت نسبتها إلى المعازف ، وبدأ التلحين بوحي النفس الحرة من التقليد ، الطليقة من قيد القوالب ، البريئة من السرقة ، أمكن أن يرتقي الغناء المسرحي بمصاحبة الموسيقى ، وأن يقدم أصحاب الفن وشعراء المسرحيات إلى الجمهور أوبريت ثم أوبرا ـ كوميك ، ثم أوبرا جيدة ليس شك في أنها تطربه وتعجبه وإن لم يستسغ ماقدم إليه حتى الآن بهذا العنوان من خليط مستغرب ، ومسمى يتبرأ منه اسمه

وليتهم على الأقل يزيدون المعازف إلى ثلاثة أضعاف العدد المعتاد لكل نوع منها في الجوقة ، ريثما يهتدون إلى التصوير ، فإن ذلك يقوي العزيف فيحسّنه فيما نرى تحسيناً متواضعاً أفضل من لا شيء ، لكنه لا يكون من الإصلاح المنشود

ألا إن الجهل والاقتصار في الاشتغال بهذه الفنون على استرزاقها لا يوصلان إلى شيء مما ينهض بها ؛ ونهضتها ، يوم يتحقق ، إنما يكون ثمرة التطور في ضوء العلم والثقافة ؛ على

---

(٦) العربية والفرنسية من اللغات التي تتغير فيها صيغ الكلمات وأواخرها في التذكير والتأنيث ، والجمع والتثنية ، مثلا تبعاً لوظائفها حين تركيبها في الكلام (langues à cas et déclinaisons) ؛ وفي اللغتين الاشتقاق (dérivation) ، وتصريف الأفعال (conjuguason) ، والماضي (prétérit)، والمضارع (présent et futur) ، والأمر (impératif) وليستا من اللغات التي تجمع فيها أوائل الكلمات ، أو مقاطعها الأولى التي لا تتغير ، جمعاً لا تتحد فيه كل الاتحاد ، فيكون منها مركبات تعبر عن عدة علاقات كاللغة اليابانية (langues agglutinantes) . ويعرف ذلك كل من اطّلع على بعض المباحث في مقابلة اللغات .

(٧) Contrepoint

(٨) Contretemps

(٩) Contre - chant

أن الأمة تتقدم إذا قام كل جيل من أبنائها بما عليه من حمل أعبائها مسافة على طريق الفلاح؛ وكلما صح ذوقها، ورق ودق، يسمو مثلها الأعلى فى الفن . فعلى محبي الغناء والموسيقى والتلحين، المشتغلين بالفن من شبابنا المتعلم، أن يتعلموا ولو مبادىء ما فى الغرب منه، وأن يكثروا من الإصغاء إلى تحف الموسيقى والغناء لأعاظم المغنين والموسيقيين الغربيين أينما وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ هذا إلى قراءة شىء من تاريخ الموسيقى وكلام نقادها فى إحدى اللغات الأجنبية، وقراءة بعض المؤلفات العربية

لكن ذلك وحده لا يُسعف وليس يكفى الآن، بل العمل المنظم فى هذا الزمن المستنير هو السبيل القصد إلى الغاية، وفى مصر معاهد أهلية وحكومية للموسيقى يجب عليها أن تلتفت إلى حقيقة حال هـذه الفنون عندنا، وإلى ما يصلح من شأنها، فذلك خير لها من أن تظل على الأيام صوراً جوفاء خاوية لا تصلح إلا لتمكين الفن السقيم الضعيف والمحافظة عليه، ويجمل بالوزارة المختصة أن تعنى بهذا الأمر

يجب أن يحمل أرقى هـذه المعاهد وأقدرها أعباء النهوض بفنونها، وأن ينشىء لذلك قسما مخصوصاً يهتم بها من الجهة الفنية النظرية، والعلمية الثقافية؛ وأن يقوم بشئون القسم نخبة من أصحاب الفن المولعين به لا يُعيِّنهم لوظائفهم فيه سوى مؤهلاتهم الطبيعية والفنية والثقافية وقدرتهم على ما يُندَبون له نخبة ممن يطمحون إلى المنزلة الرفيعة والفضل فى إحياء فنونهم وإنهاضها فى الشرق يرأسهم أحقهم بهـذه الرئاسة، ويجب أن يقتنى القسم مكتبة ينظمها التنظيم العلمى الحديث، ويجمع فيها المطبوعات الغربية والمؤلفات الشرقية المطبوعة والخطية؛ ويبحث فى كل مكان عن النصوص الشرقية الدفينة والضائعة ولو مترجمة إلى بعض اللغات الأجنبية كاللاتينية واليونانية والفارسية، إذ قد يجد فيها ما يلقى ضوءاً على فنون المتقدمين فينير النهج للمتأخرين؛ ويشترك فى المجلات الفنية، ويسترشد عند الحاجة بعض المعاهد الغربية المختصة بهـداية السائل إلى جميع الكتب أو الطبعات أو النصوص فى أى موضوع بعينه [10] . ويجمل القسم بعض رجاله صلة بين جهده النظرى وجهد معهده فى انتاجه العملى . ويجب أن يقوم المعهد بنوع من الإرشاد والرقابة على سائر المعاهد، وبإرسال البعثات المختارة من الناجحين فى الفنون الشرقية إلى المعاهد الغربية .

ولا بد، أخيراً، من التنبيه إلى آفة الغلو فى بذل الثناء لكل من هب ودب من المغنين والموسيقيين، وعلى ضرر نعته بأعظم النعوت، كأن الناعت يريد إظهار شاعريته هو وبراعته البيانية فلا ينجح يبعده عن الحقيقة . ذلك يضر حقاً ولو كان بحجة التشجيع أو تمجيد الأمة والوطن حتى لكأن البلاد تنبت النبغاء فى كل فتر من أرضها والعباقرة فى كل شبر؛ فإن مثل هذا الغلو فى الثناء الكاذب يهزأ منه وليس من الحكمة ولا الوطنية فى شىء، لأنه يغر فيعمى ويصم فيسبب الوقوف، بل التأخر بدل التقدم، وهو لا يصدر عن أهلية للتقدير، وإنما يكون فى الغالب لأغراض بعيدة عن مصلحة الفن والأمة .

محمد توحيد السلحدار

(١٠) Instituts bibliographiques



قطط وكلاب وناس !

منظر كم تمنيت بعده أن لم تقع عليه عيناى ! ومع ذلك فقد لبثت دقائق كثيرة أحلق فيه وأطيل النظر ، كأنما وقعت منه على فرجة تبتهج لها النفس !

فى شارع كبير من شوارع هذه المدينة العظيمة : — القاهرة عين أفريقية وملتقى الحضارتين الشرقية والغربية — وقفتُ على مقربة من صندوق القُمامة ، فإذا بى أرى فى ناحية قططاً ثلاثة ، وفى ناحية أخرى كلبين ، وعلى قيد خطوة من هذه المخلوقات بنتين وصبيين وعجوز

وقفت أنظر ... فيالشناعة ما رأيت من منظر ، وياللهول ما جاشت به نفسى عن المعانى تلقاءه ! وإنى أعيذك أيها القارئ أن تستكثر علىّ استشعار الهول فيما رأيت ، وأن ترده إلى استغراق فى العاطفة يلحق بالضعف ؛ وإلا رميتك أنا بالقسوة ، وعندى أن القسوة هنا — على أى حال — إنما هى شر مما تزعم من ضعف .

راحت هذه المخلوقات الآدمى منها وغير الآدمى تنبش القمامة فتمد الكلاب والقطط أرجلها الأمامية ويمد الآدميون أكفهم حتى لتكاد تلتقى تلك الأرجل وهاتيك الأيدى كأن لا فرق بينها فى شىء

وجعلت أنقل البصر من القطط إلى الكلاب ومن هذه إلى البنتين والغلامين والعجوز وأول ما برز لى من المعانى هو صورة من تنازع البقاء فى هذه الدنيا لاحت بين أفراد كل فريق من جهة ، ثم بين كل فريق وفريق من جهة أخرى

كانت القطط تقوس ظهورها وتنفش شعورها وتخطف العظام إحداها من الأخرى ، فإذا أرادت أن تختطف شيئاً من الكلبين دارت معركة قصيرة بين الفريقين ، فإذا زجر الصبيان الكلبين والقطط فى حذر وخوف ، جرت القطط فتربصت على خطوتين لتعود بعد لحظة ، واستعلن الشر فى وجهى الكلبين ، فتركهما الزاجرون من الآدميين ومضى كل إلى ما كان فيه من عمل . وكان يفرح هؤلاء التعساء من الآدميين إذا دارت المعركة بين الكلبين والقطط واستمرت لحظة طويلة ، فيكبون إذ ذاك فى عجلة ونشاط فى التقاط ما تنكشف عنه القمامة من بقايا العظام ولقيمات الخبز وقشور الفاكهة وما إليها قبل أن يعود فيشاركهم فى التقاطها أفراد الفريقين الآخرين

وكان كل من الصبيين والبنتين والعجوز يزحم الآخر ويسابقه فى نبش كومة جديدة من الكناسة فإذا عثر أحدهم على لقمة كبيرة نوعاً لاح فى وجهه مثل ما يلوح فى وجه الباحث عن الذهب فى أرض الذهب إذا التمع فى عينيه عرق من المعدن النفيس ؛ ويقذف الصبى باللقمة فى حجره وقد زادها قيمة عنده أنها خلصت له من قرنائه ومن القطط الثلاثة ومن الكلبين

ومرت بى أثناء ذلك بعض السيارات الفخمة تحمل أغلاطاً من سراة القوم ، ومن هؤلاء من لاحظت أن عيونهم رأت ما رأت عيناى إلى جوار صندوق القمامة ، ولكنى لم أتبين فى وجه من هاتيك الوجوه الناعمة الراضية أية اختلاجة من أسف أو من رثاء . أجل لم أتبين فى هؤلاء السادة «عبيطاً» مثلى يرى فى ذلك المنظر ما يستوقف بصره . وإذ ذاك ازداد رثائى مضعفين على أولئك التعساء الذين يشاركون الكلاب والقطط فى نبش الكناسة وليس يملك مثلى لهؤلاء إلا العطف والرثاء

ألا ليت أولئك السادة انتبهوا ففطنوا إلى أن هؤلاء الذين نزلوا إلى مستوى الكلاب ينتمون إليهم فى « آدميتهم » وأنهم فى هذا الوضع يشينون الجنس كله . ثم ألا ليت أولئك السادة تذكروا أن القليل مما ينفقون فى شهواتهم كفيل بأن يقضى على أمثال هذه المناظر إن كان يهمهم القضاء على تلك المناظر ...

آه ... ليت أولئك السادة حين تقع أعينهم على بنيهم وبناتهم إذ يلقونهم فرحين بما يتقلبون فيه من نعمة ، يذكرون أنهم رأوا بنين وبنات من تعساء الإنسانية تلتقى أيديهم المهزيلة بأرجل الكلاب والقطط فى نبش صندوق القمامة

الخفيف

لذكرى المولد النبوى

ميــلاد نبى . . .

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مَنْ ذلكَ المبعوثُ فى الصَّحْراءِ   كالصُّبحِ بيْنَ جوانبِ الظَّلْماءِ ؟
نُورٌ مِن الحقِّ المبين ومطلعٌ   جَاءتْ به البُشْرَي معَ الأنباء
قَبَسٌ من اللهِ الكريم وشُعْلَةٌ   من رحمةٍ ومنارةٌ لِضياء
يَجدُ السُّراةُ به دَليلَ سَبيلِهمْ   وَمَنارَهم فى الظُّلمَةِ العَشْواء
كانوا حَيارَى ماتألَّفَ جَمْعُهُمْ   فى عُصْبَةٍ أوْ أُلِّفُوا بإخاء
يَتَخَبَّطُونَ عَلَى ظلامٍ حالكٍ   جَهْمِ العواصِف مُظْلِمِ الأنْواء
مافيه من وَضَحِ الطَّريقِ مَعالمٌ   أوْ فيه من هَذى السَّبيل مَرائى
هذا طريقُ الجاهليَّةِ لم يكنْ   إلاَّ طريقَ الخُلْفِ والشَّحناء
تَحدوهُمُ فيه نوازعُ فتنةٍ   وتحثُّهُمْ فيه دَوَافعُ داء . . .
هَذا طريقُ الجاهليَّة مُوحِشٌ   ما فيه من نَبْتٍ ولا خَضْراء
يتعثَّر السَّارونَ فيه بخُطوَةٍ   مَحبوسَةٍ وَمَوَاطِئٍ عَمْياء
لا يَستقِرُّ على المسيرِ قرارُهُمْ   كيفَ القَرارُ عَلَى الطَّريقِ النَّائى
هذا طريقُ الشِّركِ مُختلطُ الصُّوى   وَعْرُ المسالِك ضَيِّقُ الأنْحاء
ما فيه من مَمْشًى بغَيرِ تعثُّرٍ   أو فيه من قدَمٍ بلا إعْيَاء
يمشى الحيَارَى فيه بين مَسارِبٍ   مَطْمُوسَةٍ ومَعالمٍ نَكْرَاء
متحيِّرين على السَّبيلِ كأنَّهُمْ   قَدْ مَسَّهم جِنٌّ مِنَ الصَّحْرَاءِ
شَاءٌ بِلا رَاعٍ يؤلِّفُ بَيْنَها   وَرَوَاحلٌ تمشى بغَيرِ حُدَاءِ
أَيْنَ الدَّليلُ علي السَّبيلِ يَسُوقُها   وَيردُّ عَنها صَولَةَ الأعداء ؟

—

هَذا ظَلامُ الجاهِليَّةِ لم يكنْ   إلاَّ ظَـلامَ الفِكر والآراءِ
أدْجَى من الليل البهيم حُلوكَةً   وَأشَدَّ وَقْعًا مِنْ يدٍ سَوداء
كانوا خَفَافيشَ الدَّياجي لم تَعِشْ   إلا بجَـوٍّ حَالكِ الأرْجاء
يَمشُون فى الجهلِ القَديم قبائلاً   يَتَرَسَّمُونَ به خُطَى الآباء
متفرِّقين هُنَاكَ . . . لم يتفيَّأوا   لِحمايةٍ . . . أو يُمْسِكوا ببِناء
عَبَدُوا من الأوْثانِ كلَّ حجارةٍ   مَنْحوتةٍ أوْ صَخْرَةٍ صَمَّاء
وَأدُوا وَليدَتَهمْ بغيرِ جَريرةٍ   أرأيْتَ مَقتُولاً بغيرِ جَزَاء
مَا ذنبُها حتَّى يُعفَّرَ لَحْدُها   برمالِ تلكَ الحُفرةِ الصَّفْرَاء ؟
لو أنها سُئِلتْ لَكانَ جَوابُها   يُدْمِي القُلوبَ بأنفُسِ الرُّحَماء
إرْثٌ من الجهلِ البغيضِ وفكرةٌ   أدْلَى بهـا الآباء للأبْناء
الجهلُ رَقطاءُ يُسمُّ نَابُها   كيْفَ الحياةُ على يَدِ الرَّقْطاء ؟

—

وَبدا الصَّباحُ على بَطائح مكةٍ   ضَاحى المشارِقِ سَاطِعَ الأضواء
يمشي إلى النُّوام فى غفَلاتِهم   وَيُفيقُهُمْ مِنْ هَجْعَةِ الإغفاء
يأيها النُّوامُ . . . ! إن مَساءكُمْ   قد غَيَّبتْه جوانبُ البَيْداء
وَمَحتْه كفُّ اللهِ وهْي كفيلةٌ   بالصُّبحِ وَاللَّمَعانِ وَاللألاء
فى نور (أحْمَدَ) مِنه نورٌ ساطعٌ   أكرِمْ بتلكَ الآيةِ البَيْضَاء
يَمشى على ظُلَمِ الجزيرةِ مَاحياً   ظُلماتِ تلك الشُّبهةِ القَتْماء
الليلُ طال على الوجودِ فأبْشِروا   بالفَجرِ بيْن سَنًى وبين سَنَاء !
هذا عَمُودُ الصُّبحِ أبْلَجَ وَاضحاً   يَمْشى بنور الحُجَّةِ الغرَّاء
هذا هو الحقُّ المُبينُ فلم يكنْ   خُدَعَ السَّراب ولا مَخايلَ ماء
هو نعمــةٌ لله بين قبائلٍ   ما كان أحْوَجها إلى النَّعماء
فَضْلٌ تمثَّلَ فى ظهور (محمدٍ)   واللهُ جمُّ الفضل والآلاء

—

هذا الصباحُ على الجزيرةِ مُشرقٌ   فى كل رُكنٍ منه لمْحُ رَجاء
قد آذنَ الليلُ البهيمُ بجَـلْوَةٍ   وَانشقَّ عن صُبْحٍ بغَيْرِ خَفاء
نُورٌ أضاءَ الحقُّ فى جنباته   مُتألِّقُ النَّسماتِ وَالأنْداء
تَنْجَابُ عَنْ مَسْراه كلُّ دُجُنَّةٍ   وَيغيبُ من مرآهُ كلُّ مَسَاء
تلك الأشعَّةُ من خِلالِ وميضِه   فيها لمرضَى النَّفسِ كلُّ شِفاء
بُشراكمُ مَرْضَى القلوبِ ، فإنما   جَاءَ الطبيبُ لكمُ بخيرِ دَوَاء
هذا نبيُّ اللهِ أشرَقَ بَينكم   وَأتَى لكمُ بالوحْى والإيحاءِ
اللهُ يُلهِمُهُ بكل كريمةٍ   وَيُمِدُّه بالنَّصر والنُّصراء
هذا المبرَّأُ من عيوب زمانِه   والخالصُ الخالِي مِنَ الأقذاء



دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان

فى عصر يوم الخميس الماضى ألقى الأستاذ محمد جلال عبد الحميد فى سراى الجمعية الزراعية الملكية محاضرة موضوعها « دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان » ، وهى ملخص لمشاهداته ودراساته العلمية أثناء رحلة استغرقت نحو السنتين بين هذه القبائل فى السودان وأوغندا ، استهلها بنبذة قصيرة فى تاريخ البعثات الإثنولوجيـة بالسودان وأواسط أفريقية فقال : إن البعثات فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر كانت جغرافية وعسكرية ودينية ، ولم تبدأ البعثات الإثنولوجية فى تلك المناطق إلا فى نهاية القرن الثامن عشر ، وآخر هـذه البعثات هى التى قام بها هو فى حوض النيل ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى ديسمبر سنة ١٩٤٠ ؛ فبحث فيها أولاً عن الريف المصرى ، ومنطقة نيمولى ، والمنطقة الجنوبية من مديرية الجزيرة ، ومنطقة البحر الأحمر ، ومنطقة بلاد النوبة ؛ وثانياً عن الثروة العلمية لحوض النيل

ثم انتقل إلى دراسة البيئة الجغرافية وأثرها فى السكان . ثم تكلم عن الأجناس البشرية ، ثم عن الحياة الاجتماعية ، ثم عن الحياة الدينية ، ثم عن الحياة الأدبية والفنية ، ثم عن النشاط المادى ؛ وختم المحاضرة بخلاصة لدراسة سكان حوض النيل من الوجهة العلمية ، وإمكان وجود قانون اجتماعى للتطور البشرى ، وقد اكتفينا بسرد عناصر هذه المحاضرة القيمة اعتماداً على أن الأستاذ المحاضر سيرسل إلينا خلاصة وافية لها

وقد قدم المحاضر إلى الجمهور الدكتور محمد محمود غالى بهذه الكلمة :

عندما سمح سعادة فؤاد أباظة باشا لجماعة تبسيط المعارف أن يقوموا بإلقاء محاضرات فى السراى الصغرى ، كان هذا كسباً لأعضاء هذه الجماعة ، وهذه هى المحاضرة الثانية يلقيها صديقنا الأستاذ محمد جلال عبد الحميد ، يحدثنا فيها عن شىء من بحوثه الاجتماعية عن قبائل تحيا فى الحوض الطبيعى ذاته الذى نحيا فيه وعلى النهر العظيم الذى نعتمد عليه

كان يربطنى بصديقى المحاضر ذكريات تجعلنى أثق بشخصه وأنظر بعين الاطمئنان لبحوثه ، وإننى سعيد باهتمام حضرة صاحب السعادة أباظة باشا بشأن جلال ومعاونة سعادته له ودعوته إياه ، هذه الدعوة التى جاءت تكريماً لصديقنا العالم

رأيت المحاضر لأول مرة فى باريس منذ عشر سنوات ، ولم تكن قد صقلته الأيام بعد ، أو غيرت فيه ما تلقنه من المجتمع أو المنزل أو المدرسة . دخل « السوربون » يتخبط كغيره ليعلم ما لا يعلم ، ويهضم ما يتعلم ، ويوازن بين ما كان يعلم وما يجب أن يعلم ؛ ولم يكن لجلال معين يكفيه مئونة العيش ، فكافح للأمرين : كافح للكسب أولاً وللتعليم ثانياً . وظننت فى وقت أنه سيخر صريع هذا الكفاح المنيف ، ولكنه كسب عيشه فى باريس شريفاً ، وصرف ذلك من أجل ما هو أشرف : فى الدرس

لم يَعشِ فى الجهلِ القديم ولم يكنْ ... من يَومه فى زُمرةِ الجهلاء
الله صفَّاهُ لنُصرةِ دِينه ... واختارهُ لتحمُّل الأعْباء
حَمل الأذاةَ فكان أقوى عُدَّةً ... وأشدَّ مُصْطَبرًا على الإيذاء
هـذا الوَفىُّ لربِّهِ ولدينهِ ... هل يَنْجَحُ المسْعَى بغير وفاء ؟
يا مَن تَغرُّهُمُ الحياةُ رخيصةً ... الله فى أَخْذٍ وفى إعْطاء !
هذا الفقيرُ أنى يقودُ جماعةً ... استعصمتْ منهُ بخيرِ لِواء
قلْ للمُدِلِّ بجاهِهِ وبمالهِ ... المالُ ليسَ مُكوِّنَ العُظماء
هذا رسولُ الله لم يَقْعُدْ به ... عن مجدِه أن كانَ فى الفُقراء

يامُلْكَ قَيْصَرَ قد رُزِئتَ بحادثٍ ... ما شاهَدَتهُ الرومُ فى الأرزاء
ميلادُ (أحمدَ) كان مولدَ أُمَّةٍ ... عَربيةٍ وشريعةٍ سمحاء
خرجتْ من الصَّحْراءِ أصْلبَ مكسراً ... كصلابةِ الأحْجار فى الصَّحْراء
الرُّمحُ فى يدها عَسِيرُ المُلْتَوَى ... والسَّيفُ فى يدها صَقِيلُ الماء
كانَتْ أشدَّ علي السَّلامِ رعاية ... وأشدَّ صبراً فى رَحَى الهيْجاء
تَدْعُو إلى الإسلامِ كلَّ جماعةٍ ... وتُجيبُ فى الإسْلام كلَّ نِداء

محمد عبد الغنى حسن

والتحصيل . وعلمته الأيام كيف يتكون ، وكيف يكون رجلاً جمعتنا مصر بعد فرقة ، وسعى إلىّ يحدثنى عما فعل ، وأى شرف ناله من هذا السعى ، وأى غبطة شعرت بها عندما تثبت الفروع التى نجح فيها ، وأى فرح غمرنى عندما علمت أنه أصبح مبعوثاً لمعهد الأجناس الفرنسى لدراسة المناطق الإفريقية التى لا يقبل الكثير منا على ارتيادها ، ثم مبعوثاً لجامعة فؤاد الأول . عندئذ علمت أن الرجل قد تكوّن، وأنه نال تقدير العلماء . بعد ذلك رحل وحيداً إلى قبائل (المابان) وغيرها ، وعاد بعد غيبة طويلة، ثم عرج إلى مناطق الحدود المصرية السودانية على ساحل البحر الأحمر . وها نحن أولاء نسترق من الصديق العالم ساعة قبيل رحلته التى سيقوم بها بعد يومين إلى بلاد النوبة

محمد محمود غالى

تعقيب على مقال

فى المقال الذى نشره الدكتور زكى مبارك فى العدد ٤٠٢ من الرسالة ، رداً علىّ ، مسألتان جديرتان بالتعقيب ، وهما :

١ — أن الدكتور قال : إنه قد عدى (حرّم) بالحرف [أى من] فى بعض قصائده ، وهو يتعدى بنفسه ، فاعترض عليه بعض أدباء الشرق ، فدافع عن هذه التعدية بأنه قد يرى المعنى فى بعض الأحايين لا يؤدى تأدية صحيحة إلا إذا عبر عنه بتلك الصورة — وهو نفس الدفاع الذى اعتضد به الدكتور فى تعدية (أمكن) باللام .

وأقول لحضرة الدكتور إن الفعل (حرم) يتعدى بمن أيضاً . وعندى شاهد لذلك عثرت عليه فى بعض مطالعاتى للأغانى .

٢ — أن الدكتور ذكر فى هـذا المقال استطراداً أن العوامرى بك كان كتب فى مجلة المجمع اللغوى عن (نادى التجديف) بالدال المهملة ، فكان من رأيه أن (التجذيف) بالذال المعجمة ، قال الدكتور : وقد ناقشته يومئذ فى جريدة البلاغ ، فقلت إن الشعرانى فى مؤلفاته يرسمها بالقاف ، فيقول : (التقذيف) الخ ما قال .

وأقول لحضرة الدكتور : إنى رجعت إلى مجلة المجمع اللغوى ، فوجدت أن العوامرى بك لا يقول شيئاً من ذلك ، بل رأيته قد خطأ التجديف والتجذيف والتقذيف . وقال إن الصواب هو : الجدف والجذف والقذف ، مصادر جدف وجذف وقذف . وبرهن على ما قال فى بحث مسهب .

أقول : وأما أن الشعرانى فى مؤلفاته يرسمها بالقاف فيقول : (التقذيف) ، فالشعرانى ليس بحجة . ولعله يحكى اللفظ الذى كان شائعاً فى زمنه ، كما يقول المصريون الآن : (التجديف) .

وليس بين معنى (الجدف) و (التجديف) صلة ، إذ (التجديف) هو الكفر بالنعمة .

ا . ع

نصيب السودان من جهاد الديمقراطية

جميل من مكتب الصحافة أن يطالعنا بأسماء أبنائنا الألى جادوا بالأنفس الموالى والمهج الغوالى فى تدعيم أركان السلام ، سلام قوامه المبادئ الصحيحة والقوميات المعتدلة التى يهمها أن تبقى وأن تساعد الغير على البقاء ، وأن تعين الإنسانية على الخير والنماء

وجميل من مكتب الصحافة أن يسجل لنا والحرب دائرة رحاها أننا لم نكن فى المؤخرة يوم أن حمى الوطيس بين الخير والشر . وجميل منه أن يبادر فيلبسنا تلك القلادة الفاخرة التى يشهد العالم أجمع أننا لم نرض أن يطغى الطغيان على هذا الكون فيعذب الإنسانية ويكبلها بأقسى القيود ونحن واقفون موقف المتفرج الذى لا يهمه الأمر ؛ بل قمنا بنصيبنا فى حفظ تراث الإنسانية الخالد الذى قام على الفضيلة والحق والمساواة

أجل ! فليشهد العالم أننا قمنا بنصيبنا فى حفظ تراث الإنسانية نصيباً بذلناه فى سبيل الال على ما نحن فيه من عسر ، فبعثنا به إلى ما وراء البحار لنشمر أنفساً هنالك أننا لم نكن ناسين ما هم فيه ولا جاحدين ما يعملون . وليشهد العالم أننا قد قمنا بنصيبنا فقدمنا إلى الموت أنفساً عزيزة علينا فى ذاتها عزيزة علينا لأن بلادنا فى قلة منها ، بل وتشكو أرضنا الفاقة والبوار حيث لم تجد من يعمرها فيحييها ولا من يثثمرها فيغنيها

قدمناها إلى الموت أنفساً كان فى حياتها للبلاد نماء وثراء ، وقدمنا إلى الموت أنفساً كانت لأهلها أملاً ورجاء . وقدمنا إلى الموت أنفساً كانت للنزلاء عوناً وسخاء ولجاراتها ذخراً لدى البلوى وبهجة فى الخير والسراء

قدمناها لتحمى ذمار الإنسانية وليلقى عدوها من أيدى أصحابها بلاء ونكالاً ما داموا أحياء ، وليتوه — إن ماتوا — ملطخاً بدمائهم وهى على وجهه عاراً ولأبنائه شناراً

أما هم ففى موتهم خلود ، وفى موتهم فخار ، وفى موتهم حياة . خلود لأسمائهم وبلادهم وحياة للانسانية الطاهرة التى لا ترضى أن تسود الفوضى ويتحكم الطغيان

ففى ذمة الله من مات وليهم فى خلده منهم بما حفظت له البلاد من يد هى سندها يوم أن تجلس الأمم لمطالعة الحساب وهى باقة

عبقة نقدمها لأبناء الأمبراطورية يوم يزف لهم النصر الأخير .

وأنتم أيها الجرحى فلتهنأوا بما متعكم الله به من أوسمة لا تخلع وبما حمدته لكم البلاد من بلاء لا يجحد . إذ أنكم أقمتم الدليل على أنكم لم تهابوا الموت ولم ترحموا العدو حتى تقاكم بما عطلكم عنه أياماً نرجو ألا تطول لتتمكنوا من العودة إلى حيث تسهرون عينه وتطيرون لبه ؛ فلا يقوى على حمل السلاح ليتقيكم به ، بل يتقيكم بما يكف أيديكم عنه (وهو الاستسلام) لأنكم لم تقصدوا تعذيب بنى البشر وإنما قصدتم أن تهزموا الشر الذى كان قد استحوذ على النفوس فأغواها وأضلها عن السبيل السوى والخير المشترك

(الخرطوم) عبد الله عبد الرحمن

جريدة « الإصلاح » فى عامها الخامس

دخلت جريدة « الإصلاح » التى يُصدرها بالسنبلاوين الأستاذ عبد الفتاح قنصوه فى عامها الخامس ، وهى أتم ما كانت استعداداً ، وأصدق ما تكون اجتهاداً ، وأبصر بالغاية التى تتوخاها منذ أنشئت ، وهى علاج الأدواء الاجتماعية بالحكمة الهادية والموعظة الحسنة ، حتى غدت فى إقليمى الدقهلية والشرقية وحدة اجتماعية وأدبية لها أثرها الظاهر ومكانها المعروف .

و « الرسالة » تقدم إلى زميلتها العاملة أخلص التهنئات بعامها الجديد ، وتدعو الله أن يديم عليها التوفيق فى خدمة الله والوطن

« مكتوب على الجبين » للأستاذ محمود تيمور

بعث إلى الأستاذ محمود تيمور بسفره القيم « مكتوب على الجبين » فأنست إليه وقتاً غمرنى فيه بألوان اللذة والمتاع فكان من أسعد الأوقات لنفسى، سعادة العقل بإحساس الجمال، وإرهاف الحس بتذوق الفن ، وإمتاع النفس برائع التصوير ، وهو إذ يطالع العربية بمكتوب على الجبين يضيف إلى القصة تحفة فنية من الأدب العالى ، وصفحات خصبة من القصص السامى ، وعالم جديد يطفر بالفكر إلى الحياة الرقيقة ، ويشير إلى المثل العليا من العاطفة

مكتوب على الجبين مجهر ينفذ إلى الأعماق فيظهر وراءه ما دق من خلجات النفوس ، ودنيا زاخرة بألوان العواطف . ولم ينهج الفنان فيه نهجه فى مؤلفاته الأولى وإنما تجلت فى مؤلفه الأخير دقة تعبير ، وسلامة نظر ، وهدوء طبع ، ساعد المؤلف على كشف نواحى مغمورة فى أدب القصة . ومكتوب على الجبين مجموعة تنتظم من قصص صغيرة تتناول نواحى حيوية مختلفة بالبحث الدقيق والتحليل العميق ، فهو يستلهم فنه من الأعماق كما يتصيد الغواص أثمن اللآلئ من أعماق البحر ، وهو الآن لا يكتب عن حوادث واقعية وكلها من ابتكار الخيال المحض ، فهو إذ يبتكر صورة تكون شخصاً أقرب إليك من أشخاص الحياة ، يمتمك الفنان إذ تشهد حوادث القصة وهى تسير سيراً مألوفاً ينفذ إلى النفس حقيقة تتسم بمبسم الواقع ولا يخطر ببال أنها من عمل الخيال الفنى البارع فى تشبيهاته ومعانيه بالغاً غاية الطرافة والإبداع ما يستهوى النفس ويأخذ بمجامع القلوب .

قد تأمل أن أذكر لك ما هذه القصص، وفى ذلك عبث بجمالها وسحرها

صدر الأستاذ كتابه بموضوع فريد عن كتابة القصة الفنية تتلوه أربع عشرة قصة منها : « كان فى غابر الزمان — العيون الخضر — ذات مساء — ابتسامة — قلب كبير — و ... كلها من روائع القصص ، وشماع الحس المرهف ، والخيال البديع الذى يخلع على الفن آيات الجمال ؛ وللأستاذ أسلوب سهل لين يحاكى النسيم رقة ، وأنت إذ تطالع قصصه ، سرعان ما تحلق بك إلى سماء الفن ، إلى أعالى لبنان وجبالها الشامخة ، وبين ربوعها الجميلة وأنسامها العاطرة ، إلى الصحراء الواسعة وبين صخورها ، إلى المجتمع الصاخب ، إلى الموسيقى البديعة ، إلى ... إلى ...

ومكتوب على الجبين هو عاشر مجلد أخرجه الأستاذ محمود تيمور فى العربية، وله فى الفرنسية، وله فى الألمانية مجموعة ترجمها واختارها المستشرق السويسرى الدكتور «ديودمار» ؛ ولا غنى لمثقف عن مطالعة مؤلفات الأستاذ تيمور عامة ، ومكتوب على الجبين خاصة : ففيها غذاء العقل والروح وتعتبر بحق أثمن وأجل ما ظهر فى أدب القصة وذلك ما يشهد للأستاذ بالإبداع، ويكتب لآثاره الفنية الخلود

فإلى الفنان أبعث آيات الإعجاب والتقدير . . . وإلى القصة نهنئ بأميرها الأستاذ تيمور

طه عبد الحميد الشيمى



الهذيان

للأستاذ نجيب محفوظ

أوشك الفجر أن يطلع ، وتصايحت الديكة إيذاناً بطلائع النور ، فأخلدت الحجرة إلى السكون والصمت ، كأنما أسلمها أنين المرض الموجع وتأوه الإشفاق الأليم إلى الهمود . كانت ترقد على الفراش امرأة شابة يبدو من اصفرار وجهها وذبول خديها وشفتيها وتضعضع كيانها أنها تعاني وبال مرض يهتصر شبابها . وعلى فراش قريب رقد شاب في مقتبل العمر يثقل جفنيه السهاد ، ويأبى القلق أن تلتقي أهدابهما ، يطالع وجه المريضة في حزن ثم يعطف رأسه إلى مهد جديد فيجري الحنان في عينيه الذابلتين ويتمتم في رجاء صادق : « اللهم صن حياة الأم المسكينة ... وطفلتنا البريئة » . وكان الشاب من ذوي القلوب الرقيقة والنفوس الندية بالرحمة والعطف . وكان على عهد صباه يلذ لرفاقه أن يدعوه رجل البيت ، لما طبع عليه من النفور من المجتمعات والأندية ، والاشتراك في المظاهرات التي تستهوي أفئدة أقرانه ، والانجذاب نحو البيت بسبب وبغير سبب ؛ فكان يقضي نهاره في الحديقة يسقي أشجار البرتقال والليمون ، أو في السطح بين الدجاج والحمام ؛ فإذا كان الخميس أعطى ذراعه لشقيقته ومضيا معاً إلى السينما . ولذلك أخذ يفكر في الزواج تفكيراً جدياً منذ اليوم الذي عين فيه مهندساً بمصلحة الأشغال العسكرية . وراح يقتصد من مرتبه ما يقوم بنفقات الزواج من مهر وشبكة وهدايا وفرح ، كما كان يفعل شباب الجيل الماضي . فلم يكد يمضي عليه عامان خارج المدرسة حتى تزوج ، ولم يدهش أحداً أن تنعطف هكذا سريعاً إلى الزواج هذه النفس المطمئنة إلى الحياة البيتية منذ نعومة الصبا ، ولكنه كان سيء الحظ ، فما كاد يستدير عام ويستقبل طفلة حتى أصيبت زوجه بحمى النفاس فزلزل بيته الهادئ المطمئن وارتجت حياته السعيدة . وقد عرف منذ اليوم الأول للمرض ما الخوف وما الإشفاق وما الجزع ، واندفع إلى استدعاء أعظم الإخصائيين من الأطباء حملة الباشوية والبيكوية غير مبق على مال أو ضان بثمين ، حتى اضطر إلى بيع المذياع وساعته الذهبية ، ولو طلب إليه أن ينقل دمه إليها لأداه إلى آخر قطرة ... وبالغ في ذلك ، فطلب من مصلحته إجازة كيلا يفارق المريضة ، وكان يرقب أعين الفاحصين من الأطباء ويسألهم ، ويطالع وجه زوجه ساعة بعد ساعة ، ويسأل العرافين ، ويزور أضرحة الأولياء ويفسر الأحلام ، ملتمساً الطمأنينة في مظانها جميعاً ...

وهل ينسى الليالي التي قضاها مسهداً قلقاً لا يغمض له جفن ينظر ببصر حائر إلى الوجه الشاحب على ضوء المصباح الأحمر الخافت ؟ ... وكانت هي مسكينة تستحق الرثاء ، تضطرب بين النوم القلق واليقظة الحائرة ، وبين النزاع والهذيان ، وما هذا الهذيان ! ... إنه ظاهرة عجيبة تدل على أن الإنسان قد يخون نفسه كما يخون الآخرين . كان يصغى إليها وهي تذكر بلسان متقطع أسماء أناس وأماكن وحوادث كثيرة ، وكان شاركها شهود بعضها ، فجرى الابتسام على فيه ، وترطب التهاب عينيه المحمرتين بنظرة حنان . وفي ذات ليلة سمعها تناديه بصوت واضح قائلة : « صابر » فهرع إليها متسائلاً : « نعيمة ... هل تحتاجين إلى شيء ؟ » ولكنه أدرك أنه خدع لأنها كانت مغمضة العينين يابسة الفم كما يبدو من ازدراد ريقها بصعوبة ، فعلم أنها ماضية في هذيانها الذي لا ينتهي فعاد إلى سريره ، وما كاد يرقد مرة أخرى حتى سمعها تقول وكأنها تحادثه : « صابر ... أنا متألمة خجلة » فهز رأسه المثقل المتعب وقال لنفسه : « أنت متألمة بغير شك . أعانك الله على ما أنت فيه ، ولكن مم تخجلين ! إن هذا الابتلاء لا يخجل أحداً وإن كان يحزننا جميعاً » وظن أنها تألم لما يتكلفه من حولها من العناء والسهر ، فرمقها بنظرة حنان ورجا أن يكون هذا الشعور من آي اليقظة والشفاء ؛ واستدركت المرأة تقول : « زوجي أحسن الأزواج ؛ أما أنا فشقية ... لست أهلاً لوفائه » فتنهد الشاب حزناً وتمتم قائلاً بصوت غير مسموع : « أنت أهل لكل خير » . وأراد أن يناديها لعله ينتشلها من تيار أفكارها المحمومة ، ولكنها حركت رأسها بعنف على الوسادة وقالت بحنق : « راشد ... كفى وابتعد عني ... إبتعد ودعني ... » وكان يهم بندائها فاحتبس الكلام في فيه ، وحملقت عيناه المسهدتان ، وبدا على وجهه الذهول والإنكار وجلس في فراشه وهو يتساءل :

« راشد ! من راشد هذا ؟ » . وكان يشعر شعوراً باطنياً بأنه لا يسمع هذا الاسم لأول مرة ، وكأنما سبق أن آذى مشاعره . وأسند جبينه إلى كفه وأغمض عينيه ، وكأن صاحب هذا الاسم يعيش فى الظلام ، فقد رآه وعرفه ، وأحس لذلك رجفة تسرى فى مفاصله ... راشد أمين أو أمين راشد — لا يذكر — شاب نافسه فى طلب يدها على عهد خطبته لها ، ولولا أن والدها فضله هو واختاره لكان قد تزوج منها . وقد تذكر أنه رآه مرة وإن كان لا يحفظ من صورته أى أثر ؛ ورفع رأسه مرة أخرى ونظر إليها بعينين مرتابتين لا تصدقان ؛ ورغب رغبة حارة فى أن يستزيدها ويستوضحها ، ولكنه لم يدر كيف يحثها على الكلام ، ورأى شفتيها تتحركان فى ضعف ؛ فدنا من حافة سريرها وأرهف السمع وكتم أنفاسه وهو يعانى جزعاً جنونياً فسمع صوتها يقول فيما يشبه الأنين : « من يقول هذا ... أف ... والخيانة ... راشد ... صابر ... الخيانة شىء قذر ... » فشبك كفيه وشدهما على صدره بحالة عصبية كأنما يضرع إلى شىء مجهول أن يمنع كارثة على وشك الوقوع ، وذهل بصره من طول الجمود على وجهها ، فغاب عنه ما حوله ، وكبر الوجه فى وهمه حتى ملأ الفراغ الذى أمامه فثقل عليه وسمج ، ودوى صدى صوتها فى أذنيه ، فصار كطنين لا ينقطع ، وثقل تنفسه ويبس حلقه ... ما هذا الذى تتكلم عنه ؟ ! ما هذه الخيانة التى أطلق الهذيان عقدة كتمانها فانطلقت خبيثة منكرة أنكى من الحمى ؟ ! هل يكذب الهذيان ؟ كيف يكذب الهذيان ؟ ! ولكن كيف يصدق أذنيه وما بذل زوج لزوجه عشر ما بذل من الرقة والمودة ، وما بذلت زوجة لزوجها عشر ما كانت تبذله له من الصفاء والإخلاص ؟ فكيف انطوى هذا على أقذر ما تبتلى به الضمائر والنفوس ؟ رباه ... إنها تقول إن الخيانة شىء قذر ، وإنها لكذلك ، ولكن لا يفزع فى هذيانه من قذارتها إلا من انغمس فى بؤرتها . رباه ... لقد ظن أن ما ابتلى به من مرض زوجه أقسى ما ابتلى به إنسان ، فإذا به بلاء هين عابر ، لا يقاس بما هتك الهذيان أستاره ، وأحس اليأس يحبس أنفاسه ، وكان صابر دمث الأخلاق ، لين الجانب رقيق الحاشية ، لا يدفعه الغضب إلى الانفعال الشديد والعدوان ولكنه يشل حركته ، ويعطف اندفاع أعصابه إلى صميم نفسه ، فيجعله كسيارة يدفعها محركها ، وتقيد الفرملة عجلاتها ، ولكنه بالرغم من هذا ، تحولت رأسه بحركة عصبية إلى سرير الطفلة ، وبرح فراشه فى سكون ، ودنا منه وأزاح ستاره ، وألقى نظرة غريبة على الوجه الصغير المدمج القسمات وأدام إليه النظر والشك والألم يأكلان قلبه بقسوة ، ثم تحول عنه إلى وجه زوجه كأنه يسألها ويستوضحها ، ودنا من فراشها كالسائر فى نومه حتى التصق به وكانت مغمضة العينين بادية الاصفرار والخور ، تقلب رأسها ذات اليمين وذات الشمال ، فألقى عليها نظرة جامدة ، جرى فيها بريق القسوة جريان البرق فى السحاب الداكن ، وكان قبل لحظات إذا وقف موقفه هذا اضطرب جسمه من الحنان والرحمة ، ودمعت عيناه ، ولكن قلبه تحجر هذه المرة فمال عليها حتى نسمت عليها أنفاسه وسألها : « نعيمة ... نعيمة ... ماذا فعل راشد ؟ » فلم تنتبه إليه ولم تصح ، فرفع صوته وناداها وهو لا يدرى : « نعيمة » فبلغ صوته مسمعى أمها فى الحجرة القريبة . وقامت المرأة من فراشها مضطربة وهى تظن الظنون وهرعت إليه متسائلة : مالها ... هل أعطيتها الدواء ؟ ولم يكن أعطاها شيئاً ، وكان يريد استبقاء حالة الهذيان التى تعانيها ليستنطقها ما يريد فكذب عليها قائلاً فى استهانة وقسوة : « نعم وهى بخير والحمد لله » وعاد إلى فراشه وأسند رأسه المثخن بالجراح إلى الوسادة ليتخلص منها ، ولبثت حماته قليلاً . وفى أثناء ذلك أخلدت المريضة إلى الهدوء والسكينة كأنما راحت فى نوم عميق فبرحت المرأة الغرفة وكان يتشوق إلى إيقاظها ولكنه خشى التى فى الخارج ، فقضى بقية الليل مفتوح العينين محموم الرأس بالأخيلة الشيطانية وعيناه زائغتان ما بين فراش المريضة ومهد الطفلة

وحين سفور الصباح عاودت اليقظة المريضة وبدا عليها أنها لا تحس شيئاً حتى اهتدت عيناها إليه فدبت فيها حياة ضعيفة وقالت بصوت غدا من وهنه كالصفير « ما الذى أيقظك ؟ لماذا ترهق نفسك هكذا ؟ » فرد عليها بنظرة جامدة وكانت تبدو ذاك الصباح أشد هزالاً وشحوباً ، ولاحت فى عينيها نظرة الوداع المخيفة ، وكان يشغل باله شىء واحد أسهده الليل ولم يجهل أن إثارته خطر يهدد بالقضاء عليها ، ولكنه لم يحس سواه ولم يبال غيره ، وكان يشعر نحوها ساعته بحنق وكراهية ورغبة فى الانتقام فقال بلهجة جافة : « تكلمت الليلة الماضية كثيراً ، فشرقت وغربت ، وأجرى الهذيان على لسانك كلاماً يحتاج إلى إيضاح » فلم تفهم شيئاً ونظرت إليه بعينين لا تعبران عن شىء سوى الذهول المطلق ، وأراد أن يسترسل ولكن منعه عن

الاسترسال صراخ الطفلة لجأة ، فما لبثت أن هرعت إلى الحجرة حماته والمرضة فنكص على عقبيه مغضباً وهو يقول لنفسه : « الطفلة الملعونة تدارى فضيحة أمها وأبيها ! » . وغادر البيت يهيم على وجهه ومضى يحدث نفسه : « كان ينبغى أن أعلم كل شىء وقد أتيحت لى فرص ، لماذا أفر من صراخ الطفلة ؟ أو من ظهور جدتها ؟ الحقيقة أنى ضعيف ... ضعيف ... دائماً يندى قلبي بالحنان وبالعطف ، فما كان أجدر بى أن أكون ممرضة ... أما رجلاً فلا ... لست رجلاً ولست زوجاً ... فأمثالى نساء كاملات ، أو رجال مغفلون ... ومع هذا هل أنا فى حاجة إلى دليل جديد ؟ دمرت حياتى وانتهى كل شىء »

وقضى النهار ضالاً لا يقر ، يتردد الألم فى صدره مع أنفاسه ، وعاد مع الأصيل إلى البيت فوجدها أسوأ حالاً وأشد هزالاً . وأقبلت عليه حماته تسأله أين كان ، وتقص عليه ما قاله الطبيب ، فلم ينفذ شىء من قولها إلى صدره وعاف الرد عليها بتاتاً ، بل لذّ له أن تقول إن الحالة سيئة ، فلتتألم كما يتألم ، ولكن كيف يفهمها أنه يعلم كل شىء ؟ كيف يحادثها فى هذا الموضوع الخطير وأمها لا ترضى بمفارقتها فى مثل تلك الحال الخطيرة ؟ ... واشتد به الحنق ، فاعتزم أن يمنع عنها الدواء ليعاودها الهذيان سريعاً فيسمع منه ما امتنع منه سماعه فى اليقظة ؟ وملأ الفنجان ماء خالصاً ووضعه على فم المريضة فازدرته بامتعاض ... وعاد إلى فراشه يرقب الفرصة ، ولكن زوجه لم تنم فى تلك الليلة ولم تهدأ واشتد عليها الألم الوجيع فباتت تئن وتشكو وتضطرب. واستدعى الطبيب عند منتصف الليل فعاينها ولكنه لم ينصح بشىء ، وهمس فى أذنه بأن الحالة جد خطيرة ... وبعد هذا التصريح بنصف ساعة احتضرت المريضة وفاضت روحها

وخلا إلى نفسه ، وكان الذهول مطبقاً على حواسه جميعاً ؛ لأن الموت والخيانة الزوجية انتظما تجاربه الشخصية معاً فى ساعة واحدة دون عهد سابق بهما . وماتت نعيمة ولم يحزن لموتها ، ولكن حادثة الموت أذهلت نفسه الرقيقة المرهفة ؛ على أن الحقيقة لم تغب عنه فقال : « لم تمت كما يظنون ... أنا قتلتها ... قتلتها لأنى منعت عنها الدواء ليلتين متواليتين هما أشد ليالى المرض ... فأنا قتلتها ... » وجعل يردد « أنا قتلتها » . فكان يشعر لما بوقع غريب فى نفسه يمتزج فيه الخوف بالارتياح

ثم قال مرة أخرى : « وقتلتنى هى حياً ، وألصقت إسمى قسراً بطفلة إنسان سواى ... ولكنى قاتل فلست إذن مغفلاً » . وأسند رأسه إلى يده وراح فى تأمل طويل وقد سرت فى جسده قشعريرة البرد والخوف

* * *

كيف انقضت الأيام التى أعقبت الوفاة ؟ ... إنقضت فى ألم وقلق ومخاوف لا يمكن أن تتمثل لعقل إنسان ، ثم أعلن عن رغبته لجأة فى السفر إلى لبنان انتجاعاً للصحة والراحة ، وكان فى الحق يفر من أفكاره وطفلته . ومضى إلى الأسكندرية واستقل السفينة ، والظاهر أن نفسه الرقيقة تعرضت فى البحر لأزمة عنيفة هدت كيانها وأتلفت أعصابه ، فاستشعر اليأس من الدنيا جميعاً وألقى بنفسه فى اليم خلاصاً من عذابه وآلامه ، محتفظاً بأسراره لقلبه ولبطون الأسماك ...

وكان يترحم عليه المترحمون فيقولون : « ما رأينا إنساناً يحب زوجه كالمرحوم صابر ، فلا هو صبر على فقدانها ولا احتمل الدنيا بعدها فقضى على نفسه بعد موتها بأيام ... رحمهما الله ! »

نجيب محفوظ

مطبعة الرسالة — ٨١ شارع السلطان حسين عابدين . القاهرة

9me Année No. 406

Lundi - 14 - 4 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٠٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٤ أبريل سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة		
٥٢١	مفتاح السر المجهول	: لـكاتب كبير ... ...
٥٢٣	نساؤنا بين التقاليد والتجديد	: الدكتور منصور فهمى بك ...
٥٢٦	الصحافة العراقية	: الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٣٠	الدين والفلسفة	: الدكتور محمد البهى ... ...
٥٣٤	محمد عبده ومحاولته إصلاح الأزهر	الأستاذ عثمان أمين ... ...
٥٣٧	نماغم الربيع	: الأستاذ صلاح الدين المنجد
٥٣٩	وأد البنات عند العرب فى الجاهلية	الدكتور على عبد الواحد وافى
٥٤١	حول السنوسيين	: الأستاذ محمد الأخضر العيساوى
٥٤٢	أطياف الربيع [قصيدة]	: الأستاذ محمود الخفيف ...
٥٤٣	الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى	الدكتور محمد مصطفى ... ...
٥٤٦	المجمع العلمى العربى يبعث ...	: الأستاذ صلاح الدين المنجد
	مناظرات كلية الآداب ...	: الأستاذ إسماعيل فهمى
٥٤٧	ليبيا وبرقة	: الأستاذ أبو القاسم سعيد البارونى
	تأبين الأستاذ فؤاد بليبل ...	: ... ...
٥٤٨	أخطاء فى كتاب	: الأديب عبد العليم عيسى ...

مفتاح السر المجهول

« لـكاتب كبير »

لـكل موجود قوة حيوية تنفع كل النفع أو بعض النفع فى إذكاء روح الوجود ، وما كان تفاوت الأوصاف بمانع أهل الضعف من القول بأن لهم فضلاً فى إكمال الصورة الملوّنة لخريطة الموجودات . وهل عُرِفت قيمة الفاضل إلا بالقياس إلى المفضول ؟

ولـكنى لا أريد لك أن تكون إشارة تكميليّة فى الصورة الوجودية ، ولا يرضينى أن يقال إنك على ضعفك مظهر من مظاهر الوجود ، فما أرضى لك هذا المصير إلا يوم يصحّ عندى أنك لا تملك تغيير ما بنفسك ، وأنك لم تُخلق إلا لتكون شاهداً على أن الناس درجات . ومن أين عرفتَ يا جاهل أن الله لم يرد لك الصيرورة إلى منازل الأشراف من أحرار الرجال ؟

إنك تستطيع أن تكون عظيما حين تشاء ، والعظمة الحقيقية هى أن تكون رجلاً نافعاً إلى أبعد الحدود فى الميدان الذى أرادت الطبيعة أن تقفك فيه وقفة الحارس الأمين ، فتكون أعظم الأدباء والمفكرين إن شئت ، وتكون أكبر رجال الأعمال

إن أردت ، وتكون إماماً فى الصناعة أو التجارة أو الزراعة ، وَفقاً لما خصَّك به الله من المواهب الأساسية ، على شرط أن تهتدى إلى مفتاح السر المجهول

فما هذا السر ؟ وما ذلك المفتاح ؟

السر هو نفسك ، والمفتاح هو عقلك . وإليك أسوق الحديث :

فى النفس قُوًى غافية تفوق العدّ والإحصاء ، وهل عرف إنسانٌ قيمة ما تنطوى عليه نفسه من أعاجيب البراعة وغرائب القدرة على خلق المستحيل ؟! لو عرف بنو آدم أقدار أنفسهم لحوّلوا الصحارى إلى رياض وبساتين ، وعاشوا من أرواحهم فى جنات وفراديس . وكيف وبنو آدم بلا عقول ، كما عبّر أبو العلاء ؟!

إدرُس نفسك فى كل وقت وحاول التعرف إلى ما فى قرارها من القُوى الغافية ، وتذكَّر يا جاهل أن أكثر العظماء لم يكونوا فى بداياتهم إلا نكرات لا تُبشِّر بشىء ، وتذكر أنك لم تصل إلى غاية بعيدة أو قريبة إلا بعد الاستصباح بالأقباس المكنونة فى سرائر نفسك ، فما الذى يمنع من أن تجعل التعرف إلى قواك النفسية والروحية فرضاً من فروضك فى صباحك ومسائك ؟

احترس من الغفلة عن نفسك ، فللنفس ومضات تنير أرجاء الوجود ، والتأهبُ للاستفادة من ومضات النفس يزيدها إشراقاً إلى إشراق

وهل كان ما ترى من الروائع والنوادر والغرائب فى آثار الأذواق والقلوب والعقول إلا أَمارةً من التأهب لتلقى الوحى الصادر عن ومضات النفس ؟

هى جوهر يشعُّ فى كل وقت ، فارفع الحجاب عن عينيك لتنتفع بذلك النور الوهّاج ، فإن لم تفعل فأنت مجرم فى حق نفسك ، وفى حق وطنك ، وفى حق الإنسانية

وهل ترى من المستحيل أن تُوفَّق إلى كشف أفق جديد يزيد ثروة الناس فى الفكر والمعاش ؟

جرّب حظك فى محاولة التعرف إلى سرائر نفسك ، فقد تصبح قوة كهربائية تغيِّر ما بحيَوات الناس من ألوان وأفانين ؛ وقد تكون لمحة واحدة خليقة بأن تجعل لك مكاناً بين أهل الخلود إن أحسنت التأهب لتلقى ذلك الوحى الجليل

ولكن متى تحسن فهم أسرار نفسك ، وأنت عنها فى شغل بالظواهر الخوادع من توافه الشئون ؟

إن عقلك هو الذى يهديك إلى الانتفاع بالقُوى المستورة فى أطواء نفسك ، فهل استهديت عقلك ؟ وهل فكرت فى أن أكابر الموهوبين قد لا يكون بينهم وبينك من الفروق ما يستوجب أن يتقدموا وتتخلّف ؟

فكِّر فى مصيرك ، يا جاهل ، فقد يحطك الله فى جهنم لأنك لم تحسن الانتفاع بهَدْى عقلك فى معرفة قُوَى نفسك ، والنفس هى أشرف الأرزاق

وما النفس وما العقل ؟؟

الذى يهمنى هو الاطمئنان إلى أنك تعرف جيداً أنك خُلِقت لغاية غير الغاية التى خُلِق لها إخوتك وزملاؤك ، فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذى تختلف فيه ملامح الوجوه ، ومن الواجب أن تختلف فيه ملامح العقول ، فمن أنت ؟ وما صورة وجهك ؟ وما سِمة نفسك ؟ وما صِبغة عقلك ؟

تفرَّدْ وتوحَّد ، يا خِلقة الواحد المتفرِّد . كن أمةً وحدك ليرضى عنك من سوّاك ، فما خلقَك إلا وهو يريد أن تكون فريداً فى الصورة والمراد . فهل تراني دللتك على مفتاح السرّ المجهول ، وأنا من البحث عنه فى حيرة وضلال ؟

أنا وأنت رفيقان هائمان فى بيداء الوجود ، وفى صدرى من اللوعة إلى كشف المجهول بعض ما فى صدرك ، فخذ بيدى كما أخذت بيدك ، لنصل إلى شاطىء المعرفة واليقين بسلام وأمان ، والله يهدينى ويهديك !!

« كاتب »

في المصادر والأصول

نساؤنا بين التقاليد والتجديد

لصاحب العزة الدكتور منصور فهمي بك
مدير عام دار الكتب المصرية

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

التبذل

وإني لمناسبة ما ذكرته من الاختلاط لغير مقتضياته الاجتماعية ذكرني صديق بأن بعض فتياتنا قد يغشين المجامع لغرض شريف ذلك هو الرغبة في الزواج وبناء البيت ، وإذا صح ما ذكره صديقي ، فإن نبالة النية وشرف القصد لا يحولان دون فساد الأسلوب وتعثر الطريق المتبع ، لأنه لا مأمن من نزوات النفوس ووساوس الشيطان ، إذ يضيع على الرجولة شهامتها فيستخدم الخلطة للعبث والتسلي دون تقدير لما يترتب على ذلك من تردي الفتيات والنساء في سبيل الغواية ، ودون نظر إلى فداحة الإثم حين يصيب كل من جنس الرجل والمرأة من الآخر أنساً لا يحلله إلا صدق المواثيق والعقود وإخلاص النفوس . وزيادة على ذلك فإن الفتاة إذا غشيت هذه المجامع المصنوعة دون حذر شديد ، أو حامت حول حماها ، فقد تقع في مخاطرها ، لأن حظ الفتاة من طيبة القلب وليونة العاطفة وروح الإيثار وسذاجة الوجدان يربو كثيراً عن حظ الرجل الذي راضته أحداث الزمن على مرانة في التفكير وقلة في الحساسية وتغلغل في الأنانية ، مما قد يساعده على أن تكون المرأة هدفاً لخديعة الرجل وتغريره . ولطالما يهفو الرجل فتدفعه هفواته لاستباحة المتعة من المبذول ، لكنه طالما يكرم نفسه باختيار زوجته ممن يكرمن أنفسهن في حمى العزلة وقداسة الصيانة . وأزيد على ذلك أن ابتذال الفتيات لأنفسهن مضيع للعزة والكرامة . وينبغي أن تكون عزة المرأة وكرامتها فوق شرف الزواج ، ولا عزة لمن يتقدمن من النساء في سوق العرض والطلب ، ومن الخير لهن أن يكن معززات مصونات محببات يطلبن في شغف ، لأن في الابتذال إضعافاً للرغبة . ومن الخير للرجل أن يكون شهماً كريماً ، فيستخدم شهامته ومروءته لصيانة شريكة حياته وأم بنيه عن مواضع الذلة ومواطن الابتذال حين تنزل الفتاة في ميدان العرض والطلب فيصيبها ضعة العارض ومهانة المعروض

فساد الذوق

وفيما سلف ذكره ، قد أشرت إلى انحراف الاختلاط عن وجهه القويم ، وأشرت إلى سوء فهم الحرية المعقولة وإلى مهانة الابتذال . أشرت إلى كل ذلك لعناصر مسيئة لنسائنا المجددات ؛ ويجدر بي أن أشير إلى عنصر آخر لا يقل أثره سوءاً . ذلك هو اختلال الذوق في اللباس والتزين . لقد ذكر أحد العلماء الممتازين الحاليين الدكتور « كاريل » في كتاب له إلى ما أصاب العصر الحديث وأهله من ضعف في الإنتاج الصالح، وضمور في الجسوم، وضعف في الذوق الفني . وليس من شك في أن ملابس السيدات الغربيات قد أدركها ذلك الضعف ، من حيث الذوق ومن حيث اللياقة . وإن مستحدثات الأزياء التي يتخذها نساؤنا عن الغربيات ويغيرها بين حين وحين مبدعو الأناقة من أهل التجارة ، تدل أبين دلالة على ضعف هذا الذوق الفني وانحلاله . فالجلباب القصير والحاسر والقبعات قد يؤلم الكثير من أشكالها نظر ذي الذوق السليم . فهبك رأيت امرأة طويلة نحيلة في جلبابها الذي لا يبلغ ساقيها ، ويخرج عن كميه ساعداها الطويلان النحيلان العاريان وتمتد رقبتها الدقيقة من طوقها المفتوح ، وتتخم شفتاها الظاهرتان في وجهها الضئيل بتلك الأصباغ الدامية . أفلا يخيل إليك أنها كالأفعى ولغت في الدماء ؟ وليست هذه الصورة الدميمة البشعة إلا من نتائج اللباس القصير الحاسر الذي لا يرضاه لهذا الجسم ذوق صحيح

التغرير بالمرأة

وكما أساء الاختلاط المطلق والحرية السقيمة الممثلة وفساد الذوق الشائع إلى النساء والحديثات المعاصرات كذلك أساءت إليهن فلسفة التغرير . فقد يغرر العصر الحاضر بالنساء حين يدفعهن إلى ميادين من الأعمال الشاقة . كان من الخير أن يزاولها الرجال ويحتملوا أوصابها وتبعاتها دون النساء حرصاً على أن تسلم

وظيفة الأمومة التى هيئت لها المرأة ، ووقاية من زجها فى الجهود المضنية التى تمطل فيها صحة انسجتها العضوية ، وتفسد عليها رقة الطبع وسلامة الأعصاب

كتب الأستاذ فريد وجدى (حين بحث فى مشاركة النساء الرجال فى أعمالهم) قال :

« إن من أقبح مظاهر أسر المرأة فى الأفراد والأمم ترك حبلها على غاربها ، وقذفها بذلك الجسم اللين والعواطف الرقيقة والفؤاد المملوء رحمة، والمهجة المتشبعة بالشفقة، أن تزاحم الرجال فى معترك الحياة كتفاً لكتف لسد رمقها ، فتقضى طول نهارها وجزءاً من ليلها بين لهيب المعامل ودخانها أو على قارعة الطرق بين هيجاء تلك المدنية المفزعة . ولو تسنى لك يوماً من الأيام أن تزور معامل أوربا وأمريكا مما جمع إلى فخامة المبنى وضخامته سعة لا يكاد يحيط بها البصر ، رأيت فى داخلها أمراً عجيباً : رأيت جماعات من ذلك الجنس الرقيق مكلفات بأشق الأعمال وأقسى المحاولات العضلية واقفات أمام التنانير المسجورة يعانين أوصاب الحياة ومرارة العيش ، تقرأ على وجوههن التى لفحتها تلك النيران المستعرة هذه الجملة التى لا تذهب من مخيلتك أبداً :

« هذا منتهى أسر الرجل للمرأة »

ومحررو المرأة عندنا بدلاً من أن يعدوا هذا مرضاً اجتماعياً كما يعده علماء العصر الحاضر ويضعوا كل همهم فى حياطة بلادنا منه مثل ما يفعله حكماء أوربا وأمريكا نراهم يودون أن يفتحوا علينا ذلك الباب الهائل لظنهم أننا سائرون خلف أوربا قدماً بقدم[1] . »

ولقد صدق الأستاذ وجدى فيما كتب فحا كاتنا للغرب تدفع نساءنا الحديثات فى كل ميادين العمل الاجتماعى ويغرر بهن ليسرن فى هذا السبيل من غير قيد ولا حذر . وقد توقع الكثير من علماء الاجتماع سوء عاقبة هذا التمادى فى التغرير بالمرأة وتوريط المجتمع فى كوارث اقتصادية وخلقية ، حتى أن «أوجست كومت» وهو رأس من رؤوس فلاسفة الغربيين كان يرى من واجب الهيئة الاجتماعية أن تضمن للنساء حياة ناعمة مريحة إذا أعوزهن من يكفلهن من الأقارب والأزواج . وذلك لكى تتجه النساء وجهتهن فيما خلقن له من إسعاد الأسرة ودعم أسسها ، ومن إنعاش جو المحبة ، ومن إشاعة نسمات السلام . وإن ما يذهب إليه هذا الفيلسوف يساير تعاليم الإسلام حين يوجب على بيت المال أن يقوم بنفقات من يفقدن كافلهن ولا يملكن ثروة تدرأ عنهن العوز ، أو ليس لهن من يعولن عليه من ذوى القربى الواصلين للأرحام

ولقد ذهب كذلك « جول سيمون » الاجتماعى الفرنسى إلى تأكيد ما يفصل بين واجبات المرأة وواجبات الرجل فى الحياة الاجتماعية مما يدعو فى جملته وتفصيله إلى الحد من التغرير بالنساء بزجهن فى كل الأعمال التى تقتضيها الحياة العمرانية

الأسرة وقيودها

يتبين مما تقدم ذكره أن للمرأة كمالاً نوعياً خاصاً، ومضمار هذا الكمال الأمومة وتربية الأولاد وتنظيم البيت وإسعاد من فيه . وعلى حد ما يقول قاسم أمين فى كتاب المرأة الجديدة :

« نحن لا نجادل فى أن الفطرة أعدت المرأة للاشتغال بالأعمال المنزلية وتربية أولادها ، وأنها معرضة لعوارض طبيعية كالحمل والولادة والرضاعة لا تسمح لها بمباشرة الأعمال التى يقوى عليها الرجال ؛ بل نصرح هنا أن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هى أن تتزوج وتلد وتربى أولادها . هذه قضية بديهية لا تحتاج فى تقريرها إلى بحث طويل »

ومن المعلوم أن تأسيس الأسرة وتكوين العائلات إنما دعم على انتقاد من حريات الأفراد وحد من استقلالهم حيال ما يعود من الفوائد الناتجة عن التكامل العائلى حين يشمل أفرادها الحدب والحنان والمودة والتراحم وما يترتب على ذلك من تبادل المنافع .

لقد كانت المرأة فى حالة الهمجية الأولى واسعة الحرية ، وكذلك كان الرجل . لكن تقدم النوع الإنسانى وأطوار العمران قضت شيئاً فشيئاً على هـذه الحرية الهمجية إلى أن وصل المجتمع إلى تكوين الأسرة المهذبة المتراحمة على أنقاض هذه الحريات .

ولقد حددت الشرائع وما تعارف عليه الناس لكل من أفراد الأسرة مختلف النظم والحدود ، وعلى ذلك يجب أن يمارس كل من الزوج والزوجة والبنين حقه وواجبه فى حدود الله والعرف الصالح

ويسوءنا أن نلاحظ على مجتمعنا فى العهد الأخير أن الناس نساء ورجالاً قد تعدوا حدود المعقول والمشروع فى السلوك . وبخاصة فيما يتعلق ببنية الأسرة وجوهر آدابها

(١) عن المرأة المسلمة

فنى حين قضت حكمة الإسلام أن يكون للزوج درجة على زوجته فى تسيير دفة الحياة العائلية أصبح الحال بعكس ذلك فى الأسر التى طغى عليها التقليد المنحرف الدخيل ، وفى حين كانت تدعو التقاليد الإسلامية بأن تحتجز زينة النساء وتبرجهن للبيت والأزواج ؛ أصبح الكثير من النساء لا يستحسن التزين والتبرج إلا للمجتمعات مع ضعف فى الذوق جرت إليه المحاكاة الطائشة .

وفى حين كانت تقاليد الإسلام لا تبيح للنساء مخالطة الرجال ولا تبيح للرجال مخالطة النساء إلا بشروط وقيود . أصبحت حرية الاختلاط فى بعض الطبقات الاجتماعية رهينة وحى اللهو والهوى والفتون ، وفى حين كانت التقاليد الإسلامية تدفع بالناس إلى التبكير بالزواج والتناسل أصبحت أطوار الأخلاق وفلسفة الزمان المستحدثة تغرى بعكس ذلك من التقاليد التى قامت عليها عظمة الماضى وقوة السالفين

وليس من شك أن هذه الحالة التى تواضع الناس على تسميتها بالحياة العصرية حيناً وبحالة التجديد حيناً آخر يتنافى مع التقاليد الأصيلة فينا ، وأن هذه الحالة السيئة تسللت إلى مصر مع غفلة الزمن وضعف الشخصيات والولوع بالمحاكاة ، ولقد شعر الكثيرون منا بخطر هذا الحال الاجتماعى وأخذوا يثورون عليه سراً وفى استحياء فى حين أن دعاة من صميم الغرب قد دعوا جهرة للحد من خروج المرأة عن نطاق عملها ودوائر نشاطها

ورد فى جريدة المقطم منذ أسبوع : أن سيدة سورية طلبت إلى الجهات المختصة فى حكومتها الموافقة على انتظامها فى سلك المحاماة ، فردت تلك الجهات بامتناعها عن إجابة هذا الطلب لمخالفة ذلك لروح القرارات التى أصدرتها الحكومة الرئيسية فى فيشى

على أنى لا أتعرض لإقرار ذلك أو رفضه ، إنما أريد أن أتخذه دليلاً على ما يبديه الغرب من الروح الجديدة ، والرجوع بالمرأة إلى الحدود الواجبة

المعاول

ومما يزيد الأمر عندنا سوءا أن معاول الإتلاف فى الحياة الاجتماعية متعددة وكثيرة ، فإشاعة الروايات الغرامية ، وعرض المسرحيات الرخيصة ، وترديد النظر فيما يعرض فى دور الخيالة السيئة ، وما يوحيه ذلك للفتيات والفتيان والزوجات والأزواج والاختلاف إلى المتنزهات العامة دون رقابة واحتشام وعصمة ، وقراءة ما يسمونه الأدب المكشوف ، وكثرة الاطلاع على الصور فى أوضاعها الخليعة ، وما إلى هذه المغريات . كل ذلك شأنه شأن المعاول فى هدم الحياة الاجتماعية المنتجة ، وفى زعزعة أسس التربية الصالحة فى كيان الأسر

الدعوة والعمل

وأصبح لزاماً على المفكرين دعوتهم للانقاذ من هذا البلاء ، ولعل هذه الدعوة تجد آذاناً صاغية لما آلت إليه حالة المجتمع من التدهور كما وجدت دعوة قاسم أمين آذاناً صاغية عند ما اشتدت التقاليد القديمة وضيقت الخناق فى حياة النساء ، وعسى أن يكون لوزارة الشئون الاجتماعية والهيئة الحاكمة عمل فى ذلك مذكور قد أتعرض لتفاصيله وبيانه فى فرصة أخرى إن شاء الله

على أننى أرجو من المرشدين الراشدين والكاتبين والكاتبات ورؤوس الأسر رجالاً ونساء أن يفطنوا للخطر الذى حقت كلمته فى الغربيين وراء الاستهانة بروابط الأسرة ومقتضياتها ومقوماتها فاستيقظ الغرب يبتغى الوسيلة لوقايتها مما حاق بها ورد المرأة إلى ما هيأته لها المقادير

منصور فهمى

الصحافة العـــراقية

للدكتور زكي مبارك

ما عناصر هذا الوضوح الدقيق ؟ —
في صلب المقال جواب من هذا السؤال

لا يجوز إغفال الصحافة عند التكلم عن الحياة الأدبيـة في بلد من البلاد العربية ، فإلى الصحافة يرجع أكبر الفضل في نشر المذاهب والآراء ، وإليها يرجع الفضل كله في المرونة التي ظفرت بها الأساليب في هذه الأيام ، لأن الكتّاب لم يعودوا يهتمون بالخواصّ ، كما كانت الحال في العصور الخوالي ، وإنما يوجّه الكاتب كلامه إلى جماهير كثيرة فيها العالمون والجاهلون والأذكياء والأغبياء ، وذلك يوجب أن يكون الوضوح هو الخصيصة الأولى من خصائص البيان

والمحصول الأدبي في مصر وسائر البلاد العربية هو في أغلب أحواله مقالات وبحوث نُشرت في الجرائد والمجلات ، والحال كذلك في الأمم الأوربية والأمريكية ، فجانب كبير جدًّا من الأدب الفرنسي لم يكن إلا صحائف مختارة من بين ما نُشر في الجرائد والمجلات . وكان من تقاليد جريدة « الطان » أن تنشر كتباً جيدة تختار موادّها من بين ما نشرتْ لأكابر الكتّاب والباحثين . وكانت جريدة « المؤيد » في مصر صنعت مثل هذا الصنيع فنشرت ما كانت تسميه « منتخبات المؤيد » ولو فكرت الجرائد المصرية في إحياء هذه البدعة الطريفة لظهرت مجموعات علمية وأدبية وفنية تزيد محصولنا الفكري قوة إلى قوة ، وتحفظ ما يعرّض للنسيان من آثار الأذواق والقلوب والعقول

وكانت دار الكتب المصرية شرعت في طبع فهارس لأهم ما ينشر في الجرائد والمجلات ، وهي فهارس لا يلتفت إليها جمهور الباحثين ، وأخشى أن تكون عُطّلت بعد غلاء الورق ، فتلك الفهارس تؤدي خدمات عظيمة لمن يهمهم الرجوع إلى محصول الفكر والعقل في هذه البلاد ، وتشهد بحرصنا على تقييد الأوابد من معالم الأدب والتاريخ

ويدور الجدل من وقت إلى وقت حول المفاضلة بين المعاهد التي خدمت اللغة العربية كالأزهر ودار العلوم وكلية الآداب ، وعند التأمل نرى أن هذه المعاهد لم تخدم إلا علوم اللغة العربية ، أما نشر الأفكار والمذاهب والآراء ، ورياضة الأقلام على وصف ما جلّ ودقّ من شؤون الحياة بأسلوب واضح مقبول يفهمه العوامّ ولا ينكره الخواصّ ، وخلق الروح الوطني والديني في نفوس الجماهير ، وتقريب ما بين الشرق والغرب من المسافات العقلية ، فذلك كله من ثمرات الجهاد المحمود ، جهاد الصحافة الأدبية والسياسية ، فهي التي رفعت اسم مصر بين أقطار الشرق ، وهي التي أذكت مواهب الرجال ، وهي التي أمدت اللغة العربية بروافد لم تر مثلها في أيامها الزواهر لعهد بني أمية وعصر بني العباس

فما حال الصحافة العراقية ؟

لم يصحّ عندي أن في العراق صحافة تساير ما فيـه من النهضات العلمية والقومية ، وإن كثُرت فيه الجرائد والمجلات ، فكيف تخلّف العراق في هـذا الميدان مع أنه تقدم في أكثر الميادين ؟

قد يجاب بأن الصحافة هناك ترزح تحت أثقال من القيود بسبب العواصف السياسية ، وهو كذلك ، ولـكن ما سبب تلك القيود ؟

يرجع السبب إلى أن الصحافة العراقية ترى أن الحرية لا تكون إلا في الحدود التي تتمتع بها الصحافة المصرية ، وذلك خطأ فظيع : فالمصريون والعراقيون يختلفون أشـد الاختلاف في الميول والأهواء ، ولو شئت لقلت إن في الطبع المصري هدوءاً لا يعرفه الطبع العراقي ؛ فالمقالة القاسية في جريدة مصرية لا تثير إحساس الجمهور إلا بمقدار ضئيل ، ولا كذلك المقالة القاسية في جريدة عراقية ، فهي تزلزل إحساس الجمهور أعنف الزلزال ، وقد تقبّح سمعة من كُتبت فيه أبشع التقبيح

سمعت أن جريدة عراقية أُغلِقت لأنها كتبت مقالاً عنوانه « القُمرات المائج » ، فكيف أُغلِقتْ من أجل هذا العنوان ؟ أُغلِقتْ لأنهـا تناست الفرق بين الهياج والطغيان ، فالهياج يضاف إلى السكان ، أما الطغيان فيضاف إلى الماء

والسبب مُضحِك لمن ينظر فيه وهو يجهل المدلول السياسي لهياج الفرات ، أما الذي ينظر فيه وهو يعرف محرر الجريدة ومذهب الحزب الذي ينتمي إليه فقد يمدّه باباً من التحريض ، وقد يراه بوادر لمصاعب لا تطاق ، وما أُحبُّ أن أزيد ! !

وممن ذلك أن الصحفيين العراقيين يخرّبون بيوتهم بأيديهم ، فهم لا يعرفون سياسة القول ، وهم يجنون على أنفسهم حين يفكرون في محاكاة الصحافة المصرية ، وهي صحافة باغية لم تدَع أديماً صحيحاً إلا مزّقته بلا ترفق ولا استبقاء

قضيت ليلة من لياليّ الطوال في بغداد وأنا حزين بسبب ما كان يُنشَر في جريدة « الرأي العامّ » طعناً في مصر والمصريين ؛ ولكن كيف ؟ هل كانت تلك الجريدة تشتم مصر والمصريين ؟ لا ، وإنما كانت تنشر أقوال المصريين بعضهم في بعض ، فتذيع ما كان يقع من التهاجي بين جرائد الدستوريين والسعديين والوفديين ... فماذا صنعتُ ؟

رأيت أن أذهب لمقابلة مدير الدعاية بوزارة الداخلية هناك لأفهمه أن الجمهور العراقي سيحقد على الحكومة العراقية حين يرى نفسه محروماً من الطعن في وزرائه على نحو ما يتمتع به الجمهور المصري ، وهو حال إن دام فستكون له عواقب سود . فكانت النتيجة أن تكفّ جريدة « الرأي العام » عن تقديم ذلك الطعام « المسموم » لقرائها « الأصحّاء »

الصحافة الحزبية في مصر صحافة مؤذية ، وهي كريهة المذاق ، ولن ينجو العراق من شر هذه الصحافة إلا يوم تنجو منها مصر ، وهيهات ثم هيهات !

ولكن الصحافة الحزبية عندنا تستر شرها بالتحدث عن أشياء من العلوم والآداب والفنون ؛ أما الصحافة الحزبية في العراق فهي سياسة في سياسة في سياسة ، ولا يظفر منها القارئ بزاد علمي أو أدبي إلا في أندر الأحايين

تذكرت صحافة العراق حين نظرت في كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » وهو كتاب ألفه المقريزي ونشره الدكتور (محمد مصطفى زيادة) بعناية تضيفه إلى أقطاب المحققين ، فرأيت المؤلف لا يرى الدنيا إلا في أخبار الملوك والوزراء ، أما الشعب فليس له من جهد المؤلف خَلاف(1) وكذلك تكون صحافة العراق لو أن الصحافة العراقية جعلت أحوال المجتمع العراقي همّها الأصيل لظفرت بجاذبية روحية وأدبية تغنيها عن الاهتمام بأخبار الوزراء ، والجريدة الموفّقة هي الجريدة التي تحدّث الشعب عن ذات نفسه وتنقله إلى آفاق من الفكر والقلب والوجدان

أما الجريدة التي لا تعرف غير الأخبار الرسمية ، ولا توجه جهودها لغير الجانب السياسي فهي جريدة قليلة النفع في تربية العواطف وإحياء الآمال

والصحافة الحزبية في مصر خليقة بأن تسمع هذا القول قبل أن تسمعه الصحافة الحزبية في العراق

ومن صحافتنا الحزبية أستعيذ بالله ، فهي معول يهدّم ما بيننا من أواصر وصلات

ولكن لا بد من النص على أن مصر تتمتع بمزية عظيمة هي « التماسُك » فما يُهدَم الرجل العظيم في مصر ولو صُوِّبتْ إليه ألوف الأكاذيب والأراجيف ، أما الرجل العظيم في العراق فتنهدم قوته المعنوية حين تشتغل الصحافة بتجريحه أسبوعاً أو أسبوعين ، وتلك حالٌ طيبة من جانب وخبيثة من جوانب ، فهي طيِّبة لأنها تجعل الحاكمين في حذر من تغيّر المحكومين ، وهي خبيثة لأنها تجعل سوء الظن أساساً لأكثر الأعمال

والصدق في حب العراق هو الذي يسوقني إلى النص على هذا الملحظ الدقيق ، ولكن هل قلت كل مايوجبه الصدق ؟

يجب النص على أن الصحافة العراقية مشلولة بسبب انعدام التعاون بين السلطة التنفيذية والسلطة الأدبية ، فمن واجب الحكومة أن تعين الصحافة على نشر ما لا خطر في نشره من أخبار السياسة الداخلية والخارجية ، ومن واجب الصحافة أن تراعي جميع الظروف ، فلا تعمل على تهوين أقدار الحاكمين في أنفس المحكومين في بلد يتأثر بالقيل والقال

وانعدام التعاون بين هاتين السلطتين في العراق له نتائج نلمحها من حين إلى حين ! !

أليس من العجب أن نقرأ في جميع الصحف العراقية أن الحال على ما يرام وفوق ما يرام ، ثم يكون الواقع أن العراق يعاني أزمة وزارية أو دستورية ؟

وأقارن بين الحالة في مصر والعراق فأقول :

الحرية الصحفية في مصر تصرف المصريين عن خلق

---

(1) الخلاف بالفتح هو النصيب

الإشاعات والأراجيف ، لأن الصحافة المصرية تقوم بهذه المهمة « خير قيام » فهى تزوّد أهل الفضول بما يكفى لإزجاء أوقات البطالة والفراغ ، وتغنيهم عن الافتنان فى اختراع الأقاصيص حول مسالك الكبراء والوزراء

ومن هنا يكون فى مقدور الحكومة المصرية أن تعرف ما يتحدث به الناس فتطبّ له قبل استفحال الداء

أما صمت الصحافة العراقية عما يدور فى أروقة الدوائر والدواوين فيروض العراقيين على الظن بأن الصحافة تطوى عنهم أشياء ، فيتولون بأنفسهم خلق صحافة جديدة أسميها « الصحافة الشفوية » وهى صحافة لا يُشرف عليها حسيب أو رقيب ، فتجول فى الأندية والمجالس بلسان مسموم لا يكبحه عِنان ولا يصده وثاق

ومن هنا تعجز الحكومة العراقية عن الطب لوساوس الجمهور قبل استفحال الداء

وهل أحتاج إلى النص على أن الصحافة التحريرية أخف وقعاً من الصحافة الشفوية ؟

إن الصحافة التحريرية يديرها رجال ينهاهم العقل والمنطق والذوق عن الإمعان فى الإرجاف ، أما الصحافة الشفوية فيخبّ فيها كل مخلوق على حَسب هواه ، وقد يحترفها أقوام لا يعرفون أخطار « الغيبة الاجتماعية » وهى أفظع من الغيبة الفردية ، فأنت حين تغتاب شخصاً لا تؤذى غير رجل واحد ، ولكنك حين تغتاب حكومة قد تعرض أمة برمتها إلى التصدع والانحلال

ولكن ما نتيجة انعدام التعاون بين السلطة التنفيذية والسلطة الأدبية فى العراق ؟

النتيجة هى ضعف الأدب السياسى هناك ، وكيف يقوى الأدب السياسى وما تستطيع جريدة أن تقول إنها أسندت هذه الوزارة أو قوّضت تلك ؟ ؟

وكيف ينبغ الكتّاب السياسيون وقد حُرموا القدرة على تشريح المذاهب والآراء ؟

وأرجع مرة ثانية إلى الخطر المخوف على الصحافة العراقية وهو محاكاة الصحافة المصرية ، فتلك المحاكاة هى سبب البلاء ، ويجب أن يكون للصحافة العراقية مسالك جديدة تراعى فيها ظرف المكان ، وتطبّ لأدواء المجتمع العراق بلا استطالة ولا بغى ولا عدوان

وإلى أن يجىء اليوم الذى يتم فيه التفاهم بين السلطة التنفيذية والسلطة الأدبية . . . ما الذى يجب أن تصنع صحافة العراق إلى أن يجىء ذلك اليوم ؟

أرى أن يفكر الصحفيون العراقيون فى تزويد جرائدهم بأطيب الزاد من العلوم والآداب والفنون لتصبح الجريدة وهى جارحة من الجوارح الروحية لا يستغنى عنها رجل يتنسّم هواء العراق

إن كان للصحافة العراقية عذر فى العجز عن خلق الكاتب السياسى ، فما عذرها فى العجز عن خلق الكاتب الأدبى والكاتب الاجتماعى ؟

ماعذرها وليس للحكومة سلطان على كتاب الأدب والاجتماع ؟

وما عذر أدباء العراق فى التخلف عن السبق فى ميدان التأليف ؟

لن أنسى واجبى فى دعوة أدباء العراق إلى التفكير فى الانتفاع بذخائر الثروة الروحية والعقلية فى تلك الأرجاء

كان الكبح السياسى فى القرن الرابع أعنف من الكبح السياسى فى القرن الرابع عشر ، فأين العراقيون اليوم من جهود أسلافهم بالأمس ؟ لقد تمخض الكبح السياسى والدينى فى القرن الرابع عن ذخائر فلسفية هى « رسائل إخوان الصفاء » فأين ثمرات الكبح السياسى فى هذا العهد ؟ وأين محصول العقول فى تدبير الرسائل لشرح أحلام القلوب وأهواء النفوس ؟

كنت كتبت كلمة فى الرسالة أصد بها الأديب « الدسوقى » عن الاغترار بما يصدر عن وحى القلب فى سن العشرين ، فثار جماعة من أدباء الشباب وعدوا كلمتى تعطيلاً لمواهبهم الأدبية ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفحمونى ، وأفحمنى شابٌ عراق حين سألنى وهو فى بغداد عما كنت أصنع بأحلامى وأفكارى يوم كنت فى سن العشرين !

ومن هذا الكلام فهمت أن الحيرة الفلسفية لها بقايا فى العراق . وقد عرفت فى بغداد شاباً كان ينفق على أهله وهو تلميذ بالمدارس الثانوية من دراهم معدودات كان يجنيها بعرق الجبين فى خدمات أدبية شريفة لا تصرفه عن استذكار الدروس؛ ولا أدرى ما صار إليه أمر ذلك الشاب ، وإن كنت أعرف أن مجلة الرسالة قومت أدبه فنشرت له قصة من أدب طاغور بعناية والتفات . وإن صحت فراستى فى هذا الشاب فسيكون له بين أكابر الأدباء فى العراق مكان

العراق روحياً بخير وعافية، ولكن كيف نخلق الفاعلية الأدبية فى العراق ؟ وكيف نخلق المنافسة الجدية بين القاهرة وبغداد ؟ أما بعد فأين أنا مما أريد

حديث اليوم عن الصحافة العراقية ، وقد تكلمت عنها بالتفصيل فى كتاب « وحى بغداد » فما هو الجديد فى هذا الحديث؟

الجديد هو أن الصحافة العراقية لا تزدهر إلا حين تبتعد عن المشكلات السياسية ، ولكن كيف وكل امرئ فى العراق يشغل نفسه بالسياسة ولو عاش فى الدربونة الواقعة خلف شارع صربع النواتى ؟

فى العراق صحافة أدبية لا تعرف تصريف الفعل من ساس يسوس ، وهى صحافة مبثوثة فى أرجاء العراق، فترى لها ملامح فى البصرة والحلة والنجف والموصل وبغداد ، وقد تراها فى الكوفة المسكينة التى عاشت مساجدها الجوامع بعد طول العهد بالخراب ، وقد تراها فى « العمارة » ممثلة فى صحيفة تسمى « الفرزدق » ، قد ترى ملامح الصحافة الأدبية فى كل مكان بالعراق ، وإن لم تكن فى قوة الصحافة الأدبية فى وطن الأزهر والجامعة المصرية

ولكن ... ولكن هل ننسى قيمة الاستقرار فى بلد الرشيد ؟ لم يسم العراقيون عاصمتهم «مدينة السلام» أو « دار السلام » إلا استجابة لرغبة مقهورة هى الشوق إلى أن تكون عاصمتهم دار الأمان ، وهى فى جميع عهودها دار الخوف ، أو دار الحرب ، فما فيها موضع قدم إلا وهو معهد صيال لعزائم الأبطال

والعراق حين يسألك عن حالك يقول : هل أنت مستريح ؟ ومعنى ذلك أن التعب هو الحال الغالب فى تلك البلاد !

وأقول إن الاستقرار الصحفى تظهر قيمته فى « مجلة المعلم الجديد» فما هى تلك المجلة ؟ هى مجلة تصدرها وزارة المعارف العراقية لشرح شؤون التربية والتعليم ، وقد ظهرت فى سنة ١٩٣٥ ، ولا تزال تصدر بقوة وحيوية تشهدان بقيمة النظام فى العمل الذى يستريح مزاولوه من أعباء التكاليف الثقال : تكاليف المال

مجلة المعلم الجديد هى السجل الصادق لآثار العقول العراقية فى مختلف الشؤون ، وقد عجب الشاعر على محمود طه صاحب « الجندول » من أن ينال من رعاية تلك المجلة مكاناً لم يظفر بمثله بين مجلات وادى النيل ، فكان ذلك شاهدا على أن مجلة المعلم الجديد تتسامى إلى الرعاية الأدبية لجميع آثار العقول فى سائر الأقطار العربية

ما شاء الله كان ، فما نظرت فى محصول مجلة المعلم الجديد إلا أيقنت بأن زملائى فى بغداد قد وصلوا إلى أشياء ، ولكن كيف وصلوا وهم بأعمالهم التعليمية مشاغيل !

السر كل السر فى أن مجلة « المعلم الجديد » لا يُنشر فيها حرف بالمجان ، فهى تتخير من محصول العقول ما تشاء ، ومن أخصب تخيّر — كما كان يعبّر الأسلاف — وكيف تضيع مجلة تنفق عليها الدولة بسخاء ؟ !

لو أردنا اختبار المواهب العراقية فى الصحافة والتأليف ، لدعونا مجلة « المعلم الجديد » إلى التحرر من « كرم » وزارة المعارف هناك ، ولكننا نطلب المستحيل ، فالشرق هو الشرق ، ولا يدوم عمل فى هذا الشرق إلا بسناد متين من أسندة الحكومات ! وآه ثم آه من بلاء الاتكال على الحكومات فى جميع الشؤون !

ثم أما بعد ، فهذا مقال تحررت فيه من مراعاة الظروف والملابسات فى مصر والعراق ، فهل جنيت على نفسى بالهجوم على الصحافة هنا وهناك ؟

أنا الغريق ، فما خوفى من البلل — كما يقول المتنبى — أنا الرجل الذى عانى مكاره الاغتراب فى كل أرض ، فكانت غربته فى القاهرة أقسى وأعنف من غربته فى باريس وبغداد !

وهل كانت الصراحة من أظهر صفاتى ؟ وكيف وقد قضيت العمر فى جمع المال لأشترى مثقالاً من الرياء ، وسأموت قبل أن أجمع الثمن الغالى لذلك المثقال ! !

إليك ، يا فاطر الأرض والسموات ، أوجه الرجاء ، فما تقدمت ولا تأخرت إلا بحكمة عالية من كرمك البالغ وحصنك الحصين

زكى مبارك

على هامش الأبحاث النفسية والفلسفية

الدين والفلسفة

للدكتور محمد البهى

هل للفلسفة قيمة العلم واعتبار اليقين فى بحث الله وبحث ما وراء الطبيعة كقيمتها واعتبارها فى بحث العقل الإنسانى وفى بحث القيم الأخلاقية ؟ . هل للدين اعتبار فحسب فيما يحكيه عن الله وعن عالم ما وراء الطبيعة أم يتجاوز اعتباره فى نظر العلم إلى دائرة الإنسان ؟

أطال فيلسوف المذهب المثالى الألمانى « كانت » فى الإجابة عن هذين السؤالين ، ولم يرتض مكس شلر Max Scheler من الفلاسفة المعصريين ما ذهب إليه فيلسوف كونس برج Könsberg بشأن الدين

هل الدين يعادى العلم أم يؤاخيه ؟ وهل فى طبيعة الدين ما يساعد أو يمنع الاستمرار فى البحث والاسترسال فى التفكير الحر ؟ ...

تناول كثير من الكتاب علاقة الدين بالفلسفة على هذا النحو ، وهى علاقة الدين بالعلم فى نظرهم . ولم تخل الإجابة من تحيز لطرف منهما ، أو من سوء تحديد لميدان كل منهما ، أو عن سوء فهم لطبيعة الدين أو لحرية الفكر والبحث العلمى

***

لا عن هذا ولا عن ذاك أريد الآن الكلام . بل أريد فحسب أن أضع أمام القارىء مادة للاجابة عن سؤال يتصل بعلاقة الدين بالفلسفة كذلك على نحو آخر وهو : هل من مصلحة الدين أن يُجْتَذَب نحو الفلسفة ؟ وهل من مصلحته أن يفلسف بأن تشرح حقائقه بآراء الفلاسفة ؟

فى العصر الحاضر يميل بعض العلماء إلى شرح القرآن بما عرف — وتستجد معرفته — لعلماء الطبيعة والكيمياء ، وعلماء الهندسة الميكانيكية والكهربائية ، وعلماء المعادن والأحياء ؛ وبالجملة يميل إلى شرحه فى ضوء العلم والفلسفة . ويذهب إلى أبعد من هذا فى وضع منطق دينى لمعرفة الصحيح والفاسد من الدين ؛ وقوام هذا المنطق الدينى الأقوال التى تذكر فى استحضار الأرواح ، وما يدور حول التنويم المغناطيسى ، ونظرية الأثير ، و« التجارب الحسية » على إثبات الروح

وقديماً مال فلاسفة المسلمين وبعض علماء الكلام إلى شرح العقيدة الإسلامية فى الله وفى صفاته ، وفى صدور العالم عن الله ونشأته عنه ، وفى ملائكته ورسله ، وفى الجنة والنار ، وفى الإنسان: فى روحه ونفسه، وفى صلة جسمه بروحه، وفى مستقرها ومستودعها ، بما نقل عن فلاسفة الإغريق خاصاً بالمبدأ الأول للكون وبنشأة الكون عنه ، وخاصاً بالأفلاك وبالنفس الكلية التى هى نفس العالم وبفيضها على النفوس الجزئية ، كما مال فريق آخر من هؤلاء القدماء إلى شرح الآيات الكونية بما عرف لبطليموس وأقليدس من فلاسفة اليونان الطبيعيين والرياضيين

وكما ادعى فلاسفة المسلمين الأولون ممن فَلْسفوا العقيدة أن تفلسف العقيدة وشرح حقائقها بالآراء الفلسفية وسيلة من وسائل تقويتها وعنوان على تطابقها مع الفلسفة اليونانية ، وفى ذلك إبراز لكمال العقيدة ، لأن الحكمة اليونانية — هكذا ظن أو اعتقد هؤلاء الفلاسفة من المسلمين — تمثل أعلى درجة من المعرفة وأرفع مرتبة من الفضائل . يدعى كذلك بعض العلماء المعاصرين المفلسفين للعقيدة أن تفلسف الدين إبراز له فى ثوب ملائم للعصر وموافق لأهم مظاهره — وهو مظهر العلم — وبذا يقرب من نفوس الخاصة المثقفة من المسلمين ، ويقرب كذلك من أفهام بعض العلماء الغربيين الذين أساءوا إليه عن « جهل بحقيقته » ، وفى الوقت نفسه يبرهن على « صلاحيته لكل جيل وزمان » .

والإنسان الحديث ربما يُسرُّ لهذا اللون من الشرح ، بل ربما يتحيز له ويدعو إليه لما فيه من جدة لم تؤلف ، ولأنه يدل على أن « الكتاب لا يفرط فى شىء » ، كما هلل إنسان القرون الوسطى قبله ، وبالأخص إنسان القرن الثالث والرابع الهجرى ، لخلط الدين بالفلسفة الإغريقية ، وذهب فى هذا الخلط إلى حد بعيد

ولكن وراء سرور الفرد ووراء انفعاله وإكباره لهذا العمل

حقيقة لا تتغير بمظاهر انفعاله وإكباره ، وهى : أمثل ذلك الصنيع يلائم طبيعة الدين ويلائم غايته ؟ ولا شك أن يسر الدين وكونه قريباً من أفهام أكبر عدد ممكن من الجماعة البشرية من أهم خصائص طبيعته . ولا شك أن اقتناع الكثرة به واجتماعها حوله غير متفرقة ولا متحزّبة لتأويل معين لحقيقة من حقائقه غاية رئيسية له .

فإذا كان تفلسف الدين إذاً يساعد على نمو طبيعة الدين ويساعد على تحقيق غايته ، كان من مصلحة الدين جَذْبه نحو الفلسفة ، وكان من مصلحة شرح عقيدته بآراء الفلاسفة

* * *

دخلت الفلسفة الإغريقية بشرح رجال مدرسة الإسكندرية منذ عصر المأمون فى ثقافة المسلمين ، وأحدثت على إثر دخولها تحولاً فى نشاط المسلمين الدينى والعقلى أساسه الميل إلى الفلسفة فى إنتاجهم فى هاتين الناحيتين . وكانت العقيدة الإسلامية أشد تأثراً بالفلسفة فى نطاق الإنتاج الدينى ؛ إذ من أهم ما تناولته الفلسفة بالبحث المبدأ الأول للكون، وصفات هذا المبدأ، ونشأة العالم المشاهد عنه ، والإنسان ومستقبله وغايته الأخيرة التى يرى فيها سعادته . ووضعت أمام العقل الإسلامى المشتغل بالعقيدة الإسلامية نظرية الواجب والممكن ، ونظرية وساطة العقل الفعال بين الله والعالم ، ونظرية الصورة والهيولى، ونظرية العقول المجردة، ونظرية فيض النفس الكلية على النفوس الجزئية ...

ولم يشأ العقل الإسلامى أن يعالج هذه النظريات فى عزلة عن الدين ، ولا أن ينقدها — إذا نقدها — من غير رعاية للدين بل حاول جهد طاقته ، وبالأخص بدء اشتغاله بها ، أن يشرح بعض حقائق العقيدة بما ورد فى الفلسفة من آراء لأنه جعل شعاره : « إذا انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال[1] » . إذ أنه يقول : « وهل الحكمة إلا مولدة الديانة ؟ وهل الديانة إلا متممة للحكمة ؟ وهل الفلسفة إلا صورة النفس ؟ وهل الديانة إلا سيرة النفس[2] ؟ » . وإذ أنه يقول : « لاخلاف بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة بأن غرض الشريعة هو غرض الفلسفة على الحقيقة[3] »

وقد كان للعلماء المسلمين بعض العذر فى تحديد الصلة بين الدين والفلسفة الإغريقية بعد ترجمتها على هذا النحو لأن الفلسفة الإغريقية نقلت إليهم فى ثوب دينى صوفى فى كثير من نقطها ، نتيجة عمل رجال الإسكندرية ، ولأن منطق أرسطو الذى ترجم أولاً ، فى عهد المنصور ، أحدث فى نفوس المسلمين شبه يقين برجاحة العلم اليونانى وعصمة الحكمة اليونانية »

وتبعاً لذلك الشعار وهذا التحديد فى الصلة بين الدين والفلسفة من العقل الإسلامى ، أصبحنا نرى علماء العقيدة يستدلون على مغايرة الله للعالم بنظرية الواجب والممكن التى أسسها أرسطو على نظامه الفلسفى فى الصورة المحضة والمادة المحضة ، والتى استتبعت مما استتبعت من صفات، وحدة الوجود الواجب بمعنى عدم تعدد ذاته وعدم تركب ذاته الواحدة من أجزاء . وقد بنى فريق من المسلمين على مبالغته فى إثبات الوحدة نفى صفات البارى ، كلها أو الكثير منها ، لأن إثباتها — فى نظره — يقتضى التعدد . وسلك فريق آخر من الراغبين فى إثبات الصفات ، تمشياً مع ظاهر القرآن ، وفى الوقت نفسه من الحريصين على نفى ما يوهم عدم الوحدة طريقاً هو أقرب إلى التلاعب بالألفاظ منه إلى الإتيان بنصيب إيجابى جوهرى فى حل هذا الإشكال . فقال : « الله له صفة كذا ... وهى عين ذاته »

كل هذا بعد أن كان المسلم ، وبعد أن كان فى استطاعة كل مسلم كذلك أن يفهم ، أن المعبود غير متعدد لا شريك له ، وأنه غير ما فى الكون من مخلوقات إذا تليت عليه آيات ربه الداعية إلى التوحيد وعبادة الخالق مثل قوله تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » . وبعد أن كان يكفيه فى إثبات هذه الدعوى مثل قوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »

تبعاً لذلك الشعار أصبحنا نسمع لأبى الهذيل العلاف من شيوخ المعتزلة رأياً فى أن كلمة التكوين (قول الله للشىء : كن) التى تعبر عن الإرادة الإلهية حادثة لا فى محل ، وأن الإرادة تغاير المريد والمراد . وعلى هذا فكلمة التكوين فى المكان الوسط بين الخالق الأزلى وبين العالم المخلوق الحادث . وهذه الكلمات

---

(١) مقابسات أبى حيان التوحيدى ص ٤٥ ، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٩ (٢) المصدر نفسه ص ٢٠٠

(٣) الفصل فى الملل والنحل ص ٧٩

المعبرة عن الإرادة الإلهية هى بمثابة جواهر بسيطة تشبه المثل وعقول الأفلاك

يقرأ الكثير من المسلمين لأبى الهذيل العلاف هذا الرأى ولكن الذى يفهم المراد منه قليل ، وهو الذى يعرف المثل ، ويعرف لأى غرض وضع أفلاطون نظرية المثل ، ولماذا كان القول بالوساطة بين المبدأ الأول (الله) والعالم ؟ بينما المسلم إلى عهد الترجمة كانت نفسه مطمئنة إلى الإيمان بخلق الله للعالم على أية كيفية ، وكانت حرارة هذا الإيمان تعمر قلبه فأنتج وساد ، وبينما كان لا ميزة لأحد على غيره فى تصور تأثير الله فى العالم ، ولا مختصاً بسر من أسرار هذا التصور .

تبعاً لذلك الشمار أصبحنا نرى الملائكة تحدد بأنها (جواهر بسيطة ، عقلية ، علاّمة ، فعالة ، وبأنها صور مجردة عن الهيولى مستعملة للأجسام ، مدبرة لها ، ومنها أفعالها [4] . كما وجدنا هذا التحديد يتخذ أساساً من أسس الإيمان (والثانى من الأمور التى يضعها واضع الشريعة — فى نظر إخوان الصفا — ثم يبنى عليها سائر ما يعمل أن يرى ويتصور موجودات عقلية ، مجردة من الهيولى ، كل واحد منها قائم بنفسه ، متوجه نحو ما نصب له من أمره وهم ملائكة الله تعالى وخالص عباده [5] .)

فما معنى الجوهر ؟ وما معنى بساطته ؟ وما معنى كونه علاّمة ؟ وما معنى كونه فعالاً ؟ وما معنى الصورة ؟ وما معنى تجريدها عن الهيولى ؟ وعلى أى كيفية يكون تدبيرها الأشياء ؟

لا شك أنها معانٍ لا تفهمها إلا قلة من الخواص فضلاً عن أن تفهمها عامة المسلمين . ومع هذا طولبوا بالإيمان بها فى نظر فريق من علماء المسلمين فى نظر إخوان الصفاء

تبعاً لذلك الشمار رأينا الشريعة الإلهية تحدد « بأنها جبلة روحانية ، تبدو من نفس جزئية فى جسد بشرى ، بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكلية ، بإذن الله تعالى ، فى دور من الأدوار لتجذب النفوس الجزئية ، وتخلصها من أجساد بشرية متفرقة ليفصل بينها يوم القيامة [6] »

لماذا وجدت النفس الكلية ؟ ولماذا كانت المصدر المباشر للفيض ، أو كانت القوة التى تتولى نقل الأثر — وهو الإيجاد — من الله إلى هذا العالم ؟ وما معنى جذب النفوس الجزئية إليها ؟ لا شك أنه لا سبيل إلى فهم ذلك إلا لمن اطلع على فكرة النفس الكلية فى الأفلاطونية وفى الرواقية وفى الأفلاطونية الحديثة ؛ وعلى فكرة جذب « الصورة المحضة ـ للهيولى » فى رأى أرسطو

تبعاً لذلك الشمار ، رأينا الجنة تفسر بأنها عالم الأفلاك والعقول المجردة ، والنار تفسر بأنها عالم ما تحت فلك القمر ، وهو العالم الأرضى عالم الكون والفساد . ورأينا الشهداء الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » تعلل تسميتهم بالشهداء لمشاهدتهم تلك الأمور الروحانية المفارقة للهيولى .

***

هذا مثال من صنيع العلماء المسلمين بالعقيدة الإسلامية بعد دخول الفلسفة الإغريقية ، وبعد رغبتهم فى شرحها بالفلسفة ، وفى تفلسفها

والعلماء الحديثون المتفلسفون ينهجون نهجهم فى تفلسف العقيدة ، ولكن فقط يستمدون شرحهم الفلسفى من نظريات العلم التجريبى التى تطبع العصر الحاضر بطابعها الخاص ! وقد يستمدونها أيضاً مما بقى لدى أصحاب العلم والحضارة اليوم ، وهم الأوربيون ، من الآراء الميتافيزيكية والأقوال الروحية . وأثر صنيعهم فى العقيدة لا يقل عن أثر ذلكم من قبل

فنرى بعضهم يحاول تحديد الروح ، وهى التى اختص بها علم الله « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » بما يسميه أدلة حسية (تجريبية طبقاً لطابع العصر العلمى) فيقول : « إن الروح وإن كانت أمراً إلهياً لا يدرك لها كنه ، إلا أن لها جسداً أثيرياً على صورة صاحبها ، غاية فى اللطافة ، لا يعتريه البلى ولا التحلل ، فى قدرتها أن تستبدل مادة من الخارج وأن تظهر بصورة صاحبها فى أحوال خاصة ، ويكون صاحبها إذ ذاك واقعاً فى غيبوبة [7] »

ونرى تعليقاً من أحد هؤلاء المعاصرين على رأى « لأحد أقطاب الفلاسفة المصريين » يذكره على هذا النحو : « هذه محاولة فلسفية تعتبر أبدع ما أنتجته الفلسفة العالية إلى تأييد الكتاب المجيد . أليس كل ما فى هذا البحث الجليل — وهو

(٤) إخوان الصفاء حـ ١ ص ١٨٠
(٥) المصدر السابق حـ ٤ ص ١٨٣
(٦) المصدر السابق حـ ٤ ص ١٨٢

(٧) مجلة الأزهر ص ٦٢٥ حـ ١٠ من المجلد الحادى عشر

رأى أحد هؤلاء الأقطاب — محصوراً فى قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون)(٨) »

وصنيع كل من السابقين والحديثين هذا ، وهو جذب الدين نحو الأفكار الفلسفية وشرح العقيدة وحقائقها بآراء الفلاسفة ، شىء آخر يختلف اختلافاً جوهرياً عن محاولة تعليل مبادىء دين من الأديان مما يسمى « حكمة التشريع » ، ويختلف كذلك عن تعليل العاطفة الدينية فى الإنسان وضرورة وجود الدين فى الجماعة البشرية تبعاً لذلك مما يسمى « سيكولوجية الدين »

فتعليل مبدأ الزكاة فى الإسلام مثلاً ، وجعل حظ الذكر فى الميراث مثل حظ الأنثيين ، ومبدأ صلاة الجماعة والحج . . . وتعليل : لماذا كانت طبيعة الدين تحتم وجود أمور تعبدية فى العقيدة ؟ أو لماذا كان الدين ضرورة اجتماعية وعنصراً أساسياً فى التنشئة والتهذيب ؟ أو لماذا كان القانون المستمد من الدين أشد أثراً على النفوس من القانون الوضعى به ؟ تعليل مثل هذه الأشياء غير شرح الحقائق الدينية التى ترد فى أصل العقيدة وفى كتاب العقيدة غير محددة وغير معرفة تعريفاً منطقياً ـ ويجب أن تبقى غير معرّفة ، لأن فى عدم تعريفها أساس أبديتها وأساس عمومها ـ بشروح مستمدة من محيط الفلسفة كما تقدم

وما عنيته للآن بالكلام تحت عنوان « الدين والفلسفة » هو جذب الدين نحو الفلسفة، ومحاولة شرح حقائق العقيدة بالآراء الفلسفية

(٨) المصدر السابق ﺟ ٤ من المجلد الحادى عشر ص ٢٢٨

والآن نلقى السؤال مرة أخرى : هل مثل هذا الصنيع يساعد على نحو طبيعة الدين ، ومن خصائصها أن يكون وأن يبقى ميسراً سهلاً ؟ وهل مثل هذا الصنيع يساعد على تحقيق غاية الدين وهى تتجلى فى التفاف الجماعة حوله من غير تحزب ولا تعصب لتأويل معين فى حقيقة وردت مجملة من حقائقه ؟ أم أن مثل هذا الصنيع سبب من أسباب تعقيد العقيدة وإبهامها على كثير من الناس ؟

وأعتقد أن فى المحاضرة التى أذاعها الأستاذ الكبير الشيخ شلتوت وكيل كلية الشريعة منذ أسبوعين من محطة الإذاعة للحكومة المصرية عن « موقف المسلمين من القرآن وموقف القرآن من المسلمين » ما يلقى كثيراً من الضوء على فهم طبيعة الدين وفهم غاية الدين . ولو تفضل بنشرها على صفحات « الرسالة »(١) لاتضح — أكثر من الآن — قيمة تفلسف العقيدة ، وتحدد — بشىء أكثر من الدقة — أثره فى تفلسف العقيدة نفسها ، إيجاباً أو سلباً

وهو لماله من شخصية علمية دينية ناضجة ، إن فعل لا شك أنه يؤدى خدمة جليلة للبحث العلمى فى تراثنا الإسلامى ، والبحث العلمى فى هذا التراث غايتنا وغايته وغاية شباب الأزهر الحديث

محمد البهى
مدرس علم النفس والفلسفة بكلية أصول الدين

(١) تعتقد الرسالة أن الأستاذ شلتوت لسان صادق من ألسنة الاصلاح الدينى فى هذا العصر ، فاذا أيد الرسالة فى دعوتها الاصلاحية بقلمه ولسانه كسبت منه ما كسبته الدعوى الكبرى من عمر (المحرر)

محمد عبده ومحاولته إصلاح الأزهر

للأستاذ عثمان أمين
المدرس بكلية الآداب

للأزهر منذ إنشائه قصة طويلة ، وله مهمة معلومة نيط به أداؤها . فلم يكن المقصود منه أن يكون مسجداً للعبادة ، ولا أن يكون مدرسة للتعليم فحسب ، وإنما أثر الأزهر في العالم الإسلامي وفي تكوين العقلية الإسلامية أثراً عميقاً يفوق أثر المساجد والمدارس والجامعات . من أجل ذلك كان إصلاح ذلك المعهد في نظر الشيخ محمد عبده من الأهمية بمكان عظيم ، لأنه بمثابة إصلاح للأمة الإسلامية كلها

توجه الشيخ محمد عبده إلى إصلاح الأزهر منذ كان مجاوراً فيه يتلقى على أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني . وشرع في العمل لذلك أيام الخديو توفيق . ولكنه لم يستطع في ذلك الحين أن يُدخل إلا بعض الإصلاحات الثانوية . ووجد محمد عبده ، منذ البداية ، في أكثر شيوخ الأزهر خصوماً ناصبوه العداء . وأدرك حينئذ أنه لن يستطيع السير في حركة الإصلاح دون أن يظفر بتأييد الخديو والحكومة . ولكن الخديو توفيق لم يكن لديه استعداد لفهم التجديد المنشود ، فلم ينظر إلى جهود الشيخ محمد عبده بعين العطف والرعاية . ولما جاء الخديو عباس الثاني — وكان قد تربى في أوربا — استبشر الناس بولايته ورأوا فيها فاتحة عهد جديد . وتقدم الشيخ محمد عبده إلى الخديو عباس وكاشفه بجملة رأيه في الأزهر ، ورغبه في إصلاحه وتحويله من الحال التي كان عليها ، وكان في ذلك الحين أشبه بتكية من التكايا أو ملجأ من الملاجىء ، يأوى إليه العجزة والفقراء وأهل الكسل والبطالة

ويمكن أن نلخص رسالة الأزهر كما تراءت حينئذ للشيخ محمد عبده في الأمور الآتية : أن يكون مدرسة جامعة بالمعنى الصحيح يتلقى فيها الطلاب العلم الصحيح الذي يعدهم لأن يكونوا رجالاً عاملين ، فيكون منهم لمصر وللاسلام قضاة ذوو نزاهة ، وأساتذة باحثون ، وعلماء متخصصون ، ومرشدون مخلصون يعملون على بث الآراء الدينية الصحيحة ، والمعاني الأخلاقية السليمة ، ومكافحة الخرافات ، والقضاء على البدع والأباطيل

وكلف الخديو الشيخ محمد عبده أن يضع مشروعاً للاصلاح فشكل الشيخ لذلك « مجلس إدارة » من أكابر علماء المذاهب في الأزهر وجعل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من أعضائه . وكانت مهمة ذلك المجلس الإشراف على التعليم والتربية في الجامعة الأزهرية

وسار الشيخ في إصلاحاته أول الأمر بسرعة اغتناماً للفرصة ، ولم يلق معارضة من أحد مباشرة ، وإن كان قد أشير عليه من وقت إلى آخر بتأجيل بعض المشروعات بحجة التدريج والسير بهوادة !

وكان أول أبواب الإصلاح التي وجه الشيخ عنايته إليها هو تحديد مدة الدراسة بالأزهر : فقد جرى العرف منذ زمان طويل أن ينفق المجاورون من أعمارهم الأعوام الطوال في الأزهر ، دون أن يجدوا من أولى الأمر أية رقابة على أعمالهم . وحدد القانون بدء السنة الدراسية ونهايتها ، كما حددت أيام العطلة والمسامحات . وقد كانت الحال قبل ذلك بلا ضابط : فكان المشايخ والطلاب يمكنهم التغيب متى شاءوا فضلاً عن تغيبهم أيام المسامحات الرسمية

ووجه الشيخ بعد ذلك عنايته إلى نظام التدريس والامتحان : فاقترح أن تعقد للطلبة امتحانات سنوية . ولم يكن ذلك النظام معروفاً قبل ذلك في الأزهر ، بل لم يكن عدد من يمتحنون كل عام يزيد على ستة ، وهؤلاء كانوا يتقدمون إلى الامتحان لا بحسب دورهم أو ذكائهم أو علمهم ، بل بشفاعة الشفعاء وإلحاح الملحين . واقترح الشروع كذلك مكافأة الطلبة المتفوقين من بين الممتحنين ، والغرض من ذلك طبعاً هو بث روح التسابق فيهم وترغيبهم في التحصيل

وثالث الإصلاحات التي اقترحها الشيخ محمد عبده : إصلاح لا يقل عن سابقيه أهمية وأثراً ، وهو يقضي بإلغاء دراسة بعض الكتب العقيمة — كالشروح والحواشي والتقارير — التي اعتاد المشايخ تلقينها الطلبة من غير فهم ، وكان من شأنها أن تشوش عليهم موضوعات العلوم التي يدرسونها ؛ واستعيض عن ذلك كله بكتب أنفع وأقرب إلى مدارك الطلاب

ورابع الإصلاحات يرمى إلى تقسيم العلوم التى تدرس بالأزهر إلى مقاصد ووسائل ؛ فأطيلت مدة الدراسة فى « علوم المقاصد » : كالتوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والأخلاق . أما « علوم الوسائل » : كالمنطق والنحو والبلاغة ومصطلح الحديث والحساب والجبر ، فهى التى يلزم طلاب شهادة العالمية بأداء امتحان فيها

والإصلاح الخامس يقرر إدخال دروس ومحاضرات جديدة فى علوم : التاريخ والتاريخ الطبيعى والرياضيات والجغرافيا والفلسفة والاجتماع وما إلى ذلك من العلوم التى كان قد أهمل تدريسها بالأزهر إلى ذلك الحين

ويلاحظ أن تلك الإصلاحات المتواضعة لم يستطع الشيخ محمد عبده أن ينفذها جميعها لمقاومة الشيوخ إياها ، إما عن سوء قصد أو سوء فهم ، فضلاً عن وقوف الخديو نفسه حجر عثرة فى وجه المشروع انتقاماً من الشيخ محمد عبده — كما سنرى — ولكن ما نفذ من الإصلاحات المقترحة لم يخل من أن يحمل ثمراً طيباً : فقد شوهدت فى طلبة الأزهر إذ ذاك حماسة جديدة ، ودبت فيهم روح فتية ، وشاعت عندهم رغبة فى التوسع فى التحصيل واستيعاب البرنامج التعليمى . وربما كان من الميسور إطراد ذلك التقدم لولا قيام مصاعب جديدة لم تكن فى الحسبان

والواقع أن الشيخ محمد عبده إذا كان قد استطاع أن يضع مشروعاً كاملاً للاصلاح ، فذلك لأنه كان يحس بأن من ورائه سلطة الخديو تؤيده . هذا إلى أن شيخ الأزهر الشيخ حسونة النواوى كان يشاطر الشيخ محمد عبده كثيراً من آرائه . ولكن سرعان ما تبدل موقف الشيخ حسونة عندما ظهر له أن الشيخ محمد عبده لم يكن من أهل الحظوة لدى الخديو عباس[1] . ولما عزل الشيخ النواوى ، حل محله الشيخ سليم البشرى ، وكان رجلاً محافظاً مناوئاً لكل فكرة عن التجديد . ومع ذلك ، فقد حظى هذا الرجل برعاية الخديو ، وصدر قرار بالغاء الإعانات التى كانت تعطى للطلبة المتفوقين . وكان معنى هذا العدول عن عقد الامتحانات السنوية . ولكن الشيخ سليم البشرى أخذ يعود شيئاً فشيئاً إلى آراء الشيخ محمد عبده . وفترت علاقات البشرى بالخديو فعزله دون أن تذكر أسباب العزل فى المرسوم الصادر بذلك

ومنذ ذلك الحين أصبح منصب شيخ الأزهر شاغراً . وكان لا بد من اتفاق الحكومة المصرية مع ممثل الاحتلال الإنجليزى على تعيين من يشغل ذلك المنصب ؛ فعرضت المعية السنية على الحكومة — بواسطة اللورد كرومر — أسماء طائفة من مرشحيها ومن بينهم الشيخ حسونة النواوى — وكان قد عاد إلى الحظوة لدى الخديو — والشيخ محمد بخيت الذى كان معروفاً بعداوته للشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد راشد الإمام الخاص للخديو ، والشيخ أحمد الرفاعى الذى كان معروفاً بصلته بالبلاط الخديوى . ولم تقبل الحكومة أحداً ممن رشحتهم المعية السنية ، ورشحت المعية أخيراً الشيخ على الببلاوى ، فوافقت الحكومة عليه ، وصدر قرار بتعيينه شيخاً للأزهر

وكان الوفاق تاماً بين الشيخ محمد عبده والشيخ الببلاوى ، فعاد الهدوء إلى الأزهر ، وأقبل الطلاب على دروسهم وامتحاناتهم ، وانصرف مجلس الإدارة إلى الاشتغال بإنجاز الأعمال العديدة التى كانت أهملت فى عهد الشيخ سليم البشرى : فقرر المجلس عقد امتحان لشهادة العالمية التى تمنح الحاصلين عليها حق التدريس فى الأزهر أو القضاء أو الإفتاء ...

وراجت فى تلك الفترة إشاعة مؤداها أن حديثاً دار بين الخديو عباس وبين « الشيخ الببلاوى » على موضوع الإصلاحات الأزهرية التى أنجزها « الشيخ محمد عبده » . وذكروا أن الخديو قال ضمن حديثه للشيخ الببلاوى : « سمعتُ أنك تعمل فى الأزهر كل ما يريده المفتى (الشيخ محمد عبده) ، مع أنك حر فى أن تعمل برأيك ... » . وذكروا أيضاً أن الشيخ الببلاوى أجاب الخديو : « إنى أوافق المفتى كلما رأيت أن الحق معه ، ولو أخطأ لقلت له ، ولكن لم تعرض بعدُ فرصة لذلك ، فالحمد لله على تلك الحال »

وتألف فى الأزهر خلال تلك الفترة حزب لمعارضة الإصلاح ؛ وكان على رأس ذلك الحزب « الشيخ محمد الرفاعى » الذى ذكر اسمه بين مرشحى « المعية السنية » لمنصب مشيخة الأزهر[1] . وكان من أعضاء الحزب « الشيخ المنصورى »

(١) اشتهر أمر النفور بين الخديو والشيخ محمد عبده وسببه صدور قرار من مجلس الأوقاف الأعلى — وكان الشيخ محمد عبده عضواً فيه — فى مسألة استبدال أرض للأوقاف فى الجيزة . ولم يكن القرار فى مصلحة الخديو الذى كان شديد الرغبة فى الاستكثار من المال ، كما هو مشهور الخ . . .

(١) ثبت قطعاً أن الحركة التى ترمى إلى مناهضة الشيخ محمد عبده وعرقلة مساعيه الاصلاحية كانت مؤيدة من الخديو عباس

الذى كان قد عينه « الشيخ البشرى » شيخاً لرواق الصمايدة .

وشرع الحزب يقدم عرائض ينتقد فيها أعمال مجلس إدارة الأزهر . وفى ذلك الحين كان بعض المسلمين قد طلبوا إلى الشيخ محمد عبده – وكان مفتياً للديار المصرية – أن يدلى بفتوى فى جواز أكل المسلم من ذبائح أهل الكتاب ، وفى جواز لبس (البرنيطة) والتزيى بزى الأوربيين . وأفتى الشيخ محمد عبده مصرحاً بأن القرآن لم يحرم طعام غير المسلمين ولا لباسهم ، لا سيما إذا كان المسلم مضطراً إلى أن يعيش مع الأوربيين . فضج حزب المعارضة وأرجف فى تلك الفتوى ، وأخذ يطعن عليها وعلى شخص المفتى . وكان له مأجورون أخذوا يذيعون أن المفتى إنما يعمل على التقريب بين المسلمين وغير المسلمين . وأسس حزب المعارضة جريدة يومية اسمها « الظاهر » ، كان غرضها محاربة الفتوى . وقيل حينئذ إن مدير تلك الجريدة كان مؤيداً من الخديو . . . وراجت الأكاذيب والإشاعات ، وتفاقم الأمر حتى أخذ الناس يهمسون باحتمال عزل المفتى . وقالت جريدة « المقطم » حينئذ إن اللورد « كرومر » هو الذى حال دون ذلك العزل ، إذ تدخل فى الأمر وصرح بأن الشيخ محمد عبده أصلح من فى مصر للافتاء ، وأنه لذلك ينبغى أن يبقى فى منصبه

ولاحظ « الشيخ البيلاوى » أن حزب المعارضة أخذ يشتد ويعظم نفوذه بتأييد الخديو إياه ، حتى أصبح وكأنه الحزب الرسمى ، ووجد هو نفسه معطلاً عن العمل . ثم حدثت حادثة « رواق المغاربة » الذين احتموا بالقنصلية الفرنسية ، واحتلوا بعض غرف خالية فى الرواق العباسى ، وانتهى الأمر بإخراجهم منها ؛ ولكن شيخهم كان أكثر الوقت يتردد على « سراى القبة » . وكبرت هذه الأمور على « الشيخ البيلاوى » ويئس من صلاح الحال فاستقال .

ولما وجد الشيخ محمد عبده نفسه وحيداً محروماً من معاونة شيخ مجرب كالبيلاوى ، آثر أن يستقيل من مجلس إدارة الأزهر . وتبعه فى تلك الاستقالة عضوان آخران من أعضاء المجلس هما الشيخ عبد الكريم سليمان والشيخ أحمد الحنبلى

تلك خلاصة لما حدث بالأزهر فى السنوات الأولى لهذا القرن ، ومنها يتبين مقدار ما لقى الشيخ محمد عبده من الأذى فى سبيل إصلاح مناهج التعليم والتربية فى الأزهر ، ومبلغ ما بذل من جهود لتقويم ما فسد من نظم الإدارة فيه

ولكن رغم ما عاناه المصلح من عنت الشيوخ الجامدين ، وما حيك حول مساعيه من دسائس الخديو وحزبه ، فإن شيئاً لا بد أن يبقى ولا تستطيع قوة أن تقضى عليه : ذلك البذر الصالح الذى ألقاه الأستاذ الإمام فى ذلك المعهد يوم ألقى فيه دروسه فبث فيها من حر الآراء وسليم الأفكار ما نرجو أن يحسن الخلف القيام عليه

عثمان أمين

في جنة الدنيا دمشق

غمـــاغم الربيع

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ١ —

تعالى يا عروسي الحلوب

تعالى ... يا سيدة بردى المعطر وابنة قاسيون الجميل ...

إسمعي أيتها الغوطة الفتان ...

لقد جئتك مسرعاً ولهان ، وباسماً فرحان ...

خرجت من النيوم البيض كالعذارى ، فخفقتُ في الفضاء ، ورتمت في الهواء ، وطوفت في الأرض ، ثم أويت إلى أحضانك الريا ... يا غوطة الشآم ... !

لقد حملتُ إليك كل ما تشتهين ...

لك الزهر ... لتحليك بسماته

ولك النحل ... لتطربك همساته

ولك المطر ... لتسكرك نفحاته

فتعالى ... جملت لك الخلود ، وحملت إليك الجمال، وأويت إلى أحضانك من بين النيوم ... !

— ٢ —

إسمعي ... إسمعي ...

سأجملك فتنة للنظر ...

سأحييك بالنور والجمال ، وأجملك مغنى الحب ومرتع الخيال ، وأوشي جنباتك الزهر بالأفياء والظلال ، وأحلي أعطافك الخضر بلآلئ الغمام ... الغمام الذي أذبته لك لؤلؤاً يبسم ويرف ... !

فانظري إلى ...

أنا الربيع الجميل ...

إليك أويت يا غوطة الشآم ... !

— ٣ —

ما لربوعك صامتة لا تبين ... ؟

أأحزنها خفوق المجد ، وزوال النعيم ... ؟ أم شجاها تولى الصحب وفقد الحبيب . . . ؟

إسمعي همسي ... ولا تحزني ...

لقد شهدت مواكب الملوك العظام ... وفتحت أحضانك للمحبين والهيام ... وسمعت أحاديث المجد يرويها آل غسان ... ثم استقبلت الفاتحين والغزاة ، وبسمت للطارئين والبُداة ... فرتعوا في المغاني ، وهوموا في الرباع ، ثم ... ثم غيبتهم على حفاف نهرك ، وكفنتهم بوردك وزهرك ، بين العشب والنمناع ...

ألا تحسين ... ألا تحسين ...

وتحتك عظام تئن ، وأطلال تنام ! عظام أو الملوك النطاريف الرافلين بالحرير ، الغارقين في النعيم ، اللاهين في الحنايا والقصور وأين القصور يا غوطة الشآم ؟ أين أغاني الوليد وأهازيجه ... أين سكرات يزيد وصبواته ... أين ترانيم المجد وأغاريده ؟ ... أين ... أين ... ؟

أقدّر لتلك الدماء التي شربتِها أن تصبح زهرات حمراء ، ولتلك الرفات التي طويتها أن تنقلب أعاشيب خضراء ؟ ...

فاضحكي يا عروسي ...

لقد مضوا كلهم وبقيت أنت ... وسيمضي غيرهم وتبقين ! اضحكي لعينيَّ الحلوتين ... أنا الربيع ... فلقد حملت إليك النور ... وأتيت من أجلاك من بين النيوم ... !

— ٤ —

أيامي قصيرة في الأرض يا عروسي ...

تمر كومضة البرق ، وبسمة الأمل ، وقبلة الحبيب الراحل ...

فافتحي لي أحضانك ... وسأنثر قلبي في جنباتك . . .

وأرويّ من دمي أكنافك . . .

يا من في أحضانك نثرت قلوب ... وبين ذراعيك جادت نفوس ، وعلى شفتيك أهرقت دماء ...

وكان للمجد في صدرك تاريخ ، وللنور في فضائك عيد ، وللحب في محانيك تغريد ، وللأغاني في سمائك ترديد ...

فابسمي لعينيَّ الحلوتين . . . يا عروس الشآم فلقد ولدتني النيوم البيض كالعذارى ... فجئت أحمل لك الحياة والنور !

— ٥ —

واسمعوا أيضاً ... اسمعوا ... !

أنتم أيها الفنانون

يا من تعبدون الجمال وتقدسون النور ...

تعالوا إلى غوطة الشآم ...

أنظروا الجمال الفينان ، والدلال النشوان ، والتبرج والفتون !

واسمعوا غماغم الهوى المعسول ، وتأوهات الزهر المسحور

وتمتعوا بالربيع النديان غافياً على ركبتى العروس ... ينفث الرحيق ، وينشر الأريج ، ويداعبها بالقبل ، ويسكب بين يديها الدموع ... فنبت عند كل قبلة زهرة ... ويتفجّر عند كل دمعة ينبوع ...

تعالوا ... وانظروا ميلاد الشعر والحب ...

أقبلوا ... وارنوا إلى هداياى ...

زهـــور سمت نجوم السماء

وعطور فاقت أفاويه الهنود ...

ومياه رقيقة كنجوى المحبين

ولـكن ... لا ... ما العطور ، وما الزهور ...

لقد وهبت لها الحياة ، الحياة ، والجمال والنور

— ٦ —

بشراك يا غوطة الشآم ...

إلى أحضانك جئت من الغمام ...

أنا الربيع الجميل

أنا الذى أدغدغ النهود فتثب ، وأشمل الخدود فتلتهب ، وأغرقُ الألحاظ بالسحر والفتون ... وأهزُّ القدود بسكرِ الشبابِ ، وأغمرُ القلوبَ بالحبِ والحنانِ ...

أنا الربيع ...

أنا ضحكات الشفاه ، وخفقان القلوب ، وغمز العيون ...

أنا رنين القبلات ، واختلاج القسمات ، وأحلام العذارى ، وهمس الأحباب ...

أنا ... أنا نصوع الزهر ، وسطوع العطر ...

أنا الحب ، أنا الجمال ...

مررت على الجنان ... واصطفيت أبدع الألوان ، وجئت إلى أحضانك مسرعاً عجلان ...

فابسمى ... واضحكى ...

فلقد ولدتنى الغيوم البيض كالعذارى ،

فجئتك أحمل لك الحياة الحياة ، والنور ... والجمال ... !

(دمشق) صلاح الدين المنجد

رد على رد

وأد البنات عند العرب فى الجاهلية

للدكتور على عبد الواحد وافى

عقّب الأستاذ عبد المتعال الصعيدى على مقال لى فى وأد البنات عند العرب فى الجاهلية[1] بكلمة[2] ترجع خلاصتها إلى النقط الآتية :

١ — يسألنى من أين أتيت بالرأى الذى ذكرته فى هذا المقال بصدد عقائد القبائل التى كانت تئد بناتها ، والعوامل التى كانت تحملها على ذلك

٢ — يرى أن العرب فى الجاهلية كانت تعتقد أن الله خالق كل شىء ، بدليل قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » . فكيف يصح مع هذا ما ذكرته من أنهم كانوا ينسبون خلق الذكور لآلهتهم وخلق الإناث لله

٣ — يرى أن ليس المراد بالبنات فى الآيات التى استشهدت بها الإناث من بنى الإنسان ، وإنما المراد بهن الملائكة

٤ — يرى أن آية النحل التى ذكرتها : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » ، لا تدل على أنهم كانوا ينسبون الذكور لآلهتهم ، وإنما تدل على أنهم كانوا ينسبونهم لأنفسهم

٥ — يرى أن وأد البنات لم يكن للسبب الذى ذكرته ، بل كان بعضه للفقر ، وبعضه لخوف الفقر ، وبعضه لخوف السبي والعار ، وأن لا مانع من أن يكون بعضه تنفيذاً لنذور كانوا ينذرونها . فقد كان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب

وردى على هذه المسائل يتلخص كذلك فى النقط الخمس الآتية:

١ — لم آت بالرأى الذى ذكرته من كتاب ، ولم أنقله عن أحد ، بل هى نظرية لى استنبطتها استنباطاً من آيات الذكر الحكيم ؛ وصرحت فى مقالى أنه لم يسبقنى بها أحد . فلا محل إذن لمطالبتى بالمرجع الذى رجعت إليه بصددها

٢ — لم يكن العرب فى الجاهلية على دين واحد ، بل كانوا فرقاً كثيرة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً فى العقائد والعبادات ، فكان منهم من يعبد الله على ملة إبراهيم ، وكان من هؤلاء الرسول عليه الصلاة والسلام قبل بعثته وكثير من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وكان منهم اليهود ، وهؤلاء كانوا ينتمون إلى عدة قبائل يسكن معظمها المدينة وضواحيها وشمال الحجاز (بنو قريظة ، بنو النضير ... الخ) وكان منهم المسيحيون ، وهؤلاء كانوا فرقاً كثيرة تنتمى إلى مختلف مذاهب المسيحية المنتشرة فى ذلك العصر ، وكان منهم عبدة الكواكب ، فكنانة كانت تدين للقمر وللدبران ، وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون للمشترى ، وبنو طيىء ألهوا سهيلا ، وبنو قيس بن عيلان توجهوا للشعرى اليمانية (وهم الذين قد سفه الله عقائدهم إذ يقول عز وجل: « وأنه هو رب الشعرى ») ... وهلم جراً ، وكان منهم الدهريون الذين لا يؤمنون بإله وينسبون كل شىء للطبيعة : (إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وكان منهم الوثنيون عباد الأصنام ، وهؤلاء كانوا فرقاً كثيرة تختلف كل فرقة منها عن غيرها اختلافاً كبيراً فى نوع الأوثان ، ونظرتها إليها ، ومبلغ تقديسها لها ، وعقيدتها فى الله تعالى . ففريق من هؤلاء كان يعتقد بوجود الله وينسب إليه الخلق والأمر ، وما كان يعبد الأصنام إلا لتشفع له عند الله وتقربه إليه . وفى هذا الفريق جاءت الآية التى أوردها الأستاذ وآيات أخرى كثيرة (ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ؛ (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ... الخ) . وفريق من الوثنيين كان ينسب الخير لأصنامه والشر لله تعالى . فكان الله فى نظرهم إله الشر أو ما يشبه الشيطان فى نظرنا ، « تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً » . ولذلك كانوا ينسبون إليه ما يكرهون . وفى هؤلاء يقول الله تعالى : « ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى » (النحل ٦٢) . والقبائل التى كانت تئد بناتها كانت من هذا الفريق ، لأن الآية السابقة جاءت فى سياق الحديث عمن كانوا يئدون البنات . وغنى عن البيان أن من ينسب لله ما يكرهه والدنىء من الأشياء لا يمكن أن يكون ممن يعتقدون أنه تعالى خالق كل شىء . فالآية التى أوردها الأستاذ عبد المتعال والآيات الأخرى التى من نوعها تتحدث عن فريق من العرب غير الفريق الذى نحن بصدد الكلام عنه

(١) العدد الممتاز من الرسالة (٣ مارس سنه ١٩٤١)

(٢) عدد (٣١ مارس سنة ١٩٤١)

٣ — تفسير البنات بالملائكة لا يستقيم فى معظم الآيات التى أوردتها فى مقالى السابق . فنى قوله تعالى : « أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين » ؛ وقوله : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذن قسمة ضيزى » ؛ وقوله : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنين » . فى هذه الآيات وما إليها لا يستقيم فى نظرى تفسير البنات بالملائكة، لأن الملائكة لا تقابل الذكور من بنى آدم . فلا يصح أن يقال فيمن يقتصر على نسبة الملائكة لله معتقداً أنهم إناث : إنه يختص نفسه بالبنين من الآدميين دون بناتهم، كما تصرح هذه الآيات[1] ، وإنما يقال فيه إنه ينسب لنفسه النوعين من الآدميين ـ أى الذكور والإناث ـ وينسب لله الملائكة ويجعلهم من نوع الإناث لا غير

على أن كثيراً من الآيات التى ذكرتها فى المقال السابق ، قد جعلت وأدهم للبنات مترتباً على عقيدتهم هذه « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ، وإذا بشر أحدهم بالأنثى الخ » ولا يستقيم هذا إلا إذا كان الغرض من البنات الإناث من بنى آدم لا الملائكة

حقاً إنهم كانوا يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم كانوا ينسبونهم لله ويعتقدون أنهم أولاده ، كما يصرح بذلك كثير من الآيات ؛ ولكن هذا لا يتعارض مع ما ذهبنا إليه من أنهم كانوا ينسبون البنات من بنى آدم لله تعالى ، بل يزيده تأييداً كما أشرت إلى ذلك فى مقالى السابق . وذلك أن القسمة الضيزى التى أجروها فى عالم الأرض ونسبوا فيها لله تعالى الإناث ولآلهتهم الذكور ، قد أجروا مثلها فى عالم السماء ، فكانوا ينسبون لله تعالى من هذا العالم كل ما يعتقدون أنه من نوع الإناث . ومن أجل ذلك نسبوا إليه الملائكة لاعتقادهم أنهم من هذا النوع . ولذلك جاءت عقيدتهم بصدد الملائكة فى معظم الآيات التى أوردناها فى المقال السابق مصاحبة لعقيدتهم بصدد الأولاد من الآدميين . وذلك يدل على أنهما عقيدتان مرتبطة كلتاهما بالأخرى ومترتبة عليها : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ؟ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ؟ « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن قسمة ضيزى . . . إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » .

فالقرآن فى هذه الآيات يحدثنا عن حقيقتين لا عن حقيقة واحدة : إحداهما ما يعتقدونه بصدد الذكور والإناث من الآدميين ؛ وثانيتهما ما يعتقدونه بصدد الملائكة

٤ — وأما نسبة الذكور لآلهتهم أو لأنفسهم فهذا لا يهم كثيراً فى موضوعنا ، ولا يؤثر شيئاً فى النظرية التى أوردتها ؛ لأن المهم أنهم كانوا ينسبون الإناث لله وأنهم لذلك كانوا يئدونهن ؛ وسواء لدينا بعد ذلك أن كانوا ينسبون الذكور لأنفسهم أو لآلهتهم . على أن ما ذكرناه فى المقال السابق بصدد الذكور تحتمله آية النحل ، وخاصة لأن الضمير فى الآية التى قبلها يرجع إلى الشركاء : « ويجعلون لما لا يعلمون (أى لآلهتهم التى لا علم لها لأنها جماد . اهـ البيضاوى) نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ، ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » . فرجع الضمير فى لهم إلى الشركاء المذكورين فى الآية السابقة ليس محتملاً فحسب ، بل أرجح كثيراً فى نظرى من رجعه إلى المشركين . لأن موضوع الحديث هو تقسيمهم المخلوقات بين الله وشركائهم لا بين الله وأنفسهم . ويزداد هذا المعنى تأييداً إذا ربطت هذه الآيات بآيات الأنعام : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ... » . « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ... »

ويزداد هذا المعنى تأييداً كذلك إذا لاحظنا أنهم ما كانوا ينسبون خلق شىء لأنفسهم ، بل كان ذلك يتردد بين الله وآلهتهم

٥ — لا يمكن أن يكون سبب الوأد هو الفقر أو خوف الفقر ؛ لأن هذا النظام لم يكن معمولاً به فى الطبقات الفقيرة وحدها ، بل كان عاماً عند الفقراء والأغنياء فى العشائر التى أخذت به ، ولو كان الفقر هو الدافع إليه للحق جميع الأولاد بدون تمييز بين الذكور والإناث . ولا يمكن أن يكون سببه خوف العار والسبى للأسباب التى ذكرتها بتفصيل فى مقالى السابق . ولا يمكن أن يكون سببه نذوراً من نوع نذور عبد المطلب بن هاشم لأننا بصدد قبائل كانت تئد كل بنت تولد لها لا بصدد حالات فردية كانت تنحر فيها بعض البنات وفاء لنذور سابقة .

علي عبد الواحد وافي

(١) تراكيب هذه الآيات تفيد القصر كما لا يخفى على الأستاذ عبد المتعال « ألربك البنات ولهم البنون ؟ » ، « ألكم الذكر وله الأنثى؟ » ... الخ

حكم استئنافياً بتغريم حنفى إبرهيم الطوبجى التاجر بالخليفة بالقضية ن ٢٦٦٩ بجلسة ٢٦ مارس سنة ٤١ جنيهان ليمه بترولا بازيد من التسعيرة

حول السنوسيين

للأستاذ محمد الأخضر العيساوى

جاء فى الرسالة الغراء عدد ٣٨٥ مقال عنوانه (السنوسيون) للأستاذ حسين جعفر بعضه صحيح وبعضه مبالغ فيه وبعضه الآخر خطأ

وإلى القارئ ما جاء من أخطاء فى مقاله الأول ، قال : (خلف السيد السنوسى الكبير المولود بالجزائر ببلد مستغانم سنة ١٢٠٢ هـ والمتوفى بالجغبوب سنة ١٢٧٦ هـ ولدين الأكبر محمد الشريف والثانى محمد المهدى) والصواب العكس لأن السيد محمد المهدى هو الكبير حيث ولد بماسّةَ بالجبل الأخضر سنة ١٢٦٠ هـ والسيد محمد الشريف هو الصغير لأنه ولد بمدينة درنة سنة ١٢٦٢هـ

وقد استمر الكاتب فى الكلام إلى أن قال : (ويقال إن الولد الأصغر أظهر ذكاء وكفاءة أكثر من أخيه ولذلك قرر الوالد أن يختبرهما أمام جميع الإخوان فى الجغبوب فأمر ولديه أن يتسلقا نخلتين عظيمتى الارتفاع وسألهما باسم الله ورسوله أن يقفزا إلى الأرض ، فقفز المهدى فى الحال ولم يصب بسوء فى حين رفض الأكبر) : والحقيقة أن هذه القصة كلها لا أصل لها ، وقد جاء فيه أيضاً : (ويجب ألا يخفى أن الثورة التى كانت حدثت فى سنة ١٨٨٨ ، سنة ١٨٨٩ فى (دارفور) من الخليفة عبد الله التعايشى كانت باسم السنوسى) وحقيقة الحال أنها لم تكن باسمه ولا كان له دخل فيها . والدليل على ذلك ما جاء فى جريدة (الجزيرة) التى تصدر بشرق الأردن بتاريخ ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٩ الموافق كانون أول سنة ١٩٤٠ بقلم المجاهد الكبير على باشا العابدية المهاجر بتلك الديار وهو من أتباع السنوسيين المطلعين على بواطن الأمور حيث قال فيها (تنبؤ السنوسيين بمستقبل الانكليز) عند قيام مهدى السودان على المصريين والانكليز سنة ١٨٨٨ أرسل إلى السيد المهدى السنوسى رسولاً فى إعلان الجهاد وأن يكون خليفة من بعده ، ولكن السيد المهدى رفض ذلك لسببين (الأول) أن الحكومة المصرية حكومة إسلامية (والثانى) أنه كان يعتقد أن الطليان سيستولون على طرابلس وبرقة وأنه سيأتى يوم يقوم فيه الإنكليز بمحاربة الطليان فى طرابلس وبرقة وسيمدون إلى الأمة الطرابلسية البرقية يد المساعدة لتخليصها من محنتها . . . الخ » . وكتاب السيد المهدى لعبد الله التعايشى فى هذا الموضوع مذكور فى تاريخ مصر ، فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه . نعود إلى المقال الأول ، قال فيه أيضاً : « وفى (واداي) كان خلف السلطان يوسف وهو السلطان إبراهيم الذى تولى سنة ١٨٩٨ ، كان يهمل نصائح الشيخ متشجعاً فى ذلك بهزيمة الخليفة عبد الله التعايشى فى أم درمان . وكان ردُّ السنوسى على هذا أن حرَّم على أهل واداى تدخين التبغ وشرب المريسة (البيرة الوطنية) ، فأرسل السلطان إبراهيم إلى السنوسى بأن شعبه يحارب ويموت فى سبيل المريسة ، وأنهم ينبذون تعاليم السنوسية ليشربوها . وكان السنوسى المهدى حكيماً فى تنازله عن رأيه ، معلناً أن الله أجاب على صلاته بأنه جل شأنه قَبِلَ أن يستثنى أهل واداى من هذا التحريم » ؛ فكان حقاً على الأستاذ ألا يذكر هذه الأسطورة التى يَمجُّها السمع ويأباها العقل السليم والنقل ، لأن مثلها يتحاشاها أجهل الجهلاء ، فكيف بأعلم العلماء وأتقى الأتقياء وهو السيد المهدى السنوسى الذى اشتهر بالتقوى والصلاح أن يُحلِّلَ ويُحرِّمَ من عند نفسه ، سبحانك هذا بهتان عظيم

وجاء فى الرسالة أيضاً عدد ٣٨٦ مقال آخر ، وإلى القارئ ما جاء فيه : « وقد عرضت شروط للاتفاق بين الإيطاليين وسيدى أحمد فى النصف الأخير من سنة ١٩١٥ ، وكاد يتم الاتفاق لولا أن سيدى أحمد رفض أن يقبل مركز (باى) تحت الحماية »

والحقيقة أن الإيطاليين خطبوا وُدَّه كثيراً ومنّوه بأمانى معسولة ، ولكنه لشرفه وأمانته وعلو همته أبَى أن يصالحهم على شبر واحد من أراضى المسلمين ولو أعطوه ملء الأرض ذهباً

وجاء فيه أيضاً : « ولذلك أرسلوا (أى الإنكليز) فى نوفمبر سنة ١٩١٥ ابن عمه السيد محمد إدريس من الإسكندرية ليتفق معه (أبى سيدى أحمد) على أن يتخلص من مستشاريه الأتراك فى مقابلة

مبلغ من المال ». فهذا أيضاً مخالف للواقع ، وكان على الكاتب ألا يذكر شيئاً منه حتى يتصل بالسيد إدريس ليكون على بصيرة

وجاء فيه أيضاً : « وأقر شيوخ الطريقة السنوسية سيدى محمد إدريس السنوسى على أن يكون السنوسى الأكبر إلى أن قال : وجد سيدى أحمد المقهور والمخلوع أن من الأفضل له أن يغادر طرابلس ، فغادرها فى غواصة ألمانية من مصراته إلى تركيا مع استمرار ادعائه أنه رأس الطريقة السنوسية »

وهذا أيضاً بينه وبين الحقيقة مراحل ، لأن رئاسة الطريقة السنوسية موكولة للأكبر الأرشد بنص وصية من مؤسس الطريقة السيد محمد بن على السنوسى الكبير ، والسيد أحمد وقتئذ هو أكبر العائلة وأرشدها ، فهو أولى بالرئاسة ، وبأن يطلق عليه اسم السنوسي الكبير . وليس لأحد كائناً من كان أن يخلعه أو يقهره ، لا من مشائخ الطريقة ولا غيرهم

نعم ذهب إلى تركيا فى غواصة كما قال الكاتب . لكن بدعوة منها وقد استفادت منه كثيراً ، حيث فض لها مشاكل كثيرة وثورات فى الأنضول كادت تقضى على حركة مصطفى كمال وهى فى مهدها ، ولولاه ما جنح الأكراد إلى الهدو والسكينة بعد ثورتهم المشهورة

وجاء أيضاً فى آخر مقاله الثانى ما نصه : « فى حين أنهم أبى السنوسيين يعترفون بأنهم على المذهب المالكى ، فإن علماء القاهرة كثيراً ما كتبوا عن انحراف السنوسيين عن الإيمان الصحيح ، ومعظم الاتهامات تنحصر فى أنهم فسروا القرآن الكريم والسنة بدون الاعتماد على مصادر معترف بها »

فأقول : إن هذا أيضاً مما لا ينبغى للكاتب أن يذكره ، لأنه مخالف للواقع ، فالسنوسيون سنيون مالكيون ، وها هى كتبهم بين أيدينا شاهد عدل على ذلك ، فليراجعها من أراد الوقوف على الحقيقة . وهى (بغية المقاصد) و (إيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن) و (شفاء الصدر بأرى المسائل العشر) ، وكلها للسيد السنوسى الكبير ، توجد فى المكاتب الشهيرة بمصر وغيرها

وإنى أتحدى حضرة الكاتب أن يأتينا ولو بآية واحدة أو بحديث واحد مما زعم أن السنوسيين قرأوهما بدون أن يعتمدوا على مصادر معترف بها ، كما أنى أتحداه أيضاً أن يثبت لنا من هم أولئكم العلماء الذين كثيراً ما أفتوا بانحراف السنوسيين عن الإيمان الصحيح ، وفى أى زمان ومكان حصل منهم ذلك ؟ أظن الأستاذ يمكنه أن يثبت ذلك ، ولو أجهد نفسه مدة حياته .

هدانا الله وإياه للصواب

محمد الأخضر العيساوى
عالم بالأزهر

أطياف الربيع ...

[مهداة إلى جماعة الشعر من شباب كلية الآداب]

للأستاذ محمود الخفيف

هاتِ يا زامرُ ألحانَ الربيعِ   راقَ مِزمارُكَ يا راعي القطيعِ
غنِّ ما هزَّكَ في هذا الضحى   مِنْ رُؤيً شتّى ومِنْ سحرٍ جميعِ
غنِّ يا هيمانُ ألحانَ الهوى   والصِّبا الجذلانَ يلهو بالمنى

لَحنَ أرغولِكَ نشوانُ الصدى
في الضفافِ الخُضرِ والحقلِ المريعِ

الفراشاتُ بها تيكَ الضفافِ   دائباتٌ بينَ وثبٍ وطوافِ
فرحاتٌ بالزمانِ المونقِ   بعدَ أيامٍ كئيباتٍ عجافِ
هائماتٌ في ضحاهُ المشرقِ   لاثماتٌ كلَّ غصنٍ مورقِ

فرحـــةٌ أعيا بياني وصفُها
وأنا الناسجُ موشيَّ القوافي !

قضِّ ساعاتِكَ رفّافَ الجناحِ   دائبَ التطوافِ في كلِّ النواحي
عانقِ الزهرَ هنا أو هاهنا   أيها العاشقُ أفوافَ الصباحِ
لكَ ماءٌ سلسبيلٌ وجنى   أينما مِلتَ وظلٌّ وسنى

ليتَ يا جذلانُ لي بعضَ الذي
يتوافى لكَ من هذا المراحِ !

الربيعُ الغضُّ نشوانُ الشبابِ   مرحٌ يطفرُ في كلِّ الرحابِ
أينما درتُ بعينيَّ أرى   لمحاتٍ مِنْ سجاياهُ العذابِ
كلما يممتُ ركناً مزهرا   لاحَ لي تاليهِ أحلى منظرا !

كلُّ حسنٍ ملءُ سمعي هاتفٌ
خُلِقَ الحسنُ لقنصٍ وانتهابِ

أيُّ سرٍّ شاعَ في هذا النماء   فانجلى للعينِ مرموقَ الرواءِ
فاضَ واستعلنَ في آثارِهِ   وهو صنوُ الروحِ في معنى الخفاءِ
كم أجلتُ الطرفَ في أزهارِهِ   والجديدِ الغضِّ مِنْ نوّارِهِ

في زمانٍ زيّنتْ أفوافُهُ
كلَّ روضٍ وكسى كلَّ فضاه

رفَّ قلبي لمجاليهِ الحسانِ   ولأطيافٍ بهِ زدنَ افتتاني
لمحتْ في كلِّ شيءٍ نشوةٌ   ملكتْ حسّي وقرّتْ في جناني
ومشتْ ملءَ كياني هِزّةٌ   أنستْ روحي بها صوفيّةٌ

لمْ تكنْ للطينِ يوماً تنتمي
حرّكتْ قلبي وإنْ عيَّ لساني !

كم أرى في البرعمِ الغضِّ الوليدِ   مِنْ طيوفٍ ضاقَ عنهنَّ قصيدي
كم ترى روحيَ في مولدِهِ   مِنْ معاني البعثِ والخلقِ الجديدِ
مولدٌ ما شذَّ عنْ موعدِهِ   حدّثَ المبصرَ عنْ موجدِهِ

مولدٌ ما مرَّ عجلانَ بهِ
غيرُ لاهٍ مظلمِ الحسِّ بليدِ !

غبطةٌ تزهدُ نفسي في سواها   فطنَ القلبُ إليها فاحتواها
ليتَ مَنْ يقضي غروراً عمرَهُ   نسيَ الأوهامَ يوماً فاجتلاها
ليتهُ في العيشِ ينسى زورَهُ   فيرى الحسنَ ويهوى سحرَهُ

ليتَ هـذا الحيَّ ينسى جشعاً
يوبقُ الروحَ ويُنسيها هداها !

يا جمالاً هاجَ في الكونِ هيامي   أجتلي دنياهُ عاماً بعدَ عامِ
نشوةٌ كم ألهمتني الفرحا   يومَ أترعتُ بها كأسَ غرامي
أتُرى يعلمُ إلفٌ نزحا   أنني اليومَ حطمتُ القدحا ؟

ويكَ يا قلبي ! أتبكي كلما
جدّدَ العيشُ دواعي الابتسامِ ؟

إغنمِ المتعةَ مِنْ هذا الجمالِ   وانسَ آلامَكَ في هذي المجالي
أيها القلبُ إلامَ المشتكى   إبتهجْ فالعيشُ عجلانُ الليالي
إختلسْ عمرَ زمانٍ ضحكا   وانهبِ الحسنَ إذا الحسنُ زكا

هذهِ الزهرةُ تزكو في الضحى
والدجى يمشي عليها بالزوالِ !

الخفيف



الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى

تأليف الدكتور زكى محمد حسن

للدكتور محمد مصطفى

- ٣ -

وفى كلام المؤلف عن امتداد « نفوذ الأساليب القبطية الإسلامية فى التجليد إلى إيران » يقول فى (ص ١٣٣) : « بل إن ذلك النفوذ امتد أيضاً إلى بلاد منغوليا فى أواسط آسيا حيث عثر فى أطلال مدينة كانت عامرة فى العصور الوسطى على جلد كتاب ينسب إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وعليه زخارف من إطار ذى فروع نباتية عربية ، وفى وسطه جامة أو صرة من جرابل ، وفى كل من الأركان الأربعة ربع جامة »

ولم يذكر المؤلف المرجع الذى اقتبس منه عبارته هذه ، وقد كان يهمنا أن نعرف اسم هـذه المدينة التى — كانت عامرة فى العصور الوسطى — وكذلك المكان الحالى المحفوظ فيه جلد الكتاب المشار إليه بما عليه من « فروع نباتية عربية »

وفى (ص ١٣٤) يقول المؤلف : « وقد عرف المسلمون التجليد فى إيران وغيرها من الأقاليم الإسلامية فى القرون الأولى بعد الهجرة . وذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست أسماء بعض المجلدين، كابن الحريش الذى كان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون»

ولم يذكر المؤلف هنـا أيضاً المرجع الذى اقتبسَ منه فى كتاب الفهرست لابن النديم ، وبالنسبة لطرافة الموضوع رأيت أن أنقل هنا عبارة مماثلة لعبارة المؤلف كتبها الأستاذ « بوب فى حاشية يعلق بها على ما كتبه الدكتور « جراتزل » عن التجليد[21] ، وأورد ابن النديم أسمـاء المجلدين فى ترتيب تاريخى حتى وقته (القرن العاشر الميلادى) وذكر منهم ابن أبى الحريش الذى كان يجلد فى خزانة الحكمة (مكتبة المأمون) والجراز المُبَيْنى ، وأبى عيسى وابن شيران ودميانة الأعسر والحسين بن الصفار

وقد أعطى الأستاذ بوب كرجع لعبارته هذه ، كتاب الفهرست لابن النديم طبعة فليجل ص ١٠

وإنى أستغرب كيف أن الدكتور زكى لم يشر فى أية ناحية من الفصل الذى كتبه عن التجليد (ص ١٣٢ — ١٣٨) إلى البحث الذى كتبه الدكتور إميل جراتزل فى نفس هذا الموضوع[22] مع أن هذا البحث يعد أحدث بحث على واف عن تجليد الكتب فى إيران . هذا فضـلاً عن أن الدكتور جراتزل — وإن كان قد توسع فى كتابة بحثه عن المؤلف — قد أورد نفس الحقائق بنفس تسلسل الأفكار الذى سار عليه الدكتور زكى محمد حسن فى هذا الفصل من كتابه

فإننا نرى أن ما كتبه الدكتور جراتزل فى الفقرة الأولى (ص ١٩٧٥) مفصلاً عن ميزات جلود الكتب الإسلامية ، قد أورده الدكتور زكى محمد حسن ، مجملاً فى العبارة الأولى من الفقرة الثانية (ص ١٣٢) ، وفى الفقرة الثانية (ص ١٩٧٥) ما جاء فى العبارة الثانية من الفقرة الثانية (ص ١٣٢) عن استعمال الخشب والجلد والورق المضغوط فى التجليد . وفى الفقرة الثالثة (ص ١٩٧٥) والفقرة الأولى (ص ١٩٧٦) تفصيل ما جاء فى الفقرة الثالثة (ص ١٣٢) وبداية (ص ١٣٣) عن أساليب التجليد القبطية . وبين مراجع الحاشية رقم ١ (ص ١٩٧٥) نجد المرجع المذكور فى الحاشية رقم ١ (ص ١٣٣) ؛ وفى الحاشية رقم ١ (ص ١٩٧٦) ما جاء فى العبارة الأولى من الفقرة الأولى (ص ١٣٤) عن أسماء بعض المجلدين ؛ وفى الفقرة الثانية (ص ١٩٧٦) ما جاء فى العبارة الثالثة من الفقرة الأولى (ص ١٣٤) عن جلد كتاب عثر عليه الأستاذ بوب ؛ وفى الفقرة الثالثة (ص ١٩٧٦) ما جاء بالعبارة الرابعة من الفقرة الأولى (ص ١٣٤) عن الجلود المحفوظة بمتحف الفنون الإسلامية والتركية فى استامبول ، بمـا فى ذلك « جلد مصحف السلطان الجايتو » (هكذا أيضاً فى جراتزل) ، وهو كما نعلم السلطان

(٢١) فى .S. P. A ص ١٩٧٦ الحاشية رقم ١

(٢٢) Dr. Emil Gratzl, Book Covers فى S. P. A. ج ٣ ص ١٩٧٥ — ١٩٩٤

محمد خدا بنده . وبين مراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٧٦ نجد المرجع المذكور فى الحاشية رقم ١ ص ١٣٤ . وفى الفقرة الأولى ص ١٩٧٧ ما جاء فى الفقرة الثانية ص ١٣٤ من أن تيمور لنك استقدم إلى بلاطه مهرة المجلدين فى مصر والشام . وفى الحاشية رقم ١ ص ١٩٧٧ نجد المرجعين المذكورين فى الحاشية رقم ٢ ص ١٣٤ . وفى الفقرة الأولى ص ١٩٧٧ أيضاً ما جاء فى الفقرة الأخيرة ص ١٣٤ . وبداية ص ١٣٥ عن الجامع التى أنشأها شاه رُخ لفنون الكتاب . وفى الحاشية رقم ٢ ص ١٩٧٧ نجد المرجعين المذكورين فى الحاشية رقم ١ ص ١٣٥ . وهكذا ...

ومما تقدم نرى أن الدكتور أميل جراتزل قد سبق الدكتور زكى محمد حسن فى سرد الحقائق العلمية عن تجليد الكتب فى إيران ولقد كان من الواجب على الدكتور زكى أن يشير فى الفصل الذى كتبه عن التجليد إلى هذا ٦ حث لا سيما وإن البيانات والحواشى التى أوردها فى هذا الفصل ، قد جاءت — كما رأينا — بنفس التسلسل الذى جاءت به ضمن البيانات والحواشى التى كتبها الدكتور جراتزل

وإنى أود أن أكتفى بهذا القدر من ملاحظاتى على هذا القسم من متن كتاب الدكتور زكى محمد حسن وطريقة تأليفه ، ولو شئت أن أسترسل فى استعراض باقى فصول الكتاب لتبين لنا أن طريقته فى هذا القسم لا تختلف عنها فى القسم الأول

والآن ألقى نظرة سريعة على لوحات الكتاب . فأذكر للمؤلف بالثناء ، أنه أورد صوراً لبعض التحف الإسلامية الأثرية التى لم يسبق نشرها ـ أو نشرت ، ولكن ليس فى كتاب شامل عن الفنون الإيرانية مثل كتاب A Survey of Persian Hrt ـ بعضها من مجموعة معالى الدكتور على ابراهيم باشا ، وهى الأشكال ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ وتمثل ثلاث صور لتزيين الجدران ، والأشكال ٦٩ و ٧١ و ٧٣ لثلاث سجاجيد ، والأشكال ٨٥ و ٨٩ و ٩١ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٩ لتحف مصنوعة من الخزف . والبعض الآخر من مقتنيات دار الآثار العربية وهى شكل ١١١ لطائر من الخزف ، وشكل ١٣٢ لحزام من الحرير ، وشكل ١٣٦ لأبريق من البرونز مع رسمين توضيحيين له فى شكلى ١٣٧ و ١٣٨ وشكل ١٧٢ لحشوة من الخشب

ولكن المؤلف لم يشر فى متن الكتاب إلا إلى سبعة وثمانين شكلا من المائة والسبعة وسبعين شكلا التى تتضمنها اللوحات ولم يصف التحف المصورة فى اللوحات ويوضحها توضيحاً كافياً يوفر على القارئ البحث عن وصفها فى متن الكتاب ، بل ولم يذكر المؤلف مقاسات التحف المختلفة — لا فى المتن ولا فى اللوحات — لكى يتمكن القارئ من تصوير هذه التحف فى مخيلته بهيئتها وحجمها الطبيعى .

فمثلاً يقول فى وصف شكل ٩٧ فى اللوحة ٨٧ : « صحن من الخزف ، مؤرخ سنة ٦٠٧ هجرية — ١٢١٠ ميلادية ، فى مجموعة يومور فوبولوس » .

وإنى أعطى هنا وصف هذا الصحن نفسه فى S. P. A.[٢٣] للمقارنة ، صحن من الخزف ذى البريق المعدنى ، عليه رسم خسرو يكتشف شيرين مؤرخ سنة ١٢١٠ (جمادى الآخرة سنة ٦٠٧ هـ) مكتوب عليه : صنعه السيد شمس الدين الحسنى ، فى مجموعة يومور فوبولوس ، مقاس القطر ١٣ و $\frac{3}{8}$ بوصة (٣٤ سم)

هذا الوصف غير الوصف الذى أعطاه الأستاذ بوب فى متن الكتاب[٢٤] فى أثناء كلامه عن الخزف من صناعة مدينة قاشان ، كما فعل الدكتور زكى ، ذلك فى ص ١٩٦

وقد وصف المؤلف شكل ٧٥ من اللوحة ٧١ بقوله : « صحن خزفى القرن (٣ هـ — ٩ م) ، فى المتحف الأهلى بطهران » بدون ذكر نوع الصناعة ، وتكلم المؤلف فى متن الكتاب (ص ١٦٧) عن هذا « الصحن » ونسبه إلى نوع « خزف بلاد ما وراء النهر » ، ثم تكلم عنه ثانية فى ص ١٦٨ وسماه « سلطانية » ونسبه هنا إلى نوع آخر من الخزف وهو « الخزف الأبيض ذو النقوش الزرقاء والخضراء ، بينما يسميه الأستاذ بوب[٢٥] « صحن » وينسبه إلى هذا النوع الأخير فقط

ويظهر لى أيضاً أن المؤلف لم يدقق فى ترتيب بعض لوحات الكتاب ، فمثلاً رسم الصحن فى شكل ٨١ كان يجب أن يوضع إلى جانب الصحن فى شكل ٧٦ لأنهما — كما يقول بنفسه — من نوع خزف بلاد ما وراء النهر . لكى يستطيع القارئ أن يقارنهما معاً ، وأن يوضع شكل ٧٥ فيما يليهما حسب تقسيم كلام المؤلف عن الخزف

محمد مصطفى

---

(٢٣) ج ٥ لوحة ٧٠٨

(٢٤) فى S. P. A. ج ٢ ص ١٥٨٦

(٢٥) فى S. P. A. ج ٢ ص ١٤٨٣ وج ٥ لوحة ٥٧٤ ب



المجمع العلمي العربي يبعث

كان « المجمع العلمى » قد توقف عمله منذ سنوات سبع ، وقد أصدرت مديرية المعارف العامة مرسوماً ببعثه وإحيائه ، وأجمع الأساتيذ أعضاؤه على انتخاب العلامة الكبير الأستاذ كرد على بك رئيساً له ، فصدر مرسوم جمهورى بذلك

ولا شك فى أن المجمع العلمى الذى استطاع بسعى رئيسه وجهود أعضائه — فى مدة قصيرة من الزمن — أن يؤدى إلى اللغة العربية ما لم يؤده إليها كثير من الرجالات والمجامع فى مدة طويلة ، والذى رفع اسم الشرق فى ندوات المستشرقين فى الغرب سيعود إلى سيرته الأولى : فيحيى ما اندثر من آثار السلف ، ويسعى للقضاء على الدجاجلة المتجرين باللغة ، ويُعنى بانتخاب أعضاء له ممن كانت لهم فى اللغة جهود ، وفى إصلاحها طرائق ، وكان لهم على آدابها وفرائدها وأسرارها ودقائقها اطلاع ، دون غيرهم من المتطفلين ، ولو كانوا من أرباب الألقاب الجوفاء

وقد وضع له برنامج واسع ونظام دقيق ، وسننوه بهما مرة ثانية .

« دمشق » « المنجد »

مناظرات كلية الآداب

مناظرات كلية الآداب شائقة ولكنها فى دعوتها إلى التفكير أكثر منها فى ختامها للتمحيص وهذا شأن المناظرات فى كلية الآداب وفى غير كلية الآداب ، لأن المناظر شأنه غير شأن المحاضر ، ولا بد أن يتقيد بجانب الرأى الذى يدافع عنه أكثر من تقيد المحاضر بجانب خاص من جوانب الرأى وليس تمحيص الحقيقة ووضوحها فى المقارنة بين أقوال المناظرين وحدها بل هى فى التوفيق بين أقوالهما وفيما يظهره هذا التوفيق من آراء قد تسقط فى المناظرة لدفاع كل مناظر عما يدافع عنه من الرأى وتمحيص الحقيقة أيضاً فى مناقشة الجملة التى هى موضوع المناظرة وهذا ليس من شأن المناظر وفى بيان أوجه صلاحها للمناقشة وأوجه فسادها ويتضح لنا صواب ذلك إذا رجعنا إلى المناظرة التى كان موضوعها (هل يزدهر الفكر فى عهد الفوضى أم فى عهد الأمان) كما يتضح فى المناظرة التى كان موضوعها (هل يكفى التراث الشرقى ـ أو العربى ـ لتمام نضوج الذهن) . ففى المحاضرة الأولى لم يتضح من الجملة نوع الفوضى ونوع الأمان كما لم يتضح من الجملة الثانية معنى التراث ومعنى تمام النضوج فإن من الفوضى فوضى قد تكون ناشئة عن التقاء الثقافات واجتماع الحضارات ، وفوضى قد تكون ناشئة عن الحركات النفسية التى تبعث إلى التفكير ، وكلاهما قد تكون فوضى نسبية تساعد على التفكير وازدهار الثقافة . كما أن من الفوضى فوضى ناشئة عن اختلال النظام واضطراب الدولة ، والفتن والحرب التى تعم وتجعل الحياة غير موثوق من بقائها وتعطل الأرزاق وتشغل الفكر عن الفكر بالتماس طرق تأمين الحياة وطلب الرزق أولاً حتى يستطيع أن يفكر بعد أن يتهيأ له ما أراد ، ومثل هذه الفوضى تعطل أمور التفكير وتمنع من ازدهاره . ومن الفوضى فوضى قد تكون بسبب شدة العصبية للرأى ؛ فكل طائفة تريد أن تغلِّبَ رأيها ، فإذا تعدت العصبية للرأى وسيلة الإقناع إلى وسائل القهر والإلزام ، وصار النصر فى تلك الوسائل سجالاً ومداولة وتبع هذه المداولة الفتك والقتل والنهب . منعت كل هذه الأمور من ازدهار الفكر إلى أن تستقر الأمور . ومن الفوضى فوضى نسبية هى أيضاً نتيجة شدة العصبية للرأى ، ولكنها لا تلجأ إلى وسائل الفتك أو لا تدوم على تلك الحال أو لا يكون الفتك سجالاً إلى أمد طويل . وهذه قد يزدهر معها الفكر ومن الفوضى فوضى تتخللها مواطن الأمان ، أو كما يقولون جزائر الأمان ولا يراد بمعنى جزائر الجغرافى وإنما المراد مواطن أمان يطمئن فيها ويستقر إليها المفكرون إذ لا أمان فى بقاع أخرى فى الوقت نفسه فيكون ازدهار الفكر فى مواطن الأمان لا فى أماكن الفوضى ومن الفوضى فوضى لا توجد فيها جزائر الأمان فلا تساعد ازدهار الفكر والأولى مثل دويلات العهد الأخير من الدولة العباسية ودويلات مدن الإغريق ودول ملوك الطوائف فى الأندلس وغيرها ، ومن الفوضى فوضى ناشئة عن عهث

النفوس وقلة اكتراثها للجد والحق وهذه لا تعين على التفكير .
ومن الفوضى فوضى يعقبها تعمير ، وفوضى لا يعقبها إلا الخراب والإضمحلال ، وفوضى تكون فى أول نشأة الأمم والحضارات ، وفوضى فى أواخر عهدها . والأمان أيضاً أنواع ، فمنه أمان يكون فى عهد مجد الدولة وبأسها ، واستقرار أمورها ، واتساع نطاق تجارتها ونمو ثروتها ، وهو أمان يساعد على ازدهار الفكر ، وقد تتخلله حروب أو لا تتخلله ، وهذا الأمان النسبي هو كالذى كان فى عهد الأسرة الرابعة والثانية عشرة والثامنة عشرة فى تاريخ مصر القديم ، وكالذى كان فى العهد الأوجستى فى تاريخ روما ، وعهد أسرة تيودور والملكة إليصابات فى انجلترة ، وعهد لويس الرابع عشر فى فرنسا ، وعهد هارون الرشيد فى الدولة العباسية ، وعهد بركليس فى الدولة الأثينية ، وعهد عبد الرحمن الثالث فى الأندلس ، وعهد الديمقراطيات والنظم الحديثة بعد الثورة الفرنسية وبعد حروب نابليون. ومن الأمان أمان يكون معه الجمود والركود وقهر الفكر والفقر وهذا لا يعين على ازدهار الفكر .
فترى أن موضوع المناظرة الأولى لم يحدد معنى الفوضى والأمان ونوعهما. وإغفاله هذا التحديد لم يكن داعياً إلى تمحيص الحقيقة وإن كان داعياً إلى الفكر . ثم إن موضوع تلك المحاضرة قصر عوامل ازدهار الفكر أو ركوده على الفوضى والأمان ولم ينظر إلى العوامل الأخرى مثل التجارة وأنواعها ، وطرق المواصلات وأثرها ، والصنائع وأنواعها ، ومثل مصالح الحكومة ، ومثل مقدار الثروة والتعليم الخ . وإذا نظرنا إلى المناظرة الثانية وجدنا أيضاً أن معنى تمام النضوج لم يحدد ، ولم يحدد معنى التراث كما اتضح من أقوال الأستاذين الكبيرين اللذين تكلما فى المناظرة. ولكنهما كانا متفقين فى لباب الحقيقة وإن اختلفا فى الظاهر

اسماعيل أدهم

ليبيا وبرقة

تكتب الصحف فيما تنشره من أخبار عن طرابلس الغرب كلمتى : ليبيا — برقة . والكثير لا يعرف مدلولها الصحيح ويذهب به الظن إلى أن ليبيا يسمى بها طرابلس الغرب ، فلاظهار الصواب نورد ما ذكره ابن خلدون فى تاريخه . قال المؤرخ عن ليبيا : « وهى اسم قبيلة من البربر دخلت تلك الصحراء وعمرتها وهى لا تزال آثارها باقية ، وهى تعرف الآن بالتوارق » . وعن برقة : « أطلق العرب هذا الإسم على ولاية رومانية كانت تعرف عند قدماء اليونان بالقيروان نسبة إلى قورينة إحدى مدنها وهى غير مدينة القيروان التى مصرها العرب فى أفريقيا بعد الفتح . وقد كان الجزء الشمالى منها يعرف عند اليونان بينطابلس أى المدن الخمس ، لأنه كان فيه خمس مدن كبيرة ، الأولى هسبريدرس ، وقد سمّاها بطليموس الثالث « هسبريدرس برنيقة » نسبة إلى زوجه برنيقه وسماها العرب برنيق وتعرف الآن ببنى غازى . والثانية برقة وتعرف الآن بالمرج وبها سميت البلاد عند العرب . والثالثة قورينه وبها سميت البلاد عند اليونان ، ولا تزال آثارها باقية ويسميها الأعراب قورينه. والرابعة البتولونيه وتعرف الآن بمرسى سوسه . والخامسة توخيره أراسينوى وتعرف الآن بتوكره ونشأ فيها فى زمن البطالسة مدينتان أخريان وهما بطلمايس وتسمى الآن طوليطة ودونيس دوربنا وتعرف الآن بدرنة . وكل هذه المدن على الساحل ما عدا برقة وقورينه فإنهما على بضعة أميال منه . هذا ما أثبته ابن خلدون ومنه يعرف أن ليبيا ليست اسماً لطرابلس الغرب .

أبو القاسم سعيد البارونى
الطرابلسى

تأبين الأستاذ فؤاد بليبل

لا تزال أندية الأدب ومجالس الشعر تردد عبارات الأسف على فقد الشاعر الشاب فؤاد بليبل ، وتجدد فى كل مناسبة أساها على فجيعة الشعر فيه ، فقد كان المتصلون به والقارئون له يعتقدون أن سيكون له فى الشعر الوجدانى أثر مذكور بفضل ما وهبه الله من صدق الشعور وصفاء النفس وعذوبة الروح واستكمال الأداة . والحق أن الحياة القصيرة المضطربة التى حييها فؤاد كانت أشبه بأغرودة البلبل الجريح أدركه الإعياء قبل أن يسكن إلى عشه

وقد فكر لفيف من أصدقائه أن يقيموا له حفلة تأبين يوم الأحد ٤ مايو سنة ١٩٤١ بنادى لبنان فى شارع توفيق رقم ١٢ ولا شك فى أن هذه الحفلة ستكون مظهراً صادقاً لما يكنه إخوان الأدب والروح من الفجيعة واللوعة لهذا الفقيد الكريم

أخطاء فى كتاب

للأستاذ محمود مصطفى أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية كتب فى الأدب يفرض تدريسها على الطلاب. من هذه الكتب كتابه فى «الأدب العربى وتاريخه، فى عصرى صدر الإسلام والدولة الأموية»، وقد تصفحنا هذا الكتاب فعثرنا فيه على أخطاء خطيرة نحب أن نلفت إليها أستاذنا الجليل ليتلافاها فى الطبعة المقبلة، كما نحب أن نلفت إليها زملاءنا الطلاب وجلهم بحمد الله من المشتركين بمجلة الرسالة الغراء.

يقول المؤلف فى ص ٣٥ «وقوله — يريد النبى صلى الله عليه وسلم — لأبى تميمة الُجهَيْمى: «إياك والمخيلة» فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة؟ فقال عليه السلام: سَبَلُ الإزار»

والصحيح أن النبى قال هذا لجابر بن سليم الُهجَيْمى، لأن تميمة تابعى وليس بصاحبى حتى يخاطب

ويقول المؤلف فى ص ١٢٧ مفسراً بيت حسان:

كلتاهما حلب العصير فعاطنى   بزجاجة أرخاهما للمِفصَل

«كلتاهما: كلا الماء والخمر. والمعنى فى البيت أن الماء والخمر ناتجان عن عصر شىء؛ فالماء عن عصر السحاب، والخمر عن عصر العنب»... وهذا التفسير خطأ «أولاً» لأن (كلتاهما) للمثنى المؤنث والماء مذكر والمعروف تغليب المذكر على المؤنث «ثانياً» لأنه قال «أرخاهما» للمفصل وأرخى أفعل تفضيل يقتضى المشاركة مع أن الماء لا إرخاء فيه أصلاً. «ثالثاً» لأنه قال كلتاهما حلب العصير والعصر إذا أطلق انصرف إلى عصير العنب...

والصحيح: كلتاهما التى قتلت والتى لم تقتل فى البيت الذى قبله وهو:

إن التى ناولتنى فرددتها   قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تقتل

وهكذا روى الأغانى وخزانة الأدب وشرح ابن هشام لبانت سعاد

ويقول المؤلف فى ص ١٧٥: «... فقد قيل: إن عمرو ابن العاص لما رأى مكتبة الإسكندرية أرسل يخبرها إلى عمر. فقال له: إن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى وإن كان فيها ما يخالفه فلا حاجة إليه، فتقدم بإعدامها: فأحرقها عمر»، وهذا كلام يكذبه المؤرخون... ويعتمدون على أن إحراقها كان قبل الفتح...

ويقول المؤلف فى ص ١٧٨: «فقد ذكروا أن عبد الله بن المقفع اعترف بأنه دس على المسلمين أربعة آلاف حديث»... والصحيح أنه لم يكن محدثاً، ولم ينقل أحد عنه ذلك، ولم يرو حديثاً واحداً قط لا صادقاً ولا كاذباً

ويقول المؤلف فى ص ١٨٢: «عمران بن حطان السدوسى شاعر فصيح من الشراة، وكان فى آخر أيامه من القعدة... لأن عمره طال فضعف عن القتال، فكان يدعو بلسانه»

وهذا التعليل نقله المؤلف عن جورج زيدان وهو خطأ... ولم يكن عمران فى آخر أيامه من القعدة كما ذكر. والقعدة فرقة من الخوارج كانوا يرون التحكيم بين علىّ ومعاوية، ولكنهم قعدوا فلم يقاتلوا...

ويقول المؤلف فى ص ٣٠٨ مترجماً لجرير: «ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ فى خلافة عثمان»، وهذا خطأ، لأن عثمان توفى سنة ٣٥ هـ

ويقول المؤلف فى ص ٣٠٩: «وما زال جرير بالبادية حتى قال الشعر. ثم قدم الشام على يزيد بن معاوية وهو ولى العهد، ومدحه بقصيدة منها:

وإنى لعفُّ الفقر مشترَكُ الغنى
سريع إذا لم أرض دارى انتقاليا... الخ

والصواب أن هذه القصيدة قالها جرير يرد بها على الفرزدق قصيدة على وزنها ورويها وهما معاً فى النقائض، وليس فيها بيت واحد فى مدح يزيد... والصواب أيضاً أن جريراً لم يقدم على يزيد بالشام إلا وهو خليفة...»

وبعد، فنحن نقدر الأستاذ محمود مصطفى ونجله، ونعتقد أنه من الأساتذة العاملين فى كلية اللغة العربية، وما قصدنا بهذه التصحيحات إلا خدمة الأدب، وخدمة الكتاب، وخدمة الطلاب الذين سيمتحنون فيه آخر العام

عبد العليم عيسى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 407

Lundi - 21 - 4 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٤١ » العدد ٤٠٧

الفهـــرس

صفحة
٥٤٩ المبـالاة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٥٥٢ القرآن والمسلمون ... ... : الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
٥٥٥ بيني وبين الأستاذين فكري أباظة وتوفيق الحكيم } الدكتور زكي مبارك ... ...
٥٥٨ في النقـد ... ... : الأستاذ جليـل ... ...
٥٦٠ على ذكر المولد النبوي ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٥٦١ نظرة في مناظرة ... ... : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٥٦٤ من آثام الربيع [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٥٦٥ أومن بالانسان ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٥٦٨ كتب جـديدة ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٥٧١ مساجلات ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٥٧٢ في اللغـة ... ... : الأستاذ الـكبير (ا . ع)
٥٧٣ حـول الدين والفلسفة ... : الأستاذ محمد يوسف موسى
إلى الأستاذ عبد المنعم خلاف : الأستاذ بشير صادق ... ...
٦٧٤ عطر المنصور ... [قصة] : الأستاذ رفعت فتح الله ...

٢٩ - ١٦

المبـــالاة

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إليّ الأديب صاحب الإمضاء من خطاب يقول فيه بعد تمهيد :

« إن الإنسان يفيد دائماً من التجارب المادية . فالأطباء مثلاً يهتدون بالتجارب الماضية ويطبقون في فهم آخر ما يصل إليه العلم ؛ ومن ثم كان التقدم الملحوظ في الطب وسائر العلوم والفنون والآداب . فلماذا لا تسير الأمور كذلك في معالجة المشاكل النفسية ؟ أريد أن أقول إن الإنسان - كل إنسان - لا يريد أو لا يستطيع أن يطبق القاعدة السابقة على مشاكله النفسية . فمثلاً حدثنا الكثير من الفلاسفة والكتاب عما انتابهم من أزمات منها ما أخافهم أو أيأسهم أو آلمهم ، ثم أردفوا ذلك بأن وضعوا تحت أعيننا تجاربهم وتجاوزهم هذا الطور إلى طور آخر ... وعندنا مثلاً أقرب هو صديقكم المازني الذي كتب كثيراً مصوراً ما كان يلح عليه في شبابه من يأس وخوف ، محاولاً أن يقنعنا أن كل ذلك كان عبثاً لا طائل تحته ، وأن الإنسان يستطيع أن يعيش دون أن يكون بحاجة إلى شيء من ذلك ... فلماذا لا يعتبر الشباب بقول المازني فيأخذ الحياة من حيث انتهى ، ويقضي شبابه في أنس وراحة وسعادة ؟ لماذا يأبى

كل امرىء إلا أن ينهج فى حياته على طريقته الخاصة ، فيقبل على ما يسلمه للخوف والشقاء ويمج فى الألم واليأس ؟ ... وأريد أن أقول أيضاً : إذا قيض للانسان أن ينتفع بتجارب غيره النفسية على النحو الذى ينتفع به فى التجارب المادية ، أيكون هذا رقياً وازدهاراً ، أم عندئذ تنتفى الحياة ؟ »

وبعد إسهاب فى هذا المعنى يقول الأديب : أرجو أن يتيح لنا الأستاذ ساعة نهرب فيها من حديث السياسة والحرب ونأنس به فيها إلى ظل الأدب الوريف ، وأن يكون ذلك على صفحات « الرسالة » ، فإنى من قرائها المدمنين

« دمنهور » صبوح المسيرى

ويحضرنى فى الإجابة عن هذه الأسئلة قول الكاتب الإنجليزى الحديث ستيفنسن Stevenson إننا حين نقول للشاب : هكذا أيضاً كنا نفهم فى شبابنا فنحن نؤيده ولا نفنده بهذه الحجة !

وهو قول حق نافذ إلى اللباب ؛ لأننا ندل به على أن هذا الفهم الذى ننقده ونحاول أن نثنى الشباب عنه إنما هو من طبيعة الشباب التى لا محيد عنها ولا استثناء فيها . فكل شاب إذن خليق أن يفهم الأمور كما فهمها الشاب الذى نلومه ونهديه إلى خطئه !

وهكذا يسألنا الأديب : لماذا لا يعتبر الشاب بقول صديقنا المازنى فيأخذ الحياة من حيث انتهى ويقضى شبابه فى أمن وراحة وسعادة !

والجواب أن صديقنا المازنى نفسه لو عاد إلى الشباب لما اعتبر هذا الاعتبار ولا سلك فى الحياة إلا المسلك الذى عدل عنه بعد حين

وخيراً تصنع الحياة إذ تجعل كل حى مستقلاً بحياته عن التجارب النفسية التى جربها سابقوه . فليس من الحياة أن يعيش الإنسان عالة على شعور غيره ، وليس هذا بالمستطاع لو حسن أن يكون

وفرق شاسع بين المعلومات والتجارب النفسية فى هذا المجال، فإننى لا أستطيع أن أعرف وحدى جميع المعارف الإنسانية التى عرفها السابقون وأضاف إليها اللاحقون ما أضافوه ؛ ولكنى أستطيع أن أجرب وحدى ما جرّبه كل فرد وحده ، ولا خسارة على فى ذاك !

لا بل الخسارة كل الخسارة فى تركى إياه يشعر « بالنيابة » عنى والنائب لشعورى أنا معتمداً على ما جرّبه واهتدى إليه . أما المعلومات فيكفى أن تنتقل إلىّ ليصبح نصيبى منها ونصيب من عرفوها جميعاً على قدر سواء ، فلا خسارة فى انتقالها من جيل إلى جيل

وينبغى أن نذكر هنا أن التجربة ليست مسألة فهم ولكنها مسألة رياضة

فالحصان الوحشى الذى تربطه بالقيود وتقيم من حوله الموانق لتمنع جماحه وتسلس قياده لا يثوب إلى السلاسة لأنه فهم أنها خير من الجماح ، أو وازن بينهما موازنة فكرية فاختار أفضلهما فى الرأى والمنطق ؛ ولكنه « ريض » على حالة لا يستطيع غيرها ولو فهم أن غيرها هو الصواب

ولو كانت التجارب مسألة فهم لما استعصى خطبها على أحد، فإن حكمة الحكماء الذين قالوا إن « الصبر مفتاح الفرج » تفهم لفظاً ومعنى فى لمحة عين ، ولكن النفس لا تراض عليها قبل سنين حافلة بالحوادث والدروس ؛ وقد تمضى السنون ولا تبلغ بها مبلغ الرياضة على تلك الكلمات الثلاث !

إن الأقدمين قد أكلوا فشبعوا . فهل نشبع نحن لأن الأقدمين قد عرفوا الشبع من قبلنا دون أن نأكل كما أكلوا ؟

إذا جاز هذا جاز مثله أن نشبع من الحوادث والتجارب دون أن « نأكلها » كما أكلها الذين من قبلنا

ولكنهما خطتان بمنزلة واحدة من البعد والاستحالة : فألوف الألوف لا يشبعونك بما تناولوا من غذاء ؛ وألوف الألوف لا يعطونك التجربة التى تناولوها من حوادث الأيام ؛ وإنما الشبع شىء لا تناله إلا بما تعمله وظائف جسمك ؛ وكذلك التجربة شىء لا تناله إلا بما تعمله وظائف نفسك ، ولو رأيت أمامك كل المجربين وسمعت وصف التجارب من كل لسان مبين

والرجل بمفرده قد يجرب الحالة الواحدة على أنماط وألوان لا يحيط بها الإحصاء ؛ فيخونه عشرة أصدقاء ولا تحذره إحدى هذه الخيانات أن يستهدف لغيرها لأنها مختلفة المنحى والنتيجة .

ويحب عشر نساء ولا تعطيه إحداهن ما تعطيه الأخريات . ويسافر إلى القطر الواحد مرات ثم يعود من كل مرة بتجربة جديدة لا تنسخ ما قبلها ولا تنسخها التي تليها

وهذا معنى التجربة ، وهذا معنى الحياة

والأصل في الحياة المبالاة بالحوادث والمؤثرات ، لأن الكائن الحي كجهاز التلقي والإرسال الذي لا ينعزل مما حوله ولا تنقطع الصلات بين العالم الخارجي وبينه . فإذا انتهى به الأمر إلى تجاهل الحوادث وقلة الاكتراث لها فتلك ضرورة طارئة تراض عليها النفس بعد معالجتها وتكرير علاجها ، ثم يكون الاستقرار عليها بمثابة الصدأ الذي يمنع الاتصال ، فلا تلقٍّ ولا إرسال ، أو يكون على أحسنه بمثابة رفع المفتاح وتعطيل الأداء والاستقبال

وربما فهم ذلك في بعض مراحل الحياة التالية ؛ أما الابتداء به في المراحل الأولى فغير مفهوم ولا معهود ، إلا أن يكون عن نقص في التكوين وعجز عن التجربة ما يراد منها وما لا يراد

قيل إن السعيد من وعظ بغيره . ولكن أين هو السعيد ؟ وما جدواه من السعادة إن كان اتعاظه «شعوراً» غير أصيل فيه ! أما إن اتعظ أصيلاً في شعوره فهو هنا مبتدئ وليس بتابع ، وهو يجتنب الخطر لأنه أحسه واختبر منه ما يدعوه إلى اتقائه . فليس هو بعالة على تجربة غيره ، وليست تجربة غيره إلا تذكيراً لناسٍ أو تنبيهاً لغافل

ولنتخيل عالماً يستريح الناس فيه من «المبالاة» فماذا يبقى لهم من الحياة ؟

ماذا يبقى من الحياة لمن لا يبالون الخوف والرجاء ولا يحنون إلى ماض ولا يتوقون إلى غد ولا يحفلون بحاضر ؟

العريان في القافلة مرتاح

وهذا عرى في قافلة الحياة !

ولا شك أن التجارب تعلمنا كثيراً أن العناء لا يفيد ، ولكن من هذا الذي يعاني باختياره ؟ ومن هذا الذي يعاني لفائدة يلتمسها من عنائه ؟

إنما يعاني الإنسان على حسب ما عنده من طاقة العناء لا على حسب ما يستفيده من العناء

ولهذا يوجد بين الناس آحاد معدودون يطلبون العظائم ويبلغونها ولا يقنعون بما بلغوه منها ، وينظر إليهم ملايين الآخرين فلا يتحركون لمثل ما ابتغاه أولئك الآحاد المعدودون ، لأن المحرك هنا هو الطاقة الموجودة وليس هو الفائدة التي لم توجد بعد ولا يُضمن وجودها

إن كرة المطاط تنضرب إلى الأرض مائة مرة ولا تزال تعلو وتسفل في أثر كل ضربة . ثم تنضرب بعد هذا فتقع حيث هي لا علو ولا استفال . ألأنها علمت أن العلو لا يفيد ؟ كلا . . . بل لأنها أضاعت مرونتها التي تعلو بها وتهبط . . . فمن الذي يطلب من الكرات الجديدة أن تعتبر بمصير هذه الكرة «المجربة» فتقع حيث هي وتضيع من مرونتها باختيارها ما ضاع «بالتجربة» على غير اختيار ؟

ولست أقول للكرة التي سكنت إلى موضعها : غالطي الحقيقة وعاودي الوثوب وقد راضتك الحوادث على اجتنابه ! ! ولكني أقول للكرة الجديدة : إياك أن تغالطي الحقيقة وأن تسكني لأن غيرك قد سكن من قبلك . بل اسكني حين يواتيك السكون ولا تقدرين على غيره ؛ واطلعي وانزلي ما دامت لك طاقة بالطلوع والنزول

فقلة المبالاة لا قيمة لها إن لم تأت بعد مبالاة ، لأنها تكون يومئذ مرضاً أو قصوراً لا يغبط عليه . ولا بد إذن من مبالاة ولو قصيرة الأمد قبل أن تصبح قلة المبالاة تجربة نفسية ورياضة خلقية . وليس شرطاً مع هذا أن تكون تلك التجربة مما يحمد على كل حال ، وأن تكون تلك الرياضة مما يقتدي به كل إنسان

وغاية ما يرجى من انتفاع بتجارب من مضى أن نعيد تجربتها في وقت أقصر وعلى ثقة أوضح وأبصر . . . ولم ؟ ليتسع العمر لتجارب أكثر مما جربه الأولون ، لا لينقص نصيبه من التجربة اكتفاء بما جربوه

فتكرر الأجيال عبث إذا كان معناه أن جيلاً واحداً يعالج مشكلات الحياة ثم تعفى بقية الأجيال من علاجها . وتكرر الأجيال معقول إذا كان لكل جيل نصيبه من عبء الحياة وعليه مزيد جديد .

عباس محمود العقاد

القرآن والمسلمون

للأستاذ الشيخ محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة

إن خير حديث يتحدث به المسلمون بعضهم إلى بعض في هذا الشهر الذي يذكرون فيه ميلاد نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، هو ما يتصل بهذه المعجزة الخالدة التي أظهرها الله على يد هذا النبي الكريم، وبها حول العالم من سبل الشر والشقاء، إلى سبل الخير والسعادة

وإن الحديث فيما يتصل بالقرآن الكريم لكثير النواحي. متشعب الأطراف. وقد رأينا أن يكون حديثنا في ناحية من هذه النواحي هي علاقة المسلمين بالقرآن في عصورهم المختلفة، وذلك ينتظم:

(١) القرآن والمسلمون في العهد الأول
(٢) القرآن والمسلمون في العصور التالية
(٣) القرآن والمسلمون في العهد الأخير

وقد رأينا تمهيداً لعرض الموضوع الذي نحاوله أن نقدم بين يديه ما يجلي لنا الغاية التي من أجلها نزل القرآن، والفكرة التي يعمل لاقرارها في هذا العالم.

مقدمة

ا — كان الناس قبل القرآن في عقائدهم وأعمالهم على طرفين متناقضين: إما الأفراط أو التفريط؛ وكلا الفريقين بعيد عن جادة الاعتدال. فبينما كنت ترى فريقاً عكف على المادية البحتة، وشغف بها حتى جرت منه مجرى الدم في العروق، وحرص على تنمية عواملها، وتوطيد وسائلها، وحرم نفسه تذوق اللذة الروحية، إذا بك ترى فريقاً آخر قد نزع إلى الطرف المقابل، ونسي حظه المقدر له في المادة بمقتضى خلقه وتكوينه، فتحكمت فيه تقاليد الروح المحضة، وأعرض عن الدنيا وما فيها، وحرم نفسه متاعها ومباهجها

هذان هما الفريقان المتقابلان يستظل أولهما بظل اليهودية أو الوثنية، ويستظل الآخر بظل المسيحية أو الصابئية أو نحو ذلك

ب — إن انقسام هاتين الفكرتين للعالم على هذا النحو، أو طغيان إحداهما على الأخرى، من شأنه أن يحول بين الناس وبين القيام بواجبهم الذي من أجله خلقوا، وجعلهم الله خلفاءه في أرضه: ذلك الواجب هو عمارة الكون والانتفاع بما خلق الله فيه من شيء، والسمو بالعقل الإنساني على وجه يسعد به الناس في معاشهم ومعادهم؛ ذلك الواجب هو الذي تضمنته الآية الكريمة في بيان حكمة هذا الخلق

« هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً. ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم. وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون! »

ج — جاء الإسلام وهاتان الفكرتان تقتسمان العالم وتسيطران عليه. فحدد غاية الإنسان في الحياة وأرشده إلى مقوماتها الصحيحة، وأهاب به إلى الفكرتين جميعاً، وحثه على قصد الجادة والاعتدال، وطلب إليه أن يأخذ في كل ناحية بقسط ملائم حتى تتحقق له السعادة على أكمل وجوهها . . .

أوسع له في ضروب القول مستدلاً على عقم المادية البحتة بأنواع الاستدلال، وأخذ يصورها أمامه بأبشع الصور، واتجه به إلى كثير من مواطن الحياة، وحثه على استكمال حاجته منها؛ ونعى على الروحية المحضة، وجعلها من الأساليب التي تنافر الغاية من خلقه لعمارة الكون وخلافته عن رب العالمين

إقرأوا — إن شئتم — قوله تعالى في التنفير من المادية البحتة:

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو، وللدار الآخرة خير للذين يتقون. أفلا تعقلون؟ »

واقرأوا قوله تعالى في الحث على ترك الروحية المحضة:

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها »

واقرأوا قوله تعالى في الحث على الأخذ بالنصيبين:

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض »

« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »

جاء القرآن لهذا الغرض : مهمته أن يبلغ العقل البشرى رشده ، وأن ينتفع الناس بالصالح من المادة والمفيد من الروح

وقد اتخذ هذا الاعتدال نهجاً له فى إصلاح العقائد وتهذيب الأخلاق وترسيخ قواعد التنظيم الاجتماعى ، وصرح فى كثير من آياته بأنه يعمل على إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى الطريق الأقوم ، وينذرهم سوء العاقبة ، ويبشرهم بالحياة الطيبة إذا هم تمسكوا بعبادته وعملوا بإرشاداته ، وحرصوا على تنفيذ أحكامه

واقتضت حكمة العليم الخبير أن يكون بعضه مفصلاً وبعضه مجملاً : يفصل ما لا تختلف فيه أغراض الإصلاح ، ولا تتغير فيه وجوهه بتغير الأزمان والأمكنة ، وذلك ما يرجع إلى العقائد والأخلاق ورسوم العبادات ، ويجمل ما تختلف أحكامه بحسب ما تقتضيه أحوال الزمن وتطورات الحياة واختلاف الأمكنة ، تاركا للعلماء تطبيق ذلك على الحوادث والواقعات الجزئية التى يجود بها الزمن

وذلك كله عملاً على سعادة البشر ، وإطلاقاً لسراح العقل ، وحثاً لأهل البصيرة على التمتع بلذات النظر والتنافس فى مجال الاجتهاد

عالج القرآن بذلك العلل النفسية والأمراض الخلقية ، وحل المشاكل الاجتماعية ، ورسم طريق الحياة الطيبة الصالحة فكان كما وصف نفسه :

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »

« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »

« تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً »

القرآن والمسلمون فى العهد الأول :

على هذا الأساس آمن الأوائل من المسلمين بالقرآن ، فوضعوه بالمحل الأول من مكانة التقديس والعناية ، وسلموا إليه نفوسهم ، وتركوه يتصرف فيها بالتزكية والتطهير والتعليم والحكم والسياسة وسائر شئونهم ، العامة والخاصة ، الداخلية والخارجية ، حتى اتسعت أمامهم مسالك الحياة وانفسحت رقعة المملكة الإسلامية طولاً وعرضاً ، فما احتاجوا وهم يقلبون القرآن بين أيديهم ، ويفهمون آياته الواضحة ، وإشاراته الواردة على سَنن اللغة العربية القويم ، إلى قانون سياسى أو مدنى ، ولا إلى نظريات الآداب والأخلاق ، بل كانوا كلما تقدمت بهم الحياة ونظروا فى القرآن ، رأوا فيه حاجتهم ، واستفادوا منه أكبر ما تطمح إليه النفوس الوثابة المتطلعة إلى عز الدنيا ومجد الحياة !

حصروا نظرهم إلى القرآن فى الفهم والاتعاظ وتنفيذ الأوامر واجتناب النواهى ، وأخذوا ينشرون ما يفيضه عليهم من أصول التشريع وقوانين الأخلاق والاجتماع على سائر المسلمين فى جميع بقاع الأرض شرقاً وغرباً ، فوحد القرآن بينهم حول الغاية التى لأجلها نزل . وما كانوا ليتجهوا أو ليحاولوا أن يخرجوا بشىء من آى القرآن كلا أو بعضاً عن هذا النهج : نهج العمل ، وتهذيب الخلق ، وإصلاح العقيدة

ما فكروا يوماً فى أن القرآن يبرئ لهم مريضاً ، أو يرد عنهم غائلة عدو ، أو يكشف لهم عن معضلة كونية إلا عن طريق ما أمر به من اتخاذ الأسباب ، وقدح زناد العقل ، والسلوك فى الحياة على ما تقتضيه سنة الحياة .

بهذا سار المسلمون الأولون ، وعظم سلطانهم ، وتربت مهابتهم فى قلوب الأمم ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

وبهذا حافظوا على وحدتهم فلم يتفرقوا فى العقائد ، ولم تشتتهم الأهواء والمذاهب ، وسلم لهم دين الله وكتابه خالصين متينين لم تلعب بهما الشهوات ، ولم يتطرق إليهما عوامل الأحداث والابتداع

القرآن والمسلمون فى العهود التالية

مضى ذلك العهد ، وقد اتسعت بفضل القرآن وتأثيره فى النفوس رقعة الإسلام ، وامتد سلطانه ، ودخلته حضارات وثقافات وعناصر مختلفة وأمم متباينة ، فبدأت عوامل التفكك تتسرب إلى الوحدة الإسلامية

حدثت بدعة الفِرق، والتطاحن المذهبي، والتشاحن الطائفي، وأخذ أرباب المذاهب وحاملو رايات الفرق المختلفة يتنافسون فى العصبيات المذهبية والسياسية ، وامتدت أيديهم إلى القرآن، فأخذوا يوجهون العقول فى فهمه إلى وجهات تتفق وما يريدون

وبذلك تعددت وجهات النظر فى القرآن ، واختلفت مسالك الناس فى فهمه وتفسيره ، وظهرت فى أثناء ذلك ظاهرة خطيرة هى تفسير القرآن بالروايات الغريبة والإسرائيليات الموضوعة التى تلقفها الرواة من أهل الكتاب وجعلوها بياناً لمجمل القرآن وتفصيلاً لآياته ، ولم يروا بأساً من أن يضيفوا إليه خصائص موهومة فى شفاء الأمراض وقضاء الحاجات وتفريج الكربات

ومنهم من عنى بتنزيل القرآن على مذهبه أو عقيدته الخاصة ، وبذلك وُجدت تحكمات الفقهاء والمتكلمين وغلاة المتصوفة وغيرهم ممن يروجون لمذاهبهم ويستبيحون فى سبيل تأييدها والدعاية لها أن يقتحموا حمى القرآن ، فأصبحنا نرى من يؤول الآيات لتوافق مذهب فلان ، ومن يخرجها عن بيانها الواضح وغرضها المسوقة له لكيلا تصلح دليلاً لمذهب فلان ، وبهذا أصبح القرآن تابعاً بعد أن كان متبوعاً ، ومحكوماً عليه بعد أن كان حاكما

كانت هذه ثورة ، وثورة غير منظمة ، عقدت حول القرآن غباراً كثيفاً حجب عن العقول ما فيه من نور الإرشاد والهداية . وكان من سوء الحظ أن صادفت هذه الثورة عهد التدوين ، فحفظت ودونت كثير من الآراء الباطلة فى بطون الكتب ، وأخذت بحكم الأقدمية ومرور الزمن نوعاً من القداسة التى يخضع لها الناس ، فتلقاها المسلمون فى عصور الضعف الفكرى والانحلال السياسى كقضايا مسلّمة وعقائد موروثة لا يسوغ لهم التحلل منها ولا الاعتداء عليها ولا التشكيك فيها

قيد هذا التراث المقول والأفكار بقيود جنت على الفكر الإسلامى فيما يختص بفهم القرآن ، والانتفاع بهداية القرآن ، فجمد الناس على تقليد هذه الكتب ، واتخذوها حكما بينهم ، واعتقدوا كل ما فيها من غير تمييز بين حق وباطل ونافع وضار ، واعتقدوا أنه لا يصح لمؤمن أن ينكر شيئاً منها ، وقالوا : هذا شىء درج عليه السابقون المتقدمون ، ودونوه فى كتبهم ، وشرحوا به كتاب الله ، وتلقته الأمة بالقبول ؛ وما كان لنا ، ولسنا بأعلم منهم بالدين ، ولا بأبعد نظراً فى فهم أساليب القرآن وتخريج الأحكام ، أن نحيد عما تلقيناه منهم قيد شعرة ، ولا أن نخالفه فى قليل ولا كثير

وبذلك أسلموا عقولهم إلى غيرهم ، وجنوا على أنفسهم بحرمانها لذة التفكير ، وجنوا على دينهم باعتقاد أن هذه الأوهام من الدين

وكما أفسدت عليهم هذه النزعة حياتهم الفكرية ، وصورت لهم دينهم بهذه الصورة المشوهة ، جنت كذلك على حياتهم العملية فتركتهم يزهدون فى الدنيا ، ويكبلون الناس بما يفهمونه من معنى القضاء والقدر ، ويكلونهم إلى التوكل الجاف الذى لا يعتمد الأسباب ! وبذلك افتقر المسلمون والناس من حولهم أغنياء ، وضعفوا والناس من دونهم أقوياء ، وحيل بينهم وبين الأخذ بالأسباب على حين سخر الناس السماء والأرض والجو والماء !

« البقية فى العدد القادم »

محمود شلتوت

المسألة الاجتماعية فى مصر والشرق

بينى وبين الأستاذين
فكرى أباظة وتوفيق الحكيم
للدكتور زكى مبارك

كنت توهمت أن طول عهدى بالصحافة السياسية والأدبية جعلنى أعرف الناس بأساليب الجدال ، وأقدرهم على الفهم لمذاهب الصحفيين فى إقرار الحقائق وإزهاق الأباطيل

وكنت توهمت أيضاً أن الصحافة تَهدِى الجمهور ، وإن كان الظاهر يلوّح بأنها تستهديه ، فقد كان مفهوماً عندى وعند أكثر الناس أن الصحافة قوة نورانية تبدّد الظلمات ، وتأخذ بيد المجتمع إلى درجات التقدم والارتقاء

كنتُ وكنت ، إلى أن تلقيت عن الأستاذ فكرى أباظة درساً لن أنساه ، فما هو ذلك الدرس ؟

كان الأستاذ توفيق الحكيم نشر مقالاً فى مجلة المصور عن الإصلاح الاجتماعى ، وقد صرّح فى ذلك المقال بأن المجتمع المصرى سيظل فى انحطاط ما دام فى مصر جماعة من الأغنياء يستأثرون بمصادر الخيرات ؛ ثم قرّر أنه لا نجاة لمصر إلا يوم تصبح « المسألة الاجتماعية » فى قوة « المسألة السياسية » ، فتسبب إسقاط الوزارات ، وتقدّم وتؤخر فى مراكز الأحزاب

وقد رأيت مقال الأستاذ توفيق الحكيم ضرباً من الحديث المعاد ؛ فقد مضت أجيال والناس يتحدثون عن « اليوم الموعود » : اليوم الذى توزّع فيه أموال الأغنياء على الفقراء . وانتظارُنا لذلك اليوم سيطول ، فمن الخير أن نفكر فى إسعاد الفقراء بطريقة عملية ، فندرس أسباب الفقر لنقتلع جذوره من الأساس . ثم رأيت أيضاً أن الكلام عن « المسألة الاجتماعية » ليس إلا « بضاعة أجنبية » فهو منقول عن جماعة من الكتّاب الأوربيين والأمريكان ، وما يقال فى الغرب لا يصلُح دائماً لأهل الشرق

وسارعتُ فأرسلت مقالاً إلى المصور فى تقرير هذه المعانى . وفى العدد الذى تلا ظهور المقال رأيت الأستاذ فكرى أباظة يتبرأ منى ، ويعلن أنه تلقى مئات الرسائل فى تفنيد ما رأيت ، وأنه سيتولى الرد علىّ فى العدد المقبل ؛ فكان رده تحريضاً للجمهور على الكاتب الذى توهمّ أن الأستاذ فكرى أباظه رجلٌ يحترم حرية الرأى ؛ فرددت عليه بمقال أعلنت فيه أن « الفقر مرض ، ولكل مرض أسباب » ، فعاد فقرّر أن الرسائل التى وردت فى الرد علىّ بلغت الألف عدّاً . ثم وجّه إلىّ كلمات لا يليق صدورها عن زميل كنت أراه غاية الغايات فى رعاية أقدار الزملاء

واليوم ، ماذا أريد أن أصنع ؟ ؟

أريد أن أحرر الأستاذ فكرى أباظة من الاستعباد للرسائل التى تُعدّ بالمئات أو بالألوف ، فقد يخاف على « المصور » من غضبات القراء ، وأنا أحب أن تدوم عليه وعلى مجلة « المصور » نعمة العافية ، فهو صديق وهى صديق ، وإن لقِيت منه ومنها ما لقيت ! !

أريد أن أختبر قدرة الأستاذ فكرى أباظة على الأبحاث التى تحتاج إلى تعمّق واستقصاء ؛ فقد رأيته يتنقّل تنقّل الطير من فَنَن إلى أفنان ، ورأيته لا يصبر على « الطعام الواحد » غير أوقات تُعدّ بالآحاد ، وهو يدرك مَرَدّ هذه الإشارة فى الأدب والتاريخ

أما الأستاذ توفيق الحكيم فقد خرج بالصمت عن لا ونعم ، ولكنى سأعرف كيف أسوقه برفق أو بعنف إلى شرح مذهبه فى الإصلاح الاجتماعى ، إن كان فى اعتناق ذلك المذهب من المؤمنين ؛ فأنا أخشى عليه عواقب التودد إلى القراء بأساليب يغلب عليها الترفق المصنوع

وأنا لا أخاف على « الرسالة » كما خاف الأستاذ فكرى أباظة على « المصور » ، فالقراء لن ينصرفوا أبداً عن مجلة تواجههم بالصدق فى تشريح الآراء والأهواء(1) . ولو كنت أعرف أن مجلة المصور ستخذلنى لطويت عنها رأيى ، وتركتها تتودد إلى القراء ، كما تشاء !

أخذ الأُستاذ فكرى أباظة يبدئ ويعيد فى التوجع لمصاير الصناع والعمال والفلاحين ، كأنه يتوهم أن التوجع شفاء من كل داء !

نحن لا نريد أن نقيم اللاطم والمناحات على ما صرنا إليه ، وإنما نريد أن ندرس جميع الظواهر الاجتماعية بصدق وإخلاص ، وإن غضب علينا بعض من لا يفقهون

(1) رأى الرسالة فى الفقر والفقراء معروف

فهل يخرج الأستاذ فكرى أباظة على مذهبه المألوف فى تقييد الخواطر اليومية ليلقانى على صفحات الرسالة وقد استعد لنضال شريف سيعود على المجتمع بالنفع الجزيل ؟

لقد نهانى الناصحون عن هذا الموضوع الشائك ، وقالوا إن فى مصر تياراً من الحقد على الأغنياء ، وإن من العقل أن أساير ذلك التيار ، كما يصنع الأستاذ فكرى أباظة والأستاذ توفيق الحكيم

وأقول إنى أقاوم ذلك التيار لمنفعة وطنى ، فالوطن الغالى يناشد أبناءه جميعاً أن يعيشوا فى تعاون وتساند ، وهو يدعو الفقراء إلى الفرح بسعادة الأغنياء ، كما يدعو الأغنياء إلى البرّ بالفقراء . ولن يعطف الله على الفقير إلا يوم يفرح بحلول النعمة على جاره المسعود ، والفقير الذى يفرح بفرح جاره الغنى هو الصورة الصحيحة للأدب الذى دعانا إليه الأنبياء

أما بعد فما هو أصل الخلاف ؟ يقول الأستاذ فكرى أباظة : إنى حملت على الفلاحين والفقراء . لا ، يا صديقى ، وإنما كان رأيى أن الفقر الذى يعانيه بعض الفلاحين والعمال والصناع له أسباب ، لأن الفقر فى الجيب كالعلة فى الجسم ، ولكل نتيجة مقدمات

فما وجه الخطأ فى هذا القول ؟ وهل من الصحيح أن جميع الفلاحين والعمال والصناع منزهون عن الأغلاط ؟

إن كان ذلك فكيف يصيبهم الفقر وهو لا يصيب غير من حُرِموا قوة الأخلاق الاجتماعية والماشية ؟

وكيف اتفق لجميع المصلحين أن يضعوا آداباً لطلب الرزق ، وهى آداب موجهة إلى الفقراء ؟

وكيف يحرّم علينا أن ندعو فقراءنا إلى التخلق بالأخلاق الاجتماعية والماشية ، وهى دعوة تلقيناها عن أسلافنا الأمجاد ؟

وأهجم على الأستاذ فكرى أباظه فأوجه إليه هـذا السؤال :

إذا صح أن جميع الفلاحين والعمال والصناع على جانب عظيم من الأخلاق الاجتماعية والماشية فكيف جاز أن يعيشوا فقراء ونحن نعرف أن السلامة من الآفات الأخلاقية تضمن السلامة من آفات البؤس ؟

ثم أوجه إليه سؤالاً آخر فأقول :

إذا صح أن جميع الفقراء فى غاية من الأمانة والصدق فكيف جاز أن يقوم بينهم وبين الأغنياء حجاز سميك لا تنفذ منه بوارق التعاون إلا فى أندر الأحايين ؟

ثم أوجه إليه سؤالاً ثالثاً فأقول :

إذا صح أن الناس جميعاً بخير من الوجهة الأخلاقية فلأىّ غرض تنشأ الجرائد والمجلات ؟ ولأية غاية تقام حدود الشرائع والقوانين ؟

إن كان الأستاذ فكرى أباظة راضياً عن أحوال الصناع والعمال والفلاحين ففى الدنيا أقوام يرون غير الذى يراه ، ومن حق أولئك الأقوام أن يعلنوا آراءهم بلا تخوف ولا تهيب ، لينقلوا المجتمع من حال إلى أحوال ، وليخطوا فى كتاب الإصلاح الاجتماعى صفحة جديدة يحفظها التاريخ

ثم ماذا ؟ ثم يسألنى الأستاذ فكرى أباظة عن أهلى فى الريف ، وهو يؤكد أن أقدامهم الممزقة وأياديهم الخشنة وصدورهم المحروقة ووجوههم الملوحة تشهد بأنهم أشقى سكان العالم وأعنفهم عملاً وكداً وكدحاً

وأقول إن أهلى ليسوا كذلك ، مع الأسف الوجيع ؛ فلو كنت أعرف أن لأهلى فى الريف أقداماً ممزقة ، ووجوهاً ملوحة ، لطابت نفسى ، وأيقنت أن الريف لا يزال بخير ، وإنما أعرف أن أهلى وأهلك تساموا بأن القاهرة نشأ فيها رجال يبكون أو يتباكون لشقاء الفلاح ، ويزعمون أن الفلاح الأوربى أو الأمريكى يعيش عيش السعداء ، فلا يعانى صحبة الفأس والمحراث إلا وفى يده جريدة يطالع فيها أخبار الصباح أو أخبار المساء ! !

ليت أهلى فى الريف حفظوا عهد جدّى ، فقد كان جدى رحمه الله يحدّث أبناءه بأن الحقل يفرح بصاحبه حين يراه ، وهم اليوم لا يرون حقولهم إلا فى الحين بعد الحين ، وأكثرهم يخجل من أن يسحب بقرة أو يركب جملاً ! وكيف يسحبون البقرات أو يركبون الجمال وهم من أبناء الجيل الجديد ، الجيل الذى ينشىء فى سنتريس أكثر من سبع قهوات مع أن أهلها لا يجاوزون عشرة آلاف ، ومع أن الآباء والأجداد فى سنتريس لم يكونوا يشربون غير الماء القراح

أريد أن أرى بين أهلى رجلاً ممزق القدمين من آثار الكدح الموصول لأتقرب إلى الله بالثناء عليه ، ولأنشر عنه مقالاً فى مجلة مصرية أو شامية أو عراقية

أنا لم أفكر فى « إحداث ضجة » تقع كارثتها فوق رأسى ، كما يهددنى الأستاذ فكرى أباظة ، وإنما أفكر فى مصاير قومى ،

وأنا بشهادة خصومى أصدق الناس فى الوطنية ، ولله الحمد على هذا الميراث النفيس

وأعجم على الأستاذ فكرى أباظه مرة رابعة فأوجه إليه هذا السؤال :

هل تعرف ، أيها السيد ، كيف حُرِم أبناء الريف نعمة الشاعرية ؟

ولكن ما هذه الشاعرية ؟

إليك أسوق الجواب :

كان جميع أبناء الريف يتعلقون بمزارعهم إلى حد الفتون ، فكان الرجل منهم يراعى مزروعاته بشغف وشوق ، ويكاد يعرف كيف تطول الورقة الخضراء من ساعة إلى ساعة ، بل من دقيقة إلى دقيقة ، بل من لحة إلى لحة ؛ وكان الرجل منهم يعطف على مواشيه كما يعطف على أبنائه الأعزّاء ؛ وكان الفلاح يعرف ملامح كل شجرة ، ويأنس بكل نبتة ، ويكاد ينظم قصيدة رثاء حين يرى سنبلة قصمتها الرياح

فأين أهلونا فى الريف من هذه المعانى بعد أن سمموا بقصة التمدن الحديث ؟

أين أهل الريف من هـذه المعانى ، وما نشأ منهم ناشئ إلا وهو يرجو الرحيل إلى القاهرة ، ليجد وظيفة تغنيه عن الأنس بمزارع القطن والقمح والفول ؟

إن أسلافنا القدماء عبدوا مصادر الخيرات فى بلادهم إلى الحد الذى سمح بأن يروا معنى الألوهية فى البقرة الحلوب ، وإلى الحد الذى سمح بأن يعتقدوا أن النيل إله معبود

فأين نحن من أولئك الأسلاف ؟ وأين فينا من يتشرف بأنه فلاح وابن فلاح ؟

لقد توهم الأستاذ فكرى أباظة أنى من « سادة الصالونات الأرستقراطية التى تعيش فى دنيا الجاتو والجيلاتين والجامبون والمارون جلاسيه » . فليعرف أن هذه الألفاظ محتاج إلى شرح يقربها إلى ذهنى بعض التقريب ، لأن بيتى لا يعرف هـذه الأصناف ، ولأن من يتفضلون بدعوتى إلى بعض الولائم يطوونها عنى ، ولأنى نسيتها نسياناً تامًّا بعد فراق باريس ، إن كنت ذقت فى باريس غير إقذاء العينين تحت ضوء السراج

ما ذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد القول بأن دنيا الناس فى مصر قد أصيبت بالانحراف وإلا فكيف جاز أن تكون دعوتى إلى إصلاح أخلاق الفقراء كارثة لا تقع إلا فوق رأسى ؟ !

وكيف يجوز أن يكون الأستاذ فكرى أباظة من خصومى ، وقد اكتوت يداه بالانحراف الاجتماعى كما اكتوت يداى ؟

بلادنا مهددة بالشقاء ، بسبب سوء الفهم لعناصر النظام الاجتماعى ، فما الذى يمنع من أن نتعاون على الإصلاح المنشود ؟

ومتى ندرك أن تمزيق أقدام الفلاحين هو شارة من شارات التشريف ، وليس باباً من أبواب الرثاء ؟

من حق الأستاذ فكرى أباظة أن يتوجع لمصاير الفقراء من العمال والصناع والفلاحين ، أما أنا فلن أتوجع لمصاير أولئك ولا هؤلاء ، لأنى أومن بأن الله خلق منافع الوجود لجميع الناس ثم دعاهم إلى التسابق بقوة العزيمة والأمانة والصدق والإخلاص فربح من ربح وخسر من خسر ، كما كان يعبر أستاذنا الشيخ مصطفى الطماوى

الله وحده هو الذى يعلم سريرتى فى إثارة هذه المشكلة الاجتماعية ، ومنه وحده أستمدّ العون على من يعادوننى ظالمين آثمين . وإلى اللقاء بعد أن أسمع حجج المناظر المفضال

زكى مبارك

فى العقـــد

لأستاذ جليل

صاحب البيت الثانى : (ولرب مأخوذ بذنب عشيره) هو غير صاحب البيت الأول : (جانيك من يجنى عليك ...) وإذا كان قد قاله كما روى صاحب (العقـد) والشريشى شارح (المقامات) فقد سار مع العروض التامة . ويظهر أن أديباً استطال[1] الصـدر فاستبدل به : (ولرب مأخوذ بلا قرف) ـ واقترف فى هذا المعنى أكثر ـ فخرج بذلك من (العروض[2] التامة والضرب الأحذ المضمر) إلى (العروض الحذاء المضمرة والضرب الأحذ المضمر) ولم يذكروا هذه العروض ، ولم ترد فى أشعارهم ، وإذا جاءت فإنما تجى فى مطالع القصائد مصرَّعة[3] كما قال صاحب (العقد) فى مقطوعة (عروضية) :

عينىَّ ، كيف غررتما قلبى   وأبحتماه لوعـة الحب ؟ !
يا نظرة ، أذكت على كبدى   ناراً قضيت بحرها نحبى !
خلوا جوى قلبى أكابده   حسبى مكابدة الجوى حسبى !
عينى جنت من شؤم نظرتها   ما لا دواء له على قلبى !
جانيك من يجنى عليك وقد   تعدى الصحاح مبارك الجرب[4]

ولا تصريع فى بيتينا

وقد يقال : إن أديباً آخر فطن لذلك الخروج فى (بلا قرف) فبدل به (بلا ترة) فأقبلت النغمات متوائمة[5] وإن لم يبن البيت هنا إبانته فى تينك الروايتين

وبعد فإن رواة البيت : (جانيك ...) فى كتب اللغة والأدب قد غلطوا فى روايتـه فالبيت مرفوع لا مخفوض ، ولا إقواء فيه ، وقد قصد صاحب اللسان (وتبعه صاحب التاج) جبره بهذه الرواية :

جانيك من يجنى عليك وقد   تعدى الصحاح فتجرب الجرب

فما انجبر ، و (مَبارك) فى البيت ليست مرفوعة وإنما هى منصوبة

وقد شاء الله أن يكون الفضل فى إعلان الرواية الصحيحة المحققة لهذا البيت لمجلة (الرسالة) فى هذا الزمان ؛ والإفضال على الأدب العربى فى كل جزء ، فى كل أسبوع ، هو مجّيراها ، هو دأبها ، وحسبها وحسبنا تلك (الأولى) لربها فيه

البيت لذؤيب بن كعب فى مقطوعة (ستة أبيات) قالها فى يوم تِيَاس[6] ، وهو من أيام العرب ، وقد ذكره صاحب (العقد) مختصراً ، وأورد ثلاثة أبيات من القطوعة . وروى الخبر أتم والقطوعة كاملة أبو عبيدة فى تعاليق (النقائض) ، وستظهر تعليقة البيت حقيقة الرواية . وقد رأيت أن أنقل الخبر والأبيات والتعليقة لندور تلك الطبعة الغربية فى الشرق . ومحقق (النقائض) وناشرها هو العربانى الأستاذ (ا . ا . بيفن)

قال أبو عبيدة : « كانت قبائل بنى سعد بن زيد بن مناة ، وقبائل بنى عمرو بن تميم التقت بتيَاس ، فقطع غيلان بن مالك ابن عمر بن تميم رجل الحارث بن كعب بن سعد بن زيدِ مناةَ ، فسمى الأعرج ، فطلبوا القصاص ، فأقسم غيلان ألا يَعقلها ولا يُقصها حتى تحشى عيناه تراباً ، وقال :

لا نعقل الرجل ولا نديها   حتى ترى داهيـة تنسيها

فالتقوا فاقتتلوا ، فجرحوا غيلان حتى ظنوا أنهم قتلوه ، ورئيس عمرو[7] كعب بن عمرو ، ولواؤه مع ابنه ذؤيب ، فجعل غيلان يدخل البوغاء[8] فى عينيه ويقول : محلل غيل[9] ، حتى

---

(١) استقصره عده قصيراً ـ كما فى الصحاح ـ واستطاله عده طويلا وإن لم يرد ـ كما قالوا ـ . فى التاج : استعمل البيضاوى كالزمخشرى إستطال متعديا ، وبنوا منه مستطالا ، ووتم في المفصل ، وقد استعمله السعد فى المطول

(٢) عروض الشعر أنثى وربما ذكرت (اللسان)

(٣) ربما صرعوا فى غير المطلع.

(٤) يختم صاحب العقـد كل مقطوعة عروضية ببيت قديم ، وقد ختمت هذه بالذى نحن فى مشكلته . . .

(٥) الأساس : غناء متوائم : متناسب ، قال ابن أحمد :

أرى ناقتى حنت بليل وشاقها   غناء كنوح الأعجم المتوائم

(٦) اللسان : تياس موضع بالبادية كان به حرب حين قطعت رجل الحارث بن كعب فسمى الأعرج

(٧) يعنى بنى عمرو

(٨) البوغاز : التراب عامة ، التراب الناعم ، وقيل هي التربة الرخوة التى كأنها ذريرة (اللسان)

(٩) مرخم غيلان ، ومن أبيات الـكتاب فى ترخيم مروان والبيت للفرزدق :

يا مرو ، إن مطيتى محبوسة   ترجو الحباء وربها لم ييأس .

مات . فقال ذؤيب بن كعب لأبيه (١٠) كعب :

يا كعب ، إن أخاك منحمق إن لم تكن بك مِرة كعب (١١)
أمجود بالدم ذى المضنة فى السجلّ ، وتلوى الناب والسقب
فالآن إذ أخذت مآخذها وتباعد الأنساب والقرْب (١٢)
أنشأت تطلب خُطة غبناً وتركتها ومسدُّها رأب
جانيك من يجنى عليك وقد تمدى الصحاحَ مبارك الجرب
والحرب قد تضطر جانبها إلى المضيق ودونها الرحب (١٣)

قال أبو عبيدة : أنشدنى داود أحد بنى ذؤيب : (الصحاحَ مباركُ الجرب) فرفعوا مبارك ، وجروا الجرب ، وذلك أقواء

قال أبو الخطاب : إن عامة أهل البدو ليس تفهم ما يريد الشاعر ، ولا يحسنون تفسيره ، وإنما أتى إقواء هذا من قلة فهم الذين رووه ، وإنما عنى الشاعر (وقد يعدى الأجربُ الصحيحَ مبركا) فلما وجدوه مقدماً ومؤخراً لم يحسنوا تلخيصه ، ووجدوا مبارك لا ينصرف ، فأظلم عليهم المعنى ، وإنما أراد :

(١٠) فى طبعات العقد : لابنه ، وهو غلط

(١١) انحمق الرجل : ضعف عن الأمر ، وفى اللسان : فاشدد إزار أخيك يا كعب

(١٢) فى طبعة (النقائض) ضبطت الراء بالفتح ، والقرب بالسكون مثل القرابة كما فى الصحاح واللسان وغيرهما

(١٣) فى طبعات العقد : قد يضطر جانبها نحو المضيق ودونه الرحب .

وقد تمدى الصحاحَ مباركَ الجربُ (١٤) »

قلت : (الصحاح مبارك) التى لم يفهمها البدو فى ذلك الوقت ... هى مثل الحسن وجها فى قصة (الصفة المشبهة) ذات الستة والثلاثين وجهاً ... !

ومن أبيات الكتاب :

فما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشُّعرى رقابا (١٥)

قال الشنتمرى : « نصب الرقاب بالشعرى على حد قولك الحسن وجهاً ، ويجوز فيه (الشُّعرِ الرقابا) على ما أنشده بعده وهو كقولك : الحسن الوجه بالنصب على الشبه بالمفعول به . وصف فزارة بالنمم وهو كثرة شعر القفا ومقدم الرأس ، لأنه عندهم مما يتشاءم به ويذم ، والمحمود عندهم النزَع ، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس ، والشعرى مؤنث الأشعر ، وهو منه كالكبرى من الأكبر ، وأنثه لتأنيث القبيلة ، والشعر جمع أشعر ، فجمع لأنه جعل كل واحد منها أشعر ، فجمع على المعنى »

وأختم هذه الأسطر بالشكر للأستاذ المفضال عبد السميع صبرى

***

(١٤) ضبطت الباء في (النقائض) بالكسر بعد شرح أبي الخطاب كله . . . والخبر والشعر فى النقائض (٢) ص (١٠٢٥)

(١٥) الحارث بن ظالم . ولرؤبة وهو من أبيات الكتاب :

الحزن بابا والعقور كلبا
والحزن خلاف السهل

على ذكر المولد النبوى

للدكتور عبد الوهاب عزام

الذكَر العظيمة فى تاريخ الأمم نجوم يُهتدى بها فى ظلمات الأيام ، وأعلام يستبين بها الطريق فى ضلالات الزمان ، ودعوات إلى الحق والخير تدوّى على مر السنين . والزمان بالناس دائرلا يفتر ، تمتورهم أحداثه ، وتتداولهم غِيره ، فمن لم يعتصم بسبب من الحق ، ويستمسك بعروة من العمل الصالح ، ضلّ وانبهمت عليه السبل ، والتبس عليه الحق والباطل ، والهدى والضلال . ومن لم يجعل له قدوة من سير العظماء تردّد وتحيّر ، والزمان لا ينتظر المترددين الحيارى ، أو ضل وهلك ، والدهر لا يشفق على الضُلاّل والهلكى .

وإن لنا معشر المسلمين من سيرة رسولنا خاتم النبيين نجوماً نيّرات ، وأعلاماً واضحات ، وأمّى تهدى إلى الخير والبر ، والتى هى أقوم من أعمال الدين والدنيا . إن لنا من سيرة الرسول الكريم هدى فى كل صغيرة وكبيرة من أعمال الفرد والجماعة .

فقد حفظ لنا التاريخ سيرته فى بيته ومسجده ، وفى سياسة الجماعات ، وتربية الأمم ، وقيادة الجيوش ، وفى الإصلاح بين المتعادين ، والقضاء بين المتخاصمين ، وفى السفر والحضر ، والشدة والرخاء ، والحرب والسلم ، والغضب والرضا ، فما تلقانا حادثة من حوادث الزمان ، أو عمل من أعمال الحياة خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، إلا وجدنا فى سيرة سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلوات الله عليه وسلامه مثلاً عالياً ، وأسوة حسنة ، ورأياً هادياً ، وقضاء فصلاً ، يهدينا إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة . كل فرد منا يجد فى سيرة محمد وهديه شفاء دائه ، والتحرر من أهوائه ، وإصلاح خلقه ؛ وكل فرد منا يجد فى سيرة نبيه الجهاد فى الحياة والصبر على لأوائها ، والطموح إلى معاليها ، والاستكبار عن دناياها ، والإباء على كل ضيم والنفور من كل مذلة

وكل أمة من أمم المسلمين تدوى فيها ليل نهار الدعوة المحمدية تدعوها إلى أن تقوم فى أرض الله على عباد الله بقانون الله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

وكل أمة على هذه الأرض تجد فى هُدى محمد ما يَطبّ لدائها ، ويقيم من عوجها . وهل أودى بالجماعات إلا عصبيات باطلة ، وأهواء جامحة ، وشهوات مسلّطة ، واستكبار على الحق ، ونفور من العدل ؟ هل كبّ الناس فى جهنم إلا ما استعر فى قلوبهم من الضغينة ، وثار فى رءوسهم من الهوى ؟ وهل يعرف التاريخ كمحمد رسولاً جاء بالشرع الجامع ، والأخوة العامة ، والعدل الشامل ؟ هل يعرف التاريخ كمحمد هادياً ألّف بين منازع النفس على قانون من العفة والعدل ، وألّف بين الإنسان والإنسان على شريعة من المودة والأخوة ، وألّف بين الأمة والأمة على منهاج من الحق والبر والعمل الصالح لخير الناس أجمعين ؟ من رفع للناس لواء الأخوة لا يفرق بين الأبيض والأسود ، ولا يميز بين المشرق والمغرب ؟ : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . من دعا الناس جميعاً إلى التنافس فى الخير على اختلاف أديانهم ونحلهم وأنزل عليه : « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شىء قدير » . « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون »

أين أنتم من هذه الأخوة الجامعة يا ضُلال البشر ؟ أين أنتم من دعوة الخير العامة يا دعاة الشر ؟ أين أنتم من هذه الرحمة يا قساة القلوب ؟ أين أنتم من هذا الصلاح يا فساد الشعوب ؟

المسلمون أحق باللوم وأجدر بالتعنيف . فهم أهل هذا الدين

نظرة فى مناظرة

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

قال بعض أصحاب الفكر والذوق للمعانى : إن الثقافة وعى أطراف صالحة من أثمار العقول ، العلمية والفنية والأدبية ، بها يلتفت المثقف إلى المبادىء والأسباب والقوانين والحقائق ، ويرشد قومه إلى الأصلح لحالهم ، والأنفع لترقيتهم ، والأخلق بالإنسانية ...

ومناظرة الأستاذ العقاد بكلية الآداب – فى أن « التراث الشرقى كاف لنضج الحياة العقلية بين الشرقيين » – هى مشاركة فى بحث يمتّ إلى هذه الثقافة ، إذ يرمى إلى إنارة الأذهان بالكشف عن الحقيقة فى الخلاف بين الذاهبين إلى الأخذ عن الغرب وبين القائلين بالاقتصار على تراث الشرق ، فى سبيل نهضتنا ؛ والحقيقة تتبيّن من مقابلة الشىء بضده ، والموازنة بين الرأيين

ألقى على الأستاذ الفاضل عبء الدفاع عن الرأى الذى يصعب تأييده ، وهو ابن بجدته ، فجاء من الحجج بما يعسر الخروج منه. وكان كلامه ، مع إيجازه المطابق لمقتضى المقام ، أحسن ما يستطيع مثقف أن يقول فى الموضوع . وفى الأدب العربى فصول فى مثل إيثار الدمامة على الجمال ، ونحو ذلك من الموضوعات التى لا يُجيد متناولها إلا بأوفر دراية ولباقة . لكن ذلك الكلام أذكرنا مناقضات نوردو[1] للآراء المألوفة فى الاجتماعيات والنفسيات ، ورسالة روسو[2] فى حمد الجهل وتفضيله على العلم ، وقد أجازه عليها مجمع ديجون[3] وكدنا نصدقها يوم قرأناها

استخدم المناظر منطقاً وبياناً فى طريقة حصيفة هدته إليها ثقافته ؛ وصاحب المنطق يستطيع أن يهدى به ويضل ، وصاحب البيان ساحر ، والثقافة قدرة إن شاء حائزها أحالت الهدى ضلالا والضلال هدى ، وهو لم يشأ ، بل أراد فتق الأفكار والآراء بالمناقضة ، وتعليم النظر الأدبى وذلاقة اللسان بالمثال البارع ؛ وافتتح كلامه بقوله « كان من نصيبى » أن أؤيد هذا الرأى ، فكأنه أراد أن ينبه فى لطف على قبوله القيام بهذا التأييد كى تقوم المناظرة المفيدة ؛ ولم يقل إن رأيه الشخصى هو الاكتفاء بالتراث الشرقى ، وإن ساق الحجج الحاذقة فى كفايته لنضج الحياة العقلية « عند الشرقيين »

* * *

قال : إن تراث الشرقيين هو « ما لهم من أشعار ومواعظ وأمثال وحكايات وآداب وقواعد سلوك ، وروح العقائد الدينية

(١) Max Nordau :
Paradoxes Sociologiques
Paradoxes Psychologiques

(٢) Jean Jacques Rousseau ; Eloge de l'Ignorance

(٣) Dijon

وأولى الناس بهديه ، وهم هم خذلوه وهجروه ، وحفظوا ظاهره وضيعوه . « وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » فإن ترهم اليوم فى فرقة وشقاق فبما ضيّعوا أخوّة الإسلام ، وإن ترهم فى مذلة وهوان فبما فرطوا فى عزة الإسلام ، وإن ترهم أتباعاً فقد علمهم الإسلام مشرعة السيادة فنبذوها ، وأعطاهم أزمة القيادة فأضاعوها

أيها المسلمون ، هذه ذكرى نبيكم ، وميلاد تاريخكم ، ومبدأ مجدكم ، ومنشأ سعادتكم ؛ فإن شئتم لأنفسكم السيادة والسعادة فكونوا أهلاً لهذا الشرف . كونوا بأخلاقكم وأعمالكم جديرين بأن تسمّوا أمة محمد . ولا تتخذوا الانتساب إلى محمد هزواً ولعباً ، وتحسبوا الإسلام أسماء وأقوالاً ، فإنما هو الأخلاق والأفعال والجهاد الذى لا يفتر ، فمن شاء أن ينتسب إلى محمد فهذه سنته ، ومن شاء مجد محمد فهذه طريقته

« يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا » .

عبد الوهاب عزام

والحكمة النفسية والفكرية ، وما يصاحب ذلك من فقه شريعة ودين » .

أما العلوم الطبيعية التجريبية — يعنى العلوم الحديثة — والمعارف الرياضية ، فإنها خارجة عن التراث الشرق والتراث الغربى معاً ، لأن « الحقيقة الطبيعية ثابتة فى جميع الجهات » ، يكتشفها « الإنسان باعتباره إنساناً مدركا حيث كان » و « ما كشف منها فى الغرب تتمة لما سبقها منذ بداية عهد الإنسان بالمعرفة ، فهى جزء من التراث الإنسانى » ؛ ولأن المعارف الرياضية « لا تتوقف على المشاهدات والمحسوسات بمقدار ما تتوقف على قوانين العقل المجرد ، المعزول عن خصائص الأوطان والأزمان » .

***

لكن تحقيق النظر فى التراث الشرق محصوراً فى هذه الحدود يُظهر أن لبابه من ثمر أحوال النفس الواحدة فى البشر ، ومن أحكام العقل البشرى ونتائج تجارب الإنسان أينما كان ، ومن مقتضيات حاجاته فى الحياة الإنسانية : فالحب ـ مثلاً ـ فى الشرق هو الحب فى الغرب ، وكذلك البغض أو الشجاعة أو الجبن ، أو الفرح أو الحزن وسائر الوجدانيات ، وكل أولئك معزول فى ماهيته عن خصائص الأوطان والأزمان ؛ والإنسان « باعتباره إنساناً مدركا حيث كان » ، قد عرف حاجته إلى الحث على الخير والنهى عن الشر ، وإلى إقامة النظام يتقى به آفات الفوضى ؛ وهذه المعرفة ونتائجها من التراث الإنسانى . ومن الحكم والمواعظ العربية ما له نظائر فى تعاليم « كونفوشيوس »[٤] مثلاً ، أو فى أخلاقيات « فوفنارج »[٥] ؛ وفى الشرائع الرومانية ما يقارب بعض الشرع الإسلامى ؛ وفى الأدب اليونانى ما يماثل بعض الشعر العربى ، وفى الأدب العربى ما يشبه أمثالاً وحكايات هندية أو فارسية أو غيرها ؛ وذلك كله بأن الإنسانية دارجة فى تطور عام واحد مطرد ، على نحو ما بينه « ريكلو »[٦] و « ويلز »[٧] وإن لم تخل قبائلها وشعوبها من أنواع التفاوت فى المدنية

فمهما كان على هذا التراث من مسحة وطنية ومن أثواب اللغة العربية ، فهو فى جوهره حلقة من سلسلة الأعمار العقلية والنفسية ، وهى سلسلة لا يقف تعددها « منذ بداية عهد الإنسان بالمعرفة » .

وتلك أمور إنسانية فى صميمها مهما كانت من قبيل ما يمتزج بحياة الشرقيين ، و « مصطبغ بصبغة الشرق ويجرى على سنته »

وليس هذا بمانع من أن يقال : « إن الحياة العقلية إذا نضجت بين الشرقيين ، فهى لاحقة بالتراث الشرق أيا كان المصدر الذى جاءت منه أو حلت عنوانه » ، مثل الفلسفة اليونانية كما نقلتها الحياة العقلية الشرقية إلى الشرق العربى ؛ أو يقال : إن الحقيقة الطبيعية أو الرياضية منسوبة إلى العقل الناضج الذى كشفها — كنسبة قوانين الجذب العام إلى نيوتن[٨] — وإن كانت من « التراث الإنسانى »

***

أما العقل فإننا إذا اعتبرناه عضواً فى الإنسان ، كعينه وأذنه وسائر أعضائه الظاهرة والباطنة ، فهو ينضج كما تنضج بالبلوغ وتستحصف إلى الأربعين ، وهو يؤدى وظيفته كما تؤدى وظائفها ، وذلك منذ تميز الإنسان عن الحيوان فى ظلمات الماضى الأقصى ، بالنسبة إلى علمنا ، من اللانهاية الزمنية ، وإنما تميز بقدرة عقله على التصور والقياس والحكم . وعقل الإنسان « يعمل ويفكر ، ويبحث فيما يراه ويحيط به ، أيا كانت المسائل التى يتناولها بتفكيره وبحثه » منذ لم يكن له أى تراث فى أى

(٤) Confucius أو Koung-Fou-Tseu

(٥) Lue de Clapiers de Vauvenargues

(٦) Elisée Reclus

(٧) Vells

(٨) Isaac Newton

مكان ؛ ولولا ذلك لما سما إلى مستوى هذه المدنية . فالسلامة البدنية والصحة النفسية تكفيان وحدهما أبداً لتصحيح العقل الذى يصيب ويخطئ ، كما تخطئ العين وتصيب ؛ وبين الأفراد تفاوت فى حصافته الفطرية كتفاوت حدتها فيهم ، ولكنه عقل ناضج بهذا الاعتبار على كل حال .

كان العقل الناضج هذا النضج فى الإنسان « يعمل ويفكر فيما يراه ويحيط به » يوم كان صاحبه يعيش عيشة الوحوش المفترسة ، ويخشى ظواهر الطبيعة التى يجهل كل شىء من أسرارها ؛ ويوم أدرك ضرورة الحد من حريته الفردية الفوضوية ، ويوم وضع نُظُماً للعائلة فالقبيلة ، إلى آخر ما هنالك . وهذه مستويات تدرج الإنسان فى الرقى إليها مع تدرج عقله الناضج فى نضجه التطورى بما غذاه ، فى كل وقت ، من تجاربه وتجارب سلفه وعمل عقولهم الإنسانية .

***

ويتضح مما تقدم بيانه أن العقل باعتباره عضواً من الإنسان له نضجان : نضج أول هو قدرته على تأدية وظيفته الفطرية ، وهو عام بين الأصحاء لا يُحسن تأديتها إلا به ؛ ونضج ثان هو إدراكه محصول أعمال العقول الإنسانية فى زمان معين من حياة البشر مع قدرته على المشاركة فى زيادة هذا المحصول أو تحسينه ؛ فالعقل البشرى فى كل مستوى أعلى من مستويات العرفان العام نضج أتم .

والجدير بالنظر إنما هو النضج الذى غذته أثمار العقول الإنسانية فى هذا الوقت ، والذى به يتيسر للمثقف أن يشارك فى إنماء هذه الأثمار أو تحسينها ، فى أية ناحية يميل إليها ، فيكون لعمله شأن يذكر له ويشكر ، والأستاذ نفسه أدرى الناس بالفرق بين نضج عقله القوى قبل أن يعى كل ما استوعب من الثقافة الغربية ، أو العصرية ، وبين نضجه بعد ذلك ؛ لكن كان عليه أن يمارس رأى مناظريه ، فمارضه بطريقة حاذقة شفت عن هذا النضج الأخير ، أى عن ثقافة سامية

والخلاصة أن العقل يُعد ناضجاً ، أو غير ناضج ، لا من حيث تأديته وظيفته فحسب ، بل من حيث قيمة ما وعى وما ينتج ، فهى قيمة مناسبة لدرجة علمه وثقافته ، والمهم إذن فى النضج إنما هو مستوى « الموضوعات والمواد التى يتناولها » عمل العقل ؛ ولذا ليس يمكن أن تنضج للشرقيين حياة عقلية إذا هم لم يأخذوا عن الغرب فى هذا العصر . أما إن هم اقتصروا على تراث الشرق بحاله المحدودة فى ثقافة عصر غابر كانوا كأنهم عائشون فيه ، ولمن أراد بنضج العقل ذلك النضج الأول ، أو أراد نضجاً عتيقاً ، أن يقول إن « التراث الشرقى كاف لنضج الحياة العقلية ، ولم يخل الشرق من العقول الناضجة قديماً وحديثاً »

فهارون الرشيد وابن خلدون كان كل منهما ناضج العقل فى مستوى الثقافة العربية فى زمانه ومكانه ، بعدئذ مضى على خروج العرب من شبه جزيرتهم قرنان إلى ثمانية قرون بنوا دولهم فيها على ما طوّعوا للدين والشريعة من نظم ومدنيات وفلسفات لأمم كاليونان والرومان والفرس وسواهم . أما جمال الدين الأفغانى فقد يكون فيما نعتوه به مواضع نظر لعلها تستدعى التحقيق العلمى المتحرّر من المؤثرات الوجدانية والسياسية ؛ ولولا تفاهة ما أفاد من الثقافة الفرنجية لاختلف شأنه . . .

وليس يصح أن نوازن بين عقول أمثال هؤلاء الرجال وبين عقول تلاميذنا لتفاوت الأسنان والتجارب والمشاغل ، ولقلة المحصول فى التلمذة فضلاً عن أننا ما نزال فى سبيل التحصيل من الثقافة الحديثة ؛ ولسنا نشك فى أن بين تلاميذنا النجباء من لا يقل فى نضج العقل ، ذلك النضج الأول ، عن أولئك الرجال حين كانوا فى سن التلمذة

***

ألا إن البحار والجبال لم تحل دون التنقل والاتصال بين بنى الإنسان من قديم الأزمان حتى عصر الطيران . والناس إلى الآن يفرقون بين الشرق والغربى ، وبين الأسود والأبيض ،

والأسمر والأصفر ؛ ولكن ما تحت الجلود لون واحد ، والأجسام جيماً مكونة من عناصر وخلايا متماثلة ، لا يتميز بها جسم عن جسم إن حُلل لم يبق منه سوى أملاح ومواد قليلة ، لا تختلف في واحد من هذه الأجسام . وليس يستحيل عقلاً وقياساً أن يتكامل ما بدأ في الدهارير من تطور ، وأن يأتي على الإنسان حين من الدهر وطور يصل فيهما بالتجارب أيضاً والتقارب ، كما صغرت عقبة المسافات بسرعة المواصلات ، إلى ثقافة واحدة شاملة ، تكبح من شر الغرائز ، وتهدى العقول والنفوس إلى تفاهم أتم ، وسلام أدوم وأعم ، في إنسانية أصفى وأسمى نحو المثل الأعلى

لكن مالنا وللفكر هنا في مثل هذا المستقبل الخيالي الأبعد ؟ وحسبنا أن نلاحظ أننا منقادون لِسُنَن التطور ، يسوقنا توافر عوامله في وجهته الطبيعية ، ولا يمنعه اختلاف آرائنا في موضوع المناظرة إذ نحن في الواقع آخذون عن الغرب كما أخذ عنا ؛ وقد نفعل مثل ما فعل السلف الصالح حين صبغوا الفلسفة اليونانية في زمانهم صبغة عربية ، وكما فعل اليابان في عصرنا هذا

فلا يفهمن أحد من الرجعيين أو من الشباب مُضللا بشهوة جاهلة ، أو بعاطفة غالبة ، أن المناظر الفاضل أراد في تأييده القوى لذلك الرأى القائل أن يقتصر الشرق العربي على تراثه ، ويهمل كل ما فيه ذرّة حديثة أو غربية ، ثم يعمل بهذا التراث وحده إلى أن يبلغ مستوى يسابق فيه الغرب في الرق ؛ لأن ذلك مستحيل عملياً وإن جاز فرضه نظرياً ؛ وإذا نحن جارينا هذا الفرض الخيالي انتهى بنا التخيل إلى أن الشرق ، يوم يبلغ ذلك المستوى ، قد يجد أن الغرب رحل إلى السيارات يستعمرها أو ما شاكل هذا من الأعاجيب التي لا يعرفها العِلم . وليس من المعقول أن يهمل الشرق كسب الإنسانية في قرون ليكد هو قروناً مثلها في تحصيله .

محمد توحيد السلحدار

من آثام الربيع !

[إلى صلاة جريحة ترتعش في زمني بعد الغروب ...]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

مَضَى رَبِيعٌ وتَهَادَى رَبِيعْ
ولم يزَلْ حَوْلى هُمودُ الشّتاءْ
لاَ عِطْرَ فى الفَجْرِ لِقَلْبٍ بَدِيعْ
وَلاَ شَذًى للرُّوحِ عِنْدَ المَسَاءْ
يَمُرُّ فى صَمْتِى النَّسِيمُ الوَدِيعْ
إعْصَارَ لَيْلٍ فى مَغَانِى فَنَاءْ
وَمَا بِكَأْسِى غَيْرُ هَذا الأَنِينْ
وَلاَ بِجُرْحِى غَيْرُ هَذا النَّغَمْ
غَدَا زَمَانِى جَذْوَةً مِنْ حَنِينْ
وَعُمْرِىَ المَشْبُوبُ رُؤْيَا عَدَمْ !

***

نَزَعْتُ نَفْسِى مِنْ ضَجِيجِ الحَيَاهْ
وَطِرْتُ كالنَّسْرِ لِأَعْلَى القِمَمْ
الغَيْبُ حَوْلى سَابِحٌ فى أَسَاهْ
والصَّمْتُ مَشْبُوبُ الهَوى مُضْطَرِمْ
وَإِذْ عَلَى سَفْحِ اللَّيَالِى « فَتَاهْ »
مَذْعُورَةُ الرُّوحِ كَشَجْوِ الحُلُمْ
سَأَلْتُهَا : عُمْرِى طَوَاهُ الجُنُونْ
فَهَلْ بِكَفَّيْكِ لِجُرْحِى شِفَاءْ ؟
قالتْ : رَبِيعِى أَزْهَقَتْهُ السُّنُونْ
وَمَا بِكَفِّى غَيْرُ هَذا الشِّتَاءْ !!

٧ ـ أومن بالإنسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[أكره أن أضايق القراء ببحث مطول فى مجلة ، ولكن رغبة الأستاذ الكبير الزيات ، وفيض الخاطر فى هذا الموضوع الخطير ، حببا إلى أن أعود إليه]

إنسان غير مفهوم — أوروبا المعمرة المدمرة — نكسة — خديعة ذهبت إلى جهنم ! — نغمات وترتيلات جديدة — تناقض بين حياة الأرواح وحياة الأجسام — من الطبيب ؟ — قانون طبيعى ينتقم لنفسه

الغربى إنسان غير مفهوم ! فقد كفر الأوربيون بالحياة فى هذه الحرب بعد أن جنُّوا بها جنوناً فى وقت السلم . وهم لا يذكرون السلم فى هذه الحرب كما لم يذكروا الحرب فى فترة السلم لم يتخذوا من قانونى الحياة والموت حداً وسطاً يقيمون عليه حياتهم وما استخلفوا عليه من حياة الآخرين ، فيعيشوا على كفتى ميزان معتدلين آخذين حظاً صالحاً بعدل السلام وبعدل الحرب

هم فجروا فى فترة السلم : فتنشهوا وكفروا وعبدوا الهوى واحتقروا الضعيف وشرهوا للمال وغصبوه من أفواه الآخرين بالحديد والنار ، وخانوا أمانة الاستخلاف على الأرض ، وتنازعوا على الطعام الكثير كما يتنازع الأطفال !

وهم فجروا فى هذه الحرب، فلم يرعوا حرمات الحياة الإنسانية التى قدستها الأجيال : فصبوا العذاب على الأطفال والنساء والمستضعفين والمرضى وسكان المعاهد والمعابد المسالمين ، وحرقوا الأقوات والأرزاق والمأوى ... فحياتهم لا تحتمل ولا تستحق العمل بعد هذه الحرب إذا أصروا على أن يلجأوا لحرب أخرى بهذه الكيفية النكراء التى تدمر ما عمروا وعمر الناس ...

من يصدق أن أوروبا البانية العاملة المعمرة المخترعة العابدة للحياة ، الساعية الجاهدة فى سبيل الكشف والمال والاختراع ، الباحثة المنقبة عن خبايا الأرض وركازها ، الرائدة الكاشفة عن مجاهلها ، المبشرة بالمثل العليا بين الأجناس المتخلفة ، القاضية على تجارة الرقيق ، الحاملة للتجارات والمعلومات ، الواصلة بين أقطاب الأرض صلة اللاسلكى والراديو والتلفزيون ، المرسلة «المبشرين» لتحرير الناس من الوثنية ، الدارسة للأنواع والأجناس ... هى هذه المخربة المدمرة الباطشة بطش النمور والأسود ، القاسية على النساء والأطفال والضعفاء ، المفتنة فى وسائل الآلام ، الهدامة للدور ، المحيلة عمار المدن إلى خراب القبور ؟ !

***

الأجسام العاجية الجميلة تذوب وتصهر وتسحق عظامها وجاجها تحت أثقال الحديد والجلاميد ... !

الوجوه المشرقة البيضاء ذات العيون الزرقاء والشعور الذهبية ذهبت قرابين تأكلها النار باختيارها

مسكينة ! طافت فى جميع بقاع الأرض تجمع الذهب الأصفر والذهب الأسود والحديد ، ثم أوقدت على الجميع فى النار واحترقت معه !

جمعت فى أنانية وجشع واعتزاز واعتزام ... لا لتملأ البطون الفارغة ، وتكسو الأجسام العارية ، وتمين أبناء الحياة على نوائب الحياة ، ولكن لتملأ أفواه المدافع وبطون المقابر ... !

خلاصة الإنسانية العاملة المجاهدة التاجرة المحاربة العالمة . تحترق الآن على مشهد من الزنوج والإسكيمو !

الحياة تتحطم بأيدى بنائيها ومقيمى صروحها العالية وجامعى مواد بنائها من لحومهم وعظامهم ودمائهم وذهبهم وحديدهم ونور عيونهم فى المعامل والمعاهد !

الغادة اللعوب الفاتنة ذات المساحيق والأصباغ والعطور والأزهار واللؤلؤ والديباج «والمونوكير» تتكشف عن العجوز الشوهاء الدرداء الربضة الرسحاء العجفاء ساكنة الكهوف والمغارات ، الضاربة على الدف لشن الغارات !

الأم العاقلة العالمة تصيبها جِنة وجهالة فتأكل بناتها وبنيها !

لندن وبرلين يصب عليهما الخراب والدمار صباً فيباد ما فيهما من مراكز نمو الحياة وعلب أسرارها «وقماقم» أجنتها وولائدها ! ...

والإنسانية الجاهلة النافلة المقيمة بالأكواخ فى القارة السوداء وأواسط التبت ترى هذه الإنسانية العالمة الدربة الجميلة تشن الغارة على الحياة بالزلازل والبراكين والصواعق الصناعية ... فتحمد الله على الحياة فى الغابات مع الأسود والقرود التى لا تلتقم منها إلا أفراداً !

الحياة تصاب بنكسة حادة يا أطباء الحياة ... فهل من دواء لها فيما صنعتم من العقاقير والأقرباذين ؟!

* * *

كنا أوشكنا أن نعبد الدنيا ممثلة فى لندن وباريس وبرلين، وننسى نهاية رحلتنا فى هذه الدنيا غرباء عابرى سبيل ، لا نملك المكث ولا البقاء ، ونخضع لقوانين الزوال والفناء ، ويدور الفلك بنا دورات حتمية تشب الطفل وتشيب الصغير وتفنى الكبير وتلقى بنا إلى العالم المجهول ...

وكنا أوشكنا أن نظن تلك الأجسام الأوربية القوية الجميلة الرفيقة الرشيقة الذكية هى الإنسان المقصود بالحياة . وأما من عداها « لحيوانات بشرية » — كما تعبر المتلرية — ومخلوقات تكميلية خادمة لها تعيش على هامشها وتسير فى خدمتها ، وقبح اعتقادنا فى أنفسنا تبعاً لذلك حتى تركنا لها الأرض طوعاً وكرهاً وخلينا لها مكاننا من الدنيا ...

وكنا اعتقدنا أن عناوين النظم الأوربية ثابتة لا تتزلزل ، ونظمها البارعة عزيزة على أصحابها ، وأن الانسان الأوربى مقدس لدى نفسه وأمه ، فلا تحطيم لدنياه ولا نسف لنظم حياته ولا تمثيل به ولا سحق ولا نثر لأشلائه ...

وكنا أوشكنا أن نرى العالم المادى الدقيق الذى صار التنويع فيه والتشكيل والتلوين والدقة والتركيب كأنه دنيا أخرى من مخلوقات الحديد والصلب والخشب وسائر المواد الجامدة منفصلة عن روح الحياة فى الإنسان فأخذنا نعيش بها عيشة آلية صخابة بدون وعى ووداعة وإحساس من الروح ويقظة للمصير المحتوم !

ولكن هذه الحرب أخلفت تلك الظنون الخاطئة ، وصححت أفهامنا الفاسدة ، وكشفت عن أبصارنا غطاء التمويه وسحر التخييل ، فإذا بنا نعود وإذا بالأوربيين أنفسهم يعودون معنا إلى المعانى الأزلية الخالدة التى بزغت من قلوب أنبيائنا واستنزلوها من السماء بالإخلاص والبكاء لرب الحياة الذى وضع الإنسان فيها موضعه بين الأهوال والألغاز والأسرار ...

وإذا المثل العليا تعود ذكراها إلى الألسنة والأقلام يرددها الساسة وسماسرة المال ! ويخطبون فيها خطابة الأنبياء والمرسلين بين عباد الأوثان بالبيان الساحر والحجج الأخاذة ، والإذاعة العريضة الواسعة

وإذا الترتيلات بالحق والسلام والعدالة تنبعث من جميع بقاع الأرض وتنطلق بها حناجر الناس جميعاً ، وتزيد كل أمة فى طنبورها نغمة

وإذا بالنظم الأوربية الظالمة الجائرة المتحجرة تذوب وتماع تحت حرارة أنفاس الدعاة إلى السلام والحق والعدالة ، وتحت نيران هذه الحرب التى انتفمت شر نقمة من طغيان السياسة والرأسمالية والدعوات الهدامة

وإذا بالروح الإنسانية الوديعة الرحيمة المؤمنة بالله وبالإنسانية تعود فى جو مخضب بالدماء ، مندي بالدموع ، مطرز بالآلام، إلى القلوب المهجورة القاسية الكافرة ، كما يعود طير شارد تائه إلى عشه المهجور ، ومكان حنينه وأشواقه ، فيراه خرباً منثور الأعواد ، عبثت به الرياح ، وعششت فيه العناكب ... فما يزال يضم عوداً إلى عود ، وورقة إلى ورقة ، ويرفرف عليه بجناحيه حتى يطرد عنه أنفاس السوء وأوساخ الحشرات ، ثم يعمره بالرحمة والحب والحنين ...

* * *

لقد بنى الغربيون حياتهم على مناعة الأجسام وحدها من أمراضها ، ولم يبحثوا عن وسائل مناعة الأرواح من آفاتها . فأخذوا الحياة من جانبها الضعيف وتركوا الجانب الآخر ، وقوانين الطبيعة لا ترحم من يخالفها ولا تحابيه ، بل تدافع عن وجودها وتهدم من يحاول هدمها

فمن يدع ثغرة فى بناء الحياة من غير سدها أوشك أن يدخل منها إلى البناء ما يأتى عليه من القواعد ، ويجعله خاوياً على عروشه

وكان جديراً بالإنسان الأوربى الذى يعرف حجم الميكروب الصغير وخطورة آثاره ، فيحترس منه ويقيم الأرصاد والجواسيس خشية اقتحامه عليه ثغرة من ثغرات جسمه ... أن يعرف أن للحياة الروحية جراثيمها الفتاكة فيجاهد لكفاحها وقتلها كما يفعل بأخواتها جراثيم الأجسام ، حتى تسلم جميع قواعد بناء الحياة من أسباب الانهيار

ولكنه لم يعرف بعد الجراثيم الروحية ، ولا يزال روحه يعيش فى عصر التطبيب بالخرافات ، كما كان يعيش فى عصر الخرافات فى طب الأجسام ...

ولا يزال يسخر بأطباء الأرواح وعلاجاتهم كما كان يسخر بأطباء الأجسام حين يفاجئونه بكشف جديد لمرض قديم

فإلى أن يؤمن بما يصنع له طب الأرواح ويعمل به سيظل شقياً بتلك الأمراض التي هي أشد فتكاً من الطاعون والسل والجدري وغيرها من الأمراض التي تهدم الإنسان وحده ، ولا تهدم معه تاريخه ومبادئه ومبانيه وأمواله ... فمن أعراض أمراض الروح تلك القنابل والصواعق والحرائق التي تترك المدن التي صبت فيها جداول المدنية والعلوم والتقت فيها الحضارات وثمار الجهود المشتركة خراباً ودماراً كأن لم تغن بالأمس

ولكن ينبغي له قبل ذلك أن يخرج من بين أطباء الأرواح أولئك الدجالين المشعوذين والأغبياء المحدودين الذين قد يقتلون النفوس بالعلاج الخاطئ ، أو يغلقونها دون رحمة الله أو يصيبونها بعاهات ، أو يعالجونها بالخرافات والشعوذة وأسباب الضلال ، كما فعل بأشياعهم الذين كانوا يندسون بين أطباء الأجسام من قبل ... حتى يستقيم علاجه على أيدي الإخصائيين الذين خلقهم الله لقيادة النفوس بالسلوك والمعاملة والبيان الواضح والفكر المضيء المنير ...

أولئك الأوصياء لا يلزم أن تكون منهم في الأمم كثرة . بل ينبغي أن يكونوا قلة ؛ حتى لا تصيبهم مصائب الزحام على الأرزاق والوظائف ...

ويجب ألا يرتفعوا إلى المناصب بالوساطات والشفاعات و« الشهادات » بل بأنفسهم وما فيهم من خلق الوصاية الرشيدة والسياسة الحكيمة ، والقدرة على إدراك الداء في كل نفس ، ووصف العلاج

وينبغي أن يدقق في اختيارهم غاية التدقيق . وينبغي أن تكون وسائل العلاج هي ما صلح من مواريث القديم ، وأصلح الآراء في علم النفس الحديث ... أي ينبغي أن يكون علم النفس هو أساس التربية الروحية والدعوة إليها كما صار علم وظائف الأعضاء وعلم الأغذية أساس الطب الجسدي الحديث

وعلم النفس أوشك أن يكون من الدقة والصحة بحيث يستطيع أن يضع الإنسان في المخابير والمسابير ويقيس كل ما فيه بأرقام لا تخطئ !

إن قوانين الروح قد غضبت وانتقمت لنفسها شر نقمة من الإنسان الذي لم يقم لها بعد وزناً . وإنه لجهل وسفه ألا يفطن الإنسان الأوربي بعد إلى أن يحمي نفسه من غضبها ونقمتها كما يحتمي من غضب قوانين صحة الأجسام

إنه يخشى أن يمد يده في النار لئلا تحرق ، أو يلقي نفسه في الماء لئلا يغرق ، أو يقف في طريق قاطرة لئلا يسحق ... ولكنه يرضى لنفسه أن يبخل فيُسرَق ، وأن يطمع فيُكرَه ، وأن يستبد فيحارب ؛ وأن يخل موازين العدل فتفسد حياته بفساد حياة الآخرين ، وأن يترك الناس إخوانه جاهلين مرضى الأجسام والنفوس فيحرضوه ويشقوا حياته بشقائهم ...

كلمة يجب أن تعلم وتكرر دائماً أمام الدولة وأمام الفرد وهي: إن الدولة كأن عضوي واحد كالجسم الواحد ذي الروح الواحد ... فإذا سمحت لشيء منه ولو كان ظفراً أو منبت شعرة أو خطرة نفس أن يدخله الفساد ، فسيلحق الجسم كله — وأنت خلية فيه — آثار ذلك الفساد وآلامه

فاحذر أن يمرض أخوك أو خادمك حتى لا تنتقل عدواه إليك ... واشترك في إطفاء الحريق في بيت جارك قبل أن تمتد النار إلى دارك !

عبد المنعم خلاف

إلى الأستاذ أحمد السنوسي

حضرة الفاضل الأستاذ أحمد السنوسي الاخصائي في الأبحاث النفسانية

بعد التحية وواجب الاحترام : يسرني أن أتقدم بهذا معبراً لسيادتكم عن عظيم تشكراتي وامتناني مع التقدير العظيم لشخصكم المحبوب ، وذلك لما أسديتموه إلي من أياد بيضاء وخدمات لا تقدر بثمن ، فلقد كان يا سيدي الأستاذ لعلاجكم لي أعظم الأثر في نفسي ، ذلك الذي جعلني أبعث من جديد إلى حياة سعيدة هادئة وشعور قوي بأن لي صفة وقيمة في الحياة بعد أن كنت أتخبط في ظلمات الآلام الوهمية والتخيلات الكاذبة وعدم الثقة بالنفس وتخوف في الأقدام على أي عمل من أعمالي المعيشية تلك التي بسببها أدى وجودي في الحياة عبس ، لأن حالتي النفسية السابقة كنت أشعر بأنها مملوءة بالتعاسة وعدم الحظ ، كل هذه الأوصاف التي ذكرتها هي أقل ما أتذكره الآن مما كنت فيه

فعليه أجد لزاما علي أن أتقدم برفع هذا لسيادتكم إعترافا مني بفضل علمكم النافع وخدماتكم الجليلة ، كما وأني أرى من الواجب علي أن أسجل لسيادتكم (كلمة حق) على صفحات الرسالة كنصيحة مني ليطلعوا عليها الراغبين من الناس الذين يشعرون كما كنت أشعر أنا من الآلام النفسانية وختاماً لا يسعني إلا أن أسأل الله أن يكثر من أمثالكم .

وتفضلوا بقبول عظيم إجلال وفائق إحترامي

المخلص

مصطفى أحمد شيبه

مدرس لاسلكي سابقا



وحى المطبعة

كتب جديدة

للأستاذ سيد قطب

دائرة المعارف الاسلامية — علم اللغة —
ضحكات إبليس — أسبوعان مع على ماهر فى السودان

لست أدرى لم يغمرنى شعور بالنشوة كلما أخرجت المطبعة العربية كتاباً جديداً ، وبخاصة فى هذه الأيام التى يرتفع فيها ثمن الورق وتكاليف الطباعة بينما تنصرف الأذهان عن الكتب وعن الدراسة إلى الأخبار اليومية وإلى ضجيج الحرب وويلاتها

بل أنا أدرى سبب هذه النشوة وهو الشعور بأن الأمة العربية حية نامية لأنها تقرأ ، والقراءة هى الدليل الذى لا يخطئ على الحيوية والتطلع إلى آفاق جديدة ومستقبل خير من الحاضر . فإذا كانت لا تزال تقرأ ، أى لا تزال تحيا وتتطلع فى هذا الجو الخانق الذى يشغل الذهن والقلب عن كل شىء ، والذى يبث اليأس والقنوط من الإنسانية ومن المعرفة والثقافة جميعاً ، فهذا دليل لا ينقض على أن فى هذه الأمة ذخيرة وأن فيها أملاً

وسبب آخر وهو شعورى ببطولة المؤلفين الذين يؤلفون ويطبعون وينشرون فيضطلعون بمهمات ثلاث لا يضطلع أمثالهم فى أوربا وأمريكا إلا بواحدة منها مع عظم الفرق بين البيئة والظروف التى تحيط بهؤلاء وهؤلاء

ولعل هذه البطولة تتجلى حين نعلم أن عدد الناطقين باللغة العربية فى جميع أنحاء العالم يبلغون حوالى الأربعين مليوناً ، نسبة المتعلمين فيهم لا تزيد على خمسة فى المائة (٢ر٠٠٠ر٠٠٠) ، ونسبة المثقفين فى هؤلاء المتعلمين لا تزيد على عشرين فى المائة (٤٠٠ر٠٠٠) ونسبة القارئين فى هؤلاء المثقفين لا تزيد على ٢٥ فى المائة (١٠٠ر٠٠٠) مقسمين بحسب ميولهم وثقافتهم على أنواع التآليف المختلفة ، فأقصى ما يطمع فيه مؤلف أن يقرأ كتابه عشرة آلاف فى جميع أقطار العالم ، وهو رقم نظرى يهبط عند التطبيق العملى إلى النصف

بينما عدد الناطقين باللغة الإنجليزية مثلاً يبلغ نحو مائة وثمانين مليوناً نسبة المتعلمين منهم تبلغ نحو ٨٠ فى المائة ، ونسبة المثقفين فى هؤلاء المتعلمين لا تنقص عن ٥٠ فى المائة ، ونسبة القارئين من هؤلاء المثقفين لا تنقص عن ٥٠ فى المائة . فعدد من يطمع المؤلفون فى قراءتهم للكتب لا يقل عن ٣٦ مليوناً من القراء موزعين بطبيعة الحال على حسب مذاهب التأليف ورغبة كل فريق فى نوع معين منه بحيث يخص كل مؤلف نحو مليون قد يهبط عند التطبيق العملى إلى نصف مليون

وهذه الموازنة تبين مقدار بطولة المؤلفين بلغة العرب وضآلة الجزاء الذى ينتظرونه على مجهودهم بالقياس إلى زملائهم الإنجليز أو الفرنسيين . ومع هذا فالمشهورون منهم محسودون

جالت فى نفسى هذه الخواطر وأنا أتلقى المؤلفات الأربعة التى وردت فى عنوان هذا المقال ، فرددت قول القائل : « فليسعد النطق إن لم تسعد الحال ! »

دائرة المعارف الإسلامية :

منذ سنوات خلت ران اليأس على كثير من نفوس الشبان المتخرجين فى الجامعة وسواها ، لأن أبواب العمل قد سدت فى وجوههم ، وارتفعت الأصوات بالشكوى ، لأن المثقفين لا يجدون ما ينفقون فيه ثقافتهم ونشاطهم

وفى ظلام ذلك اليأس وضجة هذه الشكوى كان جماعة من الشبان يأوون إلى حجرة مفردة فى عمارة كبيرة وضعت عليها « لافتة صغيرة » باسم « لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية » ، ومن حولهم غرف كثيرة لأعمال كثيرة ليس بينها وبينهم صلة فى سمت ولا اتجاه !

وفى هذه الحجرة المنعزلة لم يأذنوا لظلام اليأس الذى يغشى حياة الشبان ، ولا لضجة الشكوى التى يتمزقون بها فى هذا الظلام ، أن يطرقا بابهم ، ولا أن يعكرا عليهم لذة العمل الذى اتجهوا إليه فى عزيمة وصبر وسكون

عرفت فى ذلك الحين بعض أعضاء اللجنة ، وشاهدت خطواتهم الأولى فى عملهم المرتقب ؛ ثم مرت السنون وانقضت الأيام ، وتعاقبت أحوال وظروف على هؤلاء الشبان وعلى مصر والعالم ، ولكنهم لم يقفوا يوماً ما عن عملهم المختار ؛ وإذا بى أجد

لدىَّ فى هذا العام المجلد الرابع من مجهودهم الضخم وعددين من المجلد الخامس ، وإذا مصر والعالم العربى كله ينتفع بمجهود هذه الجماعة الصغيرة العاملة فى صمت العلماء وتواضعهم ، وإذا المسلمون يعرفون من « دائرة المعارف الإسلامية » أكثر مما عرفوه من الكتب الإسلامية العربية ، لأن الدائرة تركز ما حوته تلك الكتب وتشير إلى مراجعه ، ثم تناقشه وتدلى بالآراء المختلفة فيه ، وتزيد عليه ما كتبه كثير من المستشرقين عن الشئون الإسلامية ، وتعليقات من كبار المسلمين الأحياء على كتابة المستشرقين ؛ وإذا الدائرة بعد هذا كله مرجع ثمين من مراجع الإسلام وبلاد الإسلام ، ودليل مرشد إلى المراجع الكثيرة فى مؤلفات المسلمين وغير المسلمين

ولست أدرى كم قارئاً عربياً أقبل حتى اليوم على قراءة « دائرة المعارف الإسلامية » ، ولكننى أدرى أن كل مثقف عربى فى حاجة لأن يقرأها ليجد فيها كثيراً جداً مما لا يعثر عليه إلا متفرقاً فى مؤلفات عربية ضخمة ، ومما لا يعثر عليه فى الكتب العربية على الإطلاق . وليس هذا بالغنم اليسير

علم اللغة

الدكتور على عبد الواحد وافى مؤلف هذا الكتاب شاب تخرج فى « دار العلوم » ، ثم درس فى فرنسا حتى حصل على الليسانس والدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس ، والآن هو أستاذ بكلية الآداب

وليس هذا كل ما يذكر للمؤلف ، فكثيرون تخرجوا فى « دار العلوم » ، وكثيرون درسوا فى أوربا ، ولكن قليلين هم الذين انتفعوا بدراستهم وثقافتهم كما انتفع الدكتور على عبد الواحد وكتاب « علم اللغة » مثل لهذا الانتفاع الناضج المكين

قرأت هذا الكتاب ، فإذا هو الأول من نوعه فى اللغة العربية ، وإذا الجهد العلمى والدراسة والاطلاع على الكتب العربية والأفرنجية فى موضوعه واضحة أشد الوضوح ، وإذا الرغبة فى الكمال متجلية فيه كل التجلى ، فلم يكن هناك جهد يجب بذله فى الإتقان لم يبذله المؤلف بوفرة وسخاء

والكتاب مقسم إلى ثمانية فصول بعد المقدمة والتمهيد هى : نشأة اللغة الإنسانية وتطورها ، لغة الطفل ومراحلها ومبلغ تمثيلها لنشأة اللغة الإنسانية وتطورها ، فصائل اللغات وخواص كل فصيلة منها وما بينها من صلات ، صراع اللغات ، تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات ، تطور اللغة وارتقاؤها ، أصوات اللغة ، حياتها وتطورها ، الدلالة وتطورها

وبعض هذه الفصول نشر فى « الرسالة » ، ولعل الذين اطلعوا على ما نشر ثار فى نفوسهم ما ثار فى نفسى من الشوق لأن يقرءوا المؤلف كاملاً متسلسلاً متناسقاً . فلقد كان كثير من الأفكار عن اللغة متقطعاً مشوشاً ، حتى جاء هذا البحث فنظمه ورتبه وكساه الثوب العلمى ، وصور اللغة كائناً حيا حياة حقيقية واضحة الملامح ، تخضع لقوانين ثابتة ، لا للمصادفات والأهواء .

وفى هذا الكتاب درست خصائص اللغة التى تدل عليها عنوانات الفصول ، ودرست خصائص المؤلف فى آن واحد !

فالوضوح والدقة والعناية بالشواهد والأمثلة ودراسة كل ما يتعلق بالموضوع وغربلته ومناقشة الآراء المختلفة والاستقلال فى الرأى بعد هذه المناقشة ، واستخدام كل شوارد المعلومات المتعلقة بالفكرة ... كل هذه الخصائص تلمحها فى الكتاب وتلمحها فى صاحبه على السواء .

وقد طالعت بلذة وشغف الأمثلة التى أوردها المؤلف من دراسته لتطور اللغة عند « ابنته عفاف » وأعجبت بانتباهه وصبره على ملاحظتها فتلك بعض سمات العلماء ، وأخشى أن يكون تطور اللغة عند هذه الطفلة متأثراً بمصاحبتها لأبيها أكثر من مصاحبتها لأمها ، وأن يكون فى هذا التطور شىء من البعد عن الطريق المألوف للأطفال الذين يتأثرون بأمهاتهم أكثر من آبائهم ؛ فإن طريقة المرأة فى الحديث وقاموسها اللفظى ونوع معاملتها وتدريبها لطفلها غير طريقة الرجل فى هذا جميعه .

وشىء وددت لو خلا منه الكتاب ، فقد عنى الدكتور بإثبات المصطلحات الأفرنجية مرة بالحروف اللاتينية ومرة بالحروف العربية مع ذكر ترجمتها . وتلك دقة مشكورة ، ولكنها تشوش ذهن القارىء العربى الذى لا يعرف لغة أجنبية ، والذى يعرف على السواء . وكان يكفى كتابة المصطلحات بالحروف اللاتينية مع إثبات ترجمتها العربية فالقارىء العربى الذى يعرف لغة أجنبية لا يحتاج لكتابة الاصطلاح الافرنجى بحروف عربية

ولا ينتفع به والذى لا يعرف لغة لا تجديه صورة الاصطلاح بالحروف العربية شيئاً وحسبه ترجمة

وذلك مأخذ شكلى صغير . أما الكتاب كله فتحفة للمكتبة العربيـة جدير بأن يفتح للنقد اللغوى والأدبى مجالاً جديداً فى مطالعات القراء .

ضحكات ابليس

هى قصص قصيرة فى كل منها ضحكة خفية أو غمزة متوارية تبدو فيها « المفرنة » التى تهيء للعنوان العام !

وقد أصدر مؤلف هذه المجموعة الأستاذ صلاح الدين ذهنى مجموعة قبلها باسم « رئيس التحرير » وقصة طويلة اسمها الدرجة الثامنة ، وهذه هى محاولته الثالثة

تضم هذه المجموعة أربع عشرة قصة قصيرة ؛ والقصة القصيرة أصعب وأدق من القصة الطويلة التى تتسع للترسل والعرض والتحليل ، كما أن القصة أصعب على العموم من الرواية ، لأنها تستغنى عن الوقائع الروائية ، فلا بد أن تستعيض عنها بعناصر أساسية فى صلبها تعوض هذا النقص ، وتلذ للقارئ لذاذة العنصر الروائى الجذاب

ومؤلف هذه المجموعة قد خطا خطوات تستحق الالتفات فى مجموعته الجديدة ، ففيها خمس قصص على الأقل تعد ناضجة كاملة وهى نسبة كبيرة جداً فى فن ناشئ فى اللغة العربية لم يتعد حتى اليوم حدود المحاولات ، وهذه القصص هى : مانكان ، وقريتنا النموذجية ، وكلاب وناس ، والمفريت ، والتوبة

والقصص الثلاث الأولى اجتماعيـة تلمس ثلاث جوانب فى حياتنا الاجتماعية المصرية تصور أولاها « كاريكتيرا » صادقاً لـكثيرين من المشتغلين بالمسائل السياسية ، الذين لا تتعدى وسائل نجاحهم فى هذه المسائل أن يكون كل منهم « مانكان » دمية لا رأى لها ولا عقيدة إلا شرح آراء الآخرين ومناصرتها والتقلب على أشكالها ، وتصور الثانية « كاريكتيرا » حقيقياً لتفكيرنا فى إصلاح الريف ذلك التفكير الذى يجنح للترف والرفاهية والظواهر ويغفل المشاكل الحقيقية ولا يحاول الاتصال بعقليـة الريف الصميمة . وتصور الثالثة « كاريكتيرا » مؤلماً لتفاوت الحياة بين قوم وقوم فى مصر ، حيث يموت النـاس فى سبيل الـكلاب المدللة المحبوبة عند الأسياد المترفين !

والقصتان الأخيرتان إنسانيتان ملونتان باللون المصرى ، اختار لأولاهما شخصية « وكيل المحامى » فى الحى البلدى ، فأبدع فى تصويرهما مما إبداعاً ذكرنى بالقصص الروسى البسيط العميق . واختار للثانية شخصية « الزوج المقاس » ، الهاجر للبيت والزوجة حين يستيقظ ضميره ؛ وقد استوحى فيها قصة « مفلسة نيم » للـكاتب الفرنسى « أندريه ديماس » ، وبالفعل جاء أفقها أوسع من آفاق القصص الأخرى .

وفى القصص الباقية محاولات تنبئ عن تبلور وشيك ، وتركز مرقوب

أسبوعان مع على ماهر فى السودان

مؤلف هذا الـكتاب الأسـتاذ « محمد حسنين مخلوف » شاب اشتغل بالصحافة حيناً من الزمن فانطبع تفكيره بالطابع الصحفى . وفى كتابه يبدو هذا الطابع واضحاً : العناية بالأخبار والدراسة السريعة المختصرة المفيدة للحوادث والمظاهر ، والسرد الممتع الجذاب ...

وتبدو فى هذا الـكتاب « روح الدعاية » ، ولـكن هذا لا يؤثر فى شخصية الكتاب ، ولا يحجب ما فيه من لذة موضوعية وفائدة محققة ، فلست أنكر أن السودان كان قبل قراءتى لهذا الـكتاب شيئاً غامضاً مجرداً من التعاطف الحى بينه وبين نفسى . كان فكرة سياسية فى خاطرى كل ما يجمعنى به هو أنه شطر وادى النيل الذى يحتم على الإخلاص الوطنى والـكبرياء القوى أن أستمسك به ، وأدعو للاستمساك به ...

ولكن السودان قد استحال فى نفسى بعد قراءة هذا الكتاب كائناً حياً يعاطفنى وأعاطفه ، وقد شعرت بحقيقة الأواصر الدموية والعاطفية والعقلية والاقتصادية والسياسية التى تربط شطرى الوادى ، وتعيد وقائع التاريخ الجامدة قصة حياة نابضة

وكل مصرى فى حاجة إلى الاطلاع على هـذا الكتاب ؛ وإن وزارة المعارف لتحسن صنعاً لو جعلته فى متناول أيدى مدرسيها وطلابها ، إذا شاءت أن يحس الجميع إحساساً حياً قوياً بحقيقة العلاقة بين مصر والسودان ، وشاءت أن تمد القومية المصرية بجرعات منبهة ، وأن تحيل مصر والسودان فكرة واضحة فى ذهن الناشئة . وهذا ما يجب أن يكون .

سيد قطب

(حلوان)



مساجلات

١ — عرفتُ من كلمة الأستاذ « ا . ع » كيف كان وجه الخلاف بيني وبين حضرة صاحب العزة العوامرى بك يوم تعقبته فى جريدة (البلاغ) بمناسبة الكلمة التى نشرها فى مجلة المجمع اللغوى عن (التجديف) وكنت ظننت أن تعقبيى كان يرمى إلى إقرار كلمة (التقذيف) لأن ورودها فى مؤلفات الشعرانى بهذا الضبط يشهد بأن المصريين لا يقولون (تجديف) إلا كما يقولون جال فى مكان قال ، وأهل اليمن ينطقون القاف جاف ، وعلى سنتهم يسير بعض أهل الصعيد وبعض أهل الشرقية

وأختصر الطريق فأقول : يرى العوامرى بك أن التجديف والتجذيف والتقذيف كلها خطأ ، والصواب : الجدف والجذف والقذف .

فهل أرجو من الأستاذ « ا . ع » أن يحكم بينى وبين العوامرى بك ؟

إليه أقدم البرهان فأقول :

الجدف أو الجذف أو القذف لا يصوِّر الحركة التى يثيرها الجداف أو الجذاف أو المقذاف . والعرب لا يضعِّفون الفعل إلا وفقاً لغريزة لغوية تجعل الفعل المضعَّف أصرح دلالةً فى تعيين المعنى المراد ، ومصدر المجرَّد لا يؤدى الصورة التى يؤديها مصدر المضعَّف ، فقطعُ الحبْل غير تقطيع الحبل ، والمقذاف لا يَقذف وإنما يُقذِّف ، كما تشهد عملية التقذيف

أما القول بأن كلام الشعرانى لا يغنى فى الاستشهاد فردود بأنى لم أقصد الاستشهاد وإنما قصدت الاستئناس ، والشعرانى يحكى كلاماً صحيحاً لا غبار عليه ، إلا فى نظر المتكلفين ، وحُوشيَ العوامرى بك من التكلف ، فهو من أعضاء المجمع اللغوى ، وهم رجال يبيحون الاستئناس بكلام العوام فى مختلف اللهجات !

وسكت الأستاذ « ا . ع » عمـا قلت به من استيطان الألفاظ ، والاستيطان هو الاستوطان ، ولعنة الله على الإعلال فهو إعلال !

فهل يكون سكوته دليل القبول ؟

٢ — لما جمع الأستاذ السباعى بيومى نخوراً على نخورين تعقّبه (ناقدٌ جليل) بكلام يأخذ قوته من السماع والقياس ، فما رأى الناقد الجليل إذا رجوته أن يتسامح فى جمع نخور على نخورين وجمع غيور على غيورين ؟ وما رأيه إذا صارحتُه بأن التصحيح فى أمثال هاتين الكلمتين أقوى فى الإبانة من التكسير؟ وهل تكون كلمة غـُيُر فى مثل قوة كلمة غيورين ؟ فى التكسير نفسه شواهد تؤيد القول بحرص العرب على زيادة المبنَى : فأسَد يُجمع على أسْد وأُسود ، فهل تجرى أسد على ألسنة الناس بقدر ما تجرى أسود ؟

يضاف إلى هذا أن البلاغة قد توجب الخروج على القياس فى بعض الأحيان ، وهل كان القياس فى أغلب مناحيه إلا ضرباً من الشذوذ ؟ وإلا فبأى حق يكون (فَعِيل) بصورة واحدة فى التذكير والتأنيث إذا كان بمعنى مفعول ؟ وما الذى يمنع من الاستئناس بقول صاحب اللسان (امرأة دفينة) وقد جرى كلامه على الأصل فى التفرقة بين المذكر والمؤنث ؟ والقِدْر بدون تاء فى كلام الشعراء ، وهى قِدرة على ألسنة العوامّ فى مصر ، فأى اللفظتين أفصح ؟ الأفصح هو قِدرة ، لأن التاء تؤكد التأنيث ، ولو كره العوامرى والنشاشيبى

وخلاصة القول أنى أدعو إلى التخفف من أثقال التصريف حين تطغى العلة الصرفية على المعنى اللغوى ، ولو كانت مراعاة التصريف نافعة فى جميع الأحايين لراعاه العوامّ وهم أصدق إحساساً بمدلولات الكلمات ، لأن محصولهم اللغوى يتكون من ألفاظ تنبض بالحياة فى كل وقت ، فالعوام يقولون : إوعَ ، والصرفيون يقولون : عِ . وهل تكون عِ أفصح من إوعَ إلا فى نظر من يستخفون بحكم العقل ؟ والعوام يقولون فى أغانيهم : إوْفِ بوعدك ، والصرفيون يقولون : فِ بوعدك . فأى الكلمتين أفصح ؟

وخادم يذكر ويؤنث ، ولكن عوامّ مصر لا يقولون إلا خادمة فى التأنيث ، فمن ينكر أنهم على صواب ؟ وأنا أسمى

الزوجة زوجة فى جميع ما أكتب ، ولا أرى رجلاً يقول : (سأستشير زوجى) إلا عرفت أنها عليه من القوّامين

٣ — يتوهم كثير من الشبان أن لى مكتباً فى دار الرسالة وأنى أشارك الأستاذ الزيات فى فحص ما يَرِد على الرسالة من أقوال الكتّاب والشعراء ، ومن أجل هذا يوجّهون إلىّ العتب عما يتأخر نشره من آثارهم الجياد !

وكنت أرجو أن يصح هذا التوهم الجميل ، لأشارك الزيات فى توجيه الجيل الجديد ، ولأنشر كلمة الأستاذ محمد كامل سليم بك ، فما هى كلمة هذا الأستاذ الجليل ؟

رجاه الأديب الأريب عبد الرحمن أبو العينين أن يوصى الأستاذ الزيات برعاية ما يقدّم إلى (الرسالة) من كلمات أو مقالات فرد عليه بهذا الجواب النفيس :

« لستُ أرى من مصلحة الأدب أن أقحمك بنفوذى فى ميدانه، ولا أرى من مصلحتك أنت أن أظهرك بسلطانى بين فرسانه ، وإنما أرى من مصلحة الأدب ومصلحتك معاً أن تبرز مستقلاً بأسلوبك وبيانك ، وتشغل الناس بأفكارك وبرهانك ، وفى ذلك مصلحة ظاهرة للأدب وكرامة واضحة للأديب »

ويخطئُ أشنع الخطأ من يتوهم أن التشجيع ينفع بشئ ، فالقوة الذاتية تقتحم الحواجز والحصون حين تستكمل عناصر الجبروت . والأديب الموهوب سيجد مكانه وإن تخلف عن نصرته ساسة الفكر وقادة البيان

٤ — لم أجب الأستاذ صلاح الدين المنجد فى سؤاله عن أسلوب الأستاذ أحمد أمين ، وقد أجاب عنى أحد الفضلاء فى جريدة « صوت السودان » فليرجع إلى ذلك الجواب إن شاء .

٥ — لبعض القراء مزاج غليظ ، وهو إرسال خطابات مفزّمة وبدون إمضاء

وأقول إنى سأرفض جميع الخطابات المفزمة ولو صدرت عن « الصدرية » فى بغداد ، فمن طاب له أن يداعبنى بهذا الأسلوب « المقبول » فليعرف أن دِعابه مردود

٦ — يظهر أن مقالاتى فى مجلة الرسالة تضايق فريقاً من الناس فيتصدون للرد عليها فى بعض الجرائد والمجلات . فأرجو من أولئك الناضبين أن يرسلوا إلىّ ما يكتبون لأجيبهم إذا اقتضى الحال

٧ — تصل إلىّ من وقت إلى وقت بعض الكتب عن طريق الإهداء ، وأنا أرجو من أخطر فى باله من المؤلفين أن يرسل ما يرسل بثمن محول على البريد ، لأستطيع القول بأنى أشارك مشاركة جدية فى إنهاض التأليف ، ودفع ثمن الكتاب لا يمنعنى من الإعلان عنه فى مجلة الرسالة بالمجان حين أراه جديراً بالثناء

وبهذه المناسبة أذكر أنى تلقيت مؤلفات فى غاية من الجودة ، منها (حكايات من الهند) وقد ترجمها الوطنى الصادق عبده حسن الزيات أحد نوابغ المحاماة والاقتصاد ، ومنها (مصر القديمة) للمؤرخ الكبير الدكتور سليم حسن بك ، و (عِلم اللغة) للباحث المحقق الدكتور على عبد الواحد وافى ، و (تاريخ الدروز) الذى ترجمه الكاتب المبدع أحمد تقى الدين ، و (الأشواق) للشاعر محمود أبو الوفا ، و (الأغاريد) للشاعر محمد فهمى ، و (المكتوب على الجبين) للرجل الكامل محمود تيمور ، وسأتحدث عن هذه المؤلفات بعد قليل

أما دائرة المعارف الإسلامية ـ وقد ظهر منها المجلد الرابع ـ فلا تحتاج إلى تنويه ، لأنها أظهر عمل قام به المتخرجون فى كليات الجامعة المصرية ، ولأن الأستاذ العقاد لم يترك فى الثناء على مترجميها مزيداً لمستزيد

زكى مبارك

فى اللغة

قرأت فى العدد ٤٠٥ من الرسالة الغراء قصيدة بليغة عنوانها (ميلاد نبى) ، للشاعر الكبير الأستاذ محمد عبد الغنى حسن . فعنت لى ملحوظتان لغويتان أود أن أعرضهما على الأستاذ وهما :

١ — قال فى وصف الجاهلية :

متفرقين هناك ... لم يتفيئوا تحميلة ... أو يمسكوا ببناء

فعدى الأستاذ (يتفيئوا) باللام وهذا ما لا أعرفه .

قال الجوهرى : « وفيّأتِ الشجرة تفيئة ، وتفيّأت

أنا فيها » . وفى الأساس : « وتفيأتُ بالشجرة » . وفى التاج : « وعداه أبو تمام بنفسه فى قوله : فتفيأت ظله ممدوداً »

فهل اطلع الأستاذ على نص يتعدى فيه (تفيأ) باللام ؟

٢ — وقال :

ميلاد (أحمد) كان مولد أمة عربية وشريعـــة سَمْحاء

والذى أعرفه أن يقال : (سمحة) لا (سمحاء) ، فإن من معانى السماحة السهولة واليسر . فيقال : « عود سمح : بَيِّن السماحة مستو لا أبن فيه » كما فى الأساس

وفى التاج : « وقولهم : الحنيفية السمحة : هى الملة التى ما فيها ضيق ولا شدة » هذا مبلغ اطلاعى . والله أعلم

(ا . ع)

حول الدين والفلسفة

قرأت كلمة الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور محمد البهى بعدد الرسالة رقم ٤٠٦ ، وفيه أراد كما يقول أن يضع أمام القارئ مادة للاجابة عما إذا كان من مصلحة الدين (أن يُفلسف بأن تشرح حقائقه بآراء الفلاسفة ؟) وهذا موضوع للرأى فيه مجال كبير ليس من همى الآن الأخذ بنصيب فيه ، ولكن وقفنى عند قراءته ماذهب إليه السيد الأستاذ من أن العقل الإسلامى جعل شعاره وهو يعالج ما أثارته الفلسفة الإغريقية من مسائل أنه (إذ انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال) لأن الحكمة ليست إلا موالدة الديانة وأن هذه ليست إلا متممة لتلك كما جاء فى مقابسات التوحيدى ، رأيت فى هـذا الرأى وما تقـدم به حضرة الأخ الكاتب لتأييده من سند ما يستوجب هذا التعليق القصير

١ — القارئ لهذين النقلين قد يظن أنهما جميعاً لأبى حيان التوحيدى نفسه ، والواقع غير هـذا ؛ فالأول الخاص بانتظام الفلسفة اليونانية والشريعة ساقه التوحيدى فى أثناء عرضه لرأى إخوان الصفاء ، وطريقتهم فى الفلسفة ، والثانى الخاص بأن الحكمة مولدة الديانة الخ من كلام أبى سليمان السجستانى محمد بن بهرام شيخ أبى حيان ، وليس من كلام التوحيدى نفسه ، وكل هـذا يظهر بالرجوع لصفحة ٤٦ وصفحتى ١٩٩ ، ٢٠٠ من المقابسات

٢ — من الحق أن فلاسفة الإسلام عنوا فيما عنوا به بفلسفة الدين والتوفيق بينه وبين الفلسفة لعوامل عدة ، منها أن الحكمة — كما يقول ابن رشد فى فصل المقال — هى صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة ، وهم فى هذا مسبوقون بمحاولات اليهود والمسيحيين فى هذه السبيل . ولكن لا أرى من الحق أن هذا كان شعار مفكرى الإسلام جميعاً . هناك كثيرون من مفكرى الإسلام لم يكونوا يرون هـذا الرأى ، ولم يكونوا يذهبون إلى فلسفة الدين بشرح حقائقه بالفلسفة ، وأعنى بهم المفكرين غير الفلاسفة من متكلمين وغير متكلمين . ولعل من أقوى الأدلة لهذا ما ساقه التوحيدى ذاته فى أثناء كلامه عن إخوان الصفاء من أن شيخه أبا سليمان السجستانى صرح فى كلام له كثير بعد أن قرأ جلة من رسائل إخوان الصفاء ووقف على قصدهم ، ومنه التوفيق بين الدين والفلسفة ، من أنهم « تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا . . . لأنه أين الآن الدين من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ من الوحى النازل من الشيء المأخوذ بالرأى الزائل[1] » ؟

بعد هذا أظن أن الأمر أوضح من أن نطيل فيه الكلام ويكفى هذه الكلمة التى لم أقصـد بها إلا بيان الحق ، ولعلى أصبت ، وبالله التوفيق .

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

الى الأستاذ عبد المنعم خلاف

سيدى الأستاذ الزيات

اسمح لى بنشر هذه الكلمات التى تخطر لى إثر قراءة مقالات الأستاذ خلاف :

إن هذا هو الطراز من الكتاب الذى كنا نتشوق إليه فى العربية :

منطق قويم ، وفطرة سليمة ، وحرارة وحماسة وإخلاص ، وإدراك للمدنية الغربية ، وعدم تعصب عليها لمجرد التعصب ، وفهم لمحاسنها ، وإدراك لروح الإسلام والدين ، وعدم تعصب له لمجرد التعصب ، وفهم لمحاسنه ، وإدراك للمثل العليا الأخلاقية الصحيحة ،

(١) المقابسات طبع المطبعة الرحمانية ص ٤٧ ، ٤٩



عطر المنصور

للأستاذ رفعت فتح الله

في إحدى قباب بغداد قرأ المنصور ورقة تشكو ، ثم قبضها في يده تتلوى ، وقد ظل يردد كلماتها ، يكاد يتمزع من الغضب ، كأنه سحاب راعد : في عينيه برقه ، وعلى جبينه قطره ، وفوق سمرته غيمه ، ولم يكد يخفف عن الورقة قبضته حتى انتفضت ، كأنها منخنقة فك خناقها ، فبدت آثاره على صفحتها أثناء ، وعلى كتابتها شحوبا !

ألقى المنصور الورقة من يده ، بعد أن ألقى ما فيها في نفسه ، ولقد ارتمد إذ رأى رعيته تشكو بعض عماله ، وكل راع مسئول عن رعيته ، فأين يفر الظالم من شكاية المظلوم ؟ وكيف يواجه ظلم العامل حزم الخليفة ؟

وأخذ يفصل أنواع المظالم ، ثم ينثرها في رأسه ليرسل إليها تفكيره ، فتواردتها آراؤه كأنها حمام سراع إلى حب منثور ، وتزاحمت ، وتضاربت ، حتى أحس ضرباتها في رأسه ، ثم تلاقت الآراء على رأي سن عليه أمره ، وعقد عليه قلبه : أن يعزل العامل لظلمه ، ويأخذ ماله على عينه ، ويترك المال في بيت مفرد ، يسمى « بيت مال المظالم » ويكتب عليه اسم صاحبه

ولما استراح إلى رأيه نادى صاحبه ليأمره أمره ، ثم قام إلى مجلس أهله ليقضي حق الأهل ، فالتقى في طريقه صبياً يلعب ، فمس فرع أذنه بسبابته ، فنظر إليه الصبي نظرة الصغر إلى الكبر ، فأخذه على ذراعه ، وغمز نغانغه ، وكله مداعباً ، ثم قبله على شغف ، وأرسله على مرح قائلاً : إذا كان الحزم مع الكبير مجازاة ، فهو مع الصغير مناغاة :

ونظر غير بعيد ، فإذا رجل يمشي مشية الأسيان ، يرس الحديث في نفسه فتتحرك شفتاه بما لا تسمع أذناه ، ويفتح عينيه ولكنه لا ينظر بهما ، كأنهما انعكستا على رأسه ، فتجسمت فيهما صور ما وراءهما من تفكير ، ولم تتصور أشباح ما أمامهما من منظور ، فهجس في نفس المنصور أنه يرى مظلوماً أصابه بعض عماله ، وارتجع إليه فكره الأول ، فلم يلبث أن أشار إلى الرجل الذاهل إشارة ضاعت في ذهوله ، فأومأ إلى عصا ألقيت في طريق الرجل فاعترضته حتى كاد يتعثر ، ولكنه اعتدل ولم يلتفت !

صاح حاجب المنصور : أيها الرجل !

فالتفت الرجل التفاتة كأنها إفاقة للمغشي عليه ، ثم برق عينيه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين

قال المنصور : وعليك السلام يا أسير الشجون ! هل تذكر اسمك ؟ !

قال الرجل : سعيد ... سعيد ... يا أمير المؤمنين !

قال المنصور : أسعيد أنت ؟

قال الرجل : ذاك اسمي لا وصفي ، والأسماء من اختيار الآباء ، والأوصاف من اختيار الأقدار !

قال المنصور : وكيف كنت مع الأقدار ؟

فتأوه سعيد ، وقال :

— جعلتْ حياتي تتلوّن تلوّن الزمن : من سواد الليل إلى بياض الصبح ، ومن حمرة الهجير إلى صفرة الأصيل ... فلقد كان مشرق شبابي مغرب والدي ، وكان ميراثي منه وفراً من الوصايا ونزراً من الدراهم ، فما مددت يدي إليها حتى بعثت فيهما

وأفكار سديدة بارعة ، وبيان رائع .

هل تدري يا سيدي خلاف أننا نقرأ مقالاتك المرة تلو المرة تلو المرة ، ثم لا نكتفي ، ونحس بدافع يدفعنا إلى الإعادة ...

إننا نود لو نتلوها كل يوم ، ولكن يعوقنا عن ذلك أنها غير مجموعة في كتاب

إن كل ما تكتبه جميل ورائع وحبيب إلى نفوسنا لصيق بها

هذه كلمات صوادق . إنها ليست لك ؛ إنما هي للفكرة التي تدعو إليها وتدافع عنها ، إنها لنا (المقالات) ... لأنك تخدمنا بها وتفيدنا .

(دمشق) بشير صادقه

نشطة العمل ، كأنها رقية التكسب ، فتاجرت وأخلصت للتجارة حتى برّت بى ودرت ، لله درُّها ! فقد صرت أعد أو قاتى بالدنانير حتى خيل إلى أن أشعة الشمس تجمد فى يدى ذهباً !

فحدقه المنصور بعينين تطل منهما نفسه المحبة للمال ، وقد كان المنصور يجمع فى صفاته قوة الحزم ورجاحة الرأى وحب المال وطهارة اليد . فسطع فى عينيه من معنى الذهب بريقه ، ثم غلب عليهما من معنى الحزم حديده ؛ ثم قال : أليس فى هـذا سعدك يا سعيد ؟ فكيف احتضرك الهم ؟

قال سعيد :

— لقد كنت أمس قريرَ العين بهيجَ القلب ، إذ رجعت من سفرة راشدة — فى تجارة رابحة — فدفعت إلى امرأتى ما أحضرتُ من كرائم الأموال ، وطفِقتُ أشغَلُ يدى بتصفيفها ولسانى بتحسينها ، حتى أخذتنى نشوة الظفر بما كسبت فأهديتُ ، وأسرعت المرأةُ للقبول ... آه ! يالها من مجول ! ! تركتها ضائق النفس ، وخرجت إلى الناس أؤدى حقوقاً تزمتنى بالإياب ، ثم رجعت إلى منزلى مع الليل ، فأسرّ إلى حُلماً مُنمنما ، تشيع فيه أضواء الذهب ، وتنوس عليه أهداب الديباج ، حتى استرد الليل بُردته السوداء ، وطوى فيها حلى الهنىء ، فصحوت أمد يدى ... قالت المرأة : مالك ؟ قلت : أين المال ؟ قالت : المال أخذ ... أحسست أن عقلى أخذ معه ، وقمت أتفحص عن الجدار فما وجدت نقباً ، وطفت أتوسم فى الأثاث فما رأيت أثراً ، فأى لص هجم على بيت كأنه حصن ؟ وكيف تسور أو تدخل ؟ تخيل لى أن عقلى قد اختنق ، وأن صدرى قد اشتعل ، فسرت تبهان هائماً كمحترق يفر من نار شبت فيه ! ! . . . وهكذا رأيت قرة عينى تسيل فى دموع كأنها ينبوع ! . . . وأحسست بهجة قلبى تطير فى خفقان ، كأنها غِربان ! ...

قال المنصور : لعل المال مأخوذ غير مسروق

فنظر إليـه سعيد نظرة سائلة وهو يردد قوله : مأخوذ ! مسروق ! ... مأخوذ ! مسروق ! ...

فأطرق المنصور عنه قليلاً ، ثم قال : منذ كم تزوجت امرأتك ؟

قال سعيد : منذ سنة

قال المنصور : شابة أم مسنة ؟

قال سعيد : شابة

قال المنصور : ألها ولد ؟

قال سعيد : لا !

قال المنصور : أبرْزة إلى الرجال ، أم مقصورة فى الحِجال ؟

قال سعيد : برزة

قال المنصور : جميلة ؟

قال سعيد : إن وجهها كالدينار : أخذت بريقه واستدارته

فهمس المنصور : وتركت لك رنينه وصفرته

ثم قال : يروقك جمالها إذن !

قال سعيد : إنها كالبدر يا أمير المؤمنين

قال المنصور : ذكية ؟

قال سعيد : إن ذكاءها هو السماء التى تُطلع بدرَها

قال المنصور : تلك امرأة حبيبة

قال سعيد : وذاك اسمها يا أمير المؤمنين

قال المنصور : والمـال الفقيد حبيب أيضاً ! وابتسم ، فقز سعيد وابتأس !

قال المنصور : لا تبتئس ، فعسى أن يرجع إليك مالك

ثم دعا بقارورة طيب كان يهتم به ويختص ، وقال : يا سعيد هذا طيب يتفاءل به ، فخذ منه شيئاً عسى أن يكون جلاء همك وصقال نفسك ، واستبشر بمسيسه كأنه حظ عصر لك فى مدهن ! وتمتع من شميمه كأنه من أرواح الجنة !

فأخذه سعيد وقبله كأنه تميمة سعادة ، واصطانه كأنه مفتاح خزانة ؛ ثم سلم على الخليفة ، وانقلب إلى أهله وقد انتشر الأمل على أصغريه ، كما انتشر الطيب على عطفيه . فلما دخل على امرأته قالت : إنى أشم عطراً يتضوع منك . قال : ذاك عطر وهبه لى أمير المؤمنين ، وإنى واهب لك منه شيئاً عسى أن يكون لبيتنا فألاً ميموناً . فابتسمت شاكرة للزوج الواهب ، ثم انصرفت مفكرة فى العطر الموهوب

دعا المنصور أربعة رجال من ثقاته وأرامم طيبه ، وأشمهم منه ، ثم قال لهم : أقعدوا على أبواب المدينة ، فمن مر بكم وعليه

شيء من هذا الطّيب فأتوني به . فذهبوا حيث أمرهم الخليفة ، وجعلوا يتربّصون بمن يعرّبهم أريجَ الطيب ، حتى ضم الليل شملته السوداء ومضى ، وبث الصبح في أطماره ؛ فرقمت الأرض بالأقدام والظّلال ، وهم يترقبون ويتشممون ، كأنهم من كلاب الصيد في توقع الفريسة ، وإذا رجل قد توهج منه الطيب يجتاز أحد الأبواب ، فانقض عليه أحدهم انقضاض عتاق الطير ؛ فاهتز اهتزاز فراخ الصيد ، وغيّمت الدهشة في رأسه ، فمادت نفسه ، وحارت عينه ، وسأل فلم يجد جواباً ، ونظر فلم يرَ مناصاً ، وسيق تائهَ المساق حتى قدم إلى الخليفة ، فتقدم ، ثم سلم تسليم مروّع لا يدرى من أين رَوعه ؟

قال المنصور : ما الذى أقدمك ؟

فنظر الرجل إلى الذى ساقه وقال : الجواب عند هـذا يا أمير المؤمنين !

قال المنصور : ما اسمك ؟

قال الرجل : حبيب !

قال المنصور : ما أحب اسمك !

ثم مد رأسه من وراء أنفه وتشمّم ، ثم قال : وما أطيب طِيبك ! ...

قال حبيب : هو نفحة من يُمنك يا أمير المؤمنين

فضحك المنصور ، واستعجب حبيب من ضحكه

قال المنصور . أنى لك هذا الطيّب ؟

فارتد حبيب كأنه لديغ ، ونظر نظرة قد تخشمت جزعاً

فتبسم المنصور ، وقال : لا ترع ، فما أريد بك سوءاً ، وإنما كان مثل هـذا الطيب يفوح من سرقة بالأمس ، وقد باح به جسمك اليوم ، وإنى أخشى أن يلصق بك ما تهم به !

قال حبيب : يا أمير المؤمنين ...

قال المنصور : ... وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ...

قال حبيب : أنا ...

قال المنصور : وأنا أرى على وجهك مسحة براءة ، وعلى يديك مسة طهارة ، ولكنى أمرت أن أحكم بما ظهر ، والله ما بطن .

قال حبيب : ليس عندى من المال قديم ولا جديد إلا هدية أهداها إلى من لا أشك فيه

قال المنصور : ومن أهداها إليك ؟

فاعتُقِل لسان حبيب فى فه !

قال المنصور : لقد رأيتك تدرأ عن نفسك حتى كدت تبرأ لولا غموضة تريب تلك الهدية ، فهلا استكملت البراءة ، ونزعت عن يديك تهمة ليست لبوساً لك ! وإنى موسع عليك ومخيرك : فإما أن تذكر من أهدى إليك فتجلو صفحتك ويقلب القضاء صفحته ؛ وإما أن تنزل عن الهدية لنعرضها على صاحب المال فتسلم من آخر شيء يعلق به الاتهام ، ويكون ذاك أغنى عن التصريح وأنفى للشك وأبلغ فى العذر

كاد حبيب يتكلم فيسلم ، ولكن قلبه خفق فسكت ، ودارت عينه ، ودار من ورائها رأسه ، لا يدرى : أيمسك المال على بغض يمسه اتهام الأمير ! أم يتركه على حب يوحيه إهداء الحبيب ؟ فإما أن يذكر مهدية المال خلاصاً فنفسه دون ذلك فداء، والفداء من سنة الحب ، وما كان لغم طهره الحب أن تدنسه الوقيعة ! ... ولقد تعجب حبيب من صروف الأقدار فى تصريف الأموال ،فإنه ما كان ليعبأ بمال حتى يَفتن فى جمه ويُفتن بكنزه، وما تكاثفت سحابة من كسبه حتى تقاطرت فى صرفه ! كأن المال زائر عابر : ما سلم حتى ودع ! ولكن هـذه الهدية عريت عنده من معنى المال ولبست معنى القلب ، فما يحسب رنين ذهبها إلا صَدَى الخفوق ! ووثب خياله إلى رجل هنالك قد تجمد قلبه جمود الذهب حتى عد خفوقه رنيناً ! . . . رجل هنالك ! . . . وأزعجه الخيال بوثبته ، فصحا من غفوته ، فإذا الخليفة يجسه بعينه وبجانبه صاحب الشرطة !

قال المنصور لصاحب الشرطة : خذ هـذا الرجل ، فخيّره فى ما خيّرته ، وأمهله ، فعسى أن ينجده وقته ، فإن أبى فصب عليه من العذاب ألفَ سوْط !

(البقية فى العدد القادم)

رفعت فتح الله

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 408

Lundi - 28 - 4 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الإثنين أول ربيع الثانى سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٨ أبريل سنة ١٩٤١ » العــدد ٤٠٨

الفهـــرس

صفحة

٥٧٧ هـل انبعث الأزهر؟ ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٥٧٩ القرآن والمسلمون ... ... : الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
٥٨٣ الفـرد هو الحجـر الأول لبناء المجتمع ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٨٧ أومن بالانسـان ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٥٩١ المعجوزات ... ... : الأستاذ على الطنطـاوى ...
٥٩٥ نظرات فى الشعر ... ... : الأستاذ محمود البشبيشى ...
٥٩٨ البعث ... ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٥٩٩ الفرس والعـراق ... ... : الدكتور عبـد الوهاب عزام
عود إلى « التجديف » ... : الأستاذ الكبير (١ . ع) ...
٦٠٠ مسابقة وزارة المعارف لتشجيع التأليف فى القصـة المصرية ... ...
تعقيب على نقد المناظرات ... : الأستاذ محمد عبد الله ...
الفكر والفوضى ... ... : الأستاذ السيد خليـل ...
٦٠١ وأد البنات عنـد العرب فى الجاهليـة ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٦٠٢ عطر التصور ... [قصة] : الأستاذ رفعت فتح الله ...

هل انبعث الأزهر؟

يغلب فى ظنى أن الأزهر انبعث فسمع فرأى ففكر! إنبعث كما ينبعث الربيع فى أوائل مارس ، تراه سليب الشجر جديب الأرض مقرور النسيم ، ولكن أسرار الحياة تكون — من وراء بصرك — قد انبثت فى الثرى ، وجرت فى الأصول ، وسرت فى الجو ، فلا تلبث أن تستعلن فتسعد الأرواح بجميل الزهر ، وتمتع الأجسام بطيب الثمر

هؤلاء هم شباب الأزهر الجديد أساتذة وطلاباً ، قد جلت نفوسَهم ثقافة العصر ، وصقلتها مدنية الحاضر ، فأشرقت عليها أشعة النبوة ساطعة بعد ما حجبها الغمام والقتام حِقباً بعد حقب. فهم وحدهم الذين يدركون مسافة البعد بين روح الأزهر وحياة الناس ؛ وهم وحدهم الذين يعلكون تزييف الأباطيل المقدسة التى اتسمت بسمة الحق ، وتسمَّت باسم الدين؛ ولكنهم حول هذا الهيكل البالى أشبه بالأغصان الخِلفةِ التى تنبت نضيرة على أصل الدوحة العتيقة ، ثم لا يتسنى لها الغلظ والسموق لأن الجـذور الشيخة لا تمدها بالغذاء كله ، والفروعَ الميتة لا تمكنها من الهواء كله . فاذا لم يرسل الله رسول الإصلاح ويؤته ما آتى أولى العزم من الرسل ، فيقطع من أعالى هـذه الدوحة ما اعوج ، ويجتث من أسافلها ما ذبل ، ويكشف عن جذعها الواهن ما التف عليه

من طفيلي النبت ، بنى الجفاف على هذه الأفنان النواشىء فتذوى فى زهرة العمر وبكرة الربيع

* * *

دفعنى إلى تسجيل هـذه البشرى وتسجيل هذه الظاهرة فى هذا الوقت الذى شغل الأذهان بوحوش النازية الهاجة ما قرأته للأستاذ شلتوت اليوم ، وللأساتذة المدنى والبهى والشرقاوى من قبل ، وما سمعته من صفوة من أولئك الأساتذة الأزهريين الشباب ضمهم مجلس من مجالس الرسالة ؛ فلقد كنت ـ علم الله ـ أدعو إلى إصلاح الأزهر وفى نفسى خالجات من اليأس ؛ لأن أهله الذين وقفوا عقولهم عند حد النقل ، وقصروا جهودهم على درس القديم : يشرحونه ، أو يحشونه ، أو يقررونه ، أو يختصرونه ، أو ينظمونه ، حتى قرَّ فى نفوسهم أن القديم أفضل من الجديد ، والماضى خير من الحاضر ؛ فالقرن الأول خير من الثانى ، والثانى خير من الثالث ، وهلم جرا حتى يجعلوا القرن العشرين شر القرون ، وعلماءه أجهل الناس ، فلا يجوز لفهم أن يبتكر ، ولا لعقل أن يعترض ، ولا للسان أن يقول : إن فى الإمكان أبدع مما كان ؛ أولئك لا يستجيبون لدعوة الإصلاح لأن الإصلاح تغيير أو إبداع ؛ وقبول التغيير محال ما لم يتغير ما بالنفس ، وإجازة الإبداع باطلة ما لم يتضح معنى البدعة . ومن أجل ذلك كان لـكل مهدىٍّ « عليش » ، ولـكل محمد عبده « رفاعى » ، ولـكل مراغى « . . . »

أجل ، كان يخالجنى اليأس من نهوض الإصلاح قبل أن أتصل عن طريق الرسالة بهذه الطبقة الممتازة من الأساتذة الشباب وتلاميذهم الأنجاب فى كليات الأزهر الثلاث . فلما عرفتهم وفهمتهم انبثق فى صدرى الأمل فى أن الأزهر سيعود ويقود ، وأن الإسلام سيحكم ويسود ؛ والأمر رهن بدفن الرميم وكسح الهشيم وانفساح المجال وتحرر العقلية العامة

أعجبنى من الأستاذ شلتوت وأصحابه خلوص الدين فى قلوبهم ، ونصوع فكرته فى عقولهم ، وفهمهم إياه على أنه دين هـذا العصر وشريعة هذا الناس ، فنحن أبصر بموقع الحكمة فيه ، وأجدر باستنباط الرأى منه . والدين كالشمس ، لا هى تراث ولا هى أثر . وإنما الشمس للحاضر لا للماضى ، وللحى لا للميت ، يستفيد منها الفرد بعد الفرد ، والجيل بعد الجيل ؛ ثم يقتضى اختلاف النظر وتقدم العلم أن يختلف فيها العلماء ، وتتعارض فى نظامها الآراء ؛ ولكن رأى فيثاغورس أو بطليموس ، لا يجوز أن يوازَن برأى نيوتن أو هرشل

هذه هى المرونة البصيرة التى توجبها سنة الحياة ولا يكون بدونها إصلاح ولا تطور . ولم يُصَب الأزهر بهـذا الجمود إلا لأنه فقد هذه المرونة ، فلم يبال فِعْلَ الزمن فى الدنيا وفى الناس . لذلك لم يعلم التاريخ جامعة من جامعات الأرض بقيت فى القرن العشرين على ما كانت عليه فى القرون الوسطى غير الأزهر !

كان الأزهر أسبق الجامعات الباقية فى الدنيا إلى الوجود . أنشئ عام ٩٧٢ م وأنشئت جامعة بولونيا عام ١١٠٠ م وجامعة باريس سنة ١١٥٠ م ؛ ثم تتابعت بعدهن الجامعات فى أوربا وأمريكا وكانت كلها تنحو منحى الأزهر فى النظام والمنهاج والطريقة ؛ إلا أنها سايرت الزمان وأطاعت التطور واستجابت لداعى الحاجة ، حتى أصبحت مورداً ومَراداً لأسمى ما بلغه العقل الإنسانى من الثقافة والمعرفة . ولبث الأزهر وحده حيث كان يمضغ كلام السلف ، ويردد لغو الألسن ، ويملل ضلال الأقلام ، ويصم أذنيه عن أصوات العالم وحركات الفلك ، حتى أصبحت المدارس الأوليـة أدنى منه إلى طبيعة العصر ، وأفهم منه لمعنى الحياة !

لسنا اليوم بسبيل البحث فى علل هذا الجمود الزمن المحزن ، فذلك شىء تتصل أسبابه بما انتاب المسلمين من ضلال العقيدة وشيوع الجهالة وفساد الحكم . وبحسبنا أن نسجل نهاية هذا الجمود بما بدا على بعض الأساتذة وأكثر الطلاب من الطموح إلى السبق والنفور من التخلف والزراية على نهج العلم وطريقة الـكتاب . ومن تفاعل فى نفسه القلق والاشمئزاز والسخط لسوء حال أو فساد أمر ، شق عليه الاطمئنان إليه والاحتفاظ به . وتغير النفس إيذان بتغيير الحال ، والشعور بالنقص أول مراتب الـكمال !

احمد حسن الزيات

القرآن والمسلمون

للأستاذ الشيخ محمود شلتوت

وكيل كلية الشريعة

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

القرآن والمسلمون فى العهد الأخير

وصلت إلينا هذه الثورة التى دونت فى بطون الكتب ووضعت موضع التقديس ؛ وهى من الخلط والخبط وتشويه معالم الدين على ما وصفنا

فأقعدت الناس عن النظر فى القرآن ، وملأت أذهان الناس بألوان من الأوهام الفاسدة عن التشريع والعقيدة ، وما يحل وما يحرم ؛ وصار كثير من المسلمين يعتقدون أن الحلال ما أحله فلان فى كتاب كذا ، وأن الحرام ما حرمه فى كتاب كذا ؛ وأن فلاناً ذكر فى معنى الآية الفلانية كذا وكذا . بل وصل الأمر ببعض أهل العلم إلى أن يقول : إن هذا الشىء ثابت فى القرآن ، لأن فلاناً وفلاناً حملوا عليه بعض آيات الكتاب الحكيم !

لم يستطع الجمهور أن يستخلص خطة عملية واضحة من القرآن بطريق مباشر ، ولم يستطع أن يعتمد على هذه التفاسير الموروثة فى استخلاص هذه الخطة التى هو فى أشد الحاجة إليها

أما أنه لم يجد غرضه وحاجته فى هذه التفاسير فذلك يرجع إلى ما فى كثير منها من الحشو والتخليط والاعتماد على الروايات التى لا تصح

وأما أنه لم يستطع الوصول إلى هذا الغرض من القرآن مباشرة ، فلأن هؤلاء القائمين على أمر القرآن من أهل العلم أوهموا الناس — لغرض ما — أن فهم القرآن ومحاولة النظر فى آياته ، بدون استعانة بكتب السابقين وآرائهم التى دونوها غرض بعيد لا يصل إليه إلا الأفذاذ من أهل العلم وأصحاب العقول الراجحة ، وأن من يطمع فى ذلك أو تحدثه به نفسه من غير أن يستكمل شروطه ، فقد عرض نفسه لغضب الله !

يومئذ تصور الناس القرآن كتاباً عزيز المنال ، بعيداً عن الأفهام ، فهابوه ويئسوا من الوصول إلى معانيه ، وتقبلوا فيه وساطة هؤلاء المحتكرين ، وتلقفوا من أفواههم ما جادوا به عليهم ، واقتنعوا به من القرآن كوسيلة من الوسائل يداوون بها ضعفهم النفسى والاجتماعى

انفتح لهم بهذا باب من الانتفاع بالقرآن لا عن طريق النظر فى آياته أو التدبر فى معانيه أو معرفة هدايته وإرشاده ، ولكن على أساس ما تلقفوا من هؤلاء ، فصاروا لا يعرفون القرآن إلا على نحو من الأنحاء الآتية :

١ — التعبد بتلاوته تلاوة مجردة عن التدبر والاعتبار لا تعدو أن تكون حركات لفظية تضطرب بها الشفاه ، وتنغنم بها الخياشيم ومن وراء ذلك قلوب عليها أقفالها

٢ — التبرك به ، فاتخذوا منه التمائم والأحجبة والرقى والتعاويذ !

٣ — استنزال الرحمة به على موتاهم فجملوا يستأجرون لذلك القراء المحترفين ليقرأوه فى البيوت أحياناً وعلى القبور أحياناً لقاء أجر معلوم ، ومال مقسوم

٤ — التماسه دواء للأمراض والعلل الجسمية عن طريق تلاوته أو كتابته أو التبخير به أو محوه بالماء ثم شربه

٥ — اتخاذه وسيلة لاستدرار عطف الغادين والرائحين ، فتسولوا به فى الطرقات وأمام المساجد وعلى أبواب البيوت فى صور تنافى الكرامة ولا تتفق مع التقديس

وهكذا أخذوا ينتفعون بالقرآن ، أو بعبارة أدق يستغلون القرآن على هذه الأوضاع الزرية التى لا تليق بكتاب أنزله الحكيم العليم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور

قد يجد الناظر فى كتب السنة مايفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى رقيته شيئاً من القرآن كالفاتحة وغيرها ، كما أنه قد يجد فى كتب الفقه ما يدل على مشروعية القراءة وهبة ثوابها لأرواح الموتى

وسواء أصح هذا أم لم يصح ، وسواء أكانت الرقية ونفعها لخصوصية فى نفس الراقى ، أم لأسرار ذاتية تحملها آيات القرآن وحروفه ، فإن الذى ننكره على المسلمين اليوم وتلقى التبعة فيه على علمائهم أن ينبذوا كتاب الله وراءهم ظهرياً فى كل شىء ، ويتخذوا هذا القرآن مهجوراً إلا فى هذه النواحى التافهة التى لا تقاس بجانب عظمة القرآن

ألا إن فى ذلك لتصويراً للقرآن بصورة تنبو عنها الأذواق ودعاية سيئة عنه أمام العقول المفكرة لو كانوا يعلمون

* * *

استطار شرر هذه النزعة ، وتفشى وباؤها ، حتى تأثرت بها أذهان المفكرين من أهل العلم والسلطان ؛ تأثر هؤلاء جميعاً إلا قليلاً منهم بهذه النزعة الشعبية الجمهورية ؛ وكان منهم من مالأ العامة وسايرهم فى اتجاهه خوفاً منهم ، وكان منهم من تسمم عقله فملأ ، وفسد تصوره لحقائق القرآن الصحيحة ، واعتقد ما اعتقده العامة فيها

نزل هؤلاء وهؤلاء على حكم الشعب ، فلم يقاوموا هذه النزعة فيه ، بل سايروه فيها وزينوها له ، وأخذوا يدافعون عنها كأنما يدافعون عن حق يتوقف عليه بناء الدين ويرتفع به شأن الإسلام والمسلمين . وإذا ما دعا داع إلى استقبال القرآن ككتاب هداية وإرشاد وتشريع ، تناولوه بالألسنة والأقلام ، واتهموه بالزيغ والإلحاد ، والتضليل والإفساد ؛ والله يعلم المفسد من المصلح ، والمضل من المرشد ، إنه عليم بذات الصدور !

أما الحكام الذين طغت عليهم هذه النزعة وبيدهم مقاليد الأمور والتشريع للبلاد ، فقد توهم بعضهم أن الكتاب بعيد عن مجاراة الحضارة والتشريع الحديث ، وأنه لا يفى بحاجات العقول المفكرة والأمم المتحضرة !

نعم يوجد من بين هؤلاء من يفهم حقيقة القرآن ، وأنه لا يضيق صدره عما يقتضيه التطور الحديث من تشريع وتنظيم ، ولكنه يخشى سلطان هؤلاء العامة من جهة ، ويؤثر أن يجارى هؤلاء العلماء من جهة أخرى ، لئلا يتهموه بالمروق ومعاداة القرآن ، فلذلك تراه لا يحب أن يعقد بينه وبين هذه الموضوعات الشائكة صلة ، ولا يشاء أن يمد يده ليضعها فى أيدى المصلحين ليطالبوا بالرجوع إلى شريعة القرآن والنزول على حكم القرآن .

وأنه لما يحز فى قلوب المؤمنين الصادقين أن هذه الفكرة قد طغت على أذهان كثير من أهل الحكم والنيابة عن الأمة ، حتى صاروا يعتقدون عدم كفاية التشريع القرآنى لتنظيم شئون الأمة ومعالجة أمراضها الاجتماعية !

ويبيحون لأنفسهم أن يلجأوا إلى التشريعات الأجنبية ، فيستمدوا منها ما ينظمون به شئون المسلمين : فى المدنيات والجنائيات والآداب العامة

وهكذا هانت على المسلمين أحكام القرآن ، بل هانت على المشتغلين بها أنفسهم ، ولم يقدروا قيمتها العلمية والعملية حق قدرها ، فضعفت هممهم عن دراستها وموالاة النظر فيها والانتفاع بها ، وصاروا يكتفون منها بالقليل ، واستساغوا لكرامتهم أن يفروا من التحصيل والعكوف على العلم بكل ما يستطيعون ، وأصبحوا يؤدون ما يؤدون من ذلك فى الحدود التى تروقهم ، وفى الأزمان التى يحددونها ؛ ذلك بأنهم مسوقون إلى العلم بعوامل شخصية لا تمت إلى إرادة العلم والتثقف وخدمة الدين والقرآن بأدهى الأسباب

يحسن بعد هذا أن نتحدث عن موقف طائفة أخرى من القرآن - زعمت لنفسها ثقافة خاصة وأخذت تستند إليها فى فهم القرآن وتفسير آياته ؛ تلك هى طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث وتلقنوا أو تلقفوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها ثم نظروا فى القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا فى القرآن فتحاً جديداً . فسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة ، وطبقوا آياته على ما وقموا عليه من قواعد العلوم الكونية ، وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية فى الأوساط العلمية والثقافية

نظروا فى القرآن على هذا الأساس فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن ولا تتفق مع الغرض الذى من أجله أنزله الله

فإذا مرت بهم آية فيها ذكر للمطر ، أو وصف للسحاب ، أو حديث عن الرعد أو البرق، تهللوا واستبشروا وقالوا هذا هو القرآن يتحدث إلى العلماء الكونيين ويصف لهم أحدث النظريات العلمية عن المطر والسحاب وكيف ينشأ وكيف تسوقه الرياح .

وإذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات والحيوان وما خلق الله من شىء قالوا : هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة وأسرار الطبيعة

وإذا رأوه يتحدث عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم قالوا هذا حديث يثبت لعلماء الهيئة والفلكيين أن القرآن كتاب علمى دقيق !

ومن عجيب ما رأينا من هذا النوع أن يفسر بعض الناظرين فى القرآن قوله تعالى : « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ،

يغشى الناس هذا عذاب أليم » ، بما ظهر في هذا العصر من الغازات السامة والغازات الخانقة التي أنتجها العقل البشري فيما أنتج من وسائل التخريب والتدمير في هذا الزمان !

يفسرون الآية بهذا ويغفلون عن قوله تعالى بعدها : « ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون » ، مما يدل على أن هذه الظاهرة كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أصيب بها الذين عارضوه وكذبوه وقالوا معلم مجنون

روى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود وقال له : تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه : يفسر قول الله سبحانه : « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » بأن الناس يوم القيامة يأتيهم دخان فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم كهيئة الزكام . فقال ابن مسعود : « من علم علماً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم » ! إنما كان هذا لأن قريشاً استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ؛ فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد !

وأغرب من هذا وأعجب أن يفسر بعض هؤلاء المفسرين الحديثين شأناً غيبياً من شئون الله الخاصة لم ينزل بتفصيله وحي ، ولم يطلع الله على حقيقته أحداً من خلقه ، ببعض الظواهر الحاضرة التي اكتشفها العلم واهتدى إليها بنو الإنسان :

يفسر الكتاب المبين والإمامَ المبين الذي تحصى فيه الحسنات والسيئات وتعرض على أصحابها يوم القيامة ، بالتسجيل الهوائي للأصوات ، ويقول : أظهر العلم ذلك بالمخترعات البشرية واستخدمه الإنسان فيما يختص بالأصوات ، ولا تبعد أن يستخدمه فيما يختص بحفظ الحركات والسكنات والخواطر النفسية ، والله القادر خلق الكون على هذه السنن لغاية أسمى من ذلك هي محاسبة الناس يوم القيامة ، وعرض أعمالهم عليهم كشريط مسجل يضم جميع حركات الناس وسكناتهم وخواطرهم وأقوالهم ، وما قدموا من عمل

يقولون هذا ويفسرون به قوله تعالى : « علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى » . وقوله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » .

ويهجمون على الغيب بما لم يأذن به الله ، ويجدون من العلماء من يؤيدهم ويشجعهم ويزكيهم ويتمنى أن يكثر الله من أمثالهم !

إن هؤلاء في عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سالفين فكروا مثل هذا التفكير ، ولكن على حسب ما كانت توحى به إليهم أحوال زمانهم ، فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية

ولسنا نستبعد إذا راجت عند الناس في يوم ما نظرية داروين مثلاً أن يأتي إلينا مفسر من هؤلاء المفسرين الحديثين فيقول : إن نظرية داروين قد قال بها القرآن منذ مئات السنين !

* * *

هذه النظرة إلى القرآن خاطئة من غير شك ، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف

وهي خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ، ولا يسيغه الذوق السليم

وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان . والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير ، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً خرافة من الخرافات

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها ، وتحمل تبعات الخطأ فيها ، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه وإقناع الناس به

فلندع للقرآن عظمته وجلالته ، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم

وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول . قيل : يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة واحدة ؟ فنزل قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج . وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البرّ من

اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها، واتقوا الله لعلكم تفلحون»

وإنك لتجد هذا في سؤالهم عن الروح حيث يقول عز وجل:

«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»

أليس في هذا دلالة واضحة على أن القرآن ليس كتاباً يريد الله به شرح حقائق الكون؛ وإنما هو كتاب هداية وإصلاح وتشريع؟!

***

قد عرفنا مهمة القرآن التي لأجلها نزل، وعرفنا موقف المسلمين الأولين من هذه المهمة، وما كان لهم بفضل موقفهم هذا من عز وجاه وسلطان

ثم عرفنا موقف المسلمين في العصور التالية، وكيف عقّدوا على الناس طرق الانتفاع بالقرآن والاهتداء بهديه

وعرفنا كيف تلقى المسلمون في عهودهم الأخيرة كتاب الله في وسط هذا المزدحم فاشتبهت عليهم معالمه واختلطات بغيرها، فانصرفوا عن القرآن وهدايته وتدبر آياته إلى أشياء لا تنفعهم في دينهم ولا دنياهم، أو خرجوا به عن مهمته الكبرى، وحملوه ما لا يحتمل مما يروج عندهم أحياناً وتزيفه العقول أحياناً

وعرفنا كيف تقلص عن المسلمين خير القرآن، وحرموا الانتفاع به في الهداية والإرشاد والتشريع وقد آن لنا أن نتساءل هل للمسلمين أن يفكروا فيما يعود بهم إلى سالف غيرهم ورفيع مجدهم عن طريق القرآن وتشريع القرآن؟

هذا سؤال لا بد أن يدور في خلد كل مؤمن يعتقد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

هذا سؤال لا بد أن يتوجه إلى كل من يهمه أمر الإسلام والمسلمين ويكون صادقاً في غيرته على الإسلام والمسلمين

هذا سؤال لا بد أن نوجهه إلى طائفتين من الأمة، عن آرائهم تصدر وفي خطتهم تسير: هما طائفة العلماء وطائفة الحكام

بل هذا سؤال لا بد أن نوجهه إلى كل فرد في هذه الأمة من عالم ومتعلم، من حاكم ومحكوم، من شيخ وشاب

فعلى كل من هؤلاء قسط من المسئولية لا مناص له من تحمله: على العلماء البيان والنصح والإرشاد وتيسير سبل الدين وهداية القرآن للناس؛ وعلى الحكام الرجوع إلى هذا المصدر الإلهي في التشريع والتنظيم؛ وعلى الأمة أن تشعر ولاة أمورها بتلك الرغبة، وأن تنادي بتنفيذها، وتؤازر من آزرها وتحارب من حاربها.

أيها العلماء: اسمعوا ما يقول الله في كتابه العزيز:

«إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم؛ وأنا التواب الرحيم»

أيها الحكام: اسمعوا ما يخاطبكم الله به في شخص الحاكم الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم:

«وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم. وإن كثيراً من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟»

أيها المسلمون: اسمعوا ما يناشدكم به الله في كتابه:

«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون. إعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها. قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون»

محمود شلتوت

الفرد هو الحجر الأول

فى بناء المجتمع

(ما رأى الأستاذين الكبيرين الزيات والعقاد فى موضوع هذا الحديث ؟)

للدكتور زكى مبارك

منذ ليال وقفت فى جمعية الشبان المسيحية ألقى محاضرة فى تشريح آراء الدكتور طه حسين ، وألقى السامعون طوائف من الأسئلة فأجبت عنها بحذر واحتراس ، لأن أغلبها انصبّ على نقطة دقيقة متصلة بالرأى الذى أعلنتُه فى معالجة أمراض الفقراء من صنّاع وعمال وفلاحين ، ولكن الاحتياط الذى التزمته فى الإجابة عن تلك الأسئلة لم يمنع من أن يصرخ جماعة من الحاضرين : يسقط عدوّ الفلاح ! يسقط عدو الفلاح !

ولم يؤذنى هذا الصراخ ؛ لأنه صدق فى صدق ، فأنا عدو الفلاح الكسلان ، وسأمضى فى معاداته إلى أن ينظر فى نفسه فيعرف نعمة الله عليه ، ويدرك أن من الخطر أن يسمع أقوال المرائين الذين يتقربون إليه بأساليب دميمة ستُشقيه وتُرديه ، لأنها تصوّب إلى هدَف واحد : هو إقناعه بأنه يعيش عيش الأشقياء ، مع أنه فى حقيقة الأمر أسعد السعداء . وكيف يحرَم السعادةَ وهو أول منتفع بثمرات الأرض ، وآخر من يحمل هموم الكساد عند اختلال الأسواق ؟

الفلاح سعيد ، سعيد ، سعيد ، على شرط أن يسد أذنيه عن أقوال من يرون فى التوجع لشقائه المزعوم وسيلة للظهور بمظهر الغيرة الوطنية ، والوطن برىء ممن يزعزعون ثقة الفقراء بالأغنياء . الوطن برىء من جميع الذين يحاولون زعزعة يقين الفلاح بأن لجماله الحق صورة واحدة : هى تلويح وجهه وتشقّق قدميه بسبب الجهاد فى استخراج ثمرات الأرض : الأرض الجميلة التى لا ترضى من عشاقها بغير الكفاح الدائم والكدح الموصول ؛ ولن يكون الفلاح سيد هذه الأرض إلا يوم يتخلق بما تخلّق به أجداده الشرفاء . وقد كان أجدادنا يبغضون التأنق ويتفاخرون بالتقشف ويتبارون فى الاخشيشان ، ليصح انتسابهم إلى الأرض التى لا يسود فيها غير من يملكون القدرة على التصرف بالفؤوس والمحاريث

وأرجع إلى موضوع البحث فأقول :

لما شاهد الأستاذ سلامة موسى جماعة يصرخون فى وجهى هاتفين : « يسقط عدو الفلاح ! يسقط عدو الفلاح ! » حدثته النفس بأن وقت الانتصار على خصمه القديم قد حان ، فانتضى قلمه ومضى يجرحنى فى مجلة اللطائف المصورة بعبارات لا تصدر إلا عن كاتب فقد القدرة على ضبط النفس ، وأنا لن أجزيه عن تلك العبارات بما يباريها فى القسوة والعنف ، فما أحب أن يتحول الجدل إلى ملاحاة تصرف القراء عن فهم دقائق الموضوع الذى ثار من أجله الخلاف

وأنا أرى أن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع ؛ وأرى من الواجب أن توجّه الجهود الصوادق إلى إصلاح الفرد ، لأن المجتمع يتكون من أفراد . ولا يمكن القول بسلامة بناء من الأبنية إلا عند التأكد من سلامة الموادّ التى كونت ذلك البناء

ويجب حتما أن يكون لكل فرد « شخصية خُلقية » لتكون له « كرامة ذاتية »

ولكن ما هو الخُلُق الذى يتحلى به الفرد ، لتكون له شخصية خلقية ؟

تنقسم الأخلاق إلى قسمين : أخلاق سلبية وأخلاق إيجابية ؛ فالأخلاق السلبية يصوّرها ترك المحظورات ، وهى الأخلاق التى تخطر فى بال الناس عند ما يسمعون كلمة أخلاق

أما الأخلاق الإيجابية فهى التى تفرض على أصحابها مشاقّ ومتاعب فى تحصيل المزايا النفسية ؛ المزايا التى تنقل الرجل من حال إلى أحوال ، فيحلّق بعد الإسفاف ، وينبُه بعد الخمول ، ويخلق لنفسه مكاناً بين المياسير والأغنياء

ولا تكون للرجل شخصية خلقية إلا حين يتحلى بالأخلاق الإيجابية ، أما الاكتفاء بحلية الأخلاق السلبية فقليل الغناء ، لأن ترك المحظورات لا يشهد بقوة الخلق إلا حين يكون الرجل على جانب من القدرة على اقتراف السيئات ، وهو لا يكون كذلك إلا يوم يملك من أسباب الغنى والعافية ما يجعل انصرافه عن الموبقات شاهداً على أنه يجاهد فى سبيل التصون جهاد الأبرار

وحين يتضح هذا المعنى فى نفس كل فرد ، أو فى أنفس أكثر الأفراد ، يمكن الاطمئنان إلى أن بناء المجتمع يتكون من أحجار صِحاح ؛ فالبناء المتين لا يعيبه أن يكون فيه حجر منخوب فى أحد الجوانب ، وإنما يعيبه أن تكثر الأحجار

المناخيب فيُخشى عليه التصدع والسقوط

فما الفرد وما المجتمع فى بناء الأمة ؟

المجتمع هو صورة البناء ؛ والأفراد هم الأحجار التى يتكون منها البناء

فمن حدثكم أن العناية بالفرد علامة الأنانية فاعرفوا أنه رجلٌ سطحىٌّ التفكير ، لا يصل ذهنه إلى لباب الحقائق ، ولا يهتدى عقله إلى دقائق الشئون

يرى الأستاذ سلامة موسى أن من الخطر أن يقول الفرد : « أنا وحدى » وأقول إن من عظمة الأمة أن يكون لأفرادها من القوة ما يسمح لأحدهم بأن يقول « أنا وحدى » ... وما ضَعُفَتْ بعض أمم الشرق فيما غَبَر وفيما حضر إلا بسبب عجز أفرادها عن الشعور بتلك الوحدانية ، فكان أكثرهم شبيهاً بالنباتات الضعيفة التى لا تفارق ذلة اللصوص بالأرض إلا حين تعتمد على جذع منصوب

واعتماد الفرد على المجتمع فى أكثر الشؤون من علائم الانحطاط ، وأعظم كلمة قيلت فى وصف الشخصية الُخلقية هى كلمة الشاعر الذى يقول :

يرى الوحشة الأُنس الأنيس ويهتدى
بحيث اهتدتْ أم النجوم الشوابكِ

والمنحطون هم الذين ينتظرون من الحكومة كل شىء ، فهى عندهم مسئولة عن صيانة جميع المرافق ، وتدبير جميع المنافع ، وإبعاد جميع المخاطر ، و « إصلاح جميع الأحوال »

المنحطون هم الذين يفاضلون بين المرشحين للمجالس النيابية على أساس البراعة فى التزيين والتهويل ، فأقدر الرجال وأصلحهم للنيابة هو من يزعم أنه سيفرض على الحكومة أن تحوّل الدائرة التى ينوب عنها إلى فردوس لا يعجات ساكنوه بغير أقراص الشهد وأكواب الرحيق !

وما كان ذلك إلا بسبب الضعف فى شخصية الفرد ، ومن الأفراد الضعاف يتكوّن المجتمع الضعيف

ومن أجل هذا أدعو إلى أن يكون لكل فرد وجود خاص ، بحيث يشعر بالمسئولية الخلقية فى جميع ما يباشر من الشؤون : فالفلاح فى المزرعة يشعر بسعادة عظيمة لوقوفه تحت الشمس حافى القدمين طاعة للواجب ، والعامل فى المطبعة يجد من الأنس فى صف الحروف ما لا يجده اللاعب الظافر بالصيال فوق رقعة الشطرنج ، لأن لصف الحروف وترتيبها جاذبية يخلقها شعور العامل المخلص بأنه لا يؤلف بين حرف وحرف ، وإنما يؤلف بين معنًى ومعنى ويصل روحاً بروح . والمدرس الموفق يشعر بأنه مسئول أمام الله عن كل تلميذ ، فتزيده تلك المسئولية قوة إلى قوة ، وتسكب فى ضميره رحيق الاطمئنان . والكاتب الصادق فى كل ما يكتب يتلقى أحسن الجزاء من الشعور بأنه يصدر عن عقيدة منزهة عن الرياء

تلك قطوف من ثمرات الشخصية الُخلقية ، ومنها ندرك أن ليس فى الدنيا سيّد ومَسُود ، ومستأجِر وأجير ، فكل امرئٍ فى الدنيا يعمل لنفسه قبل أن يعمل لمن وثقوا بكفايته لما يُسنَد إليه من أعمال

الشخصية الُخلقية هى مصدر السعادة فى حياة الفرد ومظهر السلامة فى بناء المجتمع

ولا تكمل الشخصية الخلقية إلا لمن يملك القدرة على أن يقول « أنا » ، ولا تصدُر « أنا » صادقةً إلا عن رجل له وجود خاصٌ ، وأنا أتمنى أن يكون لكل فرد فى مصر « أنا » لأستطيع الاطمئنان إلى أن المصريين ليسوا أصفاراً تضاف إلى أصفار ، وإنما هم أرقام تضاف إلى أرقام ، والصفر فى ذاته عدمٌ يلبس ثوب الوجود ، ولكنه يصبح وجوداً ذاتياً حين يقف على يمين الرقم الصحيح

والـ « أنا » لا يراد بها التكبر والاستعلاء ، وإنما يراد بها الشعور بقوة الذاتية ؛ فالرجل الذى يطيع القانون « أدباً » رجلٌ من أهل الأخلاق . أما الذى يطيع القانون « خوفاً » فهو من أهل الانحطاط . والذى يباشر الأعمال البسيطة طلباً للرزق رجلٌ شريف ، لأن طلب الرزق عن نية صادقة مطلب من أعظم المطالب ، ولا يعاب على طالب الرزق إلا أن يقترف فى سبيله ما يعاب

زعم عدوّ نفسه — وهو الأستاذ سلامة موسى — أنى حكمت على خمسة عشر مليوناً من المصريين بضعف الأخلاق ، لأنى قلت إن الفقر يشهد على صاحبه بضعف الأخلاق الاجتماعية والمعاشية ، فليعرف عدوّ نفسه وعدوّ الحق أن الفقير فى نظرى هو الشخص الذى يقاسى الحرمان بسبب الكسل وقلة الأمانة والرضا بالدون من مطالب الوجود ، وليس فى مصر من هذا الطراز غير مئات أو ألوف ، وهم أهل للشقاء الذى يعانون

الصانع الذى يرجع إلى بيته فى كل مساء وفى جيبه خمسة قروش ليس فقيراً

والفلاح الذى يدبّر قوت أهله فى كل يوم بعرق الجبين ليس فقيراً

والكنّاس الذى يكحل عينيه بالغبار ليظفر بالقوت الحلال ليس فقيراً

وإنما الفقراء هم أولئك الكسالى المقاطيع الذين يطلبون ما لم يكونوا له بأهل ، كأن ينتظروا الوظائف الحكومية وهم جهلاء ؛ وكأن يخجلوا من ازدراع الأرض وترابُها أشرف من نفوسهم التى ترى حمل الفأس أصعب من التعرض للسؤال ؛ وكأن يتوهموا أن سلامة موسى ، وفكرى أباظة ، وتوفيق الحكيم سيخلقون المستحيل فيوزعون أموال الأغنياء على الفقراء ، وذلك وهمٌ أعرض من البادية التى تفصِل بين دمشق وبغداد

إن عدو نفسه وعدو الحق ـ وهو الأستاذ سلامة موسى ـ يقارن بين الوزير والكناس فى المرتب ، ويقترح ألا يزيد مرتب الوزير على مرتب الكناس بأكثر من خمسة أمثال

وذلك كلام لا يصدُر إلا عمن سخّروا أنفسهم لخدمة الرياء الاجتماعى

وهل اختلفت الأصابع فى القِصَر والطول إلا لحكمة عالية هو تضامُنها بصورة متساوية عند تناول الأشياء ؟

وكذلك اختلف الحظ بين الوزير والكناس لحكمة عالية ، وما كان هذا الاختلاف أثراً من آثار انعدام العدالة الاجتماعية إلا فى نظر من يسخّر نفسه لخدمة الرياء الاجتماعى

ألم أقل لكم : إن الدنيا فسدت بحيث أصبح الرياء سيد الأخلاق ؟

وإلا فعلى أى سناد اعتمد الأستاذ سلامة موسى حين جرؤ على القول بأن الدكتور زكى مبارك يعيش فى ظلال عقائد بالية ، لأنه يقول بأن انحطاط المجتمع فرع من انحطاط الفرد ؟

لقد اعتمد على مراءاة المجتمع ، وهو مجتمع يُخدَع فينخدع ، وهو أيضاً مجتمعٌ جبان ، فقد عَسُر عليه أن يدفع قالة السوء عن الأغنياء ، مع أن أغنياء مصر أقاموا أصدق الشواهد على أنهم عماد الوطن الغالى ، فهم الذين ثبّتوا قواعد الأزهر الشريف بما وقفوا عليه من الأملاك الثوابت ، وهم الذين أنشأوا الجامعة المصرية ، وهم الذين أقاموا الجمعية الخيرية الإسلامية ، وهم الذين أسسوا المستشفى القبطى والمستشفى الإسرائيلى ، وهم الذين أقاموا لعبادة الله وخدمة العلم مساجد ومدارس تعد بالألوف

فهل من العيب أن أقول بأن الغِنَى يشهد لأهله بقوة الأخلاق الاجتماعية والمعاشية ؟

وكيف وأغنياء مصر كانوا أسبق الناس إلى داعى الوطن والدين ؟

وما الموجب لأن نضطهد أغنياءنا بغير حق ، وكان يجب أن نفرح بنعمة الله عليهم ، وأن نسأله حمايتهم من التعرض للآفات التى تقضى على النعم بالزوال ؟

ما رأيت رجلاً غنيًّا إلا فرحت وطلبت له المزيد ، ولا رأيت رجلاً فقيراً إلا حزنت وسألت الله أن يجعل له من بعد عُسر يسراً

فما ذنبي إذا كان الله فطرنى على هذه السجية ؟

ما ذنبى وأنا أدعو قومى إلى التعاون الصادق بين الفقراء والأغنياء ، ليظل الوطن فى أمان من النزعات المجلوبة على أيدى جماعات من الأجانب لا يسرهم إلا أن يرونا جميعاً فى تأخر وتقاتل وانصداع ؟

وأرجع إلى جوهر الموضوع فأقول :

حين يصبح لكل فرد شخصية خلقية تضمن منفعتين صحيحتين : الأولى شعور الفرد بقوة الذاتية فنصبح كلمة «الرعاع» بلا مدلول ، وينعدم التمادى بين الأفراد ، التمادى المسبّب عن انعدام الإيمان بتنويع المزايا والمواهب ؛ ولو آمن الناس بأنهم خلقوا مختلفين فى الوجوه والغرائز والطباع لغرض صحيح هو تجميل صورة الوجود لأقلعوا عن مساوئ كثيرة مردها الثورة الآثمة على اختلاف المصاير والحظوظ ، فلا يوجد منهم من يوازن بين الوزير والكناس ، كأن الكناسة عمل حقير ، وكأن مزاوليها حقراء ، مع أنهم يؤدون خدمة نافعة لا يغض من شأنها إلا غافل أو جهول

أما المنفعة الثانية من منافع الشخصية الخلقية فهى الإقبال على إعداد النفس لجلائل الأعمال ، بدون اعتماد على الحكومة أو المجتمع

وأخاطر بالمشى فوق الشوك فأقول :

صحّ عندى أن أضعف الناس إرادةً وعزيمة هم المحمّون بالحكومة أو المجتمع ؛ فالأقليات فى جميع البلاد يفزعون إلى أنفسهم فيعيشون أقوياء وسعداء ، لأن شعورهم بالعزلة يوحى

إليهم فكرة التسلح ضد الفقر والضعف ، وما اعتمد إنسانٌ على غيره إلا باء بالخذلان

عيبُ الفرد هو اعتماده على المجتمع واحتماؤه بالقوانين ، فقد شلت من الإنسان مواهب كثيرة منذ اليوم الذى اطمأن فيه إلى أن له عصبية تنصره وحكومة تحميه ... وأنا أدعو إلى اعتصام الفرد بنفسه قبل اعتصامه بعدالة الحكومة وحصانة المجتمع ، فقد يفضى به التواكل إلى غاية حقيرة هى صيرورته عالة على الحكومة وعلى المجتمع . وإذا أصبح كل فرد عالة على سواه فعلى الأخلاق ألف عفاء

ليست الغربة فى أن ينقطع ما بينك وبين أهلك وأحبابك ، وإنما الغربة فى أن ينقطع ما بينك وبين نفسك ، وهى الأهل والصديق ، وهى معوانك على الظفر بحقك من شرف الوجود

جاهِدْ ليلك ونهارك فى التعرف إلى سريرة نفسك ، ففيها عجائب وغرائب من القوى الكامنة كون النار فى السرحة الزهراء ، واعلم أن المجتمع لا ينصرك حين تستنصره إلا إن وثق بأن قوته من قوتك ، وشداه من شداك

يجب أن يكون موقفك من المجتمع موقف الشريك من الشريك ، لا موقف التابع من المتبوع ؛ وليس معنى هذا أنى أدعوك إلى مجاوزة قدر نفسك فتدّعى ما ليس لك ، ولكن معناه أن يصح شعورك بالمسئولية فى جميع أحوالك ولو كان عملك فى ظاهره من أصغر الأعمال

وأنت لا تنال السعادة بالحقد على المسعودين ، فلن يزيدك الحقد إلا شقاء إلى شقاء ، وإنما تنال السعادة بالجهاد الشريف فى سبيل الرزق وإن قضت عليك الأقدار بالعجز عن تحقيق ما تريد ، فما كانت السعادة بكمية ما تملك ، ولو كانت كذلك لامتنع أن يكون فى الفقراء سعداء ، وفى الأغنياء أشقياء ، ونحن نرى أن الغِنى والسعادة لا يجتمعان إلا فى أندر الأحايين

تنبع السعادة من مَعينٍ واحد : هو الشعور بأنك تخدم نفسك وتخدم المجتمع بأمانة وصدق ، ولا عيب فى أن تقول إنك تخدم نفسك بخدمة المجتمع ، فالمجتمع فردٌ مكرر ، والذين يدعون الناس إلى التجرد من طلب المنافع ليسوا إلا جهلاء ، فلا عليك إن اتهموك بحب نفسك حين تطلب الجزاء على ما تقدم من خير ونفع ؛ فمن حقك على أمتك أن تدعوها إلى مجازاتك على جهادك ، وليس من حقك أن ترجو ما عندها بالسؤال والاستجداء وإن برعتَ فى الحيلة فسميت هذا المسلك باسمٍ مصقول ، كالأسماء التى اخترعها المتسولون من صنائع الحذلقة الاجتماعية .

وقد تكلم الأستاذ العقاد فى العدد الماضى من « الرسالة » عن « المبالاة » كلاماً فى غاية من الجودة ، وهو يرى المبالاة أقوى الشواهد على الشعور بالحياة

وأقول : إن عدم المبالاة قد يصبح وجوداً حيويًّا إذا صدر عن عمد ، وهو عندئذ من مقومات الشخصية الخلقية . والحق أنْ لا وجود لعدم المبالاة ما بَقِىَ الشعور بالتّرك والانصراف ، والذين اشتهروا بعدم المبالاة من أقطاب الفكر والعقل كانوا أصحاب مبادئ من هذه الناحية ، ولم تكن استهانتهم بالمبالاة إلا مبالاةً من نوع جديد

وخلاصة القول أن الفرد مسئول أمام نفسه قبل مسئوليته أمام المجتمع ، ولا قيمة لمسئولية الفرد أمام المجتمع إلا إن صدرت عن نية ، كأن يشعر بأن النظام هو الذى يفرض عليه تلك المسئولية ، والصدقة وهى خير لا تزيد قوة الخلق إلا إذا صدرت عن نية ، وإلا فهى تبديد وإتلاف ، وإن انتفع بها من تقدّم إليه

وهل أخطأ علماء الشافعية حين أوجبوا تقديم النيات على الأعمال ؟ إن لذلك معانى لا يدركها إلا أولو الألباب

أما بعد فأنا مقتنع بهذا الرأى كل الاقتناع ، ولكنى حين أسير فى شوارع القاهرة أرى أوشاباً من الناس لا يعنيهم خطأ ولا صواب ، ولا يهمهم — إن كان يهمهم شىء — إلا أن تُرفَع عنهم جميع التكاليف ، وأن يُرزقوا بغير حساب . وما رأيت تلك الأوشاب المبعثرة ذات اليمين وذات الشمال إلا سألت نفسى عن قيمة الإحصاء الذى تشقى به الدولة من حين إلى حين ، فما يجوز أن نباهى الأمم بالعدد إلا حين نثق بأن كل شخص فى مصر له وجود خاص

الرأى عندى أن نكون جبهة جديدة تحارب الغفلة الفردية

٨ – أومن بالإنسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

النقص والتكامل — الانسانية الواحدة — من وحى الحرب العصرية — مقدمات الوحدة — عصر القبيلة الأممى — الأقدار تفصل الجسم الواحد — دفع وهم — الخبرة فى أمريكا — أم مجنونة وبنت عاقلة — من توحيد الأرباب إلى توحيد الانسان — لا حياة مع هذه الحرب — قيامة صناعية — سلم طويلة من حرب خاطفة — المبضع من السيف — دم الحرب دم مخاض — معان تبقى من أمم تفنى

ألمس فى نفسى وفى كل فرد عرفته من الناس مهما كان عظيماً نقصاً أجد تكميله عند غيرى وغيره . وهذا مما يؤكد فى فكرى أن الدولة أولاً جسم واحد يكمل بعضه بعضاً ولا يستقل عضو منه بحياته إلا ظهر مبتوراً ناقصاً فيه تشويه . . . وكماله وجماله فى أن يتضام إلى غيره ويتعاون ويصبر على مضايقة ذلك الغير حتى يستطيع إدراك الكمال المنشود . . .

وكذلك ألمس فى كل أمة وحدها نقصاً أجد تكميله لدى غيرها . وهذا مما يؤكد فى فكرى ثانياً أن الأمم فى المجموعة البشرية كالأفراد فى مجموع الأمة الواحدة ، كل منها لها ميزة تكمل غيرها ، وفيها نقص يكمله غيرها . . .

فالفرد الكامل الذى يستطيع أن يحيا وحده لم يخلق بعد ولن يخلق

والأمة الكاملة التى تستطيع أن تحيا وحدها لم تخلق كذلك ولن تخلق

تلك حقيقة توحى إلينا الإيمان بالإنسانية الواحدة ، وتحتم علينا أن نتناسى مواريث الوحشية القديمة والجهالات الأولى ، وأن نفكر للحياة الواحدة المستقبلة التى يصح أن تنتظم الإنسانية جميعها بعد أن ذهب عنها دور الطفولة التى كانت فيها حدود الأرض ومعارفها مجهولة ، ومواردها وأرزاقها محدودة

ويعظم فى نفسى يوماً بعد يوم وجه الشبه بين سير الحياة بالفرد الواحد من طفولته إلى رشده إلى شبابه إلى كهولته ، وبين سير الحياة بالإنسانية جميعها من طفولتها إلى شبابها إلى كهولتها . . .

وإنى أكاد أجزم أن خطوات سير الحياة بالإنسانية كلها هى خطوات سيرها بالإنسان الواحد . . . وكل من يتفرس فى الحياة الاجتماعية يجدها كحياة الفرد سواء بسواء فى تدرجها من الغرائز والعواطف إلى الرشد والعقل

وكما يحصل للطفل والشاب أن يغضب كثيراً ويكون أنانياً فرديًّا فى حاجاته ، ويحطم ما أمامه ولا يبالى النتائج ؛ كذلك الإنسانية فى دور طفولتها : أنانية غضوب تحطم كل شىء فى سبيل منفعتها الضيقة

ولكن كما تمنع التربية وضبط الأعصاب وفعل الزمن الرجولة من أن تلجأ إلى أساليب الأطفال وغرائزهم وتحبسها عن الغضب والتحطيم ، إلا إذا امتدت فيها حياة الطفولة لضعف التربية ، أو للشذوذ أو عدم تقدير النتائج . . . كذلك الإنسانية لا بد أن تصل إلى هذه المرحلة فى يوم ما قريب أو بعيد . . .

يوحى إلىّ ذلك ما أراه فى الحرب الحالية من عنف التحطيم وشدة البأس وجنون الإنسان وقسوة الآلة ، بحيث لا يمكن مطلقاً أن تحتمل الحياة بعد هذه الحرب إذا لم تقمع الغرائز والحماقات التى أثارتها ، وإذا لم يوضع أساس حياة مشتركة للانسانية الواحدة التى ابتدأت وحدتها تبدو وتستعلن فى هذه المجموعات الكبيرة من الأمم ، وهذه الرباطات الوثيقة بينها ومن اختزال المسافات والأبعاد واشتباك المصالح ، واشتراك مناهج الدراسة والثقافة العامة ، ومن معرفة كل جنس بخصائص كل جنس ، ومن الدراسات المنظمة والمؤتمرات الجامعة والجمعيات العالمية ، ومن كثرة الأسفار وامتزاج الطبائع ، واختلاط الأجناس وتفكير أرباب الأعمال فى الأسواق العالمية ، ومن تبادل

والاجتماعية ، جبهة لا يكون فيها كتَّاب مراءون يخدعون الأفراد والجماعات ليتسموا بوسم الإصلاح الاجتماعى

وأعضاء الجبهة المرجوة لن يكونوا من الباكين لشقاء العمال والصناع والفلاحين بدموع التماسيح ، ولكنهم سيكونون رجالاً صادقين يؤمنون بأن الشهرة كالرزق فيها حلال وحرام ، ويتقربون إلى الله بالصدق ، ولو عرَّضهم الصدق لغضب الجاهلين وكيد المتجاهلين

وبالله أستعيذ من جهل أولئك وسفه هؤلاء !

وأنا بعد هذا أنتظر آراء المفكرين الصادقين فيما قدمتُ من بينات

زكى مبارك

تعلم اللغات والأغانى والرقصات وأدوات الزينة . ومن « الصندوق السحرى » : الراديو الذى سيصوغ حواس الطفولة وقلوبها غير صياغة قلوب الآباء الذين نشأوا محجوزين محجوبين بعضهم عن بعض بالسدود والحدود والتخوم ، ومن « السبورة السحرية » السينما التى تنقل الدنيا وناس الدنيا وتعرض الجميع فى حجرة ضيقة

***

يصح أن نسمى عصرنا الحاضر « عصر القبيلة الأُممى » والإنسانية كلها الآن تمر به كما مرت كل أمة بعصر القبيلة . واشتداد التناحر بين مجموعات الأمم المختلفة فى هذا العصر هو صورة مما كان يحدث بين القبائل فى الأمة الواحدة

ولم يحمل القبائل المتعادية فى القديم على الصلح الدائم والاندماج والوحدة الشعبية إلا عنف ما كان بينها من حروب وتخريب وتعطيل للحياة . فلما رأت أنه لا حياة مع الحرية الكاملة والوحشية المطلقة تنازلت كل قبيلة عن بعض حقوقها وحرياتها ورضوا ذلك إما بضغط الأقوى وإما بالإدراك الصحيح للموقف ومراعاة مقتضيات الحياة

وكذلك كان الأمر فى تكوين الأمبراطوريات المختلفة : حروب ونزاع مستمر وتخريب للممالك والملوك ثم اتفاق أخير ونزول من الجانبين عن بعض المصالح فى سبيل المصلحة التى لا غنى عنها للجميع

وكذلك تكونت الولايات المتحدة الأمريكية من جنسيات ومذاهب مختلفة بعد حروب ونزاع دمر حياتهم فى بعض مراحل تاريخهم ...

وكذلك وجدت البذرة التى لا بد أن تنمو بعد هذه الحرب : وهى بذرة « عصبة الأمم » التى سيحافظ الغالب والمغلوب فى هذه الحرب على إيجادها وجوداً فعالاً مسلحاً ، لا وجوداً صورياً كالذى كان عقب الحرب الماضية

وعندى يقين ثابت أن الأقدار تفصل الآن بالحديد والنار جسم الإنسانية الواحدة ذات الحكومة الواحدة كما فصلت جسم كل أمبراطورية على حدة كما فصلت جسم كل أمة على حدة كما فصلت جسم كل قبيلة على حدة كما فصلت جسم كل أسرة على حدة كما فصلت كل جسم على حدة كما فصلت كل عضو على حدة كما فصلت كل خلية على حدة ... !

هو قانون واحد يلف الكون كله ! قانون الجزىء والذرة هو قانون المجاميع . . . والالقاح السياسى واللغوى والعلمى والاقتصادى فى المجموعات الكبرى والإمبراطوريات واتحاد الولايات ، هو الوسيلة إلى ذلك الأمل المنشود

ولا يتوهمن واهم أننى أزعم أن الخلاف سيذهب من الأرض كلا ... وإنما سيبقى كما هو فى حدود الدولة بين الأحزاب والآراء والمذاهب الاجتماعية ... وكما يبقى بين الأسرة الواحدة ، وكما يبقى بين القوى المتنازعة فى الفرد الواحد : بين العقل والعاطفة والغريزة لأن الدفع قانون طبيعى كقانون الجذب ... ولكنه دفع لا يفلت من قانون القوة والقهر ، كما هو الحال فى الدولة الواحدة القوية التى لا يفلت منها من يريد الخروج عليها

إن نفوس الأجناس وطبائعها تتغير تغيراً سريعاً من التمايز إلى الاندماج والاتحاد . فلم يبق فى الولايات المتحدة أجناس ، وإنما صارت كتلة واحدة بمرور جيل أو جيلين وبتوحيد اللغة ...

والولايات المتحدة خميرة للحياة الإنسانية المقصودة ، هى نموذج ناقص ولكنه أقرب إلى الكمال ؛ وكان من الواجب أن يحذو العالم القديم حذو هذا العالم الجديد السعيد ، ويترك مواريث التاريخ السيئة وعصبيات الأجناس ونعراتها ، ويتفق على الحد الوسيط الذى يرضى الجميع مع التضحية ببعض الاعتبارات والحريات .

أوربا ولدت أمريكا ... والبنت هنا أعقل من أمها وأسعد . فلا تزال القارة العجوز تحتفظ بأحقادها القديمة ومواريث تاريخها السيء فى عالم الحسد والبغض والخديعة والبطش والتنازع ... ولا تزال تشقى الأرض كلها معها ... بينما أمريكا تسعدها وتجدد الحياة يوماً بعد يوم ، وتنثر الأفراح والمباهج فى كل مكان ...

لقد برئت أمريكا من حب الاستعمار والتنازع عليه ، فبرئت من السُّعار المادى الذى يصاحبه ، وبرئت من الصفات الذميمة التى تصاحب خلق الافتراس ... وصارت حبيبة إلى جميع أمم الأرض ...

اتخذت الطريق المشروع إلى الغنى والثروة ، وهو طريق التجارة والمنافسة المحمودة واستغلال الموارد الطبيعية ، لا طريق النصب والغِلاب ... فعاشت تجمع وتعيش بما تجمع وتوزع منه على مؤسسات البر والعلم فى بقاع الأرض ، ثم لا تُفجع فيما تجمع ولا تحترق وتدمر معه كما جرى لأمم أوربا الآن ... !

***

لقد خطا الإنسان بإدراكه عقيدة توحيد الله خطوته العظمى إلى الكمال العقلي والقلبي ، حين رأى أن العالم كله يساق بيد واحدة ، وتوزن أموره بميزان رب واحد ...

وسيخطو خطوته العملية والعلمية العظمى ، حين يدرك « الإنسانية الواحدة » ويؤمن بها ؛ وكما حلت عقيدة توحيد الإله مشاكل العقيدة ووجهت الحياة وجهة واحدة بعد أن كانت موزعة على أرباب متفرقين ... كذلك سيحل الإيمان بوحدة الإنسان مشاكل وعقداً مستعصية ، وتوجه به الأمم وجهة واحدة هي وجهة الخير المشترك ، بدل الخير المتفرق الضيق الأناني ، ووجهة العلم البانى المعمر ، بدل العلم المخرب المدمر ...

لقد كان منطق الفرقة والتنازع العنيف بين الناس معقولاً في الأزمنة الماضية التى كان بين الأمم فيها حواجز سميكة من الجهالة والأسفار الطويلة ، واللغات المجهولة ، والثقافات المختلفة إلى حد التناقض ... وكان دور تحكيم الغرائز لا بد منه لحل ذلك الإنسان الجاهل على التسابق العنيف إلى كشف بقاع الأرض المجهولة ، وتلقى منافعها الضائعة إذلم يكن له علم وعقل يغنيانه عن الغريزة . وكان الاختلاف الحاد بين الناس معقولاً لأنه لم يكن هناك أفق عقلى أو علمى أو عملى مشترك بين أمة وأمة متجاورتين بله المتباعدتين ، ولم تكن الظروف تسمح بوجود ذلك الأفق المشترك إلا عن طريق الحرب التى كانت وحدها هى الوسيلة الوحيدة للاختلاط بين المتفرقين ، والتعارف بين المتجاهلين ...

أما الآن فقد صار هذا التفرق والتنازع ضاراً بالجميع قاطعاً للعلاقات التى تنمو فى وقت السلم نمواً عظيما غزيراً لم يكن له مثيل فى العصور الأولى ... وصارت العودة إلى تحكيم الغرائز ارتداداً وانتكاساً فى الحياة كانتكاس الرجل الحليم إلى غضب الطفولة الذميم ، إذ قد صار فى يد الإنسان من أدوات الهلاك والدمار أشياء فظيعة تهدم الحياة من أساسها وتسحق براعم نموها وتجمل العمل للحياة ، والسعى لها بعد الحرب عبثاً لا طائل تحته ما دامت الحرب تأتى بعد ذلك لتأ كل الأخضر واليابس ولا تبقى ولا تذر

وقد ثبت الآن أن كل ما يصل إليه العلم من أدوات السيطرة والتغلب على قوى الطبيعة وأدوات ترف الحياة ومباهجها يتحول إلى أدوات دمار وإبادة إذا ما ثارت بالأمم ثورة الحرب وبراكين الحقد الدفين ... فلا أمان على الحياة من شىء مع غضب الإنسان .

وقد عاد شعار الجاهلية القديم الذى كان يهتف به المحاربون القدماء ؛ وهو تلك الصيحة : يا منصور أمِتْ !

وقد كانت الأديان والأخلاق قد جعلت للحرب فى العصور المتوسطة قوانين فيها بُقْيَا على مناطق نمو الحياة ؛ وفيها ذكرى للود القديم والدم والنسب وصلة العلم والفن والعمران ، وكانت الحرب تجد لها فى وقت احتدامها ما يخفف آلامها من نبل الفروسية ، ورحمة القادرين ، ووصايا القواد بالضعفاء والمرضى والشيوخ والأطفال والنساء والحرث والنسل :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها !

أما الآن فإذا بطشوا بطشوا جبارين ! لا يذكرون طفولة ولا شيخوخة ولا مخلفات الفنون والعلوم والآثار الثمينة التى هى ملك الإنسانية جميعها ...

ومن كان يظن أن الإنسان الأوربى العالم الفنان الذى فتنته أحاسيس الحياة وجن بها جنوناً فعبدها فى الزهور والرياحين والحب والألحان والعناية بالطفولة ، واقتنى التحف والمخلفات الأثرية من الجماجم والعظام والأحجار والخرزات ، ولم يدخر فى سبيلها مالاً ، وجمع مجموعات للنبات والحيوان ، وحرص على استخراج كنوز الأرض ، والتقى على صفاء فى المجامع العلمية والأدبية والملاعب الرياضية والمؤتمرات العالمية وتبادل تعلم اللغات ، وسكن جميع بقاع الأرض ، وعرف آلام الأجسام والأرواح ، وأنفق الأموال الطائلة على نبش الأرض ليستخرج منها حلقة مفقودة تنير له تاريخ الإنسانية التى يعتز بها ... من كان يظن أن من فعل كل أولئك يجرؤ على أن يهدم حاضر الإنسانية بكل ما حمل فى طياته من الماضى ، ولا يبالى أن يزهق الإنسان ومدنه وكل ما حمله عقله وقلبه !!

فأين عالم الدفاتر والمحابر والمنابر والمؤتمرات والمجامع والمعاهد والمعابد ؟ أين عالم العقول والقلوب ؟

أين الشعر والفن والرحمة والحب والجمال والخير ؟

أين المعانى التى سجلها الدين والأدب عن الآلام ، ودارت عليها فلسفات وقصص ومسرحيات ؟

أين مؤسسات الرفق بالحيوان ؟

أين كل « الدراما » و « التراجيديا » التى كانوا بها يبكون فى المسارح ؟

أكانت ملاهى وملاعب لا أكثر ؟ يالها إذاً من خديعة عبقرية !

ولكن هذه هى الحرب العصرية ... صورة مصغرة من أهوال القيامة ... بل القيامة ساعة ثم تنقضى الحياة ويستريح الناس بالموت إلى حين ... ولكن الحرب العصرية « قيامات » لا عدد لها ... بها يموت الناس ويبعثون ثم يموتون ويبعثون كلما شنت عليهم غارة جوية إلى أن تضع الحرب أوزارها ...

فيا بنى الحياة ! أى حياة هذه ! ؟

إن الله أرحم بالناس من أن يجعلهم لمثل هذه الحياة ... والناس أرفع بأنفسهم من أن يعبدوا مثلها ... إنها مرحلة لا بد منها فى طريق الإنسانية الشقية إلى الإستقرار والراحة واللقاء الذى لا بد منه بعد الافتراق والتقاتل

ومن بين ظلمات هذه الحرب الخاطفة السريعة يلمع نور السلام البطئ الطويل ...

ومن بين نيرانها وزلازلها وبراكينها يبدو برد الحياة وثباتها واستقرارها ...

ومن بين قسوة القلوب فيها بقسوة الآلات والمدمرات تلوح عواطف الرحمة والحب ...

لقد كان من نتائج الحروب الكبرى دائماً ابتداء دورة زمنية بالإنسان وانقلاب فى أوضاع الحياة ... والذين عاشوا قبل الحرب العظمى الماضية وبعدها يدركون الفرق الشاسع بين الحياتين ...

هذه السرعة التى فى الحرب ستكون فى السلم ... وكما استحال سيف الحرب إلى مبضع الطب ستستحيل جميع آلات الدمار إلى آلات إنتاج وتعمير ورفاهية

ولا شك أن تشبيه الحرب بحادث المخاض والولادة تشبيه صحيح من كل وجه . . . فكل حرب تلد مولوداً من الطباع والأوضاع والأفكار والآلات والمرافق ... مولوداً يجدد الحياة ويقذف فى شعلتها حطباً ويسقيها زيتاً . . . ولا ضير فيما يصحب ذلك من الألم والدم والهزة والخوف ؛ فكل هذه أعراض تصحب حادث الولادة فى حياة الإنسان ...

ولن تضيع سدى تلك الأرواح التى ذهبت قرابين للمعانى السامية التى فى قلوب الأمم المتحاربة . وإنما هى لبنات فى البناء الخفى للوجود الإنسانى ... وإنها كلها حية تنظر إلى عراك الجماعات فى عالم الظواهر كمراك ذرات تحملها الريح أو حصى يحمله ماء السيل حتى تبلغ مكانها المرصود فى بناء الوجود ...

وسواء أوضع حجر فى خفاء الأساس أم رفع فى علانية القمة ، فالكل بناء واحد . . . وتبلغنا الآن أنباء انكسار أمة وانتصار أخرى فلا نلتفت إلى الأفراد فيها . وإنما يعلو عنوانها أو ينخفض وهى صورة موحدة ليس فيها توزيع . فتفرح كلها بالانتصار ولو باد فى سبيله كثيرون ، وتستاء كلها بالانهزام ، ولو انتصر فيها كل فرد نصراً فردياً وأتى بأعمال البطولة المعجزة

فهل لأصحابنا الفرديين الأنانيين أن ينظروا موضع الفرد من الأمة على ضوء نار هذه الحرب ، وموضع الأمة من مجموعة الأمم التى تنتسب إليها حتى يتبينوا أنه لا وجود إلا للمعانى العامة التى هى ملك الإنسانية جميعها ؟

إن هذه النظرة تجعلهم يحملون السلم بقلب عارف بها ، ويحاربون إذا كتبت عليهم الحرب بسيوف كمباضع الأطباء : تقطع لتشفى ، وتقتل فتحصن القِتْلة بدون مُثْلة ولا نية إثم أو جريمة . وتجعلهم خصوماً شرفاء رحماء يحاربون بروح رياضية كأنهم يلعبون ، وتجعل من السيوف ظلالاً للضعفاء والمسالمين .

أولئك هم الربانيون المؤمنون بالله وبالإنسان أثمن ودائع الله فى الأرض !

عبد المنعم خلاف

أشكر للأستاذ بعبير صادق تقديره الكريم ، وأرجو الله التوفيق فى طلب الحق والابانة عنه .

كلمة حق

أحمد السنوسى الاخصائى فى الأبحاث النفسانية جعلنى بفضل علاجه رجلا غير ذلك الرجل الذى حطمت أعصابه الوساوس والخيالات فكان مشتت الأفكار يهاب الموت بلا مبرر بل ويراه فى كل عمل يقدم عليه وفى كل طريق يسير فيه حتى غدت حياته جحيم لا يطاق

والآن وبعد خمسة سنوات قضيتها فى آلام قاسية شعرت بحياة سعيدة هانئة بعد مدة قصيرة من العلاج النفسانى . فنصيحتى لكل شخص يرى نفسه كما كنت أن لا يهمل زيارة الأستاذ أحمد السنوسى الخبير فى الأمراض النفسية .

مصطفى أحمد شيبه الحجازى
مدرس لاسلكى سابقا

صورة وصفية دمشقية من القرن الماضي

العجـــوزان !

للأستاذ علي الطنطاوي

... أغلق الشيخ الباب فتنفس أهل الدار الصعداء ، وأفاقوا إفاقة من يودع الحلم الرعب ، أو الكابوس الثقيل ، ثم انفجروا يصيحون ، يفرغون ما اجتمع فى حلوقهم من الكلمات التى حبسها وجود الشيخ فلم ينبسوا بها . وانطلقوا فى أرجاء الدار الواسعة - والأولاد (صغار أولاد الشيخ وأحفاده) يترا كضون ويتراشقون بما تقع عليه أيديهم من أثاث الدار ، ويتراشّون بالماء ، أو يدفع بعضهم بعضاً فى البركة الكبيرة التى تتوسط صحن الدار ، فيغوص الولد فى أمواهها ، فتعدو إليه أمه أو من تكون على مقربة منه فتخرجه بين قهقهة الصغار وهتافهم وتقبل عليه لتنضو عنه ثيابه وتجفف خشية المرض جسده ، فإذا هو يتفلّت من بين يديها ، ثم يركض وراء إخوته وأبناء عمه ليأخذ منهم بالثأر ، والماء ينقط من ثيابه على أرض الدار المفروشة بالرخام الأبيض والمرمر الصافى ، التى أنفقت الأسرة ساعات الصباح كلها فى غسل رخامها ومسحه بالإسفنج ، حتى أضحى كالمرايا المجلوّة أو هو أسنى ... وعلى السجاد الثمين الذى يفرش القاعات الكثيرة والمخادع ، وهم ينتقلون من غرفة إلى غرفة ، ومن درج إلى درج ، ويفسدون ما يعرون به من الأغراس التى لم تكن تخلو من مثلها دار فى دمشق ، من البرتقال والليمون والكباد والفراسكين والنارنج والأترج (الطرنج) وقباب الشمشير (زينة الدور) والياسمين والورد والفل ؛ تتوسط ذلك كله الكرمة (الدالية) التى تتمدد على (سقالة) تظلل البركة تحمل العنب (البلدى) الذى يشبه فى بياضه وصفائه اللؤلؤ ، لولا أن الحبة الواحدة منه تزن أربع حبات مما يسمى فى مصر والعراق عنباً ... والجدة تعدو وراءهم ما وسعها العدو تصرخ فيهم صراخاً يكاد من الألم يقطر منه الدم :

« وَلَكْ يا وَلَدْ انت وِيّاه ... يقصف عمرى منكم ... وسخّم البيت ... يا ضيعة التعب والهلاك ... الله يعجل علىّ بالموت حتى أخلص منكم ! »

فيختلط صراخها بصياح الأولاد ، وضحك الضاحكين منهم وبكاء الباكين ، وهم يتضاربون ، ويسقطون ما يمترون به من الأوانى والكئوس ... ولا يصغى لنداء الجدة أحد منهم ...

***

ويلبثون على ذلك حتى ينادى المؤذن بالظهر ، فتنطفئ عند ذلك شعلة حماستهم ، وتتخافت أصواتهم ويحسون بدنوّ ساعة الخطر ، فينزوى كل واحد منهم فى ركن من أركان الدار ينظر فى ثيابه يحاول أن يزيل ما علق بها من الأوساخ ، أو أن يصلح ما أفسد منها ، كيلا يبقى عليه أثر يعلن فعلته ، ويتذكرون ما هشموا من أثاث المنزل حين عاثوا فيه مخربين ، فيجمع كل واحد منهم ما يقدر عليه من حطام الأوانى فيلقيه فى زاوية الزقاق فى غير الطريق الذى يمر منه الشيخ ، ويرجع النسوة إلى أنفسهن فيسرعن فى إعداد الطعام وإصلاح المنزل . وتدور العجوز لتطمئن على أن قبقاب الشيخ فى مكانه لم يزح عنه شمرة ، لا تكل هذه (المهمة) لكنّتيها ولا لبناتها ، لأنها لم تنس طعم العصى التى ذاقتها منذ أربعين سنة ... فى ذلك اليوم المشئوم الذى وقعت فيه الكارثة ولم يكن قبقاب الشيخ فى مكانه ، وضم إليها القدر مصيبة أخرى أشد هولاً وأعظم خطراً ، فتأخر صبّ الطعام عن موعده المقدس (فى الساعة الثامنة الغروبية) عشر دقائق كاملات ...

وللشيخ حذاء (كندرة) للعمل ، وخف (صرماية) للمسجد ، و (بابوج) أصفر يصعد به الدرج ويمشى به فى الدار ، (وقبقاب) للوضوء ، وقد تخالف الشمس مجراها فتطلع من حيث تغيب ، ولا يخالف الشيخ فى عادته فيذهب إلى المسجد بحذاء السوق ، أو يتوضأ ببابوج الدرج ...

وتعد العجوز قميص الشيخ ومنديله ، وتهيئ (البقجة) التى تضع فيها ثياب السوق بعد أن تساعده على نزعها وتطويها على الطريقة التى ألفتها وسارت عليها منذ ستين سنة ، من يوم تزوج بها الشيخ وكان فى العشرين وكانت هى بنت ست عشرة ، وهى لا تزال تذكر إلى الآن كيف وضح لها أسلوبه فى الحياة وبيّن لها ما يحب وما يكره ، وعلمها كيف تطوى الثياب وكيف تمدّ القبقاب ، كما علمها ما هو أكبر من ذلك وما هو أصغر وحذرها نفسه وخوفها غضبه إذا هى أتت شيئاً مما نهاها عنه ، فأطاعت ولبثت هذا العمر كله وهى سعيدة مسعدة طائعة مسرورة لم تخالف

إلا فى ذلك اليوم المشئوم وقد لقيت فيه جزاءها ، ونظرت العجوز الساعة فإذا هى فى منتصف الثامنة . لقد بقى نصف ساعة . . . ففرقت أهل الدار ووزعت عليهم الأعمال ، كما يفرق القائد ضباطه وجنده ويلزمهم مواقفهم استعداداً للمعركة ، فأمرت بنتها الكبرى بإعداد الخوان للطعام ، وبعثت بالأخرى لتمسح أرض الدار التى وسخها الأولاد ، وأمرت كنتيها بتنظيف وجوه الصغار وإبدال ثيابهم حتى لا يراهم الشيخ إلا نظافاً ... ثم ذهبت ترد كل شىء إلى مكانه ؛ ولكل شىء فى هذه الدار الواسعة موضع لا يريمه ولا يتزحزح عنه ، سنة سنّها الشيخ لا تنال منها الغِيَر ولا تبدلها الأيام ، فهو يحب أن يضع يده على الشىء فى ظلمة أو نور ، فى ليل أو نهار ، فيلقاه فى مكانه . ولما اطمأنت العجوز إلى أن كل شىء قد تم ، نظرت فى الساعة فإذا هى دون الموعد بخمس دقائق ... فاستعدت وغسلت يديها ووجهها ولبست ثوباً نظيفاً كمهدها ليالى عرسها لم تبدله ، واستعد أهل الدار بكبارهم وصغارهم . فلما استوى عقرب الساعة الثامنة أرهفوا أسماعهم فإذا المفتاح يدور فى الباب . إنه الموعد ولم يتأخر الشيخ عن موعده هذا منذ ستين سنة إلا مرات معدودة عرض له فيها شاغل لم يكن إلى دفعه من سبيل . فلما دخل أسرعوا إليه يقبلون يده وأخذت ابنته العصا فعلقتها فى مكانها ، وأعانته على خلع الحذاء وانتعال البابوج الأصفر ، وسبقته زوجته إلى غرفته لتقدم إليه ثياب المنزل التى يتفضل بها

* * *

غاضت الأصوات ، وهدأت الحركة ، وعادت هذه الدار الواسعة إلى صمتها العميق ، فلم يكن يسمع فيها إلا صوت الشيخ الحازم المتزن ، وأصوات أخرى تهمس بالكلمة أو الكلمتين ثم تنقطع ، وخطى خفيفة متلصصة تنتقل على أرض الدار بحذر وخوف ... وكانت غرفة الشيخ التى يؤثرها على يمين الإيوان العظيم ذى القوس العالى والسقف المنقوش الذى لا تخلو من مثله دار فى دمشق ، والذى يتوجه أبداً إلى القبلة ليكون لأهل الدار مصيفاً يغنيهم عن ارتياد الجبال فى الصيف ، ورؤية ما فيها من ألوان الفسوق ، يشرفون من على الصحن المرمرى وأغراسه اليانعة وبركته ذات النوافير . . . وكانت غرفة الشيخ رحبة ذات عتبة مستطيلة تمتد على عرض الغرفة التى تعلو عن الأرض أكثر من ذراع كسائر غرف الدور الشامية ، تنطيها (تخشيبة) مدّ عليها السجاد وفرشت فى جوانبها (الطراريح) : الوسائد والمساند ، وقامت فى صدرها دكة أعلى ترتفع عن (التخشيبة) مقدار ما تهبط عنها العتبة . وكان مجلس الشيخ فى يمين الغرفة يستند إلى الشباك المطل على رحبة الدار ، وقد صفّ إلى جانبه علبه وأدواته ، وهنّ حق النشوق الذى يأخذ منه بيده ما يَنشقه من التبغ المدقوق الذى ألفه المشايخ فاستحلوه بلا دليل حتى صاروا يشتمّونه فى المسجد كما حرموا الدخان بلا دليل ... وإلى جنب هذا الحق علبة نظارات الشيخ ومنديله الكبير والكتابان اللذان لا ينتهى من قراءتهما : الكشكول والمخلاة ، وفى زاوية الشباك أكياس بيضاء نظيفة مطوية يأخذها معه كل يوم حينما يغدو لشراء الطعام من السوق ، فيضع الفاكهة فى كيس واللحم فى آخر ، وكل شىء فى كيسه الذى خصصه به ، وهذه الأكياس تغسل كل يوم وتعاد إلى مكانها . وعن يساره خزانة صغيرة من خشب السنديان المتين أشبه الأشياء بصندوق الحديد ، لا يدرى أحد حقيقة ما فيها من التحف والعجائب ، فهى مستودع ثروة الشيخ وتحفه . ومما علم أهل الدار عنها أن فيها علباً صغاراً فى كل علبة نوع من أنواع النقد : من النحاسات وأنصاف التاليك والتاليك وأمّات الخمسين وأمات المائة والبشالك والزهراويات إلى المجيديات وأجزائها والليرات العثمانية والإنكليزية والفرنسية ، كل نوع منها فى علبة من هذه العلب ، فإذا أصبح أخذ منها مصروف يومه الذى قدره له يوم وضع (ميزانية) الشهر ، ثم إذا عاد نظر إلى ما فضل معه ، فضم كل جنس إلى جنسه . وفى هذه الخزانة (وهى تدعى فى دمشق الخُرسْتان) ، الفنار العجيب الذى كان يخرجه إذا ذهب ليلاً (وقلما كان يفعل) يستضىء به فى طرق دمشق التى لم يكن فيها أنوار إلا أنوار النجوم ومصابيح الأولياء وسرجهم ، وأكثر هذه السرج يضاء ببركة الشيخ عثمان نهاراً ويطفأ ليلاً ... وفيها الكأس التى تطوى ... والمكبرة التى توضع فى شعاع الشمس فتحرق الورقة من غير نار ... وفيها خواتم العقيق التى حملها الشيخ من مكة ، فأهدى إلى أصحابه قسما منها وأودع الباقى خزانته ... وفيها الليرات الذهبية التى كان يعطيها الأطفال فيأكلونها لأن حشوها (شكولاتة) ... وكانت هذه هى عجائب الدار السبع !

وأمام الشيخ (الرحلاية) وفوقها (الشُكمجاية) ، وهى صندوق صغير فيه أدراج دقيقة ومخابىء وشقوق للأوراق ،

وبيوت للأفلام فى صنعة لطيفة ، وهيئة غريبة ، كانت شائعة يومئذ فى دمشق ، موجودة فى أكثر البيوت المحترمة ...

والويل لمن يمس شيئاً من أدوات الشيخ أو يجلس فى مكانه. ولقد جنى الجناية أحد الأطفال مرة فعبث بعلبة النشوق فأسرعت أمه فزعة وأخذتها منه وأبعدته وأعادتها إلى مكانها ، فانزاحت لشؤم الطالع عن موضعها مقدار أنملة وعرف ذلك الشيخ ـ فكان نهار أهل المنزل أسود ـ وحرموا بعده الدنوّ من هذا الحمى !

***

كان الشيخ فى الثمانين ولكنه كان متين البناء شديد الأسر ، أحاط شبابه بالعفاف والتقى ، فأحاط العفاف شيخوخته بالصحة والقوة ، وكان فارع الطول عريض الأكتاف ، لم يشك فى حياته ضعفاً ، ولم يسرف على نفسه فى طعام ولا شراب ولا لذة . ولم يحد عن الخطة التى اختطها لنفسه منذ أدرك . فهو يفيق سحراً والدنيا تتخطر فى ثوب الفتنة الخاشعة ـ والخشوع الفاتن ـ والعالم ساكن لا يمشى فى جوانبه إلا صوت المؤذن وهو يمجد الله فى السحر ، يتحدّر من أعلى المنارة فيخالط النفوس المؤمنة فيهزها ويشجيها ، يمازجه خرير الماء المتصل يصعد من نافورة الدار يمجد (هو الآخر) ربه ويسبح بحمده ، (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) ، فيقف الشيخ متذوقاً حلاوة الإيمان ، ثم ينطلق لسانه بـ (لا إله إلا الله) تخرج من قرارة فؤاده المترع باليقين ، ثم ينزع ثيابه وينغمس فى البركة يغتسل بالماء البارد ما ترك ذلك قط طول حياته ، لا يبالى برد الشتاء ولا رطوبة الليل . وكثيراً ما كان يعمد إلى قرص الجليد الذى يغطى البركة فيكسره بيده ويغطس فى الماء ثم يلبس ثيابه ويصلى ما شاء الله أن يصلى ، ثم يمشى إلى المسجد فيصلى الصبح مع الجماعة فى مجلس له وراء الإمام ما بدله يوماً واحداً ، ويبقى مكانه يذكر الله حتى تطلع الشمس وترتفع فيركع الركعتين المأثورتين بعد هذه الجلسة ، ويرجع إلى داره فيجد الفطور معداً والأسرة منتظرة ، فيأكل معهم اللبن الحليب والشاى والجبن أو الزبدة والزيتون والمكدوس ، ثم يغدو إلى دكانه فيجدها مفتوحة قد سبقه ابنه الأكبر إليها ففتحها ورتبها

والدكان فى سوق البزازين أمام قبر البطل الخالد نور الدين زنكى ، وهى عالية قد فرشت أرضها بالسجاد وصفّت أثواب البز أمام الجدران ، ووضعت للشيخ وسادة يجلس عليها فى صدر الدكان ويباشر أبناؤه البيع والشراء بسمعه وبصره ، ويدفعون إليه الثمن ، فإذا ركد السوق قليلاً تلا الشيخ ما تيسر من القرآن أو قرأ فى (دلائل الخيرات) أو تحدث إلى جار له ممن حديث التجارة ، أما السياسة فلم يكن فى دمشق من يفكر فيها أو يحفلها ، وإنما تركها الناس للوالى والدفتردار والقاضى والخمسة أو الستة من أهل الحل والعقد ، وكان هؤلاء هم الحكومة (كلها ...) وكان الشيخ مهيباً فى السوق كهيبته فى المنزل ، تتحاشى النسوة المستهترات الوقوف عليه ، وإذا تجرأت امرأة فكشفت وجهها أمامه لترى البضاعة ، كما تكشف كل مستهترة ، صاح بها فأرعبها وأمرها أن تستتر وأن تلزم أبداً حدود الدين والشرف ، وكانت تبلغ به الهيبة أن يعقد الشباب بينهم رهاناً ، أيهم يقرع عليه بابه ، ويجعلوا الرهان ريالاً مجيدياً أبيض ، فلا يفوز به أحد منهم .

وكان الشيخ قائماً بحق أهله لا يرد لهم طلباً ، ولا يمنعهم حاجة يقدر عليها ، ولكنه لا يلين لهم حتى يجرؤوا عليه ، ولا يقصر فى تأديب المسىء منهم ، ولا يدفع إليهم الفلوس أصلاً . وما لهم والفلوس وما فى نسائه وأولاده من يخرج من الدار ليشترى شيئاً ؟ وما لهم ولها وكل طعام أو شراب أو كسوة أو حلية بين أيديهم ، وما اشتهوا منه يأتيهم ؟ ولماذا تخرج المرأة من دارها ، إذا كانت دارها جنة من الجنان بجمالها وحسنها ، ثم إن فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ؟

***

يلبث الشيخ فى دكانه مشرفاً على البيع والشراء حتى يقول الظهر : (الله أكبر) ، فينهض إلى الجامع الأموى وهو متوضئ منذ الصباح ، لأن الوضوء سلاح المؤمن ، فيصلى فيه مع الجماعة الأولى ، ثم يأخذ طريقه إلى المنزل ، أو يتأخر قليلاً ليكون فى المنزل عند ما تكون الساعة فى الثامنة . أما فى العصر فيصليه فى مسجد الحى ، ثم يجلس عند (برو العطار) فيتذاكر مع شيوخ الحىّ فيما دقّ وجل من شؤونه ... إختلف أبو عبده مع شريكه فيجب أن تؤلف جمعية لحل الخلاف ... والشيخ عبد الصمد فى حاجة إلى قرض عشر ليرات فلنهيأ له ... وعطا افندى ساط ميزابه على الطريق وآذى السابلة فلينصح وليجبر على رفع الأذى عن الناس ... !

أى أن هذه الجماعة محكمة ، ومجلس بلدى ، وجمعية خيرية إصلاحية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . وكان (برو العطار)

مخبر اللجنة ووكيلها الذى يعرف أهل الحى جميعاً رجالهم ونساءهم ، فإذا رأى رجلاً غريباً عن الحى يحوم حول أحد المنازل سأل عنه من هو ؟ وماذا يريد ؟ وإذا رأى رجلاً يماشى امرأة نظر لعلها ليست زوجته ولا أخته ، ولم يكن فى دمشق صاحب مروءة يماشى امرأته فى طريق فتعرف به حيثما سارت ، بل يتقدمها أو تتقدمه ويكون بينهما بعد بعيد ، وإذا بنى رجل غرفة يشرف منها على نساء جاره أنبأ الشيخ وأصحابه فألزموه حده ، وإن فتح امرؤ شباكا على الجادة سدوه ، لأن القوم كانوا يحرصون على التستر ويكرهون التشبه بالإفرنج ، فالبيوت تبدو من الطريق كأنها مخازن للقمح لا نافذة ولا شباك ، ولكنها من الداخل الفراديس والجنان . فكان الحى كله بفضل الشيخ وصحبه نقياً من الفواحش صيناً ؛ أهله كأهل الدار الواحدة لا يضن أحد منهم على الآخر بجاهه ولا بماله ؛ وإذا أقام أحدهم وليمة ، أو كان عنده عرس أو ختان ، فكل ما فى الحى من طباق وصوان وكؤوس تحت يده وملك يمينه

* * *

مر دهر والحياة فى هذه الدار سائرة فى طريقها لا تتغير ولا تتبدل ولا تقف . مطردة اطراد القوانين الكونية ، حتى جاء ذلك اليوم ... ودقت الساعة دقاتها الثمان ، وتهيأ أهل الدار على عادتهم لاستقبال الشيخ ؛ ولكن العجوز الطيبة والزوجة المخلصة لم تكن بينهم ، وإنما لبثت مضطجعة على الأريكة تشكو ألماً شديداً لم يفارقها منذ الصباح . وأدار الشيخ مفتاحه ودخل فلم يرها وهى التى عودته الانتظار عند الباب ، ولم تحد عن هذه العادة مدة ستين سنة إلا أيام الوضع ويوم ذهبت لتودع أباها قبل وفاته ؛ فسأل الشيخ عنها بكلمة واحدة أكلها بإشارة من يده ، فخبرته ابنته وهى تتعثر بالكلمات هيبة له وشفقة على أمها ، أنها مريضة . فهز رأسه ودخل ، فلما وقع بصره عليها لم تمالك نفسها فنهضت على غير شعور منها تقبل يده ، فلما مست أصابعه أحس كأنما لمسته جمرة ملتهبة ؛ وكان الشيخ على ما يبدو من شدته وحزمه وحبه النظام ، قوى العاطفة ، محباً لزوجته مخلصاً لها ، فرجع من فوره ولم يأكل ، ولم يدر أحد فى المنزل لماذا رجع ولم يجرؤ على سؤاله واكتفوا بتبادل الآراء فى تعليل هـذه الحادث الغريب ، الذى يشبه فى أنظارهم خروج القمر عن مداره . ومضت على ذلك ساعة أو نحوها ، ثم سمع المفتاح يتحرك فى الباب فسكتوا وحبسوا الأنفاس وترقبوا هذه المفاجأة . فدخل الشيخ وصاح : « روحوا من الطريق » ؛ فاختبأ النسوة ليدخل الضيف ، غير أنهن نظرن من شق الباب — على عادة نساء البلد — فأبصرن الطبيب وكن يعرفنه لتردده على المنزل كلما تردد عليه المرض ... وكان الطبيب شيخاً وكانت بينه وبين العجوز قرابة ، ومع ذلك فقد أمر الشيخ العجوز بلبس ملاءتها وألا تظهر منها إلا ما لا بد من إظهاره ؛ ثم أدخله عليها ، فجس نبضها ، وقاس حرارتها ، ورأى لسانها . وكان ذلك منتهى الدقة فى الفحص فى تلك الأيام ، ثم خرج مع الشيخ يساره حتى بلغا الباب ، فودعه الشيخ وعاد ، فأمر بأن تبقى العجوز فى غرفتها وأن تلزم الحمية وتتناول العلاج الذى يأتيها به ...

* * *

مرت أيام طويلة والعجوز لم تفارق الفراش ، وكان المرض يشتد عليها حتى تذهل عن نفسها ، وتغلبها الحمى فتهذى ... « صارت الساعة الثامنة ... يلا يا بنت ، حضرى الخوان ... والقبقاب ؟ هل هو فى مكانه ... » ؟ وتهم أحياناً بالنهوض لتستقبل زوجها ؛ وكانت بنتاها وكنتاها يمرضنها ويقمن فى خدمتها فإذا أفاقت حدثتهن وسألتهن عن الشيخ هل هو مستريح ؟ ألم يزعجه شىء ؟ والدار ؟ هل هى كما تعهدها أم قد اضطربت أحوالها ؟ ذلك همها فى مرضها وفى صحتها ، لا هم لها سواه .

وحل موسم المقود وهى مريضة فلم تطق على البقاء صبراً ، وكيف تتركه وهى التى لم تتركه سنة واحدة من هذه السنين الستين التى عاشتها فى كنف زوجها ، بل كانت تعقد المشمش والجانرك والباذنجان والسفرجل ، منه ما تعقده بالسكر ومنه ما تعقـده بالدبس ، وكانت تعمل مربى الكباد واليقطين ، فيجتمع لها من أنواع المعقودات والمربيات والمخللات (الطرشى) ومن أنواع الزيتون الأسود والأخضر والمفقش والجلط وأشكال المكدوس معمل أمقار (كونسروة) صغير تقوم به هذه الزوجة المخلصة وحدها صامتة ، ولا يعيقها ذلك عن تربية أولادها ولا عن إدارة منزلها وتنظيفه ولا عن خياطة أثوابها وأثواب زوجها وبنيها ، بل تصنع مع هذا كله البرغل ، وتغسل القمح وتعجن العجين ، وكذلك كانت الزوجات فى القرن الماضى

حل الموسم فكيف تصنع العجوز المريضة ... ؟ لقد آلمها الأمر وحز فى كبدها ، وبلغ منها أكثر مما بلغ المرض بشدته

نظرات فى الشعر

للأستاذ محمود البشبيشى

من الشعر ما يلعب بالنفوس لعباً ، بل يقلب جوهرها قلباً ، فيبعث فى الرجل الصخرى المزاج روحاً أرق من نسيم الفجر ، وألطف من شفاه الورد ، وأنقى من دموع الفرح ؛ ومن الشعر ما ينفذ إلى القلوب بغير أذن ، لأن كل لفظ فيه لفظ من القلب ، وكل مقطع من مقاطعه قطعة من الفؤاد ، تتفتح له القلوب لأنه منها ، وتتلقاه خافقة لأن كل نغم فيه من خفقاتها . فى الشعر قيودٌ لا انفكاك لها ، ولكنها قيود محبوبة ، يحس بضرورتها من كان من ذوى النفوس الحية ، والقلوب الندية ، ويحس بضرورتها من يضيقون بحرية الحياة الجائرة وقد فسدت ، وحرية الشهوات والنزعات الداجية وقد تمادت ، فيميلون إلى قيد من قيود الشعر يسعدون به ، ويشعرون فيه بمعنى حرية الطهر والنقاء . إنهم يشعرون بالحرية فى قيده ، لأن الشعر حين يقيدهم إنما يقيد صوراً حية من الحياة الجائرة ، ويمنعها من الوصول إليهم ، أو يطهرهم منها لحظة ، ويتيح لهم أن يتصلوا بعالم مُنغَّم حلونقى هو عالم الشعر

بحث الكتاب فى الشعر ، وسيبحثون لأنه موضوع الشعور الحى ، موضوع الروح : موضوع الحياة ، سار مع الزمن ، يضعف فى عهد فتذبل أناشيده على الشفاه ، ويشتد فى عهد فتغنَّى به القلوب ، وما ضعف ولا اشتد لعجزه عن مسايرة الزمن وأطواره ، ولكنه ضعف حين ضعفت المشاعر النبيلة فى النفوس ، وغشيت القلوب الأطماع ، واشتد حين تلألأت فى النفوس أنوار الشعور ، وأحس الناس أن فى صدورهم قلوباً تخفِق ، فمالوا إلى ترجيع الكلام ، حتى يجانسوا بين أنغام القلوب وبينه ... ولعل هذه الصلة هى أصل الشعر ! ومن هنا كان الشعر محبباً إلى النفوس لأنه منظم لمشاعرها ، ولأن الطبيعة وهى مصدرهُ مُنظَّمة مُنسَّقة . ولا عجب ، فكل ما فى الشعر من وزن وقافية وموسيقى أساسه النظام . من روعة الشعر أنه خلق نفسه خلْقاً فى حياة الإنسان ، لينظمَ ويرتب وينسق كل ما يتصل فيها بالشعور ...

قاله الشاعر حين اضطربت مشاعره فى نفسه وغلبته الآلام والآمال ، وتراكمت ففقدت النظام ؛ وشعر هو بذلك فضاق واضطرب ، وضج وثار ، وفكر وتأمل ، ولما صدق تأمله أدرك أن فى نفسه تعبيراً عجز عن بيانه ، وأن حديثه وخطابته لم يجدياه نفعاً ولم يخففا ألمه ؛ فهو لا يزال مضطرباً ، عاجزاً عن بيان

وهوله ، فلم يكن من ابنتها المخلصة وكنّتها الوفية إلا أن جاءتا بالمشمش فوضعتاه أمام فراشها وطفقتا تمقدانه أمامها ، وتعملان برأيها فكان ذلك أجل ما تتمنى العجوز

واشتدت العلة بالمرأة وانطلقت تصيح حتى اجتمع حولها أهل الدار جميعاً ، ووقفوا ووقف الأطفال صامتين وحبهم لهذه العجوز الطيبة التى عاشت عمرها كلها لزوجها وبنيها يطفر من عيونهم دمعاً حاراً مدراراً ، وهم لا يدرون ماذا يعملون ، يودون لو تفتدى بنفوسهم ليفدوها . ثم هدأ صياحها ، وجعل صوتها يتخافت حتى انقطع ، فتسلل بعض النسوة من الغرفة ، ووقف من وقف حائراً يبكى

ولكن العجوز عادت تنطق بعد ما ظنوها قضت ، فاستبشروا وفرحوا ؛ وسمعوها تتكلم عن راحة الشيخ وعن المائدة والساعة الثامنة والبابوج والقبقاب ... بيد أنها كانت يقظة الموت ، ثم أعقبها الصمت الأبدى . وذهبت هذه المرأة الطيبة ، وكان آخر ما فكرت فيه عند موتها ، وأول ما كانت تفكر فيه فى حياتها : زوجها ودارها . . .

***

ارتفع الكابوس عن صدور الأطفال حين اختل نظام الفلك ولم يبق لهذا الموعد المقدس فى الساعة الثامنة روعته ولا جلاله ، ولم يعد يحفل أحد بالشيخ لأنه لم يعد هو يحفل بشىء . لقد فقد قرينته ووليفه وصديق ستين سنة ، نخلت حياته من الحياة ، وعادت كلته لا معنى لها ، وانصرف عن الطعام وأهمل النظام ، فعبثت الأيدى بعلبه وأكياسه ، وامتدت إلى (الخرستان) السرية التى أصبح بابها مفتوحاً ، فلم تبق فيها تحفة ولا مالاً ، وهو لا يأسى على شىء ضاع منه بعد ما أضاع شقيقة نفسه . وتهافت هذا البناء الشامخ ، وعاد ابن الثمانين إلى الثمانين ، فانحنى ظهره وارتجفت يداه ووهنت ركبتاه ، ولم يكن إلا قليل حتى طويت هذه الصفحة ، نختم بها سفر من أسفار الحياة الاجتماعية فى دمشق كله طهر وتضحية ونبل !

علي الطنطاوي
المحامي

ما يشعر به في قرارة نفسه ... وهو لا يزال يشكو ولا يعقل أن يكون سبب شكواه ضعفاً في رجولته وهو ابن البادية ... إذن لعل في أسلوب شكواه والتعبير عن آماله نقصاً ... إنه لكذلك فراح يبحث عن لغة جديدة ينفث بها آلامه وآماله فتهدأ نفسه ، فكان الشعر لغته الجديدة ، وكان شفاء علته ، وكان لسان الروح ولسان القلب .

ما أروع الشعر ! لقد خلق نفسه خلقاً ، بل لقد خلقته حاجة النفس البشرية إلى تنظيم مشاعرها ، ومنذ عرف الشعر أصبح ترجمان القلوب ، ولغة النفوس ، ينتقل بك من عالم القيد إلى عالم الخيال ، وتجد أنت في ذلك لذة لا تدري كنهها ، ولا تعلم مصدرها ، ولكنك برغم ذلك تحبها وتود السبح في سمائها الحالمة ، والشعر يغمر نفس الشاعر وجداناً موزوناً منغماً يولد الشاعر والشعر في روحه سر من أسرارها ، لا يظهر إلا إذا انتظمت مشاعره ، ولكنه لا يتقيد بسن ولا بزمن ، وقد تفاوت مواعيد ظهوره بتفاوت نفوس الشعراء واستعدادها لتنظيم حياتها بطبيعة النظام الشعرى الكامن فيها ، فمن الشعراء المفطورين من يتمادى به العمر قبل أن يقول الشعر ، ومنهم من تُشعُ نفسه إشعاع الشعر ، وهي في أيام الصبا الندية . . . ليس معنى هذا أن ملكة الشعر تقبر طيلة هذه الفترة الخامدة في نفس الشاعر ، بل إنها لتظهر ولكن في صور أخرى كأن يميل صاحب النفس الشاعرة في طفولته إلى اللعب المنظم وجمع الصور الملونة وإلى سماع الموسيقى ، وفي شبابه إلى الرسم الجميل وابتكار الصور البديعة . ذلك بأن ملكة الشعر موجودة فيه ، تنظم اتجاهات نفسه ، وتعمل على السمو بها حتى تتهيأ لرسالة الشعر .

ومن عظمة الشعر أن يكون للشاعر المكفوف عيناً يغمر قلبه بالنور فيبدد غياهب الظلمة ، وينثر الشعر أمامه نجوماً وشموساً تبهر عيون المبصرين . ألا إن الشعر وحي يرتفع بالشاعر إلى مرتبة الروحانية ، فني استطاعة الشاعر أن يعرض لك الصور الحسية الجافة الصامتة عرضاً كله حيوية ناطقة ؛ يصور لك الشيء الذي لم تره ، فتشعر كأنك رأيته ولمسته وخبرته . وما رأيته ولا لمسته ، ولكنه سحر الشعر وفنه وإعجازه ، يجعل من المعنويات محسات ، ومن الأخيلة حقائق ، فما أبدعه وما أروعه ! إنتهينا إذن إلى أن الشعر لغة روحية ، هب نسيمها على النفوس عند ما انتظمت المشاعر ، وحينما تهيأت لتلقي الرسالة الشعرية ؛ وأنه أسلوب خلق نفسه في الإنسان خلقاً ، عند ما ضاقت النفس بمعان لا تصورها خطابة ، ولا يعبر عنها حديث ، وقد ارتاحت النفوس إلى الشعر لأن طبيعته الوزن والنغم والنظام والأناقة ؛ وأحبته حين نظم مشاعرها ، ونظم أحاسيسها فأراحها

وإن الشاعر المفطور يخلق وفي طبعه روح الشعر ، وإن روح الشعر لا تخمد بخمود روح الشاعر ، بل إنها لتظهر في صور فنية أخرى . ولما كان الشعر وليد العاطفة المنظمة لابست أغراضه أغراض النفس أصدق ملابسة ، وتساوقت معاني القلوب وأحاسيسها في معانيه وأحاسيسه ، وصار أمراً طبيعياً أن يكون الشعر صورة لنفسية الشاعر ، وعبيراً لأزاهير حبه ، ولهيباً لما يشتعل بين جوانحه من عاطفة ، وشعاعاً لما يتألق في وجدانه من آمال . وكان بكل هذا حقيقاً أن يكون مجتلى لسائر العواطف الإنسانية السامية

وإن الباحث البصير ليستطيع أن يحدد زمن الشعر الذي يقرؤه إذا أوتى حظاً من دراسة النفس في مختلف العصور ، بل إنه ليستطيع أن يهتدى بالشعر إلى كثير من أخلاق الشعوب ، فيعرف ما شاع في كل عصر من الأخلاق ، وما اضطرب فيه من العادات والتقاليد ، وما كان يعتبر فيه مناط الفخر والمفاضلة ، وإنه في كل ذلك لسائر على هَدْى ما يتأرج به الشعر ، وما تشمه أرواح الشعراء ؛ هبك قرأت الأبيات الآتية :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حياةً مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما
نُفلق هاماً من رجال أعزةٍ ... علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

ألا تشعر بعد طول التأمل ، بل بقليل منه أنها من إنتاج الأدب القديم ، أدب التضحية والفداء ، عصر الشهامة والإقدام ؟

وهبك قرأت قول الشاعر :

إن العيون التي في طرفها حَوَر ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

ألا تحكم لأول نظرة بأن هذا كلام مُمْعنٌ في الحضارة ، ممعن في الرفاهية ، فياض بالرقة ، تلوح على محيّاه نَضْرَةُ النعيم ، فلا يلحق بنفسك أقل عجب إذا علمت أنه من كلام (جرير) .

وهبك قرأت قول الشاعر :

أصبحت لا أحمل السلاحَ ولا ... أملك رأسَ البعير إن نَفَرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا

ثم قرأت بعدَه قولَ الشاعر :

أصبحت لا أستطيع الثوب أحمله
وقد أكون وضافِي الدرع سربالي

ولا تكاد يدي تجْرِي شَبا قلمي
وكان طوعَ بناني كل عسّال !

ألا تشعر بأن الشاعر الأول بدوي النشأة ، صحراوي البيئة ، تتراءى في كلامه مظاهر العربي الصميم ، الذي كل عتاده السلاح والبعير ، ومن طبيعته جوب الفلاة والتعرض للذئاب والرياح والأمطار ؟ أو لا تشعر أيضاً بأن روح الحضارة يهب من عبارة الشاعر الثاني ؟ أفليس أدق فكراً وأحكم نظاماً من الشاعر البدوي ؟ أو ليس له من مفاخر الحضري القلم يجريه كيف شاء ؟ وإذا أمعنت في التأمل استطعت أن تدرك أن للشاعر الثاني فارس في حلبتي البيان والحرب . ألا تراه يقرن بين القلم والرمح ؟ فهل تعجب بعد ذلك إذا علمت أنه رب السيف والقلم (محمود باشا سامي البارودي) ؟ !

وهكذا يستطيع الفنان البصير أن يلمح صور الزمان والحضارات في مرآة الشعر ؛ ويستطيع أن ينتقل من عهد إلى عهد على هَدْي من الشعر ومن نور البصيرة .

وإنك لتستطيع أن تزن أخلاق الشاعر بشعره ، وتدرك ما كان عليه من مختلف الصفات ، وتعلم من خلال شعره أكان قوي الروح أم ضعيفه ، جياش العاطفة أم فاترها ، بعيد مدى الآمال أم رهن محابس القنوط ، واسع الرغبة في الغلبة وذيوع الصيت أم قانعاً بما يفرضه عليه الزمان ، وتقيده به المقادير .

والشعر أصدق في الإفصاح عن نفسية الشاعر من المخالطة ، لأن الشاعر قد يكون في وقت المخالطة متكلفاً مسوقاً إلى ملابسة الأحوال التي تضطرب حوله . أما إذا قرض الشعر ، فإن عواطفه تتراءى بين سطوره ، وإن حاول الاختفاء واجتهد في التنكر ؛ ومن هنا كان الإنتاج الشعري صورة لمختلف الوجدانات ؛ وطبيعي أننا نريد من كل ما تقدم شعر العاطفة ، لا الشعر البالي المأجور ، ولا عجب بعد ذلك أن توفر الناس على الشعر الحي النابض بالشعور الإنساني دراسة واستيعاباً وشرحاً ونقداً ، أو معارضة واقتباساً ، وكما دل الشعر على أن أبا نواس كان صاحب مجون ، وأن البحتري كان صاحب موسيقى ، كشف لنا عن سر طموح المتنبي وتحليقه في سماء عالية ، وغلوه في الفخر والاعتزاز بقدره ، فقد كان الرجل يحمل قلب ملاك ، ولسان شاعر ؛ فلطالما رأيناه يبوح برغم محاربة الدهر له بما يضطرب في صدره من آمال جسام ، وقد كان لا يصنع بما دون النجوم ، وكان يريد من الزمان مالا يبلغه الزمان من نفسه ، أليس هو الذي يقول :

وما رغبتي في عسجد أستفيده
ولكنها في مفخر أستجدُّه

إذا لم تنُط بي ضيعة أو ولاية
فجودك يكسوني وشغلك يسلب

وهكذا كان الشعر وليد العواطف إذا احتدمت ، ومنظمها إذا اضطربت ، ومرآة الحياة العامة والخاصة ؛ تنطبع عليها خبايا النفوس ؛ فما أروع الشعر وما أجمله ! !

(المنصورة) محمود البشبيشي

البعث ... !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

عَلَى يَدَيْكِ زَمَانِي طَيْرٌ شَقِيُّ الأَغَانِي
بَكَى إِلَيكِ حَنَانِي مُرَوَّعًا مُسْتَطارا . . .
اللَّيلُ مِنْـهُ اسْتَجَارَا
وَالفَجْـرُ ضَجَّ وَثَارَا
وَالعُمْرُ كَالطَّيْفِ ... صَارَا
بَقِيَّةً مِنْ أَمَانٍ عَلَى قُلُوبِ الحَيَارَى !!

***

أَشْعَلْتِ نَارَ الحَنِينِ عَلَى رَمَادِ السِّنِينِ !
عَلَى لَظَاهَا دَعِينى أُصَارِعُ الأَقْدَارَا . . .
يَا مَنْ لِجُرْحٍ تَوَارَى ؟
وَعَادَ لِلرُّوحِ نَارَا
هَاجَتْ زَمَانِي فَصَـارَا
بَقِيَّةً مِنْ جُنُونٍ عَلَى شِفَاهِ السُّكَارَى ...

***

مَاذَا وَرَاءَ السِّتَارِ ؟ يَا غَيْبُ أَوْقِفْ مَدَارِى !
لَيْـلِي أَضَلَّ نَهَارِى فَلَمْ يَعُدْ لى نَهَارَا . . .
بَلْ عَادَ جُرْحًا مُثَارَا
أَدْمَى اللَّيَـالِى وَدَارَا
عَلَى كِيَانِي . . . فَصَارَا
بَقِيَّةً مِنْ غُبَارٍ عَلَى سُكُونِ الصَّحَارَى

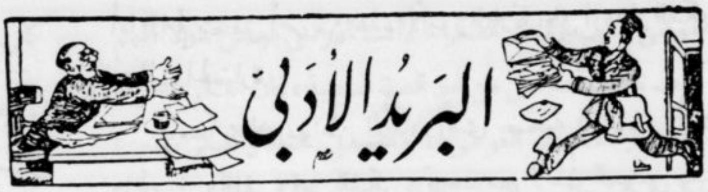
***

هَاتِى لِيَ البَعْثَ هَاتِى المَوْتُ مَلَّ رُقَادِى !
فَإِنْ أَرَدْتِ حَيَاتِى قُومِى اسْكُبِى الأَنْوَارَا
وَأَزْعِجِى الأَوْتَـارَا
أُحِسُّ عِطْرَكِ طَارَا
إِلَى خَرِيفِى ... فَصَارَا
بَقِيَّةً مِنْ شَكَاةٍ عَلَى رَبِيعِ العَذَارَى ...

***

يَا كَوْكَبًا هَزَّ دَهْرِى يَا فَجْرَ خُلْدٍ لِشِعْرِى
خَمْرِى لَدَيْكِ وَسِحْرِى فَأَيْقِظِي الأَسْحَارَا
وَنَاغِمِى الأَطْيَـارَا
وَأَلْهِمِى الأَشْـعَارَا
بَارَكْتِ عُمْرِى . . . فَصَارَا
بَقِيَّةً ... لَسْتُ أَدْرِى ! هَيَّا نُزِيحُ السِّتَارَا ...

محمود حسن اسماعيل



الفرس والعراق

إلى الأخ الدكتور زكى مبارك

السلام عليكم

اطلعت على مقالك الأول « فى الأدب العراق الحديث » ؛ فإذا أنت تقول :

« فكيف صارت العروبة فى العراق بعد سقوط بغداد وبعد انتهاء ما تلا عهد المغول من خطوب ؟ ظل العراق العربى محتلاً بالقوى الفارسية نحو ثلاثة قرون ، وهو أمد يقدّر بثلاثة أرقام ، ولكنه أمد طويل جداً »

وقد وقفت أيها الأخ الفاضل عند هذه الجملة ، وسيّرت فكرى فى تاريخ العراق بين غارات التتار وهذا العصر ، فلم أعرف أن الفرس ملكوا العراق ثلاثة قرون . ولكن كان تسلطهم على العراق فى عهد الشاه اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية (٩٠٧ — ٩٣٠ هـ) ، ثم تداولوه هم والأتراك العثمانيون حتى سنة ١٠٤٨ ، حينما استولى عليه السلطان مراد الرابع العثمانى . وكان العراق فى هذه الحقبة دُولة بينهم وبين الترك العثمانيين ، وكان سلطان هؤلاء أغلب عليه ؛ ثم استولى الفرس على العراق زمناً قصيراً فى عهد نادر شاه بعد زوال الدولة الصفوية

فليس حقاً أن الفرس ملكوا العراق بعد غارات التتار ثلاثة قرون ولا قرنين ولا قرناً ، وإنما كانت مدداً غير متصلة بين عهد اسماعيل الصفوى وعهد مراد الرابع العثمانى كما بينت

والأخ مشكور على اجتهاده واحتماله المشقة لتاريخ الأدب العربى فى العراق ، وله تحيتى وسلامى

عبد الوهاب عزام

عود الى (التجديف)

عاد العلامة الدكتور زكى مبارك ، فى العدد ٤٠٧ من الرسالة الغراء ، يطرق باب (التجديف) ، وكنت ظننت أنه أوصد لا إلى رجعة . وقد لخص ما كان قرره من قبل فى هذا الموضوع ، ببيان أوفى ، وزيادات متممة . وتلطف فى أثناء بحثه هذا فطلب إلىّ أن أكون حَكماً بينه وبين العوامرى بك .

وقد رأيت ، نزولاً على إرادة الدكتور ، أن أرجع كرة أخرى إلى مقال العوامرى بك فى مجلة المجمع اللغوى ، حتى أضبط الرأى وأحكمه ، فوجدت أنه فى هذا المقال ، كما هو فى غيره من مباحثه اللغوية ، من أولئك (المحافظين) المتشددين الذين يقفون عند النصوص وأقوال الثقات فيما هو قياسىّ وما هو سماعىّ .

فهو لذلك لا يُبيح أن يقال : التجديف أو التجذيف أو التقذيف ؛ لأنه لم يعثر على أفعال هذه المصادر فيما رجع إليه من الكتب والمعجمات . وليس معنى هذا — كما هو بدهى — أنه يجزم بأن العرب لم تنطق بهذه الأفعال ؛ كما أنه ليس معناه أنه لم يَرْوِها راو ، أو أنها لم تدون فى كتاب ؛ وإنما هو يقول — كما يقول دائماً فى بحوثه اللغوية — : إن هذا مبلغ جهدى ، وقصارى اطلاعى . فمن عثر بعد ذلك على شىء مما أنكره فليدل به

ثم هو بعد ذلك يحظُر تضعيف جدَفَ وجذَفَ وقذَفَ ، لأن التضعيف للكثرة والمبالغة سماعىّ ، يُحفظ ما ورد منه ولا يقاس عليه ، ولو أن (الجدف أو الجذف أو القذف لا يصور الحركة التى يثيرها الجداف أو الجذاف أو القذاف) كما قال حضرة الدكتور . فليس يُصار إلى التضعيف إذا لحنا فى الفعل الذى لم يُسمع تضعيفه معنى الكثرة أو المبالغة ، كما أنه لا يصار إليه إذا أردنا منه (أى من ذلك الفعل) الكثرة أو المبالغة ، فلا يقال مثلاً فى نَصَرَ (نصّر) ، ولا فى كَرِهَ (كرّه) ، ولا فى فهم (فهّم) وهكذا

هذا شأن العوامرى بك . وأعتقد أنه شأن الجمهرة من المشتغلين باللغة .

أما العلامة الدكتور زكى مبارك فالذى أستخلصه من نقاشه فى هذا الموضوع وغيره (إن كنت قد وعيته حقاً) أنه ربما يترخص ويتوسع ، فيعدل عن المقطوع بصحته إلى غيره ، لعلل وأسباب (رأينا بعضها فى مناقشاته فى الأعداد الأخيرة من الرسالة) هو مقتنع بكفايتها .

هذا يا سيدى الدكتور ملخص فهمى للرأيين أو المذهبين . فالواقع أن الخلاف بينكما ليس على الأمثلة ، وإنما هو على المبادئ والأصول .

(ع . ا)

مسابقة وزارة المعارف لتشجيع التأليف في القصة المصرية

تتجه وزارة المعارف إلى تشجيع الأدب والتأليف في صورة مسابقات تعلن عن جوائزها وتدعو الكتاب لها ، وستعلن قريباً عن مسابقة في القصة المصرية الطويلة

وسيختار قريباً أعضاء التحكيم من بين كبار الأدباء الموظفين في الوزارة

وقد علمنا أن الوزارة ستشترط أن تكون مادة القصة رامية إلى واحد من هذين الغرضين :

١ — إحياء صورة من صور التاريخ المصري الإسلامي ، أو التاريخ المصري القديم

٢ — تصوير الحياة الاجتماعية الحاضرة مع اقتران التصوير بإيحاء وسائل العلاج والإصلاح التي يتطلبها المجتمع المصري

وستكون الجوائز كما يلي :

الجائزة الأولى ١٠٠ جنيه ، والجائزة الثانية ٨٠ جنيهاً ، والجائزة الثالثة ٦٠ جنيهاً

وآخر موعد لتقديم قصص المتبارين إلى اللجنة هو منتصف أكتوبر القادم

تعقيب على نقد المناظرات

قرأت كلمة الأستاذ إسماعيل فهمي ، وأود أن أعقب عليها بما يأتي :

أولاً : إن عصر بطليموس الأول والثاني والثالث هو عصر أمان نسبي ازدهر فيه الفكر ، فهو مصداق آخر يدل على أن ازدهار الفكر في عصور أمان كالتي ذكرها

ثانياً : عصر إحياء العلوم في مدن إيطاليا هو عصر من عصور جزائر الأمان ، وهو يثبت أيضاً أن ازدهار الفكر في أماكن الأمان لا في أماكن الفوضى

ثالثاً : إنّ الفكر يزدهر حقيقة عند مُلتقى الثقافات والحضارات المختلفة ، ولكن ازدهاره عند ذلك الملتقى بسبب الأمان الذي يكون عند تبادل الشعوب لسلع التجارة والأفكار وليس بسبب ما قد ينشأ من الفوضى الفكرية .

رابعاً : إن اختلاف الآراء ليس دليلاً على الفوضى الفكرية ، وإذا نظرنا إلى عصور الحضارة والأمان وجدنا شيئاً كثيراً من ذلك الاختلاف ، إما للتسامح فيه أو تغاض عنه أو عجز عن منعه ، أما إذا لم يتحقق أمر من هذه الأمور الثلاثة بطل ازدهار الفكر وبطلت الحضارة

خامساً : إن مواطن الأمان الذي يصحبه الركود والجمود والجهل والفقر وقهر الفكر ، توجد مع الأمان السياسي فيها الفوضى الفكرية الناشئة من ارتباك الجهل وخطله وارتباك الغباء ، وكثيراً ما يكون تحت الأمان السياسي الظاهر فوضى في أداة الحكم ، فهو إذاً أمان مزيف

سادساً : إن اشتراط الحذر النفسي والفكري لنمو الفكر في الحياة أمر يختلف كل الاختلاف عن اشتراط الفوضى ، وكذلك اشتراط الحركات النفسية أمر يختلف عن اشتراط الفوضى في قول من يشترطها

سابعاً : إذا كانت الإنسانية قد كسبت من تقاتل الأجناس فقد خسرت كثيراً ، وطالما اضطرت إلى أن تعيد بناء الحضارة من جديد بعد فوضى ذلك التقاتل ؛ فاشتراط فوضى تقاتل الأجناس لازدهار الفكر شرط غير وجيه في قول من يشترطها

ثامناً : إن الركود والجمود الاجتماعي في الأمة إذا منعا من ازدهار الفكر لم يكن جالبهما الأمان وانقطاع الحروب والتدهور بسبب السكون والهدوء ، بل لهما أسباب عديدة تختلف باختلاف الأمم ، فمن تلك الأسباب ما هو حيوي (بيولوجي) ومنها ما هو (باثولوجي) طبي ، كالأمراض التي تجتاح أو تتوطن فتهلك أو تضعف الجسم والعقل ، وهذه الأسباب لم تدع دراستها كما ينبغي أن تذيع — ومنها ما هو سياسي لفساد نوع الحكومة ... الخ

تاسعاً : إن ازدهار الفكر في جزائر الأمان كثيراً ما يكون لأنه من بعض غراس عهد أمان شامل سابق أو قديم ووجدت بذوره وبقاياه من تعهدها برعايته في جزائر الأمان .

محمد عبد الله

الفكر والفوضى

إن رأيي في مناظرة ازدهار الفكر أن الوضع الصحيح قد عكس ، فإني أستطيع أن أفهم أن الفكرة إذا أريد تطبيقها إلى أبعد غاية من غير نظر إلى ما يخالفها ويلطفها من الأفكار الأخرى التي تعين حدودها قد تسبب الفوضى — أي أن الفكر قد يسبب الفوضى — ولكني أجد صعوبة في أن أفهم كيف أن

الفوضى تسبب ازدهار الفكر ما دامت الفوضى فوضى ، ولا أفهم كيف تكون معه حتى من غير الصلة السببية ، فإن الفكر خطواته نظام ، والنظام ضد الفوضى ، والفوضى عمياء والفكر بصير ، وكل فكرة — حتى الفكرة التي تقول إن الفوضى تسبب ازدهار الفكر — قد تقضى عليها فوضى المقاطعة والمعارضة وفوضى الاضطهاد والأحقاد ، إلا إذا ناصرتها الفوضى حباً لذاتها .

ويا حبذا لو قرأنا فى الرسالة مناظرة فى الموضوع الآتى : « هل يؤدى الفكر إلى الفوضى أم يؤدى إلى الأمان والنظام ؟ » وهو عكس موضوع مناظرة كلية الآداب

وتكون الفائدة عظيمة إذا تتبع كل مناظر حياة الأمم ومظاهر الفكر قديماً وحديثاً ، ولكل مناظر مجال واسع فى الجانبين من الموضوع ، وهو موضوع قد يستلزم النظر فى موضوع ثان ، وهو : هل الفكر والفلسفة نتيجة النزعات النفسية والعواطف والأهواء أم هما سبب لإثارة تلك النزعات والأهواء ؟ ولا داعى لأن أقول : إن الصواب فى الجانبين معاً ؛ ولكن الفائدة فى بيان شواهد الصواب فى الجانبين ؛ ونضرب مثلاً من التاريخ القديم فنقول : إن الفكر الإغريقى هو أنفس ما يعتز به الأوربيون ، وهم يعدونه أساس حضارتهم ومخترعاتهم ونظامهم ، ولكنه مع ذلك أدى قديماً إلى مذهب السوفسطائية الذى كان له ضرر محقق . إلا أننا نعود فنقول : هل أدى مذهب السوفسطائية إلى فساد النفوس وفساد ميولها ، أم أن فساد ميول النفس أدى بالفكر إلى السوفسطائية ؟ وهذا الموضوع الثانى قد يستدعى موضوعاً آخر للمناظرة ، وهو هل ينبغى أن يكون الفكر حراً طليقاً ، أم ينبغى أن يقيد ؟ وإذا وجب قيده فكيف يقيد ؟ وإلى أى حد ؟ ومن الذى يقيده ؟ وإذا جلب قيده فائدة فهل يجلب ضرراً مع الفائدة ؟ وأيهما أشد وأبقى : الفائدة أم الضرر ؟ وهل كان الفكر الإغريقى أو العربى يثمر كل ثمراته لو كان مقيداً قيداً حقيقياً ؟ هذه مشكلة أخرى من مشكلات الفكر العديدة

السيد خليل

وأد البنات عند العرب فى الجاهلية

قرأت ما كتبه الأستاذ على عبد الواحد وافى رداً علىّ فى هذا الموضوع ، وقد ختم رده بأنه بصدد قبائل كانت تئد كل بنت تولد لها ، لا بصدد حالات فردية كانت تنحر فيها بعض البنات . وإنى أقول فى ذلك كلمة لا أحب أن أقول بعدها كلمة أخرى ، لأن مثل هذا الذى يقوله الأستاذ على عبد الواحد وافى لم تذهب إليه قبيلة عربية أصلاً ، ولا يمكن أن تذهب إليه قبيلة فى أمة من الأمم ، اللهم إلا إذا أرادت أن تقضى على نفسها وتقطع نسلها من بنات وبنين معاً ، وإذا كان هذا شأن ما هو بصدده ، فهو غير صحيح فى نفسه ، ومثله لا يصح أن نحمل آيات القرآن عليه ، ولا سيما إذا كانت لا تحتمله

وقد رأى الأستاذ أن حمل قوله تعالى « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » ، على معنى أنهم يجعلون لآلهتهم ما يشتهون ، لا يستقيم مع الآيات الأخرى — كما ذكرت — لأنها صريحة فى أنهم كانوا يجعلون ذلك لأنفسهم لا لآلهتهم ، فذكر أن نسبة الذكور لأنفسهم أو لآلهتهم لا يهم كثيراً فى موضوعه ، مع أن موضوعه قائم على نسبة خلق البنين لآلهتهم والبنات لله تعالى

وكذلك رأى الأستاذ أن النصوص القرآنية صريحة فى أن العرب كانوا يجعلون الملائكة بنات لله كما ذكرت ، فلم يسعه إلا أن يعترف بهذا ، ولكنه ذكر أنه لا يتعارض مع ما ذكره من أنهم كانوا ينسبون إليه البنات من البشر ، وأن المقابلة بين البنين والبنات فى نحو قوله تعالى : (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) تقتضى أن تكون البنات من البشر كالبنين ، وقد نسى الأستاذ فى هذا آية الإسراء : (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيما) . فالمقابلة فيها صريحة بين البنين من البشر والبنات من الملائكة ، وهى مقابلة سائغة مقبولة ، ووجه ذلك لا يخفى على مثل الأستاذ وافى

ولا أحب أن أطيل بعد هذا فيما أطال به الأستاذ ، ويكفى أن مذهبه يؤدى إلى أنه كانت هناك قبائل تئد كل بناتها لأنها من خلق الله أو الشيطان ، مع أن ذلك لم يكن إلا حالات فردية فى تلك القبائل ، وكان يدعو إليها الفقر من الفقراء ، أو خوفه من الأغنياء ، كما صرح بذلك القرآن الكريم ؛ وخصوا البنات بذلك لأنهن لا يكتسبن

عبد المتعال الصعيدى



عطر المنصور

للأستاذ رفعت فتح الله

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وأمر المنصور حاجبه أن يستقدم سعيداً ، ثم يستقدم زوجه ، فلما قدم سعيد رأى فى الفناء حبيباً مع صاحب الشرطة ، فتعجب ، وقال : أنت أمامى هنا وهناك ! ! ثم جد فى السير كأنه يفر ، حتى دخل على المنصور ، فسلم وحيا ، وبدت فى عينيه نظرة الاهتمام .

قال المنصور : أتعرف الرجل الذى مررت به فى فنائنا ؟

قال سعيد : أعرفه

قال المنصور : أبينكما صداقة ؟

قال سعيد : بيننا شيء

قال المنصور : كيف وجدته ؟

قال سعيد : وجدته رجلاً لا يعرف قيمة المال

قال المنصور : وكيف وجدت عقله ؟

قال سعيد : هو رجل يروى أدباً ويقرض شعراً

قال المنصور : هل تتزاوران ؟

قال سعيد : قد يزورنا

قال المنصور : ولكنك لست فارغاً للشعر والأدب !

قال سعيد : إن زوجى تحب الشعر والأدب ، فإذا حضر تناشدا الشعر وتقارضا الأدب ، حتى إذا أفلس أدبه قام عنا

فهمس المنصور : وهل يفلس الأدب كما يفلس المال ؟ !

ثم قال : لعلك ترغب عن حديثه ؟

قال سعيد : إن أكثر كلامه لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فكيف أرغب فيه ؟

قال المنصور : أوَلست ترى له خيراً ترجيه ؟

قال سعيد : إنه ليس غنياً أرجيه ... غير أنى ...

فبادره المنصور قوله : غير أنك قد استفدت منه !

فاضطرب سعيد وقال : قد كان له جاه وجّهه فى عَرْض تجارتى ، وله رأى رآنى به فى بعض أمرى ، وإنى لأعجب من جاه لا مال معه ! ومن لسان لا يد له !

قال المنصور : أتنكر مروءته ؟

قال سعيد : لا ، ولكنى وددت لو كان غنياً لم تدركه حرفة الأدب

قال المنصور : وطهارته ؟

قال سعيد : لم يذكر للناس فيه رجساً وأسكتا !

ولما قدمتْ حبيبة أبصرت فى طريقها حبيباً وهو على حيرته ، يستحثُّه صاحب الشرطة ؛ فأنكرت بصرها ، ورنت إليه ، وأطال العجب رُنوّها ، وألمّ حبيب النظر نحوها . فالتقت العين بالعين ، ووجب القلب للقلب ، ثم أخضع الأمى عينيه ، وأسجد جفنيه ؛ فسارت نحوه مضطربة السير ، قد مدّ الاستفهام ذراعيها ، وابتدر سؤاله فمها . قالت : مالكَ ؟ فقص عليها قصته . فهزت رأسها وقالت : فهمتُ ... فهمتُ ... لقد فاح ذكاء المنصور عطراً ، فنَصَبه شركاً ؛ إنه صُواع الملك فى قصة يوسف ! (وغمزتْ بعينها وضحكتْ) ؛ ثم قالت بصوت حزين : يا حبيب ... أعط الخليفة الهدية !

قال حبيب : لقد كانت صلةً تحمل طابع الحب !

قالت : إن حبّنا معنا ، وأما هذا الطابع فنحن الذين طبَعناه ، ونحن إذا شئنا محوناه ، ليعود خاتمها الأول ... خاتمُ البخل ؛ فلقد يغلط البخيل فتكون غلطته جوداً ، ثم ينقلب ممنى الجود فى نفسه ندماً . ولقد علمتُ سعيداً بخيلاً ، يكاد يسترجع قَيْئتَه إذا ذكَر أنه كان طعاماً ! !

فاشمأزّ حبيب مُشمأزة المال ، واطمأن طمأنينة الحب ، ونادى صاحبَ الشرطة حيث وقف جَنْبَةً ، فقال له : قد رضيتُ حكم الخليفة ، وإنى ذاهب لأحمل المال إليه . فقال صاحب الشرطة : أرحتَ واسترحتَ ! وأمر شرطياً أن يذهب معه فيحملَ عنه ؛ ثم ذهب إلى الخليفة فى مكانه ، فأسرّ إليه رِضَى حبيب بحكمه ، فتبسم ضاحكاً !

والتفت المنصور إلى سعيد وقال : إيه !

فنظر إليه سعيد نظرة تتألق بطلب الحديث !

قال المنصور : ألا يزال حديث المال يتردد فى نفسك ؟

قال سعيد : إنه يتردد مع أنفاسي ، ولقد بتُّ الليلةَ ضجيع خياله !

قال المنصور : كأنه امرأة ثانية !

وضحك ثم قال : أرأيتَكَ إن رددت عليك مالك بعينه أتحكمني في امرأتك ؟

فأشرق وجه سعيد كثيراً ، وأغيَمّ قليلاً ؛ ثم قال : نعم

قال المنصور : دعني إذن أستخلصه لك ، واجلسْ عند الآذِنِ قليلاً حتى يأذنَ لك بالحضور مرة أخرى

فخرج سعيد متفائلاً ، وهو يجمجم : نعم العطر !

فاهتز المنصور ضاحكا ، وهو يزمزم : نعم ذكاؤه !

***

ودخلتْ حبيبة تتهادى ، وقد ربط التجلد على قلبها ، فبدا وقارُها ...

قالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين والمؤمنات

قال المنصور : وعليكِ السلام أيتها المؤمنة

قالت : أحب أن أشكر أمير المؤمنين على عطره الذكي ؛ فقد كان بشيرَ يُمنٍ لزوجي ، وأرجو أن يعني يمنه كذلك

قال : ولكني أظنكما فرطتما فيه

قالت : ما وضعناه إلا حيث تخيرنا ، عسى أن ينتشر طيبُه على الطيبين

قال : « والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات » وابتسم !

فانتفضت وقالت : « أولئك مبرؤون مما يقولون ، لهم مغفرة ورزق كريم » !

قال : أوليس زوجك طيباً ؟!

فارتجفت وقالت : إنه طيِّب المال ، يجرى حبه فى دمه ، كأنه ابن الدوانيق ...

فاربدّ وجه المنصور غضباً وقال :

أتغمزينني بكنية « أبى الدوانيق » التى كنّانى بها بعض المرْجفين فى المدينة ، إذ رأونى — حين بنيت بغداد — أباشرها بنفسى وأحاسب الصناع وأجازى العاملين ، فظنوا أنى فُتنتُ بالدرهم والدانق ، وإنما راقبت ربى فراقبت عملى ، وقومتُ أمرى فأرضيت نفسى ، وما أنا بمفتون أو بخيل ، ولكنى رأيت كثيراً من الناس عبيد المال ، فأمسكته لهم ، ليكونوا عبيداً لله وخليفته !

قالت : إنى أجلُّ أمير المؤمنين أن أغمزه بتلك الكنية ، فلقد رعيتَ المال : كثيرَه وقليله ، دينارَه ودانقه ، فكنتَ أباه ! وأما سعيد ، فقد حكمه المال وتولاه ، حتى صار خادمه ومقتناه !

فتسايل الغضب عن وجه المنصور وقال :

— إنى أكبرُ عقلك !

قالت : وهل أكبرتَ عقل سعيد ؟

فنظر إليها المنصور وسكت ثم قال :

— أراك برزةً ! !

قالت : ما رآنى منى أحبُّ الناس إلىّ إلا ما رآه الخليفة من وجهى ويدى ، فما ضرنى أن أكون برزة ؟ ! إنما خلق الله المرأة رُجلةً ولم يخلقها جِنة ! وجعل اللسان حجة ولم يجعله عورْة ! وإن المرأة التى تخشى الرجال هى التى أخشى عليها الرجال ... ! أليس الله أحق أن تخشاه ؟ !

ولقد حجبتُ نفسى بالعفاف ، فبلغت غاية الحجاب ؟

— أظن سعيداً معجباً بعفافك ؟

— يُعجب بعفافى بعد أن يعجب بماله !

— هو سعيد بك

— لو وجد هواه مع غيرى لكان أسعد !

— وأنت سعيدة ؟

— اسمى « حبيبة »

— ليست الأسماء حقائق

— قد تكون الأسماء آمالاً ، ألم يسم أمير المؤمنين قصره « الخلد » ؟

فنظر إليها المنصور نظرة راثمة ثم قال :

— وكيف تزوجتِ إذن سعيداً ؟ !

— تعارفنا بالأسماء وتقاربنا بالأنساب ، فتزوجنا ، وقد كان قلبى على فطرته ينبض كما كان ينبض منذ ميلادى ، وكان زوجى يرعانى كما يرعى إحدى قريباته ، ويحبنى كما تحبنى إحدى قريباتى ... وقد رأيته يتاجر فساعدته ، وساعده الحظ معى ، حتى أثرى ، فكشف ثراؤه عن نفسه ، وتجسد أمامى حبه للمال ، يستكثر ولا يستكفى ويبخل ولا يستمتع ، والمال تجاهه سلسلة لا تنتهى حلقاتها ، كلما جذب حلقة بانت له أطراف أخرى تجرى إليها ... فكرتُ وقدرت ، فإذا موضع المال مَن قلبه فى الأعماق ، وإذا موضعى من ذلك القلب على الشط : أحمل دلوى لا أغرف له ، كأن عقد الزواج من عقود المال ، وكأنى شريكته فى متجره لا فى بيته .

غير أنى شريكة لا تشارك فى ربح ولا تطالب بأجر ! ! وكيف يرانى أو يسمعنى وقد طرفت الدنيا عينيه ، وسدت أذنيه ؟ ! وهكذا حفر فى قلبى أسفاً ! وتتالت الأيام على حفر ذلك الأسف ، فكان غضباً ! وبالَغت الشهور فى حفر ذلك الغضب ، فكان كرهاً ! ...

هناك سمعت من حفيرة قلبى دقاته الجديدة ، تخللتْ خفقانه وقع المعاول ! ... أنا لم أولد على دكان ربوى شحيح ، ولم أُنشأ فى رَحل بدوى غليظ ، فقد كان أبى أديباً طبعنى على أدبه ، حنّاناً أرقّنى بحنانه ، فكيف أعيش فى كنز أسمع رنينه ولا يسمع أنينى ؟ طار قلبى عن بيتى ، فلم أدر : كيف يقع ؟ وأين يقع ؟ ولكنى أحسست صدرى فارغاً ، قد طلاه الأسى بسواد ، يعلن الحداد ! ثم رأيت – فى من رأيت – فلاناً

فابتسم المنصور ابتسامة المعرفة ، واستكملتْ قولها :

تعرفته فتبينت فيه العفافة ، وتأملته فتأولتُ فيه المروءة ، رأيته شاعر النفس واللسان ، رقيق القلب والبيان ، فأحسستُ أن قلبى قد هبط معه ، فما قابلته حتى تحادثت حمرةٌ فى الوجهين ودفٌ "عرسٌ" فى القلبين !

قال المنصور : حسبكِ ! فإنى أخاف عليك الغرق والإغراق

قالت : قد بلغنا الساحل ! (وأشارت إليه)

قال : وأين واجب الزوج ؟

قالت : قد عرفت الواجب فرعيته ، وقدرت الأمانة فأديتها ؛ وما أثقلَ الواجبَ والأمانة إذا وغلتْ فيهما الكراهة ! وأمير المؤمنين يعلم أنَّ الله قد شرع الزواج إلفة لا نفرة ، وشرع الطلاق ضرورة يلجأ إليها المضطر لا المفتر ؛ ولكن كثيراً من الناس تعاموْا عن حكمة الله ، فاتخذوا الزواج مواجهة وجهين ، لا معاقدة قلبين ! وارتكبوا الطلاق مطية غرور لا قضية نفور ، وما أحكم قول الله : « فأمسكوهنَّ بمعروفٍ أو سرحوهنَّ بمعروف ، ولا تمسكوهنَّ ضِراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ! »

***

واستأذن حبيب فأُذن له ، ودخل مع المال يحيى الخليفة ، وابتسم لحبيبة ابتسامة ردتها بأحسن منها ، ثم قالت : إن هذا المال لحبيب . إذ أهديته إليه ، وقد كان مالى من قبل .

إذ أهداه لى زوجى ، فما أبعد زوجى عنه !

قال المنصور : ألا تفتديان به قلبيكما ؟ !

قال حبيب وحبيبة معاً : نعم الحكم أميرُ المؤمنين !

ثم ابتسما فى خجل من تطابق الصوتين على الجواب ، فابتسم المنصور ... وأخذت العيون تسارق النظر : فالمنصور يرخى طرفه ثم يلمح الحبيبين ، وكل واحد منهما ينظر إلى صاحبه والخليفة نظرة مقسمة بينهما ، كأنها نظارة الأحول ، وما أروع نظرات الحوَل المستعار ! وأذن المنصور لسعيد بالحضور فحضر بدير عينيه !

قال المنصور : أهذا مالك يا سعيد ؟

فرنا سعيد فرحاً ؛ ثم قال : هو يا أمير المؤمنين

قال المنصور: خذه كما أشرت ، وقد طلقت امرأتك كما شرطت

فرفع سعيد رأسه ينظر إليه ، ويقول : ولكننى رأيت عندها حباً وإخلاصاً !

قال المنصور : لقد أدت واجب الزواج فظننته حباً ، ورعت أمانة العفاف فحسبته إخلاصاً ، وما ربط قلبيكما حب ، ولا جمع كبديكما ولد . . . على أننى قد تخيرتُ لك امرأة على هواك اسمها « سعدى » يا سعيد !

قال سعيد : الخيرة ما اختار أمير المؤمنين ، وأنا دَرج يديه

والتفت المنصور فجأة إلى حبيبة وحبيب ؛ فإذا هى قد سدلتْ جفنيها ، وحَدَرَتْ من تحتهما إلى حبيب نظرةً قد رويتْ من قلبها ، بحبها ! وإذا هو معقود النظر بها ، كأنما نفثت فيه من سحرها !...

فهمس المنصور : خُلقتْ هواك كما خلقتَ هوى لها !

ثم قال لهما : جمع الله بينكما بشرعه

ثم أذن لهم جميعاً ، فخرجوا راضين ، وهو يقول :

الحمد لك ، الآن تلاءمت الأسماء ، والتأمت الأهواء

وبعد أيام زُفت سعدى إلى سعيد ؛ وزف مالها إلى ماله ، فتواصَيا بالاكتناز ، وتباعَثا على الاكتساب ؛ فما أصبحتْ ليلة الزفاف حتى أمسكا دفتر الحساب !

وبعد أشهر زُفتْ حبيبة إلى حبيب ، وزُفَّ حبها إلى حبه ، فورِىَ القلبان بنار الشوق ، كأنهما زَنداه ! وتلاقى الفمان على قبلة الـ « حب » كأنهما حرفاه ! واستبدتْ بهما القبلة ، فتطاعَم المتلاعَان ، كأنهما حمامتان !

رفعت فتح الله

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين – عابدين)

9me Année No. 409

Lundi - 5 - 5 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
ـــص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٤٠٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٠ — الموافق ٥ مايو سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهــــــرس

صفحة
٦٠٥ وتقديم الساعة مرة أخرى : الأستاذ عباس محمود العقاد
٦٠٨ صورة . . . وصورة . . . : الأستاذ محمد محمد المدنى ...
٦١٠ عندما حيرها الصمت! [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٦١١ ديوان الحبوبى ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٦١٤ اللهجات العامية الحديثة ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٦١٨ هل لليهود فن ؟ ... ... : الدكتور أحمد موسى ... ...
٦٢٢ ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ... ... } الأب أنستاس ماري الكرملى
٦٢٥ من جوف الليل ... ... : الأستاذ شكرى فيصل ...
٦٢٧ المرحوم محمد مسعود بك [قصيدة] : الأستاذ خليل مطران بك ...
غريب ... ... » : الأديب محمد قطب ... ...
٦٢٨ فقر الأنبياء — العصاميون
٦٢٩ — الحب والبغض ... ... } الدكتور زكى مبارك .. ...
إلى الباحث الجليل (***) : الأستاذ الكبير (ا . ع) ...
وفاة الأستاذ محمود مصطفى : . ...
٦٣٠ تأبين المرحوم محمد مسعود بك : . ...
حول بشر بن عوانة ... : . ...
اكتشاف جديد لإطالة عمر الانسان ... ... } . ...
حول وأد البنات عند العرب فى الجاهلية ... ... } الدكتور على عبد الواحد وافي
٦٣١ فى اللغة ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٦٣٢ مجالس الغورى [كتاب] : الأستاذ محمد لطفى جمعة ...

وتقديم الساعة مرة أخرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

يقول الراوى : سمعت فيما سمعت من فكاهات الناس أن غريباً نزل ببلد من البلدان يتفرج بالسياحة ويحتال للرزق ، فلم ينفرج ضيقه ، ولم يتسع فى طلب الرزق طريقه ؛ فخرج يوماً إلى مدافن البلد يتعظ ويستعبر ، ومال على القبور يقرأ ما كتب عليها ، فأذهله ما قرأ وعى بتفسيره وتأويله

هنا قبر كتبوا عليه أنه قبر الوزير العظيم فلان : حكم وعدل وأصلح وبلغ من العمر عشرة أيام

وهنا قبر كتبوا عليه أنه للقاضى الجليل فلان : كانت له أحكام يؤتم بها فى مجالس القضاء ، وأثرت عنه مؤلفات يتداولها الطلاب والأدباء ، ومات ولم يجاوز من العمر أسبوعين

وهناك قبر لطبيب ، وإلى جانبه قبر لأديب ، ووراءهما قبر لسرى حسيب ، وعلى مقربة منه قبر لناشئ نجيب ، وما منهم معمَّر ولا مقتضَب يجاوز الساعات والأيام، إلى الشهور والأعوام، ولا منهم إلا من تذكر له المآثر ويرتفع به المقام

فاستغرب الغريب ، وسعى إلى الحارس يسأله فى سر هذا الكلام المريب : ما خطبكم يا هذا؟! ... أحياؤكم فى المدينة يشيبون ويعمرون ، وأمواتكم فى المقابر لا تعدُّ لهم شهور

ولا سنون . فهل يجاء بالأموات من بلد غير هذا البلد ، أو تمدون العمر عندكم بغير ما ألف الناس من عدد ؟

قال الحارس : بل هي مدافن القوم ، وهي أعمار أبناء آدم ، ولكنهم يسقطون منها ما لا يسر ولا يؤثر ، ويثبتون منها ما قضى في سرور وعمل مشكور . فمن ثم تنحسر السنوات بعد السنوات ، فلا يبقى غير لحظات ولمحات ، وهي التي تراها ، وتحار في معناها !

قال الغريب : إن كان هذا فوصيتي لك أن تكتب على قبري حين يتوفاني الله في بلدكم : من بطن أمه إلى القبر !

***

ويقول الراوي مرة أخرى : ثم أدركتني سِنة من النوم وأنا أعيد حكاية هذا الغريب اليائس وأسأل نفسي : كم من الناس يحق له أن يزيد على ما أوصى ؟ وكم من الأعمار يبلغ الساعات على هذا الحساب ؟

وإني لكذلك إذ ارتفع بصري إلى دائرة هائلة الأقطار كأنها صفحة الساعة التي نقيس بها الزمن ، لولا أنها شيء لا يدرك له آخر ولا تظهر لعقربيه حركة ، ولولا أن العقربين لا ينتهيان ولا يزالان ذاهبين إلى وجهة يخيل إليك أنها حافة وما هي بحافة ، ولكنها أشبه شيء بخط الأفق المخلوق من وهم الناظر إليه

الأبد كله يقاس بهذه الصفحة !! أو هي الساعة السرمدية التي ترصد بها حركات الأكوان ، إن صح أن تسمى هذه ساعة وهي تشمل كل حين !

يقول الراوي : وألمح على الصفحة علامات مختلفة الشيات ، لا أهم بأن استوضحها حتى يتضح لي جواب ما هممت بالسؤال عنه كأنه خطرة من خطرات الضمير لا أسمعها ولا أرى قائلها . . . هذه علامات السعود والنحوس ، وهذه مفاتيح الإسراع والإبطاء ، وهذه لوالب الأفلاك ومنها فلك الأرض الصغير ، وهذه وهذه إلى آخر ما في الصفحة السرمدية من مجهول ومعلوم

وتتحرك يدي إلى مفتاح من المفاتيح ، ويهجس في ضميري المجيب الذي لا أسمعه ولا أراه : مكانك ! إلى أين ؟

قلت : إلى المفتاح الذي يعبر أوقات النحوس في لمحة عين

قال : ويحك . وما أنت وعلم هذا ؟ وأي نحوس تريد ؟ نحوسك أنت ، أو نحوس العالم أجمع ، أو نحوس فريق من الناس دون فريق ؟ هذه أسرار لا تهديك فيها العلامة ولا يطيعك فيها المفتاح . وإنما قصاراك أن تنظر في الساعة التي تخص حياتك إن اهتديت إليها . فهنالك ترى من ساعاتك وأيامك ما يقتضب أو يستطال ، على شروط يدلك عليها الدليل الموكل بتلك الآجال

قلت : وأين أجد هذه الساعة أصلحك الله ؟

قال : في خلف هذه الصفحة ... فهنا صفحة الكون الخالد وهناك صفحات الأحياء من أبناء الفناء

واستدرنا أو خيل إلينا أننا نستدير فإذا الدوائر أمامنا متشابكات متداخلات لا يحدها الطرف ولا يحصيها الحساب ، وإذا بالمجيب الذي لا أراه ولا أسمعه يشير إلى إحداهن ويقرئني عليها اسمي وعلامات السعد والنحس في عمري ، ويقول لي : دونك ساعتك فاصنع بها ما أنت صانع . فهي إن عمرت أو خربت لك أو عليك فلما يضارُّ من جرائها أحد سواك

ثم يعود صاحبنا فيقول : واعلم أنك لا تأخذ السعادة ولا تتقي الشقاوة في هذا المكان ، فإنما هو للحصر والتسجيل ثم تحال إلى الخزانة التي فيها ما تشتهيه وتتقيه ، فعلى حسب ما في يدك من سجل أوقاتك وسعاداتك وشقاواتك يكون التسليم من يد الخازن الموكل بهذه الأمور

ودارت المفاتيح ، وذهبت إلى الخازن ، وأريته السجل والتعداد ، وانتظرت ما يقول ، فإذا هو يراجعني مراجعة البائع المتحرج الذي تأبى له ذمته أن يستر بخساً أو يبالغ في مزية ، ولا يثنيه عن ذلك غضب ولا استعجال

قال : هذه سويعات بل لحظات لك في سجل السعادة ، أفأنت نازل عن عمرك كله من أجل هذه اللحظات ؟

قلت : أوليست هي سعادة خالصة ؟

قال : بلى ، ولكني مأمور بأن أبصرك بالحقيقة قبل أن آخذ منك أو أعطيك

فهذه اللمحات لا يدخل فيها الوقت الذي تشتاق فيه إلى السعادة ، ولا الوقت الذي تحن فيه إلى ذكراها ، ولا الوقت الذي تعرف فيه قدرها بفقدانها والشعور بالفارق بينها وبين نقيضها .

وهذه اللمحات تتصل بسعادات أناس آخرين لولاهم لما ظفرت بحصتك التي كتبت بعنوانك، فإما أن تتسلموها جميعاً أو تتركوها جميعاً ولا انفراد لك بالرأي فيما تختار

وهذه اللمحات إنما هي كالرى للظامئ فلا إرواء لها إلا بعد إظماء، ولا محل للإيجاز في أوقات الشقاء إلا أن تصاب لمحات السعادة بمثل هذا الإيجاز

قلت: إني أغليت الثمن وبذلت عمراً كاملاً في سبيل هذه اللمحات القصار

قال: إنك لم تبذل شيئاً بل استرحت مما أنت باذل من شقاء، ولهذه الراحة ثمنها، فمن عسى أن يبذل الثمن غير المستفيد؟

قلت: إننا في عالم الدنيا نشترى الحلو والحامض ونلق بالحامض جانباً إذا كرهناه، وغاية ما يسومنا البائع أن يبيعنا الفاكهة المنتقاة بأغلى من سعر الفاكهة التي ليس فيها انتقاء. فلم لا تنبهون في بيعكم وشرائكم ما ننبه فيما بيننا من بيع وشراء؟

قال: ذلك لأن حلاوة الحلو عندنا من حموضة الحامض، فليس بينهما انفصال!

وسألته: وما النتيجة؟

فأجابني: والنتيجة أننا ننقصك من السعادة بمقدار ماننقصك من الشقاء، وليس الأمر كما ظننت زيادة على هذه يقابلها نقصان من ذاك

***

يقول الراوي: فتدبرت كلام الخازن الناصح فوجدته على صواب، وتبين لي أن الصفقة لا تنعقد إذا هي انعقدت إلا على ما اشترط ووفق ما رسم. فهذه الساعة التي نعمت بها لأنني قضيتها مع من أحب، كيف أنتزعها وحدي وأعزل حسابها من حساب عمره؟ وهذه الواحة التي ابتهجت بها لأنني عبرت إليها الصحراء كيف أبتهج بها ولا أبتئس بصحرائها؟ وهذه المرارة في كأس الفتنة، كيف أتركها ولا أترك معها نشوتها وأحلامها؟ وهـذه الخلاصة كيف أستخلصها ولا أتعب في استخلاصها

أيها الخازن الناصح: شكراً لك، فقد نصحت وأبلغت، فهل يضيع تعبي في تقديم الساعة بغير جزاء؟

أيها الباحث عما ليس يوجد: هذا هو الجزاء، وهكذا يتعب من يختصر العمر ليختصر الشقاء!

***

وبعد فقد كتبت في السنة الماضية عن تقديم الزمن وتأخير الزمن، فحق لهـذه السنة أن نحفل بتقديم ساعاتها وإن كنا لا نقدم ولا نؤخر بهذا الاحتفال

وأراني عشت عشرين سنة ولم أتبين جديداً يقال منذ قلت:

تبغى السعادة لا سعادة مثلها   والعدم قسمة طالب الإكسير

ومنـذ تبين لي أن الفقر نصيب من يطلب الإكسير الذي يعطي المعادن الخسيسة قيمة الذهب الإبريز، وأن الشقاء نصيب من يطلب الإكسير الذي تتساوى به معادن الأيام فكلها نفيس وكلها محمود وكلها سعيد؛ فلا ذاك يبلغ الغنى ويسلم من الفقر، ولا هذا يبلغ السعادة ويسلم من الشقاء، وحسبنا نصيب أهل الفناء فهم في آخر الأمر تراب، وكل ما أصابوه أنفس من التراب

عباس محمود العقاد

صورة ... وصورة ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

هذه كلمة من نوع ما كنت أكتب عن الأزهر من قبل ، جاشت النفس بها ثم احتبستها ، ولكن كلمة الأستاذ الزيات : « هل انبعث الأزهر » قد أثارت كامن الشوق القديم :

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا !

الصورتان متقابلتان كأتم ما يكون من التقابل ، متنافرتان كأعنف ما يتصور من التنافر ، وهما مع ذلك مجتمعتان فى مكان واحد ، وبينهما صلة جوار قريب ورابطة قوية يبدو أنه لا سبيل إلى التخلص منها قبل زمن بعيد !

ليس الموضوع خيالاً يا عشاق الخيال ، وإنما هو الواقع الذى لم تفسده التصاوير ، والحقيقة المبرأة من المبالغة والتهويل !

الصورتان فى الأزهر ، والأزهر يحتفظ بهما معاً ، ويصانعهما معاً ، ويود لو بقى الناس غافلين عنهما ، منصرفين عن النظر إليهما

الصورة الأولى

صورة باسمة مشرقة متميزة الملامح والقسمات ، يشع منها نور الإيمان ، وتبدو على محياها سمات العقل والتفكير : لمن هذه الصورة ؟ ؟ إنها صورة أزهرى صحيح الفكر ، رشيد العقل ، واسع الأفق ، لا يضيق صدراً بما يأخذ به الناس من أسباب حياتهم ، وألوان ثقافتهم ، وطريقة تفكيرهم ما دام ذلك فى حدود العقل الصحيح والعلم الصحيح !

يشعر بأن الأزهر فى عهده الحديث مطالب بأن يفهم ما حوله فهماً صحيحاً ، لأن هذا الفهم ضرورى له ، وضرورى للدين الذى يحمل لواءه ، وضرورى للأمة التى تجعله منها فى مكان القيادة !

فهو ضرورى له ، لأنه إذا لم يفهم ما حوله فهماً صحيحاً ، ظل يخبط فى ظلمات ، ويضرب فى مجاهل ، فتكون النتيجة — ويا للهول ! — أن يفقد اعتباره أمام الأمة ، وأن يكره بعد حين قريب أو بعيد ، على التخلى عن مركزه التاريخى العظيم فيها !

وهو ضرورى للدين ، لأن الدين عدو الجهالة والجمود ، ولو كان الإسلام يرضى بالجهل أو يسكت عنه ، أو يحب الجمود أو يصبر عليه ، لما عاش هذا العمر المبارك الممتد إلى آخر الزمان إن شاء الله ، بل لما وصل إلينا اليوم إلا طميناً جريحاً ، أو هرماً عملت الليالى والأيام فيه ، ولكنه وصل إلينا شاباً تجرى فى شرايينه دماء الحياة نقية متدفقة ، وصل إلينا قوياً غلاباً مر بحضارات وحضارات فلم يضق بشىء منها صدراً ولم يقف أمام واحدة منها حائراً متردداً ، ولا مأخوذاً مشدوهاً ؛ وصل إلينا سليما منتصراً ، قد تكسرت من حوله النصال ، وتحطمت السهام ؛ ذلك بأنه دين الفطرة والعقل والعلم والإصلاح !

وهذا الفهم الصحيح ضرورى للأمة نفسها ، لأن الأمة تنشد لأبنائها ثقافة قومية إسلامية خالصة ، ولا ترضى بأن تفنى فى غيرها ، أو تؤخذ بثقافة غريبة عنها عاجزة عن أن تمدها بوسائل الحياة التى تصلح لها ، قاصرة عن أن تثير فى نفسها شعور العزة والكرامة والتطلع إلى تاريخها ومفاخرها . تنشد الأمة لأبنائها هـذه الثقافة وتتجه إلى الأزهر طالبة منه أن يمدها بها ، لأن الأزهر قد زامل تاريخها الذى به تعتز ، ولأنه هو الذى حفظ لها هذه الكنوز فى الدين والفقه واللغة والأدب ، ولأن الأزهر هو مدرسة الشعب العليا التي تجمع ابن الفلاح وابن الصانع وابن التاجر من سواد الأمة الذين يفهمون حاجاتها ، ويدركون ما تصلح به شئونها !

فإذا ما تخلف الأزهر عن تلبية هذه الرغبة ، ولم يقابل ثقة الأمة به ، وتعويلها عليه ، بالنشاط والعمل والتقدم نحو الكمال ، ولم ينتفع بهذا المركز الفريد الذى ميزه به تاريخه وعلومه وطبيعة رسالته ـ أذاق الأمة لباس الحرمان والفجيعة ، ودفعها إلى أعداء الإسلام كرهاً من حيث لا يحتسب

تقول الأمة الإسلامية للأزهر : إن من أعز آمالى أن أحمل عليك عبء تزويدى بما أحتاج إليه من قانون وتشريع ، وفقه وقضاء ، وأن أعمل برأيك الناضج فى جميع نواحى الحياة :

فى الاجتماع ، فى الاقتصاد ، فى السياسة ، فى العلم ، فى الأدب ، ولكن ينبغى أن يكون منك تقدم وخطوات عملية فى جميع هذه النواحى ، تشعرنى بأنك عرفتها ودرستها عن خبرة وفهم وتحقيق ومقارنة ، ولا أكتفى منك بهذه الدراسات اللفظية الأثرية ، ولا بهذه الأفكار التقليدية التى لو كان أصحابها الآن بيننا لتخلوا عن كثير منها

لقد كان الفقيه المجتهد يغير رأيه فى المسألة الواحدة مراراً ، لاطلاعه على ما لم يكن قد اطلع عليه ، أو لانكشاف حالة لم تكن قد انكشفت له ، أو لمناقشة عالم أقنعته بما لم يكن مقتنعاً به ؛ وقد مر على هؤلاء الرجال المفكرين قرون وقرون ، وحدثت أحداث ، وجدّت نظم ، وتغيرت دول ، وانكشف للناس من أسرار الله فى الحياة ما لم يكن قد انكشف ، وظهرت مشكلات ومسائل وقضايا من طراز جديد ، فكيف يلتوى عنق الأمة إلى الماضى من غير نظر إلى الحاضر ، وكيف نقف والفلك المحرك دائر ؟ فى البلد شركات مالية تقوم على أساس من الاقتصاد خاص ، وفى البلد مصارف أصبحت جزءاً مقوّماً من نظام المال فى الدنيا ، وفى البلد ألوان من النظم والمعاملات لم تكن معروفة فيما مضى ، فهل درستم نظام هذه الشركات والمصارف ؟ وهل تفهمتم أصول هذه المعاملات والنظم ؟ وهل تبينتم من ذلك كله ما يتفق مع التشريع الصحيح وما لا يتفق ؟

فى البلد مشكلات اجتماعية ، وعلل تحتاج إلى الإصلاح ، فهل فكرتم فى أن تجدوا حلاً لهذه المشكلات ودواء لهذه العلل ، ثم عرضتم ذلك عرضاً منظماً جاداً حازماً على ولاة الأمور ، وأقنعتموهم بالصلاح فيما تعرضون ؟

إن أحداً من الناس لا يستطيع أن يقول : إن التشريع الإسلامى ليس كفيلاً بإسعاد المجتمع ، وإنهاض الأمة؛ ولو قال ذلك أحد من الناس لكان ممعناً فى الخطأ ، جاهلاً بالحقائق ، أو عدواً للاسلام جاحداً بفضله

ولكن قبل أن تنادوا بذلك ، تحللوا أنتم أولاً من هذه القيود التى أثقلتكم . تحللوا من هذه الدراسات اللفظية الأثرية التى شغلتكم . برئوا أنفسكم وكرموا وجه العلم من أن تخلعوا على كل رأى قديم ، مهما كان أمره ، هذه القدسية التى لا يعرفها الإسلام إلا لله ورسوله !

إن هؤلاء الذين سبقوكم قد قاموا بما يجب عليهم ، وأدوا إلى الله أماناتهم ، ولبوا حاجات عصورهم ، وكانوا يصدرون فيما يرون أو يقولون عن نظر وتأمل واقتناع ، فمن البر بهم أن تسيروا على سننهم ، وأن تهتدوا بهديهم : فتلبوا حاجات عصركم — فى حدود الشريعة — كما لبوا حاجات عصرهم ، وتصدروا عن فهم ووزن صحيح لحاجات أمتكم ، كما أصدروا عن مثل ذلك

ذلك هو النداء الروحى الذى يشعر الأزهرى الناضج بأن الأمة تنادى به الأزهر ؛ وذلك هو الصوت المدوى الذى ينادى به الدين أبناء الدين ؛ وذلك هو الروح الكريم الذى يوحى به الإخلاص للأزهر ورسالة الأزهر ؟

***

هذه إحدى الصورتين المتقابلتين فى الأزهر !

الصورة الثانية

أما الصورة الثانية فبالله ! كيف أصورها ؟ إنها صورة مظلمة قاتمة تنبو عنها العين ، وينقبض لمرآها الصدر : شيخ يعيش فى عصر النور والعلم ويأبى إلا أن يكون بروحه وعقله فى عصر الجهالة والتعصب والغموض والإبهام

تقول له : قال الله ، فيقول لك : قال فلان فى شرح كذا أو حاشية كذا . وتقول له : تأمل هداية الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، واعتبر بتطبيقه لآيات الله ، وفهمه وفقهه فى أحكام التشريع . فيقول لك : هذه مهمة المجتهدين وقد انقضى عهدهم ، وأصبح الزمان لا يجود بمثلهم . أما أنا فمقلد وسأبقى مقلداً ، لأن فلاناً يقول فى منظومته :

« وواجب تقليد حبر منهمُ ... »

وهكذا يجعل التقليد واجباً له مرتبة العقيدة !

وتقول له : أنظر ماذا كان يفعل الأصحاب الأولون ، وكيف كانوا يفهمون العقائد والأحكام كما نزلت فى كتاب الله ، لم تشبها الشوائب ، ولم تفسدها المذاهب الباطلة ، ولم تؤثر فيها النحل الغريبة ؛ فيخالطه الشك فى أمرك ، ويجرى لسانه بألفاظ

يرددها ولا يفهم لها معنى : أهل السنة ، المعتزلة ، الباطنية ، الإجماع ، الإلحاد ، الزندقة ، إنكار الحقائق الشرعية ... إلى غير ذلك . ولو سألته ماذا يقصد بهذه الألفاظ ؟ ومتى حدثت فى تاريخ الإسلام ؟ ومتى جعلت معايير للكفر والإيمان لما وجدت جواباً !

وآفة الآفات فى ذلك كله افتراض الثقة المطلقة فى نظريات بعينها وأشخاص بخصوصهم ، مع الشك المطلق أو الرفض المطلق لنظريات أخرى وأشخاص آخرين ؛ ومثل هذه الطريقة لا يعرفها الإسلام ولا يرضاها لأهله ، ويأباها القرآن الكريم الذى عظم شأن البرهان ، ونعى على الذين يجمدون بدون تفكير على تقليد الآباء

***

هاتان هما الصورتان المتقابلتان فى الأزهر . وقد أبدع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة فى تصويرهما إذ يقول فى العدد الماضى من الرسالة :

١ – « هؤلاء هم شباب الأزهر الجديد أساتذة وطلاباً ، قد جلت نفوسهم ثقافة العصر ، وصقلتها مدنية الحاضر ، فأشرقت عليها أشعة النبوة ساطعة بعد ما حجبها الغمام والقتام حقباً بعد حقب . فهم وحدهم الذين يدركون مسافة البعد بين روح الأزهر وحياة الناس ، وهم وحدهم الذين يملكون تزييف الأباطيل المقدسة التى اتسمت بسمة الحق ، وتسمَّت باسم الدين »

٢ – « ولكنهم حول هذا الهيكل البالى أشبه بالأغصان الخلفة التى تنبت نضيرة على أصل الدوحة العتيقة ، ثم لا يتسنى لها الناظ والسموق لأن الجذور الشيخة لا تمدها بالغذاء كله ، والفروعَ الميتة لا تمكنها من الهواء كله . فإذا لم يرسل الله رسول الإصلاح ويؤته ما آتى أولى العزم من الرسل ، فيقطع من أعالى هذه الدوحة ما اعوج ، ويجتث من أسافلها ما ذبل ، ويكشف عن جذعها الواهن ما التف عليه من طفيلى النبت ، بنى الجفاف على هذه الأفنان النواشئ فتذوى فى زهرة العمر وبكرة الربيع »

فمتى يرسل الله هذا الرسول ، يا فضيلة الأستاذ الأكبر ؟

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

عند ما حيرها الصمت !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

قَالَتْ : أَرَاكَ كَأَنَّمَا انْــــفَجَرَتْ حَيَاتُكَ مِنْ شِهَابْ
وَتَدَفَّقَتْ بِكَ مَوْجَــةٌ سَوْدَاءُ مِنْ حُلْمِ الضَّبَابْ
فَكَأَنَّ عُمْرَكَ فى يَدِ الأَ (م) قْدَارِ إِعْصَارٌ مُذَابْ
وَكَأَنَّ رُوحَكَ كَوْكَبٌ مُتَمَرِّدٌ فَوْقَ السَّحَابْ
لَا النَّجْمُ يَعْرِفُهُ ، وَلَا يَدْرِى مَنَابِعَهُ التُّرَابْ ...
أَفْصِحْ عَنِ السِّرِّ الدَّفِينْ
يَأَيُّهَا الْقَلِقُ الحَــزِينْ !!

إِنِّي أَرَاكَ كَعَــابِدٍ نَشْوَانَ يَحْضُنُهُ الإِلَهْ
سَكَبَتْكَ رَاحَاتُ الغُيُو بِ رَحِيقَ خَمْرٍ فى صَلَاهْ !
وَكَشَاعِرٍ ذُبِحَتْ عَلَى قِيثَارِهِ الدَّامِى رُؤَاهْ !
نَفَضَتْكَ أَجْنِحَةُ السُّكُو نِ ظِلَالَ مَوْتٍ فى حَيَاهْ !
أَشْعَلْتَ فى قَلْبِى الهَوَى وَتَرَكْتَنِى فى النَّارِ ! آهْ ...
... لَوْ كُنْتَ تُفْصِحُ أَوْ تُبِينْ !
أَهَوًى أَذَابَكَ أَمْ جُنُونْ ؟ !

قُلْتُ : اصْخَبِى بِهَوَاكِ حَوْ لِىَ يا حبيبةُ وَاعْصِفِى بِى !
أَنَا عَاشِقٌ قَذَفَتْ بِهِ بَلْوَاهُ فى عَدَمٍ رَهِيبِ
أَنَا قِصَّــةٌ بَكْمَاءُ تَرْ وِى سِحْرَهَا شَفَةُ الغُيُوبِ
أَنَا جَدْوَلٌ تَجْرِى بِهِ الأَ (م) حْزَانُ فى وَادٍ غَرِيبِ
مَلَّتْ جِرَاحُ الحُبِّ صَمْــتِىَ فَارْتَمَيْتُ عَلَى اللَّهِيبِ
رُحْمَاكِ بِى ... وَدَعِى الحَنِينْ
يُلْقِى سُــؤَالَكِ لِلسِّنِينْ
وَغَــدًا ... تَرَيْنَ وَتَعْرِفِينْ !

(مراقبة الثقافة العامة) **محمود حسن اسماعيل**

في الأدب العراقي

ديوان الحبوبي

للدكتور زكي مبارك

حق الأدب على الأديب — خطبة لبسون وخطبة تشرشل — انتقام الغزالي — الحبوبي بين الشعر والتدريس — لمحات من شاعرية الحبوبي — مراجع — شهيد الدفاع — الشاعر المصري المجهول أحمد زناتي

حق الأدب على الأديب

بعد أن فرغتُ من مقالي عن « الصحافة العراقية » وقدمته لمطبعة الرسالة جاءت الأخبار بانقلاب جديد في العراق ، وهي أخبار آذتني أشد الإيذاء ، لأني أتمنى في كل وقت أن يعيش العراق في هدوء واطمئنان ليفرُغ لتحقيق ما يسمو إليه من التفوق في ميادين العلم والأدب والاقتصاد

وكان من أثر ذلك الانقلاب وأثر اشتداد الأزمة الدولية أن أسكت عن حديث الأدب إلى أن تنكشف الغُمّة هنا وهناك فنجد ويجدون مساغاً للكلام عن الأدب والبيان

ولكني رجعت فنظرت في حق الأدب على الأديب ، ومن حق الأدب الذي نتشرف بخدمته أن نحمل الهيام بتقييد أوابده فرضاً من أوجب الفروض فلا نسكت عنه ولو آذنت أشراط القيامة بسقوط السماء على الأرض ، والله الحفيظ من مكاره هذه الأيام ... !

فمن طاب له أن يعجب من اشتغالنا بالأدب في أوقات لا يُشغل فيها الناس بغير أخبار الحروب فليعرف أن للأدب ميداناً لا يقلّ خطراً عن ميدان القتال ، وقد شاءت المقادير أن نكون جنوداً في الميدان الأدبي ، فمن واجبنا أن نقف صادقين في ذلك الميدان ، وأن نتناسى ما سِواه من الميادين ، وإن كان تناسى ما يهدد مصر والشرق من المستحيلات

ولو شئت لقلت إن روح الغزالي ينتقم مني . ففي كتاب « الأخلاق عند الغزالي » تنديدٌ بالرجل الذي غرق في خلوته وانقطع لأوراده ، والدنيا من حوله تضجّ ببشارة الإفرنج على بيت المقدس ، وتذكّره بالواجب في الدعوة إلى الجهاد

الآن عرفتُ أن العلماء والأدباء لا يصورون عصورهم أصدق التصوير من النواحي السياسية ، وإنما يصورونها من النواحي العقلية والروحية ، فأنا لا ألتفت التفاتاً جِديًّا إلى أخبار الحرب ولا يهمني أن أدوّن ملاحظاتي على ما أقرأ من أقوال الزعماء ، وإنما أوجه جهودي إلى متابعة الحياة الأدبية والفلسفية عساني أصل إلى أشياء يستنير بها روحي وعقلي

أليس من العجب أن تستهويني خطبة السير لبسون عن القديس جورج أكثر مما استهوتني خطبة المستر تشرشل عن مراحل الحرب في لوبيا والبلقان ، مع أن الظروف توجب أن يكون اهتمامي بالخطبة الأولى أقل من اهتمامي بالخطبة الثانية ؟

كان في خطبة لبسون فكرة فلسفية آذنتني بأنه يسايرنا في آفاق الأرواح والعقول ؛ أما خطبة تشرشل فتسير في طريق لست منه وليس مني ، لأني بعيد كل البعد عن آفاق السياسة والحرب ، ومن الخير ألا يعي خطبة تشرشل غير من يشتركون في توجيه دفة السياسة والاستعداد لدفع أخطار الحرب ، فهم المسئولون عن وعي الدقائق من هذه الشؤون

وليس معنى هذا أني أفاضل بين ميدان وميدان ، فجميع الميادين أمام الواجب سواء ، وإنما أقول بأن الاشتغال بالأدب الصِّرف لا يعدّ انسحاباً من المعترَك السياسي ، ولا هرباً من الإصاخة لدعوة الواجب عند احتدام الخطوب ، فقد أعدّنا الوطن لفروض لا تقل أهمية عن السياسة والحرب ، وهو لن يطالبنا بغير الوفاء لتلك الفروض ، وسيرى كيف نكون عند ظنه الجميل إن أشار بإغماد الأقلام وإشهار السيوف ، فلنا سواعد وعزائم وقلوب ، ولن تضام مصر وهي موصولة الفتوّة برجال أقوياء يعدّون بالألوف وألوف الألوف

أما بعد ، فإن الأخبار السود التي أطالعها في الصباح والمساء لن تصدّني عن الواجب الذي أعدني له وطني ، وهو خدمة الأدب في مصر وفي سائر الأقطار العربية ، وأنا ماضٍ في أداء ذلك الواجب مهما اعتكرت الظروف

فما حديث اليوم ؟

ومن الأديب الذي نلوذ بماضيه المادي فننسى أو نتناسى

ما يحيط بنا من متاعب لا يتجاهل وقعها الأليم إلا من قُدَّ قلبه من الصخر الجلمود ؟

الحبوبي

نحن أمام ديوان طُبع في بيروت سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م على نفقة الحاج عبد المحسن شلاش ، والشاعر هو السيد محمد سعيد حبوبي « أشعر شعراء الشرق أمس وأكبر علمائه اليوم » كما كُتب في صدر الديوان ، فمن هو بين الشعراء والعلماء ؟

إن العبارة التي رُقِمَتْ على صدر الديوان تشهد بأن الرجل واجهَ لونين من ألوان الحياة الفكرية ، فعاش أولاً للشعر ، ثم انقطع للعلم ، وبذلك طغت شخصيته العلمية على شخصيته الشعرية ؛ فإن انتهى بنا البحث إلى القول بأنه كان من الطبقة الثانية أو الثالثة بين الشعراء فسيصدُق أقوامٌ حين يقولون بأنه كان في صدر الطبقة الأولى من العلماء ، وهل من القليل أن يسمو العلم بالحبوبي فيحفظ له ضريحاً في رحاب الحرم الحيدري بالنجف ؟

ولكن كيف هجر الحبوبي حياة الشعر وانقطع للعلم والتعليم مع ذلك الحظ من الفِطرة الشعرية ؟

يرجع السبب فيما أفترض إلى الرغبة في التفوق ، وكان الحبوبي يعرف في سريرة نفسه أن طاقته العلمية أقوى من طاقته الأدبية . وفي المقدمة التي كتبها الشيخ عبد العزيز الجواهري لديوان الحبوبي عبارة تشهد بأنه كان مفهوماً أن الحبوبي لا يقدر على مسايرة شوقي وحافظ وزناتي وصبري ، وهم شعراء وصلت قصائدهم إلى العراق في ديباجة مصقولة لم يسبق لها نظير في الشعر الحديث ، ولا تسهُل محاكاتها على رجل يعيش في بيئة تأخذ زادها الأعظم من أقوال النحاة وقضايا الفقه والأصول

على أنه لا موجب للتكلف في البحث عن الأسباب التي قضت بانتقال الحبوبي من ميدان الشعر إلى ميدان التدريس . فالرجل فيما يظهر كان يميل إلى إيثار الحياة العلمية ، وكان الناس من حوله يطيب لهم أن يروه من أعاظم العلماء ، إن صح أن البيئة التي سكن إليها وسكنت إليه كانت تملك صرفه عن الانخراط في سِلك أكابر الشعراء ، لو أرادت به شياطين الشعر غير ما يريدون !

والواقع أن البيئة التي أحاطت بالحبوبي كانت ترجو أن يظفر بأعظم الحظوظ من الشاعرية ، ولكن الرجل عرف ما يملك من الطبع ، فلم يجاوز ما يطيق إلى ما لا يطيق ، وإن أثقله محبوه بأضخم الألقاب

والواقع أيضاً أن الحبوبي الشاعر أضاعته الحياة الفقهية ، وهي حياة لا يرتفع معها شعر ولا خيال ، وإن كانت في ذاتها من أجل الحيوات ، وهل تعز الشاعرية على من يسعفه الروح بمثل هذا الهتاف

إسقني كأساً وخذ كأساً إليك   فلذيذ العيش أن نشتركا
وإذا جدت بها من شفتيك   فاسقنيها وخذ الأولى لكا
أو لحسبي خمرة من ناظريك   أذهبت نسكي وأمحت منسكا
وانهب الوقت ودع ما سلفا   واغتنم صفوك قبل الرَّنق
إن صفا العيش فما كان صفا   أو تلاقَيْنا فقد لا نلتقي

وقد فتن الشاعر بهذا المعنى فأعاده بأسلوب آخر حين قال :

ياغزال الكرخ واوجدي عليك   كاد سري فيك أن ينهتكا
هذه الصهباء والكأس لديك   وغرامي في هواك احتنكا
فاسقني كأساً وخذ كأساً إليك   فلذيذ العيش أن نشتركا
أترع الأقداح راحاً قُرقفا
واسقني واشرب أو اشرب واسقني
فلماك العذب أحلى مرشفاً   من دم الكرم وماء المزُن(١)

إن الشاعرية لا تعز على من يسعفه الروح بمثل هذا الهتاف ولا تعظم على من يزور داراً في بغداد فيروعه ما عند أهلها من صباحة الوجوه وطهارة القلوب فيقول :

فلست أدري أأملي فيهم غزلاً   لما رأيتهمُ أو أنشئ المِدَحا

إن الفقه هو الذي وأد الشاعرية في صدر من كان يجيد مثل هذا النشيد :

رويداً سائق النوق   فما ودعتُ معشوق
فبالأحداج لي رشأ   رمى سهماً بلا فُوق
بسهم اللحظ يرشقني   وقلبي جِدَّ مرشوق
كأن القلب يوم سرى   هوى من فوق عيّوق

(١) المعروف أن الحبوبي لم يشرب الخمر حتى يجيد فيها القول ، ولكن الحاج عبود شلاش حدثنا أن الحبوبي كان له إخوان في بغداد

فليت العيس مارحلت ... ولا قامت على سوق
فقد خفّت بمنبلج ... من اللألاء مخلوق

والبيت الأخير من وثبات الخيال

الفقه هو الذى أضاع صاحب هذا الهتاف :

يا حامل الوردة ما ألطفك ! ... فهل ترى لى اليوم أن أرشفك ؟
يا وردة للناظر بالله قل ... بهذه الوردة من أتحفك ؟
لا أقطف الورد ، ولكننى ... قد كدت من روضك أن أقطفك

وخلاصة القول أن الحبوبى كان آية فى قوة الطبع ، ودقة الذوق ، ولكن الفقه جنى عليه فلم يحفظ له مكان بين أكابر الشعراء

مراجع

رأى القارئ فى صدر هذا المقال أنى ضيّق الصدر بسبب ما يثور من الأزمات الدولية ، وقد حاولت أن أنتفع بفرصة الكلام عن الحبوبى فأسوق طوائف من البحوث المتصلة بتاريخ الشعر العراق فى العصر الحديث ، ولكن الحوادث صدتنى عما أريد ، فلم يبق إلا أن أوجه نظر القارئ إلى المراجع التى تساعد على فهم شاعرية الحبوبى ، وأهمها بعد الديوان كتاب « العقد المفصل » ففيه أخبار كثيرة عن الحبوبى ، وفيه إشارات تشرح بعض الغوامض من ذلك الديوان

شهيد الدفاع

هذا عنوان قصيدة نظمها معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى فى رثاء الحبوبى ومن هذه القصيدة نعرف أن الحبوبى كان نهض إلى الدفاع فى المحرم سنة ١٣٣٣ « ١٩١٥ » فأجابه خلق من أهل الفرات والأقاليم الجنوبية وسار بهم إلى (الشعيبة) ولكنهم أصيبوا بالخذلان فعاد إلى الناصرية ورابط فيها إلى أن مات فى عشية الأربعاء ثانى شعبان سنة ١٣٣٣

ومعنى ذلك أن الحبوبى لم يكتف بالمنزلة الأدبية والعلمية فتسامت نفسه إلى الاتسام بوسم الجهاد

وقصيدة الشبيبى فى رثاء الحبوبى تضمّنت إشارات إلى أغراض سياسية يضيق عنهما هذا الحديث ، وفيها نفحة من قصيدة شوقى فى « الأندلس الجديدة »

زنانى

مرت إشارة إلى الشاعر زنانى عند الحديث عن الشعراء الذين عجز عن مجاراتهم الحبوبى ، فمن هذا الشاعر المصرى المجهول؟

هو الشيخ أحمد زنانى ، أحد أساتذة اللغة العربية ، وكان الشاعر الثانى بعد شوقى فى نظر أستاذنا الشيخ محمد المهدى ، وكنا نحفظ له فى عهد الحداثة قصيداً نخاله مبتدأ بهذين البيتين

أرِقتُ وأصحابى خليّـون نُوّمُ ... وما أنا ذو شوق ولا أنا مُغرَمُ
ولكنّ همًّا بين جنبىّ شبّهُ ... علىّ ذوو القربَى عفا الله عنهمُ

وقد أرجع إلى البحث عن آثار هذا الشاعر بعد حين ، الشاعر الذى جهله المصريون وعرفه العراقيون .

زكى مبارك

في الاجتماع اللغوى

اللهجات العامية الحديثة

عوامل تطورها وصفاتها المشتركة

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ١ —

تقتضى نواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة فى مناطق واسعة من الأرض ، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، بل لا تلبث أن تنشعب إلى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها . وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللهجات يختلف بعضها عن بعض فى كثير من الوجوه . ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه أخرى ، إذ يترك الأصل الأول فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات القرابة ولحمة النسب اللغوى . وكثيراً ما يبقى الأصل الأول مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منه

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر . فاللغة اللاتينية مثلاً — وهى إحدى لغات الفرع الإيطالى من الفصيلة الهندية — الأوربية ، قد أخذت فى أواخر العصور القديمة وفى العصور الوسطى تنشعب إلى عدد كبير من اللهجات ، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، حتى أصبحت كل منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها . وقد بقيت للاتينية مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منها (الفرنسية ، الإيطالية ، الإسبانية ، البرتغالية ، لغة رومانيا . . .) . ولكنها تنحت عن هذه الوظيفة بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات(١) . . .

ولم تفلت اللغة العربية — وما كان يمكن أن تفلت — من هذا المصير ؛ فمنذ أن اتسع انتشارها ، أخذت تنشعب إلى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الأصل الأول الذى انشعبت عنه فى كثير من مظاهر الصوت والقواعد والدلالة والمفردات ؛ وسلكت كل لهجة منها فى تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، تحت تأثير ظروفها الخاصة ، وأخذت مسافة الخلف تتسع بين هذه اللهجات ، حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض : فلهجة العراق أو لهجة المغرب مثلاً فى العصر الحاضر ، لا يفهمها المصرى إلا بصعوبة وفى صورة تقريبية . غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوى بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين

ويرجع السبب فى انشعاب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وفى تطورها المطرد فى نواحى : الأصوات والقواعد والدلالة والمفردات ، إلى عوامل كثيرة من أهمها ما يلى :

١ — انتشار اللغة العربية فى مناطق لم تكن عربية اللسان فقد تغلبت اللغة العربية على اللغات اليمنية القديمة فى معظم بلاد اليمن ، وعلى اللهجات الآرامية فى العراق والشام ، وعلى الألسنة القبطية والبربرية والكوشية فى مصر وشمال أفريقيا وشرقها . ومن المقرر أن اللغة الغالبة ينالها كثير من التحريف فى ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغوياً) تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها ومفرداتها وما درجوا عليه من عادات فى النطق وهلم جراً . . .

وقد كان لهذا العامل أثر واضح فى اختلاف لهجات هذه المناطق الجديدة بعضها عن بعض ، واختلافها عن اللسان العربى الأول . فقد تأثرت اللغة العربية فى كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة ، وانحرفت فى ألسنة أهلها انحرافاً خاصاً اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم الأولى ؛ وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها فى كل منطقة من هذه المناطق بألسنة أهلها ، فنشأ من جراء ذلك فى كل بلد من هذه البلاد لهجة

---

(١) أنظر تفصيل هذا القانون فى الفصل الخامس من كتابنا « علم اللغة » صفحات ٢٠٢ — ٢١١

عربية تختلف عن لهجة غيرها ، وتختلف عن اللغة العربية الأولى فالعربية فى الشام مثلاً متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة ، وفى المغرب باللهجات البربرية التى صرعتها العربية فى هذه البلاد ... وهلم جراً ...

٢ — عوامل اجتماعية سياسية : كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثّق ما بينها من علاقات . فمن الواضح أن انفصام الوحدة السياسية يؤدى إلى انفصام فى الوحدة الفكرية واللغوية

٣ — عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق فى النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان ... وما إلى ذلك ، فمن الواضح أن الاختلاف فى هذه الأمور يتردد صداه فى أداة التعبير

٤ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ... وما إلى ذلك ؛ وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات ... وهلم جرا . فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدى — عاجلاً أو آجلاً — إلى فروق وفواصل فى اللغات

٥ — عوامل شعبية جنسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق فى الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول التى انحدروا منها . فمن الواضح أن لهذه الفروق آثاراً بليغة فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

٦ — اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب . فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف[١] . فلم يكن مناص إذن أن تختلف أصوات اللهجات العربية بعضها عن بعض باختلاف الشعوب التى انتشرت فيها ، وأن تتجه كل لهجة منها فى تطورها من هذه الناحية إلى منهج يختلف عن منهج غيرها

٧ — التطور الطبيعى المطرد لأعضاء النطق . فمن المقرر أن أعضاء النطق فى الإنسان فى تطور طبيعى مطرد فى تكوينها

(١) أنظر تفصيل هذا الموضوع فى كتابنا « علم اللغة » ص ٢٧٤ وتوابعها .

واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها . فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، إن لم تكن فى تكوينها الطبيعى ، فعلى الأقل فى استعداداتها ؛ بل إنها لتختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين[١]

وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث فى أعضاء النطق أو فى استعدادها يتبعه تطور فى أصوات الكلمات ، فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التى كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملاءمة مع الحالة التى انتهت إليها أعضاء النطق . فكان من المستحيل أن تجمد ألفاظ اللغة العربية على حالتها الأولى فى الأمم الناطقة بها ؛ ولم يكن مفر من أن ينالها كثير من التطور باختلاف العصور . ومن آثار هذا ما حدث فى اللغة العربية بصدد أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف . فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان فى كثير من البلاد العربية ، وأصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقيناً خاصاً ومجهوداً إرادياً وقيادة مقصودة لحركات المخارج . ولعدم ملاءمتها مع الحالة التى انتهت إليها أعضاء النطق فى هذه البلاد أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها[٢] ، فصوت الجيم الذى كان ينطق به معطشاً بعض التعطيش فى العربية الفصحى قد تحول فى معظم المناطق المصرية إلى جاف (جيم غير معطشة) ، وفى معظم المناطق السورية والغربية إلى جيم معطشة كل التعطيش (J)[٣] ، والثاء قد تحولت إلى تاء فى معظم المناطق المصرية وفى بلاد أخرى فيقال : (توب . تلج . تخين . تعلب . تعبان . تفل . تقيل . تلت . تلاتة . تمن . تمانية . تور . اتنين . نتر . جتة . عتة . عتر ... الخ . بدلاً من : ثوب . ثلج . ثخين . ثعلب . ثعبان . ثفل . ثقيل . ثلث . ثلاثة . ثمن . ثمانية . ثور . اثنان . نثر . جثة . عثة . عثر ... الخ)[٤] . والذال قد تحولت فى كثير

(١) أنظر تفصيل هذا الموضوع فى كتابنا « علم اللغة » ص ٢٧٠ وتوابعها

(٢) يحتمل كذلك أن بعضها كان متحولا إلى هذه الأصوات فى بعض القبائل العربية التى انتقلت لهجتها إلى هذه الأمم .

(٣) لا يزال ينطق بصوت الجيم نطقا صحيحا فى عامية العراق وبعض المناطق المصرية وخاصة فى مديرية الشرقية

(٤) تحول هذا الصوت فى كلمات قليلة إلى سين أو صاد : « ثواب » تنطق أحيانا « سواب » أو « صواب » .

من المناطق العربية إلى دال فى معظم الكلمات ، فيقال : (داب . دراع . ديب . ده . دى . دبل . دبح . دبان . دأن . أدان . ودن . دهب . ديل . . . الخ . بدلاً من : ذاب . ذراع . ذئب . ذا . ذى . ذبل . ذبح . ذُبّان . ذقن . أذان . أذن . ذهب . ذيل ... الخ) ؛ وإلى زاى فى بعض الكلمات ، فيقال مثلاً : (زنب . زهن . زكى . بزر . رزالة ... الخ ؛ بدلاً من : ذنب . ذهن . ذكى . بذر . رذالة ... الخ) . والظاء قد تحولت إلى ضاد فى معظم الكلمات ؛ فيقال : (ضلام . ضفر . ضل . ضهر . الخ . بدلاً من ظلام . ظفر . ظل . ظهر ... الخ) وإلى زاى مَفخّمة فى بعض الكلمات (كما ينطق فى عامية المصريين بكلمات : ظالم . ظريف . أظن . حظ ... الخ)[1] . والقاف قد تحولت إلى همزة فى بعض الكلمات المصرية ، فيقال : (أط . ألت . أبل . عأد . نطأ ... الخ ؛ بدلاً من : قط . قلت . قبل . عقد . نطق . الخ) ؛ وإلى جاف (جيم غير معطشة) فى معظم اللهجات العامية فى مصر وغيرها من البلاد العربية ، فيقال : (جط . جلت . جبل . عجد . نطج . الخ) ؛ بدلاً من : قط . قلت . قبل . عقد . نطق . الخ)[2]

٨ — الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة . قد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج ، كوقوعه فى آخر الكلمة ، وزيادته عن بنيتها ، وعدم توقف المعنى المقصود عليه ؛ فيتضاءل جرسه شيئاً فشيئاً حتى يصل فى عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع ؛ فحينئذ يكون عرضة للسقوط . وذلك أن معظم الصغار فى هذا العصر لا يكادون يتبينونه فى نطق الكبار ؛ فينطقون بالكلمات مجردة منه[3] .

وقد كان لهذا العامل ، مع عوامل أخرى سيأتى ذكرها ، أثر كبير فى سقوط علامات الإعراب بالحركات من جميع اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ؛ على حين أن الإعراب بالحروف ، لعدم تأثره بهذا العامل ، قد بقيت آثاره فى اللهجات العامية : (أخوك ، أبوك ، المؤمنين ، الطيبين ... الخ)

٩ — موقع الصوت فى الكلمة . وموقع الصوت فى الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف

(ا) وأكثر ما يكون ذلك فى الأصوات الواقعة فى أواخر الكلمات سواء أكانت الأصوات أصوات مد أم أصواتاً ساكنة

أما أصوات المد ، فقد لوحظ أن وقوعها فى آخر الكلمة يجعلها فى الغالب عرضة للسقوط ، ويؤدى أحياناً إلى تحولها إلى أصوات أخرى . وقد كان لهذا العامل أثر كبير فى سقوط أصوات المد القصيرة المسماة بالحركات (التى يرمز إليها فى الرسم العربى بالفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق أواخر الكلمات العربية . ففى جميع اللهجات العامية المنشعبة عن العربية (عاميات مصر والعراق والشام وفلسطين والحجاز واليمن والمغرب ... الخ) قد انقرضت هذه الأصوات جميعها ، سواء فى ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان منها حركة بناء . فينطق الآن فى هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر (فيقال مثلاً : «رجعْ عمرْ المدرسة بعد ما خفْ من عياه» بدلاً من «رجَعَ عمرُ إلى المدرسة بعد ما خفّ من إعيائه») . — ولعل هذا هو أكبر انقلاب حدث فى اللغة العربية ؛ فقد أتى جميع الكلمات فانتقصها من أطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها فى الجملة ، وقلب قواعدها القديمة رأساً على عقب

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد أصوات المد الطويلة : (الألف والياء والواو) الواقعة فى آخر الكلمات ، فقد تضاءلت هذه الأصوات فى عامية المصريين وغيرهم حتى كادت تنقرض تمام الانقراض ، سواء فى ذلك ما كان منها داخلاً فى بنية الكلمة (رمى ، يرمى . . . الخ وما كان خارجاً عنها (ضربوا ، ناموا ... الخ) ، فيقال مثلاً فى عامية المصريين : «رام وعيسَ ومصطفَ أبُ حسين سافرَ يوم الخميس لجرجَ» بدلاً من : «رامى وعيسى ومصطفى أبو حسين سافروا يوم الخميس إلى جرجا»

وما حدث فى اللغة العربية تحت تأثير هذا العامل ، حدث مثله فى كثير من اللغات الأخرى . فمعظم أصوات اللين المتطرفة

(١) لايزال بأصوات الثاء والظاء والذال نطقا صحيحا فى عامية العراق والمغرب وخاصة فى طرابلس وفى القبائل العربية النازحه إلى مصر (الفوايد الرماح ، البراعصة ، أولاد على ، الحرابى ، الضعفاء ، سمالوس ... الخ .

(٢) لايزال صوت القاف محتفظا بنطقه الصحيح فى كثير من الكلمات فى عامية العراق وعامية رشيد . وكان مستعملا منذ عهد غير بعيد فى بعض مناطق بنى سويف ؛ وقد سمعت أنا نفسى بعض شيوخ أسرتى (بلدة الحمام مركز بنى سويف) يتكلمون بالقاف ؛ ولا يزال العامة فى هذه المناطق يتكلمون بالقاف حينا يروون عبارة منسوبة إلى أجدادهم فى الأقاصيص الشعبية وما إليها ؛ وهذا يدل على أن صوت القاف لم ينقرض لديهم إلا منذ أمد قريب .

(٣) أنظر تفصيل هذا العامل فى كتابنا «علم اللغة» ص ٧٨ وتوابعها

فى اللغة اللاتينية قد انقرض فى اللغات المنشعبة عنها .[١]

ووقوع الصوت الساكن (ونعنى به ما يقابل صوت المد فى آخر الكلمة يجعله كذلك عرضة للتحول أو السقوط ، فمن ذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد التنوين ونون الأفعال الخمسة والهمزة والهاء المتطرفتين [٢] . فقد انقرضت هذه الأصوات فى معظم اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ، كما يظهر ذلك بالموازنة بين العبارات العربية المدونة فى السطر الأول ونظائرها فى عامية المصريين المدونة فى السطر الثانى :

محمدٌ ولدٌ مطيعٌ ؛ الأولاد يلعبون ، الهواء شديدٌ ؛ إنتظرته ساعةً كاملةً

محمدْ ولدْ مطيعْ ؛ الأولاد بِيِلعَبُ ؛ الهوَ شديدْ ، إنتظرتُ ساعَ كامْلَ

ومن هذا القبيل كذلك حذف آخر الكلمة التى يوقف عليها فى عامية كثير من المناطق المصرية ، كبعض مناطق بنى سويف والشرقية ورشيد ، فيقال مثلاً : « إنت يَاوَلَ » ؛ بدلاً من « أنت يا ولد » ؛ « فين أخوك محو » بدلاً من « أين أخوك محمود » ؛ « إدِّيلُ خَمْسَ سَارو » بدلاً من « أدِّ له خمسة قروش »[٣]

وما حدث فى اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله فى كثير من اللغات الأخرى . فمعظم الأصوات الساكنة المختتمة بها الكلمات اللاتينية قد انقرضت فى النطق الفرنسى أو تحولت إلى أصوات ساكنة أخرى أضعف منها أو إلى أصوات لين[٤]

(ب) ووقوع الصوت فى وسط الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف . فمن ذلك ما حدث فى اللغة العربية بصدد الهمزة الساكنة الواقعة فى وسط الثلاثى ، فقد تحولت إلى ألف لينة فى عامية المصريين وغيرهم ، (فيقال : راس ، فاس ، فال ، شان ... الخ بدلاً من : رأس ، فأس ، فأل ، شأن ... الخ)

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث بصدد الياء والواو الساكنتين فى وسط الكلمة فى مثل « عين » و « يوم » . فقد تحولتا فى بعض المناطق المصرية وغيرها إلى صوتين من أصوات المد ، فأولهما تحول إلى صوت يشبه صوت « è » فى اللغة الفرنسية (عين ، خيل ، بين ، زنيب ... الخ) ، وثانيهما تحول إلى صوت يشبه صوت « ô » الفرنسى (يوم ، نوم ، فوز ، لوم ... الخ)

ومن ذلك تحريك الحرف الساكن إذا وقع فى وسط كلمة ثلاثية فى كثير من لهجات البلاد العربية (عامية الشرقية ، وبعض عاميات الصعيد ، ولهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر ، ولهجة العراق ... الخ ؛ فيقال مثلاً : إسِم ، رَسِم ، مَصِر ، جُرُن ، بَدِر ، فِجِل ، نِخَل ... الخ ، بدلاً من اسْم ، رسْم ، مصْر ، جرْن ، نْجِل ، نْخل ... الخ)[١]

وقد سجل الباحثون ظواهر كثيرة من هذا القبيل فى اللغات الهندية الأوربية[٢]

(ج) ووقوع الصوت فى أول الكلمة يجعله كذلك عرضة للانحراف . فمن ذلك ما حدث فى بعض المفردات العربية المفتتحة بالهمزة ؛ إذ تحولت همزتها فى بعض اللهجات العامية إلى فاء أو واو (« أُذُن » تحولت فى عامية المصريين إلى « وِدْن » و « أين » تحولت إلى « فين » أو إلى « وين » فى عامية القبائل العربية النازحة إلى مصر ، وفى عامية العراق والحجاز ؛ و « أدِّى » تحولت فى بعض المواضع فى عامية المصريين إلى « ودِّى » فيقال مثلاً : « ودّاه المدرسة » بمعنى « أدي به إلى المدرسة » أى أوصله إليها[٣])

وسنعرض لبقية هذه العوامل فى المقالات التالية إن شاء الله

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) يستثنى من ذلك الايطالية ، فقد احتفظت بمعظم هذه الأصوات (أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتابنا « علم اللغة » ص ٢٨٤ وتوابعها)

(٢) التاء المربوطة حكمها فى ذلك حكم الهاء المتطرفة كما يظهر من المثال المذكور فيما بعد .

(٣) سار على هذا الأسلوب كذلك بعض اللغات العربية الفصيحة كلغة طيء ، وقد جرت عادة المؤلفين من العرب بتسميته « قطعة طيء » أى قطع اللفظ قبل تمامه . فكان يقال مثلا فى لغتهم « يا أبا الحك » بدلا من « يا أبا الحكم » ولم يكن هذا مقصورا على المنادى بل كان عاما فى جميع الكلمات .

(٤) أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتابنا «علم اللغة» صفحتى ٢٨٦، ٢٨٧

(١) هذه كذلك لهجة قديمة من لهجات بعض القبائل العربية .

(٢) أنظر تفصيل هذا الموضوع بكتابى « علم اللغة » ص ٢٨٨ .

(٣) ليس هذا مقصورا على اللغات العامية ، بل يوجد له نظير فى اللهجات العربية . ففى لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واوا فى مثل « أتيته » فيقال مثلا : وأتيته على الأمر مواتاة ، وهي المشهورة على ألسنة الناس .

هل لليهود فن ؟

رد على رد

للدكتور أحمد موسى

[جاء بالعدد رقم ٩٣ من مجلة الثقافة مقال بعنوان « هل لليهود فن » قرر فيه الدكتور زكى محمد حسن مبدأين خطيرين كانا سببا في اهتمامى ، وهما (أولا) أن اليهود لم يعرضوا الفنون الجميلة أبداً . و(ثانياً) أن اليهود تركوا أدباً وديناً أثروا بهما أثراً لا يقل عن أثر الاغريق في الحضارة الانسانية . وقد نفينا الزعم الأول فى استفهام أرسلناه إلى مجلة الثقافة ونشر بالعدد رقم ٩٩ مزوداً بمصادر علمية ، وطلبنا إلى الدكتور زكي أن يدعم الزعم الثانى بالأدلة ؛ لأننا اعتبرناه فتحاً جديداً فى العلم يحتاج إلى البحث والفحص وذكر المصادر

وقد رد الدكتور على استفهامنا رداً نشرته مجلة الثقافة بالعدد ١٠٠ لم يكن مقنعاً — والقارىء يستطيع أن يكون لنفسه فكرة عامة عن المقال الأول ومن الحوار العلمى الذى دار حول هذا الموضوع الخطير ، بقراءة هذا الرد] . (أ . م)

نشرت لى مجلة « الثقافة » استفهاماً بالعدد ٩٩ ونشرت للدكتور زكى محمد حسن رده على استفهامى بالعدد ١٠٠ وها هى مجلة « الرسالة » تفسح الصدر لنشر ردى على رده والدكتور زكى مؤلف وكاتب معروف ، ولا ينتظر من قراء مقالاته أن يهملوا ما يكتب ، فنشكره ونعتذر إليه عن العودة إلى الكتابة لأن رده لم يكن مقنعاً

فمن رده على استفهامنا تؤخذ المسائل الآتية حسب ما ورد فى مقاله بالعدد ١٠٠ فى مجلة « الثقافة » :

١ — أن الأركيولوجيا أو علم الآثار تعنى بدراسة المخلفات كلها وتدرس حياة الشعوب وطرق معيشتها ، وهى مرجعنا الوحيد فى دراسة مدنيات الأمم التى اندثرت بدون أن تصل إلينا وثائق مكتوبة عنها (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٢ — إن تاريخ الفن هو دراسة التحف التى صنعها الإنسان مراعياً فيها إلى حد ما شيئاً من مبادىء الجمال ، وهو لا يعنى إلا بالتحف والآثار ذات القيمة الفنية (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٣ — أنه إذا كان فى كتب الآثار الموضوعة عن شعب من الشعوب ما يدل على أن الفنون كانت زاهرة بين أفراده ؛ فإن هذا لا يستلزم أن هذه الفنون كانت فنونهم ومطبوعة بطابعهم (ص ٢٥ العمود الأيمن)

٤ — أن الدكتور زكى يرجح أننا لسنا على حق فى حسبان بنسنجر Benzinger من بنى إسرائيل ، لأنه كان مدرساً فى كلية اللاهوت البروتستانتية بتوبنجن (ص ٢٥ العمود الأيسر)

٥ — إن المراجع والكتب فى تاريخ الفن تتحدث عن الطرز الفنية طرزاً طرزاً ، ولكن (مستفهم) لن يجد بين صفحاتها فصلاً أو بعض فصل عقد للكلام عن فن ينسب لليهود (ص ٢٦ العمود الأيمن)

٦ — يأبى (مستفهم) أن يصدق أن اليهود أثروا بدينهم وأدبهم أثراً لا يقل عن أثر الإغريق ، ويقول إن هذا فتح جديد فى العلم يحتاج لتصديقه والإيمان به إلى البحث والفحص وذكر المصادر ، ويدعو (مستفهم) إلى دراسة العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، وقراءة سير كبار العلماء والمفكرين اليهود واستعراض صلة اليهودية بحركة الإصلاح الدينى فى أوربا ، وتبين أثر اليهود فى القوانين الغربية ؛ حتى أرى بذلك أن أثر اليهود فى الحضارة لا يقل عن أثر الإغريق (ص ٢٦ العمود الأيسر)

٧ — إن أثر الإغريق فى الحضارة الإنسانية وأثر اليهود فيها مسألة اعتبارية ونسبية (ص ٢٦ العمود الأيسر)

وردنا على هذه المسائل ما يأتى :

١ — لم تعن الأركيولوجيا بدراسة المخلفات كلها وحياة الشعوب وطرق معيشتها إلا فى عصر ديونيزيوس الهاليكرناسى Dionysius of Halikarnass (٣١ ق . م) . الذى ذهب إلى روما وألف كتاباً فى عشرين جزءاً لم يبق منها إلا نصفها تقريباً عن أركيولوجية روما Archaologia Romana ، تناول فيه حياة الشعب وطرق معيشته وعاداته وفنونه ، وعصر يوسيفوس اليهودى Josephus المولود فى أورشليم عام ٣٧ بعد الميلاد الذى ألف كتاب الأركيولوجيا اليهودية Archaologia Judaica فى عشرين جزءاً ذكر فيها كل ما يتعلق ببنى جنسه وأحوالهم وعاداتهم وفنونهم من أقدم العصور إلى آخر أيام نيرون

وقصد بالأركيولوجيا فى عصر إحياء العلوم والآداب والفنون:

(ا) تفسير المخلفات الأثرية القديمة وتقدير الدرجة الفنية

التى بلغتها ليدرك الناس ماهية الآثار والفنون ، كما كان الحال عند « الإنسانيين Humanen » ، عندما تناولوا التراث الأدبى القديم Humaniore لتحويله إلى دراسات عامة بعد أن كان من شأن الخاصة [١] .

(ب) وتاريخ المخلفات التى يرجع عهدها إلى المرحلة الزمنية المحصورة بين عامى ١٥٠٠ر١٧٥٠ من مبان وتماثيل ونقوش

واتخذت الأركيولوجيا اتجاهاً جديداً بعد ظهور كتاب أوتفريد مولر (١٧١٧ — ١٧٦٨) عن أركيولوجية الفن [٢] . وكتب غيره من العلماء والأدباء والباحثين فى الفنون فى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى والشرق ، وبذا تم تأسيس معهد الدراسات الأركيولوجية فى برلين سنة ١٨٢٨ ، فاستقلت الأركيولوجيا علماً قائماً بذاته بفضل فنكلمان [٣]

وفى فجر القرن الثامن عشر عنى بنجهام الإنجليزى بوضع كتاب « أركيولوجية الكنائس » فى عشرة أجزاء [٤] ، طبع لندن سنة ١٧١٠ — ١٧٢٢ ، كما عنى أوجستى الألمانى بوضع كتاب آخر فى اثنى عشر جزءاً [٥] ، طبع ليبتسج فى نفس الفترة الزمنية

وظاهر مما تقدم أن الأركيولوجيا تطورت تخصيصاً ؛ فأصبحت لا تعنى بالمخلفات كلها ، أو حياة الشعوب وطرق معيشتها ، ولم تعد المرجع الوحيد فى درس الحضارات البائدة ، إذ لا بد من الاستعانة بعلوم أخرى لإكمال هذا الدرس ، كعلم تطور القشرة الأرضية Geologie وعلم الجماجم والعظام البشرية Anthropologie وعلم الأجناس وسلالاتها Ethnologie وعلم المسكوكات والدراهم Numismatik

٢ — أما قصر تاريخ الفن على دراسة التحف التى صنعها الإنسان « مراعياً إلى حد ما شيئاً من مبادىء الجمال » ؛ فقد يبدو براقاً وإن يكن غير صحيح ؛ والصحيح أن درس كل إنتاج فنى من اختصاص تاريخ الفن بغير حساب للجمال ، لأن مجرد نسبة هذا الإنتاج للجمال ، تقلل من قيمته الفنية لاختلاف الآراء فى الجمال فى كل زمان ومكان

يعنى تاريخ الفن بالفكرة Idèe واتصالها بالطبيعة صلة إلهام (البرشت دورر) [١] وتتلوها وسيلة الإنتاج الفنى (المسلك) وبها تقدر كفايته ، وعلى هذا الرأى فى الفن الأديب الأشهر جوتهولد ليسنج [٢]

وجعل العلامة فنكلمان (٣) التناسب أساس الفن ، ووصف الجمال بأنه المثل الأعلى ، متتبعاً فى رأيه خطوات أوجستين (٣٥٤ — ٤٣٠) non mole constat, sed paralitate ac dimensione membrosum

٣ — « إذا كان فى كتب الآثار الموضوعة عن شعب ما يدل على أن الفنون كانت زاهرة بين أفراده ؛ فهذا لا يستلزم أن هذه الفنون كانت فنونهم ومطبوعة بطابعهم » ؛ فهذا مردود عليه باستحالة جمود شعب عن ممارسة فن يُنتجَ ويُخرَجَ ويُبرز فى وطنه ! على أن الجائز هو أنه لا يشترط حتما أن يكون الفن المزدهر فى بلد ما خالصاً لأبنائه دون أثر أجنبى فيه

٤ — وترجيح صديقى الأستاذ الدكتور زكى حسن أن بنسنجر ليس من اليهود ، لأنه كان مدرساً فى كلية اللاهوت البروتستانتية بتوبنجن مخالف للواقع ؛ فإنه ولد فى شتوتجارت وتخرج فى جامعتها وجامعة توبنجن ودرّس لاهوت التوراة ببرلين إلى سنة ١٩٠١ ، ثم صار نائباً لقنصل هولاندا فى أورشليم إلى سنة ١٩١٢ ثم ندب لتدريس اللغات السامية فى جامعة تورنتو إلى سنة ١٩١٤ ، فأستاذاً لآداب التوراة فى مدفيل Meadville إلى نهاية الحرب الماضية . أما مؤلفاته فكتاب الآثار العبرانية [٣] وشرح أسفار الملوك [٤] ، وتاريخ بنى إسرائيل [٥] ، وفضل اليهود فى ابتداء التشريع [٦] ، ويافت ، وإلوه [٧] ودليل

(١) G. Voigt, Die Wiederbelebung des klassichen Altertums, Berlin 1893.

(٢) Ottfried Müller, Handbuch der Archäologie der Kunst, Breslau 1830.

(٣) Justi, Johann J. Winckelmann; sein Leben, seine Werke und seine Zeitgenossen, 3 Bde. Leipzig.

(٤) Bengham, The antiquities of the Christian Church, London 1710-22.

(٥) Augusti, Denkwürdigkeiten aus der christlichen Archäologie, Leipzig 1817.

(١) Die Kunst steckt wahrhaftig in der Natur, wer sie heraus kann reissen; der hat sie. Albrecht Dürer (1471-1582)

(٢) Gotthold Lessing, Hamburgische Dermaturgie, Stück 70 (1 Jan. 1768).

(٣) Hebräische Archäologie

(٤) Commentar zu den Königsbüchern

(٥) Commentar zu der Chronik; Geschichte Israels.

(٦) Wie würden die Juden das Volk des Gesetzes ?

(٧) Jahvist und Elohist in den Königsbüchern.

« بيدكر » عن فلسطين وسوريا سنة ١٩١٢[1] كل ذلك مما يؤيد أن بنتسنجر يهودي

٥ — لم تخل كتب تاريخ الفن من صفحات وفصول عقدت للكلام على فن ينسب لليهود ، وإليك ياصديقي ثلاثة منها :

(ا) طرز الزخرفة ، تأليف شبلتس ، صفحات ٣٩ ـ ٤١ ولوحة رقم ١٤[2]

(ب) الفن القديم تأليف لوبكه ـ برنيس ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٥[3]

(ح) أسس تاريخ الفن ، تأليف لوبكه ، الجزء الأول من صفحة ٥٨ إلى ٦٧[4]

وهذه الكتب الثلاثة قليلة بالنسبة إلى كتب أخرى عالجت تاريخ الفنون عامة وألمت بتاريخ الفن اليهودي

٦ — أما قول الدكتور الفاضل بأن اليهود أثروا بدينهم وأدبهم أثراً لا يقل عن أثر الإغريق فلا يوافقه عليه أحد ، على حين توافقني على نقيضه الكثرة الغالبة من العلماء والمؤرخين حتى من اليهود أنفسهم . وأقرر بأن اليهود تأثروا بالعرب فى مصر وشمال أفريقيا وأسبانيا وغيرها ، ونقلوا عنهم . وكان الفضل فيما وصلوا إليه راجعاً إلى علوم الإغريق التى اشتغل العرب بترجمتها

قال ابن ميمون (١١٨٥ — ١٢٠٤) فى كتابه « مرشد الحائرين[5] » أن ما اقتبسه اليهود من العلم والفلسفة كبصيص من النور وصل إليهم عن طريق العرب الذين استفادوا من حكمة الإغريق

أما ما كتبه العالم اليهودى الألمانى « مونك » فى كتابه « مزيج من الفلسفة العربية واليهودية[6] » ؛ فهو يؤيد فضل

(١) Baedekers, Palestine und Syrien, Leipzig 1912

(٢) A. Spaltz, Der Ornamentstil, Leipzig 1912, Seite 39-41 u. Tafel 14.

(٣) Lübke-Pernice, Die Kunst des Altertums, Esslingen 1914, Bd. 1 Seit 105.

(٤) Lübke, Grundriss der Kunst geschichte, Stuttgart 1887, Seite 58-67

(٥) Moses ben Maimonides, Le Guide des égarés. 1-3 Paris 1865-66

(٦) S. Munk, Mélanges de Philosophie juive et arabe renfermant des notices sur les principaux philosophes arabes et une esquisse historique de la philosophie chze les Juifs. Paris 1859.

العرب على اليهود ، كما يقرر بأنه لم يكن لبنى إسرائيل فيلسوف سوى ابن ميمون

ولا نحب فى هذا المجال أن ننقص من فضل « باروخ شبينوزا » الفيلسوف الهولاندى المتوفى سنة ١٦٧٧ المنسوب إلى اليهود ، وإن كان التنويه بذكره لا يكسب بنى جنسه شيئاً فيما نحن بصدده ، لأنه كان مغضوباً عليه ومحروماً من دخول المعبد لإلحاده ولمذهبه فى وحدة الوجود[1]

هاتان شهادتان ليهوديين من كبار رجالهم لم يزعما قط أن أدب اليهود أو حكمتهم دنت من حكمة الإغريق أو أدبهم ، ولم يدعيا أنه كان لأدب اليهود ودينهم أثر فى تاريخ الحضارة لا يقل عن أثر الإغريق

أما ما استند إليه الأستاذ وهو درس العلاقة بين اليهودية والمسيحية والإسلام فهذا ما لا دخل له فى موضوع الحضارة من حيث هى إنتاج إنسانى قائم بذاته ؛ إذ أن العقائد فى جوهرها تمس الباطن ، كما تمس الحضارة من حيث الحالة النفسية للمتعبد ، ودرس الحالة النفسية من اختصاص علم النفس ، وهو فرع من البحوث الإنسانية التى لا دخل لليهود فيها . وإن اتفاق الإسلام واليهودية فى بعض التعاليم والآداب كالختان والصوم والطهارة من الجنابة ... الخ ؛ فهذه أمور كان التشابه فيها لتشابه وتسلسل الشعبين من الجنس السامى ، مع اختلافهما الجوهرى فى العقلية والنظر إلى الحياة والمثل العليا ، ولا إخال صديقى يرمى إلى إثبات محاولة انتحال الإسلام عن اليهودية

والإصلاح الدينى عند المسيحيين وهو أبرز ما فى تاريخهم الكنسى قام به رجل ألمانى اسمه مارتن لوتر ، وآخر سويسرى اسمه كلفن ، وثالث من أهل سانت جال بسويسرا اسمه تسوينجلى Zwingli ، وليس واحد من هؤلاء من اليهود .

وحتى حركة حرية الفكر التى ظهرت فى أوربا قبل الثورة الفرنسية فهى لرجال أمثال فولتير وروسو وديدرو ومونتسكيو ، وفى انجلترا أمثال دودويل وتيندل وكوليتر وكلهم كما يعرف الأستاذ مسيحيون لا علاقة لهم باليهود .

(١) Freudenthal: Spinoza, sein Leben und seine Lehre, Stuttgart 1904

وإن كان لليهود أثر ملحوظ فى الدنيا الجديدة فهذا الأثر محصور فى الأعمال المالية والتجارية ، وهى مع قيمتها الاقتصادية لا تمت بصلة إلى الأدب أو الفلسفة أو الفن كما يمت أدب الإغريق وفلسفة الإغريق وفن الإغريق .

ولعلى لم أدرك تماماً قصد الدكتور من علاقة القوانين الغربية باليهود ؛ فغير خاف أن القوانين فى انجلترا مأخوذة فى أول أمرها من العرف الذى تواضع عليه الناس هناك ، وفى الدول اللاتينية أخذ فى لبه عن القانون الرومانى . أما فى العصر الحديث فهو عن الثورة الفرنسية والقانون الألمانى . وقانون روسيا لا يخرج عن التشريع الشيوعى . وفى البلاد الإسلامية عن الشريعة المحمدية وعن بعض الدول الأوربية كقانون بونابرت .

على أن هذا لا يمنع من أن نذكر أن لليهود أثراً فى التشريع الخاص بهم حيثما وجدوا ، فيما يتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنسب .. الخ وطهارة المأكل وصحة الذبح ، غير ما جاء فى التوراة بسفر الخروج وأخبار الملوك .

وكتاب « تراث بنى إسرائيل » مكتوب فى عصرنا هذا لتمجيد اليهود ، فلم يكن إلا نوعاً من الدعاية لقضية معينة ؛ فكانت المبالغة فيه ظاهرة واضحة لمن يتعمق فى درسه .

٧ — أما أن أثر الإغريق وأثر اليهود مسألة اعتبارية ونسبية فهذا يخرج بنا عن حدود المقارنة العلمية التى يقوم الحكم فيها على الحالة الذاتية للشئ وليس على الحالة النفسية للباحث .

وخلاصة ما تقدم :

١ — أن الأركيولوجيا لا تفسر وحدها الماضى بما خلفه ، وليست مرجعنا الوحيد فى دراسة مدنيات الأمم التى اندثرت

٢ — أن تاريخ الفن لا يعنى بتوافر شئ من مبادئ الجمال فى الخلق الفنى

٣ — أن من المستحيل وجود شعب يزدهر الفن بين أفراده دون اشتراكه ، كما أنه من المستحيل أن يوجد شعب له أثر ملحوظ فى الأدب والفلسفة والعلم ولا يعرض للفنون الجميلة أبداً

٤ — أن بنتسنجر كان من اليهود حقاً وصدقاً

٥ — أن مراجع كتب تاريخ الفن لا تخلو من فصل أو فصول عقدت لتاريخ الفن عند اليهود

٦ — أن أثر اليهود بدينهم وأدبهم لا يدنو من أثر الإغريق فى الحضارة الإنسانية

٧ — عند المقارنة والموازنة ـ بين حضارتين ـ لا يكون للاعتبارية والنسبية المقام الأول فى البحث العلمى

ولما كان الاتجاه الذى رغب الأستاذ زكي محمد حسن إلباسه ثوب الحقيقة العلمية ، وهو الإقرار لليهود بفضل التأثير فى الحضارة الإنسانية بما لا يقل عن فضل الإغريق بأدبهم وحكمتهم وعلومهم وفنونهم يُعد من أشد الاتجاهات العلمية خطورة ، ولا يجوز لباحث مثلى ومثله إبقاءه على هذه الحالة من الإيجاز والغموض ؛ فقد صحت عزيمة كاتب هذه السطور خدمة للعلم، على إفراد فصل قائم بذاته لتصفية هذه المسألة عندما يحين الوقت إن شاء الله .

أحمد موسى

ألقاب الشرف والتعظيم

عنـــد العرب

للأب أنستاس مارى الكرملي

١ — توطئة

ضرِىَ السوريون منذ برهةٍ ، باستعمال ألفاظ جديدة ، للتعظيم والتبجيل ، واستهجان كل كلمة دخيلة تدل على نظائر تلك المعانى . ولذا تجدهم اليوم ، لا يتخذون لقباً أو جلاء[1] يدل على أدب ، أو تكريم ، أو علم ، أو إدارة ، أو سياسة ، أو نبالة ، أو كل لفظ عليه طابعُ دخيلٍ ، فليس فيهم كاتب يتخذ فى كلامه كلمة آغا ، ولا أفندى ، ولا بك . وأما مسيو . ومستر ، وسنيور ، وهر، وضون ، فقد أصبحت فى خبر كان . وكذلك لا تجد أثراً لماجستير وليسانسيه ودكتور وبروفسور . وقد نفَوْا من عباراتهم الكبتن والماجور والكولونل والجنرال هذا فى الرجال . وكذلك نقوا كلامهم من ألقاب الإناث مثل : هانم ، وخانم ، وخاتون ، ومدموازيل ، ومدام ، ومس ، ومسز وليدى . والكلام هنا على ما يقال فى الأجانب على اختلاف قومياتهم . وليس هناك خلاف فى أنه إذا جرى الكلام على أبناء العرب من ذكور وأناث فيتخذ لقب السيد ، والسيدة ، والآنسة ، والكريمة ، والعقيلة ، إلى ما ضارع هذه المفردات

أما إنهم يحاولون إطلاق هذه القاعدة على الأجانب ، وعلى ما وضعه هؤلاء من الألقاب العلمية والسياسية والأدبية بشروط وامتحانات وأحكام ، فإنهم يحاولون القبض على حبال القمر ، أو على قبض الماء بأيديهم ؛ إذ لا حق لهم فيها ، ولا يوافقهم على تحكمهم هــذا إلا كل أهوج ، خال من الوقوف على تقدم علوم العصر ومصطلحاته وآدبه ، واتفاق جميع الأقوام على اتخاذه ، لأنها أصبحت من أوضاع الأقوام جميعها ، ومن مشتركاتهم فيها ومن حق الجميع وممتلكاتهم لها

ومن مضحكات أوضاعهم أنهم أخذوا يستعملون (العليم) و (الحكيم) فى مكان (الدكتور) . وجهلوا أن هــذا اللقب وأمثاله بمنزلة الأعلام ، أى أعلام الألقاب . والاعلام تروى ، أو ينطق بها على علاتها ، ولا يحق لأحد أن يبدلها بغيرها ، أو يصلحها ، أو يحرر فيها أى تحرير ، كبيراً كان أم صغيراً . فكما أن أحمد غير حامد ، وهذا غير محمود ، ومحمود غير محمد ، وهذا غير حماد ، وحماد غير حميد ، وإن كان الأصل واحداً ؛ فكذلك ألقاب الآداب لا يبدل بعضها ببعض ، ولا يقوم اللفظ الواحد مقام اللفظ الآخر ؛ فـ (المسيو) مثلاً يدل على أن المتكلم عليه رجل فرنسى ، و (المستر) على أنه إنكليزى ، و (السنيور) على أنه إيطالى ، و (الهر) على أنه ألمانى ، و (الضون) على أنه أسبانى . وفى كل ذلك من تسهيل معرفة قومية الرجل عند ذكر لقبه مالا تجده فى قولك : السيد فلان . إذ هذه الكلمة تدل على أن المدلول عليه هو من أبناء الناطقين بالضاد ؛ بل يدل عند بعضهم على أنه من صلب النبى العربى . فأين هذا الحرف من الحروف التى سردنا لك منها أمثلة ؟ إن السوريين يجورون على الأمم ، ولا يجارون السلف فى أعمالهم منذ القدم

٢ — ألقاب رؤساء الممالك :

اتصل السلف مع تمادى الزمن بأقوام مختلفة وبدول شتى ، وعرفوا ألقابهم مع ما فيها من الغرابة ، ولم ينقلوها إلى معانيها فى العربية ، بل حافظوا عليها أعظم المحافظة . ونحن ننقلها لك من كتاب الآثار الباقية لأبى الريحان ، وهى هذه (عن النسخة المطبوعة فى أوربة) :

أنواع الملوك	الألقاب الواقعة على أشخاص تلك الأنواع
١ ــ ملوك الفرس الساسانية	شاهنشاه وكسرى
٢ ــ » الروم	باسلى وهو قيصر
٣ ــ » الأسكندرية	بطلميوس
٤ ــ » اليمن	تبّع
٥ ــ » الترك الخزر والتنغزغز	خاقان
٦ ــ » الترك الغُزّية	حنونه
٧ ــ » الصين	بغبور [أو نغفور]
٨ ــ » الهنـد	بلهرا
٩ ــ » قنّوج	رابى
١٠ ــ » الحبشة	النجاشى
١١ ــ » النـوبة	كابيـل

(١) الجلاء : ما يخاطب به الرجل من الأسماء والألقاب الحسنة فيعظم به

أنواع الملوك	الألقاب الواقعة على أشخاص تلك الأنواع
١٢ ـ ملوك جزائر البحر الشرق	مهراج
١٣ ـ « جبال طبرستان	إصَفَهْبَذ
١٤ ـ « دنباوند	مصْمغان
١٥ ـ « غرجستان	شـار
١٦ ـ « سرخس	زاذويه
١٧ ـ « نسا وابيورد	بهمنه
١٨ ـ « كش	نيدون
١٩ ـ « فرغانة	إخشيد
٢٠ ـ « أشروسنة	افشين
٢١ ـ « الشاش	تدن
٢٢ ـ « مرو	ماهويه
٢٣ ـ « نيسابور	كنبار
٢٤ ـ « سمرقند	طرخوت
٢٥ ـ « السرير	الجحاج
٢٦ ـ « دهستان	صـول
٢٧ ـ « جرجان	أناهبـذ
٢٨ ـ « الصقالبة	قبّـار
٢٩ ـ « السريانيين	نمرُوذ
٣٠ ـ « القبط	فرعون
٣١ ـ « باميان	شير باميان
٢٣ ـ « مصر	العزيز
٣٣ ـ « كابل	كابل شاه
٣٤ ـ « الترمذ	ترمذ شاه
٣٥ ـ « خوارزم	خوارزم شاه
٣٦ ـ « شروان	شروان شاه
٣٧ ـ ملوك بُخارا	بخار خداه
٣٨ ـ « كوزكانان	كوزكان خداه

وكل ما جاء هنا يتعلق بالشرق الأدنى أو الشرق الأوسط ، ولم يتعرض المؤلف لألقاب أهل الغرب ، مع أنها وردت فى كتب التاريخ ، لا سيما حين اتصل العرب بأهل الغرب فى أيام الحروب الصليبية وبالتجارات والمراجعات التى جرت فى عهد العباسيين والفاطميين والأندلسيين من ذلك :

٣ — الباب

٤ — الانبراذور أو الأنبراطور أو الأنبرور

٥ — البطرك

جاء فى مُقـدمة ابن خلدون[1] فى آخر الفصل الثالث والثلاثين ما هذا نقله بحروفه :

واختص اسم البابا[2] ببطرك رومة لهذا العهد ، ولا تسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الإسم . وضبط هـذه اللَّفـظة بباءين موحدتين من أسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة . ومن مذاهب البابا[3] عند الإفرنجة ، أنه يحُضهم على الانقياد لملك واحد ، يرجعون إليه فى اختلافهم واجتماعهم ، تحرجاً من افتراق الـكلمة ، ويتحرى به العصبية التى لا فوقها منهم ، لتكون يده عالية على جميعهم ، ويسمونه الأنبرذور[4] ، وحرفه الوسط بين الذال والظاء المعجمتين . ومباشره يضع التاج على رأسه للتبرك ، فيسمى المتوّج ، ولعله معنى لفظة الأنبرذور . وهذا ملخص ما أوردناه من شرح هذين الإسمين اللذين هما البابا (كذا) والـكوهن »

ونحن نورد هنا أيضاً الحاشية التى جاءت على كلمة الأمبرذور . قال النـاشر : « المشهور قديماً إمبراطور ، بالطاء المهملة ، والفرنسيس تقول : إمبرور ومعناها عندهم ملك الملوك » اه .

ولنا هنا عدة ملاحظات ، منها : ١ — أن المؤلف كتب الباب ولم يكتب البابا . ولـما لم يكن عنده يومئذ الباء المنقطة بثلاث ، ضبطها بالـكلام لا بالقلم .

٢ — إن صريح كلامه لتقييد الـكلمة أنها بباء مفخمة والثانية مشددة ولم يذكر أنها تختم بياء وألف بل بباء مشددة ،

---

(١) فى ص ٢٣٤ من نسخة بيروت الأولى المطبوعة بالمطبعة الأدبية فى بيروت سنة ١٨٧٩ ، ثم طبعت ثانية سـنة ١٨٨٦ وثالثة بالشـكل الـكامل سنة ١٩٠٠ ، وهى النسخة التى صورت تصويراً شمسيا ثم طبعت على الحجر بعناية مصطفى محمد صاحب المـكتبة التجارية الـكبرى فى مصر . ولم يشر إلى النسخة المنسوخة منه ، بل زاد الطين بلة أن قال : « روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء » . ثم زاد هذه البلة بلة أخرى أن قال : « حقوق الطبع محفوظة » .

(٢) و (٣) يؤخذ من سياق الـكلام بعد ذلك أن الـكلمة هى باب ، بباء منقطة بثلاث وبلا ألف فى الآخر ، والذى زادها هو الناشر الأول الذى طبع الـكتاب فى مصر أو غير مصر

(٤) فى النسخة المطبوعة فى باريس ، وهى أضبط النسخ وأصحها وأوثقها أمانة : الأنبراظور » (فى ١ : ٤٢٢)

فكان يجب أن تكتب هكذا (اللابّ) لا (البابا) ونحن نظن أن رسم الكلمة البابا من الناسخ لا من المؤلف بما أن نص المؤلف واضح هو بياء مفخمة مشددة . وأول من نقلها بهذه الصورة ابن رُسته ، وقد وضع كتابه فى آخر المائة الثالثة للهجرة ، أى فى نحو سنة ٩٠٨ للميلاد كما سترى

٣ — أما كتابة الانبرذور فتكاد تكون صحيحة ، لأنها فى لغة اللاتين Imperator ، ومعناها : الآمر . وكان أصل وضعه لرئيس الجيش ، أى القائد العام له ، ثم فى أيام كيكرون جعل لقباً للقائد الظافر ، ثم للقنصل وفى الآخر للملك الأكبر ؛ فانتقل بعد ذلك إلى كل ملك كبير ؛ فهو كقولك ملك الملوك ، أو كشاهنشاهان عند الفرس . إذن ليس معناه المتوَّج ولا معناه ملك الملوك

٤ — إن كتابة الامبراطور بهذا الرسم كما يرسمه المعاصرون لا يوافق القواعد العربية ، لأنه لا يُرى فى الكلم الضادية من عربية ومعربة ، فيها الميم ساكنة ، ويليها باء متحركة ، فإذا وقع مثل ذلك رُسمتْ الميم نوناً . ولهذا يجب أن تكتب (الانبراطور) بنون

٥ — جرى العرب على كتابة الكلمة (أنبرور) بهذا الرسم . عند اتصالهم بالألمان والفرنسيين فى نحو أواخر المائة الثانية عشرة وأوائل المائة الثالثة عشرة من تاريخ الميلاد ، أو بعبارة أخرى فى أواخر المائة السادسة وأوائل المائة السابعة للهجرة . فقد قال ابن خلكان فى ترجمة أبى العباس أحمد عبد السيد الملقب صلاح الدين : « وعند وصول الأنبرور ، صاحب صقلية إلى ساحل الشام فى سنة ٦٢٦ هـ [١٢٢٨ م] بعث الملك الكامل الصلاح إليه رسولاً » .

وقال فى ترجمة أبى طاهر يحيى بن تميم : « ولما هلك غنيمة (بن زُرَّجار . كذا . والصواب بن زُرَجار براء مهملة) . ملكت ابنته ، وهى أم الأنبرور ملك ألمانيا فى زماننا . ثم هلكت أم الأنبرور » اهـ

وجاء فى تقويم البلدان لأبى الفداء : « وسلطانها (سلطان المانية) هو المعروف بالأنبرطور ومعناه ملك الملوك والعامة تقول الأنبرُوز » اهـ . وفى كتاب المبادين فى كتاب ألفُنْس بن سانشس إلى الخليفة المعتمد الإنبيطور

فهذه عشر لغات فى تعريب كلمة واحدة ، أصلها اللاتينى Imperator ، فقيل فيها : إنبيطور ، إنبرذور ، إنبرظور ، إنبراطور ، إنبرادور ، إنبرطور ، إنبرور . وقال فيها بعض المعاصرين خطأ : إمبراطور ، إمبراطور ، إمبرور . ومن اللازم على المعاصرين أن يلاحظوا كيف أن الأقدمين باختلاف بلدانهم وعصورهم كتبوها بألف ونون ، وليس أبداً بألف وميم ، لأنهم عرب صميم والعرب لا تخالف قواعد سلفهم أبداً ، وذلك سليقةً لا تطبُّعاً !

(له صلة) الأب أنستاس مارى الكرملى

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

صفحة من كتاب

من جوف الليـــل

للأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

أرقت فى هذه الساعة فما استطعت أن أنام ... لقد حاولت أن أغمض عينىّ ، وأن أستسلم لهذه الرؤى البارعة ، وتلك الأحلام الرائعة ، وذاك الجمال الذى أهواه ، لعلى أنام على ذكراه وأغفى على هدهدته ، وأجد اللذة فى مداعبة خياله ، والأنس بحبًا له ، ولكنى لم أفد شيئاً من هذه المحاولة . إن النوم ليعصينى كأن بينى وبينه عداء ؛ وما كنت لأعادى إنساناً أو أغضب رجلاً ، أو أسىء إلى مخلوق ، لأن قسوة الحياة علمتنى منذ كنت طفلاً منكمشاً فى زاوية المدرسة ، وحيداً فى أطراف الطريق ، معتزلاً فى ركن البيت ، ألا أقسو على أحد ، وأن أنشد الخير لهؤلاء الناس جميعاً ؛ فليس أحلى من الخير ، ولا أحسن منه استثارة للعاطفة ، وإرضاء للشعور الغاضب المضطرب

— ٢ —

لِمَ يجفونى النوم ؟ ولِمَ يباعد بينى وبين أحلامى الهانئة وقصورى الناعمة فى جنات الخيال ؟ ولِمَ يريدنى على أن أساهر النجم وأراقب الكواكب وأشهد صفحة السماء بعينىّ ، بينما تتطلع إلى السماء بألف عين فأخافها وأخشاها ، وأرتعد منها ، وأفر إلى أعماق السرير ، وأستر وجهى بهذا الغطاء الكثيف ؛ فلا أنجو من الرعب ولا أخلص من الارتعاد ، وتظل هذه الأعين تطل على ، وتلحق بى ، وتتمثر فى ناظرى ، وترمقنى بشعاعاتها النافذات ؟!

أى شىء أصبت من إثم حتى يجردنى الله من لباس الليل ، فلا أرتع فيه ، ولا أغيب فى آفاقه السعيدة أنسى هموم اليوم ومتاعب النهار ، وأخبار السوء ؛ ولم تتوافد على الذكريات ألمية [illegible] ، وتطوف فى خاطرى كثيبة سوداء ، وتنشر فى نفسى ليلاً آخر بكل سواده القاتم ، وجلاله القائم ، ونجومه المنطفئات ؟!

— ٣ —

لم تعد لى قوة أحتمل بها هذه الوحشة ... لقد كنت ألقى أهوال النهار فأفر منها إلى الليل ، ولكن الليل يطردنى عنه ، وينفينى منه ، ويريد أن يحول بينى وبينه . لقد وسع كل شىء : كل الخيرين والأبرار ، والآثمين والأشرار ، والغاصبين والأخيار ؛ ولكنه ضاق عنى ، وقذف بى إلى مغارة هائلة لا أدرى أين أستقر فيها ...

رحمة بالضعفاء يا ليل ! إن الذين تزدريهم أعينك الليلة ، ويتجافى عنهم مداك الواسع ، وسلطانك الممتد ... ليس لهم ما يستريحون إليه إلا هذه الساعات يقتطعونها من عمر الزمن ، ويختلسونها من حياة الدهر ، ويسرقونها سرقة الجائع المتهالك للكسرة الجافة واللقمة الشاردة لينعموا بها ساعة فى نوم عميق ينسون فيه أنفسهم ، وهذه الآفاق التى تحيط بهم ، وتلك الذكريات التى تنتاشهم ، وحادثات الألم التى تصك مسامعهم فلا يملكون بعدها الحركة والشعور ، فهلا رفقت بهم أيها الليل ؛ هلا ضممتهم فى نعيمك الممتع ، ولففتهم بسكونك المتراخى ؛ وتركتهم إلى هذا الهدوء الذى ينشدونه ، وهذا الصفاء الذى يرمقونه ، وتلك الفترات التى يتطلعون إليها ليجددوا بعد القوة على احتمال الأسى ، ولقاء الشرور

— ٤ —

إنى لأخشى هذا الفضاء الهائل الذى أجدنى فيه ، ليس من حولى شىء ، ولا إلى جانبي إنسان ، لقد ذعرت حقاً حين مددت يدى هنا وهنالك ، وأجلت بصرى أمام ووراء ، فلم ألق هذه الإنسانة البرة الحنون التى رعت طفولتى بشقائها ، وغذت يفاعتى بدموعها ، ونشأت صباى من دم قلبها ... لقد أدركت ... إنها بعيدة عنى ، وأن بينى وبينها آماداً ومسافات يرعاها الله ، ويكلؤها الرحمن ، فمن لى باليد التى تطوق عنقى ، من لى يفيض علىّ الجرأة ، ويبعث فى القوة ، ويطرد عنى خوف الليل ؟

إن فضاء كبيراً حولى ... وإن فضاء أكبر فى نفسى ... وليس فى وسعى أن أملأه بما أرى فى النهار ، وأسمع فى الطريق ، وأحس فى العمل ، لأنى لا أرى شيئاً ، ولا أسمع صوتاً ، ولا أحس حركة . لقد ابتلع الليل كل شىء ، فطواه فى ثناياه ، وضمه

إلى حشاه الواسع ... إلا أنا ... إلا أنا مهران لأنه يفيق عنى ، فأظل مشرداً فى كهوف مرعبة من الشكوك والأحزان : شأن هؤلاء المشردين فى أطراف الأحياء ، وأرصفة الشوارع ، وحافات المقاهى فى النهار ، ولـكنى أنا مشرد ليل ، وليس لهذا الليل ندى آوى إليه ، أو صديق أسلو معه ، أو شارع أجوس خلاله ... ليس فيه إلا الفراغ الرعب ، وهذه السهام المسددة التى تبعثها النجوم فى نفسى

— ٥ —

أخذت أتقلب فى أطراف السرير وألوذ بجوانبه ، ولـكن الحركة لم تكن لتنجو بى من هـذا الذى أشق به ، وأطراف السرير وجوانبه قلقة حائرة . لقد نبا بى كل شىء : حتى هذا الغطاء الذى آلفه فى الليل وفى طرفى النهار ... إنه ليضطرب فوق جسمى كأنما أنا أرتعد ، وما أدرى سر هذه الرعدات الخانقة وما أعرف متى أخلص منها ... إن القمر الدائر ليتراءى لى ، وإنى لأحاول أن أفزع إليه ... ولـكن المسكين لا يقوى على شىء . لقد أهزله الطواف حول الأرض مدى عشرين يوماً ونيفاً فلم يُبق منه إلا الجسم الناحل والعظم المقوس ، ولم يعد له ذلك البريق الذى كان يفيض منه ، ولا ذاك الألق الذى ينساب من أطرافه ، ولا تلك الأضواء التى كانت تغمر الأرض ، وتنير حواشى السماء ، وتطرد ظلمات النفوس . لقد أضحى كابى النظرات ، خامد الحسن ، متهافت القوى ، وأصبح جمرة هامدة بعد أن كان شعلة متقدة . إن طبقة من الرماد الأزرق تحاول أن تطغى عليه. لقد امتدت إليه فعمات فيه كما يعمل السل ؛ ونفذت فى طرف منه فتقبلها بضحكته الكاملة وبسمته المستديرة وغمرها بألقه الحنون ، ولـكنها كانت من طباع الناس : فيها لؤم وغدر ، وفيها إثم وشر فلم ترعه ، وإنما أخذت تنفث سمومها فيه . لقد بترت أوصاله ، وإنها لتسرى الآن إلى أحشائه تلتهمها . لم يبق بينها وبين قلبه شىء . إنها لتكاد تلتهم هذا القلب الـكبير الذى وسع الأرض وطاف حولها ، لا تكبر شيخوخته ، ولا تحترم مشيبه ولا تذكر إحسانه إليها ... هاهى الماكرة تسرق قلبه وتأتى عليه ... لقد أضحى القمر المسكين ذؤابة بيضاء منحنية لا تملك أن تتماسك ، ولا تستطيع أن تشتد ، وستلحق هذه الانحناءة النادبة بالقلب الـكبير : لتجدد معه فى العالم الآخر عهود الصفاء والضياء والنور

— ٦ —

لقد نهضت أمشى ... ولـكنى لا أملك أين أضع قدمى مخافة أن أنزلق به ... إنى لأحبو كالطفل ، أتلمس الطريق بكل أطرافى وحواسى . لقد عدت طفلاً لا يعرف كيف يسير ، فهو محتاج إلى من يمسك بيده ويأخذ بساعده ويمضى به ، فهلا أخذت بساعدى — أيها الليـل — ومضيت بى كما تمضى بكل هؤلاء الناس إلى أحبتهم يناشدونهم الوصل ، ويعتبون عليهم القطيعة ، ويلومون منهم هذا الإهمال ، وإلى أهلهم البعيدين منهم المتغربين عنهم : يبثونهم الحنين ، ويهدونهم التحيات ، ويطبعون على جبينهم قبلة الحب الذى يملأ كل جارحة ويطغى على كل شىء ، وإلى معاهد الصبا يطوّفون فيها ويسمون فى جنباتها ويرددون فى آفاقها نشيد المرح والسعادة ، وإلى أرض الوطن يسألونها ماذا حل بها وأى شىء أصابها ، وما ذا فيها من مكر الدهاة ومكاره الدنيا وعبث الزمان ؟ ؟ وهل من بلاء — لا كان — يلقاه أبناؤها الغر : الذين يحملون فوق كل ما يحمل أبناء العالم من واجبات المدرسة والبيت ، وحقوق المدن والريف ، وأهداف الوطن والمستقبل ، وغايات العرب والإسلام ؟ ؟

— ٧ —

لم يعد فى وسعى شىء — أيها الليل — لقد سددت النافذة وأقفلت الباب ودفنت وجهى فى الوسادة ، ودسست كل أطرافى فى أعماق السرير كمن يتحصن ... ولـكنك لم تشأ أن ترفق بى : إن الباب ليطرق طرقاً عنيفاً ، وإن النافذة لتهتز هزة شديدة ، وإن كل ما حـولى ليتحرك ... ولـكنى سأجمع كل قوتى ، وستتركنى أنت هنا فى هذا الأمر الموحش ... غير أن النهار سيضىء وسيحسن إلىّ مرة ، لأنه يعرف أنه أساء إلى مرات ، وسأنهض على قدمىّ وأفتح ناظرى وأرى النور ...

— ٨ —

إنّ غبش الفجر ليلمع فى جبين الليل ، وإن همسات خافتة من أضوائه لتتراءى لى ... هذا السواد يهزل ويهزل ، إنه ليمضى فى طرف الأفق مطرقاً مستحيياً ، ولـكنى سأغفر له هذه الإساءة لأنى أحب هدوءه وأعشق صفاءه وأعيش فى أحلامه ...

« القاهرة » شكرى فيصل

المرحوم محمد مسعود بك

للأستاذ خليل مطران بك

مضوا تباعًا وهذا يوم مسعود ... هل فى الكنانة قلبٌ غيرُ مكمود
نوابغٌ ملأوا بالفخر عصرَهم ... وجددوا المجد فيه كلَّ تجديد
عادت به لفحول الشعر دولتهم ... ودولةٌ للنحارير المجاويد
الكاتب الفذُّ قد ألقى يراعته ... بعد اصطحاب طويل العهد محمود
بحر من الأدب الزخّار مُصْطَفِقٌ ... بِصَدرِ أَرْوَعَ فيه حِشمة الرُّود
تراه فى وجهِ مُستحيٍ وتخبُرُه ... فلست تخبُرُ غيرَ النبل والجود
تبدي ظواهره ما فى سرائره ... وقد تشعُّ نفوسٌ فى التجاليد
يحيا وَدُودًا وَمودودًا كأحسنِ ما ... يرجو وهل مِن وَدُودٍ غيرُ مودود
ولم يكن مع لين الطبع واهيَةً ... ولم يكن بمداجٍ أو بِرِعْديد
وربما صال ذَوْدًا عن حقيقته ... فجال فى الشوط جولاتِ الصناديد
جارى صِحافةَ مصر منذ نشأتها ... وعِبْءُها مرهِقٌ فى نصرة العود
بالعزم والحزم يستوفى مطالبها ... وهل بغيرهما إدراك منشود
حتى إذا آب من أقطاب نهضتها ... وسدّد الرأىَ فيها كل تسديد
أجرى بما يخصب الألباب أنهرها ... كالنيل بالخصب يجرى فى الأخاديد
وعلم الطير فى أفنان روضتها ... شتى الأفانين من شَدْوٍ وتغريد
إن الصحافة موسوعات معرفة ... يزود العقل منها خير تزويد
تزيد أخبارها بالناس خبرته ... حتى تُقَوِّمَ منه كل تأويد
مسعودُ مَهَّدَ فى مصر السبيلَ لها ... فحاز فضلين من سبق وتمهيد
ثم انتحى مُرْصِداً للعلم همته ... متابعاً كل مجهود بمجهود
يعى معارف ألواناً ويخرجها ... لفظاً ومعنى بإتقان وتجويد
فمن تآليفَ لا تحصَى فوائدها ... محدودة ومداها غير محدود
ومن رسائل فى فن وفى لغة ... سيقت لإقرار رأى أو لتفنيد
ومن مباحث فى التاريخ شائقة ... وفى البحار وفى الأمصار والبيد
وفى صفات بنى الدنيا وما اصطلحوا ... عليه فى عهدهم من غير معهود
وفى عوالم أفلاك تحيط بنا ... ما بين محتجب منها ومرصود
هديةٌ وهُدًى منـه لأمته ... وموطنٍ بعد وجه الله معبود
مسعود يبكيك أبناء بررت بهم ... فنشئوا نشأة الغر الأماجيد
يبكيك قوم مشوا والحزن يشملهم ... فى مشهد لك يوم البين مشهود
يبكيك إخوان صدق هاهنا احتشدوا ... ينوهون بفضل غـير مجحود
يمضى الزمان وتبقى فى ضمائرهم ... خليق ذكرى بتكريم وتخليد

خليل مطران

غريب

للأديب محمد قطب

غريب أنا فى ذلك الكون كله ... على سعة فى الكون توحى بإيناس
غريب بنفسى عن نفوس كثيرة ... غريب بفكرى عن دُنَى ذلك الناس
وأحسب أنى تائه فى غمـارهم ... كما ضل ومض فى غمار الدجى القامى
وما نلتقى فى خفقة أو وشيجة ... ولا فكرة عليا ولا طيف وسواس
وما بيننا من رابط غير أننا ... نجوب معاً دنيا من الحلك الكاسى
ترى أيننا أصفى ضميراً وعنصراً ... ومن فيه صدق أو سلامة إحساس
لأحسب فى دنياهمُ كل ضلة ... وأحسبها دنيا شرور وأرجاس

لقد كنت قبل اليوم هيمان فى الذرا ... أحلق نشواناً إلى كل مرتاد
يفيض بنفسى الفن بشراً وغبطة ... ويهتف فى أذنى كالطائر الشادى
ويخلق فى نفسى مُنًى عبقـرية ... ويلهمنى الإحساس كالكوكب الهادى
ويمنحنى صفو الحياة وذخرها ... وأجمل ما يهفو له الناهل الصادى
فأشبع حس للحياة نقيـة ... ويسمو إلى خلد السماء فؤادى



فقر الأنبياء

ليس الفقر عيباً ، وإنما السكوت عن مقاومة الفقر هو العيب ، فنحن جميعاً مسئولون عن محاربة ما يحيط بنا من متاعب معنوية وحسية ، ومن واجبنا جميعاً ان نطمع فى الانتفاع بما فى الوجود من ثمرات ، على شرط أن ننال ما ننال عن طريق الجهاد المحمود

وقد سأل الأديب «ح . ع . مطر» عن فقر الأنبياء وما يدل عليه من معان على فرض أن الفقر يدل على ضعف الأخلاق الاجتماعية والمعاشية

وأجيب بأن الأنبياء رحبوا بالفقر طائعين ، لتقل شواغلهم الدنيوية فيستطيعوا القيام بفروض الهداية والتهذيب ، وليكون فى انصرافهم عما فى الدنيا من منافع قطعٌ لألسنة من يروق لهم اتهام الأنبياء بحب المال ، وهو اتهام يزعزع ثقة الجماهير ويروضها على التمرد والعصيان

والمعروف أن الناس فى كل أرض يتزيدون على الزعماء والمصلحين ويجعلون طلب الدنيا من أكبر العيوب ، فليس غريباً أن ينسلخ الأنبياء من المنافع الدنيوية ليصدوا من يمارضون باسم الغيرة على الأخلاق ؛ كأن الأخلاق تكره أن يتزود المصلحون بثروة الرزق الحلال !

وفى طلب السلامة من أذى السفهاء قال الرسول : «نحن معاشر الأنبياء لانورث . ما تركناه صدقة» أو كما قال ، فلست أملك الرجوع فى هذه اللحظة إلى نص الحديث

والعدل يوجب أن يكون ما يترك الأنبياء ميراثاً حلالاً لأبنائهم ، ولكن الحرص على قطع ألسنة المتزيدين هو الذى أوجب أن يحرم الأنبياء أبناءهم من ذلك الميراث ، وذلك ظلم جميل

ومن نحن حتى نرحب بالفقر كما رحب به الأنبياء ؟

أولئك رجال يأخذون زادهم من الإيمان واليقين قبل أن يأخذوه من الطعام والشراب ، فمن أنس فى نفسه القدرة على الظمأ والجوع لينقطع إلى مجاهدة النفس ومجاهدة الآثام الاجتماعية فهو أقرب منا جميعاً إلى التخلق بأخلاق الأنبياء

العصاميون

وقال قائل : كيف تتهم الفقراء بضعف الأخلاق الاجتماعية والمعاشية ، ومن بين الفقراء نبغ العصاميون ؟ وأجيب بأن العصاميين هم حجتى على أن الفقر داء له دواء . فالرجل العصامى يقيم الدليل على أن القوة الخلقية قد تقتلع ما يعترض طريق الرزق والمجد من حواجز وأسداد . والتاريخ يشهد بأن أكثر العظماء كانوا فى البداية فقراء ، فما تفسير هذا الذى يشهد به التاريخ ؟

إنما كان ذلك لأن الفقير الموهوب تقوى عزيمته بفضل الاعتماد على الله وعلى النفس ، ومَثَله فى ذلك مَثَل من يعيش بلا عصبية تحميه ، فهو يستعدّ للمقاومة فى كل وقت ، ومن ذلك الاستعداد يفوز بمناعة جسمية وروحية تصد عنه عدوان المتدين

فالذين يعنّون الفقراء بأموال الأغنياء يقتلون بذور العصامية من النفوس ، ويعدون الجيل المقبل لأمراض أخفها الاعتماد على الغير ، وهو بداية الخذلان

الإحسان إلى من يعجزون عن الارتزاق هو أوجب الواجبات ، وهو الشاهد على اتصافنا بالكرم والجود ، أما الإحسان إلى من يقدرون على الارتزاق فجريمة اجتماعية ، ولا يشجع على هذه الجريمة غير الكتّاب الذين يعيشون بفضل الرياء الاجتماعى

فأرقب هذا الناس فى دنيواته ! ... كما أرقب الأنعام تنساب فى الوادى
فيأخذنى رفق بهم فى ضلالهم ... يهيمون فى دنيا الظلام بلا حادى

ولكننى أقفرت يوماً من المنى ... وجئت إلى الظلماء غير مزود
فلفتنى الظلماء من كل جانب ... وبثت لىَ الأشواك فى كل مقصد
وما أرتوى من مورد ، أى مورد ... وما ألتقى إلا بدجوان أجرد
وطال هيامى فى الظلام بلا هدى ... فأجهدت من سير ممل مشرد
وأخلد قلبى للسكون وللكرى ... بليداً من الإحساس أى تبلد
فلما أفقت اليوم من ذلك الكرى ... تلمست حولى الكون علىّ أهتدى
فألفيتنى فيـه غريباً مشرداً ... أهوّم فى واد من التيه سرمد

محمد قطب
(معهد التربية)

وهو رياء له عواقب سود، فى الدنيا وفى الآخرة، والآخرة حق، ولو كره من يراءون الناس

الحب والبغض

أما الأديب الذى كتب من المنصورة خطاباً فى صفحات طوال عراض فمن حقه أن يبغضنى كيف شاء، فما أفكر فى الحب ولا فى البغض حين أحاور قرائى، وإنما أفكر فى الصدق، لأستطيع القول — ولو بينى وبين نفسى — بأنى لم أفكر أبداً فى مخادعة قومى، فالدنيا أصغر وأحقر من أن تروضنا بمغرياتها الأواثم على جلب منفعة وقتية يبغضها الصدق

وفى مجلة الرسالة كُتّاب أعظم منى، فما الذى يمنع بعض الناس من غض النظر عما أكتب، وقد صح عند ذلك «البعض» أن مقالاتى فى الإصلاح الاجتماعى لم تصب هوًى من قلبه الرقيق؟

أفلح الدكتور طه وأخفقت: أفلح لأنه دعا الحكومة إلى إنقاذ الفقراء، وأخفقت لأنى قلت باعتماد الفقراء على أنفسهم وعلى سواعدهم، فما تستطيع الحكومة أن تعين رجلاً لا يعين نفسه، ولا يستطيع المجتمع أن يحمى مخلوقاً يعجز عن حفظ مكانه بين طبقات المجتمع

أنا رجلٌ فقير يحارب الفقر فى كل وقت، وأنتظر من إخوانى الفقراء أن يعينونى على محاربة ذلك العدو البغيض، لأصبح ويصبحوا من المياسير بفضل الكسب الشريف

لا يهمنى أن يحبنى قرائى، فما يبكى على الحب غير النساء، وإنما يهمنى أن يكون ما أكتب صورة صادقة لما يعتلج فى صدرى من آراء وأهواء

الصدق هو الذى يرفع أدب اللغة العربية. وهو الذى يزيد فى ثقة الرجال بعضهم ببعض. أكرمنا الله جميعاً بنعمة الصدق وهدانا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه، فهو وحده الحبيب الذى تتشرف بحبه القلوب

زكى مبارك

الى الباحث الجليل (***)

السلام عليكم:

وبعد فقد جاء فى بحثكم الممتع فى العدد ٤٠٤ من الرسالة الغراء ما يلى:

(فى درّة الغواص فى أوهام الخواص: ويقولون: بعثت إليه بغلام، وأرسلت إليه هدية، فيخطئون فيهما؛ لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه: بعثته وأرسلته، كما قال تعالى: «ثم أرسلنا رسلنا» وتقول فيما يُحمل: بعثت به وأرسلت به، كما قال سبحانه إخباراً عن بلقيس: «وإنى مرسلة إليهم بهدية» فعقبتم على ذلك فى الحاشية بقولكم: (قلت: هل يرى الحريرىّ الريح والصيحة والحاصب مما يتصرف بنفسه؟ ففى الكتاب: «إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً»، «إنا أرسلنا عليهم حاصباً»، «إنا أرسلنا عليهم صيحة» ...)

قلت: الإرسال فى هذه الآيات الكريمة بمعنى التسليط، لا بمعنى التوجيه؛ فليس يقال فى مفعوله: (إنه مما يتصرف بنفسه، أولا يتصرف)، حتى يتفرغ عليه دخول الباء عليه أو عدم دخولها؛ إذ يمتنع أن يقال: سَلّط عليه بكذا

ومن أمثلة الإرسال بمعنى التسليط قول الأساس: أرسل كلبه وصقره على الصيد، أرسل الله عليهم العذاب

وإكمالاً للبحث نورد ما جاء فى (التاج) قال: (والإرسال التسليط، وبه فُسّر قوله تعالى: «إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً»، أى سُلّطوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم. والإرسال أيضاً التوجيه، وبه فسر إرسال الله عز وجل أنبياءه عليهم السلام)

هذا ما عنّ لى أعرضه على الأستاذ المحقق (ا. ع)

وفاة الأستاذ محمود مصطفى

استأثر الله فى الأسبوع الماضى بالأستاذ «محمود مصطفى» أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية؛ وقد كان رحمه الله من أصحاب الملكات القوية فى الأدب واللغة. تخرج فى دار العلوم ثم اشتغل بالتعليم فى المدارس الأهلية والأميرية بقية شبابه الأول، ثم اختير لتدريس الأدب فى كلية اللغة فقسم حياته العاملة بين التعليم والتأليف حتى زود المكتبة العربية بطائفة من الكتب النافعة فى تاريخ الأدب والعروض. وقد قال الأديب البر محمد عبد المنعم خفاجى إن للفقيد سفرين جليلين فى الأدب المصرى منذ الفتح العربى إلى الآن يقعان فى ألف صفحة، وقد عكف فى آخر حياته على إعدادهما للطبع حتى انتهى منهما قبل وفاته بأسبوع. رحمه الله رحمة واسعة وعوض الأدب والعربية منه خير العوض.

تأبين المرحوم محمد مسعود بك

اجتمعت في مسرح الحديقة في مساء الأربعاء الماضي جمهرة من أعيان الفضل وأقطاب الأدب ورجال الصحافة للاحتفال بتأبين العالم البحاثة المرحوم « محمد مسعود بك » . فألقى كلمة الافتتاح معالي الأستاذ محمد علي علوبة باشا ؛ ثم تتابع الخطباء والشعراء فجلوا مواهب الفقيد وآثاره في الصحافة والعلم والخلق والأدب والوطنية والترجمة . وكان الشعراء على الأخص قد احتفلوا لما قالوا فجاءت قصائدهم من محكم الشعر وجيده . وقد نشرنا منها في هذا العدد قصيدة الشاعر الكبير خليل مطران بك، وسنختار في العدد المقبل فرائد من قصيدتي الأستاذين محمد مصطفى الماحي ومحمد الأسمر لأنهما نشرتا بالأهرام . وقد كانت الكلمة البليغة التي ألقاها الأستاذ يحيى مسعود نجل الفقيد شكراً جميلاً للمحتفلين وتحية برة لوالده . أجزل الله عزاءه وعزاء الوطن في الراحل الكريم

حول بشر بن عوانة

كانت (المكشوف) قد ذكرت في بعض أعدادها أن الأستاذ بطرس البستاني أول من نفى شخصية بشر بن عوانة في الجزء الثاني من كتابه (أدباء العرب) فرأت (الرسالة) من واجبها أن تنبه إلى أنها أشارت إلى هذه الأسطورة في يناير سنة ١٩٣٥ . ويظهر من العدد ٢٩٦ من المكشوف أنها نشرت هذا التنبيه ولاحظت عليه أن الجزء الثاني من (أدباء العرب) طبع للمرة الأولى في شباط سنة ١٩٣٤ فيكون أسبق

نقول يظهر لأننا لم نطلع على العدد الذي نشرت به هذه الملاحظة لاضطراب البريد بين البلدين في هذه الظروف . ولو كنا اطلعنا عليها لنشرناها فينتهي الأمر من جهة الزميلة ، ويبقى الرأي من جهتنا موقوفاً إلى أن نطلع على الطبعة الأولى من هذا الكتاب .

اكتشاف جديد لإطالة عمر الإنسان

جاء من هنتنجتون في ولاية فرجينيا الجنوبية أن الأستاذ ماليسوف أستاذ علم الكيمياء الحيوية في معهد الفنون والصناعات في بروكلين أعلن في اجتماع عقد في هنتنجتون أن الإنسان يستطيع أن يعيش ١٨٥ سنة بفضل المادة الجديدة المسماة « صوديوم ثيوسيانات » وقد اكتشف تأثيرها بعد تجارب عديدة.

وكان مما قاله أيضاً أنهم استطاعوا في التجارب التي أجروها في الأرانب أن يعالجوا فيها أعراض كبر السن . ثم قال إن مادة الكولسترول اللازجة التي تشبه الشمع ترسب كمية منها في الأوردة والشرايين، وأن ثمة علاقة بين العمر وهذه الراسبة ، وأن هذه المادة الكيميائية الجديدة (الصوديوم ثيوسيانيت) توزع الكولسترول من غير أن تحدث ضرراً في الجسم .

حول وأد البنات عند العرب في الجاهلية

لجأ الأستاذ الصعيدي ـ وهو من علماء الأزهر الشريف ـ إلى المغالطة والتقول عليّ بما لم أقله ، بعد أن سُدّت أمامه السبل في تأييد ما يذهب إليه . فقد انقسم رده الأخير إلى نقطتين تمثل كلتاهما أقصى ما يمكن أن تصل إليه الجرأة في طمس الحقائق :

١ — يقول في النقطة الأولى : « وقد رأى الأستاذ علي عبد الواحد وافي أن حمل قوله تعالى « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » ، على معنى أنهم يجعلون لآلهتهم ما يشتهون لا يستقيم مع الآيات الأخرى كما ذكرت (أي كما ذكر الأستاذ الصعيدي) ، لأنها صريحة في أنهم كانوا يجعلون ذلك لأنفسهم لا لآلهتهم »[1]

وأنا لم أر مطلقاً هذا الرأي ، بل رأيت — عكسه تماماً — كما صرحت بذلك في كلمتي الأخيرة إذ قلت ما نصه : « على أن ما ذكرناه في المقال السابق بصدد الذكور (أي نسبتهم لآلهتهم) تحتمله آية النحل ، وخاصة لأن الضمير في الآية التي قبلها يرجع إلى الشركاء : « ويجعلون لما لا يعلمون (أي لآلهتهم التي لا علم لها لأنها جماد ... ا . ﻫ البيضاوي) نصيباً مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون ، ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » فرجع الضمير في « لهم » إلى الشركاء المذكورين في الآية السابقة ليس محتملاً فحسب ، بل أرجح كثيراً في نظري من رجعه إلى المشركين ، لأن موضوع الحديث هو تقسيمهم المخلوقات بين الله

(١) عدد ٤٠٨ ص ٦٠١ العمود الثاني

وشركائهم لا بين الله وأنفسهم . ويزداد هذا المعنى تأييداً إذا ربطت هذه الآيات بآيات الأنعام : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ... وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ... » ويزداد هذا المعنى تأييداً كذلك إذا لاحظنا أنهم ما كانوا ينسبون خلق شيء لأنفسهم ، بل كان ذلك يتردد بين الله وآلهتهم »[1]

٢ — وذكر في النقطة الثانية ما نصه : « وكذلك رأى الأستاذ علي عبد الواحد وافي أن النصوص القرآنية صريحة في أن العرب كانوا يجعلون الملائكة بنات الله ، فلم يسعه إلا أن يعترف بهذا »[2] ؛ ويقصد بذلك — كما يفهم من سياق كلامه — أنني كنت أنكر هذه الحقيقة ، حتى كتب ما كتب ، فلم يسعني حيال قوة حجته إلا أن أعدل عن إنكارها وأعترف بها

مع أنني لم أنكر مطلقاً هذه الحقيقة ، بل اتخذت منها دليلاً على صحة ما ذهبت إليه ، كما صرحت بذلك في أول كلمة لي في هذا الموضوع ؛ إذ قلت ما نصه : « ولم يقف أمر اعتقادهم عند حدود العالم الطبيعي : عالم النبات والحيوان والإنسان ، بل جاوزه إلى عالم السماء ؛ فكانوا ينسبون لله تعالى من هذا العالم كل ما يعتقدون أنه من نوع الإناث . ومن أجل ذلك نسبوا إليه الملائكة لاعتقادهم أنهم من هذا النوع »[3]

ثم أوردت الآيات التي تؤيد هذا ومنها قوله تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ... » . « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » . « أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً ... » . « أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ، ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله ... »[4]

وأسأل الله أن يوفقنا إلى تحري الصدق في القول ويهيئ لنا من أمرنا رشداً

علي عبد الواحد وافي

(١) عدد ٤٠٦ ص ٥٤٠ العمود الثاني

(٢) عدد ٤٠٨ ص ٦٠١ العمود الثاني

(٣) العدد الممتاز ص ٢٦٦ العمود الثاني

(٤) العدد الممتاز ص ٢٦٧

في اللغة

من حق الأستاذ الكبير (ا . ع) عليّ ، وقد سلفت عندي يده ، وطوق رقبتي ثناؤه ، أن أشكره على حسن ظنه وجميل رأيه في قصيدتي التي نشرتها بالرسالة وجعلتها ذكرى لمولد النبي عليه السلام .

ولقد تقبلت نقده المؤدب المهذب بقبول حسن ، فقد والله لمحت من خلال سطوره أدب الناقد ، ورقة الأديب ، وتواضع العالم

وأنا مع الأستاذ الكبير أن كلمة « سمحاء » التي استعملتها في قصيدتي النبوية لم ترد في كتاب من اللغة مما بين أيدينا . ويظهر أنها دلفت إلينا فيما دلف من ألفاظ أخر . ومن الغريب أنها دائرة على شباة أقلام كثير من كتابنا المعتد بهم ؛ ولقد وجدت المرحوم « قاسم أمين » يستعملها أكثر من مرة في كتابه تحرير المرأة [راجع الطبعة الثانية من الكتاب ص ١٢٨ ، ١٦٢] .

على أن نفراً من محققي كتابنا الأعلام فطن إلى خطئها ، واستعمل في مكانها كلمة (السمح والسمحة) للمذكر والمؤنث ، وفقاً لما جاء في اللغة . وفي الحديث الشريف (بعثت بالحنيفية السمحة) .

وللأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات فضل إشاعة هذا الاستعمال الصحيح ؛ ولا زلت أذكر له مقاله البليغ (أمة التوحيد تتحد) في العدد ٣٨٤ من الرسالة ، ويشير فيه إلى الديمقراطية (السمحة) وكيف كان في مكنة العرب والمسلمين أن يعيشوا في حماها بوجه من الوجوه .

أما قول الأستاذ الفاضل إن الفعل (تفيأ) يتعدى بالباء أو بنفسه كما صنع أبو تمام . ولا يتعدى باللام كما جاء في قصيدة « ميلاد نبي » فهو قول نقبله على العين والرأس ، ولكني أضيف إليه أن تعدية هذا الفعل باللام ليست خطأ ، فحروف الجر ينوب بعضها عن بعض . وقد عدى القرآن الكريم الفعل (يخيّل) بإلى في قوله تعالى : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) . ولكنه يَرِدُ كثيراً في الشعر العربي معدّى باللام كما لا يخفى على علم الأستاذ الكبير .

محمد عبد الغني حسن



مجالس الغورى

للأستاذ محمد لطفى جمعة

نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر منذ شهر للأستاذ النابغة الدكتور عبد الوهاب عزام كتاباً جميلاً يمثل فترة من تاريخ مصر فى آخر القرن التاسع الهجرى ، وطرفاً من القرن العاشر

وقد شاء أدبه وفنه ووفاؤه وثقافته أن يجمل من علاقته بقبة الغورى أثراً أدبياً ، لأنه رئيس جمعية الأخوة الإسلامية التى تعقد اجتماعها فى القبة مرة فى كل أسبوع ؛ فبحث ونقب فى مكاتب مصر والآستانة حتى اهتدى إلى ثلاثة آثار نفيسة للغورى : أولها ترجمة تركية للشاهنامة التى نشرها الدكتور منذ بضع سنين ؛ وثانيها هذا الكتاب للمجالس ؛ والثالث فى المجالس أيضاً ، ولكنه أصغر حجماً وأضيق نطاقاً ، وفيه تكرار لبعض المجالس الواردة فى الكتاب الكبير . ويحسن بى قبل أن أتكلم عن الكتاب أن أشكر الدكتور العالم الذى أثبت بنشر هذين الكتابين أن كانت لبعض سلاطين مصر ندوة أدبية هى أشبه الأشياء بمجمع العلوم والآداب ينضبط فيها الوقت بالدرجات ويحضرها لفيف من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وتدور فيها الأحاديث حول المسائل العقلية والفقهية والتاريخية ، ولا تخلو من سمر رقيق وفكاهة ودعابة . وكان السلطان نفسه رأس الاجتماع ويتلقى الأسئلة ويجيب على بعضها عند ما يثبت عجز الحاضرين

وهذه الصورة الجميلة لسلطان صالح كريم شجاع من أجمل صور التاريخ ويجمل لآثار الغورى التى نشهدها ونراها أثراً حياً فى النفوس . كان الملك من رجال قايتباى ، ولم يكن ينظر إلى السلطنة ؛ ولكن تقواه وعلمه وإخلاصه أوصلته إليها فقابل ذلك بالشكر لله والإحسان إلى الفقراء . وكان زمنه زمناً رخواً فهناك قصة عن هجوم بعض السفن الحربية على شواطئ مصر وانصرافها بقراءة الفاتحة . وهناك صورة أخرى لأخلاق البدو والحضر فى الحجاز ومؤامرة بعض أمراء مكة مع هولاكو على جيوش الظاهر بيبرس وحمله ، وتدبير مكيدة لقتل أمير المحمل المصرى . فدلت على أن تلك البلاد المقدسة ما زالت على وتيرة واحدة إلى أن أنقذها الله بالعهد السعودى

وكان السلطان إذا فقد ولده بالوفاة أو صديقاً عالماً أو وزيراً حكيماً كف عن الجلوس فى ندوته يومين أو ثلاثة ، وكان يجلس للناس ويسمع شكواهم ، ويوزع الصدقات عليهم بيده ، ويجد فى ذلك لذة عظمى ؛ وكان ينظم الشعر العربى والتركى ويضع الألغاز بهما ، ويداعب جلساءه بمعضلات الفقه . ولم يكن مقصراً فى الحرب فقد بنى قلاعاً فى جدة وفى ينبع ؛ ومن أسماء سلطان الحرمين ما يدل على أن كل حكومة شرقية طمعت فى أن يكون لها سلطة فى الحجاز

وقد اهتدى الدكتور الأستاذ عبد الوهاب عزام إلى نسخ مخطوطة فقارنها وصححها وطبعها ولقى فى ذلك مشقة يستحق عليها كل إعجاب وثناء . ومن محاسنه أنه أبقى الأسلوب على حالته ليدل على حقيقة ما كان يكتب . وللسلطان الغورى هنة واحدة وهو أن كرمه أفقره فاحتاج إلى أخذ ضرائب فادحة من الشعب ؛ ومن بين الذى وقع عليهم هذا الحيف سيدة مغنية معاصرة فرض عليها خمسة آلاف دينار فباعت حليها أو ما زعمت أنه كل ما تملك وحملت إليه ألف دينار وشفاعة القاضى فقبلها السلطان وأعفاها . وإذن كان فى القرن التاسع الهجرى فى القاهرة قيان يغتنين من الغناء ويدخرن المال الكثير ولا يدفعن عنه زكاة حتى يأتى السلطان وينتزعه انتزاعاً . فما أشبه اليوم بالبارحة فيما عدا اغتصاب مال القيان . وأشكر اللجنة التى أعانت على نشر الكتاب والدكتور عزام على عمله الجليل

محمد لطفى جمعة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 410 — Lundi - 12 - 5 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٢ مايو سنة ١٩٤١ » العـدد ٤١٠

الفهـــــرس

صفحة

٦٣٣ ما خلفته أثينا وروما ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٦٣٥ الاسلام بين السلف والخلف : الأستاذ محمد محمد المدني ...
٦٣٩ دنيا الشقي السعيد في ١٧٢٨٠٠ ثانية ... ... } الدكتور زكي مبارك ... ...
٦٤١ ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ... ... } الأب أنستاس ماري الكرملي
٦٤٤ في الانسانية خير ما دام فيها أمثال شتروس ... ... } الأستاذ سيد قطب ... ...
٦٤٦ الرحلات العربية كيف بدأت ومتى دونت ... ... } الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٦٤٩ المدافع الثقيلة ... ... : الأستاذ عبد اللطيف حسن الشامي
٦٥٢ فاروق ... ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٦٥٣ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
٦٥٤ مختارات من مراثي مسعود ... ... [قصائد] } الأستاذ محمد مصطفى الماحي / الأستاذ محمد الأسمر ... ... / الأستاذ حسين شفيق المصري
٦٥٥ علاقة الكهرب بالأثير ... : الأستاذ حسين عباس فائديه
٦٥٧ الملاح التائه ... ... : (الزيات) ... ...
مسابقة القصة ... ... : ... ...
في تأبين محمد مسعود بك : الأستاذ محمد محمد رضوان
٦٥٨ « زماني » ... ... : الأستاذ الكبير (ا . ع)
٦٥٩ توجيه وأمل ... ... : الأستاذ (ع . ف) ...
٦٦٠ أسبوع الفنون الجميلة ... / مسابقة مختار وفيس ... / معرض محبي الفنون الجميلة } الأديب أحمد كمال خواسك

ما خلفته أثينا وروما

أهل رومةَ الأولون قومٌ بناهم الله بِنْية وثيقة ، فنشأوا عظامَ التجاليد أشداء العضل أقوياء العصب ، يمطون البهيمية من نفوسهم ، أكثر مما يمطون الإنسانية من قلوبهم . ووثاقة البنية وسورة الهوى تحركان في المرء شهوة الغلب وحب الأثرة ؛ فبنى الرومان على الناس بحدة القلب وبأس الحديد ، فملكوا أمم البحر المتوسط ملك الرقيق ، واستعانوا على تدبير هذا الملك العظيم بالسيف واللسان والقانون ، فتهيأت لهم بذلك مَلَكة أصيلة في الحرب والخطابة والتشريع ، وحرمتهم جِبلتهم فنون النفس الرفيعة فكانوا في الأدب والفلسفة والفن عَيلةً على الإغريق . فلما أذنَ الله لدولتهم أن تدول سلّط عليهم الترف والفسوق فتدفقوا في اللهو و(الأُرجى) حتى ترهل من لحومهم ما اكتنز ، وهش من عظامهم ما صلب ، وانسرق من قوامهم ما اشتد ، وذهب بذهاب سلطانهم ما شرعوا من قوانين وسنوا من نظم وألقوا من خطب ؛ وأصبحوا لا يد تطول ، ولا لسان يقول ، ولا فكرة تجول ؛ ثم بادوا ولم يتركوا لأخلافهم على تعاقب القرون إلا ما يُعقبه السلطان الزائل من الغرور والتبجح والفيش ، وإلا ما يورثه اللهو الباطل من الغناء والموسيقى والرقص

وأهل أثينا الأقدمون قوم صاغهم الله صيغة حسنة ، فكانوا مثلاً للكمال الممكن في الإنسان الأعلى . سمت فيهم ملكات

العقل والقلب واللسان والجسم سمواً لا شبيه له فى شعوب الأرض ، فأبدعوا فى نواحى الفكر والشعور والبيان ما ربأوا به أن يكون من صنع الإنس فنسبوه إلى أرباب من خلق أنفسهم . ثم تعاقبت على المدن الإغريقية أطوار الحياة العقلية للجنس البشرى تامة غير مُخدَّجة : فمن الغناء الفردى فى المعابد إلى التمثيل الجماعى فى المسارح ، ومن الحياة الأبوية إلى الحياة النيابية ، ومن شعبذة الكاهن إلى فلسفة أرسطو ؛ ولم يبد فى سائر الأمم إلا ظواهر لبعض هذه الأطوار تقل أو تكثر على قدر نصيبها من كمال الخَلق ، ثم تضعف أو تقوى على نسبة حظها من محاكاة الإغريق . فكأنما هذه البقعة وأهلها لِما جمعوا من شتيت المزايا صورة مصغرة لأمم العالم ، ونسخة مختصرة لتاريخ الإنسان

فلما أصابهم داء الأمم ففنى مُلكهم فى ملكوت الرومان ، ولكنهم انبثوا فى عقول الناس وحضارات الأمم وثقافات الشعوب ، فكراً لا يأفن ، وفناً لا يبلى ، وأدباً لا يقدُم ، وفلسفة لا تبطل ، ونظاماً لا يفسد ، وعلماً لا يذهب ؛ فكان الفكر اليونانى أساساً قائماً لكل حضارة ، ولقاحاً مثمراً لكل ثقافة

ذلك أثره فى الناس عن طريق الاقتباس ؛ أما أثره فى أعقاب بركليس والإسكندر فمن طريق الوراثة المتحدرة فى الدماء حاملة مجد السلطان والغَلب ، وعظمة الفكر والروح ، وعزة الملك والقيادة ، ومزية الإبداع والخَلق ، وفضيلة الجمال والحق ، وسمو الإيمان والعقيدة ؛ فكان يونان اليوم كيونان الأمس مثلاً مضروباً فى شهامة النفس وشجاعة القلب وحمية الأنف وصدق الوطنية والضرب فى الأرض من أفق إلى أفق

أولئك أعقاب رومة يتمثلون فى الطاغية (موسو) ؛ وهؤلاء أخلاف أثينا يتمثلون فى الرئيس ماتكساس . هناك الرأس الخواء ، والقلب الهواء ، والصلف البغيض ، والغرور العريض ، واللسان الطائش . وهنا العمل الصامت ، والقول الثابت ، والدماء التى تفور بمزايا الجنس ، والقلوب التى تنبض بحب الوطن . ويشاء الله عزت حكمته أن يخرج العبرة للناس فى هذه الكوارث المؤسية من تراث وتراث وجيل وجيل ، فسلط نُعَرة نيرون على أنف الدتشى فوقف على ماسورة مدفع ضخم ، ثم رفع أنفه إلى السماء ، وبسط يده فى الفضاء ، وأرسل أمره الأرعن إلى عديده وحديده أن يخترقا حدود اليونان وهم فى إغفاءة الفجر ينعمون تحت الكلل بأواخر الأحلام السعيدة . فسالت من ألبانيا فِرق الجيش الإيطالى بسياراته المصفحة ، ودباباته المسلحة ، وطائراته الموقرة بالقذائف والرصاص ؛ وعلى رأس الطليعة المزهوة قائد جهم الوجه ، كثيف اللحية ، غليظ الألواح ، يحمل إلى الجيش اليونانى المضطرب الهالع شرط الهدنة وصك الأمان !

يا سخَر القدَر ممن زعم أنه يصرّفه ! ويا عار (سيزار) ممن ادعى أنه يخلفه ! ما باله يرمى فترميه أبابيل من طيور العذاب ، ويهجم فتصده حصون من سواعد الشباب ، ويصيح بأبطال الألب فلا يجيبه إلا صناديد الأولمب بالهجوم الجارف والضرب الدرّاك والقصف المزلزل ، فذوو القمصان السود كالأرانب يتوارون فى أخاديد الأرض ، ويلوذون بجلاميد الصخر ؛ فإذا أعجلهم الفزع عن التماس النجاة ألقوا السلاح صاغرين واستأسروا !

حينئذ تصبب الزعيم الشحيم عرقاً لا ندرى أمن الكلال هو أم من الخجل ، فأقسم ليحشدن الامبراطورية كلها أمام الجيش اليونانى الصغير الفقير الذى يقاتل الطائرات بالحجارة ، وينازل الدبابات بالسلاح الأبيض ، ويزوده بالميرة والذخيرة النساء والشيوخ والأيفاع فى شعاف الجبال وبطون الأودية ، فكانت أفواج الجيش تذوب أمامه ذوبان الشمع ، وأمواج الحديد تنكسر دونه تكسر الهشيم ، والأكياس الحازمون من قواد الفاشية وجنودها يتقهقرون حتى ارتدوا عن اليونان ، وكادوا يجلون عن ألبانيا ، لولا أن استغاث الدتشى بالفوهرر ، فكانت الفاجعة التى لا ينصُل عارها من تاريخ الألمان أبد الدهر !

* * *

أرأيت ؟! هذه هى الفئة القليلة التى يصبح فى دمائها وأعصابها تاريخ أثينا بأسره . وتاريخ أثينا ليس كتاريخ روما مسارحَ دارسة لصراع الثيران ، وآثاراً عافية من مغامرات الفرسان ، وأسفاراً ميتة من شرائع جوستنيان ؛ وإنما هو ومضات الضمير التى لا تخبو ، وآيات العقل التى لا تموت

وتلك هى الفئة الكثيرة التى تنتفخ بالهواء كالفقاقيع ، وتعيش بغير مثل كالجراد ، وتحارب بغير إيمان كالمرتزقة . فتلك تراهم يستأثرون بجانب الهزيمة فى هذه الحرب ، ويؤثرون وسائل الحقارة فى هذه الجريمة . وإذا كان فى انتصار اليونان وانكسار الطليان عبرة ، فهى للعرب الذين يتميزون على الإغريق بوراثة القرآن الخالد الذى لا يتبدل ، واكتساب الإيمان الصادق الذى لا يحول !

احمد حسن الزيات

الاسلام بين السلف والخلف

للأستاذ محمد محمد المدنى

مقدمة

يرجع الإسلام فى أصل دعوته وتفاصيل شريعته إلى قسمين:

١ — العقائد وما يلحق بها من أنواع العبادات

٢ — الأحكام العملية التى ينظم بها شئون الحياة

وللعلماء فى بحث هذين القسمين طريقتان :

١ — طريقة السلف من العلماء الأولين الذين تلقوا دعوة الإسلام من معينها الصافى ، لم تشبها الشوائب ، ولم تتحكم فيها الأهواء ولا المذاهب ، ولم تفرقها الفرق ولا الطوائف

٢ — طريقة المتأخرين الذين خلفوا من بعدهم بعد أن دخل فى الإسلام ما ليس منه ، وطغت على عقول المسلمين فلسفات أجنبية ، وأفكار طارئة لا عهد لهم بها من قبل

ونريد أن ننظر فى هاتين الطريقتين ، لنعرف : أيتهما هى الطريقة القويمة التى يصلح بها شأن المسلمين فى حاضرهم

(١) طريقة السلف

تمتاز هذه الطريقة بالبساطة المطلقة فى العقائد وما يتصل بها ، فهى لا تعرف التعقيد ، ولا تتكلف التأويل ، ولا تنزل على أساليب الفلسفة الملتوية ولا المنطق المركب ، ولا تتصيد الأخبار والروايات لتضخيم العقائد أو تركيب العبادات

إيمان بالله لا يعدله إيمان ، مصدره الاقتناع النفسى ، والاطمئنان القلبى الناشئان من النظر فى ملكوت السموات والأرض ، والتأمل فى بدائع هـذا الكون وإدراك أسراره ، والإذعان لقدرة خالقه

وإيمان برسوله الذى أيده بوحيه ، وأنزل عليه كتابه يتلى عليهم بكرة وعشياً ، ويهديهم للتى هى أقوم ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور

ورضا فيما وراء ذلك بما يخبرهم به الله أو الصادق الأمين عن عالم الغيب ، لا يكلفون أنفسهم بحثه أو التعمق فيه ، أو الوقوف على تفاصيله علماً منهم بأن الغيب لله لا يظهر على غيبه أحداً ، وبأن للعقل حداً يجب أن ينتهى إليه ، ويقف عنده

١ — كانوا يؤمنـون — كما نؤمن — بأن لله ملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون : ولـكنهم لا يكلفون أنفسهم بعد ذلك الوصول إلى حقيقة هؤلاء الملائكة ولا تعرف كنههم ، وهل هم أجسام نورانية أو أرواح علوية أو نحو ذلك ؟

٢ — وكانوا يؤمنون بيوم الحساب — كما نؤمن — وبأن الله سيخرج للناس كتباً فيها أعمالهم ، يلقونها منشورة ، وبأنه سيضع الموازين القسط ليـوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، ولـكنهم لم يكونوا يكلفون أنفسهم ما وراء ذلك من معرفة هذا الكتاب ، ولا أين تكون ساحة هذا الحساب ، ولا حقيقة هذه الموازين ، وكيف تقام ، وهل لها كفتان ولسان ، أو هى على شكل ميزان القبان ، وهل هى من حديد أو نحاس ، وهل تجسد الأعمال ثم توزن بها ، أو تكتب فى صحف ثم توضع فى كفتيها

٣ — وكانوا يؤمنون — كما نؤمن — باللوح المحفوظ ، ولـكنهم لا يكلفون أنفسهم أن يثيروا نقاشاً أو جدالاً حول هذا اللوح : ليعلموا أنه فوق السموات السبع أو تحتهن ، أو أن مساحته كذا وكذا ، أو أن قلمه كيت وكيت !

٤ — وكانوا يؤمنون — كما نؤمن — بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، لـكنهم لا يتطلعون إلى معرفة كنه هذه الحياة ، ولا نوع هذا الرزق

٥ — وكانوا يؤمنون بأن الرحمن على العرش استوى : « وأينما تولوا فثم وجه الله » و « يد الله فوق أيديهم » و « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ؛ ولـكنهم لا يشغلون أنفسهم بالبحث فى الاستواء وكيف كان ، ولا بالسؤال عن اليد أو الوجه أو تأويل معناهما ، ولا يتطلعون إلى معرفة حقيقة هذه المصاحبة وعلى أى حال تكون

سئل مالك — رضى الله عنه — عن معنى الاستواء المذكور فى القرآن ، فغضب وقال : الاستواء معلوم ، والـكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة !

وسئل على — رضى الله عنه — : كيف يحاسب الناس يوم القيامة ؟ وهل يكون ذلك دفعة واحدة ؟ فأجاب : يحاسبون كما يرزقون !

وكان عمر — رضى الله عنه — يضرب أمثال هؤلاء بالدرة ويعنفهم ويتعقبهم ، وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم فسمعهم يخوضون فى القدر ، فغضب حتى احمرت وجنتاه وقال : أفبهذا أمرتم ؟ إنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال !

هذه طريقة السلف الصالح فى الإيمان بالله وما أخبر به من الغيب : لم يكونوا يكلفون أنفسهم شيئاً من التفاصيل التى لم يذكرها الله فى كتابه ، ولم ترد عن الصادق الأمين من طريق يعول عليه فى إثبات العقائد ، لأن العقائد إيمان ويقين لا يغنى فيهما الظن : إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً !

وقد أدركوا بعالمهم من العقول الصافية أن قياس الغائب على الشاهد لا يستقيم ، وأن الله كلفهم بالإيمان بالغيب كما يريده غيباً يحتفظ به لنفسه ولا يطلع عليه أحداً من خلقه « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » « وما كان الله ليطلعكم على الغيب »

وعلموا أن الاشتغال بما لم يأذن به الله من هذه التفاصيل هجوم على الغيب ، وتعقيد للعقيدة ، وتشتيت لأفكار المسلمين ، وصرف لهم عما يجب من العمل بمقتضى إيمانهم إلى أنواع من الجدل ، ليس فيها فائدة فى العقيدة ولا فى العمل !

وقد كان لهم فى العبادات شأن كهذا الشأن : يعبدون الله كما يريد الله ، لا ينظمون ذلك على ما يشاءون ، ولا يبتدعون فيه أو يحدثون علماً بأن العبادة ، أنواعها ورسومها وهيئاتها ، شأن يرجع فيه إلى المعبود ويؤخذ فيه بما ارتضاه لنفسه ، وإذا كان الملوك والحكام لا يستحبون لأنفسهم ، ولا يرضون من رعاياهم أن يخرجوا على تقاليدهم أو يعدلوا فيها ، بل يوجبون فى تشريفاتهم أوضاعاً خاصة ، وملابس خاصة ، وأوقاتاً خاصة ، فهل يجوز للناس أن يبتدعوا أو يخترعوا فى عباداتهم مالم يأذن به مالك الملوك ؟

لهذا كله سلم الدين فى عهد الأولين من الابتداع والتفرق بالأهواء . ولم يدخل على العقائد والعبادات ما دخل من بعد ، ولم يكثر الزيغ والإلحاد ، ولم تتحير العقول ، ولم يتقاذف الناس فى الدين والعقيدة تهم الكفر والزندقة والفسوق تجرى على ألسنتهم بغير حساب !

***

أما سنة الأولين فى النظر إلى المعاملات وأحكام الحياة ، واستنباط ذلك من شريعتهم : فقد فهموا أن هذه الشريعة إنما وضعت لإسعاد العباد وتحقيق مصالح الناس ، وأنها تقوم على أساس العدل والرحمة ، وأن السياسة الصالحة جزء من أجزائها وفرع من فروعها

فهموا ذلك ، فلم يتعنتوا ، ولم يتزمتوا ، ولم يضيقوا واسعاً ، ولم يحجروا على العقول والأفكار ، ولم يصادموا حرية الرأى ، ولم يفرضوا على الناس مذهباً بعينه ، ولم يقفوا أمام أحداث الزمن جامدين ، بل وضعوا لكل مشكلة حلها ، ولكل قضية قضاءها ، وفتحوا باب الاجتهاد والرأى والنظر ليجاروا سنة الله فى الحياة التى لا تعرف الركود ولا الجمود ، والتى لا تنتظر المتخلفين والمترددين ، ورسموا لذلك حدوداً لا يقصد بها تقييد العقول ولا التضييق على الأفكار ؛ ولكن يقصد بها تنظيم الفكر ، وتقويم الرأى ، وتجنب الزلل ، وضمان الصواب !

استمدوا كل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن مقاصد الشريعة الكبرى التى هى رعاية المصلحة ، وتحقيق معنى العدل والرحمة ، وتطبيق ما تقضى به السياسة الرشيدة والقياس الصحيح !

وقد أوسعوا بذلك دائرة الشريعة علماً وعملاً ، ولبوا بها مطالب عصورهم ونهضوا بحاجات قومهم وأوطانهم ، واشتركوا مع رجال الحكم والرأى فى تدبير شئون الأمة ، والحفاظ عليها ، وحياطة دينها وشريعتها ؛ وكان لهم فى ذلك مفاخر ترفع الرءوس وتكرم شأن العقول ، وتحدث عنهم بأنهم عرفوا لأنفسهم حقها ومتعوا عقولهم بلذات النظر والفكر !

أخصبت فى ظل هذه الحرية الفكرية عقول المسلمين ، واتسع نطاق الرأى والنظر فى جميع علوم الإسلام ، وكثر المجتهدون والمستنبطون لأحكام الشريعة ، وانبثوا فى كل قطر من أقطار المسلمين ، وصاروا يعدون بالمئات لا بالآحاد ولا بالعشرات ؛ ووجد الخلفاء والأمراء والقضاة والحكام

حاجتهم من المبادئ والأحكام والنظم والقوانين فى الشريعة ، فلم يحاولوا الخروج عليها ، ولم تحدثهم نفوسهم بنبذ أحكامها أو استبدال غيرها بها ، واحتفظت الشريعة بما ينبغى لها من الاحترام والمكانة والكلمة العليا فى المراكز العملية وقصور الحكم والسلطان ، ودور الإدارة ؛ ولم تقتصر على الدراسات فى المدارس أو المساجد ، ولم يتخذ أهلها وحملتها طابع الروحية والكهنوت ، يحشرون لأيام الزينة ، ويعرضون للاحتفالات !

هكذا كان شأن علمائنا السالفين فى فهم العقائد ، وإدراك المقاصد ، وتطبيق أحكام الله : تسليم فيما يتصل بالعقائد والعبادات أغناهم عن الجدل والتفرق بالأهواء والبدع ، وحرية واجتهاد فى فقه الحياة ، فتحا أمام الناس أبواب الحياة !

فماذا فعل الخلف من بعدهم ؟

(ب) طريقة الخلف

لقد عكسوا طريقة السلف : ففصلوا ما كان مجملاً ، وأجملوا ما كان مفصلاً ، وضيقوا ما كان واسعاً ، وظلموا أنفسهم بتجاوز حدودهم ، وجنوا على شريعتهم بتفريطهم !

١ — جروا فى العقائد على تفصيل أدخل على المسلمين الفرقة والانقسام ، وفتح أمامهم أبواباً من الجدال المفضى إلى التشاحن والتدابر كانوا فى غنى عنها وسلامة منها ، وشوهوا أمام الناس علم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتجرأوا على الغيب يستطلعون خباياه ويستكشفون أسراره ، وزحموا العقائد الصافية فى زحمة الروايات الموضوعة ، والأخبار الملفقة ، والإسرائيليات المدسوسة !

وصفوا لنا عالم الأرواح ، وما يدور فيه من أقوال وأفعال ، وحدثونا عن حياة الأولياء فى قبورهم ، والشهداء عند ربهم ، فذكروا أنها حياة حقيقية يأكلون فيها ويشربون ؛ بل يتمتعون فيها ويتزاوجون !

وصفوا لنا الملائكة وأصنافهم وأحوالهم وأجنحتهم ومقاييس أجسامهم ، وما يقولونه فى تسبيحهم حين غدوهم أو رواحهم ، وما يكون من حوارهم بعضهم وبعض !

وصفوا لنا أرض المحشر وساحة الحساب ، ومواقف الأولين منها والآخرين وحدثونا فى تفصيل دقيق عن الصحف المنشورة والموازين المنصوبة ، وعن الحوض ومياهه ، وأكوابه وسقاته ، وتدافع الناس من حوله ، وازدحامهم بالمناكب عليه ؛ كأنما كانوا شهوداً لكل ذلك إذ يفيضون فيه ، أو كأنما أطلعهم الله على برنامج هذا اليوم المشهود فهم يقرأون منه على الناس كتاباً مفصلاً !

وحدثونا عن اللوح والقلم ، والعرش والكرسى : أيها خلق قبل الآخر ، وأيها يصدر إليه أمر الله أولاً ، وكيف يكتب القلم وما عدد أسنانه ، وما عدد ما سطر فى اللوح من آيات الله وكلماته ، ونسوا أن ذلك كله من عالم الغيب ، وأنهم يهجمون منه على ما احتفظ الله به ، ويتعدون حدود شريعتهم ، ودائرة عقولهم ، ويركبون متن الشطط والغرور !

ثم صوروا للناس قضاء الله وقدره بصورة تدفعهم إلى التواكل ، وتملؤهم الركود والإخلاد ، وتوهمهم أنهم مكبلون من فوق هذا الكون بقيود أو أغلال لا سبيل إلى تحطيمها ، ولا إلى التخلص منها !

٢ — وأدخلوا على العبادات أنواعاً من البدع لم يأذن بها الله : يتصيدون لذلك من الأحاديث الضعيفة ما يؤيدون به شهواتهم ، ويحاجون به ناصحيهم ، حتى اختلط على الناس أمر الدين ، ولم يعد أكثرهم يميز بين ما شرعه الله وما شرعته الأهواء : ففى الصلاة بدع ، وفى الصيام بدع ، وفى الحج بدع ، وفى الذكر بدع ، وفى الأذان بدع ، وفى تشييع الجنائز وزيارة القبور بدع . بل استباحوا لأنفسهم أن يركبوا أنواعاً من العبادات أو الرسوم الدينية لم يكن يعرفها المتقدمون : كفائدة الأربعاء ، وإقامة الموالد ، وإسقاط الصلاة عن الميت ، وعدية يس ، والعتاقة ، ونحو ذلك من ألوان العبث الهازل الذى لا يليق بأمة دينها الإسلام ، وكتابها القرآن !

ولقد أصبح المسلمون بذلك أشتاتاً : كل طائفة بإمام ، وكل شيخ بطريقة ، يكفر بعضهم بعضاً ، ويفسق بعضهم بعضاً ، وكل حزب بما لديهم فرحون !

٣ — أما فى الفقه والتشريع ، وتطبيق أحكام الله على مشكلات الحياة ، وأمراض المجتمع وأحداث الزمن ، فهناك

الجمود والخمول : جمود لواهم عن التفكير ، وأغمض عليهم كلام الله ، وباعد بينهم وبين إدراك روح التشريع ، وتقدير المصالح ودراسة فقه الحياة ، وخمول زواهم عن الناس ، وأنساهم أنفسهم وصرف العقول عنهم ، وأيأس المفكرين منهم ، وأضعف ثقة أهل الحكم والسياسة بهم وبشريعتهم : فذهبوا يلتمسون أحكام الحياة والمعاملات ، ونظم المال والاقتصاد والعقوبات من شرائع أوربا ، ويحكمون فى بلاد الإسلام بغير ما أنزل الله ، وتركوا هؤلاء قابعين فى مساجدهم ومعاهدهم يتناقشون فى حملة العرش هل هم أوعال أو غير أوعال ، ويتدارسون أحكام المياه المطلقة والمياه المختلطة ، ويختلفون فى سؤر البغل : أطاهر هو أم طهور ، ويكتبون فى مجلاتهم عن الحسد والرقية منه ، وعن الجنب والشطح وما يكون فيهما ، وعن العباد المكلفين : أيخلقون أفعال أنفسهم أم يخلقها الله لهم ، وعن تلقين الميت : أمشروع هو أم غير مشروع ؟ ثم عن العمامة والفاروقية ، وأيتهما « تحقق » الشخصية العلمية ... الخ

تركوهم لذلك وأشباهه يدرسون منه ما يدرسون ، ويتركون منه ما يتركون ، وينقطعون عنه ما ينقطعون ، وصارت مراكز الفقه والتشريع والإدارة والقضاء فى أيدى غيرهم ، وكراسى الحكم والنيابة خالية منهم ، وبيئات العلم والأدب جاهلة بهم معرضة عنهم ، والأمة لا تراهم إلا حيث يكون الاحتفال بالمحمل ، أو الاجتماع للموالد مع أرباب الطرق ، أو الحشد للمواسم والأعياد !

وهكذا قضى عليهم بالموت البطئ ينساب إليهم فى مثابرة واتصال كما ينساب إلى المصدور أو العليل !

فى مثل هؤلاء يقول (ابن القيم) منذ ستة قرون :

« لقد جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة إلى غيرها ، وسدوا على أنفسهم طرقاً صحيحة من معرفة الحق والتنفيذ له ، ظناً منهم أنها منافية لقواعد الشرع ، ولعمرى إنها لم تناف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن نافت ما فهموه من شريعته ... والذى أوجب لهم ذلك نوع تقصير فى معرفة الشريعة ، وتقصير فى معرفة الواقع ، وتنزيل أحدهما على الآخر ، فلما رأى ولاة الأمور ذلك وأن الناس لا يستقيم لهم أمرهم إلا بأمر وراء ما فهمه هؤلاء من الشريعة أحدثوا من أوضاع سياستهم شراً طويلاً ، وفساداً عريضاً ، فتفاقم الأمر ، وتعذر استدراكه ... » [الطرق الحكمية ص ١٣]

وفيهم يقول الأستاذ الأكبر الإمام المراغى فى مذكرته الإصلاحية التى كتبها فى سنة ١٩٢٨ وجعلها برنامجه فى إصلاح الأزهر :

« ولكن العلماء فى القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة ، وظنوا أنه لا مطمع لهم فى الاجتهاد ، فأقفلوا أبوابه ، ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ما جد فى الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء ، فأعرض الناس عنهم ، ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له ، وأصبح الإسلام بلا حملة وبلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين »

هذا ، ولعل الرسالة توفق إلى نشر مذكرة الأستاذ الأكبر الإمام المراغى بعد أن مضى عليها أكثر من اثنى عشر عاماً ، فإنى أخشى أن يكون طول الزمان قد خلع عليها ثوب النسيان ، ولستُ أعلم مذكرة عالجت شئون الأزهر والفقه والدين بمثل ما عالجتها به هذه المذكرة فى العصر الحديث .

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

مقال أوحاه قصف المدافع فى ليلة قمراء

دنيـــا الشقى السعيد

فى ١٧٢٨٠٠ ثانية

للدكتور زكى مبـــارك

فى الساعة العاشرة من مساء الجمعة وهو اليوم الثانى من شهر مايو ، شهر الأزهار ، كما يسميه أحد شعراء الفرنسيس ، مضيت إلى دار المفوضية العراقيــة مع مترجم « آلام فرتر » لنشهد آلام الأصدقاء الأعزاء وقد آذتهم أخبار الحرب فى يوم الاحتفال بميلاد « الملك الشبل » وهو ابن غازى وحفيد فيصل

وفى الساعة العاشرة من مساء الأحد ، وهو اليوم الرابع من شهر مايو ، حملت القلم لأحدث قراء « الرسالة » عن تفاصيل ما ثار بينى وبينهم من خصومات ، ولـكن المدافع ثارت فوق رأسى حتى كدت أتوهم أننى المقصود بعدوانها الأثيم ، فالبيت الذى أقيم فيه يرتج ارتجاجاً عنيفاً جداً ؛ وأنا أكتب هذه السطور بدون أن أعرف كيف تنتهى هــذه الليلة السوداء ، وإن كانت قمراء . وصاحب البيت يطرق باب غُرفتى بعنف ليحضنى على النزول إلى السرداب ، فأجيب : دعنى ، دعنى ، فأنا أشتهى أن أموت والقلم فى يدى ! !

ومعنى ذلك أننى فى الأسكندرية وفى أخطر مكان وهو « الرمل »

الغرفة محجوبة النوافذ بحجاب سميك ، وفيها نور ينفعنى ولا يراه أحدٌ غيرى ، وأنا مع ذلك أكاد أشهد نيران المدافع وهى تخترق أحجبة النوافذ ، فهل حان الوقت لأستريح من دنياى ، ولأنجو من بنى الأعداء ، وغدر الأصدقاء ؟

طاخ ! طاخ ! طاخ !

تلك أصوات المدافع ، وكأنها تقصدنى بالذات ، فهى تُزلزل الدنيا من حولى ، وتنذرنى بنهاية كريهة دميمة هى الموت فى مكان لا أودّع فيه أهلى وأبنائى

طاخ ! طاخ ! طاخ !

اصنعوا ما شئتم ، أيها العادون من بنى الألمان ، فأنا أشتهى أن أموت والقلـم فى يدى ، ولن أنزل أبداً إلى السرداب ، ولو لقيت الحتف بمدافعكم الباغيات

طاخ ! طاخ ! طاخ !

لـكم الويل ، ماذا تريدون منى ، وقد قضيت شبابى فى خدمة الآداب والفنون ؟

طاخ ! طاخ ! طاخ !

تلك إذن خاتمة المطاف لدنيا الشقىّ السعيد ، وهو الرجل الذى شهد الاحتفال بعيد ١٤ يولية فى باريس ست مرات ، ونعِم بالألعاب النارية فى باريس أكثر من عشر مرات فى مواسم مختلفات ، ولعلها تزيد على العشرين ، فلا ضَيْرَ عليه فى أن يموت بالنار الحقيقية فى اسكندرية وفى يده قلم أعنف من قنابل الألمان ، وإن عشت بعــد هذه الليلة الباغية ، فسيرون كيف صدقتُ فى الثناء على نفسى ، فأنا بالرغم منهم فتًى مصرىٌّ لم يعرف الخضوع لغير صاحب العزة والجبروت

طاخ ! طاخ ! طاخ !

الجــيران يصرخون ويولولون ، ونوافذ غرفتى تصرخ وتولول ، وقلبى مع هذه المزعجات أكثر طمأنينة من التمساح الجاثم بأعالى النيل ، فكيف أُغمِدْ قلمى فى هذه اللحظة وأنا أشتهى أن أموت وقلمى فى يدى ؟

طاخ ! طاخ ! طاخ !

سأموت بعد لحظة أو لحظتين ، فقد كادت نوافذ غرفتى تتصدع من هول الصيال بين مدافع الإنجليز وقنابل الألمان ، فــا أسعدنى حين أموت والقلم فى يدى ، وإن كنت أرتاب فى إنصاف التاريخ

توت ! توت ! توت !

انتهت الغارة بعد تسعين دقيقة ، فواخجلتاه من العيش ، وليس فى يدى مدفع ولا سيف !

فا دنياى وأنا الشقىُّ السعيد فى الثوانى التى تعد بالـ١٧٢٨٠٠ ؟

ما دنياى فى تلك الثوانى التى تفوق الأزمان الطوال ؟

دخلت الفوضية العراقية فى ليلة حرب وقد تهيأت أبهاؤها لتكون ميدان رقص ، فقلت : إن اللهو لا يعاب على الأمم القوية والعراقيون أقوياء بالروح ، وإن اتُّهموا كذباً أو صدقاً بنقض العهود .

قال الحجاج : إن أهل العراق أهل شقاق ونفاق

وأقول : إن أهل العراق أهل شقاق ، ولكنهم ليسوا أهل نفاق

فأين من يسمع كلامي قبل أن ينجح من يسرهم إفساد ما بين انجلترا والعراق ؟

وأين من يسعى للصلح بين جيشين كانا بالأمس حليفين ؟ ولن يستفيد من تأريث القتال بين هذين الجيشين غير من يتربصون لأولئك وهؤلاء ؟

وهل ضاعت الفرصة لإصلاح ذات البين ؟

ثم اشتركت فى الحديث مع الرجلين الكريمين عبد الستار الباسل وعلى الشمسى ، وكان الحديث حول ما تستطيع مصر أن تصنع فى هذا الظرف الدقيق (؟!)

وقيل كلام وكلام وأنا ضيِّق الصدر بكل ما أسمع ؛ فقد كان دخان المدافع فى حدود الحبانية يصل إلىَّ ، على بُعد ما بينى وبين الحبانية . وهل يبعد عنى شرٌّ يطير أواره فى أروقة بغداد ؟

الله وحده هو الذى يعلم كيف كان حالى والرقص محتدم بأبهاء الفوضية العراقية ، والرقص من فنون الحرب ، لأنه صراع بين العواطف والأحاسيس

ورجعت إلى دارى فى سيارة رجل كريم من أشراف الحجاز وصدرى يكاد ينشقّ من الألم والغيظ ؛ فقد كنت أحب أن تعفينى الحوادث من صدمة الكرب فى ليلة الاحتفال بميلاد ملك العراق !

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

سأمضى فى الصباح لمقابلة رئيس الوزراء ، وسأقول له كيت وكيت ، وسيكون لى مقام محمود فى التمهيد لشئون تقوّى المركز الأدبى لمصر فى الشرق

ثم جاء الصباح فتذكرت أنى مسئول أمام وزير المعارف لا أمام وزير الخارجية ؛ وخطة السير فى هذا الأسبوع توجب أن يكون عملى فى المدينة التى تواجه عدوان الحرب من يوم إلى يوم ، فهل أغيِّر الخطة وقد عرفت أن عملى سيكون فى مدينة مبتلاة بمخاوف الحرب ؟

وكيف وأنا لا أرحم نفسى فى أداء الواجب ؛ لأنى أؤدى الواجب بلا رقيب ، فقد وثق بى رؤسائى وأسلمونى إلى ضميرى لأقتل نفسى بلا ترفق ولا استبقاء . ولو راقبنى رؤسائى لرحمت نفسى ، وانتفعت بحقى فى تعديل خطة السير وفقاً للظروف ، ومَن أسلمك إلى ضميرك فقد أسلمك إلى رقيب لا يعرف الغفلة ولا الهجود !

ثم امتطيت القطار إلى الإسكندرية وصدرى معتكر بالمعانى التى ساورتنى فى الليل ، وبعد الوصول بدقائق كنت أحاور الأدباء الإسكندريين ، فهم سلونى كما حلت بمغانى ذلك الشاطئ الجميل

— ستطيل عندنا الثواء ، يا دكتور ؟

— خمس ليالٍ طوال !

— إذن فستمتع عينيك وأذنيك بقصف المدافع !

وفى صدر اليوم التالى كنت أؤدى واجباً بمدرسة الطائفة الإسرائيلية ، وهى مدرسة لا تعطّل فى أيام الآحاد ، أو هى المدرسة الإسرائيلية الوحيدة التى لا تعطّل فى الأحد الأول من كل شهر ، وما يرضينى أن أقضى يوماً بلا عمل ؛ وقد آذتنى وزارة المعارف حين أسلمتنى إلى ضميرى

السنة الأولى الثانوية بهذه المدرسة مكانها فى السطح . وعند الظهر صكت آذاننا المدافع بأصوات أعنف من قصف الرعد فى لحظات الخوف والبأس

ومدير المدرسة يشير بأن ننزل إلى مكان أمين

وأقول : يجب أن نموت ونحن فى الدرس

ثم يصلصل الجرَس مؤذناً بالانصراف فتضعف حجتى فى العناد

وفى المساء يقع ما عرفه القراء فى مطلع هذا الحديث

أما بعد فأين أنا مما كنت أريد ؟

ألقاب الشرف والتعظيم عنـــد العرب

للأب أنستاس مارى الكرملى

- ٢ -

ونعود إلى الكلام على الباب فنقول : إن القلقشندى قال (صبح الأعشى ٥ : ٤٧٢) : « الباپ بباءين موحدتين مفخمتين فى اللفظ . وهو لقب على القائم بأمور دين النصارى الملكانية [أى الكاثوليك] بمدينة رومية ... وأصله البابا بزيادة ألف فى آخره ، والكتاب يثبتونها فى بعض المواضع ويحذفونها فى بعض ، وربما قيل فيه البابة بإبدال الألف هاء ، وهى لفظة رومية [أى لاتينية] معناها أبو الآباء ... » إنتهى المطلوب من إيراده

وقال ابن رُستَه فى كتابه الأعلاق النفيسة ص ١٤٨ من طبعة الإفرنج : « مدينة الرومية وهى مدينة يدبر أمرها ملك يقال له الباب »

وفى نزهة المشتاق للادريسى ما هـذا نصه (ص ٧٤) : « وفى مدينة رومة قصر الملك المسمى البابة ، وليس فوق البابة فوق فى القدر والملوك دونه »

وجاء فى تقويم البلدان لأبى الفداء فى مادة رومية : « وهى مدينة مشهورة ، ومقر خليفة النصارى المسمى بالباب » . وقال فى أهل بيزة : « وليس لهم ملك ؛ وإنمـا مرجعهم إلى الباب خليفة النصارى »

وذكر ابن الوردى فى كتابه خريدة العجائب طبعة مصر سنة ١٣٠٠ فى ص ٥٨ : « وبها قصر الملك المسمى البابا وهو قصر عظيم أجمع المسافرون على أنه لم يبن مثله على وجه الأرض »

وورد فى رحلة ابن بطوطة ذكر البابة فقال (فى ٢ : ٤٣٦ من طبعة باريس) : « ويأتى إليها البابة [وهو يريد هنا نائب البابة الذى سماه أبو شامة فى كتاب الروضتين فى ص ١٨٣ من طبعة باريس] مرة فى السنة ، وإذا كان على مسيرة أربع من البلد يخرج الملك إلى لقائه ، ويترجل له ، وعند دخوله المدينـة يمشى بين يديه على قدميه ، ويأتيه صباحاً ومساء للسلام عليه ، طول مقامه فى القسطنطينية حتى ينصرف » . اهـ

وابن خلدون تكلم مراراً على البابا ، من ذلك ما ورد فى مقدمته ونقلناه فى صدر هذا البحث ، ثم قال : « وأرادوا أن يميزوا البطرك عن الأسقف فى التعظيم فدعوه البابا ، ومعناه أبو الآباء . وظهر هـذا الاسم أول ظهوره بمصر ، على ما زعم جرجس بن العميد فى تاريخه ، ثم نقلوه إلى صاحب الكرسى الأعظم عندهم ، وهو كرسى رومة ، لأنه كرسى بطرس الرسول كما قدمناه ، فلم يزل سمة عليه إلى الآن ... »

وممن كرر اسم البابا مراراً المقريزى . فقد قال فى كتابه المواعظ والاعتبار طبعة بولاق (فى ٢ : ٤٨٤) : « وكان بطرك الإسكندرية يقال له البابا ... ومعناه أبو الآباء ؛ ثم انتقل هذا الإسم عن كرسى الإسكندرية إلى كرسى رومية . من أجل أنه كرسى بطرس ، رأس الحواريين ، فصار بطرك رومية يقال له البابا ، واستمر ذلك إلى زمننا الذى نحن فيه » . انتهى

كنت أحب أن أتحدث عن الشاطئ الذى أوحشَ بعد إيناس

كنت أحب أن أدرس بعض الشؤون الأدبية أو الاجتماعية

كنت أشتهى أن أقول كلة فى « الإنسان » الذى رُفِع عنه بعض الحجاب فعرف من أسرار الوجود أشياء ، ثم كان حاله حال الطفل الذى وُهِبَ مسدّساً محشواً بالرصاص فهو يصوّبه إلى صدور الآمنين كيف شاء عقله الوليد ! وإنى لأخشى أن ينتقم الله من « الإنسان » فيسلبه القدرة على « استغلال » ما عرف من أسرار الوجود !

انتصف الليل أو كاد ، وسكتت المدافع منذ لحظات ، فهل هدأ البلبال الذى يساورنى كلما فكرت فى مصير الشرق ؟

ما أشقى الرجل الذى يعيش وهو موكَّل بتعقب ما فى الدنيا من قُبح وحُسن ، وجهل وعلم ، وقنوط ورجاء ، وإن استباح القول بأنه الشقىّ السعيد

زكى مبارك

ونحن لا نريد أن نمعن أبعد من هـذا فى المدى لإيراد الشواهد على هذا الاسم ، وأنه لاتينى ، أى رومى أو رومانى ، ففيها مجزأة ، لمن يتحرى الحق ، ويرمى إليه .

فهذه سبع لغات فى البابا ، وهى : الباب ، والپاب . والبابة ، والپابة ، والباب ، والبابا ، والپاپا . وكل كاتب ، حاول أن يؤدى اللفظ على ما ينطق به أصحابه ، ولم يحاول واحد منهم أن ينقل معناها إلى العربية ، بعكس ما يفعل اليوم بعض المتفصّحين والمتحذلقين من السوريين وأشباههم

وأما البطرك ، فقـد اختلفوا فى تعريبهم إياه اختلافهم فى الباب ، والإنبراطور . قال فى التاج فى (ب ط ر ك) : « البطرك ، كقمطر وجعفر ، أهمله الجوهرى . وقال الأصمعى : هو البطريق ، وهو مقدم النصارى ، وبه فسر قول الراعى يصف ثوراً وحشياً :

يعلو الظواهر فرداً لا أليف له مشى البطرك عليه ريط كتان

ويروى مشى النطول ، وهو الذى يتنطّل فى مشيتـه ، أى يتبختر . قالهُ الأزهرى ، أو هو سيّد المجوس . قال الأزهرى : وهو دخيل ليس بعربى » اهـ .

قلنا : البطرك : يونانى ، وهو فى هذا اللسان : Patriarcha أو Patriarches ومعناه الأب الأكبر أو الأب الدينى

وقال فى صبح الأعشى (٥ : ٤٧٣) : « البطرك : بباء موحدة مفتوحة ، ثم طاء مهملة ساكنة ، وبعدها راء مهملة مفتوحة ، ثم كاف فى الآخر . وهو لقب للقائم بأمور دين النصرانية ... وأصله البطريرك ، بزيادة ياء مثناة تحت مفتوحة ، بعدها راء ساكنة ، وهو لفظ رومى ... ورأيت فى ترسل العلاء ابن موصلايا ، كاتب القائم بأمر الله العباسى فى تقليد أنشأه : الفطرك بإبدال الباء الموحدة فاء ... »

وفى التنبيه والإشراف ، للمسعودى فى ص ١٥٩ من طبعة الأفرنج : « وأخبار أصحاب الكراسى الذين هم البطاركة أحدهم بطريرك » ؛ قال ناشره فى الحاشية : « وكل مرة وردت البطريرك ذكره الثعالبى صاحب اللطائف باسم بطريرك »

وقال المسعودى نفسه فى كتابه الآخر « مروج الذهب » (٣ : ٤٠٦ من طبعة باريس) : « وذلك أن مدينة أنطاكية بها كرسى البطريق المعظم عندهم »

وورد فى تاج العروس فى مادة بطرق : « ... وقيل البطريق هو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم ، وهو ذو منصب ، وقد يقدم عندهم . قلت : (أى الشارح وهو السيد مرتضى) هو بالرومية بترك ، قاله الجواليقى وغيره » . انتهى

قال الأب أنستاس مارى الكرملى : وهذا وهم من السيد الشارح ، لأن بترك هو تخفيف البطريرك ، كما ذكره القلقشندى وأما البطريق فرومية أى لاتينية لا يونانية ، وهى من Patricius وبالفرنسية Patrice قال معجم لاروس الوسيط : « أنشأ منصب البطريق قسطنطين وقلده خلفاؤه أشهر ضباطهم ، ولما صارت دولة الغرب فى أقصى دركاتها اتخذ بعض الرؤساء لقب البطريق وكان يقابل البرنس أو نائب الملك . ولما أعلن أورستس بانبراطورية ابنه أوغسطس ، كان لقبه يومئذ بطريقاً وآيتيوس الذى أذل أتّيلا وغلبه ، كان لقبه بطريقاً يومئذ ، وتلقب بلقب البطريق أيضاً كلوفيس ملك فرنسة ، وكذلك ملوك برغونية . ولقب الملوك البرابرة بطارقة قواد جيوشهم . وكان قياصرة الروم يجودون به على لباب الوظائف العليا من مدنية وحربية ، وبعد ذلك بكثير خلع البابوات هذا اللقب على ملوك الأفرنج لما استأنفوا التقاليد الانبراطورية ، فكان ممن تلقب به : بيبن ، وشرلمان ، ودُعوا بطارقة رومة ا . هـ تعريباً

ويُرى من هذه النصوص المنقولة هنا ، أن بعض الكتّاب لم يميزوا بين البطرك أو البطريرك ، وبين البطريق . فصاحب الإسم الأول رجل دينى ، وصاحب الإسم الثانى رجل مَدَنى . واللفظ الأول يونانى الوضع ، واللفظ الثانى لاتينيّهُ . على أن كِلاَ الاسمين مأخوذ من معنى الأب . فالأول يعنى الأب الروحانى ، والثانى الأب النبيل أو الشريف . لكن لا بد من أن يُميّز الواحد من الآخر حرصاً على المعنى ، وتمسكاً بمدلولات الألفاظ الأصلية ، لكى لا يقع التباس فيها

ونرى من هذه النصوص أيضاً أن في البطريرك ثمانية أوجه معربة ؛ وهي : البَطْرَك ، والبِطْرَك ، والبَتْرَك ، والبطريك ، والبطريرك ، والفطرك ، والفطريرك ، والبطريق .

فهل بعد هذا من ينكر هذه المفردات ، ومعانيها ولغاتها ، وقد أيدناها بالشواهد والنقول الموثوق بها ؟ وهل يستطيع المُتَبَلْتِمُون السوريون ، أن يضحكوا من كتّاب مصر ، لأنهم يستعملون في مقالاتهم مثل سكرتير ، وبروفسور ، ودكتور ، وماجستير ، وليسانسيه ؛ وكلها ألقاب وضعها الغربيون كأنها أعلام ألقاب . ومن ثمّ لا حقّ للناطقين بالضاد أن يغيروها ، ولا أن يترجموها بأي صورة كانت . وقد جمعنا من الألقاب الغربية التي عرّبها العرب نحواً من مائتين وخمسين ؛ ولم يفكروا يوماً بوضع مقابلات لها في لغتهم ، لا بل إن بعضهم ظنها مُضَرِيّة محضة ، ولا صلة لها بغير لغتهم . وأنا أذكر هنا بعضاً منها مصداقاً لكلامي . من ذلك ما يتمم بحثي السابق :

٦ — الدوفن

قال ابن مكرّم في تركيب (دفن) ما هذه عبارته بنصها : « ودَوْفَن : اسمٌ . قال ابن سيده : ولا أدري أرَجُلٌ أم موضع . أنشد ابن الأعرابي :

وعلتُ أني قد مُنيتُ بِنِشْطِلِ
إذ قيل : كان من آل دَوْفنَ قُمُسُ

قال : فإن كان رجلاً ، فعسى أن يكون أعجمياً فلم يصرفه ، أو لعل الشاعر احتاج إلى ترك صرفه ، فلم يصرفه ؛ فإنه رأيٌ لبعض النحويين . وإن كان عنَى قبيلة ، أو امرأة ، أو بقعة ، فحكمه ألا ينصرف ؛ وهذا بيّن واضح . اه

وقد نقل صاحب التاج عبارة اللسان من غير أن يشير إلى مأخذها مع أن النص واحد بلا أدنى تغيير ، سوى أنه قال : قُمُسٍ وهي قمس ؛ وقال : إن كان عنى قبيلة والصواب وإن كان عنى قبيلة

وقال صاحب القاموس : ودوفن رجل وامرأة . وفي بعض النسخ : رجل أو امرأة

قلنا : فما معنى هذه اللفظة ، ومن أي لغة هي ؟ فعند الوقوف على الحقيقة ، تضمحل الآراء المتضاربة ، ويقبض على ناصية الحق فنتمسك بها

أما رأينا فهو أنها من الفرنسية Dauphin على حد اللفظ العربي ومعناه . وكان أصل وضعه لقباً للشنيان الفرنسي أي للذي يكون دون السيد أو الملك في فرنسة ؛ ثم غلب هذا اللقب على كثيرين من أولئك الأشراف ، فصار بمنزلة العَلَم لهم ، وأول من لقب بذلك ، كان في عهد كيك الرابع Guigue IV وكان أحد قمامسة فينّة الفرنسية ، المتوفى سنة ١١٤٢ للميلاد . وفي أوفرنية كان أحد القمامسة في عهد غليوم السابع . وكان لقب به لأول مرة سنة ١١٥٢ ؛ ثم انقلب هذا اللقب فصار علماً لأولئك الرجالات ، ومن أراد التفصيل فليراجع كتب التاريخ والمعاجم في مادة دَوْفن . وهناك دوفن اشتهر بدوفن أوفرنية وهو شاعر بروفنسي ، من المائة الـ ١٢ و الـ ١٣ ، واسمه الحقيقي روبر الأول Robert 1er ، وكان دوفناً من سنة ١١٦٩ إلى سنة ١٢٣٤

ودوفن أيضاً امرأة الدوفن ، وبالفرنسية Dauphine والأحسن أن يقال في العربية دَوْفَنة لكي لا تلتبس بالمذكر ودَوْفن أيضاً ، والأحسن دَوْفِينَه Dauphiné ، عَلَم بقعة في فرنسة . فصحّ بهذا التأويل أن (دوفن) كلمة أعجمية وإنها أتت بمعنى اسم رجل ، واسم امرأة ، واسم بقعة ، ومما يؤيد أن الدوفن هو بالتأويل الذي ذكرناه أن الشاعر قال :

« كان من آل دوفن قُمُسُ »

والقُمُس هو Comes سابقاً ، والذي نقل بعد ذلك إلى صورة كُنْت Comte ومعلوم أن البيت الذي فيه دَوْفن ، قد يكون فيه عدة قَمامِسَة ، إذا كان فيه عدة ذكور ، غير البكر ونحن نذكر بعد هذا القمس ونبحث في مختلف لغاته

ومن الغريب أن المعاجم الإفرنجية ، وبالعكس أي العربية الفرنجية . لم تذكر مقابلاً للفرنسية Dauphin . كما لم تذكر مقابلاً أفرنجياً للدَوْفن . فمعجم بادجر الانكليزي العربي ، (وهو

خواطر فى الموسيقى والناس

فى الانسانية خير

ما دام فيها أمثال « شتروس »

للأستاذ سيد قطب

منذ لحظات كنت أستمع إلى أفراح الإنسانية المعذبة فى موسيقى « شتروس » فى أحد الأفلام الشهيرة . لست أدرى كم مرة شاهدت هذا الفيلم ؛ ولكننى أدرى أننى انسقت لمشاهدته كالمسحور ، كلما قرأت عن عرضه فى إحدى الدور .

وفى لحظة من لحظات الشك التى تساور النفس هذه الأيام فى ضمير الإنسانية وطبيعتها ؛ وفى غمرة من غمرات اليأس أن يكون فى الفطرة البشرية خير أو تطلع ؛ وفى فترة من فترات الخمود الروحى والجسمى ، رانت على النفس فيها غشاوة ، وحطت

أساس جميع المعاجم الإنكليزية العربية ذكر مقابلاً لها فى العربية « بكرُ ملك فرانسا » — وقال بجاري بك ، فى معجمه الفرنسى العربى : « بكرى الأمير » وهو كلام لا معنى له . — ومعجم غسلين الفرنسى العربى Ed. Gasselin ، ذكر المؤنث ولم يذكر المذكر فقال : « زوجة ولد سلطان فرنسة » وهـذا غريب . — وقال الأب بلو Belot فى معجمه الفرنسى العربى : « ولى عهد ملوك فرنسا » — وأما صاحبنا الشهير إلياس بقطر فقد قابله بقوله : « ابن بكر سلطان فرنسا »

ولا تسألنى عمن نقل (دوفن) إلى لغة أجنبية فى المعاجم العربية للغربية ، فإن أصحابها جميعهم أهملوها كأنها لم تكن ، وفى كل ما ذكرناه من النقول ، ما يبين لك قصور أرباب تلك الدواوين ، وبذلك يظهر لك ما فيها من النقص والعجز ، والحاجة إلى الإصلاح الأعظم

(له صلة)

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

على الجسم فيها أثقال ، ذهبت منساقاً إلى استماع هذه الألحان

وإن هى إلا لحظات ، ونغمات ، ورقصات ، حتى أحسست بالخفة الناشطة فى نفسى وجسمى ؛ وبالرجاء المشمشع والاطمئنان المصفى ، والأمل المحلق ، والإنسانية الطليقة ، والفرح السعيد .

قلت فى نفسى : إن الإنسانية التى وسع ضميرها كل هذه الأفراح النقية وكل هذه الغبطة البريئة ، والتى ذخرت طبيعتها هذا الفيض الإنسانى المرح ، وتلك الطلاقة الروحية المرفرفة فى ألحان « شتروس » ورقصاته ، لا يمكن أن تخلو من الخير ، وأن تتهم بالإقفار من الحب ، مهما نقل فيها اليوم من أحقاد وأضغان

هذا الفرح اللماع فى أجواز النفس وأجواز السماء ؛ وتلك الطلاقة التى لا ظل فيها لقيد من قيود الأرض والغريزة ؛ وذلك التحليق النابض بالحياة الحلوة البريئة ؛ هذا كله لا يكون إلا أن يكون فى البشرية خير مذخور ، ورجاء منظور ، وقبس من نور . وإلا أن يكون لها فى السماء أمل ، وفى الفراديس مكان ، لا يتاح لغير الإنسان

وذكرت فى هـذه الساعة من يتحدثون عن « الفكر والسلطة » ومن يتحدثون عن « منفعة » الفنون المجردة . أولئك الذين يرفعون مرتبة التنفيذ فوق مرتبة التوجيه ، وهؤلاء الذين لا يريدون أن يروا فى « الإنسان » إلا معدته .

قلت : أين هى السلطة الكائنة على وجه هذه الأرض التى تستطيع أن تصنع من الخير ما تصنعه هذه الحان ؟ بل أين هى النبوة التى تستطيع أن ترتفع بالفطرة إلى أعلى من هذا المكان ؟ ثم أية « منفعة » فى هذه الدنيا الفانية أنفس من هذه السعادة التى تقرب وتقرب ، حتى لهى نغمة فى الآذان وحركة فى الأبدان

لن يستطيع ذو سلطان يعتمد على السلطان ، مهما سما فكره ، وطابت نفسه ، أن يصنع مثل هذا الخير ، وأن يطلق النفوس من غرائزها وقيودها ، فرحة سعيدة راضية ، لا تخطر الخطيئة لها ببال ، ولا يهجس الشر لها فى ضمير ؛ وهى محلقة فى هذا الأوج ، مرفرفة فى هذه الآفاق ، خالصة من وحى الفناء ولذع الشقاء .

ولن يستطيع أكبر المخترعين والمهندسين والعالمين أن يزجى

إلى الإنسانية باختراعاته وآلاته ونظرياته هذه السعادة التي تحسها وهي تستمع لمثل هذه الأنغام . وإذا لم تكن غاية الجهاد في الحياة هي هذه السعادة العالية وتلك الغبطة الراضية ، فما عساها تكون ؟

جالت في نفسي هذه الخواطر ثم استعرضت لخيالي صورة المجزرة البشرية في هذه الأيام ، وصورة الحقد الوخيم ، والضغن الذميم الذي يؤرثها ، وصورة الغرائز المسفلة التي تهيجها الدكتاتورية وتعلقها في طبائع الأفراد والشعب ، وصورة الذلة المشتملة التي تثير الإعجاب في بعض النفوس ببطش الباطشين وغدر الغادرين ...

فقلت : كيف اضطغنت البشرية هذا الحقد الحيواني كله ، ووسعت معه ذلك الفرح الإنساني كله ؟ ثم ذكرت قول العقاد :

ثقلة في الحياة لم ينج طبع   من عراقيلها ولم يخل عرف

وذكرت أن الإنسانية - كما يقول تاريخ الحياة - لا تزال طفلة تحبو في مدارج الزمن والارتقاء ، وأن الحياة كلها لم تتجاوز الفجر الأول ؛ فهي ما تزال تعيش حتى اليوم على نبات الأرض وحيوانه ، كما يعيش الطفل الرضيع على لبن أمه ؛ ولن تبلغ هذه الحياة طور الصبا حتى تتطلع إلى غذاء تصنعه وتخلقه غير الغذاء الذي تجمعه وتؤلفه ، كما يصنع الطفل بعد الفطام سواء

فينبغي ألا نستعجل الزمن ، وألا نخدع بأبناء الحياة السابقين أولئك الفنانين الذين نضجوا قبل الأوان ، وسبقوا خطوات الإنسانية بمراحل وأزمان ، فتلك بواكير الروض ، وطلائع الثمار . والغد كفيل بالجنى والقطاف ! ...

وما كنت أملك إلا توغل نفسي هكذا في الرجاء ، وألا تتطلع إلى الأجواز والآفاق ، وأنغام « شتروس » تتخلل دمي فترقرقه مزاجاً صافياً ، وتلمس روحي فتطلقها ترفرف في السماء ، وتخلصني من ثقلة الأرض ووكسة الغريزة ، فأتطلع إلى هناك ... إلى حيث الإنسان المرموق في آمال الوجود

وتشاء المصادفات الساخرة العجيبة أن أخرج من هذا العالم الوضيء الإشراق ، فيطرق سمعي — على غير إرادة — صوت المذياع وينقل إلىّ بعض الحشرجات البائسة التي يسمونها في مصر أغنيات جديدة !

يا للشيطان ! بل أظلم الشيطان ، فما تستطيع طبيعته أن تهبط إلى هذه المناقع والقيعان وأن تدبر لي تلك المفاجأة في هذا الأوان !

رباه !

أيمكن أن يكون واضعو هذه المنبثات والحشرجات ومستمعوها من أبناء آدم الذي نعرفه ، وأن يكون « شتروس » ومستمعوه من أبنائه كذلك في آن ؟

محال . فما تلك إلا دوّيبات وجنادب وهوام ، وأشياء أخرى مما يرتكس في المناقع والقيعان . وإلا فما كانوا يطيقون مجرد الصبر على هذا الغثاء ؛ وفي متناولهم تلك الموائد الربانية الشهية وذلك الغذاء السماوي المريء !

(حلوان) سيد قطب

بين الأدب والتاريخ

الرحلات العربية

كيف بدأت ومتى دونت ؟

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

الرحلة هي النقلة من مكان إلى آخر . وقد تكون فردية لا يحتاج الإنسان فيها إلا إلى راحلته وحمامة نفسه ومشدود رحله . وقد تكون جماعية يخرج فيها الجم الغفير من الناس لغرض من الأغراض أو باعث من البواعث

وأكثر الرحلات يأتي طوع الإرادة ووليد المشيئة من غير اضطرار ولا قسر . وبعضها يكون وليد ظروف طارئة أو مناسبات قاهرة ، تخرج المرء أو الجماعة عن الوطن الأول ، أو ترمي به بعيداً عن مراتع صباه وملاعب شبابه ، إلى وادٍ سحيق ، أو مطرح بعيد ...

ومن الرحلات ما يغير أوضاع التاريخ ويفرض على العالم نظاماً جديداً ، فيقرب بعيداً ، أو يبعد قريباً ، أو يصل بين شعب وشعب ، أو يربط بين جنس وجنس ، فتظهر لغات جديدة ، وثقافات جديدة . ومن هذا النوع رحلة القحطانيين من الجنوب إلى الشمال ؛ أو إذا شئت التدقيق من اليمن إلى الحجاز . وهي رحلة جماعية كبيرة ، وسمّها إذا شئت هجرة ، وسمّها إذا أردت انتقالاً . ولكنها على كل حال أخرجت القحطانيين من ديارهم ونشرتهم في أنحاء الجزيرة العربية وأخرجت منهم بطوناً كثيرة وقبائل كثيرة يعرفها كل من قرأ تاريخ الأدب

ولقد كانت هذه الرحلة بنت القهر ووليدة الاضطرار ، وسببها أن سيل العرم فاض وبلغ الزبى فاكتسح السدود ، ورمى بالحواجز ، وغمر الأرض ، وبُدّل السبئيون حالاً بحال ، فارتحلوا إلى الشمال — ولولا هذه الرحلة الجامعة ما قام المناذرة على حدود الفرس ، ولا استقام ملك الغسانيين على حدود بلاد الروم

ومن سوء حظ التاريخ والأدب أنه لم يهتم بهذه الرحلة واحد من المهاجرين المشتركين فيها ولم يدون أنباءها ولم يصف مشاهدها وكل ما وصل إلينا منها أنباء قليلة بعضها من مصادر دينية ، وبعضها يعتمد على الرواية والأخبار . ولو اهتم بها أحد ممن حثوا مطاياها أو شدوا رحالها لخرج لنا سفر عظيم من أسفار الرحلات الخالدة .

وبعض الرحلات أو الهجرات يكون ضرورياً لإكمال دعوة في أرض بعيدة غريبة ، واجتناب أذى في دار قريبة حبيبة ، ومن ذلك هجرة النبي محمد عليه السلام إلى المدينة بعد ما أوذي في مكة بين أهله وعشيرته مما هو مدون بالتفصيل في كتب السيرة الزكية

ولقد هاجر بعض المسلمين الأولين إلى الحبشة فراراً من الأذية ، واستجابة لدعوة الجهاد — والحبشة بلاد كانت معروفة عند العرب وكان الاتصال بينها وبين الجزيرة قائماً إلا أن الإسلام زاده ووسمه . وكان في استطاعة بعض الراحلين إليها من المسلمين أن يدونوا رحلتهم ومشاهدها ، إلا أنهم لم يفعلوا . ولعل مشاغل الجهاد ومتاعب الكفاح صرفتهم

والرحالة الذكي الفطن يستفيد دائماً من رحلته علماً وتجربة ، ويكتسب منها فوائد ، ويفتح عينيه دائماً على ما أمامه من مشاهد وما يلاقيه من معالم . فلا يدع شيئاً يمر من غير أن يقف على حقيقته ، أو يكشف عن ماهيته ، كما صنع بعض الرحالين من العرب الذين سنشير إليهم فيما بعد

وتزداد الرحلات بالطبع تبعاً لسهولة الاتصال بين المكان والمكان ؛ فإن الاتصال هو الأداة الوحيدة لاستكمال الرحلة ونجاحها . ومن هذا نفهم قلة الرحلات وندورتها في الزمن القديم

وقد كان لقريش قبل الإسلام رحلتان عظيمتان : إحداهما إلى اليمن والأخرى إلى الشام . أشار إليهما القرآن الكريم في سورة خاصة من القصار . وكانتا تتعاوران في كل عام . وكان فيهما بالطبع ما في كل رحلة من لذة ومتعة واستجمام وطرائف ومشاهد ... إلا أن ذلك كله لم يدون لمكان العرب من الأمية ومنزلتهم من البداوة ... واكتفى أعضاء هذه الرحلات — وسنسميهم رحالين تجاوزاً — بقص القصص وسرد الحديث وإطالة الأسمار كلما حطوا الرحال إلى مكان ، أو استقر بهم النوى في أي مستقر

ومن حكماء العرب وشعرائهم من جاب البلاد ، وطاف كل

مطاف ، وأسهم وأنجد ، وشرق وغرب ؛ إلا أنه لم يسجل لرحلته تاريخاً ولم يضع لها ثبتاً ، ولكنه مضى على السفر إلى غير غاية ... اللهم إلا المتاع ورياضة النفس واستجمام الخاطر . وقليل منهم من سافر للحكمة يصطادها أو معرفة يقتنصها

ولقد طوف امرؤ القيس فى الجزيرة يخرج من بنى أسد ، ومر على السموأل بن عاديا فى حصنه ، وذهب إلى اليمن ؛ وشاهد الموج يصطخب فى البحر ويتعالى لجة فوق لجة فشبه به الليل فى قوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله   على بأنواع الهموم ليبتلى

وأبعد فى الرحلات والأسفار حتى وصل إلى بلاد الروم ، ودخل أنقرة . ويقال إنه لقى قيصر وأتيح له من أسباب الرحلة ما لم يتح لغيره لغناه وشرفه ومكانه من السيادة فى قومه ، إلا أنه لم يدون هذه الرحلة فى شعر طويل أو فى نثر عريض ، ولكنه أشار إليها فى بعض قصائده

ولقد طاف أبو بصير الأعشى كذلك وأكثر من الرحلة ، وظهر لذلك بعض الأثر فى شعره ، فقال :

قد جبت ما بين بانيقيا إلى عدن
وطال فى العجم تردادى وتسيارى

وأدخل بعض ألفاظ أعجمية فى شعره تظرفاً أو تمالحاً كقوله :

وشاهدنا الجل والياسميـ   ن والمسمعات بأقصابها

إلا أنه لم يصنع أكثر مما صنع امرؤ القيس

***

وجاء الإسلام وفتح المسلمون بلاداً جديدة ، ودخلوا أرضاً كثيرة لم يدخلوها ، وصار إليهم ملك واسع يحتاج إلى سهر كثير لحفظه ، ويحتاج إلى تعب كثير لضبطه . فعرفوا الكثير عن البلاد المفتوحة ودروبها وجوادّها وجبالها وأنهارها وغلة أرضها ومتنوع ثمارها ليجمعوا الخراج على قدر ذلك وليفرضوا الأموال على نسبته . ولم تكن هذه المعرفة مبنية على علم دقيق أو بحث متين ولكنها كانت تميل إلى التقريب أكثر منها إلى التحديد

ثم كثرت الرحلات التجارية بين أجزاء المملكة الإسلامية — وهى تذكرنا برحلتى قريش فى الشتاء والصيف — إلا أن هذه كانت بين أقطار بعيدة وكانت تحمل من عروض التجارة ألواناً عديدة

ولقد ساهم الشعراء فى نوع جديد من الرحلات يلتمسون به المال ويطلبون العطاء من ممدوح يقصدونه ، أو عظيم يمدحونه ؛ فيكون ذلك الاتصال سبباً فى بروز الشعراء وتألق نجمهم . يخرج الواحد منهم من رمال البادية إلى معالم الحضر ، أو يخرج من مدينة إلى مدينة ، أو يرحل من قطر إلى قطر طلباً للجاه والشهرة ؛ ولكن واحداً منهم لم يفكر فى تدوين رحلة أو تسجيل مشاهدة ، لأنه مشغول عن ذلك كله بالحاجة التى قام إليها وركب الأسفار من أجلها ...

ولقد خرج (جرير) من بادية اليمامة إلى عاصمة الخلافة الأموية يقصد عبد الملك بن مروان ويقول لامرأته :

سأمتاح البحور فجنبينى   أذاة اللوم وانتظرى امتياحى

وخرج أبو نواس إلى مصر (راحلاً) يمدح الخصيب ويقول :

ذرينى أكثر حاسديك برحلة   إلى بلد فيه الخصيب أمير

وابن هانئ الأندلسى يخرج من الأندلس إلى شمالى أفريقية فيمدح الخليفة المعز ويرحل معه إلى مصر ويصف هذه الرحلة فى بعض شعره

وإذا كانت هذه الرحلات الفردية وكثير غيرها قد أضافت بعض الثروة إلى الأدب إلا أنها لم تكن منتجة بالنسبة للرحلات والأسفار . فهى عقيم كل العقم من هذه الناحية

ولم يبتدئ الاهتمام بالرحلات لذاتها وتدوينها فى أسفار خاصة ، وتقييد كل ملاحظات الرحالة عليها إلا فى القرن الرابع الهجرى — المقابل للعاشر الميلادى —

ومن المقدمين فى هذا الباب المسعودى صاحب (مروج الذهب) وقد أولع بالأسفار وهو صغير ، وخرج للسياحة ولم يسلخ للعشرين من عمره . ويمتاز ببعض الدقة العلمية ، وعدم التصديق لكل خرافة تذاع أو ذائعة تشيع . وعبارته فى الكتابة قوية لا تميل إلى ضعف ولا تجنح إلى ركاكة

أما البيرونى — وكان من رحالى القرن الرابع أيضاً — فقد ترك لنا كتابيه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » و « تاريخ الهند » . ويعد كتابه الثانى أوفى مرجع عن بلاد الهند وأملأ كتب الأسفار تعريفاً بها

ولقد ظهر فى هذا القرن أيضاً رحالة عظيم اختصه الأستاذ

أحمد أمين بمقال ممتع فى الجزء الثانى من فيض الخاطر . واسمه أبو عبد الله المقدسى . وكتابه الذى وضع فيه قوانين الرحالين، وقواعد السفر، وشروط من يتصدى لشد الرحال اسمه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» . وقد رأيته عند صديق المستشرق الهولندى «مستر ستربكر» ، وكان يعتمد عليه فى دراساته الجغرافية التاريخية

ويمتاز هذا الرحالة باستجماع عدة الجوّاب ، واستكمال أدواته . فقد عمل كل ما يستطاع عمله لدرس حالة البلد الذى ينزل فيه . واتصل بالملوك ، وخالط السوقة وعمل فى أشرف الأعمال ، وزاول أحقرها . وأنفق فى تأليف الرحلة وتدوينها عنتاً كثيراً ليكون كلامه عن صدق، وروايته عن تجربة، أو كما قال هو عن نفسه : [وإنما ذكرت هذا القدر ليعلم الناظر فى كتابنا أننا لم نضعه جزافاً ، ولا رتبناه مجازاً ، فكم بين من قاسى هذه الأسباب وبين من صنف كتابه فى الرفاهية ووضعه على السماع]

ومن الرحالين المشهورين ابن جبير الأندلسى وابن سعيد المغربى صاحب كتاب (المغرب) ، وياقوت الرومى صاحب المعجمين المشهورين : «معجم الأدباء» فى تراجم الرجال «ومعجم البلدان» فى جغرافية البلاد

وفضل معجم البلدان على كتب الرحالين جميعاً أنه - كاسمه - معجم مرتب ترتيباً أبجديًا لكل بلد أو مكان أو قطر مشهور أو مغمور، أو أرض عامرة أو غامرة، أو مدينة صغيرة أو كبيرة . وطالما أسعف الأديب بطلبته فى الكشف عن محلة ، أو الاهتداء إلى موضع ، أو تحقيق غوطة ، أو معرفة واد ، أو متابعة نهر فى مجراه . ويتخلل ذلك كله شعر جميل ، أو رواية واسعة ، أو قصة طريفة ، أو حادثة تاريخية ، أو ذكر يوم من أيام العرب

ولقد اعتمد عليه من أتى بعده من الرحالين فى تحقيق الأماكن ، ومعرفة المواطن . ولابن بطوطة شهرة واسعة برحلته المعروفة . وتمتاز بما فيها من ذكر الكرامات واستطراد الحكايات ، وتصديق الخرافات ... ويظهر أن صاحبها كان حسن الاعتقاد سهل التصديق . والحق أنها ليست تَسْوى من الناحية الأدبية شيئاً بالقياس إلى الناحية الجغرافية ؛ ومؤلفها من رحالى القرن الثامن الهجرى ، المقابل للرابع عشر الميلادى

ولقد سكنت ريح الرحلات حيناً فى عصور الاستبداد المظلمة لقلة الأمن وصعوبة الرحلة . ويظهر أن سلسلة الرحلات العربية كانت باعثاً لرحلات الغربيين التى تمخضت عن كشف أستراليا وجزرها . وكشف العالم الجديد الذى يبلغ عمره الآن أربعة قرون ونصف قرن

وفى مفتتح القرن التاسع عشر عاد العرب إلى نشاطهم فى الرحلات . وكان حظ مصر فى هذا المضمار عظيماً ؛ فظهر جماعة من الرحالين الذين أنتجوا كتباً قيمة فى أدب الأسفار . منهم : رفاعة بك الطهطاوى ، وعلى باشا مبارك ، وأمين باشا فكرى ، والشيخ أحمد فارس الشدياق صاحب كتاب (الواسطة فى أخبار مالطة) وهو ممتع لذيذ . ومحمد لبيب البتانونى بك صاحب (الرحلة الحجازية) و (رحلة الأندلس) وغيرهما . وأمين الريحانى زعيم الرحالين فى العصر الحديث ، وقد ماتوا جميعاً إلى رحمة الله

أما الأحياء فنذكر منهم المكتشف الرحالة أحمد حسنين باشا صاحب (فى صحراء ليبيا) ، والأمير شكيب أرسلان صاحب (الحلل السندسية) ، والأساتذة : محمد ثابت ، وجميل خانكى المحامى ، وتوفيق حبيب ، وزريه مسعد الصحافيين . أطال الله حياتهم

محمد عبد الغنى حسن

من مدهشات العلم الهندسي والصناعة الحربية

المدافع الثقيـــلة

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

لا شك فى أن مدفع برتا Berta الذى ظهر فى أواخر سنى حرب ١٤ — ١٨ من مدهشات العلم والصناعة . أراد الألمان به أن يعززوا هجومهم فى جبهة باريس بعد ما طال وقوفهم أمام استحكامات الحلفاء فى الخط الأخير فى الميدان الغربى . وهذا المدفع الضخم العظيم كان من تصميم ووضع البروفسور المهندس راوزنبرجر Rausenberger من حوالى عام ١٩٠٩ وأخرجته إلى حيز الوجود مصانع كروب فى مدينة إيسن بإقليم الرور الصناعى

واسطوانة هذا المدفع (الماسورة) من الصلب الكهربائى أى الصلب المصهور فى أفران كهربائيـة ويضاف إلى المدن المصهور السائل بعض عينات من معادن كالمنجنيز وغيره تزيد فى صلابة السبيكة وشدة مراسها ومقاومتها للضغوط العظيمة واحتمال الحرارات العالية الناتجة من انفجار وخروج المقذوفات . وتصنع كذلك بعض أجزاء المدافع الأخرى التى عليها ضغوط أو رضوض أو ارتـكازات هائلة من نفس المـدن النفيس السابق ذكره ؛ وأمر هذا المدن من اختيار خاماته إلى صهره إلى حرارته إلى إضافات معدنية أخرى إلى صبه إلى تبريده من الأسرار الصناعية التى يُحرص على تكتمها

وكان لشدة انفجاره عند بدء تجربته فى تهديد استحكامات الحلفاء دوى مفزع وقعقعة شديدة وصلصلة مصمة وصفير حاد نافذ صارخ ، أخذ كل ذلك بألباب الجنود أول الامر وأفزعهم وأزهق منهم الأنفاس ، وأدخل الارتباك فى صفوفهم والذعر بينهم ، وتناقلته الألسن بالتهويل . أما آثار التخريب الحقيقية من وقوع القذائف على الأهداف فلم تكن مما يناسب هذه الأصوات المدوية ، وإن كانت لبعد المرمى تصيب التحصينات الخلفية الأقل استعداداً . وأخذت قيادة الحلفاء بهذا الأمر على غرة فاستعدت له وأصلحت من آثار وقعه فى نفوس الجنود

ونظراً لبعد المرمى الذى يبلغ عشرات الكيلو مترات لا يمكن ضبط وتحديد الهدف ، وعدم سقوط كل قذيفة تاليـة على سابقتها . وتتعذر الرؤية ، وقد تسوء وقد تخطئ ، ولا بد من ستر المدفع وإخفاء موقعه ؛ وهو يشغل مساحة كبيرة ويعلو فى الهواء ، فأمر تعميته وتغطية العمليات العسكرية التى حوله ليست أمراً مهلاً ؛ وهى اليوم من الفنون الحربية . وهو لا يشتغل دواماً برمى قذائفه بل لا بد من راحة طويلة بعد كل سويعات ، ولا بد من راحة أطول بعد كل عملية ، إذ الحرارة الشديدة لا يتسنى تلطيفها بسرعة ، وهى تقوّس من استقامة الاسطوانة . وكذلك للتآكل المعدنى فى سطح الاسطوانة الداخلى نتيجة احتكاك وانزلاق المقذوفات وخروجها حلزونية ، وللترفيه كذلك وللتخفيف النفسانى عن الجنود القائمين بأمره

وسمى (برتا) باسم بنت أو أخت كروب الـكبرى . وانتظر الألمان من وراء استعماله مفاجأة للعدو وآثار تخريب وتمهيد نفسانى ؛ ولـكن برغم سقوط بعض القذائف فى باريس وضواحيها ، فلم يتأت لهم جنى ثمرة مغرية من غرسه . وكانوا يودون نصبه فى كاليه ليضربوا منها الساحل الإنجليزى عند دوفر عبر بحر المانش ولم يدركوا هذه الأمنية كذلك . وإذا ما علمنا أن الألمان عند أول استعمال هذا المدفع أعوزتهم بعض أمور نقص فى البناء والتصميم والتركيب والحساب والخبرة وضيق الوقت والعجلة فى الصنع وحرج الموقف الحربى ، فيمكن القول إجمالاً بأن تجربته تمخضت عن فشل فى الخارج وفى الداخل . وإذا ما قدرنا ثمن أجزاء المدفع الباهظة ومعادنه النفيسة وثمن تشغيله وتضخم النقد وما علق الألمان عليه من آمال ، أدركنا قيمة سقوط هـذا المبتدع المخرب العظيم ، وانتهت الحرب

بانتهاء سنة ١٩١٨ على الوجه الذي نعلم جميعاً

غير أن الألمان أخذوا من الفشل درساً وعبرة ، ولم تعجزهم تضييق شرائط الهدنة والصلح ، حتى ولا سقوط النقد بعد الحرب والاضطراب السياسي ، عن متابعة التحسين ومداومة الإبداع والاستحداث سراً ، فأكملوا النقص وأصلحوا الأخطاء وصححوا المعايير الحسابية والأوزان الهندسية والنظريات العلمية والتراكيب المدنية ؛ وظهر مدفع برتا الثقيل من جديد في مخابئ كاليه على الساحل الفرنسي المحتل يطل بفوهته على البحر ويرنو إلى الشاطئ الإنجليزي ، يقذف عليه الحمم ويصب النار والدمار تدله الطائرات بالاتصال اللاسلكي ، وكذلك السفن الصغيرة السريعة على مواقع الأهداف وعلى سرعة واتجاه القافلات البحرية

إلا أن الإنجليز من جانبهم كالوا للألمان صاعاً بصاع وقذيفة بقذيفة وطلقة مدوية بطلقة داوية ، فبهت الألمان وأدهشتهم المدفعية الإنجليزية الثقيلة . ولا بد من الانتظار حتى تنتهي هذه الحرب لنقول أي المحاربين كان لسلاحه أحسن استعمالاً وأدق تصويباً ، وأي مدفعية أحق بالذكر والخلود في سجل مخربات حرب ١٩٣٩

ويعقب كل طلقة تمزق في الهواء وتخلخل فيه واضطراب ، ويمتد أثر هذه الخلخلة المدمرة والضغوط الهوائية إلى وديان واسعة ، وينتشر أثرها المخرب إلى أبعاد مترامية . وعند أول استعمال هذا المدفع قضى على رجاله وطوح بهم ، فكانوا بعد ذلك يطلقونه بالاتصال الكهربائي بعد شحنه وهم محتمون بالخنادق الأرضية والغرف المحصنة . وحدث أن كان جنديان من جنود مراقبة الحلفاء واقفين على شجرة مرتفعة يرقبان حركات العدو ، أن هويا على رأسيهما من حالق إثر طلقة تمزق بعدها الهواء واندفع بقوة عاتية

ومع أن تكاليف هذا المدفع الثقيل باهظة وتشغيله يكلف الأموال الطائلة فإن أثره المخرب لا يوائم هذه المصاريف . إنما يقصد به زعزعة الروح المعنوية وانتشار الذعر والهلع والدهشة والانتفاض والإحراج والفوضى وبلبلة الأفكار والتهويل ، وهذه كلها تتطلب ثمناً ولا يقل أثرها في الحرب عن أثر التخريب والتدمير . ويقصد كذلك دك الحصون القوية وأجزاء الجيش المحصنة داخل الأسوار وتحت الأقبية . وحدث في الحرب الماضية أن وقف النفيرون الألمان أمام بعض الحصون البلجيكية التاريخية كنامور ولييج عاجزين عن سحق مقاومتها وتركوا أمر ذلك أخيراً لأعمال هذه المدافع . وحدث مثل هذا في هذه الحرب . ولما تابع الألمان زحفهم لتطويق جيوش الحلفاء في سهول الفلاندر قامت المدفعية الثقيلة في البوارج بتغطية الانسحاب وتعجيز الألمان عن اللحاق بالمنسحبين . وكانت تقع القذيفة على الدبابة الهائلة فتنثر أشلاءها وتصبحها فتاتاً . ولما قاومت فارسوفيا ورفضت التسليم طوقها الألمان بالمدافع الثقيلة فدكوا ربوعها وروعوا أهليها

ويحتاج المدفع الثقيل الواحد إلى ١٢ عربة نقل من عربات السكة الحديد ، وإلى ٥ عربات ذات بناء خاص لنقل الاسطوانة وغيرها من الأدوات الهامة ، وهو يزن ٨٨٫٧٥٠ كيلو جراماً (ثمانية وثمانون طناً وثلاثة أرباع الطن) . وتزن اسطوانته وحدها التي يبلغ قطرها الداخلي ٤٢ سنتيمتر أو ١٧ بوصة ٧٥٠٠ كيلو جرام (سبعة أطنان ونصف) . ويزن الترباس ١٣٥٠ كيلو جراماً (طناً وربع الطن) . وتزن كية الخرطوش المتفجرة ثمانين كيلو جراماً ، وهي من المفرقعات ذات القيمة العالية والضغط الهائل ؛ وتشغل غازاتها وأبخرتها إثر الاحتراق والتسامي من حالة الصلابة إلى الغازية حيزاً كبيراً جداً . ويندفع لسان اللهب بعد الطلقة ويسير عشرين متراً ، كما ترتد الاسطوانة عقب كل انفجار مائة وستين سنتيمتراً إلى الوراء رغم صدها وفرملتها باسطوانة تحوطها مليئة بالجليسرين والهواء المضغوط . وترتفع القذيفة (الدانة بالوصف العسكري) في الهواء إلى ستة آلاف متر ؛ ويحتاج المدفع الثقيل إلى ١٣٥ جندي لإدارته وتشغيله . والمدفع مصفح من الأمام بدرع متينة لحماية جنود

النيشان وضبط آلات الرصد . وتكلف الطلقة الواحدة ما يقرب من ألف جنيه . وتزن القذيفة تسمائة كيلو جرام

وتتطلب هذه المدافع أسساً قوية تتحمل الضغوط والرضوض والأثقال . فالأرضية منها تُبنى لها حصيرة من الاسمنت المسلح أو ظهر الحديد المصبوب فى قوالب . تربط هـذه القوالب بعضها وبحوطها سِياج من الحديد يضمها إلى بعضها ، وهى بهذا الوضع يمكن نقل أساساتها . أما المدافع الثقيلة فى البوارج البحرية فهى من الأعمال الهندسية الجبارة . وتحمل بعض وحدات الأسطول الإنجليزى من هـذه المدافع ما سعة قطر فوهته ١٤ بوصة من الداخل . وهى مُثبتة على ظهور السفن ذات السطوح المدرعة ، وروعى فيها الإقلال من الوزن قدر المستطاع لضمان حرية فى التوجيه والدوران أكبر ، وزوايا الارتفاع والانخفاض

وما دمنا قد ذكرنا بعض ما قامت به المدافع الثقيلة الأرضية من أعمال فى هـذه الحرب فلنعرض كذلك لبعض ما قامت به المدافع البحرية الثقيلة ولننوه بعملها الشاق ليل نهار فى الانسحاب الناجح من أوربا بعد تسليم الجيش البلجيكى ولندلل على البسالة فى بحار الشمال قبالة الساحل النرويجى . كما برهنت الدفعية البحرية الثقيلة فى الأسطول الإنجليزى على تقاليد عظيمة وهندسة عالية وفن راق فى مياه البلطيق والبِلت والاسكاجراك وفى البحر الأبيض مواجهة الساحل الليبي وفى البحر الأدرياتيكى مكنت لهندستها وصيتها ذيوعاً وإحقاقاً من ضرب العدو الإيطالى فى عقر بحره وفى وهران ودكار . وبعض أعمال البطولة البحرية والرماية الدفعية أكدتها رولبندى وجارفس بى وكوزاك وأشيل وأجاكس وسدنى . والدفعية الساحلية الثقيلة فى جبل طارق ودكار وكاليه ودوفر وهى كلها آيات ناطقة بالمكنة الهندسية والمقدرة الصناعية والعقل الإنسانى وصفحات عظيمة فى التاريخ الهندسى فى الجزء الخاص بالحرب

عبد اللطيف حسن الشامى

في مهرجان التاج

فاروق...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

فلكٌ يحبك في الشواطئ دائرٌ   أملُ الحياة به عتيٌّ هادرُ...
رقصت له الأيامُ وازدحمت على   كفّيه من سحر الخلود بشائرُ
وتنفّس الوادي به، فكأنه   نغمٌ من الفجر المهلّل طائرُ
فإذا رأيت النيل قلت متوَّجٌ   الدهرُ صولجُهُ القويُّ القاهرُ!
وإذا رأيت الحقل قلت قصيدةٌ   خضراءُ وقّعها الربيعُ الساحرُ
وإذا رأيت الطير قلت ملائكٌ   للحبّ في فمها نشيدٌ طاهرُ!
وإذا رأيت الناس خلت بهم هوًى   مما يحمّله المشوقُ الساهرُ
مُهجٌ يرفُّ بها سناك كأنها   ظمأى يدفّ إليه نبعٌ زاخرُ
ودعاءُ ألسنةٍ يكاد لطُهره   ترفضّ منه على الوجود مجامرُ
ويكاد ينقله إلى شفة الرُّبى   ويعيد نغمته الحمامُ الذاكرُ
وأكاد في موج الضفاف أرى له   رجعًا يردّده الرشاشُ الثائرُ
وأكاد أسمعه جنينًا لم تذع   أصداءَ نجيته إليك سرائرُ
أنا مُرعِش الأسرار في كبِد الدجى   والليلُ عرّافُ الظلام مُحاذرُ
شعرًا هو الدمُ لو لمستَ خياله   في الروح أحرقني الهدوءُ الساعرُ
أرسلت في فاروق آية حبّه   إعجازُ فنٍّ وحيُه يتواترُ
إن لم أذع للنجم سرَّ جلاله   حتى يهيم به الشعاعُ الطائرُ
إن لم أرق لعلاه أحلامَ الضحى   حتى أرى الدنيا به تتسامرُ
إن لم يطر نغمي إليه على رُؤًى   بيضاءَ يحملها الصباحُ العاطرُ
إن لم أر الأفلاك تصغي لمزهري   وأنا أغنّي التاج ما أنا شاعرُ!
فاروق يا حادي العظائم في حِمًى   بك نجمُهُ فوق العوالم سائرُ
في ضجّة الأيام والدنيا غدت   بُركانَ هولٍ نارُهُ تتطايرُ
والحربُ عاجلت القيامة يومَها   فمشت بها بين العبيد تُقامرُ
نقلت جهنّم للشعوب وإنما   حمل الخطيئة في أطاهِ الطاهرُ
إن حلّ جارحُها بأرضٍ أصبحت   وبها القصورُ الشاهقاتُ مقابرُ
نشرت خريف الموت في ساحاتها   فجماجمُ الهلكى بهنّ أزاهرُ
ذبحت أمانيها على راحاتها   فغدا المؤمِّلُ في هواها خاسرُ
وغدا بها سيّين في لهب الردى   ذو رحمةٍ تخشى السماءُ وجائرُ
لا ترنو للزيتون ذكرًا عندها   تحديدُها بالسلم جانٍ كافرُ
دفنت شرائعها فضلّل دهرها   في غيهب الطغيان شرعٌ جائرُ
في ليلها الداجي ودون قتامه   خطو الرياح الهوج خطوٌ عاثرُ
سطعت بك الأوطان شرقَ السنا   فجرُ البشائر من يمينك سافرُ
نشرت خطاك بها سكينة مؤمنٍ   يحدوه بطشٌ للعزيمة قادرُ!
أنّى مشيت بدت بركبك آيةٌ   ليست لها في المالكين نظائرُ
حبٌّ مداه إلى القداسة ينتهي   لو كان للحبّ المقدّس آخرُ!
إذ كان شعبٌ في ظلالك سابحٌ   يا طالما أغفى وطرفك ساهرُ!
أولست آسي جرحه من بعدما   شُقّت بنار الخلف منه مرائرُ؟
أولست جامع شمله من بعدما   أرداه في لهب الشقاق تنافرُ؟
أولست باعث جيله من رقدةٍ   بوقُ النشور لها أنينٌ عابرُ؟
أولست قائده لعصرٍ أبيضٍ   آياتُ مُلكك في سماه منائرُ
أولست فجر البائسين بشطّه   وزمانهم كالليل داجٍ عاكرُ
أولست من ماضيه بعثًا أوشكت   أيامُ «فرعونٍ» به تتفاخرُ
أولست للشرق المجرّح بلسمًا   يا طالما بنداه قرّ الثائرُ؟
يا أيها الأمل الفتيّ لأمّةٍ   كادت يشيّبها الشبابُ السادرُ
قدها إلى الجوزاء أنت شبابها   ومعين حكمتها الدفيقُ الزاخرُ
واسبح بها فوق النجوم فطرفها   أبدَ الحياة بنور عرشك ناظرُ
قالوا: وعيدُ التاج! قلت: تميمةٌ   للنيل تنشدها رُبًى ومخاضرُ
إن هزّت الأوتارُ فيه غناءها   وترنّمت للشعب فيه قياثرُ
فأنا بقلبي جدولٌ متدفّقٌ   بالشدو مشبوبُ الأغاني ثائرُ
اللهُ ظلّله، وكرّم شدوه   تاجٌ رعته من السماء مقادرُ

محمود حسن إسماعيل



من وراء المنظار

آدمى ... !!

كان يوم رأيته آخر مرة فى الحقل يبدو مصفاراً مضعوفاً لم تبق العلة فى وجهه غير أثر ضئيل مما كان يترقرق فيه من نضرة العافية ، ولم يدع السقم فى بدنه إلا بقية طفيفة مما كان يكمن فيه من فتوة الشباب ؛ وكان يجيل الفأس فى حركة أشبه بحركة الآلة البخارية نفد وقودها أو كاد فبدت كأنما أوهنها طول العمل

وألح عليه الداء فلم يبرح داره أياماً ؛ وساورتنى رغبة قوية أن أذهب لأعوده ، ولم أكن أعرف موضع بيته من القرية فاستصحبت من يدلنى عليه

مشيت دقيقتين أو ثلاثاً فيما يسمى فى القرية شارع « دائر الناحية » . ثم قادنى صاحبى إلى حارة لا يزيد اتساعها على ثلاثة أمتار أخذت تلتوى ، فأنعطف تارة نحو اليمين وطوراً صوب اليسار وأنا أمر على الجانبين بهاتيك المبانى المتلاصقة التى تتشابه فى كل شىء ، فى صغر منافذها وقلتها ، وفى حجم أبوابها ووضاعة مظهرها ، ثم فى هذه الأقراص الجافة المتخذة من روث الماشية والمرصوصة فوق هاماتها كأنها الأكاليل !

ولم أكن دخلت من قبل داراً من هاتيك الدور البائسة ، ولم أر إحداها من الداخل إلا بالنظرة العابرة حين أمر بباب مفتوح من تلك الأبواب القبيحة التى تزين صدر كل منها ضبة أشد قبحاً منه

ووجدتنى فى فناء دار ذلك المريض الذى جئت لأعوده ، وهو فناء لا يزيد اتساعه كثيراً على ثلاثة أمتار فى مثلها ، فى ناحية منه مصطبة عليها جرة من تلك الجرار التى يحمل فيها الماء من الترعة ؛ وإلى جانب المصطبة موقد من الطين أحسب أنه لم توقد فيه نار من زمن طويل فلا أثر للرماد فيه ؛ وفى ناحية أخرى من الفناء وقفت جاموسة عجفاء هى أثمن ما فى الدار من متاع ، بل هى أصل ما فى الدار من متاع ، وعليها وحدها يتوقف ما فيها من معيشة . وكانت أرض الفناء إلا مساحة قليلة مبللة بالماء الذى ينساب إليها من فوق المصطبة حيناً ومن تحت الجاموسة أحياناً !

ودهشت زوجة المريض أن رأتنا وأخذتها ربكة حتى ما تجد كلاماً تقوله ، وبدت الدهشة فى عينيها وفى وجهها وفى ارتعاش أطرافها وتعثر خطواتها وهى تشير إلى القاعة التى يرقد فيها زوجها ... وما كنا لنخطى تلك القاعة لو لم تدلنا عليها ، فلم يك أمامنا غير باب تحكم إغلاقه ضبة عتيقة ، وآخر انفرج قليلاً ؛ وليس مما يجوز فى العقل أن تلك الضبة العتيقة ، تغلق الباب دون المريض ، فليس إلى حبسه سبب ظاهر أو خفى فيما نعلم ...

وأسرعت المرأة أمامنا فدخلت قاعة المريض تخبره بمجيئنا . وتألمت إذ أدركت أنه سيحاول القيام ، فأسرعت فى إثرها لأقسم عليه ألا يفعل ؛ ودخلت ولكنى لم أره أول الأمر ، فالقاعة مظلمة لا يدخلها نور النهار إلا من كوة صغيرة قرب السقف

وسمعت صوتاً يئن ويقول فى إعياء وجهود بالغين : « كتر خيرك يا سيدى ... الحمد لله ... الله يخليك يارب ولا يريك اللى أنا فيه »

وحركت نبرات ذلك الصوت نفسى من أعماقها ، وخيل إلىَّ أنى داخل قبر أستمع إلى صوت آدمى عادت إليه الحياة منذ لحظة ، فهو لطول عهده بالصمت لا يستطيع إخراج الألفاظ إلا فى عسر شديد ... وكاد ينقلب الخيال يقينى ، فرحت أستمع إلى ذلك الأنين المؤلم ، وفى وهمى أنه يخلص إلى من تحت الأرض

ولكنى رأيت الرجل حينما اعتادت النظر فى الظلمة عيناى فسألته عما به ؛ فأشار إلى فخذه واسترسل فى أنينه . وقالت امرأته وهى تحبس دمعها : « بعيد عنك ، طالع له طلوع فى فخذه وجسمه سخن زى النار »

ونظرت فرأيت الرجل ممدداً على التراب ، فليس تحت جسده فرش ما ولا تحت رأسه وسادة اللهم إلا خرقة قديمة كورتها له امرأته . وعاد الخيال يغرينى أنه ميت بعث ، وأنه برز من جوف الأرض ، حتى لقد توهمت أنى أرى خضرة الكفن فيما تهدل على جسده الهزيل من ثياب !

ونظرت حولى فى القاعة ، فلم أجد غير بعض الحبال ومنجل وفأس فى زاوية ، فوثبت إلى ذهنى صورة أخرى من صور الموت فقد كان آباؤنا الأقدمون يضعون مع الميت فى قبره متاع دنياه !

وخرجت أستدعى الطبيب وخلفى زوجة المريض تقول فى نبرات حزينة : « حصلت البركة ، مستعجل ليه يا سيدى ، خليك نذبح لك خروف »

أيها التعساء البائسون ! إن بهائم سادتكم الذين يسخرون مثلكم فى فلاحة الأرض لأسعد حالاً منكم ، ومع ذلك فأنتم آدميون كما أنهم آدميون !

الخفيف

مختارات من مراثي مسعود

من قصيدة الأستاذ محمد مصطفى الماحى :

مسعودُ يا علم الفصحى ومنجدها ... ومرسل النور في أيامها الجُون
ويا مجيل اليراع العفِّ في صحف ... برئن من غمزات المطمح الدون
وكم عكفت على بحث كشفت به ... ما حير الناس من سر الدهاقين
إذا تغشت صحيح الرأي غاشيةٌ ... جليتها برهيف الحد مسنون
وإن تكشَّف عن رعناء جائرة ... خصم تكشفت عن حق وعن لين
ما العلم مجداً إذا لم يحمه خلق ... ولا الإخاء على حقد بمضمون
فارقت دنيا تبدت في مفاتنها ... لكل غِرٍ هواه القلب مفتون
لا الخل فيها بموفٍ في مواثقه ... ولا الصديق على سر بمأمون
بغى القوى وكم للبغي من صور ... ذاق الضعيف بها شتى الأفانين
وأصبح الناس فوضى لا منار لهم ... ولا مدبر من عقل ومن دين
وأطبق الشر حتى عاد أحزَمهم ... يمضى برأى من الأهواء مأفون
لا يؤمنون وإن لانت قناتهمُ ... وكيف تؤمن غرات الشياطين
فمن مُداج رمى عن قوسه عجباً ... من النقيضين: تمكين وتوهين
ومستبد رمى الدنيا بآبدة ... كأنما هي أفواه البراكين
في لمحة الطرف أمسى أهلها سيراً ... ما بين محترق منهم ومطعون
فبات ظاهر ما فوق التراب صدى ... لكل ناء من الماضين مدفون
وبات باطن ما تحت التراب حمى ... يأوي إلى غوره شم العرانين !
لم ينج في سبح الأفلاك معتصم ... من البلاء ولا في مسبح النون
ويل الحضارة باتت لا تطالعنا ... إلا بفن إلى الآثام مقرون
ومرحباً بالوحوش الضاريات ففي ... جوارهن أمان غير موهون
هل غاية العلم أن تشقى النفوس به ... وأن تسام عذابَ الخسف والهون
وأن يعيش ذووه عيشة نكدا ... طاوين ما بين محروم ومسجون
فاهنأ بتركك داراً لا قرار لها ... ما كان تاركها يوماً بمغبون

ومن قصيدة الأستاذ محمد الأسمر :

أمسعود خانتنيَ القافيات ... وحبل القوافي لديَّ اضطرب
وماذا تقول بحورُ القصيد ... وطوفان قولك شيء عجب
يعب ففي الصحف من موجه ... على كل أرض وبحرٍ لجب
كتابة مطَّلع قادر ... دءوب وليس يمل الدأب
خبير بأبحاثه صادق ... تراه مع الحق أنى ذهب
وكم كاتب لا يعي ما يقول ... وآخر لا يتحاشى الكذب
وكم كاتب ليس همٌّ له ... سوى أن يقال فلان كتب
وكم كاتب همه كسبه ... ولو كسب العار فيما كسب
يُرى أبداً مُسْرَجًا مُلْجماً ... رهين الإشارة ، تحت الطلب
فيا ضيعة الحق بين العبيد : ... عبيد الهوى ، وعبيد الذهب

ومن قصيدة الأستاذ حسين شفيق المصري :

أمسعود هات تحدث إلينا ... فإن لك السَّمر المشتهى
تحدث إلينا عن العادلين ... من المالكين وعمن بغى
فعندك أخبارهم كيف كانوا ... ومَن للضلال ومن الهدى
تحدث إلينا بهم في العصور ... وعد في الحديث بنا القهقرى
إلى عهد مينا الذي كان أو ... ل من عرف الناسُ ممن علا
أرى الناس من قبل مينا توالت ... عليهم دهور وطال المدى
وما جهلنا بقُدامى الأناسىّ ... جاعلُهم يذهبون سدى
أما كان في الأرض مُلْكٌ كبير ... يدين لملكٍ شديد القوى
بلى كان فيها ممالك بادت ... وباد الذي ملكت وانمحى
فزالت مساكنهم والقبور ... وآثارهم ، كزوال الرؤى
وما الدهر إلا سحاب تمر ... فعهد يجيء وعهد مضى
ومن تلد الأرض تأكله إما ... شواء، وغًى أو قديدَ ضنى
أما في ظلال السلام الردى ... كما هو تحت قتام الوغى
رويد الجحافل فيم القتال ... وفي اللهو قتل لهذا الورى
وهذا الغرور إذا ران يوماً ... على مبصر فالنهار دجى
وليس بعينيه ما يُشتكى ... ولكن عمى القلب شر العمى
ومن يغترر يحسب الناس عبدا ... نه وقديماً أتيلا طغى
وكان هلاكو ظلوماً جهولاً ... ونيرون كان يبيد القرى
وكانت جيوش تلاقى جيوشاً ... بضرب يذيب غلاظ الكلى
فمات الكميُّ وملقى السلاح ... وجاء الفناء على ذا وذا
فلم يبق مستضعف مستكين ... يخال الحضيض له مرتقى
ولم يبق ذو مرة مُستبِدٌ ... يدوس بنعليه هام العلى
ولولا الردى في صروف الحروب ... لكان الردى في صنوف المنى



علاقة الكهرب بالأثير

للأستاذ حسين عباس قائدبيه

ما هى علاقة الكهرب بالأثير ؟

أهى مباشرة أم غير مباشرة ؟ وهل يمكن وجود أحدهما بدون الآخر ؟

وهل يوجد مصدر لحركة هذه الكهارب ؟

هذه أسئلة لا بد أن تعترض الباحث فى هذا الموضوع الغامض ؛ ويمكن الجواب عنها كما يلى :

نحن نعلم أن الكهرب يسير فى فلكه حول النواة بانتظام ، كما تسير الأرض حول الشمس لحفظ كيانها ، وإذا غادر هذا الكهرب مركزه لسبب ما من الأسباب اختلّ توازن الذرة .

ونعلم أيضاً أن الأمواج الكهرطيسية لا تنتشر فى الفضاء إن لم تقذفها الكهارب ؛ وأشعة الراديوم الخارقة ليست سوى فيالق من الكهارب المنطلقة من ذراته .

فإذا انطلقت الكهارب من أفلاكها ، أحدثت ارتجاجاً أو تموجاً فى الأثير . ومن الثابت أنه لا يمكن إحداث تموجات ضوئية فى الأثير بدون انفصال الكهارب وانطلاقها من مراكزها

والارتجاج الذى يحدث فى الأثير من انطلاق الكهارب من مراكزها ، حالة من حالات الأثير غير الاعتيادية ، كما أن انطلاق الكهارب من مراكزها ، حركة من حركات الكهارب غير الاعتيادية ؛ فعند ما تكون الكهارب فى حالتها الاعتيادية سائرة فى أفلاكها بحركتها الدائمة المنتظمة حول النواة ، يكون الأثير فى حالته الاعتيادية المنتظمة

ومن الثابت أن الكهارب تدور حول النواة باستمرار وانتظام ، وأن الفراغ الموجود بين الكهارب والنواة ، يشبه الفراغ الموجود بين الأرض والشمس ؛ كما أن الأرض تدور حول الشمس بقوة جاذبية الشمس ، والفراغ الموجود بين الأرض والشمس تدل عليه بالأثير

إذن يمكن الاعتقاد بأن حركة الكهارب حول النواة ليس لها علاقة مباشرة بجاذبية الأرض والشمس ؛ وإنما هى نظام خاص محصور بالمادة ؛ ولكن الفراغ الموجود بين الكهارب والنواة يشبه إلى حد ما الفراغ الموجود بين الأرض والشمس

وعليه يمكن القول بأن الأثير الذى يشغل فراغ الكون ، هو نفس الأثير الذى يشغل فراغ المادة ، ونحن إذ نلمس المادة إنما نلمس الأثير ، لأنه يملأ كل فراغ ، وكل المسافات بين أجزاء المادة ، إذن فالأثير هو شىء فى كل شىء : أو ليست السيارات والشموس والنجوم نقاطاً فى بحار الأثير

وبعد كل هذا أرى أن للكهارب صلة بالأثير ، وهذه الصلة إما مباشرة أو غير مباشرة ، وهذا الاتصال لا ندركه لأننا نجهل خواص الأثير وفعله ، ولكن نعلم أنه الرابط بين دقائق وأجزاء المادة . ومن صفات الأثير أنه لا يرى ولا يلمس ولا يسمع ولا يشم ولا يتحول ولا ينحل ، لا تؤثر فيه الحرارة ولا البرودة ، شديد الصلابة كثير الليونة ، تتحرك فيه المادة بدون مقاومة وبسهولة مطلقة . هذا كل ما يعرف وما يظهر من صفات الأثير

فإذا كانت حواسنا لا تدرك الأثير ، ألا يمكن أن ندركه بالواسطة ؟ ولكن ما هى الواسطة التى تمكننا من الاطلاع على أسرار الأثير المحتجبة وراءها أسرار الكون بما فيه سر الحياة الغامض ؟ ! ويمكننى الإجابة عن هذا السؤال ببساطة : ربما كان الكهرب !

أقول ربما كان الكهرب أو ما يتفرع من الكهرب ، لأن العلم لم يجزم بأن الكهرب هو نهاية الصغر فى تركيب المادة ، ولا يحق له أن ينفى وجود دقيقة أخرى أصغر من الكهرب لها تأثير ما على حركته فى كيانه أو خارجاً عنه ، لأن النفى أصعب من الإثبات ، وسواء أكان هناك دقيقة أصغر منه أم لم يكن ، فلا بد من وجود صلة بين الكهرب والأثير

فالكهرب سبب كل حركة فى الكون ، واستمرار حركته

يرجع إلى الأثير ؛ وهو الذى سيكون المعتمد فى الكشف عن أسرار الأثير

الكهرب لا علاقة له بالوقت (أنا أقصد الوقت الذى نعرفه نحن سكان الكرة الأرضية) ، لأن بإمكانه الانطلاق بسرعة النور تقريباً : — سرعة دوران الكهارب تختلف باختلاف الذرة المرافقة لها ، فذرة الإيدروجين مثلاً أصغر وأخف من جميع ذرات العناصر الاثنين والتسعين المعروفة ، وسرعة الكهرب الذى يدور حول نواة ذرة الإيدروجين تبلغ ٢١٠٠ كيلومتر فى الثانية ، بينما سرعة الكهرب الذى يدور حول نواة ذرة الأورانيوم تبلغ ١٩٠ ألف كيلومتر فى الثانية . ومهما كانت ظروف الكهارب مناسبة فقد لا تتجاوز سرعتها الـ ٢٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية أى ما يعادل ثلثى سرعة النور

وحسب نظرية النسبية العامة « لاينشتين » — التى اعتقد بصحتها — فإن كل جسم يسير بهذه السرعة — أى سرعة النور أو ما يقاربها — يعتبر الوقت لهذا الجسم صفراً

وعليه يمكن القول بأن القرون والدهور فى عرفنا ليست إزاء الكهرب سوى لحظة . نحن نستعمل الأوقات والقياسات حسب المكان والزمان الذى يحيط بنا والذى تدركه حواسنا ، وبالنسبة إلى السرعة التى نسير بها فى الفضاء وهى ١٨ ميلاً فى الثانية ، فما هى نسبة الأوقات والقياسات المستعملة لمن يسير بسرعة النور؟

نحن لنا حواس خمس ، أيمكن بهذه الحواس الخمس أن نصل إلى أعماق أسرار الكون ؟ وهل يقتضى للمعرفة الشاملة خمس حواس فقط ؟ وهل هناك ما لا يمكن إدراكه بهذه الحواس الخمس ؟

فى الأثير أسرار عظيمة محجوبة ، وهو القابض على زمام الحركة فى الكون ، وفى عبابه سر الأسرار الذى يتطلع إليه الإنسان بلهفة وحسرة ، وهو كمن عرف مقر الكنز الثمين ، ولكنه يجهل كلمة السر التى يفتح بها الكنز ؛ فمن يا ترى سيحمل إلى العالم كلمة السر هذه ؟

إذا نفحنا الدهر برسول يحمل إلى العالم كلمة السر التى يفتح بها كنز الأسرار ، فعند ذلك الرسول سيكون الجواب الفصل .

نحن نقول إن الأرض مضى على وجودها ملايين السنين ، ولكن الكهرب ينكر علينا هذا القول . أليس من المدهش أن نثبت بالبرهان حسب التواريخ والآثار أنه مضى على وجودنا على الأرض ألوف ومئات الألوف من السنين ، ثم يأتى الكهرب فينكر علينا هذه الحقيقة ! أو ليس من العجب العجاب أن نسمع الكهرب يقول — لو كان للكهرب لسان — بأننا خلقنا الآن !

لا شك بأنه شاهد سيارات غير هذه التى نعرفها وقد اندثرت وربما شيدت هذه السيارات التى نعرفها من بقايا تلك ؛ والساعة التى تنتقل فيها هذه الكرة الأرضية من حالة إلى حالة يراها الكهرب كما نشاهد نحن الرؤيا

هو يسير منذ الأزل ويقطع فيافى الأزمان والدهور ، وسيبقى إلى الأبد يتخطى رحاب الكون فى حركته الدائمة وسرعته التى لا يحصرها الوقت ، يقع على هذا النجم ويصطدم بذاك ، ويعمر الآخر ، ويدمر الذى بعده ليحمل منه مذنبات ونيازك يبثها إلى العوالم الأخرى ، ليدل على وجوده ودوام حركته السرمدية

« عين عنوب — لبنان » حسين عباس قاسم



الملاح التائه

وأخيراً عاد (الملاح التائه) إلى مرفإه الأول يتزود من روح خالقه ويزداد. عاد وهو ينشد دعاء سيده الشاعر لحبيبه الهاجر:

فاجعل البحر أماناً حوله   واملأ السهل سلاماً واليفاعا
وقُد الفُلك إلى بر الرضى   وانشر الحب على الفُلك شِراعا

ولله ما لقي الملاح التائه تحت الشراع المضطرب على ثبج البحر الهائج من تصاوير الشر وتهاويل الموت! كان زورقه الفضي الراقص ينساب بين الغواصات والمدمرات والبوارج كما تنساب عروس الماء بين عمالقة التماسيح والتنانين في نهر العَدم. كان نشيده في وسط الزعازع كصوت السلام في وغى الحرب. وكلمة السلام لا تبيد ولا تخفت لأنها من الحق وإلى الأبد. وهي على كل حال وفي كل وقت حجة في فم الطاغية الفاتك يبرر بها الحرب الضروس، كما يحلل الذابح بذكر الله الدم المسفوح!

ليس (الملاح التائه) قصائد أجراها على طه على بحور الخليل؛ وإنما هو نبضات قلب، وخلجات نفس، ولفتات ذهن، صاغها للفنان الموهوب أناشيد يرددها المجهودون والمعمودون ومن شق عليهم أن يبصروا ومضات المنار على خِضم الحياة

صاغها أناشيد يتسع الخيال فيها اتساع اللانهاية، ويعمق الفكر فيها عمق الأزل، ثم نمنمها ألفاظ مونقة متخيرة كزهرات الطاقة المفوّفة نسقتها يد عاشقة شاعرة

كان ديوان (الملاح التائه[1]) يوم ظهر في طبعته الأولى حادثاً أدبياً استفاض حوله الحديث، واستطال به الشعر، وانتعش على حسابه النقد. ومن النادر أن نال شاعر ما نال على طه من تقدير أعيان الأدب وتكريم أقطاب الصحافة. ذلك لأن على طه شاعر بالمعنى الأخص الذي تريده السليقة والصنعة من لفظ الشعر. واليوم يظهر في طبعته الثانية على فترة يسيرة من ظهور شقيقه (ليالي الملاح التائه) فيضخُم ويعظُم بالديوانين ديوان الألحان في موسيقى الشعر الحديث.

الزيات

مسابقة القصة

ذكرنا من قبل ما علمناه عن المسابقة القصصية التي تعتزمها وزارة المعارف. ونزيد اليوم أن معالي الوزير قد أصدر قراراً وزارياً بذلك؛ وهذا نصه:

تحتاج وزارة المعارف إلى قصة مصرية في نحو مائتين وخمسين أو ثلثمائة صفحة يكون موضوعها مصرياً من أحداث التاريخ الماضية أو وقائع الحياة المصرية، وأن تكون في مستوى المثقف المتوسط صالحة بذلك لأن يقرأها تلاميذ المدارس الثانوية وتلميذاتها داخل المدرسة وخارجها، وأن تكون خالية مما ينبغي أن يتصون عنه الشبان والشابات، وأن تكون في لغة سهلة بأسلوب عربي صحيح تستسيغه جمهرة المثقفين، وبألفاظ واضحة لا يحتاج قارئها إلى معجم. وتترك لغة الحوار فيها إلى ذوق الكاتب وحسن مسلكه

وستمنح الوزارة للفائز الأول جائزة قدرها مائة جنيه، وللفائز الثاني ٧٥ جنيهاً، وللثالث خمسين جنيهاً. وإذا تبين للوزارة صلاحية القصة لأن تقرر في المدارس المطالعة فهي مستعدة لشراء حق تأليفها وفق القواعد المرعية

في تأبين محمد مسعود بك

كان حفلاً أدبياً رائعاً حفلُ تأبين المغفور له الأستاذ محمد مسعود بحديقة الأزبكية مساء الأربعاء ٣٠ أبريل، سمعنا فيه من غرر المنظوم والمنثور، ما للفقيد به جدير.

واسمحوا لي أن أسجل هنا ظاهرتين غريبتين لفتتا نظري في هذا الحفل.

الأولى أن أكثر ما سمعناه من الشعر — على جودته — كان أميل إلى الصنعة والتقليد، فيه من التشبه بالقدماء أو المحدثين الشيء الكثير. فقصيدة الأستاذ حسين شفيق المصري هي مقصورة ابن دُرَيد المشهورة بمعانيَ وألفاظاً وقوافيَ، وقصيدة

(١) «الملاح التائه» يشبه «ليالي الملاح التائه» في الطبع والورق والغلاف. فاكتفت إحدى الزميلات بهذه النظرة الخادمة فلم تقرأ العنوان وقرظت الملاح التائه على أنه ليالي الملاح التائه!

الأستاذ الأسمر هي هي (وحقك أنت المنى والطلب) قافية وبحراً بل ... ولفظاً . يحضرني منها :

وماذا تقول بحور القريض وطوفان بحرك شيء عَجَب

أو نحوٌ من ذلك .

أما قصيدة الأستاذ الساحي فلعلها القصيدة التي انفردت بالطبع وقلة الصنعة ، ويلوح لي أنها وليدة نفس فجعها المصاب أكثر مما فجع غيرها

هذا وإن لدى ميزاناً قلما يخطئ في نقد الشعر كان عمدتي في هذا الحكم . أما هذا الميزان فهو أني أقرأ الأبيات الثلاثة أو الأربعة بإمعان ثم أنكس الصحيفة وأمتحن ذاكرتي ، فكل بيت يحضرني فهو — عندي — جيد وإلا فلا

ولقد انصرفت من هذا الحفل وفي خيالي صدى يتجاوب لأبيات من قصيدة الساحي منها :

لم أنس قولك في حفلٍ سمعتَ به

شعري وقد كنت تطريه وتطربني

أجدْت صوغ المراثي في أحبتنا فهل تراك إذا ما مت ترثيني ؟

لبيك مسعود ... ... الخ

ألا ترى الصدق والطبع في هذا الشعر على بساطته ؟

أما الظاهرة الأخرى ففي كلمة الأستاذ كامل كيلاني ؛ ولا أدري إن كان غيري تنبه لها

ذلك أنه وقف فقال أول ما قال : « لقد ألم الذين سبقوني من الخطباء بما كنت أريد أن أقول ، ولم يبق إلا الذي لم أكن أريد أن أقول ، وهو ما سأقوله الآن » . ثم إن الأستاذ أخرج أوراقاً وأخذ يتلو منها رثاءه وذكرياته عن محمد مسعود ؛ ومضى يتلو من هذه الأوراق فصولاً من (رسالة الغفران) لشيخ المعرة ليدلل على أن مسعوداً لن يفوته الاشتغال بالتأليف والتصنيف في قبره

فليت شعري . . . هل أوحى الله إلى كامل كيلاني بما لن يقوله الخطباء فأعده ليلقيه من أوراقه ... ؟ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ؟

« حدائق القبة »

محمد محمد رضوان

المدرس بالمدرسة التوفيقية

زناني :

في العدد (٤٠٩) من « الرسالة » الغراء مقال للدكتور زكي مبارك ذكر فيه : « الشاعر المصري المجهول الشيخ أحمد زناني » ، « الشاعر الذي جهله المصريون وعرفه العراقيون »

فليأذن لي حضرة الدكتور أن أنبهه على أن الشاعر الذي يعنيه هو الشيخ عثمان زناني الذي درس في الأزهر ، وسلخ وقتاً غير قصير من حياته مدرساً للغة العربية بالمدرسة الحربية ، ولا يزال كثير من أصفيائه يتحدثون بمناقبه ، ويروُون شعره ، ويتمثّلون به

وكان رحمه الله بين الفئة الممتازة من شعرائنا الذين ازدانت بهم أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن

ولم يبالغ الشيخ محمد المهدي في أن عدّه (الشاعر الثاني بعد شوقي) ؛ فقد رُويت لي منذ حقبة طويلة بعض قصائده ومقطوعاته ، فأحسست من الرصانة والجزالة شيئاً كثير الشبه بشعر المتنبي والبحتري وأبي تمام . وليتني كنت قد دوّنت إذ ذاك ما سمعت ؛ فإني والله لشديد الأسف على أن أفلتت مني هذه الفرصة . على أني عظيم الرجاء أن يُتاح لأنجاله (وهم - على ما بلغني - من صفوة المثقفين) أن ينشروا هذا التراث ، حتى يضيفوا إلى ثروتنا الشعرية - في تلك الحقبة من تاريخ الأدب - فناً ممتازاً

أما الشيخ أحمد زناني بك فأخو شاعرنا ؛ وكان (أحد أساتذة اللغة العربية) ، كما قال الدكتور ، وتخرج في دار العلوم لنحو خمس وأربعين سنة خلت . فالتحق بخدمة سمو الخديو عباس حلمي ، فعينه ناظراً لمدرسة « القبة » التي أنشأها على غرار المدارس الأولية الآن ، ليتعلم بها بعض أطفال الطبقة الراقية في ذلك الحي . وكأني أذكر أن سمو الأمير محمد عبد المنعم تعلم بها فترة غير طويلة

وكان أحمد زناني بك — إلى هنا — من ذوي المكانة والحظوة عند سمو الخديو ، يشاوره ويجالسه ، ويصحبه في رحلاته الصيفية إلى الآستانة وأوربا

ثم ألقى عصا التسيار في المرحلة الأخيرة من حياته العلمية

وزارة المعارف ، فعمل فى التفتيش ، وتوفى سنة ١٩٢٩ قبل أن يحال إلى المعاش ، وتوفى الشيخ عثمان بعده بنحو خمس سنوات ، على ما أخبرت

وكان الشيخ أحمد زناتى بك من دماثة الأخلاق وحميد الخلال بالمنزلة السامية ؛ كما كان مضرب المثل فى جمال البزة وطلاقة المحيا . ولقد خالطته طويلاً ، فما رأيته مرة عابساً ولا مكتئباً ولا مضطرباً . وهذا نادر فى الرجال

رحم الله الأخوين الكريمين وأجزل ثوابهما .

(ا . ع)

توجيه وأمل

سيدى الأستاذ الزيات

تطالعنا فى رسالتك الغراء ببحوث ممتعة ناضجة ، تحلق فيها بفكرة سابحة جوالة ، وتصقلها بعقلك المتزن الحصيف ، ثم تُنمقها بقلم فى يدك برته لك المواهب الممتازة التى خصك به وبها حكيم عليم

وتحمل إلينا فى رسالتك فصولاً رائعة فاتنة يبعثها إلينا من طريقك أولئك العباقرة الأفذاذ ، والكتاب النابغون العلماء : تقتطفون الزهرات الفياحة من مختلف الرياض ، وتلتمسون لنا فى رحاب أفكاركم الفسيحة ما تنفسون به روح الحياة العلمية ، وتبردون غلة النفوس الصادية

لك يا أستاذنا العظيم ، ولهؤلاء الصفوة الأخيار ، من : الدكتور منصور فهمى بك ، والدكتور زكى مبارك اللبق ، والأستاذ الكبير العقاد ، ومن هم أصحاب فضل علينا وعلى الناس فى إبلاغ صوت « الرسالة » ندياً إلى الآذان من أسبوع إلى أسبوع ... لكم الإحساس المرهف والتقدير الصادق والصوت المسموع ؛ وفى أيديكم الأقلام ، وعندكم الغيرة ، وفيكم الإقدام

وقد عالجتم ولا تزالون تعالجون الكثير من نقائص المجتمع ، وبحثتم ولا تزالون تبحثون عن مواضع الداء لتطبوها بما توفر لكم من قدرة وما وهبكم الله من حكمة

غير أن شيئاً واحداً هاماً لا أذكر للرسالة نظرة فيه ، ولا عناية به ، وهو عندى وثيق الصلة بأغراض « الرسالة » ، وهدف كان ولا يزال مما يسر النفوس أن تأخذوا بالأسباب فى إصلاحه ، ذلك هو شأن الحياة الزوجية فى مصر وما أحاط بها من سوء تأصلت جذوره وتشعبت فروعه ، حتى باتت مهددة بالزهادة فيها من شباب الجيل الحاضر

أظنكم فى غير حاجة إلى ما دب فى نفوس الكثرة المتعلمة من كراهية للبناء العائلى ، حتى سرت عدوى ذلك إلى الكبار ، أو هى منهم بادئة ، وسرت إلى الصغار أخيراً

يقول الناس : إن التفكير فى هذا إنما يعنى ويتصل برجال الدين وعليهم الدعاوة له ؛ فإن يكن هذا حقاً : أفتكون الرسالة فى معزل عن الإدلاء بصوتها فى شأن يتصل أكثر الصلة بالدين ؟ ما أظن .

على أن المسألة فيما أعتقد مسألة اجتماعية ، وما تكون للدين عناية بها إلا لأنها أساس الاجتماع ؛ وأنتم فى غنى عن هذا ، بل فى تعرض له الآن تطاول عليكم ، وإنما يكون التعرض لقوم يجهلون

شجعنى على كتابة هذا إليكم وفى هذا الشأن بخصوصه أمور ثلاثة :

١ — ما نراه يتفشى من مرض العزوبة مع ما يلحقه من تلاعب فى الحياة بين الأزواج

٢ — أننى بالذات تحدثت عن هذا فى نبذة قصيرة بالإذاعة منذ أسبوعين ، فتلقيت رسائل جمة تستحثنى على الكلام كثيراً فى هذا مما يدل على أن الأسرة المصرية فى مضض وبحاجة إلى من يتعطف عليها بنظرة إصلاح

٣ — أننا قرأنا للدكتور منصور فهمى بك كلاماً غاية فى الجودة والصدق عن حالة المرأة فى مصر ، فهل له ولك أن تمدا الحديث إلى هذه الناحية قياماً بحق « الرسالة » عليكما للناس ؟ إنا لمنتظرون ، والسلام

(ع . ف)

مدرس فى كلية الشريعة

أسبوع الفنون الجميلة

كان الأسبوع الأخير من شهر إبريل الفائت أسبوع الفنون الجميلة حقاً ، فلقد تفضل مولانا الملك حفظه الله فافتتح معرض محبى الفنون الجميلة الحادى والعشرين الذى أقيم بسراى الفنون الجميلة ، وذلك فى صباح السبت ٢٦ إبريل الماضى ، ولقد دل ذلك على حب جلالة الملك للفن وعطفه على المشتغلين به ، وإن أسرة الفنون الجميلة العليا لتتقدم إلى جلالته بأسمى آيات الشكر والولاء

كما كان الأسبوع الأخير من شهر إبريل هو أيضاً أسبوع مختار الفنان المثال ، فقد أقيمت مسابقة للتصوير والنحت ، وقد تفضلت السيدة هدى هانم شعراوى فتبرعت بجوائز مسابقة النحت كما تفضل صاحب العزة محمد بك ذو الفقار فتبرع بجوائز التصوير . وقد تكرم صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا فافتتح المعرض الذى أقيم فى بهو المعرض بفندق الكونتننتال وذلك فى يوم الخميس ٢٤ من إبريل الماضى ...

مسابقة مختار وفبس

أعلن منذ أكثر من شهر عن هذه المسابقة للنحت والتصوير وكان موضوعها (عروس النيل) فتقدم الكثير من المصورين الشبان بلوحات ذات موضوعات جميلة، كما تقدم الكثير من المثالين بتماثيل فنية تبشر بنهضة فى فن النحت . وقد فاز بالجائزة الأولى فى التصوير الأستاذ عبد العزيز خالد درويش وقدرها عشرة جنيهات، وفاز بالجائزة الثانية وقدرها خمسة جنيهات الأستاذ على كامل الديب . وفاز بالجائزة الأولى فى فن النحت الأستاذ فتحى محمود على وقدرها ٢٠ جنيهاً ، وفازت بالجائزة الثانية السيدة فريدة كساب وقدرها ١٥ جنيهاً

ولقد أعجبتنى كثيراً فكرة الأستاذ عبد العزيز خالد درويش فقد رسم منظر النيل ورسم العروس فى مركب وحولها أشخاص يزفونها، بينما تخيل النيل فى هيئة رجل وقف على الشاطئ فى انتظار عروسه ، فوفق إلى حد كبير فى إظهار فكرته ، فنهنئ الأستاذ درويش على توفيقه

معرض محبى الفنون الجميلة

أقيم هذا المعرض كالمعتاد بسراى الفنون الجميلة بشارع مجلس النواب وقد تبين من هذا المعرض تقدم محسوس للفنون فى هذا العام ، فقد اشتمل على أكثر من خمسمائة لوحة ، ويسرنى أن أسجل هنا الهمة المشكورة التى بذلها مدير وأساتذة وطلاب مدرسة الفنون الجميلة العليا . فقد قام بتنظيم المعرض وزخرفته الأستاذ حسين يوسف فوزى ، وزين طلبة المدرسة السلم بمشاريع زخرفية جميلة . ولقد أعجبت بصور كثيرة أخص بالذكر منها صورة (المسيو جورج ريمون) مراقب الفنون الجميلة التى صورها وقدمها الأستاذ محمد بك حسن مدير مدرسة الفنون الجميلة العليا . كذلك أعجبتنى صورة (الصديقان) للأستاذ الكبير يوسف كامل رئيس قسم التصوير بمدرسة الفنون الجميلة . وكذلك صورة (الدلالة) التى عرضها الأستاذ حسين محمود فوزى ، و(اللبانة) من تصويره أيضاً وقد اشترتها وزارة المعارف العمومية ، و(حياة القرية) للأستاذ صلاح الدين طاهر ، و(فناء جامع) للأستاذ حسن البنانى الرسام بدار الأوبرا الملكية ، وكذلك قدمت الآنسة كوكب يوسف صورة طريفة أسمتها (سعاد) . ولقد أبدع الأستاذ محمود بك سعيد فى لوحاته التى قدمها ، وكذلك الأستاذ عبد العزيز خالد درويش فى صورته (الرسام) . هذا وقد زين الأستاذ صالح الشيتى بالفرقة القومية الصالة الخارجية للمعرض بمشاريع مسرحية مثالية كانت غاية فى الإتقان والإبداع وقد اشترت معظمها وزارة المعارف

وقد أعجبنى من التماثيل المعروضة تمثال المرحوم عبد الحميد بك سعيد من عمل النحات المشهور الأستاذ مصطفى متولى ، وكذلك تماثيل الأستاذ السجينى . وعلى الجملة كان معرض هذا العام موفقاً إلى حد كبير ؛ إذ ظهر منه النشاط الذى ساد شبابنا فى هذه الأيام ؛ ولكن يؤلمنى حقاً أن أذكر هنا أن فتياتنا المصريات لم يقمن بما كنا ننتظره منهن ؛ فإن مجهودهن لا يكاد يظهر فى هذا المعرض

أحمد كمال خواسك

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

Lundi - 19 - 5 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

9 me Année No. 411

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٦٦١ مسألة الفقر ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٦٦٤ برج بابـــل ؟ ! ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٦٦٧ مؤتمـــر ... ... : الأستاذ عبد العزيز محمد عيسى
٦٧٠ اللهجات العامية الحديثة ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٦٧٤ البيبيـــون ... ... : الأديب مصطفى بعيو الطرابلسى
٦٧٧ ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ... ... } الأب أنستاس ماري الكرملى
٦٨٠ من مذكرات مطلقة ... : السيدة الفاضلة « ليلى » ...
٦٨٢ دمعة مكبوتة على فقيد عزيز : الأستاذ صالح على عيسى السودانى
٦٨٤ ليلة قمراء ... [قصيدة] : الأستاذ العوضى الوكيل ..
مختارات من مراثى الشعراء فى المرحوم فؤاد بليبل [قصائد] } الأديب محمود السيد شعبان / الأستاذ محمود غنيم ... ...
٦٨٥ إلى الأستاذ الكبير (ا . ع) : لأستاذ جليل ... ...
مثات زناتى ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٦٨٦ فى تأبين الأستاذ فؤاد بليبل : الأستاذ محمد محمد رضوان
« رييم وجادى » ... ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...
٦٨٧ مذهب الفرد ومذهب الجماعة : الأستاذ رشيد العسقلاني ...
أصـــل الفقر ... ... : الأديب عزمى الدويرى ...
٦٨٨ الأرجى ... ... : الأستاذ حسن محمد هويس ...
روائد الأدب العراقى ... : الأديب محمود العبطة ...
تصويب ... ... : ... ...
نداء الصخرة ... ... : الأستاذ ابراهيم أدهم ... ...

مسألة الفقـــــر

للأستاذ عباس محمود العقاد

سألنى الأستاذ زكى مبارك عن رأيى فى الخلاف القائم على مسألة الفقر بينه وبين الأساتذة : توفيق الحكيم ، وسلامة موسى ، وفكرى أباظة ، وبعض حضرات القراء

وخلاصة هذا الخلاف أن الدكتور زكى مبارك يرجح أن الفقر عقوبة مستحقة على شيء من القصور ، وأن مخالفيه يرجحون أن الفقر غلطة اجتماعية تصيب الناس من خلل فى « المجتمع » أكثر من إصابتها إياهم من تقصير فى الجهود .

وعندنا نحن أن الفقر داء كسائر الأدواء : يصيب المريض به من إهماله كما يصيبه من ضعفه الموروث ، ويصيبه مع الحيطة إذا جرى مجرى الوباء الذى تنتشر عدواه ، كما يصيبه مع ترك الحيطة فى هذه الحال وفى غيرها من الأحوال

وليس فى وسع أحد أن يزعم أن ميزان المجتمع سليم من الخلل فى توزيع الأرزاق أو تقدير المكافآت على حسب الجهود . ففى كل أمة أغنياء لا يستحقون الغنى وفقراء لا يستحقون الفقر وإن تفاوت الخلل وتفاوت الجور وتفاوت السعى فى الإصلاح .

ولست أنا ممن ينكرون فضل البراعة المالية ، لأنها فى الحقيقة براعة لازمة لتأسيس المرافق الاجتماعية والأخلاق القومية وتنظيم

الملاقات ، واستثارة الهمم ، وتوزيع الأعمال التي لا يستبحر بغيرها عمران

وقد قلت منذ نحو عشرين سنة حين عرضت للبحث فيما يعاب من أخلاق المرأة خطأً وجهلاً بالبواعث النفسية :

« ... إننا قد نرى المرأة سبباً غير سائر الأسباب التي تغرى بحب المال وإعظام أصحابه : نرى أن كسب المال كان ولا يزال أسهل مسبار لاختبار قوة الرجل وحيلته ، وأدعى الظواهر إلى اجتذاب القلوب والأنظار ، واجتلاب الإعجاب والإكبار . فقد كان أغنى الرجال في القرون الأولى أقدرهم على الاستلاب وأجرأهم على الغارات وأحماهم أنفاً وأعزهم جاراً ، فكان الغنى قرين الشجاعة والقوة والحمية ، وعنواناً على شمائل الرجولة المحببة إلى النساء أو التي يجب أن تكون محببة إليهن . ثم تقدم الزمان فصار أغنى الرجال أصبرهم على احتمال المشاق وتجشم الأخطار والتمرس بأهوال السفر وطول الاغتراب ، وأقدرهم على ضبط النفس وحسن التدبير . فكان الغنى في هذا العصر قرين الشجاعة أيضاً وقوة الإرادة وعلو الهمة وصعوبة المراس . ثم تقدم الزمان فصار أغنى الرجال أبعدهم نظراً وأوسعهم حيلة وأكيسهم خلقاً وأصلبهم على المثابرة وأجلدهم على مباشرة الحياة ومعاملة الناس ، فكان الغنى في هذا العصر : قرين الثبات والنشاط ومتانة الخلق وجودة النظر في الأمور ؛ وهكذا تجد اكتساب المال الكثير في كل عصر دليلاً على فضل الرجل ، وعلامة توحى إلى نفس المرأة ما يعين غريزتها على اختيار أجدر الرجال بحبها وأصلح الآباء لأبنائها . فلا تثريب عليها أن تختبر مزايا الرجل بهذا المسبار السهل القريب ، ولا لوم عليها أن تريد ثراء المال ولا تعدل به الفقر والفاقة ... »

فنحن لا نبخس البراعة المالية حقها ولا نغض من نفعها في باب الخدمة الاجتماعية ، ولا من دلالتها على الخلق والكفاءة العقلية ، ولكننا مطالبون في هذا العصر الحديث بإنقاذ المجتمع من الخلل الشديد الذي ألم بموازين الاقتصاد ومعايير الأرزاق حتى أصبح اقتناء الثروات ميسراً للمحتال والدجال الذي لا يعطى الناس بديلاً نافعاً يساوى الربح الغزير الذي يتدفق عليه . ولعلنا نتلطف في الأمر حين نقول إنه لا يعطى الناس بديلاً نافعاً وهو في الواقع يضرهم بمقدار ما يستفيد منهم ، ويحرمهم بمقدار ما يدفقون الرزق عليه طائعين أو كارهين

ومثل من هذه الأمثال أولئك السماسرة الأفاقون الذين يتواطأون على إشاعة الأراجيف ، وإقلاق الأسواق ، والتلعب بأثمان الأسناد والأوراق ليسرقوا في ساعات ما تنقضى الأعمار دون الوصول إليه بالسعى الحلال أو بالسرقة على طريقة اللصوص الأقدمين

ومثل آخر من هذه الأمثال تلك الصفقات التي تنعقد في الهواء بغير مبادلة صحيحة في البيع والشراء ، وإنما هي استغلال لثقة الناس التي كسبها أولئك المستغلون بحكم مراكزهم الاجتماعية أو المالية لا بحكم الكفاءة والجهد وتثمير المال الحلال

وإذا ارتفعنا شيئاً فشيئاً من هذه الهوة الغائرة في قرارة الإجرام فقد نصل إلى الكفاءات القيمة التي تُعطى الناس ما ينفعهم ويسرهم ، ولكنها تتقاضاهم جزاء لهم أضعاف حقهم وأضعاف ما يحتاجون إليه لموالاة النفع والسرور

فإخراج رواية على اللوحة البيضاء عمل قد ينفع العقول ويدخل السرور على القلوب ، ولكن الدنيا تسرف جد الإسراف حين تشترى نفع الرواية وسرورها بمئات الألوف من الجنيهات وهي تضن بعشر معشار هذا على المآثر الإنسانية التي يتصل بها نفع أقوام وسرور أجيال

وأقبح من هذا أن تكون الألوف المؤلفة نصيب الرواية الماجنة المقيمة ولا تحظى ببعض هذا النصيب أجود الروايات وأحفلها بالمعارف والمتع والعظات ، أو يكون الجزاء الوافر حظ الممثل الذي لا يستحى أن يعرض رجولته للفضوليات من المتفرجات ، ولا يكتب هذا الحظ لنوابغ الفن وأفذاذ الرجال

هناك خلل في الميزات لا نكران له ولا مناص من إصلاحه ، لأن الغبن فيه غبن الأمم ، والبلاء فيه بلاء الهمم ؛ وليس غبن فقير يشكو الفاقة ، أو بلاء ضعيف يطلب الرحمة والإنصاف

ولا نطمع أن يجيء اليوم الذي يتساوى فيه العمل والجزاء كل المساواة ، ويبطل فيه الخلل بطلاناً يمنع الحيف ويحقق العدل في كل تقدير ؛ فهذا مستحيل ، ولعله غير محمود في عقباه ، لأن الدوافع الحيوية إذا استقامت هذه الاستقامة خيف عليها أن تفقد الاندفاع الصالح والاندفاع الذميم على السواء

لكننا إذا استبعدنا الكمال المطلق فالنقص المطبق أولى منه بالإبعاد ، وبين المثل الأعلى والمثل الأدنى خطوات لا تعيا بها قدرة الإنسان ولا يجمل به أن يقعد عنها مكتوف اليدين مقيد الرجلين ،

وحاجة مصر إلى الجهد فى هذا الباب أعظم من حاجة بلاد كثيرات يعلو فيها صراخ لا يسمع له صدى فى هذه البلاد

وقوام الإصلاح فى مسألة الفقر على ما نرى أن نذكر الحقائق كلها ولا نكتفى بجانب واحد منها دون سائر جوانبها

أو الخير فى هذه المسألة أن نقرن كل حقيقة جامحة بحقيقة كابحة تساويها وتكف من غربها

فأول الحقائق فى مسألة للفقر أن حياة الإنسان كائناً ما كان أنفس من القوت والكساء ومطالب المعيشة ، وأنه ما من مخلوق آدمى يعجز عن تقديم خدمة تكافئ ثمن قوته وكسائه ومطالب عيشه . فإذا هلك إنسان جوعاً أو عرياً ففى تقسيم الأعمال نقص يستدركه المصلحون والمتكفلون بسياسة الإجتماع

وبإزاء هذه الحقيقة الظاهرة حقيقة أخرى لا تقل عنها ظهوراً وجدارة بطول العناية والتدبر ، وهى أن الأمان كل الأمان، خطر على الهمم والأذهان . فإن كثيراً من الجهد النافع مبعثه طلب الأمان فى المستقبل، وشعور النفس بالحاجة إليه فى أخريات الحياة . فإذا اطمأن إليه كل حى من بداية حياته فترت حركته وغلب عليه حب الاستقرار ، ومُنِىَ العالم بخطر من جراء ذلك هو أخطر عليه من الإجحاف فى تقسيم بعض الأعمال وتوزيع بعض الأرزاق

وهناك حقيقة لا مراء فيها وهى أن النابهين المقتحمين ينالون أحياناً فوق ما يستحقون من جزاء ، ويأخذون أحياناً بعض ما يستحقه المحرومون الذين لا وزر عليهم فى هذا الحرمان

أما الحقيقة التى بإزائها فهى أن النابهين المقتحمين ينكبون أحياناً فى الأرواح فضلاً عن نكبتهم فى الأرزاق والأموال ، وأنهم لا ينطلقون مع طبائعهم القوية فى عالم تشتد قيوده وتتساوى نتائجه ولا تتسع فيه الهوة بين الأمل العظيم فى نجاح كبير وبين الإقدام العظيم على خيبة قاصمة للظهور ، وأن خسارة العنصر النابه فى أحداث الدنيا وتواريخها لتضارع خسارة العنصر المسالم الوديع

وهناك حقيقة من هذه الحقائق فحواها أن الغنى ليس بجريمة، وأن الفقر ليس بفضيلة ، فلن يقول أحد به مسكة عقل أن الأغنياء يستحقون الفقر لأنهم أغنياء ، وأن الفقراء يستحقون الغنى لأنهم فقراء ، وإن جاز أن يقال إن الإفراط فى الغنى والإفراط فى الفقر ظلمان محققان

أما الحقيقة التى بإزائها فهى أن الأمر لا يرجع هنا إلى العدل والاستحقاق ، ولكنه يرجع إلى صلاح المجتمع ولو نال فيه فريق فوق ما يكافئ عمله وجدواه . فكل عضو شاك يكلف الجسم بعض الأحيان فوق حقه وفوق نصيبه من العمل والجدوى؛ وبغير هذا العلاج لا تستقيم صحة الأجسام

وصحيح أن العالم مدين للمصاميين، وأن المصاميين لم يولدوا فى الذروة العليا من طبقات الأمة ، ولكن ليس بصحيح أن طبقة الحضيض هى صاحبة الحصة الكبرى فى إنجاب المصاميين؛ وإنما الصحيح أنهم ينشأون وسطاً بين الطبقة التى نهكتها رذائل الترف والغرور ، والطبقة التى نهكتها رذائل الهوان والمسكنة .

ومعظم المصلحين الذين نفعوا الفقراء لم يكونوا من ضحايا الفقر المدقع والنبت المنحدر البالغ فى الانحدار ، مما يؤيد رأى القائلين إن الفقر المدقع الذى يلازم أصحابه عقباً بعد عقب إنما هو قصور فى الذهن والخلق يحلهم حيث يحل القاصرون المتخلفون أياً كان المجتمع الذى يعيشون فيه

وبعد هذه الحقائق جميعها تبقى لنا حقيقة لا يطول فيها جدل المنصفين ، وهى أن الفقر آفة يجب أن تزول إذا استطعنا أن نزيلها ، ويجب ألا يمنعنا عن إزالتها إلا مانع واحد لا نحفل بغيره : وهو عدم الاستطاعة ، ولو كان الفقراء مستحقين لما هم فيه . فلن يبحث منصف عن المريض هل جلب المرض لنفسه بيديه ، أو سيق إلى المرض مكرهاً عليه ، إذا كانت المسألة مسألة طب وشفاء مستطاع

عباس محمود العقاد

من أوهام العقل وأحلام القلب

برج بابـــل ؟ !

للدكتور زكى مبـارك

لما زرت بابل فى سنة ١٩٣٧ بحثت عن البرج المشهور فى التاريخ ، ولـكنى لم أهتد إليه ، برغم ما بذلت من العناء فى التعرف إلى ما هنالك من رسوم وأطلال

فكيف بخلت الأقدار بحرمانى من الاهتداء إلى معالم ذلك الأثر النفيس ، وكان أول رمز لما فُطرت عليه الإنسانية من تنافر الآراء وتناحُر الأهواء ؟

كان برج بابل خليقاً بالخلود ، لو عرف بنو آدم مغزاه الدقيق ، فصانوه من عوادى الزمان . وهل كانت بلبلة الألسنة حول ذلك البرج إلا إيذاناً بأن الإنسانية شبّت عن الطوق ، ولم يبق إلا أن تندفع بمزايا الشقاق والنزاع والخلاف ، وهى معانٍ ظاهرُها قبيح ، وباطنها جميل ؟

لو عاش برج بابل لـكان مَزَاراً من أقدس المزارات ، فحول رحابه طارت أول شرارة من ضريم الصراع بين الأجناس والألوان ، وبين حناياه ذاق الإنسان الأول مرارة الحيرة ، وهى مرارة جزيلة النفع ، وإن كانت كريهة المذاق

ولو عرفنا تاريخ برج بابل لعرفنا فى أى عهد بدأ الصيال بين الألسنة والعقول ، فما نطمئن إلى ما قالت الأساطير فى تحديد ذلك التاريخ ، وهى لا تبعد به غير عشرات من القرون ، وأنا أكره أن تصدُق تلك الأساطير ، لأنى أحب أن يكون عهد أسلافنا بالخلاف أبعد من تلك القرون بآماد طوال طوال طوال

لو عثرت على برج بابل ، أو اهتديت إلى شيء من رسومه الموائد ، لأضيف اسمى إلى أسماء من خدموا الإنسانية بكشف بعض المجاهيل من حَسَبها العريق

ولـكن الحظ أراد غير ما أريد ، فلم أعرف من بابل غير ما يعرف سواد الناس ، ولم أشهد غير بقايا الحدائق المرفوعة فوق قواعد من الجدران ، وهى جدران لم يفكر فى هدمها الزمان ، فبقيت شاهداً على مطامح أهل بابل فى السموّ والعلاء

لا بدّ من برج بابل ، لا بدّ ، لا بدّ ، ولن أستريح أو أهتدىَ إلى مكان ذلك البرج ، فهو المهد الأول ، المهد الذى نشأت فيه شياطين الخلاف ، والخلاف هو صاحب الفضل فى تأريث جرات العقول ، ونزوات القلوب ، وشهوات الأرواح ، وبدَوَات الأحاسيس

الحمد لله ! الحمد لله ! لقد وجدت البرج المنشود ، ولكن أين ؟ لم أجده فى بابل ، وإنما وجدته فى قلبى ، وأين بابل من قلبى ؟ القلب الذى أجهله أشد الجهل ، وإن كنت سمعت أنه يقيم بين ضلوعى ؛ والجيران قد يجهل بعضهم أسرار بعض . وسنعرف يوماً أن العين ليست ترجمان القلب فى جميع الأحيان ؛ فلكل من القلب والعين وجودٌ مستقلٌ تمام الاستقلال ، وإلا فكيف يقع فى كل يوم أن تشِى العيون بنعيم لا تسمح به القلوب ؟

الجاهل هو الذى يتوهم أن العين ترجمان القلب

وقد جهلتُ يوماً فتوهمت أنى أعرف سرائر قلبى ، ثم عرفت أنى واهمٌ فيما توهمت ، فما كان قلبى إلا غابة تعيش فيها ألوف الألوف من أنواع الشجر والنبات والطير والحيوان والأفاعى والصِّلال

وآية ذلك أنى لا أعرف أسباب أفراحى وأتراحى إلا فى أندر الأحايين ؛ ثم يُغَمّ علىّ الأمر فلا أدرى مصدر سعادتى أو منبع شقائى ، فأفزع إلى ما يفزع إليه الصوفية عند البسط والقبض بلا وعى ولا إدراك . ولو وعيت وأدركت لنفذ سهمى فى جذب السعادة أو دفع الشقاء

وأنا مع ذلك اهتديت إلى ما لم يهتد إليه ديكارت ؛ فديكارت فطن إلى أنه يفكر فعرف أنه موجود ، وأنا فطنت إلى أن برج بابل أقيمت صروحه فوق سواد قلبى ، فاستشعرت الخوف من ظلمات قلبى ، وهى ظلمات يعجز عن تبديدها نور القمر وضياء الشمس ، لأنها ألفاف من الشر المدفون فى أصول تلك الغابة الشجراء

وما أشد خوفى من قلبى ، وهو قلبى !

وآه ثم آه من الجبن عن مكاشفة العدوّ الذى يلبس ثوب الصديق ! ؟

كان يطيب للشعراء أن يقولوا إنهم يعيشون بلا قلوب ليبرروا عجزهم عن استبدال حبيب بحبيب.

وأقول : إنى يئست من الأمل فى العيش بلا قلب ، وأين المفرّ من قلبى وهو قِطارٌ من أحابيل وعقابيل شُدَّ بعضُها إلى بعض بسلاسل مصنوعة من أوهامى وظنونى ، وأنا رجلٌ مخلوق من أوهام وظنون ، وإن شهد خوفى من القلب بأنى على شيء من العقل ، والعقل أضعف حلية يتحلى بها الآدميون ، فلو عاش بنو آدم بعقولهم فى جميع الشؤون لكان مصيرهم مصير الأنعام ، فلم يزينوا الوجود بروائع الآداب وغرائب الفنون

لم أستطع التخلص من أوزار القلب ، ولن أستطيع التخلص من أثقال العقل ، فما عيشى فى صحبة هذين المدوين ؟ وما قيمة وجودى وأنا محروم من نعمة الاستقلال ؟

وهل أنسى بلائى بعدوان القلب والعقل وقد عانيت منهما فى الليلة الماضية ما عانيت ؟

وما الليلة الماضية ؟ هى ليلة من ليال ، فما رحمتنى الأقدار من معاناة الصراع بين القلب والعقل منذ اليوم الذى عرفت فيه أن العيون لا يكون لها سِحرٌ حرام أو حلال إلا فى نور القمر أو ظلال الرياض

إن واجهت العيون ضياء الشمس فعلى سحرها العفاء ، لأن الشمس تحيل العيون إلى جوارح تعجز عن الختل والفتك . وهل تصنع الغلالة المنسوجة من نور القمر أو ظل الروض حين تواجه الطرف الكحيل إلا كما تصنع الغلالة المنسوجة من الحرير حين تطوّق الجسم اللطيف ؟

الحرير يزيد الأجسام النورانية صفاء إلى صفاء ، وهى تتخايل من تحته كما تتخايل الكواكب من فوق السحاب الرقيق

وأنا لم أصاول سهام العيون إلا فى نور القمر أوظلال الرياض ، فأين كنت فى الليلة الماضية وقد كان « برج بابل » بعض ما تشقى بحمله ضلوعى ؟

كنت فى ضيافة قمرين : قمر الروض وقمر السماء ، ويا ويل من يعيش فى مصر الجديدة وهو يعانى مكاره الصراع بين القلب والعقل !

وفى لحظات أقصر من عمر الطيف تحولت دنيانا من صفاء إلى كدر ، ومن كدر إلى صفاء ؛ ثم انتهينا إلى قطيعة قد تقصر وقد تطول ، فما استطاع الدهر ولن يستطيع أن يفرّق بيننا أكثر من أيام أو أسابيع

سمعت صوت العقل فأقسمت لأهجرنّ ذلك البدر إلى آخر الزمان وما هى إلا لحظة حتى تحركت الحيات والثعابين فى برج بابل فأصختُ إلى ما تجود به أفواهها الفيح من فَحيح ، فكنت والله كمن يسمع نشيداً ترتّله ملائكة السماء

أنا مشدودٌ مشدود إلى قِطار الوجود ، فأين من يرحمنى من مصارعة العيون فى نور القمر أو ظلال الرياض ؟

الليلة الماضية ، وما أدراك ما الليلة الماضية ؟

هى ليلة من ليال ، ومن لم يعش كما عشت فليس من حقه أن يقول بأنه اكتوى بنار الصيال بين الهدى والضلال

وما ليلتى الحاضرة بين الليالى ؟

مصباح وقلم ومداد وقرطاس ، وآمال بيض ، وآلام سود ، وقرار فى دار تواجه الصحراء فى ليلة قمراء ، والقمر يشجع أفاعى الفيافى على الدبيب والوثوب

ليلتى الحاضرة ليلة كرب وبلاء ، فبرج بابل تمتلج فيه خواطر أشد سواداً من قلب الغانية التى لطمت وجهها منذ سويعات فى أعقاب موجة من موجات العتاب ، وبرج بابل يقول بأن الحوادث تنذر بالشر الوبيل فى مدائن منها الأسكندرية وبور سعيد والسويس وبغداد ، وتلك أول مرة صرح فيها برج بابل بأشياء وأشياء ، فتى أرجع إلى جهل ما فى ذلك البرج من أحابيل وعقابيل ؟ !

أنا أملك أمرى فى الليلة الحاضرة ، فليس بينى وبين دار هواى غير خطوات ، ولكن بلائى صيغ من الليالى المواضى ، فن الليالى المواضى نُسِجت عواطفى وأحلامى وأوهامى وظنونى ، وهل أنا إلا مجموعة آراء وأهواء كُتِبتْ صحائفها الأولى فى القاهرة ودمشق والقدس وبغداد وقرطبة وتونس وباريس ؟

لو فكرت فى إحصاء المدائن التى تملت فى مدارسها المعروفة والمجهولة ، ولو فكرت فى إحصاء من استفدت بمعارفهم من أهل الشرق وأهل الغرب ، لوصلت إلى القول بأنى شخصية دولية لا يستقل بها بلدٌ عن بلد ولا جيل عن جيل ، فكيف أملك الفرار من الجزع لآلام المكتوين بنيران الحرب ولو كانوا — رسمياً — من أعدائى ؟

ولو فكرت فى أن الفانية التى لطمتُ وجهها الجميل فى أعقاب العتاب لم تخرج على الأدب فى خطابى إلا وهى مثقلة بأوهام نشأ بعضها فى الشرق وأُخذ بعضها عن الغرب لنظرتُ إليها كما أنظر إلى الطفل الذى يُجرم وهو غير مسئول

وهل تسأل صحراء مصر الجديدة عن الإمحال وقد هجرها الغيث ؟

إن كان ذلك فستسأل القلوب التى أذويتها بجفائى ، وما كنت من الجافين ، لولا الشواغل التى صيرتنى أقسى من الجلمود فى محاجر أسوان

القمر فى ليلتى الحاضرة جميل جميل ، ولكن ما قيمة جماله وأنا مصدودٌ عن الاستصباح بنوره الوهّاج ؟

وما طِيبُ النوم والأحلام لمن حُرموا طيب نجواى ؟

ألم أقل لهم : إن الذى ينام بمصر فى المقمرات من ليالى الصيف ليس إلا قطعة من ثلوج الشمال نُقِلَتْ ظلماً إلى هذه البلاد ؟

النوم ضربٌ من الموت ، وهو الموت الأعظم لمن يجهل فضل الليالى المقمرة بمصر فى أوقات الصيف

لو كنا معاً فى هذه اللحظة لعرف البدر أن السعادة ليست مقصورة على أهل السماء ؟ إن صحّ أن أهل السماء سعداء ، وكيف يسعدون وما عرفوا ظلم العواطف ولا طغيان الأحباب ، وإلا فكيف استطاع القمر أن يحتفظ بصباه على مرّ الدهور وكأنه فلان فى البلادة والغباء ؟

وسيصنع الدهر ما يصنع بالغصن الذى آذته نسائم الحب ، وإن عاش وعشنا فستقيم المناحات فى حضرته العالية على الظل الذى زال عند « الزوال »

القطيعة باقية ، ولن نسأل عن تلك السرحة إلا يوم تمسى وهى مهددة بأرواح الخريف ، فلتصنع بمصيرها ما تشاء ، فلن تكون أكرم على الدهر من نخلتَىْ حلوان فى أشعار القدماء

ومن يرعى تلك النخلة وقد تخلّى عنها الحارس الأمين ؟

يرعاها الفواقر والقوارع والخطوب !

يرعاها الجهل بالسر المكنون فى ضمائر الشعراء !

وإن استطال الجمال على الشاعر فبشره بالمحاق والأفول لغير وجهكِ الجميل يوجّه هذا النذير ، يا صاحبة الجيد الأغيد والمعصم الريّان

وما الدنيا وما الوجود إذا أمسى جمالك الفتان وهو طلل من الأطلال ؟

سيصنع بك الدهر ما يصنع ، لأنه موكل بإذلال الأقوياء ، ولكنه سيعجز عن محو ما دار بيننا من أكواب العتاب فى تلك الليلة القمراء

هى ليلة من ليال ، وسأعرف كيف أنتقم لنفسى ، إن طاب لك الاعتصام بالهجر والصدود

أما بعد فقد رجعت إلى قلبى لأشهد بعض العجائب من برج بابل ، فماذا رأيت ؟

رأيت وجودى مقدوداً من أحجار ذلك البرج ، ورأيت عواطفى وأحلامى مشبوبة أو مقبوسة من اللهب الذى يتأجج فى أركان ذلك البرج ، ورأيتنى جديراً بما اتصف به أهله من الحيرة والقلق والانزعاج

رأيت ورأيت ، وكأننى إنسان وقف يتلهى بصراع الأسود ، وهو يجهل أن فيها أسداً قريب العهد بالاستئناس ، فهو يرجع إلى الشراسة حين تسمح الظروف

رأيتنى واقفاً على حافة الهاوية بلا رفيق ولا معين

رأيتنى أحمل القلم لأمزق به ما بينى وبين الناس من أواصر وصلات

رأيتنى أساهر النجوم وهى لا تدرك من همى غير أطياف

رأيتنى انفصلتِ عن « برج بابل » فلا أدرى ما يثور فيه من مصاعب وأهوال

رأيت ورأيت

رأيت أنى سأسأل بعد أيام عن مصاير أحباب كان لهم فى حياتى تاريخ ، فمن أولئك الأحباب ؟

الدنيا التى ضنت بأن أحمل السيف فى الدفاع عن وطنى هى الدنيا التى ضنت بأن أحمل السيف فى الدفاع عن وطن أحبابى

لله الأمر من قبلُ ومن بَعد

وسيعرف أقوامٌ مغازيَ هذا الرمز الدقيق

أنا إذن أعبِّر بالرموز ؟؟

هو ذلك ، لأنى أكتب مقالى هذا فى أيام السِّرار من شهر الوجود

اللهم عونك ولطفك وغفرانك ، فما استعنت إلا بك ، ولا توكلت إلا عليك ، فأنت وحدك أمل اللائذ بحصنك الحصين

زكى مبارك

مؤتمر...

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

تسرى الآن فى نواحى الحياة المصرية حركة مباركة تبشرنا بعهد زاهر من عهود الإسلام التى يذكرها التاريخ بالفخار

هذه الحركة هى المطالبة بأن يكون التشريع الإسلامى أساساً لما نضع من قوانين وأحكام . وقد كان من بواكير ذلك مؤتمر رابطة الإصلاح الاجتماعى الذى هيأته للناس فى الشهر الماضى ، ودعتهم إلى شهود جلساته دعوة عامة ليسمعوا ما أعده خطباؤه من أبحاث قيمة تبين كيف وضع ديننا القواعد التى تنير سبيل الحياة وتوصل إلى الخير

وقد عرف الناس من هؤلاء الباحثين على أى نحو يحارب الإسلام آفات المجتمع التى تشكو الأمم منها، ويعالجها بأدوية ناجعة فى القضاء عليها . وكيف يدعو إلى الأخلاق الفاضلة حين يقررها ويجعلها غاية من غاياته . وعلى أى وجه يبنى نظام الأسرة ويحوطه برعاية تجعله ثابتاً أمام الأعاصير ، صالحاً لحياة دائمة مفيدة . وكيف يعامل الناس على أساس من الحرية والإخاء ، وينظم علاقة الدولة بغيرها فى السلم والحرب ، على قاعدة العدالة والمساواة ... الخ . واطمأن السامعون إلى أن الإسلام معين صالح للتشريع فى العصر الحديث ، وأن تشريعات البشر فى أسمى صورة قد عجزت عن معالجة أدواء المجتمعات واضطربت . ولذا اعترف العقلاء من غير المسلمين بصلاحية الدين الإسلامى للنهوض بعبء التشريع وموافقته لأرقى النظم وتلبيته لحاجات المدنية والعمران

لست أكتب الآن لأجلى نظريات المؤتمر أمام القارئين وأبين لهم فائدة ما دعا إليه ، ولا لأنظر فى النتيجة التى وصل إليها المؤتمرون أسلبية هى أم إيجابية ، ولا لأستحث لجانه التى يقال إنها تبحث لتصل إلى قرارات عملية حتى نسرع فى ذلك ؛ ولكننى وقد شهدت جلساته جميعاً أردت أن أسجل ملاحظات كانت حديث جمهور المستمعين وغيرهم، وحديث كثير من المثقفين فى مجالسهم العامة والخاصة

١ — إن الظاهرة الواضحة استعداد الناس لقبول النظم الإسلامية فى مظاهر حياتهم ومعاملاتهم ، لأنهم رأوا العنت من النظم الوضعية وعجزت هذه النظم عن تحقيق ما يبتغون . ومن ثم نادى كثير منهم بذلك ونشرت الصحف رغباتهم فى وضوح وجلاء . وإن نواب الأمة وشيوخها ينادون بذلك الذى ينادى به الناس ويجهرون به على مسمع من رجال الحكم وتسجل آراؤهم فى هذه الناحية بين التصفيق والإعجاب

ورجال الحكم أنفسهم لا يقفون فى هذه الطريق ولا يصوقون عنها، فقد رأينا كثيراً من كبارهم يشتركون فى المؤتمر ويحرصون على نجاح دعوته . وهذا وزير من وزراء الدولة يأتى بنفسه فيفتتح جلساته وينوه فيه بتعاليم الإسلام السامية ونواحى إصلاحه التى لم يصل أحد إلى مثلها ، ثم يقول : « إن هذه الثورة الاجتماعية العظيمة قد مكن لها الإسلام فى جميع العصور بما وضع من المبادىء العامة التى يجب أن تكون سنن الاجتماع فى كل أمة وفى كل عصر . وبما ترك من التفاصيل والجزئيات التى يجب أن

تكون موضع الاجتهاد لمن يتقيدون بأمر الله ونهيه ، ويستمدون بحثهم من روح الإسلام ويلائمون بينه وبين الزمن والبيئة » .

بل إن جلالة الملك حفظه الله ليحب ذلك ويرجو أن يكون، وقد تواتر الحديث عن جلالته بهذه الرغبة الكريمة . وكان آخر ما سمعنا من ذلك ما رواه عن جلالته شيخ الإسلام ليلة الاحتفال بعيد الجلوس الملكي في هذا الشهر حين قال فضيلته : « إن من أعز أماني جلالته أن يرى البلاد تسير على نظام اجتماعي يستند إلى دينها وتقاليدها »

فالدواعي إذن متضافرة للعمل على هذا النوع من الإصلاح الاجتماعي ورسم الطريق المثلى أمام الناس بعد ما أعدوا أنفسهم لتلقي هذه التعاليم المباركة . ولا نحسب بعد ذلك كله أن عقبة مهما كانت تقف في سبيل هذا الإصلاح الذي يتطلع إليه الشعب ويحرص عليه مليك البلاد

* * *

٢ — مما يدعو إلى الأسف أن الأزهر الرسمي لم يشترك في هذا العمل الجليل الذي يفرضه عليه واجبه وتحتمه طبيعة رسالته . وليس من شك أن الأزهر لم يوجد لتخريج العلماء وتدريس هذا اللون من الكتب المعقدة فحسب ؛ ولكن عليه إلى جانب ذلك واجباً أسمى : هو إطلاع الناس عامة على مزايا الإسلام وصلاحيته للنهوض بأعباء الحياة الاجتماعية في شتى صورها ، وتنقية الأذهان من هذه الشبه الباطلة التي ألصقت به زوراً وبهتاناً ، وتأثر بها كثير ممن يلون مناصب الحكم والتشريع في البلاد ؛ لأن الأزهر خصص لرعاية الدين ونشر تعاليمه وتوصيل قبسه إلى الناس . فإذا لم يقم بما خصص له ولم يؤد هذا الواجب كان جسماً لا روح فيه . وأكثر الأشياء عندنا ، كما يقول فضيلة الأستاذ الأكبر : أجسام لا أرواح فيها . وما نحب للأزهر أن ينزل إلى ذلك

وإذا كان الناس فيما مضى يعللون ابتعاد العلماء الأزهريين عن مثل هذه المواطن بكبر السن وحب العزلة عن الناس وعدم المعرفة بطرق الاتصال وأساليبه ، فإن هذا العذر لا يقبل الآن وعلى رأس الأزهر رجل مفكر يحمد له الناس نشاطه في نواحي المجتمع ، وحسن صلاته بكثير من البيئات العلمية وغيرها ، ويعقدون عليه آمالاً جساماً في إصلاح جريء لا يعرف المجاملة ولا المداراة

* * *

٣ — إذا كان التقصير عيباً ، فإن من أقبح ذلك وأفظعه التمادي في التقصير . ولذلك يرى من لاحظوا على المؤتمر أن من واجب رجال الأزهر أن يتداركوا هذا التقصير ، ويقبلوا على عمل يبين للناس وجودهم ومجهودهم وينصرفوا إلى ذلك مخلصين ليرضوا ضمائرهم أمام الله والتاريخ ، وأمام الأبناء والأحفاد

وإن أشد ما يخشاه المخلصون أن تتجاوب الأصداء من حول الأزهر بالدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي على أساس النظم الإسلامية ويقف رجال الأزهر موقف المتفرج أو المتحرج

ليس ذلك لأن هذه الدعوة ستموت كما ماتت دعوات ، أو لأن الناس سيتركون التشريع الإسلامي في هذه المرة إلى غيره وتتكرر مأساة الفقهاء في عهد إسماعيل ، فإن شيئاً من ذلك لن يكون إن شاء الله ؛ ولكن لأن الناس حين يترك الأزهر معالجة هذه الشئون ، سيرونه شيئاً لا فائدة فيه ، حتى في تنفيذ ما هو من رسالته . وهذا يؤدي بهم إلى محاولة التخلص منه والقضاء عليه . فإن لم يستطيعوا ذلك لأمر ما نحّوه عن الطريق وأغمضوا عنه العيون ، وتركوا أهله في عزلتهم يهيمون

لذلك يجب أن يتنبه الأزهر إلى مثل هـذه الدعوات في المستقبل ويحرص على الاشتراك في هذه الأمور اشتراكاً عملياً نافعاً ، ويغزيها برجاله وأفكاره وخبرته ، ويعمل على إنجاحها ما استطاع إلى ذلك سبيلا

ولا ينبغي أن تقوم دعوة إلى مثل هذا العمل القيم مرة أخرى ثم لا يكون الأزهر في مقدمة الدعاة إليها والمنفذين لها

* * *

وإذا كان لنا — بعد تسجيل هذه الملاحظات — أن ندلي برأي عملي في هذا المقام ، فها هو ذا اقتراحنا عسى أن ينظر إليه رجال الأزهر بما يستحق من عناية تليق بموضوعه ، لينصرفوا

بعد تعديله أو إقراره إلى ناحية العمل المنتج المثمر

نرى من أهم واجبات الأزهر الآن أن يؤلف هيئتين علميتين من نابهي رجاله لا ينظر في تكوينهما إلى ما يحب بعض شيوخه أن ينظر إليه من الشكليات . على أن تعنى واحدة منهما بمخلفات المسلمين في الناحية التشريعية فتخرجه إخراجاً جديداً وتلبسه ثوباً جديداً ، وتعرضه على الناس في أساليب يألفونها ويجدون طريق الوصول إليها معبداً ميسوراً . ويقوم الأزهر بنشر هذا التراث في زيه الجديد على نحو ما تفعل الهيئات العلمية

وتعنى الثانية بدراسة القوانين الوضعية المعمول بها الآن في القضاء أو في الإدارة أو في نظام الشركات أو ما إلى ذلك ، وتستخرج من الشريعة الإسلامية السمحة قوانين مسايرة لروح العصر تحل محل هذه القوانين وتؤدي مطالبها وترسم الخطة المحكمة التي ينبغي السير عليها في نواحي الإصلاح عامة

وعلى الأزهر بعد ذلك بمعونة أولئك الذين اعترفوا جميعاً بوجوب السير على مقتضى النظام الإسلامية وصلاحيتها دون سواها أن يعمل على تطبيق هذه القوانين الجديدة على الناس شيئاً فشيئاً حتى يكون الحكم بينهم بما أنزل الله

وإذا قيل لنا كيف ينفق الأزهر على هاتين الهيئتين الآن والموارد قليلة، ذكرنا على سبيل المثال — وإن كان شرف المقصود كفيلاً بتدبير المال الوافر — أن الأزهر يحبس من ميزانيته كل عام خمسة آلاف من الجنيهات باسم نشر الثقافة ، ونحو هذا المبلغ الضخم لشيء لا يعرفه أحد من المثقفين يسمونه مجلة الأزهر، فأولى له أن يوجه هذه الآلاف الكثيرة ونحوها إلى هذه الناحية من الإصلاح منتهزاً هذه الفرص المواتية حتى تغزو التعاليم الإسلامية نظم الإدارة والسياسة ونظام التعليم والتشريع والقضاء

بذلك يحقق الأزهر رسالته الكريمة، ويؤدي واجبه المقدس، ويحمل الناس على الاعتراف بوجوده ونفعه والاتجاه إليه ، ويفهم من فتنتهم المدنية الغربيـة بزخرفها وزينتها أن الإسلام هو الدستور الصحيح للحياة ، وأن تعاليمه السامية هي الكفيلة بإسعاد الناس والترفيه عنهم

عبد العزيز محمد عيسى
المدرس بمعهد القاهرة

في الاجتماع اللغوي

اللهجات العامية الحديثة

عوامل تطورها وصفاتها المشتركة

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٢ —

درسنا في المقال السابق [١] تسع طوائف من العوامل التي أدت إلى انشعاب هذه اللهجات عن العربية الفصحى وإلى تطورها المطرد في نواحي الأصوات والقواعد والدلالة والمفردات. وسنعالج في مقال اليوم بقية هذه العوامل، ونختتمه بنظرة في الصفات التي تشترك فيها هذه اللهجات.

***

١٠ — تناوب الأصوات المتحدة النوع، القريبة المخرج، وحلول بعضها محل بعض. يتبين من ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحدة النوع، القريبة المخرج، تميل بطبعها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض. فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه. وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال في انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفي تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات.

(ا) فقد حدث في هذه اللهجات تناوب واسع النطاق بين أصوات المد القصيرة التي يرمز إليها في الرسم العربي بالفتحة والكسرة والضمة. ويمثل هذا التناوب انقلاباً من أهم الانقلابات التي اعتورت اللغة العربية، فقد كان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات، وانقلبت أشكالها رأساً على عقب، حتى لا نكاد نجد في اللهجات العامية كلمة واحدة باقية على وزنها العربي القديم. فالفتحة قد استبدل بها الضمة أحياناً والكسرة في كثير من الأحوال (فبدلاً من: يَموم، يَسجد، يَسمع، عَثَر، خَلَص، سَكَت، عِند، كَبير، ألكتاب ... الخ؛ يقال في عامية المصريين: يُمُوم، يُسجد، يِسمع، عِثِر أو عُثُر، خِلِص أو خُلُص، سِكت أو سُكت، عَند، كِبير، إلكتاب ... الخ).

— والكسرة قد استبدل بها الضمة أحياناً والفتحة في كثير من الأحوال (فبدلاً من: يلطم، يضرب، يسرق ... الخ؛ يقال في عامية المصريين: يلْطُم، يضرَب، يسرأ ... الخ).

والضمة قد استبدل بها الفتحة أحياناً والكسرة في معظم الحالات (فبدلاً من: مُحمد، ثُعبان، أُنثى، عُتُه، بقتُل، يذُم، ظُفُر ... الخ؛ يقال في عامية المصريين: مَحمد، تِعبان، إنتاية، عِته، يِقْتِل، يِزم، ضِفر ... الخ)

وحدث كذلك تناسخ في أصوات المد الطويلة نفسها، وخاصة في الألف اللينة إذ أحيلت في لغات بعض القبائل العربية القديمة، وتحال الآن في كثير من لهجات المغرب ولهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر وفي بعض اللهجات في بلاد الشرقية

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في اللغات الهندية، الأوربية[١]

(ب) وكثير من الأصوات الساكنة المتحدة النوع أو القريبة المخرج قد تناسخت كذلك في اللهجات العامية وحل بعضها محل بعض. فالسين مثلاً قد تحولت إلى صاد في بعض المواطن («ساخن» يحول إلى «صاخن» في عامية الشرقية وغيرها)؛ والصاد إلى سين في كثير من الألفاظ في عامية القاهرة وغيرها (فبدلاً من: يصدق، مصير ... الخ؛ يقال: يِسدَأ، مِسير ... الخ)؛ والضاد إلى ظاء في عامية المغرب

(١) أنظر عدد ٤٠٩

(١) أنظر تفصيل ذلك في كتابي «علم اللغة» ص ٢٩١ وتوابعها

وخاصة طرابلس وفى لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر[1] (فبدلاً من : وضوء ، يضيع ، يضرب ، يضم ... الخ ، يقال : وظوء ، يظيع ، يظرب ، يظم ... الخ) والعين إلى نون فى بعض الكلمات فى لهجة العراقيين (فيقال مثلاً « ينطى » بدلاً من « يعطى »)[2] ؛ واللام إلى ميم فى بعض الكلمات فى عامية القاهرة (« امبارح » بدلاً من « البارحة »)[3] ؛ والميم إلى نون أحياناً فى عامية المصريين (فيقال « فاطنة » بدلاً من « فاطمة ») وهلم جرا ...

وما حدث فى اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله فى اللغات الهندية الأوربية[4]

١١ — يتغير مدلول الكلمات تبعاً للحالات التى يكثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام مثلاً فى بلد ما أو فى عصر ما فى بعض ما يدل عليه تزيل مع تقادم العهد عموم معناه وتقصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله ؛ وكثرة استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم . وكثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى تؤدى غالباً إلى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله . واستخدام الكلمة فى فن أو صناعة بمعنى خاص يجردها فى هذا الفن أو فى هذه الصناعة من معناها اللغوى ويقصرها على مدلولها الاصطلاحى[5] . والتطورات التى حدثت فى اللهجات العامية تحت تأثير هـذا العامل تناولت آلافاً

(١) نعنى بها القبائل الحاضرة التى تسكن الفيوم وبنى سويف والشرقية والبحيرة . . . الخ (الفوايد ، الرماح ، الحرابى ، أولاد على ، الضعفاء ، خويلد ، سمالوس . . . الخ) .

(٢) تكاد تكون هذه الظاهرة مقصورة لديهم على العين المتبوعة بطاء وهذه كذلك لهجة قديمة هى لهجة هذيل .

(٣) هذه كذلك لهجة حمير ، وقد جاء بها الحديث « ليس من امبرامصيام فى امسفر » .

(٤) أنظر تفصيل هذا الموضوع فى كتابنا « علم اللغة » ص ٢٩٣ وتوابعها .

(٥) أنظر تفصيل هـذا العامل وآثاره فى اللغات الأخرى فى كتابنا « علم اللغة » ٣٠٥ ، ٣٠٦

من المفردات العربية ؛ حتى أنه ليندر أن نجد مفرداً عامياً مطابقاً فى مدلوله كل المطابقة للفرد العربى الذى انحدر منه

١٢ — يتغير مدلول الكلمة أحياناً تحت تأثير القواعد . فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيهه وجهة خاصة . فتذكير كلمة « ولد » مثلاً فى العربية (ولد صغير) ، قد جعل معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر ؛ ولذلك أخذ مدلولها يدنو شيئاً فشيئاً من هذا النوع ، حتى أصبحت لا تطلق فى كثير من اللهجات العامية إلا على الولد من نوع الذكور

١٣ — قد يتغير مدلول الكلمة فى انتقالها من السلف إلى الخلف . فكثيراً ما ينجم عن هذا الانتقال تطور فى معانى المفردات . وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذى يفهمها عليه الجيل السابق . ويساعد على هذا الاختلاف كثرة استخدام بعض المفردات فى غير ما وضعت له عن طريق التوسع والمجاز . فقد يكثر استخدام الكلمة فى جيل ما فى بعض ما تدل عليه ، أو فى معنى مجازى تربطه بمعناها الأصلى بعض العلاقات ، فيعلق المعنى الخاص أو المجازى وحده بأذهان الصغار ، ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد

١٤ — وقد تغيرت فى اللغات العامية مدلولات كثير من الكلمات ، لأن الشىء نفسه الذى تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به وما إلى ذلك . فكلمة « الريشة » مثلاً كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور . ولكن تغير الآن مدلولها الأصلى تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة ؛ فأصبحت تطلق على قطعة من الحديد مشكلة فى صورة خاصة . و « القطار » كان يطلق فى الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم فى السفر . ولكن تغير الآن مدلوله الأصلى تبعاً لتطور وسائل المواصلات ، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة

(١) أنظر تفصيل هـذا العامل وآثاره فى اللغات الأخرى فى كتابنا « علم اللغة » ٣٠٧

بخارية . و « البريد » كان يطلق على الدابة التى تحمل عليها الرسائل ، ثم تغير الآن مدلوله تبعاً لتطور الطرق المستخدمة فى إيصال الرسائل ، فأصبح يطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية فى العصر الحاضر

١٥ — انتقال كلمات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التى احتكت بها . فقد انتقل إلى كل بلد عربى اللسان كثير من كلمات اللغات التى أتيح له الاتصال بأهلها اتصالاً ثقافياً أو سياسياً أو اقتصادياً . فانتقل إلى لهجة العراق كثير من الكلمات التركية والفارسية والكردية والإنجليزية . وإلى لهجات الشام كثير من الكلمات التركية والفرنسية . وإلى لهجة مصر كثير من الكلمات التركية واليونانية والفرنسية والإيطالية ... وهلم جراً

١٦ — انتقال أصوات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التى احتكت بها . فمن ذلك مثلاً صوت بين الشين والجيم المعطشة ينطق به فى عامية العراق فى مثل كلمة « عربنجى » (سائق العربة) . فمن المحتمل أن يكون هذا الصوت قد انتقل إليها من التركية[1]

١٧ — دخول قواعد جديدة فى بعض اللهجات العامية للحاجة إليها فى الكلام أو عن طريق احتكاكها باللغات الأخرى . فقد انتقل مثلاً إلى المصرية والعراقية طريقة النسب التركية (بزيادة جيم وياء) فى بعض الكلمات وخاصة ما يدل منها على الحرفة : (عربجى . طرشجى . جزمجى ...) ، وطريقة الإضافة فى بعض الكلمات بتقديم المضاف إليه على المضاف (كتبخانة ، أنتيكخانة ... الخ) . وانتقل إلى اللهجة العراقية طريقة النعت الفارسية التى يقدم فيها أحياناً النعت على المنعوت (... « خوش ولد » خوش كلمة فارسية معناها حسن . ومعنى الجملة ولد حسن أو ما أحسنه من ولد) . وطريقة تنكير الإسم المفرد بذكر كلمة قبله تدل على الوحدة (« فرد رجل » ؛ « فرد مخالفة » ... الخ)

وانتقل إلى معظم اللهجات العامية المنشعبة عن العربية طريقة الإضافة بتوسط كلمة تدل على الملك بين المضاف والمضاف إليه : ففى مصر تتوسط غالباً كلمة « بتاع » المحرفة عن متاع ؛ وفى تونس والجزائر كلمة « إنتاع » أو « تاع » المحرفة كذلك عن متاع ؛ وفى المغرب الأقصى كلمة « ديال » ؛ وفى العراق كلمة « مال » للمذكر و « مالة » للمؤنث ؛ (... « الكتاب مالى » ؛ « الكراسة مالتى » ، أى كتابى وكراستى)[1] . ودخل فى معظم هذه اللهجات كذلك زمن جديد للمضارع للدلالة على الاستمرار. وقد اختلفت هذه اللهجات فى الإشارة إلى هذا الزمن ، فبعضها يشير إليه بياء فى أول الفعل (« بيكتب » فى بعض اللهجات المصرية) ؛ وبعضها يشير إليه بميم فى أول الفعل كذلك (« منكتب » فى بعض اللهجات المصرية والسورية) ؛ وبعضها يشير إليه بكاف قبل الفعل (« كيكتب » فى لهجة المغرب) ؛ وبعضها يشير إليه بكلمة « عم » قبل الفعل (« عم يكتب » فى كثير من اللهجات المصرية والعراقية) ؛ أو بكلمة « راه » (« راه يكتب » فى لهجة المغرب . وتستخدم هذه الأداة كذلك فى مصر ولكن للدلالة على الاستقبال وتقلب هاؤها حاء ، فيقال « راح يكتب »)[2]

١٨ — انقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها أو قلة استخدامه . فقد انقرض فى اللهجات العامية كثير من الأسماء العربية الدالة على أمور بطل استعمالها ؛ ويصدق هذا على أسماء الملابس والأثاث وعدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية ... التى كانت سائدة عند العرب فى عصورهم الأولى ، ولكنها انقرضت أو لم يعد لها شأن فى عصورنا الحديثة ، فانقرضت معها الكلمات الدالة عليها

١٩ — انقراض بعض الكلمات لثقلها على اللسان أو عدم

(١) هذا الصوت كان موجودا فى بعض اللهجات العربية القديمة ، فمن المحتمل كذلك أن يكون قد انتقل إلى العراقية من هذه اللهجات .

(١) أنظر فى ذلك بعض ملاحظات طريفة لرينان فى كتابه :
Renan : Histoire générale des Langues sémitiques, p. 411

(٢) يظهر لى أن هذا الزمن لم ينتقل إلى هذه اللهجات من لغات أخرى ، بل تكون فيها بشكل تلقائى للحاجة إليه فى التعبير .

تلاؤمها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق ... وما إلى ذلك وإلى هذا العامل يرجع السبب فى انقراض كثير من الكلمات العربية من لغات التخاطب العامية فى العصر الحاضر

٢٠ — انقراض الكلمة لدقة مدلولها ، أو عدم الاحتياج إليه فى لهجات المحادثة العادية ، أو قلة دورانه فيها ، أو وجود لفظ آخر مرادف له . فلهجات المحادثة تقتصر فى العادة على الضرورى وتنفر من الكمالى وتنأى عن مظاهر الترف ؛ وإلى هذا العامل يرجع السبب فى انقراض آلاف من الكلمات العربية من لهجات المحادثة الحاضرة ، وفى تجرد هذه اللهجات من أهم خاصة تمتاز بها العربية ، وهى سمة الثروة فى المفردات وكثرة المترادفات .

***

هذا ، وعلى الرغم من اختلاف هذه اللهجات فى ظروفها ، فقد تأثرت فى بعض النواحى بعوامل متحدة ، فاتفقت فى طائفة من مظاهر التطور . وتبدو وجوه اتفاقها هذا فى أمور كثيرة من أهمها ما يلى :

١ — تجردها من جميع الحركات التى تلحق آخر الكلمات فى العربية الفصحى ، سواء فى ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان حركة بناء . فينطق فى هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر ، وتُلتزم حالة واحدة فى الكلمات المعربة بالحروف ويُعتمد فى فهم الأمور التى ترشد إليها فى العربية الفصحى علامات الإعراب (وظيفة الكلمة ، علاقة عناصر العبارة بعضها ببعض ... الخ) على سياق الحديث أو على كلمات مستقلة تذكر فى الجملة .

٢ — استبدل فى هذه اللهجات بالطرق المعقدة الدقيقة التى تسير عليها العربية الفصحى فى تركيب الجملة وترتيب عناصرها ، طرق بسيطة ساذجة وأساليب حرة طليقة

٣ — لم تحتفظ هذه اللهجات إلا بجزء يسير من تراث أمها العربية وثروتها العظيمة فى المفردات ، ويتمثل هذا الجزء فى الكلمات الضرورية للحديث العادى

***

ومن هذه الخواص الثلاث يتبين أن أهم ما تمتاز به العربية الفصحى عن أخواتها السامية قد تجردت منه اللهجات العامية الحديثة ، فمسافة الخلف بين لهجاتنا الحاضرة واللغات السامية الأخرى أضيق إذن من مسافة الخلف بين هذه اللغات والعربية الفصحى .

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

الليبيـــون ...

للأديب مصطفى بعيو الطرابلسى

من المتفق عليه بين علماء الجيولوجيا أن شمال أفريقيا لم يكن صحراويا فى العصور الغابرة ، بل بالعكس كانت أمطاره غزيرة مما ساعد على جريان الأنهار فيه واخضرار أراضيه ونمو الغابات ، وبالتالى على تكوين البحيرات الشاسعة التى كانت ملجأ للتماسيح والجاموس البحرى ، وعاملاً على وجود المستنقعات التى تحلق فوقها الطيور ؛ وكانت هذه المستنقعات تشغل الأماكن المنخفضة وما زالت آثارها باقية إلى الآن تشهد بما كانت عليه الصحراء الكبرى فى العصور القديمة ؛ وكانت ترتع حول هذه البحيرات وبين أشجار الغابات أنواع من الحيوانات ، بعضها من آكلة اللحوم وبعضها من آكلة العشب ، ولكنها انقرضت بعض أجناسها واختفت نهائياً بمرور الزمن نتيجة لحدوث تحول فى الأمطار أدى إلى نقصانها شيئاً فشيئاً فى الصحراء وازديادها فى أواسط أفريقيا مما نتج عنه جريان نهر النيل الحالى ، فاضطر سكان شمال أفريقيا ، ومنهم « الليبيون » أن يهجروا إقليمهم ويتجمعوا حول الأماكن الخصبة الجديدة التى كان من بينها نهر النيل وواديه ، وإلى الآن لم يُعرف بالضبط تاريخ صحيح لبدء هذا التجمع ، وقيل أنه يرجع إلى ستة عشر ألف سنة مضت ، ومن هنا نرى أن الليبيين كانوا عنصراً أساسياً فى تكوين الشعب المصرى القديم الذى ازدهرت المدنية على يديه ، والذى سبق الشعوب الأخرى فى مضمار الحضارة . أما من بقى من الليبيين فى مكانه ، فقد كان على اتصال بمصر وأهلها

وبالأسف أن معلوماتنا عن الليبيين فى تلك العصور القديمة قليلة جداً ، وكل الذى نعرفه أنهم كانوا يعيشون على هيئة قبائل متفرقة مثل الآن ، والقبائل اللاصقة لحدود مصر كانت تمتاز بشعرها الأسود وعيونها العسلية وهى قبائل التحنو ، أما قبائل المشواش Meshwesh ، فهى إلى غرب القبائل الأولى ، وقد سكنت الصحراء المجهولة الحد وقتئذ ، وأهلها ذوو شعور شقراء وعيون زرقاء ، وهناك أسماء أخرى كانت تطلق عليهم منها رابو Rabu ، وقد ذكر هيرودوت أبو التاريخ هؤلاء القوم تحت اسم ماكسيز Maxyes ، وهم بلا جدال أصل البربر الذين استعمروا شمال أفريقيا فيما بعد ، والمشواش قوم متمدينون نوعاً ماهرون فى الفنون الحربية مسلحون جيداً

وكان الليبيون ينظرون إلى مصر الممثلة فى واديها الخصيب بعين الطمع خصوصاً وأنهم قد أصبحوا فى صحراء جرداء مما دفعهم إلى محاولة الاستيلاء على مصر للحصول على خيراتها العظيمة كلما حانت الفرص، فليس بغريب بعد ذلك أن يصفهم أحد ملوك مصر وهو منفتاح « بأنهم يمضون أوقاتهم محاربين ليملئوا بطونهم كل يوم ، وقد أتوا إلى مصر ليحصلوا على ما تحتاج إليه أفواههم » وكان الوجه البحرى دائماً عرضة لهجوم الليبيين القاطنين غربيه وأنه لكثرة هجرة هؤلاء القوم إليه انصبغ الجزء الغربى منه بالصبغة الليبية التى بقيت ظاهرة فيه حتى زمن هيرودوت المؤرخ اليونانى. وتشير أقدم أخبار الوجه البحرى إلى منازعات ومشاحنات مستمرة مع الليبيين . على أنه عند ما تمكن الملك مينا من توحيد الوجهين وتثبيت عرشه وجّه همه لتأمين البلاد من هجمات الليبيين فشن عليهم الغارات وأسر منهم حوالى مائة وعشرين ألف نسمة عدا مليون واربعمائة وعشرين ألفاً من الأغنام ، وأربعمائة ألف من البهائم كما جاء ذكره فى الآثار المصرية . وكانت هذه الغارة بمثابة طرد عام لهم . على أن هذه الضربة القاسية التى حلت بهم لم تمنعهم من الإغارة على مصر بل كانوا ينتهزون فرصة حكم الملوك الضعاف للهجوم على الوادى وسلب ما يحتاجون إليه مما أقلق بال فراعنة مصر ؛ ولهذا نراهم يتخذون سياسة حازمة نحو الليبيين ويقومون بالحملات عليهم تارة، وأحياناً يلجأون إلى سياسة سلمية لإيقاف هذه الغارات بأن يتزوجوا من الليبيات لعقد أواصر الألفة والسلام . ومن أنصار السياسة الأولى مينا كما تقدم ، وسمورع أحد ملوك الأسرة الخامسة الذى ترك لنا نقشاً غائراً يمثل انتصاره على اللوبيين وفيه نرى جماعة المهزومين من قبيلتى

« باقت » و« باش » ومعهم قطعانهم من البقر والماعز والحمير وهى تعد بالآلاف . أما أمنمحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة فقد أرسل نجله سيزوستريس الأول على رأس جيش ليعاقب الليبيين على أثر غارة شنوها على الدلتا فثار منهم . وأهم عمل قام به أنصار هذه السياسة هو ما فعلته الملكة حتشبسوت حيث أجبرتهم على دفع الجزية . وأما الذين اتبعوا سياسة المصاهرة فهم قليلون وعلى رأسهم الملك خوفو العظيم بانى الهرم الأكبر الذى تزوج من سيدة ليبية

وحدث حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد أن استوطن بعض الليبيين الواحتين اللتين هما جنوبى وغربى الفيوم ، وتقدم بعضهم حتى بلغوا الشاطئ الغربى لفرع النيل الكانوبى المعروف وقتئذ بالنهر الكبير . ولما زاد عدد الليبيين بالدلتا تجاسروا وتطاولوا على فرعون مصر فجمعوا شملهم وكونوا قوة نظامية للاستيلاء على أرض مصر ، وكانوا وقتئذ تحت قيادة ملكهم المدعو مريى Meryey وهذا أجبر بدوره التحنو أن ينضموا إليه ، ثم استعان بقرصان البحر الأبيض المتوسط وأخذوا يزحفون على مصر للاستيلاء عليها والاستيطان بها . أما حلفاؤه من قرصان البحر المتوسط فكانوا مكونين من سردينيين وصقليين ومن باقى أهالى جزر البحر الأبيض المتوسط ، وكان هؤلاء القوم قد عبروا البحر كثيراً فيما مضى وإليهم يعزى أصل الليبيين البيض البشرة (يرى هذا المرحوم جيمس والأستاذ هنرى برستد) ، بذلك أصبح الليبيون يهددون كيان الدولة المصرية . وكان على عرشها فى ذلك الوقت منفتاح فرعون موسى عليه السلام – على ما يقال – فاستعد هذا الفرعون لخطرهم وأمر موظفيه بحشد الجيوش وتجهيزها . وكان الليبيون فى ذلك الوقت قد أخذوا يتقدمون نحو مصر فلما أبصروا خيراتها العظيمة ازدادت همتهم واشرأبت أعناقهم إليها ، فاخترقوا الحصون المصرية الغربية ، وهناك عند مدينة بريرع « Perire » التى نجهل موقعها الآن اشتبكت الجنود المصرية مع الأعداء وتمكنت من طردهم بعد أن كبدتهم خسائر فادحة وأجبر ملكهم مريى « Meryey » على الفرار إلى وطنه تاركا جميع أسرته يائساً من النصر بعد أن قتل أولاده الستة ؛ ثم خلعه قومه وملكوا عليهم غيره . ويستدل من القتلى والغنائم أن جيش الليبيين وحلفائهم كان لا يقل عن عشرين ألف مقاتل وهكذا نجت مصر من الغزو الليبى

توفى الملك ورمر « Wermer » خليفة الملك السابق المعزول فورث العرش ابنه تيمر « Themer » وهـذا صمم على الانتقام لشرف الليبيين من فرعون مصر ، وكان فى ذلك الوقت رمسيس الثالث ، ولتنفيذ غرضه نراه يتحالف مع قرصان البحر الأبيض المتوسط ثانياً ولكن سرعان ما هزمهم رمسيس الثالث بالقرب من مدينة « رمسيس الثالث معاقب أهل التمحو (لبيا) »

أمام هذا الفشل المتكرر لم ير الليبيون فائدة من القيام بحملات ضد مصر لكى يستوطنوها ولكنهم مع ذلك قاموا بهجرة عظيمة ثانية إلى غربى الدلتا على أثر غزو قبائل المشواش لبلادهم التى أتلفوها ثم أجبروهم أن يتحدوا معهم لمحاربة مصر ، وتولى قيادة هذه الحملة الجديدة مشِشر « Meshesher » بن ملك المشواشيين المدعو كبر « Keper » ولكن الفشل فى هذه المرة أيضاً كان حليفهم إذ هزمهم فرعون مصر فولوا هاربين بعد أن قتل قائدهم وأسر والده مع عدد عظيم منهم واعتبر رمسيس الثالث هذا النصر العظيم عيداً يحتفل به سنوياً وسماه « عيد قتل المشواشيين » ولقب جلالته نفسه بعد ذلك بالألقاب الآتية : « حامى مصر والمدافع عن الأقطار وغازى المشواشيين ومتلف أرض التمحو »

هذه هى المرة الثالثة التى صدت فيها القبائل الغربية عن الدلتا ونيلها . ولم يعد بعد ذلك عند رمسيس الثالث مجال للخوف من تلك الجهة بالرغم من أن قوة الاستعمار عند الليبيين لم تنعدم بالمرة . والمعروف أن هؤلاء القوم لم تتحد لهم كلمة بعد ذلك ، لكنهم أخذوا يهاجرون مسالمين إلى القطر المصرى كما فعلوا قبل حكم الأسر ، وكان ذلك على فترات متقطعة وبنفر قليل لم يقاومهم فرعون مصر ولم يهتم بهم كثيراً لعلمه بضعفهم وعجزهم ، ولكن بفضل هذه الهاجرة السلمية استطاعوا أن يبسطوا بعض نفوذهم على الوجه البحرى . ومما ساعدهم على ذلك

زيادة الجنود الليبية المأجورة بالجيش المصرى باطراد . وكان فراعنة مصر قد لجأوا إلى استخدام الجنود المرتزقة فى أواخر الدولة الحديثة من التاريخ المصرى القديم ، وأصبح الجيش المعسكر بالدلتا لحفظ النظام هناك تحت قيادة ضباط مشواشيين قابضين على قلاع تلك الجهة مما أدى إلى تقوية نفوذ المشواشيين حتى إنه حدث فى عهد الأسرة الحادية والعشرين أن قصرت بعض الوظائف الهامة عليهم

ثم ظهر من بينهم رجل قوى نرى يدعى شيشنق لقب نفسه « رئيس المشاس العظيم » استطاع أحد أحفاده أن يعلى من نفوذ أسرته الليبية ثم انتهز فرصة ضعف آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين أو انقراض ملوكها واستولى على عرش مصر واتخذ له مدينة تل بسطة عاصمة للملكة وكان ذلك فى عام ٩٤٥ق م وقد اعتبر مانيتون المؤرخ المصرى القديم شيشنق هذا مؤسساً للأسرة الثانية والعشرين وبذلك استطاع الليبيون التربع على عرش مصر بلا تعب ولا حاجة إلى امتشاق الحسام بعد مضى مائتى سنة تقريباً من وفاة رمسيس الثالث الذى سحقهم سحقاً لما علم بنياتهم الخبيثة نحوه ولكى يوطد شيشنق عرش أسرته زوج ابنه بكريمة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين لكى يمنح ابنه حقاً شرعياً لتولى عرش مصر بعد وفاته وذلك عن طريق زوجته

حاول شيشنق هذا إصلاح حال مصر وإرجاع أملاكها القديمة فنراه يبسط نفوذه على فلسطين تاركاً ولايتها لسليمان الحكيم كما استرجع النوبة . والخلاصة أن مصر تمتعت برخاء نسبى فى أول عهد الحكم الليبى بعد أن ساء حالها . وقد كشفت آثار بعض ملوكهم فى العام الماضى فوجد معظمها من الفضة وهى كما نعلم كانت فى عهد الفراعنة أغلى من الذهب مما يدل على حياتهم المترفة . ويجب علينا ألا ننسى أن الحكام الليبيين تطبعوا بالطباع المصرية وحاكوا أهلها فى العادات وعبدوا المعبودات المصرية وقدموا إليها القرابين كأهل البلاد تماماً ، ولكن كل هذا لم يمنع سقوط عرشهم فى عام سنة ٧٤٥ ق . م على أثر ازدياد نفوذ قواد الجيش المأجورين فقووا مراكزهم فى مدن الوجه البحرى وعملوا على تقسيم القطر المصرى إلى عدة أمارات حربية صغيرة وبذلك يكون طول مدة الحكم الليبى فى مصر حوالى ٢٠٠ سنة إذ تولوا العرش فى سنة ٩٤٥ ق . م تقريباً

ويجب ألا ننسى أنه لولا المشاغبات التى كان يقوم بها الليبيون لما فكر فراعنة مصر فى غزو تلك البلاد لفقرها ، اللهم إذا استثنينا الواحات حيث تزرع الكروم التى كانت لها شهرة خاصة وزيتها الذى يطلق عليه الزيت اللوبى ، وكان يستعمل حسب التقاليد المصرية لدلك الأجسام .

مصطفى بعيو الطرابلسى
كلية الآداب — اسكندرية

ألقاب الشرف والتعظيم

عند العرب

للأب أنستاس ماري الكرملي

ـ ٣ ـ

٧ ـ القمس

تقدم لنا ذكر القمس ، وقد ذكره غير واحد من فقهاء اللغة وجاء في بيت شعر ، لأحد شعراء حلب في سنة ٥٤٤ للهجرة (في ١١٤٩و١١٥٠ للميلاد) ، ما هذا نصه (في كتاب الروضتين ص ٦٤ من طبعة باريس) :

«واستقودوا الخيل عُرْباً واستقدتَ لنا ،
قوامِص الكفر في ذلٍّ وفي صَغَرِ »

فيكون مفردها هنا : (قومَص) ، ولاتينيتها Comes ، بمعنى Comte الفرنسية . وجاءت أنثاها (قومَصِيَّة) . قال في الكتاب المذكور ، (ص ١٩٩) : « وأخو صاحب جُبَيل ، وابن القومصية » — وفي ص ٢٠٠ : « وأما ابن القومصية فإنه استفكته أمه »

وقال في ص ١٩١ : « ووصل في هذه السنة (٥٧٣ هـ ١١٧٧و١١٧٨م) ، إلى الساحل من البحر، كند كبير يقال له اقلندس ، (صوابه إفلِبُّس Philippus) أكبر طواغيت الكفر » وفي ص ٢٥٧ و ٢٥٨ ، ذكر القومص خمس مرات ، والقومَصية مرة واحدة . ثم تكرر ذكر القومص مراراً عدة وفي ص ٢٧١ ذكر « الملك وكفوده » وهو جمع كند ثم تكررت هذه الألفاظ باختلاف وجوهها ، لكنها لم تختلف عما ذكرناه هنا فلا حاجة لنا إلى الإكثار منها

ولم يذكر أرباب المعاجم هذه المفردات جميعها وبلغاتها في دواوينهم . فقد قيدوا أشياء منها وأهملوا شيئاً آخر . فأما ما قيدوه فالقومس . قال السيد مرتضى : القومس كجوهر الأمير بالنبطية (١) . نقله الصاغاني عن ابن عباد ؛ وقال الأزهري : الملاء الشريف ... وقيل : هو الأمير بالرومية

قلنا : وهذا هو الصحيح ، لا من اللغة النبطية ، وإن كانت هي السبب إلى نقلها إلى العربية ، ومعناها الأصلي في الرومية الرفيق ، لأنه كان في بادئ الأمر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته ثم أطلق على الأمير ؛ ثم قال الشارح : والقِمَّس كسُكَّر : الرجل الشريف . كذا نقله الصاغاني وهو قول ابن الأعرابي وأنشد:

وعلمت ... (البيت)

فسره بالسيد والجمع قمامس وقمامسة . أدخلوا الهاء لتأنيث الجمع ؛ والقمامسة : البطارقة نقله الصاغاني عن ابن عباد ولم يذكر واحدة وكأنه جمع قِمَّس كسكر

قلنا : إن البطارقة هنا بمعنى الأشراف من أكابر القوم . وكذلك قولهم القومس : الأمير ؛ والقمس : الرجل الشريف . فكل هذه المعاني مرجعها واحد ، وإنما الفروق هي من بعض الشراح . أما من جهة التحقيق ، فالقومس أو القمس غير البطريق وهذا غير الرجل الشريف ؛ والرجل الشريف غير كبير القوم أو أميرهم . أما التوسع في المعاني فأشهر من أن يذكر

والأقباط يسمُّون كبير قسوسهم بالقمص كالقُفل ، أو القمُّص بضم الأول وتشديد الثاني المضموم ، والجمع القمامصة . وسمى النويري القمامسة : قمامصة بالصاد بمعنى الأشراف ؛ وهذا يشعر بأنه اعتبر المفرد قمصاً ، وزان سكر ، بصاد في الآخر . وهذا من لغات مضر ، أي قلب السين صاداً للتفخيم . وكذا فعل ابن الأثير المؤرخ ؛ فإن الذي سماه بعض المؤرخين قومساً ، سماه هو قومصاً : وسمى الأنثى قَومصة — قُومصيَّة . قال في الكامل (١١ : ٢٤٧ من طبعة الإفرنج) : « وكان القمص (وفي بعض الروايات القومص) صاحب طرابلس ، واسمه ديمند ابن ديمند الصنجيلي ، قد تزوج بالقومصة ، صاحبة طبرية »

---

(١) كذا . واللغويون كثيراً ما يجهلون اللغة الأصلية التي نقلت منها الكلمة الدخيلة . ولما كانت تلك الحروف أخذت من الأعاجم — على اختلاف قومياتهم — على أيدي النبط ، أي الآرميين كانوا يظنون أنها نبطية أي أرمية ، زد على ذلك أنهم لم يحققوا للمعنى الأول للكلمة ، لأنهم ما كانوا يدرسون لغى الأجانب في ذلك العهد بل كانوا يكتفون بدرس الضادية .

وقد جرى على هـذه التسمية كثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده . وقال فى وقائع سنة ٥٨٣ : « فَرَّ القومص إليها (إلى صور) يوم كسرتهم (كسرة الصليبيين) »

والذين جاءوا بعد هذه الطبقة من المؤرخين الكتاب قالوا : الكند بدال فى الآخر ، أو القند بقاف ونون ودال . فمن الأول قول أبى شامة (راجع كلامه الذى أوردناه فى الدوفن)

ومنه أيضاً الكنداسطبل . وقد تحذف الهمزة . ومعناها أمير الإسطبل . وهو تعريب اللاتينية Comes Slabuti قال صاحب مختصر الدول (ص ٤٤٨ من طبعة بيروت) :

« ومن الأرمن الكندسطبل ، أخو التكفور حاتم » . — وفى الكامل لابن الأثير (١٠ : ٢١١) : « وأمِر مقدمهم المعروف بكنداسطبل ، فافتدى نفسه . »

وقد غلط المعلم بطرس البستانى غلطاً فظيماً فى معجمه محيط المحيط ، إذ قال فى ترجمة (ك ن د) : « الكُنْد : الشرس الشديد . فارسى » اه . — وقد نقل الكلمة عن فريتغ وهو مأخذه الأكبر ولم يصرح به . وفريتغ حاطب ليل ، لا يميز بين الحطب والجزل ، وقد أولج فى الضادية مفردات جمة لا حقيقة لها ، سوى سوء فهمه لكلام بنى عدنان ، أو لسوء قراءة كلمهم . هذا فضلاً عن أن البستانى لم يفهم معنى كلة فريتغ اللاتينية وهى Strenuvs فهى لا تفيد أبداً معنى (الشرس) كما نقلها إلى لغتنا ، بل النشيط ، الثقف ، العامل ، الفعال . فهذه أغلاط فوق أغلاط فوق أغلاط ، هى ظلمات من فوقها ظلمات ومن تحتها ظلمات . ومن الغريب أنه نقل هذه الكلمة اللاتينية نفسها فى مادة (كُنْبدا كر) بالمعنى غير المعنى المذكور . فقد قال : « الكنداكر : الشجاع الجسور » اه .

قلنا : وهذا يجوز لأنه من معانى الرومية المذكورة أى Strenuvs ؛ لكن كنداكر منقولة عن فريتغ أيضاً ، وقد قال فيها إنها فارسية ، وهى لا فارسية ولا عربية ولا هندية ولا صينية ، بل ولا واقواقية ، لأنها مركبة من كند Comte أى أمير وأكر Acre أى عكاء ، ومحصل معناها : كند عكاء أو أمير عكاء ، ويراد به هنا الكنت هنرى دى شنپانى وبالحروف الفرنسية : Le comte d'Acre, Henri de Champagne

وسعيد الشرتونى صاحب أقرب الموارد ، نقل هذين الغلطين عن البستانى ، ونسبهما توّاً إلى فريتغ كذباً وزوراً . مع أن الحقيقة أنه نقلهما رأساً عن محيط المحيط ، فنكرانه لجهود المعلم بطرس البستانى لا يشرفه ولا يبرر وهمه . فقد قال فى مادة (ك ن د) : « الكند بالضم الشرس الشديد (فارسى) ، نقله فريتغ عن بعض كتب العرب » اه . فلو نقل الشرتونى الكلمة توّاً عن فريتغ ، لنقل معنى اللاتينية نقلاً صحيحاً غير ما نقله البستانى ، لكن أراد الله أن يكشف سوء عمله ، فقال ما قال كذباً وزوراً ، فكان عليه أن يعترف بالصدق ويقول : « نقلته عن محيط المحيط وهو نقله عن فريتغ » ؛ وهذا لم يحسن القراءة ولا فهم معنى اللفظة

وكذلك قال فى كنداكر : الكنداكر [وضبطها ضبط قلم بضم الكاف وإسكان النون وفتح الدال يليها ألف فكاف مكسورة فراء فى الآخر] : الشجاع الجسور ، فارسية ، نقلها فريتغ عن بعض كتب العرب ؛ وكان حقه أن يقول ما ذكرناه فى كلة الكند

أما صاحب البستانى فذكر الكند إذ قال : الكند بالضم الشديد الشرس (معرب) . فأراد أن يبين أنه لا ينقل عبارته عن محيط المحيط ولا عن أقرب الموارد فقدم وأخر فقال : « الشديد الشرس معرب » عوض أن يقول : الشرس الشديد فارسى .

فيا للأسف ! كيف أن أبناء العرب ينقلون لغتهم عن الدخلاء ولا يشعرون بالضرر الذى يلحقونه بلسانهم الفصيح ، البديع ، البليغ بعملهم هـذا الليم ! وكيف أنهم يسرقون أتعاب غيرهم ولا يقرون بفضلهم ، وكيف أن الله يهتك أسرارهم ومرائرهم بصورة لا تعلى شرفهم

وخلاصة البحث فى القند ، أنه يقال : القُنْد ، والكنْد ، والقُمْس ، والقُمَّس ، والقُمص ، والقَمْص ، والقُمَّص ، والقُمَص ، والقُمُّص ، والقَوْمَس ، والقومَص . وإذا

زدنا عليها ما يقوله صحفيون فى هذا المعهد، أى الكنْت والكونت، وما ذكره بادجر فى معجمه الإنكليزى العربى، الذى صححه الشيخ أحمد فارس الشدياق، أى القونت، مَثَلَ بين يديك رجل عربى ينطق بأربع عشرة لغة، فلله درُّه من لغوى بارع!

٨ — الهنباط

قال فى تاج العروس: «الهنباط، بالفتح، صاحب الجيش بالرومية. وقد جاء فى حديث حبيب بن مسلمة: إذا نزل الهنباط ثم قال: هنا (أى فى مادة هـ ن ب ط) ذكره ابن الأثير [صاحب النهاية]، وذكره الصاغانى فى مادة (هـ ب ط) وقلده المصنف أى [الفيروزابادى] والصواب أنه بالنون. وقال فى تركيب هـ ب ط: «الهيباط، بالفتح: ملك الروم. نقله الصاغانى هنا. والصواب أنه الهنباط بالنون» اهـ. وفى النهاية لابن الأثير المطبوع فى مصر، ضبط الهنباط بالضمّ، وهو خطأ، لأنه يخالف لنصوص جمهرة اللغويين.

وكان فكرنا فى أول الأمر أن الهنباط مقطوعة من الرومية (إنبراطور)، لكن نبّهنا الأستاذ الأجل إلياس قدسى إلى أن الكلمة من اليونانية Hypatos (هُبَاطُس)، وأول معناها: الأعلى والأرفع، ثم أطلق عندهم على الرئيس الأعلى؛ أى ما يسميه الرومان (قنصلاً). وكان يراد بالهنباط يومئذ لقب أحد الحاكمَيْن الأعظمَيْن اللذَيْن كانا بديوان رومة. وجاء الهيباط بعض الأحيان بمعنى قنصل الإقليم، وهذا كان يسمى باللاتينية بْرُو قنصلاً. وكان الهيباط يلفظ فى أول الأمر (هُبَاط) وزان غراب، ثم (هِباط) بكسر الأول ككتاب، ثم صحفه بعضهم فقال (هَيباط) بياء مثناة بعد الهاء. وآخرون قالوا (هنباط) بنون بعد الهاء. فالمادة الأصلية هى (هبط) وكان يجب على اللغويين أن يذكروها فى هذا التركيب الثلاثى لا فى سواه

وأصل اليونانية Hypatos (هُفَاطُس) Hypamos (هفامُس)، أى أن اللفظة فى أصل وضعها القديم كانت بالميم، ثم قلبت تاء أو طاء. قلنا: فإذا جردنا الكلمة من زوائدها، يكون لنا (هفا) أو (عفا)، لأنه ليس فى لغة اليونان حرف حلق فخم، فعندهم الهاء والعين شىء واحد، والعرب تقول: عفا فلان على فلان فى العلم وغيره زاد. واسم الفاعل عافٍ والجمع عُفاة. فالهِباط أو الهفاط هو العافى لا غير فى أصل معناه، أى المشرف على غيره بالعلم أو بالرئاسة

وقلب الميم تاء أو طاء فى العربية واقع وقوعه فى اليونانية. فقد قال بنو عدنان: حات يحوت بمعنى حام يحوم، وقالوا: الغَمْطس كالغَمْس، ورجل أمرط الحاجبين كأمرطهما، وجعل الهاء عيناً، وبالعكس أمر مشهور أيضاً لا يحتاج إلى تأييد، من ذلك قولهم: تريّع السراب وتريَّهَ، وعاث فيه وهاث، والهنَشنش كالعنشنش، والهكوك كالعكوك والهجفة من النساء كالعجفة. فاتضح من هذه المقابلة اللغوية أن اللفظين هما واحد فى الأصل، وهذا عجيب غريب!

(له صلة)

الأب أنستاس مارى الكرملى

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

من الأدب النسائي

من مذكرات مطلقة

للسيدة الفاضلة « ليلى »

[إذا قسا قلب الرجل ومات ضميره فلن تجد الرحمة سبيلا إلى قلبه ، وهيهات أن يرد إليه الشعور أنه سارق ، وفي بعض الحالات قاتل . يعطي باليمنى ويسلب باليسرى ، ويغتصب الروح الهائمة لتحل الشقوة ويدب التلف إلى القلب النابض فيخفت . أيها الانسان العابث ! أما عرفت أن هناك إلهاً بالمرصاد ؟]

أذلك حلم أتخيله ، أم هي الذكريات تطوفه برأسي كما يطوف النحل بخلاياه ، لها أزيزه وطنينه ، ولكنها لا تنتج العسل ولا فيها شفاء للنفس ولا للناس ؟ لقد كادت صرخة الجوع تفلت من بين شفتي ، ولكنها في سجن من الإباء وقيد من الكبرياء ! لقد سمحت للدموع أن تطفئ أشجاني وتبرد نار أحزاني ، ولقد هتفت بوحدتي أن أسبلي عليّ ستارك ، ولا تعتني بآلامي مهجة الشامت ، حتى تستقر نفسي ، ويعاودني كسابق الأمر أنسي ، وهيهات ... فالقلب قبر صامت يحمل رفات الذكريات ! لقد نسي النادر كؤوس الهناءة التي سكبتها له بيدي ، وألوان السعادة نعم بها في جواري ، وجنة البيت تضفي عليه النعيم ... نسي الصدر الرحب الذي وسع أنانيته ، والروح التي خلقت فيه عبقريته ... نسي الحنان يرتع في جنباته ، والحب الخالص يرعاه في غدواته وروحاته ... كانت حياتنا معاً مثلاً عالياً للوفاء ، فبرهنت الأيام على أنّ ليس لحال بقاء ... نسي كل شيء ، وبرم بعشرة السنين الطويلة : لم يرحم الإحساس المرهف يجرح بسكين الصد والهجران ؛ ولا الآلام تخترم الجسم الرقيق كالنبال ، ولا النفس العالية يسيمها الخسف والهوان ؛ وطغى كالسيل الجارف يهد من جسر الآمال ، ويذيب الأمانيّ ويغرقها في صميم الأوحال !

إستبدل بالمرحلة السعيدة التي قطعناها ، أخرى شقية ما ألفناها ، تبدل وتغير من ربيع زاهر ضاحك إلى خريف مجدب ماحل ، ثارت النفس لهذا الاختلاف ، ثم جاء وقت الحساب ، فما أجدى تفاهم ولا عتاب . افترقنا ، هو سادر في غلوائه ، وأنا قلبي تائه في بيدائه ، وحملت نفسي أشلاء ممزقة وهي حائرة مبعثرة ، وصرخت في وجه القدر : أنا صابرة صابرة ، وعلى تحدى غدره قادرة ! أشحت بوجهي حين تقدم إلى بالمساعدة ، حتى حقوقي رفضتها معاندة ، وخرجت من بيته مرفوعة الرأس . وهناك في غرفة حقيرة الأثاث انطويت على نفسي بعيدة عن الناس ، أبيع الحلية أسد بها الرمق ، وأغالب حالات الضيق والقلق ، وأطارد شبح الذكرى حتى حقرت في نظري الحياة . وها هي ذي نفسي تستمرئ هذا العيش الجديد ، بالرغم من بعده عن كل تغيير وتجديد . بقي فضول الناس ، فهم بمعرفة حقيقتي مولعون ؛ يعجبون لوحدتي وانفرادي ، ويتساءلون عمن أحب وعمن أعادي . لم يبق غير الجبل أسارع إليه لأدفع عني شر الإنسان ، ولا بدأنه ملاحقي في كل زمان ومكان . إني أحسن جوارهم ، ولكن لا أحب حوارهم . آنس بالوحدة وأرى فيها عالماً من نور ، وأوقن أن ما يصيبنا في كتاب مسطور . درأت عن نفسي فتنة الدنيا بهذا الاحتجاب ، وكأني سائحة طال عليها الاغتراب . رأيت السلوان في مصحفي وكتابي ، وناشدت الله أن يجزل ثوابي ؛ حتى إذا اجتزت المحنة في ثبات . أخذت أفيق من غمرة ذهولي وأقول : حياة كالعدم ، شيء غير معقول ... لم لا آخذ من دهري بنصيب ، وأستبدل حبيباً بحبيب ؟

صحت وقد نفضت عني حياة العدم ، فليس في صفحتي ما يوجب اليأس والندم : أشرقي يا نفسي في جوانب صدري . هأنذي لا زلت شابة فتية ... لم تكونين يا نفس ضحية الأحزان ونعيم الوجود يبدو أمامك ؟ انشطي وافسحي المجال لروحك ، وضمدي بالسرور شق جروحك ... ما ضرك لو تعرفت بهذا وذاك ... ؟ أليس لأسير الأسى من فكاك ؟ أيقضي علي بالقسوة والحرمان ،

وسواى يلهو مع الصحب والخلان . . . إن ظهرى لا يحتمل وقر السنين ، ولا يرضى بشقاء العيش غير المجانين ! لقد لقيت جزاء الإخلاص ، وأفلست من حبه أيما إفلاس ، ولكنى سأتناول بيدى كؤوس النعيم ، وأطرح همى الدائم المقيم . نحن بنى آدم كالأعاصير نثور ونهدأ ، وما نحن إلا قصة أو حديث فى أساطير ، ومهما طال بنا الأمد فسيجرفنا الفناء ، وسنجد أن الحياة لم تكن تستحق العناء ، فلنشرب من وردها الصافى .

إنى أحبها وعلى رأسى تاج من الشرف يلمسه من جهلنى ومن عرفنى . أحبها فى أحضان السمعة الطيبة والكرامة ، لا ينغصها وخزة ضمير ولا ندامة . فاللهم اهدنى السبيل ، واكفنى شر القال والقيل . كيف أناضل للعيش وحيدة ، وأنا بمعرفة أساليب الناس بعيدة ؟ واخيبتاه إن وقعتُ فى الحبالة ، ولم يبق فى مصباح عقلى زبالة . اللهم خذ بيدى فلست أريد إلا أن أخرج عن جودى وأشعر بكيانى ووجودى . هأنذى أفتح النافذة وأتلقى نظرات جارى متحفزة . قال : عمى مساء ! قلت : عم مساء ! قال : يظهر أننا فى الوحدة سواء . لم تنفرين من المجتمع ، أما من أقارب أو أصدقاء لك فى هذا البلد ؟ قلت وجدت الخير فى صحبة الكتاب ، بعد أن تقطعت بينى وبين صاحبى الأسباب . أما البنون فالحمد لله الذى رفع عنى عبئهم ، ولم يشأ أن أتحمل ذنبهم . قال يا لك من مسكينة ! لا بد أن تكون حياتك موحشة قاسية ، وماذا يملأ فراغك ؟ ما ضرك لو نكون صديقين ؟ فكانت إجابتى بسمة ساخرة ، وكنت فى تحويل دفة الحديث ماهرة . ثم أقفلت النافذة بغير تحية ، وأنا أقول : خاب فألك ! لن أكون مرة أخرى ضحية

دخلت علىّ جارتى ودعتنى للزيارة ، فلم أشأ أن أعارض ، وجلست إليها أستمع هراء فى هراء ، ولا أدرى إن كان حديثاً أو مواء . لقد حاولت الإفصاح ، وأخذت تستدرجنى لأقص عليها واقعة حالى ، وأنبئها بآلامى وآمالى ، فقصصت عليها أمرى باختصار ، فأظهرت لى أنها من خيرة الأنصار ، وأخذت تلين ملمسها كالحية الرقطاء ، على صورة لم يخف ما بها من دهاء . ورغم تظاهرها بالبذخ واليسار شعرت باحتقارها . ثم خرجت من لدنها وبينى وبينها هوة سحيقة . لقد تجرعت الساعة التى قضيتها معها كـكأس مرة المذاق ، وقد عزمت وأكدت العزم ألا يكون بعدها تلاق

خرجت اليوم فى الطريق ، من غير ما صاحب ولا رفيق ، فأخذتنى النظرات السافلة ، ورحت أتعثر بين السابلة . أخذت سمتى إلى ماهى من الملاهى ، وأنا أقول أسألك العصمة يا إلهى . رأيت نساء يرقصن شبه عرايا ، ونفوسهن تشف كالمرايا ، ليس لهن هدف غير الرجال ، وسلب ما يقدرن عليه من مال . أما الحب الذى يتظاهرن به فما هو إلا خداع وإغراء ، قد جاز على عقول هؤلاء التعساء . كانوا يلتهمونهن بأنظارهم إلتهاماً ، ويظهرون جوعاً وهياماً . والنساء يتدللن والرجال يتملقون ، وكل بدوره يحيك الشباك ، ويبحث عن ضالته هنا وهناك . وبدلاً من أن أسر بالأنوار الساطعة والموسيقى الصاخبة ، شعرت كأنى أريق ماء وجهى ، وأن الشيطان واقف وراء ظهرى وأمامى ينفث من روحه فى تلكم الأنغام ؛ فأسرعت بالفرار من هذا المكان ، أنشد فى وحدتى الطمأنينة والأمان .

« ليلى »

سليمان فوزى

دمعة مكبوتة

على فقيد عزيز

للأستاذ صالح على عيسى السودانى

أى أستاذى وصديقى سليمان فوزى !

لقد كنت فى حياتك بى مرحباً حفياً ، وها أنا قد أصبحت اليوم بموتك شقياً ... لجأت إلى الدموع فلم تسعفنى من شدة الحزن ... وشر الدمع ما كان عصياً ... وأقتل الحزن ما كان مكبوتاً دفيناً

وما قصّرت فى جزع ولكن   إذا غلب الأسى ذهب البكاء

أى سليمان ! فما أعظم مصابى بك ! وما أشد حزنى عليك !

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى
أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاىَ لو غير الحِمام أصابكم
عتبت ، ولكن ما على الموت معتب

* * *

اتصلت بالمغفور له سليمان فوزى منذ نيف وعشرين سنة فألفيته على جوانب عظيمة من المروءة والشهامة والنجدة والإخلاص لإخوانه ، والاستخفاف بالشدائد والاعتداد بالرأى والاعتماد على النفس والاستهانة بالمال ينفقه فى سبيل أداء الواجب نحو وطنه وأبناء وطنه وإخوانه وزملائه ، إذ كان يؤثرهم على نفسه ، ويا طالما كان يضيّق على نفسه ليوسع على العافى المعوز من أصدقائه الذين اتصلوا به

ولقد لازمت الفقيد — رحمه الله — فى كثير من أوقات الشدة والمحنة داخل السجن وخارجه ؛ فكان القدوة ومضرب المثل فى تحمل الشدائد مع الرضاء ... كان يقابل النكبات بابتسامته الساخرة والتهكم المحبب إلى ذوى النفوس القوية ، فإذا حاولت أن تسرى عنه أو تهوّن عليه سرعان ما كان يقف منك موقف المسرى المخفف لما حاولت أن تهونه عليه ! مزدرداً البلوى النازلة مهما عظمت ، والنكبة الطارئة مهما كبرت ، بتلك الكلمة التى كان يتخذها شعاره وهى: «ربنا يستر». كان يقولها فى المواقف الحرجة التى ترتعد فيها الفرائص ، والمواطن الخطرة التى تنخلع لها القلوب وتذهب شعاعاً . ولا عجب ، فقد كانت تتجلى فى الأستاذ سليمان فوزى جميع صفات الشجاعة بأجلى ما فى كلمة الشجاعة من المعانى ، إذ كان يمضى قُدُماً إلى الغاية التى كان يتوخاها بنقده ، والهدف الذى كان يرمى إليه بحملته الصحفية ، لأنه كان يقدس عمله الصحفى ، وكيف لا ، وهو الذى كان يضحى فى سبيل أداء الواجب الصحفى براحته ومكسبه وصحته ! ولا جدال فى أنه لم يستطع حاكم بسطوته وجبروته أن يرهبه أو يخيفه أو يحمله على العدول عما كان يعتقد محاربته لزاماً . ولم يستطع زعيم أو متزعم مهما بلغ من قوة نفوذه أن يثنيه عن المضى فى عمله الصحفى ناقداً أو داعياً إلى فكرة

وكان الأستاذ سليمان فوزى (أنموذجاً) ومثالاً وصورة ناطقة لجيل من رجال الصحافة فى مصر الذين احتواهم أعنف عهد من سنى الحركة القومية والنهضة الفكرية . ولا مرية فى أن فقيد الصحافة كان من أبرز الشخصيات الذين قام على أكتافهم إعلاء شأن الصحافة فى مصر، كما كان فى طليعة أولئك الذين خلقوا للصحافة نفوذاً يخشى تجاهله ويعمل حسابه ... ولكن سليمان انفرد بذلك الطابع الخاص فى النقد السياسى اللاذع والتهكم المرير على سياسة وأنانية كثيرين من المتزعمين الذين اتخذوا الاشتغال بالسياسة حرفة ووسيلة لإشباع بطونهم الجائعة ، وملء جيوبهم الخاوية . وبعبارة أخرى ، كان سليمان فى مقدمة أولئك الذين كشفوا للأمة — فى شجاعة — خبايا نفوس بعض المتزعمين ، وأبانوا للناس حقيقة وطنية المتجرين بالسياسة وعواطف الأمة

وكان من صفات الأستاذ سليمان فوزى المبادرة إلى معاونة كل صحفى إذا ألمت به ملمة حتى لو كان هذا الصحفى من خصومه فى الرأى الذين قاومهم وقاوموه — على أنى لم أر للراحل الكريم ضريباً فى بذل الجهود لمعاونة إخوانه فى أوقات شدتهم . وإنى لأكتفى بذكر القليل من المروءة التى كانت تتجلى فى الأستاذ سليمان فوزى نحو خصومه من رجال الصحافة والسياسة

لما قبض على الأستاذ الكبير محمد توفيق دياب فى قضية سياسية « كيدية » وكان قد استشهد بى ضد الكاتب الكبير بعض الذين كانوا يأكلون لقمتهم مغمسة بدماء الناس . وبالرغم من أن الأستاذ سليمان فوزى كان يخاصم الأستاذ الكبير توفيق دياب ويقاوم السياسة التى كان يروج لها ، فإذا به (أى الفقيد الكريم) يسرع فى مقابلتى — بمجرد أن علم بإلقاء القبض — ليذكرنى بواجب الرجولة نحو رجل من حملة الأقلام — ولم أك ناسياً — وقد طالبنى أن أقف فى صف الأستاذ الكبير توفيق دياب وأن أكون له لا عليه فى وقت شدته ، على أن نستأنف مقاومة رأيه السياسى بعد إطلاق سراحه . وقال : أما وهو رهين السجن فلنقم نحوه بما يفرضه الواجب على الرجال . قال ذلك ، ثم أخذ يسعى لدى الدوائر الرسمية طالباً أن يعامل الأستاذ توفيق دياب فى سجنه معاملة تليق بمكانته كأحد قادة الفكر فى البلد

إذن لست مبالغاً إذا قلت إن المغفور له الأستاذ سليمان فوزى كان ينفرد فى بيئته بالمروءة والشهامة والنجدة والشرف فى الخصومة وتناسى الأحقاد وقت الشدائد ... فهل قام إخوانه بالواجب نحو رجل كان يقوم بالواجب طوال حياته ... ! لعل الجواب لدى الأستاذ الميهاوى والأستاذ محمود أبو الفتح وغيرهما

ولقد كان الأستاذ سليمان يقدم حيث يحجم غيره ! كان قوياً فى مواقفه الوطنية ، كما كان يجامل أنداده ويلاطف من دونه ، يشبع جائعهم ويكسو عاريهم ... وقد كان رجلاً ... فوداعاً يا رجل !

صالح على عيسى السودانى

ليلة قمراء

للأستاذ العوضي الوكيل

جلستُ أناجي ضياءَ القمرْ   وأنهلُ أحلامَهُ بالنظرْ
وألحظه بشغافِ الفؤاد   وأشهده بعميق الفِكَرْ
مَرَى في المشاعرِ سَيْرَ الخيال   رَضِيُّ الهدوء ، جميلَ الأثرْ
يطارحني خلجاتِ الشعور   ويَشْدو وإن لم يكنْ ذا وَتَرْ
فأسمعه ملءَ هذا الوجودِ   ما بانَ من أفقه واستترْ
نديُّ الجبين ، نديُّ الشعاعِ   حَيِيٌّ تلفتُه ، ذو خفرْ

* * *

صَحَا الكون يا ليلتي وابتدرْ   ورقت عشياته والسَّحَرْ
ألا فاقبسي من سَنِي ما اشتهيتِ   وصونيه في كنزِكِ المدَّخرْ
تملَّيْ مسارحَ هذا الجمالِ   منتظراً سحرُها من نظرْ
رياضٌ من النورِ تَسْبي العيون   فأينَ الغصون وأينَ الزَّهَرْ

* * *

جلست وفي جانبي من أُحِبُّ   يأمرني أن أُجيلَ البَصَرْ
ويطلبُ مني رقيق النشيد   يخلِّد حيناً علينا عَبَرْ
أما كان يعلمُ أنَّ سناه   مَعَانٍ لديوانِيَ المنتظرْ
يدلُّ عليَّ وما ينثني   ولكنه ما نأى أو هجرْ
قديمٌ - لعمركَ - دلُّ الحسان   ألا ليته طارف مُبْتَكرْ

* * *

ألا ما النشيد وما سحرُهُ   لدى وجهكِ العبقريّ الأغرّ
معانيه أخلدُ ما في الوجود   إذا ما انطوى غيرها واندثرْ
نمتْ واستطالت أفانينُها   ولم تبقِ من روعةٍ أو تذرْ
فرحتُ أصلّي لدى سحرها   وأحبِسُ للصلواتِ العُمُرْ
وأفني حياتي . . . فناء البقاء   وأنفي عن الروح هذا الضجرْ

* * *

سرى البدرُ في غفوةٍ من سَنَى   ففي أيّ حلمٍ وضيءٍ نَضِرْ ؟
تعاليْ لنوقظه من سُباتٍ   ونترك آلامَنا تحتضرْ

العوضي الوكيل

مختارات من مراثي الشعراء

في المرحوم فؤاد بليبل

من قصيدة الأديب محمود السيد شعبان :

إلى الشاطئِ المجهولِ قد سار زورقٌ   يَشُقُّ عُبابَ الغيبِ مهما مُسدَّدا
عَلَى مَتْنِهِ مَلاَّحُهُ وَيحكَ اتئِدْ !   فإنكَ ما أدركتَ من عُمْرِكَ المدى
تعوَّدْتُ أنْ ألقاكَ بالبِشْرِ دانيًا   فها أنذا ألقاكَ بالدمعِ مُبْعَدا
وما كلُّ مَيْتٍ خالدٌ غيرَ أنني   رأيتُكَ في الأمواتِ حيًّا مُخلَّدا

فؤادُ ! لقدْ آبَ الربيعُ ولمْ تَعُدْ   وما ضَرَّ لو أسديْتَ بالعَوْدِ لي يَدَا ؟
عَرَفْتُكَ سبَّاقاً إلى كلِّ غايةٍ
فهلْ كنتَ تهوى السَّبْقَ حتى إلى الرَّدى ؟
مَشَوْا بكَ في حَشْدٍ وفي مُوَدِّعٍ
فأبكَمْتَ مَنْ غنَّى وأبكيْتَ مَنْ شَدَا !
شَقِيتَ زماناً فاسْتَرِحْ ، طِبْتَ مَرْجِعًا
وطابَ لكَ الفِرْدَوْسُ مَهْدًا ومَرْقَدَا !

رَجَعْتَ إلى الأرضِ اليَبابِ فقلْ لها :
دَعِيني أَعِشْ للنورِ والحُبُّ سَرْمَدَ
رَوَيْتُكِ مِنْ شِعْري فلمْ أُبْقِ بلقعًا   على ظَمَأٍ يومًا ولمْ أُبْقِ فَدْفَدا
ونضَّرْتُ بالأحلامِ رَوْضَكِ مُنْشِئًا   وأطربْتُ بالألحانِ طيرَكِ مُنْشِدا
وباركْتُ فيكِ الحُسْنَ والطُّهْرَ والهوى
وأبدَعْتُ منكِ الحقَّ والخيرَ والهُدى !
وصُغْتُ قريضي مِنْ شُعُوري ومِنْ دَمِي
وما كُنْتُ في يَوْمٍ لغَيْري مُقلِّدَا
فمالَكِ قدْ غَيَّبْتِ في التُّرْبِ هيكلي   ولمْ تحفظي عَهْدًا ولمْ تحمدي يَدَا ؟

ومن قصيدة الأستاذ محمود غنيم :

استقبل الناس الربيع بموكب   ومضى أحبائي فرحت أشيّع
الزهر ينفح فيه إلا زهرةً   منشورة الأوراق لا تتضوع
والطير يسجع فيه إلا بلبلاً   تحت التراب موسَّداً لا يسجع



الى الأستاذ الكبير (ا . ع)

السلام على سيدي العلامة الأستاذ الكبير الكريم ورحمة الله وبركاته ... وبعد، فرأى الأستاذ — أدام الله نفع الناس بطول بقائه — في أمر (الإرسال) هو الأعلى؛ ولا ريب في أن إرسال الريح الصرصر والحاصب والصيحة والعذاب — تسليط وعقاب، وكذلك إرسال الكلب والصقر على الصيد (المسكين) عند أبي العلاء والبراهمة والمنصفين من الآدميين ... غير أن هذا الضعيف لا يرى في الإرسال إلا معناه الظاهر أي ضد الإمساك «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له»؛ ويرى التوجيه مثل الإرسال «وجه إليه كذا أرسله»، كما في اللسان «وجهه في حاجته توجيهاً أرسله فتوجه جهة كذا» كما في التاج؛ وترسل النعم «يرسل السماء عليكم مدرارا» كما ترسل النقم «ويرسل عليها حسبانا»(1) قال الراغب في (المفردات): «الإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة»، فتختلف الإرسالات كما يختلف المرسلون والمرسلات ... والإرسال حقيقة كما روى الأستاذ عن الأساس: «أرسل كلبه وصقره على الصيد» ومجاز كما روى — أيده الله — عن ذلك الكتاب «أرسل الله عليهم العذاب» والآية الكريمة التي استشهد بها التاج — ناقلاً من اللسان؛ والتسليط قول الزجاج — وأوردها الأستاذ فيما روى من كلامه وهي: «ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا» قد تشعبت في معنى الإرسال فيها أقوال لغويين ومفسرين — والأستاذ أعلم مني بذلك — والإمام ابن جرير يقول في تفسيره: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله تؤزهم، يقول: تحركهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله وتغريهم بها حتى يواقعوها. أزا: إزعاجاً وإغواء»

ولو لم يوجه الله الشياطين إليهم أو يسلطهم عليهم أو يخل بينهم وبينهم لطاروا إليهم من تلقاء أنفسهم، لأن عملهم في هذا الدنيا — وهذا (قضاء من الله العزيز أراده)(1) — إضلال الكافرين وغير الكافرين وإفساد جميع الأناسين «إلا عباد الله المخلصين»

وأرسل في ختام هذا الكلام إلى سيدي العلامة الأستاذ الكبير الكريم — مد الله في عمره — خير تحياتي

* * *

(1) قيل: حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق (الكشاف)

(1) صدر بيت للمتنبي والعجز معروف

كَمَّ الردى فمَه وكان إذا شدا … في الأيك راح فم الزمان يرجّع
لم يبق من نغماته إلا صدى … كالنزع في أذني يرن فأفزع
يأيها المرح الطروب تحيةً … أتراك تلهو في الضريح وترفع؟
قد كنت تبسم للحياة: شقائها … ونعيمها، بكليهما تتمتع
تتزلزل الدنيا وقلبك فارغ … مما يزلزلها وجامك مترع
ما كان ينقصك الشعور بوخزها … بل كنت عن آلامها تترفع
أسرعت في قطع الحياة كأنما … هي حلبة فيها يفوز المسرع
يا ساكن الصحراء هلا خُطّ في … ظل الخمائل والربا لك مضجع
أدمى فؤادي أن نجمك قد هوى … إذ راح يأخذ في الظهور ويلمع
فاجأت أندية القريض بكوثر … لم يعرفوا من أي عدن ينبع
ما كان لاسمك رنةٌ لكنهم … وجدوا لشعرك رنةً فتتبعوا
شعر صريح في العروبة محكم … لا معجم واهي النسيج مرقع

عثمان زناتي

تفضل الأستاذ الكبير «ا . ع» فصحح الخطأ الذي وقعت فيه حين تحدثت عن أحمد زناتي وأنا أريد عثمان زناتي

وأقول إن ذلك الخطأ كان نعمة عظيمة. فقد أوحى إلى هذا الأستاذ الكبير كلمة من أطيب الكلمات في التعريف بأخوين كان لهما في خدمة اللغة والأدب والتعليم مكان مرموق

ذلك خطأ وقعت فيه سهواً، فكان من آثاره أن ينتفع القراء بتلك الكلمة الطيبة، وإلا فأنا أعرف أن الشاعر هو عثمان زناتي، وكذلك ورد اسمه في كتابي «الأسمار والأحاديث» ص ٢٩٨ عند الكلام عما انتهب شوقي من معانيه الجياد

ولو ضمنت أن يصحح الأستاذ «ا . ع» جميع أخطائي لأخطأت عن عمد لأظفر بتلك النفثات التي تصدر عن باحث من أعاظم الباحثين

هذا ، ولم أفهم المراد من القول بأن الشيخ عثمان زناتى كان من الشعراء الذين نبغوا فى أواخر القرن التاسع عشر

فهل يكون معنى ذلك أننا انتقلنا من تاريخ الهجرة إلى تاريخ الميلاد ؟

أرجو أن يتفضل الأستاذ الكبير « ا . ع » بالإجابة عن هذا السؤال ، فإن لم يفعل فهو وحده الذى عاد يطرق باب « التجديف » وهى تورية أتحفنى بها منذ أسابيع ، فهى منه وإليه أدام الله عليه نعمة العافية والتوفيق والسلام

زكى مبارك

فى تأبين المرحوم فؤاد بليبل

... وكان أيضاً فى تأبين فقيد الشعر المرحوم فؤاد بليبل بنادى لبنان مساء الأحد ١١ مايو ظاهرتان تلفتان النظر ، وتستوقفان الفكر

أما الأولى فكانت روح الشباب فى إبانه ، وثورة الصبا فى عنفوانه ، فالمرثىُّ شاب والراثون شباب . فلا جرم أن يكون رثاؤهم من شباب الرثاء إن صحَّ أن يكون للرثاء شباب

ومن ثم كانت القصائد التى سمعناها فى هـذا الحفل تفيض بالحرقة والأسى ... والحياة ... وما عرفت الفقيد ولا رأيته إلا فى شعره ، ولكننى والله ما تمنيت أن أرى مرثياً لم يُتح لى لقاؤه ، كما تمنيت أن أرى فؤاداً بعد أن شفَّنى رثاؤه . وهيهات

ولقد يكون من حسن التقدير أن نشير إلى قصيدة كانت (بيت القصيد) فيما سمعنا من القصيد[1] ، وهى قصيدة الأديب محمود السيد شعبان الدالية ... استمع إلى حسن المقابلة فى قوله :

فيالك من حلم جميل قد انتهى ويالك من حزن طويل قد ابتدا

أو إلى قوله :

عرفتُكَ سبَّاقا إلى كلِّ غايةٍ
فهل كنت تهوى السبق حتى إلى الردى

أما الأخرى ـ وإن أغضبت صراحتها الرسالة ـ فقد زادتنى إيماناً بأن الناقد الحق ينبغى أن يسمع الشاعر أو الكاتب خطيباً فيستشف منه ما لم يستشفه من قلمه ، ويستشرف من روحه وصوته ونبراته ، وموقفه وإشاراته ونظراته ، إلى ما ينير له الطريق فلا يزيغ حكمه ، ولا يضل قلمه

أيقنت أن قلم التحرير والتصحيح فى الرسالة يعانى الأمرَّين فى ضبط ما يرد إليها من قصائد الشعراء ، وإلا فكيف نعلل هذا اللحن الشائن الذى كان يغيم على ألسنتهم خطباء ؟ ...

لقد أتيح لنا فى هـذا الحفل أن نسمع من يقول فى رِثْمره (عِرفت ورِجعت ووِقفت) فلعلها لهجة عامية غلبت على الألسنة ... وأتيح لنا أن نسمع من يقول (تَهرِب منى القوافى) و (أمسك القلم) ، وأن نسمع من يقول (كان فؤاد عبقرىُّ النفس عبقرىُّ الروح) و (كان ابنَ الرومى ثائراً) ويكررها مرات ...

ومن البلية أن خطيباً استشهد بقول الفقيد (المصلحون وليس فيهم مصلحٌ) بالرفع وهو ضبط صحيح كما ترى ، ولكنه حسب أنه أخطأ فأعادها (مصلح) بالجر ...

أفبعد هذا نستبعد أن يكون لقلم التصحيح فى الرسالة فضل كبير فيما نراه من ضبط صحيح ؟ ...

فشكراً لمواقف الخطابة ... إنها تبصرك بالأدباء فلتعرفنهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول . محمد محمد رضوان

ربيع وجمادى

شاع — خطأ — وصف هذا الشهرين بما لم يعرف فى اللغة فأحببت أن أنقل عن كتب اللغة وصفهما تنبيهاً وتصويباً ؛ ولفت نظر الكتاب والمؤرخين ؛ والرسالة الغراء ـ ومكانها فى اللغة والأدب عالى الذروة ـ أسبق المجلات إلى الصواب والهدى

قال صاحب القاموس وغيره : والربيع ربيعان : ربيع الشهور ، وربيع الأزمنة ؛ فربيع الشهور شهران بعد صفر ، ولا يقال إلا شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر (بوزن فاعل). وأما ربيع الأزمنة فربيعان : الربيع الأول الذى يأتى فيه النَّوْس والكمأة ؛ والربيع الثانى الذى تدرك فيه الثمار ...

وجُمادى من أسماء الشهور معرفة مؤنثة وجمعها جماديات ، وجمادى خمسةِ الأولى وجمادى ستةِ الآخرة .

طه محمد الساكت
مدرس بمعهد القاهرة

(١) لم يكن من حظنا سماع قصيدتى الأستاذ غنيم والدكتور ناجى

مذهب الفرد ومذهب الجماعة

أثار الأستاذ الكبير الدكتور زكي مبارك مناقشة في مقاله « الفرد أساس الجماعة » . ولا ينكر أحد أن الفرد أساس الجماعة بمعنى أن الجماعة أفراد . لكن الأمة ليست أفراداً فحسب ، بل هي أفراد اقتضى اشتراكهم في فوائد المجتمع أن يضحي كل فرد بشيء قل أو كثر . والمعضلة هي إلى أي حد ينبغي أن يضحي الفرد من أجل الجماعة ... ففي بعض العصور راجت فكرة مَنْ يقول : إن الفرد ينبغي أن يضحي بكل شيء إذا اقتضت فائدة الجماعة ذلك ، وفي عصور أخرى راجت فكرة من يقول : إن الدولة التي أنشأتها الجماعة ينبغي ألا يتعدى اختصاصها النظر في أمور الأمن العام ، وأنها ينبغي أن تترك كل فرد حراً في آرائه وإحساسه وميوله وأفعاله ، ما دام لا يعتدى على غيره اعتداء يحرمه القانون ؛ أما فكرة من يقول : إن الفرد ينبغي أن يكون في كل أمر خاضعاً للجماعة ، فإنها تضحي بحريات كثيرة ، وقد تؤدى إلى تضاؤل الإنسان في فكره وإحساسه وعمله ، وهذا التضاؤل مصيره تأخر الإنسانية ؛ كما أن فكرة من يقول بمذهب صيانة أعظم قدر من الحرية للفرد قد تؤدى إلى كثير من الاختلال في الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وإلى التخاذل والتفرق والتباغض ، وقد تؤدى إلى أن يضر الفرد نفسه بإساءة استعمال حريته الكبيرة . وهذا أيضاً مصيره تأخر الإنسانية لو دام هذا الأمر ودامت عواقبه . وقد كانت الفكرة السائدة بعد تأسيس الديمقراطيات الحديثة فكرة صون قداسة حرية الفرد لأن المفكرين وجدوا أن تدخل الحكومات قبلها لم يكن رشيداً ولا منتجاً نتاجاً حسناً . لكن تاريخ الديمقراطيات الحديثة قد أثبت أن الأخذ بمبدأ الفرد أخذاً عاماً أدى إلى فساد كثير ، وقد اضطرت الحكومات إلى رفضه في أمور كثيرة حتى في العهد الذي بلغ فيه غايته ؛ فقد رفضته الحكومة الإنجليزية في القرن التاسع عشر بالرغم من أنها تقدس مبدأ الفرد ، رفضته عند ما تدخلت لحماية الأولاد والنساء والرجال في المصانع ، وقد أدى الغلو في الأخذ بمبدأ الفرد إلى ضياعه وإلى قلة الثقة بالديمقراطية في بعض الأمم الأوربية ، وإلى سقوط تلك الديمقراطية فيها ، وإلى اضطرار الدول التي لا تزال تمتنقه إلى التفكير في أن تحده بتنظيم أمور الجماعة تنظيماً لا بد أن يحد حرية الفرد وحقوقه ، ولاشك أن هذه الحاجة إلى التنظيم ستزداد بعد الحرب القائمة الآن . فهذه المسألة التي أثارها الأستاذ لا تحل إلا بمحاولة التوفيق بين المذهبين وتجنب ما في كل منهما من أضرار لا شك فيها ، والبحث في كل أمر يراد به إنقاص حرية الفرد وحقوقه وفحص نتائجه وألا يكون تدخل الحكومة في أمثال هذه الأمور نتيجة العاطفة وحدها أو الحيرة من وجود فساد لا ندري علاجه فنعالجه بالعاطفة أو القهر أو الوسائل التي لا تؤدى إلى إزالته وإن خيلت أنها تؤدى

رشيد العسقلاني

أصل الفقر

كتب الدكتور زكي مبارك في « المصور » وفي « الرسالة » كلاماً كثيراً عن الفقر والفقراء ، خلاصته أن الفقر ظاهرة فردية ترجع إلى انحطاط أخلاق الفرد . فليسمح لي الدكتور الفاضل أن أقول له في صراحة نافعة له جداً ، إنه لو كان قد درس شيئاً من الاجتماعيات والاقتصاديات قبل أن يكتب ما كتب ، لعلم علم اليقين أن علماء الاجتماع والاقتصاد في العالم كله قد أجمعوا على أن الفقر ظاهرة اجتماعية وليست فردية . وأن علة الفقر هي النظام الاقتصادي لا الأخلاق . فنحن عند ما نبحث مشكلة الفقر في مصر مثلاً ، لا نقول إن فيها أفراداً أغنياء وأفراداً فقراء . ولكننا نقول إن في مصر طبقات غنية وطبقات فقيرة . وهذه الطبقات الفقيرة — وهي الأغلبية الساحقة — ليست فقيرة لأنها منحطة الأخلاق كما يتوهم الدكتور . ولكنها فقيرة لأن النظام الاقتصادي السائد قد فرض عليها الفقر فرضاً . وأرجو أن يعلم الدكتور أن الأخلاق هي أيضاً ظاهرة اجتماعية . فأخلاق الطبقات تتكيف إلى حد كبير جداً بالمستوى الاقتصادي لتلك الطبقات ، أي بالغنى والفقر . ولم تكن أخلاق الطبقات قط ، ولن تكون أبداً ، سبباً من أسباب فقر الطبقات أو غناها

وغنى عن البيان أن هذا كلام مجمل يحتاج إلى تفصيل وإلى شرح طويل . ولكني لا أنوي الآن أن أتولى هذا الشرح فليلتمسه الدكتور - إذا شاء - في مظانه ، أي عند علماء الاجتماع والاقتصاد . فلو قد فعل لفهم المسألة على وجهها الصحيح . ولأراح نفسه وأراح القراء من هذا الكلام الكثير عن مشكلة لم يدرسها ولم تتصل بحياته الأدبية المعروفة عن قرب أو عن بعد

عزمي الدوري

الأرجى

سيدى الأستاذ الزيات :

ورد فى مقالكم القيم (ما خلفته أثينا وروما) العبارة الآتية : فتدفقوا فى اللهو و (الأرْجى) ، فرجعت إلى القاموس فوجدته يقول : الأرج والأريج والأريجة توهج ريح الطيب ، والتأريج الإغراء ، كالأرج والأُرَجان المغرى ، والأُراج الكذاب ، والمؤرِّج كمحدِّث الأسد ، ولم أجد كلمة (الأُرْجى) . فهل لسيدى الأستاذ الكبير أن ينفحنا بنفثة من يراعه السيال فى معنى هذه الكلمة ، وله جزيل الشكر . حسن محمد هويس

(الرسالة) : الأرجى (L'orgie) كلمة لم تعرفها العرب ولذلك وضعناها بين قوسين . إنما هي إغريقية الأصل كان الأقدمون من اليونان والرومان يطلقونها على أعياد باخوس إله الخمر . ثم أطلقها الرومان أيام ترفهم على نوع من المآدب الداعرة المسرفة فى الطعام والشراب كان لها فى تاريخهم أثر معروف

روافد الأدب العراقى

طلعت علينا أميرة المجلات للعربية — كما سماها الزهاوى — فى عددها (رقم ٤٠٤) بمقالة للدكتور الأستاذ زكى مبارك ، حول (الأدب العربى الحديث فى العراق) ، وقد أكبرنا له جرأته وتجشمه المصائب ، وكتابته عن أدبنا الحديث الذى لم يكتب له تاريخاً يقرأ ، وقد ذكر — حياه الله — ثلاثة روافد للأدب العربى العراقى هى : الأدب التركى والفارسى ، والأدب المصرى ؛ وقال عن الأدب المصرى : « (ص٣٧٥) ... أما اتصال العراقيين بالأدب المصرى فهو أقوى من اتصال المصريين بالأدب المصرى وقال أيضاً : « ولن يمضي زمن قليل حتى يكون من الصعب أن نجد اختلافاً جوهرياً بين أساليب الشعراء والكتاب فى مصر والعراق . . . » . ويخيل إلى أن الدكتور نسى رافداً رابعاً وهو الأدب السورى الأمريكى ، وإن أراد الدكتور أن أذكر له كتابنا الكثيرين الذين اقتفوا أثر (جبران خليل جبران) و (أمين الريحانى) و (ميخائيل نعيمة) ؛ فأما على قدم الاستعداد ؛ وهم فى السنين الأخيرة اتصلوا بالأدب المصرى ، اتصالا محكما — كما يقول الدكتور — ولكنهم لا يزالون متصلين اتصالهم القديم بأدب سورية فى المهجر محمود العبطة

تصويب

وقع تحريف مطبعى فى بيتين من قصيدة الأستاذ محمد مصطفى الماحى فى رثاء المغفور له محمد مسعود بك ، وصحة الأول :

ما العلم مجد إذا لم يحمه خلق ولا الإخاء على حقد بمضمون

وصحة الثانى :

لم ينج فى مسبح الأفلاك معتصم من البلاء ولا فى مسبح النون

نداء الصخرة

هـذا الاسم لمجموعة قصصية مصرية ، أصدرها الأديب القصصى الأستاذ شعبان فهمى ، وهو من نوابغ شباننا القصصيين ؛ وقد تجلت مقدرته القصصية فى روايته الطويلة (وجيدة) التى أخرجها فى مثل هذه الأيام من العام الماضى

وهذه المجموعة التى نحن بصدد الكتابة عنها ، تحوى ستة أقاصيص مصرية ، ومسرحية واحدة عنوانها (من السما)

وهذه الأقاصيص كتبت بأسلوب عربى جيد ممتع ، غير أنك تقع فى أثناء الكتاب على بعض الهنات اللغوية وهى قليلة جداً . وأرى أنها من المطبعة أكثر منها راجعة إلى قلم الكاتب . وتجد واحدة من قصصه كتبت بالعامية الدارجة ، كذلك كتب مسرحية باللغة العامية

والكاتب شديد الولع بالشقراوات من النساء ، فبطلات أقاصيصه كلهن شقراوات ، وفى هذا تكرار للصورة الواحدة ، فى قصص مختلفة ، فى مجموعة واحدة . والحق أن هـذه الصورة المتكررة بعثت فى نفسى شيئاً من الضيق ! كذلك نرى الكاتب يغرم بمشرب واحد من المشارب العامة فى الإسكندرية كلما . فكلما أراد أن ينقـل شخوص أقاصيصه إلى مشرب عام نقلهم إلى (كارلتون) ، كأن الإسكندرية خلت إلا من (كارلتون)

والأستاذ كتب قصة الأميرة الراقصة فى شكل يوميات ، وقد وفق فى ذلك . وهو يبث فى قصصه فكرات اجتماعية عميقة ويحلل بعض نواحى مجتمعنا المصرى فى الطبقات الوسطى والمترفة ، كما أن له قدرة فى الحبكة القصصية ، ولمّ أطراف الموضوع ، والتسيطر على قلمه ، وفى قصصه وحدة فنية ، فالفكرة الأساسية واضحة بارزة

ومسرحية (من السما) لم أستطع أن أسكت على بعض حوادثها ، فهى عندى مفتعلة ، وليست صادرة عن منطق الحياة . فهو يظهر فيفى وهى التى بلغت السادسة عشرة من عمرها فى مظهر ساذج . وأرى بعض الوقائع تبعد عن الواقع ، ولا سيما إذا لاحظنا أنها تقع فى مصر ، بل وفى صميم الريف

ولا يسعنى إلا أن أهنئ الأستاذ شعبان فهمى بهذا التوفيق

(القاهرة) ابراهيم أحمد أدهم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 412

Lundi - 26 - 5 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ ربيع الآخِر سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٦ مايو سنة ١٩٤١ » العــــدد ٤١٢

الفهـــــــرس

صفحة

٦٨٩ مثل الغنى الصالح ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٦٩١ رأى الامام للمراغى فى إصلاح الأزهر ... ... } الأستاذ محمد مصطفى المراغى
٦٩٥ معضلة المعضلات فى مصر والشرق . ... } الدكتور زكى مبارك ... ...
٦٩٩ الحياة الزوجية فى نظر الاسلام : الأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى
٧٠٢ فى « عين شمس » ... ... : الأستاذ شكرى فيصل ...
٧٠٣ نشيد المغرب الباكي [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٧٠٤ الرحلات العربيــة ... ... : الأستاذ محمد محمود رضوان ...
٧٠٦ من وراء المنظار ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
٧٠٧ تدخل الدولة فى الاصــلاح واجب لا مناص منــه ... } الأَستاذ على توفيق حجاج ...
٧١٠ لو تكلم الفلاح ... [قصيدة] : الأستاذ محمود الخفيف ...
٧١١ السنوسيون والمذهب المالــكى : الأستاذ محمد فخرى مهنا ...
الخطة النازية فى الحرب ... : . ...
جنود الموابط (الباراشوت) : . ...
٧١٢ جبل طارق ... ... : . ...
هتلر واليهود ... ... : (العصبــة) ... ...
٧١٣ إزدهار الفكر وبطش المسيطر : (ع . ش) ... ...
مؤلف كتاب سحر العيون : الأديب يحيى الشهابى ...
٧١٤ من الشعر المنسى لحافظ ... : الأديب عبد القادر محمود ...
دخول أل على غير ... ... : الأديب أحمد حلمى العباسى
٧١٥ فى تاريخ الأخــلاق — الرسالة للامام الشافعى — إمتاع الأسماع ... [كتب] } الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مثــــل الغنى الصالح

أنا لا آلف بنى قارون بحكم مَرْباى ومَحْياى وطبعى . لا آلفهم لأن فيهم شموخاً على الناس لا يدرى أحد ما سَبَبُه ، لا هم آلهة فيرزقوا ، ولا هم أناس فيحسنوا ؛ إنما هم صِنف من خلق الله إلههم الذهب ، ومعابدهم البنوك ، ورسالتهم أن يظلموا أنفسهم بالشح ، ويظلموا غيرهم بالأثْرة

حبسوا مُشاع الرزق فى خزائن من الحديد ومخازن من الأسمنت ؛ ثم جعلوا عليها أقفالاً من صنع الشيطان لا تنفتح إلا لتأخذ ؛ واستغلوا ما ركب الله فى طباع الناس من تقديس المال وتمجيد أهله ؛ فجعل لهم نفوذاً فى الحكم ، ورأياً فى التشريع ، وسلطاناً على العامة . وكان من وراء جشعهم وشحهم وأَثْرتهم وسلطتهم ودالَّتهم أن اختلت موازين الخير ، وتكدرت مجارى النعمة ، واحتكرت منابت الرزق ؛ ووجد الضعيف مجاله الحيوى ضيقاً فاضطرب فيه ، وحظه المقسوم مغتصباً فسكت عنه ؛ ومِن هنا نشأت مشكلة الفقر وما نجم عنها خلال القرون من نظم وأحكام وعظات ومقالات وثورات وحروب

ما رأيت قارونيًّا إلا ملكنى نوع من الشعور يحسه من يلقى سجَّان النعمة وحابس القوت وغاصب الحياة . وكان فى مقدور كل غنى أن يكون رسول سلام وملاك حب لو أنه فقه معنى الدين ، وفهم حقيقة الإنسان . وإن اللذة التى يجدها الغنى البَرُّ حين يرى صنائعه يرتعون فى معروفه ويستظلون بجاهه،

لأصدق وأعمق من اللذة التي يدركها الغني الفاجر حين يرى ضحاياه يغمسون خبزهم في الدماء والدموع والعرق

على أن التعبير باللذة عن ذلك الشعور الآثم الذي يجده الغني اللئيم في بؤس الناس فيه تجوّزٌ لجهلنا اللفظ الذي يطلق على هذا الوجدان في هذا الحيوان . وبحسبي أن أضرب لك مثلين : رجلين أحدهما فاجر والآخر برٌّ ، لتدرك بنفسك الفرق بين أثر الغنى في قلب دجا فيه الكفر ، وبينه في قلب أشرق فيه الإيمان

عرفت من لئام الأغنياء رجلاً وصفته منذ عامين لقراء الرسالة فلا أسميه ؛ وكان مما أملاه لسانه على قلمي قوله :

أفرط عليّ الغنى حتى غطى على بصيرتي وبصري ، فلم أعرف أن لي ديناً له حرمة ، وزوجة لها حق ، وأولاداً لهم رعاية . وعشت لنفسي ، بل لمالي : أقضي النهار له وأسهر الليل عليه ، حتى كرهتني أسرتي ، وحقرتني عشيرتي ، وسئمتني حياتي . وأصبت بمرض عقام برى عظام ساقي وفخذي فلم أستطع المشي ولا النهوض . واستولى ولدي البكر على مفاتيح الكنوز وأضفى على نفسه وزوجه وأمه وأخواته الذهب والحرير والنعيم والأبهة ، وتركوني سطيحة في حجرة منعزلة لا يدخلها علي إلا الخادم بالماء والثريد والقهوة . ولا أدري لماذا استمرت في نفسي اليوم شهوة الأكل ورغبة المتاع ، فأنا أشتهي كل شيء ، وأبتغي كل شيء ، ثم أنظر في يدي الجشاعة الكسوب فإذا هي معروقة كيد المشلول ، فارغة كراحة السائل ؛ وأدور بعيني في الحجرة الموحشة فأرى أطياف الذين جمعتهم في أموالهم وآمالهم تخفق على الجدران ساهمة حزينة ، فأتذكر كم مدين أغرقت ، وكم بيت أغلقت ، وكم قلب سحقت ، فتنهلّ مدامعي انهلال القطر على خدي الغائر الشاحب ، وأتمنى لو تعود قدرتي على ثروتي فأمحص خطاياي بإنفاقها كلها في سبيل الله ؛ ولكن هيهات هيهات لما أرجو ! لم يبق لي منها إلا حريق القلب في الدنيا ، وحريق الجسم في الآخرة . حتى الدواء لا أناله ، وحتى الكفن لا أرجوه ! وكأنما أمات الله نصفي الساعي ، وأبقى على نصفي الشاعر ، لأدرك بعيني وفكري وخيالي مض الألم الذي يحسه المظلوم يغتصب ولا يستطيع أن يدفع ، والمحروم يتشهى ولا يستطيع أن يجد ، والمهموم يتلظى ولا يملك أن يموت

ذلك مثل ، والمثل الآخر رجل يسرني أن أكشف قليلاً عن اسمه : هو الأستاذ « م . محمود جلال » . عرفني هذا الرجل قبل أن أعرفه ، وسعى إليّ دون أن أسعى إليه ؛ وتلك مخالفة لرسوم الكبراء لم تقع من غيره . ثم حدثني وكتب إليّ ، وزرته ثم كشفت عنه ، فعلمت أنه رَجلُ وحْدِهِ في هذه الطبقة . لا يعتبر الغنى غاية كما يعتبره الأشحة ، وإنما يعتقده سبيلاً غايته السعادة . والسعادة في رأيه معنى منتشر لا يجتمع لنفسه إلا بسعادة أسرته وأمته وملته . فهو لا يحتكر ولا يدخر ولا يطمع . إنما ينفق غلة أرَضيه الواسعة على عامه الحاضر فلا يبقى شيئاً منها إلى قابل . وعلى هذا المبدأ يتسنى لإيمانه الكامل أن يعمر نواحي المعروف بفضله . والإيمان الكامل هو الإيمان بالله ؛ لأن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بكل ما يدخل في مفهوم الحق والخير والجمال . يتجلى ذلك الإيمان في تدبيره لبيته ، وتربيته لبنيه ، ومعاملته لفلاحيه ، وإدارته لثروته ، ونيابته عن أمته .

فبيته المؤسس على الرضوان والتقوى متحف فن ومكان عبادة ودار ضيافة . وأولاده البنون والبنات قد أخذهم بأدب الإسلام ، فهم يؤدون الصلوات ، ويتنافسون في الخيرات ، ويحفون من حول أبيهم كالملائكة لا يتكلمون إلا في العلم أو في الدين أو في الأدب . وهو في مزارعه بين أجرائه ، كالأب الشفيق بين أبنائه : لا يجهد الضعيف ولا يرهق الفقير ولا ينهك المدين . أقام لهم المساجد واستقدم إليها الوعاظ والحفاظ وأهل العلم ؛ وأنشأ المدارس واستخدم فيها أولي الكفاية في التعليم والتربية ؛ وأسس المستشفيات ودعا إليها الأطباء المختلفين بالتناوب ، وصرف فيها الأدوية بالمجان ؛ وهيأ لفلاحيه ومستأجريه وسائل الصحة والراحة ، وقطع من بينهم أسباب الحقد والخصومة ، حتى أغناهم عن الحكومة فلم يتقدموا إليها في دفع مظلمة أو أداء معونة

وهو في البرلمان يمثل الدفاع عن الحق الكامل والرأي الثابت ، لا يبتغي من ورائه الوصول إلى الحكم لأنه لا يوصَّل إليه ، ولا الحصولَ على الجاه لأنه من قبل ذلك حاصل عليه

وهو في كل مكان يبذل من يده ومن قلبه ما يكفكف الدمع ويخفف المصاب ويساعد على حدثان الدهر ؛ فأخلصت النفوس في خدمته وأجمعت القلوب على حبه

ذلك يا أخي الفقير مثل الغني الصالح الذي استطاع أن ينشئ عالماً مستقلاً يسود فيه السلام والحب ، ويرضى عنه الله والوطن . فلو أن جميع الأغنياء اتبعوا سبيله لمنحتهم حبَّك وإكبارك ، وشاركت في الدفاع عنهم صديقنا الدكتورَ المبارك

احمد حسن الزيات

رأي الامام المراغى في إصلاح الأزهر

إذا كنت ذا رأى فـكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن تترددا

في سنة ١٩٢٨ وفي ولايته الأولى على الأزهر ، قدم الأستاذ الأكبر المراغى إلى أولى الأمر في الحـكومة هذه (المذكرة) الصريحة التي ضمنها زبدة رأيه في إصلاح الأزهر منهاجا وغاية . وهذه المذكرة — كما تراها — هي مقطع الصواب في هذا الباب ؛ وما نظن أحداً ممن تحرى وجوه الصلاح لهذه الجامعة الاسلامية العظمى قد بلغ من ذلك بعض ما بلغ الامام في هذه الـكلمة . والأستاذ المراغى قد وضع هذه المذكرة لتكون برنامجه في سياسة الأزهر ، ثم أقرتها الحـكومة وارتضتها الأمة ، فلم يبق عليه إلا أن ينفذ ما وضع ويطبق ما شرع . ولـكن أزهر (المراغى) لا يزال كأزهر (الظواهرى) يغير في الشكل ولا يغير في الموضوع ، ويستعير هيكل (الجامعة) الحديثة ، ويحتفظ بروح (الجامع) القديم ! فهل يستطيع كاتب من الـكتاب ، أن يبين الحوائل ويشرح الأسباب ؟ (الزيات)

المذكرة

أوجب الدين الإسلامى على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه إلى الناس « فلولا نفرَ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينـذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »

وأوجب على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة إليه « أدع إلى سبيل ربك بالحـكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »

وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعى إلى نشر الدين وإقناع العباد بصحته ، وعلى وجوب حمايته من نزعات الإلحاد وشُبَه المضلين

وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحث على النظر فى الكون وعلى فهم ما فيه من جمال ودقة صنع . وقد لفت النظار إلى ما فى العالم الشمسى من جمال باهر ، وصنع محكم ؛ ولفت النظر إلى ما فى الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والأعمال التى لها غايات محدودة ، وأشار إلى سِير الأولين ، وحث على العلم وفاضل بين العلماء والجهال

وأعمال السلف الصالح وسير العلماء لا تدع شبهة فى أن الدين الإسلامى يطلب من أهله السعى إلى معرفة كل شىء فى الحياة

وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله تخلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات فى جميع فروع العلم ، ودرسوا أصول المذاهب فى العالم ، ودرسوا الديانات . ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفاً فى زمنهم ، وكتبوا المقالات فى الرد على جميع الفرق ، وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة فى البحث ، وكان الاجتهاد غاية يسعى إليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له

ولـكن العلماء فى القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة ، وظنوا أنه لا مطمع لهم فى الاجتهاد ، فأقفلوا أبوابه ، ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس ، فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ما جد فى الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء ؛ فأعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له ، وأصبح الإسلام بلا حملة وبلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين !

فى الدين الإسلامى عبادات وعقائد وأخلاق ، وفقه فى نظام الأسرة ، وفقه فى المعاملات مثل البيع والرهن ، وفقه فى الجنايات

وقد عرض الدين الإسلامى لغيره من الأديان ، وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان ، وأشار إلى بعض الأمور الـكونية فى النظام الشمسى والمواليد الثلاثة من : جماد ونبات وحيوان .

وقد هوجم الإسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة : هوجم من أتباع الأديان السابقة ، وهوجم من ناحية العـلم ، وهوجم من أهل القانون

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جداً تتطلب معلومات كثيرة : تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها ، ومعرفة ما فى الأديان السابقة ، ومعرفة ما يجد فى الحياة من معارف وآراء ، ومعرفة طرق البحث النظرى وطرق الإقناع ، وتتطلب فهم الإسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهماً صحيحاً ، وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها ، وتتطلب معرفة التاريخ العام ، وتاريخ الأديان والمذاهب ، وتاريخ التشريع وأطواره ، وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع

والأمة المصرية أمة دينها الإسلام ، فيجب عليها وهى تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ، ليرقى حملته ويكونوا حفاظاً ومرشدين يدعون الناس إليه

ولا يوجد دواء أنجع من الدين لإصلاح أخلاق الجماهير ، فإن العامة تتلقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لا تحتاج إلى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب جذاب إلى الفضيلة بعمله ويحسن بصره فى تصريف القول فى مواضعه ، ولذلك كان الدعاة إلى الفضيلة قديماً وحديثاً يلجأون إلى الأديان يتخذونها وسائل للاصلاح ؛ بل إن كل دعاة المذاهب السياسية وحملة السيوف لم يجدوا بداً من الرجوع إلى الأديان وصبغ دعواتهم بهـا ، كل ذلك لأن حياة المجتمعات لا تدين لنوع من أنواع الإصلاح إلا إذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الإيمان

والأمة المصرية ، بل والأمم الشرقية جمعاء ، تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والإقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات ، وضعفت الروابط بين الجماعات ، فلم يعد الفرد يشعر بآلام الآخرين ومصائبهم ، وقد أثرت الحياة الفردية فى حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الأمم ورضيت من المكانة بأصغر المنازل

وقد أرى أن الأمة المصرية وهى تريد النهوض والجد وتتطلع إلى حياة سياسية راقية ؛ يجب عليها أن تذكر دينها ، وتلتفت إلى حملة ذلك الدين فتصلح شأنهم ، وترقى تعليمهم ، وتضعهم فى المكانة اللائقة بالمرشدين ، والتى يجب أن يكون عليها حملة الدين . أما إهمال هذه الناحية والسعى إلى ترقية النواحى الأخرى من حياة الأمة ، فلا أرى أنه يوصل إلى الغرض المنشود ، فالخلق هو العمود الفقرى للأمم لا يمكنها أن تنهض بغيره ، وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين إذا أصلح تعليمه وهذب دعاته

وقد كان الأزهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها إلى البلاد الإسلامية . وقد أصابه ما أصاب غيره فى الشرق من خمول وضعة . فيجب على الأمة المصرية وهى تحمل راية الأمم الإسلامية أن تنقى هذا المصباح (الأزهر) من الأكدار ، وأن توجد له جهازاً قوياً يستمد نوره منه على طريقة تتناسب مع ما جد فى العالم من أطوار فى العلم وفى التفكير وفى الحوار والتخاطب وفى طرق الاستدلال والبحث . والدولة تنفق على الأزهر قدراً عظيما من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه، ولا تستطيع أيضاً أن تلغى الأزهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى ؛ فالحاجة إلى إصلاح الأزهر واضحة لا تحتمل نزاعاً ولا جدالاً

وإنى أقرر مع الأسف أن كل الجهود التى بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تمد بفائدة تذكر فى إصلاح التعليم ؛ وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه . وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الأزهر ، أن يغير التعليم فى المعاهد ، وأن تكون الخطوة إلى هذا جريئة يقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعانى، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ؛ وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية

يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى مما جد فيها وابتدع، وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الإسلام الصحيحة

يجب أن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة . وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها ، والنظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف ، وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء

يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الإسلامى ، ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره فى مواطن الاختلاف . ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها ، وأسباب التفرق ، وتاريخ الفرق الإسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها

يجب أن تدرس أصول المذاهب فى العالم قديمها وحديثها

وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى ، والمواليد الثلاثة ، مما يتوقف عليه فهم القرآن فى الآيات التى أشارت إلى ذلك

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف، وأن يضاف إلى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث فى بحث اللغات وآدابها

يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة (فى عصور الإسلام الزاهرة) والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية . وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ما هو قطعى فيه محافظة تامة ، وأن تهذب الأساليب ويهذب كل ما حدث بالاجتهاد بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق لمصلحة العباد .

يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين ، لأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة ودينه عام ، ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة ، والأمكنة المختلفة ، وإن لم يفعل هذا فإنه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الأمم الإسلامية ، وكما حصل فى الامة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الاسلامى لأنها وجدته بحالته التى أوصله إليها العلماء غير ملائم . ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة، وراعى الضرورات والحرج ، لما تركته إلى غيره لأنه يركن إلى الدين الذى هو عزيز عليها

ولست أنسى أن هذه الدراسة التى أسلفت بيانها دراسة شاقة تحتاج إلى مجهود عظيم ، وتحتاج إلى رجال قد لا نجدهم فى طائفة العلماء ، وتحتاج إلى مال يكافأ به العاملون ؛ ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف فى طريقه ، وتوجب علينا السخاء والبذل لأننا نريد إصلاح أعز شىء على نفوس الجماهير ، ونريد بهذا الإصلاح تقويم هذه الأمة ونهوضها

* * *

بعد أن ذكر الأستاذ الأكبر هذا البيان الشامل لما ينبغى أن يكون عليه الإصلاح ، أتبعه بذكر الأسس الإجمالية للنظام الذى ينبغى أن يكون عليه الأزهر والمعاهد الدينية ؛ وهى أسس لا يكاد نظام الأزهر المعمول به الآن يخرج عنها . وقد جاء فى أثناء ذلك فقرات هامة لا بد من تسجيلها

منها قوله :

« عند ما فكرت الحكومة المصرية فى إنشاء مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة اللغة العربية فى المدارس الأميرية ، كان العلماء فى الأزهر لا يعنون إلا بدراسة القواعد وفلسفتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق ، وبدراسة الألفاظ وخدمة عبارات المؤلفين ، ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها !

يشهد بذلك أن أسلوب الكتب المؤلفة فى تلك الأيام بعيد كل البعد عن اللغة . ويشهد بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم ، ولا تزال منهم بقية إلى اليوم . وكان العلماء لا يدرسون شيئاً من العلوم العامة كالتاريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان . وكانوا يحافظون على ما هم عليه أشد المحافظة ، ولا يرون الخير إلا فيما هم فيه ؛ فلم تكن معلوماتهم العامة ولا طرائق تعليمهم مؤهلة لتوليهم تعليم النشء فى المدارس الأميرية على النحو الحديث

وعند ما فكرت الحكومة فى إنشاء مدرسة القضاء الشرعى كان الأزهر على النحو الذى وصفته ؛ وكان فيهم علماء يحرمون تقويم البلدان والتاريخ والحساب ، ويكتبون مقالات فى الجرائد ضد هذه العلوم . وكان ولاة الأمور يشكون من أن القضاة لا يعرفون الأرقام، ولا يعرفون طرق التوثيق، ولا يعرفون من العلوم العامة ما يجب أن يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس

وقد بدل الله هذه الأحوال ، وأصبح قانون الأزهر مشتملاً على ضعفى العلوم التى كانت تدرس من قبل ، وأصبح يدرس فيه التاريخ الطبيعى ، وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ، ويدرس فيه الجبر والهندسة ؛ وقبل الأزهر فى قسم تخصص القضاء الشرعى دروساً فى وظائف الأعضاء ، ودروساً فى التشريح قبل الأزهريون كل جديد ، وأعدوا أنفسهم له ، وزالت كل العقبات التى كانت من قبل ، ولم يبق إلا إصلاح طرق التعليم وإيجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعاً صحيحاً ، وإذا كانت

هناك بقية تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ما تستطيع معه أن تكون عقبة فى طريق الإصلاح

فى الدولة الآن مدارس متعددة بنوع واحد من التعليم : فيها دار العلوم لتعلم اللغة ، وفيها الأزهر وكل المعاهد لعلوم اللغة ، فيها مدرسة القضاء الشرعى للفقه ونظم القضاء ، وفيها الأزهر للفقه ونظم القضاء ، وفيها تجهيزية دار العلوم ، وفى الأزهر أقسام تماثلها

تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها ، ومن الممكن أن تقتصد فى هذه النفقات ، ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها إلى بعض وتوحد جهودها لتخرج أمثلة أحسن من هذه الأمثلة

فى الدولة أشكال مختلفة من العلماء تخرجوا فى مدارس مختلفة ، يحسد بعضهم بعضاً وينقم بعضهم على بعض ، ولهذا أثره فى إفساد الأخلاق

لم لا يحملنا هذا كله على التفكير فى توحيد الجهود وتوحيد النفقات ؟ »

ومنها فى وصف الكتب القديمة قوله :

« هى كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وإنما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها ، وعرف اصطلاح مؤلفيها . . . وأرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها . فنحن فى حاجة إلى رسل بين القديم والحديث . وأولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثاً جيداً ؛ فلا بد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون به فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة ، وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك فى أسلوب حديث ، ولذلك فإنه يجب أن يراعى فى النظام الجديد للأزهر عدم إهمال طرقه الأصلية فى البحث وفهم الكتب »

ومنها قوله :

« وهناك أمر لا يصح الإغضاء عنه : ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتجهيزية دار العلوم مؤثر فى الأزهر والمعاهد من حيث الرغبة فيهما ، لأن نتيجة الأزهر — إذا لم يخرج قضاة ومحامين وعلماء للغة العربية فى مدارس الحكومة — تقتصر على إخراج علماء للمعاهد وخطباء للمساجد ، وهى نتيجة غير مرغبة ، ومن شأنها أن تجعل التعليم الدينى فى المعاهد مقصوراً على بعض الطبقات التى ليس لها فى الحياة آمال سامية ، وهذه الطبقات وحدها قد لا تؤمن على هذه الوديعة : وديعة الخلق الدينى والثقافة الإسلامية . ومن الواجب ألا يغيب عنا ونحن نتقدم لتهذيب التعليم الدينى وتقويم أخلاق الأمة ، أن نشجع الطبقات الراقية على الدخول فى هذه المعاهد لتقوم بما يطلب منها من العناية بالأخلاق

« وأمر آخر ، وهو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للأزهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام الرأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الأقطار الأخرى فى سمعة الأزهر والمعاهد ، ومن واجب الدولة المصرية أن تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم ، وأن ترد إليه مجده »

لوجه الله ولوجه الحق

معضلة المعضلات

فى مصر والشرق

للدكتور زكى مبارك

قبل أن أشرع فى التعقيب على مقال الأستاذ عباس محمود العقاد ألتفت إلى بعض القراء فأقول : لا يستطيع الكاتب أن يظفر بثقة القارئ إلا إذا زهد فى تلك الثقة كل الزهد ، وليس معنى هذا أن يستهين الكاتب بعواطف القارئ ، ولكن معناه أن يتحرر من رغبة الظفر بثقة القارئ ، ليستوحى العقل والقلب والوجدان ، وقد خلص من شوائب التودد إلى بعض الآراء والأهواء ، فعندئذ يطمئن القارئ إلى أنه يقرأ كلاماً سلم منبعه من أقذاء التصنع والرياء

أكتب هذا وقد تلقيت فى الأسابيع الأخيرة رسائل يدعونى بها كاتبوها إلى الخروج من الميدان الأدبى ، بحجة أنى أبلبل أفكارهم وأدخلهم فى محرجات من الحقد والبغضاء ، وهم يعجبون من أن يصبر علىّ قراء « الرسالة » على كثرة ما آذيتهم فى تلك الأعوام الطوال (؟!)

وأجيب بأنى أعجب مما يعجبون ، وأشتهى الخروج من الميدان الأدبى ، لأخلو إلى نفسى لا إلى قلمى ، ولأتذوّق الراحة من متاعب التفكير فى نفع القراء

ولكن خاطراً واحداً يصدنى عما أريد ويريد بعض الثائرين : وهو الخوف من أن يخلو الميدان الأدبى من كاتب يثير فى صدور القراء ثائرة الغيظ والحقد من حين إلى حين . فتلك الثائرة من أكرم الحظوظ الوجدانية ، ولا تخلو الصدور من معانى البغض إلا حين تخلو من معانى الحب ، ومن البغض والحب يقوم هيكل الوجود

فالأديب الذى يثور ويهتاج كلما قرأ لى مقالاً لا يرضيه ، هذا الأديب سيعض بنان الندم إن استجبت لرجائه فطويت عنه عدوان قلمى . وكيف يعيش هذا الأديب وهو لا يجد الكاتب الذى يبلبل أفكاره ويدخله فى محرجات من الحقد والبغضاء ؟

أخوف ما أخاف على اللغة العربية أن يصير جميع كتابها من المرضىّ عنهم فى جميع الشؤون ، فالكاتب الذى يرضى عنه القراء فى جميع الأحوال قد يتعرض للتفاهة والابتذال ، وقد يمسى وهو حاك لا يجيد غير مضغ الحديث المعاد ، إلا أن يرتفع جميع القراء فلا يرضيهم غير الذهن المبتكِر والعقل الوثاب

وما الذى يوجب أن نجعل رضا القراء غاية من الغايات ؟

وكيف نهون على أنفسنا فنقبل ذلك الضرب من الاستعباد ؟

وبأى حق ندعو إلى الحرية إذا أصخنا لدعوات بعض القراء فحرمنا أقلامنا نعمة الحرية ؟

وما الذى يغضبكم ، يا قراء هذا الزمان ، ونحن لا نصوّب سنان القلم إلى عيوب المجتمع إلا بتلطف وترفق ؟

ما الذى يغضبكم وقد « راعينا خواطركم » فلم نؤدّ من رسالة القلم غير كلمات ملفوفة لا يندحر بها باطل ولا ينتصر بها حق ؟

ما الذى يغضبكم وقد أطمنا بعض القلوب الخوامد ، فمققنا روح العصر أبشع المقوق ؟

كانت العصور الخوالى تسمى عصور الظلمات ، ومع ذلك استطاع الأسلاف أن يواجهوا الجماهير بأفكار وآراء نعجز عن روايتها فى هذا الجيل ، فأين عصركم من تلك العصور ؟ وأين أنتم من أولئك الرجال ؟

قضت ظروف الحرب بإعلان الأحكام العرفية ، وقضت الأحكام العرفيــة بمراقبة ما يُنشَر فى الجرائد والمجلات ، فما الذى وقع ؟

لم تتعرض الرقابة لمقالات الكتاب بالمحو والإثبات إلا بتلطف ورفق ، أما الجمهور فيرى أنه على كل شىء رقيب ، وهو يعطل حركة الفكر بلا تهيب ولا استبقاء ، وهو يدعى ما لا يملك من السيطرة على القلوب والعقول ، وهو يؤذى من يخدمونه صادقين ، وهو يحاول إخماد الجذوة الأدبية لتصبح آثار الأقلام وهى رسوم وأطلال

ما نظرت فى الرسائل التى « يتحفنى » بها بعض الناس إلا أشفقت على مصير اللغة العربية ، فهذه اللغة لا تحيا إلا إذا صارت أداة لتسجيل الحقائق والأباطيل . لن تحيا لغة العرب إلا إذا وجد فيها القارئ كل ما تشتهى العقول والقلوب والأهواء ، على نحو ما يجد القارئ فى لغة الفرنسيس والإنجليز والألمان . لن تحيا اللغة العربية إلا إذا أصبح أدبها وهو أشبه الأشياء بالحدائق التى تجمع الأطايب من شتى الأفانين ، وفيها

مع ذلك أشواك وأدغال تؤوى للفواتك من الحشرات والثعابين

وما نظرت فى مصاير الكتاب الذين « أدَّبهم » قرائهم إلا جزعتُ : فالدكتور فلان كان خليقاً بأن يقيم فى مصر نهضة فلسفية ؛ ثم « أدَّبه » قراؤه ، فهو اليوم « رجل طيب » يرى الفلاسفة زنادقة وملحدين ؛ والأستاذ فلان كان جديراً بأن يبعث فى مصر وثبة اجتماعية ؛ ثم « أدَّبه » قراؤه ، فهو اليوم أكبر نصير لأنور العادات والتقاليد ؛ والشيخ فلان كان أهلاً لحمل راية السلف الصالح ؛ ثم « أدَّبه » قراؤه ، فهو اليوم رجل متحذلق يسره أن يتسم بوسم التجديد ليضاف إلى أبناء العصر الحديث ! ! !

فماذا يريد أن يصنع معى قرائى ؟

هل يتوهمون أن فى مقدورهم أن « يؤدبونى » فلا أقول بغير ما يسرهم أن أقول ، ولا أكتب إلا فى حدود ما يشتهون ؟

هيهات ، ثم هيهات ! !

سأحرص على الصدق فى جميع الأحوال ، ولن يقرأوا لى حرفاً إلا وهو من صور ضميرى ؛ ولهم أن يجرّبوا قدرتهم على الانصراف عن أدبى : فأنا أتحدث عن آرائهم وأهوائهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، وأنا أقرب إليهم من أنفسهم ، وأعرف منهم بسرائرهم ، وأقدر على التعبير عما يجول فى ضمائرهم من نفثات الخوف وخطرات الأمان

لو كنا نعيش فى زمان سليم من الآفات لعرف قومٌ أنْ لا موجب لشتمى فى خطابات مفرّمة قد تزيد عن الآحاد فى بعض الأسابيع

وما الذى يوجب أن أُشتَم ولم أقترف غير إجادة التعبير عما فى زمانى من مشكلات ومعضلات ؟ ؟

إن هذا البغى يزيدنى حرصاً على الثبات فى ميدان الجهاد ، وستأتى إجازة الصيف بعد أيام فأفرُغ لمكافحة ما أراه من طغيان الأوهام وانحراف الآراء

ومعاذ الحق أن يكون قرائى جميعاً من الجاحدين ، فتحت يدىّ مئات من الرسائل تشهد بأن الرجل المخلص لا يضيع بين قومه الأكرمين . ولو نشرت رسالة الأديب « م . ا . ش » ، والأديب « م . ع . ف » ، والأديبة التى تكتب من الأُرمان ، لعرف بعض الناس أن فى الدنيا قلوباً يستهويها الصدق ، وبالصدق وصلنا إلى كرائم الطيبات ، فلله الحمد وعليه الثناء !

أما بعد ، فما الذى جاء فى مقال الأستاذ العقاد ؟

كان مقال هذا الباحث المفكر مؤيداً لما قلت كل التأييد ،

فأنا قلت : « الفقر مرض ولكل مرض أسباب ، كما أن الغنى عافية ولكل عافية أسباب »

وهو قال : « عندنا نحن أن الفقر داء كسائر الأدواء ، يصيب المريضَ به من إهماله كما يصيبه من ضعفه الموروث ، ويصيبه مع الحيطة إذا جرى مجرى الوباء الذى تنتشر عدواه ، كما يصيبه مع ترك الحيطة فى هذه الحال وفى غيرها من الأحوال »

والطريف فى هذه الكلمة هو النص على أن مرض الفقر قد يصيب أهل السعى فى طلب الرزق إذا جرى الفقر مجرى الوباء ، وليس هذا مما نحن فيه ، ولكنه ينفع حين يجب العطف على من سُدّت فى وجوههم المسالك لأسباب يعجز عن دفعها أهل الأمانة والاجتهاد[1]

وأنا قلت : « إن الغنى يشهد لأهله بقوة الأخلاق الاجتماعية والمعاشية ، وإن الأغنياء عِماد المجتمع ، وبفضل قدرتهم على تدبير المال يرجع الفضل فى تجميل الوجود »

وهو قال : « لست أنا ممن ينكر فضل البراعة المالية ، لأنها فى الحقيقة براعة لازمة لتأسيس المرافق الاجتماعية والأخلاق القومية ، وتنظيم العلاقات ، واستثارة الهمم ، وتوزيع الأعمال التى لا يستبحر بغيرها عمران »

وأنا قلت : « إن التغرير بالفقراء ودعوتهم إلى انتظار أنصبتهم فى أموال الأغنياء تقتلُ المواهب الإنسانية ، وإن الحزم يوجب أن نذكّرهم فى كل وقت بأن الغنى لا يوهَب وإنما هو ثمرة الكدح الموصول فى طلب الرزق الحلال »

أما الأستاذ العقاد فيقول : « إن الأمان كل الأمان ، خطر على الهمم والأذهان ، فإن كثيراً من الجهد النافع مبعثه طلب الأمان فى المستقبل ، وشعور النفس بالحاجة إليه فى أخريات الحياة . فإذا اطمأن إليه كل حى من بداية حياته فترت حركته وغلب عليه حب الاستقرار ، ومُنِىَ العالم بخطر من جرّاء ذلك هو أخطر عليه من الإجحاف فى تقسيم بعض الأعمال وتوزيع بعض الأرزاق »

ومعنى هذه العبارة أن بعض منافع الدنيا مدين فى وجوده إلى ما يستشعر الناس من الخوف ، وأن انعدام الخوف قد يكون

---

(١) الاجتهاد كلمة صحيحة فى هذا الوضع

أخطر على العالم من الإجحاف فى تقسيم بعض الأعمال وتوزيع بعض الأرزاق

وكذلك قلت ، فقد صرحت بأن استنامة الفقراء إلى ما قد يوزّع عليهم من أموال الأغنياء ستخلق فيهم ضروباً من الطمأنينة تصرفهم عن الكفاح فى التسبب والارتزاق

ثم مضى ذلك الكاتب البليغ فسرد من غرائب الحظوظ أشياء وأشياء

وأقول بصراحة إنى لن ألتفت إلى تلك الغرائب ، لأنها فوق الطب والعلاج ، فستمضى أجيال وأجيال قبل أن يصح ذوق المجتمع فلا يستوى عنده الطيّب والخبيث ، ولا يصبح المخلوق التافه وهو آثر عنده من الرجل الحصيف

وما الموجب لانتظار تلك العافية الاجتماعية ، وهى العدل المطلَق ، والعقاد نفسه يرى أن ذلك العدل قد يقضى على الدوافع الحيوية فينعدم الاندفاع الصالح والاندفاع الذميم على السواء ؟

لن ألتفت إلى ما يقع فى المجتمع من غرائب الحظوظ ، ولن أجيب من يسألنى عن أقوام تلطف معهم الدهر المخبول ، ولن أقول كلمة فى الوارثين ، بحجة أنهم يرزقون بلا كدّ ولا اجتهاد ، فلو عطل نظام الميراث لانعدم النشاط الإنسانى بعض الانعدام ، ولآثر الناس جميعاً أن تكون جهودهم مقصورة على كسب القوت من يوم إلى يوم . ولو قلنا الحق كل الحق لصرحنا بأن الميراث هو أجمل نظام عرفته الإنسانية ، فهو الشاهد على أن الجهاد فى طلب الرزق لا يضيع ، وأنه قد يصل إلى الأعقاب وأعقاب الأعقاب ، وذلك أقوى حافز لتأريث عزائم الرجال

لن ألتفت إلا إلى ظاهرة واحدة : هى شيوع الفقر فى البيئة المصرية ، مع كثرة وجوه الارتزاق

الفقر فى مصر كثير وفظيع ، ودميم وشنيع ، وملعون وقبيح ، إلى آخر ما فى اللغة من ذميم الأوصاف والنعوت . ومصر مع ذلك أخصب بقاع الأرض ، وهى جديرة بأن تضفى على جميع أبنائها أثواب النعيم ، لو عرفوا كيف يجاهدون الفقر جهاد الرجال

قلت : إن أسباب الفقر كثيرة ، ولكنها ترجع إلى ثلاثة أسباب أساسية ، هى الكسل ، وقلة الأمانة ، والرضا بالدون من مطالب الوجود

وهنا صرخ المتحذلقون فقالوا : إنك تجعل الفقر علة فردية مع أنه علة اجتماعية

وقد أجبت بأن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع ، فالمجتمع أفراد أضيف بعضهم إلى بعض ، وبذلك يشهد من زوّده الله بزاد العقل

ثم صرخ جماعة آخرون فقالوا : أنت أديب ، فما شأنك بالمعضلات الاجتماعية ؟!

فتى يفهم الغافلون أن الأدب صورة الحياة ، وأن الأديب رجلٌ يعيش كما يعيش سائر الرجال ، وأنه قد يحسّ بلايا الحياة بأقوى مما يحسها زعماء الاقتصاد ؟

ألأنى أديب يُحرَّم علىّ أن أتعرّض للمكاره التى يعانيها وطنى فى الميادين الاجتماعية والمعاشية ؟

يقول فلان إنه قرأ ما لم أقرأ من الكتب التى تبحث فى أسباب الفقر والغنى

وأقول إنى رأيت ما لم ير فلان من أخلاق الناس فى ميدان المعاش ، لأنى رجل ممتحَن بطلب الرزق ، وطلاّب الرزق « يرون » أكثر مما « يقرأ » فلان وفلان

أليس من العجب أن يتحدث جماعةٌ عن العمال والصنّاع والفلاحين فى مصر بعد قراءة كتاب عن العمال والصناع والفلاحين فى بلاد الإنجليز أو بلاد الألمان ؟

أكثر هؤلاء المتحذلقين لا يعرفون شيئاً عن بلادهم ، وأكثر المتوجعين لشقاء الفلاح المصرى لا يرونه إلا بعيون من قرأوا لهم من الكتاب الأجانب

ولست بحمد الله من أولئك ولا هؤلاء ، فأنا لا أستوحى كتاباً قرأته ، وإن كنت أحرص الناس على القراءة والاطلاع ، وإنما أستوحى ما تراه عيناى ، ولى مصالح معاشية تسوقنى سوقاً إلى درس أحوال العمال والصناع والفلاحين : فلى معهم فى كل يوم شأن وشؤون ، وبفضل ما ساقتنى إليه المقادير من الاهتمام بالحياة المعاشية ، سأصل إلى قرارة الضمير المصرى ، وسأعرف ما هو عليه من تحليق وإسفاف

كنت دعوت الأستاذين الكبيرين الزيات والعقاد إلى إبداء رأيهما فيما قلت به من أن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع

وقد أجاب الأستاذ العقاد بما رأى القراء ، فما هو رأى الأستاذ الزيات ؟

كتب هامشاً قال فيه : « إن رأى « الرسالة » فى الفقر والفقراء معروف »

وهو كذلك ، ولكن ما رأيكم إذا سجلت على الأستاذ الزيات أنه صرح فى إحدى افتتاحياته بأن « الرسالة » قضت عاماً كاملاً فى استنهاض الأغنياء إلى البر بالفقراء ، فلم يسمع سامع ولم يستجب مجيب ؟

ألم أقل لكم : إن الاعتماد على الأغنياء يضر أكثر مما ينفع ؟ الأغنياء يخافون من معاملة الفقراء لأسباب لا يجوز النص عليها بغير التلميح ، فمتى نرجع لمحاسبة أنفسنا بصدق وإخلاص ؟

أنا أرجع إلى نفسى من وقت إلى وقت ، لأرى كيف تقدم زملائى وتخلفت ، فأرى أنى المسئول الأول والأخير ، لأن فى شمائلى جفوة تجعل التهور من صور الشجاعة الأدبية ، مع أن بين الشراسة والشجاعة أبعاداً يعجز عن طيها البرق اللماح .

وأنا أنصح قرائى بما لا أنصح به نفسى ، لأنى أومن بأن للكاتب شخصيتين مختلفتين بعض الاختلاف : شخصية من يمثل عقله ، وشخصية من يمثل هواه ؛ فأنا أخاطب قرائى بعقلى ، وأخاطب نفسى بهواى ، إلى أن يلطف الله فلا أصدُر فى جميع أحكامى إلا عن وحى العقل

ثم أما بعد فأنا أدعو إلى بناء المجتمع المصرى من جديد

أدعو إلى خلق الجاذبية بين الأغنياء والفقراء ، ليشعر الغنى بأن الفقير هو الذى حمل على كاهله أحجار القصور الشوامخ ، وهو الذى عانى عرق الجبين فى استنبات البقول ، وليشعر الفقير بأن الغنى هو الذى دبر المال لتصير مصر إلى ما صارت إليه من وفرة المصانع والمتاجر والمزارع والخيرات

أدعو الغنى إلى التألم لألم الفقير والتوجع لبلواه ؛ وأدعو الفقير إلى الدعاء للغنى فى أعقاب الصلوات

أدعو أولئك وهؤلاء إلى التعاون الصادق بأمانة وعطف ، ونزاهة وصدق

وأكره أن يتدخل الكتاب المراءون فى إفساد ما بين الأغنياء والفقراء

أكره أن يحاول كاتب منافق أن يتسم بوسم المصلح الاجتماعى وهو مأجور للشيطان الرجيم ، وإن خدع نفسه فتخيل ثم خال أنه رسول الاشتراكية فى هذه البلاد

لقد شبعت مصر من الكتاب المرائين فى الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فمتى تعلن مصر شوقها المتوقد إلى كتاب لا ينافقون ولا يخادعون ؟

إن صراحتى فى الكلام عن الفقراء والأغنياء صنعت ما صنعتْ فى تبصيرى بدقائق من أحوال الناس وخلائق المجتمع ، وأشنعُ ما دلتنى عليه هو أن فى مصر كتاباً كسالى ، وهم الذين يرون ما أرى ، ثم يصدّهم الكسل عن الاصطلاء بما اكتوت به يداى ، وفيهم الباحث الذى تحدث عن انقراض « الأجاج » فما الأجاج ؟

أمِثلى يُدعى إلى الخروج من الميدان الأدبى ليتمتع الغافلون بنعمة الصفاء ؟

لا ، والله ، فسأتعقب الغافلين فى جميع الميادين ، ولن أسكت عن كلمة الحق ولو آذيت بها أعز أصدقائى

ارجعوا إلى أنفسكم ، يا بنى آدم من أهل هذه البلاد ، ولا تحوجونى إلى ضرب الأمثال ، فما أحب أن تشقوا بالحقائق المجردة من إفك التزيين والتهويل

بداية البلاء هى الرضا عن النفس ، والنفس أمّارةٌ بالسوء ، فكيف ترضون عن أنفسكم ، مع دعوى التسامى إلى معرفة أسرار الوجود ؟

من قرارة القلب أمتاح هذه المعانى ، لأقتل فتنةً لا تزال فى المهد ، فمن اتهمنى بسوء النية فإلى الله إيابه ، وعلى الله حسابه ، ومن الله وحده أنتظر حسن الجزاء

زكى مبارك

الحيـاة الزوجية في نظر الاسلام

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى

ينظر الإسلام إلى الحياة الزوجية نظر اهتمام ورعاية ، ويعتبرها بحق الوضعَ الأساسى لتكوين أسر طيبة تتألف منها أمة قوية تمثل روح الاسلام فى أخلاقها وسمو آدابها ، وفى عظمتها وسلطانها . ويعلمنا الاسلام أن الحياة الزوجية ليست فكاهة من متع الحياة فحسب ، حتى يتعفف عنها بعض الناس ، وليست مغنماً تجارياً ، حتى يتخذها الرجل شبكة يصيد بها أموال النساء ، أو تتخذها المرأة شركا تصيد به أموال الرجال ، وإنما هى وسيلة ضرورية يكمل الرجل بها نفسه ، وتكمل المرأة بها نفسها ؛ فكلاهما شطر ناقص لا يتم وجوده إلا بصاحبه ، ولا تعمر الدنيا إلا بهما معاً . ومن أجل ذلك وضع لها الاسلام أسباباً قوية تقوم عليها ، وحاطها بالكثير من تحفظاته ، حتى تكون محببة إلى الزوجين ، وليسد عنهما مداخل الشيطان بينهما

فهو يدعو — أولاً — إلى الحياة الزوجية فى تأكيد من النصح . . . وبعد أن تتركز الفكرة عند من يستجيب لدعوته يرسم لنا — ثانياً — طريق الخطبة ، واختيار الزوجة والزوج ، ليباعد بيننا وبين التورط فى الوقوع وراء رغبة عارضة ، أو طوعاً بمظهر خاطف . فإذا قامت الحياة الزوجية فى وضعها الصحيح بين لنا — ثالثاً — أن لكل من الزوجين آداباً يجب أن يرعاها نحو صاحبه ؛ ليتصل القلب بالقلب ، وتركن النفس إلى النفس ، فلا تتبدل الحال بينهما من خير إلى شر ، ومن يسر إلى عسر ، « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، إن الله بكل شىء عليم »

١ — الدعوة الى الحياة الزوجية

يقول الله تعالى فى شأن الزوجات والأزواج : « هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن » فإذا كانت الزوجة فى نظر القرآن كاللبس للرجل ، وكان الرجل كاللبس للمرأة ، فحاجة كل منهما إلى صاحبه كحاجته إلى اللبس ، فإن يكن اللبس لستر معايب الجسم ، ولحفظه من عاديات الأذى ، وللتجمل والزينة ، فكل من الزوجين لصاحبه كذلك . يحفظ عليه شرفه ، ويصون عرضه من التهم ، ويوفر له راحته وصحته . ومن يستغنى عن هذا ؟ إنما يستغنى عنه من لا يبالى بشرفه ، ولا يعنيه أن يكون هدفاً للأنظار الساخرة ، ولأقاويل السوء تنال من سيرته ، ولا يتألم شعوره لتعطيل النمو فى أسرته وفى أمته

ويقول تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . . . » فهذه الآية تنبه الرجل والمرأة إلى أن من أعظم دلائل قدرته وآيات كرمه أن خلق للرجل زوجة من لحمه ودمه ليكون الإلف أتم ، والجاذبية أقوى ، ولتكون الزوجة مأوى له ، يسكن إليها وقت فراغه ، فيأنس بحنوها ، ويتفيأ بظل عطفها ، ويستمد من جانبها هناءة العيش وروح التشجيع فى حياته ، فتهون عليه متاعب الأعمال ، ويستهين بالكفاح فى الدنيا ، ويستقبل شأنه كل يوم بعزم قوى وأمل جديد ؛ وهكذا دواليك ؛ ليظل البناء فى صعود ، وعمارة الكون فى ازدياد ؛ وهذه سنة الله تعالى ، فقد أقام دنيانا على البناء والتعمير ولن تجد لسنة الله تبديلاً

كذلك من دلائل كرمه التى حدثتنا بها الآية أنه جعل بين الزوجين مودة حب ، ورحمة عطف ، ثابتتين لا تبليان كما تبلى مودة غير الزوجين ممن جمعت بينهما الصدف ، أو ألفت بينهما الشهوات

فمن انقطع عن التزوج فقد فاتته سلوة الحياة وأسلم نفسه للوحشة البغيضة ؛ وقد يصادفه يوم قريب أو بعيد يتمنى فيه لو تدارك ما فاته

ويقول تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » وفى اعتبار البنين زينة الدنيا ترغيب قوى فى الزواج . فإن النفس مطبوعة على حب الدنيا وزينتها بأكمل ما يستطيع المرء تحصيله

ويقول عز شأنه : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » . فهو يأمرنا بتزويج الأيامى : وهم أهل العزوبة

ولو كانوا من العبيد المملوكين ، ويطمئننا من جهة الرزق فيقول : « إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم » .

ويحدثنا المولى سبحانه عن الأنبياء وعن المؤمنين الصادقين بأنهم كانوا يتمنون الذرية الطيبة ، والزوجة الموفقة الممتعة ، فإبراهيم عليه السلام كان يقول : « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعائى » ؛ وزكريا عليه السلام كان يقول : « رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء »

فأنت ترى مقدار حرص النبيين على الذرية الطيبة ، وليس للذرية سبيل غير الحياة الزوجية ؛ وهذا ما كان يدعو به المؤمنون فيقولون : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً » .. فالأمل الذى تردد على ألسنة النبيين والمؤمنين فى الزوجة والذرية ، مظهر صادق لسلامة الطبع وصدق الإيمان ، حتى ليرويه عنهم القرآن ويمتدحهم به ، ويشهد لهم بحسن القصد وصواب التقدير لما فى الحياة الزوجية من خير لهم وللناس . وها هم المؤمنون يختتمون دعاءهم بإجمال الطلب فى قولهم : «واجعلنا للمتقين إماماً » ؛ وهذا هو القرآن يشيد بتلك الأمانى ، ويعدهم بالاستجابة : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا — الجنة — ويلقون فيها تحية وسلاماً ... »

وفى هذا النبأ عن الأنبياء والمؤمنين توجيه للناس أن يأخذوا بأسباب التقليد لأولئك الصفوة ، ومتابعة السير على هداهم : قضاء لحق الدين ، وتلبيــة للطبيعة ، ورعاية لحاجة الأمة فى الإكثار من سوادها وتقوية جماعتها ... وهذا هو ما أجمله النبى (ص) فى قوله : « تناكحوا ، تناسلوا ، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »

فهذه دعوة ملحة جهر بها النبى (ص) فى صراحة أكيدة ورددها فى وجه الشباب بنوع خاص ، إذ هم مطمح الأمل ، وهم القوة التى يشتد بها ساعد الأمة ، وعلى أيديهم نهضتها ممثلة فى كل أعمالهم ، فيقول النبى (ص) : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... » ، يعنى من تيسرت له وسائل الحياة الزوجية ، فعليه أن يفعل

وإن النبى ليرثى لمن تخلف عن الحياة الزوجية ، وينبه إلى أن شيئاً آخر لا يعدلها ، وإن تهيأ لبعض الأذهان القاصرة ، أو لبعض النفوس التى ألهتها مطامعها وشهواتها فى غير هذه الناحية عن هذه الناحية

فيقول (ص) فى ذلك : « مسكين ، مسكين رجل ليست له امرأة . قالوا : وإن كان كثير المال ؟ قال : وإن كان كثير المال . مسكينة ، مسكينة امرأة لا زوج لها . قالوا : وإن كانت كثيرة المال ؟ قال : وإن كانت كثيرة المال » ... فأنت ترى من حِكَمْ النبوة ، بل من وحى الرسالة ، أن متاع المال وأن كثر لا يعدل متاع الزوجه للرجل ، ولا متاع الزوج للمرأة

وإن يكن فى الدنيا ضروب من المتاع وألوان أخرى للحياة فلعل الحياة الزوجية أول هذه الضروب وأصدق هذه الألوان . ولسنا نعنى مطلق الزوجة ومجرد اقتناء الحليلة ، بل الزوجة التى تكفل للزوج هناءة ووفاقاً ، على ما يأتى ـ بعد ـ من أوصافها . وذلك ما أوحى به إلى النبى (ص) وجرى على لسانه فى إيجاز عذب وكلمات أخاذة هى قوله : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »

لا نجد من القول للترغيب فى الدنيا وامتداح ما فيها خيراً من هذا ولا قريباً من هذا . وإنه لإحباط وتزييف لما يحاوله نفر من الناس فى الترغيب عن متع الحياة وصرف النفوس عما خلق الله من الطيبات . فلم تكن الدنيا وما اشتملته من مظاهر القدرة وأنواع الخير إلا متاعاً للأنسان : يناله ، ويشكر ، ويمن به المولى — بعد — على عباده ، ويثيب من شكر . ثم يترق كلام النبى (ص) فى المدح لمتاع الدنيا فيقول : « وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » . أفرأيت ما يجذب الرجل نحو الزوجة خيراً من هذا وأبلغ ؟ أو رأيت أن الزوجة تعتبر خير متاع فى الدنيا ثم ينظر إليها فريق منا نظرتهم إلى شىء مشؤوم ، ويفرون منها فرارهم من أمر بغيض ؟ ؟ هذه غاية الغايات فى امتداح الحياة الزوجية . أفلا يكون التغاضى عنها إلا من مكابر استعذب المرّ واستمرأ الخبيث ؟ ؟ إنه لكذلك

ولقد اعتزم ثلاثة من أصحاب النبي (ص) أن يجتهدوا في العبادة ، فاختار أحدهم أن يصوم دائماً ، واختار الثاني أن يصلي ليله دائماً ، ورغب الثالث أن يترك الزواج دائماً ، فجاء إليهم النبي (ص) وقال لهم : « أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » فهو يأبى على أصحابه أن يهجروا الدنيا للدين ، وأن ينقطعوا عن النساء ليتصلوا بالعبادة ، ويعلمهم أنه لا رهبانية في الإسلام ، وأن ما يحسبونه متاعاً محضاً إن هو إلا دين محض ، وهو على ما فيه من ترضية النفس أكرم وسيلة لترضية الله ، وخير سنة نأخذ بها عن رسول الله ، فمن زهد في متابعته فليس من دينه في شيء ، ولا من الصلة بالنبي على طرف

وإذا كان الانقطاع للعبادة أمراً مستهجناً ، والتعفف عن الزواج لذلك نبواً عن الدين ، وجهلاً بمزاياه . فما بالك بمن يعتاض عن الزيجة الحلال بمن لا تحل ؟ وما ظنك بمن يعاف الطيب الشهي ويتكالب على القذر الكريه ؟ رب : « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ... »

ورضى الله عن عمر فقد قال يوماً لرجل أعزب يراه قادراً على الزواج : لا يمنعك من الزواج إلا عجز أو فجور

وكذلك قال بعض الأئمة من سلف المسلمين : ليست العزوبة من الإسلام في شيء ، ومن دعاك إلى ترك التزوج فقد دعاك إلى غير الإسلام. ولقد صدق الله ورسوله ، وصدق الأئمة السابقون

وبعد ، فهذه طائفة من القول في دعوة الإسلام إلى التزوج ومفهوم طبعاً أن العاجز – لعذر قاهر – مطلوب إليه أن يتعفف عن الحرام حتى تتهيأ له الفرصة « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله »

فماذا لقيت دعوة الله ورسوله عند أهل الجيل الذي نعيش فيه ؟ لقيت رواجاً غير منظم في الطبقات الصغيرة ، ولقيت إعراضاً غير منظم في الطبقة المستنيرة ، حتى أصبحت الفوضى في محيط الجماعة الأولى، وبين الجماعة الأخيرة مثلاً سيئاً تتهم به الحياة الإسلامية ، وأصبحت ترى الفتيات الصالحات للزواج يتطلعن إلى الزوج فلا يجدنه ، وتلتمس الفتيات المهذبات أمامهن في الرجل فلا يصادفنه

ووراء ذلك ما وراءه مما يحزن كثيراً ولا يسر قليلاً . ووراءه ما وراءه من كساد يطفىء لمة الشباب في وجوه الحسان ، ومما يساور الآباء والأمهات على بناتهم من هموم وأحزان

فكم من آهات حزينة ، وتنهدات موجعات تلتهب بها قلوب الآباء والأمهات !

فمتى يكون في مصر قانون يردع ، ما دامت القلوب لا تخشع، والآذان لا تسمع ؟

(لها بقية)

عبد اللطيف محمد السبكي
المدرس في كلية الشريعة

فى « عين شمس »

للأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

لم أعرف « عين شمس » قبل هـذا اليوم ؛ ولم يقدر لى أن تصافح عيناى هذه الجنبات الفساح ، وتلك الأرض المنطلقة . وما أدرى أين كان منى هذا الهدوء السمح ، وهذه الطبيعة الضاحكة ، وذاك الجمال المنثور هنا وهناك .. لقد قنعت بنفسى فانطويت عليها ، وزهدت فى الناس فانصرفت عنهم ، وقضيت فى القاهرة سنوات فإذا أنا أعيش فى هيا كل الوحدة ، ومعابد العزلة ، وكهوف الانقطاع البعيد ... وإذا أنا أحيا بهذه الأجواء التى أنشرها ، وهذه الدُّنى التى أنثرها ، وتلك الرؤى التى أهيم بها ... وإذا أنا أنتزع قبس الحياة من أعماق ، وأمدّ زيته من دمى ، وأعيش فى عالى الرحب ، أطوّف فيه ، وأسكن إلى ظلاله الوارفات

— ٢ —

وفى القطار إلى « عين شمس » كانت تمر بى كل هذه الضواحى الفينانة ، القائمة على برزخ الحياة ، المستلقية على قدمى الصحراء ، السابحة فى بحر النور ... فأعجب كيف غبت عنها كل هذا الأمد الطويل ، وهذا المدى المتباعد . ولـكنى أثيب إلى نفسى فأذكر أن لى قلباً وقفته على ملاعب الصبا ، ومسارح الطفولة ، وجنات النوطة ؛ وأن فى أعماق خلجات استأثر بها الحنين ، واستبد بها الشوق ؛ وأن فى أضلاعى روحاً تخفق للأسرة الناعمة والبيت الندىّ والوطن البعيد

لشدّ ما ملـكت علىّ نفسى هـذه الضاحية الضاحكة ... لقد أحسست فيها الحياة ، وشعرت معها بالانطلاق ، وامتدت بى آفاق النظر هنا وهناك ، لا تحدها عوائق ، ولا تقف من دونها حواجز ، ولا يمنع عنها النور جدران قائمة وأبنية متراصة

— ٣ —

إن الصحراء النائمة على ذراع الأفق ، الممتدة على صفحة الدنيا ، لتبعث ألواناً من الأحاسيس ، وتثير أنغاماً من العواطف ، وتبث المعانى الرائعة من السلام والهدوء ... لا يملك معها الإنسان إلا أن يستجيب لها ، ويتحد معها ، ويفنى فيها

لقد وقفت فى ساعات الضحى أتأمل هذا الفضاء الواسع فاجتمع علىّ الألق والشعاع والنسيم ... كانت الأضواء الراقصة تداعب جفنىّ ، وتريدها على الإغماضة الخفيفة فى ظلال الرؤى والمباهج ... وكانت النسمات الرخية تمبث بشمورى فتمر عليها باليد الناعمة واللمسة الخفيفة ... وكان الألق الفضى ينسكب فوق كل شىء ، فإذا الدنيا تموج فى بريقه المتقد ، وتتلألأ فى سناه الوضاء

— ٤ —

لم يعد يشوقنى إلا أن أنظر إلى بعيد . أشهد الصحراء العارية على شاطىء الافق . لقد تجردت من كل شىء : من البناء المرتفع والعشب النامى ، والشجر المخضل ... وأوغلت فى البعد ... وذهبت تتنسل فى خضم واسع من الزرقة الخفيفة :.. لقد غابت فيه فلم يعد يظهر منها إلا هذه الذيول التى ألقت بها على الشاطىء تتلقى الشعاعات المترجة ، وتكتسى السراب الخادع ... ثم ظهرت من جديد ... فإذا الشمس تفيض عليها حلة من نورها الخاطف وألقها الوضاء ... وإذا هى تبدو صافية نقية ناعمة ، طهرتها السماء ، وكساها النور ، وفاض منها الجلال

يالروعة الصحراء ! ... إن رمالها المتراصة لتغنى على مسمع الزمن أنشودة رائعة من أناشيد القوة والمجد ، وإنها لتوقع لحناً بارعاً من ألحان الكرامة والنبل ، وإنها لتكتب صفحات بارزات (فى كتاب) الصفاء والطهر ... فتى نخلص إلى هذه الصحراء لننجو من غدر المدنية ؛ وأثقال الحضارة ، وأوضار المجتمع ... ؟ ومتى نعيش على هذه الرمال نستمع إلى حدائها ، ونصغى إلى غنائها ، وننعم بصفائها الطهور ؟؟

— ٥ —

أخذت أطوف مع الظهيرة فى أطراف الضاحية ... لا أخشى لفحات الشمس ، لأن النسائم اللطاف كانت تذهب بشدتها وتحيلها ضوءاً ناعماً ، ولوناً زاهياً ، ونوراً حلواً ... ومضيت فى جنباتها

المتباعدة؛ ووقفت أمام هذه الدارات المنثورة على أكتاف الطرق أشهد بساطتها المحببة ... كان أروع ما فيها هذه الحدائق القائمة على كتف الصحراء، وهذا الياسمين المنتثر على الرمال الصفراء، وتلك الأزاهير الفواحة فى الأرض الجدباء . . . لقد ضمت عالمين متباعدين فألفت بينهما، فإذا الخضرة الزاهية تتموج على حفافى الصحراء الصامتة؛ وإذا الزهر الندى يقبل الرمل الحالم، وإذا دنيا الحضارة والترف تتآخى مع دنيا الجلال والخشونة، فى عالم رائع أخاذ

— ٦ —

كان كل شىء فى « عين شمس » يسلمنى إلى سلسلة بعيدة من مفاتن الجمال ... لقد أحسست النشوة فى كل نظرة، ووجدت الهدوء فى كل مشهد، وأحببت الصحراء فوق ما كنت أحبها، وفنيت فى أجوائها المنسمة، وفى فضائها الرهيب . . . ولم ألق الخشوع عثل ما لقيته فى فناء مسجدها الجامع . . . لقد صليت على الرمل الممتد ... فإذا أنا أحلق فى عوالم مُثلى وسموات عليا، وإذا أنا أنسى كل شىء وأغيب عن كل شىء، وأن هدفى كل ما حولى، وإذا أنا أنشد الحقيقة الحقة، والخير المحض، والجمال المطلق . . . وأتلمس إلى ذلك الهداية والنور، وأحس اليقين والاطمئنان؛ وأجد من اللذاذات ما لم أجده من قبل فى مكان

— ٧ —

حين جلست فى المساء أنتظر أن ينشق هذا الهدوء الضاق عن القطار الصاخب، كان كل ما حولى يرتل نغمة السكون على هدهدة الليل الهابط ... لقد انتشرت على صفحة السماء قطع متناثرة من الغيم الوردى الزاهى، واستعارت الدنيا لحظات هذا اللون الجميل، فصبغت به كل ما حولها ... ثم لم يلبث أن اضطرب واهتز كما يهتز الطير الذبيح ... لقد طمس عليه الليل، فغابت آخر شعاعاته من الأفق حين كان عامل المحطة يبعث أول ألسنة النار الحمراء فى كومة من الخشب المشتعل

.. لشد ما تمنيت أن أكون فى « عين شمس » هذا العامل السعيد ... !

« القاهرة » شكرى فيصل

من تسابيح الفلق

نشيد المغرب الباكى ...

[إلى فاتنتى بسحرها الشفق ... !]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

إِذَا مَا اللَّيْـلُ نَادَاكِ
وَغَـــنَّى حَوْلَ دُنْيَاكِ
نَشِيدَ الْمَغْرِبِ الْبَاكِى   فَهُبِّى وَانْشُرِى فَجْرَا
عَلَى أَحْـلاَمِهِ الْحَيْرَى
لَعَلَّ جِرَاحَهَا تَبْرَا ...
وَكُونِى فى الدُّجَى شِعْرَا
يَهُـزُّ الْغَيْبَ إِنْشَادَا   وَيُسْعِدُ عُمْرِىَ الشَّاكِى
أَنَا اللَّيْلُ الَّذِى نَادَى   وَمَا غَنَّيْتُ إِلاَّكِ ! !

***

وَإِنْ طَارَتْ لَكِ الرِّيحُ
يُرَتِّلُ فَوْقَهَا رُوحُ
غَرِيبُ اللَّحْنِ مَجْرُوحُ   رَآكِ فَقَالَ : لَبَّيْكِ
هَبِينِى سِحْرَ عَيْنَيْكِ
لأَلْقِى بَيْنَ كَفَّيْكِ
صَلاَةَ الْعِطْرِ لِلأَيْكِ ...
فَزَفَّ الْحُبُّ أَنْوَارَا   وَأَنْفَـــاسًا لِمُضْنَاكِ
أَنَا الرُّوحُ الَّذِى طَارَا   لِيُبْعَثَ حِينَ يَلْقَاكِ
أَنَا اللَّيْلُ ، أَنَا الرِّيحُ !
أَنَا اللَّحْنُ ، أَنَا الرُّوحُ !
فَهَاتِى خَمْـــرَ نَجْوَاكِ

محمود حسن اسماعيل

رد على مقال :

الرحلات العربية

للأستاذ محمد محمود رضوان

قرأت المقال الممتع الطريف الذي كتبه الأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن بالعدد ٤١٠ من الرسالة وأتى فيه على تاريخ الرحلات العربية . ولعل الأستاذ يفسح لنا صدره فنأخذ عليه بعض مآخذ لا تغض من مقاله القيم

حاول الأستاذ أن يستقصي في مقاله جميع أنواع الرحلات التي نعرفها للعرب فوُفق كثيراً حيث ذكر الرحلات الاضطرارية كرحلة القحطانيين ، والتجارية كرحلة الشتاء والصيف لقريش ، والدينية كهجرة المسلمين إلى الحبشة وإلى المدينة ، والسياسية كرحلات المسلمين إلى المدن المفتوحة ، ورحلات الاستجداء كرحلة جرير وأبي نواس ، وأخيراً (الرحلات لذاتها ولم تبدأ إلا في القرن الرابع الهجري) كرحلة المسعودي والبيروني والقدسي وابن جبير والمغربي وياقوت الخ

وعجبي للأستاذ محمد عبد الغني أن ينسى ضرباً من الرحلات هو في نظري أهم ضروبها ، وأجدرها بالدراسة لأنه أجلها أثراً وأجلها خطراً في العلم والأدب ، وأعني به (الرحلة في طلب العلم)

وأعجب من هذا أن ينسى الأستاذ الكاتب نفسه وهو قد رحل في طلب العلم . وليته قرأ ابن خلدون يقول : (إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم)

ولقد عرف العرب لرحلات العلم قيمتها فكانوا يتنقلون في مشارق الأرض ومغاربها للقاء الشيوخ ، ويرحلون إلى البادية لتقَضْرِي مقاولهم بالفصاحة ، ويتحملون في سبيل العلم من بعد الشقة وقلة الزاد ووحشة الطريق ورهق السفر ما الله به عليم

ذكر ابن خلكان أن الخطيب أبا زكريا التبريزي شارح ديوان الحماسة ، والقصائد العشر (٤٢١ — ٥٠٢) وقعتْ له نسخةٌ من كتاب التهذيب للأزهري في عدة مجلدات يُعوزُ بعضَ مسائلها شيء من التحرير ، فسأل عمن يقوم بذلك فدلوه على أبي العلاء ... فماذا يصنع الرجل والشقة بعيدة وهو فقير لا يملك أجرة دابة تحمله ؟ لقد وضع الكتاب في حقيبة وحملها على ظهره وسافر من تبريز إلى المعرة مشياً على قدميه حتى بلغها وقد قطع نحو سبعمائة ميل ثم أخرج الكتاب فوجد العرق قد نفذ إليه فأفسد منه ما أفسد

والأندلس العربية ، لقد كانت كعبة القاصدين من أهل المشرق كما كان الشرق مجمة الرائدين من أهلها طالبين للعلم ، والعلامة المقري صاحب كتاب (نفح الطيب) يسهب في كتابه إسهاباً ، ويُطنب إطناباً ، حين يتعرض لذكر الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق يطلبون العلم وينافسون فيه المشارقة

وكتب التراجم كوفيات الأعيان ومعجم الأدباء وطبقات الأطباء وتاريخ الحكماء تؤرخ لألوف من العرب رحلوا يطلبون العلم (ولو في الصين) ، لا يعوّقهم الإملاق عن شهود محافِلِه ، ولا تحلِّئهم المشاق عن ورود مناهله

ولقد كتبتُ فصلاً مسهباً عن (رحلات العرب في طلب العلم) من فصول كتاب أشتغلُ جاداً بوضعه عن (المسلمون والتربية) عسى أن يكون الفراغ منه قريباً

وللأستاذ شرف الدين خطاب المفتش بوزارة المعارف فصل موجز في هذا الموضوع في كتابه (التربية في العصور الوسطى) الذي يدرس في دار العلوم ، فراجعه إن شئت

* * *

نعود لناحية أخرى نعتقد أن الأستاذ عبد الغني تجنى فيها على شعراء العربية ، وذلك حيث قال عنهم : « ولكن واحداً منهم لم يفكر في تدوين رحلة أو تسجيل مشاهدة » ، وحيث قال : « وإذا كانت هذه الرحلات الفردية وكثير غيرها قد أضافت بعض الثروة إلى الأدب إلا أنها لم تكن منتجة بالنسبة للرحلات والأسفار ، فهي عقيمٌ كل العقم من هذه الناحية »

فلقد عرفنا الكثير من شعراء العربية الرحّالين شعراً رائعاً يصفون فيه رحلاتهم ليس هذا موضع الإفاضة فيه ، ولكني أمثل بالبحتري وقصيدته في وصف إيوان كسرى التي ضمنها وصف رحلته ومشاهداته ، وأمثّل بأبي الطيب المتنبي الذي تقلب ما بين دمشق وحلب ولبنان وفارس ومصر وشهد غزوات سيف الدولة فضمّن شعره الكثير مما شاهده ، فوصف بحيرة طبرية وشعب بوان وحمص وتُفاح لُبنان ، ووصف نساء الروم في وقعة نهر (أرْسَناس) ، وليس في إغفاله وصف آثار مصر ونيلها دليل على قصوره أو تقصيره فإن لذلك أسباباً لا نتعرض

لما فى هذه المُجْـلة ، بل لقد كان لرحلته إلى مصر آثار كثيرة فى شعره ... أقلها أنه هجا المصريين

وابن هانىء الذى قال عنه الأستاذ (يخرج من الأندلس إلى شمال أفريقية فيمدح الخليفة المعز ويرحل معه إلى مصر ويصف هـذه الرحلة فى بعض شعره) لقد ظلمه وتجنى عليه ، فالرجل لم يرحل مع المعز إلى مصر ولـكنه رحل من الأندلس إلى عدوة المغرب فلقى جوهراً القائد ، ثم علم به المعز فقربه وأجرى عليه العطايا ؛ ثم رحل المعز إلى مصر فشيعه ابن هانىء ورجع إلى المغرب لأخذ عياله ، ثم مات قبل أن يلحق بالمعز . ولما بلغه خبر موته أسف وقال : « كنا نريد أن نفاخر به شعراء الشرق فلم يقدر لنا ذلك »

ومع هذا فقد كان لرحلة ابن هانئ إلى المغرب أثرها فى شعره ، وقد وصف أسطول المعز وصفاً رائعاً بقصيدته المشهورة :

أما والجوارى المنشآت التى سَرَتْ
لقـد ظاهرتْهـا عدةٌ وعـديدُ

***

وبعد ففى مقال الأستاذ محمد عبد الغنى بعض هنات فى التعبير واللغة نرى لزاماً علينا أن نشير إليها ، ولا سيما أنه من المولعين بتعقب أمثالها

فهو أولاً ، يقول عن الرحالين من قريش إلى اليمن والشام : (وسنسميهم رحالين تجاوزاً) ، مع أن الله تعالى يقول : (رحلة الشتاء والصيف) فهل سماهم القرآن رحالين تجاوزاً ؟

وهو ثانياً يروى بيت الأعشى هكذا :

وشاهدنا الُجلّ والياسميـــن والمسمعات بأقصابهـا

وأظن الرواية الصحيحة للبيت (بقصابها) لا (بأقصابها) ، وقد جاء فى الأساس : « وتنفخ فى القصّابة : فى المزمار ، ورأيت القُصّاب ينفخون فى القُصّاب : أى الزمارين ينفخون فى المزامير ، جمع قاصب الخ » . أما الأقصاب فهى الأمعاء

وقد روى البيت كما ذكرت العالم التونسى الجليل الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالـكى فى تونس ، فى بحثه النفيس (الترادف فى اللغة العربية) المنشور بالجزء الرابع من مجلة المجمع اللغوى

وهو ثالثاً ... استعمل فى مقاله (ساهم) بمعنى (شارك) أو (كان له نصيب) ، والمساهمة هى المقارعة من (القرعة) كما فى قوله تعالى فى قصة يونس (فساهم فكان من المدحضين)[1] وكان يصيب لو قال : (أسهم) أو (سَهَم)

وقد نبه على هذا الخطأ أستاذنا الجليل العوامرى بك[2] . ولا حجة للدكتور زكي مبارك فى رده لأنه يستشهد بكلام المتأخرين ، ويرضى بأن يخطئ مع الشريف الرضى[3]

وهو رابعاً يقول : (وبعد كتابه الثانى أوفى مرجع عن بلاد الهند ، وأملأ كتب الأسفار تعريفاً بها)

والشذوذ كل الشذوذ فى (أملأ) ، لأن أفعل التفضيل — كفعل التعجب — لا يصاغ من الخماسى (امتلأ) على وزن أفعل . ولا يُقال إنه مصوغ من مَلأ ، لأنه كان عليه حينئذ أن يقول : « ويُعَد المؤلف أملأ المؤلفين لكتابه تعريفاً بالأسفار » لا أن يسند الملء للكتاب

نعم ، إن الأشمونى فى شرحه على الألفية وابن هشام فى أوضح المسالك ذكرا من الشذوذ قولهم : « ما أملأه للقربة » مصوغاً من امتلأ ؛ وهذا وهمٌ منهما لأنه لا شذوذ حينئذ فى العبارة ، إذ هو مصوغ من ملأ ... والمعنى جيد

وقد اعتذر لهما الصبان بأن الشذوذ يكون حين يقال : « ما أملأ القربة » ، كعبارة الأستاذ عبد الغنى

فهل يقوم هذا اعتذاراً له ؟

وهو خامساً يقول : « وإذا كانت هـذه الرحلات الفردية وكثير غيرها قد أضافت بعض الثروة إلى الأدب ، إلا أنها لم تكن منتجة ... الخ »

وأنا لا أعلق على هذه العبارة إلا بأن أتحدّى الأستاذ بأن يُعربها ويبين لنا جواب إذاً ويخرّج هذا الاستثناء

ومنى إليه التحية

(حدائق القبة) **محمد محمود رضوان**
للدرس بالمدرسة النموذجية

---

(١) راجع تفسير البيضاوى وغريب القرآن للسجستانى ص ٩٨

(٢) ص ٢٢٢ من العدد الرابع من مجلة المجمع

(٣) قال الأستاذ العوامرى مما قال : « وهناك معنى آخر لتساهم ؛ ففى الأساس : « وتساهموا الشىء : تقاسموه » . وجاء الدكتور مبارك فى العدد ٣٧٨ من الرسالة يقول : « ثم عجبت كل العجب من غفلة بعض النقاد حين رأيت الزمخشرى نص عليها فى الأساس فقال : « وتساهموا الشىء : تقاسموه » اهـ . قلت : الخطأ هو ساهم بمعنى اشترك »

من وراء المنظار

فى الترام أيضا . . . !

لعل هـذه ثالث مرة أكتب فيها عما وقع عليه منظارى فى الترام مما يصور أخلاق بعض الناس فى مجتمعنا الواسع ، والترام لا تنس أيها القارىء مجتمع له خطره . وإن عجبت لهذا التعبير فأخطر ببالك مبلغ ما تمتلىء به طيلة النهار وساعات من الليل تلك المركبة من أنماط الناس مرات كثيرة متتابعة

وما اتخذت موضعاً لى يوماً بين هؤلاء الناس إلا وقع منظارى على ما لا أحب أن يقع عليه . ولو أنى رحت أحدثك كل يوم بما أرى لجئتك كل يوم بالطريف ، بل ولحملتك على أن تستزيدنى إن سكت

وماذا عسى أن أعرض عليك اليوم مما شاهدت والمجال لا يتسع له كله وليس فيه ما أحب أن أدعه ، وما أعرض عليك ما أعرض محبة فى نشر ما يعاب وإنما أشهر بما يعاب بغية القضاء عليه ...

هذان يافعان من أبناء مدارسنا يكلم كلاهما صاحبه وكأنه يتعمد أن يسمع الراكبين جميعاً ، وليت العيب قاصراً على ما يحدث كلاهما من ضجة مكروهة ، بل إنهما ليتحدثان فى غير تحفظ عن أمور أحسب أن الحديث فيها مما يوجب الخجل لو جرى بينهما على انفراد ، دع عنك ما ينعت به كل منهما صاحبه من الألفاظ التى نستفظع صدورها من السوقة إذا عظمت بينهم جلبة المزاح ، أو إذا استحرّ بينهم بالأيدى والألسن القتال ... وما أرى على وجه من هذين الوجهين أى شعور بأنهما تقع عليهما أعين الناس

ودع هـذين إلى ذلك الذى يتحدث إلى جيرانه عن إحدى القضايا فيذكر أسماء معروفة ويعقب على كل اسم بما يشاء له أدبه من قاذع السباب فى غير تحرج ولا مبالاة

ثم ما قصيلة هـذا (الإنسان) الذى جعل يحملق فى فتاة أمامه من بنات المدارس لا يكاد يتحول نظره عنها وإنما يتحرك بصره إذ يتحرك صاعداً من طرفى قدميها إلى قمة رأسها فيستقر بعض الوقت فى مواضع معينة ، ثم يهبط إلى أسفل من جديد متوقفاً عنـد مواضع الاستقرار حتى يعود إلى حيث بدأ ليصعد من جديد ، وهكذا دواليك دون أن يفطن هذا الأفندى إلى ما يكاد يزهق روحها من ضيق وارتباك

وما هذا الذى راح يقضم اللب ويلق بقشره فى سرعة فيقع على ملابس من هم حوله فى غير وعى منه كأنما يفعل ذلك فى حجرته الخاصة ؛ فإذا فرغ ما فى يده دسها فى جيب سرواله فعادت ممتلئة، ودار فكاه فألقيا بالقشر تباعاً كأنهما تلك الآلة التى تفصل القمح حبه عن تبنه فى الأجران

وماذا يريد ذلك « البارد » الذى يطيل النظر إلى ملابس من هم أمامه ، كأنما يتفرج على معروضات الأزياء فى إحدى « الفترينات » . يفحص ببصره أربطة الرقبة والقمصان والحلل ولا يتحول بعينيه عنك مهما أبديت له بنظراتك من دهش أو استنكار ! !

على أن هؤلاء جميعاً أهون شراً وأقل خطورة من ذلك الذى جلس فى طرف المقعد إلى اليسار وأخذ يبصق كل بضع ثوان بصفة لا يبالى على أنف من ولا على عين من وقع رشاشها المذب الذى ينثره الهواء على من خلفه ، كأنما يتحتم على راكب الترام أن يلبس قناعاً من الأقنعة الواقية ...

ومثل ذلك الظريف هذا الذى يتحرك لينزل فيطأ بنعله وجه نعلك ، أو يفزع بيده طربوشك فما تدرى إلا وقد طار عن رأسك ، أو يتحاشى الانزلاق إذ يقرب من السلم فتستقر لطمة منه على عينيك أو خدك أو أنفك بحيث لو سددها إليك من يتعمد ذلك — لا قدر الله — ما جاءت محكمة كما تجىء من يد ذلك الذى يمر بك أثناء نزوله من الترام ، وإنه ليقع منه ذلك فلا يلتفت إليك بكلمة اعتذار أو بنظرة أسف ! وسبحان الذى سوى الجبلات

ودع عنك غير من ذكرت (المتشبطين) على السلم والمتحاربين مع « الكمسارى » من أجل مليم مشكوك فى أمره ، أو على الأكثر من أجل قرش زائف ، دع عنك هؤلاء فالأمر محصور بينهم وبين « الكمسارى » إلا إذا نفخ هذا فى زمارته فأوقف الترام وأخذ الجميع بذنب صفيق أو صفيقين

أقسم لك أن ذلك كله حدث فى الترام فى وقت معاً ، فإن لم تصدقنى بعد هذا القسم فليس لدى شك فى أنك لم تركب هذه المركبة

الخفيف

تدخل الدولة فى الاصلاح

واجب لا مناص منه

للأستاذ علي توفيق حجاج

تناول الدكتور زكى مبارك فى مقاله الطويل : « الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع » المنشور بعدد « الرسالة » ٤٠٨ مسائل متنوعة الألوان مختلفة المذاهب ، وتصدى فيها للرد على بعض الكتاب ؛ وقد لفت نظرى ذلك الخلط الغريب فى وجهات النظر ، وأدهشنى أن أرى الدكتور زكى يدعو إلى الفوضى فى الوقت الذى فيه يدعو إلى الإصلاح ؛ وقد استخلصت من مقاله الطويل آراءه الآتية بنصها ، حيث يقول :

أولاً : « وأنا أرى أن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع وأرى من الواجب أن توجه الجهود الصادقة إلى إصلاح الفرد ، لأن المجتمع يتكون من الأفراد »

ثانياً : « المنحطون هم الذين ينتظرون من الحكومة كل شىء ، فهى عندهم مسئولة عن صيانة المرافق ، وتدبير جميع المنافع ، وإبعاد جميع المخاطر ، وإصلاح جميع الأحوال »

ثالثاً : « عيب الفرد هو اعتماده على المجتمع واحتماؤه بالقوانين فقد شلت من الإنسان مواهب كثيرة منذ اليوم الذى اطمأن فيه إلى أنه له عصبية تنصره وحكومة تحميه ... وأنا أدعو إلى اعتصام الفرد بنفسه ، قبل اعتصامه بعدالة الحكومة وحصانة المجتمع »

هذه هى خلاصة ما يقرره الدكتور زكى مبارك فى مقاله

أنا أرى :

وأنا أرى أننا جميعاً متفقون مع الدكتور فى أن « الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع » ؛ ولكن ما هى تلك الجهود الصادقة التى يجب أن توجه إلى إصلاح الفرد ؟ ... أليست هى المشروعات الاقتصادية والاجتماعية التى تقوم الحكومة « الدولة » بتنفيذها لرفع مستوى حياة الشعب ومعيشته ؟ خذ لذلك مثلاً قيام الحكومة بإصلاح الأراضى البور — فى شمال الدلتا وغيرها — وتوزيعها على صغار الملاك رغبة فى التوسع فى الملكيات الصغيرة والنهوض بمستوى صغار الزراع والعمال الزراعيين ؛ وقد حدثتنا الإحصائيات الرسمية للدولة المصرية فى سنة ١٩٣٨ أن عدد ملاك الأراضى الزراعية فى المملكة المصرية هو ٢٫٤٤٤٫١٨١ مالكا ، منهم ١٫٧١٦٫٧٠٧ يملك فداناً فأقل ، و ٥٦٧٫٨٠٦ يملك من فدان إلى خمسة أفدنة ، ونسبة هؤلاء الملاك إلى مجموع الملاك فى الدولة هو ٩٣٫٥٪ ، ومتوسط ما يملكه الواحد منهم ٢٠ قيراطاً فقط ، وأن الملاك الذين يملكون خمسة أفدنة فأكثر هم ١٥٩٫٦٦٧ ، ونسبتهم إلى عدد الملاك ٦٫٥٪ ، فهل يعقل يا دكتور أن مالكا لفدان واحد ، يملكه أن يقوم بتربية أبنائه وخلق جيل جديد يتفق مع نهضة البلاد ؟ هذا هو شأن الملاك ، فما بالك بمن لا يمتلكون شيئاً ! ؟

لقد اتخذت فرنسا وغيرها من دول أوربا إجراءات مختلفة للانماش الاقتصادى ، خصوصاً ما كان متصلاً منها بالزراع وصغار الملاك ، والعمال الزراعيين ، والطبقات الفقيرة . ومما يذكر أن حكومة فرنسا وضعت فى سنة ١٩٣٨ نظاماً أطلقت عليه اسم : الإقطاعيات الزراعية للمعاش Domaine retraite ، وأصدرت به قانون ٢٤ مايو سنة ١٩٣٨[1] ، واستفاد من هذا النظام جميع العمال الزراعيين ، بل جميع المشتغلين بالزراعة

إن حصر الإجراءات والوسائل التى اتخذتها الدول للعناية برفع مستوى الشعوب من الناحية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب مجلات ضخمة ، ولا يمكن لمجلة قيمة « كالرسالة » ، أن تشغل وقت قرائها بسرد طويل - قد يمله بعضهم - ولكنى على سبيل الإشارة ، قد ضربت هذين المثالين :

الحكومات هى أم الشعب التى يجب أن ترعاه ، بل المسئولة عن توجيهه ، وتوجيه أفراده ، وصيانة المرافق ، وتدبير جميع المنافع ، وإبعاد جميع المخاطر ، وإصلاح جميع « الأحوال »

والعيب كل العيب يا دكتور على الفرد الذى لا يعتمد على احتمائه بقوانين الدولة التى تصدرها لتنظيم العلاقات المختلفة بين الأفراد والجماعات ، بين أصحاب الأعمال والعمال ، بين الملاك

(١) راجع :
Annuaire International de Legislation Agricole, 1938,
Institut International d'agriculture, Rome,
Les Services Sociaux, en 1933 Bureau International du Travail, 1936 Genève.

والمستأجرين ، بين التاجر وعملائه ، بين الموظف ووظيفته إلى آخره

بل « لقد شلت مواهب كثيرة » بسبب عدم تشجيع الدولة لها ، وتقدمت وارتقت مواهب المفكرين والمخترعين الذين أولتهم الدولة عنايتها ، وشجعتهم بمختلف الوسائل ، كالتعيين فى الوظائف العامة ، ومنح المكافآت ، والامتيازات Concession وما إلى ذلك

والواقع أن الأعمال التى اطمأن عمالها إلى مستقبلهم ، قد ارتقت وتقدمت تقدماً باهراً ، بسبب رعاية الدولة لعمالها ووضعها تشريعاً روعى فيه مصلحة الطرفين ، أى مصلحة العامل وأصحاب الأعمال ، وضماناً للعدالة التى يجب أن تحتل المكان الأول فى المعاملة

أما « احتماء الفرد بنفسه » وإن النفس لأمارة بالسوء ، فهو الفوضى بعينها ، ولو كان الأمر كذلك لما أرسل الله مبشراً ونذيراً ، وسنت الشرائع السماوية ، ولما فكر العلماء فى وضع القوانين واللوائح التى تحد من طمع الإنسان وجشعه ، وحب الذات ، « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى »

ولذلك أرجو أن يرجع الدكتور عن رأيه وأن يقرر معى ، كما قررا العقل والناموس الطبيعى . أن يعتمد الفرد على « الدولة » ، وأن يوجه عنايته دائماً للتعاون معها فى سبيل الإصلاح خصوصاً بعد أن أصبح مبدأ تدخل الدولة من المبادئ المحتومة التطبيق ، ما دام قائماً على أساس التضامن الاجتماعى Solidarité Sociale والعدالة فى توزيع الضرائب

تدخل الدولة

إن تدخل الدولة فى أحوال المجتمع والأفراد أصبح أمراً لازماً لا مناص منه منذ زمن بعيد ، ولقد اضطرت الدول لفرض مختلف أنواع الضرائب كى تتمكن من القيام بأعباء مسؤولية التدخل وتكاليفه ، وقد قسم علماء الاقتصاد والقانون هذا التدخل إلى الأقسام الآتية :

أولاً — التدخل الوطنى : « L'interventionnisme National »[1] وهو تدخل الدولة فى التجارة الخارجية أو الدولية حماية للانتاج الأهلى إذ لا بد للدولة من العمل على تنظيم القوى الانتاجية للجماعة ، وتنشيط الانتاج وتشجيعه فى مختلف نواحيه حتى يتم بذلك تكوين المجتمع أو الأمة ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الحماية الجمركية مثلاً للواردات . وقد تدخلت حكومة مصر فى هذه الناحية عند مارغبت فى رفع مستوى الصناعات المحلية وتشجيعها ، والاستغناء جهد الطاقة عن الواردات الأجنبية . فقررت فرض رسوم جمركية مرتفعة على الواردات من المنسوجات الأجنبية وغيرها خصوصاً وأن الصناعات المصرية كانت فى دور النشوء ، ولا يمكنها أن تتحمل المنافسة الأجنبية ، ولا بد أن يتناول التدخل الوطنى الحماية الجمركية وجميع نواحى الصناعة والزراعة والتجارة

ثانياً — التدخل الاجتماعى : « L'interventionnisme Social »[1] ، الغرض منه تدخل الدولة لتحسين حالة العمال ورفع مستوى معيشتهم ، خصوصاً من ناحية محاربة نظام المنافسة الحرة الذى يدفع بالمنتجين إلى محاولة العمل على تخفيض نفقة الانتاج بتخفيض أجور العمال واستعمال الأيدى الرخيصة ، واستخدام النساء والأطفال

ولما كان مركز العامل دائماً يكون ضعيفاً أمام صاحب العمل ، والقوى المتنازعة غير متكافئة ، فلا بد من تدخل الدولة لحماية الضعيف ، ولا بد من سن تشريع صناعى ، وتحديد ساعات العمل ، ووضع نظام الأجور والإعانات والمكافآت فى جميع الأحوال سواء فى أحوال المرض والشيخوخة والبطالة ، وتعميم نظام التأمين الاجتماعى

وقد تدخلت الحكومات على اختلاف ألوانها : دكتاتورية كانت أو ديمقراطية فى جميع نواحى النشاط

وشرعت مصر فى هذه النهضة فعمدت إلى سن تشريع إصابات « العمل » ، وقانون عقد العمل ، وتشغيل الأحداث ، والتأمين الاجتماعى ، والتأمين ضد البطالة وغير ذلك

وفيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعى لا بد من العمل على إفساح المجال للعوامل الأخلاقية والدينية فى الجماعة ، بمعنى أنه لا بد من إخضاع الفرد لقانون أخلاق وسلطة عليا هى سلطة رئيس العائلة فى المنزل ، وصاحب العمل فى المصنع ، والدولة فى مختلف الشؤون[2]

---

(١) راجع : Von list, Système National d'Economie Politique, 1841

(١) راجع : Simonde de Sismondi, Nauveaux prinècye, d'Ecome, Polit 1819

(٢) راجع : Le Play : La Rèforme Social, 1846

ثالثاً — التدخل الاقتصادى :

« Interventionnisme Economique »

وهو تدخل الدولة فى الإنتاج ، بأن تحل مكان الفرد فى بعض فروع الإنتاج وبذا ينشأ الاحتكار العام ، فتتولى الدولة أو البلديات أعمال السكك الحديدية والبريد والمناجم ، وذلك دون تغيير فى نظام الجماعة الحاضرة ، فتنشأ بجانب الملكية الفردية ملكية الدولة لبعض الفروع [١]

وقد تطور تدخل الدولة الاقتصادى ، فأصبحت الدولة تعتبر جميع نواحيها الاقتصادية وحدة اقتصادية مكونة من مجموع قوى إنتاجية تتعاون وتتضافر وتتضامن فيما بينها بحيث يستفيد الشعب من هذه القوى ، ويحصل على كل ما يكون فى استطاعته إنتاجه بنفسه لنفسه ، ويقل اعتماده على غيره ، أو بمعنى إيجاد سيطرة اقتصادية ، مع الاعتراف بوجود روابط اقتصادية دولية ، بشرط حماية الإنتاج المحلى الأهلى . وهذا التدخل يسمى أيضاً بنظام الاقتصاد الدار Economie National Dirigé ؛ وقد جرت عليه تقريباً جميع الحكومات على اختلافها ، ويرجع تاريخ تطبيقه الحديث فى مصر إلى عهد محمد على باشا الكبير ، ومازالت حكومة مصر تتخذ إجراءات من وقت لآخر فى سبيل حماية الإنتاج المحلى ، وبحث ودراسة وسائل تصريفه

وقد ثبت أن تدخل الدولة غرضه الأول تنظيم جميع المرافق وإيجاد تناسق فى جميع الدول [٢]

(١) راجع الاقتصاد السياسى : للدكتور عبد الحكيم الرفاعى . الاقتصاد السياسى : للدكتور زكى عبد المال .

(٢) راجع : Bodin : Economie dirigée, economie Scientifique, 1933., Siegfried : L'Economie dirigée, 1934.

وسائل تدخل الدولة

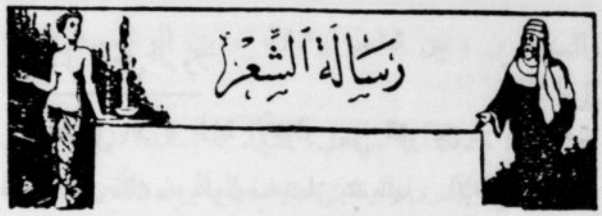
تتدخل الدولة لحماية الأفراد بسن القوانين — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — ويكون فيما يتعلق بتدخلها فى الإنتاج ، أولاً : بصفتها مشرعاً لتنظيم وتشجيع المنشآت الخاصة ، ويكون تدخلاً غير مباشر . ثانياً : بصفتها صاحب عمل ويكون تدخلاً مباشراً . ويكون ذلك بوضع قواعد عامة وشروط معينة لا بد للمنشآت من إتباعها

هذه يا دكتور بعض المبادئ العامة لتدخل الدولة مع إشارة موجزة كل الإيجاز إلى بعض وسائل تطبيق التدخل . وقد شعرت بلادنا وحكومتها نفسها وبرلماننا بأننا أمة فى حاجة ملحة للاصلاح ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق تدخل الحكومة . وإليك نص ما جاء فى الصفحة الثالثة من تقرير لجنة المالية بمجلس النواب عن سنة ١٩٤٠ — سنة ١٩٤١

« ولن تتحقق العدالة الاجتماعية ويرتفع مستوى الحياة العامة لطائفة كبيرة من أبناء هذا الوطن ، تئن تحت أثقال الفقر والمرض والجهل ، إلا باتجاه الجهود متكاتفة ، إلى علاج هذه الأدواء الثلاثة ، والعمل على خلق طبقة من صغار الملاك ، تحيا حياة إنسانية فى المستوى الأدنى الذى تراه البلدان المتمدينة أقل ما يجب أن يبلغه واحد من أبنائها »

لا بد وأن يكون الدكتور الفاضل زكى مبارك قد رجع عن رأيه بعد هذا البيان الموجز ، وأن يقرر أنه لا بد من اعتماد الفرد على الدولة واحتمائه بقوانينها

على توفيق حجاج



لو تكلم الفلاح . . .

للأستاذ محمود الخفيف

شَبابي جنتْ عليها الشقاه ولحنها ما هزَّ قومي بكاه
بكيتُ لا سلوةَ غيرَ البكا حتى البكا قد مات حولي صداه

* * *

نشأتُ في الشوك سقيم البدن والشوك لي حتى ارتدائي الكفن
يا ويلتا ماذا جنته يدي يدي بنت فوق التراب الحياه

* * *

يا ليت أمي لم تجلها يدي أو ليتني يا قوم لم أولد !
أشقى ليبني بشقائي الغني والجاه ، بانٍ ، كم رمتني يداه

* * *

أعيش من نجمانه أوضعا يا ليت لي من فكره موضعا
للثور ضعفٌ إن ذكرتُ الذي أعطاه أجرا ساء شرع الطغاه !

* * *

حماره في سرج من حرير وبيننا في الرزق فرق كبير
وكلبه ، لو أن بعض الذي يحظى به حظي جهلت الشكاه

* * *

ضنيت حتى ما عرفت الضنى والموت طبي بعد طول العنا
يا قوم إني جئت من آدم مالي بهذا الكون جد سواه

* * *

شقيت حتى قد جهلت الشقاء وبعض اليأس لقلبي الرجاء
كم لذت بالآمال حتى غدت بعض عذابي اليوم واحسرتاه !

* * *

ألمت حتى قد رثى لي الألم وأشفق السقم وحار العدم
لم يبق مني غير طيف البلى عيشي ومالي حيلة في سواه

* * *

لا هو يحييني ولا قاتلي من ذا يزيح العيش عن كاهلي ؟
من مولد الشمس إلى موتها كدح وما غير الردى منتهاه

* * *

وفي لظى الشمس وقر الشتاء ما كان لي غير قميصي وقاء
وقوتي الخبز ، يميناً لئن يلقي لكلب مترف لازدراه

* * *

لغيري النيل جرى كوثرا ولي جرى من عيشتي أكدرا
من طينه الذائب أروي الظما وقد روي ماء جبيني ثراه !

* * *

آوي إلى كوخي ذليل الخطى وليس في كوخي غير الأسى
هذا براه السقم حتى بدا طيفاً وذا داء الكلى ما دهاه

* * *

وليس لي ويلاه من راحم وهل أرجى البر من ظالمي ؟
ينظر لي إن مر بي نظرة كأنني في الحقل بعض الشياه !

* * *

يا بانيا هذا الثراء العمم بنيت بالأشلاء هذا الهرم
أقول إما بت في مضجعي طاوي الحشا : تبت يدا من بناه

* * *

يا سامرا أغراه حلو السمر يا لاعبا بالمال حتى السحر
يا والغا في الكأس هذا دمي ،
هلا ذكرت الكأس كيف احتواه

* * *

ما قل من هذا الذي تتلف يسعدني إن كنت لا تعرف
حرمتني ما فرض الله لي إصل لظاه يوم تكوى الجباه

الخفيف



السنوسيون والمذهب المالكي

كان لي حظ الاطلاع على ما كتب الأستاذان جعفر والبيساوي عن السنوسيين، ويظهر أن الأستاذ جعفر قد استند في تقديره بعد السنوسيين عن المالكية بما قد حصل من ثورة بعض من حسبوا أنهم علماء على السنوسيين. فقد قرأت في مطالعاتي أخيراً في كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للمرحوم الأستاذ الإمام الطبعة الثانية في (صفحة ١١٢) تحت عنوان « الإسلام اليوم، أو الاحتجاج بالمسلمين على الإسلام » ما يلي: « ... لكن أليس من العلماء المسلمين اليوم أعداء للعلوم العقلية ... ؟ ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب (الجغبوب) كتب كتاباً في أحوال الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول المالكية، وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة، وقد يرى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين؛ فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية رحمه الله تعالى، وكان المقدم في علماء الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه، لأنه خرق حرمة الدين، واتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين... وإنما الذي نجى السنوسي من الطعنة ونجى الشيخ من سوء المغبة وارتكاب الجريمة باسم الشريعة، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل أن يلاقيه الأستاذ المالكي. » اهـ

وأظن أن في كلام الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ما يحدد قرب السنوسيين لا بعدهم عن الإسلام

محمد فوزي مهنا

الخطة النازية في الحرب

إن الخطط التي اعتمدتها النازية في هذه الحرب قد عدلت كثيراً من الخطط الحربية القديمة، حتى أصبح من ذكريات الماضي الرأي القائل بأن على الدفعية أن تمهد السبيل للمشاة، وعلى قوافل المؤن والذخر أن ترافق الجيش

فبناء على خطة الألمان الجديدة يجب على قاذفات القنابل أن تبتدئ أولاً بضرب الأهداف الحربية في بلاد العدو بدلاً من المدفعية البعيدة المرمى التي كانت تقوم بهذه المهمة في الحرب الماضية. وبعد أن تلقي هذه الطائرات الجبارة محمولها من القذائف الكبيرة، تمطر رصاص مدافعها الرشاشة جنود العدو، وتتلوها أسراب من الطائرات الخفيفة تحمل قذائف صغيرة وقنابل محرقة وهي تمثل دور الفرسان قديماً؛ ثم يبتدئ هجوم الدبابات الضخمة من ذوات الستين طناً، وتسير إلى جانبها الفرق الآلية، ولا يتقدم المشاة إلا بعد تمهيد الطريق وتنظيف الساحة من العدو

ولكل فئة من رجال الهوابط مهمة: فمهمة الفئة التي تتألف من خمس طائرات أن تهبط في مكان معين، حيث تنتظرها عصابة من الطابور الخامس؛ والتي تتألف من أربع طائرات أن تهبط لنسف الجسور أو لتخريب السكك الحديدية ونحو ذلك؛ والتي تتألف من ثلاث طائرات أن تستولي على مستودعات النفط والمؤن، والتي تتألف من طائرتين أن تعطل المطارات. أما التي تتألف من طائرة واحدة، فتحمل مهندسين وخبراء فنيين لدرس الطرقات وطبيعة الأنهار وأمثالها. وكل ذلك يتم بنظام دقيق يشبه نظام الساعة.

جنود الهوابط (الباراشوت)

منذ سنة ١٩٣٥ ابتدأت ألمانيا بتأليف فرق الهوابط وتمرين رجالها على هذه الطريقة الحربية الجديدة التي تقتضي مهارة كبيرة وتمريناً طويلاً، لأن الخطر الذي يهدد الهابط ليس في الجو بل عند وصوله إلى الأرض، إذ تنكسر رجله، أو تصدع على الأقل فلا يعود يستطيع أن يقوم بمهمته، وكل هابط يحمل بندقية رشاشة خفيفة ودراجة وكمية من الذخيرة، وعليه أن يحسن جيداً لغة البلاد التي يهبط فيها

كان الألمان في الحرب الماضية ينشئون وراء خطوطهم مثالاً تاماً من خنادق الحلفاء ويمرنون جنودهم على طريقة مهاجمتها، وهكذا فعلوا في الحرب الحاضرة، فصنعوا بدلاً من الخنادق نموذجاً من البلدان التي نووا اجتياحها تتراوح مساحته بين أربعة وخمسة أمتار، وأثبتوا فيه الطرقات والأشجار والبيوت والأقنية والأنهار وغيرها، فيعكف جنود الهوابط على درسها حتى إذا حانت ساعة العمل قاموا بمهامهم بكل دقة

ولا يبلغ جنود الهوابط أهدافهم بدون مساعدة رجال الطابور

الخامس ، وهذا ما دل عليه اجتياح نروج . وفى هولندا هاجم الهابطون الألمان مطاراً وهم متنكرون بالملابس الهولندية فلم يستطع الهولنديون أن يميزوا بين الأصيل والدخيل . وفى بلجيكا سقط هابط ألمانى على سقف بيت فى وسط المدينة واختفى فجأة فاحتشد الناس حول البيت وطوقت الشرطة الحى برمته ، وطفقت تفتش كل المساكن دون أن تعثر على رسول هتلر . ومر ساعتئذ بين الجمهور كاهن يدل مظهره على ورع ، فقال أحدهم مازحاً : « من يدرى ؟ لعل هذا الكاهن هو نفسه ذلك الهابط الألمانى ! »

وما كاد ينتهى من كلامه حتى رأوا عربة مسرعة تقف فجأة فيدخلها الكاهن ثم تتابع سيرها ، فلحق بها رجال الشرطة وقبضوا على الكاهن وهو يصرخ : « إن فى ألمانيا ٢٠ ألف هابط ، وكلهم مستعدون لبذل حياتهم من أجل زعيمنا هتلر ! »

وقبض فى هولندا على هابطين من الألمان كانوا متنكرين بأزياء مختلفة وشارات عسكرية منوعة من بلجيكية وهولندية وفرنسية وانجليزية

جبل طارق

يقع جبل طارق فى طرف شبه جزيرة متصلة بالأرض الأسبانية ويدعى طرف أوربا ، مساحة منطقته خمسة كيلومترات يعيش فيها نحو ١٨ ألفاً

ينسب اسمه إلى طارق بن زياد الذى فتح أسبانيا عام ٧١١ ، وبقى فى حوزة العرب حتى انتزعه منهم أولونسى دى أركوس عام ١٤٦٢

وفى عام ١٧٠٤ احتلَّ البريطانيون جبل طارق وثبتوا فيه ضد هجمات الأسبان وحصارهم الطويل . ولما فتحت قناة السويس ازدادت أهميته الحربية ، لأنه يشرف على المضيق الذى يصل المحيط الأطلسى بالبحر المتوسط

وليس فى منطقة الجبل ماء للشرب فيضطر سكانها إلى جمع ماء المطر وخزنه . وللانجليز خزانات تسع أربعين مليون لتر ولا خوف على الحامية العسكرية والأهالى من الحملات الجوية ، لأنهم يختبئون فى الملاجىء الصخرية التى حفرت فى الجبل فى أثناء حصاره من ١٧٧٩ إلى ١٧٨٣

قال الأسبانى فلوريدا بانكا عام ١٧٨٣ : « إن جبل طارق شوكة فى جنب أسبانيا ، ولن تجمع الشعبين الأسبانى والإنجليزى صداقة حقيقية ما لم تنزع هذه الشوكة »

هتلر واليهود

بعث المراسل الأسوجى سلفيبج إلى « ذى داى » الأمريكية بالمعلومات التالية :

« إن الألغام المغناطيسية التى علق عليها الألمان الآمال الكبيرة فى بداءة الحرب قد اخترعها فى أواخر الحرب الماضية بعض علماء الكيمياء من يهود ألمانيا وقدموا إلى أركان الحرب الألمانية يومئذ سر اختراعهم فاحتفظت به وضمته إلى الوثائق السرية فى وزارة الحرب الألمانية . ولما سيطر النازيون على ألمانيا كشفوا ذلك السر فى جملة ما كشفوه وابتدأوا قبل نشوب الحرب الحالية يصنعون مقادير كبيرة من تلك الألغام . ولكن مصيرها كان الإخفاق لأن مخترعيها وأمثالهم من اليهود كانوا قد طردوا من ألمانيا ولجأوا إلى انكلترا حيث عكفوا على اختراع الوسائل للوقاية منها

إن النازيين عرفوا ـ ولكن بعد فوات الوقت ـ أن البيض ينقطع بعد قتل الدجاجة ؛ ولكنهم لم يقتلوا الدجاجة بل رموها فى يد العدو . وقد أدركوا خطأهم بعد وقوع الحرب ، وعند ما شعروا بحاجتهم إليها . ولهذا أوفدوا بعض دهاتهم إلى كل الأنحاء الأوربية لاسترضاء رجال العلم والاختصاص من أولئك المطرودين لكى يعودوا إلى ألمانيا ولكنهم أخفقوا . وقد تمكنوا فى البرتغال من إقناع ٢٣٣ طريداً كلهم من العلماء والأطباء والاختصاصيين بعد ما أغروهم بالوعود وأكدوا لهم أن اضطهاد اليهود فى ألمانيا قد بطل ، وأنه فى كل المعامل الألمانية قد ألصقت نشرات تنوه بنبالة العنصر اليهودى وبتحدره من أصل شريف ، وأعدوا لهم مركباً أسبانياً ينقلهم إلى أسوج ومنها إلى ألمانيا ؛ ولكن عمال انكلترا السريين وزعماء الجالية الإسرائيلية فى البورتغال أفسدوا هذه الخطة . وسافر المركب ، إلا أنه اتجه إلى ناحية من نواحى الباسفيكى بدلاً من أن يتجه إلى أسوج !

كان فى معامل كروب قبل أن يستولى هتلر على الحكم نحو عشرين ألف ميكانيكى يهودى ؛ أما اليوم فلا يبلغ عددهم الخمسين ؛ وقد جلب الألمان ثلاثين ألف عامل إيطالى ليحلوا محل أولئك المطرودين . غير أن مناخ ألمانيا الشمالية لم يلائم العمال الإيطاليين فعاد أكثرهم إلى وطنه

إن مختبرات انكلترا الفنية ملأى اليوم برجال الاختصاص

من اليهود المطرودين ؛ والذي أعلمه أن في مدينة واحدة بانكلترا ١٦٥ شخصاً من يهود النمسا والتشيك وألمانيا وبينهم علماء مشهورون واختصاصيون من الطراز الأول يعرفون جيداً كل أسرار الصناعة الألمانية (العصبة)

ازدهار الفكر وبطش المسيطر

ربما كان من الأسباب التي جعلت بعض الأساتذة ينكرون ازدهار الفكر في عهد الأمان والاستقرار — أي عهد انتظام أمور الدولة وقوة حكومتها واتساع نطاق تجارتها — أن الحكومات القوية في تلك العهود كان يخشى بطشها بالفكر ، لكنا إذا رجعنا إلى التاريخ ، وجدنا أن الفكر في تلك العهود كان يستفحل ويستفرخ وينمو نمو النبات في المنطقة الخصبة الحارة ، فلم يؤثر فيه ذلك البطش مهما اشتد بأس الحكومات ، فكان نموه أشبه بنمو نبات البردي في مناقع النيل قرب منبعه ، فإذا قطع بعضه ، عوضت سرعة النمو وغزارته أكثر مما قطع . على أن تلك الحكومات القوية ، كثيراً ما كانت ترعى المفكرين رعايتها ، فإذا عادت مفكراً كانت المعاداة بسبب وشاية شخصية أو عداوة سياسية ، أو تظاهر بإرواء الذمة أمام الجمهور المعادي له

وهذه كانت حالات مفردة يعوض نمو الفكر الغزير في تلك العهود عما يكون فيها من فقد . على أن كثيراً من الحكام ذوي البأس والشدة كانوا يفاخر بعضهم بعضاً برعاية العلماء والمفكرين والفلاسفة ، حتى صارت تلك الرعاية عدوى أشبه بعدوى أزياء الثياب ، وقلما يستطيع أحد أن يتخلف عن الزي الشائع في الثياب إذا كان يريد الظهور ، فكانت رعاية صاحب البطش وعنايته بالمفكرين إما لأنه كان حاكما مثقفاً ، وبعض هؤلاء الحكام كانوا على شيء كثير من الثقافة ، وإما لأنه رأى الثقافة زيّاً يتباهى به فكان صنيع هذا كصنيع الأثرياء الجهال الذين أغنتهم الحرب الكبرى الماضية في أوربا ، فقد كانوا يجمعون الكتب والصور والآثار العلمية والفنية ، فينتفع بها غيرهم وإن لم ينتفعوا بها . وكل هذه الأسباب المختلفة توضح أسباب نمو الفكر في عهود الأمان والاستقرار والحكومات القوية الباطشة . وإذا تدبرنا حقائق التاريخ ، وجدنا أن بطش الحكام بالفكر قلما كان ينجح إلا إذا كان هذا البطش بالفكر مبدأ وطنياً شعبياً ، كما حدث في أسبانيا بعد سقوط دولة العرب فيها وقيام دولة الأسبان المسيحية ، فلم يكن البطش بالفكر في عهد شارل الخامس وفيليب الثاني خطة الحاكم وحده ، وإنما كان يريده الشعب خطة وطنية دينية ، وهذا كان سبب تدهور أسبانيا . أما عهود الفوضى ، فكما أن الحكام فيها أضعف من أن يبطشوا بالفكر ، فهم كانوا أيضاً أضعف من أن يحموه ، وفي تلك العهود يكون كل ذي عصبية صغيرة صائلاً باطشاً فينشأ اضمحلال الفكر . أنظر إلى عهد النزاع بين الوالي العثماني وسناجق المماليك ، وبين كل أمير وأمير ؛ وانظر إلى عهد الفوضى في تاريخ مصر القديم بعد الأسرة السادسة وبعد الأسرة الثانية عشرة (ع . ش)

مؤلف كتاب سحر العيون :

قرأت في بعض أعداد « الثقافة » فصلاً دبجته براعة الأستاذ أحمد أمين بك يدور حول ما جاء في كتاب « سحر العيون » من بحوث وتقسيمات

وقد ظن الأستاذ أن مؤلف هذا الكتاب مصري استناداً على ما ورد في الكتاب المذكور من أمثال عامية مصرية وغيرها

وأنا أقول: إن مؤلف هذا الكتاب دمشقي لا مصري ، وهو من أدباء القرن التاسع الهجري عاش حوالي سنة ٨٤٢ ؛ والدليل على ذلك ما ورد في الكتاب المذكور :

قول المؤلف (ص ٢٩٨) : بلدينا العلاي الميثاني الدمشقي مواليا (الأبيات)

وقوله (ص ٣٠٣) : بلدينا الشيخ عبدالله الأرموي الدمشقي

وقوله (ص ٣٠٨) : نقلت من خط القاضي زين الدين عبد الرحمن بن الخراط (وهذه الأسرة دمشقية مشهورة)

وقوله (ص ٣١٢) : أنشدني المرحوم الجناب العالي سري الدين بن الدهبي من أعيان كتاب الإنشاء الشريف بدمشق في غلام نشابي (الأبيات)

وقوله (ص ٣١٦) : الرشيد عبد الرحمن بن بدر النابلسي وفاته في سنة تسع عشرة وستمائة ، ودفن بتربة باب الصغير ، (وهذا المدفن مشهور في دمشق)

هذا ، وقد ورد في الكتاب المذكور عدد غير قليل من الأسماء الدالة على أسر دمشقية شهيرة : كالعطار والسبكي والخراط والنابلسي وغيرها

أرجو إثبات هذه الملاحظات ولكم الشكر

« دمشق » يحيى الشهابي

من الشعر المنسى لحافظ

بعث المرحوم حافظ بك إبراهيم إلى صديقه الشاعر الناثر مصطفى صادق الرافعى طيب الله ثراه بهذه الأبيات :

قد قرأنا نظيمكم فرأينا حكمة كهلة وشعراً فتيّا
وتلونا نثيركم فشهدنا كاتباً بارع اليراع سَريّا
خاطر يسبق العيون إلى القلب ويطوى منازل البرق طيّا
ومعانٍ كأنها الروح فى الصيف تهزّ النفوس هزّ الحُميّا
من بنات المحار يصبو إليها تاج كسرى وتشتهيها الثريّا
إيه يا رافعىُّ أحسنت حتى لا أرى محسناً بجنبك شيّا
أنت والله شاعر حضرىٌّ إن عددناك شاعراً بدويّا

عبد القادر محمود الدسوقى

دخول أل على غير

لم يوجد فى معاجم اللغة العربية ولا فى كتب النحو ما يؤخذ منه جواز دخول (أل) على كلمة غير . وقد قال الصبان فى باب الإضافة صفحة ١٦٢ ج ٢ ما نصه : « ونقل الشنوانى عن السيد أنه صرح فى حواشى الكشاف بأن غيراً لا تدخل عليها (أل) إلا فى كلام المولدين » اهـ . وتوضيح ذلك أن العلماء طراً نصوا على أن غيراً إسم ملازم للاضافة فى المعنى، ولا يقطع عنها إلا إن فهم المعنى وتقدمت عليها ليس مثل قبضت عشرة ليس غير . ويجوز ليس غيراً وليس غير . فالأول على البناء، والثانى على أنها معربة ؛ ويجوز ليس غيرها بالإضافة اللفظية . أنظر الصبان والتوضيح والمغنى وقاموس المحيط . وهناك قول بأن غيراً يقل إبهامها إذا وقعت بين ضدين مثل قوله تعالى : « أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » . ويقال : رأيت الصعب غير الهين ، ومررت بالكريم غير البخيل

والشائع الذائع فى كلام العرب أن غير حين تستعمل تكون متوغلة فى الإبهام . والشأن فى مثلها ألا يتعرف بأى معرف ؛ غير أن بعض أمثلة من كلام العرب ورد فيها دخول (أل) على كلمة غير حيث يريدون بذلك غيراً معيناً ، فهى بهذا قد خرجت من أصلها فيبقى قولنا بأن (أل) لا تدخل على غير سليما حيث تكون متوغلة فى الإبهام، وذلك مثل : جاء اليوم غيرك، هذا الغير تناول منى طعام الغداء

أحمد حلمى العباسى
بجريدة الوفد المصرى

الكتب

كتب قيمة

فى تاريخ الأخلاق ، الرسالة للإمام الشافعى ، امتاع الأسماع

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

فى تاريخ الأخلاق

يعجبنى من الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين توفره على العلم وإكبابه على الدرس وشغفه بالمطالعة ، وهو يجمع إلى ذلك حركة المصلح المجدد وحظوة العاقل المتزن . وقد ذكره أستاذنا الجليل الزيات مع جماعة من شباب الأزهر العلماء الذين يرجى الخير فيهم وتعلق الآمال عليهم . وفى السيد الزيات فراسة لا تخطئ واستكناه لا يكذب

وقد أخرج الأستاذ كتاباً « فى تاريخ الأخلاق » لم يعل فيه إلى أن يكون جمعاً صرفاً ، وإنما هو دراسات صغيرة مختصرة لتطور مسائل هـذا العلم وتعدد مذاهبه والموازنة بين مذهب ومذهب ، وفكرة وفكرة

وليس عجيباً أن يقف اليوم شيخ من شيوخ الأزهر ، يعرض المسائل الأخلاقية المتصلة بالفلسفة فى القديم والحديث ، وفى الشرق والغرب ، فيبسطها بسطاً ويصورها تصويراً يدلان على الفهم والهضم ، لا على الحفظ (والصم)

ليس عجيباً ذلك ، فقد تغيرت اليوم طريقة الأزهر فى العلم وتغيرت نظرته إلى الحياة ، وسبيله إلى المعرفة ؛ وأصبحنا نقرأ لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل كلية الشريعة بحثاً فى (القرآن والمسلمين) يحمل مع خلوص النية ، وصدق الطوية جرأة فى الدعوة ، وصراحة فى النقد ، واستقامة فى القصد . وصرنا نقرأ للأستاذ العالم الشيخ محمد محمد المدنى مقالاً (فى الإسلام بين السلف والخلف) فنرى فيه الغيرة على الدين ، والوضاحة فى العقيدة ، والشجاعة فى قوله الحق ، من غير خوف من تأويل مؤول

الحق أن فى الأزهر نهضة تستمد عناصرها من حرية شيوخه ويقظة علمائه ، يقظة يودعون بها إغفاءة العهد القديم .

الرسالة للإمام الشافعى

الرسالة للامام المطلبي محمد بن إدريس الشافعى كتاب يقع فى ٦٧٠ صفحة من القطع الكبير ، قام بتحقيقه وشرحه الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى . وجرى فى ذلك مجرى لم يقف عند الشرح والتحقيق ، بل اقتضى إخراج ذلك الكتاب على الصورة الكاملة التى خرج عليها جهداً متصلاً ، وصبراً طويلاً ، وبصيرة فى الفقه الإسلامى ، وإحاطة بالتشريع ، وذوقاً فى الأدب ، وأصالة فى اللغة ، وتمكناً فى التاريخ

والحق أنى ما قلبت صفحة من ذلك الكتاب إلا عجبت من صبر الأستاذ على البحث ، وسرعة تقصيه للمسائل ، وتتبعه للأصول ، وكثرة رجوعه للمظان وغير المظان ، مما دل على اطلاع واسع وإلمام تام

وقد يكون إخراج كتاب قديم عملاً هيناً ، وأمراً غير إدّ عند من لا يرقبون أمانة العلم ، ولا يخشون حرمة الحق . وغرضهم من ذلك أن يطلعوا على السوق بعمل عملوه ، ولو كان ناقصاً غير كامل ، ومعيباً غير سالم

أما الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فبعيد من ذلك كله ؛ فإذا عمل فلله ، وإذا حقق فللعلم ، وإذا أكب فهو موف على الغاية ومشرف على النهاية ، لا يثنيه عن ذلك صعوبة بحث أو إعنات درس ويظهر فى الكتاب مزية الإخراج العلمى الحديث . ففى الأول : مقدمة وافية عن الرسالة وقيمتها وقيمة الشافعى ، ونسخ الكتاب المخطوطة والمطبوعة ، وأصل الربيع صاحب الشافعى وكاتب رسالته ، ووصف النسخة التى رجع إليها الشارح وذكر أصحابها ، ووصف نسخة ابن جماعة . ويلى المقدمة باب السماعات التى رتبها الشارح وحذف المكرر منها ، ووضع لها فهرساً مرتباً على حروف المعجم

ويلى ذلك الرسالة وقد زينت بحواش مفيدة وتعليقات طيبة ؛ ويلى ذلك جريدة المراجع التى استعان بها الشارح ورجع إليها ،

وتمتاز عن كل ما رأينا من جرائد المراجع بحسن تنسيقها وذكر أجزاء الكتاب ، واسم المؤلف ووفاته ، وتاريخ طبع الكتاب ومكان طبعه

ويمتاز هذا الكتاب بكثرة مفاتيحه التى تسهل على القارئ الرجوع إليه فى أوجز وقت ، كما أن فيه فهرساً للفوائد اللغوية التى استنبطت من استدلالات الشافعى ؛ وإن كنت لا أذهب مع فضيلة الشارح فيما رأى من وجوه لا أردها إلى علم الشافعى وجنحه إلى الضعيف من الأقوال والردئ من اللغات ، ولكنى أردها إلى خطأ فى النسخ ، ولو حاول فضيلته أن يبرئ الكتاب من الخطأ

امتاع الاسماع -

إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع : المقريزى هو مؤلف هذا الكتاب ، والأستاذ محمود محمد شاكر هو مصححه وشارحه ، والسيدة قوت القلوب الدمرداشية هى القائمة بنفقات طبعه ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر هى المشرفة على إخراجه . فالكتاب مجدود من كل ناحية ، ومحظوظ من كل وجه .

وقد تفضل الأستاذ أحمد أمين بك عميد كلية الآداب بتقديم الكتاب فى بضعة أسطر لم تخرج عن أن تكون شكراً للسيدة المتبرعة ، ولم يعودنا الأستاذ الكبير هذا الاختصار فى التقديم ، والإيجاز فى التصدير .

وحبذا لو كان حدثنا عن الكتاب وقيمته بين كتب السيرة للمتأخرين وطريقة المقريزى فيه ؛ والنسخ المخطوطة والمطبوعة لهذا الكتاب ، والأصل الذى رجع إليه شارحه ، كما عودنا حضرته ذلك فى الكتب التى تولى القيام عليها وأحسن التمهيد لها

وللأستاذ محمود محمد شاكر فضل تصحيح هذا الكتاب القيم ومراجعته على الأصل تارة ، وعلى أصول الحديث والتاريخ تارة أخرى ، وهو فضل يتجلى فى الهوامش الكثيرة التى لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة ، والتى تدل على موفور اطلاع وواسع قراءة ومصفى ذوق عرف عن شاكر الأديب اللبيب

وليأذن لى الأخ الفاضل مصحح إمتاع الأسماع وشارحه بإبداء الملحوظات الآتية :

١ — فى صفحة ٢٢٢ كلام على هيئة الرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل فى الخندق يوم الوقعة ونصه كما ورد فى الامتاع :

اللهم لولا أنت ما اهتدَينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا ... وثبّت الأقدام إن لاقينا

وزاد صديقنا الشارح البيت الآتى عن البخارى ح ٥ ص ١١٠

إن الأُلى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبَينا

والأستاذ شاكر شاعر وعروضى ؛ فكيف فاته أن صواب البيت الأول :

(لاهُمّ لولا أنت ما اهتدينا) ونداء اسم الجلالة بهذا الشكل وارد فى كتب العرب . وكيف فاته أن البيت الثالث صوابه هكذا :

(إن الأُلى لقد بغوا علينا) أو (إن الذين قد بغوا علينا)

ليستقيم الوزن الرجزى الذى كثيراً ما سمع عن رسول الله فى الغزوات كقوله :

هل أنتِ إلا أصبع دميتِ ... وفى سبيل الله ما لقيتِ

٢ — فى صفحة ٢٢٤ (وما منهم إلا ابن خمس عشرة سنة) بكسرة على السين فى خمس وهو خطأ مطبعى

٣ — وفى الصفحة نفسها (وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف) برفع ثلاثة والصحيح نصبها

٤ — فى صفحة ٢٤٨ (رفاعة بن سموأل) وقد حذف ألف ابن مع وقوعها فى أول السطر ، والصحيح إثباتها جرياً على المشهور من قواعد الإملاء . وقد كرر هذا الوهم نفسه فى صفحة ٢٥٠ — إلا أنه تجنّبه فى بقية الصفحات

٥ — فى صفحة ٢٩٧ (لجمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخُفضهم) . والضمة على الخاء لا محل لها هنا والصواب جعلها فتحة

٦ — فى صفحة ٣٢٩ (واستشهد بخيبر خمسةُ عشر رجلاً) بضمة على التاء المربوطة من خمسة والصواب فتحها لبناء هذا العدد على فتح الجزأين

٧ — فى صفحة ٤٠١ (من هوَزان) وقد زادها الشارح للبيان . ولعلها (هوزان)

وبعد : فهذه هنوات لا تقلل من قيمة المجهود الذى بذله الأخ الكريم الأستاذ محمود شاكر فى إمتاع الأسماع . ولعلها وردت ليصح قول القائل :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى ... عيب يوقّيه من العين

محمد عبد الغنى حسن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 413

Lundi - 2 - 6 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٤١٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢ يونية سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
٧١٧ المـال ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٧٢٠ أشعار ابن النحاس ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٧٢٤ اللهجات العامية الحديثة ... : الدكتور علي عبد الواحد وافي
٧٢٧ في اختلاط الجنسين ... ... : الأستاذ محمود محمود بسيوني
٧٣٠ الطابور الخامس الألماني ... : (العصبة) ... ...
٧٣٢ واشقيقاه ! ! ... [قصيدة] : الآنسة الفاضلة فدوى طوقان
٧٣٣ ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ... ... } الأب أنستاس ماري الكرملي
٧٣٦ حبي ! ... ... [قصيدة] : الأديب إبراهيم محمد نجا ...
٧٣٧ آلة الوقت ... ... : الأستاذ خليل السالم ...
٧٤١ كيف يرى الأستاذ المراغي الاصلاح ولا ينفذه ... ... } « عالم » ... ...
تيسير الكتابة العربية ... : ... ...
مأساة الفقهاء في عهد إسماعيل : الأستاذ عبد الفتاح حسين عطية
دخول أل على غير ... ... : الأستاذ محمد محمود رضوان ...
٧٤٢ إمتاع الأسماع ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ...
٧٤٣ إبراهيم طوقان ... ... : الأستاذ محمد سعيد العريان ...
٧٤٤ إلى علماء الاسلام ... ... : الأديب مصطفى جوهر ...

المـــال

للأستاذ عباس محمود العقاد

قال الدكتور زكي مبارك في حديثه عن الفقر والغنى ، ولا نهاية لحديث الفقر والغنى ، ولا الفقر والغنى ينتهيان من الدنيا :

« ... لن أقول كلمة في الوارثين بحجة أنهم يرزقون بلا كد ولا اجتهاد ، فلو عطل نظام الميراث لانعدم النشاط الإنساني بعض الانعدام ، ولآثر الناس جميعاً أن تكون جهودهم مقصورة على كسب القوت من يوم إلى يوم . ولو قلنا الحق كل الحق لصرحنا بأن الميراث هو أجمل نظام عرفته الإنسانية ، فهو الشاهد على أن الجهاد في طلب الرزق لا يضيع ، وأنه قد يصل إلى الأعقاب وأعقاب الأعقاب ، وذلك أقوى حافز لتأريث عزائم الرجال »

ورأيي في الميراث أنه حق وعدل ، وأن المذاهب الاجتماعية التي تحرمه تجور على الآباء والأبناء ، ولا تتحرى سنن الطبيعة فيما جرت عليه بين جميع الأحياء ، لأن المجتمع لا يستطيع أن يحول بين الأب وبين توريث أبنائه ما اشتمل عليه من عيوب الخلق والفكر ومن دمامة الوجه وشوه الجسم وضعف التركيب ؛ فليس من العدل أن يحول بينه وبين توريثهم الخير أو نصيباً من الخير ، وإن كان عدلاً أن تفرض للمجتمع حصة وافية من ذلك النصيب .

كذلك تجرى الطبيعة على سنة الوراثة فى جميع السلالات ، وهى سنة أعرق من المجتمعات الإنسانية وغير الإنسانية ، ولم تنشأ عبثاً ليلغيها الإنسان كل الإلغاء بقانون أو نظام

لكننى أخالف الدكتور فى قوله إن الميراث لو عطل « لآثر الناس جميعاً أن نكون مقصورة على كسب القوت من يوم إلى يوم . . . »

فإن طلب المال كطلب العلم فطرة لا تتوقف على التوريث ولا على ما يعقبه الآباء للأبناء ، وقد يهمل الإنسان رزقه ورزق أبنائه ليتابع الدرس ويتقصى مسألة من مسائل العلم والمعرفة ، وهو على يقين أنه لن يخلف لأبنائه زاداً من علومه ودروسه إلا ما يخلف المعلمون للمتعلمين ، وقد يفوتهم منه حتى هذا النصيب

وبين طلاب المال من بلغ أرذل العمر وليس له عقب ولا هو ممن يبسطون الكف بالإنفاق فيخشى نفاد ماله الكثير ، ومنهم من لو بسط يده بالإنفاق عشرات السنين لما خشى على ماله النفاد

أعرف رجلاً له نظراء كثيرون كان يملك القصور ويدخر الأموال فى المصارف ، وله معاش لا ينقطع من خزانة الحكومة ، وهو مع هذا يبخل على نفسه بالقليل ويعيش معيشة الفقراء ، ويراه الحوذية فى الطريق فيهربون منه لأنه يأبى أن ينقدهم الأجر إلا على حساب ما تعود قبل أربعين أو خمسين سنة يوم كان للمليم سعر القرش فى هذه الأيام . وأعجب العجب أن هذا الرجل الشحيح كان مجدوداً فى أوراق المصارف التى يناط بها النصيب فكان يربح جوائزها الأولى من حين إلى حين . وحدث مرة أن وكيله تسلم جائزة من هذه الجوائز وأخر إيداعها المصرف الذى يعاملونه بضعة أيام ، فلما راجع الغنى الشحيح حسابه قطع أرباح الجائزة فى هذه الأيام القليلة من مرتب الوكيل المسكين ، وهو شىء يبذله من يربح مثل هذه الجائزة هبة لمن يحمل إليه بشارتها ولا يندم عليه

ولم يكن لهذا الرجل عقب ولا كان له مطمع فى العيش الطويل بعد السن التى ارتفع إليها ، ولكنه يطلب المال لأن طلب المال شهوة لا يشترط أن تتعلق بالإنفاق والتوريث

ولو نظر الناس إلى الواقع فى أمر الورثة لما حرصوا على ترك المال بعدهم للأبناء والأحفاد ؛ فإن أبناء الفقراء الذين عاشوا فى الدنيا عيشة راضية بغير ميراث يبلغون أضعاف الوارثين عدة سواء ورثوا الكثير أو القليل ، وأن الذين أشقاهم الميراث لا يقلون عن الذين سعدوا به وحفظوه أو زادوا عليه ، وأن الذين يموتون وهم خائفون من تبديد أبنائهم لثروتهم أكثر جداً من الذين يموتون وهم مطمئنون إلى حسن التصرف ودوام الحال

كان العلامة يعقوب صروف طيب الله ثراه يوصينى كلما لقيته أن أدخر وأن أحسب حساب المال والثراء ، وكأنه أنس منى التوانى فى الإصغاء إلى هذه النصيحة فروى لى حديثاً جرى بينه وبين تاجر من كبار التجار السوريين العصاميين رآه مشغول البال معنّى بما يخشاه على ثروته وأبنائه بعد موته من تقسيم وبوار . قال : وهكذا الدنيا دواليك بين جيل عصامى يجمع ، وجيل عظامى يضيع ما جمعه الآباء ، ويأتى بالمعذرة لمن يتركون الأبناء فقراء ناشطين فى طلب الجاه والثراء

قال العلامة صروف : ومنذ أيام طرق علينا الباب أبناء صاحب من أصحابنا مات فجأة وليس فى الدار ما يشيعونه به إلى لحده ؛ وكان هذا الصاحب مفراحاً ، يأكل ما يشتهى ، ويلبس الفاخر من الثياب ، ويطعم أبناءه أحسن مطعم ، ويكسوهم أجل كسوة ، ويقضى سهراته بينهم ضاحكا متهللاً على صينية من الحلوى أو الفاكهة ، وهو لا يشغل باله لحظة بما يكون ، ولا يبالى بعد موته ما يأكلون ويشربون . فأى الأبوين أسعد ؟ وأى الأبناء أحظى بحسن المصير ؟

وهذا السؤال الذى سأله الدكتور صروف سيظل أبد الزمان مسئولاً يجيبه من يشاء كما يشاء ؛ ولكنه جواب لن يجعل المفراح مشغولاً بتوريث أبنائه ، ولا المشغول بتوريث الأبناء مفراحاً ينعم بالحاضر ولا يمنّى نفسه بالغيب المجهول

فخديعةٌ من خدائع النفس أن تعلل حرصها على المال بحب الأبناء ، ولو كان حبٌّ مانعاً أن ينفق الإنسان كل ما عنده لكان حبه لنفسه وخوفه على غده أحرى أن يمنعه ويقبض يديه ، ولكنها خديعة النفس كما نقول تتراءى لها فى مختلف الذرائع والتعلات

إنما تفسَّر أعمال الإنسان بالبواعث والدوافع قبل أن تفسر بالنتائج والغايات . وإذا قيل لنا إن فلاناً يجمع المال لأنه يخاف عاقبة الفقر ، قلنا : ولماذا يخاف هذه العاقبة التى لا يخافها غيره ! ! إنه لا يخالف غيره إلا لاختلاف البواعث النفسية دون

الاختلاف فى الغايات التى قد يتفقون عليها من جانب التأمل والتفكير

المال يطلبه الإنسان لباعث قبل أن يطلبه لغاية ، ومن بواعث طلبه الخوف والمنافسة والطموح وحب الكسب للكسب كما يفرح اللاعب بالرهان الذى ليس من ورائه طائل ، وهنا موضع التحذير للمصلحين الذين يعالجون مسألة الغنى والفقر على أساس الأرقام والقواعد الاقتصادية ويغفلون علاجها على أساس الشعور والبواعث النفسية . فأنت إذا أعطيت الفارس قصبة السبق قبل دخوله الميدان لم ترحه ولم تعطه ما يريد ؛ وإذا منعت المتنافسين أن يتنافسوا لأنك ضمنت الرزق لأبنائهم أو ضمنت الأمان لهم فى عقباهم لم تستأصل أسباب التنافس ولم تعطهم الحياة التى جعلتهم يتنافسون

إنما الواجب أن ندع الناس يطلبون المال كما يطلبون العلم أو يطلبون الجاه أو يطلبون السرور أو يطلبون الفرص النادرة والمقامح المجهولة ، وليس علينا أن نسألهم لماذا يطلبونه ، وإنما علينا أن نمنعهم إنفاقه فيما يضير الآخرين ، فغاية ما يحق للمجتمع فى هذا الصدد أن يحرم الغش والجور وتخويل أناس بغير حق ما يحرمه غيرهم من العاملين

كان أوليفر لودج عالماً رياضياً من الطراز الأول ، وكانت له بحوث مشهورة فى مخاطبة الأرواح وما وراء المادة ، وربما انصرف أحياناً من الرياضيات والروحيات إلى المباحث الاجتماعية وشئون الثروة والسياسة ، ولكنه كان يأتى فيها إذا انصرف إليها بمقطع الرأى وفصل الخطاب ، لأنه بعيد من الهوى والتشيع لهذا المذهب أو ذاك ... فمن نصائحه فى هذا الباب أن تتولى الدولة مراقبة المال كما تتولى مراقبة السلاح ، لأن الخطر من سوء استخدام المال لا يقل عن الخطر من سوء استخدام السلاح ، وربما ظهرت جريمة السلاح بعد اقترافها بقليل ولقى صاحبها من الجزاء ما فيه عبرة لغيره ؛ أما جريمة المال فقد ينقضى العمر وهى خافية ؛ وقد يقترفها أناس بعيدون من الشبهات لأنهم ليسوا من حثالة الخلق الذين يمتدون بالخناجر والمسدسات

فإذا وجبت مراقبة المال فى أيدى المسيطرين به على سواد الناس، فمن الواجب أن تكون الرقابة على النحو الذى قصد إليه الرياضى الكبير ، ولا سيما فى العصر الذى أصبح المال فيه مرادفاً لمعنى الثقة والائتمان . فلا يجوز فى هذا العصر أن توضع الثقة الاجتماعية فى أيدى أناس يعبثون بها جهرة أو خفية ، ولا يجوز إذا هى وضعت فى بعض الأيدى أن تترك هملاً بغير رقابة أو حيطة أو بغير علم بما تتجه إليه وتجرى فيه

وهنا نسأل : ما هى حدود الرقابة الاجتماعية على سيطرة الأموال فى أيدى الأفراد أو الجماعات التى تسوس أموال الأفراد؟

وجواب هذا السؤال أن الرقابة الوحيدة الممنوعة هى الرقابة التى تشل الدوافع النفسية والبواعث الحيوية وتخرجها فى نظامها مخرج الجهود الآلية والأرقام الحسابية ، فإن المجتمع الإنسانى لن يكسب شيئاً من تنظيمه النفوس تنظيم الآلات التى تتحرك بأمر وتسكن بأمر ولا تتخطى ما يرسم لها من الخطوط والغايات

فللمجتمع أن يراقب المال وأن يأخذ نصيبه منه للمصلحة الاجتماعية التى يشترك فيها الأغنياء والفقراء ، ولكن ليس للمجتمع أن يمسخ الطبيعة ويجور على حركات النفوس وبواعث الحياة ، لأنه يتعرض بالقوانين لأمر لم تخلقه القوانين ، ويأخذ ما ليس فى وسعه أن يرده أو يعوضه بمثله

عباس محمود العقاد

أشعار ابن النحاس

للدكتور زكى مبارك

حياة ابن النحاس — الحياة بلا عمل تحجب الأديب من فهم الجوانب الجدية من الحياة — تأثير الأفيون فى هدم ابن النحاس ، وكان فى صباه أجمل ما رأت العيون — أشعاره فى البكاء على جماله الذاهب — أيامه فى دمشق والقاهرة والمدينة — قصائده الباقيات — أشعاره فى « شرب الدخان » — شعوره بالمعانى المنقولة عن القدماء

١ — فَتحُ الله بن النحاس شاعرٌ نشأ فى حلب فى أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادى عشر ، فقد سكتت المصادر عن العام الذى وُلد فيه ، واكتفت بالنص على أنه مات بالمدينة ليلة الخميس ثانى عشر صَفر من شهور سنة اثنتين وخمسين وألف

٢ — وسكتت المصادر أيضاً عن حياته العملية ، فلم نعرف كيف كان يعيش[1] ، ولكنا فهمنا من سياق القول أنه أقام مدة فى حلب ، ومدة فى دمشق ، ومدة فى القاهرة ، ومدة فى المدينة ؛ فعرفنا أنه شاعر لم تكن تربطه ببلده أو غير بلده رابطة معاشية ، ولذلك تأثيرٌ فى صبغ وجوده بصبغة الرجل الهائم فى بيداء الوجود

٣ — والواقع أن هذه الحال كانت مألوفة فى حيوات الشعراء ، ولكن ابن النحاس فيما يظهر أسرف فى اعتزال الناس والبعد عن طلب المعاش ، لينجو بنفسه من آثام الخلق ، وليعفى كاهله من حمل أثقال العيش المنتظم ، وهى أثقال لا يتصدى لحملها غير أقوياء الرجال ، ولهذا رأيناه يتزيا بزىّ الزهاد ويعيش عيش الدراويش من الفقراء مع الترفع عن قبول الإحسان ؛ فقد كانت لهذا الرجل فِطرة سليمة تصده صداًّ عن المكسب الرخيص ، وتسوقه إلى صف المتعففين من أتباع التصوف الصحيح

٤ — فكيف كانت البداية وكيف كانت النهاية لهذا الشاعر الرقيق ؟

كان ابن النحاس فى صباه غاية فى روعة الجمال ، وكانت صباحة وجهه أعجوبة الأعاجيب ؛ فكان معاصروه يتوهمون أنه لم يُخلق إلا ليكون دُمْيةً فى قصر ، أو زهرة فى بستان ، ولكنه صان نفسه عن مواطن الشبهات ، فاعتزل الناس ليسلم شبابه وجماله من إفك القال والقيل فى زمنٍ لا يسلم فيه أهل الجمال من بغى الأقاويل والأراجيف

نجا ابن النحاس من شر معاصريه فصار مثالاً للجمال المصون، ولكنه لم ينج من شر نفسه ، والنفس فى بعض الأحيان أعدى الأعداء !

فماذا صنع بنفسه ، أو ماذا صنعت به نفسه ، حتى نزل من الشرف إلى الحضيض ؟

أقبل ابن النحاس على تعاطى « الكيف » ، والكيف الذى كان يتعاطاه هو « الأفيون » ، وقد هده الأفيون فى شهور أو أعوام ، فأمسى جماله طللاً من الأطلال ، ولم يكن يحسب لجهله وغفلته أن الجمال دولةٌ تدول

فإن رأيتم شاعراً يبكى شبابه الذى ضاع ، فاعرفوا أن ابن النحاس كاد يتفرد بالبكاء على الجمال الذى ضاع ، وما أضاع جمال هذا الشاعر غير الابتلاء بكيف الأفيون ، وهو كيف أتى على بناء هذا الشاب الجميل من الأساس ، ولننظر كيف يقول :

من يدخل الأفيون بيت لهاتهِ ... فليلق بين يديه نقد حياته
وإذا سمعتم بامرئٍ شرب الردى ... عزّوه بعد حياته بمماته
ما شأنه وحشاه يؤوى أرقماً ... لا يستفيق الدهرَ من وثباته

وهذا الشاعر الذى يرى الأفيون ثعباناً لا تنقطع وثباته الفواتك على الأحشاء هو الشاعر الذى رثى صباه فقال فى تصوير ماضيه لعهد الجمال ، يوم كان فى مثل عمر البدر ، ويوم كانت لفتاته لفتات الظبى بين أزهار الرياض :

وتراه إن عبث النسيم بقدّه ... ينقدّ شروى الغصن فى حركاته
وإذا مشى تيهاً على عشاقه ... تتفطّر الآجال من خطراته
يرنو فيفعل ما يشاء كأنما ... مَلَكُ المنية صال من لحظاته
حُسْنٌ ولا كيفٌ يخالط ذاته ... والآن صار الكيف بعض صفاته
والكيف حقدٌ إن تشبث بامرئٍ ... لم يَبْق للرائين غير رِممِاته

وهو الشاعر الذى أرّخ جماله الذاهب فقال :

سقى المزنُ أقواماً بوعساء رامةٍ ... لقد قُطِّعتْ بينى وبينهم السُّبْلُ
وحيّا زماناً كلما جئت طارقاً ... سليمى أجابتنى إلى وصلها جُمْل

(١) إنما نصصنا على الحياة العملية ، لأننا نوقن بأن الأديب الذى يعيش بلا عمل تغيب عنه أشياء من معانى الحياة

تودّ ولا أصبو وتوفى ولا أفى   وأنأى ولا تنأى وأسلو ولا تسلو
إذِ الغُصنُ غضٌّ والشباب بمائه   وجيد الرضا من كل نائبةٍ عطل
ومن خشية النار التى فوق وجنتى   تقاصرَ أن يدنو بعارضىَ النمل

فهو يرى أن نار وجنته أخافت نمال الشَّعر حيناً من الزمان فظل أمرد، أسيل الخدين، إلى أن ابتلته المقادير بالأفيون فأمسى جماله تاريخاً من التواريخ

والجمال حلة نفيسة يرفعها الله عمن يجهل قدرها الرفيع، وكذلك كان حظ الشاعر الذى أضاعه الجهل بنعمة الله عليه فلم يؤد زكاة الجمال، وهى الابتعاد عما يوهن الجسم ويشل الروح

ثم ماذا ؟ ثم رحل الشاعر عن الوطن الذى نشأ فيه وهو حلب، بعد أن فضحه الأفيون، الأفيون الذى أصار جماله رسماً من الرسوم وطللاً من الأطلال

٥ — وإلى أين ؟ إلى دمشق، وهى مدينة سمعت باسمه قبل أن يحل ساحتها الفيحاء، فأقام بها ما أقام بين أيام بيض وأيام سود ؛ فقد كان فقيراً لا يتبلغ بغير ما يجود به أهل الأدب، وكانوا فى أغلب أحوالهم فقراء

ومن دمشق انتقل إلى القاهرة فاتصل بالسادة البكرية، وكانوا كراماً أجاويد، لا يشعر بينهم بالغربة رجلٌ أديب، وكانت حفاوتهم بالأدباء الوافدين من الشام مضرب الأمثال(١)

ويظهر أن أيام ابن النحاس بالقاهرة لم تخل من رخاء، فقد اتصل بالقضاة والأعيان، واتصل به الأمل المعسول فدح سنجق منفلوط، ومعنى ذلك أنه عرف كيف ينتفع بوداد المصريين، وكانوا فى ذلك العهد يرعون حقوق الغرباء من أهل الأدب والبيان

ثم امتدت السن بالشاعر الذى كان له ماض فى الجمال فرأى أن ينتقل إلى المدينة ليعيش عيش المجاورين، وهو عيش يليق بمن يلبس ثوب الحداد على جماله الذاهب ذهاب البرق اللامع فى أجواز السماء

وفى المدينة مات، وقد دفن فى بقيع الفرقد، بجوار الأكابر من رجال الأدب والدين، فعليه رحمة الله، وألف سلام على روحه الجميل !!

٦ — ولكن أين مكان ابن النحاس بين الشعراء ؟

لا تظنوه شاعراً من طبقة أبى تمام أو البحترى أو المتنبى أو الشريف الرضى، فبينه وبين أمثال هؤلاء مسافات أعرض من الصحراء

ولكنه شاعر من طبقة ابن زريق، وما عاش ابن زريق إلا بقصيدة واحدة هى العينية التى سارت مسير الأمثال

وكذلك عاش ابن النحاس بقصيدة أو قصيدتين، ومن لم يعرف ابن النحاس فى ثمانيه القلائل وهى نوادر فليس بأهل للانتساب إلى دوحة الأدب الرفيع

والذى يجهل ابن زريق وابن النحاس لا يقل حمقاً عن الذى يجهل ابن النبيه صاحب هذا البيت

إذا نشرتْ ذوائبه عليه   حسبتَ الماء رفَّ عليه ظِلُّ

فما فرائد ابن النحاس ؟

الفريدة الأولى هى الحائية

بات ساجى الطرف والشوق يُلحّ   والدجا إن يَمضِ جُنحٌ يأتِ جُنحُ
بقدح النجم لعينى شرراً   وزند الشوق فى الأحشاء قدح
لست أشكو حرب جفنى والكرى   لم يكن بينى وبين الدمع صلح
إنما حال المحبين البكا   أى فضل لسحاب لا يسحّ
يا ندامای وأيامَ الصبا   هل لنا رجع وهل للعمر فسح
صبَّحتك المزن يا دار اللوى   كان لى فيك خلاعات وشطح
حيثُ لى شغلٌ بأجفان الظبا   ولقلبى مرهمٌ منها وجرح
كل عيش ينقضى ما لم يكن   مع مليح ما لذاك العيش ملح
وبذات الطلح لى من عالج   وقفة أذكرها ما اخضل طلح
يوم منا الركب بالركب التقى   وقضى حاجته الشوق الملح
لا أذمُّ الميسَ، للميس يدٌ   فى تلاقينا والأسفار نجح
قرَّبتْ منا فماً نحو فمٍ   واعتنقنا فالتقى كشحٌ وكشح
وتزودتْ الشذى من مرشف   بقى منه إلى ذا اليوم نفح
وتعاهدنا على كأس اللمى   أننى ما دمت حياً لست أصحو
يا ترى هل عند من قد ظمئوا   إن عيشى بعدهم كدٌّ وكدح ؟

(١) لم أكن أفهم سر هذه الحفاوة حين تكلمت عن حفاوتهم بالنابلسى فى كتاب « التصوف الاسلامى » ثم عرفت أن لهم أبناء عمومة فى الشام .

كنت فى قرح النوى فانتدبت من مشيبى كربة أخرى وقرح
كم أداوى ! للقلب قلت حيلتى كلما داويت جرحاً سال جرح
ولكمْ أدعو ومالى سامعٌ فكأنى عنـد ما أدعو أُبَحُّ

وأنفاسه فى هذه الحائية تذكر بأنفاسه فى الحائية الثانية

تذكر السفح فانهلت سوافحه وليس يخفاك ما تخفى جوانحه
صدع الهوى ياعذولى غير ملتئم يدريه بالبان من أشجاه صادحه

فهذه القصيدة من ذخائر الأدب العربى ولا ينكر قيمتها إلا غافل أو جهول ، وهى مقدودة من روح الشاعر ، وليس فيها بيت إلا وهو صورة من أقباس وجده المشبوب

وهل فى الدنيا أديب عربى لا يحفظ هذا البيت :

كم أداوى القلب قلّتْ حيلتى كلما داويت جرحاً سال جرح

أما الفريدة الثانية فهى العينية (1)

رأى اللوم من كل الجهات فراعه فلا تنكروا إعراضهُ وامتناعهُ
ولا تسألونى عن فؤادى فإننى علمتُ يقيناً أنه قـد أضاعه
له الله ظبياً كل شىء يَرُوعهُ وياليت عندى ما يزيل ارتياعه
وياليته لو كان من أول الهوى أطاع عذولى واكتفينا نزاعه
فما راشنا بالسوء إلا لسانُهُ وما خرب الدنيا سوى ما أشاعه
فأصبح من أهوى على فيه قُفلة يُكتّم خوف الشامتين انفجاعه
وآلى على أن لا أقيم بأرضه وأحرمنى يومَ الفراق وداعه
فرحت وسيرى خطوة والتفاتة إلى فائت منه أُرجى ارتجاعه
ذرعت الفلا شرقاً وغرباً لأجله وصيرت أخفاف المطىّ ذراعه
فلم يَبق بَرٌّ ما طويت بساطه ولم يبق بحرٌ ما رفعت شراعه
كأنى ضميرٌ كنت فى خاطر النوى أحس به واشى السُّرى فأذاعـه
أخلاى من دار الهوىَ زارها الحيا ومـد إليهـا صالح الغيث باعه
بعيشكم عوجوا على من أضاعنى وحيوه عنى ثم حيوا رباعه
وقولوا فلان أوحشتنا نِكاتهُ وما كان أحلى شعره وابتداعه
فتًى كان كالبنيان حولك واقفاً فليتك بالحسنى طلبت اندفاعه
أبحت العدا سمعاً فلا كانت العدا متى وجدوا خرقاً فما أحبوا اتساعه
فكنت كذى عبدٍ هو الرجل والعصا تجنّى بلا ذنب عليـه فباعه
لكل هوًى واش فإن ضُمضع الهوى فلا تلم الواشى ولم من أطاعه
وقولوا رأينا من حمدتَ افتراقه ولم ترنا من لم تذم اجتماعه
وما كنتما إلا يراعاً وكاتباً فلّ وألقى فى التراب يراعه
فإن أطرق الغضبان أو خط فى الثرى فقولوا فقد ألقى إليكم سمـاعه
وبالله كفّوا إن تمادى فإنه رقيق حواشى الطبع أخشى انصداعه
وإن نصب الشكوى علىّ فسابقوا وقولوا : نعم ، نشكو إليك طباعه
وإن رام سبى فاحدثوا لى معايباً وسباً بليغاً تحسنون اختراعه
وهنوا رقيبى بالرقاد فطالما جملت على جمر السهاد اضطجاعه
ولا تحسدوا ودا ابن يومين عنده فإن حبيبى تعلمون خـداعه
ودوروا على حكم الغرام فإنه قضى لظاه أن تهين سباعه
ضعيف الهوى من بات يشكو زمانه وأضعف منـه من يرجّى اصطناعه
ولو علم المشتاق عقبى اتصاله لآثر بين العاشقين انقطاعه
ومن طلب الأحباب حرصاً على البقا فما رام بين الناس إلا ضياعه

فهذه القصيدة من آيات الشعر العربى . ومن غرائبها هذا البيت :

لكل هوًى واشٍ فإن ضُمضِع الهوى فلا تلم الواشى ولُمْ من أطاعهُ

وهذا البيت :

ولو علم المشتاق عقبى اتصاله لآثر بين العاشقين انقطاعهُ

والقصيدة فى جملتها روحٌ مضرّج بالدم ، وإن بدت للغافل فى صورة الحديث المعاد

٧ — ويجىء بعد ذلك مقتطفات من شعره الرقيق ؛ ولكن أين تلك المقتطفات ؟

كنت أرجو أن أجد شواهد كثيرة على شاعرية ابن النحاس مما انتثر فى أثناء قصائده من الأبيات الفرائد ؛ ثم صَعُب علىّ تحقيق ما رجوت ؛ فقد راجعتُ الديوانَ مرات ومرات ولم أظفر بما أريد

فهل يكون من الخير أن أشير إلى أن له بيتين فى « الدُّخان » لا يزال معناها على ألسنة الناس فى مصر إلى هـذا العهد ؟ ابن النحاس يقول :

---

(1) الأبيات الآتية جزء من قصيد طويل يحسن الرجوع إليـه فى الديوان

وأرى التولع بالدخان وشربه … عوناً لكامن لوعة الأحشاء
فأُديم ذلك خوف إظهار الجوى … وأشوبه بتنفس الصُّعَداء

وهو معنًى لطيف ، فهو يستر بدخان التبغ دخان القلب ، حتى لا يفتضح بين الرقباء

وقد يداوى ناراً بنار ، كأن يقول :

عكفت على شرب الدخان وفى الحشا … لهيب جوًى فازددت جمراً على جمر
وقلت أداوى نار قلبي بمثلها … « كما يتداوى شارب الخمر بالخمر »

وكان التدخين فى تلك الأيام مما يعاب ؛ فقد كان مفهوماً عند أهل مصر أنه من أهواء العبيد . ولهذا شواهد قد نرجع إلى سردها بعد حين !

٨ — أين شاعرية ابن النحاس بعد الحائية والعينية ؟ أين ؟ أين ؟

لم يرضنى شعر ابن النحاس من الوجهة الفنية ، ولكنى مع ذلك أجده شاعراً فى جميع معانيه ، وإن كان أكثرها منقولاً عن الشعراء القدماء ؛ فهو فى رأيى يعنى ما يقول ، وإن ضعُف عن مقارعة الفحول

تلك ومضة من الشاعرية تألقت حيناً ثم خَبَتْ ، كما تألق جمال صاحبها لحظة ثم خبا ، وقد حقت فى هذا الشاعر كلمته فى مصيره فأصبح تاريخاً من التواريخ ، وهل من القليل أن يمسى الرجل وله تاريخ ؟ !

٩ — على أن من الظلم أن نحكم بأن ابن النحاس لم يجد فى غير الحائية والعينية ، وكيف وهو صاحب هذا القصيد :

عطَفَ الغصنُ الرطيبُ … وتــلافانا الحبيب
أضمر الدهر لنا الصُّلــح فلم يبق غضوب
زار والعرَف له من … نفَس الصبح هبوب
يظهِر البثّ وأولى … منه بالبث الكئيبُ
كل عضوٍ منه فى الحسـن عن الوجه ينوب
أىّ عضو تسرح الألحا … ظ فيــه وتؤوب
أنا والقلبُ إذا لا … حَ سليبٌ وكسيبُ
بأبى جَنــة وصلٍ … منــه ما فيها لغوب
بات يدعونى بها طو … راً وطوراً يستجيب
والمنى نقلٌ ومن ند … ماننا كأسٌ وكوب
أيها العشــاق محزو … نُ الهوَى منى طرُوبُ
أىّ وقتٍ ليس تنشَقُ … قـــلوبٌ وجيوبُ
إنما يمرح بى فى … لُجة العشق لعوبُ
والذى يهجر فى الحبّ … للاحبيــه نسيب
ما على مَن مرةً الوصـــلُ إذا غِيظَ الرقيب
رنة القــوس لراميــها والغير الندوب
حسرانى هى دمى … ولهـا قلبى قليبُ
ليس لى مالٌ ولكن … ذَهبٌ قولى صبيبُ
من بنى جنسى ولكنى … مع الغزلان ذيبُ
كلَّ يومٍ لى صلاحٌ … بخلاعاتٍ مشوبُ
ومتى أمكنت الفر … صة أجنى وأتوب
فى الهوى صح اجتهادى … فأنا المخطى المصيب
هــذه حالى وأحوا … لُ بنى العشق ضروب

وقد نجد لابن النحاس أطايب كثيرة إذا سايرناه بتلطف وترفق ، فليكتف القارئ بهذه اللمحات ، فإن المقام لا يسمح بالإطناب .

زكى مبارك

في الاجتماع اللغوى

اللهجات العامية الحديثة

تجردها من الإعراب

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٣ —

تمتاز اللغة العربية بأنها أوسع أخواتها السامية جميعاً وأدقها فى قواعد الصرف والنحو

فمن مميزاتها الصرفية أن الأصل الواحد يتوارد عليه مئات من المعانى بدون أن يقتضى ذلك أكثر من تغيير فى حركات أصواته الأصلية نفسها مع زيادة بعض أصوات عليها أو بدون زيادة ، وأن كل ذلك يجرى وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ (عَلِم ، عَلِمنا ... يعلم ، نعلم ... إعلم ، إعلمى ... أعلم ، نعلِّم ... عَلَّم ، نُعلّم ... تعلَّم ... تعالَم ... عُلِم ، يُعلَم ... عِلْم ، علم ، علامة ، علوم ، أعلام ، علامات ، عالم ، عليم ، علامة ، علماء ، عالِمون ... متعلِّم ، متعلَّم ، معلِّم ، معلَّم ، معلَم ، معلوم ، عالَم ، عالَمون ... إلخ) . ولم تصل أية لغة سامية أخرى فى هذه الناحية إلى هذا الشأو . . . ومن ذلك أيضاً نظام جمع التكسير الذى لا تشاركها فيه إلا أختاها الجنوبيتان (اليمنية القديمة والحبشية) ؛ فقد توسعت هى فى استخدامه توسعاً كبيراً ، حتى أصبح للمفرد الواحد فيها عدة جموع من هذا النوع[1]

(١) يرى بروكلمان ورينان وغيرهما أن هذه الخاصة مجردة من الفائدة وأنها مسببة للاضطراب . وفى الحق أنه ليس لها ما للخاصة الأولى (تغير المعانى بتغير البنية) من الفوائد ؛ ولكنها لا تخلو من فائدة فى الدلالة . فصيغ التكسير التى تتوارد على اللفظ الواحد ليست جميعها سواء فى المعنى لأن بعضها يفيد كثرة العدد (جموع الكثرة) وبعضها يفيد قلته (جموع القلة) وبعضها جمع مباشر ، وبعضها جمع الجمع . . . وهلم جرا . هذا إلى أنها توسع من نطاق اللغة وتسعف المتكلم والكاتب . أما سبب هذه الظاهرة فيرجع قسط كبير منه إلى تعدد اللغات ، وذلك أنه قد انتقل إلى لغة قريش صيغ جموع كانت مستخدمة فى اللهجات العامية الأخرى .

ومن مميزاتها النحوية تلك القواعد الدقيقة التى اشتهرت باسم قواعد الإعراب ، والتى يتمثل معظمها فى أصوات مد قصيرة تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة فى العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة . وهذا النظام لا يوجد له نظير فى أية أخت من أخواتها السامية ، اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية فى العبرية والآرامية والحبشية[1]

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة ، وخاصة قواعد الإعراب ، لم تكن مراعاة إلا فى لغة الآداب شعرها وخطابتها ونثرها ؛ أما لهجات الحديث فكانت من أقدم عصورها غير معربة ، أو على الأقل لم يكن لقواعد الإعراب فيها ما كان لها فى لغة الآداب من شأن ، واستدل على رأيه هذا بأدلة كثيرة أهمها دليلان :

أحدهما دليل لغوى يتعلق بالموضوع الذى نحن بصدد دراسته ، وهو أن جميع اللهجات العامية المتشعبة عن العربية والتى تستخدم الآن فى الحجاز ومصر والعراق والشام وبلاد المغرب مجردة من الإعراب كما ذكرنا ذلك فى المقال الأخير[2] فلو كانت لهجات المحادثة العربية القديمة معربة لانتقل شىء من نظامها هذا إلى جميع اللهجات الحاضرة أو إلى بعضها

وثانيهما دليل منطقى عقلى وهو أن قواعد هذا شأنها فى التشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقتها بعضها ببعض ، لا يعقل أنها كانت مراعاة فى لهجات الحديث ؛ لأن لهجات الحديث تتوخى فى العادة السهولة واليسر وتلجأ إلى أقرب الطرق للتعبير[3]

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فزعم أن هذه القواعد لم تكن مراعاة فى لهجات الحديث ولا فى لغة الكتابة ، وإنما خلقها النحاة خلقاً قاصدين بذلك تزويد اللغة العربية بنظم شبيه بنظم اللغة الإغريقية حتى يكمل نقصها فى نظرهم وتسمو إلى مصاف اللغات الراقية ، ويعتمد هؤلاء فى تأييد هذا المذهب على نفس الدليلين اللذين اعتمد عليهما الفريق الأول مع توجيههما

(١) V. Renan ; Langues Sémitiques, 384

(٢) أنظر عدد ٤١١ ص ٦٧٣ .

(٣) يميل إلى هذا المذهب الأستاذ كوهين فى كتاب :
Langues du Mond, chap. "Arabe"

وجهة تتفق مع ما يذهبون إليه . وعلى دليل ثالث خلاصته أن قواعد هذا شأنها تشعباً ودقة لا يعقل أن تكون قد نشأت من تلقاء نفسها ؛ ولا يمكن لعقليات ساذجة كعقليات العرب فى عصورهم الأولى أن تقوى على خلقها . فهى تحمل آثار الصنعة الدقيقة المحكمة ، ويبدو عليها طابع من عقلية المدارس النحوية التى ظهرت فى العهود الإسلامية بالبصرة والكوفة وما إليهما

وقد تبين فساد هذين المذهبين لجميع المحققين من الباحثين ؛ حتى لأكثرهم تحاملاً على الساميين ، وأشدهم ولوعاً بالانتقاص من حضاراتهم ولغاتهم كالأستاذ رينان الفرنسي[1] . وإليك طرفاً من الأدلة التى لا تدع مجالاً للشك فى فسادهما :

١ — إن عدم وجود هذه القواعد فى اللهجات العامية الحاضرة ، لا ينهض دليلاً على أنها لم تكن موجودة فى العربية الأولى ، فقد انتاب أصوات اللغة العربية وقواعدها فى هذه اللهجات كثير من صنوف التغيير والانحراف ، وخضعت لقوانين التطور فى مفرداتها وأوزانها ودلالاتها ، فبعدت بعداً كبيراً عن أصلها ، كما تقدم بيان ذلك بتفصيل فى المقالين السابقين[2] .

٢ — وليس بغريب أن تتفق اللهجات العامية جميعاً فى التجرد من علامات الإعراب ، فقد خضعت لقانون من قوانين التطور الصوتى ، وهو « ضعف الأصوات الأخيرة فى الكلمة وانقراضها » ، وهو قانون عام قد خضعت له جميع اللغات الإنسانية فى تطورها ؛ فما كان يمكن أن تفلت منه لهجة من اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ، كما تقدم الكلام عن ذلك فى المقالين السابقين

٣ — على أنه قد بقى فى اللهجات العامية الحاضرة كثير من آثار الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف ، فيقال مثلاً فى عامية المصريين وغيرهم « أبوك وأخوك » ، لا « أبك » و « أخك » ؛ وينطق بجمع المذكر السالم مع الياء والنون (الطيبين ، المؤمنين الخ ...) ؛ وفى معظم لهجات العراق فى العصر الحاضر ينطق بالأفعال الخمسة مثبتة فيها نون الإعراب : (يمشون ، تمشين ، تمشون ...) ؛ وروى كثير من الباحثين أن آثار الإعراب بالحركات لا تزال باقية فى لهجات بعض القبائل الحجازية فى العصر الحاضر

٤ — يستفاد من كثير من كتب التاريخ ، وخاصة كتب أبى الفداء أن بعض علامات الإعراب ظلت باقية فى بعض لهجات المحادثة المنشعبة عن العربية حتى أواخر العصور الوسطى

٥ — إن دقة القواعد وتشعبها لا يدل مطلقاً على أنها مخترعة اختراعاً . فاليونانية واللاتينية مثلاً فى العصور القديمة والألمانية فى العصر الحاضر ، يشتمل كل منها على قواعد لا تقل فى دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة العربية ، ولم يؤثر هذا فى انتقالها من جيل إلى جيل عن طريق التقليد ، ولا فى مراعاتها فى الحديث ، ولم يقل أحد أنها من خلق علماء القواعد

٦ — إن خلق القواعد خلقاً محاولة لا يتصورها العقل ، ولم يحدث لها نظير فى التاريخ ، ولا يمكن أن يفكر فيها عاقل أو يتصور نجاحها ؛ فمن الواضح أن قواعد اللغة ليست من الأمور التى تخترع أو تفرض على الناس ، بل تنشأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدريج

٧ — إن علماء القواعد العربية لم يكونوا على علم باللغة اليونانية وقواعدها ، ولم تكن لهم صلة ما بعلماء القواعد من الإغريق . هذا إلى أن قواعد اللغة العربية تختلف فى طبيعتها ومناهجها اختلافاً جوهرياً عن قواعد اللغة اليونانية . فلو كانت قواعد العربية قد اخترعت على غرار القواعد اليونانية كما يزعمون لجاءت متفقة معها ، أو على الأقل مشبهة لها فى أصولها ومناهجها

٨ — يدلنا التاريخ أن علماء البصرة والكوفة كانوا يلاحظون المحادثة العربية فى أصح مظاهرها ويستنبطون قواعدهم من هذه الملاحظة ؛ وأنهم كانوا لا يدخرون وسعاً فى دقة الملاحظة واتخاذ وسائل الحيطة ؛ حتى أنهم ما كانوا يثقون بأهل الحضر لفساد لغتهم ، ولا بالقبائل التى احتكت ألسنتها بلغات أجنبية كلخم وجذام وقضاعة وغسان وإياد وبكر وأزدعمان وأهل اليمن ؛ وأنهم كانوا يبذلون فى سبيل ذلك من وقتهم وجهودهم شيئاً كثيراً ، فكانوا يرحلون إلى الأعراب فى باديتهم

---

(١) V. Renan op. cit., 398 — 403

(٢) أنظر عددى ٤٠٩ ، ٤١١ .

ويقضون عندهم الشهور بل السنين ؛ وعلماء هذا شأنهم دقة واحتياطاً وإخلاصاً للعلم لا يعقل أن يتواطئوا جميعاً على مثل هذا الإفك المبين

٩ — وإذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد تواطئوا جميعاً على ذلك ، فإنه لا يمكن أن نتصور أنه تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصريهم ، فأجمعوا كلهم ألا يذكر أحد منهم شيئاً ما عن هـذا الاختراع الغريب . ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنها ممثلة لقواعد اللغة ويحتذونها فى كتاباتهم ؛ اللهم إلا إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها ، فجعلوهم يعتقدون أن ما جاءوا به من الإفك يمثل لفصيح هذه اللغة

١٠ — إن النقوش التى كشفت حديثاً فى شمال الحجاز بمنطقة تيماء والحجر والعلا لتدلنا أقطع دلالة على أن الإعراب كان مستخدماً فى « العربية البائدة » نفسها ، فبعض العلامات الإعرابية قد رمز إليه فى هذه النقوش بحروف ملحقة فى آخر الكلمة (« صنمه كمبو » « وهرب مزحجو » ... الخ)

١١ — لم تنفرد اللغة العربية من بين أخواتها السامية انفراداً كاملاً بنظام الإعراب ، فلهذا النظام آثار فى اللغات الحبشية السامية ، وخاصة فى الجفرية والأمهرية . صحيح أن هذه الآثار محدودة ضئيلة ، وأنها تختلف اختلافاً غير يسير عن نظام الإعراب فى اللغة العربية ؛ ولكن وجود أثر لهذا النظام فى لغة سامية لا تزال لغة حديث إلى الوقت الحاضر ، كاللغة الأمهرية مهما كان هذا الأثر ضئيلاً – وعلى أى صورة كانت أوضاعه – لدليل قاطع على أنه منحدر من الأصل السامى الأول وليس من خلق النحاة

١٢ — تقوم أوزان الشعر العربى وقواعده الموسيقية على ملاحظة نظام الإعراب فى المفردات ، فبدون إعراب الكلمات تختل أوزان هذا الشعر وتضطرب موسيقاه . ومما لا شك فيه أن هذه الأوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة ، وأن شعراً عربياً كثيراً قد قيل على غرارها من قبل الإسلام ومن بعده قبل أن يُخلق هؤلاء العلماء . فإنكار هذا الشعر لا سبيل إليه . ولا يمكن أن يكون قد أُلِّف غير معرب الكلمات ؛ لأن عدم إعرابها يترتب عليه اضطراب أوزانه واختلال موسيقاه

١٣ — وأقوى من هذا كله فى الدلالة على فساد هذا المذهب تواتر القرآن الكريم ووصوله إلينا معرب الكلمات

١٤ — وإن فى رسم المصحف العثمانى نفسه ، مع تجرده من الإعجام والشكل ، لدليلاً على فساد هذا المذهب . وذلك أن المصحف العثمانى يرمز إلى كثير من علامات الإعراب بالحروف (المؤمنون ، المؤمنين ...) ، وعلامة إعراب المنصوب المنون (رسولاً ، شهيداً ، حسيباً ، بصيراً . . .) وهلم جراً . ولا شك أن المصحف العثمانى قد دُوِّن فى عصر سابق بأمد غير قصير لعهد علماء البصرة والكوفة الذين تنسب إليهم هذه المذاهب الفاسدة اختراع قواعد الإعراب

فنظام الإعراب عنصر أساسى من عناصر اللغة العربية ؛ وقد اشتملت عليه منذ أقدم عهودها . وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصاً من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب ورتبوها ، وصاغوها فى صورة قواعد وقوانين . ثم أخذ هذا النظام ينقرض شيئاً فشيئاً من اللهجات العامية تحت تأثير العوامل السابق ذكرها فى المقالين السابقين ، حتى لم يبق له فى هذه اللهجات إلا آثار ضئيلة

غير أنه لا يسعنا أن ننكر أن قواعد الإعراب لم يكن لها قديماً فى لهجات الحديث ما كان لها فى لغة الأدب من شأن . وذلك أن طائفة كبيرة من هذه القواعد لا تظهر وظائفها وتمس الحاجة إليها إلا فى مسائل التفكير المنظم المسلسل ، والمعانى المرتبة الدقيقة التى يندر أن تعالج فى لغات التخاطب العادى . وهكذا الشأن فى جميع لغات العالم ؛ فكثير من قواعد الفرنسية مثلاً يندر أن يحتاج إليها فى المحادثات العادية . وفضلاً عن ذلك فقد نقل إلينا المؤرخون الثقات أن ألسنة العرب كانت عرضة للزلل فى هذه القواعد منذ العصر الإسلامى ، بل قبل ذلك العصر وأن هذا اللحن لم يكن مقصوراً على عامتهم ، بل كان يقع من

الخاصة والخلفاء والمحدثين ، وأئمة الفقهاء أنفسهم[1] . ويظهر أن هذا اللحن كان يقع منهم حتى فى تلاوة كتاب الله ؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أعربوا القرآن[2] » . وهذا يدل على أنه سمع بعض الناس فى عصره يقرؤه ملحوناً .

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) أنظر ابن خلكان فى حياة أبي الأسود ، وانظر الصاحبي لابن فارس ص ٣١ إذ يقول : « وإن قبيحا مفرطا فى القباحة بمن يعيب مالك بن أنس بأنه لحن فى مخاطبة العامة بأن قال : « مطرنا البارحة مطرا أى مطرا » أن يرضى هو لنفسه أن يتكلم بمثل هذا . لأن الناس لم يزالوا يلحنون ويتلاحنون فيما يخاطب بعضهم بعضا إتقاء الخروج عن عادة العامة فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة » .

(٢) الصاحبي لابن فارس ص ٣١ — وإذا صح هذا الحديث لايكون الغرض من الاعراب ما يقصده النحاة بالضبط ، لأن كلمة الاعراب لم يكن لها هذا المعنى فى عصر الرسول عليه السلام ، وإنما يكون الغرض منها مجرد الابانة وإظهار الحروف والحركات وتلاوته وفق قواعد العربية .

فى اختلاط الجنسين

للأستاذ محمود محمود بسيوني

ألقى أستاذنا صاحب العزة الدكتور منصور بك فهمى قنبلة جديدة فى الميدان الاجتماعى تنبه على صوتها الكتاب والمفكرون والمهتمون بالشؤون الاجتماعية فى مصر . تحدث عن اختلاط الجنسين فى مصر وكان سريعاً حازماً جريئاً فى إبداء رأيه ، وفى إنكار الاختلاط بصورته الحاضرة ، وقد ألقى شعاعاً مضيئاً أنار به السبيل إلى ذلك الهدف الاجتماعى الخطير . وهكذا حفزنى وشجعنى على أن أرفع صوتى أنا الآخر معلناً انضمام صوت الشباب إلى صوت الشيوخ . وقد يبدو هذا غريباً ، فالشباب معروف بحبه للفرح والسرور واللهو والعبث ولكنى لا أكتمكم أنى استمتعت بأنواع كثيرة من لهو الشباب وقد كان ذلك درساً طيباً اغتنمت فرصة اليوم لأن أعيده على مسامع إخوانى الشباب ولكى أنبه الغافلين من الجيل الذى تقدمنى إلى سوء نتيجة إهمالهم بعض الأمور الاجتماعية

حينما نحارب الاختلاط اليوم إنما نحارب الرذيلة والفساد محافظة على كيان أمتنا العزيزة ودينها الإسلامى القويم ، وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خير وطننا وإعلاء شأن ديننا

لنحاول أول كل شىء أن نفهم العلاقة الطبيعية بين المرأة والرجل ، فهما يكونان معاً الأسرة ، والأسرة هى الوحدة التى يتكون من كثيرها المجتمع ؛ إذن فالرجل والمرأة لازمان معاً لحفظ كيان المجتمع ، ولا غنى لأحدهما عن الآخر لاستمرار الحياة الاجتماعية ، وما دامت المسألة تقوم على التعاون بين الرجل والمرأة فلا بد من انسجام وظائفهما من الوجهة العامة أى من حيث أن الرجل رجل وأن المرأة امرأة . فقد زودت الطبيعة كلا منهما بفضائل وميزات خاصة يكمل بعضها بعضاً ، وهكذا كان لكل منهما عمل خاص وأسلوب خاص فى تأدية وظيفته فى الحياة ، ولكن هذه الوظائف كما قلنا يكمل بعضها الآخر . وهكذا كان الرجل فى حاجة طبيعية إلى المرأة لكى تبادله التشجيع والمساعدة على القيام بأعمالهما على خير الوجوه ، وينقسم اتصال المرأة بالرجل إلى نوعين : اتصال فردى خاص ، وهو اتصال الرجل بزوجه فقط وذلك لحفظ النوع ؛ ثم اتصال اجتماعى ، وهو اتصال الرجال فى مجموعهم بالنساء فى مجموعهن وهو ما يعبر عنه بالاختلاط وهو موضوع حديثنا الليلة

وقبل أن نبدأ فى علاج الموضوع يجب أن نذكر أن المرأة عنصر له خطره العظيم ؛ فإذا أسىء استخدام هذا العنصر فى الحياة الاجتماعية فقد تكون النتائج قتالة فتاكة . وهذا الاعتبار يجب أن يراعى حين يصدر الإنسان حكمه على فائدة الاختلاط أو ضرره فإن ذلك يلقى على المسألة ضوءاً جديداً ويكشف عن معانيها إلى حد كبير ، والسبب فى خطورة المرأة هو تكوينها الطبعى خلقاً وخلقاً . فهى بما فيها من جمال وفتنة وإغراء وبما لروحها من دلال ورقة وعذوبة تؤثر فى قلوب الرجال تأثيراً شديداً كثيراً ما يحول دفة حياتهم خاصة كانت أو عامة . وقد عرف الفرنسيون أثر المرأة فكلما صادفتهم مشكلة غامضة قالوا قبل كل شىء « فتش عن المرأة » ولما كان عمل الرجل فى الحياة بحسب تقاليدنا المصرية أبعد أثراً وأعظم شأناً . فعمله دائماً يتصل بالمجتمع كله ؛ بينما المرأة وفاق هذه التقاليد اتصالها بفرد واحد أو أفراد قليلين . على أن ترك هذه التقاليد وتوسيع الاختلاط للمرأة بعامة الرجال لا بد

أن يحدث أثره فى المجتمع لأنه لم يمهد لهذا الاختلاط وفقاً لماضينا المعروف

يظن بعض الناس أن الاختلاط مظهر من مظاهر المدنية والتقدم الإنسانى فى الوقت الحاضر ، وأنه يعود على المرأة وعلى الرجل أيضاً بفوائد لا يستطيعان أن يجنياها إذا كان كل منهما بمعزل عن الآخر . فهم يتوهمون أن هذا الاختلاط يسير بهما فى طريق التقدم من حيث الثقافة ومن حيث الإحساس ومن حيث أشياء أخرى يزعمون أنهم يفهمونها ؛ ثم هم يبنون هـذا الزعم على أن الاختلاط حق من حقوق المرأة يجب أن تستعمله وتفيد منه ، وأن المرأة باشتراكها مع الرجل فى حياته العامة إنما هو تنفيذ لحق الحرية الذى أوجدته النظم الاجتماعية الحديثة ، ولـكنهم أسرفوا فى استغلال هذا الحق واستعمال هذه الحرية . فانقلبت الآية وأصبح تقدمهم تأخراً ومدنيتهم همجية

بدأت المرأة بفكرة السفور ونزع الحجاب . وكأنها كانت فى معقل وانطلقت بعد أن كانت لا تحـلم بالخروج ؛ فأسرفت فى نزع الحجاب إسرافاً شديداً إذ أصبحت سافرة الوجه أولاً ، ثم سافرة الوجه والرأس ، وأضافت بعد ذلك قليلاً قليلاً سفور الذراعين والساقين والصدر ؛ ثم تلفتت مع ذلك إلى تغيير الزى وتكييفه بما يتناسب مع ما تريد أن تبرزه من محاسن جسمها . ثم أتقنت ألوان التزين والتجمل واندفعت فى كل هذا اندفاعاً كبيراً ، ودفعت فى سبيل ذلك كل ما تملك من مال وذكاء ؛ واحتملت مشقة وعذاباً ؛ ثم شاءت أن تعرض جمالها وتجملها فخرجت إلى الأماكن العامة من شوارع ومقاه وأندية . وراحت تتسابق مع مثيلاتها فى هذا المضمار ، فأصبحت تلك الأماكن معارض يتبارين فيها لإظهار مقدرتهن على الفتنة والإغراء . وخرج الرجال بطبيعة الحال يستمتعون بهذه المظاهر الجديدة الخلابة ، فكانوا يلقون كلمات الإعجاب فى آذان النساء سواء أكانوا فى ذلك مخلصين أم منافقين ؛ ولـكنها كلمات تروق النساء وتأخذ بمجامع قلوبهن على كل حال

فكرت المرأة فى أنه من العبث أن تتجمل هكذا للشوارع فقط ، وفكر الرجل فى أن يستمتع هو الآخر بهذه الفتنة ، فأخذ كل منهما يسعى إلى الاستمتاع : المرأة بتجملها وتدللها ، والرجل بما ينجذب إليه من هذا التجمل وهذا الدلال . وأخذت النشوة كلا من الفريقين ، وأعمتهم الشهوة فاستحلوا ما حرم ، واستباحوا كل ممنوع ، فانتحلوا أسباباً وخلقوا أساليب . وتستروا باسم المدنيـة والتقدم لتنفيذ أغراضهم ، واندفعوا فى تيار حياة الاختلاط البراقة فشربوا السم فى بشاشة .

وهكذا أصبحت ترى المرأة بشكلها الجديد ترتاد دور الخيالة وأندية السباق والمراهنات ، وحدها تارة أو مصحوبة أخرى بأصدقاء من الجنس الآخر اتخذتهم دون اعتبار لما بين الجنسين من فوارق . تراها تحتضن رجالها واحداً بعد واحد ، وتراقصهم وتحتسى معهم الخمر . فالفتاة الصغيرة لا يقوى أبوها على ردها ، لأن المدنية تتطلب منه ذلك ؛ والزوجة الصغيرة لا يقوى زوجها على منعها ، لأنه هو الآخر يفعل ذلك ؛ فالمدنية تتطلب هذا ، والأم القـديمة تعلمت هى الأخرى ، تخلبها المدنية الحديثة ، فاشتركت فى هذا . فعلت المرأة كل ذلك وأكثر من ذلك غير عابئة بدين ولا خلق ، وهى تظن أن هذه هى الحياة كما يجب أن تكون ، وزكاها فى ذلك جماعة من المخبولين العابثين الذين يسوقونها ويسخرونها لشهواتهم ولذاتهم ويتركونها بعد ذلك محتقرة مزدراة . إندفعت إذن المرأة فى مدنيتها المزعومة وحريتها الموهومة ، فعم الفساد والشر

وخلاصة القول أن المرأة بما اتبعته من ضروب التبذل غيرت معالم أنوثتها فبدلت جمالها الطبيعى الذى وهبها الله إياه وأحلت محله بعض النقوش والأصباغ ، ففسد ذوقها فى فهم الجمال وأفسدت ذوق الرجال أيضاً ، فضاع جزء كبير من قيمة أنوثتها الطبيعية ، وفقدت الرقة والسحر الحقيقيين . فبإسرافها فى إبراز محاسنها أضعفت إلى حد كبير سطوتها على قلوب الرجال وعواطفهم . والأمر فى الواقع يخضع كذلك لقانون العرض والطلب . فلكثرة المرأة فى ميادين الرجال ، ولـكثرة ما تبديه من محاسنها وزينتها انخفض سعرها وقل طلبها

والذى لا شك فيه أن الاحتجاب أو نصف الاحتجاب يثير فى النفس — وهى فضيلة بطبعها — الرغبة القوية وحب الاستطلاع ؛ فبعد أن كان الرجل يطلب المرأة — وهى بعيدة عنه — ليستمتع بأنوثتها المستترة فى خجلها وحيائها ووقارها ، أصبح يكره تبذلها ويمقت جرأتها ، فهو لا يفكر فيها إلا كأداة لسروره وعبثه

كذلك نجم عن الاختلاط السيء أن فقدت المرأة كثيراً من المعاني السامية : كالأمانة والشرف والعفة والقناعة ، فانحطت وهبطت بالرجل إلى منزلة الحيوان

وإننا إذا نظرنا إلى حياة الأسرة بعد الاختلاط فأول ما يبدو لنا هو تلك المسألة العويصة التي أصبحت مشكلة المشاكل الاجتماعية وهي مسألة الزواج . فإن الرجل بعد الذي رآه في المرأة من استهتار وتهتك أصبح يعتقد أنها لم تعد صالحة للحياة الزوجية ؛ فأعرض عن الزواج وجعل يستعيض عنه بالمتعة الوقتية التي مهلتها له المرأة ووفرتها له كل التوفير

على أن الذين يقبلون على الزواج ينقسمون إلى فريقين ؛ فنهم من هو محافظ غيور على شرفه وكرامته ، وهذا الصنف تصبح حياته كالآتي : المرأة تريد التبذل والاختلاط ، وتريد التحرر من القيود والأغلال على حد تعبيرها ؛ والرجل يغار عليها ويشمل الشك فؤاده وجوانحه فلا يطيق صبراً على هذه الحياة فيثور ويفور ويهدد ويتوعد وتصبح حياته جحيما لا يطاق . فإما أن ينتهي الأمر إلى الطلاق وهو ويل لو تعلمون عظيم ؛ وإما أن ينتهي والعياذ بالله إلى مأساة محزنة لا استدراك لها فتنهدم أركان الأسرة الجديدة

أما الفريق الآخر من الأزواج فهم الذين يتركون الأمور كما تسيرها الظروف والأهواء، فيلقون الحبل على الغارب متكلفين الهدوء والبرود، لا يسألون زوجاتهم أينهن وماذا يفعلن . وذلك إما لضعفهن الأخلاق ، وإما ليأسهم من وجود ما هو خير من حالهم . والنتيجة دمار وخراب . فإن المرأة حينئذ تتمادى في عبثها وفي فسادها ، وينخرط هو في سبيل الرذيلة والشر إلى أن يحدث أحد أمرين : إما ألا يطيق أحد الزوجين صبراً فينفجر مرة واحدة ، فإذا بالزواج رماد تذروه الرياح ؛ وإما أن يدب العطب في الحياة الزوجية لخلوها من العناصر الشريفة الطاهرة التي تصونها من العفن فتصير نوعاً من الهمجية الإباحية التي لا نستطيع أن نسميها حياة بالمعنى الذي تقبله الحضارة الحقة والإنسانية الرفيعة

وإذا ألقينا نظرة عامة على بيت الزوجية في وقتنا هذا نستطيع أن نطمس آثار الاختلاط هكذا : تنقطع المرأة عن تأدية وظيفتها كسيدة وهي التي جعلت لتسلزم بيتها كي تنفث فيه من روحها وأنوثتها فتدعو ملائكة السعادة لترفرف بأجنحتها على تلك الجنة . جعلت الآن تكثر من التغيب في الخارج . فحالات الاختلاط الجديدة ومقتضياته تشغلها بعيداً عن بيتها ؛ فهي دائماً في زيارة صديقاتها وأصدقائها والاجتماع بهم في كل وقت وفي كل مكان ؛ فإذا بها لا تعرف شيئاً عن نظافة بيتها ونظامه وترتيبه، ولا تعرف شيئاً عن مأكلها ومشربها ، ولا تعرف شيئاً عما يتطلبه البيت من إصلاح خلل أو إكمال نقص ، ولا تعرف شيئاً عما هو أهم من ذلك كله وهو تربية أطفالها . أما زوجها فهو آخر من تفكر في أن تعنى بهم ، وهي التي جاءت من أجله ومن أجله فقط : تؤنسه في وحدته ، وتشاركه الحياة وتمتعه بما لديها من صفات منحها الله إياها .

كل ذلك لأنها خرجت عن الحياة التي خلقت لها ، فخرجت بذلك هي وزوجها من الجنة ؛ وأخرجها تجنيها على البيت واندفاعها في الاختلاط وفي حياة الشوارع . فهل هذه إذن حياة المدنية وهل هذا هو الرقي ، وهل هذه هي نتيجة العلم والثقافة ؟ المضحك أن تسمى ثقافة وهي أبعد ما تكون عما يطابق العقل والمنطق . ليست الثقافة والحضارة والتقدم أن تتقن المرأة الكلام بالفرنسية والانجليزية لا لشيء إلا للفرنجة وتكلف الأرستقراطية واتخاذها وسيلة للرقاعة والتهتك . ليست الثقافة والحضارة والتقدم أن تغشى المرأة المنتديات والمجتمعات ، وأن تتقن فن المقابلات والتشريفات بعد إتقانها لفن البهرجة والزينات . الثقافة الحقة والحضارة الحقة والتقدم الحق هو أن تعرف المرأة واجبها نحو بيتها ونحو الحياة النافعة ، وأن تتقن فنونها التي خلقت لها لتعيش مطمئنة سعيدة ولتشيد أسس حياة هادئة هي عنوان التقدم والرقي المستمر

ورحم الله قاسم أمين ! فلو كان حياً لاستنكر أسلوب المرأة في تنفيذ تعاليمه ، فما كان قصد قاسم أمين إلا أن يحرر المرأة من العبودية القديمة حين كان الرجل يجعل المرأة عبداً يشترى ويسخر في تنفيذ رغباته وإشباع شهواته . لقد أراد قاسم أمين أن يخلص المرأة من ظلم خاطيء ، فأساءت المرأة فهم الغرض الذي قصد إليه وتعثرت في الطريق الذي أشار به فضلت السبيل وتمادت في ضلالها . فنحن إذ نرفع صوتنا اليوم إنما نحسن إلى ذكرى قاسم أمين ونخلص للمرأة نفسها فنظهرها على طريق الحق ونهديها إلى السبيل القويم

(البقية في العدد القادم)

محمود محمود بسيوني

الطابور الخامس الألمانى

الطابور الخامس ! لفظتان تنطويان على كل معانى الإرهاب والقسوة والفظاظة والغدر والخيانة ، وتعيد إلى الأذهان تلك المآسى التى كان يمثلها ديوان التفتيش فى القرون المتوسطة

الطابور الخامس هو الخطر العصرى الذى يهدد المدنية الحاضرة والأمم الديمقراطية والشرائع الحرة التى كتبت بدماء الألوف من أحرار البشر ، بل هى عصابة هائلة تبثها الحكومة النازية فى كل أنحاء العالم لتلقى الفساد وتذرع الفتن ، وتنخر كيان الأمم بأساليب شريرة لم يعهدها العالم المتمدن ؛ فالنازية والطابور الخامس اسمان مترادفان لمسمى واحد

كان هدف هتلر فى أول أمره أن يستولى على الحكم فى ألمانيا ويعدم كل الأحزاب السياسية الألمانية (وكان عددها يومئذ ٣٦ حزباً) التى لا تعتنق المبادىء النازية . وكانت النازية قبل أن يسيطر هتلر على ألمانيا حزباً سياسياً عادياً اعتمدت لبلوغ مأربها خطتين : القوة والدعاية ، فطفقت تنفيذاً للخطة الأولى تتسلح سراً وتمد عدتها لليوم المنتظر ، وأنشأت تنفيذاً للخطة الأولى « معهداً » كبيراً للدعاية والتمويه والتضليل ، ثم لتخريج طلاب الغدر والخيانة والفتك ، وهم المعروفون اليوم بأعضاء الطابور الخامس

قسم هتلر بعد ما استتب له الأمر أنصاره ورجال حزبه إلى فئات ثلاث : الأولى مؤلفة من أنصاره وأصدقائه الخاص الذين يعرفون أفكاره وغاياته الخفية ، وهم : هيس ، جورينج ، جوبلز ، هملر ، ستريشر ، بُهـل ، فون ريبنتروب ، دارّه ، روزنبرج . والثانية مؤلفة من أشخاص لا يعرفون إلا شيئاً من أفكاره وخططه ، ولكنهم مرشحون للانضمام إلى الفئة الأولى . والثالثة مؤلفة من رجال مصلحة التقصى الألمانية ، ومن عصابة « الجستابو » التى يديرها « هملر » . وليس فى الفئات الثلاث إلا عدد ضئيل من ذوى المراتب العالية فى الجيش

ولكل من هذه الفئات مهمة خاصة ؛ فمهمة الفئة الأولى إنشاء مذهب جنسى أساسه تفوق الجنس الجرمانى الآرى على سائر الأجناس البشرية لنبل أصله وشرف محتده ، وتأليف ألمانيا الكبيرة التى يجب أن تسود العالم . ومهمة الفئة الثانية تنفيذ خطط الأولى فى ألمانيا وخارجها بالدعاية والجاسوسية وغيرها من الأساليب التى يكل عنها الوصف ، كأن توهم أحياناً أنها ناقمة على النازية لكى تقف على الرأى العام فيها وتعرف البيئات التى تناهضها . ومهمة الفئة الثالثة الاستكشاف وتمهيد السبل للفئة الثانية ، فهى أشبه شىء بفرق الكشافة فى الجيش

أما الجستابو فهي العصابة السرية الهائلة التى يديرها « أوريك هملر » وتضم ستين ألف رجل وعشرة آلاف امرأة فى ألمانيا ، وخمسة آلاف رجل وأربعة آلاف امرأة فى البلدان الأجنبية . وفى الجستابو دائرة خاصة مهمتها تزوير الوثائق والجوازات والمراسلات الدولية والأوراق المالية الأجنبية وغيرها . ومن الوثائق المزورة تلك التى أعلنها فون ريبنتروب واتخذها حجة لكى يبرر اجتياح دولته للبلدان الصغيرة ، وما هى فى الحقيقة إلا وثائق مزورة مصنوعة فى تلك الدائرة

مكتب ريبنتروب

هو دائرة مستقلة تعمل تحت إشراف فون ريبنتروب أولاً وهتلر ثانياً . تجمع كل المعلومات غير الحربية عن البلدان الأجنبية ورؤسائها وساستها وأصحاب النفوذ فيها ، وتُعنى بمعتقدات تلك البلدان الدينية وأحزابها وطرق معيشتها حتى بمسائلها العائلية . ومن هذه المعلومات تستقى مصلحة التقصى الألمانية وتستهدى بها . وعمال مكتب ريبنتروب هم فى معظمهم من الأشخاص الذين تقلبوا فى المناصب العالية وشغلوا مراكز سياسية هامة فى السفارات ونحوها ، وبينهم عدد من النساء اللواتى يعملن أيضاً فى دائرة الجستابو

وزارة الدعاية

يرأس هذه الوزارة الدكتور « جوزف جوبلز » ، ومن مهامها التسلط على الرأى العام الألمانى ، وحمل الدول على اقتباس المبادئ النازية وإخضاعها لنفوذ ألمانيا الاقتصادى . وفى هذه الوزارة الدوائر الآتية : الدعاية الداخلية ، الدعاية الخارجية ، الراديو ، الصحافة ، السينما ، المسرح ، الآداب والفنون . وفيها قوائم بأسماء كل المؤسسات فى العالم ، وقد قسمت إلى مراتب وعرفت بالأوصاف الآتية : « حلفاء » ، « ميالون » ، « قابلون للاستمالة » ، « أعداء » . وقائمة الأعداء ترسل رأساً إلى دائرة الجستابو .

مدرسة الطابور الخامس

في سنة ١٩٠٨ أنشئت في ألمانيا مؤسسة غايتها بث الروح الألمانية في أبناء الألمان المولودين في البلدان الأجنبية لكي يحافظوا على جرمانيتهم . وفي سنة ١٩٢١ استعانت الحكومة الألمانية بهذه المؤسسة لكي تجدد عزيمة رعاياها ، وقد وهنت بعد نكبة ألمانيا في الحرب الماضية ، وتثير في الأحياء منهم خارج وطنهم العصبية الجرمانية ، وتحول دون إدغامهم في البيئات الأجنبية . ولما قبض النازيون على زمام الحكم في ألمانيا وجدوا في سجل هذه المؤسسة أن ٣٥٫٨٠٣٫٠٠٠ ألماني يعيشون خارج الحدود الألمانية ، منهم ٧٥ في المائة تربطهم العاطفة العصبية إرتباطاً متيناً بأمهم ألمانيا ، والفضل في ذلك عائد إلى مساعي المؤسسة المذكورة التي تعرف اليوم باسم الطابور الخامس الألماني

وينتخب أعضاء الطابور الخامس من رجال ونساء ذوي جدارة وثقافة ودهاء وحيلة ، وكثيرون منهم يحسنون كتابة وتكلم عدة لغات أجنبية، ومنهم سياسيون ومهندسون وكيميائيون وعسكريون واختصاصيون بفروع العلم . وتختلف مهامهم وطرق أعمالهم باختلاف البلدان التي يوفدون إليها . أما الهدف فواحد ، وهو خدمة المصلحة الألمانية بأي الوسائل ، لأن الغاية في شريعتهم تبرر الواسطة . وكانت دعايتهم في البلدان الأجنبية قبل الحرب تضرب خاصة على وترين : خطر الشيوعية ومكافحتها ، ومصادرة اليهود المرابين المساسين ؛ فاستهووا بالدعاية الأولى كل خصوم الشيوعية ومقبحي مبادئها ، واستمالوا بالثانية كل العمال الذين يرون في اليهود صورة الرأسمالية عدوتهم الكبرى

ونشط في هذه الحرب رجال الطابور الخامس المنبثون في كل العالم ، وعلى الأخص في البلدان الديمقراطية ، فقاموا بمهامهم الشاقة ، غير عابئين بالأخطار التي تهددهم في كل لحظة ، فكانوا من العوامل الأولية التي مكنت الألمان من اكتساح عدة بلدان بتلك السهولة الغريبة ؛ وقد تحقق العالم اليوم أن أولئك الألمان الذين « نفتهم » الحكومة النازية لنقمتهم على الوضع النازي ، أو لكونهم يهوداً ، أو لتزوجهم يهوديات ، ما كانوا في الحقيقة إلا من أعضاء الطابور الخامس ، وقد خرجوا من ألمانيا بجوازات مزورة مصنوعة في دائرة التزوير بالجستابو . وقد حضنتهم الدول الديمقراطية وعطفت عليهم حتى كشف لها الواقع أنها ما حضنت إلا ثعابين قتالة كانت تنفث السم في جسمها وهي غافلة عنها بعامل الشفقة والإحسان .

وكان أولئك « المضطهدون » يتسربون في كل مكان ومجتمع ويخالطون الجماعات الناقمة على النازية ، لكي يطلعوا على أفكارها وحركاتها ونياتها ، ويرسلون بها تقارير إلى الحكومة النازية « مضطهدتهم » .

أما مهام الطابور الخامس العام فتنقسم إلى أربعة أهداف : الأول دعاية سياسية وثقافية . الثاني تمرين عسكري . الثالث تجسس اقتصادي . الرابع تجسس صناعي ، كحمل العمال في البلدان الأجنبية على الإضراب أو تدمير المصانع . والدعاية الفكرية يقوم مبدأها على إظهار تفوق الجنس الآري ، وهذا مثال منها نشر في الولايات المتحدة : « إن الولايات المتحدة ما بلغت درجتها الحاضرة من الثقافة والعمران لولا امتزاج العنصر الجرماني في مستوطنيها الأولين » . فالطابور الخامس إن هو إلا شكل جديد للجاسوسية ، ولكنها تفوق كل أنواع الجاسوسية المعروفة بجرائمها الهائلة وغدرها الشنيع وأساليبها الفظيعة

إن أمضى سلاح استخدمته ألمانيا لاكتساح نروج هو الطابور الخامس ، وقد ذكرت الكاتبة النروجية الشهيرة « سيجريداوندست » في ما روته عن مأساة وطنها ما يأتي :

« كان علينا ألا نتكل على حيادنا وأن نتسلح استعداداً للطوارىء . إننا قلما أكترثنا للطابور الخامس الألماني ، فجر علينا إهمالنا محنتنا الحاضرة ، إذ في ظلال السنوات الأخيرة كان كثيرون من شبان الألمان يأتوننا زائرين ويتوغلون في بلادنا دارسين طبيعة أرضنا ، راسمين مواقعها الحربية وطرقها ومعابرها وكل ما يهمهم منها . وعلى الجملة كانوا يعرفون نروج أكثر من سكانها الأصليين »

وفي رأي النازيين أنهم ذوو حق شرعي في كل بلاد يقيمون فيها . يدل على ذلك ما وجد في ولايات البرازيل الجنوبية ، وفي شمال الأرجنتين من الألواح التي تحمل الكلمات التالية : « هذه الأرض جزء من ألمانيا » (العصبة)

واشـــــقيقاه ! !

للآنسة الفاضلة فدوى طوقان

[في الساعة التاسعة من مساء الجمعة الثالث من شهر مايو سنة ١٩٤١ . خبا السراج الذى كان يسكب النور فى جوانب نفسى ويهدينى إلى سبل الحق والخير والجمال لقد ذهب شقيقى إبراهيم وخلف لى حسرة الأبد .]

(فدوى طوقان)

و (الرسالة) تقدم إلى الآنسة الفاضلة أجل العزاء ، وتشاطرها ما أظهرت من العواطف الصادقة فى هذا الرثاء .

وا شقيقاه ، ما أجــــلُّ مصابى

كيف أوْدَى الرَّدى بزين الشباب

كيف جفّ الغصن الرطيب وأضحى

يا لقلبى موسّـــــداً في الترابِ

وا شقيقاه ، مالَ فى عمر الورد غضيرَ الصِّبى نضيرَ الإهابِ

أين منى أخى ؟ إلى الله ! ما خلا ه عنى ؟ ما عاقه عن جوابى ؟

سلبتنى الأيام بهجة عيشى يوم ولَّى وحطَّمتْ أعصابى

وأعاضتْ قلبى من النور ناراً ليس تخبو على مدي الأحقابِ

ليت شعرى أخى افتقدك أشجَى أم لطفليك أم لحظى الكابي

أمْ لأمّ الطفلين لوّعها الثكلُ فباتت فى حسرة وا كتئابِ

دمعها من عصارة القلب، والهفى على قلبهـا الجريح المذابِ

ودَّعتْ بعدك المباهج والأف راح واستقبلتْ مقيم العذابِ

لهفَ نفسى على نضير صباها يتزوى فى الأسى وسود الثياب

حرّ قلبى لجعفر وعريبٍ[(1)] إذ هما يرقبان يوم الإيابِ

كلما استشعرا إليكَ حنيناً هاج فى الصدر من طويل الغيابِ

... هتفا باسمكَ الحبيبِ و باتا رهن همٍّ ووحشة وارتقابِ

***

أوحشتْ بعدك المجالس والأسما ر وارفضّ مجمع الأحبابِ

وانطوى الأنس إذطوتكَ الليالى عن نفوس الأتراب والأصحابِ

كنت ريحانها فغُيِّبْتَ عنها فى صعيد قفر الجناب يبابِ

حشرتنا الخلائق الزُّهْر تُطوى، للمزايا وللسَّجايا العِـــذابِ

ليت شعرى ما عالَمٌ صِرتَ فيــه

عن عيون الأحياء خلف حجابٍ ؟

أهْوَ شطُّ الأمان للنفس بعد ال

خوض فى مزبدات طامى العُباب

أترى فيــه راحة من عناء وقراراً من حيْرة واضطرابِ

يا شقيقى حدِّث ، أتنضبُ فيـ ـه النفس من كل رغبة وطِلاب

هل نفضتَ اليدين من نشوة الأح

لام والشعــر والمنى والرغاب

هل طرحتَ الآلام عنــك وكم

عانيتَ منها مَضاً وطول اصطحاب

قد سقتكَ الحياة فى العسر واليسر

بكاسين من شهــادٍ وصاب

وبلوْتَ الصحاب فى السر والجهر

فمن بين خالص ومحـــابى

... ...

... ...

... ...

أقصر اليوم صاحب وعدوٌّ وَوَهتْ بينكم عرى الأسباب

***

حسرانى عليكَ ما تنقضي لا ، ولن ينتهى عليكَ انتحابى

ويعزّون فيك يا صِنْوَ نفسي أىّ شىء فيه العزا عن مصابى

ما عزائى أخى وقد كنتَ حظاً من حظوظى وكنت من آرابى

كنتَ أُزرى، إنْ ضِقتُ بالهم والكر

ب جلَوْتَ الأسى وفرّجْتَ ما بى

فإلى من أشكو إذا حزبَتْنى طارقات الهموم والأوصاب

يا شقيقى مهِّدْ لجنبى مكاناً وارتقبنى فإننى فى الرِّكابِ

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

---

(١) ابن الفقيد وابنته

ألقاب الشرف والتعظيم

عنـــد العرب

للأب أنستاس ماري الكرملي

— ٤ —

٩ — القيصر

هذه الكلمة واضحة الأصل اللاتيني وهو Caesar ، وكثيراً ما ينقل الحرف C إلى القاف العربية أو الكاف ، والحرف S إلى السين أو الصاد العربيتين . وأما قول القلقشندي في صبح الأعشى (٥ : ٤٨٢) : « وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية (جاشر) بجيم وشين معجمة فعربتها العرب (قيصر) » فغير صحيح ألبتة ؛ لأن (القيصر) بهذا التعريب أقدم من تعريبها بصورة (جاشر) فهذه بالنسبة إلى تلك محدثة ، وقد قيل أو يقال اليوم (جِيْزر) وتلفظ Tchézar بالأحرف الإفرنجية العصرية . وأما الرومان الأقدمون فكانوا يقولون Késar والسين تلفظ سيناً صريحة لا زاياً كما يلفظونها اليوم ، إذا وقعت بين حرفين مليلين . وكذلك كان الرومان يقولون في أول الأمر Iesu (يسو) لا (يزو) ولا (يشو) . وكانوا يقولون (ألياقيم) Eliacim لا (الياجيم) ولا (الياشيم) ولا (الياسيم) . وأما قولهم اليوم (ألياچيم) بالجيم المفقودة ، فحدث بالنسبة إلى قولهم القديم (ألياقيم) أو (ألياكيم)

وأما متى أبدلوا اللفظ الواحد من اللفظ الآخر ، فحدث رويداً رويداً ، ومن شخص نافذ الكلمة إلى شخص دونه ، ومن بلد إلى بلد حتى عم اليوم البلاد الإيطالية كلها . وأما علماء ألمانية فيعودون إلى لفظ C كافاً حيثما وقعت بدون أدنى تغيير ، فيقولون (كيكرو) ولا يقولون (شيشرو) ولا (جيجرو) ولا (سيسرو)

ومن الغريب أن العرب تَبعتْ لفظ الرومان في عصرهم ، فكان اللفظ القديم (قيصر) ثم صار (شيزر) ، فقالوا : (قلعة شيزر) ولم يقولوا : (قلعة قيصر) وهي Césarée والآن صاروا يقولون (جيزر) ولفظها القلقشندي (جاشر) وهو لفظ لا ينطق به أحد ، لأنه كثيراً ما يصحف الألفاظ الأعجمية فيجعل سينهم شيناً معجمة ، ويجعل الجيم الثلاثة المفقودة جيماً عربية أو جيماً مصرية . وكل ذلك خطأ

وقال القلقشندي بعد ذلك : « ولها (أي لكلمة قيصر) في لغتهم معنيان : أحدهما الشعر ، والثاني الشيء المشقوق » اﻫ

قلنا : اللفظة التي تدل على شعر الرأس عند الرومان هي Caesaries (قيْصريَس) لا Caesar (قَيْصر) كما توهمه القلقشندي . فيحتمل أن يكون السبب لتسمية (قيصر) هو ما يقوله ، نقلاً عمن سمع عنه

وقال القلقشندي بعد ذلك : « واختلف في أول من تلقب بهذا اللقب منهم : فقيل أغانيوش[١] أول ملوك الطبقة الثانية منهم . سمي بذلك لأن أمه ماتت وهو حمل في بطنها فشق جوفها وأخرج فأطلق عليه هذا اللفظ ، أخذاً من معنى الشق ؛ ثم صار علماً على كل من ملكهم بعده . وقيل أول من لقّب بذلك يوليوش[٢] الذي ملك بعد أغانيوش المذكور . وقيل أول من لقب به أغشطاش[٣] . واختلف في سبب تسميته بذلك ، فقيل : لأن أمه ماتت وهو في جوفها فشق عنه وأخرج ، كما تقدم القول في أغانيوش . وقيل لأنه ولد وله شعر تام فلقب بذلك ، أخذاً من معنى الشعر كما تقدم . ولم يزل هـذا اللقب جارياً على ملوكهم ، إلى أن كان منهم هرقل الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم » اﻫ

قلنا : إن الذي عندنا أن قيصراً سمي كذلك من معنى الشعر لا من معنى البقر (أي شق البطن) ، لأن أول من سمي بقيصر لم يكن خشمة (أي مُخرَجاً من بطن أمه ببقره) . بل كان مولوداً وعلى رأسه شعر ، وهو أكتافيوس أو أكتابيوس . هذا فضلاً عن أنه لو كان خشمة لسماه السلف (خشمة) لأن هذه الكلمة معروفة عندهم ، وما كانوا سموه (قيصراً)

---

(١) ليس في أعلام القياصرة من هو بهذا الاسم ، بل أول من سمي بقيصر هو (أكتافيوس) Octavius ونظن أن الكلمة مصحفة تصحيف خط لكلمة (أغتابيوس) بجعل الكاف غيناً والفاء باء موحدة تحتية وأمثاله كثيرة عندهم .

(٢) صوابه : يوليوس .

(٣) صوابه : أوغسطس .

١٠ — الأطربون

قال فى تاج العروس فى مادة (ط ر ب) : والأطربون(١) : البطريق . كذا فى شرح أمالى القالى . وحكى عن ابن قتيبة : أنه رجل رومى . وذكره الجواليقى . وقال ابن سيدة : هو الرئيس من الروم . وقال ابن جنى فى حاشيته : هى خماسية كعضرفوط فعلى هذا وضعه للنون والهمزة ، والصواب : أن وزنه أفعلون من الطرب . وهذا موضع ذكره استدركه شيخنا » انتهى

قلنا : الأطربون غير البطريق ، وكان فى أول أمره : حاكم القبيلة ، ثم جعل حاكما على الجند فحاكما عليهم مع سلطة هيباط . ولو اتخذ عبارة اللسان لكان له أحسن . فقد قال ابن مكرم : « الأطربون : من رؤساء الروم وقيل : المقدم فى الحرب ، وقال عبدالله بن سبرة الحرشى :

فإن يكن أطربون الروم قطّعها، فإن فيها بحمد الله منتفعا

قال ابن جنى : هى خماسية كعضرفوط » اهـ

قلنا : وأما ما حكى عن ابن قتيبة أنه رجل رومى ، فليس من الموضوعات، فقد كان رجل اسمه (اطربونو) Tribuno (Pietro) وكان الدوج السابع عشر للبندقية توفى سنة ٩١٢

وأما قولهم هو الرئيس من الروم ؛ فكلام لا يحصل منه شىء . فالرؤساء طبقات . وهناك رؤساء مدنيون وعسكريون وروحانيون وأصحاب مهن إلى ما شابهها . فقولهم هو الرئيس من الروم كلام مبهم ؛ والأحسن ألا يذكر مثل هذا التعريف الخالى من حلية تحليه

وقول ابن جنى أنه خماسى هو القول الحق الذى لا ريب فيه

وأما قول الشارح : أن وزنه أفعلون من الطرب ، فالقسم الأول من عبارته صحيح ، أى أن وزنه أفعلون . وأما القسم الثانى أنه من الطرب ، فهو الخطأ بعينه ، لأن الكلمة ليست عربية بل هى رومية (لاتينية) Tribunus ومعناها فى الأصل : حاكم القبيلة كما قلنا . وهل يعقل أن الرومان يسمون رئيساً من رؤسائهم المدنيين باسم عربى ؟ فهذا لا يعقل . فوضع ذكره إذن فى (اط ر ب و ن) ، لأن جميع أحرف الكلمة الدخيلة أصول كما اتفق عليه جمهرة اللغويين بلا شاذ واحد

١١ — الفرناس

١٢ — البرنس

وهو البده عند العرب ؛ والفرسان تعريب فرنـ[ـسـ]ـا[بـ]ـس Princeps . ونقل الحرف الإفرنجى P إلى الفاء أو الباء ، أشهر من أن يذكر . وكان حق السلف أن يقولوا فيها (فرنكابس) لكنها ثقيلة وليس لها وزن عربى فخففوها وحولوها على مركب عربى ليرحب بها أهل الذوق السليم . ولم يذكر أحد أنها معربة . وهى فى لغة الرومان تفيد « الأول فى قومه »

والظاهر أن بنى عدنان لم يعرفوا معناها حق المعرفة لأسباب ، منها :

أنهم ذكروها فى مادة (ف ر س) إعتقاداً منهم أنها عربية النجار .

أنهم ذكروا لها معانى قاربوا فيها الحقيقة لكنهم لم يصيبوها ، فقد شرحوها بقولهم : « الفرناس كفرصاد : رئيس الدهاقين أو القرى . عن ابن خالويه ... والأسد الضارى ، وقيل الغليظ الرقبة .

وقال ابن خالويه : سمى الأسد فرناساً ، لأنه رئيس السباع ، ونونه زائدة عند سيبويه ، كالفُرانس بالضم . والفرناس أيضاً : الشديد الشجاع من الرجال ، شبه بالأسد . قال النضر فى كتاب الجود والكرم : والفِرْنَوس كِفِرْدَوْس من أسماء الأسد . حكاه ابن جنى وهو بناء لم يحكه سيبويه ، وأسد فرانس كفرناس فُعائل ، وهو مما شذ من أبنية الكتاب » اهـ

فالكلمة إذن عرّبت على صور مختلفة ، واختلاف اللغات آت من عجمة اللفظة ، وسمى العرب الأسد (فرانس) و (فرناس)

(١) فى النسخة المطبوعة التى بيدنا « وأطرابون » (بألف بعد الراء) والصواب ما ذكرناه فى النص أى : والأطربون ، بال وبدون ألف بعد الراء . لأنه شرحه بقوله : البطريق . أى معرفا بأل . فيجب أن تكون الكلمتان المفسرة والمفسرة من جنس واحد ، إما تكونا نكرتين وإما تكونا معرفتين .

و (فرنوس) لأنه الأول بين السباع كما قال ابن خالويه ، وكما يقول الفرنسيون : Le lion est le roi des animaux

وكتاب العرب نسوا ما عربه السلف فنقلوا اللفظة الإفرنجية بلا أدنى تغيير فى عهد العباسيين ، فسموا الفرناس « برنس » نقلاً عن الفرنسية Prince والذين نقلوا هذا اللفظ بهذه الصورة هم جميع المؤرخين الذين دونوا الوقائع فى القرون الوسطى .

وإذا عذرنا الجميع من هـذا التعريب الحديث فلا نعذر ابن شداد قاضى حلب صاحب كتاب النوادر السلطانية ، فى المحاسن اليوسفية ، فقد قال فى حوادث سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) : « إن البرنس صاحب أنطاكية ، خرج بعسكره نحو القرايا[1] الإسلامية » اهـ

فنستنتج من هـذا : أن العرب كانوا يتصرفون فى اللفظة الواحدة على مناح شتى ، اعتماداً على ما يسمعونه فى عصرهم وبلادهم لا على ما نقله أجدادهم ، ولا على ما يرونه مدوناً فى دواوين من تقدمهم من السلف ، بل يعتمدون على لغـة الأقوام الذين يطوون بساط أيامهم بين ظهرانيهم . فإذا سلمنا بهذا ، عذرنا ابن شداد نفسه لجريه على هذا المنحى من صنع الناطقين بالضاد

وهل تعلم ما كان اسم البرنس عند بنى مُضر فى أقدم الزمان ؟ كانوا يسمونه (البدء) أى الأول وهو معنى البرنس الأجنبية . والدليل على ذلك ما ذكره ابن خلدون فى كتابه العبر ، وديوان المبتدأ والخبر (٢ : ٢٦٣ من طبعة بولاق) : « ولما هلك عمرو ابن عدى ، ولى بعده على العرب ، وسائر مَنْ ببادية العراق ، والحجاز ، والجزيرة ، امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ، ويقال له (البدء) ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر ، وعمال الفرس » اهـ ، وكانت وفاته فى نحو سـنة ٣٣٨ للميلاد . فالبدء إذن قديمة بمعنى البرنس

وكلام ابن خلدون هـذا مقتبس من تاريخ الطبرى (١ : ٨٣٣ وما يليها) : « وكان من عمال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن سابور ، بعد مهلك عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة على فُرَجِ العرب من ربيعة ، ومُضَر ، وسائر من ببادية العراق ، والحجاز ، والجزيرة يومئذ ، ابنٌ لعمرو بن عدى ، يقال له (امرؤ القيْس البدْء)[1] ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصْر بن ربيعة ، وعمال ملوك الفرس . وعاش فيما ذكر هشام بن محمد ، مملكا فى عمله ، مائة سنة وأربع عشرة سنة » اهـ.

وفى التاج : « البَدْء : السيد الأول فى السيادة . والثُّنْيان الذى يليه فى السُّؤْدَد . قال أوس بن مغرّى السعدى :

« ثنياننا إن أتاهم كان « بَدْءهم »

و « بدءهم » إن أتانا كان ثُنْيانا » اهـ

فلم يبق شك فى أن (البدء) يقابل البرنس Prince عند الأفرنج والثنيان يقابل الدُوق Duc عندهم .

(له صلة) الأب أنستاس مارى الكرملى

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

---

(١) كذا وهو يريد القرى . وقد وردت فى كتب كثير فى المولدين ولها وجه صحيح ، لأن فعلة قد جاءت على فعائل فى كثير من الألفاظ ، خلافا لما أنكره النحاة ، وقد جمعنا منها شيئا كثيراً ؛ على أن الأفصح هو أن القرى جمع لقرية

(١) سماه خير الدين الزركلى فى معجمه (الأعلام) ١ : ١٢٧ : « أمرؤ القيس الأول » . وهذا غير صحيح . لأن الأعلام والألقاب تروى كما وردت ولا يحق لنا أن نغيرها . وقد أصاب العلامة يوسف رزق الله غنيمة فى إبقاء هـذا اللقب على أمرىء القيس (فى كتابه الحيرة ص ٣١ وما يليها) .

من أشجان الربيع

حبي . . . !

للأديب ابرهيم محمد نجا

ذاك حبي أيها القلب على المرج البديعِ
سدّد الدهر إليه ، ورماه فى الضلوع
بينما كان يغنى فوق هاتيك الربوع
فجثت من حوله الغربان تبكى فى خشوع
ونسيم الفجر غشاه بأكفان الدموع
عجباً ! كيف يموت الحب فى فصل الربيع ؟

فابك يا قلبي فما الدمع سوى   سلوة المحزون أضناه النوى !
رُب صادٍ شرب الدمع ارتوى   ودموعٍ أطفأت نار الجوى !

يمرح الناس كما شاءوا على العشب الرفيفِ
ويغنون مع الطير على نقر الدفوف
للصِّبا الباسم ، للحب ، وللنور اللطيف
للربيع الطلق ، للأحلام ، للزهر المَشُوف
وأنا وحديَ - يا ويلاه ! - ذو قلب لهيف
كل أيامى تغشتها كآبات الخريف

فابك يا قلبي فما الدمع سوى   سلوة المحزون أضناه النوى !
رُب صادٍ شرب الدمع ارتوى   ودموعٍ أطفأت نار الجوى !

ها همُ العشاق يمشون إلى وادى الغرامِ
مثلما تمشى إلى الجدول أسراب الحمام
نشوة الحب سرت فى دمهم مثل الضرام
والأمانى البيض غنّت لهمُ فوق الغمام
وأنا من يأسيَ المرّ دفين فى الرجام
حائر لا أعرف الصفو ولا طيب المقام

فابك يا قلبي فما الدمع سوى   سلوة المحزون أضناه النوى !
رُب صادٍ شرب الدمع ارتوى   ودموعٍ أطفأت نار الجوى !

يا ربيع الحب ! أين الحب ؟ يا نبع الرجاءِ
أنا ظمآنُ ! . . . وفى نبعك رِىٌّ للظماء
أنا حيرانُ ! . . . وفى فجرك أطياف الضياء
أنا سأمانُ ! . . . وفى نايك أفراح السماء
لست أدرى أربيعى أنت ، أم أنت شتائى ؟
لم أجد فيك لقلبى غير همٍّ وشقاء

فابك يا قلبي فما الدمع سوى   سلوة المحزون أضناه النوى !
رُب صادٍ شرب الدمع ارتوى   ودموعٍ أطفأت نار الجوى !

ليتنى كالطائر الغرّيد فى تلك النواحى
ليتنى كالزهرة البيضاء فى نور الصباح
ليتنى كالجدول الرقراق فى تلك البطاح
ليتنى كاللحن ، كالطَّل على ثغر الأقاحى
ليتنى ! أوّاهُ مما فى فؤادى من جراح
فُجّرت منها دموعى ، وأغانىَّ نُواحى

فابك يا قلبي فما الدمع سوى   سلوة المحزون أضناه النوى !
رُب صادٍ شرب الدمع ارتوى   ودموعٍ أطفأت نار الجوى !

أيها الوردُ ، جميلٌ أنت ، لكنى حزينُ
أيها الأفقُ ، رحيبٌ أنت ، لكنى سجين
أيها النورُ ، رطيبٌ أنت ، لكنى دفين
حطم الدهر جناحى ، وبرت جسمى السنون
ومشى اليأس على قلبى ، وغشّتني الشجون
فحياتى كلها بلوى ، وشكوى ، وأنين

فابك يا قلبي فما الدمع سوى   سلوة المحزون أضناه النوى !
رُب صادٍ شرب الدمع ارتوى   ودموعٍ أطفأت نار الجوى !

ابرهيم محمد نجا



حول ابعاد الحيز

آلـــة الوقت

THE TIME MACHINE
H. G. WELLS.

[إلى أستاذي الفاضل جردان أهدي هذه الفصول]

للأستاذ خليل السالم

لا أريد بتلخيص هـذا الـكتاب تعريف القراء بالـكاتب العبقري ويلز ، فويلز ليس غريباً عنهم . لقد سمعوا المحاضرين يتحدثون عنه بكل تجلة واحترام ، وقرأوا الكتاب يستقون من نبعه الصافي آراء ثاقبة في علم الاجتماع وفي علم التاريخ وحول مستقبل الإنسانية ، وترجم له كثير من الروايات البديعة التي كان فيها نسيج وحده . ولو أنني قصدت ذلك لأصاب مقالي الفشل ، لأن عبقرية ويلز المحيطة لا تبدو جلية واضحة في مقال قصير ، ولا يعبر عنها تلخيص كتاب أصدق تعبير

أريد بهذا العرض الوجيز أن يكون مقدمة مناسبة للبحث « حول أبعاد الحيز » وهو بحث قيم في فلسفة الرياضيات يجدر بكل مثقف أن يطلع عليه ، وبودي أن أطلع عليـه قراء العربية بواسطة الرسالة الغراء إن اتسع صدرها لمثل هذه الأبحاث

ولسنا في حاجة للقول أن ظهور هذا الـكتاب منذ زمن بعيد أي نحو سنة ١٨٨٨ لا ينقص من قيمته ، فالآثار الخالدة لا تعرف الزمن ولا تقف روعتها عند ما تهرم أو يبلغ عمرها سناً بعينها ، وآلة الوقت طليعة موفقة لروايات أتحف بها ويلز قراء العالم أجمع ، وهذه الروايات تتميز أول ما تتميز بالفكرة العلمية في بوتقة الأدب الحي والخيال الرائع والتصوير الصادق .

ولا أكتم أن تبيين هذه الفكرة العلمية في آلة الوقت هو رائدي أولاً وآخراً

نحن في أمسية صاحية ، وقد جلس مخترع « آلة الوقت » بين نفر من صحبه ينعمون بدفء الغرفة وإشعاع الجمر في كاساتها ويتناوبون الحديث فنسمع أول ما نسمع مخترع « آلة الوقت » ينعى على العالم قبوله بعض الآراء الخاطئة دون تحقيق أو تمحيص ، ويذكر على سبيل المثال الهندسة الإقليدسية ؛ فهي لا تدرس في المدارس بالطريقة المثلى ولا تفهم على الوجه الصحيح ، وإلا فكيف نؤمن بوجود مكعب أو أي جسم إذا كان له طول وعرض وسمك فقط ؟ أنستطيع القول أن هـذا المـكعب موجود إذا لم يشغل حيزاً ولو لحظة قصيرة من الزمان ؟

ويستمر في حديثه قائلاً : من الواضح أن لكل جسم امتداداً في أربعة أبعاد : الطول والعرض والعلو (السماكة أو العمق) والاستدامة الزمنية Duration . وهذا البعد الرابع (الزمن) لا يختلف عن الأبعاد الثلاثة في شيء سوى أن وعينا يتحرك معه فلا نشعر به كبعد رابع يمكن أن نتحرك فيه . وإني لأعجب كيف يجد بعضهم في فكرة البعد الرابع الهجنة والغرابة . لا أكتمكم أنني كنت من المشتغلين إلى أجل غير قصير بهندسة الأبعاد الأربعة وتوصلت إلى نتائج غريبة : هذه صورة رجل في الثالثة ثم في الثامنة ثم في الخامسة عشرة ثم في السابعة عشرة ثم في الثالثة والعشرين وهكذا . وهذه الصور تمثل في ثلاثة أبعاد كيانه الرباعي الأبعاد الذي لا يتغير ولا يتبدل . أنظروا أيضاً هذا الخط البياني ، إنه يرمز إلى قراءات البارومتر في فترات متقطعة من الزمان . لقد كان البارومتر مرتفعاً في الصباح ثم انخفض قليلاً عند الظهر ثم عاد إلى الصعود ثم عاد إلى الهبوط وهو في كل هذا يرسم خطاً بيانياً الزمن بعد فيه .

وقد ابتدأ رجال العلم يلمسون هذه الحقائق ، فمنذ أجل قصير سمعت أحدهم يتحدث عن الزمن كبعد رابع يمثل هذا التأكيد

وهنا يعترض أحد الجلوس وهو طبيب : « إذا كان الزمن بعداً كأى أبعاد الفضاء فلم لا نستطيع أن نتحرك فيه كما نتحرك فى الفضاء وننتقل فيه كما ننتقل من مكان إلى آخر ؟ »

وهنا نرى صاحبنا تلتمع عيناه ونسمعه يجيبه تملو الابتسامة شفتيه : « سؤال وجيه . ولكن قبل أن نحاول الإجابة عليه نريد أن نتحقق من الحقيقة التى يتضمنها كأنها حقيقة مفهومة بداهة . هل حقيقة نستطيع أن نتحرك فى الفضاء بسهولة ؟ أنا متأكد أن هذا صحيح فى بعدين فقط ؛ أما البعد الثالث (العلو) فيشذ عن هذا الحكم . وأنى لنا أن نفلت من سنة الجاذبية ؟ إننا محصورون ضمن جدران المكان لا نتمتع فيه إلا بقدر ضئيل من الحرية والإنطلاق ، وحريتنا هذه تعتمد على ما تسنى لنا المرتفعات والجبال فى الأرض ، أو قوتنا فى القفز العالى ، أو آلات الطيران كالمناطيد مثلاً »

ويقاطعه الطبيب أيضاً : « إذا كنا كما تقول محصورين حقيقة ضمن نطاق المكان فلا شك أن سجننا فى الزمان أضيق حدوداً وأكثر قيوداً ، فأنت لا تستطيع بأى جهد مهما كان عظيما أن تتخلص من اللحظة الحاضرة »

ويجيبه صاحب الاختراع مسرعاً : لا . هذا هو الخطأ بعينه ؛ وهو خطأ درجت عليه الإنسانية من قديم الأزمان منذ عرفت معنى الأبعاد . فنحن نستطيع أن نفك قيود الزمان ، أو وجودنا العقلى الذى لا يتأثر بالأبعاد المكانية يتحرك فى البعد الزمانى بسرعة متناسقة من المهد إلى اللحد كما يسقط فى البعد الثالث جسم على بعد عدة أميال من الأرض . ثم نحن نستطيع أن نستعيد من الذكريات ما نشاء فنسترجع الماضى ونتحرك فى الزمان. وإذا كانت الآلات الطائرة قد سهلت مهمة الانطلاق فى البعد الثالث فلماذا لا يتسنى هذا فى البعد الرابع ؟ أرجو ألا تعجبوا كثيراً أو تستهجنوا أن تكون هذه الفكرة الأخيرة قد شغلت دماغى مدة طويلة . إن هدفاً غامضاً كان يسير أبحاثى ويتجه بها نحو وضع تصميم آلة تتحرك فى الوقت

وبالرغم من رجاء صاحبنا يقاطعه صحبه بعلامات التعجب والدهشة والاستنكار والسخرية ، ولكنه لا يلبث أن يخفف من حدتهم عند ما يخبرهم بكل ثقة واطمئنان أن أبحاثه قد أثمرت ، وأن جهود عامين متتاليين قد وصلت بالآلة إلى درجة الكمال . وليتحققوا من ذلك بأنفسهم يصمم أن يجرب التجربة الأولى تحت سمعهم وبصرهم

ويذهب إلى مختبره ليعود بعد دقائق معدودة يحمل فى يده آلة صغيرة دقيقة الصنع تشبه ساعة الجيب كثيراً ، ويضعها على المنضدة أمامه ، ثم يشير إلى زرين إذا ضغط أحدهما تندفع الآلة فى الزمن ، وإذا ضغط الثانى انعكست الحركة . ويطلب من أحدهم — وهو عالم نفسانى — أن يضغط الزر بنفسه . ولا تستطيع أن تتصور مقدار العجب الذى تملكهم عندما حامت الآلة قليلاً كنسمة عاصفة فوق رؤوسهم ، ثم اختفت ولم تترك خلفها أثراً .

لم يكن للآلة من سبيل لأن تغادر الغرفة ، وهى لم تبق فيها ، فلا شك إذا أنها سافرت عن طريق البعد الرابع ، وهو بعد عمودى على المتعامدات الثلاثة المألوفة[1] ، ولا بد أن يكون الزمان هذا البعد الرابع كما فهمنا سابقاً .

إذا كانت الآلة قد تحركت بسرعة تساوى سرعة الزمن ، فهى تبقى دائماً فى الحاضر . أما إذا كانت قد تحركت بسرعة تفوق سرعة الزمن ، فتكون قد اندفعت فى المستقبل . أما إذا كانت سرعتها أقل من سرعة الزمن ، فإنها قد عادت إلى الماضى . هذه ثلاثة احتمالات نفى أحدها وهو الأول ، لأن الآلة لم تبق فى الحاضر ، ولم يكن لدى صاحب الاقتراح طريقة يفصل بها بين الاحتمالين الآخرين ، إلا أنه يقول لصحبه : إن راكب الآلة يستطيع أن يتحقق من ذلك بنفسه . وإذا ما سألوا كيف ذلك

---

(١) سنعود لشرح هذه الفكرة فى مقال قريب نهذه الخاصة أم ما يمتاز به كون ذو أربعة أبعاد .

أجابهم أن تلك الآلة الصغيرة لم تكن إلا أنموذجاً للآلة التي سيمتطيها عند رحلته في آفاق الزمان . وينتقل بهم إلى مختبره يريهم تلك الآلة ، ثم ينفض الاجتماع على أن يعود وافي الأسبوع القادم لإجراء التجربة على الآلة الكبرى

* * *

نحن في مساء الخميس التالي ، وقد جلس الرفاق ينتظرون على أحر من الجمر مخترع « آلة الوقت » الذي تأخر على غير عادة ويقررون أن يقضوا الوقت في تناول طعام العشاء ، ويتناقلون في هذه الأثناء حديثاً متقطعاً قلقاً ، ينبئ عما في نفوسهم من الشوق الملح لمجيء صاحب الاختراع

لا تسل عن مقدار فرحهم ودهشتهم في آن واحد عندما فتح الباب بكل هدوء وسكون ودخل صاحب الاختراع شاحب الوجه مغبر الثياب ، دامي الأقدام ، كأنه عاد من سفر بعيد عانى فيه ماعانى « السندباد » من ألوان العذاب والشقاء في جميع رحلاته . ومحار الأسئلة على وجوههم فلا يعبأ بها ، ويعمد إلى كأس مما بين أيديهم من الشراب فيكرعها حتى آخر قطرة ، وكأنه استعاد بعض حيويته ونشاطه ، يخبرهم أنه ذاهب إلى الحمام ، ويرجوهم أن يتركوا له قطعة لحم ، فهو يخشى على معدته أن تهضم نفسها لفرط ما بلغ منه الجوع ... ويعود بعد هنيهة موفور النشاط يقص عليهم خبره مشترطاً ألا يقاطعه أحدهم أو أن يضطره للجدل والنقاش اللذين لا يحتملهما جسمه المجهد المضنى . قال صاحبنا :

« لقد قدر لبعضكم أن يروا يوم الخميس الفائت « آلة الوقت » وهي في طور الإعداد والتركيب ، وفي صباح اليوم فقط قدر لآلة الوقت الأولى أن تتنسم أولى نسمة من نسمات الحياة وأن تدخل في العمل ؛ فقد ألقيت عليها نظرة فاحصة أخيرة ، وسكبت بعض نقاط الزيت بين أجزائها وامتطيت صهوتها . وضعت يدي اليمنى على الزر الأول ويدي اليسرى على الزر الثاني ، وكان في نيتي أن أقوم بالتجربة بنفسي وأتحقق من عمل اختراعي . بقيت غير قليل بين إقدام وإحجام حتى جمعت كل ما في نفسي من عزم ، فضغطت الزر الأول ، وما راعني إلا أن أرى الساعة تتقدم ، كأن عقرب الساعات فيها هو عقرب الثواني ، ورأيت أحدهم يتحرك كأنه عقاب الجو ينقض على فريسته . وعندما ضغطت الزر إلى نهايته ، رأيت الشمس تسبح في الفضاء بسرعة غريبة . . . والليل والنهار يذهبان ويجيئان في لمحة خاطفة ، وكان تتابعهما مما يؤذي عيني ... ورأيت القمر يتحول بين عشية وضحاها من هلال إلى بدر إلى هلال ... وهكذا وجدت أنني قد قذفت نفسي في أعماق المستقبل ، ولم يخطر ببالي أن أضغط الزر الثاني لأعكس الحركة ، فقد شغل استكناه المجهول وكشف حجبه وهتك ستائره كل خاطري ، ووددت أن أعرف التطورات الجديدة التي طرأت على الإنسانية ، وأين وصلت هذه في تقدمها العجيب . إلا أنه في الوقت نفسه كان خاطر يزعجني ، فربما أحاول إيقاف آلتي فلا تمنو لإرادتي وتستمر في سرعتها ، أو أن تصطدم بمادة في الفضاء تتحطم عليها ، وعندئذ نفلت أنا وهي من حدود الأبعاد وناتي بكل عنف في أعماق المجهول ، لذا قررت أن أقف في هذه المخاطرة عند حد ، فأوقفت آلتي ونزلت أرضاً غريبة لم أتصورها يوماً ما حتى في أحلامي وأوهامي ، ويخيل إلى أن التقاويم كانت لسنة (٨٠٢٧٠١) واخترت مكاناً هادئاً وضعت فيه آلتي وأخذت معي مفتاح الحركة وذهبت أتجول لأتعرف مناطق الحياة في هذا العالم الجديد »

يحدثنا ويلز بعدئذ على لسان بطله عن العالم في المستقبل فيرى أن الإنسانية لن تنتصر في التربية الخلقية والتعاون الملي ، وإنما تنتصر بعلم ناضج لا على الطبيعة فقط ، بل على أخيها الإنسان أيضاً . في ذلك العالم الجديد تفرقة وتباين واسعان بين العامل وصاحب المال ، فالمجتمع منقسم إلى فريقين : فريق يعيش فوق الأرض يمثل أرستقراطية متعجرفة وهو قد آثر الدعة واللين وعمت بين أفراده الاشتراكية فامحت الفروق حتى بين الجنسين وأصبحت الأرض له حديقة غناء ملأى بالأزهار والرياحين ، فليس ما يشغل باله سوى تبادل الحب والتنعم بطيبات المآكل

واللعب الهادىء والاستحمام فى الأنهار والتمتع بالنوم المريح؛ وفريق ثان يعيش تحت الأرض يدير أعمال الصناعة ويعد الإنسان الأعلى بضرورياته وكمالياته، ولا يخرج هـذا الفريق من كهوفه إلا ليلاً، فأصبح النور يؤذى عينيه؛ ولذا كان سلاح البطل الوحيد الذى يتقى به شر تلك المملكة المظلمة هو عود الثقاب يشعله فتهرب منه تلك المخلوقات الحقيرة كما تهرب الخفافيش من وهج الشمس الساطعة

وقد ارتقى الطب فى العالم الجديد ارتقاء مثالياً فلم يعد يخشى شر الأوبئة بعد، وعم الأمن سائر أرجائه مما بعث فى النفوس الضعف والارتخاء والكسل

ويشعر المسافر أن الشقة بينه وبين عالم ذلك العصر الذهبى أكثر اتساعاً من الشقة التى تفصل أبناء لندن عن زنوج أفريقيا. ولذا يجد من الصعب جداً أن يشرح لرفاقه مظاهر التقدم والحضارة شرحاً وافياً. ترى ماذا يستطيع زنجى نزل لندن وشاهد ابتكارات العلم فيها أن يصف لقومه إذا ما رغب التحدث عنها؟

ولا أحب أنا أن أطيل فى الوصف الذى حدث به المسافر، فالإيجاز هنا يقلل من روعة الخيال وسموه؛ وأفضل أن يعود القارئ إلى الكتاب فيتمتع بالجو الذى يخلقه ويلز ويطلع على آرائه المبنية على الفكرة العميقة والنظر الثاقب؛ وتقدر هذه الآراء حق قدرها إذا علمنا أنه قدم اقتراح لأن يصبح ويلز «نبى العرش» كما أن هناك «شاعر العرش». وذلك لكثرة ما حدث ويلز عن مستقبل العوالم القادمة، ولكثرة ما أصاب فى كثير من تنبؤاته

وقبل أن ينتهى المسافر من قصته الشائقة التى تذكر برحلة «جمفر» فى بلاد «ليليبت» يخاطب رفاقه بصوت هادئ رزين: «لا أتوقع أن تصدقوا كل أقوالى، غير أنى أترك لكم أن تظنوا بى ما شئتم من الظنون. اعتبروها كذبة أو نبوءة، قولوا إنها حلم أو تأمل لمصير الإنسانية، وإننى عند ما أحاول تأكيد صحتها إنما أفعل ذلك لأزيد فى لذة القصة وجمالها؛ ولنفرض أنها رواية فماذا ترون فيها؟»

هـذا ملخص موجز لكتاب آلة الوقت، وبودى أن أنبه إلى أن هذه الفكرة العلمية — الزمان بعد رابع — التى زين بها ويلز جيد روايته كانت قبساً مشعاً استنار به ناموس النسبية، ذلك الناموس الذى يعد بجدارة أقصى ما توصل إليـه العقل البشرى من الكمال فى التحليل الرياضى الطبيعى. هل الزمن حقيقة بعد رابع؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه فى البحث القادم

(الجامعة الأمريكية — بيروت) خليل السالم



كيف يرى الأستاذ المراغي الإصلاح ولا ينفذه

نشكر للأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة عنايته بإصلاح الأزهر، لأنا نعتقد أن عنايته بهذا الإصلاح ستكون من أكبر العوامل في تحقيقه، لما للرسالة من المكانة بين الناس عموماً، وبين الأزهريين خصوصاً

وقد طلب الأستاذ الجليل من الكتاب أن يشرحوا الحوائل التي تعترض هذا الإصلاح، وتمنع الأستاذ المراغي من تنفيذ ما وضعه في ولايته الأولى على الأزهر، وهأنذا أبين في إيجاز تلك الحوائل

فإصلاح الأزهر على الوجه الذي يريده الأستاذ المراغي وغيره من المصلحين، يقتضي أن نفتح باب الاجتهاد في علومنا كلها، وفتح باب الاجتهاد في تلك العلوم يقضي على الكتب التي تدرس فيها من مئات السنين، والقضاء على تلك الكتب يقتضي خلق أزهر جديد، ويقضي على الأزهر القائم الآن، وهنا تعمل غريزة حب البقاء عملها، وتقف المصالح في سبيل الإصلاح، وهي مصالح الكثرة الغالبة في الأزهر، لأن أنصار الإصلاح بيننا قلة لا تذكر. وقد أراد الأستاذ المراغي أن ينفذ ذلك الإصلاح في ولايته الأولى، فوقفت تلك الكثرة في سبيله، وألجأته إلى ترك منصبه، فلم يشأ في هذه المرة إلا أن يلاين تلك الكثرة، ويتغاضى عن تنفيذ الإصلاح الذي يراه، حتى تتهيأ له الأسباب، فانصرفت النفوس عن الإصلاح تبعاً لانصرافه عنه، وصارت تمنى بأمور أخرى من الوظائف وما إليها، حتى استفحل الداء، وأعضل أمر الدواء

ورأيي أن هذا الإصلاح لا يمكن تنفيذه بدون معونة الحكومة، فهي التي نفذت بالقوة أولى الخطوات فيه، وهي التي تستطيع بقوتها أن تنفذ هذه الخطوة الأخيرة منه.

« عالم »

تيسير الكتابة العربية

درست لجنة الأصول في مجمع فؤاد الأول للغة العربية مختلف المقترحات التي قدمت إليها في شأن تيسير الكتابة العربية وإدخال الشكل في صلب الحروف تخلصاً من الخطأ في الضبط وتسهيلاً للكتابة المشكولة في المطابع. وفي مقدمة المقترحات التي عنيت بها اللجنة مقترح للأستاذ علي الجارم بك، وقد نظرته في جلسات متعددة، وأدخلت عليه بعض التعديلات، وينتظر أن يعرض قريباً في صورته النهائية مذكرة لتطبيقه مكتوبة بالقواعد المرسومة فيه، فإذا أقرته اللجنة أدرج في برنامج الاجتماع المقبل لمجلس المجمع

مأساة الفقهاء في عهد إسماعيل

أشار أحد الكتاب الأفاضل في مقال له بالعدد (٤١١) إلى هذه الواقعة إشارة عابرة. وأحسب أن كثيراً من ناشئة هذا الجيل — وأنا منهم — يجهلون كل الجهل وقائع هذه المأساة على قرب عهدها في تاريخنا المديد شأن كثير من حادثات هذا الوطن جهلتها أو تجاهلتها كتب التاريخ الحديثة التي بين أيدينا

فهلا تفضل أحد علماء الأزهر الأفاضل الذين يكتبون في «الرسالة» فحدثنا حديث هذه المأساة... وإنا له لشاكرون...

«المنصورة» عبد الفتاح صبحي عطية

دخول أل على غير

ذكرتني الكلمة التي كتبها الأديب أحمد حلمي العباسي في العدد ٤١٢ من الرسالة عن دخول أل على غير، ببحث كنت نشرته في جريدة الأهرام منذ عامين في هذا الموضوع، خرجت منه يومئذ - مؤيداً بمعاجم اللغة وكتب النحو - بعدم جواز دخول أل عليها لأنها متوغلة في الإبهام لا تتعرف

ثم نشب على صفحات الأهرام جدال عنيف حول هذا البحث ولكنه لم ينته إلى رأي حاسم؛ وكانت شواغل الامتحان وشواغل العيش.

ولقد تبين لي في أثناء مطالعاتي طوال تلك المدة أن ذلك الرأي لا يخلو من تعسف، ذلك أني وجدت أكثر المؤلفين القدامى في اللغة والأدب ينصون في كتبهم على أنها كلمة مبهمة

لا تدخل عليها أل ؛ ثم أراهم يقعون فيما منعوه وهذا غريب . فالأشمونى والصبان وابن هشام والأمير وأصحاب شروح التلخيص وغيرهم يذكرون (الغير) عشرات المرات مع أن منهم من نصّ على تخطئتها

وليست (غير) وحدها التى حرمت أل ؛ بل كذلك (كل) و (بعض) ؛ والمؤلفون يعرّفونهما فى كتبهم

ثم رأيت ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ينص على أن ذلك لا يجوز ؛ ولكنه يبيح لنفسه استعماله فى مواطن خاصة فيقول : « وقد استعملتُ فى كثير مما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمى بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم الكل والبعض والصفات الذاتية والجسمانيات ونحو ذلك مما لا يخفى على من له أدنى أنس بالأدب ، ولكنا استهجنّا تبديل ألفاظهم ، فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم » اه .

وتلك حجة تؤيد الدكتور زكى مبارك فى بعض ما يذهب إليه من آراء فى اللغة . . .

ثم أراد الله أن أهتدى — فى كتاب من كتب الفقه — إلى تعليل لإدخال (أل) على هذه الكلمات ، والحق أنه تعليل طريف اطمأنت له نفسى ، وقرت به عينى

كنت أقرأ فى (باب الحج عن الغير) فى حاشية ابن عابدين فوجدت طِلِبتى عفواً . وهأنذا أنقل ما وجدت إلى القراء . قال ج ٢ ص ٢٤٢ : « اعترض فى الفتح بأن إدخال أل على غير غير واقع على وجه الصحة ، بل هو ملزوم الإضافة . اه

لكن قال بعض أئمة النحاة : منع قوم دخول الألف واللام على غير وكل وبعض وقالوا : هذه كما لا تتعرف بالإضافة لا تتعرف بالالف واللام . وعندى أنها تدخل عليها فيقال (فعل الغير كذا) (والكل خير من البعض) . وهذا لأن الالف واللام هنا ليست للتعريف ولكنها المعاقبة للاضافة ، لأنه قد نص أن غيراً تتعرف بالإضافة فى بعض المواقع ، ثم إن الغير قد يحمل على الضد ، والكل على الجملة ، والبعض على الجزء ، فيصلح دخول الألف واللام عليه أيضاً من هذا الوجه ؛ يعنى أنها تتعرف على طريقة حمل النظير على النظير ، فإن الغير نظير الضد والكل نظير الجملة والبعض نظير الجزء ، وحمل النظير على النظير سائغ شائع فى لسان العرب كحمل الضد على الضد كما لا يخفى على من تتبع كلامهم . وقد نص العلامة الزمخشرى على وقوع هذين الحملين وشيوعهما فى لسانهم فى الكشاف . أفاده ابن كمال » اه

قلت : فى هذا مقنع وغناء ، فقل (الغير) حيث تشاء

محمد محمود رضوان

المدرس بالمدرسة التوفيقية

أمتاع الأسماع

قرأت — فى الرسالة عدد ٤١٢ — كلمة الأخ الصديق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن كتاب « إمتاع الأسماع » الذى ألفه المقريزى ، وكان لى شرف تصحيحه وشرحه ، وإنى لأشكر للأخ الكريم ثناءه وحسن ظنه بأخيه . جزاه الله عنى أفضل الجزاء

وقد استدرك الأخ الأستاذ بعض ما فاتنى من الخطأ ، فله الشكر على اهتمامه وحسن تَهَدِّيه ويقظة عينيه ، وإن صحّ لى أن أقول شيئاً تعقيباً على استدراك الأستاذ ، فلست أزيد على أن التصحيح المطبعى صناعة وفنّ قبل أن يكون علماً ودراية ، وكل ما استدركه — إلا الفقرة الأولى يدخل فى باب تصحيح الأخطاء المطبعية ، فالأخيرة منها مثلاً ، وهى : « من هوزان » ص ٤٠١ مذكورة فى هذا الوجه نفسه مرات كثيرة على الصواب « هوازن » بتقديم الألف على الزاى — لا كما جاءت فى تصحيح الأستاذ نفسه « هوزان » كما فى الإمتاع !! — ، ولكن تنبُّه الأُستاذ إلى مثل هذه الأُخطاء يدل على دقة وبصر ، وأنه يحسن التصحيح المطبعى وذلك لما جُبِل عليه من الهدوء والوداعة

وأما الفقرة الأُولى من استدراكه ، وهى التى جاء فيها تعقيبه على هذا الرجز : ص ٢٢٣

« اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
. . . .
إن الأُلى قد بغوْا علينا . . . .

وقوله : إن صواب الأول : « لا همّ لولا أنت ما اهتدينا » وإن صواب الأخير : « إن الألى لقد بغوا علينا » ، ثم تعجبه من أن يفوتنى ذلك الاختلال فى وزن الرجز ، وأنا شاعر وعروضىّ !! فإنى أبرأ إليه من نسبة العروض ، فطالما أفسد العروض ما بينى وبين أصحابى من الشعراء ، وليس الأمس ببعيد

ورواية الأول : « اللهم لولا أنت ما اهتدينا » ، هى الواردة فى الأصل ، وفى البخارى وفى مسلم (شرح النووى ج ١٢

ص ١٦٦) ، وفى أكثر كتب التاريخ والسير والحديث . وقد جاءت الرواية التى ذكرها الأستاذ فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٢ ص ٥١ ، وجاءت رواية أخرى : « والله لولا الله ما اهتدينا » فى البخارى ج ٥ ص ١٠٩ ، وأخرى : « والله لولا أنت ما اهتدينا » فى مسلم (شرح النووى) ج ١٢ ص ١٧٠ و ١٧١ ، وقال النووى فى ذكر الرواية الأولى ج ١٢ ص ١٦٦ ما نصه : « كذا الرواية » قالوا : وصوابه فى الوزن « لاهم » ، أو « تالله » ، أو « والله لولا أنت » كما فى الحديث الآخر : « فوالله لولا الله ... »

ورواية الأخير : « إن الألى قد بغوا علينا » هى الواردة فى الأصل أيضاً ، وفى البخارى فى مواضع ، وفى مسلم ج ١٢ ص ١٧١ ، وفى أكثر كتب السيرة والتاريخ والحديث . وجاء فى مسلم ج ١٢ ص ١٧٠ : « والمشركون قد بغوا علينا » ، وفى ص ١٧١ منه ما نصه : « وربما قال [يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم] : إن الملا قد بَغَوْا علينا » ، وهى فى اختلال الوزن كالرواية الأولى التى أثبتناها . ومثلها فى ذلك أيضاً رواية من روى : « إن الأعادى بغوا علينا »

وقد نص شرّاح كتب السير ، وشراح البخارى ، على أن هذا الرجز ليس يَتّزن (أنظر العينى ج ١٤ ص ١٣٢ ، وابن حجر ج ٧ ص ٣٠٨) ، ولم يصححوه أو يبدلوه إلى ما يتزنُ ، مما جاء فى الروايات الأخر ، كالذى ذكر الأستاذ « إن الألى قد بغوا علينا » ، وهى رواية ابن سعد ج ٢ ص ٥١

فإذا كان أصحاب العلم والدراية والبصر بالرواية لم يفعلوا ما أرادنى الأستاذ على أن أفعله — من حيث أنى عَرُوضى كما يقول ! — فلى العذر تابعاً لهم ، مقتدياً بهم ، حريصاً على ألا أبدّل أو أحرف ما اتفق عليه الأصل الذى أطبع عنه ، والروايات المتعددة التى جاءت فى أصح الكتب إسناداً أو رواية وتحريراً بعد كتاب الله

هذا ، والكلام عن مثل هذا الرَّجَز — وما يقع فى بعض أوزانه من الاختلال والاضطراب — يفضى إلى القول فى المواضع التى كان يُنشَدُ فيها ، وكيف يكون إنشادُه ؟ ولِمَ يُتجاوز فيه عن الوزن ؟ ولو نظر الأستاذ الشاعر إلى صلة هذا الرَّجَز بما كان من الصحابة فى حفر الخندق ، وحملهم التراب فى المكاتل ، وسيرهم مصعّدين ومصوّبين . متوافقين فى الإنشاد يمدُّون به أصواتهم مختلطة مرتفعةً ، لعَلِمَ عِلْمَ ذلك ، ولكفانا مؤونة الجرى وراء العروض ، أهو يتّزنُ أو لا يتزن ؟ حتى يبلغ بنا ذلك إلى تبديل الروايات وتحريفها ، وقد جاءت عمن كان أعلم منا بالشعر والعروض

وأخيراً ، أشكر للأستاذ هذه الهمة التى دفعته إلى النظر والتنقيب ، والبحث والتنقير ؛ وأثنى عليه بما هو له أهل ، وأسأله أن يتغمّد خطأ أخيه بما أعرفه من نبله وعلمه وفضله والسلام

محمود محمد شاكر

ابرهيم طوقان !

ألقى إلىَّ بريد فلسطين صباح الثلاثاء الماضى رسالة من نابلس ، وجّهتها « لجنة تأبين الشاعر الأديب المرحوم إبرهيم طوقان » ...

وإنه لما يضاعف الحزنَ على الفقيد الشاب والإحساسَ بشدة المصاب فيه ، ألا يَذيع نعيُه إلا مع الدعوة لتأبينه ، وقد كان من المنزلة بين شعراء العربية وأدبائها بحيث يحس فقدَه كل من تربطه به صلةٌ من الود أو صلةٌ من الأدب فى مختلف أقطار العربية .

وما أريد أن يُذهلنى مصابى فيه عن توجيه العتب إلى أصدقائه وخاصته فى فلسطين : كيف فاتهم أن يَنْعَوْه يوم نعوه إلى أدباء مصر ، وهو كان أقرب صلة وأدنى منزلة ، وله فيهم عشرات من الأصدقاء الأوفياء يعرفون فضله ويُعجبون بأدبه ؟

ألا إن الخطْب فى إبرهيم ليس خَطب أسرته وأهله ولا خطب أصدقائه فى نابلس وفلسطين ، ولكنه خطبُ كل أديب عربى تذوق من شعره ، أو اطلع على نتائج رويّته وبحثه ، أو استمع إلى صوته فى المذياع من محطة القدس العربية ...

ولكنه قد مات ، واخترمته المنون فى نضرة الصبا وعنفوان الشباب ، وهذا ناعيه ينعاه ... فماذا على أصدقائه بعد ؟

لقد عاش إبراهيم حياته عزوفاً عن الشهرة ، بعيداً عن الفخر والادعاء ؛ فما عرفه حق العرفان إلا طائفة قليلةٌ من قراء

العربية وإن كان فى حقيقته بالمنزلة التى لا يتسامى فلانٌ وفلان من ذوى الألقاب الأدبية . وإن له على أصدقائه اليوم لحقاً يقتضيه الأدب ويقتضيه الوفاء : أن يذيعوا ما يعرفون من فضله وينشروا ما طواه من أدبه ؛ وإنه لجدير بأطيب الذكرى وأحسن الثناء !

وها أنذا أعتمد على كرم صديقى الأستاذ الزيات ، فأدعو من يشاء من خاصة الفقيد وأهله وذوى ودّه ، أن يبعثوا إلى الرسالة بما يريدون أن يعرف الأدباء عن طوقان الشاعر المحقق الأديب ، وإن فى صدر الرسالة لَسَعة لمن يشاء أن يسجل آية من آيات الوفاء للشاعر الشاب الذى وهب حياته للعربية ومات فى ميدان الجهاد !

أما الدعوة لتأبينه وضجة الحرب تبتلع الأصوات ، وتردّ الألسنة فى الأفواه ، فدعوة إلى غير نتيجة وعمل ليس فيه غناء !

وعزاء إلى أسرة الفقيد وأصدقائه ، وإلى فلسطين الصابرة المأجورة .

محمد سعيد العريان

إلى علماء الإسلام

يا أحق الناس بالحلم وأولاهم بسعة الصدر ، هبوا لى بعض وقتكم وانزلوا لأتفاهم معكم ، فإن كنتم على صواب تعلمت منكم واعتذرت لكم ، وإن كنت محقاً فارجعوا إلى الصواب مأجورين مشكورين !

أرى الإقبال على الأزهر الشريف والمعاهد الدينية فى ازدياد مستمر ، وأجد المتخرجين منها كثيرين كثرة ملحوظة ؛ فأسائل النفس لم يفنى كل هؤلاء الطلبة ربيع حياتهم فى الجلوس إلى المعلمين واستذكار الدروس ، لينالوا شهادة لا يوظف بها إلا القليلون ، أم ليظهروا على الناس بعلمهم ويفرضوا عليهم احترامهم ، أم ليلزم كل منهم صومعة ويعبد الله بعيداً عن الدنيا ومن فيها

إن كانت هذه هى الغاية فما لهذا يعمل ذو عقل ، وما لهذا يصح لإنسان أن يعيش عالة على أهله نصف عمره أو يزيد ؛ وقد كان الأفضل أن يستثمر شبابه فى زراعة أو صناعة أو أى عمل فيفيد ويستفيد

لم تتعلموا إذن لشىء من هذا ولكن لقصد أشرف وغرض أنبل ؛ تتعلمون لتعملوا ، ولتعلموا الناس فيعملوا

إن كان ذلك كذلك فالواقع لا يقره ، والمشاهد ينكره ولا يؤيده ؛ فليس هناك منكم إلا فئة أقل من الضئيلة تحاول ذلك بطريقة عتيقة تكاد لا تتغير ، وما أثمرت ولن تثمر أبداً

أنظروا إلى عددكم تخفكم كثرتكم ، وفتشوا عما أفادت الأمة منكم ، ثم أجيبونى : هل نحن فى بلد إسلامى به مثل هذا الجيش من العلماء

ألا فاعلموا أن بعد الموت حساباً ، وأنكم ستسألون يومئذ عما فعلتم بعلمكم

الدين صحيح مدعم بالحجج القاهرة والبراهين القاطعة ، وعقول الناس مهيأة لتلقيه متى حسنت طريقة تلقينه . فهلا قمتم من رقادكم ، وأفقتم من غفوتكم ، وجمعتم صفوفكم ، وتدارستم أمركم بينكم ، ثم استنبطتم وسائل جديدة للدعاية لدينكم ، ثم ألفتم لجاناً وجمعيات وعلمتموه للناس وحببتموه إليهم

لا تحصروا نشاطكم فى وعظ من بالمساجد ، فلا يؤمها إلا الصالحون أو المتشبهون بالصالحين

علموا الناس حيث وجدتموهم . علموهم فى دور الملاهى والصور المتحركة والمقاهى والحانات والمنتديات والمتنزهات . عظوهم فى الشوارع والأزقة والمآتم والأفراح . عظوهم فى الصحف والكتب والمجلات والمذياع وعلى الشاشة البيضاء

لا تقولوا لهم إن الله أمر بقطع يد السارق ، وقتل القاتل ، ورجم الزانى ، ولا تقولوا لهم أدوا الصلاة فى أوقاتها ، وأخرجوا زكاة أموالكم ، وصوموا وحجوا ؛ ولكن بينوا لهم الحكمة فى كل شىء ، واشرحوا لهم الضرر فى إتيان ما نهوا عنه والفائدة فى اتباع ما أمروا به ، وعرفوهم ما يلاقيه المتدين من انشراح صدر وجميل عزاء ونعومة بال

صفوا لهم الرجل الكامل (الأسبور والجنتلمان) ، وقارنوا بينهما وبين متخلق بأخلاق القرآن ، وأروهم الفروق بينهم ، واشرحوا لهم أن الدين لا يتنافى مع المدنية الحقة إن لم يكن أصلها ومبدعها

جزيرة مبت عقبة — إمبابة

مصطفى جوهر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 414 — Lundi - 9 - 6 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة — « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ — الموافق ٩ يونية سنة ١٩٤١ » — العــدد ٤١٤

الفهـــرس

صفحة

٧٤٥ إلى السيدة « ليلى » ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٧٤٧ الاسلام والعلاقات الدولية : الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
٧٥٠ الحديث ذو شجون .. ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٧٥٤ الحياة الزوجية فى نظر الأسلام : الأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى
٧٥٧ صديقى موبسان ... ... : الأستاذ محمد عبد الغني العطرى
٧٦١ أمل يضيع ... ... : السيدة الفاضلة « ليلى » ...
٧٦٢ فى اختلاط الجنسين ... ... : الأستاذ محمود محمود بسيونى
٧٦٤ مدن الحضارات فى القديم والحديث ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٧٦٦ راهبة الشقية ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
أكذوبة السلوان « : الأستاذ سيد قطب ... ...
٧٦٧ هل الزمن بعد رابع ؟ ... : الأستاذ خليل السالم ...
٧٧٠ نصوص من الشرائع المصرية القديمة . ...
حول الرحلات العربية ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٧٧١ إلى الأديب إبراهيم نجا ... وإلى الأب أنستاس ... ... : الأستاذ محمد محمود رضوان ..
المرحوم إبراهيم طوقان فى العراق : الأستاذ السيد إبراهيم سالم
٧٧٢ بطن الشاعر ... ... : الأديب إبراهيم على أبو خشب

حول مشكلة الزواج

إلى السيدة « ليلى »

لم تَعْدِى الصواب يا سيدتى حين قلت فى كتابك الرقيق المدْرَج فى مقالك البليغ : إن لكل من الشباب والشواب معايب ومطالب قد تعاونت على خلق مشكلة الزواج ؛ ولكن السبب المباشر والمصدر الأول هو المادة

وتصديقاً لقولك أسوق إليك قصة سمعتها من بطلها الدكتور « م . ش » . والدكتور « م . ش » يا سيدتى فتى سَوِىّ الخَلق كامل الثقافة ، يملأ البصر والسمع بروعة منظره وبراعة حديثه . نشأ فى بيت من أوساط البيوت ، ولكنه تعلم فى أوربا ، وتقدم فى الوظيفة ، فنحا منحى الأوربيين فى العيش ، وسَمَتَ سَمْتَ الأرستقراطيين فى المظهر ؛ فهو يلبس كما يلبسون ، ويجلس حيث يجلسون ، ويلح بالسرف على مرتبه الكافى حتى يضيق بشهواته فيتمزق عند منتصف الشهر ، ثم يكون فى النصف الآخر حيلة على والديه

حسبك يا سيدتى من وصفه هذا ، فإنى لأخشى أن يُكشَف فيُعرف ؛ ومعرفته تجر إلى معرفة الفتاتين اللتين ضحى بهما لهواه ؛ وإذا علمت أسرتاهما أنهما ذُكرتا فى موضع العبرة ، كان ذلك أشد على نفوسهما من ألم المصيبة :

قال الدكتور ذات مساء بلهجة المقترف المعترف النادم ونحن نتناقل الحديث عن جنسك الذى لا يفتُر عنه الحديث ولا يُمل :

كنت مصروفاً عن الزواج لأنى لم أجد فى نفسى حاجة إليه ولا فى رأيى فائدة منه . إن كان يطلب للمتعة الطبيعية فقد يسرتها المرأة الطليقة ؛ وإن كان يطلب للراحة المنزلية فقد هيأتها الأسرة الشفيقة ؛ ومادام الأنس بالمرأة والأسرة موفوراً ، فعلام يُحتمل عنت الزوجة وهم الولد وتكاليف البيت ؟ ولكن سَرفى وترفى وقلة مرتبي وضيق ثروة أبى ، نبهتنى إلى أن الزواج يطلب لأمر ثالث : هو الثروة . فرغبت إلى أمى أن تستعين بالأقارب والصواحب والخواطب على أن تجد لى (بنلة المشر) ، فقذَفن على عينى أشتاتاً من العبقريات الحسان يملكن كل شىء إلا ما أريده ، حتى وصلتنى إحدى الخاطبات بفتاة قالت إنها أكثر مما أطلب . ثم خلى أهلها بينها وبينى ، فتلاقت عينانا ، ثم فكرانا ، ثم قلبانا ، فما أنكرت منها خلقاً ، ولا ذممت لها صحبة : ملاحة شرقية تسترق البصر ، وثقافة عصرية ترضى العقل ، ورشاقة رياضية تملك النفس ، وشهوة جامحة لعيش المترفين تصور لها بالألوان السحرية أى قصر ستسكن ، وأى حلة ستلبس ، وأى سيارة ستركب ، وأى حفلة ستقيم ، وأى أسرة ستدير ؛ فرأيت فى رغباتها وحياتها صورة رغباتى ونمط حياتى ، كأنما خلقها الله رضاً لهواى وتحقيقاً لمناى وتماماً لنفسى . ثم توثقت بيننا على جلوات الربيع وخلواته عرى المحبة ، فتساقينا كؤوس الهوى فى كل حديقة وعلى كل نهر ، وأخذنا نهدهد حبنا الوليد على أناشيد الأمل انتظاراً ليومنا الموعود وعيشنا المرتقب !

على أن وحدة الخلق وجُمة الأمل وألفة الهوى لم تُنسنى السؤال عن المحبوب الأول والمطلوب الأولى وهو المال . ولشد ما كانت خيبتى حين تكشّف لى غناها عن دَين فادح لا ضمان له ، ورياء فاضح لا حيلة فيه . حينئذ تغير النظر وتبدل الرأى واختلف الغرض ، وأصبحت الخطيبة الحبيبة كمشرات الأوانس اللائى عقدتُ بهن أسبابى ، وأذقتهن ضلال نفسى وعبث شبابى . إذن فما معنى أن أجمع بين طمعى وطموحها ، ثم لا أملك لى ولا لها تحقيق أمل ولا قضاء نَهمة ؟

مشيت معهامشى الشباب المعروف أعدُّها وأمنّيها، والخواطب الموعودات يمشين الدور ويقتحمن الخدور باحثات عن الثراء الضخم فى أى فتاة كانت ؛ حتى اهتدين إلى ابنة المرحوم (م . باشا) وكان من الأغنياء المذكورين ، فلا مساغ للشك فى ثروته ، ولا وجه للسؤال عن ملكه . وكان العجب أن تظل ابنته مغمورة حتى تكشف عنها الخاطبة ، ولكن أعجب العجب أن يشترط أهلها عقد الزواج من غير رؤية ، وتعجيل يوم الزفاف من غير مهلة . وكان لا يعنينى أن أسأل الخاطبة عن حِلية الخطيبة ، فإنها إن تكن جميلة ظفرت بالحسْنيين ، وإن تكن دميمة كان لها منى بحكم زواجها بيت ، ولى مع غيرها بفضل ثروتها ألف بيت !

وفى الحق أنى تمثلتها حين دخلت بها كومة عالية من اللحم والشحم أضفوا عليها أفواف الوشى وشفوف الحرير ، وفى ذروة الكومة نتأ رأس كرأس أبى الهول طوقوا أسفله بالذهب ، وتوجوا أعلاه باللؤلؤ . ولا تسل عن الذراعين والساقين فإنهن قوائم فيل أو أساطين هيكل ! ولكنها على بدانتها — شهد الله — خفيفة الظل عذبة الروح . وحسبى منها ألا تكون هولةً تُقذى العين وتؤذى النفس فى الساعات القليلة التى ألمُّ بالبيت فيها

أطلقتْ يدى فى ثروتها ، على الرغم من معارضة أسرتها ، فمشت عيش الأمراء السفهاء أنفق باليدين على خليلاتى وندماى وهى تنظر وتُغضى ، وتسمع وتسكت ، كأنما وازنت بين جمالهن وجمالها ، وقارنت بين حالى وحالها ، فلم يسعها غير الرضا بهذا النصيب . وكنت قد خدعت خطيبتى الأولى عن نفسها بقوة النقود والوعود فخضعت لى خضوع النوّمة . ثم ركض بى فى طريق الغواية فرس الهوى الجموح ، وخلفت فى غبار النسيان حليلة يذيبها فقدُ زوجها ومالها فتموت ، وخليلةً يدلهها ضياع أملها وشرفها فتُجن ! …

* * *

لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الأبصار . ما كان حديثاً يُفترى ؛ ولكنه الواقع ياسيدتى يثبت لك أن المال إذا جُعل غاية للزواج كان شقاء لمن وجدته ولمن فقدته على السواء . فهل سمعت حديثاً كهذا الحديث ، أو رأيت خبيثاً كهذا الخبيث ؟ ؟

احمد حسن الزيات

الاسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الشيخ محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة

[عقدت رابطة الاصلاح الاجتماعى مؤتمراً فى شهر أبريل الماضى عالج فيه الخطباء مسائل شتى من الاسلام والاصلاح الاجتماعى ، وكان من بحوثه القيمة هذا البحث الممتع للفقيه الكبير الأستاذ محمود شلتوت وكيل كلية الشريعة ، وهو نوع جديد من البحث الفقهى يسهل على الناس تناوله ، ويبين لهم بعض كنوز الفقه الاسلامى وما فيه من قواعد يظن كثير من الناس أنه لم يعرض لها]

مقدمة

كان العالم ـ قبيل الدعوة الإسلامية ـ يتخبط فى ظلمات داجية من الشرك والوثنية ، والجهل والعصبية ، والظلم والاستبداد

كانت الظاهرة العامة التى تنتظم الوجود إذ ذاك هى الفساد فى كل شىء : فساد فى العقائد ، فساد فى الأخلاق ، فساد فى العلائق الاجتماعية ، فساد فى نظم الحكم والسياسة

كان الناس يعيشون فى أسر الأوهام والأباطيل والشبهات والعقائد الفاسدة . كانت الغرائز الحيوانية والطباع الوحشية مسيطرة على أخلاقهم وتصرفاتهم ، بينما الصفات الإنسانية فى غفلة وذهول

كانت علاقة الفرد بالفرد والأمة بالأمة تقوم على أساس الموازنة بين الضعف والقوة : يفتك الأقوياء بالمستضعفين ، ويستلب القادرون حقوق العاجزين ، ويستنزف الغالبون دماء المغلوبين .

كانت قاعدة السياسة بين الحاكمين والمحكومين هى شهوات الرؤساء ورغبات المسلطين : يتحكمون فى الرقاب والأموال والأرواح والأعراض ماشاء لهم الهوى والغرض ، وما أسعفتهم عوامل القوة والبطش والجبروت

من أجل ذلك قضت حكمة الله أن ينتشل العالم من حمأة هذا الفساد ، وأن ينقذه من براثن هذه الفوضى ، وأن يداويه من تلك الأمراض الفتاكة التى تفشت تفشى الوباء فى جميع الأرجاء

وهكذا بزغت شمس الإسلام ، فبددت ذلك الظلام

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم »(١)

عناصر الدعوة الإسلامية

تتلخص الدعوة الإسلامية مهما تشعبت فروعها فى مبدأ واحد هو (دعوة العالم إلى الخير) . فإذا أردنا أن نفصل فى هذا المبدأ بعض التفصيل قسمناه إلى نواح ثلاث هى :

التوحيد ، والمساواة ، والعدل

١ — أصلح الإسلام بالتوحيد فساد العقيدة . فدعا الناس إلى احترام عقولهم بهجر ما كانوا عليه من الأوثان ، معلناً أن للكون رباً عظيما ، وإلهاً مدبراً حكيما ، هو الجدير وحده بأن يعبد .

(لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير)(٢)

ولم يخرج بهذه الدعوة على أصل الفطرة وطبيعة الإنسانية ، ولم يخالف بها ديناً من الأديان قبله

(فطرة الله التى فطر الناس عليها)(٣)

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)(٤)

٢ — وقرر بالمساواة مبدأ الوحدة الإنسانية التى لا تعرف التفريق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين عنصر وعنصر

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا : إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(٥)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء . واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)(٦)

٣ — وقضى بمبدأ العدل على الظلم والتحكم والاستبداد ، وأقر به الأمن والطمأنينة والرضا ، ولم يفرق فيه بين قريب وبعيد ، ولا بين عدو وصديق ، ولا بين مؤمن وكافر :

---

(١) الآية : ١٦ — سورة المائدة
(٢) الآية : ١٠٣ — من سورة الأنعام
(٣) الآية : ٣٠ — الروم
(٤) الآية : ١٣ — الشورى
(٥) الآية : ١٣ — الحجرات
(٦) الآية : الأولى — النساء

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)(١)

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)(٢)

على هذه الأسس بنى الإسلام سياسته الإصلاحية فيما بين المسلمين والمسلمين ، وفيما بين المسلمين وغيرهم من الأمم المختلفة .

والذى يهمنا فى هذا البحث هو استخلاص القواعد التى وضعها الإسلام تنظيما للعلاقات الدولية : وذلك ينتظم :

١ — القواعد التى ينظم بها علاقته بالدول الأخرى

٢ — القواعد التى ينظم بها علاقته بمن يعيشون فى بلاده من غير المسلمين

العلاقة بالدول الأخرى

إن العلاقة بين المسلمين وغيرهم لا تخرج عن إحدى حالتين : إما حالة سلام ووئام ، وإما حالة حرب وخصام . وفى ضوء ما تقدم نرى الإسلام ينظر إلى الحالة الأولى على أنها الحالة الطبيعية الأصلية ، ولا يطالب من غير المسلمين فيها إلا أن يخلوا بينه وبين ما يريد من الدعوة إلى مبادئه دون أن يضعوا فى طريقه العقبات ، أو يثيروا أمامه الفتن والمشكلات . ذلك بأن دعوته هى دعوة الحق والعقل والصلاح والرشاد ؛ وأن العقول إذا خليت وشأنها ارتاحت إليها وآمنت بها عن طريق الاقتناع والرضا ، لا عن طريق الإلجاء والقهر

(أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن(٣)) (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن(٤)) (لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى(٥)) (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين(٦) !)

وهكذا يقرر القرآن أن الدعوة إلى الله لا يكون طريقها الإلجاء والقهر ؛ وإنما يكون طريقها الحجة والبرهان . ولو تركه الناس يسرى بحجته وبرهانه ، وخلوا بينه وبين العقول ، ولم يضعوا فى طريقه العراقيل ، لما سفكت قطرة واحدة من الدم فى سبيل الله ، ولغزت دعوته العقول ، ونفذت إلى القلوب

والإسلام يسلك فى هذه الدعوة السلمية الإقناعية كل طريق تواضع عليه الناس فى دعوتهم إلى المبادئ ودفاعهم عنها ، وبيانهم لمزاياها : من خطب فى المجتمعات ، ومن كتب يرسلها إلى الملوك والرؤساء ، ومن وفود يتلقاهم ويحسن وفادتهم ، ويبين لهم ما يدعو إليه

وفى ظل هذه السلم يترك الناس فى شتى معاملاتهم إلى طبيعتهم وما يرون أن يسيروا عليه من نظم : يتركهم يتعاملون ويتبادلون المنافع ويتعاونون ويختلطون ، لا يقيدهم فى ذلك بقيد إلا ماتقتضيه طبيعة الشريعة بالنسبة للمسلمين من حظر أنواع من التعامل والعلاقات كالربا وزواج الكتابى من المسلمة ، وزواج المسلم ممن لا تدين بدين سماوى ونحو ذلك

ولا يحظر الإسلام على المسلمين أن ينشئوا بينهم وبين غيرهم من العلاقات ما يرونه مصلحة لهم وعونا على حياتهم فى شئون التجارة والصناعة والسياسة والعلم والثقافة : ينظمون ذلك على الوجه الذى يتبين صلاحه ، والذى تقضى به سنن الاجتماع الفطرية ، والذى لا يتعارض مع دستورهم الخاص

وقد وضع القرآن الكريم أساس الدستور لهذه العلاقة السلمية إذ يقول :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين)(١)

فهذه الآية تبيح للمسلمين أن ينشئوا ما شاءوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم فى الدين أو الوطن ، بل تجيز أن تصل هذه العلاقات إلى حد البر بهم والإحسان إليهم

هذه هى الحالة الأولى : حالة السلم والوئام ؛ أما الحالة الثانية : حالة الحرب والخصام ، فقد نظر الإسلام إليها من نواح متعددة :

١ — نظر إلى الحرب فى ذاتها كأمر تدعو إليه طبيعة الاجتماع البشرى ، فلم يحاول أن ينكرها ، ولا أن يعارض مقتضيات الفطر فيها ، ولكنه اعترف بها كوسيلة لا بد منها لدفع العدوان ، وتقليم أظافر الطغيان ، وكبح جماح المفسدين : اعترف بها لأنه يعلم أن طبيعة البشر وسنة الاجتماع كثيراً ما تفضيان إلى التنازع ، والبغى ، والتنكر للحق ، والاعتداء على

(١) الآية : ٢٥ — الحديد (٢) الآية : ٨ — المائدة
(٣) الآية ١٢٥ النحل (٤) الآية ٤٦ العنكبوت
(٥) الآية ٢٥٦ البقرة (٦) الآية ٩٩ يونس

(١) الآية : ٨ من الممتحنة

الحريات ، والفتنة فى الدين . والإسلام شريعة عملية إصلاحية لا تغمض عن الواقع ، ولا تسترسل وراء الخيال . ولو لم يقرر الإسلام الحرب ويعترف بها لتكون وسيلة من وسائل المقاومة ودفع العدوان ، وإزالة العقبات من طريقة دعوته إلى الخير العام ، لقضت عوامل الشر والفساد التى تؤازرها دائماً قوى الطغيان والعناد على هذه الدعوة وهى فى مهدها ، ولحرمت الإنسانية أن تجتنى ثمراتها الطيبة فى معاشها ومعادها

وإن القرآن ليرشد إلى هذا المعنى واضحاً إذ يقول :

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولـكن الله ذو فضل على العالمين)[١] (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)[٢]

تلك هى نظرة الإسلام إلى الحرب من حيث تقريرها والحكم بمشروعيتها

٢ — وقد نظر الإسلام كذلك إلى أسبابها الداعية إليها نظرة تتفق وغايته من الصلاح العام والمساواة بين الناس والسير فيهم على سنن العدل والرحمة ، فلم يبح امتشاق الحسام بدافع الرغبة فى الفتح والاستعمار ؛ ولم يرض عن حروب العسف والظلم والاضطهاد التى كانت وما زالت تثيرها عوامل الجشع والطمع والاستغلال ، ورغبة التسلط على الضعفاء ، واستنزاف الموارد ، والتضييق على عباد الله . واعتبر كل حرب فى هذه الدائرة حرب ظلم واعتداء لا يليق صدورها من أمة تحترم الإنسانية وتعرف لها حقها ، وبذلك حصر الحرب فى أسبابها المعقولة ، وضيق فى دائرتها تضييقاً يتناسب مع كونها ضرورة من الضرورات !

وهذه الأسباب هى :

(ا) دفع الظلم والعدوان

(ب) إقرار حرية التدين

(ج) الدفاع عن الأوطان

وإن القرآن ليرشد إلى ذلك فى عدة مواضع إذ يقول :

(١) الآية : ٢٥١ البقرة

(٢) الآية : ٤٠ من سورة الحج

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »[١] « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين »[٢] « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله »[٣]

وأساس الدستور العام فى ذلك قوله تعالى :

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »[٤]

٣ — وقد وضع الإسلام بعد ذلك للحرب نفسها نظاماً تشريعياً مفصلاً قوامه العدل والرحمة واحترام الحقوق والغيرة على الإنسانية

وهذا النظام منه ما يسبق الحرب ، ومنه ما يكون فى أثنائها ، ومنه ما يكون فى نهايتها

(البقية فى العدد الآتى)

محمود شلتوت

(١) الآية : ١٩٠ من البقرة (٢) من الآية : ٣٦ . التوبة

(٣) الآيتان ٣٩ ، ٤٠ من الحج (٤) الآية : ٩ من الممتحنة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

حرية الرأي في القديم والحديث — التضامن الأدبي — المال والبنون — الباقيات الصالحات من الشمائل الانسانية — لاتنزعجوا — تهديد طريف!

حرية الرأى

كنت قلت : إن الناس فى عصور الظلمات كانوا يجهرون بآراء لا نستطيع روايتها فى هذا الجيل ، فهل يكون معنى ذلك أن القدماء كانوا أشجع ؟ وهل يكون معناه أنهم كانوا أبصر بمذاهب النفوس ، وأقدر على تصريف الآراء ؟

الواقع أن أرباب الفكر فى هـذا العصر أكثر نفاذاً إلى الدقائق ، وأعرف بشؤون المجتمع ، وأهدى إلى أسرار المشكلات والمعضلات ، بفضل ما أتيح لهم من وسائل الفهم والإدراك

فكيف يتفق أن يكون المحصول الفكرى فى هذا الجيل أقل من أمثاله فيما سلف من الأجيال ؟ أو كيف جاز أن يمرّ محصولنا الفكرى بدون ضجيج يوقظ غافيات العقول ؟

يرجع السبب فيما أرجّح إلى ظاهرتين تتصل أولاهما بالقارئ وتتصل الثانية بالكاتب ، وفى تفصيل ذلك أقول :

كان القراء قديماً من الخواصّ ، أو خواصّ الخواص ، بسبب شيوع الأمية ، وبسبب غلاء المؤلفات ، أو ندرتها فى بعض الأحايين ، فقد قضى ابن خلدون عمره وهو يتشوف إلى الاطلاع على جزء من كتاب الأغانى ، ولعله مات قبل أن يظفر بما يريد . وحدثنا صاحب « الطراز » أنه عجز كل العجز عن الوصول إلى مؤلفات عبد القاهر الجرجانى فى البلاغة ، مع أنه كان على جانب من الغنى والجاه ، وعلى اتصال بجماعة من الأمراء فى مختلف الحواضر الإسلامية (١) وعرفنا فيما قرأنا أن بعض الباحثين كان يقصد مناسك الحج لينادى علناً فى عرفات عن رغبته فى اقتناء كتاب لم يستطع الوصول إليه برغم ما بذل فى سبيله من عناء

هذا يؤكد أن القراء قديماً كانوا من الخواص ، أو خواص الخواص ، وذلك هو السر فى عدم تهيُّب المفكرين من إعلان ما يجول بصدورهم من آراء وأهواء ، فقد كان المفكر يحادث قراءه كما يحادث أصفياءه ، لثقته بأنهم فئة ممتازة تفهم عنه مايريد بلا تزيد ولا تحريف ، وذلك أيضاً هو السر فى أن تعابير القدماء تغلب عليها الصراحة ، ويَسود فيها الصدق ، وقد تُوصَم بالعُرْى فى بعض الأحيان

ولا كذلك القراء فى هذا العصر ، فهم يُعدّون بالألوف وألوف الألوف ، فمن العسير أن يكونوا جميعاً من الخواص ، وربما جاز القول بأن جمهرتهم من العوامّ ، أو عوامّ الخواصّ ، وهذه الحال تفرض على المفكر أن يحتاط فى عرض ما يجول بصدره من آراء وأهواء ، وذلك هو السبب فى أن تعابير أهل العصر تعوزها الصراحة ، ويقل فيها الصدق ، ولا تخرج سافرة أو عارية ، كبعض تعابير القدماء ، وإنما تخرج ملفوفة فى أثواب من الرمز والإيماء والتلميح ، إن لم يحملها الإسراف فى حب السلامة على التدثر بأثواب من المداهنة والمصانعة والرياء

فإن رأيتم جماعة من المفكرين يدورون حول أغراضهم فى تردد وتهيب وإشفاق فاعرفوا أنهم يصانعون قراءهم « الألباء » ، واذكروا أنهم لا يملكون من حرية التعبير غير أطياف ، وإن قيل وقيل بأنهم يعيشون فى القرن العشرين !

وهل كان التفاوت بين طبقات القراء هو كل ما يعوق الفكر فى هذا الجيل ؟

هنا يجيء القول بالفرق بين حال الكاتب فى هذا العصر وحال الكاتب فى العصور الماضية

فالكاتب قديماً كان فى أغلب أحواله رجلاً قليل التأثر بضجيج المجتمع ، لأن آراءه لم تكن تصل إلا إلى جمهور ضئيل يُعد أفراده بالعشرات أو بالمئات ، ولأنه لم يكن يفكر إلا قليلاً فى التطلع إلى المناصب التى تفتقر إلى ثقة المجتمع ؛ فأكثر المفكرين القدماء لم يكونوا رجال سياسة ولا رجال أعمال ، فقد كان فيهم جماعات يعيشون فى عزلة رهبانية ولا يهمهم غير التعبير عن أغراضهم بحرية وصراحة وجلاء ، ولم يتعرض منهم للأذى والقتل غير من طاب لهم أن يواجهوا مشكلات السياسة أو معضلات الدين

أما الكاتب فى هذه الأيام فله حال وأحوال

هو أولاً رجل يخاطب الألوف وألوف الألوف ، وفيهم أذكياء وأغبياء وأعداء وأصدقاء ، وهو عن مراعاة أهوائهم مسئول

وهو ثانياً رجل يهمه أن يتمتع بحقوقه المدنية ، وقد يتسامى

---

(١) كان صاحب الطراز يلقب بأمير المؤمنين

إلى كبار المناصب ، وذلك يوجب الحرص على مسالمة المجتمع فى أكثر الشؤون

الكاتب فى هذه الأيام يعرف جيداً أنه يعيش تحت رقابة عنيفة من الدولة ومن المجتمع ، وهو مقهور على مراعاة تلك الرقابة مادام يتطلع إلى بعض المناصب العالية ، وهى مناصب لا تمنحها الدولة إلا لمن يرضى عنهم المجتمع ، وهنا يكون الخطر على حرية الفكر والرأى ، ويكون الجحود لما وهب الله الناس من قلوب وعقول

التضامن الأدبى

وبعد عرض هذه الصورة التى تمثل ما صرنا إليه نوجّه الأسئلة الآتية :

هل من مصلحة مصر — ولها الزعامة الأدبية فى الشرق العربى والإسلامى — أن يشعر المفكرون من أبنائها بأنْ لا سبيل إلى الظفر بما تؤهلهم له مواهبهم من كبار المناصب إلا بمصانعة الدولة ومصانعة المجتمع ؟

وهل من الخير لمصر أن تكون مناصبها العلمية والأدبية وقفاً على من يملكون أكبر نصيب من القدرة على إخفاء ما يثور فى صدورهم من آراء وأهواء ؟

وهل من الممكن أن يزدهر الأدب العربى وهو مصدودٌ عن الترجمة الصحيحة للأزمات التى تضطرم فى صدور أهل هذا الجيل ؟

وكيف تقوى لغتنا على منافسة اللغات الحية وهى أداة ضعيفة بسبب الكَبْت المفروض على قادة الفكر وحَمَلة الأقلام ؟

نترك الدولة ونترك المجتمع إلى أن تفهم الدولة ويفهم المجتمع أن حرية الفكر والرأى هى المزية التى يُفضَّل بها الشعوب على بعض ، ونسأل رجال الفكر والرأى عن واجبهم فى حماية الأقلام والعقول ، وما سألناهم هذا السؤال إلا ونحن نعرف أنهم آخر من يتقدمون لحماية الفكر والرأى من عدوان المخادعين والمرائين

ومعاذ الأدب أن أنكر أن الأدباء يتعاونون ويتساندون من وقت إلى وقت ، ولكنى مع ذلك أشعر بأن التضامن الأدبى غير موجود بمعناه الصحيح

وكيف أطمئن إلى وجود التضامن الأدبى وأنا أعرف أن الأديب لا يجد من ينصره إذا تنكرت له الدولة أو تنكر له المجتمع ؟

الأديب لا يعيش عيشاً مقبولاً فى مصر إلا إذا راض نفسه على شمائل ينفر منها الذوق فى أكثر الأحيان ، كأن يعلن أنه راضٍ عن كل ما اتفق عليه العُرف من عادات وتقاليد ، وكأن يتبرأ من كل من يتعرض لنقد الشرائع والقوانين

لا يعيش الأديب فى مصر إلا إذا تخلق بأخلاق فلان .

وفلان هذا رجل عاقل إلى أبعد حدود العقل . هو رجل يواجه قومه بما يحبون ، فيدعوهم إلى السلم إن جنحوا للسلم ، ويدعوهم إلى الحرب إن مالوا إلى الحرب ؛ وهو يساير أهواءهم بخضوع لا نظير له ولا مثيل ، وكأنه جمل مشدود إلى ظواعن القطيع !

ولفلان هذا زملاء يشاطرونه التمتع بنعمة « العقل » ولن يتقدم الأدب على أيديهم خطوة واحدة ، لأن الأدب لا يحيا إلا فى جو الحرية الفكرية والوجدانية ؛ ولأن الأدب لا يعترف بوجود المرائين ، ولو جُنّ الدهر فخلع عليهم أثواب الغنى والأمان[1] .

الأدب ينتظر ثورة وجدانية وروحية وعقلية ليمان حقه فى الوجود

الأدب يطمع فى أن يكون أداة التعبير عما فى هذا العصر من أوهام وأحلام وحقائق وأباطيل ، فيرج الأذهان والعقول بأقوى وأعنف مما يصنع الزلزال

الأدب يريد أن يكون صوراً صوادق لما عند أهل العصر من فجور وعفاف وإلحاد وإيمان ، ليشعر الناس بأن الأدب ليس زخرفاً من القول ، وإنما هو بعث وإحياء

ولكن الأدب سيظل مقيداً مغلولاً إلى أن يعرف أهله قيمة التضامن الأدبى ، فمتى يعرفون ؟ ومتى نطمئن إلى أن حرية الرأى لها أنصار بين أعلام الفكر وأقطاب البيان ؟

لو ضمنا عطف الأدباء بعضهم على بعض لزهدنا فى رفق الدولة وعطف المجتمع ، فنحن ننتظر أن تقوم للأدب دولة تعصم أبناءها من التعرض لأذى الجاهلين ، وتغنيهم عن انتظار الرزق الحرام ، وهو الرزق المجلوب بمصانعة أهل الغفلة والجمود

المال والبنون

كنت أنكر على علماء النحو أن يقولوا إن واو العطف لا تفيد الترتيب ، وكانت حجتى أن البليغ يقدم الأهم على المهم حين يعطف بالواو ، بدليل قول القرآن : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فما قدّم المال إلا لأنه آثر فى زينة الحياة من البنين

ثم تذكرت هذه الحقيقة النحوية حين قرأت كلمة الأستاذ عباس العقاد فى التعقيب على الكلمة التى نصصت فيها على حقوق الوارثين ؛ فقد كنت قررت أن انعدام الميراث يشل العزائم

(١) شخصية فلان شخصية رمزية تصور جوانب من المجتمع الأدبى ، ولا يراد بها التعريض بفلان .

الإنسانية ، ويروض الناس على الاكتفاء بجمع ماينفعهم يوماً بيوم

ويرى الأستاذ العقاد أن طلب المال كطلب العلم ، فهو فطرة لا تتوقف على التوريث ولا على ما يعقبه الآباء للأبناء

وهذا الرأى حق ، وقد تذكرت به الكلمة المنسوبة إلى الرسول : « جائعان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال » ، أو لعله قال : « منهومان » ، فما أذكر بالضبط نص هذا الأثر النفيس

وصدق الأستاذ العقاد فيما رواه من أحوال ناس ليس لهم أعقاب ولا يُخشى على أموالهم النفاد لو بسطوا فيها الأكف بالإنفاق عشرات السنين

وأنا لم أبعد من الصدق حين قررت أن انعدام الميراث يشل العزائم الإنسانية ، فأمامى أحوال كثيرة تشهد بأن الرجل تفتُر عزيمته فى جمع المال حين يشعر بأن أملاكه قد تصير إلى غير من يحب من الأقربين ، أو حين يرى أن أبناءه ليسوا من النجباء ، وأن أملاكه قد تبدَّد بعد موته بقليل . وتلك أحوال يعرف منها الأستاذ العقاد مثل الذى أعرف ، وهو نفسه قد نصَّ على لون من لوعة الآباء حكاه له الدكتور يعقوب صرّوف

الذى يهمنى هو رأى الأستاذ العقاد فيمن يجمعون المال ويحرصون عليه مع يقينهم بأنه لا وارث لهم غير من يتمنون لهم الموت من لئام الأسباط أو لئام الأقرباء

ما رأى الأستاذ العقاد فى هؤلاء من الوجهة الأخلاقية ؟

الجمهور يرى هؤلاء من الغافلين ، وقد نُظِمت فيهم أشعار ، وقيلت فيهم أمثال ، وتعقَّبهم الناس بالغمز واللمز فى جميع العصور وفى جميع البلاد

أما أنا ، فأرى هؤلاء على جانب عظيم من قوة الإحساس بالوجود ، وأراهم نماذج حسنة من الوجهة الخُلُقية ... ولـكن كيف ؟ وهل من السهل أن ننقض نظرية رحب بها الناس منذ مئات الأجيال ؟

أخاطر مرة جديدة فأقول : إن حب المال دليلٌ على العافية الروحية ، فما يحب المال غير الأصحاء ، ولا يزهد فى المال غير الأموات أو أشباه الأحياء

والمال يفرض على محبيه أن يكونوا من أهل النشاط والنظام والتدقيق ، وتلك شمائل لا يتصف بها غير أهل العافية الروحية وإن أعوزَتهم العافية البدنية . أما الزاهدون فى المال ، فهم خلائق ضعاف لا يصلحون لدنيا ولا دين

والشخص الميت هو الذى لا يعرف قيمة المال ، ولا يفهم — لأنه ميت — أن المال سناد الأحياء ، وأنه شاهدٌ على أن أصحابه أدَّوا واجبهم فى مصارعة أمواج الوجود

وأنا أؤكد هذا القول بعنفٍ يصل إلى الإلحاح البغيض ، لأنى أرى أهل مصر فى احتياج إلى من يدق ناقوس الخطر ليذكرهم بوجوب التأمل فى هذه المعانى

أنا أكثرت من القول فى هذه الشئون ، حتى صح للدكتور إبرهيم ناجى أن يقول فى إحدى المحاضرات بأن أدب زكى مبارك مستوحًى من غريزته فى حب الحيازة والامتلاك

ولو كان هذا القول صدقاً فى صدق ، لبحثت عن أسلوب غير الأسلوب الذى ارتضيته فى حياتى ، وهو احتراف التعليم والتأليف ، فمن المؤكد أن الأوقات التى أبذلها فى خدمة الحياة الأدبية ، كانت تجعلنى أغنى الناس لو بذلتها فى الاتجار بالتراب

الحياة خدعتْنا فزينت لنا احتراف التعليم والتأليف ، فما الذى يوجب أن نطوى عن قومنا ما فطنَّا إليه بعد فوات الوقت ؟

نحن نرى أن جمع المال ليس بعيب ، ونحن ندعو مواطنينا إلى الاعتصام بالمال ، فقد قدمه الله على الاعتصام بالبنين

المفتونون بجمع المـال هم فى نظرى أعرف الناس بقواعد الأخلاق !

وهل أخطأ أسلافنا حين قرّروا أن الغنىّ الشاكر أفضل من الفقير الصابر ؟

الفقر كريه الطعم ، قبيح اللون ، فاقتلوه حيث ثَقِفتموه

الفقر فضيحة علنية . الفقر أكبر الذنوب ، وأشنع العيوب

حاربوا الفقر ، حاربوه ، حاربوه ، فهو أقدر البلايا على إذلال الرجال !

يقول المثل الفرنسى : « قل لى مَن تصاحب ، أقل لك من أنت »

وأنا أقول : « قل لى ماذا تملك ، أقل لك من أنت »[1]

أقبح عيب يوصَم به الغنى هو البخل ، وأقبح عيب يوصَم به الفقير هو السؤال ، وما أبعد الفرقَ بين البخل والسؤال !

---

(١) لا يا دكتور ! مَثلك هذا يزيفه التدقيق أو التطبيق ، فهل سمعت بثروة (الفربى) ؟ (الرسالة)

هل يعرف الشافلون من الذين يشتمو ننا ظالمين أننا لم نَدْعُهم إلا إلى إكرام أنفسهم بالحرص على طلب الرزق الحلال ؟

الذي لا ينفق عشر ساعات من كل يوم فى طلب الرزق ليس بأهل للعيش

والذي لا يحمل من همه أن يعيش مستوراً ويموت مستوراً ليس بأهل للظفر بنعمة الكرامة الذاتية

والذي يعجز لفقره عن إنجاد إخوانه من وقت إلى وقت لا يجوز له التوهم بأنه من أحرار الرجال

الغِنَى أجل مظاهر من مظاهر الأخلاق ، جعلنا الله جميعاً من الأغنياء !

الباقيات الصالحات من الشمائل الإنسانية

يذكر أخونا الزيات — حفظه الله ورعاه — أنى أرسلت إليه كلمة سايرنى خيالها فى تجوالى بين الإسكندرية وأسوان ، وأنه طوى تلك الكلمة لأسباب لا يجهلها القراء ؛ فهل أستطيع أن أسجل أن الإنسانية لا تزال فيها شمائل من الباقيات الصالحات ؟

من شمائل الإنسانية فى هذا العصر أن من الممكن أن تُعفَى بعض المدائن من أهوال الحرب ، إذا شاء أهلوها أن يجعلوها فى أمان من البلاء

ومن شمائل الإنسانية فى هذا العصر أن يُعفَى (اتحاد البريد) من التعطيل ، ولو وُجّهتْ رسائله إلى ميادين الحروب

وبفضل هذه الشمائل الإنسانية حمل إلىّ البريدُ كتاباً من حضرة الأستاذ غالب المؤيد العظم ، وهو يعلن رضاه عن مجلة الرسالة ، وعن المقال الذى نشرتُه بعنوان : « الفرد هو الحجَر الأول فى بناء المجتمع »

فإلى ذلك الأستاذ الفاضل أقدّم أصدق التحيات ، وأرجوه أن يعفينى من نشر قصيدته فى الثناء على صاحب ذلك المقال

وإن عاد السلام فسيكون لنا مع أصدقائنا فى جميع البلاد العربية أحاديث وأحاديث

لا تنزعجوا

ظن القراء أنى قد أطيع جماعة الثائرين فأنسحب من الميدان الأدبى ، فكتب فريق منهم رسائل طريفة يدعوننى فيها إلى الثبات فى الميدان

وأجيب بأن أعز أصدقائى هم أولئك الثائرون ، وأنا بثورتهم مزهوٌّ مختال ، لأنها تشهد بأنهم يسايروننى بيقظة والتفات ، فثورتهم ليست إلا فناً من فنون الإعجاب

والحق كل الحق أنى لا أفكر أبداً فى إيذاء قرائى بعرض ما قد ينكرون من المذاهب والآراء ، وإنما أنا مسئول أمامهم عن التزام الصدق فى جميع الأحوال ولو تعرضت لغضبهم المهتاج ؛ وثورتهم علىّ بسبب الصدق أخف وأهون من ثورتهم على بعض الناس بسبب الرياء

إن الكاتب الذى يرائى قراءه ليس بأهل للحياة الأدبية ، ومن الواجب أن نقول للقراء بصراحة إننا لا نستوحيهم ولا نستهديهم ، حتى ننتظر ما يتفضلون به من حمد وثناء ، وإن كان الحرص على منافعهم أول ما يشغلنا حين نمتشق القلم فى سبيل الحق ، وهل كان هوانا إلا فيضاً من هواهم ، وإن غفل بعضهم عن حقائق ما نريد ؟

وإذن فمن حق السيد ناصر الدين النشاشيبى أن يطمئن إلى أننا لن نخرج أبداً من الميدان الأدبى ، ولن نأتمر أبداً بأوامر أهل الحقد والبغضاء

تهديد طريف

وبهذه المناسبة أذكر أن قارئاً لا أسميه هدد بالكتابة إلى الأستاذ الزيات ليبلغه آراء القراء فى صاحب هذا الحديث !

وأقول إنى تطوعت بتبليغ هذه الآراء إلى الأستاذ الزيات وإلى جميع القراء ، فما الذى يراد من أمانتى أكثر من ذلك ؟

أنا أشتهى أن أرى فى الدنيا أقواماً يغضبون ويحقدون ، فما تأخر الشرق إلا لعجزه عن الغضب والحقد ، وهما من شواهد الحيوية فى الغرائز والطباع

إغضبوا واحقدوا ، ثم اغضبوا واحقدوا ، غير باغين ولا عادين ، وكونوا رجالاً يؤذيهم ما يكرهون فيثورون عليه ثورة الحليم العاقل الحصيف

إغضبوا واحقدوا ، يا بنى آدم من أهل مصر والشرق ، ولا تنسوا أن الذى أملى عليكم دروس البغض والحقد هو الكاتب الذى يحبكم أصدق الحب :

زكى مبارك

الحيـــاة الزوجية

في نظر الاســـلام

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

ـ ٢ ـ

خطبة الزواج

يحدثنا عن دعوة الإسلام إلى الزواج ؛ لأنه الرباط الوثيق ـ أولاً ـ بين الأفراد فى محيط الجماعات الصغيرة ، ولأنه ـ ثانياً ـ الدعامة التى يرتكز عليها البنَاء القوى فى تكوين شعوب ، وقبائل يعمر بها الكون ، وتؤدى رسالة البشرية بما يجرى على يدها من الإنشاء والإبداع والتعمير ، وإبراز ما أودع الله فى الكائنات من أمارات وجوده . وذلك هو مظهر الحياة الذى كان من أجله آدم خليفة فى الأرض عن ربه ، وكانت خلافته على هذا النحو إرثاً بين أعقابه إلى ما شاء الله

فإن يكن تكوين الجماعة القوية المنظمة هو الهدف الأهم الذى يرمى إليه الإسلام من وراء الحياة الزوجية ، فمن شأن الإسلام أن يرشدنا إلى طريق الدخول فى حوزة هذه الحياة ، ومن شأنه أن يقيم لنا على جوانب هذه الطريق معالم لا يضل معها من استجاب للدعوة

ومن الحصافة ـ وقد فعل الإسلام ـ أن يأخذ المرء نفسه بالتبصر ، والأناة ، وتقدير الغاية ، حتى إذا أقدم أقدم عن بينة لا يشوبها تردد ، ولا يلاحقها ندم

وقد حدثنا الرواة أن الاتصال الزوجى على عهد الجاهلية كان على ضروب شتى ، وكانت نظمهم فى ذلك وليدة عرف قاصر مشوه ، وأخلاطاً من عادات موروثة ملفقة ؛ لذلك لم تخل وسائلهم فى الحياة الزوجية من أنواع معيبة لا تكفل سلامة النسل من الدخالة ، ولا تأتى بنظام للجماعة على النحو ولا قريباً من النحو الذى يتوخاه الإسلام

جاء الإسلام فعزف عما كان لدى الأعراب من الوسائل ، وعفى عليها ، إلا وسيلة واحدة فيها سمو بالمرأة عن الريبة ، وسمو بالرجل عن الطيش والرعونة ، وفيها صيانة للأسباب أى صيانة

تلك وسيلة الخطبة التى تدور حولها آى القرآن وأحاديث الرسول ، وعليها جرى العمل بين سلف المسلمين ، وبين الخلف الذين لم يعصمهم أفن الرأى وانحلال العقيدة ، ولم ينزعوا إلى فوضى الجاهلية الأولى ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

يقول الله تعالى : « الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ... » فهذا شق من آية كريمة ، يحدثنا — على أنسب الوجوه فى تفسيرها — بأن الخبيثات من النساء لا يستأهلن من الأزواج إلا الخبيثين ، فمن كرمت نفسه من الرجال ، وضن بمروءته عن مواطن الذلة والهوان فبعيد عليه أن يجنح إلى خبيثة ساقطة يتخذها زوجة له . وكذلك الخبيثون من الرجال لا يستحقون إلا خبائث النساء ، فمن ربأت بها العزة ، وامتزج بها الشمم ، تحاشت أن تجعل نفسها فراشاً لرجل ساقط المروءة ، وضيع النفس ، هين الكرامة

فإذا ما بخل كل ذى كرامة من الجانبين بنفسه عن لوثة الاتصال بالخبيث — تهيأ له أن يكون مع من يدانيه شرفاً وطهراً ، ويناسبه أدباً وخلقاً ؛ وهذا ما تهتف به الآية فى شقها الثانى ، إذ يقول تعالى : « ... والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات » ففى هذا الشق إشادة بالنساء الطيبات ، وإغراء للرجال باختيارهن ، وكذلك إشادة بالطيبين ، وأغراء للنساء الطيبات باختيارهم أزواجا

فنحن نرى من هذا السياق حثاً قوياً « لكل من الرجل والمرأة على التنزه عن اختيار الوضيع قريناً له ، ونرى فيه حثاً قوياً على اختيار الطيب للزيجة ، فكلا الزوجين مرآة تتمثل فيها صورة صاحبه » فلينظر المرء : على أى شكل يحب أن يراه الناس ؟

ويقول تعالى : « الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ... » فهذا شق آخر من آية ثانية ، فيها تجريح مقذع للزانى ، حتى أنه فى الغالب لا يرغب أن يتزوج إلا من كانت على شاكلته ، أو كانت أخس منه ، وأبعد عن الإسلام إلى الشرك ؛ فهو لا يألف من النساء كرائمهن العفيفات ، إذ هو لا يبالى المعرة ، ولا يراعى لنفسه ولا لذريته حرمة ، مادام يتخذ الزواج وسيلة إلى قضاء لبانته الجنسية . . . وفى هذا تنفير لذات العفاف أن ترضى عمن عرف بالدعارة زوجاً لها ، وإنما تتركه لزوجة من فصيلته الزوانى

أو المشركات إن استطاع ، وتنتظر من الرجال من تشرف بشرفه وتحظى بالحياة معه معافاة فى دينها وسمعتها . وكذلك الشأن فى المرأة الزانية « ... والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك » فهى مُجرحَة مسخوطة ، ومبتذلة مستهجنة ؛ فما ينبغى لرجل عزيز على نفسه أن يرضاها ، وإنما لها من يشاكلها نزعة وخلقاً ، « وحرم ذلك على المؤمنين » . الكاملين فلم يبق من سبيل إلا أن يتجه الرجل فى خطبته إلى من تكون حرثاً نقياً له ، وتربة طيبة لبذور نسله ، وأن تتجه المرأة فى خطيبها إلى النبل ، أو كرم الطبع ، ومحاسن الرجولة ؛ ليكون البناء بهما قوياً متماسكا ، فيسدا فراغاً فى بناء الجماعة الكبرى — الأمة — ويكون لهما — بجانب ما يتوفر من هناءة وطيب حياة — فضل الاشتراك فى تكملة الصفوف ، وتكثير السواد بما ينجبان من ذرية كريمة المنبت

وهكذا ينصح النبى (ص) إلى الخاطب أن يأخذ بالحزم ، ويتفرس فى المخطوبة ما يفى برغباته : من شكلها ودينها وأصلها ، وما إلى ذلك مما جبلت النفوس على التطلع إليه ، ليتوفر الرضا ، ويكون المرء بنجوة من نزغات الطمع وخوالج النفس التى تحقّر ما لديه فيمد عينيه إلى غير ما يملك ، ثم لا يكون من وراء ذلك إلا امتهانه لما فى حوزته ، واكتئابه لما حرم منه ، وهو مخدوع بالأمانى ؛ والأمانىّ والأحلام تضليل

يقول النبى (ص) : « إذا خطب أحدكم المرأة ، فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها — زواجها — فليفعل »

وقال (ص) لرجل من أصحابه كان يخطب امرأة : « أنظرت إليها ؟ قال : لا ، قال (ص) : إذهب فانظر إليها »

وقال (ص) لرجل آخر فى شأن كهذا : « إذهب فانظر إليها ؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما »

يعنى — إذا رأيتها وأعجبتك كان ذلك أدعى لدوام الألفة بينكما . . . فإذا لم يستطع المرء أن ينظر ، لمانع قام فى سبيله ، فمن السنة أن يبعث من النساء من تستوضح له شأن المخطوبة ، وتتعرف له ما يعنيه من أمرها . وقد فعل النبى (ص) ذلك ، إذ رغب فى خطبة امرأة ، وأحب أن يعلم عنها ما يرغبه فيها ، أو يرغبه عنها ؛ فأرسل إليها امرأة ثقة ، وأمرها أن تنظر إلى قدميها ، وتشم رائحتها ... وإن يكن هذا حق الرجل فى خطبة المرأة ، فهو كذلك حق المرأة فى اختيار الرجل زوجاً لها ؛ لها أن تراه وتتفرس فيه ما يعجبها ، ولهما أن يتحدثا ليقف كل منهما على ما يصاحبه من لباقة أو لكنة ، ومن نشاط الذهن أو خموده ... ولكن على أن يكون هذا الاختبار فى غير خلوة ، بل مع وجود محرم للمرأة . وإن تكرر هذا فليس فيه من حرج إلى أن تطمئن نفس كليهما ، وللعرف شأنه فى تحديد هذا الاختبار بالقدر الكافى

وليس يدخل فى ذلك أن يجتمع الرجل بالمرأة فى جماعة من الرجال الأجانب ، فإن الحراسة المقصودة من وجود المحرم معدومة ؛ بل هذه من أشد أنواع الخلوة خطراً على حياة المرأة وعفتها ؛ فضلاً عما يجره إليها من الريبة وسوء الأحدوثة

كما أنه لا يدخل فى حدود الاختبار المباح أن يجتمع بالمرأة فى حضرة عدد من النساء . فإن انفراد النساء برجل واحد يعد فى الشرع من الخلوة المحظورة . ووجهة الإسلام واضحة فى ذلك ؛ فإن الأثر السيئ الذى ينشأ عن هذا الاجتماع لا يقف عند سمعة امرأة واحدة ؛ بل يتطاير شرره إلى هذا العدد من النساء جميعاً . والإسلام يدرأ الشر من أبعد طرقه ، ويحتاط له فى كثير من المبالغة ، حفاظاً على السمعة ، واستبقاء للشرف والكرامة ، وخاصة فيما يتصل بالأعراض . ولما كانت أسباب الرغبة فى المرأة كثيرة ، وتختلف باختلاف نزعات الرجال وميولهم ، بينها النبى (ص) أو بين أهمها وأولاها بالاعتبار فقال :

« تنكح المرأة — والنكاح فى كل ما نذكره معناه الزواج — لمالها ، وحسبها ، وجمالها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » فهذه أهم الأسباب التى ينبغى أن تدور حولها الرغبة فى الزواج ، وهى الأسباب التى ترى الناس يلتمسونها فى المخطوبة ؛ والنبى (ص) يُقرنا على اعتبار تلك المزايا . غير أنه لما كان الدين عند الناس فى الموضع الأخير من تقديرهم ، مع أنه خير ما يُرجى فى الزوجة — أكد علينا النبى (ص) أن نفضل ذات الدين على غيرها ، وأن نلتفت إلى الدين قبل سواه فيمن نريدها زوجة أمينة على الشرف ، وعلى طهارة النسل ، وأن نبنى منها نسباً ، ونتخذ منها صهراً

أكد علينا النبى (ص) أن نؤثر ذات الدين ، ولو لم تكن ذات مال ، ولا جمال بارع ، ولا حسب ، والحسب هم الأهل الطيبون ، وقد بالغ فى تأكيده حتى قال : تربت يداك ، وهذا

دعاء بالفقر فى أصل معناه ، ولكنه غير مقصود وإنما يجرى على لسان العرب فى مقام التنبيه على أمر ذى بال ، وهكذا أراد منه سيد العرب وأفصحهم (ص) ؛ فإن اجتمعت هذه المزايا لزوج محظوظ فذلك فضل من الله يشكر ، وإن اجتمع مع الدين بعضها فتلك نعمة لا تكفر . أما إذا ضاع الدين فى المرأة فلا خير فى مالها ، ولا حسنها ، ولا أهلها ، وفى هذا ينطق الوحى على لسان الرسول (ص) فيقول : « لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يرديهن ، ولا لمالهن فلعله يطغيهن ، وأنكحوهن للدين . ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل »

يريد النبى (ص) أن حسن المرأة — من غير دين يكون سياجاً لها — يدفع بها إلى مهابط الرذيلة . ويريد أن مالها — من غير دين تتوقر به — يحملها على الطغيان وسوء العشرة . ويريد النبى (ص) أن امرأة سوداء خرقاء — يعنى مخزومة الأذن على نحو ما كان معهوداً فى الإماء المملوكات — أو خرقاء ناقصة العقل مع احتفاظها بالدين : أفضل ممن خسرت دينها وإن بلغت من المال والجمال والحسب فوق ما يشتهى الرجال من المطامع

وليس القصد من الدين أن تصلى المرأة أو تصوم — مثلاً — وكفى ولو كانت سيئة الطباع ؟ — لا — بل التى هذب الدين أخلاقها ، وحفظ عليها حياءها ، واستمدت من روحه وآدابه تربيتها ، وإن ورثت هذا عن بيئتها وأهلها ؛ حتى لا تكون مبتذلة جارحة لسمعته ، ولا حمقاء متعبة فى عشرته ، ولا جشعة مستقلة لخيره ، متلفتة إلى غيره

وفى حديث آخر ينصح النبى (ص) باجتناب خصال ثلاث وباجتناب من عرفت بها أو ببعضها من النساء فيقول : « لا تتزوج حنّانة ، ولا أنّانة ، ولا منّانة » ؛ والحنانة : التى عرف عنها أنها تسخط حياة زوجها ، وتحن إلى عهدها قبل التزوج منه ؛ والأنانة : التى عرفت بالأنين والشكوى مما بيدها أو من حظها ، أو من صحتها ؛ والمنانة : التى ترى لنفسها فضلاً تمتد به على الزوج . فواحدة من هذه النقائص تنغص من راحة الزوج فى عشرتها ، وتخرج بها عن الإلف والامتزاج إلى الضغينة والشحناء واتساع الخلاف ؛ وما لشىء من هذا يراد الزواج

وهكذا يطلب من الرجل أن يكون ذا دين ، ويحث النبى على تفضيل المتدين على سواه ، مع مراعاة الوسائل الأخرى التى ينشدها الإسلام فى الزوج من خَلق وخُلق ، ومن قدرة على الحياة الزوجية ، ولياقة فى الحسب

فيقول (ص) : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه . إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » . يقصد النبى (ص) رعاية الدين والخلق ، والتنفير من الأحمق والفاسق وإن اجتمعت فيهما أسباب القبول بعد هذين . وإلا كانت حياة نكدة بين الزوجين ، وكان فساداً فى نظام الأسر ، وهدماً فى بناء المجتمع ، وشراً لا يقف عند حد ، والدين — كما نوهنا من قبل — حريص على استئصال الشر من جذوره

لم يكتف الإسلام بأن يطلب فى الرجل دينه وخلقه ، ولا بأن جعل للمرأة حق الرؤية كما جعله للرجل ، بل أعطى للمخطوبة حرية أوسع من ذلك ، ومكن لها أن تقبل فى صراحة أو ترفض فى شمم وإباء . فأمر النبى (ص) أن يؤخذ إذنها فى الزوج قبل العقد له عليها ، ومنع وليها أن يكرهها على من لم ترضه زوجاً لها إذا لم يكن كفئاً لها ، وعلى ذلك جرى الفقه الإسلامى ... ولقد جاءت فتاة إلى النبى (ص) فأخبرته أن أباها زوجها وهى كارهة لمن رضيه أبوها ، فأحضر النبى (ص) أباها ، وتبين منه صحة ما شكت منه الفتاة ، فخيرها النبى (ص) فى بقاء العقد أو بفسخه لها ؟ فرضيت — بعد — بمن رضى أبوها

« لها بقية »

عبد اللطيف محمد السبكى
المدرس بكلية الشريعة

من الأدب الفرنسي

صديقي موبســـان

MAUPASSANT

للأستاذ محمد عبد الغني العطري

مما لا جدال فيه أن الصداقة ضرب من لوازم الحياة الضرورية التي يندر أن يستغني عنها إنسان . فهي كالغذاء للجسد أو العلاج للمريض . ولكل امرئ في هذا المجتمع صديق يأوي إليه في وقت الضيق ، أو في ساعة السرور ، فيقتسمان الفرح والترح ، ويشتركان في السراء والضراء . والحياة دون صديق تبدو جافة قاتمة ، لا أثر فيها للعواطف الروحية السامية التي تربط القلب بالقلب وتصل الروح بالروح .

هذا الضرب من الصداقة نجده بين عامة الناس ، إذ لا بد لكل فرد من صديق . ولكن فريقاً من الناس في كل بلد وقطر ، يصاحب الكتب ويصادق الأدباء ، سواء منهم من كان في عالم الفناء الآجل ، أو في عالم البقاء الأبدي . هذا الفريق يتألف من طبقة المتأدبين والأدباء ، والكتاب والشعراء ، ويضاف إلى هؤلاء طبقة القراء المولعين .

* * *

منذ سنوات عدة بدأت أشعر بميل شديد إلى أدب القصة ، وأخذت أهيم بهذا الفن الجميل هياماً عظيماً ، فصرت ألتهم ما يقع بين يدي من روايات وأقاصيص ، وأبحث عما في الصحف والمجلات الكبيرة من رائع القصص . وبينما كنت ذات يوم أقلّب بصري في إحدى المجلات عثرت بقصة مترجمة عن كاتب لم أقرأ له شيئاً من قبل . فجلست أقرأ وأقرأ ... فلما انتهيت وجدُتني في عالَم جديد من أدب القصة لم أعرفه قبل ذلك اليوم ، عالم كله سحر وعطر ، وفن وجمال . وكنت أشعر وأنا أقرأ تلك القصة بأنها تتدفق بالذوق الفني الرائع ، وأنها قطعة تفيض بألوان بارعة التنسيق من الحياة . ومكثت بعد ذلك برهة أستعيد حوادث القصة ، وأسلوبَ عرضها الأنيق ، وحوارها الطريف ؛ فما نهضت من مجلسي يومذاك إلا لأذهب إلى إحدى المكتبات وأقتني بعض أقاصيص هذا الكاتب ، الذي لم يكن سوى « جي دي موبَسّان » .

منذ ذلك اليوم أصبح موباسان صديقاً لي حميماً ، لا أجد له مؤلفاً إلا اشتريته ، ولا يُكتب عنه شيء إلا قرأته ، وهو يجزيني من هذا الإخلاص خير الجزاء ؛ ففي كل مرة أجلس إلى قصة من قصصه أو رواية من رواياته ، يكشف لي عن نواح من فنه وعبقريته تزيد في حبي له وتضاعف من إعجابي به .

* * *

وإذا نحن حاولنا أن نكشف القناع عن سر عبقرية موبسان وفنه ، لم نستطع أن نُرجع السبب إلا إلى أمرين اثنين : الأول نبوغ فطري واستعداد طبيعي . والثاني تتلمذه على الروائي العظيم (غوستاف فلوبير) مدة سبع سنوات ، لقّنه في خلالها أصول الفن الحديث وقواعده العلمية الصحيحة ، حتى إن موبسان كتب بعد ذلك يقول : « لقد اشتغلت مع فلوبير سبع سنوات لم أنشر خلالها سطراً . وفي هذه السنوات السبع أعطاني معلومات أدبية لم أحصل عليها بعد أربعين عاماً من التجارب[1] »

والحق أن تتلمذ موبسان على فلوبير طوال هذه الأعوام صقل مواهبه وسدد خطاه ، ورانه على التأمل الطويل والتفكير الكثير في سبيل الفن وحده . وكان فلوبير خلال ذلك يأخذ بيد تلميذه في طريق السمو والإبداع ، ويقدم له خالص النصح ، وكان يقول له : « ليست الموهبة إلا صبراً طويلاً . إنها تقتضي تأملاً كافياً لكل ما يراد التعبير عنه ، مع كثير من الانتباه ، كي نصل إلى وصف منظر لم يره أحد ولم يصفه . لا يزال في كل مكان أشياء لم تُكشف بعد ؛ والسبب في ذلك أننا معتادون عدم استعمال نظرنا الخاص في التفكير والتأمل ، إلا ممزوجاً بما قاله الأقدمون . إن في أصغر شيء وأقله قيمة قليلاً من المجهول ، فلنبحث عنه . ولكي نصف مثلاً ناراً تتأجج أو شجرة في سهل ، يجب علينا أن نطيل الوقوف أمام تلك النار أو هذه الشجرة حتى نستطيع أن نخرج إلى الناس بوصف لا يشبه أي وصف لأية شجرة أو أية نار ، بهذا يستطيع الكاتب أن يكون مبتكراً مجدداً »

ويقول موبسان معلقاً على ذلك :

« وعند ما بسط فلوبير أمامي هذه الحقيقة التي تقول إنه لا يوجد في الكون كله ذرتان من الرمل ، أو ذبابتان أو يدان

(١) رينه دي منيل في كتابه « جي دي موبسان » صفحة ٩٦

أو أنفان متشابهين كل التشابه . أخذ يجبرنى على التعبير فى بضع جمل عن كائن أو شىء يميزه بوضوح من كل كائن وكل شىء من النوع ذاته والجنس نفسه »(١)

ولقد قسا صاحب « مدام بوفارى » على تلميذه قسوة شديدة فكان موبسان يكتب خلال تلمذته عليه كثيراً من الأقاصيص والروايات ، وينظم كثيراً من الأشعار ، ثم يعرضها على أستاذه فكان هذا يظهر له أغلاطه ويبسط له نقده ثم يُقدّم له النصح ويتلف ما كتبه التلميذ ، وكانت هذه القسوة من أكبر العوامل فى خلق عبقرية موبسان . إذ أنها كانت تدفعه إلى الإبداع والتجويد ، ولو كانت على غيره لفتتت مواهبه وقضت عليه القضاء الأخير ، ولكن النبوغ يقتحم كل عقبة ، والعبقرية تجتاز كل الصعاب . وظهر بعد ذلك موبسان فى عالم الأدب متسلحاً بكل ما يتطلبه فن القصة الرفيع من خيال واسع ، وموهبة فذة ، وعبقرية لا تبارى ، وكانت أولى ثماره فى الأدب قصة دعاها « كرة الشحم » كتبها بمناسبة حرب السبعين وفيها ينتصر للعنصر الفرنسى على العنصر الجرمانى ويظهر تفوقه عليه . وقد فازت قصة موبسان هذه على خمس من القصص كتبها فى الموضوع نفسه : أميل زولا وكيار وهويسمن وآلكسى وهانيك . حتى إن فلوبير الذى لم يكن يرضى فى بادىء الأمر عن نتاج موبسان الأدبى كتب يقول عنها : « إنها تحفة رائعة جداً فى إنشائها وتهكمها ودقة ملاحظتها »

ثم أخذ موبسّان يطل على الناس بنتاجه القصصى الرفيع الذى جمع كل ما فى الحياة من مشاهد وصور يمر بها الإنسان العادى فلا يجد بها ما يهزه أو يثير مشاعره ، ولكن القصصى المبدع يرى فيها خير مادة يغذى بها فنه ويستمد منها قصصه ، وما هى إلا أعوام خمسة عشر حتى استطاع موبسان أن يقدم للناس ثمانى عشرة مجموعة من الأقاصيص فى كل مجموعة منها نحو من خمس عشرة قصة . كل ذلك عدا سبع روايات كبيرة وثلاث مسرحيات وثلاثة كتب فى السياحة ومجموعة من الشعر

ولسنا نعجب لغزارة هذا النتاج الأدبى وكثرته ، ولكننا نعجب للسرعة والبراعة والقوة التى أبداها موبسان فى مؤلفاته عامة وأقاصيصه خاصة حتى لقد سُمى بحق « زعيم الأقصوصة الأكبر »(١)

أما ترى معى أيها القارىء أن موبسان كتب ما يقارب الثلاثمائة أقصوصة وقلما نجد بينها واحدة تمت بصلة إلى غيرها من أقاصيصه ؟ أما ترى أن أقاصيصه مختلفة الأشكال متباينة الألوان لا تربطها إلى بعضها سوى رابطة واحدة هى رابطة الفن ؟

لقد توفرت لموبسان جميع العناصر الفنية والأدبية التى تؤهله لأن يكون الزعيم الأقصوصى الأول ، فزخرت مواهبه بالصور الفنية والقطع الساحرة ، فأخرجها ألواحاً رائعة التلوين بارعة التنسيق يتمشى خلال سطورها الفن وينسجم ، وتلتمع بين ثناياها العبقرية وتفىء . ليس من العجيب بعد ذلك إذا علمنا أن الروائى الفرنسى الكبير ألكسندر دوماس كتب إلى موبسان يقول ، دون تملق أو مصانعة : « إنك أنت الكاتب الوحيد الذى أنتظر كتبه برغبة ملحة وصبر نافد »(٢)

كان موبسان فناناً بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وفيلسوفاً فى نظر كثير من الكتاب . أما أنه فنان فهذا أمر ما اختلف ولن يختلف فيه اثنان ، لأن فنه يتجلى بأوضح معانيه فى جميع أقاصيصه دون استثناء . ولنأخذ أية قصة شئنا من قصصه ولننظر فيها نظرة نافذة فاحصة فماذا نجد يا ترى ؟

إننا نراه يقدم لنا صوراً ومشاهد من الحياة الواقعية ، كثيراً ما نراها فى عصرنا هذا فى الحياة العملية . نراه يقدمها لنا فى كثير من السهولة والبساطة والوضوح ؛ ويظهر لنا أبطاله فى صور وألواح هى غاية فى الدقة والروعة والإبداع ، صور تميزهم من كل أبطال آخرين ، فى أية قصة أخرى ، لأى كاتب كان ، وذلك تطبيقاً لوصية أستاذه فلوبير ؛ كل ذلك دون أن ينسى أن ينطقهم بلغة الوسط الذى يعيشون فيه ، والمهنة التى يزاولونها . وحينئذ تنسى أنك تقرأ قصة لموبسان ، وتحسب نفسك أمام مشهد حقيقى تراه بناظريك ، وتسمعه بأذنيك . فإذا ما بلغت القصة نهايتها ، وصحوت من الحلم الجميل الذى هيأه لك الكاتب ، عجبت لاقتداره ودقة ملاحظته وعلو كعبه فى التصور والتحليل . وهو منذ السطر الأول الذى يخطه فى قصته ، حتى السطر الأخير منها ، يحاول بنجاح أن تكون رشيقة أنيقة ،

---

(١) مقدمة رواية « بييروجان » لموبسان صفحة (١٦) طبعة فلاماريون لامور سنة ١٩٣٦

(١) مقدمة « فرعون الصغير » للأستاذ محمود تيمور ص ١٨

(٢) « دومسنيل » فى كتابه « جى دى موباسان » ص ٢١١

متسلسلة الحوادث دون تكرار ، رائعة المفاجأة دون مغالاة أو ابتعاد عن الواقع

وموبسان يحب الحقيقة والواقع كل الحب ، والدليل على ذلك أنه نسج أقاصيصه ورواياته متبعاً فى ذلك المذهب الواقعى ولم يحد عنه إلا فى أواخر حياته الأدبية . والمذهب الواقعى فى نظر أكثر الكتّاب العالميين هو أقصى غاية الفن ، لذلك نرى «أميل فاجيه» يقول فى دراسته عن « بلزاك » : « من الجدير بالملاحظة حقاً أنه إذا كان المذهب الواقعى هو أقصى غاية الفن ، فليس أصعب من أن يكون المرء واقعياً »[1] . وبالرغم من ذلك ، فقد كان « موبسان » فى الطبقة الأولى من الكتاب الواقعيين . وكان يصور المجتمع الفرنسى — ولا سيما الباريسى منه — بأمانة وإخلاص ؛ وكان يرتاد البيوت المشبوهة وينغمس فيها حتى النهاية ، ثم يصورها لنا بما لا يكاد يختلف عن الحقيقة فى شىء ، بعد أن يكسوها حُللاً من فنه ، وأثواباً من عبقريته . وكثيراً ما يُطوّف فى الأحياء والأمكنة البعيدة ، ويستلهم من غريب مشاهداته وعجيب مصادفاته مادة غزيرة لقصصه

وقد يصور فى قصصه البائسين والفقراء ، والتاعسين والأشقياء ، وغيرهم ممن طحنتهم الحياة بالهموم وغمرتهم بالآلام . ولكنه فى هذه الصور يُخفى الشفقة والرحمة ويبدو قاسىَ القلب متحجرَ الفؤاد ، لا يحاول أن يستدر الدمع بمناظر البؤس ، ولا يستنزل الرحمة بصور الشقاء ، ولا يصغى إلا إلى صوتٍ واحد هو صوت الفن . ومن هنا قال الناقدون بانعدام الطابع الإنسانى فى قصصه ، وهو فى ذلك على نقيض تام مع « ألفونس دوديه » ، فهذا يحاول أن يُشعر القارئ بالألم والحزن فى جميع أقاصيصه ورواياته . فنراه يبكى ويستبكى حزناً على الأشقياء والتاعسين . بينما نرى ذاك كصانع التماثيل الفنان ، لا يهمه وهو ينحت تمثاله سوى الفن والإبداع ، لذا يضرب بأوائله أينما شاء وحيثما قضى الفن ، لا يدرى أآلم بضربه أم لم يؤلم ، ولكنه يعرف حق المعرفة أأصاب فى نحته أم أخطأ

وفى رأينا أن الحق هنا فى جانب « موبسان » ، لأنه يَعرِض قصصه دون أى تعليق ، فهو يرينا صورة البائس دون أن يقول : « ها كم هذا البائس ! إرحموه أيها الناس وأشفقوا عليه » ؛ بل نراه يقول من طرف خفى : « ها كم قصة هذا البائس ! فأشفقوا أو لا تشفقوا » . وعلى القارئ وحده أن يكون ذا حس مرهف وشعور دقيق ، فيرحم من يستحق الرحمة ويقسو على من لا يستحقها . ولنأخذ مثالاً بسيطاً على ذلك : فى إحدى أقاصيصه المسماة « والد سيمون » ، يصور لنا فتاة خطبها رجل فاستسلمت له قبل الزفاف ... ثم هجرها الخطيب ، ووضعت منه بعد مدة طفلها غير الشرعى ، ونشأ الطفل بعد ذلك يحف به العار دون أن يكون له فى ذلك ذنب أو إثم . وهنا يظهر موبسان فى قسوته المزعومة على الأشقياء والبائسين ، إذ أنه لا يكتب فى قصته كلها كلمة واحدة تبعث فى نفسك الشفقة على هذا الطفل البرىء ، أو تثير فى كوامنك الرحمة لتلك الفتاة المظلومة ؛ بل يشير إلى خجل المرأة من الناس واعتزالها إياهم ، ويصور لك ذلّ الطفل وعذابه واضطهاد رفاقه له ، لأنه على حد زعمهم « ليس له أب » . ثم يصفه لنا وهو على وشك الانتحار بعد أن شبع رفاقه من السخرية به وإسماعه لواذع الكلام ... ولا يُخلّص الفتاة وطفلها من العار والموت سوى رجل شهم يتزوج من الأم ويتبنى الطفل

هذه قسوة موبسان المزعومة على الإنسانية ، وهى قسوة — إن صحت عليها هذه التسمية — فى موضعها ؛ لأن الفن الصحيح الخالص البعيد عن الضعف الإنسانى كثيراً ما يقضى بذلك

قلت : إن موبسان فيلسوف ، وفلسفته لا تخلو من آراء طريفة فيما يتعلق بالمرأة ، والحياة خاصة . أما رأيه فى المرأة فهو قاس شديد القسوة ؛ وهو يمت بأوثق صلة إلى رأى أبى العلاء المعرى فى العربية ، ورأى « مارسيل بريفو » بالفرنسية . فكلاهما يقول مع موبسان بأن المرأة مخلوق غادر قلما يخلص أو يعف ، وهى فى نظرهم أداة فتنة وفساد . وليس للمرأة من شاغل — فى نظر موبسان وبريفو — إلا إشباع رغباتها وميولها التى ليست سوى نار تتأجج ولهيب يستعر

المرأة ... إن موبسان يحبها من كل قلبه ، ولكنه لا يحبها زوجة وإنما يريدها خليلة ؛ لأنه يندر وجود المرأة المخلصة فى العالم ؛ وما دامت كذلك فهى لا تصلح إلا لإشباع الشهوات

وأما الحياة فله فيها فلسفة خاصة . فهو يرى « أنها سخافة ومعاناة وآلام فقط ، وليس فيها ما يشوق ويبهج »[1] »

(١) « أميل فاجيه » فى كتابه « القرن التاسع عشر » ص (٤٣٢)

(١) « قصص اجتماعية » ترجمها الأستاذ محمد عبد الله عنان ص ١٧٢

ويغلب على ظننا أن هذا الرأى لم يأخذ به موبسان إلا فى أواخر حياته ، أى عند ما تناوشته الأدواء وتكاثرت على جسمه العلل ؛ فداخله اليأس والقنوط ، لأنه كان قبل ذلك زير غوان لا يرتوى ، وكان مدمناً على الشراب والمخدرات ، مقبلاً على الحياة ، متمتعاً بكل لذائذها ، غارقاً فى مفاسدها . وهذه كلها أشياء « تشوق وتبهج » لا يأتيها من كان يائساً من الحياة محتقراً لها معرضاً عنها . ويلتقى موبسان ثانية مع المعرى فى رأيه فى الحياة ولكن الأول يطعن فيها وهو مقبل عليها يتمتع بلذائذها ، بينما الآخر يكره الحياة ويعيش بعيداً عنها وعن جميع لذائذها

وعلى أى حال فقد اشتد بأس كاتبنا من الحياة وزاد كرهه لها عند ما تقلبت عليه الأمراض ، وانتهت به إلى أسوأ عاقبة ، وأعنى بذلك الجنون ... نعم ، لقد جُنّ الرجل فى أواخر حياته وكان السبب فى ذلك شدة إخلاصه لأدبه وفنه ، واعتقاده بأنه ميت لا محالة ، بينما كانت نفسه لا تزال تزخر بشتى الصور الفنية التى يود أن ينسجها أقاصيص رائعة الحسن موفورة الجمال . فكان لتنفيذ هذه الرغبة يعمل فى يومه مدة ثمانى عشرة ساعة - كما يقول روبير مونتنيه فى كتابه عن أسباب جنون موبسان - واضطر الرجل إلى إجهاد ذهنه إجهاداً متواصلاً فى سبيل تنفيذ مشروعه ونسج أقاصيصه التى خشى أن يأتى عليها الموت فتدفن معه فى اللحد وهى أجِنّة لم تولد . ولما أدركه الجنون المطبق صار يرى فى الناس أبطال قصصه الذين صنعهم خياله وصورهم يراعه . وأخذ يسىء إلى من رمحه بقلمه شريراً منهم ، فاضطر ذووه إلى نقله إلى مصح للأمراض العقلية ، ولكنه أعيد بعد مدة إلى باريس حيث قضى وهو فى قمة المجد وأوج الصبا وأبعد الصيت .

مات موبسان فأنكره قومه فى مماته كما أنكروه فى حياته ، ولم ينتبهوا إلى فنه الرائع وعبقريته الفذة إلا فى الأعوام الأخيرة حيث احتفلت فرنسة بتخليد ذكراه عام ١٩٢٥ ، وأقامت له فى مسقط رأسه تمثالاً يليق بعبقريته ونبوغه

هذه صفحة موجزة من أدب الرجل الذى عاش ومات من أجل أدبه وفنه ، والذى جعلت منه صديقاً لى وفياً . فهل ثمة من يلوم على إكبارى لهذا الصديق الذى عانقته إلاهة الفن وهدهدته ، ثم سقته من كأس الخلود والبقاء ، وجعلت منه كاتباً عبقريًا تباهى به القرون وتفخر به الأجيال

(دمشق) عبد الغنى العطرى

أمـــل يضيع

للسيدة الفاضلة « ليلى »

إلى العذراء التي طال عليها الانتظار ، وظلت مجهولة كزهرة الصحارى والقفار . إلى الحزينة الصامتة تسائل نفسها : متى وأيان ، أهدي كلمي وأقدم تعزيتي « ليلى »

يا لؤلؤتي اللامعة ، يادرتي الغالية ، يازنبقتي الناضرة الناعمة ، مضت الشهور والأعوام ، وأنت قابعة في انتظار . ما الذنب ذنبك ، ولـكنه أبوك الفقير ، لا هو موظف كبير ، ولا صاحب جاه خطير ، لقد طغت المادة على الرجولة فأضعفتها ، وعلى الأخلاق فأفسدتها ، فتعامت العيون عن الجوهر المكنون ، وتهافت الشباب المتسكع على أبواب الغنى واليسار يطلبون يد الفتاة التي يعيشون على هامش حياة أبيها متفاخرين ، وعلى صبابة من ماله متهالكين . يحز في قلبي وتملأه الحسرة أن ينطفئ في نفسك نور الأمل ، وينهار صرح الأماني ، وأن تخبو نظرتك المتألقة وتغيض ابتساماتك المشرقة ، ويختفي الفرح الذي يملأ قلبك ، والمرح الذي يشع في نفسك ، والروح الهانئة الحالمة تصبح حيرى متألمة . ها هن أخوات لك أخريات ينمو بهن الشباب كما تنمو الأزهار في المنبت الطيب والتربة الجيدة يشتد ، عودهن ويقوى ينتظرن انتظارك ويحلمن أحلامك ، والمستقبل أمامكن مظلم غامض ، وعجلة الحياة تدور بغير ما هوادة ولا رحمة ، والقلوب الحزينة مطوية على الأمل الضائع كما يطوى القبر على عزيز غال ، والعبرة محبوسة لا تفيض ، والشفاه لا تنبس بأنة ولا شكوى ، والعاطفة مكبوتة في سجن من التقاليد . إنه ليؤلمك أن تكوني عالة على ذويك ، وهماً على أمك وأبيك . ما توقعنا لك خيبة الأمل ، وإلا أعددناك لحياة الشقاء والعمل

يا بنيتي الحبيبة ، لم يكن ينقصك عقل ولا ذكاء موفور ، لك الحسن والرواء ، ثقفناك على قدر ما وسع جهدنا ، وحبوناك بعطفنا وحناننا ، ورعيناك بالأعين والقلوب ، وأتحفناك بكل ما تسمح الجيوب ، ولم نترك فيك خلقاً إلا قومناه ، ولا اعوجاجاً إلا أصلحناه ، حتى ملأت البيت علينا بالبهجة والسرور ، وغدوت زينة المجتمع والخدور . والآن يعتورك الملل تضيقين بنا ونضيق بك ، وماهو ذنبنا أو ذنبك ، إنها المادة التي طغت على الرجولة فأضعفتها ، ولا على الأخلاق فأفسدتها . وأبوك موظف صغير ، لا هو بالغنى ولا بالكبير . لقد تغير العصر والجيل ، وضاعت وصايا القرآن والإنجيل . كان جدودك السابقون يبحثون لأولادهم عن المنبت الطيب والأساس المتين ، وتتصاهر العائلات وسداها السمعة الطيبة ولحمتها البيت الكريم . والآن يا فتاتي لا الخلق الجميل ، ولا العقل الرصين ، ولا كفايتك في إدارة البيت ، ولا ثقافتك لتكوني من خيرة الأمهات ، وأمانتك لتكوني أطهر الزوجات ، ولا سمو روحك وجمال نفسك ، بمزكيتك لدى الرجل ما دمت لست غنية ، ولا أبوك صاحب ضيعة (وأبعدية) ، وعلى هذا يظل الشبان متقاعدين ، عابثين أو منتظرين ، وعلى مقربة منهم وفي متناول أيديهم السعادة والنعيم ، وما هي بمضمونة في زيف الجاه الباطل ، أو موجودة في استجداء العرض الزائل ، وليس في ارتواء الحب الآثم غير الخسران ، والجرى وراء المعصية غير إطاعة الشيطان . أعجب للرجل يهرب من التبعة كالسائمة الضالة ؛ لا تعرف لها راع من رعية ، ينتظر حتى يفوته الشباب ويجدب أيما إجداب ، وهكذا يظل ينغمس في أحضان الفسق والدعارة الشيوعية . ما دامت لا توجد الزوجة الغنية . حقاً لقد طغت المادة أي طغيان ، وتُنوسي الواجب أي نسيان ، فعزاء للعذارى في خدورهن ، ونصيحتي أن تعملن ولا تنتظرن ، وربما تجدن من يتزوجكن من شباب الجيل الحاضر لثقته بالنفقة عليه ؛ ورحم الله ماضي الرجولة وأيام أمهاتكم وجداتكم ولا فخر بعد ذلك للرجال

« ليلى »

فى اختلاط الجنسين

للأستاذ محمود محمود بسيونى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ولما كان ما نراه اليوم من فساد ناتجاً عن سوء فهم الناس لمعنى الاختلاط فلندرس إذن الاختلاط ولنفهمه بمعناه الحقيقى .

الإنسان مدنى بطبعه ، أى أنه لا يمكن أن يعيش منعزلاً ؛ فلا بد من التعاون الحقيقى بين أفراد الإنسان بوجه عام . فإن اختلاف القوى البدنية والعقلية يحتم احتياج كل إنسان إلى الآخر لإكمال ما به من نقص ، ولكى يتعاون الجميع على الحياة فى أمن وهدوء . والحياة كثيرة الشعب متعددة الفروع بحيث أن كل فرد لا بد أن يقوم بعمله كاملاً من ناحية اختصاصه . ومن هذا نرى أن الرجل لازم للمرأة ، وأن المرأة لازمة للرجل ، أى أن الاتصال بين الرجل والمرأة لازم لا لحفظ النوع فقط ؛ وإنما كذلك للتعاون على شؤون الحياة ، أو بمعنى آخر نستطيع أن نقوله أن الاختلاط أمر لا بد منه ، ولكن متى يكون هذا الاختلاط وما حدوده ؟

الاختلاط ممكن فى الحدود الطبيعية أى حيث تتطلبه شؤون الحياة . وهو لا يكون حينئذ خطراً لانصراف الفكر إلى المهام الجدية التى تطلبها الاختلاط ، ولانعدام الجو الذى يولد التفكير السيء . فالرجل الذى يذهب ليشترى شيئاً تحسن المرأة صنعته أو تجارته ، لا يتوفر لديه ما يبعث على التفكير السيء ؛ والمريض فى المستشفى محتاج إلى رقة المرأة وحنانها ، فلا ضرر من اتصال الرجل بالمرأة فى مثل هذه الحالة ، حيث لا مجال هناك للتفكير السيء . والرجل الذى يتلقى فناً خاصاً تحذقه امرأة لا بأس عليه من اختلاطه بها كذلك . وكل هذا هو ما نقصد به الاختلاط الطبيعى الذى تتطلبه شؤون الحياة وتوزيع العمل بين الرجل والمرأة كما فهمته تلك المرأة القروية على حقيقته . فهى تخالط الرجل فى الحقل إذا دعت إلى ذلك الشؤون الزراعية ، كما تخالطه فى السوق إذا دعت إلى ذلك حاجة البيع والشراء . ولكن هؤلاء الذين تختلط بهم فى الحقل وفى السوق تحتجب عنهم فى المنزل لأنها فى هذه الحالة لا تجد مبرراً طبيعياً لاختلاطها بالرجال ، وعلى ذلك نستطيع أن نقرر فى غير تحرج أن تلك القروية قد أدركت بفطرتها السليمة وظيفتها الحقيقية أكثر مما فهمتها تلك الفتاة الحضرية التى تدعى العلم والفلسفة

على أن هناك مجالات أخرى قد يبدو فيها الاختلاط أمراً ضرورياً كالحفلات الخاصة وما شابهها . وخير الأمور فى مثل هذه الأحوال هو أن يقتصر الاختلاط على الأهل والأقارب والأصهار ومن إليهم ممن توجد بينهم صلة قوية وثقة تامة ؛ فحينئذ أظن أن خطر الاختلاط يبتعد كثيراً ويكاد ينعدم ، وبخاصة إذا روعى الواجب حيال هذا الاختلاط من احتشام المرأة ومراعاتها له فى حدود الوقار والحياء . وإنى لا أفهم مطلقاً أى معنى لأن يدعو إنسان فى بيته رجالاً ونساء لا يعرف بعضهم بعضاً ويزعم لنفسه بأنه يقدم التعارف بينهم . فهذا النوع من الاختلاط هو الذى لا نقره مطلقاً . فمنه تقع الحوادث والكوارث . فإن المرأة بطبيعتها ضعيفة سريعة الانقياد ؛ ثم إنه من الممكن أن يندس بين الرجال من ليس منهم من الجهة الخلقية الجديرة بالرجولة . فكثيراً ما تلقى وحوشاً إنسانية فى زى الرجال . وفى وجود هؤلاء خطر شديد . فقد تلتقى المرأة برجل تتوسم فيه محاسن خاصة وفضائل ظاهرية قد تميزه على زوجها إن كانت متزوجة ، أو توهمها بأن فيه المثل الذى تنشده إن لم تكن متزوجة ، فإذا بها تنقاد له وتقع فى شركه وتتمادى فى علاقتها به ؛ ثم تنكشف الحقيقة فجأة وتقع الكارثة كما هو معروف .

لقد قلنا إن الاختلاط ممكن فى الحدود التى تستلزمها الطبيعة ولا تتنافى فى شىء مع الدين والأخلاق ، وهى حدود لا تعوق الحرية ولا تؤثر على التقدم والرقى ؛ إنما هى حدود تكفى لأن يعيش الإنسان هادئاً مطمئناً سالكاً الطريق الذى خلق له . أما الاختلاط على الصورة الحاضرة فهو خطأ كل الخطأ ، وإنما هو تقليد أعمى لا يجوز الأخذ به بتاتاً . وقد قال الفيلسوف Montesquieu : إن لكل بلاد جوها وعاداتها وتقاليدها وموقعها الجغرافى مما يخلق لها ظروفاً خاصة قد لا تتناسب مع ظروف البلد الآخر . وهذه النظرية الصحيحة إذا طبقت فى موضوعنا هذا نستطيع أن نصل بوساطتها إلى

أن الاختلاط وإن أمكن توسيع نطاقه فى أوربا (على أن أوربا هى الأخرى قد نالها منه ما نالها من شر وضر) قد يكون مقبولا إلى حد ما ، لأن جو البلاد وطبيعة أهلها الباردة ؛ ثم عاداتها وتقاليدها قد تجيز الاختلاط دون ضرر كبير . أما فى الشرق حيث الجو حار وطبيعة السكان حارة أيضاً، سريعة التأثر والثوران، وحيث تقاليد الناس المتوارثة لا تجيز هذا الاختلاط ؛ فإنه من الخطر حقاً أن ننقل اختلاط أوربا إلى مصر ، فسيبقى الغرب غرباً وسيبقى الشرق شرقاً إلى نهاية الحياة

أما ما يقول به البعض من أن المرأة إذا كانت شريفة بطبعها واثقة بنفسها ، موثوقاً بها ، فهى تستطيع أن تبقى طاهرة مطهرة ، حصينة محصنة ، تحت أى ظرف أو ضد أى ظرف من ظروف الإغراء والسقوط ، فهذا شىء من الصعب التسليم به ، فمن الخطأ أن توفر لإنسان أسباب الشر وتغريه بها وتحببه إليها مع علمك بأنه ضعيف أمام سطوة الشيطان ، ثم تزعم أنه يستطيع التغلب عليها ؛ وقد قالت حكمة القدماء أن الوقاية خير من العلاج

وقد قال البعض أيضاً أن العلم والثقافة يقيان المرأة شر السقوط . ولكننا لا نستطيع أيضاً أن نسلم بهذا ؛ فإننا قد رأينا المتعلمين والمتعلمات هم الذين يبدأون بفكرة الاختلاط ويسرفون فى الحرية التى يهيئها لهم علمهم وثقافتهم فيغرون بذلك طائفة أخرى أكثر منهم عدداً وأقوى منهم أثراً ، ولكنها أقل علماً وفهماً . هؤلاء هم أنصاف المتعلمين والمتعلمات الذين لا يقدرون الأمور كما يجب أن تقدر ، ولا يفهمون الحرية كما يجب أن تفهم ، فيعتقدون أن الأمر عبث ولهو لا أكثر ولا أقل ، فيندفعون وراء عقولهم الضعيفة وقلوبهم المستسلمة ويصبحون الخطر الأعظم . أما المتعلمون الذين ينفعهم علمهم ويقيهم شر السوء فهم الذين بلغوا من العلم شأواً بعيداً . أما الذين لم يصيبوا منه مثل هذا القدر فإنه يتسرب إلى اعتقادهم أن العلم يعطيهم شيئاً من الحرية وشيئاً من التفكير فى الأمور من نواحيها السهلة الضعيفة فيتناسون ما فيها من قيود شديدة ، وبهذا يصبحون مستهترين إلى حد ما . فخير إذن أن نترك الأفكار الصالحة تسيطر على العقول والنفوس على شكل تقاليد وعادات تتوارثها الأجيال ، فلا تجرؤ على مهاجمتها . وخير للمرأة إذن ألا تسرف فى الاستنتاجات من الفلسفة والعلم ، وإنما يجب أن يكون علمها فى الشؤون التى خلقت لها وهى فنون البيت وشؤون الأسرة ، وأن تكتفى فيما عدا ذلك بما تشير به تعاليم الدين وتقاليد البلاد . فليتجنب الجميع منابع الشر ، وليبتعدوا عن مسبباته درءاً للخطر ، وبخاصة أنه ليس هناك ما يستوجب الاقتراب منه

وإنما نحمل المرأة أكثر التبعة نظراً لأنها تعلم حق العلم أن مسماها غير مسمى الرجل فهى سريعة التأثر كالزهرة اليانعة إذا لمستها الأيدى الكثيرة ذبلت وتناثرت أوراقها وديست بالأقدام ، بينما حال الرجل ومسماه قليل التأثر . فلو أن المرأة لم تقدم نفسها إلى الرجل ولم تسهل له سبيل الاتصال بها ولم تستمع إلى إغرائه وغوايته لما جرأ هو على الاستخفاف بها واستغلال مخالطتها بالسوء . على أن ذلك لا يبرىء الرجل من التبعة واللوم ، فإن صفات الرجولة توجب عليه أن يكون قوياً شهماً مترفعاً عن أساليب الخداع والغش التى يتبعها لإيقاع المرأة فى الشرك وهى الضعيفة أمام سلطانه . فكان الواجب أن يرد المرأة إلى سبيل الجد والهداية . فلو أنه استغل رجولته وشهامته فى عدم الاندفاع فى الاختلاط وفى عدم تشجيعه له ، لانعدمت الأسباب التى نتج عنها الاختلاط السىء ولما شكونا مما نشكو منه الآن

وكل ما نريده اليوم هو أن نستجيب إلى النداء العظيم الذى وجهه صاحب العزة الدكتور منصور فهمى بك حيث حثنا على أن نتعاون جميعاً على تنظيم حياتنا الاجتماعية تنظيما جديداً يتناسب مع تقدمنا ومدنيتنا الحقيقية لا المزعومة . وأن نطهر تلك الحياة مما فيها من آثام وشرور قبل أن يستفحل أمرها ويستعصى استئصالها ، فواجب كل فرد أن يضع فى رأسه أنه مكلف أخلاقياً بأن يساهم فى مكافحته للفساد والشر وفى هداية الناس إلى الطريق المستقيم وفى إظهارهم على ما فى ذمتهم وما فى تقاليدهم من معان سامية ومن تعاليم رفيعة تضمن لهم أمنهم وسعادتهم . فليقم كل منا بأكبر قسط يمكنه أداؤه فى دائرته : فى منزله أولاً وفى البيئة المحيطة به ثانياً . كذلك نستجيب إلى نداء الأستاذ الدكتور فندعو إلى تأليف جماعات تعمل متضامنة على مكافحة الأمراض الاجتماعية الناتجة عن الاختلاط . ونحن نتمنى أن تتسع هذه الخطوة بأن تساهم الصحافة بقسط أوفر ، بأن تكم

بين الأدب والتاريخ

مدن الحضارات
فى القديم والحديث

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لكل حضارة قديمة أو حديثة مدنية كبيرة يستقر فيها السلطان ، وتتمثل فيها الإدارة والسياسة ، والصدارة والرياسة ؛ وتتجه إليها الأنظار ، ترى فيها المثل ، وتجد فيها القدوة ، وتأخذ عنها الأساليب . ولقد كتبتُ فى إحدى المجلات الأسبوعية بحثاً عن بعض هذه المدن القديمة ، واليوم أنقل المجال إلى « الرسالة » القراء ، جاعلاً حديث اليوم عن بيزنطة عاصمة المسيحية الأولى ؛ ودمشق وبغداد العاصمتين الكبيرتين للإسلام

ولقد سميت بيزنطة بعد إنشائها بزمن بالقسطنطينية وخفقت عليها فى عصور متعاقبة : أعلام الوثنية وألوية المسيحية وراية الإسلام . وبقيت إلى اليوم تحت الراية الأخيرة منذ أن فتحها السلطان محمد الفاتح فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

أسس هذه المدينة المستعمرون الأولون من الإغريق فى سنة ٦٦٧ قبل الميلاد ، وقد ظلت قرابة ستة قرون ونصف قرن وهى حاضرة كبرى للوثنية . وفى عصر قسطنطين الأول امبراطور الرومان ، انتقلت عاصمة الإمبراطوريات إلى بيزنطة ، التى أسميت من ذلك الحين بالقسطنطينية نسبة إليه . وكان ذلك فى الثلث الأول من القرن الرابع الميلادى .

أخبار الاجتماعات المختلطة الخاوية ، وأخبار الحفلات التى تخلو من كل ما يهم المصلحة العامة وأن تمتنع عن ذكر كل ما يتنافى مع تعاليم الدين وتقاليد البلاد . لعل هذه العقوبة الأدبية ترد الغاوين عن غيهم والمستهترين عن استهتارهم ، فلا يلقى مغلدوهم وأنصارهم أى تشجيع إلى أن تموت بالتدريج كل فكرة فاسدة حتى ينصلح حال المرأة ويحسن ظنها وفهمها لمبادئ قسم أمين فتنفذ آراءه وتعاليمه كما كان يريدها وكما يريدها المصلحون والله أسأل أن يلهمنا التوفيق والسداد .

محمد محمود بسيونى

ولقد أخذ نجمها منذ ذلك اليوم يصعد ويزداد ألقاً فى سماء التاريخ . فأقام فيها قسطنطين كثيراً من المنشآت العامة والمبانى الضخمة ، وشيد (تيودور) حولها سوراً منيعاً جعلها عزيزة المنال بعيدة المطلب ؛ وأصبحت عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وزخرت بالعلماء والحكماء والفلاسفة ، وامتلأت بالمدارس ودور الكتب ، واتسعت رقعتها من يوم إلى يوم بضاحية تمدّ ، أو دسكرة تبنى ، أو طريق يعبّد .

وظلت القسطنطينية بعد ذلك قرابة عشرة قرون ، توالت عليها خلالها سعود الأيام ونحوسها ، وتتابعت عليها الحظوظ شقيها وسعيدها ، وهى فى ذلك ما بين خفض ورفع وجزر ومد ، إلى أن سقطت فى أيدى الأتراك سنة ١٤٥٣ م ، وأصبحت بانتقال الخلافة الإسلامية من مصر إليها عاصمة الممالك الإسلامية وقبلة الأمم المحمدية تتجه إليها فى الشدة والرخاء . وكان للباب العالى فى تلك الأزمان مقام لا يدانيه مقام ، وسلطان ما بعده سلطان

وتمتاز تلك المدينة بموقعها الفريد على البوسفور ، وامتدادها فى شبه جزيرة على بحر مرمرة ، وإشراف خليج القرن الذهبى عليها من الشمال . كما تمتاز بأسواقها التجارية التى تعد من أبدع أسواق العالم ، وبمجموعة من المساجد الجميلة المبنية على طراز تركى أخذت عنه طائفة من مساجد القاهرة التركية كمسجد محمد على باشا

وأشهر تلك المساجد جامع (أيا صوفيا) ، وقد كان كنيسة قبل الفتح العثمانى ، ولكن قرع النواقيس فيه انقلب إلى تسبيحات المؤذن ، وتهليلات المكبر ، معلنة اسم الله العظيم ، يتجاوب فى آفاق المدينة الساحرة التى طالما فتنت السلطان الفاتح وأخذت عليه تفكيره وخالطت أحلامه وخواطره ؛ حتى تمت له الأمنية وتحققت الأحلام . ودخلها يوم الفتح — كما تقول الروايات التاريخية — حافى القدمين بادى الخشوع ، شاكراً لله على ما وهب ، مصلياً فيها أول صلاة للمغرب

وشاء الله بهذا الفتح أن تصبح المدينة عاصمة الإسلام ، وإذا بالأباطرة العظام يستبدلون بخلفاء أعظم وسلاطين أمنع دولة وأعز صولة . ثم يخاف العلماء والحكماء فيها على مصائرهم ويشفقون على أنفسهم ، ولا يؤمنون المقام تحت ظل الأتراك وفى كنف

الحكم الجديد ، فيفرون ويهجرون المدينة المسلمة والعاصمة المسلمة ويحملون معهم تعاليم اليونان وثقافة الرومان وينشرونها في أوربا فتكون طلائع النهضة المباركة والحركة الجديدة التي تعرف في التاريخ باسم Renaissance

وفي القرن الثامن الميلادي ظهرت في الشرق العربي المسلم مدينة جديدة ليست في مضارب الصحراء ومجاهل البيداء كمكة والمدينة ولكنها في الشام حيث كانت حضارة الفينيقيين تزدحم وتتكاثر على الشاطىء الشرقي لبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) . تلك المدينة هي (دمشق) حاضرة الدولة الأموية ، ومقر الخلافة الإسلامية ، ومركز القيادة التي تفرعت منه الحملات وانسابت منه الغازي إلى أقطار بعيدة ، وجهات سحيقة لتوسيع رقعة المملكة الإسلامية

ودمشق قبل الإسلام قديمة قدم الدهر ، ترجع إلى أيام إبراهيم عليه السلام . فلما دخلها الإسلام غير من حالها وبدل من أمورها . ولما انتقلت إليها الخلافة الأموية ، أصبح لها الشأن والمركز والمحل والموضع يفد إليها الشعراء على الخلفاء طلباً للعطاء فيقول جرير :

فإني قد رأيت على فرضاً زيارتي الخليفة وامتداحي

ويعلل زوجته (أم حزرة) بالغنى بعد رحلته إلى دمشق ووفوده على الخليفة بقوله :

سأمتاح البحور فجنبيني أذاة اللوم وانتظرى امتياحي

وكان معاوية أول خلفاء بني أمية يسكن غوطة دمشق ، وهي — كما يقول جغرافيو العرب — إحدى نزه الدنيا . ومعاوية — على ما زعم الرحالة اليعقوبي — أول من بنى وشيد البناء ، وسخر الناس في بنائه

وكانت أغلب بيوت دمشق في أول الفتح تبنى من المدر : أي اللبن والطين ؛ ولكنهم عادوا فبنوها بالحجر لما روى أن عمر ابن الخطاب نهى أصحابه بدمشق عن استعمال اللبن في البناء . وكان للسابقين من الصحابة في دمشق قصور كثيرة ، أو دور عامرة منتشرة في أنحائها كدار خالد بن الوليد ، ودار أبي عبيدة عامر بن الجراح ، ودار العباس بن مرداس . ودار عمرو بن العاص وغيرهم ؛ وبنيت كذلك مساجد ملحقة بالبيوت يتجاوب فوق مآذنها التكبير باسم الله الكبير

وإنا لندرك من الأبيات التي قالتها ميسون زوج معاوية الفرق بين بيوت البادية ودور الحضر . فقد أبت هذه السيدة أن تعيش في قصر معاوية العظيم أو (المنيف) على حد تعبيرها ، ورضيت أن تسكن في كوخ صغير أو بيت من الشعر في البادية . وقالت في ذلك أبياتاً معروفة منها :

لبيت تخفق الأرياح فيه أحب إلي من قصر منيف

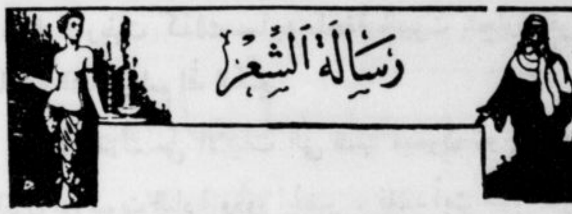
وكانت دار معاوية بدمشق تسمى الخضراء لقبة خضراء نصبت عليها . بناها بالمدر أولاً فسخر منها جماعة من الروم فأعاد بناءها بالحجر . ومن عجائب الأقدار أن تصبح هذه الدار اليوم في حي من أحقر أحياء المدينة ، وهو حي مصبغة الخضراء

وللأستاذ العالم الجليل عيسى اسكندر المعلوف كتاب كبير مخطوط اسمه « حضارة دمشق وآثارها » ذكر فيه فصلاً عن دور الخلفاء الأمويين في دمشق ، ونشرت خلاصة هذا الفصل في مجلة (دمشق) الأدبية العلمية التي يحررها جماعة من أهل الفضل والعلم في القطر الشقيق (جزء خامس . سنة ثانية . عدد شهر آيار سنة ١٩٤١

وكان الوليد بن عبد الملك يحب البناء ويعشق العمارة ـ والناس على دين ملوكهم ـ فبنيت في عهده القصور وشيدت الدور وزيدت في المساجد زيادات ، وأضيفت إليها ملحقات . ومهدت الطرق ، وحفرت الترع ، ويذكر السيد العلامة الكبير محمد كرد علي الدمشقي في كتابه « خطط الشام » أن الوليد أول من أمر بعمل « بيمارستانات » تعالج فيها المرضى

وإلى الوليد يرجع الفضل في بناء الجامع الأموي والمسجد الأقصى ، ولقد أنفق على بنائه خراج الشام لمدة عامين على إحدى الروايات التاريخية ، وأنفق في سبيل تشييده وزخرفته وتذهيبه ومرمرته (صبغه بالمرمر) وتفصيصه ورفع قبته ، وإقامة عمده الكثير من المال ، والوافر من الجهد ، وفن ريازته (عمارته) ليس إسلامياً محضاً ، ولا يونانياً صرفاً ولكنه خليط من هذا وذاك

(الحديث موصول) محمد عبد الغني حسن



من ظلول البعث !

راهبتي الشقية ...

« إلى التي أعبد فيها عذاب الزمن وقداسة الروح »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

رَمَى بِنَا الْمَقْدُورْ فِي عَالَمٍ مَهْجُورْ
إِلاَّ مِنَ الْعُشْبِ
وَأَنْتِ ... وَالْحُبّ !

وَاللَّيْلُ فِي الشُّطْآنْ كَرَاهِبٍ نَعْسَانْ
غَنَّتْ عَلَيْهِ الْجَانْ تَمِيمَةَ النِّسْيَانْ
فَذَابَتِ الأَكْوَانْ وَالنَّاسُ ، وَالأَزْمَانْ
فِي خَاطِرٍ نَشْوَانْ لَمْ يَسْرِ فِي وِجْدَانْ
وَلاَ سَقَى إِنْسَانْ مِمَّا سَقَى قَلْبِي ...
مِنْ خَمْرَةِ الْعُشْبِ
وَأَنْتِ ... وَالْحُبّ !

جَاءَتْ بِكِ الأَقْدَارْ مَذْعُورَةَ الأَسْرَارْ !
دَهْرِيَّةَ الأَسْتَارْ خَمْرِيَّةَ الأَنْوَارْ ...
شُقِّي حِجَابَ النَّارْ لِخَافِقٍ جَبَّارْ
مِنْ سِحْرِكِ الْقَهَّارْ أَبْكَى رُؤَى الأَسْحَارْ
بِالسُّهْدِ وَالأَفْكَارْ وَذَابَ كَالنَّغَبِ
فِي خَاطِرِ الْعُشْبِ
وَأَنْتِ ... وَالْحُبّ !

رَمَى بِنَا الْمَقْدُورْ فِي عَالَمٍ مَهْجُورْ
سَاقَ الْهَوَى الْمَفْطُورْ فِي زَوْرَقٍ مَذْعُورْ
يَجْرِي بِهِ الدَّيْجُورْ لِمَعْبَدٍ مَسْحُورْ
تَفَجَّرَتْ فِيهِ النُّورْ لِهَالِكٍ مَقْبُورْ
أَوْدَى بِهِ التَّفْكِيرْ فَجَاءَ يَا رَبِّي ...
يَحْيَا مِنَ الْعُشْبِ
وَمِنْكِ ... وَالْحُبّ !
رَبَّاهُ ! مَا ذَنْبِي ؟ !

محمود حسن إسماعيل

أكذوبة السلوان

للأستاذ سيد قطب

[بعد عام أحس في نفسه بالسلوان ، وأحس بعقابيل نفسه تتفتح للجمال . ولكنه تنبه إلى أن كل نموذج جميل يتفتح له قلبه فيه شبه أو ومضة من الجمال الذي حسب نفسه قد سلاه ؛ وإذا هو يهفو إلى الماضي وللماضي وحده دون سواه !]

الآن أعلمُ أنَّ كلَّ خواطري تهفو إليكِ كرفرفاتِ الطائرِ
ما كان سُلواني سوى أكذوبةٍ خُدِعَتْ بها نفسي خديعةَ شاعرِ
بينَ الشغافِ وفي مُنايَ وفي دمي ألقاكِ هاجسةً وبين مراتري
أنساكِ ؟ كيف وأنتِ بين جوانحي شِطْرِي الجميلُ وأنتِ وحيُ خواطري ؟
أنساكِ والآمالُ والذكرى معاً موصولةٌ بكِ في صميم مشاعري ؟
وإذا هفوتُ إلى الجمالِ فإنما أهْوَى مِثالَكِ في الجمالِ العابرِ
أنساكِ إذ أنسى حياتيَ كلها فإذا حييتُ فأنتِ أولُ خاطرِ
نبضَ الربيعُ فكنتِ أولَ نابضٍ في خاطري يهفو وأولَ زائرِ
وهفوتُ للماضي الذي قد أودَعَتْ نفسي لديه رغائبي وذخائري
أنا ذلكَ الماضي الذي لا ينقضي أنا ذاك الماضي يعيشُ بحاضري!

(حلوان) سيد قطب



حول أبعاد الحيز

هل الزمن بعد رابع ؟

[إلى أستاذى جردان أهدى هذه الفصول]

للأستاذ خليل السالم

— ٢ —

قال أرسطوطاليس فى أحد كتبه The Heaven للخط الهندسى مقدار فى بعد واحد وللمستوى فى بعدين وللحجم فى ثلاثة أبعاد ، وبعد هذه لا نجد تحويلاً كما نجد تحويلاً من الخط إلى المستوى أو من المستوى إلى الحجم . وبنى إقليدس هندسته التى اعتمدت عليها أكثر العلوم التى تمت إلى الرياضيات بصلة على هذه الفكرة ، وهى أن أبعاد أى جسم أو أبعاد المكان ثلاثة ولا يمكن أن تزيد ، ولذا كان من العجيب حقاً أن يقول العلماء — بعد قرون طويلة أخص ما يميزها إيمان بالأبعاد الثلاثة فقط — بالبعد الرابع الذى لا يقبله حس أو تصور . ونحاول فى هذه العجالة التعقيب على هذا الرأى الذى قال به أول من قال الكاتب الفيلسوف ويلز فى كتابه « آلة الوقت » ، الذى أتينا على تلخيصه فى المقال السابق

لا تزال مشكلة البعد الرابع ، مثار البحث والجدل بين أقطاب العلم والفلسفة . فبينا نرى الأستاذ بيران من الجمعية الملكية يسخر من بدعة البعد الرابع سواء كان هذا الزمان أو غيره من أبعاد المكان ، وينعى على تلك المقالات التى تؤيد هذه الفكرة خلوها من الدقة العلمية والتمحيص الواعى ، نرى « أنشتين » وأتباعه يتبنون الفكرة ويجعلونها أساساً قوياً فى بناء ناموس النسبية ، واستطاعوا بذلك أن يفسروا كثيراً من الظواهر الطبيعية التى وقف أمامها مبدأ « نيوتون » فى الجاذبية حائراً عاجزاً . ونرى كذلك فريقاً من فلاسفة الرياضيات لهم قيمتهم وشهرتهم العلميتان ، يؤمنون بالبعد الرابع والخامس والسادس إلى ما لا نهاية ، ويرفضون أن يكون المكان ثلاثى الأبعاد فقط كما عرفت الأجيال السابقة فى قرون طويلة وكما نتعلم نحن الآن . (لعل لنا عودة لشرح هذا الرأى الأخير)

عرف « لاجرانج » الرياضى الفرنسى المشهور علم الحيل (الميكانيكا) بأنه هندسة رباعية الأبعاد ـ الزمن بعدها الرابع ـ ، فإن أى جسم متحرك يتحدد موقعه فى الكون بأربعة متغيرات Variables على أن هذا التعريف لم يلفت أنظار العلماء كما فعلت رواية « آلة الوقت » وما إخال القارئ إلا ذاكراً جملة صاحب الاختراع إذ يقول : « واضح أن لكل جسم امتداداً فى أربعة أبعاد : الطول والعرض والسمك والاستدامة الزمانية » . فوجود جسم يحتم أن يستمر لحظة من الزمان مهما كانت قصيرة . أما إذا لم يستغرق وجوده جزءاً من الزمان فهو غير موجود حتما ، ولكن هل يعنى شرط وجود الجسم فى الزمان أن الزمان بعد رابع كأبعاد المكان ؟ نجد الجواب عند بعض العلماء ، أو بالأحرى عند أكثرهم إيجاباً . يقول « برجسون » الفيلسوف الفرنسى المتوفى حديثاً فى كتابه « الزمن والإرادة الحرة » : « وهكذا فإن الزمن يكتسب شكلا وهمياً لوسط متجانس يربطه مع المكان رابطة التواقت ، وهذه يمكن تعريفها بأنها تقاطع الزمان والمكان (مهما كان معنى هذا) »

ومنذ سنة ١٩٠٩ ادعى منفوسكى الرياضى الألمانى — وهو من أعلام هذا البحث — أنه محا الفاصل بين الزمان والمكان ، وأن الزمان والمكان منفصلين عدم ، ليس لكل منهما أى حظ من الحقيقة ؛ أما حقيقتهما فهى الاندماج فى وحدة « الزمان » كاندماج الماء فى الماء الملح ، وهـذا الاندماج يعتمد فى النسبية على معادلات رياضية قد لا تلذ إلا نفراً قليلاً من القراء ، ولذا نغفلها عارضين للمشكلة من وجهتها البسيطة السهلة . ولكننا سنتساءل هل هـذا الاندماج صحيح ؟ هل يرمز إلى شيء واقعى فى العالم الخارجى أو أنه مجرد خيال رياضى له ميزة جديرة بالاعتبار هى أنه يفسر بعض الظواهر التى أعجزت العلماء منذ طويل ؟ وإذا كان الزمان واقعياً فهل نستطيع أن نفصل الزمن عنه كبعد رابع له خصائص الأبعاد الثلاثة ننتقل فيه فى الواقع كما انتقل بطل ويلز فى الخيال ؟

يحسن قبل أن نحاول الإجابة على هذه الأسئلة أن نشرح نظرتنا إلى المكان والزمان . لنفرض أننا نتصور جسما فى الفضاء فأول ما يتميز به تصورنا هذا الجسم هو وجوده فى مكان ثلاثى الأبعاد . ولعلنا لا نحتاج إلى القول إن هـذا المكان موجود ما وجد فيه ذلك الجسم . ففضاء لا تشغله مادة عدم . والعدم لا يتناوله تفكيرنا فى شىء قليل أو كثير . إذاً وجود المكان مكتسب من وجود المـادة ، ووجود المادة لا يقبله العقل إلا فى ثلاثة أبعاد . ولقد يظن بعضهم أنه يمكن تصور شىء على بعدين فقط كرسم على ورقة مثلاً ، والواقع ينفى هذا الظن لأن الفضاء يحيط بالرسم من الأعلى والأسفل ومن اليمين والشمال ومن جميع الجهات . إذاً نحن لم نتصور المادة إلا فى ثلاثة أبعاد . وإذا تساءلنا لماذا نجد هذه الخاصة فى تصورنا ، وجدنا عند المنطق المحض جوابين: الأول أن تكون هذه الخاصة نفسها صفة لازمة للعالم الخارجى حولنا : أى أنه ثلاثى الأبعاد ؛ وهذا التعليل لا يتعدى قولنا : إن المكان ثلاثى الأبعاد لأنه ثلاثى الأبعاد . والجواب الثانى وهو أكثر إقناعاً : أن العقل البشرى اكتسب هذه الخاصة فى تطوره منذ القدم . على أن هذا الاكتساب لا يعنى أن فكرتنا عن المكان هى قسطاس الحق ، فربما نكون قد اكتسبنا وجهة نظر ضيقة محدودة ، وكان يمكن أن نتصور الكون فى أربعة أو خمسة أبعاد ، وبذلك نكون ككثير من الناس عاشوا فى سفح جبل ولم يتسلقوه فى يوم من الأيام فبقى الجبل بالنسبة إليهم كلوحة ساكنة

وقبولنا نظرية الاكتساب يعنى أننا نؤمن بأن حالة الإنسان الفسيولوجية والسيكلوجية كانت العامل الفعال فى اكتساب هذه الخاصة ؛ ولذا ذهب بعضهم إلى أن فى جسم الإنسان جهازاً يعد الزمن يحسب علينا كل ثانية تمر بنا ، حتى إذا ما اكتشف فى جسم الإنسان تيار كهربائى يسرى بانتظام طول الحياة ، قالوا إن هذا التيار هو ذلك الجهاز . على أن هذه الفكرة لم تثبت علمياً لأن الإنسان يفقد الإحساس بالزمن وهو تحت تأثير المخدر . إن فكرة الزمن هى فكرة توالى الحوادث حادثة تتلو أخرى ، وكل حادثة تترك فى النفس أثراً ؛ وتتوالى الحوادث وتتوالى الانفعالات النفسية تبعاً لهذه الحوادث . ولما كانت هذه الانفعالات النفسية غير عكسية دائماً كان الرجوع إلى الماضى عسيراً . ونرى السبب النسبى أن وجود الزمان مشتق من وجود الحركة ، كما أن وجود المكان مشتق من وجود المادة ؛ والحركة تعبير منفصل عن الحوادث ؛ فليست ساعاتنا التى تقيس الزمن إلا حركة مستمرة ، والأرض التى تمد أكبر الساعات بالنسبة لعالمنا إنما تقيس الزمن بحركتها المستمرة المنتظمة حول الشمس . وعلى هذا فحيث لاحركة لايوجد زمن . والبعد الرابع فى النسبية ليس هو الوقت مستقلاً عن أى شىء آخر ، وإنما هو الوقت الذى يدخل فى المعادلة السهلة : المسافة ، السرعة ، الزمن ، الجذر التربيعى لمجموع مربعات الأبعاد الثلاثة

وإليك بعض الأدلة التى نتأكد فيها من اندماج الزمان بالمكان .

فنحن عند ما ننظر – على طول بعد واحد – أحد النجوم فليس ما نراه هو صورة النجم فى وقت الرصد ، وإنما نراه كما كانت قبل وقت الرصد بزمن هو الوقت الذى استغرقه الشعاع الضوئى حتى يقطع المسافة بين مصدر النور وآلات الرصد . وإذا علمنا أن شعاعة النور (من السدم اللولبية مثلاً) تحتاج حتى تصل إلى نظامنا الشمسى مليوناً من السنين ، أدركنا مقدار تدخل الزمن فى البعد المكانى ، وعرفنا أيضاً قدر المسافة التى نستطيع أن نرى فيها من الماضى ؛ وربما بتحسن الآلات وبناء مراقب أكبر حجما نستطيع أن نرى نجوماً أبعد من هذه بكثير ؛ وعندها نزيد مقدار مانستطيع أن نراه من الماضى . من هذا يتبين أننا نستطيع أن نتحرك فى البعد الرابع الزمنى كما نتحرك فى البعد المكانى ، ويخيل إلى أن العلم لا ينكر إمكانية رؤية المستقبل ، فلو تصورنا أن لدينا طائرة مسرعة تفوق سرعة الزمن فعندئذ نفلت من قيود الزمن ونرى المستقبل . أما أن يتسنى لنا التعرف إلى الإنسان فى المستقبل فهذا محال ، لأن وجود إنسان المستقبل يعتمد على وجود إنسان الحاضر الذى لا يدوم إلا إلى أجل قصير ، ولأن رؤيتنا الأشياء تتطلب أن نكون أحياء نحس ونفكر

إذا تحركنا بسرعة النورفإننا نرى صورة واحدة للعالم لاتتغير ولا تلين ؛ ذلك لأن الزمن يمر بنا بسرعة النور، ولذلك لا نستطيع أن نتحقق ما يحدث لأجسامنا إذا قدر لنا أن نطير بسرعة النور

النسبية تقول إن أى جسم تبلغ سرعته سرعة النور يصير إلى العدم طبقاً لناموس انكماش فتز جيرلد

$$ت = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{س^{2}}{ن^{2}}}}$$

ت = تقلص
س = سرعة الجسم
ن = سرعة النور

نعتبر الزمن بعداً رابعاً لإننا نستطيع أن نقيسه بوحدات تماثل الوحدات التى نقيس بها الأبعاد المكانية ، فالثانية تعادل (١٨٦٠٠٠) ميل وهذا الرقم هو سرعة النور فى الثانية . ونعتبره بعداً رابعاً ، لأنه متعامد مع المتعامدات الديكارتية الثلاثة ، وقد أثبتت التجارب هذه الحقيقة ؛ فتجربة ميكلسن - مورلى - التى كانت أساس النسبية والتى قصد بها أن يعرف الفرق بين سرعة النور فى اتجاهين متضادين : الأول اتجاه سرعة الأرض والآخر عكس هذا الاتجاه ، ولما لم نجد أى فرق كما أثبتت التجارب المتوالية ، فيجب أن نحكم أن سرعة النور وهى وحدة الزمن كما قلنا سابقاً يجب أن تكون فى اتجاه عامودى لسرعة الأرض التى هى بالنسبة لنا تعبير عن المتعامدات الثلاثة الديكارتية

ويزيد فى إيمان العلماء بالزمن كبعد رابع تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً سهلاً وبسيطاً . ولما كانت غاية العلم فى شتى مراحله وأطواره السهولة والبساطة ، فيجب علينا أن نقبل النظرية . ويرى بعضهم أن الإنسانية فى مجرى تطورها ستستطيع مع تقدم العلم واتساع الخيال وأثر التطور فى التصور أن تحس وتعى هذا الاندماج بين الزمان والمكان فى وحدة الزمان ؛ إلا أن هذا لا يبدو قريب الحدوث أو ممكن الحدوث على الإطلاق

جواب سؤالنا الذى صدرنا به هذا المقال يعتمد إذاً على معنى البعد فى ذهن السائل ، فإذا كان يعنى هل يشبه الزمان المكان من كل وجهات النظر ، وهل نستطيع أن نتحرك فيه بكل حرية كما نتحرك فى الأبعاد الأخرى فسيكون الجواب نفياً ، وسيبقى نفياً ما دام الإنسان إنساناً يحس بأنامله ويرى بعينيه ويشعر بالفرق بين الماضى والمستقبل . وفى نظرية النسبية نفسها لا يزال هناك بعض الفروق بين الزمان وأبعاد المكان كاعتبار الزمان خيالياً لانضوائه على الجذر التربيعى للوحدة السالبة . أما إذا عنى السائل هل فى الإمكان خلع الزمان والمكان على الأجسام والحوادث واستخدامها كوسائل لربط هذه الحوادث والأجسام الطبيعية بعضها ببعض فيكون الجواب إيجاباً ، لأننا نستطيع أن نختار هيا كل الإسناد كما نشاء خصوصاً التى تعود علينا بأكبر قسط من السهولة والوضوح

وسنشرح فى مقال تال خصائص كون رباعى الأبعاد سواء كان هذا البعد الرابع زماناً أو مكاناً ، فى هذى الخصائص طرافة يجدر بالقراء أن يطلعوا عليها .

(بيروت — الجامعة الأميركية) خليل السالم



نصوص من الشرائع المصرية القديمة

فى شتاء عام ١٩٣٨ ، كانت بعثة الكشف عن الآثار المصرية القديمة بجامعة فؤاد الأول ، تقوم بأعمال الحفر والتنقيب فى تونة الجبل « هرموبوليس غرب » فعثرت على ملف من ورق البردى طوله متران وعرضه ٢٥ سنتيمتراً داخل « قادوس » من الفخار كسر جزؤه الأعلى ، وكان من المحتمل أن هذا الملف يؤلف قسما من مجموعة قوانين مدنية وجنائية، كانت محفوظة فى عدة قواديس أقفلت قفلاً محكما

ومنذ حوالى عام ونصف عام عهد إلى الدكتور جرجس متى من جامعة فؤاد الأول بترجمة هذا الملف الذى كان مكتوباً بالخط الديموطيقى ، فتبين من ترجمته أن للملف أهمية كبرى فى تاريخ القوانين والتشريع ، إذ أنه يحوى مجموعة عظيمة من القوانين المدنية ، وخاصة ما يتعلق بالمالك والمؤجر وشؤون الهبة والميراث ، وحقوق الانتفاع والتسجيل . وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى يكشف الحفر عن نصوص تتعلق بالتشريع المصرى الذى كثيراً ما ورد ذكره فى نصوص الآثار المصرية ، وشاد بعدالته كتاب اليونان والمؤرخون القدماء

ومما يجدر بالذكر لهذه المناسبة أن القواديس التى كانت فيها مجموعة القوانين المدنية والجنائية توجد فى مبنى صغير شيد باللبن (الطوب الأخضر) ، وهو يقوم الآن تجاه معبد توت والدهليز الثالث ؛ وكانت هذه المجموعة تحت رعاية كهنة توت يرجعون إليها كلما دعت الحاجة . ثم حدث أن احتل هذه الأمكنة فى العصر الأول قبل ميلاد المسيح طوائف من النساك الذين سئموا الحياة فهربوا من المدن إلى أماكن منعزلة ، وألقوا بما عثروا عليه فيها من الآثار جانباً ، ولهذا وجد الملف الثمين المتقدم ذكره ملقى على الأرض قريباً من الجدار الغربى للمبنى

وقد كان هذا الملف مثار المناقشة بين أعضاء المجمع العلمى المصرى فى الاجتماع الذى عقد بداره فى الأسبوع الماضى

حول الرحلات العربية

أشكر لحضرة الفاضل الأديب الأستاذ محمد محمود رضوان مقاله رداً على مقالى « الرحلات العربية » ، فقد أتى فيه بما يكمل ما فاتنى ، وتفضل فدلنى على نوع من الرحلات فى طلب العلم أرجو أن تتم لنا قراءته وتحصل لنا منه الفائدة فى كتابه الذى يشتغل الآن بتأليفه عن المسلمين والتربية

ولقد اعترض الأستاذ الفاضل على روايتى لبيت الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسميـــن والمسمعات بأقصابها

وذكر أن الرواية الصحيحة « بُقصابها » لا « بأقصابها » ، والحق أن كلتا الروايتين صحيحة ؛ فالأقصاب جمع قصب بفتحتين وهى جمع قصبة الغناء كما جاء فى المخصص لابن سيده . وأظن — إذا لم تخنى الذاكرة — أننى أخذت روايتى عن كتاب « شعراء النصرانية » للأب لويس شيخو اليسوعى ، ولا أدرى عمن أخذها هذا . أما الأقصاب بمعنى الأمعاء ، فهو معنى آخر للكلمة ليس هذا موضعه

ولقد سميت الراحلين من قريش إلى اليمن والشام « رحّالين تجاوزاً » ، لأنهم ليسوا رحّالين بالمعنى العلمى الذى نعرفه الآن ولم يكونوا : كابن جبير وابن خرداذبة والمسعودى والمقدسى وابن بطوطة . والقرآن لم يسمّهم رحّالين كما يذكر الأستاذ رضوان ؛ ولكن سمى عملهم رحلة أى نقلة

أما استعمالى لأفعل التفضيل « أملأ » من الفعل الخماسى « امتلأ » ، فهو استعمال صحيح لا غبار عليه ؛ وقد وجدت له نظيراً فى اللغة ؛ فالعرب يقولون : « هذا الكتاب أخصر من ذاك » ؛ وكان الأولى ـ قياساً ـ أن يقولوا : « هذا الكتاب أكثر اختصاراً من ذاك » . فهذا الاستعمالان شاذان حقاً فى نظر النحويين — والأستاذ جد عليم بسخافاتهم فى كثير من المواضع — ولكنهما صحيحان لورود الاستعمال عليهما من قديم

أما العبارة التى يتحدانى الأستاذ أن أعربها وأبين له جواب شرطها ، فإنى أسأله أن يقدّر الجواب بما يشاء ، ليتضح له صحة الاستثناء ، وعليه التحية والسلام

محمد عبد الغنى حسن

الى الأديب ابراهيم نجا

ورد فى قصيدة الأديب إبراهيم نجا المنشورة بالعدد ٤١٣ من الرسالة هذه الأبيات :

أيها الورد جميل أنت لكنى حزينُ
أيها الأفق رحيب أنت لكنى سجينْ
أيها النور رطيب أنت لكنى دفينْ
حطم الدهر جناحى وبرت جسمى السنون

وقد ضبط الشاعر القافية (حزينُ) بالرفع كما ترى

قلت : إن الصواب واحد من اثنين :

١ — إما أن تضبط القوافى كلها بالسكون

٢ — وإما أن يقول (السنينُ) بدلاً من (السنونُ)

وقد يبدو هذا غريباً بادى الرأى ، ولكنك حين تمعن الفكر يتبين لك صحة ما أقول ... حقيقة أن الرفع مطّرد فى قوافى الأبيات الثلاثة الأولى ولا غبار عليه ، ولكنه شذّ فى البيت الأخير لأن رفع (السنون) الملحقة بجمع المذكر السالم بالواو يدل على أن الشاعر أعربها إعراب جمع المذكر السالم وهو المشهور ، وإذن فقد وجب عليه ضبط النون بالفتحة كما تقول (المسلمونَ) ، وكما يقول الله تعالى : (كم لبثتم فى الأرض عدد سنينَ) (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنينَ) (قال تزرعون سبع سنينَ)

أما إن أراد الشاعر ضبط النون بالضم فعليه أن يعرب الكلمة الظاهرة على النون مع لزوم الياء كقول الشاعر :

دعانى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيباً وشيّبننا مردا

وفى الحديث : (اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف) فى إحدى الروايتين

وبعد . فإنه يحق للدكتور زكى مبارك أن يقول للأديب نجا : (كما يدين الفتى يدان)

وإلى الأب أنستاس

فى مقالك القيم الأخير (ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب) قلت : (وفى التاج ، البده : السيد الأول فى السيادة ، والثُّنيان الذى يليه فى السؤدَد)

وأقول : ليس بين يدىّ الآن (التاج) لأرى ضبط (السؤدد) أهو كما نقلت أم لا ؛ ولكنى أعرف عن أساتذتى فى دار العلوم أن هذه الكلمة إذا هُمِزت ضُمّت الدال الأولى فتقول : (السؤدُد) ، وإذا لم تُهمَز فتحت هذه الدال فتقول : (السُودَد) . أما (السؤدَد) بالهمز وفتح الدال فلا

وعلى ذكر أن البده معناه السيد أذكر بيتاً يستشهد به النحاة فى باب الجوازم وهو :

فجئت قبورهم بدءاً ولمّا فناديت القبور فلم يجبْنَه

أى ولما أكن بدءاً قبل ذلك أى سيداً

محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة النموذجية

المرحوم ابراهيم طوقان فى العراق

حظيت بزمالة الراحل الكريم فى دار المعلمين الريفية بالرستمية من ضواحى بغداد — وقد كان قبل هذا العام فى إذاعة القدس ، ولكن نفسه الكبيرة ضاقت بها فكث معنا قرابة نهاية العام الدراسى الحالى ، بعد جهد حميد بذله لطلابه ؛ ولكن جسمه النحيل الذى يحمل هذه النفس العالية والروح الشاعرية لم يحتمل عناء الدرس ، فانقطع عن المدرسة وعاد ، ثم انقطع وعاد ، ولكن المرض غالبه ، ففضل الاستقالة والعودة إلى « نابلس »

عاش معنا سبعة أشهر كان فيها مثال الأخ الكامل والصديق الوفى . كان حلو الحديث جميل المعاشرة عذب السمر ، تجلس معه فلا تحب ترك مجلسه ؛ يغمرك بما تطلب منه من شعر جذاب يملك على النفس مشاعرها ، من شعره وشعر شوقى وحافظ والجارم وعلى محمود طه وكان معجباً به لأن شعر طه كان يفيض على البلاد العربية ، وقد كان الفقيد حدباً على العرب والعربية ، وكثيراً ما كان يحدثنى عن شعراء مصر وأن كثيراً منهم لا يهتم بغير ذكر مصر ورجال مصر وآلام مصر وآمالها ، فحملنى رجاءه إلى شعراء مصر الأجلاء أن يمنوا بالشرق العربى حتى يكون الشعر المصرى النفيس الغالى ترنيمة المواطن العربية جميعها . لأن الجميع ينظر إلى مصر وشعرائها وكتابها نظرة الإمامة والتبجيل والقداسة

وما كنت أعتقد هذا الرجاء سيصبح يوماً ما وصية الراحل الكريم لشعراء مصر الأكرمين . ولقد كان كثير الاهتمام بمصر وأخبارها السياسية والأدبية ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد حدثنى بأنه تربطه بمصر رابطة الأصل والنسب

مات طوقان ؛ وهو عزيز على دولة الأدب ، عزيز على زملائه وطلابه .

وإن الكلام فى نواحى عظمة طوقان ، وكرم نفسه وعلو همته ، وعراقة محتده ، لا تسعه هذه العجالة . فأكِلْ إلى الزملاء العارفين قدره توفيته ، وعند الله حسن جزائه فى جنات الخلد جزاء الصديقين والشهداء والصالحين

السيد ابراهيم سالم

بطن الشاعر ...

« بطن الشاعر » هذه كلمة أشبه بالألغاز والأحاجى ، ظللت أستوضحها — بينى وبين نفسى — وأستلهم الله تفسيرها ، فلم أجد ما يشفى الغُلّة ، اللهم إلا ما يتخبط فيه الفكر ويتعثر معه الخيال ...

وربما قلت — فى بعض الأحايين — إذا أردت التاريخ لها أنها ظهرت يوم كانت الفلسفة مبغضة محاربة . فلما خاف الفتى من الفلاسفة أن يموت من عثرة لسانه ، أغمض وأغرب ، وعمّى وألغز ، وأغلق وأبهم ، لِيَنْجُوَ بجلده ، ويخلص بنفسه إن اشتد عليه النكير ، أو تجهّمت له أعين الجلاّد . وأغلب الظن أن هذه الكلمة يوم « ماتت » لم تشأ إلا أن تترك لها ذنباً يلعب فيما يسمى بغرابة اللفظ وغموض المعنى . وقد كان المتنبي يلذ له أن ينام ملء جفونه عن أوابد شعره ، فى الوقت الذى يسهر معاصروه فى شرحه ، ويختصمون فى بيان منزلته . وهكذا يحكى عن بعض المؤلفين القدامى ، أصحاب الشروح والحواشى والتقارير ... فقد كان الواحد منهم يروقه أن يتخبط الناس فى كلامه ، ويقلبوه على وجوهه المختلفة ، ويزيدوا على عبارته ، أو ينقصوا منها ، ليستقيم المعنى ويظهر المراد ، فإن لم تتطاحن فيه الأفهام ، وتختلف العقول ، وتتضارب الآراء ، فهو كتاب ميت ، أو مؤلف لا قيمة له ...

وكان أخوف ما يخافه الإمام الشيخ « محمد عبده » أن يتصدّى أحد بالكتابة على مؤلفاته ، تراه يستعيذ بالله من هذا ويتبرأ منه ، وقد حدا به إلى ذلك أنه رأى الكتب — فى عهده — لا ترمى إلى المعنى الخالص ، والبيان الصراح ، ولكنها تلتوى وتتخبط ، وترمى إلى التعقيد والإبهام ... وربما كان فينا من أدرك هذا — فى الأزهر — حين كان الأستاذ أو التلميذ فى الدرس ، يمر بالعبارة من العلم ، أو الجملة من الكتاب ، فإذا رأى أنه مر بها مرور الكرام ، وعبرها عبوراً سهلاً ، اتهم فهمه ، وأساء الظن بعقله ، واستكبر على نفسه أن يعلق المعنى بخاطره — عفواً — دون تكلف أو معاناة ، فعاد يرجع الضمير إلى مرجع آخر ، أو يورد الشبه والاعتراضات ، ليرى هل يسلم له الفهم ، ويخلص المعنى ، أم تحيط به الأشواك والعقابيل ... لأنه يعلم — حق العلم — أن صاحب الكتاب كدح فيه ذهنه ، وأتعب نفسه ، وأضاع من وقته الجم الكثير وأن تأليفاً كهذا لا يمر به قارىء إلا على جسر من التعب ، وطريق أدق من الصراط ... وبعض الناس يحيط الإغلاق ببيانه ولسانه ... فهو كاتباً أشبه به محدثاً ، بطنه كظهره ، وظهره كبطنه ... لا يضيرك أن تقول المعنى فى بطنه أو ظهره ... كأنما هم عالة على البيان ، أو زائدة فى بنى الإنسان !!!

ابراهيم على أبو الخشب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 415

Lundi - 16 - 6 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٦ يونية سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤١٥

الفهـــــرس

صفحة

٧٧٣ الزوجة المثـــلى ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٦٧٦ الاســـلام والعلاقات الدولية : الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
٧٧٨ عبد القادر حمزة باشـــا ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٧٨٢ عهد ... وعهد ... ... : الأستاذ محمد محمد المـــدني ...
٧٨٦ ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ... ... } الأب أنستاس ماري الـكرملي
٧٨٩ عبد القادر حمزة باشـــا ... : الأستاذ محمود الشرقاوي ...
٧٩١ الفقيد العزيز . . [قصيدة] : الأستاذ علي شوقي ... ...
٧٩٢ نيـــابة بعض حروف الجر عن بعض ... ... } الأستاذ الـكبير (ا . ع) .
٧٩٤ موسيقى تائهة ! [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٧٩٥ كون رباعي الأبعاد .. ... : الأستاذ خليل الســـالم ...
٧٩٧ عبد القادر حمزة باشا في ذمة الله : . ...
لقد نفذ الأستاذ المراغي الاصلاح : الأستاذ كمال عبد الآخر ...
٧٩٨ رسالة الأزهر ... ... : الأستاذ زكي غانم ... ...
٧٩٩ ليس هذا هو الطريق إلى الاصلاح : الأستاذ مصطفى اسماعيل جوهر
مكتبة الحرم الشريف النبوي العامة ... ... } . ...
٨٠٠ تحذير ورجاء .. .. : . ...

الزوجة المثـــلى

للأستاذ عباس محمود العقاد

وصلت إليّ محاضرة العالم الفاضل الدكتور عبد المعطي خيال عميد كلية الحقوق بالأسكندرية في موضوع « الزوجة المثلى » ، وهي المحاضرة التي اقترحتها عليه وزارة الشئون الاجتماعية ، وأذاعها الأستاذ في منتصف الشهر الماضي ، وفيها يقول ما فحواه أن الآفة كلها هي : « حرص الشباب على المادة ، وجريه وراء الكسب ، وحطه من القيم التي خلفها السلف الصالح ومن قواعد الأخلاق التي كانت مقررة عندهم ، واكتفاؤه بالعاجل من اللذات »

وظهر العدد المـــاضي من « الرسالة » وفيه مقال صديقنا الأســـتاذ الزيات الذي يعقب به على خطاب السيدة « ليلى » ، وما رأيه من أن السبب المباشر والمصدر الأول لمشكلة الزواج هو المادة ، وكان ختام مقاله : « إن المال إذا جعل غاية للزواج كان شقاء لمن وجدته ولمن فقدته على السواء ... »

وعندي أن المادة هي آفة العصر الحديث كله ، وفي عداد مشاكله الكبرى مشكلة الزواج . فالناس لا يتهالكون على المادة ولا على اللذة العاجلة إلا إذا قل إيمانهم بالحياة . ومن ثم يغلب الشح على الشيوخ والضعفاء ، كما يغلب على الشعوب التي ضاعت من أيديها السيادة وقيم الحياة العليا . فكل تهالك على المادة إنما

هو بديل من الحياة الصحيحة ، أو من الثقة بنفاسة الحياة ، وكأنما يقول الإنسان لنفسه : علام الصبر والانتظار والإرجاء وأى ضمان لك من الأخلاق والعواطف وهى هباء ؟ إنما ضمانك الوحيد المادة التى فى يديك ، والنقمة التى تسوق غيرك إليك ، وكل ما عدا ذلك فهو فضول لا يجدى شيئاً عليك

لكن الزواج مشكلة كبرى ، ولو خلص الناس من آفات العصر ومشكلاته ، ومن ولع الشباب بمآربه ولذاته

الزواج مشكلة لأنه يحاول التوفيق بين نقائض كثيرة فى الطبيعة الإنسانية ، ولا يقتصر أمره على التوفيق بين فردين

فمن الناس من يظن أن الزوجة المثلى هى المرأة المثلى ؛ وهذا فى اعتقادنا خطأ ظاهر يتكشف بقليل من الروية

لأن المرأة المثلى من شأن الطبيعة

أما الزوجة المثلى فمن شأن المجتمع والآداب الإنسانية حسبما تتعاقب بها الأزمان

وقد تكون المرأة أنثى طبيعية من الطراز الأول فى تكوين الأنوثة ؛ وليس من اللازم بعد هذا أن تكون زوجة من الطراز الأول فى معاشرتها لزوجها وفى أمومتها أو فى رعايتها للآداب وقيودها

وقد تكون المرأة زوجة مُثلى فى البيت والأمة ، ومع الزوج والولد ، ولا يلزم من ذلك أن تبلغ فيها الأنوثة الطبيعية تمامها

وتنجلى هذه الحقيقة بعض الجلاء إذا تذكرنا أن الحيوان فيه إناث مثاليات فى عرف الطبيعة ، وليس فيه زوجات مثاليات على النحو الذى يتطلبه الإنسان

وهنا مشكلة ليست بالهينة من مشكلات الزواج ، لأنها مشكلة التوفيق بين ما توحيه طبيعة الأنثى ، وبين ما تمليه آداب المجتمعات ، وهما شيئان لا يتفقان كل الاتفاق

ويفهم بعض الناس أن الزوجة المثلى هى التى ترضى الرجل ، وأن الزوج الأمثل هو الذى يرضى المرأة

وهذا خطأ آخر من أخطاء الآراء فى هذا الموضوع ، ويكفى أن نسأل : ما هو غرض الزواج ، ليكون الجواب تصحيحاً سريعاً لهذا الخطأ المشهور

الزواج مقصود لأنه وظيفة اجتماعية ونزعة إنسانية ، ويصح أن يتم أداء هذه الوظيفة بمضايقة الزوجين معاً أو بمضايقة زوج واحد منهما ، كما يصح أن يتم أداؤها بما يرضى أحدهما أو كليهما

فلا غرابة من أجل هذا أن تبر الزوجة المثلى بعهد الزواج وهى لا ترضى الرجل كل الإرضاء فى كل حين ، وأن يبر الزوج الأمثل بذلك العهد وهو مكره على إغضاب حليلته التى يتوخى لها الإرضاء والإيناس

وهنا مشكلة ليست بالهينة كذلك من مشكلات الزواج ، لأنها مشكلة التوفيق بين الهوى والواجب ، أو بين النظر القريب والنظر البعيد ، وهى المشكلة الخالدة فى حياة الإنسان

***

ومن المشكلات فى هذا الباب أن الزوج الأمثل لامرأة لا يلزم أن يصبح زوجاً أمثل لامرأة أخرى . فالرجل فى الأربعين زوج أمثل لامرأة فى حدود الثلاثين ، والرجل الذى فيه صلابة زوج أمثل للمرأة التى فيها شكاسة ، والرجل الحليم المتئد زوج أمثل للمرأة المتعجلة الرعناء ، ولكنهم يختلفون ولا يتوافقون هذا التوافق ، فإذا هم أسوأ الأمثلة للأزواج وأقلهم أملاً فى الرفاء والوفاء

***

والبيت مشكلة المشاكل فى العصر الحديث

ففى العصور الماضية كانت المسافة قريبة جداً بين العالم البيتى والعالم الخارجى ، وكانت الملاهى الخارجية أشبه شىء بملاهى النادر فى البيوت مع قليل من التوسع والتعميم . فلم يكن من العسير أن تتفق معيشة الأسرة ومعيشة المحافل الساهرة ، ولو كانت محافل لهو وانطلاق

أما اليوم ، فالمسافة بعيدة جداً بين عالم البيت والعالم الخارج ، لأن المناظر التى يراها الساهر فى العالم الخارج لا يراها فى بيته ولو كان من أهل السعة واليسار ، وإنما نشأ هذا عن اختراع الآلات التى تعمل للألوف وألوف الألوف ولا تقصر عملها على جماعات من الناس يعدون بالعشرات كما كانت محافل اللهو فى العصر القديم . وليس من المعقول أن تنفق الشركات مليون ريال على منظر سينمائى يدار فى بندرة أو بهو أو قصر كبير بضع ساعات ؛ ولا نعرف اختراعاً من هذه الاختراعات يوافق الحياة

البيتية غير المذياع الذى يسهل اقتناؤه فى الصغير والكبير من البيوت ، وهو وحده لا يغنى عن سائر الأفانين التى تتنوع فى محافل السهرات

فالبيت فى العصر الحديث مهدد الأساس ، ولا وقاية له من هذا التهديد إلا الإقلال من المواسم الكبرى وتشجيع الإقامة فى الريف ، وإلا تربية الذوق المستقل الذى يصعب انغماسه فى غمرة الجماهير ، وتربية الإرادة الفردية التى يهمها أن تنطوى على نفسها حيناً بعد حين ، ويعجبها أن تنعم بالعشرة الأخوية بين الصحب المتفاهمين والأقارب المتعاونين ، فوق إعجابها بضجة السواد وزحام القطيع

وليس ما نذكره هنا حلولاً لمشكلة الزواج ولا علاجاً حاسماً لآفات العصر الحديث ، ولكنه محاولة لفهم المشاكل على حقيقتها لا غنى عنها وعن أمثالها قبل الرجاء فى علاج ناجع ؛ إذ كل علاج لا يسبقه الفهم الصحيح يقع على غير الداء ، وقد يضاعف الأذى ولا يدنى من الشفاء

* * *

إلا أننا نعتقد أن الحلول جميعاً لن تخلى الزواج من عقدة مؤربة باقية على الزمن كله ، لأنها قائمة على طبيعة فى النفس الإنسانية لا يرجى لها تبديل كبير

تلك العقدة هى غرابة الأسرار الجنسية التى تدفع بالرجل إلى اختيار المرأة ، وتدفع بالمرأة إلى اختيار الرجل . فليس لزاماً أن يحب الرجل امرأة تستحق حبه ، أو تصلحه وتصلح أبناءه ، أو تجد فيه مزية كالمزية التى يجدها فيها ؛ بل يتفق كثيراً أن يترك المرأة التى تسعده ويتعلق بالمرأة التى تشقيه ، ويتفق كثيراً أن يهواها للأسباب التى توجب عليه اجتواءها والإعراض عنها . وشأن المرأة فى هذه الخليقة أعجب من شأن الرجل وأنأى عن الرشد ودواعى الاختيار المميز البصير ؛ فإن إخلاصها لمن يستحق منها الإخلاص أندر من إخلاصها لمن يفسدونها ويسيئون إليها ، وهى خليقة لها أسرار أعمق من عرف المجتمع وآداب الزواج وأواصر الأهل والأسر ، وليس بالميسور مع بقائها فى الطباع خلو الزواج من المشكلات

ولكن الطبيعة تهدينا إلى بعض الأسرار كما تخفى عنا كثيراً من الأسرار ، وحسبنا أن نقتدى بها فى أساليبها لننتهى إلى شىء فى هذا الباب خير من لا شىء . فإن أساليبها فى علاقة الجنسين تجرى فى نهجين مطردين لا يختلفان بين الإنسان وسائر الحيوان وإن اختلفت فى الحيوان العاقل بعض المظاهر والغايات

أول هذين النهجين هو مزج الواجب بالسرور ، فلا يخدم الإنسان النوع بإدامة النسل أو بالإصلاح والإرشاد إلا وفى خدمته سرور له يقويه على واجبه ويغريه باحتماله

وثانى هذين النهجين « التوريط » الذى يقيد الإنسان حين يريد الإفلات فلا يقدر على الإفلات ، لأن مصاعب النجاة من الحالة التى يعانيها أكبر من مصاعب الصبر عليها بعد وقوعه فيها . وخير الأمثلة على ذلك كفالة الأبناء ومتابعة السعى فى سبيل المجد من مرحلة إلى مرحلة ، وقد كان الساعى فيه يحسب أنه مستريح بعد المرحلة الأولى

وتلك هداية لا يعدم الفائدة من يتوخاها فى علاج جميع المشكلات

عباس محمود العقاد

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الشيخ محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة

— ٢ —

(ا) النظام الذى يسبق الحرب (١)

يقرر الإسلام أنه لا يصح بدء الحرب إلا بعد أن تتحقق روح العداء للمسلمين، وأنه يجب على المسلمين إذا تحققوا من ذلك أن يبلغوهم الدعوة

وشبيه بهذا ما يسمى فى العرف الدولى الحاضر بالإنذار النهائى.

وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم لأحد قواده: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث»

وقد قال الفقهاء: «إننا بهذه الدعوة نعلمهم أننا لا نقاتلهم على أخذ أموالهم وسبي عيالهم، فربما يجيبون إلى المقصود من غير قتال، وقتالهم قبل الدعوة إثم يستوجب غضب الله

(ب) النظام الذى يكون فى أثناء الحرب

لا يريد الإسلام من الحرب تنكيلاً ولا تخريباً، ولا يرضى للناس أن ينسوا فيها واجب الإنسانية من الرفق والرحمة ورعاية العدل والخوف من الله

وإنه ليأخذ المسلمين فى أثناء الحرب بآداب لو رعتها الأمم لخففت من ويلات البشرية وضمدت من جراحها

وقد يكون من الملائم لنا فى هذه الظروف التى جنَّ فيها جنون العالم، وانفتحت فيها على الناس أبواب من الجحيم الذي صنعه الناس لأنفسهم، وأنفقوا فيه جهودهم وأموالهم وأفلاذ أكبادهم؛ قد يكون من الملائم أن نذكر شيئاً من تلك الآداب الإسلامية للحرب، ليعلم الناس أن هذا الدين دين الرحمة والرفق والعدل والصلاح:

١ — فالإسلام لا يجيز قتل المرأة ولا الصبي ولا الشيخ الفانى ولا المقعد ولا الأعمى ولا المعتوه؛ ولا يجيز قتل أصحاب الصوامع ولا الزراع ولا الصناع الذين لا يقاتلون

٣ — ولا يجيز المثلة ولا التحريق ولا قطع الأشجار ولا هدم البنيان إلا إذا بدأ بذلك العدو نزولاً على مبدأ المعاملة بالمثل «وجزاء سيئة سيئة مثلها»(١)

٣ — ولا يجيز الإجهاز على الجرحى ولا التحريق بالنار

وفى وصاياه صلى الله عليه وسلم لأحد قواده: «لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيراً هرماً، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة إلا لمأكلة، ولا تفرقن نخلاً ولا تحرقه «وإن النار لا يعذب بها إلا الله»

ومن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تقتلوا الذرية فى الحرب. فقالوا: يارسول الله: أليسوا أولاد المشركين؟ فقال: أوليس خياركم أولاد المشركين؟)

٤ — ويقرر الإسلام — تمشياً مع مبدئه من عدم محاربة غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والمدنيين — أنه لا يجوز تجويع الأمة المحاربة ولا منع المواد الضرورية للحياة عنها، وإن كان يبيح ذلك بالنسبة للجيش المحارب

٥ — ومن نظم الإسلام فى أثناء الحرب الدالة على السماحة أنه يبيح لأفراد وجماعات من الدولة المحاربة أن تتصل بالمسلمين وتدخل فى ديارهم، وتقيم فيها بعض الزمن وتزاول بها أنواعاً من المعاملات التجارية وغيرها فى عصمة شيء يعرف فى التشريع الإسلامى باسم الأمان

ويقرر به عصمة المستأمنين، ويوجب على المسلمين حمايتهم فى أنفسهم وفى أموالهم ما داموا فى ديار الإسلام. بل يذهب فى التسهيل عليهم إلى حد بعيد: ذلك أنه يمنحهم أنواعاً من الامتيازات، ويعفيهم من بعض ما ينفذه على المسلمين من أحكام، ولا يؤاخذهم إلا على الجرائم التى تهدد أمن الدولة وسلامتها، أو يكون فيها اعتداء على المسلمين ومن فى حكمهم

وقد توسع الإسلام فى هذا الباب توسعاً عظيما: فجعل لأفراد المسلمين حق إعطاء ذلك الأمان «يسعى بذمتهم أدناهم»، ولم يشترط

---

(١) مراجع هذا الفصل والذى بعده من كتب الحديث والفقه فى أبواب السير والمغازى والجهاد

(١) من الآية: ٤٠ الشورى

فى ذلك إلا ما يضمن على المسلمين سلامتهم كالتأكد من أنه ليس للمستأمنين قوة ولا منعة ، ولا يبدو عليهم مظاهر الركون إلى الفتنة أو التجسس على المسلمين . وليس معنى هذا أن الإسلام ينسى حق الإمام المهيمن على شئون المسلمين ، بل جعل له بمقتضى هيمنته العامة وتقديره لوجوه المصلحة إبطال أى أمان لم يصادف محله ، أو لم يستوف شروطه ، كما له أن يقيد أمان الأفراد ويمنع إقدامهم عليه

والأصل فى هذا المبدأ الذى تتجلى فيه روح السماحة على نحو لا يعرف له مثال حتى فى الأمم المتحضرة الآن قوله تعالى :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »(١)

والإسلام يبيح بهذا الأمان تبادل التجارة بين المسلمين والمحاربين ، وتبادل المنافع الأخرى فى الصناعة والثقافة وسائر الأعمال .

وهو لا يقيد المسلمين فى ذلك إلا بأن يحتاطوا لأنفسهم ودينهم ودولتهم ، ولذلك يحرم عليهم أن يبيعوا السلاح والذخيرة والخيل والعتاد الحربى إلى أعدائهم

وهو فى الوقت نفسه يهيئ بهذا الأمان فرصة للمستأمنين تمكنهم من تفهم حقيقة الإسلام وإدراك أغراضه عن كثب . ولقد كان للإسلام من ذلك وسيلة قوية لنشر دعوته وإيصال كلمة الله إلى كثير من الأقاليم النائية من غير حرب ولا قتال

ويقرر الفقهاء « أنه يجب على الإمام — إذا وقت للمستأمن مدة — ألا يجعل هذه المدة قليلة كالشهر والشهرين ، فإن فى ذلك إلحاق العسر به خصوصاً إذا كان له معاملات يحتاج فى اقتضائها إلى زمان طويل »

٦ — ومن تقاليد الإسلام فى أثناء الحرب رعاية الرسل الذين يقومون بالسفارة بينه وبين المحاربين وشدة الحرص على سلامتهم وتكريمهم والمحافظة عليهم حتى يعودوا إلى مأمنهم ، ورفض الاحتفاظ بهم ولو خلعوا أنفسهم من قومهم ، وفى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم شواهد كثيرة على ذلك من أروعها ما يرويه أبو رافع إذ يقول :

(١) الآية : ٦ من التوبة

بعثنى قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأتيته فوقع الإسلام فى قلبى فرأيت ألا أعود إليهم . فقلت يارسول الله : لا أرجع إليهم . فقال : إننى لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد . إرجع إليهم ، فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع إلينا

٧ — ومن تشريع الإسلام فى أثناء الحرب قاعدة معاملة الأسرى . أمر بالإحسان إليهم ، وعدم مسهم بأذى ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأسير : أحسنوا إساره . وقال أجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه

وقد حث القرآن الكريم على تكريم الأسرى عامة ، وجعل ذلك من البر الذى هو علامة الإيمان فقال جل شأنه فى التمدح بصفات المؤمنين :

(ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً)(١)

وخير الإمام بين إطلاقهم من غير مقابل ، وفدائهم على حسب ما يرى من المصلحة . وقد مَنَّ النبى صلى الله عليه وسلم وفادى بالمال وبتعليم الأسارى أبناء المسلمين الكتابة . أما استرقاقه صلى الله عليه وسلم أو إباحته للاسترقاق فقد كان مجاراة لحالة اجتماعية سائدة فى الأمم إذ ذاك . ولم يكن على وجه التشريع العام . وإنما التشريع العام فى ذلك هو قوله تعالى : (فإما مَنًّا بعدُ وإما فداء)(٢)

وإن فى التشريع القرآنى للأسرى على هذا النحو مع تصرف النبى صلى الله عليه وسلم ما يرشد إلى أن الإسلام يمنح الحاكم من الحقوق فى ظروف خاصة ما يستطيع به علاج المشكلات الواقعة من غير أن يكون ذلك تشريعاً عاماً يسرى حكمه على جميع الأزمان

٨ — وكما شرع الإسلام معاملة الأسرى على أساس من الرأفة والرحمة شرع للغنائم على أساس من العدل والمساواة فقرر حق تملكها لمن حازها من المتحاربين المسلمين وغيرهم فى ذلك سواء

(البقية فى العدد الآتى)

محمود شلتوت

(١) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الانسان

(٢) الآية : ٤ من سورة القتال

عبد القادر حمزة باشا

للدكتور زكى مبارك

منذ عامين مات الشاعر محمد الهراوى فغلبنى الدمع بقوة وعنف، على قلة ما تدمع العين لفراق الراحلين من المعارف والأصحاب، وإنما كان ذلك لإيمانى بأن الهراوى صديق لا تغيّره الأيام ولا الليالى، فهو ثروة ضاعت من يدى إلى آخر الزمان

وفى هذه الأيام مات الكاتب عبد القادر حمزة فعرفت من جديد كيف تكون غزارة الدمع حين يموت الصديق، وكان عبد القادر صديقاً لا نظير له ولا مثيل، كان أخًا نقىّ القلب، عذب الروح؛ وكان مثالاً نادراً فى حفظ الوداد بالمحضر والمغيب. كان دنيا باسمة من الأخوّة الروحية. كان كنزاً نزعته الأقدار من يدى، فأنا لفراقه محزون إلى آخر الزمان

لم أفكر مرة واحدة فى الانتفاع بجاه عبد القادر حمزة باشا، وكان رجلاً مسموع الكلمة عند من يملكون تصريف الأمور، وإنما زهدت فى الانتفاع بجاهه لأصون ما بينى وبينه من الوداد عن شوائب المنافع الدنيوية، وإن كان انتفاع الصديق بجاه الصديق أمراً لا يغض من أقدار الرجال

كانت صداقة عبد القادر حمزة جوهراً من أكرم الجواهر. كانت ذخيرة يدّخرها الحرّ لزمانه، فما يبالى أين تقع الحوادث، ما دام عبد القادر بخير وعافية. وهل أنسى أنى لم أكن أبالى حوادث الأيام لأنى كنت أعرف أن مكانى محفوظ فى جريدة البلاغ لأرجع إليه حين أشاء؟

هل أنسى أنى أملك نحو عشرين خطاباً دبّجها بيده صديقٌ كريم يعزّ القلم والبيان؟

هل أنسى أن الصداقة التى جمعت بينى وبينه لم تكن إلا نتيجة لمداوة أثرتها فى وجهه بصدق وإخلاص، وكان رحمه الله من أهل الصدق والإخلاص؟

لاحظتُ مرة أنه لا يستريح لبعض ما أكتب فى جريدة البلاغ وكانت تناصر الوفد المصرى وأنا أناصر الحزب الوطنى، فكتبت إليه أستعفيه من الاشتراك فى تحرير البلاغ، بحجة أنى لا أستبيح الانتفاع بخزينة ليس مبدؤها من مبدئى ولا هواها من هواى، فكتب إلىّ رحمه الله يقول:

«أكتب ما تشاء، وخزينة البلاغ تحت تصرفك»

فإن راجعتم «البلاغ» لذلك العهد ورأيتم فيه أشياء لا تنسجم مع سياسة «البلاغ» فاعرفوا أنها من قلمى، القلم الذى تمرّد على صاحب «البلاغ» ليظفر بمودة صاحب «البلاغ» وكان الصدق أعظم وسيلة لغزو ذلك القلب الأمين

لن ينقضى حزنى لفراق عبد القادر، ولن أنسى جميله أبداً ولو أن قلمى استطاع الاستشهاد بجميع ما قال الشعراء فى الرثاء، لما كان فى ذلك ما يصوّر لجيعتى فى «الصديق الذى وصل جناحى، وراش مهمى» على حد التعبير الذى قدّمت به إليه كتاب «ذكريات باريس»

صحبت عبد القادر نحو خمسة عشر عاماً، فلم أره إلا جذوةً من الأقباس الروحية. ولو أنى قضيت هذه المدة مع عدو لتحول إلى صديق، فكيف تروننا صرنا — وقد قضينا هذه المدة فى إخاء وصفاء؟ كيف تروننا صرنا وقد كان التعاون الصادق أساساً لما بينى وبينه من وداد؟

كان عبد القادر فى أعوامه الأخيرة يعتب علىّ أشد العتب، لأنى لا أمر بداره للسؤال عنه وهو مريض، وكنت أعرف كيف أعتِبُه فأقول: سألت عنك فى «البلاغ»، وأنا لا أعرف لك داراً غير دار «البلاغ»

فن يعزّينى وقد ضاع حظى فى عيادة ذلك العليل النبيل؟ من يعزينى ولم أسمع بموت عبد القادر إلا بعد أن فُضّ مأتمه فلم أشترك فى حمل نعشه ولم أُقبّل جبينه قبل أن يوارَى التراب؟ من يعزينى فى أخٍ كان لى وكنت له عوناً على الشدائد والخطوب؟

التفتُ مرة، فلم أر غيره فى سنة ١٩٢٨؛ والتفتَ مرة، فلم ير غيرى فى سنة ١٩٣١، فإلى مَن ألتفتُ إذا دجت الخطوب وبينى وبين عبد القادر بُعدُ ما بين الأحياء والأموات؟!

مات عبد القادر، مات أخى، فن يعزينى؟

مات الرجل الذى لا يكذب ولا يغدر ولا يخون

مات الرجل الذى شهد خصومه بأن موته كان نكبة وطنية

مات عبد القادر ، مات أخى ، فمن يعزينى ؟ !

لو كان شقُّ الجيوب من شمائل هذا العصر لشققتُ جيوبى ، فلم يبق إلا أن أشق قلبى حزناً على عبد القادر ، وإنه بذلك لخليق . وهل من الكثير أن يصرعنى الحزن وقد فقدت صديقاً كان أعظم الذخائر فى دنياى ؟

وهل فقد الناس مثل مَن فقدتُ فى قديم أو حديث ؟

دلونى على صديق فى مثل أخلاق عبد القادر ، ليخفّ عتبى على الأقدار التى أطفأت نوره الوهاج ولم يَبدُ الثالثة والستين ؟

دلونى على صديق لا يثور علىّ ولا أثور عليه ، وإن أسرفت الحوادث فى إفساد ما بين الأصفياء

أمثلك يموت ، يا عبد القادر ، وكان روحك بشير الخلود ؟

نعاك الناعون وبكاك الباكون ، يا عبد القادر ، وأنا وحدى أحمل من رزئك الأثقال ، لأنى أول وآخر من ظفر بثقتك الغالية ولأنك أول وآخر من وثقت بهم بلا تحفظ ولا احتراس

ما أحرّ وجدى لفراقك ، يا أخى وصديقى !

وما أشقانى لبُعدك ، يا أصدق من عرفت بين أحرار الرجال !

أخى وصديقى :

أظلم نفسى وأظلم الحق إذا قلت بأن الدنيا لم تعرف رجلاً فى مثل شمائلك ، ولكنى أظلم نفسى وأظلم الحق إذا قلت بأنى عرفت فى حياتى صديقاً أنفع منك ، وكنت وحدك الرجل الذى أقنعنى بأن للصداقة مكاناً بين أطايب الوجود

أنا حزين لفراقك ، يا عبد القادر ، حزين ، حزين

وإن امتد الأجل ، فسوف أجزيك وفاء بوفاء ، وإخلاصاً بإخلاص .

أما بعد فما أحب أن يشغلنى بكاء هذا الصديق عن شرح بعض الشمائل التى صار بها رجلاً يضر وينفع ، ففى ذلك توجيه يستفيد به الناشئون من أبناء هذا الجيل

عرفت عبد القادر أول مرة — معرفة أدبية لا شخصية — عن طريق ما كان يكتب فى « الأهالى » سنة ١٩١٩ ، وكانت جريدة صغيرة الحجم ، ولكن أسلوبه فى تحريرها كان يجعل منها جريدة قوية لا يستغنى عنها من يحرص على غذاء العقل والوجدان

ثم كانت « الأهالى » سميرى وأنيسى فى وحشة الاعتقال ، لأنها كانت تساير جريدة « الأمة » لسان الحزب الوطنى فى ذلك الوقت ، ومن لم ير كفاح « الأهالى » و « الأمة » فى محاربة « مشروع ملنر » فليس من حقه أن يتوهم أنه شهد صيال الأقلام فى خدمة القضية المصرية

كانت هاتان الجريدتان تصدران فى الإسكندرية ، وكان المتقَل الذى صرنا إليه بعد معتقَل قصر النيل يقع بضاحية « سيدى بشر » وكان قبل وصولنا إليه معموراً بجماعة من أسرى الألمان فى الحرب الماضية

فى تلك المدة فُـتِنْتُ فتنة شديدة بالمحصول الذى يصدُر عن « الأمة » و « الأهالى » ؛ فكان الجدل لا ينقطع بينى وبين إخوانى من المتقلين حول ذلك المحصول الجزيل ، لأن المتقلين كانوا ينقسمون إلى معسكَرين : معسكر الحزب الوطنى ومعسكر الوفد المصرى

فلما قضى الله بانتهاء كرب الاعتقال كان أول همى أن أزور الأستاذ محمد المهياوى رئيس تحرير « الأمة » والأستاذ عبد القادر حمزة رئيس تحرير « الأهالى »

وفى جريدة الأمة لقيت فقيد الوطنية عبد اللطيف الصوفانى بك لحيّانى والدمع فى عينيه ، وقدّم إلىّ خمسة جنيهات لأقضى بها فى الإسكندرية أياماً أنسى بها متاعب الاعتقال ، فما دخلت الإسكندرية أول مرة إلا فى سيارة مقفلة من سيارات الجيش الإنجليزى وفى ظلمات الليل

ومضيت إلى جريدة الأهالى فرأيت فيها الأستاذ عبد القادر حمزة ، ورأيت فى صحبته رجلاً بسّاماً هو الأستاذ محمد أبو العزّ ، وفتى عبوساً هو الأستاذ أحمد سعيد

وفى أوائل سنة ١٩٢١ دعانى الصوفانى بك لرياسة تحرير جريدة « الأفكار » وكنت من محرريها قبل الاعتقال ، فبذلت ما بذلت من الجهود فى تأييد الحزب الوطنى ومقاومة الوفد المصرى ؛ ولكن الأقدار لم تمهلنى فى رياسة تحرير الأفكار غير

عام وبعض عام . فقد اتفق الصوفانى بك مع الأستاذ عبد القادر حمزة اتفاقاً يقضى بأن تصبح الجريدة « وطنية وفدية » واشترط الأستاذ عبد القادر شروطاً كان أهمها أن يكون حرّ التصرف فى اختيار المحررين . واشترط الصوفانى بك أن يكون للحزب الوطنى محرر يعتمد عليه فى رعاية ما يهم الحزب من دقائق الشؤون ، وكان ذلك المحرر هو زكى مبارك . وقبِل عبد القادر هذا الشرط وفى نفسه أشياء ، ومن أجل هذا لم يسمح بأن أنشر فى الأفكار غير مباحث أدبية لا تقدّم ولا تؤخر فى السياسة الحزبية !!

ثم فوجئ عبد القادر بأن لى نشاطاً صحفياً يغيب عن عينه الواعية ، وهو مقالات كنت أرسلها إلى جريدة « الأمة » بإمضاءات مختلفات ؛ فأدرك أنْ لا أمل فى أن أسير كما يسير ، وأنى لو وجدت مسدساً لصوّبته بلا ترفق إلى صدر سعد زغلول !

عندئذٍ بدا لعبد القادر أنه يصاحب شابًّا له أهداف ، فوثق بى ، وأخذ يحاول تبديد ما بينى وبين الوفد من بغضاء ، وتلطّف فدعانى إلى الاشتراك فى تحرير البلاغ عند ظهوره فى أوائل سنة ١٩٢٣ . ولكنى رفضت بحجة أن هواى لن يزال مع الحزب الوطنى

ولكن عبد القادر لم ينسنى ؛ فكان يدعونى من وقت إلى وقت لتحرير بعض المباحث الأدبية والاجتماعية . ثم دعانى للاشتراك فى تحرير (البلاغ الأسبوعى) ؛ ثم رأى أن أكون مراسل البلاغ فى باريس حين مضيت لطلب العلم فى السوربون ، ثم وصلت به الثقة إلى أبعد الحدود ، فدعانى لرياسة تحرير البلاغ فى سنة ١٩٣١

فمن أراد أن يعرف بعض الشمائل التى رفعت عبد القادر حمزة فليذكر أنه كان يحترم أصحاب المبادئ ولو كانوا من خصومه الألداء ، فالعنف الذى وقع بينى وبينه كان سبب تآخينا وتصافينا ، ومن أجل هذا كان ينشر مقالاتى بلا مراجعة ، ولو عارضت سياسة (البلاغ)

وهنا نادرة تستحق التسجيل ، لما فيها من الدلالة على قوته الخُلُقية !

فى سنة ١٩٣٧ تعرّض البلاغ لأزمة مالية قضت بتخفيض مرتبات المحررين وإعفاء من يجوز عليهم الاستغناء ، ونظرتُ فرأيت مرتبى لم يُخصم منه شىء ، فكنت أتغافل عن طلبه ، ولكن إدارة البلاغ كانت تلاحقنى فترسله إلىّ بدون تسويف

وقدّرتُ فى نفسى أن عبد القادر يستبقينى بالرغم من تلك الأزمة المالية ، فأطمت أصدقائى من الوفديين ونقلت محيفتى الأدبية إلى جريدة « المصرى » وكان بينها وبين « البلاغ » ضغائن وحقود . ولما سألنى عبد القادر عن السبب أجبت بأنى لا أرى رأيه فى نشر ما كان ينشر من « فضائح الوثائق » ولم أذكر السبب الصحيح وهو رغبتى فى إعفاء البلاغ من مرتبى فقد كنت أخشى أن أجرح عزة نفسه لو اقترحت العمل فى البلاغ بالمجان ، وكذلك ظلمت نفسى لأكرم صديقى بدون أن أدله على حقيقة ما أريد

وتحدث الناس بأن زكى مبارك عق صاحب البلاغ . فهل التفت صاحب البلاغ إلى أحاديث الناس ؟

هيهات . فما تغيّر عبد القادر ولا تبدّل ، وإنما ظل أخاً وفيًّا إلى أبعد حدود الأخوة والوفاء

من يعزينى فيك يا عبد القادر ، ومن يواسينى وقد غاب عنى وجهك المشرق الجميل ؟

ثم ماذا ؟

ثم كان عبد القادر رجلاً يستعد للدهر والأيام أكمل استعداد . كان يدرك أن الرجل لا ينجح إلا إذا تسلح بقوة العزيمة وقوة النفس . فكان يقضى ليله ونهاره فى تدبير وسائل الحياة لجريدة البلاغ . وقد حدثنى مرة أنه يحب أن يعيش صحفياً ويموت صحفياً ، وأنه يشتهى أن ينقل لأبنائه هذا الميراث ، ولم يحس أحد مدلول كلمة « المستقبل » بقدر إحساس هذا الفقيد النبيل

عاش عبد القادر فى متاعب جِسام ثِقال . فقد كان يعادى بعنف ، ويصادق بعنف ، ومن أجل هذا كانت حياته سلسلة من الآلام والآمال ، والعواطف المنيفة تزلزل بنيان الجسد فتسوق إليه الموت قبل أوان الموت

وكان عبد القادر على قوته الصحفية يحترم حياة التأليف ،

لأنه أبقى على الزمان ، فكان يقضى أوقات فراغه وهى قليلة فى استقصاء حوادث التاريخ ، ولو قال قائل بأن عبد القادر هو أصدق مؤرخى مصر فى القديم والحديث لما اتهمه أحد بالمبالغة والإغراق

وكان عبد القادر يحب أن تكون جريدته مَعرِضاً لجميع الآراء ، فعلى صفحات البلاغ أثيرت مشكلات ومعضلات هى أقوى وأصدق ما صدر عن العقول والقلوب ، وفى ميدان البلاغ تصاول الثلاث من أقطاب الفكر والبيان

وكان عبد القادر حر العقل ، فلم يتذوق فى حياته طعم البهلوانيات الشعبية ، ولم يفهم إلا أنه مسئول أمام العقل ، ومن هنا كانت جريدته أصدق صحيفة صانت النضال السياسى من أوضار التبذل والإسفاف

قالت جريدة المصرى وهى خصم شريف :

« فقدنا زميلاً نصاوله إذا اختلفنا ، ونناضله إذا احتدم النزاع »

وأقول إن النضال العف النزيه سوف يستوحش لغياب عبد القادر ، وسوف يذكر خصومه أنهم فقدوا رجلاً كانت خصومته من علائم التشريف

إن جريدة المصرى تكافح كفاح الأبطال فى إعزاز الصحافة المصرية ، فهل يدرى صاحبها ومحرروها أن صاحب البلاغ كان السابق إلى رفع قواعد هذا البناء ؟

ذهبت جريدة المؤيد ، وبقى « بار المؤيد »

وذهبت جريدة اللواء ، وبقى « بار اللواء »

فهل نضمن بعد اليوم أن يبقى « المصرى » و « البلاغ » شاهدَين على قوة العقلية المصرية فى البلاد المفطورة على حب الخلود ؟

ثم أما بعد فأنا أشعر بأنى لم أوفِّ عبد القادر بعض ما يستحق من صادق الرثاء ، لأنى واجهت الموضوع وأنا فى حزن يبلبل الروح ، ويقلقل البيان

ولن يكون هذا آخر العهد يا عبد القادر ، فسوف أشغل نفسى بتأريخ مواهبك السامية . بعد أن تذهب كروب الحرب ويلتفت الناس إلى الحديث عن أكابر الرجال

زكى مبارك

عهد ... وعهد

مقارنة وتعليل

للأستاذ محمد محمد المدنى

لا أقارن بين عهد الأستاذ الأكبر المراغى، وعهد الأستاذ الأكبر الظواهرى، فإنى امرؤ مراغى بروحه وقلبه وقلمه، أخشى أن يؤثر ذلك فى حكمى فأحيد عن الإنصاف!

ولكنى أقارن بين عهد وعهد كلاهما للأستاذ الأكبر المراغى، وتلك مقارنة مأمونة النتيجة على كل حال، فسيرجع إليه فضل أحد العهدين مهما أخذ على الآخر!

العهد الأول

إنى أعود بذا كرتى إلى العهد الأول للأستاذ الأكبر المراغى فأرى روحاً طيبة ترفرف فى أجواء الأزهر: هى روح المصلح الأمين الذى وضعت فيه الأمة ثقتها، وعلق عليه المفكرون آمالهم. هى روح المصلح الجرىء الذى لا تأخذه فى الحق لومة لائم، ولا يصرفه عما يرى من الإصلاح اعتبار من الاعتبارات؛ هى روح المصلح الغيور على دعوته، المدافع عنها دفاع الأسد المصور يكتسح العقبات، ويقتلع العراقيل، ولا يغرى فَرِيَّة أحد! هى روح قوية غلابة متوثبة إلى الإصلاح، غيورة عليه، صريحة فى أمره؛ تقهر العقبات ولا تقهرها العقبات، وتتحكم فى العيوب ولا تتحكم فيها العيوب!

هى روح جريئة تثير فى الأزهر معركة إصلاحية جامعة حامية الوطيس هى أشبه بثورة عنيفة على الفساد فى أى لون من ألوانه: على الجمود والكسل، على الجهل والتقليد، على الجحود والكفران، على الرجعية البالية المتيقظة التى تتعصب على الحق، وتنفر من حكم العقل، وتعيش فى ظل الأوهام!

* * *

تولى الأستاذ الأكبر المراغى مشيخة الأزهر للمرة الأولى ولم يكن قد داخل الأزهريين، ولا عاش فى جوهم، ولا ابتلى بأساليبهم؛ ولكنه كان مع ذلك بصيراً بعيوب الأزهر وطرق إصلاحه كالطبيب الحاذق يعرف الداء ويصف الدواء

فما هو إلا أن ألقيت إليه مقاليده حتى مضى قُدماً فى طريق الإصلاح، لا يلوى على أحد، ولا يبطئ به شىء، بل كان له فى ذلك نشاط عظيم، جعله يسبق القوانين أحياناً فينفذ مشروعاته قبل أن تصدر

ولقد رج الأزهر يومئذ رجة عنيفة هى الرجة التى تصاحب دائماً عهود الثورة، وتغرى المصلحين بالمضى فى طريقها غير ناكصين، ومن يتتبع خطواته فى الإصلاح يجدها خطوات واسعة موفقة يرجع إليها الفضل من غير شك فى كثير مما يتمتع به الأزهر الآن من خير؛ فقد أعد قانون الأزهر الذى يسير عليه الآن، وأعد مشروع بناء كلياته ومعاهده ومكتبته ومساكن طلابه على نمط سيكون به للأزهر إن شاء الله مدينة جامعية محترمة، وأنشأ قسم الوعظ والإرشاد ففتح بذلك للأزهر وللأمة وللدين ألواناً من الخير والصلاح ليس ينكرها أحد، ووضع أساساً جيداً لمجلة راقية - فيما كان يرجو - تصدر باسم الأزهر، فتنشر بين الناس ثقافته، وتعلن فى مشكلات الحياة رأيه، وتهدى الأمة إلى أقوم السبل فى دينها ودنياها، وأدخل فى مناهج التعليم بالأزهر علوماً وكتباً ما كان الأزهريون من قبل يعرفونها، ورسم فى كل ناحية من نواحى الإصلاح خطة جامعة جريئة؛ ونجح إلى حد ما فى إصلاح نفوس الأزهريين، وفى كبح جماح العناصر الفاسدة المقاومة لفكرة الإصلاح، وفى توجيه المستعدين للعمل نحو النشاط والانتاج!

وابتدأ الحظ السعيد يبسم للأزهر، وشهد التاريخ كيف أخذت هذه الجامعة الكبرى بأسباب النهوض والتقدم، ودلفت إلى طريق المجد والعظمة؛ وآمن الناس بأن للأزهر وجوداً، وبأن فى الأزهر حياة!

ولكن الزمان لم يلبث أن استدار وتجهم، كأنما نَفِس هذه السعادة أن ترف على الأزهر ظلالها، فإذا الشيخ الأكبر يترك منصبه ولما يزل غرسه محتاجاً إلى التعهد والرعاية: خرج يومئذ من الأزهر خروجاً مفاجئاً لم يكن الناس يتوقعونه، ولكنهم عرفوا فيما بعد

أسبابه . وليس صحيحاً ما ذكره « عالم » في الرسالة[1] من أن كثرة الأزهريين هي التي وقفت في سبيله وألجأته إلى ترك منصبه ؛ فكلنا يعرف الأسباب الحقيقية التي من أجلها ترك الأستاذ الأكبر منصبه العظيم ؛ وكلنا يعرف أن الأزهريين كبارهم وصغارهم ظلت أعناقهم له خاضعين ما دام في الأزهر ، حتى إذا اعتزل منصبه نعب عليه قوم وتصايحو ، وأفحشوا من بعد في القول وجاءوا بإفك عظيم !

العهد الثاني

عاد الأستاذ الأكبر المراغي إلى منصبه بعد الثورة الأزهرية المعروفة ، وترقب الناس جميعاً أن يتم من آيات الإصلاح ما بدأ ، وأن تعود إلى الأزهر روح « المراغية » القوية التي كانوا يعهدونها من قبل ، وأن تتلاحق في كتاب الأزهر الخالد — بعد مقدمته التي كتبها في عهده الأول — فصول مشرقة الصفحات ، واضحة الأغراض ، سليمة الأساليب والمعاني ، ولكن الأيام توالت ، والشهور تتابعت ، والأعوام تلاحقت ، ولو شئت لقلت إن حالة من الانتكاس قد أصابت الأزهر ، وأن ريحاً من رياح الفناء توشك أن تهب عليه فتعصف به ، ولكني لا أحب أن أقول ذلك ، وإنما أحب أن ألتزم القصد في التعبير فأقول : إن الناس لم يروا من الإمام المراغي ما كانوا يرقبون

هذه هي الحركة الفكرية في الأزهر قد سكنت ريحها ، وخبت جذوتها ، وما زال الأزهر عاكفاً على كتبه يدور بها حول نفسه ، ويفني فيها زهرة شبابه ، وينقطع بها عن الناس ، فليس له اشتراك ذو قيمة في التشريع العملي للبلاد ، وليس له صلة محترمة بأوساط العلم والثقافة ، وليس له نشاط في إخراج كتب علمية أو أدبية كما يخرج الناس ، وليس لمجلته أي أثر في توجيه العقول والأفكار ، وإن كان لها أثر كبير في تشجيع الخرافات والأوهام !

وهذه هي الحركة الدراسية في الأزهر ، تشكو من تهاون الرؤساء وطغيان الطلاب ، وعدم قراءة المقررات ، وضعف المستوى العلمي ضعفاً يشغل البال ، ويقلق الأفكار

فما هو السر في ذلك كله ؟

إن الذي يلي شئون الأزهر رجل مؤمن بفكرته إيماناً يداخل قلبه ويخالط نفسه ، ويملك عليه جميع مشاعره : فهو حين يخطب يدعو إلى الإصلاح ، وحين يكتب يدعو إلى الإصلاح ، وحين يدرس يدعو إلى الإصلاح ، وحين يجلس إلى الناس يدعو إلى الإصلاح ، أليس في كل هذا دليل على أن فكرة الإصلاح قد تغلغلت في نفسه وأثرت في تفكيره ، ونطقت لسانه ، وأجرت قلمه ، وأنه حينما يدعو لها ، ويحض عليها ، إنما يلبي هتافاً من نفسه ، ووحياً من قلبه

ثم هو رجل لا يوزن وزانه في العلم والفقه وجودة النظر ، له في ذلك بحوث ومذكرات وآراء وقوانين وتوجيهات حقيق على تاريخ العلم أن يخلدها ، فليس كهؤلاء الدعاة الخلاة ، أفئدتهم هواء ، وصيحاتهم أصوات طبول جوفاء !

ثم هو رجل في يده سلطان الأزهر ، وتحت أمرته كل شيء فيه ، وللأزهر استقلال يغبط عليه لم تصل إلى مثله جامعة حديثة . وليس في الأزهريين بحمد الله من يستطيع إذا جد الجد أن يقف على قدميه ليناوىء حركة الإصلاح !

وهو بعد هذا كله رجل ذو جاه ومنزلة بين الناس ، يتمتع بين أولي الأمر وأصحاب السلطان بما لم يتمتع به أحد سواه من رجال الإصلاح : فالحكومة تحترمه ، والشعب يقدره ، ورجال الفكر والعلم يحبونه ، وولي الأمر — حفظه الله — يتوج هذا كله بعطفه ورعايته وتكريمه ، ويفد إليه في دروسه يحيط به رجال دولته وأفذاذ أمته !

فماذا بقي بعد ذلك ليعطل الإصلاح ، ويحول بين هذا الرجل العظيم وبين مُتَبوَّأٍ في التاريخ عظيم ؟ !

* * *

ترجع العوامل التي تحول بين الأستاذ الأكبر وبين تنفيذ برنامج الإصلاح الذي وضعه إلى نواح ثلاث :

١ — طبيعة الأزهر

(١) العدد الماضي ١٣٤ ص ٧٤١

٢ — أحوال الطلاب

٣ — السياسة العامة فى الإدارة

وليس من الخير أن نفصل كل هذه العوامل على هذا المنبر العام، ولكننا نكتفى بالإجمال رعاية لمقتضيات الأحوال

١ — طبيعة الأزهر:

هناك نوع من الأعمال يكفى لكى ينجح المرء فيه أن يرجع إلى نفسه، ويعتمد على ما يبذله شخصياً من جهود، فالمؤلف يستطيع أن يعكف على مراجعه، وينقطع إلى بحوثه وتأملاته، ويبذل من فكره وعقله ما يستطيع أن يبذل، فينتهى به الأمر إلى أن ينتج، أو يسير فى طريق الإنتاج شوطاً يتناسب مع عمله وجهوده.

وهناك من الأعمال ما لا بد فيه من تعاون، ولا تكفى فيه عبقرية العبقرى ولا جهد المجتهد، فالمعلم لا يستطيع أن يفيد بعلمه كل تلميذ، وإنما يفيد التلميذ القابل للتعلم، المستعد للفهم، الآخذ بالأسباب!

ومهمة المصلح كمهمة القائد من النوع الثانى، فكما أن القائد مهما كان شجاعاً عبقرياً محنكا، لا ينجح فى خططه إلا إذا أسعفه جيش له صفات ممتازة واستعداد حسن يكفلان تنفيذ خطته على الوجه الأكمل. كذلك لا ينجح المصلح فى إصلاحه إلا إذا كانت البيئة التى يعمل فى دائرتها مستعدة لتلقى تعاليمه، غير متأبية بطبعها عليها.

والأستاذ الأكبر المراغى مصلح قد وضع خطط الإصلاح فأحسن وضعها، ولكن طبيعة الأزهر تحتاج فى علاجها إلى صبر ومثابرة وحسن تأت وسعة حيلة، كما تحتاج إلى انتهاز الفرص، وبث الدعوة للأفكار الصالحة، وخلق القدوة وضرب المثل وتشجيع العاملين ومكافأة المنتجين. وكل ذلك يفعله الأستاذ الأكبر إلا تشجيع العاملين ومكافأة المنتجين: فهو حين يدرس يضرب للأزهريين بدراسته أحسن الأمثال، ويعلمهم كيف يكون الإخلاص للعلم والاعتماد على الدليل والبرهان، ووزن النظريات العلمية بقيمتها الذاتية، لا بمنزلة أصحابها والقائلين بها؛ وهو يحسن الدعوة إلى مبادئ الإصلاح وينتهز لها الفرص؛ وهو يصابر الأزهريين ويحتال لهم، ولكنه لا يعمل شيئاً يشعر به العامل أنه راض عنه، ويشعر به المهمل أنه غاضب عليه. فالأزهرى الذى يعمل ليله ونهاره ويقوم بواجبه خير قيام، كالأزهرى النائم الغافل الذى يعمل لإرضاء الرسميات وحفظ الظاهر فقط، بل ربما كان للثانى من سنه أو من وسائله الخاصة ما يدفعه إلى الأمام دفعاً يسبق به العاملين. وقد كان من نتائج ذلك أن خيم الكسل فى كثير من النواحى، وقتل النشاط، وفترت حياة الأزهر العملية فتوراً صار مضرب الأمثال!

٢ — أحوال الطلاب

عاد الأستاذ الأكبر إلى منصبه فى ظروف يعرفها الذين يتابعون حركة الأزهر؛ وقد أوحت هذه الظروف إلى طلاب الأزهر والمعاهد الدينية أن لهم يداً فى عودة الأستاذ الأكبر إلى منصبه، لأنهم نادوا به، وأضربوا من أجله، وشردوا فى سبيل ذلك وأوذوا، فهم إذن جديرون بأن يصيبوا حظهم من المكافأة، وجديرون بأن تغمض العيون عنهم إذ يتخففون من وطأة النظام ويحاولون الإفلات من هيمنة الرؤساء والأساتذة؛ وقد سارت سياسة الأزهر بالنسبة إليهم فعلاً فى طريق من شأنها أن تشجعهم على هذا الفهم وتؤكده لهم، فقد ألفوا أن يطلبوا فيجابوا إلى ما يطلبون، وأن يذنبوا فيغتفر لهم ما يذنبون، وأن يعاقبوا ثم تقبل فيهم شفاعة الشافعين، واستباحوا أن يذهبوا إلى الإدارة العامة فى كل صغيرة وكبيرة متخطين رؤساءهم المباشرين، فتراهم يقتحمون مكاتبها، ويشغلون موظفيها، ويدخلون عليهم من أقطارها، ويتنادون فى أبهائها صاخبين لهم فيها ضجيج وعجيج!

ومن الإنصاف أن نذكر أن هذه الحالة ليست خاصة بالأزهر وحده، وإنما هى حالة تصطلى بنيرانها المدارس المصرية جميعاً. فكلنا يعرف كيف تدخلت السياسة الحزبية فى نظم التربية والتعليم والامتحانات تدخلاً يراد به التقرب إلى الطلاب وكسب تأييدهم، وكيف انبثت الفوضى فى كل شىء، وطغت على كل شىء، فليس الأزهر وحده هو المسئول عن هذا العامل، ولا ينبغى أن يحمل عبؤه عليه من دون معاهد التعليم جميعاً، ولكننا فيما يظهر قد سبقنا غيرنا فى هذه الناحية وبرزنا فيها تبريزاً حتى

أصبنا منها بطعنات فى الصميم أساءت إلى النظام ، والإدارة والعلم والكتب والمقررات والامتحانات ، وإلى المستوى العلمى والخلق إساءة فظيعة ، تحتاج إلى العمل السريع ، وإلى الحزم الصادق ، والعزائم المتكاتفة ، إن كان لنا فى بقاء الأزهر حاجة !

٣ — السياسة العامة

أرجو أن يسمح لى فضيلة الأستاذ الأكبر بأن أتوجه إليه فى هذه الناحية بشىء من الصراحة ، فإن فضيلته يريد أن يسوس الأزهر سياسة قوامها إرضاء العناصر المختلفة فيه ، وإرضاء العناصر المختلفة فى الأزهر أمر بعيد المنال إن لم يكن مستحيلاً ، فإن المرء لا يجد بيئة من البيئات قد تفاوتت فى التفكير حظاً ولوناً وطابعاً كالبيئة الأزهرية ، والمصلح لا بد أن يكون جريئاً فى إصلاحه ، صريحاً فى مداواة العلل والأمراض ، وكلنا يعرف أن فى الأزهر قوماً مؤمنين بالإصلاح ، وقوماً به كافرين ، وعنه معوقين ، كما أن فيه قوماً لم يتعودوا أن يؤمنوا بشىء أو يكفروا بشىء ، فإذا كان من سياسة المصلح أن يستعين بخصوم الإصلاح ، أو بالذين لا يدركون أغراضه ، ولا ينبعثون بطبيعة نفوسهم فى طريقه ، أو لا تمكنهم أحوالهم وسنهم وتربيتهم من تطبيقه ، فإن الإصلاح من غير شك فاشل ، وأن الجهود التى تبذل فى سبيله ، والأموال التى تنفق عليه ، ضائعة !

لا ينبغى أن تسيطر ظروف السن والأقدمية والأمر الواقع على كل شىء فى الأزهر ، فيظل التعيين فى المناصب الكبرى وقفاً على الذين كلّوا من شدة الإعياء ، عن حمل الأعباء

لا ينبغى أن يغفل عند تعيين جماعة كبار العلماء ما بقى مغفلاً حتى الآن من رعاية النشاط العلمى والقدرة على الإنتاج والعمل وإقناع الناس بوجود الأزهر ؛ فقد كان الناس يعتقدون ، وحق لهم أن يعتقدوا ، أن عضوية هذه الجماعة مكافأة على طول العمر ، وتعويض للقعدة والضعفاء ، لا على الإنتاج والتأثير فى حياة الأمة

لا ينبغى أن نستعين بالذين لا يؤمنون بإصلاح ولا يدينون بمبادئ ولا يحفلون بمثل عليا ، وليس لهم فى الأزهر رسالة إلا التخذيل عن النهوض ، والتعويق عن التقدم ، بينما المتشبعون بالأفكار الإصلاحية القادرون على تحقيق مبادئها مبعدون عن تولى الأعمال الهامة لاعتبارات لا يصح أن يقام لها وزن فى نظر المصلح .

لا ينبغى أن يدخل فى توزيع الأعمال أن ينتدب فلان من أجل فلان ، وأن يقصى فلان من أجل فلان ، وأن يجتهد فى تمثيل البلاد والأقاليم فى كل عمل من الأعمال كأنها لجان عصبة الأمم !

لا ينبغى أن نرضى بالواقع المخجل فى مجلة كمجلة الأزهر أجمع الناس على فساد إدارتها ، وضعف مستواها ، وانحرافها عن الطريق القويم الذى تقتضيه طبيعة رسالتها ، وأنها أصبحت طريقاً من طرق التكسب والتمعش وفتح البيوت ، وهى مع ذلك محمية من أن تقع على عيوبها عين فضيلة الأستاذ الأكبر ، ومن أن تصل الشكوى منها إلى مسامعه بوسائل يعتقد الناس أنها لا ترضيه !

لا ينبغى أن يكون فى الأزهر امرؤ يضع الأستاذ الأكبر فيه ثقته ، ثم يعبث معتمداً على هذه الثقة بأمانة العلم أو العمل أو الإدارة أو النظام ؛ فإنه لا يسىء بذلك إلى نفسه فقط ولكنه يسىء أيضاً إلى من ائتمنه ووضع فيه ثقته !

سيدى الأستاذ الأكبر :

معذرة فقد استرسل القلم ، وأملى عليه قلب لك مخلص وعلى عهدك غيور . فغض الطرف عما عسى أن يكون من الإسراف ، لما تنطوى عليه النفس من الإخلاص ؛ ولا تسمع فىَّ وشاية الواشين ولا كيد الكائدين !

وفقك الله إلى ما يحبه لك أخلص محبيك

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب

للأب أنستاس مارى الكرملى

— ٥ —

١٣ — الدقس وهو الرئيس

الدقس وهو أيضاً : الدقوس والقدوس والعطوس والدعوس والدوقس . وكلها تعريب dux, ducis . قال الصاغانى : الدقس : الملك ؛ وقال الأزهرى : الدقوس ، كصبور : الذى يستقدم فى الحروب والنمرات كالقدوس (التاج)

وعندنا أن العرب كتبوها فى أول الأمر : دقس كقفل ودُوقس بضم فواو وقاف سا كنتين فسين لتحقيق اللفظ الروى أو الرومانى الأصل . ثم وقع فيها القلب والإبدال ، كما وقعا فى كثير من الألفاظ المعربة ، بل فى العربية نفسها ، فصارت : دقوس وقدوس . ولما كان بعضهم يقلب القاف عيناً ، صيّروا قاف دقوس عيناً ، فقالوا : دعوس كما قالوا القرناس والعرناس والقسوس والعسوس والنقل والنعل ، وفرق بين القوم وفرّع ، أى حجز ، إلى نظائرها

وأما عطوس ، فهو مقلوب دعوس ، بجعل الدال طاء منُ باب تفخيم الحروف كما قالوا : مد الحرف ومطه ، ترياق ودرياق وطرياق (عن الجمهرة لابن دريد) . اختدفه واختطفه (التاج)

والدقس باللاتينية دليل القوم ورئيس الجيش وقائده ومقدم القوم والأمير والملك على حد ما قاله العرب . وكل ذلك من باب التوسع

وجاء فى التاج فى مادة (دع س) : « فى النوادر : رجل دعوس ، عطوس ، قدوس ، دقوس : أى مقدام فى النمرات والحروب ؛ وحرفه الصاغانى فقال : « فى العمل » بدل « فى النمرات » ا هـ

قلنا : لا تحريف عند الصاغانى ، لأن الدقوس على ما نقلناه لك عن كلام الرومان هو دليل القوم فى أى شىء كان فى الغمرات والحروب ، كما فى الأعمال والمبرات . فاحفظه

والظاهر أن كتبة عهد الخلفاء لم يعرفوا أن سلفهم عربوا الكلمة بالأوجه التى ذكرناها ، كما جهلها حملة الأقلام فى عصرنا هذا . أما سَفَرة عهدنا فإنهم سموه (دوق) أى duc بقاف فى الآخر.

وأما العرب الخلص فقد سموه (الثنيان) ، كما مر الكلام عليه فى (البدء)

وأما أرباب اليراع فى عصر الخلفاء ، فعرفوه بالدوك بكاف فى الآخر . قال أبو شامة فى كتاب الروضتين ، فى ص ١٨٣ من طبعة باريس : « وكان فيهم مائة كند ، وثمانمائة من الخيالة المعروفين ، وملك عكاء ، والدوك ، (وهو يريد به يومئذ دوك النمسة) ، واللوكات ، نائب الباب ، ومن الرّجالة ما لا يحصى » ا هـ . أما دوك البندقية ، المسمى عند الإفرنج دوج doge ، فسماه العرب (دوك) أو (دوج) ؛ كما فرق الإفرنج بين الواحد والآخر ، مخصصين (الدوج) ، بمن يكون للبندقية ، إلا أن القلقشندى كتب الدوج بالكاف ، وصرح بأنها بالجيم لجيم doge الفرنسية المعروفة بالكاف المشوبة بالجيم ، أو الكاف المعقودة ، أو الجيم المعقودة . وهذه عبارته (صبح الأعشى ٥ : ٤٨٥) : « كل ملك منهم (من ملوك البندقية) يسمونه (دوك) ، بالكاف المشوبة بالجيم ، فيقال (دوك البندقية) ، وهذا اللقب جارٍ على ملوكهم إلى آخر وقت » ا هـ .

فانظر — حرسك الله — إلى كم صورة من الصور انتقلت كلمة dux اللاتينية ، فإنها بَدَتْ لك بأثواب مختلفة ؛ منها : دُقس ، ودَوْقس . ودُقوس . وقَدُوس . ودَعُوس . وعَطُوس . ودوق . ودوك . ودوج . ولعل ثم غيرها ونحن نجهلها إذ رأينا بعض المعربين عن الإنكليزية فى عهدنا هذا يقولون (ديوك) ، و (ديوق) لأن الإنكليز ينطقون بها كذلك . فهذه إذاً إحدى عشرة لغة ، فتدبر !

على أن أبناء مُضر ، لو كانوا واقفين على كلام من تقدمهم من اللغويين البصراء ، لما احتاجوا إلى كل ذلك ، لأن عربيتها

الصحيحة والقديمة هي — ما عدا (الثنيان) — (الدِّحيَة) بكسر الأول وأصلها (دحى)، فعل بمعنى فاعل وفي الآخر تاء المبالغة وهو من دحى الإبل وغيرها أي ساقها . وهي تشبه في مجارها الكلمة اللاتينية dux المشتقة من ducere بمعنى ساق، فالحرف d = د، والحرف c = ح، وإن كان في مواطن أخر = (ق) أو (ك)؛ إنما هنا = ح . كما قالوا في حيْفا caïffa، وفي حرّان carrhae أو carrae، وفي حرْنك (أي صغير) curtus وفي حليم clem [ens] إلى نظائرها . ولا يعلم هل (دحى) أو (دحا) سبقت اللاتينية، أم الرومية سبقت الضادية . وفعل هنا بمعنى فاعل : كندّ وتبّع ؛ وخلف بمعنى نادّ وتابع وخالف .

إما أن الدحية هو بمعنى الدوق اللاتينية فواضح من كلام الشارح . قال في تركيب (د . ح . ى) : الدحية بالكسر : رئيس الجند ومقدمهم، أو الرئيس مطلقاً في لغة اليمن [كذا] كما في الروض للسهيلي . وقال أبو عمرو : أصل هذه الكلمة السيد بالفارسية[1] [كذا]، وكأنه من دحاه يدحوه[2] : إذا بسطه ومهده لأن الرئيس له البسط والتمهيد . وقلب الواو فيه ياء نظير قلبها في فتية وصبية . قلت (أي الشارح) : فإذاً صواب ذكره في دحا دحواً . وفي الحديث يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف دحية، مع كل دحية سبعون ألف ملك » ا . ه كلام الشارح

قلنا : وكل ذلك موافق لما ذكره اللغويون اللاتين للكلمة dux فليست الدِحْيَة إذن من لغة اليمن، ولا من الفارسية، فهي عربية محضة، وهي تشبه مقلوبها (حدا يحدو) يقال : حدا الإبل ساقها، وحدت الريح السحاب : ساقته . ولا شك في أن (حدا) مقلوب (دحا) أو (دحى) . لأن (دحا) موجود في العبرية والإرَمية، بخلاف (حدا) . ووجود (دحا) في اللغات الثلاث الساميات القديمات : العبرية، والعربية، والإرمية، أدل دليل على أن اللاتين هم الذين أخذوا لفظهم من الساميين، منذ أقدم الأزمنة، لو جاز لنا هذا القول

(١) ليس في الفارسية كلمة فيها حاء ولعله يشير إلى كدخدا أو كتخدا ومعناها : رب البيت، والوزير، والرئيس، ومقدم القرية، والرجل الوقور، والملك .

(٢) لا نفهم كيف يكون بالفارسية وكيف يقول بعد ذلك : « وكأنه من دحاه . فهذا من قبيل الطلاسم .

١٤ — المركيس

١٥ — المرزُبان

لم تعرب المركيس في قديم الزمن، إنما عربت في عهد العباسيين، لأنها نشأت في عهدهم ؛ وكثيراً ما وردت في كتب المؤرخين، كقول ابن الأثير في حوادث سنة ٥٨٣ هـ : « واتفق أن إنساناً من الفرنج الذين داخل البحرية يقال له (المركيس) » اهـ . وفي أغلب النسخ ورد : المركيش بالشين المعجمة . وقد كثر عندهم ورود هذا اللقب في جميع كتب التاريخ في عهد الصليبيين ؛ حتى أننا لا نرى حاجة إلى الاستشهاد بها . على أن بعض المعربين النقلة في عصرنا هذا يذكرونها بصورة مركيز، وماركيز، وماركيس (راجع المعاجم الفرنسية العربية) . وفي معجم بجارى بك الفرنسي العربي : « ماركي » وهو لفظها الفرنسي : وسمى مؤنثها « ماركيزة » ؛ وكان عليه أن يقول : « ماركيز » جرياً على لفظها الفرنسي أيضاً . أو كان يحسن به أن يقول في المذكر : (ماركيز) ليصح له أن يقول في المؤنث (ماركيزة) . والذين نقلوا الكلمة عن الانكليزية قالوا : ماركويس ومركيز (راجع معجم بادجر الانكليزي العربي) . فهذه سبع لغات لحرف واحد أعجمي . وأحسنها مَرْكيس بسين مهملة في الآخر، لقدمها وقربها من أصلها وخفة لفظها

والمركيس مشتقة من marche، ومعناها التخم، والحط، والثغر، والفرجة . فكان المركيس رجلاً عسكرياً قائماً على حفظ الثغر، ثم نقل إلى لقب شرف . وهذا اللقب الإفرنجي، يقابل اللقب الفارسي (مَرْزُبان)، بفتح الميم، وإسكان الراء وضم الزاي وفتح الباء الموحدة التحتية، يليها ألف فنون .

والكلمة مركبة من (مرْزَ) وهو حد المملكة وثغرها. ومن (بان) أى حافظ. ومحصلها (حافظ الثغر) كالمركيس سواء بسواء

ومن الغريب أن القاموس والتاج يذكرانها فى (رزب)، وكان الأفضل أن تذكر فى (مرز) أو فى (م رز ب ان) لأنها تعتبر مركبة من صدر وعجز، أى من (مرز) و (بان) أو تعتبر كلمة واحدة وجميع أحرفها أصولاً، لأنها أعجمية، وقد صرحوا مراراً لا تحصى أن أحرف الأعجمى كلها أصول. قال القاموس والتاج فى (رزب):

« (المرزبة كرحلة رياسة الفرس)[1]. تقول: فلان على مرزبة كذا. وله مرزبة كذا كما تقول: له دهقنة كذا. (وهو مرزبانهم بضم الزاى): رئيسهم، تكلموا به قديماً. كذا فى شفاء الغليل. وفى الحديث: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم. هو بضم الزاى وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، وهو معرّب (ج مرازبة) وفى لسان العرب: وأما المرازبة من الفرس، فمعرب. وقال ابن برى: حُكى عن الأصمعى أنه يقال: الرئيس من العجم: مَرْزُبان ومَرْزُبان بالراء

والزاى وأنشد فى المعجم لبعض الشعراء:

الدارُ داراِن: إيوان وغمدان
والملكُ ملكان: ساسان وقحطان
والأرض فارس والإقليم بابل وا
إسلام مكة والدنيا خراسان

إلى أن قال:

قد رتب الناس جمٌ فى مراتبهم
فرزبانٌ وبطريق وطرخانُ

وقال المسعودى فى التنبيه والإشراف (ص ١٠٣ من طبعة الإفرنج): « فأما المرزبان، فهو صاحب الثغر، لأن (المرْز) هو الثغر بلغتهم، و (بان): القيم. وكانت المرازبة أربعة: للمشرق والمغرب والشمال والجنوب كل واحد على ربع المملكة »

وأما اللغويون المحدثون، فذكروا المرزبان فى (مرز) أيضاً فهم كالشاء، وقد قيل فى المثل: ياشاة أين تذهبين؟ قالت: أُجَزّ مع المجزوزين؛ أو كالفرار وقد قيل فيها: نَزْو الفرار استجهل الفُرارا

(له صلة) الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول لغة العربية

(١) ما كان بين قوسين فهو من كلام القاموس.

ذكريات السنين الخمس

عبد القادر حمزة باشا

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى قرب الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الإثنين ٤ يونيو لسنة ١٩٣٤ قدم إلى حيث كنا نشتغل بتحرير صحيفة أدبية أحد السعاة فى جريدة « البلاغ » وطلب إلى أن أتوجه لملاقاة الأستاذ عبد القادر حمزة؛ وفى مساء ذلك اليوم لقيت لأول مرة ذلك الرجل الذى أحببته وأكبرته . وبدأت عملى محرراً معه فى « البلاغ » خمس سنين

كنت قبل هذا التاريخ لا يفوتنى شىء مما يكتبه عبد القادر حمزة . وكنت أجد فى قراءته مثل ما يجد الشارب الذوّاق من كأس خمر معتقة؛ فلما اتصلت بينى وبينه الأسباب وخالطته بالعمل والعشرة زاد حبى له وزدت إعجاباً بشخصه

أما عبد القادر حمزة الكاتب والسياسى والمؤرخ، وعبد القادر حمزة المجاهد الصادق الجهاد فى سبيل مصر والحركة الوطنية والدستور، وعبد القادر حمزة الخصم السياسى ، فذلك كله ليس من شأنى أن أكتب عنه اليوم لقراء « الرسالة » ؛ فقد كتب فيه وسيكتب كثيرون غيرى . وسيكتب التاريخ عن هذا كله كلمة الحق

أما أنا فسأكتب شيئاً من ذكريات تلك السنين الخمس التى قضيتها فى صحبة عبد القادر حمزة باشا صاحب « البلاغ »

***

كان أستاذنا عبد القادر رجلاً أميز ما ينفرد به من الخلق : الطيبة والتواضع وبساطة النفس والعناد ، ثم الانكفاف عن الناس وعفة القلم واللسان

فى صباح يوم من صيف إحدى السنوات القريبة أراد المرحوم عبد القادر باشا أن يزور رجلاً من كبار رجال الدولة فى ذلك العهد . وكان عملى فى « البلاغ » يجعلنى من ألصق الناس بذلك الرجل ، فنادانى الأستاذ عبد القادر وطلب أن أرافقه فى زيارة ذلك العظيم ليشكره على أمر ما

فلما أخذنا أماكن جلوسنا فى سيارة الأستاذ بدأت أحدثه عن ذلك العظيم ، فقال إنه لا يعرفه إلا أقل المعرفة، وأنه لم يجتمع به سوى مرات قليلة فى مناسبات مكتفياً بالتحية من بعيد، فتعجبت مما قال ! كيف لا يعرف الأستاذ عبد القادر حمزة وهو من أبرز رجال المجتمع المصرى ذلك الرجل الكبير من رجال الدولة ... !؟ وكان له فى ذلك الحين شأن عظيم حتى فى الأمور السياسية التى يشتغل بها صاحب البلاغ ؛ ولكن هكذا كان عبد القادر حمزة قليل الأصدقاء قليل الخلطة بالناس منكفاً عنهم بما يستطيع

وفى ذلك الوقت نفسه كانت الخصومة السياسية على أشد عنفوانها بين البلاغ وبين حكومة يؤيدها صاحب المقام الرفيع النحاس باشا . وكانت صحف الوفد فى ذلك الحين تذكر اسم عبد القادر حمزة مقترناً باسم ذلك العظيم الذى كنا نقصد زيارته ، وأنهما يجتمعان فى قصر عظيم آخر كان اسمه فى ذلك الوقت أبرز الأسماء فى ميدان السياسة المصرية المعارضة للنحاس باشا ، وكان من كبار رجال القصر . فقلت للأستاذ عبد القادر : ولكن صحف الوفد تقول إنك تجتمع مع هذا العظيم فى قصر فلان لتدبير المؤامرات لحكومة النحاس باشا . فأجاب الأستاذ بهدوئه العظيم : دعهم يقولون

ثم عرفت بعد ذلك أنه كان صادقاً حين قال إنه لا يعرف ذلك العظيم ولم يجلس إليه قبل تلك الزيارة

وكان الأستاذ عبد القادر حمزة رجل كفاح وجلد، عظيم الثقة بنفسه إلى حد عجيب

بعد هذا التاريخ بسنتين كان ذلك الصراع الهائل الجبار الذى سيبقى خالداً فى تاريخ الصحافة المصرية، وخالداً فى تاريخ السياسة المصرية كلها ، ذلك الصراع الذى قام به عبد القادر حمزة وحده مواجهاً به ومتحدياً أقوى حكومة استندت إلى قوة الرأى العام المصرى وإلى قوة البرلمان وإلى عزة النجاح فى مفاوضة الإنجليز

وتوقيع معاهدة معهم ، وإلى إلغاء الامتيازات الأجنبية وإنهاء سيطرتها . وكان عبد القادر حمزة يبدو لنا في ذلك الحين — وأنا أحد الذين عملوا معه في ذلك الصراع — كان يبدو لنا كمن يريد أن يمسك بأصابعه الخمس جبلاً شامخاً راسخاً صلداً فيفتته ويجعل منه تراباً منهلاً

ولكن عبد القادر حمزة ظل يكافح في كل يوم وحده حتى نخر الجبل الشامخ الراسخ ، ولم تهن عزيمته يوماً ، ولم يفقد ثقته بنفسه على رغم ما لقي في ذلك من موئسات كانت تهد عزم الجليد في أيام ذلك الصراع العجيب ، كان يهيئ حملاته الصحفية ويرتبها بفكر منظم لا يستطيع أن يهيئه سواه

وكانت إحدى حملاته تلك تقوم على وثائق تثبت سوء اختيار الوزارة القائمة إذ ذاك لتوزيع الرتب والألقاب الملكية ؛ وكلفني الحصول على وثيقة تثبت أن واحداً من الذين نالوا رتب التشريف إذ ذاك من أصحاب السلوك السيئ . واستطعت أن أنقل إليه الصيغة الرسمية لتلك الوثيقة من حفظي وقدمتها إليه وهو لا يكاد يصدق . ومرت الأيام والأسابيع ولم يبدأ حملته تلك ولم ينشر وثيقتي أو يشر إليها ، حتى ظننت أنه لم يعتمد على ثقتي

ولكنه بعد وقت طويل بدأ ينشر وثائق تلك الحملة بعد أن هيأها فكره المنظم العجيب ؛ وكانت وثيقتي واحدة من نظيرات كثيرات جمل منها عبد القادر حمزة عملاً من أعظم ما قام به صحفي في مصر : براعة وقوة وتوفيقاً

وهو في كل هذا الصراع القاتل لم ينس مرة واحدة عفة قلمه ولسانه في الخصومة . لا أذكر أني سمعت منه في ألد خصومه أعنف من هذه الكلمة : « هؤلاء ناس مضللون ! »

كان محرر « السينما والمسرح » في « البلاغ » في إحدى تلك السنين شاباً قليل الخبرة ، ولو أنه طاهر النفس . فكتب عن إحدى الممثلات المصريات كلمة ذات وجهين أحدهما قبيح ؛ وتحدثت هي في ذلك بالتلفون إلى عبد القادر باشا ، وبعد لحظة دعا ذلك المحرر عنده ، وعنفه أشد التعنيف ، وأمر بفصله من « البلاغ » . وكان كثيراً ما يفعل ذلك معه ومع غيره ثم يعفو ، ولكنه في هذه المرة لم يقبل فيه شفاعة شافع . ولم ير العاملون مع عبد القادر حمزة أنه غضب من شيء بمثل ما غضب في ذلك .

وكان من صفات عبد القادر حمزة أنه عنيف في حبه عنيف في بغضه ، وذلك شأن صاحب القلب العظيم

ذلك الصراع الذي أشرت إليه بينه وبين خصومه في السياسة والحكم دام سنتين لقي فيهما عبد القادر حمزة من العنت والجبروت ما يوهن عزائم جيش من الرجال الصامدين ؛ وكان هو بين تلك الزعازع كالأشم الراسخ ، لا تنال منه الرياح ولا الأعاصير ، ولا يزيده العنت إلا عناداً . كنا نراه في « البلاغ » يزلزل أقدام خصومه في كل يوم . ثم هو يسير إلى حجرته صامتاً ويجلس إلى مكتبه صامتاً ، ويكتب ويراجع ويصحح صامتاً ، ويعود للعمل في المساء ممعناً صامتاً ، كأن هذه القيامة القائمة في مصر ليست منه ولا بسببه ؛ وكان في أشد الأيام حلوكة وسواداً لا ينى يقول : نحن قريبون من النصر . ولست أنسى ضحى ذلك اليوم وقد انتهى فيه صراع عبد القادر حمزة إلى نجاح فريد ؛ وقد صعد ذلك الرجل الوقور على درج « البلاغ » متهلل الوجه غير صامت . بل كان يعلن إلى كل من يلاقيه في صوت قوي : لقد أقبل [...] ... !

ولا يزال في وعيي صوت عبد القادر حمزة إذ ذاك أحس فيه قوة الغلب والنصر بعد كفاح طويل وبعد صبر طويل . ذلك قلب الرجل الذي هو قوي في بغضه قوي في حبه ، وذلك هو كان في بغضه !

أما عبد القادر حمزة في حبه ، فذلك شأن عجيب

في صيف سنة ١٩٣٨ كان المرحوم عبد القادر باشا مسافراً إلى أوربا ، وكنت إذ ذاك في الإسكندرية ؛ فذهبت لوداعه على الباخرة محمد علي الكبير . وبقيت معه على ظهرها حتى أوشكت على الرحيل . ونظرت إلى وجه أستاذنا العظيم في تلك اللحظة القاسية — لحظة الوداع — وكان إلى جانبه أحد أولاده وقد وقف ينظر وكأنه يبكي ، إلى أولاده الآخر ومودعيه على الميناء . فلما

أوشكت الباخرة أن تسير ، سمعته يميل على ولده يقول : « إنزل يا محمود وروّح مع إخوتك من الشمس

وبعد قليل نزل ولده ونزلت . وقد أحسست فى ذلك الوقت أنه ما كان مشفقاً على ولده من حرقة الشمس وحدها ؛ بل كان مشفقاً عليهم وعلى نفسه حرقة تلك اللحظة القاسية ـ لحظة الوداع ـ فقد كان عبد القادر حمزة حين تحركت محمد على الكبير منحرفة إلى البحر وقد أخرج الركب أيديهم ومناديلهم يشيرون بها إلى مودعيهم وأحبائهم . كان عبد القادر حمزة أسرعهم جميعاً إلى التوارى وأقلهم إشارة وحركة

لقد كان يشفق على نفسه أن يطيل ساعة الوداع ، وقد كان قبل ذلك بقليل يسلّم على ولده ويده ترتعش ولا يكاد يبين من لفظه صوت

أما ذلك اليوم الذى ماتت فيه ابنته سعاد ؛ وأما تلك الساعة التى ذهبنا معه فيها نواريها التراب ، حين نزل معها إلى فجوة القبر وانحاز إلى ركن منه مظلم رطيب ، وأما حين هو يبكى كطفل ورأسه بين يديه لا يريد أن يترك ابنته ، على رغم أنه يغالب حزنه العظيم ونحن معه فلا يستطيع . أما ذلك اليوم وهذه الساعة من حزن عبد القادر حمزة وعصيانه أن يصعد من قبر فتاته وقد وسدت فى التراب .

أما هذا وذاك فشىء لا أنساه ولا أستطيع أن أكتب فيه

***

وفى شتاء سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ — إنسللت من تحرير البلاغ مخاصماً وفارقت أستاذى عبد القادر لأسباب ليست من العمل ولا من المال ، ولكنها أجلّ عندى من العمل ومن المال . وقد ظللت وسأظل أذكر عبد القادر حمزة فقد أحببته على الغيب والشهادة

رحمه الله وأجل عزاءنا فيه وصبر جميل

محمود الشرقاوى

الفقيد العزيز

للأستاذ على شوقى

خامتُ رداء الشباب الجديدْ ... وألبِستُ تاجَ المشيب النضيدْ
وأصبحتُ نضواً مهيض الجناح ... وقد كنت آوى لركن شديد
وما شاب رأسى ولكنه ... ضحَى عنه ظلُّ الشباب المديد
فقل لعذولى مضت وانقضت ... ليالى التصابى وتلك العهود
وأنى فقدت الشباب العزيز ... ألا رحم الله ذاك الفقيد
وعدتُ من الحب خلو الفؤاد ... وما كنت أحسب أنى أعود
وحطّمت كأسي وأُنسيت أُنسى ... فلا اللهو لهو ولا الغيد غيد
وقطّعتُ باليأس حبل الرجاء ... وألقيت عنىَ تلك القيود
فما يستبينىَ سحرُ العيون ... ولا يطّبينىَ وردُ الخدود
وقلت لجفني هَناكَ المنامُ ... فيا طالما كنت تشكو الهجود
وقلت لقلبى اغتبط بالسلوّ ... فهذا الذى كنت منه تحيد
وجنّبت نفسى خداع المنى ... وتغرير شيطانهن المَريد
وكنتُ امرأً مولعاً بالجمال ... إذا ما انقضت صبوة أستعيد
على أننى كنتُ ذاك الوفىّ ... الشريفَ الأبىّ الأليفَ الودود
ولم آت بائقةً فى الغرام ... تسلُّ علىّ لسان الحسود
وذلك أنى صحبت الليالى ... فأوحين لى سر هذا الوجود
وعلمننىَ كل ما ينبغى ... لمن يبتغى طول عيش رغيد
كما أننى قد خبرت الأنام ... ومارست إبعادهم والوعود
فما راقنى الوعد من صاحب ... ولا راعنى من عدوّ وعيد
وبتُّ من الناس فى راحة ... سواء قريبهمُ والبعيد
أعيشُ كما عاش ليثُ الشّرى ... وحيداً وهل ذلّ ليثٌ وحيد
يروح ويغدو على قُوته ... ويكفيه من قوته ما يصيد
أسيرَ الحياة طريدَ الممات ... ألا فاعجبوا للأسير الطريد
وما لامرئٍ لذة فى حياة ... إذا آذنت ناره بالخمود
فلا يستخفن عبء الحياة ... فعبء الحياة ثقيل يئود
وإن يك قد زيد فى عمره ... فآية نقصانه أن يزيد
ولولا تكاليف هذى الحياة ... لما سئم العيشَ فيها لَبيد

على شوقى

نيابة بعض حروف الجر

عن بعض

للأستاذ الكبير (ا . ع)

كان لكلمة الشاعر الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن (بالعدد ٤٠٩ من الرسالة) أثر بالغ في نفسي ، لأدبها الجم ، وإنصافها للحق

ولقد حدت هذه الكلمة التعقيبية على أن أتاحت لي موضوعاً طالما تمنيت أن أكتب فيه ، موضوعاً كثرت فيه وقفاتي في مجالس التعليم ، لما كنت أرى من إهماله وسوء فهمه وتشويه الغرض منه

هذا الموضوع هو (نيابة بعض حروف الجر عن بعض) .

قال الأستاذ :

« أما قول الأستاذ الفاضل : إن الفعل (تفيأ) يتعدّى بالباء ، أو بنفسه كما صنع أبو تمام ، ولا يتعدّى باللام ، كما جاء في قصيدة (ميلاد نبيّ)(1) ، فهو قول نقبله على العين والرأس ولكني أضيف إليه أن تعدية هذا الفعل باللام ليست خطأ ؛ لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض . »

هكذا أطلق الأستاذ هذا الحكم من كل قيد ، فيتوهم من هذا الإطلاق أن كل حرف من حروف الجر يجوز أن ينوب عن أي حرف آخر منها . وهو ما لم يقل به أحد من النحويين القدماء أو المحدثين . ولا يمكن أن يعتقده الأستاذ أو يقول به . وإنما هي عبارة شاعت على الألسنة ، وتناقلها الناس منذ بعيد من غير تأمل أو بحث

فلهذا أردت أن أوضح المقام بعض التوضيح ، وأن أكشف عن أسسه العامة وقواعده . ولستُ أدعي أني أضيف إليه جديداً ؛ فقد بسطه العلماء بسطاً ، وأفاضوا فيه إفاضة ليس وراءها من مزيد ، وإن كانوا قد أثاروا في خلافهم

(1) في البيت :

متفرقين هناك . . . لم يتفيئوا لخيلة . . . أو يمسكوا بعنان

ومناقشاتهم عجاجاً استبهم وراءه بعض الحقائق أو أشكل

* * *

لما تدارس العلماء كتاب الله والشعر القديم ، منذ فجر النهضة العلمية الإسلامية ، فطنوا لأن بعض الأفعال والمشتقات التي تتعدى ببعض حروف الجر ، تؤدي معنى غير معناها الوضعي فعكفوا على تعليل ذلك ، واقتسموا جماعات ، وأشهرهم البصريون والكوفيون

فالبصريون يقولون : (1) إما يتضمن العامل معنى عامل آخر يتعدى بذلك الحرف ، كما في قوله تعالى : « وأحسن بي إذ أخرجني من السجن(1) » . فالفعل (أحسن) لا يتعدى بالباء ، فضُمِّن معنى (لطف) ؛ (2) وإما بأن الحرف الذي تعدّى به العامل قد استعير لمعنى الحرف الذي كان ينبغي أن يتعدى به ـ استعارة تبعية ـ وذلك كقول طرفة :

وإن يلتق الحي الجميع تُلاقني

إلى ذروة البيت الكريم المصمَّد(2)

فقد استعيرت (إلى) لمعنى (في) ، إذ أن (تلاقني) لا يتعدى بإلى ؛ (3) وإما بالشذوذ ، إن لم يتأت التضمين في العامل بشروطه أو الاستعارة في الحرف بشروطها . فليرجع القارىء إلى هذه الشروط في كتب البلاغة إن شاء

فأنت قد رأيت أنه لا نيابة لحرف عن حرف عند البصريين ، فليس للحرف معنى وضعي عندهم إلا معنى واحد

والتضمين قياسي على المختار من أقوال العلماء ، وعلى ما قرره « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » — وكذا الاستعارة في الحرف . فلنا إذاً أن نترخص فيهما ، وأن نراعي منهما في كلامنا من نظم أو نثر ما نشاء .

* * *

وأما الكوفيون فيقولون : إن بعض حروف الجر ينوب عن بعض بطريق الوضع : أي إن الحرف موضوع لأكثر من معنى واحد(3) ، فهو مشترك وضعاً بين جميع ما ورد له من

(1) وقال الكوفيون : إن الباء فيه للغاية ، وإنها نائبة عن (إلى) . فلا تضمين إذاً .

(2) المصمد : الذي يصمد إليه ويقصد

(3) وسبيل معرفة هذه المعاني تتبعها في المعجمات وكتب النحو المطولة

المعانى [1] ؛ فبعضها يكثر استعماله ، وبعضها يقل .. فيوهم وضع ذى المعنى القليل الاستعمال موضع الكثير أن هناك معنيين اشتمل عليهما العامل : فلا تجوّز عندهم فى الحرف . وإنما هى نيابة محضة

وهاك مثالاً موضحاً : فقد عد ابن هشام للباء أربعة عشر معنى ، منها الاستعلاء ، قال : (نحو : « مَنْ إنْ تأمَنْه بِقِنْطار » ، بدليل : « هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل . »)

فالعرب — على رأى الكوفيين — قد وضعوا (على) والباء لمعنى الاستعلاء . غير أنه فى (على) أكثر دوراناً منه فى الباء . فاعتبرت (على) أصلاً فى هذا المعنى ، واعتبرت الباء نائبة عنها ، وإن كانت أصيلة فيه . فتأمنه بقنطار ، أى عليه .

***

ولكن من يتتبع الكتب التى توسعت فى الكلام على (نيابة بعض حروف الجر عن بعض) ، — ولا سيما المغنى — يجد فيها عراكا عنيفاً حول الشواهد التى جيء بها لذلك ؛ فهى بين أخذ ورد ، وجذب ودفع . فهذا يسلم بنيابة الحرف فى مثال ، وهذا يتأوله فيخرجه عنها بضروب من الحجاج والفلسفة النحوية . فسقطت بذلك فى هذا المعترك طائفة ليست بالقليلة من الشواهد ، كانت — لو أنها ظلت سالمة — تكون قوة لقياسية هذا الباب .

ولو أنى أنشأت أضرب الأمثلة لذلك من هذه الكتب ، لخرجت عما أنا بسبيله . ومن طريف ما يقال هنا أن سيبويه لم يعترف للباء إلا بمعنى واحد هو الإلصاق ، وخرّج عليه كل ما عدّدوه لها من المعانى . وقال ابن عصفور : لو صحّ مجيء (إلى) بمعنى (فى) لجاز : زيد إلى الكوفة [2]

فأنت ترى كيف ضاقت بذلك دائرة النيابة فى حروف الجر حتى كانت من النوادر . وقد عبر ابن هشام عن هذا المعنى

(١) ولا ينافيه ذكر (النيابة) ؛ لأنهم لما رأوا هذا المعنى متبادراً من هذا الحرف أكثر من تبادره من الآخر ، حكموا بأن الآخر نائب ، وإن كان كل منهما يستعمل فيه حقيقة

(٢) وقد مثل المجوزون بقوله تعالى : « ليجمعنكم إلى يوم القيامة » وبغير ذلك .

فى (مغنى اللبيب) ، فى باب (التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين ، والصواب خلافها) . قال : [منها] قولهم : ينوب بعض حروف الجر عن بعض ؛ وهذا أيضاً مما يتداولونه ويستدلون به . وتصحيحه بإدخال (قد) على قولهم : (ينوب) . وحينئذ فيتعذر استدلالهم به ؛ إذ كل موضع ادعوا فيه ذلك ، يقال لهم فيه : لا نسلم أن هذا مما وقعت فيه النيابة . ولو صح قولهم لجاز أن يقال : مررت فى زيد ، ودخلت من عمرو ، وكتبت إلى القلم

فنيابة حرف من حروف الجر عن آخر عند الكوفيين ليست ممهّدة السبل ، كما قد يُظَنّ بادىَ الرأى ؛ فإنه يجب لقياسيتها ألا تنبو عن الذوق العربى وأساليبه فى التعبير ، وأن يكون الحرف النائب قد جاء لمعنى الحرف المنوب عنه وضعاً كما قد فهمت مما مر بك

***

والآن فلنعد إلى بيت الأستاذ الذى كان مبعث هذا النقاش وقد رأيت أنه أجاب عن اعتراضى على تعدية (يتفيئوا) باللام بأنه ليس خطأ ... الخ . ويظهر أنه اعتبر اللام نائبة عن الباء [1]

ولم أر فيما لدىّ من المراجع أن اللام تنوب عن الباء ولكنهم قالوا بنيابتها عن (فى) ، كما فى قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » ، وكقوله : « لا يجليها لوقتها إلا هو » ، وكما فى قولهم : « مضى لسبيله »

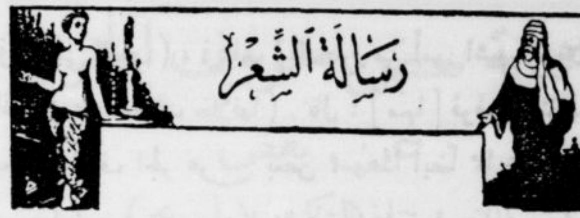
فعلى اعتبار أن اللام فى البيت نائبة عن (فى) لم يخطئ الأستاذ فى تعبيره ، مهتدياً بسليقته السليمة ، وإن لم يَقصد إلى هذه النيابة عند إنشاء البيت

***

هذا ما أمكن إيجازه من هذا الموضوع الذى أرجو أن أكون قد وفقت للكشف عن وجه الصواب فيه

(ع . ا)

(١) قد ذكرت فى مقالى فى العدد ٤٠٧ من الرسالة أن (تفيأ) يتعدى بالباء وبفى ، وبنفسه أيضا كما جاء فى شعر أبى تمام . ولكن الأستاذ أغفل فى تعقيبه — سهوا على ما يظهر — عند نقله عباراتى ، أنه يتعدى بفى أيضا .



موسيقى تائهة . . . !

« نانا . . . »

[مهداة إلى الروح المتمرد الحزين الذي حلت إلى الريح نجواه منذ ليال ، . . . ولا أدري متى يعود !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

اللَّيْـلُ يا « نانا » وَالرِّيحُ يا « نانا »
مِيرَانِ مِنْ قَلْبِي . . .
أَقْبَلْتُ حَـيْرَانا وَعُدْتُ حَـيْرانا
مِنْ شَاطِئِ الغَيْبِ

***

اللَّيْـلُ نَادَانِي مِنْ عَالَمٍ نَانِ
وَقَال : يا فَانِي هَيَّجْتَ أَحْزانِي . . .
إِنْ كُنْتَ ظَمْآنا
أَقْبِـلْ لِدُنْيـانا
وَاتْبَعْ خُطا « نانا »
وَاسْمَعْ صَدَى « نانا »
فَاللهُ سَـوَّانا لِلشِّعْـرِ وَالْحُبِّ . . .
وَاللهُ غَنَّـانا أُنْشُودَةَ الْحُبِّ . . .

***

. . . اللَّيْلُ يا « نانا » وَالرِّيحُ يا « نانا »
مِيرَانِ مِنْ قَلْبِي . . .

***

وَالرِّيحُ فِي السَّفْحِ هَبَّتْ عَلَى جُرْحِي . . .
وَرَفْرَفَتْ نَوْحِي شِعْرًا عَلَى الدَّوْحِ . . .
كَالرُّوحِ وَلْهَـانا
كَالخَمْرِ سَكْرانا
كَالطَّـيْرِ غَنَّـانا
وَقَالَ : يا « نانا »
إِنِّي مِنَ الغَيْبِ حُمِّلْتُ مِنْ رَبِّي
لِلْمُـذْنِبِ الصَّبِّ أُنْشُـودَةَ الحُبِّ

***

اللَّيْـلُ يا « نانا » وَالرِّيحُ يا « نانا »
مِيرَانِ مِنْ قَلْبِي

***

أَقْبَلْتُ حَـيْرانا كَالجُرْحِ أَشْـيانا
كَاللَّيْـلِ دَجْوانا كَالرِّيحِ إِرْنـانا
وَعُدْتُ يا « نانا »
هَيْمَانَ . . . حَيْرانا
لِشَاطِئِ الحُبِّ ! !

محمود حسن اسماعيل

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة في مجلدين. وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا في الخارج عن كل مجلد .



حول أبعاد الحيز

كون رباعي الأبعاد

[إلى أستاذي جوداق أهدي هذه الفصول]

للأستاذ خليل السالم

— ٣ —

أبنّا في المقال السابق بعض الخصائص* التي يلتقي عندها الزمان والمكان ، والتي سمحت لنا أن نعتبر الأول بعداً رابعاً ، وسنحاول هنا أن نذكر أهم خصائص كون ذي أربعة أبعاد ، سواء كان هذا البعد الرابع زماناً أو مكاناً . ورب من يستغرب كيف يمكن أن يكون المكان ذا أربعة أو خمسة أبعادٍ إلى ما لا نهاية من الأبعاد . فنحن لا ننتهي من بدعة الزمان كبعد رابع ، تلك البدعة التي لا يقبلها الحس والتصور ، حتى تأتينا بدعة أكثر هجنة وغرابة ، هي أن يكون المكان كثير الأبعاد . على أنني لا أقصد أن أحول عن خطتي لأشرح هذه الفكرة الجديدة ، فربما نحاول في فرصة قريبة تبسيطها وعرضها على القراء إلا أنني أعطي المثال البسيط التالي لأزيل قليلاً من حيرة القارئ . فهو يعلم مهما بلغ ضآلة ثقافته الرياضية أن النقطة الهندسية إذا تحركت رسمت خطاً هندسياً طوله المسافة التي تحركتها تلك النقطة ، وهذا الخط المستقيم ذو بعد واحد ، لأن للنقطة مجال حرية الحركة في اتجاه واحد فقط ، وإذا تحرك هذا الخط الهندسي في اتجاه علوي على طوله بعداً يساوي طوله نتج المربع ، وهو مستو ذو بعدين ، لأن النقطة تجد مجال الحركة واسعاً أمامها في اتجاهين ، أو لأن مكان النقطة يتعين ببعدين اثنين عن أضلاع مربع ، وإذا تحرك المربع في اتجاه علوي لمستوى مسافة تعادل طول ضلعه نتج المكعب ، وهو حجم ذو ثلاثة أبعاد . يقف تصورنا عند هذا الحد . أما التحليل الرياضي ، فلا يقف هنا ، فبنفس الطريقة المنطقية السالفة ، نتصور المكعب متحركاً في اتجاه عمودي على متعامداته الثلاثة مسافة تساوي ضلعه فينتج فوق المكعب Hypercube (١) ذو أربعة أبعاد ، وإذا تحرك هذا نتج فوق المكعب ذو خمسة أبعاد ، والعملية تتسع لعدد لا متناه من التكرار

ولعل القارئ يذكر أننا نحول القوة الأولى (س) إلى خط مستقيم ، والقوة الثانية (س ٢) إلى مربع ، والقوة الثالثة (س ٣) إلى مكعب ، فيجب أن يستمر القياس إلى (س ٤) فنحولها إلى جسم في أربعة أبعاد وإلى (س ن) فنحولها إلى جسم عدد أبعاده (ن) . ولا أرى من الضروري أن أعيد ما ذكرت في البحث السابق من أن تصور مثل هذه الأجسام مستحيل . على أن الدكتور كايزر C. J. Keyser وهو علم من أعلام فلسفة الرياضيات يقول : إذا لم يكن لهذه الأجسام وجود في البصيرة فلها وجود في التفكير ، وإذا لم يكن في الحس فهو في العقل ، وإذا لم يكن في المادة فهو في الفكر ، وهو لا يكتفي بهذا فيقول في كتابه « Thinking Human Worth of Rigorous » : لقد أقنعني التأمل بأن حيزاً أبعاده أربعة أو أكثر له من خصائص الوجود مثل ما للفضاء الهندسي المادي

وقبل أن نعرض لتلك الخصائص نود ذكر بعض الظواهر الطبيعية التي استخدم في تفسيرها البعد الرابع وكان أسهل مما تبناه العلماء من تعاليل وفرضوه من فروض . ولا أراني في حاجة للقول بأن نظرية النسبية التي فسرت أكثر الظواهر الطبيعية المعقدة العويصة لا تدخل ضمن نطاق هذا الشرح

هناك نوعان من حامض الطرطريك (ك$_{١٤}$ يد$_{١٠}$ أ$_{٩}$) Tartaric Acid. يشبه أحدهما الآخر كأنه صورته في المرآة ويتحول أحد هذين النوعين إلى النوع الآخر دون حدوث تفاعل كيماوي يفسر هذا التحول بأنه تحرك نوع واحد في البعد الرابع في اتجاهين متضادين

ونجد نفس الظاهرة في سكر العنب (دكسترو Dextro ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$ أ$_{٦}$) وسكر الفواكه (ليفيلوز Levulose ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$ أ$_{٦}$) وهما نوعان من السكر موجودان في العسل متشابهان

(١) لم أر فيما وقع تحت يدي من الكتابات العربية ترجمة لهذه الكلمة ، ولا أدري إذا كانت ستلقى هذه الترجمة رضى في نفوس المشتغلين بهذا الموضوع .

فى التركيب الكيماوى ولكن أحدهما معكوس الآخر إذا ما فحص تحت الضوء المستقطب Light Polaized وإذا تصورنا تحرك ذراتهما فى البعد الرابع أمكننا أن نملل سبب اختلافهما

ومن العجب حقاً أن نجد نفس الظاهرة فى نوع من الحلازين فبعضها ملتو إلى اليمين والبعض الآخر ملتو إلى اليسار كأن أحد النوعين صورة فى المرآة للنوع الآخر . ليس هذا فحسب ، وإنما تبدى عصارة كل منهما ما يبديه نوعا السكر من أن إحدى العصارتين تظهر تحت الضوء المستقطب عكس العصارة الأخرى . وقد أشار هنتون Hinton وهو من المشتغلين بمثل هذه الأبحاث أن التيار الكهربائى يمكن شرحه كتموجات فى البعد الرابع

والآن ما هى أهم خصائص كون ذى أربعة أبعاد ؟

هناك ثلاث خصائص رئيسية :

١ — إذا تحرك جسم ذو أربعة أبعاد فإن قطعه الذى يبدو لعالم ثلاثى الأبعاد يتغير فى الجسم والشكل وهذه ظاهرة « انكماش فتزجيرلد » ، وقد عمد العلماء إلى تعليل هذه الظاهرة بأن كهارب المادة إذا تحركت بسرعة كبيرة فى الفضاء تتمغنط فيجذب بعضها بعضاً ، وينتج عن هذا الجذب التقلص أو الانكماش طبقاً لقانون فتزجيرلد الذى ذكرناه فى البحث الماضى

$$\text{ت} = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{\text{س}^{2}}{\text{ن}^{2}}}}$$

ت = تقلص

س = سرعة الجسم

ن = سرعة النور

٢ — يجب أن يتسنى لجسم أن يدخل مكاناً مغلقاً عن طريق البعد الرابع دون أن يمس أضلاع المكان الثلاثة كما يتسنى أن تضع نقطة فى مربع دون أن تمس أضلاعه . ومن هذا يتبين أنه لو استطاع اللصوص مثلاً أن يتحركوا فى البعد الرابع لما أغنت الصناديق الحديدية فتيلاً ، لأنه يمكن سحب الأموال والجواهر المخزونة دون فتح الصناديق . وكذلك يستطيع أن تشرب زجاجة الكازوزة دون فتحها ، وتأكل البيضة دون كسر قشرتها ، ويمكن لنقطة فى مركز الكرة أن تتركها دون أن تمس سطح الكرة . ولا تزيد العقد فى البعد الرابع عن نشطات . وتسقط حلقات سلسلة فولاذية منفصلة عن بعضها من تلقاء نفسها . والأجسام المتشابهة يمكن توجيهها بحيث ينطبق بعضها على بعض تمام الانطباق فى البعد الرابع : فالجانب الأيمن يصبح الجانب الأيسر ، كأنه صورة فى المرآة ، نستطيع فى البعد الرابع أن نجد خمس نقاط متساوية الأبعاد عن بعضها . الدوران فى مستوى حول نقطة ، وفى الفضاء حول خط ، وفى كون رباعى الأبعاد حول مستوى

كان يمكن أن يحصل هـذا فى عالمنا لولا قانون حفظ الطاقة والكتلة ؛ على أننا نستطيع أن نقول إن هذا يمكن أن يحدث فى عالمنا ولكنه لا يحدث

٣ — يجب أن نستطيع رؤية داخل الأشـياء مهما بلغت سماكتها وكثافتها عن طريق البعد الرابع ، كما نستطيع رؤية داخل مربع بالإشراف عليه من أعلى . على أن هـذا لا يحدث فى عالمنا ، ويقـدم أدنغتون Sir A. Eddington تعليلاً بسيطاً لعدم الحدوث . لما كان عالمنا رباعى الأبعاد — لا حاجة بى إلى القول أن أدنغتون من أنصار ناموس النسبية — فلكى يصح القياس يجب أن نشرف على الجسم الجامد من كون خماسى الأبعاد حتى نستطيع أن نراه ؛ لأن أبعاد الجسم المرئى يجب أن تكون أقل ببعد واحد من أبعاد الكون الذى نراه فيه

لا أحب أن أترك البحث دون أن أشير إلى ناحيـة طريفة فى الموضوع تتعلق بإيمان بعضهم بالخلود والأبدية كانغماس فى البعد الرابع ، فنحن نسير مع الزمن حتى إذا ألم بنا عارض وقف سيرنا هذا وتأخرنا فى المـاضى ؛ وتأخرنا هذا هو الموت ؛ ولا يعنى هذا الموت أننا نصير إلى العدم وإنما نبقى فى البعد الرابع أحياء أحراراً ؛ ولذا كان البعـد الرابع الطريق الذى تظهر به الأرواح لعالمنا ، وكان البعد الرابع التفسير الذى تمسك به المشتغلون بالروحانيات وانتقال الأفكار وعلم الغيب والتصوف . وإذا كان هناك رجل يجب أن يلام على انتشار مثل هذه الأفكار فهو زولنر Zollner وكان أستاذ علم الفلك الطبيعى فى ليبزج . ففى السنتين ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ نزل الوسيط الأمريكى سليد Slade إنكلترا وتنقل فى أنحاء القارة الأوربية يعرض أعماله السحرية العجيبة ، يدخل الأجسام بعضها ببعض ويعقد ويحل عقداً فى سلسلة ليس لها من نهاية . والخلاصة أنه



عبد القادر حمزة باشا فى ذمة الله

فى الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة السادس من شهر يونية سنة ١٩٤١ خلا مكان عميد الصحافة وفقيد الأدب الأستاذ عبد القادر حمزة باشا وهو فى الثالثة والستين من عمره الحافل الخصب . (وخلا مكانه) تعبير صادق عن وفاة صاحب البلاغ ؛ فإن الأخلاق والمواهب التى كونته قلما تجتمع إلا للأحدين الذين يتعاقبون فى الحياة على فترات بعيدة . ولقد بلغ ما بلغ من رفيع المنزلة وبُعد الصوت بحسن استعداده وطول اجتهاده ، فلم يتكئ فى جهاده المادى أو الأدبى على سند من أسرة أو ثروة أو وظيفة ؛ وهو فى ذلك أحد الأفذاذ الذين شقوا طريقهم الوعر بسن القلم ؛ وقلمه فى يده كان كالمبضع فى يد الجراح الماهر : لا يشق إلا بتقدير ، ولا يقطع إلا بقَدَر . ولم يتميز من الأساليب الصحفية غير أسلوبه وأسلوب لطفى السيد باشا من قبل : تميزاً بالإيجاز والإشراق والطلاوة والمنطق ، وبرئاً مما تجره الصحافة على كاتبها من ضرورة الثرثرة واللغو

كان يسحر الجمهور ويدهشه بألاعيبه . وقد قدر لزوانر هذا أن يجلس مع ستيد نحو ثلاثين جلسة خرج منها معتقداً أقوى الاعتقاد أننا نعيش فى عالم مغمور فى كون رباعى الأبعاد ، وأن البعد الرابع مسكن الأرواح التى تظهر بين حين وآخر وتؤثر فى حياة سكان الأرض

وقد بلغ من زولنر الوهم حتى صرح أنه فى إحدى الجلسات «صافح صديقاً من ذلك العالم الآخر»

على أن السلطات لم تترك ستيد حراً ، فقد ألقى عليه القبض فى انكلترا وحكم عليه بالإعدام ، إلا أن زولنر أبى إلا أن يرى ستيد بريئاً «وقد قضى ضحية جهل القضاة والمتهمين» ، ولقد كان زولنر كاتباً بليغاً ، فلا عجب إن وجدت آراؤه انتشاراً واسعاً ، ولا عجب إن آمن بها الكثيرون .

(الجامعة الأمريكية — بيروت) خليل السالم

عالج المرحوم عبد القادر حمزة باشا المحاماة فى مقتبل عمره ؛ ثم دفعته الظروف بمعونة ميله الفطرى إلى الصحافة فبرز فيها تبريزاً لا يتهيأ إلا لأصحاب الملكات القوية ؛ وكان مما ساعد على هذا التبريز طريقته الواضحة فى الجدل ، ومذهبه العفيف فى النقد ، ونظرته الثاقبة فى الأدب ، وزجولته المفيدة فى الخصومة . وكان للفقيد الكريم مشاركة فى أنواع الأدب ولا سيما التاريخ والترجمة . ولسنا اليوم بصدد الكلام عن مكانته فى الأدب وأثره فى السياسة ؛ إنما هى إشارة تدل على عظم المصاب فيه وصعوبة العزاء عنه . برد الله ثراه بالرحمة ، وعوض منه أسرته وأمته خير العوض

لقد نفذ الأستاذ المراغى الإصلاح

تعرض «عالم» فى «الرسالة» الغراء لما حسب أنه «الحوائل» التى اعترضت سبيل الإصلاح الأزهرى على النحو الذى وضحه الأستاذ الإمام المراغى فى مذكرته القيمة الجليلة القدر التى أنتجها فى عهد ولايته الأولى على الأزهر

وما من شك فى أن «الحوائل» التى سجلها صاحب الفضيلة «العالم» فى كلمته حقيقة أن تثير الدهش والعجب ، لأنه فهم من منهاج الأستاذ الأكبر فى الإصلاح أنه قضاء مبرم على كتب الأزهر وتراثه الثقافى جميعاً ، على حين يفهم كل أحد أن فكرة «الاجتهاد» التى يدعو إليها الأستاذ الأكبر ليست هى القضاء على «جميع» ما تضمه كتب الأزهر بين دفتيها ، وإنما هى ترمى إلى «تنقية» هذه الكتب وتصفيتها وتجويد عرضها من ناحية الأسلوب ومن نواح أخرى لا ينكرها المتدين المتعمق متى أخذها بالتفكير الدقيق . ولقد فعل الأستاذ الإمام المراغى فى ذلك كثيراً ، فلم ينكر عليه أحد ما فعل ، وإنما أيده الأزهريون القدامى والمحدثون فيما اضطلع به من التجديد الذى استمد مادته من كتاب الله وسنة نبيه الكريم ، فى موضوع الطلاق ، وفى موضوع الهبة والتوريث ؛ وإنما أيده أولئك وأولئك فى منهاجه الحكيم المحكم الدقيق الذى عرفه له العالم الإسلامى فى تفسيره لطائفة من سور القرآن الكريم

والأستاذ الأكبر حين ظفر بكل هذا التأييد فى إنتاجه الذى هو إصلاح بالغ ، إنما وضع الأساس لأمثال صاحب

الفضيلة « العالم » الكاتب حتى ينهجوا نهجه ، وحتى ينفقوا أوقاتهم كلها فى السير على منواله ، فإصلاحه من هذه الناحية حقيقة لقيت وجودها تحت الشمس . وهو فى عهده الآن بالأزهر لم يلاين كثرة الأزهريين ولا قلتهم، لسبب بسيط، هوأن إصلاحه ماض فى طريقه بالخطوة الوئيدة، ماض إلى هدفه بالرمية السديدة، أما العناية الأزهرية بالوظائف وما إليها ، فهذه حكاية أقحمها العالم الجليل على موضوع لا صلة له بالبحث الذى نحن بصدده ، لا من قريب ولا من بعيد ، ونحسب أن الرد عليها يكون طريفاً حقاً لو تفضل العالم الكاتب وقال لنا من يكون ؟

كمال عبد الآخر
« القاهرة »

رسالة الأزهر

للأزهر رسالة واضحة كل الوضوح، كما أنها ثقيلة لا ينهض بها إلا رجال أكفاء قد وهبوا أنفسهم لله ووقفوا حياتهم على أمتهم .

وحسبنا لنعرف هذه الرسالة أن ننظر إلى رجال الدين المسيحى ونوازن بين ما يعملون وما يعمله رجال الدين الإسلامى لنرجع من هذه الموازنة والكرب يكاد يقتلنا على تقصير رجال الدين الإسلامى وإهمالهم وضعفهم ونقصهم

اعداد رجال الدين المسيحى

لأجل أن يصير الشاب المسيحى قسيساً لا بد له أن يدرس دراسة طويلة شاقة ، وأن يزود بألوان من المعارف لا يظفر بمثلها غيره ممن يعدون أنفسهم لأى نوع من الحرف الدقيقة الخطيرة، كالطب والقضاء والهندسة وغير ذلك ـ ويؤخذ بضروب من الرياضة البدنية والروحية ، ويصقل صقلاً يجعله بعد ذلك متميزاً عن غيره صالحاً لأداء مهمته الشاقة أحسن أداء . يقضى مدة دراسته تحت حراسة يقظة ورقابة دقيقة ورعاية كريمة وإرشاد متواصل وتوجيه سام وتدريب شاق ورياضة طويلة ، حتى يصير رجلاً نموذجياً فى جسمه وعقله وخلقه وذوقه وعاداته وأكله وشربه ونومه وغير ذلك من كل ما يدخل تحت النقد والتكوين

فأين هذا مما يلقى طلاب الأزهر من الإهمال والتضييع

١ — مناهج قد ازدحمت بكل معاد ثقيل لا فائدة منه

٢ — سنة دراسية يضيع أكثر من نصفها فى العطلات

٣ — يترك الطلبة يسكنون فى مساكن غير صحية وفى أحياء قذرة ويتعرضون لآفات خلقية وجسمية ومتاعب معاشية وأضرار لا يجهلها أحد ممن عرف الأزهر والأزهريين

٤ — نقص كبير فى المناهج

رسالة المتخرجين فى الأزهر

والآن فلنوازن بين ما يعمله رجل الدين المسيحى وبين ما يعمله المتخرج فى الأزهر : رجل الدين المسيحى يتخرج فيجد أمامه عملاً جليلاً ثقيلاً يحتاج إلى مثل أعمار النسور وهمة الجن ودأب النمل : يشتغل راعياً فى كنيسة ، فيدرس الحى الذى يعمل فيه دراسة دقيقة شاملة، ويتصل بكل من فيه من أبناء ملته، ويكون وسيلة للتعارف والتأليف بينهم ، وهو فى كل ذلك محتفظ بكرامته ومكانته ، وذلك لما توفر عنده من اللباقة والإخلاص ، ويعمل على تأسيس جمعيات عملية لا قولية تقوم بجمع الصدقات وتأسيس المدارس وإقامة المشافى والصلح بين المتخاصمين والتأليف بين الزوجين، وهو فى كل ذلك الرأس المدبر واليد العاملة والقلب الخافق الحى، ولن يفشل فى أى مشروع يحاوله أبداً لأن الإخلاص سائقه والعزم حليفه والله رائده ؛ فتجد الكنيسة إذا ما استقرت فى مكان صارت مصدر هداية وإرشاد وعمران ووفاق ويسر لأبنائها الملتفين حولها جميعاً ، والفضل فى كل ذلك لرجل الدين الذى أعد لهذا العمل الجليل إعداداً حسناً ، تجده حركة دائبة لا يستقر ولا يهدأ؛ إذا رأيته أشفقت عليه من كثرة العمل وطول الإجهاد ، فهو آناً عند مريض يعوده ، أو عند فقير يحمل له صدقة أخذها فى السر من غنى ، أو عند غنى يعظه برفق ويغريه على نفع أبناء ملته ، أو عند أسرة يوفق بين أفرادها . يؤسسون المدارس الكبرى والمعاهد العليا والكليات العظمى ، ويجمعون لها التبرعات غير يائسين ولا متضجرين ، ويقيمونها صروحاً شاهقة ، ويعدون أبناء ملتهم لحياة ناجحة ، فيزودونهم بالثقافات المختلفة الدينية والعمرانية التى تؤهلهم للنجاح فى الحياة؛ وطف بمصر لترى معاهدهم لم تجذب إليها أبناء المسيحيين فقط ، بل جذبت أيضاً أبناء المسلمين ، لما شوهد على متخرجيها من دلائل النجح والتهذيب والتميز ، وهذه معاهد الآباء اليسوعيين «الجزويت» ، والأخوة المسيحيين «الفرير» ، والراهبات وغيرها مما لا تخلو منه مدينة فى مصر والشرق

فأين هذا من مسجدنا وعالمنا وإمامنا . لا داعى للموازنة بعد ذلك فسنخرج بنتيجة محزنة

لقد قضى أستاذنا الزيات صدر شبابه أستاذاً بالمدارس الدينية المسيحية ، وحبذا لو تناول وصفها بقلمه الساحر وناشد الأزهريين أن يتعلموا من هؤلاء الرجال المخلصين خدمة دينهم ومعرفة رسالتهم فى الحياة ؛ وعلى ضوء هذه الرسالة توضع المناهج ويؤسس الأزهر من جديد .

زكى غانم

ليس هذا هو الطريق إلى الإصلاح

أضنانا السير والسرى ولم نقطع أرضاً ولم نقض مأرباً . أردنا أن نصل إلى نقطة ما فجعلناها مركز الدائرة ودرنا حولها فى محيط ثابت . لنا الله فقد جاهدنا فأجهدنا أنفسنا ولم نتقدم من غايتنا باعاً أو ذراعاً ، وأغلب الظن أننا سنعاود الكرة مرات إن طوعاً وإن كرهاً . سنمشى على أرجلنا أو على أيدينا أو على أربع ، وسنزحف على بطوننا ، وسنطير فى الهواء أو نغوص فى الماء ؛ ولكننا لن ننحرف عن محيط الدائرة ، ولن تتغير النتيجة أبداً

تعبنا وأضعنا الجهد هباء ، لأن هذا ليس هو الطريق ، ولأن هذه ليست هى الوسيلة

أردتم فيما أردتم تعليم الفلاح وتحسين صحته وتنظيم حياته ورفع مستواه، وودتم منع البطالة والقضاء على الجرائم والاستجداء والخمر والميسر والإعراض عن الزواج والطلاق وتخنث الشبان وتهتك النساء وتبرجهن ، وحاولتم مكافحة الأمراض السرية والعلنية ، وبنيتم مطاعم وحمامات ومغاسل للشعب ؛ ثم شرعتم فى كسوة أقدام الفقراء بالأحذية ، وستشرعون فى إقامة منشآت لم

أردتم مالا حصر له من الإصلاحات ولم توفقوا التوفيق الرجى فى أحدها، وإذا أنكرتم ذلك فهاتوا برهانكم، وإذا كنتم تقرون قولى فتعالوا نبحث العلة ونفهم المسببات .

إنكم مسلمون لأن دين الدولة الرسمى هو الإسلام . وإنكم تعلمون أن القرآن من عند الله ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه لم يحرف، وأنه صالح لكل الأزمنة ولن ينزل كتاب بعده .

ثم إنكم تسلمون أنه مهما سما تفكير الانسان وتدبيره ، ومهما صح حكمه على الأشياء فلن يصل إلى درجة خالقه ولن يرق لمرتبته فى العلم . إذن فالقوانين التى نسنها لا يمكن بأية حال أن تكون أصلح من تلك التى وضعها لنا الله ، فإذا أسلمتم بهذا أيضاً ولا إخالكم إلا مسلمين، أفليس من حسن التميز أن نجرب السير على قوانين الله ولو لمدة محدودة كما سرنا على غيرها أعواماً من غير طائل ؟

إن هذا لا يكلفنا كثيراً ، ولا يتطلب إلا أن تجند وزارة الشئون الاجتماعية ذلك الجيش من علماء الأزهر الشريف والمعاهد الدينية ليقوموا بما فرض الله عليهم . ليعلموا الناس دينهم وليفهموهم مثلا أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأنها أفضل أنواع الرياضة البدنية ، وليبينوا لهم الحكمة فى نظامها وكيفية أدائها وعدد ركعاتها وتحديد أوقاتها . ليعرفوهم أخلاق الرسول صلوات الله عليه وأخلاق الصحابة والتابعين، وليفهموهم حقوق الرجل على زوجه والمرأة على بعلها ، وأن أكره الحلال عند الله الطلاق ، وليشرحوا لهم أن بعض الذنوب لا يكفرها إلا السعى على الرزق ، وجزاء المستجدى فى الدنيا والآخرة ، وما يلاقيه السكران فى يومه وغده .

ثم نفذوا فيهم أحكام الدين بعد ذلك ولا تأخذكم بهم رحمة . ولا تعتقدوا أن أحكام الله قاسية فهو أرحم بكم منكم، فقطع يد السارق فى حقيقتها أخف بكثير من سرقة يعقبها سجن، فسرقة يتبعها سجن ، فسرقة يتلوها سجن ، فسرقة فى أثرها سجن ؛ وهكذا دواليك . إنكم بعد ذلك لن تجدوا مجرماً ولا شارب خمر ولا لاعب ميسر ولا داعياً لفجور ، ثم إنكم لن تلقوا مستجدياً ولا عاطلاً، ثم إنكم بعد ذلك ستجدون الجميع فى صحة تامة وهناء متصل وتآخ أكيد .

مصطفى اسماعيل جوهر

(جزيرة ميت عقبه — امبابة)

مكتبة الحرم الشريف النبوى العامة

أسست حكومة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز الأول مكتبة عظيمة فى الحرم الشريف أسمتها « مكتبة الحرم الشريف النبوى العامة بالمدينة المنورة » : جمعت فيها شتات الكتب المفرقة

فى مستودعات الحرم النبوى والمحكمة الشرعية الكبرى وكتب طوسون أحمد باشا وغيرها . وقدم لها جلالة الملك عبد العزيز الأول جميع مطبوعاته النفيسة ، كما تفضل فأمر بصنع عشر خزائن للكتب . وقدم لها الشيخ عبد الكريم المصرى الأزهرى ستة صناديق محتوي على ثمانمائة مجلد . وساهم فى تأسيسها باهداء الكتب إليها سعادة السيد محمد بدوى بك المنصورى الأزهرى ، وسعادة الشيخ محمد سرور صبان وغيرهم .

وأعفت الحكومة السنية بريد المكتبة من الرسوم فى جميع أنحاء المملكة العربية السعودية كلها . وفى المكتبة الآن كتب فى التفسير والحديث والتوحيد والتجويد والقراءآت العشر والفقه الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والأدب والتاريخ والشعر وعلم الأصول والمصطلح وغير ذلك باللغات العربية والفارسية والهندية والتركية

وقد بلغ عدد المجلدات الموجودة الآن زهاء ثلاثة آلاف مجلد . وفى المكتبة قسم الصحافة للمجلات والجرائد العامة التى تهدى إليها

وفى المكتبة قسم مكتبة التلميذ لإعارة بعض الكتب العلمية للتلاميذ الفقراء على نظام مكتبة الأزهر الشريف بمصر وقد وردت لهذا القسم بعض المؤلفات المدرسية من مؤلفيها وغيرهم . وقد سر من هذا القسم الدكتور محمد عبد الغنى عزام مفتش صحة مركز المنصورة بالديار المصرية فقدم لإدارة المكتبة مقداراً من النقود لشراء بعض الكتب العلمية النافعة المفيدة لهذا القسم . وفى المكتبة ورشة تجليد فنية لتجليد كتبها المحتاجة للتجليد . وقد أهدى بعض أهل الخير لهذه الورشة بعض الآلات والأدوات

وقد عينت الحكومة السنية العربية السعودية الأستاذ أحمد يس الخيارى الأزهرى من علماء الحرم الشريف النبوى وقرائه ومدير مدرسة التجويد والقراءآت بالمدينة المنورة مديراً رسمياً لهذه المكتبة العلمية العامة مستقلاً فى جميع أعمالها الداخلية والخارجية .

والمكتبة الآن فى حاجة إلى التشجيع مادياً بالنقود وأدبياً بالكتب والرسائل والمجلات والجرائد والخزائن والآلات والأدوات والأثاث من أفراد العالم الاسلامى . لأنها فى داخل الحرم النبوى ومنسوبة إليه وعائدة له . والمخابرة فى كل ما يخصها تكون باسم مديرها . والله يتولى التوفيق

مدير مكتبة الحرم النبوى الشريف العامة

تحذير ورجاء

يعلن كمال مصطفى مؤلف كتاب « الصحافة والأدب فى مائة يوم » أن بعض الأشخاص قد اختلسوا كثيراً من نسخ الكتاب وبددوها ، وعمد أحدهم إلى تغيير الإسم ووضع بدله اسم « على ماهر باشا المثل الأعلى للوطنية والصحافة والأدب » ، واتخذ هذا سبيلاً للنصب والاحتيال ، وتتولى النيابة التحقيق الآن فيرجو المؤلف كل من يقدم إليه الكتاب بالاسم المنتحل : « على ماهر باشا المثل الأعلى ... » ، أو بأى اسم آخر ، أو بالاسم الأصلى : « الصحافة والأدب فى مائة يوم » ، وغير مختوم بخاتم المؤلف أن يتفضل بالاتصال به بوزارة الداخلية وأن يمتنع عن دفع الثمن وله عظيم الشكر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 416

Lundi - 23 - 6 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٣ يونية سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤١٦

الفهـــــرس

صفحة

٨٠١ الفقراء ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٨٠٣ الاسلام والعلاقات الدولية : الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
٨٠٦ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٨١٠ اللهجات العامية الحديثة ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٨١٣ رسالة ... ... : « الناقد الأزهرى » ... ...
٨١٥ الحياة الزوجية فى نظر الأسلام : الأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى
٨١٨ عبد القادر حمزة باشا ... : الأستاذ محمد السوادى ...
٨٢٢ الأسكندرية بعد الفاجعة [قصيدة] : الأستاذ عبد اللطيف النشار
أغنية البلبل ... « : الأديب محمود السيد شعبان ...
٨٢٤ حول إصلاح الأزهر . ... : (عالم) ... ...
بين عبد القادر حمزة والعقاد : الأستاذ سيد قطب ... ...
٨٢٥ نيابة بعض الحروف من بعض : الأستاذ على الجندى ... ...
خطأ نقحى فى مجلة الأزهر : الأستاذ (م ...) ... ...
٨٢٥ حول مكتبة الحرم النبوى الشريف . ... } الأستاذ طه محمد الساكت ...

بمناسبة المهاجرين من منكوبى الغارات

الفقـــــراء

LES PAUVRES GENS

قصيدة لفكتور هوجو (*)

[مهداة إلى السادة : يوسف كمال والبدراوى وقوت القلوب]

— ١ —

الليـل مُرْخَى السدول ؛ والـكوخ ظاهر الإملاق ، ولـكنه محكَم الإغلاق .

كان المسكَن يغشاه الظلام ، ولـكنك تحس شيئاً فيه يضىء خلال هذه العتمة

على حائطه علق الصياد شباكه ؛ وفى أحد ركنيه من الداخل تلمع بعض المواعين الحقيرة على صندوق الخبز ؛ وفى الركن الآخر يقوم سرير كبير قد انسدلت عليه أستارُه الطويلة

وعلى مقربة منه حشيَّةٌ مفروشة على دَكتين باليتين ، وخمسة أطفال صغار كعش من أعشاش الأرواح قد رقدوا عليها

وكان فى الموقد العالى بقية من الضِّرَم تلقى ضوءها الأحمر على السقف القاتم ، وبجانب السرير امرأة قد وضعت جبينها على حافته وهى جاثية تصلى وفى صدرها نجيَّة وعلى وجهها شحوب

(*) قد حذفنا من الفضول ما يجوز فى الشعر ولا يجوز فى النثر

تلك كانت الأم ، وهى وحدها فى الكوخ ؛ ومن وراء هذا الكوخ المظلم المحروم ، زفراتُ البحر الزبد المشئوم ، يرسلها سوداء فى السماء والهواء ، وفى الضباب والصخور

— ٢ —

كان الزوج يعمل فى البحر ؛ وكان منذ طفولته بحاراً كُتب عليه أن يلاقى الحظوظ السودَ فى أهول المعارك . فهو فى المطر الواكف ، وفى الهواء العاصف ، محتومٌ عليه أن يخرج إلى الصيد لأن أطفاله يتضاغون من الجوع ... !

يخرج فى المساء إذا مد الماء وغمر سلالم الجسر ، ثم يقود وحده سفينته ذات الشُرُع الأربعة ، وتبقى الزوجة فى البيت تخيط شراعاً ، أو ترتق شبكة ، أو تهيىء شِصاً ؛ وتراقب فى غضون ذلك القدر وهى تغلى على الكانون بحساء السمك . حتى إذا طاف الكرى بأطفالها الخمسة اتجهت هى إلى الله تصلى وتضرع !

***

غاب الرجل وحده فى ظلمات الليل ، وفى لجج المحيط ، والأمواج المتجددة تغالبه وتصرعه ، والخطوب المترصدة تجذبه وتدفعه

أيهذا العمل الكادح ما أقساك ! الظلام شديد الحلك ، والجو قارس البرد ، والمكان الصالح للصيد لا يكون إلا فى مصادم البحر بين الأمواج الزُعن والهُوَى السحيقة ، فترى على مجاهل المحيط الواسع هذا المكان المتنقل المتدلل على هوى السمك ذى الزعانف الفضية ، يضيق فيكون بمقدار النقطة ، ثم يتسع فيكون فى ضعف الغرفة ؛ والصياد مقضى عليه أن يجهد جهده ، فيحسب حساب المد والهواء ، ويوفق بين أفاعيل السماء والماء ، ليهتدى فى ظلام الليل وفى ضباب ديسمبر إلى هذه النقطة المتنقلة فى هذه الصحراء المتحركة !

الأمواج على طول الشاطئ تنساب انسياب الأفاعى الخضر ، والهاوية تدور وتُدوِّمُ وتدوِّى فتصطك أعضاء السفينة من الرعب ، وتئن أدواتها من الهلع ، والصياد فى أحضان البحر المجنون يفكر فى زوجه جانى ، وزوجُه جانى على البعد تناديه وتناجيه وهى تبكى ، فتتلاقى أفكارهما فى الظلام ، وأفكار العشاق طيورٌ قدسية أبراجها القلوب

— ٣ —

كانت جانى تصلى وطير النُّورس بصوته الأصحل الساخر يزعجها ، وموج البحر بهديره المتكسر الصاخب يرعبها ، وأشتات الأطياف تمر بخاطرها فتقلقها . كانت تتمثل ذلك المحيط المجّاجَ والملاحَ المحمول على ثَبَجه الغاضب ، وترى هذه الساعة الحائطية الباردة تنبض فى علبتها كما ينبض الدم فى عروقه ، فتُساقِطُ الأيام والفصول والأعوام فى خفاء الغيب قطرة فقطرة ؛ وكل نبضة من نبضاتها تفتح لأسراب النفوس : صقورها وحمائمها المهودَ من جهة ، واللحودَ من جهة أخرى

كانت تفكر فى هذا الفقر المدقع الذى قضى على أطفالها أن يمشوا حفاة فى القيظ والزمهرير ، وأن يُعوزَهم خبز القمح فيتبلغوا بخبز الشعير !

رباه ! إن الهواء يفهق كالكير ، والشاطئ يصوت كالسندان ، وكأنى أرى صور السماء ، تتطاير فى الزوبعة السوداء ، كما تتطاير زوابع الشرر فى دخان الموقد

هذا هو الوقت الذى ينتصف فيه الليل على الراقص المرح وهو يقصف هيمان بين ضحكات القلوب ومُتَع الأعين

وهذا هو الوقت الذى ينتصف فيه الليل على قاطع من قطاع الطرق مجيب ، ينتقب بالظلام والمطر ، ويتصدى لملاح مسكين يرتعد من البرد فيحطمه على الصخرة الهائلة التى تظهر فجأة ؛ فيشعر المسكين — والموت يقطع زَويله وعويله — أن السفينة تنشق لتغوص ، وأن اللجة تنفتح لتبلع ؛ ثم يلمح فى خاطره وهو يهوى فى غيابة الفناء ولجة الماء ذكرى الحلقة الحديدية فى رصيف المرفأ المشمس !

فزّعتْ هذه الرؤى العابسة قلب جانى فاضطربت اضطراب ليلها ، واستكانت لجزعها وويلها ، فلم ينفس عنها غير البكاء

— ٤ —

لله ما أشقاكن يا نساء الصيادين ! إن مما يَرُوع النفس ويَلُوع الفؤاد أن تقول كل منكن لنفسها : « إن أبى وحبيبى وأخى وولدى وكل عزيز علىَّ هم جميعاً فى ذمة هذا المضطرَب العظيم ؛ وإن القدَر قد أباح للبحر الأهوج أن يعبث بهذه الرءوس منذ كان المرء صبياً يتعلم ، إلى أن يصير زوجاً يتزعم ؛ والهم فى هذه الساعة قد يحزبهم الأمر ، ويكربهم الهم ، فلا يدرون أين يسيرون ، وهم لا يملكون لمقارعة هذه البحار اللجية التى لا قاع لها ، وهذه اللجج المظلمة التى لا نجم فوقها ، إلا قطعة من الخشب ومِزْقة من النسيج !

احمد حسن الزيات

[البقية على صفحة ٨٢٧]

الاسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الشيخ محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة

[تتمة]

(ج) – وسائل إنهاء الحرب

إن الإسلام شديد الحرص على تحقيق السلم والطمأنينة للعالم فهو يطلب إلى المسلمين أن يدخلوا فى السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان ؛ ويقول لرسوله الكريم : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »(1)

(ا) وهو يصل إلى ذلك من طريق المفاوضات كما هى العادة الطبيعية فيتقبل فيه وساطة الرسل وسفارة السفراء من غير أن يتكلف لذلك رسوماً خاصة تؤدى إلى التعقيد أو تثير الإشكال .

(ب) ولا تختص المعاهدات فى نظر الإسلام بإنهاء حالة الحرب . ولكنه يقرر أنواعاً من المعاهدات على حسب ما تقتضى به الظروف التى يترك للمسلمين تقديرها والعمل بما توحى به فى حالتى السلم والحرب

١ – فهو ينشىء المعاهدات إبقاء على حالة السلم الأصلى وحفظاً له من أن يخدش

ومن ذلك ما عاهد عليه النبى صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب لأول عهده بالمدينة وقد كانت هذه المعاهدة أول حجر فى بناء الدولة الإسلامية ، كما كانت أول علاقة سياسية ينشئها الإسلام ويعترف فيها بحرية العقيدة وحرية الرأى ، ويحافظ بها على المسلمين أمنهم وسلامتهم وحرمة حياتهم ومدينتهم

٢ – وينشىء المعاهدات للتحالف الحربى بينه وبين غير المسلمين ، ويرشد إلى هذا النوع من المعاهدات قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ستصالحون الروم صلحاً تغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم » . وقد وقع للمسلمين كثير من هذا النوع من المعاهدات فى ذكرياتهم الماضية ، وقد حارب النبى صلى الله عليه وسلم قريشاً وفاء بعهد خزاعة الذى حصل يوم الحديبية .

٣ – وينشىء المعاهدات لإنهاء الحرب إنهاء مؤقتاً ، وهى المعروفة باسم الهدنة أو الوادعة ، وذلك كما حصل فى معاهدة الحديبية ولإنهائها إنهاء دائماً ، وذلك كما حصل مع أهل نجران على أن يكونوا تحت حماية المسلمين فى مقابلة ارتضوها

٤ – وهناك نوع آخر من المعاهدات يترك فيه للدولة المعاهدة استقلالها الداخلى تحت ظل من السيادة كما فعل معاوية رضى الله عنه فى عهده للأرمن . فقد ترك لهم حريتهم فى بلادهم وأن يعينوا أمراءهم وقضاتهم ورؤساءهم ، ويحتفظوا بتقاليدهم الدينية والعسكرية

(ج) والإسلام يترك للمسلمين تقدير المصلحة فى كل نوع من هذه المعاهدات ولا يقيدهم فى ذلك بشىء إلا بشرط واحد : هو ألا تمس المعاهدة قانونه الأساسى ولا تتعارض مع شريعته العامة والأصل فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » ، وشبيه بهذا ما تقوله الدول من أن المعاهدات التى لا تتفق مع الدستور باطلة

ولا يستخدم الإسلام ذلك الشرط لصالح المسلمين فقط . وإنما يطبقه لمصلحة أهل العهد أنفسهم ، ومن هنا يقول الفقهاء : « لو طلب ملك عهد الذمة على أن يترك وما يحكم به أهل مملكته من القتل والظلم والفساد ، فلا يصح فى الإسلام أن يجاب إلى ذلك ، لأن التقرير على الظلم مع قدرة المنع منه حرام »

(د) والإسلام يبيح للمسلمين عند الضرورة أن ينزلوا عن بعض حقوقهم ، أو يصالحوا غيرهم على أن يبذلوا له مالاً طلباً لخير يرونه فيما بعد ، واتقاء لشر يخافونه على أنفسهم . ولنا فى صلح الحديبية أوضح مثال على سماحة الإسلام ومرونته فى سبيل الحصول على السلام

(هـ) ومما يتصل بمعاهدات الصلح تقرير الإسلام لمبدأ الجزية وليست الجزية – كما يتصورها بعض الناس – بدلاً عن إسلامهم أو عن دمائهم ، وإنما هى علامة على خضوعهم ، وكفهم عن الفتنة واعتراض سبيل الدعوة ، ومعونة تهيىء لهم الاشتراك فى مصالح الدولة ، والارتفاق بما يرتفق به المسلمون . يقابلها من جانب المسلمين فوق ذلك حمايتهم من الاعتداء عليهم فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم

وقد جاء فى كتاب الخراج للامام أبى يوسف أن أبا عبيدة بعد ما صالح أهل الشام وجبى منهم الجزية والخراج بلغه أن الروم

(1) الآية : ٦١ من سورة الأنفال

قد جمعوا للمسلمين جوعاً لا قبل لهم بها . فكتب إلى أمراء المدن المصالحة : (أن ردوا على أهل الذمة ما جبيتم منهم من جزية وقولوا لهم إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وأنكم قد شرطتم علينا أن نمنعكم ؛ وإنا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن على الشرط وما كتب بيننا وبينكم إن نصرنا الله)

ولهذا لم ينس الإسلام فيها واجب المروءة والرحمة . فهو لا يجيز أن توضع على امرأة ولا صبي ولا ضعيف عاجز عن الكسب ، ولا على الرهبان الذين لا يخالطون الناس

(و) هذا والإسلام يحتم على المسلمين أن تكون سياستهم في العهود على وجه عام مبنية على التراضي وحب السلام وإقرار الأمن والعدالة . وهو يمقت العهود التي يكون أساسها القهر والغلبة وتحكيم القوة ويمقت الخداع والخيانة في العهود . ويصف الناقضين للعهد بأنهم شر الدواب عند الله . ويأمر بالاشتداد على الخائنين الذين لا يرقبون إلاً ولا ذمة . ويوجب أن يكون نبذ العهد إذا جد ما يقتضيه على سواء بينه وبين الخصوم . بل يوجب تمكين العدو من إيصال خبر النبذ إلى أطراف بلاده وأنحاء مملكته

وفي ذلك يقول الكمال بن الهمام ، وهو بصدد قوله تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)[1]

(إنه لا يكفي مجرد إعلامهم بل لا بد من مضي مدة يتمكن فيها ملكهم بعد علمه بالنبذ من إنفاذ الخبر إلى أطراف مملكته . ولا يجوز للمسلمين أن يغيروا على شيء من أطرافهم قبل مضي تلك المدة)

ويجمل بنا في هذا المقام أن نسوق آية من الكتاب الكريم هي بحق دستور الإسلام في الوفاء بالعهود . قال تعالى :

وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة)[2]

(ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم)[3]

(١) الآية : ٥٨ — الأنفال (٢) الآيتان : ٩١ ، ٩٢ من النحل
(٣) الآية : ٩٤ من النحل

وقد بلغ من حرص الإسلام على الوفاء بالعهود أنه لم يبح للمسلمين أن ينصروا إخوانهم المقيمين في بلاد أعدائهم . الذين لم يهاجروا منها — على المعاهدين وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة الأنفال

والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)[1]

هذه صورة مصغرة لأهم القواعد التي نظم بها الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم من الدول

معاملة الدولة الإسلامية لمن يعيش في بلادها من غير المسلمين

كما نظم الإسلام العلاقات الدولية العامة على الأسس التي أوضحنا . وضع أساساً صالحاً لتنظيم معاملة غير المسلمين الذين يقيمون في بلاد الإسلام

يقوم ذلك الأساس على ما يأتي :

١ — اشتراكهم مع المسلمين في الحقوق والواجبات العامة

٢ — تركهم وما يدينون من غير تحكم في عقائدهم ولا في كنائسهم ولا في رسومهم وطقوس عباداتهم ما دامت على وجه لا يفتن المسلمين في دينهم

٣ — جواز الرجوع بهم في مسائلهم الخاصة إلى حاكم منهم ، وأن يحكم الحاكم المسلم بينهم بمقتضى ما يدينون به

٤ — الإحسان إليهم في الروابط الاجتماعية العامة على حدود ما بين المسلمين بعضهم مع بعض

وقد جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم وصايا كثيرة في حسن معاملتهم والتوصية بهم

موازنة

هذه هي القواعد التي ينظم بها الإسلام العلاقات الدولية عامة كانت أم خاصة

وضع أساسها القرآن وبينتها السنة . وشرحها عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده . ثم تناولها التابعون وفقهاء المسلمين فأعملوا فيها الرأي والتخريج شأنهم في الشريعة كلها حتى اتسع نطاقها لتنظيم كل ما يجد من مظاهر العلاقات على وجه يحقق النفع العام والسلام الشامل

(١) الآية : ٧٢ من الأنفال

وضع الإسلام هذه القواعد وعرفها علماؤه وفقهاؤه فى وقت كانت فيه دول الحضارة الغابرة تعثر فى عادات جافة لا تعرف للانسانية حقاً ولا تقيم للعدالة والسلام وزناً . ثم تلتها دول الحضارة الناشئة فأخذت تخطو فى آثار الحضارة الغابرة حتى أسس فقيه هولندى فى القرن السابع عشر ما سماه القانون الدولى الحديث ووضعه على مبادىء القانون الطبيعى الذى يرفض القانونيون الآن الاعتماد عليه كقانون له احترام القوانين. ولقد حاول العالم أن يضمن السلام فى عصرنا الحاضر بالرجوع إلى هيئات دولية محكمة ولكن المجازر البشرية الدائرة الآن فى أقاليم الأرض تنطق بالفشل الذريع الذى أصاب العالم فى الوصول إلى غايته

فأين هـذا من قواعد الإسلام الصريحة العادلة . وأين لهم ضمان كضمان الإسلام إذ يجعل هـذه القوانين أحكاماً تكليفية دينية لا يسع المسلمين بمقتضى تدينهم إلا أن يرعوها حق رعايتها ويعملوا على تنفيذها وتحقيقها سواء فيما يختص بهم أم بغيرهم . فهذا وذاك شرع الله الذى لا مناص من النزول عليه والعمل بمقتضاه من غير تفرقة بين مسلم وغير مسلم . ويقول فيه (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم)[١] (إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير)[٢] (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[٣]

اقتراح

يذكرنى مؤتمر رابطة الإصلاح الاجتماعى فى عرضه هذه الموضوعات على بساط البحث ـ بمؤتمر القانون الدولى المقارن الذى عقد فى سنة ١٩٣٧ بمدينة لاهاى وقد مثلت فيه الشريعة الإسلامية بموضوعين عظيمين : علاقة الشريعة الإسلامية بالقانون الرومانى . والمسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية

وقد ظفرت الشريعة فى هذا المؤتمر الأوربى بقرارات أهمها : إن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة وأنها صالحة لمجاراة التطور الحديث . وقد أوصى المؤتمرون هيئة المؤتمر بأن تعنى فى أدواره المقبلة أشد العناية بمسائل التشريع الإسلامى . وأن تدعو إلى الاشتراك فى أعماله ودراساته أكبر عدد ممكن من أقطار المسلمين

وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأقترح على مؤتمر رابطة الإصلاح الاجتماعى المصرى المسلم أن يعمل منذ الآن على إعداد العدة لإقامة مؤتمر عالمى تكون مهمته استخراج القواعد الشرعية التى تتخذ أساساً لتقنين شرعى — يظهر به جلال هذه الشريعة وحسن ضمانها لمصالح الناس مهما تقدمت حياتهم وتطورت حضارتهم .

هذا هو اقتراحى أتوجه به من هذا المنبر إلى جميع رجال الفكر فى مصر والشرق — أتوجه به إلى ملوك الإسلام وفى مقدمتهم حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم الغيور على دينه الحريص على شريعته .

أتوجه به إلى علماء الشريعة وعلى رأسهم عالمان عظيمان من أفذاذ علماء الإسلام لهما تاريخ مشهود فى التخريج الفقهى والتطور التشريعى الإسلامى : الأستاذ الأكبر والمفتى الأكبر

أتوجه به إلى رجال الحقوق ومن خرجت من رجال القانون الحريصين على خدمة شريعتهم وإعلاء شأنها بين القوانين الحديثة أتوجه به إلى هؤلاء جميعاً وأحملهم إياه أمانة يسألون عنها أمام الأبناء والأحفاد ويسألون عنها أمام الله والرسول (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ...)[١]

محمود شلتوت

(١) الآية : ١٠٥ من سورة التوبة

(١) الآية : ١٠ من الممتحنة (٢) الآية : ٧٣ من الأنفال
(٣) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من المائدة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

امتحان جديد — فلان وفلان — محصول « الرسالة » — أقسمت بالحر والنساء — الافراج عن ديوان « سبط ابن التعاويذى — الصلات الأدبية بين مصر والسودان — الأستاذ محمد فريد أبو حديد — لا تنسوا أندية السودان

امتحان جديد

ومن المحنة جاء الامتحان ، كما جاء الابتلاء من البلاء !

وقد امتُحِنَتْ مصر فى هذه الأيام بضروب من الخوف والجوع بسبب الغارات الجوية ، فما الذى أعددناه لنخرج من هذه المحنة بسلام ؟

السياسة الرسمية للسياسيين الرسميين ، أما السياسة القومية فمُلقاةٌ على عواتقنا ، إن كنا أهلاً للظفر بثقة الوطن الغالى ، فما واجبنا اليوم وقد جدّت شؤون لا يباح معها لعب ولا مزاح ؟

قيل إن الذين هاجروا من الأسكندرية سيمون ألفاً أو يزيدون ، فإلى أين تتوجه تلك الألوف ؟

نَدَع الحكومة تدبّر من هذه الشؤون ما تستطيع ، ثم نلتفت إلى أغنيائنا فنقول :

هذه فرصة سنحت لشكر الله على نعمة الغنى والعافية ، والأمان ، فماذا عندكم من فنون الشكر والحمد والثناء على واهب الغنى والعافية والأمان ؟

إن كان الله ابتلى فريقاً من الفقراء بتعريضهم للخوف والجوع فقد ابتلى جماعات الأغنياء بتعريضهم للشح والبخل فى أوقات لا يبخل فيها غنىٌّ بماله إلا وقد عرّض نفسه لغضب صاحب العزة والجبروت

قلت خمسين مرة : « إن الأمم بأغنيائها » ولمثل هذه الأيام الفواجع أعددنا أغنياءنا ، ليزدادوا قوة إلى قوة ، فما ينمّى الخيرات والثمرات غير الجود بها فى أوقات البلاء

هذا يوم الامتحان ، وهو امتحان يؤديه أغنياؤنا طائعين لا كارهين ، فما نحب أن يكون عليهم رقيب غير ضمائرهم ، ولا نقبل أن تتدخل الحكومة لحملهم على البر والإفضال فيضيع المعنى الشعرى الجميل ، الذى يمثل رفق الأغنياء بالمهاجرين الفقراء ، عن طِيب نفس وبلا انتظار لأمرٍ يصدُر من هنا أو هناك !

أغنياؤنا اليوم مدعوّون لوليمة روحية لا تتاح فى كل يوم ، فأمامهم فرصة للشعور بمعانٍ جديدة لم يشعروا بمثلها من قبلُ ، الشعور بمعانى الكرم والإيثار والإفضال ، وهى معانٍ أشهى وأطيب من الأنس بالمال المكنوز فى أوثق الحصون

فالبائس الذى يكرمونه اليوم ، ليس صُعلوكا يتسوّل حتى يملكوا كف أيديهم عن الإحسان إليه ، وإنما هو أخ مُواطن صدّته الظروف القواهر عن مواصلة عمله فى مدينة معرّضة لعدوان الباغين على الحق وعلى الإنسانية

وهذا المواطن المصدود عن طلب الرزق يستطيع أن يؤدى خدمة تنفعه وتنفعكم إذا أردتم أن يدفع ثمن القوت والإيواء .

نحن لا ندعوكم إلى تدليل المهاجرين حتى ينسوا أن الدنيا دار كفاح ونضال ؛ وإنما ندعوكم إلى تيسير وسائل الرزق الحلال لمن يستطيعون أن يعملوا بلا إجهاد ولا إرهاق

أما الذين لا يصلحون للعمل من الأطفال والعجائز ، فهم غيوث تساق إليكم ، وما أسعد من تواتيه الظروف على تربية طفل يتيم ، أو إسعاد عجوز فقد من يعوله من أهل وأبناء !

جرّبوا هذه الألوان من طعوم الحياة ، يا أبناء هذه البلاد جربوها ثم حدّثونى عما وجدتم من شهىّ المذاق

سبعون ألفاً يبدّدون كما يبدّد العِقد المنظوم ؛ ثم لا يلتفت إليهم أحد من الأغنياء المتفانين الرفق والعطف والإشفاق ؟

فلأى يوم ادخرنا أغنياءنا ، إن لم نكن ادخرناهم لمثل هذا اليوم؟

الرفق باليتامى لا يمر بلا جزاء ، والإشفاق على المنكوبين لا يفوت بلا ثواب ، وإن الله لينظر إلى ما تعاملون به أولئك وهؤلاء ، فما أنتم صانعون ؟

سيخرج المحاربون بغنائم جديدة أقلُّها القدرة على تعديل صحائف التاريخ

فما غنائمُنا فى هذه الحرب ؟

ما غنائمُنا إن لم نفز بفتح جديد هو تفجير ينابيع العطف والتآخى فى الصدور المصرية ؟

وما قيمة الحياة إن لم نذق فيها من طعوم الرغد غير الشبع والرىّ فى عزلة عن بلايا المجتمع ؟

ما قيمة الحياة إن لم نثق بأننا أهل لإغاثة الملهوفين حين يعتسف البلاء ؟

رحمةُ الله على أيامنا السوالف ، ثم رحمة الله على ليالينا الخوالى !!

كنا أجود من الغيث حين نسمع بنكبة حلت بشعب من الشعوب ، ولو ضَـعُفت بيننا وبينه الأواصر والصـلات ،

ألم يتوجّع شعراؤنا الكبار للزلازل التى وقعت فى بلاد الطليان وبلاد اليابان ؟

ألم نؤلف اللجان لمنكوبى الحرب الفلندية ؟

فما سكوتنا اليوم والنكبة حلت بسكان الأسكندرية وطن الفتوة والجمال ؟

كان مصطفى كامل يقول : الأسكندرية مَعقِل الحزب الوطنى

وكان سعد زغلول يقول : الأسكندرية معقل الوفد المصرى .

وكذلك كانت الأسكندرية مدينة مدللة يتودد إليها جميع الأحزاب ، فما حالها اليوم فى أنفس الزعماء ؟

الأسكندرية — مدينتنا البحرية الجميلة — تعانى عذاب التشريد ونحن صامتون صمت الأموات !

الأسكندرية — عروس الماء — التى دانت جميع شعرائنا وكتابنا تنظر اليوم إلى من يواسيها بكلمة رثاء ، وإلى من ينظر إلى أبنائها نظرة إشفاق

وإلى من يتوجه أبناؤها المشرّدون ؟ إلى أين ؟

أيتوجهون إلى الريف وأهل الريف فى أغلب أحوالهم فقراء ؟

دعوا هذا الحل ، فهو لا ينفع بشىء ، واسمعوا كلمة الحق :

يجب أن يكتتب القادرون من الأمة بمبالغ تتفاوت بتفاوت القدرة المالية ، ثم يكون ما يُجمع من الاكتتاب ذخيرة تُدبر بها وسائل العيش المقبول لأولئك المنكوبين ، على شرط أن يعيشوا من كسب أيديهم فى الحدود التى تسمح لهم بالتسبب والارتزاق ، وليس ذلك بالأمر المستحيل

وما سبعون ألفاً حين توزّع همومهم على ستة عشر مليوناً ؟

أتريدون أن أقول مرة ثانية إنه عدد بلا محصول ؟

أغنياءنا ، أغنياءنا ، أين أنتم ، أين أنتم ؟

إنكم تهربون من منازل التكريم والتشريف ، وإلا فكيف جاز ألا يزيد بركم بمنكوبى الغارات عن بضعة آلاف ؟

أخرجوا من دنياكم فى سبيل المنكوبين من مواطنيكم ، لتظفروا بزاد نفيس من رضا الله الذى تفضل فأسبغ عليكم أثواب الغنى والعافية والأمان

أخرجوا من دنياكم ، لتعودوا إليها أعزاء ، فالله لا ينسى ولن ينسى من يخرج من دنياه لمواساة المكروبين

الله عز شأنه يقول : « من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها »

فهل علمتم أن هنالك وعداً أرحب من هذا الوعد ؟

هو قول الله عز شأنه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء »

وما عسى أن يكون الإنفاق فى سبيل الله إن لم يكن فى مواساة من دعوناهم لحفظ الحياة فى أجل المدائن ، ثم نكبهم الدهر اللئيم بما أراد ؟

أليس من الكرب الماحق أن تدعونا الكوارث إلى استدرار العطف على المنكوبين من أهل الإسكندرية وكانوا أشجع الناس وأسعد الناس ؟

لو كنا نملك من أمورنا ما نريد لأقمنا قبوراً من الياقوت لمن عدا عليهم الموت من أهل الإسكندرية ، فما كانوا إلا ذخيرة من أكرم ذخائر الوطن الغالى ، فكيف نضن بالعطف على أحيائهم المنكوبين بالغارات ، وكان آباؤهم وأجدادهم أمل الوطن فى حماية ذلك الثغر الجميل ؟

إسكندرية !! إسكندرية !!

إليك أقدم تحيتى وعزائى !

فلان وفلان

من عادتى أن أنوه بما يقوله فىّ أعدائى ، وأن أسكت عما يقوله فى أصدقائى ، رغبة فى السلامة من آصار التكبر والازدهاء

ولو أنى أطعت الأستاذ الزيات لـكان لى مع أصدقائى حال غير هذه الحال ، فهو يدعونى من وقت إلى وقت لتلخيص رسائل قرائى ، ولـكنى أعتذر لتحقيق المعنى الذى أشرت إليه ، وهو السلامة من التكبر والازدهاء

فهل أستطيع اليوم أن أقول إنى شعرت بالرهبة حين قرأت خطاب الأديب « رضوان الموادلى » ؟ وهل أملك التصريح بأن خطاب الأديب « أحمد المعجمى » أوقعنى فى زلزال ، وكأنه خطاب الأديب « شلتوت » أو خطاب الأديب « أنور الحلبى » ؟

إن لقرائى فضلاً لن أنساه ، فهم يحببون إلى الدنيا والوجود ، وهم يسوقوننى سوقاً إلى الاعتزاز بسنان القلم وسلطان البيان

ولـكن لى عليهم حقاً يفوق حقوقهم على ، وهو دعوتهم

إلى أن تكون لهم غاية وطنية وروحية فإنى أرى لهم قدرة على التعبير الجميل ، وتلك موهبة يعز علينا أن تضيع

هل يذكرون أنى حدثتهم مرة بأنى لم أشرب فنجان قهوة فى غير دارى قبل أن أظفر بأجازة الدكتوراه وقبل أن أبلغ الثلاثين ؟

شبابكم ، شبابكم ، ياقرائى ، من أبناء الجيل الجديد

إحذروا ، ثم احذروا ، أن تضيع من دمائكم قطرة فى غير الواجب وتذكروا ، ثم تذكروا ، أنكم خلفاؤنا فى الحياة الأدبية والفلسفية

واعرفوا ، ثم اعرفوا ، أن المجد الأدبى لا يُنال بالأمانى ، وإنما يُنال بالجهاد الشاقّ ، فكونوا عند ما تريد لكم من كرائم الآمال ، ثم تيقنوا أن الدنيا لكم إذا واجهتموها بعزائم المجاهدين الصادقين

كتب الله لكم عافية البدن ، وطهارة القلب ، وسلامة الروح

محصول « الرسالة »

بين الموظفين برياسة مجلس الوزراء أديبٌ يتخيّر الأطايب من محصول « الرسالة » ثم يدوّنه فى دفتر خاص ، وقد لاحظت أنه لا يتخيّر إلا الفقرات الموسومة بالرصانة والرنين ، وفى هذه الكلمة أوجه نظره إلى أن الكلام قد يصل إلى أوج القوة وإن لم يظهر أن صاحبه قد احتفل بالأسلوب

ومن أمثلة ذلك قول الأستاذ محمود الشرقاوى فى وصف شمائل صاحب البلاغ :

« كان محرر السينما والمسرح بالبلاغ فى إحدى السنين شابًا قليل الخبرة ، ولو أنه طاهر النفس ، فكتب عن إحدى الممثلات المصريات كلمة ذات وجهين أحدهما قبيح ، وتحدثت هى فى ذلك بالتليفون إلى عبد القادر باشا ، وبعد لحظة دعا ذلك المحرر عنده وعنّفه أشد التعنيف ، وأمر بفصله من « البلاغ » وكان كثيراً ما يفعل ذلك معه ومع غيره ثم يعفو ، ولكنه فى هذه المرة لم يقبل فيه شفاعة شافع ، ولم ير العاملون مع عبد القادر حمزة أنه غضب من شىء بمثل ما غضب فى ذلك »

فهذه الفقرة بسيطة جداً ، ولكنها قوية جداً ، بفضل قوة المعنى الذى انطوت عليه وهو إظهار الغضب على من يستبيحون غمز الأعراض

ولم يتسع وقت الأستاذ الزيات لرثاء عبد القادر حمزة فى إحدى افتتاحياته التى يحتفل بتجويدها كل الاحتفال ، فكتب فى البريد الأدبى كلمة قصيرة ، ولكن تلك الكلمة على قِصرها أدت الواجب فى توديع صاحب البلاغ أجمل أداء ، وأكاد أحسبها لخصت تاريخ صاحب البلاغ أروع تلخيص

والمهم هو تذكير أصدقاء الرسالة بواجب فكرت فيه مرات كثيرة ثم صرفتنى عنه الشواغل ، وهو تعقّب كل عدد بالنص على ما فيه من دقائق تفوت بعض القراء

لو قام بهذا الواجب أحد أصدقاء الرسالة لنص على العُذوبة فى قول الشاعر محمود حسن إسماعيل

الليــلُ ناداني ... من عالمٍ ثانِ
وقال : يا فانى ... هيّجت أحزانى

فهذا والله من نفيس الكلام ، كما كان يعبّر محمد بن داوود طيّب الله ثراه !

أقسمت بالخمر والنساء

كان الأستاذ « محمد لطفى جمعة » قال فى كلمة نشرها بجريدة الدستور : إن الشاعر على محمود طه أول من أقسم بالخمر والنساء حين يقول :

أقسمت بالخمر والنساء ... ومجلس الشعر والغناء

وهذا حق ، ولكن فات الأستاذ لطفى جمعه أن ينص على أسماء بعض الشعراء الذين سرقوا هذا المعنى من شاعرنا المهندس ليبيّن فضله فى إذاعة المبتكرات من المعانى الشعرية

ولو أنه وفّى هذا البحث بعض حقه لأشار إلى أن سبط ابن التعاويذى المتوفى سنة ٥٨٤ فى بغداد كان من بين الذين سرقوا معنى الشاعر على محمود طه ، فقد رأيته يقول :

أما وحقّ المُدام صِرفاً ... يخجل من لونها الشقيقُ
وكلّ هيفاء ذات دَلٍّ ... يقتُلنى قدُّها الرشيقُ
يشكو إلى ردفها المعنَّى ... من جوره خصرُها الدقيق
للصبِّ من وردِ وجنتيها ... وِردٌ ومن ثغرها رحيق

إلى آخر ذلك القسَم الطريف

وهذه خدمة أكرم بها صديقى شاعر « الجندول » أعزّه الحبُّ ورعاه !

الإفراج عن ديوان السبط

وبهذه المناسبة أقول : إن الظروف سمحت بالإفراج عن ديوان (سبط ابن التعاويذى) ، فقد كان معتقلاً فى « مكتبة

هندية » ثم اشترته « المكتبة التجارية » فهو اليوم فى متناول من يشتاق إليه من عشاق الشعر البليغ

ولكن كيف وقع ذلك الاعتقال ؟

كان الديوان قد نشر بعناية المستشرق مَرْجليوث ؛ ثم مرت عليه أعوام وهو محبوس ، لأسباب لا نعرف سرها الصحيح !

فإلى مرجليوث فى قبره نوجّه صادق الثناء على ذلك الجهد المحمود .

الصلات الأدبية بين مصر والسودان

أنِست القاهرة بوجوه الأساتذة الأماجد حسن مأمون ، وعبد العزيز عبد المجيد ومحيي الدين عبد الحميد ، وهم يلهجون بالثناء على ما رأوا عند عرب السودان من أريحية وصبوة وإخلاص . وقد عرفنا أن إقامتهم هناك من أطيب الفُرص فى حياتهم العلمية والأدبية ؛ فأهل السودان أهل جِد ، ولا يلقى بينهم أهل العلم إلا أكرم الرعاية والترحيب . وقد شعرتُ بالسرور يغمر قلبي حين حدثونى أن الحياة الأدبية هناك تفوق ما نتصوره بمراحل طوال ، ولا غرابة فى ذلك : فالصلات الأدبية بين شطرَى الوادى تعين على تحقيق ما نرجوه لأهل السودان من التفوق فى الأدب والبيان

وقد انتفعت بمعارف الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد عن الحياة فى السودان ، وهى معارف صدرت عن قلبٍ يحب أولئك الرجال حب الشقيق للشقيق

محمد فريد أبو حديد

وفى هذه الأيام تردِ الأخبار بأن الأستاذ محمد فريد أبو حديد استُقبِلَ بحفاوةٍ عظيمة فى الأندية الأدبية بالخرطوم ، وأنه دُعِى لإلقاء طائفة من المحاضرات ، ومن المؤكد أنه ظفر من إخواننا هنالك بالإعجاب ، بفضل ما يملك من صفاء الفكر وجمال الأداء ، وإنه لأهلٌ لما لَقِىَ من جميل الترحيب

ومن طريف ما وُفِّق إليه أنه حمل خمس مجموعات من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر وأهداها إلى الأندية الأدبية فى الخرطوم . والذى يعرف مطبوعات هذه اللجنة يدرك قيمة الفرح الذى قوبلت به تلك النفائس

فهل أستطيع أن أرجو أستاذنا مدير دار الكتب المصرية أن يتذكر أندية السودان حين يُهدى مطبوعات دار الكتب إلى الأندية الأدبية والعلمية ؟

وهل يتفضل معالى وزير المعارف فيشير بإهداء أندية السودان طائفة من مطبوعات المجمع اللغوى ومطبوعات كلية الآداب ؟

زكى مبارك

في الاجتماع اللغوي

اللهجات العامية الحديثة

ضيق متنها وقلة مترادفاتها

للدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٤ —

من أهم ما تمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها الساميّة ثروة في أصول الكلمات والمفردات. فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، وتزيد عنها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها. هذا إلى أنه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة إسمها وفعلها وحرفها، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال... ما لم يتجمع مثله للغة سامية أخرى، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم. فقد جمع للأسد خمسمائة إسم، وللثعبان مائتا إسم؛ وكتب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط كتاب في أسماء العسل؛ فذكر له أكثر من ثمانين إسماً، وقرر مع ذلك أنه لم يستوعبها جميعاً. ويرى الفيروزابادي أنه يوجد للسيف في العربية ألف إسم على الأقل؛ ويقرر آخرون أنه يوجد أكثر من أربعمائة إسم للداهية؛ ويوجد لكل من المطر والريح والنور والظلام والناقة والحجر والماء والبئر أسماء كثيرة تبلغ عشرين في بعضها وتصل إلى ثلثمائة في بعضها الآخر. وقد جمع الأستاذ دو هامر De Hammer المفردات العربية المتصلة بالجمل وشئونه، فوصلت إلى أكثر من خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعين[1]. وكذلك الشأن في الأوصاف: فلكل من الطويل والقصير والكريم والبخيل والشجاع والجبان ... في اللغة العربية عشرات من الألفاظ

وفي ذلك تختلف العربية الفصحى اختلافاً كبيراً عن اللهجات العامية الحديثة المنشعبة عنها. فمتون هذه اللهجات ضيقة كل الضيق لا تكاد تشتمل على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي، وتكاد تكون مجردة من المترادفات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في إحدى مقالاتنا السابقة[1]

وقد كان هذا أحد الأسباب التي حملت بعض الباحثين على أن يقف حيال مفردات اللغة العربية موقف الشك الذي وقفه آخرون حيال قواعدها[2]. فزعم أنه لا يبعد أن يكون جامعو المعاجم قد خلقوا كثيراً من هذه المفردات خلقاً لحاجات في نفوسهم

وفساد هذا الرأي لا يكاد يحتاج إلى بيان

فلهجات المحادثة في جميع الأمم تقتصر في المادة على الضروري وتنفر من الكمالي، وتنأى عن مظاهر الترف في المترادفات وما إلى ذلك. ولذلك تتسع دائماً هوة الخلاف بينها وبين اللغة الفصحى في هذه الناحية فليست العربية فذة في هذا الباب، بل تشترك معها فيه جميع «لغات الآداب» أو «اللغات الفصحى» وإليك مثلاً اللغة الفرنسية الفصحى، أو لغة الكتابة، واللغة الفرنسية المستحدثة في التخاطب العادي، فالفرق بينهما في المفردات لا يكاد يقل عن الفرق بين العربية الفصحى واللهجات العامية الحديثة المتفرعة منها

أما جامعو المعاجم فيدلنا التاريخ وتدلنا آثارهم على شدة حرصهم على تحري الحق. فقد استخلصوا معظم ما اشتملت عليه معاجمهم من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن أحاديث الرسول عليه السلام، والآثار العربية في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية الأولى، واستخلصوا بعضه من العرب المعاصرين لهم. وكانوا شديدي الحيطة في هذه الناحية إلى حد الإفراط. فكانوا يتحاشون الأخذ عمن تشوب عربيته أية شائبة. ولذلك كانوا لا يكادون يأخذون إلا عن عرب البادية لفصاحة ألسنتهم، وبُعد لهجاتهم عن التأثر باللغات الأعجمية، وعزلتهم وقلة احتكاكهم بغيرهم. فكانوا يترقبون مجيء أعراب البادية إلى المدن في التجارة أو غيرها ...

(١) V. Renan, Langage Sémitiques 387

(١) أنظر عدد ٤١١ ص ٦٧٣
(٢) أنظر عدد ٤١٣ ص ٧٢٤ وتوابعها

فيستمعون إلى حديثهم ويناقشونهم فى مختلف شئون اللغة ، ويدونون من فورهم كل ما يهديهم إليه هذا الحديث وترشدهم إليه هـذه المناقشة بصدد مفردات اللغـة ودلالتها ووجوه استخدامها . وكانوا يتبعون أحياناً ما يسميه علماء اللغة بطريقة « الملاحظة السلبية » Observation passive ، فيرحلون إلى البادية ويقضون فيها بين ظهرانى الأعراب الأشهر بل السنين ، يباشرونهم ويستمعون إليهم فى أحاديثهم الطبيعية ، ويدونون ما يقفون عليه فى هذا السبيل ، وفى ذلك يقول أبو نصر الفارابى فى كتابه : « الألفاظ والحروف » : والذين عنهم نقلت اللغة العربيـة من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون العبرية ، ولا من تغلب لمجاورتهم الروم ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط [1] والفرس ، ولا من عبد القيس وأزدعمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم لأهل الحبشة والهند ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن من المقيمين وغيرهم وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز لأن ألسنة أهلها كانت قد فسدت حينئذ لامتزاجهم بأمم كثيرة [2] ، ويقول ابن خلدون « وكانت لغة قريش أفصح اللغات وأحرصها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزامة وبنى كناية وغطفان وبنى أسد وبنى تميم . فأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة لمخالطة الأعاجم . وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية [3] »

وما اتخذوه من وسائل الحيطة حيال القبائل والأمكنة اتخذوه حيال الأزمنة والعصور . فلم يأخذوا إلا عن العصور التى كان فيها اللسان العربى سليما لم يصبه بعد تبلبل أعجمى ولا انحراف عن أوضاع اللغة الفصحى . ولذلك لم يأخذوا إلا عن عرب الجـاهلية والإسلام إلى أواسط القرن الثانى الهجرى بالنسبة إلى فصحاء الأحضار ، وإلى أوائل الرابع بالنسبة إلى فصحاء البادية ؛ وسموا هذه العصور « عصور الاحتجاج » . وأهملوا ما عداها مبالغة فى الدقة وحرصاً على تحرى وجوه الصدق واليقين .

* * *

أما الأسباب الحقيقية لكثرة المفردات والمترادفات إلى الحد الذى وصفناه فيرجع أهمها إلى الأمور الآتية :

١ — أن طول احتكاك لغة قريش باللهجات العربية الأخرى قد نقل إليها طائفة كبيرة من مفردات هذه اللهجات . ولم تقف لغة قريش فى اقتباسها هذا عند الأمور التى كانت تعوزها ، بل انتقل إليها كذلك من هذه اللهجات كثير من المفردات والصيغ التى لم تكن فى حاجة إليهـا لوجود نظائرها فى متنها الأصلى ؛ فغزرت من جراء ذلك مفرداتها وكثرت فيها المترادفات فى الأسماء والأوصاف والصيغ ، وأصبحت الحالة التى انتهت إليها أشبه شىء ببحيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى انحدرت إليها من جداول كثيرة . وإلى هذا يشير ابن جنى فى كتابه الخصائص إذ يقول : « وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن يكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا وهناك » ، ويشير إليه كذلك ابن فارس فى كتابه الصاحبى إذ يقول : « فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ؛ فإذا أتتهم الوفود من العرب يتخيرون من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التى طبعوا عليها [1] » .

٢ — إن جامعى المعاجم لم يأخذوا عن قريش وحدها ، بل أخذوا كذلك عن قبائل أخرى كثيرة ؛ ومن المقرر أن لهجات المحادثة كانت تختلف فى بعض مظاهر المفردات باختلاف القبائل حتى بعد تغلب لغة قريش على سائر ألسنة العرب . وكان من جراء ذلك أن اشتملت المعاجم على مفردات لم تكن مستخدمة فى لغة

(١) فى الأصل « القبط » وصوابه « القبط » كما لا يخفى
(٢) المزهر للسيوطى جزء أول ص ١٠٤ بتلخيص وتصرف فى العبارة
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٥

(١) غير أن هـذه العبارة تشعر أن الانتقال الذى نحن بصدده كان يحدث دائما عن قصد ، والحق أنه يحدث فى الغالب فى صورة تلقائية من غير قصد المتكلمين .

قريش ويوجد لمعظمها مترادفات فى متن هـذه اللغة الأصلى وفيما انتقل إليها من غيرها ، فزاد هذا من نطاق المفردات والمترادفات فى المعاجم سعة على سعة

٣ — إن جامعى المعاجم ، لشدة حرصهم على تقييد كل شىء دونوا كلمات كثيرة كانت مهجورة فى الاستعمال ومستبدلاً بها مفردات أخرى . فكثرت من جراء ذلك فى المعاجم مفردات اللغة ومترادفاتها

٤ — إن كثيراً من الكلمات التى تذكرها المعاجم على أنها مرادفة فى معانيها لكلمات أخرى غير موضوعة فى الأصل لهذه المعانى ، بل مستخدمة فيها استخداماً مجازياً(١)

٥ — إن الأسماء الكثيرة التى يذكرونها للشىء الواحد ليست جميعها فى الواقع أسماء ، بل معظمها صفات مستخدمة استخدام الأسماء . فكثير من الأسماء المترادفة كانت فى الأصل نعوتاً لأحوال المسمى الواحد ، ثم تنوسيت هذه الأحوال بالتدريج وتجردت مدلولات هذه النعوت مما كان بينها من فوارق وغلبت عليها الأسمية . فالخطار والحطام والباسل والأصيد ... من أسماء الأسد يدل كل منها فى الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر ، وكذلك ما يعد من أسماء السيف : كالصمم والمندى والحسام والعضب والقاطع ... وهلم جرا

٦ — إن كثيراً من الألفاظ التى تبدو مترادفة هى فى الواقع غير مترادفة ، بل يدل كل منها على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التى يدل عليها غيره ؛ وإليك مثلاً : رمق ولحظ ولمح وحدج وشفن ورنا ... وما إلى ذلك من الألفاظ التى تدل على النظر ؛ فإن كل منها يعبر عن حالة خاصة للنظر تختلف عن الحالات التى تدل عليهـا الألفاظ الأخرى . فرمق يدل على النظر بمجامع العين ؛ ولحظ عن النظر من جانب الأذن ؛ وحدجه معناه رماه ببصره مع حدة ؛ وشفن يدل على نظر المتعجب أو الكاره ؛ ورنا يفيد إدامة النظر فى سكون ... وهلم جرا(٢)

* * *

هذا ، ومع ما كان يتخذه جامعوا المعاجم من وسائل الحيطة والحرص على تحرى الصواب ، فقد اندس فى معاجمهم كثير من المفردات المولدة والمشكوك فى عربيتها ، وحرفت فيها كلمات كثيرة عن أوضاعها الصحيحة . ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة أهمها سببان :

(أحدهما) أن بعض الأشعار التى أخذوا عنها قد ثبت فيما بعد أنها موضوعة . فلا يبعد أن يكون بعض مفرداتها من اختراع الواضعين

(وثانيهما) أنهم كانوا أحياناً يأخذون عن الكتب والصحف . فحدث من جراء ذلك تحريف فى كثير من الكلمات التى نقلوها . لأن الرسم فى عصورهم كان مجرداً من الإعجام والشكل . فكان من الممكن أحياناً قراءة الكلمة الواحدة على عدة وجوه .

علي عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) اختلط فى كثير من المعاجم المعانى الحقيقية بالمعانى المجازية ، ولم يعن بتمييزها إلا بعض المعاجم كالأساس الزمخشرى وقد كتب الزمخشرى كتابا خاصا سماه « المجاز » ، وبين فيه ما تجوزت به العرب من الألفاظ وما تجوزت به من الدلالات . أنظر مقدمة ابن خلدون صفحة ٦٢٩

(٢) انظر المخصص لابن سيده ، وفقه اللغة الثعالبي تجد فيهما آلافا من الأمثلة بهذا الصدد .

رســـالة ...

« للناقد الأزهرى »

فى أوائل القرن الهجرى الحاضر كان يقيم فى باريس جماعة من التلاميذ المسلمين الذين نزحوا من بلادهم لأجل العلم والتثقف ، وكان يقيم بها أيضاً عالم مسلم من أهل الجزائر اسمه «سليمان بن على»

توجه هؤلاء التلاميذ المسلمون إلى هذا العالم الجزائرى المسلم يسألونه عن حكم لبس قلنسوة النصارى « البرنيطة » ويذكرون أن أحوال باريس تضطرهم إلى لبسها ، لأنهم كلما مروا فى شوارع باريس بلباسهم ، توقف الناس عن يمين وشمال ، وصاروا ينظرون إليهم متعجبين ، ولأنهم يريدون أن يمنعوا عيونهم من ضرر البرد القارس فى هذه البلاد ... الخ

درس الشيخ هـذا السؤال ، ووضع فى الجواب عنه رسالة مفصلة سماها « أجوبة الحيارى ، عن حكم قلنسوة النصارى » أباح فيها لبس البرنيطة وأيد رأيه بما وسعه أن يؤيده به على طريقة فقهية سائغة

أفزع ذلك عالماً كبيراً من علماء الأزهر فى ذلك الحين هو المرحوم الشيخ محمد عليش مفتى السادة المالـكية فكتب رسالة فى الرد على هـذا العالم الجزائرى تناوله فيها بألوان من الإقذاع والتسفيه ، ووصمه بالجهل ، والقصور ، والتهجم على الشريعة ، والخروج على أجماع المسلمين ... الخ

وهذه نصوص من الرسالة « المليشية » نضعها أمام القراء ، قال الشيخ بعد الديباجة :

١ — « أقول : يأهل الذكاء تعجبوا ممن كان عيبه مستوراً ، ففضح نفسه ، ونادى به عليها بين الناس وصير عيبه مشهوراً ، وبيان ذلك أنه تقرر فى شريعة الإسلام أن السفر لأرض العدو للتجارة جرُحة فى الشهادة ، ومخل بالعدالة ، فضلاً عن توطنها وطول الإقامة بهـا ، وهذا الرجل « يقصد الشيخ الجزائرى » كان مجهولاً مستوراً فعرف بنفسه بأنه من علماء المسلمين خرج عن حد الشريعـة وتهتك ، ولم يبال بالُجرحة فى شهادته ، ولا باختلال عدالته ، واختار مساكنة الكافرين فى ديارهم ، وزهد فى مساكنة المسلمين وفسيح بلادهم . فيالها من فضيحة ، وما أفظعها من وقيحة ! ولم يشعر بها من شدة حماقته وكثافة جهله ، وشدة غباوته ... »

٢ — « يأهل الذكاء تعجبوا ممن كان عيبه مستورا فأبى إلا إشاعته وصيرورته مشهورا (١) ، وبيان ذلك أن قوله « أتوا من بلادهم لأجل التعلم » فيه اعتراف بالجهل بما يطلب تعلمه وما لا يطلب ، وذلك أنه قد تقرر فى شريعة المسلمين أن المطلوب تعلمه من أقسام العلم العلوم الشرعية وآلاتها وهى علوم العربية ، وما زاد على ذلك لا يطلب تعلمه ، بل ينهى عنه . ومن المعلوم أن النصارى لا يعلمون شيئاً من العلوم الشرعية ، ولا من آلاتها بالـكلية ، وأن غالب علومهم راجع إلى الحياكة والقبانة والحجامة وهى من أخس الحرف بين المسلمين . وقد تقرر فى شريعتهم أنها تخل بالعدالة . وهل كذب الرب جل جلاله فى قوله : « ولـكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » وصدقت أنت فى زعمك يا مفتون ؟ فما أقبح حالك ! وما أفظع مقالك »

٣ — « إن قوله : إمتداد القلنسوة يمنع عيونهم من ضرر البرد فيه فضيحة عظيمة ، ومثقبة وخيمة ، إذ لم يلتفت لمنع الامتداد المذكور من السجود للملك المعبود ! »

٤ — « وقد بقيت عليك وعليهم ورطة الإقامة فى بلاد الـكفار بالاختيار حيث لا جمـعة ولا جماعة ولا أذان ولا إقامة ولا شعيرة من شعائر الإسلام ، ومحل عبادة الأصنام والأوثان والصلبان ؛ كيف يرضي بذلك من فى قلبه إيمان ؟ لا سيما وهو معرض للموت فى كل نَفَس وأوان ، وقبورهم حفر من النار ، فكيف يختار المؤمن دفنه بها ؟ فاخلعوا فوراً زى الـكافرين ، وهاجروا لبلاد المسلمين إن كنتم مؤمنين »

٥ — « وقوله لم يرد تحريمها لا فى الـكتاب ولا فى السنة ولا فى أقوال الأئمة فيه نداء على نفسه بالجهل والقصور ، إذ قد دل الـكتاب على تحريمها بقوله : (واسجدوا) ، وبقوله : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وبغير ذلك من الآيات ؛ ومعلوم أنها مانعة من السجود ، ودلت السنة على ذلك فى قوله : « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء . الحديث ؛ وانعقد الإجماع على تحريمها ولا بد من استناده لـكتاب أو سنة ، وهو معصوم من الخطأ

(١) كرر الشيخ هذه العبارة « يأهل الذكاء تعجبوا ... الخ » أربعا وعشرين مرة فى رسالته التى هى فى إحدى عشرة صفحة خطية من القطع الصغير .

كما هو معلوم ؟ كيف يجوز أحد من المسلمين لبسها وهو كفر إجماعاً أو على قول ؟ ! »

٦ — وقوله : إن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين ، فضيحة فاضحة ، لأن الجبة المذكورة لم يختص بها الكفار ولم تصر شعاراً لهم ... وكيف تتجاسر يا أحمق يا مفتون يا غبي على نسبة لبس ملبوس النصارى الذي صار زياً لهم وعلامة على ذلهم وإهانتهم وكفرهم ، إلى أشرف الخلق ومنبع الدين الحق ، فأي فضيحة أفضح من هذه الفضيحه ، وأي شنيعة أشنع من هذه الشنيعة ، يا أعمى البصيرة ، ويا خبيث السريرة ! شقيت شقاوة لا تسعد بعدها أبداً ، وصار دمك مهدوراً ، والسعي في سفكه واجباً مشكوراً »

٧ — وختم الشيخ رده بهذه النتيجة بعد كلام طويل :

« إنه تقرر في شريعة المسلمين أن حكم هؤلاء أمرهم بالتوبة والرجوع إلى دينهم ، والتزيي بزي المسلمين . وإمهالهم لذلك ثلاثة أيام ، فإن فعلوا ذلك قبلت توبتهم ، وخلى سبيلهم ؛ وإن تمت الأيام الثلاثة ولم يتوبوا ، قطعت رقابهم بالسيف ، ولا يغسلون ، ولا يصلى عليهم لموتهم على الكفر ... والسلام على من اتبع الهدى حامداً لمن نور قلب المؤمنين بالإيمان ... »

***

هذه هي الرسالة العليشية ، ولكل قارئ أن يحكم عليها بما يشاء ، وأن ينقد أسلوبها في البحث ، ولغتها في الحوار ، وأدبها في المناظرة ، على أن يقدر ظروف العصر الذي كتبت فيه ، ونوع الثقافة التي كانت تسيطر على أهل العلم يومئذ ؛ فإن كثيراً من تلك الأحوال ، قد هذبه الزمان ، وأصلحته الأيام

وأهم ما في الرسالة في نظري مما ينبغي أن تستخلص منه العبرة ، هو محاولة المؤلف في جد واهتمام تكفير بعض المؤمنين أو تفسيقهم لأنهم أخذوا برأي لا يوافق رأيه ، ولا يتمشى فيما يحسب مع رأي جمهور المسلمين !

وهذه النزعة إلى التكفير أو التفسيق بما لا كفر فيه ولا فسوق ما تزال سائدة في جو الأزهر ، وقد انبثت عدواها على يديه في كثير من أنحاء مصر والشرق ، فمنكر الوسيلة والتوسل كافر عند فلان ، ومنكر سحر النبي صلى الله عليه وسلم كافر عند فلان ، والذي لا يتلقى بالقبول كل ما يروون من المعجزات والكرامات شاك مكذب ، والذي يدعو إلى تهذيب العقائد مما ألم بها من خرافات وأوهام لا يعرفها الإسلام ضال مضل ، والذي ينهى عن الإحداث في الدين والابتداع في العبادات متهجم على الشريعة ، منكر لما تلقته الأمة بالقبول !

تجد هذا كله إلى الآن ، وتجد العامة في أقاليم مصر وأقطار الشرق يتماركون فيه ويختصمون عليه ، ثم يتجهون إلى علماء الأزهر بأسئلتهم : ما قولكم دام فضلكم في رجل أنكر كذا أو حكم بكذا ؟ أهو مؤمن أم كافر ، أتطلق عليه امرأته أم تبقى في عصمته ؟ فإذا جاءهم ما أرادوا من فتوى شهروه في أيديهم سلاحاً ماضياً فتاكا في وجوه خصومهم ومجادليهم ، وأثاروا به حولهم من أسباب الشغب والفتنة ما الله به عليم

وليس هذا فقط ! بل إن العلماء الكبار ليتجهون أحياناً إلى جماعتهم الموقرة ، فيسألونها في عناية واهتمام : ما قول سادتنا أعلام الأمة جماعة كبار العلماء فيمن قال ... كذا وكذا أو ناصر كتاباً فيه كذا وكذا من الأحاديث الموهمة خلاف ما يرى جمهور المسلمين بأن أشرف على طبعه وقدم له : هل يكفر أو يفسق أو لا ولا ؟

يرد مثل هذا السؤال على « الجماعة » من أحد أعضائها ، فتهتم به ، وتجتمع له ، وتؤلف له اللجان ، وتبحثه المرة بعد المرة ، وتعكف عليه أكثر من عام : كل ذلك من أجل كتاب قديم نشره رجل من العلماء مع اعتراف الجميع بأن ما ورد فيه من الروايات والأحاديث قد ورد في غيره من كتب التفسير والحديث !

ففيم كل هذا ؟ وأي مصلحة للاسلام والمسلمين ترجى من ورائه ؟ ولماذا لم يحكم فيما مضى ، ولم تحكموا أنتم ، بكفر المؤلف أو فسقه ، حتى تأتوا اليوم فتتساءلوا : هل كفر الناشر أو فسق ؟ تعقدون لذلك الجلسات ، وترجعون فيه إلى المراجع ، وتؤلفون من أجله اللجان !

اللهم إن هذه نزعة لا يسرنا أن تسود الأزهر ، ولا أن تشجعها جماعة كبار علمائه . فإذا كان القديم في زمن « عليش » قد احتمل ذلك أو شرح به صدراً ، فإن الجديد في زمن « المراغي » قد ملّه واجتواه وضاق به ذرعاً !

(الناقد الأزهري)

الحيـــاة الزوجية في نظر الاسلام

للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكى

— ٣ —

خطبة الزواج

إذا كان الزوج كفئاً لائقاً ورضيته الفتاة ، فليس للولى أن يعضُلها (يمنعها من التزوج به) ، وإن فعل ذلك سقط حقه فى الولاية عليها ، وانتقل الحق إلى من يليه من عَصَبتها ، « ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » أى لا تمنعوهن ذلك ؟ فهاتان حالتان لا يملك الولى أن يقهر المخطوبة فيهما على غير ما تريد :

١ — غير كفء يخطبها وهى ترفضه

٢ — كفء يخطبها وهى فيه راغبة

وهناك حالة ثالثة ، للاجتهاد فيها مجال ، وللعلماء فيها مقال ومقال ؛ هى : خاطب كفء لائق ، ولكن المخطوبة ترفضه وتأباه ؛ ففريق يرى قولها مسموعاً ، وحقها ناهضاً ، ما دامت رشيدة تعرف ما يطيب ويخبث من شئونها ، وتدرك خيرها من شرها ؛ وفريق يذهب إلى هذا الرأى كذلك إن كانت المخطوبة ثيباً ، أما إن كانت بكراً فليس لها أن ترفض من يراه الأب صالحاً وكفئاً ، وإنما تستأذن فيه ، عملاً بظاهر حديث الرسول : « تستأذن البكر ، وتستأمر الثيب » ، ويرون أن أباها أعرف منها بصالحها ، فمن حقه إجبارها

وعلى الإجمال الذى يعفينا من التطويل ، فإن الإسلام ينشد لكل من الزوجين رفيقاً ساراً ، ويبتغى لكل منهما حياة مأمونة المكاره ، ويلتمس من وراء ذلك نسلاً كريماً ، وأمة ماجدة عريقة فى الطهر والعفاف ومكارم الأخلاق

ويجمع هذه الأغراض كلها قول النبى (ص) : « إياكم وخضراء الدِّمن » : يحذرنا من المرأة الجميلة الشكل ، القبيحة الأصل والأخلاق ، ويشبهها بالدوحة الخضراء النَّدية تنبت فى الدِّمن — وهى القاذورات ومطارح الزبالة — فإن يكن لها نصيب من حسن الرواء ، وفرط البهاء ، فبئس ما وراء هذا المنظر من شناعة المخبر

ويجمعها كذلك قول النبى (ص) : « تخيروا لنُطفكم فإن العِرق دساس » فهذه حكمته البالغة فى نصيحة الزوجين والأولياء فى حسن الاختيار قبل التوثيق والارتباط — وعلى المرء أن يسعى إلى الخير جهده — غير أن الناس فى شأن الخطبة على أمور متناقضة ؛ أكثرهم بأهل الجاهلية أشبه ، وقليل منهم الراشدون؛ ففريق يتوسمون إلى الاختلاط ، والخلوة ، وما يدنو من هذين أو يعظم ، ثم قد تكون النتيجة إفلات الأمل من أيديهم من حيث بالغوا فى الحرص عليه ، فلا يبقى لهم سوى الندم على ما فرطوا والخزى اللاصق بهم مما جنوا ما عاشوا .

وفريق يتحجر رأيهم وتجمد عقولهم فلا يمكنون الخاطب والمخطوبة من حقهما المشروع ، وقديتم الأمر ويكون أحد المشيرين على غير ما يرضى صاحبه ، فتكون الحياة بينهما شقاء لا نعرف له نهاية ، وسجناً لا يدريان له غاية

وفريق ثالث يسوقون الفتاة سوقاً إلى شخص ماجن أو رجل متهدم البنية يخطو إلى مقره الأخير، فيبدون لها من المحاسن ما ترجو هى بعضَه ، ولا يكون الأمر كذلك ، وإنما هى رغبتهم فى ماله، أو طمعهم فى جاهه ؛ وهذا نوع فاحش من التضليل ، وشر لون من ألوان الغش ؛ والنبى (ص) يقول : « من غشنا فليس منا » فحسْب هؤلاء أن النبى أبعدهم عن الإسلام ، وإن الإسلام منهم برىء

أدب العشرة بين الزوجين

ما كان الإسلام ليُغفل علاقة الزوجين أن يدعمها ويدرأ عنها عوادى الخلف والجفوة ، بعد أن دعاها إلى الانضمام وهيأ لكل منهما سبيل اختيار صاحبه للمرافقة الدائمة فى اجتياز هذه الحياة

بل وضع الإسلام منهاجاً مزدوجاً من أدب العشرة ، وحتم على كل منهما أن يأخذ بالجانب الذى يتصل به من هذا المنهاج نحو صاحبه

وبعد أن حمّلهما الإسلام تلك الأمانة ، أهاب بهما — مع

مَن أهاب به من كل طرفين بينهما صلة — أن يرعاياها حق رعايتها ؛ فهو يقف بهما أمام الحديث القدسى : « أنا ثالث الشريكين إذا لم يخن أحدهما صاحبه ، فإن خان أحدهما صاحبه نزعت البركة من بينهما »

وعلى ضوء هذا الحديث تكون الحياة الزوجية لكل منهما طيبة مريئة ، وتكون الشركة بينهما مثمرة مباركة ، وإلا كانت صلتهما فى الدنيا هماً ناصباً ، وشقاء متعباً ؛ ثم هى فى الآخرة مأثم مأخوذ به من يقترفه ، وعهد مسؤول عنه من خان فيه

(١) أدب الزوج

يقول الله سبحانه للأزواج فى شأن زوجاتهم : « وعاشروهن بمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ، فالقرآن يعطف قلب الرجل على زوجه ، ويعلمه أن العشرة بالمعروف أمر يحتمه الدين إن لم تنهض به مروءة ولم تدفع إليه عاطفة

حتى إذا ما فترت جذوة الحب ، وهدأت وقدة الاشتياق ، وبدأ يلتوى عنها زهادة فيها أو طموحاً إلى سواها ؛ فمن الحزم ألا يغلو فى الصدود عنها ، وألا يسرف فى متابعة هواه ، وأن يتلمس الخير من جانبها ، فربما كانت ـ على سلوته عنها ـ مصدر نمائه ، وملتقى أمله ورجائه ، وكثيراً ما تعزف النفس عن شىء ويجعل الله فيه خيراً كثيراً

كذلك يأمر الله أن يبسط الزوج كفه بالإنفاق على الزوجة غير مسرف ولا مجهود ، بل على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » ، فليس جائزاً للواجد أن يبخل ، ولا مطلوباً من المعسر أن يتكلف ، وإلا تصدع البناء بجموح المرأة إذا استفزها الزوج بشحه وتقتيره ؛ وكم تراءى إلى الأسماع من سوء القالة بسبب شح الزوج ، وعدم قيامه على رعاية الزوجة فيما تقتضيه العشرة ...

فالإسلام حينما يطلب إلى الأزواج أن تسخو أيديهم على الزوجات، لا يرمى إلى شهوة الطعام والشراب وحدها ، وإنما يتجه إلى شىء لا يعدله شىء ، وإلى الاحتفاظ بنفيس دونه كل نفيس ؛ ذلك هو العفاف مصوناً مما يشوبه ، مضنوناً به أن تنال منه المساومات وتستغل فيه الحاجة

وفوق هذا الحض على كفاية الزوجة ، يحظر علينا الإسلام أن يطمع الرجل فى مال زوجته ، أو يحتال فى استرداد ما أعطاها من صداق ؛ ويقول القرآن فى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ويقول : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ففى هاتين الآيتين يمنع الإسلام أن يقتنص الرجل مال المرأة كرهاً، على نحو ما كان شائعاً فى الجاهلية ، ويمنع أن يعضلها الرجل — يضايقها بنوع من أنواع الإساءة — ليستدرجها إلى ترضيته بشىء من مالها ، أو لترد إليه بعض ما أعطاها . ويأمر الإسلام أن يدفع الزوج إلى الزوجة ما تستحقه من الصداقة نحلة : — خالصاً من شوائب التنقص والتلكؤ فى الوفاء — وليس يحل للرجل إلا ما رضيت به نفسها طائعة سمحة ، فقد يطيب لها أن تجامله أو ترغب فى معونته « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » . ونحن إذ نرى الإسلام يتحرى الاحتفاظ بحقوق الزوجة فى مثل هذه الآيات ، لا يعزب عن خواطرنا أنه كذلك يستبقى للرجل كرامته، ويؤيد ماله على الزوجة من الهيمنة، وأن زوجاً يتناسى مكانة الرجولة ، ويبتاع بها شيئاً من حطام الزوجة ، لهادمٌ بيده بناء الأسرة ، وواضع نفسه حيث لا ترضى طبيعة الرجولة ولا تطمئن الكرامة إلى حراسته لأنوثة الزوجة

وإلى جانب ما ذكر القرآن من أدب الزوج ، جاءت سنة النبى (ص) بالكثير من وصايا الأزواج ، فيقول (ص) : « استوصوا بالنساء خيراً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتموهن بكلمة الله » . ويقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » . ويقول : « إن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها »

فالزوجة فى اعتبار الإسلام أمانة عند الرجل ، وهو مسئول عن الأمانة فى غير هوادة أمام الله ، والمرأة مخلوقة من ضلع ، وهو أعوج بطبعه ، فلا بد أن يكون بالزوجة بعض القصور ،

فمن شاءها تامة المواهب ، وطمع فى كمال النضج منها ، فإنما يطمع فى محال لم تتهيأ له طبيعة المرأة

وإن حاول الرجل تقويم المعوج منها كسرها ، وكسرها هو الطلاق ، فليترفق بهما ما استطاع ، لئلا يذهب تعديلها إلى كسرها بالطلاق ، والطلاق مكروه عند الله ، وإن كان جائزاً شرعاً

والنبى (ص) يصرفنا عن التعرض لذلك بقوله : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »

فالمرأة على أى حال بحاجة إلى الصبر على ما يمكن احتماله منها ؛ ومن شرف الرجولة أن يكون الزوج سمحاً لا غضوباً ، وبساماً لا قطوباً ، وأن يكون محسناً معها فى كل آن ، وصاحب اليد عليها فى كل شىء ؛ واليد العليا خير من اليد السفلى كما يقول الرسول

(ب) أدب الزوجة

أما أدب الزوجة مع الزوج فيتمثل واضحاً فى قول النبى (ص) : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » . . . فانظر إلى هذا البيان الجامع الحق ، تر أن فضل الرجل على زوجته يقتضيها فى نظر الإسلام أن تتأدب معه إلى غاية من الأدب هى أقرب منزلة إلى العبادة ؛ ولو كان السجود مشروعاً لغير الله سبحانه لكان لزاماً على الزوجة لزوجها ، فإن لم يكن هذا فليكن ما يدنو منه من الأدب المشروع ، حتى ليخبرنا النبى (ص) بأن من لم تتسم بهذه السمة لا حظ لها فيما تأتى به من القربى إلى الله ، وإن كدّت فى العمل وضاعفت فى السعى والجهود ، فيقول (ص) : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع ، والسكران حتى يصحو ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى » فليس لمن سخطها الزوج سبيل إلى الله سوى عدولها عن مغاضبة زوجها والتماسها مرضاته ، وإلا فعذاب الآخرة يترصدها ، ونعيمها غير ممدود إليها إلا بعد لأى وهوان

وفى هذا يقول الرسول (ص) « . . . ورأيت النار ، فلم أر منظراً – يعنى لم ير ما يسر – ورأيت أكثر أهلها النساء . قال للصحابة : ولمَ يا رسول الله ؟ قال (ص) : بكفرهن ! قالوا : أيكفرن بالله ؟ قال (ص) : بكفرهن العشير – الزوج – وبكفرهن الإحسان : لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط ! »

وفى هذا تنبيه للنساء إلى عيب شائع فى الكثرة منهن ، هو عدم اعترافها بفضل الزوج ، حتى لو أنه غمرها بفضله ، ومكن لها من عطائه وبره ، ثم صادفت منه أمراً هيناً لا يعجبها ، أنكرت ماله من حسنات سابقات ؛ وإن القرآن ليعطف قلوب النساء على الرجال كما عطف قلوب الرجال عليهن ، فهو يرجع بالمرأة إلى القناعة والرضا عما يستطيعه الزوج من النفقة ، ويعدها بتفريج ما قد يحس به من ضيق ، فيقول تعالى : « . . . ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسراً » ، ففى هذا مواساة لمن قدر عليه رزقه كما أسلفنا ، وفيه توجيه للمرأة : ألا ترهق الرجل بما لا يطيقه ، مخافة أن يثقله العبء ، وتعجزه الحيلة ، فيضيق بالحياة الزوجية ، ويتصدع البناء

والقرآن يصارح الزوجة أكثر من ذلك بما للرجل من فضل ، وبالسبب الذى كان من أجله ذلك الفضل عليها ، فيقول : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »

فالرجل هو القوام – المهيمن – على زوجته ، وصاحب الأمر معها فى حدود ما شرع الله ، لما امتاز به غالباً من حصافة ونضج ، ولما ينفق من ماله ويلتزم لها من الحاجيات والمصالح ، وكذلك يقول القرآن : « وللرجال عليهن درجة » ، يعنى : للأزواج سلطة ورياسة ، ولهم الأمر والنهى بمقتضى ذلك ، فما ينبغى أن تأبى الخضوع له ، وتتخطى حدودها معه ، وعليها أن تمد إليه يد الطاعة ، وتستمد الرأى من جانبه ، ما دام غير متحيف ولا متجانف ، لئلا تُعرّض الحياة بينهما للعوارى الفساد والانحلال

وخلاصة ما يرجى من الزوجة تحدث بها النبى فى إيجاز ، إذ قال له سائل : أى النساء خير يا رسول الله ؟ فأجابه : « التى

للحق والتاريخ

عبد القادر حمزة باشا

وقفة قصيرة بهامش أدبه الحي

كيف كان ينقل كنوز اللغات المختلفة إلى العربية

للأستاذ محمد السوادي

تحدثت إلى قرائي في جريدة « البلاغ » بعددها الصادر في اليوم الثامن من يونية الحالي عن بعض ما عرفت في « عبد القادر حمزة بين محرريه ، وعبد القادر حمزة بين ذويه ، وعبد القادر حمزة بين الجلال والحنان والدمع الغزير »

وأوثر أن يكون حديثي إلى قراء « الرسالة » حديثاً أدبياً يلائم أمزجتهم ، ويوائم بينها وبين شعوري بالرغبة في حديث لا نهاية له في سيرة الرجل الذي تملت منه قارئاً ناشئاً ، وأخذت عنه كاتباً شاباً ، وقويت صلتي به في أثناء اشتغاله بطبع كتابه التاريخي الأخير ، وعلى حين غفلة استرد هذه اليد مني ليتوارى عني ، صاعداً بالروح إلى السماوات العلا حيث الحقيقة الكبرى التي ظل يبحث عنها طوال نصف قرن قضاه ضيفاً على الأرض .

تسره إن نظر ، وتطيعه إن أمر ، ولا تخالفه في نفسها وما لها — أو ماله — بما يكره »

ومن هذا الذي حدثنا به ورويناه ، يتبين للناس ما ينبغي أن يراعوه من نظام الحياة الزوجية ، من آداب العشرة بين الزوجين ، ولو أن الأمر هنا على ما يقتضيه النظام الإسلامي ، لما سمعنا تلك الشكايات الصارخة تتردد على ألسنة الرجال من بعض النساء ، وتنحدر بها مدامع النساء من قسوة بعض الرجال ، والله يعلم المفسد من المصلح ، ويعلم المنصف وغير المنصف

وسيجزي الله الذين أساءوا بما عملوا ، وسيجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

« لها بقية »

عبد اللطيف محمد السبكي
المدرس بكلية الشريعة

وليس في نيتي أن أرسم لك صورة من أدبه — وإن كنت لا أنكر أن في نيتي العودة إلى رسم هذه الصورة على صفحات « الرسالة » نفسها — وإنما أريد اليوم أن أقف على « هامش أدب عبد القادر حمزة » ، كما وقف هو على « هامش تاريخ مصر القديم » ، فأسوق إليك لوناً من الروح الذي كان يحدوه وهو يفكر تفكيراً أدبياً ، ثم يهديه وهو يسجل ثمار هذا التفكير :

على هامش ترجمة

ولكي تعرف كيف كان عبد القادر حمزة يترجم إلى العربية بعض كنوز اللغات المختلفة ، فيبدع إبداعاً وفق فيه بين الأمانة المكنة والسلاسة التي عرف بها ، ثم ينفرد أخيراً بخاصة إخضاع الكلمات للمعاني التي يريدها ، وخاصة صوغ العبارات التي تؤدي بقوة تماسكها وبساطة مفرداتها نفس المعاني ... لكي تعرف بعض سر هذه الحقيقة ، ينبغي أن تعرف رأي الفقيد في الترجمة ، فإذا عرفت مدى تهيبه ضخامة المهمة الملقاة على عاتق المترجم ، فإنك قادر مدى الجهود التي كان يحرص على بذلها وهو يترجم ، وكاشف سر القوة التي جعلت منه مترجماً لا يجارَى ولا يقلد !

وهذا الرأي — رأيه في الترجمة — مثبت في أحد فصول المجلد الثاني الذي كان يشتغل بطبعه في الشهور الأخيرة وقضى قبل أن يفرغ منه ، وشفيعي في إثبات هذا الرأي أو في استمارته من كتاب تحت الطبع بغير إذن من أبناء الفقيد ، ثقتي بأن هؤلاء الأبناء لا يغلّبون « شكلية » كهذه على وفاء أريد أداءه لتاريخ الفقيد الأديب ، ولتاريخ الأدب في ذاته ، وشعوري بأن روح الفقيد راضية في عليائها عن صنيعي هذا

رأيه في الترجمة

عرض الفقيد في أحد فصول كتابه للأدب في مصر القديمة فأثبت وجوده وأثبت له الجودة ، ثم أسف على « أن المثقفين منا يعرفون إلى جانب الأدب العربي : الأدب الإنجليزي ، والأدب الفرنسي ، والأدب الألماني ، والأدب الإيطالي ؛ ومنا من يعرفون حتى الأدب الفارسي ، وحتى الأدب اليوناني القديم ؛ ولكننا لم نُعن إلى الآن بمعرفة أدبنا المصري القديم »

وبعد أن دلل على ضرورة هذا الأدب لنا قال :

« ولا يطمع القراء فى أن أنقل إليهم ما أنقله من هـذا الأدب فى بلاغته الأصلية ، فإن المترجين يعرفون أن شعر شكسبير الإنجليزى، أو راسين الفرنسى، أو جيته الألمانى، تفقده الترجمة كثيراً من بلاغتـه ؛ ومثل ذلك شعر امرئ القيس أو أى شعر عربى آخر إذا نقل إلى لغة أوربية ؛ وهذا لأن الشعر أو النثر الفنى الذى يسمى أدباً يتكونان من عنصرين : أحدهما الفكرة ، والثانى الصياغة ؛ واجتماع هذين العنصرين هو الذى يبعث فى النفس أثراً خاصاً وموسيقا خاصة ، والترجمة تنقل الفكرة ولا تنقل الصياغة ، فـكأنها تنقل الهيكل العظمى دون اللحم والدم . وهذا يقال فى أدب عصرى ، أو فى أدب لم يمض عليه غير بضع مئات من السنين ؛ أما الأدب الذى مضت عليه خمسة آلاف سنة ، أو ثلاثة آلاف على الأقل ، فيجب أن يقال فيه إلى جانب ذلك إنه ابن بيئة تختلف عن البيئات التى يعرفها العالم الآن ، وقد وجد فى ظل عقلية واعتقادات وتقاليد وعادات لم يبق لها وجود وقل من يعرفها ومن المسلم به أن الأدب يكتسب كثيراً من العقلية والاعتقادات والتقاليد والعادات التى يعيش فيها ، بل هو لا يكون أدباً حياً إلا إذا امتزج بها وكان وحياً منها ؛ ولهذا السبب يكون نقل الأدب المصرى القديم الآن إلى اللغة العربية تجريداً له من هـذه العناصر كلها فوق تجريده من الصياغة وموسيقاها ؛ ولهذا السبب نفسه سترانا محتاجين فى كثير من الأحيان إلى إعطاء بيانات وتعليقات تنقل بها القارئ — على قدر استطاعتنا وفى حدود دراستنا — إلى العصور التى قيل فيها ما نعرّبه لهم من القطع الأدبية »

محصول المترجم

هذا هو رأى عبد القادر حمزة فى الترجمة ؛ فما الذى نخرج به من هذا الرأى الملتقى بعبد القادر حمزه المترجم ؟

نخرج من هذا الرأى بالنتائج الآتية :

أولاً — يرى الفقيد أن الترجمة تنقل الفكرة ولا تنقل الصياغة

ثانياً — إن الفكرة أشبه بالهيكل العظمى ، وإن الصياغة أشبه باللحم والدم؛ فالترجمة ليست إلا تجريداً للنتاج من اللحم والدم

ثالثاً — إن الترجمة تتطلب فهماً للنتاج المنقول ، والفهم يتطلب دراسة الزمن الذى قيل فيه هذا النتاج ، والبيئة التى وجد فيها القائل، والعقلية التى أصدر عنها، والتقاليد والعادات والاعتقادات التى أثرت فيه فتأثر بها

رابعاً — إن الأدب لا يكون حياً إلا إذا امتزج بهـذه العوامل وكان وحياً منها

وضع الفقيد هذه القوانين الأربعة أمامه حين هم بالنقل من الأدب المصرى القديم ، ثم رأى فيها سبباً يجعل هذا النقل بمثابة تجريد المنقول من هذه العناصر ، أو من اللحم والدم . . . فلماذا إذاً أقدم على النقل ، وهل نقل إلينا هيا كل عظامية تحقق النذير الذى أنذرنا به وخوّفنا منه ؟

كلا ... وإنما أعطانا « بيانات وتعليقات » نقلنا بها إلى العصور التى قيل فيها ما عربه لنا ؛ وتواضع فقال إن هذه البيانات والتعليقات هى على قدر ما فى استطاعته وفى حدود دراسته

وشىء أجل قدراً قام به ولم يشر إليه ، هو توفره قبل النقل على دراسة العقلية والعادات والتقاليد والاعتقادات التى كانت سائدة فى تلك العصور ، والتى سبق أن أشار إليها ، ثم لم يدر مدى التوفيق الذى أحرزه ، وخشى أن يكون هذا التوفر غير كاف ، وهذا التعمق غير بالغ به الأعماق ، فقال إنه محتاج إلى إعطائنا بيانات وتعليقات ، فى حين أن هذه البيانات والتعليقات إنما أفادت فى تهيئتنا لاستقبال نتاج هذه الآباد، وأطلقت حولنا من بخور القدم ما خالط أنفاسنا، فعشنا فى الجو الفرعونى ونحن نطالع نتاج تلك العصور ؛ أما الترجمة — ترجمة النصوص أو الأصول — فقد جرى فى هيكلها كثير من الدم القديم ، ورأينا بعين المخيلة لحما مقروناً بهذا الدم الغزير ، وشعرنا بالحياة تدب فى الهيكل ، وبالمنقول أدباً حياً نقله الفقيد فأحسن نقله . وهذه النتيجة التى تكاد تكون لوناً من الإعجاز لم تكن بسبب البيانات والتعليقات وحدها، بل كانت وحياً من فهم الفقيد عقلية تلك العصور ، وإدراكه الـكثير من عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم

نماذج وأمثلة وأسانيد

ولـكى ترسخ هذه الحقائق فى أذهان القراء الذين يبحثون وراء الأسانيد لـكل حقيقة يتصدون لها، أرى لزاماً على أن أقدم

إليهم أمثلة للبيانات والتعليقات، ونماذج من القطع الأدبية التى ترجمها الفقيد فى مجلده الثانى الذى أرقب صدوره فى القريب بكثير من التشوف والمصابرة

أراد الفقيد أن يترجم بعض القصائد والأغانى، فعرضت له كلمة «أخت» وكلمة «أخ»، فرأى أن يقدم بياناً لهذه التسمية، فلما قدم البيان وجده منطوياً على ما يتصل بالفكرة الخاطئة التى أرساها المؤرخون فى الأذهان، فنمت واستقرت بفعل التكرار وعلى الأزمان، فكرة أن الأخت كانت تتزوج من أخيها، فرأى الفقيد أن يكون له تعليق على البيان يجلو غامض الفكرة الخاطئة؛ ومن هنا جاءت عنايته بالبيانات والتعليقات، وجاء دور التعليق على الفكرة الشائعة؛ فقال رحمه الله:

***

«وهنا أستطرد قليلاً فأقول: إن إباحة زواج الأخت بأخيها كانت معروفة فى الأسر المالكة لسببين: أولهما الحرص على الدم الشمسى، أى الدم الملكى، والثانى: أن حق البنت المولودة من أب هو ملك وأم هى ملكة فى وراثة العرش، كان أقوى من حق الابن المولود من أب هو ملك وأم ليست ملكة، بحيث كانت الأخت فى حالة كهذه هى التى تعتبر وريثة شرعية للعرش دون أخيها، ولهذا كان يقترن بها ليكون حقه فى العرش شرعياً

«كان هذا هو المعروف فى الأسر المالكة، أما فى غيرها من عامة الشعب فلم تكن الحاجة ماسة إلى الحرص على دم شمسى، ولا إلى وراثة عرش، ولذلك يرى بعض العلماء أن القول بإباحة زواج الأخت من أخيها بين أفراد الشعب يجب أن يبقى محل تحفظ إلى أن تقوم عليه أدلة كافية، لأن جميع الحالات التى عرف إلى الآن أن أختاً تزوجت فيها بأخيها، هى حالات خاصة بالأسر المالكة»

أما وقد عرفت الآن مبعث تسمية «الحبيبة» و «الحبيب» بكلمتى «الأخت» و «الأخ» فالفقيد يقدم إليك صورة من غزل أحد الشعراء يشكو إعراض أخته عنه وصدها له، ثم يفكر فى ألوان من الحيل عسى أن يظفر برؤيتها، فيقول:

«سأرقد فى سريرى متمارضاً
«فيعودنى جيرانى
«وتعودنى أختى معهم
«وتضحك أختى من أطبائى
«لأنها تعرف دخيلة مرضى!

ويطيب للفقيد أن يقف بعد كل بضعة سطور ليقارن أو ليفاضل بين الأدب فيما قبل خمسة آلاف سنة والأدبِ الحديث فى مختلف اللغات، بل الأدب العربى الذى درسناه، فيلفتك إلى أن تمنى الحبيب أن تزوره حبيبته إذا رقد فى سريره مريضاً أو متمارضاً شائع فى غزل الشعر العربى، كقول الشاعر:

ماذا عليكِ إذا خُبّرتِنى دنفا   رهن المنية يوماً أن تزورينى

... وإلى أن جهل الأطباء بمرض الحب شائع أيضاً كقول قيس بن ذريح:

عيدَ قيس من حب لبنى ولبنى   داء قيس والحب داء شديد
وإذا عادنى العوائد يوماً   قالت العين: لا أرى من أريد!
ليت لبنى تعودنى ثم أقضى   إنها لا تعود فيمن يعود

ويمضى فقيدنا بشاعرنا المصرى وتمنياته أن يكون الخاتمَ الذى تلبسه الحبيبة «الأخت» فى أصبعها، أو إكليلَ الزهر الذى يطوق عنقها ويداعب صدرها، وهو لا يتردد فى أن يسقيها — لو استطاع — شراب الحب ليحملها على أن تفتح بابها قليلاً وتسمح له برؤيتها، وحين لا يجد فائدة من كل هذا يتجه وجهة أخرى ليركب النيل إلى حيث الإله بتاح صاحب «الوجه الجميل» فى ممفيس، ليتضرع إليه أن يهيء له رؤية أخته. وقبل أن يشرع الفقيد فى الترجمة يهيء لك جوها ويعقد الصلة بينك وبين هذا المحب، ويعرفك أنه من أهل طيبة؛ فهو إذاً ركب النيل إلى ممفيس يكون (نازلاً) من مصر العليا، ويكون فى نزوله سائراً مع التيار، وهذا أدعى إلى الإسراع، لأن السفن لم تكن تعتمد فى ذلك الوقت إلا على الشراع أو المجذاف

وبعد أن يضنى الفقيد نفسه فى عقد أواصر هذه الصداقة بينك

وبين ذلك الجو القديم، يمضى بك إلى سطور أخرى ينقلها إليك على هذا كله، لتقرأ منها قول الشاعر:

« سأركب النيل نازلاً مع التيار
« وسأمضى مسرعاً
« وباقة من الريحان على كتفى
« وسأصل إلى مدينة عنخ تاوى (أى ممفيس)
« وهناك أقول للإله بتاح رب العدل:
« هيِّ لى أن أرى الليلة أختى !
« إن النهر لخمر
« وأن بتاح قَصَبُه
« وأن سخمت (هى آلهة الانتقام أو الحرب) لبرديه
« وأن إزبت (معبود كان فى سمنود الحالية) لبرعومه
« وأن نفرتوم (ابن الإله بتاح) لأزهاره
« وفتحت ذراعيها لى
« شعرت كأن أزكى روائح بلاد العرب تغمرنى
« ثم إذا افترت شفتا أختى
« وأدنتهما منى وقبلتنى
« فذلك لى هو السكر من غير مسكر »

هذا نموذج من أدق النماذج، لأن العقائد فيه خالطت العرف وتصاعدت روائحها إلى أنف القارئ المعاصر.

وإلى هنا أقف راجياً أن أواصل هذا الحديث فى القريب، بل راجياً أن أصل بينه وبين مواجهة «عبد القادر حمزة الأديب» فى بضع حلقات تتألف منها سلسلة دراسات «مركزة»، فما أردت بهذا المقال «تركيزاً»، وإنما أردت أن أثير اهتمام الأدباء برجل يجده الناس كاتباً سياسياً لا ند له فى مصر ولا نظير، ويجهلونه أديباً من طراز معين، أديباً مثرياً طائل الثراء فى طرائقه الخاصة، فى التفكير وفى الأسلوب، وفى الترجمة وفى الإنشاء

نعم، هى وقفة بهامش أدبه، فإلى اللقاء عند هذا الأدب وليرحم الله عبد القادر حمزة، فلسوف يسمو ويزداد سمواً كلما تقادم العهد ومضت الأيام على وفاته

لقد كان تاريخاً، فمن حق الجيل دراسة هذا التاريخ

٤٦ ١٦ **محمد السرادى**

الاسكندرية بعد الفاجعة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

يا كُنْتَ مصطاف ريفىٍّ ومربعه
يا ثغرُ فى جنبات الريف تصطاف ؟ !

مهــــاجرون على الأنصار قد نزلوا
كِلاَ الفريقين رحبُ الساح مِضْياف

يا ضاحك السن ما للعين دامعة   فى الصبر أجر وللرحمن ألطاف
أم القرى حمدت من قَبْلُ هجرتَها   واستنّ للخَلَفِ الباقين أسلاف
لعــلّ فى تاركى دور محطمة   ملاذ أمن لمن ضلوا ومن خافوا
لعل فى الصبية الباكين أهلَهمُ   نصلاً له من خطوب اليُتم إرهاف
لعل فى دَمِنا الزاكى زكاة مُنىً   عِرْقُ الأمانىّ فى الأوداج نزّاف

ما حزّ فى مهجتى خطب ألم بهــا
كالعجز عن صد من ضلوا ومن حافوا

كأنى مفرد فى الثغر مرتهن   بتُربِه ولصوت الموت إرجاف

ما راعنى فيــه ما انقضّتْ صــواعقه
بل راعنى أن خلا فى الصيف مصطاف

هذى الديار فأين الوادعون بها   لم يبق إلا سَمادِيرٌ وأطياف
(أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا)
قف يا لســانى فبعض القول إسفاف

لم يُخْنِ دهر عليها – لا ولا أبداً   مامثل أكنافها فى الدهر أكناف
ألفان تُملى على الدنيا محاسنها   وسوف تشهد آلافٌ وآلاف

عبد اللطيف النشار

أغنيــــة البلبل ...

للأديب محمود السيد شعبان

طَافَ فِي قَلْبِى نَشِيــدٌ   بِالْمُنَى يَمْــلأُ نَفْسِى !
وَأَنَا اليَائِسُ يَا بُلْبُــلُ   مَا بَهِـــدَأْ يَأْسِى
هَذِهِ كَأْسِى ! ... فَهَلْ   يُرْضِيكَ أَنْ تَفْرَغَ كَأْسِى؟

لاَ غَدِى يَضْحَكُ لى فِيهَا   وَلاَ يَرْجِعُ أَمْسِى !

***

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ ! ... إِنِّى   ظَامِئٌ فَارْوِ لهــانِى
هَاتِ لِي مَا شِئْتَ   يَا سَاحِرُ مِنْ لَحْنِكَ هَاتِ
وَأَدِرْ كَأْسَكَ بِالْحُبِّ   لِتَحْيَا فِيــهِ ذَاتِي
سَوْفَ يَفْنَى الْجَسَدُ   الْبَالِي وَتَبْقَى صَبَوَاتى !

***

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ ... ! خُذْ أُغْ   رُودَةَ الْعُشَّاقِ عَنِّى !
وَتَعَــلَّمْ كَيْفَ تَحْيَا   لِلْهَوَى الْعُذْرِىِّ مِنِّى
عُشُهَا فِي الْقَلْبِ مَهْجُو   رٌ ... وَلَــكِنِّى أُغَنِّى !
وَأَنَا الشَّــاعِرُ يَا   بُلْبُل دُنْيَاهُ التَّمَنِّي !

***

فِي مَغَانِي الْحُسْنِ يَا   بُلْبُلُ هَا نَحْنُ الْتَقَيْنَا !
مَا عَلَيْنَا إِنْ مَلَأْنَا   الْكَوْنَ سِحْرًا مَا عَلَيْنَا ؟
الْهَوَى مِلْكُ صِبَانَا   وَالصِّبَى مِلْءُ يَدَيْنَا !
فَدَعِ الأَلْحَانَ يَا   بُلْبُلُ تَرْوِى شَفَتَيْنَا !

***

الْهَوَى يَا عَابِدَ الأَلْ   حَانِ كَأْسِى وَشَرَابِى !
وَالْمُنَى يَا عَاشِقَ الأَوْ   هَامِ هَمِّى وَعَذَابِى !
وَأَنَا ... فِي مَوْكِبِ الْحِرْ   مَانِ وَدَّعْتُ رِغَابِى !
الْمُنَى حُــلْمُ فُؤَادِى   وَالأَسَى لَحْنُ شَبَابِى !

***

كُلُّ صَدَّاحٍ عَلَى الأَيْ   كِ بِحَيِّيهِ حَبِيبُ !
وَأَنَا بَيْنَ الْوَرَى فِي   هَــذِهِ الدُّنْيَا غَرِيبُ
لَيْتَهَا يَا بُلْبُلِي يَوْ   مًا لِنَجْوَاىَ تُجِيبُ !
ذَهَبَ الْعُمْرُ ... وَمَالِي   مِنْ لَيَالِيهَا نَصِيبُ !

***

أَنَا يَا بُلْبُلُ فِي دُنْ   يَاىَ أَحْلاَمُ شَرِيدِ
أَنَا لَحْنٌ حَائِرٌ بَيْ   نَ سَمَاوَاتٍ وَبِيدِ !
أَنَا مَغْنًى مِنْ شَفَا   ءِ الرُّوحِ فِي قَلْبٍ سَعِيدِ !
اللَّظَى مَهْدُ فُؤَادِى   وَالصَّدَى وَحْىُ نَشِيدِى !

***

غُرْبتي طالتْ عنِ الرَّو حِ ... فرُدِّيني لِنفسِي !
لمْ يعُدْ يُنشِدُ قيثا رِي ولا تضحكُ كأسي
أنا مِنْ بعدِكِ ضيَّعْـ ـتُ سُدًى يومي وأمسي
وغَدِي ؟ ... ضلَّتْ إليْهِ النَّفسُ في ظُلمةِ يأسي

***

قُبلةٌ حيرى على ثغْـ ـري تُنادي شفتيْها !
ملؤُها شوقٌ ولكنْ أينَ منْ يحنو عليها ؟ ؟
ويدٌ كلُّ مُنـاهَا رقدةٌ بينَ يديْها !
أنا يا بُلبُـلُ منها قبسٌ حنَّ إليها !

***

نحنُ يا بُلبُلُ كأسا نِ منَ الحبِّ مُلِئْنا !
نحنُ ميزانِ جريحا نِ التقيْنا فهفوْنا !
نحنُ لحنانِ حبيبا نِ إلى مهدِكَ جئْنا !
الغـرامُ العفُّ ما شئْتَ منَ الدُّنيا وشئْنا

***

باركِي وحدةَ صدَّاحٍ أمانيـهِ شفاهُ !
كلَّما أضنـاهُ يأسٌ عادهُ منكِ رجاهُ !
وخُذيهِ ملءَ دُنيـاكِ نشيـداً يا سماهُ !
هوَ في الحبِّ فناهُ ومِنَ الحبِّ بقاهُ !

***

ها هُنا معبدُ حُسنٍ لمْ يُفارقْهُ سَـناهُ
التقتْ فيـهِ صُدورٌ وارتوتْ فيهِ شِفاهُ !
وتلاقى عِندهُ العُشَّا قُ ... كلٌّ وهواهُ !
فتعالَيْ يا هُدى رُو حي نكُنْ نحنُ حُلاهُ !

***

ها هُنـا أيكُ أغا ريدَ وأعشاشُ قلوبِ !
ما أرى فيها سوى إلْـ ـفينِ كاللحنِ الطَّروبِ
هاتِ لي زادي منَ الحُسنِ وقيثاري وكوبي
إنْ يكنْ حُبُّكِ ذنبًا فأنا أهوى ذنوبي !

***

ها هُنا هيكلُ حُبٍّ لِلمُصلِّينَ مُبـاحُ !
سجدتْ فيـهِ جِباهٌ والتقتْ فيهِ جِراحُ !

إنَّ ألحانَكَ يا بُلبُلُ لِلعُشَّـاقِ راحُ !
فعلى رِسلِكَ ... قدْ طا شَ بهِمْ منكَ مِراحُ

***

ها هُنا ... كمْ نعِمَ القلْـ ـبُ بأحلامِ اللِّقاءِ !
يا لياليها ! ... لقدْ طا لَ على الدُّنيا شقائي !
أنا مَنْ خلَّفْتُ للحِرْ مانِ أوهامي ورائي
وذوتْ في نفسِيَ الحيرى أغاريدُ هنائي !

***

يا فتاتي! ... كيفَ يُرضِـ ـيكِ شقائي يا فتاتي ؟
في دمي شوقٌ يُنادِ يكِ : تعالَيْ يا حياتي
أنا في محرابِكِ الطَّا هرِ طالتْ بي صلاتي
فدعيني ساعةً فيـ ـهِ أُباركْ صبَواتي !

***

هـذهِ قيثارةُ الحبِّ تُغنِّي في يميني !
فدعيني أُطربُ الدُّنـ ـيا بنجواكِ ... دعيني
وأنا النَّاسكُ يا رُو حي ونُسكي فيكِ ديني
صلواتي بعضُ أشوا قي وأورادي حنيني

***

أنا أُغرودةُ أيَّا مي وقيثارةُ عصري
أنا وحدي شاعرُ الحبِّ ومَنْ لِلحُبِّ غيري ؟
تنفدُ الدُّنيا ولا ينْـ ـفدُ يا حسناءُ شِعري
ويجفُّ الزَّهرُ إنْ عا شَ ولا يذبلُ زهري

***

أنا لِلأشـواقِ يا أُنشودةَ الرُّوحِ وقودُ !
شـاعرٌ أحييتِهِ في دُنيا الأمانيِّ وعودُ !
أبدًا نجواهُ ألحا نٌ ودعواهُ سُجـودُ
هوَ إنْ غِبْتِ فناهُ وإذا عُدْتِ وُجودُ !

***

يا حياةَ القلبِ!... قدْ طا لَ إلى سعدي حنيني
وأنا وحدي!... فإنْ شئْـ ـتِ إلى حُبِّي خُذيني
هـذهِ دُنيايَ ! ما لي في الأسى ضاعتْ سنيني؟
سئمتْ رُوحي مُناها فإذا مِتُّ اذكُريني !

(القاهرة) محمود السيد شعبان



حول إصلاح الأزهر

ظهر فى العدد (٤١٥) من مجلة « الرسالة » الغراء كلمتان فى إصلاح الأزهر : إحداهما لفضيلة الأستاذ المدنى ، والثانية لفضيلة الأستاذ عبد الآخر . فأما الكلمة الثانية ، فيرى كاتبها أن فضيلة الأستاذ المراغى نفذ الإصلاح الذى وضعه ، وذلك بتنقية الكتب الأزهرية وتهذيبها وتحسين طريقة عرضها والكتب الأزهرية لا تزال على حالها ، وكانا يعرف أن الفساد متغلغل فيها بحيث لا يفيد فى علاجه تنقية ولا تحسين عرض . وأما مسألة انصرافنا إلى الوظائف وما إليها ، ففضيلة الأستاذ عبد الآخر أدرى الناس بها، وفضيلته يعرف (مسألة العرائض) التى كادت تقضى على عهد الإصلاح لولا لطف الله تعالى

وأما كلمة الأستاذ المدنى ، فهى متفقة مع كلمتى الأولى كل الاتفاق ، وإن حاول الأستاذ المدنى أن يهون من أمر الرجعيين المعارضين للاصلاح . وعجيب أن يهون من أمرهم ولهم فى كل وقت ثورات عنيفة على كل من يحاول تجديداً فى بعض الأحكام ، أو يريد فتح ذلك الباب المغلق على الاجتهاد من قريب أو بعيد ، وهم إذا قاموا بتلك الثورات يقوم وراءهم جنود مجندة من العامة وأشباه العامة ، ويقف طالب الإصلاح وحده لا معين ولا نصير . ولو كان أولئك الرجعيون يعتمدون فى ثورتهم على الدليل لهان الأمر ، ولكنهم لا يعتمدون فى ذلك إلا على التكفير ولا يفكرون إلا فى محاربة ما يعتمد عليه طالب الإصلاح من وسائل العيش ، وقد رأى الأستاذ المدنى كل هذا ببصره ، وسمعه بأذنه ، ولمسه بيده ، فكيف يهون بعد هذا من أمره ؟

« عالم »

بين عبد القادر حمزة والعقاد

قرأت فى العدد الفائت من « الرسالة » كلمة للأستاذ محمود الشرقاوى عن المغفور له الأستاذ عبد القادر حمزة باشا وأنا موافقه على كل ما ذكر للفقيد الكبير من خلال طيبات لمستها كما لمسها فى أثناء اشتغالى معه فى البلاغ من سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٣١ ؛ وفى خلال السنوات السابقة واللاحقة لهذا العهد وكنت فيها جميعاً على صلة طيبة بالراحل الكريم ...

وقد بعثتنى هذه الصلة العزيزة إلى رثائه شعراً على صفحات البلاغ وأنا فى سرير المريض ممنوع من الجهد والتفكير ؛ إلا أن ذكر حقوق الراحلين لا يجوز أن يحملنا على غمط حقوق الأحياء وطمسها أمام التاريخ ، فالظلم ظلم الموتى وللأحياء سواء ...

يقول الأستاذ الشرقاوى فى موضع من كلمته القيمة : « ذلك الصراع الذى قام به عبد القادر حمزة وحده مواجهاً به ومتحدياً أقوى حكومة ... » . ثم يقول فى موضع آخر : « ولكن عبد القادر حمزة ظل يكافح فى كل يوم وحده حتى نخر الجبل الشامخ الراسخ ... »

وكلمة « وحده » هى الكلمة التى تجاوزت حد الحق ، فالراحل الكريم قد صنع فى هذا الكفاح الذى يشير إليه الأستاذ ما يصنع أصحاب الرأى الأبطال ، وقد كلل جهاده بنجاح سيخلده تاريخ مصر السياسى وتاريخ الرأى والعقيدة ؛ ولكن يجب أن نذكر أن هناك قلماً آخر صنع الأعاجيب فى هذا النضال وعلى صفحات البلاغ أيضاً وفى نفس هذه الأيام ذلك هو قلم العقاد الجبار

بل لقد كان ذلك القلم هو أول قلم حمله صاحبه فى وجه « ديكتاتورية الرأى » قبل أن يأخذ البلاغ موقفه فى جانب المعارضة الصريحة أيام وزارة نسيم باشا ، وفى وقت لم يكن أحد — غير العقاد — يجرؤ على اتخاذ هذا الموقف المخيف فى جريدة روز اليوسف اليومية .

أما اجتماع القلمين على صفحات البلاغ بعد هذا بعام فقد وضع النهاية التى انتهت إليها المأساة . ولست أدرى : إن كنت اليوم بعد انقضاء هذه الأيام بخيرها وشرها فى حل من نشر شىء من أسباب التمهيد لاجتماعهما لم يعلم به كلاهما

كان العقاد قد ترك البلاغ وفى نفسه شىء زادته حوادث وقعت بعد خروجه ، كما جعلت شيئاً فى نفس صاحب البلاغ . وكنت أرى أن المعارضة لا تجتمع لها قوتها كاملة حتى

يجتمع هذان القلمان فى ميدان : هذا قلم يحطم ويزلزل كالصواعق والأعاصير ، وذلك يجادل ويحاور ويجمع الحجج الدامغة والأسانيد المفحمة ويسدد الضربة فى الصميم .

وفى يوم كنت عند العقاد فقلت : ... « ولم لا ترجع الآن إلى البلاغ ؟ » قال بكبريائه الشامخة المعهودة : « وهل أنا الذى تُطلب منى العودة ؟ » قلت : « إن صلتى بصاحب البلاغ تسمح لى أن أصنع شيئاً » فقال بحدة وكان قد لان عند السؤال الأول : لا . لا تصنع . فمهما كانت صلتك بصاحب البلاغ فإن صلتك بى أقوى . وسيقال : إن العَرْض جاء من جانب أحد أصدقائه » !

وانصرفت وفى نفسى أن الموقف يحتم اجتماع القلمين وأن لا بد لهما من الاجتماع ؛ وبقى أن أتفادى غضب العقاد

فتركت أياماً قليلة تنقضى وزرت الراحل الكبير فى جريدة البلاغ فى المساء حيث تكون فى مأمن من مشاغل العمل

ودار الحديث عن المعارضة ووجوب تنظيمها وتوجيهها ، وانسللت من هذا إلى أن أقول : « ولكن هناك قوة معطلة عن العمل وهذا وقتها » فقال : « تعنى الأستاذ العقاد ؟ » قلت : « نعم » قال : « ولماذا لا يعود ؟ إن البلاغ وكره القديم ! » قلت : ولكنك يا سيدى تعرف العقاد وتعرف أنه منتضب من البلاغ ولا بد من شىء من جانب البلاغ » قال — رحمه الله — « إنك صديقه وأنت واحد كذلك من أسرة البلاغ وأنت مفوض منى فى قول ما تقول للأستاذ وفى صنع ما تراه باسمى » .

وتذكرت — حينئذ ما سيلقانى به العقاد وما سيظنه بى من الظنون ، وخفت أن تفسد الحيلة وأبديت هذه المخاوف للرجل العظيم ، فابتسم وقال : « وهو كذلك . دعنى أتصرف » وتصرف بالفعل ، واجتمع القلم الجبار والقلم الرصين على صفحات البلاغ .

ذلك طرف من التاريخ أذكره ، وصورة ذلك العهد حية ماثلة فى نفسى وفى نفس كل من تتبعوا ذلك الصراع العجيب فى تلك الأيام

سيد قطب

نيابة بعض الحروف عن بعض

جاء فى ختام الكلمة القيمة الموجزة للباحث المتمكن الأستاذ « ا . ع » ما يأتى :

« ولم أر فيما لدى من المراجع أن اللام تنوب عن الباء ، ولكنهم قالوا بنيابتها عن (فى) ... » .

وأقول : إنها جاءت نائبة عن الباء فى قول أبى تمام من قصيدته السينية المشهورة يمدح أحمد بن المعتصم :

إن الذى خلق الخلائق قاتها   أقواتها لتصرف الأحراس

قال الشراح : اللام بمعنى الباء ، والأحراس جمع حرس كدهر وزناً ومعنى

نعم إن أبا تمام من الشعراء المحدثين الذين لا يحتج بشعرهم ، ولكنه كان عالماً ضليعاً ، وراوية غزير المحفوظ ؛ فلا أقل من أن نستأنس بقوله كما استأنس به الأستاذ الكبير (ا . ع) فى تعدية الفعل « تفيأ » بنفسه . وأبو تمام أهل لهذه الثقة .

على الجندى

خطأ فقهى فى مجلة الأزهر

فى الجزء الأخير من مجلة الأزهر مقال بتوقيع مديرها الأستاذ محمد فريد وجدى ، يقول فى السطر الأول منه ما نصه :

« فى السنة السادسة من الهجرة أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بأنه يريد العمرة ، والعمرة هى الطواف بالبيت فى غير وقت الحج ... الخ »

والخطأ فى الجملة الأخيرة ظاهر ، فإن العمرة ليست هى الطواف بالبيت فقط . وليست فى غير وقت الحج فقط ، والأستاذ المدير وإن يكن غير أزهرى أجل من أن يقع فى مثل هذا الخطأ ، ولعل مجلة الأزهر تعنى فى عددها المقبل بتصحيحه

(م ...)

حول مكتبة الحرم النبوى الشريف

بالعدد ٤١٥ نشرتم كلمة شاملة عن مكتبة الحرم النبوى الشريف بقلم مديرها الأستاذ أحمد يس الخيارى . وقد ذكرتنى كلمته برسالة بُلّغتها وأمانة حُملتها ولما أؤدها فألفيت فى تفضلكم بالنشر أنسب فرصة لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة . وأكبر الظن أنكم مشاطرىّ فضل الأداء . والمساعد فى الخير شريك فيه .

كنت فى هذا العام ١٣٥٩ هـ مشرفاً على البعثة الأزهرية للحج والزيارة ، وكانت لى عناية خاصة بالبحث عن مدى الثقافة العامة فى الحجاز ممثلة فى مكتباته ولا سيما الحرمين الشريفين ، فلم يرعنى إلا أنها مكتبات ينقصها كثير من الكتب المختلفة ، وكثير من النظم المتنوعة فى حسن العرض وتيسير النفع وجمال الموقع ؛ ولذا لا يعرفها إلا قليل من الخاصة ولا ينتفع بها إلا أقل من القليل .

هذه مكتبة الحرم المكى لا تزيد فيما أظن على ألف مجلد فى علوم محدودة . وهذه مكتبة الحرم النبوى لا تزيد على ثلاثة آلاف مجلد، وهى على قلتها خير مكتبات الحجاز نظاماً وأكثرها نفعاً وذلك بفضل جلالة ملك الحجاز وحكومته وبهمة مديرها العامل النشيط . وقد كلفنى أن أناشد أهل الغَيْرة على الحرمين وبخاصة فضيلة الأستاذ الأكبر ، وحضرة صاحب العزة مدير « دار الكتب الملكية » أن يساعدوا فى تكوينها وتغذيتها بمختلف العلوم والمعارف ولا سيما كتب التاريخ والأدب والعلوم الحديثة والمجلات الدينية والأدبية والفهارس المتنوعة .

وعلى مقربة من الحرم النبوى الشريف مكتبة هادئة ؛ ظريفة فى بنائها ونظامها أسسها شيخ الإسلام عارف حكمت سنة ١٢٧٠ هـ فى عهد السلطان عبد المجيد وتحتوى على عشرة آلاف مجلد تقريباً أكثرها مخطوط وكثير منها نادر؛ وقد رأيت فيها كتاب الأوائل للعسكرى وقد نسخ سنة ٣٩٥ هـ وكتاب المسافات وصور الأقاليم لابن سهل البلخى ونسخ سنة ٣٠٩ هـ وهو من خزانة العباسيين

وفى الحجاز مكتبات مدرسية وفردية لا بأس بها نذكر منها مكتبة دار العلوم الشرعية بالمدينة المنورة وهى مدرسة ناهضة تقوم على تبرعات الهند وتدرس القرآن الكريم وقسطاً من العلوم العربية والشرعية وتجمع إلى دراسة العلوم تعليم الصناعات المختلفة ، ومكتبة دار الحديث لمديرها شيخ الحرم المكى ، ومكتبة يشرف عليها قاضى القضاة وكلتاهما بالحرم المكى الشريف ، ومكتبة السيد نصيف بجُدَّة ومنزله مثابة العلماء والباحثين . وقد تفضل أصحابها فأهدوا إلىّ طائفة من الكتب القيمة

ومجمل القول أن مكتبات الحجاز العامة فى أشد الحاجة إلى معونة الغير والمخلصين . وفى هذا بلاغ .

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

الفقـــراء

LES PAUVRES GENS

(بقية المنشور على صفحة ٨٠٢)

فإذا ما اعتلج فى صدرها الهم ، هبت مذعورة تجرى خلال الصخور وهى تسأل الأمواج ضارعة : « رديهم عليّ ! ! ... »

ولكن وا أسفاه ! ماذا عسى أن يرد البحر الذى لا يبرح فى تقلب واضطراب ، على الفكر الذى لا ينفك فى تشتت واكتئاب ؟

* * *

كانت « جانى » أشد هماً وغماً من تَرائبها جميعاً ؛ لأن زوجها وحيد فى جوف هذا الليل الشديد وتحت هذا الكفن الأسود ؛ وأطفاله لا يزالون صغاراً فلا وزَر له فيهم ولا عون !

أيتها الأم ! إنك تقولين اليوم وأنت ترين أيامهم وحيداً : ليتهم كانوا كباراً ! ولكنك ستقولين غداً عندما ترينهم يذهبون مع الأب : ليتهم كانوا صغاراً ! »

— ٥ —

أخذت « جانى » مصباحها ورداءها وذهبت ترى : هل عاد الزوج ، وهل سكن البحر ، وهل أشرق الصبح ، وهل ومض النور فى سارية الإشارة ؟

ها هى ذى تسرع الخطى فى الطريق ، ولكن هواء الصبح لم يهب ، وضياء الفجر لم يلح . وكانت السماء تمطر ؛ ولا تجد أشد ظلاماً من مطر الصباح ! كأنما كان النهار يضطرب مخافة أن يُوجَد ، وكأنما كان الفجر يبكى كالطفل ساعة يُولد !

* * *

وعلى حين فجأة لاح لعينيها وهما تتحسسان الطريق كوخ واهى الدعائم قاتم الأعماق فلا نور ولا نار . له باب لا يستقر من الريح ، وعليه سقف لا يسكن من القلق ، ومن فوقه تعبث الريح الصرصر بهشيم من القش الأصفر الكريه المنظر ؛ فقالت « جانى » : « عجيب ! ما لى لم أفكر فى هذه الأرملة الفقيرة التى عثر عليها زوجى ذات يوم وهى وحدها تكابد غصص المرض ؟ ! لا بد أن أعودها لأنظر ما حالها ! »

قرعت جانى الباب وتسمعت فلم يجبها أحد . فقالت لنفسها وهى تنتفض من البرد : « لا تزال مريضة ؛ وأولادها ، لا ريب ، يقاسون سوء التغذية ! لم يبق للمسكينة غير طفلين ! » ثم طرقت الباب ثانية ونادت : يا جارتى ! يا جارتى ! فلم يرد عليها أحد . فقالت جانى : لقد أثقلها النوم فلا بد من تكرار الطرق ومعاودة النداء . ولكن الباب فى هذه اللحظة أدركته نفحة من عناية الله فانفتح من ذات نفسه !

— ٦ —

دخلت جانى الكوخ المظلم الصامت ونور مصباحها يسعى بين يديها ، فوجدت سقفه كالغربال لا يمسك المطر ، ورأت فى صدره امرأة هامدة لا نَبْض بها ولا حس ! قدماها عاريتان ، وعيناها مظلمتان ، وهيئتها فظيعة . كانت هذه هى الأم المرحة التى قضت حياتها الأولى فى بهجة وقوة ، فلم تزل الأيام والآلام تمرُكها وتبريها حتى لم يبق منها غير هذا الهيكل . كانت إحدى ذراعيها قد تدلت على جانب الفراش الخشن ، وكان فمها المفغور ينبعث منه الرعب بعد أن لفظ الروح وهى تصيح صيحة الموت إذا سمع نداء الأبد

وعلى مقربة من سرير الميتة كان طفلان ذكر وأنثى ينامان باسمين فى مهد واحد . وكانت الأم حين أحست دبيب المنية قد وضعت معطفها على قدميهما ، وثوبها على جسميهما ، حتى يجدا الدفء فى الساعة التى تسرى فى جثمانها برودة الموت !

— ٧ —

كان الطفلان ينامان ملء الجفون فى مهدهما النابى القلق ؛ وكان المطر يهدر خارج الكوخ هدير السيل ، والسقف العتيق يُساقط الحين بعد الحين على جبين الميتة قطرة ، فتسيل على خدها الشاحب فتكون عَبرة ؛ وكان الموج يصلصل كناقوس الخطر ، والميتة تتسمع فى الظلام والسكون فى هيئة الأبله ؛ لأن الجسم متى فارقته الروح بدت عليه حال الباحث عنها . وكأنك تسمع هذا الحوار بين الفم الذابل والعين الحزينة :

تقول العين للفم : ماذا صنعت بزفراتك ؟

ويقول الفم للعين : وماذا صنعتِ أنتِ بنظراتك ؟

* * *

وا أسفاه ! عيشوا أيها الناس وأحبوا ، وارقصوا ، واضحكوا ، واقطفوا الزهور ، وارشفوا النور ، واحرقوا القلوب ، وأفرغوا الكؤوس ، فإن الله قد جعل مآل كل لذة إلى القبر ، كما جعل مآل كل نهر إلى البحر !

— ٨ —

ماذا صنعت جانى عند الأرملة الميتة ؟ ماذا تحمل تحت ردائها الضافى وهى تمشى ؟ لماذا يخفق قلبها وتسرع خطاها ؟ لماذا تعدو فى الطريق ولا تجرؤ أن تلتفت ؟ أى شىء تضمه فى الظلام خفية على السرير ؟ ليت شعرى ماذا سرقت جانى ؟

— ٩ —

عادت جانى بما تحمل إلى بيتها ، ثم وضعت كرسياً بجانب السرير وجلست عليه ساهمة الوجه كأنما تعانى وخز الضمير . ثم ضاق ذرعها بما تجد فألقت جبينها على حافة السرير وأخذت تتمتم بهذه الكلمات المتقطعة :

واحسرتاه عليك يا زوجى المسكين ! رباه ! ماذا عسى أن يقول ؟ ألا يكفيه ما يحمل من الهم ؟ وهل فضَل كَدْحه المرهق عن قوت أطفاله الصغار حتى أثقل كاهله بهذا العبء الجديد ؟

أهو هذا ؟ كلا ! لا شىء . لئن ضربنى زوجى لأقولن له : حسناً فعلت

أهو هذا ؟ كلا ! حسن ! إن الباب يتحرك كأن إنساناً دخل ، ولكن لا

رباه ! مالى أصبحت الآن أخشى عودة زوجى ؟

ثم اعتراها الوجوم فظلت ساهمة تغوص فى الهم كما يغوص الغريق فى اللجة ؛ ثم فقدت الشعور بالدنيا فلم تسمع فى الخارج حركة ولا نجة

***

انفتح الباب فجأة فانسكب فى الكوخ شعاع أبيض ، ثم لاح الصياد على العتبة يجر شبكته وهى تقطر من البلل ويقول بلهجة المبتهج : تلك مهنة البحر !

— ١٠ —

رأت جانى زوجها فهتفت به وعانقته عناق الحبيب . وكان الزوج فى أثناء ذلك جذلان يقول : هأنذا يا امرأتى ! ثم ينعكس على جبينه الذى يضيئه نور الكانون، قلبُه المسرور الطيب الذى يضيئه حب جانى

— كيف كان الجو ؟ — كان قاسياً . وكيف كان الصيد ؟

— كان سيئاً ! ومع ذلك أجدنى قد وجدت السرور والراحة حين قبلتك !

لقد خرقت شباكى ولم أصد شيئاً ! ما كان أهول ذلك الجو ! لقد كان يخيل إلىّ أن الشيطان ينفخ فى الهواء ، وأن السفينة المضطربة توشك أن ترقد فى الماء !

— وأنت ماذا صنعت فى هذا الجو القاسى ؟

فاستقلت الرعدة جانى وقالت :

— أنا ؟ لا شىء . لقد كنت أخيط كالعادة ؛ وكنت أسمع البحر يزمجر كالرعد فتدركنى روعة شديدة

— أجل إن الشتاء شديد ؛ ولكن الزمن كله فى حياتنا سواء !

ثم قالت جانى وهى تضطرب اضطراب من فعل شرا :

— إن جارتنا الأرملة قد ماتت . ولعل موتها كان فى عشية الأمس بعد أن خرجت أنت . لقد تركت طفلين صغيرين : غليوم ومادلين . ذاك يحبو ولا يمشى ، وتلك تتمتم ولا تبين . لشد ما كابدت هذه المرأة الصالحة برحاء الهم والفقر !

***

فلما سمع الرجل هذا الخبر اتخذ هيئة الجد ورمى بقبعته المبللة فى كسر الكوخ ثم قال وهو يحك بأظفاره جلدة رأسه :

— يا للشيطان ! إن لنا خمسة أطفال فهل يصبحون سبعة ؟ إننا فى هذا الفصل الشديد نقضى بعض أيامنا على الحساء فماذا نصنع ؟ ليس الذنب ذنبى ؛ إنما هى مشيئة الله . إن من الحوادث ما يحار فى تعليله الفكر . لماذا حرم الله هذين الطفلين أمهما وهما فى هذه السن وهذه الحاجة ؟ لا جرَم أن أعمال الله لحكمة ، ولكنها كثيراً ما تخفى على غير البصير

اذهبى يا جانى فأتى بهما . إنى لأخشى أن يستيقظا فيستشعرا الخوف من وجودهما وحيدين مع الميتة

إيتى بهما يا جانى نخلطهما بأبنائنا ، ونشركهما فى سرائنا ، وأنا واثق أن الله سبحانه وتعالى سيرزقنا من حيث لا نحتسب ، ويبارك صيدنا فنكتسب أكثر مما كنا نكتسب

ماذا بك يا جانى ! أهذا يغضبك ؟ مالك لا تسرعين إلى تنفيذ رغبتى كالعادة !

فلم يكن جواب جانى إلا أن كشفت الستار وقالت متهللة :

« هاهما ذان ! ! »

أحمد حسن الزيات

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 417

Lundi - 30 - 6 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤١٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣٠ يونية سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
٨٢٩ فى الزواج ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٨٣٢ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٨٣٦ جيل وجيل ... ... : الأستاذ محمود البشبيشى ...
٨٣٩ فى غزوة حنين ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٨٤١ ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب ... ... } الأب أنستاس مارى الكرملى
٨٤٣ مدن الحضارات فى القديم والحديث ... ... } الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٨٤٥ القاضى الجنائى ... ... : الأستاذ حسين الظريفى ...
٨٤٦ قالت لنا الفراشة [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٨٤٧ من حضارات الاسلام ... : الأستاذ محمود الشرقاوى ...
٨٤٨ غارة ... ... [قصيدة] : الأستاذ عبد اللطيف النشار
الفقراء ... ... » : الأديب حسين محمود البشبيشى
٨٤٩ العيون التى صرعت العاشقين : الأستاذ أحمد على الشحات ...
٨٥٢ عبد القادر حمزة و « المقالة الافتتاحية » ... ... } الأستاذ الكبير (ا . ع) ...
٨٥٣ إلى الأستاذ محمود شلتوت : الأستاذ محمد كامل المحامي ...
تصحيح مثل ... ... : الأديب أحمد الشرباصى
٨٥٤ صمبر ايدم ... ... [قصة] : الأستاذ فوزى الشتوى ...

فى الـــزواج

للأستاذ عباس محمود العقاد

بعد القصص الغرامى أو قصص الحوادث الأخاذة، لا أحسب أن الجمهرة الغالبة من القراء يهتمون بموضوع عام كاهتمامهم بالموضوعات الاجتماعية التى لها مساس بالرزق أو مساس بالعلاقات بين الجنسين ، وعلى رأس هذه الموضوعات الحب والزواج ؛ لأن الأمر فى هذه الموضوعات وما إليها لا يقتصر على الأفكار المجردة أو البحوث الأفلاطونية التى يشتغل بها الدارسون وأصحاب النظر والتأمل دون غيرهم ، ولكنه يشمل المسائل اليومية التى تعرض لكل إنسان فى حياته الخاصة ، وينتقل إلى المحسوسات التى لا محيد عنها لمفكر ولا غير مفكر ، والتى يعيش المرء مائة سنة وهو خلو من التفكير فى شأن من الشؤون المجردة ، ولكنه لن يخلو من معاناتها والانغماس فيها بحال

لهذا عرضتنى الكتابة فى موضوع الزواج لكثير من الطرائف التى تصلح للفكاهة كما تصلح للدرس والعناية . ومنها أننى سئلت لماذا لم أتزوج ؟ وسئلت هل من حرج على المصرية المسلمة أن ترضى الزواج بالأجنبي الذى يحبها ويدين بالإسلام لأجلها ؟ وسئلت : ما هو الفرق بين المرأة التى يرتضيها الرجل حليلة والمرأة التى يرتضيها خليلة ؟ وهل معنى هذا الفرق أن الحليلات مفضلات

على الخليلات ، أو أن الخليلات مفضلات على الحليلات ؟ وأيهما أصعب وأندر : شروط الحليلة أو شروط الخليلة ؟ إلى أمثال ذلك من الأسئلة التى خيل إلى وأنا أتلقاها بالتليفون أو بالبريد ، أننى أثرت خلية من النحل على غير عمد ، وأننى أنا الجانى على نفسى بما أثرت !

أما من سألنى لماذا لم أتزوج فكان جوابى له أن الزواج قيد ، وأننى عشت حياتى كلها فى مخاطرة لا غنى لصاحبها عن الطلاقة والحرية ، وأننى بعد هذا وذاك أقول ما قاله الخليل بن أحمد حين سئل فى قرض الشعر ، فأجاب : إن الذى يرضاه من الشعر لا يجيئه ، وأن الذى يجيئه منه لا يرضاه !

وأما المصرية المسلمة التى يبنى بها الأجنبى المسلم فلا حرج عليها فيما أعلم . ولست أنا من المتشددين فى منع السلالات الإنسانية أن تمتزج على السنة المرضية . بل قد مضى لى زمان كنت أسف فيه لقاح الجنس المصرى والأجناس القوية علاجاً من داء الركود والضوى

وأما الفرق بين شروط الحليلة وشروط الخليلة فالتمثيل هنا أجدى من الإفاضة فى التحليل : الفرق بينهما كالفرق بين شروط البيت وشروط الفندق ، أو كالفرق بين مطالب الإقامة ومطالب السياحة، أو كالفرق بين دوافع الطبيعة وروابط الهيئة الاجتماعية ، أو كالفرق بين الواجب والهوى وبين الدرس والقصيدة ... ومن لم يفهم الفرق بينهما من هذا التمثيل ، فما هو بفاهمه من الإفاضة فى التحليل

على أننى تلقيت من الأسئلة فى موضوع الزواج ما هو أقرب إلى الجديات والشئون الجوهرية ، ومنها السؤال عما يزعمه الزاعمون قسوة من الشريعة أو العرف على المرأة الخائنة ، وإجحافاً منها فى التمييز بين حقوق الرجال وحقوق النساء

ورأيى أنا أن المرأة أسعد حظاً فى مسألة الخيانة من الرجل بحكم الطبيعة التى لا حيلة لأحد فيها . فمن الإنصاف أن يكون الرجل أسعد حظاً فى مسألة الخيانة بحكم العرف والشريعة

فالرجل يخون المرأة التى يحبها ، ولكنه لا ينسب إليها ولداً من غيرها ، ولا يستطيع أن يخدعها فى صدق أمومتها لأبنائها ، وهذا ضمان عظيم لا يظفر الرجل بنصيب منه بالغاً ما بلغ حرصه واطمئنانه . ولكن المرأة تسلط على الرجل عذاباً لا عذاب مثله، أو غفلة لا غفلة مثلها، كلما خانته وجاءته بولد من غيره وهو منسوب إليه ، وكل جور من العرف أو القانون فى التمييز بين الجنسين ، فإنه لرجحة الرجحات بالقياس إلى هذه المزية التى ضمنتها المرأة ضماناً لا يتطاول إليه عرف ولا قانون

كذلك يحق للمرأة أن تلوم الطبيعة قبل أن تلوم الشريعة فى التمييز بين حقوق الرجال والنساء ، أو بين حقوق الذكور والإناث .

فالمرأة إذا حملت لم تحمل مرة أخرى فى بطن واحد ، ولكن الرجل ينسل مئات المرات وهى لا تنسل إلا هذه المرة الواحدة . فليس من الطبيعى إذن أن يطالب الرجل بالوفاء الجسدى الذى تطالب به المرأة ، وليس هذا من مقتضيات حفظ النوع ولا من مقتضيات تركيب البنية الجسدية

ويحق للمرأة أن تلوم الطبيعة قبل أن تلوم الشريعة فى ناحية أخرى من نواحى التفرقة بين الجنسين ، وهى شيخوختها وفقدانها المزية الجنسية قبل أن يفقدها الرجل بعشرات السنين ، لأن الولادة تجهدها وتضنيها وتجور على محاسنها وقواها

على أن الطبيعة قد عوضتها عن هذا أنها تستغرق فى الجنس وتستغرق فى الحب وتستغرق فى الأمومة ، فهى تأخذ فى أربعين سنة من نصيب الشواغل الجنسية وشواغل النسل ما ليس يأخذ رجل فى ثمانين ، لانصرافه إلى ما عدا ذلك من فروض الحياة .

***

وبحث آخر قد حركته الأسئلة التى أثارتها كتابتى عن موضوع الزواج ، وهو تشجيع الزواج بالقوانين أو بفرض الضرائب على العزاب

وعندى أنه رأى خاطىء من شتى الوجوه ، لأنه يستبقى عيوب الزواج التى ينبغى أن تزول ، ولعلها لا تزول إلا بالإعراض عن الزواج فى بعض الأحوال

مثال ذلك عيب المغالاة بالمهور ، فلو أن القوانين أكرهت الناس على الزواج لبقى هذا العيب ولم يشعر أحد بضرورة العدول عنه كما شعر الأكثرون فى مصر من جراء الإعراض عن مرهقات الزواج وفى مقدمتها المهور . ولقد بلغ من شعورهم به

أن بعض الموسرين جعلوا من أنفسهم قدوة للفقراء بالإقلال من قيمة المهر حتى نزلوا به إلى دراهم لا تتم الدينار

ومثال ذلك عيب الإغراق فى الحجاب والتهاون فى تزويد الشابات بمحاسن التعليم والتجميل التى ترغب فيهن الشبان . فلولا الإعراض عن الزواج حيناً لما التفت أحد إلى هذا العيب ، ولوجب على الشاب أن يتزوج بحكم القانون لا بحكم التفضيل والاستحسان . وهل يجئ التفضيل والاستحسان إلا من التنافس فى الفضائل والحسنات ؟ وهل يجئ التنافس فى الفضائل والحسنات إذا أكره الناس على الزواج وكان الباعث لهم إليه أنهم يفرون من وطأة الضرائب وفرائض الإلزام ؟

ومثال العيوب التى يبقيها التشجيع على الزواج بالدوافع المصطنعة والزواجر القانونية عيب العرف الذى تنبه الفتيات فى تفضيل شاب على شاب وصناعة على صناعة

فالقانون يفرض الضريبة على الشاب الذى لم يتزوج ولا يفرض مثلها على الفتاة التى ترفض هذا الفتى لأنه تاجر وليس بموظف ، أو ترفض فتى غيره لأنه موظف وليس بضابط ، أو ترفض فتى آخر لأنه سيقيم فى الأقاليم ولا ينوى الإقامة فى العواصم ، وليس هذا من العدل فى التشريع ، ولا هو من مصلحة الفتيات أو مصلحة الزواج .

والأولى بالشرائع أن تعنى بأمرين هما خير من العناية بالإكراه على الزواج ، إذا كان الغرض من الإكراه على الزواج زيادة النسل وقلة الفساد :

الأولى بالشرائع أن تعنى «أولاً» بتصحيح أجسام المولودين وتصحيح أجسام الآباء والأمهات قبل الزواج

فلو أن ألفاً من المرضى والعجزة والفاشلين تزوجوا ورزقوا البنين والبنات لما كان هذا مانعاً أن يموت معظم المولودين فى سن الطفولة ، وأن يعيش من يعيش بعد ذلك أفشل مما عاش الآباء والأمهات

وخير من هذا أن تُتحرى الصحة فى طلاب الزواج ، وأن تتحرى التربية التى تصون حياة الأطفال من عبث الجهل والإهمال

والأولى بالشرائع أن تعنى « ثانياً » بتبغيض الناس فى الفساد لا بمجرد الحجر عليهم وهم يشتهونه ويقبلون عليه

وإنما يصبح الفساد بغيضاً إذا كانت الاستقامة أطيب منه وأمتع وأدنى إلى الأنفس والأيدى ، ولن يكون الأمر على هذه الصفة إذا كانت الأخلاق المفروضة على الناس أخلاقاً غير معقولة ولا مستندة إلى سند غير التقليد والاستمرار ، ولن يكون الأمر على هذه الصفة إذا كانت بطالة الأغنياء وعوز الفقراء دافعين ملحين إلى الترف وبيع الأعراض ، ولن يكون الأمر على هذه الصفة إذا كان فساد الأزواج كفساد العزاب ، ولم يكن الزواج وحده عصمة لذويه على اختيار أو على اضطرار

* * *

وبعد فقد كتبنا عن الزواج مقالاً بعد مقال ؛ فهل نستطيع أن نكتب فى هذه المسألة الاجتماعية الإنسانية على الأسلوب الذى كتب به برتراند رسل الإنجليزى، وليون بلوم الفرنسى، وغيرهما من كتاب أوربا الوسطى ؟

أما أنا فأستطيع !

وأما الشك كل الشك فهو فى استطاعة كثير من القراء الشرقيين أن يستمعوا لآراء كتلك الآراء ، ولو ليخالفوها أو يتبينوا ما فيها من الأخطاء !

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

كلام ينفع ! — فائدة تاريخية — أساطير الأولين — اختراع الأحاديث — محاربة الوثنية — الحصار الفنى فى الاسلام — إلى معالى وزير الأوقاف — أجيبوا ، يا أصدقاء الرسالة — الأحاج — بلد الأستاذ أحمد أمين — بين الرسالة والثقافة — أيام وأيام — يوم البعث

كلام ينفع !

لقينى بعض الأصدقاء وهو منزعج أشد الانزعاج ، فقلت : ماذا بك ؟ فأجاب : صديق فلان كان يلقانى فى كل يوم ؛ ثم انقطعت عنى أخباره منذ أيام ، وأنا أخشى عليه كوارث هذه الأوقات السود

فقلت : هل كان يحاول الانتفاع بجاهك فى شأن من الشؤون ؟

فقال : وما الموجب لهذا السؤال ؟

فقلت : إن كان ذلك فلا تضجر ولا تنزعج ، ولا تتوهم أن سيارة داسته ، أو أن قنبلة سقطت عليه ، وإنما يجب أن تسر وتفرح ، لأن انقطاعه عنك ليس إلا أمارة على أن تعبك فى خدمته قد وصل به إلى ما يريد ، فاستغنى عن التودد إليك !

فقال : أكذلك يكون إخوان هذا الزمان ؟

فقلت : كذلك كان الإخوان من قديم الزمان ، وسيكونون كذلك إلى آخر الزمان !

فقال : ولكنى مع ذلك مشتاق إليه أشد الاشتياق

فقلت : صبراً ثم صبراً ، فستشبع من رؤيته يوم يحتاج إليك ، وسيحتاج ثم يحتاج ، لأن الله كتب الفقر على من ينكرون الجميل

فائدة تاريخية

كان العرب يؤرخون بواقعة الفيل ، قبل أن يؤرّخوا بهجرة الرسول ، فكيف كانوا يؤرخون قبل هلاك أصحاب الفيل؟

أرّخ الدميرى هجوم أبرهة على الكعبة بأنه كان فى أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين

فهل يتفضل أحد كتاب (الرسالة) بتحقيق هذا التاريخ ؟

المعروف جيداً أن العرب قبل الإسلام قد اختلفوا فى التوقيت ، وذلك يشهد بتأثرهم للحركة العلمية عند المصريين والكلدانيين ، فهل يمكن الوصول إلى معرفة ما كانوا عليه فى التاريخ قبل أن ترج أذهانهم واقعة الفيل ؟

والمعروف أيضاً أن العرب قبل الإسلام كانت لهم صلات قوية أو ضعيفة بأمم ذلك العهد ، وجرتهم تلك الصلات إلى وقائع لا تمر بدون ضجيج تتناقله الأجيال ، وإن مرت بدون تدوين يحدد مواقعها من التاريخ

على أنه ليس من المستغرب أن يكون العرب أرّخوا بموت ذى القرنين ، فقد كان له فى أذهانهم صورة صخّابة ضجّاجة ، ولولا ذلك لسكت عنه القرآن ، لأن القرآن لم يذكر من حوادث التاريخ إلا ما كان له فى أذهان العرب وجود برّاق ، ليتم الغرض من الاعتبار المنشود .

أساطير الأولين

و « أساطير الأولين » كلمة قرآنية يحكيها القرآن عن العرب الذين يطيب لهم أن يشككوا فيما رواه من أخبار القدماء

وهذه الكلمة تشهد بأن جمهور العرب فى تلك الأيام كان يملك ملامح من صور النقد الأدبى ، فقد كانوا بشهادة القرآن يقسمون الأخبار إلى قسمين : صحيح ومدخول ، وكان من سياستهم فى مقاومة الدعوة الإسلامية أن يضيفوا أخبار القرآن إلى القسم المدخول فيجعلوها من أساطير الأولين . وما صدق من عاندوا القرآن ، ولكن إصرارهم على مقاومته بهذا الأسلوب يشهد بما كانوا عليه من مكر ودهاء ، وهما من صور الذكاء

اختراع الأحاديث

والذى يراجع كتب التفسير وكتب الأخبار يعجب للثروة الأدبية التى سايرت قَصَص القرآن ، وهى ثروة لم تورث كلها عن عرب الجاهلية ، وإنما ابتدعها فريق من الجاهليين وفريق من الإسلاميين ، وهى فى جملتها شاهد على براعة العرب فى ابتداع الأسمار والأحاديث

ولو اهتمّ كاتب بتلفيق[1] ما اخترع العرب من الأقاصيص المتصلة بالسور القرآنية لكان لنا من ذلك « إلياذة » عربية

(١) المراد بالتلفيق ضم ما تناسب من الأخبار بعضها مع بعض

تفوق الإلياذة اليونانية ، وتشهد بأن العرب لا يقلون عن اليونان فى سمة التصور وقوة الخيال

فتى يوجد ذلك الكاتب ؟ ومتى نرجع لماضينا فنعرف ما كان فيه من تصاوير وتهاويل ، ليضعف الوهم القائل بأن نصيب العرب من التخيّل قليل ؟

محاربة الوثنية

ولكن ما الذى دعا العرب إلى وقف تلك الحركة الفنية ، بحيث يُظَن أنهم أقل الأمم عناية بزخرفة الأخبار المتصلة بالدين ؟

يرجع ذلك إلى تأثرهم بالقرآن فى محاربة الوثنية ، وهذه الدعوة السليمة فى جوهرها كانت السبب فى صرف كثير من الأمم الإسلامية عن الزخارف الأدبية والفنية ، لأن الزخرف الأدبى والفنى لا يقوم إلا على التلوين والتزيين ، وذلك ممنوع فى نظر رجال الدين ، لأنهم يرون الافتتان فى زخرفة الأخبار الدينية أمراً لا يليق ، فقد يسوق الناس إلى الوثنية من حيث لا يشعرون

الحصار الفنى فى الإسلام

ما معنى هذا التعبير الغريب ؟

أنا مُقبل على عرض مسألة فنية كان لها تأثير فى تضييق نطاق الدعوة الإسلامية ، وما أحب أن يتهمنى أحدٌ بسوء النية ، فلى غرضٌ شريف أرجو به من الله الثواب

ماذا أريد أن أقول ؟

أقول بصراحة إن الإصرار على تجريد المبادئ الإسلامية من الزخارف الفنية كان له تأثير فى عرقلة الدعوة الإسلامية ، لأن الذين حرّموا التصوير وقاوموا الأساطير نسوا أن فى الدنيا ملايين لا تقاد لأية فكرة دينية إلا إن كانت موشّاة بالزخرف والخيال !

ولهذا السبب ضاعت الفرصة فى إسلام الأمة الروسية ، حين فكرت فى اعتناق إحدى الديانات السماوية ، منذ بضع مئات من السنين

ظلت روسيا على عقائدها الوثنية إلى ما بعد ظهور الإسلام بأزمان طوال ، ثم بدا لها أن توازن بين المسجد والكنيسة ، فهالها أن ترى المسجد محروماً من البريق والرُّواء ، وراعها أن ترى الكنيسة تحفة من الفن المرصّع بغرائب الخيال

وسألت روسيا بعض علماء المسلمين عن قواعد الإسلام فكان أول ما سمعت هو القول بتحريم الخمر ، مع أن نبيّ الإسلام لم يحرم الخمر إلا بتلطف واستدراج

وكذلك كانت غفلة الدعاة عن سياسة القول سبباً فى منع الإسلام من دخول البلاد الروسية ، كما كانت خشونة المساجد من أسباب الانصراف عن هذا الدين الحنيف

وأقول أيضاً : إن الحكمة فى تجريد المساجد من الزخرف كان لها مكان فى بداية الدعوة الإسلامية ، فما مكانها اليوم ولم يبق أثر للخوف من رجعة الوثنية ؟

يجب أن يكون لمساجدنا نصيبٌ وافٍ من الزخارف الفنية ، ويجب أن تكون على جانب عظيم من الرونق والبهاء ، ويجب أن نشعر بأن جمالها يذكّر بجمال الفردوس ، لتكون الواحة التى نأنس إليها عند الفرار من هجير الشقاء فى طلب المعاش

ما هذا الأزهر القفر الموحش ؟

ألا تمتد إليه يد فتنقله من حال إلى أحوال ؟

وما جامع عمرو فى بلائه بالدنيا والزمان ، وهو أول مسجد أقيم فى هذه البلاد ؟

وما هذه الخرائب المنثورة فى الحواضر والعساكر على أنها مساجد ؟

أفيقوا من غفلتكم ، يا دعاة التقشف المدسوس على الدين ، وتذكروا مرة واحدة أن تجميل المساجد من أبواب الاقتصاد ، لأنه يغنى الناس عن تبديد أموالهم فى المشارب والقهوات ، وبأى حق تكون بيوتكم أجمل من بيوت الله ، إلا أن تكون نياتكم أقيمت فوق خرائب وأطلال ؟

إلى معالى وزير الأوقاف

وهو اليوم رجل بارع الأدب ، وافر الذوق ، متين الدين ، وكأنه صورة من محمد عبده أو عبد العزيز جاويش ، إلى الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا أوجه القول :

فى هذه الأيام — ولعل هذا من وحى خاطرك — أخذت وزارة الأوقاف تتأنق فى بناية العمارات المرصدة للاستغلال ، فلم يَعُد « بيت الوقف » كالذى كان فى ذهن حافظ إبراهيم وهو يداعب صديقه حفنى ناصف ، وإنما صار « بيت الوقف » بَنِيّة تنافس بَنِيّة « الجراند أوتيل » فى باريس ، وصار طلاب المنافع عن طريق العمارات الشواهق يخشون منافسة وزارة الأوقاف

فهل ترى من الخروج على عنجهية بعض المشايخ أن يكون

فى كل حاضرة مسجد أو مسجدان أو مساجد على أحدث طراز من التأنق فى الزخارف الفنية ؟

أنت فرصة من الفرص السوانح ، يا مصطفى باشا ، فلن تكون وزارة الأوقاف إلى رجل مثلك فى كل وقت ، فبادر إلى تجميل بيوت الله ، ليزيدك الله جمالاً إلى جمال ، وكمالاً إلى كمال ، وليكون أسلوبك فى الإصلاح ، شبيهاً بأسلوبك فى الإفصاح

أجيبوا ، يا أصدقاء الرسالة

لنا صديق من رجال الأدب يحاول أن يحتكم إلى العقل فى جميع المشكلات ، فما مشكلة اليوم عند هذا الصديق ؟

هو يوازن بين الاحتلال والاستقلال ، ومن رأيه أن الاستقلال وسيلة لا غاية ، فإذا تمت نعمة الرخاء مع الاحتلال فلا موجب لوجع الدماغ فى طلب الاستقلال

وأنا أنتظر آراء أصدقاء الرسالة فى هذا الرأى الطريف لأنه بالتأكيد من الآراء التى تساور مَنْ مناهم الألمان بنعمة العافية فى ظلال الاحتلال !

الأجاج

أشرت فى أحد الأحاديث إلى الأجاج ، فما الأجاج ؟

هو نوع من السمك الجيد ، وكان يوجد بالبحيرات المصرية ثم انقرض ، ولكن كيف انقرض ؟

كان الصيادون لجشعهم ، لا لجهلهم ، يضيقون عيون الشباك ليجترفوه بالمئات ، فكان من أثر هذا الجشع أن انقرض ذلك النوع من السمك النفيس

حدثنى بهذا الأستاذ عبده حسن الزيات تأييداً لما كنت أقول من أن الفقر سببه الخيانة لا الجهل . وهل يجهل أحد أوجه الضر والنفع حتى نقول إن الفقراء يُعذَرون لأنهم جهلاء ؟ وهل كان جميع الأغنياء من المزوّدين بعلم الاقتصاد وعلم تدبير المعاش ؟

مازلت أذكر ضحكة الشيخ عبد الباقى سرور ، رحمه الله ، وقد تلقينا فى جريدة الأفكار سنة ١٩١٩ شكاية الصيادين من إصرار الحكومة على تضييق عيون شباك الصيد !

كنا نظن عمل الحكومة تعسفاً فى تعسف ، ولم نكن ندرى أن الثروة المصرية تحتاج إلى حرّاس أمناء ، ولو كانت مصادر تلك الثروة فى أعماق البحيرات

واستطرد الأستاذ عبده حسن الزيات فقال : حضر أحد النواب المقربين إلى سعادة الأستاذ الجليل محمود فهمى النقراشى باشا ومعه وفد من الصيادين المطالبين بتضييق عيون الشباك ، وكان النقراشى باشا يومئذ وزير الداخلية ، فغضب وقال : « ألا يعرف حضرة النائب المحترم أن هؤلاء الصيادين يريدون أن نعينهم على قطع ما منّ الله به عليهم من مصادر الرزق ؟ إن منفعة الصياد فى أن تكبر الأسماك ، ليبيع بالواحدة لا بالقُفة ، وليصبح الصيد من أنواع الفروسية ، فما موجب الجشع فى تضييق عيون الشباك »

مصر أمة بحرية ، ومع ذلك لا توجد عند أهلها النزعة البحرية فى الأدب والبيان ، إذا استثنينا القصائد والرسائل التى أوحتها الشواطىء منذ أعوام قِلال

أفلا يكون من أسباب انعدام الأدب البحرى عند أهل مصر حرمانهم من السمك الجيد فى النيل والبحرين والبحيرات ؟[1]

بأى حق يجوز أن يقضى المصرى سنة بدون أن يرى وفرة الأسماك فى الأسواق ؟ أليس ذلك برهاناً على أننا لا نجيد الصيانة لثروتنا الأهلية ؟

كانت أسماك مصر حديث القدماء من المؤرخين فأين هى اليوم ؟

إن أبناء مصر أبادوا التماسيح من مياه النيل ، فكيف يبقون على الأسماك ؟!

بلد أحمد أمين

جاء فى « المنصورة » — وهى المجلة التى تصدرها مدرسة المنصورة الثانوية — أن الأستاذ أحمد أمين منصورىُّ المنبَت ، وأقول إن الأستاذ أحمد أمين نفسه حدثنى أن آباءه من المنوفية ، وإن تحلى بالتواضع فلم يدّع أنه من سنتريس

ولم يكن يهمنى أن يُزَيّف نسب أحمد أمين إلى المنوفية ، ولكن مقاله عن « غاية العالم » أقنعنى بأنه موهوب ، ولا بأس بإضافته إلى المنوفية ، وإن كان فى مقاله عبارات سمعت مثلها فى تمهيد الدكتور إبراهيم ناجى لبحثه عن « نفسية المرأة » مع فارق بسيط : هو أن الدكتور ناجى أشار إلى المصدر الذى نقل عنه وأن الأستاذ أحمد أمين لم ير موجباً لذلك ، فدلنا من جديد على حسن هضمه لما يقرأ من آراء الباحثين ، بحيث ينسى أنه ينقل عن هذا المفكر أو ذاك

بين الرسالة والثقافة

تلطف الأستاذ محمد فريد أبو حديد فنقل تحية أدباء السودان

(١) أدب البحر فى نشأته الأولى يرجع إلى وصف الصيد

إلى مبارك والزيات ، وحدثنا أن الخطباء الذين أثنوا على جهوده الأدبية كانوا يقولون إنه من كتّاب « الرسالة » وأن ذلك وقع من نفسه موقع الارتياح ، فقد سره أن تكون « الرسالة » على ألسنة جميع الناس فى ذلك القطر الشقيق

وأقول إن مجلة الثقافة أخلفت الظن الجيل بعض الإخلاف ، فقد كنا نرجو أن تكون أقوى من مجلة الرسالة ، وأن تفتح باباً من المنافسة تنتعش به الحياة الأدبية ، ويتسع به المجال أمام الشادين من أبناء الجيل الجديد

والحق أن طغيان « الرسالة » على « الثقافة » يسر المتطلعين إلى تقدم العلوم والآداب والفنون ، لأنه يشهد بأن القراء فى البلاد العربية قد وصلوا إلى غاية من النضج يصعب معها الأمل فى إرضائهم بالجهد القليل ، و « الرسالة » تبذل جهداً لا تبذله « الثقافة » وإن استندت « الثقافة » إلى علماء من « كل صنف » كما نوه بذلك الأستاذ أحمد أمين

أنا أرجو أن تهتم « الثقافة » إهتماماً جدياً بتخيُّر موضوعاتها ، وأن تعنَى عناية خاصة بتخير الشعر الذى تنشره ؛ فقد يتوهم الناس فى بعض الأقطار العربية أن الشعر فى مصر لم تبق له موازين يُعرَف بها الراجح من المرجوح

والحرص على منفعة « الثقافة » هو الذى أباح أن نوجه إليها هذا النقد الرفيق ، مع الاعتراف بما تقدم من الوَقود الجزل لنار الأفكار والعقول

متى يجيء اليوم الذى نرى فيه خمسين مجلة من أمثال « الرسالة » و « الثقافة » بالخصائص التى عُرِفتْ عن هاتين المجلتين ، فى التسامى إلى أدب القول وإعزاز البيان ؟

الله عز شأنه هو المرجو لتحقيق هذا الأمل الجميل

أيام وأيام

وقعت غارتان على الأسكندرية فى ليلة واحدة ، ومع ذلك لم يُصَب غير بضعة أشخاص ، فكيف وقعت هذه المعجزة بعد انقضاء عهد المعجزات ؟

يرجع السبب إلى أن الغارتين وقعتا فى أحياء هجرها أهلوها فراراً من شراسة الخطوب ، فما أقسى الدهر الذى يحكم بأن يرى أهل الأسكندرية أن الحياة أفضل من الموت ؟

لو كان بيننا وبين الألمان حرب ، لكان من المستحيل أن يترك أهل الأسكندرية بلدهم الجميل قبل أن يجعلوه مقابر للباغين والمعتدين ، ولكن الظروف الدميمة قضت بأن يعيش الأسكندريون مجردين من السلاح ، وما أشقى من يعيش بلا سلاح فى أيام لا يأتمر أهلها بغير البغى والعدوان !

هل تنتفع مصر بهذا الدرس ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

إن بلاء مصر بزعمائها سيطول ، ويطول ، ويطول ، فمتى يَعقِلون ؟

يوم البعث

وأنا مع هذا لا أيأس ، ولن أيأس ، ما دام دم الفتوّة المصرية والفتوة العربية والفتوة الإسلامية ، يجري فى عروق الفتيان من أهل مصر والشرق

يجب أن نفهم جيداً أن القوات الأوربية صائرة إلى الفناء ، لأنها تجاوزت حدود الله ، ولأنها تستبيح قتل الأبرياء ، ليتم لها ما تريد من إعزاز شرائع الشياطين

« ألمانيا فوق الجميع » !

ذلك مطلع النشيد الألمانى ، وهو نذيرٌ بما سيصير إليه الألمان ، فما تغطرست أمةٌ إلا ابتلاها الله بالذل وسلّط عليها الضعفاء .

اعتقد فراعين مصر أنهم سلالة الشمس وأبناء السماء ، فأدال الله منهم وعرّض أحفادهم وأسباطهم لعوادى الاستعمار والاحتلال .

واعتقد الرومان أنهم سادة الناس ، فأباد الله ملكهم بلا إمهال .

واعتقد العرب أن أرومتهم أشرف من جميع الأرومات ، فكتب الله عليهم التخلف ، وجعل نصر الإسلام بأيدٍ غير أيديهم لأنهم خانوا عهد زعيمهم الأكبر ، ولم يفهموا أن الإسلام دين مبادئ لا دين أجناس

فما مصير ألمانيا وهى تعتقد أنها فوق الجميع ؟

إن هذه العقيدة ستأتى على بنيان ألمانيا من الأساس ، فستؤلب عليها الشعوب ، وستخلق لها أعداء لا يعرف عددهم غير من تفرّد بالعزة والجبروت

« ألمانيا فوق الجميع » و « ألمانيا فوق الجميع » ثم « ألمانيا فوق الجميع » !

ولهذا المعنى وحده ستصير « ألمانيا تحت الجميع » ، وإن عشنا فسترى ، وإن عشتم فسترون ، فما أذلَّ الأفرادَ والشعوب غيرُ الاعتصام بالسيطرة والاستملاء

لو كان « هتلر » مستشار أمين لدله على أن الرجولة ليست فى البطش الأحمق ، وإنما الرجولة أن تحارب من تسلَّح بمثل سلاحك ، أما إيذاء مدينة مجردة من السلاح ، فهو عملٌ لا يقوم به رجل يتوهم أن أمته فوق الجميع

أما بعد ، فهذا يوم البعث ، وسأعيش بإذن الله إلى أن أرى الأنوار تنتصف من الظلمات ، « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب سينقلبون » ، وعند الله جزاء المخلصين الأمناء

زكى مبارك

جيـــل وجيـــل

للأستاذ محمود البشبيشى

— ٢ —

[كان هذا المقال قد فقد بيننا وبين البريد فنشرنا الثالث قبله ؛ فلما وجدناه نشرناه وسننشر المقال الرابع بعده]

التأمل فن الفنون — فلسفة التأمل — هل يكون الحب رائد ضلال ؟ — صلة الروح بين سائر الأشياء — الرذائل تضعف التأمل ، والمغالاة فى الفضائل تفسده — مسلك الشكوى وبكاء الآمال فى أدب الشباب — غلبة الغزل فى شعرهم وهل من المستطاع توازنها مع سائر الأغراض ؟ .

. . . ومن الأفكار أفكار تنفخ فى الألفاظ أرواحاً ، فتخلقها آراء حية ، لا تعترف بقيود الفناء ، لأنها من جوهر الروح ، ولا يعتريها الضعف فى التعبير عن وجودها ، لأن كل كلمة فيها قوة روحية ، ومن هذه الأفكار والآراء ما دار بينى وبين ولدنا الأديب « حسين » فى المقال السابق ، حيث انتهينا إلى أن التأمل أساس الحياة تصلح بصلاحه وتفسد بفساده ، وإن قوة الأجيال بقوة الروح والفكر فيها ، وقادنا الحديث إلى أدب الآباء وأدب الأبناء . بدأنا بشىء من الفلسفة ، وخلصنا من أوعارها وأوعائها إلى رياض الأدب ، وسنبدأ اليوم كما بدأنا ، وسننتهى كما انتهينا . . . !

— أنا معك يا بنى فى أن التأمل أساس الحياة ، ولا يسعنى إلا أن أدعو القوم إلى سبيله الصحيح ، وأهيب بهم أن تأملوا فى الحياة وأحوالها ، تبسم لكم زهورها ، وتتساقط تحت أقدامكم ثمراتها ، وتسمعوا أنشودة السعادة والنصر فى بسمة الصبح وجلوة المساء ! ويحس كل فرد نعمتها فيعمل على زيادتها وتعمل هى أيضاً ، لأن الحياة كـكل شىء تعطى بمقدار ما تأخذ ! وحقيق بالعاقل أن يتأمل مشكلاته ويقلبها على رأى يعقد عليه القلب ، ويحسن عليه الأمر ، فلا يرمى إلا عن قوس عقيدة راسخة ، والرجل الصادق فى تأمله من كان الإيمان أعلق بقلبه من الشك ، والطفرة آثر عنده من التردد ، والحقيقة أشهى إليه من الظواهر الكواذب ، والمغالبة فى سبيل الحق آنس له من الاستكانة فى أرض المجحود !

— هذا حق يا والدى ، فإن التأمل فن للفنون ، تترعرع فى ظلاله كل فنون الحياة من سرور وحزن وحب وتقدير ، وهل يجىء السرور إلا بعد الشعور باللذة والنشوة التى يكتشفها الإحساس بعد قليل من التأمل فى نتائج العمل الذى نشعر نحوه بالسرور ؟ وفن الحزن أيضاً . فنحن لا نشعر بالحزن والألم من شىء إلا بعد التأمل فى مداه وسبر غوره وما يخلفه من أثر ، ثم ما هو أكثر من ذلك . فنحن قد نستمر فى الحزن ونسايره ولو ذهب المؤثر ، لأننا نتأمل ونطيل التأمل ؛ وفن التقدير والاعتراف بالفضل ، لاشك أن التأمل أساسهما إذ كيف نحكم على شىء بالجودة إذا لم نتأمله ! وفن الحب ، وهل هناك حب لم يلهبه التأمل ؟ إن الإنسان فى حبه يتأمل بكل حواسه ، بعينه وشعوره وقلبه

— قد بينت يا بنى خطر التأمل ، فهل نسيت أن التأمل كأساس للحياة يتأثر بالميول والعواطف كالحب والكراهية والطمع والغيرة ، تلك العواطف العمياء الضاربة فى الضلال

— ماذا أسمع ؟ كيف يكون الحب رائد ضلال ؟ كيف يكون أبها الوالد الكريم ، وهو العاطفة الروحية السماوية التى تربط الإنسان بخالقه ، والتى تولد مع الوليد فيميل إلى والده وأقاربه بطبيعة الحب الروحى فيه ، والتى نلمسها فى الحيوان قوية واضحة ، وهو الذى لا يدرك ولا يفكر تفكيراً يصح أن ينطبق عليه حقيقة التفكير بكل معانيه . وكيف تكون الروح عمياء ! إننا إذا نظرنا إلى حيوانين من فصيلتين مختلفتين ، ورأينا

كيف يجمع بينهما الحب ، وعرفنا أنه حب لا تمكره شهوة فهو نقي طاهر ، لأدركنا أن هناك سراً هو من عنصر الروح ، وأن هذا السر فوق النهاية ؛ لأنه استطاع أن ينير للحيوان الذي لا يدرك فلسفة يعجز عن إدراكها الإنسان . ومنطق هذه الفلسفة يقول : إن كل شيء حي تجمعه بسائر الأشياء صلة الروح الحية ... وإذا كانت هذه الروح مشتركة في الكل فقد مال الكلب مثلاً إلى القط برغم ما بينهما من عداء ، ومال الإنسان مثلاً إلى الحصان بل إلى كل حيوان يمتلكه . فهل يكون الحب هنا داعية ضلال ؟ ! وكيف وقد انعدمت الشهوة والتجانس منه ! فإن الكلب يشعر بأن القط ليس من عشيرته ، وكذلك الإنسان وحيوانه ... وهذا العلم والشعور من الإنسان والكلب نوع من الهداية والبصر ، وإن عاطفة الحب الروحية لتجمع بينهما ... فهل تكون مثل هذه العاطفة الفلسفية عطية الغواية ؟ أعتقد أنها لا تكون ولن تكون إلا إذا أصابتها سهام الشهوة والغرض !

— تريد يابني أن تقول إن الحب ليس دائماً سبيل الغواية .. ولكن الكثير من الناس ضلوا ووصفوا الحب بما ليس فيه . إنهم رأوا حيرة المحب وضلاله فقالوا في معنى الحب ما قالوا ، وليتهم اقتربوا من الحقيقة فقالوا إن الحب يفسد التأمل . ويتفاوت هذا الأمر بتفاوت قوة التأمل والعقل ... ومن هنا يجيء فساد حكم العاشق في معشوقه لأن حبه أضعف تأمله ، وعاطفته سيطرت على عقله المتأمل . . . والذي يجري على الحب وأثره في التأمل يجري مثله في البغض والكراهية ، لأنك حين تبغض وتكره شخصاً تتأمل أعماله وإن حسنت بعاطفة الكراهية ، فيصدر حكمك عليه غير عادل وغير سديد . والطامع كذلك يفسد التأمل ويقوده إلى التدمير ، فإنك إذا تأملت تأملاً يغلب عليه الطمع في حاجة غيرك ، دفعك هذا التأمل الطامع إلى الرغبة في حيازتها ، وجاء وراء هذه الرغبة الاعتداء ووراء الاعتداء المهلكات والمخوفات ... وهكذا ...

— هذا جميل يا والدي ، ولكني أميل إلى تركيز نظريتي في التأمل وفلسفته وكنت بسطتها في العام الماضي في جريدة « المقطم الغراء » فأقول إن جميع الرذائل كالبغض والغيرة والطامع وغيرها تفسد التأمل فتفسد الحياة تبعاً لذلك . . . كما إني أرى أن بعض الفضائل قد تفسده وذلك إذا تغالينا فيها . . .
إن التأمل لو قل أفاد ، ولو كثر كشف عن خفايا ، ولو طال علمنا معنى الحياة ، وحقيق بالمتأمل كي يصل إلى المرتبة السامية أن يجاهد نفسه ، ويغالب طبعه ، وألا يكون في أعماله أثر للحيلة ، ولا عمد إلى الخدعة ، وأن ينفذ الوسع في إدراك أسرار مُنْسَبِهم الأمور ، ويداور ويصاول حتى يستشفها ويُجلى عنها ، وأن يكون في طريقة سلوكه في الحياة الرجل الذي يحاول معرفة نفسه ، وإصلاح مَقابِحه ، والرجل الصادق المتأمل كما أراه هو الذي يزن الأمور بميزان التجارب والعبر ! ... ولصدق القياس في التجربة موضع وله مقدار ، فمتى جازهما أحدٌ وقصّر عنهما قبح منه الفاضل ، ونقص التقصير ... والسبيل إلى هذه المرتبة وعر المسالك شائك الجوانب ولكن من يكتف الأمور بالحجة كتفاً لا تؤوده نبمات ولا ترهبه مخبآت الحوادث .

— هذا جميل حقاً يا بني وأجمل منه أن يصدر من شاب مثلك ؛ وإذا تضافر الطبع النابض بالحيوية ، والبيئة الملهمة ، والشعور الرهف الذي يعرف كيف يألم وكيف يفرح ، ويدرك مداخل وموالج الأمور كما يعرف مخارجها ، لم يعد عجيباً أن يجمع شاعر من الشباب أو ناثر بين عاطفة الشباب وحكمة الشيوخ ، بين ثورة الوجدان ورزانة العقل ، بين المحافظة والتجديد ، . . . ولكني أنتهز هذه الفرصة فآخذ عليك وعلى سائر الشعراء من الشباب سلوكهم أحياناً مسلك الشكوى وبكاء الآمال . . . فأوصيك أن تبتسم أنت وإخوانك الشعراء للحياة ؛ فقد يكون الشاعر باسماً ومتفائلاً أجدى منه على الحياة الإنسانية عابساً متشائماً ، وشعر التفاؤل في اعتقادي هو البناء ، وما أحوج الحياة اليوم إلى من يشهد بمحاسنها ، ويخفف من ويلاتها ، ويقيم من بنائها ، . . . فكل شعركم إما غزل وإما شكوى . . . فأين شعر القوة ؟ أين شعر التحفز والطموح ؟

— تأخذ علينا غلبة شعر الحب وفي هذا كثير من القسوة . فكما أن عبير الزهرة بضعة منها ، وشعاع الشمس صورة لحرارتها وصفتها النيرة ، وتراب الأرض دليل على أصل من فيها ، يكون شعر الحب والجمال صورة لنفس الشباب وأماني الشباب وأحلام الشباب ! وكيف لا تفيض نفسي بما يضطرب فيها ولا سبيل لكتمانه ؛ وإن الشباب هو حلم الحياة ، فحرام أن نمر به من غير أن نفسره شعراً حياً بالحب والجمال ...

لا تلم الشباب ، ولم إذن الشيوخ الذين يتغنون بشعر الحب

فليس من الغريب أن يتغنى الشباب به ، وقد يكون من العجب – وإن كنت لا أميل إلى هذا الرأى ولكن الجدل يدفعنى إليه – تغانى بعض الشيوخ من أكابر الأدباء فى معانى الحب والجمال . . .

ولقد قرأت نفثات الرافعى فى فلسفة الحب والجمال ، وقرأت للزيات السحر الرائع فى الجمال ، ولمحت قلب الدكتور المبارك يتدفق فى كتاباته ... وترنمت بأغاريد أبى شادى ... وكيف أقرأ وأحس وأدرك وأترنم بكل هذا ... ثم أقتل الأنشودة الحلوة فى مهد قلبى ، وأقنع بصداها يدوى فى جوانبى فتظل الأحاسيس ساكنة كالماء ... إن هذا الظلم ما فوقه ظلم ... !

وتأخذ علينا شكوى الزمان والتبرم ... ولم لا نشكو ونتبرم وقد رأينا بعض الآباء الأفاضل يجعل للأدب أرستقراطية كان منها عقوق للشباب وجحود وإنكار لفضل النابهين وتحطيم لآمال الناشئين ، وإن كنت لا أعترف بالبقاء لمن يصيبه فى المخوفات بهر ، ويدركه عنـد الملمات عى ! ! وما كان البقاء الحق إلا للثبت الذى صهرته التجارب الذى لا يأخذ منه الهم ، ولا تغلب عليه الصعاب ، فلا يهاب أهاويل أهل الزمان فيرتبك ويظن أن الأرض قد ضربت عليه بالأسداد ، فيضرب فى طيخة عمياء .

ومهما يكن من أمر تلك الصعاب التى تعترض الشباب ، فإنى أعتقد أنها لا تصد غير الهيابة النكس ! ! فليس منا من يتحامى المغالبة والمصاولة ، وحقيق بكل من تتألق بين ألفاف نفسه أقباس الحيوية والنبوغ أن يوطن النفس على المكاره حتى يحتل مكانه فى بُهرة الحلقة الأدبية ... ولا يشتم أحد من هذا الكلام حقداً أو تحاملاً على الأكابر والأفاضل من كتاب العروبة ، فما هجس فى خاطرى ذلك ... وكيف وأنا أغلف القلب بأزاهير المحبة والتوقير والإجلال لأستاذى الكبيرين الزيات والدكتور مبارك ، فقد أسعدتنى الأيام بلحظات كالحلم الجميل جمعتنى بهما نشقت فيها عبقة السحر من أطايبهما ! ...

وكنت أول من رثى الشاعر الفيلسوف الزهاوى فى مجلة « الرابطة العربية » للأستاذ أمين السعيد . أما إعجابى بالأستاذ العقاد ، فقد بلغ به الحد أن جعلنى أقرأ كتابه « ابن الرومى » فى جلسة واحدة ...

تلك كلمة كان لا بد منها لأدفع عن نفسي عوامل الحقد ، ولأقترب من الحقيقة الخالصة ...

أما تعبيرنا عن آلامنا بالشعر ، فأسمى مراتب التعبير ما صهرها الألم ، وإننى لا أهدم الإنسانية عندما أشرح الأسباب التى تبعث الألم وأحللها ، بل إننى بذلك أضع للناس صوراً يتعظون بها ، والعظة سبيل من سبل البناء ، وهل ألام إذا قلت :

وما قيمة الدنيا وحظك عاثر ... وعيشك خداع به فتن تغرى !
وما قيمة الدنيا وثغرك ملجم ... وفكرك محدود يعذب فى الأسر

وما هى إلا حقيقة الحياة وأسرارها المستغلقة . وهل عاش الفكر الحر غير معذب بالقيود والأوضاع . . . ؟ وهل ألام إذا روع القلب بمخبآت الدهر ومهلكات البين الأبدى فأقول :

أعيادها ولت فهل لك عيد ! ... هيهات أن يهتز منك جديد !
أنا ذلك الهيمان ضلله الهوى ... وتلقفته من التعاسة بيدُ !
لا النور يسعدنى بثغر ضيائه ... فى معبد الذكرى ولا التغريد !
تترصد الأقدار همسة خافق ! ... ويصدنى عن معبدى تشريد

وهل تستطيع أن تأمر نفساً يحبس ألم لا سبيل للخلاص منه ثم تستبعد منها أن تقول :

كبرت بسمتى وأضحكنى الدهر (م) وطاف الغرام يسأل عنى
رغم ما فى الفؤاد من ألم الداء (م) وزهر الغرام يذبل منى
أزن العمر بالسرور وبالفن (م) وأقصى عوامل اليأس عنى !

واستمع إلى الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى وانظر كيف قدم زهر العمر للآلام قرباناً ... ولو صدق ظنى فى هذا الشاعر الحى فسيكون له فى رياض الخلود مستقر ومقام وإن قنع اليوم بالوقوف على الشاطئ يترنم لنفسه ويرقب الخضم الثائر المضطرب بالنيات الصوادق والظواهر الكواذب ... قال :

وقلت : الآن استجلى الشباب الذاهب الآنا
ويطوينى فتون العمر والأنس الذى كانا ! !
وأبقى بعض أيّامى وأطويهن نشوانا
فقد قدمت زهر العمر للآلام قربانا ! !

يا بنى إن للشباب الحق فى التعبير عن عواطفه ، ولكن من الخير أن تغلب عليه صفة التفاؤل وأن يبسم للحياة فتبسم له .

وهل يكون صدى الأغنية الجميلة غير أغنية جميلة ؟

وأخيراً أنصح الشباب ألا يقنع باللمحات ، بل يكون رائده الفكر العميق والخيال الدقيق ، وأن ينزه نفسه عن المواطن الرذلة وأن يحدد رغباته ؛ فخير الرغبات ما وافقت الموضع ولم تجاوز

في غزوة حنين

بين السياسة الرشيدة والتعمق في الدين

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

قد يكون من المعلوم عند الناس أن التعمق في الدين ليس من الدين في شيء ، وإن كنا في زمن قد انقلبت فيه أوضاع الدين ، وصار التعمق في الدين هو المثل الأعلى في التدين ، وأصبح المتعمقون في الدين قدوة الناس ، منهم تلتمس البركات ، وتقام لهم بعد مماتهم القباب والمزارات

ولكن هناك أمراً طريفاً في باب التعمق في الدين يجهله كثير من الناس ، وقد أردت أن ألفت النظر إليه في مجلة الرسالة الغراء ، فيكون للناس فيه عظة تنفعهم في دينهم ودنياهم ، ويعرفوا أن الدين ليس أذكاراً تتلى ، وأوراداً تكرر كل يوم وليلة ، وقواعد ينظر إلى ألفاظها وحروفها ، ولا ينظر إلى الغاية المقصودة منها ، ولا يلتفت إلى وجه الحكمة فيها ، ليراعى فيها حال الزمان والمكان ، وتؤخذ بشيء من التساهل إذا كان من اللائق أخذها به ، وعدم التقيد بأحكامها وقيودها ، وفي هذا تظهر حاجة المتدين إلى أن يكون عنده شيء من حسن السياسة ، وإلى أن يكون من المرونة بحيث لا يقف جامداً أمام الألفاظ والنصوص ، ولا يؤثرها على الظروف الطارئة ، والأحوال العارضة ، وذلك مالا يمكن اجتماعه مع التعمق في الدين ، والجمود على ما فيه من قواعد وقيود

وكيف لا يكون طريفاً كل الطرافة أن ينكر بعض المتعمقين في الدين على من أرسله الله به ، فيؤدي به هذا التعمق إلى أن يرى نفسه أرسخ منه ديناً ، وأكثر منه رعاية له ، ووقوفاً عند حده وامتثالاً لما جاء به من الأوامر والنواهي ، ولا يحمله على هذا إلا أنه حفظ قاعدة من قواعد الدين ، فأخذها قاعدة مطردة لا تشذ ، ولا يصح أن يؤخذ فيها وقتاً ما بشيء من التسمح ، ولا يمكن أن تتأثر بشيء مما تقتضيه الظروف والأحوال

وقد كانت تلك الحادثة الطريفة في غزوة حنين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم خرج إليها من مكة بعد فتحها ، ومعه الجيش الذي فتح مكة من الأنصار وغيرهم ، وكذلك أهل مكة الذين لم يمض إلا قليل على إسلامهم ، وكان بينهم نفر بقوا على الشرك ، وخرجوا إلى القتال طمعاً في الغنيمة والمال ، وآخرون أسلموا ولم تخلص قلوبهم من أثر الحنين إلى وثنيتهم ؛ حتى إن المسلمين لما انهزموا في حنين أول الأمر فرح كثير من أهل مكة بهزيمتهم ، وقال بعضهم : ألا قد بطل السحر اليوم . وقال قائل منهم : الآن ترجع العرب إلى دين آبائها . وقال أبو سفيان ابن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر . وكان قد أسلم إلا أن إسلامه كان مدخولاً ، وكانت الأزلام في كنانته

ثم انتصر النبي صلى الله عليه وسلم بفضل من ثبت معه من المسلمين الأولين ، وأصابوا في تلك الغزوة كثيراً من الغنائم ، وكان لقسمة الغنائم قواعد مقررة في الدين ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشأ في هذه الغزوة أن يتقيد بها ، ورأى أن يبسط يده بالعطاء لأهل مكة تأليفاً لهم ، وكان من بسط يده لتأليفه على ثلاثة أصناف : صنف تألفه ليسلم كصفوان بن أمية ، وصنف تألفه ليثبت إسلامه كأبي سفيان بن حرب ، وصنف تألفه دفعاً لشره كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس . فأعطى صفوان ابن أمية شعباً مملوءاً نعماً وشاء ، وكان قد رآه يرمقه ، فقال له : هل يعجبك هذا ؟ قال : نعم ، قال : هو لك ، فقال صفوان : ما طابت بمثل هذا نفس أحد . وكان ذلك سبب إسلامه . وأعطى أبا سفيان أربعين أوقية ومائة من الإبل ، وقال ابني يزيد : فأعطاه كذلك ، وقال ابني معاوية : فأعطاه كذلك ، فأخذ ثلثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة ، وقال : بأبي أنت وأمي

القدار ، وأن يعلم أن الجدود قرينات القعد المتقاعد

وما أحوجنا إلى نوع من الكتاب والشعراء يعكفون على القديم ليعرفوا فتنته وجزالته ، فإذا اكتسبوا صناعة لغوية وتم لهم الذوق الأدبي ، طبعوا على غراره ما أرادوا من طريف الفكر ، وبديع الخيال مما تطالعهم به الحياة الجديدة

يا بني ما لك ولشكوى الزمان ، دع قافلة آمالك سائرة ولا تحسب الدهر حلواً كله ...

يا بني كم أحب أن يكون شعرك باسماً كأفكارك في الوضوح ؛ حينئذ أبتسم كما تبتسم ، ويضحكني الدهر كما أضحكك .

محمود البشبيشي

حاشية : كل ما جاء على لسان ولدنا الأديب « حسين محمود البشبيشي » فهو له .

يا رسول الله : لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ! وقد سالمتك فنعم المسالم أنت ! هذا غاية الكرم جزاك الله خيراً . وأعطى العباس بن مِرْداس دون عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، فسخط ما أعطاه دونهما ، وقال فى ذلك يعاتب النبى صلى الله عليه وسلم :

وكانت نهاباً تلافيتها ... بكرّى على المهر فى الأجرع
فأصبح نهبى ونهب العُبيـ ... ـد بين عُيينَةَ والأقرع
وما كان حصن ولا حابسٌ ... يفوقان مِرْداس فى المجمع
وما كنت دون امرئٍ منهما ... ومن تضع اليوم لا يُرْفع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذهبوا فاقطعوا عنى لسانه . فأعطوه حتى رضى

فلما رأى كل هذا ذو الخويصرة التميمى ، وكان امرأ متعمقاً فى دينه ، جاء فوقف على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت . فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، دعنى أقتل هذا المنافق . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى . دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمية يُنظر فى النصل فلا يوجد شيء ، ثم فى القدْح فلا يوجد شيء ، ثم فى الفوق فلا يوجد شيء ، سبق الفرث والدم

فهذا التعمق فى الدين قد أدى بذى الخويصرة إلى هذا الجهل الفاضح ، وأوقعه فى ذلك الجمود القبيح ، وجعله ينسى مقام النبوة فيتعالى عليها ، ويظن أنه أرسخ فى الدين منها ، وينكر على النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذ فى قسمة غنائم حنين بشيء من حسن السياسة ، ويتسمح فيما وضع فى قسمة الغنائم بعض التسمح ، ولا يعرف أن حسن السياسة من الدين ، وأن الإسلام ليس بشيء من ذلك التزمت الذى يضيق بالتسمح، ويأبى الأخذ بشيء من التساهل . وما أكثر الآن أولئك المتزمتين بيننا وما أحوجهم إلى الاتعاظ بما أوقع فيه التزمت ذا الخويصرة ، فلا تضيق نفوسهم بما تدعو إليه الضرورة من بعض الخروج على المألوف، ولا يقفون جامدين أمام الألفاظ والحروف ، لأن منطق الألفاظ لا يقوى على منطق الحوادث ، فيجب إخضاعها لها ، ولا يصح أن تقف حجر عثرة فى سبيلها

وقد يظن بعض الناس أن ذا الخويصرة كان من أولئك المنافقين الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإسلام ، ويرى أن الذى أوقعه فى الإنكار على النبى صلى الله عليه وسلم نفاقه لا تعمقه فى الدين ، ويأخذ فى هذا بظاهر قول عمر رضى الله عنه : دعنى أقتل هذا المنافق . ولكن الحقيقة أن ذا الخويصرة لم يكن من أولئك المنافقين ، وإنما كان طليعة لصنف آخر يخلص فى دينه عن جهل ، ويأخذ الدين على أنه قواعد ورسوم ، فيبالغ فى الجمود عليها ، ويقف عند ألفاظها وحروفها . وذلك الصنف من الناس هو الذى سمى فيما بعد باسم الخوارج . وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم أهم كفار ؟ فقال : من الكفر فرّوا . فقيل : أمنافقون ؟ فقال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً . فقيل : ما هم ؟ فقال : أصابتهم فتنة فَعَمُوا وصَمُّوا

وتلك الفتنة التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم هى فتنة الغرور بالتشدد فى الدين ، والوقوف عند حدود القواعد والرسوم ، وكل شيء جاوز حده انقلب إلى ضده ، والإسلام وسط بين التساهل والتشدد ، ولهذا جاء ديناً عاماً لكل البشر ، وكانت أحكامه صالحة لكل زمان ومكان .

عبد المتعال الصعيدى

ألقاب الشرف والتعظيم

عنـــــد العرب

للأب أنستاس مارى الكرملى

[تتمة]

١٦– البارونه

هذا الحرف لم يكن معروفاً عند الأعاجم قبل الإسلام، بل بعده. وعرّب بلفظه لقرب صيغته من صيغ الحروف العربية، كفاروق. وهاضوم. وكابوس. وقالوا فيه أيضاً: بارونى. وجموها على بارونة وبارونية. قال فى الفتح القدسى: « وأحضرت (الإفرنج) الاسبتارية والداوية والبارونة ». وقال ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ٥٨٢: « ثم إن هذه الملكة هويت رجلاً من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه (كي) فتزوجته، ونقلت الملك إليه وجعلت التاج على رأسه؛ وأحضرت البطرك، والقسوس، والرهبان، والاسبتارية، والداوية، والبارونية » اهـ. ونحن لا نطيل الاستشهاد بكلام المؤرخين، إذ لا نرى فيه عظيم جدوى، ويغنى هذا النقل عن الجل

١٧– الفارس

تنظر إليه الفرنسية chevalier والإنكليزية knight واللاتينية eques, itis واليونانية hippeus. وكل هذه الألفاظ مشتقة من الفرس الدابة المشهورة، كاشتقاق الفارس العربية من اللفظة المذكورة، إلا الإنكليزية، فإنها مشتقة من كلمة تعنى الخادم، ولا جرم أن الأصل فى المعنى: « خادم (خيل) الملك » ثم ارتقى فى منصبه مكافأة لخدماته، كما وقع لمن تسمى بأمير الإصطبل، أو أمير الأخور، أو كند اصطبل

على أن لبنى مضر لفظة مشتقة من اللاتينية (أقوس equus) بمعنى الفرس، وهى (القاوس) ومعناها عند السلف: « الذى يرسلّ الخيل للسباق jockey ». ولا جرم أن الأشراف الفرسان كانوا يفعلون ذلك لما كانوا فى خدمة الملك. فالعربية إذنَ لاتينية الأصل. لا سيما أن ليس فى أصول اللفظة العربية ما يشير إلى معنى الخيل سوى (القوس)، وهو حبل تُصفُّ عليه الخيل عند السباق؛ لكن (القوس) نفسه مأخوذ من الرومية المذكورة، وكذلك القول فى (الكوسى) بمعنى الفرس القصير الدوارج؛ وبالفرنسية poney وبالإنكليزية pony

١٨– اللوكات

هذه الكلمة من الألفاظ الخاصة بأرباب المناصب الدينية النصرانية، وهو سفير الحبر الأعظم أى البابا. وقد جاءت فى كتاب الروضتين المطبوع فى باريس، فى ص١٨٣ وهو لأبى شامة. والكلمة منقولة عن légat الفرنسية وهذه عن اللاتينية legatus

١٩– الدكّاد

هو الذى يسميه نصارى اليوم (القاصد)، وقد وردت اللفظة فى مختصر الدول لابن العبرى، فى ص ٤٠٣ من طبعة بيروت. قال « وقرّر الصلح عاماً مع الدكاد، نائب البابا، وملك عكاء، وملوك فرنجة، ومقدمى الدواية والاسبتارية »، وهى من اللاتينية delegatus وبالفرنسية délégué

٢٠– كرَدْنال وكرْدِنال وكردِنال

وردت كَرَدْنال بالدال المنقوطة المفتوحة فى معجم بطرس القلمى المؤلف فى غرناطة سنة ٩١١ للهجرة (١٥٠٥ للميلاد) والمطبوع فى غرناطة نفسها فى تلك السنة نفسها، وجاءت كذلك فى الخزانة العربية الصقلية لأمارى المطبوعة فى ليبسيك سنة ١٨٥٧، ص ٣٤١ س ٦؛ فكان يجب أن تكون بالدال المهملة المكسورة لكن لم ترد إلا بالمنقوطة المفتوحة، وقد ذكر كل ذلك دوزى فى معجمه، وأما المعاصرون فإنهم يذكرونها هكذا (كردنال) بالدال المهملة المكسورة، لأن اللفظة من أصل لاتينى، لا من نجار يونانى. فلو كان يونانياً لقيل بالدال المعجمة، وأما قول بعضهم (كردينال) بياء بعد الدال المهملة، (وكارْدِينال) وهذه أقبح، ويجمعونها على (كرادلة) فخطأ فى خطأ. والصواب كرْدنال بفتح الدال والجمع كرادِنة ليحمل على وزن عربى أى على وزن قهرمان وصوْلجان ودَيْدبان وطيلسان التى يقال فى جمعها: قهارمة، وصوالجة، ودبادِبة، وطيالِسة. فافهم ذلك ولا تجْرِ وراء الغُرّار الذى يستجهل القُرارا. زد على ذلك أن فَيْعُلات، بضم العين وفتحها كثير الأمثلة، بخلاف كسره فإنه نادر

طائفة من ألفاظ المناصب النصرانية

نحن لا نريد أن نمعن فى ذكر جميع الألفاظ النصرانية ؛ فهذا يدعونا إلى وضع كتاب قائم برأسه ، لكثرة ما هناك من المصطلحات ، إلا أننا نذكر بعضاً منها من باب الذكرى والإجمال لا غير . من ذلك : الجاثليق ، والكتاغيكوس ، والبَترِيم ، والمفريان ، والمطران ، والرطبليط (أى المطروبوليط) ، والملفان ، والخور أفسقفس ، والخورى ، والقسّ ، والكاهن ، والشماس ، والإكليريس ، والواهف ، والساعور ؛ إلى غيرها ، وهى لا تكاد تحصى لكثرتها . فهذه خمس عشرة لفظة دخيلة ، فإذا أضفناها إلى العشرين المتقدم بسطها ، كان لنا خمس وثلاثون لفظة من دينية ودنيوية لم يترجمها العرب إلى لغتهم ، بل أبقوها على حالها بتغيير طفيف ، لتحمل على الأوزان العربية لا غير

ولننتقل الآن إلى ألفاظ الآداب والمجاملة والمعاشرة . من ذلك

٣٦ — السنور

السنور : المر ، والسيد ... والسنانير : رؤساء كل قبيلة . (ملخص عن التاج) . قلنا : والسنور بمعنى السيد من الإسبانية senor وهى باللاتينية senior وبالفرنسية seigneur

٣٧ — الضونة

الضَوْنَة ، بهاء : الصبية الصغيرة (اللنوبون) وهى فى الإسبانية dona بمعنى السيدة غير المتزوجة ، أى المادموازيل mademoiselle ، كما يقول اليوم بعض المتفرنجين ، أو الآنسة كما يقول بعض الراغبين فى تصحيح الكلام الأعجمى

٣٨ — الضامة

قال فى التاج فى مادة (ض ى م) : « ومما يستدرك عليه : الضامة ، مخففة . الحاجة ، زنة ومعنى . ومنه المثل : « تأتى بك الضامة عِرِّيس الأسد » فسروها بالحاجة وبالمرأة . وقالوا : هى من الضيم ، كما فى أمثال الميدانى . نقله شيخنا » انتهى كلام التاج . وبالفرنسية dame أو madame

٣٩ — الخاتون

قال المجد : « الخاتون للمرأة الشريفة ، كلمة أعجمية » وزاد الشارح : « استعملها الفرس والترك ، والجمع الخواتين » اه .

قلنا : والخاتون كلمة شرف تقال للمتزوجة وللصبية والكلمة مستعملة إلى يومنا هذا فى العراق كله ، يقول أهله : أمينة خاتون وبهية خاتون ، والأولى للمتزوجة والثانية لغير المتزوجة ، وكانت اللفظة مستعملة فى جميع البلاد العربية اللسان فى العصر العباسى ، ومنها الخاتونية لمحلة كانت فى بغداد . قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٥١ هـ : « وفى هذه السنة احترق درب فرّاشا والظفرية والخاتونية ... »

وذكر ابن بطوطة فى رحلته (فى ١ : ٢١٢ من طبعة الإفرنج) الخانقاه الخاتونية فى دمشق . وذكر هذين العَلَمين فى بلدين عربيين ، بهذين الاسمين دليل على أن الخاتون ، كانت شائعة عندهم شيوعها اليوم فى العراق

٤٠ — الخواجه

هذه لفظة فارسية ومعناها رب البيت ورئيسه ، والرجل الشهير ، والشيخ الجليل ، والسيد المعظم ، والمقدم بين الناس ، والغنى والعامل ، والحاكم والوزير ، وهو من ألقاب التعظيم أيضاً وقد لقب به منذ القدم محمد بن محمد بن الحسين الطوسى فعرف بالخواجه نصير الدين الطوسى . وكان مولده سنة ٥٩٧ ووفاته سنة ٦٧٢ للهجرة (١٢٠٣ — ١٢٧٤ م) . ثم أطلق على كل من امتاز بصفة من الصفات التى ذكرناها فى معنى اللفظة . فكانت شائعة كل الشيوع بين الكتاب ، وأرباب اليراع ، قبل نحو مائة سنة ، أو أكثر ، والآن لا يكاد يسمع بها إلا قليلاً ، ولا يكتب بها إلا أقل . فكان لها وقت ثم مضى

هذا وقد ذكرنا لك من ألقاب الملوك والأمراء ، نحواً من ٣٨ ، نقلاً عن أبى الريحان . و ٤٠ جمعناها لك من ألقاب الرجال والنساء ، من دنيوية ودينية ، ولو أردنا ، لضاعفناها لك ثلاث مرات ، أو أربعاً ، أفما يكفى لك هذا العدد وحده ، ليقنعك بأن الألقاب تعد كالأعلام ، وتروى كما هى ولا تترجم ، ولا تنقل بمعانيها . إذن يقال : دكتور ، وأستاذ ، وماجستير ، ولا يقال : عليم ، وعالم ، ومعلم ، ونحوها . ولا تغتر بمن يتعصب لقومه كذباً ، وهو يطمنه بشر الأسلحة وأشدها فتلاً فيه !

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

تاريخ وأدب

مـــدن الحضارات
في القديم والحديث
للأســتاذ محمد عبد الغني حسن

— ٢ —

الحق أن المسجد الأموي بدمشق هو ذخر للمسلمين بعد الكعبة المكرمة ؛ وقد قال فيه الرحالة المقدسي : « والجامع جامع دمشق أحسن شيء للمسلمين اليوم ، ولا يعلم لهم مال مجتمع أكثر منه ، ومن أعجب شيء فيه تأليف الرخام المجزع كل شامة إلى أختها ؛ ولو أن رجلاً من أهل الحكمة اختلف إليه سنة لأفاد كل يوم صنعة »

ولقد زار دمشق كثير من الرحالين المسلمين ووصفوا آثارها في آثارهم ، وأخذوا بروعة الجامع الأموي وكمال صنعه . ومنهم ابن بطوطة الذي قال فيه : « وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالاً ، وأتقنها صناعة ، وأبدعها حسناً وبهجة وكمالاً ، ولا يعلم له نظير ، ولا يوجد له شبيه »

وكانت قصور الأمراء على الجملة في دمشق الأموية تمثل الحضارة العربية أجل تمثيل ؛ لأنها قصور دولة قامت على أكتاف العرب ، واستقامت على كواهلهم . إلا أن هذه القصور كانت تجمع بين البساطة العربية والفخامة الرومانية . وحمّاد الراوية وصف لدار الخليفة هشام بن عبد الملك يقول فيه : « إنها دار قوراء مفروشة بالرخام ؛ وهو – يعني الخليفة – في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب من ذهب ، وحيطانه كذلك »

ووصف يزيد بن المهلب دار ولي عهد سليمان بن عبد الملك بدمشق فقال (دخلتها فإذا هي دار مجصصة حيطانها وسقوفها . ثم أدخلت داراً أخرى فإذا حيطانها وسقوفها خضر ، وإذا وصفاؤها ووصيفاتها عليهم ثياب خضر وحلي الزمرد

على أنه يلوح لنا أن هذا الوصف فيه كثير من الخيال الشائق والمبالغة اللذيذة . وأن هذه الرواية تمتعت بشيء من الإغراق في الوصف لتتم محاسن الموصوف ... ألا أنه من المحقق أن هذه العاصمة الإسلامية الكبرى ازدحمت بالقصور الشاهقة في جوف المدينة أو على نجوة منها

... ثم يدور كوكب النحس – كعادته – على دمشق ... فتسقط الخلافة الأموية ويشرد أبناء الخلفاء ؛ ويتحسسهم العباسيون في كل مكان ؛ ويُغري الشعراء الخليفة العباسي بقتلهم وإبادتهم حتى لا يحسوا منهم من أحد أو يسمعوا لهم ركزاً . ويقول في ذلك شاعر أبياتاً مشهورة منها هذا البيت :

جرد السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

وكان ذلك في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة . فتنتقل الخلافة إلى بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور وجعلها مقر الملك وحاضرة الخلافة .

و (بغداد) قديمة في التاريخ . وترجع إلى ألفي سنة قبل الميلاد في عهد البابليين ، وقد ورد ذكرها في حَجَر Michaux ، الذي وجد لَقيّ على ضفاف نهر دجلة وعليه تاريخ يرجع إلى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد . ومما يدل على قدم بغداد رصيف نهري اكتشفت بقاياه وأحجاره على نهر دجلة بوساطة العلامة الإنجليزي السير هنري رالنسون ، وعليه لوحة تحمل اسم أحد ملوك بابل القدماء .

وفي عهد الإسلام كانت (بغداد) في الشرق ، وقرطبة في الغرب تتقاسمان سيادة العالم في التجارة والثراء والثقافة والحضارة . ولقد أوحت ليالي بغداد وقصورها وجسورها ومالها وغادتها وغلمانها وجواريها وشعراؤها ومغنوها إلى مؤلف (قصص ألف ليلة وليلة) خيالاً واسعاً كل السعة ، مبدعاً كل الإبداع . تلك القصص الشائقة الجميلة التي ترجمت أول ما ترجمت الى الفرنسية سنة ١٧٠٤ بوساطة الكاتب الفرنسي (جالاند)

وتفيض كتب التاريخ والأسفار والأدب في وصف بغداد ، وتطيل في ذلك الكلام إطالة لا يدخلها ملل ، وخاصة في عصور المنصور مؤسسها والرشيد وولده المأمون . وهم الخلفاء الثلاثة البارزون في العصر العباسي

وكانت بيوت بغداد وقصورها تبنى من الطوب والقرميد ، لا من الحجر – كما كان الشأن في دمشق – لأنها في منطقة غير صخرية . وكانت هذه البيوت تشرف على العبرين من نهر دجلة ، وتتعالى في أجواز السماء إلى علو شاهق ، وتحيط بها البساتين الناضرة ، وتجري في وسطها الجداول المنسابة

تحت أفياء أشجارها ، وغرد أطيارها ، وتتلألأ فى وسطها الغدر الصافية والبرك الصقيلة

والبحترى الشاعر الرقيق يصف لنا بركة المتوكل فى شعر تصورى جيل ، ويصور انعكاس النجوم عليها ليلاً فتبدو كأنها سماء أرضية ! ويصف انسياب وفود الماء فيها معجلة كأنها الخيل وهى تخرج من حيال مجريها ، ويقول فى ذلك :

تنساب فيها وفود الماء معجلة   كالخيل خارجة من حبل مجريها

ويقول فى المعنى الأول ولعله أول مخترع له :

إذا النجوم تراءت فى جوانبها   ليلاً حسبت سماء ركبت فيها

والقصيدة مشهورة معروفة فى كتب الأدب فلا معنى لكتابتها هنا

والأبيات التالية تصور لنا أصدق تصوير ارتفاع القصر المعروف بالكامل فى بغداد ، وتصف لنا فى بيان عذب شرفاته المطلة على حبك السماء ورياضه المتعطرة بأرج الأزهار وهى :

لما كملت روية وعزيمـــة   أعملت رأيك فى ابتناء (الكامل)
وغدوت من بين الملوك موفقاً   منه لأيمن حلة ومنازل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقه   من منظر خطر المزلة هائل
أغنته دجـــلة إذ تلاحق فيضها
عن صوب متسكب السحاب الهاطل
رفعت لمخترق السحاب سموكه   وزهت عجائب حسنه المتخايل
وتنفست فيه الصبا فتعطرت   أشجاره من حول وحوامل

وكان نهر دجلة فى ذلك الحين يكاد يغص بالحرامات الكثيرة ، والزوارق الجميلة تتهادى فوق مياهه المتكسرة ، وكلنا يذكر أبيات أبى نواس فى وصف حراقة الأمين

اشتهرت تلك العاصمة الاسلامية العظيمة فيما اشتهرت بنوع من الحرير المعروف بحرير (العتّابية) نسبة إلى العتّابى (بتشديد التاء) الصحابى الجليل . وأخذت هذه الكلمة إلى اللغات الأوربية باسم تابى Tabby دلالة على الحرير الغنى بالألوان المائية الكثيرة الزاهية

ومن المؤلم فى تاريخ بغداد أن تلك القصور العظيمة قد دكت من القواعد ، وأن تلك الرياض الناضرة قد صوحت ، وأن تلك البرك الصقيلة قد جف ماؤها وانعدم السكون إليها ، وأن هذه الأنسجة الجميلة والثياب الحريرية لم يبق لها أثر ، وأن الكتب التى كانت فى دور العلم والحكمة فيها قد ضاعت وغرقت وأحرقت فيما اختلف على بغداد من حوادث وفتن جسام ، وخاصة فى غارة التتار عليها سنة ٦٥٦ هـ والله يذل من يشاء

ولقد قلت أهمية بغداد نوعاً ما حينما نقلت العاصمة إلى « سر من رأى » على يد المعتصم . ألا أنها عادت إلى بعض ما سلف من جاهها فى عهد المستعين بالله حينما عاد إليها هارباً من الأتراك واستبدادهم . ولكنها لم تستطع أن تسترد مكانتها القديمة وحضارتها العظيمة ، وإن كانت بقيت بعد ذلك حاضرة للاسلام مدة من الزمان

ومن عجب أنها احتفظت بعد سقوطها باسم عظيم ولقب كريم فكانت تسمى فى الوثائق التركية الرسمية باسم (المدينة الفائقة)

ويدور الزمان على بغداد كما دار على بابل وروما وأثينا وبيزنطة ودمشق فتزول عنها صفة العاصمة ، وتزول عنها الخلافة ؛ ويجىء الخليفة هنا إلى مصر فلا يبقى له غير اسم الخلافة حتى تنتقل من مصر إلى القسطنطينية فى زمن السلطان سليم العثمانى فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى

ويظهر فى الشرق تيمورلنك المغولى المسلم ، والفاتح العظيم ، والقاسى فى ساح الحروب ، والعفو الرحيم فى ميدان السلم ، فيحكم بغداد ويخضعها لسلطانه حوالى سنة ١٤٠٠ ميلادية

ثم تنتقل بها عجلة الأقدار إلى يد أخرى أجنبية غير عربية ، هى يد الشاه اسماعيل الصفوى مؤسس الأسرة الصفوية ببلاد الفرس ، وتصبح بعد ذلك محلاً للنزاع بين الترك والفرس ، وتدار على أيد فارسية حيناً ، وتركية حيناً آخر : فيأخذها سليمان الأول التركى ، ثم يأخذها الشاه عباس العظيم سنة ١٦٢٠ ويستردها السلطان مراد التركى سنة ١٦٣٨ م بعد مذبحة عظيمة عند التسليم

واسم بغداد مدينة السلام ، أو دار السلام . وكلا الاسمين صحيح . وقد اعترض على أديب بغدادى فى مجلة الثقافة الغراء منكراً الاسم الثانى ، وهو اعتراض لا محل له ، فقد استعمل هذا الاسم أكثر من مؤرخ ممن يوثق بهم ، كابن بطوطة ، وجيل نخلة المدور العراق ، وصاحب كتاب (حضارة الإسلام فى دار السلام) وجورجى زيدان ، والعلامة محمد كرد على عالم الشام ومؤرخها وصاحب خططها .

(الحديث موصول)   محمد عبد الغنى حسن

في علم النفس القضائي

القاضي الجنائي

في مدى العوامل غير الشعورية

للأستاذ حسين الظريفي

كان ينظر في القاضي إلى عقليته القانونية وإلى جانب خاص من خلقه الفردي مما يترك وراءه أثراً ظاهراً في فصل الدعاوى بالشكل الذي تنتهي فيه . وقد نص فقهاء الإسلام على جملة صفات خلقية أوجبوا توفرها فيمن يلي القضاء ويحكم بين الناس . غير أن هذه النظرة الخاصة إلى مزايا القاضي القانونية والخلقية وتحديدها في الإطار المبين الذي وضعت فيه ، مما يدعو إلى كثير من التأمل ، ذلك لأنها لا تكاد تتعدى الشكل الظاهر لولاة القضاء دون النفوذ إلى ما وراء هذا الظاهر ، حيث تقوم هناك البواعث التي قد تقيد القضاء بماهية الاتجاه وبنوع الحركة وبمدى الزمن الذي يجب أن يصل القضاء فيه إلى مرماه المبين . فإن توفر العقلية القانونية فيمن يلي القضاء وافتراض توفر عدة مزايا خلقية معينة لا يكفي وحده لصيانة القضاء من التردي في مهاوي الميل مع الهوى وكفالة الضمانة القانونية لصاحب الحق على من يتولى القضاء .

إن المعنى المستنتج مما كان قد نص عليه فقهاء القانون في موضوع كفاية القاضي من الناحيتين العلمية والخلقية قد يكفي لتأمين العدالة في مجال القضاء الحقوقي بالنظر إلى طبيعة هذا القضاء وكونها منصبة في نطاق محدود فرضت شكله وموضوعه قوانين الدولة . غير أن الوضع ينقلب إلى شكل وموضوع آخرين في حدود الدائرة الجنائية، وتتبدل الغاية والطريقة وما وراءهما من بواعث ينطوي عليها معنى الحق العام في كل جريمة

إن تأدية المهمة الملقاة على عاتق القاضي الجنائي تتطلب كفاية أوسع مدى من تلك التي يجب توفرها فيمن يحكم بين الناس في المنازعات الحقوقية ؛ ذلك لأن المبدأ الجنائي العام منطو على أن الأدلة في الأصل إقناعية . وهذه القناعة قد تكون مجرد معنى تمتلئ به نفس القاضي دون أن يجد اللفظ المفصح عنه ، لأنه ليس إلا شعوراً قائماً وراء حدود اللفظ

وفي انطلاق هذا الأفق في الدائرة الجنائية أصبح قاضي الدعوة رهين بواعث خفية في عقله الباطن وهي تعبر عن ذاتيتها في أعماله القانونية ، وقد تتحكم في عقليته القانونية فيأتي بأحكام منشؤها مجرد البواعث النفسية ، وقد يصدر عن مثل هذه الأحكام وهو غير شاعر بالبواعث

إن هذا الانقلاب الذي حدث في تفهم وتطبيق موضوعات الدائرة الجنائية والذي عرفته وأخذت به دول الحضارة قد جاء عقب الفتح الذي قام به العالم النفسي المنقطع النظير - فرويد - فقد غزا العقل وتمثله ثم نشر كل مطوي فيه ونفذ إلى الصميم من معاقل النفس فعلل وفسر كل ظاهرة وكل اختلاجة . ثم تبعه علماء النفس الآخرون ففصلوا ما أجمله فرويد أو عقبوا عليه ، وظهر من وراء كل هذه البحوث أن هناك تيارات خفية في نفس الإنسان أو في عقله الباطن ، هي ولية الشأن فيه ، وهو وديعة الأيام في ذمتها . وجاء بدورهم فقهاء القانون فأيقنوا أن وراء العقلية القانونية ، حياة نفسية مقنعة يجب على القضاء أن يقف على ما هي فيه وما هي عليه إذا أراد أن يمتلك عواطفه في رؤية الدعاوى ويبعد عن العدل في الأحكام

إن العوامل غير الشعورية إنما تقوم بدورها وهي من وراء قناع تختفي فيه عن الأبصار فتوقع أثرها الخاص من دون أن يشعر بها صاحبها في جليل أو قليل ؛ غير أن هذه البواعث وإن كانت تظهر برداء مستعار فإنه يمكن إخراجها إلى المشاهدة بتطبيق حقائق علم النفس الحديث ، وهذا ما أوجب على القاضي الجنائي أن يكون عالماً نفسياً فوق تفقهه في القانون ، ليكون في أحكامه بمنجاة من غوائل مجرى شعوره النفسي فيقيم من نفسه على نفسه رقيباً فيه ضمان العدالة

إن هناك آفات تصيب العدالة من جرائر القضاة ، وأخطر هذه الآفات تلك التي يقوم بها القاضي من غير شعور أو إرادة وهو يستلهم الطريقة والاتجاه مما وراء عقله الظاهر من عقل باطن

ومنطقة غير شعورية . فمن القضاة من تنطوى نفسه على نزعة الاندماج فى الجانى أو من كان مجنياً عليه ، وهو إذا تمثل نفسه فيمن قارف الجريمة ، ورأى فيه رجلاً غير معصوم وأنه مثله لولا اختلاف الظروف ، فقد جنح إلى البراءة ووقف من شهود الإثبات فى موقف الارتياب ، وقد يؤثر فيهم موقفه هـذا بحكم مركزه الممتاز ، فيضيع على الحق العام كثيراً من الحقائق الجرمية ؛ وهو إذا ذهب إلى الإدانة ، فإنه ينزل بالعقوبة إلى أدنى حد مستطاع . أما إذا تقمص شخصية المجنى عليه ، فقد انقلبت آية الموضوع وأصبح شديد الصرامة على الجانى فى حكم الإدانة وفى تقدير العقوبة .

إن القاضى المحدود بعقليته القانونية كالرجل العادى يميل بهواه إلى جانب من الدعوى منذ البداية ، ومن هذا الموطن تبدأ خطورة الضلالة فى إصدار أحكام البراءة والتجريم ؛ ذلك لأن القاضى الجنائى متى تكونت عنده فكرة الحكم قبل أن يحيره دوره ويستكمل كافة أدوار التحقيق والمحاكمة ، فقـد جنح بإجراءاته كلها إلى ما يدعم ويحقق تلك الفكرة ، ورآى فى كل دليل يعرض عليه الجانب الذى يؤيد فكرته التى كونها منذ البدء عن الدعوى

وهناك مظاهر أخرى يتلبس بها القضاة فتلتبس عليهم مواضع الرشد والهدى فى تحقيق العدالة ، وكلها تنطوى تحت مفهوم « الرغبات الخفية » تلك التى تنبعث إلى العقل الظاهر مما وراءه من مناطق باطنة وغير شعورية ، تكتنز فى تضاعيفها ثمرات أجيال طويلة . فإذا كان القاضى الجنائى لا يمتلك شيئاً غير عقليته القانونية ، ولا يعوّل فى إصدار الأحكام إلا على هذه البيئة العلمية المحدودة وماله من خواص خلقية يعرفها فى نفسه ؛ فقد أضاع ما يجب أن تكون له فى الدعاوى من شخصية مستقلة هو فيها كمن يلحظ المحيط وهو على الساحل . وكان جزءاً من كل دعوى تطرح أمامه ؛ فلا ينظر فيها إلا بعين عاطفته المصطبغة بلون الظاهرة البارزة فى وقائع الدعوى ، فيفقد استقلال فكره وحياد نفسه من دون وعى منه ، ويأتى بأحكام مبعثها الهوى وهو غير شاعر بما هو فيه

(بغداد) حسين الظريفي
المحامي

قالت لنا « الفَراشة » ! !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَرَّتْ عَلَيْكِ «فَرَاشَةٌ» كَهَوَاىَ بَاكِيَةُ الْجَنَاحْ
عَذْرَاءُ عَاطِرَةُ الرَّفِيــفِ كَأَنَّهَا حُلُمُ الصَّبَاحْ
وَكَأَنَّهَا مِيرُ الزُّهُو رِ سَحَرْتِ هَيْبَتَهُ فَلَاحْ
وَكَأَنَّهَا فِى الرَّوْضِ أُغْــنِيَةٌ مُوَلَّهَةُ الصُّدَاحْ
حَيْرَى تَمِيلُ مِنَ الْأَثِيــرِ إِلَى الْغَدِيرِ إِلَى الْأَقَاحْ
بِخَوَاطِرِى هَتَفَتْ فَكُنْــتِ بِهَا الْأَمَانِىَ وَالْجِرَاحْ
لِمَ لَمْ أَطِرْ نَغَماً عَلَيْهَا ، أَوْ صَدَى
أَفْنَى وَيَبْقَى فِى الْفَضَاءِ مُخَلَّدَا ؟
أَنَّى مَشَيْتِ أَتَاكِ فِى الْــأَنْسَامِ يَخْفِقُ وَالرِّيَاحْ
يُلْقِى إِلَيْكِ عِبَادَتِى وَحَيَا لِغَيْرِكِ مَا يُتَاحْ !

* * *

مَرَّتْ عَلَيْكِ وَكُنْتُ بَيْــنَ يَدَيْكِ مَسْحُورَ الْجَنَانْ
وَقَفَتْ بِنَا الدُّنْيَا وَمَا تَ بِأَيْكِنَا خَطْوُ الزَّمَانْ
فَكَأَنَّنَا فِى وَاحَةِ الْــغَيْبِ الْمُحَجَّبِ طَائِرَانْ
أَرْخَى عَلَيْنَا اللهُ أَسْــتَارَ السَّعَادَةِ وَالْأَمَانْ !
مَرَّتْ بِنَا . . . وَكَأَنَّنَا مِمَّا نُكَابِدُ آهَتَانْ
الْحُبُّ ذَوَّبَنَا بِكَأْ سِ فَيْضُ خَمْرَتِهَا حَنَانْ
قَالَتْ : عَذَابُ الرُّوحِ طَالَ بِهِ الْمَدَى
وَأَخَافُ يَخْطِفُهَا مِنَ الْأَمَلِ الرَّدَى
قُومَا وَرَائِىَ نَرْتَوِى مِنْ كُلِّ خَمْرٍ فِى الْجِنَانْ
مِنْ قَبْلِمَا يَأْتِى الْخَرِ يفُ فَلَا رَحِيقَ وَلَا دِنَانْ

محمود حسن اسماعيل

التسعيرة الجبرية

من حضارة الاسلام في الأندلس

للأستاذ محمود الشرقاوى

من هذه النظم الجديدة المحدثة فى مصر ، والتى جاءت بها هذه الحرب القائمة فكانت من النظم التى تريح الناس وتسهل عليهم قضاء حوائجهم الماشية : نظام البطاقات والتسعيرة الجبرية

« والتسميرة الجبرية » كما حددها الأمر العسكرى الذى صدر فى السنة الماضية بتطبيقها فى معاملات البيع والشراء ، وكما فهمها الناس ورأوها بعد ذلك فى معاملاتهم تلك ، هى أن يحمل الحاكم « الحكومة » سعراً خاصاً لكل سلعة ولكل مبيع يعرف مقداره بوزنه أو بقياسه أو بعدده أو بما يمكن أن يضبط به

وقد وجدت هذا النظام بنفسه مما كان يجرى به أمر الحاكم فى بلاد الأندلس على حكم المسلمين لها . فهو ليس من بدع هذه الحضارة الجديدة ولا من فنون أوربا ، فقد سبقتها به الحضارة الإسلامية منذ دهر طويل . وهذه الفقرة التى أنقلها عن كتاب « نفح الطيب »[1] فيها تفصيل ذلك :

وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة فى أهل العلم والفطن وكأن صاحبها قاض ؛ والعادة فيه أن يمشى بنفسه راكباً على الأسواق وأعوانه معه وميزانه الذى يزن به الخبز فى يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان : للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن ، وفى ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبى الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيان به من السوق مع الحاذق فى معرفة الأوزان ، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب فى الورقة ، ولا تكاد تخفى خيانته ، فإن المحتسب يدس عليه صبياً أو جارية يبتاع أحدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب ؛ فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يلقى

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى ص ١٠٢ جزء ٢ من طبعة الحلبى وشركاه بمصر

وإن كثر ذلك منه ولم يَتُبْ بعد الضرب والتجريس[1] فى الأسواق نفى من البلد

ولهم فى أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لأنها عندهم تدخل فى جميع المبتاعات وتتفرع إلى ما يطول ذكره »

فهذه الفقرة التى كتبها المقرى عن نظام الاحتساب فى الأندلس تدلنا على أن المسلمين فيها كان من نظم حضارتهم هذا الذى اصطلحنا على تسميته « التسعيرة الجبرية » وأنهم كانوا يعاقبون من يطفف الناس أو يزيد عليهم سعر ما يبتاعون . وكان من عقوباتهم فى ذلك التجريس ؛ وهو عقوبة مؤذية ضارة يفقد بها التاجر شرطه الأول للنجاح والربح وهو طيب السمعة . وأنهم وصلوا فى أعقاب المطففين والطامعين إلى عقوبة النفى

وكان صاحب الاحتساب — كما رأينا — يمشى بنفسه راكباً على الأسواق وأعوانه معه وميزانه

أما أن هذا النظام كان العمل به مقصوراً على الخبز واللحم كما يفهم من نفح الطيب فذلك أن الخبز واللحم كانا لذلك العهد قوام الحياة العامة ومطلب الضرورة الماشية للناس يشترك فيها الفقير والموسر . ولم تكن ضرورات الحياة ومطالب العيش بمثل ما نعرف فى حضاراتنا الراهنة من السعة والكثرة ...

أو أن المقرى ذكر الخبز واللحم مثالاً لما كان يقوم عليه نظام الاحتساب فى الأندلس فهو يريد بذكرهما التمثيل ولا يريد الحصر والتقصى .

محمود الشرقاوى

(١) الاسم الجرسة أى الفضيحة والتشهير والتسميع

رأى الفلك فى مستقبل الحرب

أدلى إلينا الأستاذ يوسف حفنى العالم الفلكى المشهور بنتيجة دراساته الفلكية عن نهاية الحرب القائمة فقال :

سيظهر بعد أربعة أشهر نجم ذو لون أحمر يرى على الأفق الشرقى فى جميع أنحاء العالم وسيكون حجم ذلك النجم كبيراً ونوره واضحا شديد الاحمرار وسيظهر ليلا بعد الغروب وعند انتقال الشمس إلى برج العقرب وسيرى ذلك النجم فى آخر برج الحمل ، ويدل ظهوره فى ذلك الوقت على أن رجلا خطراً على العالم ومجازفا جريئا فى إراقة الدماء سينتهى أمره — وإنى كعالم فلكى أقول صراحة أن مما يدل عليه ذلك النجم هو : أن إمبراطوراً لم يتوج سيموت مقتولا ولعل القراء قد فهموا من هذه العبارة أن الذى يعنيه الأستاذ الفلكى هو « هتلر » .

غارة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

جَلاك أم يغشاك ليل مقمرُ بدر ونُطفاً فى الديار الأنوَرُ
وتُمدُّ أذرعةُ الشعاع طويلةً ويصيح من فرق الوقاية منذر
النور أصبح بعض أسلحة المدى ولديهمو لا فى الظلام المنكر
وتقاصت كِسَفُ الظلام وكُشِّفت
للناظرين مدينة لا تستر
جرّ المدافع والمغيرُ كلاهما فَلَقَ الصباح كأنما هو مسفر
لولا المنون ولن يُحب لقاؤه لسبا العيونَ من الطوائر منظر
هبطت ثريّات مضاعفة السنا وكأنها فى بُطئها تتبختر
أعراس جِنٍّ أتقنت حفلاتها والإنس فيها كالذبائح تنحر
وانقضّ من وسط البروق صواعق
وعلا من الأرض الغبار الأكدر
كالعهن منفوشاً تطير منازل والله من كيد الأعادى أكبر
وتوالت الضربات لا مِن حاسب يُحصى ولا المحصى لها يتذكر
وتجاوبت بالنار ألسنة الردى يا سمعُ كم أسد بجوفك يزأر
رأسى كسندان القيون وناظرى تحت المطارق جفنه والمحجر
وبخاطرى من لا تفارق خاطرى أن تسلمى تحلو الحياة وتُشكر
الله أكبر ليس ييأس مؤمن والصبر سلوان وحظ أوفر
ذهبَ المغيرُ بقضه وقضيضه وانجاب من لج المصائب عِثْيَرُ
وأتى صباحٌ ليس أمثلَ من دجًى :
دورٌ محطمة وحيٌّ مقفرُ
وغدٌ نؤمله ونرجو خيره (والله يرزق من يشاء ويقدر)
يا رب لا تمنح عدوك رحمة أيريد بالدنيا الخراب وينصر
يا خالق الدنيا وحامى مجدها أتكون معبوداً ويعبد (هِتلَر)

عبد اللطيف النشار

الفقــــراء

[ملخصة]

LES PAUVRES GENS

لفكتور هوجو

للأديب حسين محمود البشبيشى

[إلى أستاذى العظيم « مترجم الفقراء » أهدى وحى ترجمته أقباساً من أنوارها ، وعبيراً من عبقة سحرها]

وفى ظلام الدجى ، والليل منسدلٌ
والكوخ يغرق فى الإملاق والظُّلَمِ !
على وسادٍ كَشّ الروح قد رقدوا والأم جاثية ، تهتزّ فى ألمِ !
كانت تصلّى وفى أفكارها صورٌ من عنصر النار ، لم تهدأ ولم تنم
باتت تصلى بظلّ الكوخ مُرعَشة
فى ظلمة الفكر بل فى ظلمة السَّقَم
ترنو إلى الزاخر العجاج خاشعة والموج عن شوقها الجبار فى صَمَم !
مثل الأفاعى صوب الشطّ ساعية أمواجه الرُّعن ، يالظالم الغَلِم (١)
باتت تنادى «أسير الموج (٢)» صارخة
والموج يُرْعشها فى كل مصطدم
فإن تفرق فى الآفاق شملُهما فقد تجمع شملُ الفكرِ والألمِ !
هى القلوب مهاد الحب تسكنها مع الفراق ، طيور الحب والرحم
ما باله لم يعد ، والليل منتصف والهول محتدم ، والصفو لم يدم
فى كل ثائرةٍ فى الموج مقبرة بل كل خافقة أسرار مُنْبَهِم !

يا ويل زوجته ، يا هول وحدتها !
قد هاجها عاصفٌ من هولِ أشجانِ
قامت إلى الزاخر العجاج ضارعةً ترجو من الموج ردّ الراحل الوانى
مصباحها خافق والسيل يمطرها والشوق فى جَنْبها ألوان نيرانِ !
وفى طريق البِلى مرّت بجارتها
ماذا رأت ؟ يا تُرى غير البِلَى الفانى !

---

(١) الغلم : المائج
(٢) أسير الموج : زوجها البحار



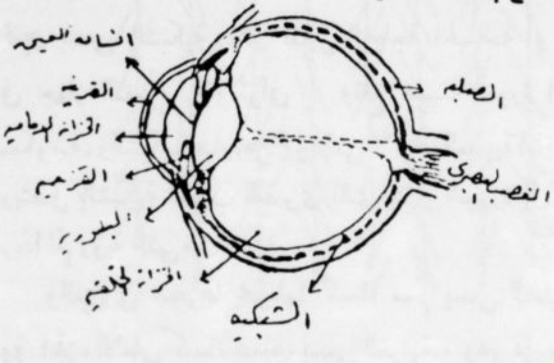
العيون التى صرعت العاشقين

للأستاذ أحمد على الشحات

سحر العيون — تركيبها — قصر النظر وعلاقته بالمدنية — طول النظر ووراثته من الأجداد — الاستجماتزم — بياض العيون وعلاقته بالأمراض — عينك تخدعك أحياناً

يا قارئ ! هل سُددت إليك يوماً سهام من عينين نجلاوين شع منهما السحر فسرت فى أوصالك الرجفة وألفتك صريع الهوى ؟ إن كان ذلك فدعنى أخفف عنك هذا الوقع وأرشدك إلى مصدر هذا السحر ومن أى جزء شع لعلك إن عرفت مصدره فى العين استطعت يوماً أن تغالبه فتغلبه

يا قارئ ! إن قلت يوماً لقد كانتا عينين زرقاوين أو سوداوين أو عسليتين حسبما كان لونهما فاعلم — حفظك الله من فتنتهما — أن هذا اللون صادر من جزء فى العين نسميه علمياً القزحية، وهو قرص مستدير ، ولون هذا القرص هو الذى يميز ألوان العيون وفى وسطه فتحة مستديرة تسمى إنسان العين ؛ ويتسع هذا الإنسان ويضيق وفقاً لشدة الضوء ؛ فى الضوء القوى يضيق حتى لا تدخل العين إلا كية قليلة من الأشعة ؛ أما فى الضوء الخافت فيتسع حتى يسمح لأكثر ما يمكن من الأشعة بالدخول . وهذا الضيق والاتساع تنظمه القزحية، وهو عمل غير إرادى ، أى أن المرء لا يستطيع أن يتحكم فى ضيق أو اتساع هذا الإنسان . والشاهد أن القط يستطيع الرؤية فى الظلام ؛ ذلك لأن إنسان العين فيه كبير جداً ، وبذا يسمح لدخول أشعة كثيرة لا يسمح بها إنسان عين الآدمى



(شكل ١)

وخلف إنسان العين نجد عدسة العين وتسمى البلورية، وهى محدبة الوجهين إلا أن وجهها الخلفى أكثر انحناء من الأمامى، والفراغ الذى أمام البلورية يملأه سائل شفاف يسمى السائل المائى، والجزء الذى يحويه يسمى الخزانة الأمامية ؛ وأما ما خلف البلورية فيملأه سائل هلامى، والتجويف الذى يحويه يسمى الخزانة الخلفية

ماتت ومن حولها طفلان ضمّهما
فى شقوة العمر هول العاصف الجانى !
يُساقط السيل دمعاً فوق وجنتها ... ويعزف الموجُ لحنَ الذابِل العانى
هيا ارقصوا وافرحوا يا قوم وابتسموا
إن الحياة سبيل العالم الثانى !

وفى حنانٍ وخوفٍ عاصفٍ حملتْ ... أبناء جارتها فى نبل روحانى !
قد هاج خاطرَها الإملاقُ فاضطربت
وثار فى جانبيها روحُ تحنان
أترهبُ الزوجَ ؟ والإملاق يعركها !
أم ترقب الله فى خيرٍ وإحسانِ !
وفى سكون من الأحـلام سابحة
غابت عن الكون فى صمت وأشجان
غابت عن الكون لم تسمع لهامسةٍ ... من النسيم ولم تحفل بطوفان !
وبينما هى فى أعماق حيرتها ... إذ عاد «بحارها» فى روح جذلان
قصّتْ عليه حديث الليل ساردة ... عن موت جارتها ألوان أحزانِ !
فاهتز هزة من قد مسّه ألم
وقال : هيا إلى الطفلين يا (جانى)
إن الذى قدّر الأرزاق يرزقنا ... لا أرهب الدهر والرحمن يرعانى !
وهاجه أنهـا لم تمض مسرعة
وقال : ويحك ! قالت : هاهما ذان !

حسين محمود البشبيشي (المنصورة)

والبلورية يحوطها عند طرفيها عضلات ؛ وبتأثير شد هذه العضلات أو ارتخائها يتكيف شكل البلورية ؛ فإذا نظرت العين إلى شيء بعيد تفلطحت البلورة، وإذا نظرت إلى شيء قريب انتفخت. والتغير في شكل البلورية مستمر ما دامت العين تنظر إلى الأشياء حتى أثناء قراءتك في السطر الواحد يحدث تغير مستمر ولو أنه طفيف ؛ وتستطيع أن تلمس هذا التغير إن قربت المجلة إلى عينيك فتشعر كأن هناك ضغطاً في العين ، وبعد أن تمر الأشعة بالبلورية والسائل الهلامي تنعكس صورة المرئي على جزء حساس في قاع العين يسمى بالشبكية ، وهي تقابل الزجاجة الحساسة أو الفلم في جهاز التصوير الفوتغرافي ، وتقع عليها صورة المرئي معكوسة. والشبكية عبارة عن مجموعة من الألياف العصبية الدقيقة؛ ويتصل بالشبكية العصب البصري الذي ينقل الصورة إلى المخ وبذا تتم رؤية الشيء

والعين في محجرها يحوطها كساء معتم يسمى الصلبة ، وفي الجزء الأمامي كساء شفاف يسمى القرنية ، وهو على هيئة زجاجة ساعة كبيرة التحدب

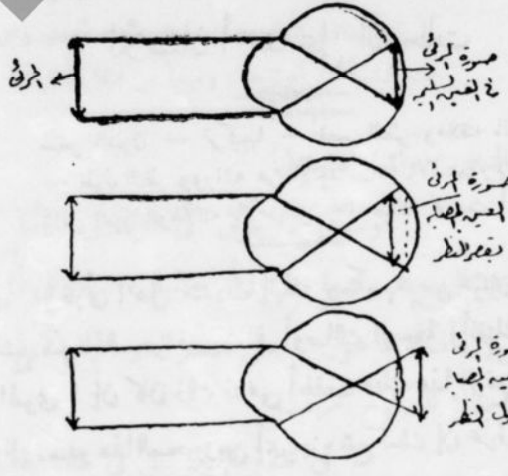
وجميع المناطق التي يمر بها الضوء في العين شفافة ، فيبدأ بالقرنية ، ثم بالخزانة الأمامية، فإنسان العين، فالبلورية ، فالخزانة الخلفية ، إلى أن يصل إلى الشبكة ، والنقطة التي يلتقي فيها العصب البصري . بالشبكية غير حساسة ، وإذا وقعت صورة المرئي عليها فإنه لا يرى . ويمكن الاستدلال على وجود هذه النقطة إن أنت نظرت إلى النجمة والهلال (شكل ٢) . اقفل الآن عينك اليمنى وصوب اليسرى نحو النجمة ، ثم قرّب المجلة إليك شيئاً فشيئاً تصل إلى وضع لا ترى فيه الهلال ؛ ذلك لأن صورة الهلال في هذا الوضع قد وقعت على النقطة العمياء . على أنه بجوار تلك النقطة توجد أخرى صفراء إذا وقعت صورة المرئي عليها كانت أوضح ما يمكن واسمها النقطة الصفراء



(شكل ٢)

وكلما تقدم العمر بالإنسان تصلبت البلورية وعضلاتها نوعاً ما حتى لا تستطيع أن تتكيف حسب أبعاد الأشياء، ولذا يجد المتقدم في العمر نفسه في حاجة إلى منظار يسد به هذا النقص

على أنه قد يكون هناك نقص طبيعي في بعض العيون فمنها مالا ترى الأشياء إلا على بعد أقل مما تراه فيه العين الطبيعية السليمة ويعبر عن هذا النقص بقصر النظر ؛ ومنها ما لا ترى إلا على بعد أبعد مما ترى فيه العين السليمة ويسمى بطول النظر. والتعليل العلمي لذلك تفسره الرسوم التي في شكل (٣) فالرسم الأعلى يمثل العين السليمة وأن صورة المرئي تقع على الشبكية تماماً فيرى الشيء بوضوح



(شكل ٣)

أما الرسم الأوسط فيمثل العين المصابة بقصر النظر ويلاحظ فيها أن العين مصابة بطول من الخلف للأمام ، ونتيجته أن تقع صورة المرئي أمام الشبكية ؛ ولذا لا يرى الشيء بوضوح ويتعين على الناظر أن يقرب من المرئي

والرسم الأخير يمثل العين المصابة بطول النظر ، ويلاحظ أن العين مصابة بقصر في طولها من الخلف للأمام، ونتيجته أن تقع صورة المرئي خلف الشبكية وعلى الناظر أن يقف على بعد أطول مما يقف عليه ذو النظر السليم

ولقد شاع قصر النظر حين تمدين العالم وازدحمت المدن بالناس وبالمنشئات من عمارات ومصانع وغيرها ، وأصبحت العين تقع على أشياء كثيرة قريبة في محيط ضيق . ويصاب الإنسان به عادة بين سن العاشرة والسادسة عشرة ، وهو غالباً ما يكون سن التحصيل في الدرس، ولذا يصاب به المتعلمون أكثر من الأميين؛ ونتيجة لذلك تصاب به المدن المتحضرة أكثر من تلك التي لم ينتشر العلم فيها ، ويعالج قصر النظر باستعمال عدسة مقعرة

وأما طول النظر فكثيراً ما يكون عند الأطفال ثم يتلاشى تدريجياً كلما كبر الطفل

وأغلب الظن أن هذا النقص قد ورثه الناس عن الأجداد

الأقدمين الذين كانت بيئتهم وظروف العيش آنئذ تحتم عليهم أن يقتاتوا مما يصطادونه عن بعد ، وكانت الفلاة واسعة أمامهم ويعالج هذا النقص باستعمال عدسة محدبة

على أن هناك نقصاً آخر فى العين يعبر عنه بالاستجماتزم ، وهو ناتج عن عدم الانتظام فى انحناء القرنية ، ونتيجة لهذا النقص يحدث للمصاب به حين يرى الوقت فى ساعته مثلاً ، ألا يرى أحياناً أحد عقربى الساعة ، ويخيل إليه أنه غير موجود ؛ وذلك حين يتعامد العقربان (مثلاً حين تكون الساعة الثالثة تماماً) كذلك لا يستطيع هذا المريض إن رسمت له مجموعتين إحداهما من الخطوط الأفقية والأخرى من الخطوط الرأسية ، أن يميز إلا واحدة منهما فقط

وللأمراض التى تنتاب الإنسان تأثير فى لون بياض العين ، فإن اختلط بزرقة دل على اضطراب فى الجهاز الدورى أو أمراض قلبية أو أنيميا . وإن مال إلى الصفرة دل على مرض فى الكبد . وإن شابه اخضرار كانت الأمعاء متعبة . وإن تعكر بلون أحمر كان نتيجة احتقان أو انفعالات عصبية فى الوجه ، أو ألم فى العين ذاتها

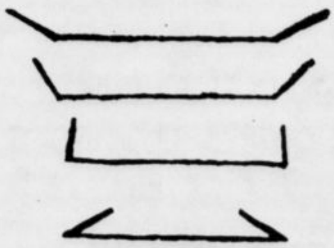
والآن هل لك يا سيدى أن أطلب إليك ألا تصدق كل ما تراه عيناك ؟ قد يبدو هذا عجيباً ، ولكن عذرى أن أعطيك الدليل الملموس

فى الشكل (٤) أيهما أطول ؟ المستقيم : أ ب ، أم جـ د ؟



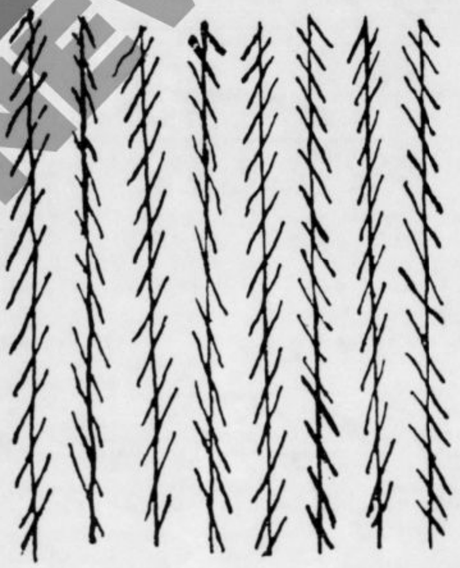
(شكل ٤)

وفى الشكل (٥) أى المستقيمات الأفقية أطول ؟



(شكل ٥)

وفى الشكل (٦) هل المستقيمات الرأسية متوازية أم غير متوازية ؟ أغلب الظن أن النظر سيخطئ ، وسيحكم بأنه فى الشكل (٤) المستقيم (ا ب) أطول من الآخر ، مع أنهما فى حقيقة الأمر متساويان . وفى الشكل (٥) سيخيل إلينا أن المستقيم الأعلى هو الأطول مع أن الأربعة جميعها متساوية فى الطول . وفى الشكل (٦) سنقول إن المستقيمات الرأسية غير متوازية ، مع أنها جميعاً متوازية



(شكل ٦)

ولكنه خداع النظر الذى هيأ لنا ذلك وعليك بالقياس

والسراب يا سيدى : السراب الذى تؤكد لك العين أن هناك مجرى ماء ، وقد تكون فى بيداء قاحلة فتجرى إليه لتروى ظمأك ، وتظل تجرى وتجرى ، ولو شئت لجريت إلى ما شاء الله ولكن لن تصل إليه مع أن العين أكدت لك أنه قريب هناك .

إذن ! حذار يا سيدى فالعيون خادعة

أحمد على الشحات



عبد القادر حمزة و «المقالة الافتتاحية» (١)

على غير تعارف بينى وبين الأستاذ الجليل عبد القادر باشا حمزة — رحمه الله — كنت أكن له فى نفسى من الإجلال والإكبار ما نما وترعرع على الزمن : لكريم سجاياه ، وكمال رجولته ، ولما كان يحمل من قلم بارع ، ولما اختطه لنفسه من أسلوب شائق فى الكتابة السياسية

ولقد كنت أحس من أسلوبه هذا أنه كان يرمى إلى إحياء عهد (المؤيد) و (الجريدة) فى إعلاء شأن (المقالة الافتتاحية) ورفع مستواها

فقد كان (المؤيد) يمتاز من بين صحف ذلك الزمن بمقالاته الممتعة التى كان يطلع بها على الناس صاحبه القدير ، والتى كان لها من الشأن فى مصر والشرق ما لا يمكن أن يصفه إلا من حضر ذلك العهد وشاهد عظمة (المؤيد) وقوة سلطانه

ولقد كنا معشر الشباب إذ ذاك نرقب (المؤيد) عصر كل يوم ـ ولا سيما فى الأزمات والأحداث الجسام ـ فنتخاطفه فيما بيننا . فلا والله ما كانت تعنينا حوادثه ولا أخباره ولا برقياته فهذه كانت قدراً مشاعاً بين الجرائد جميعاً ؛ وإنما كان همنا المقال الافتتاحى : فى شائق أسلوبه ، وبارع نقاشه ، ولاذع سُخره ؛ وفيما كان يعالج من مشكلة اليوم أو مشكلاته ، وفيما كان يتناوله أحياناً من أدب أو اجتماع أو نقد أو وصف ، أو مُقارعة قِرْن أو مناهضة نِد

فلا غرو أن كان (المؤيد) فى الحقبة الطويلة التى عاشها أثر لا ينكر فى نهضة الكتابة المرسلة ، وترقية الفنّ الجدلى ؛ فقد كان الشيخ على يوسف مجادلاً من الطبقة الأولى ؛ ولا غرو أيضاً أن أحل الشيخ مؤرخو الأدب بالمكانة اللائقة به بين كبار المترسلين فى عصره ، وهو عصر لم يكن قد خلص خلوصاً تاماً من رِبْقة السجع وغثاثة الأساليب الكتابية فى مصر والشرق العربى

ومقالات الأستاذ الحكيم أحمد لطفى السيد باشا فى (الجريدة) أشهر من أن تعرف ، فقد عنى بها النقاد ، وأطراها المتأدبون ، وتحدثوا عن عمقها ، وبُعد غورها ، ونصاعة أسلوبها ؛ غير أنه لم يتح لى أن أطلع إلا على قليل منها

ومنذ قريب رأيت للأستاذ الدكتور زكى مبارك نقداً فى (الرسالة) لمجموعة منها ، انتخبها الأستاذ إسماعيل مظهر من أعداد (الجريدة) ، وطبعها وقدم لها . وإنى لعلى أمل أن أدرس هذه المجموعة وأعلق عليها فى (الرسالة) استكمالاً لهذا البحث

* * *

ودارت الأيام بعد (الجريدة) ، ومرت السنون ، وكنت فى غضونها أتفقد الصحافة السياسية ، فى مختلف نزعاتها وأهوائها لعلى أظفر بذلك الضرب من المقالة الافتتاحية ، تلك المقالة التى تشف عن علم وإحاطة ، وتكشف عن الحقيقة فيما يُعالَج من أمر وتشعرك بالثقة بأنك إنما تقرأ جداً لا لغو فيه ولا عبث — كل أولئك فى سلامة تعبير ولطف تأت وبعد عن التعقيد والحشو — حتى جاء عبد القادر حمزة على ظمأ ، فحقق الرجاء

* * *

أدركت (الأهالى) أول ما صدرت بالأسكندرية ، ولم أكن قد قرأت بعد شيئاً لعبد القادر حمزة ، ولم يكن الرجل حينئذ نابهاً بين الكتاب ، ولكن سُرْعان ما التفتت إليه الأنظار وتحدث عنه الناس ؛ إذ لمحوا فى (الأهالى) صفات غير التى يعهدون فى الصحف ، ورأوا فيها طرافة ، ورأوا فيها خروجاً على المألوف المملول

وهنا بدأ عبد القادر ينشئ مقالاته على طريقته الفذة ، وهنا أيضاً بدأ القراء يتذوقون فناً جيلاً من التعبير ، ولوناً شهياً من ألوان التحرير

ولم تُعمّر (الأهالى) ؛ بل اختُضِرت وشيكا ، وجاء (البلاغ) ، فوصل فيه عبد القادر ما انقطع ؛ وطفق يعمل غير وان ولا فاتر . ونضجت (المقالة) على مر الأيام ، وصقلتها المرانة وعادت تحمل طابعَ كاتبها ، وتمتاز بصفات لها وحدها

وإذا كان الناس قد شغفوا بمقالات عبد القادر ، فإنما ذلك لإجازتها وسلاستها واستيعابها وبعدها عن الإسفاف والتهاتر ؛ حتى لقد كان فى مصارعة الخصم ، ومنازلة المنافس ، لا يحمل غير المنطق سلاحاً للصيال . والمنطق ـ كما قد تعلم ـ من خصائص أسلوب عبد القادر المتغلغلة فى صميمه

(١) The leading article وبعضهم يسميها المقال الرئيسى

كان على يوسف يدعو لرأى سيامى ؛ وكذلك كان عبد القادر حمزة ، فعمدا كلاهما إلى أن يصلا إلى قلوب الجماهير فى يُسْر لا تكلف فيه ، فتوخيا سهولة العبارة ، وجانَبا النابى من الألفاظ ، والمستَصْعِبَ من التراكيب ، كما جانبا الزخرف والتمحل والتفصح ، فجاء الأسلوبان من السهل الممتنع حقاً .

على أن الرجلين نبتا فى عصرين مختلفين كل الاختلاف : فلم تكن الكتابة — كما أشرنا آنفاً — قد نهضت بعد فى عصر على يوسف ، بل كانت تحبو إلى النهوض . فليس غريباً إذاً ألا تخلو مقالاته — على ما فيها من حياة وقوة — من زلاّت لغوية وتركيبية ، وأن يتداخلها أحياناً شيء من ضعف التأليف نلحظه دائماً فى كتابات ذلك العصر .

ولا كذلك عبد القادر حمزة : فقد نشأ فى بيئة غير تلك ، وعصر نبُهت فيه العربية ، ونضجت الأقلام ، حتى إنْ مصر لتُباهى فيه بكتاب هم بلا شك من مفاخر العربية .

هـذه إلمامة عامة مجملة . وتفصيلها يقتضى بحثاً طويلاً ، ودراسة مسهبة لهؤلاء الرجال وأزمانهم وثقافتهم ، ثم كتاباتهم ، وكيف كانت أولاً ، وكيف تطورت ، وعوامل كل أولئك ونتائجه . ولا شك أن تاريخ الأدب الحديث سيقول فى ذلك كله قوله الفصل .

(ا . ع)

إلى الأستاذ محمود شلتوت

ورد فى مقالكم القيم (الإسلام والعلاقات الدولية) العدد ٤١٥ من الرسالة الغراء عن أسرى الحرب فى الإسلام ما يلى : «خير الإمام بين إطلاقهم من غير مقابل وفدائهم على حسب ما يرى من المصلحة . وقد مَنَّ صلى الله عليه وسلم وفادى بالمال وبتعليم الأسارى أبناء المسلمين الكتابة . أما استرقاقه صلى الله عليه وسلم أو إباحته للاسترقاق فقد كان مجاراة لحالة اجتماعية سائدة فى الأمم إذ ذاك ولم يكن على وجه التشريع العام ، وإنما التشريع العام فى ذلك قوله تعالى : « فإما مَنًّا بعد وإما فداء »

فهل لنا يا سيدى الأستاذ أن نفهم من ذلك أن الرق فى الإسلام من قبيل الأحكام التى تزول بزوال أسبابها ومقتضياتها كتركه صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح بالناس معللاً هذا الترك بقوله : إنى خشيت أن تفرض عليكم . حتى إذا ما أكملت الشريعة وفصلت الأحكام وانتقل النبى الكريم إلى الرفيق الأعلى وزالت خشية فرضيتها جمع عمر بن الخطاب الناس عليها وقال : نعم البدعة هذه ؟

وكذلك ما ذهب إليه كثير من فقهاء السلف والخلف من إسقاط المؤلفة قلوبهم من سهم الزكاة مع أن الآية بظاهرها قد جعلت لهم نصيباً مفروضاً منها ؛ قال تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم) الآية ٦٠ من سورة التوبة ، وقالوا إن إعطاءهم هذا السهم إنما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام إذذاك فى قلة وضعف . وقد زال ذلك بظهور الإسلام وإعزازه واستغنائه عن تأليف القلوب لدخولها فيه أو كف أذيتها عنه . ولهذا فإن الخلفاء الراشدين لم يعطوهم شيئاً . وقال عمر إنا لا نعطى على الإسلام شيئاً فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وقد اشتد فى رده للأقرع ابن حابس المجاشى وعيينة بن حصن الفزارى فى خلافة الصديق رضى الله عنه وقال لهما : اذهبا واجهدا جهدكما ، لأرعى الله لكما إن رعيتما . لقد تألفكما رسول الله والإسلام قليل

وقد تغيرت اليوم الأوضاع الاجتماعية للأمم وأصبح الرق السائد فى الأمس يكاد أن يتواضع الناس اليوم على أنه إضرارٌ وجريرة كبرى . فهل لنا يا سيدى الأستاذ فى مجاراة هذه الحالة السائدة اليوم أن نمنع الرق فى الشريعة الإسلامية كما منعنا سهم المؤلفة لزوال المقتضيات والأسباب ؟

وتقبلوا فائق التحية والاحترام .

محمد كامل الحامى
نزيل القاهرة

تصحيح مثل

قرأ البلاغيون فى بعض الكتب من ضمن الأمثال قول القائل : « النحو فى الكلام كالملح فى الطعام » وهو قول كما ترى فاسد خاطئ ، فأتعبوا أنفسهم فى نقده وتشريحه ، وإيراد التأويلات المختلفة لتصحيحه وتسويغه ؛ فقال الخطيب القزوينى فى كتابه (الإيضاح) ما نصه : « وإذا علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان — يعنى المشبه والمشبه به — علم فساد جعله فى قول القائل : (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) كون القليل مصلحاً والكثير مفسداً ، لأن القلة والكثرة إنما يتصور جريانهما فى الملح ، وذلك بأن يجعل منه فى الطعام القدر المصلح أو أكثر منه دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلاً ، فإن وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه ، وانتفى الفساد عنه ، وصار



سمبر ايدم

عن الإنجليزية

للأستاذ فوزى الشتوى

كان الجراح « بكتل » رحيماً على غير عادته ، برغم حادثة بسيطة ، أو بعبارة أدق برغم إهمال بسيط حدث فى الليلة الماضية ، فأدى إلى وفاة رجل كان ينتظر له الشفاء . وكان الرجل من أولئك البحارة الكثيرين ، إلا أن وفاته أقلقت كبير الممرضين منذ الصباح . ولم يكن سبب قلقه وفاة الرجل ، فهو يعرف الجراح « بكتل » فى مثل هذه المسائل ، ولكن جزعه كان يرجع إلى نجاح العملية الجراحية برغم دقتها وخطورتها ، وبهذا انتقل أمر شفاء المريض من يد الجراح إلى يد الممرض وإلى العناية بأمر العلاج ؛ ولكن الرجل مات ، بدون سبب سوى إهمال بسيط ، ولكنه سبب كاف لإثارة سخط الجراح « بكتل » وسبب كاف لإسماع كبير الممرضين قوارص الكلام ، ثم إرسال موجة من الاضطراب بين صفوف جميع الممرضين والممرضات لمدة ٢٤ ساعة كاملة

وعلى رغم هذا كله كان الجراح « بكتل » رحيما على غير عادته ، فمنذ ما أخطره كبير الممرضين وهو يرتجف رعباً بوفاة الرجل الفجائية لم تنفرج شفتاه عن كلمة تقريع أو لوم ، وظلتا مضمومتين فانسابت منهما علامات الغضب بسكون لم يقطعه إلا سؤاله المستبشر عن صحة الرجل الآخر . ولم يصدق الممرض ماسمع فمن المستحيل أن يكون الدكتور سمع الموضوع فأعاد شرحه ففقد الدكتور « بكتل » صبره وقال : فهمت . فهمت ، وماذا جرى لسمبرايدم ، هل هو مستعد لمغادرة المستشفى ؟

— نعم ياسيدى وهم يساعدونه الآن على ارتداء ملابسه .

قال كبير الممرضين مكملاً تقريره مسروراً لأن السلام يستقر بين جدران المستشفى :

فلم يكن للأرواح عند الدكتور « بكتل » من قيمة ، وكان فقدها أحد حوادث المهنة التى لامفر منها ؛ أما الحالات وخصوصاً الحالات الغريبة ، فقد كانت كل شىء لديه . ولهذا عوضه شفاء سمبر ايدم عن وفاة البحار

أطلق الناس على الدكتور « بكتل » اسم الجزار . أما زملاؤه

منتفعاً به فى فهم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان فاسداً لا ينتفع به . فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً لاشتراكهما فى ذلك ... »

والحق أننى لم أسترح إلى قبول هذا التوجيه الذى ذكره الخطيب لتصحيح المثل ، وبقيت منه على علة ؛ وبينما كنت أقرأ فى كتاب « نفائس المجالس السلطانية » الذى نشره الدكتور عبدالوهاب عزام ضمن كتابه الأخير « مجالس السلطان الغورى » ؛ إذا بى أقف على تحريف فى المثل السابق ، وأعلم أن صحته كما جاء فى الصفحة الثامنة والستين من كتاب النفائس المذكور إذ وردت فيه هذه العبارة :

قال بعض الحكماء : الهزل فى الكلام كالملح فى الطعام !

ومن اليسير على القارئ أن يدرك جمال المعنى فى قول ذلك الحكيم : « الهزل فى الكلام كالملح فى الطعام » فإن الكلام إذا خلا من الهزل المباح المحمول كان جافاً ثقيلاً ، وكانت النفوس أسرع إلى النفور منه والمعزوف عنه ، وقد كان النبى صلوات الله عليه يمزح أحياناً ؛ وإن كان لبلاغته وتمكنه وعصمته لا يقول فى مزاحه إلا حقاً . وإذا زاد الهزل فى الكلام كان ذلك أدعى إلى الإفحاش فيه ، والخروج به إلى المجانة والهذر . ولعل مما يستأنس به لذلك قول الرسول الكريم : « كثرة الضحك تميت القلب » وقوله ما معناه : « كثرة المزاح تسقط الهيبة » . وبذلك يتضح أن التشبيه — بعد التصحيح السابق — قد استكمل شرائطه ، وصار له من الجمال والدقة ما له .

فليُرح البلاغيون أنفسهم ، وليستبدلوا كلمة « النحو » بكلمة « الهزل » فيستقيم لهم المثل ، وفوق كل ذى علم عليم .

« البجلات » أحمد الشرباصى

فكانوا يعتقدون أنه لم يقبض على مبضع الجراح رجل أجرأ ولا أكفأ منه . لم يكن رجلاً خيالياً ولا عاطفياً ، بل كانت طبيعته علمية مضبوطة وصادقة . لم يكن الرجال في عرفه سوى ودائع لا شخصية لها ولا قيمة ، إلا أن أمره كان يختلف في الحالات الغريبة ، فكلما كان الرجل عطبا ، وكلما قل الأمل في شفائه زادت أهميته في عيني الدكتور بكتل ، فهو يتخلى عن شاعر الملك إذا كانت حادثته عادية ليعنى بأمر متشرد تحدى جميع قوانين الحياة ورفض أن يموت

وهكذا كانت الحال في حالة سمبر ايدم . لم تجذب الدكتور بكتل غرابة أطوار سمبر ايدم ولا صمته ، ولم يحاول إزاحة الستار عن مأساة غرامه كما حاول الصحافيون إثارة الناس دون جدوى في صحف الأحد . لم يثر شيء من هذا اهتمام الدكتور بكتل ، وإنما أثار اهتمامه أن رقبة سمبر ايدم قطعت ، وفي هذه النقطة وحدها تركزت كل لذته ، فقد قطعت من الأذن إلى الأذن ، وما كان جراح واحد من ألف ليرى بارقة أمل في شفائه ، ولكنه بفضل عربات الإسعاف السريعة وبفضل الدكتور بكتل عاد مرة أخرى إلى الحياة التي حاول أن يتركها

وعندما عرضت الحالة على مساعدي الجراح بكتل هزوا رؤوسهم وقالوا محال ، فقد أصيبت الحنجرة والقصبة الهوائية والعنق بأضرار بالغة فضلاً عن كمية الدماء الكبيرة التي نزفت . وبناء على هذه النتيجة جرب الجراح بكتل عدة وسائل ، وأجرى عدة عمليات جعلت زملاءه برغم تضلعهم في الفن يقفون مشدوهين وأكثر من هذا أن الرجل شفي

وهكذا مر اليوم في المستشفى بسلام دون أن يسوده الاضطراب والذعر نتيجة لتقرير كبير الممرضين . فقد كان من الأمور السارة أن يغادره في ذلك اليوم سمبر ايدم صحيحاً معافى ، بل إن جثة الطفل الذي صدمه الترام فجعتها لم تؤثر على المرح السائد ولم ترسل موجة الأسف العادية

وأثارت قضية سمبر ايدم إعجاب كثيرين، وأثارت كثيراً من اللغط ؛ فقد وجد في أحد منازل الإحسان مقطوع الرقبة والدم ينزف منها فتساقطت نقطة على الغرفة السفلى فدب الذعر في صفوف سكانها ؛ وكان من الواضح أنه فعل فعلته وهو واقف ورأسه منحن إلى الأمام حتى يظل نظره موجهاً إلى صورة موضوعة على طاولة ، ومسندة إلى شمعدان ، فأتاح هذا الوضع للجراح بكتل أن يتم معجزته . فلو تغير الوضع وكان انحناء الرأس إلى الخلف، لتمددت الأوعية المنقية وتم الانتحار على خير ما يرام ، ولفقد الجراح بكتل لذة تنفيذ أعجوبته

ومضى سمبر ايدم طول مدة عودته إلى الحياة في المستشفى دون أن ينبس بكلمة ؛ حتى ضابط البوليس لم يظفر من شفتيه بأية معلومات أو تفاصيل . ولم يعثر على إنسان واحد عرفه أو تحدث إليه ؛ فقد كان ظاهرة غريبة شاذة . دلت ملابسه على أنه من أحط طبقات العمال ، ولكن يديه دلتا على يدي رجل مهذب . وفحصت ملابسه قطعة قطعة فلم يعثروا فيها على ورقة واحدة أو دليل واحد يدل على ماضيه أو مركزه الاجتماعي ، فلم يكن لديهم إلا الصورة الفوتغرافية

أما المرأة التي كانت تنظر من خلال الصورة فكانت بديعة صافية الجمال تلتقي عيناها بعيني المحدق فيها . وعبثاً بحث المخبرون السريون عن اسم مصورها ؛ فقد كانت من تصوير أحد الهواة . وفي أحد الزوايا ظهر خط نسائي دقيق كتب « سمبر ايدم ، سمبر الأمين » باللاتينية ؛ وكما يذكر كثيرون كان وجهها من الوجوه التي لا ينساها الإنسان أبداً . نشرت صورتها في عدة جرائد رئيسية ؛ ولكن مثل هذا الإجراء لم يظهر دليلاً جديداً وإن أثار فضول الجمهور ووفر المجال أمام الصحفيين للفروض والتخمينات

واشتهر المنتحر المنقذ باسم سمبر ايدم لزوار المستشفى وفي العالم أجمع ؛ فهو لم يحاول تغيير هذا الاسم . وتعب الصحفيون ورجال البوليس والممرضون في استطلاع أمره ، ولكن شفتاه لم تنفرجا عن كلمة واحدة رغم بريق عينيه الذي كان يدل على أن أذنيه سمعتا وأن عقله أدرك ما وجه إليه من أسئلة . وأخيراً أهملوه وبقي له اسم سمبر ايدم

إلا أن هذا الغموض الماثل والنزام المنيف لم يكن له معنى عند الجراح بكتل عند ما استدعى مريضه إلى مكتبه ، فهذا الرجل فى عرفه هو الأعجوبة التى تمت على يديه فعمل فيه ما اعتبره فن الجراحة مستحيلاً ، دون أن يهتم باسم الرجل أو ماضيه ، بل كان من المحتمل ألا يطلب رؤيته مرة ثانية ، ولكنه فى هذه اللحظة كان كفنان يحدق فى المخلوق الذى أوجده . فقد أراد أن يرى صنع يديه وعقله للمرة الأخيرة

واحتفظ سمبر ايدم بصمته ؛ وكان يبدو عليه السرور لمبارحته المستشفى دون أن يفوز منه الجراح بكلمة ، وإن كان فى الواقع لم يهتم بصمته أو كلامه ، وكل ما عمل أن اختبر رقبة المريض بدقة ، فتحسس أثر التحام الجرح البشع الطويل متمهلاً كأنه أب يحنو على ولده . ولم يكن المنظر مريحاً ، إذ كان يمثل خطاً يلف حول الرقبة ويختفى تحت الأذنين كما لو كان صاحب هذه الرقبة خارجاً من تحت حبل المشنقة

وصبر سمبر ايدم على هذا الاختبار كأنه أسد سجين ، فكل رغبته أن يختفى عن أعين الناس . وأخيراً قال الجراح بكتل وهو يضع يده على كتف الرجل ويختلس نظرة أخيرة إلى صنع يديه :

— حسن ! لن أحجزك . ولكن دعنى أقدم إليك نصيحة صغيرة : عند ما تحاول قطع رقبتك مرة ثانية إرفع ذقنك ولا تلقها إلى الأمام ثم اذبح نفسك كبقرة

ولمت عينا سمبر ايدم علامة على أنه سمع وفهم ؛ وبعد لحظة كان باب المستشفى ينغلق خلفه

كان ذلك اليوم أحد أيام الجراح بكتل المليئة بالعمل ، فلم يتح له أن يشعل سيجاره الكبير إلا بعد أن أوشك العصر أن ينتهى . وكان آخر حادث عرض عليه حادث رجل يجمع الخرق كسرت إحدى عظام كتفه . تخلص منه بسرعة وجذب نفساً طويلاً من سيجاره وأوشك أن يغادر طاولته ، وما كادت رائحة الدخان وأشكاله البيضاء تنتشر فى جو الغرفة حتى سمع صوت جرس إحدى سيارات الإسعاف السريعة يطن فى أذنيه منبعثاً من نافذة الغرفة المطلة على الشارع ، وتبعها دخول نقالة تحمل إنساناً جديداً

ووضع الجراح بكتل سيجاره فى مكان أمين وقال : « ضعه على المشرحة . ماذا حدث ؟ »

فقال أحد حاملى النقالة : « حادث انتحار بقطع الرقبة فى زقاق مورجان ، وأعتقد أن الأمل ضعيف وأنه مات تقريباً »

« حسن سأراه على أية حال »

ومال الطبيب الجراح على الرجل فى اللحظة التى اهتز فيها جسمه هزته الأخيرة وأسلم الروح . وما كاد كبير الممرضين يراه حتى قال : « إنه سمبر ايدم ! عاد مرة ثانية »

فقال الجراح : « نعم ولكنه رحل . ولا فائدة هذه المرة فقد أتقن التنفيذ . نفذ نصيحتى حرفياً . خذه إلى معرض الموتى »

ووضع سيجاره بين شفتيه ثم أعاد إشعاله وقال لكبير الممرضين من ثنايا الدخان المتصاعد : « هذا يعادل الرجل الذى فقدته أنت فى الليلة الماضية ، فنحن متساويان الآن »

فوزى الشتوى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 418

Lundi - 7 - 7 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٤١٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٧ يولية سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٨٥٧ من البكاء إلى الضحك ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٨٥٩ أبو المظفر الأبيوردى شاعر العرب ... ... : الدكتور عبدالوهاب عزام ...
٨٦٢ الحديث ذوشجون ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٨٦٦ أنة وزفير ... ... : السيدة الفاضلة « ليلى » ...
٨٦٧ اللهجات العامية الحديثة ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٨٧٠ جيل وجيل ... ... : الأستاذ محمود البشبيشى ...
٨٧٣ مدن الحضارات فى القديم والحديث ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٨٧٥ الوضع الصحيح للاصلاح الاجتماعى فى مصر ... ... : الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر
٨٧٧ أغنية روسية [قصيدة] : الأستاذ على محمود طه ...
٨٧٨ دوحة الحب ... » : الأديب مصطفى على عبد الرحمن
أحياء الاسكندرية » : الأستاذ عبد اللطيف النشار
حلم ... » : الأديب عمر أبو قوس ...
٨٧٩ تعقيب على خبر . ... : الأستاذ محمد فريد أبو حديد
محصول « الرسالة » ... : الأستاذ حبيب الزحلاوي ...
٧٨٠ من جديد ... ... : الأستاذ الـكبير (ا.ع) ...
فتوى واستفتاء ... ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...
٧٨١ عجوز وعجوزة ... ... : الأستاذ محمد حفنى الأندى ...
جامعة الأدب الحر ... ... : ... ...
تصويب ... ... : ... ...
٧٨٢ القوة ... ... [قصة] : الأستاذ نجيب محفوظ ...

من طرائف الأزهر القديم

من البكاء إلى الضحك!

لا تزال طوائر المنون تحلق فى سماء الإسكندرية فترسل الصواعق والشهب على أهلها الغافين فى أكناف الأمان، فتدك المنازل، وتطحن الأجساد، وتخسف الطرق، وتقذف الرعب فى قلوب الناجين فيخرجون من دورهم هائمين على وجوههم، فى مدارج السهول ومسالك الحقول وأزقة القرى؛ حتى إذا ارفضّ عنهم الهلع واستقر بهم القِرار، نظروا فى أنفسهم، فإذا هم على أرصفة المحطات، أو على حواشى الطرقات، أو تحت أفياء الجدُر، فى ملابس النوم، أو فى مباذل البيت، لا يملكون ما يمسك الرمق ولا ما يستر الجسم؛ ثم نظروا إلى من معهم، فإذا زوجة تصحب غريباً وهى تظنه بعلها، وأم تحمل مخدة وهى تحسبها طفلها، وولد ينادى أمه فلا يجاب، ووالد ينشد أسرته فلا يجد. وحينئذ ينجلى الذهول، ويتضح الخطب، وتعيد الذاكرة إلى الشاعر تهاويل المنايا السود فى هوادى الليل المقمر، فيذكرون انقضاض القنابل على المدينة، وانهيار المنازل على الناس، فيعاودهم الفَرَق فيذهلون، ثم يساورهم القَلق فيرحلون، وهم لا يدرون أين ينزلون، ولا من أين يأكلون، والناعمون على سُرر الذهب وحشايا الديباج ينظرون إليهم كما ينظرون إلى أسرى

الطليان فى طريقهم إلى المعتقل ، أو يسمون بهم كما يسمون بجرحى الألمان فى طريقهم إلى الموت !

أربعمائة ألف أو يزيدون أخرجهم القدر القاهر من ديارهم وأموالهم ، ثم تركهم عاجزين فى ذمة الوطنية والإنسانية . وإذا علمت أن الوطنية فى عُرفنا لفظ لا يذكر إلا فى دعاية لحزب يريد أن يحكم أو لنائب يريد أن يُنتخب ، وأن الإنسانية فى رأينا معنى لا يفهم إلا فى عمل تحته شهرة أو وراءه لقب ، أدركت السبب فى وقوف بنى قارون من المنكوبين موقف تماثيل المسرح من المأساة !

إذن لم يبق للمهاجرين إلا أكواخ الفقراء ، وعتبات الأولياء ، وهبات الحكومة . فأما مواساة الفقراء لهم فحق ، وأما معونة الحكومة إياهم فيقين ، وأما ضيافة الأولياء فبقيت كضيافة الأغنياء موضع الشك !

كتب إلينا مهاجر أديب بطنطا يقول : « أيأسنى الأمراء والأغنياء من رزق الله ، فلجأت بعيالى إلى مقام سيدى أحمد البدوى فى الغربية ، فلم ألق منه ما لقى اللاجئون إلى مزارع جناكليس فى البحيرة ؛ فهل التوسل بالأولياء عبث ، والالتجاء إليهم فى الخطوب باطل ؟ ... »

أنا يا سيدى المهاجر أعلم الدين ، والحمد لله ، عِلْمَ الفقيه المجتهد ، ولكنى لا أزعم لنفسى درجة الإفتاء ؛ على أن بين يدى الآن شيئاً يشبه الفتوى صدر عن أحدِ مفتى الديار المصرية فى عهد مضى ، أقدمه إليك لعل فيه بعض الغناء ، فى موضوع هذا الاستفتاء !

وقع فى نفس المفتى أن شيخ الأزهر إذ ذاك سعى هو وحزبه بين الخديو وبينه حتى أفسدوا حاله عنده ، فاستعدى عليهم سيدى أحمد البدوى بقصيدة رفعها إلى مقصورته الشريفة ، بعد أن قدم لها هذه المقدمة الطريفة . ودونك المقدمة والقصيدة[1] :

« التجاء واستنجاد ، برجل الفتوة طويل النجاد ، وإمام الأولياء ، وسراج الأصفياء ، الغوث الأوحد ، سيدى وولىّ نعمتى البدوى أحمد ، دامت إمداداته ، وعمت فى الدارين بركاته آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ حتى أضم إليها ألف آمينا »

***

أيرضيك يا غوث الورى وإمامهم   غَبينة أهل الحق والحق ظاهر
تعدى لئيم القوم واشتد بغيه   وجاء بكل الحقد وهو مجاهر
أتى بالمعاصى مُعْلناً وهو يدعى   مكانة دين قيم ، وهو فاجر
وساعده حزب على شكله سموا   بكل فساد أوضحته الكبائر
فَضلّوا جميعاً عن طريق رشادنا   وأزهرنا منهم غدا وهو صاغر
لجئنا حماكم نرفع الأمر سيدى   ونطلب دينَ الله والله ناصر
وأنتم إمام الأولياء ولا مِرَا   وأنت غياث الملتجى وهو حائر
إذا كان يا مولاى أزهر ديننا   تدور عليه فى الضلال الدوائر
فأين يكون الدين يا سيد الورى   وأين يكون العدل والعدل عاطر
فها قد بسطنا بعض شأن نزيده   وثم أمور قد حوتها الضمائر
فنها دخول فى البقا وهداية   لأقوم طرق الله وهى الفاخر
وصحة جسم للذين أحبهم   كذلك لى فى العز والعمر وافر
ونصر عَلى الأعدا وجاه مؤبد   وفوز مبين دائماً يتقاطر
وتيسير ما أرجوه من كل مطلب
وسُكنى جنانِ الخلد حيث الأكابر
ورؤية خير الخلق جهراً بسرعة   فها قد مضى عمرى وقل التناصر
فقل يا طويل الباع ها قد أجبتكم   لكل الذى ترجون والله جابر
وصلِّ على المختار ربى مسلماً   كذا آله ما قام بالذكر ذاكر

كتبه عبد الاحسان الواقف بالباب ،
الراجى سرعة الجواب :

. . . .

مفتى الديار المصرية

فأنت ترى أن فضيلة المفتى غفر الله له لم يقنع باستعداء السيد البدوى (سيد الورى) على خصومه ، وإنما دفعه الطمع فى فضله إلى أن يسأله الهداية ، وطول العمر ، وصحة الجسم له ولمن يحب ، والنصر على الأعداء ، والجاه المؤبد ، وتيسير كل مطلب ، ودخول الجنة ، ورؤية النبى جهرة ... فإذا كان سيدى أحمد البدوى قد استطاع أن يستجيب هذه الرّغاب ، فليس أسهل عليه من أن يمن عليك برغيف وجلباب . ولكنى أفهم من أسلوب استفتائك أنك ستقول : سبحانك ربى ! هذا شرك عظيم . ولعلك تمعن فى إنكارك فتزعم أن ما أصاب الإسلام من قبح الحالة ، وما حل بالمسلمين من سوء الحالة ، إنما يرجع إلى ما ران على القلوب والعقول من أمثال الرسالة المليشية ، والقصيدة الصدفية . ولكنى أعيذك بالله أن تسرع فى الحكم فتخطئ الصواب . والخير لى ولك أن نحيل سؤالك إلى العلماء وننتظر الجواب

احمد حسن الزيات

---

(١) للمقدمة والقصيدة نشرتها بالمنار م ٢٧ ج ٣ ص ١٧٣

أبو المظفر الأبيوردى
شاعر العرب
للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

ذكرت من قبل كاتباً من كتّاب اللغتين العربية والفارسية اسمه رشيد الدين الوطواط ، وبينت أنه عربى قرشى من ذرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وجعلته مثلاً لاختلاط الأمم الإسلامية بعضها ببعض، كما جعلته مثلاً لامتزاج الأدبين العربى والفارسى فى نفوس كثير من الفرس والعرب الذين استوطنوا بلاد فارس

وهذا موضوع واسع ؛ فما زالت بلاد الفرس تمدّ من مواطن الأدب العربى منذ جمعت أخوة الإسلام العرب والفرس وإن اختلفت الأحوال على مر الزمان

ومن الشعراء الذين نبغوا بتلك الديار وهم ينتمون إلى بيوت الخلافة ، الشاعران : المأمونى والواثقى، وهما من ذرية المأمون بن الرشيد والواثق بالله بن المعتصم . ومنهم أبو المظفر محمد بن أبى العباس الأبيوردى

فأما نسبته فإلى أبيورد ، وهى بلدة بخراسان فى شمالها الشرق ، وتعد اليوم فى التركستان الروسية . وهو من قرية من قرى أبيورد اسمها كوفن على ستة فراسخ منها ، بناها عبد الله ابن طاهر فى خلافة المأمون ؛ وقد ذكرها فى شعره فهو يقول عن الشام :

وتلك دار ورثناها معاويةٌ لكن كوفن ألقانا بها الزمن

وأما نسبه فينتهى إلى أبى سفيان بن حرب ، بينهما ستة عشر أباً . وكان يتلقب المعاوىّ انتساباً إلى معاوية الأصغر وهو الجد التاسع من أجداده . وقد تلقب فى شعره بالأمويّ والمعاويّ ، وأكثر من الافتخار بهذه النسبة فى شعره كقوله :

خذى قصبات السبق عنى فمالها من الحى غيرَ ابن المعاوىّ حائز

وروى ابن خلكان أن الأبيوردى كتب رقعة إلى الخليفة المستظهر بالله وعلى رأسها « الخادم المعاوى » فكره الخليفة مكاتبته بذلك فكشط الميم من المعاوى فصار « الخادم العاوى »

— ٢ —

والأبيوردى من شعراء القرن الخامس الهجرى توفى سنة ٥٠٧ ولكن ابن خلكان يقول : وكانت وفاة الأبيوردى المذكور بين الظهر والعصر يوم الخميس لعشرين من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بأصبهان مسموماً وصُلى عليه فى الجامع العتيق بها رحمه الله تعالى

وهذا التاريخ الذى ذكره ابن خلكان والذى يظهر فيه التدقيق بذكر اليوم والساعة أدى إلى تضليل كثير من الناس فى تاريخ وفاة الأبيوردى . وقد وقع الغلط فى كلمة خمسين . فوفاته كانت سنة سبع وخمسمائة لا سبع وخمسين وخمسمائة

وفى حوادث سنة ٥٠٧ ذكر ابن الأثير وأبو الفداء وفاته . وكذلك أرخها بهذه السنة ياقوت الحموى فى معجم البلدان

ثم له مدائح كثيرة فى الخليفة المقتدى بالله المتوفى سنة ٤٨٧ وما أحسبه مدح المقتدى إلا بعد أن أمضى شطراً من شبابه فى خراسان ثم رحل إلى العراق . فبعيد جداً أن يعيش بعد المقتدى أكثر من سبعين سنة . وقد مدح أيضاً الوزير نظام الملك المتوفى سنة ٤٨٦

— ٣ —

لم يقتصر فضل الأبيوردى على إجادة الشعر ؛ فقد كان واسع العلم بفنون كثيرة . روى ابن خلكان عن أبى زكريا بن منده صاحب تاريخ أصبهان قوله فى الأبيوردى :

« فخر الرؤساء ، أفضل الدولة ، حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، يتصرف فى فنون جمة من العلوم ، عارف بأنساب العرب ، فصيح الكلام ، حاذق فى تصنيف الكتب ، وافر العقل ، كامل الفضل ، فريد دهره ، وحيد عصره »

وروى ابن خلكان كذلك أن المقدسى صاحب كتاب الأنساب ذكره فى ترجمة المعاوىّ وقال : « إنه كان أوحد زمانه فى علوم عديدة ؛ وقد أوردنا عنه فى غير موضع من هذا الكتاب أشياء »

وقد نبه إلى هذا الغلط من قبل الصديق الأديب عباس إقبال فى كلمة أرسلها إلىّ حينما دعا الأستاذ على الطنطاوى إلى الاحتفال بمرور ثمانمائة عام على وفاة الشاعر، ونشرتها فى الرسالة

وكان يكتب فى نسبه المعاوىّ . وأليق ما وصف به بيت أبى العلاء المعرى :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

وقال ابن خلكان : « وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب نقل عنه الحفّاظ الأثبات الثقات » ثم قال فى آخر ترجمته :

« وله تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ أبيورد ، وكتاب المختلف والمؤتلف، وطبقات كل فن، وما اختلف وائتلف فى أنساب العرب . وله فى اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق إلى مثالها . وكان حسن السيرة جميل الأثر له معاملة صحيحة »

هذا ما ذكره ابن خلكان وليس بين أيدينا اليوم مؤلف من هذه المؤلفات

— ٤ —

ولسنا نعرف من أخبار الشاعر وأسرته إلا نبذاً متفرقة فى الديوان . نجد فى الديوان مِدَحاً فى أبيه تدل على أنه من الكتاب وأنه ذو مكانة وجاه . ومدحة فى عمه تدل على أنه من الخطباء . ولعله كان خطيب الجمعة فى بعض البلاد، وهو منصب له مكانة فى التاريخ الإسلامى . ونجده يمدح بعض الوزراء من أسرته ويمدح بعض بنى عمه وهكذا . ونجد فى الديوان قصائد فى مدح بعض أخواله من سروات العجم . ويدل الديوان على رحلات الأبيوردى فى أرجاء فارس وفى العراق والبلاد العربية . وكان الرجل طموحاً عيوفاً فلم يسكن إلى جانب من الأرض ، وهو يقول فى قصيدته التى هجا فيها فريبرز ملك شروان :

فقلت أين المحصلون ومن   ينشر قوماً طوتهم الحقب ؟
وقد أخلق الفضل بالعراق وفى   فارس لما اضمحلت الرتب
والشام أقوى وطالما عهدت   لفارس النظم حلبةً حلبُ
فكيف يشتد صلب قاصدها   ما دام الكفر حولها صُلُب
وأى سوق تسوق قائدة   قيامها يوم تعرض الخطب

وقد عرض عليه بعض الوزراء الكتابة فأبى وقال :

خليلى إن العمر ودعت شرخه   وما فى مشيبى من تلاف لفارط
ألم تعلما أنى أنفت لعطلة   مخافة أن أبلى بخدمة ساقط
فلا تدعوانى للكتابة إنها   طماعة راج فى مخيلة قانط
ينافسنى فيها رعاع تهادنوا   على دَخَن ما بين راض وساخط
وأنكرت الأقلام منهم أناملاً   مهيأة أطرافها للمشارط
لئن قدمتهم عصبة خانها النهى   فهل ساقط لم يحظ يوماً بلاقط ؟
وأى فتى ما بين بُرْدى قابض   عن الشر كفيه وللخير باسط

وينبئنا الديوان بما كان بينه وبين الخلفاء العباسيين من مودة ، فله مدائح كثيرة فى الخليفتين المقتدى والمستظهر يشيد فيها بمجد العباسيين ، ويبالغ فى مدحهم ، ويذكر قرابته إليهم ، يقول فى مدح المقتدى :

أسير وأسرى للمعالى وما بها   لطالبها إلا لديك لحوق
وقد ولدتنى عصبة ضم جدهم   وجد بنى ساقى الحجيج عروق

ونجده فى قصيدة يطلب من المستظهر داراً تقيه برد الشتاء يقول :

فهذه شتوة ألفت كلا كلها   حتى استبد بصفو العيشة الكدر
ومنزلى أبلت الأيام جِدَّته   فشفنى البليان الهم والسهر
وللفؤاد وجيب فى جوانبه   كما يهز الجناح الطائر الحذِر
تحكى عناق محب من يَهِيم به   إذا تعانقن فى أرجائه الجدُر
ولن تقيم به نفس فتألفه   إذ ليس للعين فى أقطاره سفر
والسقف يبكى بأجفان الشوق إذا
أرمي به هَزِمُ الأنطاء منهمر
وماسرى البرق والظلماء عاكفة   إلا وفى القلب من نيرانه شرر
وابن المعاوىّ يهوى أن يكون له   مغنى ببغداد لا تخشى به الغِيَر
مثوى يدافع عن كتبى – وأكثرها
فيه مديحك – أن ينتالها المطر

كذلك نعرف من الديوان أنه فارق العراق كارهاً ، وأن جماعة هنالك منهم وزير للخليفة قد أساءوا إليه . فلما أرسل إليه الخليفة يعاتبه على مفارقة بغداد أجاب بقصيدة فيها هذه الأبيات :

بغداد أيتها المطى فواصلى   عَنَقاً تئن له القلاص الضمّر
إنى وحق المستجن بطيبة   كلف بها، وإلى ذراها أصور
وكأننى مما تسوّله المنى ،   والدار نازحة ، إليها أنظر

إلى أن يقول :

فصددت عنها إذ نبابى معشرى   وبغى على من الأراذل معشر
من كل ملتحف بما يصم الفتى   يؤذي فيظلم أو يخون ويغدر
فنفضت منه يدى مخافة كيده   إن الكريم على الأذى لا يصبر

ثم يكتب من أصبهان إلى بعض أصدقائه بمدينة السلام يعرب عن حنينه إليها :

نحن إلى ماء الصراة ركائبى   وصحبى بشطى زندروذ[1] حلول

---

(١) تعريب زنده روذ : إسم نهر بأصفهان

أشوقا وأجوازُ المهامه بيننا	يطيح وجيف دونها وذميل
ألا ليت شعرى هل أرانى بغبطة	أبيت على أرجائها وأقيل
هواء كأيام الهوى لا يغبّه	نسيم كلحظ الغانيات عليل

إلى أن يقول :

فقل لأخلائى ببغداد هل بكم	سُلوٌّ فعندى رنة وعويل
يرنحنى ذكراكم فكأنما	تميل بى الصهباء حيث أميل
لئن قصُرت أيام أنسى بقربكم	فلَيلى على نأى المزار طويل

— ٥ —

ويبين فى شعر الأبيوردى اعتداده بنفسه واعتزازه بنسبه ، وإباؤه وكبرياؤه وعفته ، مع طموحه وبعد آماله . وقد قال عنه ابن منده الذى ذكرناه آنفاً : « وكان فيه تيه وكبر وعزة نفس . وكان إذا صلى يقول : اللهم ملكنى مشارق الأرض ومغاربها »

أقول وهى دعوة عجيبة لا أحسب صاحبها يقنع بملك بنى أمية الذى امتد من السند إلى المحيط الأطلسى وجبال البرانس

ونخر الأبيوردى بعربيته وأمويته يلقاه قارئ الديوان تصريحاً وكناية فى مواضع كثيرة . يقول :

أنا ابن الأكرمين أباً وأماً	وهم خير الورى عماً وخالاً

إلى أن يقول :

وهم فتحوا البلاد بيانرات	كأن على أغرّتها نمالا
ولولاهم لما درت بفىء	ولا أزرى بها العرب الفصالا
وقد علم القبائل أن قومى	أعزهم وأكرمهم فعالا
وأصرحهم إذ انتسبوا أصولاً	وأعظمهم إذا وهبوا سجالا
مضوا وأزال ملكهم الليالى	وأيّةُ دولة أمنت زوالا ؟

وقال أيضاً :

وقالت سليمى إذ رأتنى لتربها	وراقهما وجه أغر مهيب :
أظن الفتى من عبد شمس فإن يكن	أبوه أبا سفيان فهو نجيب
أرى وجهه طلقاً يضيء جبينه	وأحسب أن الصدر منه رحيب
سليه يكلّمنا فإن اختياله	على ما به من خَلّة لعجيب
فقلت : غلام من أمية شاحب	بأرضكما نائى المزار غريب

وقال فى شعر الصبى :

قالت لصحبي سراً إذ رأت قرمى	من الذى يتمدي مهره خببا ؟
فقال أعلمهم بى : إن والده	من كان يجهد أخلاف العلى حلبا
وذا غلام بعيد صيته وله	فصاحة وفَعال زيّن الحسبا
وظل ينشدها شعرى ويطربها	حتى رأته بذيل الليل منتقبا
فودعته وقالت يا أخا مضر	هذا لعمرى غلام يعجب العربا

(البقية فى العدد القادم)

عبد الوهاب عزام

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أثواب الخطباء — فتنة أندلسية — تأثير البيئة — الوزراء الأدباء — الدكتور طه حسين — النزعة السكلية — صديق فلان — كيف نحب الريف — برج بابل — بريد العراق — العقد الفريد — هل تصلح هذه الأيام لأغاريد الوجد والحنين ؟

أثواب الخطباء

صح عندي بعد الاستئناس بمصادر كثيرة أن مسوح الرهبان[1] كان لها تأثير في الوضع الذي صارت إليه أثواب الصوفية ، لأن الترهب والتصوف قريبان جداً من الناحية الروحية ، بغض النظر عن اختلاف الدين

ثم بقي النظر في اللون المختار لأثواب الرهبان وهو السواد ، فهل تأثر به أحد من المسلمين ؟ وهل كان السواد من علائم الرزانة في أوقات الاهتمام بعظائم الشؤون ؟

وجدت شاهداً صريحاً في إيثار الخطباء للثياب السود ، وهو ما أنشد المقدسي على لسان غراب البين ، أبعده الله :

أنوح على ذهاب العمر مني ... وحقٌ أن أنوح وأن أنادي
وأندب كلما عاينت ركباً ... حدا بهمُ لوشك البين حادي
يمنفني الجهول إذا رآني ... وقد ألبست أثواب الحداد
فقلت له اتعظ بلسان حالي ... فإني قد نصحتك باجتهاد
وها أنا كالخطيب وليس بدعاً ... على الخطباء أثواب السواد

ومعنى هذا أن الغراب لبس السواد لأنه وقف وقفة الخطيب ، فهل يكون هذا التقليد رجعة إلى الأثواب الرهبانية ، وكانت تحاك من الشعر الأسود ؟

وعمن أخذ الرهبان لون السواد ؟

أخذوه من رهبة الليل ، فسواد الظلام يشيع في النفس معاني الانقباض والاستيحاش . ومن أجل ذلك كان السواد شعار المحزونين

فتنة أندلسية

وبهذه المناسبة أذكر بيتين يشهدان بأن أهل الأندلس كانوا في الحداد يلبسون البياض لا السواد ، فقد قال أحد الشعراء :

يقولون البياضُ لباسُ حزنٍ ... بأندلسٍ وذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي ... لأني قد حزنت على شبابي

تأثير البيئة

وأذكر بهذه المناسبة أيضاً أن الذين زاروا الأندلس من أهل المشرق كان فيهم من دهش حين رأى بعض القضاة يجلسون للحكم بين الناس ورءوسهم عارية ، ولم يفهم أن هذا من تأثير البيئة ، فأهل أوربا ينزعون أغطية الرءوس في المواقف الجدية ، وبهم تأثر العرب في الأندلس ، فكان من قضاتهم من ينزع عمامته عند الجلوس للحكم بين الناس

ولكن عمن أخذ الشيخ « فلان » خلع العمامة والاكتفاء بالطاقية في إحدى المحاكم الشرعية ؟

أبق عمامتك على رأسك ، يا شيخ فلان ، فقد حدثني من أثق بروايته أن المحتكمات إليك من الملاح لا يرين ما تراه من ذلك التظرف « المقبول » وفيهن من ترى أن الطاقية لا تصلح غطاء لرءوس رجال الشرع الشريف !

وغفل المقَّري صاحب نفح الطيب عن تأثير البيئة حين نص على أن أهل الأندلس تفردوا بشرب الخمر على قارعة الطريق ، وأقول إن هذا من تأثير البيئة الأوربية ، وليس شاهداً على استخفاف أهل الأندلس بواجب التستر عند اقتراف المحرَّمات

الوزراء الأدباء

يظهر أني رجلٌ متعب ، كما يقول الدكتور طه حسين ، فلي في كل يوم مشكلات مع أصحاب الرأي والبيان ، ولن يكون للمتاعب التي أسوقها إليهم وإلى نفسي حدود

وكلمة اليوم أوحاها تعيين معالي الأستاذ دسوقي أباظه وزيراً للشئون الاجتماعية ، وهو أديب كبير كانت له صولات في جرائد الحزب الوطني ، فما الذي ينتظر الأدب من معاليه وقد صار قوة تنفيذية تقدم وتؤخر في شؤون الدولة والمجتمع ؟

تولى المناصب الوزارية في الأعوام الأخيرة رجال من كبار الأدباء ، من أمثال مصطفى عبد الرازق ومحمد حسين هيكل ومحمد على علوبة وأحمد نجيب الهلالي وابراهيم عبد الهادي وعبد القوي أحمد ومحمود فهمي النقراشي ، فماذا استفاد الأدب من هؤلاء الوزراء الأدباء ؟

سيجيبون بأنهم لم يقدموا إساءة لأي أديب

(1) المسوح جمع مسح بكسر الميم ، كما ضبطه الفيومي في المصباح ، والمعاجم تقول هو البلاس — على وزن سلام — ونص بعضهم على أنه البلاس فارسي معرب ، ومعجم Kazimirski يجعله من أغطية الدواب

وأجيب بأن سكوتهم عن تشجيع الأدب ليس إلا صورة من صور الإيذاء

هل تصدّقون أن بعض هؤلاء الوزراء لم يكن يلقى أحداً من الأدباء إلا وعلى جبينه عبارة تقول : إبعدوا عنى !!

وهل تصدقون أن معالى الأديب العظيم هيكل باشا لم يتلقّ كتاب التصوف الإسلامى يوم أهديته إليه إلا بعبارة : كل كتاب وأنت طيب !

كل كتاب وأنا طيب ، يا معالى الوزير المؤلف ؟

ومتى يتسع العُمر ويسمح الزمان بأن أؤلف كتاباً مثل كتاب التصوف الإسلامى ؟

وإذا لم يظفر المؤلفون بتشجيع الوزراء الذين يعرفون متاعب التأليف ، فنى أىّ عهد ننتظر كلمة اللطف وقد أقذينا عيوننا تحت أضواء المصابيح ؟

لقد بُحّ صوتى فى الدعوة إلى اعتراف الدولة بالقِيَم الأدبية فلم يسمع سامع ولم يستجب مجيب ، وظل الأدباء مشرّدين لا يعرفهم غير الحظ الضائع فى بلاد لم يرها شاعرنا حافظ « دار الأديب » مع أنها فيما نحب أن يقال أول مهد للعلوم والآداب والفنون .

إن هؤلاء الوزراء نفعهم الأدب أجزل النفع ، فتى ينتفع بهم الأدب ؟ ومتى يظهر أنهم لم ينسوا التفكير فى أن يدينوه كما دانهم ؟ ومتى نسمع أن الحياة الأدبية تنتعش وتزدهر بفضل الوزراء الأدباء ، كما كانت الحال فى عهود أسلافنا الأماجد بالمشرق والمغرب ؟

الدكتور طه حسين

فى أخبار الجرائد أن الدكتور طه حسين بك لم يذهب إلى مكتبه بوزارة المعارف منذ أيام . ويظهر من الخطاب الذى نشره فى جريدة البلاغ أن ناساً كانوا يحبون أن يواجه الأمور بمداورة وتلبيس !

وأقول إن كفاية الدكتور طه لا تحتاج إلى برهان ، ولكنه سيندم طويلاً « وطويلاً جداً » على الفرصة التى أضاعها على نفسه قبل أن تستفحل أزمة الورق ، فقد نبهته مرات كثيرة إلى أن مراقبة الثقافة العامة لن يكون لها وجود ملحوظ إلا إذا أسندت بطائفة من المطبوعات الجياد ، وأشرت عليه بأن يسارع فيقتنى لمراقبة الثقافة ذخيرة من ورق الطبع قبل أن يرتفع ثمنه وقبل أن ينفد من الأسواق

وهو اليوم يترك مراقبة الثقافة العامة بلا أثر ظاهر يذكره الناس ، فإن رجع إليها فليغير من مسلكه فى تناول الأشياء ، فقد كان يفهم أن الاقتراحات والفروض هى كل شىء فى الدلالة على مواهب الرجال

والأمل كبير فى أن يرجع الدكتور طه لعمله بوزارة المعارف وأن يتدارك ما فاته من تحقيق المشروعات الجدية فى الترجمة والتأليف ، فظهور كتاب أو كتابين أنفع من ألف اقتراح واقتراح؟

النزعة الكلبية

يلقاك بعض المعارف فى الطريق فيسألك عن وجهتك ، ولا يستريح إلا حين يعرف أين تريد وماذا تريد ، كأنه من الأوصياء عليك !

ويدخل أحد الأصدقاء بيتك فيبالغ فى التعرف إلى ما فيه من حُجُرات وغُرُفات ، ولا يهدأ إلا بعد أن يعرف من دخائل بيتك كل شىء ، كأنه مسئول أمام بعض الجهات عن تقديم تقرير مفصَّل عن حياتك المنزلية !!

ويرى بعض الناس أن من حقه أن يعرف مرتّبك بالقرش والمليم ، وأن يعرف كيف تنفق ذلك المرتب ، وماذا تدّخر من بواقيه الطفيفة ، ولأى غرض تدّخر ما ادخرت ! !

ومن الأصدقاء من يسأل عن أثاث بيتك ليعرف الأثمان ، ثم يناقشك فى الجزئيات كأنه ابن نجّار أو حدّاد أو سمسار ، والعياذ بالأدب والذوق !

ومنهم من يسألك عن أملاكك فى الريف ليعرف ما تملك من قراريط أو فدادين ، وكأنه « خاطبة » ستجاب خاطباً لأختك أو بنتك !

وفى هؤلاء من يسألك عن الربح الذى تجنيه من مقالاتك ومؤلفاتك . وفيهم من يسألك عن أثمان أثوابك ونعالك ، كأنه ابن بزّاز أو حذّاء ! !

فكيف تقع هذه المزعجات من بعض الناس وأكثرهم على شىء من الذكاء ؟

الجواب سهل ، وهو أن فى بعض الناس نزعة كلبية ، والكلب حين يدخل بيتاً لا يترك فيه بقعة بدون أن يشمها بشره فظيع ممقوت !

فيا بنى آدم ، إياكم ثم إياكم من التخلق بأخلاق الكلاب !

صديقى فلاد

أما صديقى فلان فهو غاية فى الأدب والذوق : يدخل بيتك فيجلس حيث تحب أن يجلس ، ولا يمتد بصره إلى اختبار ما فى البيت من أثاث ورياش ، ولا يسأل أبداً عن ربة البيت إلا أن يتلطف زوجها فيدعوها للتسليم عليه ، مع أنها قد تكون من بنات الأعمام أو الأخوال ؛ وإذا قُدِّم إليه طعام أقبل عليه بشهية ، كأنه أطيب ما رأى من ألوان الطعام ، ولو كان ممنوداً لا يأكل إلا بمقدار وفى وقت محدود ؛ وإذا حضر الأطفال لتحيته تلقاهم بما يحبّون ، ولا يسألهم عن دروسهم إلا بأسلوب يمكّنهم دائماً من الجواب ، ليأنسوا به وليُدخل على قلوبهم قبساً من نور التشجيع . وإذا عُرِض عليه خلاف سوّاه بلطف ورفق ، لتكون زيارته مرحلة من مراحل التاريخ السعيد .

وإذا دخلت عليه صبية دعا لها بالخير وتحدّث عن صباحتها بأدب ولطف . وإذا رأى أن القرية أكثرها بنات كان من واجبه أن يصرّح بأن لله حكمة فى ذلك ، فن الخير للانسانية أن تكثر البنات فى المغرس الشريف . وإذا رأى عجوزاً واساه وأعلن أن الرجل لا يصل إلى الشيخوخة إلا وهو بذرة قوية لا تهددها عواصف المشيب . وإذا رأى مريضاً بشّره بقرب العافية ، وأعلن أن مرضه من العوارض الوقتية ، وأنه يعرف مئات كانوا فى مثل حاله ثم صاروا فى مثل عافية الفرس الجموح . وإذا اعتذر أهل البيت عن مظاهر البساطة فى تكوين الأثاث كان عليه أن يقول إن هذا من أدب المعاش ، وإن الإفراط فى الزخرف ليس من أدب العقلاء . وإذا رأى البيت على جانب من الزينة والبهجة والنضارة كان عليه أن يعلن إعجابه بما ترى عيناه ، وأن يصرّح بأن أهل البيت لم يريدوا إلا إعلان الحمد والثناء على المنعم الوهاب

فا رأيكم فى أخلاق هذا الصديق ؟ ؟

لقد عرفت أنه ما دخل بيتاً ورأى فيه شيئاً غير جميل ، ولا صحب صديقاً وسأل عن أخباره المطويّة ، ولا سمع فى صديق كلمة سوء ، ولا استباح التعقب لمسالك المعارف والأصحاب ، ولا كان من همه أن يتخذ الأصدقاء دريئة يدفع بها عاديات الكوارث والخطوب

صديق هذا يرى للصداقة قدسية منزهة عن شوائب المنافع ، وإن كان لا يضيع فرصة يملك فيها القدرة على نفع الصديق ! !

ما رأيكم فى أخلاق هذا الصديق ؟ ؟

أنا أرى هذه الشمائل غاية فى الكمال والجمال ، وأرى التحلى بها واجباً على من يهمه الظفر بثقة المجتمع . ولو شئت لقلت إن الإكثار من الصلاة والصيام لا يغنى عن التحلى بهذه الصفات ، لأنها أصدق فى الدلالة على صفاء القلب وطهارة الروح ، ولأن التحلى بها لا يكون إلا بعد رياضات عنيفة تُقهر فيها نزغات النفوس والأهواء

كيف نحب الريف

تفضل الدكتور عبد الرحمن عمر فدعانى لتناول الغداء فى داره بالريف ، فعرفت كيف يطيب له أن يهجر مصر الجديدة أياماً وأسابيع ، وعرفت كيف استطاع سعادة الأستاذ الجليل عبد العزيز فهمى باشا أن يجعل مُقامه المختار فى الريف

الدار الجميلة هى التى تجعل القرية أحب إلينا من المدينة ، فجمِّلوا بيوتكم فى الريف لتشتاقوا إليه ، ولتذيعوا بين أهليكم ذوق الأناقة فى بناء البيوت ، فأكبر عيوب مصر هو حرمان ريفها الجميل من التأنق فى بناء البيوت

وبعض الناس يتوهمون أنه لا يجوز للرجل أن يقيم داراً جميلة فى الريف إلا إذا كان له أملاك واسعة فى الريف ، وأقول إن الدار الجميلة هى فى ذاتها ملك نفيس ، فلا تنسوا هذا المعنى ، ولا يفتكم أن تكونوا من أصحاب المنازل فى الريف وإن لم تكن لكم فيه أملاك

برج بابل

كان فى مقال « برج بابل » الذى نشرته « الرسالة » منذ أسابيع إشارات إلى ما قد يحلّ بالإسكندرية ، فهتف الأستاذ عبد اللطيف النشار يقول :

كذَبتْ (بابلُ) فيما زعمتْ ... لن يصيبَ (الثغر) شرٌّ أبداً

ثم عاد فأبدى أسفه لتحقق النبوءة البابلية

وأقول : ليت تلك النبوءة كانت من كواذب الأوهام والظنون ، فا رأينا من تحققها غير الكرب والويل !

ثم يخاطبنى النشار فيقول :

عهدتُك لا يخيفك ما يُخيفُ ... فهل يحظَى برؤيتك المصيفُ

وأقول : إنى لا أملك الصدوف عن هوى الاسكندرية ، وسألقاكم بها فى هذا الصيف ، ولو بَغَى العدو واستطال ، فأنا

لم أشبع من الاسكندرية أيام الأمن ، وهي أقل طيباً من أيام الخوف

ثم يقول النشار : علمت أنك نقلت كتبك إلى سنتريس ، فأنت الجدير إذن برثاء مكتبة الاسكندرية الثالثة ، فهل يجيز : لا تذكر اليوم « يوليوسا » ولا « عمرا »

علمُ القرون الخوالي مر واندثرا

وانظر لمكتبة الثغر التي صُعقت فلا كتاباً ترى فيها ولا حجرا

وأقول : إني لم أكن أعرف أن مكتبة الاسكندرية أصابتها الغارات الأخيرة ، فإن كان ذلك فمن حق أن أسجل أن أعداء الأسكندرية يعرفون في كل عصر أن ثروتها الصحيحة في تراث الأفكار والعقول ، فهم يحملون « المكتبة » أعظم الأهداف

وما شأن « عمر » في هذه القضية ، وقد قامت البراهين على أن اتهامه بإحراق مكتبة الاسكندرية لم يكن إلا إشاعة روجها أعداء العرب والمسلمين ؟

بريد العراق

تلقيت اليوم رسالة من العراق ، ونظرت في التاريخ فرأيتها قطعت الطريق في شهرين وثلاثة أيام ، فمتى يرجع العهد الذي كان يسمح بأن يصل بريد العراق في أقل من يومين ؟

كان بريد العراق كله جوياً وبخمسة عشر مليما ، فمتى يعود ذلك العهد ؟ متى يعود ؟

وكان محصول المجلات المصرية حديث الناس في جميع الأندية العراقية ، فأين حديثهم اليوم وقد جدت خطوب تبلبل الأرواح والقلوب ؟

ليتني أعرف ما صار إليه أصدقائي في تلك البلاد . فما أظلمَ ليلٌ ولا أشرق صباح إلا وأنا بأخبارهم مشغول . وهل كانت لوعة الشريف الرضي أقسى من لوعتي حين قال :

ومن حَذَرٍ لا أسأل الركب عنكمُ

وأعلاقُ وجدي باقياتٌ كما هيا

ومن يسأل الركبان عن كل غائبٍ

فلا بدّ أن يلقى بشيراً وناعيا

فهل يتفضل أصدقائي هناك فيعفوني من كرب هذا السؤال ؟ أجيبوا ؛ يا أصدقائي ، أجيبوا ، فلي عليكم لهفة لا يطفئها غير اليقين بأنكم في سلام وأمان

العقد الفريد

ظهرت الطبعة الجديدة من « العقد الفريد » بتحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، وفي رونق لطيف تُهنأ عليه « المكتبة التجارية » التي لم يَمنعها غلاء الورق عن الإنفاق على طبعه بسخاء

ومن القليل جداً أن ننوّه بمجهود الأستاذ العريان في تحقيق هذا الكتاب ، فله مجهودات كثيرة لم تأخذ حقها من الثناء ، فنوجّه إلى هذه الطبعة نظر « الأستاذ الجليل » والأستاذ « ا . ع » فعندهما من الوقت ما يسمح بالنظر في نصوص هذا الكتاب بأسلوبهما الجيد في التحقيق

كنت نسيت

في الحوار الذي دار بين الأستاذ محمود البشبيشي وابنه النجيب حسين إشارة إلى أني كنت أكتب في الوجدانيات ، فمتى كان ذلك ؟ ذكّروني فقد نسيت !

أنا أكتب في الوجدانيات ؟ أنا ؟

لعل ذلك كان قبل أن تصير الدنيا إلى ما صارت إليه من الرعب والخوف والانزعاج

إن البشبيشي وابنه يقيمان في بلد أمين هو المنصورة المصماء ، وأنا أقيم في بلد مهدَّد بالغارات الجوية ، إلا أن يلطُف الله بما فيه من كنوز السِّحر والفتون

والحق أني لم أنس واجبي في التشوف إلى مطالع الأقمار ومشارق الشموس ، ولكن أين من يسمع في هذه الأيام أغاريد الوجد والحنين ؟!

زكي مبارك

أنّة وزفـــير

للسيدة الفاضــلة «ليلى»

[إلى أرواح الشهداء والضحايا ، وإلى المنكوبين ، وإلى أولى الرحمة من أغنيائنا الموسرين ، كلمة من قلب حزين ، بل إنى أخاطب الشعب كله ، لنساهم فى الأجر العظيم . لنمسح على رؤوس اليتامى ، ولنضمد جروح الثكالى والأيامى ، ولنساعد المهاجرين المشردين ، والله من ورائنا رزاق معين]

«ليلى»

إن كارثة الإسكندرية من الحوادث الدامية التى تمس شغاف القلب وتتغلغل آلامها فى النفس . هى فاجعة الجميع وحسرة الوطن وصرخة الإنسانية . هى العذاب المر والظلم المبين والصاعقة بغير موعد ولا إنذار . هى الخوف والفزع ، والرعب والهلع . هى النار تندلع ، والهوة تبتلع . هى النحيب والعويل ، ودماء الأبرياء تسيل . هى الهول والوحشية . هى أنات وجراح ، وبكاء ونواح . هى ثكل ويتم وفقر وعُدم . هى ذل وتشتيت وضياع وتبديد . هى قسوة ما فوقها قسوة ، ونكبة ما بعدها نكبة . ولئن بكينا فما جدوى البكاء ؟ ولئن أشفقنا فما ثمرة الإشفاق ؟ من ذا الذى لم يشفق ولم يتألم ؟ كلنا واله متحسر ؛ ولـكن ليست المساهمة فى الرثاء والبكاء ، وإنما هى مساعدة فعلية لهؤلاء الضحايا الأبرياء . أشعروهم بالرحمة ، وليعاونهم كل امرىء بما يستطيع . كم من بيوت كبيرة تسع العشرات ! وكم نساء شريدات حائرات ! أطفال فى نعيم ، وأطفال فى جحيم . بطون مكتظة بألوان الطعام ، وأخرى خاوية من الجوع لا تنام . ذل فوق ذل وحسرات تتبعها حسرات . . . آه لليتيم : فقد الأب الحانى الرحيم . واحسرتاه للأرملة تنوح من قلب حزين : فقدت الموئل وللعائل ، واستقبلت الشقاء والهوان ، وفى كنفها أطفال يطالبونها بالقوت والحنان ، ستواجه حاجة العيش الملحة . ستريق ماء الوجه وتستنفد كل إحساسها فى سبيلهم . وا رحمة للعجوز الثكلى ، ادخرت ولدها للأيام وكان كل أملها وسند شيخوختها ، فذهب من يدها وغدا حلماً من الأحلام ! ولو كان هماً واحداً لاحتُمل ، ولـكن الـكارثة عامة ، والفاجعة طامة : إنه ولد وأولاد وآباء وأمهات ، بيوت وأموال طغى عليها الدمار ، فهرع أهلها فزعين لاجئين يطلبون رحمة المحسنين المتصدقين

أيها السادة الأغنياء ، رحمة بالتعساء الأشقياء ! إنهم إخوانكم فى الدين والوطن . حمّ القضاء ، فما استطاعوا له رداً . فوجئوا بالدوىّ والزئير ، فإذاهم أشلاء تطير . صرخوا يسترحمون القضاء ، فنفذ فيمن نفذ فيهم القضاء ، وهوت الدور بساكنيها وهم فى غمرة الذعر والذهول ، وتطايرت الشظايا تهرىء اللحم وتنزف الدم ، والآلام القاسية تتجاوب أصداؤها من حنايا الأجسام . ومن قدر له النجاة انطوى على نفسه لوعة وحسرة : فقد فقدَ العزيز والنفيس والتالد والطريف ، هى فى الحق كارثة يعجز القلم عن وصفها

فهل تقر أعيننا وتهدأ مضاجعنا ؟ وهل نشعر بالطمأنينة والسعادة ، وتتوفر لنا الغبطة والهناءة ، وصراخ المنكوبين واصلٌ آذاننا ، وبكاء الحيارى المشردين ماثل أمامنا ؟! كيف نرقد على وثير الفراش ومن إخواننا من يفترش الأرض ؟ كيف ننعم بأطايب الأكل والشراب ، وغيرنا يشقى بالجوع والخراب !

أيتها القلوب تفجرى بالرحمة ، أيتها الأيادى الـكريمة فيضى بالإحسان !

لقد تمنوا الموت على حياة رخيصة عليهم بعد الأحباء ، لقد عنوه خشية البؤس والإملاق . مَن أحق بالرحمة من مجروح الجسم والفؤاد لا يجد آسيا لجسمه ولا مواسيا لقلبه ؟ ما أحرانا وقد وقانا الله شر ما ناله بألا نتوانى فى مساعدته ولا نحجم عن إعانته ! إنه القرض الحسن يضاعفه لنا الله ويدرأ عنا به الشرور .

إن البر هو الطائر الميمون إلى الجنة ، به تنغفر الذنوب وتمحى السيئات . رب لماذا قدرت على هذا البلد الآمن أن يحل به هذا الشقاء ؟ إن شعبه قانع بملك هذه القطعة الصغيرة من أرضك . إنه بلد مضياف تنزله كافة الشعوب على الرحب والسعة يقاسمون أهله أرزاقه ، ويستحلون نطاقه ، بل يقاسمونه قسمة ضيزى : لهم الغنم وعليه الغرم

رباه ! إلى متى يحلم الخالق ويعانى المخلوق ؟

في الاجتماع اللغوى

اللهجات العامية الحديثة

طوائفها ومبلغ بعد كل منها عن الفصحى

للدكتور على عبد الواحد وافى
أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٥ —

لم يصل إلينا عن هـذه اللهجات قبل القرن التاسع عشر إلا معلومات ضئيلة ، بعضها مستقى من إشارات جاءت فى ثنايا كتب القواعد والأدب ، وبعضها من أغانىّ شعبية وردت فى مقدمة ابن خلدون وتاريخه ، وبعضها من كتب ألفت بلغة بين العامية والعربية الفصحى ، ككتاب « ألف ليلة وليلة »

ولم يعن العلماء بدراسة هذه اللهجات دراسة جدية إلا منذ القرن التاسع عشر . وقد قسموها إلى خمس مجموعات تشتمل كل مجموعة منها على لهجات متقاربة فى أصواتها ومفرداتها وأساليبها وقواعدها ، ومتفقة فى المؤثرات التى خضعت لها

ألست أنت سبحانك جبار الأرض والسماء ؟ أتترك من يعيث فى الأرض فساداً ، ويقول تكبراً وعناداً : أنا القهار الأعلى . رب رحمة بالبلاد والعباد ، فأنت مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء . لتكن رحمتك أو يحل الميعاد ، فقد ذهب السلام من الأرض وتناحرت وحوش الإنسانية وتكالبت على المال والعتاد . وهذا جبار طاغية وآخرون طغاة يريدون أن يرثوا الأرض ومن عليها ، وللأرض وارث واحد بالمرصاد . اللهم ارحم الفقير والأجير واليتيم والأسير ، وادفع عنا شر هذه الحرب الضروس . اللهم اهد الخلق لما فيه الخير والسلام . اللهم خفف عن الحزانى حزنهم ، وعن المهاجرين بؤسهم ، وعوضهم خيراً عن يتمهم وثكلهم وبيوتهم ومالهم ، إنك أنت الرحمن الرحيم ، كتبت على نفسك الرحمة ، ووعدت بالخير عبادك المتصدقين ، والله ولى الجميع

« ببلى »

فى تطورها : إحداها مجموعة اللهجات الحجازية — النجدية (وتشمل لهجات الحجاز ونجد واليمن) ؛ وثانيتها مجموعة اللهجات السورية (وتشمل جميع اللهجات العربية[1] المستخدمة فى سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) ؛ وثالثتها مجموعة اللهجات العراقية (وتشمل جميع اللهجات العربية[2] المستخدمة فى بلاد العراق) ؛ ورابعتها مجموعة اللهجات المصرية ؛ وخامستها مجموعة اللهجات المغربية (وتشمل جميع اللهجات العربيـة[3] المستخدمة فى شمال أفريقيا)

وتشتمل كل مجموعة من هـذه المجموعات على طائفة كبيرة من اللهجات ؛ وتنقسم كل لهجة إلى عدة فروع ؛ وينشعب كل فرع إلى شعب كثيرة تختلف باختلاف البلاد التى تستخدمه . وإليك مثلاً مجموعة اللهجات المصرية : فهى تنقسم إلى مئات من اللهجات ، وكل لهجة من هذه اللهجات تنقسم إلى عدة فروع وشعب ، تختلف باختلاف البلاد الناطقة بهـا ؛ حتى أنك لتجد بين القريتين المتجاورتين المنتميتين إلى لهجة واحدة خلافاً واضحاً فى كثير من مظاهر الصوت والمفردات والتراكيب والأساليب

ومع كثرة وجوه الخلاف بين هذه المجموعات الخمس ، فإن المتكلمين بإحداها يستطيعون ، مع شىء من الانتباه ، أن يفهموا كثيراً من حديث أهل المجموعات الأخرى ، لاتفاقها فى معظم أصول المفردات وفى القواعد الأساسية ومنحى الأساليب .

وأدنى هذه المجموعات إلى العربية الفصحى مجموعتا اللهجات الحجازية والمصرية . أما اللهجات الحجازية فلنشأتها فى المواطن الأصلية للعربية الفصحى ، ولأن معظم أهل الحجاز ونجد ينتمون إلى عناصر عربية خالصة . وأما اللهجات المصرية فلأن صراع

---

(١) قيدنا هـذه اللهجات بالعربية لاخراج الهجات غير العربية التى يتكلم بها بعض طوائف فى سوريا ولبنان . ومن أشهر هذه الهجات لهجة منحدرة من الآرامية يتكلم بها إلى الوقت الحاضر فى ثلاث قرى سورية ، وهي معلولة وصيدنايا ويبرود

(٢) قيدنا هذه الهجات بالعربية لاخراج الهجات العراقية المنحدرة من أصل غير سامي كالهجات الكردية والمنحدرة من أصل سامى غير عربى كالهجات الآرامية التى لا يزال يتكلم بها إلى الوقت الحاضر فى بعض قري في طور عابدين وبعض بلاد فى شرق الموصل وشماله وجبال الكرد والشاطىء الشرقى لبحيرة أورميا

(٣) قيدنا هذه الهجات بالعربية لاخراج الهجات البربرية التى لا يزال يتكلم بها إلى الوقت الحاضر بعض عشائر فى المغرب وخاصة في المغرب الأقصى

العربية مع اللسان القبطى الذى كان يتكلم به أهل مصر قبل الفتح العربى لم يكن عنيفاً ولم تلق فى أثنائه اللغة العربية مقاومة ذات بال ؛ ومن المقرر أن اللغة التى يتم لها الغلب بدون كبير مقاومة تخرج من صراعها أقرب ما يكون إلى حالتها التى كانت عليها من قبل (١) . هذا إلى أن معظم أهل مصر منحدر من عشائر عربية الأصل .

وأبعد هذه المجموعات عن العربية الفصحى المجموعتان العراقية والمغربية . أما العراقية فلشدة تأثرها بالآرامية والفارسية والتركية والكردية ، حتى أن قسما كبيراً من مفرداتها وبعض قواعدها غير عربى الأصل ؛ ولذلك يجد المصرى مثلاً صعوبة كبيرة فى فهم حديث العراق (٢) . وأما المغربية فهى أبعد اللهجات العامية جميعاً عن العربية الفصحى . ويرجع السبب فى ذلك إلى شدة تأثرها باللهجات البربرية التى كان يتكلم بها معظم السكان قبل الفتح العربى . فقد انحرفت من جرّاء ذلك انحرافاً كبيراً عن أصولها الأولى فى الأصوات والمفردات وأساليب النطق وفى القواعد نفسها (٣)

ولهجات البدو فى جميع هذه البلاد أفصح كثيراً من لهجات الحضر ، وأقل منها فى الكلمات الدخيلة ، وأدنى منها إلى العربية الفصحى . ولذلك نرى أن لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر (٤) وخاصة العشائر التى لم تبعد كثيراً عن حالتها البدوية القديمة ، أفصح كثيراً من لهجات المصريين ، وأكثر منها احتفاظاً بالأصوات العربية ، وأدق منها فى إخراج الحروف من مخارجها . فهى لا تزال محتفظة بأصوات الذال والثاء والظاء التى انقرضت من اللهجات المصرية ؛ وأوزان كلماتها أقرب ما يكون إلى الأوزان العربية الصحيحة ، ويندر أن نعثر فيها على مفرد غير عربى الأصل

ولهجات القرى فى جميع هذه المناطق أفصح من لهجات المدن وأقل منها فى الكلمات الدخيلة ، وأدنى منها إلى العربية الفصحى . ويرجع السبب فى ذلك إلى ميل سكان القرى إلى المحافظة وقلة احتكاكهم بالأجانب

* * *

وعلى الرغم من تعدد لهجات المحادثة فى هذه الأمم على الصورة التى وصفناها ، فإن لغة الآداب والكتابة فيها واحدة ؛ وهى تتمثل فى جملتها اللغة القرشية التى نزل بها القرآن . ولكنها قد تطورت فى تفاصيلها تطوراً كبيراً تحت تأثير عوامل كثيرة من أهمها ما يلى :

١ — اقتباس مفردات أفرنجية بعد تعريبها للتعبير عن مخترعات أو آلات حديثة ، أو مصطلحات علمية ، أو نظريات ، أو مبادئ اجتماعية ، أو أحزاب سياسية ... وهلم جرا

٢ — ترجمة كثير من المفردات الإفرنجية الدالة على معان خاصة تتصل بمصطلحات العلوم والفلسفة والآداب . . . وما إلى ذلك ؛ إلى مفردات عربية كانت تستعمل من قبل فى معان عامة . فتجردت هذه المفردات من معانيها العامة القديمة وأصبحت مقصورة على هذه المدلولات الاصطلاحية

٣ — التأثر بأساليب اللغات الإفرنجية ومناهج تعبيرها وطرق استدلالها فى المؤلفات العلمية والقصصية والأدبية وفى الصحف والمجلات ...

٤ — إقتباس كثير من أخيلة هذه اللغات وتشبيهاتها وحكمها وأمثالها ... وما إلى ذلك

٥ — إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة . فكثيراً ما لجأ الكتاب فى البلاد العربية إلى هذه الوسيلة للتعبير عن معان لا يجدون فى المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو لمجرد الرغبة فى الإغراب أو فى الترفع عن المفردات التى لا كتها الألسنة كثيراً . وبكثرة الاستعمال بعثت هذه المفردات خلقاً جديداً ، وزال ما كان فيها من غرابة ، واندمجت فى المتداول المألوف

---

(١) انظر تفصيل هذا القانون وآثاره فى كتابنا علم اللغة صفحتى ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢) قضيت بالعراق بضعة أشهر وطفت بكثير من بلاده ، وما كنت لأستطيع التفاهم بسهولة إلا مع المتعلمين الذين كنت أستخدم العربية الفصحى في حديثى معهم

(٣) من أظهر ما تمتاز به هذه اللهجات من ناحية القواعد أنها تصوغ المضارع المسند إلى جمع المتكلمين على غرار مضارع الغائبين والمخاطبين ، فيقولون « نكتبوا » بكسر فكسر فسكون ؛ كما يقولون على نفس الوزن « يكتبو » و « تكتبو » . وأنها تستبدل النون بهمزة المضارع للمتكلم المفرد وتصوغه فى وزن يختلف من وزن جمع المتكلمين فيقال « نكتب » بكسر فسكون فكسر ، بدلا من « أكتب »

(٤) نعنى بها قبائل العرب التى تسكن الفيوم وبنى سويف والشرقية والبحيرة ... الخ (الفوايد ، الرماح ، الحرابى ، البراعصة ، أولاد على ، الضعفاء ، خويلد ، سمالوس . . الخ)

اللهجة المالطية

تكلمت مالطة فى العصور القديمة وفاتحة العصور الوسطى لغات كثيرة من أشهرها الفينيقية والبونية (القرطاجنية). وهكذا شأن جميع البلاد الصغيرة المستضعفة التي ينتمى أهلها إلى عدة شعوب وتقع أرضها فى طريق الغزاة والفاتحين، فتصبح دولة بينهم، ويحول ذلك كله دون أن يكون لها كيان وطنى مستقر، أو قومية واضحة. فجميع البلاد التى من هـذا القبيل لا تستقر على لغة واحدة، بل تتغير فى الغالب لهجتها مع تغير الدولة المسيطرة عليها، وينال ألسنتها كثير من مظاهر التبلبل لكثرة ما ينتقل إليها من لهجات، وما يعتور نطقها من أساليب

وآخر لغة انتقلت إلى مالطة كانت اللغة العربيـة متمثلة فى لهجة من اللهجات العامية المغربية السائدة فى شمال أفريقيا. غير أن هذه اللهجة قد أحيطت بظروف تختلف كل الاختلاف عن الظروف التى أحاطت بسائر اللهجات العربية الأخرى؛ فسلكت فى تطورها منهجاً يختلف كذلك كل الاختلاف عن منهج أخواتها، وذلك لأن انعزالها عن العالم العربى وانتشارها فى بلد مسيحى، وكثرة احتكاكها باللغة الإيطالية المجاورة لها، وخضوع مالطة لحكم الإنجليز، وكثرة من يفد إليها ويمرّ بها من الأجانب، وانتماء هؤلاء الأجانب إلى شعوب مختلفة وتكلمهم شتى اللغات... كل ذلك قد وسّع من هوة الخلاف بينها وبين اللهجات العربيـة الأخرى، فبعدت عنها بعداً كبيراً، وفقدت كثيراً من مقوماتها، وتأثرت بطائفة كبيرة من اللغات الأوربية وخاصة الإيطالية والفرنسية والألمانية والإنجليزية، وانتقلت إليها مجموعة كبيرة من مفردات هذه اللغات، وامتزجت هذه العناصر الدخيلة بالعناصر الأصيلة كل الامتزاج، فتألف من مجموع ذلك كله مخلوق عجيب فى عالم اللغات، حتى أن الكلمة الواحدة فيها لتتألف أحياناً من أصلين أحدهما عربى والآخر أعجمى (« ليبيرانا » Liberana أى نجّنا أو خلصنا، فهى مؤلفة من الفعل الفرنسى Liberer بمعنى حرر أو خلص، والضمير العربى لجماعة المتكلمين)؛ ويندر أن تعثر على مثل هذا الخلط فى أية لغة أخرى من لغات العالم(١)

ولا يزال اللسان المالطى، على الرغم من هذا كله، محتفظاً بكثير من خصائص اللهجات المغربية التى انشعب عنها. ومن أظهر ما بقى فيه من هذه الخصائص طريقة إمالة الألف المتوسطة فى معظم الكلمات (فكلمة « باب » مثلاً ينطق بها فى مالطة بإمالة الألف على طريقة اللهجات المغربية baibe)

واللهجة المالطية هى اللهجة العربية الفذة التى ارتقت إلى مصاف لغات الكتابة. وقد تم لها ذلك فى القرن التاسع عشر. فمنذ ذلك العهد تطبع بها الكتب والصحف والمجلات وتدون بها الرسائل، وبالجملة تستخدم فى جميع الأغراض التى تستخدم فيها لغات الكتابة وهى كذلك اللهجة العربية الفذة التى تدون بحروف لاتينية.

ولا تكاد تستخدم هذه اللهجة إلا فى القرى؛ أما المدن المالطية فمعظم الحديث يجرى فيها بالإيطالية أو الإنجليزية(١).

على عبد الواحد وافى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

وقع فى المقالة السابقة (عدد ٤١٦ ص ٨١٠ وتوابعها) عدة أخطاء مطبعية لا يخفى منها على القارئ إلا ما ورد فى السطر الخامس عشر من العمود الأول بصفحة ٨١١، وصوابه: « ولا من بكر لمجاورتهم لنبط »، وفى التعليق الأول فى العمود نفسه، إذ وضعت فيه كلمة « القبط » بدل « النبط »

(١) يوجد لذلك نظائر فى بعض اللغات الحبشية السامية التى اشتد تأثرها باللهجات الحامية والسودانية؛ ومن هذه اللغات اللغة الأمهرية

(٢) انظر فى اللهجة المالطية De Sacy : Grammaire Arabe; et Renan : Langues Semitiques 413, 414

من وحي الحرب

جيـــل وجيـــل

للأستاذ محمود البشبيشي

— ٤ —

فساد منطق الحياة اليوم — فى الاستقرار يقظة للقلم — دوافع الحرب وأسرارها — الغرائز والحرب — جهل الانسان الأول بحقيقة الغرائز — فساد الغرائز اليوم — أثر الطمع والحقد والأثرة فى فسادها

... اللهم إن الإنسانية قد ضلت وهى لضلالها تخبط فى تيهاء، وتخفق أكثر مما تفوز، وكأنما فاضت حيوانيتها الكامنة بخفأت ما فيها من صفات كلها ضلال وكلها شرور!!

اللهم إن حقيقة الأشياء تقاس اليوم بالكمية لا بالكيفية؛ وقد انعكس منطق الحياة فأصبح مسيخاً قائماً على أسس من الشهوات والأغراض

اللهم إن الأطماع قد غلبت، والجحود قد طغى، والظلم قد أسفر، والضلال قد اختال واضطربت موازين الحياة!!

لعمرى لو أمكن أن تمسخ صورة مشوهة بطبيعتها لما أمكن أن تكون أقبح مما صارت إليه صور الإنسانية فى هذه الأيام العجاف!!

متى يتجلى على الإنسانية بدر الإخاء، ويسطع فى كل قلب شعاع الصفاء، ويعم الشرق والغربى جوٌّ من الرحمة يصل القوى بالضعيف، والضعيف بالقوى، صلةً لا تُشعر هذا بقوته ولا ذاك بضعفه!!

فما يُطرب الكاتب الإنسانى شىء ما يُطربه انتشار مبادئ السلام الروحى، لا السلام المقيد برموز وألفاظ، السلام المسطور فى القلوب، لا السلام المحفوظ فى أوراق! وكما يُحب أن يصول ويجول فى ميادين الاضطراب الاجتماعى ليستشعر لذة واجب المصلح السديد الرأى، يُحب أن يخبر الناس عن كثب ومخالطة فى ظل السلام والاستقرار لتتعزز تجاريبه وتصدق أغراضه...

أما بعد فحديثنا اليوم يتصل كل الاتصال بالحرب وجو الحرب، ويساير أحوالها ويلابسها أصدق ملابسة، وواجب الكاتب الحق أن يكون لسان الحياة الناطق بما يضطرب فيها. وخير الأفكار ما كان فى جوهره وليد الحوادث. وحقيق بمن يحمل القلم وهو أشرف سلاح أن يشرعه فى وجه المدلهمات يحللها، وينشر لقومه ما يبصرهم بما فى الاتجاهات المختلفة من الضُّر والشَّين، ويفقههم على ما فيها من النفع والزَّين

... كنت قلت فى أول نقاشى مع والدنا الأديب «حسين» إن الناس لم يفرطوا فى أمور دنياهم والإنسانية والروابط الدينية، إلا منذ أن فرطوا فى شخصيتهم وأخلاقهم، فأصبحوا لا يحكمهم شعور حى، ولا يقيد شرورهم رحمة... ورأى هو أن السبب فساد التأمل واختلاطه بحب الذات، فأصبح الإنسان لا يرى الشىء حسناً إلا إذا كان له نصيب من حسنه!

وقادنا الحديث إلى ذكر الحرب ولكنا لم نتناول يومئذ منهم أسرارها بالتشريح، وكأنما تركنا الأمر إلى عودة، وقد عدنا له فما حديث الحرب بينى وبينه؟

قلت: ما السر فى الحرب وما الدافع إليها؟ وكيف تظل قيودها تطوق الإنسان إلى اليوم، وقد سار به الزمن وسار معه من طفرة إلى طفرات فى الرقى العملى والنظرى؟ وكيف يعجز اليوم عن حل مشكلاته فلا يجد سبيلاً غير التدمير والتخريب؟

لقد قيل إن المعرفة تكفل السلام بسمو الفكر، والترفع عن الدنيا، والتطهر من أدناس الوحشية والهمجية، وانتشار مبدأ الإنسانية... فهل تحقق كل هذا؟ وما ينفض العالم يده من غبار حرب ضروس، إلا ليخوض فى أوعاث وأوعار حرب عاصفة، تغمر السماء بالموت الطائر، وتكتسح الأرض بالموت الزاحف!!

لقد قيل إن المدنية تصلح فساد الحياة، وتثقف أودها، وتصل أطراف الإنسانية فتقوم! فهل عرفنا سوى أن المدنية تقدم فى تقويض البناء، وتقطيع الأواصر؟ فما السر فى هذا الاضطراب؟ وما مدى أثر المدنية والتقدم فيه؟

قال: لعل السر من قديم هو طبيعة المغالبة فى سبيل البقاء، فالإنسان بما اجتمع فيه من غرائز تقربه من الحيوان مسوق إلى استغلالها فيما جُعلت له، وخاصة حين تفرض عليه قيود الحياة استعمالها، وعندما تتهيأ له أسباب يقظتها؛ فهناك غريزة المقاتلة

قد تغلغلت فى نفسه كما تغلغلت فى الحيوان ، وهو فى حاجة إليها لمدافعة الشرور والخوض فى مَرابط الهَلَكة والسعى وراء ما يحفظ نوعه ، وهو فى كل ذلك مدفوع بدافع حب البقاء ، والكفاح فى سبيله ، تُسيره غريزة المقاتلة فيطيعها

— إذن هو يحارب يابنى ، أو يميل إلى الحرب بدافع « غريزة المقاتلة » حباً فى البقاء والذود عن حقوقه ، ورغبة فى الاعتزاز بوجوده فى الحياة وشعوره بهذا الوجود ، فهل يكون ذلك مبرراً للحروب وأهوالها ؟ نقف أمامه موقف الاقتناع بأنه أمر غريزى فطرت عليه النفوس ، فلا سبيل للخلاص من قيوده ! وهل إذا وضح أنها لون من ألوان البقاء يجوز أن نتغاضى عن أهوالها وشرورها ، ولا نحاول تشريح أسبابها والنظر إليها كرض اجتماعى له علل ونتائج ؟

— ذلك أمر آخر ، فهى كغريزة جدير بنا أن نتأمل حقيقتها بين سائر الغرائز التى تتصل بها ، فليس من شك عندى أن غريزة المقاتلة وجدت لحكمة جديرة بالاعتبار ، وليس من شك فى أن الحياة وما بها من هلكات وما يحف بها من مخوفات جديرة بأن تتحصن لها الأحياء بمثل هذه الغريزة ... وإنما يكون ذلك بقدر محدود يجىء من بعده الخير المنتظر ، الخير الذى يصيب المجموع ولا يقتصر على الفرد ، الخير الذى تطهر من أدناس الأنانية والأغراض ، وخلص منها خلوص الحقيقة من شباك الباطل . وقياساً على هذه الصورة الكاملة لها ، أرى أن حرب اليوم قد خرجت عن النطاق المعقول لغريزة المقاتلة ، وأصبحت فناً فريداً من فنون الفساد الذى لحق أسس الحياة باضطراب العقل وضلال التأمل ، وما تولد منهما من نظم تقود إلى الدمار وتدفع إلى الأثرة القبيحة

إذن وضح أن الحرب فى صورتها الفطرية التى تدفع إلى حب البقاء وحفظ النوع من غير اعتداء على الحقوق وليدة غريزة المقاتلة ... ولكن حرب اليوم صورة لفساد تلك الغريزة

وقد يكون من أسباب الحرب ودوافعها غريزة « حب الاقتناء » ، وليس بعجيب أن تكون سبباً من أسبابها ، فن الواضح الجلى أن الإنسان قد درج منذ نشأته على السعى وراء الرغبة الجامحة فى اقتناء كل ما يرى ؛ يدفعه إلى ذلك حبه لنفسه وطمعه فى الانفراد بالمنفعة . ويظهر أثر تلك الغريزة قوياً عنيفاً فى عهود الطفولة أيضاً كما كان فى عهود الإنسان المظلمة ، وكما هو فى بعض المجتمعات التى بقيت على فطرتها وظلام غرائزها ؛ ولكن أثر هذه الغريزة يكون أكثر وضوحاً فى عهد الطفولة حيث ينظر الطفل إلى كل شىء نظرة الطامع فيه . ولعل ذلك يرجع إلى ضيق مدى تأمله وبصره بالأمور ، أو تجرده من معنى الخير العام الذى لا يشتد أثره إلا بعد طول رياضة وعظيم دراية وبلوغ لتمام العقلية العامة ! ...

— ومن عجب يا والدى أن الإنسان مع معرفته اليوم للخير العام وتشدقه بجليل منافعه ، تراه منساقاً إلى طاعة هذه الغريزة بل الخضوع لها خضوعاً غلب على قلبه وعقله فأفسد معنى الخير فيها كما أفسد معنى الخير فى غريزة المقاتلة ، فما السر فى ذلك ؟ وكيف يصبح هذا حاله وقد أدرك سرها ؟

السر عندى ... أن هناك بعض صفات كامنة فى النفس ، تتلف هذه الغريزة بخلاف يفسدها ، فهناك الطمع والحسد والحقد والنيرة العمياء ، تجعل من هذه الغريزة قوة قاهرة ، وتفرض سلطانها على كل تصرفات الإنسان ، فيندفع فى سبيل رغباتها ، وقد يخرج عن حدود الخلق ويتخطى الخير العام ، ولكنه لا يستطيع سوى إرضاء تلك الغريزة الجامحة ...

ومن هنا يكون الاعتداء على حقوق غيره ، وابتزاز ما ليس من حقه ، واختراع الأسباب والعلل لهذا الاعتداء وذلك الابتزاز !

— وثمت غريزة أخرى يا بنى قد يكون لها الأثر الكبير فى الحروب والميل إليها ؛ وهى غريزة الهدم والتدمير ، فإن الإنسان مشدود إلى مظاهر هذه الغريزة من يوم ميلاده ، ولكنها أكثر وضوحاً عند الطفل لأنه لا يميز بين العمل ونتائجه ، فهو فاقد للقياس السليم ، لأن الحقائق لا توزن عنده إلا بميزان عاطفة الطفولة التى لا يهمها سوى إرضاء صاحبها على أية صورة كانت بالهدم أو البناء !!

وهى أيضاً موجودة فى المجتمعات التى ظلت على فطرتها العمياء ، وقد كانت من قبل فى العهود المظلمة ؛ ولكن إذا جاز أن يتصف بها الطفل لضيق تأمله أو انعدامه ، فما يجوز أن تعلق بالرجل الكامل ، فما السر فى سيطرتها اليوم على العقل البشرى ؟

السر هو أن بجوار هذه الغريزة غريزة أخرى تشعلها كلما أصابها خمود ، هي غريزة السيطرة ، فصاحب هذه الغريزة يميل إلى فرض سلطانه على غيره ، بل إلى فرض ميوله ومعتقداته . ولعل تضارب المذاهب المختلفة من ديمقراطية ونازية وفاشية وشيوعية صورة صادقة لهذه الغريزة ؛ وصاحب غريزة السيطرة يفعل كل شيء في سبيلها ؛ فإذا وجد من يعترضه تنمر وظهرت فيه غريزة الهدم والتدمير في أشد صورها ، رغبة في قهر هذا المعترض ! وإذا وجد من استكان له وخضع ، لم يقنع بذلك بل دفعه هذا إلى التمادي في بسط سيطرته . . . وإن الحرب لمشتعلة حتما حيثما ظهرت هذه الغريزة وما يلابسها

ظهر إذن أن الحرب قد تكون وليدة غريزة المقاتلة كما بينا ووليدة غريزة الاقتناء والامتلاك كما أسلفنا ، وأن من أسبابها غريزة الهدم والتدمير كما وضح أن حقيقة المقاتلة والاقتناء حقيقة تقتضيها أسباب الحياة ولكن في حدود الخير العام ، كما ظهر أن فسادهما واختلاطهما بالأثرة والحسد والطمع والغيرة جعلهما صورة فاسدة من صور الحرب اليوم !

— بقي شيء واحد يا والدي وهو كيف نفسر أسباب الحرب في العهود المظلمة وفي عهدنا الحاضر ؟ وهل هناك اختلاف كبير بينهما ؟

أما السبب فهو يرجع كما بينا إلى الغرائز السابقة في العهدين ، ولكني أعتقد أن الحرب كانت في العهود المظلمة وليدة جهل العقول بحقيقة الخير في الغرائز الفطرية ، وأنها اليوم وليدة فساد هذه الغرائز !!

وجماع القول في ذلك أن تصرفات الإنسان في عهوده المظلمة بقيت كما هي في بعض المجتمعات التي تعيش على الفطرة

ثم إن جهله بغرائزه في تلك الأحوال يشبه كثيراً ضلاله الغريب في فهمها أيام الطفولة ! فقد أعشت الأبصار في العهود الأولى ظلمة الغريزة ، حيث لم يكن في وسع الإنسان الانتفاع بألمح الباصر من التجاريب ، وكذلك الأمر في عهود الطفولة والمجتمعات المتأخرة ! ولم يك همه في أيامه المظلمة غير ابتزاز ما اختزن دونه ، والنظر إلى الأشياء بعين الفرد ، وعين الطمع ، فقد كان يومئذ أغلف القلب لا تنفذ إليه أسرار معاني الخير من غريزة المقاتلة ، وحب الاقتناء ، وكذلك الأمر في الطفولة والمجتمعات المتأخرة ...

هذا مكانه من غرائزه أيام جهالته وتأخره وطفولته ! فأين هو منها اليوم ؟ وقد رقى سلماً أطلعه مطالع النور والمعرفة ، وذهب في التقدم مذاهب الجن . . . ! لا يبالي ولا يستوحش ، يزعم أنه على بصيرة من نفسه ، ويقين من أمره ، وإنه إلى بلوغ أعظم المثل العليا لمنتظر راج ...

أين هو اليوم من غرائزه ؟ هل أدرك مُنبهمها ؟ أم ظل على حيرته الأولى ؟!

إنه اليوم عليم بأسرارها خبير ! ولكن علمه قد أضله ، وخبرته قد أعمته ! لأنه جعل الأطماع مقصداً ، والأغراض هدفاً ، ووزن الأمور بميزان الفرد فضل السبيل ، وهو من ضلاله يضرب في تيهاء مظلمة

أجل ، لقد صاول وداور وناوص حتى فك قيود استغلاق غرائزه ، ولكنه قد بذل ويبذل وسعه في إفسادها ! . وهكذا انقلب الأمر من جهل إلى معرفة أفسدتها الأطماع والأغراض الشخصية ...

وهكذا أستطيع الآن أن أقرر أن الحرب كانت قديماً وليدة الجهل بأسرار الخير الكامنة في الغرائز ، وأنها اليوم قد أصبحت وليدة فساد هذه الغرائز !

***

أما بعد فهذا حديث الحرب صُب في قوالب من فنون الحديث بيني وبين ولدنا الأديب «حسين» أول ما يشدَهك منه أقباس الفكر الفلسفي القائم على قوة التصوير والحجاج ، وأشهد أني ، وإن كنت لا أميل دائماً إلى خوض أوعار الفلسفة وأوعائها إلا في خلواتي الفكرية الخاصة ، قد اضطررت اضطراراً إلى مكابدة صعابها على صفحات الرسالة إرضاء لميول ولدي الفلسفية ، ونزعاته الفكرية العميقة الطيبة الغراس ، المأمونة الغاية .

محمود البشبيشي

مـــدن الحضارات
فى القديم والحديث
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

— ٣ —

ولقد زار بغداد فى القرن الثامن الهجرى الرحالة ابن بطوطة ووصف ما كانت عليه فى وقته فذكر الجسرين ومرور الناس عليهما فى نزهة متصلة ، وذكر عدة مساجدها التى يخطب فيها وتقام فيها الجمعة ، وعدتها أحد عشر مسجداً . أما المساجد الأخرى فكانت كثيرة . ووصف حماماتها المطلوة بالقار فيخيل إلى الناظر أنها مرصوفة بالرخام الأسود . وذكر جانبى بغداد الشرقى والغربى ، وقبور الخلفاء العباسيين بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه

وزارها قبل سقوطها فى يد التتار الرحالة المشهور ابن جبير الأندلسى ، إلا أنه رآها على أسوأ حال وأقبح مصير ، وكانت لا تزال كما يقول بنص عبارته : « حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة الدعوة الإمامية القرشية » . فرآها « كالطلل الدارس ، أو تمثال الخيال الشاخص ، فلا حسن فيها يستوقف البصر ، إلا دجلتها التى هى بين شرقيها وغربيها كالمرآة المجلوة بين صفحتين ، أو العقد المنتظم بين لبتين »

وفى الوقت الذى كانت تزدهر فيه بغداد بحضارة عربية واسعة ، وثقافة إسلامية كبيرة ، كانت تزدهر حاضرة إسلامية أخرى بألوان من الحضارات ، وتتجه إليها الأنظار من كل صوب ، ويفد إليها الشعراء والأدباء والعلماء حتى لتكاد تنافس بغداد فى المحل ، وتزاحمها فى الوضع والقدر ... تلك الحاضرة هى (القاهرة)

والقاهرة مدينة الفواطم ، وضع أساسها جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ . بعد أن تم استيلاؤه على الفسطاط . وكان فى القاهرة فى ذلك الحين طريق عام يخترط وسطها من باب زويلة جنوباً . وبنى حولها السور المشهور . وكانت تقع المقس إلى الغرب وتمتد إلى النيل ، وظلت ميناء القاهرة إلى أن تحول مجرى النهر فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، فانتقلت إلى بولاق

ومن القاهرة أخذت الدعوة الفاطمية تزداد وتكثر وتتخذ مدى واسعاً . وسُكت النقود باسم الخليفة الفاطمى ، ونقش عليها (باسم مولاى المعز) . وفى مسجد عمرو دعى للمذهب الفاطمى من على منبر الجامع . وخطب فى يوم ١٩ شعبان سنة ٣٥٨ هـ هبة الله بن أحمد خليفة إمام مسجد عمرو . ودعى أيضاً فى جامع ابن طولون للخليفة الفاطمى فى يوم جمعة من ربيع الآخر سنة ٣٥٩ هـ ؛ ثم دعى فى الجامع الأزهر بعد بنائه ، وكان الدعاء فيه فى السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ ، وبعد ذلك دعى فى مسجد الحاكم

وكان فى القاهرة (مكتبة القصر) التى ذكرها المقريزى وأبو شامة وغيرهما . وقد قال فيها أبو شامة (يقال إنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التى كانت فى القاهرة فى القصر) . وكانت هذه المكتبة تحوى النادر من الكتب . وذكر المقريزى صاحب الخطط أنها كانت فى المارستان العتيق وفيها أكثر من مائتى ألف مجلد

ولم تكن تلك هى المكتبة الوحيدة فى القاهرة ، فقد عرف عن الفاطميين حبهم للعلم وتشجيعهم للأدب وإكثارهم من إنشاء المكتبات . ولقد أنشأ الحاكم بأمر الله (دار الحكمة) وهى أشبه بجماعة علمية ، وألحق بها مكتبة تسمى (دار العلم)

وكان هناك مكتبات خاصة للأفراد ، تتسع وتنظم تبعاً لمقدرتهم ؛ ومكتبة ابن كلس الوزير المشهور أحق ما يذكر فى هذا المقام . وكان ابن كلس هذا مجدوداً فى النعمة ، واسعاً فى الثروة ، وكان له دار يجتمع فيها عنده القراء والأئمة ، والغلمان والحاشية ، وفيها ميضأة منظمة وثمانى غرف للنوم ، وديوانه الخاص الذى أسماه (العزيزية) تيمنا باسم العزيز الفاطمى .

ولما كان ابن كلس يهوديًا وأسلم ، كان لليهود دالة فى عهده ، بل كان لهم شأن كما يذكر المؤرخون . ولقد أثارت محاباتهم شعور الاستياء عند المسلمين ؛ فقد رأوا لهم الكلمة والنفوذ ، والمنزلة والجاه ، والقربى والشفاعة (لأسباب صهرية) ورأوا المسلمين بعيدين من كل خير ، مُنْتأين عن كل منزلة ،

فحرك هذا بعض الشعراء بالكلام ؛ فقال الرضى بن البواب :

يهود هـذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهمُ ومنهم المستشار والملك
يأهل مصر إنى نصحت لكم تهوّدوا ، قد تهود الفلك ! !

وكان الغنى فى أيام الفاطميين شاملاً ، والثروة واسعة ، وأغلب هذه الثروة بالطبع فى أيدى الخلفاء وأبنائهم . وكان للمعز لدين الله وبنتيه ثروة تحتاج إلى أربعين رطلاً من الشمع لختمها

ولقد زار مصر فى عهد المستنصر الفاطمى سائح فارسي مشهور هو ناصر خسرو ، وكان ذلك فى عام سنة ٤٣٩ هـ . فوصف ما شاهده ورآه فى كتابه (سفرنامه) ، وقد أضفى على مشاهده ألواناً من الخيال الجميل الذى أوتى منه حظاً كبيراً فقد كان الرجل شاعراً وأديباً ، وهو يذكر أن القصر الفاطمى كان فيه ثلاثون ألف جارية ، واثنا عشر بهواً ، وعشرة أبواب ، وألف حارس . ويصف دور القاهرة فى ذلك الزمان بأنها (محكمة البناء مبنية بالحجر لا باللبن ، يفصل بعضها عن بعض حدائق بهيجة)

كانت القاهرة طيلة حكم الفاطميين مصونة محفوظة لهم ولأولادهم وحرمهم وخواصهم والمقدمين من جنودهم ؛ ولكنها فى عهد الأيوبيين تغيرت حالها من الصيانة إلى الابتذال ، وتدلت أمورها من الخواص إلى العوام ، يسكنها الجمهور ، وأصبحت دور الفواطم ذوات الحدائق الغنّ حارات وشوارع ومسالك وأزقة ؛ وعمر حىّ القلعة ، وحافتا الخليج الكبير ، وما دار على الحسينية . وظلت مصر والقاهرة تتسعان حتى صارتا بلداً واحداً يشتمل على : (البساتين ، المناظر ، القصور ، الدور ، الرباع ، القياسر ، الأسواق ، الفنادق ، الخانات ، الحمامات ، الشوارع ، الأزقة ، الدروب ، الخطط ، الحارات ، الأحكار ، المساجد ، الجوامع ، الزوايا ، الربط ، المشاهد ، المدارس ، الترب ، الحوانيت ، المطابخ ، الشون ، البرك ، الخلجان ، الجزائر ، الرياض ، المتنزهات) . المقريزى ج ٢

وظلت القاهرة كذلك إلى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخرب كثير من هذه المواضع ، وتبع ذلك خراب صعيد مصر وجلاء أهله عنه . وقد أدرك هذه الخرائب والأطلال المقريزى وأشار إليها فى خططه

ويظهر أن بعضاً من المؤرخين كانوا يتحاملون على القاهرة لحاجة فى نفوسهم ، فلا ينصفونها إذا وصفوا ، ولا يقدرونها إذا تكلموا . وقد يجسّمون فيها المعايب ، ويهوّلون فيها المثالب . ومن هؤلاء أبو الحسن على بن رضوان الطبيب ، فقد نقدها نقداً مراً ؛ وذكر كثرة الأوساخ والأقذار فيها ، وكثرة العفونة فى مياهها ؛ ثم ذكر نظام « المجارى العامة » فيها وما يجره على السكان من عفونة ووباء . والحق أن ابن رضوان نظر إلى القاهرة نظرة الطبيب الصحى أو (مفتش الصحة) ، فغلا فى نقدها وأسرف فى ذمها .

ومن الذين لم تعجبهم القاهرة ابن سعيد صاحب كتاب : « المغرب فى حلى المغرب » ، فقد سمع عنها كثيراً ، فلما رآها استكثر الأخبار عنها وقال بنص عبارته : « هذه المدينة اسمها أعظم منها . وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين »

وما أشبه هؤلاء المتحاملين من العرب المتجنين على مصر بالمتحاملين اليوم من الفرنجة عليها ! فهم ينكرون منها كل منظر حسن ومشهد جميل ، ويسجلون عليها غير ذلك

استمع إلى ابن سعيد هذا وهو يصف القاهرة فى تحامله وتجنيه : (ولقد عاينت يوماً وزير الدولة وبين يديه أمراء الدولة وهو فى موكب جليل ، وقد لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ، ووقف الوزير ، وعظم الازدحام ، وكان فى موضع طباخين ، والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه ، وقد كاد يهلك الشاة وكدت أهلك فى جملتهم . وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والأزبال ، والمبانى عليها من قصب وطين) انتهى .

على أن شيئاً واحداً لا تنساه القاهرة للفاطميين ، وهو الحفلات الكثيرة المختلفة التى كانوا يقيمونها فى الجمعة والأعياد والولائم والمناظر وليالى الوقود التى تسبق أول ومنتصف رجب وشعبان وحفلات توديع الحملات الحربية التى سجلها كثير من شعراء ذلك العصر وخاصة عمارة اليمنى شاعر الفواطم المشهور .

(الحديث موصول) محمد عبد الغنى حسن

الوضع الصحيح
للإصلاح الاجتماعي في مصر
للأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

اطلعت باهتمام على المناقشات المختلفة العنيفة التي دارت رحاها في الصحف، وبخاصة مجلة «الرسالة» الغراء، حول الإصلاح الاجتماعي في مصر والوضع الصحيح له. ولست أبالغ إذا قلت إن معظم الكتاب النابهين الذين أداروا تلك المناقشات — مع احترامي الشديد لهم، وتقديري العميق لنبل مشاعرهم وسمو أهدافهم — كانوا ينظرون إلى مشاكلنا الاجتماعية من زواياها الأدبية والوجدانية والمثالية الحالمة، مما يجعل كلامهم وأفكارهم أدنى إلى الفلسفة والأدب منه إلى الاجتماع أو «الطب الاجتماعي».

وفي اعتقادي أن تناول المشاكل الاجتماعية بهذه الطريقة غير موصّل حتماً إلى الغرض المطلوب، وهو تبرئة المجتمع المريض من علله وأسقامه. بل لست أبالغ - أيضاً - إذا قررت أن تلك الطريقة تبلبل أفكار الشعب، وتشوّش أمانيه، وتهيّج خواطره، لأنها لا تضع أصبعها على مكمن الداء الحقيقي ولا تصف الدواء. وما سمعنا يوماً، ولا أظننا سنسمع أن مريضاً - والمعضلات الاجتماعية أمراض نفسية حقيقية - شفي بقصيدة عصماء، أو بمقال بليغ!

وبهذه المناسبة أذكر أن «الطب الاجتماعي» فن حديث له أصول وقواعد ودراسات فنية منظمة كسائر الفنون

ومشاكلنا الاجتماعية قديمة ومعقدة إلى حد محزن. ويخطىء الذين يظنون أن «الفقر» وحده هو أساس كل هذه المشاكل فيخصّونه بالمقالات الطويلة المسهبة، والأبحاث المستفيضة الدسمة؛ فالفقر نتيجة لعلل اجتماعية أخرى وليس سبباً. وعليه يجب أن نوجّه أنظارنا وجهودنا إلى جذور هذه المعضلة الاجتماعية لا أن نكتفي بقصقصة أطرافها، وتشذيب حوافها المدببة. وقيل إن مشاكلنا الاجتماعية الكبيرة تكوّن مثلثاً متساوي الأضلاع، مؤلفاً من: الفقر، والجهل، والمرض. وتفاعل هذه المشاكل الثلاث الحية ينتج عصير الشقاء الذي تتجرعه الأغلبية الساحقة من سكان هذه البلاد. وفي يقيني أن مشاكلنا الحقيقية أربع وليست ثلاثاً، إذ يجب أن تضاف إليها مشكلة الانحلال الخلقي المتفاقمة يوماً بعد يوم. فإذا نظرنا إلى هذه المشاكل الاجتماعية الأربع مجتمعة كنا أقرب إلى الصواب

وإذا كنت قد ذكرت أن الفقر نتيجة لا سبباً فهو ليس كذلك في كل الأحوال؛ فكما أن الجهل يورث الفقر والمرض، فإن الفقر يمنع التعلم والصحة. ولهذا يجمل بنا أن نقول إن تلك المشاكل متفاعلة تفاعلاً مستمراً كالمواد الكيميائية، وليست قريبة من بعضها فحسب

* * *

ولنتحدث الآن بإيجاز عن صلة بعض هذه المشاكل ببعض، ونبين مدى تفاعلها المستمر الفوار

الفقر

جاء في الإحصائيات الرسمية لسنة ١٩٣٨ أن عدد ملّاك الأراضي الزراعية من المصريين هو ٢٫٤٣٨٫٠٣٣ شخصاً يملكون ٥٫٤٠٣٫٥٣٤ فداناً بالتفصيل الآتي:

١ — ١٫٦٧٣٫٥٧٦ شخصاً يملك كل منهم فداناً فأقل. ويبلغ مجموع المساحات التي يملكونها ٦٨٨٫٦٠٠ فداناً

٢ — ٥٦٤٫٧٠٠ شخصاً يملك الواحد منهم من فدان إلى خمسة. ويبلغ مجموع المساحات التي يملكونها ١٫١٤٨٫٠١٩ فداناً

٣ — ٨٤٫٦١٧ شخصاً يملك كل منهم خمسة فدادين إلى عشرة أفدنة. ويملكون جميعاً ٥٦١٫٣٤٨ فداناً

٤ — ٦١٫٤٤٢ شخصاً يملك الواحد منهم من عشرة فدادين إلى خمسين. ويملكون جميعاً ١٫١٨٥٫٣٦٢ فداناً

٥ — وكبار الملاك ، وهم من يملكون أكثر من خمسين فداناً ، وعددهم لا يتجاوز ١٢٫٤٢٠ شخصاً يبلغ مجموع المساحات التي يملكونها ٢٫٢٥٣٫٨٥٣ فداناً !!

وإذا تدبرنا هذه الأرقام وجدنا :

أولاً : أن صغار الملاك ونسبتهم العددية ٩٣٫٥٪ يملكون ١٨ ٪ فقط من الأراضي المزروعة في مصر

ثانياً : إن كبار الملاك ونسبتهم العددية ½ ٪ يملكون حوالى ٤٥ ٪ منها

ولا نظن أن بلداً من بلاد العالم المتمدين اختل فيه توازن الملكية إلى هذا الحد !

ولو أردنا معرفة نوع الأعمال والحرف التي يزاولها مواطنونا المساكين المحرومون من نعمة « الطين » ، وعددهم حوالى الـ ١٣ مليوناً من الأنفس فلنعلم أن ٣٫٥٢٤٫٠٩٠ يشتغلون أجراء في أراضي كبار الملاك (أي عبيداً وأرقاء !) . وهناك ٥٦٩٠٠٠ شخص في حرف غير منتجة

ومن المعلوم أن العامل الزراعي الذي لا يتجاوز متوسط أجره اليومي الثلاثة قروش ، له أسرة تتألف من زوج وأولاد . وقد تضم عدا هؤلاء زوجة أخرى ، أو أباً ، أو أماً ، أو أختاً صغيرة ، أو أرملاً ... أو أولئك جميعاً !!

ويخطئ من يعتقدون أن أغنياءنا الذين نشكو مر الشكوى من تضخم ثرواتهم على حساب الفلاح المسكين ... ينتجون في البلاد من الرخاء ما يساوي هذا الاختلال الاقتصادي ، والجرم الاجتماعي ، فإن هؤلاء الأثرياء قد كفر معظمهم بنعمة الله فغرقوا في بحر من الترف والميوعة والتبذل والسفه ليس له من قرار ، حتى أوسعوا أملاكهم ديوناً ورهوناً ، وسلطوا عليها بنوكاً أجنبية لا ترحم

ومصر لم تستفد كثيراً من النهضة الصناعية التي قامت بين ربوعها . فهذه الشركات الأجنبية المنبثة في طول البلاد وعرضها تحتكر مرافقنا العامة التي هي شرايين الحياة ، احتكاراً قانونياً أو فعلياً . فقد بلغت رءوس أموال الشركات الموجودة في مصر حوالى ٨٨ مليوناً من الجنيهات ليس فيها أكثر من خمسة ملايين لمصريين حقيقيين !!

وليس من المنتظر أن تتحسن هذه الحالة المحزنة كثيراً ما دام الشعب المصري شعباً غير صناعي ، وتظل الثروة العقارية الزراعية — وهي حجر الزاوية في ثروتنا القومية — لا تنمو بنسبة نمو عدد السكان ، فإن هذه النسبة كانت في القرن الماضي ٥ : ٤٥ ٪

ولعل هذه العجالة تعطي صورة واضحة لما عليه الشعب المصري من فقر تجري به الأمثال

والفقر بوجه عام هو نقص الكفاية الضرورية من الطعام والملبس والمسكن وما إلى ذلك من حاجات معيشية لا يمكن أن تستقيم الحياة بدونها : أي الهبوط عن الحد الأدنى لهذه الضرورات . وكلما أمعن الشعب في الحضارة ارتفع مستوى المعيشة فيه ، وزادت تلك المطالب والضرورات الحيوية . ومعنى ذلك أن للفقر — ككل شيء معلوم بالتجربة والبديهة — حداً يجب ألا يجاوزه حتى لا تجني الدولة على نفسها ، وتتفكك عرى شعبها . فالفقر غير المألوف إذن هو مظهر من مظاهر سوء التنظيم الاجتماعي . والتنظيم الاجتماعي من شأن الدولة وحدها . فهي التي تكفل سريان نواميس العمران ، وتضمن تنسيق نشاط الأفراد بحيث لا يعتدي نشاط أحدهم أو رزقه على نشاط الآخر أو رزقه . ويمكن أن نشبّه مهمة الدولة في هذا الصدد بمهمة « البوليس الاجتماعي » !! وتقصير الدولة في تأدية هذه المهمة جريمة لا تغتفر ؛ جريمة خالدة لا ينساها الجيل الحاضر ولا الأجيال القادمة التي نترك لها تركة مثقلة بأكثر من نصيبها من عبء العمران والحضارة !

وسوء التنظيم الاجتماعي الذي يتمخض عنه الفقر له صور متعددة ؛ فللفقر أسباب علمية أدلى بها علماء الاجتماع على مر العصور

فإلى ما قبل القرن التاسع عشر أيام كانت الأمم تعتمد في معاشها على الزراعة وحدها جهر « مالتوس » بنظريته المشهورة في السكان ، منذراً بقرب وقوع مجاعة عالية ، لأن زيادة السكان أسرع من زيادة الثروة الزراعية . أي أن الأرض سوف لا تكفي غلتها جميع سكانها

وقد فقدت هذه النظرية قيمتها فى القرن التاسع عشر عند ما تقدمت الصناعة ، وتغلب الإنسان على كثير من عقبات الطبيعة مما أدى إلى استنباط موارد جمة للرزق

على أن الفقر ظل مع ذلك طابع الحياة الاجتماعية الرئيسى فى معظم الأمم — ولو إلى حد ما — مما أدى إلى ثورات فكرية لا نهاية لها . وقد وضع له علماء الاجتماع نوعين رئيسيين من الأسباب :

أولاً : الأسباب الشخصية :

أى الأسباب التى تتعلق بشخص بعينه ، وسواء أكان فى مكنته التغلب عليها أم لم يكن ، وهى :

« المرض ، الشيخوخة ، الترمل ، الحداثة ، الطيش وضعف العقلية ، قلة الحيلة ، الكسل ، الإسراف ، الجهل ، البطالة ، موت العائل ... الخ »

وقيل : إن هذه الأسباب تعادل ٣٠٪ من جملة أسباب الفقر

ثانياً : الأسباب الخارجية :

أى الأسباب العامة التى تخرج عن طوق الشخص وإرادته المحدودة ، وهى :

« زيادة السكان بنسبة أكبر من زيادة الثروة الرئيسية فى البلاد ، البطالة العامة بسبب زيادة الإنتاج على الاستهلاك ، عدم استغلال الموارد الطبيعية ، انحطاط المستوى الفكرى للشعب ، تدهور المستوى الصحى ، فساد الأخلاق الشعبية ، الاستهتار العام ، عدم تنظيم وسائل الإحسان ، اختلال توازن الملكية الزراعية العقارية . اتساع هوة التفاوت بين الثروات .

* * *

ولعله يبدو من ذلك كله للأستاذ الكبير الدكتور زكى مبارك أن « الفقر المصرى » علة اجتماعية لا فردية ولا أخلاقية فطرية فى الشعب المصرى ، كما أراد حضرته أن يصورها

وفى مقال قادم سنتناول إن شاء الله علاقة الفقر بالجهل والمرض والانحلال الخلقى العام

محمد عبد الرحيم عنبر
وزارة الشئون الاجتماعية

أغنيـــة روسية (*)

للأستاذ على محمود طه

لا نجمَ ، لا مصباحْ يلمعُ فى السهلِ
قد نامتْ الأرواحْ مقرورةَ الظلِّ
مطمورةَ الأشباحْ فى مهدِها الثلجى
إلا شعاعاً لاحْ يخفقُ فى وهجِ

الحارسُ السهرانْ قد فتَّحَ البُرجا
سينشدُ النِّيرانْ أغنيةَ الثلجا
واللهبُ السكرانْ يرقصُ فى نارِهْ
والنغمُ الفرحانْ يلهو بقيثارِهْ

أطلقتَ إنشادى يا من تغنِّينى
قيثارُك الشادى حلوُ الأرانينِ
يدعو لميعادي الليلَ والأحلامْ
يا حارسَ الوادى قد باحت الأنغامْ

. . . .

إنَّ الفتى المِمراحْ قد أغلقَ البابا
واللهبُ الوضَّاحْ من خلفِهِ غابا
لا نجمَ ، لا مصباحْ يلمعُ من بعدِ
لاصوتَ ، لاأشباحْ إنى هنا وحدى

يا أملَ العُمرِ
يا حُلُمَ العذراءْ
يا توأمَ الفجرِ
يا ابن الصبا الوضاءْ
يا مَلَكَ الحُبْ
إنى لكَ الليلهْ
فاطبع على قلبى
أو شَفَتى قبلهْ

على محمود طه

(*) من كتاب « أرواح شاردة » يصدر بعد أيام

دوحة الحب...

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

يا حبيبى ! هلّل البلبلُ للنــورِ وغنّى
أى معنى من معانى الحسن غنى، أى معنى
أيقظَ الأزهارَ فى الروضِ فراحت تتثنى
تنهلُ الأقداحَ من خمرِ الندى ... فى ظلالٍ من صفاء ونعيم
وترى الدنيا ضلالاً وهُدى ... يُسكر الألباب مرآها الوسيم

***

هاهى الشمسُ رنت للكونِ من عرش السماء
فبدا الكون كما نهوى غريقاً فى الضياء
فاض بالفتنةِ والسـحر وأنوار الرجاء
ردّد الجدولُ أنغامَ الهوى ... لغناء الطير فى هام الغصون
آه يا هاجرُ لو ذقت الجوى ... شدّ ما ألقاهُ من نارِ الحنين!

***

ذلك الروض وهـذا الجدولُ الحالم يدرى
يا أخا الروحِ ويا دنياىَ مَن أعنى بشعرى
ناء بالهم الذى يلقاه لو تمـلم صدرى
ما ابتسامُ الكونِ إلا لمحةٌ ... من سنا عينيك فاضت بالحياة
فتنة أنت لعمـرى فتنة ... فُتِنَ العقـلُ بدنياها وتاه

***

دوحةُ الحب تنادينا لقـد حنتْ إلينا
ما علينا لو جنينا الصـفو فيها؟ ما علينا
في يدينا فرحة العمـر فعجلْ فى يدينا
كل ما يرجوه قلبٌ آمل ... فى نعيم العيش من صفو حبيب
إنما دنياك ظلٌ زائل ... سوف يَذوِى ثم يمضى عن قريب

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن

أحيـــاء الاسكندرية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

شـوارعَ الثغر ما الزحامُ ... طيفٌ تولّى به منامُ
أو أملٌ فى الغيوب يُرجى ... إذ يرجع الأمن والسلام
لا شىء لا شىء فى ذُراها ... لله سبـحانهُ الدوام
يا قلبُ كم فيك من معانٍ ... ترُوعُ لو أمكن الكلام

عبد اللطيف النشار

حـلم ... !

للأديب عمر أبو قوس

الشهب من قدم ... ترنو إلى البحر
تسبح عن بعـدٍ ... فى مائه القمـر
والبحر إذ يصبو ... يصبو إلى البدر
أمواجـه تُرغى ... من لوعة الهجر
حتى إذا أعيت ... نامت على الصخر
والريح كم راحت ... تبحث عن وكر
أنفاسهـا الحرّى ... يلهثنَ فى القفر
والفجر إذ يصحو ... من سِنة الغمض
لا يفتح العين ... إلّا على روض
يملـؤه شـوقاً ... بالطول والعرض
من أحمر يبـدو ... فى أثر مُبيض
ووردة هـامت ... بالزنبـق الغض
أبعـدها منـه ... رفض على رفض
ما ضرّ لو يدنو ... بعضىَ من بعضى

«حلب» عمر أبو قوس



تعقيب على خبر

لفت أحد الأصدقاء نظرى إلى أن الدكتور زكى مبارك قد ذكر اسمى فى فقرة من تلك الفقرات التى يكتبها كل أسبوع مما يسميه (الحديث ذو شجون) ، فقرأت ما كتب الدكتور فإذا به قد أقحم فى مقاله ذكر الثقافة والرسالة كأنه يغرى بينهما ، أو كأنه يريد أن يفهم قراءه أن هاتين الصحيفتين الأدبيتين تتنازعان وتتخاصمان . ولقد كنت من قبل أكتب فى الرسالة ، وأنا اليوم أكتب فى الثقافة ، ولا أعرف بينهما غير ما يكون بين صحيفتين تحاول كل منهما أن تؤدى واجبها نحو الأدب على طريقتها

وعجبت أن يكون للدكتور زكى مبارك مثل هذه القدرة على الابتكار فى مثل حديثه هذه المرة ؛ فإن الأمر لم يزد على أنى سمعت من بعض الأصدقاء فى السودان أن الأستاذ الزيات قد اعتزم زيارة ذلك القطر الشقيق وأنهم يرحبون بزيارته، فأثنيت على الأستاذ بما علمت ، وأردت أن أحمل إليه هذه التحية فلم أجده بالقاهرة ، ولقينى الدكتور زكى مبارك عفواً فحملته هذه التحية إليه فإذا به ينسج من هذه القصة القصيرة حديثه العجيب .

رد الدكتور تحيتى بما تهيأ له من القول فى أسلوبه الصاخب فكان أسوأ رد على التحية

وأما الموازنة بين الثقافة والرسالة فما ينبغى لنا معشر الكتاب فيهما أن نتحدث عنها، والحكم فيما يكتب الكتاب إنما يرجع إلى القراء فى أقطار الأرض . وإذا كان الدكتور يريد أن يسدى نصحا فليجعل كل همه فى خدمة الرسالة الغراء ، فهذا دين فى عنقه للصحيفة التى توسع صدرها لما يكتب دون غيرها ممن لا يوليه مثل هذه الثقة . وإذا كان لنا أن نبيح لنفسنا ما أباح لنفسه من حق إسداء النصيحة فإنا نرجو أن يعنى بأسلوبه فى الكتابة ، وأن يتخير الموضوعات الجديرة بوقت قرائه ، وأن يرفع مستوى كتابته إلى ما يتطلبه العصر الحاضر من أدب القول وجمال الأسلوب والبناء الإنشائى والتعمق فى التفكير، وأن يحاول أن يخفض من صوته ويقصد إلى معناه

ونحن إذ نسدى إليه هذه النصيحة لا نقصد إلا خيره وخير الأدب إذا كان يعنى حقاً برأى العالم العربى فى أدب مصر

محمد فريد أبو حديد

محصول « الرسالة »

إلى صديقى الدكتور مبارك :

من النافع للمتأدب أن يتخير الأطايب فى محصول « الرسالة » ويدونه فى دفتر خاص ، كما يفعل صاحبك الموظف برياسة مجلس الوزراء .

ونافعة أيضاً إهابتك بأصدقاء « الرسالة » أن يتعقبوا كل عدد بالنص على ما فيه من دقائق تفوت بعض القراء

والأنفع من هذا وذاك — فى رأيى — أن يتناول الناقد مواضيع « الرسالة » كلها فيميز بين الغث والسمين ، ويشير إلى الفج والناضج ، ويدل على النافع والحسن ، كما تفعل المجلات الأوربية الراقية ، ولأن القارئ فى حاجة ماسة إلى من يدله ويهديه ويجرعه أطايب « المحصول » الأدبى تجريعاً

وأزعم أن لا كبير فرق بين صحيفة دورية يشترك فى تحريرها طائفة من الكتاب ، وبين كتاب ينفرد فى تأليفه وتصنيفه كاتب واحد ، وقد جرت العادة عند النقاد أن يتناولوا الكتاب ومؤلفه ويسكتوا عن الصحيفة الدورية

فطنت لهذا التقصير من جانبنا ، فاقترحت على صديقنا الزيات أن أتناول بالنقد مجلاتنا المحترمة : المقتطف والهلال ، والثقافة « والرسالة » ، لأنها أخلق بالنقد من كثير من مؤلفات ما نكاد نقرأ بضع صفحات منها حتى نطرحها جانباً

أتعرف يا مبارك بماذا أجاب صديقنا الزيات وقد استحسن الفكرة ورحب بها ؟

قال : كاتبان لا يصلحان لهذا الضرب من النقد : أنت والدكتور مبارك ، لأنكما لا ترفقان فى النقد ولا ترحمان . وهل من دليل أسطع من أنكما غير محبوبين من المؤلفين ؟؟ ! ! !

ولست بناقل إليك تتمة حديث صديقنا الزيات عن النقد

والنقاد ، لأنى أعرف أنك لا ترضى مثلى عن الليونة وما نحوها من معان تشل الروح الأدبى ولا تسمو به إلى الأوج

ولا إخالك إلا معتقداً مثلى بأن مجابهة التيارات الأدبية واقتحامها خير من مجاراتها والتحايل عليها ، ولـكن ...

أجل ، ولـكن العبرة بالنشر والناشر ، لا بالتمرد والثورة !

حبيب الزحلاوى

من جديد

من التعبيرات التى تسربت حديثاً إلى لغتنا ، فتداولها الـكتاب من غير تمحيص ، ولا وزن لصحتها اللغوية ، ولا لصلاحيتها لأن تندمج فى الأساليب الفصيحة وتغدو جزءاً منها

ولم تكن هـذه العبارة شائعة بيننا قبل نحو عشر سنين ، على ما أذكر ؛ وكنت أراها أولاً فى بعض القصص والمجلات والجرائد . ثم سرت فى أحاديث الناس واستظرفوها وتملحوا بها

وما كنت قط أتوهم أن تصل يوماً إلى أقلام البلغاء ، حتى رأيتها فى قصيدة لشاعر معاصر من شعرائنا البارزين الذين يحتفلون فى جزالة[1] الأسلوب أيما احتفال ، وحتى استعملها العلامة الدكتور زكى مبارك فى مقاله فى العدد ٤١٧ من « الرسالة » ، حيث قال : « ... مع فارق بسيط : هو أن الدكتور أشار إلى المصدر الذى نقل عنه ، وأن الأستاذ ... لم ير موجباً لذلك ، فدلنا (من جديد) على حسن هضمه لما يقرأ من آراء الباحثين »

ولقد جهدت فى أن أخرج هذا التركيب — فى مختلف أوضاعه — تخريجاً سائغاً ، فلم أوفق . ذلك أن (جديد) ملحوظ فيها أن تكون صفة لموصوف محذوف . فما هو هذا الموصوف ؟ قد يكون التقدير — فى عبارة الدكتور — : (من وقت جديد) ، أو (من شىء جديد) ، أو (من أمر جديد) مثلاً . ولـكن كيفما قدرنا هـذا الموصوف ألفينا الـكلام — كما ترى — غثاً لا معنى له

والواقع أن هذا التعبير ترجمة الـكلمة الإنجليزية anew أو afresh — على ما أعلم — ترجمها من لا يتحرون الصحة ، أو من ليس لهم من علمهم ما به يتحرونها . فاقتبسه الناس

(١) احتفل فى الشىء : اجتهد فيه ، كما فى الأساس

وأغرموا به — كغيره من التراكيب الإفرنجية الـكثيرة التى شوهتها الترجمة السقيمة — على غير روية أو إنعام نظر

أفلا يرى معى حضرة الدكتور أنه يجدر بنا أن نحارب هذه الطفيليات فى لغتنا وأن نقضى عليها قبل أن يستشرى فيها شرها ؟!

(ع . ا)

فتوى واستفتاء

١ — فى حاشية فجر الإسلام[1] ما نصه « وجرينا هنا على ما قاله ابن القيم الجوزية » وهذا خطأ بين يقع فيه كثير من المؤلفين والناشرين ، وبخاصة ناشرو كتب شمس الدين محمد بن أبى بكر . وإنما هو ابن القيم أو ابن قيم الجوزية ؛ وشتان ما بين الوصف والإضافة . والجوزية مدرسة للحنابلة بدمشق أنشأها محيى الدين ابن جمال الدين بن الجوزى وإليه نسبت[2] . وذكر الأستاذ محمد كرد على فى كتابه خطط الشام أن الجوزية كانت إحدى مدارس عشر للحنابلة ، وأنها كانت فى عهده محكمة شرعية ، ثم جعلتها جمعية الإسعاف الخيرى مدرسة للأيتام ، ثم حرقت فى الثورة[3]

وابن قيم الجوزية هذا — وقد توفى سنة ٧٥١ هـ — غير شيخ الوعاظ غير مدافع ، جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . قيل أن شجرة جوز كانت فى بيت جده جعفر فنسب إليها[4] . وقيل إنه منسوب إلى محـلة بالبصرة تسمى محلة الجوز[5]

٢ — وقريب من هذا الخطأ — وإن تـكلف بعض الـكتاب تصحيحه — قولهم : « القصر العينى » وإنما هو قصر العينى بالإضافة إلى الأمير الشهابى أحمد بن عبد الرحيم بن البدر العينى نسبة إلى « عين تاب » على ثلاثة مراحل من « حلب »[6]

٣ — جاء فى الوسيط فى ترجمة ابن خلـكان — ما نصه : « وتوفى والده وهو ابن سنتين » الخ وجاء فى ترجمته فى المفصل

(١) ص ٢١٤ ج ١ ط ٣

(٢) مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فى أخبار المدارس مخطوط بدار الـكتب ص ٣٢

(٣) ص ٩٨ ج ٦

(٤) شرح القاموس (٥) شذور الذهب

(٦) ترجمة الحافظ العينى فى أول كتابه عمدة القارىء ، الطبعة المنيرية

ما نصه : « وكان أبوه مدرساً بالمدرسة المُظَفَّرية بإرْبل ، فأخذ عليه مبادىء العلم » الخ وبدهى ما بين الروايتين من التناقض . اللهم إلا أن يكون صاحب الترجمة من أرباب الخوارق !

ولا يفوتنا ـ مقرين الحق فى نصابه ـ أن نذكر أن الذى نبهنا إلى هذا الخلاف هو تلميذنا الأديب محمد حرب ، وأننا لم نجد جواباً ألا أن نرجح رواية المفصل ربما نستفتى الرسالة .

٤ — تقرر فى كتب النحو أنه لا يجمع من الصفات جمع مذكر سالماً ما استوى فيه المذكر والمؤنث كوقور ، وصبور ، وجريح . فمن الخطأ البين إذاً ما ذاع وشاع من جمع الخاصة فضلاً عن العامة — غيوراً على غيورين . وإلى القراء فتوى المصباح والقاموس فى جمع هذا الوصف ، لكثرة دورانه على الألسنة

غار يغار غَيْراً وغَيْرة وغاراً فهو غيور وغيران والمرأة غيور أيضاً وغيرى ، وجمع غيور غير كرسول ورسل ، وجمع غيران وغيرى غيارى بالضم والفتح (١) وأجدر بنا أن نكون غيرا على لغة القرآن الكريم

٥ — النحويون قاطبة — عدا الفراء وابن مالك — على أنه إذا اجتمع شرط وقسم ولم يتقدمهما ما يحتاج إلى خبر — كان الجواب للسابق منهما ، وأجابوا عن قول الشاعر :

لئن كان ماحدثته اليوم صادقاً أصمْ فى نهار القيظ للشمس بادياً

بأنه ضرورة أو اللام زائدة لا موطئة للقسم . وقد اجتمع الرأى على أنه يسوغ للشاعر ما لا يجوز للناثر

ولقد بحثت جاهداً عن شاهد واحد من النثر فأعيانى البحث . أفليس من أخطاء الخاصة إذاً ـ بله العامة ـ ما نقرؤه وما نسمعه من قولهم : لئن كان كذا فإن الأمر كذا وكذا ؟ وإن تعجب فعجب أن يخطئوا الصواب ويذيعوا الخطأ . وبعد فهل يتفضل الباحثون باستنباط مثال واحد من منثور العرب نعتمد عليه فى تصحيح مثل هذا التركيب الذائع الآن فعلوا إنى لهم شاكر

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

عجوز وعجوزة

قال الأستاذ وحيد فى « أهرام » ٤١/٦/١٦ يقال للشيخ عجوز وللشيخة عجوز وعجرزة .

وفى القرآن الكريم قال الله تعالى : « قالت يا وَيْلَتَى أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخاً » سورة هود

وقال أيضاً : « فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم » سورة الزاريات . وفى القاموس : « والعجوز الشيخ والشيخة ، ولا تقل عجوزة أو هى لُغَيَّةٌ رديئة »

وفى مختار الصحاح : « والعجوز المرأة الكبيرة ، ولا تقل عجوزة ، والعامة تقوله اه .

محمد حفنى الالدمى

جماعة الأدب الحر

تألفت بالمنصورة جمية أدبية باسم « جماعة الأدب الحر » من أهم أغراضها خدمة الأدب ورفع مستوى الإقليم الثقافى ، وإبراز الشخصية المصرية واضحة فى الأدب ، وذلك بإقامة المحاضرات والمناظرات ونشر الأبحاث ، والعناية بنواحى النشاط الفنى والأدبى ، وهى تدعو كل المشتغلين بنواحى الأدب من أبناء هذا الإقليم إلى المساهمة معها فى أداء رسالتها هذه

تصويب :

جاء فى ص (٨٥٢) من العدد (٤١٧) من « الرسالة » :
The leuding article والصواب : The leading article

وجاء فى الصفحة نفسها : فإنما ذلك لإجازتها . والصواب : فإنما ذلك لو جازتها (ا . ع)

الكف وأسرار النفس

للأستاذ أحمد السنوسى

أخصائى الحالات النفسية

(١) هذا نص المصباح ، وعبارة القاموس فهو غيران من غيارى وغيارى وغيور من غير بضمتين ومغيار من مغايير وهى غيرى من غيارى وغيور من غير تأمل



القيء ...

للأستاذ نجيب محفوظ

كان سعادة سعيد باشا كامل يقول كثيراً لخاصته إن رجلاً مثله ألف نفسه العمل والنشاط ، لأحرى أن تقعده حياة الماش مقاعد المرضى المنهوكين . وصدقت نبوءته ، فما كاد يحال على المعاش حتى سارع إليه ذبول الشيخوخة واعتوره الإعياء والخمول ، ولذلك فإنه حين أصيب بالأنفلونزا لم يعمد كعادته إلى قهرها بالعناد والإيحاء الطيب والمثابرة ، ولكنه رقد على فراش المرض عشرين يوماً قانعاً من لذيذ المأكل والمشرب بعصير البرتقال وماء الليمون . على أنه في فترة النقه اعتاض عن تصبره لذة لم يكن له عهد بها ؛ كان الصيام قد صفى بطنه وطهر قلبه وأسكت نوازع جسده الصارخة ، وطرد أشباح نفسه المفزعة ، فأضاء عقله بسنا نور بهيج ، واستنارت بصيرته بالصفاء والتجلي ، وتبدت له الأمور على غير ما كان يرى ، تراءت له الدنيا كومة من تراب ، وكأنه يعتلي قمة السماء التي تظلها ، وانكشفت له الحقيقة بغير قناع ، فكأنما انجلت غشاوة الغرور عن ناظريه ، فأحس أن بنفسه كنزاً يغنيه عن الدنيا وما فيها ، وشعر بالسلام والطمأنينة يتدفقان من ينابيع صدره فذاق سعادة الجنان ، وما كان ليفيق منهما لولا أن كرّ به الخيال إلى الوراء يتيه في غياهب الماضي وينبش قبور المنطوي من الزمان وينشر الرم والعظام من الذكريات ...

كيف اختار أن يدعو الماضي ليتطفل على سعادته الراهنة ؟ كيف رضي أن ينفل عن لذة الصفاء ليعاني ضراوة الأفكار ؟ في الحق أنه لم يرغب في ذلك مختاراً ، ولا راضياً ولكنه وجد الذكريات تطرق باب قلبه بإلحاح وعناد وعنف فلم يملك إلا أن يفتح لها كارهاً وأن يستقبلها ساخطاً متبرماً وأن يجترها بتقزز ونفور . ولم تكن المرة الأولى التي تزوره فيها ولكنها لم تكن تبدو له مخيفة ولا محزنة ، أما في ساعة الصفو والتجلي فقد آلمته وأحزنته لأنه استقبلها بقلبه الجديد

رجع به الخيال إلى عهد كان سعيد أفندي كامل كاتباً بالأرشيف في الدرجة الثامنة المخفضة ؛ وكان يقيم في منزل قديم بعطفة الجلاد بباب الشعرية ، يعاني الأمرين من بساطة حاله وكثرة تبعاته وطموح قلبه وتعالي همته . وكان يقول لنفسه دائماً إن الله وهبه ذكاء عالياً ولكن حظه السيء ران عليه فصد أو خبا ؛ ولكنه كان معروفاً بين الجيران لجمال زوجته الحسناء ، وكانت أمينة من أصل تركي عاجية البشرة سوداء الشعر والعينين فاتنة القسمات فكان يدعوها أهل الحي بالأميرة وكانوا يضربون بجمالها المثل

وفي يوم من الأيام صدر قرار وزاري بنقله إلى أسيوط ؛ فأسقط في يده ، لأنه كان يعول والديه وإخوة صغاراً ولا يقوم مرتبه بالإنفاق على بيتين ؛ وبدا له - في يأسه - أن يوجه زوجه إلى قصر « سليمان باشا سليمان » السكرتير العام لوزارته لتستعطف أمه أو زوجه لكي يبقيه الباشا في الإدارة العامة بالقاهرة ؛ وراقت الفكرة لأميرة عطفة الجلاد بباب الشعرية فذهبت إلى قصر الباشا وسألت عن أم الباشا فقيل لها إنها ماتت من عهد طويل مممه ، فسألت عن زوجه فقيل لها إن الباشا أعزب ، فأوشك أن يلحقها القنوط وأن تهم بالعودة من حيث أتت ، ولكن صادف ذلك خروج الباشا من قصره ، فاستوقف بصره منظر السيدة الجميلة التي تحادث البواب ، فسأله عنها ، فاستجمعت الشابة شجاعتها الموزعة وحدثت الباشا عما جاءت من أجله ؛ ورق الباشا لجمالها فدعاها إلى صالون الاستقبال واستمع إلى شكاتها باهتمام وشغف . كانت تنظر عيناه أكثر مما تسمع أذناه ، وكان كلفاً بالحسان ينسى في مجلسهن دينه ودنياه ، فتحلب ريقه واحترق صدره ، وابتسم لها ابتسامة حلوة وربت على منكبها بحنو وقال لها

— سأنظر في طلبك بعين العطف يا حسناء

وكانت أمينة قادرة على قراءة العيون فتولتها الدهشة ونظرت للباشا نظرة ملؤها الشك والارتياب ففتنته النظرة ؛ فمد يده - كما تعود وكما ألف - فعبث بذقنها الصغيرة فقطبت جبينها وجفلت منه . فلم يدركه اليأس وما كان يدركه اليأس أبداً وقال لها برقة

— كلا ، له رجاء عند صاحبه فاقضي رجائي أقض رجاءك

وعادت المرأة إلى زوجها وقصت عليه ما لقيت من الباشا فانزعج الشاب انزعاجاً كبيراً ، وأرادت أمينة أن تشاركه عواطفه فبكت وإن لم تخل من زهو وخفار ، وأزمع الشاب يأساً

وقال لنفسه : «ليكن سفر، والأمر لله» . ولكن فى صباح اليوم الثانى استدعاه مدير الأرشيف فذهب إليه مبلبل النفس مضطرب القلب يظن أنه مبلغه أمر النقل لينفذه ، ولكن الرجل قال له : « مبارك يا سعيد افندى لقد ألغى أمر نقلك » . فشكره الرجل متحيراً وهم بالرجوع ، ولكن المدير قال له : « ومبارك أيضاً فقد رشحت لوظيفة من الدرجة السابعة بمكتب السكرتير العام »

آه كم رنت الدرجة السابعة فى أذنيه رنيناً بديعاً . . . لقد اضطرب وغضب وسخط وتحير وتردد وقارن ووازن ، ولكن رنين الدرجة ابتلع كل صوت حتى صوت ضميره وعفته ، وتيقظت أطماعه وجمح طموحه فاستسلم . وكانت أمينة التركية الجميلة ذات غرور وطموح أيضاً فاتفقا على أن السوأة شىء يدارى ، أما الفرصة المؤاتية فشىء لا يعوض . . . وهويا معاً . . .

وعزم على ألا تكون تضحيته عبثاً ، فدرس فى بيته حتى حصل على ليسانس الحقوق ورقى سكرتيراً للسكرتير العام ؛ ومازال يصعد مدارج الرقى مستعيناً بهمته وذكائه وجمال زوجه . فلما اختير سليمان باشا سليمان وزيراً جعله مدير مكتبه ، وقامت زوجه بنشر الدعوة له فى الأوساط العالية وقدمته إلى كبار الرجال ، فتبوأ بفضلها مركز السكرتير العام ، وصار سعيد باشا كامل ، وصارت هى حرم الباشا المصون . . . وكان قد تعود المهانة كما يتعود الأنف الرائحة النتنة . . .

وفى يوم من الأيام أعلن الباشا أنه مسافر إلى بور سعيد فى رحلة تفتيشية تستغرق عشرة أيام . وبلغ المدينة وشرع فى العمل بما عرف عنه من النشاط وعلو الهمة ، ولكن أعتوره تعب فجائى اضطر معه إلى قطع رحلته والعودة إلى القاهرة ، وانتهى إلى قصره مع المساء ، وكانت عودة غير متوقعة ، فاستقبله البواب بدهشة لم تخف عن عينيه على ندرة اندهاش النوبيين ، والتقى الباشا بالسفرجى فى الردهة التحتانية ، فتولى الرجل الانزعاج ولم يستطع أن يخفى تأثره ، فغضب الباشا وسأله : « أين الهانم ؟ » ولم يجب الرجل كأنه لم يسمع ، فقال له بحدة : « أين الهانم يا أحمق ؟ » ، فارتعب الخادم وقال بتلعثم : « فوق يا سعادة الباشا . . . فوق » ، فصعد السلم الخشبى المفروش بالبساط الأحمر المخملى وهو يتساءل : ماذا هنالك ؟ ! وبلغ الصالة فى ثوان ، فرأى وصيفة زوجه تنسق باقة زهر ناضرة . . . فلما رأته حملقت فى وجهه بذهول وجمدت عن الحركة لحظة كأنها فارة جذبت عيناها إلى عينى هر . . . ثم هرعت إلى حجرة النوم ونقرت على بابها المغلق وهى تقول : سيدتى . . . الباشا هنا . . . فساوره القلق والاضطراب ودنا من الباب ووضع يده على الأكرة وهو يعجب كيف لم تسارع الهانم إلى فتح الباب واستقباله ، ثم أدارها فلم ينفتح الباب ، فالتفت ناحية الوصيفة فلم ير لها أثراً ، فنقر الباب وهو يقول بصوت متهدج :

— يا هانم . . . لماذا تغلقين الباب ؟

فلم ترد جواباً ، فأدنى رأسه من الباب فسمع حركة وصوت اصطدام شىء صلب بالأرض . . . فاهتاجه الغضب . . . فضرب الباب بعصاه وصاح بحدة قائلاً :

— يا هانم . . . ألا تسمعيننى . . . أمينة هانم . . .

ثم مضى يدفع الباب بعنف ، فسمع صوت الهانم تقول :

— انتظر من فضلك فى المكتبة حتى ألحق بك !

فقال بحدة : افتحى الباب

فردت عليه بهدوء وإصرار : انتظرنى فى المكتبة من فضلك

— هذا سلوك غريب . . . ما هذه الحركة بداخل الحجرة ؟

— إذهب إلى المكتبة من فضلك

— لن أتنحى عن الباب حتى يفتح لى

فسكتت المرأة هنيهة ثم قالت بحدة وغضب :

— من شخص ينبغى أن يخرج بسلام

وخذلته أعضاؤه المنهوكة فأحس خوراً ، وذهولاً ، وجوداً ثقيلاً ران على قلبه وتنفسه ، ولبث دقائق لا يبدى حراكاً ، ثم مضى بخطى ثقيلة إلى المكتبة وارتمى على مقعد ترتعش يداه من الانفعال والحنق ، وقال بصوت كالمختنق : « ياعجبا . . . إنها لا تكلف نفسها مؤونة التستر على فضيحتها فالخدم يعلمون بغير ريب . . . » ، واهتاجه الغضب ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً ، وما كانت إرادته تقدر على أن تصطدم بإرادتها بحال ، فتصاعد غضبه دخاناً كتم أنفاسه وسد مسالك صدره . . . وقال بلهجة هسترية : « هل يكون هذا المتهتك حرمة فراشى إلا تلميذاً شريراً أو متعطلاً متسكعاً ؟ ! » وانتظر أن تلحق به فلم تفعل ؛ فقام مرة أخرى وقصد إلى حجرة النوم بسير بخطى مضطربة فوجدها جالسة على الشيزلنج منكسة الرأس ، فلما أحست به بادرته قائلة :

— إنى أغادر البيت فى الحال إذا كان هذا يروقك

فلوح بعصاه غاضباً وقال بحنق :

— ما هذه الفضائح ... ما هذه القذارة ؟

وأصابت العصا ساقها دون قصد منه . فرفعت إليه بصرها وحدجته بنظرة باردة قاسية كان لها فى نفسه وقع شديد وقالت له :

— أتضرب الساق التى رفعتك إلى أعلى المناصب ؟!

لقد كانت تلك الكلمة أليمة موجعة ، ولكن ذكراها التى تعاوده الآن أنكى وأمر .

وشعر عند ذلك بنغز موجع فى صدره ، فاتكأ على يديه الضعيفتين وهم جالساً فى الفراش وكسر مخدة واستند عليها متنهداً من الأعماق ، وبدأ كالمستغيث من أفكاره ، ولكن ذاكرته لم ترحمه ولم ترق لحاله فاستحضرت أمام ناظريه حادثة أخرى ليست دون سابقتها بشاعة وقبحاً ... وكان ذلك وهو فى أوج مجده الحكومى وكان يترأس حفلة بمدرسة الجيزة الثانوية فألقى كلمة استقبلت بالتصفيق والتقدير ووزع الجوائز على المتفوقين وغادر المنصة مودعاً من كبار الموظفين إلى سيارته وانطلقت به السيارة ، وقد أخذ الظلام يغشى الطرق والحقول ؛ وعند منعطف الطريق انبرى له شاب — ولعله كان تلميذاً — وصاح به بأعلى صوته :

« كيف تضرب الساق التى رفعتك إلى أعلى المناصب » وعرته رجفة شديدة ، وتشنج جسمه فلم يلتفت نحو القاذف الخبيث وشعر بانهيار وتفكك ، فتفصد جبينه عرقاً بارداً ثم غلى دمه ، وعجب كيف ذاعت هذه الجملة الآثمة حتى بلغت هذا الشاب . لقد غدا قصره مورداً لفضائح غير مستورة ينهل منها المتطوعون لإذاعة المخازى . على أنه كان فى تلك الأيام قوياً مستهتراً يهضم ضميره القتيل الفضائح بغير مبالاة فهدأ روعه وقال باستهانة وحنق : « قولوا ما يحلو لكم قوله — فسأظل — وأنوفكم فى الرغام ، السيد المطاع والرئيس المرتجى . أما الآن فى ظل النقه والطهارة فقد امتعض وحزن وشعر بالذكريات تصليه لهباً جهنمياً ...

ودخلت عند ذاك أمينه هانم فسألته برقة : « كيف حالك ياباشا » ؛ ثم جلست على مقعد وثير ، فنظر إليها بعينيه الذابلتين نظرة غريبة لم تفهم معناها الحقيقى ؛ وعجب الرجل كيف تحافظ على حسنها وشبابها حتى ليخال الناظر إليها أنها فى منتصف عمرها ، مع أنه لا يكبرها بأكثر من ثمانية أعوام ... ثم قال لنفسه دهشاً : « رباه ... كأنى كلما زدت عاماً نقصت عاماً ... فمتى تذبل وتذوى وتحفل من النظر إلى المرآة ؟ ؟ »

نجيب محفوظ

9 me Année No. 419 — Lundi - 14 - 7 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٤ يولية سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٨٨٥ عبر من سـيرة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٨٨٨ أبو المظفر الأبيوردى شاعر العرب فى القرن الخامس ... : الدكتور عبدالوهاب عزام ...
٨٩١ الحديث ذوشجون ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٨٩٥ دمشق ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
٨٩٨ العبير التائه ! ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٨٩٩ من حديث الثغر الحزين ... : الأستاذ عماد الدين عبد الحميد
٩٠٠ أقة ... ! ... ... : لشاعر الحب والجمال « لامرتين » ترجمة الأستاذ محمد أسعد ولاية
٩٠٣ عبد القادر حمزة باشا ... : الأستاذ محمد السوادى ...
٩٠٧ شاعر غريب ... [قصيدة] : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا
٩٠٧ حينما تغمضين عينيك « : الأستاذ العوضى الوكيل ...
٩٠٨ جواب ... ... : الأستاذ الكبير « وحيد »
٩٠٨ تعليم القراءة والكتابة ... : ... ...
٩٠٨ التأريخ عند العرب ... : الأستاذ أحمد صفوان ...
٩٠٩ لابن المقفع لا الخليل – شاعر وناقد – النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ... ... : الأستاذ بدارى على بدارى ...
٩١٠ تصويب ... ... : ... ...
٩١٠ حول إبعاد الحيز ... ... : الأستاذ خليل السالم ...
٩١٠ الشارب ... ... [قصة] : للقصصى الفرنسى جى دى موبسان ترجمة الأستاذ إيزاك شموش

عبر من سـيرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« بدرفسكى » موسيقى عظيم وإنسان عظيم ، وليس الموسيقى ببالغ أوج العظمة فى فنه حتى يبلغ أوج العظمة الإنسانية فى أفق من آفاقها العليا ، وإن خيل إلى الأكثرين منا أن الموسيقى طرب ، وأن الطرب لهو ، وأن اللهو والعظمة لا يتفقان

كان « بدرفسكى » عظيما لأنه كان أكبر من جميع تلك الأشياء التى يتصاغر لها الناس : كان أكبر من المال ومن المنصب ومن الأثرة ومن النعمة الرخيصة ، وكاد أن يكبر على غواية الفن لولا أنه من الفن قد استمد الكبرياء والعظمة ، فلا يهجره فترة يسيرة إلا بقوة منه ، كما يهجر المرء حياته أحياناً بقوة من دوافع تلك الحياة

وللعظمة مقاييس شتى

وبدرفسكى عظيم بأكثر من مقياس واحد : عظيم بهذا الذى ذكرناه ، وعظيم بإعطائه كل شىء حقه على قدر لا يستطيعه أوساط الناس ، وعظيم لأنه قادر على العمل العظيم فى غير ناحية واحدة . فلم ينحصر فى موسيقاه ولا فى دعوته الوطنية ولا فى غزواته السياسية ، ولم يجاوز فى كل عمل من هذه الأعمال الكبار حده المقدور

أبلغ العالم شكاة أمته بصوت الموسيقى ، فكان داعية فن وداعية وطن . ثم ترك المناصب ليثوب إلى فنه بعد أن صنع ما كان فى وسعه أن يصنع ، ولم يبق من سبب لبقائه فى مناصب الدولة إلا التملق بها والاستخذاء لنوابها ، وليس هو بالذى يتعلق بهذه الفتنة أو يستخذى لهذه النوابة

وجمع الذهب : أكداس الذهب ، ثم فرق فى خدمة القضية البولونية ما لو احتفظ به لكان أغنى من ملوك المال وأقدر من حكام الأمم

واشتدت به العصبية الوطنية غاية اشتدادها ، ولكنه حين وهب الجوائز للنابغين فى ضروب الموسيقى وهبها عالية لكل مجيد وكل مأمول الإجادة من أبناء القارة الجديدة

ففيه لكل من الوطن والعالم والغنى نصيب بمقدار ، وبين يديه هو ميزان ذلك المقدار

ومقياس آخر من مقاييس العظمة فيه أنه جند جيشاً وساس دولة ووجه الدول الأخريات توجيهاً لم يحلم به حالم من أبناء وطنه ، ولكنه لم يكن من الحالمين وهو أجدر أبناء بولونيا بالإمامة فى عالم الأحلام

ومن يدرى ماذا كان يجرى فى القارة الأوربية لو استمع أبناء قومه لنصحه واتبعوا هداه فى العلاقة بينهم وبين جيرتهم من الروس ... فلعل الذى كان يجرى يومئذ غير الذى جرى الآن ، وخير مما جرى أو سيجرى بعد الآن !

بدرفسكى رجل عظيم لأنه موسيقى عظيم

وهذا شىء ينبغى لنا أن نفهمه نحن الشرقيين خاصة لأننا أحوج إلى فهمه من جملة العالمين

نحن الشرقيين لا نفهم ما الدنيا وما الحياة فى الدنيا حتى نفهم ما التعبير عن الحياة ، ونفهم أن الفنون أرفع وأجل ما وهب الإنسان من وسائل التعبير عن حياته بل عن حياتيه : الحياة الظاهرة التى لا خفاء بها ، والحياة الباطنة التى ما خلت قط ولن تخلو يوماً من خفاء

فليست الأصداء الموسيقية لغواً من لغو البطالة ، ولا هى بديل من ذيول الفراش أو ذيول السرير ، ولا هى بتسلية للأذن تستطيبها كما يستطاب السجع الموزون والرنين المنغوم

كلا . ليست الأصداء الموسيقية كذلك ، وليست الحياة شيئاً إن كانت الأصداء الموسيقية كذلك

نعم ليست الحياة شيئاً إن لم يكن لها تعبير ، وليست هى شيئاً إن كان كل التعبير عنها لغواً أو تسلية أو متعة فراش

ومن السهل أن تزدرى الرجل الذى يبتذل فنه لشهوة غيره ، وليس من السهل أن تزدرى الرجل الذى يعبر لك عن حياتك ويفتح لك من مغالقها ما عسى أن يحتجب عنك ؛ فإنما هو واهب حياة وليس بواهب شهوة أو تسلية أو فضول

لهذا يلتقى الموسيقى العظيم والرجل العظيم فى إنسان واحد .

ولهذا نحسب بدرفسكى آية من آيات عصره ، لأنه استرعى النظرة الجدية منهم حين أسندوا إليه رياسة الوزارة فى قومه . وما كانت رياسة الوزارة علواً يرتفع إليه بعد أن رفعته العبقرية ، ولا صوتاً مسموعاً فى جانب من جوانب الأرض بعد أن سمع صوته فى كل جانب منها ، وإنما كانت ولاية الموسيقى لرياسة الوزارة دليلاً على النظرة الجدية التى ينظرون بها إلى فنه ، أو ينظرون بها إلى الحياة والتعبير عن الحياة

ولو سئل أحد لم كان بدرفسكى رجلاً عظيما لما خطر له أن يقول : إنه كان عظيما لأنه تولى رياسة الوزارة البولونية فى عهد من العهود ، ولكنه يقول إنه كان عظيما لأنه كان أهلاً للمجد وأهلاً للاضطلاع بالأمانة . ولا تناقض بين هذا وبين عزفه على البيان ، واختراعه الجديد من الألحان ، بل هذا حجة له على صدق العظمة فيه واقتداره على كل ما يقتدر عليه العظيم

الحياة تأثير وتعبير . وماذا بعد هذين ؟ بل ماذا فى التأثير نفسه إن لم يتممه التعبير ؟

فالعبقرية التى تتمم الحياة وتعطيها معناها ليست بالمنزلة الهينة بين منازل الإنسانية ، وليست بالنافلة بين النوافل ولا باللغو الذى يكون أو لا يكون على حد سواء

***

قلت فى ذكرى من ذكريات الموسيقار المصرى النابغة سيد درويش إن « الأمة الكاملة عجزت مع هذا عن قضاء حق

الرجل الفرد فمات بينها وهى لا تعلم أنها أصيبت من فقده بمصيبة قومية ، ولم تبال حكومتها أن تشترك فى تشييع جنازته وإحياء ذكره كما تبالى بتشييع جنازات الموتى الذين ماتوا يوم ولدوا والمشيعين الذين شيعتهم بطون أمهاتهم إلى قبر واسع من هذه الدنيا يفسدون فيها من أجوائها ما ليست تفسده العظام النخرات والجثث الباليات . . . أنقول مع هـذا ؟ بل ما لنا لا نقول إن الرجل قد أهمل فى حياته وبعد مماته ذلك الإهمال القبيح لأجل هذا ؟ أو ليست آدابنا هى تلك آداب هذا الشرق الجامد الذليل الذى تعاورته الرزايا وران عليه الطغيان ؟ أو ليست آداب هذا الشرق المسكين تعلمنا أن العزيز العظيم من يسىء إلى الناس ، وأن المهين الحقير من يتوخى لهم الرضى ويوطئ لهم أسباب السرور ؟ أوليس من شرع الاستبداد وسنن آدابه أن يكون الرجل عظيما لأنه يطغى ويقهر ويكسر النفوس ويحنى الظهور ويعفر الوجوه ؟ أوليس هذا أعظم ما رأينا من العظمة فى هذا الشرق الآفل منذ علم أبناؤه أنهم صغراء حقراء ، فلن يكون الذى يتقدم إليهم بالرضى والسرور إلا أصغر منهم صغراً وأحقر منهم حقارة ؟ بلى ، وا أسفاه ! إن دفائن الاستبداد ما برحت عالقة فينا بدخيلة السرائر، ننفضها فلا تنتفض إلا ذرة بعد ذرة، وزن المنفوض منها فإذا هو لا يزيد فى الهباء ولا ينقص راكد ذلك التراث ... »

وقد مضت قرابة عشرين سنة بعد وفاة سيد درويش ونحن لم نتقدم خطوة فى هذا المضمار . فلا تزال الأصداء الموسيقية ذيلاً من ذيول الفراش عند جمهرة السامعين ... أتشك فى ذلك ؟ إستمع إليهم وهم يصرخون ويزعقون بين لحة وأخرى ، ثم حاول أن توفق بين هذا النشوز الصادع وبين شعور السامع بانسجام الأنغام وائتلاف المعانى وانتظام الأوزان . إن التوفيق بينهما لمستحيل ، ولكن لا صعوبة فى التوفيق بين هياج الحس المستثار بتصور الشهوة وبين هـذه الثورة الناشزة فى الحناجر والأيدى والأقدام . فهم على مقربة من الفراش فى صورته الحيوانية المريضة ؛ ثم هم لا يستمعون ما يبعدهم عنه أو يحولهم إلى فكرة غير التفكير فيه . وعليهم بعض الوزر وعلى الموسيقيين والمطربين وعلى الماضى الذى خلف لهم ذلك التراث بقية الوزر التى لا ندرى متى يدركها النفاد !

وبيننا وبين الخلاص من هـذه البلية عقبتان : أولاهما أننا نحسب الفنون لهو بطالة . وثانيتهما أن اللهو فى عرفنا إسفاف وضيع يعيره الإنسان فضول وقته ، ولعل وقته كله فضول

من يصدقنى من هؤلاء إذ أقول له إن الموسيقى جد رفيع وشاغل مقدس وليس بهزل ولا مجانة ؟

لا أحد

فلنقل لهم إذن أن بدرفسكى الموسيقى تولى رياسة الوزارة فى وطنه وتولى قبل ذلك زعامة قومه باعترافهم واعتراف الغرب كله، فإنهم ليصدقون إذن وهم حائرون أن الموسيقى جد والأمر لله !

ثم إنهم ليصرخون بعد ذلك ويزعقون كلما رجعوا إلى « التخت » الذى هو عندهم دهليز الفراش ، ولا فضل له عليه !

عباس محمود العقاد

أبو المظفر الأبيوردي

شاعر العرب في القرن الخامس

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تتمة)

— ٦ —

فخر الأبيوردى بأمويّته واعتزّ بها، ولكن عصبيته لبنى أمية لم تورطه فى العداوة التى أثارتها الفتن بين الأمويين والهاشميين، فهو يفخر ببنى عبد مناف جميعاً لا يفرق بين هاشم وأمية كما يفخر بقرشيته وعربيته ويمدح العباسيين ويذكر مآثرهم، وإذا تحدث عن الصحابة وفى الخلفاء حقهم من الثناء والإجلال كما يتحدث المسلم الذى لم تخالط نفسه أهواء العصبية

يقول فى مدح المستظهر بالله :

يا خير من بشرت بعد النبي به ... عدنانُ وادّرعت عِزًّا به مضر
أحيا بك الله ما كانت تُدلُّ به ... على قريش ومنها السادة الغرر
لك الوقار من الصدّيق تكنفه ... مهابةٌ كان محبّوا بها عمر
وجود عثمان والآفاق شاحبة ... ونجدة من علىّ والقنا كِسر
وعلمُ جدك عبد الله شِيب به ... دهاؤه حين أعيا الوارد الصدر

ثم يذكر الخلفاء العباسيين إلى المقتدى

ويقول فى قصيدة يمدح فيها الرسول والخلفاء الراشدين :

وكلّ صحبك أهوى فالهدى معهم ... وغَـرب من أبغض الأخيار مفلول
وأقتدى بضجيعيك اقتداء أبى ... كلاهما دَمُ مَن عاداه مطلول
ومن كعثمان جوداً والسماح له ... عبء على كاهل العلياء محمول
وأين مثل علىّ فى بسالته ... بمأزق من يَرِدْه فهو مقتول
إنى لأعذل من لم يُصفِهم مِقة ... والناس صنفان : معذور ومعذول

ونجده فى قصيدة أخرى يفخر بالأمويين والعباسيين والعرب كلهم

— ٧ —

كان الأبيوردى شاعر العرب فى القرن الخامس كما كان المتنبى شاعرهم فى القرن الرابع ؛ فشعره ينطق بإباء العرب وعزتهم، ويُعرب عن طباعهم وأخلاقهم، ويتحدث بمآثرهم ومفاخرهم، ويمدح كثيراً من رؤسائهم، ويرثى لحالهم فى عصره ويأنف ألاّ ينالوا حقهم . وهو كثير الحنين إلى بلاد العرب، نزّاع إلى البداوة تشبها بهم

والفرق بين أبى الطيب المتنبى وأبى المظفر الأبيوردى أن الأبيوردى أكثر قصداً فى فخره وثورته وتحدّثه عن مطامعه ؛ على أن له أصلاً فى الملك يجعل كلامه أقرب إلى القبول وأدنى إلى التصديق

وكذلك يتشابه الشاعران العظيمان فى العزوف عن الدنايا، والترفع عما فخر به الشُّعراء من معاقرة الخمر والاسترسال فى الشهوات

ولا يعوز قارىء ديوان الأبيوردى الدليل على هذه الأخلاق والنزعات ؛ يقول فى اعتداده بنفسه :

وإنى إذا أنكرتنى البـلاد ... وشِيبَ رضا أهلها بالغضب
لكالضيغم الورد كاد الهوان ... يَدبّ إلى غابه فاغترَبَ
فشيدتُ مجداً رسا أصـله ... أمتّ إليـه بأمّ وأب
ولم أنظم الشّعر محباً به ... ولم أمتدح أحداً عن أرب
ولا هزنى طمعٌ للقريض ... ولـكنه ترجمان الأدب

ويقول :

وما أنا ممن يملأ الهول صدرَه ... وإن عضه ريب الزمان فأوجما
إذا ما غسلت العار عنى لم أُبَـل ... نداء زعيم الحى بشر أو نمى

والأبيوردى لا يرضى بعيشته، ولا يسكن إلى حاله، ولكنه يأنف أن يُسف إلى المطمع الدون، ويستكبر أن تضرعه الحاجة إلى الذل، بل يرى الدنيا كلها أصغر من أن تذل لها نفوس الأحرار . يقول :

قضت وطراً منّى الليالى فلم أبح ... بشكوى ولم يدنس علىّ قميص
أغالى بعرضى والنوائب تمـتـرى ... وغيرى يبيع العرض وهو رخيص
وقد علمتْ عليا كنانة أننى ... على ما يزين الأكرمين حريص
فظهرى بأعباء الخصاصة مثقل ... وبطنى من زاد اللئام خميص

ويقول :

وإنى لأقرى النائبات عزائماً ... تروض إباء الدهر والدهر شامس

وأحقر دنيا تسترقُّ لها الطلى   مطامع لحظى دونها متشاوس
تجافيت عنها وهى خود غريرة   فهل أبتغيها وهى شمطاء عانس؟
أغالى بعرضى فى الخصاصة، والتى   تراودنى عن بيعه ، وأما كس
وأصدى إذا ما أعقب الرىّ ذلة   وأزجر عيسى وهى هِيم خوامس
ولى مقلة وحشية لا تروقها   نفائس تحويها نفوس خسائس

ويمثل فى أبيات أخرى ما يتنازع نفس الأبى الذى بدلت أحواله غِيَرُ الزمان :

ولما انتهت أيامنا علقت بنا   شدائد أيام قليل رخاؤها
وكان إلينا فى السرور ابتسامها   فصار علينا فى الهموم بكاؤها
أصيبت بنا فاستعبرت وضلوعها
على مثل وخز السمهرى انطواؤها
ولو علمت ماذا تعانيه بعدنا   لما شمتت جهلاً بنا سفهاؤها

إلى أن يقول :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت   لنا رغبة أو رهبة عظماؤها
وجاست بنا الجرد العتاق خلالها   سواكبَ من لباتهن دماؤها
فصرنا نلاقى النائبات بأوجه   رقاق الحواشى كاد يقطر ماؤها
إذا ما أردنا أن نبوح بما جنت   علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

وأنفة الأبيوردى وعفته لا ترضيانه بأدنى العيش ، فهو طماح إلى العلى ، ساع لها ، منافس من أجلها :

رأت أميمة أطمارى وناظرُها   يعوم فى الدمع منهلاً بوادره
وما درت أن فى أثنائها رجلاً   ترخى على الأسد الضارى غدائره
أغرّ فى ملتقى أوداجه صيَد   حمر مناصله ، بيض عشائره
إن رث بردى فليس السيف محتفلاً
بالغمد وهو وميض الغرب باتره

وهو يرى نفسه كفء المعالى التى يطمح إليها ، وأهلاً لها بنسبه وهمته :

لله درى فكم أسمو إلى أمد   والدهر فى ناظريه دونه شَوَس
أبنى عُلَىّ رامها جدى فأدركها   وكان فى غمرة الهيجاء ينغمس
فأى أروعَ منى نبهت هممى   وأى شأو من العلياء ألتمس

ويقول :

سأحمل أعباء الخطوب فطالما   تماشت على الأين الجمال القناعس
وأنتظر العقبى وإن بَعُد المدَى
وأرقب ضوء الفجر والليل دامس
فلله درى حين توقظ همتى   مساورة الأشجان والنجم ناعس

هذه الأنفة وهذا الإباء وهذا الطموح وهذه الكبرياء التى أوحت إليه أنه دون مكانته ، وأنّ عليه أن يطلب مكانة تليق به وبآبائه ، أكثرت حديثه عن مباشرة الخطوب وركوب الأهوال فى سبيلها والمحاربة من أجلها ، يقول :

تقول ابنة السعدى وهى تلومنى   أمالك عن دار الهوان رحيل؟
فإن عناء المستنيم إلى الأذى   بحيث يذل الأكرمون طويل
وعندك محبوك السراة مطهم   وفى الكف مطرور الشباة صقيل
فثب وثبة فيها المنايا أو المنى   فكل محب للحياة ذليل

وقال :

سواى يجرّ هفوته التظنّى   ويرخى عَقد حبوته التمنى
ويُلبس جيدَه أطواقَ نعمى   تشف وراءها أغلال مَنّ
إذا ما سامه اللؤماء ضيماً   تمرّغ فى الأذى ظهراً لبطن
وظل نديم عاطية وروض   وبات صريع باطية ودن
وأشعر قلبه فَرَق المنايا   وأودع سمعه نغم المغنى
وصلصلةُ اللجام لدىّ أحرى   بمز فى مسامعه مُبِينّ

إلى أن يقول :

وها أنا أوسع الثقلين صدراً   ولكن الزمان يضيق عنّى

ويقول :

يا صاحبي خذا للسير أهبته   فغيرنا بمناخ السوء يحتبس
أترقدان وفرع الصبح منتشر   عليكما وذَماء الليل مختلَس
إن تجهلا ما يناجينى الحفاظ به   فالرمح يعلم ما أبغيه والفرس

سخط الأبيوردى وتحدثه بالثورة كانا نتيجة إبائه وطموحه وإنكاره المنزلة التى نشأ فيها كما كانا من سخطه للعرب واستنكافه أن تنزع المقاليد من أيديهم ، وتوكل الأمور إلى غيرهم . فالنعرة العربية بيّنة فى شعره ، والأنفة للعرب مكررة فى قصائده . قال فى قصيدة يمدح فيها أبا النمر المروانى أحد أقاربه :

دهر تذأّب من أبنائه نقد   وأوطئت عربٌ أعقاب أعلاج
وأينع الهام لكن نام قاطفها   فمن لها بزياد أو بحجاج ؟

وكم أهبنا إليهـا بالملوك فلم نظفـر بأروع للنهاء فراج
وأنت يا ابن أبى النمر الأغر لها فقل لذود أضاعوا رعيها : عاج
وألقح الرأى ينتج حادثاً جللاً إن الحوامل قد همت بإخداج
وإن كويت فأنضج غير متئد لا نفع للكى إلا بعد إنضاج

إلى أن يقول :

متى أراها تثير النقع عابسة تردى بكل طليق الوجه مبلاج
ولاج باب أناخ الخطب كلكله به ومن غمرات الموت خرّاج
فى غلمة كضوارى الأسد أحنقها
زأر العدى دون غابات وأحراج . الخ

وله قصيدة يمدح بها بعض الوزراء من أسرته أولها :

من رام عزا بغير السيف لم ينل
فاركب شبا الهندوانيات والأسل

ويقول فيها :

وخالفت هاشماً فى ملكها عُصَب
صاروا ملوكا وكانوا أرذل الخول
حنت إليهم ظبى الأسياف ظامئة
حتى أبت صحبةَ الأجفان والخلل ... الخ

ويقـول فى مدح أبى الشداد المقيلى يشكو حال العرب ويحرضه على أن يطلب لهم السكانة الجديرة بهم :

فإيه أبا الشـداد إن وراءنا أحاديث تروى بعدنا فى المعاشر
فمن لى بخِرق ثائر فوق سابح تردّى بإعصار من النقع ثائر
إذا حفزته هزة الروع خلتـه
على الطّرف صقراً فوق فتخاء كاسر
أترضى وما للعُرب غيرك ملجأ توسدهم رملى زرود وحاجر ؟
بهم ظمأ أدمى الجوانح بَرحُـه
وذموا إلى الشمرى احتدام الهواجر

وأما إعجابه بأخلاق العرب وحنينه إلى ديارهم فى مدحه وغزله فيُـذكران بأبى الطيب المتنبى . فهو يحن إلى البداوة ويتغزل بالبدويات ، وإذا تحدث عن أمانيه وأعوانه فالمثل الأعلى عنده فتيان العرب

يقول فى قصيدة يمدح بها المستظهر بالله :

من كل فضفاض الرداء سَمَيْدع
أصاحب منه فى الوقائع أروعا
غذته رُبَى نجد فشبّ كأنه شهابا مشرقٌ يقطر السم منقعا
يُريح ، إذا ارتج للندى بمنطق ،
كلاماً كأن الشيح منه تضوعا
ويُروى أنابيب الرماح بمـازق
يظل غداةَ الروع بالدم مُترَعا ... الخ

ويقول فى قصيدة يمدح بها أحد رؤساء العرب :

وترويك فى قبس حياض تُظلها
ذوابل فى أيدى ليوث خوادر
بنو عربيات تحوط ذمارها كماة كأنضاء السيوف البواتر

ويقول فى مدح سيف الدولة صدقة بن دبيس :

له عمة لوثاء تفتر عن نهى علمنا بها أن العمائم تيجان

وحنينه إلى البداوة وعاداتها يتبين فى مثل قوله :

وأسرى بعيس كالأهلة فوقها وجوه من الأقمار أبهى وأبهر
ويعجبنى نفح العَرار وربّما شمخت بعرنينى وقد فاح عنبر
ويخدش غمدى بالحمى صفحة الثرى
إذا جرّ من أذياله المتحضر
فما العيش إلا الضب يحرشه الفتى وورد بمستن اليرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطنابَ بيته على العز والكومُ المراسيل تنحر
ويغشى ذراه حين يمتم للقرى ويسمو إليه الطارق المتنوّر

هذا طرف من أخبار هذا الشاعر العربى الأموى العظيم .

ولعل المتأدبين من شباب العرب يجدون فى شعره متعة النفوس الكريمة ، وشحذ الهمم الطامحة ، ونمطاً من الكلام البليغ ، اتفق على تجويده اللفظ والمعنى . ولعل الفرصة تتاح لبحث مفصل جامع فى أدب هذا الشاعر

عبد الوهاب عزام

استدراك : ورد فى المقال السابق فى العمود الأول فى السطر العشرين كلمة : معاويةُ ، والصواب : معاويةَ

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أحزان الاسكندريين توجه الفكر إلى نظرة فلسفية — بين الاحتلال والاستقلال — الاحتقلال — الألبان — عمود ونصف — غرائب التعابير — الكاتب المعوى — شيطنة أدبية — هل فى الأدب ديكتاتورية ؟ — بعض ما يجهل الشبان — صيد الحوت فى بحر الشمال ! — كلة صريحة إلى الأستاذ « فريد أبو حديد » .

أحزان الإسكندريين

وهذا خطاب جديد من الأستاذ عبد اللطيف النشار ، وهو يدعونى إلى أداء دَيْن الإسكندرية شعراً ، كما أديته نثراً ؛ ثم يهتف :

نبكى لغِرناطةٍ حزناً ولم نرها فكيف بالثغر يذوى تحت أعيننا
يزول يوماً فيوماً من محاسنه ما كان ملء الليالى بهجة وسنا

وأجيب بأن من العسير علىّ أن أوجه خيالى إلى فواجع الإسكندرية ؛ فما أدمت التفكير فى نكبتها لحظات إلا شعرت بدُوار عنيف يزلزل إحساسى بالوجود

والأستاذ النشار يروى فى خطابه حديث اليونانى الذى رأى بعينى رأسه رجلاً فى جبة خضراء يخرج من قبر « أبى الدرداء » ويمتنق الطوربيد ؛ ثم يضمه فى فناء المحافظة ، ويأمره بأن لا ينفجر[1] . (وهو الطوربيد الذى لم ينفجر فى دار المحافظة على بعد ثلاثة أمتار من قبر أبى الدرداء ، وقد وجد الطوربيد ملفوفاً فى باراشوت أخضر اللون)

ثم يقول الأستاذ النشار فى هامش الخطاب :

« فاتنى أن أؤكد لك أن شعور العامة أنه يومٌ دينىٌّ من كبار المواسم لظهور كرامة فيه لأبى الدرداء الذى قتله البرد كراهية منه للنار ، فهو يحمى الاسكندرية من الاحتراق »

وأقول : إنى لا أعرف بالضبط أين دُفِن أبو الدرداء ، ولا أعرف المكان الذى تحتله هذه « الرواية » بين الجِدّ والمزاح ، ولكنى مع هذا لا أستبعد أن يكون للأموات أياد فى مصاير الأحياء ؛ فقد حبَّرتُ أكثر من سبعين صفحة من صفحات « التصوف الإسلامى » فى تأييد نظرية « وحدة الوجود » .

(1) أنا لا أدغم « أن » الناصبة فى « لا » النافية ، فأرجو حضرة المصحح أن يتفضل بمراعاة ذلك

لم يبق عندى شكٌّ فى أن الوجود كله مربوط برباط ونبق من الكهرباء ، بحيث لا تنتقل ورقة من الخضرة إلى الذبول ، ولا يتحول جسدٌ من الحياة إلى الموت ، بدون تأثير فى الوحدة الوجودية ، وإن غفل عن ذلك من يكتفون بما تقع عليه الحواس

وإذن فمن حق الإسكندرية أن تستنجد بأرواح أبنائها البَرَرة والفَجَرة من أقدم عهودها إلى اليوم . ومن حقها أن تثق بأن كربها لن يطول ، لأنه ليس إلا مرحلة قصيرة من مراحل الوحدة الوجودية وهى تنتقل باستمرار من وضع إلى وضع بدون أن يظهر أنها تفرق بين السعود والنحوس

ثم ماذا ؟ ثم أقول بأنْ لا موت فى هذا الوجود ، فليس فيه موجودٌ غيرُ حىّ ، ولو كان هباء تذروه الرياح ، فما كانت الحياة إلا عَرَضاً من أعراض الوجود ، لأنه فى ذاته أصلٌ من الحياة ومن الموت

ولهذه الفكرة الفلسفية تفاصيل لا يتسع لها هذا الحديث

بين الاحتلال والاستقلال

دعونا أصدقاء الرسالة إلى الموازنة بين حالين من أحوال الشعوب : هما حال الاحتلال وحال الاستقلال ، فكيف أجابوا ؟ كان جواب الأديب « م . ف . م »[1] أن عهد الاحتلال فى مصر كان أفضل من عهد الاستقلال ، ولكن كيف ؟

كانت جداول « المناوبات » تُنفَّذ بدقة فى عهد الاحتلال ، وكان التلاميذ أكثر التفاتاً إلى الدروس ، وكان الزعماء أقوى وأقدر على النضال الشريف

وأقول إن هذه الشواهد لم تقنعنى بأن الاحتلال أفضل من الاستقلال ؛ فجداول المناوبات لا تحتاج فى مراعاتها إلى عناء ، وأنا مستعدٌّ لنقل جميع شكاياته إلى وزير الأشغال

أما انصراف بعض التلاميذ عن الدروس فله أسباب غير الاستقلال . وأما قوة الزعماء فى عهد الاحتلال فلا ترجع لمزية

(1) رمزنا إلى هذا الأديب لئلا يؤذيه التصريح فى هذا الشأن الدقيق

أساسية من مزايا الاحتلال ، وإنما هي فورة طبيعية يورِّثها الشوق إلى الاستقلال

ويقول هذا الأديب : « الاستقلال حلو ولذيذ ، ولكن ... »

وأقول إن الاستقلال لا يوصف بأنه حلو ولذيذ أيها الفلاح الأديب ، وإنما يوصف الاستقلال بأنه متعب وشاق ، لأنه يفرض على جميع أبناء الأمة أن يكونوا رجالاً أقوياء ، وأمناء ، والتسلح بالقوة والأمانة لا يُنال بغير جهاد عنيف

أما الأديب أحمد العجمي فيقول : إن صورة العبد الآمن في رحى سيده هي صورة الشعب الذي ينعم بالرغد تحت ظل الاحتلال ، ثم يقول إن الاستقلال ليس وسيلة وإنما هو غاية من أبعد الغايات في الحياة

وأنا أنتظر آراء أصدقاء « الرسالة » في هذا الموضوع الدقيق على شرط أن يتركوا العبارات الخطابية ، لأني أحب أن يتضح هذا الأمر بأساليب تغرس الإيمان الوثيق ، مع الترحيب بالآراء التي أبداها « فلاح التوفيقية » لأن أمثال هذه الآراء تتيح فرصاً كثيرة لتبديد الشبهات التي توجه إلى عهد الاستقلال

الاستغلال

ليست هذه كلمة الأستاذ إسعاف النشاشيبي ولا كلمة المرحوم أحمد زكي باشا ، وإنما هي كلمة نحتها اللغوي المحقق الأستاذ محمد وحيد الأيوبي

الألعبان

وما دام الحديث ذا شجون فأنا أذكر نادرة تمثل أخطار الأقلام في هذه البلاد ، وتبين أن عداوة الشعراء في العصر القديم ليست أخطر من عداوة الكُتّاب في العصر الحديث ... والكاتب في زماننا أقدر من الشاعر على الإيذاء : لأن حرية التعبير تخلق له آفاقاً لا يصل إليها الشاعر المحبوس في قفص القوافي والأوزان ، ولأن للكاتب مجالات لا يجري فيها الشاعر ، وإن بالغ في التلطف والاحتيال

كان الأستاذ وحيد الأيوبي يعادي الزعيم سعد زغلول ، وكان يكتب في قدحه عبارات لذاعة تحت عنوان « الألعُبان » أشهرها العبارة الآتية :

« الآن ، وبعد فوات الأوان ، يتكلم عن السودان ؟ أما ألعبان !!! »

وقد رأت « دار الهلال » أن تصدر مجلة فكاهية باسم « الألعبان » فرفضت وزارة الداخلية بحجة أن في هذا الاسم تعريضاً بالزعيم سعد زغلول ، وسمحت بأن يحول الاسم من وضع إلى وضع فيصير « الفكاهة » لا « الألعبان »

أليس هذا دليلاً على أن الكاتب خَلَفَ الشاعر في إيذاء الرجال ؟

اتقوا شر الكتاب ولا تخاطبوهم إلا باحتراس ، فهم شعراء هذا الزمان !

عمود ونصف !

كانت أطول مقالة للأستاذ عبد القادر حمزة لا تزيد عن عمود ونصف ، إلا أن يجدّ ظرفٌ قاهر يوجب الترسل الفياض

أكتب هذا بمناسبة خطاب أرسله إليّ الأستاذ حافظ محمود سكرتير لجنة الاحتفال بتأبين صاحب البلاغ ؛ ومنه علمت أن الوقت لا يتسع لكلمتي في رثاء ذلك الصديق الغالي

ولو كانت لجنة الاحتفال تعلم الغيب لعرفت أن كلمتي في رثاء عبد القادر حمزة لم تكن تزيد عن عمود ونصف ، اقتداء بصاحب البلاغ في اكتفائه بعمود ونصف ، وتوجيهاً لمن يفوتهم أن بعض المقامات تجعل الإيجاز أبلغ من الإطناب

أنظروا ، ثم انظروا ، عواقب المخلصين ؟

كنت وحدي الصديق لصاحب البلاغ في كثير من العهود ، وأنا اليوم لا أجد فرصة أتحدث فيها عنه بما أشاء ، لأن الموت صرف عنه العداوات الوقتية ؛ فأصبح أصدقاؤه يعدون بالألوف وألوف الألوف ، بحيث يتعذر على أصدق محبيه أن يودعه بكلمة رثاء في حفلٍ مشهود

ما أسعدني بما صرتَ إليه يا أخي وصديقي !

لقد كنت أخشى أن تلاحقك العداوات فلا يقوم بتأبينك رجلٌ غيري

ولكن نحن في مصر ، يا أخي وصديقي ، مصر التي تحفظ الجميل لأبنائها الأوفياء وإن تظاهرتْ حيناً بالتنكر لجهدهم الأصيل

غرائب التعابير

إن قلت : « كان المرحوم مصطفى كامل يطالب بالجلاء ، كانت « المرحوم » كلمة خفيفة الوزن في الترحم على رجل من

نوادر الزعماء ، وإنما ينبغى أن تقول : « كان المنفور له مصطفى كامل ... »

وإن قلت : « كان مصطفى رحمه الله يرى ... » كانت عبارة « رحمه الله » عبارة جيلة . وإن قلت : « كان مصطفى كامل غفر الله له يرى ... » كان فى عبارة « غفر الله له » تمريض !

فالوصف يخالف العبارة المأخوذ عنها فى القيمة الأدبية ، بلا موجب معقول ، وإنما كان ذلك لأن التعابير لا تأخذ قوتها من المنطق فى جميع الأحيان ، وإنما تخضع للعُرف وهو الذى يكوّن الإحساس

الكاتب العمومى

وحين دُعى السنيور ميكلانج جويدى للتدريس فى الجامعة المصرية سنة ١٩٢٧ كان عليه ذوقياً أن يقول فى المحاضرة الافتتاحية كلة ثناء على مدير الجامعة والسكرتير العام ، ولم يلتفت إلى اللقب الأخير من الوجهة الاصطلاحية ، وإنما ترجه عن الفرنسية بجمله « الكاتب العمومى » فضحك الجمهور ، وخرج على بك عمر رحمه الله ، وهو ساخط على « ذوق » المستشرقين !

وكان على بك عمر هو السكرتير العامّ للجامعة المصرية فى ذلك الحين

شيطنة أدبية !

كنت قلت : إن مجلة الثقافة لا تدقق فى اختيار ما تنشر من الأشعار ؛ فاعترض أديبٌ لا أسميه بأن مجلة الرسالة تقع فى مثل هذا الخطأ بنشر أشعار محمود حسن إسماعيل ! !

والاعتراض غير مقبول ، مع الاعتراف بمـا فيه من طرافة الشيطنة الأدبية

هل فى الأدب ديكتاتورية ؟

يصر الأديب عزت حماد منصور على القول بأن فى مصر ديكتاتورية أدبية ، وبأن الأدباء الشباب يعانون عِداء من الأدباء الكهول ، ثم يعجب من أن تتاح الفرصة لظهور بعض الشبان دون بعض ، كالذى تصنع « الرسالة » فى نشر مقالات هذا الأديب ، وإغفال مقالات ذلك الأديب ، بلا حدود واضحة تبين سبب النشر وسبب الإغفال

وأجيب بأن من الصعب أن أصدق أن لمجلة الرسالة نية فى تقديم فريق على فريق ، وإنما يرجع الأمر كله إلى « سياسة القول » فالأديب الشاب قد يتوهم أن له أن يقول ما شاء ، متى شاء ، بدون أن يلاحظ أن للكلام مقامات لا يدركها غير كبار العقول ، وهذا هو السر فى إغفال أكثر مقالات الشبان

وأنا أعرض الموضوعات الآتية :

١ — النص على غلطة جوهرية فيما تنشر « الرسالة » لكتابها المعروفين

٢ — تقديم اقتراح مبتكر لم تنشره الجرائد فيما يجب لإغاثة المهاجرين

٣ — إعداد بحث موجز فى تاريخ المدائن التى تعانى أهوال الحرب

٤ — كلة وجيزة عن الألفاظ التى حرفتهـا الجرائد أيام الثورة العراقية ، مثل : « باكوبا » و « فالوجا » فى مكان : « بَعْقُوبه » و « الفلُّوجة »

٥ — كلة فى نقد أسئلة امتحان المسابقة لترقية التعليم الثانوى

٦ — كلة فى التعقيب على أحاديث رئيس الوزراء بأسلوب برئٍ من التحامل والإسفاف

٧ — مقال موجز « عن خط ستالين »

٨ — كلة عن الأماكن التى سميت باسم « ماجينو » فى القاهرة قبل أن يستولى عليه الألمان

٩ — قصيدة فى الترحم على « قِطار البحر » وأيامه البيض

١٠ — قصيدة فى التوجع المـكاره التى تعانيها سورية ولبنان وقد أصبحتا ميادين حروب لثلاثة جيوش

١١ — خبر أدبى لا تعرفه اللجنة التى ألفت لتأبين صاحب « البلاغ »

١٢ — أقصوصة تصور سخرية الإسكندرية من غرور المعتدين

١٣ — كلة عن نوادر المخطوطات فى مكتبة الإسكندرية لنسارع بنقلها إلى مكان أمين

١٤ — مقال وجيز تحدد به الأغراض الصحيحة لوزارة الشؤون الاجتماعية

١٥ — كلة صريحة فى الأسباب التى دعت إلى انصراف فريق من الشبان عن الزواج

١٦ — دعوة الجامعة إلى إنشاء قاعة للمحاضرات فى قلب مدينة القاهرة

أما بعد فأنا أقرر للمرة الأولى بعد الألف أن الأدب من صور الحياة ، فافهموا عصركم وتأثروه ، يا أبناء هذا الجيل ، ليكون فى أدبكم قوة وروح ، ولا تصنعوا ما صنع الأديب الذى سخِر منه صاحب مجلة « منبر الشرق » وقد توهم ذلك الأديب أن الكلام فى اليأس والترحيب بالموت يُقبَل من جميع الناس وفى جميع الأحايين

بعض ما يجهل الشبان

والشبان يتوهمون أن الكتّاب المشاهير[1] لا يُرَدُّ لهم قول ، وهذا خطأ فظيع ، فلأولئك المشاهير مقالات يطوونها آسفين ، إلى أن تسمح بنشرها الظروف

قضيت عامين كاملين فى تعقب « اسكندرية أبى الفتح » ولم أر فرصة لنشر هذا البحث ، لأن الأستاذ إسعاف النشاشيبى سكت عنه بعد أن تعرض له فى مجلة « الرسالة » منذ ثلاث سنين

الشبان وصيد الحوت

حدثنا الأستاذ أنطون بك الجميّل قال :

« كان لأحد الأدباء مقال مؤجّل فى جريدة الأهرام ، واشتغل هـذا الأديب فى السؤال عن مصير ذلك المقال ، فقلت إن الجريدة مشغولة بقضية المؤامرات ، فقال : إن موضوع مقاله أهم من تلك القضية ، فقلت : وما الموضوع ؟ فأجاب : صيد الحوت فى بحر الشمال ! »

ومن المؤكد أن هـذه قصة خيالية من مبتكرات رئيس تحرير الأهرام ، وإن أقسم على صحتها بأغلاظ الإيمان

ولـكن لهذه القصة أشباه ونظائر تقع فى كل يوم ، فأكثر أدباء الشباب يصيدون الحوت فى بحر الشمال ، ولو صادوه فى أيام الهجوم على الترويج لـكان كلامهم فيه من ألطف ما تنشر الجرائد والمجلات

ولـكنهم مع الأسف يصيدون فى غير أوقات الصيد

إلى الأستاذ فريد أبو حديد

صديقى العزيز

قراء « الرسالة » يذكرون — إن كنتُ نسيت — أنى وجهت إليك تحية خالصة بمناسبة سفرك إلى السودان ، وهى تحية لم أرد بها التودد إليك ، وإنما أردت بها إكرامك وإعزازك ، على نحو ما أصنع فى التنويه بمواطنىّ الفضلاء حين يمضون لأداء بعض الواجبات فى أحد البلاد العربية أو الإسلامية

فما الموجب للـكلمة الجافية التى ندّت عن قلمك فى مخاطبتى ؟ وكيف تصنع بنفسك هذا الصنيع فتنفّر أحد محبيك بدون أن تفكر فى عواقب ذلك ، وقد أصلحت الأيام ما كان بينى وبينك ؟

هل يؤذيك أن أثير المنافسة بين « الرسالة » والثقافة ، وأنت تعرف أن المنافسة من أقوى الأسباب فى إذكاء العزائم والعقول ؟ وهل تنسى أن المنافسة بين هاتين المجلتين واقعة بالفعل وأن زملاءك فى مجلة الثقافة يحسبون لها ألف حساب ، ويتقون نارها بالصبر الجميل ؟ وهل تنكر فضل هذه المنافسة عليك وقد أخرجتك من وقارك فقلت ما قلت فى صديق لم يكن يسرك أن يثور بينك وبينه خلاف ؟

ثم تنكر علىّ أن أوجه نصيحة إلى كتّاب « الثقافة » مع أنكم استفتيتم قراءكم سنة كاملة ليدلوكم على سنن الصواب فى الترجمة والإنشاء !

وشاء لك الذوق أن تدعونى إلى الحرص على جمال الأسلوب فكانت هذه الدعوة دليل الوهم بأنك صرت كاتباً له أسلوب ؟ والوهم يصنع بأصحابه ما يشاء

وتلطفت فقلت : « لفت نظرى أحد الأصدقاء إلى أن الدكتور زكى مبارك ذكر اسمى فى شجون حديثه » فهل يكون معنى ذلك أنك لا تقرأ بنفسك ، وإنما ترفع الأخبار إليك فى جُذاذات ، كما تُرفع إلى بعض المقامات ؟ تواضع قليلاً ، يا أستاذ فريد ، ليفتح الله عليك !

وتقول إنى لقيتك عفواً فحمّلتنى تحية أهل السودان إلى الأستاذ الزيات ، وأقول إنى لقيتك عمداً لا عفواً لأهنئك بسلامة العودة ، ولأقبس بعض ما طبعت تلك الزيارة على وجهك من نور وصفاء !

أما بعد فأنا غير نادم على التحية التى وجهتها إليك ، لأنى لم أكن أنتظر منك أى جزاء ، ولأنى أرجو أن أتحفك بمثلها فى مناسبة ثانية ، إن أراد الله أن يجملك أهلاً لكرائم التحيات ، ولعله يريد !

زكى مبارك

(١) يجوز جمع مشهور على مشاهير ، ولو كره بعض المتحذلقين ؟

دمشق ...

للأستاذ على الطنطاوى

« دمشق ! » ... وهل توصف دمشق ؟ هل تصور الجنة لمن لم يرها ؟ من يصفها وهى دنيا من أحلام الحب وأمجاد البطولة وروائع الخلود ؟ من يكتب عنها (وهى من جنات الخلد الباقية) بقلم من أقلام الأرض فانٍ ؟

دمشق : التى يحضنها الجبل الأشم الرابض بين الصخر والشجر ، المترفع عن الأرض ترفع البطولة العبقرية، الخاضع أمام السماء خضوع الإيمان الصادق ... دمشق التى تعانقها الغوطة ، الأم الرؤوم الساهرة أبداً ، تصغى إلى مناجاة السواقى الهائمة فى مرابع الفتنة ؛ وقهقهة الجداول المنتشية من رحيق بردى ، الراكضة دائماً نحو مطلع الشمس ، تخوض الليل إليها لتسبقها فى طلوعها ؛ وهمس الزيتون الشيخ الذى شيبته أحداث الدهر فطفق يفكر فيما رأى فى حياته الطويلة وما سمع ، ويتلو على نفسه آيات حكمته ؛ وأغانى الحور الطروب الذى ألهاه عبث الشباب ولهو الفتوة عن التأمل والتبصر ، فقضى العمر ساحباً ذيل المجون مائساً عجباً وتيها ، خاطراً على أكتاف السواقى وعلى جنبات المسارب يغازل الغيد الحسان من نبات المشمس والرمان ، ويميل عليها ليقطف فى الربيع وردة من خدها ، أو ثمرة من قلائد نحرها ، ثم يرتد عنها يخاف أن تلمحه عيون الجوز الشواخص ، والجوز ملك الغوطة جالس هناك بجلاله وكبريائه ، ولا جلال ملك تحت تاجه ، وعاهل فوق عرشه

دمشق : التى تحرسها (الربوة) ذات (الشاذروان) ، وهى خاشعة فى محرابها الصخرى تسبح الله وتحمده على أن أعطاها نصف الجمال حين قسم فى بقاع الأرض كلها النصف الثانى ... وما الربوة إلا حلم ممتع غامض يغمر قلب رائيه بأجمل العواطف التى عرفها قلب بشرى فيذكّر كل إنسان بليالى حبه وساعات سعادته ، ثم يتصرّم الحلم ويستحيل إلى ذكرى حلوة لا تمحوها الأحداث ولا تعفى عليها سيول الذكريات ... الربوة : لحن من ألحان السماء ألقته مرة واحدة فى أذن الأرض ... الربوة هى الربوة لمن يعرفها وكفى !

***

دمشق من أقدم مدن الأرض وأكبرها سناً وأرسخها فى الحضارة قدماً . كانت مدينة عامرة قبل أن تولد بغداد والقاهرة وباريس ولندن ، وقبل أن تنشأ الأهرام وينحت من الصخر وجه أبى الهول ، وبقيت مدينة عامرة بعد ما مات أترابها واندثرت منهن الآثار ، وفيها تراكم تراث الأعصار ، وإلى أهلها اليوم انتقلت مزايا كل من سكنها فى سالف الدهر ، فنى نفوسهم من السجايا مثل ما فى أرضها من آثار التمدن وبقايا الماضى طبقات بعضها فوق بعض ... فالحضارة تجرى فى عروقهم مع الدماء ، وهم ورثتها وحاملو رايتها ، وهى فيهم طبع وسجية ؛ ولقد تكون فى غيرهم تطبعاً وتكلفاً ، فأى مدينة جمع الله لها من جمال الفتوة وجلال الشيخوخة كالذى جمع لدمشق ؟

وأصعد جبل دمشق حتى تبلغ قبة النصر (التى بناها برقوق سنة ٨٧٧ للهجرة ذكرى انتصاره على سوار بك)[١] . ثم انظر وخبرنى هل تعرف مدينة يجتمع منها فى منظر واحد مثل ما يجتمع من دمشق للواقف عند قبة النصر ؟ أنظر تر البلد كله ما يغيب عنك منه شىء : ها هنا قلب المدينة وفيه الجامع الذى لا نظير له على وجه الأرض — لا أستثنى ولا أبالغ — وقبة النسر تعلو هامته كتاج الملك ، لا بل كعمامة الشيخ ، وها هى ذى مناراتها التى تمد مائة وسبعين منارة ، منها عشرون من أعظم منارات العالم الإسلامى ، قد افتن بناتها فى هندستها ونقشها ، فاختلفت منها الأشكال واتفقت فى العظمة والجلال ، لا كمآذن بغداد التى لا يختلف شىء منها عن شىء ، فإذا أبصرت منها واحدة ، فكأنما أبصرتها جميعاً ... يحف بذلك كله الغوطة الواسعة التى تبدو للناظر كأنها بحر من الخضرة قد نثرت فيها القرى التى تنيف على الأربعين عدا ، أكبرها (دوما) ذات الكروم ، (وداريّا) التى تفاخر بعنبها كل أرض فيها عنب ، (وحرَسْتا) بلد الزيتون ومنبت الإمام محمد صاحب أبى حنيفة ، (وجرمانا) وهى حديقة

(١) وهذا جواب الذى سأل عن تاريخ هذه القبة فى عدد مضى من « الرسالة » ، أما القبة الثانية ، فقد بناها الأمير سيار الشجاعى وسميت باسمه

ورد ، وكفر سوسية ، وكفر بطنا ، والأشرفية ، وصحنايا ، والمآذن وهي مائلة خلال الأشجار ، ووراء الغوطة سهول المزة عن اليمين ، وسهل القابون عن الشمال ، وبطاح من الأمام ، وسهول تمتد إلى الأفق ، حيث تغيب الجبال البعيدة في ضباب الصباح ، ووهج الظهيرة ، وصفرة الأصيل ، وسواد الليل ...

إنك تشمل هذا كله بنظرة منك واحدة وأنت قائم مكانك ، فأين يا صديقي القارئ ترى مثل هذا ؟

* * *

وبردى ؟ لما قدم شاعر العرب ماصمة العرب ومر على بردى وهو يمشي بين قصر أمية ودار البلدية مشية العاجز الهرم ، قال له صاحبه مستقلا بردى مستخفاً به : أهذا الذي ملأت الدنيا مدحاً له ؟ يظن صاحب شوقي أن النهر بكثرة مائه وبعد ضفتيه . ما درى أن بردى هو الذي يجري في الوادي زاخراً متوثباً نشيطاً لا الذي يجري في (المرجة) متهافتاً كليلاً ، وأنه هو الذي أطعم دمشق الخبز ، وهو الذي زرع بساتين الغوطة ، وهو الذي أنار دمشق بالكهرباء وسيّر فيها وفي غوطتها (الترام) ، وهو الذي لا تضيع قطرة منه واحدة على حين تمر دجلة على بغداد مر الكرام ، تقرأ عليها السلام ... ثم تحمل خيرها كله لتلقيه في البحر ، لا تمنح بغداد منه إلا ما تأخذه بالمضخات والنواعير التي لا تسير إلا بمال . فمن رأى مثل بردى (في بره بأرضه وكثرة خيراته) نهراً ؟ من ذاق أطيب من مائه ؟ من أبصر أجمل من واديه ؟ ...

* * *

لقد علم بردى أبناءه الولع بالخضرة والظلال ، وحبب إليهم أفانين الجمال ، فصارت النزهة (السيران) من مقومات الحياة في دمشق لا تحيا أسرة إلا بها ، ولا تستغني عنها ، فهي لهم كالغذاء ، فهل يستغنى عن الغذاء ؟ هل يمكن أن يجيء يوم صائف من أيام الشتاء فتبقى دمشقية أو يبقى دمشقي في بيته لا يؤم (المهاجرين) ، حيث يجتمع على الشماف والصخور وفي ظلال الآس الرجال والنساء على طهر وعفاف ، وتدور أكواب الشاي (الأخضر) خمر المسلمين ، وتنطلق بالغناء الساحر أوتار الحناجر وتجري خيول السبق في ساحة الجريد ؟ ثم إذا جاء وقت الصلاة قاموا إليها فلا ترى إلا جماعات وأئمة ، ثم ينفض اجتماعهم عن طرب وفروسة وعبادة ، وتلك هي المثل العليا لأهل الشام

وهل تمر أمسية من أمسيات الصيف على دمشقي قاعد في دكانه أو قابع في بيته ؟ تعال انظر جماعاتهم في قهوات (شارع بغداد) وفي كل قهوة مؤذنها (. إي والله) وإمامها . وعلى ضفاف بردى عند (صدر الباز) وفي (الميزان) أجمل موضع في دمشق ، وأمامهم سماورات الشاي الصُّفر الرشيقة ، وفي كل حلقة مغنيها ، وليس مثل الشاميين في الولع بالغناء ، فلا ينفرد الرجل بنفسه إلا غنى لها ؛ فالفلاح وهو نازل من قريته مع الفجر يغني ، والحوذي وهو يسوق عربته إلى (جسر تورا) أو إلى (كيوان) يغني ، وأجير الخباز وهو يحمل المعجن على رأسه يغني ، ونداء الباعة كله غناء وشعر ...

قف ساعة على ظهر الطريق واسمع ما ينادي به الباعة تر عجباً لا شبيه له في البلاد ؛ قصائد من الشعر غير أنها مرسلة القوافي ، وطرائف من الغناء غير أنها محلولة القيود ، تمشي إلى القلوب طليقة حرة لا تسمي شيئاً باسمه ؛ وإنما هي مجازات وكنايات ، عجب منها بعض من كتب عن دمشق من سياح الإفرنج فتساءل في كتاب له عمن نظم للباعة هذه الأشعار الرقاق !

وتعال استمع هذا البائع وهو يتغنى بصوت يقطر عذوبة وحناناً (ياغزل البنات ، ياما غزلوك في الليالي، ياغزل البنات) ويضغط على (الليالي) وبعد (البنات) ، هل يستطيع قارىء أن يحزر ماذا يبيع هذا المنادي ؟ لا لن أقول فتعالوا إلى دمشق لتأكلوا غزل البنات ... وهذا بائع يهتف بكلمة واحدة لا يزيد عليها (الله الدايم) هل يقع في حسابك أنه يبيع (الخس) ، وأن (يامهون يا كريم) نداء بائع (الكعك) عند الصباح ، وأن من الباعة من ينادي بالحكم الغوالي كهذا الذي ينادي : (ويل لك يا ابن الزنا يا خاين) فيفهم الناس أنه بائع (الترخون)

أولا يشجيك ويثير سواكن أشجانك بائع العنب حين تدنو أواخره فينادي بصوت حزين (هدوا خيامك وراحت أيامك . مابقي في الكرم غير الحطب ياعنب ، ودع والوداع لسنة ياعنب) ألا تحس كأنه يودع حبيباً له عزيزاً عليه ؟ وبائع المسل (أي الشمندر) وقد أوقد ناره في الصباح البارد ، ووضع (حَلته)

وصفف رؤوس الشمندار الأحمر[١] ونادى فى أيام الشتاء (بردان! تمال صوبى بردان ... أنا بياع العسل) ألا يحبب إليك أكل العسل ؛ واسمع العجائب فى نداء بائع اللفوف (اليخنا) : (يخنا واطبخ ، والجارية بتنفخ ، والعبدعَ الباب ، بِقلّع الكلاب) وبائع الحمص المسلوق (البليلة) : (بليلة بلبلوك ، وسبع جوار خدموك ، يا بليلة) ، وبائع الزعرور : (أبيض أحمر يا زعبوب ؛ تمر حنى يا زعبوب ، البزر بن يا زعبوب) ؛ واستمع إلى الشعر والخيال فى نداء بائع الجرادق (ياما رماك الهوا ، وقلبي انكوى ، يا ناعم) . وبائع التين (دابل وعلى دبالك يا عيون الحبيب ، ومن دباله يمشى لحاله) ؛ وبائع الباذنجان (أسود ومن سواده هرب الناطور) ألا تعجبك صورة الناطور وقد هرب من سواد الباذنجان؟

وهذا كله كان من ولع الشاميين بالغناء وإقبالهم عليه حتى انعقد إجماع فقهاء الذوق فيهم على أنه لا يصح اجتماع أو سمر إلا بالغناء ؛ وإذا سها عنه ساه ، فكفارته إطعام عشرة أصدقاء صدر كنافة شامية ، أو صدر (كل واشكر) أو غير ذلك من الحلويات التى لا يخالف أحد فى أن دمشق أبرع مدينة فى صنعها . وسألوا محل (أسدية) فى القاهرة، ومطعم الفردوس فى بغداد، واذكرونى بالخير ، فإن الدال على الخير كفاعله

والدمشقيون أكرم الناس ، وأشدهم عطفاً على الغريب ، وحباً له ، فهم يؤثرونه على الأهل والولد ؛ ومدينتهم من أنظف المدن لتدفق مائها وكثرة أنهارها ، ووصولها إلى الأحياء كلها ودخولها البرك فى الدور ، حتى لا يخلو حىٌّ من نهر . فنهر (يزيد[٢]) يسقى الصالحية ، و (تورا) يسقى العقيبة وسوق صاروجا[٣] ، و (باناس) يسقى القيمرية ، و (قنوات) يسقى حىّ القنوات ، وقد أخذت مياه عين الفيجة (وهى من أصفى العيون وأعذبها تنبع من جبل على عشرين كيلاً من دمشق) فسيّرت مياهها فى بطون الجبال حتى أبلغت دمشق فأدخلت دورها ، فشرب منها الناس أعذب ماء وأبرده . والشاميون مولعون بالنظافة والطهارة ، حتى أنه ليعدّ من أكبر عيوب المرأة ألا تغسل أرض دارها كل يوم مرة أو مرتين بالماء غسلاً وتمسح جدرانه وزجاجه ، على رحب الدور الشامية ، واتساع صحونها ، وكثرة مرمرها ورخامها . وادخل المساجد تر بلاطها يلمع كالمرايا ، ويحبب الصلاة إلى من ليس من أهلها . وعرج على المطاعم تبصر الأطعمة مصفوفة أمامك فى القدور الصغار النظاف بأناقة تجيع الشبعان ، ونظافة تطمئن إليها نفس الموَسوِس[١] . أما ألوان الطعام فى الشام فلا يضاهيها شىء فى غيرها ، وما أكل الغريب فى دمشق حلواً ولا حامضاً ولا حاراً ولا بارداً إلا استطابه وفضله على طعام بلده ، وما استطاب الشامى فى غير بلده طعاماً قط . ومن خير مطاعم مصر والعراق ، وألذها طعاماً وأحسنها نظاماً ، ما كان صاحبه شامياً أو كان على مذهب أهل الشام . ثم إن خدم المطاعم والقائمين عليها طيّعون أذكياء ، وهم يدركون بالمحة السريعة ، ويفهمون بالإشارة الخفية .

ودمشق أرخص بلاد الله وفيها النعيم المقيم ولا تخلو من ثمر قط لا فى الصيف ولا فى الشتاء . أما جودة ثمارها فأشهر من أن تذكر ؛ وفيها من العنب ما يزيد على خمسين نوعاً ، ومن المشمش تسعة أنواع ، ومن التين قريب من ذلك ، ومن الدراق والكمثرى والتوت الشامى والجوز واللوز ما لا يوجد مثله فى غيرها

والدمشقيون أهل براعة فى الصناعة وعندهم من المعامل الكبيرة معمل للاسمنت عظيم (فى دمّر ظاهر دمشق) ومعمل للأمقار (الكونسروه) لا نظير لما يصنعه . ومعمل للدباغة كبير ، ومعمل للجوخ ، ومعامل كثيرة لا تحصى للمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية والجوارب (والكرافات) ، ومعمل للزجاج ، ومعامل صنعت أكثر أنواع الأدوية وحكم الأطباء بجودة ما تصنعه ، ومعامل لأنواع السكاكر والمربيات (والشوكولاته) . وفى دمشق مدرستان للعلم الدينى فيهما

(١) ومما رأيت فى العراق أنهم يأكلون الشمندر : الفت للبلوق ويدعونه الشلغم

(٢) نسبه إلى يزيد بن معاوية

(٣) نسبه إلى صاروجا من أمراء المماليك

(١) بصيغة الفاعل– كذا يضبطها الفقهاء – أى يوسوس لنفسه

أكثر من خمسمائة طالب متعمم فضلاً عن الصغار ، ومدرسة للطب تدرس العلوم كلها بالعربية ؛ ولأساتذتها فضل كبير على ما وضع من المصطلحات العلمية فى لغة العرب . وفيها مدرسة للحقوق العربية . وفيها أنشئ أول مجمع علمى عربى صحيح .

وفى الشام كثير من الآثار الباقية من القرون الخالية : كالقلعة والسور ، والمدارس ، والمارستانات ، والمساجد القديمة ، والربط والخانات ، ولكل من ذلك حديث طويل وتاريخ حافل ، ولكن الأدلاء الجاهلين لا يعرفونها ولا يدلّون السياح عليها . وفيها مدافن كثيرين من أعلام الإسلام فى السياسة والعلم والأدب والتصوف . وفى مكتبتها الظاهرية نوادر المخطوطات ، حتى أنها لتعد أغنى الخزائن الإسلامية بكتب الحديث . وفى المكتبات الخاصة مخطوطات فريدة . ودمشق ذاخرة بالعلماء فى كل فن وعلم

وليس للعروبة مثل دمشق موئلاً وملاذاً ، وليس فى المسلمين مثل أهلها تمسكاً بالدين وإقامة لشعائره ، فمساجدها ممتلئة أبداً ؛ فيها كل شاب متأنق تراه فتحسبه من شرّاب مياه التايمس أو السين ، وهو مسلم حقاً ، مؤمن صدقاً ، ناشئ فى طاعة الله ؛ ومساجد بلاد العرب إن امتلأت فبالشيوخ والشيب !

والمنكرات فى دمشق مقموعة وأهلها الأذلاء . وللعلماء العقلاء المخلصين منزلة عند أهل دمشق ليس لأحد من أبناء الدنيا مثلها . والسفور فى نساء الشام قليل نادر ، والاحتشام والستر عام شامل . وأهل الشام كالماء لهم فى الرضا رقته وسيلانه ، وفى الغضب شدته وطغيانه ، بل ربما كان لهم من البركان فورانه وثورانه

* * *

وبعد فأى مزاياك يا دمشق أذكر ، وإلى أى معاهدك أشتاق ، وأيها أحن إلى حسنه وأهيم بجماله ، وفيك الدين وأنت الدنيا ، وعندك الجمال وعندك الجلال ، وأنت ديار المجد وأنت ديار الوجد ، جمعت عظمة الماضى وروعة الحاضر ، وسيكون لك المستقبل ... المستقبل لك يا دمشق ، عشت وعاش بنوك والسلام عليك ممن غربته عنك وأنكرته ، وأشقيته بالوفاء حين أسعدت بالغدر الغادرين

على الطنطاوى

من دموع عذراء

العبير النائح

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنّى أراكِ كزهرةٍ فى الغابِ نائحةِ العبيرْ
مذعورةِ الأكمامِ بيـنَ خُطا السمائمِ والهجيرْ
عذراءَ يتّمها الخريـفُ فلا ظلالَ ولا غديرْ
سكنتْ كطيفٍ مُعذَّبٍ وهفتْ كآهةِ مُستجيرْ
ودنا الظلامُ فلفّها فى ثوبِ محزونٍ كسيرْ
فكأنّها فى ليلـهِ سِرٌّ يغلّفُه الضميرْ
وكأنّها فى فجـرهِ حلمٌ يطيرُ ولا يطيرْ ...

يا ليتنى كنتُ الظلالْ
أو كنتُ ينبوعَ التلالْ
لسكبتُ عمرِى فى الرمالْ
روحًا يرفرفُ كالخيالْ

يسقيكِ من شفةِ الربيـعِ رحيقَ فتنتِكِ النضيرْ
ويحيلُ مهدَكِ جنّةً للحبِّ والمهجِ الأثيرْ
أنا فى رُباها نسمةٌ بسوى ضفافِكِ لا تسيرْ !
أنا فى ثراها جدولٌ لصباكِ رقراقٌ نميرْ !
أنا فى شذاها نفحةٌ عطرُ الخلودِ بها أسيرْ !
أنا فى سماها كوكبٌ فى برجهِ بكِ يستنيرْ !
أنا فى هواها قبلةٌ حرّى مخلّدةُ السعيرْ
ستظلّ فى شفتيكِ لا تروَى إلى اليومِ الأخيرْ

محمود حسن إسماعيل

من حديث الثغر الحزين

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد

فى مثل هـذه الأيام من كل صيف مضى ، كان الناس — أو قل كان من الناس من تسمح لهم مقدرتهم وأوقاتهم بقضاء أشهر أو أسابيع أو أيام مع عروس البحر الأبيض كما يدعونها — يرون الإسكندرية ، وقد بدت عروساً سعيدة فى أكمل زينة وأبهى منظر

كان هؤلاء يلجأون إليها ، هاربين من حرارة الصيف لا يطيقونها ، يرجون عندها معانى الراحة والاطمئنان ، وينشدون فيها الهناءة والسعادة . فتتلقاهم الإسكندرية مرحبة بهم ، مكرمة لهم ، باذلة كل جهد لتكون عند حسن ظنهم بها ، غير مترددة فى أن تظهر أمامهم — أو بهم — فى صورة من الحرية المرحة أو السرور المطلق ، نازعة عنها قيود التقاليد الموروثة ، متحملة كثيراً من أنواع النقد اللاذع ، يتقاذفها نخضم هائج لا كوجها الهادىء ... حين تسرف فى إكرامهم ، ولـكن فى ألوان المتعة الساخرة الساحرة !

كانوا يلجأون إليها فى مثل هذه الأيام من كل صيف ، يقاسمونها ما وهبها الله من نعمة الطبيعة ، ويشاركونها فيما منحتها الطبيعة من سحر ، ولا أنكر أنهم كانوا يعطونها شيئاً ما مما أعطتهم الأيام ، ولـكنهم كانوا أخيراً يتركونها إلى حيث يعودون جميعاً ، وقد بقيت وحدها حتى الصيف التالى رمزاً للعبث كما يراها بعض من الناس ، أو صورة لأمنية سعيدة فى خيال بعض آخر لم تحقق له الأيام رجاءه من القدرة على أن يكون من روادها السعداء

يعودون ، لتستقبل جماعة منهم العمل ، ولتستقبل جماعة أخرى أنواعاً جديدة من لذة الشتاء ، وتبقى أذهان هؤلاء وأولئك ثملة برحلة الصيف ، سكرى بذكرياتها ، تستمد من تلك الذكريات الجميلة عوناً على قضاء الأيام حتى تستقبلهم الأسكندرية مرة أخرى ، طروباً ساخرة

***

إشهدوا الأسكندرية كرقصة مرحة صاخبة يأخذ كل قادر منها بنصيب ، ثم لا يهدأ إلا ليأخذ منها بنصيب جديد ... واسمعوها كأغنية عذبة طويلة من مطرب موهوب محبوب ، لا تـكاد تنتهى حتى يرجو السامعون لو أعيدت من جديد ... وحتى بعد أن تقضى على أنوارها الباهرة بأن تلبث ثوباً من الزرقة القاتمة منذ سنين . إسمعوها فى الليل كقطعة موسيقية صامتة تلعبها أنامل عازف ماهر على أوتار القلوب !

إشهدوها واسمعوها كذلك ، ثم انظروها وقد لبست فى هذا الصيف ثوب الحداد على شهداء أعزاء ... واسمعوها ، اسمعوا منها تلك الأغنية العذبة ، وقد تبدلت فجأة ، فإذا هى عويل وبكاء ... وأنصتوا لموسيقاها الصاخبة ، وقد أضحت لحناً حزيناً خافتاً بين الأطلال ...

إسألوا هؤلاء الذين كانوا بالأمس يسعون إليها هرباً من حرارة الجو ... ماذا قدموا لها اليوم حين سعت إليهم هرباً من جحيم الشيطان !

إسألوا هؤلاء ماذا قدموا من خير — وهم قادرون — للأمهات الحزينات فقدن العائل وفقدن الأبناء !

إسألوهم ماذا قدموا من عون لليتامى ، وقد هاموا على وجوههم حائرين ، ضلوا سبيل الحياة !

إسألوهم ماذا قدموا من مالهم لمن صار محروماً !

إسألوهم ماذا قدموا من مقدرتهم لمن أصبح عاجزاً !

إسألوهم ماذا قدموا من قوتهم وصحتهم لمن صار ضعيفاً عليلاً !

إسألوهم ماذا قدموا من خبزهم للجياع ، وماذا قدموا من كسائهم للعرايا ... وماذا قدموا من دورهم للمشردين !

بل سلوهم ماذا قدموا من كلمة مواساة لهؤلاء ، علها أن تخفف شيئاً من وقع المصاب !

ترى هل يجيبون ... ؟ يقيناً أنهم لا يجدون الجواب !

فـكم منهم ذكر الأسكندرية فى محنتها بشىء ؟ وبأى شىء ذكرها هذا البعض القليل الذى ذكر ... ؟!

***

أيتها الدنيا : إنك لغادرة خادعة !

الله ! . . .

DIEU

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ محمد أسعد ولاية

[لما وجه لامرتين هذه الأبيات إلى « لامنيه » كان يومذاك على اتصال به منذ أمد قريب حيث استهواه الباب الأول من بحث ديني في « التكران » عام (١٨١٧) ، فأنشأها خلال رحلة قام بها على جواد بين باريس وديجون في الأيام الأولى من مايو عام (١٨١٩) . وهذه القصيدة التي ترتبط بنوع تعليمي تكاد تشتمل على أروع أبيات تحدد وتصف القدرة الالهية ، ويندر أن يستند الشعر الفلسفي إلى إلهام متقد إلى هذا الحد]

(إلى الراهب ف . د . لامنيه)

نعم ، إن روحي لتبتهج بالتحلل من قيودها :
طارحة عِبء البؤس البشري ،
تاركةً حواسي تهيم في هذا العالم ، عالم الأشباح ،
حيث أصعد إلى عالم الأرواح بدون عناء .
هنالك أطأ تحت أقدامي هذا العالم المنظور ،
وأرتع حراً في ساحات الخفاء .
إنَّ روحي لتضيق في سجنها الرحب ،
إنني في حاجة إلى مفر لا أفُقَ له

* * *

كقطرة ماء صُبَّتْ في المحيط ،
يستغرق الخلدُ في كنفه تفكيري ،
هنالك ملكة الفضاء والخلود
وهي تجرؤ على استكناه الزمن والعالم اللانهائي
تقترب من العدم ، وتطوف في الوجود
وتعرف من الله الجوهر الغامض .
بيد أنني حينما أريد تصوير ما أشعر به
تتلاشى جميع العبارات كجهودات فاشلة ،
تعتقد روحي أنها تتحدث ولساني متلعثم ،
يصفع الهواء عشرين صفعة خيال تفكيري .
لقد خلق الله للأرواح لغتين مختلفتين :
في نبرتين تاريخيتين تتبخر إحداهما في الهواء ،
وهذه اللغة المحدودة معروفة للناس
وهي تفي باحتياجات المنفى الذي نحن فيه
وتتكيف طبقاً للضربات القاتلة من تقلبات القدر ،
فتتبدل مع الأجواء أو تذهب مع الزمن .
أما اللغة الخالدة الأخرى النبيلة الجامعة اللانهائية ؟
فهي اللغة الموهوبة بجماع الذكاء :
ولم تكن قط نبرة مائتة تذهب هباء مع الهواء

فليست هـذه مقدرتهم التي عرفناها في ميادين اللهو واللذة والمتعة الفاجرة . . . وليست هـذه وجاهتهم التي عرفناها في قصورهم وحيث يحلُّون !

وأنت أيتها الإسكندرية : إنهم لم يحبوك في يوم من الأيام . . . ولكنهم أحبوا الذتهم ولهوهم ، وأحبوا عندك الظهور والكبرياء !

إنهم لم يعطوك ، حين كانوا يعطونك كل صيف مما وهبتهم الأيام ، لرغبتهم في أن ينالك شيء من خيرهم ، ولكنهم لو استطاعوا لأخذوا كل ما لديك لأنفسهم . واذهبي أنت مع الريح !

أيتها الإسكندرية ، إغضبي من اليوم عليهم . إغضبي غضبة لا تعرف الهوادة ولا تعرف اللين ، فليسوا جديرين بعطف منك ولا وفاء ! ولتغضب مصر جميعاً لغضبة الاسكندرية ، لتغضب . . . فإنا نحب الخير ونحترم مثله ، ولسنا عبيد الألقاب ، ولسنا قطيعاً في مزرعة الوجهاء .

إن للفقراء حقاً مشروعاً في رقاب الأغنياء . طلبوه اليوم منهم فأنكره هؤلاء . . . فليذهب كل ما كان لهم في نفوسنا من حب ، وليذهب كل ما كان لهم فيها من تقدير . . .

ولتبق نكبة الاسكندرية ماثلة في أذهاننا دائماً ، لتذكرنا بأن للانسان حقوقاً طبيعية في المجموع الذي يعيش فيه .

تتمثل هذه الحقوق — أول ما تتمثل — في أننا يجب أن نسعى إلى حياة معتدلة ، فيها رخاء لنا جميعاً ، وتحصين لنا جميعاً . فلا تعيش طائفة جاحدة منا عيشة فائقة الثراء . . . وتحيا أخرى حياة الأغنام !

أيها العاجزون المحتاجون المنكوبون ، لا تفكروا طويلاً في عطف القادرين . . . أيها الفقراء ، لا تثقوا كثيراً في قلوب الأغنياء . . . فلا يعرف الألم إلا من قاساه في يوم من الأيام . . .

(حلوان) عماد الدين عبد الحميد

إنها تعبير حى يُسمعُ فى القلب :
فهى تُسمعُ وتُشرحُ ويُتحدثُ بها مع النفس ،
وهذه اللغة الشعورية تخلب وتضىء وتلهب
وليس للنفس لكى تُعبِّر عن خطراتها الملتهبة
سوى تنفس الصعداء والحماس والوثوب .
هذه هى لغة السماء التى تنطق بها الصلاة ،
ولغة المحبة المفعمة بالحنان فى الحياة الدنيا

* * *

فى المناطق الطاهرة حيث أحب أن أطير ،
يبعثنى الحماس أيضاً على كشف أسرارها .
هو وحده سراجى فى هذه الليلة الظلماء ،
وهو الذى يفسر لى العالم أحسن مما يفسره العقل .
تعال إذن ! إنه دليلى ، وأريد أن أخدمك .
على أجنحتها النارية تعال واختطف !
ها هو ظل العالم قد امَّحى عن أعيننا .
إننا نهجر الزمن ونجول فى الفضاء :
وفى نظام الحقيقة الأبدى ، ها نحن أولاء وجهاً لوجه أمام الحقيقة !
وهذا الكوكب الفرد ، الذى لا زوال له ولا فجر ،
إنه الله ، هو رب كل شىء ، الذى يقدس نفسه !
كل شىء من فضله : الكون والزمن ،
ومن وجوده الخالد ، جميع العناصر الصافية .
اللانهاية مداه ، والأبدية عمره ،
النهار نظرته ، والعالم ظله .
جميع الوجود يبقى تحت ظل يده
فالكائنات الطافية على أمواج الأبدية التى تجرى من فيضه ،
كنهر يتغذى من هذا المنبع الذى لا ينضب له معين ،
يختفى فيه ويؤول إلى الفناء ، بينما كل شىء يبتدىء .
إن صنعه الكامل الذى لا حد له مثله ،
يمجد حين يوجد ، اليد التى صنعته :
يحشد الخلق فى الخلد بين زفرة وأخرى ،
فهو إذا شاء قال : كن فيكون .
كل شىء منه وإليه
إرادته المقدسة هى شريعته الإلهية
ولكن هذه الإرادة التى لا ظلَّ لها ولا خوَر ،
هى فى وقت واحد : القدرة والإرادة والعدل والحكمة .
كل ما عساه أن يكون يجرى وفق إرادته
وكذلك العدم ينهض بمقدار :
الذكاء والحب والقوة والجمال والشباب ،
هو قادر على منحها بلا انقطاع دون أن ينضب له معين .
وهو يغمر العدم بنعمه القيمة .
وأقرب علامات وجوده أنه يستطيع أن يخلق آلهة !
ولكن هؤلاء الآلهة من صنع يده ، والأبناء من قدرته ،
من شأنهم أن يبرهنوا على وجوده الخالد ،
وهم يميلون بطبعهم إلى الإقرار بوجود خالقهم .
إليه مرجعهم جميعاً وهو وحده الكافى !

* * *

هذا هو الله الذى تعبده جميع النفوس ،
والذى دان له (ابراهيم) ، واهتدت إليه بصيرة (فيثاغورس)(1)
وأشاد بذكره (سقراط) ، ولمس وجوده (أفلاطون) .
هذا الإله الذى أظهر الكون للعقل حقيقة ،
والذى تنتظره العدالة ، ويرجو لطفه الشقاء ،
والذى دعا إليه عيسى فوق الأرض !
ولم يعد من أثر للإله الذى تصنعه يد الإنسان ،
ذلك الإله الذى عبر عنه النفاق الخاطئ ،
ذلك الإله الذى شوهت حقيقته يد الكهنة الزائفين ،
والذى كان يعبده أسلافنا السذَّج وهم يرتعدون

* * *

إنه وحيد . إنه واحد ، إنه عادل ، إنه حميد
ترى الأرض صنعه ، وتعرف السماء اسمه !
سعيد من يعرفه ، وأسعد منه من يعبده !
هو الذى ، بينما الناس فى جحود أو إنكار ،
يظل وحده فى مصاف مصابيح الليل القانتة ،
ينهض فى المحراب حيث يجتذبه الإيمان ؛

---

(1) لم يعترف فيلسوف ما من الملحدين اعترافاً تاما بوحدانية الله ، بيد أن الفلسفة الروحانية على الاطلاق تبرهن منطقياً على تلك الوحدانية
أما التدرج الذى حاول « لامرتين » أن ينظمه هنا بين « فيثاغورس » و « سقراط » و « أفلاطون » ، فهو مجازى فى صميمه

ويلهج بالمحبة والشكران ،
ويحرق روحه كالبخور فى حضرته !
ولكن لكى تصعد إليه أنفسنا المحطمة
يجب أن تمنح أعلى قوتها وفضيلتها .
ينبغى أن نطير إلى السماء على أجنحة من الحب ،
فالرغبة والحب هما جناح الروح

* * *

آه لِمَ لَمْ أولد فى مستهل الخليقة البشرية ؟
حين لم تكد تنتشر من بين يديه ،
قريباً من الله قرباً زمنياً ، وأكثر قرباً بالعاطر ،
حيث تناجيه الخلائق ، وتسير فى حضرته !
لِمَ لَمْ أر العالمَ منذ بزوغ شمسه الأولى !
لقد كان كل شىء يحدثه عنك ، وكنت أنت نفسك تناجيه ،
وقد كان الوجود يلهج بجلالك المقدس ،
وكانت الطبيعة الخارجة من أيدى الخالق
تنشر بكل المعانى اسم منشئها :
هذا الإسم الذى حجب منذ أجيال سحيقة ،
فإذا به يتلألأ فى روعة أكثر بريقاً فوق مبتدعاتك :
ولم يَتَطَلَّعْ الإنسان فيما مضى إلا إليك ،
فكان يدعو ربه ، وكنت تقول : « أنا هو »

* * *

لقد تفضلت فتعهدت بمناجاتك تعليمه زمناً طويلاً كما يتعبَّد الطفل ،
وبعد زمن طويل اقتضت مشيئتك أن تهديه سواء السبيل
وقد تجلّت له عظمتك مرة ،
فى أودية سِسْتار ،
فى حرج حُورِيب بصحراء سينا ،
أو على قمة الجبل المقدس
حيث أملى موسى على العبريين شريعته الجليلة !
وهؤلاء أبناء يعقوب أول مواليد البشر ،
ظلوا يتلقون المن من يديك أربعين عاماً ،
وكنت توقظ نفوسهم بآياتك الحية ،
وكنت توحى أمام أعينهم بلغة المعجزات ،

وعند ما نسوك ، نزلت ملائكتك
وأعادت إلى قلوبهم الحائرة ذكراك .
ولكن أخيراً ، كنهر بعُد عن منبعه ،
ذهبت هذه الذكرى الصافية فى سبيلها ،
ومن هذا الكوكب القديم أخبا ليل الزمان المظلم
المناطقَ المضيئة تدريجياً .
لقد أمسكتَ عن المناجاة ، فالنسيان ويد الأجيال
غفلا عن هذا الاسم العظيم الذى تتسم به بدائعك ،
ولقد أضعف مرور الأجيال الإيمان ،
ووضع الإنسان الشك بين العالم وبينك .
نعم ، هذا العالم يا مولاى قد أصابه الهرم بالنسبة لعظمتك ،
لقد نسىَ اسمك وأثرك وذكراك
ولكى نستعيدها يجب علينا أن نعتلى من جديد نهر الأيام موجة فوجة .
أيتها الطبيعة ، أيها الفلك ! عبثاً تراكما العين .
وا أسفا ! بدون أن يرى الإنسان الله يمجد المعبد ،
إنه يرى وعبثاً يتتبع آلاف الشموس ،
التى تجرى فى صحارى السموات جرياناً عجيباً ،
إنه لم يعد يعترف باليد التى تحركها .
معجزة أبدية لم تعد معجزة .
أنها تسطع فى الغد كما كانت تسطع بالأمس !
من يدرى أين تبتدئُ طريقها الجليل ؟
من يدرى إذا كان هذا السراج (الإيمان) الذى يتلألأ ويشرق للمرة الأولى فى العالم ؟
إن آباءنا لم يشهدوا قط سطوع دورته الاولى ،
والأيام الخالية لا يعرف لها أول قط .
عبثاً توحى عنايتك الإلهية
بجليك فى هذه التطورات العظيمة على العالم المعنوى ،
إن من تدابيرك أن ينتقل صولجان الملك عبثاً
بين البشر من يد إلى أخرى ،
إن أعيننا التى ألفت تقلبها ،
قد جعلت من العظمة عادة فاترة ،
وكم شهدت الأجيال

للعلم والتاريخ

٢ - عبد القادر حمزة باشا

وما ذكره عنه الذاكرون فى حفل التأبين

[« قومية » ، بحثه وراء « الحقيقة » فى التاريخ للمصرى القـديم ..]

الأستاذ محمد السوادى

احتفل أهل الرأى وذوو المكانة وأبناء الفكر فى عاصمة مصر بتأبين الفقيد من أيام ، فرددت جنبات القاعة الثقافية التذكارية فى الجامعة الأمريكية مواهب الراحل ومناقبه ، جرت نثراً على ألسنة هيكل ومنصور فهمى وأباظة وآخرين ، وجرت شعراً على ألسنة العقاد ومطران ومحرم وآخرين

ومن الرابع عشر من هذا الشهر تحتفل أسرة الفقيد بإحياء ليلة الأربعين ، فيذكر الذاكرون أن أربعين يوماً مرت على آخر عهد لمصر بابنها « الممتاز » الذى وقف عليها ما أوتى من جهود ، وسخر فى سبيلها ما أتاه الله من فضل وفن ومميزات رقت به إلى مستوى فريد ومقام ملحوظ

وأحب بدورى أن أختار هاتين الملامتين — التأبين والأربعين — لأثير ناحية من أدب الفقيد غفى وما ذكره الذاكرون من الشعراء والناثرين ، فقد ذكروا الخدمات التى أداها عبد القادر حمزة لمصر التى أحبها فماش لها ، مصر الحديثة فى جهاده السياسى والصحفى والأدبى ، ومصر القديمة التى بعثها بعثاً رائعاً فى كتابه « على هامش التاريخ المصرى القديم » . هذه الناحية التى أحب اليوم أن أغزوها أو أجلوها هى « قومية البحث عند عبد القادر حمزة وراء الحقيقة فى التاريخ المصرى القديم »

***

وأحب أيضاً أن أسجل أسفى على فقر مصر الحديثة من ناحية المؤسسات العلمية التى تفزع إليها الأمم الناهضة لقدر القيم العلمية لجهود الأفراد قدرها الحق ؛ ولو أن مصر كانت مثرية فى هـذه الناحية ثراء الأمريكيين والأوربيين ، لهبت هذه المؤسسات إثر وفاة العظيم تتناول مخلفاته بالبحث ولرأينا الجميات التاريخية تتوفر على الجانب التاريخى منها فتجلوه . المحاضرون من أعضاء المؤسسة بمحاضراتهم ، والباحثون بالكتب التى يصدرونها بسطاً لهذه الجهود وتأييداً أو تفنيداً ، أما وقصارى جهدنا أن يجتمع بعض الناهضين — واجتماعهم مشكور لهم ومحمود — لتأبين العظيم الراحل ، فقصور من ناحية النهضة

كثيراً من تقلبات القدر الكبرى !
لقد قَدُمَ الدورُ ، والإنسان الجامد فى غفلة

***

أيقظنا أيها الإله العظيم ، أوْح وبدّل العالم ،
أسمع العدَم كلمتك المثمرة
لقد آن الأوان ، فانهض وتجاوز هذا الهدوء الطويل
اخلق عالماً آخر من هذا الفضاء الآخر .
إن أعيننا الغافلة لتفتقر إلى مشاهد أخرى
وإنّ نفوسنا الشاردة لتحتاج إلى معجزات أخرى
بدل نظام السموات التى لم تعد تحدثنا !
واقذف بشمس أخرى لأعيننا الحائرة
حطم هذا القصر القديم غير الجدير بعظمتك ،
أقبل ، وتجل أنت ـ أنت سبحانك ـ واحملنا على أن نؤمن
ولكن ربما قبل الأوان حيث فى صحارى السموات
ستكف الشمس عن إنارة الوجود
ومن هذه الشمس المعنوية (الايمان) قد انكسف الضوء .
وسيكف رويداً رويداً عن إنارة التفكير ،
واليوم الذى سيغدو فيه هذا المصباح محطما
سيُغمس العالم فى ليل أبدى !
إذن أنت ستحطم ما خلقت .
وهذا الحطام النهار سيردد عنك جيلاً بعد جيل :
(إننى الوحيد ! وكل ما عدانى لا يستطيع الدوام !
فالإنسان الذى ينقطع عن الايمان ، ينقطع عن البقاء !)

(الأسكندرية) محمد أسعد ولاية

العلمية خاصة والفكرية عامة يثير الأسف، ويبيح للناقد أن يلقى المسؤلية على الدولة ورجال الفكر أنفسهم

وهذه الناحية التى وقع عليها اختيارى لتكون موضوع مقالى، هى الناحية التى كنت أود لو كانت من نصيب أساتذة النقد والتاريخ فى إحدى المؤسسات العلمية، لأنها ناحية لها من الجلال والقيم ما ينوء به كاهلى وتنوء به جهودى

ولكنى سأحاول:

بـ « القومية » فى البحث، نقص من ناحية وكمال من ناحية: نقص من ناحية « الحقيقة » العلمية والتاريخية، لأنها - أى القومية - لون من ألوان التعصب يجافى أهداف الباحث وراء « الحقيقة » فى ذاتها ولذاتها، وكمال من ناحية « الوطنية » التى تطالبنا بتغليب الصالح الوطنى فى الغاية، والشعور العاطفى فى التحايل على إدراك هذه الغاية

وإذن « القومية » ليست لها قيمة ثابتة، وإنما تختلف قيمتها باختلاف وجهة النظر إليها

و « الحقيقة » نفسها لها ميزاتها ولها مساوئها، أما الميزات فتنحصر فى القداسة التى تحوط الباحث، وفى الجمال الذى يميط اللثام عنه يوم يدرك هذه « الحقيقة »، وفى الجلال الذى يشعر به يوم يرى نفسه وقد تجرد من كل تأثر شخصى أو عائلى أو قومى فأخذ مكانه فوق المستوى العادى وتطلعت الإنسانية المشوقة إلى الحقائق إلى حيث يقيم هذا الباحث داخل برجه العاجى.

وأما مساوىء هذه الحقيقة فتنحصر فى مرارتها وأثر هذه المرارة فى الجماعة التى ينتمى إليها الباحث، وضرر هذه المرارة بالوطن أو بالأفراد أو بالباحث نفسه. وحسبك أن تتصور نفسك الآن وقد جابهت أمتك حكومة وشعباً بالحقائق العارية فنشرت كتاباً ضمنته نقائصهم أفراداً وجماعة كما تعرفها أنت وكما أعرفها أنا، ثم تتصور نفسك وقد استاقك الجند إلى المحقق وزج بك المحقق فى السجن، واستنكر تصرفك الرأى العام، واتهمك بالمروق من دين الوطنية كل وطنى

من هذا ترى أن « القومية » نقص من بعض النواحى، و « الحقيقة » نفسها ضريرة ولا أقول « نقص » من بعض النواحى، فإذا وجد الرجل الذى يجد فى البحث وراء « الحقيقة » خالصة ليبرع جلالها وليبرز جمالها وليساهم بهذا الجهد فى الترقى الإنسانى، ثم استطاع هـذا الرجل أن يخرج بنتيجة « نظيفة سليمة » من الناحية العلمية ومؤدية إلى خدمة بلاده، ثم تبين أن « القومية » هى التى دفعت به من البداية إلى هذا البحث الذى التزم فيه جادة الحق وصادق النهج، فمن حقه على بلاده أولاً وعلى الإنسانية ثانياً أن يأخذ مكانه بين الخالدين

وأنا مؤمن بأن عبد القادر حمزة كان « هذا الرجل » . . . فى كتابه الأخير

ويحضرنى الآن لإيضاح الفكرة مثل أضربه لها من « القومية » فى « الفلسفة الوطنية الاشتراكية » فى « ألمانيا النازية » فقد وضع « روزنبرج » وغيره من فلاسفة العنصرية الآرية مجلدات ضخمة سخروا فيها العلم لإثبات أن الجنس الآرى سيد هذه الدنيا، وأعداد « الرسالة » الفائتة تتضمن بحوثاً طلية فى فلسفة هذه « الوطنية الاشتراكية » وكلها توهم بأن أصحابها إنما يبحثون وراء « الحقيقة » فهل يمكن القول بأن هذه البحوث من النوع الذى نمنيه بـ « قومية البحث وراء الحقيقة » ؟

كلا ... إنما حشد هؤلاء الفلاسفة « معلوماتهم » وجندوا « مواهبهم » لإخفاء وجه « الحقيقة » لا لاجتلائه، ولتسخير هـذه « المواهب والمعلومات » فى إلباس الباطل ثوب الحق، وفى استخدام الحد الثانى من سلاح المنطق، وفى ارتداء أزياء الفلاسفة وهم فى حقيقتهم دعاة سياسيون، ولتضليل « الفكر » باقناع « المفكرين » بصواب ما تذهب إليه « العنصرية الآرية »

هؤلاء هم أعداء « الحقيقة » وأعداء المعنى الذى نمنيه ونحن نقصد إلى أصدقاء « الحقيقة » ونرى إلى التدليل على أن « عبد القادر حمزه » المصرى أحد هؤلاء الأصدقاء

* * *

نريد أن ندلل الآن على ثلاثة أمور:

أولها: أن عبد القادر حمزه إنما اتجه إلى دراسة « التاريخ المصرى القديم » بحثاً وراء « الحقيقة » فى ذاتها ولذاتها كما اتجه « أبناء هذه الحقيقة » فى مختلف العصور

ثانيها : أن هذه الدراسة ملأته ـ كمصري ـ زهوا بمصريته فكان هذا الشعور منه إيذاناً بالقومية التي حالفته في بحثه

ثالثها : أن عبد القادر حمزة « مؤلف كتاب على هامش التاريخ المصري القديم » قرن بين الحقيقة والقومية فجمع بينهما جمعاً عادلاً ولم يغلب القومية على الحقيقة وإنما وجد في إبراز هذه الحقيقة إثباتاً لهذه القومية ففعل

هذه هي الأمور الثلاثة التي أريد أن أدلل على صحتها لأخرج منها بنتيجة تعزز موضوع هذا البحث

***

ولأعد بالقارئ إلى الكلمة التي قدم بها الفقيد للجزء الأول من كتابه لنستمع إليه وهو يقص علينا بداية شغفه بدراسة التاريخ المصري القديم فنرى أنه زار الأقصر في سنة ١٩٢٤ ليشاهد قبر الملك « توت عنخ أمون » فزار قبور وادي الملوك والملكات والدير البحري ومعبد الكرنك ووقع في يده كتاب « طيبه Thêbes » للأستاذ كابار Capart مدير معهد الآثار المصرية في بروكسل فقرأه فخيل إليه أن الآثار التي مر بها مرور الطير أخذت تتجسم وأن الحياة أخذت تدب فيها فحفزه هذا إلى زيارة الأقصر مرة أخرى زيارة مشوق إلى الحقيقة وأصبح « يهمه أن يدرس ما فيها من الآثار وعدت من هذه الزيارة وقد ازددت شغفاً بمصر القديمة فأحسست رغبة قوية في زيارة المتحف المصري ، مع أنني كنت قد زرته من قبل مرتين فجعلت أزوره من جديد زيارات كان لها في نفسي معنى جديد »

هكذا كانت البداية ، بداية رجل شغفته آثار مصر القديمة حباً فرغب في دراستها ، والبحث عن وجه « الحقيقة » فيها

فمتى إذن انتقل به البحث إلى « القومية » ، أو متى تسلطت على دراساته « قومية البحث » ؟

يجيبك هو على هذا السؤال فيقول :

« وتكررت زياراتي للآثار وانكببت على المؤلفات التي وضعها علماء المصرولوجيا ، فكنت كلما أوغلت فيها شعرت كأن مصر تكبر في عيني وكأني أمتلئ بذلك زهواً »

من هنا بدأت بذور القومية تنمو في نفس الرجل ، ولكن هذا النمو في « البذور » يحتاج إلى كثير من « الماء » و « السماد » ليستقيم العود ويبسق فارعاً في الفضاء ... فما كان ماؤه وما كان سماده ؟ كان لا بد للرجل من « الغضب » ليكون « تعصب » ولتكون « حماسة » وليكون « إصرار » على إبراز فضائل مصر ... وقد « غضب » الرجل الذي لا يغضب غضباً ظاهراً ، واستبنا منه هذا الغضب من خلال قوله :

« وأخذتني الدهشة من أننا ونحن أبناء مصر هذه لا نعرف عنها هذا الذي يعرفه الأجانب ، ولا نعجب بها هذا الإعجاب الذي يبذله لها الأجانب ، ولا نفرم بمجدها وتقصى خفاياه هذا الإغرام الذي يقبل عليه ويرتاح له الأجانب »

من العبارات السابقة ونحت القومية ؛ ولكن العبارة الأخيرة توضح حالة الاقتران بين « القومية » و « الحقيقة » أو مطالع هذا الاقتران ، لأنه لم يقل أنه عجب — أو غضب — فحسب ، ولكنه اعتزم البحث وراء هذا المجد و « تقصى خفاياه » والتقصى — علمياً — هو لباب البحث وراء « الحقيقة »

وبدأ الرجل يقرأ مختلف المؤلفات مرات ومرات ، فكان يفهم في المرة الثانية ما يبهم عليه في الأولى ، وينفذ في الثالثة إلى ما يغيب عنه في الثانية . وانقضت سنوات حتى اختمرت الدراسات في ذهن هذا « الباحث المنطقي المرتب » ، وبدأت « النتائج » تطل من « المقدمات » على الصور التي انحاز بها ذهنه في استخلاص الحقائق ... هذه الصور التي رددتها إلى عناصرها في بحث لي نشرته مجلة « الثقافة » الغراء

وبدأ الرجل تجربته الأولى بنشر فصول في « البلاغ » في سنة ١٩٣٤ ، وتجربته الثانية بنشر فصول أخرى في سنة ١٩٣٨ وأخيراً رأى أن يخرج كتابه الأخير

وهو لم يقل أنه أدى لتاريخ مصر القديم كل حقه ، بل اعترف بأن هذا التاريخ بحر خضم ولم يسمه هذا الوصف إنشاء أو إسرافاً في الإنشاء كما ألفنا نحن الكتاب ، بل عقب على الوصف بما يثبته فقال : « لأنه تاريخ أربعة آلاف سنة أو أكثر فليس يوفى حقه في كتاب ولا في كتب ، وقد كتب فيه العلماء الأجانب بعد كشف اللغة المصرية في سنة ١٨٢٢ م مئات من

السكتب ، وهم إلى اليوم كلما كتب واحد منهم وجد جديداً ، وكلما ضربت فأسه فى أديم مصر خرجت بجديد ، فلا مناص من أن أكتفى فى كتابى هذا بأطراف ، وإذا أراد الله فسأتبع هذه الأطراف بأطراف وأطراف » . ولكن الله لم يرد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

وأدع الآن مهمة « التطبيق » إلى المقال الآنى إن شاء الله وأختم مقال اليوم بكلمة تثبت لك دافع الفقيد إلى الأخذ بالقومية فى البحث بعد أن دفعته الآثار إلى البحث عن الحقيقة فيها

لاحظ الفقيد حقائق مريرة حفزته إلى البحث وراء الحقيقة أولاً وحملته على أن يقرن بينها وبين القومية أخيراً ... ومن هذه الحقائق ما يأتى :

أولاً : لاحظ أن جميع المصريين يجهلون تاريخهم مع الأسف

ثانياً : أنهم لم يقرأوا منه وقت تحصيلهم العلم غير أشياء ضئيلة مبهمة

ثالثاً : أنهم لا يجدون بعد وقت التحصيل مؤلفات عربية فى هذا التاريخ تجذبهم إليه

رابعاً : أنهم يعرفون عن اليابان فى آسيا وكندا فى أمريكا وعن انجلترا أو عن فرنسا فى ماضيها وحاضرها أكثر مما يعرفونه عن مصر « وبهذا تنقطع الصلة بين مصر القديمة ومصر الحديثة ويمتنع علينا أن نأخذ من أمسنا ليومنا وغدنا والإنسان الذى يعيش مقطوع الصلة بأمسه كالنبات الغريب ينمو ثم يموت ، وكأنه لم يوجد »

خامساً : إن الناشىء فى انجلترا أو فى فرنسا أو فى ألمانيا « ينشأ وتاريخ بلاده يسايره فى كل سنة من سنى تعليمه فلا يكاد يغادر مقاعد الدرس حتى تكون نفسه قد انطبعت بطابع ما فى هذا التاريخ من عظمة وجمال . ومن هذا الانطباع يتولد حب خاص للوطن وتتولد رغبة فى محاكاة أبطاله وينمو تبعاً لذلك الشعور بالقومية ... الخ »

سادساً : إن الكتاب اليونانيين والرومانيين الذين زاروا مصر وكتبوا عنها فى ما بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الثانى بعد الميلاد شحنوا كتاباتهم بأشياء لم يفهموها فألبسوها لباس الغرابة والخرافة . مثلهم فى ذلك كمثل الذين يزورون مصر الآن من الأجانب فيدعون عليها دعاوى لا وجود لها ، وإن هذه الكتابات التى كتبها أمثال هيكاتى دى ميل وهيرودوت وسترابون وديودور الصقلى وكليمان الاسكندرى وبلوتارك ، كانت المرجع الوحيد لمعرفة مصر القديمة منذ ضاع سر اللغة المصرية إلى أن كشفه شامبوليون الشاب

* * *

وضع الفقيد أمامه هذه الملحوظات الست وخرج منها بأن « الحقيقة » ضائعة فيجب إيجادها ، و « القومية » ضعيفة فيجب إنماؤها ، أما « الحقيقة » فهى أن مدنية مصر لم تقم كما اعتقد المؤرخون الأجانب « على أساس من الخرافات والعقائد الفاسدة » بل قامت كما دلل هو « على أساس علمى وخلق صحيح » .

وإلى اللقاء حيث ندرس معاً « بالتطبيق » الطريق التى سلكها فى البحث والنتائج التى خرج بها و « النظافة » العلمية التى حالفته فى أثناء هذا البحث .

محمد السوادى

على شاطئ الحياة

شاعر غريب ...

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

رائدُ الليل خلفَ وَهْمٍ بعيدِ   وخيالٍ من الأماني عنيدِ
وغريبٌ يرى الصباحَ غريباً   في حياةٍ كليلةِ المعقودِ
ولَوَ القيدُ في يديه وصاحتْ   في شرايينِهِ دماءُ الشهيدِ
قلمٌ كان بسمةً في فمِ الدُّنـ   ـيا فماتت على فمِ الغرِّيدِ
أقفرتْ روحه ، وغاضتْ معانيـ   ـهِ وأمسى على الثرى فضلَ عودِ
وبقايا حشاشةٍ تتلوّى   تحتَ حرِّ الجوى وبَرْدِ الوعودِ
جَفَّ حتى أنكرتُهُ وهو منّي   شَبَحُ الأمّ من خيالِ الوليدِ
جَفَّ حتى أنكرتُهُ وهو مني   صورةُ القربِ من فؤادِ العميدِ
آهِ من آهةٍ بقلب شريدٍ   ضلَّ في ذلك المتاهِ الشريدِ

نحن في عالمٍ حُماداه أنّا   قد نسينا به معاني الوجودِ
أتكون القبور أضيق أم تلـ   ـك الفيافي لساهدٍ يرْقُودِ ؟
وارتقابُ الجحيم أم ذلك الرُّعـ   ـبُ بجحرٍ مُسمَّمٍ محدود ؟!
وعواء الضباع بالليل أم جرْ   سُ الأفاعي مُصلصِلاً من بعيد
وجماهير من عقاربَ رُعْنٍ   شائلاتٍ أذنابها كالبنُودِ ؟!
تلسبُ الحيَّ والجمادَ كما استا   مَ أعمى عصاه فوق الصعيدِ

كل يومٍ لنا فنونُ دفاعٍ   في نزاعٍ على البقاء الكسيدِ
نتبارى مع الطبيعة والأو   هامِ والخوفِ والدجى والبيد
ظلماتٌ يجثُمْنَ خلفَ دياجٍ   ورعودٌ يجاوزنَ إثرَ رعودِ
أين حربُ الأعصاب من هذه الحر   بِ تلظّتْ في ليلها الموعود
أعواء المدافع الشُّكْسِ أم زأ   رُ غضوبٍ على الرُّبى شُخْدُودِ ؟
يوقظُ الليلَ كله ويكاد الـ   ـفجرُ ينشقُّ خيفةً في الهُجودِ
وسَمامُ الغازات أم ذلك الصِّـ   ـلُّ بقرنيهِ لابداً في الخريدِ

آهِ من آهةٍ بقلب شريدٍ   ضلَّ في ذلك المتاهِ الشريد

من أباحَ الشذا وكان حراماً   وحشةَ الرَّوضِ أم بكاءَ الورودِ
والذي أسلمَ العنادلَ للذلّ   هواها . . . أم كبرياءَ النشيدِ
لهفَ نفسي على ورود القوافي   يذبل الوردُ في القفارِ ويودي
خطراتٌ يلمعْنَ في ذلك القفـ   ـرِ كآهٍ في الصخرةِ الصيخودِ

حرٌّ قلبي عليك يا مصر يا مَهْـ   ـبِطَ وحيي ويا مَرادَ قصيدي
يا ليالي (بالحسين) أعيدي   بسمةَ الدهر واخطري من جديد
قد بكى النايُ في يد العازف النا   ئي ، وأنَّتْ أوتاره من بعيد
نحن في شاطئ الحياة حيارى   قد أقمنا على ضفافِ الوجودِ !

منية « الدر »   طاهر محمد أبو فاشا

حينما تغمضين عينيك

للأستاذ العوضي الوكيل

حينما تغمضين عينيك هاتيـ   ـنِ على فتنةٍ وروعةِ سحرِ
ما الذي تشهدين في صفحةِ الآ   فاقِ مما أدري وما لستُ أدري؟
هل تشيمين في الخيال فراديـ   ـسَ نشيدٍ معطَّرٍ بكِ نضرِ
هل تشيمين مهجتي تتلقّا   كِ وتهفو إلى سناكِ وتسري
أنا وحدي الذي يراكِ من الغيـ   ـبِ بفكرٍ يدقّ عن كل فكرِ
فاشهديني هناك أنتهلُ الحسـ   ـنَ وآوي مع المساء لوكري

حينما تغمضين عينيك هاتيـ   ـن على فتنة وروعة سحر
تستجيبُ الشفاهُ جفنيكِ لثماً   فكأني لثمتُ روحاً بثغري
وأرى الحسنَ كيف يأسرُ نفسي   ثم يُلقي الفنَّ الجميلَ بشعري
يا فتاةَ الأحلام لو لم أعاصِر   كِ لأحسستُ باليبابِ بعصري
ولآنستُ في خيالي وجوداً   لكِ يا بهجةَ الخيال لعمري !
ولأغمضتُ مقلتيَّ وشاهد   تُ بعيني ما يجنُّ ويغري

العوضي الوكيل



البريد الأدبي

جواب

يا سيدى الفاضل ، قلتُ يقال للشيخ عجوز وللشيخة عجوز وعجوزة

يا سيدى قال الإمام ابن الأنبارى : يقال عجوزة بالهاء لتحقيق التأنيث ، وروى عن يونس أنه قال سمعتُ قول العرب عجوزة بالهاء .

(وحيد)

تعليم القراءة والكتابة

كان معالى وزير المعارف قد أصدر قراراً بتأليف لجنة لبحث كتب التهجى والمطالعة التى بأيدى المبتدئين فى المعاهد المختلفة لمعرفة مدى فائدتها فى تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة ، ونقدها من جميع نواحيها ، ووضع طريقة لتعليم التهجى والمطالعة تكون سهلة جذابة خالية من العيوب التى قد تنطوى عليها الطرق المتبعة الآن ، ووضع كتب للتهجى والمطالعة العربية تفى بالغرض المقصود

وقد انتهت هذه اللجنة من وضع تقريرها ، ورفعته إلى معالى وزير المعارف . وكان مما جاء فى هذا التقرير أن كتب التهجى والمطالعة المستعملة الآن فيها بعض العيوب التى قد تعوق الطفل عن التقدم فى القراءة والكتابة ، وتحول بينه وبين الوصول إلى النتيجة المرغوبة فى زمن وجيز

وقد اقترحت اللجنة اعتماد الأسس الآتية :

أولاً : تربية الحواس عند التلميذ وتقوية ملاحظاته اللغوية ، وذلك بالبدء بدروس المحادثة الشفوية على أن تدور حول ما يقع تحت حسه ، مع ملاحظة أن يكون المنطق سليما قدر المستطاع

ثانياً : متى مرن الأطفال على نطق الكلمات وأصوات الحروف انتقل المعلم بهم إلى تعليم التهجى والكتابة والمطالعة بوساطة الطريقة الصوتية فيبدأ بأصوات الحروف التى تقسم إلى طوائف ومجموعات متشابهة ، ولا تعطى دفعة واحدة ، ويبدأ بالحروف التى لا تتصل بما بعدها ، أو بالحروف المتجانسة فى كتابتها

ثالثاً : بعد تعليم الأطفال مجموعة من هذه الحروف تؤلف لهم منها كلمات سهلة واضحة ، ثم جمل قصيرة

واقترحت اللجنة أيضاً تجريب الطريقة « الكلية » التى أجمع على استحسانها علماء النفس فى الوقت الحاضر وأساسها أن العقل يدرك الأشياء على هيئة وحدات كلية ذات معنى ، وأما إدراك تفاصيل هذه الوحدات فإنه يأتى متأخراً . وأوصت اللجنة بأن يكون تجريب هذه الطريقة مبدئياً فى روضة واحدة من رياض الأطفال

التأريخ عند العرب

طلب الدكتور زكى مبارك أن يحقق أحد كتاب (الرسالة) تاريخ العرب قبل هلاك أصحاب الفيل ، وقال : هل يمكن الوصول إلى معرفة ما كانوا عليه (أى العرب) فى التأريخ قبل أن ترجّ أذهانهم واقعة الفيل ؟

وقد بسط القول فى هذا المبحث العلامة المؤرخ شمس الدين السخاوى فى كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) المطبوع بدمشق الشام سنة ١٣٤٩ فنجتزئ بما يأتى منه :

أما التأريخ الجاهلى فقد روى ابن الجوزى من طريق عامر الشعبى قال لما كثر بنو آدم فى الأرض وانتشروا أرخوا من هبوط آدم فكان التاريخ إلى الطوفان ، ثم إلى نار الخليل ، ثم إلى زمان يوسف ، ثم إلى خروج موسى من مصر ببنى إسرائيل ، ثم إلى زمان داود ، ثم إلى زمان سليمان ، ثم إلى زمان عيسى عليهم السلام وقد رواه محمد بن إسحاق عن ابن عباس

وفيه أقوال أخر : منها أنه كان من آدم إلى الطوفان ، ثم إلى زمان نار الخليل ، ثم أرخ بنو إسماعيل من بناء البيت ، ثم إلى معد بن عدنان ، ثم إلى كعب بن لؤى ، ثم من كعب إلى عام الفيل . قاله الواقدى

وعن بعضهم : كان بنو إبراهيم يؤرخون من نار إبراهيم إلى بنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أرخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ، ومن بقى بتهامة من بنى إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة ، حتى مات كعب بن لؤى فأرخوا من موته إلى الفيل ، ثم كان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر من الهجرة ، وذلك فى سنة ست عشرة أو سبع عشرة أو ثمانى عشرة

ومنها : أن حمير كانت تؤرخ بالتبابعة وغسان بالسند ، وأهل

صنعاء بظهور الحبشة على اليمن ، ثم بغلبة الفرس . ثم أرخت بالأيام المشهورة : كحرب البسوس وداحس والغبراء ويوم ذى قار والفجار ونحوه ، وبين حرب البسوس ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم ستون سنة

أحمد صفوان

١ — لابن المقفع لا للخليل

ورد فى مقال الزواج للأستاذ الكبير العقاد أن الخليل ابن أحمد أجاب وقد سئل فى قرض الشعر : أن الذى يرضاه لا يجيئه ، وأن الذى يجيئه منه لا يرضاه !

وقد قال الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين (الجزء الأول ص ١٥١) فى سياق الحديث عن السر فى تبريز الأديب فى فن من فنون الأدب وتأخره فى فن آخر : وكان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يذكر مثله . وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال : « الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجيئنى لا أرضاه » . وإنى لأحس أن أستاذنا العقاد تطمئن نفسه إلى موافقة الجاحظ ، ولأن يصدر هذا الكلام من أديب كبير وكاتب عظيم كابن المقفع أقرب إلى الذوق الأدبى من أن يصدر من إمام لغوى نحوى كالخليل

٢ — شاعر وناقد

فيما دار بين الأستاذين الشاعرين من نقاش حول موضوع الرحلات العربية مسألتان نحويتان أرى الحق فى جانب الأستاذ رضوان فى الأولى ، كما أراه فى جانب الأستاذ عبد الغنى فى الأخرى ، وإلى القارىء البيان :

١ — قال الأستاذ عبد الغنى فى مقاله الرحلات عن البيرونى (... ويعد كتابه الثانى — تاريخ الهند — أوفى مرجع عن بلاد الهند وأملأ كتب الأسفار تعريفاً بها)

وهذا تعبير شاذ لأن أفعل التفضيل بمض ما يضاف إليه ولا تصح العبارة إلا إذ صيغت « أملأ » إما من الخماسى ، وإما من الثلاثى المبنى للمجهول ، لأن الكتاب مملوء لا مالئ ، والمسوغ منهما شاذ كما هو معلوم من القواعد النحوية التى يجب علينا العمل بها لأنها لم تستقر إلا بعد البحث واستقراء الكلام الصحيح . فالصواب ما قاله الأخ رضوان وهو : ويعد المؤلف أملأ المؤلفين لكتابه تعريفاً بالأسفار ...

٢ — قال الأستاذ عبد الغنى أيضاً : « وإذا كانت هذه الرحلات الفردية وكثير غيرها قد أضافت بعض الثروة إلى الأدب إلا أنها لم تكن منتجة بالنسبة للرحلات والأسفار » . وقد طالبه زميله بإعرابها وبيان جواب إذا وتخريج الاستثناء . وإنى أقول للزميل الفاضل : إن هذا التعبير صحيح وارد فى كلام العرب، فجواب إذا الذى يبحث عنه ويشتاق إليه محذوف أغنت عنه جملة الاستثناء ، وجملة أضافت ... خبر كان ، وأما جملة الاستثناء ففى محل نصب كما وضح ذلك ابن هشام فى المغنى . ثم اسمع ما قال الخضرى على ابن عقيل عند الكلام على قول ابن مالك (ومفرداً يأتى ويأتى جملة) — ص ٩٣ — وتأمله يطمئن قلبك قال : (استشكل وقوع الاستدراك خبراً نحو : زيد وإن كثر ماله، لكنه بخيل، مع وروده فى كلامهم ، خرجه بعضهم على أنه خبر عن المبتدأ مقيداً بالغاية ، وبعضهم قال الخبر محذوف والاستدراك منه) . وإلى الأستاذين الفاضلين تحيتى وتقديرى .

٣ — النحو فى الكلام كالملح فى الطعام

غمض على حضرة الأديب أحمد الشرباصى هذا المثل المشهور رغم وجه الشبه ، وأشكل عليه ما كتبه الخطيب القزوينى فى كتابه الإيضاح ، فنسب الأديب المثل إلى الخطأ والفساد ولم ير المخرج من الحيرة إلا تحريفه عن الحكمة القائلة : المزل فى الكلام كالملح فى الطعام . وأقول إن هذا المثل صحيح لا غبار على صحته لأن مراعاة قواعد النحو مصلحة للكلام لا شك فى هذا ، كما أن وضع الملح فى الطعام مصلح له . فوجه الشبه — وهو الإصلاح بغض النظر عن القلة والكثرة — جلى واضح ، وهذا هو نفسه قول الخطيب (فالوجه كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً) وما وجه الشبه إلا المعنى الذى قصد اشتراك الطرفين فيه .

وأما الحكمة القائلة : المزل فى الكلام ... فالوجه فيها هو التحسين والتمليح ولا يراد فيها الإصلاح (وإن كان ذلك من ضرورات التحسين) لأنه لا يشترط فى التشبيه أن يشترك طرفاه فى كل أمر من أمورهما ، فإذا شبهنا شخصاً بالأسد لا نريد إلا الجراءة بصرف النظر عن غيرها من الصفات ، وقس على ذلك مثلنا الذائع الصيت بين علماء البلاغة القدامى والسلام على سيدى الأخ ورحمة الله .

بدارى على بدارى
مدرس اللغة العربية بأسيوط الصناعية



الشارب

للقصصي الفرنسي جي دي موبسان

عزيزتي لوسيا :

لا جديد عندنا . نحن نقضي أوقاتنا في غرفة الاستقبال ، نتلهى بالنظر إلى المطر وهو يتساقط ، وحيث أنه يتعذر الخروج في هذه الأيام العابسة ، فإننا نتسلى بتمثيل رواية هزلية ، ولكن ... ما أسخف الروايات التي أعدت لتمثل في الدور ، كما وردت في القائمة الحالية ! ؟

إن كل ما فيها سمج ، متكلف ، غليظ ! ... ولا يقل فعل النكات التي تشتمل عليها عن فعل القنابل . إنها تحطم كل شيء مع أنه ليس فيها أدنى أثر لا للذكاء ولا للدعابة ولا للباقة !

حقاً إن رجال الأدب لا يعرفون شيئاً عن العالم ! إنهم ليجهلون كل الجهل كيف نفكر وكيف نتكلم ! فإذا أجزنا لهم أن يمقتوا عاداتنا ومواضعاتنا فلا يسعنا أن نجيز لهم أن يجهلوها . وهم إذا أرادوا التدليل على براعتهم وحذقهم لعبوا بالكلمات لعباً غريباً من شأنه أن يزيل غضون تكنة بأسرها ! وإذا أرادوا بعث السرور لجأوا إلى طائفة من النكات ... لا أشك لحظة أنهم إنما جمعوها من الشارع ... من تلك الحانات التي يدعونها « حانات الفنانين » ، حيث تتكرر منذ خمسين عاماً ذات النكات ، فيتناقلها الطلاب ويتوارثونها ...

إذن نحن نتسلى بتمثيل رواية هزلية ، ولما كان تمثيلها يقتضي وجود سيدتين ، فقد قبل زوجي أن يقوم بدور الخادم ، ولذلك اضطر أن يحلق شاربه . وليس في استطاعتك يا عزيزتي «لوسيا» أن تتصوري مقدار التغير الذي طرأ على زوجي بعد حلق شاربه ... إنني لا أكاد أعرفه ... لا ليلاً ولا نهاراً !

وإذا لم يترك شاربه ينمو من جديد ، فالمرجح أنني لا أتردد

تصويب :

ختم الدكتور زكي مبارك مقاله المنشور بالعدد (٤١٧) من « الرسالة » بقول الله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب سينقلبون » . والصواب : « ينقلبون » من غير سين

حول إيماد الحبز :

تضمنت الفصول التي نشرتها لي « الرسالة » الغراء بعض الأخطاء التي لا يحسن السكوت عليها ، ولذا نصلحها دفعاً للبس ومحافظة على دقة العلم وأمانته :

أهديت الفصول إلى الأستاذ الفاضل منصور جرداق : (لا جردان ولا جورداق كما وردت خطأ)

(ص ٧٤٧ ع ١ س ١٨) سقطت كلمة « مصهورة » من العبارة : وهذه الروايات تتميز أول ما تتميز بالفكرة العلمية « مصهورة » في بوتقة الأدب الحي ...

(ص ٧٤١ ع ٢ س ٦) وردت كلمة « جمفر » وصوابها « جالفر » إشارة إلى : Swift's Gullivers Travels

(ص ٧٦٧ ع ٢ س ٢٥) تصلح العبارة هكذا : أما حقيقتها فهي الاندماج في وحدة «الزمكان» كاندماج الماء والملح في ماء الملح

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٢) وردت كلمتا السبب النصبي والصواب « النسبية » الناموس المشهور .

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٩) سقطت إشارات تفقد العبارة التالية معناها : المسافة = الزمن × السرعة = الجذر التربيعي لمجموع مربعات الأبعاد الثلاثة .

(ص ٧٦٨ ع ٢ س ٢٥) مسرعة خطأ وصوابها سرعتها

(ص ٧٦٩ ع ١ س ٣) تبدل علامة السلب (—) في قانون فتزجيرلد بعلامة المساواة (=)

(ص ٧٦٩ ع ٢ س ٢) وحدة (الزمكان) وليس الزمان

(ص ٧٩٥ ع ١ س ١٧) وردت كلمة علوي وصوابها عمودي

(ص ٧٩٥ ع ٢ س ١٦) اسم الكتاب هو : Human Worth of Rigorous Thinking

(ص ٧٩٥ ع ٢ س ٢٩) الصواب (دكستروز Dextrose)

(ص ٧٩٦ ع ١ س ٢) ترجمة الضوء المستقطب هي : Polarized Light.

(ص ٧٩٧ ع ١) وردت كلمة ستيد مرتين ولا حاجة بي للقول إن صوابها (سليد) كما جاءت في مرة سابقة

هذا عدا بعض أخطاء بسيطة نغفلها لأنها ليست في صلب الموضوع والسلام .

خليل السالم

فى خيانته لشدة ما يبدو لى دميا بدون شارب !

والحقيقة أن الرجل لا يعد رجلاً بدون شارب ! أنا لا أحب اللحية كثيراً لأنها تكاد تدل على الإهمال دائماً ، أما الشارب ... أوه الشارب ! فإن وجه الرجل لا يستطيع الاستغناء عنه أبداً !

كلا ! لا يمكنك أن تتصورى قط إلى أية درجة تبدو هذه الفرشاة الصغيرة من الشعر ضرورية للنظر ... ولا سيما للعلاقات الزوجية !

ولقد عرضت لى فى هـذا الموضوع طائفة من الخواطر لا أجرؤ على التعبير عنها كتابة ، برغم استعدادى التام لاطلاعك عليها شفاهياً بصوت خافت وبسرور وافر

إلا أنه قد يتعذر أحياناً العثور على كلمات تصلح للتعبير عن بعض الأشياء ؛ وأكثر هذه الكلمات التى لا يمكن الاستعانة عنها بغيرها تتخذ على القرطاس صوراً فظيعة لا أقوى معها على أن أخط شيئاً منها ... ثم إن الموضوع نفسه من الدقة والصعوبة بحيث يتطلب لباقة شديدة لمعالجته بدون التعرض لخطر

وأخيراً ماذا يمكننى أن أفعل إذا كنت لا أقدر أن أجعلك تفهميننى جيداً ؟

ولـكن اجتهدى يا عزيزتى أن تقرئى بين السطور !

أجل . عند ما أبصرت زوجى بدون شارب أيقنت للحال أنه يتعذر على أن أحب ممثلاً أو مبشراً ... حتى وإن كان الأب (ديدون) نفسه أوفر المبشرين جمالاً وأشدهم إغراء إذا كان حليق الشارب !

وعند ما خلوت بزوجى كانت المصيبة أعظم ! ... أوه يا عزيزتى لوسيا لا تسمحى قط لرجل حليق الشارب أن يقبلك إذ لا يكون لقبلاته أدنى طعم ! ... مطلقاً ! ... مطلقاً ! ... فليس فى قبلاته ذلك الفلفل ... نعم إن الشارب هو فلفل القبلات وبهارها !

تخيلى رقاً جافاً أو رطباً يلامس خدك : هذه هى قبلة الرجل الذى يحلق شاربه ... إنها بدون شك لا تساوى شيئاً !

وقد يخطر لك أن تسألينى : من أين يستمد الشارب إغراءه إذن ؟ وهل تحسبيننى أعرف ذلك ؟

أول كل شىء للشارب دغدغة لذيذة جداً ... تحسينه قبل الثغر ، فيسرى فى جسمك كله من قمة رأسك إلى أخمص قدميك رعشات سحرية تجتاحك كالتيار الكهربائى ... فالشارب هو الذى يداعب البشرة ، وهو الذى يجعلها ترتعش وتختلج ، وهو الذى يبعث فى الأعصاب ذلك التنميل العذب الذى يجعلك تتنهدين (آه) ، كما تفعلين حين يهز جسمك برد قارس !

وعلى النحر ! هل اتفق لك أن أحسست بالشارب يدغدغ نحرك ؟ إن دغدغته هذه لتسكرك وتشنج أعصابك ، وإنها لتنساب فى ظهرك إلى أن تبلغ أطرافك ، فتتلوين وتحركين أكتافك حركة خاصة ، وتلقين رأسك إلقاءة خاصة أيضاً ، وترغبين رغبة قوية فى الفرار والبقاء معاً ... إن قبلة كهذه لتستحق العبادة لشدة ما تبعثه من اللذة وما تحدثه من إثارة وتهييج

وعدا ذلك ... حقاً إنى لا أجرؤ على ... إن الرجل الذى يحب زوجه يعرف كيف وأين يجد مواضع مختبئة ليدفن فيها قبلاته ، مواضع لا تخطر للمرأة حتى عند ما تخلو بنفسها ... وهذه القبلات إذا لم يتقدمها شارب لا يبقى لها طعم ، بل إنها لتغدو مخالفة للذوق والأدب !

ولك أن تفسرى ذلك بما تشائين ؛ أما أنا فأفسره هكذا : الثغر بدون شارب كالجسم بدون ثياب ! ... نعم ، لا بد من الثياب ، القليل منها إذا شئت ، ولـكن لا بد من بعضها

والخالق قد ستر بالشعر جميع مواضع الجسد التى يدفن الحب فيها ؛ فالثغر الحليق إنما يبدو كينبوع عذب وسط غابة اقتلعت أشجارها

وهذا يذكرنى بجملة لأحد رجال السياسة ما زالت تتردد فى ذاكرتى منذ ثلاثة أشهر ؛ فقد قرأ على زوجى ذات مساء فى إحدى الجرائد خطبة غريبة لوزير الزراعة السيد « ميلين » ؛ ولست أدرى إذا كان لا يزال إلى الآن فى وظيفته أم حل غيره محله

لم أكن أستمع لزوجى ، ولـكن هذا الاسم « ميلين » لفت انتباهى ؛ وقد ذكرنى — ولست أدرى لماذا — بالحياة فى بوهيميا ، وخيل إلىّ أن الحديث يدور على إحدى العاملات المتأنقات ؛ فأصغيت بسمعى ، وهكذا استطاعت بعض الكلمات أن تجد سبيلاً إلى رأسى

والسيد (ميلين) أدلى إلى أهالى إميان — فيما أظن — بالتصريح التالى الذى ما فتئت أبحث عن معناه : لا وطنية بدون زراعة ! ولم أهتد إلى معنى هذه الجملة إلا فى هذه اللحظة . . . وأنا كذلك أصرح بدورى : لا حب بدون شارب !

وقد يبدو ذلك مضحكا ، حين يقال على هذه الصورة ، أليس كذلك ؟ لا حب بدون شارب ! ... لا وطنية بدون زراعة . . . ! لقد كان السيد (ميلين) مصيباً فى قوله هذا الذى لم أدرك معناه قبل هذه اللحظة ...

والشارب ضرورى من جهة أخرى ، فهو الذى يحدد صورة الوجه فيجعله لطيفاً أو رقيقاً أو قاسياً أو مضحكا أو جريئاً

إن الرجل الذى يرخى لحيته إرخاء تاماً ، ويترك جميع شعره (يا لها من كلمة قبيحة !) على خديه ، لا يمكن أن يكون فى وجهه شىء من الرقة ، لأن الشعر يخفى الملامح ، وشكل الذقن والفكين يدل على أشياء كثيرة ، ولكن قلّ من يفهمها

أما الرجل الذى يترك شاربه ، فإنه يحتفظ بهيأته الحقيقية وبرقته فى وقت واحد ، وللشوارب أشكال متعددة تختلف عن بعضها اختلافاً عظيما ، فهى تارة : معقصة ، معقوفة ، أنيقة . وهذه يبدو عليها أنها تحب النساء فوق وقبل كل شىء آخر !

وهى طوراً : مسننة ، مهددة ، حادة كالإبر ... وهذه تميل للخمر والخيل والحرب !

وأخرى هى : غليظة ، مترهلة ، مفزعة ... وهذه تخفى عادة طبعاً حسناً ، وطيبة عظيمة إلى درجة الضعف ، ولطفاً لا يكاد يفرق عن الحياء والخجل

ثم إن ما أحبه أكثر من كل شىء فى الشارب ، إنه فرنسى وفرنسى بحت ، فقد تحدر إلينا من أسلافنا الغاليين وما انفك يتوارث حتى غدا سمة فارقة من سماتنا الوطنية

والشارب مهذار ، شجاع ، أنيق ... فهو ينغمس برشاقة فى كأس النبيذ ، ويعرف كيف يبتسم بظرف ، بينا الفك الذى تستطيل لحيته ، يبدو فظاً سمجاً فى كل ما يأتيه من حركات !

وإليك حادثاً استنفد جميع دموعى وجعلنى أفتتن بالشوارب على ثنور الرجال : حدث ذلك خلال الحرب الماضية ، وكنت إذ ذاك فتاة صغيرة ، واتفق ذات يوم أن جرت معركة شديدة على مقربة من قصر والدى ، فأزّ الرصاص ، وقصفت المدافع منذ الصباح ، فلما هبط المساء دخل علينا قائد ألمانى واتخذ له مجلساً بيننا ، ولم يلبث فى اليوم التالى أن غادرنا . . . ثم جاء من أخبر والدى أن فى الحقول كثيراً من القتلى ، فأمر بجمعهم وجلبهم للقيام بدفنهم

فجمعوهم ومددوهم على طرفى شارع الصنوبر من أوله لآخره ، ولما بدأت تنبعث منهم روائح كريهة أخذ الجنود يهيلون عليهم التراب فى انتظار الانتهاء من تهيئة الحفرة الكبرى التى تتسع لهم جميعاً ، وهكذا لم يعد فى الإمكان رؤية شىء من جثثهم ، ما عدا رؤوسهم التى كانت تبدو للناظر كأنها تنبت من الأرض صفراء مثلها بعيونها المقفلة و ...

وقد تملكتنى رغبة قوية فى أن أراهم ، ولكنى عند ما أبصرت هذين الخطين الطويلين من الوجوه الفظيعة ، شعرت كأنما أغمى على ... ثم رحت أستعرض هذه الوجوه وأنا أحاول معرفة أصحابها

كانت بذلاتهم الرسمية مطمورة تحت أطباق الثرى ، ومع ذلك فقد استطعت فجأة يا عزيزتى أن أعرف الفرنسيين من شواربهم !

كان كثير منهم قد حلقوا لحاهم يوم المعركة كأنما أرادوا أن يكونوا أنيقين لآخر لحظة من حياتهم ... ! ولكن لحاهم قد عادت فنمت قليلاً ، لأن اللحى تنمو — كما تعلمين — بعد الموت أيضاً . . . وكان يلوح على الآخرين أنهم لم يحلقوها منذ ثمانية أيام ... ولكن كلهم كانوا يتميزون بوضوح تام بالشوارب الفرنسية الفخورة التى خيل إلىّ أنها تقول لى : أيتها الفتاة ! إحذرى أن تخلطى بينى وبين صديقى : إنى من مواطنيك !

وقد بكيت يا عزيزتى ، أوه بكيت كثيراً ، أكثر بكثير مما لو لم أعرف هؤلاء القتلى بهذه الطريقة ...

لماذا قصصت عليك ذلك ... لا شك أننى مخطئة ... فقد بعثت هذه الذكرى فى نفسى كآبة شديدة ، جعلتنى عاجزة عن الثرثرة أكثر مما فعلت ؛ فإلى اللقاء يا عزيزتى لوسيا ، إنى أقبلك قبلات حارة ، وليحيى الشارب !!!

(القدس) ازاك شموس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 420

Lundi - 21 - 7 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٢٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢١ يولية سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــرس

صفحة

٩١٣ الشيخ محمد عبده بمناسبة ذكراه السادسة والثلاثين : الامام الأكبر محمد مصطفى المراغى

٩١٦ استقلال مصر من الجهة التاريخية : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

٩١٨ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...

٩٢٢ اللهجات العامية الحديثة ... : الدكتور على عبد الواحد وافى

٩٢٥ القيم الأخلاقية فى الآداب الانجليزية المعاصرة ... ... : الدكتور توماس جرينوود بقلم الأديب نظمى خليل

٩٢٦ جبل وجبل ... ... : الأستاذ محمود البشبيشى ...

٩٣٠ مدن الحضارات فى القديم والحديث ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٩٣٣ ذكرى قاسم عراق ... : السيدة الفاضلة وداد سكاكينى

٩٣٥ الزاد الأخير ... [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...

٩٣٥ مدينة بلا نساء « : الأستاذ عبد اللطيف النشار

٩٣٦ لابن المقفع لا للخليل ...
٩٣٦ النحو فى الكلام كالملح فى الطعام : الأستاذ على الجندى ...

٩٣٧ نظرات بين المجلات ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٩٣٧ عبد القادر حمزة وقومية بحثه وراء الحقيقة ... ... : الأستاذ محمد السوادى ...

٩٣٨ ثمن السعادة ... [قصيدة] : الأستاذ نجيب محفوظ ...

الشيخ محمد عبــده

بمناسبة ذكراه السادسة والثلاثين

للامام الأكبر الأستاذ محمد مصطفى المراغى

عبد من عباد الله الذين اختصهم بمزيد فضله، ومنحهم من صفات الإنسانية الفاضلة ما امتازوا به عن أقرانهم فى عصرهم وأمثالهم فى عصور أخرى، وأشرفوا على الناس يألمون لما عليه الناس من انحطاط علمى وخلقى وأدبى، ويحاولون استبدال أمم أخرى بهم؛ ورجل ممن رزقوا لذة المعرفة، وأفيض عليهم نور العلم الإلهى ففهموا أسرار الدين، وعرفوا السعادة الحق على وجهها، منحه الله قوة فى الجسم والحواس، وبسطة فى العلم، وعقلاً قويًّا نفاذاً، وفطرة سليمة، وإلهاماً صادقاً، وشجاعة فى الحق، وزراية على الباطل، وقلباً رحيما بالضعفاء والفقراء، وحباً للبذل والإحسان

نشأ الشيخ فى عصر من العصور القاتمة، كل شىء فيه ممض مؤلم للنفس الحرة والفطرة الصادقة. فالأمم الإسلامية تنحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً إلى أحط الدركات، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس، والدين يفهمه الناس على غير وجهه، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم، والزلفى إلى الله لها طرق لم يشرعها الله، والزلفى إلى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة.

ذهب ريح المسلمين ، وتفلّت من أيديهم زمام الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع ، وليسوا قلة بين الأمم ، ولكنهم كغثاء السيل

ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره : قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم . وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدة على إجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة ، ولا على فهم القرآن الكريم وفق الأساليب العربية ؛ ولا الفقه بساد حاجة المجتمع وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ؛ ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة إلى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن إليه العقل ويقنع الخصم . المتحدث في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ، ولتلائم أحوال الأمم وأحوال الأزمنة ، مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون . والداعي إلى سيرة السلف الصالح داع إلى مخالفة سيرة العلماء المبرزين . والداعي إلى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين من المتأخرين . والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة وبأوهام وقصص لفّقها من قبل علماء الإسرائيليات مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها

عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش . فن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم يؤمن بالقرآن ويعتقد أن فيه هدياً وفيه شفاء ، وأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للأمم كلها وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس إماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ، ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة

عاش الشيخ في هذه البيئة يلتمس الوسيلة ، وتطلب نفسه مخرجاً منها ، وتتطلع إلى رجل يشفي صدره ويزيل قلق نفسه ، ويشد أزره ، ويبصره بالدين وبالحياة ، وينضم رأيه إلى رأيه في أن هذا الذي يراه ليس هو الدين ؛ وهذا الذي يعيش فيه الناس ليس هو الحياة ؛ وهذا الذي يدرسه من الكتب ليس موصلاً إلى العلم الصحيح بل مبعداً عنه ؛ وهذا الذي يتعارفه الناس في طرق الدراسة هو غير طرق الدراسة الصحيحة النافعة

مرّ بهذا الطور ثم أعطاه الله ما كانت تصبو إليه نفسه ، فهبط إلى مصر جمال الدين الأفغاني ، وهو رجل ثائر على النظم الموجودة جميعها : نظم الدراسة ونظم الحكومات ؛ خبير بأحوال الدنيا وأحوال الأمم ، عليم بأدوار التاريخ وما تقلبت عليه الأمم الإسلامية من أطوار ، خبير بالتاريخ العلمي الإسلامي وبغيره من التواريخ ، عالم بمذاهب الأمم ونحلها ، عالم بالاستدلال وطرقه ، بصير بالدعوة إلى الله سبحانه وبالدعوة إلى ما يريده من الآراء والمذاهب ؛ يفقه أغراض الدين العامة ، ويحترم العقل ويعرف له قدره ، ويضع الرجال مواضعهم لا يعطيهم أكثر مما يستحقون

رجل يمت بصلة نسبية إلى صاحب الرسالة ويرى أن عليه ديناً لجده لا بد أن يؤديه . ذلك الدين هو وقف مواهبه جميعها على تبيين هذا الدين وإصلاح حال المسلمين . وجد الشيخ في السيد جمال الدين بغيته ، ووجد ما يشبع نهمه ويشفي صدره ويزيل صدأ عقله ويشحذه ، ويرد ذلك الجوهر صافياً نقياً لامعاً كما فطره الله ، ثم يعلوه علماً ويقيناً وإيماناً ومعرفة ويمدّه للاصلاح

أتم الشيخ دراسته ، ولأمر ما أراد الله به كما له ، هجر مصر لأسباب سياسية وطوّف في بعض بلاد الإسلام وبعض البلاد الغربية فاكتمل نضجه . ثم عاد واشتغل بالقضاء الأهلي وعرف أساليب القضاء الحديثة من منابعها فصار قديراً على الإصلاح في القضاء الشرعي كما هو قدير على الإصلاح العلمي وإصلاح نظم الدراسة

هيأت له الأسباب جميعها تولى إفتاء الديار المصرية وصار له شأن في إصلاح الأزهر بعضوية الإدارة فيه ، وكانت مواهبه وجاهه وخبرته بالدولة ورجال الدولة مما جعله المسيطر على الإصلاح في الأزهر وصاحب النفوذ به

عرف الشيخ أن النفوذ والجاه ووضع النظم وما إلى ذلك لا يكوّن الرجال العاملين ولا العلماء المجددين ، وأنه لا بد لهذا كله من أن يضاف إليه التعليم الصحيح وأن يتولاه بنفسه ، فقرأ في الأزهر كتاباً قيماً من كتب المنطق ، وقرأ رسالة في التوحيد ، وقرأ كتب الشيخ عبد القاهر في البلاغة وشرع يفسر كتاب الله .

كانت دروس الشيخ كالغيث . أما البلد الطيب فقد خرج نباته بإذن ربه ؛ وأما البلد الخبيث فقد خرج نباته نكداً . وكانت دروسه مثلاً عالياً في طريقة الإلقاء والتفهيم وفي العبارات

الفصيحة المتخيرة النافذة إلى القلوب . وكانت دائرة معارف يجد اللغوى فيها حاجته والفقيه رغبته والمتكلم بغيته . ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آى القرآن على معارفهم ، وكانت صرخاته المدوية منبهة للغافل ومحركة للجامد . وكانت عاصفة قوية هزت الأشجار الباسقة القوية فسقطت أوراقها الذابلة ثم أورقت . أما الشجيرات الضعيفه والحشائش الدنيئة فأفلتت منها ولم تنتفع بها .

عاملان من أقوى العوامل وقفا فى طريق الشيخ . عامل الحسد ، وعامل البيئة . ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ فى صفاته وعلمه لا يحسد . ولو أنه لم يحسد ولو أنه لم يرم بالكفر والضلال ولو أنه لم يشتد حسده ولم يقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد لما كان شيئاً يتحدث عنه ولما كان رجلاً من رجال التاريخ وقديماً قال الإمام الغزالى : « استصغر من علماء الدين كل من بالكفر لا يعرف ، وكل من بالضلال لا يوصف » . والسلاح القاتل الذى يرمى به علماء الدين هو الكفر والزندقة ، والمقتل الوحيد الذى يقصد بالسهام فى علماء الدين هو العقيدة .

وأما البيئة فقد أشرت إليها من قبل ولا أبيح لنفسى أن أضرب الأمثال وأقيم الأدلة على أنها بيئة لم يكن من العدل أن ينتظر منها مناصرة الشيخ وقبول آرائه وطرائقه فى الإصلاح الدينى واللغوى وغير ذلك . ولم يكن من الحق أن يطمع الشيخ فى مناصرتها إياه . وبخاصة أنه هاجمها هجوماً عنيفاً لا هوادة فيه وسفه آراءها فى أعز شىء لديها وهو العقيدة .

وسبب ثالث له خطره وهو أن جهة ذات نفوذ أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه . وأن جهة ذات نفوذ آخر ساعدته وشدت أزره فظن القوم أنه رجل يريد إفساد الدين وإفساد العلم وإفساد الأزهر . ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذاك أن عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات فى جريدة المؤيد يحرم فيها تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ فى الأزهر لأن الشيخ كان أول المشيرين بتعليم هذه العلوم فى الأزهر وكاد العناد يكون كفراً .

ذهب الشيخ إلى جوار ربه منذ ست وثلاثين سنة ، وكان فضله مجحوداً ، وكان يرمى بالكفر والزندقة . لكنه كلما ابتعد الناس عنه بالزمان اقتربوا من معرفته ، وزاد المقرون له بالعلم والتقوى والإيمان والغيرة على الدين . والمقرون له بالإصلاح وبالذود عن الإسلام والمسلمين

مات الشيخ وبقيت طريقته فى الإصلاح لم تتم ، وبقيت آراؤه مدونة فى الكتب ومرسومة فى صدور تلاميذه المخلصين يورثونها الأبناء والأحفاد . إن ذلك المصباح لا يزال يسطع نوره ولا يزال نوره يمتد فى آفاق البلاد الإسلامية وغيرها

وسيتجلى للناس جميعهم عندما ينصفه التاريخ ويتقادم العهد أنه علم من أعلام الأمة ومجدد من مجددى الإسلام ؛ وأنه أحد رجال السلف الصالح . تأخر ميلاده عن خير القرون لحكمة أرادها الله ، فولد فى القرن الثالث الهجرى

ترك بذور الإصلاح للتعليم الدينى وتعليم علوم العربية وبذور إصلاح القضاء الشرعى ، وبذور إصلاح المجتمع الإسلامى والأمم الإسلامية . وليس فى رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه فى تطبيق آى القرآن على سنن الاجتماع ، وفى تصور هدى القرآن ، وفى فهم أغراض الدين العامة

ودعته ليلة سفرى إلى السودان لتولى قضاء مديرية دنقله فى نوفبر سنة ١٩٠٤ ، فسألنى : هل معك رفقاء السفر ؟ فقلت : نعم ، بعض كتب آنس إليها وأستديم بها اتصالى بالعلم ؛ فقال : أو معك كتاب الأحياء ؟ فقلت : نعم ؛ قال : الحمد لله ، هذا كتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفراً طويلاً دون أن يكون رفيقه ؛ ثم قال لى : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه إلى الحكم ، فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح .

وداعبنى مرة إثر خروجى من امتحان شهادة العالمية هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له نعم وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم فسردت بعضها . فقال اسمع منى تعريفاً مفيداً العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له لا . قال : إذاً أنت لست بعالم . فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً

ولم يكن يفوته أن يذكر بالقرآن وأن يعتبر بالقرآن كلما ذكرت الحوادث وكلما جدت العبر ، ولم يكن يفوته أن يشهر بالظالمين ، وأن يثنى على المخلصين العادلين . فقد كان يحب الحق أكثر مما يحب نفسه . عاش للعلم وعاش للدين وعاش للاسلام والمسلمين رحمة الله ورضوانه عليه وعلى إخوانه الأئمة المهتدين

محمد مصطفى المراغى

استقلال مصر

من الجهة التاريخية

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

روى مصريون أن زعيمين من ساستنا باحثا اللورد اللنبي وتدهّيا له حق ألان لمصر جناحه وتطوّع لنصرة قضيتها . وزعم آخرون أن مصرياً غيرهما هو الذي حجّ اللورد حتى سلّم بحق المصريين فى الاستقلال ، ووعد بأن يقدم إلى حكومته اقتراحات إذا هي رفضتها استقال ، وقد وفى بوعده الذي كان أشبه بحلم منه بالحقيقة الواقعة

وإذا كان فى معرفة الحقيقة التاريخية فائدة فإنه يحسن بكل مصري وقف على شيء يتعلق باستقلال بلاده أن ينشر ما عرف ، لكي تتضح تلك الحقيقة بأجمعها . ومن هذا القبيل ما يلي ذكره فى سبيل المصلحة العامة

فى أذيال الحرب الكبيرة الماضية - التى أتلفت الملايين من الأنفس والأموال وانتصر فيها الإنجليز وحلفاؤهم - اضطرت الجيوش البريطانية إلى الجلاء عن تفليس ، وباطوم ، وعشق آباد ، وبخارى ، وشمال إيران . ولما حلت الجنود الفرنسية فى سورية محل القوات البريطانية لم تف هذه القوات بحاجة الجيوش التى كان حشدها ضرورياً لقمع الثورات فى تركيا ، وإيران ، وكردستان والعراق ، ولحماية المصالح البريطانية المتعلقة بمناطق البترول القوقازية والعراقية والإيرانية . وكان اللورد كتشنر يصرّح بأنه لا يستطيع فى أية حال أن يحمى بجيش الهند وحده منطقة فى إيران أكبر من منطقة النفوذ التى عينها لانجلترا الاتفاق الإنجليزى الروسى المعقود سنة ١٩٠٧ . أما المستر لويد جورج ، رئيس الوزارة ، فقد رأى أن اليونان تستطيع حراسة المصالح البريطانية فى آسيا الصغرى ، وأراد أن يكلف جيش الهند حفظ المصالح البريطانية الجديدة فى الشرق . لذلك شكلت لجنة خاصة تحت رياسة اللورد أشر Esher مهمتها أن تحل مسألة تعديل نظام الجيش الهندى وتكبيره ، فأعملت هذه اللجنة قانوناً صدر سنة ١٨٥٨ وفيه نص صريح على أن الجيش الهندى يجب أن يبقى فى الهند ، إذ ختمت أعمالها بقرار مضمونه أن هذا الجيش لم يبق فى الإمكان اعتباره قوة محلية دائرة أعمالها محصورة داخل حدود الهند ، بل يجب عدّه قسما من جنود الإمبراطورية ، مستعداً للخدمة فى أية جهة من العالم

كانت الحرب العالمية قد وسعت دائرة أعمال ذلك الجيش فأكسبت سكان الهند - ولا سيما المسلمين الذين منهم صفوة الجنود الأهلية - حق إبداء رأيهم فى تسوية السلم فى الشرق . فلما نشر تقرير اللورد أشر ، بعد أن أمضيت معاهدة سيفر ، قامت فى الهند ضجة غضب ؛ ونشرت التيمس يومئذ فى عددى ٥ و ٦ من نوفبر سنة ١٩٢٠ كتاباً مطولاً من أغا خان نبّه فيه أصدقاءه من البريطانيين إلى أن هذه السياسة لا تلائم العلاقات بين بريطانيا العظمى والهند ، ونصح بالعدول عن احتلال مناطق البترول وبمساعدة القبائل العربية ، مساعدة مالية ، لتقوم هى فى مقابل هذه المساعدة بحماية معامل البترول وأنابيبه . وقد وقع هذا الكتاب أحسن وقع لدى الرأى العام البريطانى ، إذ كان فى قلق من كثرة الخسارة فى الرجال والمال للجيش القائم باحتلال كردستان والعراق وإيران ، البالغ قرابة مائة ألف جندى

هذا ، وقد كانت المسألة العربية من جهة أخرى تستوقف نظر البريطانيين لأسباب منها : خلع الفرنسيين للملك فيصل ، والحركة الوطنية فى مصر ، واستئناف المنافسة بين الحجاز ونجد . وقد تبيّن من تقريرى اللجنة التى أرسلت إلى الهند ولجنة ملنر أنه يصعب تكبير الجيش الهندى بعيد الحرب ، وأن من الحكمة أن تعدّل حكومة لندن سياستها الشرقية . ثم لوحظ أن لكل من بريطانيا وأمريكا مصلحة فى مسألة البترول ، وأن الدولتين متّجهتان إلى زيادة التسلح البحرى - الذى يستلزم زيادة الإنفاق - وأن الحكومة البريطانية كانت قد وعدت العرب بمساعدتهم فى طلب الاستقلال وصرّحت بموافقتها على مبادئ ولسن المشترطة للصلح

من أجل ذلك كله عُقد بالقاهرة فى آخر مارس سنة ١٩٢١ مؤتمر كبير تحت رياسة المستر ونستن تشرشل وزير المستعمرات يومئذ ، حضره الكولونيل لورنس (وكان المستر تشرشل قد جعله وكيل وزارته لشؤون الشرق) وجميع البارزين فى السياسة الشرقية الانجليزية : المس جرترود بِل ، والمارشال اللنبى ، والسير برسى كوكس ، والسير هربرت صمويل ، والسير جلبرت كلايتون ، والكولونيل كورنواليس ، وغيرهم ؛ وكان الغرض من عقد هذا المؤتمر أن يحل مسألة إنقاص قوات الاحتلال فى إيران ، وكردستان ، والعراق ، ويحل مسألة مصر وبلاد العرب ؛ وقد ختم أعماله بالقرارات التالى بيانها :

١ — التسليم بضرورة تعديل تام للسياسة الإمبراطورية فى البلاد العربية والشرق الأوسط .

٢ — إهمال مبدأ الضم والحمايات .

٣ — الاعتراف باستقلال الشعوب الشرقية ، ومعاقدتها بمعاهداتِ تحالف .

٤ — أن يجلس على عرش مصر ملك

٥ — وضع دستور للهند .

٦ — إجلاس الأمير فيصل على عرش العراق ، وتولية الأمير عبد الله إمارة شرق الأردن .

٧ — إيجاد طريق امبراطورى جديد يعبر الصحراء بين فلسطين والعراق ويصل بور سعيد وحيفا ببغداد والبصرة ؛ وتنشأ فى مواضع مختارة منه محطات للطيارات والسيارات المصفحة تضمن حماية جميع المصالح

أفكانت حجج أولئك الساسة المصريين — التى سلم اللورد اللنبى بصحتها — هى سبب مؤتمر القاهرة أم سبقت قرارات المؤتمر تلك الحجج فهيأت البريطانيين لذلك التسليم الذى أشبه الأحلام عندنا ؟ وهل كفى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ومعاهدة سنة ١٩٣٦ لتحقيق استقلالنا ، ولضمان المصالح البريطانية كلها ، أم ضحت بريطانيا بشىء لتوثيق الصداقة بينها وبيننا ؟

لست أدرى ، بل لعلى زدت المسألة غموضاً من حيث حاولت المشاركة فى إيضاحها فذكرت بعض ما أعرف ، وقد يُوفّق غيرى لبيان أدق وأكمل

وحسبنا الآن ما ظهر من أننا حقاً مستقلون للأسباب التى حملت الإنجليز على تعديل سياستهم الإمبراطورية ، وعلى الاعتراف باستقلال الشعوب الشرقية ، فى مؤتمرهم الذى عقدوه فى عاصمتنا وما زال أمره خافياً — فيما أظن — على الأكثرين منا ، والله أعلم

محمد توحيد السلحدار

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

خطر السياسة على مصاير العلماء — الحياد الأدبي — آداب بعض الوعاظ — إلى فضيلة الشيخ المراغي — الشيخ عبد ربه مفتاح — خيمة لم يستمد لحمتها القلب — لا ذنب لي قد قلت للقوم استفقوا — إلى فلان — إلى العلامة وحيد

خطر السياسة على مصاير العلماء

كان ابن خلدون يرى أن الاشتغال بالسياسة لا يليق بالعلماء، وأُثِر عن الشيخ محمد عبده أنه قال: لعن الله السياسة ومادة ساس يسوس!

فهل تكون السياسة عملاً تنكره الأخلاق أو يأباه الدين؟ وكيف والسياسيُّ الرشيد يؤدي واجباً هو في بعض صوره من أشرف ما يدعو إليه الدين والأخلاق؟

إنما يُكره اشتغال العلماء بالسياسة لأنها قد تصرف عنهم بعض القلوب، فلا يملكون الأبوة الروحية لجميع من يصلحون للانتفاع بما عندهم من ذخائر الحِكم والآداب، والرجل العالم هو بطبيعة مركزه أخو الجميع وأبو الجميع، والسياسة قد تجره إلى التحيز لفريق دون فريق، وإن بالغ في التحرز من شوائب الأهواء.

أكتب هذا وقد قرأت في جريدة «الكرخ» أن الجنسية العراقية نُزِعتْ من الأستاذ ساطع الحصري وأنه أمسى خارج الحدود!! وهو خبر جزعت له أشد الجزع، وإن لم يكن بيني وبين هذا الرجل من الصلات ما يوجب الانزعاج لما صار إليه من نفي وتشريد، إذا صح أن أهل العلم لا يتعاطفون إلا إذا قامت بينهم روابط من الصداقة والوداد... ومن سياق ذلك الخبر عرفت كيف صار الأستاذ ساطع الحصري إلى هذا المصير المزعج فقد عُدَّ من المنحرفين عن الصواب في أيام الانقلاب. ومعنى ذلك أنه اشتغل بالسياسة فتعرض لما يتعرض له العلماء السياسيون في بعض الأحيان

إن أهل العراق قد يرون في الأستاذ ساطع الحصري غير ما أراه، وهم أدرى بما تتعرض له ديارهم من عواصف الخلاف، ولكن الأخوة الأدبية توجب أن نواسي هذا الباحث المتعمق بكلمة عطف، وهي أقل ما نملك في التوجع لمصيره الحزين

لو كان الغيب مما يطلع عليه الناس لرأى قومٌ أن يُسجَن الأستاذ ساطع الحصري في مكتبته فلا يشترك في السياسة من قرب أو من بُعد، لينقطع لأداء رسالته السامية في التربية والأدب والتاريخ، فله في هذه النواحي أبحاث تضمه في الصف الأول بين كبار المفكرين في هذا الجيل

ولكن الانقلابات العنيفة قد تخرج العلماء من وقارهم المنشود، وتسوقهم إلى معاطب لا يَسلم معها أديم، ولا ينفع في دفعها علاج

هذه عِبرة جديدة تسوقها الأيام لمن ألقى السمع وهو شهيد

وإن رأسي ليدور كلما فكرت في مصاير العلماء الذين تبلبلهم الحوادث فلا يعرفون إلى أين يتوجهون، وقد أحاطت بهم القواصف والأنواء

كان أسلافنا يدعون إلى الاعتكاف عند هبوب الفتنة، وما كان أسلافنا جبناء، ولكنهم كانوا يعرفون أن الفتنة تخبط خبط العشواء فلا تفرق بين العاصي والمطيع، ولا تدري أين تقع أخفافها الموج الثقال

وأنا مع هذا قوي الأمل في رجعة الحياة الطبيعية إلى ربوع العراق، ويومئذ يكون من السهل على الحكومة العراقية أن تسمح للأستاذ ساطع الحصري بالعودة إلى البلد الذي خدمه بصدق وأمانة وإخلاص، فلن تكون جنايته السياسية أعظم من كفايته العلمية، ولن يكون في أشنع أحواله إلا مجتهداً أخطأ الصواب

الحياد الأدبي

كانت الجرائد الإنجليزية شُغِلتْ بالتنفير من الحياد، فكانت تدعو جميع الأمم إلى إعلان الحرب على الألمان، وكانت هذه الدعوة تقع من بعض الناس موقع الاستخفاف، لأنها في نظرهم لم تكن إلا وسيلة من وسائل التحريض على الأمة الألمانية، والتحريض لا يُقبَل في كل حين

ثم دارت الأيام بالنحس على المحايدين، فهم كل يوم في بلاء

جديد ، ولو أنهم خرجوا على الحياد منـذ اليوم الذى سمموا فيه النذير الأول ، لقهروا الألمان على الانسحاب من أكثر الميادين وأذاقوهم عواقب الاستهانة بأقدار الشعوب

وفى دنيا المعارك القلمية مذهب دميم هو مذهب « الحياد الأدبى » ولهذا الحياد عواقب سود ، لأنه قد ينتهى بأهل الفكر و الرأى إلى إيثار السلامة من أراجيف العوام وأشباه الخواص ، وإذا آثر المصلح السلامة فعلى الإصلاح العفاء

أقول هذا بمناسبة خطاب وصل من أعالى النيل بقلم الأديب إبراهيم محمد إبراهيم ، وهو يرانى أحجمت عن المضىّ فى شرح أسباب الفقر ، مع أن الفقر علة تستحق الدرس والتشريح ، وتستوجب التفات جميع الأطباء

وأجيب بأن الذى يصدنى هو « الحياد الأدبى » حياد الأدباء الذين يرون ما أراه فى مشكلة الفقر والفقراء ، ثم يعتصمون بالسكوت ، طلباً للسلامة من أوضار التزيد والافتراء

أستطيع أن أسمى عشرين رجلاً من أصحاب المواهب ، وقد هنأونى على القول بالمسئولية الفردية قبل المسئولية الاجتماعية ، ومع ذلك لم يتقدم منهم رجلٌ واحد بمقال يُشعر الجمهور بأن الرأى الذى أعلنته يصلح للأخذ والردّ ، ويستحق عناية أهل الرأى والبيان

وفى مقابل ذلك وقف أنصار « الرياء الاجتماعى » متعاونين متساندين ليقولوا فىّ ما يشاءون على صفحات بعض الجرائد والمجلات ، حتى صحّ للأستاذ صالح جودت أن يتوجع لمصاير أهل الرأى فى هذه البلاد

أنا أنظر فأرى أعدائى يزدادون من يوم إلى يوم ، الأعداء المجاهرين ، أما الأعداء الكاتمون ، فهم أهلٌ للصفح والغفران

ولـكن أين أنصارى ؟

أنصارى هم قرائى ، لا زملائى ، وآه ثم آه من تخاذُل الزملاء !

وأولئك القراء هم الجيش الذى نعتمد عليه بعد الله فى نصر قضية الرأى الحر والقول الصريح ، ولن يستطيع أحدٌ أن يفسد ما بينى وبين قرائى ، لأنى اللسان الناطق بما يشتجر فى صدورهم من آراء وأهواء ، ولأنهم يؤمنون بأن الأدب لن يرتفع إلا إذا تحرر أهله من أغلال الأوهام والأضاليل

وما الموجب للرياء ، وما ظفر المراءون بغير الخيبة والإخفاق ؟

وما قيمة الدنيا حتى نطلب نعيمها بالتزلف إلى أبنائها الفانين ؟

آداب بعض الوعاظ

يجب أن يعرف من لا يعرف أن مجلة « الرسالة » مقررة لمكتبات المدارس الأميرية ومكتبات المعاهد الدينية ، ومعنى ذلك أن الأستاذ الزيات ليس له مصلحة أدبية أو مادية فى نشر شىء يخالف مبادئ الدين الحنيف ، بغض النظر عن مكانته من الوجهة الدينية ، فهـو موضع الثقة من أكابر رجال الدين ، وله أبحاث كريمة فى لغة القرآن المجيد

إذا صح هذا — وهو صحيح صحيح — فكيف يستبيح جماعةٌ من الوعاظ أن يسيئوا الظن بكل ما أكتب فى مجلة الرسالة عن الدين الإسلامى ؟ ومن أين يعرف هؤلاء الناس أن إيمانهم أقوى من إيمانى ، وتلك علاقة روحية لا يعلم سرها غير علّام الغيوب ؟

مجلة « الرسالة » تُصدر فى كل عام عدداً ممتازاً عن الهجرة النبوية ، ويشاء الحظ « السيئ » أن أحرص — حين أكتب مقالة لأحد تلك الأعداد — على البعد من الأبحاث التى ابتذلتها الأقلام منذ أجيال وأجيال ، لأن روح الإسلام نفسه نهانا عن الأنس بالحديث المُعاد ، ثم تكون النتيجة أن تُشغَل المجلات الدينية بشتمى وتجريحى سنة كاملة بلا ترفق ولا استبقاء

ساقنى إلى هذه الزفرة الألمية ما كتبه أحد الوعاظ فى مجلة دينية لا أسميها ولا أسميه ، لئلا يغضب عليها وعليه أهل الفكر والرأى والوجدان

وما ذنبى عند هذا الواعظ حتى يشتمنى بألفاظ لا يصح صدورها عن رجل يتصدر للدعوة إلى الدين ؟

أيرانى كفرت حين أشرت بزخرفة المساجد لترتاح إليها بعد قضاء النهار فى طلب المعاش ؟

أيرانى كفرت حين قلت بأن الخوف من الوثنية لم يبق له مكان فى هذا الزمان ، حتى نراعى بعض ما راعاه الأسلاف القدماء ؟

وبأى حق يُصَدُّ رجلٌ مسلم عن إعلان ما يراه فى شئون الإسلام ؟

ومتى جاز أن يكون فى الإسلام صور جديدة لحيوات الأحبار والرهبان ؟

سوف ترون مصايركم ، يا جماعة الجانين على العقل باسم الدين

الى فضيلة الشيخ المراغى

إليك — أيها الأستاذ الأكبر — أوجّه الحديث فأقول :

ما رأيك فى الوعظ والواعظين ؟

ما رأيك فى جماعة لا يحدثون الناس إلا بنطرسة واستعلاء كأنهم ملكوا مفاتيح الجنة ، وكأن رحمة الله لا تساق إلى مؤمن إلا بوحى من هوامم المطاع ؟

ما رأيك فى بعض هؤلاء وهم يعجزون عن كسب القوت إن رُفعت عنهم رعاية الأزهر الشريف ؟

إن الدين المسيحى يروض أبناءه على الإيمان بأن فى القسيسين نفحة ربانية ، ومع ذلك يتأدب القسيسون فيخاطبون أتباعهم خطاب الصديق للصديق ، فما عجرفةُ الواعظ المسلم ، والإسلام يدعو جميع أبنائه إلى مناجاة الله بلا وسيط ؟

ومَن هؤلاء الذين يوهمون الأمة بأن فيها طبقة من الملحدين مع أن محصول الفكر فى مصر من الوجهة الدينية لهذا العهد ، لا يقاس إلى ما وصلت إليه أصغر الممالك فى عهد ازدهار الحضارة الإسلامية ؟

ومَن المسلمُ الملحد فى هذه الأيام حتى يجوز الإغضاء عن إفك بعض المتدينين ؟

أنت المسئول — أيها الأستاذ الأكبر — عن تأديب هؤلاء فجرّب فيهم سيفك أو عصاك ، لينزجروا عن التحرش بالمفكرين من أهل الإيمان

كان يجوز فى عهدٍ غير عهدك أن تكون البهلوانية من شمائل بعض المنتسبين إلى الدين ، فما عذرهم فى التسلح بالبهلوانية وأنت هناك ، وفيك من القوة الذاتية والدينية ما يقلّم أظافر المرائين والداجين ؟

لا تُبقِ على هؤلاء — أيها الأستاذ الأكبر — فهم حجة الأعداء على أن شمس الإسلام فى كسوف . وسيبقى الإسلام على ضيائه برغم أولئك وهؤلاء

إن الخابيل من أعداء الحرية الفكرية هم الذين آذوا سلَفك الشيخ محمد عبده ، فلا تسمح لقرونهم بالنجوم ، ولا تدعهم يحكمون على المؤمنين بالزور والبهتان

الإسلام ديننا نحن ، لا دين هؤلاء ، فنحن دعاته الأمناء فى الشرق والغرب ، وعنا يأخذ من يريدون الوصول إلى فهم أغراضه الصحاح ، فمن طاب له أن يزعم أن الإسلام فى مصر أصبح نزعة طائفية ينتسب إليها فريق ويُصدُّ عنها فريق ، فهو مارق من القومية المصرية ، وخليق بأن ينظر إليه الأستاذ الأكبر نظرة تأديب ، لأن أمثال هؤلاء يستمدون قوتهم المنوية من الأزهر ، وهو من انحرافهم فى عناء

الشيخ عبد ربه مفتاح

فُجعت مصر منذ أعوام بوفاة رجل من أصحاب المروءات ، هو الشيخ عبد ربه مفتاح ، وكان شيخ الوعاظ ، وإليه يرجع الفضل فى تنظيم الوعظ الدينى بالأقاليم ، وكان له فى ثورة سنة ١٩١٩ مجال

فماذا خلف هذا الرجل من الآراء ؟

الجواب عند الذين درّبهم على الوعظ والإرشاد ، ولكنى أذكر رأياً واحداً يصور حصافته العقلية ، فقد كان يرى أن ينتفع الأزهر بمواهب المثقفين المتهمين برقة الدين ، لأنه كان يعرف أن التهمة بالإلحاد لا تقوم فى أغلب الأحوال على أساس ، وإنما تكون فرية يذيعها أصحاب الأغراض ، أو تأويلاً خاطئاً لكلام يحتمل التأويل ، وكان من حججه أن الأزهر حين ينتفع بمواهب أولئك المثقفين قد يغرس فيهم الجاذبية الدينية ، على فرض أنهم ينفرون من الدين ، أو يحوّلهم إلى أصدقاء يصعب عليهم التحامل على الأزهر الشريف

والحق أن الأزهريين الشبان يتمنون أن يُرفع الحجاب المسدول بينهم وبين أقطاب الفِكر الحديث ، ليروا دنيا العقل فى ثوبها الجديد ، وليصح القول بأنهم عرفوا ما عند أشهر المثقفين من مذاهب وآراء

وهنا فكاهة مؤذية ولكنها طريفة : فقد اقترح فريق من طلبة كلية اللغة على فضيلة الأستاذ الشيخ المراغى أن يقوّى

كليتهم بأصحاب المواهب ، ولو كانوا فى جوح زكى مبارك وشطط طه حسين ! !

أنا والدكتور طه من أصحاب المواهب ، بشهادة كلية اللغة العربية !

هو ذلك ، فما يرفض الكرامة إلا لئيم !

أما القول بأننا من أهل الشطط والجوح فهو قولٌ مردود فما عرفوا عنا فيما قرأوا وما سمعوا غير القول بحرية العقل وقدسية الدين

فجيعة لم يستعر لحملها القلب

هى فجيعتى فى الشيخ « عبد الوهاب النجار » ، أستاذى وصاحب الفضل علىّ فى كثير من المواقف ، والصديق الذى لم أر منه ما يسوء ، على كثرة ما عانيت من تغير الأصدقاء

كان الشيخ النجار يتأدب بالأثر الذى يقول : « أطلب العلم من المهد إلى اللحد » فلما دُعِىَ لتدريس التاريخ الإسلامى بالجامعة المصرية سنة ١٩١٨ أخذ يواظب مع الطلبة على دروس اللغة العبرية ، وقد عرف منها أكثر مما عرفت ، مع أنه لن يُسأل مِن أمام لجنة الامتحان !

وحين شبت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ تفضل فدعانى ليحدثنى أنه يريد أن يؤرخ أيام الثورة على طريقة « الجَبَرْتى » بكتاب يسميه « الأيام الحمراء » . ورجانى أن أقدم إليه أخبار الأزهر يوماً بيوم ، وكان الأزهر ملتقى الوفود فى تلك الأيام

والذين نموا الشيخ النجار فى الجرائد اليومية وتحدثوا عن مؤلفاته نسوا الحديث عن هذا الكتاب ، لأنه غير مطبوع ، فليعرفوا أنى أشرت إليه مرة فى جريدة البلاغ ، فاهتم الأستاذ عبد القادر حمزة بأمره وطلبه من الشيخ لنشره مسلسلاً على صفحات البلاغ . وقد نُشر بالفعل منذ بضع سنين ، فأكبر خدمة يؤديها أصدقاء الشيخ النجار لذكراه هى جمع تلك الصفحات فى كتاب ، لأنها أعظم وثيقة كتبها مؤرخ شاهد الحوادث فى سنة ١٩١٩

لا ذنب لى . . .

لم تُصلح الأيام ما فى ذاكرتى من الشذوذ الفظيع : فهى ضعيفة كل الضعف فيما يتصل بالأرقام والأعلام ، وهى قوية كل القوة فيما يتصل بالحوادث والمعانى ؛ فأنا قد أتمثل حادثة بظروفها وأحوالها فى غاية من التدقيق ، كأنى شهدتها بالأمس ، ولكنى أنسى اليوم الذى وقعت فيه ، وقد أنسى العام والعهد ؛ ففى أى يوم أو أى عام أو أى عهد وقع الحادث الذى أروى خبره فى العبارات الآتية :

أنكر وزير المعارف فى عهدٍ سلَف — وذاكرتى تزعم أنه مصطفى ماهر باشا — أنكر ذلك الوزير أن تكون « دار العلوم » مدرسة عالية ، لأن طلابها لا يدرسون إحدى اللغات الأجنبية ولأنهم لا يجيدون غير تصريف افعوعل وافعنلل ؛ وانبنى على ذلك أن ينكر حقوقهم فى « تعديل الدرجات »

فماذا صنع الشيخ النجار فى دفع ذلك التحامل البغيض ؟

كتب سلسلة من المقالات فى جريدة الأهرام تحت عنوان :

« لا ذنب لى قد قلت للقوم استفوا »

كتبها بإمضاء مستعار ليسلم من بطش الوزير ، فى أوقات لم يكن يجوز فيها لأحد الموظفين أن ينشر مقالاً فى معارضة أحد الوزراء

وتحققت الغاية المنشودة من تلك المقالات ، فتساوى أبناء « دار العلوم » مع أبناء « المعلمين العليا » فى « تعديل الدرجات » بعد أن طال العهد بالتفريق بين هاتين الطبقتين من رجال التعليم

فأين من يذكر وفاء الشيخ النجار للمعهد الذى تخرّج فيه ، يوم تخلّى عن نصرته أبناؤه الأوفياء ؟

إلى فلان

قرأت خطابك فاسترحت نسائم الحرية حين شهدت غيرتك على الاستقلال ، وأنت تراه غاية معنوية ، لا غاية نفعية ، كما يتوهم بعض الناس

وليس المهم أن تستريح الأمم من الكفاح ، لأن الكفاح هو أيضاً من الغايات ، فما كانت الراحة إلا نذير الموت والفناء

إلى العلامة وحيد الأيوبى

قرأت جوابك ، أيها السيد ، فى مجلة الرسالة ، وأنت ترى أنه يقال للشيخ عجوز وللشيخة عجوز وعجوزة . وأقول إن الشيخة

في الاجتماع اللغوي

اللهجات العامية الحديثة

الرسم العربي : أثر اللهجات العامية في صعوبته

مظاهر نقصه ، ووسائل إصلاحه

للدكتور علي عبد الواحد وافي

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

– ٦ –

لا ترمز حروف الهجاء في الرسم العربي إلا إلى الأصوات الساكنة (ونعني بها ما يقابل أصوات المد) وأصوات المد الطويلة (الألف والياء والواو) . أما أصوات المد القصيرة فيرمز إليها بحركات يوضع بعضها فوق الحرف وبعضها تحته (كُتِبَ كَتَبَ ... الخ)[1]

(١) يرمز كذلك بالحركات في الرسم العربي إلى تشديد الحرف (أمّا) وتنوينه (كتابٌ) وإلى الألف التي تلحق الهمزة (آجلا)

ولا تكاد تدون هذه الحركات في عصرنا الحاضر إلا في الكتب الأولية التي تستخدم في تعليم النشء مبادىء القراءة والكتابة . أما فيما عدا ذلك فقد جرت المادة غالباً أن تدون الكلمات في الكتابة والطابع عارية عن الشكل . ومن أجل ذلك أخذ بعض الباحثين على الرسم العربي بعض مآخذ من أهمها ما يلي :

١ – أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلا صحيحاً إلا إذا كان ملماً بقواعد اللغة العربيـة وأوزان مفرداتها إلماماً تاماً ، وفاهماً معنى ما يقرؤه . ويردد من يأخذ هذا المأخذ على الرسم العربي ما قاله قاسم أمين من أنه في معظم اللغات الأوربية يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليـه أبصارهم وتتخذ القراءة وسيلة للفهم : أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ – أن النص العربي الواحد عُرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تناوب واسع النطاق في أصوات المد القصيرة (التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة) في اللهجات العامية كما تقدم بيان ذلك في إحدى مقالاتنا السابقة ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية في هذه اللهجات على وزنها العربي الصحيح . وتختلف هـذه الأوزان باختلاف اللهجات (خِسِر ، خُسُر ، يِشْمِل ، يِشْمَل ... الخ) . فالنص العربي المجرد من الشكل عُرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهج لهجتهم في وزن الكلمات[1]

٣ – أنه من المتعذر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناس ... الخ) قراءة صحيحـة . ولذلك تضطر بعض المعاجم والمؤلفات إلى تهجي حروف الكلمات التي من هذا القبيل ، والنص على حركة كل حرف منها ؛ فتقول مثلاً « صفين بكسر الصاد وتشديد الفاء المكسورة » ، « الغفاري بكسر الغين وتخفيف الفاء » وهلم جرا

(١) أنظر عدد ٤١١ صفحة ٦٧٠

مجوزة فقط ، ولا يجوز وصفها بمجوز في لغة هذا العهد ، لأن اللغة صائرة إلى التقعيد Normalisation وهو استنادها إلى قواعد وأصول في جميع الشؤون ، بحيث ينقرض الشذوذ الذي يأخذ قوته من السماع

فأنا أقول: زوج وزوجة ، وخادم وخادمة ، وصبور وصبورة ، وقتيل وقتيلة ، وجريح وجريحة ، وعجوز وعجوزة ، لتوكيد التفريق بين المذكر والمؤنث ، وهو غرض يقصده البلغاء

فإن احتججت بلغة القرآن فسألقاك بأدلة جديدة توهن ذلك الاحتجاج ، بدون أن أخرج عن الأدب في الحديث عن لغة القرآن . وإن آزرك الأستاذ الكبير « ا . ع » فسيكون للأقلام مجال في تحرير مشكلة طال عليها الخلاف ، وسنمد لغة العرب بزاد هي إليه في اشتياق ، لأنه باب من الحرية في الأداء ، ولأنه عون على التحديد والتعيين حين تختلف المعاني والأغراض ، والسلام .

زكي مبارك

وقد قدمت عدة اقتراحات لسد مواطن النقص السابق ذكرها

فتقدم بعضهم باقتراحات ساذجة هدامة لا تكاد تستحق عناء المناقشة . فمن ذلك استبدال الحروف اللاتينية ومنهج الرسم اللاتيني بالحروف العربية ومنهج الرسم العربي . ولا يقوم هذا الاقتراح إلا على مجرد الرغبة الآثمة فى تقليد الغربيين ؛ إذ ليس ثمت ما يدعو إلى اصطناع الحروف اللاتينية . وإن كان لا بد من السير على طريقة الرسم اللاتيني بصدد أصوات المد القصيرة ، فلا يقتضينا ذلك أكثر من اختراع ثلاثة أحرف ترسم فى صلب الكلمة بدل الفتحة والكسرة والضمة كما سنذكر ذلك فى بعض الاقتراحات الآتية . وأكثر من هذا هدماً لكيان اللغة العربية ماذهبت إليه طائفة فى علاج الرسم ، إذ اقترحت إلغاء الإعراب وإلزام السكون أواخر الكلمات ، حتى تضيق مسافة الخلف بين رسم الكلمة ونطقها فى اللهجات العاميه المستخدمة فى المحادثة ، فتسهل على النـاس القراءة ، ويتخلص الرسم العربي من بعض عيوبه . وقد كفانا أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد باشا مئونة الرد على هـذا الاقتراح بما عقب عليه به فى الشئون الاجتماعية إذ يقول : « وهذا الرأى مطعون فيه من وجهين : أما الأول فإنه لا يحل من المسألة إلا بعضها دون البعض الآخر ؛ لأن ضبط حركات الحروف ليس ضرورياً فى الإعراب فحسب ، بل هو أشد ضرورة فى بنية الكلمة . وهذا الضبط من جواهر اللغة ؛ فإذا أهملنا الإعراب وأهملنا الشكل ولم نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الآن يفعلون . وأما الوجه الثانى فإن فى هذا الرأى إهداراً لصورة اللغة العربية وقضاء على أهم مميزاتها . وذلك ما لا نظن أحـداً يرضاه ، خصوصاً متى أمكن تسهيل تعليم اللغة وشيوعها من غير الالتجاء إلى العبث بسلامتها ومميزاتها[1] »

واقترح بعضهم إدخال الشكل فى بنية الكلمة حتى لا يتخطاه نظر القارئ ؛ وذلك بأن تخترع حروف للرمز إلى أصوات المد القصيرة (التى يرمز إليها الآن بالفتحة والكسرة والضمة) ، وتدون هذه الحروف فى صلب الكلمة فى مواضعها . فلتدون كلمة « كتب » مثلاً برسم بعد كل من الكاف والتاء والباء الحرف الذى سيخترع للاشارة إلى ما تشير إليه الفتحة فى رسمنا الحاضر . وهذا هو المنهج الذى يسير عليه الرسم الأوربى Kataba وينتصر لهذا الاقتراح عدد كبير من الباحثين على رأسهم أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد باشا[1] .

واقترح آخرون أن يكون لـكل حرف من حروف الهجاء العربى أربع صور مختلفة : صورة فى حالة تحركه بالفتح ؛ وأخرى فى حالة تحركه بالـكسر ؛ وثالثة فى حالة تحركه بالضم ؛ ورابعة فى حالة تسكينه . وهذا فى مجمله هو المنهج الذى يسير عليه الرسم الحبشى[2] .

---

(١) مجلة الشئون الاجتماعية عدد فبراير سنة ١٩٤١ . هذا وكنا نود لو اقتصر أستاذنا الجليل على ما تقدم ، ولم يعقب عليه بما قد يفهم منه بعض الناس أن مثل هـذه الاعتبارات لا ينبغى أن تحول دون تحقيق التيسير الذى يتضمنه هذا الاقتراح .

(١) نشر هذا الرأي في مجلة الموسوعات سنة ١٨٩٨ ؛ ثم عاد فأشار إليه بمجلة الشئون الاجتماعية بعدد فبراير سنة ١٩٤١ . غير أنه عقب عليه فى صفحة ١١ من هذه المجلة الأخيرة بما نصه : « ولست متمسكا بالطريقة التى اقترحتها منذ زمان بعيد . ولـكننى راض بأية طريقة أخرى تؤدي إلى الغاية التى ننشدها من توحيد لغة الـكتابة ولغة الـكلام فى الجملة ليسهل تعليمها من ناحية وليوجد حد مشترك من اللغة بين للتعلمين وغير المتعلمين » . غير أنه يظهر لنا أن هذه الغاية لا يكاد يتحقق شىء منها بادخال الشكل فى رسم الـكلمة ؛ وأن الفائدة التى يحققها هذا الاصلاح لا تكاد تعدو تسهيل القراءة واتقاء الخطأ فى ضبط الـكلمة المـكتوبة حسب وزنها فى اللغة الفصحى .

(٢) قدّمت أنا هذا الاقتراح فى مجلس علمي جرى فيه الحديث من هذا الموضوع ، ووافقنى عليه كثير من الحاضرين . ولم يتقدم به فيما أعلم أحد من قبلى . وتفضل هذه الطريقة الطريقة السابقة بأنها تحقق الغرض المنشود مع إبقاء عدد حروف الـكلمة على ما هى عليه ؛ فتوفر بذلك قسطا كبيراً من الوقت والمجهود والنفقات المادية فى الورق وجمع الحروف وأجور العمال ... وما إلى ذلك من الأمور التى تقتضيها الطريقة السابقة . فكلمة « كتب » مثلا ترسم ثلاثة أحرف حسب هذه الطريقة ، على حين أنها ترسم ستة حسب الطريقة السابقة

غير أنني عقبت على ذلك فى نفس المجلس بأن مناقشة هذا الاقتراح وما إليه لا يكون إلا بعد التسليم بضرورة إصلاح الرسم العربى من هذه الناحية وصرحت بأننى لا أسلم مطلقا بهذه الضرورة ، وبأن كل إصلاح فى هذا السبيل — مهما بدا وجيها — فان ضرره سيكون أكبر من نفعه .

وترى جماعة الاكتفاء بالتزام الشكل فى المطبوع والمكتوب حتى يستطيع كل فرد أن يقرأ ما يقع عليه نظره قراءة صحيحة[1]

والذى أراه أن الصعوبة التى يشتمل عليها الرسم العربى لا يكاد يخلو من مثلها ، بل مما هو أشد منها ، أى نوع من أنواع الرسم . فاللبس الذى يحدثه أحياناً الرسم العربى ليس شيئاً مذكوراً بجانب اللبس الذى يحدثه الرسم الإنجليزى مثلاً ، وخاصة فى النطق بأصوات المد Vowels: a, e, i, o, u, ie, io, ei, oi, ea, ee... etc. فكثيراً ما يختلف النطق بالصوت الواحد من هذا النوع وغيره تبعاً لاختلاف الكلمات التى يرد فيها ؛ حتى أنه لا يستطاع قراءة معظم الكلمات الإنجليزية قراءة صحيحة بمجرد النظر إلى حروفها ؛ بل لا بد فى ذلك أن يكون القارئ قد عرف نطق الكلمة من قبل عن طريق سماعها من إنجليزى . كما أنه لا يستطيع كتابتها كتابة صحيحة بمجرد سماعها ؛ بل لا بد فى ذلك أن يكون قد حفظ حروفها — من قبل عن ظهر قلب[2] — . وفى الحق أن الرسم العربى ليعد من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطاً فى القواعد ومطابقة للنطق

أما وجوه الإصلاح التى أشرنا إلى بعضها فيما تقدم فيظهر لنا أن ضررها أكبر من نفعها ، فمعظمها يطيل رسم الكلمة أو يزيد من حروفها ، وفى هذا إسراف فى الوقت والجهود والنفقات المادية وشؤون الطبع . . . وما إلى ذلك . هذا إلى أن كل تغيير جوهرى يدخل على الرسم من شأنه أن يحول — عاجلاً أو آجلاً — بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى . حقاً إنه يمكن اتقاء ذلك بالالتجاء إلى إحدى محاولتين ؛ ولكن كلتيهما توقع فى صعوبة تزيد كثيراً عن الصعوبة التى تعمل على إزالتها . أما إحداهما فأن يتعلم كل فرد نوعين من الرسم العربى : الرسم القديم الذى يتيح له الانتفاع بنتاج الفكر العربى من النشأة إلى العصر الحاضر ؛ والرسم الحديث الذى يقرأ به ما يدون بعد هذا الإصلاح ويستخدمه فى كتابته ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الارتباك ، وإطالة الزمن الذى تعلم فيه القراءة والكتابة ، وانفرادنا من بين سائر الأمم بأعجوبة فى ميادين الرسم والتعليم . وأما الأخرى فأن يُعمد إلى جميع ما كتب أو طبع بالرسم العربى القديم فيُعاد تدوينه وفق هذا الرسم الحديث ، ولا يخفى أن مشروعاً هذا شأنه تنوء به الجهود الإنسانية وتعجز الخزائن عن تموينه

على أن من اليسير اتقاء وجوه اللبس التى أشرنا إليها بدون الالتجاء إلى أى إصلاح من الإصلاحات الآنفة الذكر . فمن الممكن التغلب على هذه الصعوبة بالتزام شكل الكلمة التى من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا نزلت من غير شكل ، أما الكلمات التى يدل السياق على شكلها ، أو يكفى إلمام بمبادئ القواعد العربية للنطق بها على وجهها الصحيح ، أو لا يمكن أن ينطق بها فى صورة أخرى ، فمن العبث الالتجاء فيها إلى الشكل

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) لا يخفى ما ترتب على ذلك من إسراف فى الوقت والجهود والورق ، ومن صعوبات فى سبك الحروف وجمعها ... وهلم جرا

(٢) أنظر تفصيل هذا الموضوع وما يتصل به بكتابنا « علم اللغة » آخر صفحة ٢٥١ وصفحات ٢٥٢ — ٢٥٧

القيم الأخـــلاقية
فى الآداب الانجليزية المعاصرة

للدكتور توماس جرينوود
أستاذ الفلسفة بجامعة لندن

لأجل أن نقف على وجهة النظر الأخلاقيـة فى كتّاب الإنجليز الحديثين يجب أن نعرف تلك الميول العامة التى دفعتهم إلى تلك الاتجاهات الجديدة وجعلتهم يثورون على نظم وتقاليد العصر الفكتورى . فإن عظمة الحكم الفكتوري قد انعكست فى ذلك الإلهام الذى ألهم كتاب ذلك العصر ما كتبوا عن الفكرة العامة عن النظام والوجهة المنظمة للعالم ، واحترام التقاليد ، والخضوع للقانون الأخلاقى ، واحترام الفضيلة والتناسى بها ، وعدم ذكر الرذيلة إلا للتشهير بها ؛ اللهم إلا بعض الكتاب الثائرين « كسوينبرن » الذى كان أوسع حرية فى الأخذ بتلك الآراء . إن رسوخ الأخلاق فى الآداب الفكتورية قد اختفى تماماً فى الكتاب المعاصرين لأسباب منهـا الحرب العظمى ، والنزعات العلمية والاجتماعية والاقتصادية الحديثة ، وتدهور القيم الأخلاقية العامة ، واتخاذ كل شىء شكلا جديداً

فكان (شو) و (ولز) كبار الرواد الذين سخروا من العصر الفكتورى وهدموا أسسه الأخلاقية . إن الضرر الذى لحق ذلك العصر من جراء هـذين الكاتبين لا يوازن بتلك الأفكار الخيالية المثالية التى جاء بها ولز . وكان من آثار هذا الهدم المنيف أن ترك الجيل الجديد بدون مرشد ، وأصبح يتعثر فى سيره ويتخبط فى عمائه واضطرابه . وهذا أوضح ما يكون فى القصة . فعندنا نماذج خمسة من القصة : الخاطرات ، ثم المواقف الغريبة الشاذة (مع التناقض القوى بين الحوادث الحقيقية والمتخيلة) ، ثم الاجتماعية والنفسية ، ثم السير (وهنا يذكر الكاتب مثالاً لكل منها ليظهر كيف أن المؤلفين قد تأثروا بتلك الأسباب التى ذكرناها ، وكيف أن القيم الأخلاقية قد أصبحت فى عماء وفوضى) . وهذا يظهر جلياً فى قصص أولئك المؤلفين الذين كانوا أشد تأثراً بالنظريات النفسية الحديثة

وعند ما يشير الكاتب باختصار إلى كتابات بارى وولبول وبيريسفورد وبلاكوود وسنكلير وفيرجينيا وولف وغيرهم يعرض لثلاثة من أشهر كتاب القصص وأبعدهم أثراً فى الأدب الحديث وهم : جيمس جويس ولورنس وألدس هكسلى

ففى جويس نجد المسائل النفسية مشروحة على الطرق الحديثة ، فهو يصف لنا بدقة فائقة التطورات النفسية لأبطاله . وهو لا يقيم وزناً كبيراً للحوادث فهى متساوية الأثر لديه . فالحياة فى نظره ليست أكثر أهمية فى مكان منها فى مكان آخر ؛ وهو يكشف لنا فى قصته (أهالى دبلن) و (صورة الفنان كشاب) عن مقدرة فائقة واستعداد أدبى ممتاز . ولـكن (يوليسيس) أعظم قصصه التى تظهر لنا بوضوح فوضى أخلاق أبطاله . ومع أنه يدّعى أن حوادث قصته تتصـل بأبطاله الذين أوجدهم فى هـذه القصة ، إلا أن الناس أميل إلى الاعتقاد أن مستر بلوم مثلاً شخصية مألوفة فى الحياة الإنجليزية . وليس هناك فن أوضح لوصف كل الأفـكار المريضة للرجل العربيد من أن يصف حوادث حدثت فى حجرة الاستقبال أو على مائدة المعمل . فالإنسان فى نظره ليس فاضلاً ، وهو من أجل هذا يجب أن يكبح أهواءه الدنيئة مستعيناً بذكائه وعقله

وجويس مع ذلك لا يدافع عن أخلاق أبطاله ، فإن معالجته لفن القصة وأسلوبه القوى النشيط ومادته الغزيرة ، كل أولئك يساعد على إظهار أبطاله كما يريد أن يبرزهم لا أن تخفيهم أو تستر بعض عيوبهم . وهذا ما عمله لورنس ، فإن كل كتاباته لا تدور حول الجنس فحسب (مع استثناء بعض قصصه الوصفية الجميلة) ولـكنه يدافع عن آرائه فى حرية الحب وغياب الروحية وازدراء القيم الأخلاقيـة والثورة على النظم الثابتة والتقاليد القديمة فى العلاقات الجنسية والاجتماعية

وهنا ذكر الكاتب بعض مقتطفات من قصته (قوس قزح) مدللاً على صحة هذه الآراء

جيل وجيل

الى أين يسير الانسان !

للأستاذ محمود الشبيشي

— ٥ —

التعليل الروحي قيد الشخصية — التعليل العملي مطلق المجموع — الميول والعواطف العامة تعمم التعليل الروحي — والتأمل الخاص يخصصه — الحيوان والتجربة ! — التعليل الروحي والعملي والفكر الأدبي

... نصل نقاشنا اليوم بصورة من اتجاهات ولدنا الأديب « حسين » الفلسفية ، فلا سبيل إلى إرضاء هذه الفورة الفكرية إلا بتشريح خواطرها المتدفقة ، تشريحاً لا تنزّل صوره إلا بمنزلة اليقظات الحسية ، والأقباس الفكرية اللاقحة

وحديث اليوم نسيج وحده ، وجدت في مسايرته نشوة الفكر الحر إذا انكشفت أمامه مخبآت الفكر الإنسانية ... ورأيت من الخير أن أتابعه إلى أقصى حدود التابعة ، وأنتقل معه من شاطئ فكر إلى شاطئ فكر ، لأسبر غور اليقظة الحسية والفكرية في عقل متوثب من عقول الجيل الجديد ، ولأرى كيف يمكن عقد صلة بين حياتنا الفكرية وبيننا

ولقد رأيت الكثير وعلمت الكثير ودفعني هذا العلم والتأمل إلى مواصلة النقاش ، ففيه نشوة روحية ولذة فكرية ونوع من التعبير جديد عامر بنفائس المعاني وكرائم الاتجاهات ، لا يمله القارئ الراغب في التسلية ، وتجد فيه العقول الراجحة الوزينة أطايب وأطايب

— لا شك يا بني أن الإنسان بما ركب فيه من أحاسيس ومشاعر ، وما اختص به من عقل متأمل له القدرة على تفهّم ما يدور حوله وما يضطرب في أيامه من تغيرات معنوية ومادية ... ولا شك أن قدرته على تفهم دقائق الأسرار تختلف كل الاختلاف وتتفاوت كل التفاوت تبعاً لقدرة الفرد على التغلغل في ظلمات الفكر ، والتأمل في بدايتها ونهايتها ، وإدراك الصلة بين هذه البداية وتلك النهاية ... ثم تبعاً للقدرة على التعليل والوصول إلى النتائج

وكما اختلف الإنسان في جوهر العقل كان اختلافه في كل ما يصدر عن العقل وكل ما يترتب على نتائجه

— جميل هذا ، ولكني أعتقد أن مظهر التعليل أهم مظاهر الفكر التي يقع بينها التفاوت ، بل إني لأعتقد كل الاعتقاد أن للتعليل الخطر الأكبر في كل ما تقوم عليه الحياة الفكرية والعملية ، يظهر أثره في الشروع في العمل وفي حالة القيام به ، ويبدو واضحاً فيما تتكشف عنه النتيجة ...

ففي استطاعة كل إنسان أن يشعر بوجود ما يثير التفكير من موضوعات معنوية أو مادية ، خاصة أو عامة ، طبيعية أو غير طبيعية ، ذلك لأن جوهر العقل المدرك مشترك في المجموع .

أما هكسلي فإن دفاعه عن آراء لورنس في حرية الأخلاق قد اتخذ شكلا فلسفياً ، فهو يحاول (قصداً) أن يظهر أن هذه الفوضى الأخلاقية هي النتيجة العقلية لتحليل النفس الحقيقية .

لقد تعرضنا في هذه الإلمامة النقدية للقيمة الأدبية لكتابات أولئك المؤلفين ؛ وهذه القيمة نفسها تعرض أخلاقهم إلى خطر عظيم ، فقد وقع الكتاب الثلاثة في أزمات نفسية خاصة وليست شائعة بين عامة الناس . وعلى هذا فمن الخطأ أن نعتقد أن هؤلاء الكتاب على أي حال أو في أية صورة المظاهر الأخلاق الحقيقي للعقل الإنجليزي

وأخيراً أظهر الكاتب أنه بالرغم من تأثير أولئك الثائرين فإن الأدب الإنجليزي المعاصر لديه مؤلفون عديدون يدينون بالآراء القديمة ؛ فهم محافظون على تقاليدهم الموروثة ؛ أمثال : ميروث وجولزورث وبنت وكونراد وجيروم وتشسترتن ؛ حتى هاردي يمكن أن يعتبر أنه أميل ، أو أكثر إخلاصاً وأمانة إلى الأخلاق والتقاليد القديمة ، التي هي من الأسباب الجوهرية في عظمة الشعب الإنجليزي .

نظمي خليل

ولكن التفاوت قد يقع ، بل لا بد أن يقع فيما وراء مرحلة الإدراك من تصرفات فكرية ، كشعور الإنسان بإحساس خاص نحو موضوع اعترضه ، أو رغبته القائمة على هذا الشعور فى سلوك مسلك خاص نحو هذا الموضوع ؛ وكما وقع الاختلاف فى مرحلة الإحساس الخاص والسلوك الخاص يحدث فى القدرة على التمليل لأن هذه المرحلة تصل معانى الإحساس بمعانى ووسائل السلوك

— حسن هذا يا بنى ، وجميل أن نتأمل « التمليل » تأملاً أوسع نطاقاً ، ونحاول أن نستشف أسراره ... عرفنا سر اختلافه فما هى صوره ؟ وإلى أى مدى تتأثر الحياة بتلك الصور ؟ وأى مظهر من مظاهره أجدى على المجتمع ؟

التمليل نوعان : تمليل روحى وتمليل عملى . أما الروحى ، فهو وليد الفكر ، يسير على ضوء أقباسه وتكون نتائجه صوراً فكرية أساسها التصور والتخيل ؛ والعملى وهو فى حقيقته صورة لتمليل روحى انطلقت من قيود التخيل والتصور ووجدت الوسيلة القادرة لتتجسد بالعمل أو بالقياس ، ووسيلة الاتقان فى العمل والصدق فى القياس هى التجربة

— وعندى يا والدى أن التمليل الروحى قيدٌ من قيود الشخصية ! لأنه مختلف متفاوت ، ومن اختلافه وتفاوته تتميز الشخصيات

فهذا رجل قاتم الروح ، تخرج نظراته إلى الأشياء من ألوانها القاتمة ، فما من فكرة له وعمل إلا وفيه صورة من صورها ، وإنه لسالك هذا السبيل حتى يصبح سمة يعرف بها ولون تتكون منه شخصيته ، وباختلاف ألوان الروح تختلف الشخصية

ولما كان التمليل صورة من صور الروح والعقل ، ومظهراً من مظاهر الشخصية ، كان طبيعياً أنه إذا اشتد وتمت له الغلبة على الشخصية نفسها ، وعلى سائر مكوناتها ، أو تخطى حدود التوازن بينه وبينها ... انتقل بالإنسان من قيد الشخصية الفردية إلى أفق الإنسانية العامة ... فإذا به قد صب فى قوالب من صور المجتمع ، واستطاع أن يغالب نوازع النفس الفردية بعد أن كان الحكم والغاية فيه للتصور والتخيل والذوق الخاص ، لا للميول الاجتماعية والخير العام

— رأيتَ يا بنى أن التمليل الروحى من مكونات الشخصية ، وإنه فى أول أمره يكون من سمات الفردية ، فإذا تمت له الغلبة على سائر مكونات الشخصية ، انتقل بها من نطاق الفرد ومنافعه الخاصة إلى أفق المجموع ومنافعه العامة ، هذا حق ولكن يحسن أن نجلّى عنه قليلاً فنقول : إن التمليل الروحى إذا غلب عليه التأمل الخاص أصبح صاحبه محباً للأثرة ؛ أما إذا مسه شعاع من أقباس الميول العامة والعواطف ، كان طريقاً ممهداً إلى مسايرة منافع المجتمع الإنسانى وملابسة تقلباته وتطوراته ، أو كان سبيلاً إلى معارضة تلك المنافع ومحاربتها ... !

فهذا رجل نبيل الروح تظهر روحه النبيلة فى مظاهر تمليله ، ويقف تأثيرها فى أول الأمر أو فى حالة التوازن بينها وبين شخصيته عند منفعته الخاصة . إما إذا قهر هذا التمليل الروحى النبيل سائر مكونات شخصيته جعل منه صاحب ميول اجتماعية إنسانية سامية ؛ فهو بما فُطر عليه من نبل يعمل على إسعاد المجتمع وتقويم أوده ...

وذاك رجل غُلّفت روحه بالأثرة والطمع ، وطغى ذلك على مذاهب تمليله ؛ فهو يتخبط فى ظلمات أثرة محدودة بأطماع مقيدة فى أول أمره ؛ ثم إذا تمت الغلبة لتمليله الروحى وقُهرت شخصيته ، انطلق انطلاق الطائر الحبيس تفتحت أمامه آفاق السماء ، فراح ينتهب من هنا وهناك ، ويحلق هنا وهناك ، وكان فى جميع أموره مقدماً منفعته ، معارضاً الخير العام

— وأرى يا والدى أن التمليل العملى سبيل من سبل إسعاد المجتمع . فما كانت الآلات المخترعة ووسائل العلاج المختلفة إلا وليدة تمليل عملى ، تأمل فى أحوال الكون ، وقارن بين ما فات وما هو آت ، وربط التجاريب القديمة بالنظرات الحديثة ، ووقف عند كل ظاهرة من ظواهر الحياة وقفة الفكر العملى الذى لا يقنع بزاد التخيل ، ولا يرضى بمتاد التصور !

ولقد كان الإنسان فى فجر أيامه تيهان هائماً ، وكان موقفه من مشكلات الأمور موقف العجز المطبق أو القدرة المقيدة تنيم الدهشة فى رأسه إذا طوقته الحادثات ، وتضطرب الحيرة فى فكره إذا بدهته الملمات !

كل أعماله تنم عن نقص فى التدبير ، وكل تصرفاته تدل على قصور فى التفكير ، وما من طريق سلكه إلا هتك عن جهل بعقالبة الأمور

ولقد ظلت أموره إلى عهد غير بعيد مشدودة إلى ماضيه بقيود من المنافع الخاصة والنظرات الروحية ! أما اليوم فقد تحول تحولاً كبيراً ، وانقلب انقلاباً خطيراً ...

أفلم يساير الزمن فى تقلباته ، ويلابس التقدم العقلى فى تصرفاته ؟ أو لم يناوص ويصاول حتى أدرك أسراراً لم يكن ليستشفها إلا الفطن الذى تحفزه فكرة وعقيدة ؟ !

ولقد ملك اليوم ناصية فكرة وعقيدة مهما يكن مكانها من الخير أو الشر فهى من علائم اليقظات الحسية ! وجماع القول فى تدرج الإنسان ، ومسايرته للزمن ، وملابسته للتقدم العقلى ، إنه كان روحى التعليل فأصبح عملى التعليل ، وانتقل من لا نهاية التخيل والتصور إلى حدود التجربة والعمل

وكان فى انتقاله هذا إدراك لما لا يناله غوص التخيل وتحقيق لما لا يسبر غوره تغلغل التصور ، ولم يعد الإنسان ذلك المكدود المجهد اللاغب المدلج الحائر

ولكن هذا التطور جلب شراً خطيراً كما حقق خيراً كثيراً وأكبر الظن أن الإنسان سيظل مندفعاً فى سبيل التعليل العملى وحده والتجربة خاصة ، حتى يصل إلى غاية تنقلب فيها الأمور إلى أضدادها ! وما ذلك ببعيد . وهل كانت هذه الحرب الضروس إلا صورة لفساد المذهب التجريبى العملى التعليل ؟

تلك صور الإنسان ، فما صور الحيوان ؟ عندى أن الحيوان عملى التعليل يسير على ضوء التجربة وينهج نهج الخبرة السابقة ، فكل أعماله غير الغريزية لا تكمل صورها إلا بالتكرار والتجربة ولذلك الاعتقاد عندى علل وأسباب

فهو محروم من التعليل الروحى الكامل المعانى ، لحرمانه من صور العقل الكامل وهذا أمر لا يحتمل الجدل ؛ ثم هو عاجز كل العجز عن ملاءمة نفسه بالبيئة التى تحيط به ، والقدرة على الملاءمة من قواعد الحياة الثابتة ، التى تقوم على ضوء أقباس العقل الكامل ، وإشماع التعليل الروحى !

ثم إنى لألمس هذا القصور عن بلوغ مواطن التعليل الروحى عند الحيوان ، حتى فيما يرتكز على غرائزه الثابتة ؛ فهذا حيوان يأكل العشب الأخضر ، تراه يلتهم ما أمامه بغير تأمل ، فهو لا يميز بين الضار وغير الضار ، لحرمانه من التعليل الروحى ؛ ولكنه بالتكرار والتجربة ، يستطيع أن يدرك أن هذا النوع الذى أصابه منه ضرر جدير أن يبتعد عنه ، وهو حتى فى هذه الحال بطىء الإدراك ، بطىء الفهم لوسائل التكرار والتجربة ، فلو غيرت ظروف البيئة الأولى لوقع فيما وقع فيه أولاً !

أما أثر التعليل الروحى فى الأدب فيبدو واضحاً جلياً فى خطرات النفوس الشاعرة ، ونظرات القلوب الفنانة الساحرة ، وإنه ليكون أكثر وضوحاً فى نفثات الشعراء الغزليين ، ونفثات الكتاب الوجدانيين ، وفى كل أثر من آثار الفكر السابحة فى سماء من الخيال المجنح الذى لا يعرف القيود ، ولا يعترف بالحدود ! ومثل هذا التعليل لا يقوم إلا على التصور والتخيل ، فهو من شواهد اليقظة الروحية ، ولكن أثره لا يمتد إلى آفاق التعليل العملى ، القائم على التجربة والقياس ، وإن كان أصحابه من الشعراء والكتاب يحلقون فى سماء الخلود الفكرى . فغاية التعليل الروحى تغلب عليها الشخصية وتكسوها الفردية . فالشاعر الوجدانى إنما يشرح خواطر قد انبعثت من تقلبه فى غمرات من الآلام الخاصة ، واضطرابه فى طوارق من الأوجاع والأسقام ، فآثاره مقيدة بقوة تأثير ما يضطرب فى حياته

والشعراء والكتاب الذين ينهجون نهجاً وسطاً بين الروحى والعملى هم بناة صروح الحياة ، فما كانت الإنسانية فى حاجة إلا للثبت الذى يستطيع المجانسة بين قوة التعليل الروحى وانطلاقه

وقوة التعليل العملي وقدرته ، وخير المصلحين من جمع بين فلسفة الفكر وفلسفة العمل والتجربة

— رائع هذا يا ولدي ولكني أميل إلى جمل التعليل الروحي شديد الصلة بالشعر وسائر أنواع الفنون كالرسم والنحت والموسيقى، فما سمعت مرة قطعة موسيقية روحية إلا وأحسست بأنغام سماوية تكاد ترتفع بي من عالم الأرض إلى عالم السماء ، وتطهرني من معاني التراب الحقيرة ، وتكسوني معاني الروح التي لا تعرف الحدود ...

ويا سحر الشعر الروحي الوجداني ... يا سحره !

استمع إلى المعاني كيف تنطق وكيف تتراقص من سحر الفن ونور الروح وشفافية الوجدان ! تأمل الألوان النفسية الساحرة تسطع من أزاهير قول الشريف الرضي :

أينعت بيننا المودة حتى جللتنا والزهر بالأوراق
نحن غصنان ضمنا عاطف الوجد جميعاً في الحب ضم النطاق
في جبين الزمان منك ومني غمرة كوكبية الائتلاق !

وتأمل قول القائل وقد فاض به الوجد :

أيامنا جدول والحب زورقنا هيهات يحفل بالأمواج ترتطم !
لا يدرك القلب ماضينا وحاضرنا وفي نعيم الهوى أيامنا عدم
نعيش في عالم ألوانه حلم في شارد من خيال الفن ترتسم
قد كان صفو الهوى دنيا منمقة وكان في بهجتينا الحب يبتسم
ولي فيا لوعة ألقت بعاصفة على فؤاد ترامت حوله الظلم !

وانظر قول الشاعر :

حدثتني الرياض عن لفتاتك وحكت لي النجوم عن لحاتك
وطيور الغدير بحث من الشدو (م) بلحن الجمال من صدحاتك
وسمعت الأمواج تهمس للشط (م) حديث الجنون عن قسماتك
وضمير الجمال جن من الوجد (م) وذاب الهوى على زهراتك
إذ كريني يمد ضميري للنور (م) ويحيي الفؤاد في ذكرياتك !

ويا سحر قول الشاعر محمد عبد الخالق الجبار يصف الشباب :

أنتامه الأيام وقمها الهوى والصمت من أصدائها تغريد !
ملك على عرش المعاني جالس من حوله الساريات عبيد !
إطراقة التاريخ حول جبينه تكبيرة يجثو لها داود !!

محمود البشبيشي

النجوم تقرر مصير الحرب ...!

وقع في يدنا تقويم قرى أخرجه السيد أمين الحسيني الفلكي في بدء العام الهجري الحاضر ، وقد وردت به نبوءات عن الحرب ، ويلاحظ القارىء أن كثيراً من هذه النبوءات قد صح

قال عن ألمانيا : أنه أمد حربها مع الديمقراطية سيطول وستزداد المعارك شدة ، ولكن الأفلاك تقول إن قوتها بدأت في الانحطاط وأن هتلر لن يتمكن من تحقيق أمانيه في حكم العالم وأنه سيسقط في مستقبل الأيام هو وشعبه ، وإن بدا أنه سيظفر . فهناك شراك خطة ستكون السبب في سقوطه وستحدث ثورات في البلاد المحتلة . أما هتلر فسينقلب عليه أعضاء حزب النازي ويخونونه . وسيحاول في الصيف أن يغزو الجزر البريطانية ولكنه سيفشل لأن خطوط مواصلاته ستقطع من البحر ولن يجد سبيلا للعودة وسيثور عليه أعداؤه من خلفه حتى يسقط وسيقتل في حادثة وبقتله تخضع ألمانيا وتنهزم

وقال عن إيطاليا : أن زعيمها سيفقد أمبراطوريته الافريقية باستيلاء جيوش الحلفاء عليها وسيطلب مساعدة هتلر وقد يمده ببعض المساعدة ولكنها لن تؤدي إلى إنقاذ أمبراطوريته ، وستضعف إيطاليا نفسها ويغرق أسطولها في معركة بحرية عظمى في البحر الأبيض بعيداً عن السواحل وينتج عنها انهيار إيطاليا التام ، وسيرسل هتلر إلى إيطاليا جنوداً ومهمات حربية ويسيطر على إيطاليا ، ولكن لا يمر زمن طويل حتى تطرد ألمانيا من إيطاليا

وقال عن بريطانيا العظمى : أنها ستقضى على القوات الايطالية في أفريقية وتحتل المستعمرات الايطالية كما تدل الأحوال الفلكية على أن القوات البريطانية ستحرز انتصارات أخرى في الشرق الأوسط في هذه السنة . وسيكون هناك انتصار بحرى عظيم في البحر الأبيض . أما في برقة فان القوات الألمانية ستقع في شرك نصب لها بمهارة وستهزم شر هزيمة في الصحراء . أما في ألمانيا نفسها بعد فشل الغزو فسيحطم سلاح الطيران الملكي البريطاني المصانع الألمانية ويشل حركة الانتاج الحربي ويقطع خطوط المواصلات

وقال عن الولايات المتحدة : أنها ستدخل الحرب ضد ألمانيا سنة ١٩٤٢ وسيزداد العمل فيها هذا العام ويخصص جانب عظيم من إنتاجها الحربي والغذائي للدفاع عن الحرية الانسانية وستمد الدول الديمقراطية بالمال مساعدة لها في نضالها

وقال عن تركيا : أنها ستطمئن في هذه السنة لأن خوفها من روسيا سيزول وسيحاول هتلر أن يفسد التفاهم بين تركيا وبريطانيا ، وسيحاول أن يرغمها على الانضمام إلى المحور ولكنه سيفشل .

فما رأى القارىء في مقدرة النجوم على التنبؤ ؟ وهل يكون ما قررته النجوم هو فعلا مصير الحرب ؟

مــــدن الحضارات
فى القديم والحديث
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

— ٤ —

كانت حفلات الفاطميين فى القاهرة موصولة لا تنقطع العام كله . ولقد صورها المؤرخون المعاصرون صوراً تنقل إلينا حقائق كثيرة عنها ، ومن هؤلاء المؤرخين أبو محمد الحسن ابن زولاق مؤرخ المعز لدين الله وصاحب سيرته ، وابن الطوير الذى يأخذ المقريزى عنه كثيراً فى خططه ، والمسبحى صاحب التاريخ الكبير ، وابن عبد الظاهر وغيرهم .

وكانت القاهرة فى عهد الفواطم تزخر بالقصور الكثيرة والدور المختلفة . ومن القصور التى ورد ذكرها فى كتب الخطط : القصران الكبير والصغير ، والقصر اليافعى ، وقصر الذهب ، وقصر الأقيال ، وقصر الظفر ، وقصر الشجرة ، وقصر الشوك ، وقصر الزمرد ، وقصر النسيم ، وقصر الحريم ، وقصر البحر

ومن الدور المشهورة عندهم دار الضيافة ودار الوزارة ودار الضرب ودار الذهب ودار الملك

ومن المناظر التى كثرت فى عهدهم منظرة اللؤلؤة ـ وكانت تقع على الخليج ، ومنظرة الغزالة ، ومنظرة المقس ، ومنظرة الدكة ، ومنظرة السكرة .

والقصر الكبير يسمى المعزى نسبة إلى المعز لأنه هو الذى أمر جوهراً ببنائه حينما زايل مع عسكره شمالى أفريقية إلى مصر . ويقول المقريزى إن هذا القصر من ترتيب المعز ورسمه ، وإن جوهراً لم يكن فى البناء والتعمير إلا منفذاً لتصميم مولاه . ويجد القارئ وصف هذا القصر وصفاً تفصيلياً فى الخطط مما ليس هذا موضع الإفاضة فيه . إلا أن شيئاً واحداً يطيب ذكره فى هذا الموضع ، وهو مد السماط فى شهر رمضان ، وكيف كان يجتمع فيه قاضى القضاة والوزير والأمراء يأكلون الطعام الهنىء ويشربون الشراب المرىء ويقدم إليهم الماء المبخر فى كيزان الخزف .

وكان لعيد الفطر مثل هذا السماط ومثله فى عيد النحر ، وكانت القاهرة المعزية تشهد هذه الحفلات فى فرح عظيم

ولا نجد أحلى فى هذا المقام من تدوين أبيات من القصيدة التى رثى بها عُمارة اليمنى الدولة الفاطمية ، وودع مكارمها وأيامها وحفلاتها وعاداتها ، وشيّع فيها السنن الجميلة التى استنوها لإحياء عيد أو إقامة شعيرة أو توديع جيش أو فتح خليج ، فقال :

دار الضيافة كانت أنس وافدكم ... واليوم أوحش من رسم على طلل
وفطرة الصوم إن أصفت مكارمكم ... تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست ... ورث منها جديد عنهم وبلى
وموسم كان فى كسر الخليج لكم ... يأتى تجملكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدان كان لكم ... فيهن من وبل جود ليس بالوشل
والأرض تهتز فى عيد الغدير بما ... يهتز ما بين قصريكم من الأسل
والخيل تعرض فى وشى وفى شية ... مثل العرائس فى حلى وفى حلل
ولا حملتم قرى الأضياف من سعة الـ ... أطباق إلا على الأعناق والعجل
وما خصصتم ببر أهل ملتكم ... حتى عممتم به الأقصى من الملل
وللجوامع من أحباسكم نعم ... لمن تصدر فى علم وفى عمل

والقصيدة تجرى كلها على هذا النسق من حسن السبك وجودة التصوير وصدق العاطفة وأثر الفجيعة والإحساس الأليم ويذكر المقريزى أنه بسبب هـذه القصيدة قتل عمارة وتمحلت عليه الذنوب

لم يكن التصوير الفوتوغرافى قد ظهر فى ذلك العهد ولو كان ذلك لبقيت لنا لوحات ومناظر تغنى عن وصف القلم الذى كثيراً ما يوجز فيجنح إلى الإخلال أو يطيل فيميل إلى المبالغة والإغراق

ولو كان الرسم متقدماً فى ذلك العهد ، لسلمت لنا لوحات مصرية صادقة كتلك التى يصنعها الرسامون المعاصرون أمثال : محمود بك سعيد ، وأحمد بك راسم ، وصبرى ، وعياد ، وصباغ ، وهلبرت التشيكوسلوفاكى المتمصر وغيرهم ممن يسجلون الحياة المصرية المعاصرة فى لوحات ستبقى خالدة تمثل الفن من ناحية وتسجل تاريخ الخطط المصرية من ناحية أخرى

ولقد زار القاهرة فى القرن الثامن الهجرى الرحالة ابن بطوطة صاحب الرحلة المشهورة ، وكان سلطان مصر على عهد دخوله إليها الملك الناصر أبو الفتح محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى . وقد أثنى ابن بطوطة على الملك الناصر فى خلال كتابه ثناء عظيما ووصفه بأنه : « صاحب السيرة الكريمة والفضائل العظيمة » .

ولقى ابن بطوطة فى القاهرة جماعة من الأمراء والفضلاء ذكرهم فى رحلته ، ووصف فى خلال ذلك مجلس القاضى فخر الدين (وكان قبطياً ثم أسلم) ، وكيف كانت تقضى عنده الحوائج ، وتدرك لديه المطالب

وقد ترك لنا ابن بطوطة فى رحلته وصفاً مختصراً ممتعاً ليوم المحمل فى القاهرة ، وهو يرينا صورة لما كان يجرى فى هذه العاصمة القديمة فى عصر المماليك الذى جاء بعد عصر الفواطم .

وكان هذا اليوم يوماً مشهوداً ، يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب ، ومعهم الفقهاء والرؤساء وأصحاب السلطان وأرباب الدولة وأهل الوجاهة ، ويقصدون باب القلعة دار الملك الناصر (سلطان مصر فى عهد المؤرخ) ، فيخرج إليهم المحمل على جمل وأمامه أمير الحج المعين لمرافقة المحمل فى تلك السنة ومع الأمير عسكره وأتباعه والسقاءون على جمالهم ، ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ، ثم يطوفون بالمحمل فى أنحاء القاهرة ومصر وأمامهم المنشدون ينشدون والحداة يحدون ... وعندئذ ينبعث فى قلوب الناظرين شوق إلى الحج وتهييج عزمانهم وتتحرك بواعثهم لقضاء الفريضة الموقوتة والعبادة المكتوبة .

ومن دواعى الأسف أن ابن بطوطة لم يترك لقلمه العنان فى وصف القاهرة وما كانت عليه يوم وفوده عليها ، وإنما اكتفى من ذلك بالنظرة العابرة ، واللحظة الخاطفة ، ولو قد فعل لترك لنا وصفاً طويلاً وصورة جميلة لنواح كثيرة من القاهرة كأسواقها ودورها وقصورها وحماماتها ومحافلها ، ومساجدها ومدارسها ، وشوارعها وحواريها ، وقناطرها وجسورها ، ولعل الناحية التخطيطية لم تكن تمنيه كما عنت المقريزى وعلى باشا مبارك من بعده .

أما ابن إياس صاحب التاريخ المشهور ومؤرخ مصر الإسلامية فى آخر عصر المماليك وأول العصر التركي فقد وصف القاهرة فى عصره وصفاً لا يخلو من فائدة

ومن الحفلات التى وصفها ابن إياس فى كتابه المشهور حفلة المولد النبوى الشريف فهو يذكر أن السلطان الغورى أقام الخيمة العظيمة التى صنعها الأشرف قايتباى — وبلغت تكاليفها ستة وثلاثين ألف دينار — وقد صنعت من قماش مختلف الألوان واشترك فى نصبها بالحوش ثلثمائة رجل من النواتية ، ونصبت خارج الخيمة أحواض من الجلد قد ملئت ماء مسكراً ، وجلس السلطان فى الخيمة وحوله الأتابكى (رئيس الجند) والأمراء المقدمون والقضاة الأربعة والوجهاء من أهل القاهرة والقراء والعلماء ومد السماط الحافل بكل هنيء مرىء

وفى أيام نيابة طومان باى عن الغورى ، احتفل بوفاء النيل وكسر السد . فنزل الأمير لهذه الغاية فى سفينة كبيرة ، وتوجه إلى المقياس وعاين زيادة النيل وقدرها ، وتم الاحتفال فى سرور عاد بعده الأمير إلى مقره فى موكب حافل عظيم

وتذكرنا حوادث إخلاء المناطق الخطرة فى الإسكندرية اليوم بسبب الغارات الطائشة عليها ، بحادث إخلاء حى (بركة الرطلى) من سكانه ، والفرق بين الحادثين كبير ، إلا أن النتيجة كانت واحدة وهى وحشة كل من الحيين وفرار الناس عنهما .

ولم يذكر ابن أياس السبب الذى حدا بالأمير (طومان باى) إلى تحريم السكن فى بركة الرطلى والسطاحى ، ولا لماذا تشدد الأمير فى إخلاء هذين الحيين حتى صارا موحشين ، وغدَوا بلقعين لا يسكن إليهما ساكن ، ولا يطمئن إليهما ناظر ، ولا تتحرك

فيها من الأنس نسائم . ولقد خسر بذلك أصحاب الدور أموالاً كثيرة ، وأصبحت بيوتهم خاوية خالية . ولقد صوّر الشيخ بدر الزيتونى هذه الصورة الموحشة فى شعر يقول فيه :

وأضحت بيوت الجسر خالية فلا
لصاحبها سكنى ولا واحد يكرى
وقد أصبحت تلك القصور خواليًا
فيا وحشة السكان من كل ذى قصر
على ركة الرطلى نوحوا وعددوا
لما حل فيها من نكال ومن خسر
رعى الله أياماً تقضت بطيبها ... ونحن بمصر فى أمان وفى بشر
وكان الدوادار الكبير هو الذى ... أشار بهذا المنع بالنهى والأمر

وغفر الله لهذا الشاعر فشعره أصدق صورة لما وصل إليه الشعر العربى فى عصر المماليك من ركة وسخف وضعف

على أنه يؤخذ على ابن أياس أيضاً — كما أخذ على غيره من المؤرخين — أنه لم يتعرض لوصف القاهرة فى عهده فى تفصيل . ولعله كان مثل الكثيرين من المؤرخين لا يهتم إلا بالناحية السياسية أو العسكرية من تاريخه . أما ناحية الوصف والتخطيط فقد تركها لغيره ممن يهتمون بأمثال هذه المباحث . ولكن لسوء الحظ لا نعلم فيما بين أيدينا من مراجع وصفاً للقاهرة فى عهد ابن أياس . ولو قد تأخر الزمن بالمقريزى حتى شاهد مصر العثمانية لكان لنا من مادته فى الخطط فيض غزير

* * *

وندخل القاهرة بعد ذلك فى دور جديد ، ونودع عهد المماليك لنستقبل عهد الأتراك . ويظهر أن هؤلاء خربوا كثيراً من معالمها ، وليس لدى الآن وأنا أكتب هذه الكلمة نص تاريخى قاطع للتدليل على ما أقول ؛ ولكن بيتين للشاعر بدر الدين الزيتونى المعاصر للفتح العثمانى يشتم القارئ منهما رائحة التخريب والذبول فيما كان قائماً فيها من آثار

وقد يكون الشاعر بدر الدين الزيتونى جنح إلى المبالغة فى بيتيه كما يصنع الشعراء غالباً فى أكثر ما يصفون . إلا أنه كلام يلقى ظلاً من الحق على ما نذهب إليه فهو يقول :

نبكى على مصر وسكانها ... قد خربت أركانها العامرة
وأصبحت بالذل مقهورة ... من بعد ما كانت هى القاهرة

فقوله خربت أركانها العامرة لم يكن ضرورة من ضرورات القافية التجأ إليها ، ولكن يلوح لنا أنه كلام فيه من الحق كثير

وإذا كان العصر التركى قد اتسم بالغموض فى كثير من حوادثه ، إلا أن بعض المؤرخين من المصريين وبعض الرحالين من الأجانب قد وصفوا مصر فى هذه الفترة الطويلة المظلمة . وابن إياس والجبرتى مرجعان مهمان لذلك العصر

وممن زار القاهرة فى ذلك العصر القس (رينشارد بوكوك) فى سنة ١٧٣٧ م وترك كتابه الضخم « وصف الشرق وبلاد أخرى » . وكتب قبله (دى ماييه) قنصل فرنسا فى مصر كتاباً عن أحوال مصر فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر الميلادى

أما القاهرة فى عهد محمد على فقد وصفها المستشرق (لاين) فى أحد كتابيه المشهورين ، ووصف آداب أهلها وعاداتهم ولباسهم وطعامهم وشرابهم وبعض أغانيهم التى كان يقرؤها علينا تحت ظلال شجرة الكافور على نيل المنصورة قارئ أديب فيستمع إليها الأستاذان الجليلان : أحمد حسن الزيات والشيخ محمود زناتى وكاتب هذه الكلمات فى لذة ومتاع عقلى عظيم

(الحديث موصول)

محمد عبد الغنى حسن

ذكرى قاص عراقى

للسيدة الفاضلة وداد سكاكيني

فى الأدب آلام وفيه هموم وأشجان، ولقد تكون صفحاته السود مطوية منسية ، حتى تنشرها الذكرى ويبعثها الحنين . من هذه الذكريات ما يهيج فى نفسى كلما اطلعت على مقال يصور أدب العراق واتجاهه الحديث ؛ ففى تلك الصفحات التى طواها الزمان ولفها النسيان ، ذكرى قاص عراقى كان له أثر محمود فى تجديد الأدب وبعث القصة على ضفاف دجلة حيث فتحت عينيها « ألف ليلة وليلة » أسطورة الشرق وسحر بغداد

منذ أعوام قريبة أخذت طلائع البعث والتحرر فى العراق الجديد تنبثق من أرجائه الراقية وأجوائه الطالحة ؛ هنالك ازدهرت معاهد الثقافة ، وراجت أسواق الأدب ؛ فرأينا بين الرافدين وفى بلد الرشيد والمأمون ، كتاباً يعالجون فن القصة أسوة بأدباء العرب المحدثين الذين توفروا أيامنا على هذا اللون الطريف فى آدابنا ، وكأن النهضة العلمية التي تجددت فى ذلك القطر الشقيق ، وتمازج الثقافات فى آفاقه التليدة ، ووقوف أولئك الكتاب على عناية أدباء الغرب بالفن القصصى دون غيره من فنون الأدب ؛ كل ذلك حفز الشباب العراقى المثقف وحملة الأقلام الموهوبين منهم إلى إنشاء القصص والاستمتاع بما اشتملت عليه من دقة وصف وعمق تحليل وصدق تصوير ؛ وكان ممن أدلى دلوه يومئذ فى هذه الينابيع الثرارة أديب مطبوع هو المرحوم محمود أحمد السيد الذى يعرفه قراء الرسالة بما نشر فيها من آثاره ، فقد كتب قصصاً عراقية الميسم ، منوعة الألوان كانت مرآة لبلاده فى عهد أحداثها الجسام ، وكان كتابه « فى ساع من الزمن » آخر أثر جاء به هذا القاص قبل أن يجود بنفسه الأخير ؛ فلما نشر هذا الكتاب طلب إلى أن أنقده على صفحات (الحديث) الحلبية ، فأقدمت على تلبيته خالصة النية للأدب ، مظهرة محاسن الكتاب مشيرة إلى ما فيه من هنات ؛ ولكنى لم ألبث أن دعوت على قلمى الذى كان عفاً عنيفاً بنقده ، إذ علمت أن ذلك القاص البغدادى عز عليه ما كتبت وآذته صراحتى فصد عنها ، ورد على بما لمست منه أنه تحمل نقدى لقصصه على مضض ، فخسرت رضاه وأدى الأمر بيننا إلى مناقرة فاشلة وجدل عقيم . وليس ما وقع بيننا بعجيب ، فنحن قوم لم نتعود أن نتقبل النقد النزيه بقبول حسن ، وأن نعبأ بعقابيله وفائدته وما يؤول إليه الأثر المنقود . وحسبك برهاناً أن ترى الناس فى شرقنا اصطلحوا فى شئون النقد على المصانعة والرياء ، وأمعنوا فى التحيز والمداراة ، فلا نقد عندنا يمحص الحقائق ، ولا مساجلات تؤرث الأفكار والآراء

من أجل ذلك غاب عنا النقد الحر الصريح ، ولم يتزحزح أدبنا عن التقليد والترديد إلا قليلاً . وأحسب أن نقادنا الأكفاء الذين كفوا أقلامهم عن الخوض فى هذا السبيل إيثاراً للمودة والسلامة قد أساءوا شر مساءة ، فلولا صمتهم وزهادتهم فى النقد لما تجرأ الأدعياء والطفيليون على كبار الأدباء لينهشوا الأشخاص دون الآثار وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وأن إسفافهم هذا من أصول النقد الحديث

إننا قوم لم نتعود أن نحق الحق ونزهق الباطل ، وإنما درجنا على أن نمارى مراء ظاهراً . وكثيراً ما جر نقد الأدب فى كل بلاد العرب إلى خصومة وتنابذ فرقا بين الأصحاب وأوغرا الصدور بالأحقاد . ولقد كان بينى وبين شاعرة مصرية معاصرة آصرة أدب وولاء ، فلما نقدت ديوانها إجابة لسؤلها ، قطعت عنى رسائلها اللطاف ، فأسفت لما وقع ، ولكن قلمى يؤوب ولا يتوب

ما لى ولهذا الاسترسال فى قول كاد يلهينى عن « ذكرى قاص عراق » كانت له مشاركة فى توجيه الأدب الحديث فى العراق . وأنا بعد أن كادت ترم تجاليد هذا القاص فى ثراها، ووالله ما أدرى، أعلى ضفاف النيل حيث ذهب يستطب ويستشفى[1] ، أم على ضفاف دجلة وفى ظلال النخيل حيث رأى النور ، أبعث ذكراه وأدعو أهله وقومه إلى تمجيده وتخليده ، والكشف عما فى آثاره من جوهر دفين ؟

* * *

كان رحمه الله يرى كتابيه : « الطلائع » ، « جلال خالد » تجربة ضئيلة فى مضمار الأدب الجديد فى بلاده ، بل محاولات أولى فى فن القصة الذى كان يتمنى على الزمان أن يقيض له المتفرغ لأصوله والبراعة فيه . وقد أهدى مؤلفيه إلى فتية العراق،

---

(١) دفن المرحوم محمود أحمد السيد فى مقبرة القاهرة حيث توفى (الرسالة)

إلى أشباله الأُباة الذين كان يرى فى وثباتهم تحقيق الآمال .

أما رواياته وأقاصيصه فقد لقيت الثناء والتقدير من أدباء العرب كالأساتذة : أحمد حسن الزيات وأحمد أمين ومحمود تيمور وسامى الكيالى ، وغيرهم ؛ ومن بعض المستشرقين أمثال : كراتشكوفسكى و ب . جوزى و ه . ركب و ر . ك طومسن صاحب مجلة العراق فى أكسفورد ، وكنت من أصدق قرائه وأصحابه إعجاباً بها وتنويهاً بطرافتها وروعتها

وكانت مقالاته وبحوثه تتسم بالرأى السديد والأسلوب البين ويفيض على جنباتها شعور صادق ولمحات شتى تشير إلى مثل الحياة العليا التى يريدها لقومه وبلاده . ولو لم يدركه الموت فى عنفوان شبابه لترك للأدب ميراثاً خصيباً لا تبلى جدته . وحسبه فضلاً أنه ساهم فى فن القصة العراقية قبل أن يشيع هذا الفن فى سورية ولبنان ، وسعى مع أنداده أنصار المدرسة الحديثة إلى تعزيز الحياة الأدبية فى بغداد ، وكتب خواطر وفصولاً فى النقد والاجتماع ، وترجم عن التركية التى أتقنها قصصاً نشر بعضها ورجا أن يجمعها فى سفر مطبوع . على أن أكثر ما كتب هذا القاص مبعثر فى تضاعيف الصحف والمجلات العربية فى مصر والشام والعراق فحبذا لو يتسنى جمع شواردها فى كتاب

ما أشق حظ الأديب من أهل دنياه! ففى غابر العصور كان يقول ابن الرومى : لهفى على الدنيا ... ورهن المحبسين كان يولول من أم دفر ، وهكذا فى جديد الدهر يموت الأديب فيتحسس الناس مغانم نبوغه بعد مماته ويهبون لتمجيد ذكراه . وما أحراهم لو فعلوا ذلك فى حياته فقدروه قدره وكرّموه بما كان يزيده بسطة فى أدبه وتحليقاً بفنه . وقد يكون بين عاثرى الجدود من الأدباء من لا يأبه لفقده عارفوه ، كالذى وقع للأديب العراقى محمود السيد ، إذ لم أعرف صحيفة أدبية فى بلادنا عددت مآثره إلا مجلة (الرسالة) فى مصر ، فقد نعته لقرائها ورثته بكلمة وجيزة . وكان المرتجى من صاحب (الحديث) فى حلب وهو الوفى لإخوانه الأدباء أن يختصه بمقالة على الأقل فى مجلته التى سكب الفقيد كثيراً من المداد على بحوثه وقصصه فيها

فيا أسف الآداب والشباب لفقدهما هذا المصاقع الذى حل باكورة القصة فى مرابع الرشيد ! ويا فتية العراق المناجيد ، ويا صحبه الأكرمين ، من أولى منكم بإثارة ذكراه ، وأنتم الذين أحبكم وأهدى إليكم ما خطت يراعته قبل أن تغتمض عيناه ؟

لم يكن محمود أحمد السيد مغمور الصيت ولا مجهولاً لدى قراء العرب ، وإنما عاش كأزاهير الليمون فى الربيع تتشقق أكمامها عن الحياة ويفوح منها الأريج ، ثم لا تلبث أن تذوى وتتساقط تاركة فى الأفانين ثمراً مختلفاً ألوانه طيباً مذاقه

هكذا أفل شباب هذا القاص البغدادى الذى حرم دنيا تضيّفها تاركاً آثاره التى تشف عن أدب نضير مطبوع بمياسم العراق

(دمشق) وداد سكاكينى

الزاد الأخير

للأستاذ سيد قطب

زوّديني من الرجاء الأصيلِ   مُشرِقاً فيكِ في المحيّا الجميلِ
أنت كنزٌ من الطلاقةِ والبشـ   ـرِ ودنيا من السّنى المعسول
خِفّةُ الطير وانطلاقُ الأماني   بعضُ مافيك واندفاقُ السّيول
وهجٌ يبهر النفوسَ ويُذكِي   خفقاتِ القلوب عند المثول
ذخَرَتْكِ الحياةُ كنزَ حياةٍ   ورصيدًا لمالها المبـذول !

* * *

زوّديني لَكادَ ينفدُ زادي   في صراعٍ مع الحياة طويلِ
كاد يخبو المصباحُ إلا بصيصاً   فاسكبي الزيتَ في بقايا الفتيلِ
كنتُ كالجذوةِ المشعّة نورًا   وهي اليوم في طريقِ الأفول
فيكِ زاد يقوتُنا ويَقِينا   عثراتِ الطريق بين التلول
أنتِ لا غيرُكِ القديرة أن تُذْ   كِي حياة بخاطري وميولي

* * *

حين ألقاكِ يغمرُ البِشرُ نفسي   برجاء مُشَعْشَعٍ موصـولِ
وأرى عبئِيَ الثقيلَ خفيفاً   وأرى ناهضاً بعبئي الثقيل
وكأني استشعرتُ رَوْحَ شبابي   وَرَجَعْتُ الزمانَ صعبَ القفول
فأعيدي إليَّ ماضِيَ عمري   واغمريه بالبِشر والتأميـل
واطلعي في قفار نفسي حياةً   وإذا ما دَجا عالَمِي أومِضِي لِي

(حلوان)   سيد قطب

مدينة بلا نساء . . .

الإسكندرية والهجرة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

يا بلدة أمست بلا نساء   منبوذة من رحمة السماء
أين التفات الأم للأبناء   أندى على القلب من الأنداء
حنوٌ حانٍ بيِّن الوفاء   ورقة في غير ما رياء ؟
أين ابتسامات على استحياء   وأخريات جمـة السخاء
والواعدات دونَ ما وفاء   يخلطن مُرَّ اليأس بالرجاء
مختلفات الخلق والأزياء   لكل مرئىً فتونُ راء
ودانيات وهنّ ناء   أبعد في القرب من السماء
بواعث الحسرة والعزاء   وخالقات الهمة الشماء
وجالبات الشرّ والشحناء   خلوت يا ثغر من النساء
فما الذي فيك من السراء   وما الذي فيك من الضراء
لا صوت يغري السمع بالاصغاء   ما صبر أيوب على البلاء
كصبر أهل البلدة البيضاء   يا لكِ من تسمية هوجاء
لون ثياب الحزن للآباء   نحن بني الأندلس الفيحاء
نشهد ما قدّر للأبناء   وراثة عن سالف الآباء
صدقت يا سخرية القضاء   قد صُبِّحت بغارة شعواء
وغارة تأتي مع المسـاء   وفي أذي الهجرة من أرزاء
فوق الذي نشهد من بأساء   هل عودة لعهدها الوضاء
يوم ينار النور في الأجواء   يوم يشيع الأنس في الأرجاء
يا بلدة المنارة الزهراء   ومضرب الأمثال باللألاء
حتام إسراؤك في الظلماء ؟   رحماك بي يا خالق السماء !

عبد اللطيف النشار



١ — لابن المقفع لا للخليل

صوب الأستاذ بدارى اعتماداً على رواية الجاحظ نسبة هذه الجملة إلى ابن المقفع : « الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجيئنى لا أرضاه » يعنى الشعر . وكان الأستاذ الكبير العقاد نسبها إلى الخليل فى بعض مقالاته

وأقول : إن ذلك لا يمنع من صحة نسبتها للخليل مع تغاير فى الألفاظ . جاء فى الجزء الثالث من العقد : قيل للخليل : مالك لا تقول الشعر ؟ قال : « الذى أريده لا أجده ، والذى أجده منه لا أريده » فالمعنى والصياغة متحدان فى الجملتين ، ولعل الاختلاف فى اللفظ راجع إلى تصرف النقلة : وأروى الأصمعى قوله فى هذا المعنى : « يأبانى جيدُه وآبى رديئه »

وقد رأى الأستاذ بدارى أن الذوق الأدبى يرجح صدور هذه الجملة عن ابن المقفع لا عن الخليل ، لأن الأول أديب كبير وكاتب عظيم ، والثانى إمام لغوى نحوى . وعندى أن هذه العلة التى ساقها الأستاذ حجة عليه لا له

ذلك أن هذه الجملة وما شابهها وردت للتدليل على شيئين :

أولهما : أن ترديد النظر فى الشعر والرواية له والإكثار من حفظه ، لا تكفى وحدها لخلق الشاعر ، بل لا بد له قبل ذلك من الملكة الموهوبة والطبيعة المواتية . قال ابن عبد ربه : كان الخليل ابن أحمد أروى الناس للشعر ولا يقول بيتاً ، وكذلك الأصمعى

وثانيهما : أن قرض الشعر والنفوذ إلى أسراره والتفطن لمواضع الجمال فيه ، لا يُنال بحفظ متن اللغة ودراسة العروض والقوافى وعلوم البلاغة . قال ابن رشيق فى العمدة : إن أهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته : من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ، ولو كانوا دونهم درجات فكيف إذا قاربوهم أو كانوا منهم بسبب . قيل للمفضل الضبى : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم به ؟ قال : علمي به هو الذي يمنعني من قوله ؛ وأنشد :

وقد يقرض الشعر البكىء لسانه
وتعيي القوافي المرء وهو أديب

وقال الأصمعى :

أبى الشعر إلا أن يفىء رديئه علىّ ، ويأبى منه ما كان محكما
فياليتنى إذ لم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وفى ديوان الصبابة : أن ابن دقيق العيد قال لابن سيد الناس : قل لعلماء المعانى والبيان والبديع : أتحسنون أن تقولوا مثل قول المتنبى :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فإن قالوا لك : لا . فقل : أى فائدة فيما تصنعون . (يريد : أن العمل غير العلم)

فواضح أن الغرض من الجملة السابقة المنسوبة للخليل أو ابن المقفع : بيان أن الشعر لا يملك بالرواية ودراسة العلوم وجمع اللغة ، وإلا لكان الأصمعى والمفضل وأضرابهما أشعر خلق الله ! بل لما كان أحد أولى من الخليل بالشعر وهو واضع العروض نظام الشعر وسلك القافية ! ونسبتها إلى الخليل أولى من نسبتها إلى ابن المقفع حتى تقوم الحجة على أن اللغة والنحو والصرف والعروض وسائر العلوم اللسانية وما يتصل بها — وهى من سمات الخليل البارزة — لا تجعل غير الشاعر شاعراً . وأما ابن المقفع فكان أديباً كاتباً كما قال الأستاذ ، لا راوية ولا عالماً بالمعنى الاصطلاحى ، فالتمثيل به فى هذا السبيل لا يكون ظاهراً ظهوره فى الخليل ، لأن الكتابة والشعر يفيضان من نبع واحد ، والعلم شىء وراء ذلك

وإذا صح ورود هذه الكلمة عن ابن المقفع فلا يفهم منها أنه لا يحسن قول الشعر ، فالحق أن له شعراً جيداً — وإن كان قليلاً — ومعروف أن مقطعات الكتاب أرق وأعذب من شعر الشعراء الخلص ، ولكن المراد أن الشعر لا يواتيه كما يواتيه النثر ، فقصر همه على ما هو أجدى عليه .

٢ — النحو فى الكلام كالملح فى الطعام

وردت هذه الحكمة بلفظها فى كتب كثيرة ، والغرض منها مشابهة النحو للملح فى الإصلاح ، وهو معنى ناصع لا غبار

عليه ، وقد تماله الناس وتلقوه بالتسليم والقبول خلفاً عن سلف ، حتى لقد بلغ من ذيوعه أن العامة فى الصعيد يسمون اللح : (المصلح) فلا داعى لأن ينكره الأديب الشرباصى أو يخطئه .

وأما الرواية الأخرى : المزل فى الكلام كاللح فى الطعام فلا بأس بها ، وورودها لا يفيد عدم ورود الأولى ، ويكون وجه الشبه هنا القلة لا التحسين والتمليح كما ذهب إليه الأستاذ البدارى

وقد نظم أحد الشعراء هذه الحكمة على الرواية الثانية مع وضع المزح موضع المزل ، لجاء اللفظ أرق وأعف . قال :

أفد طبعك المكدودَ بالجِدِّ راحةً
يجمَّ ، وعلِّله بشئٍ من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما يُعطَى الطعامُ من الملح

علي الجندى

نظرات بين المجهوت

١ — روى الأستاذ الكريم الدكتور عبد الوهاب عزام فى العدد ٤١٨ من الرسالة فى أثناء دراسته الحافلة بجليل الفوائد عن الشاعر الأبيوردى — روى البيت التالى هكذا :

وقد أخلق الفضل بالعراق وفى فارسَ لما اضمحلت الرتب

والبيت على هذه الرواية غير موزون ولا يستقيم إلا بإحدى اثنتين : إما أن تحذف الواو التى فى أوله فيصير هكذا :

قد أخلق الفضل ... الخ ، وإما أن تحذف كلمة (قد) وتبقى الواو التى قبلها ويصبح البيت هكذا :

وأخلق الفضل بالعراق وفى فارس لما اضمحلت الرتب

٢ — يقول الدكتور الفاضل زكى مبارك فى العدد ٤١٨ من الرسالة (لقد بُحَّ صوتى فى الدعوة إلى اعتراف الدولة بالقيم الأدبية) ويضبط الفعل بُح بضمة على الباء ، والذى أعرفه عن هذا الفعل أن الواجب لغة أن يقال بَحَّ صوتُه بفتح الباء كما نص على ذلك الفيروزابادى والجوهرى وأبو بكر الرازي فى مختاره ، وقد يعتذر الدكتور كعادته بالذوق فى المسائل اللغوية ، وهو عذر لو أخذنا به على علاَّته لا تسع فى اللغة باب الفوضى . على أن فى الفعل بَح بفتح الباء لطفاً ورقة لا يوجدان فى حالة الضم التى لا نعرف — على قدر ما نعلم — ما يؤيدها فى اللغة .

٣ — فى العدد ١٣٠ من الثقافة الغراء دراسة أدبية طيبة ، والدارس الأستاذ جمال الدين الشيال والمدروس الشاعر الشاب تاج الملوك بورى بن الملك الصالح نجم الدين الأيوبى والشعر الذى جاء فى خلال هذه الدراسة كله كريم صحيح ، إلا بيتاً واحداً ذكره الأستاذ هكذا :

هذه المعجزات ليست لظبي إنما هذه فعال (عيسى) المسيح

وكلمة عيسى زائدة فى البيت

٤ — مقالات العالم الفاضل الدكتور على عبد الواحد وافى « فى الاجتماع اللغوى » : تدل على تمكن فى البحث وتوفر على الدرس ، وفيها غذاء علمى كبير ، وهى فوق ذلك لا ترهق القارئ ولا تمله ... وحبذا لو أطال الكلام على اللهجات التى تفرعت من العربية ، وذكر المستشرقين الذين ألفوا كتباً فى قواعد العامية ، فذلك موضوع على اتساعه لا يضيق به علم الأستاذ الكبير .

محمد عبد الغنى حسن

عبد القادر حمزة وقومية بحثه وراء الحقيقة

أرجو — بعد التحية — أن تأذنوا لى فى تصويب واقعة أخطأت فى تحديد زمنها ؛ إذ قلت فى مقالى الذى تفضلت « الرسالة » الغراء بنشره بعددها الفائت : « إن أهل الرأى فى مصر احتفلوا « بتأبين الفقيد من أيام » ، وأن أسرة الفقيد تحتفل فى الرابع عشر من هذا الشهر بإحياء ليلة الأربعين ، وإنى (أحب بدورى أن أختار هاتين المناسبتين ـ التأبين والأربعين ـ لأثير ناحية من أدب الفقيد) »

ووجه الخطأ واضح فى قولى إن أهل الرأى « احتفلوا بتأبين الفقيد من أيام » ، ومرد هذا الخطأ إلى أن لجنة الاحتفال كانت قد أزمعت إقامته فى يوم الخميس (١٠ يولية) ؛ ثم عادت فحددت له يوم الخميس (١٧ يولية) ، ولما كنت قد كتبت مقالى قبل الخميس الأسبق وكان عدد « الرسالة » يصدر بعده ، فقد وقعت فى هذا الخطأ الذى لا بد أن يكون قراء « الرسالة » قد فطنوا إليه من تلقاء أنفسهم



ثمن السعادة

للأستاذ نجيب محفوظ

دخل الأستاذ الحجرة التى قاده إليها الخادم فلم يلق تلميذه الصغير فى انتظاره كمألوف عادته ، فجلس على كرسيه يقلب عينيه فى الصور المعلقة على حيطان الحجرة ، وكانت المرة الأولى التى ينتظر فيها تلميذه منذ جئ به ليدرس له لعشرة أيام خلت ، وأوشك أن يدعو الخادم حين سمع وقع أقدام خفيفة ورأى الغلام مقبلاً عليه يتأبط كتبه وكراسته ، فحدجه بنظرة تعنيف ولكن راعه أن يرى عينيه محمرتين من البكاء وذقنه الصغير يرتعش من التأثر فسأله باهتمام : « مالك ؟ »

وكأن السؤال أثار مكظوم شجون الغلام فاندفعت الدموع إلى مآقيه وقال وهو ينتحب :

— تيزة ... ضربتنى . وتشاجرت مع بابا ومازالا يتشاجران

فسأله باقتضاب : « من تيزة هذه ؟ »

« امرأة بابا »

فدلته هاتان الكلمتان على معان كثيرة بغير حاجة إلى مزيد من السؤال. على أن الغلام تطوع من نفسه فسرد قصته الصغيرة الحزينة على مدرسه . قال : إن والدته ماتت لعهد ولادته وأن أباه تزوج من تيزة بعد ذلك بعام أو عامين، وأنه يعيش بمفرده تحت رعايتها بعد أن تزوج أخواته الأربع فى الأعوام الثمانية التى أعقبت وفاة الأم ، وأن أسباب الخلاف لا تنتهى بين تيزة وأبيه ، فلن يزالا يصطدمان ويشتجران ، وأقسم أن الحق دائماً مع أبيه ، وأنه لا يشتبك معها حتى يضطر إلى ذلك اضطراراً ، ثم لا يلبث أن يكف عنها يائساً قانطاً ، فلا تسكت هى عن الغضب والحنق والسباب . وأصغى المدرس إلى تلميذه بغير اهتمام ظاهر ، وواساه بكلمة تافهة ، ثم تناول الكراسة وبدأ عمله ، ولم يطرقا الحديث مرة أخرى ولا عادا إليه فيما أعقب ذلك من الأيام ، حتى كانت ساعة درس فاقتحمت عليهما الغرفة بغير استئذان شابة حسناء فى ريعان الشباب ، فوضع الأستاذ الكتاب على المكتب وقام واقفاً فى تأدب واحترام وألقى على الزائرة نظرة حيية ، فراعه ما رأى ـ لا من حسنها وشبابها فحسب ـ ولكن من انطلاقها على سجيتها وعدم تكلفها، الأمر الذى أخرجها — بغير قصد طبعاً — عن الاحتشام ، فكانت ترتدى (روب دى شامبر) من نسج رقيق يكشف عن ذراعيها ونصفى ساقيها وأعلى الصدر ، وكان الأستاذ يظن أنه لا يجوز لشابة أن تبدو هكذا لعينى رجل غريب ، ولذلك غلبه الارتباك والاستحياء ، وحدس أنها إحدى أخوات تلميذه المتزوجات ، وتأكد حدسه حين رآها تمد يدها فى رفق إلى ذقن توتو تداعبه ، ثم جلست باطمئنان تجاه المدرس وهى تخاطبه قائلة : تفضل بالجلوس ... هل يعجبك عمل توتو ؟ فجلس أنيس وهو يقول : « توتو مجتهد ، وقد تقدم فى هذين الأسبوعين فى الأجرومية والمطالعة ، ولا ينقصه إلا المثابرة على حفظ الكلمات »

فابتسمت ابتسامة حلوة وطلبت إليه أن يستمر فى عمله ، فعلم أنها ترغب فى أن تشهد درسه ، فلم ير بدأ من متابعة الدرس متلعثماً برماً ، واختلس منها نظرة فوجدها تنظر إليه بإمعان ، فاعتقد أنها تتابع كلامه ، فوجه انتباهه إلى ما يقول ليخرج صحيحاً عذباً . وفى مرة أخرى وقع نظره على جيب الروب وقد انفرج عن أعلى الصدر فزاغ بصره وارتد فى اضطراب وذهن

وإلى أن أكتب مقالى التالى الذى وعدت بكتابته أرجو — مرة أخرى — أن تأذنوا لى فى تصويب أخطاء « مطبعية » وقعت فى مقال الأسبوع الفائت نفسه

ففى السطر السادس من المقال جاء : « ومن الرابع عشر من هذا الشهر » والصواب : « وفى الرابع عشر ... » . وفى السطر السابع عشر من النهر الأول من صفحة ٩٠٤ جاء : « وفى الجمال الذى يحيط اللثام عنه ... » والصواب : « وفى الجمال الذى يميط ... » . وفى السطر العشرين من النهر الثانى صفحة ٩٠٥ جاء : « على الصور التى انحاز بها ذهنه ... » والصواب : « على الصور التى أنماز ... »

محمد السرادى

ولم تمكث الشابة طويلاً لحيته وانصرفت ، فشيعها بنظرة غريبة وقال لتوتو مستفهماً : أهي أختك ؟

فهز الغلام رأسه سلباً وقال بجفاء : « تيزة » فتملكت الشاب الدهشة وتساءل متعجباً : « تيزة ؟ ! » فنظر الغلام إليه بإنكار وقال : « نعم » . فتمالك أعصابه ولم ينبس بكلمة ، ولكنه لبث مشغولاً دائم التفكير ، وفى أثناء عودته إلى مسكنه بشارع ماهر بالجيزة استدعى صورة والد توتو — كما رآه يوم قدم إليه — ببدنه المترهل وكرشه الكبير ورأسه الصغير المستدير الأصلع ، قد علا الشيب قذاله وقلق المنظار على أنفه الغليظ المجدور ، ثم تمتم قائلاً : « الآن فهمت كل شيء . . . فرضوان بك حكمدار فى المعاش جاوز الستين ، وزوجه لا تعدو الرابعة والعشرين ، وتوتو غلام بائس تضافرت عليه أسباب التنغيص الظاهرة والخفية ... ولكن لماذا تلطفت بالغلام أمامى ؟! » . ولم يمتور أفكاره سوء ، لأن أنيس كان طالباً ريفياً — كان طالباً وإن كان أستاذاً لتوتو — طاهر النفس ، على أنه تأثر بحسنها وشبابها وخلاعتها غاية التأثر

وفى الدرس التالى لم يكد يطمئن إلى مقعده أمام تلميذه حتى كانت (تيزة) ثالثتهما ؛ وكانت كما رآها أول مرة ، جميلة خليعة متبذلة فى ثوبها ، ولم تلازم مكانها طول الوقت ، فكانت تخرج لبعض الشؤون ثم تعود إلى جلستها . وفى مرة عادت فجلست إلى جانبه دون أن يبدو عليها أنها تعمدت ذلك ، فخال أنيس أن ساقها — لدنوها — تلامس ساقه . وعند انصرافه سلمت عليه باليد ، فراح بضوع من كفه أريج معطر ، ومضى مبلبل الفكر تضطرم فى وجدانه يقظة عاطفية حارة ، وما زال مشغول البال يحاول أن يتفهم محاضراته عبثاً حتى ضرب مكتبه بقبضة يده وصاح جزعاً مكروباً : « لا أحسبنى إلا مجنوناً أو مسحوراً »

وفيما أعقب ذلك من أيام كان يذهب إلى بيت رضوان بك شغفاً بها قبل كل شيء ، وأحس أن تفضلها بحضور درسه هو السعادة الحقيقية التى تبذلها له الدنيا جميعاً ، فاستلذها واستطابها وجن بها جنوناً . وجعلت الشابة الفاتنة تتودد إليه ، وتعرض لعينيه الشغوفتين محاسنها العارية ، وتداعبه بنظرات من عينيها حلوة فاتنة ، أو لفتات من لحظها قاتلة فاتكة . والشاب يذهل عما حوله بسرعة جنونية . وذهب يوماً إلى بيت الحكمدار فوجد الشابة فى الحجرة دون الغلام ، فسأل عنه وهو لا يحفل به فى باطنه . فقالت له المرأة : « ذهب مع والده إلى شقيقته فى الزمالك لأنها مريضة » . فأحس خيبة وحنقاً لأنه سيضطر إلى مغادرة البيت ، وقام واقفاً كئيباً ، فسألته : « إلى أين ؟ » . فأشار إلى الباب وقال : « سأعود من حيث أتيت » . فصوبت إلى عينيه نظرة ملتهبة وتمتمت بجرأة وهى تهز رأسها الصغير : « كلا ... » فخفق قلبه وتدافعت أنفاسه ووقف حيالها كالمسحور الذهول ... ثم تبعها على الأثر لا يلوى على شيء

وتخلفت بعد ذلك عن حضور درسه ، ولكنها سمحت له الأيام التى يستطيع أن يلقاها فيها فى أمن من الرقباء . فاندفع فى سبيله كمياه الشلال الجارفة فى فورة عاطفة مشبوبة تصم الآذان وتعمى البصر وتغرق هواجس النفس ، مستكيناً لنوازع شهوته وجنونه . وإنه ليغادر بيتها ذات أصيل من أصائل الحب إذ لاحت منه التفاتة بغير قصد إلى شرفة البيت المطلة على الطريق ، فرأى مشهداً تجمد له الدم فى عروقه ، وتصلب شعر رأسه من الهول ، فتعثر وأوشك أن يقع على وجهه ، وهرع إلى الإفريز تحت الشرفة كأنما يدارى نفسه ؛ وتقدم فى خطى مضطربة لاهثاً حتى بلغ منعطف الطريق ، وأراد أن يستوثق مما رأى فصوب بصره فى خوف وإشفاق نحو الشرفة ، فرأى عند مدخلها رضوان بك برأسه الأصلع المستدير يجلس مطمئناً إلى كرسيه فى جلباب فضفاض يطالع جريدة ويهش الذباب عن وجهه بمذبة ... فأيس من تكذيب عينيه ، ولهث قائلاً بفزع لا يوصف : « رباه إنه هو هو ... نعم هو فى جلباب البيت فكيف كان ذلك . . . ؟ هل عاد إلى البيت أثناء وجوده مع زوجه ... ؟ فكيف لم يشعرا به ؟ ولماذا لم يقصد إلى حجرة نومه ليبدل ثيابه ؟ أم أنه كان فى البيت قبل ذهابه هو إليه ؟ فكيف استقبلته المرأة باطمئنان ؟ أو كيف لا تعلم بوجود زوجها فى البيت ؟ بل كيف لم يشعر به رب البيت مع أنه غادر المخدع فى خطى مطمئنة غير محاذرة ؟ ... رباه ... ! لقد نجا من شر فادح ... وداخله إحساس الذى يستيقظ بغتة فيجد أنه قد اجتاز سوراً شاهق العلو فى نومه ... وتخايلت لعينيه أشباح الإثم والجريمة والسجن ، فعزم على أن يضرب بغرامه عرض الحائط متعظاً بالهاوية التى أوشك أن يتردى فيها . ولكنه لبث يذهب لإعطاء دروسه للغلام توتو ، وكان يعانى آلام قلبه وجموح عواطفه ، ولكن المرأة لم تمهله حتى

يتناسى ويتعزى ، فعادت إلى اقتحام حجرة الدرس عليه وسألته بعينيها فى عتاب وكدر ... وحين انتهاء الدرس تبعته إلى الباب الخارجي وسألته بحدة : « لماذا لا تأتى ؟ » ... فقص عليها همساً ما رأته عيناه آخر مرة ، ونظر فى وجهها ليتحن أثر كلامه ، فهاله ألا يرى الانزعاج الذى كان يتوقع ، وسمعها تقول بلهجتها الناضبة : « كذبتك عيناك ... » ، فأكد لها أن ما رآه حق بغير ريب ، فاستهانت بتأكيده وقالت له : إنها ستنتظره وترى ما هو فاعل ... فأبدى لها مخاوفه ... فقالت وقد نفد صبرها : « أنت تخلى واهم ، فتعال ولا تتعب نفسك بالنظر إلى الشرفة ... تعال ولا تخف ... » ، فوعدها بالعودة لكى يتخلص من إلحاحها ثم انطلق على نية ألا يعاود ذلك البيت إلى الأبد ...

ولبث على ذلك أسبوعاً كاملاً . وفى مساء يوم الجمعة ، وكان فى الشقة — التى يشاركه فيها بعض الأقران — بمفرده ، سمع طرقاً على الباب ، فمضى إليه وفتحه ، فرأى أمامه رضوان بك بجسمه المترهل متوكئاً على عصاه ذات المقبض العاجى . فسرت فى جسده رعدة شديدة زلزلت قلبه زلزالاً عنيفاً ، ووثب إلى ذهنه خاطر سريع : أن المرأة ربما وشت به كذباً عند زوجها لتكيد له ، وأنه جاء للتأديب والانتقام ... فاستولى عليه اليأس والقنوط ، وصعد فى وجه الرجل نظرة ارتياع ليقرأ ما تدل عليه أمارات وجهه وما ينذر به حضوره ، فرآه هادئاً مبتسما كأنما جاء لسلام لا لقتال. ومد يده بالسلام ، فمد الشاب يده ، ولما يفق من دهشته ... ثم تنحى عن الباب وهو يقول مزدرداً ريقه : تفضل بالدخول يا سيدى ... فدخل البك وهو يتحدث قائلاً : إنه لا داعى للجلوس لأنه على عجل ، وأنه جاء ليسأل عن صحته وعما أعاقه عن متابعة دروسه ... فاعتذر أنيس بأن موعد امتحانه اقترب وأنه فى حاجة إلى كل دقيقة من وقته ... ولكن البك لم يقتنع بحجته ورفض أن يقبل عذره ، وطلب إليه برقة ألا يحرم توتو من دروسه . فعاود الشاب الاعتذار ، وكرر الرجل إلى الإلحاح ، ثم أدنى رأسه من أنيس وقال له : لا بد من حضورك ... فهذا ضرورى جداً لتوتو ... تعال حينما تشاء وكيفما تشاء ... لا بد من حضورك ، فهذا ضرورى جداً ... وكان لا يحول بصره عن الشاب ، فوجد فى نظرته ونبرات صوته ما أثار فضوله ودهشته ... أما الشيخ ، فصمت لحظة متردداً ، ثم استدرك قائلاً : « هذا ضرورى لتوتو ولسعادتى ولسعادة الأسرة ... بل لسعادتنا جميعاً ... فاصغ لي ، لا بد من حضورك ... »

واحتقن وجهه بالدم ، وارتعشت شفته السفلى وذقنه كالطفل إذا أوشك أن يفحم فى البكاء ثم تحول عنه ... ومضى دون أن ينتظر موافقة الشاب ، ولبث هـذا فى مكانه متفكراً مذهولاً تتجاذبه شتى العواطف ...

وكان الأسبوع الذى أعقب هذه الزيارة معترك أزمة نفسية عنيفة أخذت بتلابيب أنيس ، فتقاذفته الغرائز والشهوات ، وتجاذبته نوازع اللذة ومغريات السلامة والطمأنينة ، وكان ذا عزيمة قوية وسريرة طاهرة وقلب تقى ، فآثر السلامة . فلما أن استدار الأسبوع أحس قواه تتماسك وتشتد ، فأطرى إرادته وجعل يتناسى بيت رضوان بك السيء الحظ وزوجه الحسناء القلقة الغضوب ويودع ذاك العهد زاوية من زوايا الذكريات الغريبة المنسية ...

... وانتصف مايو ، فقصد أنيس يوماً إلى الكلية ليسأل عن موعد ظهور نتيجة الامتحان . ولما بلغت به قدماه باب مقهى الثلث ، شعر بإنسان يعترض سبيله بعصاه كالداعب ، فرفع رأسه إليه فرأى رضوان بك يغادر المقهى يسبقه أحد أصدقائه إلى سيارة تنتظر على كثب ، فارتبك ورفع يده بالتحية ، فالتقت يداهما ، وابتسم البك ثم سأله عن حاله ، وتحدث معه قليلاً دون أن يعرج إلى الذكريات القديمة . وحين هم بمفارقته غير لهجته وقال بصوت دل على الضراعة والمضض : « أيها الشاب ... إياك والسخرية من الناس أو الهزء بالبؤساء ، فأنت تجهل الدور الذى تعده لك الأقدار غداً . واذكر أن أغرب تصرفات الإنسان لا تعوزها أسباب تبررها ؛ فصن لسانك عن الأذى وحاول ما استطعت أن تتعظ بما يصادفك من العبر ـ كتب الله لك حظاً سعيداً ... »

ورفع يده بالسلام وسار فى طريقه منتصب القامة يدل مظهره على أنه رجل عسكرى بغير جدال .

نجيب محفوظ

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 421

Lundi - 28 - 7 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٢١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ رجب سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٨ يولية سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٩٤١ قديس الوطنية المصرية ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٩٤٤ المأمونى الشاعر ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٩٤٧ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٩٥١ كارثة « دمشق » ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
٩٥٤ مزارة اليتم ... ... : الأستاذ شكرى فيصل ...
٩٥٦ الوحدة العربية ووحدة اللغة : الأستاذ يوسف كمال حتاتة
٩٥٩ فن تيمور ... ... : السيدة الفاضلة وداد سكاكينى
٩٦٠ كبرياء ! ... [قصيدة] : الأستاذ صالح جودت ...
٩٦٠ الميعاد الضائع ... « : الدكتور ابراهيم ناجى ... ...
٩٦١ يا قبره ! ... ... « : الآنسة الفاضلة فدوى طوقان
٩٦٢ السيجارة ... ... : الأستاذ أحمد على الشحات
٩٦٤ جواب ... ... : الأستاذ العلامة « وحيد »
٩٦٤ إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ... ... } الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٩٦٤ فى اللغة ... ... : الأستاذ الكبير « ا . ع »
٩٦٥ حول السواد — أوهام لغوية : الأستاذ صلاح الدين المنجد
٩٦٦ بين العزوبة والزواج ... : الأستاذ خليل السالم ...
٩٦٦ حول اللهجات العامية ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٩٦٦ الزاد الأخير ... ... : الأديب عبد الرحمن الخميسى
٩٦٧ فى وزارة الخارجية [قصة] : بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

قديس الوطنية المصرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرفت الوطنية المصرية زعماء مختلفين منذ الثورة العرابية ، ولكنها لم تعرف منهم أحداً أحق من « محمد فريد » صاحب هذه السيرة [1] بلقب القديس الوطنى ، لأن العقيدة الوطنية لها قديسوها كالعقيدة الدينية على ما نعلم ؛ وأخص ما للقداسة من صفات هى الإيمان والمفاداة والسماحة وخلوص الضمير . وقد اجتمعت هذه الصفات لمحمد فريد اجتماعاً لا يمارى فيه أحد ، فهو فى محراب الوطنية المصرية من الزعماء القديسين لا مراء .

كان فداؤه رحمه الله فداء لا غبار عليه ولا شبهة فيه : ترك الوظيفة فى العهد الذى كان الناس فيه يعجبون لتارك الوظيفة ولا يعجبون للمنتحر تارك الحياة . ولم يتركها طمعاً فيما هو أكبر منها ، لأنه كان يقود حركة بينها وبين أقرب مراحل النجاح سنون وسنون ، ولم يكن يجهل بُعد الشقة ولا بُعد الرجاء الذى كان يرتجيه .

ثُم لم يطلب المال وهو ينزل إلى معترك السياسة ، فقد كان المال موفوراً بين يديه ، وقد أضاعه كله غير نادم عليه وهو فى منتصف الطريق .

(١) محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية لمؤلفه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك .

ولم يطالب الألقاب والمظاهر، فقد أغضب الذين يمنحونها في مصر والآستانة: أغضب الخديو بحملته على سياسة الوفاق وإصراره على الدستور، وأغضب السلطان العثماني بإصراره على استقلال مصر والمناداة «بمصر للمصريين»

وحرم نفسه الراحة وهو في وطنه، كما حرم نفسه الراحة وهو غريب عنه، فكان جماعة «تركيا الفتاة» يناوئونه ويضايقونه لأنه أبى في الحرب العظمى أن يستبدل احتلالاً باحتلال، وصارحهم أن مصر لا ترضى لنفسها مكان الولاية العثمانية على أي نحو من الأنحاء

وبلغ الذروة العليا من الفداء حين واجه الموت البطيء أنفة منه أن يواجه التسليم ولو مع السكوت؛ فقد ثقل عليه الداء في أوربا وعلم أن الجو المصري أنفع الأجواء له والشتاء مقبلة، وضائقة العالم بعد الحرب محكمة، وليس أثقل من مرض وغربة وفاقة وشتاء بعد صحة ودعة ويسار وقدرة على التنقل بين الأجواء، فآثر التلف البطيء الذي لا تخفى غائلته ولا تخفى عقباه، على أن يشتري السلامة بعودة فيها خضوع وتسليم

قال الأستاذ الرافعي في مقدمة كتابه عن محمد فريد إن الأمة «لم تقدره حق قدره ولا عرفت له عظيم منزلته»

وهذا ويا للأسف صحيح؛ لأن الصفة الكبرى التي امتاز بها هذا القديس الوطني هي الصفة الكبرى التي نجهلها نحن المصريين أو نحن الشرقيين على التعميم، وهي الصفة الكبرى التي لا نصدقها إن لمسناها ولمسنا آثارها، لأنها أشبه عندنا بغرائب الأساطير وخوارق الطبيعة: وهي الفداء الخالصة مع الإيمان الثابت. فقد يلام الرجل على هذه الصفة العلوية لأنها تلتبس علينا بالتفريط؛ وقد يحمد على الحرص واقتناء المنافع، ولا يحمد على تضييع منفعة أو نسيان أثرة حريصة، لأن الفداء شذوذ لم نألفه طويلاً في عادات المجتمع ولا في عادات الأفراد

وما من شيء في اعتقادنا هو أجدى على المصريين والشرقيين من كتاب يؤكد صفة الفداء ويثبت وجودها في رجل معروف السيرة معروف الأعمال مستقيم الخلق كمحمد فريد لم يشتهر بنزوات أهل الشذوذ ولا ببدوات التفرد والاستثناء

فإن الشك في وجود الفداء يغلق المسالك بين ألسنة المصلحين الغيورين وأسماع السواد والناشئين: إنهم لا يصدقون غيرة المصلح الذي يعمل لفكرة يحققها أو مثل عال يجري وراءه، وإن صدقوا منه هذه الغيرة نظروا إليها نظرتهم إلى طبيعة غريبة ليست منهم وليسوا هم منها، فلا وجه لاقتدائهم بها ومجاراتهم لأصحابها؛ إذ ليس من عادة الإنسان أن يصغي إلى من يحلهم منه محل الغرباء المخالفين لسنته في حياته، وإنما يصغي إلى من يمشون معه على سنة واحدة، وينتفي بينهم وبينه شعور الاستغراب والاستبعاد!

وهذه ولا ريب إحدى فوائد الكتاب الذي كتبه الأستاذ الرافعي في سيرة هذا الرجل الكبير

***

على أننا نحب أن نستدرك هنا استدراكا له موضعه وله موجبه فيما يكتب بيننا عن القداسة والقديسين

فقد تعودنا أن نجور صفات القداسة على الصفات الدنيوية حتى خيل إلى أناس منا أن وصف القداسة يجرد الإنسان من وصف العمل الدنيوي أو المدارك الواقعية التي يحتاج إليها الساسة وزعماء النهضات القومية

فإن فهم أحد من وصفنا فريداً بالقداسة أنه لم يكن يدرك السياسة العملية إدراكها الصحيح فهو مخطئ أيما خطأ، وجاهل بحق الرجل أيما جهالة

فقد كان فريد على نقيض ذلك أوسع أقرانه علماً بالسياسة المالية وأوسعهم نظرة إلى العلاقة بين شؤون الوطنية وشؤون الدول والحكومات في العصر الحاضر

فلم يكن من أصحاب النخوة المحصورة أو الحماسة الضيقة التي تحبسها العصبية بين حيطان بلادها فلا تمدوها إلى غيرها، ولكنه كان يضرب بنظره شرقاً وغرباً ليتابع الأحوال قديماً وحديثاً متابعة العليم بما بين أطوار العالم ومصير أمته، وبما بين الحركات الإنسانية والحركات القومية من اتصال وتبادل في التأثير.

ومن مقالاته قبل خمسين سنة مقالة عن المواصلات البرقية في العالم، وسياحة الرحالة (سفن هدين) في أواسط آسيا، وانجلترا وآسيا بأفريقيا، والإنجليز في غرب أفريقيا، والروسيا في مملكة كوريا، ومطامع أوربا في الصين، ورئاسة جمهورية الولايات المتحدة؛ وأشباه هذه الموضوعات التي لم تكن بينها وبين الحركة الوطنية المصرية صلة قريبة في رأي الأكثرين من كتاب ذلك الجيل

والذى أذكره أنا من ذكرياتى الخاصة أننى أفدت من فريد المؤرخ قبل أن أفيد من فريد الزعيم، وأننى قرأت تاريخه للدولة العثمانية قبل أن أقرأ له مقالة سياسية، وقبل أن يتفرغ للدعوة الوطنية ويشتغل بها ذلك الاشتغال الذى صرفه عن التأليف.

وسمعت بعض الأدباء يقول وقد وقع فى أيدينا كتاب من كتبه التاريخية: ألم يكن أنفع لمصر أن يمضى هذا الباحث المنقب فى الشوط الذى بدأه بتاريخ محمد على، وتاريخ الدولة العثمانية، وتاريخ الرومان، وما إلى هذه المباحث التى لا يزال فراغها محسوساً فى المكتبة العربية؟

فوافق الأديب أناس وخالفه أناس، وكان كاتب هذه السطور من مخالفيه ولا أزال من مخالفيه، لأن فريداً قد أخرج لنا فى القداسة الوطنية طرازاً منقطع النظير، ولم نخسر مع هذا طرازه فى عالم البحث والتأليف، وربما كان أصدق ما يقال فى سير العظماء «إن الخيرة فى الواقع»، خلافاً لما يتمنون لأنفسهم، وخلافاً لما تمناه لهم الأصدقاء، وهى قولة مأثورة تنطبق على سير الخاملين فيما نرى، كما تنطبق على سير النابهين

ولقد كتب فريد صفحات طوالاً فى تاريخ القسطنطينية لم يكن عسيراً على من دونه علماً وخلقاً أن يكتبوها أو يكتبوا أمثالها، أما الصفحة التى كتبها لنفسه فى القسطنطينية أيام الحرب العظمى فإحدى صفحات قلائل فى سجل البطولة لا يكتبها إلا فريد ومن وهبوا ما وهبه فريد من فضيلة الصدق والمفاداة، وهم قليلون

ومثّل لنفسك رجلاً منقطعاً عن بلده، منقطعاً عن موارده، ليس له جند ولا مال، وليس له ملجأ يحميه من أصحاب الجند والمال هناك، وأينما دار ببصره لم يجد حوله ما يثبته ويعلى له فى رأيه، بل وجد العوائق والمحظورات شتى تفت فى عضده وتثنيه، وتؤيسه من عاقبة جهوده وأمانيه... والدنيا حرب والقول ما قال العسكريون والدولة مشغولة كلها بالحلة على مصر أو على الولاية التى ستعود إلى مكانها القديم من الدولة العثمانية، وهذا الرجل فى عزلته وبين ثلاثة أو أربعة ممن يسيرون على نهجه يقفون فى وجه هذا السيل الجارف ليصدوه بكلمة هى أقسى ما يسمع من قائل فى تلك الأيام، وهى أن مصر للمصريين وليست للعثمانيين ولا لغيرهم من الفاتحين...

هذه صفحة فريد فى القسطنطينية

وليس فى تاريخ بنى عثمان ولا تاريخ دولة من الدولات ما هو أولى بالتسجيل والتمجيد من هذه الصفحة التى كتبها بوحى لا يستوحيه مؤرخو الأبطال، بل يستوحيه دونهم أبطال المؤرخين

وشاء القدر أن يبوء هو بفخارها وألا يبوء خصومه إلا بصغارها وعارها. فأولئك الذين عارضوه وعاندوه وأكرهوه على اللياذ منهم بآفاق أوربا وهى أضيق عليه من سم الخياط ... أولئك المعارضون والمعاندون هل عارضوه وعاندوه إيثاراً لتركيا أو إيثاراً لمصر أو إيثاراً للحرية والحضارة الإنسانية؟

... كلا. بل كان هذا وزيراً منافساً لأمير مصر فهو يغتنم الفرصة السانحة لشفاء الضغن وإحياء التراث؛ وكان هذا قائداً طموحاً فهو يتخذ من دولته ومن مصر معها مطية لطموحه؛ وكان هذا وذاك وغيرهما مصريين يقسمون بينهم مناصب الحكم فى الولاية العثمانية المنظورة!! وكان فريد وحده أو فريد ومعه تلميذان أو ثلاثة من مريديه يعملون للحق ويخلصون للدولة العثمانية إخلاصهم للأمة المصرية

وهذه إحدى الصفحات التى كانت تفوتنا لو قضى فريد حياته فى تاريخ الأبطال، ولم يقضها بطلاً يرتجل هذه العظات والأمثال

***

وستنصف مصر فريداً يوم تنصف نفسها وتستحق الإنصاف من أقدارها. أما اليوم فكل ميدان فيها يتسع لتمثال فريد فهو ميدان يتسع للتنبيه والمؤاخذة، ويتسع لكلام كثير

عباس محمود العقاد

المـــأمونى الشاعر

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

ذكرت من قبل طرفاً من أخبار أبي المظفر الأبيوردى الشاعر القرشى الأموى وسميته « شاعر العرب فى القرن الخامس » إذ كان يعرب عن أخلاق العرب وعاداتهم ، ويبين عن آمالهم وآلامهم .

وأذكر فى هذا المقال شاعراً آخر من بنى الخلفاء عرف باسم المأمونىّ ، ينتهى نسبه إلى الخليفة المأمون بن الرشيد رضى الله عنهما .

وأقدم قبل الحديث عن هذا الشاعر أن ما نعرفه عن أخباره مأخوذ عن الثعالبى صاحب يتيمة الدهر . وإنما يروى الثعالبى أخبار هذا المأمونى فى الرى ونيسابور وبخارى ، أى فى خراسان وما وراء النهر . ويحدثنا هذا المؤلف الكبير عن شاعر آخر من بنى الخلفـاء يسمى الواثقى ، من بنى الواثق بن المعتصم ابن الرشيد ، ويروى من أنبائه فى تلك الأقطار أيضاً . ويخبرنا أنه كان ببخارى إذ ذاك جماعة من بنى الخلفاء العباسيين يجرى عليهم الأرزاق ، منهم : ابن المهدى وابن المستكفى . وإن قارئ هذه الأخبار ليعجب ويتساءل لماذا يذهب بنو الخلفاء إلى خراسان وما وراء النهر فى طلب الرزق ؟ وإن جاز أن يضطر إلى هذه الرحلة أبناء الخلفاء الذين بعد الزمن بينهم وبين الخلفاء من آبائهم كأبناء المهدى والمأمون والواثق ، فكيف أدركت الضرورة ابن المستكفى وقد لبث المستكفى فى الخلافة إلى سنة ٣٣٤ ، فما مضى نصف قرن من خلافته إلى الزمن الذى يحدثنا بأخباره الثعالبى ؟

ومَرَدّ هذا فى رأيى إلى أمرين : الأول أن استيلاء البويهيين على العراق عام ٣٣٤ ـ وهى السنة التى خلع فيها المستكفى ، وبأيديهم خلع ـ ذهب بهيبة الخلفاء وثروتهم ، وأورث أبناءهم الفقر العاجل ، وكان بنو بُوَيه يتشيّعون ولا يؤمنون بخلافة العباسيين

والثانى أن بنى الخلفاء كانوا يلقون حفاوة وإكراماً فى تلك البلاد ؛ وأن أمراء السامانيين ووزراءهم كانوا يمنحونهم من التعظيم والبر ما يحبب إليهم ركوب الأسفار البعيدة إلى تلك الديار النائية ؛ والسامانيون كانوا يدينون بالطاعة لبنى العباس ويؤمنون بخلافتهم

— ٢ —

وأما المأمونى فيحدثنا عنه الثعالبى أنه فارق وطنه بغداد وهو حدَث إلى مدينة الرى ، فامتدح الصاحب بن عباد بقصائد أعجبته فأكرم مثواه وقربه . يقول الثعالبى : « فدبت عقارب الحسد بين ندماء الصاحب وشعرائه ، وطفقوا يركبون الصعب والذلول فى رميه بالأباطيل ، ويتقولون عليه أقبح الأقاويل ، فطوراً ينسبونه إلى الدعوة فى بنى العباس ، ومرة يصفونه بالغلو فى النصب واعتقاده تكفير الشيعة والمعتزلة ، وتارة ينحلونه هجاء فى الصاحب يعرب عن فحش القدح ، ويحلفون على انتحال ما أصدر من شعره فى المدح ، حتى تكامل لهم إسقاط منزلته لديه ، وتكدر ماؤه عنده عليه . وفى ذلك يقول من قصيدة يستأذنه فيها للرحيل :

فكنت يوسفَ ، والأسباط هم وأبا
الأسباط أنت ودعواهم دماً كذبا
وعصبة بات فيها الغيظ متقــداً
إذ شدت لى فوق أعناق العدا رتبا
أرى مآربكم فى نظم قافية   وما أرى لى فى غير العلى أربا

فارق المأمونى الرى إلى نيسابور ، وفيها حينئذ أبو بكر الخوارزمى الكاتب المعروف ، فأشار عليه الخوارزمى بإنشاء قصيدة فى الشيخ أبى منصور كثير بن أحمد يسأله فيها تقرير حاله عند صاحب الجيش أبى الحسن بن سيمجور — وبنو سيمجور من ولاة الدولة السامانية وقوادها — فأنشأ المأمونى القصيدة وأبلغها الخوارزمىُّ الشيخَ كثيرا ، وحسّنها لديه وأثنى على هذا الشاعر الشاب . فوقعت القصيدة ممن أهديت إليه موقعاً حسناً ، وفى هذه القصيدة يقول :

إلى الله أشكو مُنًى فى الحشى   تضمّن جنباىَ منها سعيرا
تُفارق بى كل يوم خليلاً   وتفجع بى كل يوم عشيرا
فإن تسألانىَ يا صاحبــىَّ   نص السُّرى بحدانى خبيرا
ففى كل يوم ترانى الركا   بُ أفارق ربعاً وأحتل كورا
إذا سرت عن صاحبى قلت عُـد   لعودى السنين وخل الشهورا
أرانى ابن عشرين أو دونها   وقد طبّق الأرض شعرى مسيرا
إذا قلت قافيــة لم تزل   تجوب السهول وتطوى الوعورا
ولو كان يفخر ميت بحى   لكان أبى هاشمٌ بى فخورا

ولو كنت أخطب ما استحق   لما كنت أخطب إلا السريرا
ولو مرتُ صاحت ملوك البلا   د بين يدىّ النفير النفيرا
ولكننى مكتف باليسير   إذا سهّل الله ذاك اليسيرا

ويتبين فى هذه القصيدة نشوةُ الشباب ، وفخر الشاعر بآبائه واستحقاقه الملك كما تتبين قناعته ورضاه باليسير ، وما طموحه وقناعته إلا من التناقض بين الانتساب إلى المأمون والمدح للعطاء .

أنهى الشيخ كثير أمر هـذا الشاب العباسىّ الشاعر إلى صاحب الجيش

يقول الثعالبى : « فلما وقف على صورة حاله أنهاها إلى صاحب الجيش فاستدعاه . وحين وصل إليه استقبله بخطوات مشاها إليه ، وبالغ فى إعظامه وأبلغ فى إكرامه . ثم خيّره بين المقام بنيسابور وبين الانحدار إلى الحضرة ببخارى – يعنى عاصمة الدولة السامانية – فاختار الخروج فوصله وزوّده من الكتب إلى وزير الوقت وغيره من الأركان »

رحل الشاعر الشاب عن نيسابور ميمما بخارى فأبلغه إليها سفر طويل شاق ؛ وكأنه يصف هذا السفر فى أول قصيدة أنشأها فى بخارى مادحاً أحد رؤسائها أبا الحسين عبد الله بن أحمد :

وليل كأنى فيه إنسان ناظر   يقلب فى الآفاق جفنيه داميا
إذا ما أمالتنى به نشوة الكرى   تمايل فى كفى المثقف صاحيا
وإما طما لُجّ المنى بين أضلعى   تعسّفت لجا من دجى الليل طاميا
فامسى شجا فى ظلمة الليل داجيا   وأضحى قذى فى مقلة الصبح غاديا

أحسن أبو الحسين وفادة ابن المأمون ، وبلغ الغاية فى إكرامه .

يقول الثعالبى :

« فتقبله بكلتا اليدين وأعجب منه بفتى من أولاد الخلافة يملأ العين جمالاً والقلب كمالاً »

وواصل صلاته ، وخلع عليه ، وألحقه فى الرزق السلطانى بمن كان هناك من أولاد الخلفاء : كابن المهدى وابن المستكفى وغيرهما . وتتابع الوزراء على إكرامه ، فكان كلما دالت الدولة لوزير نافس من تقدمه فى الحفاوة والبرّ به

يقول الثعالبى : « وجعل كل منهم يُربى على من تقدّمه فى الإحسان إليه ، وإدرار الرزق عليه ، وإخراج الخلع السلطانية والحملانات بمراكب الذهب ، حتى حسن حاله ، وتلاحق ماله ، وظهرت مروءته » . وكان هو لا يألو فى شكر أياديهم بقصائد يكافىء فيها نعمهم ، فلبث فى بخارى حقبة مغتبطاً راضياً

ومن قصيدة له فى مدح ابن عزيز أحد وزراء بخارى :

أعبدَ الله لا خُيّرتُ بيتاً   مدى الأيام إلا فى علاكا
فكم لك من يد قلدتنيها   فلست أرى لها عنى فكاكا
ولو حمّلتَ ما حمّلتنيه   شمام لما استطاع به حراكا
وقد ألبستنى أثواب عزّ   وقد أوطأتَ أخمصى السماكا
فحسبك من علىّ أعليت كعبى   برفعكه ، فقد بلغ السكاكا

قال أبو منصور الثعالبى : « رأيت المأمونى ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وعاشرت منه فاضلاً ملء ثوبه ، وذاكرت أديباً شاعراً بحقه وصدقه ، وسمعت منه قطعة من شعره ، ونقلت أكثره من خطه : وكان يسمو بهمته إلى الخلافة ، ويمنى نفسه قصد بغداد فى جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها ، فاقتطعته المنية دون الأمنية . ولما فارقته لم تطل به الأيام بعدى حتى اعتلّ علة الاستسقاء ، وانتقل إلى جوار ربه ، ولم يكن بلغ الأربعين . وذلك فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة »

ويصدّق الثعالبى فيما حدّث عن همة هذا الفتى وبعد أمله وطمعه فى الخلافة ، شعرٌ له ينطق عن هذه الهمة وهذا الأمل ، ويعرب عن ثقة الرجل بنفسه واعتداده بها . يقول فى قصيدة أنشأها فى بخارى :

أنا بين أحشاء الليالى نار   هى لى دخان والنجوم شرار
فتى جلا فجر القضاء ظلامها   صليتْ بى الأقطار والأمصار
بى تحلم الدنيا وبالخبر الذى   لى منه بين ضلوعها أسرار
فبكل مملكة علىّ تلهّف   وبكل معركة إلى أوار
يا أهلُ ماشئْت برحلى رحلة   إلا لتسفر عنى الأسفار
لى فى ضمير الدهر سر كامن   لا بد أن تستله الأقدار

— ٣ —

وأما شعر المأمونى فوسط لا يسمو إلى الذروة إلا قليلاً . وقد أثبت صاحب اليتيمة له قصائد قليلة وقطعاً كثيرة أكثرها فى وصف الأزهار والفواكه والأوانى والأطعمة . وقد صدرها المؤلف بقوله : « وهـذا ما اخترته من شعره فى الأوصاف والتشبيهات التى لم يسبق إلى أكثرها »

فأما قصائده فمنها قصيدة فى مدح الصاحب إسماعيل بن عباد مطلعها :

يا ربع لو كنت دمعاً فيك منسكبا
قضيت نحبي ، ولم أقض الذى وجبا
لا ينكرن ربعك البالى بلى جسدى
فقد شربت بكأس الحب ما شربا
ولو أفضت دموعى حسب واجبها
أفضت من كل عضو مَدْمعاً سربا
عهدى بمهدك للذات مرتبعاً فقدغدا الفؤادى السحب منتحبا

وهذه أبيات تذكر بقصيدة المتنبي التى أولها :

دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا
من حقه وشفى أنّى ولا كربا ؟

وكأنه أراد بمطلعه مناقضة مطلع المتنبي . ومحاكاةُ المتنبي فى الوزن والقافية تظهر فى قصائد أخرى . وكان للمتنبي شاعر القرن الرابع ، وقد ولد المأمونى فى أواخر حياة أبى الطيب ، والزمان يدوى بذكره ويصدق قوله :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

وللمأمونى قصيدة أخرى يمدح بها أحد وزراء بخارى أولها :

سيخلُف جفنى مخلفات الغمائم على مامضى من عمرى المتقادم
بأرض رواق العز فيها مطنّب على هاشم بين السُّحى والنعائم
يدين لمن فيها بنو الأرض كلهم وتعنو لهم صيدُ الملوك الأعاظم
ويهماء لا يخطو بها الوهم خطوة
تعسّفتها بالمرقلات الرواسم
وقد نشرت أيدى الدجى من سمائها
رداء عروس نقّطت بالدراهم
نخلنا نجوماً فى السماء أسنّة
مذهّبة ما بين بيض صوارم

وأظنه حاول فيها محاكاة أبى الطيب فى قصيدته التى مدح بها ابن طغج :

أنا لائمى إن كنت وقت اللوائم
علمت بما بى بين تلك المعالم

وأخرى من قصائده فى مدح أبى نصر أحد وزراء بخارى ووصف دار بناها ، أولها :

قد وجدنا خُطى الكلام فِساحاً فجعلنا النسيب فيك امتداحا

وهو مطلع يذكر بقول أبى الطيب :

وقد وجدت مجال القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

ومما وصف به الدار :

بَهوها يملأ العيون بهاء صحنها يملأ الصدور انشراحا
شِيدُها فضة ، وقَرمدها تِبْـر قد امتيح من نداك امتياحا
وثراها من عنبر شيب بالمسك فإن هبّت الصّبا فيه فاحا
كل ناد منها قد اتشح الفرشُ بثوب الربيع فيه اتشاحا
صبغة من دم القلوب فمن أبصره اهتز صبوة وارتياحا
ما بكاء الرياض بالطل إلا خجلاً من رياضها وافتضاحا
شابه النقشُ فرشها مثل ما شابه ولدانها دُماها الصباحا

* * *

وكأن الستور قد نشر الطاووس منها فى كل باب جناحا
وكأن الجامات فيها شموس أطلعتها ذُرى القباب صباحا

* * *

هذا حديث فتى من بنى الخلافة بعيد الهمة طمّاح ، وشاعر من الشعراء الأمراء الذين تشرق أقوالهم فى جوانب الأدب العربى ذكراً لهم العربية والأدب والبلاغة ، أدب النفس واللفظ ، وبلاغة الأفعال والأقوال

عبد الوهاب عزام

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

ليسمع مدير الجامعة ووزير المعارف — فرنسى يستمصر فيستعرب — الشيخ حسين على — إلى بعض النواب والصحفيين — منارة أبي العباس

ليسمع مدير الجامعة ووزير المعارف

كنت شغلت نفسي عدداً من السنين بالدعوة إلى جعل اللغة العربية لغة التدريس فى جميع كليات الجامعة المصرية ، وانتهزت فرصة اشتراكى فى المؤتمرات التى تعقدها « الجمعية الطبية » ، فجعلتها مواسم لبث هذه الدعوة بين المشتغلين بالعلوم من أبناء الأمم العربية ، وما زلت ألح حتى مللت وأمللت ، فانصرفت عن نشر تلك الدعوة وأنا آسف حزين

واليوم أطلع على عبارة تستحق التفات مدير الجامعة ووزير المعارف ، فقد جاء فى النشرة التى أصدرتها الجامعة العبرية بالقدس أن جميع الدروس فى تلك الجامعة تُلقى باللغة العبرية ما عدا بعض دروس اللغات

فما معنى ذلك ؟

معناه أن اليهود يرون لغتهم قديرة على التعبير عن جميع المعانى فى مختلف الأغراض ، وأنهم يرون من القومية أن يدرسوا آداب اللغات الأجنبية باللغة العبرية ، مع استثناء طفيف يوجبه الحرص على التعمق فى بعض اللغات

فكيف تعجز لغة العرب عما قدرت عليه لغة اليهود ؟

إن اللغة العبرية لم تكن يوماً لغة علم ومدنية على نحو ما كانت اللغة العربية ، فكيف استطاع اليهود أن يخلقوا من لغتهم أداة صالحة لدرس مقومات التمدن الحديث ، بعد أن ظلت فى غيابات السجن عشرات الأجيال ؟

الجواب حاضر ، ولكن أين من يسمع ؟

والجواب أن اللغات لا تقوم بنفسها ، وإنما يقوم بها أهلوها

الجواب أن اللغات من صنع الناس ، وإن كانت فى بعض صورها من مواريث التاريخ ، فما كان يجب على العرب فى العصور الخوالى أن يبتكروا أدوات التعبير عن شؤون لم يشهدوها ولم يعرفوها ، وإنما يجب علينا أن نعبّر عما شهدنا وعرفنا ، كما عبّروا عما شهدوا وعرفوا ، لنستطيع القول بأننا أهلٌ للإنشاء والإبداع ، وكان أسلافنا من أكابر المنشئين والمبدعين

كان يجب على لغة العرب ـ كما يتوهم أهل الغفلة ـ أن تحيط بكل شيء ، وإلا فهي جديرة بما يصبّون عليها من عذاب العقوق !

فهل كان الأمر كذلك فى لغات الإنجليز والفرنسيس والألمان ، حتى نطالب لغة العرب بخلق المستحيل ؟

لغات العلم والمدنية فى هذا العصر كانت فقيرة ثم أغناها أهلوها بالنحت والاشتقاق والاقتباس ، فمتى نصنع كما صنع الأحياء من أبناء هذا الزمان ؟

أكبر هموم علمائنا اللغويين أن يعترضوا على نيابة حرف عن حرف ، وأن يقول قائلهم : إن العرب تعرف كيت ولا تعرف زيت ، وأن يثوروا على أيّ تعبير لا يجدون له شواهد فى أقوال القدماء ، كأن من الحرام أن يكون لنا فى اللغة حق الاجتهاد ، وهو حقٌّ لم يحرّم على أبناء البوادى ، ولو كانوا من أكلة الضباب واليرابيع !

اليهود لهم لغة يدرسون بها جميع العلوم ؟ ؟ ؟

هوذلك ، لأن اليهود يريدون أن يقيموا الدليل على أنهم أحياء

ولو جاز أن يُفتن قومٌ بأوربا ولغاتها ، لكان اليهود أولى بذلك الفُتون ، لأن لهم طلائع فى جميع البلاد الأوربية ، فممّن أخذنا نحن فتنة الخضوع الأحمق للغات الأجنبية ، ولنا وجود أدبى واجتماعى لم تُفلح فى زعزعته الكوارث والخطوب ؟

نستطيع بدون صعوبة ولا عناء أن نجعل لغة العرب لسان العلم والمدنية فى الشرق ، فنزاحم بها ألسنة الأجانب ، ونستبقى أعمار أبنائنا فلا تضيع فى « رطانات » لا ينتفع بها منهم غير آحاد

وأنا لم أبتكر القول بجناية اللغات الأجنبية فى تعويق مواهب

الشبان المصريين ، فقد أعلن الأستاذ محمد بك حسين هذا الرأى فى خطبة ألقاها بالمنصورة فى السنة الماضية ، وكانت حجته أن الشبان يقضون أطيب أعمارهم فى دراسة اللغات ، وهى دراسة لم تنتقل من الحفظ إلى الفهم ، حتى تعود على أذهانهم بالصقل والتهذيب

ولكن ما الذى نصنع ونحن فى احتياج إلى معرفة اللغات الأجنبية ، لنتصل بالتيارات العلمية فى العصر الحديث

نكون طائفة خاصة تكون مهمتها الاشتغال بالترجمة لتغنى اللغة العربية بأمداد جديدة فى ميادين العلم والطب والاقتصاد والتشريع ، وعندئذ تنفعل اللغة العربية بتلك الأمداد ، وتصبح مورداً غنياً بآثار الأفكار والعقول ، فيمكن الاجتهاد فى ميادين كثيرة عن طريق اللغة العربية ، كما اتفق المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى أن ينتفع بالترجمات ، فصار يفكر على الأساليب الحديثة فى التفكير بدون أن يتصل بإحدى اللغات الأجنبية ، وبدون أن يتلمذ لأحد من الأجانب ، وله أبحاث تؤيد ما نقول منها بحثه المشهور فى اصطلاحات الكيمياء

فرنسى يتمصر فيستعرب

فى هذه الفقرة أسوق حديثاً يشهد بما تصنع العزائم الصوادق فى تذليل الصعاب :

كانت البعثة المدنية الفرنسية رأت أن تقصر مهمة مدارسها فى مصر على إعداد تلاميذها للبكالوريا الفرنسية ، إلا مدرسة واحدة هى الكلية الفرنسية بالظاهر ، فقد رأت البعثة أن تُعِدّ تلاميذها للبكالوريا المصرية من القسم الفرنسى

ومدير هذه المدرسة هو المسيو مارسيل بونان ، وقد أقام فى مصر أكثر من عشرين سنة فلم يعرف من اللغة العربية غير ألفاظ معدودات ، مثل مدرسة وقهوة وفراش ! ! وكان المنطق يوجب أن يجعل ابنه من تلاميذ الليسيه ليفوز بالبكالوريا الفرنسية بدون عناء ، ولكن الرجل أصر على أن يجعل ابنه تلميذاً فى مدرسته ليفوز بالبكالوريا المصرية مع صعوبة اللغة العربية على شاب لغته الفرنسية ودروسه بالفرنسية وحديثه فى البيت بالفرنسية

وظل الشاب يتعثر من عام إلى عام فى امتحان البكالوريا المصرية ، وكان مفروضاً على من كان فى مثل حاله بحكم النظام الجديد أن يؤدى امتحان اللغة العربية فى مقررات أربع سنين ، وذلك عبء ثقيل !

ونصحت المسيو بونان مرات كثيرة أن يعدل منهج ابنه فى الدراسة فلم يقبل ، وكان جوابه أنه يريد أن يمحو الخرافة التى تقول بأن التفوق فى اللغة العربية مستحيل على الأجانب !

وأخيراً ، وبعد جهاد عنيف ، نجح الشاب جاك بونان فى امتحان الثقافة العامة بتفوق ، فهو أول فرنسى يزاحم الطلبة المصريين فى الامتحانات العمومية

بقيت خطوة واحدة ، هى أن يعرف هذا الشاب أن حىّ الظاهر فى رعاية سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، فمتى يُصلّى معى الجمعة فى مسجد الشعرانى ؟

أَسْلِمْ تَسلَم ، يا جاك ؟ !

الشيخ حسين على

ما فُجِعَ رجلٌ بأبيه إلا تجدد جزعى لفجيعتى بأبى ، فما استطعت دخول البيت الذى مات فيه إلى اليوم ، ولا تمثلت وجهه الأصبح إلا غلبنى البكاء

من أجل هذا رأيت الحزن يعصر قلبى حين قرأت فى الجرائد أن الدكتور طه حسين فقد أباه ، ورَّثه الله عمر أبيه ، ومنّ عليه بالصبر الجميل !

أبو الدكتور طه هو الشيخ حسين على ، وكان رجلاً فى غاية من اللوذعية والأريحية ، وإن لم يظفر من الألقاب بما يحفظ له مكانة بين رجال التاريخ

وقد أكّد عندى فكرة الوراثة العقلية والروحية ؛ فقد كان عقله على جانب من الرجاحة ، وكان روحه على جانب من الصفاء

قضى الشيخ حسين حياته فى عمل بسيط بإحدى قُرَى الصعيد ، ولكن بُعده عن الحياة الفكرية فى العاصمة لم يحُل

بينه وبين الاتصال بما كان يجدّ من تطورات الآداب والفنون ، فكان يحدّثك عن المدنية الحديثة بأسلوب يقنعك بأنه من أبناء الجيل الجديد ، على بُعد بلده من التأثر بأفكار الجيل الجديد

كان الشافعي يقول : « الحرّ من راعى وداد لحظة » ، وقد وادَدْتُ هذا الرجل لحظتين ، فمن واجبي أن أذرف عليه دمعتين وإلى الدكتور طه وإخوته أقدّم أصدق العزاء

الى بعض النواب والصحفيين

يطيب لجماعة من النواب والصحفيين أن يتحدثوا عن مصر بعبارات لا تخلو من ازدراء واستخفاف ، وقد تصل إلى الطعن والتجريح فى بعض الأحيان ، وأنا أنظر إلى هؤلاء نظر الإشفاق ، لأن أقوالهم تشهد بأن فهمهم للمجتمع المصرى فهمٌ ضعيف ، ولأنهم نشأوا فى أوقات لم تخرج فيها طرائق الوعظ عن البكاء والاستبكاء

وأضرب المثل بقول الأستاذ الشيخ محمد دراز وهو يهدد فى مجلس النواب :

« أصبحت هذه البلاد لا هى بالبلاد الدينية ، ولا هى بالبلاد اللادينية ، ولا هى بالبلد الشرقى ، ولا هى بالبلد الغربى ، وذلك ظاهر فى كل مظاهرها ، ليس فى الزى فقط ، ولكن فى الثقافة والأخلاق وكل ما يتصل بحياتنا الخلقية والاجتماعية »

وهـذا النائب هو أيضاً مفتش الوعظ والإرشاد بالديار المصرية ، فإن كان صادقاً فالأمة فى بلاء ، وإلا فهو نفسه بلاء ، والله الحفيظ !

كان الظن برجل مستنير مثل الشيخ محمد عبد اللطيف دراز أن يدرك أنه لا يجوز الجهر بمثل هذا الكلام فى مجلس النواب ، لأنه طعنٌ صريح فى الأمة المصرية ، ولأنه كلام أجوف لا طائل تحته ولا غَناء

ولـكن ما ذنبه وهو يتوهم أن رجال الدين يجب عليهم أن يصرخوا فى كل وقت ، وأن يشهدوا بأن أبناء اليوم ليسوا إلا شرَّ خَلَف لخير سَلَف ، وأن سعادة الدارين لن تكون إلا من نصيب من يعيشون بقلوب لا تحسّ روح المدنية فى القرن العشرين ؟

هذا الواعظ مَسئول عن تغيير منهجه فى الوعظ ، وإلا كانت عظاته أقاويل مشئومة لا تُدخل البشاشة الدينية إلى صدور المؤمنين

وقد استراح الأستاذ على الغاياتى إلى صرخات الأستاذ محمد دراز فعلّق عليها فى مجلته منبر « الشرق » بعبارات هى غاية فى الإيذاء ، فقد قرر أن أكثرنا مسلمون جغرافيًّا فقط ، وأن الواقع لا يُقر لـكثير منا بوطنية ولا بمصرية !

وماضى الأستاذ على الغاياتى يصدّنا صدًّا عن محاسبته على هذا الجور البغيض ، فلم يبق إلا أن نرجوه أن يترفق فى الحكم على أمته وأن ينظر إليها بمنظار لا يحجب عنه ما فيها من نضارة وإشراق

وإن أراد المنطق فليسمع :

لقد أراد السخرية من زعامة مصر الأدبية والدينية ، وكانت حجته أننا عجزنا عن توحيد كلمتنا والذود عن حمانا

أما توحيد الـكلمة فهو مَطلَبٌ برّاق ولـكن انعدامه لا يؤذينا فى شىء ، لأن الخلاف من أقوى مظاهر الحيوية فى الشعوب ، ونحن نختلف أقل مما يجب ، ويا ويلنا إذا لم نختلف !

وأما عجزنا عن الذود عن حمانا ، فلا يرجع إلى جُبن أو استخذاء ، وإنمـا يرجع إلى ظروف يعرف الأستاذ منها أضعاف ما أعرف ، وما مرّ يومٌ بدون أن يجاهد المصريون ليكون لهم جيش قادر على دفع العدوان بالعدوان

وإذن فسخريتك ضربٌ من الشماتة وأنت تجهل !

وما أظلمَ من يشمت بأمة لم يكن نُكولها عن الحرب إلا إشفاقاً على بنيها من الفناء ، وذلك مصير من يواجه الحرب بلا استعداد

أليس من الإثم الوبق أن تقول : إن الشعب قد فقد شخصيته وبات عالة على الأمم والشعوب ؟

الشعب المصرى لن يفقد شخصيته أبداً ، ولن يبيت عالةً على أحد ، فاتق الله فى أمتك ، أيها الرجل الفضال ، واحذر من

المودة إلى مثل هذا التجنى المقيت ، فقد نستطيع القول بأن القلوب الصحاح ليست من المرض فى أمان

ولفضيلة الشيخ دراز أن يصمع هذا النذير ، إن أراد !

منارة أبى العباس

من أعظم الأعمال التى قامت بها وزارة الأوقاف تجميل مسجد أبى العباس المرسى بالإسكندرية ؛ فله منارة ستصير عَلَم الهداية للسفن الضوالّ بعد انتهاء الحرب ، وستكون بشيراً لكل قادم بأنه يَفِد على مدينة إسلامية

وإذا تذكرنا أن أبا العباس كان من أعلام الصوفية ، وأن لقبه « المرسى » مُسمًّى به ألوف وألوف من أبناء الأمة المصرية كان من السهل أن ندرك كيف خصته وزارة الأوقاف بذلك الالتفات !

ولكن بعض الوعاظ الذين آذاهم أن نقول بوجوب زخرفة المساجد ردّوا علينا فى إحدى مجلاتهم بأن مسجد أبى العباس بلغت تكاليفه نحو الثنين من ألوف الجنيهات ، ولو أنفِق ذلك المبلغ فى إعداد طائرات لوقَى الاسكندرية من أخطار الغارات الجويه !

وهذا كلامٌ معقول ، ولكنه كلام العوامّ الذين يرتدون ثياب الخواص

وكيف تكون الحال لو عمّ هذا المنطق « المعقول » فدعونا الحكومة إلى إلغاء ميزانية المعاهد الدينية لنشترى بها طيارات ودبابات ؟

وكيف تكون الحال لو عمّ هذا المنطق « المعقول جداً » فقلنا إن الأمة لا تحتاج إلى وعاظ بقدر ما تحتاج إلى جنود ، وإن من الواجب أن نأخذ مرتبات الوعاظ لننفقها فى إعداد الجنود؟

وإذا تم هذا ، أو بعض هذا ، فما مصير من يأكلون العيش باسم الدين ، وهتلر — رضى الله عنه أو غضب عليه — يقول : هذا عصر دبابات لا عصر ديانات ؟ حدثونى كيف تصنعون ، إذا عم هذا المنطق « المعقول » فأنا أعرف مصايركم إذا احتكمت الدنيا إلى هذا الميزان المخلول ؟

كان يكفى أن تقولوا إن زخرفة المساجد ليست من تقاليد الدين الإسلامى ، أما دخولكم فى شِعاب محتاج إلى دليل من الفكر والمنطق فهو المأزق الذى أرجو أن تخرجوا منه سالمين ، إن كانت السلامة من نصيب مَن يواجه الشمس بعين رمداء

زكى مبارك

للتاريخ لا للأدب

كارثة دمشق

للأستاذ على الطنطاوى

[يا أيها العرب ! إن أحببتم دمشق ، فافهموا هذا الفصل بعقول جيوبكم ، بعد أن تفهموه بعقول رؤسكم ، واعلموا أن القليل إلى القليل كثير ، والله يجزى والناس تشكر ، والساعى في الخير كفاعل الخير ، والصديق عند الضيق .]

— ١ —

عادت إلينا الرسالة بعد طول الغياب فيا أهلاً بها نجيّة النفس وسميرة الفؤاد، ويا مرحباً بعمادها — ويا ليتها تعود معها تلك العهود ، حين كانت أقلامنا تجرى فيها طليقة من القيود — لم تصبغ بالدم ولم تجمل مدادها من سواد البارود . . . ويا ليت أنى حين أكتب اليوم أقدر على اجتناب أحاديث الكوارث والهموم ، فلا أقص على القراء أخبارها ، وأصف آثارها ، فأزيدهم كرباً على كربهم . وحسب الرجل اليوم همه ، وما بلد إلا وفيه ما يغمه ... وما تجمل بنا الشكوى ، لو لا أنها إلى أخ حبيب . ومن للأخ فى الضيق غير أخيه ؟ ومن للشام إلا مصر والعراق ؟ ومن لمصر إلا العراق والشام ، ومن تجمعه بها أخوة الجذم واللسان والإسلام ؟ وكيف السكوت وما حل بدمشق ينطق بوصف هوله الجماد لو كان ينطق الجماد ، وتنيض له أعين الصخر ، لو بكى الصخر لذى مصاب ...

— ٢ —

كنا نذكر الحرب التى مضت وما حملت إلينا من الجوع والخوف والنقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، وكيف كان الشعب يموت جوعاً لأن التجار الفجار قد احتكروا خبزه ، فذهب من الناس من ذهب ، لتمتلىء صناديق المحتكرين بالذهب ، ثم لا يجد الأموات قبراً لأن الحرب لم تبق من الرجال من يقدر على حفر قبر . نذكر هذا كله ثم ننظر إلى هذه الحرب فنراها سلاماً علينا وأمناً لم نجع فيها ولم نعر ، ولم تنل منا منالاً اللهم إلا ما نالت بأظافر التجار وأنيابهم ، إذ جعلوا الواحد من ثمن الأشياء عشراً، وربما بلغوا ببعض الأثمان مائة ضعف . وما قلت السلع ولا تبدلت ، ولكنه الطمع والجشع ورقة الدين وضعف الخلق ! واستمر سير الحرب ، وانتشرت نارها ونحن لا نعرف مكانها إلا على السماع ، وجعلت تطيف بلهبها بنا ، وتدنو منا ، فامتد لسانها إلى مصر فجزعنا وأشفقنا وكنا مع المصريين بقلوبنا وألسنتنا ، وما نملك لعمرى إلا الألسنة والقلوب ، ثم دنت منا فبلغ لهيبها العراق، فأقبلنا على العراق بقلوبنا وما جانبت مصر ولا تولت عنها تلك القلوب ، ثم أصبحنا ذات يوم على صوت الراد (الراديو) يقول إن الحرب فى (الكسوة) على أبواب دمشق ، فنظرنا شطر القبلة فلم نجد على جبل (المانع) أثراً لحرب ، فكذبنا وأنكرنا ، فقال العارفون إن المعركة وراء هذه الجبال . وأكدوا ذلك ولكنا لبثنا مكذبين ، فلم تكن إلا ليال حتى بدت فى الأفق القبلى من دمشق ومضات المدافع وسمعنا أصواتها فصدقنا ما قال الرادّ ، وأيقنا أن قد بلغتنا الحرب ، ولكنا لم نكبرها ولم يصبنا الذعر منها ، إذ لم تمسسنا نارها ، ولا أحسسنا أوارها ، ثم دنت منا النار ، وانطلقت المدافع الثقال من قلاع (المزة) و (قاسيون) ، فاهتزت لها دمشق ولكن أفئدة أهلها لم تهتز ، فانطلقوا يؤمون (المهاجرين) يشرفون منها على المعركة وهى دانية منهم وأصواتها فى آذانهم ، وشظاياها عن أيمانهم وشمائلهم . وإنهم لفى إشرافهم هذا ، واجتماعهم فى المهاجرين ، عشية يوم الجمعة ٢٠ يونية ، يتحدثون فى عرض الجيش المهاجم على المقاتلين فى دمشق كفّ أذاهم عنها ، وتركها (مكشوفة) كيلا تعبث بمحاسنها أيدى الحرب ، فتجعل عامرها يباباً ، وقصورها تلالا ؛ وكيف أبى المقاتلون فعرضوا دمشق بإبائهم للأذى ؛ وما يعنيهم أذاها ، ولا تهدم لهم (إذا هى تخربت) دار يفجعون فى زوج ولا ولد ! وكانت المعركة مشتدة هذه العشية ، وكان الناس مزدحمين ينظرون بجهنم قد فتحت أبوابها وإذا القنابل قد ضلت طريقها فإذا هى تساقط على (المهاجرين) أجمل أحياء دمشق وأبهاها ، فطار الفزع بألباب الناس ، وكانت ساعة الهول التى يستعاذ بالله منها ، وصار الناس كالهم يوم القيامة ، حين يجد المرء ما يشغله عن أخيه وزوجه وبنيه ؛ فخلفوا الدور مفتحة الأبواب ، واستلوا منافذ الطرق ، مهاجرين إلى (الشام)[1] يعتصمون بالأموى ، ويقيمون فى جواره بعيدين عن مواقع القنابل التى تحمل الموت والدمار . فلا ترى على الطرق

---

(١) الشام فى الأصل ما يسمى سورية وفى عرف الدمشقيين دمشق . والقسم القديم منها على التخصيص دون الصالحية والميدان

إلا الناس مسرعين بوجوه شاحبة ، وأعضاء من الخوف مضطربة . وربما خرجت المسلمة المخدرة مكشوفة الوجه ، والمدافع تنطلق ، والقنابل تتتالى وتتعاقب ، كالغيث إذا انهمر . . . وكان أمرٌ لا يوصف !

— ٣ —

ثم انسحب جيش ، ودخل دمشق جيش ، وأعلن استقلال سورية ، وانتهت الحرب ، فتنفس الناس الصعداء ، وتذوقوا لذة الأمن بعد الخوف ، ومن كان لجأ من الخوف إلى دمشق من سكان القرى المرزّأة المروعة الذين أكلت الحرب دورهم وغلاتهم سكان : (الكسوة ، والبارده ، والأشرفية ، وصحنايا ، وسبينية ، وسبينات ، والقدم ، وغيرها) من قرى الغوطة التي كانت تنعم بالأنس والدعة في ظلال الأشجار ، فصارت صحراء قاحلة ، لا شجرة فيها ولا دار . ودريا يا قرية العنب الديراني الذي تباهى دمشق المدن بلونه وطعمه ونبل حبته وجلال عناقيده واتساع كرومه ؛ وجارتها المزة (جيزة دمشق) وأجمل ضواحيها ، استعدوا للرحيل إلى دورهم ومساكنهم ... يحسب المساكين أنها لا تزال لهم مساكن ، ما دروا أن من هذه القرى ما لم يبق منه إلا أطلال ورسوم ... وانطلق الدمشقيون الذين واسوهم في مصيبتهم ، وآووهم في منازلهم يودعونهم بالحفلات والولائم ... فاشتعلت الأحياء التي تحف بالأموى نوراً ، وابتسمت سروراً : (القيمرية والكلاسة ، وباب السلام ، وباب البريد ، وسيدى عامود) ، حتى ليحسبها الرائى ترقص طرباً ، وما بها لو حققت من طرب . وفيم الطرب ؟ ولكن مواساة المنكوبين ، وتطييباً لقلوبهم ، وإظهاراً للرضا بانطفاء نار الحرب ، وحمداً لله على ما لطف وسلم ، فكانت ليلة الأربعاء (٢٥ يونية) ، كأنها من ليالي الأعياد ...

وكان أسبق الأحياء في هذا المضمار (الكلاسة) ، هذا الحى الرابض بين الحرمين الأقدسين : مسجد بنى أمية الجامع ، ومدفن البطل صلاح الدين (آخذ الدنيا ومعطيها) ، كأنما سرى في أهله رَوْح من رُوح صلاح الدين ، فظهرت على أيدى أهله مدهشات الشهامة والكرم ، حتى لقد آوى رجل منهم واحد سبع أسر في داره ، وأولاهم من بشاشة وجهه وفضل ماله ومسكنه ما لا يمتد إلى أكثر منه جهد مثله ...

— ٤ —

نام الناس هذه الليلة التي حسبوها من ليالي الأعياد آمنين لا يخافون الحرب وقد انطفأت نارها ، ينتظرون بآمالهم الغد القريب ليحمل إليهم السلام والرخاء . فلما كانت الساعة الرابعة (إلا ربعاً) ، وآذن دمشق المائة والسبعون تصدح (بالتراحيم) الأخيرة ، ولم يبق دون الفجر إلا قليل ، والليل ساكن سكون السحر الفاتن العميق ... وإذا رجة لا توصف قلقلت البيوت فذهبت بها ، جاءت كأنها الزلزال العظيم ، لولا أنها اقترنت بصوت أفاق منه الناس ، وإن أجلادهم ليضطرب في فراشه اضطراب السمكة خرجت من الماء ، ثم أعقبتها رجتان ، ثم جاءت رجة أنست الناس الأوليات فحاروا وذهبت المفاجأة بألباب ذوى اللب منهم وخرجوا من بيوتهم يتراكضون ، وما لأحدهم وجهة ولا مقصد ... ثم انجلت الحال ، فإذا هي طيارة لا يدرى أحد موردها ولا مصدرها ... ألقت قنبلتها الأولى على أكواخ في مزرعة عند (جسر تورا) فيها ثلاث أسر في كل أسرة منها أكثر من عشرة أشخاص ، فأبادت الجميع ، وما ثمة مطار ولا ثكنة ولا شيء مما يصح أن يكون لقنابل الطائرات هدفاً ؛ وألقت الثانية على (باب السلام) من أسفل (الجزيرة) فهدمت أربع عشرة داراً (لا شقة) ، والثالثة وقعت على الكلاسة فأبادت الحى كله ؛ ولو زاحت عن موقعها عشرة أمتار من هنا أو هناك ، لطارت بمأذنة العروس أو بقبر صلاح الدين ، ورمت الأخيرة في الحى الجديد في (سيدى عامود) ، الذي لم يكد يبنى بعد خرابه ، حتى حمل إليه الدمار في الثانية من حمله في الأولى ، وما في كل ما دمرت الطائرة ولا في جواره ولا قريباً منه شيء من المصانع والمواقع العسكرية ألبتة

وقع ذلك كله في أقل من خمسين ثانية ، لم يمتد إلا ريثما اجتازت الطيارة من أول المدينة القديمة إلى آخرها ، ثم توارت في الظلام كما خرجت من الظلام ...

— ٥ —

أسرعت مع من أسرع إلى مطرح القنابل وبدأت من (سيدى عامود) فإذا القنبلة قد سقطت في وسط الطريق في ميدان صغير يتقاطع فيه شارعان ، فاحتفرت حفرة هائلة ، وتطايرت قطعها وشظاياها ، فأصابت أربع عمارات جديدة مترعة بالسلع التجارية القيمة فضعضعتها وهدت أركانها وأدخلت بعضها في بعض ، وأبادت كل ما كان فيها من سلعة ومتاع ، وأفقرت أسراً الله أعلم بعددها ، وحطمت القنبلة كل زجاج الحى ،

وقتلت رجلاً وامرأتين - وذهبت من بعد إلى (الكلاسة) فإذا هذا الحى الآمن بأمان المسجد، القائم فى حى صلاح الدين، قد غدا تلاً واحداً كالقبر العظيم كأنه لم يكن منذ ساعات يبسم للحياة ويبسم له المجد، وكأنه لم يكن منزل الكرام الصيد المحسنين ... وكان الناس مزدحين يعملون مساحيهم فى هذه الأنقاض فيكشفون عما تتفطر لهوله القلوب، ويلقون من غرائب الحياة ومآسيها ما يخجل أكبر القصاص ويدفعه إلى حطم القلب، والنساء يولولن يسألن عن زوج ضائع أو ولد مفقود ويقمن على أرجل الكشافة والفعلة وأصحاب المساحى يسألنهم الإسراع بالكشف عمن افتقدن من أقربائهن، ومنهن من تقبل على التراب تنبش بيديها وهى تعد الدقائق والثوانى تتصور الموت جاثماً على صدر من تحب؛ فإذا رأت أنها لم تصل إلى شىء وهالها الأمر، جن جنونها فأقبلت تلطم وجهها وتشد شعرها. والرجال ... لم يكن الرجال بأجلد من النساء

وكيف يتجلد الرجل ويصبر وحبيبه تحت الأنقاض وكلما مرت لحظة دنا من الموت باعاً، كيف يصبر وهو يظن أن فى يده حياته، وكيف يعيش من بعده إذا توهم أنه هو الذى قتله بتقاعسه عن إسعاده؟

إن الذى رأيت فى الكلاسة من الفواجع والمآسى لا يقدر على وصفه لسان ولا قلم، والحفارون خلال ذلك يخرجون جثة من هنا وجثة من هناك، فينادون عليها ليعرفها من يعرفها. ولقد وجدوا جثثاً مشوهة لم يعرف أصحابها، ووجدوا ساعداً مبتوراً لم يدر من صاحبه ... وهذه امرأة حديثها عجب من العجب؛ فقد كانت تنام بين ولديها فلما سمعت الرجفة نهضت وكل عرق منها يرتجف كأنه ريشة فى مهب الريح فوجدت الظلام من حولها دامساً طامساً، فمدت يديها تتلمس ولديها فوقعت على الرضيع ولم تقع على الآخر، فتحسست مكانه فإذا يدها على جذع من الخشب وسط تراب منهار، فنهضت كالمجنونة فاصطدم رأسها بشىء قريب حسبته السقف فازداد جنونها ولم تدر أهى فى يقظة أم فى حلم، فأخذت بيد ابنتها التى ما ينقطع بكاؤها وقبعت فى فراغ وجدته. وكان ينتهى إلى سمعها صدى طرقات بعيدة كأنها آتية من قرار سبع آبار، ثم رأت حين ألفت عيناها الظلمة، كأنما هى فى مغارة من مغارات الجن لا باب لها ولا كوة، ثم أنها من ضيقها كالقفص، فأقبلت تضرب بيديها ورأسها، والتراب يتساقط عليها حتى وجدت بصيصاً من النور، وازداد صوت الطرق وضوحاً فى أذنيها، وتسرب إليها الهواء بعد أن كادت تختنق، فأغمى عليها ولم تفق إلا فى المستشفى ورضيعها إلى جنبها، وولدها الآخر وزوجها تحت الأنقاض

وهذا هو الأستاذ المصور (أ ...) يفتش عن ولده الحبيب، وقد جحظت عيناه من الذعر، وتبدلت حاله، وصار لون خديه كقشرة الليمون، وهو يستحث الحفارين، ويضرب بيديه التراب ... هنا ابنه، ولده الحبيب! يا أيها الآباء! جاء به من المهاجرين يوم الروع ليودعه المكان الآمن عند جدار المسجد، عند قبر صلاح الدين. ومرت ثلاث ساعات كانت عليه وعلى الشاهدين كأنها ثلاثة عصور؛ ثم انكشف الردم عن نصف غرفة وإذا الولد فيها وهو حى، لكن ذراعه تحت الردم، وهو يصرخ: أبى، ارفعنى، ارفعنى يا أبى. فلما سمع الأب صوته وثب إليه يعانقه وهو يبكى، وكل عين ثمة تبكى ... ولكن كيف يرفعه وفوق ذراعه كل تراب؟ وأقبلوا ينقلون التراب والولد يصيح صياحاً جعل أباه يفكر بإنقاذه ولو بقطع يده، أسمعتم؟ وإنهم لفى ذلك وإذا بجذع يهوى على رأس الصبى فيقتله حالاً

وها هنا طفل رضيع يجدونه حياً يمتص من ثدى أمه الميتة. حقائق لو كانت خيالاً لكانت من أغرب الخيال

ولما انصرفت من (الكلاسة) أخذ بيدى صديق لى وأنا لا أبصر من الأسى والحزن طريقى فقال: إن ما رأيت ليس بشىء. إن أحببت أن تنظر إلى أفظع عدوان وأشق ضحية وأروع مشهد، فتعال معى إلى باب السلام، فلقد أخرج منه إلى الآن (الضحى) سبعة وعشرون قتيلاً، فنترت يدى منه ولم أجب!

— ٦ —

وانجلت الغارة عن ثمانية وعشرين منزلاً أضحت خرائب وتلالاً وواحد وسبعين قتيلاً. ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال، ونحو من خمسين جريحاً لا يكاد يعيش منهم أحد، ما قتل هؤلاء

صفحة من كتاب

«مرارة اليتم»

[مهداة إلى الصديق المفجوع بوالده]

للأستاذ شكري فيصل

— ١ —

حين مددت يدى أمس إلى ساعى البريد لم أدر سر هذه الخفقة العنيفة التى اضطرمت بها جوانحى فانتفضت معها انتفاضة المذعور، ووجدت فى نفسى ألواناً من الأحاسيس لم أملك أن أسكن إليها، أو أطمئن معها، أو أدرك سر التأثير فيها... فلقد فاضت بين جنبى لاهبة مستعرة، فإذا أنا أصلى بلهبها، وأكوى بلفحها، وإذا كيانى كله جمرة متقدة فى أتون من اللظى والنار

ولم يكن ذلك من عادتى فى شىء... لشد ما كنت أضحك للساعى وأطرب له... ولشد ما كنت أقبل عليه وأدنو منه... لقد كنت ألقاه بالأمل الطروب الذى ينساب ابتسامة عريضة، وتحية مرحة، ولقاء حلواً... وكنت أرقب موعده، وأنتظر مقدمه، وأعدّ له الساعات؛ فليس أحب إلىّ من الساعة التى تصافح فيها يداى هذه «الرسائل»، أنسم فيها عبير الوطن، وأنعم بدنيا الأهل، وتنتسق لى الذكريات اللطاف، وأعيش فى هذا العالم الندى: نشوان بالرؤى الحالمة، ثملاً بالأمانى الناعمات.

ولكن كان لى فى أمس شأن آخر... لم تتفتح شفتاى عن التحية الحلوة، ولم تنطلق فى دنياى البسمة الطروب، ولم تشع فى وجهى قسمات الأمل. كان كل شىء فى نفسى يهتز ويضطرب كأنما كان ينشر فى السماء الصافية أمواه السحاب وأمواج الضباب، وكأنما يبعث فى العالم الهادئ الآهات الصاخبة والنفثات الناضبة. وكانت تطيف بى طوائف كابية معتمة لا أتبين معها وجه النور، ولا ظلمة الغسق؛ ولا أدرى لما عبق الأمل أو مرارة الواقعات، ولا أحس أهى نذر الشر أو بشارات الخير!

وحين أخذت أنزع هذا الغلاف الرقيق لم أدر أين أبتدأ منه. كنت كلما أمسكت بطرف منه توليت عنه إلى طرف آخر؛ فإذا الكتاب يضطرب بين يدى، وإذا أنا أدور معه كالخابط فى الليلة الظلماء لا يدرى أين يضع قدمه لأنه يخشى أن تزل به... لكأنى كنت أخادع نفسى فلا أفجؤها بالآهة الحرّى والدمع الهتون

— ٢ —

وأخذت أقرأ من هنا وهناك لم أبتدئ مع الكلمات الأولى كما يفعل الناس، لأنى لم أك أملك الإرادة الهادئة والطبع المتزن. ولكنما كنت أعدو وراء الكلمات وأمضى فى ثنايا الأسطر، لألقى الشر وأجد خبر المصيبة

إن الفراشة الوادعة ليست هى وحدها التى تسعى إلى النور لتلاقى حتفها فيه، ولكننا فى ساعات المصيبة أشبه بهذه الفراشات؛ غير أننا نتداعى فى قبور الظلمة ومسارب الكهوف لتلتهمنا الآلام الفواجع

— ٣ —

لقد عرفت فى كتب صاحبى أناقة الصورة وجمال المظهر:

فى المعركة الحمراء ولا سالت نفوسهم على ظُبى الأسنة، وشفرات السيوف... ولو واجههم العدو فى حومة الوغى لوجدهم فرسانها وسادتها، ولكنه أخذهم غدراً وعدا عليهم وهم آمنون فى فرشهم فأخذ الرجل من جنب زوجته وولده، أو قتلهم جميعاً لم يتورع عن قتل النساء، ولا عن ذبح الدرارى، ولم يكسر عليهم الأبواب ويدخل دخول الغاصب القوى؛ ولكنه مرّ فى السدفة الحالكة مرور اللص الجبان، فراغ عن مواطن الجندية ومنازل الكماة لأنه ليس من أكفائهم، وتخير هذه البقع الآمنة حول بيت الله فصب عليها كل ما فى النفوس الشريرة من خسة ودناءة، ولعله أراد بنيرانه بيت الله، أو لعله أراد بها قبر السيد الذى علم قومه كيف يكون النبل

فيا رحمة الله على النبل وأهله، وسلام على هذه الأرواح الطاهرة، وعلى الظالمين لعنة الله

علي الطنطاوي

وكنت أجد فيها مراح الطفولة وعبث الصبا ؛ وكانت تنشر لعيني ذكريات الماضي وأصداء السنين . لطالما هدأت إلى ظلالها الوارفات بعد الطواف البعيد ! كانت أشبه بالزهرة الفواحة التي تفتح عنها نفس يهزها الأمل ، ويحدوها الرجاء ، وتزدهر من أمامها مسالك الحياة ... ولكنها اليوم شيء آخر ، لقد عصفت بها العاتيات فمزّقتها من الجمال الضافي ، وسطت عليها لفحات النار فذهبت برُوائها الزاهي ... لم يعد كتاب صاحبي إلا الهشيم الذي تذروه الرياح الهائجة : تلطمه بالمصيبة ، وتصدمه بالفجيعة ، وتنال منه بالحزن

وفي طرف منه جمدت عيناي ويبست أطرافي . كان يهتز في يدي كما تهتز الأوراق البالية في أعقاب الشجرة الضخمة ، فتسمع لها حشرجة الروح ، وأنين الاحتضار ... لكأن كلمة الموت التي طرقت سمعي فيه ، قد ملأت كل كياني ، فإذا أنا وهذه الدنيا من حولي هامد همود الجثة . صامت صمت الموت ... موحش إيحاش القبر

— ٤ —

يا للمساكين الذين تنالهم الدنيا بأحزانها السود ، وتنشب مخالبها الحادة في أجسادهم الطرية الرخوة ... إنهم لم يستكملوا بعدُ ريعان الفتوة وزهرة العمر وربيع الشباب ، ولكن الحياة تريدهم على أن يجدوا الربيع القاحل ، والزهر الآفل ، والريعان الماحل ... إنها لتريدهم على الحزن ، ولتضطرهم إلى البكاء حين تضحك السماء وتبتسم الأرض ... لا تبالي هذه القلوب الساذجة الضاحكة ، ولا تأبه لهذه النفوس الخيرة النبيلة ، ولا يمنعها أن تلطم باليتم فتياناً عرفوا الحياة نعيماً وأملاً وجنة

يا ويح اليتيم ... كان بالأمس ينشأ في أيام من الورد والسوسن ، وفي أجواء من العطر والزهر ، وفي دُنى من النعيم والسحر ؛ ولكنه اليوم يغمض لهول المصيبة عينيه ، ويصم أذنيه ، ويطرق برأسه . فإذا أفاق وأصغى ونظر فلن يجد إلا الصحراء والظلماء والبأساء ؛ لأن الدنيا عدت على عاله الهانئ فذهبت بعطره وسحره ، وعتت على جنانه الناعمة فذهبت بورده وزهره ، ودفنت عرائسه المائسات في قتام العاصفة ، وتركت له أغصان الأسى ينثرها بيده على الهيكل الحبيب والقبر الخصيب

— ٥ —

لم أعد أستطيع أن أقرأ ، لأن الدموع التي كانت تتفرج عنها جفوني غشت عينيّ ؛ فإذا أنا أهيم في أودية مرعبة من الحسرة الممضة والألم العميق

وإني لألمح صديقي فما أملك أن أطيل النظر إليه والتأمل فيه . لقد عرّته الدنيا من نعمة الأبوة ، كما تعرى الزهرة الناشئة من أوراقها الخضر ؛ فما يملك أن يرد عن نفسه المكاره العاديات

لشد ما يبعث الأسى هذا اليتم المفاجئ في الليالي السود ، ينتزع النعمة الزائلة ، ويتعقب الهناء الوارف ، ويبدد الحلم السعيد ، ويسوق هؤلاء المساكين الفتيان وهم في غضارة الصبا وطراوة الشباب ، إلى دنيا من الهموم والكآبات

ولكن لا عليكم أيها الشباب الذين يفقدون آباءهم في أحلى ساعات العمر وأجمل أوقات الحياة ، ويتطلعون حولهم فلا يجدون القلب الذي ينهلون منه ، والساعد الذين يتكئون عليه ، والصدر الذي يدفنون وجوههم فيه ، لأن الآلام المبكرة ليست إلا السحاب الجون يفيض أمطاراً ومياهاً ليغسل الأدران ، ويطهر الأجواء ، ويصفي النفوس

« القاهرة » شكري فيصل

الوحدة العربية ووحدة اللغة

للأستاذ يوسف كمال حتاتة

استمر حكم العرب فى الأندلس ثمانية قرون من عام الفتح (سنة ٩١ هـ) إلى العام الذى سقطت فيه غرناطة سنة ٨٩٧ هـ)

وكانت فى الأندلس سبعمائة مكتبة عامة يرتادها الناس لدراسة أنواع العلوم وبينها مكتبة قرطبة التى كانت تحوى نصف مليون كتاب

فلما دالت الأيام وأخرج العرب من ديارهم أحرق أعداؤهم الكتب التى ألفوها وبقيت البلاد ترسف فى قيود الجهل وأصبحت كلمة كتاب إحدى الجرائم التى ينبغى الحذر منها، وظلت مدريد - عاصمة الحكم الذى خلف حكم العرب - لا تضم مكتبة عامة واحدة إلى القرن الثامن عشر الميلادى

فى هذه الفترة كان المتحدث عن نظريات نيوتن وابن رشد يساق إلى محكمة التفتيش فتحكم عليه بالموت بعد التعذيب، والتعذيب هو قطع الأرجل والأذرع فى شريعة القساوسة؛ أما الموت فهو إلقاء المحكوم عليهم فى التنانير المسجورة

فى زمن عبدالرحمن الناصر لدين الله كان المبشرون يقفون أمام جامع قرطبة الكبير ويخطبون داعين الناس إلى اعتناق الدين المسيحى فى أثناء اجتماع المسلمين لصلاة الجمعة، وكان الخليفة يسمعهم فلا يقول لهم كلمة ولا يأمر رجال شرطته باعتراضهم أو الوقوف فى طريقهم

هذا فى الأندلس؛ أما فى بغداد فقد وضع الرشيد جميع المدارس فى مملكته تحت رقابة يوحنا بن ماسويه الشهير، وكان الإشراف على أمور التعليم فى الدولة العباسية يفوض تارة إلى النسطوريين وطوراً إلى اليهود

وكان جيورجيس الجنديسابورى طبيباً للمنصور، وقد علت منزلته عنده، وسبب ذلك أنه كانت له زوجة عجوز لا تشتهى فأشفق عليه المنصور وأرسل إليه ثلاث جوار حسان فردهن وقال: « إن دينى لا يسمح لى أن أتزوج غير زوجتى ما دامت حية » فأعلى المنصور مكانته وقدمه حتى على وزرائه. ولما مرض أمر المنصور بنقله إلى دار العامة وخرج إليه ماشياً يسأل عن صحته فاستأذنه الطبيب فى الرجوع إلى بلده ليدفن مع آبائه فعرض عليه الإسلام ليدخل الجنة فقال له:

رضيت أن أكون مع آبائى فى الجنة أو فى النار

فهش له المنصور وبش وأمر بتجهيزه ووصله بعشرة آلاف دينار، وهو المنصور المشهور بالإمساك وكزازة اليد

على أن هلاكوخان الوثنى قد أمر بإلقاء الكتب العربية فى نهر دجلة، فقضى على مدنية بنى العباس بعد تقويض عرش خلافتهم التى استمرت من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ٦٥٦ هـ

فأنت ترى أن هلاكوخان التترى الوثنى لم يعمد لتقويض بنيان الدين الإسلامى، ولكنه أراد القضاء على لغة العرب ومدنيتهم فى العراق، وحذا حذوه قساوسة الأسبان فى الأندلس الشهيدة، لأن الأمة تحيا وتموت بحياة لغتها وموتها. أما كتاب الله وسنة نبيه، فإن هلاكوخان التترى الوثنى وقساوسة الأسبان الذين هدوا هديه فى الأندلس كانوا يعلمون أن المصاحف وكتب الحديث قد انتشرت فى جميع المشارق والمغارب فى بلاد فارس وفى الهند وبلاد الجزيرة العربية وجاوة وبخارى وما إليها.

عندما ضمت ولاية الألزاس إلى ألمانيا بعد حرب السبعين الأخيرة، قام أحد المدرسين الفرنسيين فى تلك المنطقة الشهيدة إذ ذاك بين تلاميذه وقال لهم: إن درسى هذا هو آخر الدروس التى ألقيها عليكم. فإذا أردتم أن تحتفظوا بفرنسا فى قلوبكم، فلا تفرطوا فى لغتها

والوحدة العربية التى استشهد الحسين بن على رافع علمها فى سبيل الذود عنها وأضاع ماله وتاجه، هذه الوحدة التى يدعى لها العرب وعلى رأسهم صاحب السمو الأمير عبدالإله حفيد الحسين، لا يقدر العرب على الوصول إليها — على الرغم من الجهود المبعثرة التى يبذلها أصحاب الزعامات الزائفة الذين يشبهون الذباب الملوث فى الإناء الطاهر — إلا إذا وحدنا لغة الجرائد والمجلات، ليفهم ابن العراق وابن اليمن والحجاز ونجد وفلسطين ودمشق ما يكتبه ابن مصر

لو عرف الرجل الذى ناطوا به قتل اللغة العربية فى مصر وحكموه فى وزارة المعارف المصرية من عام ١٨٩١ إلى عام ١٩١٩ أن جماعة من تجار الأدب الزائف والثقافة المرجاء، سيصدرون هذه المجلات التى يكتبونها بلغة طمطمانية، لا تمت إلى العربية الصحيحة بصلة ويحشونها بمقالات لا صلة لها بالأدب ولا بالتاريخ

ولا بعلم من العلوم الحديثة ولا القديمة ، لبرأ ذمته من جناية قتل اللغة العربية فى مصر وتخلص من لعنة التاريخ الأبدية ، لأن هذه المجلات قد قضت على اللغة العربية وهبطت بها إلى أقصى دركات الحضيض فخدمت الاستعمار وقضت على الوحدة وعلى الأخلاق

وهذه الكتب التى تدرس فى المدارس التابعة لوزارة المعارف ما قول صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا فيما حوته من الأغلاط اللغوية والتاريخية ، فقد أحصيت فى أحدها ثلاثمائة غلطة لغوية وتاريخية تكاد تخرج الكتاب من حظيرة الكتب التى يشرف على انتخابها عدد من العلماء ، على رأسهم هيكل باشا المشهور بغيرته على لغة الضاد ومحاولته إحياءها بعد موتها

وإنى لا أتحدى أحداً إذا طلبت إلى معاليه الرجوع إلى سجلات مخزن كتب وزارة المعارف فى زمن إدارة « المستر دجلاس دنلوب » ورؤية أسماء الكتب التى أمر ببيعها بالقنطار فبيعت بأبخس من ثمن الورق قبل الطبع ؛ إنه إذا فعل فسيرى بين هذه المجلدات التى بيعت بالقناطير عدداً كبيراً من الكتب اللغوية القيمة مثل : القاموس ولسان العرب وصحاح الجوهرى ، ومن الكتب النحوية التى لا يوجد نظيرها من المؤلفات الحديثة فى مكاتب مصر ولا بين كتب التدريس

وهذا معناه أن يد هلا كوخان أو يد عضو محاكم التفتيش قد حاربت ثقافة مصر من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٩١٩ ، فإذا كان العرب يريدون الاحتفاظ بمجدهم ، فإن الواجب يحتم عليهم حفظ لغتهم ، وهذا لا يتم إلا بنبذ المجلات الموبوءة ، والاعتناء بتصحيح لغة كتب التدريس

كان صاحب الجلالة المغفور له على الأول ملك الحجاز السابق ووالد صاحب السمو الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق اليوم يقيم فى حى الكرادة على ضفة نهر دجلة فى مدينة دار السلام ، وكنت أيمم قصره فى كل يوم فأرفع إلى جلالته خلاصة الجرائد العربية والتركية وأحمل بعضها معى لإعادة قراءتها عند عودتى فى المساء . وفى أحد الأيام قرأ أحد أصدقائى جريدة هزلية تصدر فى مصر ودسها فى الجرائد التى تأبطتها ودخلت على الملك الوديع فوجدته منفرداً فى بهو الاستقبال .

وبعد حديث قصير أمرنى بقراءة مقال لى قد نشرته جريدة العراق فى ذلك اليوم فقرأته . وفى هذه الأثناء انتثرت الجرائد التى أحضرتها بسبب الهواء المتسرب فى النافذة المفتوحة وسقطت على الأرض ، وكنت قد وضعتها على مقعد بالقرب من جلالته ، فرأى الجريدة الهزلية وسألنى عن مصدرها وخطتها ، وأخذت فى قراءة أحد فصولها ، فأتممت قراءته وشرعت فى قراءة فصل آخر ، وتراءى لنا صاحب السمو الأمير عبد الإله فأومأ إلىّ جلالته بطرفه فأخفيت الجريدة وغيرنا مجرى الحديث . وعرف الأمير الفتى أنه قد تَخَبَّأْنا فى خلوتنا فسلم وودع ولم يزد على قوله لكاتب هذا المقال : جئت للسلام عليك وقد قرأت مقالتك اليوم فى جريدة العراق فاسمح لى بالانصراف لأنى ذاهب إلى المدرسة .

وبقيت مع جلالة والده فقال لى بعد انصراف ولده وهو يشيع سيارته بنظراته من نافذة القصر :

— لقد فطنت لما أشرت به إليك ، لأنى لا أقرأ ولا أريد أن يقرأ عبد الإله الجرائد والمجلات التى تنهش الأعراض ؛ وهذه هى المرة الأولى التى منيت فيها برؤية جريدة من هذا النوع

فقلت لجلالته : إن هذه الجريدة قد دست فى جرائدى ولم أرها إلا بعد شروعى فى القراءة ، ولو عثرت عليها قبل دخولى من باب القصر لحرقتها وذريت رمادها فى الهواء ، لأن هذا النوع من الجرائد لا فرق بينه وبين جراثيم الأمراض الوبائية .

ومضى جلالته فى حديثه فقال :

— يقول لك عبد الإله إنه قد قرأ مقالاتك فى جريدة العراق وقد رمى بقوله عصفورين بحجر ، فقد أذنت له فى قراءة الجرائد التى تنشر مقالاتك لا غيرها ، لأنك لا تتعثر فى الأغلاط اللغوية ولا تدنس قلمك بالهُجر من الألفاظ التى تجرح العواطف ولا تغالظ لمناظرك فى القول ، وهذا ما حدا بى إلى النصح لعبد الإله بقراءة ما تكتبه فى الصحف وما تختاره له من الكتب .

فقلت لجلالته : إن المتنبى حكيم العرب وشاعر الأجيال يقول يا صاحب الجلالة :

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد

ويقول أرسطاطاليس إن الفضائل ليست طبيعية فينا ، وإلا عجزنا عن تغيير طبائعنا ؛ فالعادة لا تستطيع أن تغير ما هو فطرى ، مَثل ذلك مَثلُ الحجر الذى يهوى بطبيعته إلى أسفل فإنه لا يمكن أن يتعود الصعود ولو حاول به المرء ذلك ألف مرة ؛ وكذلك النار فطرتها الصعود بلهبها ولا يمكن أن تتجه إلى أسفل ؛

وليس فى الوجود جسم واحد يمكن أن يفقد خاصته التى تلقاها من الفطرة ليستبدل بها عادة غيرها

والأمير عبد الإله كريم الطرفين هاشمى الأبوين لم أره مرة مازحاً ولا عابثاً . ولقد تقدم إلىّ يوماً فى طلب كتاب قراءة ليتفكه به فى أوقات فراغه فبحثت فى خاطرى وتخيرت لسموه كتاب كليلة ودمنة وأحضرت له نسخة من الطبعة التى صححها الشيخ خليل اليازجى لخلوها من الأغلاط اللغوية . وبعد قراءة بعض فصولها قال لى : إنه يميل إلى مطالعة الكتب الأدبية واللغوية والتاريخية فأحضرت لسموه شرح ديوان أبى الطيب وفقه اللغة وسر العربية للثعالبى وحاولت أن أردفهما بكتاب أدب الكاتب لمؤلفه أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

بيد أنى أردت تمحيص أدب الكاتب لأعرف هل هو من سقط المتاع ، أو من البضاعة التى تساوى ما سيبذله الأمير من وقته الثمين فرأيت صاحب أدب الكاتب يقول : (ومن ذلك القافلة يذهب الناس إلى أنها الرفقة فى السفر ذاهبة كانت أو راجعة ، وليس كذلك إنما القافلة الراجعة يقال قفلت فهى قافلة ، وقفل الجند من مبعثهم أى رجعوا ، ولا يقال لمن خرج إلى مكة من العراق قافلة حتى يصدروا)

والقاموس يقول : « والقافلة الرفقة القفال والمبتدئة فى السفر تفاؤلاً بالرجوع »

ويقول فى « باب مالا ينصرف » وما كان منها على ثلاثة أحرف « يريد ما كان من الأسماء » وأوسطه ساكن فإن شئت صرفته وإن شئت لا تصرفه . قال الله عز وجل : « أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين » وقال تعالى : « اهبطوا مصراً » انتهى قول ابن قتيبة . وهذان المثلان يثبتان أن ابن قتيبة يجهل أسرار اللغة العربية ، فالقاموس يقول المصر الكورة، والكورة هى المدينة، فقوله فى الآية لبنى إسرائيل الخارجين من مصر فى طريقهم إلى بيت المقدس (أدخلوا مصراً) معناه أدخلوا إحدى المدن ؛ وقوله تعالى فى الآية (٩٩) من سورة يوسف عليه السلام « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » يريد به مدينة مصر عاصمة وادى النيل واسمها هنا ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ؛ أما فى الآية الأولى فإن العلتين قد زالتا فلا علمية ولا عجمة والاسم فى قوله تعالى : « اهبطوا مصراً » عربى نكرة ولكنه علم أعجمى فى سورة يوسف ؛ وعليه فإن ابن قتيبة قد أخطأ فى التمثيل ولو تمثل باسم غير هذا الاسم مثل (هند) و (دعد) لأصاب لأن العلم الثلاثى الساكن الوسط يجوز فيه المنع والصرف إذا كان غير أعجمى ولا منقول ؛ أما مصر فى الآية الواردة فى سورة يوسف فإن فيها العجمة والعلمية

ويقول ابن قتيبة ويقال : (شتان) ماهما بنصب النون ، ولا يقال شتان ما بينهما ؛ والقاموس يقول : (وشتانَ بينهما بفتح النون وماهما وما بينهما وما عمرو وأخوه أى بعد ما بينهما)

ويقول ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « ورجل منهوم من الطعام ولا يقال نهم » والقاموس يقول : (نهم ونهيم ومنهوم) ، وفى أدب الكاتب أغلاط لا أضيع الوقت بذكرها

ويسرنى أن سمو الأمير قد ذكر لى سبب رغبته عن قراءة كتاب كليلة ودمنة فقال : لقد برمت بما فيه من القصص المتشابكة والإطالة المملة على الرغم من جزالة ألفاظه وسلامة عباراته ورقة أسلوب كاتبه وبلاغة إنشائه الذى هو من نوع السهل الممتنع

وآن وقت الغداء فتغدينا وودعت جلالته وانصرفت

يوسف كمال حتاتة
عضو المجمع العلمى بوزارة المعارف فى الآستانة سابقاً

فن تيمـــور

للسيدة الفاضلة وداد سكاكيني

كان الفن القصصي في نهضة أدبنا الجديد أطيب ما أثمر وأينع في إنتاج الأدباء المحدثين ؛ ولا ريب في أن القاص المصري الشهور محمود تيمور كان سباقاً لمفارس القصة ومجانيها ، ولا يزال في طليعة أدبائها الذين توفروا على إنشائها وممارستها على ضوء القواعد التي أجمع على مراعاتها قادة الأدب وأهل الفن

إن في قصص تيمور دنيا العالم الذي يعيش فيه ، فقد سبر هذا الأديب أغوار الحياة ومعايش الصعاليك والشذاذ ، وارتفع إلى قمة الحياة فعرف أهل السرف والترف وما يدور في دنياهم الطافرة من سعادة وشقاء . وإنك لترى في صنعه المتقن مدينة من القصص ، فيها صور الصروح شامخة الهامات متلألئة الثريات ، وفيها تماثيل الأكواخ مفروشة بهلاهل الحصير تترجح في ظلماتها مرج مختنقة الأضواء

ومن يقرأ تيمور في قصصه الحديثة يجدها متنوعة الألوان ، محيطة بمعالم الإنسانية التي تحمل مياسم الشرقيين العرب ، فلم تبق إقليمية محلية مقتصرة على طابع واحد ، وإنما أخذ فن مؤلفها ينمو ويتطور ويتجه صوب النفس الإنسانية ، غائصاً على أسرارها مستجلياً خفاياها . وإنك لتراه أيضاً يلقي النور في بعض أقاصيصه على كثير من مشاكل العصر ومعضلات المجتمع ، وكأن آثاره المنوعة عاصمة من عواصم الفن ، شيدها تيمور بك على ضفاف النيل ، لم يسمع بها خوفو ولا حوتها طيبة . وإن من الكتب ما يبقى على وجه الزمان أكثر من المدن المشيدة بالحجارة والحديد . فليكن كلامي على آخر إنتاجه « مكتوب على الجبين » ففي هذا الكتاب اكتمل الفن واستقام الأسلوب

بدأ القاص كتابه بمقال حافل عن فن كتابة القصة أو كيف يعالج القاص كتابة قصة فنية ؛ فبين في فاتحة كلمته أن الموهبة والقواعد أمران لا بد منهما للقصصي كالشاعرية وصحة النظم للشاعر . وهنا طفق يفيض في أصول القصة ومميزاتها التي تبصر القصصي وترشده إلى أسرار الإبداع ، ثم عرض لأنواع هذا الفن وأسمائه من ناحية الأسلوب والموضوع ، وما يدلان عليه في أدب الفرنجة ، وانتهى إلى بسط العناصر التي إذا جرى عليها القاص برزت قصته ناطقة بالحياة منطبقة على أوضاعها وأطوارها ، فجاءت هذه المقدمة درساً قيماً في فن القصة يجدر أن يلم به كل من أوتي الموهبة التي تمده لمعالجة هذا الفن

* * *

لا تثريب على « الشيخ غيث » فلقد مهدت له أم حسن سبيل الغواية والمعصية ، وكأني أشهده الساعة وهو يداعب بأصابعه لحيته المستديرة ، ويستمع للحوار الذي دار بينه وبين زوجه السليطة اللسان المتشاجرة مع الجيران ؛ حتى إذا سافرت هذه للريف وقف الشيطان بينه وبين خادمته جليلة التي أخذته بنظراتها الغاوية ، فاحتلت منغلق تفكيره ، وجعلته يفسر آي القرآن كما شاء هواه ؛ ففي هذه الأقصوصة ترى رجل الدين الذي يتصنع الوقار والتقوى ، ولا يلبث أن يهوى في قرار سحيق من الخطيئات

وإني لأتساءل : ما حال « بسمة اللبنانية » بعد أن هامت على وجهها ، فهي مذ حلت في فندق الشمال من لبنان خفت إليه مواكب الطرب ، ولمعت فيه الأعين بالجذل ، وفاضت الوجوه بالمرح . لكن ذلك الفتى الفنان الذي حل بالفندق على حين غفلة سلب بفنائه لبها ومهر بحبه نفسها ، فأحال خفتها رزانة وضحكها بكاء حتى كان مآلها الاختفاء

هكذا تتعاقب في ذهني صور هذه المجموعة التي اشتملت على أربع عشرة قصة ، فأحدث منها كأنني رأيت أبطالها وعرفتهم ، لأن المؤلف قد استمد حوادثهم من الواقع الذي هو ملء سمعه وبصره ، وأفاض على تلك الحوادث من تهاويل الخيال دون كلفة ولا ابتذال ، فلم تصطدم بما يخالف العرف والذوق ، ولا ندت عن العادات والشرائع ، وإنما كانت المثال الحق للقصة الحديثة . على أن ما يلفت النظر ويسترعي الإعجاب في هـذه المجموعة ظاهرة فيها جديدة لم أكن لأراها فيما سبق من آثار الأستاذ تيمور بك ؛ تلك هي صقال الإنشاء ، وبراعة السبك في الأسلوب ، والطرافة في الأداء والحوار ، وهذا يفسر استماع القاص الموهوب صاحب المجموعة لبعض الناقدين ،

كبرياء !...

للأستاذ صالح جودت

أجلْ أنتِ فاتنـــة ، إنما أرى عزة النفس لى أفتنا
وإنْ كان عندكِ سحر الجمال فسحر الرجولة عنـدى أنا
وإنْ كثرتْ فى هواكِ القلوبُ فذلك من بعض ما عندَنا
وإن غرّروكِ بحلو الشباب فإنّ الشباب قريبُ الفنا

وعينيكِ، والخصَلِ الحالكات كأنى بهـا خُلقتْ مَوْهنا
وحمرةِ خدّيكِ فى سُمرةٍ كحلو النبيـذ رقيق الجنَى
يحبكِ قلبى ، ولكنه يخاف العواقبَ إن أعلنا
فيكتم عنكِ شؤونَ الهوى ويُظهر غـير الذى أبْطنا
وأنتِ المنى ، غير أنى امرؤٌ يذلل للكبرياء المنى
ويكره فى الحب بذلَ الدموع و بسط الخضوع وفرطَ الضنى
إذا المرء هان على نفسه يكون على غـيرها أهْوَنا
وذلُّ الرجال لوجه الجمال كذلّ الضمير لوجه الغني
وإنى امرؤٌ حررته الحياة فـكيف ترومين أن يُسْجَنا
وهذا الدلال وهذا الضلال حبيبا الشقاء عَدُوّا الهنا
فلا تجعلى من غرور الأنو ثة باباً يسـدُّ الهوى بيننا

صالح جودت

إذ كانوا يرون فى أسلوبه وهناً يمدونه غضاضة فى فنه ، فصح عنده أن سمو الآثار الأدبية والفنية لا يقوم على المعانى وحدها ، وإنما يعوزه المبانى المرصوصة الجميلة ؛ فما خلد الكتاب إلا أساليبهم ، ولا جرم أن الأديب الذى لا يتقدم ولا يتجدد يكون غير مبدع ، لأن من سنة الإبداع التطور والتحرر من كل ما يعوق الفن عن التحليق ، ويطرف الأدب بجدة القرائح ورصانة التعبير

إن أدبنا الجديد مدين للقاص المطبوع محمود تيمور ولأنداده أعلام القصة فى بلاد العرب بهذه النهضة الأدبية التى ما زالت مشرقة الأسارير ، وضاحة المعالم على الرغم من توالى الخطوب وجهامة الزمان

وداد سكاكيني

ليالى القاهرة

الميعاد الضـــائع

للدكتور ابرهيم ناجى

يَا مَنْ طوَاها اللّيلُ فى ظلُمَاتِهِ رُوحًا مُفزَّعَةً عَلَى بيدَائِهِ
تتلفّتِينَ إلَيَّ فى أنحائِهِ لَهَفَ الفُؤَادِ عَلَى الغَرِيبِ التَّائِهِ !

إنْ تَظمَئِى لِيَ كَمْ ظَمِئْتُ إليكِ جمَعَ الوَفاءُ شَقِيَّةً وَشقِيَّا
يَا مُنْيَتِي قستِ الحيَاةُ عَلَيكِ وَجرَتْ مَقادِرُها الجِسَامُ عليَّا !

إنِّي التفتُّ إلى مَكانِكِ وَالمُنَى شُلّتْ وَقلبِي لاَ يَطِيقُ حرَاكا
فَصرَختُ يا أسَفا لقدْ كانتْ هُنا لم عَاقَنِي القَدرُ الخَئُونُ هُناكا !

عَبَستْ وَسوّدَتِ السّماءُ ظِلالَهَا فَكأنَّ عُقبَانًا تحُطُّ رِحالَهَا
وَكأنَّ أطوَادَ السّحَابِ حِيَالَهَا أرسَتْ عَلَى الكَتِفِ الصّغِيرِ ثِقالَهَا

تستصرِخِينَ لكِ السّماءَ وقدْ خبتْ وَطوَتْ بَشاشَةَ كُلّ نجمٍ مُشرِقِ
إنْ خِلتِها استمعتْ إلَيكِ وَقاربَتْ ألفَيْتِهَا صَارَتْ كَلحْدٍ ضَيّقِ

يَامَنْ هَربْتِ مِنَ القَضَاءِ وصَرفِهِ عَجبًا لِهارِبَةٍ تَلُوذُ بهَارِبِ !
إمّا هوَي نجمٌ وَمَالَ لِضَعفِهِ أبصَرتِ حَظّكِ فى الشّعَاعِ الغَارِبِ

أسَفًا عَلَيكِ وَأنتِ روحٌ حائرٌ وَالكَونُ أسرارٌ يَضيقُ بها الحِجَى
نجتَازُ عَابِرَةٌ وَيُسْرِعُ عَابِرٌ وَتمُرُّ أشبَاحٌ يُوَارِيهَا الدُّجى

فى وَجنَتَيكِ توَهُّجٌ وَضِرَامُ وَبمُقلتَيكِ مَدَامِعٌ وَذهُولُ
وَكذَا تمُرُّ بِمِثْلِكِ الأيّامُ مجهُولَةً وَعَذَابُهَا مجهُولُ

وَلَيتِ قبلَ لِقائِنَا يَا جَنّتِي لَمْ تَظفَرِى مِنّى بِقَوْلٍ مُسْعِدِ
وَكَعَادَةِ الحَظِّ الشّقِيِّ وَعَادَتِى أقبَلْتُ بَعْدَ ذَهَابِ نجمِيَ الأوحَدِ

تتَعَاقَبُ الأقدَارُ وَهْيَ مُسِيئَةٌ كَمْ عَقّنَا لَيلٌ وَخَانَ نهَارُ !
وَكأنمَا هَـذَا القَضَاءُ خَطِيئَةٌ ! وَكأنَّ همْسَ نَسِيمِهِ استِغفَارُ

وَكأنهُ أحزَانُ قَوْمٍ سارُوا   هَـذِى مآتِمُهُمْ وَتِمَّ ظِلاَلُهَا
عَفَتِ القُصُورُ وَطَلَتِ الأسْوَارُ   كَمَنَاحَةٍ جُمِدَتْ وَذَا تِمْثَالُهَا !

غامَ السَّوَادُ عَلَى وُجُوهِ الدُّورِ   وَسَرَى إليَّ نَحِيبُهَا وَالأَدْمُعُ
وَكأننى فِي شَاطِىءٍ مَهْجُورِ   قَدْ فَارَقَتْهُ سَفِينَةٌ لاَ تَرْجِـع

حَمَلَتْ لَنَا أَمَلاً فَلَمَّا وَدَّعَتْ   لَمْ يَبْقَ بَعْـدَ رَحِيلِها لِلنَّاظِرِ
إلاَّ خَيَالُ سَعَادَةٍ قَدْ أَفْلَتَتْ   وَوَدَاعُ أَحْبَابٍ وَدَمْعُ مُسَافِرِ

ابرهيم ناجى

الى روح شقيقى ابراهيم

يا قـــبره !...

الآنسة الفاضلة فدوى طوقان

يا قبرَه ، قُدِّسْتَ من قبرِ   باهَيْتُ فيـه منازلَ البدرِ
يا قــبرَه ، بالله ما فعلتْ   أيدى البِلي بشبابه النضرِ
تلك البشـــاشة يا لرونقها!   هل غَيَّضَتْ فى الترب والعفر
تلك الخلال ولستُ أحصرها   تالله قد جَلَّتْ عن الحصرِ
لهفى ، أباتتْ فى التراب لَقًى
يَفْنَى ؟ معاذ خـــلاله الغُرّ
إنى لأسْتَنْشِى لها عَبَقاً   فى الخافقيْنِ معطَّرَ النَّشْر
أوَّاه لو تدرى بمن ظفِرتْ   أيدى البِلى ! أوَّاه لو تدرى !

***

ما بهجةُ الدنيـــا وزينتُها   وأخى رهينُ صفائح القبر ؟
واطولَ أحزانى على سندٍ   أعْدَدْتُهُ لنوائب الدَّهر
الموتُ مال به وخلَّفنى   لتفجُّعٍ أشْقَى به عُمْرى
كمدى أراه قاتلى ، وإذا   أنا لم أمُتْ كمداً فما عذرى
ما بالُ ذكركَ بات لى شجناً
يهتاجُني يا طيِّبَ الذكر
عهدي به بَرْداً على كَبِدى ،   أسفى ، أيغدو لَذْعَةَ الجمر
ولقد أرومُ القولَ فيكَ ولى   بحرٌ يمدُّ ـ أخى ـ بلا جزر
لـكننى ، والحزنُ معترضٌ   سُدَّتْ علىَّ مسارح الفكر
الشـــعر صوَّحَ روضُه أسفاً
وبكتْ عليكَ عرائسُ الشعر
يا طالما حَلِيَتْ ترائبُهَا   بالدُّرِّ منك ومونقِ الزهر
واليـــوم ، لا حَلْىٌ يزيِّنها   إلا لآلى الدمع إذْ يجرى

***

مالي بدارالأنس ـ يا سَكنى ـ   أُنسٌ وأنتَ بموحشٍ قفرِ
خلفتها دنيا تضيقُ على   غرض الأبىِّ وغاية الحرّ
تُسدى إلى غـير الـكرام يداً
وعلى الـكرام تعـود بالخسر
سأظلُّ طول العمر رهن جوًى
يغدو ـ أخى ـ ويروح فى صدرى
ولقـــد يعزِّينى على حَزَنى
أنى ، وإن أجِّلْتُ ، فى الإثرِ

(نابلس)   فدوى عبد الفتاح طوقان



السيجارة ...

للأستاذ أحمد على الشحات

في ظل الدخان المتصاعد من السيجارة كم من أفكار قد سبحت وأعصاب قد هدأت وأحلام قد صُورت وأماني قد بعثت: هذه الدخينة وما حوت كانت في مبدأ الأمر ورقة من نبات اسمه نيكوتيانه Nicotiana وسُمّىَ بذلك نسبة لاسم السفير الفرنسي في أسبانيا جان نيكوت الذي أدخل التبغ إلى فرنسا لأول مرة كهدية للملكة كاترين دي مديشي، والتبغ يتبع من وجهة التقسيم النباتي العائلة الباذنجانية التي تحوى نباتات أخرى ذات أهمية مثل الطماطم والبطاطس والداتورة والسكران، وللأخيرين أهمية طبية في علاج الأمراض الصدرية التشنجية. وبهذه المناسبة نذكر أن السكران المصرى أجود أنواعه في العالم، ولذلك يصدر إلى أوربا، كما أن نبات البلادونا الذي يستخرج منه الأتروبين المستعمل طبياً لتوسيع حدقة العيون من أقارب التبغ إذ يتبع نفس العائلة المذكورة

وقد كانت الأرض الأولى التي نبت عليها التبغ واستعمل في التدخين هي أمريكا إذ وجدت غلايين في قبور أمريكية ترجع إلى ما قبل التاريخ، ومن أمريكا نقله إلى أسبانيا فرنسسكو فرناند مبعوث فيليب الثاني لدراسة حاصلات المكسيك عام ١٥٥٨

وكلمة التبغ يرادفها بالأجنبية Tobacco والأصل الذي أخذت عنه هذه الكلمة غير معروف تماماً؛ فقد تكون قد أخذت عن اسم جزيرة توباجو إحدى جزر الهند الغربية، أو عن توباسكو في خليج المكسيك، أو عن اسم أداة وجد الأسبان أن الأمريكيين يستعملونها في التدخين، وهي عبارة عن أنبوبة تنتهي إلى فرعين تشبه حرف Y اسمها Tobaco، وكانوا يضعون الفرعين على فتحتي الأنف ويستنشقون منهما الدخان، وهذا هو المصدر الرجح. ومما يؤسف له أن تكون مصر من أكثر الدول استعمالاً للدخان؛ فلقد جاء في إحدى الإحصائيات أن متوسط نصيب الفرد في الدولة من الدخان بالأرطال كما يأتي:

الولايات المتحدة	٥ر٩٢	بريطانيا العظمى وإيرلندا	٢ر٩٥
بلجيكا	٤ر٩	فرنسا	٢ر٩
مصر	٤ر١٦	إيطاليا	٢ر٣٥

وقد يطرأ على ذهن القارئ أنه علاجاً، لهذه الحالة، تباح زراعة الدخان في مصر خصوصاً، وقد سبق أن كان يزرع إلى أن حرمت زراعته عام ١٨٩٠! ، ولقد فكرت الهيئات المختلفة في ذلك وقامت وزارة الزراعة بتجربة زراعته في مناطق مختلفة، ولكن كان الناتج دائماً ردىء النوع، فإذا قيل أنه سيكون رخيص الثمن ويقبل الجمهور عليه، فمعنى ذلك أن الحكومة ستحرم من دخل كبير في الجرك. فإذا قيل فلتفرض الحكومة على زراعته ضريبة عالية تعوض بها ما تفقده من الجرك، كان الجواب أنه بذلك سيرتفع ثمنه إلى أن يقارب الأصناف المستوردة من الخارج — وهي أجود منه نوعاً — فسيفضلها المستهلك، فإلى أن نستطيع استنبات أنواع جيدة ستظل الحال على ما هي عليه

ويتراوح طول نبات التبغ ما بين ست أو تسع أقدام، والأوراق منتظمة على الساق بالتبادل، وليست لها أعناق فيما عدا الأوراق السفلى، فقد تكون لها أعناق قصيرة، وتغطى الساق والأوراق شعيرات ناعمة ذات غدد، وسطح النبات لزج لخروج إفرازات سائلة، وينتهي الساق إلى أزهار لونها قرنفلي أو وردى وحبوب الثمار لونها بني وصغيرة جداً، حتى أن النبات الواحد قد ينتج منه مليون! ؛ وللأرض التي يزرع فيها الدخان تأثير كبير على لونه. فالأرض الطفلية الرطبة تنتج دخاناً لونه قاتماً: أحمر أو بنى، والأرض الرملية تنتج دخاناً أصفر اللون، أو أحمر زاهياً ذا أوراق رقيقة، وكما حرم الدخان في أراضينا حرمت زراعته كذلك في أسبانيا، مع أنها أول بلد — كما ذكرنا — نقلت زراعته إليه من موطنه الأصلي «أمريكا»، ومن أسبانيا أدخل إلى فرنسا وإيطاليا عام ١٥٦٠، وأدخل في ظن الناس آنئذ أن له فوائد طبية هائلة، حتى كانوا يسمونه Herba santa أي العشب الصحي، وسموه أيضاً Divine Tobacco، أي التبغ الإلهي، كما سموه أيضاً holy herb nicotiana، أى عشب نيكوتيانا المقدس. ويفهم مما سبق شدة ولع الناس بالتبغ، حتى انتشر التدخين انتشاراً عظيما هال من بيدهم الأمر من ملوك وبابوات وسلاطين وحكومات. فأصدرت نشرات تبين مدى

الضرر من التدخين، وفرضت ضرائب باهظة، حتى أن انجلترا رفعت الضريبة من بنسين على الرطل إلى ستة شلنات وعشرة بنسات، وقصرت زراعته على مساحة ضئيلة، ولكن الناس لم يكفوا عن التدخين، فلم تجد الحكومة الإنجليزية مناصاً من إصدار منشور يحرم زراعته تحريماً باتاً فى انجلترا وإرلندا؛ وبعد بضعة أعوام رفع الحظر على الأخيرة، ولكن سرعان ما أعيد ثانية، وكان ذلك عام ١٨٣١، إلى أن رفع الحظر عن انجلترا وإرلندا عام ١٩١٠

وهو يزرع الآن فى الولايات المتحدة، وكوبا، والمكسيك، والبرازيل، وبارجواى، وجزر الهند الهولاندية، وبورنيو الشمالية، واستراليا، والهند، والصين، وبورما، والفيليبين، وإيران، والترنسفال، وروديسيا، واليونان، وتركيا، وهنغاريا، وألمانيا، وروسيا، وفرنسا، وهولاندة

وتبذر بذوره فى فبراير ومارس وأبريل فى مشتل، على أن تكون التربة قد طهرت من آثار الحشرات بأن تحرق عليها بعض المواد، فإذا ظهرت البادرة أحيطت بمظلات رقيقة، ويحافظ عليها من الريح، حتى إذا ما اكتمل طول النبات ست بوصات نقل إلى الحقل، وذلك فى الفترة ما بين أبريل ويونية، ويكون بُعد كل نبات عما يجاوره قدم ونصف إلى ثلاثة أقدام فى صفوف بين كل صف وتاليه ثلاثة أو أربعة أقدام، ويتم نضج النبات حين يعلو الورقة اصفرار فى اللون بعد أن كانت خضراء زاهية، كما تصبح هشة سهلة التكسر إذا أحنيت، ثم تجفف الأوراق صناعياً، وعملية التجفيف هذه تحتاج دقة ملاحظة فى درجات الحرارة المختلفة التى تتعرض لها الأوراق فيحوطها أولاً جو تضبط حرارته فيما بين ٨٠ ؟ ٩٠ درجة بالمقياس الفهرنهيتى، أى بما يعادل ٢٦٫٦ — ٣٢٫٣ تقريباً بالمقياس المئوى، وذلك لمدة تتراوح ما بين ١٨ — ٣٦ ساعة، ثم تزاد درجة الحرارة بفرق ٥ — ١٠ درجات فهرنهيتية كل ساعتين إلى أن تصل إلى درجة ١٢٠ ف ثم تثبت. أما السيقان فترفع حرارتها بعد ذلك إلى ١٦٠ — ١٧٥° ف بفرق قدره ٥ — ١٠ درجات كل ساعة، وتستغرق مثل هذه العملية ثلاثة أيام. وأما فى الأقطار الشرقية كالهند وسيلان حيث الجو دافئ فيكتفى فى التجفيف بحرارة الشمس الطبيعية، وفى التجفيف الصناعى لا بد من رفع درجات الحرارة بانتظام وهدوء حتى يحتفظ النبات باللون والنكهة المطلوبة؛ ثم تكبس الأوراق فى صناديق أو تكوم فى حفر دافئة رطبة، ويضغط عليها يومياً لمدة عشرة أيام، ويوالى الضغط بعد ذلك فى فترات أطول لمدة ثلاثة شهور. فتحدث فى هذه الفترة عملية اختمار، وتتخذ الأوراق شكل التبغ المعروف، ويكون فى الأوراق فى هذه المدة رائحة الكحول ويصبح لونها داكناً لامعاً

وللسماد المستعمل فى زراعة الدخان تأثير هام فى شكل الأوراق، فالسماد الذى يحوى نسبة عالية من الأزوت أو الفوسفات ينتج أوراقاً سميكة؛ بينما السماد الذى يحوى البوتاسيوم ينتج أوراقاً ناعمة ذات نكهة طيبة، إلا أن نمو النبات يكون بطيئاً، والأوراق الخضراء فى النبات تحوى نسبة عالية من الماء من ٨٠ — ٩٠ ٪ بينما الورقة حين تصبح معروضة للبيع فى السوق تحوى ١٢ — ١٤ ٪

والمادة الكيميائية التى يمتاز بها التبغ هى مادة النكوتين وهى مادة شبه قلوية سامة، تختلف نسبتها باختلاف أصناف النبات، ففى نبات السّاس أو شجرة الجِرش Nicotiana glauca أقل من ١ ٪ بينما فى التبغ الناتج من جنوب أفريقية تتراوح بين ٣ — ٥ ٪ بينما فى نبات الدخان البلدى Nicotiana rustica تكون أعلى من ذلك. كذلك تختلف هذه النسبة باختلاف سمك الورقة، فكلما غلظت كانت النسبة أعلى

كذلك كلما دكن اللون وكلما ارتفع موقع الورقة على الساق، أو كلما كثر الأزوت فى السماد، ووجد أنه كلما زادت نسبة النيكوتين ضعفت قوة الرائحة الملموسة فى التبغ، وفى الدخان المتصاعد من التبغ وجدت كذلك النوشادر، وأول أكسيد الكربون، وسيانور الإيدروجين، والأخيران من الغازات السامة، وكبريتور الإيدروجين، وحامض البوتريك، ومواد كيميائية أخرى لا ضرورة للاستطراد فى ذكرها، وأما غاز أول أكسيد الكربون السام فتختلف نسبته باختلاف سرعة الاحتراق، فنى الدخان المتصاعد من السيجارة تتراوح نسبته بين ٦ — ٨ ٪ بينما فى دخان الغليون ما بين ٧ و — ١٤ و ١ ٪، وفى السيجار من ٦ — ٨ ٪، كما تختلف نسبة الرماد المتخلف فهى أقلها فى تبغ السجائر بينما هى أعلاها فى الرماد المتخلف من السيجار والرماد يحتوى على عناصر مختلفة منها: البوتاسيوم، والكالسيوم، والمنجنيز، والحديد، والألومنيوم، والصوديوم ومواد كبريتية وفوسفورية، وهذه العناصر مرتبة ترتيباً تنازلياً حسب نسبتها، وقد يضاف إلى التبغ مواد تكسبه طعماً مقبولاً مثل السكر والعسل والجلسرين والصمغ ونبات السوس أو رُبّه

أحمد على الشحات



جواب

جوابى من قول الأديب الأمثل الأستاذ زكى مبارك ها هوذا :

يا سيدى الصديق ، قال تعالى : « إنّا أنزلناه قرآناً عربياً » ، وجاءت الكلمة « عجوز » للشيخة فى التنزيل العزيز ، كما تعلم .

وإن فى علمك يا سيدى الأستاذ الكبير قول الشاعر :

عجوز علقتُها كبْرة فى ملاحة ... أقاتلتى يا للرجال عجـــوز

ونحن نتبع « اللسان العربىّ » يا صديقى لا نُبتدع لغةً

زادك الله بسطة وأزكى لك الخير

« رهبر »

إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى

قرأت مقالك العظيم بالعدد (٤٢٠) من مجلة الرسالة الغراء ؛ فكان آية من آيات تلك المجلة الكريمة علينا ، العاملة على إصلاح الأزهر وإعادة مجده السالف . وقد ملأنى ذلك المقال أملاً فى الإصلاح بعد يأس ، وأفعمنى رجاء فيه بعد قنوط ؛ ولكنى رجعت إلى نفسى بعد ذلك الأمل والرجاء فقلت : أى ربى ، هذا القائد فأين الجند ؟ وهذا رسول الإصلاح فأين الأصحاب والحواريون ؟ وهذا الداعى إلى النهوض فأين المجيبون ؟

بنى المعاهد هبوا طال نومكم ... قد هيأ الله هذا المصلح البطلا

ولقد وقفت يا سيدى كثيراً عند قولك عن الأستاذ الإمام : وتعلم القواعد فى مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة . فقلت فى نفسى : كيف ينظر أستاذنا المراغى إلى تلك المختصرات وشروحها وحواشيها تلك النظرة ؟ وكيف يذكر العصر الذى رضيها باسم العصر المظلم ؟ ثم يرضى بعد هذا أن تبقى فى عهده الكريم كما كانت فى ذلك العصر ، إذ لا تزال لها المكانة الأولى فى الأزهر ، ولا تزال علومنا لا تدرس إلا فيها ، ولا تزال قواعدها لا تؤخذ إلا منها يا سيدى الأستاذ الأكبر إن تلك المختصرات وحواشيها وشروحها هى علة العلل فى فساد التعليم بالأزهر ، وهى مصدر ذلك الجمود الذى حارب الأستاذ الإمام ، وحال بينه وبين الوصول بالأزهر إلى الإصلاح المنشود ، ثم يحول الآن بينك وبين الوصول إلى ذلك الإصلاح ، وإن الفرصة سانحة بوجودك على رأس الأزهر للقضاء على تلك المختصرات وشروحها وحواشيها ، وبين يديك طائفة صالحة من العلماء ، تنتظر منك أن تدعو فتجيب ، وأن تقول : حى على العمل فتعمل ؛ ولا يمضى عليها إلا زمن قليل حتى تظهر لك بدل تلك المختصرات الميتة المظلمة كتباً حية مشرقة ، تسرى فيها روح الاجتهاد ، وتظهر عليها آثار التجديد ، وتخرج لك من الأزهر العلماء المجددين ، والأئمة المجتهدين

فهل لك يا سيدى الأستاذ الأكبر أن تبدأ بتلك الدعوة ، وهل لك أن تصل بين تلك الطائفة وأمنيتها فى العمل ؟

عبد المتعال الصعيدى

فى اللغة :

كان العلامة الدكتور زكى مبارك قد عدّى (حرَمَ) بعن فى بعض قصائده . فاعترض عليه بعض أدباء الشرق . فدافع عن هذه التعدية (بأنه قد يرى المعنى فى بعض الأحايين لا يؤدى تأدية صحيحة إلا إذا عبِّر عنه بتلك الصورة)

وهو دفاع غير مقنع كما ترى

فكتبت فى العدد ٤٠٥ من « الرسالة » أقول : « إن الفعل (حرم) يتعدّى بعن أيضاً ، وعندى شاهد لذلك عثرت عليه فى بعض مطالعاتى للأغانى »

وبينما كنت أجيل الطرف أمس فى كنّاشتى ، إذ أنا أمام هذا الشاهد ، وهو للعباس بن الأحنف ، قال :

أحرم منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون مَنْ عشقوا

صرت كأنى ذُبالة نُصبتْ ... تضىء للناس وهى تحترق[1]

* * *

ثم قلبت صفحات الكُنّاشة ، فلمحت مما كنت اختزنته

(١) الجزء ٨ ، ص ٢٧٠ ، طبعة دار الكتب .

فيها من (الأغاني) ، تعبيرين يستوقفان النظر ، لِمَا أنهما كانا يُظَنَّان من توليد العامة في مصر أو في غيرها من الشرق العربي وقد آثرت أن أعرضهما ، كلاًّ في نصه الذي ورد فيه ، ليستبين المعنى ، ويتضح المقام :

١ — أخبرني عمي ، قال : حدثنا السكراني ... قال : أنشد جرير قولَ عمر بن أبي ربيعة :

سائلا الربع ... الأبيات

فقال جرير : « إن هذا الذي كنا (ندُور عليه) فأخطأناه وأصابه هذا القرشي [1] »

فندور عليه : نبحث عنه لنصل إليه [2] ؛ وهو نفس تعبير الناس عن هذا المعنى الآن ، غير أنهم يضعّفون عين الفعل [3] .

٢ — غنّى إبراهيم الموصليّ الرشيد صوتاً ، فأمر له بألف دينار . فلما كان بعد سنين ، خطر ببال إسحق ذلك الصوت ، وذكر قصته ، فغناه إياه ؛ فقال الرشيد : « قد أخذ ثمنه أبوك مرة ، فلا تطمع » ؛ فقال إسحق : « فعجبت من قوله ، ثم قلت له : ياسيدي ، قد أخذ أبي منك مائتي ألف درهم ، ما رأيتك ذكرت منها غير هذا الألف ، (على بختي أنا ...) [4]

فهل كنت تظن أن هذه العبارة — على ابتذالها الآن — مما كان يتكلم به إسحاق ابن إبراهيم الموصليّ الجليل القدر في حضرة الرشيد ؟

(ا . ع)

١ — حول السواد

سأل الدكتور زكي مبارك في العدد الثامن عشر بعد المئة الرابعة من الرسالة : « هل كان السواد من علائم الرزانة في أوقات الاهتمام بعظائم الأمور ... ؟ »

وأقول : إن الثياب السود كان لها شأن في الدهر الغابر أيام بني العباس (أنظر أول من لبس السواد : محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر) ، وكان الناس يلبسونها إذا دخلوا على الخلفاء وكانوا في موكب واحتفال : شأنهم اليوم فيما يشا كل تلك الرسوم

قال التنوخي في (نشوار المحاضرة) : « حدث أبو الحسن ابن الفرات قال : فدخلنا في الليلة التي ولي فيها العباس بن الحسن الوزارة بعد موت القاسم بن عبيد الله . فتشاغل الحسن بتقليب ثياب السواد وقد جاؤوه بها ليختار منها ما يقطع له فيلبسه من غد في دخوله إلى الخليفة ، وكان الرسم إذ ذاك ألا يصل أحد إلى الخليفة في يوم موكب إلا بسواد ... » ٨ — ٩١

وقال أيضاً : « ... فإذا كان يوم موكب كانت الأقبية كلها سواداً ، وإذا كان غير موكب فربما كانت بياضاً ، وفي الأكثر من سواد » ٨ — ١٢ (نشوار المحاضرة . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق)

وكانت الخلفاء والشعراء تلبس السواد ، والشواهد كثيرة منها ما قاله التنوخي في كتابه (الفرج بعد الشدة) : « حدث عبيد الله بن عبد الله قال : كنت مع الرشيد بطوس لما ثقلت علته فجلس يوماً وعليه جبة خز سوداء ، وفوقها دراعة خز أسود ... وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء » ٢ — ٥٣

وقال الجاحظ في (البيان والتبيين) : « وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات والأردية السود » ٣ — ٧٨

وكانوا يتخذون العمامة من خز أسود . ذكر الجاحظ في (أخلاق الملوك) أن ابراهيم بن المهدي دخل على أحمد بن أبي دؤاد وعليه مبطنة ملونة من أحسن ثوب في الأرض وقد اعتمّ على رأسه رصافية بعمامة خز سوداء . لها طرفان يتدليان خلفه وأمامه ، وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب وفي أصبعه فص ياقوت ... » ٤٨

قال (أحمد زكي باشا) : « والرصافية هيئة عمة على قلنسوة خاصّة بالخليفة أو ولي عهده وذكر (بن خلكان) في (وفيات الأعيان) عند ترجمة (جعفر البرمكي) » أن أكابر بني العباس كان لهم الحق باتخاذها أيضاً »

---

(١) الجزء ١ ، ص ١٠٦ ، طبعة دار الكتب .

(٢) هذا هو المعنى المجازي . والمعنى الحقيقي لدار على الشيء ، أو به : طاف حوله حتى رجع إلى الموضع الذي ابتدأ منه .

(٣) ويقال أيضاً : دوّر (بالتضعيف) بالشيء . وليس ببعيد أن يكونوا قد قالوا أيضاً : دوّر على الشيء — لأنهم قالوا : دار على الشيء وإن كنت لم أره نصا حتى الآن . فإذا تحقق هذا كان الناس الآن على صواب في الفعل الماضي ، وعلى خطأ في المضارع ؛ لأنهم يشددون الواو فيه مفتوحة .

(٤) ما بين الأقواس نص ما في (الأغاني) ، الجزء ٥ ، ص ١٩٢ طبعة دار الكتب ، والبخت . الحظ وزنا ومعنى . وهو عجمي ، كما في المصباح . وفي المختار : البخت : الجد . وفي شفاء الغليل والقسان أن العرب تكلمت به .

ويقول الدكتور البارك : إن السواد اتخذ شعاراً للحزن لما يشيع فى النفس من انقباض واستيحاش فلِمَ اتخذ أهل الأندلس البياض شعاراً ، وهو يشيع فى النفس الانشراح والصفاء ؟

٢ – أوهام لغوية

جاء فى مقال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أ – « كانت القاهرة طيلة حكم الفاطميين ... » استعمل (طيلة) بمعنى (طول) . وهى من أوهام الكتّاب وليست بشىء . فى (اللسان) « أطال الله طيلته أى عمره » ، والصواب « طول وطَوال » فتقول « كانت القاهرة طول حكم الفاطميين وطَواله » وفى (الصحاح) و (الأساس) « والطَّوال بالفتح من قولك لا أكلمه طَوال الدهر وطول الدهر بمعنى ... »

ب – وقال صاحب « الوضع الصحيح للاصلاح الاجتماعى » « تشوّش أمانيه » ولم يسمع هذا الحرف فى كلام فصيح صحيح . قال صاحب القاموس : « والتشويش والمُشوَّش والتشوُّش كلها لحن . ووَهِم الجوهرى . والصواب : التهويش المهوّش والتهوُّش ... » وانظر الزمخشرى أيضاً

و – وقال « سوف لا تكفى غلّتها ... » وهذا خطأ شائع عند المبتدئين والمتأدبين يستعملون « سوف لا » للنفى فى المستقبل ولم يسمع هذا عن العرب . ولكنهم قالوا « لن » بدلاً عنها . فتقول « لن تكفى غلتها » « ولن أفعل كذا ... »

(دمشق) صلاح الدين المنجد

بين العزوبة والزواج

قرأنا المقال الذى دبجته براعة الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى الزواج ، فوقع من أنفسنا موقعاً حسناً . ولما كان الشىء بالشىء يذكر فنرجو الأستاذ النابغة أن يسمح لنا أن نضيف إلى مقاله القيم رأياً نذكر أننا مررنا به فى إحدى مطالعاتنا إلى عهد قريب

يقول صاحب الرأى — واعتقادى أنه طبيب مشهور — بأن الإحصائيات بسنين متوالية قد أثبتت إثباتاً حاسماً بأن نسبة عدد الوفيات بين المتزوجين أقل بكثير من نسبة عدد الوفيات بين العزاب فى العام الواحد . ويستنتج ـ بعد أن يعرض جدولاً بإحصائياته ـ أن العزوبة متلفة للحياة أكثر مما تتلفها مهنة مجهدة مضنية . أو أكثر من مسكن قدر له أن يلقى بكل عنف فى أقل الأماكن محافظة على الشروط الصحية . وبالرغم من أن للاحصائيات بعض الأخطاء ، فإننا نستطيع أن نقول بكل اطمئنان « إن الحياة تكون أسعد جداً برفيق » . وأن ما يمكن أن تتضمنه هذه الإحصائيات من الصحة يجب أن يكون حافزاً قوياً على الزواج . فإنه لمن السهل جداً أن يجد الباحث فى حياة المتزوج أسباباً كثيرة تبعده عن المفاسد والأمراض وكل ما ينهك قواه وبالنتيجة يطيل فى عمره ويعد أجل سعادته . فهلاّ يشعر العزاب بيننا بأن الحياة جديرة بأن نحياها بسرور فيقبلوا على الزواج مسرعين ؟

هذا ما نرجوه مخلصين والسلام .

(الحصن — شرق الأردن) خليل السالم

حول اللهجات العامية

أشكر للكاتب الألمعى الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ما وجهه إلىّ وإلى مقالاتى « فى الاجتماع اللغوى » من عبارات الحمد والثناء ؛ وقد وددت لو ألبى رغبته الكريمة ، فأطيل الكلام على اللهجات العامية التى تفرعت من العربية ، وأذكر ما كتبه المستشرقون فى قواعد كل منها ، لولا خشيتى أن بحوثاً دقيقة كهذه قد تجرد مقالاتى مما وصفها به من أنها « لا ترهق القارئ ولا تمله »

وسأعرض لهذه البحوث وما إليها فى كتاب لى فى « فقه اللغة » ، وهو الآن تحت الطبع ، وآمل أن أفرغ منه قريباً إن شاء الله

علي عبد الواحد وافي

« الزاد الأخير »

قرأت فى العدد الفائت (٤٢٠) من « الرسالة » الغراء قصيدة بالعنوان المتقدم للأستاذ سيد قطب جاء فى نهايتها :

واطامى فى قفار نفسى حياةً وإذا ما دجا عالىَّ أومضى لى

والشطر الثانى من البيت مكسور ، ويكون صحيحاً لو أنه قال :

واطامى فى قفار نفسى حياةً وإذا اسودَّ عالىَّ أوْمِضى لى

« القاهرة » عبد الرحمن الخميسى



في وزارة الخارجية

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

أكثر من بقي إلى اليوم من أصدقاء « ألفونس لا كور » لم يروه إلا في أخريات أيامه. وقد كان ألفونس منذ ثورة ١٧٤٨ إلى أن قتل في حرب القرم في العام التالي يقضي كل أيامه في مشرب « كافيه دي بروفنس » في شارع « ريوسان هورنيه » حيث لا يجالسه ولا يحادثه أحد، لأن القصص التي كان يرويها هذا السياسي القديم مما لا يستطيع تصديقه إنسان. فإذا ما جلست إليه وسمعته يبعد ويشتط عن مدى ما تتصور أنه الحقيقة ...

انتهزت أول فرصة لتحتج بها وتترك مجلسه، لكنني قد قرأت مذكرات خاصة لبعض السياسيين، فلم أستغرب ما نقلوه إليّ من أخبار هذا السياسي القديم، فذهبت إليه وسمعته يتحدث عن مدة وجوده في مصر تحت قيادة كليبر، وكان مما قاله :

« لقد تركت مصر على أثر قتل هذا القائد. ولست أكتم عنك أني كنت أوثر البقاء فيها، وكنت أريد اعتناق الإسلام؛ وكان أول ما لفتني إليه وحببني فيه إباحته تعدد الزوجات، ولولا تحريمه الخمر ومجادلتي مع المفتي في شأنها مجادلة أقنعته بأنني لن أترك شربها لو أسلمت لأعلن المفتي إسلامي من زمن بعيد. فلما توفي الجنرال « كليبر » وجعلوا المسيو « منو » رئيساً لي، عولت على الاستقالة والإقامة في لندن حيث لا أشتغل بشيء غير ترجمة ما وقع عليه اختياري من الكتب الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن. وكان المسيو أوتو سفير فرنسا في لندن يمهد للصلح بين انكلترا وفرنسا بعد حرب استمرت عشرة أعوام، ولست أحب التحدث عن كفايتي، ولكني أؤكد لك أن هذا السفير استعان بي، فأديت له خدمات جليلة : ذهبت معه إلى لندن مستقيلاً من الجيش، فكانت أسعد أيامي تلك التي قضيتها في لندن أترجم كتب الإسلام وأسعى في توطيد السلم بين الدولتين

ولقد كادت تقضي على السفير وعلى أعوانه كثرة أعمالهم، لأن الرجل الذي كنا نفاوضه من أصلب الرجال وهو وليم بت، وليس من السهل على ست دول مجتمعة أن تعامل رجلاً كهذا، فكيف ونحن نفاوضه في صلح بعد حرب استمرت أعواماً عشرة؟ وكانت أعمالنا مساومة على أخذ أرض مقابل أرض والتنازل عن جزيرة في مقابل شبه جزيرة. وهل إذا فعلنا ذلك في فينيس تفعلون ذلك في سيراليونا؟ وهل إذا أعطينا مصر للسلطان، تعطوننا مدينة الكاب التي أخذتموها من حلفائنا الهولانديين؟

وفي يوم من الأيام عاد إلينا السفير متعباً منهوك القوى فأجلسناه واجتمعنا حوله وبعد أن تمالك قواه قال: « لقد كان أهم لعبة يريد أن يلعبها ضدنا الإنكليز خاصة بمركز مصر، وقد وجدت أنه لا يزعجهم شيء كما يزعجهم وجودنا فيها لأنهم يخشون أن يجعلها نابليون قاعدة للهجوم على الهند، ولذلك كنا كلما توقف وليم بت في أمر من الأمور قلنا له : « إذا كان الأمر كذلك فنحن لا نستطيع أن نخلي مصر » فنراه في الحال قد رجع إلى صوابه، وبسبب مصر نلنا شروطاً باهرة في الصلح مع الانكليز والحق أننا لم نخش الأساطيل والجيوش الإنكليزية وإنما نخشى دهاءهم السياسي، ويختلف الإنكليز عنا في نقطة هامة هي أننا إذا حصلنا على جزء من الممتلكات فيما وراء البحار جلسنا مطمئنين في باريس ودبرنا التسهيلات التي نستطيع بها إخضاع ذلك الجزء لنا ونحن في أماكننا جاثمون. أما الإنكليزي فيحمل زوجته وأبناءه ويذهب إلى ذلك الجزء كائناً ما كان وصفه محاولاً جعله كأية بقعة من بلاد الإنكليز

وأخيراً تم التفاهم على شروط المعاهدة وهنأت المسيو أوتو على نجاحه وكان شديد الفرح بذلك النجاح فلم يجلس مطمئناً إلينا بل أخذ يجري من غرفة إلى غرفة وهو يضحك ضحكاً عالياً وأنا جالس في ركن من غرفة الاستقبال أنظر إليه كلما مر من أمامي. وفي وسط السهرة جاءت رسالة على يد رسول من باريس فنظر إليها السفير ولم يفتح فمه بحرف، بل خانته قوته ووقع على الأرض فجرينا نحوه فاجتمعنا حوله وحملناه فنام على النمرقة وكان شكله يدل على أنه قد مات لولا أن نبضه كان لا يزال يدل على حياته

والواقع أني أكره الفضول ولكن لما رأيت الإغماء على السفير لم أستطع منع نفسي من النظر إلى الرسالة التي سببت

ذلك فكنت أصدق أنا أيضاً عند ما قرأتها . لكنه لم ينم عليّ ، بل جلست في ركن من القاعة وأخذت أبكي . وهذه الرسالة تدل على أن جيوشنا أخلت مصر . وكانت المعاهدة لم توقع بعد ولا بد إذن من فسخها لأن الانكليز ما عادوا في حاجة إلى إخراجنا منها . لكننا فرنسيون فلا نهزم بسهولة . والانكليز يظلموننا حين يرون أن إظهارنا للعواطف التي يستطيعون كتمانها يدل على أننا ضعفاء .

بعد قليل أفاق المسيو أوتو وقال لي : « ترى يا مسيو ألفونس أن هذا الإنكليزي ولبم بت سيضحك مني عند ما أطلب إليه توقيع المعاهدة » . فخطر ببالي خاطر فجائي وقلت : « تشجع ! كيف نجزم بأن الإنكليز وصل إليهم هذا الخبر ؟ ربما استطعنا الحصول على توقيعهم على المعاهدة قبل أن يعلموا بهذا الخبر »

فقفز المسيو أوتو من مكانه ومدّ نحوي ذراعيه وعانقني وقال : « لقد أنقذتني يا مسيو ألفونس ! إن الخبر وصل إلى باريس عن طريق طولون ، وسيصل متأخراً إلى انكلترا عن طريق جبل طارق ؛ فإذا نحن احتفظنا بالسر أمكننا الحصول على توقيعهم على المعاهدة

ولست أستطيع أن أصف حالتنا في اليوم التالي ؛ فقد كانت ساعاته تمر بطيئة ، حتى لقد انتقل المسيو أوتو من الشباب إلى الشيخوخة في ذلك اليوم . ولم أطق الصبر على الانتظار ، فخرجت من المنزل مرتاداً كل طريق مقتحماً كل مكان . ولكنني لم أسمع أي خبر . ولما جاءت الساعة الثامنة وهي موعد توقيع المعاهدة اقترحت على المسيو أوتو أن يشرب زجاجة من الخمر قبل أن يذهب ، لأني خشيت أن يستدل الإنكليز على الحقيقة من اصفرار وجهه واضطراب يده . ثم ركبت معه عربة من عربات السفارة ، وكانت الخمر قد أنعشت قواه ، فلما وصلنا إلى باب وزارة الخارجية بقيت في العربة ونزل وقلت له : « إذا تم التوقيع فأعطني إشارة . وإلى ذلك الحين سأمنع وصول أية رسالة إلى الوزير الإنكليزي » . فصافحني ووعدني بأن يدني شمعة من النافذة حتى أراها من الطريق ، ثم تركت العربة تعود ووقفت قرب الوزارة فرأيت العربات مقبلة ، وقلت في نفسي : لو جاء رسول من رئيس الوزارة إلى وزير الخارجية فإني أمنعه ولو بقتله ، فإن آلافاً من الجنود قد ماتت لتكسب مجد الحرب . وماذا إن شنقت وانتصرت بلادي ... ؟

ثم خطر ببالي خاطر فدعوت حوذياً وأعطيته جنيهاً وقلت له : « إذا ركبت عربتك مع أي إنسان فلا تتلق الأوامر منه بل مني ، وأنزلني في شارع هاري ولا تترك الذي معي إلا في نادي ويتر في بروتون ، وسأعطيك جنيهاً آخر »

فوافق الحوذي . وبعد دقائق جاء رسول وهم بدخول الوزارة فأمسكت بذراعه وقلت : « هل أنت رسول إلى وزير الخارجية ؟ » قال : « نعم » . فقلت : « تعال معي فهو الآن عند السفير الفرنسي » وكان كلامي بلهجة تأكيد لم يتردد الرسول في تصديقها . وركب معي في عربة الحوذي الذي اتفقت معه . ولكن السائق جرى بنا في الطريق الذي أرشدته إليه وهو يختلف عن الطريق المؤدي إلى السفارة . فصاح الراكب معي بالحوذي أن يقف وقال إن في الأمر حيلة . ومنعته فاستغاث فكتمت أنفاسه فجلس هادئاً وأردت أن أطمئنه فقلت : « إني رجل شريف مثله ، وإن الأمر مراهنة فقط »

قال : « مراهنة ! ألا تعلم أني أؤدي عمل الحكومة ؟ إن عملك يستوجب العقاب »

فقلت : « هذا هو موضوع المراهنة »

قال : « إذن فأنت مجنون »

عند ذلك نظرت إلى ساعتي فوجدت موعد التوقيع قد فات ولم أجد ضرورة للاستمرار في الخطة ، فأوقفت العربة ونزلت راكضاً تاركاً من فيها تحت رحمة الحوذي . وركبت عربة أخرى إلى دار السفارة . ومن منعطف في الطريق راقبت ذلك الرسول يقبل نحوها . وبعد دقائق نزل المسيو أوتو فرحاً مستبشراً وقال لي أنه تم توقيع المعاهدة . ولكن بعد التوقيع وصلت رسالة إلى الوزير الإنكليزي بأن الفرنسيين أخلوا مصر . فقال ذلك الوزير أنه لو تقدمت الرسالة دقيقة لما أمكن توقيع المعاهدة ، ولكن أمرها خرج من يده

فهنأت السفير بانتصاره ، وعدت وفكرت في أن مصادفات صغيرة كتأخير الخبر لحظة أو تقديمه لحظة يكون لها تأثير في مصائر الدول وأحوال السياسة العالمية . فآمنت بالقضاء والقدر ولم أعد أسخر من اعتقاد الشرقيين بهما . وعكفت بعد ذلك بإيمان صادق على استئناف ترجمة القرآن وسائر الكتب الإسلامية

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 422 | Lundi - 4 - 8 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة | « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ رجب سنة ١٣٦٠ — الموافق ٤ أغسطس سنة ١٩٤١ » | العـــدد ٤٢٢

الفهــــرس

صفحة
٩٦٩ جنـود مجهولون ... ... : أحمـد حسن الزيات ... ...
٩٧١ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٩٧٤ أستاذ ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
٩٧٦ بين إنكارين ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٩٧٨ مدن الحضـارات ... ... : الأستاذ محـمد عبد الغنى حسن
٩٨٠ عبـد القادر حمزة باشا ... : الأستاذ محـمد السوادى ...
٩٨٤ الضمير الفردى والضمير الاجتماعى : الأستاذ جريس القسوس ...
٩٨٦ على مسيل الدماء [قصيدة] : الأستاذ محـمد عبد الغني حسن
٩٨٦ أصابع على معزف « : الأستاذ العوضى الوكيل ...
٩٨٧ هتاف من الماضى أو فى ظلال الأقصر « : الأستاذ عماد الدين عبد الحميد
٩٨٨ مدينة تدمر ... ... : الأديب مصطفى بيبو الطرابلسى
٩٩١ والد الملوك ... ... : الأستاذ محـمد عبد الغنى حسن
٩٩١ آثار الحضارة المصرية فى نيجيريا العليـا ... ...
٩٩١ فى اللغة ... ... : الأستاذ محـمد محـمود رضوان
٩٩٢ الحسبة فى الاسلام ... ... : الأستاذ أحمـد صفوان ...
٩٩٢ مصطلحات المجمع اللغوى ... : ... ...
٩٩٣ إلى الدكتور على عبد الواحد وافى : الأديب أحمد المبـارك عيسى
٩٩٣ تعقيب ... ... : الأديب جودة مرعشلى ...
٩٩٣ اسـتدراك ... ... : الأستاذ سـعيد الأفغانى ...
٩٩٤ الرجل المكروه [قصـة] : بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

حول التعليم الالزامى

جنود مجهولون ...

فى ميدان الجهاد الثقافى جنود مجهولون لا يشكرهم شاكر، ولا يكاد يذكرهم ذاكر: أولئك هم فِرق الأساس الذين يمهدون الأرض للدفاع، ويُعدون الجيش للعمل، ويهيئون الشعب للنهوض. وهم الذين يعيشون على عشرات القروش وينفقون من ومضات أرواحهم ونبضات قلوبهم وذخائر قواهم، ما يضمن للقادة يوم النصر أكاليل الغار وألقاب الفخار وأكياس الذهب. فإذا فشلت الخطط وطاشت المعارك ربأ الناس بالقادة عن التهم، ورموا هؤلاء المجهودين المجحودين بنقص الكفاية وسوء الدُّربة

هؤلاء الجنود المجهولون هم المعلمون الإلزاميون! كتب الله عليهم جهاد الأمية ونشر المعرفة بين الطبقات الفقيرة بالقدْر الذى يساعد الإنسان على استكمال حظه من العلم الضرورى، فأبلى هؤلاء الجنود الصابرون أحسن البلاء فى معركة الأمية خمسة عشر عاماً؛ ثم أسفر هذا العراك الطويل الثقيل عن بقاء هذه الأمية منيعة الحصون شديدة البأس؛ كأنما كانت رحا هذه الحرب تدور على فراغ!

دهش الكتاب والنواب لهذه النتيجة الموئسة، وراحوا كدأبهم يلتمسون العلل فى إعداد المعلم الإلزامى وكفايته

وخبرته ، ولو هداهم النظر الصادق لالتمسوها فى فساد الخطط وسوء التوجيه واضطراب النظام وانبهام الغرض

ما ذنب المعلم إذا أخفق نظام لم يضعه ، ومنهاج لم يَشْرَعه ، وكتاب لم يؤلفه ؟ هل هو إلا جندى كسائر الجنود يكون أداة للنصر أو للهزيمة على حسب ما يصدر عن القيادة من حكمة أو أفن ؟

لقد فشل التعليم الثانوى فشلاً تضرب به الأمثال للعبرة ؛ فهل يجوز فى منطق العقل أن نخرج من حسابه الخبراء والمراقبين والمفتشين واللجان والتقارير والتجارب ؛ ثم نحصر علته فى المعلمين وهم من حيث الخبرة والمران بنجوة عن الشك ؟

نحن لا نزعم أن المعلمين منزهون عن صفة النقص ، ولا مبرأون من تبعة الفشل ، فإنهم ناس كسائر الناس ، فيهم الضعيف بفطرته والقاصر فى أداته ؛ ولكنا نزعم أن نصيبهم من إخفاق التعليم أقل الأنصبة ، وأن حظ الإلزاميين من هذا النصيب أضعف الحظوظ . ولو جاز لنا أن نوازن بين طوائف المعلمين فى الاستعداد والاجتهاد لجاء الإلزاميون فى أصحاب الكفة الراجحة ؛ ذلك لأنهم بحكم تنشئتهم وإعدادهم يشعرون بالضعف والتخلف ، فهم لا ينفكون يستفيدون ويستزيدون ما أمكنتهم الوسيلة والقدرة . ومن النادر أن تجد معلماً إلزامياً لا يقتنى الكتاب المفيد ولا يشترك فى المجلة النافعة . وأشهد أن ثمانين فى المائة منهم مشتركون فى « الرسالة » ، وإنهم ليقتطعون بدل اشتراكها من قوتهم النزر ؛ ولكنك تجد الكثرة الكاثرة من حملة الشهادات والعذبات[1] من المعلمين الثانويين والجامعيين لا يقرأون غير الكتب المقررة وما يتصل بها من قريب ، ثم لا يجدون فى أنفسهم حاجة إلى مطالعة كتاب أو قراءة مجلة

المعلم الإلزامى والطالب الأزهرى هما الشعاع المنبعث من نور الدين والعلم إلى القرية ، ولولاهما لتدجى على القرى ظلام من الضلال والجهل لا ينفذ فيه بصر ولا بصيرة . ذلك لأنهما يعايشان سواد الشعب وعامته من الزراع والصناع ، فيوقظان فيهم العقل ، ويحييان الضمير ، ويعقدان الصلة الاجتماعية بين حياة المدينة وحياة القرية . ولو كان للتوفيق كرسى فى الحكومة لاتخذوا من التعليم الإلزامى وحدة ثقافية تبرئ الفلاحين أطفالاً ورجالاً من الجهالة والمرض . كان من الممكن أن تعتمد وزارة المعارف على المعلمين الإلزاميين فى تعليم الأطفال بالنهار ، وأن تعتمد وزارة الشؤون الاجتماعية عليهم فى تعليم الرجال بالليل ؛ وإذن لا تنقضى بضعة أعوام حتى لا نجد فى بلد الأميين والحفاة مَن ليس فى يده كتاب ولا فى رجله نعل . ولكن وزارة المعارف وضعت المعلم الإلزامى تحت الدرجة الأولى من السلم ثم نظرت إلى أعلى وتركته يكابد العمل الكثير بالأجر القليل : فهو يعطى ثمانية وأربعين درساً فى الأسبوع ، ويأخذ أربعة جنيهات أو خمسة فى الشهر ؛ وهو مع ذلك موضع البركة فى تبكير الزواج وتكثير النسل ، وعبدُ الثقافة بنشدان المعرفة وإدمان القراءة . فبالله ربك كيف يحسن عمله هذا البائس ونهاره مكدودٌ بعمل المدرسة وليله مجهودٌ بهم البيت ؟ وكيف يقضى حياته هذا المسكين ومظهره مظهر الأمير وعمله عمل الأسير وأجره أجر الخادم ؟ على أن أعجب ما فى الأمر أن يؤدى عمله كاملاً على الوجه الذى رسم له ، ويقضى حياته كريمة على النحو الذى يليق به ، ويكمل نفسه بالاطلاع والدرس حتى نبه من أفراده كثيرون فى التعليم والصحافة والأدب !

ذلك ما صنعت به وزارة المعارف أو وزارة الداخلية لا أدرى ؛ أما وزارة الشؤون الاجتماعية فلا تزال فى ظلام الحيرة تتحسس بيديها المرتوقتين طريق الإصلاح . ولقد دللناها فى بضع مقالاتٍ كتبناها ، على طريق الاستفادة من المعلم الإلزامى فى محاربة الجهالة ، فأبت إلا أن تحارب الأمية بنفسها فأصدرت مجلة ، وأن تصلح فساد المجتمع برأيها فحشدت الأطفال المتشردين فى مزارع (السرو) الأميرية ، ثم سلطت عليهم قسوة الجند وشدة النظام فاستفحل فى نفوسهم الشر ، وعصف فى رؤوسهم التمرد ، وتسللوا لِواذاً فى البلاد ، حتى لم يبق من الأطفال الأربعمائة إلا أربعون يكلفون الحكومة من الجهد والنفقة ما لا رادّة فيه ولا عوض منه

كنا نود أن نجيل الرأى فى مشكلة التعليم الإلزامى ليستفيء أولو الأمر بخبرة المحنكين من الكتاب ، ولكنا نعتقد أن الرأى فى هذا الموضوع لا يصيب إلا إذا كان للتعليم فى مختلف درجاته وغاياته سياسة واضحة تنفذ ، ونظام مستقر يتَّبع . فبحسبنا اليوم أن تعطف وزارة المعارف على هؤلاء الجنود المجهولين الذين عملوا وأحسنوا ؛ وإنهم ليستطيعون أن يزيدونا عملاً وإحساناً ، إذا أولاهم معالى الوزير جزاء وشكراناً .

« المنصورة » احمد حسن الزيات

(١) يكاد حمل العذبة يكون شعاراً للمدرسين ، ولا ندرى مصدر هذا التقليد ولا سببه ، وربما يكون حملهم للعذبة بدل العصا أثراً لتطور سياسة التعليم من الشدة إلى اللين !

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

بعض ما علمتني الأيام — الشيخ عباس الجمل — فكاهة سياسية — كاريكاتور طريف — جناية الكتابة على الشعر والخطابة — كيف نعامل رجال الوعظ والارشاد

بعض ما علمتني الأيام

تلقيت عن الأيام دروساً تفوق العدّ والإحصاء، وإن كنت قليل الانتفاع بتلك الدروس ... وهل ينتفع جميع الناس بما يتعلمون؟ لو كان ذلك لصرتُ أحكم الحكماء، فلي من الدهر في كل يوم درسٌ جديد، مع الوعي الصحيح لما أسمع من دروس الزمان

ولكني مع ذلك انتفعت بدرس واحد، وأحب أن ينتفع به قرائي، فما هذا الدرس؟

هو الخوف الشديد من أحاديث المجالس، فأنا لا أتكلم أبداً في الشؤون الدينية أو السياسية أو الاجتماعية حين أقابل الناس أو حين أزور الأندية في بعض الأحايين، لأني أعرف أن التزيد والتحريف صارا من عيوب بني آدم في هذه الأيام، ولا يجوز ائتمان مخلوقات هذا العصر على مكنون الأفكار والآراء، لأن حظهم من صدق الرواية صار غاية في الغثاثة والهزال

وذلك هو السر في إقلالي من غشيان الأندية والاتصال بالناس، حتى جاز اتهامي بالنفرة من بني آدم وإيثار العزلة والانفراد، مع أني في حقيقة الأمر رجلٌ ألوف، ولا أختار العزلة إلا طلباً للسلامة من التزيد والافتراء

فما العبرة من هذا الدرس؟ وما الذي أنصح به قرائي؟

أنا أرى أن نخاطب الناس عن طريق الجرائد والمجلات، أو عن طريق المؤلفات، فلا نعلن رأياً إلا وهو نصٌّ مكتوب يعجز عن تحريفه المفترون، وإلا فمن حق كل مخلوق أن يتزيد علينا كيف شاء

إن النصوص المكتوبة لا تسلم من تحريف المتعرضين، فكيف يسلم الكلام المرسل في أحد المجالس وفيهما أوشاب لا تعيش إلا من الإفك والإرجاف؟

إن التحريف الذي ابتُليتْ به آرائي المدوّنة في مقالاتي ومؤلفاتي قد آذاني، فكيف يكون حالي لو أرسلت نفسي على سجيتها وحدثت الناس بما أراه في الأدب والحياة؟

من الجريمة أن نحدّث الناس في شؤون يُخاف عليها من التحريف، ومن الجريمة أن يكون اللسان وحده أداة التعبير وهو لا يرسل غير لفظ وصفه القدماء بأنه عَرَضٌ سيّال؟

يجب أن يكون القلم أداة التعبير في دقائق الشؤون، لأنه يحدد أغراضنا تحديداً يمكن الاحتكام إليه عند اشتجار الخلاف

أقِلّوا من أحاديث المجالس، يا قرائي، لتسلموا من أكاذيب المفترين، فما وثق أحد بالناس في غير حذر ولا احتراس إلا اسقوه الصاب والعلقم، وأكرهوه على الوقوع في الخطيئة الدميمة وهي اليأس من الثقة بإخوان الزمان

ما الموجب للثرثرة في الأندية والمجالس وعندنا من الجرائد والمجلات ما يتسع لنشر ما نريد من الأفكار والآراء؟

إرحموا أنفسكم من أوزار التحريف لما يصدُر عنكم، واعرفوا جيداً أن المبادئ لا تخدَم بالقيل والقال بين أجواف الجدران، وإنما تخدَم المبادئ بالقول الصريح الذي يعجز عن تحريفه أصحاب الأغراض المِراض

ثم ماذا؟

ثم أوصيكم بأن تكونوا رقباء على أنفسكم، فلا تقولوا في السر ما تعجزون عن نشره في العلانية، وما أوصيكم إلا بما أوصي به نفسي، فأنا لا أقول كلمة في مجلسٍ خاصٍّ إلا إذا عرفت أني أملك نشرها على الجمهور بلا تهيب ولا إشفاق، ولو شئت لقلت بدون أن يكذّبني أحد المكابرين. إن لساني في غاية من التلطف والترفق، وإن اشتهر قلمي بالشطاط والجموح، وما كان ذلك كذلك إلا لأني أكره المواربة وأبغض الاستخفاء، وما حقد عليَّ حاقدٌ إلا بما قلت فيه بكلام منشور في الجرائد والمجلات يملك الرد عليه حين يشاء. أما إيذاء الناس في السر فلا أستطيعه أبداً، لأن الله تباركت أسماؤه عصمني من رذيلة الاغتياب، فله الحمد وعليه الثناء

الشيخ عباس الجمل

من أفظع الشواهد على أن أدباء مصر لا يعطف بعضهم على بعض ، ولا يبكى أحدهم لكربة أخيه ، ولا يسأل عنه حين يغيب ، ولا يلتفت إليه إلا حين يسمع عَرَضاً أنه صار إلى بؤس أو نعيم ... من أفظع الشواهد على انعدام خلة الوفاء بين الأدباء المصريين أنهم لم يسمعوا أن الأستاذ عباس الجمل يعانى علة دامية — سينجو منها بإذن الله — وأنه كان يجب عليهم أن يواسوه فى جميع الجرائد والمجلات بما يدفع عنه العلة والعناء ؛ فقد يكون فى الكلمة الطيبة ما يزوّد الجسم بقوة المناعة ويقلّم أظفار الداء . ولكن أين من يفهم هذه المعانى ؟ !

فُجِع الشيخ عباس بغَرَق ابنه « طاهر » وهو يقارع أمواج البحرين فى دمياط فما تحركت يراعة أديب لمواساته فى ذلك الرزء الجليل !

وبُتِرت ساق الشيخ عباس منذ أسابيع ، فما بكى شاعر ، ولا تأثر كاتب لمصيبة الأديب الذى كانت مِشيته فى شوارع القاهرة أرشق من مِشية الأسد المختال !

عباس الجمل فى أحزان وكروب منذ خمس سنين ، فأين الكاتب الذى واساه ؟ وأين الشاعر الذى جعل بلاءه بالزمان موضوعاً لنشيد جميل يصوّر بلاء الرجال بالزمان ! !

شفاك الله يا صديق ، وشفى من أجلك كل عليل ! !

فكاهة سياسية

كان الحزب السعدى دعا إلى إعلان الحرب على الطليان والألمان ، وهى الدعوة التى استوجبت إلقاء أطول خطبة سياسية فى المعهد الجديد ، وهى خطبة الدكتور أحمد ماهر باشا فى مجلس النواب ، فقد استغرقت ست ساعات ، على نحو ما كانت تستغرق خطب سُحبان وهو يَهدر بين السّماطَين !

ولكن أنصار الحزب السعدى ليسوا جميعاً أعضاء فى مجلس النواب ، فلا بد من خطيب يشرح لسائر الأنصار وجاهة القول بإعلان الحرب ، فكان الخطيب المختار هو الشيخ عباس الجمل ... وما كاد الشيخ يعتلى منصة الخطابة ، حتى عوّت صفارة الإنذار فأجّل خطبته إلى أسبوع مُقبل ، ودار الأسبوع وجاء الشيخ يُلقى خطبته ، فعوّت صفارة الإنذار من جديد !

وهنا قالت جريدة المصرى : سترى كيف تُلاحقك الغارات يا شيخ عباس !

فأجابت جريدة الدستور : إن صحّ هذا النذير ، ففى مصر طابور خامس !

كاريكاتور ظريف

نبغت الصحف المصرية فى إبداع الصور الكاريكاتورية برغم ما يقع فيها أحياناً من سخافات ؛ ومن أبدع ما رأيت صورة نشرتها مجلة « الشعلة » لميزان يحمله رجل معصوب العينين باسم « الرأى العام » ، وقد رجحت كفة الوفديين على السعديين ، فابتهج النحاس باشا وقال : ما رأيك يا ماهر باشا ؟

فأجاب الدكتور ماهر : وما قيمة هذا الميزان وحامله رجلٌ من حزبك ؟ !

وإذا كان الرأى العام من حزب الوفد فقد انحل الإشكال ! فى مصر اليوم أدبٌ سياسىٌ ، فأين من يقيّد الأوابد من ذلك الأدب الطريف ؟

جناية الكتابة على الشعر والخطابة

هى سجعة ذكرتنى بالحوار المعروف :

— أجمل السجع ، ما خف على السمع

— مثل ماذا ؟

— مثل هذا !

ولكن كيف تجنى الكتابة ، على الشعر والخطابة ؟ تأمل هذا التمهيد :

إذا كان عند أحد جيرانك طفل أخرس فلا تسمح لأطفالك بأن يلعبوا مع ذلك الطفل ، لأن طريقته فى التفاهم ستروضهم على التعبير بالإشارات ، وعندئذ يقل فيهم الشوق إلى التعبير بالكلام ، فيحرمون أفضل النطق وهو أظهر الخصائص الإنسانية

وإذا رأيت الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى يطيل القول فى انصرافه عن قرض الشعر فلا تصدق أنه حرم الشاعرية ، وإنما يرجع زهده فى الشعر إلى أنه أكثر من التعبير عن أغراضه

بالإنشاء ، ففترت رغبته فى التعبير بالقصيد ، والمواهب يجنى بعضها على بعض

وأقوى البراهين عندى على أن الشريف الرضى ليس المنشئ لكتاب « نهج البلاغة » هو إمعان الشريف فى التعبير عن أغراضه بالشعر ، فديوانه من حيث الكم يزيد عن ديوان المتنبي بألوف من الأبيات الجياد ، وما أثر من الرسائل النثرية للشريف لا يشهد بأنه كان يشتهى التعبير عن ذات نفسه بالإنشاء

وكما تجنى الكتابة على الشاعر تجنى على الخطيب : لأن أعظم أسباب الإجادة فى أحد هذه الفنون هو الشوق إلى التعبير بإحدى أدوات هذه الفنون ، ومتى عبّر المفكر عن نفسه بالكتابة فقدَ الرغبة فى التعبير بطريقة ثانية وثالثة فصار أزهد الناس فى مقامات الخطباء والشعراء

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد الاعتذار عن نفسى ، فقد عاب على قوم أن أنصرف عن الشعر والخطابة ، وعدونى فى هذين الفنين من المتخلفين ، ولم أكن كذلك فيما سلف من الأيام ، فلى ديوان شعر ، وكنت فى الثورة المصرية من أعلام الخطباء ، ولم أزهد فى هذين الفنين إلا بعد اشتغالى بالتدريس والكتابة والتأليف ، فألِفتُ التعبير بأسلوب يغاير أسلوب الشاعر وأسلوب الخطيب

وإذن فما هذا التحدى الذى يواجهنى به جماعة من أدباء الإسكندرية ؟

قال قائل منهم : إن الرجل الذى ودع بغداد بقصيدة بلغت ١١١ بيت هو الرجل الذى بخل على الإسكندرية الجريحة ببيت من الشعر أو بيتين ! ؟

هو ذلك يا نَدامى « الثغر الجميل »

ولو أنى فكرتُ فى مواساة الإسكندرية بالشعر قبل أن أواسيها بالنثر لأُطلت فيها القصيد ، ولكنى عبرت عن أحزانى بالإنشاء ، فلم يبق لقرض الشعر مجال ... ألم أقل لكم : إن المواهب يجنى بعضها على بعض ؟

وهل كان النثر الفنى إلا شعراً تحرر من القوافى والأوزان ؟

قولوا ما شئتم ، فلن تهمنى الألقاب الأدبية ، وإنما يهمنى أن أصدق فيما يصدر عن قلمى ، بغض النظر عن نوع الأداء

كيف نعامل رجال الوعظ والإرشاد

إلى الباحث الفضال « ا . ا » أوجه القول :

جاء فى خطابك أن واعظ مركز . . . . . آذاك بغير حق أمام أهل قريتك ، وفى بيت الله بعد صلاة الجمعة ، بألفاظ لا يليق صدورها عن الوعاظ

وفهمت من خطابك أن النزاع نشأ من الخلاف حول مسألة لم تتفق فيها أقوال الفقهاء

ومن حقى أن أوجه إليك هذه الأسئلة :

هل ترى من الخير أن نطالب الوعاظ بالخوض فى الدقائق الفقهية أمام جماهير لا يصح تعريضها لمشكلات تلك الدقائق ؟

وهل ترى من الذوق أن تحرج واعظاً هو ضيفك فى بلدك فتجره إلى مآزق تنتهى بكما إلى اللجاجة والعناد ؟

وهل ترى أن الوعاظ يعيَّنون لإرشاد من يكون فى مثل علمك واطلاعك ؟

انظر فى هذه الأسئلة جيداً لتعفينى من نشر الكلمة التى تريد أن أوجهها باسمك إلى علماء الأزهر الشريف ، فما أحب أن أشجعك على مجادلة الوعاظ ، وهم قومٌ لا تباح لهم مجادلة الناس ، وإلا كثرت الشُّبه وانعدم الصفاء بين أهالى البلاد .

وأنا بعد هذا أوصى نفسى وأوصيك بالنظر فى باب الرياء من كتاب الإحياء ، فإنى أخشى أن نقع فى مهلكات ، باسم الغيرة على الدين ، وهوَى النفس له مسالك لا يفطن لها الرجال إلا فى أندر الأحيان

لَطَفَ الله بى وبك ، وهدانى وهداك

زكى مبارك

من أدب المدرسة

أستاذ

للأستاذ علي الطنطاوي

لما بلغنا قرية (صاريتا) كان الصبح يتنفس، فطرقنا أول باب لقيناه، فلما فتح لنا واحتوانا (المنزل) المعد للضيفان، سقطنا من الكلال والإعياء كالقتلى، فلم نلبث أن غرقنا في لجة الكرى. ولا عجب أن يبلغ منا التعب هذا المبلغ وقد سرنا الليل كله على الأقدام نصعد جبلاً ثم نهبط وادياً ثم نتسلق الصخر. حتى أدركنا هذه القرية التي فرت من العمران، وتغلغلت في الأودية المقفرة من لبنان الشرقي حتى وجدت هذه الذروة التي لا يضارعها شيء في عزلتها وعلوها وضياعها بين الأرض والسماء فاستقرت عليها

ولما أفقنا ورأينا احتفاء القوم بنا، وعجبهم من مسرانا إليهم وقدومنا عليهم، سألناهم وضربنا معهم في شعاب الأحاديث، فعلمنا أنه لم ينزل بلادهم (أعني أنه لم يصعد إليها ...) غريب عنها قبلنا، وكانوا يكلموننا على تخوف وحذر، فلما انتسبنا إليهم، وعرفناهم بنفوسنا داخلهم شيء من الاطمئنان. غير أنهم لم يكونوا يجيبون عن أسئلتنا وإنما يحيلونها على الأستاذ (نحن فلاحون لا نفهم عنكم، ولكن إذا جاء الأستاذ ...) ورأيتهم يذكرون الأستاذ كما تذكر الرعية الملك المحبوب، تبرق عيونهم حباً، وتخشع أصواتهم احتراماً، فكنت أعجب أن يكون لمعلم القرية، وهو لعمري أستاذهم مثل هذه المنزلة، وعهدنا بمعلمي القرى أن الجندي أكبر في عيون الفلاحين منهم. وقلت: ألا تدعون لنا هذا الأستاذ المحترم حتى نراه؟ فلما سمعوا هذه الكلمة اضطربوا وتلفتوا يتبادلون النظرات، وعراهم مثل ما يعرو المؤمنين سمعوا كلمة الكفر. وكانت سكتة طالت، فأعدت السؤال، فقال صاحب المنزل وهو يبذل أكبر الجهد حتى يمسك غضبه فلا يؤذي ضيفه: إن الأستاذ يزار ولا يزور. فلما سمعت ذلك اطمأننت وقلت: لا بأس، إنا نتشرف بزيارته، ولو علمت عادته ما سألتكم دعوته، فقوموا بنا إليه. فقاموا وقد سري عنهم بعض الذي وجدوا، ومشينا نصعد في طرقات القرية الضيقة الملتوية، وأنا أتصور هذا (الأستاذ) بعين الوهم فلا أراه إلا مثل من عرفت من معلمي الصبيان، غير أن له فيما يبدو دهاء ومكراً، تَخرَّق بهما على الفلاحين وموه عليهم حتى حسبوه شيئاً وما هو بشيء

حتى إذا بلغنا ذروة الجبل وجدنا عليها بيتاً هو أعلى بيت في القرية و (العين) أسفل منه، وحوله حديقة لطيفة، فدخلنا البيت فإذا فيه فرش نظيف، وأثاث من أثاث المدن، وخزانة كتب بالقرب منها مكتب صغير عليه أوراق وأقلام، وكتاب مفتوح عرفت من نظرة واحدة أنه «الإحياء» للغزالي، فلا والله ما أظن أني عجبت من شيء عجبي منه. ولبثنا هنيهة؛ ثم دخل علينا شيخ أبيض اللحية، قد وضع على كتفيه عباءة ستر بها ثوباً من ثياب التفضل أبيض نظيفاً، فرحب بنا بلهجة فصيحة وانطلق يحدثنا. أما الفلاحون فقد جلسوا عند الباب لم يقتربوا من الشيخ إجلالاً له، وسكتوا كأن على رؤوسهم الطير

كان الشيخ يتكلم وكنت أحدّ النظر إليه وأكدّ ذهني لأذكر أين رأيت هذا الوجه. فلما طال ذلك مني ولحظه قال: مالك يا بني؟ قلت: أظن أني أعرفك يا سيدي. فضحك وقال: وأنا أعرفك يا بني، أما كنت في المدرسة التجارية سنة ١٩١٨؟ فتأملته ورأيت كأني رجعت طفلاً أنظر من وراء ثلاث وعشرين سنة إلى أستاذي الجليل الشيخ «عبد الواسع»، فلم أملك أن صحت: أستاذي! ووقعت على يديه أقبلهما، وأقبل يمسح على ظهري ويقبل جبيني، وقد استعبر كل من حضر

أستاذي الذي ترك المدرسة وأحيل إلى المعاش منذ عشرين عاما، وانقطعت أخباره عنا وحسبناه مات، لا يزال حياً! ويقيم في قرية (صاريتا) الضائعة بين السماء والأرض! إن هذا لعجيب

* * *

قلت وقد سكن المجلس بعد أن حركته هذه المفاجأة الغريبة: وكيف عرفتني يا سيدي الأستاذ، وقد غيرتني الأيام؟ قال: ما تغيرت عليّ، ولقد ذكرتك من أول نظرة. ألم تكن في الصف الخامس حينما انتهت الحرب، وخرج الأتراك من الشام ليدخلها الشريف؟ ألم تكن في المقعد الأول حيال الشباك، وإلى جانبك (مرّي) أين هو (مري) الآن؟ قلت: لا أدري يا سيدي، ولم ألقه أبداً بعد تلك السنة. قال الشيخ مترفقاً ناصحاً بلهجته التي كان يخاطبني بها وأنا صغير (لم أنسها) قال: ولم يا بنيّ؟ لماذا لا تصل إخوان المدرسة؟ أما علمتك الحياة أن صداقة المدرسة خير صداقة وأمتنها؟ أصلحك الله يا ولدي

وأطرق الشيخ يفكر، ثم قال: هل علمت يا ولدى أن المعلم يتمنى ألا يكبر تلاميذه أبداً، وأنه لا يتصورهم إلا كما عرفهم أول مرة ولو صاروا رجالاً؟ أنا لا أرى فيك الآن إلا ذلك الصبي الذى كان فى المقعد الأول حيال الشباك. فقدر المحنة التى يصاب بها المعلم حين يرأسه أحد تلاميذه. أتعرف عدنان؟

قلت: ومن عدنان؟ قال: لا. لم يكن معكم، هو أصغر منكم. عدنان هذا كان من أصغر تلاميذى وأحبهم إلىَّ. لقد جعلته الأيام ناظر المدرسة التى كنت فيها، فتصوره وهو يدعونى إليه ويستقبلنى قاعداً، ويأمرنى بأمره. ولقد نالنى مرة بسوء لأنى لم أوفه ما يراه حقه من الاحترام. وكيف أحترمه يا ولدى وأنا لا أقدر أن أرى على كرسيه إلا عدنان الطفل ذا الشعر الذهبي؟ كيف أحترمه؟ أأحترم ولدى! سامحه الله. سامحه الله لقد آلمنى وآذانى

إن المعلم يحس بوخزة فى كبده إذا أعرض عنه تلاميذه أو أنكروه أو ترفعوا عليه. كأن أولئك الأطفال هم الذين ترفعوا عليه. لا يعلم المسكين أن الطفل لا يبقى أبد الدهر طفلاً... لا. لا يتخيل ذلك أبداً...

وسكت الشيخ قليلاً ثم رجع يقول: وكنت ترفع أصبعك دائماً، أرأيت؟ إنى لم أنسك. وكيف ينسى المعلم تلاميذه وهم بعض ذكرياته، والذكريات هى الحياة

ثم سألنى: وماذا تشتغل أنت الآن؟ فضحكت وقلت: معلم

قال: آه... مسكين... لماذا اخترت هذه المهنة يا ولدى؟

قلت: إنى سأتركها يا سيدى؛ قال: وتظن أنك تستطيع؟ إن تلاميذى الذين أحببتهم ومنحتهم قلبى، قد أنكرونى... لم أعد أخطر لهم على بال. لم يزرنى منهم أحد... لقد رأيت منهم ألوان الجحود، ولكنى لا أزال أحبهم، وأتمنى لو أستطيع أن أضمهم إلى صدرى... آه... كم يتألم الأب إذا رأى ولده يعرض عنه وينكره ويمر كأنه لا يعرفه؟ لم ألق منهم خيراً، ومع ذلك فأنا أحب أن أنشئ غيرهم، وأن أصب البقية الباقية من روحى وحياتى فى نفوس أطفال جدد، أعلم أنهم لن يكونوا خيراً من أولئك، ولكن هذه هى آفة المهنة... إنها مهنة ليس فيها إلا الألم... ولكن صاحبه يستمرئه ويجزع لفقده كصاحب (الكوكائين) يأخذه وهو يأخذ حياته، فإذا افتقده حنّ إليه... أليس هذا من الغرائب؟

إنى أمر على مدرسة القرية، فأسمع الطلاب يرددون درساً، أو يتلون أنشودة، فيخفق قلبى فى صدرى، وأحسد هذا المعلم الذى أخذ منى أولادى... لا تعجب يا ولدى... سل الفلاح الذى يشق الأرض ويغرس فيها البذر وينتظر النبتة الضعيفة... فإذا ظهرت تعهدها بالسقى والعناية، وقاس طولها يوماً بعد يوم، فلا تنمو أنملة إلا وضع فى هذه الأنملة أمله ورجاءه وخوفه وإشفاقه وأحاطها بعواطفه، وصب فيها من ماء حياته... حتى إذا نما النبت واستطال، وظللته غصونه، وتدلى من حوله زهره، وأينع ثمره، اضطر إلى بيعه... فما هى إلا عشية أو ضحاها حتى يراه فى يد غير يده... سَلْهُ كم يتألم ويشقى، ويتقطع القلب منه حسرات كلما نظر إلى هذه الأشجار، وذكر ما له فيها من ذِكَر وما أنفق عليها من أصباحه وأماسيه، ومن حبه وأمانى نفسه... وإنها لأشجار... جمادات لا تعقل... فكيف بى وقد ربيت بشراً ثم أعرضوا عنى ونسوا عواطفى وحبى... وما نسيتهم ولا أقلعت عن حبهم؟

وما كان لى يا ولدى أن أزعجك بحديثى لولا أنى أنفس به عن نفسى. إنى أعيش وحيداً فى هذه القرية المنزلة لا أدرى كيف أزجى الباقى من أيام حياتى. إنى أشكو الملل، ولا أطيق النوم، فلا أجد إلا النجم أراقبه وذكرياتى أناجيها. وكثيراً ما تثقل علىَّ هذه الذكريات، حتى لأضل قلبى بين حاضر لا متعة فيه وماض لا رجعة له...

لا، يا ولدى، لا تحرص على هذه المهنة. اتركها إن استطعت فهى محنة لا مهنة. هى ممات بطئ لا حياة. إن المعلم هو الشهيد المجهول الذى يعيش ويموت ولا يدرى به أحد، ولا يذكره الناس إلا ليضحكوا من نوادره وحماقاته...

* * *

وعدنا من العشية نسلك تلك الأودية، ونتسلق تلك الصخور عائدين من (صاريتا) ولا يزال حديث أستاذى يدوى فى أذنى، فأحس به فى هذه البرية الساكنة قوياً مجلجلاً، ولكن الناس لا يسمعونه، وإن هم سمعوه لم يحبوا أن يفهموه!

على الطنطاوى

بين إنكارين
فى قسمة غنائم حنين
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

راق بعض إخواننا من أفاضل العلماء ما ذكرته فى إنكار ذى الخويصرة التميمى على النبى صلى الله عليه وسلم فى قسمة غنائم حنين[1] وأعجبه إرجاعى ذلك الإنكار إلى جمود ذى الخويصرة ، وأنه يرى الوقوف فى الدين عند حدود القواعد ، ولا يرى الأخذ فى ذلك بشىء من التساهل ، وقد أداه هذا التنطع فى الدين إلى ذلك الإنكار الفاضح ، وكان من النبى صلى الله عليه وسلم أن أعرض عنه فى ازدراء ، وتركه فى ذلك الجهل الفاضح الذى لا يقبل الدواء ، لأنه من الجهل المركب وهو شر أنواع الجهل ، وصاحبه لا يفيد فيه العلاج أصلاً

وقد كان هناك إنكار آخر من الأنصار على قسمة غنائم حنين ، وهو أدل على ما راق ذلك العالم الفاضل من أن الجمود على القواعد ليس من الدين فى شىء ، وأنه لا قيمة لمنطق الألفاظ إذا اعترضه منطق الحوادث ، لأن منطق الألفاظ يسهل تذليله لمنطق الحوادث بشىء من التصرف فى دلالتها ، أما منطق الحوادث فصريح لا يقبل تأويلاً ، ويأبى إلا أن يخضع له منطق الألفاظ .

وكان إنكار الأنصار على النبى صلى الله عليه وسلم أنه أعطى قومه من غنائم حنين ما أعطى ولم يعطهم ، فوجدوا فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة – وهى القول الردئ – وقال بعضهم : إن هذا لهو العجب : يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ! وفى رواية أخرى : إن هذا لعجب ، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش ، وإن غنائمنا ترد عليهم . وقال آخرون منهم : إذا كانت شديدة ندعى إليها ، ويعطى الغنيمة غيرنا !

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دع عنك شماء إذ كانت مودتها
نزراً وشرُّ وصال الواصل النزرُ
وائت الرسول فقل يا خير مُؤتمن
للمؤمنين إذا ما عُدِّدَ البشرُ
علام تدعى سُليمٌ وهى نازحةٌ
قدَّامَ قوم هم آووْا وهم نصروا
سماهمُ الله أنصاراً بنصرهمُ
دين الهدى وعوان الحرب تستعر
نجالد الناس لا نُبقى على أحد
ولا نضيِّع ما توحى به السوَر
كما رددنا ببدر دون ما طلبوا
أهلَ النفاق وفينا ينزل الظفرُ
ونحن جندك يوم النّعف[1] من أُحُد
إذ حزّبت بَطراً أحزابها مُضرُ
فما ونيْنا وما خِمْنا وما خبروا
منا عثاراً وكل الناس قد عثروا

وقد بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الإنكار من أصحابه الأنصار ، فلم يهمه أمر الألفاظ التى بلغته ، ولم يبحث عن دلالتها على الشك فى رسالته أو عدم دلالتها عليه ، ولم ينظر إلى ما تقضى به قاعدة الإنكار عليه من كفر أو نفاق ، بل نسى ذلك كله ولم يعبأ به ولم ينظر إلا إلى ماضى الأنصار الحافل بالجهاد فى نصر الدين ، ولم يذكر إلا أنهم آووه وآزروه وأصحابه على أنفسهم حين هاجروا إليهم ، وبذلوا دماءهم وأموالهم حتى تم له ما تم من النصر على قومه وغيرهم ، وليس من حسن السياسة أن يؤخذ الصاحب بزلة لا تذكر بجانب حسناته ، وليس من الإنصاف أن يحاسب على الألفاظ إذا كانت أفعاله توجب الإغضاء عنها ، وتدل على أنه لا يقصد ما فيها من دلالة على كفر أو نفاق . ولا شك أن من لا يراعى مثل هذا فى سياسة أصحابه تختل عليه أموره ، وتضطرب أحواله ، وينظر فلا يجد له صاحباً ولا نصيراً

---

(١) انظر العدد ٤١٧ من مجلة الرسالة

(١) أسفل الجبل

وهكذا آثر النبي صلى الله عليه وسلم ما يقضي به حسن السياسة من أخذ أنصاره باللين ، والتغافل عما صدر عنهم من تلك القالة . وقد دخل عليه سعد بن عبادة الأنصارى يبلغه شكوى قومه ، فقال له : يارسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ، لِمَا صنعت فى هذا الفَىْء الذى أصبت : قسَّمْتَ فى قومك وأعطيت عطايا عظاماً فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومى . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة . فخرج سعد فجمع الأنصار له ، فلما حضروا قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قالةٌ بلغتنى عنكم ، وجدةٌ وجدتموها علىّ فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسوله أمَنُّ وأفضل . ثم قال : ألا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المنُّ والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مكذَّباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة[1] من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار . ولو سلك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظّا

فلله هذه السياسة البارعة التى يتواضع فيها النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار هذا التواضع ، ويقوم فيهم كأنه فرد منهم ، فيوازن بين ما قدمه لهم من حسنات ، وما قدموه له من حسنات ، ويجعل ما قدموه له مثل ما قدمه لهم أو أرجح منه ، ثم يذكرهم عظيم حظهم إذا عادوا به فى رحالهم ، وعاد الناس بما أخذوه من تلك الغنائم ، فيقتلع من نفوسهم كل أثر لتلك الموجدة ، ويجعلهم يبكون ندماً عليها أو فرحاً بعظيم حظهم

ولو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمد على قواعد الدين ورسومه كما نجمد اليوم ، لم يأخذ الأنصار بتلك السياسة البارعة بل وقف يؤنبهم على تلك القالة ، ويذكر أن الإصرار عليها كفر ونفاق فى الدين ، وأنهم إن لم يتوبوا منها حل عليهم عذاب الله وحبط ما قدموه من حسنات فى الإسلام

ولكن مثل هذا لا يشفى النفوس العاتبة ، ولا ينال به رضا الأصحاب عند عتابهم ، وإنما يكسب رضاهم بالإغضاء عن زلاتهم ، وأخذهم بالرغبة واللين ، لا بالرهبة والوعيد . وها نحن أولاء اليوم نأخذ الناس فى ديننا بالتشديد والوعيد ، ولا نأخذهم بالرغبة وحسن السياسة ، ونقف جامدين أمام النصوص وألفاظها ، ونغالى فى الأخذ بالقواعد غير متأثرين بالظروف التى تحيط بها . ولا شك أن هذه مغالاة فى الغيرة على الدين تضر ولا تنفع ، وتنفر الناس منه ولا تجذبهم إليه ، وقد خسرنا بها كثيراً ممن كان يمكن أخذهم بالرغبة وحسن السياسة . ومن الواجب أن نقلع عن هذا الجمود ، وأن نأخذ الناس إذا زلوا بتلك السياسة التى سنها النبي صلى الله عليه وسلم

عبد المتعال الصعيدى

(١) اللعاعة بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

٥ – مدن الحضارات
فى القديم والحديث

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يعتبر عصر الأسرة العلوية فاتحة عصر جديد فى تاريخ القاهرة التى دارت عليها من الزمان أحوال من النحس والسعد ، كما هو الشأن دائماً فى كل بلد تنوشه الخطوب وتتقاذفه الأقدار

ولقد طبعت القاهرة فى عهد هذه الأسرة بطابع خاص مع احتفاظها بجلال القدم وروعة الماضى ، وأفاضت عليها مآثر هذا البيت حللاً رائعة التق فى أثنائها الماضى بالحاضر والقديم بالحديث والشرق بالغرب ، فبدت القاهرة بلداً شرقياً جيلاً يخلب اللب ويلفت النظر . وتهاوى إليها العلماء وأهل الفنون والرحالون يمتعون النظر بمحاسن جمالها ، أو يسرحون الطرف فى رباعها المملوءة بروعة التاريخ وقدسية الماضى ، ويجدون فى آثارها القائمة وأعلامها الباقية ومعابدها وهيا كلها مجالاً للدرس وميداناً للبحث ومراداً للهو . فوصل إليها فى شهر أكتوبر سنة ١٨٠٦ — أى فى أوائل حكم محمد على باشا — الأديب الفرنسى المشهور « شاتوبريان » صاحب القصص الرائع والأسلوب المحكم

قضى هذا الكاتب العظيم أياماً فى مدينة رشيد ، ثم وفد إلى القاهرة ، فاستقبله نجل الوالى الكبير ، ولقى فى رحاب مصر وظلال الأهرام وعَبْرى النيل ، ما جعله يتغنى دائماً بهذه الرحلة السعيدة .

وزار القاهرة فى ذلك الحين أيضاً الكونت « دى فوربان » De Forbin والكونت ماركيلوس ؛ وسجل أولهما فى كتابه وصفاً ممتعاً لمصر عامة والقاهرة خاصة ، وحظى الاثنان بعطف الوالى عليهما وميله إليهما وإهدائهما بالهدايا الثمينة والعطايا الكريمة . وممن زار القاهرة فى ذلك الحين الضابط الفرنسى الكبير مارمون Marmont ، وشامبوليون المؤرخ الكبير وصاحب اليد الطولى فى حل طلاسم الكتابة الهيرغليفية ، وجوزيف ميشو المؤرخ ، ودوزا الرسام الصناع والمصور الحاذق

وليس عجيباً أن تزخر القاهرة فى ذلك الحين بطائفة من أكابر العلماء وأعلامهم ، فقد كان الوالى يحسن ضيافتهم ويرحب بهم ويستعين بعلمهم ، ويحثهم على فتح آفاق جديدة فى النهضة المصرية التى حمل لواءها ، ورفع بناءها

ودبت الحياة فى القاهرة من جديد ، وودعت عهد الفتن التى سادتها حيناً من الدهر ، واستقر فيها الأمر واستقام الحكم ، وبدأت عناية الوالى تنصرف إلى البناء والتعمير ، والإصلاح والتجديد ، فبنى مسجد محمد على بالقلعة على نسق تركى بديع ، وأصلح مسجد عمرو بن العاص بمصر العتيقة ، وجدد مسجد السيدة زينب وأصلحت أجزاؤه المتهدمة وزخرفت جدرانه وزينت أركانها بالنقوش البديعة ، وصلى فيه الوالى صلاة الجمعة يوم ١٤ ربيع الآخر سنة ١٢١٧ هـ

وشهدت القاهرة فى عهد تلك الأسرة أفراحاً ومعالم تذكر بأفراح الفواطم ولياليهم الخوالد ، وكانت أضواء الثريات تنعكس ليلاً على بركة الأزبكية ، وتتراءى النجوم فى جوانبها فيخال الرائى أن سماء ركبت فيها . وأقيمت السوارى وركبت القناديل ، ونصبت المصابيح ، وأديرت المطابخ ، واستمر اللهو فى القاهرة أياماً . واجتمع اللاعبون والراقصون والمغنون وأصحاب القردة والمضحكون يبثون إلى النفوس ألواناً من السرور

وكان مهرجان الزفاف — كما تذكر كتب التاريخ — شيئاً عجيباً ، وازدحمت قنطرة الموسكى وباب الخلق ودرب الجماميز ، والصليبة والسروجية والجمالية والأزبكية بآلاف من الناس ومئات من العربات

حدث ذلك فى عهد محمد على باشا ، وحدث بصورة أروع فى عهد اسماعيل حينما تزوج أبناؤه الثلاثة . ولقد ظلت القاهرة فى فرح كامل مدة أربعين يوماً لما تهدأ لها عين ، ولم يسكن لها طرف ، ولم يخبُ فيها ضوء . . . وكانت الموائد موصولة غير مقطوعة ؛ وأصناف الطعام تروح وتغدو على المدعوين فيجدون تنوعاً ولذة ، وغصت الساحات الرحاب والعرصات الفساح بالفرق الغنائية ، فهذا (الحمولى وتخته) ، وذلك (الدمياطى وجوقته) . واشترك فى هذه الحفلات الغنى والفقير ، والصغير والكبير ، والأمير وغير الأمير . فنى داخل القصر لهو ولعب ، وفى خارج القصر فرح وطرب ، وفى الشوارع زحام بالمناكب ، وفى شرفات المنازل أجسام مشرفة ورؤوس مطلة ، وفى النيل قوارب ومراكب غصت بالراكبين

ولا شك أن هذه الصورة الجميلة التي لم نرها رأى العين تذكرنا بأفراح القاهرة في قران الفاروق ، فقد رأيناها وقد لبست أبهى حلة وأكمل زينة ، وزينتها ثريات الكهرباء ، وسطعت فوق دورها الأنوار الساطعة والأضواء اللامعة ، وبدا قصر عابدين وكأنه قبس من نور ، أو قطعة هائلة من البلور ؛ وامتدت أقواس النصر هنا وهناك وقد جللتها الأنوار ، وكللتها الأزهار ، وازدحمت القاهرة بالوافدين إليها على قُطُر تنهب الأرض وتطوى الفضاء ، وكان في كل بقعة فرح ، وفي كل رقعة سرور

* * *

وفي عهد هذه الأسرة اختطت في القاهرة شوارع جديدة ، وأنشئت أحياء حديثة . ففتح شارع السكة الجديدة ، وشارع الموسكى ، ومُهد الطريق بين القاهرة وبولاق ، وفتح شارع محمد على فتحاً جديداً أزيلت بسببه بيوت قذرة ، وحارات ضيقة ، ومنعطفات مظلمة . وكذلك كان حال شارعى الفجالة وشبرا . وأقيمت على حفاف هذه الشوارع بيوت عالية وقصور كبيرة لا تزال بعض بقاياها إلى اليوم . وبهذه الحركة الإنشائية خلقت القاهرة خلقاً جديداً ، وقُضى على كثير من مبانيها الخربة ، وخرائبها القذرة ، وبركها المنبثة في داخلها ، وأقيم على أنقاض ذلك كله شوارع واسعة طويلة ، وبيوت أخذت بمجارى التقدم العلمى وتماشى التطور الهندسى حتى وصلت إلى ما نشاهده اليوم من قصور عالية رفعت لتخترق السماء سموكها ، وكادت تلامس الجوزاء قممها ، حتى كأن البحترى كان يعنى كل قصر منها بقوله :

ذُعِر الحمام وقد ترنم فوقه   من منظر خطر الزلة هائل

* * *

وأخذت مكانة القاهرة تعظم وشهرتها تتسع ، حتى زاد إقبال الملوك والأمراء عليها ، وكثرت رحلة العلماء والأدباء إليها . فزارها في عهد إسماعيل — غيرَ من شهدوا حفلة افتتاح قناة السويس — السلطان عبد العزيز الخليفة العثمانى سنة ١٨٦٣ وتجد وصفاً ممتعاً لزيارته في كتاب نفحات تاريخية لعزيز بك خانكى ؛ كما زارها : «فلوبير» ، و«تيوفيل جوتييه» ، و«رينان» ، و «شارل إدمون» ، و«سولسى» ، و «إدمون أبوت» صاحب كتاب (أحمد الفلاح) وكثير غيرهم

وجمِّلت ميادين القاهرة في عهد تلك الأسرة بالتماثيل المقامة تخليداً لذكرى الأبطال والعظماء ؛ فأقيم في الميدان المعروف اليوم بميدان الملكة فريدة تمثال البطل الفاتح إبرهيم باشا ، الذى نقل بعد الثورة العرابية إلى موضعه الحالى بميدان الأوبرا . وأخذت فكرة إقامة هذه التماثيل تزداد وتتسع كل يوم ، حتى رأينا منها إلى اليوم تمثال لاظ أوغلى في الميدان المنسوب إليه ، وتمثال سليمان باشا الفرنساوى ، وتمثال سعد زغلول عند نهاية جسر الخديو إسماعيل (قصر النيل سابقاً) ، وتمثال مصطفى باشا كامل الزعيم الوطنى في الميدان الذى ينسب إليه اليوم ، والذى كان يعرف قبلاً بميدان (سوارس)

* * *

وشهدت القاهرة منذ ذلك العهد روحاً علمية لم تشهدها حتى في أيام الفاطميين . فأنشئت الجمعيات العلمية المتعددة كالجمعية الجغرافية التى رأسها الدكتور (شوينفرت) الألمانى ، وجمعية المعارف التى وضعت تحت رعايتها الأمير توفيق باشا ورياسة عارف باشا لنشر الكتب والقيام على طبعها ترويجاً للثقافة ونشراً للعلم والأدب .

وتبع ذلك سيل فياض من الجماعات العلمية ذوات النشاط الملحوظ في عهد الملك فؤاد ، وهى جمعيات كان جلالته يتولاها بكثير من رعايته وتشجيعه حتى اتخذت طابعاً علمياً ، وكان لها مكان وقدم راسخة بين الجمعيات الأوربية المختلفة .

وأنشئت الجامعة المصرية وأخذت تحتضن رويداً رويداً الدواوين العالية التى كانت في القاهرة حينئذ حتى ضمت إليها وأصبحت كليات تابعة لها ومتفرعة منها إلا بعض معاهد ظلت — لعوامل خاصة — محتفظة باستقلالها أو تبعيتها لوزارة المعارف كدار العلوم وكلية البوليس .

وأصبحت الجامعة المصرية قبلة أنظار كثير من أبناء الشرق يولون وجوههم شطرها استغناء بها عن جامعات أوربا . وحفلت تلك الجامعة الفتية بكثير من العلماء الأجانب الذين نشروا فيها علمهم ووسموا فيها دوائر بحثهم حتى خرج جيل جديد يختلف في مناحى بحثه ودرسه عن الأجيال القديمة .

وأصبحت القاهرة اليوم حاضرة إسلامية كبيرة لا تقل عن كثير من حواضر اليوم في تخطيطها وآثارها ومبانيها الشاهقة وشوارعها وجسورها ورياضها وملاهيها .

(الحديث موصول)   محمد عبد الغنى حسن

للحق والتاريخ

٣ - عبد القادر حمزة باشا

كلمة أخيرة عنه

[ومن « قومية » بحثه وراء « الحقيقة » فى التاريخ المصرى القديم]

للأستاذ محمد السوادى

كلمة ! !

دللت فى مقالى الذى تفضلت « الرسالة » الغراء بنشره فى (العدد ٤١٩) على أن عبد القادر حمزة إنما اتجه إلى دراسة « التاريخ المصرى القديم » بحثاً وراء « الحقيقة » فى ذاتها ولذاتها ، وأن هذه الدراسة ملأته - كمصرى - زهواً بعصريته فكان هذا الشعور منه إيذاناً « بالقومية » التى حالفته فى بحثه ، وأن عبد القادر حمزة مؤلف كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » قرن بين « الحقيقة » و « القومية » ، وإنما رأى فى الاهتداء إلى « الحقيقة » إثباتاً « للقومية » ففعل

وأثبت فى مقالى الملحوظات الست - أو الحقائق المريرة - التى وضعها الرجل أمامه وخرج منها بأن « الحقيقة » ضائعة فيجب إيجادها ، و « القوميــة » ضعيفة فيجب إنماؤها . أما « الحقيقة » فهى أن مدنية مصر لم تقم كما اعتقد المؤرخون الأجانب « على أساس من الخرافات والعقائد الفاسدة » ، بل قامت كما دلل هو « على أساس علمى وخلق صحيح »

هذه هى خلاصة المقال الذى اختتمته بوعد منى لك أن ألتقى بك لندرس معاً « بالتطبيق » الطريق التى سلكها فى البحث ، والنتائج التى خرج بها ، و « النظافة » العلمية التى حالفته فى هذا البحث

وأحب أن أضيف إلى ذلك الوعد « كلمة » لا بد منها كما يقولون ، أحب أن أقول إن هذا « التطبيق » بالمعنى الذى أفهمه من هذه الكلمة يسوقنا إلى دراسة مستفيضة بدا لى أن أرجئها إلى وقت يحفظ على « كرامتى » و « براءتى » بعد إذ ترامى إلى أن بعض خصوم البراءة ، يزعمون أنى إنما أنشر هذه الفصول ابتغاء مرضاة جريدة « البلاغ » التى أعمل فيها . وليس يسوءنى أن تنشط الشياطين السود فى أشباه الرجال لتسرد على مسمعى قائمة طويلة من الإفك ، ما دمت مطمئناً إلى قدرة القراء على التفريق بين الصدق والكذب فى أى اتهام يوجه إلى ؛ ولكنى إزاء اتهام كهذا لا أملك له دفعاً ، وفى مجتمع تقوم الصلات بين جمهرة بنيه على النفاق ، ويجد مثل هذا الاتهام سبيله إلى بعض الأذهان ، لا يسعنى إلا أن أجعل من هذا المقال خاتمة للبحث. ويعزز هذا العزم منى سبب آخر بل أسباب أخر . . . ليس من اللياقة أن أميط اللثام عنها اليوم ؛ فإلى غد . . . إلى الغد المجهول الذى لا أدرى متى يعلم ! ! وفيــه - إن علم - أقوم ببعض ما يجب على لهذا العظيم الراحل

تاريخ ولكن

ولأعد الآن إلى « تطبيق » متواضع محدود لناحية واحدة يصح الوقوف عندها

أدرك الرجل أنه مقدم على « تاريخ » ، وهو لم يكن يوماً « مؤرخاً » ولكن الدراسات التى قام بها أهلته لهذا الإقدام ، بل أنارت له السبيل إلى تصويب أخطاء المؤرخين العالميين ، وإلى تفنيد الأباطيل التى أذاعها المغرضون منهم ؛ فماذا يصنع ؟

رأى - كما يرى كل عالم زاد علمه فزاد تواضعه - أن يسمى جهوده « على هامش التاريخ المصرى القديم » ، فلما تمت له التسمية واطمأن إليها وأنس بها ، وصارح الأخصاء من الأصدقاء بهذا الشعور ، ونشر فصولاً ضمن هذا « النطاق الحر » ، كف فجأة عن مواصلة النشر ، وعاد يواصل الدراسة فى صمت ، لأن « فكرة جديدة » نبتت فى ذهنه وحددت له « اتجاهاً جديداً » فى بحثه . فما هو هذا الاتجاه ؟

هو أن يجمع بين « الحقيقة » كمؤرخ و « القومية فى البحث » كمصرى ، ما دام المجال قد انفسح أمامه ، ولم يعد مقيداً بالتاريخ

فى صميمه ، بعد إذ أذاع أن كل جهوده ستكون وقفات « على هامش هذا التاريخ » ، فضلاً عن أن هذا اللون من البحث يحمل طابع الأخذ والرد ، ويحكم المنطق فى رقاب الوقائع ، ويخرج من المقدمات بنتائج ، فيجئ البحث أدنى إلى العراك العميق الهادئ ... عليه من طلاوة المنطق طابع ، وله من ذات الحقيقة جمال ... فيدرسه رجال « الحقيقة » على أنه « تاريخ » ، ويدرسه أبناء الجيل بنفس الروح الذى يطالعون به جدلاً بديعاً أو قصة رائعة ... فتنساب إلى أذهانهم حقائق مجلوة من تاريخ بلادهم ، ويتغلغل إلى أعماقهم حب لهذا التاريخ يغدو على الأيام إعزازاً لهذا البلد ، فتزكوا الوطنية فيهم ، وينمو الشعور بحق بلادهم عليهم ، فيصبح هذا النتاج « إنسانياً » من حيث « الحقيقة » و « وطنياً » من حيث « قومية البحث » وراء هذه « الحقيقة »

كانت هذه هى « الفكرة » التى حددت له « الاتجاه » ، فاطمأن إلى أن للبحث هدفاً يهون دونه كل شقاء ، وكانت هذه هى « الفكرة » التى استطعت أن أخرج بها من أحاديثى الكثيرة معه ، وإن كنت — لوجه الحق — أقرر أنه لم يحددها بهذا الوضوح ، لأنه كان يأنف أن يشعرك بأنه يقصد إلى مدح نفسه أو الثناء على جهده

الجوهر :

اختمرت « الفكرة » إذن وتحدد « الهدف » ، فكيف يدرك المؤلف هدفه ، أوما هى الوسائل التى تمكن له من إدراكه ؟ لم يصارحنى بها ، ولكن كتابه فى جزأيه — ما طبع منها وما هو تحت الطبع — ناطق بهذه الوسائل التى أستطيع أن ألخصها لك فيما يأتى :

أولاً : حدد مدار البحث كما قلت لك بالتدليل على أن المدنية المصرية قامت على أساس علمى وخلق صحيح ، وحدد الحقيقة التى يجب أن يثبتها التدليل على أن المدنية الحديثة وما سبقها من مختلف المدنيات ، وفى طليعتها المدنية اليونانية ، إنما هى « سير مطرد » لمدنية مصر وأقباس مستمدة من نهضة المصريين ؛ ثم حدد النتيجة التى يجب أن يبلغها التدليل على أن هذا العالم القائم الذى يتطاحن بسلاح التضليل ، وتتيه فيه العنصرية الآرية من ناحية ، والديمقراطية السياسية من ناحية أخرى ، إنما يغفل عمداً الحقيقة الكبرى ، وهى أن لا آرية هنا ولا ديمقراطية ، وإنما هناك « مصرية » أمدتهم جميعاً بالفضل الذى يتنازعونه ، وإذا صح أن للأصيل فضل المباهاة ، فمن حقنا وحدنا أن نباهى بعصريتنا .

ثالثاً : آثر عبد القادر حمزة أن يختار من بين موضوعات هذا التاريخ القديم موضوعات بالذات ، يركز فيها الجهود ويستخلص منها النتائج كما سيجئ فى التطبيق

رابعاً : رأى أن يكون نهجه علمياً إزاء المؤرخين ، ومنطقياً إزاء القراء ، ففى النهج يذكر الرواية التى ساقها المؤرخون الأجانب بأسانيدها ، ثم يذكر المراجع ويحدد الكتاب ويعين الصفحات ، ثم يعود إلى التفنيد ويضيف إلى الأسانيد كل سند جديد وقفت إليه الكشوف ، ثم يخرج بالنتيجة وضاحة الجبين لا سبيل معها إلى دعاة الشك بعد أن انبلج منها صبح اليقين ...

أمثلة للتطبيق

وإليك الآن بعض الأمثلة التى تحقق لك « التطبيق المتواضع » الذى وعدت به :

أراد أن يخلص ذهن قرائه مما علق بها أيام الدراسة من خرافات اختلقها المؤرخون الأجانب فاعترفنا بها كحقائق وحشونا بها البرامج فذكر قارئه بادئ ذى بدء بأن الكتابات التى تركها لنا الكتاب اليونانيون والرومانيون كانت المرجع الوحيد لمعرفة مصر القديمة منذ ضاع سر اللغة المصرية إلى أن كشفه شامبوليون الشاب أى مدى أربعة عشر قرناً ؛ وهؤلاء الكتاب الذين زاروا مصر وكتبوا عنها فى ما بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الثانى بعد الميلاد شحنوا كتاباتهم بأشياء لم يفهموها فألبسوها لباس الغرابة والخرافة ، مثلهم فى ذلك كمثل الذين يزورون مصر الآن من الأجانب فيدعون عليها دعاوى لا وجود لها لأنهم لم يفهموا ما شاهدوه ، أو لأنهم يريدون أن يثيروا دهشة قرائهم بما يقصونه من المبالغات

وهذا كلام يفهمه القارئ الحديث الذى كان يرى الشركات الأمريكية والأوربية تجئ إلى مصر قبل الحرب فلا تلتقط

لأفلامها غير صور الطبقات الدنيا فى حى (زينهم) و (عشش الترجمان) بل تستأجر من الدهماء فقراء يطلب إليهم التزيى بالطراطير وما إليها لتوهم الشركات شعوب الغرب بأن مصر لا تزال تتخبط فى مثل هذه الأزياء

يفهم القارىء الحديث هـذا النحو من المنطق فهل قنع عبد القادر حمزة بهذا التدليل وترك المؤرخ أو المحقق يطالبه بالدليل؟ كلا . وإنما تناول أقوال شيخ أولئك الكتاب والمؤرخين — هيرودوت — ونقلها بأمانة ، ثم دلل على فسادها . وحسبك منها أن أذكر لك بعضها فى سطور :

أبان لك المؤلف أن هيرودوت نقل عن موظف مصرى فى معبد « المعبودة نيت » فى صا الحجر أن النيل يولد بين « سين » و « ابلفنتين » — وهذه كانت تجاور أسوان — وأن شطراً من مائه يجرى إلى مصر والشطر الآخر إلى النوبة ، وأن هذا الزعم كان يعتقده المصريون ، ثم دلل عبد القادر على أن هذا القول ليس سوى خرافة ما كانت تستحق أن يثبتها هيرودوت فى كتابه بعد أن قال هو نفسه : « إنه يميل إلى الظن بأن ذلك الموظف الذى نقل عنه هذا القول كان يمزح . « وقال المؤلف إن المصريين « الذين كانت سين وابلفنتين من مدنهم كانوا يوقنون من غير شك أن النيل لا يجرى شطر منه إلى مصر وشطر منه إلى النوبة ، بل يأتى من النوبة جارياً إلى مصر . وقد أرسل المصريون قوافلهم التجارية وحملاتهم العسكرية وسفنهم التجارية والحربية إلى النوبة وإلى ما وراء النوبة منذ الدولة القديمة ... فهم إذن ركبوا النيل إلى ما وراء الشلال الرابع ... فالادعاء عليهم بأنهم كانوا يعتقدون أنه يولد عند أسوان هو ادعاء زور ، والاعتماد فيه على حديث قال هيرودوت إنه سمعه من موظف مصرى هو اعتماد على سند ساقط »

ثم لم يشأ المؤلف أن يقول له قائل : « ولماذا تتجاهل أن بعض المؤرخين تأولوا هذه الرواية ، فقالوا إنها كانت اعتقاداً للمصريين قبل أن يفتحوا النوبة ، ويركبوا النيل إلى ما وراء الشلال الرابع » . بل أثبت عبد القادر هذا التأول ، ورد عليه بأن هيرودوت لم يقدم إلى مصر إلا فى مختتم الحضارة المصرية . أى بعد أن كان المصريون قد فتحوا النوبة فى عصر الدولة القديمة . فالموظف الذى نقل عنه لا يمكن أن يكون إلا جاهلاً أو مخرفاً ، وهيرودوت لا يدل بنقله هذا التخريف إلا على أنه كان يلتقط ما يقال له بغير احتياط ولا تمحيص

ثم نقل المؤلف عن هيرودوت قوله إنه وصل فى تجواله إلى بلفنتين وقوله : « فما أكتبه وصفاً لمصر إلى هـذه المدينة رأيته بعينى » ثم قطع عبد القادر بأن هيرودوت كاذب » لأنه لو كان قد وصل إليها وشاهد مجرى النيل عندها لعلم أنه ليس له مجريان متعارضان أحدهما يتجه إلى مصر والثانى إلى النوبة »

ولم يشأ المؤلف أن يدع هيرودوت « الكذاب » فى هذه الرواية كذاباً على طول الخط وبسوء نية ، بل راح يلتمس له المعاذير ويقلب الأمر على مختلف وجوهه ، حتى اهتدى — أى المؤلف — إلى الأناشيد التى وجدت منقوشة على الأهرام موجهة إلى النيل وفيها :

« لقد انفتحت الصخرتان وظهر المعبود . إن المعبود يضع يده على جسمه (يريد أنه يضع يده على أرض مصر) » . ورجح عبد القادر أن تكون هذه الخرافة قد انبعثت من هذا النشيد ، لأن الصخرتين قائمتان عند ابلفنتين . ورجح أن يكون غرض الشاعر أن النيل يدخل حدود مصر عند هاتين الصخرتين ؛ فكأنه يولد عندهما بالنسبة لها وهو تعبير شعرى جائز ، والمصريون كانوا مشغوفين بالمجاز ، أما إذا قلنا إن الشاعر لم يرد معنى مجازياً فهو على كل حال قال بأن النيل يظهر من بين صخرتين ، ولم يقل إن شطراً منه يجرى إلى مصر وشطراً إلى النوبة . والعلماء اتفقوا على أن نقوش الأهرام تسجل أساطير كانت عامة المصريين تعتقدها فيما قبل التاريخ يوم كانت المدنية المصرية تحبو كالطفل

ملحوظات

هذه خلاصة متواضعة لنقطة تافهة وردت عرضاً ضمن كتاب هيرودوت ، فما بالك إذا عدت إليها فى الكتاب وقرأت أسانيدها ولمست مدى الاهتمام الذى أخذها به المؤلف ليقضى عليها ؟ ثم ما بالك حين تتهمه فى تناوله الحقائق الكبرى . ألم تلاحظ معى أن للمؤلف « ضمير المؤرخ » يمشى جنباً إلى جنب مع « حماسة

القومية » فى الذود عن المصرية ، حتى لقد راح يلتمس العذر للمؤرخ اليونانى إرضاء للضمير العلمى ، فإذا وجد له سنداً خيل إليه أنه راجح أثبته ؛ فإذا أثبت التفنيد أنه مرجوح قضى عليه ثم ترك لقارئه الحكم على رواية هيرودوت

ثم ما قيمة مسألة تافهة كهذه يعنى بها هذه العناية ؟

القيمة أنك — بها وبأخواتها التى تلتها — تعرف أقوال هؤلاء المؤرخين وقيمتها ، فتطهر ذهنك من الإيمان الخاطئ بالتاريخ الذى درسته تلميذاً وشاباً وكهلاً وشيخاً لتستقبل معه بحوثه الكبرى وراء الحقيقة الخاصة بالتاريخ المصرى القديم

ومن هذا « التطبيق المتواضع » ترى أن الرجل لم يكن يثبت حرفاً — بله البحث — من غير أن يرى به إلى نتيجة . وقد ترى الكلمة مثبتة فى مقدمة الكتاب للعودة إليها فى خاتمته

ميزة

وكان للمؤلف ضمن الميزات ميزة لا يسعنى إغفالها على الرغم من ضيق النطاق واعتزامى اختتام البحوث ، ميزة العودة إلى الحق شأن العالم الثبت ، وميزة مسايرة أحدث البحوث وآخر الكشوف بحيث إذا عثر على كشف يصوب نتيجة بلغها قبلاً عاد فصارحك بخطأه وأرشدك إلى الكشف الذى هداه إلى الصواب

وفى الجزء الأول مجالان للتطبيق أرجو أن تعود إليهما : أحدهما فى صفحة ٢٢٣ تحت عنوان « ملحق للتقويم المصرى » ضمنه نصوصاً اهتدى بعد أن فرغ من طبع الكتاب إلى أنها عثر عليها أخيراً ودلت على أن الكهنة ورجال الحكومة كانوا يدونون أيام المواسم الزراعية طبقاً للتقويم وأمام كل واحد منها اليوم المعادل له طبقاً لدورة الشعرى اليمانية : « الامر الكانوبى » الذى أصدره بطليموس الثالث بتعديل التقويم على أساس إضافة يوم كل أربع سنوات إلى الخمسة الأيام الإضافية

والآخر فى ص ٢٢٧ وهو تصحيح خطأ وقع فيه فى قوله : إن من المباحث التى بحثها برستيد أنه حفر فى مدخل الدلتا حتى وصل إلى عمق ٢٠ متراً أو ٣٠ فوجد أن الإنسان الذى عاش حيث وجدت تلك الجمجمة وتلك الأوانى والقوالب يرجع إلى ١٦ ألف سنة مضت . فقال عبد القادر إن هنا اسماً سقط وكان يجب أن يذكر لأن صاحبه هو الذى حفر عند مدخل الدلتا وهو هو شوينفورت ، وأما برستيد فقد درس نتائج هذا الحفر وحسب طبقات الطمى التى يكسو بها النيل أرض الدلتا كل سنة فوجد أن الإنسان الذى عاش حيث وجدت تلك الجمجمة يرجع إلى ١٦ ألف سنة مضت

كلمة أخيرة

ها هو ذا « التطبيق المتواضع » انصب على موضوع واحد ومنه رأيت أن « التطبيق الدرامى المشبع » يقتضى كتاباً ضخماً أو فصولاً يستغرق نشرها عامين ، فاعذرنى — إزاء القيل والقال الذى ألمت إليه — إذا أنا أعفيت نفسى من هذه المهمة المضنية التى أخذت بها نفسى عن طواعية ولوجه الوفاء ، وأرجأتها إلى وقت يحفظ على الكرامة ولا يدع سبيلاً للمطاعن الرخيصة فى العمل المحمود

وقد ألتقى بك بين الحين والحين ؛ على صفحات (الرسالة) الغراء ولكن فى أحاديث أدبية أخرى بعد أن أثارت بحوثى الأخيرة شهية التحدث إليك . فإلى لقاء قريب

محمد السوادى

الضمير الفردى

والضمير الاجتماعى

للأستاذ جريس القسوس

إذا جاز لنا العبث بعلوم الاجتماع والنفس والأخلاق استطعنا أن نقسم الضمير إلى نوعين : « ضمير فردى وضمير اجتماعى » ؛ ولا يتضح معنى ذلك إلا بكلمة سابقة فى تعريف الفضيلة والرذيلة اللتين هما قسطاسا الضمير ، بل مقررتا وجوده . إذ كيف يجوز أن يقال بأن لزيد ضميراً حياً أو ضميراً ميتاً إذا لم يربط ذلك الضمير بفضائل أو برذائل ؟

لكل فئة أو جماعة أو طائفة من البشر قواعد وأنظمة وعادات جرت عليها وتمشت بموجبها عهوداً طويلة ، لا تحيد عنها قيد شعرة إلا بقوة جبارة عاتية تفوق قوة تلك الطائفة ؛ فإذا حادت جرت على الأنظمة الجديدة وتمسكت بها تمسك المستميت ، ودعمتها ودافعت عنها دفاعها عن النظم التى تحولت عنها فى بدء الأمر تحت تأثير القوة ، كغاندى مثلاً ، يحاول جهده أن يزحزح الطائفة الهندوسية عما جرت عليه من شعور سيء نحو جماعة الأنجاس . وسبب تمسك أى طائفة بنوع خاص من التقليد أو العرف والعادة ، هو إدراكها بالتجربة والاختبار أن هذا النوع — دون غيره — يفيض على أكثرية مجموع أعضائها أجزل النعم وأتم البركات . . . نعمة وبركة يشترك فيها الفرد والجماعة معاً ، إلا فى حالات نادرة خاصة ، حيث تنتفع الجماعة من أمر لا ينتفع منه الفرد إن لم يكن يخسر

هذه التقاليد والعادات التى اختارتها الجماعة وأدركت نظرياً وعملياً أنها نافعة للأكثرية الساحقة من مجموع أفرادها نفعاً ينفشى على أبصار أعضائها ، لا أفرادها ، فلا يرون فيها ضرراً ولا شراً بل نفعاً وخيراً هى الفضيلة . أقول : أعضاؤها لا أفرادها ، لأن العضو يفكر ويقوم فى كثير من الأحيان بأمور لا تستند إلى العقل والمنطق تحت تأثير الجماعة التى لا تختلف فى عقليتها الاجتماعية عن عقلية الطفل . ويتجلى ذلك فى تصوير شكسبير للرعاع فى يوليوس قيصر ؛ فهم ينساقون ويندفعون كالصبيان اندفاعين متناقضين تارة تحت تأثير السحر البيانى الذى يتدفق من لسان بروتس ، وتارة مأخوذين ببيان أنطونيوس وعباراته العاطفية الشديدة . لكن الفرد يستقل فى عقليته فى كثير من الأحيان ، فيقوم بأمور لا غبار عليها من حيث منطقها واستنادها إلى العقل

أما خروج الجماعة عن القواعد والأحكام فهو الرذيلة والإثم ، وعاقبته العذاب الأليم فى الدنيا وفى الآخرة . ولهذا لا يستغرب أن ترى فضيلة عند فئة رذيلة عند أخرى والعكس بالعكس . كذهب العرى نعرفه رذيلة وعند أهله فضيلة

لكن هناك قواعد وأحكاماً وعادات أجمع العالم على الجرى عليها إجماعاً استقلالياً أو تقليدياً ، فهذه فضائل عالية كونية عرفت منذ انبثاق الخليقة أنها فضائل كالصدق والعدل والتواضع والإحسان . هذه الفضائل كما شرحتها ترتسم فى نفس الفرد وتنطبع فى ذهنه بالتقليد والتلقين ؛ ولا يورث منها إلا الميل لها ، لأن ما يكتسب لا يورث . فيجد المرء نفسه فى حظيرة الجماعة وتحت سلطتها وتأثيرها لا يستطيع أن يقوم بعمل مناف لما تمشت عليه ، أو يفكر أو يقول ما لا يروق فى نظر الجماعة ، ولا يشعر بالأثر السيء يحز فى نفسه . فالصوت الذى ينبعث من أعماق المرء يدعوه إلى تجنب الرذيلة ويدفعه إلى عمل الفضيلة قبل إتيانها ويقرن العمل بالتشجيع على الإتمام ويلحقه بالطمأنينة واللذة النفسية — هذا الصوت هو ما نسميه بالضمير — الضمير الاجتماعى لأنه ليس إلا صدى لجلجلة القيود والأصفاد التى ترسف بها الجماعة . ويصح أن تسمى ما يقابل هذه القوة من قوة عنيفة مضادة سكبت فى النفس البشرية مع القوة الأخرى

وترافقها فى الحياة جنباً إلى جنب : هذه القوة يصح أن تسمى بالوسواس ، وهو المذكور فى قول الله تعالى : « قل أعوذ برب الناس ملك الناس إلـه الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس »

هذا هو الضمير الاجتماعى - بل هذا هو الضمير المطلق كما نعرفه عادة وتعرفه جمهرة العلماء ؛ لـكننى عرفته بالاجتماعى على اعتبار وجود ضمير آخر غير هذا الضمير ؛ وهو الذى اصطلحت على تسميته بالضمير الفردى المطلق ، ذلك لأن الفرد قد لا يرتبط ارتباطاً عقلياً حراً مجرداً بما ترتبط به الجماعة من خير أو شر ، فيستوى عنـده خيرها وشرها ، رذيلتها وفضيلتها ، ويصبح طليقاً من هذه القيود الاجتماعية ، لا يتأثر بما تتأثر به الجماعة من جميل أو قبيح تأثيراً تقليدياً غير منطقى . لأنه لم يتهيأ لبشر من الناس أن يميز الحدّ الفاصل بين الخير المطلق والشر المطلق غير الأنبياء . هذا الفرد — إن وُجد — عرفته الجماعة بميت الضمير — بمن حيث علاقته بها . وما كان فى الحقيقة إلا حىّ الضمير — ذلك الضمير الروحى المستقل الذى قرّ فى نفسه وركب فى طبعه منذ أن عرف الحياة . وهو لا يختلف عن الضمير الاجتماعى من حيث أنه قوة مؤنبة ، خفية عميقة فى النفس . إلا أن إدراكاته تختلف فى كثير من الأحيان عن إدراكات الضمير الاجتماعى فى أنها أرهف وأبعد وأدق وأصل . ذاك يقاس بفضائل خارجة عن النفس فرضت عليها فرضاً ، فأصبحت كأنها جزء منها ؛ ولـكن مدركات الضمير الفردى من جمال وبرّ وصلاح خلقت مع الإنسان منـذ الأزل ، إلا أنها مطموسة بالمادة . فبذرة هذا الضمير الفردى فى كل نفس ، فإذا زاولها الفـرد بالرياضة المنيفة ، وتعهدها بالصقل والتهذيب والتجريد ، فجلى عنها الأصداء ، وأزال كل ما علق بها من أقذار المادة ، نمت وازدهرت وجاءت بثمار روحية سامية ، واستطاعت إذ ذاك التحليق فى غير جوّ المرئيات الهيوليات . وبذا يصبح هذا الضمير الفردى المطلق بمثابة ذوق مهذب راق ، تقاس به الأعمال والأطوار ، ويدرك بالفطرة السامية والضمير الإلهى ما هو خير وما هو شرّ . وصاحب هذا الضمير فوق أصحاب الضمير الاجتماعى أو الإحساس التقليدى المزيف ، فهو يعرف الله مباشرة ، ولـكن أولئك لا يعرفونه إلا بالواسطة .

(شرق الأردن) جبرائيل القسوس

وحي الحرب

على مسيل الدماء...

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

قالتْ سكتَّ وما عهدْتُكَ ساكِتا
أنا ما عرفتُكَ في الحوادثِ صامتا
وغدوْتَ صوْتاً في المسامع خافِتا
أتُراكَ تندُبُ من شبابكَ فائِتاً ؟

فأجبتُها

والقلبُ محطومُ الرَّجاء
كيفَ الغناءُ معَ الدِّماء ؟
كيفَ الترنُّمُ بالنَّغمْ
ما بيْنَ أنَّاتِ الألمْ
فوْقَ الضحايا والرِّممْ ؟ !

قالتْ ملأْتَ الأرضَ شِعرًا صادِقا
وسكبْتَ في الأسماعِ لحْنًا دافِقا
والآنَ... تمعنُ في رُقادِكَ غارِقا
وسكتَّ حتى لا أظنُّكَ ناطِقا...

فأجبتُها

والقلبُ تفجعُهُ الكُروبْ
والأرضُ تحرقُها اللَّهيبْ
والناسُ تحصُدُها الحُروبْ
كيفَ الغناءُ معَ الدِّماءْ
والأرضُ أجدرُ بالبُكاءْ ؟ !

قالتْ تعالَ معي إلى الشطِّ البعيدْ
لا النَّارُ تُزعِجُنا ولا جرَسُ الحَديدْ
فهُناكَ ظِلُّ الأمْنِ مُنبسِطٌ مَديدْ
وهُناكَ تسمعُني أناشيدَ الخُلودْ

فأجبتُها

والنارُ تلمعُ والسُّيوفْ
والصفُّ تتبعُهُ الصُّفوفْ
كيف الفرارُ من الحُتوفْ
والبحرُ خُضِّبَ بالدِّماءْ
والأرضُ تصرخُ والسَّماءْ ؟ !

قالتْ متى سُحبُ الوغى تتقشَّعُ
ومتى يذوبُ من الوجودِ المِدفعُ ؟
ومتى حمامُ السِّلمِ يومًا يسجَعُ ؟
ومتى القلوبُ على المحبَّةِ تجمعُ ؟

فأجبتُها

واللفظُ يُمسِكُه الحياءْ
والقلبُ مُنكسِرُ الرَّجاءْ
هيهاتَ لا يُرجى شِفاءْ
ما بالنفوسِ من العِداءْ !
فالحربُ في الإنسانِ داءْ
« والحربُ تعملُ للفناءْ كالحربِ تعملُ للبقاءْ »

محمد عبد الغني حسن

أصابع على معزف

للأستاذ العوضي الوكيل

كلما أرسلتْ أصابعُكَ اللحـ ـنَ رقيقاً كالشعرِ في روحِ شاعرْ
خِلتُ أني سبحتُ في عالم القدْ سِ وجدَّفتُ بالرؤى والخواطرْ
وتمنيتُ أن تسيلَ على كفَّـ ـيكِ روحي كاللحنِ ريَّانَ عاطرْ

العوضي الوكيل

هتاف من الماضي

أو

في ظلال الأقصر

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد

[هذه مقطوعة غنائية أطلعني عليها صاحبها الأديب في حياء وتردد واستطلاع !

فوجدتها — كأغنية — تستطيع أن تقف شامخة بين نظيراتها وأحببت أن أقدمها للرسالة .

وإذا قدر لها أن تخرج ألحاناً وغناء فأرجو أن يكون حظها من التلحين والأداء خيراً من حظ مثيلاتها . وأن تخرج في جو مصري لا في « سوق فارسية » ولا في « معبد صيني » . وأن تسلم كذلك من روح الميوعة والتطريب التي يشقى بها الغناء وتفسد الأذواق]

سيد قطب

جَرت الفلكُ بركبِ الأملِ   تسمع الدنيا نشيد القبلِ
كلما مرت بنبعِ الأزلِ   شدت الأطيارُ لحن الغزلِ

* * *

أيها الشاري إلى الفجر بنا   تتهادى بشراعٍ من منى
هاك خمر النيل تجرى فاسقنا   واملأ الدنيا غناء حَوْلنا

* * *

مرَّ بنا كم سار في هذا المكان   موكبُ النيل رهيباً بالحسان
ومضىَ يختال في عرسِ الزمانِ   بين عزفٍ وشراب وأغانٍ

* * *

كم جميلٍ قد طوى النيلُ وسارا   ها هنا كم قبّل النيلُ عذارى
كنّ يلْقَيْنك يا نيلُ حيارى   ثملاتٍ بين نشوى وسكارى

* * *

ملْ بنا نحو ظلالِ الأقصرِ   في تهادٍ يا لسحرِ المنظر
لَيتنا نقضى نصيب العمر   ها هنا بين ظلال الأثر

* * *

حين تبدو سابحاتٍ كالجبالِ   في محيطٍ من صخورٍ ورمالِ
لا ترى غير خيالِ لجمالِ   وخلودٍ لوجودٍ وزوالِ

* * *

قف بنا نتل كتاب الأقدمين   سادة الأيام بين العالمينْ
ونحيِّي في الثرى مجدَ السنينْ   في جلالٍ وخشوعٍ وسكونْ

* * *

ها هنا قد عاش فرعونُ هنا   ها هنا قد ساد خوفو ومِنا
ها هنا كل بعيدٍ قد دنا   وجثا كلُّ عظيمٍ وانحنى !

* * *

هات يا هيكل وحىَ العبر   شاخصاتٍ بين هذى الصُّور
ليتنا نقضى نصيب العمر   ها هنا بين ظلال الأثر

عماد الدين عبد الحميد

مدينـــــة تدمر

للأديب مصطفى بعيو الطرابلسي

« فى يوم ١٤ يوليو انتهت حملة الحلفاء فى سوريا بعد قتال استمر حوالى ستة أسابيع فى تلك البلاد الشقيقة بين قوات الحلفاء من جهة وقوات فيشى من جهة أخرى ، ولقد قام مطار تدمر فى هـذه الحملة بدور خطير ، وتكرر ذكر هذه المدينة على صفحات الجرائد . فوفاء لتاريخ هذه المدينة وماضيها المجيد أكتب هذه السطور »

فى وسط بادية الشام وجنوب خط عرض ٣٥ شمالاً ، وغرب خط طول ٤٠ شرقاً، تقع مدينة تدمر ذات المطار الحربى فى الوقت الحاضر والتاريخ المجيد فى العصور الماضية ، إذ كانت تسمى باليونانية بالميرا Balmira ، أى مدينة النخل ، وباللغة العبرية « تمر » بالخاء الدال فيها ، وهذا اللفظ يرادف كلمة « النخل » . وقد ذكر المتنبى هذه المدينة فى شعره ، ولـكنه اشتق اسمها من الدمار حيث تراه يقول فى مدح سيف الدولة الذى تغلب على بعض قبائل العرب عند مدينة تدمر :

وليس بغير تدمر مستغاثٌ وتدمر كاسمها لهمُ دمارُ

على أن المؤرخين لا يأخذون بهذا الرأى ، ويرجحون أن قول المتنبى هذا من باب الاشتقاق البديعى ذكره على طريقة الجناس ، ويجمعون على أن سيدنا سليمان هو الذى قام بتأسيسها ، ولهم فى ذلك أدلة يذكرونها ، منها شهادة الـكتاب المقدس فى سفر أخبار الأيام الثانى وسفر الملوك الثالث ، إذ قال الكتاب عن سليمان : « فبنى سليمان جازر . . . وتدمر فى أرض البرية »

ومنها أن اليهود يتناقلون أباً عن جد قصة بناء سيدنا سليمان لها، هذا فضلاً عن أن المؤرخ الشهير يوسف اليهودى قد روى هذا فى كتاب العاديات اليهودية، وهو أحد مصادر التاريخ الإسرائيلى .

ثم إن العرب اتفقوا على هذا الرأى ولا سيما سكان البادية ، بل تراهم يزيدون على ذلك ويزعمون أن الجن هم الذين بنوا مدينة تدمر لسليمان ؛ ومما يؤيد هذا الرأى قول النابغة الذبيانى ، ونحن نعلم مكانته بين شعراء الجاهلية :

إلا سليمان إذ قال الإله لهُ قم فى البرية فاحددها عن الفَنَدِ
وخبِّر الجن أنى قد أمرتهمُ يبنون تدمر بالصُّفاح والعمدِ

وإذا كان المؤرخون قد اتفقوا على بناء سيدنا سليمان لها فقد اختلفوا فى سبب بنائها ، ولـكن أغلبيتهم أجمعت على رغبة سيدنا سليمان فى أن يجعل منها مربطاً لتجارة رعاياه ، أو كما جاء فى الكتاب المقدس إحدي « مدن الخزن »

هذه المدينة التى ازدهرت أيامها فى عهد سليمان كعادة المدن الجديدة فى أول إنشائها لم تلبث أن تدهورت بعد وفاة منشئها وأصبحت خاملة الذكر حتى أوائل النصرانية ، حتى أن هيرودوت أبا التاريخ القديم لم يذكرها فى تاريخه ، مع أنه قد زار معظم البلاد الشرقية الهامة فى عصره والمحيطة بالبحر الأبيض المتوسط . وكذلك لا نجد لها ذكراً فى أخبار فتوح الإسكندر فضلاً عن أن العالم الجغرافى « استرابون » لم يذكرها مع إلمامه بمعرفة الأنحاء الشرقية . كل هذه الشواهد تؤيد ما آلت إليه حالة تدمر من تدهور وخمول وهى التى كانت عامرة فى أول عهـدها لما اشتهرت به من غزارة مياههـا ، إذ كانت تجرى فيها عدة أنهار لم يبق منها سوى جدول أو جدولين ؛ أما عيونها المعدنية التى اشتهرت بها منذ القدم ، فقد نضت

وقد عثر الأثريون على كتابة نبطية قديمة فى شمال جزيرة العرب ترجع إلى القرن السادس ق . م . تصف مدينة تدمر بأنها فندق متسع الأرجاء فى بادية الشام ، وهذا دليل على مركزها التجارى العظيم فى سابق الأزمان وتأييد لـما ذهب إليه بعض المؤرخين فى تعليل سبب بنائها

على أن تلك المدة التي اضمحلت فيها مدينة تدمر ما كانت إلا فترة استجمام سرعان ما عاد إليها نشاطها بعد ذلك، واستردت شهرتها من جديد، واسترجعت سلطانها القديم في التجارة على أثر انهيار الدولة السلوقية وكثرة الولايات المستقلة في شمال بلاد العرب والعراق التي اتخذت التجارة مهنة لها، فكانت القوافل تسير إلى بطرة وغزة وتدمر فأصبحت منذ ذلك العهد مدينة خطيرة وأخذت تتقدم عمرانياً، وأصبحت تجارة أوربا وآسيا في أوائل المسيحية في قبضة يدها. تمر بها تجارة بلاد العرب من ذهب وعطور ولآلئ البحرين وتوابل الهند وهي في طريقها إلى روما، فعرف الرومان قيمة مركزها التجاري فاستمالوها إليهم ثم ما لبثوا أن ضموها إلى أقاليمهم الشرقية وأحاطوها بالحاميات العسكرية، كما حصنوا الطريق الذي يصلها بنهر الفرات لحماية تجارتهم وتأمينها من غارات القبائل.

***

ومن الآثار التي عثر عليها الأثريون والتي ترجع إلى سنة ١٣٧ م مرسوم أصدره مجلس شيوخ المدينة لحسم الفتن التي قامت بين التجار ومأموري الخزانة من أجل المكوس وارتفاعها إذ كانت البضائع الصادرة أو الواردة تجبى عليها ضريبة ثابتة ثم ضريبة أخرى تختلف باختلاف قيمة البضائع ومقدارها، وقد عرفنا من هذه النقوش أيضاً نوع التجارة التي كانت تمر بمدينة تدمر وهي بالإضافة للأنواع السابقة عبارة عن دقيق وزيوت عطرية وغلال وأثمار يابسة وملح من ممالح تدمر الكثيرة في ذلك العهد مما جعل لأهلها شهرة خاصة في قيادة القوافل التجارية عبر الصحراء لحسن خبرتهم بالطرق ولاستعدادهم لمقاومة أعمال قطاع الطرق. فلا عجب بعد ذلك أن شابهت تدمر البندقية في العصور الوسطى من حيث المركز التجاري. وكانت تدمر تحتفظ لنفسها بنصيب من دخلها السنوي بعد أن تؤدي إلى روما الجزية المفروضة عليها.

هذا كل ما يمكن أن يقال باختصار عن تجارة تدمر في أزهى عصورها. وقد تكلم في هذه الناحية بتوسع كل من الأستاذ «نولدكه»، «ساخو»، «دي فوكويه». وعرفنا من النقوش السابقة الذكر أنه كان لتدمر مجلس وطني يسن القوانين ويتألف من رئيس وكاتب وعدد من الأعضاء. وكانت السلطة التنفيذية في عهدة شيخين وديوان يتكون من عشرة حكام. أما السلطة القضائية فكانت من اختصاص بعض الوكلاء.

أما لغتها الرسمية فكانت اللغة اليونانية كما هي العادة في جميع الممالك الرومانية الشرقية؛ ولكن أهلها كانت لهم لهجة خاصة هي اللهجة الآرامية وهي قريبة من السريانية. ويقال إن المسيح عليه السلام قد تكلم بها، ولكن هذا لم يثبت بعد. على أن الخط التدمري إلى الآن لا يعرف المؤرخون صورته حق المعرفة في القرون السابقة للمسيحية، لأن جميع الكتابات والرسوم التي عثر عليها حتى الآن ينحصر تاريخها فيما بين القرنين الأول والرابع المسيحيين، وأقدم هذه الكتابات لا تتعدى السنة التاسعة قبل المسيح. ويؤكد المؤرخون أن تدمر قد اقتبست صورة حروفها من الفينيقيين.

***

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي خضعت فيها تدمر لحكم الرومان ولكنهم أجمعوا على أنها لم تتبع روما قبل سنة ٣٦ م، وعلى الرغم من خضوعها لروما كانت تتمتع ببعض الحقوق المدنية، ومنحت امتيازاً خاصاً يخولها السيادة على جميع البلاد المجاورة لها. ثم تطورت العلاقة بين تدمر وروما إلى شبه محالفة لا سيما بعد أن أخذ أمر بني ساسان يستفحل وهم الأعداء الألداء لروما وأباطرتها.

ثم انتهى الأمر في تدمر بقيام رجل من أبنائها ينتمي إلى بني السميدع ويلقب بأذينة، تمكن من إعلان سلطانه على تدمر وإخضاع قومه، واتخذ له لقباً ملكياً في سنة ٢٥٠ م، ولكن

سرعان ما أقلق هذا العمل بال الأمبراطور الروماني واستطاع أن يتخلص منه بقتله ؛ ولكن سلالته استطاعت أن تحتفظ بعرشها وعملت على تحسين علاقتها مع روما ، بل نرى أذينة الثاني يحارب الفرس إلى جانب الروم مما كان له أحسن الأثر في نفوس الرومانيين . ولكن أذينة الثاني لم يعمر طويلاً إذ اغتاله ابن أخيه لحقده عليه ، وتولت إدارة شئون البلاد زوجته الزباء وصية على ابنها الكبير « وهبلات » ونجحت في إدارة شئون الدولة وقامت بأعمال جليلة وعملت على تعمير البلاد . وما زالت آثارها باقية تخلد اسمها ؛ مع أن الاهالي يخلطون بينها وبين ما فعلته « زبيدة » زوجة هارون الرشيد ومن الصعب تعقب أخبار هذه الملكة في سطور لكثرتها وقد نشر الأستاذ فريد أبو حديد قصة تاريخها في مجلة الثقافة .

ومما يلفت النظر أنه على الرغم من شهرة هذه الملكة فإن الغموض يحيط بتاريخها ، فنجد مثلاً مؤرخي العرب ينسبون إليها قصة مع أحد ملوك الحيرة ، وقد أورد لها ملخصاً المسعودي في كتابه مروج الذهب ولكن بعض المستشرقين وعلى رأسهم الأب سبستيان رنزفال اليسوعي يشك في صحة هذه القصة

توترت العلاقات السياسية بين زينب ملكة تدمر وروما وانتهى الأمر بأسرها بعد حرب شاقة وتدمير المدينة مما دفع أهلها للقيام لأخذ ثأرها ؛ ولكن القائد الروماني « أورليانس » قابل هذه الحركة بتهديم المدينة . وهكذا تدهور حال المدينة وأخنى عليها الدهر إلى أن جاء بنو غسان فاتخذها بعضهم منزلاً له وبقيت على حالها المتأخرة حتى فتحها المسلمون في سنة ٦٣٤ م عند مرور بها خالد بن الوليد في حملته إلى سوريا

مصطفى يعبر الطرابلسي
كلية الآداب . اسكندرية



والد الملوك الأيوبيين

أنقل ميدان الكلام عن الملك ووالد الملوك نجم الدين بن أيوب إلى مجلة «الرسالة» الغراء، لأنني أصلحت على صفحاتها شعراً رواه الأستاذ جمال الدين الشيال عن الشاعر بورى أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي

ولقد ذكرت في كلمتي الأولى في «الرسالة» أن بورى هو (ابن الملك الصالح نجم الدين الأيوبي) فعد الأستاذ الشيال ذلك مني (خطأً رئيسياً هاماً)، ووهم — سامحه الله — أنني خلطت بين والد صلاح الدين وبين الملك الصالح نجم الدين حفيد العادل وأحد الذين حكموا مصر في العهد الأيوبي

وليس في تلقيبي نجم الدين بن أيوب (بالملك الصالح) خطأً يدعو الأستاذ الشيال إلى تصحيحه في مجلة «الثقافة» الغراء؛ ولم أكن في هذا التلقيب حائداً عما اعتاده مؤرخو العصر الأيوبي من تلقيب طائفة من أمراء هذا البيت بالملوك، مع أنهم لم يكونوا ملوكا (ولم يحكموا مصر). فالعماد الأصبهاني مؤرخ صلاح الدين وصاحب كتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي» يلقب الأمير أسد الدين شيركوه (بالملك المجاهد، الجواد الماجد) — [ص ٢٣٥ طبعة الموسوعات]؛ ويلقب أيضاً سيف الدين أخا صلاح الدين الأيوبي (بالملك العادل) قبل أن يصير إليه ملك مصر: [أنظر ص ٢٧٧ من الفتح في الكلام على وقعة أرسوف]

ويلقب تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أخي صلاح الدين (بالملك الظافر)، مع أنه مات في حكم صلاح الدين ولم يكن له، ولا يمكن أن يكون له حكم مصر: [أنظر ص ٢٩٠ من المصدر المذكور]

ومن هذا يتضح أن تلقيب نجم الدين بن أيوب بالملك الصالح صحيح لا غبار عليه وقد وصفه أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردي صاحب النجوم الزاهرة بالأمير: [أنظر الجزء السادس]

والسبب في تلقيبه بالصالح أنه كان محباً للصالحين، كما يذكر أبو المحاسن (ص ٦٧ ج ٦)

والحق أنني بعد ذلك كله لم أر وجهاً لاعتراض الأخ الأستاذ جمال الدين الشيال على هذا اللقب الذي لقب به نجم الدين الملك وأبو الملوك، وهو اللقب الذي كان يخلع في ذلك العهد على أمراء البيت الأيوبي غير الملوك

«المنصورة» محمد عبد الغني حسن

آثار الحضارة المصرية في نيجيريا العليا

نشرت إحدى المجلات العلمية في لوزان نبأ جاء فيه أن بعض المكتشفين عثروا في منطقة نيجيريا العليا على مجموعة من الفيروز الأزرق الذي كان يحتفظ الصناع من قدماء المصريين بسره

ومما قالته المجلة أن هذه المجموعة من لآلئ الزجاج الأزرق، لا بد أن تكون أتت من مصر، لأن قدماء المصريين كانوا رسل الحضارة، وأول من أنشأوا المراكز التجارية، وأدخلوا الحرف في المناطق التي تقع على ضفاف بحيرة تشاد والبلاد التي يرويها نهر النيجر وفي السنغال. بل إن أولئك المصريين القدماء كانوا أول من أدخلوا في هذه البلاد عن طريق دارفور و «واداي» الحيوانات الداجنة، ولا سيما الحمير كما أنهم مارسوا فيها فن البناء الفرعوني

في اللغة

١ — دعا الأستاذ طه محمد الساكت الباحثين إلى استنباط مثال واحد من منثور العرب — بعد أن بحث جاهداً عن شاهد واحد فأعياه البحث — تقدم فيه القسم على الشرط والجواب فيه للشرط، على خلاف القاعدة النحوية المشهورة أن يكون الجواب للمتقدم

وأجيب دعوة الأستاذ فأقول: إن لدى شواهد كثيرة لما يريد وقعت لي في أثناء قراءتي وعنيت بتدوينها وإن لم تكن بين يدي أو في الطاقة الحصول عليها الآن؛ ولكني أذكر واحداً منها يحضرني، وقع لي في الجزء الأول من العقد الفريد من كلام لعمر بن الخطاب قاله لمعاوية بن أبي سفيان حين قدم عمر

على معاوية بالشام . قال معاوية : « فإن أمرتنى بذلك أقمت عليه وإن نهيتنى عنه انتهيت » . فقال عمر : « لئن كان الذى تقول حقاً فإنه رأى أريب ، وإن كان باطلاً فإنها خدعة أديب »

قلت : ورد الخبر هكذا فى جميع طبعات العقد حتى الطبعة الحديثة التى أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر منذ شهور ، (ج ١ ص ١٦)

وهكذا ورد أيضاً فى طبعة المكتبة التجارية التى صدرت منذ شهرين وحققها الأستاذ محمد سعيد العريان

فإن لم يكن محرفاً — وما أكثر التحريف فى العقد — فهو الشاهد المسكت للأستاذ الساكت

٢ — من قواعد أفعل التفضيل المشهورة أنه إذا كان محلى بأل امتنع أن يؤتى بعده بالمفضل عليه مجروراً بمن ، فلا يصح أن يقال : (أنا الأكثر منك مالاً)

ولما رأيت أكثر أدبائنا وأشدهم تدقيقاً وتحرياً للصواب فى اللغة يقعون فى هذا الخطأ أوفزت إلى التنبيه عليه . ومن أمثلة الخطأ فيه ماجاء أخيراً فى كلمة الأستاذ حبيب الزحلاوى (محصول الرسالة) المنشورة بالعدد ٤١٨ من الرسالة قال : (والأنفع من هذا وذاك الخ) ، وما جاء من مقال الأستاذ العقاد (القدوة والإصلاح) بالعدد ٣٧٧ قال : (والأنكأ من هذا أن الفلاح الخ) وماجاء فى شجون الدكتور زكى مبارك بالعدد ٣٩٦ قال : (دنيا صاخبة هى العوض الأنفس من كل ما يفوته من الأنس بالمجتمعات) إن كان يريد أن كل ما يفوته هو المفضل عليه . أما إن جعل الجار والمجرور متعلقاً بالعوض — ولست أظنه يريده — فلا خطأ . ومنه أيضاً ما جرى على لسان الشيخ البشرى كثيراً فى الجزء الثانى من كتابه (المختار) حيث قال : (الأقل من القليل) ... والسلام على من اتبع الهدى

(بنى سويف) **محمد محمود رضوان**
المدرس بالمدرسة النموذجية

الحسبة فى الإسلام

نشر الأستاذ محمود الشرقاوى فى العدد ٤١٧ من (مجلة الرسالة) كلمة عن التسميرة الجبرية فى الأندلس تحت عنوان : (من حضارة الإسلام فى الأندلس) . ولعل فى الكلمة الآتية زيادة فائدة فى الموضوع :

علم الاحتساب علم باحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم اللاتى لا يتم التمدن بدونها ، من حيث إجراؤها على القانون العدل بحيث يتم التراضى بين المتعاملين ، وعن سياسة العباد بنهى المنكر وأمر المعروف .

أما المحتسب فله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم . وكثير من الأمور الدينية هو مشترك بين ولاة الأمور ، فمن أدى فيه الواجب وجبت طاعته فيه . فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس فى مواقيتها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس ، ويتعاهد الأئمة والمؤذنين ، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك ، واستعان فيما يعجز عنه بوالى الحرب والحكم وكل مطاع يعين على ذلك .

ويأمر المحتسب بصدق الحديث وبأداء الأمانات وينهى عن المنكرات من الكذب والخيانة وما يدخل فى ذلك من تطفيف الميزان والمكيال والغش فى الصناعات والبياعات ونحو ذلك .

وله أن يكره الباعة على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه ، ولا معنى للتسمير إلا إلزامهم بقيمة المثل . وله أن يجبر أهل الصناعات على ما يحتاج إليه الناس من صناعاتهم كالفلاحة والحياكة والبناية ، ويقدر أجرة المثل فلا يمكن المستعمل من نقص أجرة الصانع عن ذلك ، ولا يمكن الصانع من المطالبة بأكثر من ذلك حيث تعين عليه العامل . وهذا من التسمير الواجب .

وأما صفة ذلك (أى التسمير) فينبغى للامام أن يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشىء ويحضر غيرهم استظهاراً على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فينازلهم إلى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا ، وإذا امتنعوا عن بيع ما يجب عليهم بيعه عوقبوا .

أحمد صفوان

مصطلحات المجمع اللغوى

كان المجمع اللغوى ينشر فى مجلته السنوية ما أقره من المصطلحات العلمية والفنية أثناء موسم الانعقاد ؛ وقد رؤى

أن تفرق هـذه المصطلحات فى مختلف أجزاء المجلة ، واختلاطها بغيرها من الأبحاث والدراسات ، لا ييسر على الباحثين سبيل الرجوع إليها عند الحاجة ، فتقرر أن تجرد جميع المصطلحات التى وضعها المجمع خلال أدوار انعقاده الماضية قبل النظام الجديد، وأن تطبع فى كتاب مستقل يكون قريب التناول للمؤلفين والمدرسين والراغبين فى البحث والدراسة . وقد أعد هذا الكتاب للطبع فى المطبعة الأميرية ، وتبلغ مصطلحاته نحو ثلاثة آلاف فى علوم الأحياء والطب والحرارة والكهربا واللاسلكى ، وفروع الرياضة والعمارة والموسيقى والتاريخ ، وأدوات الشؤون العامة ، إلى غير ذلك من ضروب العلوم والفنون والآداب . وينتظر أن يخرج هذا الكتاب من المطبعة فى سبتمبر المقبل

إلى الدكتور على عبد الواحد وافى من السودان

أتتبع باهتمام بحوثك القيمة « فى الاجتماع اللغـوى » على صفحات « الرسالة » الزاخرة ... وفى حديثك أخيراً عن اللهجات العامية الحديثة استوقفتنى عبارتك : « وأدنى هـذه المجموعات إلى العربية الفصحى مجموعتا اللهجات الحجازية والمصرية » ... استوقفتنى هذه العبارة ، وكان بودى أن أكتب إليك هـذا فى حينها ، ولكن الانهماك المتواصل فى سبيل العيش لم يسمح لى بذلك

فإن كنت تقصد بتلك العبارة أن اللهجة المصرية هى لهجة وادى النيل الذى يشمل مصر والسودان ، وهذا ما أستبعده وأشك فيه ، لأنها ليست هذه هى أولى المرات التى يُهمل فيها السودان ويسقط سهواً وعمداً من حساب الشرق والعرب ... إن كنت تعنى بها ما قدمت ، فذاك ، وإلا فلتعلم يا أستاذى الفاضل أن بالسودان — وخصوصاً أواسطه — لهجة هى من أدنى اللهجات إلى العربية الفصحى إن لم تكن أدناها جميعاً

ولست فى حاجة لسرد الأدلة والبراهين لإثبات هذه الحقيقة ولكن لك أن تبحث وراءها ، ولك فى الكثير من قادة الفكر المصرى الذين زاروا السودان خلال السنوات الأخيرة أكبر مصدر ومرجع

وبهذه المناسبة أتمنى أن تساعدنى ظروفى السيئة لأتحف أستاذينا الكبيرين المبارك والزيات بمختارات من أدبنا القوى لمسايرته الذوق العربى الصحيح تماماً ، وليستنشقا منه عبير العربية المتغلغلة فى النفوس . أسأل الله أن يوفقنى ويوفق معى الكثير من أبناء هذا القطر البررة هنا وهناك للقيام بهذه المهمة وإسداء هذا الجميل إليهما ، حتى إذا ما زارا هذا القطر المظلوم تذوقا بسهولة ما يقدمه إليهما من أدب قوى رفيع

أحمد المبارك عيسى

تعقيب

جاء فى ص (٨٦٧) من العدد (٤١٨) من « الرسالة » فى حديث للدكتور على عبد الواحد وافى عن « اللهجات العامية الحديثة » ، ومنه عن اللهجات غير العربية التى يتكلم بها بعض الطوائف فى سوريا ، وهى اللغة المنحدرة من الآرامية ، وأن ثلاث قرى هى : معلولة ، صيدنايا ، يبرود . هى التى يتكلم أهلها هذه اللغة

والمعروف أن القرى الثلاث المقصودة فى حديث الدكتور هى : معلولة — جَبْعِدِين — بخْعَا ، وهى واقعة فى الشمال الشرقى عن دمشق

فهل لحضرة الدكتور أن ينير معرفتنا عن سبب الخطأ الوارد فى حديثه عن تسمية هذه القرى ، وله منا خالص الشكر المشفوع بالاحترام

« دمشق » جودة مرعشلى

استدراك

فى العدد ٤١٧ من الرسالة الغراء مقال فى غزوة حنين ، جاء فى آخره ما يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الخوارج : « أكفار هم ؟ » فقال : « من الكفر فروا » قيل : « أمنافقون هم ؟ » فقال : « إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً » قيل : « فما هم ؟ » قال : « فتنة غشيتهم »

والصواب أن المسؤول الذى أجاب هـذه الأجوبة عن الخوارج هو على بن أبى طالب لا النبى صلى الله عليه وسلم . وفى أيام على خرج الخوارج فى العراق ، وكانت سيرة على فى مقاتليه من أصحاب الجمل وصفين والخوارج سيرة إنصاف وإعذار واعتراف بحق ولم يك رضى الله عنه يبخس أحداً شيئه صديقاً كان أم عدواً .

(دمشق) سعيد الأفغانى



الرجل المكروه

عن الإنجليزية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

وقف على غير انتظار فى وسط الجمع وكان صامتاً وكانوا صامتين، ويظهر أنهم لم يشعروا بدخوله، فابتسم ثم جرّ كرسياً وجلس على مقربة من صاحبة المنزل، فلما نظرت إليه قالت : « ما أغرب تصرفاتك ! هل مشيت كل المسافة بين بروم هيل وبين المنزل فى هذه الشمس ؟ »

فهز رأسه بالإيجاب دون أن يتكلم، وقد كان غريب التصرفات كما وصفته مسز ألينورا بوينتون التى أصرت على أن مجيئه بالشاى والتفتت إليه وقد كان مجيئه بغير دعوة وجلوسه بغير استئذان

ودار الحديث بينهم متجاهلين وجوده فشرب الشاى فى صمت وهو شاعر بهذا التجاهل ولكنه لم ينسحب من المجلس ولم يهم بالانسحاب

وقالت اللادى مارتين لصاحبة المنزل : « ما أغرب هذا الرجل يا عزيزتى ألينورا ! أهو نموذج لأهل جيرتكم ؟ لقد كنت أظن أهل هذا الوسط راقين ! »

فهزت مسز ألينورا كتفها وقالت : « لا يعلم إلا الله من هو وماذا يريد، وليس فينا من يحبه غير زوجى، وأنت تعرفين أنه يسر من كل شىء غير عادى »

فقالت الزائرة : « ولكن من أين أتى ؟ هل هو جار ؟ »

قالت ألينورا : « اسمه ليندهام وهو يسكن فى كوخ على بعد بضعة أميال، وليس لدى أى إنسان فكرة عن شخصيته ولا عن الجهة التى جاء منها، وهو يقضى معظم أوقاته فى المشى فى الطريق وفى غزو المنازل »

قالت اللادى مارتن : « يظهر من هيئته أنه راق وأنه غريب الأطوار »

فاختلست مسز بوينتون نظرة من المستر ليندهام وقد كان فى ثياب شديدة القدم ولحية مقصوصة على غير نظام ورباط رقبته منحرف، ولكن فى هويته علائم التهذيب وصوته الهادئ الرصين يفتن سامعيه

وعادت الزائرة إلى الكلام فسألت صاحبة المنزل : « لماذا يأتى هذا الرجل هنا ؟ »

فأجابتها ألينورا : « لا أعرف سبب مجيئه خصوصاً مع غياب زوجى عن المنزل، ولا أحد يلاطفه هنا وهو لا يكاد يكلم أحداً، وهو يكثر من المشى تحت الدار. وقد قابلته فى إحدى الليالى فرأيته يكلم نفسه بصوت منخفض ولم تكن المسافة بينى وبينه أكثر من متر، ولكنه لم يلاحظنى وقد خفت منه كما أخاف من الموت »

قالت الزائرة : « إن زوجك رجل طيب يا ألينورا ؛ وعلى ذكر زوجك أخبرينى ماذا تم فى القضية ؟ »

فقالت صاحبة المنزل : « إنه ذهب ليقابل المحامين، ويظهر أنهم لم يحصلوا على رد من السير جيرفاس؛ ويظهر أنهم لا يعرفون مكانه »

فنظرت اللادى مرتين من خلال النافذة وقالت : « أرجو ألا تخسروا القضية فإن هذه الجهة من أحسن الأماكن فى الإقليم » ونظرت ألينورا من خلال النافذة أيضاً إلى المنظر الذى أطلت عليه اللادى وقالت : « إخال أننى أسمع صوت عربة مقبلة » ثم وقفت وخرجت من الغرفة. وبعد قليل عادت وأعلنت قدوم الأميرة فوقف جميع الضيوف إلا الزائر غير المرغوب فيه. ونظرت ألينورا إلى هذا الرجل الذى لا يحبه إنسان نظرة مقت وانتظر الجميع أن يكون لدى الرجل من حسن الذوق ما يحمله على مغادرة المنزل قبل أن تأتى الأميرة

على أنه لما أقبلت الأميرة وقف ودار بعينيه فى الفضاء، وكان بادياً على الأميرة التعب ولكن تعبها لم يؤثر على جمالها الرائع. وفى فترة التعارف وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام ليندهام الذى لم تمن مسز بوينتون بتقديمه إلى الأميرة فقدم هو نفسه إليها قال : « هل تسمحين يا صاحبة السمو بأن أذكرك باسمى ؟ أنا رينشارد ليندهام وأرجو ألا تكونى نسيتنى »

فمدت إليه يدها وقالت بصوت عذب : « إن الإنسان لا ينسى أقدم أصدقائه. وإنى مسرورة جداً برؤيتك يا مستر ليندهام »

وجىء بالشاى، ثم دخلت الأميرة قاعة أخرى وطلبت من

صاحبة النزل أن تدعو إليها المستر ليندهام لأنها تريد محادثته.

قالت مسز بوينتون : « ليندهام يا صاحبة السمو ؟! »

وكانت لهجتها شديدة الدلالة على الاستغراب ، ولكن الأميرة كررت أنها تريد محادثته ، فذهبت إليه صاحبة النزل وقالت بغير ما اعتادته من لهجة فى مخاطبته : « إن الأميرة تريد أن تراه » ؛ فقام متباطئاً ولم يبد عليه شىء من الاستغراب ، ولا أظهر شيئاً من الاهتمام وقال : « اسبقينى وسأتبعك »

أغلق الباب وكانت الأميرة فى حالة غير عادية : فعيناها مغرورقتان بالدموع وقالت : « لقد ظفرت بك فى النهاية ولن تستطيع أن تفلت منى . تعال الآن »

فتناول كفها ورفع يدها إلى شفته ؛ وتغيرت هيئته ففارقه مظهر الخشونة المعتاد ، وأصبحت نظراته وصوته كصوت الطفل ونظراته وقال : « يا عزيزتى جبرييل ، هل لا تزالين مؤمنة ؟ ألم تفقدى ثقتك ؟ » . فقالت : « كلا . كلا . ولا لحظة واحدة »

قال : « الحمد لله »

ثم انقضت لحظات فى صمت ، وبعد ذلك قالت : « ألا تزال باسمك المستعار ؟ » فقال : ليس لى اسم سواه

قالت : ولكنك فى انكلترا ولم تتركها إلى غيرها . فقال بلهجته التهكمية القديمة : ليس أغرب من ذلك

قالت : «لقد تغير كل شىء فلم أتبين أين كنت» ؛ فمشى نحو النافذة وقال : « لقد كان إطلاق الرصاصة من هذا المكان وكان أكثر من عشرة أشخاص مستعدين للشهادة بأنه لم يكن يقيم هنا أحد غيرى »

قالت الأميرة : يظهر يا جيرفاس أنك هنا لغرض خاص ، فقال : وأنت ؟

قالت : لغرض أيضاً ... فقل لى : هل تسلمت خطاباً ؟

فقال : نعم ، وهو سبب مجيئى من الاسكا

قالت : وهذا هو السبب فى مجيئى من النمسا ... انظر ... وعرضت عليه خطاباً ، فرمقه بنظرة ثم قال : هو كخطابى تماماً ، ويعلم الله أن هذا فى منتهى الغرابة ... ولكن الذين على وشك الموت كثيراً ما يقولون الحقيقة !

وكان فى هذه الأثناء يفحص الحائط وفى يده سكين يضرب بها فى مكان بعد مكان ويتسمع الصوت ... وكانت الأميرة تراقب حركته وهى واقفة وراء ظهره ، وقال : ليس هنا أى دليل يساعدنا

قالت : لقد اختفى جزء مهم من أركان القضية ... أين هو الرجل الذى أخفى مطلق الرصاص ؟

فهز رأسه وقال : لقد كان من الغباوة ألا أفكر فى المكان من قبل ، ولقد اختفى جزء من القضية كما تقولين ، ولكن الجزء الآخر لا يزال باقياً ...

وأشارت إلى شىء ملقى على الأرض ، فتناوله وقال : هذا دفتر مذكرات ... ففتحت الصحيفة الأخيرة منه وصاحت :

— ما هذا يا جيرفاس ؟

فهز كتفه وقال : هذا ما ليس يعلمه إلا الله

وحاول أن يقرأ الأسطر التى أشارت إليها ، ولكنه صاح بدوره : إقرئى أنت ... فإننى لا أستطيع

فاختطفت الدفتر من يده واقتربت من النور ...

ظل الرجل الذى لا يحبه إنسان ... الرجل الذى تعده صاحبة النزل فضولياً ... ظل مع الأميرة نحو ساعة ، وكانت صاحبة النزل ومن معها يتحدثن فى هذه الأثناء ...

وقد نالت الأميرة رتبتها بالزواج من أمير ، وهى من أسرة قديمة ، ولكنها قبل الزواج كانت فقيرة ، ويشاع أنها كانت مربية فى بعض البيوت ...

وفى عهد هذه القصة كان الأمير متوفى منذ عام ، تاركا لها ثروة كبيرة ، وكان مركزها فى المجتمع موطداً بالرغم من إشاعات السوء التى كان يشيعها عنها بعض الناس

وقد سئمت مسز « بوينتون » من تكرار القول لزائريها أنها لا تعرف « ليندهام » ، وأنه جاء من حيث لا يعرف إنسان ، وأن زوجها المستر « آرثر » قد اهتم بشأنه ، ولكنها كانت مرتابة منه منذ البداية ... وبينما هى لا تزال كذلك تضرب على هذه النغمة ، إذ دخلت الأميرة ومعها المستر « ليندهام » كما هو معروف بهذا الاسم بين الزائرين ، أو السير « جيرفاس » هو اسمه الحقيقى ، وقالت الأميرة : لقد رأيت الغرف التى أعددتها لضيافتى ، ولكن يظهر أن إحداها لها تاريخ ، فهل صحيح أن السير « نولز فلتون » قتل برصاصة أطلقت عليه من نافذة غرفة الجلوس ؟ !

ظهر شىء من الاضطراب على وجه صاحبة النزل وقالت :

— نعم ، ولكن هذا من سنوات عديدة ، وكنت أظن أن كل إنسان نسى ذلك ، وأظنك يا صاحبة السمو لا تخافين من الأشباح ...

فابتسمت الأميرة وقالت : لقد رأيت الآن واحداً من هذه الأشباح ...

وكان السامعون يتحدثون فيما بينهم ويتساءلون عما تتحدث عنه الأميرة . وقد بدت عليهم علائم الاهتمام . وقالت الأميرة : نريد أن تحدثينا يامسز بوينتون عن تلك الجريمة . لقد قتل السير نوليس وهو يمشى على الشرفة . وكانت الإصابةمن مجهول، فهل عرف شيء عن سرها ؟

فقالت مسز بوينتون : أما فى المحاكم فلا ، وأما بصفة قاطعة بين الناس فلا . ولكن القرائن قوية ضد السير جيرفاس فلتون شقيق القتيل . وأقوى القرائن ضده أنه بالرغم من أن التهمة لم توجه إليه فإنه غادر البلاد هارباً ولم يعرف له مكان

قالت الأميرة : وهل كان بين الشقيقين خصومة ؟

فقالت : لم يكن بينهما خصومة معروفة ، ولكن شاع بعد الحادث وبعد سفر جيرفاس أن بينهما سوء تفاهم ، إلا أنه لحسن حظ جيرفاس لم تقل كلمة فى هذا الصدد فى التحقيق .

قالت الأميرة : ولكن هل عرف شيء من أسباب سوء التفاهم ؟ فهزت مسز بوينتون كتفها وقالت : يقال إنه كانت هناك مربية لأولاد اللادى مورى أخت الشقيقين ، وكان كلاهما عاشقاً لها ، وأن جيرفاس قتل أخاه مدفوعاً بدافع الغيرة . ويرجح أن الرصاصة خرجت من غرفة السير جيرفاس . وقد بقى السير جيرفاس فى انكلترا بعد وقوع الجريمة ببضعة شهور ، ثم سافر وأملى ألا يعود ، لأنه إن عاد فسنضطر إلى إخلاء هذا المنزل له وهو خير مكان يوافقنا .

فابتسمت الأميرة وابتسم المستر ليندهام ، وقالت الأولى : ولكن مارأيك فى أن السير جيرفاس قد عادوأنه جالس بجانبي الآن؟

فقالت مسز بوينتون وقد بدت عليها علائم الدهشة والانزعاج : المستر ليندهام؟

فأحنى الرجل رأسه وقال : إننى أعتذر عن انتحالى اسماً مستعاراً ، ولكن كان لدى أسباب هامة تضطرنى إلى زيارة الأماكن المجاورة ، وأنتم تدركون عذرى إذا لم أستطع الظهور باسمى الحقيقى . وإن غياب ثمانية أعوام وإرسال اللحية لجديران بتغيير الهوية .

قالت مسز بوينتون : ولكن الأميرة عرفتك عند ما رأتك

فقال : نعم

وقالت الأميرة : ربما كنتم قد سمعتم بأننى قضيت عامين مربية قبل زواجى من الأمير برليتز ، ولكن الذى لا تعرفونه على ما أظن هو أننى كنت مربية فى نفس هذا المنزل . وربما أدهشكم أن السير جيرفاس الذى يتهم بأنه قتل أخاه من أجلى لم يكلمنى أية كلمة قبل الآن .

ساد الصمت وقد كانت القرائن كلها قوية ضد جيرفاس والأميرة . ولكن لم تظهر على واحد منهما أدلة الإجرام .

واستأنفت الأميرة الكلام فقالت : « وقد اكتشفنا أن فى الغرفة التى كنت أقيم فيها مكاناً سرياً فى الحائط بينها وبين الغرفة المجاورة ؛ وهذا المكان هو المخبأ الذى أطلقت منه الرصاصة

وقالت : إنه وصل إليها بالنمسا وإلى السير جيرفاس فى الاسكا خطابان من مجهول فاضطرا إلى المجيء وإلى دخول المنزل للبحث عن هذا المكان السرى . وقالت : إن استكشافهما كان خطيراً .

ثم اطلعت صاحبة المنزل على دفتر المذكرات وقالت : إنه دفتر مذكرات السير جوليس لترايج وصيف السير نوليس فيلتون ، وهو يعترف بأن كتمانه الحقيقة يكاد يصيبه بالجنون ، ويظهر أنه كان قريباً جداً من الجنون لما كتب هذه المذكرة . وهذا نصها فاقرئيها !

فقرأت مسز بوينتون :

« سبتمبر — لا أستطيع الاحتمال فوق ذلك . إنها كانت تغض النظر عنى لأنى وصيف ولا تعنى بغير السيد ، وقد قتلته وألصقت التهمة بالسير جيرفاس »

وقرأت مسز بوينتون بعد ذلك الخطاب الذى وصل إلى الأميرة والخطاب الذى وصل إلى السير جيرفاس فوجدتهما بخط واحد ، وهو نفسه خط صاحب المذكرة . وقد روى فى الخطابين أنه فى المستشفى فى حالة الاحتضار

فقالت : « هذه أنباء غريبة ، ولكن أخشى ألا أستطيع تجديد عقد الإيجار »

فابتسم السير وقال : « هذا يتوقف على رغبة الأميرة »

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 423

Lundi - 11 - 8 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة — « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ رجب سنة ١٣٦٠ — الموافق ١١ أغسطس سنة ١٩٤١ » — العـــدد ٤٢٣

الفهـــــرس

صفحة

٩٩٧ الرحمة قوة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٠٠ كيف يكتب التاريخ ؟ ... : الدكتور حسن عثمان ...
١٠٠٣ دار الوجد والمجد [قصيدة] : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٠٧ ابن شهاب العــلوى ... : الأستاذ على عبود العلوى ...
١٠١١ ما ألف عن النساء ... : الأستاذ صــلاح الدين المنجد
١٠١٣ زخرفة المساجد ... ... : الأستاذ الشيخ ســيد رجب
١٠١٥ محنة التعليم الالزامى ... : الأستاذ على عبــد الله ...
١٠١٧ الدار المقــدسة ... ... : الأستاذ عبد الحميد يونس ...
١٠١٨ الشيخ عبــاس ... ... : الدكتور عبــد الوهاب عزام
١٠١٩ حول اللهجات العامية ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
١٠١٩ هل نستفيد مما نقرأ ؟ ... : الأستاذ محمد محمود رضوان
١٠٢٠ فتوى واستفتاء ... ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...
١٠٢٠ حول اسـتدراك فى غزوة حنين ... ... } الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٠٢١ القصر العيني ... ... : الأديب أحمد الصرباصي ...
١٠٢٢ مفترق الطرق [قصة] : الأستاذ نجيب محفوظ ...

الرحمــــة قوة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... وبعد فإننى أحد دارسيك ، ومن طليعة المعجبين بغزارة علمك وقوة أدبك وسموه ، ووفرة إنتاجك وتنوعه ، لهذا لا أحسبنى متطفلاً إذا ما سألتك سؤالاً فى موضوع طالما فكرت فيه ، وهو : أصحيح ما يقال إن الرحمة من أخلاق الضعفاء ، وإنها أبعد الصفات عن الأقوياء ، وإن الإنسان كلما ازداد قوة ازداد قسوة ؟ ... فهل تتفضل يا سيدى بالإجابة على سؤالى هذا على صفحات مجلة الرسالة الغراء لأننى من المدمنين قراءتها ؟ ولك منى جزيل الشكر سلفاً ... »

بغداد — شارع الرشيد — عبد الكريم جواد المحامي

***

وجوابى على سؤال الأستاذ الفاضل أن الرحمة قوة وليست بضعف ، لأن الرحيم يعطى من فيض نفسه من يحتاجون إلى رحمة ، ولا تملك النفس فيضاً تعطيه إلا وهى ممتلئة تستغنى عن جزء من ذخيرتها لإسعاف غيرها . وليس هذا من شيمة الضعفاء والرحمة كلاءة ورعاية ، ومن يكلأ غيره ويرعاه فليس هو بالضعيف

وينبغي أن نرجع إلى الطبيعة ، لنعلم ما هو طبيعي

ينبغي أن نرجع إلى الطبيعة لنعلم الخلق الأصيل والخلق الذي هو عاهة طارئة أو نقص كين

والطبيعة تقول لنا إن الرحمة ركن من أركانها فى أداء غرض من أهم أغراضها ، بل هو أهم أغراضها على الإطلاق ، وهو حفظ النوع وتجديده ، وتعهد الأبناء الصغار إلى يوم استغنائهم عن معونة الأولياء الكبار

فكل والد رحيم بغير اختياره : رحيم باختيار الخالق الذى خلقه وسخره لحفظ نوعه

وكيف يقال إن الطبيعة تعتمد على الضعف فى طلب البقاء؟ أو تعتمد على الضعف فى غريزة أصيلة يوشك أن يتلاقى فيها الإنسان وسائر الأحياء ، ممن صعد ولو قليلاً على سلم الارتقاء؟

لو قلنا إن القسوة عجز وليست بقوة لما أخطأنا الدليل على ذلك من طبائع الأحياء التى عهدت فيها الضراوة وخلت طبائعها من الرحمة وما يماثلها

فإن الوحوش المشهورة بالقسوة لا تعرف وسيلة غير البطش والضراوة لتحصيل العيش ومكافحة الأعداء ، وكل بطش فهو إلى القوة الآلية أقرب منه إلى الخصال النفسية والملكات العقلية . فالفرق يسير بين صدمة الحجر وضربة الوحش من هياجه ، فهى — أى القسوة — أدنى الوسائل التى لا وسيلة دونها ، ثم تترقى وسائل الأحياء درجة بعد درجة حتى يكون استغناؤها عن القسوة بمقدار ارتقائها فى تلك الدرجات

ومن ثم يصح أن يقال إن القسوة عجز وفقدان وسيلة ، وإنها من البدائيات التى يوشك أن تلحق بالآلة والجماد

فالإنسان يقسو لأنه عاجز عن الرحمة ، ولا يناقض قولنا هذا قول المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فإن بيت المتنبي معناه أن الظلم أيسر الوسائل وأقربها : أيسرها لمن لا يتيسر له ما هو أصعب منها . وهذا هو بعينه ما نذهب إليه حين نقول إن القادر على الصعب لا يهبط إلى ما دونه ، وإن القادر على الرحمة مستغن عن التقتيل والتخويف

إن الماء لا يحتاج إلى تدبير وإتقان لينحدر من الأعلى إلى الأسفل

ذلك هو أيسر الطرق أمامه وأقربها إليه ؛ ولكنه محتاج إلى التدبير والإتقان ليصعد من الأسفل إلى الأعلى

فالظلم كانحدار الماء قريب ؛ والرحمة كارتفاع الماء صعب ولكنه أدل على الاقتدار

* * *

ومن آيات الطبيعة التى نستفيدها منها فى هذا المعنى أن الرحمة تزداد فى الأحياء كلما ازداد الشبه بينها وبين الإنسان فى الغريزة الاجتماعية

فالرحمة معروفة بين الحيوانات الاجتماعية فى العلاقة بين والدها ومولودها ، وفى العلاقات بين الفرد منها وسائر أفرادها ، وفى العلاقات بينها وبين الآدميين

ومؤدى هذا أن الرحمة وغريزة الاجتماع متلازمتان ، فكيف تكون مرضاً وهى أصل من أصول الأخلاق الاجتماعية؟ وكيف يتركب فى البنية ما هو مرض أو انحراف مناقض لأساس التكوين؟

على أننا خلقاء أن نميز بين الرحمة وبين الاضطراب الجسدى الذى يعجز صاحبه عن احتمال المؤلمات والمشقات ، فيخور ويبكى حين يرى ما يؤلم أو يتعرض لما يشق عليه . وليس من الضرورى مع هذا أن يرحم المتألم أو يعينه أو ينفعه بعطفه ، وإنما هو عجز عن احتمال الآلام المشهودة كالعجز عن احتمال الهواء والاضطلاع بالمتاعب ، وبين الرحمة وهذا النقص بون بعيد

إن المرأة الهستيرية التى يغشى عليها حين ترى جريحاً يتألم ، ليست بأرحم لذلك الجريح من الطبيب الذى يفتح جراحه ويزيده ألماً على ألمه

فالذين يزعمون أن الرحمة ضعف أو مرض ، إنما يلتبس عليهم الأمر بين هذه الحالة الهستيرية التى هى ضعف ، وبين الرحمة التى هى قوة ، لأنها حماية لضعف الآخرين

وإن الرجل الذى يبطش بالضعفاء لأقوى من الضعفاء ؛ ولكن أقوى منه وأرجل منه وأرفع منه ذلك الرجل الذى يغلب الأقوياء لينقذ الضعفاء من أيديهم ، ويريهم قوة أكبر من قوتهم ، لأنها لا تكتفى بالقسوة على الضعيف ، ولا تحجم عن زجر القوى ، وزجره أحوج إلى القوة وأدل على الاستغناء

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعوّل فى الدنيا على رجل

نعم ، وأرجل منه من يعول كل الرجال عليه ، ومن يبسط جناحيه على كل من حواليه

***

وآية أخرى من آيات الطبيعة فى هـذا المعنى أنك لا تجد مزدريا بالرحمة إلا وهو محتاج إلى رحمة الرحماء

« فردريك نيتشه » : رسـول القسوة وأكبر الناعين على الرحمة فى العصور الحديثة ، قد عاش سنوات ولا سند له فى الحياة غير رحمة امرأة عجوز ، وهى أمه !

وروى عن الوزير ابن الزيات أنه كان يقول : إن الرحمة خور فى الطبيعة . فلما نكب وعذب بالتنور الذى كان يعذب به الناس إذا به يرثى لنفسه ويستدعى الرثاء لها ويجرى فى ضعفه أمثولة لمن يسترحمون الأقوياء والضعفاء ، و « لم يزل - كما جاء فى الطبرى - أياماً فى حبسه مطلقاً ، ثم أمر بتقييده فقيد وامتنع عن الطعام ، وكان لا يذوق شيئاً . وكان شديد الجزع فى حبسه كثير البكاء قليل الكلام كثير التفكر ... وكان قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه : يا محمد يا ابن عبد الملك ! لم تقنعك النعمة والدواب الفُرْه ، والدار النظيفة ، والكسوة الفاخرة ، وأنت فى عافية ، حتى طلبت الوزارة ! ذق ما عملت بنفسك ... »

ومن شوهد عليهم من القساة أنهم كانوا أصلب من ذلك عوداً وأخشن مساً وأقرب إلى التمرد والعتو والأنفة من الشكوى فكثيراً ما يكون تمردهم ضرباً من التخبط ، أو عرضاً من أعراض التشنج ، أو ثورة عصبية هى مرض لا شك فيه كمرض الخنوع والولع بالشكاية وإن اختلف مظهرهما كاختلاف النقيضين

فالذى نراه من المشاهدات الطبيعية أن القسوة هى العجز والمرض والنقصان ، وأن الرحمة هى القدرة والفضل والزيادة

فالرحيم عنده ما يكفيه ويزيد على كفايته حتى يكفى غيره ويتناوله بالعناية والحماية !

والقاسي عنده من القوة ما يغلب به الضعيف ، فهو فى الدرجة التالية من الضعف ليس دونه فى مراتب القوة إلا فاقد القوة والعاجز عن كبحها

وهذا بلا ريب غير قسوة الرحمة التى يقول فيها حكيم الشعر العربى :

وقسا ليزدجروا ومن يك حازماً   فليقس أحياناً على من يرحم

فالرحيم الذى يقسو هنا لينفع بقسوته من لا تنفعهم رحمته ، إنما هو أرحم وأقدر على الرحمة ، لأن رحمته لا تغلبه ولا تقوده غير واع ولا متدبر حتى يصنع باسم الرحمة ما هو نقيضها أو ما هو قسوة معيبة فيما تنتهى إليه من الإيذاء

وكفى بالرحمة أنهـا فتح إنسانى فى عالم الحياة ، ترق إليها الإنسان وحده بين المخلوقات الحية ، وشابهته فيها بمقدار ما صمدت بهم الطبيعة فى مرتقاه .

عباس محمود العقاد

كيف يكتب التاريخ؟(*)

للدكتور حسن عثمان
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ١ —

مقدمة

الشرق القريب — ومصر على وجه الخصوص — حديث العهد جداً بدراسة موضوع طريقة البحث التاريخى وكتابة التاريخ بالمعنى العلمى الحديث ؛ وكلية الآداب بالقاهرة تكاد تبدأ هـذا النوع من الدرس الذى أرجو أن يتسع ويطبق عملياً فى المستقبل القريب . وفى صيف ١٩٣٩ أصدر صديقى الدكتور أسد رستم كتاب « مصطلح التاريخ » نتيجة خبرته فى تدريس طريقة البحث التاريخى سنوات عديدة فى جامعة بيروت الأمريكية . وابتداء من نوفمبر ١٩٤٠ ، أخذ الدكتور محمد مصطفى زيادة الأستاذ المساعد لتاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بالقاهرة ينشر سلسلة من المقالات بمجلة « الثقافة » عن صناعة التاريخ فى مصر ، فرأيت أن أساهم أيضاً — بعد أن فتحت لى « الرسالة » صدرها الرحيب — بنشر بعض مقالات عن هذا الموضوع ، لاحتمال تقديمه بعض النفع للراغبين فى دراسة وكتابة التاريخ . ولإعطاء القارئ فكرة عن طريقة كتابة المؤلفات التاريخية التى يتداولها ؛ والتاريخ لا يدرس عفواً ، ولا يكتب اعتباطاً ؛ وإنما يدرس لأغراض وفوائد ، ولا بد لكتابته من استعداد خاص ودراية وخبرة بطريقة البحث التاريخى

ولماذا نحاول الوصول إلى الحقيقة التاريخية ؟ وما الذى نستفيده من دراسة التاريخ ؟ لكى نصل إلى نتيجة معقولة ، فلنبحث أولاً فيما هو التاريخ ؛ فكلمة تاريخ مستمدة من اليونانية بمعنى بحث واستقصاء حوادث الماضى ، أى تسجيل حوادث الإنسان منذ ظهر فى الوجود ، ومنذ بدأ يترك آثاره ومخلفاته على الصخر وعلى الأرض ، حتى الوقت الحاضر . ونحن إذا تصفحنا أى كتاب عام عن تاريخ العالم ، نجد أنه يتناول أوجه النشاط الإنسانى المتنوعة فى الزمن الماضى ، فيشرح حوادث الحروب ومشاكل السياسة ومسائل الدين والفن والاقتصاد ... وهو يحاول بذلك أن يعطى صورة للمجتمع الإنسانى فى حالة حركة مستمرة ؛ وهى حركة لا تتكرر ولا تعيد نفسها على نفس المنوال وفى نفس الظروف التى حدثت بها فى فترة سابقة . نعم إنه قد تقع حوادث متشابهة ، ولكن تشابهها لا يمكن أن يكون مطلقاً ؛ والإنسان يجب أن يعرف تاريخه ككائن اجتماعى ، فينبغى أن يعرف تاريخ تطوره وتاريخ آثاره فى الزمن الماضى . وينبغى أن يدرس العوامل التى أدت إلى حدوث الغارات والحروب ، وما لابس ذلك ، وما خلفته من آثار ؛ وأن يتتبع مثلاً حركة الكشف الجغرافى فى أواخر القرن الخامس عشر ، وما ترتب عليها من تغيير طريق التجارة العالمى ، وما ارتبط بذلك من هبوط سلطنة المماليك وجمهورية البندقية ، وارتفاع شأن دول غرب أوربا كالبرتغال وهولندا وانجلترا ؛ وأن يدرس الأسباب التى أوجدت

(*) المقصود بهذه المقالة وما يليها عرض موجز لدراسة طريقة البحث التاريخى ، بدون التعرض لفلسفة التاريخ ولتطور كتابته فى الشرق والغرب ؛ وقد أعود إلى ذلك فى المستقبل . وإنى أقدم بعض المراجع لمن يرغب للمزيد فيما نحن بصدده الآن :

١ — أسد رستم : مصطلح التاريخ ، بيروت ، ١٩٣٩
٢ — ابن خلدون : المقدمة ، القاهرة ، ١٩٣٠
٣ — السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ
٤ — هرنشو ، ترجمة وتعليق الأستاذ عبد الحميد العبادى : علم التاريخ ، القاهرة ، ١٩٣٧
٥ — الدكتور مصطفى زيادة : صناعة التاريخ فى مصر ، مجلة الثقافة ، أعداد ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١١١
٦ — Fling, F. M. : The Writing of History, An Introduction to Historical method. Yale, U. S. A., 1926
٧ — Oman, Sir Ch. : On The Writing of History, London, 1939
٨ — Freeman, E. A. : The Methods of Historical Study. London, 1886
٩ — Acton, Lord J. E. : Lectures on Modern History. London, 1930. (pp. 1-28 ; On the Study of History)
١٠ — Emerson, R. W. : Essays. Oxford, 1927
١١ — Langlois, Ch. V. & Seignobos, Ch. : Introduction aux Etudes Historiques. Paris, 1898 — English Trans. by G. B. Berry. London 1912
١٢ — Feuter, E. : Histoire de l'Historiographie Moderne. Paris, 1914
١٣ — Croce, B. : Teoria e Storia della Storiografia. Bari,1920. English Trans. by D.Ainslie. London,1921
١٤ — Croce, B. : Primi Saggi. Bari, 1927. (pp. 1-72 : La Storia ridotta sotto il concetto generale dell'arte, e Illustrazioni e Discussioni)
١٥ — Croce, B. : Conversazioni Critiche, 4 vol. Bari, 1924-1932. (V. 1. pp. 153-224 : Teoria della Storia, e Storia della Cultura) — (V. 4. pp. 115-163 : Metodologia Storica)
١٦ — Pecchiai, P. : Manuale Pratico per gli Archivisti. Milano, 1928.

نوعاً جديداً من الأدب أو الفن وما إلى ذلك من أوجه النشاط الإنسانى ومقومات الحضارة

وحوادث التاريخ هى من صنع الإنسان فى ظروف معينة ؛ فينبنى أن يقرأ الإنسان وأن يدرس هذا التاريخ ؛ فالعلاقة وطيدة بين حياة الإنسان وبين القرون والعصُر الماضية. ولا يمكن للانسان أن يفهم نفسه وأن يفهم الحاضر بدون الماضى ؛ ومعرفة الماضى تكسبه خبرة السنين الطويلة ؛ والتأمل فى الماضى يبعد الإنسان عن شخصه ، فيرى ما لا يراه فى نفسه بسهولة من مزايا وأخطاء الغير ؛ ويجعله ذلك أقدر على فهم نفسه وأقدر على حسن التصرف فى الحاضر وفى المستقبل . ولكى ندرك أهمية معرفة الماضى ووجوب دراسة التاريخ ، فلنفرض أننا استطعنا بوسيلة ما أن نقطع صلتنا بالماضى نهائياً ، وأن نحرق دور الكتب وأن ندمر كل آثار العمران الراهنة ، وأن ننسى أنفسنا ؛ فماذا تكون عليه حال الإنسان وحال الحضارة؟ لا بد للانسان فى هذه الحالة من أن يعود ليبدأ من جديد ما كان قد بدأه منذ آلاف السنين من أوجه النشاط المختلفة لكى يصل إلى النقطة التى قطع فيها صلته بماضيه التاريخى ، أو إلى ما يقاربها . فماضى الشعوب وماضى الإنسان حافل بشتى الصور ، وهو عزيز عليه فى كل أدواره ، سواء عهود المجد والقوة ، أو فترات المحن والكوارث؛ والأقوام الذين لا ماضى لهم ليسوا من شعوب الأرض المتحضرة . ومتى اقتنعنا بوجوب معرفة التاريخ والاستفادة منه ، فينبنى إذاً أن يكتب هذا التاريخ ، ويجب أن يتخصص لكتابته بعض الناس من أصحاب الاستعداد

وليس كل من يحاول أن يكتب التاريخ يصبح مؤرخاً . فالمؤرخ ينبنى أن تتحقق فيه الصفات اللازمة لكل من يشتغل بالعلم . ومن بين هذه الصفات أن يكون محباً للعمل جَلدا صبوراً فلا تمنعه وعورة البحث ولا المصاعب والعقبات مهما كان نوعها عن مواصلة البحث ، ولا توقفه ندرة المصادر ، ولا يصرفه عن عمله غموض الحقائق التاريخية واختلاطها ، فيقضى الشهور والسنوات وهو يعمل ويرحل من بلد إلى آخر بحثاً عن الحقيقة . ويلزم المؤرخ أن تكون له ملكة النقد ، فلا يقبل أى كلام ، ولا يصدق أية وثيقة إلا بعد الدرس والاستقراء ، فيأخذ الصدق والحق ويطرح ما دون ذلك . والمؤرخ لا بد أن يكون مخلصاً أميناً شجاعاً ، فلا يكذب ولا ينتحل ولا ينافق ، ولا يخفى الحقائق التى قد لا يعرفها غيره فى بعض الأحيان ، والتى قد لا ترضيه أو لا ترضى قومه ؛ فإنه لا رقيب عليه غير ضميره . والمؤرخ ينبنى أن يكون بعيداً عن حب الشهرة ، وألا يحفل بالكسب وبالألقاب وبالجاه ؛ فإن الحقيقة التاريخية التي قد يكشف عنها تعدل كل ذلك أو تزيد . والمؤرخ ينبنى أن يكون قوى الشخصية ، فيستطيع أن يكون آراءه بناء على الواقع التاريخى ، ويعرضها علينا ، فنلمس شخصيته خلال السطور . والمؤرخ ينبنى أن يكون صاحب إحساس وعاطفة وتسامح وخيال؛ فيدرك آراء الغير ونوازع الآخرين ، ويحس ما جاش بصدور الناس من شتى العواطف ، ويفهم الدوافع التى حركتهم فى اتخاذ سلوك معين فى الزمن الماضى ، ويشارك رجال الأمس مواقفهم فى ساعات التاريخ الفاصلة ، فى فترات الانقلاب ، وفى عهود المقاومة المنيفة ، وفى ظروف النجاح والفشل ؛ لأن المؤرخ المجيد يجد فى كل هذه الحوادث صدى نفسه ، فتتجلى فيه روح العلم والفن، ويبعث التاريخ حياً ، ويحيا فى التاريخ ، ويعيش للتاريخ

وإذاً فما هو الطريق الذى نتبعه لكتابة التاريخ ؟ وما هى طريقة البحث التاريخى ؟ طريقة البحث التاريخى عبارة عن العملية والمراحل التى يصل خلالها الباحث إلى الحقيقة التاريخية ، بجمع الأصول والمصادر ، ودراستها ونقدها ، واستخلاص الحقائق وتنظيمها وعرضها عرضاً تاريخياً معقولاً . إنما نلاحظ بأنه ليس المقصود بالحقيقة التاريخية إمكان الوصول إلى معلومات صحيحة على الإطلاق ؛ فالحقيقة المطلقة غير مستطاع الوصول إليها فيما يتعلق بالوقت الحاضر فضلاً عن الماضى ، لظروف مختلفة كالأغراض والمصالح ، أو لضياع الأدلة وانطماس الآثار . فالحقيقة التى يصل إليها الباحث فى التاريخ صحيحة نسبياً ، وكلما زادت نسبة الصدق وكبر عنصر الحقيقة أصبح التاريخ تاريخاً بالمعنى الصحيح

وإن من يدرس العلوم الطبيعية يستطيع أن يشاهد بنفسه التغيرات والتحولات التى تصيب المادة فى معمل التجارب . إنما دارس التاريخ لا يستطيع أن يضع الحوادث أمامه فى بوتقة التجارب ؛ ولا بد له من وسائل أخرى تؤدى به إلى الغرض . فينبنى أن تتوفر لديه الأصول والمصادر التى يستخرج منها

الحقائق التاريخية . وهذه المصادر عبارة عن آثار ومخلفات الإنسان ، وهى على أنواع مختلفة ؛ فمن ذلك بقايا جسم الإنسان نفسه ، وملابسه وطعامه ومساكنه وأسلحته وأدواته التى كان يستخدمها أثناء حياته ، ونقوشه على الأحجار وكتبه المخطوطة والمطبوعة ، وصوره ورسومه وتماثيله ومبانيه ، ولغته وآدابه وقوانينه وعاداته وتقاليده . وآثار الإنسان كلها تحمل بين طياتها أسرار الحوادث وخفايا التاريخ ؛ وهى تظل أبداً صامتة لا تبوح بأسرارها ، إلى أن يتمكن الإنسان بالدراسة الطويلة ، وبالتأمل العميق من أن يحملها على النطق ، وعلى التعبير عن أسرارها وخفاياها . وينبغى ألا يفوتنا أن بعض آثار الإنسان تشيد للمبالغة والتمظيم ، مثل أقواس النصر التى أقامها نابليون فى بعض الولايات الألمانية ، والتى لا تدل على أنه قد أصبح سيد أوربا على الدوام ، أو المدالية التى ضربها تذكاراً لنزوله فى انجلترا ، مع أن ذلك لم يحدث تاريخياً ؛ فهذه المدالية ستبقى كذكرى لأمل لم يتحقق . أو تمثال الرجل الذى يقتل الأسد ، مع أن ذلك لم يحدث إلا نادراً ، والعكس هو الشائع . ولو استطاع الأسد أن يصنع تمثالاً لفتكه بالإنسان لصح الوضع . وأحياناً قد يعثر الباحث فى التاريخ على وثائق مزيفة ومنتحلة ، سواء بقصد الدعاية أو الدفاع عن فكرة معينة أو من أجل الشهرة أو للاتجار والكسب . وعلى ذلك ينبغى أن تدرس آثار الإنسان بروح النقد والحذر

وتتحدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعض الأسس العامة . فأولاً نوع المادة التى استقى منها الباحث معلوماته ، هل هى أصول original sources أو هل هى نقوش قديمة معاصرة وثبت صحة معلوماتها ، أو هل هى وثائق ومراسلات سياسية مستخرجة من دور الأرشيف وثبت أنها غير مزيفة وأن معلوماتها صحيحة ، أم أن المادة التى جمعها الباحث مستمدة من مجرد مراجع ثانوية ليست لها قيمة كبيرة . وثانياً قدرة الباحث على نقد ما تحت يده من الأصول والمصادر . ويختلف الباحثون فى النقد وفى استخلاص الحقائق على حسب اختلافهم فى الفهم والتفسير والاستنباط . وأحياناً يضع الباحثون فى التاريخ افتراضات مختلفة لمحاولة فهم حركة تاريخية مهمة مثل حركة النهضة فى إيطاليا أو الثورة الفرنسية . وأحياناً يختلف الباحثون فى تقدير معنى الحوادث من ناحية السياسة أو الخلق . وأحياناً يكتبون متأثرين بروح العصر السائدة مثل حركة الانقلاب الصناعى أو نمو الديموقراطية فى أوربا ؛ إنما كل هذه الاختلافات ضرورية لأنها تقدم آراء ووجهات نظر مختلفة عن عصر معين ؛ وهى تعطى للتاريخ الحركة والحياة ، وتجعل البحث التاريخى مستمراً بنشاط . وعلى العكس ، عدم الاختلاف بسبب الجمود والركود . وثالثاً مطابقة التاريخ للواقع ، وبعده عن التمييز والأهواء والنوازع المختلفة ؛ فلا تعتبر تاريخاً صحيحاً الكتابة التى يطعن فيها مسيحى على المسلمين فى زمن الحروب الصليبية ؛ أو العكس ، فالكتابة التى تخدم غرضاً معيناً قد تعتبر تاريخاً لنوع من التفكير أو النوازع الإنسانية ، وإنما لا يمكن أن يعتبر ما جاء بها معبراً عن الحقيقة التاريخية بالنسبة لما تناولته من الموضوعات

وبمعنى آخر يمكننا أن نقول إن قيمة التاريخ المكتوب تتحدد بناء على ملكات الباحث فى التاريخ واستعداده ، وبناء على مدى ثقافته ، وعلى درجة إلمامه بطريقة البحث التاريخى . وكثير من كتب التاريخ تعتبر من أمتع ثمرات العقول ، لنضوج عقلية المؤرخ ، وخبرته الوطيدة ، ونجاحه فى إعطاء وحدة جامعة واضحة ، بعكس الكثير من كتب التاريخ أيضاً التى يكتبها من لا يفهم التاريخ ، ومن لا يملك ملكة النقد ؛ فلا تزيد عن مجرد معلومات موضوعة بين دفتى كتاب . ومثل هذه الكتب غير جديرة بأسمائها ، وهى قد لا تساوى الورق الذى طبعت عليه .

(يتبع) **حسن عثمان**

بمناسبة الغارات الجوية على الاسكندرية :

دار الوجـــد والمجد

للدكتور زكى مبارك

[لو عاش « شوقى » إلى أن شهد ما تعانى الاسكندرية من كوارث وخطوب لواساها بأطايب الشعر البليغ . فالى روحه فى دار الخلود أهدى هذا القصيد]

زكى مبارك

بأهلِ اسكندريةَ بعضُ ما بى   من الأحزانِ للثغر المصاب
أدارَ هَواىَ ما قلبى بناسٍ   هُيامى فوق أثباجِ العُباب
وهل يَنسى أخو كرمٍ وعهد   رحيقَ الراحِ يُمزَجُ بالرُّضاب ؟
فإن تكن الكوارثُ آثماتٍ   صببْنَ عليك أسواطَ العذاب
فلن ينسى لك التاريخُ عهداً   ضحوكَ الوجه مرهوب الجناب

* * *

حَمَاكِ اللهُ يا دارَ التنادى   إلى الهيجاء أو دارَ التصابى
ألم تمرح بساحتـــك الجوازى   لواعبَ فى حمى الأُسْد الغضاب(١)
ألم تُلقِ مع الأقدار يوماً   كتائب من لحاظ أو حراب ؟
وكيف يطيبُ للدنيا وُجودٌ   إذا هُدّدتِ ظلماً بالخراب ؟
وأين تجولُ أفراسُ المعالى ؟   وأين تصول أحلامُ الشباب ؟

* * *

عروسَ البحر، والدنيا سفينٌ   تروَّع بالقواصف والضباب(٢)
أعندكَ أن دارَ المجدِ تنجو   على الأيام من كُرَب الصِّعاب؟
أعنـدك أن فى الدنيا رياضاً   تصان من الأفاعى والذئاب ؟

* * *

عروسَ البحر، ما هذى الرزايا   تصب على بنيك بلا حساب ؟
أكنت جنيت ، والدنيا مجالٌ   لمفروض الثواب أو العقاب ؟
جمالكِ فاتنٌ ، والحسن ذنبٌ   لأهل الحسن فى شرع الذئاب
فما شكواكِ من ظلماء طالت   وتلك جناية المجدِ اللباب ؟

* * *

(١) الجوازى هى الظباء لاجتزائها بالعشب عن الماء
(٢) القواصف هى الرياح التى تثور فى البحر . أما العواصف فهى الرياح التى تثور فى البر

عروسَ البحر ، يا مهوى فتونى   ويا مَغنى أمانىَّ العِذاب
عُقلتُ بأرضك العزّاء عاماً   فكان أعزَّ عام فى شبابى(١)
دخلتُكِ عانياً فى أسر ليل   أصمَّ القلب زنجىَّ الإهاب
فأقبلَ نورك الروحىُّ يسرِى   إلى أرواحنا من كلِّ باب
رأى العَقّالُ أن نحيا أسارى   حياةَ السيف فى سُدَف القِراب(٢)
فلا ندرى لوجه البحر لوناً   سوى الموهوم من لمع السراب
ولا نقتـات من زاد الأمانى   سوى الظنون من يوم المآب
فهل سمعَ الشقىُّ بما أفاءت   علينا اسكندرية من ثواب ؟
هديرُ البحر كان يمجّ عمداً   ليطربنا على بُعْد المثاب
وحَب الرمل صار لنا مهاداً   مُطرَّزة بأزهار الروابى
فأمسى الاعتقال على اجتواه   رخىَّ القيد مأنوس الرحاب(٣)

* * *

عروس البحر، حدّثنى شهودٌ   بأن الشط صارَ إلى تباب
فلا غيداء تخطرُ فى حِماهُ   كرقص البدر من خلف السحاب
ولا صبٌّ خفورُ العهد يمشى   على جنباته مشىَ الحُباب
ولا صهباء يحسُوها بنوهُ   وقد قُبست من الذهب المذاب
إذا طافت بهم هاموا خفوفاً   لِمقبول المجانة والدعاب
وأمسوا والكواكب فى عُلاها   لهم أسلابُ فتكٍ وانتهاب
سُلافٌ صانها (باكوسُ) عما   يشوبُ الراحَ من إثمٍ وعاب(٤)
ألم يثقل على حُكماء قومى   وقد عاقرتها وِزْرُ اغتيابى ؟

* * *

أميرَ الشطِّ كنتُ فأين عهدى   برعى الحسن فى الشطِّ العُجاب
وأينَ رِمالهُ منى وكانت   منازلكَ صبوتى فى كلِّ (آب)(٥)

(١) العزاء هى الأرض الصلبة ، وكان موضع الاعتقال فى بقعة جرداء بناحية « سيدى بشر » قبل أن تصبح تلك الناحية من ملاعب الصيف
(٢) العقال على وزن سجان هو حارس المعتقلين ، والسدف جمع سدفة بالضم وهى الظلمة ، والقراب بكسر القاف هو الغمد
(٣) الاجتواء : البغض
(٤) باكوس هو إله الخمر عند اليونان ، وبه سميت ضاحية كبيرة من ضواحى الاسكندرية
(٥) آب : شهر أغسطس ، وهو أتم شهور الاصطياف

إليها كان حَجّى واعتمارى ... وفيها كان تَخَتُّلى واختلابى
فكيف أذوقُ للصّبوات طعماً ... وعن مَرْقاتها طال احتجابى ؟

* * *

ندائى البحرِ، سوف أعود يوماً ... لأُطفئ ما بقلبى من لُوَاب (١)
نشيدى فى التصوف كان لحناً ... نقلتُ صداه عن قصف العباب
سواى يرى الوجود إن اجتلاه ... سطوراً ناوياتٍ فى كتاب
ويجلوه لوجدانى ورُوحى ... إذا ماشئتُ إظلالُ السحاب (٢)
وهل كانت حياة الناس إلا ... قلائد صاغها رَبُّ الرَّباب (٣)
عشقتُ البحرَ والصحراء عشقاً ... به طال اندفاعى وانجذابى
أطلّ على الفضاء فتزدهينى ... رِحابٌ غارقاتٌ فى رِحاب
وأنظر للوجودِ فلا أراهُ ... سوى خمر تماقر أو رُضاب (٤)

* * *

أخلّائى هنالكَ ، حدّثونى ... حديث (الثغر) وانتظروا إيابى
أفوقَ رُبوعه غامتْ سماه ... مؤججةٌ بأقباس الهُباب (٥)
وما القومُ الذين عَدَوْا عليه ... كعدوان الذباب على الشراب ؟
أكانوا جِنّةً حُمْقا فعاثوا ... به عَيْثَ الأراقم بالوطاب (٦)
أكان (النسر) فى التحليق أدنى
إلى الإسفاف من ذاك (الغراب) ؟
وما الألمانُ إلا قومُ بَغْىٍ ... أثيم الجدِّ مذموم القِطاب (٧)
نِطاحٌ كله سفهٌ ولؤمٌ ... ولو كره المصانع والمحابى

* * *

(١) اللواب : العطش

(٢) أجمل الشاعر فى هذين البيتين معنى فصله فى « ذكريات باريس » فى بحث عنوانه « بين فصول الكتاب وآيات الوجود »

(٣) الرباب هو ما دون السحاب ، فالسحاب ربه ، ورب السحاب هو البحر ، ورب البحر هو الله . والشاعر عقيدة صوفية تقوم على أساس « الحقيقة البحرية » وهى عقيدة لا يتسع لشرحها المجال ؛ وقد تفتح أبواباً من الجدل لا يطيقها أكثر الناس ، لأنها تخالف ما اصطلح عليه الصوفية

(٤) يريد الشاعر أن يقول إن الوجود كله جميل حتى ليحسبه رشفات من خمر أو رضاب

(٥) الهباب بالضم هو الهب أو الهبيب

(٦) الأراقم هى الحيات الرقط ، والوطاب مفردها وطب ، وهى أوعية اللبن ، والحيات تحب اللبن إلى حد الجنون ، والعرب يصفونها بالصمم ليبالغوا فى قدرتها على الايذاء ؛ وهو الوصف الذى أضافه الشاعر إلى أولئك الجن العائثين

(٧) القطاب بكسر القاف هو المزاج

أحقٌّ أن نادى (الثغر) أقوى ... وأقفر من أحاديث الصحاب ؟
فلا « النشارُ » يسأل غير صاحٍ ... ولا « شيبوب » يحلم بالجواب ؟
« أبو شادى » أفاق ، فمَن بشيرى
برَجْع الأمن للثغر المَهاب (١)
وكيف يعيشُ رُوحٌ كان أُنسى
وإن أَلِفَ اللجاجةَ فى الغِضاب ؟
أكاتمُ حبَّه قلبى وأمضى ... فأعلنُ بغضه عند العتاب
هو الدنيا : وقد جُنّتْ فصاغت ... رحيقَ هواه من شهد وصاب

* * *

بأهل اسكندريةَ بعضُ ما بى ... من الأحزان للثغر المُصاب
سمعتُ حديثَ نكبتهم فأمسى ... فؤادى فى انصداعٍ وانشعاب
ملائك من أديم الخلد صيغوا ... لِيوم الوجد أو يوم الغلاب
أعزَّ البحرُ أنفسهم فعزوا ... فهم قوم اعتلاءٍ واصطخاب
هُمُ الحراسُ للوطن المفدّى ... من العادينَ أشباه القُلاب (٢)
فكيف تبددوا وأدال منهم ... مديل البأس من وكر العُقاب (٣)
تُساق إليهمُ الأقوات ، هلاّ ... تساق إليهم عُددُ الحراب ؟
أغيثوهم بسيفٍ لا يُراد ... فهم خلف القساورة الصلاب (٤)
أمِدّوهم ، إذا شئتم ، بجيش ... وقاح الوجه منزوع النقاب
فما حفظ الديارَ سوى حسامٍ ... به ظمأٌ إلى يوم الضِّراب

* * *

أجب « عبد القوى (٥) » وأنت شهم
صريحٌ لا يُداوِرُ فى الجواب
ألستَ ترى « الخبابى » واقيات ... وهنّ أذل من غار الضِّباب ؟
وما شرفُ الفتى وقد استنامتْ ... جوانحُه إلى مثوى الهوابى (٦)
لنا ماضٍ نسيناه فضِعْنا ... ضياعَ التبر فى جوف التراب
لقد كنّا ، وكنا ، ثم كنا ... أداة الفتك من ظُفر وناب

(١) المهاب بفتح الميم ، هو المكان الذى يكثر فيه التهيب والخوف . وإفاقة الدكتور أبى شادى تستحق التنويه ، فقد سقطت قنبلة على بعد خمسمائة متر من داره ولم يصب بسوء . وتلك أول مرة تظهر فيها كرامة « أبولون » ! ! (٢) القلاب ، بضم القاف ، داء يصيب القلب

(٣) العقاب ، بضم العين ، طائر من الجوارح

(٤) القساورة : الأسود

(٥) هو المهندس الأديب عبد القوى أحمد باشا وزير الوقاية المدنية

(٦) الهوابى : أتربة القبور

ركزنا الرعبَ فى مهج الضوارى   فكيف تروزنا مهجُ الذئاب ؟
لوادينا القوىِّ عنت وجوهٌ   عززن بالانتساب والاكتساب
ألمْ ندفِنْ بِوادينا قُرُوماً
أرادوا الشرب من أمواه (حابى) (1)
فكيف نكولُنا عن ردع قوم   لئام البنى منكودى الإصاب (2)
هُمُ ظنوا الكنانة زاد يوم   كظن النمل فى نسف الهضاب
فإن فازوا فسوف نكون منهم   مكان البحر من لهب الضوابى (3)
وسوف نظل نحن ـ كما فُطرنا ـ   أباةَ الضيمِ أحرار الرقاب
عركنا الدهر جيلاً بعد جيل   وكابدْنا الألوف من الصعاب
فما هُنَّا على الأقدار يوماً   ولا أمست بوارقنا نوابى (4)
ألم نشرقْ على الشرق المعنَّى   فندفع عنه آصار الضباب ؟ (5)
بنا وثقت شعوب لم تواجِهْ   بروق الغرب إلا فى ارتياب
بنا استهدت بصائرُ لم تَرُضْها   خداعاً بالمواعيد الكذاب
كدأبكم وقد رانت نُهاكمْ   على ستر الخيانة بالخلابِ (6)
أكان العلمُ فى عالى سناه   ذريعةَ الاسترقاق والاستلاب
أرونى . مِنَّةً أسلفتُموها   بلا نهبٍ يرادُ ولا اغتصاب
طلائعَ كان علمُكمُ ليومٍ   يهونُ بجنبه يومُ الحساب
ولم يكُ علمُنا إلا نظيراً   لضوء الشمس يزهد فى الثواب
أأنتمْ تُفتنون بما ملكتمْ   من العدد النذيرةِ بالخراب
ولا تُزْهَى بآراء صحاح   هى المنشود من فصل الخطاب
فإن تخلد مآثرنا وتسلم   على التاريخ من شُبَهِ المَعاب
فذاك لأنها آثار قومٍ   كرامِ الروح أطهارِ الإهاب
لنا الخلدُ الذى لن ترزقوهُ   ولو أوتيتمُ ملك السحاب
نخبُّوا فى المطامع كيف شئتمْ
وخوضوا القاتمات من العقاب (7)
ورُودوا الأرض فى شرقٍ وغربٍ
بكبرِ الليث أو زهوِ الغراب

وصولوا آثمين بنار حربٍ   تحيل الزهرات إلى يَباب (1)
فسوف تُرَوْنَ بعد مدًى قصيرٍ   فرائسَ للمحاقِ وللذهاب

* * *

بأهل اسكندرية بعض ما بى   من الأحزان للثغر المصاب
أتلكَ قيامةٌ قامت فدكَّت
حصون البأس من تلك الطوابى (2) ؟
فمن كهلٍ سديد الرأى يُعمى   لوقعِ الهولِ مفقودَ الصواب
ومن رشأٍ تُصيِّرُهُ الرزايا
وقيذَ الشيب فى شرخ الشباب (3)
ومن عذراء يلفظها حِماها   فتخرجُ للبلاء بلا نقاب
قوارعُ لم تقعْ إلا بأرضٍ   يقارعُ أهلها وقدَ الحرابِ (4)
فما آثامُ أهلِ (الثغر) حتى   يُشنَّ عليهمُ ويلُ العذاب ؟
مضت زُمَرٌ إلى الأرياف منهم   مُضِىَّ الأُسْد من غاب لغاب
فكيف استقبلوا ـ بعدار تفاه ـ   جشيبَ العيش فى تلك الشعاب ؟
أمِن بعد الحشايا ناعمات   يكون بساطهم متن التراب ؟
إلى جلواتهم فى الصيف كانت   تزفُّ أطايبُ الحسن اللُّباب
وفى داراتهم كان التنادى
إلى الصَّبوات فى الشط الرغاب (5)
فكيف مضوْا حيارَى لم يثوبوا   إلى زادٍ يعدُّ ولا ثياب ؟
وكيف غدوْا بهذا الصيفِ صرعَى
لمشئوم الشتاتِ والاغتراب ؟
كذاك العيشُ بؤس بعد لين   وشهدٌ يستقى من بعد صاب
ومن عشق السلافة فى صفاها   أحب لحبها رنق الصُّباب (6)

* * *

عروسَ البحر ، نسرف إن رأينا
حياتك فى المزاح وفى اللِّعاب (7)
وكيف وفى معاهدك الخوالى   تسابقت العقول إلى الوثاب ؟
بكل محلة وبكل أرض   مآثر منكِ طيبة النصاب (8)

(1) حابى هو اسم النيل عند قدماء المصريين ، والحابى هو الوهاب
(2) الإصاب مصدر أصاب ، كالإقام مصدر أقام وفيه إعلال بالحذف
(3) الضوابى : النيران (4) البوارق : السيوف
(5) الآصار : الأثقال
(6) الخلاب بالكسر ، هو الخداع
(7) العقاب جمع عقبة بالتحريك وهى الطريق الصعب فى الجبل

(1) اليباب : الخراب
(2) الطوابى : القلاع ، وهى كلة تركية الأصل
(3) الوقيذ : المطعون
(4) الحراب : المحاربة
(5) الرغاب ، بفتح الراء ، الفسيح
(6) الصباب ، بضم الصاد ، بقية الكأس ، والرنق : الكدر
(7) اللعاب : الملاعبة (8) النصاب : الأصل

وما روما وآثينا إذا ما تبارى الفاخرون بالانتساب ؟
منار العقل كنت بلا امتراء ونار القلب كنت بلا ارتياب
بكى التاريخ من عهد لعهد
مصاب العلم فى (دار الكتاب)[١]
فهل كانت بدائمها لقوم أجانب عن مرابعك الرحابِ ؟
بَنَاكِ أُسكندَرٌ فيما يَنْبَاهُ كذلك قِيل رَجماً بالمغابِ[٢]
ولو أَصغى أُولو الألباب يوماً لِهَمس الوحى فى تلك الرَّوابى
لَآمَنَ فِتيةٌ منهم برأى يَخالُكِ صادقاً « بِكرَ العُباب »
وهل « ڤِينوسُ » عندَ مُربّيها
سوى « راقودَ » فى أحلام « حابى » ؟[٣]
لِـ « كِيمى » أنت، يادارَ التنادى إلى الهيجاء أودارَ التصابى[٤]
لِـ « كِيمى » أنت من أيام نوح توارثك أُبٌ عن خير آب[٥]

* * *

مَضى عهدُ القياصر فى أنزعاج بأرضِ اسكندريةَ وأنقلاب
بلادٌ لم تكن إلّا مُجالاً لِشبُوب الصِّيال والاحتراب
بجمْر الثورة الحمراء يُغذَى بَنوها لا بزاد أو شرابِ
وجاء الفتحُ فانقادوا لقومٍ مساكنهم بصهوات العراب[٦]
هوَ الإسلامُ طَهّرهم فأضحَوْا
كماء المزْن فى شُعَب اللِّصاب[٧]
فهل يَدرى المؤرخُ كيف صاروا
طلائعَ للجهادِ وللغلابِ ؟
عليهمْ عول الإسلامُ فيما أرادَ من المغاربة الصِّلاب
فأمّوا الغربَ يحرسهم تقاهم وقد مشت الملائك فى الركاب
وحلوا عادلين به كراماً حلول الغيث بالبقع الجداب
فلما أنْ هوت شمس المعالى بأندلسٍ ولاذتْ بالحجاب
تقاطر أهلها يبنون حصناً يقيهم شر أيام التباب
إلى جفن الحمى بالثغر عادوا كما عاد الجراز إلى القراب[١]

* * *

أتاريخاً يحبّره قصيدى لماضى « الثغر » فى عهد الشباب ؟
وما الشمس المضيئة إن حكتها لرائيها خيوط من لعاب ؟[٢]

* * *

عليك اسكندرية أجّ حزنى فطار تجلدى وهوى صوابى[٣]
إذا فكرت فيك غلت دمائى وآذن جمر حقدى بالتهاب
ألا سيف أجرده وأمضى لأدفع عنك عادية الذئاب ؟
ألا جيش قوى البطش ضار يذيق عداك أكواب العذاب ؟
سأصمت كارهاً، والصمت حيناً يعدّ من البراعة فى الجواب

زكى مبارك

---

(١) دار الكتاب هى مكتبة الاسكندرية المشهورة فى التاريخ

(٢) المغاب هو الغيب ، ومعناه الظن والتخمين

(٣) يريد الشاعر أن يقول : إن الأسكندرية كانت موجودة قبل الأسكندر بأزمان طوال ، وإنما سمى أحد أحيائها باسمه ، فغلبت التسمية على مر الزمان ، واسمها القديم راقود . وهنا التفت الشاعر لفتة خيالية ، فجعل « راقود » نظيرة « فينوس » و « فينوس » هى ربة الجمال عند القدماء وقد ولدت على شاطئ البحر ، وكذلك ولدت « راقود » ، وذلك معنى قوله : إنها « بكر العباب » . ومن المؤكد أن « راقود » هي أقدم المدائن البحرية ، لأن طبيعة ذلك المكان من شواطئ مصر توجب أن يكون أهلا للحضارة والعمران

(٤) « كيمى » هو اسم مصر عند أهلها القدماء ، وكيمى معناه السواد ، وسميت « كيمى » لغلبة هذا اللون على أرضها ، ومن كيمى جاءت لفظة « الكيمياء » لشهرة المصريين بالتفوق في الاختبارات الكيميائية

(٥) « الآب » ، بالمد ، هو : « الأب » ؛ وهذا المد جاء لعلة صرفية هي تعويض الحرف المحذوف وهو الواو ، وهو يعوض فى لغة التخاطب بتضعيف الباء ؛ فقول النصارى « باسم الآب » صحيح من الوجهة اللغوية

(٦) « العراب » : الخيل العربية ، ومساكن العرب فى أيام بأسهم كانت بصهوات الخيل

(٧) « اللصاب » جمع لصب ، بكسر اللام ، وهو الشعب الضيق فى الجبل ، وهو يحفظ الماء من الأقذاء

---

(١) الجراز ، بالضم ، هو السيف القاطع ، والشاعر يشير إلى حقيقة تاريخية ، وهى أن فريقاً من الجيش الذى فتح أفريقية ثم دخل الأندلس كان من الأسكندرية ، فلما غاب نجم الاندلس لاذ كثير من أهلها بالأسكندرية ، فكثير من العائلات بالثغر يرجعون إلى أصول أندلسية ومغربية ، وذلك سر الفراسة الغالبة على طباع الأسكندريين

(٢) لعاب الشمس شعاع ينحدر من السماء عند الظهيرة ، والتاريخ لا يصور الحقائق إلا بمقدار ما يصور اللعاب حقيقة الشمس

(٣) أج الحزن : استعر واضطرم

من الأدب الحضرمى

ابن شهاب العلوى

للأستاذ على عبود العلوى

[السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى شخصية بارزة في سماء الأدب الحضرمى تألق نجمها من أواخر القرن الثالث عشر الهجرى إلى أوائل العقد الخامس من الرابع عشر

وقد تزعم الحركة الأدبية بحضرموت وهو لم يتجاوز العقد الثانى من العمر ونهض بحضرموت فى عالم الأدب بعد أن كان حظها من النهوض فيه قليلا

ولئن تغلبت عليه الناحية العلمية فاستأثرت منه بالتفكير وقطعت من حياته جزءاً عظيما فى التأليف ، وأرغمته أن يترك لنا ذخيرة فى العلم وثروة كبيرة جليلة القدار تقارب الثلاثين مؤلفاً ، فأشهد أنه فوق هذا كان الأديب بالطبع ، والأدب سلوته الوحيدة وثروته التى لا تنفد ، ورأس ماله العظيم

ولو وجد فى بيئة شاعرة لكان منه أديب كبير نفاخر به العالم

قرأت ديوانه منذ ثلاث سنوات وعلقت عليه مذكرات يصح أن يستقل بها كتاب خاص وهذه الكلمة من إحدى فصوله

زار ابن شهاب مصر والعالم العربى والاسلامى عام ١٣٠٣هـ وألمه جو مصر بست عشرة قصيدة

ولد الشهاب العلوى بحضرموت سنة ١٢٦٢ هـ وتوفى بحيدر أباد دكهن بالهند فى ٢٩ / ١٢ / ١٩٢٢ الموافق ١٠ / ٥ / ١٣٤١هـ]

البيئة المحافظة وحياة الشاعر :

قضى الأمر ولات مفر أن ينشأ شاعرنا فى البيئة المحافظة وهو الشاعر . والشاعرية ثورة نفسية تطمح لتحطيم القيود ، وتجنح إلى إرضاء النفس واتساع العاطفة ، وتميل إلى التغنى بمحاسن الجمال ، وتخفق أجنحتها حينما ترى الوسامة والصباحة فى القد السمهرى تخطر فى كوكبنا الأرضى ، كالنجوم تتلألأ فى السماء !

ولكن يحول دون ورود مناهل هذه الرياض ذات الأريج المنعش ما سنته أحلام الفلاسفة وفرضته الأديان وأقره العرف واصطلحت عليه الإنسانية منذ عصورها الأولى فورثته لنا أجيالها القديمة حتى صار من الأسس المقررة التى لا يمكن الخروج عليها دون أن تثور ثائرة الرأى العام وتقوم بصخبها العظيم تجاه النفوس الحساسة الرقيقة

ولئن كانت فى هـذه الثورة نوازع إنسانية كثيرة جديرة بالإكبار والإعجاب ، فإن فيها من الشطط والإجحاف بحقوق العالم الروحى شيئاً كثيراً ، لا سيما وأن المجتمع الحضرمى كغيره من مجتمعات بنى الدنيا ، قد أضافوا إلى القيود التى يرتضيها العقل والدين والعلم قيوداً أخرى لا تمت إلى الإصلاح بشئ

اللهم إلا إن كان جانب الإصلاح فيها ضئيلاً . وعلى كل فلن يقاس بالجانب العظيم الذى فقدناه من جراء كتم العواطف عند ذوى الإحساس المرهف ، القادرين على التعبير عما تجيش به نفوسهم .

وإذا كانت هذه الأوبئة الطفيلية تتهادى بها الأمم ، وتنتقل منها ولو إلى قطر بعيد كحضرموت قلّ من يقصده بالزيارة من بين الأقطار العربية والإسلامية بله الأقطار الأجنبية .

فإن حضرموت فوق ما سرى إليها من العدوى بيئة عربية إسلامية صوفية ، بلغت المثل الأعلى فى تطبيق القول بالعمل ، حتى كأنها المعنية بقول الشاعر :

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهمُ من جميع الناس إنسانا

فى هذه البيئة نشأ شاعرنا الشهاب العلوى ، وجاشت نفسه بالشعر وهو فى سن المراهقة ، فتغنى وأغنى الشعب الحضرمى بالشعر الغنائى الوجدانى ، وذاعت شهرته فى النوادى الحضرية ، وفى المجتمع الحضرمى على اختلاف طبقاته ، لأنه كان يقول الشعر وهو فى هذه السن المبكرة بلغة حضرموت الدارجة ، وبأوزانها الشعرية مما يدعونه بالشعر الحمينى ، أى غير الشعر المعرب ذى الأوزان العروضية الخليلية

والشعر الحمينى قد يكون مرسل القافية كما يكون رباعياً ،

وأحياناً ثنائياً بلا نغم مردد ، وإما ثائياً بالنغم المردد[1]

فاضت نفس شاعرنا بالشعر الحيني وملأت به الجو الحضري

ولـكنها بعد ذلك سمت إلى أن تساهم في النصيب العربي الخالد ، وأن ترد المنهل الـكبير منه ، وأن تشاطر في المثل السامي الذي اتخذته العروبة لها نبراساً تستضيء به معالمها الشعرية

وليس من الصعب على نفس شاعرة بطبيعتها ألا تهتدي إلى ينابيعه العذبة ، ولـكن من الصعب علينا نحن أن نتبين تاريخ الدور الذي جنحت إليه نفس شاعرنا بالضبط ، لأن ديوانه قد خلا من إثبات أشعاره وهو في دور العقد الثاني وأوائل العقد الثالث ؛ وكل ما نعرفه عن مقدرته الشعرية في هذا الدور تلك الأرجوزة التي نظمها في علم الفرائض ، وضمنها كل ما يحتويه الفن إجابة لاقتراح أحد مشائخه عليه[1] ، والتي يقول في مطلعها :

لله حمدي وارث الأرض المتين ومن عليها وهو خير الوارثين

وفي ختامها يقول :

فاصفح وأصلح ما بها من الغلط فقد أتى: من ذا الذي ما ساء قط

وعذر من لم يبلغ العشرينا يقبل عند النـاس أجمعينا

أو قصيدته التي امتدح بها شريف مكة الشريف عبد الله باشا ابن عون الحسيني وعمره إذ ذاك ٢٤ سنة ، قال :

حي الحيا حياً به حلت سُما ومنازلاً خطرت بهن وأربما

وهمت على الوادي الذي سكنت به ديم تغادره أنيقاً ممـــرعا

---

(١) الأنغام الحضرمية ليست لها دائرة علمية تنظمها وإنما ترد إلينا تباعا من أماكن عديدة بحضرموت كوادي حجر بن دغار — ولوادي حجر ابن دغار في تاريخ حضرموت القديمة مكانة معروفة في التاريخ ليس هنا موضع ذكرها — وترد إلينا من منحدر وادي حضرموت الشرقي ويسمونه الغناء الحدري ومن غير هذه الأماكن

وجل الغناء الشعبي بدوي اللهجة ولـكنه يكهرب الحضرمي ويبعث فيه السرور والنشوة ويوقظ فيه الحمية والأريحية والنجدة

لم أهتم بدراسة الموسيقى — الأنغام — الحضرمية عند ما كنت بحضرموت ، ولو قصدت لما استطعت لأني أجهل علم الموسيقى ، وإنما الذي يعنيني أن أقوله : هو أن أساتذة الأنغام كما سمعت عنهم : كثيراً ما يهيمون في الجبال والأودية يترقبون الوحي وهم في العزلة حتى يفتح الله عليهم أو تلهمهم آلهة الشعر ما تصبو إليه نفوسهم فيعودون إلى أهلهم وأقاربهم وهم ثملون بما اكتنفوه من آيات الفن الغنائي وقد توجوه بما تجيش به نفوسهم الشاعرة من الشعر ليتغنوا به وليذيعوه ما بين الشعب الحضرمي

وما هي إلا أيام قلائل حتى ينتقل من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ومن واد إلى آخر حتى تتغنى به حضرموت كلها، ولا يقتصر التغني به على عامة الشعب بل تزدان به مجالس الطبقة المتنورة ويتهافت سراة القوم وأرباب الأدب على القول فيه ، والفرق بين القول والقول هو ما تنتجه القرائح المثقفة والتي لم يكن لها نصيب من التثقيف

شهدت حفلة زواج لأحد سراة العلويين وأدبائهم سنة ١٣٤٠ هـ — هو السيد العلامة الأديب المرحوم الحسن بن عبد الله السكاف العلوي المتوفى بتريم سـنة ١٣٤٦ هـ وعائلة آل السكاف إحدي العائلات العلوية المشهورة بالثروة والغنى وحب الاصلاح — وفي الليلة الثالثة من حفلة الزواج كانت حفلة سمر حضرتها كما شهدها بعض أقرباء العروسين وغيرهم ، وكان يقيم عند السيد السكاف مغن رخيم الصوت حسن الغناء ، وبعد أن قدمت أنواع المرطبات بمختلف أجناسها استدعى السيد المذكور المغني واقترح عليه الغناء بأحد الأنغام الحضرمية وأخذ يملي عليه الأبيات تلو الأبيات وما انقطع عن قول الشعر إلا بعد أن استأذن للانصراف . ومما أريد أن أقوله للدلالة على الفوارق الأدبية والتي لم يكن لها حظ منه ، أو كان لها حظ منه ولكنه قليل، أن أحد أقرباء العروسين غاب من المجلس هو وابن خاله . وفي أثناء غيبتهما قدمت أصناف للأكولات ، وبعد عودتهما علم قريب العروسين بما لم يرزقه الحظ أن يناله فقال مخاطباً السيد السكاف :

يَا عمِّى حَسَنْ قُمْ هَاتْ قِسْمِى مِنْ عِنْدِ الحبائِب قِدْهْ مَسْمِىْ لِى مَطْرُوحْ طَالِعْ وَسْطِ لِصْحَانْ صُبِّىْ يَا مَطَرْ وَالرَّعِدْ حُنَّانْ تخميس

فأجابه السري السقاف : رُوْعَكْ قَدْ بَدَرْ وَالوَشِرْ ، مِرْمِيْ حَظَّكْ قَدْ قَصَرْ ، سَايَرَ تْ مَعْمِي بِنْ خَالَكْ عُمَرْ ، له قلب حيران... صبي يا مطر

ألفاظ الأبيات : الأصحان بمعنى الأطباق . روعك نصيبك . الوشر نشارة الحطب والكلمة مشتقة من وشر ولم يراعوا القاعدة في التصريف

(١) نظم السيد ابن شهاب الأرجوزة وعمره ١٨ سنة وشرحها فيما بعد بكتاب سماه : الفتوحات . وقد أكبر المنظومة والشرح علماء حضرموت واليمن وانتدب أحد أشراف اليمن وعلمائها فوضع عليها حاشية

ويقال : إن السيد ضمنها علم الفرائض ولم يغادر منه شاردة أو واردة إلا أشار إليها . ومن العجب أن يتهيأ له نظمها في ليلة واحدة . وكما أذكر أن أبياتها نحو ٣٠٠ بيت

ونص صـديقنا الأديب الشاعر صالح الحامد العلوي في مقال له : نشر عن ابن شهاب على أن المقترح لنظم الأرجوزة هو الامام العلامة كبير علماء حضرموت وعين أعيان مشايخ الصوفية السيد علي بن محمد ابن حسين الحبشي العلوي المتوفي بسيون يوم الاثنين ٢٠ / ٤ / ١٣٣٣ : وأنا أروي قوله بتحفظ : لما بين ميلاد السيد ابن الجليلين من تقارب في المدة فقد وجد ابن شهاب عام ١٢٦٢ هـ والامام الحبشي في ٢٤ شوال سنة ١٢٥٩ هـ . وإن لم تخني الذاكرة فإن المقترح لنظم الأرجوزة هو شيخه المؤرخ النسابة مفتي حضرموت السيد عبد الرحمن بن محمد المشهور العلوي الموجود بتريم ١٢٥٠ هـ والمتوفى بها ليلة السبت ١٦ / ٢ / ١٣٢٠ هـ

وسقى المهاد معاهداً بسفوحها … تختال جارات الصفا والمدعى
ديم أوانس صيدهن محرم … ليظلّلن فى تلك المحاجر رتّما
سود الذوائب والجلابب والعيـون القـاتلات متيما ومولما
من كل غانية بلطف حديثها … ودلالهـا تنثر الفؤادُ مقطما
يا ظبيـة البطحاء مهلاً إننى … بهواك ذو كلف سقيما موجما
هل تسمفين فداً لحسنك مهجتى … بالوصل ذاشنف بفيض الأدمما
واقضى لبانتــه لديك وزحزحى … عن وجهك الحسن الصبيح البرقما
حاشا لحسنك أن يكون محرماً … ولمثل وصلك أن يكون ممنما
تيهى فإنك فى الحسان مليكة … يأتين نحو حماك شمثاً خضما
وتمايلى بحلى محاسنك التى … لم تترك لسواك فيهـا مطمما
وتبخترى جذلاً فقد جاوزت من … جمع المفاخر والمكارم أجمعا
قمر البطاح خليفة الحرمين مو … لانا أبا شرف الشريف الأروعا

إلى آخر ما قال

ومن التألم ألا أشـير إشارة إجمالية إلى أن ابن شهاب فى هذا المهد لا يزال يتوثب للصعود، ولكنه مكبل بقيود الصنعة الزائفة :

حى الحيا حياً به حلت سما … ومنازلاً خطرت بهن وأربما

أو سود الذوائب … الذى مصدره التقليد المحض أو الإعجاب بما قال أبو الطيب :

من الجآذر فى زى الأعاريب … حمر الحلى والمطايا والجلابيب

والفتى الناهض لا بد أن يتحرر يوماً ما وأن يصبح حراً طليقاً ليتغنى بالشعر كما توحى به العاطفه، لا كما تريده الصناعة الزائفة. وفى الفصل الذى يتضمن الكلام على الأدوار التى اجتازت بها شاعرية شيخ حضرموت سترى ذلك

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر، فإن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ذكر عن أهل الجيل الماضى بأنهم كانوا لا يرون الشعر إلا مغالبة لسانية، ومساجلة كلامية، ولباقة منطق، وسرعة جواب وارتجال[1]

(١) ٨٩ من شعراء مصر

وكذلك قدر لابن شهاب أن يدخل فى شراك هذه الأحبولة الضيقة، فإن الشريف عبد الله ارتاب فى أن تكون القصيدة لشاعر حضرموت، وظن أنها مقولة على لسانه؛ لا سيما وقد شايعه على هذا الرأى أحد ندمائه، إذ أسر إليه فى المجلس بذلك فاقترح الشريف على شاعرنا أن يجيز البيت الآتى ليختبر بذلك قريحته :

صفى الوقت لا أبناء الزنا … ولمن يحسن ضرباً وغنى

ولا مناص لابن شهاب من أن يقيم الدليـل على شاعريته فيقول[1] :

وبنو الدهر كما قد مال ما … لوا إلى من كان منهم ذا غنى
قل أن يوجد منهم منصف … أنا قد جبت القرى والمدنا
وبلوت النـاس طراً فإذا … أكثر النـاس أرقاء الدنا
جانبوا الصدق الذى من قاله … بان إبريزاً إذا ما امتحنا
عزفت أنفسهم عن كل من … كان من أهل التسانى والثنا
وغدوا لم يرفعوا رأساً بمن … لمم الآداب كانت ديدنا

ذلك ذوق عصر نربأ بأنفسنا اليوم أن نقفو إثره أو نتبع خطواته. وما أدرى مقدار صحة الرواية التى نصت على الحكاية المذكورة، وإن كنت أعرف أنها دليل على انحطاط الذوق الأدبى والاجتماعى

يا ترى ماذا أريد أن أقول ؟!

أظننى أريد أن أقول : إن للسيد ابن شهاب كثيراً من الشعر الوجدانى الذى ماجت به عاطفة الشباب ودفعته به خصوبة النفس اليقظة الشاعرة التى يستهويها الجمال، والتغنى بمشاعر القلب والوجدان، ولـكن ظروف البيئة المثقفة بالروح الصوفية هى التى حرمتنا الاستفادة من شعر الغناء والوجدان.

ومن ناحية أخرى فإن العزلة التى استهوت حضرموت والتى لا تزال تستهويها إلى اليوم وصيرتها بمعزل بعيد عن الأخذ بوسائل النهوض وتنمية المعارف والثقافة، هى التى هيأت الفرصة

(١) ٢٤٧ من ديوانه

لأن ينتكص ابن شهاب فى آخر عمره عن نشر آثاره التى تحمل سورة الصبا ومطارح الفتون والفتوة .

ولو كانت لنا إذ ذاك مجلة أدبية أو صحيفة سياسية أو اجتماعية لما أمكن شاعرنا أن يتنازل عن بنات أفكاره ؛ ولأنه لو فعل لاستطعنا الوصول إلى أشعاره بلا أقل كلفة ولا عناء .

ولا تزال ترن فى أذنى سورة القصيدة التى أنشدنى إياها حفيد الشاعر الأديب السيد حسن بن عمر الشاطرى العلوى وذلك منذ سنوات وأنا بمجاوة .

نعم لا أزال أذكرها لاستحسانى إياها إذ ذاك وهى من الأشعار التى لم تثبت فى ديوانه (١)

وإذا كنت على ذكرى لإعجابى بالقصيدة فإنى لا أعرف الأسباب التى حالت بينى وطلب نسخة منها من صديقى الأديب لاحتفظ بهـا مع المذكرات التى جمعتها فى تاريخ حضرموت .

لا أريد أن أحجم عن أن أبين الغرض المقصود من ذلك أن السيد ابن شهاب كما ذكرت فى جملة التعريف به أكبر شخصية تزعمت النهضة الأدبية فى عصره الحضرى . ومن كانت له هذه المكانة السامية جدير بأن تمطينا المعلومات الكافية عنه من كل الجهات ، وأن نتعرف إليه وهو فى سن الصبا كما نتعرف إليه وهو يافع وفتى و كهل لأن التعرف به هو التعرف إلى الأدب الحضرى فى الصميم

ودراسة الأدب الحضرى هى دراسة البيئة الحضرمية بما لها من مكانة علمية وأدبية وما فيها من عادات وأخلاق وميول ومشارب واصطلاحات وروح فكرية وصوفية

وهـذه كلها قيم تاريخية جديرة باعتبارها فى المكان الأول فى تاريخ حضرموت الأدبى ، والبيئة المحافظة تقيس الآداب والفنون بمعيار علم الأخلاق .

علي عبود العلوى

(١) فى افتتاحية الديوان ما نصه :

« هذا ما أذن بنشره العلامة المصقع البليغ المتفنن السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى الحسينى من شعره بعد عرضه عليه وتنقيحه لأكثره دون ما لم يأذن فيه أو استولت عليه أيدي الضياع من قبل فان له شعراً كثيراً ذهب مع الأيام » صحيفة ١٠٧

من تراثنا الأدبي

ما ألف عن النساء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب ، فنقضنا الأحاديث نقضاً ، ثم ملنا إلى ذكر النساء وأخبارهن ، والعرب وآرائها فيهن ؛ وكان في المجلس متأدب فجّ العلم ، أخذ اللغة عن الأعاجم وتخرّج على طرائقهم ونهج مناهجهم ، ونحا في تفكيره منحى لا استقامة فيه . فذهب إلى استخفاف العرب بالنساء ، وادعى أنهم لم يحفلوهن ولم يخصوهن بالتآليف ، أو يفردوا لهن التصانيف ؛ ودعم زعمه هذا بأقوال باردة لبعض المستشرقين

وقد أردت تتبّع هذا الزعم البارد ... لتبيان طرافة جهل هذه الفئة ، وضيق علمها ، وأفَن رأيها ، وسخف دعواها ؛ واستقرأت تراث الإسلام والعرب الزاهر ، فإذا فيه تآليف حسان وتصانيف مِلاح خصّوها بالنساء ، وجلّوا فيها عن أسرار خفيّات وأخبار مكنونات ، ولم يدعوا أمراً أدركوا صلته بهن إلا تكلموا عليه وبحثوا فيه

وليت أن هذا التراث العربي كان قد سلم ... إذن لرأينا من أخبار النساء كل معجب مطرب ... ولوجدنا فيه سيرهن وأحاديثهن وأسرارهن منذ الجاهلية حتى عصور الانحطاط :

١ — فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة ، منها : كتاب « الموءودات » لهشام بن محمد ... بن الكلبي النسابة الأخباري(١) ، وكتاب « المعروفات من نساء قريش » له أيضاً ، وكتاب « المردفات من قريش » ألفه علي بن محمد المدائني المحدث المتكلم(٢) ، وكتاب « بغايا قريش في الجاهلية » ألفه الهيثم بن عدي الراوية الأديب الأخباري(٣) ... وغيرهما

(١) مات سنة ٢٠٦ أنظر أخباره في فهرست ابن النديم . ومعجم الأدباء ج ١٩ (دار المأمون)

(٢) ولد سنة ١٣٥ مات سنة ٢٢٥ . أنظر الفهرست ومعجم الأدباء ج ١٤

(٣) مات حوالى سنة ٢٠٨هـ . أنظر وفيات الأعيان ج ٢ . ومعجم الأدباء ج ٤

٢ — ثم خصوا نساء النبي وأمهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يُحصى ، منها : كتاب « أمهات النبي » للمدائني الذي مر ذكره ، وكتاب « أزواج النبي » لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية ، وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً(١) ، وكتاب « أزواج النبي » لابن الكلبي ... وآخر مثله للواقدي محمد بن عمرو المؤرخ الإخباري(٢) ، ثم كتاب « بنات النبي وأزواجه » ، لأحمد الرقي الراوية الحفظة الثقة ذي التآليف الكثيرة(٣)

٣ — وتكلموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والمُلك في كتب شتى . منها كتاب « أمهات السبعة من قريش » لمحمد بن حبيب ، وكان من علماء بغداد ومهرة مؤدبيها(٤) وكتاب « أمهات الخلفاء » لابن الكلبي . وكتاب « من تزوج من نساء الخلفاء » للمدائني ... وغيرها

٤ — ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة ، تعرّضوا فيها إلى أحوالهن ومعايشهن وطبائعهن وما يعجبن به أو يصدفن عنه وما قيل فيهن وروى عنهن . فقد ألف الجاحظ كتاباً أفرده على النساء وما يتصل بهن ، وألف الهيثم بن عدي « كتاب النساء » ، وصنّف هارون بن علي المنجم الأديب الشاعر الراوية النديم(٥) كتابه في « أخبار النساء » ، وألف المدائني كتاباً في « أخبار النساء » أيضاً . وكان للرقي كتاب في النساء ، ولإبراهيم ابن القاسم الكاتب القيرواني الشاعر الرقيق(٦) كتاب « النساء » قال عنه ياقوت « إنه كبير » . ولابن قتيبة العالم المؤرخ الأديب كتاب (النساء)(٧) ، ومحمد بن خلف بن المرزبان كتاب (النساء والغزل)(٨)

٥ — ثم ألفوا في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن ، فأبانوا عن أحوالهن الدينية في كتب مختلفة منها كتاب (الحيض)

(١) مات سنة ٣٦٢ . أنظر معجم الأدباء ج ١٨

(٢) أنظر وفيات الأعيان ج ٢

(٣) أنظر أخباره في الصفدي ٢ . ق ٣ — معجم الأدباء ج ٤

(٤) مات سنة ٢٤٥ . أنظر معجم الأدباء ج ١٨

(٥) توفي سنة ٢٨٨ . أنظر بغية الوعاة للسيوطي ومعجم الأدباء ج ١٨

(٦) مات سنة ٤٠٠ . أنظر ياقوت الجزء الأول

(٧) الفهرست ص ٧٧

(٨) المصدر السابق ص ١٥٠

للقاسم بن سلام (أمام أهل عصره فى كل فن من العلم)[١] كما ذكر ياقوت . وكتاب (العدة) و (الرضاع) و (الطلاق) و (الشغار)[٢] لمحمد بن إدريس الشافعى[٣]

٦ — وقد أفردوا للتزين والتجمل والتحلى كتباً كثيرة ، ذلك لأنها أمور ذات شأن عند النساء ؛ فألف أحمد بن سعد أبو الحسين ، الكاتب الشاعر[٤] كتاب (الثياب والحلى) ، وصنف أحمد بن فارس اللغوى[٥] كتاباً مثله . وجمع الرقى أصول (الزينة) و (التزين) فى كتابين . وألف إسحاق بن إبرهيم الموصلى وغيره كتباً فى (الرقص والزفن) . ولم يقنعوا بذلك بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فألف على بن محمد الظاهرى الميكالى الأديب الفاكه[٦] كتاب (نخر المشط على المرآة)

٧ — ورأوا أن الظرف أحلى خصائص المرأة ، فألف محمد بن أحمد أبو الطيب النحوى[٧] وكان من أهل الأدب ، كتاب (المتظرفات) . وألف أحمد بن أبى طاهر أحد البلغاء الشعراء الرواة كتاباً مثله ؛ وصنف الرقى كتاب : (المحبوبات والمكروهات) . وكان للمفجع الشاعر الشيعى[٨] كتاب : (عرائس المجالس) . وكان هذا شاعراً حلواً . قال عنه الثعالبى : (شعره قليل ولكنه كثير الحلاوة) . ثم ألفوا فيما يجب أن تكون عليه النساء ، وشروط عشرتهن من الرفق والرحمة والقسوة والغلظة ، ومن ذلك كتاب الشافعى فى (عشرة النساء)

٨ — ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة فى دورهن وصلتهن

(١) مات سنة ٢٢٤ . أنظر ياقوت جـ ١٦ ، التذكرة ج ٢ ، الوفيات جـ ١

(٢) جاء فى الصحاح : « الشغار بالكسر نكاح كان فى الجاهلية ، وهو أن يقول الرجل لآخر : زوجنى ابنتك أو أختك على أن أزوجك ابنتى أو أختى . . . وفى الحديث (لا شغار في الاسلام) . . . »

(٣) ولد سنة ١٥٠ مات سنة ٢٠٤

(٤) أنظر أخباره فى ياقوت جـ ٣

(٥) مات سنة ٣٦٩هـ . أنظر معجم الأدباء جـ ٤ ، نزهة الألباء

(٦) أنظر ياقوت جـ ١٤ ، وبغية الوعاة للسيوطى

(٧) مات سنة ٣٢٥ . ياقوت جـ ١٧ . نزهة الألباء

(٨) مات سنة ٣٢٧ . ياقوت جـ ١٧

بأزواجهن ، فألف الشافعى كتاب (أخلاق الزوجين) ، والمدائنى كتاب (من هجاها زوجها) ، و (من شكت زوجها) ، و (من مُيِّل عنها زوجها) ، و (من قتل عنها زوجها) ، و (من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته) . وألف خالد بن طليق الراوية النسابة كتاب (المتزوجات)[١]

٩ — ثم تطرفوا فألفوا فى علاقة الرجل الجنسية بزوجه ... وهذه التآليف وافرة ولا جدوى فى التنويه بها

١٠ — ثم ذهبوا إلى أبعد من هذا فخصوا الشذوذ الجنسى عند المرأة بكتب وتآليف منها : كتاب (السحق) ، وكتاب (البغاء) ، وكتاب (برحان وحباحب) ، وهو فى أخبار النساء والباه ... ألفها محمد بن حسان النملى أحد الكتاب الأدباء فى عهد المعتصم[٢] . ومنها كتاب (السحاقات والبغائين) لمحمد بن إسحق الصميرى أبو العنبس[٣] وكان أديباً مليحاً وهجاء لاذعاً

ولقد خصّ ابن النديم مسرداً لأسماء الكتب التى ألفت فى « الحبائب المتظرفات » ككتاب « ريحانة وقرنفل » ، وكتاب « رقية وخديجة » ، وكتاب « سكينة والرباب » ، وكتاب « سلمى وسعاد » ... وغيرها[٤]

١١ — وكما ألفوا فى أخبار السواقط وذوات الشذوذ ، فقد ألفوا فى الشواعر والنابهات والمواقل ؛ فهناك كتاب « أشعار النساء » لمحمد بن عمران المرزبانى[٥] الراوية الإخبارى ، وكتاب « المواقل » لابن الكلبى ... وغير ذلك

١٢ — ولقد عنوا أيضاً بأخبار القينات والجوارى والمغنيات والمسيمات والنوائح وأمهات الأولاد ، فكتب الجاحظ كتاباً عن (القيان) ، وألف اسحاق بن ابراهيم الموصلى كتاباً مثله . وكان للمدائنى كتاب فى (القينات) ، وآخر فى (المغنيات)

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٥

(٢) الفهرست — معجم الأدباء جـ ١٨

(٣) مات سنة ٢٧٥ . الفهرست — ياقوت جـ١٨

(٤) الفهرست ص ٣٠٧ (طبعة أوربا)

(٥) ولد سنة ٢٩٧ مات سنة ٣٨٤ . أنظر ياقوت جـ ١٨

زخرفة المساجد

للأستاذ الشيخ سيد رجب

كان الدكتور زكى مبارك قد كتب فى بعض أعداد (الرسالة) الغربية كلة من «شجون حديثه» يدعو بها إلى زخرفة المساجد وتنميقها، ذاهباً إلى أن هذا مما يرفه عن النفس بعد مشاغل العمل، ويهدئ الخاطر، ويلهم الروح، ويرغب فى المساجد، ويعين على العبادة! وذاهلاً - وهو مؤلف (التصوف الإسلامى) وإن كنا لم نره - عن أن العبادة الحق إنما تنبعث من نبع الإيمان فى القلب، ومن مثابة الهداية فى النفس، وتستلهم الروح لا المادة، وتتجه بحقيقتها المنوية إلى السماء لا إلى الأرض.

وهذه حقائق لا ينفع لإيجادها، ولا يغنى فى التسبب لها، أن نملأ الأرض - لا المساجد وحدها - بما يقترحه الدكتور من دُمى وتماثيل وتهاويل وتصاوير! بل إن كل أولئك لن يكون - إن وجد - إلا مشغلة للحس والوجدان والعقل، وصارفاً للنفس، فى موقفها الرهيب المظيم عما يجب أن تفرغ له من استغراق وتأمل ومناجاة. وهذا بعض ما من أجله صرحت النصوص الدينية بالنهى عن زخرفة المساجد وتنميقها.

ذهل الدكتور عن كل هذا، وأخذ - وهو الرجل الأزهرى رغم صبغته الجديدة - بما لا ينبغى أن يؤخذ مثله به، ولا أن يغلط فى حقيقته! فلما قام فقيه فى المسألة برجْمه إلى الصواب، وإرشاده للحق، استنكف ذلك وكبر عليه، وأخذته العزة بنفسه، فلم يرض لها أن تخطئ، ولم يرض لها - إن هى أخطأت - أن يردها عن الخطأ ناصح من المسلمين! والكلمة التى كتبت فى الرد عليه بغير توقيع، وفى مجلة لا شأن للوعظ والوعاظ بها؛ ولكن هذا لم يكن من مصلحة الدكتور أن يفكر فيه، وليس من شأنه أن يعرفه، فإنه عسىّ أن يفسد عليه ما قصد، وهو لا يقصد إلا الأزهر والأزهريين

وعلى هذه النية وهذا الأساس هاجم الدكتور الأزهر فى أشخاص الوعاظ، وأخم ذكرى الرجل الفاضل والمؤمن البار المرحوم الشيخ عبد ربه مفتاح فى حديثه، وعرض نفسه وعلمه وثقافته وفكره الحر الطليق على شباب الأزهر عامة، وكلية اللغة العربية خاصة، وسمى الدكتور ذلك كله «زخرفة المساجد»

بيد أن الدكتور قد عرض فى كلته الأولى، فى «الرسالة» الصادرة بتاريخ (٢٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠) لما نعود هو وأمثاله أن يلوذوا بحصنه كلما حزبهم الأمر فى ميدان من ميادين الخلق والعلم والدين، وهو المناداة بحرية الفكر، واصطناع

وثالث فى (أخبار عزة الميلاء)، ورابع فى (قيان الحجاز)، وخامس فى (قيان مكة)[1]. وكان لأبى الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى كتاب فى (الإماء الشواعر)، وللمفجّع الشاعر الشيعى كتاب فى (أشعار الجوارى) ولأحمد بن مطرّف القاضى المصرى[2] كتاب فى (النوائح)

وألف الطبرى المحدث الفقيه[3] كتاب أمهات الأولاد، وألف الشافعى كتاب (عتق أمهات الأولاد)

١٣ - ونضيف إلى ذلك فصولاً كثيرة مبعثرة فى كتب الأدب خصت بالنساء وأخبارهن وصفاتهن وأحوالهن، كالعقد الفريد لابن عبد ربه، ونهاية الأرب للنورى، وربيع الأبرار للزمخشرى، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وغير ذلك...

***

تلك جريدة بأسماء الكتب التى ألفت عن النساء وأحاط بها علمى؛ ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها فلم أذكرها ولم أعلم بها[1]

أفبعد ذلك كله - وإن قلّ - تقولون إن العرب لم يحفلوا بالنساء ولم يؤلفوا فى أخبارهن...؟

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) الفهرست ص ١٠٢ و ١٤٨

(٢) أنظر أخباره فى ياقوت

(٣) أنظر ياقوت. ووفيات الأعيان

(١) لعل من القراء من يذكر لنا كتباً أخرى سهونا عنها ليستفيد أولئك الناس

الصراخ والعويل على ما يحاول رجال الدين الرجعيون الجامدون من حجر على العقل ، وتكبيل للرأى ، ومناوأة لهذه الحرية !! وتلك ناحية لا نحب أن يخلو حديثنا من الكلام فيها ، إحقاقاً للحق ، وإرشاداً للصواب ، وحرصاً على فائدة من تعوزه هذه الفائدة من القراء

وفى « الرسالة » التالية ، الصادرة بتاريخ (٤ من رجب) عرض الدكتور لحضرة النائب المحترم مفتش الوعظ ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز من أجل كلمة ألقاها فى مجلس النواب ، وهذه أيضاً لا نحب أن نتركها حتى نحاسب الدكتور عليها

حرية الفكر:

يظن بعض الناس أن الحرية هى التحلل من كل حرمة ، والانطلاق من كل قيد ، والخوض ما وسع المرء أن يخوض فى كل ما يسنح لخاطره ويستهوى نفسه ! فإن بصَّرهم ناصح بالصواب ، أو ذاد عن حقه المتعدَّى عليه ذو حق ، هب أولئك الناس فى وجهه ، يدقون طبول الحرب للدفاع عن الحرية المهضومة والفكر المقيد ، جاهلين أن حرية الناس — إلا من العبودية لخالقهم جل جلاله — هى أول عقيدة دعا إليها الرسل والأنبياء ، وأول مبدأ قام من أجله ذلك الصراع الطويل الهائل فى تاريخ البشرية بين الحق والباطل والسماء والأرض . وهل قدس كتاب أو شريعة أو أمة ، ما قدس القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وسلف الإسلام الصالح ، من هذه الحرية والدفاع عنها وتحقيقها فى النفوس وتقررها بين الناس ؟ ومَن أوْلى بأن يعرف هذا للكتاب والسنة وسلف الإسلام من أعلام الملة وجنود الدعوة ورجال الدين ؟ ؟

ولكنها الحرية بمعناها الحق ، وفى هيئتها التى برأها الله على سنته من الوزن والتقدير والإحكام ، ومراعاة للعدل والحق فى كل ما يبرأ وما يبدع ، فلا يتجاوز خلق حده ، ولا يخرج عن طوقه ، ولا يطغى شىء على شىء فى وجوده وكنهه ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

هذه الحرية الموزونة المقدرة التى لا تجهل ولا تظلم ولا تطغى ، هى الحرية التى يقرها ناموس الوجود ويعرفها العقل ويدعو إليها الدين ؛ وهى الحرية التى يطلبها الناس ويهيمون بها ويتفانون فى الدفاع عنها ، لأنهم يرون فيها قوام وجودهم وصلاح حياتهم ، وهو بعض ما من أجله أعزها الله ومكن لها تمكيناً ، فجعلها فطرة النفس وصبغة الخلق وحقيقة التوحيد

فهل سمع بهذا أو عرفه من قبل أولئك الذين يكثرون من تصنع الغيرة على الحرية والدفاع عنها ، ليبرروا بها كل مخزاة ، ويدَّرعوا بها عند كل طغيان ؟ !

هل علم هؤلاء — وهم لا يقفون الحرية إلا حيث تناوئ الدين والخلق وتقاليد الإسلام — أنهم بهذا يسيئون إليها ولا يحسنون ، ويهدمونها من حيث لا يشعرون ؟ !

إن علماء الدين — يا قوم — لا يمكن أن يكونوا أعداء الحرية ، لأن الحرية من صميم الدين ، ولكنهم أعداء الفوضى وأول هادميها ، وهذا واجبهم الذى لن يتخلوا عنه مهما لاقوا فى سبيله من أذى واعتداء

الرياء الاجتماعى

طالما وصف الدكتور زكى مبارك مخالفيه فى الرأى بهذا الوصف ، وعلى الأخص أثناء مناقشتهم إياه فى مسألة الأغنياء والفقراء ، وأسباب الفقر وأسباب الغنى ، مع أنهم كانوا يستمسكون بحق معروف لم نر لهم فيه مخالفاً من القراء ، وكان هو يدافع عن شاذ من الرأى لم يوافقه عليه أحد ؛ وقد ظل سادراً حتى أرسل إليه القراء يخيرونه بين اختفائه من الميدان الأدبى ، أو سكوته عن هذا الباطل ! فهل يسمح الدكتور أن نستعير منه هذا الوصف لنصف به تصنعه الدفاع عن مصر والإشفاق عليها من تلك النصيحة المخلصة التى أسداها فضيلة الأستاذ الشيخ دراز مفتش الوعظ إلى الأمة والحكومة فى مجلس النواب ؟ ! إننا لا نجد وصفاً أصدق منه لموقفك هذا يا دكتور . أيكون الأستاذ دراز متحاملاً على مصر وطاعناً فيها ، ومقرراً غير الحق حين يقول بلسان العالم المصلح والنائب الغيور ، ناصحاً أمته داعياً إلى الإصلاح فيها : « أصبحت هذه البلاد لا هى بالبلاد

إلى الأستاذ الزيات

محنة التعليم الالزامى

للأستاذ على عبد الله

كانت كلمتك يا سيدى عن هؤلاء الجنود المجهولين ، نفحة من نفحاتك المباركة ، ونظرة من نظراتك الصادقة ، أنصفت بها هؤلاء المظلومين المكدودين ، وذكرتهم حين لم يذكرهم ذاكر ، وقلت فيهم قالة الحق فى وقت بخلت عليهم فيه الوزارة بما يسد الرمق ، وحرمهم الناس حتى من كلمة طيبة ونظرة رحيمة !

وأشهد لقد وجدوا فى كلامك عنهم ورأيك فيهم أحسن العزاء ؛ وإن لهم فيه لغنية إذا بخلت الوزارة بالجزاء . وقد يجد المظلوم برد الراحة فى كلام من يرثى له أو يعطف عليه

وأشد ما أدهشنى من كلمتك أنها كانت على إيجازها أصدق وأوفى ما كتب فى هذا الموضوع منذ عرفته البلاد إلى اليوم ؛ فصورت العيوب والعلل ، وفرقت بين الجوهر والعرض ، ووازنت بين الماهية والكيفية ، وحددت المسؤولية ووضعتها فى موضعها ؛ وعرفت من أمر هذا النوع من التعليم ما لم يعرفه القائمون بأمره ، ولو عرفوا بعض ما عرفت لوجدوا إلى الصواب رسولاً ، ولاتخذوا مع هذا الرسول سبيلاً ...

ومن ألطف ما رأيته أنى مررت بمعلم يقرأ على بعض إخوانه ما كتبته (الرسالة) عنهم ؛ ولم يكن يقرأ من المجلة ، وإنما كان يقرأ من ذاكرته ، إذ كان قد حفظ المقال من شدة كلفه به ؛ وما انتهى من القراءة حتى انصرف إلى إخوانه يقول لهم : والله لو لم أكن معلماً إلزامياً لوددت أن أكون ذلك المعلم اليوم ! ولو لم أكن مظلوماً لتمنيت أن أكون مظلوماً ، لأن ما كتبه صاحب الرسالة أشهى عندى وأحب إلىّ من أن تنصفنى الوزارة أو ينصفنى الناس . وإن من الخير لى أن أكون مع هؤلاء المجهولين الذين ذكرتهم الرسالة بالخير ، من أن أكون مع المترفين المجدودين الذين غمرتهم الحكومة بالمال ...

إنك يا سيدى لم تدع لأحد بعد مقالك أن يقول شيئاً ؛

الدينية ، ولا هى بالبلاد اللادينية ، ولا هى بالبلد الشرقى ، ولا هى بالبلد الغربى ؛ وذلك ظاهر فى كل مظاهرها ، ليس فى الزى فقط ، ولكن فى الثقافة والخلق وكل ما يتصل بحياتنا الخلقية والاجتماعية » — ولا يكون الدكتور صائباً فى موقفه حين يرد هذا القول ويمارى فى الواقع الذى يشهد له ويؤيده ، ويقر الباطل والفساد فى الأمة ، متظاهراً بالدفاع المريب عنها ، والإشفاق المصطنع على سمعتها الدينية والأدبية ؟

فهل نأخذ من هذا أن الدكتور يقر ذلك الاختلاف والتناقض فى ثقافة الأمة وقوميتها وأصول اجتماعها وتمدد شرائعها وأزيائها ، وغير هذا مما أجمع المتصدون للاصلاح الاجتماعى على أنه شر ما نكبت به البلاد من بلاء يجب دفعه والتخلص منه أم ماذا يريد ؟

***

أما بعد ، فإن من أبدى صفحته للحق هلك ، ولقد أراد الدكتور زكى مبارك أن يدفع عن نفسه ما حسبه من بعض الناس عدواناً عليه فلم يستطع هذا إلا بأن يعتدى هو على نفسه مرتين : مرة بمجافاته الحق ، وأخرى بمحاولته التنيل من جماعة كبيرة كريمة كعلماء الوعظ والإرشاد ؛ وما منهم إلا يملك ما يملك الدكتور من قلم ولسان . فما أكثر فى الناس من يسىء لنفسه حين يريد أن يحسن إليها ، أكان ذلك دفاعاً عن نفسه ، أم كان توريطاً لها فى مأزق آخر تكون فيه أكثر ملامة وأثقل حملاً وأشد حاجة للدفاع ؟ وهل صان الدكتور بذلك أنفه الذى قام حامياً له ، أم حقق عليه المثل العربى الحكيم : « رب حام لأنفه وهو جادعه » ؟

نسأل الله أن يجنبنا مزالق الأقلام ، وفتنة اللسان والجنان ، وأن يعصمنا من خطل الرأى وضلال الهوى ، وأن يهدينا بفضله سواء السبيل

السيد رجب

واعظ القاهرة

ولكني أحب أن أؤيد ما ذكرته عن هؤلاء الجنود المكافحين، بما يدل على أنك كنت ملهماً تستشف الحقائق من وراء أستار الغيب!!

فمن ذلك أن أولياء الأمر أسرفوا في غبن هؤلاء المعلمين فخفضوا من مرتبهم جنيهاً كاملاً، وأصبح المعلم الجديد يتقاضى ثلاثة جنيهات بدلاً من أربعة؛ ثم جعلوا العلاوة الدورية نصف جنيه كل ثلاث سنوات. وزعمت الوزارة بهذا أنها استجابت لرغباتهم وحسّنت حالهم ووضعت لهم نظاماً للعلاوات: مع أن الجنيه الذي استقطع من رواتبهم الضئيلة أصبح لا ينال إلا بعد قضاء ست سنوات في الكفاح والشقاء...

وأنا أعرف معلمين قضوا في خدمة هذا التعليم أكثر من خمسة عشر عاما، ورافقوه وهو طفل في مهده وما تزال مرتباتهم أقل من خمسة جنيهات. وكان هؤلاء لا يعولون إلا أنفسهم؛ ولكنهم أصبحوا بعد هذه المدة الطويلة في عائلات يزيد أفراد كل منها على العشرة

أقول هذا وأنا أعلم أن في رجال التعليم الأولي من يبلغ مرتبه عشرة جنيهات وخمسة عشر وتسعة عشر، وعلة ذلك لا ترجع إلى تفاوت في الكفاية أو زيادة في العمل أو امتياز بالأقدمية؛ وإنما ترجع إلى ارتباك نظام التعليم الأولي وتعدد أنواعه ومدارسه وبرامجه ونظمه. فهناك مدارس أولية تابعة للوزارة، وأخرى تابعة لسكة الحديد، وثالثة تابعة لمجالس المديريات؛ ثم هناك شيء اسمه التعليم الأولي الراقي، والتعليم الأولي القديم، ومشروع التعليم الأولي، ثم التعليم الإلزامي، ومع أن الجميع يعلمون الأطفال ولا يزيد بعضهم على بعض شيئاً في العمل، فإن مرتباتهم تختلف كل الاختلاف حسب أسماء المدارس التي يعملون فيها. وقد أجازت الوزارة أخيراً أن ينتقل المعلمون من مدارسهم إلى المدارس الأخرى التي ليست من درجتها ولا من نوعها، واحتفظت لكل معلم بمرتبه ودرجته؛ وبذلك أصبح في المدرسة الواحدة من يتقاضى أربعة جنيهات ومن يتقاضى ثمانية. وقد يكون الأول أقدم من الثاني، كما قد يزيد مرتب المعلم على مرتب الرئيس

ومن غريب الأمور أن الوزارة قد أسرفت في التجني على رجال التعليم الإلزامي، فأصدرت منشوراً عاماً استبدلت فيه اسم المكاتب بالمدارس، وحرمت فيه على كل معلم أن يزعم لنفسه أنه يدرس في مدرسة، وإنما يجب أن يكون معلماً في مكتب عام. والمفهوم من هذا أنها استكثرت على هؤلاء البؤساء حتى الأسماء وتعمدت تحقيرهم، بينما هي أسلمت إليهم فلذات أكباد الأمة لإعداد الجيل الجديد منها

أما قبل تنفيذ قانون الإلزام، فقد شقي المعلمون بمحنة لم يسمع بمثلها الناس، وهي أن المعلمين الإلزاميين كانوا يكلفون بالمرور على بيوت الفلاحين وحقولهم في القرى، لمطاردة التلاميذ والقبض عليهم وإحضارهم إلى المدارس... فمن استطاع أن يملأ فصله فهو في أمن من العقوبة؛ أما الذي تنهاه كرامته عن التعرض لأذى الفلاحين وعدوانهم فهو مغضوب عليه، وقد يعرضه هذا للفصل من الخدمة

ومن بواعث الأسى أن أحد مديري الدقهلية الأسبقين دخل عليه معلم إلزامي في مظهر أنيق وسمات وسيمة، يرفع إليه ظلامة من الظلامات، فظنه الباشا واحداً من الكبراء في البلد، فأكرمه واحتفى به، ولكنه عرف في آخر الأمر أنه من الإلزاميين فشتمه وطرده، وأقسم أن يجرد جميع المعلمين من هذه الملابس التي يظهرون فيها بمظهر أهل النعمة؛ وبر الباشا بقسمه وساعده مفتشو المعارف اتقاء بطشه!

وصدرت الأوامر إلى جميع قوات البوليس والمباحث والخفر والعمد في البلاد بالتفتيش على المعلمين في المدارس والتبليغ عمن يوجد منهم غير متلبس بعمامة أو لابس قفطاناً...

ولم يكن للمفتشين من عمل في تلك الأيام إلا التفتيش على الجبب والقفاطين، لا على التربية والتعليم؛ وأصبح لبس العمامة عند الباشا من مؤهلات الترقية وزيادة المرتب، فلم يكن يرد لمعمم حاجة!

أقول هذا وأنا مشفق من أن أذكر كل ما أعرف، ولو شفعت نفسي بذكر الحقيقة المؤلمة، لأبكيت الناس وأضحكتهم، وأظهرت لهم أن التعليم الإلزامي إنما شقي بقادته وسادته، أولئك الذين يعيشون فيه وهم عنه غرباء، ويلقون المسئولية على المعلمين وهم منها أبرياء

«المنصورة» علي عبد الله

من رسائل الصيف

الدار المقدسة

[مهداة إلى الإنسان الشاعر . .]

للأستاذ عبد الحميد يونس

أخى إبراهيم ...

قرأتُ فيما قرأت أن هناك مرآة مسحورة لا ترى فيها نفسك فى لحظة من لحظات حاضرك أو فترة من فترات مستقبلك ، ولكنك تشاهد فيها شخصك فى برهة واحدة تختارها من ماضيك

وأنا الآن أتمنى كالأطفال أن أحصل على هذه المرآة ، وأن أركب فى هذا السبيل ما يركب أبطالُ الأساطير من أهوال ، فإن عبور البحر أهون من عبور الزمن إلى الوراء ، وملاقاة المجهول آلم من ملاقاة المعلوم ، واستعادة الذى كان معك ثم ضاع ، أشهى من حصولك على ما لا ترتقبه مما هو آت !...

ودعنى أسائل نفسى وقد تحققت أمنية المشوق على هذه المرآة « أى لحظة من لحظات ماضىّ أريد ؟ » ... هى هذه الومضة من ومضات صباى وقد ذهبت إلى بيتنا الجديد ، فلم أنظر إليه إلا بعد أن تمليت من البناء المواجه له ذى النوافذ الشبيهة بنوافذ المساجد ، وكنت أعلم أنه مقام صاحب النظرات والعبرات[1]

هذه الدار أيها الصديق أنفقت ما يقرب من خُمس قرن خلعتُ فيها صباى وساختْ شبابى ؛ دخلتها تسابقنى آمال عذاب ، وخرجت منها بذكريات أعذب !

وما أظنك نسيت البرج الذى كان يشبه أبراج المنائر حيث كنت أبشر بالطريقة الإشراقية التى تعلو على الناس وإن لم تنفصل عنهم ؛ وحيث خيَّلت إلى نفسى القدرة على مطاردة الأوهام والوساوس والكشف عن الترهات والأباطيل ؛ وحيث ظننتنى أستطيع هداية الضالين ، ولو كانوا من القرصان والمهربين ؛

وحيث رأيتنى أحارب إله الظلام ، فلا أكاد أصرعه حتى أراه يتسلل من الناحية الأخرى !

أو نسيت الغرفة الجرداء التى كنت أستقبل فيها وفود الفكر زمراً تعقبها زمر ، وأفراداً فى إثر أفراد ، والتى كنت أمثل فيها خاشعاً بين يدى الأنبياء والأولياء والقديسين ؟ وكيف تنساها وقد وسعت جمهورية أفلاطون وطوبى مور وجزيرة مكدوجال ؟

أما المقصورة ، فأنت لا تذكرها ، لأنها كانت المكان الحرام الذى مارست فيه فن الحياة ، ومهدت للقصائد التى هجت بها نفسى ولم تنفرج عنها شفتاى أو يسجلها قلمى ... وجمعت فيها بين الملائكة والشياطين ، ولقيت فيها «ليليت» وبناتها ، وتاييس فى انطلاقها وفى توبتها ، وأفروديت فى خلابتها ؛ وسمعت فيها أعذب اللثغات وأشهى الضحكات وأعمق الزفرات ... ! هنا ، أيها الصديق ، عجنت تجاربى ، واختزنت ذكرياتى ، وحبست أوهامى ... ! هنا أديت فرائض الشاعر وشعائر الحكيم !

***

والخزانة الصغيرة التى كانت وكأنها « باب جحا » لا تكاد تطلب منها شيئاً حتى تراه ؟ ... الخزانة الصغيرة النفيسة التى لم يكن خادمها موكلا بغذاء البطون ، وإنما كان مختصاً بغذاء العقول والقلوب ؟ ... لقد أخذتها معى ، فبطل السحر ، وبقيت الصحائف والرفوف !

وأنت ألم تجلس معى تحت هذا المصباح ؟ أنا موجود وأنت موجود ، والمصباح كذلك موجود ؛ ولكن « التغير » صيرنى شخصاً آخر ، وحولك إلى غيرك ، ونور المصباح فى عيوننا الآن ليس كما كان بالأمس !

واليوم أقتلع من هذه الدار المقدسة اقتلاعاً ، فكم رددت جدرانها صلواتى ، وسمعت ابتهالاتى ، ووعت حكمتى ، وحفظت قصائدى ! وكم انشقت سقوفها عن طيف ، وانفرجت نوافذها عن خيال ، وانفتحت أبوابها حتى لعدو !

ألا قل لهذه الدار المقدسة ألا تبوح بأسرار وجدانى إلا لصاحب وجدان ، وألا تطلع أحداً على خزائن تجاربى إلا إذا كان من زمرة الإشراقيين ، وألا تفتح كنوز ذكرياتى إلا لمن يصلح للقيام على البرج والمقصورة والمحراب !

(١) يقصد بيت المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى .



الشيخ عباس

أويت إلى مرقدى حين الظهيرة فلمحت العدد الأخير من مجلة الرسالة فأخذته آنس بمطالعة عناوينه إلى أن يُريح على النوم راحتى وجمامى ، ووقع بصرى على حديث أخى الدكتور زكى ذى الشجون والأشجان فسارعت إلى الفصل الذى عنوانه : (الشيخ عباس الجمل) أرجو أن أطلع فيه على بشرى أو فكاهة أو دعابة فقرأت ما روّعنى وأفزعنى وعزب بسرورى وراحتى وأقض مضجعى

قرأت قول الدكتور وهو ينعى على أدباء مصر تجافيهم : (فجع الشيخ عباس الجمل بغرق ابنه طاهر وهو يقارع أمواج البحر فى دمياط فما تحركت يراعة أديب لمواساته فى ذلك الرزء الجليل)

(وبترت ساق الشيخ عباس منذ أسابيع فما بكى شاعر ولا تأثر كاتب لمصيبة الأديب) الخ

ألا قل لهذه الدار المقدسة إننى ما غادرتها قالياً ، ولا تركتها راضياً ، وإننى كلما مررت بها سأقف وأستوقف ، وكلما ذكرتها سأبكى وأستبكى ؛ وإننى — لولا التجمل — لفعلت ساعة الرحيل ما يفعل العجائز فى الأضرحة ، فقبلت المقابض والجدران !

وهكذا ترانى أيها الأخ إذا حصلت على تلك المرآة: لا أقنع من ماضى بلحظة واحدة ، وإنما أريده كله لا أنقص منه حتى ساعات الألم !

بل وهكذا ترانى إذا حصلت على هذه المرآة وتحققت رغبتى فرأيت ماضى كله لا أقنع بالمشاهدة والنظر ، فالفرق بينك وبين صورتك كبير ، والفرق بين تذكرك لماضيك وبين أن تعيش ماضيك أكبر وأكبر ...

«طبق الأصل» «حمدى»

عبد الحميد يونس

فأما المصيبة الأولى فقد عرفتها من قبل ونعى نبؤها وأنا فى اسطنبول منذ أربع سنين ؛ وأما المصيبة الأخيرة فما عرفت نبأها الفاجع إلا من كلام الدكتور زكى وقد وقعت من نفسى وقلبى موقعاً مفظعاً أليماً

وإذا بى أجلس واجماً تسير بى الذكَر فى عالم من مصائب الماضى والحاضر ، وتسرح بىَ الفكَر فيما أصاب الرجال الكبار من أحداث وأرزاء ، فذكرت فيما ذكرت عقبة بن أبى وقاص حينما قطعت رجله فى الموقعة يوم صفين فلبث يقاتل مرتجزاً :

الفحل يحمى شوكه معقولاً

وتذكرت هـذا الفارس العربى عبد الله بن شبرة الجُرَشى وكانت يده قطعت فى موقعة فلطاس إحدى وقائع الروم فقال يرثيها فى أبيات أولها :

ويل أم جار غداة الروع فارقنى ... أهْوِنْ علىّ به إذ بان فانقطعا

يمنى يدىّ غدت منى مفارقة ... لم أستطع يوم فلطاس لها تبعا

ثم إذا بى أسير إلى خزانة كتبى ألتمس عروة بن الزبير لأقرأ ما قال حين أصيب برجله ، وأتأسى بما عزاه به أصحابه ، وذكرت قول أحد المعزين له : (يا أبا محمد والله ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله لنا أكثرك : عقلك وعلمك) وطلبت بقية هذا الكلام فى مظانه فلم أهتد إليه ، ولكنى وجدت فى ابن خلكان خبر عروة حين صبر لقطع رجله لا يتحرك ولا يتأوه ووجدت فيه هذه الكلمة :

وكان أحسن من عزاه إبرهيم بن محمد بن طلحة فقال له : « والله ما بك حاجة إلى المشى ولا أرب فى السعى ، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة ؛ وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء ، وعنه غير أغنياء ، من علمك ورأيك . نفعك الله وإيانا به . والله ولى ثوابك ، والضمين بحسابك »

يا أخانا العباس ! إن لك فى أرزاء الرجال وخطوب الزمان أسوة وعبرة ؛ وإن لك من دينك وعقلك وعلمك ما يغنيك أن تساق إليك الأُسى والمواعظ . وإنا لنعرفك كبيراً أبياً عزيزاً ، وإنا لنرجو أن نجدك اليوم أكبر وآبى وأعز من

أن يضعضعك خطب ، أو يبهظك رزء . وإنك لتعلم أن الحر الأبي يسير في هذه الحياة صابراً على لأوائها ، مستكبراً على أرزائها مشى الجمل الثقال بالحمل الثقيل لا يرزح ولا يرزم ولا يعيا ولا يقف دون غايته

يا أخانا العباس ! إن لك من دينك وعقلك وعلمك وأدبك ما يؤنسك بالصبر والرضا ، ويوطن نفسك للحادثة وإن جلت ، والخطب وإن فدح ، وإن لك من إبائك وشممك ما يربأ بك أن تضيق بالرزء الشديد ، وتطأطئ للنازلة الجليلة

والله يجعل هذا آخر محنك ، ونهاية بلائك ويبقيك لآلك وإخوانك موفور العقل والعلم، معافى فى نفسك وبدنك وأسرتك

وأما الأخ الدكتور زكي فقد صدق حين نعى على الإخوان تقاطعهم وغفلة بعضهم عن بعض . وإنا يا أخى زكى — ولا تؤاخذني بهذا التشبيه — لنسير من مشاغل هذه الحياة جليلها وسفسافها فى مثل طريق الساقية أو مدار الساقية : حركة دائبة فى مضطرَب متشابه ضيق ، لو سارت فيه الدابة أبد الدهر ما خرجت منه وإن توهمت ـ وهى محجوبة العينين ـ أنها أبعدت السير ، وتناءى ما بين مبدئها ومنتهاها . ولست أدرى إلام تشغلنا الشواغل عما هو أعظم من التقاء أخ بأخ ، وتفقد صديق صديقاً ، ومذاكرة أديب مثله ؛ وفى أولئك من قضاء الحق ومتعة النفس وربح العقل وفقه الأمور ، ما لا نجده وإن حرصنا فى هذه الحركة العاجلة التى كادت تسلب الإنسان عقله وإرادته .

عبد الوهاب عزام

حول اللهجات العامية

يقصد علماء اللغة بكلمة « اللهجات المصرية » ما يشمل اللهجات العربية المستخدمة فى السودان ، فليس السودان جزءاً لا يتجزأ من مصر فى نظر علماء الجغرافيا وأساطين القانون وعدول السياسة فحسب ، بل هو كذلك أيضاً فى نظر علماء اللغات

ولذلك لم أر ضرورة لأن أخصه بالذكر فى مقالى عن طوائف اللهجات العامية ، بل رأيت أن عطفه على مصر ، كما يفعل الغربيون ، قد يسىء إلى الحقيقة فيشعر بأنه بلد آخر منفصل عنها

فليفرخ إذن روع الأستاذ أحمد المبارك عيسى [1] . فما كان لمثلى ، وأنا من مواليد السودان ومن أكثر الناس إيماناً بوحدة وادى النيل ، أن أغفل أمر هذا البلد الأمين

وإنا لنرتقب بذاهب الصبر أن تواتى الظروف حضرة الأستاذ المبارك فيتحفنا على صفحات « الرسالة » بما وعد به من مختارات فى الأدب القومى للسودان ، ويزيدنا بذلك يقيناً أن اللهجات المصرية كافة من أقرب اللهجات العامية إلى العربية الفصحى .

***

أشكر للأستاذ جودة مرعشلى بدمشق تصحيحه لما ورد سهواً فى مقالى بصدد أسماء بعض القرى السورية التى لا يزال أهلها يتكلمون بلهجة منحدرة من الآرامية الغربية .

على عبد الواحد وافى

هل نستفيد مما نقرأ ؟

المعروف فى اللغة أن فعولا بمعنى فاعل مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وأن ما يستوى فيه المذكر والمؤنث لا يجمع جمع مذكر سالماً مثل : صبور وخفور وغيور

وأذكر أنى قرأت مقالاً منذ شهور للكاتب الكبير الأستاذ العقاد بالرسالة جمع فيه غيوراً على غيورين ، وهو خطأ كما ترى .

ثم حدث أن الأستاذ السباعى بيومى جمع خفوراً على خفورين فى مقال له بالعدد ٤٠١ من الرسالة رداً على الدكتور زكى مبارك فتنبه أحد القراء لهذه الغلطة وأشار إليها فى الرسالة بعد ذلك .

وحدث أيضاً أن الأديب طه الساكت كتب منذ أسابيع كلمة مسهبة فى الرسالة عن هذه القاعدة ، وذكر الشواهد لها ، ودعا الكتاب إلى مراعاتها

وأخيراً رأينا الأستاذ العقاد يقول فى العدد ٤١١ من الرسالة : « فإن الشك فى وجود المناداة يغلق المسالك بين ألسنة المصلحين الغيورين »

---

(١) أنظر كلمته بعدد ٤٢٢ ص ٩٩٣

ولا شك أن إصرار الأستاذ الكبير العقاد على هذا الجمع لهذه الكلمة — وهو عضو مجمعنا اللغوى — يدلنا على أن له رأياً فيها يخالف ما أجمع عليه نحاة البصرة

فهل يتفضل الأستاذ ببيان رأيه على صفحات الرسالة فنكون من الشاكرين ؟

« بنى سويف » محمد محمود رضوان

المدرس بالمدرسة النموذجية

فتوى واستفتاء

١ — تحت هذا العنوان فى عدد « الرسالة » ٣١٨ أفتيت واستفتيت الأدباء والباحثين فى بعض المباحث الأدبية ، وعرضت لهم ما بين روايتى الوسيط والمفصل من التناقض فى ترجمة ابن خلكان ، ثم استبان لى صواب رواية الوسيط ومنشأ خطأ المفصل على الرغم من أنى كنت أستبعد أن يقع مؤلفوه الأماثل فى مثل هذا الخطأ ؛ وإلى القراء البيان :

قال ابن خلكان نفسه : ومولدى يوم الخميس بعد صلاة العصر حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة إربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمهما الله[١]

وقال هو نفسه فى ترجمة أبى الفضل أحمد بن كمال الدين : وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم بعد والدى رحمه الله تعالى ، وكان وصوله إليها من الموصل فى أوائل شوال سنة عشرة وستمائة ؛ وكانت وفاة الوالد ليلة الإثنين الثانى والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ، وكنت أحضر درسه وأنا صغير ، وما سمعت أحداً يلقى الدروس مثله[٢]

ومن هذا يظهر جلياً أنه أخذ مبادئ العلم عن شيخه أبى الفضل ، لا عن والده كما قال أصحاب المفصل ، ومنشأ الخطأ أنهم رجعوا[٣] ضمير « درسه » إلى الوالد وغفلوا عن المترجم له وحق لمن استفتى ثم أفتى بعد عمر[٤] أن يقول : بيدى لا بيد عمرو

(١) ترجمة المؤلف للعلامة نصر الهورينى ص ٤٢١ ج ٢ وفيات

(٢) ص ٣٢ ج ١ وفيات

(٣) رجعه أفصح من أرجعه ولم تأت فى التنزيل كذلك

(٤) زمن طويل

٢ — نقرأ فى كتب السيرة أن للنبى صلى الله عليه وسلم خصائص ؛ ونطالع فى كتب الأدب كثيراً من خصائص اللغة العربية ؛ ونسمع بكتاب الخصائص لابن جنى — وإن لم يره إلا قليل — فما مفرد هذا الجمع ؟ أمرضتنى كتب اللغة ، ولم تسعفنى ، ثم رأيت أقرب الموارد يقول : « والخاصة التى تخصه لنفسك ... والخاصيّة نسبة إلى الخاصة ج خاصيات وخصائص على غير القياس » ، وفى أثناء مطالعتى فى « المواهب اللدنية » ألفيته يقول : « وقد ذكر بعض العلماء أنه صلى الله عليه وسلم أوتى ثلاثة آلاف معجزة وخصيصيّة[١] » فما قول السيد وحيد ؛ والأستاذ الكبير (ا . ع) ؟

٣ — نبه كثير من الباحثين على[٢] خطأ الاقتطاف من قَطَف وعابوا « المقتطف » علماً على المجلة المعروفة ؛ فما رأيهم فى قصيدة النابغة الشيبانى الفائيّة وفيها يقول :

تَسبي القلوب بوجه لا كفاء له ... كالبدر تم جمالاً حين ينتصف

تحت الخمار لها جَثل تُعكّفه ... مثل المثاكيل[٣] سودا حين تقتطف[٤]

وبعد فكثير من مفردات اللغة العربية حائر بين المخطئين والمصوّبين ، فهل يضع المجمع اللغوى الملكى حداً لهذه الفوضى ؟

طه محمد الساكت

المدرس بمعهد القاهرة

حول استدراك فى غزوة حنين

ذكر الأستاذ الفاضل سعيد الأفغانى فى العدد (٤٢٢) من مجلة الرسالة الغراء استدراكاً على مقالى الأول فى غزوة حنين ؛ وقد جاء فيه أن على بن أبى طالب رضى الله عنه هو الذى سئل عن الخوارج : « أ كفار هم » ؟ فقال : « من الكفر فروا » . قيل : « أمنافقون هم » ؟ فقال : « إن المنافقين لا يذكرون الله

(١) ص ٢٠٦ ج ٥ شرح للمواهب الزرقانى

(٢) نبه على الشيء وقفه ا . هـ مختار وإنما نبهت عليها لأن مصحح الرسالة استبدل بعلى إلى كلمتى السابقة

(٣) العثكول للنخلة كالعنقود للكرم

(٤) ديوان نابغة بنى شيبان ص ١٢٦ ط دار الكتب

إلا قليلاً ، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً » . قيل : « فما هم » ؟ قال : « فتنة غشيتهم »

وكنت أحب أن يذكر الأستاذ سعيد الأفغاني المصدر الذى نسب فيه ذلك إلى على بن أبي طالب ، لأن هذا قد يفيد فى تحقيق نسبة ذلك القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرت ، أو إلى على بن أبي طالب كما ذكر هو ؛ فأما المصدر الذى نقلت عنه نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهو كتاب إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية ، وهو تأليف نور الدين على بن إبراهيم بن أحمد الحلبي القاهرى الشافعى المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ . وقد جاء ذلك فى الجزء الثالث (ص ١٤٠) من النسخة المطبوعة بمطبعة محمد على صبيح بمصر

ولا شك أن صدور ذلك القول من النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع صدوره بعده من على بن أبي طالب ، والقطع بالصواب فى مثل ذلك كما قطع الأستاذ سعيد الأفغانى لا ضرورة إليه ، لأن صدوره محتمل من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وليس هناك ما يمنع صحة نسبته إليه على سبيل القطع

عبد المتعال الصعيدى

القصر العينى

فى العدد (٤١٨) من الرسالة الغراء ذكر الأستاذ طه الساكت خطأ الكثيرين فى تسمية ابن قيم الجوزية ثم قال : « وقريب من هذا الخطأ — وإن تكلف بعض الكتاب تصحيحه — قولهم (القصر العينى) ، وإنما هو قصر العينى بالإضافة إلى الأمير الشهابى أحمد بن عبد الرحيم بن البدر العينى نسبة إلى (عين تاب) على ثلاث مراحل من حلب » اهـ .

والواقع أننى كتبت فى العام الماضى عن هذا التصحيح فى مجلتى « منبر الشرق » و « الصباح » الغراوين ، ولكنى عدتُ فوجدت أن قولهم « القصر العينى » صحيح لا غبار عليه ولا تكلف فيه ، وذلك لأن قولنا « قصر العينى » من باب الإضافة ، وقولنا « القصر العينى » من باب النسب ، والصلة وثيقة بين الإضافة والنسب ، حتى لقد كتب الشيخ (الأشمونى) فى كتابه عنوانَ (النسب) ثم قال : « هذا هو الأعرف فى ترجمة هذا الباب ، ويُسمى أيضاً باب الإضافة ، وقد سمّاه سيبويه بالتسميتين ... » .

فقل « قصر العينى » وقل « القصر العينى » ، ولا تضيّق على نفسك ، فلغة الضاد أفسح مجالاً وأرحب صدراً ، ولنا فى لهجاتها ورواياتها وأقوال أهليها متسع ومستراد !

« البجلات »

أحمد الشرباصى



مفترق الطـــرق

للأستاذ نجيب محفوظ

زماننا عاثر الحظ أو نحن به عاثرو الحظ . فأينما تول وجهك تسمع تنهد شكوى أو تر تجهم كدر . ولن تعدم قائلاً يقول إن هـذا الزمان أضيق رزقاً وأنضب حياء وأفسد خلقاً وأقل سعادة وأنساً من الزمان الماضى ، ويجوز أن نكون لزماننا ظالمين ، وأننا نتحامل عليه لا لعيب اختص به دون غيره من الأزمنة ، ولـكن تبرماً بقساوة الحياة وفراراً من جفاف الواقع ولياذاً بظلام الماضى الذى يشبه ظلام المستقبل بعث أمل وطب آلام . ومهما يكن من أمر هذا السخط فما من شك فى أن جلال أفندى رغيب كان على حق فى شكواه التى يرددها بغير انقطاع . كان مراجع حسابات فى وزارة المعارف وفى السادسة والأربعين من عمره ، قد وسع الله له فى إحدى زينتى الحياة الدنيا وقتر عليه فى الأخرى ، فرزق ستة أبناء يسمون ما بين حجر الأم والسنة الرابعة الثانوية . وأما مرتبه فسبعة عشر جنيهاً ، فناء بأثقال العيش ومتاعب الحياة ، وقصمت ظهره المصاريف المدرسية . وكان كثيراً ما يقول متبرماً حانقاً كلما آن موعد قسط أو اقترب موسم من المواسم : « رجل مثلى — أب لستة ذكور ، اثنين فى المدرسة الثانوية ، واثنين فى المدرسة الإبتدائية ، وواحد فى المدرسة الأولية ، وواحد فى البيت ، غير زوجة وأم ، ولا تراه الوزارة حقيقاً بإعفاء واحد من أبنائه من المصاريف ... فمن إذاً تجوز المجانية ! ... ولمن تجوز ؟ » . وكان كغالبية أهل هذا البلد يائساً من العدالة قانطاً من الخير ، يعتقد اعتقاداً كالإيمان الراسخ أنهما لا يصيبان إلا المجدودين من ذوى القربى والأصهار والأصدقاء ، فرأى أن ليس أمامه سوى الـكفاح الشاق ، ومعاناة الشدة عاماً بعد عام ، والتصبر على مرارة الحياة .

ولبث على حاله لا يطمع فى رجاء حتى تولى وزارة المعارف معالى حامد بك شامل ، فطرق أذنيه اسم الوزير الجديد ، وجذبت عينيه صورته المنشورة فى الصحف ، فومض فى أفقه المظلم بارق أمل جديد ، وانتعشت نفسه برجاء لا عهد له به ، وقال لنفسه : « ينبغى أن أقابله ... وأن أشكو إليه ... هل يرفض رجائى ؟ ... لا أظن » ، وقصد يوماً إلى سكرتير الوزير وكتب حاجته على رقعة ليوصلها إليه ، فمضى الشاب بها وتركه فى حالة من القلق والإشفاق لا توصف ؛ وعاد مسرعاً يقول لجلال افندى : « معالى الباشا مشغول جداً اليوم فلتتفضل بالمجئ ضحى الغد » ، فعاد إلى حجرته مسرعاً واجداً متألماً ، وكان ألف طوال مدة خدمته خيلاء الرؤساء وانتهار المديرين ، ولـكن انشغال الوزير آلمه أكثر من أى شىء ، وجعل يتساءل : ترى هل يذكرنى ؟ ... ولم يكن شىء ليصده عن هذا الباب ، فذهب ضحى الغد كما قال له السكرتير وانتظر طويلاً حتى قال له الشاب : « تفضل » ، فقام مسرعاً خافق الفؤاد ، وفتح له الباب المحروس فاجتازه إلى الحجرة ذات السجاجيد والزخارف ، ونظر إلى صدر المكان فرأى معالى الباشا كما يدعونه يطالع فى شىء بين يديه ، فلما أن شعر بوجوده رفع إليه عينيه ومد له يده وعلى فمه شبه ابتسامة وقال :

— أهو أنت ! ... لقد اشتبه على الإسم ... أو ما تزال حياً ؟

فسر جلال للمداعبة الأخيرة واطمأنت نفسه وقال بخضوع وإجلال :

— نعم يا صاحب المعالى ما أزال أكابد حظى فى الدنيا

فنظر إليه نظرة استفهام ، ومال إلى الوراء قليلاً وهو يتمتم : « أفندم » ، فقال جلال :

— يا معالى الباشا قصدت إلى معاليك لأشكو إليك ما أشكوه من عنت الدهر وشقاء الأيام . لى أسرة كبيرة وأبناء كثيرون ومرتبى صغير ، ولست طامعاً فى علاوة أو درجة ، ولـكنى أضرع إلى معاليكم أن تعفى ابنين لى فى مدرسة شبرا الثانوية من المصروفات

— الاثنين معاً ؟ !

— نعم يا معالى الوزير ؛ إن آمالى مشرقة بمعاليكم ، لقد جاوزت معاليكم عهداً طويلاً من سنى الدراسة ، وينبغى لمن حظى بذاك الجوار أن يربو حظه على حظوظ الناس جميعاً ، خاصة إذا علمتم أن لى غيرها أربعة آخرين ، فقال له الوزير باقتضاب :

— قدم لى مذكرة

وكان الرجل محتاطاً لذلك ، فأخرج من جيبه التماساً أعده لهذه الساعة وقدمه إلى الوزير ، فجرت عليه عيناه بسرعة ، ثم أمسك قلمه ووقع عليه بكلمة ، وقال للرجل :

— اطمئن ...

فانحنى جلال أفنـدى تحية ، فتكرم الآخر بمد يده له ، ثم غادر الحجرة مغتبطاً مثلج الصدر . ولـكنه ما كاد يعود إلى مكتبه بالوزارة ، حتى قال لنفسه متعجباً : لم يتغـير « حامد شامل » ألبتة ، ولا تقدم به العمر ، وكأنه فى ريعان الشباب ... هل يصدق إنسان أن كلينا ابن خمس وأربعين ؟ ... تالله إنى لأبدو لعين الناظر فى سن والده ! . . . وقضى وقته يفكر فى الوزير ، فى حاضره وماضيه ، وفى صلته القديمة به ... ثم اضطجع بعد تناول غدائه فى بيته ، وأشعل سيجارة ، واستسلم إلى أحلام الذكريات ... فألوت به إلى عهود الماضى المنطوى ... إلى الوقت الذى كان يجلس فيه إلى يسار التلميذ « حامد شامل » على مقعد واحد ، لا يكاد يفرق بينهما فارق جوهرى ... وكان التلميذ « حامد شامل » يلفت الأنظار إليه ببياض بشرته واحمرار شعره ، وبملازمة عبـد متهدم طويل يرتدى بذلة سوداء له فى الطريق إلى المدرسة وفى طريق العودة ، يتبعه كالظل إذا مشى ، ويطمئن إلى مكانه إلى جانب حوذى العربة إذا ركب ، ولذلك كان يحلو لرفاقه أن يداعبوه فدعوه « حامد أغا » ، على أنه عجب غاية العجب كيف كانت المنافسة تحتد بينه وبين وزير اليوم وتلميذ الأمس كأنهما أخوا حظ واحد ... والأعجب من هذا أنهما جريا معاً وراء تلك العاطفة — التى تهيج الجد والنشاط ولا تتناسى عن المرارة والألم — منذ أول عهد تجاورهما ؛ وكانا فى كفاحهما كأنهما يعيشان منفردين فى فصل واحد ، فكانت الغاية التى يهدف إليها كل منهما أن يتفوق على قرينه بغير مبالاة الآخرين . وعلى الرغم من استماتة حامد بالدروس الخصوصية يتلقاها على أنبـه مدرسى المدرسة ، فقد كانت الغلبة بينهما سجالاً ، وكانت كفة جلال الراجحة ... وكانا فى ملعب كرة القدم مثلهما فى الفصل لا يريحان ولا يستريحان . وكان كلاهما يزعم أنه أحق من صاحبه بقلب الدفاع . فكان مدرس الألعاب يعاقب بينهما فيه ، حتى بدا تفوق جلال للجميع فاستأثر به ، فكان آخر عهد الآخر بلعب الكرة . يا لله ! . . . كانا يستبقان كأنما الدنيا تضيق عنهما معاً ، وكأنما كان مستقبلهما ينذر بحرب مستمرة تشمل ميادينها الجد واللعب والإدارة والوزارة . فكيف شالت كفته بعد ذلك ؟ ؟ كيف سقط من عيون الغربال وضاع فى الحثالة ؟ . . . كيف صار رفيقا المقعد الواحد أحدهما وزيراً والآخر ضارعاً بالحسابات ينوء صدره بآلام الحاضر ووساوس المستقبل !

ثم تمتم قائلاً وهو يطفئ سيجارته ويرمى بالعقب إلى المنفضة : تالله ما يستحق أن يكون وزيراً ولا وكيل وزارة ولا شيئاً من هذا ، وخشى أن يكون متجنياً عليه أو مائلاً مع عواطفه القديمة فتساءل باهتمام وجد كأنما يزمع كتابة ترجمة له كيف اعتلى كرسى الوزارة ؟ ... لقد انفصلا فى نهاية الدراسة الثانوية فاضطر هو لأسباب إذا ذكرها جرت المرارة فى فمه ، إلى الانقطاع عن الدراسة والتحق صاحبه بمدرسة الحقوق ، ثم حصل على الليسانس ، وكان أبوه محمد باشا شامل وزيراً للحقانية فعينه سكرتيراً له فى الدرجة الخامسة ، فكانت القفزة الموفقة الأولى . وقرأ بعـد ذلك فى الصحف أنه اختير لبعثة فى فرنسا لا يعلم كم أمضى بها ولا ما حصل عليه فيها من الإجازات ، ولـكن كثيرين يعلمون بزواجه بعد ذلك بسنوات من كريمة المرحوم حامد باشا حامد الذى تولى الوزارة مرات ، فارتقى فجأة إلى الدرجة الثالثة مديراً لإدارة التشريع ، وانقطعت عنه أخباره فترة وجيزة حتى علم بتوليته مديرية أسوان ، ثم بترقيته محافظاً للقنال بعد ذلك بقليل ، ثم باختياره وزيراً للمعارف ، ومضى على توليته الوزارة أسابيع والجلات لاتكف عن الإشادة بمواهبه القانونية ومقدرته الإدارية

ومشروعاته عن إصلاح التعليم ، وكاد جلال افندى أن يصدق ما يقال لولا أنه قرأ مقالاً عن تفوق الوزير فى عهد الدراسة — فى العلم والرياضة البدنية معاً — وكيف أن مفتشاً من مفتشى الوزارة تنبأ له على أثر مناقشته بأنه سيكون يوماً وزيراً ، فأغرق الرجل فى الضحك ، وقال ساخراً : « الآن فهمت سر المواهب القانونية والإدارية ! »

وتنهد جلال افندى رغيب وتمتم قائلاً : « دنيا ! » ، وأراد أن يريح نفسه من أفكاره فتناول مجلة يقلب صفحاتها المصورة ؛ والظاهر أن ذكريات الوزير كانت تأبى أن تفارقه ، فرأى صفحة من المجلة مخصصة للوزير تتوسطها صورة كبيرة ؛ ما إن بصر بها حتى صاح فى دهشة وغرابة : «رباه هذه صورة فصلنا القديم» وألقى عليها نظرة مريبة فثبت بصره على صورته وكان يقف فى الصف الأول وراء المدرسين مباشرة إلى يمين الوزير ينظر إلى عدسة المصور فى ابتسام وثقة ؛ وكان الوزير كالعابس وعلى حاجبه الأيمن ذبابة ، فضحك جلال طويلاً وذكر قصة الذبابة ، وقد كانت فى الأصل من نصيبه هو وتنبه لها والمصور يهم بالتقاط الصورة فهشها بسرعة فطارت عنه إلى حاجب قرينه وحطت عليه ؛ وقد أحس أسفاً لذبه الذبابة فلعلها كانت ذبابة الحظ السعيد سكنت إلى وجه الوزير المدخر ؛ ورنا إلى الصورة بعينين حالمتين فهامت روحه فى آفاق الماضى حتى شعر بأن روح الطفولة تحل فيه مرة أخرى ، وأن شعيرات قذاله البيضاء تسود ، وتجاعيد جبينه وما حول فمه تلين ، ونظرة عينيه تصفو وترق ، ويمسح على ما فيها من هم وبلبال ... أحس قلبه يخفق مرة أخرى بالأمل والطمأنينة ، وجرى بصره على الوجوه الصغيرة وهو يتساءل : ترى كيف صار هؤلاء جميعاً ؟ ... وعاين أول صورة فى الصف الأخير فعرف صاحبها بوضوح غريب ، وذكر اسمه (عبد الملك حنا) ، وذكر كيف كانت تنتابه نوبات الصرع فى الفصل حتى انقطع عن المدرسة ... أما بقية الصف فتذكر وجوههم وغابت عنه أسماؤهم ومصايرهم ؛ وعرف فى الصف الثانى وجهاً كأنما تركه بالأمس ؛ كان ابناً لأحد كبار المستشارين فكان يتمتع لذلك بنفوذ وصولة فيحييه الناظر إذا بصر به ، ويلاطفه المدرسون ، وقد علم فيما بعد أنه عين وكيلاً للنيابة وترقى قاضياً ، ولعله يتأثر الآن خطى أبيه الكبير . أما من يليه من الصغار فجلهم من المغمورين وبعضهم معه فى المعارف وهو يعرفهم حق المعرفة ، وأما آخر هذا الصف — الذى ينظر إلى المصور بتحد غريب ويشبك ذراعيه على صدره — فكان من أشقياء التلاميذ المولعين بالشجار والتصادم ، وقد طرد من المدرسة لاعتدائه على أحد المدرسين . ومن العجيب أنه احترف فيما بعد « البلطجة » ، وطاف بالسجن مرات . وألقى نظرة أخيرة على الوجوه الأخرى فلم يعرف عنها شيئاً إلا الدكتور المعروف (حنا عبد السيد) ، وإلا هذا الذى يتوسط الصف الأول ، كان أنبغ التلاميذ جميعاً ، وكان أول الابتدائية ثم أول البكالوريا والتحق بمدرسة الحقوق كبير الهمة سخى المواهب ، ولكنه أصيب أول عهده بها بداء الصدر فاضطر إلى ترك المدرسة والكف عن التحصيل ، واشتغل بعد ذلك بمامين كاتباً فى الصحة . . . فلا يقل حظه شذوذاً عن حظ الوزير نفسه

نال كل منهم نصيبه وخضع لحكم حظه وسعيه . كانت تجمع بينهم جدران واحدة ، لا يكاد يتميز وراءها إنسان إلا بجده وخلقه ، ففرقت بينهم الحياة ، فرفعت وخفضت ، وأحيت وأماتت ، وأذاقت الفقر ، ومتعت بكرسى الوزارة ، وكل بما قسم له غير راض ولا قانع ...

ونظر جلال أفندى عند ذاك فى الساعة فوجدها تدور فى الرابعة ، فعلم أن موعد الصغار آن واقترب ، وأنهم عما قليل يملأون البيت حياة وقلبه نوراً ، فرمى بالمجلة بعيداً وطرد من عقله الوسواس ليستقبلهم أجمل استقبال ، وقال لنفسه متعزياً :

— من الخطأ أن يفكر الإنسان فى شئون الناس ما دام هذا لا يورث إلا الضيق ، وحسبى أن معاليه قال لى : «اطمئن»

نجيب محفوظ

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 424

Lundi - 18 - 8 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٤٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ رجب سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــرس

صفحة

١٠٢٥ من أحاديث القهـوة ... : أحمـد حسن الزيات ... ...
١٠٢٧ الحـديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٠٠ كيف يكتب التاريخ ؟ ... : الدكتور حسن عثمان ...
١٠٣٣ الشـعر ... ... : الأستاذ بنيامين خليل ...
١٠٣٠ الحروب الصليبية .. ... : الأستاذ ر. ن. التميمى .. ...
١٠٣٩ سـنة . . . [قصيدة] : الأستاذ عباس محمـود العقاد
١٠٤٠ أخبار سـلم الخاسر ... : الأسـتاذ حسن خطاب الوكيل
١٠٤٢ المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ... ... { المستشرق ادورد وليم لين ... بقلم الأسـتاذ عدلى طاهر نور
١٠٤٦ هؤلاء الجنـود المجهولون : الأستاذ محمـد كامل حته ...
١٠٤٧ الـكأس .. [قصيدة] : الدكتور ابراهيم ناجى . ...
١٠٤٧ فى مفرق الطريق « : الأستاذ سيد قطب ... ...
١٠٤٨ من سوء الترجمة أيضا ... : الأستاذ الـكبير (ا . ع) ..
أخبار تهم الأدباء .. ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٠٤٩ وفاة طـاغور ... ... : . ...
١٠٥٠ قصص مسرحية للأطفال . : الأستاذ محمـود البشبيشى ...
١٠٥٠ البيت الهادىء [قصـة] : الأستاذ سعد محمود دوارة ...

تحت ظلال الفانورة

من أحاديث القهوة

— ١ —

المنصورة بلد الطبيعة الساحرة والطبع الشاعر هى الآن مَصيف ومَهجر

هى مصيف ، لأن موقعها على ملتقى النهر الصغير والنهر الكبير جعلها كرأس البر على ملتقى النيل والبحر ؛ والفرق بينهما أن (رأس البر) رملة من رمال الصحراء ، والمنصورة روضة من رياض الجنة . وهى مهجر ، لأن بعدها عن الأهداف الحربية والثغور البحرية صرف عنها لَحَظات المغيرين والغِيَر

ومن جملة المصطافين بها والمهاجرين إليها تتألف فى القهَوات والندَوات جماعاتٌ فى الأدب والسياسة والتجارة واللهو والفضول ترتسم من مجموعها صورة مقاربة لمجتمعنا العام تصلح للتأمل والدرس . ومن جعل الله ديدنه وصف ما يبصر، وتسجيل ما يسمع، لا يملك أن يشاهد هـذا العالم الصغير دون أن يعرض بعض أحاديثه للبحث ، وبعض حوادثه للنظر

تتفيأ القهوة التى نجلس فيها الدوح الباسق والشجر الوريف بين شارع الكرنيش وشاطئ النيل . فهى تنظر عن اليمين فترى فى الطريق أخلاطاً من الأجناس أكثرها الإغريق ، وأنماطاً من اللباس أغربها القلانس ، وصوَراً من الحسن أبدعها

الأوانس ، وهؤلاء من القبح أشنعها المتسولون والباعة . وتنظر عن الشمال فترى فى النهر زوارق العبور تنساب حابسة فى شُرُعها طلق الهواء ، أو ضاربة بمجاديفها وجه الماء ، وشِباكَ الصيد يطرحها الصيادون فى المكان الضحل فلا تصيب إلا صغار الحصى أو شبار السمك ، وخواطفَ الطير تحلق فوق الصائد فتخطف ما نال أو تأخذ ما ترك

يفدو إلى هذه القهوة طوائف من الناس ألّفت بينهم وحدة الحرفة أو مصافقة الودة أو مبادلة المنفعة : فهنا المعلمون قد تكوفوا على بعض المناضد القاصية ، يجادلون بالصوت الجهير فى الحرب والأخبار ، أو يخوضون فى حديث المفتشين والنظار ، ومذباتهم التقليدية تتحرك آليًا فى أيديهم فتذود الغبار عن الثياب والذباب عن الأوجه . وهناك التجار يتعاقب على مناضدهم الوسطى شكول من السماسرة والمنتجين فيقيمون فى حدودهم الضيقة سوقاً تصطرع فيها طباع المتسوقين من الإغراء والإباء ، والصخب والغضب ، والشادة والملاينة ، والمسارّة والمسايرة ، ثم ينجلى الأمر عن صفقة من الشعير أو الرز . وهنالك فى أقصى الشرق مناضد بُسطت عليها أغطية من القماش المفوّف وقد أحاط بها عقائل من حسان الروم يفسرهن شباب منهن ، قد أنقذهم من نار الحرب سلام النيل ، وأفرغ عليهم وضاءةَ النعيم خير مصر ، وضمن لهم عيش الأمان سماحة المصريين ؛ فهم يتساقون أقداح الزبيب ، ويتناقلون أحاديث الأنس ، ويتطارحون أضاحيك الحياة ، كأن شعبهم لم يُذل ووطنهم لم يُحتل ومَلكهم لم يشرّد !

وفى خلال هذه الزُّمر ترى شاعراً وسنان الحركة نشوان الحس يقرأ على صفحة النهر الوردية أشعار الطبيعة ، أو طارئاً من ضخام القرويين لم يطق صبراً على عبث النسيم فنام على كرسيه أثقل النوم ، وغط فى نومه أقبح الغطيط . وعلى حفافى القهوة وممashيها تتهافت أفناء من ذباب البشر يقولون إنهم من رعايا وزارة الشؤون الاجتماعيـة ، فيهم المعتوه المخيف ، والمريض المُعْدى ، والشيخ المتهدم ، والشمطاء الخاوية ، والناشئ الضرير ، وكلهم يسأل بالحاف ، أو يبيع بسماجة ، أو يحتال فى سخف !

وتحت الدوحة الكبرى وفى مكان لا يكاد يتغير مجلس جماعتنا طَرَفىّ النهار وزُلفاً من الليل . وهذه الجماعة من تأليف الحب وحده . تقارَب فى أفرادها الذوق والرأى والهوى فتمكنت بينهم الألفة ، واستكمل بعضهم من بعض ما نقص من عوامل أنسه ومباهج نفسه . وأحسبنى لا أعدو الحق إذا قلت إنها كثيراً ما تُشقق الحديث فى شجون من الأدب والتاريخ ، وفنون من السياسة والنقد ، وشؤون من التجديد والإصلاح ، إذا هى سُجلت فى الرسالة على إيحاء الخاطر وإملاء الطبع كانت نوعاً من الإنتاج الأدبى له قيمته وأثره . ولعلنى أستطيع أن أنقل إليك الحين بعد الحين مقطعات من هذه الأحاديث تجد فيها لوناً طريفاً من ألوان المعرفة

واسطة عقد الجماعة رجلان كل منهما طراز وحده فى مناقلة الحديث ومبادهة الرأى : أحدهما الأستاذ توحيد السلحدار ، والآخر الأستاذ الزناتى . أما صديقنا السلحدار فكنز مدفون لم يشأ الله أن يُعرف : نفس كريمة لا تخلق إلا فى ملك ، وحس مرهف لا يكون إلا لشاعر ، وذوق سليم لا يوهب إلا لفنان ، ورأى حصيف لا يختمر إلا فى حكيم ، وثقافة شاملة لا تجتمع إلا لعالم ، وخبرة واسعة لا تتهيأ إلا لأريب . درس الأستاذ توحيد وقرأ ، ثم رحل وشاهد ، ثم ذاق وجرب ، ثم عايش النبلاء بحكم نشأته ، ولابس الدهماء بحكم وظيفته ، وأعانه على الإفادة من كل أولئك أسرة غنية ويد سخية ونفس طُلَعة . فأنت لا تكاد تبدأ الحديث أو تلقى السؤال فى ناحية من نواحى الأدب أو الفن أو السياسة أو التاريخ أو الطب أو الطعام أو الشراب أو اللهو إلا بادرك بقول تظنه لصوابه تفكير يومه ، أو بادهك بجواب تحسبه لسداده اطّلاعَ ساعته

وأما أخونا الزناتى فمُحَدِّثٌ حسن المنطق عذب الأسلوب جامع لطائفة مختارة من أخبار العلماء والأدباء ورجال الحكم ، شهدها بنفسه ، أو سمعها من أبيه ، أو قرأها فى مخطوط من نوادره ؛ ومن هذه الأخبار ما لا تجده فى كتاب ولا تسمعه من أحد . وللزناتى تطلُّع الجبرتى وملاحظته ، فهو يستقصى أطراف الخبر ، ويستوعب أحوال الأشخاص ، ثم يخزن ذلك فى حافظة واعية ليؤديه متى شاء لا يند منه حرف ولا وصف .

ولقد اقترح أحد الأصدقاء على الأستاذ توحيد أن يُطرف قراء (الرسالة) بأحاديث « من جانب الذاكرة » ، وعلى الأستاذ الزناتى أن يمتعهم بنوادر « من فيض الحافظة » ؛ فعسى أن ينزل الأستاذان على مقترح الصديق ، وأن يَعجلا إلى القراء الظِّماء بهذا الرحيق !

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

فرصة ذهبية لاختبار العزائم والأخلاق — قسم اللغة العربية بكلية الآداب — إدفع الثمن يا جاحد — الموت فى الرؤيا حياة — إلى جيرانى أوجه القول — تحية مراقبة .

فرصة ...

هى فرصة ذهبية لاختبار العزائم والأخلاق فاغتنموها قبل أن تفوت

وما تلك الفرصة ؟ هى فرصة التنبه الشديد الذى يلازم النفوس والعقول عند اشتداد المكاره والمحرجات . ولا موجب للتذكير بما نعانى فى هذه الأيام « البيض » ، وإنما الواجب هو التذكير بالقيمة الصحيحة لأمثال هذه الأيام فى تأريث المشاعر والقلوب ، فهى عندى أصلح الأيام للنضال فى الميادين الأدبية والاجتماعية — بغض النظر عن الميادين السياسية — والرجل الذى يتبلد فى هذه الأيام بحيث يقضى أوقاته فى مضغ الحديث المعاد ، هو رجل لا يصلح لشىء ، وهو بمسلكه البليد يشهد على نفسه بفتور العزيمة وضعف الأخلاق

حين يأتى النذير بأن العالم معرض للدمار والهلاك ـ لا قدر الله ولا سمح ! ـ ينقسم الناس إلى فريقين : فريق يسارع إلى انتهاب اللذات ليأخذ منها حظه قبل أن يموت ، وفريق يستبق إلى الأعمال الجدية ليواجه الموت وهو على أشرف حال ، فإلى أى الفريقين تميلون ، يا قرائى ؟

كونوا كيف شئتم ، ولكن المهم هو تذكيركم بأن الساعة من هذه الأيام قد تساوى سنوات بفضل ما فيها من التنبه والتيقظ ، وبفضل ما تصنع فى إرهاف عزائمنا وقلوبنا ، وتلك فرص لا تسنح فى كل يوم ، فاغتنموها قبل أن تفوت ، ثم اغتنموها قبل أن تفوت

لو كنا فى حرب لدعوت نفسى ودعوتكم إلى الاستشهاد فى سبيل الوطن الغالى ، ولكن مصر لم تقرر إعلان الحرب ، فلم يبق إلا أن ننتفع بالفرصة التى أتيحت بسبب تعرضنا لأخطار الحرب ، بلا بغى منا ولا عدوان

والفرصة هى تلك اليقظة العقلية والروحية ، اليقظة التى تحت جميع النفوس ، وصيرت أعصابنا فى وقدة الجمر الوهاج

لا يجوز أن تنقضى هذه الأيام بلا محصول نفيس يرفع رءوسنا بين كرام الشعوب ، ولا يجوز أن نقف موقف المنتظرين لما تسفر عنه الأعداء الآتية ، وهى أعداء مجهولة الألوان ، ولا ينتظرها إلا أهل الغفلة والجمود

لا يجوز أن تقل أوقات العمل عن عشر ساعات من كل يوم، بالنسبة للضعفاء. أما الأقوياء فمن واجبهم أن ينتفعوا بجميع الأوقات ولو قهرتهم الغارات على اللجوء إلى ظلمات السراديب

هى فرصة للتخلص من الأمراض النفسية والروحية ، فاغتنموها قبل أن تفوت

هل سمعتم بجهنم — أعاذكم الله من حر جهنم — ؟

يقيم الآثم مدة فى جهنم عقاباً على ما اجترح من السيئات ، ولو أصغيت لوحى النزعة الصوفية لقلت : يقيم الآثم مدة فى جهنم ليتطهر من الأوضار النفسية والروحية بحيث يصلح لمجاورة سكان الفردوس

ومكاره الحرب ليست عقاباً على آثام جناها المصريون — وهم نماذج فى الرفق والتسامح — وإنما هى مِحن مطهِّرة سنقطف ثمارها بعد حين

والإقبال على الأعمال بشغف وشوق هو الذى يقصر أمد ذلك الامتحان ، فأقيموا الدليل على الصلاحية لحياة البِر والمجد ، ليرفع الله عنكم آصار الخوف ، وليُذهب عنكم أوجال هذه الأيام إن اللاهين واللاعبين لا يستحقون الحياة ، فمن حق الأقدار أن تسلب منهم هذه النعمة حين تشاء

أما الذين يبذلون حياتهم فى الأعمال الجدية صابرين مُصابرين ، فلهم فى الحياة شرف الكرامة ، ولهم بعد الموت شرف الخلود

في كلية الآداب

قيل وقيل إن قسم اللغة العربية بكلية الآداب صائر إلى الزوال ، مع أنه كان النواة لدوحة الجامعة المصرية ؛ فما أغربَ ما تصنع التقلبات بمصاير الشخصيات المنوية في هذه البلاد !

ويقال إن فكرة توحيد المعاهد التي تصوغ مدرسي اللغة العربية هي السبب في إلغاء ذلك القسم ، فما تستطيع الدولة أن تحتمل الإنفاق على ثلاثة معاهد توصل إلى غرض واحد !

هو ذلك ، يا مَن أقمتم البرهان على تبحركم في علم الاقتصاد ! ولكن هل يوجد في الدنيا كلية آداب ليس بها قسم خاص بآداب اللغة القومية ؟

لكم أن تنشئوا معهداً يتخرج فيه مدرسو اللغة العربية على المنهاج الذي تَنشُدون ... أما اعتداؤكم على قسم اللغة العربية بكلية الآداب فهو جناية لا يُقدم على اقترافها رجل حصيف

وقد سمعت — وما أشنع هذا الذي سمعت — أن أساتذة كلية الآداب رحبوا بذلك الاقتراح اللطيف ! « يشهد بذلك خطاب تلقيته من أحد المتخرجين في كلية الآداب ، وإن كان بغير إمضاء ، كأن صاحبه يخاف عواقب الجهر بالرأي الصحيح »

أما بعد فهذه تجربة جديدة لأساتذة كلية الآداب ، فإن أُلغي ذلك القسم وهم شهود فسيعرف القلم كيف يجزيهم أحسن الجزاء

كان يقال : إن من عيوب عهد الاحتلال أنه لم ير التعليم إلا وسيلة للتوظف ، فكانت مكيدة لقتل المواهب المصرية

فأين أذناك ، لأسمعك صوت الحق ، يا عهد الاستقلال ؟ !

وأين اليمين ؟ أين اليمين ؟ إي والله ، فقد أقسمنا على الوفاء لكلية الآداب ، وهي اليوم بلا ناصر ولا معين ، فأين أبناؤها الأوفياء ؟ كان الظن أن لا يلغى كرسي واحد من كراسي تلك الكلية ، ولو كان خاصاً بدرس لغة الزنوج ، فكيف يلغى قسم اللغة العربية ؟ تلك أمور يحار فيها اللبيب

ادفع الثمن يا جاحد !

هذا مدرس « من شرق الأردن » كتب إليّ خطاباً بلغت كلماته ١٥٠٠ بالتقريب ، وإنما قدرت الكلمات لسبب سيعرفه بعد لحظات

وذنبي عند هذا المدرس أنني لم أفِ بما وعدت من بسط القول عن الحياة الأدبية في العراق ، فقد سكتُّ بعد بضع مقالات ... فهل غاب عنه أن الدنيا وقعت فيها أكدار صرفت القلم عما اعتزم المضيّ فيه ، وأن من تلك الأكدار انقطاع البريد بين مصر والعراق ؟؟ وما قيمة الكتابة عن الأدب العراقي ، وكان أهله في شغل بما عرف الناس ، إلا ذلك المدرس الأديب ؟!

انتظر ، فقد نصل ما انقطع بعد أسابيع

ثم أرجع إلى بيت القصيد فأقول : إن هذا المدرس أتعب نفسه بمناوشتي وهو يعتقد بأني لن أنشر خطابه في « الرسالة » ولن أرد عليه ، فمن أين عرف أني أبخل عليه بالنشر والردّ ، إن اتسعت صفحات « الرسالة » لما يريد ؟

لو فكر قليلاً لعرف أن من الخير للحياة الأدبية أن يكون فيها كاتب يثير بعض القراء إلى الحد الذي يسمح بأن ينفعل فيكتب مئات الكلمات باهتمام واحتفال : فكتابة ١٥٠٠ كلمة في ساعة غضب توقظ العقل والذوق ، وتروض الكاتب على الاصطلاء بنار الفكر والوجدان

وما قال أحد إنه يبغضني ويحقد علي إلا اطمأننت إلى تبليغ رسالتي الأدبية ، فأنا أخلق الفرص خلقاً لإذكاء نار الغضب والحقد في القلوب التي طال عهدها بالنفوة والخُمود ... وهذا الغاضب الحاقد لا يعرف كيف انشرح صدري لما صدر عن قلمه من غضب وحقد ، فذلك شاهدٌ جديد على أن جهودي الأدبية لن تضيع

إن هذا المدرس لا يعرف كيف خدمته حين أثرت عواطفه النافية ، وحين قهرته على الفزع إلى القلم والمداد والقرطاس ، وحين فرضت عليه أن يقول ما يقول بألفاظ خِفاف أو ثِقال !

ادفع الثمن ، يا جاحد ، ليرفع الله عنك إصر الجُحود !

الموت في الرؤيا حياة

الأديب الفاضل السيد « كاشف » الذي كتب إلينا من

« أمالى النيل » رأى فى منامه حلماً أزعجه أشد الإزعاج ، وكيف لا ينزعج وقد رأى أن أعظم أحبابه الروحيين قد مات ؟ وأجيب بأن الموت فى الرؤيا حياة ، فله أن يطمئن كل الاطمئنان

والطريف فى هذه الرؤيا أن الميت هو صاحب « النثر الفنى » وأن السيدة التى كانت تبكى خلف نعشه اسمها « ليلى » وهذا الأديب يرجونى أن أفسر له هذا الحلم المزعج ليذهب خوفه وأساه ...

ومن غريب المصادفات أن أقرأ فى جريدة الدستور قبل أن أتسلّم خطاب هذا الأديب بلحظة قصيرة كلمة مترجمة عن جندى يابانى ، وهى :

« حلمت ليلة أمس أنى فقدت أبى ، وقد أخبرنى أحد رفاقى أن هذا الحلم فأل حسن »

والقول بأن الموت فى الرؤيا حياة هو قول ابن سيرين ، فاتفاقه مع العقيدة اليابانية دليل على ارتباط الأمم الشرقية بعضها ببعض فى كثير من المعانى والآراء

أما بكاء « ليلى » خلف نعشى فهو شاهد على اعتزازى بمودة أهل العراق فهم أنصارى الأوفياء . أعزنى الله بودهم الوثيق

الى جيرانى أوجه القول

لا تظنوا أن أعماركم سيضيع منها شيء إن أقلقتم من الجزع وقت النذير بغارة جوية ، ولا تتوهموا أن الأعداء عندهم من الذخائر ما يكفى لتقويض جميع البيوت ، ولا يخطر فى بالكم أن جنود السوء ستقصدكم بالذات ، فهم يجهلون مواقع أرواحكم بالنهار وبالليل ، ولعلهم يجهلون مواقع أرواحهم من وثبات القضاء

تلك كروب ستنجلى وستنكشف بعد أمد قصير أو طويل ، ثم تعود الحياة إلى ما كانت عليه من الرخاء والصفاء

العاقبة للصابرين ، يا جيرانى ، فلا تزعجونى بما أسمع من أمارات القلق والخوف ، وقد أويتُ إلى سرداب البيت لأدوّن بعض الملاحظات فى أمان من اعتراض البوليس لا من اعتراض الموت ، فالأعمار بيد الله يتصرف فيها كيف شاء

أكتب هذا وأنتم فى هرج ومرج ، كأن صفارة الإنذار هى النفخ فى الصور ، وكأن الدنيا على شفا الزوال !

يكفى أن تراعوا نصائح وزارة الوقاية ، تأدُّباً مع النظام ، لا تخوُّفاً من الموت ، ولتصنع الأقدار بعد ذلك ما تريد

لن يترك أحد من عمره دقيقة واحدة ، ولو عرّض صدره لقواذف الموت ، فما جزَعكم من كوارث لن تُصيب إلا من كُتِبتْ عليه فى سريرة الوجود ؟

ثِقوا ، يا جيرانى بأنكم باقون ، إلى أن تنتهى الحرب بسلام ، وثِقوا بأن الاستهانة بالخطوب تفلّ أنياب الخطوب ، واعرفوا جيداً أن الحياة لا توهب إلا لمن تصغُر فى نفسه قيمة الموت

ما هذا ؟ تلك قهقهة عنيفة يصل دويها إلى أذنىّ ، وهى الأمارة على أنكم أصحاء النفوس والقلوب . جزاكم الوطن عن تلك القهقهة أحسن الجزاء

تحية عراقية

فى صدر جريدة « الأحوال » البغدادية تحية موجّهة إلى مجلة « الرسالة » بإمضاء « رفيع » ، وقد وُضعت التحية فى إطار جميل يصور بعض مواقع السحر فى بغداد

فماذا نصنع فى رد تلك التحية ؟

نقدّم إلى قرائنا الأخبار الآتية :

أولاً — لم ألاحظ فيما يصل من جرائد ومجلات أمثال « الأحوال ، والأخبار ، والكرخ ، والحضارة ، وصوت الحق » أن العراق كان وقع فى كروب بسبب الحرب ؛ فالعراق هو هو ، وروحه المعنوى لا يزال قويًّا سليماً ، واهتمام هذه الصحف بشؤون التعليم والاقتصاد لم ينله أى ضعف ، فهى لا تلتفت إلى الماضى لتجترّ ما وقع فيه من لأواء ، وإنما توجّه جهودها إلى المستقبل بعزيمة ومَضاء ، وكذلك يفعل عقلاء الرجال

ثانياً — وزارة الدفاع الوطنى هناك تنشر الإعلانات من وقت إلى وقت فى دعوة الشبان إلى الإقبال على الجندية ، وهى ترغّبهم بشتى الوسائل كأن تقول إن مرتباتهم فى أيام الدراسة

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٢ —

العلوم المساعدة

المقبل على دراسة التاريخ وكتابته ينبغى أن يعلم من أول الأمر أنه مقبل على عمل شاق يتطلب الجهد والتضحية والصبر الطويل ، وأنه تلزمه دراسة عميقة وتحصيل جدى . وأنواع المعرفة الإنسانية متداخلة متشابكة فيما بينها ؛ ولا يمكن أن يُدرس علم معين مستقلاً بذاته عن باقى العلوم الأخرى . فمثلاً لا يستطيع الإنسان أن يفهم القرآن بدون أن يعرف اللغة العربية وعلم القراآت والفقه ... وكذلك دراسة التاريخ متصلة بأنواع مختلفة من المعرفة الإنسانية . وكاتب التاريخ ينبغى أن يكون واسع الثقافة عارفاً بالعلوم المتصلة مباشرة بدراسة وكتابة التاريخ . ويمكن أن تسمى أنواع المعرفة اللازمة للمؤرخ بالعلوم المساعدة ؛ وهى تختلف باختلاف العصر الذى يرغب الكتابة عنه ؛ فالعلوم المساعدة اللازمة لمن يكتب فى تاريخ اليونان القديم تختلف عن العلوم المساعدة الضرورية لمن يكتب فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

ومعرفة اللغات من أهم العلوم المساعدة الضرورية للراغب فى كتابة التاريخ . فلا بد أولاً من معرفة اللغة الأصلية للعصر التاريخى المرغوب الكتابة عنه ، لأن التراجم التى تكفى للثقافة العامة لا تكفى المؤرخ للتغلغل فى تاريخ ذلك العصر . فالراغب فى الكتابة عن تاريخ اليونان القديم لا بد له من معرفة اللغة اليونانية القديمة . ومن يرغب الكتابة عن تاريخ العصور الوسطى فى الغرب يلزمه معرفة اللغة اللاتينية التى كانت سائدة فى تلك العصور . والراغب فى الكتابة عن تاريخ إيطاليا من الضرورى له أن يعرف اللغة الإيطالية . وأهمية اللغات لا تكون بدرجة واحدة بالنسبة للعصور التاريخية المختلفة . فمثلاً الراغب فى الكتابة عن الثورة الفرنسية ليس من الضرورى له أن يعرف اللاتينية ، ومن الأفضل أن يصرف جهده لتعلم لغة أوربية حديثة ؛ ولكن اللاتينية ضرورية لمن يرغب فى دراسة تاريخ الكنيسة حتى فى العصر الحديث . وعلى كل فإنه كلما تعددت اللغات القديمة أو الحديثة التى يلم بها الباحث فى التاريخ اتسع أمامه أفق البحث والاستقصاء . فأى باحث فى التاريخ ينبغى أن يعرف اللغات الأصلية ، قديمة أو حديثة ، المتعلقة بالعصر الذى يدرسه كالهيرغليفية واليونانية واللاتينية والعبرية والعربية والفارسية والتركية لكى يستطيع أن يرجع بنفسه إلى الأصول التاريخية الأولى ؛ وكذلك ينبغى أن يعرف اللغات الأوربية الحديثة الشائعة الاستعمال وهى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، وإن قصر فى معرفة بعضها ينبغى أن يسد هذا النقص ، وذلك لكى يقرأ المؤلفات التى تصدر بهذه اللغات عن العصر الذى يدرسه . وقد تبدو مسألة تعلم اللغات عسيرة ، وقد تجعل أشجع الناس يتردد فى الإقدام عليها ؛ ولكنها دراسة لا بد منها لمن يرغب جدياً فى كتابة التاريخ . ويحسن أن يبدأ الراغب فى كتابة

بمختلف المدارس العسكرية ستكون على هذا الوصف أو ذاك ، وأن حالتهم بعد التخرج ستكون على هذه القاعدة أو تلك ، وأعظم وسيلة فى نظر وزارة الدفاع هى تذكير أولئك الشبان بأنهم سيكونون حُماة البلاد . وهذا روح يدل على الشعور بقوة الذاتية ، ويبشر بمستقبل مرموق ، حقق الله الآمال !

ثالثاً — فى جميع النشرات التى تُصدرها وزارة الدفاع نجد العبارة الآتية :

« يجب أن يكون الطالب عراقياً ، وليس متجنساً »

ومن هذه العبارة نفهم أن الاتجاه الجديد فى العراق يوجب أن يكون الجنود والضباط والقواد من دمٍ عراقىّ سليم ، ولهذا الاتجاه الجديد أسباب لا تخفى على أولى الألباب

زكى مبارك

التاريخ دراسة اللغات الضرورية أثناء وجوده بالمعاهد النظامية ؛ ولكن لا داعي لأن يدرس عدة لغات في وقت واحد. وليس هناك ما يمنع الباحث من دراسة أية لغة جديدة في أي وقت من حياته ؛ ودراسة سنتين في إحدى اللغات الجديدة على الباحث كافية كأساس مبدئي ، يستمر بعدها في المزيد . ويا حبذا لو أمكنه قضاء بعض الزمن في بلد تلك اللغة الجديدة

ومن العلوم المساعدة الأساسية لكتابة التاريخ علم قراءة الخطوط Paleography [١]. وقراءة أنواع الخطوط تدرس بعناية في جامعات الغرب . وتوجد أنواع مختلفة من الخطوط الغربية والشرقية تبقى كالطلاسم حتى يتعلمها الباحث ويتدرب على قراءتها . ودراسة هذه الخطوط توفر عليه الوقت وتجنبه الوقوع في الخطأ فيما لو ترك المسألة لمجرد التعلم بالتمرين ؛ وأحياناً توجد وثائق كتبها سفراء وقناصل الدول إلى حكوماتهم بالشفرة ، وذلك لإخفاء معلوماتها عمن يحتمل أن تقع في يده من الأعداء ؛ فينبغي تعلم فك هذه الشفرة بواسطة المفتاح الخاص بها إن وجد في دار الأرشيف التي يعمل فيها دارس التاريخ . ويوجد بالأرشيف الواحد أكثر من مفتاح واحد على حسب الحالة ، ومفاتيح الأرشيف تختلف من بلد إلى آخر . فمفاتيح أرشيف الفاتيكان تخالف نظيرها في فلورنسا أو فينا أو باريس أو مدريد . وعلم قراءة الخطوط ضروري جداً لدراسة فروع مختلفة من التاريخ مثل تاريخ مصر القديم ، وتاريخ اليونان والرومان ، وتاريخ العصور الوسطى ، والتاريخ الحديث ، حتى أوائل القرن السابع عشر ، بالنسبة لدور الأرشيف في أوربا ، وبعد ذلك العهد تصبح الخطوط واضحة مقروءة . والخط العربي مثلاً كتب بأشكال مختلفة، فمنه : الطومار والنسخي والرقعة ، وقراءتها تحتاج إلى تعلم وتمرين ؛ ولقد وضع بعض القدماء والمحدثين في الشرق والغرب بحوثاً في قراءة الخطوط العربية[٢]. وفي الشرق الأدنى العثماني كتبت الوثائق

---

(١) Encyelopaedia Britannica : Palaeography

(٢) كاتب جلبي : كشف الظنون ، ج ٣ ، طبع لندن ١٨٤٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، طبع القاهرة ١٩١٤ ، أدولف جروهمان: أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٤، =

التركية بعدة خطوط مثل الخط الديواني وخط القيرمة ، وقراءتهما تحتاج إلى تعليم خاص . ومجموعات وثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة تحتوي آلاف الوثائق عن تاريخ مصر المالي والإداري في العهد العثماني وفي عهد محمد علي وخلفائه ، وكلها مكتوب باللغة التركية وبخط القيرمة[١] ؛ وكذلك توجد مجموعات من الوثائق بهذا الخط في سورية وتركيا . وستظل معلوماتنا عن هذه القرون الطويلة قاصرة وناقصة وقابلة للتعديل حتى يتعلم الباحثون قراءة خط القيرمة ، ويتمكنوا من دراسة هذه الكنوز التاريخية على مدي عدة أجيال

ويتصل بدراسة الخطوط علم الدبلومات والوثائق Diplomatics . فيتعلم الباحث لغة ومصطلحات وثائق العصر الذي يدرسه ، وأنواع الورق والحبر الخاص بها ، لكي يستطيع أن يعرف صحة الوثيقة أو بطلانها . ويلزم الباحث أن يعرف بعض نواحي علم الكيمياء لكي يستعين بذلك على فحص هذه الوثائق بنفسه إذا اقتضي الأمر ؛ ثم يأتي علم النومات Numismatics أي علم النقود والمسكوكات . فالعملة والأنواط التي تحمل صور الملوك أو ذكرى حوادث تاريخية معينة ، عليها سنو ضربها تفيد في دراسة التاريخ ، فنعرف منها حقائق عن حكم الملوك وعن مدى انتشار التجارة وعن تاريخ الفنون

والجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة وكتابة

= Moritz, B. : Arabic Palaeography. Cairo, 1905 (اشترك في ترجمته من الانجليزية مع المؤلف الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ عبد الحميد حسن

(١) قيرمة كلمة تركية بمعنى التكسير أو الثني ، لأن خط القيرمة كثير الزوايا والثنايا ؛ ويمكن أن تكتب به معلومات كثيرة في حيز ضيق ؛ وهو معقد ولا يقرأ إلا بعد التعليم والتدريب . ولقد أوجده العثمانيون لتحرير الشؤون الادارية والمالية ولكي يحيطوا محفوظاتهم بالسرية والكتمان . وشاع استعماله في ديوان الروزنامة المصرية ابتداء من القرن ١١ هـ . ولقد كتب زميلي الأستاذ محمد محمد توفيق الوثائقي المترجم بدار المحفوظات المصرية بالقلعة مقالا بمجلة الهلال عدد يونيو ١٩٤١ عن وثائق مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل عهد محمد علي . ولقد وضع بحثا عن مشق خط القيرمة أرجو أن يطبع قريبا حتى يستفيد منه الباحثون .

التاريخ ؛ والارتباط وثيق بين التاريخ والجغرافيا . فالأرض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ ، والظواهر الجغرافية المختلفة لها أكبر الأثر في الإنسان والتاريخ . فالسهول والجبال والصحارى والوديان والأنهار والبحار والمناخ وأنواع الرياح والثروة الطبيعية والموقع الجغرافي تؤثر كلها على تكوين الإنسان وعلى نوع حياته وعلى نوع الحضارة وعلى حوادث التاريخ . فلدرس تاريخ مصر مثلاً لا بد من معرفة أثر ظروفها الجغرافية في التاريخ المصري . فوقع مصر بين الشرق والغرب قد جعلها تجمع ثروة طائلة لمرور التجارة العالميـة بأراضيها في العصور الوسطى ؛ وموقعها الجغرافي جعلها تقف أمام أوربا أثناء الحروب الصليبية . وظروف الجزر البريطانية الجغرافية قد منعت أوربا عن التدخل في شؤونها . وفي الوقت نفسه جعلتها تسيطر على البحار وتتدخل في الشؤون الأوربية في أوقات مختلفة . وأحياناً تتدخل العوامل الجغرافية تدخلاً حاسماً في تغيير مجرى التاريخ . فالعواصف والأنواء قد ساعدت الأسطول الإنجليزي على التغلب على الأرمادا الإسبانية في ١٥٨٨ . وشتاء الروسيا كان من العوامل التي أدت إلى فشل حملة نابليون في ١٨١٢ . فلا بد من الإحاطة بكل هذه الظروف لفهم التاريخ . والتاريخ والجغرافيا متلازمان ولا يمكن استثناء الواحد منهما عن الآخر

والأدب من العلوم المساعدة لفهم وكتابة التاريخ . فدراسة الأدب بصفة عامة توسع عقل الإنسان وتجعله أقدر على الفهم . ولا بد للراغب في كتابة التاريخ من أن يتذوق الشعر لـكي يفهم ملكة الخلق والابتكار . ويلزمه أن يقرأ القصص الأدبي لـكي يتعلم فن عرض الموضوع وإبراز الحوادث المهمة وبحث الشخصيات ، ووضع التفاصيل في المكان اللائم ، وإثارة انتباه القارئ . ويحسن أيضاً دراسة بعض كتب النقد الأدبي لأن هذا يساعد على نقد التاريخ . ودراسة الآثار العقلية لأمة ما أمر ضروري جداً لفهم تاريخ هـذه الأمة . فمعرفة الأدب اليوناني ضرورية لـكتابة تاريخ اليونان ؛ والإلمام بالأدب الإيطالي لازم لـكتابة تاريخ إيطاليا ؛ ودرس الأدب الإنجليزي مهم لفهم تاريخ انجلترا

ويتصل بدراسة الأدب الفنون المرتبطة بالشعب أو بالعصر الذي يرغب الباحث الـكتابة عنه ، مثل فنون النحت والتصوير والعمارة والموسيقى . فمن يرغب في دراسة تاريخ اليونان القديم لا بد له من أن يدرس تطور الفن اليوناني القديم . ومن يرغب الكتابة عن تاريخ النهضة في إيطاليا يلزمه أن يدرس تطور الفن الإيطالي في عصر النهضة . ويمكن جمع ثقافة فنية عامة بدراسة الصور والرسوم في بعض المؤلفات العامة . ويا حبـذا لو أمكن الباحث أن يدرس أهم آثار الفن اليوناني أو الإيطالي في متاحف اليونان وإيطاليا ، ويعيش بعض الزمن في ذلك الجو الفني الخالص بين روائع فنون التصوير والنحت والموسيقى . ولا ريب فإن الفنون خلاصة العواطف الإنسانية ، تعبر أصدق تعبير عن روح العصر ، والتأثر بها يجعل الباحث أقدر على فهم التاريخ وكتابته

ومن المسائل الأساسية لمن يرغب في كتابة التاريخ أن يعلم ما عرفه العالم عن التاريخ قبل أن يكتب التاريخ . فينبغي أن يقرأ بعض آثار كبار المؤرخين السابقين مثل : هيرودوت وتوسيديد وليفي وماكيافيلي وفيكو وجبون وفولتير ... وأن يقرأ بعض المؤلفات الحـديثة عن التاريخ عامة ، وعن العصر الذي يرغب في الـكتابة عنه خاصة . فيلم بثقافة تاريخية عامة ، كما يعرف الطرق التي اتبعها الأقدمون والمحدثون في بحث وكتابة التاريخ

ومن المفيد أيضاً أن يلم الباحث في التاريخ بطائفة أخرى من العلوم المساعدة . فيلزمه أن يعرف شيئاً عن المنطق وتقسيم العلوم لـكي يفهم موضع التاريخ من بقية العلوم الأخرى ، كما ينبغي أن يدرس فلسفة التاريخ فيعرف آراء بعض الـكتاب مثـل : برجسون وكروتشي . وهو محتاج أيضاً لأن يعرف مسائل عامة عن علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والـمالية والقانون والنظريات السياسية ، والرياضة والفلك في بعض الأحيان ، لأنه قد تعرض للباحث كل أو بعض هذه المسائل ، فلا بد من أن يكون ملماً بها ، وإذا لم يكن يعرف بعض هذه النواحي ، فيمكنه تحصيلها بسهولة

الشّعْر

للأستاذ بنيامين خليل

كثيراً ما قامت موازنات بين الشعر والتصوير ؛ فقد قال (سيمونيدس) Simonides : «الشعر تصوير ناطق، والتصوير شعر صامت» . وقال (كوزن) Cousin : « الشعر أول فن من الفنون الجميلة ، لأنه يمثل غير المحدود خير تمثيل » . وقال أيضاً : « ولو أن الفنون — إلى حد ما — بعضها بمعزل عن البعض الآخَر ، فإن فناً منها قد انتفع بموارد جميع الفنون ، ألا وهو الشعر . فمن الكلمات يستطيع صاحب القريض أن يصوغ صورة ، أو ينحت تمثالاً ، أو يحاكى المهندس المعمارى فى تشييد المبانى . وفى مقدور الشعر أن يجمع بين عذوبة اللفظ والموسيقى . ففى الشعر كما يقولون تتلاقى جميع الفنون » .

إن قصيدة عصماء معرض من الصور . ومما لا جدال فيه أن التصوير والنحت يعطياننا — عن شىء لم نره من قبل — صورة أكثر وضوحاً من أى قول أو وصف ؛ ولكن إذا ماوقع الشىء تحت أنظارنا — تنعكس الآية — فنرى ثمة أموراً كثيرة يبرزها الشاعر أمامنا ، وقد كنا لا نراها قبلاً فى الشىء ذاته من تلقاء أنفسنا ؛ فالفنّى هو الذى يصنع الأشياء واضحة كل الوضوح ، أما الشاعر فهو الذى يخلق الأحداث والمعانى .

الشاعر العبقرى مهبط الوحى والإلهام ، ولذا نرى له حاسة فائقة لإدراك الجمال ، وله مشاعر أدق من مشاعر معظم الرجال ، مشاعر مضبوطة ضبطاً محكما . قد يكون المرء شاعراً ولو لم يدرس شيئاً عن علم العروض ؛ أما من يكتب شعراً رديئاً ، أو حقيراً ، فهو ليس بشاعر . لا يحيا الشعر ويدوم طويلاً إلا إذا كان شعراً حياً ، إذ أن ما يصدر عن العقل والعاطفة ينسكب فى القلب .

إن الشعراء والكتاب الذين يعدون فى الطبقة الثانية سرعان ما تنقرض ذكراهم، ويتقلص ذكرهم، ويتوارى فى زوايا النسيان ؛ أما العباقرة منهم فأثرهم خالد إلى الأبد . ألم يعمر شعر (هوميروس) Homer حوالى ٢٥٠٠ سنة دون أن يفقد حرفاً من حروفه ، أو مقطعاً من مقاطعه ، على حين نرى قصوراً شاهقة وقلاعاً حصينة قد دمرت وأتى عليها العفاء ؟ أجل لا يتسنى لنا أن نحصل

وأخيراً من الضرورى جداً ألا يبقى الباحث فى التاريخ فى بلد واحد وفى دائرة محصورة ؛ بل يلزمه السفر والارتحال إلى بلدان مختلفة ، لا من أجل البحث التاريخى فى ذاته فقط ، بل لكى يرى آفاقاً جديدة ، ويكسب خبرة بالناس وبالأوساط المختلفة . ومن الضرورى أن يقضى زمناً فى البلد الذى يدرس تاريخه . والأفضل أن يبدأ الباحث سفره بعد أن ينهى تعليمه الجامعى فى بلده الأصلى ، وبعد أن يقطع شوطاً فى الدرس ، وبعد أن يتعين له العصر الذى يرغب الكتابة عنه ؛ فيسافر وقد تزود بأسلحة نافعة وبدأ طريق البحث العلمى ، فيمضى فى الدرس والكشف عن الحقائق التاريخية ، ويزور الأماكن المختلفة ، ويدرس ويتأمل ؛ والنفس العالية لا تشعر بأنها غريبة فى أى مكان

وهذا كله ملخص عن العلوم المساعدة وعن الإعداد اللازم لمن يتصدى لكتابة التاريخ . وليس المقصود بذلك التوسع فى كل هذه النواحى لذاتها ؛ فإن هذا غير مستطاع . وإنما يكفى المعرفة العامة بقراءة بعض الكتب . وقد تزيد المعرفة فى نواحى معينة من هذه العلوم المساعدة ، على حسب طبيعة العصر الذى يرغب الباحث فى دراسته والكتابة عنه . وقد يبدو من العسير جمع هذه الثقافة العامة ؛ ولكن تخصيص حوالى ست سنوات أو سبع، تفعل العجائب، وتكفى للوصول إلى مستوى مناسب، يزداد بالتدريج . وروح العلم الصحيح لا تعرف العقبات ؛ والإخلاص والصبر يصلان بالباحث إلى الغرض فى أغلب الأحيان .

(يتلى) حسن عثمان

على تماثيل كورش والإسكندر قيصر ، أو على صورهم الحقيقية ، لأن الصور الأصلية لا تدوم ، وما يُنقل عنها تنقصه الحياة وتعوزه الحقيقة . أما الصور الذهنية لعبقرية الرجال وعلمهم ، فتبقى في الكتب بعيدة عن عبث الزمن متجددة في كل حين . وليس من الصواب أن نسميها صوراً لأنها تتوالد وتلقى بذورها في عقول الناس فتنشر في الأجيال المتعاقبة أحداثاً وآراء لا حد لها

***

إذا كان اختراع السفينة فكرة نبيلة ... تلك السفينة التي تنقل الثروة والمتاجر من مكان إلى آخر ، وتصل البلاد المتنائية بعضها ببعض فتتبادل محصولاتها — فما أحرانا أن نعظم الآداب التي تحاكي السفن في كونها تمخر عباب البحار ، ولكنها بحار الزمن المترامية الأطراف ، فتربط العصور المتوغلة في القدم ، فينتفع كل عصر بحكمة العصور الأخرى وثقافتها واختراعاتها !

يحتاج الشاعر إلى مؤهلات كثيرة . يقول (كوزن) Cousin : « من الذي وضع تصميم هذه القصيدة النفل؟ وما الذي ألبسها الحياة والبهاء ؟ الحب . وما الذي أرشد العقل والحب ؟ الإرادة » . ومن المسلم به أن لكل من الرجال قسطاً من الخيال ، أما المحب والشاعر فمن الخيال قد خُلقا كلاهما

إن عين الشعر ترنو في سمو وجلال ، وتسبح من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء ؛ وبينما خيال الشاعر يتصور الأشياء غير المنظورة ، نرى يراعته تصوغها في قالب فني جميل ، تعين للعدم مكاناً وتعطيه اسماً

يقول (شيشرون) Ciceron الخطيب الروماني الشهير في خطبته عن (أركياس) Orchias : « أليس هذا الرجل جديراً بحبي ، جديراً بإعجابي ، جديراً بكل ما أستطيع من وسائل دفاعي عنه ؟ إننا قد تعلمنا عن أكثر الناس حكمة أن التربية والتعليم والمران تكسب المرء تفوقاً في أي فرع من فروع العلم غير الشعر . أما الشاعر فقد صاغته الطبيعة وأيقظته القوى العقلية ، وأوحى إليه بما نسميه روح الإله نفسه » . يقول أفلاطون : « الشعراء أبناء الآلهة ومترجموهم »

***

يرفع الشعر الحجاب عن جمال العالم ، ويبسط على الأشياء المألوفة فيضاً من النور وهالة من الخيال . إن من يحب الشعر حباً حقيقياً لا يعجز عن إحراز قسط وافر من السرور بمظاهر الطبيعة التي لا يرى فيها محبوها إلا جمالاً ، ولا يسمعون منها إلا أنغاماً موسيقية . على أن الطبيعة — مع ما فيها من أنهار عذبة ، وأشجار مثمرة ، وأزاهير أرجة عطرة — لم تبرز الأرض في حلة أبهى وأجمل مما وصفها به الشعراء

نرى الشاعر ينقلنا من المدينة التي تنعقد فوقها سحب الدخان بطريقة ساحرة — ينقلنا من جو ملبَّد بالدخان إلى الهواء الطلق ، إلى الشمس الساطعة ، إلى حفيف أشجار الغابات ، إلى خرير المياه ، إلى تلاطم الأمواج بالرمال — ويساعدنا الشاعر على نسيان هموم العيش ومتاعب الحياة كأننا مستغرقون في حُلم من ألذ الأحلام

***

يجب أن يكون الشاعر ذا معرفة لا بالطبيعة الإنسانية فحسب ، بل بالطبيعة بأكلها أكثر مما يتصف به غيره من الرجال . أخبرنا (كراب روبنسون) Crabbe Robinson أن رجلاً استأذن في مشاهدة حجرة مكتب (وردسورث) Wordsworth ؛ فأجابته الخادم قائلة : « هذه حجرة مكتب سيدي ، ولكنه يقوم بالدرس في الحقول »

***

ولنقدُر الشعر حق قدره يجب ألا ننظر فيه نظرة سطحية ، أو نقرأه على عجل ، أو نطالعه لكي نتكلم أو نكتب عنه ، بل يجب أن يركز الإنسان عقله في وضعه الصحيح

إن كنوز الشعر التي لا تحصى في متناول كل منا ؛ فقد يكون خير الكتب أرخصها ، إذ بثمن كوب من الجعة أو قليل من تبغ ، نستطيع أن نشتري أحد مؤلفات شكسبير أو ملتون ،

الحروب الصليبية

ماهيتها ، تطوراتها ، نتائجها

للأستاذ ر . التميمي

كان مركز البابوية ومقامها قد انحط كثيراً فى أثناء القرن العاشر وأصبح موضوع نزاع الأحزاب فى رومة ؛ واعتلى عرشها أناس لا خلق لهم كانوا سبباً فى تشويه سمعتها الدينية فسقطت أهميتها فى نظر المسيحيين . وحينما اعتلى عرش الأمبراطورية هنرى الثالث اهتم بأمر البابوية وعزم على النهوض بها فعين لها رجالاً من ذوى الكفاءة والمقدرة ؛ وهكذا بدأ البابوات يستعيدون مكانتهم التى كانوا قد أضاعوها خلال القرن العاشر وأخذوا يعملون على إصلاح المساوئ وإعادة المجد البابوى

وأشهر من قام بهذه المهمة الصعبة هو هيلد براند الذى ارتقى عرش البابوية باسم غريغورى السابع ، فلقد نظم شؤون الكنيسة تنظيما محكما وقضى على الفوضى فيها وجمع السلطة الدينية فى يده وحكم على رجال الدين كبيرهم وصغيرهم أن يخضعوا له دون أخذ ورد . وهكذا مهد السبيل لخليفته أربان الثانى الذى رأى بعين البصيرة أن الظروف أضحت مواتية ليقوم بأكبر عمل يعلى به مجد النصرانية وهو إشهار الحروب الصليبية على المسلمين وتخليص الأراضى المقدسة من أيديهم . ولقد اتفق أن هاجت الجيوش السلجوقية الأمبراطورية البيزنطية وهددتها فى عقر دارها فهرع الأمبراطور ألكس يطلب النجدة من البابا أربان الثانى ؛ فلما تلقى هذا تلك الاستغاثة رآها فرصة سانحة لبسط سلطان الكنيسة الكاثوليكية على سائر أنحاء العالم النصرانى فى الشرق والغرب فلبى النداء وقرر السير فى ترتيب حملة صليبية كبرى

لقد كان أربان الثانى فى قراره هذا يستند على ما كان للكنيسة من قوة ونفوذ فى الأوساط المسيحية . إذ أن النصارى يومئذ كانوا لشدة جهلهم يقترفون آثاماً كبيرة ويحملون أنفسهم أوزاراً كثيرة ، ولم يكن أمامهم لرفع تلك الأوزار إلا القيام بالأعمال الصالحة كالحج والصوم وتعذيب الجسم والتقشف فى الملبس والمأكل ، وكان الحج أهم هذه الأعمال وأكثرها ثواباً . أما القتال فى سبيل تخليص بلاد ذلك الحج فهو فى نظرهم أهم عمل يقوم به إنسان لأنه يرضى به ضميره ويقدم أعظم تضحية للعالم النصرانى الذى ينتمى إليه

أو عدداً من الكتب يفيد الإنسان من مطالعتها طيلة العام

وفى تعرف فائدة الشعر ، لا نقصر نظرنا على أثره فى الماضى أو الحاضر فحسب ، يقول مستر متيو أرنولد Mr. Matthew Arnold ولم يقم ثمة من هو أحق بالكلام عن الشعر منه : إن مستقبل الشعر عظيم ، فالفكرة فى نظمه هى كل شىء ، وما عدا ذلك فهو ضرب من الغرور . فى الفكرة تمتزج العاطفة والشاعرية ، فتصبح الفكرة حقيقة . إن أقوى عنصر فى الدين فى أيامنا هذه هو الجانب الشعرى غير المحس فيه

لقد سمى الشعر بحق : سجل أسعد الأوقات وخيرها لخير العقول وأكثرها هناءة ... الشعر ضوء الحياة ، بل هو نفس صورة الحياة ، معبراً عنها بصدق أبدى ... الشعر يخلد كل ما هو خير ، وكل ما كان آية فى الإبداع والجمال ... إنه يزيل عن بصيرتنا الداخلية غشاوة الابتذال التى تخفى عنا عجائب الكون ! ما الشعراء إلا مرايا لتلك الظلال الكبيرة التى يلقيها المستقبل على حاضرنا

وفى الواقع أن الشعر يطيل الحياة : إنه يخلق لنا الوقت إذا قيس الوقت بتتابع الأفكار لا بعدد الدقائق ... الشعر هو روح المعرفة ، لا يحده زمان ولا مكان ، بل يعيش فى روح الإنسان ... فأى مديح خير من أن يقال : إن الحياة يجب أن تكون شعراً مصوغاً فى قالب عملى فنى جميل

ترجمة بنيامين خليل
مدرس الآداب
بالأقباط الثانوية بالمنيا

لقد انتبه البابا أربان الثاني إلى هذه الحالة النفسية فتشجع في إشهار الحرب وزاد في نشاطه وجود طائفة من الأمراء، ولا سيما النرمنديين منهم سمعوا بكنوز الشرق وسلطان ملوكه وأمرائه العظيم فطمعوا فيهما، وتمنوا لو أتيحت لهم الظروف ليكونوا سادة في ذلك الشرق الساحر مثل أولئك الذين ينعمون بأموال وافرة وجاه عظيم وسلطان مطلق

وصادف أن قحطاً شديداً اجتاح القسم الغربي من قارة أوربا وسبب مجاعة وفقراً وموتاً ولا سيما في فرنسا حيث أهلك الحرث والنسل ومات مئات الألوف من الناس وخربت القرى واقفرت المزارع فبات بسبب ذلك كله معظم سواد الشعب في أشد حالات البؤس والشقاء؛ فلما نادى منادي الحرب الصليبية أقبل أولئك الجياع إقبالاً هائلاً عليها أملاً في العثور على أقواتهم اليومية، وهم بعملهم هذا يمتثلون أوامر الكنيسة التي كانوا يخشون بأسها وعقابها من جهة، ويحاربون في سبيل تخليص الأرض المقدسة من أيدي المسلمين من جهة أخرى

والحقيقة أن هذه الحروب لم تكن إلا مظهراً من مظاهر التعصب الديني قامت به البابوية في القرون الوسطى ضد العالم الإسلامي. ولقد أثارها الباباوات وقذفوا بفرسان الغرب وأمرائه إلى ساحات القتال في الشرق ليحققوا منافع مادية لصالح الكنيسة.

ولقد اشترك فيها الملك والأمير والفارس والراجل والنبيل والوضيع والناسك والسارق والراهب والقاتل والتقي والفاجر وكل منهم كان يرمي إلى غاية في نفسه؛ فهذا يريد ملكاً أو إمارة، وذاك يسعى لاكتساب مغنم، وذلك للاغتراف من كنوز الشرق الثمينة. أما السواد الأعظم فقد كان على جهله المطبق لا يريد من وراء تضحياته إلا رضا الكنيسة وتأمين حياة أخروية سعيدة

وهكذا تحركت تلك الجماهير الغفيرة من الغرب إلى الشرق، فكانت حينما تصل إلى البلاد الإسلامية تنقض عليها انقضاض الحيوانات المفترسة فتقتل الناس وتهدم القرى وتحرق ما تجده أمامها من أشجار وزرع ونباتات، وهي بعملها هذا تعتقد أنها تؤدي أقدس واجب تتحمله، وكان الرهبان يشجعون فيهم هذه العقيدة ويستزيدونهم قتلاً ونهباً وتنكيلاً بالمسلمين

وزحفت الحملة الأولى بخيلها ورجلها وشبانها وصبيانها ونسائها وحيوانها قاصدة فلسطين مؤتمة بطيور الأوز ومواشي الماعز، وهي عادة حافظ عليها الجرمان من حياتهم الوثنية الغابرة حين كانوا يقدسون كثيراً من الحيوانات بينها الأوز والماعز، ويتبركون بها؛ فلما زحفوا نحو الشرق مشوا وراءها يلتمسون منها النجاح والظافر. وحينما اجتازت الحملة آسيا الصغرى تعرضت لأشد أنواع المحنة والفاقة والعطش، وكان السلاجقة ينقضون عليهم ويحصدون منهم الألوف حتى لم يبق من تلك الجماهير الزاحفة إلا عدد صغير أمكنه الوصول إلى الديار السورية بعد أن كان عددهم يربو على نصف المليون

وحين وصلت الحملة الأولى كان سوء الحظ ملازماً لسوريا بسبب حكامها السلاجقة وهم من السذاجة بمكان، وكان يحارب بعضهم بعضاً فلم يلتفتوا إلى الخطر الصليبي الذي دهم البلاد. وقد أدت هذه الغفلة التي لا تغتفر إلى ضعف الجبهة الإسلامية ضعفاً لا يمكن وصفه إلا إذا تذكرنا تلك الهزيمة الشنعاء التي مني بها كربوغا صاحب الموصل أمام مدينة أنطاكية، فلقد كان يقود جيشاً عظيماً فيه أكثر من مائتي ألف محارب بعددهم وأقواتهم الكاملة، ومع ذلك فقد انهزم أمام هيا كل بشرية صليبية مزقتهم الفاقة وأهلكهم الجوع وحصدتهم الأمراض السارية، فسجل كربوغا بحماقته صفحة في التاريخ كلها خزي وعار

ولقد كان لهذه الهزيمة نتائج خطيرة جداً؛ فالصليبي الذي أنهكه التعب وأهلكه الجوع أخذ يتقوى بسرعة عجيبة ويستصغر من شأن المسلم الذي دبت فيه عوامل الضعف والخور فولى مدبراً ولم يعقب تاركاً البلاد لأشد أنواع الاعتساف والظلم

هكذا استصغر الصليبيون شأن المسلمين واحتقروا قوتهم المفككة وهزأوا بجبهتهم المتصدعة، فأخذوا يتنقلون من مدينة إلى أخرى، ولا جيش يقف في وجههم، إلا صوتاً ضعيفاً ارتفع من الخليفة الفاطمي بمصر يكلفهم الكف عن اكتساح المدن السورية، ويعرض عليهم صلحاً شريفاً، إلا أن هذا الصوت تبدد بين قعقعة السيوف وهدير الجماهير المسيحية

المتحمسة . وهكذا وصلت حملة الأمراء الأولى إلى فلسطين ، وملكت بيت المقدس . وحين دخلوا المدينة أراقوا دماء المسلمين أنهاراً ، ولجأ اليهود إلى معبدهم فأحرقوه ، فماتوا وسط اللهيب . وفى خلال ثلاثة أيام قتلوا سبعين ألف مسلم ، ولم يرعوا للشيوخ وقار سنهم ، ولا للأطفال حرمة صغرهم ، ولا للنساء ضعفهن ؛ وهكذا برهنوا على همجية مستنكرة وقلوب متحجرة ، لا تجد لها مثيلاً إلا عند أجدادهم القبائل المتبربرة أيام اكتساحهم الإمبراطورية الرومانية

وبعد الحملة الثانية التى انتهت بفشل ليس بعده فشل ، رأى منظمو الحملات الصليبية المتاعب والأخطار الجسمية التى لاقاها الصليبيون فى أسفارهم البرية السابقة ، فعدلوا عنها واستبدلوا بها أسفاراً بحرية أفادت الموانئ الطليانية فوائد جمة ، لأن بحارتها أخذوا ينقلون على مراكبهم الجماهير لقاء أجرة طيبة

لقد كانت وطأة الفرسان الصليبيين شديدة بسبب أسلحتهم ودروعهم وتروسهم وبسبب تمرنهم الطويل على أنواع القتال والمبارزة ، فإذا ما خاض أولئك الفرسان حرباً أو موقعة فترت همتهم وضعفت شوكتهم وأخذوا يشكون من حرارة الطقس ومن شدة بأس المحاربين المسلمين . وكانوا ينتهزون أول فرصة ليعودوا إلى بلادهم تاركين الفكرة الصليبية بين يدى أولئك الأمراء ذوى المطامع ورجال الدين الذين انتدبهم البابا لينفذوا أوامره ويشتركوا فى وضع الخطط الصليبية والإقطاعية المختلفة

لقد ملك الصليبيون شواطئ سورية مع بيت المقدس والبلاد الفلسطينية ومقاطعة الكرك عبر الأردن وانشأوا فيها مملكة بالقدس وإمارات ثلاثاً لاتينية إقطاعية فى كل من طرابلس وانطاكية والرها ؛ ثم رحل معظم المحاربين إلى ديارهم ولم يبق منهم إلا آلاف قليلة مسلحة أخذت على عاتقها أمر الدفاع عن تلك الإمارات ؛ وهؤلاء المدافعون هم أولئك الفرسان الذين ارتبطت منافعهم ومصالحهم بمستقبل البلاد الجديدة اللاتينية . وفى تلك الآونة ألف فريق من الرهبان الفرسان وهيئات دينية عسكرية وظيفتها خدمة الفرنج من الوجهة الصحية وتقديم المساعدات الحربية للدفاع عنهم وعن ممتلكاتهم وهذه الهيئات هى الهيكليون أو الداوية والاسبتاليون والتيوتونيون .

ومما تقدم يفهم أنه كان من السهل جداً على أى أمير مسلم يعرف واجباته ويقدر حرج موقف خصومه أن ينقض بجيش مدرب على أولئك الغرباء وأن يقذف بهم إلى لجج اليم ويخلص البلاد من أحكامهم الجائرة وقوانينهم القاسية ؛ إلا أن شيئاً من هذا لم يحصل إلا بعد مضى نحو نصف قرن على امتلاك اللاتين للشطوط السورية .

وأول من تنبه إلى موقف الفرنج الضعيف هو عماد الدين زنكى صاحب الموصل حينئذ ، فلقد شهر عليهم حرباً شعواء ظل لهيبها مستعراً نحو خمسين سنة ، خاض غمارها هو بنفسه مع جيشه المدرب بضع سنين ، ثم مات مقتولاً ، فخلفه فى الجهاد ابنه نور الدين محمود ومن بعده صلاح الدين الأيوبى وانتهت هذه الحرب بظفر صلاح الدين الكبير وامتلاكه بيت المقدس .

لقد قام صلاح الدين بالمهمة التى تلقاها من سيده وأستاذه نور الدين محمود فأداها على أحسن وجه بعد أن انقض على الجيش الفرنجى فى معركة حطين (صيف سنة ١١٨٧) وسحقه سحقاً ، ثم استرد البلاد من أيديهم الواحدة تلو الأخرى ، واسترد بيت المقدس ، فدخلها صلحاً وعامل الفرنج بمنتهى التسامح والشفقة والرحمة ، فكان مثالاً ممتازاً للحاكم العادل والقائد الظافر المتصف بالشهامة والمروءة ؛ وكأنه بتسامحه ومروءته وشهامته يريد أن يلقى درساً فى الأخلاق العالية والشفقة والرحمة على أولئك السفاكين والقتلة الذين ذبحوا سبعين ألف مسلم ذبح الخراف حين احتلوا المدينة المقدسة

ولقد كان فى نيته وفى مكنته أن يطهر البلاد منهم نهائياً ، لو لم تغتله المنية قبل الأوان ، فترك مهمة التطهير النهائى إلى خلفائه من بعده

على أن الجهاد الذى استأنفه خلفاء صلاح الدين ظل قائماً نحو عصر كامل آخر ، وذلك لأن ذلك الجهاد لم يكن متصل الحلقات بل كانت تتناوبه فترات يتقاتل ويتطاحن خلالها الأمراء والسلاطين المسلمون .

فقد تخاصم الملك العادل مع أولاد أخيه صلاح الدين وتقاتل

سائر الأمراء الأيوبيين ، فكان لنزاعهم الأثر السيئ في نفوس المسلمين ، إذ ضعفت هممهم وانحطت شوكتهم وقلت قيمتهم ، وهذا ما مكن الفرنج من إطالة الإقامة والحكم في إماراتهم اللاتينية المزيلة . على أن التقاتل هذا لم يكن يقتصر على الحكام المسلمين ، بل تناول أيضاً أمراء الفرنج في إماراتهم ، فكان يشتد بين الفرنسيس والإنكليز والألمان ، وبين البنادقة وتجار جنوة ، وبين رهبان طائفتي الداوية والإسبتالية . وفي بعض الأحيان كان ينقلب ذلك الخلاف إلى حرب طاحنة تذهب فيها الأرواح الصليبية بلا حساب

والفرنج الذين كانوا يأتون حديثاً إلى الأرض المقدسة كانوا يختلفون مع إخوانهم القدماء من اللاتين المقيمين في هذه البلاد وذلك بسبب الفروق البارزة في عادات وتقاليد كل من الفريقين . فالشارقة منهم مضى عليهم أكثر من عصر وهم يعيشون في ديار الشرق ويقلدون الشرقيين في مأكلهم ومشربهم ومسكنهم ؛ وصاروا ينظرون إلى مسلمي سوريا نظرة الجار إلى جاره ، فيتعاقدون معهم ، ويبادلونهم السلع ، ويراعون حقوقهم وعهودهم ، وذلك بخلاف حملات الفرسان التي كانت تدهم البلاد بخيلها ورجلها وتعصبها الذميم وقوتها المتناهية ، فقد كان رجالها يجهلون الإسلام والمسلمين ولا يعرفون عنهم إلا أموراً وآراء خاطئة ومشوهة ؛ فإذا ما دهموا بلداً لهم أو قرية انقضوا عليها انقضاض الباشق على فريسته ، وهكذا كان الخلاف يشتد بين فريقي اللاتين القدماء والجدد ، وكان يرمي بعضهم بعضاً بأشنع التهم ؛ فقد كان الغربيون يقولون مثلاً إن الشارقة خونة لا عهد لهم ولا ذمة، يصادقون المسلمين أعداء النصرانية ويتعاقدون معهم؛ أما الشارقة وهم الذين صقلت طباعهم وتهذبت أخلاقهم وهدأت ثورة التعصب الذميم عندهم بفضل مجاورتهم للشرقيين ، فقد كانوا يرون في فرسان الحملات المتتابعة شراسة في الطبع وغلظة في الخلق مع قوة متزايدة وجشع في سفك الدماء وميل غريزي للنهب والسلب ، فكانوا لذلك يحتقرونهم ويخشون بأسهم

ولقد بحث الفارس المسلم والأديب المعاصر أسامة بن منقذ الكناني الشيزري في مذكراته « كتاب الاعتبار » عن اختباراته الشخصية في عادات الأفرنج الصليبيين فقال : ليس عند الأفرنج شيء من النخوة والغيرة ، وهم يعالجون مرضاهم بطرق ابتدائية ، وبما كون الذنبين منهم بأساليب غبية عجيبة ، وكل من هو قريب العهد بالبلاد الأفرنجية يكون أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين . ثم يذكر أنه نفذ صاحباً له إلى أنطاكية في شغل ، وكان بها الرئيس تادرس بن الصفي — وهو يقصد بثودوروس صوفيانوس — وكان بينهما صداقة، فقال هذا الصاحب لأسامة الموفد إلى أنطاكية يوماً : « قد دعاني صديق لي من الإفرنج : تجيء معي حتى ترى زيهم » ، فمضى المسلم إلى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في أول خروج الإفرنج ، وقد اعتفى من الديوان والخدمة ، وله بأنطاكية ملك يعيش منه ، فأحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة ورأى المسلم موقفاً عن الأكل فقال له :

« كل طيب النفس فأنا ما آكل من طعام الإفرنج ولي طباخات مصريات ما آكل إلا من طبيخهن ولا يدخل داري لحم خنزير »

فأكل المسلم وهو محترز ثم انصرف

(فلسطين) ر . التميمي

الكف وأسرار النفس

لالأستاذ أحمد السنوسي

إخصائي الحالات النفسية

سنة . . .

الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

سَنةٌ مرّت ولا كلُّ السنين
بين صيف من هوانا وشتاء
وربيع كلما غام أضاء
والضحى والليل حيناً بعد حين

***

سنةٌ كان لها نجم فريد
غمر الشمس وغطّى القمرا
ومشى فى حسنه منتصرا
كل برج تحته برج سعيد

***

إن يكن لى فى سناه رقباء
فالذى أرصده لم يرصدوه
والذى أنشده لم يَنشدوه
والذى هاموا به عندى هباء

***

سنةٌ مرت على روض الغرام
أنبتت فيه فنون الشجر
من رياحينَ وغرسٍ مثمر
وسل الأرواح ما أزكى الطعام

***

يومها الأول وافى ودنا
فانس أيامك فى ساعاته
واجمع الصافىَ من لذّاته
جرعةً ، واطرَب عليها زمنا

***

جرعة نجمع فيها سكرَ عام
إن شربناها فقد تشربُنا
أو سكبناها فقد تسكبنا
فى الهوى روحين فى كأس وئام

***

جدد الذكرى وقرّب لى العِيان
فهما يا صاحبى بين يدىّ
حضرا الساعة يا صاح لدىّ
ربة الذكرى وذكراها قران

***

هات لي الذكرى أراها وترانى
غضةً ملموسة فى راحتىّ
حلوة معسولة فى شفتىّ
جنةً تنبت فى كل أوان

***

جنتى لا حيّةٌ تخرجنى
أبداً منها ولا أحياؤها
لا ولا إبليس أو حوّاؤها
أنا فيها خالد كالزمن

***

أنا منها وهى منى فى الضمير
فإذا فارقتها بالنظر
لم يفارقها ضميرى عُمُرى
وله العصمة من مس السعير

***

سنةٌ كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنةً ثانيةً بل سنوات
ولنا منك مزيد المستزيد

***

أنت يا نجم معيدٌ ما تشاء
لا السموات ولا داراتها
غُنيةٌ عنك ولا أوقاتها
أنت ميقات وشمس وسماء

***

أنت تدنيها سماء زَلَفا
تنسج الوقت لنا منفردين
لا مشاعا كنسيج النيّرين
بل لنا طوع يدينا وكفى

عباس محمود العقاد

أخبار سلم الخاسر

للأستاذ حسن خطاب الوكيل

هو سلم بن عمرو مولى بنى تيم بن مرة ثم مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وكان من سبب تسميته بالخاسر أنه ورث عن أبيه مالاً كثيراً – مائة ألف درهم – أنفقها كلها فى طلب الشعر والأدب والموسيق . كما أنه ورث مصحفاً من أبيه كان لجده من قبل فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، لذلك لقبه بعض أهله وجيرانه بالخاسر وقالوا أنفق ماله على ما لا ينفعه . فأسرها سلم فى نفسه ولم يبدها لهم . ومضى فى سبيله يجد فى طلب الشعر وراويه ، والأدب وذويه ، حتى حاز قصب السبق وصار علماً من أعلامه ، وشاعراً مطبوعاً متصرفاً فى فنون الشعر ، وراوية لبشار ابن برد أستاذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف . ومدح الملوك والأمراء ، وتحدى الشعراء . ومن محاسن الصدف أنه مدح المهدى العباسى بقصيدة فأعجب بها وأمر له بمائة ألف درهم ، وكان المهدى على علم بسبب تسميته بالخاسر ، فقال خذ هذا المال وكذب به جيرانك ؛ فجاءهم سلم بالمال وقال لهم هذه المائة ألف درهم التى أنفقتها وربحت الأدب . فأنا إذاً سلم الرابح لا سلم الخاسر

وحدث أن أستاذه بشار بن برد بعثه إلى عمر بن العلاء بقصيدة مدحه بها وهى التى يقول فيها :

إذا نبهتك صعاب الأمور فنبه لها عمراً ثم نم

فلما جاءه سلم بها وأنشده إياها أمر عمر بن العلاء بمائة ألف درهم لبشار بن برد ؛ فلما رأى سلم المال الموهوب لأستاذه بشار تحركت نفسه وتلمظت شفتاه إلى نيل جائزة له أيضاً . فقال لعمر بن العلاء إن خادمك — يعنى نفسه — قد قال فى طريقه إليك قصيدة فيك . فقال له عمر — فإنك لهناك — فأجابه سلم . تسمع ثم تحكم ، فقال عمر هات فأنشده قوله :

قد عزنى الداء فـالى دواء مما ألاق من حسان النساء

قلب صحيح كنت أسطو به أصبح من سلمى بداء عَياء

أنفاسها مسك وفى طرفها سحر ومالى غيرها من دواء

إلى أن قال :

كم كربة قد مسنى ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء

فأعجب بها عمر وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت عطية سنية لم تخطر له ببال

وكان من خبره أنه حدث بينه وبين أستاذه بشار فتور وانقطاع بسبب أنه أخذ معنى لبيت من شعر بشار وصاغه فى بيت له قضى به على بيت بشار وسارت بحديثه الركبان ، وأصل البيت من قصيدة لبشار :

لا خير فى العيش إن دُمنا كذا أبداً

لا نلتقى وسبيـل الملتقى نهج

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم ما فى التلاق ولا فى غيره حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فعمد سلم الخاسر إلى البيت الثالث وصاغه هكذا :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللـذة الجسور

فبينا بشار بن برد فى منزله إذ دخل عليه أبو معاذ النميرى فقال له : لقد قال سلم الخاسر بيتاً من الشعر هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك، فقال له بشار وما هو ؟ أنشدنيه . فأنشده قول سلم :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللـذة الجسور

فقال بشار : سار والله بيت سلم وخمل بيتنا . وكان كذلك إذ لهج الناس ببيت سلم وصار مثلاً من الأمثال السائرة ؛ أما بيت بشار فلم يتمثل به أحد ؛ فغضب بشار من سلم وحلف ألا يدخل عنده ولا يفيده ولا ينفعه ما دام حياً . فلما علم سلم بذلك وطال عليه جفاء أستاذه شق عليه ذلك فاستشفع إليه بكل صديق له ، وكل من يثقل عليه رده ، فكلموه فيه ؛ فبعد اللتيا والتى قال بشار : أدخلوه إلى ، فاستدناه ، فلما كلمه قال : إيه يا سلم ! من الذى يقول : من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... الخ . قال سلم : أنت يا أبا معاذ ، جعلنى الله فداك . فقال بشار : فمن الذى يقول :

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

قال سلم تلميذك وخريجك وعبدك يا أبا معاذ

فاجتذبه بشار إليه وقنعه بمخصرة كانت بيده ثلاثاً وقال له : يا فاسق ! أتجيء إلى معنى قد سهرت له عينى، وتعب فيه فكرى، وسبقت الناس إليه ، فتسرقه ثم تختصره لفظاً تقربه به لتزرى على وتذهب ببيتى ؟ فحلف له سلم ألا يعود لشيء مما يكرهه وينكره منه ، فرق له ورضى عنه

ومن طريف ما حدث لسلم الخاسر أن أبا العتاهية حقد على سلم وحسده على ما يناله من الحظوة والجوائز عند الملوك والأمراء فأرسل إليه ببيتين من الشعر يرميه فيهما بالحرص وهما :

تعالى الله يا سلم بن عمرو   أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تصير إليك عفواً   أليس مصير ذاك إلى الزوال

فلما قرأهما سلم غضب من أبى العتاهية وقال : ويلى على الجرار ابن الفاعلة الزنديق ! زعم أنى حريص وقد كنز البِدر وهو يطلب المزيد ، وأنا فى ثوبىّ هذين لا أملك غيرهما ، ولما سرّى عنه كتب إليه هذه الأبيات :

ما أقبح التزهيد من واعظ   يزهّد الناس ولا يزهد
لو كان فى تزهيده صادقاً   أضحى وأمسى بيته المسجد
ورفض الدنيا ولم يلقها   ولم يكن يسعى ويسترفد
يخاف أن تنفد أرزاقه   والرزق عند الله لا ينفد
الرزق مقسوم على من ترى   يناله الأبيض والأسود
كل يوفى رزقه كاملا   من كف عن جهد ومن يجهد

* * *

هذا فصل فى الكلام قد ساق إليه البيان عن بعض أخبار سلم الخاسر تفكهة للقراء ، ولنتخذه دليلاً ثانياً وحجة ناصعة فى إثبات أن الجزء الحادى والعشرين من كتاب الأغانى هو من الأغانى ، وسبق أن قدمنا فى حجتنا بقصة إسحاق الموصلى وغلامه زياد ، وأنها لم تذكر إلا فى الجزء الحادى والعشرين منه وأقرها ابن منظور فى مختصره « الأخبار والتهانى » ، فكذا هنا قصة سلم الخاسر مع أهله وجيرانه ، وسبب تسميته لم تذكر إلا فى الجزء الحادى والعشرين من الكتاب ، وهى بطبيعة الحال جاءت فى مختصر الأغانى (حرف السين) ، ولولا ذهاب المخطوطات إلى المخابى لأتينا بالنص كما هو مدون فى محله ، والله يهدى السبيل

حسن خطاب الوكيل

المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

تأليف المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

مقدمة المؤلف — القاهرة سنة ١٨٣٥

فى زيارة سابقة للقاهرة قصدت بها — على الأخص — دراسة اللغة العربية فى أشهر مدرسة، جمعت أكثر همى ملاحظة شمائل المصريين المسلمين وعاداتهم ؛ وسرعان ما أدركت بعد معاشرة هذا الشعب سنتين ونصف سنة أن كل ما أمكننى الحصول عليه سابقاً من الأخبار المتعلقة بهم، لا يكفى ليكون ذا فائدة كبيرة لمن يَدْرُس الأدب العربى ، أو ليقضى حاجة القارئ العادى . لذلك رغبت فى تدوين الملاحظات عن أشهر عاداتهم لأستزيد لنفسى من جهة ، ولأستطيع أن أزيد فى معرفة مواطنى بالطبقات المتحضرة لأمة من أهم أمم العالم من جهة أخرى، وذلك برسم صورة مفصلة عن سكان أكبر مدينة عربية . إلا أن زيارتى الأولى لم تكف لبلوغ هذا الغرض مع متابعة دروسى الأخرى ، فصرفت النية عن نشر ما قيدته عن المصريين المحدثين . وبعد خمس سنوات من عودتى إلى انجلترا عُرِضت هذه المذكرات على بعض أعضاء من لجنة جمعية نشر المعارف المفيدة Commettee of the Society for the diffusion of useful knowledge فاستحسنوها وأوعزوا إلى اللجنة أن تعنى بموضوعاتها، وطرافة بعض محتوياتها، فعهدت إلىّ تكملتها ثم طبعها . وقد كان ذلك حافزاً لى على قبول النصيحة ومتابعة العمل . وفى أقرب فرصة عدت ثانية إلى مصر . وبعد أن أقمت أكثر من سنة فى عاصمة ذلك البلد ، ورحلت نصف سنة فى الوجه القبلى ، أتممت — بقدر ما استطعت — العمل الذى تعهدت به

قد يقال إن القارئ الإنجليزى استفاد من كتاب الدكتور رَسل Russel عن أهل حلب وصفاً صادقاً لشمائل العرب وعاداتهم ؛ ولا أحب أن أصم أماننى الكتابية التى أدعيها بمحاولة التقليل من المزايا الحقيقية لهذا الكتاب القيم ؛ ولكن يجب أن أؤكد أن الكتاب فى مجموعه قد وصف العادات التركية أكثر مما وصف العادات العربية ، وأن المؤلف الأصلى وأخاه الذى ندين له بالطبعة المزيدة المنقحة ، لم يكونا يعرفان اللغة العربية معرفة كافيـة لإنعام النظر فى بعض ما يقتضى وضع الكتاب معالجته من الموضوعات المهمة ، ولم يكن منصبهما المعروف فى حلب ولا شعورهما الوطنى يسمحان لهما أن يتنكرا هذا التنكر الضرورى الذى يمكنهما من إيلاف الكثير المهم من الحفلات الدينية ، والأفكار الاجتماعية ، والأساطير الشعبية، التى قاما بوصفها . فنقص الملاحظة هو الخطأ الوحيد الذى استطعت أن أكشف عنه فى كتابهما العلمى الجليل

أما ظروفى فكانت غير ذلك . فقبل قدومى الأول إلى هذا البلد شدوت شيئاً من العلم بلغة العرب وآدابهم . وكنت أستطيع — بعد سنة من قدومى — أن أتحدث إلى الشعب الذى كنت أعيش بين أفراده فى شيء من السهولة . وقد عايشت بصفة خاصة مسلمين من جميع الطبقات ؛ وأخذت إخذَهم فى الحياة العامة . وكنت أصرح دائماً أننى أوافقهم على آرائهم كلما سمح بذلك ضميرى اكتساباً لصداقتهم وإخلاصهم ؛ وفى أحوال كثيرة أخرى أمسكت عن مخالفتهم فى الرأى ، بقدر ما امتنعت عن أى عمل ينفرون منه . فأمسكت عما يحرمه دينهم من الطعام والشراب ، وتركت ما لا يألفونه من العادات والأساليب : كاستعمال الشوك والسكاكين . واستطعت بفضل ألفتى لحفلاتهم الدينية العامة أن أشاهد أعيادهم وطقوسهم ، من غير أن أثير الشك فى أننى أجنبى لا يحق له التدخل فى شؤونهم . وبينما كان العامة يظنوننى تركياً — من ملابسى التى وجدتها أكثر ملاءمة لى —

كان أصدقائى يعرفون طبعاً أننى إنجليزى . ولكنى ألزمتهم أن يعاملونى معاملة المسلم باعترافى مختاراً بأثر العناية الإلهية فى ظهور الإسلام وانتشاره، وبإقرارى، عند ما أسأل، باعتقادى فى المسيح طبقاً لما جاء فى القرآن من أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه . وهكذا حسُن رأيهم فىَّ وقويت ثقتهم بى، ولكن إلى حدلم يغننى عن مجابهة بعض الصعاب. والمسلمون يكرهون أن يبوحوا بشىء يتعلق بدينهم أو بأساطيرهم للذين يشتبهون فى أنهم يخالفونهم فى العاطفة؛ ولكنهم لا يأبون الكلام فى هذه الموضوعات مع من يعتقدون أن بينه وبينهم معرفة وألفة . لذلك كنت أعمد إلى سؤال الذين هم أكثر تساهلاً وأقل علماً لأجل الذين هم أوسع معرفة وأضيق صدراً على الكلام فى المسائل التى أريدها . وبهذه الطريقة نجحت فى التغلب على ترددهم . وكان لى أستاذان للعربية وآدابها، وللدين الإسلامى وفقهه ، يدرسان لى بانتظام وبأجر . وكنت أسألها عما أشك فيه لأحقق ما سمعته فى أحاديثى مع أصدقائى ، أو أصححه أو أضيف إليه . وأحياناً كنت أتصل بالسلطات العليا ، وكان من دواعى غبطتى أن أعد بين أصدقائى فى هذه المدينة بعض رجال بلغوا شأواً بعيداً فى المعارف الشرقية

وربما يفيد القارئ أن أعرِّفه بأحد معلمىَّ اللذين أشرت إليهما آنفاً ، وأن أبين له فى الوقت نفسه كيف كان كثيره من مواطنيه ينظر إلىَّ : ذلك هو الشيخ أحمد (أو السيد أحمد ، لأنه من طبقة «الأشراف» الكثيرة العدد : أى من سلالة النبي) وكانت سنه تربى على الأربعين باعترافه ، ولكن يبدو عليه أنه يناهز الخمسين . وكانت سحنته وخليقته تستحقان الذكر : كان ربعة إلى القِصر ، وكان أصهب اللحية قد وَشمها الشيب . ويظهر أن العوَر قد أصابه منذ سنوات عديدة . وهو يكحل عينيه فى المناسبات الخاصة ولا سيما فى عيدى الفطر والأضحى. والكحل قلما يستعمله غير النساء . وهو لا يفتخر بانتمائه إلى الرسول فحسب ، بل يتمدح كذلك بانتسابه إلى الولى المشهور الشعراوى[1] . وبشرته الصافية تؤيد ادعاءه أن أجداده عاشوا منذ أجيال فى مناطق أفريقا الشمالية الغربية . وكان يعيش على ميراث قليل مع اتجاره فى الكتب . وكان يزورنى كل ليلة تقريباً لينتفع من مهنته من ناحية ، وليجتمع بى ، أو ليتحدث إلىَّ للتدخين وشرب القهوة من ناحية أخرى

وكان قبل احترافه تجارة الكتب وراثةً عن أبيه، قد قضى بضع سنوات لم يحترف فيها غير الذكر فى الحفلات الصوفية . والذكر عبارة عن جماعة يقفون مترنحين يرددون اسم الله وصفاته الخ . وهو لا يزال إلى اليوم يقوم بهذا العمل . وكان حينئذ درويشاً فى الطريقة السعدية ، وأهل هذه الطريقة معروفون على الأخص بأكل الثعابين الحية . ويقال إنه كان واحداً من آكلى الثعابين ، ولكنه لم يقصر نفسه على أكل بهضم بمثل هذه السهولة . ففى ذات ليلة بينما كان فريق من أهل طريقته فى حفل حضره شيخهم ، اعترت صديقى جذبة ، فخطف زجاجة طويلة كانت تحيط بقنديل موضوع على الأرض وأكل جزءاً كبيراً منها . . . فدهش الشيخ والدراويش الآخرون ، ونموا عليه خروجه على نظم الطريقة ، لأن أكل الزجاج لم يكن من الكرامات التى كان يسمح لهم بإظهارها . ثم طردوه فى الحال ، فدخل فى الطريقة الأحمدية . ولما كان أهل هذه الطريقة هم أيضاً لا يأكلون الزجاج ، فقد عزم على ألا يعود إلى فعلته مرة أخرى ... غير أنه بعد ذلك بقليل أخذته هذه الجذبة فى اجتماع بعض الإخوان من أهل الطريقة وفى حضرة كثير من رجال الطريقة السعدية ، فوثب على شمعدان وقبض على مصباح من مصابيحه الزجاجية الصغيرة ، فابتلع نصفه وشرب ما فيه من الزيت والماء . فقادوه إلى شيخه ليعزره على هذا التعدى ، ولكنه أقسم ألا يعود إلى أكل الزجاج أبداً ، فعفا عنه وأبقاه فى الطريقة . وعلى الرغم من حلفه اليمين لم يلبث أن عاد إلى ديدنه من أكل الزجاج . وقد حاول أحد الحاضرين من الإخوان أن يقلده فنشبت قطعة كبيرة من الزجاج بين لسانه وسقف حلقه، وقد شق على صديقى أحمد استخراجها . فأعيد ثانية إلى شيخه ، ولما لامه على الحنث بقسمه والرجوع فى توبته أجاب بهدوء : أتوب مرة أخرى . وما أحسن التوبة ، لأن الله قال فى

(١) هكذا ينطق عادة ، بدلا من الشعرانى

كتابه العزيز: « إن الله يحب التوابين » فصاح الشيخ مغتاظاً: أتجرؤ على هـذا التصرف ثم تستشهد بالقرآن أمامي؟ » ثم أمر بعد هذا التوبيخ أن يسجن عشرة أيام. ثم طلب منه القسم مرة أخرى على أن يمتنع عن أكل الزجاج وبهذا سمح له بالبقاء في الطريقة الأحمدية؛ وقد حرص على أن يبر بقسمه هذه المرة

وقد قص عليَّ هـذه الوقائع مَن كان مكلفا بمراقبته من الإخوان ثم اعترف لي هو بعد ذلك بحقيقتها

وقد عرفت الشيخ أحمد قانعاً بزوجة واحدة من زمن طويل؛ إلا أنه سمح لنفسه الآن بزوجة أخرى (١) استمرت تعيش في منزل أهلها. ومع ذلك فقد اهتم بأن يؤكد لي أنه ليس من الغنى بحيث يرفض الكسوة السنوية التي أهديها إليه. وفي زيارتي الثانية لمنزله أثناء إقامتي الحالية في هذا المكان حضرت أمه لدى باب الغرفة التي كنت جالساً فيها معه، لتشكو إليَّ سوء عمله باتخاذه زوجة جديدة. وكانت تشير بيديها من خلال الباب بالحركة اللائقة ليكون لكلامها تأثير؛ أو لعلها كانت تريد أن تظهر جمال راحة اليد وأطراف البنان المخضوبة بالحناء الرطبة. إلا أنها كانت تستر شخصها، فأخذت تناشد شعوري بقوة وتقول:

« يا أفندي! إني أضع نفسي تحت رحمتك! أقبل قدميك! لا أمل عندي إلا في الله وفيك »

فقلت لها: «ما هذا الكلام يا سيدتي؟ أي مصيبة أصابتك؟ وماذا أستطيع أن أصنع لك؟ أخبريني »

فاستمرت تقول: إبني هـذا، إبني أحمد، شخص لا قيمة له. له زوجة طيبة، عاش معها سعيداً على بركة الله ستة عشر عاماً. وها هو الآن يهملها ويهملني ويتخذ زوجة أخرى صغيرة السن قليلة الحياء... وهو يبدد نقوده على هذه القردة وعلى غيرها من أمثالها، وينفق على أبيها وأمها وأعمامها وأخيها وأولاد أخيها، ولا أعلم من عداهم، ثم يقصر في حقنا — أنا وزوجته الأولى — ولا يوفر لنا الراحة التي تعودناها من قبل... والنبي! ورأسك الغالي! إنني أقول الحق... أقبل قدميك، أرجوك أن تلح في تطليق زوجته الجديدة...

وكان الرجل المسكين أثناء مخاطبة أمه لي من وراء الباب ينظر بغباء، وما كادت تذهب حتى وعد بتحقيق رغبتها... ثم قال: على أن المسألة صعبة، فقد كنت متعوداً أن أنام أحياناً في منزل شقيق البنت التي تزوجتها أخيراً، وهو يشتغل كاتباً عند عباس باشا... ومنذ أكثر من سنة، أرسل عباس باشا في طلبي وقال: سمعت أنك تنام غالبا في منزل كاتبي محمد... لماذا تفعل هذا؟ ألا تعلم أن هذا غير لائق وفي المنزل نساء؟...

فقلت: سأتزوج من أخته...

فسألني الباشا: إذاً لماذا لم تتزوجها من قبل؟

— لأن سنها تسع سنوات فقط!

— هل عقد العقد؟

— لا...

— ولم لا؟

— ليس في قدرتي الآن دفع المهر

— وما مقدار المهر؟

— تسعون قرشاً. فقال الباشا

— هاك إذاً النقود... وليعقد العقد حالاً

فهكذا تراني أنني اضطررت إلى التزوج من البنت، وأخشى أن يغضب الباشا إذا طلقتها؛ ولكني سأتصرف تصرفاً يجعل أخاها يشدد في طلب الطلاق، ويومئذ أعود ثانية إلى عيش السلام والهدوء. وهذا مثل طيب للراحة التي ينعم بها من يتزوج اثنتين!

ومنذ وقت قريب عرض عليَّ نسخة من القرآن لأشتريها، وظن من الضروري أن يلقي إليَّ بعض المعاذير. وقد لاحظ أنني من طول ما ألفت طقوس المسلمين أقر ضمناً أنني واحد منهم، وأن من الواجب عليه أن يعتبرني أحسن اعتبار، وأنه يفعل ذلك مطمئن النفس، لأنه يعلم أن اعتقادي علانية بالإسلام يُغضب عليَّ مليكي، وأنه لأجل ذلك لا يمكنني أن

(١) وقد قال لي إنه تزوج أكثر من ثلاثين مرة، ولكني أعتقد أنه يبالغ كثيراً

أفعل هذا[1] وقال لى « : إنك تحيينى بقولك : السلام عليك . إلا أكون آثماً لو قلت أنك كافر ، لأن الله عز اسمه قال : ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » . ثم أضاف إلى ذلك قوله : «ومع هذا أليس حراماً أن أضع بين يديك القرآن الكريم . ولكن من مواطنيك من يأخذه بيده القذرة ، بل ويجلس عليه . وأنا أستغفر الله من مثل هذا الكلام وأستبعد أن تفعل هذا وأنت والحمد لله تعرف أنه : « لا يمسه إلا المطهرون » وتراعيه . وفى مرة أخرى باع نسخة من القرآن بناء على طلبى لمواطن لى ؛ وفى أثناء انعقاد الصفقة دخل الغرفة إنسان ، فانزعج مواطنى وأسرع فوضع الكتاب على المقعد وخبأه بجزء من ملابسه . فأخجل هذا العمل الكتبي ، وظن أن صديق جلس على الكتاب ، وأنه يفعل هذا احتقارا له ؛ فلم يخف باعتقاده أن الله سيعاقبه أشد عقاب على هذا البيع الحرام ؛

وكان هناك شيء واحد صعُب عليَّ أن أقنعه بعمله أثناء زيارتى السابقة لهذا البلد ؛ وهو أن يذهب معى فى وقت خاص إلى مسجد الحسين — وهو المدفن المشهور لرأس الحسين — وأقدس المساجد فى العاصمة المصرية . وبعد ظهر يوم من أيام رمضان كنت أمشى وإياه أمام أحد أبواب هذا الجامع ، وكان ساعتئذ يغص بالأتراك ، وكثير من سكان المدينة العظماء بين الحشد ... فظننت أنها مناسبة طيبة لأشاهده من كثب ، وطلبت من رفيق الدخول معى فرفض بحزم خوفاً من أن يُعرف أننى انجليزى ، وكان من الممكن أن يثير ذلك غضب المتعصبين من الأتراك الموجودين هناك فأعرض نفسى إلى بعض الأذى . فدخلت وحدى وبقى هو بالباب يتهمنى بعينه الوحيدة متعجباً من جرأتى ؛ فلما رآنى عارفاً بالأساليب العادية : أطوف حول الستر البرونزى المحيط بالضريح ، وأقوم بأوضاع الصلاة المتتابعة ، دخل وأقام صلاته بجانبى

وأود بعد سرد هذه الحكايات أن أذكر أن أخلاق أصدقائى الآخرين لا يلاحظ عليها مثل هذا الشذوذ . وكان استقبالى لضيوفى لا يخرج عن عادات الضيافة الشرقية المألوفة . كنت أقدم إليهم الشبك والقهوة وأدعوهم إلى مشاركتى الغداء أو العشاء . وقد كتبت الكثير من أخبارهم بالعربية بإملائهم ثم ترجمتها إلى الانجليزية ونشرتها فى هذه الصفحات

والقصد الأول من وضع هذا الكتاب هو تمحيص الأشياء وتحقيق الحوادث ؛ فلم أضح بالحقيقة فى سبيل تجميل القصة . أما الصور التى نشرت فيه فقد رسمتها للشرح لا للزينة .

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) من الاعتقادات الشائعة لدى المصريين أن كل سائح أوربى يزور بلادهم يكون رسولا من ملك بلاده ، ومن الصعب إقناعهم بالعكس إذ هم يستغربون تعرض الشخص لكثير من المضايقات والنفقات بقصد الحصول على معارف الأمم الأجنبية .

حول التعليم الإلزامي

هؤلاء الجنود المجهولون

للأستاذ محمد كامل حتة

إلى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

ليس عجيباً أن يجرى قلمك فى قضية المعلم الإلزامى بما جرى به من البيان الرائع والدفاع المحكم والحجة البالغة ؛ فإن هذا القلم الذى وقفته على نصرة الحق فى جميع صوره وقضاياه خليق بأن يكون له فى هذه القضية بلاء يزلزل جوانب البغى ، ويفضح مسارب الهوى ، ويسفر عن أوجه الحق وضيئة ساطعة !

إن قضية المعلم الإلزامى ، هى فى الواقع ومع النظر الدقيق ، ليست إلا قضية الأجيال المقبلة التى تتكون على يديه وتنطبع على غراره . وليس من اليسير أن نتصور حياة هذه الأجيال ومظاهر وجودها شيئاً منفصلاً عن حياة هذا المعلم الإلزامى ومظاهر وجوده . ومن هنا كان الوضع الحاضر للمعلم الإلزامى جريمة فى حق الشعب الذى تتصايح الدعوات فى كل مكان بالحرص على مستقبله والرغبة فى إنصافه وإسعاده . وكان المقياس الصادق للوطنية فى مصر ما يبذل فى سبيل المعلم الإلزامى من جهود مخلصة ، تهيئ له النهوض بأعبائه الثقال فى مكافحة الجهل والفقر والمرض والانحلال ، وتنشئة الأجيال القادمة على الصورة التى تتحقق بها معانى الوجود ومقومات الحياة ...

أما أن يضيق على المعلم الإلزامى فى الرزق ، حتى لا يكاد يقيم أوده ويستمر مظاهره ويلحق بقافلته ؛ ثم يحمل من الأعباء الثقال عملاً مرهقاً وحساباً عسيراً وتقديراً مجحفاً ، ثم تتكأكأ عليه التهم الجائرة والدعايات النكراء ، فتلك إساءات مؤذية ، أهون مظاهرها أن تصيب أشخاص المعلمين الإلزاميين وأسرهم ، وأخطر حقائقها أنها تصيب الشعب فى آماله ومستقبل أجياله ؛ لأن هذه الأجيال لن تكون إلا صورة مضطربة من هذه الحياة الشقية التى يحياها أولئك المعلمون ، مهما حبرت وزارة الشئون الاجتماعية فى مجلتها من الصحائف ، ومهما افتنت فى وضع البرامج الأخاذة والمشروعات الموشاة ، ومهما تباكى أدعياء الإصلاح غيرة على مستقبل هذا الشعب البائس المحروم !

ولعل من الحقائق المؤلمة أن التراث الذى أورثتنا إياه القرون المتعاقبة على مصر قد وضع المعلم الإلزامى فى مركز دقيق جعله هدفاً لكثير من الأفراد والجماعات ، ترى فى وجود هذا المعلم وفى طبيعة عمله خطراً تخشى مغبته على كثير من الأوضاع التى يرزح الشعب تحت أثقالها ، ولا حياة لهؤلاء الأفراد والجماعات إلا فى ظل هذه الأوضاع الجائرة ؛ ومن هنا كانت الحملات على المعلم الإلزامى فى كثير من الأحيان حملات مغرضة ، تلبس ثوب الحق وهى من صميم الباطل ، وتتظاهر بالإصلاح وهى ترمى إلى الهدم ؛ وقد انساق فى هذا التيار الجارف كثيرون عن حسن قصد وبراءة ضمير ، من غير أن يفطنوا إلى هذه البواعث الخفية ومن غير أن يبذلوا فى سبيل الإصلاح ما ينبغى من جهود ...

ومن الأمور التى تستوقف النظر وتدعو إلى التفكير الطويل أن فى وزارة المعارف ثلاثة رجال بأيديهم مقاليد الأمر فى هذه الوزارة التى تتولى شئون التعليم الإلزامى ، وكلهم قد أبلى فى بحث هذه المشكلة البلاء العظيم ، واستطاع أن يلمس مواطن الداء ويقرر وسائل العلاج ، وأن تكون له آراء جديرة بالتنفيذ لإصلاح حال المعلم الإلزامى الذى يتوقف على صلاح حاله صلاح المجتمع الذى يعيش فيه ، ومع هذا فإن تلك الآراء القيمة التى سجلها هيكل وطه والسنهورى فى صحائف الكتب والمجلات ، لم يكن حظها على أيدى أصحابها وقد مكنتهم الأقدار من العمل والتنفيذ ، أكثر من حظ ما يسطره كاتب مثلى قد تعوزه القدرة على إعلان رأيه ، قبل أن تعوزه القدرة على تحقيق الرأى الذى يريد !

إنى لأشفق على مشكلة التعليم الإلزامى فى وزارة المعارف إذا لم تحل فى عهد هؤلاء الثلاثة الذين ارتبطوا بمناهج قويمة فى الإصلاح ، وإلا فهل من اليسير أن تجود الأيام بمجموعة كهذه ، اجتمعت على الرأى المتحد والمبدء المشترك والقدرة المتاحة لتحقيق الآمال ؟

(القاهرة) محمد كامل حتة

ليالي القاهرة

الـكأس . . .

للدكتور ابراهيم ناجى

لاَ تَبْكِهَا ذَهَبَتْ وَمَاتَ هَوَاهَا   فى القَلْبِ مُتَّسَعٌ غدًا لِسِوَاهَا

أَحْبَبْتَهَا وَطَوَيْتَ صَفْحَتَهَا وكم   قَرَأَ اللَّبِيبُ صَحِيفَةً وَطَوَاهَا

يَاشَاطِئَ الأَحْزَانِ كَمْ مِنْ مَوْجَةٍ   مَنْهَا ارْتِطَامَةُ مَوْجَةٍ وَصَدَاهَا

تِلْكَ الوَلِيدَةُ لم تَطُلْ بُشْرَاهَا   لَمَّا تَكَدْ تَطَأُ الثَّرَى قَدَمَاهَا

زَفَّ الصَّبَاحُ إِلى الرِّمَالِ نِدَاءَهَا   وَمَرَى النَّسِيمُ عَشِيَّةً فَنَعَاهَا

هَاتِ اسْقِنِى وَاشْرَبْ عَلَى سِرِّ الأَسَى

وَعَلَى صَبَابَةِ مُهْجَـــةٍ وَجَوَاهَا !

مَهْلاً نَدِيمِى كَيْفَ يَنْسَى حُبَّهَا   مَنْ يَنْشُدُ السَّلْوَى عَلَى ذِكْرَاهَا

مَازِلْتَ تَسْقِينِى لِتُنْسِيَنِى الجَوَى   حَتَّى نَسِيتُ فَمَا ادَّكَرْتُ سِوَاهَا

كانَتْ لَنَا كَأْسٌ وكانَتْ قِصَّةٌ   هَذَا الحُبَابُ أَعَادَهَا وَرَوَاهَا

كَأْسِى وَشَمْسُ هَوَاىَ ، والسَّاقى الذى

عَصَرَ الشُّــعَاعَ لِمُهْجَتِى وَسَقَاهَا

الآنَ غَشَّاهَا الضَّبَابُ وَهَا أَنَا   خَلْفَ المَدَامِعِ وَالهُمُومِ أَرَاهَا

غَالَ الفَنَاءُ حُبَابَهَا وَضَبَابَهَا   وَتَبَخَّرَتْ أَحْلاَمُهَا وَرُؤَاهَا !

ابراهيم ناجى

من الشعر الرمزى

فى مفرق الطريق

للأســتاذ سيد قطب

بين نفسين من النفوس الكثيرة التى تعيش فى الانسان الواحد متفرقة فى بعض الأحيان . دار هذا الحوار . . . فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه ، وأما الأخرى فتنزع إلى العزاء بالتطلع إلى جديد :

أنتَ أوغلتَ فى الظلام طويلا   فمتى يا رفيقُ تبغى القفولا ؟

شدَّ ما آدَنَا التخبط فى الليل   وخِفْنا ظــلامَه المدخولا !

ورأينا الأوهامَ تبدو شخوصا

ورأينا الشخوصَ تبدو هَيُولَى

وَخَبَرْنا فــلم نَفِدْ باختبار   وسخرنا مما خبرنا طويلا

يا رفيق . إذا قَدِرْتَ فأوِّبْ   إن هذا الظلام يُضْنى العقولا

* * *

أنا أخشى الضياء أُبصر فيه   ذكرياتى تبدَّلت تبديلا

أنا أخشى النهارَ يكشف عني   كلَّ وَهْمٍ أروده تعليلا

أنا يا صاحبى أُشِيحُ بوجهى   أن أرى عهدنا تَرَدَّى قتيلا

أنا يا صاحبى أُدافعُ عقلي   أن يَرُودَ اليقينَ جهماً ثقيلا

الظلام الظلام أروحُ للقلب   ولو كان لا يريح العقولا !

* * *

يا رفيقُ . الحياةُ أسمى وأغلى   أن تُقَضَّى كذاك وَهْماً ضئيلا

يا رفيقُ . الحياةُ أقصرُ عهداً   أن تُضَحَّى ساعاتها تَخْيِيلا

أُبْ من الظُّلمةِ الحبيبةِ واهجرْ   كلَّ ما كان فى الحياة الأولى

وَتَطَلَّعْ إلى جمالٍ جديدٍ   أَفَلَمْ تَلْقَ فى الحياةِ جميلا ؟

عِشْ بما قد وُهِبْتَهُ من حياة   مُسْتَثَارَ الإحساس نهماً عجولا

* * *

آهِ يا صاحبى . أتجهلُ أنى

أفقدُ الدارَ (١) إن فقدتُ الطلولا

ذاك عهدٌ أنفقتُ فيه رصيدى   كلَّهُ لم أُبْقِّ منه قليلا

أتُرانى أجدِّدُ الذخرَ والعمرُ (م) مُوَلٍّ والجهدُ أمسى هزيلا ؟

أنا باقٍ هنا فإن شئتَ دعنى   ورِدِ الكونَ حافلا مأهولا

أنا باقٍ هنا أرودُ طُلولى   لم أعُدْ بعدُ أستطيبُ القفولا !

(حلوان)   سيد قطب

---

(١) أل هنا الجنس . والمعنى : أنى أفقد جنس الدار كله لو فقدت هذه الطلول . إذ ليست هناك دار لى سواها



من سوء الترجمة أيضاً . . .

تكلمت فى العدد ٤١٨ من الرسالة على قولهم (من جديد) وأوضحت أن هذا التركيب مما جناه جهلة المترجمين ، وأن كتابنا وبلغاءنا قبلوه من غير تفكير ولا بحث ، فوشج بلغتنا[1] ، وعاد مما لا يستطاع استئصاله منها — كثيره من الطفيليات التى أغارت عليها — إلا بطويل جهاد وكبير عناء

ثم تذكرت بعد أن كتبت تلك الكلمة أنى كنت قد قيدت فى كناشتى طائفة مما فشا بيننا من أمثلة سوء الترجمة . فعمدت إليها ، وتخيرت منها ما أرجو أن أوفق لنشره فى هذه المجلة كلما ساعفت الفرصة

فمن ذلك استعمال « عَبْر » (مصدر عبَر النهر وغيره : إذا قطعه إلى الجانب الآخر)[2] ترجمة للكلمة الإنجليزية (across) فجملوها فى نسج الكلام ظرفاً — كما يصنع الإنجليز بكلمتهم — فأخرجوها عن معناها ووضعها اللغوى بلا مسوغ مطلقاً[3]

وكثيراً ما نراها هكذا فى البرقيات والتعليقات الحربية ، وفى وصف الغارات والحركات العسكرية ، وفى الخطب السياسية وغير ذلك

وإلى مورد لهذا الاستعمال الخاطئ ثلاثة أمثلة قبستها من الصحف ، ليتضح بها المقام[4]

١ — ومن زمن قريب ادعت اليابان لنفسها حق مرور قواتها (عَبْرَ) شمال الهند الصينية

٢ — وسنواصل كل شهر قذف . . . بالقنابل الشديدة الانفجار ، كما فرغت مصانعنا من إخراج طائراتنا الضخمة ، أو جاءت إلى هنا (عبر) الأطلنطى

٣ — لهذا وصلوا بين باكو وباطوم (عبر) القوقاز بأنابيب[1]

(فظرفية) « عَبْر » المفتعلة واضحة فى هذه المقتبسات ، يدل عليها متعلق (الظرف) فى كل

وقد يسبق إلى الوهم أن هذا العبث مما يمكن تخريجه على وجه صحيح : كأن يحمل مثلاً على حذف عامل المصدر

ولكن قليلاً من التأمل فيما أسلفت من الأمثلة وفى غيرها يذهب بهذا الوهم . على أن قواعد حذف عامل المصدر وأمثلته مبسوطة مفصلة فى موضعها . وليس هذا مما يدخل منها فى باب أو يمت له بصلة

(ا . ع)

أخبار بعض الأدباء

١ — مضت أسابيع وأسابيع ولم نقرأ شيئاً من روائع الأستاذ إسعاف النشاشيبى ، ونحن نرجو أن يكون بعافية ، فهو من أعاظم الباحثين فى هذا الجيل

٢ — الفائزون من شعراء العراق فى المسابقة الشعرية التى أقامتها محطة لندن للإذاعة العربية هم بالترتيب حضرات السادة : عبدالرحمن البناء ، وجميل أحمد الكاظمى ، ومصطفى كامل ياسين . وقد وزّعت عليهم الجوائز فى حفلة أقامها السفير البريطانى فى بغداد

٣ — والفائزون من شعراء مصر ثلاثة ، كان ثانيهم السيد حسن القاياتى ، وقد تألم من هذه المنزلة « الثانوية » فإن تفضل أحد الموظفين بمحطة الإذاعة المصرية وقدم إلينا أصول القصائد الثلاث فقد نقيم ميزاناً يُنصف السيد القاياتى بعض الإنصاف ، وإن كان يؤذى لجنة التحكيم بعض الإيذاء !

٤ — من بين الذين فازوا بعضوية « جماعة كبار العلماء » اثنان من أدباء اللغة العربية ؛ وهما الشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد عرفة ، ومعنى ذلك أن الأدب يزاحم بمنكب ضخم فى بيئات العلماء

---

(١) وشج به : علق به واشتبك .

(٢) والعبور مصدر له أيضاً ، وهو أشهر .

(٣) كان أول عهدى بهذا الاستعمال فى صحيفة مسائية ، منذ نحو خمسة عشر عاما . وقد لبث حقبة طويلة متباطئا ، لا يكاد يرى إلا فى تلك الصحيفة ثم ذاع وتناولته الأقلام فى مختلف الموضوعات ، ولا سيما الحربى منها والتاريخى والجغرافى

(٤) هذه الفقر منقولة بنصها

(١) هذه الفقرة من مقال لعالم جليل من علماء الطبيعيات . وقد ضبط (عبر) فيها بالشكل ، ونصبها توكيداً (لظرفيتها)

٥ — لم يفصل وزير المعارف فى استقالة الدكتور طه حسين، ويقال إنه سيعيَّن فى مجلس الشيوخ ، فإن صح هذا النبأ كان فوزاً للسلطة الأدبية ، وذلك بأن التعيين فى مجلس الشيوخ كانت تراعى فيه اعتبارات لم يكن للأدب فيها مكان

٦ — حان الوقت لتقييد أوابد الفصاحة البرلمانية ، فقد وقعت فى الأسبوع الماضى محاورات فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب تشهد بأن الفصاحة البرلمانية قد وصلت إلى أبعد حدود التفوق ، وسيأتى يوم تباع فيه مضابط البرلمان فى المكاتب كما تباع أطايب المؤلفات !

زكى مبارك

وفاة طاغور

توفى الدكتور رابندرانات طاغور شاعر الهند وحكيمها فى اليوم السابع من شهر أغسطس ، وقد نعته إلى العالم شركة روتر بما يأتى :

كان السير رابندرانات طاغور الذى أعلنت الآن وفاته فى مقدمة المحبوبين فى العالم وفى الهند، وقد نال جائزة نوبل فى الآداب وألقى محاضرات هبرت فى جامعة أكسفورد سنة ١٩٣٠

ولد فى ٦ مايو سنة ١٨٦١ وتلقى تعليما خاصاً فى القرية التى ولد فيها قبل أن يقيم فى كلكتا . ولما بلغ الرابعة والعشرين ذهب إلى الريف ليتولى إدارة مزارع والده، وهناك بدأ الكتابة لأول مرة . ومن ذلك الوقت كتب نحو ستين ديواناً من الشعر وعدة مؤلفات نثرية منها روايات وقصص صغيرة ومقالات فلسفية وروايات تمثيلية . وكان السير رابندرانات فضلاً عن نظمه الشعر وكتابته النثر مؤلفاً موسيقياً ، فقد نظم أكثر من ثلاثة آلاف أغنية

وفى سنة ٩٣٦ تلقى فى عيد ميلاده الخامس والسبعين رسائل التهنئة من جميع أنحاء العالم وكلها إشادة بفضله كشاعر وروائى وقصصى ومفكر سياسى ومصلح اجتماعى وأستاذ دينى

وفى سنة ١٩٠١ أسس مدرسة فى سانتينكتان تحولت فيما بعد إلى معهد عالمى دولى يسمى — فسفا بهاراتى — وكان هذا عمله فى حياته

وقد اشتهر أيضاً بأنه سائح عظيم، فإنه زار انجلترا فى سنة ٩١٢ حيث نقل بعض مؤلفاته البنغالية إلى اللغة الإنجليزية ، وساح فى أوربا مراراً ، وكذلك فى اليابان وروسيا السوفيتية والصين والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وإيران وكندا ومصر والعراق

ولما بلغ ٦٣ عاماً شرع فجأة يشتغل بالتصوير بالألوان ، وقد أقيم معرض لصوره بلندن فى ديسمبر سنة ١٩٨٣ وكانت هذه الصور خيالية غريبة ، أى ما يدور بعقل الشاعر مرسوماً على الورق

وأقيمت لصوره معارض أخرى فى برمنجهام وموسكو وبرلين ومونيخ وباريس ونيويورك

وقد مرض السير طاغور فجأة مرضاً خطراً بالحمرة فى صيف سنة ٩٣٧ ولكنه شفى منه . وبعد ذلك كان لغزو اليابان للصين أثر شديد فى نفسه ؛ وفى أكتوبر سنة ٩٣٧ أذاع رسالة لاسلكية على مواطنيه الهنود — استنكر فيها وحشية الحربيين اليابانيين فى معاملتهم للصين

وبعث إلى يونى ناجوشى الشاعر اليابانى تعنيفاً أدبياً مؤلماً بسبب ضرب اليابانيين للصينيين غير المحاربين بالقنابل

ولما بلغ الثمانين من عمره منحته جامعة أكسفورد درجة دكتور فى الآداب . وقد منحه إياها السير موريس جوير كبير قضاة الهند فى اجتماع خاص عقدته لهذا الغرض جامعة اكسفورد فى قرية سانتينكتان بالبنغال ...

وكان لسير رابندرانات طاغور هيئة وقورة خارقة للعادة ، فكان كبير الجسم عظيم الرأس ، فضى الشعر قد سال على جانبى رأسه فى خصائل كثيفة . وكان جميل الوجه ذا لحية بيضاء طويلة وكان يبدو فى أرديته الطويلة الواسعة كأنه أحد الروحانيين

وكان ذا صوت جميل وقوة لا تقاوم فى الكلام ، وكان كلامه يشع الهدوء والسكينة والخير

ولم ير فى معظم الأحوال إلا مع الأطفال سواء أكانوا هنوداً أم بريطانيين أم صينيين أم يابانيين ؛ فقد كان الأطفال يخضعون فى الحال لقوته الجذابة وحبه لهم .



البيت الهادئ

كتبت في القطار النازح عن الاسكندرية

للأستاذ سعد محمود دوارة

ها هو ذا القطار تتسارع دقاته كأنها خفقات قلب كبير...
وها هي ذي أعمدة التلغراف تتلاحق كأن بينها سباقاً لا نهاية له...
وها هو الثغر الحبيب يختفي وراء الأفق البعيد

القطار مزدحم بالكتل البشرية وكتل المتاع. الناس وجوههم مكفهرة مغبرة، نظراتهم حزينة قلقة. لقد هجروا ديارهم فارين من الموت الذي كان يحوم فوق رؤوسهم، لا حديث لهم إلا ما أصابهم من نقص في الأموال والأرزاق والأرواح.

أمامي سيدة تبكي بكاء صامتاً... تركت زوجها الذي لم يستطع اللحاق بالقطار؛ ولقد حاولت أن تعود إليه، ولكن أنى لها أن تتحرك بين هذه الجموع المحتشدة. إنها لا تعرف أين تذهب ولا كيف تعيش، وهي لا تملك سوى الثوب الذي لا يكاد يستر جسدها

أما هذه الفتاة الهيفاء التي تجلس بجانبي شاحبة كأنها تمثال من الشمع، فهي خطيبتي وفتاة أحلامي «عايدة»

لقد كانت في يوم من الأيام زهرة نضرة تستقبل أشعة الشمس الذهبية وتميل مع النسيم الرخاء... ولكنها الآن بعد أن حطمت قلبها يد القدر القاسية، تبدو واجمة... وقد نفرت مني كأن قلبها لم يخفق في يوم من الأيام بحبي... وإذا التقت عيناي بعينيها نظرت إلى نظرة عتاب شديدة ثم أخفت وجهها كي لا أرى دموعها المنهمرة

***

في تلك الليلة المشؤومة، كنت أنا وعايدة في إحدى دور السينما حين سمعنا زمارات الإنذار ترسل نعيبها الحزين؛ وتسابق

قصص مسرحية للأطفال

القصص من أنفع الوسائل لتهذيب النفوس، وتلقين الناشئين اللغة الصحيحة، ورياضتهم على البيان؛ ومن الممكن أن تكون عوناً للمدرسين على تدريس الحقائق التاريخية في غير عسر، وطريقاً لإتقان فنّي الإلقاء والتمثيل، وداعية لتآلف التلاميذ وتقوية أواصر الودة بينهم لما تشتمل عليه من حوار مسرحي يصحبه شيء من الحرية التي تخرج بالتلاميذ عن نطاق التعليم الجاف.

ولقد تلوت مؤلَّف الأستاذ (محمد يوسف المحجوب) فوجدته مبعثاً لسرور القارئ، شاهداً بفضل المؤلف، ولا شك أنه فتح جديد في تدريس القصص المدرسية؛ فهو مصوغ في أسلوب شعري منسجم النغمات، سهل العبارة، متين النسج، بريء من الغرابة والتعقيد، سليم من المحاورات المنيفة التي تسوق الأطفال سوقاً إلى حب اللجاج والمهاترة.

والقصص مشتملة على أغراض نبيلة، فمنها ما يدعو إلى مكارم الأخلاق كقصة (على البحيرة)، وما يربي العاطفة الوطنية وينمّي المعارف التاريخية كقصة (قناطر محمد علي) وقصة (فتح مصر). هذا إلى ما يزيد شوق القارئ ويبعث السرور في نفوس الناشئين من جمال الطابع، والعناية بضبط الحروف، وتجميل القصص بالصور المتقنة التي تربي الخيال والذوق السليم.

ولا غرابة في ذلك فالمؤلف معروف برقة العاطفة، ولطف الحس، وهو — كما قال الأستاذ الكبير محمد علي مصطفى في مقدمة الكتاب — (يمتاز بأنه معلم فيه مهارة وحذق، وبأنه خَبَر الأطفال وعرف ميولهم، وبأنه درس هذه القصص لتلاميذه فأحبوها وشغفوا بها، واستزادوه منها).

(المنصورة) محمود البشبيشي

المتفرجون إلى الخروج يلتجئون إلى أقرب مخبأ ، وأخذ كل يتحسس طريقه فى الظلام ...

... وأخيراً وجدنا مكاناً ضيقاً فى أحد المخابئ ... كان الجو خانقاً ، والكآبة غاشية على كل وجه ، وكان السواد الأعظم من الناس بملابس النوم ... وابتدأت المدافع تدوى متعاقبة ... وتعالت أصوات الدعاء من كل جانب ... ومن حين إلى آخر كنا نسمع صفير القنابل وهى تشق طريقها فى الهواء متجهة إلى الأرض ، فتحتبس الأنفاس ويخيم على المكان هدوء كهدوء القبور ... ثم نحس بالأرض تهتز تحت أقدامنا ، ونسمع صوت الانفجار مصحوباً بصوت تناثر الزجاج ...

وتبرعت « عايدة » بزجاجة عطرها تمررها بين الناس ... كانت تبدى شجاعة نادرة ، وكانت تواسى النساء قائلة : إن القنابل لا تقذف إلا على الأهداف الحربية ، وإننا جميعاً فى سلام !

وبعد ساعات — خيل إلينا أنها سنوات — سمعنا الزمارات تعلن انتهاء الغارة ... فاندفع الناس خارج المخبأ لاستنشاق الهواء الطلق ...

كانت الشوارع مضاءة بأشعة القمر الفضية ، وكانت قطع الزجاج المتناثر تتلألأ ببريق غريب ... وخرج الناس من كل جانب فامتلأت بهم الطرقات ... كل يريد أن يطمئن على ذويه وأقاربه !

وشاهدنا ونحن نشق طريقنا بين الأكتاف بيوتاً تهدمت ، وبيوتاً لا تزال تتهدم ... كما شهدنا عربات صغيرة محملة بالمتاع وبالناس متجهة نحو محطة السكة الحديدية ... كأن أصحابها لا يطيقون الإقامة فى هذه المدينة لحظة أخرى بعد أن رأوا الموت بينهم ... ومعهم !

وأخيراً ... وبعد مجهود عنيف ، بلغنا الشارع الذى تقيم فيه « عايدة » مع أمها وأختها الطفلة ... كان الزحام شديداً بدرجة غير عادية ، وكان عمال الإنقاذ والإسعاف يحاولون صد تيار الجموع المحتشدة ... !

ولم أشعر إلا و« عايدة » قد تركتنى واندفعت بين الزحام حتى غابت عن ناظرى ، كما تغيب قطعة الحرير البيضاء بين عتمة الأمواج المتلاطمة ...

أخذت أناديها . . . ولكن صوتى كان يختفى بين همهمة الجمهور ، وبين الصراخ والنحيب ...

وأشرفت على مكان أستطيع منه أن أرى بيت « عايدة » ... لم أكد أصدق عينى . . . ذلك البيت الذى كان يشق الفضاء قد صار أثراً بعد عين ، وقد تصاعدت فى مكانه سحب من الغبار الأبيض الكثيف ... !

ورأيت « عايدة » تحاول أن تتملص عن أيدى رجال الإنقاذ الذين منعوها ... من الاقتراب ... من الأنقاض ...

حاولت أن أصل إليها وأفهمها أن محاولتها هى الجنون بعينه ، ولكن دون جدوى ، فقد كان تيار الجمهور الجارف يدفعنى إلى الوراء

وغابت عايدة عن ناظرى لحظات ، وعندما رأيتها ثانية كانت فوق الأنقاض ، ولا أدرى كيف وصلت إلى هناك ... كانت ترفع قطع الحجارة المحطمة وبقايا الأثاث المتهالك . كانت تفعل ذلك بقوة عجيبة لم أكن أعهدها فى ساعدها البض ويديها النحيفتين الناعمتين ... وقد انسدل شعرها الفاحم فوق وجهها حتى أخفاه

وحاولت أن أثنيها عن محاولتها الجنونية ، فقد كانت هناك بضعة جدران تريد أن تنقض . ولكن أنى لها أن تسمع صوتى الضعيف ..؟

وفى هذه اللحظة سمعنا زمارة الإنذار ترسل نعيبها وكأنه نعيب غراب سوء ، وساد الهرج واندفع الناس كأنهم قطيع من البقر الوحشى نحو المخابئ

وبذلت جهود الجبابرة حتى وصلت إلى عايدة وكانت مكبة على عملها كأنها لم تسمع شيئاً . . . أفهمتها أن بقاءها مستحيل ، ولكنها لم تقتنع ، بل أخذت تردد فى صوت حزين : « دعنى أنقذهم ... دعنى أنقذهم »

واضطررت إزاء إصرارها أن أقسو عليها بعض القسوة ،

فحملتها بين ساعدى كطفلة صغيرة ، ولكنها قبل أن تغادر المكان كانت قد استخلصت من بين الأنقاض دمية صغيرة . كانت دمية أختها !

وقضينا ليلة مضنية ... وعند ما خرجنا من المخابئ كان الشفق الوردى ظاهراً فى الأفق معلناً قدوم يوم جديد

وحملت عايدة مغمى عليها إلى منزلى

وهناك استطعت بمساعدة خادمتى العجوز — وهى الشخص الوحيد الذى يعيش معى — أن أسعف عايدة . وبعد مدة ليست قصيرة أفاقت

كان جفناها ذابلين وقد أحيطت عيناها بهالتين من الزرقة الداكنة . وكانت أصابعها لا زالت ممسكة بدمية أختها الطفلة

كانت تتكلم بهدوء غريب وهى تغالب دموعها التى حفرت لها مجرى فوق وجنتيها الشاحبتين ... ولا زالت كلماتها ترن فى أذنى وتتكرر فى سرعة متزايدة

قالت إنه كان فى إمكانها أن تنتشل أختها وأمها من بين الأنقاض لولا حملى إياها عنوة إلى المخبأ

حاولت جهدى أن أفهمها أن هذا كان مستحيلاً ، وأننى خفت أن يسقط عليها جدار أو تنهار من تحتها الأنقاض فأفقد بموتها آمالى ولا يبقى لى سوى الأحزان ، ولكنها كانت فى حالة غير عادية ... وكانت فكرة إمكان إنقاذ أهلها تتملكها وتلح عليها . وانتابتها بعد ذلك حالة ذهول هى أشبه بالإغماء ، فلم تعارض حين شققنا طريقنا نحو محطة السكة الحديدية

* * *

لا زال القطار تتسارع دقاته ، ومن حين إلى آخر يرسل أنيناً حاداً كأنه يشارك الناس أحزانهم وأنينهم

لقد صرنا فى قلب الريف ! الخضرة تلفنا من كل جانب . ما أروع اللون الأخضر ؟ ! ... إنه يهدئ الأعصاب ويحيى فى النفس حب الحياة

الجو دافئ ، وكأن ركاب القطار قد أنهكهم التعب فخيم السكون على المكان . أما عايدة فقد مال رأسها الرائع فوق كتفى ، وهبت نسمات الأصيل الدافئة تطيح بخصلات من شعرها الثائر إلى وجهى فينتقل إلى شذى عاطراً

لا زالت آيات الحزن مرتسمة على وجهك أيتها الحبيبة ... وإنى لأشاركك هذا الحزن ؛ فقد كانت أمك تعوضنى بعطفها وحنانها مما حُرمته منذ زمن طويل

أما أختك الصغيرة ، فقد كانت عصفورة مرحة ، ولا زالت صورتها مطبوعة فوق مخيلتى وهى تندفع نحوى وتدس يديها الصغيرتين فى جيوبى باحثة عن الحلوى ... ثم تأبى أن تفارقنى حتى تنام فأحملها برفق إلى مخدعها ...

نحن ذاهبون إلى أختى التى تسكن الريف ...

إن لها ابنة صغيرة تشبه أختك ... وستجدين هناك عطفاً وحناناً وستغفرين لى ذنبى !

سنبقى هناك حتى تنقشع تلك الغمامة التى تحجب سماء بلادنا الحبيبة ... ثم نعود إليها

وإنى لأتخيل يوم عودتنا ... سيكون القطار الذى نركبه مزدحماً ... ولكن السعادة ستحل على وجوه المسافرين محل التعاسة التى نراها الآن مرتسمة على وجوههم ... وإن صورة البيت الذى سنقيم فيه فى الأسكندرية لمطبوعة فوق مخيلتى حتى لأكاد أراها ... هو بيت هادئ تحيط به من كل جانب حديقة صغيرة خضراء ...

أما هؤلاء الذين أحزننا فقدهم وأبكانا ، فإنى موقن أن لهم الآن بيتاً هادئاً .

سعد دراره

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 425

Lundi - 25 - 8 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١٠٥٣ شيء واحد ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٠٥٦ قصائد الشعراء فى تأبين سعد : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٠٥٩ اللعب وأثره فى حياة الطفل : الأستاذ رفعة الحنبلى ...
١٠٦٣ كليلة ودمنة ... ... : الأستاذ عبد السلام محمد هارون
١٠٦٦ الحروب الصليبية ... ... : الأستاذ ر . التيمى ... ...
١٠٦٩ المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق ادورد وليم لين ... بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٠٧٢ الانجليز والعمل ... ... : الأستاذ مصطفى كامل ...
١٠٧٥ من جراح الحرب ... ... [قصيدة] } الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١٠٧٦ العاطفة الحيرى « : الأستاذ خليل شيبوب ...
١٠٧٧ من الأستاذ توحيد السلحدار : . ...
١٠٧٧ تعقيب لغوى... ... ... : الأستاذ الكبير « ا . ع »
١٠٧٧ صحة مثل — نظرة فى مقال : الأستاذ كوركيس عواد ...
١٠٧٨ الطنطاوي يتحرك فهل يتحركون ... ... } الأستاذ عبد الغنى العطرى ...
١٠٧٩ الواو التى حيرت النحويين : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٠٧٩ النفط ... ... : الأديب أحمد الشرباصى ...
١٠٧٩ والد الملوك الأيوبيين أيضا : الأستاذ جمال الدين الشيال ...
١٠٨٠ المهرجان الأدبي الثالث ... : . ...

شيء واحــــد !

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان الضابط المصرى « أحمس » الذى ارتفع إلى عرش الفراعنة فى القرن السادس قبل الميلاد معروفاً فى صباه بالمزح والمجون ، وكان عربيداً لا يسلم من دعاباته زملائه ولا رؤساؤه ولا أصحاب القداسة من أحبار زمانه . فلما استوى على عرش بلاده نسى أصحابه أنه فرعون مصر وذكروا أنه الضابط العربيد ، ثم جروا فى معاشرته على السنة التى ألفوها يوم كانوا أنداداً فى الرتبة وإخواناً فى اللهو والمجانة ، فصبر قليلاً على هذه المعاشرة التى لا يصبر عليها الملوك ، ثم ضاق ذرعاً بها وبأصحابه وأزمع أن ينهرهم بالعظة والتمثيل ، قبل أن ينهرهم بالسطوة والتنكيل ؛ وقيل فيما قيل من أساطيره الكثيرة أنه أتى بإناء من الفضة تغسل فيه الأيدى فاتخذ منه تمثالاً لرب من الأرباب المعبودة فى زمانه . ثم نصب التمثال فى مدخل القصر حيث يراه القوم أول ما يرون عند دخوله ، فما عبروه حتى خروا له ساجدين

وظهر لهم أحمس وهم يسجدون للتمثال فقال لهم : أتعلمون مم صنع هذا التمثال الذى حييتموه بالسجود ؟ إنه من ذلك الإناء الذى كنتم فى الوليمة الماضية تغسلون فيه أيديكم وتبصقون فيه من مضمضة أفواهكم . فمن منكم يجرؤ اليوم أن يبصق عليه

أو يصيبه بغسالة الأيدى ؟ من فعل ذلك فجزاؤه الموت والعار ، وإن كان ممدنه اليوم كمدنه أمس فى سوق البيع والشراء

وفطن الضباط لما أراد ، وعلموا أن أحمس الفرعون غير أحمس الضابط المريد ، فسجدوا حيث كانوا بالأمس يلقون الرشاش من غسالة الأفواه !

* * *

والمقصود من عظة « أحمس » أن الشىء الواحد قد يختلف فى قيمته باختلاف الصورة حتى يهان ويبتذل فى صورة ، ويصان ويعبد فى صورة أخرى

ولكننا نتجاوز ما أراده أحمس فى هذه العظة لنقول : إن الشىء الواحد فى الصورة الواحدة يختلف باختلاف التقدير والنظر حتى يهان ويبتذل عند أناس ويصان ويعبد عند آخرين ، بل حتى يكون له عند الإنسان الواحد شأنان متفاوتان

وهذا تمثال أحمس نكتفى به ولا ننتقل إلى غيره لنعرف كيف يختلف قدره باختلاف النظر إليه

فالصائغ الفنان يعطيه فى تقويمه قيمة التحفة الجميلة التى لا تحسب بالدراهم والدنانير

والبخيل المتصيد للمال يغليه بمقدار ما يبذله فيه طلاب اقتنائه من عشاق الفن أو عباد هذه الأرباب

وعابد الوثن يتمرغ بين يديه

ومنكر الوثن يمرغه هو فى التراب ، وقد يعدو ذلك إلى تحطيمه وتحريم النظر إليه فى صينته المعبودة

وتاجر الفضة يحيله إلى الميزان ، وصاحب الضرورة يبيعه بأبخس الأثمان ، وحارسه يمنع الغبار أن يصل إليه لأنه يمنع رزقه وعقيدته وحماه

وهو مع هذا شىء واحد فى صورة واحدة

فهل هو فى الحق شىء واحد أو جملة أشياء ؟

* * *

كنا على المائدة نخوض فى حديث من هذا المعنى رهطاً من الإخوان الأدباء ورجال الفن والثقافة

فقال أحدنا : إن صديقنا فلاناً لتستهويه تلك الفتاة التى كانت تتهالك على من دونه فضلاً وعلماً ومكانة فلا تظفر منه بأكثر من اللهو بها أو الإعراض عنها ؛ فما باله لا يرعوى ؟ ألا يهديه هاد أو يرده إلى صوابه ناصح أمين ؟

قلت : وهل الفتاة التى استهوت صديقنا هى الفتاة التى استهواها من هو دونه فى فضله ومقامه ؟

قالوا : نعم . هى فلانة !

قلت : أعلم أنها هى فلانة ، ولكنى أحسب مع هذا أن تلك الفتاة هى غير هذه الفتاة

وكان أمامنا على المائدة صحفة من البط المطبوخ ، فمضيت أقول : ألا أحدثكم بلغة الأماثيل فيما نتناوله الآن من الطعام ونحن مستطردون فيما بدأناه آنفاً من حديث العظات الرمزية ؟

كان أربعة فى جيرة واحدة من أحياء المدينة : متسول ولص ورجل كادح لرزقه وصائد من هواة الرياضة

فقال المتسول لزميل له وقد عبر به اللص فى قيوده مسوقاً إلى سجنه : أنظر إلى ذلك الأحمق ! . . . سطا على حظيرة البط ليلة أمس فتيقظ له الحارس وأوشك أن يرديه برصاصة لأنه طمع فى بطة أو بطتين ! وها هو ذا يساق إلى السجن حيث يصوم عن أمثال هذه الطعوم . أفما كان خيراً له أن يصنع كما صنعت أمس وقد شممت رائحة البط المطبوخ فى منزل ذلك الصائد فما طرقت الباب حتى ناولونى صحفة أكلتها هانئاً بها غير جاهد فى شرائها ولا سرقتها ولا صيدها ولا طهيها ولا اقتناء صحائفها ؟ فأين غابت عنه حكمة القناعة وهى أقرب إليه من ذلك الخطار ، ومما وراءه من الحبس والعار ؟ !

قال زميله : وما ظنك بالصائد الذى أكلت البط المطبوخ من بيته ؟ أليس هو أحمق من اللص فى طلب البط الذى يجود به مطبوخاً ولا ينال منه أكثر مما تنال ؟ فعلام السفر من هنا إلى البحريات النائية ؟ وعلام شراء السلاح والعدو بين الماء والعراء ؟ وعلام صيد الأسراب وبطة واحدة تكفيه ، أو لعله يجود بها على سائليه ؟

وأصغى إليهما الرجل الكادح لرزقه فقال : الحمد لله على ما وفقنى له من القصد والسداد : دريهمات معدودات تغنينى عن نفقة الصياد وعن ذل السؤال وعن غشيان السجون

فمن من هؤلاء الأربعة على صواب ؟ لو أخذنا بالظاهر لكان الصائد المتعب أحمق الأربعة ، ولو أخذنا بالحقيقة لكان دونهم جميعاً هو صاحب السهم الربيح والعقل الرجيح ، لأن البطة

عنده ليست هى البطة التى يسرقها اللص ، أو يستعطيها المتسول، أو يشتريها الشارى من السوق ، ولكنها شىء يستحق أن يجهد له بالسفر والنصب وتعلم الرماية وبذل المال فى السلاح ، وهى كذلك شىء غير الذى ظفر به المتسول من بيته مطبوخاً بغير ثمن . فلا وجه للمبادلة ولا للمقابلة بين الشيئين

وهكذا يجوز أن تكون الفتاة التى استهوت صديقنا غير الفتاة التى تؤكل رخيصة على موائد منافسيه ، فإنما العبرة بما يشعر به هو وما يشعر به هؤلاء ، وليست العبرة بوحدة الأسماء والأجسام .

وليس الشىء الواحد بشىء واحد على هذا التقدير

***

تلك حقيقة ينساها معظم الناس وهى داخلة فى كل عمل من أعمالهم اليومية ، معترضة فى كل خطوة من خطوات الحياة

فالصنف الواحد من الخضر يشتريه اثنان فى يوم واحد من سوق واحدة بثمن واحد ، فيؤكل على مائدة أحدهما كأنه من طعام أهل الجنة ، ويؤكل على مائدة الآخر كأنه السم الزعاف

والكتاب الواحد يطالعه القارئان فيستفيد أحدهما منه ما لا يقدر بمال ، ويخرج الآخر من قراءته ولم يأخذ منه ما يساوى ثمن ورقه

والمكان الواحد يقصده زائران فيرجع أحدهما بالصحة والمعرفة والثروة ، ويرجع الآخر منه بالمرض والضلال والإفلاس

وقد تفتحت عيناى على هذه الحقيقة منذ أيام الطفولة ، فشهدت فى بلدتى التى نشأت فيها التقاء الحضارات القديمة والحديثة ، والتقاء الأمم من غربية وشرقية ؛ وكان يزور أسوان فى الشتاء ألوف السائحين منهم الأمريكى والإنجليزى والفرنسى والألمانى والنمسوى ، وأبناء الأمم الأوربية كافة ، فكانت أوربا عندى على اجتماعها فى كلمة واحدة صوراً مختلفات لا تتفق فى مشارب ولا أطوار ولا عادات

وكنت أسمع العجب من اختلاف الآراء فى سن يعجب فيها الإنسان من كل مشهود ومسموع ، فلا أعجب ولا أحار إن عجبت ، لكثرة ما تعودت من تناقض الأفهام والأحكام

زار أسوان أمير انجليزى كبير ، فخرج فى الظهيرة إلى حيث يلعب « التنس » مع فئة من صغار للوظفين والضباط ، وشهدت مجلس والدى فى المساء وأنا معجب بالأمير الحر الظريف ، فما سمعت تأففاً من شيوخ المجلس كالتأفف الذى سمعته منهم تلك الليلة ، وهم يعيبون على الأمير لعبه « أولاً » ونزوله فى اللعب إلى مرتبة الصغار من الموظفين « ثانياً » ، وخلعه ملابس الإمارة ليظهر فى لباس العامة « ثالثاً » ، وما شئت من مآخذ شتى : رابعاً وخامساً وسادساً إلى غير انتهاء

وكان « العقلاء » يضحكون من هؤلاء الأوربيين الذين يبلون أحذيتهم أو ينضون مطاياهم فى الجبال ليرجعوا منها بكيس ملآن بحجارة وحصيات تلقى فى عرض الطريق ، وكنت أرى هذه الحجارة فى متحف المدرسة ، فأحسبها كنزاً من الكنوز المكنونة ، أو أحسبها على أقل تقدير لها موضوع درس ممتع مفيد

وكان المنقبون فى الآثار القديمة من عامة الناس يهزأون بالعلماء الذين يعطونهم الذهب ويأخذون منهم خرقة بالية أو حلية مكسورة أو ورقة ممزقة ، وكنت أسمع فى دروس التاريخ كل أسبوع أن هؤلاء العلماء رابحون مفلحون ، وأن الخاسر الحقيق بالاستهزاء هم أولئك الجهلاء المستهزئون

وازددت علماً بالدنيا وبنيها ، فكأنما اجتمعت الزيادة كلها فى توكيد هذه الحقيقة الجامعة وخلاصتها بلغة الحرب والتسعيرة والغلاء : أن ليس لعروض الدنيا تسعيرة واحدة ، وأن ما يصدق من ذلك على العروض والأشياء ، أحرى أن يصدق على الأحياء وعلى الرجال والنساء

عباس محمود العقاد

بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة

قصائد الشعراء في تأبين سعد

للدكتور زكي مبارك

— ١ —

فى مثل هذه الأيام من سنة ١٩٢٧ فُجِعت مصر بوفاة الزعيم سعد زغلول ، والتفتت الأمم العربية إلى هذه الفجيعة الدامية ، فنُظِمت القصائد الجياد فى الحزن لوفاة ذلك الزعيم العظيم ، نظمها شعراء فضلاء من الحجاز واليمن والمغرب والشام والعراق ؛ وكان من أجود المراثى التى صدرت عن شعراء الأمم الشقيقة قول الأستاذ بشارة الخورى شاعر لبنان :

قالوا دهتْ مصرَ دهياءٌ فقلتُ لهم
هل غُيِّضَ النيل؟ أم هل زُلْزِل الهرم؟
قالوا أشدُّ وأدهى ، قلتُ ويحكمُ
إذن فقد مات سعدٌ وانطوى العلمُ
لِمْ لا تقولون إن العُرْبَ قاطبةً
تيتَّموا ، كانَ زغلولٌ أباً لهمُ

وما نريد فى هذه الدراسات الوجيزة أن نتحدث عما تفضل به شعراء الأمم العربية من المواساة الكريمة لوادى النيل ، فذلك يوجب أن نستمد لأبحاث طوال لا يسمح بها الزمن الضنين ، فلم يبق إلا أن نتحدث عن القصائد التى نظمها أكابر شعراء مصر من أمثال : شوقى وحافظ والعقاد والجارم ومطران

حفلة التأبين

أقيمت تلك الحفلة التاريخية فى اليوم السابع من أكتوبر سنة ١٩٢٧ بعد انقضاء الأربعين لوفاة سعد زغلول ، وكان الخطباء والشعراء على هذا الترتيب : مصطفى النحاس ، عبد الخالق ثروت ، محمد محمود ، حسن نبيه المصرى ، حافظ ابراهيم ، عبد الحميد سعيد ، فكرية حسنى ، مكرم عبيد ، أحمد شوقى ، نسيم أصيبعة ، عباس محمود العقاد ، حسين رشدى ، بهى الدين بركات

جو الحفلة

ومن هذه الأسماء نلاحظ أن جو الحفلة روعيت فيه الصِّبغة القومية والعربية ، فقد تكلم محمد محمود عن حزب الأحرار الدستوريين ، وتكلم محمد سعيد عن الحزب الوطنى ، وتكلمت فكرية حسنى عن السيدات ، وتكلم نسيم أصيبعة عن سورية .

دموع ثروت

وكانت الحوادث قضت بأن يصفو ما بين سعد وثروت بعد طول الخصام والعداء ، فلما وقف عبد الخالق ثروت لرثاء سعد زغلول ، نظر إلى صورة الصديق الفقيد ، فغلبه الحزن وأجهش بالبكاء ... فترك المنبر ، وقدم خطبته للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى ، فألقاها بالنيابة عن ذلك الخطيب المحزون

برقية نسيم

وفى تلك الحفلة ألقيت برقية نسيم باشا ، رئيس الديوان الملكى حينذاك ، وفيها يقول :

« أشاطركم الأسى وأقاسمكم الشعور فى تأبين الفقيد العظيم ، أسبغ الله عليه ثوب الرحمة والرضوان ، وإنى أستوهبكم عذراً : إذ ليس ميسوراً لى حضور الحفلة اليوم »

وإنما نصصت على هذه البرقية لأن جريدة « البلاغ » أشارت إلى أنها لفتت أنظار الحاضرين ، ولبيان هذه الإشارة شرح يطول

إن تاريخنا السياسى الحديث فيه أسرار وغرائب وأعاجيب ، فأين الباحث الذى يميط اللثام عن العبقرية المصرية فى ميادين الجدل السياسى ؟

إن طلبة الدكتوراه بكلية الآداب يشغلون أنفسهم بإعداد الرسائل عن مشكلات العصور الخوالى فى الأدب والسياسة والاجتماع ، فمتى يتجهون إلى درس المشكلات الأدبية والسياسية والاجتماعية فى العصر الحديث ؟

سارعوا إلى درس هذا العصر قبل أن تضيع الوثائق ، وقبل أن يموت الشهود ، فقد يصعُبُ عليكم درسه يوم يصبح ظنوناً فى ظنون !

قصيدة شوقى

نشرت فى صدر « الأهرام » مع تمهيد نظنه من قلم المرحوم صادق عنبر ، وهو يقول فى ذلك التمهيد :

« هذه هى القصيدة التى تنزلت من سماء العبقرية وحياً يسيل

نور الحكمة على أبياته ، ويتجلى الإعجاز فى حالية آيانه ، وتتعرف فيه مواضع سجداته ... أبدعها شاعر العصر « شوقى » فى تأبين زعيم الشرق « سعد » وأودعها صورتين متقابلتين إحداهما صورة الحياة التى تعجز الموت ، والأخرى صورة الموت الذى يعجز الحياة ، منتزعاً من الحياة والموت مما أصدق ما فيهما من العظات ، وأجل ما فيهما من العبر والمثلات . وإنك لتجد فيما بين ذلك روحاً من الحكمة الكهلة ترف على كل بيت من أبياتها كما تدرج نسمة من الصبا فى الخميلة النضرة الفيحاء . وقد تمثلت فى هذا الشعر عاطفة شوقى المشبوبة وعظمة سعد الخالدة . وناهيك من خالدين تلاقيا ، وسحرين تظاهرا »

جو القصيدة

لم أكن فى مصر يوم مات سعد ، وإنما كنت فى باريس ، فلا أعرف أين كان شوقى يوم مات سعد ، فهل كان بمصر ؟ فى القصيدة ما يشهد بذلك ، كأن يقول :

قلتُ والنعش بسعدٍ ماثلٌ … فيه آمالُ بلادٍ ومُناها

وفيها مع ذلك أبيات تشهد بأنه كان يصطاف فى البلاد السورية ، كأن يقول :

سائلوا « زحلة » عن أعراسها … هل مشى الناعى عليها فمحاها
عطل المصطافَ من سُمّاره … وجلا عن ضفة الوادى دُماها
فتّح الأبوابَ ليلاً دَيرُها … وإلى الناقوس قامت بيعتاها
صدَع البرقُ الدُّجا تنشرُه … أرض سوريّا وتطويه سماها
يحمل الأنباء تسرى موهناً … كموادى الشكل فى حرّ سراها
عرض الشك لها فاضطربت … تطأ الآذان همساً والشفاها
قلت يا قوم اجمعوا أحلامكم … كلُّ نفس فى وريديْها رداها

فهذه الأبيات صريحة فى أن الشاعر كان فى سورية حين مات سعد ؛ فكيف جاز له أن يخاطب النعش ولم يكن من المشيّعين ؟

إنما صنع ذلك لينسق له هذا الحوار الجميل :

يا عدوّ القيد لم يلمح له … شبحاً فى خطةٍ إلا أباها
لا يَضِق ذرعُك بالقيد الذى … حزّ فى سوق الأوالى وبَراها
يا رفاتاً مثل ريحان الضحى … كللت عَدْنٌ به هام رباها
وبقايا هيكلٍ من كرمٍ … وحياةٍ أترع الأرض حياها
ودّعَ العدلُ بها أعلامَهُ … وبكت أنظمة الشورى صواها
حضنَتْ نعشَك والتفت به … راية كنت من الذل فِداها
ضمّت الصدر الذى قد ضمها … وتلقّى السهم عنها فوقاها
عجَبى منها ومن قائدها … كيف يحمى الأعزل الشيخ حماها

وهنا يظهر روح القصيدة ، فالشاعر يتحدث عن القيد وعدو القيد ، ويذكر الراية التى احتضنت نعش سعد ، بعبارة لطيفة تعد من أدق العبارات ، إذ جعل الراية تحس نار الفجيعة ، وتشعر بفقد القائد الذى كان يحمى حماها ، وإن جردته الأقدار من السلاح

عيون القصيدة

وفى هذه القصيدة أبيات روائع ، منها قوله فى فجيعة مصر بدفن سعد :

ما دَرَتْ مصر بدفنٍ صُبِّحت … أم على البعث أفاقت من كَراها
صرختْ تحسبها بنتَ الشَّرى … طلبت من مخلب الموت أباها

وقوله فى جزع مصر لفقد الخطيب الذى أسكرها بسحر بيانه حيناً من الزمان :

طافت الكأس بساقى أمةٍ … من رحيق الوطنيات سقاها
عطلت آذانُها من وَترٍ … ساحرٍ رنّ مليًّا فشجاها
أرغُنٌ هام به وجدانُها … وأذانٌ عشقتهُ أذناها
كلّ يومٍ خطبةٌ روحيةٌ … كالمزامير وأنغام لُغاها
دلّهتْ مصراً ولو أن بها … فلواتٍ لدلّهتْ وحش فلاها

وقوله فى مصاير الأحياء :

زورقٌ فى الدمع يطفو أبداً … عرف الضفّة إلا ما تلاها
تهلع الثكلى على آثاره … فإذا خفّ بها يوماً شفاها

وقوله فى فضل سعد على الثورة وجعلها خير ما ترك من الذرية :

ولَدَ الثورة سعدٌ حرةً … بحياتى ماجدٌ حرٌّ نماها
ما تمنّى غيرها نسلاً ومَن … يلد الزهراء يزهد فى سواها
رَقَدَ الثائرُ إلا ثورةً … فى سبيل الحق لم تخمد جذاها
قد تولاها صبياً فكوتْ … راحتيه وفتياً فرعاها
أعلمتم بعد موسى من يدٍ … قذفت فى وجه فرعون عصاها
وَطنىْ ناديهِ صارخةً … شاه وجهُ الرق يا قوم وشاها

وقوله فى أخلاق سعد :

أين من عينى نفس حرة   كنت بالأمس بعينى أراها
روعة النادى إذا جدّت فإن   مزحت لم يذهب المزح بهاها
يظفر العذر بأقصى سخطها   وينال الود غايات رضاها
ولها صبر على حسّادها   يشبه الصفح وحلم عن عداها
لست أنسى صفحة ضاحكة   تأخذ النفس وتجرى فى هواها
وحديثاً كروايات الهوى   جدّ للصب حنين فرواها
وقناة صَعْدَة لو وُهبت   للسماك الأعزل اختال وتاها

تلك عيون هذه الشوقية ، وما زاد فهو معان يكررها شوق فى أكثر مراثيه ، وإن كانت تجل عن الابتذال

قصيدة حافظ

ابتدأ حافظ قصيدته بما ألِف الشعراء من الحديث عن تأثر الوجود لفقد العظماء ، فسأل الليل : هل شهد المصاب ورأى كيف ينصب فى النفوس ؟ ثم دعاه إلى تبليغ المشرقين غياب الرئيس ، مع نعيه للنيّرات لتلبس عليه ثوب الحداد ؛ ثم توجع لغياب سعد عن الحفل فقال :

أين سعد فذاك أول حفل   غاب عن صدره وعاف الخطابا
لم يعوّد جنودَه يوم خطب   أن ينادَى فلا يرد الجوابا
علّ أمراً قد عاقه ، علّ سقما   قد عراه ، لقد أطال الغيابا
أى جنود الرئيس نادوا جهاراً   فإذا لم يُجب فشقّوا الثيابا

ثم وازن بين بلية فلسطين بالزلزال وبلية مصر بموت سعد . فقال :

قل لمن بات فى فلسطين يبكى   إن زلزالنا أجل مصابا
قد دُهيتم فى دوركم ودُهينا   فى نفوس أبين إلا احتسابا
ففقدتم على الحوادث جفناً   وفقدنا المهنّد القرضابا
سلّه ربُّه زماناً فأبلى   ثم ناداه ربُّه فأجابا
قدر شاء أن يزلزل مصراً   فتمالى فزلزل الألبابا

وجعل حمل النعش على المدافع دليلاً على أنه أضخم من أن تحمله الرقاب :

خرجت أمة تشيّع نعشاً   قد حوَى أمة وبحراً عُبابا
حملوه على المدافع لما   أعجزَ الهامَ حمله والرقابا

واتخذ تعزية « التيمس » شاهداً على عظمة سعد فقال :

ساقت التيمس العزاء إلينا   وتوخّت فى مدحك الإسهابا
لم يَنُح جازع عليك كما نا   حت ولا أطنب المحب وحابى
واعتراف « التاميز » ياسعد مغيبا   من لما نال نيلنا وأصابا

وغُرة هذه القصيدة هى الأبيات التى ينص فيها حافظ إبراهيم على أن روح الثورة لن يموت بموت سعد ، وأن الأمة لن تُصَد عن الغاية بوعد أو وعيد :

ليت سعداً أقام حتى يرانا   كيف نُعلى على الأساس القبابا
قد كشفنا بهَدْيه كل خافٍ   وحسبنا لكل شىء حسابا
حججُ المبطلين تمضى سراعاً   مثل ما تطلع الكؤوس الحبابا
حين قال « انتهيت » قلنا بدأنا   نحمل العبء وحدنا والصعابا
فاحجبوا الشمس واحبسوا الروح عنا   وامنعونا طعامنا والشرابا
واستشفّوا يقيننا رغم ما نلـ   ـقاه هل تلمحون فيه ارتيابا
قد ملكتم فمَ السبيل علينا   وفتحتم لكل شعواء بابا
وأتيتم بالحائمات ترامى   تحمل الموت جاثماً والخرابا
وملأتم جوانب النيل وعداً   ووعيداً ورحمة وعذابا
هل ظفرتم منا بقلب أبىٍّ   أو رأيتم منا إليكم مثابا
لا تقولوا « خلا العرين » ففيه   ألف ليث إذا العرين أهابا
فاجمعوا كيدكم وروموا حماه   إن عند العرين أسداً غضابا

فهذه الأبيات هى خير ما فى قصيدة حافظ ، وقد خلت من معانيها قصيدة شوق ، وكان حافظ كثير الالتفات إلى المعانى التى ألف الزأر بها قبل عهد الاستقلال

ثم تحدث عن أخلاق سعد فقال :

تقتُل الدس بالصراحة قتلاً   وتُسقّى منافق القوم صابا
وترى الصدق والصراحة دِيناً   لا يراه المخالفون صوابا
تمشق الجو صافىَ اللون صحواً   والمضلّون يمشقون الضبابا
أنت أوردتنا من الماء عذباً   وأراهم قد أوردونا السرابا

وعطف على أيامه مع سعد فى « بساتين بركات » فقال :

نم هنيئاً فقد سهرت طويلاً   وسئمت السقام والأوصابا
كم شكوتَ السهاد لى يوم كنا   فى « البساتين » نستعيد الشبابا
نَهب اللهو غافلين وكنا   نحسب الدهر قد أناب وتابا
فإذا الرزء كان منا بمرمى   وإذا حائم الردى كان قابا

أما بعد فهذه ملامح من قصيدة شوق وقصيدة حافظ فى تأبين سعد ، وسنتكلم فى المقال المقبل عن قصائد العقاد والجارم ومطران والله ولى التوفيق

زكى مبارك

نظرات فى التربية

اللعب وأثره في حياة الطفل

للأستاذ رفعة الحنبلى

لكل إنسان فى هذه الحياة أهداف يرمى إليها ، لكنهم قلما يشتركون فى هذه الأهداف ؛ إلا أن هنالك غاية واحدة يشترك للبشر كلهم فيها . هذه الغاية هى السعادة .

إن هذه الغاية التى عرفها علماء النفس « بعامل اللذة » تكيف أعمال الإنسان ، وتتحكم فى تصرفاته ، وتدفعه إلى سلوك السبل التى توصله إليها فتمهد له حياة صحة وعيشة رخية

وفى الواقع أن هذه اللذة قد تختلف باختلاف البيئة والوسط وقد تتباين بتباين الجنس والعمر ، فاللذة التى تنساق إليها الفتاة أو المرأة هى غير اللذة التى يتجه إليها الفتى أو الرجل ، كما أن لذة الأطفال هى غير لذة المراهق والشيخ

بيد أن البيئة والوسط لهما أثرهما فى توجيه هذه اللذة وتكييفها حسب النظم الاجتماعية والقوانين الأخلاقية ، والطرق التربيوية التى يعيش الفرد فى كنفها ويتفيأ ظلها ؛ ولذة الطفل تتمركز فى لعبه المختلفة الأنواع ، فهى أولى رغائبه ، وقبلة أنظاره ، ومحط آماله ، وهدف أحلامه

***

والتربية الحديثة تقوم على تهيئة الوليد للمستقبل ، أى أنها تؤهله للحياة ، والتأهل للحياة إنما يكون فى الاهتمام بميوله ، ومعرفة غرائزه ، وتمهد حاجاته فى دور طفولته الذى هو وقت نموه وتقدمه ، لذا كان من أقدس الواجبات على المرء أن يهتم بهذه المرحلة من حياة الوليد ، وما تفتقر إليه من عناية

وما العناية إلا تهيئة أجواء من الحياة ، تسمح للوليد بالنمو الطبيعى فى الجسم والعقل والخلق ، ولا يتوقف هذا النمو على ما يكتنفه من العوامل التربيوية والاجتماعية ، وما يحف به من العناصر التهذيبية والأخلاقية وحسب ، بل يتوقف على ترك قوى الأطفال وغرائزهم وميولهم فى جو حر طليق لا يقيده نظام ولا تحده إرادة ؛ والطبيعة هى الجو الطليق للطفل ، توجب عليه أن يعيش عيشة الأطفال ، وتلزمه أن يحيا حياتهم ، وتحمله على أن يلعب لعبهم ، من تلقاء نفسه ، وبكامل حريته ، كما تتطلب مصلحته ، وتقتضى غريزته

فالطفولة هى أهم الأدوار التى يمر بها الإنسان إذ تكون طبيعة الوليد سريعة الانفعال شديدة التأثر بما يعرض فى دائرة حسه ، والتى يتأهب عقل الطفل فيها لقبول المؤثرات التى تمتزج فى مزاجه الرخص ، فتبعث فيه صفات تختلف قوة وضعفاً تبعاً لتلك المؤثرات

إن العوامل التى لهـا الأثر العميق فى تربية الوليد وتهذيبه كثيرة ، والعناصر التى لها النصيب الأوفر فى تنشئته تنشئة تتلاءم مع غاية الحياة وفيرة ؛ على أن اللعب هو أهم تلك العوامل والعناصر فى حياته ، فاللعب إنما هو استعداد للحياة كما يقول العلامة « كروس » . وقد ذهب المربى الكبير « فروبل » — وهو أول من ابتكر روضات الأطفال — إلى أبعد مما ذهب إليه زميله فهو يقول : « من خطل الرأى وعقم الفكر ، أن ننظر إلى اللعب كشىء لا وزن له ولا قيمة ؛ ولكن من حسن الرأى وبعد النظر ، أن ننظر إلى اللعب كعامل له حيويته ومؤثراته وغايته . إن لعب الأطفال لأشبه بالبراعم لحياة الإنسان ، فإن كانت هادئة أو مضطربة ، نشيطة أو خاملة ، خصبة أو ماحلة ، مفعمة بالسعادة أو مغمورة بالألم ، تحمل رمز السلام أو صدى الحرب ، كل هـذه تتصل اتصالاً وثيقاً باللعب التى تغمر الطفل مدة طفولته »

ولا بد لنا من أن نعرض نظريات اللعب المتعددة التى اختلف علماء النفس فى أمرها وتفاوتت بحوثهم فيها ، ليقف الإنسان على عواملها ودوافعها

ذهب بعضهم إلى أن اللعب ليس إلا ظاهرة من ظواهر الراحة ، أو بعبارة أخرى ليس اللعب إلا فترة من الوقت يأخذ الجسم فيها قسطه من الراحة ، والفكر حظه من الهدوء ؛ ولا يسع المرء إلا أن يتساءل لماذا يطيب اللعب للانسان ، بعد أن يكون تعباً منهوك القوى ، متوتر الأعصاب ، أكثر مما تطيب له الراحة ؟ ألا نشاهد الأطفال يرغبون فى اللعب ويلتمسونه فور نهوضهم من فراشهم ؟ والحيوان ألا تراه يلعب من الصباح حتى المساء دون أن يقوم بعمل ما ؟

وراح يزعم البعض وعلى رأسهم « شيلر » — وناصره بعد ذلك الفيلسوف الإنكليزى الكبير « سبنسر » — أن اللعب

يمثل فيضان القوة الزائدة فى الطفل ؛ ويعلل ذلك أن القوى الحيوية تزداد عنده ازدياداً كبيراً فى وقت لا يمكنه أن يصرفها إلى أى عمل ذى أهمية ، فتتكتل هذه القوى ، وتنساب إلى الشعب التى تكونت — فيما مضى من الأيام — فى الجهاز العصبى ، فتحدث فى الطفل فيضاناً يدفعه إلى اللعب .

ولا ريب أن تكتل هذه القوى الفياضة يدفع الطفل إلى اللعب ، ويساعده على التبسط به ، ولكننا نجد أحياناً بعضاً من الأولاد — على الرغم من التعب الذى يستولى عليهم من جراء أعمالهم — لا يزالون يلعبون لعبهم حتى إلى وقت إغفائهم ! وقد نشاهد أيضاً أن بعض المرضى من الأولاد ، يفزعون إلى ألاعيبهم ، يلعبون بها ويعبثون ، قبل إبلالهم من مرضهم وحتى قبل استكمالهم قواهم ونشاطهم !

ويرد « ستانلى هول » أسباب اللعب إلى عوامل وراثية بعيدة Atavisme خلفتها الأجيال الماضية . فيقول : إن اللعب ليس إلا قوى بدائية للانسال السالفة ورثها الطفل واحتفظ بها . وهذا الرأى يطابق ما ذهب إليه « هيكل [1] » من أن الطفل يمثل فى لعبه ما مرّ على الإنسان من الأدوار فى نشوئه

وما اللعب فى نظر « هول » إلا عبارة عن ارتياض ضرورى لإخفاء بعض الوظائف التى أصبحت عديمة الفائدة ؛ فالهدف الذى أراده من نظريته هذه هو أن اللعب ليس وسيلة للقضاء على هذه الوظائف غير النافعة ، بل للتأثير فى غيرها من الوظائف الأخرى وتكييفها وإعدادها لقبول حياة جديدة

على أن أهم تلك النظريات التى فازت بإعجاب قسم كبير من علماء النفس هى نظرية « التدريب الإعدادى » Théorie de l'exercice préparatoire ، وأول من فكر فيها وتعمق فى دراستها العالم الكبير Karl Groos عام ١٨٩٦ فى كتابه « ألعاب الحيوان » Les Jeux des animaux

أراد هذا العالم أن يتجه فى درس اللعب إلى ناحية جديدة — بعد أن لمس عقم نظريات زملائه — فولى وجهه شطر الناحية البيولوجية من بحثه ليقف على دقائقها وليعرف كنه أسرارها . ولقد وفق « كروس » فى نظريته هذه توفيقاً كبيراً ، حتى أنه أدرك القوى العقلية وتفهم اضطراباتها ، لا عند الإنسان فحسب ، بل عند الحيوان أيضاً

(١) Hækel

ولو أردنا أن نبحث ، على ضوء هذه النظرية القوى الفعالة للعب ، لوجدناه يختلف جد الاختلاف فى جماعة الإنسان ، ويتباين بتباين أنواع الحيوان . فالهرة الصغيرة تقبع فى ركن من أركان الحجرة ، منبسطة اليدين ، مغمضة العينين ، مرهفة السمع ، حتى إذا ما اهتزت أمامها ورقة ما أو سحبت من أمامها ، تراها قفزت عليها قفزة سريعة ، وداعبتها بيديها فترة من الزمن ، ثم مزقتها بأنيابها ، فكأنها بعملها هذا تستعد للحياة وتهيئ نفسها للقفز على فريستها فى المستقبل . والجدى الذى يمارس النطاح منذ صغره يعد نفسه للحياة التى عرفت عنه ، فلكل حيوان غريزة خاصة به ، أتته عن طريق الوراثة البعيدة أو القريبة من الفصيلة التى ينتسب إليها ، فتظهر هذه الغريزة واضحة جلية ـ وإن كانت فى بدئها ضعيفة إلى حد ما ـ منذ النشأة الأولى

وقد تتفاوت مدة نمو هذه الغرائز فى الحيوان بتفاوت درجته فى سلم الحياة ، فالحيوانات الدنيا تحتاج إلى مدة أكثر مما تحتاجه الحيوانات العليا ، لاستكمال نمو غرائزها واستيفاء قوتها ؛ وقلما نجد غريزة فى حيوان تتفق مع غريزة فى حيوان آخر ، فالهرة تقفز على الورقة إذا ما اهتزت أو تحركت ، أما الجدى فلا يقفز عليها مهما اهتزت وتحركت ، ولكنه يتأهب للنطاح حالاً إذا وجد أمامه جدياً آخر ؛ فالهرة تجهل النطاح ، كما أن الجدى يجهل القفز ، لأن لكل منهما غريزته الخاصة به

كذلك نرى للانسان غرائز بقدر ما لديه من أنواع اللعب : فغريزة للصيد ، وثانية للقتال ، وأخرى للمداعبة وغيرها . . .

على أن هذه الغرائز الموروثة لا يكتمل نموها ولا تستوفى حيويتها إلا باكتساب واقتباس جديدين ؛ ولن يفوز الانسان بهذين العنصرين الهامين إلا بعد ممارسة اللعب الذى من شأنه أن يعد المرء للحياة الصحيحة . لذا وجب على الإنسان — وهو أكثر الحيوان طفولة — أن يلعب ، ويلعب كثيراً سنين عديدة ، كى يمسى فيما بعد إنساناً جديراً بالحياة ؛ إذ أن اللعب ، فى الواقع ، يروض بعض قواه الفعالة ، ويروض معها بعض وظائف أعضائه ، ويسمو هذا الترويض بالإنسان إلى ما يصبو إليه من أهداف سامية وغايات نبيلة

هذه هى أهم تلك النظريات [1] التى أشبعها علماء النفس

(١) اعتمدنا فى بحث نظريات اللعب على كتاب العلامة (كلابارد) « نفسية الطفل وعلم التربية التجريبى »

دراسة وبحثاً ، ولابد لنا من الرجوع إلى البحث عن أثر الألعاب فى حياة الانسان بعد أن أتينا على ذكر عواملها المتعددة

والواقع أن اللعب لا يعنى الراحة ولا التسلية ؛ وإنما هو عمل حيوى للانسان ، له الأثر الأكبر فى حياته ، كما أن له خصائص بيولوجية ، تسهل على المرء سبل التقدم ، وتمهد له طريق الحياة

فالرغبة فى اللعب إنما تنبثق من الغريزة الكامنة فيه ، فيختار من الألعاب ما يتفق وميوله ورغائبه وتساعده على بلوغ هدفه . على أن هذه الرغائب وهذه الميول تتنوع بتنوع العوامل الاجتماعية والخصائص الفردية ، إذ تعبر عما يختلج فى نفسه من هذه الخصائص وتفصح عن نفسيته بأجلى مظاهرها

وأخذت التربية الحديثة تواجه هذه الميول وتتعهد هذه الخصائص ، فتوجهها إلى النواحى الاجتماعية والأعمال الانسانية التى قد يقوم بها المرء فى المستقبل

يقول (فروبل) : « ليس للمشرف على الوليد إلا أن يوجه تصرفاته ، منذ نعومة أظفاره ، فى الوقت الذى يرتع ويلعب بين ألاعيبه الكثيرة ، إلى معرفة خصائصها ، وأن يظهر له أثرها فى نفسيته وخلقه » وهى إلى ذلك تمتاز بأنها العامل الأقوى فى نموه العقلى والجسدى

فالأبحاث التى قام بها العلامة الفرنسى Binet أكدت لنا أن هنالك اتصالاً وثيقاً بين النمو الجسدى والنمو العقلى ، أو بالأحرى بين صحة الجسم ونزوة العقل ووثبة الفكر . لذلك نرى أن الألعاب التى يتهالك عليها الطفل ، فى بدء حياته ، والتى يختلف إليها بين آونة وأخرى تساعده على هذا النمو الذى أشار إليه « بينه » والذى يلازمه طول حياته الأولى ؛ فالاعتناء بالألعاب هو وسيلة لتحسين العقل والجسم معاً

يحتاج الوليد ، فى الواقع ، إلى كثير من اللعب ، فالقوانين المدرسية التى تحتم عليه الصمت والجمود ، لا تتلاءم مع حياته ، وما يتطلبه من حرية ، وما ينشده من استقلال . لذلك أدرك « فروبل » أن المعهد ليس هو البيئة الخاصة التى تلائم الوليد ، لأنها تقيد حريته وتفقده حيويته وتخمد نشاطه . وهذا ما حداه إلى إنشاء روضات الأطفال يلعبون ويمنون ويرقصون فى جو حر طليق يتعهدهم كما يتعهد البستانى نبات روضته

فالنظم المدرسية الحديثة حتمت على المربين تعهد الأطفال تعهداً كلياً ، وإغراءهم على اللعب بالألاعيب وبشتى الوسائل ، وترغيبهم فيها بمختلف العوامل ، مما حداهم إلى وضع مقادير وفيرة من الألاعيب الجميلة بين أيديهم ، يختلفون إليها برغبة وشوق ، ويتصرفون بها بحرية تامة . والطفل لن يكون طفلاً إذا لم يفزع بين حين وآخر إلى اللعب لأن طبيعته تقتضى ذلك

وقد يثير منظر هذه الألعاب فضول الطفل ، فيدفعه إلى تفهم أسرارها والوقوف على دقائقها ، وما يحيط بها من إبهام وغموض ، فيتفتح عقله على آفاق جديدة ، وتنكشف نفسه على أجواء طريفة ، ويتقوى جسمه وتتصلب أعضاؤه ، فينعم بالعقل النير ، ويتمتع بالجسم القوى ، ويتزود بالمعرفة الواسعة

لذا وجب على المربى أن يُذْكى غريزة اللعب فى نفس الولد ، ويستحث رغباته ، ويلهب فضوله للاستقراء عن خصائص هذه اللعب والوقوف على ماهيتها ، لأن هذا الاستقراء هو فى الواقع من أهم العوامل التى لها الأثر الأكبر فى إيقاظ القوى الفكرية فيه ، ورفع مستواه الأدبى والعقلى والخلقى ؛ بل يجب على المربى ألا يهمل رغبات الطفل — التى هى خلجات نفسية وقتية — وألا يتجاهل فضوله الذى يرتبط إلى حد ما بالبيئة والوسط والعمر . فالإهمال يورثه قلة المعرفة ، والتجاهل يخمد فيه الدافع النفسى للعمل الذى من شأنه أن يرسم لنا خطوط نفسيته ويبين ما يجول فى خاطره

هذا إلى أن التربية الجسمية والخلقية والعقلية تتصل اتصالاً مباشراً بالألعاب التى يتسلى بها الأطفال ؛ وقد تختلف هذه الألعاب باختلاف حداثتهم ، وقد تتباين بتباين عواملها ، إلا أن الهدف الأسمى والغاية المثلى منها هى تربية الوليد تربية سامية صحيحة .

فاللعب يرمى إلى إنماء الجسم وتقوية البدن ، وإلى غرس الفضيلة فى النفس ، وتزويد العقل بشتى المعارف والعلوم ، فصفاء القلب ، وجمال الأدب ، وطيب الخلق ، وإظهار التعاطف ، وإبراز العادات الحسنة ، وتقوية الميول الاجتماعية ، وجميل المعاملة ، وحسن المعاشرة ، وحب الإنسانية ، إنما تكتسب عن طريق الألعاب

ولما كان الوليد يميل بطبيعته إلى العمل ويندفع بغريزته إليه — واللعب أول مظهر من مظاهر العمل — كان هدف التربية الحديثة أن تصاغ أعمال التربية الأولى فى صور الألاعيب ، معدة لتصريف غرائز الطفل وتوجيه ميوله ورغائبه توجيهاً يعود عليه بالنفع فى مستقبل حياته ، فاللعب إذاً هو بمثابة وسيلة هامة لتكوين الطفل تكويناً أدبياً . فلينست « الحركات والألاعيب التى

يأتيها الطفل ، يقصد بها إشباع الرغبات ، وسد أطماع النفوس وحسب ، ولكنها مختارة لغايات تهذيبية وأخلاقية وأدبية » .

ولما كانت التربية تبتدئ عملها منذ الدقيقة الأولى التي يبصر الطفل فيها النور ، والتي تتمشى جنباً إلى جنب مع الطفولة ، وتستمر معه طوال حياته ، وجب أن تعاون التربية الطبيعة على الوصول به إلى الغاية المقدرة له ، ويتوقف نجاح نشأة الطفل على قوة بدء التربية . لذا كانت العناية بالتربية الأولى في دور الطفولة التي هي أهم أدوار الحياة ، تفوق كل عناية ، وهذا ما عناه Perez في قوله : إن التربية تبتدئ منذ المهد

وماذا يراد بالتربية الأولى ؟ ... أليست هي التي ترمي إلى « إنماء قوى الأطفال الجسمية ، وتمرين حواسهم وإيقاظ مداركهم ، وحملهم على تعرف مظاهر الطبيعة حولهم ، ووقفهم على أسرار الاجتماع ، والتعاون على الأعمال ، وتوجيه نفوسهم إلى النافع في الحياة ؟ »

أليست هي التي ترمي إلى إنماء الجسم وإيقاظ العقل وإحياء القلب ؟ أليست هي التي تحتم جعل أساليب التعليم سائغة شائقة ، تبعث في نفس الوليد الغبطة ، وتنفخ فيه أسباب المرح ، وتملأ قلبه بهجة وسعادة ؟ ...

ليس اللعب في نظر المربين إلا وسيلة للتربية الأولى التي من شأنها أن تؤدب النفس ، وتهذب الخلق ، وتقوم الطباع ، وتوجه الغرائز . وما اللعب إلا العامل الأقوى في تهيئة تلك الأجواء التي تتطلبها التربية ، وتلك الآفاق التي ترغب في إحاطة الوليد بها ؛ فاللعب من أهم الأحداث في حياته — إن لم يكن أهمها — لأن من خصائصها التهذيب والتأديب والتثقيف ، فضلاً عن تفتح النفس لألوان من المعرفة ، وانفساحها لصنوف المؤثرات والأحاسيس ، وتهيؤها للحياة المقبلة

وهو إلى ذلك — أي اللعب — يمثل دوراً اجتماعياً من الطراز الأول في الهيئة الاجتماعية . وإذا ما رجعنا إلى رأي العالم كار Karr نجده يقول : إن الألعاب لها الأثر الكبير في إنماء شعور التكتل عند الفرد ، وهذا التكتل له الشأن الخطير في حياة الإنسان وفي رفع المجتمع البشري . وقد ذهب هذا العالم الكبير إلى أبعد من هذا الحد ، فزعم أن كثيراً من الألعاب تساعد المرء على التخلص من بعض الغرائز الموروثة غير الاجتماعية والتي يتضرر المرء منها ، إن هي بقيت متأصلة فيه

غير أن هذا التخلص لا يراد به سوى التسامي بهذه الغرائز وتوجيهها توجيهاً اجتماعياً سامياً ، فالانفعالات في الوليد أوجدوا لها علاجاً اجتماعياً أطلقوا عليه « التسلية النفسية » التي تتسامى بغرائزه غير الاجتماعية ، وقت انفعالها إلى النواحي الاجتماعية كتربية الحيوان وتعهد الأزهار وغيرها

وقد تأثر العلم قديماً ولم يزل يتأثر حتى الآن ، بالألعاب التي يتلهى بها الإنسان ، وبفضل هذه الألعاب اكتشفت أول خصائص الكهرباء ، وظهرت الدراجة ، وحلت بعض المعضلات وتمتع العالم بشتى الاختراعات ومختلف الاكتشافات

إن الألعاب التي يلعبها المرء واللاهي التي يلهو بها هي عوامل لها الأثر في ترقيته وتكوين خلقه وميوله وتحديد وجهة نظره في الحياة ، فهي عوامل في تربيته تؤثر فيه أثراً مستمراً ، فتشكل أخلاقه وعقله من يوم يحل في هذا العالم إلى يوم يغادره » فهي وسيلة لتأديب نفسه وتهذيب خلقه وتنمية ذوقه

وإذا ما غمرنا الطفل بالألعاب الكثيرة ووسائل اللهو فكأننا غمرناه في بيئة هي أسبقها إلى التربية الحقة ، وأدناها غاية من البيئات الأخرى .

(بيروت) رفعة الحنبلي

كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

« كتاب دهرىّ الصَّنعة ، متقادم الميلاد » ، أفرغت فيه حكم الدنيا ومواعظ الأجيال ، وكان عجباً عاجباً وأدباً خالداً ! !

وكان اختيار مطبعة المعارف لهذا السِّفر الجليل أن يكون تذكاراً لعيدها الخمسيني — اختياراً موفَّقاً كل التوفيق ، فبرهنت بذلك أنها تحسن هذا الأمر وتجيده

وأما الرجل الذى وُكِلَ إليه الاضطلاع بعبء نشر الكتاب وتحقيق مواضع الشُّبه فيه والحكم عليها ، فرجل هَدَّكَ مِنْ رجل ! فالدكتور عبد الوهاب عزام قطب من أقطاب الثقافة العربية كما هو من الثقافة الفارسية . فكان بذلك خير من يتصدّى لمثل « كليلة ودمنة » ، لينشره على الناس فى هذا الثوب الرائع الفائق ، وليجهد نفسه فيه هذا الإجهاد المثمر الطيب

وإنى لأبادر فأهنئ الأستاذ عزام تهنئة صادقة ، لِمَا أحيا « كليلة ودمنة » على نحو يغتبط له ابن المقفع فى مثواه ، ويغتبط له أيضاً ذلك الجندى المجهول الذى صنع للناس هذا الكتاب فى أصله الهندى ، ثم تركه يسير فى الدنيا كريماً عزيزاً ، تتهاداه اللغات ، وتتنازعه اللهجات ، ويغتبط له كذلك أنصار الأدب العربى فى المشرقين والمغربين

كما أزجى تهنئتى إلى رجال مطبعة المعارف ، منوّهاً بهذا الفن العجيب الذى أبرز الكتاب تحفة تاريخية ناطقة . وإن كان للنشر أدب خاص ، فهذا الكتاب منه قطعة أدبية عالية ؛ وإن للألواح الثلاثة عشر التى رسمها المصور « رومان ستريكالفسكى » لأثراً كبيراً فى إحداث هذا الجو الفنى البهيج

وقد صنع الأستاذ عزام لهذا الكتاب مقدمة بلغت من النفاسة مبلغاً ، وحوت من الفوائد الكثير ؛ فهو قد عرض لتاريخ الكتاب ، وبيّن أن النسخة العربية « أصل لكل ما فى اللغات الأخرى ، حاشا الترجمة السريانية الأولى ، فقد فُقد الأصل الفهلوى الذى أخذت عنه الترجمة العربية ، وفُقد بعض الأصل الهندى الذى أخذت عنه الترجمة الفهلوية واضطرب بعضه ، فصارت النسخة العربية أمًّا يرجع إليها من يريد إحداث ترجمة أو تصحيح ترجمة قديمة ، بل يرجع إليها من يريد جمع الأصل الهندى وتصحيحه »

ثم تحدّث عن طبعات الكتاب ، فذكر :

١ — طبعة المستشرق دى سامى الذى كانت طبعته أصلاً من أصول الطبعات المصرية الكثيرة ؛ وهى نسخة ملفقة من عدة نسخ

٢ — ثم طبعتى اليازجى وطبارة ، وهما ملفقتان من طبعة دى سامى ومخطوطات ومصورات أخرى

٣ — ثم طبعة شيخو ، وهى أول طبعة فى اللغة العربية تقدم للقراء نصًّا كاملاً غير ملفق من كتاب « كليلة ودمنة » وأصلها مخطوط سنة ٧٣٩ هـ ؛ وقد طبعه شيخو كما هو لم يصحح أغلاطه ولم يوضح غامضه ، ليكون أمام المستشرقين صالحاً للمقارنة والنقد

ثم تحدث عن النسخة التى نقلت عنها الطبعة الحديثة ، وهى فى مكتبة أيا صوفيا بإسطنبول كتبت سنة ٦١٨ ، فهى أقدم من كل المخطوطات التى وصفها المستشرقون ، وأقدم من نسخة شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩

وهذه النسخة مفعمة بالتحريف والتصحيف والأسقاط وخطأ الرسم ؛ وتستطيع أن تمد فى النموذج المصور من الصفحة الأولى فقط[1] نحو اثنى عشر تحريفاً وتصحيفاً

وهذا يدل على مقدار الجهد الهائل الذى بذله الأستاذ عزام فى تحقيق هذه النسخة وتقريبها إلى السلامة

ونحن فى هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخ فى هذه الناحية ما يقتضيه النشر العلمى من إثبات الأصل والتنبيه عليه ؛ فقدْ يكون للقارئ وجه فى التصحيح غير الذى ارتضى . نعم ، إن الأستاذ قد أثبت بعض كلمات الأصل فى التعليقات التى ألحقها بالكتاب ، لكنها من القلة بحيث لا تغنى شيئاً فى معرفة أصل الكتاب والوقوف عليه

وأمامنا جهود المستشرقين ناطقة بمدى تقديرهم لهذه الناحية التاريخية الفنية ، فلا تكاد تجد كتاباً نشروه إلا وقد أثبتوا أصله أو أصوله إن كان ذا نسخ مختلفة

وكتاب مثل كتابنا هذا ، لَبِسَ من جلال التاريخ ما لَبِس ، جدير بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه ، ووجوب مقارنة نسخه بعضها ببعض

(١) ص ٢٣ من المقدمة

ولغة ابن المقفع فى « كليلة ودمنة » لغة عالية ، تعلو على المتأدب والأديب أيضاً ، فهى محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان . فكان من المستحسن أن يصنع الأستاذ لها شرحاً أو معجما يلحقه بنهاية الكتاب ، كما فعل من قبلُ الخورى نعمة الله الأسمر ، حينما نشر ترجمة ابن المبارية لكليلة ودمنة ، مع أن لغة هذا النظم فى مستوىً دون مستوى ترجمة ابن المقفع

على أن الأستاذ قد أحسن صنعاً بما حقق من الأعلام الفارسية والهندية ، مما يشهد له بتمام البراعة فى ذلك

***

قرأت نسخة الأستاذ عزام ، ونعمت — كما نعم غيرى — بما فيها من دقة وجمال ، فطالعنى فيها خير كثير ومقدرة فنية عظيمة ، كما ظهرت لى بعض هنات أحببت أن أنبه عليها ، وبدا لى بعض الرأى فى عبارات الكتاب ، فآثرت أن أنشره راجيا أن يباعدنى العَنَتُ ، ويفارقنى التكلف ، وأن يسعفنى فى ذلك الحق

١ — فى الضبط اللغوى

١ — ص ٣٦ س ٦ : (كالعظم المتعرِّق) بكسر الراء ، صوابه : (المتعرَّق) بفتح الراء المشددة . يقال عرق العظم يعرقه عرقاً ، وتعرقه ، واعترقه : أكل ما عليه من اللحم

٢ — ٨١ : ٥ ، ٦ : (ولكن النفس الواحدة يفتدِى بها أهلُ البيت ، وأهل البيت تفتدِى بهم القبيلة ، والقبيلة يفتدى بها المصر) . الوجه : (يُفتَدَى) و (تفتَدَى) بالبناء للمجهول فيهما . فأهل البيت ، وكذا القبيلة والمصر لا يفعلون الافتداء ، وإنما يفعل بهم ذلك غيرهم فهم مفتَدون . ومن ذلك ما قال كعب بن سعد الغنوى[1] :

فلو كان حىٌّ يُفتَدَى نفديتُه ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب

٣ — ٨٧ : ٦ : (ولا تغتر إليه) ، ولا يقال (اغتر إليه) بل (اغتر به) . على أن جو العبارة يؤذن بأن صحتها : (ولا تقترب إليه) فليس فيما سبقها من الكلام ما يشعر بأن « شنزبة » قد يتعرض للاغترار أو يقع فيه

٤ — ٩١ : ١٢ : (وندفن بقيتها مكاناً حرزاً) . وهذه عبارة غير صحيحة . والصواب : (فى مكان حرز) فإن الفعل (دفن) لا يتعدى إلى ثان إلا بالحرف (فى) . وليس

(١) أمالى القالى (٢ : ١٤٩)

هذا أيضاً من المواضع التى يكون فيها لفظ (مكان) ظرفاً من الظروف المكانية ؛ فإن اسم المكان الصالح للظرفية إما أن يشتق من حدث بمعنى الاستقرار والكون فى مكان ، أو لا . والثانى لا ينتصب على الظرفية إلا بالفعل الذى ينتصب به على الظرفية المختص من المكان كدخلت ونزلت وسكنت . وذلك نحو المضرب والمقتل والمأكل والمشرب

والأول (ومنه لفظ مكان) إنما ينصبه على الظرفية أمران : أحدهما الفعل المشتق مما اشتق منه اسم المكان نحو قمت مقامه ، وجلست مجلسه ، وأويت مأواه ؛ وثانيهما كل ما فيه معنى الاستقرار وإن لم يشتق مما اشتق منه ، نحو قعدت موضعك ، ومكان زيد ، وجلست منزلَ فلان ، ونمت مبيته ، وأقمت مشتاه . وما ليس فيه معنى الاستقرار لا ينصبه ، فلا يقال كتبت الكتاب مكانك ، وقتلته مكان القراءة ، وشتمتك منزل فلان[1]

وليس « الدفن » من الاستقرار فى شىء ، فلا ينصب لفظ « المكان » على الظرفية المكانية

وقد جاء فى نسخة بولاق[2] ص ٤٩ : « وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة ، فهو مكان حريز »

٥ — ٩٥ : ١٣ « وبلاء يضيَّع عند من لا شكر له » البلاء هنا بمعنى الإنعام . وفى ترجمة ابن المبارية ص ٩٥ :

ما أضيع النعمة عند الكافر ... وأقبح الخلة عند الماجر

وبين اللغويين خلاف فى أن يكون البلاء بمعنى الإنعام ؛ فقال بعضهم : « الإبلاء : الإنعام . والبلاء : الإشقاء والإتعاس » . أما الإبلاء بمعنى الإنعام فلا خلاف فيه . ومنه قول زهير[3]

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم ... فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

أى صنع بهما خير الصنيع . والحق أن الإنعام إنما هو الإبلاء لا البلاء . ومنه الحديث : « من أُبلى فذكر فقد شكر » وحديث كعب بن مالك : « ما علمت أحداً أبلاه الله خيراً مما أبلانى »[4]

وقد احتج من زعم أن « البلاء » يكون أيضاً بمعنى الإنعام بقوله تعالى : « وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين » وقوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » ورُدَّ عليه بأن البلاء فى الآية الأولى

(١) انظر همع الهوامع (١ : ١٩٩) وشرح الرضى الكافية (١ : ١٦٩ — ١٧٠)
(٢) كليلة ودمنة طبع بولاق سنة ١٢٥١
(٣) فى ديوانه ٢١
(٤) نهاية ابن الأثير ولسان العرب

بمعنى الاختبار لا الإنعام . وكذلك « نبلوكم » أريد بها : « نختبركم »

وجاء فى نسخة بولاق ص ٥١ : « وحِباء يصطنع عند من لا شكر له » . والحِباء ، بالكسر : العطاء

٦ — ٢٢١ : ١٥ : « ولكن إيش الفائدة فيها » بكسر الهمزة ، وهذا ضبط عامى ؛ والصواب : (أَيْشٍ) بفتح الهمزة وتنوين الشين المكسورة ، وأصلها : (أىّ شىء ؟) خفّفت بحذف الياء الثانية من (أىّ) وحذف همزة (شىء) بعد أن نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، ثم أُعلّت إعلال المنقوص . ونحوها فى ذلك (وَيْلُمِّهِ) ، أصلها : (ويلٌ لأمّه) ، حذفت لام (ويل) وهمزة (أمّ) . قال المتنخل الهذلى[1] :

ويلمـه رجلاً تأتى به غبناً إذا تجرّد لا خال ولا بخلُ

وقال ذو الرّمة[2] :

ويلمّهاروحةً والريحُ معصفةٌ والغيث مرتجزٌ والليل مقترب

وقال علقمة بن عبدة[3] :

ويلم أيام الشـباب معيشةً

مع الكثر يُعطاه الفتى المتلف النّدى

قال ابن السّيد فى الاقتضاب[4] : « حذف لام ويل وهمزة أمّ ،

كما قالوا أيشٍ لك ، يريدون : أى شىء ؟ » . وقال الخفاجى فى شفاء الغليل : « أيش بمعنى أى شىء خفف منه . نص عليه ابن السيد فى شرح أدب الكاتب ، وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقال بعض الأئمة : جنّبونا أيش ؛ فذهب إلى أنها مولدة . وقول الشريف فى حواشى الرضى أنها كلة مستقلة[1] بمعنى أى شىء وليست مخففة منها ، ليس بشىء . ووقع فى شعر قديم[2] أنشدوه فى السير :

من آل قحطان وآل أيش »

قال السهيلى فى تفسيره : « وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون إلى أيش . فإن يكن هذا وإلا فله معنى فى المدح غريب . تقول فلان أيش هو وابن أيش ! ومعناه : أى شىء عظيم ؛ فكأنه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم وما هم ! وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ! وأيش فى معنى أى شىء كما يقال ويلمه فى معنى ويل أمه ، على الحذف وكثرة الاستعمال . وهذا كما قال هو : فى جيش وأى جيش ! »

(له بقية) عبد السلام محمد هارون

---

(١) أدب الكاتب ١٨٣ سلفية والاقتضاب ٣٦٣

(٢) خزانة الأدب (٣ : ٢٤٨ سلفية)

(٣) الخزانة (٣ : ٢٥٣ سلفية)

(٤) الاقتضاب ٣٦٥ . وانظر أيضاً تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى ص ٤٧

(١) فى الأصل : « مستعملة »

(٢) هـذا وهم . والصواب أنه سجع كاهن . وقد ذكره السهيلى فى (١ : ١٣٨) . وهو قول خطر الكاهن : « والحياة والعيش ، إنه لمن قريش ؛ ما فى حلمه طيش ، ولا فى خلقه هيش ، يكون فى جيش ، وأى جيش ، من آل قحطان وآل أيش »

الحروب الصليبية

للأستاذ ر. التميمى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

تطورات الحركة الصليبية

لقد كانت الغاية الأولى من إشهار الحرب الصليبية امتلاك الأرض المقدسة وجعلها خاضعة لحكم مسيحى ؛ فلما ظهر قواد كبار فى الشرق الإسلامى أمثال : نور الدين وصلاح الدين ، ورأوا مملكة اللاتين لم تنشأ فى الشرق إلا بسبب تخاذل المسلمين وتفرقهم ، أخذوا يستعدون لمطاردتهم والقضاء عليهم وهيأوا لذلك جيوشاً مدربة تطورت على أثرها الحركة الصليبية ودب الضعف فى جنباتها وفى نفوس منظميها وقوادها .

ولقد تطرق إليها الفشل أيضاً حينما أخذ البابوات يقاتلون آل هوهن شتاوفن وينازعونهم الحكم فى جنوب إيطاليا وشمالها ، فتجزأت قواتهم وانصرف الجانب الأكبر من عملهم وتفكيرهم إلى إضعاف قوة مسيحية كان عليهم أن يوجهوها إلى تعزيز الفكرة الصليبية إذا أرادوا استمرارها . ويقول بعض المؤرخين إن لأطماع الجمهوريات الطليانية دخلاً كبيراً فى التطورات التى طرأت على الفكرة الصليبية ، إذ أن البنادقة كانوا السبب الأكبر فى توجيه الحملة الرابعة إلى القسطنطينية وسائر ممتلكات البيزنطيين بدلاً من فلسطين وهم الذين كانوا يختلفون لأسباب مادية مع تجار جنوا فيضعفون باختلافهم الجبهة المسيحية . وقد أباحوا لأنفسهم التقرب من بعض ملوك المسلمين وأمرائهم ، فعقدوا مثلاً معاهدة تجارية مع الملك الكامل بينما كان العالم الغربى يستعد للحملة الصليبية الخامسة .

لقد تكرر حادث عقد المعاهدات مع المسلمين أكثر من مرة ، فعقدها كل من ملوك صقلية والأراغون وجمهورية جنوا قبيل سقوط عكا النهائى فى يد سلطان مصر . كل ذلك أضعف الروح الصليبية وحور اتجاهها وخفف كثيراً من حدتها .

أضف إلى كل ما تقدم النزاع الشديد الذى كان قائماً بين رهبان طائفتى الداوية والاسبتالية وانصراف كل فريق إلى الحط من كرامة الآخر واتهامه بأفظع التهم تأميناً لمنافع مادية ليس لها أية علاقة بمجد الصليب والحركة الصليبية .

ويفهم مما تقدم أن الحركة الصليبية قد باءت بالفشل التام بعد أن انتقلت القدس نهائياً إلى أيد إسلامية مع سائر البلاد الفلسطينية ، ثم تلا ذلك سقوط عكا وطرابلس وأنطاكية وهى آخر الحصون اللاتينية وطرد آخر صليبى من الديار الشامية فى أواخر القرن الثالث عشر . وبهذا السقوط وذلك الطرد ختم الفصل الأخير من الحركة الصليبية التى كانت ألفت لغاية نصرانية كبرى أقامت العالم الغربى وأقعدته وانتقل بسببها مئات الألوف من الفرسان والأمراء وسائر المحاربين إلى ساحات القتال فى الشرق ، ومنهم من قضى نحبه ، وفيهم من حكم أو أصبح ذا سلطان وإمرة بعد أن كان فى وطنه الفقير مفلساً لا يملك شروى نقير ؛ والجانب الأكبر عاد إلى موطنه يجر ذيول الخسران وعار الهزيمة .

ومجمل القول أن الحركة تطورت وباءت بالفشل حين تغيرت غايات المشرفين عليها والمنظمين لها ؛ فباباوات القرن الثانى عشر الذين كانوا يتمتعون بسلطان منقطع النظير كانوا وطدوا العزم على امتلاك القدس فاستغلوا سلطانهم وسؤددهم وقذفوا بالجماهير السذج نحو الشرق حيث امتلكوا ما أرادوا . أما بابوات القرن الرابع عشر فلقد كانوا على اختلاف دائم مع ملوك ذلك العصر الذين أخذوا يشعرون بقوتهم وينكرون على السلطة الدينية تدخلها فى شؤونهم الداخلية والسياسية ؛ وقد بلغ بأولئك الملوك وفى مقدمتهم فيليب الرابع ملك فرنسا وإدورد الأول ملك انكلترا أن رفضوا أوامر البابا وتغاضوا عن تهديداته ؛ وكان النزاع يدور حول فرض الضرائب على رجال الدين بعد أن كانوا معفين منها ؛ وكانت الكنيسة ترفض ذلك مدعية أن أرض الكنيسة موقوفة لخدمة الله فلا يصح أن يؤخذ عنها ضرائب . أما الملوك فإنهم كانوا فى أشد الحاجة للمال بسبب كثرة نفقاتهم ؛ لذلك طمعوا فى ممتلكات رجال الدين الواسعة ورغبوا فى فرض ضرائب عليها ؛ وفى ظروف كهذه ليس من المعقول أن يكون أمل فى تجديد حملات صليبية على نمط الحملات السابقة

ومع كل ما تقدم فكر بعضهم عقب سقوط القدس

وسائر الإمارات اللاتينية نهائياً فى أيدى المسلمين ، فى تأليف حملة صليبية جديدة ، والسعى فى إحلال التفاهم محل التنابذ والتحاسد بين رهبان الداوية والاسبتالية . وقد كان فكر فى هذا الأمر فى مجمع ليون المنعقد سنة ١٢٤٥ ، وتقرر القيام به أيضاً فى مؤتمر ڤينا الدينى سنة ١٣١١ ؛ على أن رغبته فى التوفيق بين هؤلاء الرهبان لم تتحقق وانتهى الأمر بأن قضى على هيأة الداوية وصادر ملك فرنسا فيليب الرابع أملاكها وأموالها بعد أن تقاسمها مع البابا . أما رغبة تأليف حملة صليبية جديدة فلم يلتفت إليها حينئذ سوى بطرس الأول ملك قبرص الذى كان يحكم فى أواسط القرن الرابع عشر ؛ فلقد أنشأ جمعية دعاها جمعية السيف وغايتها تخليص القدس ، ثم أرسل وفداً إلى غربى أوربا قام بالتبشير والدعاية لتأليف حملة صليبية جديدة فلم ينجح ، فأرسل بطرس أسطولاً اعتدى على شطوط سوريا ومصر وعاد للجزيرة غانماً . وحين مات بطرس هذا أوصى بوجوب متابعة الدعاية لحملة صليبية . واعتباراً من سنة ١٣٣٠ ارتدت الحركة الصليبية حلة جديدة لم تعرف من قبل ، فبينما كان الصليبيون حتى الآن يهاجمون كلما سنحت الظروف بلاد الاسلام فى الشرق وأهمها سوريا ومصر ، انقلبوا الآن إلى مدافعين ، وأضحى خصمهم الأتراك العثمانيين بدل العرب والأكراد والأتراك من سلاجقة ومماليك . . .

لقد جاء الأتراك العثمانيون إلى أوربا الشرقية سنة ١٣٠٨ م بعد أن أنشأوا ملكا واسعاً لهم فى آسيا الصغرى فى فجر القرن الرابع عشر وبنوا مجدهم وسطوتهم الحربية بجيش مدرب ومجهز أحسن تجهيز دعوه بجيش الإنكشارية (الينيشرية) ومعناها الجيش الجديد، فأخذوا يهاجمون به البيزنطيين ويتغلبون عليهم ، ويدمرون لهم الحصن بعد الحصن ، ويقهرون الجيش تلو الجيش ، حتى بأتوا على مقربة من عاصمتهم . هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى هاجموا فرسان الاسبتالية فى رودس وآل لوزينيان فى قبرص ؛ فذعر العالم المسيحى لهذا الخطر الاسلامى الجديد ، وهب البابوات ينفضون عنهم غبار الخمول والسكنة ؛ ويحاولون تجديد جبهة صليبية قوية تقف فى وجه أولئك الأتراك الأقوياء ، وظلوا يثابرون على حشد الجهود تلو الجهود ، وأخذ الناس بالنعرة الدينية إلى أن وصلوا فعلاً إلى تأليف حملة قوية من البنادقة والقبارصة وفرسان الاسبتالية وكلهم بأتوا مهددين ؛ فجاءوا بأسطولهم المتحد وامتلكوا مرفأ أزمير سنة ١٣٤٤ ؛ إلا أن هذا الظفر لم يكن ليؤثر فى نشاط الأتراك وتقدمهم فلقد واصلوا نجاحهم فى البلقان وامتلكوا مدينة فيليبية البلغارية ؛ وعلى أثر ذلك جاءت حملة صليبية واشتبكت مع جيش السلطان بايزيد الأول فانكسرت شر كسرة

وفى سنة ١٤٣٩ تألفت حملة صليبية أخرى من المجريين والبولونيين تحت رياسة قائد ترانسيلوانى ممتاز يدعى يوحنا هنياد وحاربت السلطان بايزيد الثانى وتغلبت عليه ؛ إلا أنها لم تلبث أن غلبت على أمرها ، فكانت هذه آخر حملة جردتها أوربا المسيحية على الأتراك المسلمين

وفى سنة ١٤٥٣ ملك الأتراك مدينة القسطنطينية ، وبامتلاكها قضوا نهائياً على الأمبراطورية البيزنطية . وعلى أثر ذلك قام البابا بيوس الثانى ونشر دعاية واسعة النطاق لحملة صليبية وقاد طائفة من المحاربين لبت نداءه إلى مدينة أنكونا الطليانية ، وكان يريد أن يزحف بها على البلقان ليقاتل الأتراك ؛ إلا أن أفراد الحملة انفضوا من حوله فحزن البابا لتلك النهاية ومات متأثراً غاضباً .

وبعد ذلك لم نعد نسمع بحملات تحمل اسم الصليبية وانتقلت مهمة منازلة الأتراك المسلمين إلى ملوك أوربا الحديثة وإلى جيوشها المنظمة

وقبل الانتهاء من هذا الفصل لابد لنا من القول بأن الحركة الديموقراطية قد أثرت كثيراً فى عقول الناس وفى طريقة التفكير الأوربى بالمسلمين ؛ فبينما كان هم البابوات وسائر رجال الدين ومن ورائهم الملوك والامراء والفرسان والعامة خلال القرون الوسطى هو القضاء التام على الديانة الإسلامية وامتلاك بلاد المسلمين أخذت الاحوال تتبدل منذ عهد اليقظة إلى أن حل القرن الثامن عشر ، فظهر فيه حكماء وفلاسفة بشروا بحرية الأديان وبمبادىء التسامح والتساهل وظلوا فى تبشيرهم حتى أثروا فى عقول فريق ليس بقليل من الناس المثقفين ، فصاروا ينظرون إلى الشرقيين لا بمنظار التعصب الذميم والحقد الكامن بل بصفتهم أحد أركان هذه الهيأة البشرية التى ساهمت فى إقامة

صروح الدينية على ممر الأجيال والعصور

ومبادىء التساهل هذه قد انتشرت انتشاراً واسعاً خلال القرنين التاسع عشر والعشرين فاقترب بسببها الشرق من الغربي أكثر من قبل ، ولعبت المصالح المادية الدور الأول في إقامة العلاقات الودية بين الطرفين ، وصار الغربي يتودد في كثير من الأحيان إلى الشرق دون أن ينظر إلى دينه ، ويخلص في تودده ؛ على أن هذا لا يمنعنا من التنبيه إلى ما يكتبه بعض المؤرخين المغرضين وهم ما زالوا يحرصون كل الحرص على مبادىء التعصب والحقد التي سادت دنياهم منذ العصور الوسطى المظلمة ، وقد نجد من هؤلاء من ينفث سمومه في صحف ومجلات محترمة أوربية وأميركية وتراه يحمل حملات شعواء على العرب مثلاً ولا ذنب لهم في نظره إلا لأنهم مسلمون وهو لا يحب الإسلام ولا المسلمين، ويريد أن يرى في الحرب العالمية السابقة حرباً صليبية انتهت بظفر الصليبيين على الهلال ودخول البلاد المقدسة تحت الحكم الإنكليزي

نتائج الحروب الصليبية

من المناسب أن ننظر إلى الحركة الصليبية كجزء أو فصل من تاريخ البشرية ، لا كعمل أريد به تنصير الشعوب الشرقية ؛ وتاريخ هذا الفصل صعب جداً ، لأنك بينما تجد بعض المؤرخين يذهبون إلى أن معظم التطورات الاجتماعية العالمية قد نشأت عن الحروب الصليبية ، يقول آخرون خلاف ذلك فلا يهتمون أبداً بتلك الحروب الاهتمام الذي تستحقه

على أن من الإنصاف أن نقول ونقرر بأن اضمحلال عهد الإقطاع وظهور المدن الحرة وبشائر عهد اليقظة ، حتى والاكتشافات البحرية ، كل أولئك يمكن إرجاعه إلى حد ما إلى الحركة الصليبية

ففي أوائل القرن الحادي عشر كان الأشراف والفرسان أول من لبى نداء البابا ، وخرج منهم عدد كبير إلى الشرق فقتل أكثرهم ، وأقام آخرون في الأراضي المقدسة ، فقل بذلك عدد الأشراف . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن إعداد الحملات الصليبية قد اضطر هؤلاء إلى بيع أملاكهم كلها أو بعضها كما اضطرهم إلى تحرير أرقائهم مقابل مبالغ دفعوها إليهم ، وقد أقام أولئك العتقاء في المدن واشتغلوا بالصناعة والتجارة ، فزادت أهمية المدن وظهرت فيها طبقة جديدة هي الطبقة الوسطى المؤلفة من أولئك الذين حرروا أنفسهم بما دفعوه لساداتهم النبلاء .

ولقد استطاعت هذه المدن بفضل جد أبنائها من أرباب الصناعة والتجارة أن تشترى هي أيضاً حريتها من الأشراف ذوى السيادة عليها وتكتفي بحماية الملك أو الإمبراطور

وأما بوادر النهضة واليقظة فقد ظهرت حين اتصل نصارى الغرب بمسلمي الشرق وأخذوا عنهم ما سمعوه من أغان وأحاديث واطلعوا على تاريخ البلاد الآسيوية وجغرافيتها وهي التي أيقظت العالم الغربي من سباته العميق وجمعت كلمته على عمل مشترك بعد أن كانت الفردية فيها مستحكمة العرى وكانت الفكرة القومية كلمة لا معنى لها ، فكان البارزي مثلاً ينظر إلى ابن مرسيليا نظره إلى الألماني الأجنبي عنه أو الإنكليزي ، وذلك لأن الطرق لم تكن معبدة ووسائل التنقل نادرة صعبة ، فكان الناس لا يعرفون إلا من جاورهم من السكان ، فلما ضمتهم الحروب الصليبية تحت لواء واحد تعارف أبناء الأمة الواحدة وتآلفوا . ثم أيقظت هذه الحروب بين النصارى فكرة الدفاع عن مبدأ مشترك مقدس وهذا ما كان يقوم في العصور الوسطى مقام المبادئ المشتركة التي تربط جيلنا المتحضر مثل نظرية الحرية الدينية والسياسية وتقرير المصير واحترام العهود والمواثيق

ومن نتائج الحروب الصليبية قيام فريق من الملوك الأوربيين بجمع الضرائب الثابتة من رعاياهم ، فقد باشر بجمعها لويس السابع ملك فرنسا فتبعه هنري الثاني ملك انكلترا ، ثم جبيت ضريبة صلاح الدين في معظم العالم الغربي سنة ١١٨٨ م ولم تقتصر الضرائب هذه على الأهلين بل تناولت أيضاً رجال الكنيسة وذلك بقرار استحصله البابا أينوسن الثالث في مجمع لاتيران الديني سنة ١٢١٥ على أن تنفق تلك الضرائب على الحروب الصليبية

وحينما جاء الفرنج ساحات الحرب في الشرق لم يفكروا في تنصير المسلمين بادئ بدء ، فلما مضى عليهم نحو عصر استيقظوا من غفلتهم ، وكأنهم أرادوا أن يتلافوا ما فاتهم بالتبشير بالدين المسيحي ودعوة الشرقيين إلى التنصر فقاموا قومة واحدة وعلى رأسهم البابا ، وأخذوا يبعثون إلى ديار الشرق وإلى قبائل التتارية مبشرين انتشروا في جميع البلاد الواقعة بين عكا والإمارات اللاتينية الشامية من جهة ، وسد الصين من جهة أخرى ؛ وكان النصارى مع البابوات يعلقون آمالاً كبيرة على تنصير التتار .

٢ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

مقدمة الكتاب

البلد ومناخه — العاصمة — المنازل — السكان

من المشاهد أن أكثر الخصائص لشمائل أمة وعاداتها وأخلاقها، إنما يرجع إلى الخصائص الطبيعية لإقليم هذه الأمة. لخصائص الإقليم المصرى تؤثر ولا شك فى أحوال المصريين الأخلاقية والاجتماعية، وهى لذلك تقتضينا كلمة إيضاحية نجمل فيها الآثار العامة؛ أما الآثار الخاصة، فستتجلى فى الفصول الآتية من هذا الكتاب

يجرى النيل فى وادى مصر العليا الشديد الضيق الكثير الريح بين صحراوين جبليتين رمليتين، حتى يجتاز سهول مصر السفلى؛ وهو فى مجراه تكتنفه فى كل مكان، ما خلا مواضع قليلة منه، حقول زراعية تكونت من غرينه؛ وهذه المناطق الزراعية ليست مستوية كل الاستواء لانخفاضها عند الصحراء وارتفاعها قليلاً عند النهر؛ يتخللها غابات من النخل وسلاسل من القرى، وتقطعها ترع عديدة

تصل أمطار الصيف الغزيرة التى تقع فى الحبشة وما جاورها من البلاد أرض مصر حول الانتقال الصيفى؛ وعند الاعتدال الخريفى يبلغ النهر أقصى فيضانه، فيُترع النهيرات والقنوات التى تروى الحقول، ويغمر بقاعاً واسعة من الأرض الصالحة للزراعة، ثم يهبط تدريجياً حتى يعود سيرته الأولى. ويحمل النيل معه، وعلى الأخص فى وقت الفيضان الغِرْين (الطمى) الذى يجرفه من البلاد الجبلية حيث ينبع، فيوزع فى كل سنة هذا الغِرْين الوفر على الحقول المنبسطة على جانبيه، بالفيضان

فلما حكم هؤلاء تيمورلنك قضى على فكرة التبشير وحمل أبناء قومه على اعتناق الديانة الإسلامية

وقد نقل الفرنج من سوريا أموراً كثيرة إلى بلادهم. فالفرسان منهم أخذوا عن العرب القوس والطبل والبيرق والرمح. وقد كانت الفروسية فى مهدها عربية أخذها الفرنج عن فرسان العرب الذين كانوا يغيرون على بلادهم خلال القرنين الثامن والتاسع. ويقول سديو المؤرخ الفرنسى: « إن خلال الفروسية الأندلسية وشمائلها الرقيقة كانت مستقى أخذت منه الفروسية النصرانية الكثير من خلالها ورسومها ». ويقول فياردو: « إن الفروسية وكل نظمها التى عرفت فى الأمم النصرانية كانت مزدهرة عند الأندلسيين أيام الناصر والحكم والحاجب المنصور، وكانت الأندلس فى ذلك العصر كعبة يقصدها فرسان النصرانية من كل صوب بعهد سلام وحماية من الخلفاء ليعقدوا المباريات مع فرسان الإسلام. وقد بلغت الفروسية العربية أسمى درجاتها وذروة ازدهارها فى مملكة غرناطة التى يفيض تاريخها بأخبار السادة والأمجاد وأحاديث شهامتهم ووفائهم

فالألعاب الفروسية أصلها سباق الجريد المعروف عند العرب، والمبارزة، وما يتبعها من آداب اجتماعية، مثل تقديم المساعدة للمرأة والولد والشيخ العاجز، والوفاء بالوعد، والتجمل بمبادئ الرجولة، والمروءة، والكرم، كل أولئك أشياء معروفة عند العرب الذين كانت طبيعة بلادهم وحياتهم الاجتماعية فى صحرائهم المترامية الأطراف وشدة عنايتهم بضروب الفروسية تحملهم على الاعتماد على السواعد المفتولة فى بلوغ ما يصبون إليه من صفات الرجولة أكثر من اعتمادهم على شيء آخر. كما نقل الفرنج إلى بلادهم بعض المحصولات النباتية كالسمسم والمشمش والبطيخ والذرة والليمون والشمام والقطن والسكر.

هذا عدا أشياء وأمور وعادات شرقية كثيرة انتقلت إليهم عن طريق الأندلس وصقلية. كل ذلك يبرهن على مبلغ التأثير الكبير للحروب الصليبية فى حياة الأمم الاجتماعية فى الديار الغربية

ر. التميمي

(فلسطين)

الطبيبى أو بالري الصناعي ؛ بينما يرتفع مجراه من تراكم هذا الغِرْين بدرجة مساوية لارتفاع الحقول . ويعتمد المصريون جميعاً على نهرهم في خصب الأرض ، لأن المطر ظاهرة نادرة جداً في بلادهم ، ما عدا البلاد الواقعة على سواحل البحر المتوسط . ولما كانت الفصول منتظمة كل الانتظام ، فإن الفلاح يمكنه أن يرتب العمل الواجب إنجازه بكل دقة . وعمل الفلاح على الجملة سهل ، ولكن رفع المياه للري شاق متعب !

ومناخ مصر — في معظم السنة — ملائم للصحة إلى درجة تستحق الذكر . غير أن الأبخرة المتصاعدة من الأرض بعد الفيضان تجعل أواخر الخريف أقل ملاءمة للصحة ، فهي تسبب الرمد والديسنطاريا وبعض أمراض أخرى تكون أكثر شيوعاً في الخريف منها في الفصول الأخرى . وتهب فجأة رياح جنوبية حارة تدوم ثلاثة أيام في وقت الخماسين[1] التي تدوم على وجه التقريب خمسين يوماً تبدأ في شهر أبريل وتنتهي في آخر مايو ؛ وتلك الرياح يندر أن ترتفع منها الحرارة فوق ٩٥ درجة فاهرنهايت في الوجه البحري ، أو ١٠٥ درجة[2] في الوجه القبلي ؛ إلا أنها تكرُب الأنفاس وتضيق الصدور . وفي الصيف يفد الطاعون إلى مصر ، ويكون أشد خطراً في مدة الخماسين . ومصر معرضة أيضاً في الربيع وفي الصيف لريح السموم ، وهي أشد وطأة من رياح الخماسين ، ولكنها أقصر مدة ، إذ يندر أن تدوم أكثر من ربع ساعة أو عشرين دقيقة ؛ وهي تهب عامة من الجنوب الشرقي حاملة معها سحباً من الغبار والرمال . وتتراوح الحرارة في منتصف الشتاء بعد الظهر في الوجه البحري بين الخمسين والستين درجة في الظل . أما في أشد الفصول حرارة فتتراوح بين التسعين والمائة درجة . ويزيد على ذلك حوالي عشر درجات في مناطق الصعيد الجنوبية . على أن حرارة الصيف مهما بلغت شدتها قلما تضايق النفس ، لأن النسيم الشمالي يلطفها ، ولأن المناخ شديد الجفاف . إلا أن هناك مصدراً كبيراً للضيق يسببه ذلك الجفاف ، وهو كثرة الغبار . وهناك أوبئة أخرى تقلل كثيراً من الراحة التي ينعم بها المصريون وضيوفهم في هذا المناخ البهيج . ويكثر الذباب في الربيع والصيف والخريف كثرة مزعجة أثناء النهار . أما في الليل فينتشر البعوض انتشاراً يقض المضاجع ما لم يتقه النائم بالكلة . ويملأ البق أثناء الفصل الحار كل المنازل ذات الأثاث الخشبي . ولا يمكن تجنب القمل في أي فصل ، ولكن من السهل التخلص منه . أما البراغيث فتكثر في الشتاء كثرة مزعجة

ومناخ الصعيد أكثر ملاءمة للصحة من الريف وإن كان أشد حرارة . وقلما ينتشر الطاعون فيما وراء القاهرة . وهو أكثر انتشاراً في مناطق المستنقعات القريبة من البحر المتوسط . وفي أثناء السنين العشر الأخيرة ، قبل زيارتي الثانية لمصر ، لم تحدث غير إصابات قليلة جداً ، إلا في الأقاليم السابقة الذكر ؛ وهذه لم يكن الوباء فيها شديداً[1] ، لأن البلاد تحسن صرف مياهها ، وأدخلت فيها نظم المحاجر الصحية لمنع دخول هذا المرض من بلاد أخرى أو لوقفه . والرمد أكثر انتشاراً في الوجه البحري منه في الأقاليم الجنوبية . وهو يحدث عامة من العرق ؛ ولكن ضرره يتفاقم من الغبار ومن أسباب كثيرة أخرى . وقلما يستفحل خطر هذا المرض إذا أسرع المرضى في استعمال الدواء ، ولكن كثيراً من الوطنيين لجهلهم طريقة العلاج ، أو لإصرارهم على تفويض الأمر للقدر ، يفقدون البصر كله أو بعضه

وكثيراً ما سألني السائلون هل في مصر معمرون ؟ ومن المحقق أن قليلاً من أهل هذا البلد مَن يبلغ السن العالية ؛ ولكن من

(١) أنظر هامش الفقرة الأولى فصل ٢٦

(٢) هذه هي الحرارة في الظل وقد لاحظت في مدينة طيبة أن ميزان الحرارة يرتفع إلى ما فوق ١١٠ درجة في الظل أثناء ريح خماسيني

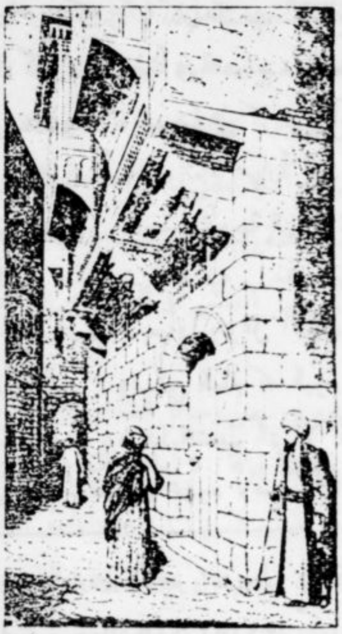
(١) هذه الملاحظة كتبت قبل طاعون سنة ١٨٣٥ الهائل الذي دخل من تركيا وانتشر في كل أنحاء مصر ، ولو أن آثاره لم تكن عظيمة في الأقاليم الجنوبية . وقد أهلك ما لا يقل عن ثمانين ألف نفس في القاهرة ، أي ثلث السكان ، وأزيد بكثير على ما أعتقد من مائتي ألف في كل مصر . وطبقاً لتقرير حكومي بلغ عدد ضحايا هذا الوباء حوالي أربعين ألفاً في القاهرة . ولكن أخبرتني جهة رسمية عليا أن الحكومة جرت في هذه الحالة على قاعدة تقرير نصف عدد الأموات فقط

النادر أن يبلغ المرء هذه السن فى بلادنا دون أن يصاب مراراً بمرض مميت لولا عناية الطب التى لا ينالها إلا النزر القليل فى مصر . وحرارة الصيف تنهك الجسم ولكنها تدفع المصريين إلى الإفراط فى اللذات الشهوانية . وخصوبة الأرض تولد الكسل ، فيكتفى المصرى بالقوت القليل ، وهذه الكفاية يحصل عليها بأدنى سعى وأقل مشقة

والعاصمة المصرية الحديثة التى يشغل الحديث عن سكانها أكثر صفحات هذا الكتاب، تسمى الآن « مَصر »(1) أو باللفظ الأفصح « مِصر » ؛ ولكنها كانت تسمى من قبلُ القاهرة فصحفها الأوربيون إلى « كارو » . وموقعها عند مدخل الصعيد فى منتصف المسافة بين النيل وسلسلة المقطم الشرقية ، وبينها وبين النهر بقعة صالحة للزراعة فى أكثر أجزائها . يزيد عرضها على ميل فى المناطق الشمالية (حيث يقع ميناء بولاق) ، ولكنها فى الجنوب أقل من نصف ميل . ومساحة العاصمة تبلغ تقريباً ثلاثة أميال مربعة . وقد أحصى عدد سكانها أثناء زيارتى الثانية فبلغ زهاء مائتين وأربعين ألفاً ؛ وقد زاد هذا العدد بعد ذلك كثيراً بسبب إنقاص عدد الجيش ولأسباب أخرى . والقاهرة محاطة بسور تقفل أبوابه ليلاً ، وتشرف عليها قلعة كبيرة تقع فى زاوية من المدينة بالقرب من الجبل ، وشوارعها ليست مبلطة وأكثرها ضيق غير منتظم ، وهى أحرى بأن تسمى أزقة

وتبدو القاهرة للأجنبى المار فى شوارعها مدينة ضيقة جداً تغص بالسكان ؛ ولكن الحال تختلف فى نظر من يشرف على المدينة من سطح منزل أو من مأذنة مسجد . وأكبر الشوارع يكون فيه عادة صف من الحوانيت على كل جانب ، وفوق الحوانيت غرف لا تتصل بها ، وقلما تكون مشغولة بمستأجرى الدكاكين وتوجد على أيمان الشوارع الكبيرة وعلى شمائلها دروب وحارات ، وأغلب الدروب طرق مزدحمة لكل منها بوابة من الخشب كبيرة على مدخلها تقفل ليلاً ، ويحرسها بواب من الداخل يفتح لكل من يطلب الدخول . أما الحارات فغالباً ما تتكون من عطفات صغيرة لها مدخل عام واحد ذو بوابة تقفل كذلك ليلاً ، ولكن أكثرها يشقها درب من أولها إلى آخرها

ولا بد لى من وصف دور العاصمة ، وهذه الصورة التى أمامك تعطيك فكرة عامة عن خارج تلك المنازل . وتبنى



شكل ١ ـ (منزل فى القاهرة)

الجدران الأساسية فى الطابق الأول خارجاً وداخلاً من الحجر الجيرى الناعم ، يقطعونه من الجبال المجاورة . وعند ما يقطع الحجر يكون سطحه ذا لون ضارب إلى الصفرة الخفيفة ، ولكن لونه سريعاً ما يقتم . وتلون خطوط الواجهة أحياناً بالحمرة والبياض على التعاقب خصوصاً فى المبانى الكبيرة كما هو الحال فى أكثر المساجد(1)

---

(١) هذا هو الاسم الذى يطلقه المصريون المحدثون على بلدهم كما يطلقونه على عاصمة بلدهم

(١) طريقة تزيين الدور أصبحت أعم بكثير مما كانت عليه قبلا بناء عن أمر الحكومة طلبت فيه من السكان الاحتفال بقدوم إبراهيم باشا من سورية . وبعد ذلك بسنوات كان سكان القاهرة يأمرون بتبييض طبقات منازلهم العليا ؛ نشوش هذا منظر المدينة الجميل ، لأن التباين بين بياض الجدران وسواد أخشاب النوافذ القديمة أحدث تأثيراً غير جميل

ويظهر الشارع فى الصورة (شكل ١) أوسع مما هو فى الواقع فإن النوافذ البارزة على جانبى الطريق تكاد تتقابل فتحجب الشمس تقريبا وتحدث رطوبة مقبولة فى الصيف

الانجليز والعمل

[نقلا من مجلة الشهر الفرنسية]

للأستاذ مصطفى كامل

يضرب المثل بالبرود الإنجليزى ، ولـكن النشاط الإنجليزى لا يقل ذيوعاً عنه . وكثيراً ما كان الشعب الإنجليزى فى رأى الأجانب قليل الاكتراث ، بطيئاً فى التصميم ، مفضلاً الاحتفاظ الشديد بعمله وراحته وعاداته اليومية على كل شىء آخر . مع أن هـذا الشعب نفسه قد أدهش العالم مراراً بجلده فى الشاق وإصراره الخارق وموارده المادية والأدبية التى لا تنفد ، والتى يستخدمها فى العمل بمجرد شروعه فيه . أخذ بعض الذين عيل صبرهم على الإنجليز أنهم لم يعبأوا بتوغل الألمان واستفزازهم فى أوائل هذه الحرب ؛ ولـكن العالم كله اليوم يتحقق من إرادة هـذه الحكومة وهـذا الشعب التى لا تنثنى أمام أية تضحية ، وفى عدم ادخار أى مجهود لوضع نهاية لتهديد الريخ الثالث للأمم الشرقية ولمجموع العالم المتمدن . فكيف نوفق بين هذين النوعين من الوقائع ؟ سنوضح أنهما غير متناقضين إلا فى الظاهر

فلو أننا تأملنا الشعب الإنجليزى إبان العمل لأدركنا سر تصرفه فى وقت الراحة . فاللغز هو أن العمل عنصر طبيعى للنفس الإنجليزية ، فلا حاجة إلى كلمات بيانية ، أو حركات خطابية لحثه على العمل . إذ أن النفس الإنجليزية لا تستطيع أن تتصور حياة بدونه ، فالتصرف والعمل لهذه النفس ضرورة حيوية وليس نظاماً ، ولهذا لم يكن النشاط المتوالى الذى يفيض منها مكتسباً أو زائفاً أو وقتياً ؛ ولم يكن الهدوء والراحة فى نظر الإنجليزى غير نتائجه المفيدة المرغوبة . ويجب الاعتراف بأن للانجليزى سيطرة لا مجارى فى العمل تمطيه مع غريزة الاستمرار والتضامن فى الجهود ، قوةً تجعل منه أثمن حليف وأنفع صديق

الصدارة فى العمل

وليس أدل على أن الإنجليز شعب عمل من نفس اللغة التى خلقوها لاستعمالهم ؛ فليست توجد لغة أوربية أخرى يهيمن

ويشيد البناء العلوى بالآجر ، ويغطى بالـكلس أحياناً ، وهو ذو واجهة تبرز حوالى قدمين ، يقوم على كوابيل أو دعائم ؛ والآجر لبن محروق ذو لون أحمر قاتم . ويتكون الملاط من طين بنسبة النصف ، وكلس بنسبة الربع ، والباقى من رماد التبن والسقط . لذلك تبدو الجدران غير المغشاة بالـكلس قذرة اللون كما لو كانت مبنية باللبن . ويغطى سطح المنزل بالـكلس ، ويكون عادة من غير سور

ويبين الرسم رقم ٢ الأسلوب المعمارى « الأكثر ذيوعاً » لمدخل المنزل القاهرى . فالباب كثيراً ما يزين على هذه الطريقة المصورة ، فيصبغ القسم الذى فيه الكتابة والأقسام الأخرى المتشابهة الشكل بلون أحمر يحده حد أبيض ، بينما تلون بقية الباب باللون الأخضر . أما عبارة « هو الخلاق الباقى » التى سنشرح موضوعها عند الـكلام على خرافات المصريين فترى على أبواب كثيرة . وهى تنقش عادة بحروف سوداء أو بيضاء . وقلما تصبغ الأبواب ما عدا أبواب البيوت العظيمة .

ويكون لها على العموم سماعة من الحديد وضبة من الخشب ،



شكل ٢ — (باب منزل قاهرى)

وعلى جانب الباب درجتان من الحجر للركوب [1]

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(المترجم)

(١) وهي المعروفة بسلم التسليم

(الفعل) عليها بهذه الدرجة — أعنى التعبير عن الحركة والفعل والنشاط — كما أنه لا توجد لغة لها مثل قدرتها على التعبير الدقيق عن النظام والأمر، وفى تصوير ما فعل أو ما يتعلق بما يفعل، بمثل هذا الإيجاز والوضوح

ولكل مراتب الحركة والعمل (فعل) فى الإنجليزية ينطبق عليها تماماً بغير ضرورة إلى استعمال ظرف أو أى تعبير للتحديد أو الإيضاح. وفعل يرفس to kick، وهو مثل من آلاف الأمثلة التى تزخر بها اللغة الإنجليزية، ليس له مثيل فى أية لغة أوربية، كما أن الفعل فى الإنجليزية يتغلغل فى الجملة بأكملها، فيبرز جرسها ويحدد وزنها

والذى تفصح عنه اللغة الإنجليزية ببراعة هو دقائق تكوين الذكاء الإنجليزى الذى تبدو الفكرة فى ثناياه كأنها لم تخلق إلا للاستعداد للعمل والترحيب به وجعله سائغاً. وقد ذكر سلفادور دى مادرياجا عن هذا الوضوع فى كتابه (الإنجليز والفرنسيون والإسبان) آراء فى منتهى السداد والدقة، قال:

«إن الذكاء الإنجليزى فى الدرجة الأولى من القوة، ويبلغ أقصاه أثناء العمل وعند ما يكون الإنتاج العملى محط النظر، ولكنه لا يتكلف المشقة من أجل تصرفات لا تجدى، وهذا هو أحد أسباب الشهرة السيئة التى نسبت إليه؛ كما أن هناك سبباً آخر، فذكاء الإنجليزى، وهو أقل تخصصاً فى الأمور الذهنية، كأنه ذائب فى جميع أنحاء جسمه؛ وهذا ما يفسر بطئه فى التحرك، فإنه لا يكفى أن يحشد التهييج الخارجى قوى المخ وحده بل جميع الجهاز العصبى أيضاً، كما أن الإدراك لا يتم بالمخ وحده ولكن بجميع الجهاز العصبى كذلك. ولهذا كانت الآلة العقلية فى الإنجليزى أكثر تعقداً وثقلاً وبطئاً للبدء فى العمل»

وهذه الفكرة التى تركزت فى العمل من تلقاء نفسها تتضح فى مذهب المنفعة الفرنزى الذى نجد الأدلة العديدة عليه فى تاريخ انجلترا، والذى يفسر كثيراً من الأمور فى عادات الإنجليز، فالإنجليزى يتجه قدُماً نحو العمل عند ما يتعلق الأمر بالتصرف مهما كانت الوسيلة. ومن السهل عليه أن يقتنع بالضرورى، ويكون لديه كل ما لم يفد مباشرة فى الغرض الذى تكفل ببلوغه فائضاً عديم الجدوى، ومع ذلك فإن هذا لا يعنى أن العمل يقوم بطريقة تدل على التسرع والشدة والعسف، بل على العكس، فإن عادة الإنجليزى فى التصرف وفهمه للحياة فى ظلال العمل تمله أن يتصرف بهدوء وتؤدة، وتخول له أن يشعر بالراحة وهو فى أوج العمل، وأن يدخل فى حسابه على قدر المستطاع أوقاتاً للاستجمام والراحة

والإنجليزى لا يستسلم للاهتياج بسرعة، ولا للاندفاع إلى العمل بغير أن ينضجه تماماً فى ذهنه، فهو بطىء فى التحرك، ولكنه عند ما تستولى عليه فورة العمل لا يقفه شىء، فإنه عند ما يتصرف يؤدى عمله بكل جوارحه وقلبه. وكيف لا يكون كذلك وهو فى أثناء العمل يشعر أنه كالسمكة فى الماء، لا تشعر وهى فى الماء بالحاجة إلى العنف لتسبح، ولهذا لم يكن فى النشاط الإنجليزى أثر من الضيق أو الوهن، بل تصحبه الابتسامة والراحة

وإننا نجد فى بعض رسائل الشاعر الروسى تيوتشيف بتاريخ ٢٥ يونيو ١٨٥٥ قوله: «أما عن العدو — ويقصد الأسطول الإنجليزى فى حرب القرم — فقد تبادلت الرسل بين الفريقين هذه الأيام، ولقد كان بين الطلبات السخيفة التى طلبت منا، طلبٌ فى غاية الغرابة، هو أن نمنحهم ركناً صغيراً فى أرض محايدة ليستطيع رجال أسطولهم أن ينصرفوا إلى لعبتهم المحبوبة (الكريكيت)».

صحيح إن حرب ١٨٥٥ لا تشبه الحرب فى ١٩٣٩، ولكن الخلق الانجليزى لم يتغير تغييراً محسوساً، ومع ذلك فإن طلب البحارة الإنجليز لم يكن سخيفاً كما ظن تيوتشيف، لأن التدريب الرياضى جزء من نظام التعليم الذى خلق طراز رجل العمل الإنجليزى السكسونى

غريزة التضامن

وهناك مظهر أساسى آخر للنفس الإنجليزية، هو غريزة التضامن التى تسود العاطفة الشديدة للمنفعة المشتركة والعمل المشترك؛ فإن النفس الإنجليزية ممتلئة أكثر من أية نفس أخرى بهذه العاطفة. فالتضامن للانجليزى، سواء أكان مقصوراً على أعضاء الجماعة الصغيرة أم كان يشمل الوطن كله،

ليس شيئاً معنوياً أو مثلاً أعلى للأخلاق أو الاجتماع ، وإنما هو حقيقة واضحة مادية ، بل هو ضرورة يشعر بالحاجة إليها ، وكل أمة جديرة بهذا الاسم تتآزر فى الخطر إذا داهمها من الخارج ، ولكن ذلك يكون عن اقتناع بالضرورة إليه ؛ أما فى انجلترا ، فإن الذى نراه فى مثل هذه الحالات هو غريزة غير واعية ، ولو أنها سليمة الإدراك ، وهى تشبه من بعض الوجوه الغريزة التى تثير أعضاء فريق الكريكيت عند ما يتعلق الأمر بالدفاع عن الشرف الرياضى لقرية أو مدرسة . وقد أصبحت التقاليد والتعليم طبيعة ثانية ، فإنه فى الخلايا الاجتماعية الصغيرة وفى الحياة اليومية تتكون على التحقيق الغريزة التى يمكن أن توحد ، عند ما تسنح الفرصة ، بين جميع انجلترا ، وكل الأمبراطورية ، بل بين جميع العالم السكسونى الإنجليزى

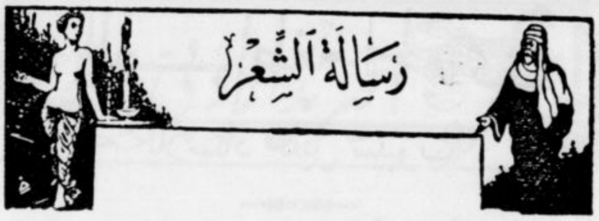
وغريزة التضامن مصدر للنظام الاختيارى الذى لا يشبه النظام الفرنسى ولا للنظام الألمانى من باب أولى، فإن الألمانى يخضع لأمر، والفرنسى يخضع لمبدأ، والانجليزى يخضع لنفسه ، لغريزته، لرغبة الحياة فى المجموع ، وهى رغبة طبيعية لديه بمقدار الرغبة فى الحياة . النظام الألمانى رق اختيارى ، والنظام الفرنسى خضوع الإرادة للآراء الواضحة البينة ؛ أما النظام الإنجليزى فهو فيض غريزة خاصة بكل إنجليزى ، وهو وثيق الصلة بفكرة الخدمة : الخدمة التى يؤديها الإنسان طواعية إلى قريبه، لا الخدمة التى يؤديها الشخص إلى متبوعه . وكلمة موظف تترجم فى الإنجليزية (بالخادم المدنى) ، فإن لفكرة الخدمة الاجتماعية عند الإنجليزى معنى يشبه المعانى الدينية . ومن الواجبات الرئيسية على رجال الدين الانجليكانيين والبروتستنت فى انجلترا غرس الخدمة الاجتماعية، ومكافحة البؤس والأماكن غير الصحية ، وتنظيم الإحسان العام ومقاومة البطالة ، وتعويد الإنسان أن يكون نافعاً على أية صورة وبأية وسيلة ؛ ولكن ذلك غير مقصور على الكنائس والقسس فحسب ، ولكن التعاون الاختيارى منتشر بين جميع الطبقات وفى جميع ولايات المملكة المتحدة ، وفى مجموع العالم الانجلوسكسونى

ولتفهم غريزة التضامن الانجليزية يجب التنويه على الأخص بأنه تضامن إيجابى فى العمل، وليس عاطفة سلبية بتحمل المسؤولية المشتركة مما يمكن أن نجدها كذلك فى الشعوب الأخرى ، فإن الصدارة فى العمل تتأكد فى هذا الميدان كما تتأكد فى مجال الاستمرار التاريخى ، فى التقاليد الحية . ففى اللحظة التى يهدد الخطر بلاده فيها ، وتكون الضرورة إلى العمل المشترك لا محيص عنها، يتجه الانجليزى بكليته نهائياً إلى تقليده وإلى جماعته، وعندئذ تبلغ عبقريته الفردية أقصى قوتها وتتكشف عن كافة مواردها

إن أهم ما يريد الانجليزى قوله يقوله فى صوت خافت ، فإذا كان قلقاً بدا أكثر صمتاً وهدوءاً من قبل ، حتى إذا هدد الخطر جميع الذين معه يدرك أن الصمت لم يعد يكفى ، وأنه يجب عمل شىء آخر يسهل انجاز أثقل الواجبات ؛ وكلما ازداد الخطر بدت على وجوه المارة فى لندن علائم الأنس واللطف

لقد تكلم الناس كثيراً عن قوة بريطانيا المادية وقوة بحريتها وطيرانها ، ولكن الذى يفوق هذا كله هو أطوارها فى الجهود بمجرد أن تباشرها ، وإحساسها بالتضامن ، وهدوءها الحازم فى الأوقات الحرجة ؛ وبمعنى آخر قواها الأدبية التى تؤيد الحقيقة المطلقة للحكم القائل : « إن الشعب البريطانى ما يزال أمتن حليف فى العالم »

مصطفى كامل



من جراح الحرب!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[مهداة إلى الذين نضر الله أيامهم بالغنى واليسار ، فتركوا أيام الأشقياء والبائسين صرعى على أعتابهم بلا رحمة ولا إحسان . . . ! وإلى الذين شردتهم ويلات الحرب فى كل مكان . . .]

عَبيدَ الخزائنِ ... طوفُوا بِهاَ   كما طافَ نَعْشُ الهُدَى بالصَّنَمْ!
وَأَدُّوا الصَّلاةَ بِأَعْتابِهاَ   عِساها الكُمْ كَعْبَةٌ أَوْ حَرَمْ
وَبثُّوا الكنوزَ حَديثَ الهوَى   لَعلَّ شَذا المالِ يرْوِى النَّهَمْ
وَقِفتُمْ هوَاكُمْ وَأَحْلامَكُمْ   عَلَى أَخْرَسٍ سَرْمَدِىِّ البَكَمْ
لَهُ رَنَّةٌ فى حَشاكُمْ لَهاَ   صَدَى عَازِفٍ عَبْقَرِىِّ الرَّنَمْ
غَزَا رِقُّهُ دَهْرَكُمْ مِثْلَماَ   غَزَا النُّورَ لَيْلٌ دَجِىُّ الظُّلَمْ
عَبَدْتُمْ جَمَادًا عَلَى وَجْهِهِ   لِجُرْحِ النَّدَى آهَةٌ تَبْتَسِمْ
ظَلَمْتُمْ صِبَاهُ فَشَيَّبْتُمُو   هُ كما شابَ فى الدَّهْرِ مَعْنَى القِدَمْ
سَجَنْتُمْ خُطاهُ بِأَيَّامِكُمْ   وَلُذْتُمْ بِهِ فى زَوَايا العَدَمْ
إِذَا امْتَدَّ ضَوْءٌ لِمِحْرَابِهِ   ذَبَحْتُمْ خُطا الشَّمْسِ فَوْقَ القِمَمْ
وَإِنْ رَفَّ حُلْمٌ عَلَى مَهْدِهِ   نَسَخْتُمْ فَناءً لِهَذا الحُلُمْ
سَهِرْتُمْ عَلَيْهِ كَأُمِّ الوَحِيدِ   مَسَرَى اللَّيْلُ فِيها هَوًى يَحْتَدِمْ
قُلُوبٌ سَوَاهِدُ مِثْلُ العُيُونِ   شَرَايِينُهاَ سَاهِداتُ الضَّرَمْ
وَقَفْتُمْ بِهاَ وَقْفَةَ الدَّيْدَبانِ   وَطُفْتُمْ بِهاَ طَوْفَةَ المُسْتَلِمْ
عَلَى رَصَدٍ كَفَنَتْ سِرَّهُ   يَدٌ سِرُّها فى الجَمادِ الأَصَمّ

يُسَمُّونَهُ المالَ وَهْوَ الَّذِى   يُمِيلُ الحُظوظَ وَيُمْلِى النِّعَمْ!

***

أَمَا جاءَكُمْ نَبَأٌ عَنْ أُمَّى   جِراحاتُ مِصْرٍ بِهِ تَضْطَرِمْ؟
بَكَى الثَّغْرُ حَتَّى سَرَى دَمْعُهُ   مَعَ الرِّيحِ رُؤْيَا لَهِيبٍ وَدَمْ
يُعَاتِبُكُمْ مَوْجُهُ فى الضِّفافِ   وَلِلْمَوْجِ شِعْرٌ شَجِىُّ النَّغَمْ
إِذَا أَذَّنَ الفَجْرُ فى أُفْقِهِ   يُؤَذِّنُ عِزْرِيلُ فَوْقَ الأَكَمْ
فَتَهْوِى قُصُورٌ لها فى السَّماَ   جَبِينٌ عَلَى النَّجْمِ عالٍ أَشَمّ
وَتَهْوِى قُبُورٌ عَلَى أَرْضِهاَ   تَكادُ مِنَ الهَوْلِ تَبْكِى الرِّمَمْ
أَلا مَنْ لِسارِينَ تَحْتَ الدُّجَى   يُسَقَّوْنَ مِنْ كُلِّ بُؤْسَى وَهَمّ
تُهاجِرُ أَيَّامُهُمْ وَالطَّوَى   بِأَحْشائِها وَقْدَةٌ مِنْ ضَرَمْ
لَهُمْ سِيرَةٌ راحَ يَرْوِى الأَسَى   أَساها بِدَمْعٍ كَسَيْبِ الدِّيَمْ
دِيارُهُمْ أَقْسَمَتْ لا تُرَى   فَبَرَّ الخَرابُ لها بالقَسَمْ
فَلَمَّا تَهاوَتْ عَلَى أُمِّها   وَدَكَّ الثَّرَى صَرْحَها المُنْهَدِمْ
مَشَى المَوْتُ أَعْمَى ضَرِيرَ العَصا   يُنَقِّلُ فى كُلِّ عُمْرٍ قَدَمْ
تَنُوحُ بِكَفَّيْهِ زَمَّارَةٌ   إِذا نامَ زَمَّارُها لَمْ تَنَمْ
نَما غابُهاَ فى خَرابِ البِلَى   وَطافَ بِهِ الشُّؤْمُ يَسْقِى الأَجَمْ
سَقاَ فَرْعَهُ مِنْ صُرُوفِ الزَّمانِ   رَزايا مُشَعْشَعَةً بالنِّقَمْ
بِأَدْغالِهِ لاذَ جِنُّ الفَلا   وَبُومُ الدُّجَى بِذُراهُ اعْتَصَمْ
نَما غابُها ... لَيْتَهُ ما نَما!   وَلا مِنْ حَشاهُ عَوَى أَىُّ فَمْ
إِذا وَلْوَلَتْ فى ظَلامِ الضِّفافِ   أَصابَ البِلَى مِنْ صَداها صَمَمْ
فَلا صَرْخَةُ الطِّفْلِ تَلْوِى خُطاهُ   وَلَوْ ذابَ فِيها حَشا كُلِّ أُمّ!
مُفاجِئَةٌ لا تَعِى ما الوُعُودُ   وَلا ما العُهُودُ وَلا ما الحُرَمْ؟
إِذا صَفَرَتْ ذابَ قَلْبُ الضِّياءِ   وَدَسَّ الدُّجَى وَجْهَهُ المُدْلَهِمّ
تَخَيَّرَتِ اللَّيْلَ مَسْرَى نِداها   كَمارِدَةٍ تَشْتَكِى لِلسُّدُمْ
عُواءُ الذِّئابِ لَدَى نَوْحِهاَ   أَلَذُّ اسْتِماعًا وَأَشْجَى نَغَمْ
تُنادِى فَيَنْشَقُّ جُرْحُ الأَثِيرِ   عَلَى قاذِفاتِ اللَّظَى وَالحُمَمْ
طَوائِرُ لَمْ يَدْرِ ساقِى الحَدِيدِ   أَهَوْلًا سَقَى قَلْبَها أَمْ ضَرَمْ؟

وَهَلْ سَاقَهَا لِلْوَغَى سَائِقٌ   مِنَ الْجِنّ أَمْ عَاصِفٌ مِنْ عَدَمْ

يُغِيرُ بِهَا وَالْكَرَى نَائِمٌ   وَلَيْلُ الْحِمَى رَاهِبُ الْحُلُمْ

وَلِلنِّيـلِ إِغْفَاءَةٌ أَقْبَلَتْ   عَذَارَى الْخَيَالِ بِهَا تَسْتَحِمْ

سَجَا وَاطْمَأَنَّ كَأَنِّى بِهِ   نَبِىٌّ يُبَارِكُ خَطْوَ النَّسَمْ

وفى وَجْهِهِ قِصَّةٌ لَمْ يزَلْ   مَعَ اللهِ قِرْطَاسُهَا وَالْقَلَمْ !

أَغَارَتْ عَلَيْهِ رِيَاحُ الْمَنُونِ   فَضَجَّ لَهَا مَوْجُهُ الْمُرْتَطِمْ

وَحَالَتْ مِنَ الرَّوْعِ شُطْآنُهُ   نِدَاءً يَصِيحُ بِمَوْتَى الْهَرَمْ :

مَشَى نَافِخُ الصُّورِ فى أَرْضِكُمْ   فَكُونُوا الْبَشِيرَ لِبَعْثِ الأُمَمْ

دَعُوا الْهَوْلَ يأْتِى كما يَشْتَهِى   فَإِنَّا أَلِفْنَاهُ مُنْذُ الْقِدَمْ

يُدِيرُ عَلَيْنَا خُطَا السَّافِيَاتِ   عَلَى جَبَلٍ سَرْمَدِىِّ الشَّمَمْ !

عَلَى خَمْرَةِ الصَّبْرِ مِلْنَا بِهِ   نَشَاوَى بِسِحْرِ الأَسَى وَالأَلَمْ

فَمَنْ رَامَ كَيْدَ الْحِمَى وَيْلَهُ   سَيُشْقِيهِ جَبَّارُهُ الْمُنْتَقِمْ !

وَيَسْقِيهِ من سُخْرِيَاتِ الْفَنَاءِ   عَتِىٌّ عَلَى الدَّهْرِ يُدْعَى الْهَرَمْ

أَبُو الْهَوْلِ فِينَا يَسُوقُ الزَّمَانَ   وَيَرْعَى اللَّيَالِىَ رَعْىَ الْغَنَمْ

فَمَا الْهَوْلُ ؟ ما خَطْبُهُ إِنْ دَجَا   سِوَى هَاجِسٍ بِخُطَانَا أَلَمْ ؟

* * *

دَعُونَا نُحَىِّ الْوَغَى وَاللَّظَى   وَإِنْ كَرْبُهَا فى ثَرَانَا احْتَدَمْ

فما يَصْرَعُ الْمِحَنَ الْمُبْكِيَاتِ   إِلاَّ الذى ذَاقَهَا وَابْتَسَمْ !

دَعُونَا نُحَىِّ لَهِيبَ الْخُطُوبِ   وَإِنْ جَمْرُهَا فى حَشَانَا اضْطَرَمْ

سَئِمْنَا حَيَاةَ الزَّمَانِ الْمَرِيضِ   وَعَيْشَ الزَّمَانِ السَّقِيمِ الْهَرِمْ

دَعُونَا نُقِمْ مَجْدَنَا فى النُّجُومِ   فَمِنْ ضَوْئِهَا قد نَسَجْنَا الْعَلَمْ

سَتَعْصِفُ أَيَّامُنَا بِالْوُجُودِ   وَتَهْزَأُ أَرْوَاحُنَا بِالْعَدَمْ

وَنَبْنِى جَدِيدًا لِتَارِيخِنَا   كَفَانَا فَخَارًا بِسِحْرِ الْكَلِمْ

تَمَرَّدَتِ الأَرْضُ تَبْغِى الْوُثُوبَ   فَمَا بَالُنَا بِالْكَرَى نَعْتَصِمْ

أَلاَ فَلْنَقُمْ من عَمِيقِ الرُّقَادِ   فَلاَ بَعْثَ لِلْجِيلِ إِنْ لَمْ نَقُمْ !

محمود حسن اسماعيل

العاطفة الحيرى

للأستاذ خليل شيبوب

فى الصدر عاطفةٌ ولهى محيرةٌ   قد طالَ ما أتقى منها وما أجدُ

وددتُ لو ظهرتْ حتى يخفَّ بها   قلبى وحتى يُراحَ الروحُ والجسدُ

كأنها فى فؤادى حينما خفيتْ   أنشودةٌ لم يُذِعْ ألحانَها أحد

حامت على الوترِ المشدودِ صامتةً   فهل إلى نزعها منه تُمَدُّ يد

كأنها النجمُ يسرى فى الغيوبِ وما   يَدْرِى إلى أيِّ دنيا نورُه يَفِد

أو خمرةٌ ليس يُدْرَى بَعْدُ شاربُها   تظلُّ فى ختمها تغـلى وتتَّقِد

أو درةٌ أخطأ الغوّاص موقعها   تظلُّ فى الصدفِ المختومِ تنعقد

أو حبةٌ علقت فى الأرض ناضجة   فالأرضُ حُبلى بما فيها وما تلد

يا نزغةً فى فؤادى لست أفهمها   شَرَنْ من الجِدِّ لهوٌ قاتلٌ وَدَدُ(1)

أنى الزمانُ الذى ما زلتُ أرقبه   وفيه كلُّ أمانىِّ الهوى بِدَد

وعُطِّلَتْ بدواتٌ كان يبعثُها   وجهٌ به قسماتُ الحسن تتَّحِد

ماعاد لى اليومَ من قصدٍ أحققُهُ   وأىُّ قصدٍ أُدارِيه وأفتقد

تقطَّعَ الوترُ المشدودُ حين خبا   نجمٌ سرى وأُريقَتْ خمرةٌ تقد

وأطفأ الصدفُ المختومُ دُرَّتَهُ   وحبَّةُ الأرضِ ماتت وهى ترتفد

قد بان أمسى وما يومى بمنطلق   به وليس ليومى فى الزمانِ غَدُ(2)

طفَتْ هواجسُ فى صدرى تُغَمْغِمُ لي   صِلاتِ عُمْرِىَ تُشقِيه وتضطهد

كأن تحتى فضاءً لستُ أُبصره   لـكن أُحِسُّ به يدنو ويبتعد

حسب الشقاءِ بأنى قد رضيتُ به   وأن لي ما وَهَى عزمٌ ولا جلدُ

خليل شيبوب

(1) الدد : الهزل

(2) بان : ذهب



من الأستاذ توحيد السلحدار

صديقي العزيز

شاء فضلك أن تنوّه بي في سياق وصفك الفني لمنتداك تحت السكافورة — التي خلّدت ذكرها بأدبك البارع ، وإني متيمن ، يا صاحب الرسالة ، بحسن ظنك شاعر بأثر حبك وعطفك في رأيك .

وكم بودي لو يساعدني ما تعرف من حالي الصحية على القيام بما دعوتني إليه ، ولو يكون لي حظ من الكفاية يسمح بالإقدام في ميدان أتهيب الدخول فيه بعد ثنائك الكريم . على أني قد أخاطر كلما خطر لي موضوع وأسعدتني الصحة .

هذا ، ولك مني جزيل الشكر ، وصادق الإخاء ، وأحسن التحية .

(المنصورة) محمد توحيد السلحدار

تعقيب لغوي

جاء في (شجون) العلامة الدكتور زكي مبارك بالعدد ٤٢١ من الرسالة ما يأتي :

« أكبر هموم علمائنا اللغويين أن يعترضوا على نيابة حرف عن حرف ، وأن يقول قائلهم : إن العرب تعرف كيت ولا تعرف زيت (كذا) ، وأن يثوروا على أي تعبير لا يجدون له شواهد في أقوال القدماء ... الخ »

ولست الآن من محاجّة الدكتور في أفكاره هذه بصدد .

وإنما هما ملحوظتان لفظيتان أريد التنبيه عليهما في عبارته :

١ — أن (ذَيْت) بالدال لا بالزاي . وقد انتظرت طويلاً لعل الدكتور يعود فيصححها ، فلم يفعل . وقد يكون هذا من سبق القلم ، كما قد يكون من زلات المطبعة .

٢ — أن (كَيْتَ) و (ذَيْتَ) لا بد أن تُكرّرا . تقول : كان من الأمر كيت وكيت ، أو : كان من الأمر ذيت وذيت . وفي الحديث : « بئس ما لأحدكم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت [1] » .

(١) كذا في (النهاية) لابن الأثير واللسان وغيرهما .

فكان واجباً أن يقول الدكتور : ... إن العرب تعرف كيت وكيت ، ولا تعرف ذيت وذيت ... [1]

والله الموفق .

(ع . ا)

١ — صحة مثل

في ثلاثة مواطن من باب « البريد الأدبي » في هذه المجلة ، (أنظر الرسالة ، الأعداد : ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠) كلمات ثلاث في المثل القائل : « النحو في الكلام كالملح في الطعام » . ذهب كاتب الأولى إلى تضعيف هذا المثل كون وجه الصحة في إيراده : « الهزل في الكلام كالملح في الطعام » استناداً منه إلى ما جاء في كتاب مجالس السلطان الغوري . فجاء الكاتبان الثاني فالثالث يؤيدان صحة المثل بنصه الأول

وهأنذا الآن بين يدي نص صريح وقفتُ عليه ، يثبت صحة المثل ويبين مغزى إطلاقه

جاء في القسم الثاني من الجزء الخامس من كتاب « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (ص ١٦٠ من الطبعة التي ظهرت أخيراً في حيدر آباد) :

« حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال : دخلتُ على أبي العيناء في آخر عمره ، وقد كُفّ بصره ، فسمع صرير قلمي على الدفتر قال : مَن هذا ؟ قلت : عبدك وابن عبدك محمد بن يحيى الصولي ! قال : بل ولدي وابن أخي ! ما تكتب ؟ فقلت : جعلني الله فداءك شيئاً من النحو والتصريف ! فقال : النحو في الكلام كالملح في الطعام ، فإذا أكثرت منه صارت القدر زعاقاً يا بني ! إذا أردت أن تكون صدراً في المجالس ، فعليك بالفقه ومعاني القرآن . وإذا أردت أن تكون منادماً للخلفاء وذوي المروءة والأدباء ، فعليك بنُتَف الأشعار ومُلَح الأخبار » اهـ

(١) ومما تحسن الاشارة إليه هنا أنه لا يصح أن يقال : كان من الأمر كيت وذيت ، أو : كان من الأمر ذيت وكيت ، كما أراه أحياناً في بعض الأقلام — ويكنى من الأمر أيضا بكذا ؛ إلا أن (كذا) تفرد إن لم يتعدد الفعل . قال في (المصباح) : ويكون كناية عن الأشياء . يقال : فعلت كذا ، وقلت كذا . فان قلت : فعلت كذا وكذا فلتعدد الفعل اهـ . وكذا يفهم من كلام الجوهري . ومما أراه أحياناً قولهم : كان كذا وكيت ، أو فعل كذا وكيت . وهو خطأ .

فأنت راء مما نقلنا أن هذا المثل لا يحتمل تأويلاً ولا يستوجب تبديلاً ، بعد أن كفانا أبو العيناء (المتوفى سنة ٢٨٢ هـ) نصب البحث عن موقع استعماله

٢ – نظرة في مقال

أطالع باغتباط ما يكتبه الأستاذ محمد عبد الغني حسن بعنوان « مدن الحضارات في القديم والحديث » ، فهو بحث جليل ؛ وقد استوقفتني فيه نقاط (العدد ٤١٧ من الرسالة) أظنها تحتاج إلى مراجعة ، وهي :

١ – قال في الصفحة ٨٤٤ في كلامه على بغداد : « والبحتري الشاعر الرقيق يصف لنا بركة المتوكل في شعر تصويري جميل ... ويقول في ذلك :

تنساب فيها وفود الماء معجلة ... كالخيل خارجة من حبل مجريها »

والذي يُفهم من هذا الكلام ومما يتلوه ، أن بركة المتوكل كانت في بغداد ، في حين أن من المعروف عرفان اليقين أنها في سامراء . والذي يقرأ سيرة المتوكل يجد أنه قضى أغلب أيام خلافته في سامراء ، وبها أقام قصوره التي فاقت سائر قصور الخلفاء ، ولا داعي إلى تفصيل ذلك

٢ – وورد بعد ذلك بخمسة عشر سطراً قوله : « وكان نهر دجلة في ذلك الحين يكاد يغص بالحرامات الكثيرة والزوارق الجميلة ... الخ » . والواضح أنها « ... يغص بالحَرّاقات ... » وهي ضرب من السفن النهرية ، ولعل هذا من أغلاط الطبع

٣ – وفي آخر الصفحة نفسها ، عَدّ « جميل نخلة المدور » عراقياً مع أنه لبناني

(بغداد) كوركيس عواد

الطنطاوي يتحرك ... فهل يتحركون ؟

قضت الظروف القواهر التي حلت بدمشق إلا أن تحطم الأقلام القليلة التي كانت تهتز بين حين وحين لتمسح عبرة من مقلة ، أو لتأسو جرحاً في قلب ، أو لتبعث نشوة في نفس . وأخذت حِلَق تطوى الليالي السود وفي نفوس المثقفين من أبنائها غصة ، وتقضي الأيام العوابس والألم يصهر الغُيُر من شبانها على الأدب الذي أصبح ميتاً فيها خلال هذه الأحداث أو شبه ميت . ولسنا ممن يزعمون أن الأدب في دمشق كان قبل الحرب خيراً منه في خلالها ، ولكن العاملين والعاملات كانوا يجدون حين يمتطي القلم أناملهم الخمس اللطاف ، ميداناً ينشرون به ما ينتجون . ولكن هذا الميدان بدأ نطاقه يضيق منذ انقدت الشرارة الأولى لهذه الحرب الضروس – التي توشك أن تقضي على البشرية إن لم يطفئها عقلاء قوم – ولم يكن هذا الضيق خاصاً بالأدب والأدباء وحدهما ، وإنما كان عليهما أشد منه على غيرهما من مرافق الحياة . وما زال الضيق يشتد ، والنطاق يتأزم ، حتى أمسينا منذ شهور وليس في الميدان من يخط حرفاً (لزناء) الأدب بعد أن تلاشى وخمدت أنفاسه

وهكذا حطم الأدباء والمتأدبون يراعهم ، وحرمنا الأنس بصرير أقلامهم ، وظريف أقوالهم ... حُرمنا ذلك كله لتحل محله الوحشة بدوي القنابل ، والذعر من عويل الطائرات(١) . ولم يعد ثمة مجال لغذاء العقل ، وقوت الفكر ، ونشوة الروح

وها قد أخذنا نتنفس الصعداء بعد هذه الضُّغْطة(٢) القاتلة وشرعنا نستعيد شيئاً من هدوء النفس ، وطمأنينة الفؤاد بعد الانقلاب الأخير . فهل نترك عقولنا إلى الأبد دون غذاء ، وأفكارنا دون قوى ، وأرواحنا دون خمر ؟

تقول العامة إن الحركة بركة ! وهذا الأستاذ الطنطاوي يتحرك ويسارع بنشاط إلى قلمه بعد أن سكت فأطال وأطال . وهذه الأنباء تترى علينا من كل ناحية وصوب ، والشائعات تملأ الجو الأدبي وكلها تبشر بخير كثير ونفع عميم . ولعل أعظم هذه الأنباء شأناً وأدعاها للغبطة والسرور هو نبأ إعادة مجلة المجمع العلمي في وقت قريب إلى حيز الوجود وتأمين صدورها بأوقاتها المعينة ؛ والذين يعرفون مبلغ أهمية هذه المجلة في دنيا الأدب سيغتبطون لهذا النبأ دون ريب . وهناك من يقول بأن الدكتور العجلاني يسعى للحصول على ترخيص لإصدار مجلة أدبية راقية ، إن لم يكن قد حصل بالفعل . وهناك طائفة من الشبان العاملين في حقل الأدب تمد العدة لإصدار صحيفة في الموضوع نفسه . ونعتقد أن هذه الصحيفة ستكون أكثر توفيقاً من غيرها لأنها ستقوم على سواعد أناس لا يبغون من وراء عملهم سوى خدمة الأدب والثقافة . وهناك ... وهناك ... فهل يتحقق كل

(١) كانت أصوات الطائرات التي أغارت على دمشق في فجر الخامس والعشرين من شهر حزيران (يونيو) لاتختلف من العويل في قليل أو كثير
(٢) الشدة .

هذا فيك يا دمشق ؟ وهل تصدق كل هذه الأماني والأحلام العذاب ؟ وهل نرى أدباءنا كلهم يتسابقون إلى الميدان بإخلاص وعزم وثبات ؟ هل نرى الأدب في دمشق مزدهراً يانعة ثماره ؟ وهل نرى شيوخ الأدب وشبانه يعملون معاً متوادين متآلفين، مخلصين متفقين، ليس في الشيوخ واحد يستخف بشاب، ولا بين الشبان متحذلق واحد يشتم الشيوخ ويسكب الثناء على نفسه من وراء حجاب ؟ هل نرى كل ذلك ... ؟ هل نراه ؟

(دمشق) عبد الغني العطري

الواو التي حيرت النحويين

لا بد لهذا الجمود في العلم عندنا من آخر، ولا شيء يقرب نهاية هذا الجمود غير الطعنة الجريئة توجه للمتعارف بين أهله، والمجمع بينهم على صحته، لتثور بذلك ثائرتهم، وتتفتح به أذهانهم المقفلة

وطعنتي اليوم لتلك الواو التي حيرت النحويين في نحو إياك والشر وغيره من صيغ التحذير، فقد حمّلوها ما لا تحتمله من معنى العطف، وتكلفوا في حملها عليه وجوهاً تأباها جزالة اللغة، فقال بعضهم : إن الأصل في ذلك — اتق نفسك أن تدنو من الشرّ والشرّ أن يدنو منك — فحذف أن والفعل وجارُه المقدّر والجارُ المتعلّق به من كل من المعطوف والمعطوف عليه، فصار — اتق نفسك والشر — ثم حذف الفعل والمضاف وأنيب عنه الضمير فانفصل. وهناك تكلفات أخرى في ذلك أسهلها أن الأصل فيه — إحذر تلاق نَفسِكَ والشرّ — فحذف الفعل ثم المضاف الأول وأنيب عنه الثاني، فصار — نفسكَ والشرّ — ثم حذف لفظ نفس وأنيب عنه الضمير فانتصب وانفصل وصار — إياك والشرّ

والحقيقة أن هذه الواو ليست من العطف في شيء، وأن التعليم التلقيني التقليدي هو الذي يجعلنا نصر إلى الآن على أنها للعطف، وأكبر دليل على أنها ليست للعطف أن صيغة التحذير قد تخلو منها فيكون معناها مع خلوها منها كمعناها مع وجودها فيها، كما قال الشاعر :

فإياك إياك المِـراء فإنه إلى الشر دعّاء وللشر جالب

وليس هذا شأن حرف العطف، وإنما هو شأن الحرف الزائد، فهذه الواو عندي زائدة لا عاطفة

ويلي هذا عندي أن تكون أصلية عاطفة لا على معنى التشريك في الحكم، ولكن على معنى من الجارّة، فيكون معنى — إياك والشر — إياك من الشر، ولا غرابة في أن تأتي الواو العاطفة بمعنى من الجارة، فقد وردت عاطفة بمعنى باء الجر في نحو قولهم — أنت أعلم ومالك — أي بمالك، وهذا هو رأيي في تلك الواو أعرضه على قراء الرسالة الغراء، ليوازنوا بين الرأيين، وكم ترك الأول للآخر.

عبد المتعال الصعيدي

النفط

يحتل السائل المستعمل في الاستصباح اليوم مكانة ملحوظة من جميع الشعوب، والقوم في مصر يشكون الآن قلته، ويتنافسون في سبيل الحصول عليه، وذلك لندرته واستنفاد الحرب القائمة لأكثرية الكمية الموجودة منه في العالم. ومن العجيب أن هذا الزيت قد أطلق عليه في مصر العربية جملة أسماء ليس من بينها اسم كانت تستعمله العرب ؛ فالحكومة المصرية تسميه في بطاقاتها « الكيروسين » ولا أدري من أين جاءت هذه اللفظة، وكتاب السياسة يسمونه « البترول » ولم أر لها أصلاً في اللغة، والعامة تسميه « الجاز » أو « الغاز » وكل منهما لفظة مجهولة منكورة.

فلماذا لا نسمى هذا السائل باسمه العربي القديم، والذي يطلق عليه اليوم في العراق وفي البيئات العربية الصميمة، ألا وهو النِّفط ؟

جاء في المختار : « والنِّفط والنَّفط دهن، والكسر فيه أفصح » ؛ وجاء في القاموس إنه : « ضرب من السرج يستصبح به » ؛ وقال المصباح : « والنفاطة أيضاً منبت النفط ومعدنه » . فلنقل « النفاطات » بدل « منابع البترول » .

ويقول بشار بن برد في حبيبته عبدة :

لعبدة دار، ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطارُ

أسائل أحجاراً ونؤياً مهدماً وكيف يجيب القول نؤى وأحجار ؟

وما كلمتني دارها إذ سألتها وفي كبدي (كالنفط) شبت له النار !

« البجلات » أحمد الشرباصي

والد الملوك الأيوبيين أيضاً

أراد الأخ الأستاذ محمد عبد الغني حسن أن يناقش (في العدد ٤٢٢ من الرسالة) فكرة جديدة بعيدة عما قصدت إليه بردى المنشور في الثقافة عدد ١٣٥ ؛ تلك الفكرة تتلخص — كما فهمت — فيما يلي : هل كان أمراء بني أيوب يلقبون بلفظ الملك أم لا ؟ وأنا لا أعارضه في هذا الرأي بل أزيده أن هذا التقليد بدأ في مصر

فكان يحمل لقب الملك وزراء بنى فاطمة الأقوياء عند ما جمعوا السلطان فى أيديهم ، وساعدهم على ذلك ضعف الخلفاء « وأول من لقب بالملك منهم مضافاً إلى بقية الألقاب رضوان بن ولخشى عند ما وزر للحافظ لدين الله ... سنة ثلاثين وخمسمائة » (المقريزى الخطط ، طبعة النيل ج ٢ ص ٣٠٥) . وصار وزراء الفاطميين بعد هذه السنة يحملون ذلك اللقب ، ومنهم أسد الدين شيركوه الذى لقبه الخليفة العاضد فى خطاب توليته الوزارة بالملك المنصور؛ ومنهم أيضاً صلاح الدين الأيوبى الذى لقبه العاضد كذلك بالملك الناصر ، فكان هذا اللقب يمناً عليه ، ولزمه حتى وفاته

ولما ملك صلاح الدين وأصبح لآل أيوب الأمر والذكر لقب الكثيرون منهم بألفاظ الملك ، وإن لم يحكموا مصر ، بل لدى ما يجعلنى أستزيد الأستاذ دعاء لى أن يسامحنى الله . فقد قال صاحب شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب حزاب عند ترجمة نجم الدين أيوب : « أيوب بن شادى نجم الدين الملك الأفضل وقيل الأوحد أبو الملوك الأيوبية ... الخ » . فنجم الدين الذى عنيته فى مقالى بالثقافة عن تاج الملوك بورى لقب بالملك الأفضل أو الأوحد ، والذى حمله هذا اللقب هو الخليفة العاضد أيضاً (راجع المصدر السابق نفس الصفحة) إذ يقول عند كلامه عن لحاق نجم الدين بابنه صلاح الدين وحضوره إلى مصر : « وخرج إلى مصر بجماعته كلهم ، ولما قدم خرج العاضد للقائه ولقبه وزينت البلد الخ » ولم أعثر فيما قرأت عن الأيوبيين على مؤرخ واحد لقبه بالملك الصالح إنما الذى تفرد بحمل هذا اللقب هو نجم الدين بن الملك الكامل محمد ، لهذا كان لى عذرى أن حسبت أن الأسماء تشابهت على الأستاذ عبد الغنى ، ورأيت أنه لزام على أن أكتب ما كتبت

لم يبق إذن إلا أن الأستاذ يريد أن يضفى — من عنده — هذا اللقب على أبى الملوك الأيوبيين لأنه كان محباً للصالحين كما يقول أبو المحاسن ج ٦ ص ٦٧ ، وهذا فرض بعيد أولاً ، ولا يسمح به التاريخ للأستاذ ثانياً ، لأن هؤلاء الملوك وأسماؤهم وألقابهم وأعمالهم أصبحت فى ذمة التاريخ ، ولا يسمح التحقيق العلمى لأحدنا ألبتة أن يغير فى صغيرة أو كبيرة منها ، فهل لا يزال الأستاذ بعد هذا التحقيق مصراً على تلقيب نجم الدين الكبير بالملك الصالح ؟ لا — بل أنا أظنه — وقد ثبت لدى أنه يعلم أن الكبير غير الصغير ، يوافقنى على تلقيب الأول بالملك الأفضل أو الأوحد ، ويترك لقب الملك الصالح لمن يتميز به وهو حفيد العادل ؛ ولعلى — بهذه الكلمة — أكون قد أرضيت الحق والتاريخ أولاً ، والأستاذ عبد الغنى حسن ثانياً

جمال الدين الشيال

المهرجان الأدبى الثالث

يحتفل السودانيون كعادتهم فى كل عام بالمهرجان الأدبى الذى سيقام هذه السنة بنادى الخريجين بأم درمان فى أيام عيد الفطر المبارك حيث يعرض ما تنتجه العقلية السودانية فى ميادين الآداب والعلوم والفنون

والسودانيون الذين تربطهم بمصر روابط لا تنفصم عراها، والذين يستمدون ثقافتهم منها ، كم يسرهم أن يلبى رجال الفكر وقادة الرأى وحملة الأقلام دعوتهم ليسعدوا برؤية من يستطيع زيارة السودان فى ذلك الحين ، وليتذوقوا ما تخطه تلك الأقلام القوية فى مختلف الأبحاث

وليت أبناء الكنانة عاملون على تحقيق تلك الرغبة التى سيكون لها أثرها الخالد فى تدعيم الصلات بين القطرين الشقيقين

الأمين التوم
سكرتير للمهرجان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 426

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 1 - 9 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق أول سبتمبر سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٢٦

الفهـــــرس

صـفحة
١٠٨١ من أحاديث القهـوة ... : أحمـد حسن الزيات ... ...
١٠٨٣ قصائد الشعراء فى تأبين « سعد » .... } الدكتور زكى مبـارك ...
١٠٨٦ كيف يكتب التاريخ ؟ : الدكتور حسن عثمان ...
١٠٩٠ « كليلة ودمنة » ... ... : الأستاذ عبد السلام محمد هارون
١٠٩٣ الفقر مسألة اجتماعيـة ... : الأستاذ رمسيس يونان ...
١٠٩٦ مدن الحضارات فى القـديم والحـديث ... ... } الأستاذ محـمد عبد الغنى حسن
١٠٩٩ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق ادورد وليم لين ... بقـلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١١٠٢ إيماءة إلى الله [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
١١٠٢ نشيد السيفين » : الأديب عبـد الرحمن الخميسى
١١٠٣ « كليلة ودمنة » ... ... : الدكتور عبـد الوهاب عزام
١١٠٤ فى مدن الحضارات ... : الأستاذ محمـد عبد الغنى حسن
١١٠٥ إلى وزارة المعارف ... : الأستاذ « ن . ع . سوس »
١١٠٥ إلى الأستاذ محمود الخفيف : الأديب زكى عبـد الله ...
١١٠٥ الألقـاب لا ترتجل ... لفتة ... ... العـود أحمـد ... ... } الأستاذ أحمـد صفوان ...
١١٠٦ القاموس السياسى ... ... : الأستاذ (أ . ص) ... ...
١١٠٦ سهرة المليـونير [قصـة] : الأستاذ محـمد على غريب ...

١٧ ٥ ١٤

تحت ظلال الكافورة

من أحاديث القهوة

— ٢ —

أصبحنا فإذا النيل الجليل يقبل نفّاحاً بالخير فيّاحاً بالنعيم ، تتربّع شطآنه الُخضر بالعسجد الذائب ، وتتدفق مجاريه الفِيحُ بالكوثر العذب ، وتتنفس أمواجه الصُّهبُ بالتحيات والبركات على بنيه الخلّص الذين خُلقوا من طينه الحر ومائه الطّهور، وعاشوا على نائله الجم وخصبه الموفور ؛ وكأنما تنفرج كل موجة عن سؤال من هذه الأسئلة التى اعتاد أن يلقيها كل عام على أهله :

— ماذا صنعتم يا بَنىَّ بالذهب الذى نثرته على أرضكم فى العام الذاهب ؟ هل قسَمتموه بينكم على شريعة الله ، وأنفقتموه فيكم على منفعة الوطن ؟ أم هل بقيتم على طباع الوحوش الأوابد ، تتفارسون بالغيلة أو بالحيلة حتى لا تدع المخالب والمجاريف ، شيئاً للفقير أو للضعيف ؟ ألا تزال الأمة مقسومة إلى باشوات و (دلاديل) ، والسياسة قائمة على بهلوانات وتماثيل ؟

ألا يزال أربعة الأخماس من أبنائى ، يعيشون مجهودين على فضلات الُخمس من أغنيائى ، وخيرىَ الفياض لم يدع فى مصر كلباً جوعان ولا ضِفدعاً عطشى ؟

أيّ شيء صار مائى السماوى الفرات فى دمائكم يا ساكنى الوادى ؟ أموتاً وقد أحييت الصحارى ؟ أم ذلّا وقد أعززت الفراعين ؟ أم جهلاً وقد خلقت الحضارة ؟ إلى متى يا بَنى تقابلون بِرّى بالعقوق ووفائى بالغدر ، وتقبلون من أوليائكم أن يدعوا مائى وثرائى يذهبان فى عباب البحر كما تذهب النفحة الرخية فى ثورة العاصفة وثراىَ مكروب وشعبى جائع ؟

ولكن أسئلته الأبوية السنوية تذهب فى الهواء كما يذهب فيضه فى البحر ، فلا أذن تعى ، ولا لسان يجيب !!

* * *

أخذنا مجلسنا المعتاد من القهوة ، وكان النادون المتادون قد راعهم ما رأوا من جمال النيل وجلال الفيضان فسكنت ثرثرتهم بعض السكون ، واتجهوا بمشاعرهم إلى النهر الطامى يقابلونه بالهشاشة ويبادلونه التحية . وملكتنا نحن أيضاً روعة المنظر ، فذهلنا ذهول الشاعر المستغرق ؛ وتراءت على مُرْهَفِ الحس منا سِماتٌ من جلوة الخاطر وطلاقة النفس ؛ وكاد الذهول ينقلب نشوة والحديث يتحول شعراً ، لولا الذباب الذى يقع فى الكأس فيكدر الصفو ، أو المتسول الذى يسقط فى الحديث فيقطع الأنس ! والمتسولون فى المنصورة كالذباب فى رأس البر ، لا يَدَعون للجالس مشغلة إلا بالاستعاذة والطرد . وكان الذى صرفنا عن المنظر الساحر والحديث العذب نوع من هؤلاء المتسولين طريف : رجل كفيف البصر ، وثيق التركيب ، مربوع القامة ؛ على جسمه جلبابٌ محكم التفصيل ، وعلى رأسه عمامة حسنة التكوير ، وفى يده هراوة صلبة العود ؛ كان يقود نفسه على طِوار الشارع وهو يقول بصوت جهير رزين ولهجة متزنة آمرة : « طالب من الله : أفطر ، وأشرب القهوة ، ونصف ريال ، وواحد يلمه لى » !

لم يكد هذا الرجل يُبدئ ويعيد ، ويذهب ويجئ ، حتى نهض إليه الجالسون بالقرش بعد القرش حتى أعلمهم أنه استوفى حقه . ثم انصرف عنهم إلى غيرهم دون أن يجود عليهم بما تعود المتسولون أن يسرفوا فيه من مبتذل الدعاء والشكر !

قلت لصاحبى وقد بدا عليه ما بدا علىّ من العجب العاجب : هذا المتسول واحد من هؤلاء الأوزاع المتبطلين الذين يلحون على الناس بالضراعة والوضاعة ، ويلح الناس عليهم بالنهر والقهر ، فما السر الذى حمل القوم على أن يفردوه بهذه المعاملة ؟

السر فى رأيى هو القوة التى برزت فى هيئته ولهجته . والإنسان منذ كان يُعجب بالقوة ويخضع للقوى بدافع من فطرته ؛ لأن القوة دليل الحياة الصحيحة ووسيلة العيش العزيز ؛ وهى معبودة منذ كانت فى تهاويل الفلك وأفاعيل الطبيعة وتماجيب الناس . ولولا سلطانها الفطرى على القلوب لما عُبد صنم ولا قدّس طاغية

ربما يتفق لك أن تجادل بعض الناس بالحسنى وتحاجَّه بالمنطق، فيركب هواه ويصر على غيه ؛ فإذا فجأته بالصيحة الغاضبة استكان وسلَّم . وإنك لتجد كثيراً من خلق الله يصفقون لهجمات هتلر ، ويصفرون لخطب رزفلت ! وأولئك هم العامة وأشباههم ممن غلبت على نفوسهم عبودية القوة فآمنوا بالحيوان وكفروا بالإنسان ، وانقادوا للعاطفة وغفلوا عن المنفعة !!

الديمقراطية كما تعلم وليدة المدنية العليا . وما كان لمدنى سليم النفس والفكر والإرادة أن يعود إلى عيش القطيع فيلقى مقادته إلى رجل مثله يجوز عليه ما يجوز على البهيم من غلبة الشهوة وطغيان الأثرة . ولكن النفس البشرية على ما بلغته من المدنية والثقافة لا تزال فى سرائرها بقايا من نوازع القوة تفسد بها وتصلح . فهى فى السلم الطويلة والرخاء الوارف تجمح فلا يمسكها غير الشدة ؛ وفى الحكم الصارم والسلطان الغشوم تذل فلا يعزها غير الهوادة . لذلك كانت الديمقراطية يا صديقى كاللحم : كلما اعتل الجسم واختل نظامه ، كان أول ما يشير به الطبيب على المريض ترك اللحم . كذلك كلما انحل الشعب واسترخت قواه واضطرب أمره ، كان أول ما يأمر به الزعيم نسخ الديمقراطية . ذلك ما كان فى روسيا وإيطاليا وألمانيا وأسبانيا ، ثم كان أخيراً فى فرنسا وطن الجمهورية ومعبد الحرية ومعقل الدستور ! كأنما خُلق الإنسان آكل عشب فاللحم دخيل على طعامه ، وكأنما فطر على الجبر والإكراه فالحرية غريبة عن نظامه !

* * *

واتفقنى صديقى على جملة الرأى ؛ ثم أخذ بطرَف من الحديث وجذبه بعنف إلى حالنا التى لا تشبه حالاً من أحوال الأمم ! وصديقى حديد اللسان جرىء الرأى فلا أستطيع أن أنقل إليك ما قال فى خضوع القطيع لرجل اسمه الباشا ، وفناء الجميع فى فرد اسمه الزعيم

(المنصورة) احمد حسن الزيات

٢ – قصائد الشعراء

فى تأبين سعد

للدكتور زكى مبارك

قصيدة العقاد :

لم يرسل العقاد قصيدته على النحو المألوف فى قصائد الرثاء ، وإنما قسّمها إلى موضوعات ليصف أكثر الجوانب من شخصية سعد فى الحياة والمات ، فرأينا فى القصيدة أربعة عشر موضوعاً تصورها العناوين الآتية :

« الأربعون — موقف التشييع — من منبر القبر — سعد والضعفاء — مراحل الخلود — سعد يملى على التاريخ — صور على صفحة الزمن — يوم النفى — إلى مؤتمر السلام — مواكب العودة — سيشل وجبل طارق — الاعتداء الأثيم — المؤتمر الوطنى — وداع »

وبهذا التقسيم استطاع الأستاذ عباس العقاد أن ينوّع الصور فى قصيدته ، وأن يجعلها حافلة بطوائف مؤتلفة من الألوان

وتظهر جودة هذه القصيدة لمن ينظر الصورة الأولى ، إذ يقول الشاعر فى انقضاء أربعين يوماً بعد وفاة سعد :

أمَضتْ بعدالرئيس الأربعون؟ … عجباً! كيف إذن تمضي السنون؟

فترةُ « التيه » تنشّتْ أمة … غاب « موساها » على « طورسنين »

كلُّ يوم ينقضى نفقدُهُ … وهو ملء الصدر من كل حزين

تكبُر البلوى به حين مضتْ … والبلايا حينما تمضى تهون

كيف ينسى الناس من لم ينسهم … يوم تُنسى النفس والذُّخر الثمين

لم يزالوا كلما قيل لهم … ذهب الموت به يلتفتون

ينظرون القبر لم يعهد بهم … عهدُ رب القبر فى البيت الأمين

لا ولا طالت على أسماعهم … هدأةٌ من دعوات الهاتفين

يتدانى طيفُه فى سِنَة … يُفجع الحالم فيها كلَّ حين

إيهِ يا سعد وما أنت سوى … بَشر يدركه ريب المنون

جئت للناس بِبشرى خالق … فإذا متَّ فلمْ لا يُفتَنُون

تلبس الُخلد وتنضوه فما … أجدرَ القومَ بسف الحائرين

لِمَ يا دنيا — وقد أنشأته … بدعة — فى خُلده لا تبدعين

عاش ممنوع قرين فى المَلا … ليته فى الُخلد ممنوع القرين

ذلك هو الموضوع الأول من موضوعات هذه القصيدة ، والقارئ يشهد قوة الفطرة والطبع فى مثل هذا البيت :

تكبُر البلوى به حين مضت … والبلايا حينما تمضى تهون

أما قوله :

أمضت بعد الرئيس الأربعون ؟ … عجباً ! كيف إذن تمضى السنون

فهو من القوة بمكان ، ومعناه أن الأربعين يوماً طالت حتى عصفت بالصبر الجميل ، فكيف إذن تمضى السنون ، وهى طِوال طِوال ؟ !

أطايب القصيدة

وفى هذه القصيدة كثير من الأطايب ، كأن يقول الشاعر فى عصامية سعد :

يا كبير النفس فى ميمنه … وفتىّ البأس والعمرُ وهون

وعصامياً بَنى الطّود وكم … هُدمت أطواد أقوام بُنين

زاهداً فى كل فانٍ وله … طمعٌ فى المجد أعيا الطامعين

خلف الطّود آفاقاً وما … جاوزت دنيا تُراه أربعين

قبل ميلادك لم يشرف أب … من بنى الريف ولم تنجب بطون

وفى هذا البيت إشارة صريحة إلى خصيصة من أظهر خصائص سعد ، وهى نشأته الريفية . ويريد بها الشاعر أن يجعل سعداً عريقاً فى العظمة القومية ، وكأنه يعرض بمن كانت لهم أصول مدخولة فى هذه البلاد ، وبدون هذا الغرض لا يتسق الكلام ، فالريف المصرى فضل كبير فى إنشاء المواهب ، وما نشأ عظيم فى مصر إلا وهو موصول الأواصر بذلك الريف ، وإن كان من الدخلاء

ومن أعجب خصائص الريف أنه ينوع المواهب ، ويفتح أمام الأذهان آفاقاً لا تفتحها المدائن . ومن هنا يصلح أى ناشئ فى الريف للنهوض بأعمال لم تؤهله لها ثقافته الشخصية

وتفسير ذلك أن الحياة بالريف توجه العقل إلى إدراك المطالب القومية ، وتروض الذهن على تعرف المشكلات التى تعترض

حياة الأهلين ، وهى مشكلات ذات ألوان وأشكال ، والتمرس بها يخلق القدرة على الإحاطة بما يثور فى الصدور من آلام وآمال .

فقول العقاد فى سعد :

قبل ميلادك لم يشرف أب   من بنى الريف ولم تنجب بطون

لم يرد به غير تأكيد القول فى نباهة سعد ، فهو يريد التنويه لا الاستقراء ؛ وإلا فالشواهد كثيرة على من نبغوا من أبناء الريف قبل سعد زغلول

ومن أطايب هذه القصيدة قول سعد كما صوره العقاد :

صـــال بالجيش « كمال » ومضى
بذوى القمصان يسطو « موسلين »
وأنا الأمـة والجيش معاً   وأنا السيف جميعاً واليمين
من بيان الصدق جرّدتُ لهم   عدة تصمى الكماة الفاتحين
أنا مصر وهى فى سؤددها   أنا مصر وهى فى الأسر سجين
أنا ألقيت على عاتقهـــا   حملها المطروح بين الآخرين

وهذا البيت جيد جداً ، ومعناه أن سعداً راض الأمة على أن تحمل وحدها عبء الكرامة القومية ، وهو عبء لا يحمله غير من وصل إلى شرف الفهم لقيمة التكاليف الثقال ، ولا تضيع الأمم إلا حين تتوهم أن الحرية مغنم يساق ، وليست مطلباً يُنال بالدماء ، وتشقى فى سبيله عزائم الرجال

ومن روائع هذه المرثية قول العقاد فى شخصية سعد :

يَعجبُ المرء أشخصٌ واحدٌ   أنت أم شتّى شخوص وفئين
ناضر النفس وإن لاحت على   وجهك السمح سمات وغضون
وغضير القلب لا يألوك فى   صَرعات النزع فى نبضٍ رزين
تأخـذ اللب برأىٍ ثاقبٍ   وفـكاهاتٍ عِذابٍ وفنون
ضَحِكَ الأطفال فى الطيب إلى   ضحك الأقدار فى الجد الرزين
يوم ودعتك ودعت امرأ   يملأ الدنيا ويَقـضِى ويَدين
وأحيّيك لألقاك غـــداً   حجراً يعلوه نوّار الغصون

وهذا شعرٌ نفيس . . . وقول العقاد إن سعداً كان غضير القلب حتى فى ساعات النزع ليس خيال شاعر ، وإنما هو حقيقة ؛ فقد شهد الأطباء بأن قلب سعد كان ينبض عند النزع بمثل القوة التى كان ينبض بها وهو فى أوقات الصحة والعافية ، وإلى هذه الظاهرة الغريبة أشار الشاعر محمود عماد إذ يقول :

وانهدّ قلبٌ طالما اعتدّت به   مصرٌ ليوم كريهةٍ وصدام
قلبٌ كقلب الكون يلبث نابضاً   والموت بارد فى الحشا والهام

ولا يتسع المقام للافاضة فى محاسن قصيدة العقاد ، وما أشرنا إليه يبين جوهرها الثمين

قصيدة الجارم بك

لم تُلق هذه القصيدة فى حفلة التأبين ، وإنما نشرها المقطم فى اليوم التالى وقال إنها « للأستاذ الشيخ على الجارم المفتش بوزارة المعارف » وهى تبتدئ بهذه الأبيات الجياد :

لا الدمعُ غاض ولا فؤادك سالى   دَخل الحِمامُ عرينة الرئبالِ
وأصاب فى الميدان فارس أمة   رفعَ « الكنانة » بعد طول نضال
رشقتْه أحداثُ الخطوب فأقصدتْ
حربُ الخطوب الدُّهم غير سِجال
للموت أسلحةٌ يطيحُ أمامَها   حول الجرئ وحيلة المحتال
ما كان سعدٌ آية فى جيله   سعد المخلّد آية الأجيال
تَفنَى أحاديث الرجال وذكره   سيظل فى الدنيا حديث رجال
سارٍ كمصباح السماء يحثه   كر الضحا وتعاقب الآصال

ومضى الجارم فتحدث عن الأيام التى عانتها مصر قُبيْل الدعوة إلى الإستقلال : فجعل السيف يلمع فوق كل رأس ، وجعل الأرض ترجف والذعر يعصف بالقلوب ، وأسرف فجعل الناس جميعاً فى أهولَ من يوم الحساب :

وإذا بصوتٍ هزّ مصر زئيره   غضبُ الليوث حمايةُ الأشبال
صوت كصور الحشر جمّع أمة   منحلة الأطراف والأوصال
فتطلعت عين وأصغت بعدها   أذن وهمت ألسنٌ بسؤال
مَن ذلك الشمشاع طال كأنهُ   صدر القناة وعاملُ العسال
ومَن الذى اخترق الصفوف كأنه   قدَرُ الإله يسير غير مبال
سعدٌ ، وحَسبُك من ثلاثة أحرف
ما فى البرية من نُهًى وكمال
ومن السيوف إرادةٌ مصقولة   طُبِعتْ ليوم كريهة ونزال
ومضى يفسّر لا المسير بخاذل   أملاً ولا نيل السها بمحال
فكأنه سيف المهيمن خالدٌ   وكأن دعوته أذان بِلال
ما راعه نفىٌ ولا نفىٌ به   فى حُب مصر زعازع الأوجال
كالشعلة الحمراء لو نكّستها   لأضفتَ إشعالاً إلى إشعال

والسيل إن أحكمت سدطريقه   دك الحصون فبدن كالأطلال

ومن أجود هذه القصيدة قول الجارم في صراحة سعد :

خصم شريف نال من خصمائه   ما نال من إجلال كل موال
عرفوه وضّاح السريرة طاهراً   شرُّ البلاء خصومةُ الأنذال
إن الشجاعة أن تناضل مُصحِراً   لا أن تدبّ كفاتك الأصلال

قصيدة مطران

لم تُلق في حفلة التأبين ، وإنما نشرتْ في (الأهرام) بعد الحفلة بأيام ، وأذكر أني قرأت على الدكتور طه حسين جملة منها في صبيحة اليوم الذي نشرتْ فيه ، وكنا على موعد بداره في مصر الجديدة لنمضي معاً إلى الجامعة المصرية ، فاتفق أن رأينا الأستاذ خليل مطران في الطريق ، فكان من الطبيعي أن يحدثه الدكتور طه عن قصيدته ، فقال الأستاذ مطران ما نصه بالحرف :

« لم أرد أن أقيم مَلْطَمَةً عامة على سعد ، كما صنع جماعة من الشعراء ، وإنما أردت أن أحدد مكانه في التاريخ »

وكانت القصيدة كذلك ، فقد تحدث مطران عن سعد كما يتحدث المؤرخ ، وإن وشّى حديثه بزخارف البيان

وقد رجعتُ إلى مكتبتي أستهديها تلك القصيدة فبخِلتْ ، فرجوتُ الدكتور رشيد كرم أن يتلطف فيحضر نسخة القصيدة من الأستاذ خليل مطران ، فأحضرها بعد أيام طوال ، ولكن أي قصيدة ؟ هي قصيدة سنة ١٩٣٦ لا قصيدة ١٩٢٧ ، وهي القصيدة التي نظمها مطران عند انتقال رفات سعد إلى الضريح .

وذكّرت الأستاذ مطران بما كنت أرجوه وقد لقيته في حفل خاص مع الدكتور علي باشا إبراهيم ؛ فقال الجرّاح الأكبر : ألستَ تذكر أنها نشرتْ في الأهرام ؟ قلت : نعم ! فقال : أطلبها من أنطون بك الجميِّل . فقلت : ولكن ذلك يضيع فرصة الحديث عن هذه القصيدة في هذا الوقت ، وسأقدم مقالي لمجلة (الرسالة) بعد يومين اثنين

ثم نظرت في القصيدة الثانية فرأيت فيها محاسن جديدة لا أذكر أني ظفرت بمثلها في القصيدة الأولى ، فقدّرت أن الشاعر اختارها عن عمد ، لتكون صوته المختار في تأبين سعد .

ومطران يقسّم قصائده الطوال إلى موضوعات وتلك عادته منذ زمن بعيد ، وقد تحدّث في قصيدته عن الشؤون الآتية :

« مات سعد وروح سعد باقية — مأتم سعد في مصر والشرق — ترجمة سعد — سعد في الصحافة — سعد في المحاماة — سعد في القضاء — سعد وزيراً للمعارف — سعد نائباً عن الأمة في العهدين — صورة سعد — سعد في أحاديثه — سعد الأديب — سعد الخطيب — سعد الزعيم الأكبر ووصف أخلاقه — سعد في وجه أعداء الوطن سعد في صحابته — سعد في منفاه وبعد عودْته فائزاً — سعد في رياسته للحكومة الدستورية — بيت الحياة وبيت الخلود — إلى أم المصريين »

وقد احتفل الشاعر بهذه الموضوعات فتكلم عنها بتفصيل شائق خلاب ، كأن يقول في سعد الخطيب

قضى الخطيب الذي كانت فصاحته
حالاً فحالاً هي الآلاء والنعم [(١)]
حدّث عن الملهم الشافي يمرّ به
على الجراح قد استشرت فتلتئم
حدّث عن البلبل الغِرّيد مختلفاً
بين الأفانين من تطريبه النغم
حدث عن الضيغم الساجي يثور به
تحرُّشٌ بحمى الأشبال لا القَرَم
حدث عن السيل يجري وهو مصطخبٌ
حدث عن النار تعلو وهي تحتدم
حدث عن البحر والأرواح عاصفةٌ
والسحب عازفة والفُلْكُ ترتطم

وكأن يقول في وصف أحاديث سعد :

قضى الذي كان ناديه ومحضَره   قلادةً لكرام الناس تنتظم
إذا تكلم أصغت كل جارحةٍ   إليه لا الكدّ يثنيها ولا السأم
دُرٌّ يُسلسله فيما يفوه به   فالقلب مبتهجٌ والعقل مغتنم
كأن جلاّسه مهما عَلَوْا رتباً   راجو صلاتٍ عليهم تنثر النعم

ويرى مطران أن شمائل سعد تعجز المؤبّنين فيقول :

---

(١) النعم بالعين المهملة جمع نعمة ، وكذلك وردت في القصيدة منشورة بجريدة « كوكب الشرق » ولم يصححها الشاعر ، وأحب أن أقرأ « النقم » بالقاف جمع نقمة ، ليظهر المراد من قول الشاعر « حالا فحالا » ومعنى ذلك أن خطب سعد تكون حينا من الآلاء ، وتكون حينا من النقم ، وبقية الأبيات تؤيد هذا التصحيح .

يا من يؤبن سعداً ، مَن تؤبنه
هو الهدى والندى والبأس والشمم
هيهات توصف بالوصف الخليق بها
تلك الفضـائل والآداب والشيم
ما القول فى دوحة فينانة سقطت
ومن أماليدها الإحسان والكرم
كأنها غيضة مجموعة نشبت
فيهـا المنايا تُثنِّيها وتخترم
لـكننى أستعين الله معتذراً
عن القصور وبعض العجز لا يصم

ومع هذا الاعتذار الطريف فقد أبدع مطران فى رثاء سعد كل الإبداع

أما بعد . فقد رأى القراء أن الشعراء الذى تحدثنا عنهم قد التقوا فى كثير من المعانى ، وكان من الممكن أن نعقد الموازنات فنعرف كيف سبَق هذا أو تخلّف ذاك ، كأنْ نُشرِّح ما قالوا فى وصف خطابة سعد ، وكأن ننظر كيف صوروه فى المحاماة والقضاء

فتى نوازن بين هذه القصائد الجياد ؟

ومتى نبين المعانى التى انفرد بها بعض أصحاب هذه القصائد ؟

زكى مبارك

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٣ —

أول مسألة تواجه المبتدئ فى دراسة التاريخ هى مسألة اختيار موضوع البحث ؛ والمسألة تختلف بالنسبة للطالب الذى يبدأ دراسته الجامعية عنها بالنسبة للباحث الذى أنهى مرحلة التعليم المدرسى وبدأ يتطلع إلى الدراسة العلمية المنتجة . فالطالب المبتدئ فى التعليم الجامعى لا ينتظر منه عادة أن يقوم ببحث أصلى ، أو أن يكشف عن مجموعة وثائق لم تكن معروفة من قبل ، أو أن يستخلص حقائق تاريخية مجهولة ؛ وإنما المطلوب منه أن يتوفر على تحصيل وسائل الإعداد والتدريب الذى يؤهله للعمل العلمى فى المستقبل . فالطالب أثناء الدراسة الجامعية يختار - بإرشاد المدرس - بعض الموضوعات المدروسة ، لا لكى يبحثها من جديد وإنما للتمرين والتدريب والاقتباس ؛ وهو فى هذا يشبه دارس الكيمياء أو الطبيعة الذى يقوم بعمل التجارب التى ثبت صحتها نهائياً لكى يتدرب ويعرف ما عمله غيره من قبل . فطالب التاريخ يستطيع أن يختار موضوعات متنوعة فى الفروع التى يدرسها . ويمكنه أن يبحث بعض الموضوعات العامة ، كأن يختار مثلاً كتابة ملخص عام عن تاريخ نابليون فى حيز محدود . ويعتمد على القليل من المراجع الأساسية عن الموضوع التى يأخذها من المدرس أو التى يستخرجها بنفسه من كتب المراجع . فيقتبس ويدوّن مذكرات من هذه المراجع . وينبغى أن يلاحظ وضع أرقام الصفحات لـكى يمكنه الرجوع إلى بعض النقط عند الضرورة ؛ ثم يقارن ويمزج بين المعلومات التى جمعها ، ثم يعرض بإيجاز نشأة نابليون وتعليمه وشخصيته وتدرجه فى المناصب وحروبه فى الشرق وفى أوربا ، وحكومته وإدارته ، وظروف أوربا فى عهده ، ووقوف انجلترا فى سبيله ، ثم سقوطه وحياته فى المنفى . ويعطى الطالب ملخصاً وافياً لـكل هذه النواحى . وهو فى هذه الحالة سيتجاوز عن الـكثير من التفصيلات والحركات المحلية . وسيكتفى بالمسائل المهمة البارزة فقط، سواءاً كانت حوادث الحروب أم مشا كل السياسة الداخلية أو الخارجية . وبعد ذلك يختارُ الطالب جزءاً من الموضوع العام الذى ألم به مثل موضوع حملة نابليون على الروسيا فى سنة ١٨١٢ ، فيبحث الظروف التى أدت إلى تلك الحملة ، ويتبع سيرها والحركات الحربية التى وقعت ، ووصول نابليون إلى موسكو ، ثم ارتداده وفشله ، وما ترتب على ذلك من الآثار فى فرنسا وفى أوربا . وهو فى هذا سيبحث موضوعاً أكثر تحديداً من الموضوع السابق ، وإلمامه بتاريخ نابليون العام سيساعده على فهم الحملة الروسية . ثم يتدرج إلى بحث نقطة تاريخية محددة بالذات مثل معركة واترلو ، فيدرس فى بعض المراجع العامة الظروف التى أدت إلى هذه المعركة ويوازن بين القوى الحربية لكل من فرنسا وانجلترا وبروسيا ، ثم يدرس خطط المعركة ، ويتبع العمليات الحربية ، ويوضح كيف هزم نابليون ؛ ثم يشرح النتائج التى ترتبت على ذلك . ويمكن للطالب

أن يطبق هذه الطريقة فى نواح مختلفة من التاريخ . وهذا التدريج نافع جداً لأنه سيجعله يدرك فائدة الإلمام بتاريخ العصر أو الموضوع العام ؛ وأثر ذلك واضح فى فهم النواحى الخاصة ، وفى التغلغل فى بحث الموضوعات الجزئية . وسيعلمه هذا التدرج ضرورة الاهتمام بالجزئيات المعينة مع عدم إغفال الروح العام والنظرة العامة عن العصر الذى يبحث فيه . فلا بد من العناية بهاتين الناحيتين معاً على اتساق وتوافق . ثم يدرس الطالب بعض الوثائق الأصلية المطبوعة لبحث موضوع معين ؛ كما يدرس بإرشاد الأستاذ طائفة مختارة من الوثائق المخطوطة ، ويستخرج منهـا بعض الحقائق اللازمة لبحث نقطة معينة . وهذا كله كتدريب وإعداد للمستقبل . وما ينطبق على الطالب فى الجامعة ينطبق على أى شخص لم تتح له فرصة التعليم الجامعى فى بلد كمصر ويشعر فى نفسه بالميل إلى دراسة التاريخ وبحثه

وعند ما يتم الطالب مرحلة التعليم العالى ويحصل على درجة جامعية ، ويرغب فى متابعة البحث التاريخى، فإن اختيار موضوع البحث يبدو بشكل مخالف . فهو فى هذه الحالة لا يستطيع أن يبحث أى موضوع كان ؛ لأن المطلوب أن يقوم ببحث أصلى Original ، ويكشف عن حقائق تاريخية جديدة ؛ فلا يكون البحث بناء على الرغبة فقط ، وإنما يكون بناء على ما يجب أن يبحث ، أو ما الذى يمكن أن يبحث . والباحث المبتدئ قد يثير اهتمامه أثناء دراسته بعض المسائل فى تاريخ اليونان القديم أو فى تاريخ العصور الوسطى أو فى تاريخ الروسيا مثلاً . فللمضى فى بحث إحدى هذه النواحى ينبغى أولاً أن يعرف العلوم المساعدة الرئيسية المرتبطة بالفرع الذى يرغب دراسته . وإذا لم يكن يعرفها فينبغى أن يقرر بصراحة من أول الأمر : هل هو مستعد لأن يتعلمها أم لا ؟ هل هو مستعد لأن يتعلم اللغة اليونانية القديمة أو لاتينية العصور الوسطى أو اللغة الروسية مثلاً ؟ وهل هو مستعد لأن يتقن ما يتصل بهذه اللغات من العلوم المساعدة الضرورية مثل علم النقوش ، وعلم قراءة الخطوط ... فإذا لم يكن مستعداً لذلك فينبغى عليه أن يعدل عن المضى فى بحث إحدى هذه النواحى التى تعوزه فيها الوسائل الضرورية ، ويمكنه أن ينتقل إلى مجال بحث آخر يعرف أصوله وقواعده

والمبتدئ فى البحث التاريخى طبقاً للطرق العلمية الحديثة ، ينبغى أن يراعى بعض الأمور . فيجب أن يختار ناحية أو نقطة محددة لـكى يستطيع أن يتفرغ لدراستها وإخراج جديد عنها ؛ وتكون هذه النقطة جزءاً من موضوع عام لـكى يتسع المجال أمام الباحث لمتابعة دراساته فى المستقبل . فمثلاً لا يصح للباحث أن يتخذ تاريخ الدولة الأيوبية بأكمله موضوعاً للبحث ، لأنه موضوع طويل . فالأيوبيون قد حكموا مصر من سنة ١١٦٩ إلى ١٢٥٠ م . ودراسة هذه الفترة دراسة عميقة مع كشف حقائق جديدة عنها لا يمكن تحقيقها فى سنوات قلائل . وإذا أصر الباحث على القيام بهذه الدراسة ، فإنه لن يأتى بأكثر من تلخيص ما هو موجود فى المراجع المعروفة . أما إذا خصص وقته وجهده فى نفس هذه السنوات القلائل لبحث ناحية معينة بالذات ، مثل تاريخ صلاح الدين أو تاريخ الملك العادل أو تاريخ التجارة فى عهـد الدولة الأيوبية ، فإنه يستطيع أن يسبر غور الأرض المجهولة ويكشف عن حقائق تاريخية جديدة . وبديهى أن الوقت والجهد اللذين يخصصان لفترة قصيرة يأتيان بنتائج علمية أعمق مما لو خصصا لفترة طويلة . ووضع مؤلف علمى دقيق عن عصر الدولة الأيوبية بأكمله لا يمكن أن يتم إلا بعد دراسة جزئيات هذا العصر وبعد كشف كل الحقائق التى يمكن الوصول إليها . وما يقال عن عصر الدولة الأيوبية ينطبق تماماً على أى عصر آخر . وكذلك ينبغى أن يلاحظ الباحث عند التفكير فى اختيار موضوع البحث ميله واستعداده ، سواء للناحية الحربية أو السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو الفنية . ولا داعى لأن يقسر الباحث نفسه على ولوج ميدان لا يميل إليه ؛ وعلى العكس فإن طَرْق الميدان الذى يميل إليه يجعله أقدر على العمل وأقوى على كشف الحقائق . والمرحلة الأخيرة التى ينبغى أن يمر خلالها الباحث قبل أن يختار نهائياً موضوع البحث من الناحية العملية تتلخص فيما يلى :

هل الموضوع الذى فكر فيه يحتاج إلى أن يبحث ؟ ألم يكن قد بحث من قبل مطلقاً ؟ أو هل بحث بطريقة غير كافية

وهل المادة الأصلية الموجودة عنه لم تدرس ولم تنقد كما ينبغى ؟ أو هل قد وجدت أو يمكن أن توجد مادة أصلية جديدة تبرر إعادة بحث الموضوع من جديد ؟ فإذا توفرت بعض هذه الشروط فمعنى ذلك أن الموضوع يحتاج إلى الدرس والبحث. ولكن كيف يمكن للباحث أن يثبت توفر بعض هذه الشروط ؟ الطريقة العاجلة هى أن يبادر باستشارة أحد الإخصائيين فى ميدان البحث التاريخى المعين، سواء فى البلد الذى يعيش فيه أو فى أى بلد آخر بواسطة المراسلات. وإذا تعذر الوصول إلى ذلك الإخصائى فعلى الباحث أن يجيب على هذه الأسئلة بنفسه. فلكى يعرف الباحث المراجع العامة والخاصة التى ظهرت عن العصر المعين، وهل اعتمدت على كل الأصول المعروفة فإنه يلزمه الاسترشاد بفن البيبليوغرافيا. والتأكد من أن الأصول التاريخية الموجودة قد نقدت واستخدمت بطريقة علمية صحيحة يدخل فى باب نقد الأصول والمصادر ؛ ومسألة وجود مادة أصلية جديدة عن الموضوع تعرف عن طريق البحث والعمل فى دور الأرشيف مثلاً. وسوف نعرف أشياء عامة عن هذه النواحى فى هذه المقالات. وإذا لم تتوفر بعض هذه الشروط السالفة فلا معنى مطلقاً للاستمرار فى البحث بدون جدوى عن ذلك الموضوع. ولا بد إذاً من العدول عنه إلى موضوع آخر يمكن الإتيان فى بحثه بجديد

وما هى الأعمال العلمية والأبحاث التى ينبغى أن تعمل فى مصر ؟ نحن فقراء ومتأخرون جداً فى ميدان البحث التاريخى بالمعنى العلمى الحديث. والغرب قد سبقنا بمراحل هائلة جداً فى كل أدواره مثل طبع الفهارس ووضع البيبليوغرافيات المتعددة الأنواع، وجمع الأصول، ونشر بعضها فى مجموعات ضخمة، ووضع المؤلفات التى لا حصر لها عن مختلف أنواع التاريخ فى جميع عصوره عن تاريخ العالم كله، وعن تاريخ كل من الدول والشعوب على حدة، سواء فى ذلك المراجع التى تتناول التاريخ العام، أو المراجع التى تبحث عصوراً معينة ونواحى خاصة فى تاريخ كل من هذه الدول والشعوب. فأين نحن من كل هذا ؟ ؟ صحيح أن بعض الباحثين من المصريين قد وضعوا أبحاثاً عن بعض مسائل التاريخ المصرى وغير المصرى نتيجة جهود فردية[1] ولكنها قليلة جداً ؛ ونحن عالة على علماء الغرب الذين درسوا نواحى متعددة من التاريخ المصرى فى عصوره المختلفة. ولكن هذه الدراسات المتعلقة بمصر سواء من جانب المصريين أو الأجانب لا تكفى مطلقاً. وقبل أن نفكر فى اختيار موضوعات للبحث فى تاريخ مصر ينبغى أن نقوم بأعمال تمهيدية واسعة النطاق وأساسية جداً، لكى يسير العمل سيراً منتظماً وفعالاً. وأول هذه الأعمال التمهيدية القيام بطبع كتالوجات وفهارس لدور الكتب ودور الأرشيف فى مصر بالطرق العلمية الحديثة — أى بتبويبها وتقسيمها ووضع الفهارس لها — مما هو غير متوفر تماماً فى الموجود منها حالياً، فضلاً عن غير الموجود أصلاً. ثم وضع

---

(١) من بين المؤلفات التى وضعها الباحثون المصريون نجد :

١ — الأمير عمر طوسون : مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن. الأسكندرية، ١٩٣١

٢ — الأمير عمر طوسون : الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم. الأسكندرية، ١٩٣٦

٣ — الأمير عمر طوسون : تاريخ مديرية خط الاستواء ؛ ٣ أجزاء. القاهرة، ١٩٣٧ ... الخ

٤ — حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر. القاهرة، ١٩٣٢

٥ — « « « : تاريخ الاسلام السياسى ؛ ج ١. القاهرة ١٩٣٥

٦ — أحمد أحمد الحتة : الفلاح المصرى فى عهد محمد على. القاهرة، ١٩٣٤ (لم يطبع بعد)

٧ — أبو الفتوح رضوان : تاريخ المطبعة الأميرية. القاهرة، ١٩٣٦ (لم يطبع بعد)

٨ — عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على. القاهرة، ١٩٣٨

٩ — عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عهود عباس وسعيد واسماعيل. القاهرة، ١٩٤١. (لم يطبع بعد)

١٠ — Chafik Ghorbal : The Beginnings of the Egyptian Question & the Rise of Mehmet Ali. London, 1928

١١ — M. Sabry : L'Empire Egyptien sous Muhammed Aly. Paris, 1930

١٢ — M. Sabry : L'Empire Egyptien sous Ismail. Paris, 1933

١٣ — M. F. Shukry : The Khedive Ismail & Slavery in the Sudan. Cairo, 1938

١٤ — Zaki M. Hassan : Les Tulunides. Paris, 1933

١٥ — A. S. Atiya : The Crusade of nicopolis. London, 1934

١٦ — « « : The Crusade in the Later Middle Ages. London, 1938

١٧ — Ibr. Noshy : The Arts in Ptolemaic Egypt. London, 1937

١٨ — H. Osman : Fakhr Ad-Din II., Emiro del Libano e le sue Relazioni con l'Occidente, con Documenti inediti. (V. I. : 1572-1618). Roma, 1938. (لم يطبع بعد)

فهارس وقوائم الكتب والمخطوطات التى تناولت تاريخ مصر فى العصور المختلفة ؛ ثم جمع المخطوطات التاريخية ونشر بعضها نشراً علمياً حديثاً . وصحيح أن بعض الأفراد وبعض الهيئات مثل : المطبعة الأميرية ، ودار الكتب المصرية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر، تقوم بنشر بعض الأصول التاريخية(١) . ولكن لم تنشر أغلبها النشر العلمى الواجب لخلوها من الفهارس مثلاً . ولقد عنى المغفور له الملك فؤاد الأول بجمع الكثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ مصر فى القرن التاسع عشر من محفوظات مصر ومن بعض دور الأرشيف فى أوربا وأمريكا ، وقد حُفظت فى أرشيف عابدين ؛ كما عنى بنشر بعض مجموعات من هذه الوثائق مثل مجموعة دوان وسامّاركو(٢) ومجموعة الفرمانات السلطانية(٣) وكذلك أشرف جلالته على وضع مؤلفين عن تاريخ مصر العام باللغة الفرنسية، واشترك فى كتابتهما طائفة من العلماء الأجانب(٤) ؛ ولكن هذا لا يعنى أن العمل قد انتهى ، فهناك عشرات الألوف من الوثائق لا تزال مجهولة عن نواح هامة فى تاريخ مصر منذ العهد العثمانى حتى أوائل عهد محمد على الكبير فى دار المحفوظات المصرية بالقلعة ، ويقابلها آلاف الوثائق عن هذا العهد محفوظة فى دور الأرشيف الأوربية ، وأغلبيتها الساحقة لم تمسها يد

(١) يقوم الدكتور مصطفى زيادة بنشر كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى منذ عدة سنوات . وقد أنجز منه الجزء الأول فى ثلاثة أقسام ، وهذا هو النمط الذى ينبغي أن يكون عليه نشر أصول التاريخ فى مصر

(٢) من مجموعات الوثائق التى نشرت عن تاريخ مصر الحديث نجد :

١ — Douin, G. et Mme. E. C. Fawtier-Jones : L'Angleterre et l'Egypte (1801-1803) Le Caire, 1929

٢ — Douin, G. : L'Egypte de 1802 à 1804. Le Caire, 1925 ... etc.

٣ — Sammarco, A. : Il Regno di Mohammed Ali nei documenti italiani inediti. V. I. : L'Egitto nell'anarchia (1801-1804) Cairo, 1930 — V. VIII : Genesi e primo svolgimento della Crisi egiziano-orientale del 1831-1833. Roma, 1931 ... etc.

(٣) مجموعة الفرمانات الشاهانية الصادرة إلى ولاة مصر وخديويها (١٥٩٧ — ١٩٠٤) . القاهرة ، ١٩٣٣ . ولها تلخيص وتعليق باللغة الفرنسية :

Haïm Nahoum : Recueil de Firmans Impériaux Ossomans adressés aux Valis et aux Khédives d'Egypte. (1597-1904) Le Caire, 1934

يقول الأستاذ L. Bonelli بمعهد الشرق فى نابلى إنه كان قد درس ولخص هذه الفرمانات ، ولم يتم إصدار المجموعة لظروف خاصة . راجع مجلة : Oriente Moderno. Roma. gennais, 1935. pp. 42-44

(٤) 1 — Précis de l'Histoire d'Egypte. 4 vol. Le Caire, (1932 — 1935)

2 — Histoire de la Nation Egyptienne (Hanotaux). 7 vol. Paris, 1931-1940

إنسان بعد . فلا بد من حصر وجمع وتبويب هذه الوثائق فى مصر وفى الخارج ؛ ولا بد من نشر بعض أجزاء منها نشراً علمياً . وما عمله الغرب بخصوص نشر مجموعات ضخمة من الوثائق التاريخية(١) ، وما عمله ذلك الرجل المقيم فى ظلال الأرز ، والجدير بالإعجاب والتقدير ، من نشر بعض مجموعات من الوثائق عن تاريخ سوريا(٢) كفيل بأن يجعلنا نجدّ ونسعى لنشر وثائقنا وأصولنا التاريخية

وبعد إتمام بعض هذه الأعمال التمهيدية يمكن أن يتقدم وأن ينشط البحث التاريخى فى مصر بدرجة مرضية . والمؤلفات التى تكتب قبل أن تتم بالنسبة إليها هذه المراحل التمهيدية ، مع أنها جديرة بالتقدير ، لا يمكن أن تعتبر آخر كلمة فى الموضوع الذى تتناوله . وأرى أنه ينبغى على الباحثين أن يُتبعوا أبحاثهم بنشر المهم من الوثائق التى اعتمدوا عليها فى مجلد أو فى مجلدات خاصة ، لأن هذا العمل لا يقل - إن لم يزد - فى قيمته العلمية عن البحث التاريخى نفسه . وبعد ذلك تواجهنا ثغرات هائلة فى مراحل التاريخ المصرى ينبغى أن تدرس وتبحث على مدى الزمن . مثل تاريخ المدن المصرية ، وتاريخ الأزهر والمساجد ، وتاريخ الكنائس والأديرة ، وتاريخ التجارة فى مصر ، وتاريخ مصر المالى والإدارى فى العهد العثمانى ، وتاريخ على بك الكبير ، وتاريخ الحركة العرابية ...

وهذه الأعمال الخطيرة لا يمكن أن تؤديها الجهود الفردية ، ولا يمكن أن يقوم بها جيل واحد من الباحثين . وللسير فى سبيل تحقيقها بالتدريج من الضرورى جداً إنشاء معهد أو جمعية للدراسات التاريخية ، كما هو الحال فى الغرب ، وتزود بالمال اللازم ، وتضم شتات المشتغلين بالبحث التاريخى فى مصر ، وتنظم أعمالهم وتوحد جهودهم للانتاج العلمى الصحيح . ومن اللازم أيضاً أن نبدأ بإصدار مجلة للعلوم التاريخية ، فإنه توجد

(١) من مجموعات الوثائق فى التاريخ الأوروبى نجد :

١ — Calender of state Papers. 300 vol. crica. London.

٢ — Collection de documents relatifs à l'Histoire de France. 300 vol. circa Paris, 1835...

٣ — Sanuto, M. : I Diarũ. 58 vol. Venezia, 1879...

(٢) مجموعات الوثائق التى نشرها الدكتور أسد رستم :

١ — الأصول العربية لتاريخ سوريا فى عهد محمد على باشا ؛ ٥ أجزاء بيروت ، ١٩٣٠ - ١٩٣٣

٢ — المحفوظات الملكية المصرية : بيان بوثائق الشام . المجلد الأول بيروت ، ١٩٤٠ .

٢ – كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

٧ — ١٧٩ : ٤ : (فأسعفنى بِطِلبتى) بكسر الطاء وهى صحيحة . لكن العرب يختارون فى مثل هذا « الطَّلِبة » بفتح الطاء وكسر اللام . ومنه حديث نقادة الأسدى : « قلت : يا رسول الله ، اطلب إلىّ طَلِبة ، فإنى أحب أن أطلبكها »

٨ — ٢٦١ : ٤ : « إن الملوك وغيرهم جدُرٌ أن يأتوا الخير إلى أهله » . وقد أفسد هذه العبارة أمران : أما الواحد ، فأن (جُدر) جمع (جِدار) بالكسر ، وهو الحائط ؛ والصواب : (جُدَراء) ، أو (جدِرون) ، وهما الجمعان اللذان يجمع عليهما (جدِر)(١) ؛ وجمع (فَعيل) صفة على (فُعُل) بضمتين نادر سمع منه : نذير ونذُر ، وجديد وجُدُد (بدالين) ، وسديس وسُدُس(٢)

وأما الثانى ، فأن (أتى) إذا تعدّى إلى المفعول لا يكون بمعنى الإعطاء ، بل يكون بمعان أخر منها الفَعْل : أتى الأمرَ والذنبَ : فَعَله ؛ ومنها الهدم والقلع ، قال الله تعالى : « فأتى اللهُ بُنيانَهم من القواعد »(١) . ومنها الانتساب ، أتى الرجل القوم : انتسب إليهم وليس منهم ، فهو أَتِىٌّ

وأما الذى هو بمعنى الإعطاء ، فهو الفعل (آتى) على زنة أفعلَ . ومنه قول الله تعالى : « آتِنا غداءنا »(٢) ؛ وقوله : « وآتيناه الحكمَ صبيًّا »(٣) ؛ ومضارعه (يؤتى) على يُفعِل . وفى كتاب الله تعالى : « يُؤتى . يؤتون . يؤتين . يؤتيه . سيؤتينا . يؤتكم . يؤتيهم . تؤتونهن . وتؤتوها . نؤتيه . نؤته . نؤتها . يؤتهم . سنؤتيهم »(٤) ؛ وإنما سقت هذه الشواهد لأنبه على أن ما ورد فى اللسان من قوله(٥) : « والإيتاء : الإعطاء . آتى يُؤاتى إيتاء ، وآتاهُ إيتاء أى أعطاه » وهمٌ أو تصحيف ؛ والصواب : آتى يُؤتِى

فوجه عبارة ابن المقفع إذن : « جُدراء أن يُؤتوا الخير إلى أهله » .

ولعل السر فى هذا التحريف أن طائفة من علماء الرسم الأقدمين كانوا يرسمون الهمزة ألفاً فى كل حالة ، وزعيمهم فى ذلك أبو زكريا الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ . وجمهور علماء الرسم يسمون أولئك « أصحاب التحقيق » ، أى تحقيق الهمزة ؛ وأما الكتابة الغالبة التى نأخذ نحن بها الآن ، فيسمى أصحابها : « أصحاب مذهب التخفيف والتسهيل » ، وهم يجرون على لغة أهل الحجاز فى تخفيف الهمزة وتسهيلها ، ويعبرون عنها بصور تسهيلها : من الألف والواو والياء(٦) . فلعل هذه بقية من بقايا رسم التحقيق

٣ — فى الضبط النحوى

١ — ص ١٤ س ٧ : (ولكل علة مَجرَى) ، صوابه : (مجرًى) بالتنوين ، وهو تحريف طبع

٢ — ١٨ : ١١ : (فيعلم سرَّ نفسه وما يضمر عليه قلبَه) بنصب (قلبه) وجعلها مفعولاً ليُضمر ، وأضمر يُضمر بمعنى أخفى يخفى ، فما يكون المعنى فى أن يخفى قلبَه عليه ؟ الصواب :

(١) اللسان والقاموس وكتاب سيبويه (٢ : ٢٠٧ — ٢٠٨) .
(٢) سيبويه ، وهمع الهوامع (٢ : ١٧٥ طبع ١٣٢٧)

(١) سورة النحل ٢٦
(٢) سورة الكهف ٦٢
(٣) سورة مريم ١٢
(٤) انظر فلوجل Flügel ص ٣ ، أو مصباح الاخوان ص ٩
(٥) لسان العرب (١٨ : ١٧ س ١٦)
(٦) المطالع النصرية ٦٤ — ٦٥ ، ٨٩ ، ١٤٩ طبع ١٢٧٥ وهمع الهوامع (٢ : ٢٣٩) وأدب الكاتب ١٩٧

فى الغرب مجلات عديدة فى التاريخ العام ومجلات خاصة لفروع التاريخ المختلفة(١) . ولا بد من جهد متواصل وتضافر وإخلاص فى العمل ، وبعد عن الزخارف وأبهة المناصب ؛ ونحن فى أشد الحاجة إلى إيجاد بيئة علمية صحيحة تعمل للعلم وحده ، وتضع تقاليد وطيدة ، وتقوم ببعض الواجب نحو العلم والتاريخ .

(يتلى)

حسن عثمان

استدراك : قد ورد خطأ فى المقال الماضى بالعدد ٤٢٤ ص ١٠٣١ فى هامش ٢ ، والصواب هو أن الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ عبد الحميد حسن قد اشتركا فى ترجمة كتاب أدولف جروهمان عن أوراق البردى العربية بدار الكتب ، وليس فى كتاب Moritz

(١) من المجلات التاريخية فى الغرب نجد :
١ — American Historical Review. New York, 1879
٢ — English Historical Review. London, 1886...
٣ — La Revue des Questions Historiques, 1866...
٤ — Rivista Storica Italiana. Torino, 1884...

(قلبُه) بالرفع على الفاعليـة ؛ لأن القلب هو الذى يضمر الأسرار والنوايا

٣ — ٤١ : ١٤ : (وشبهت الجرذين بالليل والنهار ، وقرضهما دأبهما فى إنفاد الآجال) يصح أن تقرأ : (وقرضهما دأبهما) باستمرار التشبيه ، و (شبّه) من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين . وفى اللسان : (شبّهه إياه وبه) . ومنه قول الشمردل[1] :

يُشبَّهُون مُلوكاً فى تجلّتهم وطول أنضية الأعناق والأمم

وقول عبد بنى الحسحاس[2] :

فشبّهنى كلباً ولست بفوقه ولا دونه إن كان غير قليل

وقد سبق استعمال ابن المقفع لهذه اللغة فى ٣٥ س ٤ : (وشبّهما الجُنّةَ الحريزةَ) . وعلى ذلك يسوغ أيضاً أن تضبط كلمة (العسل) فى السطر بعدها بالنصب

٤ — ٦٨ : ١٤ — ١٦ : (قال دمنـة : حدثنى الأمين الصادق عندى أن شتربة خلا برءوس جندك فقال لهم : قد عجمت الأسد ، وبلوت رأيه ومكيدته وقوته ، فاستبان لى فى كل ذلك ضعف ، وإنه — بكسر الهمزة — كائن لى وله شأن . وأنه — بفتح الهمزة — لما بلغنى هذا عرفتُ ... الخ) ، يصح أيضاً : (وأنه كائن) بفتح أنّ ، عطف على فاعل (استبان) . ويتعيّن : (وإنه لما بلغنى) بكسر الهمزة ، عطف على مقول دمنة ، أى وقال دمنة : إنه لما بلغنى ... الخ

٥ — ٩٦ : ٣ (وكذلك الجهّال لم يزالوا يستثقلون عقلاءهم واللوماء كرامهم) . صوابه : (واللؤماء) بالرفع . وهذا تحريف طبع

١٢٨ — : ٤ (فأعادت ذلك عليه مراراً — كلُّ ذلك لا يلتفت إلى قولها) . ولا وجه للرفع هنا . والوجه (كل ذلك) بالنصب على الظرفية الزمانية . ولا يصح أن تكون : (كل) مبتدأ ، وذلك لأن الضمير العائد عليها محذوف تقديره (فيه) . والبصريون يمنعون حذف الضمير العائد على لفظ (كل) إذا كان مبتدأ[3] ولذلك حكموا بشذوذ قراءة ابن عامر فى سورة الحديد[4] (وكلٌّ وعدَ اللهُ الحُسنى) ، وقراءة باقى السبعة : (وكُلاًّ) بالنصب[1] . وابن عامر قرأ نظير هذه الآية من سورة النساء ٩٥ (وكُلاًّ وعدَ اللهُ الحُسنى) بالنصب كالجماعة[2]

٧ — ١٦٠ : ٢ (إلى مكان كذا وكذا) . تكرار (كذا) مع العطف أحد استعمالين صحيحين . والوجه الآخر الإفراد ، أى (مكان كذا) . وبهذا وردت فى ص ٨٣ من طبعة بولاق

قال ابن هشام فى رسالته التى صنفها فى معنى هذه الكلمة : كذا وكذا يكنى بها عن غير العدد . وفيها حينئذ الإفراد والعطف ، نحو مررت بمكان كذا ، ومررت بمكان كذا وكذا . ويكنى بهما عن العدد وليس فيها إلى العطف ... وقال ابن مالك : سمع فيها العطف وعدمه كالأولى ، لكنه قليل[3]

وفى شرح الأشمونى : (تأتى كذا هذه — أعنى المركبة — كناية عن غير العدد وهو الحديث مفردة ومعطوفة)

فُفهم من هذين النصين أن الإفراد فى المكنى بها عن غير العدد مقدم على العطف . لكن الرضى قدم العطف على الإفراد فى الحالين

قال[4] : (وورود كذا كذا مكرراً مع واو نحو كذا وكذا أكثر من إفراده ومن تكرره بلا واو ، ويكنى بها عن العدد نحو عندى كذا درهما ، وعن الحديث نحو قال فلان كذا)

وقد التزم ابن المقفع لغة العطف ، فقد جاء فى ١٦٨ س ١٤ (إن اليوم بمكان كذا وكذا) وفى ٢٢٤ س ٨ : (فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا) ، وفى ٢٥٨ س ١٣ (فقال كذا وكذا)

٨ — ١٧٩ : ٢ (ولم أذكر ما ذكرت ألا أكون أعرف منك الكرم والصمة) . الوجه : (إلا لكونى أعرف منك) الخ

٩ — ١٩٩ ، ٣ : (لم تدر أيُّهما تأخذ) برفع (أيُّهما) والصواب (أيَّهما) بالنصب ؛ فإنها مفعول مقدم لتأخذ ؛ وليس من باب الاشتغال و (أى) هنا استفهامية ، ولذا علقت الفعل القلبي قبلها عن العمل فيها . ولا يجوز أن تكون (أى) هنا موصولة بنيت على الضم ، ولو فرضنا أنها موصولة فإنها لا تبنى عليه إلا فى حالة واحدة ، وهى إذا ما أضيفت وحذف صدر الصلة . وليس فى الكلام صدر صلة محذوف ؛ فإنها جملة فعلية

(١) الحيوان (٣ : ٩٢) والكامل ٣٠ ليبسك والقالى (١ : ٢٣٨)
(٢) الحيوان (١ : ٢٥٥)
(٣) الصبان (١ : ٢٠٩ بولاق ١٢٨٧)
(٤) سورة الحديد ١٠

(١) ابن القاصح ٣٣٨ وغيث النفع ٣٢١
(٢) انظر المغنى (كل) وكذا للمصدرين السابقين
(٣) شرح درة الغواص ١٤٣
(٤) فى شرح الكافية (٢ : ٥٩)

قال الرضى [١] : (صلتها إما اسمية [٢] أو فعلية . والفعلية لا يحذف منها شيء [٣] ، فلا تبقى أي منها . والاسمية قد يحذف صدرها) . فلا بناء مع الصلة الفعلية

١٠ — ٢٦٨ ، ٩ : (من غُدوةَ إلى الليل) ، بمنع (غدوة) من الصرف . وهذا ضبط جيد ؛ فإن (غدوة) هنا معرفة من قبيل أعلام الأجناس ، بدليل قرنها بالليل وهو معرفة . وغدوة حين تمدها معرفة تمنعها الصرف فتجرها بالفتحة [٤]

وزعم الخليل أنه يجوز أن تقول : آتيك اليوم غدوةً وبكرةً [٥] ؟ فهذا يدل على جواز الصرف مع إرادة المعرفة

٣ — فى تحقيق النص

١ — ٢٦ ، ١٠ : (مثل الحراث الذى يثير أرضه ويعمرها ابتغاء الزرع لا العشب) فما وجه المهارة فى طلب الزرع ؟! الصواب (يغمرها) بالغين المعجمة ، أى بالماء

٢ — ٣٨ ، ٣ فى الحديث عن الجنين : (منوط قمع سرته إلى مرىء بأمعائها) . وهو كلام متهالك مضطرب . فما العلاقة بين سرة الجنين وأمعاء الأم ؟! وإنما الجنين موطنه الرحم ، لا يعدوه ولا يتصل بغيره من الأعضاء . والصواب : (منوط بمعى [من] سرته) كما ورد فى نسخة بولاق ص ٢٨ . والمعى ، بالفتح ، وكإلى : واحد الأمعاء . والمراد به هنا ما يسمى : « الحبل السُّرّى » : Umbilical cord

أما كلمة (مرىء) فعجيبة أيضاً ؛ فإن المرىء بفتح الميم وكسر الراء : هو رأس المعدة اللاحق بالحلقوم ، وهو مجرى الطعام والشراب إلى المعدة ؛ لا يكون إلا ذلك ، فكيف يكون المرىء بالأمعاء ؟! ووجه سائر العبارة عندى : (إلى مَراقّ رحمها) . وأصل المراق للبطن ، وهى ما رقّ منه ولانَ

٣ — ٤٠ : ٦ : (والرضا مجهوداً مفقوداً) هى (مجهولاً) باللام . جاء فى نسخة بولاق [٦] : (وكان الرضى أصبح مجهولاً) وفى نسخة شيخو ٤٢ : (وأصبح الرضى مفقوداً مجهولاً) . وعند ابن المبارية [١] :

من بعد ما عاد الحجا مجهولا   والشر قد سامى السماء طولا

والحجا بالكسر : العقل والفطنة

٤ — ٤٤ : ٧ : (كالكحل الذى لا يؤخذ منه إلا مثل الغبار) . صوابه : (إلا مثل غبار الميل [٢]) . وقد جاء فى نسخة بولاق ص ٣٠ (إلا غبار الميل) وفى نظم ابن المبارية ص ٢٢ :

أوشك أن يبقى بغير مال   فالكحل لا يبقى على الأميال

الأُميال : جمع ميل بالكسر

٥ — ٥٢ : ٢ (كالشعلة من النار التى يصونها) وفى التذييل ص ٢٩٠ : أنها كذلك فى الأصل وفى نسخة شيخو ، وأنها فى النسخ الأخرى (يضربها) وأن قريباً من هذا فى السريانية الحديثة

أضيف إلى هذا التذييل أن فى نسخة بولاق ص ٣٤ (يضرمها) بالميم . وهذه محرفة بلا ريب . فليس المراد تقوية النار وإضرامها وتذكيتها ، بل المراد سترها ومحاولة إضعافها

٦ — ٥٨ : ١ (فأحسن الأسد مسئلة شنزبة) المسألة هنا بمعنى السؤال ، مصدر ميمى من سأل ؛ والكتابة المعروفة (مسألة) برسم الهمزة فوق الألف

٧ — ٧٥ : ١٢ (مثل المكارى [٣] ، كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه) هى فى الأصل ونسخة شيخو : (مثل البغى كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه) . وفى نسخة بولاق : (كمثل البغى كلما فقدت واحداً جاء آخر) . وتغيير الأصل هنا لا مبرر له . والأستاذ الجليل يعرف أنه لا يجوز لناشر كتاب تاريخى عالى أن يبدل ما يراه غير ملائم لأذواق معاصريه وميولهم ، ويعلم أن ذلك قد يعد جوراً على حق مؤلف الكتاب ، فإن تسويغ التبديل يسلب الكتاب شخصيته ، وربما نكّره على مرور الزمان فعاد آخر غير الأول

ولعل ما حدا بالأستاذ على ذلك أن قد وجد ابن المبارية قد صنع مثله (فى ترجمته ص ٦٩) إذ يقول :

(١) فى شرح الكافية (٢ : ٥٣)
(٢) النسبة إلى « اسم » : « اسمى » همزته وصل ، ويوهم من يجعلها فى النسبة همزة قطع انظر سيبويه (٢ : ٨١)
(٣) يعنى صدر الصلة
(٤) الرضى (١ : ١٧٣) وسيبويه (٢ : ٤٨)
(٥) سيبويه (٢ : ٤٨ س ٢٤)
(٦) من كليلة ودمنة ص ٢٩

(١) نظم كليلة ودمنة ص ٢٨
(٢) الميل ، بالكسر : المرود الذى يكتحل به
(٣) المكارى بضم الميم وكسر الراء : من يكرى الناس دابته . والكراء ، بالكسر : الأجرة

الفقر مسألة اجتماعية (*)

الأستاذ رمسيس يونان

كتب الأستاذ العقاد فى عدد مضى من «الرسالة»(١) فصلاً قيماً فى مشكلة الفقر كان من بين ما كتب الكاتبون جديراً بالدرس والتحليل

وبالرغم من دفاع الأستاذ العقاد القديم المتواصل عن العامل العاطفى فى حياة الإنسان ، فلا شك فى أنه من رجال الفكر المفتونين بالمنطق العقلى ؛ وهذه ميزة فى بيئة تعمه فى الخرافات والآراء المنقولة والحكم المسطورة . ولكن للمنطق العقلى حدوداً ونقائص ؛ وأولى هذه النقائص أن عرض المشاكل الاجتماعية كا تعرض القضايا المنطقية كثيراً ما يوهم المفكرين بأن حل المشاكل الاجتماعية رهين بحل قضية اجتماعية ؛ وليس هكذا يحل المجتمع مشكلاته ؛ وليس هكذا تتطور وتسير الحياة . ونقيصة ثانية تلازم المعتمدين على المنطق العقلى وحده هو نزوعهم فى أغلب الأحيان إلى صياغة آرائهم فى قالب الحقائق المجردة الثابتة ، وليس هناك حقائق بوجه عام — وحقائق اجتماعية بنوع خاص — مجردة عن ظروف الزمان والمكان . فالمجتمع ظاهرة متطورة ، ومع تطوره تتطور حقائقه ومثالياته وأحكامه . . . على أن أهم هذه النقائص هو أن رجال المنطق العقلى كثيراً ما يقعون فى شرك خدعة نفسية كبرى ، فهم إذ يعرضون آراءهم على أنها أحكامٌ مطلقة أو حقائق لا مراء فيها أو بديهيات أولية ، لا ينتبهون إلى أن هذه الآراء هى — عن غير وعى منهم — ليست فى صميمها غير انعكاس فى أذهانهم لصور مادية يحيطهم بها مجتمع بعينه

وأول ما ألاحظه — تفسيراً لما أقول — أن الاهتمام الحديث المتزايد الذى بدا من كتابنا بدراسة المشاكل الاجتماعية المتصلة بتوزيع الثروات لم يأت عفواً ، ولا من شهوة ذهنية طارئة هبطت على عقولهم من عالم الفكر المجرد . . . وإنما هناك حقائق مادية جديدة قد نشأت فى المجتمع المصرى هى التى انفعلت فى أذهان هؤلاء الكتاب وبعثتهم على التفكير فيها وعرض الآراء والحلول ؛ وهذه الحقائق — ككل الحقائق الاجتماعية — فى حركة وتطور مستمر ، وهى لا تتحرك وتتطور تبعاً لما يرتأى لها المنطقيون ، بل بفعل مطالب إنسانية تكتشفت ونمت إذ مهدت لتحقيقها وسائل مادية جديدة

وعلى ذلك فأنا أعتقد أن الأسلوب الصحيح الذى يجب أن نسلكه فى دراسة مشكلة اجتماعية مثل مسألة الفقر ، هو أن نبدأ أولاً ببحث هذه الحقائق المادية الجديدة ، وقبل أن نبدى الآراء والحلول المنطقية أو غير المنطقية ، يجب علينا أن نتبين جيداً الاتجاه الذى تسير إليه هذه الحقائق ، وبهذا فقط يمكن أن يصبح تفكيرنا قوة إيجابية مجددة ، بدلاً من أن يكون مجرد انعكاس سلبى ، قد يعبر عن «إحدى صور المجتمع» ، ولكنه لا يعبر عن «الحركة الاجتماعية» فى تطورها الخالق

والعقاد — إذ يعتمد على المنطق العقلى — لم يستطع أن يأتى بحكم واحد لا يقبل الجدل

فالفقر عند العقاد داء ، ولكنا لن نعدم أديباً آخر يقرر أن الفقر عقاب ، أو أنه تجربة من رب السموات

ونفهم من كلام العقاد أنه يريد أن يكون ربح الأفراد مساوياً لما يقدمون للمجتمع من نفع ؛ وكلمة «المجتمع» هنا خداعة غامضة الدلول ، فأى مجتمع يقصد ؟ هل يقصد المجتمع الإنسانى شمولاً ؟ إذا كان ذلك كذلك فالمجتمع الإنسانى كما نرى مقسم إلى

(*) هذا المقال تأخر نشره سهواً

(١) أنظر عدد ٤١١

شبيه خان فاعلمن ومكتبِ من فر(١) يوماً عنهما لم يطلب
لا يحفلان أبداً بمن رحل لكل من يمضى من الناس بدل

ومهما يكن فإن لفظ (المكارى) قلق نابٍ فى موضعه ، لا يتوجه إلى المعنى إلا مع الجهد والعسر ، وإن فيما أثبته الأستاذ من التنبيه على ذلك التبديل فى التعليقات لما يحمد عليه ، وإن كان لا يعد عذراً صالحاً للناشر

ونسأل : ما الحكمة فى أن يرفع الأستاذ هذا اللفظ من صلب الكتاب ثم يثبته وينبه عليه فى التعليقات؟! وكيف تسخَّط هذه الكلمة وغفر لنظائر لها وأشباه متفرقات فى ثنايا الكتاب(٢) ؟!

(له بقية) عبد السلام محمد هارون

(١) فى الأصل : «مر» بالميم . وليس يتجه

(٢) منها ما فى ٥٩ س ٩ ، ١١٧ س ٧ ، ١٢١ س ١٠ ، ١٣٨ س ١٥ ، ١٨٢ س ١٣ — ١٥

مجتمعات كثيرة تتضارب مصالحها إلى حد يصل بها إلى حرب شنيعة كالحرب الحاضرة . وعلى ذلك فالرجل الذى يعد نافعاً أكبر النفع بالنسبة للمجتمع الألمانى مثلاً قد يعد مجرماً بالنسبة للمجتمع البريطانى . أما إذا كان العقاد يقصد « بالمجتمع » أمة بعينها ، فالأمم كما نرى أيضاً مقسمة إلى طبقات ذات مصالح متعارضة . فإذا اكتشف عامل مثلاً وسيلة جديدة يلجأ إليها العمال ليرغموا بها أصحاب المصانع على زيادة أجورهم ، عُد هذا العامل مفيداً أكبر الفائدة بالنسبة لطبقة العمال ، ولكنه لن يعد كذلك فى نظر الطبقة التى تملك المصانع

والربح عند العقاد منه الحلال ومنه الحرام ؛ وليس لمقاييس الحلال والحرام ثبات ؛ فلكل مجتمع مقاييسه التى تنشأ معه لتوافق مصالح الطبقة الحاكمة . فاغتصاب ثروات الآخرين بالقوة مثلاً يعد إجراماً فى معظم المجتمعات الحاضرة ، ولكنه لا يعد كذلك فى كل المجتمعات ، ولم يكن يعد كذلك فى كل العصور ، بل هو ما زال يعد عملاً من أعمال البطولة فى ساحات الحروب . . .

ويستنكر العقاد أن « يكون الجزاء الوافى حظ الممثل الذى لا يستحى أن يعرض رجولته للفضوليات من المتفرجات » ؛ وقد يشارك العقاد فى هذا الرأى قوم كثيرون ، ولكنه من المؤكد أن (الفضوليات من المتفرجات) لا يشاركنه إياه

ومن الحقائق التى لا مراء فيها عند العقاد « أن حياة الإنسان كائناً ما كان أنفس من القوت والكساء . . . » ؛ فلماذا لا نضيف إلى ذلك أن حياة الإنسان كائناً ما كان هى أنفس أيضاً من سيارة رشيقة ، ودار أنيقة ، تحيطها حديقة موردة ؟ . . . فإذا قيل لنا : إن الإنسان يموت إذا حرم القوت والكساء ، ولا يموت إذا حرم سيارة أو حديقة ، فلنقل : إن الحياة لا تعنى عدم الموت فقط ، وإن الحياة بغير متعة إيجابية هى والموت سيان

ومن الحقائق أيضاً عند العقاد أن « الأمان كل الأمان خطر على الهمم والأذهان » ؛ وهو يريد أن يقول بذلك أنه لو اطمأن كل فرد إلى قوته وكسائه ، فقدنا من بنى الإنسان العنصر المقتحم المغامر ، « ومنى العالم بخطر من جراء ذلك ، هو أخطر عليه من الإجحاف فى تقسيم بعض الأعمال ، وتوزيع بعض الأرزاق » . . . ولو صدر هذا القول من اسماعيل صدقى مثلاً لعذرناه . . . ولكن الغريب حقاً أن يصدر من العقاد . . . ! فكيف يستطيع العقاد الشاعر أن يقول إنه لا تكون مغامرة أو اقتحام إلا حيث يكون طلب الرزق ، وإن الإنسان لا يغامر فى سبيل غرام ، أو فى سبيل كشف علمى أو إنتاج فنى ؟ . . . ولماذا لا نقول : إن روح المغامرة إذا تحررت من هموم العيش وأعباء الثروات ، فسوف تكتشف لنفسها ميادين وآفاقاً جديدة هى أجدر بعواطف الإنسان ؟ . . .

ويرى العقاد — كما يرى غيره — أن « العالم مدين للعصاميين » ؛ وهذا رأى أقل ما يقال إنه مشكوك فيه . . . فإن عدد الفلاحين الهنود والصينيين يزيد على نصف سكان هذا العالم ؛ فهل يمكن أن يقال مثلاً : إن هؤلاء الفلاحين مدينون بشىء للعصاميين ؟ . . . ولكن لنفرض جدلاً أن هذا الرأى صحيح ، فمن الصحيح أيضاً أن نقول : إن الفلسفة والفنون الإغريقية مدينة لنظام الرق . . . وإن الديمقراطية الإنجليزية مدينة للفقر المدقع الذى يعانيه فلاحو الهند . . . فلولا وجود العبيد عند الإغريق لما استطاع « السادة » أن يتفرغوا للتفكير المجرد والبحث عن المثل العليا ، ولما ازدهرت عندهم فلسفة أو فنون . . . ولولا الأجور المنحطة التى ينالها فلاحو الهند لما أمكن المستعمر أن يربح هذه الأرباح الطائلة التى بدونها لما يتيسر للحكومة الإنجليزية أن تتقدم لعمالها بمشروعات الإصلاح وبالإعانات والهبات الكثيرة . ولكن لولا هذه الإعانات والهبات لانتظرنا أن تنشط بين العمال الإنجليز الحركة الشيوعية كما نشطت فى ألمانيا ؛ وفى هذه الحالة ، لا يكون غريباً أن الطبقة الحاكمة الإنجليزية كانت تلجأ إلى النظام الدكتاتورى لقمع هذه الحركة

ولكنا إذا قلنا إن الفنون الإغريقية مدينة للعبيد ، وإن الديمقراطية الإنجليزية مدينة لفقر الفلاحين الهنود ، فليس معنى ذلك أن نظام الرق كان يجب ألا يزول ، أو أن فقر الفلاحين الهنود ينبغى أن يستمر . . . وكذلك إذا صح أن العالم مدين للعصاميين ، فليس صحيحاً أن العالم سيبقى مديناً لهم أبد الآبدين . فمهما تكن قيمة الدور التاريخى الذى لعبه العصاميون فى تطور الاقتصاد العالمى فى القرنين الماضيين ، فإن كل الحقائق تدل على أن ما يسميه العقاد « البراعة المالية » ليست فى الوقت الحاضر

كما يقول « لازمة لتأسيس المرافق الاجتماعية والأخلاق القومية وتنظيم العلاقات واستثارة الهمم وتوزيع الأعمال التي لا يستبحر بغيرها عمران ... » بل إنها على العكس من ذلك تؤدى بالعالم الآن إلى أشنع تمزيق وتخريب وتدمير عرفه الإنسان ...

فلا وجود للمصاميين بغير تنافس اقتصادى ؛ والتنافس الاقتصادى العالمى هو المسؤول الأول عن الحرب الماضية وعن الحرب الحاضرة . ولسنا ننتظر من مخلوق به مسكة من الشعور الإنسانى أن يقول إن هذه الحرب فى ذاتها بركة للانسان . هذا وإن كنا نأمل — بعد أن فشلت الحرب الماضية فى تنبيه الشعوب تنبيهاً كافياً إلى عواقب التنافس الاقتصادى — أن تكون نتيجة هذه الحرب الحاضرة هو القضاء فعلاً على النظام الاقتصادى الذى يؤدى التكالب فيه على جمع الثروات إلى الدجل والاحتيال من ناحية ، وإلى الشقاء والمرض والحروب الهمجية من ناحية أخرى ...

ولا شك أن الفقر — كصفة لاصقة بحياة الأغلبية من الشعب المصرى — ظاهرة قديمة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ . فما الذى جد إذاً على فقراء مصر حتى أصبحت لهم مسألة تشغل بال كثير من الأغنياء ، ويهتم لها المفكرون ، وتقلق أدباء كانوا يؤثرون الدعة والراحة فى مخادع البرج العاجى ... ؟

قد يكون صحيحاً أن بعض الأدباء والمفكرين المصريين قد تأثروا بالأدب والتفكير الاوربى الحديث الذى يعالج مشاكل الاقتصاد وتوزيع الثروات ، وهى أم المشكلات فى الحياة الأوربية المعاصرة ؛ ولكن هذا التأثر كان يبقى شيئاً خاصاً بأفراد ، لا قيمة اجتماعية له ، ولا يثير اهتمام الرأى العام ، لو لم تكن حياتنا الاجتماعية قد تأثرت تأثراً مادياً بالمدنية الغربية

ولقد اقتبسنا عن الغرب أشياء كثيرة ؛ منها مظاهر سطحية كأساليب الأكل واللباس ، ومنها مظاهر أعمق كأساليب التشريع والقضاء والتعليم ؛ ولكن وراء كل هذه المظاهر يكمن تأثر مادى أساسى ، هو اقتباسنا لبعض الأساليب الحديثة فى إنتاج الثروات ، أى لبعض الصناعات الآلية التى نمت فى مصر نمواً مطرداً فى السنوات الأخيرة

ودخول الصناعة الحديثة فى مصر معناه نشوء طبقتين جديدتين : طبقة رجال الأعمال من ناحية ، وطبقة العمال من ناحية أخرى . ورجال الأعمال يعيشون فى جو مادى ، ولهم أساليب فى التفكير ، ولهم مصالح اقتصادية تختلف عن نظائرها عند أولئك الذين تعتمد ثروتهم على ملكية الأراضى المزروعة . فمن مصلحة رجال الأعمال مثلاً أن ينتشر التعليم ، لأن المصانع محتاجة إلى العدد الوفير من العمال الفنيين وإلى العلماء والمهندسين وماسكى الدفاتر ... وليس لطبقة ملاك الأرض مصلحة ما فى أن يستخدم نصيب من الضرائب المفروضة عليها فى إنشاء المدارس الفنية ... فالزراعة فى مصر ما زالت تسير على الطرق البدائية التى كانت تسير عليها فى عصور الفراعنة . وما دامت الأيدى العاملة فى الزراعة رخيصة إلى الحد الذى نراه ، فلن يسعى ملاك الأرض إلى استخدام الآلات الزراعية الحديثة الغالية الأثمان ، ولن يحتاجوا تبعاً لذلك إلى المتعلمين تعلما فنياً إلا بقدر ضئيل . وهذا هو السبب الأساسى فى نكبة خريجى مدارس الزراعة على قلتهم فى بلد تعيش أغلبيته على الإنتاج الزراعى

وهذا فى رأينا هو بعض التفسير المادى للمجادلات الصحفية التى كثرت فى السنوات الأخيرة عن التعليم فى مصر وضرورة توسيعه أو تحديده أو تغيير مناهجه

وقد تنبه رجال الأعمال فى مصر من وقت ظهورهم إلى أن العقبة الأولى التى تقف فى سبيل توسعهم الصناعى ورواج بضائعهم هى المنافسة الأجنبية . ومن هنا كانت الدعوة إلى الوطنية الاقتصادية التى لعبت دورها أولاً فى حركة الاستقلال وإلغاء الامتيازات ، ثم استحالت دعوة مستقلة لتشجيع المصنوعات المصرية ...

أما العقبة الثانية — وقد بدأ التنبه إليها حديثاً — فهى ضعف السوق المحلية . وما دامت الصناعة المصرية لا تطمع فى منافسة الصناعة الغربية فى الأسواق الأجنبية ، فهى مضطرة إلى الاعتماد قبل كل شىء على السوق المحلية . ولكن ما دام هناك أربعة عشر مليوناً من سكان مصر لا يكادون لفقرهم أن يستهلكوا شيئاً من المصنوعات ، فلا أمل لأرباب الصناعة المصرية فى الإنتاج الضخم الذى يدر الأرباح الطائلة على زملائهم فى الغرب .

(البقية فى العدد القادم)

رمسيس يونان

٦ – مدن الحضارات
فى القديم والحديث
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قرطبة :

يحق للحضارة العربية الإسلامية أن تفخر بما كان لها فى عدوة الأندلس من تاريخ مجيد، فلقد كانت الحضارة الشرقية الإسلامية فى المشرق يقابلها حضارة إسلامية شرقية فى المغرب، ولم يظهر فى المشرق عالم جليل أو محدث كبير، أو شاعر شهير، أو فيلسوف حكيم، أو وزير له خطر، أو أمير له قدر، إلا ظهر فى المغرب من يدانيه علماً أو ينافسه قدراً أو يزاحمه محلاً

فلقد وقعت المفاضلة بين ابن رشد والطوسى[(١)]، وبين ابن زهر الحكيم وابن سينا، وبين ابن فرناس والفارابى، وبين ابن هانىء الشاعر والمتنبى، وبين ابن زيدون والبحترى، وبين ابن عبدون والأصمعى، وبين أبى مروان البصرى والمعرى، فقد كان الشبه بين النظيرين فى الفن الواحد قريباً، وكان الفرق بين المتماثلين غير بعيد

وكان حظ المدن من تلك المفاضلة ونصيبها من تلك المقابلة حظ الآدمى من أهل العلم والنظر والجلال والخطر؛ فهذه بغداد فى المشرق على نهر دجلة، وتلك قرطبة فى المغرب على الشاطىء الغربى من نهر الوادى الكبير

ولقد أتيح لكثير من المؤرخين فى العصور التالية لسقوطها أن يزوروا تلك المدينة الضائعة فى ذلك الفردوس الإسلامى المفقود. وزارها فى العصر الحديث اثنان من أهل النظر والرأى والأدب والعلم. هما الأمير العربى المسلم الغيور شكيب أرسلان[(٢)] والكاتب المصرى الرحالة محمد لبيب البتانونى – صاحب الرحلة الحجازية ورحلة الأندلس

ووصف كل من الكاتبين المدنية الإسلامية على حالها اليوم، ثم تطرق بهما الحديث إلى ذكر تاريخها وشىء من أحداثها، وذكر الجامع العظيم فيها

(١) رحلة الأندلس لمحمد لبيب البتانونى ص ٤٣

(٢) نجد وصفاً ممتعاً لها فى كتاب الحلل السندسية للأمير شكيب طبعة الحلبى ج ١

رأى البتانونى قرطبة فى العقد الثالث من القرن العشرين الميلادى (سنة ١٩٢٧) فلاحت أمام عينيه عربية المظهر، شرقية المنظر (وشكل مبانيها يكاد يكون عربياً صرفاً)[(١)]

ورآها الأمير شكيب بعد ذلك ببضع سنوات، وقد طحنتها رحى الفتنة حين تأليفه كتاب الحلل، وغيّرها حلول المصائب والأحداث، واتصلت الشدائد على أهلها فلم يبق منهم بها وقت زيارته لها إلا الخلق اليسير[(٢)]

ولقد لفت حياء نسائها نظر البتانونى فأثنى عليهن ونعتهن بالاحتشام وغض البصر والإطراق إلى الأرض فى غير تحديق إلى الرجال[(٣)]. والظاهر عندى أن ذلك الحياء الجميل يكاد يكون طبعاً فى نساء الأندلس اليوم، فقد رأيت كثيراً من فتيات أسبانيا المتعلمات يفدن إلى جامعة (تور) بفرنسا لتعلم الفرنسية فى عطلة الصيف، ورأيت منهن الحياء والعفة والبعد عن التبرج الممقوت الذى كنت أنعيه على نساء فرنسا، ورأيت منهن ما يؤيد قول البتانونى (ومع أن بلادهم حارة جداً لا تكاد ترى صدورهن عارية)

على أن هناك رحالة ثالثاً معاصراً تعرض لذكر الأندلس فى كتابه (السفر إلى المؤتمر) وهو المرحوم أحمد زكى باشا؛ إلا أن حديثه عن الأندلس جاء فى عرض كلامه عن رحلة إلى المؤتمر، ولم يكن حديث الإصالة كما فعل الأمير شكيب والبتانونى

وأغلب المعلومات التاريخية التى أوردها الرحالتان مستقاة من نفح الطيب الذى اختص قرطبة فى الجزء الأول بحديث طويل. ويروى المقرى صاحب نفح الطيب عن ابن سعيد المغربى أو عن الشريف الأدريسى، أو عن الحضرمى

ومعتمدنا فى كتابة هذا الفصل عن قرطبة على كتاب نفح الطيب الذى يعد بحق مرجعاً وافياً لتاريخ الأندلس

ولقد وصف كثير من العلماء (قرطبة) فى أزهى عصورها وأجمل أيامها، ويستشهد (المقرى) بأقوال هؤلاء العلماء، إلا أنه لا يذكر أسماءهم ولا يدلى بخبر عنهم، فهو يقول مثلاً: قال بعضهم، وقال بعض العلماء ... وفى الوقت نفسه يذكر أسماء الأعلام منهم، أو الذين وصل إليه علمهم، واشتهر عنده اسمهم: كالحجازى والحضرمى وابن سعيد والبكرى

(١) رحلة الأندلس ص ٥٣

(٢) الحلل السندسية ج١ ص ١٤٣ (٣) رحلة الأندلس ص ٥٣

ولقد ذكر ابن سعيد عمارة قرطبة فقال : إن العمارة اتصلت بها فى أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولاً وفرسخين عرضاً ، وذلك من الأميال أربعة وعشرون فى الطول وستة فى العرض ، وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادى الكبير .

وذكر آدم متز المستشرق فى كتابه : « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » ، نقلاً عن ابن عذارى المراكشى صاحب كتاب البيان المغرب أن عدد الدور التى كانت بها للرعية دون دور الوزراء وأكابر أهل الخدمة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار ، وأن مساجدها ثلاثة آلاف : (الجزء الثانى من الحضارة الإسلامية ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ٢٢٧) .

ولقد بلغ من اتساع قرطبة وامتداد مساحتها واتصال العمران بها أن عدد أرباضها بلغ واحداً وعشرين ربضاً ، وفى كل منها من المساجد والأسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون إلى غيره[١]

وفى خارج قرطبة امتدت قرى كثيرة قدرها ابن سعيد بثلاثة آلاف قرية . وهو عدد إذا فرضنا أن المبالغة التاريخية قد ضاعفته ، فهو يدل بغير شك على ازدحام القرى حول تلك العاصمة الإسلامية ، كما تزدحم القرى الصغيرة والكبيرة حول (لندن) اليوم مثلاً ، وتمتد إلى عشرات الأميال . وقد قدر لنا أن نرى هذه القرى اللندنية من أعوام خلت

وكان القرويون من أهل أندلس لا يقطعون ترددهم على قرطبة واختلافهم إليها فى كل مناسبة صغرت أم كبرت ، وكان أعظم ما يجذبهم[٢] إليها شهود يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة والتسليم عليه ومطالعته بأحوال بلادهم

ولقد بلغت المنافسة بينها وبين بغداد حداً عظيما ، حتى لقد أحبها المؤرخون من أهلها ، لحابوها بالوصف ، كما يقول المرحوم شوق : [ولـكن من أحب الشىء حابى] ...

وحاول كثير من وصافها أن يلحقوها ببغـداد فى أيام عظمتها ، حتى لقد زعم قوم من أهلها أنها كأحد جانبى بغداد ، وإن لم تكن كأحد جانبيها فهي قريبة من ذلك

(١) نفح الطيب . المطبعة الأزهرية ج ١ ص ٢١٣

(٢) المصدر نفسه

ولم تكن قرطبة خاملة الذكر وضيعة المحل قبل الفتح العربى ولـكنها كانت عامرة فزادها الفاتحون من المسلمين عمراناً ، وزادوها عظمة بما بنوه فى ضواحيها من القصور الكبيرة أشباه المدن الضخمة (راجع تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان جـ ٥ ص ٩٠)

ويغلب على الظن أن قرطبة قبل الإسلام كانت مما شيده القرطاجنيون ، ثم صارت تابعة للرومان سنة ١٥٢ ق . م إلى أن دخلها المسلمون ، وجعلوها حاضرة الملك ومقر الأمارة ، وحاولوا أن يخلعوا عليها من جلال الملك ما يدنيها من عواصم الشرق الكبرى ، ولعبت المنافسة فى ذلك الدور العظيم

وكان فيها نظام الطبقات المبنائى كما حدث فى القاهرة وفى بغداد وفى سامرا وفى دمشق وفى غيرها من العواصم . والواقع أن فكرة التقسيم بين الطبقات قديمة منذ الزمان الأول ؛ فلقد كان فى أيام الفراعنة قصور وأحياء للأشراف وأحياء للعامة

وقد عقد المرحوم جورجى زيدان[١] موازنة بسيطة بين دور الأشراف فى رومة إبان عمرانها وبين دور الأشراف فى قرطبة إبان عمرانها كذلك ، وكانت فى الأولى ألفين — على ما رواه (جيبون) وفى الثانية أكثر من ستة آلاف — على ما رواه المقرى نقلاً عن غيره

وأعجب ما فى قرطبة من بدائع الفن وروائع الهندسة العربية آيتان : القصر الكبير والمسجد الجامع . أما القصر الكبير فكان مؤلفاً من ٤٣٠ داراً كالكامل والمشوق والمبارك وقصر السرور وغيرها[٢]

وكان فى هـذا القصر من العجائب الكثير سئل عنه ابن بشكوال[٣] فقال بعد كلام : (وفيه من المبانى الأولية والآثار العجيبـة لليونانيين ثم للروم والقوط والأمم السالفة ما يعجز الوصف ، ثم ابتدع الخلفاء من بنى مروان منذ فتح الله عليهم الأندلس بما فيها فى قصرها البدائع الحسان ، وأثروا فيه الآثار العجيبة ، والرياض الأنيقة ، وأجروا فيه المياه العذبة

(١) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ٥ ص ٩١

(٢) نفح الطيب جـ ١ ص ٢١٦

(٣) نفح الطيب

المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة ، وتموّنوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم وأجروها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص ، تؤديها منه إلى المصانع صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه ، إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة فى أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة . . . وفى هذا القصر القباب العالية السمو ، المنيفة العلو ، التى لم ير الراءون مثلها فى مشارق الأرض ومغاربها) .

وقد بناه عبد الرحمن الداخل الأموى بعد ما فر من الشرق ووطد لنفسه فى الأندلس ملكا ، وزاد الأمراء من بعده عليه كلٌ على حسب طاقته . ومن المؤلم أن تتطاول يد الزمان وتمتد إلى قصور ذلك القصر فتقتلعها من أساسها ، وتدكها من قواعدها ، ولم يبق منها بعد مثولها للعيان ، وكونها فى الزمان ، نقش ولا أثر ، إلا أثراً يذكر ، وخبراً يسطر ، وقصة تروى ، وحديثاً لمن ألقى السمع

وقد اصطلحت على محو تلك القصور والدور عوامل من الزمن ، ودوافع من الإحن والمحن . أما الزمن فقد يتطاول ، والبناء لا يبقى على التطاول ، ولا يدوم على امتداد . وأما الإحن والمحن فقد اختلفت على قرطبة ، وحدثت الثورات ، وفتكت يد التخريب ، وأصبح أهل قرطبة منذ عهد المرابطين عرضة للحوادث وغرضاً للشغب . وجاء المتعصبون من النصارى فحاولوا أن يزيلوا للأسلام كل أثر ، وأن يدكوا للعرب كل قاعدة ، وأن يهدموا من الحضارة العربية كل ركن ؛ فزال البِنَاء ومات البنّاء ، وبكى حين لا ينفع البكاء . وهل يرد الملك المضيَّع فيضُ الدموع ، أو يعيد المجد المحطم وَقْد الضلوع ؟ ولم يدم ذلك الجلال طويلا . ففى القرن الخامس الهجرى أخذ كل شيء ينذر بسقوط قرطبة[1] . وقبل ذلك بزمن كانت هذه العاصمة الجميلة مسرحا للفتن ، وميداناً للمحن[2] . وصار الخلفاء يولون ويعزلون فى أجل قصير وأمد قريب . فتولاها فى مدة يسيرة ستة من الأمويين ، وثلاثة من بنى حمود ، مما انتهى إلى التفرقة والانقسام

(١) من المؤرخ الألمانى « آشباخ » فى كتابه : « تاريخ الأندلس » فى عهد المرابطين والموحدين

(٢) رحلة الأندلس

وكان الأمراء يختلفون ويحتربون وتسيل دماء الناس على أيامهم . وقام العداء بين أمير وأمير ، ومدينة ومدينة . ودارت الحرب بين طليطلة وقرطبة . وظلت بضعة أعوام تتخللها معارك مضطرمة بين الفريقين ، انتهت نهاية مؤلمة ومصيراً محزناً بالنسبة إلى قرطبة وحاكمها ابن جهور . فقد ظفر صاحب طليطلة بابن جهور وضرب الحصار على العاصمة القديمة للأندلس ، ولم يرفع عنها إلا بعد أن أسيلت الدماء ، وانهارت على أثر ذلك دولة بنى جهور فى قرطبة[1]

ومن هذه الفتن أيضاً ما حدث بعد ذلك بقليل ، فقد هاجم أهل طليطلة ومرتزقة قشتالة قرطبة على غرة ، فسقطت فى أيديهم بلا مقاومة ، ولكن نشبت بين الفريقين فى الزهراء — مجمع القصور الملكية — معركة دموية دافع فيها الحرس عن القصور دفاعاً شديداً[2] . وقتل ابن الأمير ابن عباد ، ورفع رأسه على رمح وطيف به فى شوارع قرطبة

ولم يطل ملك بنى عباد ، حتى تغلب عليه المرابطون سنة ٤٨١ فالموحدون سنة ٥٣٩ ؛ وانتقصت أطراف هذا الفردوس الجميل شيئاً فشيئاً

[الحديث موصول] محمد عبد الغنى حسن

(١) يوسف آشباخ فى المصدر السابق

(٢) المصدر نفسه

٣ ـ المصريون المحدثون

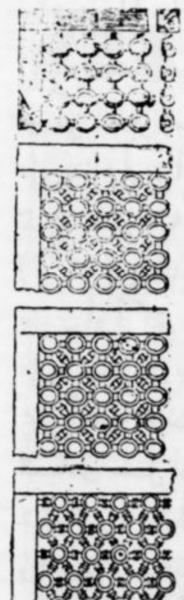
شمائلهم وعاداتهم

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

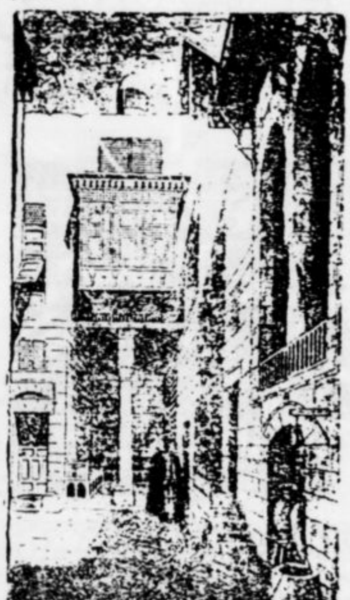
المنازل

وحجرات الطابق الأرضي لها نوافذ صغيرة مركبة من قضبان من الخشب المنقور Grille de bois مرتفعة بحيث لا تسمح للراجل أو للراكب أن ينظر من خلالها . أما الغرف العلوية فنوافذها تبرز بمقدار قدم ونصف قدم أو أكثر ؛ وأغلبها مصنوع من الخشب المخروط المشبك ؛ وهو لضيق ثقوبه ، يمنع كثيراً من النور والشمس ، ويحجب سكان المنزل عن الأنظار ؛ ولكنه في الوقت نفسه يسمح بدخول الهواء . ومن العادة ألا يُصبغ هذا الخشب ، ولكن القليل منها يصبغ بعضه بالأحمر والأخضر ، وبعضه يصبغ كله . وهذا النوع من النوافذ يسمى روشنا ، ولكنه في الاصطلاح الغالب يسمى مشربية ؛ والكلمة الأخيرة لها وضع آخر سيذكر بعد .



شكل ٣ ـ (نماذج من شبابيك الخشب الخرط والمسافة بين منتصف صف من الحبات إلى منتصف صف آخر تبلغ من بوصة وربع إلى بوصة وثلاثة أرباع

وكثير من النوافذ المختلفة الأنواع مصور في هذا الكتاب ؛ وقد أوردت على قياس أوسع رسوما لأكثر نماذج الشبابيك شيوعاً . انظر شكل (٣) . وقد يكون للنافذة الموصوفة آنفاً مشربية صغيرة تشبه نوعاً ما روشنا مصغراً ، تبرز عند الواجهة أو عند الجانبين . وتوضع فوقها قلل من الفخار ذات مسام لتبريد الماء بتعريضه لتيار الهواء . ومن هنا اشتق اسم «مشربية» ومعناه «مكان الشرب» . ويعلو النافذة البارزة مباشرة نافذة أخرى مصنوعة من الخشب المشبك أو من القضبان الخشبية أو من الزجاج الملون . وشباك هذه النافذة العلوية ، إذا كان لها شباك ، كثيراً مايكون ذا رسوم قوامها موضوعات تصويرية fantastique أكثر من الأنواع الأخرى ، فيمثل طستاً فوقه إبريق ، أو صورة أسد ، أو اسم الله ، أو أمثال هذه الجملة : «الله أملي» الخ . وقد تكون النوافذ البارزة مُلوّحة كلها بالخشب ، وقليل منها يميل إلى الأمام من أسفل إلى أعلى بزاوية عشرين درجة تقريباً . وتفتح من القمة لدخول النور . وبعض الأشكال الغالبة ، تكون جوانبها ذوات ألواح زجاجية .



شكل ٤ ـ (فناء منزل قاهري)

وفي أجمل المنازل أيضاً تجهز شبابيك النوافذ الآن بألواح زجاجية من الداخل فتقفل كلها في الشتاء لأن البرد القارس يشعر به المصريون عند ما تنخفض الحرارة إلى أقل من ستين درجة فاهرنهايت (١) . وأما نوافذ الدور الدنيا فأكثرها من طراز آخر لأنها مستوية مع سطح الحائط الخارجي . وجزؤها الأعلى يكون شباكا أو قضباناً خشبية ، والجزء الأسفل له دُرَف مغلقة يقفل بها ؛ والكثير منها له مشربية للقلل تبرز عند جزئه الأسفل

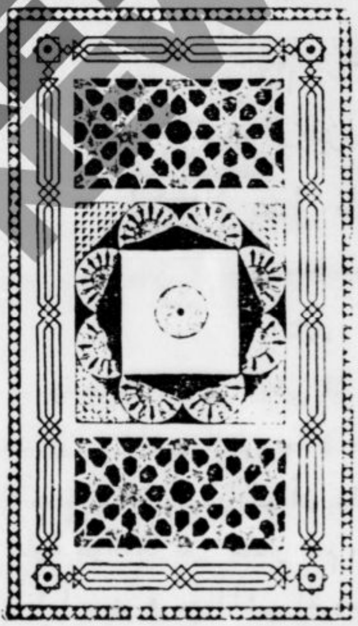
(١) أما النوافذ الزجاجية على الطريقة الأوربية التي لكل منها شباك في خارج نصفها الأسفل فقد شاع استعمالها فيما بعد في المنازل الجديدة في أقسام كثيرة من القاهرة . وأكثر هذه النوافذ توجد في المنازل المشيدة على الطراز التركي الذي يقرب كثيراً أو قليلا من النظم الأوربية ؛ وهي لا تلائم المناخ الحار وإن كانت مريحة في الشتاء

وتتألف المنازل ، على العموم ، من طابقين أو ثلاثة (شكل ٤) ويتوسط كل دار كبيرة فناء مكشوف غير مبلط يدخل إليه من دهليز ينعطف مرة أو مرتين بقصد منع المارين فى الطريق من النظر إلى الداخل . وفى هذه الطرقة من داخل الباب يوجد مقعد حجرى طويل يسمى « مصطبة » وهو ملاصق للحائط الخلفى أو الجانبى يجلس عليه البواب والخدم الآخرون . وفى هذا الفناء بئر يتسرب ماؤه المائل للملوحة خلال الأرض من النيل ، كما يوجد فى جانبه الظليل جرتان يجلب إليهما الماء يومياً من النهر فى قرب [1] . وتطل الغرف الرئيسية على الحوش ، وتغطى جدرانها الخارجية بالجص وتبيض . وهناك كثير من الأبواب تفتح على الفناء ، منها واحد يسمى « باب الحريم » وهو مدخل السلم الذى يؤدى إلى الحجرات المخصصة للنساء ولرب الدار وأولاده [2]



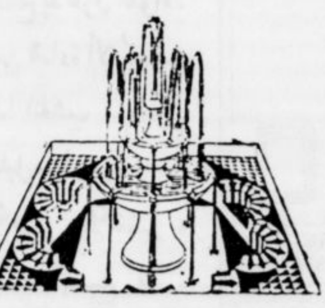
شكل ٥ ـ (البهو أو غرفة الاستقبال)

ويوجد غالباً فى الطابق الأرضى غرفة تسمى (منضرة) شكل ٥ يستقبل فيها الزائرون من الرجال . ولهذه الغرفة نافذة واسعة من القضبان الخشبية ، أو نافذتان من هذا النوع تطلان على الحوش ، وأرضيتها جزء صغير يمتد من الباب إلى الجهة المقابلة منخفضاً عن بقية الغرفة بأربع أو خمس بوصات تقريباً . ويطلق عليه اسم (دُرْقاعة) [1] . وهذه الأخيرة تبلط فى المنازل الجميلة برخام أبيض وأسود ، وبقطع صغيرة من القراميد الحمر الجميلة فى نماذج معقدة أنيقة ، ويتوسطها فوارة تسمى (فسقية) يتدفق ماؤها فى بركة صغيرة قليلة الغور ، مخططة برخام بلون الأرضية المحيطة بها . وتصرف مياه هذا النبع من الحوض بواسطة ماسورة . وأمامك نموذج من أرضية الدرقاعة شكل ٦ كما وصفتها آنفاً

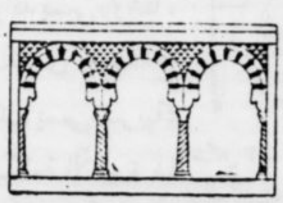


شكل ٦
(أرضية درقاعة عرضها حوالى ثمانى أقدام)

ويوجد فى نهاية الدرقاعة فى مواجهة الباب رف من الرخام أو من الحجر العادى على ارتفاع أربع أقدام تقريباً يطلق عليه اسم (صـفة) يستند على عقدين أو أكثر ، أو على عقد منفرد؛ ويوضع تحته أوعية للاستعمال العادى مثل أوعية « العطور » والطست والإبريق المستعملين للغسيل قبل الأكل وبعده وللوضوء ، كما توضع فوقه أوانى المياه وفناجين القهوة وتكسى عقود الصفة فى الدور الجميلة بالرخام والقراميد على مثال بركة الفسقية (أنظر رقم ٧ ورقم ٨) كما يكسى الحائط الذى يعلوها إلى ارتفاع أربع أقدام أو أكثر تقريباً بمواد مماثلة : جزء منها بألواح رخامية



شكل ٧ ـ (نافورة)



شكل ٨ ـ (صفة)

---

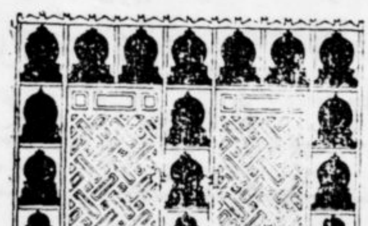
(١) يوجد فى بعض المنازل الكبيرة فناءان يخصص الداخلى منهما للحريم . ويوجد عادة فى الفناء الآخر أو فى الاثنين معا سياج صغير به أقواس خشبية تزرع فيه الأشجار والزهور . وأكثر أنواع الشجر شيوعا فى فناء المنازل الكروم والتوت ، وكثيرا ما يوجد معهما الموز والنخيل وأشجار أخرى

(٢) يلاحظ فى الرسم الذى رسمته لفناء المنزل أن باب الحريم هو ذلك الذى يواجه الناظر

(١) الظاهر أن هذه الكلمة محرفة من الكلمة الفارسية « درجاه »

كبيرة قائمة ، والجزء الآخر بقطع صغيرة على أسلوب الدرقاعة . أما المنصة أو الجزء المرتفع من الأرضية فيسمى (ليوان)[1]

ويجب على كل داخل أن يخلع نعليه فى الدرقاعة قبل الصعود إلى الليوان ؛ وهذا الليوان يبلط عادة بالحجر العادى ، ويفرش بالحصير صيفاً وبالبسط فوق الحصر شتاء ، وتوضع فوقه الحشايا والوسائد ملاصقة للجدران ، ويسمى حينئذ (ديوان) . وتوضع الحشية التى يبلغ عرضها حوالى ثلاث أقدام ، وسمكها ثلاث بوصات أو أربعاً ، على الأرض عادة . أما الوسائد وطولها بقدر عرض الحشية ، وارتفاعها مساو لنصف هذا القياس ، فتسند مائلة إلى الحائط . وتحشى الحشايا والوسائد بالقطن وتغطى بالشيت المطبوع أو الجوخ أو بما هو أغلى ثمناً . وأحياناً توضع الحشية على سرير من جريد النخل ، وأحياناً أخرى توضع على منصة حجرية تعلو إلى نصف قدم تقريباً وتسمى « سِدِلّه » ، وهى كلمة من أصل فارسى تطلق أيضاً على فجوة عرضها مساوٍ لعمقها تقريباً ، وبها فرش ووسائد حول جوانبها الثلاثة . ويلاحظ أن بعض الغرف به مكان أو أكثر من هذه الأمكنة الداخلة تستخدم للجلوس شتاء وهى لذلك تبقى بدون نوافذ . أما حوائط الحجرة فتغطى بالجص وتبيض . ويوجد فى داخل جدران الغرفة دولابان أو ثلاثة قليلة العمق ، بمصاريعهما حشوات خشبية دقيقة الصنع ، لأن الحرارة ويبوسة الجو يعرضان الخشب للتقلص والالتواء كما لو كان داخل تنور ؛ ولهذا السبب تصنع أبواب الغرف أيضاً بالطريقة نفسها . ويلاحظ أن هناك تفنناً عظيما

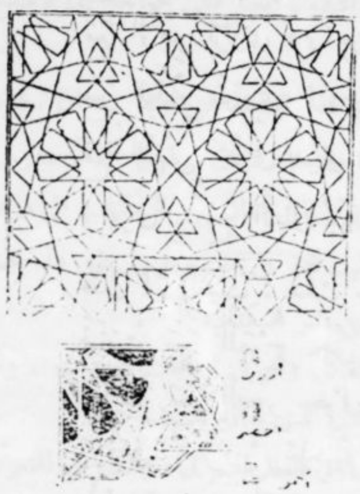


شكل ٩

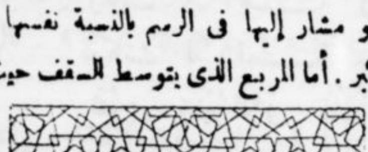
(نماذج من الحشوات الخشبية)

ومهارة فائقة فى مختلف الأساليب المتبعة فى صنع تلك الحشوات الصغيرة وتركيبها ، وقد نشرت بعض نماذج مختارة منها (شكل ٩) . أما السقف الذى يعلو الليوان ، فهو ذو جسور من الخشب المنقور يبعد الواحد منها عن الآخر مسافة قدم ؛ ويلون بعضها وأحياناً يذهب ، ولكن هذا الجزء من السقف الذى يعلو الدرقاعة يكون فى المنازل الجميلة أفخم نقوشاً وأكثر زخرفة . وبدلاً من العروق الكبيرة تسمر بضعة شرائط خشبية دقيقة فى الألواح فتؤلف نماذج غريبة التعقيد ، كاملة الانتظام ، ذات تأثير زخرفى عظيم .

وقد رسمت جزءاً من السقف على هذا الأسلوب الزخرفى ، ولكنه ليس من الطراز الكثير التعقيد . (شكل رقم ١٠) . وهذه الشرائط تدهن بالأصفر أو تذهب ، وما بينها يلون بالأخضر والأحمر والأزرق . وتكون الألوان فى المثل الذى ضربته ، كما هو مشار إليها فى الرسم بالنسبة نفسها ، ولكن على مقياس أكبر . أما المربع الذى يتوسط السقف حيث تكون الشرائط سوداء على أرضية صفراء . وكثيراً ما يتدلى قنديل من وسط هذا المربع . وهناك بضعة نماذج متشابهة ، وألوانها ـ الواحد بالنسبة للآخر ـ توضع غالباً بالترتيب نفسه ؛ إلا أن هذه السقوف فى بعض المنازل لا تلون . أما سقف النافذة البارزة فكثيراً ما يزخرف بالطريقة نفسها . كما ترى فى الشكل ١١ ، وهكذا يتجلى الذوق السليم بقصر الزخرفة على الأجزاء التى لا تكون دائماً أمام العين ، لأن إدمان النظر إلى مثل تلك الخطوط الكثيرة المتقاطعة المتجهة فى اتجاهات عديدة مما يؤلم العين



شكل ١٠ ـ (سقف درقاعة)
عرضه حوالى ثمانية أقدام



شكل ١١ ـ (سقف نافذة بارزة)
والمقاييس ثمانية أقدام فى ثلاثة

(يتبع) عبدلى طاهر نور

(١) يجب عدم الخلط بين « ليوان » و « ديوان » المذكورة فيما بعد . والليوان يسمى أيضاً « إيوان » ومعناه الحقيقى رواق مكشوف الواجهة أو قصراً الخ . وكلتا « ليوان » و « إيوان » من أصل فارسى إلا أن الأولى تنطق محرفة من كلمة « الأيوان »

إيماءة إلى الله ...

[إلى طيفها الذي لا يفارقني]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

... وأومأتُ لله على أراها !
مع الليل تسرى بقلبي خطاها
مع الصمت يشجى خيالي نداها
مع الزهر يروى دمى من شذاها
مع الطير تروى لروحى أساها
مع النفس تجرى هوى فى هواها
وتجرى بدمع الليالى بكاها ...

فقال لى الغيب : ضلّت سراها !
فهامت مع الموج حتى طواها
وذابت مع الفجر حول رؤاها
ورفرف من حاجبيه سناها
وأشرق من راحتيه صباها
وكانت له غنوة فى لقاها
وكانت له آهة فى نواها
وكانت له قصة ما رواها
لغيرى ، وغير الربى . قلت : واها !
فيا ليته نحو قلبى هداها
وتنضر من صفحتيه ثراها
فإن ظمئت من شبابى سقاها
وإن شقيت ساق دهرى فداها
فمالى مدى العمر سحر سواها
هتفت ... فصدّت ندائى سماها !
فأومأت لله ... على أراها
كأنى « بسيناء » صوت تناهى
إلى شفة الغيب يدعو الإلها ...

(النخيلة) محمود حسن اسماعيل

من الأدب الفرعوني

نشيد السيفين (١)

[من رواية « مصر الخالدة » التي ألفها ويخرجها الأستاذ « فتوح نشاطي » . وهي مسرحية فرعونية ، تفتتح بها الفرقة القومية موسمها التمثيلي المقبل ...]

للأديب عبد الرحمن الخميسى

هيهات تغفل ذكرنا الأيام ... ولمصرنا البتار والبسام
سيفان ترجف إن رأت حديهما (م) ... الأرضون والجوزاء والأيام
الهول من حوليهما عبد، فكم ... أمراً فبادت في الوغى أقوام
والموت يكمن فيهما، فكأنما ... هو أنفس وهما له أجسام
سل في المعارك كم أراقا من دم ... قد صفقت لهما به الأعلام
فكلاهما بطل يبارك بأسه ... منث (٢) وتفزع من أذاه الهام
نبت على الأحداث يصرع بطشها ... فإذا بها فوق الرغام رغام
قد شرد الأعداء في البلوى كما ... لو شردت في المهمه الأنعام
أيام يوغل في الدماء حديده ... ظمآن لا يروى صداه حمام
ويجدل الأحباش والخيتاس في ... سوح الوغى فتكبر الأهرام
ولقد غزا البسام فينيقيا فما ... خشعت لغير شباته الأفهام
ومشى به رمسيس يفتتح الدنى ... مثل القضاء فتوحه أحكام
والمجد للبتار من سيف قضى ... ألا يرى أرض العدو سلام
يستله (منتوحتب) من غمده ... فتهاب حتى فتكه الأصنام
لكنه والحرب ترعى باسمه ... في قادش وجيوشهم أغنام
والصف بعد الصف منهار كما ... تنهار تحت التلعة الأكوام

(١) هذه القصيدة من أصل فرعوني
(٢) منت : هو إله الحرب عند الفراعنة



كليلة ودمنة

قرأت ما كتبه فى الرسالة (العدد ٤٢٥) الأستاذ عبد السلام محمد هارون فشكرت للكاتب الفاضل حسن رأيه ، وجميل ثنائه وأعجبت بتدقيقه وتحقيقه ، وتلقيت بالقبول والسرور نقده الذى يبين عن صدق النية ، وخلوص القصد فى طلب الحق . وكلنا طلاب علم نسأل الله الهداية والتسديد !

وقد أخذ الأستاذ على الكتاب مآخذ وهذا بيان رأيى فيها :

قال بعد أن ذكر كثرة التحريف فى النسخة المخطوطة ، والجهد الذى بذل فى تصحيحها :

« ونحن فى هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخ للنشر العلمى من إثبات الأصل والتنبيه عليه فقد يكون للقارئ وجه فى التصحيح غير الذى ارتضى . . . وكتاب مثل كتابنا لبس من جلال التاريخ ما لبس جدير بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه ووجوب مقارنة نسخه بعضها ببعض »

والجواب أن مذهبي فى النشر ألا أخالف النسخة التى اتخذتها أصلاً إلا حين يتضح غلطها ، وإن كان هذا الغلط فى مواضع قليلة أثبته فى مواضع . أثبته فى الحاشية ليعرف القارئ ما وقع فى أصل الكتاب ؛ ولكن نسخة كليلة ودمنة التى أنشرها مملوءة بأغلاط واضحة كثيرة لا ينال الناشر والقارئ من إثباتها إلا العنت

وأما مقارنة النسخ المختلفة فقد بينت فى المقدمة أن النسخ المطبوعة ، إلا نسخة شيخو ؛ ملفقة مغيرة تصرف فيها الناشرون كما شاءوا على غير خطة معروفة . ثم بين هذه النسخ كلها بعضها وبعض ، وبينها وبين نسختنا ونسخة شيخو ، ثم بين هاتين النسختين من الاختلاف ما لا يمكن إثباته فى الحواشى بل يختلف السياق أحياناً حتى يحسب القارئ أن أمامه كتباً مختلفة

ثم يرى الأستاذ أن « لغة ابن المقفع فى كليلة ودمنة لغة عالية تعلو على المتأدب والأديب أيضاً فهى محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان ... الخ »

وليس هذا رأياً فى هذه الطبعة التى أريد بها أن تكون فى الأغلب هدية للعلماء والأدباء لا أن تكون كتاباً مدرسياً يؤدب به الناشئون . نعم ربما يستعان بهذا الكتاب على درس أساليب ابن المقفع وأساليب النثر فى عصره ، ولكن هذا بحث آخر لا يتعلق بمقصدنا من نشر الكتاب

ثم أخذ الأستاذ ألفاظاً رأى أنها خالفت الصواب . وقد بينت رأيى فيها على الترتيب الذى ساقه فى مقاله :

١ — ص ٣٦ س ٦ : كالمظم المتمرّق ، والصواب المتمرّق بفتح الراء كما قال الأستاذ ، وهى زلة مطبعية فاتت عناية المصحح واجتهاده

٢ — ٨١ : ٥ و٦ : « ولكن النفس الواحدة يفتـدِى بها أهل البيت ، وأهل البيت تفتـدِى بهم القبيلة ... الخ » . قال الأستاذ : الوجه يُفتدَى .

وعلل هذا بقوله : فأهل البيت لا يفعلون الافتداء ، وإنما يفعل بهم ذلك غيرهم ... الخ

ولست أرى هذا الرأى ، فأهل البيت يفتدون أنفسهم ؛ وفى القرآن الكريم : « ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به » . ومثلها آيات أخرى ، فلا وجه للعدول عن المعلوم إلى المجهول . ويؤكد هذا أن اللزوم فى افتدى هو الأصل ؛ وقد عرضت لها التعدية ، ولم ترد فى القرآن إلا لازمة . فالعدول إلى البناء للمجهول عدول عن الأصل لغير سبب

٣ — ٨٧ : ٦ : يقول دمنة للثور : « إن أنت رأيت الأسد حين تدخل إليه ينتصب مقعياً ويرفع صدره ... الخ . فاعلم أنه يريد قتلك ، فاحذره ولا تغتر إليه » . يقول الأستاذ : لا يقال اغتر إليه ، بل اغترّ به ، ويرى أن الصواب لا تقترب إليه

خَانَتْهُ مِنْ مِنْتُوحُتِبْ يَدُهُ التى ... خَارَتْ فَطَارَتْ إثْرَهُ الأَحْلَامُ

وَاسْتَأْثَرَ الخِيتَاسُ بِالسَّيْفِ الذى ... كانتْ تُقَـدِّسُ مَجْدَهُ الأَعْوَامُ

لَكِنَّنَا وَالْحُزْنُ يَفْرِى رُوحَنَا ... مِنْ أَجْلِهِ وَتَهُدُّنَا الآلامُ

مُتَمَرِّدُونَ عَلَى الزَّمَانِ جَبَابِرٌ ... تَرْتَاعُ مِنْ أَهْوَالِنَا الأَيَّامُ

عبد الرحمن الخميسى
(القاهرة)

وقد بينتُ فى المقدمة أن كثيراً مما وقع فى الكتاب من تحريف سببه تغيير العبارات غير الشائعة إلى العبارات الشائعة . وأرى أن كل فعل يعدّى بإلى إذا أريد الانتهاء إلى ما بعده ، أو الركون إليه . فلذلك يقال : استمع إليه ، وجلس إليه ، وسكن إليه . وفى القرآن : « إلى ربك يومئذ المستقر » ... فما رأى الأستاذ فى أن يقال استقرّ إليه ؟ ... فالتعدية : بإلى وعلى ونحوهما جائزة إن كان فى الفعل ما يدل على الانتهاء أو العلو صراحة أوضمنا . وإنما الكلام فى تعدية الفعل إلى المفعول به ، أيتعدى فيها الفعل بنفسه أو بالياء ... الخ . ومعنى اغتر إليه هنا سكن إليه أو ركن أو نحو ذلك مما يتضمنه معنى الانتهاء أو الركون

٤ — ٩١ : ١٢ (وندفن بقيتها مكاناً حريزاً) . قال الأستاذ وهذه عبارة غير صحيحة والصواب فى مكان حريز . ونقل عن همع الهوامع وشرح الكافية كلاماً فى اسم المكان ، وانتهى إلى قوله : « وليس الدفن من الاستقرار فى شىء فلا ينصب لفظ المكان على الظرفية المكانية » وهذه الجملة تبطل الاحتجاج الطويل الذى نقل له ما نقل عن كتب النحو . فى الدفن إقرار واستقرار ولاريب ، وأنا أعرف أن فى النسخ الأُخرى : «وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز ، أو ندفن بقيتها فى مكان حريز » ولكنى لا أغير نص الكتاب ولو كان غيره أرجح منه حتى يكون غلطاً واضحاً لا شبهة فيه ، فكيف وليس فيه غلط ولا شبهة الغلط ؟

٥ — ٩٥ : ١٣ « وبلاء يضيّع عند من لا شكر له » قال الأُستاذ وبين اللغويين خلاف فى أن يكون البلاء بمعنى الإنعام ونقل فى هذا كلاماً عن نهاية ابن الأثير ولسان العرب

وليس لازماً أن يكون البلاء هنا بمعنى الإنعام ، بل الأرجح أن يكون بمعنى الاختبار ، والبلاء اختبار بالخير والشر . فكل معروف تصطنعه عند إنسان هو بلاء عنده .

٦ — ٢٢١ — ٥ (ولكن إيش الفائدة) قال الأستاذ : (وهذا ضبط عامى والصواب أيش) . وقد بينت فى المقدمة رأيى فى هذا الباب ولغته وقلت : « بل أرى فيه من الركاكة ومقاربة العامية الخ المقدمة ص ٥٠ » ولم أتبعه إلا اتباعاً لنسخة الأصل واستيفاء للبحث .

وبعد . فالأستاذ مشكور على نقده ، ولعل فيما أجبت به ما يزيل شبهته .

عبد الوهاب عزام

فى مدن الحضارات

أشكر للأستاذ الفاضل كوركيس عواد العراقى ما أبداه من الغبطة بما أكتب فى الرسالة الغراء (عن مدن الحضارات) ، وأنا سعيد لأنه يتابع ما أنشره متابعة الباحث المتمكن ، والقارئ المتفطن ، ولا عجب إذا الفتته مدينة السلام أو دار السلام بما كتبته عنها فقد عرفت مما ينشره فى الرسالة أن بغداد دار إقامته

وللأستاذ الشكر على ما كتبه خاصاً ببركة المتوكل مصححاً به ما توهمت من أنها كانت فى بغداد . ولعل الأستاذ وهو جد قريب من سامراء يحدثنا حديث المؤرخ الثبت عن «المختار» و«البديع» أجمل قصورها وعن ساجهما الذى حمل إلى « الجعفرى » وعن « المتوكلية » التى بناها قرب سامراء وبنى فيها قصر « اللؤلؤة »

أما نسبة « جبيل نخلة الدور » إلى العراق فهى شائعة عندنا فى مصر ولعلها نسبة جاءت إليه من سبيل كتابته على حاضرة العراق

والحق أننى لم أقرأ ترجمة لهذا الباحث العظيم ، وكل ما قرأت له أوعنه كتابه « حضارة الإسلام » وتقريظ كتبه المرحوم الدكتور يعقوب صروف فى مقتطف شهر مايو سنة ١٨٨٨م . المجلد الثانى عشر صفحة ٥١٥ وفيه عن جبيل نخلة الدور أنه (قد ربى منذ نعومة الأظفار على سلامة الذوق ، ورضع آداب العرب والعجم مع اللبن ، وأوتى قريحة وقادة لا تخبو نارها بسلاسة عبارة ، وبصيرة نقادة لا يخفى شرارها بطلاوة نوادره وحسن فكاهته ، وجداً يستسهل المتاعب ، وثباتاً يغلب المصاعب)

ولا نجد فى الطبعات المختلفة التى طبعتها وزارة المعارف المصرية من هذا الكتاب القيم ترجمة مختصرة أو مطولة لكاتبه

ونحن منتظرون تعريفاً بمؤرخ بغداد اللبنانى من الباحث العراقى الأستاذ كوركيس عواد وله الفضل والشكر

أما ورود كلمة « الحرامات » فى مقالى مكان « الحراقات » فذلك خطأ لم أكن — شهد الله — من جناته ، فكيف أصلى بحرّه ؟ والطابعون دائماً يريدون مالا يريد الكاتبون ؛ وكثيراً ما يحرفون الكلم عن مواضعه ، وإذا كان صاحب المقال معذوراً فى خطأ أُقحم عليه فما عذر القارئ اللبيب ؟

محمد عبد الغنى حسن

(المنصورة)

إلى وزارة المعارف

أعلنت وزارة المعارف عن مسابقة القصة في غضون شهر مايو من هذا العام وحددت يوم ١٥ أكتوبر آخر موعد لقبول قصص المتبارين — ولعل وزارة المعارف راعت في هذه المواعيد ظروف معلميها وطلبتها دون أن تلتفت إلى عوامل أخرى أكثر أهمية .

ونلاحظ (١) أن المدة كلها واقعة في الصيف ، والصيف فصل الركود والراحة والاستجمام ، والنشاط فيه محدود ، خصوصاً النشاط الذهني ، والقصة — بحكم طولها — عمل فني دقيق لا يخلو من مزالق ، ووحدة الموضوع والحبكة الفنية عاملان جوهريان في كل قصة . لذلك نرى أن الصيف غير ملائم للانتاج القصصي

(٢) المدة قصيرة جداً لا تكفي لإنتاج عمل فني بارز — وكثير من مشاهير الكتاب العالميين ينتجون قصة كل عامين فكيف تتسع خمسة أو ستة أشهر لكتابة قصة ؟ !

(٣) العالم يعيش الآن على كف عفريت . والظروف التي نعيش في حلقتها تشغل البال وترهق الأعصاب وتستهلك كثيراً من النشاط الذهني ؛ فالانتاج الأدبي يستلزم وقتاً أطول مما كان يستلزمه وقت الدعة والسلام . والذي نعرفه أن هذه العوامل صرفت الكثيرين من الأدباء عن التفكير في مباراة وزارة المعارف . لهذا نعتقد أننا نعبر عن رغبات الكثيرين حين نتقدم إلى معالي هيكل باشا راجين أن يتفضل ويمد أجل المباراة حتى نهاية يناير على الأقل ليتاح للأدباء إنتاج قصص ناجحة تحقق أمل الوزارة .

م . ع . مرس

إلى الأستاذ محمود الخفيف

حرمت قراءك ومحبي الرسالة من مقالاتك القيمة ، وأسلوبك الممتع . فما الذي حجبك عنا ؟ أنفدت الشخصيات التي تكتب عنها ، أم نسيت منظارك في القاهرة وأخلدت إلى الريف الحبيب إلى نفسك ؟

أرجو أن تعود سيرتك الأولى ؛ وإني أنتهز هذه الفرصة فأستوضحك عن الشخصيات التي تكتب عنها هل هي موجودة حقاً ، أم هي عيوب المجتمع ألبستها هذا اللباس فكانت كما رأينا ؟

(أسيوط) زكي عبد الله

الجواب

أشكر لك يا أخي تحيتك ومودتك . أما جوابي عما جاء في كتابك من تلك الشخصيات فهو أن عملي فيها هو عمل القصصي الذي يخلق أشخاص قصته ؛ فهي إذاً أشخاص من خلق الخيال ؛ وأحسب أن ذلك هو سبب ما قد يكون لها من قيمة . وما كتبت عن شخص بذاته ، وإلا لما استطعت أن أكتب على هذا النحو الذي أرى قوامه الابتكار والخيال .

الخفيف

١ — الألقاب لا ترتجل

اطلعت على ما دار بين الأستاذين محمد عبد الغني حسن وجمال الدين الشيال حول تلقيب الأمير نجم الدين بن أيوب — بالملك الصالح — فرأيت أن أنقل كلمة فيمن لقب — بالصالح — من كتاب (نزهة الألباب في الألقاب للحافظ ابن حجر العسقلاني — من مخطوطات دار الكتب المصرية) :

الصالح : أول من لقب به من الملوك : طلائع بن رُزِّيك وزير الفاطميين . ثم الصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد . ثم الصالح أيوب بن الكامل بن العادل بن أيوب . ثم لقب به جماعة من الملوك .

٢ — لفتة

جاء في مقال الأستاذ عبد السلام هارون في نقد (كليلة ودمنة) بيت المتنخل الهزلي هكذا :

ويله رجلاً تأتي به غبناً إذا تجرد لا خال ولا بخل

والصواب : تأبى به غبناً ، على ما في (شرح أدب الكاتب للجواليقي) ص ٢٦٠ حيث قال في شرح البيت : يقول تأبى به أن تظلم إذا كان معك ... وسبب غلط الأستاذ هارون هو اعتماده على (الاقتضاب للبطليوسي) و (أدب الكاتب) حيث ورد فيهما البيت كذلك مصحفاً .

٣ — العود أحمد

قررت وزارة المعارف في تركيا إعادة طبع (كشف الظنون) عن نسخة المؤلف مع مِنْهُوات[1] له لم تكن في الطبعات السابقة ، وإكمال خرم كان فيها ، والإشارة والتنبيه على أغلاط الطبعة الأوربية ، وضم ذيول نادرة إليه للعلماء الأجلة : رئيس الأطباء الشيخ بهجت ، والشيخ محمد أسعد صاحب المكتبة العامة المشهورة في الآستانة ، والشيخ عارف حكمت شيخ الإسلام صاحب المكتبة العظيمة في المدينة المنورة ، واسماعيل باشا البغدادي المعروف ، والعلامة اسماعيل صائب مدير مكتبة بايزيد العامة ، رحمهم الله . وقد صدر الجزء الأول منه مطبوعاً بحروف عربية

(١) هي حواش يكتبها المؤلف ويقول في آخرها : (منه)، أي من المؤلف



الليلة الثانية بعد الألف

سهرة المليونير

قصة عصرية على طراز ألف ليلة وليلة

للأستاذ محمد على غريب

فلما كانت الليلة الثانية بعد الألف قالت شهر زاد : سأقص عليك أيها الملك السعيد قصة سهرة المليونير ، قال الملك شهريار :

— ومن هو المليونير يا شهر زاد ! أهو ملك قبيلة فى الجان ، أم تاجر لؤلؤ فى جزائر واق الواق ؟ !

وتبسمت شهر زاد فكشفت عن أسنان كأنها الدر المنظوم ، ثم قالت : لا هذا ولا ذاك أيها الملك السعيد ، فالمليونير هو صاحب مليون من الدنانير فأكثر

— مليون من الدنانير ! ما هذه الأحاجى أيتها الجارية ! وكم هو عدد المليون ؟

— يعنى ألف ألف دينار يا مولاى . كل من ملك ألف ألف عد مليونيراً . ولنبدأ القصة من أولها . فقد زعموا أنه كان فى مصر شاب اسمه الشاطر « ممدوح » توفى والداه فى حادث قطار بخارى و . . .

— قطار بخارى ؟ ما هذا الكلام المبهم !

— القطار البخارى يا مولاى مركبات تقودها آلة ، وهذه الآلة تتحرك بقوة البخار وتأكل الفحم ، ويسمع لها دوى هائل وهى تسير ؛ فإذا تعرض لها أحد سحقته سحقاً . وقد وقع لأبوى الشاطر « ممدوح » ذلك فأكلهما القطار البخارى كأنهما قطعتان من الفحم

— وهل القطار البخارى يا شهر زاد منسوب إلى بخارَى ، وهل تجره خيول أم بغال ؟

— كلا يا مولاى إنه منسوب إلى البخار : بخار الماء حين يغلى ، ولا تجره خيول ولا بغال ، ولكنه يسير على قضب من حديد . ولنعد إلى الشاطر « ممدوح » فقد أصبح وحيداً فى هذه الدنيا حتى عثرت به سائحة أمريكية

ممتازة فى نحو خمسمائة صفحة فى كل صفحة عمودان ، وأسماء الكتب فى أوائل السطور ويحققه جماعة من الاختصاصيين .

أحمد صفوان

القاموس السياسى

فى الوقت الذى زخرت فيه الصحف بالمباحث السياسية ، واتصلت فيه الحوادث اتصالاً سريعاً بما قبلها من نقط التاريخ الفاصلة ، ومعاهدات الأمم ومواثيقها ، وأسماء الكبار من الساسة ، وحركات المذاهب المتوازية والمتعارضة ، أصدر باحث مصرى مدقق « قاموساً سياسياً » يكون فى هذا الظرف ، وفى كل الظروف بالطبع ، رائد المهتمين بهذه الشئون والمباحث ، ومعيناً لهم على اختصار الوقت ، وضبط المعلومات ، وإدراك الغاية مما يتلمسون البحث عنه فى غيابة المراجع العربية أو فى تيه المصادر الأجنبية

فالقاموس السياسى قد أخذ محله كما أراد له الأستاذ أحمد عطية الله فى صدر المكتبة العربية ، أو فى « جيب » صدارها كما يقول أصدقاؤه ، وأصبح بداية طيبة فى تاريخ هذه المكتبة لنظم الكثير الصالح من أمثال هذا المعجم فى كثير من الأغراض والأبواب

ولسنا نغمط الأستاذ عطية الله حقه إذا قلنا إن هذا القاموس الذى أصدره وإن يكن قد صار اليوم مرجعاً سريعاً للباحث أو القارئ ، إذا ما اعترض أحدهما شأن من الشئون العامة ، فإن افتقاره إلى زيادة العناية بالشئون العربية ، وإلقاء الضوء على الكثير من تلك الروابط القوية التى تجمعها وتحركها يجمل من حق الذين قدروا جهده فى هذا السبيل أن يلفتوا نظره إلى تلافى هذا النقص عند إعادة الطبع إن شاء الله

ويبدو أن شبهة عدم الانسجام فى (الشئون العربية) فى القاموس ظاهرة أيضاً فى بعض ما تناوله من المسائل الدولية والأوربية . على أنه ليس من شك مطلقاً فى أن مثل هذه الشوائب فى كتاب يصدر فى مثل هذا الظرف ، لتغنى به المكتبة العربية فى مثل هذا الباب — كانت متوقعة لأى كاتب ، وذلك لحداثة التأليف فى هذا الوضوع وقلة المراجع ، وصعوبة الحصول عليها . فهذا العمل الذى قام به الأستاذ عطية الله سيظل مشكوراً على كل حال

(أ . ص)

— تقولين أمريكية ! من أى بلاد هى يا شهر زاد ؟

— أمريكا يا مولاى بلاد بعيدة يسكنها الكفار ، وظلت مجهولة حتى عثر عليها رجل اسمه (خريستوف كولمبس) ، وهو كافر أيضاً . وقيل إن العرب كشفوا عنها قبله بدليل وجود مسلمين توطنوا هذه البلاد فى جزر (الفلبين)

وقد ربته هذه السائحة أحسن تربية ، ثم سافرت فأخذته معها إلى أمريكا ، وهناك أيفع واستوى ، فلما ماتت الأمريكية أوصت له بجميع أموالها إذا لم يكن لها أهل يرثونها

— وتوفر الشاطر ممدوح على تنمية ثروته ، فساهم فى صناعة (الأتومبيلات) ، وكان هو الذى أعان مخترع (الفنوغراف) على إتمام اختراعه ، وأنشأ محطة للراديو و ...

— حسبك أيتها الجارية ! ما هذه الرطانة التى تذهب العقل ؟

— الأوتومبيل يا مولاى سيارة تجرى بقوة النفط المكرر

— وحدها ! ؟

— وحدها ... كالقطار البخارى تماماً ، ولكنها لا تسير على قضبان من حديد . والفنوغراف صندوق يوضع فيه قرص من الشمع الأسود المنقوش ، وهناك إبرة ممغنطة تدور حول القرص فتسمع الصوت الذى سجل ، فإما غناء وإما موسيقى وإما حديثاً يروى . والراديو آلة تلتقط الأصوات من مكان بعيد ، فلو كان هنا راديو لأمكنك أن تسمع الهمس الذى يدور فى القصر المسحور ، وراء السبعة بحور

— إن كان هذا من صنع الجن فلا غرابة

— كلا يا مولاى ! لم تعد للجن هـذه القدرة على الخلق والإبداع ، وملك الجان نفسه أصبح عاجزاً عن أن يكون شيئاً إلى جانب أى عالم من أولئك العلماء المخترعين

— تقولين العلماء ! أهؤلاء المخترعون رجال فقه ولغة ودين ؟

— حاشاك الخطأ يا مولاى . فالعلم فى هذا العصر الذى أحدثك عنه لم يعد وقفاً على ذوى اللحى والعمائم ، ولكنه أصبح عنواناً على غيرهم ... حتى أولئك الكفار ! ولنعد إلى الشاطر ممدوح فبعد أن اغتنى وأضحى ذا ثروة طائلة ، تذكر وهو فى بلاد الغربة أن له أختاً تكفل بها أحد أقاربه ولم يكن يعرف عنها شيئاً ؛ فلما طغت عليه موجة الذكريات أنشأ يترنم بهذه الأبيات :

أذكرونا مثل ذكرانا لكم   رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صباً إذا غنى بكم   شرب الدمع وعاف القدحا

ثم فاضت دموعه حتى أصبحت كالأنهار ... وأخيراً قرر أن يسافر إلى مصر فأعد عدته وركب الباخرة

قال الملك :

— وما هى الباخرة يا شهر زاد ؟ أهى القطار البخارى ؟

— قالت شهر زاد :

— أجل يا مولاى ... قطار بخارى يسير فى الماء ويتسع لمئات من الراكبين دون قلوع ولا مجاذيف . وقد اختار الشاطر ممدوح جناحاً له فى الباخرة على أفخم ما يكون من الروعة والجمال ؛ فلما وصل إلى مصر ذهب إلى فندق « الكونتننتال »

— قوليها مرة أخرى ! يخيل إلى أنها رطانة يا شهر زاد !

— الكونتننتال يا مولاى ! اسم خان ولكنه فخم كأنه بيت وزير من الوزراء ، وينزل فيه الملوك والأمراء والعظماء ، وتملكه شركة من الأجانب يعرفون كيف يستغلون خيرات مصر دون أهلها الفقراء . وقد نزل الشاطر ممدوح فى هذا الفندق وتقاطر عليه مندوبو الصحف من كل مكان

قال الملك :

— مندوبو الصحف ! وما هى الصحف يا شهر زاد ؟؟

قالت شهر زاد :

— هى جرائد يا مولاى تطبع كل يوم حاملة الأنباء والمعلومات والطرائف ؛ أما كيف تطبع فقد اخترعوا آلة لطباعة الكتابات

— عجباً يا شهر زاد ! كأننى أستمع إلى أقصوصة عن الجان !

— حاشاك يا مولاى ! فالإنسانية فى هذه الأيام التى أحدثك عنها تقدمت ، والعقل البشرى نضج فأصبح مخترعاً ، ولكنه لم ينج من الجمع بين الخير والشر فى اختراعه

— وكيف كان ذلك

— لقد اخترعوا كل ما يضمن أسباب الراحة والهناءة للانسان ، ولكنهم اخترعوا كذلك المدمرات المهلكات ... فإن قنبلة فى حجم الكف قادرة على أن تدمر بناء من عشرين دوراً . وهناك غازات سامة ما يكاد الإنسان يستنشقها حتى يموت ، وقذائف من كل صنف تحملها الطائرات فى الجو والسابحات فى البحر

— وى ! كأنى أسمع عما يحدث فى يوم القيامة ...

— هذا هو الواقع يا مولاى . فالمدنية التى استحدثتها الفرنجة تحمل عناصر هدمها ... ولنعد إلى الشاطر ممدوح فإنه لم يكد يستقر به المقام حتى بث العيون والأرصاد تفتش له عن أخته التى تركها صغيرة

وبعد أيام عاد إليه عين من عيونه التى أطلقها يقول ...

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

***

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الألف قالت شهرزاد : بلغنى أيها الملك السعيد أن عيناً من عيون الشاطر ممدوح عاد إليه يقول : إنه عرف مكان أخته « نفيسة » ، ولكنه يعتذر عن التفوه بكلمة مما بلغه عنها

وعندئذ غضب الشاطر ممدوح واشتد غيظه ، فأمسك بالجاسوس من رقبته يريد أن يخنقه قائلاً :

— إن لم تقل لى — أيها الكلب — ما هنالك قذفت بك من النافذة ... !

وخاف الجاسوس على حياته عندما رأى روح الشرق المليونير فوعده بأن يقول . ثم راح يتحدث قائلاً : إنه لم يصبر على الصمت إلا رغبة منه فى عدم إزعاج الشاطر ممدوح ، فإن أخته بعد وفاة والديها ، تولى تربيتها أحد أقربائها ، وقد ظلت فى كفالته خمس سنوات ذاقت فيها الويل والعذاب من زوج قريبها التى كانت تضربها لأتفه الأسباب ... وأخيراً ، هربت من ذلك الجحيم ، سارت على وجهها حتى لقيها ذئب بشرى ... فاختطفها وراح يعلمها السرقة ، وهى صغيرة لا تكاد تميز ... ثم كبرت ونضجت أنوثتها ... فتزوجت أفاقاً راحا معاً يغامران فى الحياة ويتظاهران بالوجاهة والأناقة ...

وبعد أن سمع الشاطر ممدوح هذه المعلومات استغرق فى سبات عميق ... ثم انهمرت دموعه على خديه ، وأصبح كالمجنون لا يستقر على حال . وأخيراً فكر فى طريقة ، فدعا إلى مأدبة ساهرة ، وما حل موعدها حتى كانت الموائد قد نسقت ، وأقداح الشراب قد أعدت ... شراب : الكونياك والويسكى والشمبانيا والبيرة وما هنالك من أصناف ...

قال الملك :

— ما هذه الأسماء يا شهر زاد ؟

— أسماء لأشربة يا مولاى اخترعها الفرنجة للخمر وكلها مسكر والعياذ بالله . ثم زين مكان الحفلة بالثريات الكهربائية ، والأوراق الملونة ، ووقف الخدم فى ثيابهم الزاهية ... وما حان الموعد حتى توافد المدعوون من كل جانب فى ثياب السهرة ... وكانت السيدات مزدانات بالحلى ، وقد كشفت كل واحدة عن مفاتنها ، فبدا جسدها العارى وصدرها المكتنز ...

قال الملك :

— أمام الناس !

— أجل يا مولاى أمام الناس ، فما من ضير فى هذا بعد أن شاع السفور وتواضع الناس على اختلاط الجنسين ، وحتى المصريات كن بهذه الأزياء . ثم دار الرقص فتخاصر الجنسان كل رجل مع سيدة يرقصان « الرومبا » و « الفوكس تروت »

قال الملك :

— عجب ! ... وهل يرقص الرجال !

فأجابت شهزاد :

— نعم ! ... إنهم يرقصون طوعاً للمدنية الحديثة التى ترى فى الرقص نوعاً من أنواع الرياضة

وعندئذ أشار الجاسوس للشاطر ممدوح على سيدة ومعها رجل يرقصان . وقال له :

— هذه أختك ... والذى معها هو زوجها وهو أكبر محتال فى الوجود

واقترب ممدوح من أخته ، وفجأة أطفئت الأنوار ، وبعد قليل أضيئت ، وتفقد سيدات كثيرات حليهن فلم يجدنها ، وكان ممدوح قد رأى أخته وهى تخفى فى حقيبة يدها حلياً ، فحار فى أمره . لا بد أن تفتش ، ولابد أن تظهر أنها السارقة ، فهل ينقذها . ويعمل على خلاصها لأنها أخته ، أم يتركها تفتضح دون أن يكشف لها عن حقيقة نفسه !

تنازعته عواطف مختلفة وتآمرت عليه الانفعالات الشديدة هل ينقذها ؟ هل يتركها ؟ هذان هما السؤالان البارزان فى رأسه ؟ وأخيراً راح يعمل على تنفيذ أحد الاقتراحين اللذين عرضا فى ذهنه

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

محمد على غريب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 427

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 8 - 9 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٢٧

الفهـــــرس

صفحة
١١٠٩ السيف والكتب ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١١١٢ رسالة القلم البليغ ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١١١٦ ماكس إشترنر ... ... : الدكتور جواد على ... ...
١١٢٠ طافور الخالد ... ... : الأستاذ فخرى شهاب ...
١١٢٤ الفقر مسألة اجتماعية ... : الأستاذ رمسيس يونان ...
١١٢٧ مدن الحضارات فى القديم والحديث ... ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
١١٣٠ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... : المستشرق ادورد وليم لين . بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١١٣٣ خائن ... ... [قصيدة] : الدكتور إبراهيم ناجى . ...
١١٣٣ كنت أهواك « : الأديب محمد قطب ... ...
١١٣٣ ثورة ... ... « : الأديب عبد الرحمن الخميسى
١١٣٤ من جديد ... ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١١٣٤ فرية قتل الامام الشافعى — ١١٣٥ جبل نخلة للدور ... ... : الأستاذ أحمد صفوان ...
تصويبات سريعة ... ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...
١١٣٥ إلى الدكتور زكى مبارك : الأستاذ أديب عباسى ...

السـيف والكتب

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاء فى نبأ برق من نيويورك أن الجماعة البريطانية المؤلفة للترفيه عن الجنود أعلنت أن ستين ألف كتاب ومجلة تجتاز الآن طريقها إلى الجيش الإمبراطورى فى الشرق الأوسط؛ وهى أول ثمرة من ثمرات الدعوة التى بدئت فى الولايات المتحدة قبل ذلك بأسبوع واحد لجمع مائتين وخمسين ألفاً من الكتب والمجلات لرجال الجنرال «أوفنلك» بمصر وجاراتها

وهذا فى الولايات المتحدة

وهناك جماعات أخرى مبثوثة فى أنحاء العالم — وبعضها فى القاهرة والإسكندرية — تجمع الكتب بالألوف ومئات الألوف للترفيه عن المقاتلين أو المتحفزين للقتال

وهذه كتب ترسل إلى الجنود بغير ثمن، ولكن الجنود أنفسهم يشترون الكتب والمجلات حيث وجدوها بأثمان مضاعفة تربى على أثمانها المكتوبة عليها، ولا يكتفون بما يصل إليهم من طريق التبرع والمساعدة

ومن راقب المكتبات التى تبيع الكتب الأجنبية فى العواصم المصرية عرف أن حركة البيع فيها مقرونة بحركة الجنود فى نواحيها، فلا يكثر الجنود فى عاصمة إلا كثر فيها بيع الكتب والمطبوعات على اختلاف موضوعاتها

وليست هذه الكتب والمطبوعات جميعها قصصاً أو من قبيل القصص كما يتبادر إلى الخاطر لأول وهلة ؛ فإن الموضوعات القصصية تغلب عليها ، إلا أنها تقترن بموضوعات شتى لها نصيب من إقبال الجنود غير مبخوس ، ومن هذه الموضوعات الرحلات والملاحظات الحربية ، والكلام على مستقبل العالم الاجتماعى والسياسى بعد الحرب الحاضرة ، ومنها الدراسات الأدبية والفلسفية للقدماء والمحدثين من المؤلفين !

واتفق كثيراً أن المكتبات التى تعرف ما عندى من الكتب التى انقطع ورودها كانت تسألنى عما أستغنى عنه منها ، لأنها تطلب من تلك المكتبات ولا تستطيع جلبها من الخارج فى أيام معدودات ، وكنت أسأل أصحاب المكتبات أحياناً عمن يطلبونها فيدهشنى أن أسمع أنهم فى بعض الأحايين من طبقة الجنود الصغار وهم مع ذلك حريصون على استطلاع أحوال البلاد وتواريخها ، أو أحوال العالم وقضاياه ومشكلاته ، كأنهم سيدبرون أمر تلك القضايا والمشكلات ، أو سيصنفون فيها الكتب والمقالات .

ولا شىء من هذا وذاك يشغلهم فى الحقيقة وإنما هو العقل المتفتح لما حوله لا يستطيع أن يحتجب عنه أو يحجبه عن الوصول إليه ، ولو كان فى ميدان قتال !

نعم ولو كان فى ميدان قتال !

وينبغى أن نذكر هذا الاستدراك وأن نعيد ذكره ولا ننساه ، فإن الجندى فى ميدان القتال إما مشغول بحركة العمل الحربى ، أو بحركة الرياضة والمرانة والاستعداد ، أو هو إن فرغ من هذه وتلك منصرف إلى اللهو والتزود من متعة الحياة ؛ فليس فى وقته متسع للقراءة كائناً ما كان موضوعها من السهولة والتشويق ، وأحرى ألا يبلغ من اتساع وقته لها أن يحتاج الجيش كله إلى كتب ومجلات تعد بمئات الألوف

ولكن الحاصل هو هذا

الحاصل أن الجنود المقاتلين أو المتأهبين للقتال يقرأون ويدرسون ، ويشترون الكتب ولا يقنعون بمئات الألوف التى يتبرع لهم بها المتبرعون

وينبغى أن نعيد هنا توكيد ميدان القتال والقراءة على أهبة من دخول الميدان

فإن طوائف من الشبان المصريين — والشرقيين عامة — كنت إذا لمتهم فى الإعراض عن القراءة والمعرفة قالوا لك إن العصر عصر رياضة ولعب وركوب ومسابقات ، وليس بعصر قعود ودراسة وقبوع فى المكتبات ! فهم يعتذرون من خمود الذهن بما ينتحلونه من نشاط الجسد ... وليس من النشاط أن يصاب الذهن الإنسانى بالخمود ولو صحبته ألوف من الأذرع والسيقان لا ينقطع لها حراك

فهذه الطوائف من الشبان خليقة أن تعلم أية رياضة هى رياضة الجندى على أهبة القتال . فهو فى رياضة لا انتهاء لها فى صباح ولا مساء ، بل فى رياضة تبلغ من العنف أن تستنفد جهود الأعضاء والأفهام

ومع هذا هم يطالعون ويستطلعون ، وتظفر منهم المطالعة والاستطلاع بحصة من الوقت لا تظفران بعشر معشارها من أوقات شباننا فى إبان البطالة والسلام

قال لى أديب يحب أن يتحذلق بالغريب من الآراء : أرى أن القراءة شاغل من شواغل الطبيعة ؟ أليست هذه الكتب وهذه الأوراق بدعة من بدع الصناعة التى لا أساس لها فى تكوين البنية ، ولا حرج إذن على الشاب « المطبوع » أن يصدف عنها بفطرته وينصرف إلى ما تصرفه إليه طبيعة التكوين ؟

وأديبنا هذا يحسب الكتب أوراقاً وحروفاً من صنع الحداد وابتداع المخترع الحديث ؟

ولهذا هى عنده متاع « مصنوع » وليست بالمتاع المطبوع الذى له فى البنية أساس كأساس الجوع والظمأ وسائر الشهوات

أما معانى الكتب وما تبعثه من شعور فلا تدخل له فى حساب . ومعانى الكتب مع هذا شىء حيوى عضوى يمتزج بالتكوين الإنسانى كما يمتزج به الغذاء واللهو والرياضة ، لأنها من وظائف الوعى الذى هو خلاصة الشعور والإدراك . وهل للحياة الإنسانية بغير « الوعى » وجود ؟ وهل لوجودها بغيره قيمة ؟ وهل تختلف قيمة الإنسان الذى ينحصر وعيه فى المطالب الحيوانية من قيمة الحيوان ؟

فالقراءة ليست هى الورق المصنوع من الخرق والعيدان ، وليست هى الحروف المسبوكة من المعدن ، وليست هى المطبعة التى تدار بالبخار والكهرباء ، وتدخل من أجل ذلك فى عداد البدع والمستحدثات

كلا ؛ بل القراءة هي اتساع الواعية بما يضاف إليها من التجارب والأحاسيس والمعارف والمعقولات ، وهي امتداد الحياة إلى آفاق لم يكن يبلغها الفرد في عمره القصير ، وهي بديل من السياحة ، ومن البحث عن المجهول ، ومن الإصغاء إلى النوادر والحكايات ، ومن تحصيل التجارب التي يتحدث بها المجربون ومن كل تشوف مطبوع في أساس التكوين ، لأنه امتداد لحواس النظر والسمع والإدراك على تمدد وسائله وأدواته .

وليس يصح قول القائلين إن الكتاب لذة مصنوعة لأنه يطبع بالبخار والكهرباء إلا إذا صح أن يقال إن الرغيف لذة مصنوعة لأن البخار والكهرباء مما يصنع عليه الخبز في العصر الحديث

فالوعي هو الحاسة الكبرى التي تطلب القراءة

والوعي هو الحياة في أصدق معانيها وفي أوسعها وأرفعها على السواء

وهنا مناط الامتياز والتفرقة بين أجناس بني آدم ، فأيهم كان أكثر وعياً فهو أكثر استطلاعاً بمختلف الأساليب ، والقراءة أعم هذه الأساليب

* * *

ويبدو لنا على نحو يشبه اليقين أن الفرق بين الآدميين في مسألة « الوعي » كالفرق بين سلالة وسلالة أو عنصر وعنصر من عناصر الأحياء . ونعني أنه فرق لا يفسره اختلاف البيئة واختلاف التعليم واختلاف المصادفات العارضة ، لأنه أعمق من ذلك وأعرق وأشد إيغالاً في الطبائع على مثال لا نراه إلا في اختلاف وظائف الأعضاء

ويجب أن يكون هذا الفرق قد تجمع في أجيال بعد أجيال ، وفي موروثات بعد موروثات ، حتى أصبح وشيكاً أن يفصل بين الآدمي والآدمي كما ينفصل الحيوان المتباينان . ومناط ذلك فيما نعتقد الأعصاب ثم الخلايا التي يتألف منها نسيج الأجسام ، لأن الأعصاب والخلايا هي أجزاء الجسم التي تتسع لتخزين الملكات والطبائع في العصور بعد العصور ، والسلالات وراء السلالات . فما أبعد الفارق بين إنسان تملأه المطالب التي تملأ الحيوان الأعجم حتى لا تبقى فيه بقية للمزيد، وبين إنسان يستوعب الأحاسيس والأفكار، ويستكنه المجهولات والأسرار، ولا يزال بعد ذلك كأنه في حاجة إلى أكوان وراء هذا الكون تملأ ما في نفسه من آفاق لا تمتلىء ولا تزال مشرئبة متشوفة إلى المزيد

هنا نفهم معنى الشوق إلى المعرفة ومنه الشوق إلى المطالعة ، فإنه على هذا التفسير وظيفة حيوية في أصل البنية وليس بالبدعة الحديثة التي ظهرت بظهور الورق والمداد أو بظهور المطبعة والكهرباء

وهنا نعرف لماذا تضيق حياة الفرد في بعض الأمم حتى يوسعها بالفرجة والاستطلاع والرياضة واستيعاب الأخبار ومشاهدة الآثار والأقطار ، ثم يكتفي الفرد في أمم أخرى بما يشغل الحيوان فلا يتعداه باختياره إلى أمد بعيد . وغاية ما نرجوه ألا يكون بين أمم الشرق وأمم الحضارة الحاضرة فارق كالذي نحسبه فيصلاً متغلغلاً في أصول التكوين . فكل ما عدا ذلك فهو قابل للاصلاح والعلاج

إذ الحقيقة أن القراءة لم تزل عندنا سخرة يساق إليها الأكثرون طلباً لوظيفة أو منفعة ، ولم تزل عند أمم الحضارة الحاضرة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود . وربما تغيرت موضوعات الكتب وأثمانها وأساليب تداولها عندهم في الفترة بعد الفترة وفي العهد بعد العهد وفاقاً لتغير الأحوال . أما أن تنقطع الكتب أو ينقطع الاطلاع فذلك عندهم أقرب شيء إلى المستحيل . ولو شئنا لأحصينا هنا عشرات الموضوعات التي أثارتها الحرب ونشطت لها أقلام الكتاب في زمن يخاله بعضنا صارفاً عن كل كتابة وكل قراءة ، ولكننا في غنى بالمشاهدة عن الإحصاء .

عباس محمود العقاد

رسالة القلم البليغ

للدكتور زكى مبارك

فى ظهر يوم الجمعة الأسبق دعانى أحد الصحفيين تليفونياً إلى الإجابة عن أسئلة متصلة بمهمة الكاتب فى المجتمع ، وقد أجبت بصراحة لا تحتمل التأويل ، ودعوت ذلك الصحفى إلى مراعاة الأمانة فيما ينقل عنى ، فقد طال بلائى بتحريف آرائى ، ثم راعنى أن أرى كلامى مثبتة بدون تغيير ولا تبديل ، كأن ذلك الصحفىّ كان يدوّن ما يسمع بالحرف . وإنما نصصت على هذه الأمانة فى النقل لأحكم على ما نُشر باسم الأستاذ عباس العقاد ؛ واسم الأستاذ أحمد أمين فى هذا الموضوع بالذات ، فليس من المعقول أن يحرص ذلك الصحفى على مراعاة الأمانة فيما ينقل عنى ثم يمضى فيتزيّد على هذين الباحثَين الكبيرين بلا موجب معقول

وعلى هذا يكون عندنا ثلاثة آراء صريحة فى تحديد « مهمة الكاتب فى المجتمع » ، فما هى تلك الآراء ؟

يرى الأستاذ عباس العقاد[1] أنه لا يمكن فصل المهمة الثقافية عن المهمة الاجتماعية ، لأن الثقافة تمهد لأن ينظر الناس للحياة نظرة عالية ، والنفوس التى تنظر للحياة نظرة عالية هى النفوس التى تستحق الحياة . ويرى أن يكون الأدب للأدب فلا يكتب الكاتب غير ما يوحى به الطبع ، وهو يُعنَى بالحقائق الخالدة . أما المشكلات التى تتعلق بالطبقات المختلفة ، فهى مشكلات وقتية يناط تدبيرها بالرجال الإداريين

ويرى زكى مبارك أن للكاتب غاية واحدة هى الصدق ، وليست القصة أو المقالة إلا من وسائل التعبير عن ذلك الصدق . ويرى أن الكاتب ليس أجيراً للوطن ولا للمجتمع ، وهو مطلق الحرية فى جميع الشؤون . ويرى أن التعبير عن آلام المجتمع وآماله لا يكون أدباً إلا إذا صدر عن الكاتب ، فإن اهتم بالمجتمع طاعة للمجتمع فليس بكاتب . ويرى أن الصرخة الأدبية لا تكون وحياً إلا إن صدرت عنه بحرارة وإيمان ، فهو يحارب حين يشاء ، ويسالم حين يريد ، ومن حقه أن يتحدث عن الشعر والحب ، لأن ذلك يصور إحساسه بالوجود ... ويختم زكى مبارك كلامه بأن الأدب أنواع : أدبٌ محلىٌ يصوّر البيئة ، وأدبٌ وقتىٌ يصور العصر ، وأدبٌ خالد لجميع الأزمان

أما الأستاذ أحمد أمين ، فيصرّح بأن الرأى الذى يقول بأن يكون الأدب للأدب هو رأىٌ سخيف ، وهو لهذا يشغل نفسه بالكلام عن الفقر والمرض والجهل

تلك هى الآراء الثلاثة ، كما نقلتها عن أصحابها مجلة العزيمة فى العدد ٧٩

فما محصول هذه الآراء ؟ وكيف اختلف أو ائتلف هؤلاء الكاتبون ؟

يرى الأستاذ عباس العقاد أن يكون الأدب للأدب ، ويرى الأستاذ أحمد أمين أن القول بأن يكون الأدب للأدب هو رأىٌ سخيف . (ومن الواضح أن الأستاذ أحمد أمين لا يوجه الكلام إلى الأستاذ عباس العقاد ، لأنه أجاب إجابة موضوعية بدون أن يخطر فى باله أنه يعارض هذا الكاتب أو ذاك)

ويرى زكى مبارك أن غاية الأدب هى الصدق ، ولو سار الكاتب وحده فى جانب ، وسار المجتمع كله فى جانب ، فهو يحاسَب أمام ضميره لا أمام المجتمع ، وهو أعزّ من أن يكون صدىً لأى صوت ، لأنه يرى أن صوته هو صوت الوطن ، وأن الوطن حين ينطق بصوتٍ غير صوته لا يكون إلا حاكياً لأقوال محرومة من روح اليقين

أما بعد ، فهذه مشكلة من أصعب المشكلات ، والأستاذ عباس العقاد أن يوضح رأيه كما يشاء ، والأستاذ أحمد أمين أن يُصِرّ على قوله كما يريد . أما أنا ، فأسارع إلى تحديد غايتى الأدبية بلا تسويف ، ليعرف قومٌ كيف أعادِى وأصادِق فى الحدود التى ترسمها « رسالة القلم البليغ »

وإنما يهمنى أن أسارع إلى تحديد غايتى الأدبية ، لأنى أحب أن يعرف قرائى وجه الرأى فيما أذهب إليه من الدعوة إلى حرية القلم بلا قيد ولا شرط ، إلا أن يدعو العقل إلى التلطف والترفق فلا نواجه الناس بما لم يألفوه فى بعض الميادين العقلية والروحية والذوقية والاجتماعية

---

(١) العبارات الآتية ملخصة من الأجوبة المنشورة فى مجلة « العزيمة » بالعدد ٧٩

وما يجوز لك – أيها الكاتب – أن تجادل قومك إلا حين تؤمن في سريرة نفسك بأنك رجلٌ له وجودٌ خاصٌ ، وبأن عندك معانيَ لا تجدها عند أحد من أهل زمانك ، وحينئذ تصارح مواطنيك بما يجيش في صدرك ، على أن تكون أنت أنت في كفرك وإيمانك ، وضلالك وهُداك ، فلا تقول ما يحب الناس أن يقال ، ولا تكتم ما يكره الناس أن يباح

وأعيذك أن تفهم أني أوصيك باللجاجة والعناد ، وأني أدعوك إلى مخالفة قومك في جميع ما يحبون وما يكرهون ... فما إلى هذا قصدت . ولا يسرني أن تكون أداة انزعاج وانشقاق ، وإنما أوصيك بالصدق في جميع الأحوال ، فإن اتفق رأيك مع رأي قومك فسرْ معهم باطمئنان ، لأن التوافق الإجماعي له دلالة معنوية لا يستهين بها العقلاء ، وهو يزيدك قوة إلى قوة ، ويُمدُّك بالعصبية الفكرية ، وهي عصبية لا توجد أسبابها إلا في أندر الأحايين ، وتَلاقِي الفكر الصادق مع قومه فرصةٌ من فرص التوفيق ... وبالله نستعيذ من الخذلان !

وإن رأيت أن الحق في جانبك أنت ، وأن قومك مخطئون ، فتذكر أنك لهذا المقام خُلِقت ، وأن الجبن هو الآفة التي لا يَسلم من شرها غير الموهوبين ، وأن الشجاعة هي أعظم مناقب الأحرار من الكُتّاب

وهنا دقيقة قد تخفى عليك وعلى مَن قلَّ حظهم من التجاريب ، وهي الوهم الذي يقول بوجوب النضال في جميع ضروب الخلاف . فاحترس من هذا الوهم كل الاحتراس ، واعلم بأنه لا يجوز لك أن تجاهر بمخالفة قومك إلا في الشؤون التي يكون فيها سكوتك إثماً تحاسب عليه أمام الذي جعل سواد المداد أشدَّ إشراقاً من بياض الصباح

إن قومك يختلفون في كل يوم — والاختلاف من أظهر الخصائص الإنسانية — فلا تناضلهم في كل خلاف ، والتزم الحياد في أكثر أوقاتك ، إلى أن تحين الفرصة التي توجب الجهر بكلمة الحق ، ولو تعرّضتَ لأفظع المكاره والخطوب

واعلم أنك سَتُبتلَى بأقوام يرون غير ما تراه في أكثر الشؤون ، وقد يدعونك إلى الترحيب بأن تكون أسير زمنك ، وأجير وطنك ، بحيث لا تنطق بغير ما يستسيغ زمانك وبلادك .

وهنا يكون الخوف عليك ، وقد تهوِي إلى أحط دركات الإسفاف ، فما ذل شاعر ولا كاتب ولا خطيب إلا بسبب الخضوع لما قد يريد أبناء الوطن وأبناء الزمان ، بلا تدبُّر ولا إدراك . وكيف تطيع أولئك في كل وقت وهم في بعض أحوالهم فقراء من الوجهة العقلية والروحية ، ولا يساير هواهم غير الضعفاء ؟

وما الغاية من وجودك إذا كنت صورة مكررة من وطنك وزمنك ؟

وبأي حق تحمل القلم إذا خضعت لما يُملي عليك العوام وأشباه الخواص ؟

وهل قلت الآراء المنخوبة حتى يضاف إليها رأي من صنفها المنخوب ؟

وما قيمتك وأنت تغني صوتاً ليس من تأليفك ولا تلحينك ؟

وما قوتك وقد صرت حاكياً لأقوال لم تصدر عن وحي ضميرك؟

وما انتفاع الأمة بك وأنت صوت يسكبه العهد القديم في أذن العهد الحديث ؟

يجب حتماً أن تكون لك ذاتية جديدة ، ذاتية متفردة يجهلها الزمن الماضي ، ويهابها الزمن الحاضر . يجب حتماً أن يستقل وجودك في كل يوم عن حاضرك وماضيك ، فتطلُع مع الشمس بنور جديد ، وتواجه الليل بتأملات لم يشاهد مثلها مع قوم سواك . يجب حتماً أن تنظر في آرائك كما تنظر في أثوابك ، فالآراء تَبلَى كما تَبلَى الأثواب ؛ والذي يعيش على رأي واحد قد يكون أجهل من الذي يعيش بثوب واحد . فاحذر من العيش وأنت بالي الآراء ، كما يحذر مَن يلقى الناس وهو بالي الثياب

وقد يعيِّرك الغافلون بالتنقل من رأي إلى رأي ، مع أنهم لا يعيِّرون مَن يلبس ثوباً بعد ثوب ، وإنما كان ذلك لأنهم يجهلون أن الآراء من صور الحيوية ، ولأنهم يتوهمون أن الثبات على الرأي الواحد من شواهد اليقين . ولو عقلوا لأدركوا أن العين التي تنظر بأسلوب واحد هي عينٌ بليدة لا تدرك الفروق بين دقائق المرئيات ، وكذلك يكون العقل البليد وهو الذي لا يدرك الفروق بين المعنويات والمعقولات ، ولها وجوه تمد بالألوف وألوف الألوف

فهل تعقل هذا الكلام ، وأنت تحاول الاضطلاع بحمل رسالة القلم البليغ ؟

وهنا أيضاً مجال للخوف عليك ، فقد يقع فى وهمك أن المفكر الحق هو الذى يسرع فى التنقل من رأى إلى رأى . هيهات ثم هيهات ! فالرجل لا يغيِّر رأيه إلا بقدر ما يتحول الجبل من وضع إلى وضع . وما كان ذلك إلا لأن الأصل فى الرأى أن يكون عقيدة فكرية أو روحية ، والعقائد لا تتغيَّر بالسهولة التى تتغير بها الثياب . وإذن يجب أن لا تتحول من رأى إلى رأى إلا وقد تحولتَ من حياة إلى حياة ؛ وهذا قد يقع من لحظة إلى لحظة ، وقد لا يقع إلا بعد أعوام طوال وفقاً لاستعدادك فى تلقى وحى الوجود

والمهم أن تكون أنت أنت فى تحولك وقرارك ، فلا تكون أداة للتعبير عن أوهام زمانك وبلادك ، ولا تكون ظلاً لعظيم من العظماء ، أو حزب من الأحزاب ، إلا إن بدا لك أن تصير من طلاب المغانم ، وهو مصير لا يعاب ، وإن كان يزحزحك عن فردوس البيان ، فما قال قوم بأن الأدب للأدب ، أو الفن للفن L'art pour l'art إلا وهم يرجون أن تكون لنا دولة لا يتطاول إليها أصحاب المناصب والألقاب

فمن أنت أيها الكاتب وماذا تريد ؟

لن يصح انتسابك إلينا إلا يوم تؤمن بأن للقلم رسالة يطيب فى سبيلها الاستشهاد . ونحن قد رحبنا بجميع الآلام فى سبيل القلم البليغ . ولو رأيت كيف تقدَّم تلاميذنا وتخلفنا فى الميادين الرسمية لعرفت أننا دفعنا ثمن الاعتزاز بدولة البيان

قد ينُوشك أقوام لا يعرفون كيف توحدت توحُّد الليث ؛ وقد يسخر منك أقوام يرون الزهد فى التودد إلى المقامات العالية ضرباً من الجنون ؛ وقد يوافيك أجلك وليس فى جيبك ما يشيعك به أهلك إلى مثواك الأخير ، فما رأيك فيمن يدعوك إلى الاعتصام بالوحدانية الأدبية لتلقى الله وأنت رجل لم يعرف الخضوع لصاحب العزة والجبروت إلا تأدباً مع ذاته العالية ؟

هل تعرف لأى سبب لا ينبغ من أرباب القلم غير آحاد ، ولو كانوا فى أمة تبلغ الثلاث من الملايين ؟

إنما كان ذلك لأن رسالة القلم تشبه الأمانة التى تهيبت حملها السموات والجبال

وهل تعرف لأىّ سبب فَتَرَ شوق المصريين والشرقيين إلى مسايرة الأقلام الغربية ، على نحو ما كانوا قبل أعوام قصار أو طوال ؟

إنما كان ذلك لأن المفكرين صاروا أصحاب منافع ومطامع ، فهم يتوددون إلى طبقات المجتمع ليحكموها باسم الغيرة المصطنعة على آمالها الضوائع . ومن هنا قلّ فى هذا العصر من يخاطر بمواجهة تلك الطبقات بالرأى الحق ، لأن ذلك يُقصيه عما يتسامى إليه من المناصب ، ويصوره بصورة من يعادى المجتمع ، المجتمع الذى أسرف فى تدليله من زيَّنت لهم الدنيا أن يتسلحوا بسلاح الرياء الاجتماعى ، وهم قومٌ لا تصح نسبتهم إلى المصلحين إلا مع التسامح البغيض

أين فى زمانك من خاطر بمركزه فى المجتمع ، كما خاطَر قاسم أمين ؟

وأين فى بلدك من رحّب بتهمة الكفر فى سبيل الإصلاح الدينى ، كما خاطر محمد عبده وعبد العزيز جاويش ؟

وأين جهود الكتاب المفكرين فى هذا الزمان ؟

لقد أصبح من الآفات المألوفة أن يتحكم الجمهور فى الكاتب كما يتحكم فى المغنّى . ومن العَجَب أن يتحرر المغنّى ولا يتحرر الكاتب . فالمغنى يضع أمام جمهوره لوحة كتب عليها « ممنوع طلب الأدوار » ؛ أما الكاتب فقد عجز عن القول بأنه صاحب الحق المطلق فيما يعالج من الشؤون

يجب أن يخرج الكاتب الأجير من الميدان ، الكاتب الذى رضى بأن يكون أجير الوطن أو أجير المجتمع ؛ فما يكون الرجل كاتباً إلا إذا شعر بأنه مؤيَّد بقوة روحانية تعصمه من أحلاف الزور والبهتان . وذلك هو الكاتب المنشود ؛ الكاتب الذى يرغم الدهر على الاعتراف بأنه طاف على أهل زمانه بكأس لم يذوقوها من قبل ، ولم يعرفوا فى أى كرمة نَبَغ رحيقها النفيس ! !

فمن هؤلاء الذين يحملون الأقلام وليسوا لها بأهل ، لأنهم عبيد تلاميذهم من القراء ، ولأنهم يتوهمون أن القلم وسيلة من وسائل النفع الرخيص ؟ مَن هؤلاء ؟ مَن هؤلاء ؟ !

لن تكون كاتباً إلا يوم يستطيع قلمُك أن يصنع بقارئك ما يصنع الدواء بالمريض ، والدواء قد يزلزل الجسد فيمثِّل له شبح الموت ، ثم تكون العافية ، وكذلك يصنع القلم الصادق ،

فهو يزلزل الفكر والعقل والروح ، ثم تكون العافية الفكرية والعقلية والروحية لمن يصلحون للبقاء ، ولا بقاء لغير من يستعمون صوت الصراحة والصدق والإخلاص

دنيا هذا العصر هي التي أضاعت الكاتب الصادق ؟ !

وقد دار رأسي منذ سنين حين سألت أحد كتّاب باريس عن الهوّة التي تفصل بين كتّاب فرنسا المحدَثين وكتّابها القدماء من الوجهة الروحية فأجاب وهو محزون :

L'honnêteté n'est plus à la mode !!

وما أشدّ جزعى لما صرنا إليه ! فالشرف لا يُعوزنا ، ولكن الشجاعة هي التي تعوزنا ، فنحن بالفطرة شرفاء ، وإنما نحتاج إلى قوة من الحزم والشراسة والإباء . وأقول بصراحة إن الأدب في مصر على شفا الهاوية ، لأن الأدباء يستوحون قراءهم ، وتلك علامة الغثاثة والهزال ، ومثلهم في ذلك مثل الطبيب الذي يستشير المريض في وصف الدواء !!

قد تُقبل هذه الحال من الكتّاب الذين يشتغلون بتسلية الجماهير ليأخذوا أموالهم كما يأخذها « الحاوى » في ساحات « الموالد » . فما عذر الكتاب الذين أعدتهم مواهبهم ليكونوا هداةً صادقين ؟

« الرأى القائل بأن يكون الأدب للأدب هو رأى سخيف »

كذلك قال الأستاذ أحمد أمين ، حفظه الله ! ومعنى كلامه أن يصبح الأدب في خدمة المجتمع ؛ وهو كلام معقول ، ولكنى كنت أنتظر أن تكون للأدب قوة السيطرة على المجتمع ، لا حُسن الطاعة في خدمة المجتمع ، فالمجتمع مريض ونحن الأطباء ، ولو كره الخوارج على سلطان القلم البليغ

يستطيع الأستاذ أحمد أمين أن يستوحى قراءة سبعين سنة أو ثمانين أو تسعين ، ثم يلقاني بعد ذلك ، إن عشت وعاش ، فلن يكون محصوله الفكرىّ والأدبىّ غير أوشاب جمعها من أوهام القراء

أيكون الأستاذ أحمد أمين فهم أن « الأدب للأدب » معناه أن يكون جهد الأديب مقصوراً على وصف الأزهار والرياحين ، والأقمار والشموس ؟

إن كان ذلك ما فَهم فأين صرخة العقل المقدود من ضمير الوجود ؟

وأين الأقباس الروحية التي نستعين بها على كشف المجاهيل من سرائر القلوب والعقول ؟

الكاتب يُعنَى بجميع الشؤون : فيتحدث عن الغنى والفقر والصحة والمرض والعلم والجهل ، على أن يكون انفعل بهذه المعانى ، بحيث تصير من الغايات التي تشغل روحه الموهوب ، وبحيث يكون الاهتمام بالمجتمع غرضاً من أغراضه الصحاح

أما القول بأن يكون قلم الكاتب أجيراً للمطالب الوطنية والاجتماعية فهو قولٌ مردود ، ونحن أول من يرفع راية العصيان ، فلن نخدم الوطن إلا طائعين ، ولن نعترف للوطن بأى حق إلا إذا اعترف بأننا أصدق أبنائه الأوفياء

وماذا بقى لمصر الفرعونية والإسلامية بعد المسطور من آثار القلم البليغ ؟

وبأى حق صار لمصر سلطانٌ أدبىٌّ في الشرق لهذا العهد ؟ تلك جهود أقلامنا وأقلام أسلافنا . فمن خضع لصوت الحق واعترف بأن ما بذلناه لخدمة مصر والشرق كان عملاً تُنصَب له الموازين فهو رجلٌ صادق الإيمان ، ومن جهل حقنا فهو صائرٌ لا محالة إلى القرار في هُوّة العقوق

الأدب للأدب ، كما يقول عباس العقاد

والفن للفن ، كما قال بعض أقطاب الفرنسيس

والأدب هو الصدق ، كما قال الرجل الذى تعرفون

فمتى تعترف الدولة الرسمية بالدولة الأدبية ؟

البقاء للحق . البقاء لبياض القرطاس وسواد المداد ، ولن يتخلى الله عمن يرى الصدق في الحب والبغض هو الغاية من شرف الوجود .

زكى مبارك

ماكس إشـــترنر

MAX. STIRNER

فيلسوف الأنانية

١٨٠٦ - ١٨٥٦م

للدكتور جواد على

ولم لا تكون للأنانية فلسفة وفلاسفة ، والأنانية من أهم الغرائز التى لعبت دوراً هاماً فى الحياة البشرية ؟ لعبت دورها فى حياة الأفراد كما لعبت دورها فى حياة الأمم . وليس بمجيب إن أصبحت « الأنانية » موضوعاً هاماً من موضوعات الفلسفة ، وهدفاً أو مثلاً أعلى لبعض المذاهب الفلسفية ، بل محور فلسفتها تدور حولها جميع أبحاثها كالذى يلاحظ عند « الأبيقوريين »(١) أو عند كثير من فلاسفة القرن الثامن عشر وبعض فلاسفة الإنكليز أمثال فرنسيس هيتجسون (Francis Hutscheson ١٦٩٤ — ١٧٤٦)(٢) ، ويرميا بنتام (Jeremy Bentham ١٧٤٨ — ١٨٣٢)(٣) ، وجون ستيوارت ميل John Stuart Mill ١٨٠٦ — ١٨٧٣)(٤) وغيرهم

غير أن كاسبر شميد ، أو ماكس اشترنر كما كان يلقبه إخوانه التلاميذ فى المدرسة لعلو جبهته واتساعها ، كان قد جاوز حدود هيام هؤلاء بالأنانية وتفانيهم فيها وضرب رقمهم القياسى بأضعاف . أعلن للناس أنه صب بالأنانية مغرم ، وأنه جاء إليهم برسالة

(١) أتباع الفيلسوف اليونانى إبيقور Epikur (٣٤١ ـ ٢٧٠ق.م) أحسن من كتب عن مذهبه وأتباعه Russwurm والفيلسوف Kreisbig و H. Schmidt

(٢) فيلسوف إنكليزي راجع عنه Wilhelm Dibelius فى كتابه England ج ١ ص ١٦٦

(٣) نفس المصدر وكذلك Oskar Kraus فى كتابه المطبوع عام ١٩٢٦ و H. Schmidt ص ٧٠

(٤) نفس المصادر مضافا إلى ذلك Sänger لسنة ١٩٢١ و Langel فى تاريخ الفلسفة المادية جزئين لسنة ١٩٢٦

جديدة وديانة جديدة : هى ديانة الأنانية ومحبة الذات ... ديانة قويمة فوق كل الديانات . إنها السعادة الأبدية للجماعات والأفراد ؛ وإنها مفتاح اللذة ؛ وإنها الطريقة المثلى للوصول إلى الكمال الإنسانى وما يتمناه كل فرد من هذه الحياة . هى طلسم السعادة والكبريت الأحمر الذى أفنى الحكماء أنفسهم عبثاً للوصول إليه ، وكيمياء الحياة

مفتاح هذا العالم فى نظرية ماكس إشترنر كلمة « أنا » ؛ ولكن كلمة « أنا » هذه لا تدل على معنى مجرد ، بل على شخصية معينة ؛ بواسطة هذه الشخصية عرف الكون والوجود . كل ما فى الكون هو « أنا » وماعداى وهم وخيال . أنا خلقت الأسماء ، وأنا خلقت المصطلحات ، وأنا الذى وضعت تلك التعابير التى لا وجود لها فى الحقيقة . وأنا الذى سجنت نفسي بيدى . خلقت تلك المعايير الأخلاقية والمقاييس الأدبية فقلت : شرف ووطنية وإنسانية وديانة وأخلاق وفضيلة إلى آخر ما هنالك من كلمات جوفاء(١)

قيدت البشرية نفسها منذ خلق العالم بقيود فرضتها عليها جماعة من الأنانيين الأقوياء الذين مثلوا دور « أنا » خير تمثيل ... استغلوا عقول السذج البلهاء ، والسواد الأعظم من البلهاء ، فحللوا وحرموا ووضعوا القيود الأدبية والحواجز الأخلاقية والاجتماعية . أطاعتها المجتمعات الإنسانية حتى اليوم ، وأدخلت نفسها طوعاً واختياراً أو خوفاً ورهبة فى عداد العبيد وطبقات الأرقاء . صارت تقاد كما يقاد قطيع الغنم أو البقر إلى المجازر باسم الوطن والشرف والدفاع عن العرض أو المعهدة والمال ، إلى غير ذلك من الكلمات التى « فبرقتها » معامل أولئك الأنانيين ، وأنتجتها أفواه أولئك الحكام الجبابرة العتاة . وما التاريخ البشرى سوى عبودية دائمة من هذا النوع(٢)

(١) يذهب الفيلسوف فى الأسماء والكلمات مذهب « الاسميين » الذين يقولون بأن الأسماء لا وجود لها فى الخارج Nomina Lismus أمثال : يوحنا دوسيلينوس (١٠٥٠ — ١١٢٠ م) وأنسلم الكانتربرى (من ١٠٣٣ — ١١٠٩ م) راجع قاموس الفلسفة لشميد ص ٤٥٠٠ . وقصة الفلسفة الحديثة ج ١ ص ١٣ ، ١٤ . وكتاب الفيلسوف دريوس ص ٢٣ ج ٧

(٢) انظر Diehl Die Somialismus Jena Sl 1911. S, 112

يقول : لو حللنا الأعمال البشرية بجميع أنواعها وألوانها تحليلاً علمياً لوجدنا « الأنانية » هي الدافع الأول في جميع حركات الإنسان. هي الأول، وهي كل شيء. هي الحقيقة الأولى، وهي الحقيقة الأخيرة. هي التي صورت لي العالم بهذه الصورة. وهي التي جعلت الإنسان يبني ويشيد ويشتغل . لو جردنا ما نسميه في قاموسنا « العالم » من أنا، أو الأنانية لما بقي شيء من هذا الذي سميناه عالماً. ولذلك فالحقيقة واحدة وهي حقيقة « أنا » . تدرك هذه الحقيقة ما يحيط بها بواسطة منبعين : منبع الإدراك أو التصور Vorstellung ومنبع الإرادة Wille[1]

فما دام الأفراد الأنانيون هم الذين وضعوا تلك القيود في سبيل منافعهم الشخصية ومآربهم الذاتية؛ وما دامت الأنانية هي الغالبة على كل عمل إنساني، فلم يستمر الفرد على تحمل تلك العبودية؟ ولم يذعن لتلك القيود التي قيد بها جبراً؟ ساقت هذه النتيجة المنطقية إشترنر إلى البحث عن الحرية : حرية الأفراد، وما يملكه الفرد، فوضع كتاباً في هذا المعنى سماه « الفرد وما يملك »[2] تهجم فيه تهجماً شديداً على القيود الأخلاقية والاجتماعية والدينية التي تحكمت وظلت تتحكم في عصره، وشن حرباً شعواء مقدسة على المبادئ الدولية وعلى كل شيء عام يطلق عليه وصف بشري، وعلى الحكومات التي انتزعت سلطة الأفراد، وعلى الشيوعية التي ناوأت الملكية الفردية، وهي أقدس حق من حقوق الإنسان. سخر من المجتمع ومن تكاليف المجتمع بعبارات لاذعة لم يعرف مثلها في أي كتاب من كتب العالم

كان الشاعر الأديب الإنكليزي « برنارد منديويل »[3] Bernard Mandeville صاحب كتاب « أسطورة النحل » The Fable of the Bees or Private Vices Made Public Benefits (نشر لأول مرة في عام ١٧١٤ م) ، قد صرح في كتابه بلا خوف ولا وجل بأن « الأنانية » هي الدافع الوحيد للانسان على أعماله الروحية والمادية ، وأن جميع القيود الأخلاقية أو الإنسانية أو الدينية لا قيمة لها أبداً ؛ لأنها من وضع الحكام الذين توخوا تأمين السيادة . غير أن كتاب ماكس إشترنر كان قد جاوز كتاب منديويل الإسكتلندي في التهكم والتهجم على أخلاق المجتمع وجميع الأنظمة البشرية القائمة بأضعاف !

كان كتاب « الفرد وما يملك » عنوان ثورة جديدة أراد أن يؤجج نارها ذلك الفيلسوف : ثورة الفرد على المجتمع ، ثورة الفرد على الحكومة . فشارك الديمقراطيين بالفكرة ، وكان في طليعة جماعة الاشتراكي اليهودي لاسال[1] ؛ إلا أنه اختلف عنهم بالأسلوب . نرى ماكس ديمقراطياً من رأسه إلى أخمص قدميه ، ولكنه ديمقراطي فردي يريد أن يشيد بناء ديمقراطياً على أساس السلطة الفردية . يريد أن يرى البشرية مجموعة أفراد، كل فرد من هذه المجموعة يتمتع بحريته ولذاته، هو نهم لا يشارك الآخرين ولا يرضى بأن يشاركه أحد. غايته التمتع بالحياة إلى آخر حد ، وأن ينفرد بكل شيء ؛ لا يفكر إلا لنفسه ، ولا يبالي بما يفعل الآخرون . شعاره لا تهمني إلا نفسي[2]

كل سلطة تتحدى سلطة الفرد يجب أن تقاوم وتهدم . وحيث أن الحكومات تحاول دائماً التعدي على حريات الأفراد ومجال عمل الأفراد ، فهي سلطات استعبادية ودوائر تفرض الرق على البشرية فرضاً بواسطة صكوك وأوراق تحبرها تطلق

---

(١) انظر فندلبند Windelband Lehrbuch. s, 564 f ويظهر أن كاسبر شميد قد أخذ فكرته عن منبع العلم الانساني من الفيلسوف الشهير شو بنهور فيلسوف المتشائمين وهو صاحب كتاب Die welt als wille und vorstellung وقد نشر لأول مرة في عام ١٨١٩م

(٢) Der Einzige und Sein Eigentum نشر لأول مرة في عام ١٨٤٠م

(٣) طبيب إنكليزي وفيلسوف عاش بين ١٦٧٠ — ١٧٣٣ م . أثرت أفكاره على الموسوعيين الفرنسيين « الانسكلوبيديين » راجع عنه Prof. Voigt Die Somial Utopien s, 134 و Schmidt ص ٣٨٩

---

(١) Otto Ziegler Die Geistigen Berlin 1899 ص ٥٨٠ . وقد تزعم فرناند لاسال حركة العمال الألمان وكانت له مناظرات مع كارل ماركس مؤسس المذهب المنسوب إليه . ولد عام ١٨٢٥ وتوفي عام ١٨٦٤م .

(٢) Karl Diehl über Som. s. 113 وكذلك Ziegler s, 580

عليها الصبغ الشرعية . لذلك تبرم الفيلسوف من الحكومات وعدّ نفسه من ألدّ أعدائها ، ولكنه كان من ألدّ أعداء النظام الشيوعي كذلك ؛ إذ بينما الشيوعية تحطم ملكية الفرد وتندد بالملكية الخاصة ، نرى (إشترنر) يندد بالملكية العامة ويدعو إلى الملكية الخاصة

يرى أنه ما دامت الأنانية هي الصفة الغالبة في الطبيعة ، وما دامت حركات الإنسان وسكناته كلها حركات منبعها الأنانية، فمن الحماقة التغاضي عن هذه السنة الطبيعية ، والالتجاء إلى الأحلام الذهبية الشعرية ؛ وقد دلت الأحوال على أن كل محاولة من هذا النوع كانت فاشلة ، وأنها ترتد دائماً إلى الأنانية الفردية .

ثم من ذا الذي يضمن للانسان عدالة أولئك الذين سيقومون بالإشراف على المجتمع العادل ؟ لذا ، فأنا وحدي صاحب الحق في الملكية ، ولي الحق كل الحق في الامتلاك ، وعليّ أن أتفاهم مع الآخرين في هذا الحق ، فإذا خالفوني على حق هذا التزمته ودافعت عنه بكل قواي لأجبر الآخرين على الاعتراف بهذا الحق ، ولكن الملكية مع ذلك غير مقدسة ، إذ لا قدسية في العالم إلا للحق والسيطرة فقط(١)

وبدلاً من هذه الحكومات والتشكيلات الشيوعية ، يجب تشكيل جماعات من الأنانيين الأحرار الذين لا يرتبطون فيما بينهم بروابط أو حقوق طبيعية أو روحية كالتي يطلقها عليها اتباع النظريات الأخرى . يكوّن الأفراد جماعة لا تحاول امتلاك الأفراد ، بل يحاول الأفراد امتلاك الجماعة ، والرابطة الوحيدة التي تربط الفرد بهذه الجماعة هي رابطة « المنفعة » ، وعلى كل فرد أن يبذل كل ما في وسعه لاستغلال الجماعة إلى آخر ما يمكن . فإن حاولت الجماعة استغلال الفرد ثار عليها . وهذا في زعمه هو الفرق بين العبودية والحرية. ففي المجتمعات الديمقراطية أو الشيوعية تحاول الجماعة السيطرة على الفرد، ولكنها في مجتمع ماكس اشترنر يسيطر الفرد في زعمه على الجماعة

لا قيود في هذا المجتمع ولا فروض . لكل شخص عقيدته وديانته ، لا تهمه إلا نفسه ، ولا يشتغل إلا لنفسه فقط . فإذا تحققت هذه الأمنية على زعم فيلسوفنا تحققت الحرية وتحققت معها السعادة البشرية وتحقق كل شيء . أما الفكرة العالمية أو البشرية أو الدولية فيسائل الفيلسوف نفسه عنها : ما الذي أربحه من الاعتقاد بهذه الآراء ؟ وما الذي استفيده منها ؟ ثم يجيب : لا بأس من أن أساير الناس وأن أوافقهم موافقة رجل حذر ، ولكن موافقة رجل حكيم أعدّ لكل شيء عدته ، يحاول جهد الإمكان الانتفاع من هؤلاء السذّج . فإن انعكست الآية نفر من تلك الجماعة ونبذ ذلك المجتمع الفاسد . والحرية هي تجريد النفس من كل القيود والحدود التي تعوق إرادة الفرد وتحاول منعه من استغلال أنانيته ولو أنها كلمة جوفاء في حد ذاتها . وبعملنا هذا نكون قد أدركنا حقيقة الحرية . والجندي الشجاع مثلاً هو الذي يستطيع أن ينجو بنفسه من الحرب ؛ فلا يضحي بنفسه في سبيل أطماع نفر من جزّاري البشرية إن ربحوا تقلدوا الأوسمة ودخلوا القصور الفخمة، وإن خسروا انسحبوا إلى مملكة أخرى أو إلى القصور الهادئة وعاشوا عيشة السادة المترفين . في حين أن الجندي المسكين بطل المعركة إن مات مات فقيراً تاركا وراءه عائلة تبكي ، وإن عاش عاش فقيراً كذلك لا يهتم بشجاعته أحد

سخرت الأوساط الأدبية من آراء ماكس إشترنر ومن كتابه « الفرد وما يملك » وعلى الأخص الشيوعية منها ، فنشرت جريدة الراين « دانيشه تزايتنك » جريدة كارل ماركس نبي الشيوعية مقالات تهكمت فيها من نظرية اشترنر ؛ وانبرى أمثال كارل كرين Karl Crün وموذس هيس Moses Hess ، ونفر آخر من محرري الجريدة فنشروا رسالة بعنوان « آخر الفلاسفة» سخروا فيها من الفيلسوف ومن آرائه

(١) Die Gessel Schaft 1910 Ziecler s, 580

لم يفهم ألمان ذلك الزمن معنى لهذه « الأنانية » العلمية الجديدة ، ولم يدافع أحد من فلاسفة العصر عن آراء فيلسوف « الأنانية » ، ولم يتمكن محب الدنيا من استغلال الدنيا . لم تقبل الدنيا عليه رغم إقباله عليها . ظلت مدبرة عنه وهو مقبل عليها . توفيت زوجته الأولى « بنت الشارع » فى السنة الأولى من زواجه ، وطلقته زوجته الثانية « الحرة البوهيمية » لأنه حاول أن يتزوج مالها مكتفياً به عنها . ولم تنفعه شيئاً « جمعية أحرار الروح » التى ألفها مع بعض زملائه البوهيميين المفاليس فى حانة « هبل » إحدى حانات برلين . لأن الحياة البوهيمية تحتاج إلى مال ، وهذا ما لا قبل للفيلسوف به . ولم ينجح صاحبنا فى بيع « الحليب » وتوزيعه عند ما اضطرته الدنيا إلى العمل . فقد انهال عليه الحليب وقل الزبائن ، وذهب آخر فلس لديه . ولم تنجح آخر نظرية من نظرياته الفلسفية ، عند ما دخل طوعاً واختياراً فى عالم الديون والقروض ، ثم فى عالم الفشل والإجرام حيث قالت الحكومة : عدوته رقم واحد ، كلها وأدخل السجن . وبذلك أثبتت عملياً أن فيلسوفنا لم يكن على حق فيما قال

لم ينعم « صاحب الجلالة » كما كان يلقب نفسه حتى بقليل من الاهتمام . ثم عده الفوضويون الأجانب نبيًا من أنبيائهم المرسلين ، وحسبوا كتابه معجزة من معجزات الدماغ البشرى ؛ فكتبت فئة منهم عن نبيهم ، كما فعل الاسكتلندى جون هنرى مكى John Henry Mackay صاحب كتاب « سيرة ماكس اشترنر »(1) وكتاب « الفوضويون » . وكذلك الأمريكى توكر Josiah Tucker صاحب جريدة الحرية Liberty الأمريكية ، والفرنسى فكتور بشى Viktor Basch الأستاذ فى جامعات فرنسا

لم تنصف الدنيا فيلسوفنا الفقير ، ولم ينصف أهل الأرض ذلك الفيلسوف المتعجرف الذى كان يكتب الحرف الأول من كلمة « أنا » دائماً بالحرف الكبير ، دلالة على العجرفة والعظمة ؛ فعسى أن يكون نصيبه من الآخرة خيراً من نصيبه فى الدنيا .

« بغداد » ميراد على

(1) Stirner Sein Leben und Sein Werk Berlin 1910

(الرسالة) : ذكر الأستاذ الكاتب فى رسالة خاصة أنه أرسل إلينا مقالات لم تنشر ؛ والواقع أن كل ما وصلنا من مقالاته نشر فى حينه .

طاغور الخالد

للأستاذ فخرى شهاب



طاغور عام ١٨٧٧
من كتابه « ذكرياتى »

[ولد رابندرانات طاغور سنة ١٨٦٠ بكلكتا من أسرة عريقة فى المجد بنغالية. وفى هذه المدينة نشأ وفى جامعتها تخرج، ثم ذهب إلى انكلترا وانتسب إلى جامعة اكسفورد وعكف على دراسة اللاتينية فيها، غير أنه لم يلبث أن مل تلك الحياة وعاد إلى موطنه، سويداء الشرق. وفى ١٩١٣ منحه المجمع العلمى فى (استوكهولم) جائزة نوبل عن ديوان شعره الفلسفى (جيتانجالى). وقد بدأ طاغور حياته الفنية فى الربيع الثامن عشر من عمره وبزغ نجمه فى سماء الأدب بمسرحيته التى أخرجها يومذاك (جيترا). وفى هذه الفترة كان تأثره بالكاتب البنغالى (شندراشتركي) عظيما، وعكف من بعد ذلك على دراسة الفلسفة الهندية ونقل بعض روائعها إلى الانكليزية بنفسه. ثم أسس جامعة (سانتينكتان) بمدينة بلبور بجوار كلكتا. وقد قام طاغور برحلات لممالك مختلفة واجتمع بأكابر المفكرين المعاصرين ومشاهير القادة الوطنيين من انشتاين إلى فيصل الأول ملك العراق الذى دعاه لزيارة بلاد الرافدين فلبى النداء قبل نحو عشر سنين. وقد كان طاغور يغمر كل مجتمع يحل به بفيض من علمه وحكمته وسحره وفكاهته وحسن محاضرته التى تستلب الألباب على ما يقول سامعوه. وقبل أن يشهد طاغور انتصار مبدأ السلام الذى خصص له أدبه وافاه الأجل المحتوم فاستشهد فى ميدان الدفاع هذا العام. وإذا فقدت الدنيا جسمه ففكره الجبار لن يغيب عن رعاية الناس]

وأخيراً آن لهذا المطاف الطويل أن ينتهى إلى نهايته ويشرف على غايته. لقد مات طاغور وبموته استطاع أن يصل إلى الخلود الذى اشتاقه ومنى به نفسه، وردد ذكره فى شعره ونثره؛ والذى من أجله أحب هذه الحياة التى كانت الطريق إليه فسايرها مسايرة المحبة والصفاء، لأنه عالم أن سير الركب به كان حثيثاً، وأنه عما قريب واصل منزل الأبدية الخالد وإن تطل فى هذه الدنيا الطريق أو تعترضه فيها الصعاب

لقد مات طاغور، وليس بدعاً أن يموت طاغور؛ ذلك لأنه كان من أبناء الكون الأحياء، وسنة الكون أن يتدرج أبناؤه نحو الكمال، طوعاً كان ذلك أو كرهاً؛ فهو مكتوب عليهم وهم لا بد سائرون إليه

أصبح طاغور اليوم اسماً مخلداً فى تاريخ الفكر البشرى يعرفه الناس — معرفتهم لسقراط وسبينوزا وبرجسون — من مؤلفاته التى تربو على الثلاثين مجلداً وقفها بأجمعها لنصرة الراية التى انضوى تحتها: راية المحبة ونشر السلام فى الأرض

ولو أن طاغور لم يقدر له أن يسبق عصره الذى جاء فيه بعثات السنين — إن لم نقل بألوفها — لرأى ساعة استشهد فى ذلك الميدان علائم الظفر وبشائر الفوز ورجحان الكفة التى وقف نفسه للكفاح من أجلها كفاح يقين وإخلاص وثبات؛ ولكن سبقه عصره بهذا الأمد الطويل الذى تحتاجه البشرية للتخفيف من غلوائها فى محبة القوة والدعوة لهدم أشقى طاغور كثيراً وآلم نفسه وأرمضها، ولكنه عجز عن أن يزعزع يقينها الثابت بالنصر آخر الأمر. وإن ما نرى من استبشاره وحبه للحياة، وتغنيه بما فيها من جمال وسحر، ودعوته إلى عبادة ذلك الجمال وقوله: « إفسحوا لى مجال العيش فى نور الشمس فى هذه الروضة الزاهرة بين القلوب النابضة »(١)، إنما كان مصدره ذلك اليقين وذلك اليقين وحده

لو أن طاغور كتب له أن يعيش فى المجتمع المثالى الذى كان يريد بناء مجتمعنا وإصلاحه على نحوه، ولم يقاس فى ذلك ألم خيبة الدعوة المبكرة لما اضطر إلى خطاب دعاة الحرب بقوله: « إن صح أن نكون الحقيقة الثابتة الأزلية الكبرى هى شهوة التدمير والتخريب فقد كان لزاماً على هذه الحقيقة أن تمصف بذاتها فتبيد بها وتحطمها شر تحطيم »(٢) وقوله أيضاً(٣): « إنما تفضح قوة السلاح ضعف الإنسان » وإنما الذى أنطقه بهذا، وشبهه كثير، ما رأى من بعد الحقيقة المادية عن المثالية التى حاول توجيه البشرية إليها قبل أوان ذلك بعصور وعصور

---

(١) من قصيدته « الحياة »

(٢) و (٣) من روايته « القربان »

عرف الناس طاغور لشيء واحد لم يُعرَف فيلسوفٌ قبله لمثله : عرفه الناس لأنه شرقى هندى حاز جائزة نوبل وبذَّ مفكرى الدنيا بأسرها فى مضمار الدعوة للسلام ، وقد قرظه مجمع (ستوكهولم) الذى منحه تلك الجائزة بقوله : « إن شعره مثابة النفوس يشمل جميع خلجاتها ويعرب عن جميع مطامحها » .

ولقد كان طاغور أغنى الناس عن إشادة (استوكهولم) بفضله والتنويه به ، ذلك لأن حكمته السامية التى لخصت حكمة الشرق العريقة وأجلتها ، ما كانت لتحتاج إلى مثل هذه المظاهر والأحكام لتبدو آثار صحتها . وإذا كان لذلك المجمع من فضل ، فليس له على طاغور من ذلك شىء ، وإنما يده التى أسداها كانت للدنيا التى عرَّفها بفلسفة طاغور وأدبه الرفيع الممتاز ، فأقبلت عليه إقبالاً قوياً أحيا أملها بالفوز بالإخلاد إلى السلام ذات يوم ، وجدد قواها ، واستأنفت كبار العقول من أجل ذلك كفاحها ، لا يعوقها عنه بعد الغاية ولا طول الطريق

عرف الناس طاغور لهذا ، ولو عرفوه لغير هذا لكان أدلَّ على الحجا وأدنى إلى الحق والصواب ؛ وبسبب هذه المعرفة التى قدمتها (ستوكهولم) لهم ، جاء عرفانهم لفضل هذا الفيلسوف الجليل قاصراً ناقصاً ؛ فقد عرف أكثر الناس طاغور مفكراً وأديباً ، وجهلوه مربياً ، ومصوراً ، وموسيقياً ، وصاحب فكاهة حلوة ، ونادرة مُستطرَفة ؛ أو بكلمة أخرى جهلوه فيلسوفاً اتخذ مختلف تعابير الفنون الجميلة وسائل لهديه الناس والسعى وراء إصلاحهم

وإن الإحاطة بهذه النواحى من طاغور ، هى الإحاطة بفلسفته المثالية التى حاول رفع التفكير البشرى إلى مستواها ، فحسبها البشر إغراباً فى الخيال يخالف حقيقة حياتهم المادية التى يحيون والتى انغمسوا فيها واندفعوا فى تيارها مقهورين فيما يظنون وأنهم مختارون . ولو شاء طاغور أن يكون مثل « نيتشه » لكان ، ولداهن الواقع ، ونزل إلى سوية الناس وتطرف فى الدعوة إلى القوة ؛ ولكنه جاء إلى الدنيا برسالة تقول بالتطرف فى الدعوة إلى الحق ، فمن أجل هذا قام بينه وبين أهل عصره الخلاف ، فلم يفز فى إبان حياته بطائل مما رجا للناس من خير وسلام

ذلك من حيث كون طاغور مناراً فى طريق البشرية نحو الكمال . أما هو فى نفسه ، فعلى العكس مما أخرجته قصور أسرته البرهمية العريقة فى أرستقراطيتها : صوفى عظيم ، يألف التأمل وينعم به ، ولكن تأمله هذا لم يعنه من الاندماج فى الناس لأنه إنما كان يتأمل فى خيرهم وصلاحهم ، ولأن سعيه إنما كان فى توحيدهم برغم إجماعهم على التنابذ والتخالف ؛ وقد كانت نظرته إليهم نظرة متأثرة بفلسفة (الحلول) التى اشتهرت بها الهند ، فجمعتهم روح الإله الأكبر ، وظهرت أمامهم فى مظاهر الكون الفسيح كافة لتستهويهم وتأسرهم بجمالها ، ولتكون فتنة عقولهم التى تأسرها لذة التأمل العميق

على أن هذه الفلسفة لم تقف مانعاً فى طريق طاغور ، ليتأمل تلك القدرة المبدعة الجبارة التى زانت الكون وغمرته بفيض من جمالها الذى يشمل النفس ، بل كانت الفلسفة (الحلولية) — على العكس من ذلك — طريقته التى استطاع أن يتلمس بها آثار تلك القوة القادرة المهيمنة الحكيمة التى أبدعت كل شىء صنعاً .

وإذا تأمل القارئُ هذه القصيدة التى نسوقها إليه الآن ، رأى مصداق هذا الكلام ، قال طاغور :

« كلا ، ليس لك أن تفتق البراعم فى شكل الأزاهير

« هز البرعم ما شئت ، أو أضربه ، فلن تقدر على جعله زهرة ، لأن ذلك فوق ما تستطيع

« إنك لتلوثه إذ تلمسه ، وإنك لتقطع وريقاته إرباً إرباً ثم تلقيها فى التراب

« غير أنه لا لون يظهر ولا عطر يفوح

« آه ... ذلك لأنه ليس لك أن تفتق البرعم زهرة

« وإن من فى استطاعته تفتيقه ، هو الذى أبدع صنعه ، فسواه بهذه البساطة واليسر

« إنه ليرمقه بنظرته ، فإذا بدم الحياة يتسرب فى تضاعيف عروقه ، ومن أنفاسه تفتح الزهرة أجنحتها لتخفق فى مهب الرياح

« ثم تنتشر فيها الألوان انتشار الأشواق فى القلوب ... ويفوح منها العطر لينمَّ فيها عن سر جميل

« إن من فى استطاعته تفتيق البرعم فى شكل زهرة هو الذى أبدع فسواه بهذه البساطة واليسر »[1]

(١) من كتابه « قطف الثمار Fruit gathering »

وأبدع مما تقدم قوله فى مقطوعة رمزية أخرى تظهر ما أحس به طاغور العظيم من بون شاسع يفصل دنيا الناس عن دنيا المثالية ، وكأنه بذلك كان يندد بفكرة البشر المادية ويحلق فى سموات تصوفه وتأملاته العالية وذلك حيث يقول مخاطباً حبيبه :

« حينما اعتزمتُ على تصويركِ نُصُباً أقتطعه من حياتى لأقدمه إلى الرجال ليعبدوه ، جمعت — لذلك — ترابى ورغباتى وجميع أوهامى التى زانتها التهاويل ، وما عندى من أحلام »

« وعند ما سألتك أن تقيمى لحياتى نصباً تقدّينه من قلبك جمعتِ نيرانك وقوتك إلى الحقيقة ، وَضمَمْتِ إلى ذلك كلّه المحبةَ والسلام [1] »

فانظر كيف رمز إلى المثل الأعلى فى المقطع الأخير ووشحه بغيره مما فى النفس الآدميه من دعوة للقوة والنار

لا نأمل فى هذه العجالة أن نحيط بآفاق طاغور الفلسفية المترامية أطرافها ، بل من ذا الذى منى نفسه بأن ينال من طاغور هذا المنال ؟ ولكنا نريد أن نلم به اليوم إلمامة الطارق العجلان ريثما تتيسر زيارته الزيارة الطويلة ، زيارة المحب ليقضى شوقه من زيارة الحبيب ، وإذا لم يكن المجال يتسع لنا بأكثر من هذا ، فلنعطف النظر إلى ناحية أخرى عظيمة من نواحى طاغور العظيم

كان طاغور إلى ما نعم به من سمو تفكيره جنديًا من جنود الوطنية الهندية على نحو مبتكر جديد لم يكن قد سمعه من قبله الناس . كان طاغور يعشق الحرية عشقاً ظهرت آثاره فى مؤلفاته كلها ، والحر ليس يرضيه أن يقيم فردمن البشر فى قيد الإسار فضلاً عن رضائه على رؤية الملايين من أولئك البشر أسرى خاضعين ، ولهذا التنافر بين طبيعته الحرة وما أصيبت به الهند من عوادى الاستعمار برز طاغور فى ميدان الوطنية وبذ فيه غيره من المكافحين

كان طاغور يتعشق الحرية ويتعشق السلام فى آن واحد . والناس اليوم لا يستطيعون أن يسموا إلى الجمع بين هذين المبدأين ، ذلك لأن قلب الإنسان — وإن شئت فذهنه — لم يصل من الكبر والعظمة إلى الحد الذى يتسع فيه لهذين المبدأين فى الوقت ذاته . وإذا ما رأينا من إنكارهم لوطنية طاغور التى خَفِيَتْ عليهم فإنما مرجع ذلك هذا الاختلاف فى التفكير والاختلاف فى محبة المثل العليا والتأليف بينها . فقدر طاغور على ما لم يقدروا ، وجمع أكثر مما جمعوا ، وسما عليهم بهذا وبمعجزة أخرى هى سلامة تلك المثل العليا وعدم تنافرها فى نفسه بل كانت جميعاً عنده تسير فى وفاق والتئام

دعا طاغور إلى الحرية ، ودعا إلى تحرير البشر من إسار أقويائهم ، ولكنها كانت دعوة موجهة إلى جهة الإيجاب البانية لا إلى جهة السلب المدمرة ، وهو فى هذا يختلف عن زعماء الوطنية الآخرين الداعين بتطرف إلى الجانب المضاد لصفة طاغور السمحة الجميلة . وليس بدعاً أن يدعو هذا المفكر الجبار لهذه الدعوة ، إذ بها وحدها كان يضمن التوفيق بين عقيدتيه اللتين تنافرتا من اجتماعهما عند غيره من الناس ، عقيدة الحرية والوطنية وعقيدة تسوية السلام والمحبة بين الناس

إذا شئت أمثلة من وطنية طاغور فاسترجع فى ذهنك الضجة التى أحدثتها منذ أمد قريب جداً إحدى النائبات الإنكليزيات إذ اتهمته — خلافاً لعقائده — بالدعوة السلبية التى لم تؤثر عنه منذ خلق حتى انتقل إلى عالم الخلود . وإذا شئت مثلاً آخر فاذكر أيضاً خطابه الذى وجهه إلى إخوانه الهنود المقيمين فى اليابان إذ أرسلوا يسألونه أن يؤيد اليابان بكلمة من عنده فى حرب استيلائها على الصين الحرة لكى يكفكف من عدوان اليابانيين على النزلاء الهنود فكان جوابه متضمناً هذا المعنى : « لخير لى أن أرى الهنود من أبناء جلدتى يروحون ضحية للجهاد من أن أنتصر باسم الهند للجور والطغيان »

وإليك مثلاً آخر من وطنيته حين نبذ أوسمة الشرف وألقابه التى قدمتها إليه الحكومة البريطانية وذلك حين استشعر منها الإجحاف والظلم فى معاملة الهنود ، وأبى أن يحمل من بعد ذلك اليوم لقب (سير) ولم يجدد وضعه على طبعات مؤلفاته الجديدة ونفر منه نفرة كانت تغضبه وتؤلمه إذا دعى بها

عالج طاغور فيما عالج من مشكلات الهند مشكلتين عظيمتين : أولاهما مشكلة « المنبوذين » التى أقدم على علاجها علاجاً عملياً غير مكتف بما كتب عنها ، وكسر جميع أغلال أسرته البرهمية العريقة ، وذلك لأنه كان فى أعماله أشبه بالمفكر الخالد الحكيم سقراط ينحو نحو تطبيق الفضيلة على نفسه بعد معرفتها ثم يدعو الناس بعد تلك المعرفة وذلك التطبيق إلى أخذ أنفسهم بها

(١) المصدر عينه

والعمل بمقتضاها . وقد أقام طاغور للمنبوذين من ماله الخاص المدارس وأنشأ لهم منشآت الثقافة التى كان أعظمها وأجلها أثراً مدرسته النموذجية التى مر ذكرها آنفاً والتى أصبحت جامعة مثالية يأمها أساتذة الجامعات ليتخرجوا فيها على طاغور تلاميذ مشربين بروح محبته للخير والسلام . وإنه ليروى أنه أنفق الجائزة المالية التى قدمها له مجمع (استكهلم) سنة ١٩١٣ فى سبيل هؤلاء المنبوذين بعد أن أنفق فى ذلك كل ما آل إليه من ثروة موروثة ومال مكتسب

أما الناحية الأخرى التى عالجها من مشكلات الهند فكانت مشكلة المرأة الهندية التى كانت عند ما فتح طاغور عينيه للدنيا ليراها فى مستوى النبوذين هؤلاء أو أرفع قليلاً . ومن أجل تلك المخلوقة المهيض جناحها التى ظلمها تعسف الرجل مئات السنين فى الهند وقف قسطاً من جهاده ، وأكرمها فى شخص زوجته وابنته ، وجعلها ملاكا كريماً يرفرف بجناحيه على البيت ليكون فيه ظل المحبة الشاملة والسلام الذى ينتظم البيوت .

وما من مسرحية له أو قصة أو أقصوصة أو رواية أو شعر إلا كانت المرأة فيه العنصر السامى الذى يخفف الحدة ، ويلطف الشدة ، ويعزج بالشر الذى يندس بين الناس ليفنيهم إكسيرا مضاداً له يكافحه ويقف آثار فعله لتنحصر فى زاويه ضيقة بدل أن يمتد ويفور

المرأة فى نظر طاغور مخلوق جعل لتزيين الحياة ، يخفف آلامها ، ويكثر من مسراتها ، ويطبعها بطابع البهجة الذى يحلو للرجل النظر إليه ؛ ذلك ما دامت امرأة ، فإما اعتلت أريكة الأمومة فهنالك الكمال فى السمو إلى حقيقة الحقائق حقيقة المحبة التى يفيض بها قلبها أو فكرها على الناس أجمعين

ولا يستغرب القارىء هذا القول لأن دعمه بالبرهان سهل ، فالرجوع إلى كتابه الذى أتممنا نقله إلى العربية ونشرناه كاملاً فى أجزاء مجلة وزارة المعارف العراقية (المعلم الجديد) ، ذلك الكتاب الذى أسماه الهلال (The Crescent Moon) يؤيد هذه الدعوة ويصور الأم للقارىء بشراً سوياً لا تبلغ المحبة فى قلب فى الكون مبلغها عند أحد سواه

***

أما بعد ، فهذه كلمة موجزة عن طاغور نرجو أن تعقبها لنا عنه دراسات مستفيضة تعرفه إلى الشباب ، لأن طاغور من الشخصيات الفذة التى يتعب المؤرخ الاهتداء إلى أمثالها فى الدنيا . وتفكير طاغور العميق الهادىء ، وتصوفه الروحى البعيد عن المظاهر ، ونظرات تأمله التى شملت كل ما فى الكون من أسرار وجمال جعلت منه دائرة معارف شرقية حديثة ، ولكنها تمت إلى القديم بأوثق الأسباب . وهل كان لعمرى ثمة شىء لا يحسنه طاغور ؟ ومن أجل هذه السمة فى المعرفة يوصى الذين شغفوا بطاغور حباً بدرسه دراسة تأمل وإنعام نظر وفهم دقيق ، لأن فى دائرة المعارف الشرقية هذه غذاء روحياً لذيذاً ، ولكنه دسم لا يهضمه كل إنسان

إن طاغور لم يمت ، لأن حكمته الرفيعة وفلسفته وتصوفه وأدبه الذى يحيط من وراء ذلك كله خالد تخجل يد الفناء أن تمتد إليه بعبث أو تخريب . ولئن تعرف الإنسانية قدر طاغور اليوم ، وإنما ستعرفه الإنسانية بعد مئات طويلة من السنين حين تخرج من سن الطيش إلى طور العقل والحصافة والتفكير الهادىء العميق .

فخرى شهاب

الفقر مسألة اجتماعية

للأستاذ رمسيس يونان

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وهذا مثل ثان من تناقض المصالح بين الطبقة الغنية المعتمدة على الزراعة ، والطبقة الغنية المتصلة بالصناعة . فطبقة ملاك الأرض تزداد ثروتها كلما رخصت الأيدى العاملة فى الزراعة ، وهم الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى ؛ أما رجال الصناعة فإن دخلهم يزداد كلما زادت قدرة هذه الأغلبية على الاستهلاك ، أى كلما ارتفع مستوى معيشتها

وعلى ذلك ليس عجيباً أن نرى أن معظم السياسيين المصريين الداعين إلى الإصلاح الاجتماعى ؛ أمثال : حافظ عفيفى ، على الشمسى ، وهيب دوس ، هم ممن اتصلت حياتهم عن قرب أو عن بعد بالصناعة ، أو ممن تأثروا تأثراً كبيراً بالحياة الاجتماعية فى الغرب التى هى نتيجة وسط صناعى . وليس عجيباً أيضاً أن نرى رجلاً مثل إسماعيل صدقى ينادى بمكافحة الفقر ورفع مستوى حياة الفلاح . . .

وهناك عوامل ثانوية أخرى تدفع المموِّلين إلى التفكير فى الإصلاح : منها أن الأبحاث الطبية تثبت إثباتاً قاطعاً أن الأمراض تنهك العامل والفلاح وتضعف قدرتهما على الإنتاج إلى حد مخيف . وعلى ذلك فبين المموِّلين من يرى أن مكافحة هذه الأمراض قد يؤدى إلى زيادة فى الربح تعادل على الأقل ما يحتاجون إلى بذله فى سبيل هذه المكافحة ...

ومن هذه العوامل أيضاً الرغبة النامية فى إنشاء جيش قوى سليم يشعر أرباب الثروة المصرية بضرورته للاحتفاظ باستقلال سياسى يضمن لهم استقلالهم الاقتصادى

على أن رجال الصناعة فى مصر والمتكلمين باسمهم لا يدعون إلى الإصلاح الاجتماعى إلا فى حدود ضيقة ... ذلك لأن الدعوة إلى تحسين حال الفلاح تؤدى حتماً إلى تحميس الحركة العمالية المطالبة برفع الأجور . وليس هذا مما يرتاح إليه المموِّلون وأرباب الأعمال ...

* * *

ومع أن معظم العمال المصريين قد جاءوا من الريف ، وبالرغم من حداثة عهدهم بالوسط الصناعى ، فلا شك فى أنهم قد اكتسبوا أساليب فى التفكير المعاشى تختلف عن أساليب إخوانهم الفلاحين . ولسنا الآن بصدد بحث العوامل المادية التى سببت هذا الاختلاف ، وإنما يهمنا بعض ظواهره الواضحة

وأوضح هذه الظواهر أن العمال قد تجمعوا فى نقابات يسمون عن طريقها إلى تحسين أحوالهم ، وتشغيل العاطلين منهم ، وتنظيم الإضرابات والمظاهرات وإصدار الاحتجاجات عند ما يزداد ضغط أرباب الأعمال عليهم . ولم نسمع بعد — بالرغم من مجهودات بعض الأفراد طيبى القلوب — عن هيئة من الفلاحين تسعى إلى شىء من هذا

ولا شك أن هذه النقابات قد أفادت العمال فى كثير من الظروف ، وزادت بينهم ما يسمى « الوعى الطبقى » ؛ وإذا كان هذا الوعى الطبقى لم يصل بهم بعد إلى درجة النجاح فى تكوين حزب عمال مستقل ، فقد كان كافياً على الأقل إلى أن يقنع بعض الأحزاب السياسية الموجودة أن من مصلحتها التقرب بين العمال ورعاية نقاباتهم والتودد إليهم بالوعود ...

ومع ذلك فما زالت الحركة النقابية فى مصر ضعيفة ، وذلك لسببين :

السبب الأول يتصل بالحركة العمالية ذاتها التى لم تنجح بعد فى تحقيق « التضامن الطبقى » الكامل بين العمال ، كما لم تنجح بعد فى إثارة حركة مشابهة بين الفلاحين ، لا شك أنها إذا قامت واتحدت مع الحركة العمالية ، أصبح لمجموع الأيدى العاملة فى مصر قدرة رائعة على الكفاح الاقتصادى الناجح ...

أما السبب الثانى لضعف الحركة النقابية فيرجع إلى المقاومة الجبارة المنظمة التى تواجهها بها الطبقة التى تخاف على مصالحها

من نمو هذه الحركة ، والتي منها من لا يتحرج أحياناً عن اللجوء إلى أحط الوسائل لإفساد أخلاق بعض زعماء العمال ، وتأليب بعضهم على بعض . ولهذه الطبقة سلطان مادى يضمن لها نفوذاً كافياً على التشريع والصحافة . وليس أدل على هذا النفوذ من أن مشروع قانون النقابات ما زال من سنوات يتأرجح بين قاعتى مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، وما زال يؤجل الدورة بعد الدورة ... هذا بالرغم من أن هذا القانون يكاد يحرّم على العمال كل وسيلة من وسائل الكفاح الجدى

* * *

ولسنا نستطيع الحديث عن مسألة الفقر فى مصر بغير أن نذكر مشكلة المتعلمين العاطلين . وقد يبدو عجيباً أن تظهر مثل هذه المشكلة فى بلد لا تزيد فيه نسبة المتعلمين على ١٠ ٪ بينما لم تظهر هذه المشكلة فى معظم الأمم الغربية إلا بعد أن عمّ فيها التعليم . ولكن تعليل ذلك غير عسير ؛ فإن انتشار التعليم فى الغرب — كما هو الحال فى مصر — كان ملازماً للنهضة الصناعية ، وقد وجدت الصناعة الغربية أسواقاً ضخمة بين الشعوب الآسيوية والإفريقية فنشطت واتسعت واستطاعت أن تستوعب القدر الأكبر من خريجى المدارس ؛ بينما جاءت الصناعة إلى مصر بعد أن اكتظت الأسواق الخارجية بالمصنوعات الغربية ، فلم يبق أمامها غير السوق المحلية ، وهى سوق فى غاية الضعف كما قلنا بالنسبة للفقر الشنيع الذى تعيش فيه أغلبية الشعب ، ونتيجة هذا أن الصناعة (وما يتبع الصناعة من أعمال تجارية ومرافق عمرانية) لا تنمو فى مصر إلا فى بطء هو أشد من البطء الذى ينتشر معه التعليم

وعلى ذلك فنحن نرى أن السبب المعوق لظاهرة المتعلمين العاطلين بالنسبة لمصر هو هذا الفقر الساحق الذى تعيش فيه غالبية الشعب

ولسنا من المدافعين عن مناهج التعليم فى مصر ؛ ولكنا لا نرى فى عيوب هذا التعليم السبب الأساسى فى عدم اشتغال الشبان المتعلمين بالأعمال الحرة . فالواقع المشاهد أن هؤلاء الشبان لا يترددون عن الاشتغال بأى عمل منتج ؛ وقد رأينا من حملة الشهادات من يبيع أوراق النيصب فى الشوارع ، ولكن الأعمال الحرة فى مصر — بحالتها الاقتصادية الراهنة — مكتظة بالمشتغلين بها ، وشوارع المدن الآن ليس فيها مكان لحانوت جديد ، ولن يتسع المجال أمام الأعمال الحرة إلا إذا اتسعت الحركة العمرانية ، أى إلا إذا نفذت وسائل الحياة الحديثة إلى الريف ونشأت فيه مدن جديدة ، وهذا كله موكول بالتقدم الصناعى وارتفاع مستوى المعيشة بين الفلاحين والعمال

* * *

ويهمنا الآن أن ننبه إلى الصلات الاقتصادية التى تربط مشاكل الفلاحين ، ومشاكل العمال ، ومشاكل العاطلين من عمال ومتعلمين . فمن فائدة العمال أن ترتفع أجور الفلاحين حتى تروج تجارة المصنوعات وتزداد حاجة أصحاب المصانع إلى العمال فترتفع أجورهم . ومما يؤذى العمال المشتغلين أن يوجد إلى جانبهم عمال متعطلون ؛ لأن الخوف من البطالة يضطر العمال إلى قبول ما يعرضه أصحاب المصانع من أجور مهما انحطت . وما يقال عن العمال يقال عن المتعلمين العاطلين وعن صغار الموظفين ؛ فالمصانع تحتاج إلى خريجى المدارس كما تحتاج إلى عمال ؛ والتقدم فى الإنتاج الصناعى يفتح الأبواب للكثير من الأعمال الحرة أمام المتعلمين ، ووجود عدد كبير من المتعلمين العاطلين يخيف المستخدمين فى المصارف والمتاجر وغيرها ويضطرهم إلى الإذعان لاستبداد الرؤساء وإلى القناعة بالدون من المرتبات

وإذا كانت مصالح الفلاحين والعمال وصغار المستخدمين والعاطلين من متعلمين وعمال مترابطة كما نرى من هذا التحليل ، فما يؤسف له أنه لم يظهر حتى الآن اتجاه نحو توحيد الصفوف بين هذه الطبقات . فما زال العمال بعيدين عن التفكير فى حال الفلاحين ؛ وما زال صغار المستخدمين بعيدين عن الاهتمام بالحركة العمالية ، بل ما زال المتعلمون العاطلون أفراداً منعزلين لا تربطهم هيئة منظمة ، وما زال طلبة المدارس الوشكون على التخرج منصرفين عن دراسة المشاكل الاقتصادية التى تهدد مستقبلهم

ونحن نعلم أن قلوب المتعلمين والعمال العاطلين طافحة بالسخط والحقد ، وأن بين العمال نفوساً متوثبة تطلب الجهاد ، وأن بين شباب الجامعة عدداً كبيراً من الثائرين الناقمين على الأوضاع الحاضرة ؛ ولكن هذا السخط والحقد والتوثب ، وهذه الثورة والنقمة لن

تنجح فى مكافحة الفقر والتعطل إلا إذا انتظمت فى جهاد يقوم على خطط مدبرة محكمة

ونحن نعلم أن هناك عقبات كثيرة تقوم دون ظهور حركة منظمة بين الفلاحين ؛ ولكن ظهور هذه الحركة (وقد ظهر مثلها بين فلاحى الهند) غير مستحيل إذا تضافرت جهود الشباب المتعلم والعمال مع الفلاحين فى هذا الكفاح .

والطبقات التى تؤذيها الأوضاع الاقتصادية الحاضرة تكوّن الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى ؛ وما دمنا نعيش فى نظام ديمقراطى ، فإن من الممكن لهذه الأغلبية – إذا وحدت صفوفها – أن يصبح لها يوماً حزب سياسى مستقل قوى يعمل على تحقيق مصالحها

***

فمسألة الفقر فى مصر لن تحل بجهود متنزلة يقوم بها أفراد لا يفكرون إلا داخل حدود حياتهم الضيقة ؛ فقد ينجح فلاح صغير – لظروف شاذة – فى أن يصبح مالكا صغيراً ، وقد ينجح عامل فى أن يستولى على مصنع حقير ، وقد ينجح بعض المتعلمين العاطلين فى الحصول على عمل مكان آخرين مطرودين... ولكن هذا كله لن يغير شيئاً فى حال ستة ملايين فلاح ومليونى عامل وعشرات الآلاف من المتعلمين العاطلين . . .

ولن ينجح أفراد فى تغيير أوضاع اقتصادية تقوم على حمايتها سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية منظمة .

ولا تحل مشكلة الفقر بسياسة الإحسان ؛ فلن تنجح هذه السياسة – إذا نجحت – إلا فى تحويل الشعب المصرى إلى أمة من الشحاذين المسكينين الصاغرين ... يقبّلون أيدى الأغنياء ويدعون بطول العمر للمستفيدين الراجحين من بقاء الأوضاع الاقتصادية الحاضرة ...

ولا تحل مشكلة الفقر بالبحث عما يسميه الأستاذ العقاد « حقائق جامحة » و « حقائق كابحة » ؛ فأغلب الظن أن هذه الحقائق عند العقاد ليست إلا انعكاساً من موقف التردد عند الطبقة البورجوازية المصرية ، التى ترى ضرورة الإصلاح، ولكنها تخاف فى نفس الوقت من كل دعوة إلى إصلاح عميق ... وهو موقف تشترك فيه البورجوازية المصرية مع البورجوازية الغربية ، ونرى صداه فى تفكير الكثيرين من الكتاب الغربيين المعاصرين الذين يقرأ لهم العقاد

وإنما تحل مشكلة الفقر بجهاد مشترك منظم يساير نهضة البلاد ويتمشى مع قوانينها وتقاليدها . والله الهادى إلى أقوم طريق .

رمسيس يونان

٧ ـ مدن الحضارات
فى القديم والحديث

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أما الآية الكبرى الباقية فى قرطبة شاهداً على ما كان للعرب فيها من عمارة وهندسة فهى الجامع الكبير أو المسجد الجامع الذى بناه عبد الرحمن الداخل فى موضع كنيسة للنصارى عوضهم عنها أرضاً واسعة ومالاً كثيراً . وطراز هذا المسجد على غرار المسجد النبوى الذى بناه الوليد بن عبد الملك بالمدينة المنورة .

وقد وصفه « لابورد » فى كتابه « صفة أسبانيا » وذكر أن طوله ٦٢٠ قدماً وعرضه ٤٤٠ قدماً . ونقل دوزى عن لابورد هذا الوصف . أما المستشرق بروفنسال صاحب كتاب « إسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر » فقد ذكر أن طوله ١٨٠ متراً وعرضه ١٣٠ متراً

وفى كتاب الحلل السندسية للأمير شكيب وصف مفصل لهذا المسجد[١] ، كما أفاض الوصف فيه البتانونى صاحب رحلة الأندلس

وتمتاز كتابات الأمير الجليل بالتحقيق والتدقيق والشرح والتفصيل والتعليق على كل مشهد والتحليل لكل حادثة ؛ فهو لا يكتفى بأبعاد المسجد التى ذكرها دوزى ولابورد والبارون شاك Schack ، ولكنه يسأل دليله فى قرطبة المهندس هرناندز وأحد الوكلاء بالجامع والقيام عليه ، فذكر له أن طول المسجد ١٧٥ متراً وعرضه ١٢٥ متراً وذلك قريب مما ذكره بروفنسال

وعلى كل حال لا تخلو الروايات التاريخية المختلفة من اختلاف بينها على سعة هذا المسجد وأبوابه ومحاريبه وسواريه وثرياته ونقوشه ورقومه وصناعات قبلته وفرجة محرابه وقسيّه وعمده

وينقل صاحب نفح الطيب عن الإدريسى كلاماً فى وصف هذا المسجد ، إلا أن النسختين الباريسية والاكسفوردية من

(١) الحلل السندسية ج ١ ص ١٣٦

كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للادريسى جاء فيهما ما يخالف ما رواه صاحب نفح الطيب . ولعل ذلك من أخطاء النسخ وعدم تحرى الدقة فى النقل ، وخاصة فيما يتعلق بذكر الأرقام والإحصاء ، وهذا مشاهد كثيراً لمن يكثر المطالعة فى كتب الأدب والتاريخ

وأعجب ما فى هذا المسجد مئذنته ، وقالوا لم يكن فى مآذن المسلمين ما تعدلها[١] ، فبلغ طولها إلى مكان وقوف المؤذن ٥٤ ذراعاً ، وإلى أعلى الرمانة الأخيرة ٧٣ ذراعاً ، وعرضها فى كل تربيع ١٨ ذراعاً

وقد حول نصارى أسبانيا هذا المسجد إلى كنيسة بعد أن دخلت الأندلس فى حوزة الفرنجة . وما تزال النقوش العربية العجيبة الشبيهة بالخرّم (الدنتلا) تزين وجهته[٢] وعلى الباب الكبير المصفح بالنحاس رسم القوم صلباناً بعد أن تم التحويل إلى كنيسة . وبقيت المئذنة على حالها ؛ إلا أن النواقيس أصبحت ترن فيها بعد الأذان والتكبير ، وما تزال الآيات القرآنية الكريمة مكتوبة فى دائرة القبلة والمحراب بالخط الكوفى[٣]

أما القبة الضخمة التى كانت قائمة فوق المسجد على ٣٦٥ عموداً من المرمر ، فقد أزيلت وأزيل معها ١٦٣ عموداً كما أزيل بعض سقف المسجد المحلاة بالأطلية الجميلة والليقة الذهبية ؛ ونهب الفرنسيون فى غارة نابليون الأول على أسبانيا أربعمائة مصباح من الفضة الخالصة[٤] . ولا تنس أن جميع خشب هذا المسجد من عيدان شجر الصنوبر الطرطوشى الذى تضرب به الأمثال فى الصلابة والثبات[٥]

ويذكر الأدريسى أن بمسجد قرطبة مصحفاً يقال إنه عثمانى . ويروى صاحب نفح الطيب الخبر عن الأدريسى ، ثم يرويه فى العصر الحديث الأمير شكيب صاحب الحلل السندسية ، ويذكر أنه المصحف الذى خطه بيمينه عثمان بن عفان رضى الله عنه وفيه نقط من دمه ، ولكن البتانونى يناقش هذه الرواية

(١) تاريخ التمدن الاسلامى عن نفح الطيب
(٢) البتانونى
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر نفسه
(٥) الحلل السندسية

فى تحقيق علمى ، ويتنى عقلاً أن ينتقل مصحف عثمان الأصلى من المدينة إلى الأندلس[١]

وإذا ذكرت قرطبة ، ذكرت بجانبها (الزهراء) التى بناها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، ولم يكتمل بناؤها إلا فى عهد ابنه الحكم ؛ وقد شرع الناصر فى بنائها على بعد أربعة أميال من قرطبة مرضاة لحظية له كان اسمها زهراء[٢]

ويروى المقرى عن ابن الفرضى أنه كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التى أجراها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربى قرطبة فى المناهر المهندسة ، وعلى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة إلى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة ، بديع الصنعة ، شديد الروعة ، لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك فى غابر الدهر ، يدخل الماء إلى جوف الأسد ويخرج من عجزه إلى تلك البركة فى منظر يعجب الناظر ويبهره ... فتسقى من هذا الماء المجوج رياض القصر وجنانه على رحبها ، ويجوز الفضل من ذلك الماء إلى النهر

ويبدع الواصف لهذا القصر — سواء أكان المقرى أو ابن الفرضى — فى وصف سطحه الممرد المشرف على الروضة ووصف مرمره المسنون ، وذهبه المصون ، وعمده ونقوشه وبركه وحياضه وتماثيله . وكان يخصص لبحيرة الزهراء كل يوم أحمال وأوزان من اللحم والخبز المصنوع من الحمص الأسود غذاء لحيتانها وأسماكها ...

وهنا تمعن الرواية التاريخية إلى الإغراق فى المبالغة والمغالاة فى الإحصاء والأرقام مما لا حاجة بى إلى ذكره فى هذا المقام . وهى مبالغة تدل على شىء كثير من الحق ، وتصور لنا هذه القصور والدور فى صورة نستطيع أن نتخيلها لا بحقائقها ولكن بما أضفى عليها من تهويل وإغراق

وكان الرخام يجلب إلى الزهراء من قرطاجنة وأفريقية وتونس[٣] ، واشترك فى وضع الرخام ولصقه على بن جعفر الإسكندرانى . ولعله اجتلب من الإسكندرية خاصة لذلك

وازدهرت « الزهراء » فى عصر الناصر ازدهاراً كاد يضيع من مكان قرطبة ومحاها . وشغل الناصر نفسه بالبناء والعمارة وإتقان القصور ، وزخرفة المصانع فى الزهراء حتى عطل شهود الجمعة ثلاث جمع متواليات ، مما جعل القاضى العادل والواعظ الناصح منذر بن سعيد يعرض بأمير المؤمنين مبتدئاً الخطبة بقوله تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) ومذكراً فيها بالدنيا الزائلة ، والحياة الفانية ، والدار الباقية والموت الفاجىء ، والقدر المواتى ، مما أبكى الناصر وأحنقه على منذر لشدة وعظه وغلظة تقريعه[١]

وكان منذر بن سعيد هذا يكثر تعنيف الخليفة الناصر على اهتمامه بالبناء إلى حد كاد ينسيه أمور دينه ، وشئون آخرته . ويروى المقرى عن الحجارى فى كتاب (المسهب فى أخبار المغرب) أن منذراً هذا دخل على الناصر يوماً وهو مكب على الاشتغال بالبنيان فوعظه ، فرد عليه الناصر قائلاً :

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان
أوما ترى الهرمين قد بقيا وكم ... ملك محاه حوادث الأزمان
إن البناء إذا تعاظم شأنه ... أضحى يدل على عظيم الشان

ولا يدرى الرواى إن كان هذا الشعر من نظم الناصر أم مما تمثل به فى هذا المقام

* * *

لقد شهدت قرطبة منذ الفتح العربى إلى أيام المنصور بن أبى عامر فى أواخر القرن الرابع الهجرى كثيراً من نواحى الجلال التاريخى ، فبقيت زهاء ثلاثة قرون تتمتع بحكم مستقر ، وملك وطيد وعمارة وبناء ، ويسر ورخاء ؛ إلى أن نكبت فى النصف الأول من القرن الخامس الهجري بالحوادث الجسام وخاصة فى زمن المستعين بالله سليمان وفى دولتيه اللتين مكثتا ست سنين وعشرة أشهر ، وهى تلك المدة التى يصفها ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة ناقلاً عن ابن حيان بقوله[٢] ، وكانت كلها شداداً نكدات ، صعاباً مشئومات ، كريهات المبدأ والفاتحة

(١) رحلة الأندلس
(٢) نفح الطيب وتاريخ التمدن الاسلامى
(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٦

(١) كتب الأدب ، ومطمح الأنفس مطبعة السعادة ص ٤٢ ، ونفح الطيب ج ١ ص ٢٦٦
(٢) الذخيرة لابن بسام القسم الأول ص ٢٥

قبيحات المنتهى والخاتمة، لم يعدم فيها حيف ولا فورق فيها خوف، ولا تم مسرور، ولا فقد محذور، مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واشتمال الفتنة، واعتلاء المعصية، وظاعن الأمن، وحلول المخافة

وشهدت قرطبة أيضاً الفتنة فى زمان المستظهر، وحبسته الشنيعة فى أتون الحمام حين قام الدائرة فى وجهه وزرقوه وهم يسبونه، فارتد على عقبه وترجل عن فرسه وتجرد من ثيابه حتى بقى فى قميصه واستخفى فى أتون الحمام ففقد شخصه[1]، ثم أخرج فى قميص مسود بحال قبيحة حيث قتل أمام ابن عمه المستكفى ...

وشهدت قرطبة فى سنة ٤١٤هـ ثورة[2] لتحويل أهلها على رد الأمر لبنى أمية الذين اغتصب سلطانهم بنو حمود، وبايعوا المستظهر الأموى الذى قتله حفيد الناصر وجلس على العرش باسم المستكفى بالله — وهو والد ولاده الشاعرة الأندلسية المشهورة — ثم قتل المستكفى وجاء بعده ـ بعد فتن وحوادث ـ المعتمد بالله آخر ملوك بنى أمية بالأندلس

* * *

ظلت قرطبة منذ الفتح العربى مقصد أهل العلم وطلاب الأدب، يفدون إليها انتجاعاً للعلم أو طلباً للحكمة كما كانت بغداد والقاهرة فى المشرق. ويذكر القاضى صاعد الأندلسى أن ابن البغونش الطبيب الحكيم الأندلسى رحل من طليطلة إلى قرطبة لطلب العلم بها[3]

ولم لا تكون قرطبة مقصد العلماء والشداة من أهل الحكمة والمعرفة والنظر والفلسفة، وقد كان من أهلها الطبيب الفلكى الفيلسوف يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة، والرياضى الحكيم أبو القاسم مسلمه المعروف بالمرحيطى. وكان من تلاميذه ابن السمح وابن الصفار والزهراوى والكرمانى وابن خلدون (غير المؤرخ صاحب المقدمة). وكان ابن السمح السالف الذكر من أهل غرناطة، ثم وفد على المرحيطى فى قرطبة لأخذ الرياضة والحكمة عنه[1]

كما كان من أهلها الكرمانى أحد الراسخين فى علم العدد والهندسة، والذى قال عنه تلميذه ابن حي المهندس الفلكى (أنه ما لقى أحداً يجاريه فى علم الهندسة ولا يشق غباره فى فك غامضها وتبين مشكلها واستيفاء أجزائها[2])

ومنهم الفيلسوف ابن رشد أبو الوليد الذى اشتغل بالرياضة والفلسفة والطب والتشريح وقال: (من اشتغل بعلم التشريح ازداد بالله إيماناً)، وترك من الكتب القيمة عدة صالحة نجد ذكرها فى ترجمته فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة

كما وفد على قرطبة من أهل المشرق أحمد بن يونس الحرانى وأخوه عمر وغيرهما

وكان ضياع قرطبة ـ فيما ضاع من الفردوس الإسلامى ـ سبباً فى إثارة شاعرية كثير من شعراء المراثى للمالك والدول كابن الأبار القضاعى صاحب كتاب التكملة الذى قتل قعصا بالرماح سنة ٦٥٨ هـ وأحرقت أشلاؤه والذى يقول فى رثائه لمدينة بلنسية:

يا للجزيرة أضحى أهلها جَزرا للحادثات وأمسى جدها تعسا
فى كل شارقة ألمام بائقة يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكلَّ غاربة أحجافُ نائبة تثنى الأمان حذاراً والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم ألا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفى بلنسية منهـا (وقرطبـة) ما يذهب النفس أو ما ينزف النَّفَسا

وفى قرطبة يقول صالح بن شريف الرندى المعروف بأبى البقاء وهو خاتمة شعراء الأندلس وأدبائها:

وأين (قرطبة) دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شأن؟

والحق أنه يسأل حيث لا جواب ولا كلام؛ ولله سبحانه البقاء والدوام.

[الحديث موصول] محمد عبد الغنى حسن

---

(1) الذخيرة لابن سام ص ٣٩
(2) تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين لأشباخ الألمانى
(3) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٤٨

١٨ ٥ ١٧

---

(1) المصدر نفسه
(2) المصدر السابق ص ٤٠

٤ – المصريون المحدثون

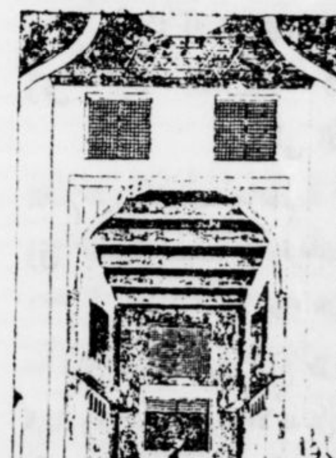
شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي إدورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

وفي بعض المنازل توجد حجرة أخرى تسمى « مقعد » – كما مر بك في شكل ٤ – ترتفع عن الطابق الأرضي نحو ثماني أقدام أو عشر وتستعمل كالمنضرة، وهي ذات واجهة مكشوفة لها عقدان أو أكثر ودرابزون منخفض. كذلك يوجد في الطابق الأرضي مكان مربع يسمى « تختبوش » له واجهة مكشوفة يتوسطها عامود يحمل الجدران العليا، وأرضية هي ليوان مبلط عليه مقاعد خشبية طويلة يسمى الواحد منها « دكة » تصف على جانب واحد أو على جانبين أو على الجوانب الثلاثة. وكثيراً ما يرش الحوش أثناء الصيف بالماء حتى تصبح الغرف المحيطة به (أو على الأقل غرف الطابق الأرضي) لطيفة الحرارة. أما تأثيث الغرف فعلى الطريقة السابق وصفها



شكل ١٢ – (قاعة)

وبين الغرف العلوية الخاصة بالحريم يوجد غالباً غرفة تسمى « قاعة »، كما ترى أمامك في (شكل ١٢)، وهي عالية بصفة خاصة، ولها ليوانان، واحد على كل جانب، أحدهما أكبر من الآخر. وفي سطح هذه القاعة قسم يعلو الدرقاعة مرتفعاً عن بقية السقف على شكل قبة، يتدلى في وسطه مصباح صغير يسمى « بِمْراق » ذو جوانب من خشب المشربية

والدرقاعة هنا كثيراً ما تكون من غير فسقية؛ وغالباً تبلط على مثال المنضرة (المنظرة)، وعلى مثالها أيضاً يوجد في القاعة صفة جميلة ودواليب ذوات حشوات دقيقة الصنع، فضلاً عما في هذه الغرفة وفي غيرها من رفوف خشبية ضيقة تمتد على طول حائطين، أو على طول الحوائط الثلاثة التي تحد الليوان مرتفعة حوالي سبع أقدام أو أكثر عن الأرض فوق الدواليب تماماً. ويوضع فوق هذه الرفوف أوان زخرفية هي للزخرفة أكثر منها للاستعمال العام[1]. وكل الغرف تعلو إلى أربع عشرة قدماً أو أكثر، ولكن القاعة أكبرها وأعلاها، وهي تعد في المنازل العظيمة غرفة استقبال جليلة

وفي كثير من الغرف العلوية في بيوت الأغنياء يوجد فضلاً عن الشبابيك نوافذ أخرى من الزجاج الملون يمثل باقات من الزهر وطواويس ورسوما أخرى ذات زخرفة صرحة فاخرة، أو نماذج خيالية ذات أثر في النفس لطيف. وتلك النوافذ الملونة الزجاج يطلق عليها لفظ « قمرية »[2]، ارتفاعها يتراوح بين قدم ونصف وبين قدمين ونصف، وعرضها من قدم إلى قدمين؛ وهي تُصَفّ بطول القسم الأعلى من مشربية النوافذ البارزة، أو يعلو بعضها هذه المشربيات بحيث تكون مربعاً كبيراً، أو توضع في أي مكان في أعلى الجدران منفردة أو مزدوجة كل زوج بجانب الآخر. وهذه النوافذ الزجاجية تتكون من قطع صغيرة من الزجاج المختلف الألوان، المثبتة بالجص في إطار من الخشب. وكثيراً ما تزين حيطان بعض الغرف بصور غليظة للمسجد الحرام، أو لقبر الرسول (صلعم)، أو لبعض الزهور، أو لموضوعات أخرى يصورها صناع الوطنيين المسلمين الذين يجهلون القواعد الأولى للرسم المنظوري،

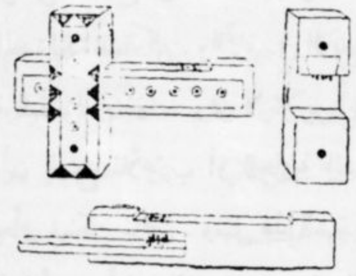
(١) في البيوت الكبيرة يوجد علاوة على القاعة الرئيسية الخاصة بالحريم مخدع مرتفع مخصص للمغنيات حتى يستترن من أنظار الرجال من العائلة أو من الزائرين (وفي الحالة الأخيرة تنسحب النساء) وستجد وصف هذا في فصل الموسيقى

(٢) هذه الكلمة مشتقة من « قمر »، ويعتقد البارون هامر بورجستال Baron Hammer Purgstall أن أصلها من خومارو ج (أو كما يسميه العرب خمارويه)، وهو أحد أمراء بني طولون، وكان يحكم مصر في أواخر القرن التاسع من الميلاد، وهي في رأيه تثبت أن فن تلوين الزجاج كان مزدهراً في مصر في هذا العصر

فيشوهون هكذا ما يحاولون أن يزينوه . وفى أغلب الأحوال تعمل هذه الرسوم الملطخة إرضاء لذوق الأتراك الردئ . وقلما يوجد نظيرها فيما بنى على الطراز العربى الجميل ، وأحياناً تزين الحوائط بعبارات عربية من حكم وغيرها تكتب على ورق بخط جميل ، ثم توضع فى أُطُرٍ مجهزة بألواح زجاجية . وليست هناك غرفة خاصة تؤثث للنوم : فالسرير يطوى أثناء النهار ويوضع على جانب ، أو فى غرفة ملحقة تسمى « خزنة » تمد للنوم فى الشتاء . وفى الصيف ينام الكثيرون فى أعلى المنازل . ويغطى الجزء المرتفع من الأرضية المبلطة بالحجر بحصير أو بساط ويوضع فوقها ديوان ، وهذا هو الأثاث الكامل للغرفة .

وعند تناول الطعام يؤتى بصينية مستديرة توضع فوق كرسى منخفض ، ويجلس الآكلون حولها على الأرض . وليس هناك موقد[1] ؛ وإنما تدفأ الغرفة بفحم الحطب الذى يحرق فى مجامر . ولكثير من المنازل عند القمة مسقط منحدر يسمى « ملقف »[2] ويكون غالباً من ألواح خشبية أو من خشب وقصب ، ويغطى فى الحالة الأخيرة بالجص ويبيّض من الداخل والخارج ، وفتحته تتجه نحو الشمال أو نحو الجنوب ليدخل النسيم البارد الذى يهب من هاتين الجهتين إلى « فسحة » — غرفة مفتوحة — سفلى ، وهناك عادة فسحة قبل مدخل كل غرفة أو أكثر من الغرف الرئيسية ، فيها يجلس أفراد العائلة أو ينامون صيفاً ...

ويجهز كل باب بقفل خشبى يسمى « ضَبّة » كما ترى فى (شكل ١٣) ؛ ورقم ١ من هذا الشكل هو منظر أمامى للضبة والمزلاج مسحوب للوراء . أما الأرقام ٢ ، ٣ ، ٤ فهى مناظر خلفية لأجزاء القفل كل على حدة والمفتاح . وفى رأس الضبة مسامير صغيرة (أربعة أو خمسة أو أكثر) تسقط فى ثقوب مقابلة لها فى المزلاج المتحرك كلما دفع إلى الضبة . وفى المفتاح أيضاً مسامير مطابقة لتلك الثقوب تدخل فيها فترفع المسامير الأولى وحينئذ يمكن سحب المزلاج للوراء فيفتح القفل . ويبلغ طول قفل باب الشارع أربع عشرة بوصة تقريباً . وأبواب الغرف والدواليب الخ . من سبع إلى تسع بوصات تقريباً . أما أبواب الحارات والمبانى العامة فأقفالها من النوع نفسه ، ولكن طولها غالباً قدمان أو أكثر . وليس من الصعب فتح هذا القفل



شكل ١٣ — (مزلاج خشبى)

ويلاحظ أن رسم أكثر المنازل يعوزه النظام . فالغرف مختلفة الارتفاع بحيث يجب على الإنسان أن يخطو عدة درجات عندما ينتقل من غرفة لأخرى ملحقة بها . وغاية المعمارى الأولى هى جعل المنزل خاصاً بقدر الامكان ، وخصوصاً قسم الحريم ؛ فيشيد المنزل بحيث لا تطل النوافذ على غرف منازل أخرى . ويراعى المعمارى غرضاً آخر فى بناء منازل الموسرين والعظماء وهو أن يجعل للمنزل باب سر[1] يستطيع الساكن أن يهرب منه فى حالة الخطر ، أو يمكن العاشقين المرور منه . ومن الشائع أيضاً بناء مكان لإخفاء الكنوز يسمى « مخبأ » يكون فى جانب من المنزل . وفى حريم المنازل الكبيرة حمام يسخن على طريقة الحمامات العمومية

---

(١) إلا فى المطبخ حيث توجد عدة أوعية صغيرة للنار مبنية بالآجر . لهذا ولأسباب أخرى (من بينها اعتدال عادات الشعب المصرية وانعدام الستائر فى الغرف وتشييد الأدوار بالخشب ثم تغطيته بالأحجار) قلما تحدث حرائق فى القاهرة . ولكن عندما يحدث مثل هذا الحادث يشب حريق هائل ، لأن هناك كمية كبيرة من الخشب الأبيض اليابس مستعملة فى بناء المنازل

(٢) انظر شكل رقم ٤

(١) وهذه العبارة تطلق أحياناً على الباب المؤدى إلى الحريم

وقد أشرت إلى طراز معمارى آخر على الطريقة التركية جرى عليه الأغنياء أخيراً فى بناء منازلهم وتلك المنازل لا تختلف كثيراً عن تلك التى سبق وصفها ما عدا النوافذ. فهى فى الغالب يوضع بعضها بجانب بعض تقريباً. وعند ما تشغل الحوانيت الجزء الأسفل من البناء فى شارع ما (كما هو الحال فى شوارع العاصمة الكبيرة، وفى بعض الشوارع الصغيرة) يقسم البناء العلوى عادة إلى مساكن منفصلة يطلق عليها اسم «ربع» وتلك المساكن ينفصل بعضها عن بعض، وكذلك عن الدكاكين تحتها، تؤجر للعائلات التى لا تقوى على دفع إيجار منزل بأكمله. وكل مسكن فى الربع يحتوى على غرفة أو غرفتين للجلوس والنوم، وعلى مطبخ ودورة مياه. ويندر أن يكون للمسكن مدخل من الشارع على حدته، فليس هناك إلا مدخل واحد وسلم واحد لعدة مساكن. والغرف فى الربع تشبه غرف الدور الخاصة السابق وصفها. وهى لا تؤجر أبداً بفرشها. ومن النادر أن يسمح للأعزب أو للجارية بالسكن فى تلك الربوع أو فى أى مسكن خاص. ومثل هذا الشخص، مالم يكن يعيش مع أبويه أو مع أقاربه المقربين، يضطر إلى السكن فى وكالة (خان)؛ وهى بناء مخصص لاستقبال التجار وإيداع بضائعهم [1]

وفيما عدا العاصمة وبعض المدن الأخرى، قلما توجد منازل كبيرة أو جميلة. أما مساكن الطبقات السفلى وخصوصاً طبقات الفلاحين فيبدو عليها الفقر المدقع. فأكثرها مبنى باللبن والطين وبعضها ليست إلا أكواخاً عادية. ومع ذلك فأغلبها يحوى غرفتين أو أكثر بالرغم من أن القليل منها يتألف من طابقين. ويوجد فى مساكن فلاحى الوجه البحرى، فى غرفة ما، «فرن» فى الطرف الأقصى من المدخل شاغلاً عرض الغرفة كلها، وهو عبارة عن دكة من الطوب والطين لا يزيد ارتفاعها على صدر الإنسان، وسقفها مقوس فى الداخل ومسطح عند القمة. ويندر أن يمتلك الفلاحون لحافاً يلتحفون به فى ليالى الشتاء، فينامون كلهم على سطح الفرن بعد أن يوقدوا فيه ناراً، أو يتمتع بهذا الفرن الزوج وزوجته، بينما يفترش الأطفال الأرض. وفى الغرف فتحات صغيرة مرتفعة يدخل منها النور والهواء وتشبك أحياناً بقضبان خشبية. وتكون السقوف من جذوع النخل وتغطى بالجريد والسعف وسيقان الذرة، وتكسى بطبقة من الطين والتبن. ولا يتعدى أثاث المنزل حصيرة أو حصيرتين للنوم، وبعض أوعية من الفخار، ورحاً لطحن الحبوب. ويلاحظ أن فى كثير من القرى أبراجاً للحمام كبيرة مربعة الشكل مع ميل خفيف فى جدرانها نحو الداخل (مثل كثير من مبانى قدماء المصريين)، أو على شكل قالب سكر، تبنى على أسطح الأكواخ باللبن والفواخير والطين. وأكثر قرى مصر يقع على أطلال مرتفعة بحيث لا تصل إليها مياه الفيضان. ويحيط بها أو تجاورها أشجار النخل. وهذه المرتفعات تتكون عادة من بقايا أكواخ سابقة أو مدينة قديمة، ويبدو أنها تزيد بقدر ما يزيد مستوى الوادى من الرواسب وبقدر ما يزيد مجرى النهر

(يتبع) عدلى طاهر نور

(1) ومن ذلك فالفرنج الآن معافون من هذا المنع

ليالي القاهرة

خائن!...

للدكتور إبرهيم ناجى

الأَيَالِي! يَا مَا أَمَرَّ اللَّيَالِي! غَيَّبَتْ وَجْهَكَ الجَمِيلَ الحَبِيبَا
أَنْتَ قَاسٍ مُعَذِّبٌ لَيْتَ أَنِّي أَسْتَطِيعُ الهُجْرَانَ وَالتَّعْذِيبَا
إِنَّ حُبِّي إِلَيْكَ بِالصَّفْحِ سَبَّا قٌ وَقَلْبِي إِلَيْكَ مَهْمَا أُصِيبَا
يَا حَبِيبِي كَانَ اللِّقَاءُ غَرِيباً وَافْتَرَقْنَا فَبَاتَ كُلٌّ غَرِيبَا
غَيْرَ أَنِّي أَسْتَنْجِدُ الدَّمْعَ لَا أَلْ قَى مَكَانَ الدُّمُوعِ إِلَّا لَهِيبَا
آهِ لَوْ تَرْجِعُ الدُّمُوعُ لِعَيْنِي جَفَّ دَمْعِي فَلَسْتُ أَبْكِي حَبِيبَا
أَنتَ مَنْ بَدَّلَ الوُجُودَ لِعَيْنِي أَنْتَ صَيَّرْتَهُ جَمَالاً وَطِيبَا
أَنتَ مَنْ بَدَّلَ السَّمَاءَ لِعَيْنِي أَنْتَ صَيَّرْتَهَا ابْتِسَامًا رَحِيبَا
أَنْتَ يَا رِقَّةً تُذِيبُ القُلُوبَا وَتُذِيبُ الصَّخْرَ الأَصَمَّ الذَّبِيبَا
غَيْرَ أَنِّي إِلَيْكَ جِئْتُ مِنَ اللَّيْ لِ وَقَدْ حَانَ لِلدُّجَى أَنْ أَؤُوبَا

ابرهيم ناجى

كنت أهــواك

للأديب محمد قطب

كنت أهواكِ خاطراً فى شعورى وخيـالاً يجول فى تفكيرى
كنت أهواك «فكرةً» ذات حسن
ورواء ، رفَافةً فى ضمــيرى
كنت أهواك لا كحب الأناسىّ فما كنتِ غير روح طهور
كنتِ روحًا مرفرفاً فى خيالى بجناحين من نقاء ونور
كنتِ معنًى مِنّى أراك بروحى فى ثنـايا عواطفى وشعورى
كنتِ معنى منى بأعماق حسّى مشرقاً صافياً صفاء الزهور
كنتُ ألقاك حين أسمو بنفسى عن دُنَى الناس لُطّخت بالشرور
لقد طالما هبطتُ إلى الأر ض فأعليتِنى لوادى النور
حيث نرتاده خِفافاً من القيــد ونناسب كانطلاق الطيور
حيث ننسى ضآلة الأرض إذ نجـ معنا وحدةُ الوجود الكبير
ونحس الحيـاة خلداً جميلاً رائق الصفو كالسنى ، كالعبير

كان هذا متاع قلبي وفكري كان فيه سعادتى وسرورى
ولقد كنتِ أنت معنى من السحر طليقاً فى عالمى المسحور
كنت سراً أرتاده فى ضميرى وضمير الحياة خلف الستور
فإذا ما لقيته طرت نشــوا ن بهذا اللقاء جد فخور!

إنما اليوم أنت عقل وجسم رابض جاثم بغــير طفور
أنت فى الأرض تثقلين انطلاقى وتَمُدِّينَنِي كقيد الأســير
وتريدين لى حيــاة ظلام فى نظام محـدد مكرور
ما حياة الأجسام؟ ما «واقع» الـ مقل؟ سوى عالم من الديجور
كنت أهواك حين كنتِ خيالاً وانطلاقاً فى عالم مــذخور
كنت أهواك هل ترى كان هذا ماضياً؟ يا لشقوتى وكفورى!
كيف أحيا وأنت لست بدنيا ى تضيئينها بنور غزير؟
وتبثين في فنونى حيــاة وتمــدينها بخصب وفير؟
سوف أهواك فكرة ذات حسن ورواء ، رفافة فى ضمــيرى
سوف تبقين فى فؤادىَ ذكرى لهوى مشرق وعهد نضــير

محمد قطب

ثورة!...

للأديب عبد الرحمن الخميسى

مَاذا تُرِيدُ الزَّعْزَعُ النَّكْبَاءُ مِنْ رَاسِخٍ أَكْتَافُهُ شَمَّاءُ؟
تَتَكَسَّرُ الأَحْدَاثُ تَحْتَ يَمِينِهِ وَتَمِيدُ مِنْ صَرَخَاتِهِ الغَبْرَاءُ
وَيُمَزِّقُ الظُّلُمَاتِ عَنْ فَجْرٍ لَهُ فِيــهِ حَيَاةٌ عَذْبَةٌ وَرَجَاءُ
وَيَدُكُّ بِالإِيمَانِ كُلَّ كَرِيهَـةٍ وَتَمَلُّ مِنْ أَوْصَالِهِ الأَدْوَاءُ
وَيُشَارِفُ النَّجْمَ الرَّفِيعَ جَبِينُهُ وَتَبُثُّهُ إِلْهَامَهَا الجَوْزَاءُ
وَيَبِيتُ يَنْفُثُ قَلْبَهُ فِي شَدْوِهِ فَلِذَا تَهِيمُ بِصَوْغِهَا الشُّعَرَاءُ
فِى كَفِّهِ قَدَرٌ كَمِينٌ تَرْتَمِي مِنْ حَوْلِهِ الأَهْوَالُ وَالأَرْزَاءُ



من جديد

يقول الأستاذ الجليل (ا . ع) إن قول بعضهم : (من جديد) إنما هو تركيب غير عربي « مما جناه جهلة المترجمين ، وأن كتابنا وبلغاءنا قبلوه من غير تفكير ولا بحث فوشج بلغتنا »

ثم هو يدعم حجته بردّ هذا التعبير إلى اللفظة الإنجليزية : Anew

ولكني وجدت الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠-٤٦٣هـ) قد أورد هذا التعبير في شعره ، إذ أثبت المترجم له في مقدمة كتابه — العمدة — قوله في إحدى قصائده :

قد أحكمتْ مني التجار ... بُ كل شيء غير جودي
أبداً أقول : لئن كسبـ ... تُ لأقبضنَّ يدي شديد
حتى إذا أثريت عُد ... تُ إلى السماحة من جديد

فيتضح من ذلك أن هـذا التعبير قديم الاستعمال ، أو هو — على الأقل — لا ينتمي إلى التعبير الإنجليزي الحديث في شيء

ثم إن ابن رشيق ممن لا يحتج بكلامه ، ولكن ورود هذا التركيب في شعره مما ينفي عنه تهمة « الترجمة الخاطئة » ويميل بنا إلى الجزم بانتمائه إلى العربية الصحيحة ، فما رأي أستاذنا الجليل (ا . ع) في ذلك ؟

(جرجا) محمود عزت عرفه

١ — فرية قتل الإمام الشافعي

نشر بعضهم كلمات في « جريدة الأهرام » يؤيدون فيها خبر أن الإمام الشافعي مات مقتولاً ، ورد بعضهم ذلك ، وإني مثبت هنا ما يستبين منه كذب هذا الخبر . قيل أن أشهب المالكي ضرب الشافعي فشجه فمرض حتى مات . وقيل إن الذي ضربه هو فتيان المالكي : أما نسبة ذلك إلى أشهب ففرية صريحة ، وإن ذكرها الشمس البرماوي من غير سند ، بل هـذا لا يصدر من عالم قطعاً ، على ما حققه العلامة ابن حجر العسقلاني في (توالي التأسيس) . وأما نسبتها إلى فتيان فإفك أيضاً . قال الحافظ بن حجر في كتابه المذكور : « لم أره من وجه يعتمد » ، وقال العلامة أبو عبد الله الراعي في كتابه (إنتصار السالك) « لم يصح ولم يرد من وجه يعتمد عليه »

وَعَلَى يَدَيْهِ مِنَ الصِّرَاعِ دِمَاءُ ... وَبِنَاظِرَيْهِ تَمَرُّدٌ وَإِبَاءُ
وَبِأَصْغَرَيْهِ ثَوْرَةٌ هَوْجَاءُ ... تَنْهَارُ فِي تَيَّارِهَا الْبُرَحَاءُ
الشَّوْكُ يَا كَمْ دَاسَهُ مُسْتَهْزِئًا ... وَمَشَى تُزَمْجِرُ فَوْقَهُ الْأَنْوَاءُ
وَالنَّارُ يَعْبُرُهَا فَتَسْكُنُ رُوحَهُ ... لَكِنَّهَا فِي رُوحِهِ أَنْدَاءُ
وَالصَّعْبُ تَمْنَحُهُ خُطَاهُ وَلَا تَنِي ... تَجْتَازُهُ مَا مَسَّهَا الْإِعْيَاءُ

مَاذَا تُرِيدُ الزَّعْزَعُ النَّكْبَاءُ ... مِنْ رَاسِخٍ أَكْتَافُهُ شَمَّاءُ
سَأَرُدُّهَا مَدْحُورَةً مَجْنُونَةً ... تَعْوِي فَتُعْوِلُ حَوْلَهَا الْأَجْوَاءُ
وَأَعِيشُ كَالْبُرْكَانِ أَقْذِفُ مِنْ فَمِي ... حُمَمًا تَمُوتُ بِنَارِهَا الْأَعْدَاءُ
وَأُحِبُّ نَفْسِي وَحْدَهَا فَهِيَ الَّتِي ... لِلْحُبِّ فِيهَا جَذْوَةٌ وَفَضَاءُ
وَأَضُمُّ هَذَا الْكَوْنَ لِي وَحْدِي فَفِي ... ذَاتِي لَهُ تَسْبِيحَـــةٌ وَغِنَاءُ

هَذِي الْحَيَاةُ جَمِيلَةٌ بِشُرُورِهَا ... وَنَقَاؤُهَا مَنْشُودَةٌ حَسْنَاءُ
وَلَقَدْ خُلِقْتُ لِكَيْ أَعِيشَ وَيَنْحَنِي ... مِنْ حَوْلِيَ الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
أَسْتَقْبِلُ الْفَجْرَ الْوَدِيعَ مُغَرِّدًا ... وَتَلُفُّنِي مِنْ آيِهِ الْأَضْوَاءُ
وَأُوَدِّعُ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ تُضِيءُ لِي ... مِنْ حُجْرَتَيْهِ شُعْلَةٌ حَمْرَاءُ
وَأَكُونُ كَالْإِعْصَارِ أَعْصِفُ بِالَّذِي ... يَعْتَاقُنِي وَتَهَابُنِي الْأَعْبَـاءُ
فِي قَبْضَتِي قَبَسٌ يُنِيرُ مَسَالِكِي ... نَحْوَ الزَّمَانِ وَغَايَتِي الْعَلْيَاءُ
تَتَجَدَّدُ الرَّغَبَاتُ فِي نَفْسِي كَمَا ... تَتَجَدَّدُ الْأَكْوَانُ وَالْأَحْيَاءُ
أَنَا ذَلِكَ الْجَبَّارُ لَا تَعْنُو لَهُ ... إِلَّا الْمَصَائِبُ وَالْمُنَى الْقَعْسَاءُ
الْبَابُ تَقْرَعُهُ رِيَاحٌ مُلِحَّةٌ ! ... مَاذَا تُرِيدُ الزَّعْزَعُ النَّكْبَاءُ

(القاهرة) عبد الرحمن الخميسي

وفى الخبر نفسه ما ينقض عزو ذلك إليه ، لأنه عاش سنة كاملة بعد وفاة الشافعى ، ومات حتف أنفه سنة ٢٠٥ ، فلو كان قتله بمفتاح حديد — كما قيل — لما ونى الوالى (وهو السرى ابن الحكم) عن الاقتصاص منه ، لأنه كان قد عزره تعزيراً شديداً لما بلغه أنه سب الإمام الشافعى فى مناظرة بينهما ، فكيف لو قتله ؟!

وإنما هى أفائك مكشوفة من دعاة الفتنة ، يعكرون بها صفو الإخاء بين المذاهب . ولم يقع من صميم رجال المذاهب ما يشين ناصع أعمالهم فى دور من أدوار التاريخ مطلقاً ؛ وإنما ذلك من المتطفلين البعيدين عن الفقه وأهله . ومرض الشافعى بالباسور الشديد متواتر الخبر بأسانيده فى (توالى التأسيس) وغيره .

٢ — جميل نخلة المدور

قال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن (فى العدد ٤٢٦) : أما نسبة جميل نخلة المدور إلى العراق فهى شائعة عندنا فى مصر . والحق أنى لم أقرأ ترجمة لهذا الباحث العظيم

وفى (الأعلام للأستاذ الزركلى) ترجمة موجزة له نتملل بها إلى أن يسمح الأستاذ البحاث كوركيس عواد بترجمة مبسوطة : جميل بن نخلة المدور (١٢٧٩ — ١٣٢٥ للهجرة) : متأدب ، من أهل بيروت ، وسكن مصر فتوفى فيها ، اشتهر بكتابيه (حضارة الإسلام فى دار السلام) و (تاريخ بابل وأشور) ، وكان الشيخ ابراهيم اليازجى يصحح له ما يكتبه . وفى أصحابهما من يرى أن (حضارة الإسلام) لليازجى ، وأنه نحله جميلاً فى أيام ادقاع الأول وإثراء الثانى .

أحمد صفوان

« تصويب » : وقع فى كلمتى فى العدد (٤٢٦) غلطتان مطبعيتان ، صوابهما : « المذبل » و « البطليوسى »

تصويبات سريعة

عرض الأستاذ وجدى فى الجزء السابع من مجلة الأزهر لبعض كتب النبى صلى الله عليه وسلم والردود عليها واستهل مقاله بأنها كانت فى السنة السادسة من النبوة ، ثم شك فى ردود ثلاثة مستدرجاً فى شكه حتى أنكرها وسماها مفتريات ساذجة . وإحقاقاً للحق وإنصافاً للسيرة والتاريخ — نشير فى هذه العجالة إلى الصواب ؛ ونهيب بالأستاذ وهو رجل مسئول أن يعطى السيرة بعض عنايته واهتمامه حتى لا يورط القارئ فى مهاوى الشكوك بعد:

١ — الصواب أن إرسال الكتب كان فى السنة السادسة من الهجرة والتاسعة عشرة من النبوة

٢ — وأن هرقل والمقوقس كانا يعلمان من الكتب القديمة أن نبياً سيظهر . وموضوع التبشير بالنبى صلى الله عليه وسلم معروف مستفيض جاء به القرآن الكريم وغيره مما لا يدع مجالاً لشك الأستاذ ولا استبعاده . وإنما لم يذعنا له خوفاً على الملك والسلطان ، ولا عبرة بتصديق لا إذعان معه ولا إسلام

٣ — ثم حسبك دليلاً على إسلام النجاشى أصحمة أن النبى صلى الله عليه وسلم نعاه ، وصلى عليه صلاة الغائب ، وأنه أكرم المهاجرين إليه فى الهجرتين إكراماً ، وأنه زوج النبى صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان وأصدقها عنه أربعمائة دينار ، فكيف تنكر بعد هذا إسلامه وتستبعد رده بشبهة ظهور الصنعة فيه ؟ ولئن سلمنا هذه الصنعة أن الرد مترجم قطعاً . وللمترجم أن يتصرف فى الألفاظ ما شاء ما دام أميناً على المعنى حفيظاً عليه

هذه تصويبات خاطفة ومن ابتغى المزيد فليرجع إلى السيرة الحلبية ، وإلى كتاب الجنائز فى البخارى ، وإلى شرح المواهب اللدنية ص ٣٤٦ ج ٣ . وكفى بهن دليلاً

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

إلى الدكتور زكى مبارك

الحسن والفضل منفوسان على أصحابهما . لهذا ما ترانى فى هذه الكلمة متصدياً للرأى الطريف الذى ارتأيت فى أحد « شجون الأحاديث » التى تحدث قراءك كل أسبوع فى الرسالة الغراء . إن للأفكار الحسان عشاقاً يحومون حولها كما يحوم حول الحسان من بنات حواء كل عاشق ولهان . فاسمح لى إذاً أن أحوم قليلاً حول ما ارتأيت من رأى فى حديث « ما علمتنى الأيام » .

ارتأيت ألا يبدى أحد رأياً فى مسائل الأخلاق والدين والاجتماع إلا مكتوباً ، فيأمن مغبة التزيد الشنيع الذى يتزيد بعض خساس الناس على الأحاديث ترسل إرسالاً فى المجالس والنوادى والمجتمعات . وذلك أن الكلمة المكتوبة ، خلافاً

للكلمة الملفوظة ، لا تقبل التزيد ولا التحريف المقصود ، أو غير المقصود ، وإن ركب أحد المعاندين المكابرين رأسه وحاول أن يزيد أو ينقص أو يحرف فيما كتبت ونشرت ، فأنت بما تملك من سلاح المنطق والرجوع إلى الحقائق والاحتكام إلى الرأى العام خليق أن ترده إلى محجة الصواب أو تلقمه حجراً إن كان لا يسد فاه إلا حجر . ولا أنكر أن للرأى قوته وإغراءه وللنصيحة ما تستأهله من إصغاء تام ، لا سيما وهذه الأيام هى الأيام التى تروج فيها سوق الرواة المتزيدين المحرفين المشنعين . ولكن ، ولا بد من لكن هنا ، هل ينجو صيارفة الفكر وصاغة الكلام من مساوئ التشنيع والتزيد والتحريف لو اعتصموا بالصمت ولاذوا بالسكوت كما تنصح لهم أن يفعلوا يا دكتور ؟ ! أما أنت فقد أجبت جواب الموقن أنه ما على المرء لينجو من مساوئ التزيد والتحريف إلا أن يطبق شفتيه ويطلق قلمه ينقل إلى القارئين آراءه وأفكاره فلا تعبث بها الأهواء الخبيثة والذواكر العابثة . أما أنا ، وإنى على أشد اليقين مما أقول ، فلا أرى الاعتصام بالسكوت فى النوادى والمجالس الخاصة أو العامة منجياً من أذى التزيد والتشنيع لسبب واحد بسيط يكاد لبساطته وشيوعه لا يخفى على أحد : فقد تنجح فى أن تروض نفسك على ألا تبدى رأياً فى شؤون السياسة والدين والاجتماع إلا مكتوباً ، ولكن ما حيلتك فى هذا النفر الذين لا يمنعهم أن يسمعوا رأيك خارجاً من شفتيك أو مدوناً فى صحيفة أو كتاب فيمضون يشيعون أنك قلت كيت وكيت وارتأيت زيت وزيت ؟

هذا شىء ، والشىء الآخر وجوب الكلام أننا قد نفيد فى عرض أفكارنا على غيرنا قبل إثباتها على الورق فائدة التمحيص لهذه الأفكار وإزالة الفضول ، فنعدل عن الفكرة الجائرة ، ونعدّل الفكرة الحائرة ونثبت على الفكرة الصائبة

وشىء ثالث أن كثيراً من المفكرين لا يجدون الوسيلة إلى التدوين ، إما لأنهم خطباء مرتجلون أو لأنهم لا يجدون الصحيفة تنشر لهم ما يرتأون ، فهل يصمت هؤلاء أو يتكلمون ؟ !

بناء على هذه وبناء على أن الله خلق الحنجرة والشفتين واللسان قبل أن يخلق الورق والمداد والأقلام وحتى لا تصبح المجالس والنوادى ميادين تتبارى فيها فنون الملق والتدجيل والرياء أرى أن يتكلم كلٌّ ما أطاق لسانه وحنجرته الكلام ، ولكن فى حدود اللياقة والمنطق والاحتشام

هذا ولما كان الحديث ذا شجون فقد استرعى انتباهى من شجون حديثك ما ارتأيت من أن الكفايات يجنى بعضها على بعض ، وهى قولة حق يحسُّ صدقها كل من عانى التعبير عن هواجس النفس وخواف الحس بطريق غير الطريق الذى اعتاده ؛ ولكن هذا لا يعنى أن نخضع للأمر الواقع ونترك هذه الكفايات يبتلع بعضها بعضاً حتى لا تبقى إلا الكفاية الواحدة تستبد بصاحبها أبلغ الاستبداد ، ولا تدع له أن يقول قولاً أو يبدى رأياً أو يبدون هاجسة من هواجسه إلا عن طريقها وبأسلوبها ، وقد يكون بين الكفايات المكبوتة ما هو أولى بالبروز وأخلق بالرعاية وأحق بالترويض من الكفاية التى زاحمت ما عداها من الكفايات فزحمتها وردتها ذليلة مقهورة . ثم يجب ألا يفوتنا أن الممارسة والمران كفيلان بأن يزيلا عن الكفاية المكبوتة ما قد يحسه صاحبها من العسر عند أول ما يحاول استغلالها . فالكفاية المالية المهملة كالجواد الكريم طال ارتباطه وحُرم أن يعدو أو يجول فى طريق أو ميدان ، فيجد راكبه صعوبة فى تصريفه أول الأمر ، ولكنه لا يلبث طويلاً حتى يعود إلى ما هو خليق بالعتق والأصل الكريم من التبريز فى غير عسر ولا عناء .

أديب عباسى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 428

Lundi - 15 - 9 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ » العـدد ٤٢٨

الفهـــــرس

صفحة		
١١٣٧	أحاديث التلاميذ المصريين / يوم العودة إلى المدارس ..	« لكاتب كبير » ... ...
١١٣٩	الحديث ذو شجون ...	: الدكتور زكى مبارك ... ...
١١٤٣	كيف يكتب التاريخ ...	: الدكتور حسن عثمان ... ...
١١٤٧	كليلة ودمنة	: الأستاذ عبد السلام محمد هارون
١١٥٠	معركة الأطلنطى	: الأديب محمد شاهين الجوهرى
١١٥٤	المصريون المحدثون : ... / شمائلهم وعاداتهم	المستشرق ادورد وليم لين ... / بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١١٥٧	وقفة على دار [قصيدة]	: الدكتور ابراهيم ناجى . ...
	غيمة ... ... «	: الأديب عبد الرحمن الخميسى
١١٥٧	من لواعج الذكرى «	: الأستاذ محمد كامل حته ...
	إلى البـدر ... «	: الأديب محمد عبد السلام كفافى
١١٥٨	ما رأيكم فى هذا الجواب — / مشكلة جديدة	الدكتور زكى مبارك ... ...
١١٥٩	من جديد	: الأستاذ الكبير (ا . ع)
	الذى حرك العالم	: الأستاذ أحمد على الشحات ...
	استيضاح	: الأديب أحمد الشرباصى ...
١١٦٠	فى اللغة	: (ح . ح) ... ...
١١٦٠	ذهب آل هومتزلرند [قصة]	: الأديب سيد ابراهيم البكار

أحاديث التلاميذ المصريين

يوم العودة إلى المدارس

« لكاتب كبير »

فى أكثر البلاد الأوربية والأمريكية يكون « يوم العودة إلى المدارس » يوماً خفيف الظل ، لطيف الروح ، وهو عند تلاميذ تلك البلاد أجل أيام العام الدراسىّ الجديد ، ولكن ما سرّ الجمال فى ذلك اليوم ؟ أيكون فى تنسُّم أرواح المدرسة من جديد ، ولها فى قلوب أكثر التلاميذ مكان ؟ أيكون فى تسلُّم الكتب الجديدة ، ولها جاذبية يتشوف إليها عقلاء التلاميذ ؟

لا هذا ولا ذاك ، فهنالك عُذوبة تفوق هذين المعنَيين الكريمين ، وهى عذوبة الأحاديث التى يتجاذبها التلاميذ ، وهم يقصُّون أخبار الصيف وما وقع لهم فيه من نوادر وطرائف ، وما شاهدوا فيه من غرائب وأعاجيب ... إى والله ، فهنالك لذة طبيعية ، هى لذة الحديث عما رأينا وسمعنا فى أيام الراحة من متاعب الدروس ، وهى لذة لم نذقها ولم يذقها أبناؤنا ولا تلاميذنا ، ولن يلتفت إليها المربّون المصريون إلا يوم يؤمنون بأنها تصنع فى خَلق الحيوية الذوقية والروحية ما تعجز عنه المدارس والمعاهد والكليات .

فماذا يقول التلاميذ المصريون بعضهم لبعض يوم يلتقون

في مطلع العام الدراسي الجديد ؟ وما هي موضوعات الأحاديث التي يتجاذبونها في ذلك اليوم ؟

الواقع يشهد بأننا لم نبذل جهداً قوياً أو ضعيفاً في تلوين البلاد المصرية ؛ فلم ننشئ فيها غابات ، ولم نلتفت إلى ما بها من بحيرات ، ولم نحاول تشويق أبنائنا وتلاميذنا إلى درس ما فيها من نبات وحيوان ، ولا فكر جماعة منا في إعداد المناهج لأيام الصيف ، وهي في مصر أطيب الأيام ، وإن تعرضت لوهج القيظ من حين إلى حين

الحق أننا لا نفكر في حقوق الأبناء والتلاميذ ... وهل نفكر في أنفسنا حتى نفكر فيهم ؟ إن عيشنا رتيب رتيب ، وأكثرنا يقضي أيام الإجازة على النحو الذي يقضي به أوقات الفراغ في موسم الأعمال ، فلا ينتقل من بلد إلى بلد ، ولا يتيح لعينيه فرصة التطلع إلى منظر جديد ، وكذلك نحبس أبناءنا في بيوتنا أيام الصيف . إلا أن نتلطف فنسمح لهم بالتجول في رحاب تلك البيوت ، ثم تكون النتيجة أن يلقوا رفاقهم يوم افتتاح العام الدراسي وليس عندهم ما يتحدثون به غير المناصرات الصبيانية ، وهي لا تخرج عن التغزل المزيف أو الصحيح بخادمات الجيران !

أنا أريد أن يلقى التلميذ رفاقه في مطلع الخريف وعنده أشياء يحدث بها أولئك الرفاق ؛ كأن يقول إنه قضى أياماً أو أسابيع في رحلات طريفة تعرف بها إلى بعض خصائص هذه البلاد ، وكأن يقول إن « بحيرة قارون » لها تاريخ لم تظفر بمثله « بحيرة التمساح » ، وكأن يقول إنه عجب من الأقدار التي فكرت منذ الأزل في تهيئة الوسائل لإقامة خزان أسوان ، وكأن يقول إنه عرف بالضبط مواطن اللوبيين ، وكان لهم تاريخ في مناوشة قدماء المصريين ، وكأن يقول إنه عرف المسجد الثاني ، وهو المسجد الذي بُني بعد المسجد الجامع بمدينة الفسطاط ، وكأن يقول إنه عرف الموجب الذي قضى بأن تكون هناك منافسات ظاهرة أو خفية بين أهل الشمال وأهل الجنوب

أريد وأريد ، ولكن المدرسين والآباء يصدونني عما أريد

فإن اعتذر الآباء بشواغلهم اليومية ، فما أعذارُ المدرسين ولهم مواسم يرون بها مع تلاميذهم ما يشاءون ، لو كانت لهم عيون ؟!

وهل لحضرات المدرسين عيون وأكثرهم يقضي الإجازات في رحاب القهوات ؟

وما قيمة المدرس الذي لا يجد ما يحدّث به تلاميذه عن مشاهداته في أيام الصيف ؟ ما قيمة العيون البليدة التي لا تتطلع إلى الجديد من مشاهد الوجود ؟

ولكن ما الموجب لإيذاء المدرس بهذا الهجوم العنيف وهو عضو من الأسرة المصرية ، وهي أسرة لا تفكر في إعداد ميزانية لأيام الإجازات ؟

أيامُ العمل مرجعُها إلى البيت ، وأيامُ الراحة مرجعُها إلى البيت ، وأيامُ المرض مرجعُها إلى البيت ، ولو أُبيح لهؤلاء أن يُقبَروا في بيوتهم لعدُّوا ذلك من دلائل التوفيق !

فيا بني آدم ، من أهل هذه البلاد ، تذكَّروا أن المثَلَ المصري يقول : « الحركة بَرَكة » وتذكَّروا أن لأبنائكم منافع من التعرف إلى أقاليم النيل السعيد ، إن كانت لكم غاية في تثقيف أولئك الأبناء

ماذا يقول المدرس لتلاميذه يوم العودة المدرسية ؟

وماذا يقول التلاميذ بعضهم لبعض في ذلك اليوم ؟

ضُربَ حجابُ الغفلة على أولئك وهؤلاء ، فلن يجدوا غير الحديث عن صَفّارات الإنذار وأسعار القطن وغلاء الأقوات وهو حديثٌ مُعاد لا تنشرح لسرده القلوب

لأولئك وهؤلاء أن يعتذروا بعجزهم المادّي عن مشاهدة بعض الأقطار الشرقية أو الغربية ، فما عذرهم في العجز عن مشاهدة الأقاليم المصرية ؟

أيريدون أن تقوم وزارة المعارف بتكاليف تلك الرحلات ؟

كنت أرجو أن يكون في أنفس المدرسين والتلاميذ ما يوجب جَوْب الأقاليم المصرية مشياً على الأقدام ليعرفوا كيف يكون « طُولها شهرٌ وعرضُها عَشر » ، كما قال عمرو بن العاص ، ولكن ... ولكن أبناء هذه البلاد مصريون لا أعراب !

تحرَّكوا قليلاً ، يا أبناء مصر ، فالحركة في أسوأ أحوالها أفضلُ من السكون ، لأن الحركة حياة والسكون موت ، أعانني الله وإياكم على التخلق بأخلاق الأحياء

« كاتب »

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الإسلام الصحيح — القدوة الصالحة أنفع من البرهان — مناجاة روحية — عجز المدنية الأوربية من إقراء السلام لا يجب أن يصرفكم عن فهم روحها الأصيل ...

الإسلام الصحيح

رجاني الأستاذ أحمد كامل مدرس علم النبات بمدرسة مشتهر الزراعية أن أجيب عن أسئلة وجهها إلىّ حضرة الأديب تادرس مسيحة وكيل بريد أخطاب ، والأسئلة تدور حول التعريف بالإسلام الصحيح

ويظهر أن هذه الأسئلة وُجِّهت من قبلُ إلى حضرة الباحث المفكر الأستاذ فريد وجدى ، كما وُجِّهت إلى بعض الوعاظ ، وإلى أحد الأساتذة بكلية أصول الدين

ويظهر أيضاً أن صاحب الأسئلة رجلٌ قد اطّلع على كثير من المباحث الإسلامية ، فخطابه يشهد بأنه قرأ بعض التفاسير ، ونظر فى بعض المذاهب ، وكوّن لنفسه فكرة واضحة أو غامضة عن العقيدة الإسلامية ، بحيث يستطيع المجادلة فى كثير من المسائل التى يدور حولها الخلاف بين المسيحيين والمسلمين

ويظهر كذلك أنه يتوهم أن الإجابة عن أسئلته ضربٌ من المستحيل ، وإلا فكيف جاز له أن يتحداني فيقول : هذا موطن الشجاعة إن كنت من الشجعان ؟ ! !

وأجيب بأن هذه الأسئلة ترجع إلى غرض من اثنين : الأول هو الرغبة فى درس بعض المشكلات الدينية ، والثانى هو الشوق إلى فهم أسرار العقيدة الإسلامية . فإن كان الحافز هو الغرض الأول ، فأنا غير مستعد المشاركة فى هذا الجدال ، فقد علمتنى التجارب أن المجادلة التى تقع بين رجلين من دينين مختلفين ، تنتهى غالباً إلى تعميق هوّة الخلاف ، ولا نجنى منها غير ثمرة الفُرقة والشقاق ، إلا أن نكون وصلنا إلى أشرف الغايات فى التفاهم العلمى ، وذلك غير مضمون ، ما دام الجدل قد انتقل إلى الجرائد والمجلات ، فقد ينقلب الجدل إلى لجاجة من حيث لا نريد

وإن كان الحافز هو الشوق إلى فهم أسرار العقيدة الإسلامية فأنا أرجو حضرة السائل أن يراعى المسائل الآتية حين ينظر فى الكتب التى تشرح أصول الدين الإسلامى :

أولاً : لا يجوز القول بأن الإسلام مسؤول عن جميع ما سُطِّر باسمه عن حسن نية من أقوال بعض الوعاظ والفقهاء ، حتى يجوز اتهامه بقبول الأباطيل والأضاليل ، كالذى يقع فى كلام أهل الغفلة عن روح الإسلام ، وهو من أوهامهم براء

ثانياً : لا يجوز الاعتماد على ما قاله بعض أئمة المسلمين فى ساعة غضب ، كالذى نقله الأديب تادرس مسيحة عن الشيخ محمد عبده إذ يقول : « لو أخذنا مسلماً من شاطئ الأطلنطى ، وآخر من تحت جدار الصين ، لوجدنا كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهى : إنا وجدنا آباءنا ... »

فتلك كلمة قالها الشيخ محمد عبده فى ساعة من ساعات غضبه على من كان يناوئه من رجال الدين بلا فهم ولا إدراك ، وإلا فهى كلمة مفتراة على المسلمين ، وفيهم ألوف الألوف من أهل البصيرة واليقين

ثالثاً : يجب أن يكون مفهوماً أن تقاليد الإسلام تعرّضت لما تعرضت له تقاليد سائر الديانات من التشويه والتحريف ، فمن الظلم أن يؤخذ الإسلام بعبارات دُوِّنت فى عصور الظلمات ، ولو نُسبت إلى بعض الأكابر من العلماء

رابعاً — مرّت أوقات على الباحثين من المسلمين وهم لا يفطنون إلى خطر التساهل فى سرد الظنون والفروض ، ولو عقلوا لأدركوا أن ذلك التساهل ستكون له عواقب سود ، كأن يصبح حجة ينتفع بها خصوم الشريعة الإسلامية ، وهم قد انتفعوا بما فى بعض التفاسير من أباطيل

خامساً — يجب أن نفهم أن الإسلام قد سيطر على كثير من أمم المشرق والمغرب ، وهذه السيطرة نفعته من جانب وأضرته من جانب : نفعته لأنها كانت شاهداً على قوته الذاتية ، وأضرته لأنها كانت السبب فى مزج روحه الأصيل بأوشاب الآراء الموروثة عن تلك الشعوب ؛ فمن العدل والإنصاف أن ننزه الإسلام عما أضيف إليه بسبب الغفلة أو بقصد التضليل

سادساً — قد اختلف المسلمون أنفسهم لأسباب عنصرية أو سياسية ؛ وكان من نتائج هذا الاختلاف أن يتأثر المؤلفون بالنزعات العنصرية والسياسية ، وهى نزعات توجب على الباحث

أن يحترس ويحتاط ، حتى لا يُحمّل الإسلام ما لا يطيق ، ولو كان من غير المسلمين ، لأن نزاهة الحكم واجبة على الجميع

سابعاً — لم يَغفُل أكابر المسلمين عما أضيف إلى الإسلام من الأباطيل ، فكلّ اعتراض له دفع ، وكل شبهة لها تفنيد ، فإن رأيت ما يسوءك من كلام بعض الوعاظ أو بعض الفقهاء فارجع إلى ما دُحض به على ألسنة الموهوبين من أهل الإسلام الصحيح ، وذلك فى مقدورك إن أردت الاهتداء

ثامناً — بيننا وبين ظهور الإسلام نحو أربعة عشر قرناً ، فحدثنى أيها المنصف ، حدثنى كيف تمرّ هذه القرون بدون أن تجنى على ذلك الدين بالتحريف والتزييف ؟ وهل سمعت برأى عاش أربعة عشر عاماً بدون أن يتعرض للمسخ والتشويه ؟ فكيف يعيش دينٌ أربعة عشر قرناً وهو فى أمان من أهل التزيد والافتراء ، وله ملايين من الخصوم والأعداء ، فضلاً عما له من الأصدقاء الجهلاء ؟ !

إذا صحّ هذا — وهو صحيح صحيح — فكيف يؤخذ الإسلام بآراء مدخولة أملاها الحقد الأسود ، أو صاغها التودد إلى بعض الوثنيات البوائد فى الممالك الأسيوية والإفريقية والأوربية فى عصور غاب عنها الناقد الرشيد ؟ !

تاسعاً — المصدر الأصيل للعقيدة الإسلامية هو القرآن ، فاذا فى القرآن من اللبس والغموض ؟ وماذا فيه مما يوجب الشك والارتياب ؟

فى القرآن كلمات تحتاج إلى تأويل ، لبعد العهد بيننا وبين ظهور القرآن ، وأنا حاضر لتأويل تلك الكلمات ، على شرط أن يكون مناظرىّ طلاب فهم وحق ، لا عشاق لجاجة وعناد

عاشراً — عاش الإسلام نحو أربعة عشر قرناً برغم القواصف والعواصف والأعاصير ؛ وأنشئت فى دحضه وتزييفه ألوف الألوف من الخطب والرسائل والقصائد والمؤلفات ، فهل يتصور عاقل أن الباطل تكون له مثل هذه القوة العاتية ؟

إن كان للباطل مثل هذه الصلاحية للبقاء فسأغير رأيى ، وسأقول إن الثبات على الخطوب من صور الحق الغلاب ، ولو قيل فى معنى الثبات ما قيل « بغض النظر عن عقيدتى الصوفية فى الأنس بجميع صور الوجود »

والإسلام باق ، ولن يبيد أبداً ، لأن روحه مقبوسة من جمر الخلود

القدوة الصالحة أنفع من البرهان

ويرجو الأديب نادرس مسيحة أن أقنعه بمزايا الإسلام ليسلم . وأقول : إن الـكمية لا تهمنى ، ولو كان الأمر بيدى لشذبت الإسلام من بعض النصوص الطفيلية ، فما انتصر الإسلام بالأرقام وإنما انتصر بالمعانى ، وهـذا الأديب قد وعد بمتابعة ما أكتب فى هذا الموضوع الدقيق ، فليتدبر هذا القول :

لا ينتقل الرجل من دين إلى دين بفضل الحجج والبراهين إلا فى حال التجرد من مستور النوازع والأهواء ، ولو كان الناس يصغون فى كل وقت إلى صوت العقل لأراحوا كواهلهم من ألوف المتاعب والمصاعب

فلم يبق إلا باب واحد من أبواب الهداية ، وهو القدوة الصالحة ، القدوة التى تخلق الجاذبية الروحية فتنقل القلب من مكان إلى مكان بلا دعوة ولا نداء

وهذه القدوة هى التى استطاعت فى الأزمان الماضية أن تحول جماهير الأقباط إلى الإسلام عن رغبة صحيحة وقلب سليم

وكان للأقباط الذين أسلموا فضل كبير فى إذكاء الروح الإسلامى بالديار المصرية . فكان منهم نوابغ فى الفقه والتوحيد ، واستطاع جماعة منهم أن يصلوا إلى أعظم المناصب الإسلامية بجدارة واستحقاق ، وليس أمام الإخلاص مستحيل

وما أحب أن أكتم رغبتى الشديدة فى وحدة الأمة المصرية من الوجهة الدينية لتنعدم أسباب الشقاق الذى يثور من وقت إلى وقت ، ولنقضى على الفتنة التى تهددنا من حين إلى حين باسم الأكثرية والأقلية ، وهى فتنة لا ينتفع بها غير الأعداء .

ولـكن هذا الغرض لن يتحقق فى عام أو عامين ، فماذا نصنع إلى أن تريد القادر أن يتحقق ؟

نعتصم بالأخوة الوطنية فلا يبغى بعضنا على بعض ، ولا يأثم فريق فى حق فريق بسبب اختلاف الدين

والأخوّة الوطنية تحتاج إلى حراسة قوية ، وهى لا تقوم إلا على قواعد من الأخلاق الصحاح . والخُلُق الصحيح يوجب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك . ويوم نتحلى بهذا الخلق تنعدم الفوارق أو تـكاد بين المختلفين فى الدين ، ويشعر المسيحىّ فى مصر بجاذبية نحو الإسلام ، وهى الحجر الأول فى بناء الإخاء

وهنا شبهة يجب عرضها بلا مواربة لنعرف كيف نهدمها

من الأساس ، وهى الشبهة التى تصيح وتصرخ فى كل يوم بأن اختلاف الدين له دخلٌ فى المشكلات المعاشية المتصلة بالوظائف الرسمية

وأساس الشبهة أن المتعلمين من الأقباط كانوا قبل عشرين سنة يجدون الوظائف بلا صعوبة ، وهم اليوم لا يجدون وظائف إلا بمشقة وعناء

هذا حق ، ولكن تعليله سهل ، فالمتعلمون قبل عشرين سنة من المسلمين والأقباط كان عددهم أقل من عدد الوظائف ، فكان الشاب المتعلم يجد وظيفة تريحه من هموم البطالة ، ولو كان من حملة الشهادة الابتدائية

أما اليوم فعدد الوظائف أقل من عدد المتعلمين ، وهى أزمة تواجه المسلمين بأكثر مما تواجه الأقباط ؛ بسبب النسبة العددية ؛ والشبان الأقباط يعرفون هذه الأزمة بلا جدال ، والشكوى لا تصدُر عنهم ، وإنما تصدُر عن آبائهم الذين نشأوا فى عهود الرخاء ، فهم يظنون أن التعصب الدينى هو الذى ضيّق ميدان الوظائف ، ولا يدرون أن قانون العرض والطلب هو الذى خلق ذلك الضيق

وإنما نصصت على هذه الشبهة لأنها موجودة بالفعل ، ولأن أذاها يواجهنا فى كل يوم ، ولأن التحرر منها يبدد غيوماً تمكر سماء هذه البلاد ، بدون أن يكون للمسلمين يدٌ فى حوك ظلالها السود

الشاب القبطى قد يتجاهل الواقع فيعلل نفسه بأنه مضطهد لقبطيته ، فكيف أعلل الظلم الذى أعانيه منذ أعوام طوال واسمى محمد ورئيسى اسمه محمد ؟

وأنا بعد هذا أرجو أن يفتح الله علينا جميعاً فلا نعانى أزمات هذا الزمان ، ولا يفسد ما بيننا بسبب المعاش ، وهو غاية ثانوية فى حيوات أصحاب المبادىء والآراء

أترانى أجبتك بصراحة وصدق ، يا وكيل البريد فى أخطاب ؟

مناجاة روحية

كنت أعرف بعض الخصائص التى يمتاز بها قلبى وروحى لطول ما أجهدت نفسى فى التعرف إلى ما ينطوى عليه القلب والروح من أسرار وغرائب وأعاجيب ، وقد كنت أخشى أن ينقضى العمر قبل الظفر بذلك المطلب المنشود

وأظهرُ ما عرفت من تلك الخصائص هو الشوق إلى إدراك سرائر الوجود ، بما فيه من النقائض لمن يجهل ما أقيم عليه من الأساس ، كأن يجتمع فيه البغض والحب والدمامة والجمال

وأعجبُ العجب أن يصح عندى أنْ ليس فى الدنيا شرٌّ بالمعنى المعروف لهذا اللفظ ، فما مرَّت بى أزْمةٌ إلا أحمدتُ عواقبها ، وعددتها من فضل المنعم الوهاب ، ولا تنكَّر صاحبٌ أو صديق إلا كان ذلك التنكر فرصة لدرس أهواء النفوس والقلوب

وأعجب من هذا أن تكون الوشايات والنمائم والأراجيف مصدر قوة واستعلاء ، فما أذكر أبداً أنى تهيبت أقوال الناس ، أو نصبت لأوهامهم أى ميزان ، إلا أن يلتفت ذهنى إلى الاستفادة من ذلك فى أبواب التعليم والتثقيف

وأنا أبتسم كلما رأيت ناساً يتوهمون أن فى مقدورهم أن يأمرونى فأطيع ، كأنهم يجهلون أنى أؤرّق جفونهم عامداً متعمداً ليعرفوا كيف يكون الاستصباح بظلام الليل ، وليهتدوا إلى السر المكنون فى سواد المداد

والحق كل الحق أنى رجل طيب القلب ، وتلك الطيبة هى سر شقائى بالناس ، فأنا أريد أن أرفع الغشاوة عن قلوب أهل الجمود ، ولن تُرفع تلك الغشاوة بغير مِشرَط يؤلم ويوجع ، وإن كان لا يريد غير النفع الصحيح

ولو كانت غايتى من حمل راية القلم هى الانتفاع المادى لسلكت سبيلاً غير هذا السبيل ، فللأقلام ميادين تصل بأصحابها إلى الثراء العريض ، ولكن أين هذا مما أريد ؟ وما قيمة الدنيا وأمانىّ لا تتسع لغير وجبة واحدة فى كل يوم ، وما أراد الله أن أعرف معنى الظمأ والجوع فى غير المعنويات ؟

غايتى الأصيلة هى رفع الغشاوة عن قلوب الجامدين من أبناء هذا الجيل . والجهاد فى طب القلوب قد يفضُل الجهاد فى طب العيون

فما ذلك الصراخ الذى ينبعث من بعض الجرائد والمجلات ؟

وما بال قوم يشهدون على أنفسهم بالضجر من كلمة الحق ، وكان الظن أن يكونوا رسل هداية وتوفيق ؟

وما بال فلان يحشد جيشاً من الثرثارين لإيذائى ، ولى عليه فضلٌ سيذكره صاغراً أمام صاحب العزة والجبروت ، إن كان لمثله يوم البعث مكان ؟

أما بعد ، فما أردت بهذه الكلمات غير المناجاة الروحية ، وأناجى روحى فأقول :

من أى جوهر صاغك الله ، أيها الروح ، وقد بقيت سليما على رغم ما اعترض طريقك من ألوف الصعاب والعراقيل ؟

واجهتَ بلادك وزمانك بكل ما تريد بلا تهيب ولا إشفاق ، وبغَى عليك الأصدقاء قبل الأعداء ، ثم بقيتَ رحيما بالعدوّ ، وبَرًّا بالصديق ، كأنك لم تدرك ما بيَّتت أولئك وهؤلاء

من أى جوهر صاغك الله ، أيها الروح ، وقد غلبتَ من غلبتَ وقهرتَ من قهرت ، مع الترفق الشديد بصرعاك ؟

يمرّ بك الناضلون مرور الطيف العابر فلا يبقون غير لحظات ثم يختفون ، وإن كان مرورهم أعنف من الكابوس الثقيل ؛ ثم تبقى أنت أنت فى سنة ١٩٤١ كما كنت فى سنة ١٩١٩ ولا يكون لناضليك غير الازدهاء بأنهم ساجلوك ساعةً من زمان ، وذلك حظهم فى هذه الدنيا من أصول التشاريف

أيها الروح ، صاغك الله كما أراد ، فله الحمد وعليه الثناء

أسرار المدنية الأوربية

لم تمر على أوربا أزمة أقسى وأعنف من الأزمة التى عانتها فى العامين الأخيرين ، فقد اندحرت ممالك كنا نرى اندحارها من المستحيلات ، واستطالت شعوب لم نكن ننتظر أن تستطيل وصح عند الأكثرين أن المدنية الأوربية أفلست كل الإفلاس ، بعد خيبتها فى إقرار قواعد العدل والسلام

وأقول إنه يجب أن ندرس أوربا من جديد ، وأن نستعد لدفع شرها كل الاستعداد ، فمن الظاهر أن مطامعها لن تكون لها حدود ، وإن عللونا بمعسول الأمانى والمواعيد

وآفتنا منذ أزمان هى الغفلة عن مرامى المدنية الأوربية ، وفهم ما تقوم عليه من قواعد وأصول ، وقد نعرف ثم نكتم ليصح وفاؤنا للشرق ، كأن من الحرام أن ندل قومنا على مصادر الحيوية فى أقطار الغرب !! وهناك آفة أفظع وهى غفلة بعض من عاشوا فى أوربا عن التعرف إلى مواهبها العلمية والروحية والاقتصادية والحربية ، فأنا أعرف شخصاً عاش فى تلك البلاد سبعاً وعشرين سنة ثم عاد وهو هو لم يتغير ولم يتبدل ، ولم يعرف من خريطة البلد الذى عاش فيه غير خطوط معدومة المدلول ، ثم انسجم حين عاد مع بيئته القديمة بلا تحفظ ولا احتراس ، وكان الظن أن يغيرها من حال إلى حال ، ولكنه عاش فى أوربا معصوب العينين فلم يعرف ما فيها من أسرار ليمدّ قومه حين يعود بزاد جديد

ولهذا الشخص أمثال وأمثال ، وجهلهم أو رياؤهم هو السبب فى صد مصر عن فهم الاتجاهات السياسية والاقتصادية فى البلاد الأوربية

إعرفوا أوربا . إعرفوها . إعرفوها ، لتتقوا شرها عن بصيرة وإدراك ، واحترسوا ممن يوهمكم أن أوربا ذهبت ولن تعود

أوربا الهلهلة باقية إلى أزمان وأزمان ، فادرسوها بعناية لتعرفوا مسالكها الظاهرة والخفية ، ولتقفوا على غرضها المستور من التودد إلى أقطار الشرق ، فالجسم المزخرف الأملس هو أظهر شمائل الحية الرقطاء ، وما قال أحد إنه رأى أنياب الحية إلا بعد التزود من سمها الزعاف ... والله الحفيظ ، وبه نستعيذ

زكى مبارك

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٤ —

جمع المراجع والأصول التاريخية

الخطوة التالية بعد اختيار موضوع البحث التاريخي هي عملية جمع المادة التاريخية عن ذلك الموضوع سواء من المراجع العامة والخاصة أو من المصادر والأصول المطبوعة والمخطوطة، مع جمع ودراسة الآثار والمخلفات التي تتعلق بذلك الموضوع[1]. والمراجع العامة والخاصة تفيد في إعطاء فكرة عامة عن العصر الذي يكون موضوع البحث جزءاً منه. وعدم الاستفادة بما كتبه السابقون يعتبر مضيعة للوقت وإخلالاً بشروط البحث العلمي؛ فينبغي على كل جيل من المؤرخين أن يعرف ما كتبه السابقون، وأن يبدأ حيث انتهوا، وأن يعمل مؤرخ اليوم لكي يمهد لمؤرخ الغد. والمراجع العامة والخاصة تساعد أيضاً في كشف بعض الأصول التاريخية المجهولة وتفتح آفاقاً جديدة للبحث. والباحث الذي يكتب في ناحية من تاريخ مصر في القرن الثامن عشر مثلاً ينبغي أن يدرس بعض المراجع التي تناولت تاريخ مصر منذ أقدم العصور، كما يدرس بعناية المراجع التي تبحث في تاريخها أثناء القرن الثامن عشر، ويطالع ما كتبه الرحالون الذين زاروا مصر من الشرق ومن الغرب، ويدرس ما دونوه من المعلومات والمشاهدات، وذلك لكي يفهم تاريخ العهد المعين الذي يرغب في الكتابة عنه

وكيف يمكن للباحث أن يعرف كل المراجع العامة والخاصة والأصول المطبوعة عن الناحية التي يرغب في دراستها؟ الإحاطة بذلك ليست أمراً سهلاً. ويمكن الباحث في أول الأمر أن يستعين بالاطلاع على بعض المقالات في دوائر المعارف فيعرف

(١) يسمى الدكتور أسد رستم عملية جمع المصادر والأصول بالتفتيش بمعنى الجمع، وأخذ ذلك من المحدثين مثل أبو حاتم الرازي من أعيان القرن ٣ هـ. راجع كتاب الدكتور رستم من مصطلح التاريخ ص ١ – ٦

بعض المراجع والأصول التي تهمه. ثم يرجع إلى كتب البيليوغرافيات (المراجع) التي تتناول موضوع دراسته. ولقد أصدر الغربيون أنواعاً مختلفة من البيليوغرافيات، فمنها البيليوغرافيات العامة ومنها الخاص بقطر أو بعصر أو بشخصية معينة؛ وبعضها يكتفي بذكر المراجع والمصادر وأماكن وسني طبعها وعدد صفحاتها؛ بينما البعض الآخر يعطي مذكرات وصفية موجزة عن تلك المراجع والأصول المطبوعة[1]. إنما هذا لا يكفي، لأن كتب المراجع لا تكون وافية في كل الأحوال، وهي في الغالب لا تذكر شيئاً عن المقالات التي تنشر في المجلات التاريخية وهي كثيرة ومتنوعة؛ فمن الضروري إذاً مراجعة فهارس هذه المجلات للإلمام بما كتب فيها عن الموضوع المعين. وكذلك يلزم الباحث أن يراجع فهارس دور الكتب المطبوعة وغير المطبوعة. ويجمع الباحث من كل هذه النواحي

(١) بعض أمثلة من كتب البيليوغرافيا :

١ — International Bibliography of Historical Sciences Edited by the international committee of Historical Sciences, Washington

ويصدر هذا المجلد مرة في السنة ابتداء من ١٩٢٦ ويشترك في وضعه طائفة من العلماء والباحثين، وله لجان فرعية في أقطار أوروبا وأمريكا وهو ينشر قوائم مختارة بالمراجع والأصول التاريخية التي صدرت في عام مكتفيا بذكر مكان وتاريخ الطبع مع عدد صفحات الكتاب. والمؤلفات التي يوردها تشمل جميع نواحي التاريخ؛ فتتناول طرق البحث التاريخي والعلوم المساعدة ودور الأرشيف والمؤلفات العامة من التاريخ الدستوري والاقتصادي ومن تاريخ الحضارة وعصر ما قبل التاريخ وشعوب الشرق القديم وتاريخ اليونان والرومان وتاريخ الكنيسة القديم وتاريخ بيزنطة وتاريخ العصور الوسطى في الغرب ونواح مختلفة من التاريخ الحديث مثل التاريخ الديني والثقافي والاجتماعي وتاريخ العلاقات السياسية وتواريخ آسيا وأفريقيا وأمريكا ...

٢ — Bibliographie Critique des Principaux Travaux parus sur l'Histoire de 1600 à 1914 en 1932 et 1933. Paris, 1935

نشرت هذا المجلد جمعية التاريخ الحديث في باريس. وهو يعطي قوائم من نواح من التاريخ العام والخاص مع وصف موجز لما تتناوله من الموضوعات

٣ — من كتب البيليوغرافيات من قطر معين نجد من سوريا مثلا :

Röhricht, R. : Bibliotheca Geographica Palaestinae. Berlin, 1890

Masson, P. : Bibliographie Française de la Syrie. Marseille, 1919

ونجد من مصر :

Ibr. Hilmy, Prince : The Literature of Egypte & The Soudan 2 vols. London, 1886—88

Maunier, R. : Bibliographie économique, juridiqne et sociale de l'Egypte moderne (1798—1916) Le Caire, 1918

ونجد من تاريخ كمال أتاتورك مثلا :

Melzig, H. : Atatürk Bibliyografyasi. Ankara, 1941

أسماء المراجع والأصول التي تعنيه ؛ ويحسن أن يستعين بعمل فهرس أبجدي على جذاذات من الكرتون ويضع عليها ملاحظاته ؛ وإذا اقتضى الأمر أن يكتب ملاحظات مطولة فليدونها على أوراق خاصة . ثم يبدأ في قراءة الكتب التي يصل إليها ويأخذ منها مذكرات باللغة الأصلية في المواضع الهامة على الأقل ، مع وضع أرقام الصفحات ؛ ويرجىء قراءة الباقي لحين الوصول إليه بتصويره بالفوتوستات أو بالسفر إلى مكان وجوده

ثم تأتي الأصول التاريخية التي لا توجد في أغلب الأحوال كتب بيليوغرافية تدل عليها . ومن هذا النوع نجد الوثائق والرسوم والصور ومخلفات الإنسان ... والوثائق عبارة عن القوانين والأوامر والمنح والأحكام والفتاوى والعقود والمراسلات والمعاهدات والمذكرات والتقارير . وهي تحفظ في الأصل عند الملوك والأمراء وفي المحاكم والأديرة أو عند الأشخاص العاديين . وليس من الضروري وجود وثائق وافية عن كل حوادث التاريخ ؛ فالكثير منها تنطمس آثاره وتزول دلالاته لأنها تتعرض في ظروف مختلفة للتلف والضياع مثل ظروف الثورات أو الحرائق أو الرغبة في التخلص منها وإتلافها عمداً عند ما تكون في حوزة من لا يفهم قيمتها التاريخية ، أو من يهمه منع تداول معلوماتها بين الناس . وبذلك يضيع الكثير منها بالنسبة للتاريخ ؛ وكأن الأفكار والحوادث التي كانت تحملها في طياتها وثناياها لم تكن في الوجود . وعلى ذلك فإن المؤرخ كثيراً ما يجد فجوات في التاريخ لا يستطيع أن يملأها . وستبقى حلقات كثيرة من التاريخ مجهولة إلى الأبد ؛ وليس هناك ما يمكن أن يعوض عن ضياع هذه الوثائق ؛ وحيث لا توجد وثائق لا يوجد تاريخ . وينطبق ذلك على كل آثار الإنسان

وعملية البحث والكشف عن الوثائق Heuristic هي أهم عملية أساسية لكتابة التاريخ . وكشف كية من الوثائق الهامة عن الموضوع المعين هو الذي يحدد إمكان الاستمرار في بحثه أو العدول عنه إلى غيره . والباحث الذي يكتب التاريخ وقد فاته الوصول إلى مجموعة من الوثائق الأساسية لا يكون لبحثه قيمة علمية مهما كانت كفاءته وقدرته على العمل . والباحثون الأولون في التاريخ قد لاقوا صعوبات جمة في سبيل الوصول إلى الوثائق التاريخية ؛ وإذا كانت الحوادث التي قصدوا أن يكتبوا عنها قريبة العهد من العصر الذي عاشوا فيه ، فإنهم كانوا يرجعون إلى أقوال بعض الأشخاص الذين شهدوا الحوادث ويوازنون بينها ويستخلصون منها ما يمكن الوصول إليه من الحقائق التاريخية . على أن هذه الطريقة لا تكون سليمة دائماً نظراً لتعرض الروايات الشفوية للتغيير والتعديل ، والأفكار والآراء والأقوال الشفوية إذا مادونت أصبحت مسجلة ووقف تغييرها إلى الحد الذي وصلت إليه. فالوثائق ضرورية جداً للعهد القريب من المؤرخ فضلاً عن العهد البعيد عن الزمن الذي عاش فيه . والوثائق في أغلب الأحيان تنتقل بالتدريج من حوزة الأشخاص إلى الأماكن العامة وتحفظ في دور الأرشيف ودور الكتب وفي المتاحف والكنائس

والكثير من الوثائق المحفوظة في الأماكن العامة قد وضعت عنها كتالوجات وفهارس مختلفة ؛ إلا أنها في أحوال كثيرة أيضاً لا تزال غير وافية ، وأغلبها يكتفي بوضع أرقام مجلدات الوثائق مع بيان الشهور والسنوات التي تتناولها ، بدون أن تصف محتوياتها ، وهي بين قديم وحديث ومخطوط ومطبوع . كما أنه توجد وثائق في مصر وفي الخارج لم تنظم ولم توضع عنها الفهارس الأولية بعد ، وهذه بالنسبة للباحثين تعتبر في حكم المجهولة ، ولا يمكن الاستفادة منها قبل تقسيمها وترتيبها ترتيباً أولياً على الأقل ، وهذا كله يبين صعوبة البحث عن الوثائق . إلا أن التقدم مستمر في هذا الباب . ولقد وضعت كتالوجات وصفية لبعض نواح من الوثائق في دور الأرشيف بالغرب ؛ واهتمت الحكومات الغربية بإرسال بعثات خاصة إلى الخارج لكي تبحث في دور الأرشيف الأجنبية عن الوثائق التي تهم تاريخ بلادها وعند ما فتح أرشيف الفاتيكان للباحثين أنشأت كثير من الدول معاهد خاصة في روما لكي يشتغل أعضاؤها بجمع ونسخ ووضع فهارس عن الوثائق التي تهمها في الفاتيكان ، فهكذا فعلت انجلترا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وبلجيكا والدانمرك ...

وكيف يمكن للباحث المبتدئ أن يشق طريقه في هذا البحر العجاج ؟ لا ريب في أن طريق البحث وعر شاق ؛ ولا بد من الصبر والجلد ، ويستطيع الباحث أن يتصفح فهارس وكتالوجات الوثائق التي يظن أنها تحوي شيئاً يعنيه ، وبعض هذه الفهارس

مطبوع وأغلبها مخطوط . ومن حسن حظ الباحث أن تكون بعض الوثائق اللازمة له قد حصرت ونظمت ووضعت عنها الفهارس . ولكن ستبقى أمامه دائماً مناطق مجهولة لا بد من الإقدام على كشفها بنفسه . والباحث عن الوثائق يشبه المنقب عن الآثار الذى يظل سنوات عديدة يبحث فى مناطق مختلفة حتى يعثر فى النهاية على ما يرضيه ويُرضى العلم . ولنأخذ بعض الأمثلة العملية عن جمع الوثائق والأصول التاريخية .

فالباحث فى دار المحفوظات المصرية بالقلعة عن تاريخ محمد على قائد الجند الألبانى ، بعد رحيل رجال الحملة الفرنسية عن مصر وقبيل ولايته حكم مصر ، سيجد مادة قد وضعت عنها بعض السجلات الأولية فيستعين بها فى فحص بعض دفاتر مرتبات العساكر الألبانيين ابتداء من ١٢١٧ هـ ، وسيجدها مكتوبة بخط القيرمة ؛ فلا بد من الاستعانة على قراءتها بمن يعرف ذلك الخط ، حتى يتعلم الباحث قراءته بنفسه . وسيعثر الباحث فى هذه الدفاتر على اسم « محمد على أغا مرجشمه ء عساكر أرنؤود[١] » . وسيعلم بعض أشياء عن مرتباته وعن تكاليف عساكره . ثم يفحص أيضاً دفاتر « كشيده ء ديوان مصر[٢] » ؛ ويجد أنها تحتوى على صور فرمانات سلطانية وأوامر باشوية بعضها يخص محمد على أغا . ثم يبحث بعض الأوراق التركية التى لم يتم وضع سجلات لها ، وهى عبارة عن بعض أوامر باشوية أو تذاكر ديوانية خاصة بمرتبات جند محمد على[٣]

وقد يسافر الباحث فى ناحية من تاريخ الشام إلى سوريا لمقابلة بعض العارفين بتاريخ البلاد وبدور الكتب بها كالدكتور أسد رستم فيجده قد انتقل إلى المصيف ، فيتبعه إلى ضهور الشوير ويتحدث إليه طويلاً ويأخذ منه ما يريد . وقد يحاول الاتصال بالأستاذ إسكندر المعلوف فينتقل إليه فى زحلة ويستفيد بخبرته ومعلوماته . ثم يقصد دمشق فيجد الأستاذ كرد على قد غادرها إلى شمالى سوريا ، وفى انتظاره يجتمع بالأستاذ عبد القادر المغربى وبالأستاذ حسنى الكسم فيتحدث إليهما

(١) أى قائد الجند الألبانى
(٢) أى دفاتر قيد ديوان مصر
(٣) علم هذه الذخائر عند زميلى الأستاذ محمد محمد توفيق الوثائقى المترجم بدار المحفوظات المصرية بالقلعة

وتنفتح أمامه سبل لم يكن يعرفها من قبل ، وبذلك يمكنه الوصول إلى مجموعة من المخطوطات الأساسية التى لم تدرس من قبل

والباحث فى أرشيف الحكومة التاريخى فى فلورنسا[١] عن تاريخ المصادمات البحرية بين الأسطول العثمانى وبين السفن التسكانية فى القرن السابع عشر مثلاً ، يجد فى الفهارس والكتالوجات المطبوعة والمخطوطة بدار الأرشيف بعض ما يفيد فى فحص مجلدات خاصة ؛ ولكن هذا لا يكفى ، بل عليه أن يدرس عشرات من المجلدات فى سنوات معينة وفى نواح مختلفة ؛ فيفحص مثلاً المجلدات التى تحوى مراسلات ممثلى فلورنسا فى الدولة العثمانية ، ومذكرات التجار الفلورنسيين ، وتقارير رجال سان ستيفانو الواردة إلى حكومة فلورنسا ، والتى تحوى أخباراً عن حوادث ذلك الاصطدام . وكذلك يفحص المجلدات التى تضم صور المراسلات الصادرة من حكومة فلورنسا إلى ممثليها فى الشرق الأدنى ، وإلى التجار الفلورنسيين ، وإلى رؤساء وقواد نظام سان ستيفانو[٢] . وللغرض نفسه ينبغى أن يفحص أيضاً عشرات من المجلدات عن المراسلات الواردة من صقلية والبندقية وجنوا مثلاً إلى حكومة فلورنسا ، والتى تتضمن أخباراً عن هذه المصادمات ؛ ثم المجلدات التى تحوى صور المراسلات الصادرة من فلورنسا إلى كل تلك الجهات فى هذا الخصوص ؛ وينتج عن ذلك المجهود جمع مادة أصلية مهمة لم تكن معروفة من قبل عن موضوع البحث

ولا ينبغى على الباحث أن يقتصر فى جمع وثائق البحث الذى يدرسه على أرشيف واحد فقط ؛ فمن الضرورى البحث عن وثائق أخرى — إن وجدت — فى أمكنة متعددة ، ونتناول نفس الموضوع ، فيتجه الباحث إلى أرشيف الحكومة التاريخى فى فينا[٣] ، لأنه يرى أن علاقات السلم والحرب كانت قوية دائماً بين الدولة العثمانية وامبراطورية النمسا ، وأنه لا بد من أن أخبار

(١) Archivio di Stato di Firenze
(٢) أنشأ كوزيمو الأول جراندوق تسكانا (١٥٣٧ — ١٥٧٤) نظام سان ستيفانو البحرى للدفاع عن سواحل تسكانا ولمهاجمة السفن العثمانية فى البحر الأبيض المتوسط
(٣) Haus-Hof-Und Staatsarchiv, Wien

الاصطدام البحرى بين السفن العثمانية والسفن التسكانية قد وصلت إلى ممثلى النمسا فى القسطنطينية ، وأنهم قد أرسلوها بدورهم إلى حكومة ڤينا . ويكتب الباحث إلى مدير أرشيف ڤينا فيرسل إليه المعلومات التى يعرفها ؛ وملخصها أن المادة الموجودة عن ذلك الموضوع قليلة جداً وعديمة الأهمية . إنما ذلك لا يعنى أن هذه المعلومات صحيحة ، ولا يقتنع الباحث برد مدير الأرشيف . ويسافر بنفسه إلى ڤينا ، ويجد أن الكتالوجات الموجودة لا تفيد شيئاً ؛ ولكن ذلك لا يمنعه من البحث ؛ فيعمل بعض الزمن وينتهى به الأمر إلى كشف طائفة ممتعة من الوثائق الألمانية والإيطالية عن الموضوع الذى يدرسه ، فيحملها إلى مدير الأرشيف ويرجوه أن يدرجها فى كتالوجاته . ونلاحظ أن الباحث ينسخ بنفسه جزءاً من الوثائق التى يعثر عليها ، ويمكنه اختصاراً للوقت أن يشرك معه بعض الإخصائيين فى نسخ جزء من الوثائق ، كما يمكنه أن يصور بالفوتوستات جزءاً آخر على حسب الحالة . ولا يكتفى الباحث بكل ذلك ، بل يمضى فى البحث والكشف عن الوثائق فى أماكن أخرى مثل باريس ومدريد ولندن ... ويدرس الباحث المادة التى جمعها ويقارن بين مجموعات الوثائق التى كشفها ويوازن بين معلوماتها وبين ما وصل إليه من المراجع والأصول المطبوعة ، ويستخلص الحقائق التاريخية التى يمكنها الوصول إليها ، كما سنرى ذلك فى المقالات التالية . وهذه كلها أمثلة عملية تعطى فكرة عامة عن كيفية البحث عن الوثائق والأصول التى تظل مجهولة للعلم حتى يُكشف عنها . وإلى آخر لحظة يظل الباحث يتوقع كشف أصول جديدة توضح أو تغير ما وصل إليه من الحقائق مما قد يضطره إلى تعديل معلوماته إذا لم يكن قد طبع بحثه بعد ، أو إلى تغييره إذا ما أعاد طبعه[1]

ويتصل بالوثائق الرسوم والصور وهى مهمة من الناحية التاريخية . والأثر الذى يحدثه الشكل يسجله الفنان على الورق أو على المرمر ، والوصف الكتابى مفيد فى بيان عادات وخلق نابليون مثلاً ؛ ولكن رسم الفنان إياه أو صنع تمثال له يعطينا فكرة مجسمة تضاف إلى ما نعرفه من أوصافه بطريق الكتابة .

(١) الباحث لا يمكنه الرجوع إلى وثائق أرشيف القسطنطينية مثلا لعدم ترتيبها وتنظيمها بعد مما لا يسمح ذلك بدراستها الآن

والرسوم والصور وثائق مهمة لأنها تحفظ لنا أبداً آثاراً وأشكالا ومناظر وأزياء مختلفة قد تغيرت معالمها أو زالت من الوجود ، ولا نستطيع أن نعبر عنها بوضوح الكتابة الوصفية . وتزداد أهمية التصوير بعد تقدم استعمال الفوتوغرافيا فى الوقت الحاضر ، فهى تسجل مشاهد عديدة للانسان ولآثار الحضارة والعمران

ومن الأصول المهمة أيضاً نجد آثار الإنسان ومخلفاته وتقاليده ، كما عرفنا ذلك فى مقال سابق[1] . وأعمال الحفر والتنقيب تكشف عن مخلفات العصور القديمة ؛ والبحث فى بعض الأماكن يؤدى إلى العثور على آثار الإنسان فى العصور الحديثة . ويجب على الباحث أن يشاهد ويدرس بنفسه آثار العصر الذى يكتب عنه . وينبغى أن يزور المبانى القائمة التى كان رجال العصر يعيشون فيها ، والحدائق التى كانوا يروحون عن خواطرهم فى أرجائها ، وأن يتعرف طرق المعيشة والأزياء وأدوات الحرب وآلات الموسيقى ... وفى الغالب تحوَّل المبانى إلى متاحف وتجمع فيها بعض آثار الإنسان . ولا ريب فإنه من الضرورى للمؤرخ أن يعيش فترة خلال هذه الذكريات التى تأدت من الماضى إلى الحاضر ، وأن تشيع فى نفسه هذه الرؤى وتلك الخلجات التى أحاطت برجال العصر الذى يدرسه

(يتبع) حسن عثمان

استدراك : فى العدد ٤٢٦ من الرسالة ص ١٠٨٦ قد سقط عنوان المقالة ٣ وهو « اختيار موضوع البحث التاريخى » فلزم التنويه

(١) راجع مجلة الرسالة عدد ٤٢٣ ص ١٠٠٢

إعلان وتحذير

٣ ـ كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

٨ — ٨٠ : ١ — ٥ « فلبث الذئب وابن آوى والغراب أياماً لا يصبن شيئاً مما كن يعشن به من فضول الأسد ، وأصابهم جوع وهزال شديد . فعرف الأسد ذلك منهم فقال : جهدتن واحتجتن إلى ما تأكلن . فقلن ليس همنا أنفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى ، ولسنا نجد للملك بعض ما يصلحه . قال الأسد : ما أشك في مودتكم ومحبتكم »

وهذه صورة عجيبة من التعبير لم أدر لها سراً ، وكان أولى بابن المقفع أن يجعل الضمائر العائدة إلى هذه الجماعة من الحيوان على طراز واحد ، كما هو الأصل في إرجاع الضمائر . أما أن يجعلها للمؤنثات ثم لجماعة العاقلين ثم للمؤنثات أخرى ثم لجماعة العاقلين رابعة ، فهذا عجب لم نره لكاتب غيره

وقد ينزل العرب غير العاقل منزلة العاقل ، وابن المقفع جعل هذه الجماعة مرتين من غير العاقلين ومرتين من العاقلين فأسرف فيما أجازه القوم إسرافاً

وألفيته يعاود هذا المذهب ويراجعه . ففي ٨٦ س ٧ « فلنأت سائر الطير فلنذكر ذلك لهم . فأجابوه إلى ذلك وأعلمهن ما أصابه وحل به » الضميران في « لهم » و « أعلمهن » عائدان إلى سائر الطير . وفي ٩١ س ٤ « ودنا منهن ليبصرهن ، فتناوله بعضهم وضرب به الأرض » الضمائر راجعة إلى : « جماعة من القردة » في الصفحة السابقة . وفي ١٥٢ — ١٥٣ « فبينما هم في ذلك إذ وقع لهم غراب فقال بعضهم : انتظرن حتى يأتينا هذا الغراب » الضمائر مرجعها «جماعة من الطير» . وغير ذلك كثير

٩ — ٧٤ : ٥ «فلما فرغ دمنة من تضريب الأسد على الثور» التضريب هنا : التحريض ، وفي اللسان[1] : « والتضريب تحريض للشجاع في الحرب . يقال ضربه وحرضه » والتضريب أيضاً : الإغراء ، وفي اللسان[2] : « والتضريب بين القوم : الإغراء» وفي نسخة بولاق ص٤٣ «من تحميل الأسد على الثور». وهي الرواية الجيدة ؛ لأنها لغة ابن المقفع ، ولازمة من لوازمه الكتابية . فقد جاء في ص ١٠١ س ٧ « ولكن تقل لتحميل الأشرار » وفي س ١١ من الصفحة عينها « من تحميله إياك عليه وفي ص ٢٤٩ س ٨ : « تحميل الملك على » وفي س ١٤ من الصفحة نفسها « ليحملوا عليه الأسد » فهذا هذا

(١) لسان العرب (٢ : ٣٩)
(٢) لسان العرب (٢ : ٣٦)

وقد أراد ابن المقفع بكلمة « التحميل » الإغراء » . ومن العجب أن ابن منظور وصاحب القاموس لم يذكرا هذا اللفظ في مادته ، بل ذكرا في هذا المعنى « حمله على الأمر يحمله حملاً فانحمل : أغراه به[1] » ثم انفرد ابن منظور[2] بقوله « وحملت على بني فلان إذا أرشت بينهم » ، والتأريش : التحريش والإغراء

١٠ — ٨٦ : ٤ «فأعينوني وظافروني» وبدلها في نسخة بولاق ص ٤٨ : « فأعتبني » ، و « ظافره » بمعنى أعانه وظاهره لم يذكرها صاحبا اللسان والقاموس ، وقاربها ابن منظور بقوله[3] « وتظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى واحد » فنستطيع أن نزيد في معجمنا المنتظر هذه الكلمة ، وابن المقفع ثقة يحتج بقوله : وهو دليل أن المعاجم المتداولة لم تستوف ولم تستوعب كل أصول اللغة وفروعها إلا ما نبهت على عدم وروده . فذا مرجعه إلى استيثاق الرواة الأولين واستقصائهم

١١ — ٩٥ : ٧ « ليس بمستكبر لها أن تختطف بزاتها الفيلة » ابن المقفع ـ فيما أشعر ـ لا يقول هذه الكلمة بل يقول «بمستنكر»

ومما يجدر ذكره أن استكبر الشيء بمعنى رآه كبيراً وعظم عنده ، قولٌ منسوب إلى الإمام ابن جني[4] ، ولم يقله عامة اللغويين . واتفقوا أن استكبر بمعنى تكبّر ؛ وفي كتاب الله : « إنه لا يحب المستكبرين »[5] ، « يصدون وهم مستكبرون »[6]

وقد رجعت إلى نسخة شيخو (ص ٩٩) ، فوجدت : « ما أرضا (كذا) يأكل جرذها مئة منٍّ من حديد بمستنكر لبزاتها أن تختطف غلاما »

١٢ — ١٠٧ : ٦ : (إذا جئتني بالليل من غير نداء ولا رمى ولا شيء يرتاب به) . فما ذلك الرمى ؟ !

(١) القاموس ولسان العرب (١٣ : ١٨٠)
(٢) في لسان العرب (١٣ : ١٩٢)
(٣) في لسان العرب (٦ : ١٩٢ س ٥ — ٦)
(٤) لسان العرب (٦ : ٤٣٩ س ٢٢)
(٥) النحل ٢٣ (٦) المنافقون ٥

الصواب : (ولا رمز) — أى إشارة وعلامة ؛ وقد جاء بدلها فى نسخة بولاق (٥٣) : (ولا إيماء) ، وهو والرمز والإشارة بمعنى

١٣ — ١١٥ : ١٣ ، ١٦ و ص ١١٦ : ١ و ص ١١٧ : ١ ، ١٦ و ص ١١٨ : ٢ ، ٦ : (رأس الخنازير) و (سيد الخنازير) . عندى أنها : (رأس الخبّازين) و (سيد الخبازين)

يؤيد ذلك ما جاء بدلها فى نسخة شيخو السريانية : (فتكلم صاحب المائدة) ، وما هو عند ابن الهبارية (١١٥) :

فأخذ الخبّاز كفٌ دمنه وقال : لله العظيم المنّه

وكذلك ص ١١٨ :

فأطرق الخباز لما سمعا ذلك من مقاله وخضعا

وكما يفهم من قول ابن المقفع عنه ١١٧ : ١٢ : (ثم أنت تجترئ أن تقوم بين يدى الملك وتلى طعامه)

١٤ — ١١٦ : ١١ : (ولا مسىء وإن أذنبه بضائره ذنبه) تطبيع ، صوابه : (وإن أذنب)

١٥ — ١٢٠ : ٩ : (فأقر بذنبك وبؤ بإساءتك) : باء بإثمه فهو يبوء به بوءا : إذا أقربه ؛ وفى الكتاب : (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) ؛ وفى الحديث : (أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى) — أى أقر ؛ وقال لبيد :

أنكرت باطلها وبؤت بحقها عندى ولم تفخر علىّ كرامُها

وأصل البوء الرجوع ، فمن باء فكأنه رجع إلى الإقرار بعد الإنكار والسكوت[1]

وبهذا أيضاً يفسر قول ابن المقفع فى ص ١٥ : (وأن أبوء بما لم أجنِ)

١٦ — ١٢١ : ١١، ١٢ (فحفظ الفرخان ذلك بلسان البلخية) البلخية : أهل بلخ ، بفتح الباء : مدينة مشهورة بخراسان[2] والتاء فيه للدلالة على الجمع . وهى عند التحقيق علامة للتأنيث بتقدير الجماعة أو الطائفة كأنك تقول : الجماعة البلخية ، فلما حذفت الموصوف وأقمت صفته مقامه ألحقت بها تاء التأنيث المنبهة

(١) نهاية ابن الأثير ولسان العرب : (١ : ٢٨) ؛ ومشارق الأنوار : (١ : ٨٩)

(٢) معجم البلدان

على الجمع أيضاً[1] . ومثلها فى ذلك : الإباضية ، والإسماعيلية ، والأشعرية ، والباطنية ، والجبائية . ونحو ذلك كثير من أسماء الفرق الدينية والسياسية

١٧ — ١٢٧ : ١٤ (وأخفت على الشبكة حتى لججتُ فيها وصويحباتى) . لج فلان فى الأمر تمادى عليه وأبى أن ينصرف . فهو فعل اختيارى لا دخل للقسر فيه . والمعنى لا يتجه بهذا . وإنما هو (لحِجْت) بالحاء المكسورة المهملة بعدها جيم . لحج السيف وغيره بالكسر يلحج لحجاً : أى نشب فى الغمد فلم يخرج . وفى حديث على يوم بدر « فوقع سيفه فلحج » أى نشب فيه . ويقال لحج فى الأمر يلحج إذا دخل فيه ونشب[2] . ومن البين أن المراد نشوب الطير فى الشبكة ، مما أعماهن القدر وأعشى أبصارهن

١٨ — ١٢٨ : ١ (ويستنزل الطير من الهواء ، إذا قضى ذلك عليهم) أجرى (الطير) مجرى العاقل فجمل لها ضميره . وهو معروف عند العرب . وفى كتاب الله : « لا الشمس يَنبغى لها أن تدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌّ فى فلك يسبحون » وفيه : « إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » ، « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » ، وقال عبدة بن الطبيب :

إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته

إلى الصياح وهم قوم معازيل

جعل للديك أسرة وسماهم قوماً

١٩ — ١٣٠ : ١ (منها عداوة من يجتزيان على ذلك كعداوة الأسد والفيل) . وفى نسخة بولاق ٦٢ (منها ما هو متكافٍ كعداوة الفيل والأسد) وعند ابن الهبارية ١٢٩ :

« وهو التجازى لا سواه إنما »

الاجتزاء : طلب الجزاء ، قال :

يجزون بالقرض إذا ما يُجتزى[3]

وفى ذلك معنى التكافؤ . والتجازى - كما فى ترجمة ابن الهبارية

(١) انظر الرضى (٢ : ١٥٢) تجد هذا التحقيق النادر

(٢) نهاية ابن الأثير ، واللسان

(١) لسان العرب (١٨ : ١٥٦)

أصل معناه التقاضي[1] ، والمراد به المقاصة ، فهو كذلك في معنى التكافؤ

٢٠ — ١٣٣ : ١٥ (وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق ورأى الأعاجيب) ، والفعل (جال) لا يتعدى بنفسه . والوجه (جال [في] الآفاق) . وسمع جوّل الأرض : جال فيها ، وجوّل في البلاد أي طوّف[2] . فهذا المضعف ورد بالوجهين . وفي القاموس أن جال الشيء : اختاره . وهذا معنى لا يراد هنا

٢١ — ١٣٩ : ٨ (وانقلبتُ ظهر البطن ، وانجررت حتى دخلت جُحري) فاذا جرّه حتى انجرّ ؟! إنما هي (وانحدرت) أي نزلت في سرعة إلى الجُحر

٢٢ — ١٥٠ : ٧ (إن كان بعيداً لم يأمن من معاودته ، وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته) . متكشفاً أي بادياً ظاهراً ، وهي لا تساير الكلام . والصواب (مُكْثِباً) أي دانياً . أكثبك الصيد والرمي وأكثب لك : دنا منك . وعلى هذا الوجه الذي أثبتُّ وردت الكلمة في نسخة بولاق ٦٩ . ويؤيد هذا التصحيح ترجمة ابن الهبارية ١٤٨ :

لأنه إن كان منه نازحا   أعاد مثل فعله مشايحا
أو كان منه دانياً أو حاضرا   واثبه مبادراً مساورا

فكلمة (دانياً) في النظم تقابل كلمة (مكثباً) التي ذكرت

٢٣ — ١٦٥ : ١٦ (فإن الغراب ذو أدب ومكر ومكيدة) . لا وجه لورود كلمة (أدب) بالدال في هذا المعرض . والصواب (أرب) بالراء ؛ ليصح اقترانها بأختيها : المكر والمكيدة . والمقام مقام ذم وتهجين . والإرب بالكسر ، أو بالتحريك : الدهاء والخبث والنُّكر . وفي نسخة شيخو ١٥٨ (فإن الغراب ذا أرب ومكائد[3])

٢٤ — ١٦٦ : ١٥ (فإن الشر يدور حيثما دارت) . هي (حيثما دُرْتَ) .

٢٥ — ١٧١ : ٤ (فابتُليتُ ببلاء حُرِّمت عليَّ الضفادع) والجملة بهذا الوضع مبتورة ناقصة . وتمامها (حرمت عليَّ الضفادع [من أجله]) أي من أجل البلاء . وذلك كما في ص ٧٧ من طبعة بولاق

٢٦ — ١٧٣ : ١ (بل برأيك وعقلك كان هذا ؛ فإن الرجل الواحد أبلغ في إهلاك العدد من كثير العدد من ذوي البأس) . وفي هذه العبارة نقص كسابقتها . وتمامها كما في نسخة بولاق ٧٨ : (؛ فإن الرجل الواحد [العاقل الحازم]) ... الخ . وعند ابن الهبارية ص ١٧٤ :

فالرجل اللبيب في الأعداء   أبلغ من ألف ذوي فَتَاء[1]

و (اللبيب) هو العاقل ذو اللب

٢٧ — ١٩٠ : ١٢ قول البرهميين للملك حين سألهم تعبير الرؤيا : «فلعلنا — إن استطعنا — أن ندفع ما تتخوف منه» . الوجه (نتخوف) بالخطاب ؛ إذ ليس من شأنهم أن يحكموا في تعبير الرؤيا بهذا الحكم قبل أن يجتمعوا للتشاور والتآمر . وهم قد استمهلوا الملك (ستة أيام) ليتمكنوا من ذلك . والملك هو الذي كان متخوفاً ، لأنه (رأى ثمانية أحلام يستيقظ عند كل منها)

٢٨ — ١٩١ : ٦ «لنجعل دماءهم في أَبْزَن ثم نقعدك فيه» . كلمة (الأبزن) معربة عن الفارسية ، بفتح الهمزة بعدها باء موحدة ساكنة ثم زاي مفتوحة . وهو الحوض من نحاس يستنقع فيه الرجل ؛ ويعرف في ألفاظنا الدخيلة باسم (البانيو) ، وبالفرنسية : Baignoire ، وبالإنجليزية : Bathing - tub . و (أبزن) أصله في الفارسية : (آبْزَن) بمد الهمزة ؛ وتكتب أحياناً (آب زن) ؛ وفسرت في معجم استينجاس[2] بأنها حوض للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر طبّي يجلس فيه المريض أو يتمدد

وقد أهمل هذا اللفظ كثير من اللغويين ، منهم الليث ، والجواليقي ، وابن دريد ، والزمخشري[3] ، مع أنه مستعمل قديماً

---

(١) لسان العرب (١٨ : ١٥٧)

(٢) لسان العرب (١٣ : ١٣٩)

(٣) كذا في أصل نسخة شيخو . والصواب ذو أرب ومكايد)

(١) الفتاء ، بالفتح : الشباب والقوة . وفي الأصل : (عناء) بالعين المهملة والنون

(٢) معجم Steingass الفارسي الانجليزي ص ٨

(٣) نص صاحب اللسان على إغفال الليث . وأما الجواليقي فلم يذكره في المعرب ، وكذا ابن دريد في الجمهرة ، والزمخشري في الفائق والأساس

معركة الأطلنطى

للأديب محمد شاهين الجوهرى

« لا تكاد خطبة من خطب تشرشل تخلو من ذكر « معركة الأطلنطى » ، فعلى صفحات هذا المحيط تقوم معركة من أشد المعارك وأعنفها ، فهى المعركة التى ستكتب السطر الأخير من سطور الحرب . وفى هذه المعركة يتعاون السلاح الجوى الألماني مع سلاح الغواصات ، فتضرب الطائرات الألمانية الموانىء والمدن الانجليزية لتنهك قوى بريطانيا فى الداخل ، وتفتك الغواصات بالقوافل التجارية فى عرض المحيط . وإذا كان يجرى فى هذا المحيط شريان الأمبراطورية البريطانية الحيوى ، فلا عجب إذا رأينا ألمانيا تبذل قصارى جهدها لتقطع هذا الشريان لتمنع من بريطانيا ما يأتيها من مؤونة ومدد ، بينما تعمل بريطانيا على أن تبقى على هذا الشريان إذ فى بقائه بقاؤها »

المصانع الأمريكية تعمل فتنتج المؤن والعتاد الحربى ؛ واتفاقية الإعارة والتأجير تبيح إصدار هذه المؤن وهذا العتاد إلى بريطانيا . وفى الجزر البريطانية يرابط المدافعون عن الديمقراطية ، ويفصل المحيط الأطلنطى بين هذا المدد الأمريكى وبين المدافعين عن هذه الجزر . وفى هذا المحيط ترتع الغواصات الألمانية متعاونة مع الطائرات فى معركة لا تعرف هوادة ولا رحمة ضد السفن الإنجليزية . ويرمى هتلر من وراء هذه إلى غرضين : أولهما إضعاف انجلترا بتدمير موارد ثروتها الداخلية وأحواض سفنها وموانيها ، وشل حركة إنتاج السفن والذخائر الحربية . وثانيهما منع المدد الذى يصل إلى بريطانيا من الخارج بإغراق سفنها فى المحيط ، وعزلها عن أميركا . وعندئذ يسهل عليه مهاجمة بريطانيا

تبلغ هـذه المعركة شدتها فى فصل الربيع . ففى هذا الفصل تنقشع السحب التى كانت تخيم على آفاق المحيط فتجعل عمل الغواصات والطائرات عسيراً ، وتبدأ الغواصات الألمـانية تجوب المحيط باحثة عن السفن البريطانية ، وتنطلق الطائرات الألمانية فى الجو لتساعد الغواصات فى المهمة الملقاة على عاتقها . وقد كان المتحمسون للطيران فى ألمانيا يعقدون آمالاً كباراً على السلاح الجوى ضد الملاحة البريطانية ، فكانوا يعتقدون أن قاذفة القنابل قادرة على أن ترسل أية سفينة حربية إلى أعماق المحيط ، ولـكن التجارب برهنت على أن هذا السلاح لم يحقق ما بنى عليه من آمال ، ولهذا أصبح عمل الطائرات الألمانية الرئيسى هو القيام بمهمة استكشاف مواقع السفن واتجاهاتها وإبلاغ ذلك باللاسلكى إلى الغواصات لتهاجم هذه السفن

وعدد السفن الذى يصل إلى بريطانيا سالماً هو الذى يقرر إن كان فى مقدورها أن تحافظ على سلامة هذا الخط الحيوى بينها وبين أمريكا ، وأن تضمن دوام وصـول الإمدادات إليها . ويقول المستر نوكس : « إن هتلر يعمل على ألا تصل المؤن والذخائر إلى بريطانيا ، لأن فى وصولها هزيمته . إننا لا نرضى لمنتجاتنا أن تغرق فى الأطلنطى ، وستلحقنا الهزيمة إذا رضينا بذلك . يجب علينا أن نفى بوعدنا ونساعد بريطانيا لأنها عانت كثيراً فى الحرب الـكبرى الماضية لما كان قد لحق أسطولها من الوهن من جراء نشاط العدو . ففى أبريل من سنة ١٩١٧ ، أغرقت الغواصات الألمانية من السفن البريطانية ما حمولته مليون طن تقريباً . وكان الألمان يتوقعون انهزام بريطانيا فى ذلك العام ، ولـكن تطبيق نظام القوافل البحرية

وجاء فى شعر أبى دُوَاد الإيادى ، يصف فرساً وصفه بانتفاخ جنبيه[1] :

أجوف الجوف فهو منه هواء   مثلُ ما جافَ أبزَناً نجّار

وأبو دواد جاهلى[2] . ويفهم من هذا الشعر أنه يصنع أحياناً من الخشب ، لِمَا جعل صانعه النجار . وكأن بعض العرب كانوا يجتزون بالخشب عن النحاس ، قال ابن برى : « الأبزن شىء يعمله النجار مثل التابوت » ، وأنشد بيت أبى دواد . وروى البخارى أن أنس بن مالك قال : « إن لى أبزناً أتقحّم فيه وأنا صائم[3] »

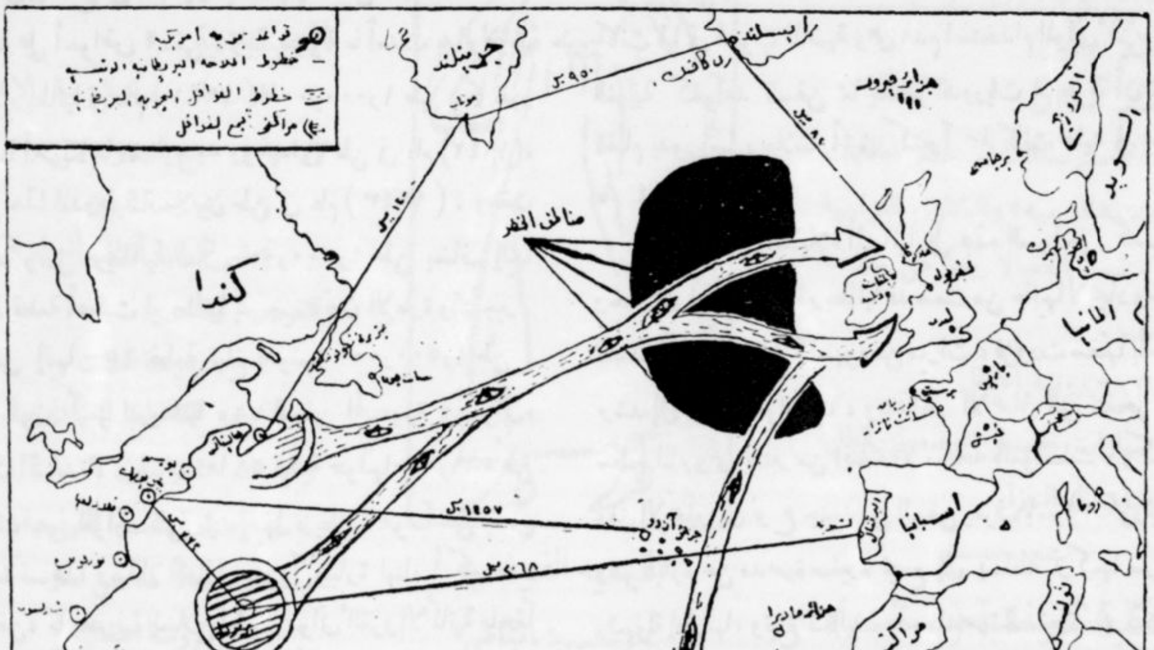
وقد فسر (الأبزن) فى هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالحوض ، أو شىء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش[4] .

(له بقية)   عبد السلام محمد هارون

(١) لسان العرب (١٦ : ١٩٦)
(٢) الأغانى (١٥ : ٩١ ساسى)
(٣) صحيح البخارى (٣ : ٣٠ س ٢٠ طبع ١٣١٤)
(٤) عمدة القارى (١١ : ١٣) ومشارق الأنوار وشفاء الغليل ١٤

ووصول المدمرات الأمريكية ، وسفن الحراسة ، واختراع الأجهزة المخبرة عن الغواصات ، قد أضعف كثيراً من خطر الغواصات ».

ويحاول هتلر الآن جهد طاقته كسر شوكة بريطانيا البحرية ويبذل فى ذلك أعنف الجهود . فإن دخول إيطاليا الحرب، وما يحرض به اليابان من قيامها بمناورات دبلوماسية وعسكرية ، إنما هى خطة



يرمى من ورائها إلى إرغام انجلترا على استخدام أسطولها فى ميادين بحرية متعددة لتتوزع قواه، وتقل مقدرته، ويصبح من السهل على هتلر أن يضربه الضربة القاضية . وأن مجرد وجود الأسطول الإيطالى فى البحر المتوسط قد اضطر بريطانيا إلى الاحتفاظ بوحدات عديدة من أسطولها فى هـذا البحر فى وقت تحتاج فيه إلى هذه الوحدات فى الأطلنطى لتعمل ضـد الغواصات ، وفى حراسة القوافل . وقد فطنت بريطانيا إلى ذلك وعملت من جانبها على إحباط السياسة الألمانية فأجرت بعض القواعد البحرية للولايات المتحدة، أو بمعنى آخر ألقت مهمة الدفاع عن هذه القواعد على عاتق الأسطول الأمريكى ، وذلك لتقلل من الأعباء الملقاة على عاتق الأسطول البريطانى وتوجه قواه لمناهضة العدو وتأمين طرق قوافلها التجارية وضمان وصول الإمدادات إليها

عند ما بدأت الحرب كانت بريطانيا تملك من السفن ما حمولته ١٨½ مليون طن ، أضيفت إليها حمولة قدرها ٨½ من الأطنان حصلت عليها انجلترا من الدانيمرك وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنرويج وهولندا ، ومن هذا المجموع الذى يبلغ ٢٧ مليوناً من الأطنان أغرق الألمان ما حمولته خمسة ملايين طن أى ما يعادل ⅕ ما تملكه بريطانيا تقريباً

من أين لبريطانيا أن تحصل على ما يسد هذا النقص ؟

تنتج بريطانيا من السفن سنوياً ما حمولته ١ر٥٠٠ر٠٠٠ طن . ولكى تسهل المهمة الملقاة على عاتقها أدخلت بعض تعديلات على بناء السفن ، وذلك بالتخلى عن كل ما ليس له مهمة رئيسية فى السفينة . وقد صار يُبنى الآن نوع من السفن يكبر حجم السفن العادية مرتين ونصفاً ، ويمكن بناء أجزاء هذه السفن فى مصانع فى داخلية البلاد بعيدة عن غارات الطائرات الألمانية على أحواض السفن . ويبلغ حمولة ما أمدت به الولايات المتحدة بريطانيا فى عام (١٩٤١) ١ر٠٠٠ر٠٠٠ طن . كما تقرر أن تمدها أمريكا بما مقداره ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ طن فى عام (١٩٤٢)، وسيبلغ هذا المدد خمسة ملايين طن فى عام (١٩٤٣) . وبلغت حمولة ما وصل بريطانيا فعلاً ١ر٥٠٠ر٠٠٠ طن يضاف إليها خمسون قطعة أعطيت لبريطانيا بموجب قانون الإعارة والتأجير . وسيرسل إليها ١٥٠ قطعة تبلغ حمولتها ١ر٥٠٠ر٠٠٠ طن . وهناك مورد آخر لبريطانيا وهو السفن المحجوزة فى موانىء الولايات المتحدة ، ويبلغ عددها ٥٨ قطعة حمولتها ٥٨٩ر٠٠٠ طن

تلك هى الموارد التى تجد فيها بريطانيا عوضاً عن بعض ما تفقده . هذا ويبذل العمال جهوداً جبارة لبناء أكبر عدد من السفن، كما يضرب السلاح الجوى موانىء النزو الألمانية ملحقاً ما استطاع من الخسارة بهذه الموانىء وأحواض السفن . ولا يألو رجال البحرية جهداً فى مكافحة الغواصات والقضاء عليها ؛ وبذا تعمل بريطانيا على زيادة الانتاج وتقليل الخسارة مما يساعد كثيراً على سد هذا النقص

وغنى عن البيان أن لسيطرة النازى على البلاد الساحلية فى أوربا أثرها العظيم فى سير معركة الاطلنطى ، فإن الغواصات الألمانية تتخذ من موانىء النرويج شمالاً إلى موانىء فرنسا جنوباً قواعد تكمن فيها . وهذا قد أعطى ألمانيا ميزتين هامتين : أولاهما أن ألمانيا باستيلائها على هذه القواعد أمكنها أن تستخدم غواصات صغيرة الحجم تسع من خمسة رجال إلى عشرة ، بدلاً من الغواصات الكبيرة التى تسع من ثلاثين رجلاً إلى أربعين ، وبذلك قلت الخسارة التى كان يتحملها الألمان من إغراق غواصاتهم كما زاد عدد الغواصات التى تعمل فى المحيط . والميزة الثانية أنه باستيلاء ألمانيا على النرويج وفرنسا مكن الغواصات الألمانية من أن تتفادى الخطر الذى كانت تلاقيه فى الحرب الماضية حين كان من المحتوم عليها أن تمر بحقول الألغام التى كان ينشرها الانجليز فى مضيق دوفر وبحر الشمال كلما أرادت الوصول إلى قواعدها على الساحل الألمانى . فالانجليز الآن إذا ما حاولوا تضييق الخناق على الغواصات الألمانية يجب عليهم أن يبذروا حقول الألغام على طول الساحل الأوربى، وهذا يعد من أصعب الأمور وأشقها على الأسطول البريطانى نظراً لوقوع هذه السواحل تحت رحمة القواعد الجوية الألمانية . كذلك فقدت بريطانيا ميزة كانت لها فى الحرب الماضية وهى عدم استخدام الموانىء الإيرلندية الغربية كقواعد للسفن مما يضطر الدوريات البحرية أن تقطع للقيام بدورياتها رحلات أشق كثيراً مما كانت عليه فى حرب عام ١٩١٤

وإذا كان فى استيلاء ألمانيا على هذه السواحل كسب لها وخسران لبريطانيا ، فبريطانيا قد سعت من جانبها لإيجاد وسائل تفسد على الألمان ما اكتسبوه من ميزات ، فزودت سفنها بأجهزة ترشد إلى مكان الغواصات ، وبقذائف الأعماق التى تنفجر تحت سطح الماء وهى تعتبر من أفتك الأسلحة بالغواصات . وكذلك وفق الإنجليز إلى نوع جديد من السفن يعرف باسم (الكورنيت) وهو عبارة عن مدمرة صغيرة يجمع إلى بساطة تركيبها سرعتها وسهولة إدارتها، وتبلغ تكاليف هذه المدمرة الصغيرة ٨/١ تكاليف بناء المدمرة العادية ؛ فلا يزيد ثمنها على نصف مليون من الجنيهات، وتحتاج إلى عدد قليل من البحارة لا يزيد على الأربعين ، ويبلغ طولها نصف طول المدمرة ؛ وحمولتها أربعمائة طن وسرعتها ٢٥ عقدة بحرية فى الساعة . ويمكن بناء عشر مدمرات من هذا النوع بدلاً من مدمرة واحدة كبيرة . وتحمل هذه المدمرة مدفعين من عيار ٤ بوصات وقذيفتين للأعماق . ولما ثبت نجاح هذا النوع من السفن فى محاربة الغواصات قامت كندا ببناء ٨٠ قطعة . وتبنى انجلترا الآن ٣٠٠ قطعة من هذا النوع . هذا وقد زودت كل سفينة تجارية بمدافع ضد الطائرات والغواصات لتكون أقدر على حماية نفسها .

وهكذا تبذل الدولتان قصارى جهودهما وتقذفان بثمرات إنتاجهما فى هذا المحيط حيث تدور المعركة الكبرى .

محمد شاهين الجوهرى
معهد الصحافة العالى
بالجامعة الأمريكية

مدارس البعثة العلمانية الفرنسية

الليسيه الفرنسية

رقم ٢ شارع الحويالى بالقاهرة

١ — مدرسة البنين : تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية

قسم مصرى

قسم تجارى

٢ — مدرسة البنات : تحضر الطالبات لشهادات « البريفيه » والبكالوريا الفرنسية وهى منفصلة انفصالاً تاماً عن مدرسة البنين

٣ — روضة أطفال

سيارات خاصة لتوصيل الطلبة والطالبات إلى المنازل

الكلية الفرنسية (للبنات)

رقم ٦ شارع ذهنى بالظاهر

تحضر الطالبات بمقتضى المناهج الابتدائية لشهادة (البريفيه)

قسم خاص للدراسات التجارية . اللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية إلزامية فى جميع الفصول

الكلية الفرنسية (للبنين)

رقم ٤٥ شارع الظاهر

تحضر الطلبة بمقتضى المناهج الابتدائية الفرنسية ومناهج البكالوريا المصرية



الليسيه الفرنسية

بالاسكندرية بالشاطبى

روضة الأطفال — ليسيه البنات : منفصلة انفصالاً تاما عن ليسيه البنين : تحضير لشهادتى البكالوريا الفرنسية والبكالوريا المصرية . تعليم التدبير المنزلى

ليسيه البنين : تحضير لشهادتى البكالوريا الفرنسية والبكالوريا المصرية ودبلوم التجارة العليا . تعليم اللغتين العربية والانجليزية فى جميع الفصول . تعليم الألعاب الرياضية

مدرسة الزراعة العليا المصرية : فى الليسيه وفى الملحق الزراعى فى رأس السودا

الدراسات العليا : — علوم ، آداب حقوق ، وعلوم اقتصادية

دراسات المهندسين : كيائيين ومساعدى المهندسين الكهربائيين والميكانيكيين .

الليسيه الفرنسية المصرية

شارع فؤاد الأول بمصر الجديدة

(هليوبوليس)

الثقافتان الفرنسية والمصرية تلقنان لجميع التلاميذ

اللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية إلزامية فى جميع الفصول

١ — مدرسة البنين

تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية والمصرية

٢ — مدرسة البنات

تحضر الطالبات لشهادات البكالوريا وبها قسم للدراسات العامة وفصول خاصة إعدادية للغة الفرنسية . وهى منفصلة انفصالاً تاماً عن مدرسة البنين

٣ — روضة أطفال

كل أنواع الرياضة على أجمل أراضى مصر

سيارات خاصة للمدرسة لتوصيل الطلبة والطالبات إلى المنازل

تحدد يوم الافتتاح لجميع معاهد البعثة العلمانية الفرنسية

٣ أكتوبر سنة ١٩٤١

٥ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

السكان

من المستحيل تقريباً في بلد لا يقيد فيه مواليد ولا أموات أن يعين عدد السكان بدقة . وقبل تأليف هذا الكتاب ببضع سنوات عمل إحصاء على أساس عدد البيوت في مصر وافتراض ثمانية أشخاص لكل بيت في العاصمة ، وأربعة أشخاص لكل بيت في الريف . وهذا الإحصاء — على ما أعتقد — يقرب جداً من الحقيقة . ولكن الملاحظة الشخصية والبحث يحملانني أميل إلى الاعتقاد بأن مدناً كالإسكندرية وبولاق ومصر العتيقة تحوى كل منها خمسة أشخاص على الأقل لكل منزل . أما رشيد فنصفها آهل ونصفها الآخر قفر ، ودمياط المزدحمة بالسكان يجب أن تحسب ستة أشخاص لكل منزل فيها وإلا نقص تقديرنا كثيراً عما يظن أنه عدد سكانها . فإذا أضيف شخص أو شخصان إلى كل منزل في المدن المذكورة ، فلا يحدث مع ذلك إلا فرق ضئيل في إحصاء سكان مصر . ومجموعهم طبقاً لتلك الطريقة الحسابية يبلغ أكثر من مليونين ونصف مليون من الأنفس ؛ ولكن هذا العدد قل فيما بعد . وكان من المحتمل أن يكون من هذا العدد قرابة مليون ومائتى نفس من الذكور ، ثلثهم (٤٠٠٠٠٠) يصلحون للخدمة العسكرية

وقد جنّد محمد على من هذا العدد الأخير مائتى ألف رجل على الأقل لجيوشه النظامية وللخدمة البحرية . وأقصى خسارة نتجت من إبعاد هؤلاء الرجال عن زوجاتهم ، أو منعهم من الزواج عشر سنين ، لا بد أن تزيد على ثلاثمائة ألف ؛ وبذلك جملت مجموع السكان أقل من مليونين . أما عدد أفراد الطبقات المهمة فقد كان كما يلي على وجه التقريب :

مصريون (فلاحون وحضريون) ١٫٧٥٠٫٠٠٠

مصريون مسيحيون (أقباط) ١٥٠٫٠٠٠

عثمانيون أو أتراك ١٠٫٠٠٠

سوريون ٥٫٠٠٠

يونانيون ٥٫٠٠٠

أرمن ٢٫٠٠٠

يهود ٥٫٠٠٠

أما بقية السكان من البدو والنوبيين والعبيد والمماليك والفرنج ، فمن المحتمل أن يبلغ عددهم نحو سبعين ألفاً . أما عدد كل طائفة على حدة فلا يمكن معرفته على وجه اليقين . وقد كان عرب الصحراء بين الغربية والشرقية لا يعدون في سكان مصر .

قلت : إن القاهرة يبلغ عدد سكانها مائتين وأربعين ألف نفس تقريباً عند ما وضع هذا الكتاب [1] . ولو كنا قد بنينا حكمنا على أهل هذه المدينة من ازدحام شوارعها المهمة وأسواقها لخدعنا كثيراً . ففي كثير من الحارات والأزقة لا يرى إلا القليل من المارين . كذلك لا يمكننا الحكم من سعة المدينة وضواحيها ، فإن داخل الجدران كثيراً من الأمكنة الخالية ، بعضها يتحول إلى بحيرات أثناء الفيضان [2] . ثم إن الحدائق والمقابر الكثيرة وأحواش المنازل والجوامع تشغل مساحة واسعة . وقد عددت بين سكان القاهرة نحو مائة وتسعين ألفاً من المصريين المسلمين ،

---

(١) وصل مجموع سكان القاهرة إلى هذا العدد ، بعد أن كان نحو ٢٠٠٫٠٠٠ منذ ثلاث سنوات أو أربع . ومنذ هذا الأحصاء أهلك وباء سنة ١٨٣٥ ما لا يقل عن ثلث السكان ، كما ذكر قبلا ، ولكن سرعان ما سد هذا النقص من الريف

(٢) وقد ردمت أكبر هذه البرك ، وكانت تعرف ببركة الأزبكية (ولا زال مكانها يسمى بهذا الاسم) ، وزرعت أشجاراً بعد سنوات قليلة من وضع هذا الكتاب

وحوالى عشرة آلاف من الأقباط وثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من اليهود ، والبقية أجانب من بلدان مختلفة (١)

ويرجح أن سكان مصر فى عصور الفراعنة كان عددهم ستة ملايين أو سبعة(٢) . ولو أن شيئاً من محصول الأرض فى العصر الحاضر لم يصدّر ، لعال هذا المحصول أربعة ملايين نفس . وإذا كانت كل الأرض الصالحة للزراعة تزرع ، لكفى المحصول ثمانية مليون ، وهذا غاية ما يمكن أن تصل إليه مصر فى أغزر السنين فيضاناً . ولذلك فإنى أعتقد أن المصريين القدماء فى الوقت الذى كانت فيه الزراعة فى حالة ازدهار كان عددهم كما قررت سابقاً . كما أنه من المفروض أن عددهم لم يكن يزيد على نصفهم إلا بقليل فى عصر البطالسة والعصور التالية ، عندما كانت تصدّر كميات كبيرة من الحبوب سنويا(٣) . وهذا الإحصاء يتفق مع ما قاله ديودور الصيقلى من أن مصر بلغ عدد سكانها فى أيام الملوك الأقدمين سبعة ملايين ، بينما فى عصره لم يقلوا عن ثلاثة ملايين

ومن تأمل فى سياسة محمد على لا يسعه إلا أن يأسف للفرق بين حالة مصر تحت حكمه وبين ما كان يجب أن تكون ، إذ لم يزد عدد سكانها بكثير عن ربع العدد الذى كان فى إمكانها إعالته .

ولقد كان فى استطاعة العاهل العظيم أن ينفع شعبه أجزل النفع لو أنه بدلا من إفقار الفلاحين بنزع الأراضى الزراعية واحتكار المحصولات القيمة ، واستخدام كفاءة السكان فى إرضاء طموحه وتحقيق فتوحه ، أو فى منافسته الصناعة الأوربية على غير طائل

كان قد وجه عنايته إلى مساعدة الطبيعة فى أن يجعل مصر بلداً زراعياً على الأخص ، فقد كان يكفى محصول قطنها وحده ، بل ويفيض ، للحصول على كل منتجات المصانع الأجنبية وكل المحصولات الطبيعية التى تتطلبها حاجة السكان من البلاد الأجنبية (١)

الفصل الأول

مميزات المصريين المسلمين وملابسهم

يؤلف المسلمون المريبو الأصل غالبية سكان مصر منذ قرون. وقد أحدث ذلك انقلاباً فى اللغة والقوانين والشمائل العامة ، وأصبحت العاصمة المصرية أعظم قاعدة للمعارف والفنون العربية . وسيخصص لوصف هذا الشعب — وعلى الأخص الطبقتان الوسطى والعليا فى القاهرة — أكبر جزء من هذا الكتاب

ويلاحظ أن شمائل المصريين وعاداتهم تثير الاهتمام بنوع خاص ، لأنها مزيج من تلك الشمائل والعادات التى تسود الجزيرة العربية وسورية وشمال أفريقية كله وتركية إلى حد بعيد . وليس فى العالم بلد كمصر يمكننا أن نحصل فيه على معرفة تامة بأكثر طبقات العرب تمدنا

ويظهر من الإحصائيات الواردة فى مقدمة هذا الكتاب أن المصريين المسلمين — أو المصريين العرب — يؤلفون تقريباً أربعة أخماس سكان العاصمة ، وسبعة أثمان سكان مصر كلها

والمصريون المسلمون من جنس خليط انحدر إلى حد كبير من عدة قبائل وعشائر عربية وفدت إلى مصر فى عصور مختلفة ، بُعيد الفتح . وهؤلاء العرب المهاجرون كانوا أولاً قبائل تجوب الصحراء ، ولكنهم تركوا حياة البداوة وتحضروا ، ثم أصهروا إلى الأقباط الذين أصبحوا بالإسلام آمنين ، فأدّى اختلاطهم هذا إلى تكوين شعب كثير الشبه بقدماء المصريين الذين ينتمون إلى الجنس « القوقازى » مع قرابتهم

(١) يتألف ثلث سكان القاهرة من الذكور البالغين . وقد أحصيت من هذا العدد حوالى ٣٠٫٠٠٠ تاجراً من صغار أصحاب الحوانيت والصناع ، و٢٠٫٠٠٠ من الخدم الذكور و١٥٫٠٠٠ من العمال والحمالين الخ . أما البقية فمكونة غالبا من خدم الحكومة المدنيين والحربيين

(٢) أنا لا أعتمد كثيرا على أقوال المؤلفين القدماء فى هذا الموضوع .

(٣) وقد لمح لى البعض أنه بتصدير الحبوب ، تستورد أشياء ذات قيمة مساوية ؛ وإن تصدير الحبوب أو أي شيء آخر ينعش الصناعة وينشط السكان . ولكن أى شيء يمكن استيراده ليقوم بالغذاء اللازم لشعب عدده يستهلك أكثر من محصول أرضه

(١) فى ١٨٣٥ شحن من الاسكندرية أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ بالة قطن ، وكان ما دفعه التجار يزيد على ٧٠٠٫٠٠٠ . أما الكمية المصدرة فى العام الماضى فكانت ٣٤٫٠٠٠ بالة وهى أقل من المعتاد بكثير

إلى الجنس الأسود على درجات مختلفة ، وهذا الشبه يبدو تاماً فى عدة أفراد منهم على الجملة ، وعلى الأخص فى القبط والنوبيين ، وهو فى مسلمى مصر الوسطى والعليا أكثر شيوعاً ووضوحاً ، ولكنهم مع ذلك ليسوا أقل عروبة من أهل الحضر فى الجزيرة ذاتها، إذ فشت فيهم منذ القدم عادة اقتناء الجوارى من قبائل الجلا Galla والأحباش ، إما للزواج وإما للتسرى . ولذلك كان عرب المدن الآن يشبهون الجلا والأحباش بقدر ما يشبهون البدو .

وهذا — على الأقل — هو الحال فى مدن الإقليم الجنوبى الغربى من بلاد العرب ؛ أما الجهات الجنوبية ، فالحضريون فيها أكثر اختلاطاً بالهنود وأجناس الملايا وبالإفريقيين كذلك . فالمصريون عامة والعرب كذلك ـ ولو على درجة أقل ـ ينزعون بعرق إلى أهل أفريقيا الأصليين . ويلاحظ أن لفظ « العرب »(1) يطلقه سكان البلاد العربية الآن على البدو فى مجموعهم ، ويطلقون كلمة « العربان » على أهل القبيلة أو على القليل منهم . أما الفرد فيسمى « بدوياً » . وقد زال التمييز بين القبائل تقريباً فى العاصمة وفى غيرها من المدن المصرية ؛ ولكنه لا يزال باقياً بين الفلاحين الذين حافظوا على عادات بدوية كثيرة سأتكلم عنها فيما بعد . وفى بقاع مختلفة من مصر عشائر تنحدر من العرب الأولين الذين يترفعون عن التزوج ممن هن أقل منهم جنساً . وهؤلاء يصعب بل يستحيل تمييزهم من قبائل صحراء الجزيرة العربية . ومسلمو القاهرة الوطنيون يسمون أنفسهم عادة : « المصريين » و « أولاد مصر » أو « أهل مصر » و « أولاد البلد » ؛ وآخر تلك العبارات الثلاث أكثرها شيوعاً فى المدينة نفسها . أما أهل الريف ، فيسمون بالفلاحين (أو المزارعين) ؛ وكثيراً ما يطلق الأتراك على المصريين لفظ الفلاحين ، ويقصدون به معنى الغلظة والجفاء ، أو ينعتونهم بأهل فرعون إهانة لهم ، فيرد عليهم المصريون كلما اجترأوا على ذلك بتسميتهم أهل نمرود

ويتراوح طول المصريين بين خمس أقدام وثمانى بوصات ، وخمس أقدام وتسع بوصات ، وأغلب الأطفال تحت سن التاسعة أو العاشرة دقاق الأطراف ضخام البطون ، ولكن ... سرعان ما تتحسن أشكالهم كلما تدرجوا فى النمو ، فلا يبلغون أشدهم حتى تتناسب أعضاؤهم بشكل ظاهر . فالرجال أقوياء مفتولو العضلات ، والنساء جميلات التكوين بدينات من غير إفراط . ولم أر فى المصريين بدانة إلا فى الذين أخلدوا إلى حياة البطالة فى العاصمة وفى غيرها من المدن

(يتبع) عدلى طاهر نور

(1) هذا اللفظ كان يستعمل أولا للاشارة إلى العرب الحضريين ، بينما كان العرب الرحل يسمون « أعراباً » ، وعرب المدن يطلقون الآن على أنفسهم « أولاد العرب »

ليالي القاهرة

وقفة على دار

للدكتور إبرهيم ناجى

قِفْ يا فؤادُ عَلَى المَنازِلِ ساعَا   فهُنا الشبابُ عَلَى الأحِبّةِ ضاعا
وَهُنا أذلَّ إباءهُ مُتكبِّرٌ   أمَرَتْ عُيُونٌ قَلبَهُ فأطاعا
أحْسَسْتُ بالداءِ القَدِيمِ وَعادَنِي   جُرْحٌ أبَيْتُ لِعَهْدِهِ إرْجاعا
وَمَشَى مَعَ الألَمِ الذُّهُولُ كأنّما   طارَتْ بِلُبِّي الحادِثاتُ شَعاعا
كَثُرَتْ عَلَيَّ مَتاعِبِي فمحَوْنَنِي   ومحَوْنَ حتّى السُّقْمَ والأوْجاعا
يامَنْ هجرْتَ لقَدْ هجرْتَ إلى مَدَى   فإلى اللّقاءِ ! وأنْ أقولَ وداعا

غيمة

للأديب عبد الرحمن الخميسى

تَخِفُّ إلى صَدْرِ السّماءِ تَميمَةً
رَمادِيّةَ الأصْباغِ مِنْ كفِّ رَاهِبِ
تَشُقُّ عُبابَ الجوِّ حَيْرَى كأنّها   سَفِينَةُ وَهْمٍ فِي خَواطِرِ كاتِبِ
يُنادِمُها فَجْرٌ نَدِيٌّ مُنوِّرٌ   وَيُطْلِقُها فِي أرْجُوانِ المَواكِبِ
وَتُرضِعُها مَسْفُوحَها الشّمْسُ وَقْتَما   تُرِيقُ دِماها فَوْقَ هامِ المَغارِبِ
وتَرْقُبُ دَمْعَ البَدْرِ فِي كلِّ لَيْلَةٍ   لِتَسْبَحَ فِي غَمْرٍ مِنَ النُّورِ ذائِبِ

من لواعج الذكرى

للأستاذ محمد كامل حته

أبى ! كيفَ ماتَتْ مَعانِي الرثاءْ   عَلَى شَفَتِيَّ وَغَصَّ القلمْ !
وكيفَ احتوانِي ذهولُ الفناءْ   عَشِيّةَ غُيِّبْتَ بينَ الرِّمَمْ ...
وأينَ الدموعُ ، وأينَ البكاءْ   يموجُ على شاطِئَيْهِ الألَمْ !
وأينَ الرثاءُ يهُزُّ السماءْ   وَيُدْمِي الجفونَ وَيُذكِي الضَّرَمْ
تأبَّتْ عَلَيَّ فنونُ العزاءْ   وَجارَتْ عَلَيَّ همومُ العدمْ
فأعْوَزَنى يومَ مِتَّ الوَفاءْ   وما أنا فى الناسِ بالمُتَّهَمْ
كأنى وقد حُمَّ فيكَ القضاءْ   ذبيحٌ تحَشْرَجَ فيهِ النغمْ !

* * *

ترَى كيفَ مَرَّتْ عليَّ الشهورْ   وكيف انقضى العامُ والآخَرُ ؟
وكيف احتوانِيَ صَمْتُ القبورْ   وأخرسنى وَجْهُها الساخرُ !
وبى لوعةٌ من عذابِ السعيرْ   تَلَظَّى بها القلبُ والخاطرُ
وما فى بيانى وَنًى أو قصورْ   ولى منطِقى المسعفُ المادرُ
لقد خدعَتْنى المنَى وهى زورْ   وغَرَّرَ بى الأملُ الغادرُ
فأقسمتُ: ساقى الردَى لن يدورْ   على مهجتى كأسُهُ الدائرُ
فدارَتْ بِيَ الكأسُ ظمأى تفورْ   وَغُولُ الردَى مُطْبِقٌ كاشرُ !

* * *

هُوَ الموتُ قدْ رَوَّعَتْنِى رُؤاهْ   فذابَ جَنانِيَ فى قبضَتِهْ
وَأعْوَلَ فِى دُنْيَياتِى صَداهْ   وَغَامَتْ حَياتى على صفحَتِهْ
فلمّا تقشَّعَ عَنِّى دُجاهْ   تَلَفّتُّ ، وَالقلبُ فِى غَشْيَتِهْ
فألفَيْتُنِى فِى خِضَمِّ الحَياهْ   مَهِيضَ الشراعِ على لُجّتِهْ
وَحِيدًا تُرَوِّعُهُ فِى سُراهْ   هُمُومٌ تَفزَّعُ مِنْ وَحْشَتِهْ !
وَأيْنَ العزاءُ ، وكيف النجاهْ ؟   سؤالٌ يُدَمْدِمُ فِى وَحْدَتِهْ
وأين أبى ؟ فى جِوارِ الإلهْ   يُلَقَّى الكرامة فى جنّتِهْ !

إلى البدر ...

للأديب محمد عبد السلام كفافى

سميرك يا بدر الدجى كاد يغربُ   ويحجبه من عالم الموت غيهبُ
أرانا تشابهنا فإنك فى الدجى   منار وإنى فى دجى اليأس كوكب
ونحن بنو أم كلانا سليلها   ولكننا فيها نُوارى ونُحجب
فويلك إن ألفت عليك بظلها   وويلى إذا ما فى ثراها أُغَيَّب
ولكن تخالفنا فأنت تعود من   غروب ولن آتى إذا حان مغرب
وأنت صليب القلب لكننى فتى   فؤادى بألوان الهموم معذب
فكم بات قبلى سامرون مدى الدجى
طوتهم من الماضى سنون وأحقب
تناجيك أشعار لهم وأهازجٌ
ويشجيك نايٌ خالد اللحن مطرب



١ — ما رأيكم فى هذا الجواب؟

لأستاذنا الكبير (ا. ع) فضل فى تقييد ما يقع فى أقوال الكتاب والشعراء من التعابير الدخيلة فى اللغة العربية. وهو يخصنى بالعناية فيتناول كلامى بالنقد من حين إلى حين، وإن كان فى يأس من إصغائى إليه فى كل وقت، لأنى أرى من حق الكاتب أو الشاعر أن يدير التعبير كيف شاء، وفقاً للصورة التى تتمثل فى ذهنه وهو يساور بعض المعانى والأغراض

ومن أغلاطى عنده عبارة «من جديد» وهى كثيرة الدوران فى كلامى، ويرى أستاذنا (ا. ع) أنها «من التعبيرات التى تسربت حديثاً إلى لغتنا، فتداولها الكتّاب من غير تمحيص، ولا وزن لصحتها اللغوية، ولا لصلاحيتها لأن تندمج فى الأساليب الفصيحة وتغدو جزءاً منها» ثم قال: «وما كنت أتوهم قط أنها تصل يوماً إلى أقلام البلغاء» وبعد أن رجّح أنها «من التراكيب الأفرنجية الكثيرة التى شوهتها الترجمة السقيمة» تلطف فقال: «أفلا يرى معى حضرة الدكتور أنه يجدر بنا أن نحارب هذه الطفيليات فى لغتنا، وأن نقضى عليها قبل أن يستشرى فيها شرها؟»

واتفق أن صرفتنى الشواغل عن الجواب فكتب الأستاذ بعد ذلك بأسابيع كلمة يقرر فيها أن عبارة «من جديد» لن تُقتلَع من اللغة إلا بعناء، وفوض أمره وأمر اللغة إلى الله!

فما رأى أستاذنا (ا. ع) فيمن يخبره أن اللغة العربية عرفت هذا التعبير قبل أكثر من تسعة قرون؟ ما رأيه فى قول ابن رشيق وهو من أقطاب الأدب العربى:

قد أحكمتْ منى التجا ... رب كل شىء غير جودى
أبداً أقول لئن كسبـ ... ـتُ لأقبضنّ يدىّ شديد
حتى إذا أثريتُ عُـد ... تُ إلى السماحة من جديد

أتراني أجبتُ؟ إن لم يقتنع فسأرجع إلى مصاولته من جديد وإن اقتنع فأنا أنتظر منه جائزة سنية على هذا الجواب، والسلام

٢ — مشكلة جديدة

قبل ظهور العدد الماضى بثلاثة أيام قدمت الكلمة السابقة لمطبعة الرسالة، وراعنى أن أجد أحد الأدباء سبقنى بكلمة عن أبيات ابن رشيق، ولم تكن تلك الأبيات بعيدة منى، فهى من شواهد كتاب «الموازنة بين الشعراء» ولكن الحظ قضى بأن تكون «الجائزة السنية» من حق ذلك الأديب وقد وصلت كلمته قبل كلمتى

وهنا تظهر مشكلة جديدة تصورها الأسئلة الآتية:

١ — حكم الأستاذ الكبير (ا. ع) بأن عبارة «من جديد» لم تكن شائعة بيننا قبل نحو عشر سنين، فهل يؤمن بقيمة الاستقراء الفردى فى اللغات؟

٢ — وحكم بأنه ما كان يتوهم قط أن تصل هذه العبارة يوماً إلى أقلام البلغاء، فهل يتفضل فيشرح الأسباب التى تمنع وقوع هذه العبارة فى كلام بليغ، ولو صح القول بأنها منقولة عن اللغات الأجنبية؟

٣ — ورجح القول بأنها مترجمة عن الإنجليزية، وأقول إن لها نظيراً فى الفرنسية، فهل يجب أن ننفى من لغتنا كل عبارة لها نظائر فى لغات الأجانب؟

٤ — قال أستاذنا (ا. ع) إنه جهد فى أن يخرّج هذا التركيب فى مختلف أوضاعه تخريجاً سائغاً فلم يوفق، ثم قال: «قد يكون التقدير فى عبارة الدكتور (من وقت جديد) أو (من شىء جديد) أو (من أمر جديد) مثلاً، ولكن كيفما قدرنا هذا الموصوف ألفينا الكلام غثاً لا معنى له»

وولوا ولم تحزن عليهم بدمعة ... ولكنْ على أجداثهم بت تلعب
حكيت فتاتى فى الملاحة والسنى ... وتحكيك منها قسوة وتجنب
كأنك منهـا وهى منك تحدرت ... فليست إلى الأرضين تُنمى وتنسب
أراها على أفق الجمال تربعت ... يداعبنى منها شعاع محبب
فيوهن بأسى حبُّها ويهدّ من ... قُوى عزمتى والحب أقوى وأغلب
فويلى يا بدران إن مت منكما ... فلا هى تبكينى ولا أنت تندب

ومن حق أن أسأل أستاذنا عن الموجب لهذا التقدير وهو من صور التكلف والافتعال ؟ يضاف إلى ذلك أن البحث عن أصول التعابير يضيع الغرض الأصيل وهو الإيجاز ويُفقد التعابير حظها من الذاتية البيانية

إن أجاب سعادة الأستاذ عن هذه الأسئلة بما يقنع فله عندى جائزة سنية ، على شرط أن يخص السؤال الثانى بالعناية والاحتفال

زكى مبارك

من جديد

اطلعت فى العدد (٤٢٧) من « الرسالة » على كلمة للأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة ، يعقّب بها على ما كتبته فى تخطئة قول بعضهم : « من جديد » ؛ ويستشهد لعربية هذا التعبير بما رواه لابن رشيق القيروانى فى إحدى قصائده

ولقد طربت — علم الله — لهذا التصويب ، وإن كان لا ينزلنا منزلة اليقين ؛ ولكنه — كما قال الأستاذ — يميل بنا إلى الجزم بانتماء هذا التعبير إلى العربية الصحيحة ، ويبعد بنا عن فكرة أنه مترجم عن الإنجليزية لقدم عهده

وإنى أشكر للأستاذ إفادتى وخدمته للغة بكشفه هذا هدانا الله إلى السداد ، وألهمنا الصواب فيما نقول ونعمل .

« ا . ع »

الذى حرك العالم !

تساءل الأديب الفاضل أحمد الشرباصى فى العدد الخامس والعشرين بعد الأربعمائة من « رسالتنا الغراء » عن السبب فى تسمية « الجاز » المستعمل فى المنازل بأسماء مختلفة ، فقال : إن الحكومة تكتبه فى البطاقات التى تعطى شهرياً للجمهور باسم « الكيروسين » ، وكتاب السياسة يسمونه « البترول » ، والعامة تسميه « الجاز » ؛ ويقترح الأديب أن يطلق عليه « النفط » ، كما كان يسميه العرب وتسمى منابعه « النفاطات »

والواقع أن « الجاز » أحد مشتقات عديدة تستخرج من زيت معدنى هو البترول ، أى أن كلمة « الجاز » لا ترادف كلمة « البترول » ، والعلاقة بينهما هى علاقة الفرع بالأصل . وأما كلمة « الكيروسين » ، فهى ترجمة إفرنجية علمية صحيحة Kerosene للجاز ، وموضوع « البترول » موضوع كيميائى متشعب . والمكتبة الإفرنجية غنية بالمصنفات العديدة عنه نظراً لأهميته الحيوية لجميع الأمم ، سواء المتحاربة أم المسالمة ، فما من مصنع يشتغل ، أو سيارة تتحرك ، أو طائرة تحلق ، أو قطار يسير ، أو بيت يعمر بأهله ، إلا كان للبترول ومشتقاته فضل كبير فى ذلك : فمنه يستخرج بنزين السيارات والطائرات ، ومنه تستوقد النيران فى المنازل بالجاز ، ومنه زيوت التشحيم بأنواعها المختلفة ، ومنه زيوت الديزل والمازوت للوقود ، ومنه الشمع ، ومنه الأسفلت . وأما كلمة « الجاز » التى شاعت على لسان الجمهور فأغلب الظن أنها مأخوذة من أحد زيوت البترول المسمى جاز أويل Gas Oil وهو نوع خفيف من زيت الديزل ويستضاء به أيضاً

وإذا كان قد جاء فى المختار والقاموس والمصباح أن النفط ضرب من السرج يستصبح به ، وأن النفاطة منبت النفط ومنبعه ، فأظن أنه بعد التقدم العلمى فى دراسة البترول وتقسيم مشتقاته لا يكفى . فعلى علماء المجمع اللغوى أن يحددوا اللفظ المقابل لكل من المواد السالفة الذكر ، بعد أن اتضح أن الجاز شىء والبترول شىء آخر

أحمد على الشمات
كيميائى

استيضاح

فى العدد (٤٢٥) كتب الأستاذ الكبير (ا . ع) تعقيباً لغوياً على الدكتور زكى مبارك جاء فى هامشه ما نصه : « ويكنى عن الأمر بكذا ؛ إلا أن (كذا) تفرد إن لم يتمدد الفعل . قال فى (المصباح) : ويكون كناية عن الأشياء ، يقال فعلت كذا ، وقلت كذا ؛ فإن قلت : فعلت كذا وكذا فَلِتمدُّدِ الفعل اﻫ »

وفى هذا القول نظر ، كما يقول الأسلاف إذ جاء فى مختار الصحاح ما نصه : « تقول فعل كذا وكذا » و « تقول عندى كذا وكذا درهما » وهذا يفيد جواز تكرار (كذا)

وقول المصباح : « فإن قلت : فعلت كذا وكذا فلِتمدُّد الفعل » مبهم محتاج إلى توضيح ، إذ لا نفهم معنى تمدد الفعل هنا ؛ أيقصد تمدد الفعل من الفاعل ، أم يقصد تمدد الفعل فى الجملة



ذهب آل هوهنزلرن

تأليف الأديب الإنجليزى سى . فورستر

للأديب سيد إبراهيم البكار

عند ما كان ابن عمى بريان طالباً بالطب ، كان كثيراً ما يختلف إلى منزلى ، وخاصة عند ما يكون فى حاجة شديدة إلى النقود . أما الآن وقد أصبح طبيباً ناجحاً فلم أعد أراه أو أسمع صوته . لذلك كانت دهشتى شديدة ، عند ما دق جرس التليفون فى أحد الأيام وكان المتكلم بريان . وسألنى عما إذا كان فى استطاعتى أن أستغنى عن جزء من وقتى ليواضعنى الرأى فى أمر هام . وقد انتهى حديثى معه بأن دعوته إلى العشاء .

ومع أننى كنت مشغولاً إذ ذاك بعرض إحدى رواياتى على مسارح لندن ، ومنهمكا فى درس تفاصيل اتفاق مع إحدى الشركات السينمائية على شراء رواية أخرى ، فإنى كنت مشتاقاً إلى رؤية بريان ، وقضاء بعض الوقت معه . فقد كان شاباً ظريفاً ، يتفجر حيوية ونشاطاً

وكان لبريان مقدرة عظيمة على ضبط نفسه ، فلم يكلمنى فى ذلك الأمر الهام حتى فرغنا من تناول العشاء وشرب القهوة . وفى أثناء ذلك أخذ يسألنى بكل أدب عن الرواية والفلم ، وعن مدى نجاح مسرحيتى الجديدة . ولم يكن عجيباً أن يلقبنى بريان بالعم فقد درج على ذلك منذ صغره ؛ ولم أكن من ناحيتى أرى غضاضة فى ذلك ، بل كنت أعتبر هذا شعوراً طيباً منه نحوى . ولما فرغ بريان من إشعال سيجارته سألته عن ذلك الأمر الهام الذى كلمنى عنه فى التليفون .

قال بريان : حسن يا عمى ، كل ما أريده منك أن تصحبنى فى رحلة على ظهر الدوليسينيا . والدوليسينيا هو الاسم الذى أطلقه على يختى الخاص .

قلت : يا طفلى العزيز ، لقد كنت تتكلم الآن عن الرواية والفلم . وأنت تعرف أنى أريد أن أنتهى منهما . وعلى ذلك فلن يكون فى استطاعتى أن أستغنى عن دقيقة واحدة فى ستة الأسابيع القادمة .

قال بريان : حسن ، هذا ما كنت أخشاه ، فبعد ستة أسابيع يكون الوقت قد مضى ، وأنت تعرف أن الملاحة فى الدانوب تتعطل فى أثناء الشتاء .

— الدانوب ؟ وأين تريد أن تذهب ؟ ولماذا ؟

— أنت ترى ، ولكن يحسن بى أن أتكلم من البداية .

— إن هذا يكون أكثر إيضاحاً .

— لقد بدأت هذه القصة منذ أسبوعين مع أحد مرضاى وهو بحار ألمانى ظريف يدعى « بابر » . وكانوا قد حملوه إلى المستشفى من الميناء ، إذ أصابته إحدى الرافعات إصابة خطرة . وقد بذلت ما فى وسعى لإنقاذه فنلت بذلك ثقته ، وقد ساعدنى على ذلك معرفتى باللغة الألمانية . وقبل وفاته بقليل أرسل إحدى الممرضات لاستدعائى — ولحسن الحظ كنت موجوداً حينئذ فى المستشفى — وأخبرنى عن الكنز .

— الكنز ؟

— نعم ، الكنز . إنها تبدو لك رواية خيالية . وقد فكرت

وتقديره مضمراً يفسره المذكور ، أم ماذا ؟ مع ملاحظة أن المصباح نفسه قد أورد قبل ذلك فى المادة نفسها هذه الجملة : « يقال اشترى الأمير كذا وكذا عبداً »

فهل يتفضل الأستاذ الكبير (ا . ع) بتوضيح ذلك وتبسيطه لعامة القراء ؟

أحمد الشرباصى

(البجلات)

فى اللغة

طالعت بجريدة الأهرام صباح الأحد كلمة (هناء) فى مقال بامضاء (مصرى) وتحت عنوان (يا أولياء الأمور) وقد سبق أن أنكر الباحثون وجود تلك الكلمة فى اللغة وقالوا إن الصحيح (هناءة) لا (هناء) فهل يتفضل العلامة وحيد بك بما يؤكد الخطأ أو الصواب . ولحضرته الشكر

(ع . ع)

فيك وهو يقص عليّ تلك القصة العجيبة . ألا ترى معي أنها كذلك ؟ البحار الذي يحتضر يقص على الدكتور الطبيب في المستشفى قصة الكنز المخبوء ، إنما كان ينبغي أن تكون مع البحار خريطة يبين عليها مكان الكنز .

— وهل كان معه ؟

— كلا ولكن ما قاله يكفي . لقد قال إنه كان جندياً في الحرب العظمى ، ولم يشتغل بالملاحة إلا أخيراً . وقد كان أحد الحراس الثلاثة الذين أرسلته الحكومة الألمانية لحراسة مقدار من المال أرسلته إلى بلغاريا أثناء الحرب . وقد عهد إلى أحد الضباط حراسة العربة المملوءة بالمال . ولما كانت أرض بلغاريا صخرية وعرة ، فقد وصلوا إلى هناك متأخرين . وأنت تعرف أن بلغاريا كانت أسبق الدول التي بادرت إلى التسليم

— نعم . هذا صحيح . ولا زلت أعجب كيف أن الشبان الذين لم يكونوا إلا صبية صغار في سنة ١٩١٨ يعرفون عن معركة هاستنج أكثر مما يعرفه آباؤهم وأعمامهم الذين خاضوا غمارها وذاقوا ويلاتها

* * *

وعاد بريان يقول : لقد كانوا قريبين من الحدود عند ما سلمت بلغاريا . ولما سمع الضابط أن جيشاً إنجليزياً كان في طريقه إلى صوفيا أمر بتحويل عربة الكنز إلى خط آخر ، ووصلها بالقطار الذاهب إلى ألمانيا . ولم يكن سيرهم سريعاً ، لأن خطوط السكك الحديدية كانت غير منتظمة . وكانوا لا يزالون في هنغاريا عند ما سلمت النمسا أيضاً

قلت : هذا معقول جداً . فالنمسا كانت ثانية الدول التي سلمت

واستطرد بريان يقول : وهكذا كانوا هناك مع عربة من عربات السكك الحديدية ملأى بالذهب . ولم يكونوا قادرين على التقدم ولا على الرجوع . وكان عليهم أن يعملوا عملاً حازماً سريعاً . ومما حملهم على ذلك أيضاً أن التشيك والرومانيين كانوا يسيرون في اتجاههم . وكان الإيطاليون يتقدمون نحو فينا . وبالطبع لم يكن الضابط يريد أن يستولي الحلفاء على ذلك الكنز ولذلك دفنوه

قلت : وهل أخبرك أين دفنوه ؟

— بالطبع . فقد وقف قطارهم عند تل عال يقع بالقرب من قرية تسمى (ديللنجن) على نهر الدانوب . وعلى قمة هذا التل صليب تذكاري . وقد تعاون الضابط وباير والرجل الثالث على إخراج الذهب من العربة ، وحملوه ليلاً إلى أعلى التل ، ودفنوه هناك على عشر خطوات من الصليب المذكور

وقد قال لي باير إن المال كله كان في صناديق حديدية ، من بينها اثنان لم يستطيعوا حملهما إلا بصعوبة

— وهل تظن أنه كان يقول الحقيقة ؟

— نعم .. إني متأكد من ذلك تأكدي من جلوسي هنا معك

— ولكن هذا لا يعني أن الكنز لا يزال هناك

— صبراً . فسأخبرك عن كل شيء في وقته ، فبعد أن دفنوا الكنز رحل الثلاثة : باير ، والضابط ، والرجل الثالث ، قاصدين بلادهم . وقد كان رجوعهم شاقاً ، فقد كانت هناك ثورات في كل مكان ؛ وكانت آثار التخريب والدمار بادية في كل قرية

— نعم هذا صحيح ، فقد شاهدت بعيني ما حدث في دول أوربا الوسطى بعد الهدنة بقليل

— وعلاوة على ذلك لم يكن مع أحدهم الغذاء الكافي . وكانت عدوى الأنفلونزا منتشرة في ذلك الوقت ، وقد أصيب بها الرجل الثالث فمات في فينا . وبقي باير والضابط . ولما وصلا أخيراً إلى ألمانيا كانت الحرب هناك قد انتهت أيضاً ؛ ولكن كانت هناك فتن وقلاقل داخلية . وبينما كانا خارجين من محطة السكك الحديدية في درسدن قذف شخص مجهول قنبلة أصابت من الضابط مقتلاً . وأصيب باير بجروح لم تكن خطرة على كل حال ، فقضى هناك بعض الوقت حتى التأمت جروحه ، ولما ثابت إليه صحته صمم على أن يحتفظ بسر الكنز لنفسه وألا يخبر به أحداً ما داموا لم يسألوه عنه . فقد نسي الجميع كل شيء عن هذا الكنز وسط القلق والاضطراب والثورات القائمة

— ليس هذا بعجيب

— حسن . منذ ذلك الوقت وباير يبحث عن طريقة يحصل بها على هذا المال ؛ ولكن لم يكن ذلك بالشيء اليسير ، إذ يجب

عليه أن يجتاز بعض الحدود، ويتعرض للشبهات والظنون. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الرحلة الطويلة الشاقة تتطلب كثيراً من النقود ولم تكن النقود متوفرة لديه. وكان يخاف أن يطلب معونة أحد حتى لا يطلعه على سره. لذلك أخذ يتنقل من عمل إلى آخر، منتظراً حدوث معجزة تدنيه من غرضه. ولكن لم يتحقق حلمه، فقد كان آخر عمل له أنه كان بحاراً على ظهر هذه السفينة الألمانية، ولم يعش طويلاً؛ فقد مات بعد أن قص على هذه القصة

— وهل سمعه أحد وهو يخبرك بهذه القصة؟

— كلا. إن هذا مستحيل. ومع ذلك فقد كان يكلمني باللغة الألمانية

— حسن، كل شيء يكاد يبدو حقيقياً، ولكن ما هي خطتك؟

— أريد أن نركب الدوليسينيا إلى هناك، ويمكننا أن نبحر إلى أعالي نهر الرين، ونعبر القناة الواصلة بين الرين والدانوب

— يا إلهي! لقد نسيت كل شيء عن هذه القناة

— ومن ثم ننزل إلى الدانوب، من فينا، وبعد ذلك نرسى عند دبللجمه، ثم نحمل الكنز ليلاً إلى اليخت. وأنت تعرف أن اليخت أكثر صلاحية لتخبئة الكنز من السيارة. ولن يرتاب فينا إنسان أو يشك في الأمر أحد

— هه!

— ستأتي معنا. أليس كذلك؟ سنكون أنا ودوروثي مسرورين بمجيئك

— دوروثي؟ يا للشيطان! وما الذي أدخل دروثي في الأمر؟ ودروثي هي خطيبة بريان

— نحن على وشك الزواج، وستكون هذه الرحلة بمثابة شهر العسل لنا

— فليبارك الله نفسى. هل تظنني أصحبكما وأتطفل على زوجين في شهر العسل؟

— لكننا لا نبالي بذلك

— ربما لا تبالون أنتم بالأمر؛ ولكني أنا أبالي. إني أفضل أن يختل عقلي — كما أتوقع لنفسي — بهذه التجارب وهذا القلم. أما أنت فخذ اليخت، ولكن لا تسألني أن أصحبكما

— أشكرك يا عمي. سنأخذ نصف الكنز. هل تقبل؟ إننا سنستخدم يختك كما تعلم

ردني ما قاله إلى عالم الحقيقة مرة ثانية. لقد رن كل شيء في أذني معقولاً إلى الآن. ولكن عند ما أخذت أنظر في الأمر عن كثب بدا لي كل شيء أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة الواقعة. فاكتشاف الكنز المخبوء لا يكون إلا في القصص والروايات

وقطع على بريان سلسلة تأملاتي بقوله:

— كم تظن من المال هناك؟

قلت: أنا لا أعتقد أن دولة كبيرة كألمانيا ترسل إلى بلغاريا في أثناء الحرب أقل من مليون جنيه. أليس كذلك؟

وتناولت ورقة وقلماً وأخذت أحسب

— كل شيء حسن. لقد حسبناها أنا ودوروثي. نحن نستطيع أن نحمل مليون جنيه على ظهر الدوليسينيا بكل سهولة

وأخيراً اتفقنا على كل شيء. سأضع يختي تحت تصرف بريان؛ وعند ما يأتي بالمليون سيعطيني عشر هذا المليون. وأنا أعتقد أن مائة ألف جنيه تكفي عجوزاً مثلي لكي يقضي بقية حياته في هدوء واطمئنان. ويستطيع بريان أن يأخذ باقي المليون، وإذا لم يستطع إنفاق كل هذا المال فعليه أن يعيد بناء مستشفى لندن. وكنت أعرف أن بلاد الدانوب مليئة بالفتن والقلاقل، وأنهم سيتعرضون لكثير من المخاطر. فلما أبديت مخاوفي إلى بريان ابتسم وقال:

— إن دوروثي تحب المغامرات، وهي تخوض المخاطر بشجاعة منقطعة النظير. وعلى كل حال نحن نعرف كيف نحتفظ برؤوسنا سليمة، فلا تخف

وأخذنا نتناقش في بعض التفصيلات الخاصة بالرحلة، وإعداد العدة لها، ولم يبرح بريان منزلي إلا بعد الساعة الرابعة صباحاً

* * *

وأخيراً أتى اليوم السعيد، يوم زواج بريان ودوروثي. ولم أستطع التخلص من مشاغلي إلا بصعوبة. وما صدقت أني أصبحت حراً طليقاً، من أوامر الأستديو، وقيود التجارب في يوم بأكمله، حتى قصدت الكنيسة حيث أقيمت مراسيم الزواج، ووقعت باسمي شاهداً في السجل الخاص بالزواج، ثم

قدت العروسين السعيدين إلى مرسى الدوليسينا . كان أمامى ستة أسابيع قبل أن أراهما ثانية . ولا أقول إن هذه الستة أسابيع مرت ببطء ، أو إنى قضيتها على أحر من الجمر ، فقد كانت مشاغلى كثيرة . كان أمامى الرواية المسرحية ، ومضايقات التجارب التى لا تنتهى ؛ ثم هناك أيضاً الفلم ، ولا يستطيع من يشتغل بإخراج فلم أن يجد من وقته لحظة واحدة يقضيها فى هدوء وسلام . وعند ما انتهى الفلم وأصبح صالحاً للعرض ، كان لا يزال على أن أنتهى من هذه الرواية بسرعة ، وقد انتهيت منها فى الوقت الذى تعهدت بتقديمها فيه إلى الناشر . وعند ما انتهيت من هذا كله أحسست كأن عبئاً ثقيلاً أزيح عن عاتقى . ومن ثم أخذت أفكر طويلاً فى الدوليسينا ، وكنت أتخيلها وهى تأخذ طريقها عبر القناة بين مرتفعات بافاريا ، ثم أتخيلها وهى تندفع مع التيار فى نهر الدانوب ؛ ثم أتخيلها وهى تثير شكوك البوليس فى سبع دول مختلفة

وكنت أواظب فى أثناء ذلك على قراءة الجرائد الأجنبية . ولكنى لم أعثر فيها على أى نبأ بالقبض على زوجين انجليزيين بتهمة التجسس أو سرقة كنز . ولكننى مع ذلك أخذت أتضايق ، وأوشك صبرى أن ينفد عند ما سمعت جرس التليفون يدق فجأة ، وكان الترنك ينادينى من سوثهامبتن

— هالو ! عمى ! لقد رجعنا ثانية . وكان الصوت صوت بريان

قلت : وهل أنتما بخير ؟

قال : نعم وقد وجدنا الكنز

وصحت فجأة : وجدتما ماذا ؟

— وجدنا الكنز كله سليما . ألم أقل لك إنى سأجده ؟ سأخبرك بكل شىء فى هذا المساء . نحن الآن فى المحطة على وشك ركوب القطار إلى المدينة

وربما كان أول ما خالج نفسى من مشاعر هو الاطمئنان لعودتهم سالمين ، ولكن مع هذا طغى علىّ فضول هائل لمعرفة كل شىء عن الكنز . وقد كنت ما أزال فى ريب من أن هذه المغامرة قد انتهت بهذه السهولة . وعهدى بالمغامرات أنها لا تتحقق إلا فى الروايات الخيالية التى كنت أؤلف منها العدد الكبير . كنت فى الحقيقة بين الشك واليقين ، وكنت فى اضطراب ذهنى ، وقلق فكرى ، عند ما أتى بريان ودوروثى لينقذانى مما أعانى

قلت عند رؤيتهم : حسن ؟

قال بريان : نحن مسروران لرؤية عمى المؤلف العظيم

وقالت دوروثى : لقد رأينا ونحن فى التاكسى جموع الجماهير المحتشدة وهى تتزاحم على شراء التذاكر لرؤية مسرحيتك الخالدة !

قلت : لعنة الله على المسرحية ، لنتكلم عن الكنز أولاً

قال بريان : حسن ، ولكن اسمح لى أولاً بشىء من الشراب يا عمى

وأحضرت إليه ما طلبه ، ثم أخبرت الخادم أن الدكتور والمسز سومرست سيبقيان للعشاء . ثم استدرت نحوهما وقلت : حسن

وابتدأ بريان يقول : لم تكن رحلة رديئة بالنظر إلى الذين كانوا يرافقوننى

ورمته دوروثى بمخدة صغيرة

قلت وقد شعرت بالغضب لتدخلها : لا تكونى طفلة حديثة الزواج هكذا ! أتركى هذا الطفل الأحمق يقص قصته بطريقته الخاصة

وعاد بريان يقول : لم تكن الرحلة تستحق الذكر . إلا أن النهر كان مليئاً بالقوارب الكبيرة والجرارات الضخمة التى كانت تحدث صوتاً عالياً ، حتى أنك لا تستطيع أن تسمع كلامك نفسه ؛ وقضينا يومين على هذا الحال . أما اليخت فيجب عليك يا عمى أن تضع فيه ماكينة فاخرة بعد ذلك . لقد كنت أقول دائماً إنك ستستعمل اليخت عاجلاً أو آجلاً

قلت بضيق : سأفعل ذلك فى المرة القادمة

— هذا عن نهر الرين . أما الملاحة فى الدانوب فقد كانت حسنة . إنه نهر واسع جميل ، وكانت الرياح تساعدنا ، وكانت الأمواج هادئة ، وبعبارة أصح كانت الرحلة موفقة . آه ، لقد نسيت أن أخبرك عن العبور من هولندا إلى ألمانيا . كان علينا أن ندفع ...

قلت وقد نفذ صبرى : أنا لا أهتم بما تدفعه . استمر فى قصتك

— حسن ، لقد عبرنا تشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر ، وكان كل من يرى الراية الزرقاء ترفرف على اليخت لا يفهم السبب الذى حدا بيخت إنجليزى خاص إلى المجىء إلى أواسط أوربا ، ولكنهم اعتادوا رؤيتنا فلم يسببوا لنا متاعب عند رجوعنا أخيراً بالذهب ؛ وكان كل مكتب جارك يدعونا ليلقى علينا بعض الأسئلة عن المكان الذى أتينا منه ، وعما نفعله ، وإلى أين نحن ذاهبان ، وكان أكثرهم يتظاهر بأنه لا يعرف الألمانية

قلت وقد عيل صبرى : لعنة الله على الألمانية ! ألم تذهب أخيراً إلى ديللنجن ؟

— نعم فى آخر الأمر ، وكان أول شىء بدا لنا من ديللنجن هو الصليب التذكارى على المرتفعات القريبة من الماء . وكان هناك خط حديدى بجوار التل كما قال باير تماماً ؛ وكان علينا أن نذهب إلى الشاطئ ونعبر شريط القطار ، ثم نصعد إلى قمة الجبل ، ولما وصلنا إلى ذلك الصليب التذكارى خطوت عشر ياردات إلى الشمال منه ، وكان كل شىء حسناً

— ماذا تعنى بقولك حسن ؟

— لقد قال باير الصدق ، فقد كان هناك كثيب صغير من الرمال وحشيش نام لا يلاحظه إلا من يعرف مكانه بالضبط . وعلى ذلك فقد رجعنا إلى اليخت ، وانتظرنا إلى أن أتى الليل ، وكان الانتظار طويلاً ومملاً ، إذ كان يلوح لنا أن الوقت لا يتقدم . ولما خيم الظلام على الكون ، ذهبنا إلى الشاطئ ثانية ... وكنت قد اشتريت مجرافاً أثناء مرورى بمدينة فينا ، فأخذناه معنا واجتزنا شريط القطار ، وكان قطار الشرق السريع الآتى من استامبول يمر فى ذلك الوقت ... فانتظرنا حتى مر ، ثم ارتقينا التل فى الظلام . ولم يكن من السهل العثور على ذلك الصليب التذكارى فى هذا الظلام الشامل . . . ولكن كان من حسن حظنا أننا قد أتينا إلى هذا المكان فى النهار . . . فجلست القرفصاء ، وأخذت أتحسس الأرض لكى أعثر على كثيب الرمل ... ولما وجدته بدأت أحفر فى ذلك المكان ... ولم أحفر كثيراً ، فبعد أن حفرت ثلاث بوصات بدأ المجراف يحدث صوتاً مسموعاً نجم عن اصطدامه بشىء معدنى ، وكان ذلك الشىء صندوقاً حديدياً كبيراً . . . وبذلنا أنا ودوروثى مجهوداً كبيراً حتى أخرجناه من الحفرة ... !

وكان هناك صناديق أخرى فى تلك الحفرة . وكنت أعرف أننا إذا أخرجناها كلها من الحفرة فلن نجد الوقت الكافى لكى نحملها إلى اليخت قبل طلوع النهار . وهذا يعنى أن بعضها سيبقى على التل إلى النهار ، وسيظهر الناس على حقيقة الأمر كله . لذلك آثرنا أن نحمل هذا الصندوق أولا ، ثم نحمل بقية الصناديق فى الليالى التالية . وعلى ذلك ، فقد ردمنا الحفرة بمهارة ورجعنا إلى اليخت بالصندوق الأول ، وكان ثقيلاً . وقد حدث أن وقع على قدمى ، وكشط الجلد كله ، وكانت دوروثى هى السبب فى ذلك ...

وصاحت دوروثى معارضة : كلا ، لست أنا ...

وصحت غاضباً : كونى هادئة ، أيتها الطفلة ...

وعاد ريان يقول : حسن ، بعد ما اجتزنا شريط القطار أوصلنا الصندوق إلى اليخت بواسطة قارب ، ثم وضعناه أخيراً فى الكابينة ، وكان أمامنا وقت كاف لكى نحضر صندوقاً آخر ، ولكننا آثرنا أن نفتح ذلك الصندوق أولاً لنرى ما بداخله

***

وكأنما تعمد ريان مضايقتى ، لأنه اختار هذه اللحظة بالذات لكى يشعل سيجارته ، ولكننى امتنعت عن أى معارضة وانتظرت بفارغ الصبر حتى انتهى من هذه العملية وعاد يقول :

— ولم يكن فتح الصندوق بالشىء الصعب ، فقد كان القفل قديماً قد أتلفه الصدأ ، فلم نجد صعوبة فى كسره ، وكان ...

فقاطعته وأنا أقول بلهفة : وماذا وجدتم فى الداخل ؟

— وجدنا المال الذى قال عنه « باير » ؛ ولكنه كان أوراقاً مالية ، وبالطبع كانت هذه الأوراق من الطبعة التى أصدرتها ألمانيا أثناء الحرب . وكان فى الصندوق نصف مليون فرنك إن لم يكن أكثر ؛ وأظنك اشتريت لى أوراقاً من هذا النوع بعد الحرب مباشرة لكى ألعب بها ، وفى الوقت الذى خرجت فيه هذه الأوراق من دائرة التعامل ، كان المائة ألف منها تساوى بنساً واحداً على ما أظن !

سيد ابراهيم النجار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 429

Lundi - 22 - 9 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٢٩ « القاهرة في يوم الإثنين أول رمضان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
١١٦٥ الأدب والإصلاح ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١١٦٨ الحروب الحاسمة في التاريخ : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
١١٧٢ الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١١٧٦ كليلة ودمنة ... ... : الأستاذ عبد السلام محمد هارون
١١٧٩ المجرم رجل مريض ... : الأستاذ حسين الظريفي ...
١١٨١ تيموستوكل ... ... : الأستاذ محمد الشحات أيوب
١١٨٦ المصريون المحدثون : ... { المستشرق ادورد وليم لين ...
شمائلهم وعاداتهم ... ... { بقلم الأستاذ عدلي طاهر نور
١١٨٩ في الليل ! ... [قصيدة] : الأديب عبد الرحمن الخميسي
١١٩١ جـــواب ... ... : الأستاذ العلامة الكبير «وحيد»
١١٩١ البيئة ونزع العمائم ... : الأستاذ عبد المجيد الساكني
١١٩١ « النفط » ... ... : الأستاذ داود أحمد العاروري
١١٩١ لحبيب أم لابن عبد ربه ؟ : الأديب أحمد حسن علي شعيب
كتاب « محمد فريد » { الأديب لبيب السعيد ... ...
لعبد الرحمن الرافعي بك {

الأدب والإصلاح

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشار الدكتور زكي مبارك إلى حديث لي لخصته صحيفة العزيمة الأسبوعية بقلم مراسل من مراسليها ولخصه الدكتور في قوله إن الأدب ينبغي « أن يكون للأدب ، فلا يكتب الكاتب غير ما يوحى به الطبع ، وهو يعني بالحقائق الخالدة ؛ أما المشكلات التي تتعلق بالطبقات المختلفة فهي مشكلات وقتية يناط تدبيرها بالرجال الإداريين »

ثم قال الدكتور : « أما بعد فهذه ، مشكلة من أصعب المشكلات ، وللأستاذ عباس العقاد أن يوضح رأيه كما يشاء »

ورأيي في هذا الموضوع الذي يستحق التوضيح أن الأديب لا يغض من أدبه أن يكتب في مسائل الاجتماع والإصلاح الموقوت ، ولكن الكتابة في هذه المسائل ليست شرطاً من شروط الأدب وليست حتماً لزاماً على كل أديب

لأن الأدب التعبير ، والتعبير غاية مقصودة ، وغاية كافية ، وغاية لا يعيبها أن تنفصل عن سائر الغايات

ولا فرق بين الأديب المعبر بنظمه ونثره وبين الموسيقي المعبر بألحانه ونغماته . فكلاهما يصف النفس الإنسانية في حالة من حالاتها ، وكلاهما مستقل بوحيه لا يشترط فيه أن يعرض

لعمل المصلح الاجتماعي أو الباحث الأخلاقي أو الناظر في مشكلات الثروة وشؤون المعيشة

وإنما جاء اشتراط البحث الاجتماعي أو الاقتصادي على الأدباء وأصحاب الفنون بدعة من بدع المذهب الاشتراكي في العصر الحديث، وهو مع هذا نقيض الدعوة الاشتراكية في الأساس والصميم

لأن الدعوة الاشتراكية تستكثر على الفقراء أن يستغرقوا حياتهم في طلب القوت والاشتغال بأعباء المعيشة، وترى أن الحياة الصالحة هي الحياة التي يقل فيها جهد العمل، وتكثر فيها فرص المتعة بالنعيم

فإذا كان هذا هو رجاءها الأعلى وغايتها القصوى، فمن أعجب العجب أن تجعل الخبز وضرورات المعيشة شاغلاً لكل عامل وقائل، ومحوراً للأحلام والآمال، وفريضة لا يعفى منها أحد من الناس حتى الذين وكلتهم المجتمعات الإنسانية منذ كانت إلى التجميل والتزيين وتذكير أبناء آدم بأنهم نفوس وألباب لها مطالب في بعض ساعاتها غير مطالب المعدات والجلود! وأكبر من مطالب السوائم والحشرات

ماذا نقول! أنقول السوائم والحشرات؟ كلا معاذ الله أن نتهم السوائم والحشرات بالاستغراق في المطاعم والمعدات، فإنها تعلمنا ما يجهله غلاة الاشتراكيين، ويريدون منا أن نتغفل عنه ونتعلم نقيضه: تعلمنا أن الجمال غاية الحياة، وأن الطعام ضرورة مفروضة وليس بالحياة كلها ولا بالشاغل الذي يستوعب كل حي في كل ساعة في كل عمل وكل مسعاة: تعلمنا أنها تغني وتمرح وتلعب وتحيي الشمس والقمر، وتلوذ بالأعشاب والأزهار، ولا تدين نفسها بدين الخبز والمعدة إلا ريثما تفرغ من هذه السخرة المفروضة عليها أو هذا العبء الذي يثقلها ويعطلها عن سرورها ونشوتها

ونحن إذ نقول هذا لا نجهل ما يقوله الاشتراكيون إذ يستخفون بالفنون والآداب التي تناط بالجمال الخالد ولا تناط بالمنافع الموقوتة. فإنهم يزعمون أن الجوع أولى بالتفكير والتعبير من هذه المطالب التي يسمونها بالكماليات وهي هي كما أسلفنا طلبة الحياة وطلبة جميع الأحياء

وحسنٌ ما يقولون أو فليكن حسناً كما يشاءون، ولكن الأمة التي لا تستطيع أن تفرغ من حياة جميع أبنائها بعض ساعات لبعض هؤلاء الأبناء يشبعون فيها مطالب الجمال، هي أمة لا تستحق الطعام ولا تستحق الوجود. فبحسب الفرد عشر ساعات من الأربع والعشرين للكد والكدح وطلب المعاش؛ وبحسب الأمة تسعة ملايين وتسعمائة وتسعة وتسعون ألفاً من عشرة ملايين بين أفرادها يكدون ويكدحون لمعاشها. وغير كثير بعد ذلك ألف أو أقل من ألف يذكرونها الجمال ويعبرون لها عن أحلام الحياة التي يعطيها الطير والحشرة وتعطيها الضارية والبهيمة كل ما استخلصته من براثن الضرورات

لا بل نزيد على ذلك أن الألف الذين يذكرونها الجمال ويعبرون لها عن أحلام الحياة لا يخلون من فائدة في باب الخبز والطعام إذا نظرنا إلى النتائج والحقائق ولم نقصر النظر على البوادر والعناوين

فالشاعر الذي يفتن المرء بجمال الزهرة، يرفعه من معيشة الذل والشظف، ويجعل قناعته بالدون والسفساف ضرباً من المستحيل. وفكتور هوجو لم يكن من أصحاب البرامج الاجتماعية، ولكنه وصف البؤس والظلم فأغنى عن البائسين والمظلومين ما لم يغنه الدعاة المنقطعون لما يسمونه: مشاكل المجتمع وبرامج الإصلاح. وكل نغمة موسيقية تعبر عن شوق إنساني هي خبز لا يحسن بالإنسان أن يحتمل جوعه ويصبر على فقده، لأن عدم الخبز الذي تطلبه المعدات فقر وعوز. أما عدم الخبز الذي تطلبه الأرواح، فهو مسخ وحرمان من الأذواق والأخلاق

ويكثر الاشتراكيون من ذكر الاقتصاد، ويحسبون الدنيا بحذافيرها اقتصاداً في اقتصاد، وهم يخالفون قواعد «القصد الطبيعي» فيما يشيرون به على نوابغ الأدب والفنون، لأنهم يطلبون من العبقريين الموهوبين عملاً يقوم به من ليست لهم عبقرية فنية ولا ملكة أدبية، وإنما يغني فيه من درسوه وحذقوه وتفرغوا لإحصاءاته وقواعده ومقابلاته ومقارناته، ونريد به بحث المسائل الاجتماعية، ومسائل الفقر والغنى، وتوزيع الثروة ونظام الطبقات. فهذه موضوعات لا حاجة بها إلى عبقريات هوميروس وابن الرومي والمتنبي وشكسبير وبيرون؛ ولا تخسر شيئاً إذا أقبل عليها من خلقوا لها وانقطعوا للاحاطة بمعارفها وأصولها، ولكن العالم الإنساني يخسر أولئك العبقريين إذا وقفوا ملكاتهم على مسائل يوم أو مسائل أمة، لن تصبح مسألة بعد يوم آخر

ولا بين أمة أخرى ... فى حين أن الذى كتبوه لا يزال من شاغل بنى الإنسان فى جميع الأيام وبين جميع الأقوام

فليس من القصد الذى يترنم به الاشتراكيون أن تصرف عبقرية عن عمل تحسنه ، وتحيلها إلى عمل يتولاه غير المبقريين وغير الموهوبين ، وإنما هو خلط فى التوزيع يعاب لما فيه من سوء الوضع فوق ما يعاب لفشله وقلة جدواه

ويستطرد بى هذا إلى مقال فى « الرسالة » للأستاذ رمسيس يونان ، ينحلنى فيه كلاماً لم أقله ولم أقل ما يؤديه ؛ بل قلت ما هو نقيضه على وجه صريح لا محل فيه لتأويل

فالأستاذ رمسيس يونان يروى الحقائق عند العقاد ومنها « أن الأمان كل الأمان، خطر على الهمم والأذهان، وأنه لو اطمأن كل فرد إلى قوته وكسائه، فقدنا من بنى الإنسان المنصر المقتحم المغامر »

ثم يقول : « ولو صدر هذا القول من إسماعيل صدقى مثلاً لعذرناه ، ولكن الغريب حقاً أن يصدر من العقاد . فكيف يستطيع العقاد الشاعر أن يقول إنه لا تكون مغامرة أو اقتحام إلا حيث يكون طلب الرزق ، وأن الإنسان لا يغامر فى سبيل غرام أو فى سبيل كشف علمى أو إنتاج فنى ؟ ! ولماذا لا نقول إن روح المغامرة إذا تحررت من هموم العيش وأعباء الثروات ، فسوف تكتشف لنفسها ميادين وآفاقاً جديدة هى أجدر بعواطف الإنسان ؟ ! »

والعجيب كما أسلفت أننى صرحت بنقيض هذا الكلام فى مقالى عن المال الذى يناقشه الأستاذ رمسيس يونان . فقلت : « إن طلب المال كطلب العلم فطرة لا تتوقف على التوريث ولا على ما يعقبه الآباء للأبناء ؛ وقد يهمل الإنسان رزقه ورزق أبنائه ليتابع الدرس ويتقصى مسألة من مسائل العلم والمعرفة ... وإنما تفسر أعمال الإنسان بالبواعث والدوافع قبل أن تفسر بالنتائج والغايات . وإذا قيل لنا إن فلاناً يجمع المال لأنه يخاف عاقبة الفقر ، قلنا : ولماذا يخاف هذه العاقبة التى لا يخافها غيره ! إنه لا يخالف غيره إلا لاختلاف البواعث النفسية دون الاختلاف فى الغايات ... »

هذا كلامى فكيف فهمه كاتب المقال عن الفقر ومسألته الاجتماعية ؟ !

فهمه على أسلوب الاشتراكيين فى فهم كل شىء؛ وأسلوبهم أنهم يفهمون ما يروقهم ، وأن الذى يروقهم هو المناوأة والإنكار ، وعلى هذه السنة ينكرون العصامية كما ينكرون الغنى ، ويسمون الفقر مسألة اجتماعية ليريحوا أنفسهم من العطف على الضعفاء ، فلا هم يطيقون الممتازين بالفضل أو بالثروة ، ولا هم يشعرون بالعطف الصحيح على المحرومين من النبوغ والمال . وماذا يفيد العطف كما يقولون ؟ أليست هى مسألة اجتماعية لا دخل فيها للشعور والرحمة ؟!

وكأننا إذا قلنا إن الفقر داء اجتماعى يعالج كما تعالج الأدواء الاجتماعية خرجنا به من طريق العلاج ... وكأنهم إذا قالوا إنه مسألة وليس بداء فرجوا أزمة الفقر أو اقتربوا بها من التفريج

على أن الحقيقة أن الدنيا لن يزال فيها الفقراء والأغنياء ، ولن يزال فيها الأذكياء والأغبياء ، ولن يزال فيها الأخيار والأشرار ، ولن يزال فيها السمان والعجاف والطوال والقصار والأقوياء والضعفاء . وآفة الاشتراكيين أنهم لا يعيشون ويتعرضون مع هذا لعلاج مسألة العيش ... فحياة كارل ماركس الشخصية تكتب فى صفحتين ، وكذلك حياة لنين وستالين وإخوانهم أجمعين . ولو عاشوا لفهموا العيش غير هذا الفهم وعالجوه غير هذا العلاج

فقوانين الحياة سابقة لقوانين الاجتماع . وقوانين الحياة هى التى أوجبت بين الناس هذا التفاوت فى الأرزاق كما أوجبته بين الحيوان والنبات . وعبث أن نعلق الرجاء بالمستحيل ، فلا انتهاء للتفاوت فى مطبوع ولا فى مكسوب . وغاية ما نستطيع أن نمنع الفقر الذى يشقى به من لا يستحقه ، وأن نرفع طبقة الفقراء بالقياس إلى الأغنياء ، وأن نجعل للأمم نصيباً من ثروة الأفراد أما محو التفاوت فى الكسب فلا سبيل إليه ، وليست كلمة « مسألة » بالتى تخلق سبله لو كان إليه سبيل .

عباس محمود العقاد

خلاصة من كتاب :

الحروب الحاسمة فى التاريخ

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

[من (أحاديث القهوة) حديث دار بيننا من هزيمة ألمانيا المنكسرة فى الحرب الماضية وأسبابها الظاهرة والباطنة ؛ فقال الأستاذ السلحدار — ومن عادته أن يجعل لكل حديث نتيجة — إنه قرأ فى هذا الموضوع كتابا له قيمة وفيه ثقة ؛ ثم لخص لنا رأى المؤلف فكان فصل الخطاب ومقطع الحكم . فرغبت إليه أن يكتب هذا التلخيص لقراء الرسالة فكتبه الأستاذ لتوّه من غير تنقيح ولا مراجعة]

فى سنة ١٩٣٣ نشر بايو Payot كتاباً اسمه « الحروب الحاسمة فى التاريخ » Les Gueres Décisives de l'Histoire ومؤلفه هو الكبتين ب . هـ لِدِلْ هَرْت Capitaine B. H. Liddell Hart الكاتب العسكرى للانسكلوبيدية البريطانية Military editor of the New Encyclopaedia Britannica ، وترجمته الفرنسية هى لكل من ميرا والكولونيل فنلونج B. Mayra et le Lt Colonel de Fonlongue

قال المؤلف : إن موضوع الكتاب والغرض من وضعه وقيمته هى أمور لم تتعين فى ذهنه تعيناً دقيقاً إلا شيئاً فشيئاً ، وعلى ترتيب وسياق هما دون المعتاد فى إعداد كتاب . ذلك بأن فكرته الأصلية إنما كانت أن يستخلص الجوهر من مطالعات واصلها عدة سنين ، ومن خواطر ألهمته إياها هذه المطالعات . ولذا جاء كتابه خلاصة مكثفة من ملاحظاته التى دونها فى أثناء دراسته لكل من تلك الحروب الحاسمة

وقال إنه أتم أول وضع لكتابه من غير أن يُدخل فيه نظرة فى عوامل الحرب الكبيرة الماضية وفيما بين هذه العوامل من علاقات ونسب ؛ وقد علل ذلك بأن الاعتماد على أسانيد وافرة أخذاً عن وثائق المحفوظات وعن الشهادات الشخصية كان يومئذ أمراً ممكناً ، لكنه اعتقد أن الجو كان لم يزل مشحوناً بكهرباء المجادلات الملنية بسبب ما تدور عليه من المصالح الخاصة ؛ وتلك حال يصعب فيها التجرد من الشهوات لقبول حكم فى الموضوع . وكان هو شديد الرغبة فى ألا يضعف مثل هذا الجو ما اعتبره درساً صادقاً حيوى الأهمية استنبطه من الماضى لينفع فى المستقبل ، إذ كان غرضه من التأليف هو فى الواقع تنشيط بحوث تجرى بروح علمى لا إذكاء نار الجدل . كان يريد بما استنبطه من خبرة العالم القديم والعالم الحديث أن يمكن القارئ من الاهتداء إلى الدروس التى أتت بها حرب سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ . غير أن أصدقاء ونقاداً بصراء عرض عليهم أول وضع للكتاب حثوه على أن يدخل فيه بعض نظرات فى تلك الحرب تصل بين خبرة الماضى وخبرة العصر على النظام الذى تقتضيه طبيعة ملاحظات المؤلف ، محتجين لنصيحتهم بأن الطلبة قد أتيح لقليلين منهم الفرصة والوقت للتعمق فى أكداس المواد التاريخية

فالكتاب أبحاث استراتيجية فى الحروب الحاسمة ، مهّد لها مؤلفه بفصل فى التاريخ من حيث هو خبرة عملية ؛ ثم بحث فى حروب اليونان (إبا مينونداس Epaminondas ، وفيليب Philippe ، والاسكندر Alexandre) ، لحروب رومة (هنيبال Annibal ، وسبيون Scipion ، وقيصر Cesar) ، لحروب القرون الوسطى ، لحروب القرن السابع عشر (جستاف أدُلف Gustave-Adolphe ، وكرومويل Cromwell ، وتُرِن Turenne) ، لحروب القرن الثامن عشر (مَرْلبورو Marlborough ، وفردريك الثانى Frédéric II) ، لحروب الثورة الفرنسية (نابليون) ، لحرب القرم وحرب سنة ١٩١٤

* * *

يريدون بكلمة استراتيجى stratégie فى اللغة الفرنسية باباً من الفن العسكرى يتعلق بخطط قيادة الجيوش إلى حيث تلاق جيوش العدو . ويعنون بكلمة تكْتيك tactique فن ترتيب الجنود واستعمالها فى القتال

وقد ذهب المؤلف إلى أن هذين التعريفين ضيّقا النطاق ، وأن التكتيك والاستراتيجى متداخلان . وأن هناك الاستراتيجى العادية والاستراتيجى الكبرى وهى تشمل السياسة العامة للحرب سواء أدارت فى ميدان أم فى ميادين ، وأن هذه السياسة يضعها ويديرها الحكام المدنيون ؛ أما القواد العسكريون — خصوصاً فى البلاد الديموقراطية — فعليهم حسن استعمال وسائل القتال لتحقيق أغراض السياسة . وفيما يلى خلاصات من بعض فصول الكتاب . قال صاحبه :

١ — رجال العسكرية فى العالم يعترفون جميعاً بصدق قول نابليون

فى الحرب : « إن نسبة الحال النفسية إلى الحال المادية كنسبة ثلاثة إلى واحد » فى الحرب

Le moral est au physique comme trois est à un·

وقد لا يكون لهذه النسبة أية أهمية فى الحقيقة إذا اجتزئ بالنظر إلى قيمتها الحسابية ، لأن المستوى النفسى le moral يميل إلى الهبوط عند عدم كفاية السلاح ، وأى نفع يكون لأشد الإرادات ثباتاً فى جسم هامد ؟

لكن لهذه الحكمة قيمتها على الدوام ، وإن كان العامل النفسى والعامل المادى متلازمين ، وكان كل منهما لا ينقسم ، لأنها عبارة عن أن العوامل النفسية هى المرجحة فى جميع الأعمال العسكرية الحاسمة ؛ فإنها عليها وحدها تتوقف باطراد نتيجة المركة ونتيجة الحرب ؛ وفى التاريخ العسكرى هى وحدها العوامل التى توجد على قليل من الاختلاف فى جميع مسائل الحرب ، فى حين أن العوامل المادية تختلف فى كل موقف تقريباً وفى أثناء كل حرب . ويمكن أن يصاغ معنى تلك الحكمة فى أسلوب أقرب إلى التعبير العلمى فيقال : إن قوة بلاد العدو تشبه أن تكون قائمة على عدد العسكر وعلى المصادر المادية على حين أن العساكر والمصادر متوقفة توقفاً جوهرياً على اعتدال القيادة équilibre وعلى حال الجيش النفسية وعلى المؤن .

٢ — الاقتراب المباشر approche directe هو قيادة الجيش إلى ملاقاة الجيش المعادى الأساسى رأساً والهجوم على قلبه طلباً لنتيجة حاسمة ، ولم ينتج هذه النتيجة إلا فى النادر عند التفاوت العظيم بين الجيشين . أما الاقتراب غير المباشر approche indirecte فهو الاقتراب بحركات الالتفاف عن بعد والهجوم على جوانب الجناحين ، أو فى الميدان البعيد عن الجيش الأساسى عند تعدد الميادين ، وهو الذى جاء بالنتيجة الحاسمة فى كل حرب تقريباً

٣ — والحصر ، بحرياً كان أو برياً ، يمكن عده من أعمال الاقتراب غير المباشر والاستراتيجى الكبرى ؛ وقد كانت الدول الوسطى فى آخر سنة ١٩١٧ تعانى شدته القاسية . وهذا الضغط الاقتصادى هو الذى خدع الألمان وحملهم فى سنة ١٩١٨ على هجومهم العسكرى فى الميدان الغربى (إقتراب مباشر بالنسبة إلى سائر الميادين)

إن فرنسا فى سنة ١٩١٤ حاربت بخطة حربية اشتهرت باسم الخطة رقم ١٧ تم وضعها بعد تعيين جوفر رئيساً لهيئة أركان الحرب العامة سنة ١٩١٢ ، وهى الهجوم السريع الفاجئ على قلب الجيش الألمانى رأساً بالاقتراب المباشر . ومن الغريب أن هذه الخطة كانت مستلهمة من آراء القائد الألمانى فون كلوزويتز von Clausewitz فى حين أن الخطة الألمانية التى وضعها الكونت شليفن Schlieffen سنة ١٩٠٥ كانت قريبة إلى آراء نابليون . فكانت الخطة الفرنسية خير ما ساعد فون شيلفن على تحويل الخطة الألمانية الأصيلة إلى طريقة الاقتراب غير المباشر من غرب بلجيكا . ومحل المهارة الحقيقية الدقيقة التى جعلت هذه الخطة اقتراباً مباشراً هى الفكرة المتبعة فيها فى توزيع القوات على أقسام الجيش : ٥٣ فرقة للمفاجأة الأولى والصدمة من بلجيكا ، وعشر فرق لتكون محوراً أمام فردان Verdun تدور عليه تلك الكتلة ، وتسع فرق فقط للجناح الأيسر من الجبهة الألمانية على طول الحدود الفرنسية فيما يلى فردان من الشرق إلى الجنوب . غير أن مولتك Moltek عدّل فى تلك الخطة من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩١٤ إذ قوى الجناح الأيسر تقوية لم تحفظ النسبة بينه وبين الجناح الأيمن الذى كان معداً للتقدم من بلجيكا ، وأبعد الطريق المختار لهذا الجناح عن البحر ؛ ثم لم يزل يقوض بتعديلاته أسس الخطة فى الميدان حتى انهارت وعدل عنها آخر الأمر فى ٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ (معركة المارن الأولى ٥ — ٩ سبتمبر سنة ١٩١٤) . ومن تعديلاته أنه أجاب على تحدى الفرنسيين عند قيامهم بالهجوم المباشر فى أغسطس سنة ١٩١٤ ، وحاول إحداث معركة حاسمة فى اللورين فجنح بذلك إلى الاقتراب المباشر

ولو أن ألمانيا — بعد معارك المارن فى سنة ١٩١٤ وحتى بأُخرة عنها — اتبعت سياسة حرب دفاعية فى الغرب هجومية فى الشرق (اقتراب غير مباشر) لجاز أن تختلف النتيجة : إذ ليس يوجد غير أسباب واهية كانت تحمل على الظن بأن جهود الحلفاء — فى هذه الحالة — كانت تصل إلى أكثر من حمل ألمانيا على النزول عن بلجيكا وشمال فرنسا مقابل احتفاظها ، غير مدافَعة ، بغنائمها فى الشرق . أما فى سنة ١٩١٨ فإن الفرصة كانت قد فاتتها وكان تجلدها الاقتصادى قد تأثر تأثراً خطراً . ذلك هو الموقف الذى كانت فيه ألمانيا سنة ١٩١٨ حين بدأت هجومها الأخير فى الميدان الغربى

نظر المؤلف فى معارك الميدان الغربى إلى إبريل سنة ١٩١٨ ثم قال :

أصبحت فكرة فوش الموجهة لقيادته أن يحتفظ بالقدرة على ابتداء الأعمال الحربية غير مسوق فى المحاربة بعمل العدو garder l'initiative ، وألا يدع له سبيلاً إلى الراحة فى ذلك الوقت الذى فيه كانت القوات الاحتياطية تتجمع لديه هو . وكان أول عمل قام به هو تخليص السكك الحديدية على جوانب جيشه وذلك بسلسلة من الهجمات المحلية

فقام هيج Haig بالهجمة المحلية الأولى فى ٨ إبريل سنة ١٩١٨ تجاه أميان Amiens ، وقد ضاعف لذلك جيش رولنسن Rawlinson باحتياطات وحيل ماهرة من حيث لم يشعر الألمان . ولعل هذه الهجمة — التى قادها ٤٥٠ دبابة — كانت أتم مفاجأة وقعت فى هذه الحرب ، وقد كفت لإفساد الاعتدال النفسى équilibre moral فى القيادة العليا الألمانية ، وأشعرت لودندورف Ludendorff بهزيمة جنوده المنوية حتى حملته على التصريح بأن الصلح لن يمكن الوصول إليه إلا بالمفاوضة .

وقال : إنه ربما يتيسر ذلك يجب أن يكون هدف ألمانيا الإستراتيجى شلّ إرادة العدو الحربية شيئاً فشيئاً بدفاع إستراتيجى ! !

تلاحقت الهجمات حتى عرقلت خطة لودندورف ، إذ لم يبق فى وسعه أن ينقل جنوده الاحتياطية بسرعة تمكنه من سبق ضربات الحلفاء ومنعها ، واستمر النقصان فى هذه الجنود بنسبة كانت فى مصلحة الحلفاء ؛ وقد سمحت هذه الخطة للحلفاء مدة — على الأقل — بأن يستمروا فى التقدم وأن يضعفوا المقاومة الألمانية بالتدريج على نسبة النقصان العددى والخور النفسى فى القوات الألمانية . ونظراً إلى هذا الانحطاط ، وإلى تأكيد هيج أنه يستطيع اختراق خط هندنبرج قرر فوش أن يقوم بهجوم عام فى آخر سبتمبر . وكان من نتائج هذا الهجوم أن جلا الألمان عن الأراضى التى احتلوها بهجومهم سنة ١٩١٨ ، وأن ارتدّت جبهتهم الغربية كلها ، وأتيح لهم تقصيرها وتعديلها بتضحية ساقة الجيش فى تقهقره

فى ١١ نوفبر سنة ١٩١٨ — وهو يوم الهدنة — كانت القوات الألمانية التى دفعها الهجوم العام آمنة فى جبهتها المدلّة ، وكان الحلفاء الزاحفون فى وقفة لم تكن يومئذ بسبب مقاومة العدو بقدر ما كانت لصعوبة تموين الجيوش فى منطقة أحالتها الحرب وخرّبتها

لم يكن للهجوم العسكرى فى طوره الأخير إلا أهمية ثانوية ؛ لكن الصدمة المنوية التى أصابت القيادة الألمانية بفعل المفاجأة الأولى التى قام بها هيج بدباباته يوم ٨ أبريل سنة ١٩١٨ فى بدء الهجوم ، تلك الصدمة قد أكملتها الحرب فى ميدان بعيد وقعت فيه حركة اقتراب غير مباشر ، جعلت الصدمة قاتلة : ذلك أن هجوم الحلفاء من (سلانيك) هو الذى أدّى إلى هذه النتيجة ، فإن العدو لم يستطع أن يمنع تقدم الحلفاء على جناحه ، إذ لم يتمكن من جلب جنوده الاحتياطية بسرعة كافية بسبب بطء حركاته فى تلك الجبال . وقد طلب البلغار الهدنة إذ انقطع جيشهم قطعتين وهم متعبون من الحرب . وهذا الفوز الذى أحرزه الحلفاء أخرج من ميدان البلقان البعيد أهم نصير فيه للدول الوسطى ، وفتح الطريق لِتفجُّر الجنود المتحالفة على النمسا من خلف . ولقد تعيّن هذا الخطر المهدِد عند نجاح هجمة إيطالية على الجبهة النمسوية المنهوكة القوى النفسية والمادية ، لأن تسليم النمسا فى الحال أمر جعل للحلفاء إمكان التصرف فى أرضها وسككها الحديدية ، واتخاذ قواعد فيها لأعمال حربية ضد ألمانيا من بابها الخلفى . وكان الجنرال جلوز Gallwitz قد صرّح للمستشار الألمانى — منذ سبتمبر — بأن ما كان من ذلك محتملاً وقوعه يومئذ يكون حاسماً إذا هو وقع فعلاً . فهذا الخطر المهدِد وهو الدخول من الباب الخلفى ، والتأثر النفسى المتفاقم من وقع الحصر — الذى هو اقتراب غير مباشر فى الاستراتيجى الكبرى — حصر شعب جائع ضائع الأمل ، هما أمران كانا مِهمازين دافعين للحكومة الألمانية انتهيا بها إلى التسليم

ففى الطور الأخير من هجوم الحلفاء العام ، قام هيج فى ٢٩ سبتمبر بهجمة على خط هندنبرج كانت أخبارها الأولى مقلقة للألمان . ويومئذ قررت قيادتهم العليا فجأة أن تطلب الهدنة زاعمة أن انهيار بلغاريا قلب كل ترتيباتها : إذ كانت قد اضطرت إلى أن ترسل إليها جنوداً أُعدّت أولاً للميدان الغربى ، وهذا تصرّف كان قد غيّر الوقف تغييراً أساسياً بسبب الهجمات التى وقعت فى الوقت نفسه على الجبهة الغربية ؛ وهى هجمات وإن أمكن صدها إلى ذلك الحين ، يجب أن يتوقع الألمان استمرارها ،

تلك هى الحال التى فيها دُعى البرنس ماكس إلى تولّى وظيفة مستشار الامبراطورية ليبدأ المفاوضة فى الصلح ، وسبب اختياره لذلك هو شهرته الدولية بالاعتدال والأمانة

وقد طلب البرنس إمهاله عشرة أيام ، أو ثمانية أو حتى أربعة ليساوم مساومة مفيدة من غير اعتراف بالهزيمة قبل أن يفاتح العدو رأساً . لكن هندنبرج كرر بصراحة قوله « إن خطورة الموقف العسكرى ليس يمكن معها أى تأجيل » وشدّد فى « أن يعرض الصلح على الأعداء فى الحال » ، فأرسل طلب « الهدنة فى الحال » إلى الرئيس ولسن يوم ٣ أكتوبر

وقد تضمّن طلب « الهدنة فى الحال » اعترافاً واضحاً بالهزيمة . وكانت القيادة العليا قد اجتمعت برؤساء جميع الأحزاب السياسية فى أول أكتوبر ، وأعدتهم من شعورها هذا فقوضت بذلك دعائم جبهتها الداخلية الخاصة قبل إرسال طلب الهدنة إلى الحلفاء بيومين : لأن هذا النور الفجائى أعمى رجالاً طال إبقاؤهم عمداً على جهل الأمور وحرّك دعاة السلام وكامن قوى الخلاف جميعها . وقد قامت الثورة فى ألمانيا يوم ٤ أكتوبر ، أى بعد إرسال الطلب بيوم ، وانتشرت فى أنحاء البلاد، فاستقال البرنس ماكس فى ٩ نوفمبر وسلم مقاليد الحكم إلى إبرت Epert الاشتراكى

حقاً إن لودندرف هدأت نفسه بعد ٢٩ سبتمبر بمدة ، حين اطلع على تقارير تخبره أن الحلفاء خففوا هجماتهم . ولم يرجع عن طلب الهدنة ولكنه كان يريدها لإراحة الجنود ، بل شعر فى ١٧ أكتوبر أن هذه الإراحة قد يمكن الاستغناء عنها ، وذهب إلى أن تصوره للموقف فى ٢٩ سبتمبر كان أسوأ من الحقيقة الواقعة

لكن شعوره الأول كان قد ذاع أمره فى الدوائر السياسية والجمهور الألمانى ، وكانت الأمة قد تحطمت قوة إرادتها وفقدت الثقة بالقيادة العامة . وفى ٢٣ أكتوبر أجاب الدكتور ولسن على المذكرة الألمانية إجابة كانت فى حكم طلب التسليم بلا قيد ولا شرط ، فاضطر لودندرف إلى الاستقالة فى ٢٦ أكتوبر

والنظر فى تاريخ مئة اليوم الأخيرة من تلك الحرب يبين صحة الدرس القديم قدم العالم : ذلك أن الغرض الحقيقى فى كل حرب هو إصابة عقلية mentalité رؤساء العدو لا أجسام عساكره ؛ ويبين أن صدمة المفاجأة والشعور بالعجز عن درء الأعمال الاستراتيجية المحتملة هما اللذان أوهيا قوى لودندرف المعنوية أكثر مما أوهاها فقده الجنود والمدافع والأراضى .

محمد توفيق السلحدار

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الترقية إلى المدارس الثانوية — إلى وزير المعارف — ردوا هؤلاء المدرسين إلى المدارس الأولية ! — أربعة قرون من تاريخ العراق — افتحوا الشبابيك وانظروا النيل ، لتشغلوا عما في قلوبكم من أسباب المعاطب والحتوف

الترقية إلى المدارس الثانوية

كانت وزارة المعارف تراعي « الأقدمية » في ترقية المدرسين من الابتدائي إلى الثانوي ، مع ملاحظة تقارير المفتشين ومع النظر في درجات « الدبلوم » وذلك نظام غير مقبول ، وإن كان يعتمد على قواعد لها صلات « ظاهرة » بفكرة العدل

والحق أن نظرية « الأقدمية » لها دخل في تعويق المواهب ، لأنها تصل بأهل البلادة والجمود إلى ما يريدون على مر الزمان ، وتصد الموهوبين عن الوصول إلى مطامحهم العالية فتردهم أشباحاً تنتظر مرور الأيام لتصل إلى الهدف المنشود بلا تعب ولا عناء .

والحق أيضاً أن درجات الدبلوم ليست وثيقة أبدية لكفاية المدرس ، فقد يخمد نشاطه بعد ذلك ، وقد يبذه من سبقهم في الترتيب

وإذن فلا بد من مقياس جديد ، وهو مقياس « المسابقة » لاختيار المدرسين للمدارس الثانوية ، وذلك نظام لا يثور عليه غير الزاهدين في الدرس والتحصيل ، أو الخائفين من الخيبة والإخفاق

وقد أجريت المسابقة بين المدرسين في الأعوام الأخيرة فكانت فرصة لمراجعات نحوية وصرفية وبلاغية وأدبية غفل عنها أكثر مدرسي اللغة العربية ، وكذلك يقال في سائر المواد ، فتلك المسابقة هي في الواقع فتح جديد ، وإن قيل فيها ما قيل .

فإن لم يكن بد من النص على بعض المؤخذات فأنا أقول إن الترفق بالمتسابقين ظاهر ظهوراً جلياً ، وكنت أحب أن يكون ذلك الاختبار أقوى مما رأيناه ، ليكون شهادة بالقدرة على التعمق والاستقصاء ، ولتكون له جميع خصائص الـ Concours بحيث يمكن للسابقين أن يصبحوا ولهم منازل أدبية وعلمية تستوجب الالتفات

والخطأ يرجع إلى الأساس الذي يبنى عليه تكوين اللجان ، فتلك اللجان تختار في الأغلب من رجال مشغولين ، وهم الرجال الذين تختارهم وزارة المعارف لجميع اللجان ، كأنهم من « أهل الخطوة » وكأنهم يقدرون على كل شيء ، فهم أعضاء في كل لجنة ، وهم شهود في كل اجتماع ، وهم زينة جميع الحفلات !!!

واختيار اللجان على هذا الأساس يضيع المقصود من المسابقة بعض التضييع ، فالأصل أن يكون عند الممتحن من الوقت ما يسمح بأن يراجع مواد الامتحان بعناية وتدقيق ، ليدرك الفروق الخفية بين مواهب المتحَنين ، وليُشعِر المتسابقين بقيمة التعمق والاستقصاء ، وذلك لا يتيسر لرجل مشغول ، وأعضاء اللجان عندنا رجال مشاغيل بحرفة الاشتراك في اللجان ، وهي حرفة لم نجد لها أثراً فيما قرأنا من كتب التاريخ ! جعل الله كلامي خفيفاً على جميع أعضاء اللجان !

أما بعد ، فقد ثار على هذا النظام « ستة نَفَر » من المدرسين بالمدارس الابتدائية ؛ وهم الأساتذة : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد السلام محمد هارون ، وعلي محمد البجاوي ، وإبراهيم الإبياري ، ومحمد سعيد العريان ، وعبد الحفيظ شلبي .

وهم يرجون أن يُرَقّوا إلى المدارس الثانوية بدون امتحان

ولكن كيف وهو نظام لا يثور عليه رجلٌ حصيف ؟ ؟

هم يجيبون بأن لهم جهوداً في « التأليف والتحقيق الأدبي » وتلك الجهود لا تقل قيمة عن الجهود التي تُبذَل في الاستعداد لذلك الامتحان !

وأقول إن هذا حق ، فلهؤلاء المدرسين جهود محمودة في التأليف والتحقيق ، وفيهم من وصل إلى الابتكار في بعض الفنون

ولكن وزارة المعارف لا يعجزها أن تجيب ، فهي تقول إن هذا الباب إن فُتِح فسيتيح فرصاً كثيرة لأدعياء التأليف والتحقيق . وهي تقول أيضاً إن المؤلف أو المحقق لا يجوز له النكول عن مثل ذلك الامتحان

وأنا أرى ما ترى وزارة المعارف في هذا الموضوع ؛ ولكن الحجة التي ساقها هؤلاء « النَّفَر » — وهو التعبير الذي اختاروه في المذكرة التي قدموها إلى وزير المعارف — الحجة

التى ساقوها تبعث على التفكير فى حظهم من الإنصاف

يقول هؤلاء : « إن مدرسى اللغة العربية الذين يبلغون ١٢٠٠ ليس فيهم إلا ستة نفر استعملوا بجهادهم بين هذا الجمع الجامع » إلى آخر الاحتجاج[1]

فى مصر ١٢٠٠ مدرس لم يلتفت منهم إلى التأليف والتحقيق غير هؤلاء ؟ !

أهذا حق ؟ أم هو وهمٌ اعتصم به أولئك المدرسون ؟

إن كان حقاً فيجب أن يُرَقَّوا فى الحال ، وإن كان باطلاً فيجب أن يحالوا إلى « مجلس التأديب » ، لأنهم أهانوا طائفة المدرسين !

وعلى فرض أنهم لم يقولوا غير الحق فلن تعجز وزارة المعارف عن الجواب ؛ فستقول — وقد قالت — إن المسابقة يراد بها اختيار المدرسين الأكفاء ، لا المؤلفين الأكفاء ، وهنالك فروق بين التدريس والتأليف

وهذا أيضاً حق ، ولكن هؤلاء مدرسون رضىَ عنهم المفتشون فى أمدٍ يزيد على عشر سنين ؛ فاذا تريد الوزارة أكثر من ذلك لتطمئن إلى صلاحيتهم للتدريس ؟

الى وزير المعارف

وزيرنا اليوم هو معالى الدكتور محمد حسين باشا ، وهو رجلٌ منوّع المواهب ، ولكن التاريخ لن يحفظ له غير موهبة واحدة هى موهبة التأليف والتحقيق ، لأنها أظهر مواهبه العقلية ، فما الذى يمنع من أن يتلطف فينظر إلى هؤلاء المدرسين بعين العطف وقد شاطروه إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح ؟

إن لم ينصفهم الوزير المؤلف فمن ينصفهم ؟

وإن كان فى ريب من قدرتهم على إجادة التأليف فليراجع مؤلفاتهم « فى أوقات الفراغ » ليحكم لهم أو عليهم بما يشاء !

ردّوا هؤلاء الى المدارس الأولية

ومَن هؤلاء ؟ هم جماعة من المدرسين فى المدارس الابتدائية لا يحسنون كتابة مذكرة إلى وزير المعارف ، وإن كان فيهم أفراد من أهل التأليف والتحقيق

وأعيذ القارئ أن يفهم أنى أغض من أقدار معلمى المدارس الأولية ؛ فأنا أشير دائماً بأن يكون « كبار الأساتذة أوصياء على صغار التلاميذ » فالطفل يحتاج إلى مدرس عليم ، أما التلميذ أو الطالب فحاجته قليلة إلى المدرس الممتاز ، لأنه يطلع بنفسه على دقائق العلوم والفنون

فمن هؤلاء الذين أشير برجعهم إلى المدارس الأولية عقاباً لهم على التقصير فى الإنشاء ؟

هم « النفرَ » الذين يرجون أن يُرقوا إلى المدارس الثانوية بدون امتحان ، بفضل ما قدموا فى خدمة التأليف والتحقيق !

وسأهجم على هؤلاء النفر ، مع الرجاء بأن يراعى وزير المعارف أن هذا الهجوم لا يراد به الغض من منازلهم الأدبية ، فهم حقاً وصدقاً من أفاضل المدرسين ، وإنما جاءت العلة من اشتراك جماعة فى كتابة مذكرة معدودة السطور والكلمات ولو أنشأها كاتبٌ واحد لجاءت غاية فى الوضوح والجلاء

وإليهم أسوق المؤاخذات الآتية :

أولاً — قالوا إن ماضيهم فى التدريس والتأليف قضى بأنْ « لا تتهيأ لهم العوامل النفسية التى تسمح بأن يُقبلوا على امتحان الترقية »

ومعنى ذلك أنهم صاروا فى أنفسهم أعظم من لجان الامتحان مع أن الأخبار ترِد من وقت إلى وقت بأن فى أوربا وأمريكا من يتقدمون إلى المسابقات بعد الخمسين ، ولهم فى ميدان المجد الأدبى والعلمى مكان

ثانياً — قالوا « إن المعلم بعد أن ينضج وتكتمل شخصيته العلمية لا يتأتى له أن يعود تلميذاً يستوعب ويفرغ ما يستوعب »

وأقول إن التلميذ الحق هو المدرس الحق ، والاستكبار على التلمذة ضربٌ من الجهل

ثالثاً — قالوا « إن الذى يحسن أن يقول لا يستحسن كل ما يقال »

وأجيب بأن امتحان الترقية يطالبهم بالنقد لا بالاستحسان

رابعاً — قالوا « إن الذى له عقل الناقد غير الذى له عقل السامع »

وأقول إن السمع نوع من النقد ، لو كانوا يعقلون !

خامساً — قالوا : « كلما ارتفع الإنسان منزلة فى الرأى نزل

(١) الاحتجاج : إقامة الحجة ، وهو يستعمل اليوم بمعنى الاعتراض ، والمراد هو المعنى الأول

مرتبة في الاستعداد للتعلم من غيره »

وأجيب بأن هذا زهو بغيض ، ولو أنصفوا لحكموا بأن الارتفاع في الرأي يزيد في الاستعداد للفهم والاستيعاب

أما بعد فذكرة هؤلاء النفر لن تنفعهم بشيء لأنها أقيمت على حجج ظاهرة البطلان

ولكن هذه المذكرة لا تصور أقدار هؤلاء المدرسين ، وأنا أنتظر أن يتلطف وزير المعارف فينظر إليهم بعين العدل والإنصاف وهو أقدر الرجال على وزن أهل التأليف والتحقيق

إن غلطة واحدة يكشفها باحث في كتاب قديم أو حديث تستوجب الالتفات ، فما سكوتنا عن جماعة كشفوا العشرات أو المئات من الغلطات ؟

يضاف إلى ذلك أن الاهتمام بالتأليف والتحقيق يشهد لأصحابه بالقيمة الأخلاقية ، فأولئك المؤلفون والمحققون أنفقوا أوقات فراغهم فيما ينفع ويفيد ، ولم ينفقوها في (لعب الأوراق) كما يصنع الفارغون من أكثر الموظفين !

أنصفْ هؤلاء ، يا معالي الوزير ، ليعرف جمهور المدرسين أن الدرس والبحث والتنقيب من الأعمال التي لا تضيع

هؤلاء جنود العلم والأدب ، يا معالي الوزير ، وهم صوت مصر الصداح ، وإليهم وإلى أمثالهم يرجع الفضل في رفع صوت مصر بأقطار الشرق

وما عسى أن تكون مصر في العهد الحديث لو حُرِمتْ أصوات الشعراء والكتاب والمؤلفين ؟

أولئك هم المضحّون بأنفسهم في سبيل المجد المصري ، فمن الواجب أن نعفيهم من حضور الامتحان ، أمام فلان وفلان ، وأنت تعرف ما أريد !!

أربعة قرون من تاريخ العراق

كتاب ظهر بالإنجليزية سنة ١٩٢٥ وهو من تأليف المستر لونكريك المفتش الإداري بالحكومة العراقية سابقاً ، ونقله إلى العربية الأستاذ جعفر خياط مدير التعليم الثانوي بوزارة المعارف العراقية

وترجع أهمية هـذا الكتاب إلى أنه تحدث عن عصور لم يتحدث عنها أحد بالتفصيل ، فقد بحث عن تاريخ العراق في العصور المظلمة من بداية القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر

وكانت النية أن أنظر فيه نظرة عابرة لأكتب عنه كلمة تقوم مقام التحية لصديق كريم من أعز أصدقائي في العراق ، وهو الأستاذ جعفر خياط وليس من الإسراف أن نذكر صديقاً بالخير لأنه ترجم كتاباً بلغ أربعمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وإن لم نطل النظر في ذلك الكتاب

وبدأت بقراءة الفصل الأخير لأهميته عندي ، وهو الفصل الذي يسجل أعمال مدحت باشا في العراق ، فقد كنت سمعت أنه أعظم حاكم عرفته تلك البلاد بعد الحجاج ، ثم استهواني أسلوب المؤلف في التاريخ فمضيتُ صُعُداً إلى أن وصلت إلى المقدمة ، وكان آخر ما قرأت كلمة المترجم ، وتم ذلك كله في يومين اثنين ، بفضل مهارة المؤلف في إحياء معالم التاريخ

دلني هذا الكتاب على كثير من الحقائق ، ومنه عرفت كيف كانت دول أوربا تغازل العراق في القرن التاسع عشر ، وكيف كانت التجارة وسيلة لإيقاع بلاد الرافدَيْن في الأشراك

والمؤلف لم يُرد بكتابه غير هداية قومه إلى خصائص الحياة العراقية ، وهو قد صرح بأنه يتحدث « عن تاريخ بلاد يتعلق ماضيها الأخير بحياة الألوف من أبناء بلاده ومصايرهم » ولم يفته أن ينص على أن تلك المصاير تثير الجدل بين مواطنيه وهم ينظرون إلى المستقبل بعناية والتفات

وكذلك يرى علماء الإنجليز أن التاريخ أداة من أدوات النفع ، وهل يُدرَس التاريخ لغرضٍ أنفع من هذا الغرض ؟

إن الهدف الأول لهـذا المؤلف هو إرشاد قومه إلى خفايا العصور التي كوّنت العراق الحديث ، وقد وصل إلى ما أراد ، وإن كان اهتمامه بتسجيل ما صنع أسلافه لم يخل من تحيّز مستور أو مكشوف ، والنزاهة المثالية لا تتاح لجميع الناس

ولا بدّ من النص على أن هذا الكتاب من نماذج البراعة في سرد حوادث التاريخ ، وهو يربط العراق بالأمم التي تأثر بها من قُرب أو من بُعد في مدى أربعة قرون ، حتى لنكاد نشهد صيال المنافع بين تركيا وإيران ، ولو شئت لقلت إنه يشير من طرف خفيّ إلى تأثير مصر في بعض وقائع ذلك التاريخ ، وتلك

نقطة لم يلتفت إليها مؤرخو مصر فى العصر الحديث

وإذا كان المؤلف قد أراد هداية قومه إلى خصائص الحياة العراقية ، فقد أراد المترجم أن يدل قومه على تلك الخصائص بنقل هذا الكتاب إلى العربية ، وهم قومٌ شغلتهم متاعب الكفاح عن تاريخ العراق فى عصور الظلمات

وفى مقدمة المترجم إشارة إلى جهود الدكتور مصطفى جواد فى المراجعة وبعض التعليقات ، وهى إشارة ذكّرتنا بأديب فاضل قضى وقتاً فى طلب العلم بالجامعة المصرية ، وترك فى أنفس عارفيه صورة محفوفة بالود والإعجاب .

افتحوا الشبابيك وانظروا الليل

الشبابيك جمع شِبّاك ، وهى كلمة فصيحة تؤدى معنًى لا تؤديه كلمة النوافذ ؛ كما تؤدى كلمة الدكاكين معنًى لا تؤديه كلمة الحوانيت

والليل صديقى فى هذا العهد ، ولا أقضيه فى غير دارى ، لأن صدرى ينقبض من السهر فى القاهرة منذ عرفَت المصابيح الزرق ؛ وكانت لياليها أشد إشراقاً من الصباح

وفى هـذه الليالى البيض أو السود ، عرفت قيمة الخلوة إلى قلبى ؛ كما عرفت قيمة الليل ، وكما عرفت أن القلم هو الصديق الباقى على الزمان

إذا عوَتْ صفارة الإنذار كان من واجبك أن تطفئْ النور وتفتح الشبابيك ؛ كما توصى « وزارة الوقاية المدنية » ، وقد اكتفت بذلك فلم تأمرك بالنظر إلى الليل ، ولعلها تخاف عليك ففى صدورنا بقية من الخوف الموروث عن أسلافنا القدماء ، يوم كانوا يعيشون فى الغابات والأدغال ، وحين كان الليل مسرح المهالك والحتوف

ولكن ، هل تعرف لِمَ أوصيك بنظر الليل حين تطفئْ المصباح ؟

أوصيك بنظر الليل لتشغل به عن النظر فى قلبك ، إن كان لك قلب !

وهل فى الوجود معاطب أخطر وأعنف من المعاطب المبثوثة فى ثنيات القلوب ؟

الوقوع فى مهاوى سقَر أهونُ علىّ من الوقوع فى مهاوى قلبى ، ففيه مخاوف ومهالك لا أستطيع اجتيازها بأمان ، ولو زوّدتنى المقادير بما زوّدت به أهل الغفلة والجمود ، وما أسعدَ الغافلين والجامدين من أبناء هذا الزمان !

احترس من قلبك كل الاحتراس ، وتغافلْ فى كل وقت عن مطامحه العاتية ، فهو لا يقنع بالقليل ، ولا يرضيه إلا أن تسيطر على جميع من فى الوجود ، وأين أنت مما يريد ؟

احترس من قلبك ، إلا أن تعرف كيف تسايره فى أودية الأمانى والآمال ، وشِعاب الشعر والخيال

احترس من قلبك ، كما أحترس من قلبى ، فما سايرته إلا فى ميدانين اثنين : ميدان الحب وميدان المجد ، ثم كان نصيبى أن أقضى حياتى فى عناء وشقاء

القلب ، وما أدراك ما القلب ؟ هو جارحة روحانية تدرك بها ما لا تدرك بالجوارح الطبيعية ، وهو سبب ضلالك وسرُّ هداك ، فنزّهه من النظر إليه فى كل وقت ، لينتفع بغفلتك عنه فينبنى ويستطيل ، كما يصنع السفهاء عند غفلة الرقيب !

لا بدّ لك من قلب فتّاك صوّال ، ليكون من حظك أن تشهد قيام الموازين ، فقد سمعتُ أن الخلائق لن تُبعث جميعاً ، وإنما يُبعث من لهم تاريخ فى إزاغة البصائر أو هداية القلوب ...

زكى مبارك

كليـــلة ودمنة

نقـــد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

(تتمة)

٢٩ — ١٩٥ : ١٥ (أرادوا إدخال النقص عليك فى ملـكك) كلة (النقص) ركيكة فى هذا الموض لا يقولها مثل ابن المقفع . وإنما هى (النقض) بالضاد المعجمة . والنقض الإفساد وحل العقد . وهى سائرة فى لغة الجاحظ وأضرابه من أمراء البيان العربى

٣٠ — ١٩٩ : ٥ (وكانت شارته إليها أن غمزها بعينه) . الشارة : الحسن والهيئة واللباس . وليست مرادة . بل هى (إشارته) . وقبل هذا (وأشار عليها بأخذها فأخذتها)

٣١ — ١٩٩ : ١٥ (فأضاء كل ما حولها فاشتاف إليها ، وقال لإيراخت) فاعل (أضاء) هو (كل) . وأما فاعل (اشتاف) فهو الملك ، فالجلتان محتاجتان إلى فاصل بينهما ، واشتاف بالفاء ، إذا تطاول ونظر . واشتاف البرق أى شامه . ومنه قول العجّاج :

« واشتافَ من نحو سهيل بَرْقا »

٣٢ — ٢٠٠ : ٩ (فإنها امرأة عاقلة لبيبة ، حريصة على الخير ، سعيدة من الملـكات ، ليس لها فى النساء عديل) وكيف تكون (سعيدة) مع أن الملك أمر بقتلها وأوشك أن ينفذ أمره ؟ ثم هو فى معرض التنويه بخصالها . وليست السعادة خصلة أو خلقاً من الأخلاق . والوجه (سديدة [الرأى] من الملـكات [التى] ليس لها فى النساء عديل)[1]

٣٣ — ٢٠٨ : ١١ ، ١٢ (الذى يصنع الطعام وينظفه لسيده ثم يقدمه إليه فى إبانه) ليست كذلك ، وإنما هى (وينضجه لسيده) تصحفت على الناسخ فشوهها بما رأيت

٣٤ — ٢١٠ : ٥ (والجرىء الجاهل المقدم على ما ليس له وإن أتلف نفسه ونفس غيره فى طلب حاجته وشحه) صوابه (ونجحه) والنجح بالضم النجاح وإدراك البغية

٣٥ — ٢٢٣ : ١٣ (إن أنا واخذته) هى لغة فى (آخذته) بالهمز . قال صاحب القاموس (وآخذه بذنبه مؤاخذة . ولا تقل واخذه) . وفى اللسان[1] (والعامة تقول واخذه) والحق أن الكلمة عربية ، وأنها لغة لبعض العرب . وفى المصباح : وتبدل واواً فى لغة اليمن فيقال واخذه مواخذة . وقرأ بعض السبعة[2] « لا يواخذكم الله » بالواو ، على هذه اللغة . والأمر منه واخِذْ)

وقال العرب فى مثل ذلك (واخيته) لغة فى (آخيته)[3] ، و(واسيته مواساة) لغة فى (آسيته مؤاساة)[4] ، و(واكلته لغة فى (آكلته) ، (وامرته) لغة فى (آمرته)[5]

والهمز فى كل ذلك أكثر وأجود

٣٦ — ٢٢٤ : ١٥ (الحيوانات) جمع حيوان . زعم بعضهم أن العرب لم تنطق بها . ومجيئها هنا شاهد على صحتها وعلى استعمالها . وقد استعملها (الجاحظ) فى كتاب الحيوان (٣ : ٢٦٥ س ١) قال : « والنسيم الذى يحيي جميع الحيوانات » وكذا الثعالبى فى فقه اللغة ص ٢٤ طبع الحلبى ، قال « فصل فى طبقات الناس وذكر سائر الحيوانات » . وكذا البغدادى صاحب (الفرق بين الفرق) المتوفى ٤٢٩ قال فى ص ١١٨ : « وأصناف الحيوانات » وقال فى الصفحة ، نفسها « ولا نوعاً من الحيوان» فأجاز بذلك الاستعمالين . واستعمله أصحاب (رسائل إخوان الصفاء) فى الجزء الثانى من طبعة التجارية ، استعمالاً كثيراً ، يدل على ذيع هذه الكلمة وإقرار العلماء لها

٣٧ — ٢٣٤ : ٩ : (وقع موقع من ركب ناب الفيل المغتلم ثم يقلبه النعاس) . كثر ما ورد اسم (الفيل) فى هذا الكتاب وذاك راجع بالطبع إلى الجو الهندى الذى يَشيع فيه . وتجده أيضاً مقروناً بكلمة (المغتلم) ، كما ورد فى ٤٧ س ١١ ، ٧١ س ١٣ ، ٧٩ س ١ ، ٢٥٥ س ٥ ، فهو مضرب المثل عندهم بالقوة وشدة اليأس . قال الجاحظ فى ذلك :

« وإذا اغتلم الفيل قتل الفيلة والفيالين ، وكل من لقيه من

(١) أنظر كليلة ودمنة طبع بولاق س ٩٧

(١) لسان العرب

(٢) هو ورش . أبدل الهمزة واواً وصلا ووقفا . وأبدلها كذلك حمزة وقفا لا وصلا . غيث النفع ٦٧

(٣) بحر العوام لابن الحنبلى ١٠٢

(٤) لسان العرب (١٨ : ٣٢)

(٥) لسان العرب (أكل ، أمر)

سائر الناس ولم يقم له شيء ، حتى لا يكون لسواسه همٌّ إلا الهرب وإلا الاحتيال لأنفسهم » . ثم ذكر قصة كان يتداولها الفرس عن مصارعة كسرى لفيل مغتلم تمكن من ضربه والفتك به .

٣٨ — ٢٥٠ : ٣ : (فلما رأوا الأسد قد احتشد فى طلب اللحم وغضب) : أرى أنها (احتدّ) والحدة تقارن الغضب

٣٩ — ٢٤٧ : ٤ : (فما الذى يشبه كفّك عن الدماء وتركك اللحم) ؛ وكلمة (يشبه) مقحمة ، لعلها زيادة من الملى للناسخ حين ردّده فى الكلمة بعدها ؛ وصواب العبارة : (فما الذى كفّك عن الدماء وأ كلِكَ اللحم)

٤٠ — ٢٥٦ : ٤ : (واللج بالزنا) : لا يجوز كتابتها بالألف إلا لمن نظر إلى أنها مقصورة من الممدودة (الزناء) وهى لغة بنى تميم ، ولغة أهل الحجاز القصر [٢] ؛ ومن ذهب إلى قصرها لم يكتبها إلا بالياء ، لأنها يائية الأصل .

٤١ — ٢٧١ : ١١ : (وعلمنا أنك كنت لما ساق الله إليك من ذلك أهلاً ، بفضلِ قسَمَه لك ، وتابَع نعمه عليك) . فعلى أى فعل عطف الفعل (وتابع) ؟!

إن عطف على (قسَمه) استركَ المعنى وعاد الضمير فى (نعمه) إلى (فضل) أى نِعَم الفضل ، وليس ذلك شيئاً ؛ والوجه : (بفضل [ما] (قسمه) ... الخ . أو (بفضل قسمه لك ، ونعمة تابع عليك) — أى تابعها — أو (بفضل قسمه لك ، وسابغ نعمِهِ عليك)

٤٢ — ٥٢ : ٢ : (كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى إلا ضياء وارتفاعاً) . سبق الحديث عن هذه الفقرة فى رقم (٥) ، وكنت على شك من صحة كلمة (يصونها) ، إلى أن ظهر لى وجهها فيما قرأت من عيون الأخبار [٣] : « ذو الهمة إن حُطّ ، فنفسه تأبى إلا عُلوًّا ، كالشعلة من النار (يُصوِّبها) صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً » ؛ والتصويب : الخفض والتنكيس ؛ وفى التهذيب : « صوّبت الإناء ورأس الخشبة تصويباً إذا خفضته » . فصاحب النار يخفض رأس الخشبة المشتعلة ، فلا يمنع ذلك النار أن ترتفع وتأخذ طريقها فى العلو

٤٣ — ٢٧٦ : ١٣ (ولم تجدى من الأسف والحزن على شبليك شيئاً إلا وقد كان من كنت تفعلين بأحبابه ما تفعلين يجد مثله أو أفضل منه) . وليس يقال حزن فلان حزناً أفضل من حزن فلان ، أو أسف أسفاً أفضل من أسفه . والوجه (أمثل) كما ورد فى أصل النسخة . و (أمثل) هنا تفضيل من مَثَل بالرجل يمثُل مَثْلا ومُثْلة : نكّل به [١] . فالمعنى أشد تنكيلاً منه

٤٤ — ٢٧٩ : ٤ (ويبق حيران متلدداً) . وفى نسخة بولاق ١٠١ (متردداً) وعند ابن الهبارية ٢٦٧ :

عاد إلى طِلاب ما قد تركا فضلٌ عنه وبقى مرتبكا

والتلدد والتردد بمعنى ، وهو من أسرار العربية : أن يختلف اللفظان فى حرفين متقاربى المخرج فإذا المعنى واحد أو كالواحد . وفى اللسان (تلدد : تلفت يميناً وشمالاً ، وتحير متبلداً) . وجاءت هذه الكلمة بالراء فى ٢٨٠ : ١٢ (فبقى حيران متردداً)

٤ — فى التعليقات

١ — أورد الأستاذ فى شواهده على أثر الأسلوب الفارسى فى هذه النسخة ما جاء فى صفحة ٢٧٠ (فسأله رجل فقال) وقال فى المقدمة ٢٦ (تشبه هذه الجملة التعبير الفارسى) : (پرسيده كفت) وفى التعليقات ٣٠٠ (هذه الجملة تذكر بالتعبير الفارسى (پرسيده كفت [٢])

وليس للأسلوب الفارسى أى أثر فى هذه العبارة ، بل هى عربية خالصة جرى عليها العرب فى الغابر ، واستفاضت فى كلامهم وبين يدىّ أحد الصحاح الستة ، وهو صحيح أبى عبد الله البخارى [٣] . ففى ١ : ٢ س ٦ (أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى) . وفى ١ : ١٦٢ س ٣ (أن زيد بن خالد الجهنى أخبره أنه سأل عثمان بن عفان فقال : أرأيت) وفى ٢ : ١٦١ س ٣ (سألت أنس بن مالك رضى الله عنه قلت أخبرنى بشىء عقلته عن النبى صلى الله عليه وسلم) وفى ٣ : ٤١ س (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأله — أو سأل رجلاً ، وعمران يسمع — فقال : يا أبا فلان) . وغير ذلك كثير .

٢ — ٢٨٧ تعليقاً على ما ورد فى الأصل ص ١٦ (آذر هربر) قال الأستاذ : (نظنها محرفة عن آزر هربد ، أى سادن النار) ،

(١) الحيوان (٧ : ٥٣ ساسى) (٢) لسان العرب (١٩ : ٧٩)
(٣) عيون الأخبار (١ : ٢٣١ س ١٨ — ١٩)

(١) لسان العرب (١٨ : ١٣٦ س ٢٣)
(٢) هى بالكاف الفارسية التى تنطق كالجيم المصرية . ورسمت بالكاف العربية فى التعليقات لضرورة الطبع
(٣) طبع بولاق ١٣١٤

ولست أدرى : لم عدل عن لفظ (آدر) بالدال إلى (آذر) بالذال المعجمة مع أنهما بالفارسية فى معنى واحد ، وهو النار [1] ؟!

٣ — وفى الصفحة نفسها تعليقاً على ما ورد فى ص ٢١ س ٤ (ما أندم لذلك منك) أن (ذلك) وضع موضع الضمير والمعنى ما أندم له . قال الأستاذ (وضع الإشارة موضع الضمير هنا يشبه التعبير الفارسى) وقال نحو هذا القول فى تعليقه فى المقدمة ص٣٦ على قول ابن المقفع (تجرى أمورهم فنوناً يغلب على أكثر ذلك الخطأ) حين استشهد على أثر اللغة الفارسية فى ترجمة ابن المقفع

والحق أن هذا أثر من آثار اللغة العربية لا الفارسية ؛ فإن العرب يضعون الإشارة موضع الضمير فى كثير من عباراتهم . ويطرد ذلك فى ربط الجمل الخبرية ، والأصل فى ذلك الضمير . وفى الكتاب (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار) أى هم . وفيه (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) أى كله

٤ — ٢٨٨ تعليقاً على ما ورد فى الأصل ص ٣٠ (أكن كالمصدق المخدوع الذى زعموا أن جماعة من اللصوص) أن كلمة الذى هنا تشبه أن تكون ترجمة الكلمة الفارسية (كِهْ) وهى تكون بمعنى الذى ، وتأتى للتعليل والتفريع . أى أن ابن المقفع ترجم كلمة (كه) بكلمة (الذى) مع أنها هنا للتعليل والتفريع ، أى بمعنى (فقدته) فلا تحتاج إلى ضمير عائد ، على حين أن كلمة (الذى) فى استعمالها العربى تحتاج إلى عائد

وهذه شبهة طيبة ، واستنتاج حسن . ولكن الضمير العائد إلى الموصول يحذف كثيراً [2] . وجاء حذف العائد حين يتصل بحرف الجر فى قول الله تعالى : (ذلك الذى يبشر الله عباده) [3] أى به . وفى قوله (فاصدع بما تؤمر) [4] فى أحد وجهى تخريجه وقول حاتم الطائى :

ومن حسدٍ يجورُ علىَّ قومى وأىُّ الدهرِ ذو لم يحسدونى

أى فيه ، وذو موصول عند طيء . وقال الجاحظ [5] (فالحمد لله الذى كان هذا مقدار عقولهم) أى كان هذا منه . فهذا الحذف فى كلامهم جائز وإن كان قليلاً جداً [6] . وهو أولى فى التخريج مما ذهب إليه الأستاذ من تأثير اللغة الفارسية . وابن المقفع

(١) معجم استينجاس ص ٢٨ ، ٣٠
(٢) شرح درة الغواص ٢٠٩ وحواشى الحيوان (ج ٤ : ٣٠٠)
(٣) الشورى ٢٣ (٤) الحجر ٩٤ (٥) الحيوان ٤ : ٣٠٠ س٦
(٦) أمالى ابن الشجرى (١ : ٧ حيدر أباد)

أيقظ من أن يؤثر فى بيانه العربى هجنة فارسية ، أو يلتاث فى ترجمته هذه اللوثة

٥ — ٢٩٥ تعليقاً على ما ورد فى ١٧٤ من قوله (وأكيس الأقوام من لم يكن يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلاً) : « هممنا أن نحذف (يكن) من هذه الجملة ثم رأينا أنها تشبه أن تكون من أثر الترجمة الفارسية ؛ فإن استعمال الفعل يكون ، مألوف فى مثل هذا التركيب بالفارسية »

هذا نص ما ورد فى التعليق . والحق أن التعبير عربى خالص ، لم تشبه شائبة فارسية ولم تقربه ، وأن (يكن) هنا قد جردت من معنى النفى ، وألزمت معنى الثبوت واتصال الزمان من غير انقطاع . وفى كتاب الله من ذلك كثير . « وكان الله شاكراً عليماً » ، « وكان الله سميعاً عليماً » ، « فإن الله كان عفواً قديراً » ، « وكان الله غفوراً رحيماً » ، « وكان الله عزيزاً حكيماً » [1] ومنه قول المتلمس [2] :

وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خده أقمنا له من صعره فتقوّما

وقول الفرزدق :

وكنا إذا القيسى نبَّ عَتودُه ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

وقول قيس بن الخطيم :

وكنت امرأً لا أسمع الدهر سُبَّةً
أسبُّ بها إلا كشفت غطاءها

فليس فى الكلام هجنة فارسية كما رأيت

***

هذه نظراتٌ فى بعض مواضع من هذا الكتاب الجليل . ولم أشأ أن أطنب فى سرد محاسن النشر وجودة العرض ؛ فذلك أمرٌ يبادر الناظر فى هذه النسخة ويبدهه فى أول ما ينظر

وليس يفوتنى فى هذه الفرصة أن أكرر تهنئتى للأستاذ الكبير « عبد الوهاب عزام » بهذا العمل العظيم الخالد على الزمان ، وأن أزجى مثلها إلى الأخ المحترم « الأستاذ شفيق مترى » صاحب مطبعة المعارف ، بما أنفق من جهد ومال ، فى الاحتفال الناجح بمرور خمسين عاماً على جهاد مثمر ، بدأه والده ومهر هو على إتمامه ورعايته .

عبد السلام محمد هارون

(١) فى الآيات ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ من سورة النساء
(٢) لسان العرب (١٧ : ٢٤٩)
(٣) الديوان (١ : ٢١٠) ولسان العرب والمعرب للجواليقى ص ٢٧٩ طبع دار الكتب ١٣٦٠
(٤) ديوان قيس ص ٣ طبع ليدسك ولسان العرب (١٧ : ٢٤٩)

المجرم رجل مريض

للأستاذ حسين الظريفى

كان سيزار لمبروزو أول من تناول المجرم بالبحث العلمى وطلع على العالم بنتائج طريفة كان أخطر ما فيها إثبات الملائم الدالة على الإجرام . وقد لبثت نظريته فى المجرم والجريمة ردحاً من الزمن وهى ذات سيادة تكاد تكون كاملة فى عالم الجنائيات . إلا أنها أخذت بعد حين بكثير من النقد والتجريح ، ثم توسع فيهـا الناقدون وأضافوا إلى أصلها كثيراً من الحواشى التى لم يقل بها صاحب النظرية ، حتى يكاد يُعد لمبروزو خارجاً على ما ينسب إليه ، أو أنه ليس من المدرسة المعروفة باسمه

وفى الواقع أن لمبروزو لم يصب كبد الحقيقة ، إلا أنه لم يزغ عنها تمام الزيوغ ؛ فالنظرية ليست كلها على خطأ كما أنها ليست كلها على صواب ؛ وأحسن ما يمكن أن يقال فيها إنها صورت نصف الحقيقة ، ولم يُعن جمهور العلماء بنقضها ودحضها إلا لأنها ظهرت فى غير ظرفها الملائم وقبل الزمن المهيأ لأخذها بالقبول

وتتضح خطوط هذا التحليل فى تفصيل النظرية الحديثة على بواعث الإجرام ، تلك النظرية التى تنطوى على بعث الجريمة من وراء الخلل فى الغدد الصماء

وهذه الغدد غير مقناة ، وهى تلقى عصاراتها فى الدم مباشرة من دون وسيط فتنتقل على متنه إلى كافة أجهزة الجسم وتفعل فيه الأفاعيل من هدم وبناء وتنويم وإيقاظ على رغم مقاديرها الضئيلة ، وهى فى مجموعها تؤلف وحدة حيوية مترابطة الأجزاء تفعل وتتفاعل بمقدار وعلى نمط خاص

وكان من العلماء الذين وقفوا سنوات طويلة من حياتهم على البحث فى الغدد الصماء الدكتور (رالف رينولدز) بسان فرنسيسكو وزميله الدكتور (ستانلى) طبيب سجن كنتين . وقد قام هذان الدكتوران بكثير من العمليات لإزالة اضطرابات الغدد وتنظيم سيرها فى السجناء من الجناة فكان ما قاما به عظيم الأثر فى تحسين أحوالهم الطبيعية والعقلية ؛ وتغيرت طباعهم وأخلاقهم وحتى أشكالهم الظاهرة . وقد وجد الدكتور (رالف) أثناء اختباراته المتواصلة أن نسبة مئوية كبيرة من أبناء السجون مصابة بحالة غير عادية فى الغدد الصماء ، وشاهد أن من يرتكبون جناية القتل وما يماثلها من الجروح يكونون مصابين باضطرابات فى الغدد الدرقية الموجودة فى أصل العنق ، وأن المزورين والمحتالين والسراق يختلفون عن غيرهم بغددهم النخامية ، وأن من ينغمسون فى الجرائم الشهوانية والنقائص الجنسية وما إليها من المفاسد يوجد عندهم نوع من الاضطرابات فى غددهم الجنسية ، وإذا كانت هيئة أعضائهم فى الذكورة والأنوثة شبيهة بسـواها فلأن منبع الاختلاف مستقر فى الداخل

على أن الغدد المضطربة يكثر أن تترك آثار اضطراباتها ظاهرة فى أجزاء البدن الظاهرة ، تلك الآثار التى أوحت إلى لمبروزو نظريته فأصاب وأخطأ فى آن واحد

والذى يظهر من هذه الكشوف العلمية أن الجريمة ظاهرة مادية لعلة فسيولوجية تقوم فى جانحة المجرم ، أو أنهـا ليست إلا مظهراً لزيادة أو نقص تلك العصارات القدرية التى تفرزها الغدد الصماء فى الدم ؛ فتختلق فى الإنسان ما تشاء من عواطف وشذوذ .

وبالقياس إلى هذه النظرية يصبح العقاب غير مجد فى معالجة الإجرام وفيه جناية اجتماعية على الجانى . والطريقة الوحيدة لإزالة الجريمة هى معالجة ما يعانيه الجناة من الاضطرابات فى غددهم الصماء

قد يقال : إن من الجناة من لا يعود إلى ما جنى إذا نزل به العقاب ، وإن منهم من يقلع عن ارتكاب الجرائم متى تقدمت به السن . وعندى أن الرد على هذا النقد منطو فى أن من الجناة من يندفع إلى الجريمة بقوة ظرفه الخاص ؛ فمثل هذا الجانى لا يمكن أن يعد فى عداد أولئك الذين تتحرك فى نفوسهم عوامل الإجرام من وراء الخلل فى الغـدد الصماء . كذلك يمكن أن يقال : إن الغدد قد تعود إلى التوازن بعد الإفراط فى الإفراز متى ضمرت ببلوغ الشيخوخة

ونحن وإن كنا نرى استحالة تطبيق هذه النظرية فى أكثر البلاد وتعسر تطبيقها فى البلدان الأخرى ، فإن البحث العلمى

يجب ألا ينقطع بقيام التعذر والاستحالة فى التطبيق ، وأنه لا مناص من اعتباره باعثاً عليه

على أن من الجرائم ما قد يكون منبعثاً عن سوء التربية فى دور الطفولة . فقد ثبت فى دائرة العلوم النفسية والتربيوية أن لسنوات الطفولة من التأثير الخطير فى نفس وأخلاق الطفل ما يبقى رازحاً تحت أعبائه طول حياته

وليس عجيباً أن نحلل بعض مظاهر الإجرام ، فنجدها عائدة إلى ما كان من سوء التربية فى مراحل الطفولة ، فإن الوليد لا بد أن يأخذ عن وسطه المحدود كثيراً مما ندعوه بالعقد النفسية ، تلك التى تتسرب إلى سريرة الطفل كأمراض داخلية تظهر عادة فى أخلاقه وأعماله وفى طريقة تفكيره ، وقد تندفع به إلى نوع خاص من الإجرام ، وذلك أن سلسلة التفكير تصطدم بالعقد النفسية فيقف دون نموه الطبيعى ويضطر إلى اتخاذ طريق آخر معوج فى النمو يوحى به ما ترسب فى قاع النفس من عهد الطفولة . فالعقدة ليست إلا الشرك الذى تقع فيه حياتنا العقلية ، وقد توحى بارتكاب الجريمة ، وهى من وراء قناع من العقل الباطنى تتوارى فيه عن الأبصار

إن هذه العقد النفسية مهما كانت راسية فى قرارة النفس ، ولا تكاد تظهر إلا فى ثوب مستعار تخفى فيه حقيقتها عن الأنظار فإن فى الإمكان أن تصل إليها يد البحث العلمى بطريقة التحليل النفسى ، حيث يهتدى بهذه الطريقة إلى العقد النفسية التى اعترضت حياتنا العقلية ، وعاقتها عن السير فى طريق تكاملها الطبيعى ؛ ثم أخذت تظهر من حين لآخر فى ضروب أخلاقنا وأفكارنا وأعمالنا ، وكانت مصدر شذوذ فى كثير من أولئك . وقد ظهر لدى البحث العلمى أن المرض يزول بالوقوف على العقدة التى فرضته . وبهذه الطريقة يمكن إرجاع المصابين فى حياتهم العقلية إلى حالتهم الطبيعية بعد أن تكون قد انحلت العقدة ، وقضى على أصل المرض .

وظاهر مما سبق أن الجريمة قد تكون منبعثة عن تلك الرسائل الكهربائية التى تطلقها الغدد الصماء على متون الدماء فتتصل عن طريقها إلى أجهزة البدن كافة . وقد تكون وليدة العقد النفسية التى تصيب الحياة العقلية ؛ وتورث من الأمراض ما قد تظهر آثارها فى صورة ارتكاب بعض الجرائم

فالمجرم لم يعد بعد كما كان من قبل مثال الرجولة والبطولة ، والسجن لا يقوم على الرجال ، وإنما يقوم على أشباه الرجال ممن أصيبوا فى غددهم أو فى نفوسهم ، وكانوا أجدر بالمعالجة الطبية أو النفسية من الزج بهم فى أعماق السجون

(بغداد) حسين الظريفى المحامى

شخصيات تاريخية :

تيموستوكل

THÉMISTOCLE

للأستاذ محمد الشحات أيوب

كانت بلاد اليونان فى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد ، محاطة بدول فتية ناهضة كدولة الفرس فى الشرق التى قضت على الإمبراطوريات الكبرى القديمة فى مصر وكلدونيا وسوريا وليديا ، وكدولة القرطاجنيين التى نهضت فى شمال إفريقيا ، وأخذت تبسط سلطانها على البلاد المجاورة لها فى الجزء الغربى من البحر الأبيض المتوسط ، وكدولة روما الناشئة التى ثارت فى وجه الأترسكيين ، وأخذت تكون لنفسها سلطاناً واسعاً فى شبه جزيرة إيطاليا . وقد اتفق الفرس والقرطاجنيون ، واتفق القرطاجنيون والأترسكيون ، على وضع حد لاستعمار اليونان بعد هذه الحركة التى كان من نتائجها انتشارهم فى معظم أجزاء البحر الأبيض المتوسط

لذلك كان لا بد من أن ترتطم قوة الفرس بقوة اليونان فى الشرق ، وقوة القرطاجنيين والأترسكيين مع اليونان فى الغرب . وقد أراد الفرس الانتشار غرباً ، فوجدوا أمامهم اليونان ستتبين فى غرب آسيا الصغرى ، فأخضعوهم لسلطانهم ، ولكن هؤلاء اليونان ثاروا على أسيادهم الفرس ، وطلبوا المعونة والمساعدة من إخوانهم يونان القارة الأوربية ، فلم يلب نداءهم إلا دولتان هما : أثينا وإرسبرى اللتان وجهتا حملة لتخليص إخوانهم من نير الفرس . من أجل هذا حقد الفرس على هاتين الدولتين ، وصمموا على معاقبتهما والانتقام منهما ؛ فكانت ثورة اليونان فى غرب آسيا الصغرى بدء عهد نزاع خطير ، يعرف باسم الحروب الميدية بين قوتين لا يستهان بهما وهما : قوة الفرس وقوة اليونان

وقد استمر النزاع مدة طويلة بين هاتين القوتين . ونحن لا يعنينا اليوم من هذا النزاع إلا تلك الحروب التى نشبت فى أول القرن الخامس قبل الميلاد ، ولا يهمنا منها إلا تلك الشخصية العظيمة ، شخصية « تيموستوكل » التى لعبت دوراً مهماً جداً فى ترجيح كفة اليونان على كفة الفرس

ولكى نتمثل أهمية الدور الذى لعبه تيموستوكل ، يجب أن نعلم أن اليونان لم يكونوا متفقين فيما بينهم وبين أنفسهم على الخطة التى يجب عليهم أن يتبعوها . كانوا فريقين : فريقاً منهم مع الفرس يساعدهم ويشد أزرهم ، وفريقاً آخر فى صف الوطن يعمل للدفاع عنه وللتمكين من استقلاله ، وهم بعد ذلك لم يكونوا دولة متحدة قوية تقف صفاً واحداً أمام دولة الفرس ، بل كانوا دولاً صغيرة تتنافس فيما بينها وتحقد كل منها على الأخرى ، ثم إلى جانب هذا وذاك كانت كل دولة على صغرها منقسمة على نفسها فى الداخل تتنازعها الأهواء والأحزاب ، فكان النزاع قوياً جداً بين الارستقراطيين والديمقراطيين فى أثينا ، وشديداً جداً بين الملكين والإيفور الخمسة فى اسبرطة ؛ وكذلك كانت الحال فى أرجوس وكورنث وتساليا وغيرها ، فجاء تيموستوكل واستطاع أن يوحد بين هذه الأشتات المتناقضة وكون منها جبهة قوية وقفت أمام الفرس وصدتهم عن أرض اليونان ، بل وأحرزت عليهم انتصاراً عظيما هو انتصار موقعة « سلامين » . فالشخص الذى يستطيع أن يجعل بلاده تحرز هذا النصر الحاسم وهى على هذا النحو من الانقسام والفرقة لا شك يعد من أكبر الشخصيات فى التاريخ

وقعت الحرب الميدية الأولى فى عام ٤٩٠ ق . م ووجه الفرس حملتهم الأولى ضد أثينا وبلاد اليونان فى هذه السنة ، فتصدت لهم القوة الأثينية وعلى رأسها ملتياد يساعده بعض القواد مثل طاللبا كوس وتيموستوكل وأرستيد ، وتمكنت هذه القوة من صدهم وإلحاق الهزيمة بهم فى موقعة ماراتون الكبرى ، فارتد أسطول الفرس بعد ذلك عائداً إلى بلاده . انتصرت أثينا فى هذا الدور الأول وكانت الشخصية الغالبة هى شخصية ملتياد ؛ أما تيموستوكل فلم يكن له شأن كبير حينئذ ، إنما كان يقوم بدور ثانوى فى هذه المعركة ، إذ وضع هو وأرستيد على رأس الوسط فى الجيش ، أما كبار القواد مثل ملتياد فقد وضعوا على رأس الجناحين لأن خطة الجيش اليونانى كانت ترمى إلى القيام بحركة تطويق لحصر جيش الأعداء

هزم الفرس فى هذه الموقعة ؛ ولكن (دارا) ملكهم لم يكن بالشخص الذى يرضى عن الهزيمة ، وإنما أخذ يعد العدة للانتقام ، ثم مات دون أن يحقق هذا الغرض ، وخلفه ابنه أجزرنسيس تاركا لهذا الابن عبئاً ثقيلاً ومهمة خطيرة ، ولم يصب أجزرنسيس

هذا من النجاح أكثر مما أصاب أبوه من قبل ، ولم ينجح في النيل من اليونان والانتقام منهم بالرغم مما عرف عنه من مضاء العزيمة وقوة الإرادة وحدة الذكاء ونشاط الشباب . هزم كما هزم أبوه من قبل ، وانتصر عليه اليونان لأنهم أوتوا من الحظ السعيد ما أوجد لهم شخصية عبقرية هي شخصية تيموستوكل التي عرفت كيف تتبصر للأمر ، وتضع الخطط الحربية الباهرة استعداداً لهذا العراك المنيف . وكانت هذه الهزيمة سبباً لازدراء اليونان به ، واحتقارهم له ؛ فتحدث عنه « إشيل » في تراجيديته الرائعة « الفرس » وصوره كما صوره غيره من كبار الكتاب اليونانيين في صورة بشعة : صوروه كأنه رجل مجنون أصيب في عقله ، أراد أن يتسامى إلى صف الآلهة فاعتقد نفسه منهم ، فتكبر وطغى ، فحقدت عليه وتربصت له ، وجعلته يضل السبيل ، ويرتكب من المآثم والغلطات ما كان من الأسباب التي أدت إلى هزيمته

وكان الحزب المسيطر على شؤون الحكم في أثينا في ذلك الوقت هو الحزب الديمقراطي ، وهو الحزب الذي استطاع أن يقودها إلى النصر . وكان على رأس هذا الحزب زعيمه تيموستوكل الذي إليه يرجع الفضل الأكبر في إحراز النصر في موقعة « سلامين » ، لذلك كان هذا النصر من الأسباب التي قوت من شأن الديمقراطية الأثينية وجعلتها ترتكز على أساس متين حتى بلغت أوجها في عهد بركليس

لم يكن تيموستوكل من الأشراف ولا من الأرستقراط ، بل ولم يكن من الطبقات الوسطى ، وكانت العادة في القديم ألا يولى الشخص مهام الدولة إلا إذا كان من أبناء البيوتات الكبيرة . لذلك كان من أعجب الأمور أن يستطيع شخص كثيموستوكل أن يصل إلى أعلى المناصب في الدولة وهو فرد من أفراد الشعب ، فلم يتعود الناس من قبل أن يتزعم الحزب الديمقراطي شخص من أبناء الشعب ، وإنما كانت العادة أن يتزعمه أفراد من الأرستقراط الذين كانوا يميلون إلى الشعب ويودون إنصافه ورفع الظلم عن كاهله ؛ بل كان ثيموستوكل أكثر من هذا ، كان من أصل أجنبي ، ونحن نعرف أن الشعوب القديمة كانت تنظر نظرة خاصة إلى الأجانب لاعتبارات أساسها الدين ، كما وضح ذلك خير توضيح المؤرخ الفرنسي الشهير « فيستيل دى كولانج Fuastel de Coulanges » في كتابه عن « المدينة القديمة La Cité Antique » لذلك كانوا في مركز خاص من الوجهة القانونية ، فلم يكن يسمح لهم بالتدخل في شؤون البلاد الداخلية إلا إذا اكتسبوا حقوق المدينة وهي ما نعرفها اليوم « بحقوق التجنس بالجنسية الأهلية » . كان أبو ثيموستوكل من هذا النوع : كان أجنبياً ولكنه اكتسب صفة المواطن بما خوله له دستور كليستين من حقوق ، وكانت أمه أجنبية أيضاً ، ولكنه تمكن ، بالرغم من ذلك ، من أن يعتلي أكبر المناصب في الدولة ، وهو صغير السن ، كمنصب الأركون في عام ٤٩٣/٤٩٢ ق . م . وسنه لا تزيد على ثلاثين عاماً ومنصب الاستراتيجي في عام ٤٩٠/٤٨٩ وقد بلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً ، لأنه أوتي من المواهب والصفات ما جعله يصل إلى الحكم في سهولة ويسر ؛ إذ كان ذكياً إلى أقصى درجة من درجات الذكاء ، وكان سريع الحكم في ثقة واطمئنان ، وكان خطيباً بارعاً ذلق اللسان فصيحاً ، وكانت موهبته من هذه الناحية موهبة طبيعية لم تأت عن طريق الدراسة ولا عن التجربة ، إنما آتاه الله حظاً عظيماً من الفصاحة والبلاغة جعله يسيطر على مواطنيه ، فيملك عليهم مشاعرهم ويوجههم أنى شاء ، فأسلسوا له القياد ، وجعلوه يتربع على مكان الزعامة فيهم . وقد تمكن من هذه الزعامة واستأثر بها ، حتى أنقذ بلاده من خطر داهم كاد يقضي عليها ، فأحرز لها نصراً حاسماً نقلها من دولة صغرى إلى دولة كبرى لها امبراطورية ضخمة ، وتتحكم في موارد البلاد المجاورة وتشرف على جزء كبير من شرق البحر الأبيض المتوسط . فتكبر وتغطرس ، وطغى وتجبر ؛ ولكنه كان رجلاً لا كالرجال ، وعبقرياً لا كالعبقريين . تضطرنا عبقريته إلى التغاضي عن كثير من عيوبه ، لأن هذه العبقرية من النوع الذي يجعلنا ننحني أمامه إجلالاً واحتراماً . وهو كغيره من الشخصيات العظيمة التي أحدثت انقلاباً هائلاً في تاريخ بلادهم مثار نزاع بين كثير من المؤرخين ولا سيما القدماء منهم مثل أبي التاريخ هيرودوت ، والمؤرخ الأول توسيديد : قسا الأول عليه قسوة شديدة ، فأصدر عليه حكماً فيه شيء كثير من البعد عن جادة الحق ، أما الثاني فكان أقرب إلى الاعتدال : وقف إلى صفه ودافع عنه دون تحفظ ولا احتياط

نظر تيموستوكل إلى بلاده فوجدها عبارة عن شبه جزيرة تحيط بها المياه من جميع الجهات إلا جهة واحدة ، ووجد أن الخطر عليها عظيم إذا ما أتى العدو إليها يغزوها عن طريق البحر فينزل إلى البر — كما فعل الفرس — قوات هائلة ، لا يستطيع الأثينيون لها رداً ولا صداً ، إلا إذا كانت لديهم قوات بحرية

تستطيع أن تنازلهم فتبعدهم عن أرض الوطن ، فأخذ يعلن بين الأثينيين أن مستقبل أثينا على البحار . وقد خالفه الكثيرون فى ذلك ؛ ولكن التجارب والحوادث التى وقعت فيما بعد أيدت رأيه وصدقت نظريته . رأى كثير من أبناء جلدته أن موقعة ماراثون هى آخر المواقع بين الفرس واليونان ، وأنهم ما داموا قد انتصروا فيها ، وما دام العدو قد ابتعد عن بلادهم فلن يعود إليهم أبداً . لذلك وثقوا واطمأنوا ؛ أما هو فكان يرى غير هذا الرأى ، كان يرى أن ماراثون ما هى إلا خطوة من خطوات النزاع بين الفريقين ، وأن الفرس لا شك راجعون من جديد للانتقام لأنفسهم من الهزيمة الساحقة التى لحقتهم من قبل ، وذلك لوقوفه على بعض أخلاقهم ولمعرفته ببعض عاداتهم . من أجل هذا رأى أن يمكن لأثينا على البحر بأن يؤسس لها أسطولاً بحرياً ضخماً يجمل لها السيادة البحرية من دون منازع . ورأى أيضاً أن يعمل على تحويل الشعب الأثينى من شعب حربى برى ، إلى شعب حربى بحرى ، من شعب مشاة وفرسان، إلى شعب ملاحين وبحارة، ولكن هذا وحده لا يكفى ، فلا بد إلى جانب هذا من اختيار الموانى المنيعة التى تصلح لإرساء الأسطول ، والمواقع الطبيعية التى إن حصنت صلحت مراكز مهمة للدفاع عن البلاد . فعدل عن ميناء فالير المكشوف لتعرضه للرياح والأعاصير ، ولعدم صلاحيته من الناحية الطبيعية ، إلى ميناء بيريه وحوله خليجان طبيعية منيعة كخليج « زيا » وخليج « مونيخيا » ؛ وهذه الخلجان تصلح هى الأخرى لأن تكون موانى جيدة . فأخذ يحصن هذا الميناء الجديد ، وساعده على القيام بهذه الأعمال أعمال التحصين — أن كان يتولى مركزاً من مراكز القيادة — وهو مركز الاستراتيج Stratège فى عام ٤٩٠/٤٨٩

ذاعت آراء « تيموستوكل » وانتشرت بين الآثينيين ، فانضم إليه كثير منهم يؤيدونه ويساعدونه على تكوين هذا الأسطول البحرى الضخم الذى يحلم بتأسيسه ، بعد أن سمعوا ما سمعوا عن استعداد الفرس العظيم ، وقرب قيامهم بالهجوم على وطنهم ، وبعد أن رأوا ما رأوا من هذا النزاع الذى يهدد بلادهم بالخطر بين أثينا وأرجينا ، وفى هذا النزاع لم تستطع أثينا إحراز النصر إلا بعد صعوبة كبيرة ، بعد أن أعارتها كورنت عشرين سفينة من أسطولها، فأثر الخطر الفارسى والخطر الأرجينى عليهم . وقد زاد عدد المؤيدين لنظرية « تيموستوكل » زيادة هائلة بعد ما وجد الأثينيون أن وطنهم أصبح فى حاجة شديدة إلى المواد الغذائية التى قلت بنسبة عظيمة بعد إقفال الأسواق الاقتصادية فى الخارج فى بلاد معادية لبلادهم ، كبلاد البيوسيين والشاليين ، أو فى بلاد خضعت للفرس مثل بلاد شبه جزيرة الكاسيديك والبحر الأسود ومصر . فلم يكن بعد ذلك أمام أثينا إلا سوق اقتصادية واحدة تستطيع أن تتمون منها ، وهى سوق الغرب فى صقلية وبلاد اليونان الكبرى ؛ وأثينا لا تستطيع أن تستورد من هذه البلاد القمح والمواد الغذائية الأخرى إلا إذا كان لديها أسطول عظيم يحمل لها ما هى فى حاجة إليه

ثم إن تيموستوكل أثر على مواطنيه بحجة أخيرة وهى من أقوى الحجج تأثيراً على ذهنية الشعب — إن صح أن للشعب ذهنية — فبين لهم أن الأسطول الزمع إنشاؤه سيكون مورداً لإعالة فقراء الأمة من الذين لا يجدون عملاً ما ، وهم أصحاب الطبقة الرابعة من الشعب المسماة طبقة « للتيت Les Thètes » فن هذه الطبقة سيجند الملاحون والبحارة الذين من دونهم لا يستطيع الأسطول أن يقوم بمهمته على الوجه الأكمل

اقتنعت أغلبية الشعب بهذه الحجج المختلفة ؛ ولكنهم تساءلوا : من أين لنا بالمال الذى يساعدنا على بناء هذا الأسطول ، ونحن نعرف أن الأسطول يحتاج إلى مال كثير ؟ لم يقفوا كثيراً عند هذا السؤال ، إذ ساعدهم الحظ فى ذلك الوقت فوجدوا المال اللازم ، وجدوه فى مناجم « لوريون » بالعثور فى عام ٤٨٣ — ٤٨٢ على عرق ثالث من عروق الفضة قائم بين طبقتين من الطبقات الأرضية ، كطبقة « الشيست » وطبقة « الكلكير » ، وكان هذا مصدر ثروة كبيرة ، وعلى الأخص بعد أن نضب معين العرقين السابقين . وهنا اختلفت آراء الشعب بصدد هذا المصدر الجديد من مصادر الثروة ، فانقسمت الأمة قسمين : قسم على رأسه أرشيد الزعيم المعروف يريد توزيع هذا الإيراد — وهو إيراد منتظم — بين المواطنين جميعاً (ويتراوح هذا الإيراد بين ٥٠ ، ١٠٠ تالانت) فإذا وزع على هذا النحو نال كل فرد ما يقرب من ٢٠ دراخمة (والتالانت فيها ٦٠٠٠ دراخمة) . وقسم آخر على رأسه تيموستوكل يرى أن تعير الدولة لكل مائة من كبار الأغنياء « تالانت واحدة » على أن تتكلف كل وحدة من هذه الوحدات المئوية ببناء سفينة ، حتى إذا اجتمعت هذه السفن بعد بنائها كانت نواة طيبة للأسطول الأثينى . طالت المناقشات بين الفريقين وزاد النزاع حدة بينهما ، ولكن تيموستوكل وأنصاره تغلبوا

في آخر الأمر ، ونفي الشعب الزعيم المعارض أرشيد ، وظفر ثيموستوكل وأتباعه بما أرادوه لوطنهم من هذا الأسطول الذي كان السبب الأكبر في إحراز النصر في أكبر معركة بحرية في القرن الخامس على الإطلاق وهي معركة « سلامين » . وعلى هذا النحو حدث هذا الانقلاب الهائل الذي حول أثينا من دولة برية إلى دولة بحرية لها أسطول قوي ضخم كان هو السبب الرئيسي في بناء مجدها وعظامتها في القرن الخامس قبل الميلاد ، فأصبحت أثينا بذلك دولة بحرية قادرة على الدفاع عن أرضها وعن أرض اليونان جميعاً ضد قوات كبيرة تفوقها في العدد والعدة وهي قوات الفرس . وقد كان ثيموستوكل في هذا رجلاً عظيماً، إذ استطاع أن يحدث هذا الانقلاب وأن يكون هذا الأسطول الذي جمع ما يقرب من مائتي سفينة والذي كان العامل الأساسي في بناء الأمبراطورية الأثينية البحرية

أخذت أثينا بعد ذلك تستعد للمعركة القادمة وهي واثقة ومطمئنة إلى أسطولها القوي ، ولكنها تشعر تمام الشعور أنها لا تستطيع وحدها مناهضة الفرس ، بل كانت على يقين من ضرورة الحصول على تأييد أسبرطة والدول اليونانية الأخرى . وكانت أسبرطة أنانية ، بلغت أنانيتها حداً عظيماً جداً عرف في التاريخ القديم ، فهي لا تهتم إلا بشؤونها وبشؤون شبه جزيرة البيلوبونيز الخاصة لسلطانها المستمكنة لأمرها ، ولكنها فهمت أخيراً أن من مصلحتها الاتفاق مع أثينا والمدن اليونانية الأخرى التي تريد الدفاع عن اليونان لوضع خطة دفاعية مشتركة ، لأنها أحست أن في انتصار الفرس ترجيحاً لكفة أعدائها كدولة أرجوس التي تناوئها العداء في شبه جزيرة البيلوبونيز ، وإضعافاً لسلطانها ونفوذها هي؛ لذلك دعت إلى عقد مؤتمر يوناني عام، هو مؤتمر الجامعة اليونانية الأول، اشترك فيه عدد من اليونان، وامتنع عن الاشتراك فيه عدد آخر كان يؤيد الفرس، ولزم عدد ثالث جانب الحياد . وفي هذا المؤتمر العام الذي عقد بجوار مدينة كورنث نرى ثيموستوكل يلعب دوراً بارزاً مهماً هو دور المصلح والتوفيق بين اليونان، وتحقيق الوحدة بينهم جميعاً ضد العدو المشترك، فسعى سعياً حقيقياً للقضاء على أسباب الخلاف بينهم، وعلى الأخص بين أثينا وأرجينا ؛ ثم إنه أظهر في هذا المؤتمر أيضاً بعداً في النظر وترفعاً عن المطامع الشخصية ، فقبل أن يكون قواد الأسطول والجيش من رجال اسبرطة ، وأن يمثل هو في الأسطول مكاناً ثانوياً مع أن المنطق كان يقضي بأن تكون قيادة الأسطول لأثينا ، لأنها أصبحت أقوى الدول اليونانية في البحر، ولكنه تغاضى عن ذلك ورضي أن يعمل تحت إمرة أمير البحر الأسبرطي « إريبياد » بل وأيده كل التأييد ، مع أن « إريبياد » هذا كان دونه في شؤون البحر ، ثم بذل له من النصح والإرشاد في موقعة سلامين الكبرى ما يحملنا على أن نقارن بين موقفه هذا وبين موقف سيف الإسلام خالد بن الوليد الذي رضي أن يجاهد في سبيل الإسلام تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح مع أنه يفوقه في الفنون الحربية ، ومع أنه كان يتولى شؤون القيادة قبله على نفس الجيش الذي كان يحارب في صفوفه . وقد رضي كل من خالد وثيموستوكل بهذا لأنهما لا ينظران إلى مصالحهما الشخصية ، بل ينظران نظرة كلها جلال وجمال . هي النظرة إلى المصلحة العامة ووضعها في المكان الأول من اهتمامهم ورعايتهم . ثيموستوكل من الرجال الذين يفضلون وطنهم على أشخاصهم ويتعالون بمطامع بلادهم على مطامعهم الشخصية ، لذلك كانوا أبطالاً حقاً . ومن أجل هذا السبب استطاعوا أن يكونوا عند حسن ظن مواطنيهم بهم ، فكونوا لأنفسهم مجداً لا زال باقياً على الحياة ، واسماً لا يزال صداه يرن في آذاننا حتى اليوم

هذا في الخارج ؛ أما في الداخل فقد رضي أن يستدعي منافسه ومعارضه أرشيد من النفي ، بل وأن يشركه معه في الحكم ، فاتفق الاثنان معاً في ذلك الوقت العصيب الذي تعرضت فيه بلادهم لخطر الغزو الأمين . فبرهن ثيموستوكل بذلك أيضاً على أنه قادر على دفن الأحقاد الشخصية في سبيل رفع كلمة الوطن

وعلى هذا النحو استطاع ثيموستوكل أن يحقق الوحدة داخل وطنه بالاتفاق مع خصومه ومعارضيه، وأن يحقق الوحدة في الخارج بالاتفاق بين بلاده والبلاد المنافسة لها وعلى رأسها أسبرطة ، وأن يمد المدة للنزاع المقبل ببناء أسطول قوي لا يستطيع اليونان إحراز النصر بدونه ، فكان أن أعد البلاد على خير وجه لاستقبال قوى الفرس . واليونان مطمئنون إلى عدالة قضيتهم وواثقون إلى قوادهم وزعمائهم ، وهم يعملون آخر الأمر ويحاربون متحدين متراصين كالبنيان يشد بعضه بعضاً في سبيل الدفاع عن الوطن المقدس

كان هذا هو الدور الإعدادي الذي أظهر فيه ثيموستوكل مواهب العبقرية في الزعامة والتنظيم والإدارة . أما عن دور التنفيذ وهو الدور الحاسم الذي أحرز فيه اليونان جميعاً النصر المبين فله مجال آخر سنحدثك عنه في العدد القادم إن شاء الله

محمد الشحات أيوب

مدارس البعثة العلمانية الفرنسية

الليسيه الفرنسية

رقم ٢ شارع الحوياتى بالقاهرة

١ — مدرسة البنين : تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية

قسم مصرى

قسم تجارى

٢ — مدرسة البنات : تحضر الطالبات لشهادات « البريفيه » والبكالوريا الفرنسية وهى منفصلة انفصالاً تاماً عن مدرسة البنات

٣ — روضة أطفال

سيارات خاصة لتوصيل الطلبة والطالبات إلى المنازل

الكلية الفرنسية (للبنات)

رقم ٦ شارع زهنى بالظاهر

تحضر الطالبات بمقتضى المناهج الابتدائية لشهادة (البريفيه)

قسم خاص للدراسات التجارية . اللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية إلزامية فى جميع الفصول

الكلية الفرنسية (للبنين)

رقم ٤٥ شارع الظاهر

تحضر الطلبة بمقتضى المناهج الابتدائية الفرنسية ومناهج البكالوريا المصرية



الليسيه الفرنسية

بالاسكندرية بالشاطبى

روضة الأطفال — ليسيه البنات : منفصلة انفصالاً تاما عن ليسيه البنين : تحضير لشهادتى البكالوريا الفرنسية والبكالوريا المصرية . تعليم التدبير المنزلى

ليسيه البنين : تحضير لشهادتى البكالوريا الفرنسية والبكالوريا المصرية ولدبلوم التجارة العليا . تعليم اللغتين العربية والانجليزية فى جميع الفصول . تعليم الألعاب الرياضية

مدرسة الزراعة العليا المصرية : فى الليسيه وفى الملحق الزراعى فى رأس السودا

الدراسات العليا : — علوم ، آداب حقوق ، وعلوم اقتصادية

دراسات المهندسين : كهائيين ومساعدى المهندسين الكهربائيين والميكانيكيين .

الليسيه الفرنسية المصرية

شارع فؤاد الأول بمصر الجديدة

(هليوبوليس)

الثقافتان الفرنسية والمصرية تلقنان لجميع التلاميذ

اللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية إلزامية فى جميع الفصول

١ — مدرسة البنين

تحضر الطلبة لمختلف أقسام البكالوريا الفرنسية والمصرية

٢ — مدرسة البنات

تحضر الطالبات لشهادات البكالوريا وبها قسم للدراسات العامة وفصول خاصة إعدادية للغة الفرنسية . وهى منفصلة انفصالاً تاماً عن مدرسة البنين

٣ — روضة أطفال

كل أنواع الرياضة على أجمل أراضى مصر

سيارات خاصة للمدرسة لتوصيل الطلبة والطالبات إلى المنازل

تحدد يوم الافتتاح لجميع معاهد البعثة العلمانية الفرنسية

٣ أكتوبر سنة ١٩٤١

٦ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

(تابع الفصل الأول)

يلاحظ أن أهل القاهرة وسكان الأقاليم الشمالية حيث يكثر المهاجرون لاعتدال الجو : هؤلاء لقلة تعرضهم للشمس يمتازون بوجوههم الشديدة الصفرة وببشرتهم الناعمة اللمس ، بينما الآخرون تزداد لونهم ظلمة وبشرتهم غلاظة . أما في مصر الوسطى وفي الصعيد الأعلى فيشتد وهج الشمس وتزيد سمرة الوجه كلما صعد الإنسان نحو النوبة حيث يكون الجو أشد حرارة ، وحيث يحل النوبيون محل المصريين تدريجياً . وسحنة المصريين المسلمين بيضية الشكل جميلة الهيئة . فالجبهة معتدلة الحجم نادرة الارتفاع شديدة التقوس ، والعينان بعيدتا الغور ، أو تبدوان كذلك نتيجة لخفض الحاجب من بهر الشمس ، سوداوان لامعتان ، تشبهان بعض الشبه أعين الأجناس الحبشية ، والأنف مستقيم غليظ بعض الشيء ، والفم جميل التكوين ، والشفتان أقرب إلى الغلظ ، والأسنان جميلة الشكل تشبه إذا نظرنا إلى الموميات أسنان المصريين القدماء[١] واللحية سوداء خفيفة جعداء . وقلما ترى عيوناً رمادية ، إلا في ذرية الأجانب من أوربيين وغيرهم أو في سلالتهم . وقد اعتاد الفلاحون ، لدوام تعرضهم للشمس كسر جفونهم ؛ وهذه من مميزات البدو . وأكثر المصريين مصابون بالعور أو بالعمى . وهم لا يحلقون اللحية كلها وإنما يحلقون ما فوق الفك الأسفل وما تحته وكذلك ما تحت الشفة السفلى ما عدا المنفقة على مثال الرسول (صلعم) . وقد ينتفون تلك المواضع . والقليل منهم يحلق اللحية كلها[١] ما عدا الشاربين فلا يحلقهما أحد ، وهم يطلقون لحاهم بمقدار قبضة اليد تقريباً وهذا هو المتبع عادة . وتلك كانت عادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لمحافظتهم على السُّنة لا يطيلون الشاربين ولا يجدونهما على الأقل فوق الشفة العليا حتى لا يضايقانهم عند الأكل أو الشرب . وعادة الخضاب ليست شائعة في مصر لأنهم يحترمون الشيب . ويحلق المصريون شعر الرأس كله ، أو يتركون خصلة صغيرة فوق الناصية تسمى « شوشة »[٢] . ويقال إن هذه العادة الأخيرة — التي تكاد تكون عامة بينهم — منشأها خوف المسلمين عند وقوعهم في أسر الكفار أن يعمد هؤلاء — عند ذبحهم — إلى وضع أيديهم النجسة في الفم ليحملوا الرأس منه إذا لم يجدوا شعراً . وقد تكون اللحية قصيرة أيضاً ، ولكن الراجح أن تلك العادة أخذت عن الأتراك ، لأنها لا تشاهد عامة عند البدو ، ولأن عادة حلق الرأس ظهرت بين العرب منذ عهد قريب ، ثم إنها للنظافة[٣] . ويتبع المصريون عادات أخرى لنظافتهم لا محل لذكرها هنا[٤] . ويلاحظ أن كثيراً ما يَشِم رجال الطبقة السفلى وغيرهم أذرعهم وأحياناً أيديهم وصدورهم كما يفعل النساء ، (وسنصف هذه العادة عند الكلام عن النساء)

وتتألف ملابس رجال الطبقتين العليا والوسطى من الأجزاء الآتية[٥] : أولاً ، سروال[٦] فضفاض من الكتان أو القطن

---

(١) ومع ذلك فآلام الأسنان مرض شائع في مصر كما كان في العصور القديمة على الأرجح ، إذ يشير هيرودوتس في كلامه من طبقات الأطباء المصريين إلى أطباء الأسنان

(١) وقلما يحلق الخدم لحاهم ، وما من أحد منهم يحلق شاربيه . ومن المشاهد كثيراً احترام الشرقيين اللحية . فهي محل قسمهم ، وهم يقولون لمن يرتكب قبيحاً إنه أسقط حرمتها . وكثيراً ما طبقت في العصور الحديثة العقوبة المنصوص عنها في سفر صموئيل الثاني، الاصحاح العاشر الآية الرابعة ، ونصها . فأخذ حانون عبيد داود وحلق أنصاف لحاهم ثم أطلقهم . ولكنها لم تتواتر بقدر عقوبة حلق اللحية كلها

(٢) يعد المسلمون ترك قصاصة الشعر أو قلامة الأظافر الخ على الأرض مخالفاً للاحترام الواجب لكل ما يخص الجسد ، وهم لذلك يدفنون هذه الأشياء في التراب ؛ بينما النساء يحشين بها شقوق الجدران

(٣) ويستقبح رجال العلم والدين هذه الشوشة

(٤) وهي مذكورة في « شكاة المصابيح » الجزء الثاني ص ٣٠٩ ويراعيها كلا الجنسين

(٥) ولا تزال طريقة لبسهم كما كانت على مر القرون

(٦) يسمي « لباس »

يشد حول الوسط بشريط(١) طرفاه مطرزان بالحرير الملون وإن كانا تحت الملابس الخارجية . ويصل السروال إلى ما تحت الركبتين بقليل أو ينزل حتى الكعبين . إلا أن الكثير من العرب لا يلبسون السراويل الطوال لأن النبي (ص) حرمها عليهم . بعد ذلك قميص أكمامه واسعة جداً تصل حتى المعصم ، يصنع من نسيج الكتان الأبيض الرخص أو من نسيج القطن أو الحرير الموصلي أو الحرير المخلوط بالقطن ، وكلها مفوفة بيضاء(٢) . ويرتدي أغلب الناس فوق هذا ، عند ما يبرد الطقس ، « صديرياً » قصيراً من الجوخ أو من الحرير الملون المفوف أو من القطن ، ولا أكمام له . يضاف إلى هذا رداء طويل من الحرير المفوف أو القطن(٣) يسمى « قَفطان » أو على حسب التعبير الغالب « قُفطان ») ينزل حتى الكعبين وأردانه الطويلة تمتد إلى ما بعد أطراف الأصابع بضع بوصات وتشق من فوق الرسغ بقليل، أو من وسط الذراع بحيث تكشف اليد ؛ إلا أنه يمكن سترها بالكم عند الضرورة، لأن من العادة أن تغطى اليدان في حضرة شخص عظيم . ثم يلف حول هذا الثوب شال ملون(٤) أو قطعة طويلة من



شكل ١٤ — (زى الطبقتين الوسطى والعليا)

(١) يسمى « دكة » أو « تكة »

(٢) وقد نهى الرسول (صلعم) الرجال دون النساء من لبس الحرير إلا أن هذا النهي لا يراعيه إلا القليل جداً من المسلمين المحدثين ، ما عدا الوهابيين

(٣) وقلما يكون التفويف واحد الشكل فقد يكون مصوراً أو مزهراً

(٤) حزام

الحرير الموصلي الأبيض المنقوش . وأخيراً ، الحلة الخارجية العادية وهي عبارة عن كساء طويل من الجوخ ، من أي لون كان ، يسميه الأتراك « جُبه » ويسميه المصريين «جبه» ولا تتعدى أكمامه المعصم تماماً(١) وبعض الأشخاص يلبسون « البنش » — وهو قباء من الجوخ — أكمامه كأكمام القفطان طولاً ولكنه أوسع منها(٢) ويرتدونه — على الأخص — في الحفلات فوق الجبة ، ولكن الكثير منهم يستبدلونه بهما ؛



شكل ١٥ — (زى الطبقة الدنيا)

وهناك رداء آخر يسمى « فرجيَّة » يشبه للبنش تقريباً وأكمامه طويلة غير مشقوقة ، ويلبسها غالباً رجال العلم . ويتوشح شتاء بنوع من المآزر الصوفية السوداء يسمى « عباية » ، وقد تشد فوق الرأس(٣) ، وفي الشتاء أيضاً يتدثر كثير من الناس بشال من الحرير الموصلي ، أو غيره (مثل الذي يستعملونه للعمامة) يلف حول الرأس والكتفين .

أما غطاء الرأس ، فيتكون من قلنسوة(٤) قطنية صغيرة مطابقة للرأس تماماً وتتغير كثيراً . ثم يوضع «الطربوش» — وهو غطاء من الجوخ الأحمر — محكم على الرأس أيضاً ، يتدلى من قمته شرَّابة من الحرير الأزرق القاتم ، وأخيراً يلف على الطربوش قطعة طويلة من الحرير الموصلي الأبيض المصور ، أو شال

(١) أنظر الصورة الأمامية في الشكل رقم ١٤

(٢) أنظر الصورة اليسرى من نفس الشكل

(٣) أنظر الشكل رقم ١٥ وقوامه عباءة مخططة

(٤) تسمى « طاقية » أو « عرقية »

كشميرى وهذه هى العامة . وقلما يستعمل الشال الكشميرى إلا عند ما يبرد الجو . وقد يلبس البعض طربوشين أو ثلاثة ، الواحد فوق الآخر . أما عمامة الشريف وهو الموصول نسبه بنسب الرسول فخضراء ، وله وحده هذا الامتياز ؛ كما أنه ليس من المعتاد أن يلبس أحد غير الأشراف ثياباً خضراء ناضرة

أما الجوارب فلا يستعملها إلا بعض الناس شتاء ، ويتخذونها من الصوف أو القطن . وأما الحذاء[1] فهو من الجلد المراكشى Maroguin الأحمر السميك وطرفه الأمامى مدبب معقوف إلى أعلى . وينتعل البعض حذاء داخلياً[2] من الجلد المراكشى الأصفر الناعم ذا نعل من الجلد نفسه ، فيخلع الحذاء الخارجى وحده عند الدوس على البسط . ولهذا السبب يلبس الحذاء الخارجى مكعوباً

ويحمل المصريون فى خنصر اليد اليمنى خاتماً[3] من العقيق أو غيره ينقش عليه اسم حامله ويصاغ عادة من الفضة . ويرفق الإسم غالباً بعبارة خادمه (أى خادم الله أو عبده) أو بعبارات أخرى تعبر عن إيمان الشخص بالله الخ . وكان الرسول (ص) يستقبح استعمال الذهب ، ولذلك قلما يلبس المسلمون خواتم من ذهب . ولكن النساء يتحلين بمختلف الحلى (من خواتم وأساور الخ) من هذا المعدن الثمين

ويستعمل الخاتم لختم الرسائل وغيرها من المكاتبات !

(١) مركوب
(٢) ويسمى (مز) أو أكثر صحة (مزد) من التركية (مست)
(٣) وقد يوضع فى أى أصبع من أصابع اليد اليسرى

ويعتبر الخاتم أصدق من إمضاء اليد[1] ، وطريقة ذلك أن يلطخ الخاتم بقليل من الحبر بإصبع من الأصابع ، ثم يضغط على الورقة بعد أن يأخذ الشخص من ريقه بأصبع آخر ويبلل المكان المراد ختمه . وكل فرد تقريباً يحمل خاتماً متى كان يستطيع ذلك ولو كان خادماً . ويضع محترفو الكتابة والعلماء وغيرهم فى منطقتهم دواة «دواية» من الفضة أو النحاس الأصفر أو النحاس الأحمر ، وهى عبارة عن محبرة أو صندوق به أوعية للحبر والأقلام . ويحمل البعض بدلاً منها أو علاوة عليها مطواة أو خنجر ، وتلك عادة قديمة . أنظر حزقيال ، الإصحاح التاسع الآية الثانية[2]

ويحمل المصريون شُبُكهم معهم أينما حلوا (إلا فى المساجد) أو يحملها لهم خدمهم ؛ وإن كانت العادة لم تجر بالتدخين فى الشوارع . وهم يضعون كيس التبغ فى صدر القفطان الذى يتهدل فوق الحزام ، كما يضعون فيه أيضاً مناديلهم المطرزة بالحرير والمرصعة بالذهب ، بعد أن تطوى باعتناء

وقد رغب الكثير من أفراد الطبقة الوسطى أن ينفوا عنهم فكرة الإثراء فيرتدوا فوق ملابسهم مئزراً قطنياً أسود اللون لا تميزه عن مآزر العامة ميزة

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) ولذلك يعتبر إعطاء الخاتم لأى شخص آخر دليلا على الثقة
(٢) ونصه : وإذا بستة رجال مقبلين من طريق الباب الأعلى الذى هو من جهة الشمال . . . وفى وسطهم رجل لابس الكتان وعلى جانبه دواة كاتب

في الليـــــل !

للأديب عبد الرحمن الخميسى

« في الليـل على فراشي طلبت من تحبه نفسي ... طلبته فما وجدته »
[التوراة]

أسدل الليل يا حبيبى ستوره — وَمَشى فى جوانب المعموره
كاهناً تخفق الشموع على كفـ — ـيه حيرى كأنها مذعوره
حالماً يعقد الضباب حواليـ — ـه أكاليل فى الدجى منثوره
شاعراً ينقل النسيم أغانيـ — ـه وتندى جواؤه المسحوره
ساحراً يبهر النفوس ويلقى — بعصاه على الرياض الشجيره
شادياً ينصت الوجود لموسيـ — ـقاه حتى كأنها منظوره
عابداً تنظم الصلاة إليه — ومحاريبه السماء الكبيره
ذاهلاً أغرق الدنى فى ذهول — مستحب إلى القلوب الكسيره
صامتاً تضجر المروج بنجوا — ه ولكنه وسيع السريره
ساهماً يرقص الخيال حواليـ — ـه ويجرى الربيع فيه عبيره
راحماً يلجأ الحزين إليه — بشكاياته الدوامي المريره
شاع فى جوه السكون ومدت — فيه أنغامها النجوم المنيره
وجرت خلفه الظنون وحاطته — طيوف مجنحات سحيره
فهو للبائس الطريد عذاب — يمسح الفجر فى الفضاء سطوره
وهو للعاشق الوفى سميع — يتلقى عن حبه أسطوره
وهو للشاعر الكئيب ملاذ — ينفض الدمع فى صواه الضريره
أقبل الليل ! آه يا ويلتا من — مقدم الليل للنفوس الكسيره
أقبل الليل ! فاستبدت بقلبى — حسرات على عهودى الخضيره
وسرى فى دمى حنين وشوق — مبهم ... آه ما أشد سعيره
وسعت حولى الهموم وناشت — ذات نفسى كأنها مسعوره

* * *

أقبل الليل فارتطمت كأنى — موجة فوق شطه المحبوب
قذفت بى إليه أشواق روحى — وشجونى وحسرتى ولهيبى
وارتياحى إلى الظلام ويأسى — وحنينى إلى السكون الرحيب
واغترابى عن الأنام كأنى — زهرة بين جلمد وجديب
وهروبى من الحقيقة يا ليـ — ـل فأترع بخمرة الوهم كوبى !
آه ! إنى أريد أنسى غرامى — وجراحى وذكريات حبيبى
أبعدوا الصورة الجميلة عنى ! — أبعدوها لتخمدوا تعذيبى !
أبعدوا الصورة الجميلة عنى ! — أبعدوها فإنها لحبيبى !
فهى فى مسبح الهواء تهادت — رقة تبعث اشتياق القلوب
وهى فى جبهة السماء هلال — يتغنى بنوره تشبيبى
وهى فى الظلمة المديدة نسك — شاع فى رحبها الندى الرطيب
وهى فى البحر ! والسماء ! وفى النو — ر ! وفى سحمة الظلام الرهيب !
وهى فى الأرض كلها .. حيوات — ومثال لكل حسن نشيب
صاغها الله من مفاتن هذا الـ — ـكون فناً لكل فن ذهيب
أبعدوا الصورة الجميلة عنى — أبعدوها لتخمدوا تعذيبى !
كيف أنى أريد أنسى غرامى — وجراحى وذكريات حبيبى ؟
ولقد أطبقت جفونى ولكن — قد تراءت رسومه فى جفونى
أيها الليل قد فزعت إلى عطـ — ـفك من ظلم حرقتى وكروبى
أنا أهواك يا ظلام فأطفى — لى دراريك واستمع لنحيبى !
ولتكن فى النسيم منك شكاتى — إزوها للسماء عن مكروب !

* * *

أيها الليل ليتنى كنت نجماً — عائماً فى مياهك الزرقاء
أقطع الظلمة الأثيثة لما — ن إلى مخدع الحبيب النائى
ثم أضفى عليه منى خيوطاً — نحتويه فى ضمة رعناء
لأروى بقبلة منه نفسى — تطلق الروح من أسى وعناء
وأحلى بسحر عينيه ذاتى — ثم أزهى على نجوم السماء
غير أنى يا حسرتا آدمى ! — قيدتنى أرضيتى فى بنائى !
أيها الليل ليتنى كنت عصفو — راً طليقاً مع السنى والهواء

كنت نقرت فوق نافذة المحـ … بوب أدعوه لاستماع غنائي

ليغني معي ويحكم قيدي … بين كفيه راضيا بشقائي

غير أني يا حسرتا آدمي ! … قيدتني أرضيتي في بنائي

أيها الليل ليت أني هواء … سابح في حديقة زهراء

أجمع العطر من ثغور الأقاحي … والرياحين في مدى أحنائي

ثم أمضي إلى حبيبي عليلا … أسكر البدر عنصري بالضياء

أحمل الطيب في فؤادي إليه … وأقري حياله أحشائي

لأكون الأنفاس في رئتيه … ولأحظى في صدره بفنائي

غير أني يا حسرتا آدمي ! … قيدتني أرضيتي في بنائي

أيها الليل! ليتني كنت روضا … مورق الزهر، وارف الأفياء

نمقت صفحتي أنامل حسنا … ء ربيعية الندى والرواء

كنت نسقت من ورودي تاجا … لحبيبي كهالة البيضاء

غير أني يا حسرتا آدمي ! … قيدتني أرضيتي في بنائي !

* * *

أيها الليل يا مقيل الحيارى … والمساكين في البلاء الشديد

في دمي ثورة يبث لظاها … هاجس ألهبته نار الصدود

وعلى مهجتي يؤز التياع … جائع للوقود بعد الوقود

وأنا بين ما أعاني خفيف … أتهاوى في قلبي المهدود

نهزة للشجون لكن روحي … تتخطى إليك كل السدود

خذ بنفسي إلى السلام وهدئ … سورة الوجد في فؤادي العميد

وامسح السهد عن عيوني وضمم من … زفراتي النشيد تلو النشيد

فارتقاب الوصال أمر بعيد … خلقته ليس كالسها بالبعيد

وحرام على الغرام ضياعي ! … وحلال في ظله تغريدي !

وحرام على العذاب اجتياحي … وأنا ما بلغت عمر الورود

وحرام على العيون التواني … حيرتني، في بعدها تشريدي

وحرام على الهوى يا حبيبي … أن يحيل السعيد غير سعيد !

وحرام على الليالي طوافي … حول أهوالها الهضاب السود

وأنا ما خلقت إلا لأشدو … في ركاب من الجمال فريد

أيها الليل ! في فؤادي ليل … زاخر الموج ليس بالمحدود

وسيهتز في ضلوعك فجر … يوقظ الطير للنهار الجديد

وأنا مظلم الجوانح ظمآ … ن إلى فجري المنير الفقيد

لي رجاء في رحمة الله لما … وسعت في الوجود كل الوجود

أن ينير الحياة في قلبي الدا … جي ويقصي عني هزيم الرعود

فأنا زورق يضلله الإع … صار عن شطه الأمين الوحيد

* * *

حجبوها! ومن سيطلق أسرا … ب الأماني إلى وكور حياتي؟

حجبوها! ومن ينضر أغرا … سي ويجني مع الصبا ثمراتي؟

حجبوها! ومن يجمل عيشي … ويغذي بحسنه صبواتي ؟

ولمن جئت بأغرامي إلى الدنـ … يا ؟ ومن ذاته تكمل ذاتي؟

حجبوها! فمن يهدهد أشوا … قي إليها ولهفتي وشكاتي؟

أيهذا القضاء لا كنت يا غا … در ! فرقت في اللهيب شتاتي

وشربت الدماء من غور قلبي … واختطفت الضياء من بسماتي

وغرست الهموم في ذات نفسي … كحراب تدك في جنباتي

وزرعت الأشواك في طرقاتي … وأرقت الذهول في نظراتي !

فعبرت السنين كالطائر المحـ … موم أقتات من رمال الفلاة

أين عشي وأيكتي وغديري … ورحيقي وزهرتي ولداتي ؟

ولماذا أبعدتني يا زماني … عن حماها ! فأظلمت طرقاتي؟

أنا أهواك يا شقيقة روحي ! … أنا أهواك يا حياة حياتي !

فنيت نفسي في هواك كالمو … ج في النهر في الخضم العاتي

وتلاشيت في غرامك، واهتا … جت من الشوق والجوى حرقاتي

أنت شطري وكيف يبعد شطري … ثم تخبو إذا نأى حسراتي ؟

أنت إشراقة من الله تنسا … ب وتمحو بنورها ظلماتي

أنت معنى فوق الجمال رفيع … أتسامى إليه في صلواتي

قربيني من الإله وهاتي … ما تشائين من كئوسك هاتي

وخذيني إليك في كل معنى … من معانيك يا حياة حياتي !

(القاهرة) — عبد الرحمن الخميسي



جواب

أجيب عن سؤال الأستاذ الفاضل « ح . ح » بأن « الهناء » لفظ عربيّ صحيح ، والله يحفظه

وحيد

البيئة ونزع العمائم

ذكر الأستاذ الكبير الدكتور زكي مبارك تحت موضوع البيئة في عدد ٤١٨ من الرسالة المحبوبة أن الذين زاروا الأندلس من أهل الشرق كان فيهم من دهش حين رأى بعض القضاة يجلسون للحكم بين الناس ورءوسهم عارية ، ولم يفهم أن هذا من تأثير البيئة ، فأهل أوربا ينزعون أغطية الرءوس في المواقف الجدية وبهم تأثر العرب في الأندلس ... الخ

بهذا التأثير الغربي حكم الدكتور كما قدمت ، وبه قطع ، وبه استشهد ، وبه يريد أن يقوّم ما اعوجّ من بعض أبناء زمانه ساعده الله عليهم ... فإن صح هذا الحكم على أن أهل الأندلس تأثروا بالبيئة الأندلسية فبمن تأثر أهل الشرق وعمن أخذوا نزع العمائم في بعض المواقف وبيئتهم تختلف اختلافاً كبيراً عن بيئة الأندلس؟ ومن أخبار تلك المواقف الجدية الشرقية البغدادية الرواية الآتية : قال صاحب الأغاني في (ج ٩ ص ٩٧)[1] : قال الراوي حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وعمامتي علي فخلعت عمامتي ونبذتها وراء ظهري والخلفاء لا تعزى في العمائم ... الخ

فعلى هذا أرجو من الدكتور المبارك أن يدلي برأيه في هذه الرواية ولحضرته من أبناء الشرق وتاريخه الحديث كل التحيات

(بغداد) عبد الحميد الساكني

النفط

جاء في مقال الأديب الأخ أحمد الشرباصي أن كلمة نفط عربية الأصل ، ولكن يا سيدي الأديب جاء في كتاب منشة بري أن النفط هو سائل أفضل من زيت الزيتون للمعابد وخصوصاً في ليلة السبت . وهذا الكتاب مطبوع في بغداد من قبل ١٧٠٠ سنة فهو دليل على أن هذا الإسم عبراني لا عربي . والرجاء من علمائنا اللغويين وهم الأفاضل الأيوبي بك والعوامري بك والنشاشيبي بك أن يفيدونا هل نفط عربية أو يوجد لها اسم آخر بلغة العرب ؟ ولهم الشكر من قراء الرسالة .

(القدس الشريف) داود أحمد العازوري

لحبيب أم لابن عبد ربه ؟

في « يتيمة الدهر » للثعالبي ج ١ ص ٤٠٠ الأبيات الآتية منسوبة إلى حبيب بن أحمد الأندلسي وهي :

ودعتني بزفرة واعتناق   ثم نادت متى يكون التلاقي
وتصدت فأشرق الصبح عنها   بين تلك الجيوب والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم   بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أفظع يوم   ليتني مت قبل يوم الفراق

وقوله :

هيج البين دواعي سقمي   وكسا جسمي ثوب الألم
أيها البين أقلني مرة   فإذا عدت فقد حلّ دمي
يا خليّ الروع نم في غبطة   إن من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبي سقما   حب من لو شاء داوى سقمي

وفي «العقد» لابن عبد ربه ـ المجلد الرابع ص ٤١ ـ عند ما تكلم في التوقيع ينسب هذه الأبيات إلى نفسه . فهل أخطأ الثعالبي في التحرير ، أم كذب ابن عبد ربه وادعى لنفسه ما لم يقل ؟ نريد من الأستاذ إسعاف النشاشيبي أن يسعفنا بالقول الفصل وله منا الشكر ومن الله حسن الجزاء

أحمد حسن علي شعيب

كتاب « محمد فريد » لعبد الرحمن الرافعي بك

لم يُكتب إلى اليوم تاريخ مصر الحديثة كاملاً ، وإلا فأين صفحات فلان وفلان من أبطال جهادها والذادة عن حقوقها ؟ وإذا كان تاريخ « محمد فريد » — وهو من زعمائها الآحاد — كادت تغمره الحوادث في لجة النسيان حتى نشأ الناشئ وهو لا يدري عنه إلا ما لا غناء فيه فكيف بمن هم دون فريد أثراً ؟ لقد عني بعضهم داخل الجامعة وخارجها بالكثير من الموضوعات التاريخية ، فقرأنا لهم المباحث الطيبة في شتى فترات التاريخ ، ولكنا لم نجد بين إنتاجهم التاريخي شيئاً عن مصر الحديثة المجاهدة

(١) طبعة بولاق

ولقد قيل كثيراً : إنه يصعب كتابة تاريخ الأيام القريبة لاعتبار سياسى ؛ وهو قول ينبغى الأخذ به ، فالمؤرخ الحق لا يعرف شيئاً يمكن أن يجور به فى عمله عن قصد السبيل ؛ والإنسانية استطاعت الآن إلى حد كبير أن تحمى العلم الخالص من كل تحكم ظالم ؛ وإن أناساً هنا وهناك نشروا مذكراتهم ، أو تآليفهم التاريخية ، وفيها مساس كبير بالمعاصرين ، فخرج عملهم على حظ عظيم من الإحسان والدقة ... هذا ، ووثائق التاريخ المصرى الحديث لمّا تندثر ، وفرصة تمحيص رواياته أكثر اليوم مواتاةً للباحثين ؛ ونشر صفحاته ستفيد منه الأمة وناشئتها بصفة خاصة خيراً كثيراً ؛ وإذن فليس يجمل إهمال هذه الاعتبارات جميعاً تلقاء الخوف من اعتبار واحد فيه ضعفه .

لا غرو بعد هذا إن نحن قابلنا كتاب « محمد فريد » للرافعى بك ، وهو إحدى حلقات سلسلته الذهبية فى تاريخ مصر القومى بالكثير من الغبطة والتقدير ... فهو تأريخ كامل للفترة الواقعة بين سنتى ١٩٠٨ و ١٩١٩ ، تلك الفترة التى لا نغالى إذا قررنا أن شبيبتنا التى لم تدركها تجهلها ، أو — على أحسن الفروض — تجهل الكثير من أحداثها

ولقد جمع الرافعى فى كتابه ما يكاد يُطلع القارىء على كل ما كان فى هذه الحقبة الهامة فى تاريخ النهضة المصرية ، وكأن القارىء الشابّ عاشها فعلاً ، ولكن لا كفرد عادى يعرف شيئاً وتغيب عنه أشياء ، بل كفرد وثيق الصلة بالحركات المختلفة للنهضة ، مطّلع على دقائقها

ولن يجد الشباب فى كتاب الرافعى كتاباً تاريخياً دقيقاً فحسب ، ولكنهم سيجدون فيه أيضاً سيرةً مثاليّة توجّه نزعاتهم الطامحة

سيَرونَ الجهادَ والمثابرة فى أسمى صورهما ، وسيَرونَ كيف يكون الزهد فى المنصب والجاه ، وكيف يكون التفانى فى المثل العليا بأوفى معانيه . وسيرون السعى السلمى المنظم لإيقاظ الشعور الوطنى ، وترقية الأفكار العامة ، وإحراز الدستور . وسيرون مولد الكثير من المشروعات الإنسانية فى نواحى الاقتصاد والاجتماع والتعليم ، وسيرون فى جنباته صوراً كثيرة لأدب تلك الفترة ، وسيجدون أمامهم من الوقائع والروايات ما يستشفّون منه الواضعات الاجتماعية والسياسية وتتئد

وسيرون — وما أنفع وما أروع ! — سيرون العنت الماثل بلحق بأسلافهم المجاهدين فيزيدهم إيماناً ! سيرون كيف كانت المطالبة بالحقوق جريمة يحاكم فاعلوها بالحبس مع الشغل .

وسيرون الأخلاق الواهية ، وكيف ينبعث من بنى الوطن من يكيدون للوطن وخدام الوطن . ثم سيرون فى تاريخ الوطنية أحداثاً لم يعهدوها إلا فى تاريخ الأديان : سيرون الهجرة والفتن والرِّدّة ! وسيرون بعدُ حاملَ الرسالة لا يهن ولا يهون

ليقرأ الشباب هذا الكتاب ليروا فريداً المجاهد تمذ به الغُربة ، وتؤوده العلّة ، ويود لو انتقل إلى مكان فى نفس أوربا أرحم بمرضه فلا يستطيع لضيق ذات يده ! ثم ليروه وهو المصاب بأدواء الكبد والاستسقاء ، والذى يبادر مشفى ليدخل آخر ، وينتهى من عملية القيلة المائية ليمانى (نزل) الماء الراشح فى تجويف بطنه ... تارة بالتسمة لترات ، وتارة بالسبعة عشر لتراً ... ليروا هذا المريض المجهود يدع البلد الذى آنس فيه بعض الشفاء وينفر إلى المؤتمر الدولى الاشتراكي فى (لوسرن) ليرفع فيه صوت مصر !

وسيتابع الشباب فى الكتاب حياة « فريد » حتى تأفل ، وسيسمعون قوله والمنيّة ترنّق عليه : « لست أخاف الموت ، لأنه حق ، ولكن كل ما كنت أتمناه أن أرى مصر متمتعة بتمام استقلالها ! »

وسيسمعون إلى وصيته الدافقة وطنيـة وأسى وشعراً : « فإذا متّ فضعونى فى صندوق ، واحفظونى فى مكان أمين ، حتى تتاح الفرصة لنقل جثتى إلى وطنى العزيز الذى أفارقه وكنت أود أن أراه ! »

أما بعد ، فقد ترك لنا الأستاذ الرافعى سبيلاً ننقد منه كتابه القيم ، فهو يتعقّب عامداً زعيماً بعينه يبحث له عن زلات ، ويفسر الكثير من تصرفاته بما يسىء إلى سيرته ؛ والرافعى قد يكون رجلاً حزبياً سياسياً يتلمس الأسباب لرفع مذهب على مذهب ، وينظر إلى عمل خصمه السياسى نظرة تبدى المساوىء ؛ فهو لذلك قد يكون معذوراً فيما صنع ، ولكننا كنا نؤثر أن يغلب الطابع العلمى التاريخى المحض على كتابه المظيم

وفى الكتاب أخطاء مطبعية يضيق المقام عن سردها ، ونرجو أن يبرأ منها فى طبعاته التالية إن شاء الله

وللأستاذ المؤلف شكر الوطن القادر صنيعه ووفاءه

(المنصورة) لبيب السعيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 403

Lundi - 29 - 9 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٣٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ رمضان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١١٩٣	عبرة من « نظام أوربا الجديد »	الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
١١٩٥	الحديث ذو شجون ...	الدكتور زكي مبارك ....
١١٩٨	من أخلاقنا : حق الضيافة	الأستاذ على الطنطاوى ...
١٢٠٠	نشيد الانتقام	الأستاذ جليـــل ... ...
١٢٠٤	ناحيــة من طاغور يجب أن نفهمها نحن	الأستاذ حسين مروة ...
١٢٠٨	أدباء ومدرسون	الأستاذ محمد سـعيد العريان
١٢١١	الوضع الصحيح للاصلاح الاجتماعى	الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر
١٢١٤	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	المستشرق ادورد وليم لين ... بقـلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٢١٧	الدمعة الخرساء ! [قصيدة]	الدكتور إبراهيم ناجى ... ...
	فى وادى التيـه «	الأديب عبـد الرحمن الخميسى
١٢١٧	فيناها ... ... «	الأديب أحمد أحمد العجمى
١٢١٨	حول التعليم فى العراق ...	الأستاذ محمد محمود رضـوان
١٢١٨	حول كتاب الأستاذ الرافعى من فريد بك – أدعياء الشعر	الأستاذ على عبـد الله ...
١٢١٩	على هامش القاموس السياسى : « أفغانستان »	الأستاذ محمد هارون الجددى
١٢١٩	إلى الأستاذ النشاشيبى ...	الأديب عبد المنعم سليمان مسلم
١٢٢٠	تعقيب	الآنسة الفاضلة فدوى طوقان
	فى الفنــة	الأستاذ « ح . ح » ...

عبرة من « نظام أوربا الجديد »

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

« نظام أوربا الجديد » عنوان إن هو إلا زواق خادع ، خلعته الدعاية النازية على سياسات شيطانية تؤسسها القوة الألمانية فى أوربا ، لتستغل بها الشعوب المغلوبة وتستفحل ، فتمد رواق سيادتها حيث توجد مطامعها من العالم القديم إلى الجديد ، إن هى خرجت ظافرة من هذه الحرب الضروس

وقد استعار إينْتسِج(1) ذلك العنوان لكتابٍ فنّد به « ما تدعيه النازية من أن الدول الأوربية التى تخضع لسلطان ألمانيا ستتمتع برخاء منقطع النظير فى تاريخ البشرية » فى ظل هذا النظام ، وكشف « عن الخطط المحتملة التى تدل التجارب على أن النازيين سوف يتبعونها فى المستقبل » . فلله درّه !

دعاية تحارب دعاية ! لكن « إينتسج » جاء بحقائق وعبر يجب أن يتأملها الناس ، عسى أن تستنير بها بصائر ، وترتفع أوهام ، ويتبين مآل كل حال . وحسب الشرقيين موعظة قوله :

(١) (Paul Einzig) باول اينتسج ، من علماء السياسة والاقتصاد ولد سنة ١٨٩٧ فى ترنسلفانيا (جنوب الكاربات ، بين رومانيا والمجر) وتجنس بالجنسية الانجليزية سنة ١٩٢٩ .

« الشرط السياسي الأساسي لقيام نظام أوربا الجديد هو وجود جيش ألماني . . . بحال تمكنه من غزو البلاد التي يريد غزوها من غير أن يلقى مقاومة تستحق الذكر ، يكفي لقيام الأحوال السياسية التي يحتاجها إنشاء النظام الجديد »

ولذلك فإننا غير واثقين من أن البلاد التي يشملها هذا النظام ستحتلها قوى ألمانيا العسكرية بصفة دائمة ... وأكبر ظننا أن بعض أجزاء من البلاد المفتوحة ستضم بالفعل إلى الدولة الألمانية ... لكن ألمانيا قد تجد من الملائم لها مع ذلك أن تقيم عدداً من الدول الخاضعة لسلطانها مستقلة بالاسم عنها ، ولكنها خاضعة لها خضوعاً تاماً[1] . . .

ولن ينقضي أجل الاحتلال الألماني للبلاد المفتوحة حتى يقام فيها نظام للحكم موال لألمانيا . ولربما اتخذوا من وعدهم بجلاء الجيوش الألمانية وسيلة يحصلون بها على تأييدهم في إنشاء نظم للحكم صورية تكون ألعوبة في أيديهم . أما الأمم التي تظهر عدم رغبتها في قبول « حقائق الموقف » ، فستنذر بالضم إلى الدولة الألمانية ...

إن قيام هذه الحكومات المحلية بالأعمال الإدارية العادية يوفر على برلين عناء كبيراً ، ويمكنها من أن تتفرغ لوضع قواعد سياستها العامة . يضاف إلى هذا أن جزءاً من العداء الذي يوجه إلى ألمانيا إن أدارت هي شؤون البلاد ، سيتحول تياره نحو هؤلاء الحكام ، فإذا لم يطق الناس حكمهم لشدة كرههم إياه ، استبدلت بهم طائفة أخرى من الخونة الذين لا يستنكفون أن يخدموا المصالح الألمانية ...

وليس من المحتم أن يكون الذين يقبلون الاشتراك في هذا العمل الاداري خونة ، فقد يشعرون بأنهم يخدمون أمتهم إذا قاموا بالعمل المادي الضروري لحياة المجتمع الحديث[2]

(١) ويقول في سياق كلامه : « ستجعل ألمانيا من هذه البلاد بلاداً زراعية لكيلا يكون ثمة خطر عليها هي ، وستحرمها بذلك حرماناً دائماً من كل فرصة تمكنها من الوقوف في وجه القوة الصناعية والحربية للدولة الألمانية صاحبة الحول والطول . وفوق هذا فإن ألمانيا سترقب بعين يقظة الحاصلات الداخلية والواردات الآتية إلى البلاد التي ستتخلى من سيطرتها الحربية المباشرة عليها . فستسيطر ألمانيا بمقتضى قواعد النظام الجديد على التجارة الخارجية لهذه البلاد سيطرة تامة . وستحول هذه السيطرة بينها وبين شراء الأسلحة من البلاد الأجنبية » . ص ٣٠ و ص ٣١ .

(٢) وهؤلاء ، في أغلب الظن ، لايزعمون أنهم القادرون والمتصرفون في السياسات القومية العليا ، ولا يحيدون في أعمالهم من الصراط المستقيم

ولكن الذي نرجحه أن تقوم سياسة ألمانيا في البلاد التي تحت سلطانها على إيجاد طوائف من الخونة مختلفين ، نازيين أو غير نازيين يعارض بعضهم بعضاً . وقد تكون الأحزاب النازية المحلية المتنافسة أصلح الطوائف لهذا الغرض ، فإذا لم تكن كذلك فإن ألمانيا لن تتردد في أن تقدم معونتها لأي نظام يخضع لمشيئتها وإن لم يكن قائماً على المبادئ النازية ...»[1]

تلك إذن هي السياسة النازية العاملة في البلاد الأوربية ، وهي من ظواهر المنطق الألماني الذي يوهم صاحبه أنها سياسة يعمل بها حتى غير الألمان ، فيقول استى[2] مثلاً في كلام على التوسع الامبراطوري البريطاني في مصر : « وجد لسوء الحظ في مصر ، كما وجد في الهند ، خونة للوطن ظنوا أنهم بعون الانجليز يستطيعون الاستيلاء على الحكم ، وبهذا نجحت في البقاء بمصر سلطة أجنبية ما كانت أبداً لتستطيع التسلط على بلد متحد حول الفكرة القومية »

لو وقع ذلك في مصر لكانت حالها حينئذ عين الحال التي يفرضها الألمان من الآن على أمم أوربا المغلوبة وهي ليست بأقل منهم إنسانية ، وإن أنكرت ذلك النازية المتغطرسة حتى على الآريين من غير الجرمان

وإذا كان شأن الألمان مع الأوربيين أنفسهم هو ما علمت فما الظن بما يستحلون في استعباد الشرق واستغلاله واستيعاب ثروته ، إن قدر لهم النصر في النهاية ؟

حقاً إن في بيان إينتسبج لعبرة يجب أن يعتبرها كل مخدوع أو مخادع وهو غافل عن الحقائق

محمد توحيد السلحدار

(١) الصفحات ٢٧ إلى ٢٩ و ٣١ إلى ٣٤ — ويقول كذلك : « قد يسمح الألمان بحكم الضرورة الوقتية إلى بعض الأمم المغلوبة أن تعتقد أنها ستتعاون مع المغلوبين معاونة الند للند ، ولكن الألمان لا يلبثون أن يستردوا من فورهم ما منحوه لهذه الأمم من امتيازات متى زالت الضرورات العملية التي أملت عليهم هذه السياسة . فإذا كانت هذه الأمم المغلوبة بعيدة النظر ، فإن عليها أن تعلم أنها لن تستفيد شيئاً من محاكاة نظم حكمها السياسية ، كما أن الأرقاء في الدولة الرومانية لم يكونوا ليستفيدوا شيئاً إذا ما خدعوا أنفسهم واعتقدوا أنهم مواطنون رومانيون » ، ص ٣٧

(٢) (Johannes Stoye) يوحنا أستى راجع الصفحة ١٣٠ في كتابه المترجم من الألمانية « انجلترا في العالم »

L'Angleterre dans le Monde Payot 1935 ·

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الدراسة الجامعية كما يفهمها الأستاذ أحمد أمين — كيف تقترب ومعك قلمك ؟ — الشكوى إلى ضريح الامام الشافعي تصور يأس الناس من العدل في الأرض ، فهم يلتمسونه في السماء — إلى وزير الأوقاف — مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية …

الدراسة الجامعية

للأستاذ أحمد أمين آراء تظهر من وقت إلى وقت ، فتدل على مبلغ فهمه للحياة الأدبية والاجتماعية . وهي آراء لا تحتمل النقض ، لأنها في الأغلب واهية البنيان ، والمِعوَل لا ينقضّ إلا على البناء المتين

وآخِرُ ما صدَر من تلك الآراء ، هو حكمه على الدراسة الجامعية ، فهو يرى أنها « تجعل من الحبة قُبَّة ، ومن الهزل جدًّا ، وإن شاءت فمن الجد هزلاً » ؛ ثم يقرر بعبارة صريحة أن الدراسة الجامعية : « تميت الحى وتحيي الميت ، فهى تحيي اللاتينية واليونانية والحبشية والأكادية وقد ماتت ؛ وهى تميت الحى ، فتدرس اللغات الحية دراسة تميتها وتُفقدها روحها ، وتُبعد عن تذوّقها ، ولذلك قلّ أن تُخرج الجامعة أديباً شاعراً أو كاتباً ، وإنما تخرج أديباً ناقداً أو أديباً عالماً ؛ ومن كان أديباً من رجال الجامعة فمن طبعه ونفسه ، لا من الدراسات الجامعية ، وإن شئت فقل إنه أديب برغم الدراسات الجامعية ، لا بفضل الدراسات الجامعية »

ذلك ما قاله الأستاذ أحمد أمين في العدد ١٤٢ من مجلة الثقافة الغراء ، وهو أعجب ما صدر عن هذا الرجل المفضال

وقبل أن أنقض رأيه في الدراسة الجامعية أقرر أن كلية الآداب لا تُطوَّق بهذا الرأى ، ولن يكون حجة على أساتذتها وطلابها وخريجيها ، فيشمت فيهم الدِّرعميُّون والسكلفريون[1] . فكلية الآداب هى صوت مصر الأدبى في الشرق ، ولن يضيرها أن يخطئ أحد المنتسبين إليها بكلمة يكتبها في وقت لم يكن يصلح فيه لجد ولا لعب ، كما صرَّح بذلك في تلك الكلمة الواهية

ثم أواجه الموضوع فأقول :

أتكون مهمة الدراسة الجامعية أن تجعل من الحبة قبة ؟ أم تكون مهمتها أن تمنع الحبة من أن تصير قبة ، وأن تحمى القبة من أن تصير حَبَّة ؟

المنطق يوجب أن تكون مهمة الدراسة الجامعية هى إقرار الحقائق في نصابها الصحيح ، بلا تزيّد ولا تحيّف ، وإلا كانت دراسة بهلوانية !

ثم أقول : كيف يكون واجب الدراسة الجامعية أن تجعل من الهزل جداً ، ومن الجد هزلاً ؟

يصح أن يقال إن الدراسة الجامعية ترى كل شيء صالحاً للدرس ولو كان من الهزل ، لأن العلم جِده جد وهزله جد ، ولـكن كيف يصير الجد هزلاً بفضل الدراسة الجامعية ؟

ثم يحكم بأن الدراسة الجامعية « تدرس اللغات الحية دراسة تميتها ، وتفقدها روحها ، وتُبعد عن تذوّقها »

فن أين أخذ هذا الرأى ؟ وعمن سمع هذا القول ؟

أتكون الحالة كذلك في كلية الآداب لهذا العهد ؟

ثم يرى الأستاذ أحمد أمين أنه يقلّ أن تُخرج الجامعة أديباً ، شاعراً أو كاتباً ، وإنما تُخرج أديباً ناقداً أو عالماً . فهل يستطيع أن يدلنا كيف تستطيع الجامعة أن تُخرج الأديب الناقد أو العالم وهى تدرس اللغة دراسة تميتها وتفقدها حيويتها وتبعد عن تذوقها ؟

إن الأصل المتفق عليه أن النقد هو إدراك الصلات الوثيقة بين الألفاظ والمعانى والأغراض ، فإذا صح أن الدراسات الجامعية تنحرف بالأستاذ والطالب عن ذلك الأصل فكيف تخرج الجامعة أديباً ناقداً وقد تسلّم على أساس منخوب ؟

والأصل في العلم أن يصل بصاحبه إلى فهم الحقائق على ما هى عليه ، فكيف تخرج الجامعة أديباً عالماً وقد أبعِد عمداً عن تذوّق الجمال الأدبى ؟

كيف تقترب ومعك قلمك

قرأت خطابك يا صديقى ، وعزّ علىّ أن يقع في حياتك ما يزعجك ، ولو شئت لنصصت على اسمك وبلدك لتكون

---

(١) « الدرعميون » : أبناء دار العلوم ؛ « والسكلفريون » : أبناء كلية اللغة العربية

الوساطة جهيرة الصوت ، لا يصدها تهيب ، ولا يسترها حجاب ، ولكن حرصى على استقلالك يمنع من هذه الوساطة الجهرية ، فما أحب لأرباب الأقلام أن يحتاجوا إلى أسندة من العطف والإشفاق على صفحات الجرائد والمجلات ، وإن كان ذلك من الأساليب المألوفة فى العصر الحديث

إن الذى يعوزك هو الثقة بنفسك ، لتأنس بقلمك ، فلا تشعر بضجر الاغتراب فى بلدك وبين قومك ، فقد كتب الله الغربة على أهل الفكر والعقل ، ولو عاشوا فى رحاب عشيرتهم الأقربين ... ألا تذكر قول أبى تمام فى اغتراب أحد الفضلاء :

غَرَّبته العُلا على كثرة الأهـــل فأمسى فى الأقربين جنيبا
فليَطل عمرُه فلو مات فى « مَرْ وَ » مقيماً بها لمات غريباً

فما رأيت أصدق من هذين البيتين فى وصف ابتلاء أهل الفضل بالغربة والتوحّد ، وإن كانوا محفوفين بالمئات من الأصحاب والسُّجَراء ، ولا نظرتُ فى هذين البيتين إلا حمدت الأقدار التى قضت بأن يكون فى ماضينا الأدبى معانٍ كهذه المعانى ... طيّب الله ثراك ياحبيب !

على أنه لا بد من لومك على ما استجزت من إعلان التبرم بالناس ، ففى رسائلك إلىّ ما يشهد بأنك على جانب من الغفلة ، فقد كنت تتوهم أن الناس سيقيمون لك التماثيل فى حياتك ، لأنك واجهتهم بالطرائف الروحية والذوقية ، وفاتك أن تذكر أن « كل ذى نعمة محسود » وأن الفضل قد يعد من أكبر الذنوب ، لأنه يمنح أصحابه سلطاناً لا يزول ، ولأنه الآية الباقية على الزمان ، الآية التى تشهد بأن لله حكمة فى إعزاز أرباب المواهب ، ولو كانوا فقراء الجيوب ، والفقر فقر القلب لا فقر الجيب ...

يجب أن تعرف أن الذين يحاربونك لأنك جهرت بهذا الرأى أو ذاك ، لا يحاربونك مجاهدين ، وإنما يحاربونك مغتاظين ، فهم حطب جهنم ، ولو غطّوا أقوالهم بألف رداء من أردية الرياء

هل تفهم قول أبى فراس ؟

ومن شرفى أن لا يزال يعيبنى حسود على الأمر الذى هو عائب

إفهم هذا البيت ، فما وجدت من يفهمه على الوجه الصحيح

معنى هذا البيت أن الشاعر يؤاخذ بأقوال وأعمال يتمنى عائبوه أن تكون من زادهم المكسوب ، وكذلك يتمنى خصومنا أن تخلع عيوبُنا عليهم ، لأنهم يعرفون أنها عيوب رجال ، وعيوب الرجل هى العسف والسيطرة والاقتحام فى ميادين لا يطيقها غير الفحول

فإن صدَقت فِراستى فيك فستكون لك أنصبة ضخام مما يجيده صاغة الزور والبهتان ، وسيكون حاضرك وماضيك هدفاً لكل أفاك أثيم ، إلا أن ترى الأقدار أنك جدير بالرحمة من حَمل الأمانة الفكرية والعقلية ، فتردك شبحاً لا يثور عليه حاقد ولا حاسد ولا جهول

إسمع ، يا صديق !

فى كل ميدان تقوم جماعة من أهل الشجاعة والاستبسال ، فهذه جماعة تقاتل فى ميدان الوطنية ، وتلك جماعة تخاطر فى ميدان الاقتصاد ، إلى آخر ما أعرف وتعرف من أنواع الجماعات ، فكيف يخلو ميدان « الفكر الحرّ » من جماعة تصاول فى سبيل حمايته من طغيان أهل الغفلة والجمود ؟

وكيف يخلو زماننا من رجال يضحون بمنافعهم فى سبيل الحرية الفكرية ؟

وبأى وجه نلقى الله إذا تراجعنا وبأيدينا أسياف الحق وهى أقلامنا ؟

الجبن جائز على أى مخلوق ، إلا أن يكون من حَمَلة القلم أو السيف ، فإن كنت منا فأقدِم غير هيّاب ، وإلا ففى ميدان السلام الرخيص متسع للجبناء

أخوف مايخافه المفكرون من أبناء هذا العصر هو أن تصبح أعراضهم مضغة فى أفواه الغافلين والجاهلين ، وما خطَرُ ذلك وهو هباء فى هباء ؟

إن لحومنا لحوم الأسود ، ولا تدخل مضغة منها جوف رجل إلا مزقته أفظع تمزيق ، وسوف يعلم المرجفون نبأ هذا النذير بعد حين

ثم اسمع ، يا صديق

هل تعرف الأثر الذى يقول « من مات غريباً مات شهيداً » ؟

كان المفهوم أن المراد هو الغربة الجسمية ، كأن يموت الرجل فى بلد غير بلده ، فكيف يصير من يموت وهو فى غربة روحية أو عقلية ؟

عند الله ندخر الجزاء على هذا الاغتراب ، وكيف يغترب من

يأنس بالله ويكاد يراه فى كل وقت وفى كل مكان ؟

إليك أوجه أشواق ، أيها المحبوب ، وذلك هو اسمك عند الصوفية . إليك أوجه أشواق ، فلولا الإيمان بسمو حكمتك فى خلق الوجود على هذا الأسلوب لكانت الإقامة فى بعض نواحيه جحيما لا يطاق

وأنا مع ذلك عاتب ، فما الذى يمنع من أن ترفع الحجاب لأعرف بعض ما أجهل من أسرار هذا الوجود

لقد هديتنى فعرفت أن لك حكمة فى خلق « الكوبرا » وهى أشرس الحيات ، لأن سمها ينفع فى دفع أشرس الأمراض وهو السرطان

فتى تهدينى لأعرف حكمتك فى خلق الدساسين والنمامين والمفسدين والمرجفين من صاغة الزور والبهتان ؟

أيكونون من « الكوبرا » الآدمية ؟ !

العدل بين الأرض والسماء

كتب أحد الوعاظ كلمة فى إحدى المجلات رداً على ما قلت فى الوعاظ وقد أراد ذلك الواعظ أن يذكرنى بأهمية الوعظ فذكر أشياء يجب أن ينزه عنها الجمهور المصرى ، ومن تلك الأشياء تقديم العرائض إلى ضريح الإمام الشافعى ، لينصف المظلومين من الظالمين

وكلام هذا الواعظ حديث معاد ، فقد قيل هذا الكلام قبل مئات السنين ، وهو لا يدل على فكر ولا عبقرية ، لأن أصغر متعلم يدرك أن الأمر بيد الله وحده ، وأن الشافعى لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً أو نفعاً ، فجهاد الوعاظ فى مثل هذا الشأن التافه جهاد فى غير ميدان

ولكن هذه العرائض لها مغزى فلسفى لا يفطن إليه ذلك الواعظ اللبيب ، وذلك المغزى هو اليأس من العدل بين أبناء الأرض ، والشعور بأن العدل لا يصدر إلا عن السماء

ومن هم المحتكمون إلى الإمام الشافعى ؟

هم جماعات من العوام عجزوا عن تقديم غرمائهم إلى ساحات القضاء ، لأنهم لم يجدوا الرسوم ، أو لأنهم لم يجدوا الشهود ، أو لأن حقوقهم على غرمائهم بلغت من الخفاء مبلغاً لا يفصل فيه غير السماء ، لأن قضاة الأرض لا يحكمون إلا بعد ظهور الأدلة والبراهين ، وهى لا تظهر فى جميع الأحيان

هل سمعتم أن وزارة العدل كلفت أحد رجالها درس تلك الشكايات ؟

كل ما يقع هو اهتمام الشيخ القائم على الضريح بتمزيق تلك العرائض حتى لا يجدها الشاكون فى أماكنها عند رجوعهم إلى الضريح ، وبذلك يفهمون أن الإمام الشافعى أخذها بيديه الكريمتين ليدرسها بعناية ، وليصدر حكمه الصارم على الظالمين

وإنما يفعل ذلك شيخ الضريح ليضمن عودة أولئك العوام بالنذور والهبات ، فهل أدبته وزارة الأوقاف ليكف عن عمله « المقبول » ؟

وكيف نعيب على العوام أن يستعينوا بالإمام الشافعى ، وجمهور المتعلمين فى مصر يؤمن بأن لا تقديم ولا تأخير بغير الوساطات والشفاعات ؟

إلتفتوا مرة واحدة إلى هذه المعانى ، ياجماعة الوعاظ ، ولا تكتفوا بإعادة الدروس التى تلقيتموها عن أشياخكم ، وهى دروس لم تصل بهم ولن تصل بكم إلى يقين

إلى وزير الأوقاف

وزير الأوقاف لهذا العهد هو أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية من قبل ، والتفاتاته الذهنية تجعل الفرصة مواتية لدرس هذا الموضوع الدقيق

وأنا أقترح أن يؤلف لجنة لدرس الشكايات التى توجه إلى الوزارات المصرية لنعرف فهم الشعب لقدسية العدل ، ولنعرف أسباب يأسه من إنصاف القضاء

فإن أجاب — وسيجيب — فقد نظفر بفكرة فلسفية تؤكد القول بأن لا جديد تحت الشمس ، وأن الذين يقدمون شكاياتهم إلى الوزارات الإسلامية كان لهم أجداد يقدمون شكاياتهم إلى الوزارات الوثنية ، والمعنى واحدٌ عند أولئك وهؤلاء ، ومرجعه الأول هو اليأس من عدل الأرض ، والشواهد تنطق بأن لهذا المعنى وشائج فى الحياة المصرية

يجب أن تصادق سكرتير الوزير لتصل إلى الوزير

ويجب أن تصادق سكرتير الوكيل لتصل إلى الوكيل

فما ذنب العوامّ فى أن يتوهموا أن الحضرة السماوية لها

من أطرافنا :

حق الضيافة

للأستاذ على الطنطاوى

قد أكون على موعد يفوتنى بفواته خير عظيم ، ولا يبقى بينى وبينه إلا مقدار ما ألبس ثيابى وأمشى إليه ، فيجيئنى ضيف لا حاجة له عندى ، ولا خير له فى زيارتى ، ولا يبتغى منى إلا أن يدفع الملل عن نفسه بالبقاء ساعتين أو ثلاثاً عندى ، فيسقط فى يدى ، وأحار فى أمرى : إن استقبلته ضيعت موعدى ، وإن رددته أضعت « حق الضيافة » وتعرضت لسوء الأحدوثة ؛ ثم أختار أهون الشرين : فأرحب به وأدعوه ، وآمل أن أفهمه حقيقة حالى وأعجل له بالقهوة فينصرف . . . وأجلس بين يديه متململاً متضايقاً ، وأتلطف فى إفهامه والاعتذار إليه ، فلا يحفل بى ولا بموعدى ، ولا ينظر إلا إلى نفسه ورغبته فى قطع الوقت بهذه الزيارة ، فيقعد آمناً مطمئناً ، يحدثنى حديث السياسة ، ويسألنى عن الروس واليابان ، والصين وتركستان ، ويعرض علىّ رأيه فى الأنظمة التى ستعم العالم بعد الحرب ... ويفيض ويسهب ، وأنا أتقلب على النار ، ويبقى على ذلك حتى لا يبقى لى منفعة من الذهاب ، ولا يمكن تدارك ما فات ، فينصرف ليتحدث عنى بأنى لقيته بجفاء وخشونة ، وكلمته باقتضاب وإيجاز ، ولم أوفّه « حقوق الضيافة » !

وقد أكون مستغرقاً فى مطالعة ، أو منصرفاً إلى كتابة قد جمعتُ لها ذهنى ... فيجيئنى ضيف ، فأنزل إليه لأسمع منه لغو الحديث ، فيتفرق ما اجتمع من ذهنى ، وتفسد علىّ مطالعتى ، وإن أنا بعثت من يقول له : « ليس هنا » أكون قد كذبت ، وإذا اعتذرت إليه بمطالعتى أو كتابتى أكون قد قصّرت فى « حقوق الضيافة » !

وقد يأتى الضيف ومعه ولده ، فيعبث بالكراسى والمناضد ويكسر الكأس ، وربما أمره أبوه بأن يتسلى باللعب مع أولاد الدار ، فينطلق كالجنّ ... فيفسد كل ما يمر عليه ويزعج الأهل ويأتى كل كريهة ، فإذا زجرته أو كففته أو أفهمت أباه أنه ليس من الذوق ولا من التهذيب أن يُحمل ابنَه — أعنى عفريته — إلى بيوت الناس ، أكون قد فرطت فى « حقوق الضيافة » !

وإن كانت ولية أو عقد ودعوت عشرين رجلاً ، جاءوك ومعهم عشرون ولداً ، فتنقلب الدار إلى مدرسة أو إلى مارستان ويتحول المضيف إلى معلم أو قاضى أولاد ، وقديماً قال المثل العامى : « قاضى الأولاد شنق نفسه » ... فإذا وقفت على الباب خادماً يمنع دخول الأولاد ، غضب الآباء المدعوون ، وانصرفوا ساخطين على هذا الذى لا يعرف « حقوق الضيافة » !

وقد يكون لك عدو تعرّض لك بأنواع الأذى ، وأراك فنون العدوان ... ثم نشأت له حاجة عندك ، فزارك فى دارك ، وأبى أن يشرب قهوتك حتى تقضى حاجته ، وربما كانت حاجته أن تنجح ابنه فى الامتحان ... فإذا قضيتها خنت أمانتك وعاد إلى مضارتك ... وإن أبيت عليه وأعرضت عنه ، وأفهمته أن سكرتارية أرضية ، وهم يشهدون تأثير الشفاعات والوساطات فى جميع الشؤون ؟

ما ذنبهم وهم بفطرتهم من أهل القياس ؟

وهل يفهم هذا الكلام بعض من يتصدرون لهداية هذا الجيل ؟

افتحوا عيونكم وقلوبكم وعقولكم ، يا قادة الرأى فى هذه البلاد ، فإن لم تفعلوا فسيكون للقلم معكم تاريخ

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

كتب إلينا جماعة من الناجحين فى امتحان الثقافة العامة يرجون أن تلتفت مجلة الرسالة إلى تشريح الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربى ، على نحو ما صنعتْ فى السنة الماضية . وأجيب بأن شواغل هذه الأيام لن تصرفنا عن ذلك الواجب ، وسنشرع فى تأديته بعد أسبوع أو أسبوعين ، بحيث يستطيع طلبة السنة التوجيهية أن يدركوا أسرار تلك المؤلفات قبل الامتحان

وأنا أعيد الرجاء الذى وجهتُه إلى أصدقاء الرسالة فى السنة الماضية ، وهو التفضل بمشاركتى فى أداء هذا الواجب ، رعايةً لحقوق أولئك الأبناء

أما الذين فازوا فى مسابقة العام الماضى فلهم منا أطيب التهانى ، ثم أصدق الرجاء فى أن يظلوا أمناء للحياة الأدبية ، ولو اتجهوا إلى العلوم والرياضيات . والله عزّ شأنه ولى التوفيق .

زكى مبارك

الامتحان أمانة ، وأن ابنه ضعيف كسلان لا يجوز نجاحه ، كنت اللوم العاتب ، لأنك لم تحفل « بحقوق الضيافة » !

* * *

والضيف يزورك حينما يحلو له لا حين يحلو لك ، ويبقى ما طاب له البقاء عندك ، ولا شأن له بفراغك ولا بشغلك ، ولا بضيق وقتك ولا بتعب أهلك ، فنى الغداة تجوز الزيارة ، وفى الضحى وعند الزوال ساعة الغداء ، وفى الظل وقت الراحة ، وفى الأصيل وفى الليل . وقد يصل الزائر هذه الأوقات كلها بعضها ببعض ، فيشرفك بزيارته من الصباح ويلبث (يؤنسك) إلى وقت النام ، وقت منامه هو لا منامك أنت ، وربما زارك أقرباؤك ، أو أقرباء أقربائك بنسائهم ورجالهم وأطفالهم ؛ وأقاموا عندك (صلة للرحم) أياماً وليالى ، ونغصوا عليك عيشك ، وأفسدوا نظام دارك ، وأنت مضطر إلى السكوت لا تستطيع أن تقول شيئاً يمس (حق الضيافة) . وربما زارك الزائرون فى محل عملك ، فشغلوك عنه وأكسبوك غضب رؤسائك ، وسخط زملائك

* * *

ولقد كان الكرم والشجاعة عماد الأخلاق عند العرب وشمارها وجماع أمرها ، لمكان البداوة من حياتهم ، فقد كانوا يعيشون فى قفار قاحلة وقرى كالقفار ، لا فندق فيها ولا مطعم ولا خان ، وما للنازح فيها عن داره إلا أن ينزل ضيفاً على كريم يؤويه ويقريه ، ولم يكن فى بلادهم شرطة ولا نيابة ولا سجن فلم يكن للرجل إلا سيفه يعتصم به ، فتعودوا الشجاعة والكرم حتى صار ذلك طبعاً لهم وخلقاً ، وبالغوا فيهما وجانبوا القصد ، فبلغوا التبذير وقاربوا التهور ، وكان عذرهم فى ذلك أن الرجل منهم يطعِم حتى يطعَم ، ويقرى الطارق الغريب كى يُقرَى هو طارقاً غريباً ، واستمر ذلك إلى الإسلام ، بل لقد بولغ فيه بعده حتى أتى القوم بهذه العجائب التى نقرأ أخبارها فى الكتب . وانتهى ذلك إلينا فنشأنا على تقديس (حق الضيافة) وتقديمه على سائر الحقوق ، ورفعه مكاناً علياً لا يناله النقد ولا التقويم ، واتهام من يقول فيه مثل مقالتى باللؤم والبخل . لذلك أقدمت عليها متردداً يدفعنى إليها أننا فى مطلع حياة جديدة يجب فى مثلها تمحيص الأخلاق والعادات وتقويمها والإبقاء على النافع منها وطرح ما لا فائدة منه بعد ما تغير الزمان ، ولا يكون ذلك إلا بالخروج من ربقة التقليد الذى لا يفيد ، ومنه تقليد أجدادنا الأولين فى هذا الكرم القبيح الذى ذمه الله وسماه تبذيراً ، وجعل أهله إخوان الشياطين ، والقصد فى الأمر والتوسط فيه ، ووضع الأمور فى مطارحها ولو أن حاسباً مستقرياً نظر فيما ينفق عندنا فى كل سنة على الولائم والأعراس والمآتم من الأموال لهاله الحساب ، ولرأى أن هذه الأموال التى تنفق فيما لا طائل تحته ، ولا موجب له إلا التقليد الضار ، يمكن أن ينشأ بها من المدارس والمصانع ما يرفع أمتنا درجات فى سلم الارتقاء فى آن قريب ، فضلاً عما يكون فيه من راحة البال ، واضطراد الأعمال ، ودفع المكاره التى ذكرت أمثلة عليها فى مطلع هذه المقالة

وإذا كانت الحاجة هى التى علمت أجدادنا هذا الكرم ، فأى حاجة تدفعنا إلى الاستمرار عليه ؟ وما هو الضرر الذى ينال الضيف إن قلت له : أنا الآن مشغول فزرنى إن شئت فى وقت آخر ؟ ولم نخاف من ذلك وهو من آداب ديننا ، وقد كان من خلائقنا قبل أن نتخلق به الإفرنج ؟ وماذا يضر الأهل والأقربين أن يهنئوا بالمولود فلا يشربوا (الكراوية) ، وأن يحضروا (العرس) فلا يأكلوا الرز واللحم والبقلاوة ، وما هم فى صحراء كصحراء العرب يحتاج فيها إلى القِرى ، ولا هم جياع قد حضروا للطعام ، وليس المقصد إلا الاجتماع وقد حصل ؟ لقد خبرنى صديق صادق مطلع أن نفقات عشر ولائم فقط من أوسط ما يكون فى الأعراس أو المآتم تكفى لفتح مدرسة ابتدائية تتسع لمائتى تلميذ ، فما قولك بنفقات الولائم كلها وسكاكر الأعياد وهدايا الولادة والعرس ؟

* * *

أنا لا أرتقب من الأمة أن تقرأ هذه المقالة وتنام ليلتها فتصبح وقد نبذت هذه العادات وحددت آداب الزيارة ، وتنكبت سبيل التبذير ، فإن هذا ما لا يكون ، وإنما أرتقب أن أجد من القراء من وهبه الله الجرأة فى الحق ، والرغبة فى الإصلاح فيسن للناس سنة (فى هذا الباب) حسنة يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، كما صنع فى دمشق شيخها الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله ، وعادات الأفرنج فى الزيارات والولائم أصلح فى الجملة مما نحن عليه اليوم ؛ وتقديرهم للوقت أشد ، وهذا كله

نشيد الانتقـــام

شاعر الجرمان الأعظم

لأستاذ جليل

ألا إن قصيداً عبقرياً يصوغه (أبو محرز خلف) راوية العرب ومبدع تلك الطائفة من عبقرياتهم ، ويختاره (أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى) أكبر شعراء العرب ومختار تلك الدواوين[1] الفائقات من أشعارهم ، ويطلع عليه (ولفغنغ غوث) أعظم شعراء الجرمان ومفكريهم فيروقه ويطربه بل يبهره فينظمه ، وإنما يعرف العبقرى العبقرى — لحقيق جد حقيق بالرواية فى (الرسالة) كتاب العرب، وديوان العلم والأدب . فخذوا هذا النشيد، وخذوا هذى السطور فى ابن غوث

وقد نقلت الشرح لهذه القصيدة فى ديوان الحماسة وأضفت إليه مالم يفسره التبريزى وأبو العلاء، وما رأيت فائدة فى إيراده راجعاً فى ذلك إلى هذه الكتب : المصباح ، الإفصاح ، الصحاح التاج ، اللسان ، المخصص ، النهاية ، الفائق ، الأساس ، تهذيب الألفاظ ، كامل المبرد ، بلوغ الأرب ، مجمع الأمثال ، كتاب سيبويه ، شرح المفصل ، شرح الكافية ، مبهج ابن جنى ، خزانة الحموى ، شرح المتنبى للعكبرى ، شرح شواهد سيبويه ، شرح المقصورة الدريدية

والمأمول أن تكافأ (الرسالة) بما تصنع فيكاف الأساتذة الكرام فى كل إقليم عربى الطلاب فى أعلى صف ابتدائى وفى الصفوف الثانوية ، وفى الصفوف فى الكليات — إستظهار (نشيد الانتقام) . وإنه لمن الكفر فى دين الأدب ألا يحفظ شعراً عربياً أدهش شاعرَ الدنيا — جميعُ أدباء العرب

***

نشيد الانتقام

قال ثابت بن جابر[1] :

(إن بالشِّعب الذى دون سَلعٍ لقتيلاً ، دمُـــه ما يُطلُّ)

(الطل) مطل الدم والدية وأبطالها . دمه لا يذهب هدراً

قلت : (الشعب) الطريق فى الجبل ، والجمع الشعاب

(خلَّف العبء علىَّ وولّى أنا بالعبء له مُستقِل)

(العبء) الثقل ، والمراد به ههنا طلب دمه . قلت : أقل الشىء واستقله : رفعه وحمله . ومن المجاز هو لا يستقل بهذا الأمر : لا يطيقه .

(ووراء الثأر منى ابن أخت مَصِعٌ ، عقدته ما تحل)

(المصع) الشديد القاتلة ، الثابت ههنا.

قلت : يقال : إنه لمصع بالسيف . والماصعة المجالدة بالسيوف ، والمجالدة : المضاربة

(مُطرقٌ يرشح سَمًّا كما أطـ رق أفعى يَنفثُ السم صِل)

قلت : أطرق : أرخى عينيه ينظر إلى الأرض ، ورجل مطرق : كثير السكوت . وفى حديث أم سلمة : نهش الرقشاء المطرق . (الصل) الحية الدقيقة الصفراء . يشبه الرجل بالصل إذا كان داهية ، قال النابغة :

ماذا رُزئنا به من حية ذكر نضناضة بالرزايا ، صل أصلال

(خبرٌ ما نابنا مُصمئِلُّ جلَّ حتى دق فيه الأجلُّ)

(مصمئل) : شديد

(١) ديوان الحماسة أحدها ، ومن دأب أبى تمام فى هذا الكتاب أن يختار له المقطعات ، وقد يأخذ من القصيدة الطويلة بضعة أبيات ، ولم يثبت إلا ثلاث قصائد كاملة لم يحذف منها شىء ، قصيدتنا هذه إحداها ، ولا ريب فى أن أبا تمام رأى فيها ما رآه الشاعر الجرمانى الأعظم ، ومعلوم أن قسمة حبيب من العبقرية ليست قليلة

(١) هو تابط شرا . وتعزى القصيدة إلى ابن شقيقه . . . السيد (الشنفرى) والخال وابن الأخت كلاهما فى الشر والنرو بطل . . .

من آداب الإسلام ، والسلف كلهم كانوا على مثله، فلنقتبسه عن الأفرنج إذا كنا لا نتبع فيه سلفنا الصالح ، ولنجعل للزيارة آداباً وأوقاتاً ، ولنعلم أن (حق الضيافة) لا يقدم على حق المواعيد ، ولا حق العمل ، ولا حق الأهل ؛ وأن ردَّ الضيف أهون من احتمال الأذى ، وإخلاف الوعد ، وترك العلم ، وإضاعة الأشغال ولنجعل إمامنا قول الله جل وعز « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » . صدق الله العظيم

علي الطنطاوى

(بزّنى الدهر ـ وكان غشوماً ـ بأبىٌّ ، جاره ما يُذَلّ)

(بأبى) الباء دخلت للتأكيد زائدة ، ويجوز أن يكون عدى (بزنى) بالباء لما كان معناه فجعنى ، فيكون من باب ما عدى بالمعنى دون اللفظ

قلت : بزه غلبه وغصبه ، وبز الشيء : انتزعه ، وأصل البزة (أى اللباس) من بززت الرجل أبزه إذا سلبته ، فسمى اللباس بما يؤول إليه من السلب ...!

(شامس فى القُرّ حتى إذا ما ذكت الشعرى فبردٌ وظل)

أى هو كريم ، وشامس أى ذو شمس ، يعنى أن من لجأ إليه فى القر وجده كالشمس التى تدفئ المقرور ، ومن لجأ إليه فى القيظ وجد لديه برداً وظلاً

قلت : الشعرى : كوكب نير ، طلوعه فى شدة الحر (ذكت) اشتد حرها ومراده طلوعها . وذكت الشمس ذَكاء ، ومنه قيل لها ذُكاء وللصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئها ، واشتقاق ذُكاء من ذكو النار وهو تلهبها

(يابسُ الجنبين من غير بؤس وندى الكفين ، شهم مُدل)

يريد أنه يؤثر بالزاد غيره على نفسه ، ومن عادتهم التمدح بالهزال . (الشهم) الذكى الحديد (المدل) هو الواثق بنفسه وآلاته

قلت : (البؤس) : الشدة والفقر (الشهم) الذكى الفؤاد والشهم السيد النافذ النجد

معنى (يابس الجنبين من غير بؤس) ـ كما أراه ـ أنه يتفحل ويخشوشن — غير مفتقر — كلفا بالرجولية والفحولة ومقتا للتخنث والتأنث والترف . وهل يفسد المرء بل الأمة كلها جماء إلا الترف ، إلا فرط التنعم والدعة . وأقوال ابن خلدون وغيره فى هذا المعنى مشهورة

كتب عمر (رضى الله عنه) إلى أهل حمص لا تَنبّطوا فى المدائن ، ولا تعلموا أبكار أولادكم كتاب النصارى ، وتمعززوا ، وكونوا عرباً خُشُناً

(لا تنبّطوا ...) أى لا تتشبهوا بالأنباط فى سكنى المدائن والنزول بالأرياف ، أو فى اتخاذ العقار واعتقاد المزارع ، وكونوا مستعدين للغزو ، مستوفزين للجهاد (الأبكار) الأحداث (تمعززوا) من المعز وهو الشدة والصلابة . وقد نهى (رضى الله عنه) عما نهى عنه لأن القوم وقتئذ بعوث لإبلاغ الرسالة ،

فاليوم فى حمص وغداً فى الصين أو الأندلس

أين عمر ، أين أبو حفص عمر ، أين تلميذ محمد ؟!!

(ظاعنٌ بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل)

(غيث مُزْنٍ غامرٌ حيث يُجدى وإذا يسطو فليث أَبَلْ)

(الأبل) الصمم الماضى على وجهه لا يبالى ما لقى

(مُسبِلٌ فى الحى أحوى ، رفِلٌ وإذا يغزو فسِمعٌ أزلٌ)

(مسبل) من أسبال الإزار والبرد لأنهم يصفون ذا النعمة بذلك، وإنما يحمدون ذلك فى حال الدعة والأمن ، فأما فى الشدائد وعند الحرب فإنهم يمدحون الرجل بالتشمير . (الرفل) الطويل الذيل . (أحوى) الذى به حوة ، وهى سواد فى الشفتين محمود ، أو مسبل شعراً أحوى أى أسود لأنهم كانوا يوفرون لممهم ، ويصفون الشاب بحسن اللمة . (أزل) الزلل خفة العجز ، وذلك خلقته

قلت : السمع سبع مركب لأنه ولد الذئب من الضبع ، وفى المثل : (أسمع من سمع) ويقال أيضاً : (أسمع من السمع الأزل) — : (أى الخفيف الوركين ، قليل لحم العجز والفخذين) لأن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجاء . قال :

تراه حديد الطرف أبلج واضحاً أغر طويل الباع ، أسمع من سمع

وليس فى الحيوان شيء عَدْوه كعدو السمع لأنه أسرع من الطير ، يقال : وثبات السمع تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً . .

(وله طعمان أرْىٌ وشَرْىٌ وكلا الطعمين قد ذاق كل)

(الأرى) يراد به العسل ، وإن كان فى الأصل عمل النحل

قلت : (الشرى) : الحنظل ، وفى المقصورة الدريدية :

لىَ التواء إن معادى التوى ولى استواء إن مولى استوى

طعمىَ شرى للعدو تارة والراح والأرى لمن ودى ابتغى

(يركب الهولَ وحيداً ولا يصحبُه إلا اليمانى الأفل)

قلت : سيف أفل : ذو فلول ، وفلوله كسور فى حده . وسيف أفل : ذم لما به من الخلل الظاهر، ومدح لما ضرب به كثيراً . سأل عروة بن الزبير عبد الملك أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله ، فأخرجه فى سيوف منتضاة ، فأخذه عروة من بينها ، فقال له عبد الملك : بم عرفته ؟

فقال : بما قال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(وفُتُوٍّ هجّروا ثم أسْروا ليلهم حتى إذا انجاب حلّوا)

(فتو) جمع فتى (هجروا) ساروا فى الهاجرة . يريد أنهم وصلوا السير بالسرى

(كلُّ ماض قد تردى بماض كسنى البرق إذا ما يسل

ارتدى بسيفه ، وتردى ، واعتطف به ، ويسمى السيف الرداء والعطاف

قلت : (السنى) : الضوء . كل رجل ماض قد تردى بسيف ماض .. (الماضى) الجسور المقدم ، والماضى الأسد لجرأته والسيف لنفاذه فى الضريبة . مضى السيف مضاء قطع

(فادركنا الثأرَ منهم ولما ينج مِلْحيّين إلا الأقل)

قلت : (ملحيين) من الحيين ، حذف النون لسكونها وسكون اللام من الحيين كما قالوا فى بَلْعنبر وبلحارث — يريدون بنى العنبر وبنى الحارث — ونحو من هذا قول قطرى :

غداة طفت عَلْماء بكرُ بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم

أراد على الماء ، ولا يقولون مثل هذا فى بنى النجار ؛ لأنهم لو قالوا : بَنْجار لحذفوا النون ، وقد أعلوا اللام بالادغام ، فكان ذلك إجحافاً بالحرفين

ومن طريف ما وجدته فى باب الاختصار أو الاختزال ... فى الألفاظ ما ورد فى حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) : أن امرأة ابن مسعود سألته أن يكسوها ، فقال : إنى أخشى أن تدعى جلباب الله الذى جلببك به !

قالت : وما هو ؟

قال : بيتك[1]

قالت : أجِنّك من أصحاب محمد تقول هذا ... ! !

أجنك أصله من أجل أنك أو لأجل أنك

(فاحتسوا أنفاسَ نوم فلما هوّموا رعتهمُ فاشمعلّوا)

(اشمعلوا) جدوا فى المضى ، رجل مشمعل أى جاد خفيف

قلت : حسا المرقة واحتساها وتحساها . (النفَس) الجرعة . ومن المجاز احتسوا أنفاس النوم ، (هوموا) إذا كان النوم قليلاً فهو التهويم . وفى حديث رقيقة : بينا أنا نائمة أو مهومة : التهويم أول النوم وهو دون النوم الشديد :

(فلئن فلّت هذيلٌ شباه لبما كان هذيلاً يفُلّ)

(الشباة) حد الشىء ، إن كانت هذيل تمكنت منه فكسرت حده فهو بما كان يؤثر من قبل فى هذيل

قلت : فى قصيدة أعشى بأهله التى يرثى بها المنتشر :

إمّا يصبك عدو فى مُناوأة يوماً فقد كنت تستعلى وتنتصر

إما سلكت سبيلاً كنت سالكها

فاذهب فلا يبعـدنك الله منتشر

فى مناوأة : يقول فى وتر

(وبما أبركها فى مُناخ جَعْجَع ينقَب فيه الأظل)

(الجعجع) مناخ سوء ، وهو الأرض الغليظة (الأظل) باطن الخف (ينقب) يحفى . والمراد فيما كان ينال منهم ويحملهم على المراكب الصعبة

قلت : (المناخ) أصله الموضع الذى تناخ فيه الإبل . وأناخها : أبركها فبركت . واستناخت بركت ، ومن المجاز : هذا مناخ سوء : للمكان غير المرضى

(وبما صبّحها فى ذَراها منه بعد القتل ذهب وشلّ)

قلت : (ذراها) مأواها ، مكانها . الذرى كل ما استترت به ، يقال : أنا فى ظل فلان وفى ذراه ، أى فى كنفه . (الشل) : الطرد ، ومر فلان يشلهم بالسيف أى يكسَؤهم — يتبعهم ويطردهم —

صليَتْ منى هذيل بخِرق لا يملّ الشر حتى يملوا

قلت : الخرق : السخى الكريم الجواد يتخرق فى السخاء ويتسع فيه . والكريم الجواد شجاع ، والشجاعة أخت الكرم ، والخرق : الفتى الكريم الخليقة

(ينهل الصعدة حتى إذا ما نهلت كان لها منه عل)

(الصعدة) : القناة تنبت مستوية ، وجمعها صعدات ـ بفتح العين ـ لأنها اسم ، ثم قيل فى المرأة المستوية القامة والأتان الطويلة ... صعدة ، وهى وصف لها ، ويجمع حينئذ على صعدات — بسكون العين — لكونها صفة

قلت : النهل : الشرب الأول وقد نهل وأنهلته أنا ، والعل والعلل : الشربة الثانية ؛ وقيل الشرب بعد الشرب تباعاً ، ومن المستعار علّه ضرباً أى تابع عليه الضرب

(١) مقالة العلامة الدكتور منصور فهمى بك : (نساؤنا بين التقاليد والتجديد) فى (الرسالة) — قرئت وشكرت ، وإذا لم يهد القوم الزائغين الضالين — العلماء الهادون المهديون ، فمن يهدى ومن يرشد ومن يدل على طريق الخير !

(حلت الخمر وكانت حراماً وبلأى ما ألمّت تحـل)

(ما ألمت) يجوز أن تكون (ما) صلة، ويجوز أن تكون مع الفعل بعده فى تقدير المصدرية. (بلأى) ببطء. ألمت حلالاً أو إلماما حلالاً (الإلمام) الزيارة الخفيفة، وتوسع فيه فأجرى مجرى حصلت عندى

قلت: فى حديث أم أيمن (رضى الله عنها) فبلأى ما استغفر لهم، أى بعد جهد ومشقة وإبطاء. ويقولون: لأياً عرفت. وبعد لأى فعلت. قال زهير:

فلأياً بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوك ظماء مفاصله

نصبه على المصدر الموضوع موضع الحال، والتقدير حملنا وليدنا مبطئين ملتئين. (المحبوك) الشديد الخلق (الظماء) القليلة اللحم، وهو المحمود منها، وأصل الظمأ العطش

قالوا: إن من عادتهم تحريم الخمر على أنفسهم حتى يدركوا ثأرهم، قال امرؤ القيس:

حلت لى الخمر وكنت امرأ عن شربها فى شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

يقول هذا حين قتل أبوه ونذر ألا يشرب الخمر حتى يثأر به، فلما أدرك ثأره حلت له

اشرب: سكنت الباء ضرورة، ومن يرد هذا ينشد: فاليوم أسقى أو فاليوم فاشرب (الواغل) الداخل على الشُّرْب ولم يُدع

فاسقنيها يا سوادَ بنَ عمرو إن جسمى بعد خالى لخل

(الخل) المهزول. (سواد) رخمه عن سوادة، ولك أن ترويه: يا سواد بن عمرو

قلت: فى (يا زيد بن عمرو، ويا هند ابنة فاطمة) يجوز فى زيد وهند وجهان: الضم على الأصل والفتح للاتباع، وحق الصفة أن تتبع الموصوف، وههنا قد تبع الموصوف الصفة، والفتح يختار ولا يجب، وقد ذهب بعضهم إلى وجوبه

هذا البيت يذكرنا ببيتين فى (الجناس المنوى) لأبى بكر ابن عبدون، فقد قال وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها إلى الليل فصار خلاً:

ألا فى سبيل اللهو كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام بن قيس كان اسمها (الصهباء) والشنفرى قال: (اسقنيها ... البيت) والخل هو الرقيق المهزول فظاهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء، وخل وخل، وهما فى صدر البيت وعجزه. والجناس المنوى المضمر هو أن يضمر الناظم ركنى التجنيس، ويأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه، فإن تعذر المرادف أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبى بكر السابق، وهو أحسن ما سمع من هذا النوع

أنا ممن يقول: عوذٌ بالله من هـذا (البديع) وأهله، وما سطرت ما سطرت إلا إكراماً لتأبط شراً وابن أخته الشنفرى وخلف الفرغانى وغوث الجرمانى

(تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لهـا يستهل)

استعار الضحك للضبع، والاستهلال للذئب، وأصل التهلل والاستهلال فى الفرح والصياح

(وعتاق الطير تغـدو بطانا تتخطاهم فـا تستقـل)

يروى: تهفو بطانا وهفت تهفو بمعنى تطير، يقال: هفت الصوفة فى الهواء: إذا ارتفعت. يعنى بعتاق الطير أكلة اللحمان وعافية الجيف

قلت: العتيق: الخيار من كل شىء: التمر والماد والبازى، وعتاق الطير الجوارح منها، والجوارح من الطير والسباع ذوات الصيد لأنها كواسب أنفسها من قولك: جرح واجترح الواحدة جارحة. (بطاناً) ممتلئة البطون. (تتخطاهم) تخطو عليهم وتخطى الناس واختطاهم، ركبهم وجاوزهم. (تستقل) استقل الطائر فى طيرانه: نهض للطيران وارتفع فى الهواء، واستقلت الشمس فى الهواء: ارتفعت وتعالت

***

تم القصيد العبقرى، وكل شرحه الذى رجعت فيه إلى ما سميت فى المقدمة، وسأنشر الـكلمة الموجزة فى ناظمه بالملسان الجرمانى فى الجزء المقبل إن شاء الله تعالى

(***)

ناحية من طاغور

يجب أن نفهمها نحن . . .

للأستاذ حسين مروة

لم ترتعش روحى ارتعاشة الجزع فى تلك اللحظة وحدها : لحظة أذاع الأثير نبأ وفاة طاغور ، بل قد سرت فيها الرعشة كوجة الكهرباء منذ استطار فى العالم أن طاغور يعانى آلام المرض الخطير ، إذ اختلج فى إحساسى — حينذاك — أن هذه الإنسانية الكاملة التى تجتمع كلها فى شخص هذا العظيم ، قد أشرفت على ساعة الانتقال من دنيانا هذه إلى دنياها الجميلة فى ملكوت الله ، حيث تبلغ روح طاغور قمة الفرح الأسمى التى نشدتها بالحب الإلهى ، وبالتأمل فى جمال الأكوان التى (تحلها) روح الله .

قد اختلج فى إحساسى — حينذاك — أن إنسانيتنا المسكينة تكاد تلتهمها لجة اليأس بانقطاع هذا الخيط الجميل من نور الأمل الذى يمتد إليها من صوت طاغور .

وقد اختلج فى احساسى — حينذاك — أن أرضنا المعذبة تكاد تفقد فضلة إيمانها بالعدل والحق والخير ، بانطفاء هذا القبس الوهاج من إيمان طاغور .

وقد اختلج فى إحساسى ، كذلك ، أن ناس هذا الجيل تكاد تسكت فى جوانب ضمائرهم أصداء هذه الأنشودة الرخيمة التى يُترعها قلبُ طاغور رحمة ومحبة ودعوة صالحة للسلام ، فلا تتجاوب فى ضمائرهم — من بعدُ — إلا أصداء أنشودة واحدة تتعالى فى جوانب هذه الأرض من كل صوب ، يوقّعها قلبُ ماردٍ جبار يحدو بالإنسانية إلى هاوية الخراب والدمار : تلك أنشودة الحرب التى تجلجل اليوم فى الضمائر أكثر مما تجلجل فى الآذان .

ويا سرعان ما صدق القدر كل هذا الذى اختلج فى إحساسى منذ تأذن الأثير باشتداد وطأة المرض على جسم طاغور ، ويا سرعان ما أزفت لحظة القدر ، فإذا هذا الإنسان العظيم يصعد إلى القمة العليا لينعم بحبه فى كنف الحبيب الأعلى ، تاركا هذه البشرية تزحف فى السفح الرهيب بين الآثام والأرجاس كما تزحف الحشرات الدنيا فى الأقذار والأنجاس .

وبعد : لقد مات طاغور ، فمن هو طاغور ؟

أهو شاعر ؟ أجل : ولكن شاعر يتغنى بأشواق الروح ليطهر أشواق الجسد ، ويعلن نداء الخير ليسكت صرخة الشر ، ويشيد بجمال الموت ليسمو بجمال الحياة ، ويهدهد أحلام القلب ليزين جلال العقل ، ويعقد أفراح الأمل ليهدم أبراج اليأس

أهو فيلسوف ؟ نعم : ولكن فيلسوف يتسامى إلى ما وراء الطبيعة لا لكى يهجر بيت الطبيعة ، بل لكى يستجلى أسرارها على هدى من الإشراق الإلهى ، ويستخرج كنوزها بعون من القدرة العليا المبدعة ، ويستكشف فضائلها وخيراتها على ضوء من صفاء الروح ، وسمو النفس ، وبساطة الفطرة ، ووضوح العقيدة ، وحرارة الإيمان ، وهذه هى خلاصة فلسفة الشرق القديم مجلوّة بروح جديدة ، هى روح طاغور الصافية ، الطليقة ، السمحة

أهو صوفى ؟ أجل : هو كذلك ، ولكن أية صوفية هذه التى يلبس « جبّتها » طاغور ؟

هى لون جديد فى دنيا التصوف ، لون محبب للنفس ومحبب للعقل معاً ، لأنها صوفية جميلة أنيقة مترفة ، لا تتقشف ولا تتزهد ولا تتزمت ، وهى — حين تسمو بروح طاغور من دنيا البشر لتفنيها فى ذات الله فناء مطلقاً — لا تذهلها نشوة الفناء عن آلام بنى الإنسان وشقاء أبناء التراب ، وإنما هى تستمد من حبها الإلهى السامى ، ومن نشوتها الروحية العليا — فيضاً من الحب للانسانية جمعاء ، بل هى كلما أمعنت فى الاقتراب من الحبيب الأعلى أمعنت فى الاقتراب من الإنسانية : تتلمس آلامها ، وتتحسس أحزانها ، وتتأثر مواطن شقائها ، ذلك لكى تقيم الدليل ، بأسلوب من إلهام الروح ، على أن رابطة الحب السامى بين الله والإنسانية هى أسمى روابط الحب ، وهى أهدى طرق النجاة من هذه الآلام والأحزان وهذه الضروب المختلفة من الشقاء التى يعانيها الإنسان على هذه الأرض ، ولكى ترى هذه الصوفية المذبة على وضع الإدراك الصحيح —

يجب أن تقف بفكرك لحظة عند هذه الأغنية من أغانى (البستانى) التى يستهلها طاغور بنداء يهتف به أن : « قد آذنت شمسك بالمغيب واشتعل رأسك شيباً ، فحسبك غناء وإنشاداً ، بل آن لك أن تصغى وتصيخ إلى داعى (الند) فتقول : لبيك »

فبماذا يجيب طاغور هذا النداء ؟ :

« . . . من للقلوب وعواطفها ، وللعيون وأسرارها إذا أنا تبوّأت من ساحل الحياة صخرة صماء ولبثت شاخصاً إلى أكمة الموت وما وراءها[1] »

أتراه الآن صوفياً كهؤلاء الصوفيـة المتزمتين الغارقين فى لذاذة الفناء بالله حتى لا يحسُّون الحياة ولا تحسُّهم الحياة ؟

لا : بل إنك لتراه إنساناً طفحت نفسه بالحياة حتى تملأها إحساساً ، وتملكته رسالتها إيماناً وعشقاً ، واتحد فيها حبه الإلهى وحبه الإنسانى معاً ، وما الحياة — فى فلسفة طاغور — إلا مجلّى من مجالى الروح الإلهية العليا ، ومن هنا كان طاغور « الصوفى » منسجماً مع طاغور « القصصى » أو « الروائى » إذ تراه فى قصصه ورواياته يتناول صغائر حياة الناس ودقائقها يحللها ويجلوها صوراً إنسانية قوية الحركة والحيوية ، تثير فى النفس ألواناً من العواطف والإحساسات النبيلة . ومن هنا أيضاً كان طاغور « الصوفى » منسجماً مع طاغور « الشاعر » ذلك الانسجام نفسه ، فتصوف الرجل لا يعنى — فى الواقع — إلا الحب بأرحب معانيه : الحب المنبثق من نفس رحبة تحب الله لكونه هو الله ، وتحب الإنسان لكونه إنساناً ؛ وإنك إذا رأيت إنساناً يدعى الإغراق فى حب الذات الكلية العظمى ، ثم ينأى عن أخيه الإنسان ويضنُّ عليه بحبه ؛ فقل : إن هذا لا يعرف الله حقاً ، ولا يحبه حقاً ، وإنما هو يحب نفسه ليس غير : يشفق عليها من العذاب الخالد ، أو يرجو لها النعيم الخالد

ومن هذا كله ترى طاغور الشاعر ، والفيلسوف ، والصوفى ، والقصصى — يأتلف وينسجم مع طاغور «المصور» و «الموسيقى» أجمل وأتقن ما يكون الائتلاف والانسجام ، ذلك لأن شاعريته الرحبة ، وفلسفته المشرقة ، وصوفيته السمحة ، وفنه القصصى الحى — ليست هى كلها سوى مظهر من مظاهر رسالته الروحية التى شاء الله أن يلقيها إلى إنسان تتسع نفسه للتعبير عنها بكل ضربٍ من ضروب التعبير الجميل

أما طاغور « الإنسانى » فهو هو نفسه ذلك الانسان المتعدد الجوانب ، المتنوع «الشخصيات» ، وليست إنسانيته «شخصية» مستقلة مندمجة فى « شخصياته » تلك ، لأن الروح الإنسانى الشامل هو مركز القوة لكل ناحية من نواحيه ، بل تكاد تنحصر عظمة هاتيك النواحى بما تمدها به هذه الإنسانية الكبيرة من معانى السمو ، والسماحة ، والصفاء ، والشمول ؛ وبكلمة واحدة : إن جوانب طاغور المتعددة ، وإن مواهبه المتنوعة لتجتمع كلها فى هذه « الإنسانية » الرحبة فتؤلف منها شخصية واحدة تشبه الكل البسيط الذى لا يتجزأ ولا يقبل التحليل والتفكيك

بقيت ناحية واحدة أغفلت ذكرها فيما سبق عمداً لأنها هى الناحية التى أقصد إليها فى عنوان هذا المقال ، ولذلك أردت أن أتحدث عنها منفردة لكى أبلغ القصد الذى أرمى إليه ، وإن كانت هذه الناحية ليست إلا وجهاً من وجوه الصفة الإنسانية الغالبة على روح طاغور ، وأعنى بهذه الناحية وطنية الرجل ، أو مفهوم الوطنية فى تفكيره ، وفى اتجاهه الروحى ، وهنا أحب أن أعترف للقارئ الكريم بأننى — حين أقدمت على التعبير عما أحسست من جزع لفقد هذا الإنسان العظيم — لم أطمح لدراسته دراسة « تستوعب نواحى عظمته جميعاً ، وهى أبعد من أن تنال بهذه الكلمات الطائرة ، ولكننى أردت أن أستمين بهذا القدر الضئيل الذى أملك من الطاقة الروحية والذهنية على الوفاء بواجب ذى وجهين : وجه يتعلق بهذا العظيم الذى بلغ نشوته الكبرى بلقاء الروح الكلى الأعظم ، ووجه يتعلق بهذا الوطن العربى الذى يتقاضانا استخلاص العبرة ، واستخراج ناحية الانتفاع العملى من سيرة هذا العظيم ، وإذا كانت نواحى طاغور كلها موضع الانتفاع لكل وطن ، وكل قوم ، وكل فرد — فإن ناحيته الوطنية أشد لصوقاً بما نحن فيه اليوم من أحوال وظروف ، لأننا اليوم أحوج ما نكون إلى تفهم معنى الوطنية على ضوء جلى من تفكير وإلهام هذا الإنسان الملهم ، فلقد كادت تنقلب عندنا مقاييس الوطنية انقلاباً غريباً ، حتى كادت تكون الوطنية التى

(١) البستانى تعريب وديع البستانى ص ١٦

نفهمها هذه الأيام لا تمنى سوى ارتقاب واغتنام أقصر الفرص لكسب الرزق أو الشهرة أو الحكم ، سواء أكان فى ذلك خير الوطن أم جلب الضر إليه ، وسواء أكان فى ذلك تخفيف الشقاء عن أهليه أم إنزال الشقاء عليهم أضعافاً مضاعفة

إن طاغور « الإنسانى » الذى يشمل الإنسانية جماء بحبه وحنوه وصفاء قلبه ، هو نفسه طاغور « الوطنى » الذي أفاض على الهند من هذا الحب والحنو والصفاء ما عرفه الهنود أنفسهم وقدروه قدره ، وقابلوه بفيض مثله من الحب والإكبار والإيمان ، وهل هذا غريب ؟

كلا : ليس شىء أقرب للاتساق مع الطبيعة والمنطق من أن يكون طاغور الإنسانى وطنياً صادقاً ، عميق الإخلاص ، يؤثر مواطنيه بقسط كبير مما وهب قلبه الكبير من الحب الدافق والحنان الشامل ، ولكن ما هو مفهوم هذه الوطنية التى تتسق ذلك الاتساق مع نزعة إنسانية تتخطى الحدود والمعالم ، وتتخطى العرف والتقاليد والأوضاع ؟!

نترك الحديث عن وطنية طاغور وعن حدود هذه الوطنية فى ذهنه — إلى سيرته العملية أولاً ، ثم إلى آثاره الأدبية ثانياً

أما سيرته العملية فتتجلى فيها وطنيته من نواح عدة : فلقد عنى طاغور برفع مستوى شعبه العقلى والروحى والاجتماعى عناية تظهر آثارها العظيمة فيما أسس من مدارس لتطبيق تعاليمه الفكرية والروحية والاجتماعية : تعاليمه التى يؤمن بها إيماناً منقطع النظير ، وتتملكه رسالتها النبيلة تملكا يشبه من وجوه كثيرة حالات القديسين ، تلك التعاليم التى كانت فى عقيدته خير وسيلة لإنقاذ الشعب الهندى من صغاره وعبوديته ، ومن شقائه وبلائه ، ومن ضعته وانحطاطه ، ولعل أروع ظاهرة فى سيرته العملية هذه ، هى محاولته التخفيف من حدة التقاليد البرهمية التى كانت توسع شقة الفوارق والحواجز بين طبقات الشعب وطوائفه ، وأنبل مظاهر هذه المحاولة تأسيس طاغور مدرسة عالية لطائفة المنبوذين ليثقفهم تثقيفاً عقلياً وروحياً يغرس فى نفوسهم الاعتزاز بكرامتهم الإنسانية ، ويشعرهم بأقدارهم فى الوجود ، ولقد أفاد طاغور من هذه المحاولة أن بث فى روحية هؤلاء المنبوذين الخامدة لهباً من روحه كاد يقربهم منزلة من الطبقات الأخرى المترفعة عنهم ، وفى هذه المحاولة — كما ترى — مظهر رائع للوطنية الحق ، بمقدار ما فيها من نزعته الإنسانية النبيلة ، وفى سيرته العملية مظهر آخر للوطنية يتجلى فى دعوته إلى إخماد لهب الأحقاد بين المسلمين والهندوس ، وإطفاء نائرة البغضاء بين جميع الطوائف التى تؤلف شعوب الهند ، ولقد كانت له فى هذا السبيل صيحات كريمة نافعة

فها أنت ترى أن الوطنية فى عرف طاغور ليست عملاً سلبياً مبنياً على الصراخ والتهويش والادعاء الفارغ والتشدق بالألفاظ الفخمة المجنحة ، بل هى عمل إيجابى صامت يبنى وينشئ ويتناول بالبناء والانشاء عقل الأمة وروحها قبل كل شىء ، لأن الأمة فى رأيه ليست أمة حقاً إذا لم تكن ذات عقل ناضج وروح سام ، وذات وحدة عقلية وروحية شاملة ، على أن تكون فى وحدتها العقلية والروحية مجتمعة على الإيمان بمثلها العليا ، إيماناً يلهب وجدانها بنزعة التأمل فى جمال هذه المثل الكريمة ، وبنزعة التقديس لمظاهر الألوهة فى هذا الكون العظيم

هذه أروع مجالى الوطنية فى سيرة طاغور العملية ، وهى فى ذاتها أمثلة عالية للاعتبار والاحتذاء ، وهى كذلك حدود واضحة لمعنى الوطنية الصحيح . أما ما تحدثنا به آثار هذا الرجل الأدبية عن مفهوم الوطنية فى ذهنه ، فحسبك أن تقف من ذلك على بعض رواياته التى يدير فيها الحوار على ألسنة أشخاصها مشبعاً بالآراء والأفكار السامية حول موضوع الوطنية وحدودها ، ولعل فى روايته « البيت والعالم » أعظم آرائه وأفكاره فى هذا الباب ، فلقد دارت هذه الرواية كلها حول هذه النقطة ، وهى حدود معنى الوطنية كما تستقر فى ذهنَىْ شخصين يختلفان كل الاختلاف بالاتجاه الفكرى وبالمزايا النفسية وبالنزعات الخلقية

أما أحدهما « سانديب » ، فهو زعيم وطنى يثير حماسة الجماهير ببلاغة منطقه وبقوة إيحائه النفسى ، وبهذا الأسلوب نفسه ، يُلهب حقد الشعب على الأجانب ، ويدفعه إلى مقاطعة بضائعهم ، ويغريه بإيذاء المواطنين المتخلفين عن تنفيذ تعاليمه بكل وسيلة من وسائل الإيذاء ، بل يغريه فى سبيل ذلك باستباحة كل جريمة وبارتكاب كل منكر ؛ وأما ثانيهما « نيكهل » ، فهو من راجات الهند ، مثقف ثقافة عالية ، ومهذب تهذيباً نفسياً سامياً محبباً ،

وبسمو تهذيبه هـذا استطاع أن يطهر نفسه من الأحقاد والأضغان ، وأن يحملها على الهدوء والصفاء والتسامح فى وجه الأزمات والرجات النفسية ، وفى وجـوه الأشخاص الذين يحدثون هذه الأزمات والرجات فى مجرى حياته ، وجاهد فى أن يطهر نفسه أيضاً من نوازع الأنانية العمياء التى تضحى بهناء الآخرين وشخصياتهم فى سبيل هناء وشخصية صاحبها ، ثم يصوره لنا طاغور رجلاً قوى السلطان على نفسه إلى غاية استطاع عندها أن يكون إنساناً سامياً حقاً ، ثم يصوره رجلاً وطنياً يحب هناء شعبه ورخاءه وصون كرامته ، ولـكنه لا يتبجح بوطنيته هذه ، بل يعمل لها بهدوء وصمت : ينشئ المعامل لتشغيل العمال وتوفير الحاجات الصناعية الوطنية ، ويقتنى لبيته الأثاث الوطنى ويتغذى الأغذية الوطنية ، ويستعمل أدوات الزينة الوطنية ، ولـكنه — مع كل ذلك — لا يحاول إيذاء الأجنبى بإخراج بضائعه من مقاطعته ، أو إحراقها كما يفعل « سانديب » ، ولا يحاول أن يقهر أحداً من مواطنيه على استعمال بضاعة معينة ، لـكى لا يكون فى ذلك حرج أو ضرر عليه ، وهو — من أجل هذا — يقف من حركة « سانديب » موقف التحفظ والحذر ، وقد يحاول أن يجادل « سانديب » فى أساليب حركته المنيفة ، مصطنعاً فى جداله الهدوء والمنطق الرزين ، مبتعداً فى هذا الجدال أيضاً عن التأثر بالعصبية لرأيه رغم إيمانه به كل الإيمان .

أما « سانديب » ، فيصوره طاغور على النقيض من صـورة « نيكهل » هذه ، إذ يُرينا نفسه تصطخب بدوافع ونوازع هائلة مخيفة ، ويرينا شخصيته لا تعتمد فى تزعم الحركة الوطنية إلا على بلاغة المنطق وقوة الاستهواء ، بل لقد صوره طاغور رجلاً خداعاً ماكراً يستبيح لنفسه السرقة باسم الوطنية ، ولا يجد حرجاً في إغراء زوجة « نيكهل » بالتمرد على حياتها الزوجية الوادعة المطمئنة ، المغمورة بسعادة الحب الجميل ، مستغلاً نزعتها الخيالية ليستفيد من أموالها ، يروى بها شهوات نفسه المتعطشة للزعامة لذاتها كغاية لا وسيلة ، وهكذا يستمر طاغور متتبعاً خطوات « سانديب » فى حركته الطاغية المنيفة حتى يستحل فى سبيلها خداع زوجة « نيكهل » ، وهدم هناءتها الزوجية ، وهدم أحلامها العظيمة التى بناها هو لها فى خيالها الملتهب ، وحتى يُنهى حياة هذه الأسرة الطيبة بفاجعة مروعة على حساب وطنيته المموّهة

بهـذا التصوير البارع يحدد لنا طاغور حقيقة الوطنية كما يرتضيها هو ، وكما يؤمن بها كوسيلة للعمل المنتج فى سبيل الأوطان ، ولعل هذا العرض يبقى ناقصاً إذا لم نشفعه ببضعة آراء وأفكار خطيرة أدارها على لسان « نيكهل » الذى يبدو لنا أنه هو الشخص المختار فى هذه الرواية لتمثيل آراء طاغور نفسه فى الوطنية ، وأنا أعرض هذه الآراء والأفكار لا لأجل إيضاح معنى الوطنية عند طاغور وحسب ، بل لأجل أن تكون أمثالاً عليا نؤمن نحن بها ، ونحفر لها مستقراً أميناً فى قرارات وعينا ، لعلها تكون عوناً لنا فى هذه الظروف والأحوال التى تحيط بنا اليوم :

قال (نيكهل) بعد أن أخرج المربية الأجنبية من قصره بتأثير ضغط الحركة الوطنية التى يقودها (سانديب) ، وقد شيعها بنفسه فى عربته فانتقدته الصحافة الوطنية المتطرفة لأجل ذلك من الانتقاد : « إننى أخدم بلادى ولكنى لا أعبدها ، فإنى أعبد الحق وهو أعظم من بلادى ، أما من يعبد بلاده كما يعبد الله فهو يسىء إليها ويتوهم أنه من المحسنين »

وكان نيكهل يجادل سانديب فى بعض آرائه الوطنية فقال له :

« . . . أما حقيقة رأيى — الـكلام لنيكهل — فهى أن الذى لا يستطيع أن يتحمس لبلاده كما هى حقيقة ، والذى لا يستطيع أن يحب إنساناً لمجرد كونه إنساناً ، والذى يريد تأليه وطنه بالهتاف والهياج — فهو يحب الهياج أكثر مما يحب وطنه »

وحين شاع أن خزينة المهراجا قد سرقت جاء إلى (نيكهل) أستاذه الحكيم ، وفيها هذا يتحدث عن (سانديب) وأتباعه قال هذه الـكلمة المظهمة يعنى بها رجال الحركة المتطرفين : « لقد وضعوا الوطن حيث طردوا الضمير »

وقال (نيكهل) وهو فى نقاش مع (سانديب) :

« إنى أقول لك الحقيقة (ياسانديب) : إنك تجرح عواطفى حين تدعو الظلم واجباً ، وتطلق على البغى اسم الخيال الأدبى ، فليس العقل هو الذى يمنعنى عن السرقة بل الذى يمنعنى عنها عاطفة تدعونى إلى احترام نفسى »

أكتفي بهذا القدر لأن الإطالة قد بلغت حداً لم أكن أقصد إليه

أما بعد: فيا أيها الإنسان العظيم النائم الآن بفرحة الحب الأسمى، لقد بلغت رسالتك الجليلة، وأسكرت الدنيا بترانيمك المترعة رحمة ومحبة، ودعوة للسلام والألفة، فمن حقك أن تهنأ الآن بلقاء حبيبك الأعظم، ومن حقك على الدنيا هذه أن تذكر فضلك، وأن تهتدي بهدى روحك العظيم يوم تصحو من هذا الجنون المطبق، وهي لا بد أن تصحو يوماً.

(بغداد) حسين مروه

أدباء ومدرسون !....

« حديث ذو شجون إلى وزارة المعارف وإلى الدكتور زكي مبارك ... »

للأستاذ محمد سعيد العريان

تلطف الدكتور زكي مبارك فتناول في حديث الأسبوع الماضي موضوع « الترقية إلى المدارس الثانوية »؛ وهو موضوع من حق صديقنا الدكتور زكي مبارك أن يتحدث عنه، لأنه بسبيل من عمله الرسمي في وزارة المعارف، وعمله الأدبي في مجلة « الرسالة »؛ فليس من حق أحد أن يدهش للأسلوب الذي تناول به موضوعه، أو الطريق الذي سلكه لإبداء الرأي فيه؛ وإنه لمن الغبن أن يكون الدكتور زكي مبارك ملوماً على ما في حديثه ذاك من التناقض وفساد الحكم؛ إذ كان يعلى عليه الرأيَ حين يحكم شخصيتان لا تجتمعان على فكرة واحدة: شخصية زكي مبارك المفتش بوزارة المعارف، وشخصية زكي مبارك المؤلف المحقق الأديب؛ ومن أين لهاتين الشخصيتين أن تجتمعا على رأي وبينهما ما بينهما من الفوارق العقلية، ولكل منهما مقياسه في موازين الأشياء ... !

والموضوع الذي تناوله الدكتور زكي مبارك حقيق بالبحث والدراسة، لأنه موضوع عام يتصل من قريب بشأن من أخص شؤوننا الأدبية، إذ كان المعلم هو فكرة الشعب، وأماني الغد، ومستقبل الثقافة، ولكن هذا الموضوع على عمومه يتصل بجانب من حياتي الخاصة يحرجني أن أتخذه موضوعاً للحديث، ولعل كثيراً من الذين يقرءون لي في الرسالة متدهشين، لم يَدُرْ في خلد أحد منهم أن يسأل عن عملي الذي أتكسب منه ووظيفتي الرسمية التي أعيش بها قبل أن يُعرِّف بي الدكتور زكي مبارك ...

ومعذرة إلى طائفة من القراء، فإن الرأي العام في مصر وفي الشرق مازال يقيس منازل الرجال على قدر منازلهم في مناصب الحكومة أو منازلهم في دولة المال !

على أنه لا مندوحة لي اليوم عن الحديث في موضوع كنت أتنكّبه فراراً من التهمة، ولست أطمع بعد في كلمة عطف أو أخشى كلمة ملام، فإني لقوي بنفسي عن استجداء العطف أو خوف الملام، ومن وجد في نفسه الطاقة فليس له عذر من التقصير؛ وليغضب من يغضب لنفسه أو للحق، فليس بي إلى أحد حاجة، وليس لي في سبيل الحق أن أخاف سطوة إنسان !

***

وأبدأ حديثي لأصحح للدكتور زكي مبارك قوله: « الترقية إلى المدارس الثانوية » فإن كلمة « الترقية » هنا لا تؤدي معناها اللغوي كما يفهمه أهل التحقيق، وليس في نقل معلم من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الثانوية أي معنى من معاني « الترقية » وليس ثمة فرق بين معلم هنا ومعلم هناك، لا في الدرجة العلمية، ولا في العمل، ولا في المال، ولكن الفرق كل الفرق في التلميذ وفي المكان ...

هذا حق يعرفه زكي مبارك « المفتش بوزارة المعارف »، كما يعرفه وزير المعارف نفسه، وكما يعرفه المعلمون جميعاً في المدرستين الابتدائية والثانوية؛ ولكن لماذا، لماذا — والأمر كذلك — تصر وزارة المعارف على تسمية هذه النقلة « ترقية »؟ ولماذا يشكو طوائف من المعلمين فيطلبون حقهم في هذه « الترقية »؟

جواب ذلك: أن هذه « النقلة » هي مظهر من مظاهر « الثقة العلمية » بالمعلم المنقول، وهي « اعتراف رسمي » بأن لهذا المعلم أهلية لتعليم طائفة من التلاميذ أنضج عقلاً من إخوانهم في المدرسة الابتدائية؛ وهذه « الثقة العلمية » وهذا « الاعتراف الرسمي » هما كل جزاء المدرس المنقول، وهما حسبه وكفايته؛ وأهل العلم دائماً هم أقنع الناس بالقليل !

... وقد سنت وزارة المعارف سنة منذ عامين : أن تُسبِّق بين المعلمين فى امتحان سنوى عام ، لتمنح أسبقهم ثقتها العلمية واعترافها الرسمى

***

لقد كثر ما تحدث المربون عن عيوب الامتحان ، واختلال ميزانه ، وجنايته على شخصية التلميذ ... أفلم تجد الوزارة — بعد تجارب السنين — وسيلة لاختبار كفاية المعلم غير الامتحان وقد قالت ما قالت فيه وسمعت ما قيل ؟

أليس لدى وزارة « المعارف » من وسائل « المعرفة » فى ذلك غير امتحان « المعلمين » ؟ بلى ! هكذا قالت وزارة المعارف منذ سنتين وما تزال تقول : الامتحان !

الامتحان ؟ بالله كيف صارت عيوبه حسنات ، واختلال ميزانه دقة ، وجنايته على « شخصية التلميذ » سبيلاً إلى تحديد « شخصية المعلم » ؟

ولكن لا علينا من ذاك ؛ فليس يعنينا ما تكون وسيلة وزارة المعارف إلى اختبار معلميها ، ولو كانت المباراةَ بين المعلمين فى حمل الأثقال ... !

ولكن ، لأى شىء سنّت الوزارة سنة الإمتحان ؟

الوزارة تقول إنهـا تقصد من ذلك إلى استثارة القُوى والكشف عن « الكفايات المغمورة » ؛ هذا كلامها ؛ فما بالها تصر على امتحان ذوى القوى العاملة و « الكفايات المشهورة » إذا لم يكن القصد من الامتحان إلا الكشف أو الاستكشاف ؟

ما قيمة المصباح تشعله فى النهار والشمس طالعة ؟

وما عمل المظلة ترفعها على رأسك فى الظلام ولا مطر ولا غمام ؟

وماذا يقول المعلم يوم الامتحان إذا كانت مؤلفاته وأعماله الأدبية هى موضوع الامتحان ؟

***

هنا مشكلة أدبية عامة ، هى مشكلة « النفر الستة » الذين قَصَر عليهم الدكتور زكى مبارك حديثه فى العدد الماضى .

ليت شعرى ما شأنك وشأنهم يا صديقى ؟ إنك لتعرف هؤلاء النفر الستة معرفة الرأى والنظر ، وتعرف كم أبلَوْا فى جهادهم للعلم منذ سنين ؛ وأراك لم تنكر أقدارهم العلمية والفنية على طول ما تعتّبتَ عليهم وتجنيت .

هؤلاء النفر الستة يا صديقى — وأنا منهم — لم يرجوا وزارة المعارف أن ترقيهم إلى المدارس الثانوية كما ظننت ، فإنهم أصدق نظراً من أن تخدعهم الفروق الصغيرة بين الأسماء فتحملهم على الرجاء والاستجداء ...

بلى ، نحن لم نطلب هذه « الترقية » ، ولم نَسْعَ لها ، ولا نعرف لها طعما مما يمر فى الأفواه ويحلو ؛ وإن لنا من الإيمان بأنفسنا ومن الإيمان بمعنى الأدب ما يرتفع بنا عن ذلك المستوى ، ولكنا كتبنا لننبّه وزارة المعارف إلى معنى أدبى كان ينبغى ألا تغفل عنه أو يغفل عنه القائمون بشؤونها ؛ — كتبنا لننبّهها إلى أنها بما أكثرت من الحديث والنشر عن امتحان المسابقة ، ونتائج المسابقة ، قد ألقت فى وهم الناس أن معلم المدرسة الابتدائية ليس له من العلم مثل حظ المعلم فى المدرسة الثانوية ، وليس له تحصيله وكفايته .....

هذا المعنى يا صديقى يسوءنى ويسوءك ، ولكنه يسىء إلى وزارة المعارف أكثر مما يسوءنى ويسوءك حين يعرف الناس أن بين المعلمين فى المدارس الابتدائية طائفة من أهل التأليف والتحقيق يدوى صوتهم فى آذان الشرق العربى وعلأ حديثهم نوادى الأدب هنا وهناك ولا تكاد تحس بهم وزارة المعارف ..!

أى تهمة يا صديقى تنال وزارة المعارف فى سمعتها ، وماذا يقول الناس عن كفايتها وحسن تقديرها للآثار العلمية ، وهى تجهل أقدار العاملين من معلميها وما أنتجوا من بحوث وما استحدثوا من فنون ؟

... هذا المعنى يا صديقى هو الذى رفعنا من أجله الصوت إلى وزارة المعارف — ووزيرُها من أهل التأليف والتحقيق — نطلب إليها أن ترد إلينا الاعتبار العلمى ، فتعترف بنا أدباء ومؤلفين ومحققين

ولكنك تقول يا صديقى : « إن هذا الباب إن فُتح فسيتيح فرصاً كثيرة لأدعياء التأليف والتحقيق ... »

وأعيذك يا صاحبى أن تكون قصدتَ إلى المعنى الذى تشير إليه عبارتُك ؛ فأى عمل لوزارة المعارف إن كانت لا تدرك الفرق بين الدعىّ والأصيل من أهل التأليف والتحقيق ؟

ويذكّرنى قولك هذا يا صديقى كلمةً قالها لى الدكتور فلان

منذ بضعة أشهر ؛ قال : « لو كنتَ موظفاً فى مصلحة التنظيم لوجدتَ من وزيرها اعترافاً بجهودك الأدبى أكثر مما أنتَ واجدٌ اليوم فى وزارة المعارف ... ! »

***

على أن للمسألة يا صديقى وجهاً أخطر من ذلك وأبعد أثراً فى أدب الجيل ؛ فإن إنكار الفضل على « ستة نفر » استعلنوا بجهادهم بين ألف ومائتى معلم فى المدارس الابتدائية ، جديرٌ بأن يُفقد هؤلاء « النفر الستة » حلاوةَ الإيمان بمعنى الأدب ، ويردّهم آلات لا يعملون إلا « الواجب » ، الواجبَ الذى يُؤجرون عليه بالطعام والشراب واللباس وزخرف الحياة ، وأعوذ بالله من سوء الخاتمة !

ومالى أبعد فى الظن وأقدّر وأتوقع وأترك الواقع الملموس ؟ ألستَ تعرف كما أعرف يا صديقى مَن الذى « يؤلف » أكثر الكتب المدرسية فى وزارة المعارف ومن الذى « يشرّفها » باسمه الكريم ؟ ... أحسبك لا تطالبنى بالتصريح بأكثر من ذلك ، لأنك لا تحاول أنت أن تنكره ولا أحاول أنا أن أخفيه ....

وتسألنى : ما لهذا وللمشكلة التى نعالجها اليوم وتلك قضية من قضايا الأخلاق وهذه مشكلة من مشاكل الأدب ؟

وأقول : إنه ما دام الاعتبار الأول عند وزارة المعارف فى الحكم على الآثار الأدبية هو « وظيفة المؤلف » فلا بدَّ أن يكون هناك تعاونٌ بين ذوى « العلم » وذوى « الجاه » شبيهٌ بالتعاون بين « رأس المال » و « جهد العامل » فى تكوين « شركة » من شركات « الربح والتثمير » !

أتريد أمثلة يا صديقى أم كفاك ما تعرفه وأعرفه مما لا تحاول أنت أن تنكره ولا أحاول أنا أن أخفيه !

ولكنى أراك لم تقتنع بعدُ بالعلاقة بين ما ذكرتُ وبين المشكلة التى نحن بسببها ؛ إذن فاعلم يا صديقى أن جرثومة ذلك الداء هى تلك « الأرستقراطية العلمية » التى تأبى أن تعترف بقيمة الإنتاج الأدبى لأحد من « صغار المعلمين » إلا ... إلا ماذا ؟ ... معذرة فقد نسيت !

أتُراك يا صديقى قرأتَ قصة « من أدباء الجيل [١] » ؟ نعم ، إنى أذكر ذلك ، فقد كانت موضوع حديث بيننا يوماً ، ولكنى أشير عليك أن تعود إليها فتقرأها مرة ثانية ، فلعلك واجدٌ فيها معاهاً ولذة يرفهان عنك بعض ما تجد من ثقل هذا الحديث !

***

وأعود إلى ما كنا فيه ، فأسألك يا صديقى : أترى حقاً وصدقاً أنه لا بد من امتحان « المسابقة » للترقى فى الوظائف حين تكون كفاية الموظف فى حاجة إلى دليل ؟ ...

ففى أى مباراةٍ سبقتَ أنت حتى صرت « مربياً كبيراً » تحكم على أقدار « صغار المعلمين » ؟ وفى أى مباراة سبق فلانٌ وفلانٌ ليكونوا أعضاء فى لجان الامتحان وحكاماً فى مباريات المعلمين ؟ ...

وأبادر فأعتذر إليك وإلى فلان وفلان ؛ فما أردت أن أغض من أقداركم العلمية ، وإنكم لأدباء من أهل التأليف والتحقيق ...

... ولكنى رأيتك فى بعض ما ساقتك إليه شجونُ الأحاديث ، تنكر قيمة كل المقاييس العلمية إلا مقياس الامتحان ، فرأيت أن أعرف أين أنت هناك ؟ ...

أهذا ما تسميه الزهو البغيض ؟

اللهم إنى أستغفرك وأستهديك ، وأسألك إلى ما جنَّبتنى من الكبرياء ، أن تزيدنى ثقة بنفسى ، ويقيناً بحقى ، وإيماناً بعملى ! ...

وإنه لعلى الرغم منى — يا صديقى — ألا تتهيأ لى العواملُ النفسية التى تسمح لى أن أقبل على الامتحان ، وإن كانوا : « فى أوربا وأمريكا يتقدمون إلى المسابقات بعد الخمسين ، ولهم فى ميدان المجد الأدبى والعلمى مكان » ...

تسألنى : لماذا ؟

وأسألك : لماذا ؟

وتعرف وتسكت ، وأعرف وأغضى ، وتفترُّ الشفاهُ عن بسمات حين تتراءى صورة فلان وفلان ... « وأنت تعرف ما أريد » !

محمد سعيد العريان
المدرس بالمدرسة الابتدائية

---

(١) الرسالة : العدد ٣٤٥ — ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠

الوضـــع الصحيح
للاصلاح الاجتماعي في مصر

للأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

— ٢ —

ذكرنا في العدد ٤١٨ من هـذه المجلة الغراء أن الوضع الصحيح للاصلاح الاجتماعي في مصر يقتضينا ألا ننظر إلى الفقر كمشكلة قائمة بذاتها ؛ لأنه — كما قلنا — نتيجة لمشاكل أخرى كثيرة . وعلى ذلك يجب علينا أن نبين مدى مساهمة تلك المشاكل في خلقه ومضاعفة آثاره المحزنة . وهي كلها مشكلات اجتماعية خطيرة ملحّة . واستمرار وجودها واستفحالها يجعلها تتفاعل بعضها مع بعض ، وتنتج عصير الشقاء الذي تتجرع كأسه الأغلبية الساحقة من سكان هذه البلاد

والذين يتحدثون عن « الفقر » وحده مخطئون كل الخطأ ، إذ لا يحلمون إلا بإعادة توزيع الأراضي على جميع أفراد الشعب على السواء وملء جيوب الفقراء بالمال . وهو أمر مستحيل وضار من الوجهة الاجتماعية ومناقض للبداهة السليمة والقوانين السماوية كلها ومنافٍ لمنطق الأشياء . فلو تحول الشعب يوماً ما إلى أغنياء بمثل هذه الطريقة لاضطرب المجتمع من جديد بعنف لتعيد الطبيعة توازنها الفطري ، وعاد معظم الفقراء إلى ما هو أشد وأنكى من فقرهم الأول . فللطبيعة قوانين خفية تسري من تلقاء نفسها وتحطم كل ما يقف في سبيلها . والفقر ظاهرة طبيعية ، ولكنه عند ما يتجاوز حده يصبح ظاهرة اقتصادية اجتماعية .

وإذا كنا قد تحدثنا في المقال السابق عن صلة الحالة الاقتصادية بالفقر ، فلنحاول اليوم أن نرسم صورة سريعة للصلة الوثيقة بين مشكلتي الجهل والفقر .

مشكلة الجهل في مصر

كثير من الناس ما زالوا يخلطون بين الجهل والأمية ، ولا يفرقون بينهما . فالأمية ضد التعليم بمعناه الضيق . أما الجهل فهو عكس الثقافة التي تستلزمها الحضارة والتربية العامة للشعب . وهي أوسع معنى من التعليم وأشد لزوماً منه . فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، ولكنه كان مثقفاً ، نيّر الفكر ، واسع الإدراك ، ولهذا تمكن من الاضطلاع برسالته العظيمة . وكم من رأسماليين عاليين وعظماء ومخترعين دوليين معروفين لم ينالوا قسطاً وافراً من التعليم . ويقابل هؤلاء متعلمون ، ومنهم من درسوا في الجامعات ، تراهم يتكلمون أو تقرأ لهم ما يكتبون فتشعر أن على شخصياتهم الباهتة سمات الجهل المطبق والمنطق السقيم . وعلى هـذا يصح أن نقول : وكم في المتعلمين من جهلاء !

وقد كان الغرض من التعليم في الماضي هو تأهيل الشبان للأعمال الحكومية الآلية ، ولا شيء غير ذلك ، عند ما كانت تسيطر على دفة الحكومة والتعليم عقليات انجليزية ركزت بين أناملها تصريف الأمور ، وصار تبعاً لذلك للطلبة نسخاً متشابهة مكررة من أصل واحد ! ثم انتهى هذا العهد ، وظهرت في الوجود نظريات جديدة تربوية نادت بوجوب الاهتمام بشخصية الفرد ، وإنماء ملكات الابتكار المودعة في جهازه البشري الدقيق . وقد تطورت تلك النظريات ، وصارت توائم بين حاجات الفرد وحاجات الجماعة التي لا غنى عن المحافظة عليها ، ولا مفر من تنسيق نشاط أفرادها مع زيادة نفعها لهم ؛ وبذلك صار التعليم تربية وثقافة حرة مرنة لا مجرد تلقين معلومات جافة ، وحشو الأدمغة بدراسات ميتة لا غناء فيها ولا طائل تحتها . وصارت التجارب العلمية والعملية الكثيرة التي تطبق اليوم في أوربا وأمريكا توحي دائماً بالبرامج النافعة التي تكون أكثر انطباقاً على حاجات الفرد الغريزية والاجتماعية والمادية . وليس في نيتي أن أعتدي على اختصاص الفنيين وأخوض في شروح وفروق تلك النظريات التربوية الحديثة ، فأنا أمر عليها بقدر ما يسمح لي بحث اجتماعي كهذا ، وإنما أذكر أن هدف التربية الحديثة هو الإكثار من الكفايات الاجتماعية . وهي — أي الكفايات الاجتماعية — وحدها القادرة على الحياة والكفاح وكسب القوت المحترم الشريف في عصر مضطرب بالشهوات الماحقة والصوالح المتعارضة ، والنظريات العلمية المتجدّدة على الدوام . والتربية

الحديثة توحى بالتعليم الذى يناسبها ولا يعطل آثارها . وهى إذا سارت فى مجراها العلمى المنتج كانت أقوى درع ضد الفقر، وأيسر السبل إلى الثروة والغنى والمجد

ومصر لم تعمل بعد بهذه النظريات ، وإن كانت قد عرفتها وأرسلت البعثات تلو البعثات لدراستها ، ولم تأخذ بنصيبها من رسالة التربية الحديثة وإن كانت تنادى بها وتعطف عليها وتشترك فى مؤتمراتها . ويخطئ بل يكذب من يقول غير هذا عن وزارة المعارف . فهى نفسها إلى اليوم حائرة ضالة طريقها مرتبكة لم تعلم بعد رسالتها ، ولم تفهم مهمتها على وجه التحديد !! وهو أمر لو كان فى بلد آخر غير مصر لكان جريمة لا تغتفر ، ولاتهمت وزارة المعارف بإفساد حياة الناس ، ولرفعت عليها القضايا من أولياء أمور الطلبة ، ولثار عليها الرأى العام . وذلك لأن التعليم فى عصرنا هذا فريضة وطنية ، والتربية العامة واجب مقدس . ووزارة المعارف هى وحدها الأمينة عليهما ؛ فإذا هى اضطربت فى تأدية رسالتها كان الأمر نكراً ، واضطربت معها حياة الناس ، وارتبك سير الآلة الاجتماعية . وإذا كنا نعلم أن جهالة فرد قد تطوح بمستقبل أسرة أو عدة أسرات أمكننا أن نتصور مدى الخطورة فى جهالة شعب بأمره !!

ولنسرد الآن شيئاً من التفصيل عن هذه الناحية . فقد جاء فى الإحصاءات الأخيرة أن نسبة المتعلمين بين الصغار الذين بلغوا سن التعليم هى ١٢ ٪ . ولتبيان ضآلة هذه النسبة نذكر أنها فى السويد ٩٨ ٪ ، وفى تشيكسلوفاكيا ٦٠ ٪ ، وفى اليونان ٣١ ٪ ، مع أن المعروف عن هذه الدول أنها من الصف الثانى والثالث من حيث التعليم .

أما نسبة الأمية — ولا نقول الجهالة فأمر هذه أفدح وأنكى — فيمن فاتوا سن التعليم من الذكور فهى ٧٩ ٪ . وإن هذه النسبة المخجلة جداً لتصبح أشد هولاً لو أسقطنا من الحساب عاصمتى القطر (القاهرة والاسكندرية) إذ نجدها فى أسوان وأسيوط وجرجا ٩١ ٪ ، ثم تتراوح فى باقى المديريات بين ذلك وبين ٧٠ ٪ .

فإذا أردنا أن ندلف من التعميم إلى التخصيص وجدنا عار الأمية متفشياً بين أرباب المهن الحرة والفلاحين ، مع أن هذه الطبقات فى أشد الحاجة إلى التعليم ، بل وإلى نوع معين بالذات من التعليم .

ومن الغريب ، بل من المضحك المبكى ، أن مصر التى تشكو الأمية مر الشكوى بها أزمة بطالة بين المتعلمين . وهما مشكلتان متناقضتان ، وقلما تجتمعان فى بلد متحضر . ومرد هذا التناقض أن المشرفين على التعليم — فى الماضى — لم يراعوا حاجة البلاد إلى التعليم ، ولم يحسبوا للضرورات الاجتماعية حساباً . ونحن اليوم ندفع ثمن هذه الجريمة الوطنية من كرامتنا وثروتنا القومية ، ونعانى تأخراً مخجلاً فى حضارتنا العقلية والأدبية والمادية .

ولو أردنا تشخيص مرض الأمية المتفشية فى مصر لوجدنا أسبابه كما يأتى مجتمعة وبلا ترتيب :

١ — ضآلة ما ينفق على التعليم بالنسبة لحاجة الشعب إليه ، والرغبة فى مسايرة العصر : فميزانية التعليم لا تزيد عن ٩½ ٪ من الميزانية العامة مع أن المستر كلاباريد — الخبير السويسرى الذى استقدمته الحكومة المصرية منذ أكثر من اثنى عشر عاماً — أوصى برفع هذه النسبة إلى ١٢ ٪ على الأقل ، لأن إنفاذ مشروعات الإصلاح التى تتطلبها البلاد تتوقف على محو الأمية ، ونوع التعليم الذى يعطى لأفراد الشعب . ولكى ندلل على ضآلة ميزانية وزارة المعارف قد يكفى أن نضرب الأمثال . فنسبة ميزانية التعليم فى النرويج إلى الميزانية العامة ١٣ر٧ ٪ ، وفى الدانيمارك ١٤ر٢ ٪ ، وفى هولندا ١٩ر٣ ٪ ، وفى سويسرا ٣٠ ٪ مع أن شعوب هذه البلاد على درجة عالية من حيث التعليم

١ — سوء توزيع ميزانية التعليم

بدأت الحكومة المصرية بالاهتمام بالتعليم الإلزامى منذ سنة ١٩١٧ حين وضع المغفور له عدلى يكن باشا وزير المعارف فى ذلك الوقت تقريراً وافياً عن ضرورة التوسع فى هذا النوع من التعليم بحيث يكفل تعليم ٨٠ ٪ من الذكور ، ٥٠ ٪ من الإناث ، وها هو ذا قد مر ما يقرب من ربع قرن والحالة آخذة فى الانحطاط ووزارة المعارف تسأل نفسها كل يوم : ما هى مهمة هذا التعليم ، وما هى أهدافه وبرامجه ؟ مع أنه فى يقينى أن مهمة وزارة المعارف لو اقتصرت على ذلك النوع من التعليم ، وقامت بها جاهدة ناجحة

لأدت رسالتها الشعبية على أكمل وجه ، ولكنها مضطربة موزعة الفكر بين هذا التعليم وغيره من أنواع التعليم الأخرى . وأعتقد — غير مغال — أنها قد فشلت فيها جميعاً ؛ وقد ترتب على ذلك أن صار هذا الجيل إلى فشل خطير ، أصبح معه عاجزاً عن الكفاح في الحياة من أجل كسب القوت

ثم إن وزارة المعارف تضاعف ذلك الخطأ بإغفالها الحاجات الفردية والاجتماعية في ميداني التعليم والتربية ، واهتمامها بالتعليم النظري القليل الثمرة في عصرنا هذا أكثر من اهتمامها بالتعليم المهني الغزير الفائدة . فقد بلغت نسبة إنفاقها على النوعين ٤ : ١ مع أن العكس هو الأولى والأحجى . نعم إن مصر شعب زراعي ولكن المزارع المصري مازال يعيش بعقلية آبائه وأجداده حتى أصبح عاجزاً عن متابعة تقلبات الأسواق المحلية والعالمية التي يصرّف فيها محصولاته ، فقد سيطرت العقلية الجديدة المثقفة على كل شيء : على الحقل والمصنع والمتجر والسوق . ومصر ككل شعب زراعي لا تستطيع أن تعتمد في معاشها على الزراعة وحدها وخاصة أن في جوف تربتها مواد أولية ثمينة ، وجوها مناسب لصناعات عديدة ، وبها فعلاً نهضة صناعية متوثبة

ووزارة المعارف تأبى إلا أن تخطئ في كل شيء . فمصر برغم كونها بلداً ديمقراطياً يعيش على فأس الفلاح وجهد العامل ، وبرغم أن الشعب المصري « يتمتع » بنسبة من الأمية لا مثيل لها في العالم ، فإن وزارة المعارف لا تبذل من الجهد، ولا من المال على التعليم الأولي والالزامي الخاص بهاتين الطبقتين قدر ما تبذله منهما على التعليم الخاص بأبناء الطبقات الميسورة والراقية . ومعنى ذلك أن في مصر الديمقراطية تعليما أرستقراطياً ! وهو أمر من الأمور الكثيرة المعكوسة في بلادنا العزيزة !

٣ — فساد البرامج التعليمية

من أبسط القوانين البديهية أن الوسائل تخضع للغايات وتخدمها ، وليس العكس ، لأن الوسائل فانية متغيرة ، أما الغايات فمن صفاتها الثبات والدوام . ومن المعروف أن البرامج الدراسية ليست بذاتها غاية مقدسة ، وإنما هي وسيلة لغاية اجتماعية وقومية . ولكن مصر جرى فيها العرف على أن تفنى الغايات في الوسائل . وهذه القاعدة مطبقة على التربية والتعليم . فقد ضحيت التربية على مذبح التعليم دون أن يستفيد التعليم من هذه التضحية ! فوزارة المعارف لم تستطع إلى الآن أن تكون وزارة تربية ، وإنما ظلت وزارة تعليم بمعناه الضيق القديم : أي وزارة تلقين معلومات جافة ، ودراسات ميتة لا أثر للتجديد والابتكار فيهما . وبرامجها الدراسية أصدق شاهد على هذا ؛ فهي كل يوم في شأن ، ولها في نهاية وبداية كل عام دراسي ضحايا يعدون الآن بالآلاف يبتلعهم المجتمع المضطرب القاسي والكفاح الذي لا يرحم . فإذا شبهنا المجتمع بصرح مشيد ، أو بناء قائم ، كان فيه أولئك الطلبة الفاشلون كأنقاض الهدم ! فكل شاب متعلم فاشل هو « شهادة فقر حية » لنفسه ولأسرته . وهو جزء خرب في آلة المجتمع . فهل أحست وزارة المعارف بمسئوليتها في هذا الخلل الخطير الكائن بجسم المجتمع ؟؟ أم هي مشغولة بكبار موظفيها وترقياتهم وأغراضهم ، ذاهلة عن رسالتها ، حائرة في تحديد مهمتها ! ؟

محمد عبد الرحيم عنبر
بوزارة الشئون الاجتماعية

٧ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الأول — الملابس

أما ملابس الطبقة السفلى فهي جد بسيطة : يلبسون سروالاً فوقه قميص طويل فضفاض ، أو ثوباً أزرق طويل الأكمام من الكتان أو القطن أو من الصوف الأسمر ؛ ويسمى الأول « عريا » والآخر « زعبوطاً » ، وهو يشق ابتداء من الرقبة إلى الوسط تقريباً [1] . ويتمنطق البعض بمنطقة بيضاء أو حمراء من الصوف ؛ والخدم يتحزمون بحزام [2] عريض أحمر اللون من الصوف أو من الجلد وبه عادة كيس لحفظ النقود. وعمامة العامة شال من الصوف أبيض أو أحمر أو أصفر ، أو قطعة من غليظ القطن أو الحرير الموصلي تلف حول طربوش تحته لبدة بيضاء أو سمراء . وبعض الفقراء لا يملكون غير اللبدة ؛ فلا عمامة ولا سراويل ولا نعل . إنما يرتدون الجلباب الأزرق أو الأسمر أو أسمالاً بالية . وعلى النقيض من ذلك يرتدي الكثيرون صديرياً تحت الجلباب الأزرق ؛ ويلبس بعضهم وعلى الأخص خدم العظماء ، جلباباً أبيض وصديرياً وقفطاناً وجبة ، أو أحدهما ثم (العري) الأزرق أخيراً . وتشد أكمام (العري) الواسعة إلى أعلى بحبل [3] يمر حول كل من الكتفين ويشبك خلف الظهر ويعقد . وقد تعود الخدم (والسواس خاصة) هذه الطريقة ، ويستعملون لها حبالاً من الحرير الأحمر أو الأزرق القاتم . ويرتدي الكثير من أفراد الشعب في الشتاء عباءة كالتي وصفناها من قبل ، ولكنها أغلظ منها ، وبدلاً من اللون الأسود تكون أحياناً ذات خطوط عريضة سمراء وبيضاء أو زرقاء . وهناك نوع آخر من الأكسية كثير الاستعمال يتخذ من الصوف الأسود أو الأزرق القاتم ، وهو أوسع من العباءة ويسمى «دفية» [1]. أما النعال فهي من الجلد الراكشي الأحمر أو الأصفر أو من جلد الخراف . ونعال السواس تكون من الجلد الراكشي الأحمر القاتم ، ولكن أحذية البوابين والسقائين تكون عادة من الجلد الأصفر

وتمتاز عمامة المسلم باللون عن عمامة القبطي واليهودي وغيرهما من رعايا الباب العالي ، فهؤلاء يعتمون بالأسود أو الأزرق أو الرمادي أو الأسمر الخفيف ، ويلبسون عامة الثياب القاتمة . ويرجع استخدام الألوان لتمييز بين المذاهب والمشارب والأسر المالكة إلى عهد بعيد . فإن الإمام إبراهيم بن محمد لما قتله الخليفة الأموي مروان اتخذ بنو العباس الثياب السود لباساً لهم حداداً عليه ، ومن هنا أصبح سواد اللباس والعمامة الزي المميز للعباسيين وولاتهم . حتى أنهم كانوا إذا غضبوا على عامل حكموا عليه بلبس الأبيض . أما اللون الأبيض فقد اختاره مدعي النبوة (المقنع) ليميز حزبه عن العباسيين ؛ كما اختاره فواطم القاهرة لعدائهم لبني العباس . وكان سلطان مصر الملك الأشرف شعبان الذي حكم من سنة ٧٦٤ إلى ٧٧٨ هجرية – ١٣٦٢ إلى ١٣٧٦ ميلادية أول من أمر بتمييز الأشراف بالعمامة الخضراء. ومن الدراويش الرفاعيين من يلبسون عمامة من الصوف الأسود أو من الموصلي الزيتوني القاتم . أما عمامة الأقباط واليهود وغيرهم . فهي عادة من الموصلي أو الكتان الأسود أو الأزرق . والعمامة الغالبة الآن في مصر لا تختلف أشكالها كثيراً . فعمائم الخدم معقدة ذات تلافيف حلزونية مدرجة ، وكذلك عمائم كبار التجار والمتوسطين منهم وغيرهم من سكان العاصمة والمدن الكبيرة ، إلا أنها أقل حجماً منها . والعمامة التركية في مصر أكثر أناقة ؛ والعمامة السورية تمتاز بسمتها . وكان العلماء ورجال الدين والأدب يلبسون العمامة الواسعة الكبيرة

(١) ويلبس الزعبوط في الشتاء غالبا

(٢) يسمى « كمر » (٣) يسمى « شمار »

(١) وهناك نوع من الثياب الزرقاء أو البيضاء يسمى « ملاية » يلبسها بعض الرجال وأغلب النساء ؛ وسنصفها عند الكلام على ملابس النساء ويتشح بها الرجال فوق الكتفين أو حول البدن

ويسمونها « مُقلة » كما ترى فى شكل ١٦ . والعمامة موضع الاحترام والإجلال ؛ فلها فى منازل الموسرين كرسى[1] توضع عليه ليلاً ولا يستعمل لغير هذا الغرض . وكثيراً ما يعد هذا الكرسى فى جهاز العروس ؛ كما كان من المعتاد أيضاً أن يكون للمرأة كرسى آخر لغطاء رأسها . ويحضرنى حكاية قصها على صديق أسوقها إليك مثالاً لمقدار الاحترام الذى يكنه الشعب للعمامة . فقد رووا أن عالماً سقط من فوق حماره فى شارع من شوارع المدينة فتدحرجت مقلته بعيداً عنه . فتجمع المارون وأخذوا يجرون وراء العمامة صائحين : ارفعوا تاج الإسلام ! ارفعوا تاج الإسلام ! بينما كان العالم المسكين طريح الأرض يناديهم مغتاظاً : « أنهضوا أولاً شيخ الإسلام »



شكل ١٦
(عمامة العلماء « المقلة »)

* * *

ننتقل الآن إلى وصف هيئة النساء العامة وملامحهن . فالمصريات منذ بلوغهن الرابعة عشرة حتى العشرين ، هن من حيث الجسم مثال الجمال ؛ ومحياهن يسر العين ، ويجذب النفس . ولكن سرعان ما يذوى هذا الجمال بعد أن يستحيل الشباب ويستكمل الجسم نموه . وطبيعة الجو تؤثر على طبيعة الصدر قبل الأوان ، فتتراخى هيئته وتستوى أجزاؤه ؛ بينما يحتفظ الوجه بكل فتنته . وبالرغم من أن تراخى الزمن لا يذهب رواءهن ، فإن كثيرات منهن متى بلغن الأربعين يصبحن ، ولو كن جميلات فى شبابهن ، قبيحات الصورة كريهات المنظر . وأنوثة المصريات يبدأ نموها عند التاسعة أو العاشرة تقريباً ؛ فتبلغ عنفوانها فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة . ويلاحظ أن سحن النساء كسحن الرجال ؛ إلا أن الشمس لاحتجابهن لا تسفعهن ، ويعتزن بمحياهن البيضى الجميل ، وقد يمرُض فى بعضهن . أما العيون فدعجاء ، نجلاء ، لوزية الشكل ، وطفاء الأهداب ، تفيض وداعة تملك النفوس ، وسحراً يسبى القلوب ، ولم أر فيما رأيت عيوناً أجمل من العيون المصرية . ويزيدها جاذبية احتجاب الملامح بالنقاب . وتأثيرها فى النفوس يزيده كحل الجفون كما ترى فى شكل ١٧ . والكحل سناج اللبان المطرى المحروق . ويصنع أيضاً من سناج قشر اللوز . وهذان النوعان مع الاعتقاد بفائدتهما للعين يستعملان للزينة فقط . إلا أن هناك أنواعاً أخرى تستعمل لخواصها الطبية الحقيقية ، وأخصها مسحوق الرصاص[1]، المضاف إليه العنزروت وعرق الذهب وسكر النبات ومسحوق الذهب البندق ، وأحياناً مسحوق اللآلئ .



شكل ١٧
(عين مكحلة)

ويقال إن الأثمد كان يستعمل قبلاً لتكحيل أصول الأهداب . وتكحل العين بمِرْوَد صغير من الخشب أو العاج أو الفضة ، دقيق الطرف كليل الحد ، يبل أحياناً بماء الورد ثم يغمس فى المسحوق ويمرر بين الجفنين . والوعاء الزجاجى الذى يوضع فيه الكحل يسمى « مُكْحَلَة » كما ترى فى شكل ١٨



(شكل ١٨ — مكاحل ومراود)

وعادة التكحل كانت شائعة بين الجنسين فى مصر القديمة ؛ وهى ظاهرة فى نقوش المعابد والمقابر المصرية ورسومها . وكثيراً ما اكتشف فى المقابر القديمة مكاحل فيها آثار الكحل ومراودها ، (شكل ١٩) . ولكن طريقة التكحل القديمة تختلف بعض الاختلاف عن الطريقة الحديثة كما ترى فى شكل ٢٠ . وقد رأيت فى ضواحى القاهرة نساء يكحلن أعينهن على الطريقة القديمة ، ولم أصادف ذلك إلا مرتين



شكل ١٩
(مكحلة ومرود قديمان)



شكل ٢٠ — الطريقة القديمة فى التكحل)

(١) يسمى « كرسى العمامة »

(١) « كحل الحجر »

وهذه الطريقة نفسها كانت شائعة في عقائل الإغريق ونساء اليهود في قديم الزمن (١) . وعين المصرية على الجملة أجمل ما في وجهها . ويلاحظ أن جمال الملامح في المصريات أقل من جمال الهيئة ؛ ولكني بصرت بوجوه يميزها نوع من الحسن ينم عن حلاوة العذوبة ويعبر عن فتنة الأنوثة ؛ فيأخذ بمجامع القلب إلى حد ينكر الإنسان وقتاً ما أن الله لم يخلق للمصريات مثيلات في أي بلد آخر . والقليل من النساء يسفرن أمام الغريب مدفوعات إلى ذلك بالرغبة في إظهار جمالهن وإن ادعين غير ذلك . ومن ثم لا يستطيع الأجنبي أن يبني رأياً صحيحاً من هؤلاء النسوة . ولكن مثل هذه العيون لا يمكن أن تخلق إلا في الوجه الحسن ولو كانت تقاطيعه متوسطة الجمال ؛ أما الأنف فمستقيم القنا ؛ والشفاه أغلظ من شفاه الرجال دون أن تصل إلى غلاظة شفاه الزنوج ؛ غير أن الفم وغيره من قسمات الوجه تقرب من الجنس الحبشي . وأما الشعر فهو من ذلك الأسود الحالك المصقول الذي يناسب السحن كلها غير السحنة البيضاء ، وقد يكون غليظاً بعض الشيء ، ذا حلق من دون تجعيد

ويخضب نساء الطبقات الراقية والوسطى والكثير من الفقيرات أيديهن وأقدامهن بأوراق الحناء ، فتكتسب أطرافهن لوناً أحمر مشرباً بالصفرة ، أو برتقالياً قاتماً . والكثيرات منهن لا يصبغن غير أظافر الأصابع ، وبعضهن لا يتعدين عقود الأنامل ، والبعض الآخر يرسمن خطاً على صف العقود التالية ؛ وغير ذلك من الأشكال الغريبة الأخرى . إلا أن الطريقة الغالبة هي تخضيب أطراف الأيدي والأرجل حتى المفاصل الأولى ، وكذلك راحة الكف وبطن القدم (٢) ؛ وأحياناً يضاف خط بجانب المفاصل الوسطى وآخر فوق أصابع القدم بقليل كما ترى في شكل ٢١ ،



شكل ٢١ (تخضيب الأيدي والأقدام بالحنة)

والخضاب يكون بسحق أوراق الحناء وعجنها بالماء ، ثم تبسط على راحة الكف وأجزاء اليد الأخرى ، ثم تثنى الاصابع وتقبض اليد ، وتربط برباط من الكتان ليلة بطولها ؛ وكذلك القدم . ولا ينصل الخضاب إلا بعد أيام ، فيجدد كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع . وعادة الخضاب ليست قاصرة على مصر ، بل تتعداها إلى بلدان الشرق التي يموِّنها شاطئ النيل بالحناء

والحناء على الأظافر تكون أكثر لمعاناً وأشد صفاء وأطول بقاء . كما أن تخضيبها أو تخضيب الأصابع يعتبر بحق زينة للنساء ، إذ يحسن لون البشرة ويكسبه رقة . بيد أن بعض النساء يعمدن إلى طرق لا يستسيغها الذوق الأوربي ، فيُعقبن الحناء بمعجون من الجير والسناج وزيت بذر الكتان فيتحول لون الحناء الجميل إلى لون أسود أو زيتوني مشرب بالسواد . وكثيراً ما يلاحظ ميل النساء إلى هذه الطريقة فيُغيِّرْنَ مخضبات الأظافر أو الأصابع بهذا اللون القاتم ، إلا أنهن يتركن العقود الوسطى بحمرة الحناء ؛ والكف على النقيض من ذلك يتوسطه خط عريض أسود ؛ وبعضهن يتبعن أبسط الطرق فيسودن الأنامل وراحة الكف كلها .

(يتبع) عدلي طاهر نور

---

(١) وكثيراً ما يستعمل الملقاط لترجيج الحاجبين وزيادة تقوسهما

(٢) ويقال إن التخضيب له تأثير لطيف على البشرة ، وعلى الأخص يقي الجلد شدة الرخوصة والحساسية

ليالي القاهرة

الدمعة الخرساء ! . . .

للدكتور إبرهيم ناجى

عرفتُ الذى تُخفين عرفانَ مُلهَمِ إذا الدمعةُ الخرساء لم تتكلمِ
وأنتِ سماء يعشقُ المرء نورَها ويعشقُ ما فى أفقها من نجومِ
وإنى إذا عيناكِ بالدمعِ غامتا جديرٌ بأن يمشى على هُدْبها فمى
عيني أحلّقْ فى سمائكِ طائرًا ويسبحْ خيالى فى سناكِ المعظَّمِ
لأن ضوء البدرِ إحسانُ محسنٍ له أينما يسرى تفضّلُ مُنعمِ
طوفُ به فى الناضرِ المتبسّمِ وينشره فى الدارسِ المتهدمِ
ويا رُبما يغشى الخميلة ضاحكًا فتحلمُ فى جوٍّ من السحرِ مُبهَمِ
وينشرُ فى الأطلالِ ظِلًّا كأنه خيالُ الأمانى فى محاجرِ نُوَّمِ

ابرهيم ناجى

من غربة الروح

فى وادى التيه ! . . .

للأديب عبد الرحمن الخميسى

شرّدتنى بين المجاهلِ أيا مى فصاحت فى وجهى الفلوات :
أيها التائه المنقلُ فى الرمـ ـلِ خطاه ضاقت بك العثرات
قدك ! إن المسير أنهك أقدا مك والأفقُ غائمٌ والسماء
والأعاصيرُ نائحاتٌ حواليـ ـك وبين القفارِ عاش المماتُ
أينما سرتَ فالخرابُ مقيمٌ أنقذيه من البلى يا حياةُ !
وخذيه إلى الذى يبتغيه حولك الشعرُ والهوى والغناء
وكأن الرياح تسألنى : ما ترنجيه لم السرى والعناء ؟
قلتُ : أهوى أسيرُ إنى أراها هاتِه واحةٌ ! ونعم ضياء !
وتغربتُ فى المهامهِ عطشا نَ ولكن على عزّ الماء
أحملُ الفرحة الكبيرة بالآ مالِ هانت حيالها الأعباء
وأغنى على الجديبِ كأنى بلبلٌ راقه الشذى والنبات
أقتلُ الجوعَ والصدى فى فؤادى بالأمانى . . . وكلهن هباء
وبلغتُ السراب لم ألقَ شيئًا أين ما كنتُ أرتجى يا سماء
ضاق بي الكونُ كله يا إلهى بعد أمى وقطبت لى الحياةُ
يا عواءَ الذئابِ فى البلقعِ المجرو دِ ! يا معنًى قدسته الفلاةُ !
كفَّ عن مسمعى فلم يبقَ غيرى وأنا ميتٌ كما قد ماتوا !

عبد الرحمن الخميسى

عيناها . . .

للأديب أحمد أحمد العجمى

إن فى عينيكِ من سحرِ الهوى فتنًا ترقصُ فى قلبي سكارى
كلما أرسلتِ منها فتنةً تتهادى أشعلتْ فى القلبِ نارا
وإذا أمعنتُ سرًّا فيهما فتلتنى عينكِ الوسنى جهارا
أنتِ يا فاتنةَ الدنيا ، ويا بابلَ السحرِ ويا قيدَ الأسارى
لم تكن عينكِ إلا قبسًا كابتسامِ الفجرِ يفترُّ افترارا
وهى الآن سهامٌ وظبًا تقتلُ الصبَّ وتحييه مرارا
فاصنعى ما شئتِ يا فاتنتى إن فى عينيكِ ليلًا ونهارا !

هدِّنى روعى ! وقولى لدمى ويك يا ظمآن لا تشكُ الأوارا
هذه عينى ! وذياك فمى وإذا الوردُ رأى خدّى توارى
ثم تشكو ظمأ الروحِ معى وأنا أسقيك من عينى عقارا
آهِ لو ترجعُ أيامُ الهوى إذ خلعنا فى لياليها العذارا
وقضيناها ولا ندرى بها بين أحلامٍ كأنفاسِ العذارى

أحمد أحمد العجمى



حول التعليم في العراق

ألقى الأستاذ فاضل الجمالي مدير التربية والتعليم في العراق في مساء الثلاثاء ٩/٩/١٩٤١ محاضرة قيمة عن التعليم في العراق على جمهرة من رجال التربية والتعليم في مصر بنادي المعلمين

وقد تحدث الأستاذ عن سياسة العراق التعليمية، وكان من بين المشكلات التي أثارها مشكلة الامتحانات، وذكر أن العراق — علاجاً لهذه المشكلة — تتجه إلى أن تكون المدرسة هي صاحبة الرأي الأول في نجاح الطالب إلى أن يصل إلى الامتحانات العامة وهي التي تعقدها وزارة المعارف، ثم أمَّلَ الأستاذ أن يتعاون رجال التعليم في مصر والعراق في بحث هذه المشكلة

ومشكلة الامتحانات قديمة في مصر وغيرها، وأذكر أن كثيراً من اللجان عقدت في مصر وطال فيها بحثها. ولا شك أنها اهتدت إلى نتائج، ولكننا لا نرى أثراً لهذه النتائج في مدارسنا؛ فالامتحانات هي هي، مقياسها خاطئ وميزانها مختل.

وقد يكون من وضع الأمور في مواضعها أن نقول إن هذا الرأي الذي تتجه إليه العراق — وهو أن تكون المدرسة هي صاحبة الرأي الأول في نجاح الطالب — هو الرأي الذي رآه من قبل أستاذنا القباني بك وأشار إليه في كثير من بحوثه القيمة في التربية، بل إنه وضعه موضع التنفيذ في المدرسة النموذجية الملحقة بمعهد التربية فنجح أي نجاح

والطريقة المتبعة في هذه المدرسة أن يجتمع المدرسون بعد امتحان الفترة الأخيرة ونصب أعينهم نتائج الفترات الثلاث لكل تلميذ وما حصل عليه في اختبار الذكاء وسن التلميذ، وأخيراً رأي كل مدرس فيه، ومن كل هؤلاء يوضع التلميذ موضعه من النجاح أو البقاء في فرقته أو نصح ولي أمره بتوجيهه إلى الوجهة التي يصلح لها إن لم يكن يرجى منه في وجهته خير، وقد يشرك ولي أمر التلميذ - في بعض أحوال خاصة - في نجاحه أو بقائه.

ويظهر أنه قد تبين لأولياء الأمور، عند بحث هذه المشكلة في مجلس النواب، صواب هذا العلاج لمشكلة طال عليها الأمد فعزموا على الأخذ به في بعض الفرق الأولى، ولعلنا نراه قريباً في جميع الفرق وفي جميع مراحل التعليم ناجحاً نجاحه في المدرسة النموذجية.

محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة النموذجية

١ — حول كتاب الأستاذ الرافعي عن فريد بك

قرأت في العدد (٤٢٩) من «الرسالة» كلمة للأديب لبيب السعيد عن هذا الكتاب اختلف فيها مع نفسه ونقض في آخرها ما أثبته في أولها؛ إذ قال عنه: «إن الشباب سيجدون فيه كتاباً تاريخياً دقيقاً»، ثم قال بعد ذلك عن المؤلف: «إنه يتعقب زعيما بعينه فيبحث له عن زلات! ويفسر تصرفاته بما يسيء إلى سيرته». وهذا كلام لا يمكن لقارئ منصف أن يقبله؛ لأن الدقة في التأريخ تتنافى مع البحث عن الزلات وتلمس المساوئ؛ ويلوح لي أنه كتب هذه الكلمة قبل أن يقرأ الكتاب؛ أو هو قرأه ولم ينتبه إلى ما فيه من الحقائق والوثائق! وآية ذلك أنه لم يذكر لنا شيئاً من مواضع الإحسان ولا مثلاً من مآخذ الإساءة. ولو ذكر لنا ولو حادثة واحدة غيرتها حزبية المؤلف عن وضعها الطبيعي وردها هو إلى حقيقتها التاريخية لوجدنا في كلامه ما يستحق النظر.

ولعل هذه هي المرة الأولى التي يُرمى فيها الأستاذ الرافعي بالميل مع الهوى. ولعله كذلك الرجل الوحيد الذي أجمع مخالفوه في الرأي والسياسة على نزاهته وعفته. وقد كان المغفور له «سعد زغلول باشا» يفاخر بمعارضته في مواقفه البرلمانية، ويتخذها مثلاً للمعارضة النزيهة.

ولست أدري بعد هذا من أين جاء لبيب أفندي بما ادعاه على الأستاذ وهو شيء ليس في كتابه ولا في أي كتاب من كتبه.

٢ — أدعياء الشعر

تصفحت عدد السياسة الأسبوعية رقم ٢٣٩ فلفت نظري فيه قصيدة منشورة في صفحة الشعر تحت عنوان (أفي الحق أن

أنسى بلادىَ سلوة؟) وهى قصيدة مشهورة من عيون شعر الأستاذ معروف الرصافى شاعر العراق. وقد نشرت فى الصحف والمجلات منذ أكثر من عشرين سنة! وهى مطبوعة فى كثير من كتب المحفوظات المدرسية. وهى موجودة أيضاً فى ديوان الرصافى ومطلعها:

هو الليل يغرى بالأسى فيطول ... ويرخى وما غير الهموم سدول

أبيت به لا النازيات طوالع ... على ولا للطالعات أفولُ

لفت نظرى أن أقرأ هـذه القصيدة منشورة فى السياسة الأسبوعية فى عدد الأسبوع الماضى بإمضاء «صلاح الدين الضيف، من تمى الأمديد». ولم أعجب لجرأة هذا الشاعر على انتحال شعر غيره لعلمى أن لصوص الشعر والأدب كثيرون ولـكن الذى عجبت له، هو غفلة هـذا المسكين وحرصه على ألا يضع توقيعه الـكريم إلا على قصيدة معروفة لشاعر مشهور!

فإذا كان هذا الشاعر قد أرضى شهوته بنشر اسمه تحت هذه القصيدة. فماذا يكون حاله حين يعرف الناس أنه رقيع، وليس له من هذه القصيدة غير التوقيع؟.

(المنصورة) على عبد الله

على هامش القاموس السياسى – «أفغانستان»

من الـكتب القيمة التى ظهرت فى هـذه الأيام كتاب: «القاموس السياسى»، ولست أنكر ما تحمله الأستاذ أحمد عطية الله فى وضع هذا الـكتاب من التعب والنصب، وقراء العربية يشكرونه على ما جمعه فيه من المعلومات القيمة المختصرة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمختلف بلدان المعمورة وإن كنت أعترض فى كلمتى هذه على بعض ما كتبه فى قاموسه عن بلادى، فذلك ذكراً للحقيقة وخدمة للقراء الـكرام

١ – يقول الأستاذ فى صفحة ٣٢ من قاموسه: «واستولى على العرش أمان الله خان الذى شن غارات ضد انجلترا، انتهت بعقد صلح فى عام ١٩٢١»؛ ولقد لفت نظرى تسميته حرب استقلال أفغانستان بشن غارات، والله أعلم أنها لم تكن شن غارات، بل حرباً نظامية فى ثلاث جبهات وعسى أن يوفقنى الله إلى شرح هذا الموضوع فى المستقبل

٢ – يقول الأستاذ فى نفس الصفحة السابقة أيضاً: «وفى عام ١٩٢٦ لقب نفسه بالملك أمان الله»؛ وأعتقد أن الأستاذ يوافقنى على أن هذه الجملة تتعارض مع كتاباته السابقة التى قال فيها: إن أمان الله خان استولى على العرش عام ١٩١٩، وإن انجلترا اعترفت باستقلال أفغانستان عام ١٩٢١

فإذا كان أمان الله خان لقب نفسه بالملك عام ١٩٢٦، فبماذا كان يلقب من عام ١٩٢١ إلى ذلك التاريخ؟

إن ما عمله أمان الله خان عام ١٩٢٦، هو إنشاؤه مجلساً عاماً للأمة برياسته كان يسمى «لوى جرگه» جمع فيه أعيان الأمة ونوابها وعلماءها ومفكريها ليستشيرهم ويتباحث معهم فى الإصلاحات الداخلية للمملكة

٣ – قال الأستاذ فى صفحة ٣٣ من كتابه عن العلم الأفغانى إنه أخضر وأحمر وأسود بنقوش فى وسطه وليس العلم الأفغانى كما قال الأستاذ، بل هو أسود وأحمر وأخضر. أما النقوش التى فى وسطه والتى ذكرها الأستاذ، فهى رسم للجزء الداخلى من الجامع بالمحراب والمنبر

محمد هارون المجددى

إلى الأستاذ النشاشيبى

جاء فى مختار الصحاح مادة «سخُف»، السخف بوزن القفل رقة العقل وبابه طرب فهو سخيف، وقد استوقفتنى عبارته «من باب طرب»، لأن الأوزان القياسية التى تأتى من باب فعِل فى الصفة المشبهة لم يذكر فيها هذا، ومع أنى لا أنكر أن باب الصفة المشبهة كثيراً ما يعتمد على السماع، إذ قد ورد من باب فَعِل أوزان سماعية منها: سعيد وسقيم وأسيف ومريض ... إلى غير ذلك. فقد حاولت أن أقف على الحقيقة كاملة، فاتجهت إلى معاجم اللغة الـكبرى كلسان العرب والقاموس والأساس فلم أجد من نص على أن سخف من باب

فعِل بل ضبطت فى كل المعاجم المذكورة بالضم على أنها من باب فعُل

جاء فى القاموس: سخف كـكرم سخافة فهو سخيف، وجاء فى الأساس: وقد سخُف الثوب سخافة وهو السخيف النسج والصحاح للجوهرى مع أنه الأصل لـكتاب مختار الصحاح وجدت الـكلمة فيه أيضاً مضبوطة بالضمة. قال فى الصحاح: سُخفة الجوع رقته وهزاله يقال به سخفة من جوع. والسُّخف بالضم رقة العقل. وقد سخُف الرجل بالضم سخافة فهو سخيف. الجزء الثانى مادة سخف

هذا ما قدرت على بحثه ومراجعته وهو وإن كان يخول لى تخطئة المختار إلا أنى لا أزال أتوجه إلى الأستاذ النشاشيبى راجياً أن يبين لنا وجه الحق فى هذا؛ وإنى لفى لهفة وشوق للتزود من معارفه وآفاقه الواسعة التى وعتها مجلة الرسالة الغراء. وبمناسبة ما جاء فى مختار الصحاح، أنقل كلمة للمرحوم الشيخ نصر الهورينى فى مقدمته لـكتاب الصحاح للجوهرى، يقول: «اختصر هذا الـكتاب ابن الصائغ الدمشقى والجوابى والرازى. ومن بينهم المولى محمد المعروف بالقيسى المتوفى سنة ١٠١٦ ومختصره أنفع وأفيد من مختار الصحاح. كذا قيل لكنه لم يشتهر

وإذا كان هذا الـكلام صحيحاً فما الذى منع وزارة المعارف عن طبع هذا المختصر؟... لعل الأستاذ يذكر لنا شيئاً عنه، ويعرفنابه؛ فلعل الوزارة تسمع صوته فتقوم على طبعه؛ وللأستاذ منا أصدق الشكر والمحبة

(بستان دمياط) عبد المنعم سليمان مسلم

تعقيب

رأيت الأستاذ «الـكاتب الـكبير» حفظه الله يقول فى مقاله «أحاديث التلاميذ المصريين» الرسالة رقم ٤٢٨ (... إن عيشنا رتيب رتيب) وفى قصيدة الشاعر حافظ ابراهيم الميمية «أذنت شمس حياتى بمغيب» يقول الشارحون الفاضلون للبيت:

لا ولا يسئمه ذاك الذى يسئم الأحياء من عيش رتيب «الذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى: الراتب لا الرتيب». الجزء الثانى من الديوان طبعة عام ١٩٣٧

قلت: وكثيراً ما اجتهدت أن أقع على كلمة رتيب فيما أقرأه من الشعر والأدب القديمين ولـكنى إلى اليوم لم أظفر بذلك والذى جعلنى أخوض فى ميدان التنقيب اللغوى، وهو ميدان وعر المسالك لا أحب لنفسى الخوض فيه، هو اضطرارى أحياناً إلى استعمال هذه الـكلمة فى الشعر فانكب عنها لعدم اطمئنانى إليها

فهل للـكاتب «المبارك» أن يبين لى رأيه فى ذلك أو يطلعنى على ورود هذه الـكلمة فى قول قديم، فيفيدنا من علمه وأدبه، أعز الله قلمه فيما يصول ويجول؟

«نابلس» فدوى عبد الفتاح طوقان

فى اللغة

أشكر للأستاذ العلامة الكبير وحيد بك جوابه عن سؤالى الخاص بكلمة «هناء» ومع ثقتى بعلمه واطلاعه أرجو أن يسمح لى بسؤال آخر فى سبيل الخدمة اللغوية العامة:

بحثت أنا وبعض أصدقائى من الأدباء عن «هناء» فى لسان العرب وتاج العروس والمحيط للفيروزابادى والأساس للزمخشرى. حتى... المصباح المنير ومختار الصحاح، فلم نجد هذه الـكلمة

فهل يتفضل السيد العلامة الـكبير وحيد بك بأن يرشدنا — أنا والأصدقاء المنضمين إلىّ فى هذا السؤال — إلى المرجع الواردة فيه الـكلمة المذكورة؛ والذى نعتقد من تحقيق العلامة الـكبير أنه من المراجع الموثوق بها.

(ع. ع)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 431

Lundi - 6 - 10 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة «القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٩٤١» العـدد ٤٣١

الفهـرس

صفحة

١٢٢١ السعادة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٢٢٤ أومن بالانسان ! ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
١٢٢٧ التصريح بعد التلميح في توجيه الجيل الجديد ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٢٣١ شاعر الجرمان الأعظم ... : لأستاذ جليل ... ...
١٢٣٣ ثيموستوكل ... ... : الأستاذ محمد الشحات أيوب
١٢٣٥ مصر والعالم العربى ... : الأستاذ عمر الدسوقى ...
١٢٣٧ حول المسابقة إلى الثانوي : الأستاذ سيد قطب ... ...
١٢٣٩ التعليم الأولى والالزامي ... : الأستاذ مصطفى شكرى بك
١٢٤٢ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... : للمستشرق ادورد وليم لين ... بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٢٤٥ غالية ... فى لبنان [قصيدة] : الأستاذ أنور العطار ... ...
أغنية البحيرة « : الأديب حسن أحمد باكثير
١٢٤٦ جواب ... ... : الأستاذ العلامة الكبير «وحيد»
ما لابن عبد ربه ... ... : الأستاذ أحمد صفوان ...
١٢٤٦ تحقيق فى نسبة حديث ... : الأستاذ سعيد الأفغانى ...
١٢٤٧ حول نقد كليلة ودمنة .. . : الأستاذ حسين منصور ...
١٢٤٨ حول كتاب «محمد فريد» أيضا : الأديب لبيب السعيد ...
محنة التعليم ... ... : الأستاذ ناجى الطنطاوى ...

السعادة ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

أرسل إلىّ الأديب عبد القادر محمود الذى عرف نفسه إلىّ بأنه «أحد الكتاب المحدثين» مقالاً عن السعادة مشفوعاً بخطاب يرجونى فيه «أن أصغى إلى حديثه قليلاً ثم أرد على صفحات الرسالة الغراء بما يروى ظمأه ويرشده إلى الحق إن كان قد حاد عن سبيله»

وخلاصة مقال الأديب أن السعادة وهم ليس له وجود، وأن بعض الأشقياء مطبوعون على الشقاء فهم به سعداء، وأن كل ما يقال عن السعادة إعادة لما قيل

ويسألنى الأديب بعد ذلك ماذا أقول ؟

فلا أدرى هل سأعيد قديماً بما أنا قائل فى هذه الصحيفة، أو أننى مسوّغ هذه الإعادة بتصوير طريف

ولكنى لا أحسب الكاتب مطالَباً باختراع الآراء التى لم يسبق إليها، ولا أرى عليه من غضاضة أن يبدى رأياً تقدم أصحاب الآراء بإبداء مثله، وإنما الشرط أن يصدر عن تجربة، وأن يروى عن خبرة، وأن يكون لكلامه لون من نفسه وحسه وتفكيره، ولا عليه بعد ذلك أن يتشابه ما يقول وما كان قد قيل

والسعادة فى رأيى لا استحالة فيها إلا كالاستحالة فى كل مطلب من مطالب هذه الدنيا.

فأنت إذا أردت كسوة جميلة فى نسجها ولونها وتفصيلها

فأنت إذا أردت كسوة جيلة فى نسجها ولونها وتفصيلها وثمنها ومتانتها وجدتها حيث توجد الكثيرات من أمثالها

أما إذا أردت كسوة هى المثل الأعلى الذى لا يعلى عليه ولا يجارى فى جمال النسج وجمال اللون وجمال التفصيل وسهولة الثمن وطول البقاء فقد أردت المستحيل ، لأنك أردت المثل الأعلى الذى ليس له مثيل ، وهو بطبيعته فوق ما ينال

والسعادة إن أردتها سعادة لحظات أو سعادة لذات معهودات فأنت واجدها لا محالة فى وقت من الأوقات

أما إن أردتها سعادة العمر أو سعادة فى كل شىء لا نظير له ولا انقطاع لها فتلك هى الاستحالة التى لا تنفرد بها السعادة ، ولا فرق بين تعذرها وتعذر كل مطلوب على تلك الشريطة

فليست السعادة بوهم ، وليست الكسوة بوهم ، وليست اللقمة السائغة بوهم ، ولكن اللقمة السائغة مع رخصها وخجل بعض الناس من المقابلة بينها وبين السعادة تساوى السعادة الكبرى فى استحالتها إذا أنت خرجت بها من عالم المعهود وارتفعت بها إلى عالم الأحلام المأمول

لأن الاستحالة من طبيعة الأحلام ، وما من حلم يتحقق إلا بطلت تسميته بالحلم وانتقل إلى المحسوسات والمدركات

فالسعادة طبقات وأصناف

والصنف الرخيص منها موجود وموفور ومبذول ، والطبقة القريبة منها على متناول الباع الطويل والباع القصير

فإذا قيل : إن أصنافاً منها لا تبذل ولا تتوافر ، فكذلك الصنف الغالى من كل شىء ، حتى العدس والقطن والورق والتفاح

وإذا قيل : إن الطبقات العالية منها لا تنال أو لا تنال فى كل حين ولا ينالها كل إنسان ، فكذلك كل طبقة رفيعة من كل سلعة وكل ثمرة وكل موجود

هناك لحظات سعيدة فى الحياة . فهناك إذن سعادة لأمراء

ولكن ليس فى الدنيا أناس سعداء ، لأن السعادة اللازمة للانسان فى كل حالة وكل مطلب هى المثل الأعلى ، وهى الحلم ، وهى الغاية التى لا تدرك ، والبغية التى لا تنال

وما هى السعادة بعد هذا ؟

هل هى من عالم السكينة أو من عالم الحركة ؟ وهل السعيد من لا يتحرك ، أو السعيد من لا يسكن ؟

هى هذا وذاك ... ! !

فالسكينة سعادتها وللحركة سعادتها، ولكنهما لا تتشابهان:

سعادة السكينة رضى وارتياح خاليان من الشوق والطموح ، وسعادة الحركة تقدم ونجاح خاليان من القناعة والاكتفاء

ومن يبغ هذه لا يبغ تلك ، ومن طلبهما فليطلبهما متفرقين فى زمنين مختلفين ، لأنهما لا يجتمعان

وما لنا لا نقول : إن المثل الأدنى فى التعاسة نادر كالمثل الأعلى فى السعادة . فأشقى الأشقياء وأسعد السعداء فى الدنيا اثنان متكافئان متعادلان ، ولعلهما لا يوجدان ! !

ولو خرج أحد من الرحالين ليجوب أقطار الأرض باحثاً عن أشقى شقى للزمه من الوقت والعناء قريب مما يلزمه فى بحثه عن أسعد السعداء !

فلا يقل حانق على السعادة إنها مستحيلة فى هذه الدنيا ، لأن استحالتها من جنس كل استحالة ، ولأن يسرها من جنس كل يسر ، ولأن الفرق بين المثل الأعلى والمثل السائر فيها كالفرق بينهما فى أكلة أو لبسة أو رشفة أو ما شئت من متع الحياة

وهى ليست - بعد - شيئاً واحداً كتلك الجوهرة المكنونة التى يحكون عنها فى الأساطير ويتخيلونها فى كل يد تعثر بها على استواء ، لا فارق بين يد العبد ويد السيد ، ولا بين يد الجاهل ويد الخبير

وإنما السعادة سعادات : سعادة هذا شقاوة ذاك ، وسعادة إنسان فى حين من الأحيان غير سعادته فى غير ذلك الحين

أتسألنى عن السعادة المطلقة بالقياس إلى كل إنسان وإلى كل حين ؟

تلك ليس لها وجود ، وكذلك كل شىء مطلق من القيود والملابسات فى عالم القصور والفناء

* * *

ولنعلم أن اختلاف الناس فى أمر السعادة إنما هو اختلاف شعور قبل أن يكون اختلافاً فى الرأى والنظر

فهم يشعرون بالسعادة على اختلاف ، وإن فكروا فيها على اتفاق ؛ وهم يختلفون فى شعورهم بين عمر وعمر وبين حالة وحالة كاختلافهم فى كل ما يحبون وكل ما يكرهون

وأرجع إلى نفسى فأرانى قد شعرت بالسعادة على وجوه قلما تتماثل فى بضع سنوات

فى الشباب كنت أقول لها :

لا تطمعى اليوم منى بالسعى خلف خيالك

فقد سألتك حتى   مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لما   سحرتنى بجمالك
فلا تمرى ببالى   ولا أمر ببالك
أشقى الأنام أسير   معلق بحبالك

تلك دالة الشباب يحسب أن السعادة خليقة أن تسعى إليه ، وأنه إذا أومأ إليها بيده فلم تبادر إلى لقائه فقد أسرفت عليه فى الدلال ، واستوجبت منه الإعراض والملال

وبعد حين كنت أحسب السعادة فى النسيان فأقول :

لذة النفس فى السلافة والشعر   وفى الحب والسكرى والغناء
خير ما فى الحياة يا قلب ما أنسا   ك ذكر الحياة والاحياء

وتلك هى مرحلة التجربة الأولى فى انتظار التجربة الثانية .

فأما التجربة الأولى فهى تجربة الفتور الذى يعقب الإلحاح الباكر : إلحاح الشباب فى الآمال

وأما التجربة الثانية ، فهى التى تعقب ذلك الفتور أو تلك الراحة ، من نشاط ووثوب

وجاءت فترة كنت أحسب السعادة فى الخطر :

عش آمن السرب كما تشتهى   ما نحن ممن يغبط الآمنين
إن حياة الأمن فى شرعنا   مشنوءة مثل حياة السجين
كلاهما يخفره حارس   مسدد النظرة فى كل حين
أيتها الأخطار علمتنا   بأننا الأحرار لو تعلمين

وهذه هى الفترة التى كنت أرى فيها الراحة حظاً للوضيع والتعب قسمة مفروضة على العظيم

إن الشقى الذى لا صنو يشبهه   وللأصاغر أشباه وأمثال

ثم تكاملت عواطف النفس فتاقت إلى نصيبها من المجاوبة الناجحة والمقابلة المستوفاة ، وأيقنت أن السعادة مشهود لا يرى بعينين اثنتين بل بأربعة أعين ، وعاطفة لا يحسها قلب واحد بل قلبان متفقان ، فمن رامها بعينين وقلب فكأنما يرومها شطراً مسلوخاً من جسم ميت ، لأن الأجسام الحية لا تعيش شطرين

إن السعادة لن ترا   ها فى الحياة بمقلتين
خلقت لأربع أعين   تخلو بها ولمهجتين
لك مقلتان ومهجة   أترى السعادة شطرتين؟

والتقيت بالزهاوى رحمه الله وأنا أومن بأن السعادة حقيقة وليست بأكذوبة ، فلما قال الأستاذ الزهاوى : لا سرور فى الحياة ولا لذة ، وإنما اللذة عدم الألم . قلت : هذا كقولنا إن الحياة عدم الموت ، والأولى أن تعكس القضية فيقال : إن الموت عدم الحياة

قال : ولم تقرن اللذة بالحياة وتجعل لهذه حكم تلك فى القياس ؟

قلت : إن الحياة قوة إيجابية لا قوة سلبية ، وكذلك الشعور بما يوافقها هو قوة إيجابية من نوعها وليس امتناع قوة أو عدمها ؟

والآن ؟

تسألنى ما قولك الآن !

قولى الآن أننى أعرف السعادة من وجهها ومن قفاها ، وفى صدقها وفى ريائها ؛ ولكننى أقاربها وأنا مشفق من عواقبها ، إذ أنا على يقين من كشف الحساب الذى يعقب كل نشوة من نشواتها . وكشف الحساب هذا عملة مسكوكة من المحظورات والمخاوف والشكوك ، وهى العملة التى تشترى بها السعادة على اختلاف أصنافها وطبقاتها ، فعلى قدر السعادة يكون الثمن ، وعلى قدر النشوة يكون الحذر والألم والتنغيص !

ولا أكتفى مع هذا بأن أقول : إن الخوف لازم لأداء ثمن السعادة ، بل أزيد عليه أن الخوف لازم لمعرفتها ولو بذلت لك بذل السماح ، وإن الخوف حافز إليها يغريك بنشدانها . فمن لم يخف لم يسعد ، وليس بالعالم الذى لا خوف فيه حاجة إلى السعادة !

عباس محمود العقاد

٩ – أومن بالإنسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

استجابة

أعود إلى الكتابة تحت هذا العنوان استجابة لنداء الحياة ونداء النفس ؛ فقد نادتنى الحياة الانسانية الراهنة الزاخرة إلى الايمان به وبمستقبله برغم إثمه وشره فى عصره هذا ، وحملتنى على ذلك بنبوتها ومعجزاتها . والحياة المدنية الحالية نبوة ! نبوة شبوعية ... أخذت جيع أمم الأرض بمعجزاتها وأخضعت أعناقهم بأدواتها المأخوذة من أسرار الطبيعة . فلنعرفها على حقيقتها . ولنعلم أنها باب الملكوت الذى وعدت به رسالات الشرق الأولى التى وجهت الانسانية

إنها نبوة الطبيعة وقوانينها ، وحقائق الأشياء وبراهينها ... لا نبوة الارشاد والترتيب والكلام الذى ألقاه الرجال الآباء فى سمع الانسانية وهى فى أدوار تكوين الضمير وتطبيع الأعصاب وتوجيه الأخلاق بالرحمة والاخلاص وسمو النظرة إلى الانسان فى حياته هنا وفى مصيره هناك ... وهى صفات لا بد منها فى المهود والمدارج ...

فإن أنا لم أستجب لنداء هذه الحياة بالجسم الخفيف السريع ، والفكر اللطيف الملماح الحاذق الفطن لأسرارها ، الواعى لخطرها وقيمها ، العارف باتجاهات قافلتها ... كنت من المتخلفين البلداء الكافرين بنعمة الله ! ولله فى هذه الحياة المدنية الحالية نعم جليلة لا يكدرها إلا عنف وحماقة وطيش من بنيها

وقد نادتنى النفس التى حاولت جهدى أن أحفظ لها حدودها وطابع عالمها الخاص وألا أسمح بطغيان الجسد عليها طغيانا يجعلها تذهل من ذاتها وتخلط بين معدنها الخاص والمعادن الأرضية إلى الايمان بها كذلك ، وحملتنى على ذلك بما كشفته لى من آفاقها الخاصة التى لا دخل التحليل البيولوجى والفسيولوجى فيها

وكنت حريا — وأنا أطلب الحق — أن أستمع الندائين فأوفق بين نداء النفس ونداء الحياة ، وأن أرى ضلال الذين عكفوا على الحياة المادية وحدها أو على النفس وحدها ولم يزاوجوا بينهما

انتقال أسرار الطبيعة إلى الفكر — خليفة القهار — إدراك المادة ثم النفس ثم الله — لا عمق فى العالم المادى — الفكر مجال مؤقت ومجال منتظر — باب مفتوح وباب مغلق — مضى عهد مضغ الكلام — لا سدود أمام الانسان — الطبيعة هى الحكم فيما يمكن وما يستحيل — تربية تعلم غزو الطبيعة — الطبيعة المطيعة — عصر الاحساس بقدرة الفكر — أسئلة يجب ترديدها دائما

ألقت الطبيعة أكثر صورها إلى فكر الإنسان ، وانتقل إلى ذهنه جانب كبير من أسرارها وقوانينها ، فصار يقلدها ويصنع فى موادها ما يشاء من ألوان التجسيم والتشكيل والتحريك ، ويسلط بعضها على بعض ، وصار له مقام معلوم ملحوظ بين عوامل التكوين والتخريب فيها ...

وقد بنى أساس هذا التقليد على قواعدها الكلية ، وبقى التنويع والتفريع الذى لا ينتهى فى الجزئيات والأشكال

وقد وصلت يده إلى منابعها وموادها الأولية : فهو يبحث الآن فى الذرّة والكهرب والأثير ، ليعرف المبادئ الأولى للمادة والقوة والدفعة الأولى التى ابتعثتهما ودفعتهما ...

فماذا ينتظر الإنسان بعد فراغه من هذا التسلط ؟ وما هى النتائج ؟ أهى المغالبة والمنافسة والشهوة على الأساليب التقليدية الجاهلية ؟ إن هذه نتائج لا تتلاءم مع عالم فكره العالى ، ولا يصح أن تكون أهدافاً لهذه الصرامة والجد العظيم الذى تسير به الحياة وقوانينها فى خدمته ... وإن المغالبة والمنافسة والشهوة بأساليبها المعروفة الوضيعة ، ينبغى أن تكون غير ذات خطر عنده ، بعد أن عرف آفاقاً جديدة لشهوات رفيعة ، وهى تحقيق أحلامه فى الكشوف العلمية والانطلاق السريع بالطيران والسبح والسبق وإزالة الحواجز والسيطرة على القوى الآلية ، وغير ذلك من طلائع مجده وملكوته المرتقب !

إن الله قاهر فوق الطبيعة ، وهو يدرب « خليفته » فى الأرض على التغلب على العقبات التى تعترض طريق أحلامه الطليقة وأفكاره المحررة من قيود المواد الثقيلة . والله أنشأه فى الضرورات والآلام ليفتق هو الحيلة للخلاص منها ، ويكمل وسائل السيطرة الذاتية على المادة ؛ وإذا اطرد السير على منهاج تاريخه الذى عرفناه ، فسوف يتغلب على كل شىء

إن فكر الإنسان قانون ينمو ويتدرج غير واقف عند حد ؛ وقوانين الطبيعة صارمة جامدة متحجرة . ونموه فى ذاته يجعل الطبيعة نامية به . ألا ترى ما يستحدثه فيها من المعجبات التى لا تنتهى ؟

وأرجو أن يفهم هذا القول فهماً عميقاً ، لأننا إذا فهمنا فكر الإنسان على هذا ، أدركنا موضعه ورسالته فى الوجود ، وأحللناه محلاً رفيعاً يدفعه إلى العمل والسير فى منهج محدد واضح ، وحملنا ذلك على أن نحوطه دائماً بقوانين تحفظه من الارتداد والضلال ، ونتدرج به حتى نستوعب كل مباحث المواد والقوى ، ونستخرج به أسرارها الكامنة ، وننتقل به نقلة تسلمنا إلى الوقوف على عتبات عالم آخر ، لعله أن يكون عالم النفس ...

وإن إدراك النفس لا يتأتى إلا بعد إدراكها ما فى الكون المادى ؛ وهذا هو سر قلقها ونبشها فى الطبيعة وعدم رضاها عن ركن واحد منها ؛ وكلما أخذت من الطبيعة سراً ، أحست أنها

تقترب به إلى إدراك ذاتها الجزئية ، لتدرك من وراء ذلك علماً من الروح الأكبر !

أجل . إن إدراك الكون لا بد منه لإدراك النفس ، إذ أن الفكر يرى كل عمق فى الحياة المادية يصير ضحلاً بعد ترديد النظر عليه واستيعابه بالإدراك . وطبيعى أن تشعر النفس بعد هذا الاستيعاب أنها أوسع وأعمق من الموجودات المادية ؛ وأن ترى آفاق الحياة المادية عددية لا أكثر وليس لها عمق ولا نهائية ؛ فهى فى موجودات الطبيعة ومستحدثات الإنسان لا تتعدى اختلاف النسب التركيبية بين العناصر التى تزيد قليلاً على التسعين

وما يخيل إلى البعض من أن هناك أعماقاً وأغواراً لا تنتهى فى المادة إنما هو صورة مما يحدث للناظر إلى لوحة فنية بارعة ذات صنعة موحية مثيرة للشعور باللانهائية . حتى إذا ما كشط سطحها قليلاً تذكر أنها ليست أكثر من تمويه وتخييل وبراعة فى بسط الأصباغ والأضواء والظلال وقبضها ، وتكشف له السطح الزاخر باللانهائية عن باطن محدود لا يتعدى ألوان الطيف السبعة !

إن الإنسان لم يعد يؤله الماء والنار والهواء والتراب ويفرغ عليها أوهام القداسة والهول اللذين كانا لها فى ذهنه قديماً ، بعد أن حلل عناصرها وركبها وتسلط عليها وسبر أغوارها . ولم تعد النفس العالمة التى تشرف على لجة البحر أو لجة الهواء أو أغوار التراب أو جحمة النار ، ترى فيها أكثر من مواد وقوى عمياء محكومة بقوانين أخذتها النفس فى حوزتها وجعلتها من مدخرات فكرها ، وتستطيع أن تولد بها ناراً وهواء وماء . . .

إنى أشعر حينما أقلب بصرى فى آفاق السماء وآفاق الأرض أن فكرى لا يستطيع التعمق فيها إلى ما لا نهاية ، بل يقف عند نهايات معينة هى العناصر المحدودة التى تألفت منها مادة السماء والأرض ، والنسب الهندسية والحسابية التى قام عليها بناء الأجسام وتشكيلها ؛ ثم يبدأ الإحساس بفراغ وعماء لا صور فيه ولا خواطر عنه

وطبيعى أن نظرة مثل نظرتى هذه لا يكون وراءها إحساس بخشية من الطبيعة ذاتها كما كان الأمر عند سكان الأرض القدماء الجاهليين ، لأن حدودها رئيت وأسرارها عرفت وصورها طبعت فى النفس ، ولكن يكون وراءها إحساس بخشية ورهبة من ذلك الذى خلقها هائلة هكذا وجعلها بهذه النسب الرياضية والهندسية والقوة الهائلة الجبارة . . .

إذاً ما هو المجال الحيوى غير المحدود لهذا الفكر الإنسانى الذى يرى عمق الكون المادى ضحلاً بعد ترديد النظر عليه ومعرفة أسرار تركيبه وقوانينه الهندسية والرياضية ؟

إنه لا بد عالم لا نهائى لا تدركه الأبصار والمناظير ولا تحلله المخابير ، ولا تسبر آفاقه المسابير والمعايير ، ولا تدركه علوم الزمان والمكان !

وطبيعى أن هذا المجال الحيوى بهذا الوصف لا يمكن أن يكون للفكر الإنسانى قدرة على إدراكه هنا فى هذه الدار التى نعيش فيها بالحواس وقيود المواد الثقيلة الكثيفة ، والفكر المحدود

ولهذا يجب أن ينصرف الفكر الإنسانى عن محاولة اقتحام هذه السبحات ويتوجه إلى المجال المحدود المؤقت الذى وضعنا فيه لندركه هو أولاً ونفرغ من استيعاب أسراره وظواهره

وإن من يريد التعمق الآن فى إدراك ما وراء الطبيعة ولا يقنع منه باللمحات والخطفات فلن يظفر بمحصول غير الشرود والخبال

وقد برهن تاريخ الإنسان على ذلك . فالأمم التى لا تزال تطلب فى هــذا العصر علم اليقين بالنفس والله قبل إدراك قوانين العلم الطبيعى ، والتى لا تزال تطلب الله عن طريق الشعر والوجدان وحده كالمندوكيين ولا تطلبه عن طريق البحث فى أرضه وهوائه ومائه والتطلع العلمى إلى سمائه ، ولا تَقُصُّ آثار يده فى صنع نماذج الطبيعة لتعرف مقدار ما عنده من العلم والإحاطة بالجزئيات والكليات ، ولا تلخص أسرار صنعته وتختزلها فى قوانين ومعادلات حسابية وجبرية ، ولا تحاكى نماذج الطبيعة ، إنما هى أمم بدائية ضالة طريق تحقيق الأوطار والأشواق إليه ، جل مجده ، قليلة العلم بما عنده من أفانين تتجدد ولا تنفد ، تعرفه عن طريق العواطف والرموز ، لا عن طريق الفكر والوضوح

إن الإرادة العليا مصرة على إغلاق ما وراء الطبيعة الآن أمام فكر الإنسان ، ولعلها تفتحه بعد أن يفرغ من إدراك كل ما فى الطبيعة أولاً

أما الطبيعة ذاتها فقد دل تاريخ العلوم على أن أبوابها تفتح لمن تركوا اتخاذ الكلام غاية وحيدة للحياة ، وعكفوا على محاريبها وأطفالها وموجوداتها يقلبون النظر والفكر واليد فيها ثم يتكلمون بعد ذلك . . .

إن الكلام وسيلة لا غاية . هو قوالب لاختزان المعانى التى تنشأ من المزاوجة بين خواطر الفكر وخواص المادة . هو أوعية

الحقائق المرفوعة من الأجسام، إلى عالم التعبير والصور والأرقام. فلا يصح أن تمتلئ بتكاذيب الأمانى وتخييلات الأحلام، إلا أن تكون تمهيداً من عالم الخيال والمثال لعالم الواقع. وكثيراً ما هدت سوانح الشعر إلى حقائق العلم ...

* * *

فلا يضمن أحد الحدود النظرية أمام عمل الإنسان فى الطبيعة ما دامت هى تلبيه وتتفتح له وتنتج. ولا يجوز حمله على السكون والركون إلى مواريث الأفكار القديمة التى تجعل الطبيعة أمام الإنسان حرماً مقدساً يجب التهيُّب من الشروع فى تغيير شىء فيه أو تنقيحه بالزيادة أو النقصان ...

فهى وحدها الحكَمُ الذى تُرضى حكومته فى العمل فيها أو تركه ...

فما دامت تفتح له الأبواب وتهتك الأستار فليدخل وليتوغل وهو موقن بأن هذا عمله الذى خلق من أجله ... وليس إبقاء الطبيعة كما هى بدون تغيير عبادةً كما كان الزعم القديم، ولكن صار تغيير الطبيعة إلى الأصلح هو العبادة ...

والتربية الناجحة هى التى توحى للنفس ألا تتقهقر وتتضاءل وتنزوى فى نفسها أمام قوى الطبيعة، بل تجعل من النفس قوة غازية موجبة غير سالبة، تؤثر فى الطبيعة بالتسخير والتحويل والتنقيح ... والتربية الشرقية على العموم لا تزال تؤول قصور النفس الناشئ عن الجهل والكسل والعجز أمام الطبيعة بتأويلات تحمل فيها الأقدار العليا أكثر مما تحتمل، وتفر من وجه الحدود والعوائق تحت تأثير قناعة مصطنعة تحيكها أخيلة طفلية، ولا تأخذ ما فى الحياة وإنما يأخذها ما فى الحياة

وقد كان الاعتماد على القوى السحرية هو أساس العمل لتحقيق الأمانى؛ والآن صار الاعتماد على القوى الآلية فى الطبيعة هو أساس ذلك العمل

لقد قدمت الطبيعة الطاعة أمام فكر الإنسان؛ فهو يأخذ نواصى كثير من قواها بقوانينها هى، وقد عرف الأبواب الخفية التى يتسلل إليها منها فأمعن فى غزوها

وإن أعمال العلماء الطبيعيين قد اكتسبت من جبروت الطبيعة شيئاً من الهول والاجتياح والاتساع؛ فمدافع كروب الثقيلة البعيدة المرمى، والقنابل الشديدة الانفجار، والقلاع الطائرة، والمناطيد، والخزانات العظيمة، والمحطات الكبرى لتوليد الكهرباء، والمصانع الواسعة، والإذاعة المبثوثة باللاسلكى وتعبيد الطرق العظيمة كطريق نيويورك — ميامى مثلاً، أو إكسبريس الشرق وغير أولئك ... كلها أعمال عظيمة تمتاز بطابع الاتساع والهول والجهد الجبار

ولا يتوهمن متوهم أن هناك عداوة وغيظاً وحرباً ذات حقد بين الإنسان والطبيعة، وإنما الطبيعة صدر رحيب كصدر أم يمرح عليه أطفالها

نحن بنو الطبيعة ونتاج عواملها وتأثيراتها الظاهرة والخفية، جسمنا منها وعقلنا وتجاربنا، ولكن روحنا من الله بارئها؛ ولذلك كان لنا قدرة عليها وافتنان فى تنقيح موجوداتها ومحاكاتها والزيادة عليها... فلنبدأ عصر يقظة بالإحساس بحياتنا الممتازة، والإحساس بقدرتنا الفائقة على الأعمال العظيمة. وليكن ديننا هو حيرتنا ودهشتنا: كيف خلقنا؟ وكيف اقتدرنا؟ وكيف نعلم؟ وكيف نعمل؟

إن الراحة الدائمة هى فى أن نلقى بأجسامنا على صدر الطبيعة مفكرين فيها باحثين عاملين ... وبأرواحنا بين يدى ربها متصرفين إليه صابرين على الدهشة والحيرة والإيمان بالغيب حتى يأتينا اليقين فى الآفاق وفى الأنفس. ولا بد وراء ذلك من تأويل ويقين!

قد يطير الطير فى أجواز الفضاء وهو فى ذهول ... وقد يسبح الحوت فى جوف العباب وهو فى ذهول ... وقد تدرُجُ الوحش والأنعام والبهائم على أديم الأرض وهى فى ذهول ... ولكن ابن الإنسان ينبغى له أن يتساءل دائماً: كيف أحيا؟! وكيف أفكر؟! وكيف أدرُج؟! وكيف أسبح؟! وكيف أطير؟! ثم كيف أريد وأقتدر؟!

وينبغى له ألا يغفل عن ترديد هذه الأسئلة:

ما الذى أخرج الإنسان من ركام الموات والجمود ومختلط القوى العمياء التى يزخر بها الكون؟

وما الذى وضع فكر الإنسان واختياره وسط الدورات الجبرية التى تتداول الأرض؟

وما الذى هيأ له مهاده الوثير المريح المستقر وسط النيران والصخور وتدافع القوى العمياء؟

إن رحلة واحدة فى جوف الماء الزاخر، أو الهواء الدافع، أو النار الموارة، أو التراب الثقيل الفادح المتراكم... كافية أن تشير لنا إلى موضعنا وخصوصياتنا فى الكون، وإلى رعاية من أخرجنا وسط هذه الأهوال والقوى العارمة المجنونة فى مهاد من رحمته بين عوامل جبروته وسطوته!

عبد المنعم محمد خلاف

التصريح بعد التلميح

فى توجيه الجيل الجديد

للدكتور زكى مبارك

كنت أوهم قرائى أن غايتى من المساولات القلمية هى إيقاظ الحياة الأدبية بعد أن طال عليها الهجود . وذلك غرضٌ نبيل ولـكنه أصغر من الغرض الذى أتسامى إليه ، وهو نقل المجتمع فى أخلاقه وآدابه من حال إلى أحوال

وقبل المضىّ فى شرح للغرض الذى أرمى إليه بهـذا المقال أذكر أن المجتمع المصرى مجتمع سليم ، فقد نهض بأعباء لا ينهض بها من يكون فى مثل حاله من التعرض لمكاره التقلبات الدولية . وخبرتى بطبقات المجتمع فى كثير من البلاد الشرقية والغربية دلتنى على أن المجتمع المصرى مفطور على التماسك ، وأقنعتنى بأن شبان مصر على جانب من الأخلاق التى تصوغ أكابر الرجال ، وإلا فكيف سَلِمتْ مصر من التصدع برغم ما تعانى من حوادث وخطوب ؟

هذا حق ، وإذن فلا خوف على مصر ما بقيتْ تلك المناعة من الانحلال

ولـكنى مع ذلك خائف على مصير بلادى . ففى كل يوم أرى جماعات تغرى الشبان بالرجعة إلى العصور السحيقة ، عصور الجمود والخمود

ومن عجيب ما يقع فى مصر أن تكون الدعوة إلى الأخلاق مقصورة على أناس لا يعيشون إلا بأسندة من المجتمع ، مع أن العقل يوجب أن تصدُر الدعوة الأخلاقية عن رجال أقوى من المجتمع ، رجال يقيمون البراهين على أنهم فى حيوية ذاتية تعصمهم من المداهنة والرياء ، وتضمن لهم النجاة من مزالق التصنع والازدلاف

الدعوة إلى الأخلاق تصدُر عن الأقوياء لا عن الضعفاء ، لأن الأصل فى الخُلُق أن يكون قوة روحية وعقلية وذوقية تصل بصاحبها إلى شرف الثقة بالنفس فى غير ازدهاء ولا اختيال

أما صدور تلك الدعوة عن أناس لا يستطيعون مواجهة أمواج الحياة إلا إن أمددناهم بالعون والرعاية فهو عمل لا نرضى عنه إلا إذا نوينا التصدق والإفضال

وأقول بصراحة إنى لا أستريح إلى من يدعوننا فى كل يوم إلى التخلق بأخلاق العصور الذواهب ، بعد أن عرفتُ ما عرفت من أخبارها السود ، فقد كان الرجل يُسجن وتُستصفَى أمواله بلا تحقيق ، لأتفه الشبهات ، وكان التاريخ يُكتَب بالأجر فيجوز فيه الكذب والتهويل بلا حساب

فى العصور الماضية وُجِد حكام ولم توَجد شعوب ... وإنى أحب أن يكون فينا رجل مثل عمر بن الخطاب ، ولـكنى أكره أن نعيش على النظام الذى عاش عليه عصر عمر بن الخطاب ...

وأنا أرحّب بعودة هرون الرشيد ، ولـكنى أكره أن يعود عصر هرون الرشيد ، فما يسمح عقلى بقبول الصورة التى عاش عليها المسلمون فى عهد ذلك الخليفة العظيم ، وإن لُوّن عهدُه بروائع الألوان

وما رأيكم فى الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى وُلد فى بلادنا الغالية ؟

كان غاية الغايات فى إيثار العدل ، وأنا أتمنى أن يعود ، إن كان للأموات إلى الدنيا مَعاد ، ولـكنى أكره أن يعود عهدُه مرة ثانية ، فقد كانت الأمم الإسلامية فى تناحُر وشقاق ، وكانت الإدارة الحكومية أضعف من أن تجمع الشمل ، وترأب الصدع ، وترتق الفُتوق ، فكانت أيامه قنطرة تحمل أثقال الفِتَن من جانب إلى جانب ، بلا نِظام ولا وثاق ، وهى أيام لها سوابق ولواحق ، وبشؤمها المأثور هوت الأمم الإسلامية إلى المهاوى التى سجّلها التاريخ

وخلاصة القول أن « السّلف الصالح » لا يتمثـل فى غير الحكام العادلين ، وهم آحاد أو عشرات ، أما الشعوب فى تلك العهود فلم يكونوا يحتكمون إلى غير السيف ، وقد كان وحده الفَيْـصل فى أكثر ضروب الخلاف

ماذا أريد أن أقول ؟

أريد النص على أن التعلق بأهداب العصور الماضية ضلال فى ضـلال ، وأن الذين يريدون أن يردّونا إليها ليسوا إلا أحياء يحملون قلوب الأموات ، وإن تردّوا بأردية الصالحين والأتقياء !

لم يكن للشخصية الفردية وجود صحيح فى العصور الخوالى ، ولا كان أحد يجرؤ على مواجهة الحكام بنقد ما يقع فى أعمالهم من جور واعتساف ، إلا نوادر من المعارضات قام بها أفراد من الزهاد والصوفية . نوادر فَـرِح بها عشاق الصراحة والعدل

فسجلوها بطنطنة وتهليل ، لأنها كانت فى أنظارهم من جملة الغرائب والأعاجيب ... وهل يُنَصّ على شىء إلا إن كانت فيه غرابة توجب الالتفات ؟

وخلاصة القول أنى أدعو إلى مدنية العصر الحديث ، فهى آخر ما اهتدت إليه العقلية الإنسانية ، وإن لم تخلُ من نقائص وعيوب . وسنساير هذه المدنية إلى أن تجىء مدنية أفضل منها وأنفع ، على فرض أن العقل الإنسانى يرتقى من يوم إلى يوم . ولعله يكون كذلك بفضل ما يرتطم فيه من مآثم الطغيان الدولى ؛ وهو طغيان يخلُق النفرة من البغى والعدوان ، ويورّث نار الثورة على الظلم والظالمين

والحق أن عيوب المدنية الحديثة ليست بشىء بجانب مزاياها الأساسية ، وإنما يقع الخطأ من الغفلة عما لها من محاسن ، والوقوع فيما لها من عيوب . ولو كان لنا جميع فضائل الأقوياء وجميع مساويهم لتبدّل الحال غير الحال وصرنا على جانب من المَنَعة نصاول به من نعاصر من كبار الشعوب ، ولكن الخوف يساورنا من ناحية واحدة ، هى صعوبة التسلح بالفضائل وسهولة التردى فى العيوب

وهنا نقطة دقيقة لا أحب أن يَغفُل عنها قرائى ، فقد يتوهمون أنى أنهاهم عن اتباع ما ورثوا من محمود التقاليد ، — وهذا وهمٌ فظيع — ففى التقاليد القديمة أشياء وأشياء تستحق الإعجاب . وليس عندى ما يمنع من أن يكون فينا من يساير المحمود من تقاليد القرن الثالث أو الرابع ، على شرط أن يحسّ تلك التقاليد إحساساً يمنحها قوة الفاعلية الأخلاقية ، أما متابعة السلف بلا وعىٍ ولا إحساس فذلك ضربٌ من الجمود البغيض ، لأنه يردّنا إلى الحيوانات التى تسير فى طريقها المرسوم بلا تبصّر ولا إدراك . وبالإشارة يكتفى اللبيب !

لك أن تساير ما تشاء من المبادئ الأخلاقية ، مادمت تؤمن بالمبدأ الذى ارتضيته منهاجاً لحياتك ... وقد أصل إلى أبعد الحدود فأقول : إنه لا خوف عليك من التخلق بأبغض الأخلاق فى نظر المجتمع ، على شرط أن تكون اقتنعت فى سريرة نفسك بأنك على هدىً وأن معارضيك فى ضلال . فالذى نشكوه هو ضعف النزعة الخُلُقية ، كأن نرى جماهير تسير سير القطيع بلا إرادة ولا تمييز ، وتلك بداية الخذلان

يجب حتماً أن تكون لك إرادة صحيحة فيما تنصرف عنه وما تُقبِل عليه . ولا قيمة لطواعيتك لآداب المجتمع إن خلَتْ تلك الطواعية من النية ... وهل يثاب من يقرأ القرآن على طريقة الببغاء ؟

لقد أنكر قوم صحة الصوم بالنسبة إلى من لا ينوى الصيام . فما معنى ذلك ؟ معناه أن العمل بلا نية ضياع فى ضياع

وأنت قد رأيت ناساً تأدبوا بأفضل ما أُثِر من آداب المجتمع ، ثم ظلوا متخلفين . ورأيت ناساً ثاروا على المحمود من تقاليد المجتمع ، فما ضرّهم ذلك ولا فاتهم شىء من الطيبات . فهل تعرف سرّ هذه الظاهرة الحيوية ؟

يرجع السرّ إلى أن النية هى الأصل فى موجبات الضر والنفع ؛ فالذى يساير التقاليد الجيدة خضوعاً للمجتمع بدون أن يكون له فى الإيمان بها نصيب يظل طول عمره ضعيف الكفاية الأخلاقية ؛ وقد يُنسى فلا يشهد يوم الحساب ، لأنه صار أداة آليّة ، ومن كان كذلك فلا مكان له بين من يستحقون الحمد ، ومن يستأهلون الملام ... والذى يثور على المجتمع وهو مؤمن بأنه على حق — وإن كان فى الواقع من المبطلين — هذا الثائر قوى جداً من الوجهة الأخلاقية ، وهو أقرب إلى الله ممن يسايرون التقاليد الجيدة وهم غافلون عن مدلولها الصحيح

وهنالك طبقة منحطة أبشع الانحطاط ، وهى الطبقة التى تثور على التقاليد المحمودة بلا نية ولا إرادة ولا عزيمة ، وإنما تصنع ما تصنع على سبيل التظرف السخيف ، لأنها سمعت أن الثورة على تقاليد المجتمع تعد أصلاً من أصول التمدن الحديث ، وهذه الطبقة هى التى تعوّق الوثبات الإصلاحية ، وهى التى تعطى الحجة لأهل البلادة من دعاة الخضوع لقديم التقاليد ، بلا تفريق بين الزائف والصحيح

وهؤلاء المتظرفون السخفاء هم خصومنا الألداء . فإليهم يرجع السبب فى نفرة الجمهور من الوثبات الإصلاحية ، وإن كان حالهم أقل بشاعة ممن يسايرون القديم على علاته ليسرقوا ثقة المجتمع الغافل عن مسالك أهل الرياء

والرأى عندى أنه لا قيمة لأى عمل إن لم يَصدُر عن النفس بحرارة وإيمان ، وإن كان فى ذات نفسه من جلائل الأعمال ، لأن القيمة الأخلاقية ترجع فى جوهرها إلى النية الصحيحة

فيما نأتي وما ندع ، بغض النظر عن الاهتداء إلى طريق الصواب. وقد ينتفع الخلي أعظم الانتفاع بما يزاول من أخطاء ، لأن الله لا يحاسب من يقعون فى الخطأ عن جهل ، ولأن أعمالهم حين تتسق مع ضمائرهم تصون الشخصية الخلقية من الانحلال ، ولا كذلك من يعملون الصالحات بغير نية أو عقيدة ، فأعمالهم لا تقدم ولا تؤخر

وفى رياضة النفس على التطبع بكرائم الأخلاق أواجه الموضوع بعبارة أوضح وأصرح فأقول :

إن عندنا اليوم جمهورين يقتتلان حول القديم والحديث من التقاليد ، ولكنه اقتتال غير منبعث عن عقائد راسخة الجذور فى الصدور ، ومن أجل هذا ظل عديم الجدوى فى إيقاظ الحياة الأدبية والاجتماعية ، وقد ينقضى هـذا العصر بدون أن نشهد ثورة فكرية تحل عقال الأفئدة والعقول كالثورة التى شهدها من عاصروا محمد عبده وقاسم أمين

ولكن ما أسباب هذا الجمود الدميم ؟

ترجع الأسباب إلى نوع الحياة التى يحياها المفكرون فى هذا الجيل ، وهم فريقان : فريق يعيش فى ظل الوظائف الحكومية ، وفريق يعيش فى ظل المنافع السياسية

أما الفريق الأول فأسير للمثل المغربى : « صاحب الوظيف وصيف » وانطباق هـذا المثل على الموظفين لا يحتاج إلى بيان . فالموظف فى مصر يهدَّد فى رزقه وأرزاق أبنائه حين يتعرض لغضب المجتمع ؛ والمجتمع يغضب لأضعف الأسباب ؛ وهو يريد أن يكون الموظف أداة حكومية كالأداة التى تسجل حضور الموظفين فى الصباح بدون أن تعرف ما تصنع ، فإن استباح الموظف لنفسه حرية الفكر والقول فله الويل ! ... أليس فى الدنيا أناس يحرّضون الرؤساء على مرءوسيهم بالخطابات السرية أو بالغمز المرذول فى بعض المجلات ؟

وعلى هذا يكون الأمل ضعيفاً جداً فى انبعاث الحياة الفكرية من بيئات الموظفين ، مع أنهم صورة الاستنارة الفكرية فى جميع البلاد ، بفضل حظوظهم من التثقيف والتهذيب

وأما الفريق الذى يشتغل بالسياسة من أهل الفكر والعقل فالأمل فى ثورته على غفلة المجتمع أضعف من الضعف ، لأن هذا الفريق يفكر دائماً فى المعارك الانتخابية ، وهى معارك لا يفوز فيها من يتعرض للقال والقيل ، ولو كان من أكابر الحكماء

السياسى لا ينجح أبداً إلا إذا راعى أهواء المرءوسين ، وفيهم الأحمق والعاقل ، والبليد واللبيب ، على تفاوت فى هذه الصفات لا يسرنى أن أقول رأيى فيه بغير التلميح

وعلى هذا يضعف الأمل فى انبعاث الثورة الفكرية من بيئات السياسيين ، كما ضعف الأمل فى انبعاث تلك الثورة من بيئات الموظفين .

فإلى أين تسير بلادى الغالية ؟ وكيف يجوز أن يمرّ بها زمن طويل أو قصير وهى محجوبة عن أقباس الحرية الفكرية ؟

هذا رجل يظاهر التمدن القديم ليقتات من فُتات الرجعيين ، وذاك رجل يظاهر التمدن الحديث لينتفع بجاه أدعياء التجديد ، وذلك مخلوق يساير أولئك وهؤلاء بلا بصيرة ولا يقين ، لأنه فى حقيقة أمره حيران ، أو لأنه ألِف السمسرة فى ميدان الأخلاق !

الرجعىُّ المؤمن بالرجعية غير موجود ، وإنما هو شبَح يتوهم أن له منفعة فى مؤازرة الرجعيين المزيفين

والمجدِّد المؤمن بالتجديد موجود ، ولكنه غير مزوَّد بالشجاعة الوافية ، بدليل أنه يترك أخاه دَريئةً لسهام السفهاء ، فلا يدفع عنه كلمة البهتان ، ولا يمدّ إليه يد المواساة حين ينتاشه الأغبياء !

إلى أين تسير بلادى الغالية ؟ إلى أين ؟ إلى أين ؟

لم ينبغ فى عصرنا مؤمن فى مثل حماسة الغزالى ، ولا صوفى فى مثل روحانية ابن الفارض ، ولا مرتاب فى مثل عقل أبى العلاء ، ولا فاجر فى مثل ظرف أبى نُوَاس ... فبأى وجه نلقى الله وقد خلا وادينا العزيز من أمثال هذه المعانى ؟ !

أتقدّم إلى الله حطبَ جهنم وهم المذبذَبون بين القديم والحديث ؟ !

وكيف نجيب إذا هتف هاتفٌ يوم القيامة بأن المصريين فى بعض عهودهم لم يراعوا حقوق واديهم الجميل ؟

قد يقال : إن عندنا رجالاً يثورون على ركود المجتمع من وقت إلى وقت ؛ وهذا حق ، ولكن ثورتهم فى أغلب أحوالها من الحديث المُعاد ، فهى فى ضعف المبتذلات ؛ فالنائب الذى صاح مرة بأن المصريين يختلفون فى الأزياء لم يأت بجديد ، فقد

سمع الناس هذه الصيحة قبل أعوام تُعدّ بالعشرات . وهذا الناثب نفسه لا يستطيع أن ينكر أن اختلاف الأزياء لم يعوّق «السلف الصالح» من النهوض ؛ فما سمعنا أبداً أن الأزياء توحدت في أمة إسلامية في العصور التي يلقبونها بالعصور الذهبية ، حتى يصح القول بأن اختلاف الأزياء هو السبب في تخلف الأمة المصرية ، والأستاذ الذي أتعب نفسه في الكلام عن انحلال الأغاني الشعبية لم يأت بجديد ، فقد قيل هذا الكلام ألوف المرات ، ولم يكن توكيده في احتياج إلى صيحة من عميد إحدى الكليات ! !

وأرجع فأقول إني أكره أن يعيش الجيل الجديد بلا بصيرة ولا يقين ، لأن هذا الضرب من العيش ليس إلا ضرباً من الموت ، وإليكم أسوق بعض الشواهد :

كثر القول في الدعوة إلى إصلاح الأزهر والمعاهد الدينية ، وقد شغلت نفسي بهذا الموضوع حيناً من الزمان ؛ ثم انصرفت عنه كل الانصراف ، حين شعرت بضعف الأساس الذي رجوت أن يقام عليه البناء

ولتوضيح هذا المعنى أقول : إني رأيت الأزهريين لا يثقون بمعهدهم إلا ثقة صورية ، ولو شئت لصرحت بأنهم يثورون عليه ثورة لا يسترها غير السكوت ، بدليل أنهم لا يلتفتون إليه حين يجدون فرصة للتحرر والانطلاق

كانت مشيخة الأزهر إلى الشيخ سليم البشري ، ومع ذلك ربّى جمهور أبنائه تربية مدنية لا دينية . ثم كانت إلى الشيخ أبي الفضل الجيزاوي، ومع ذلك ربى أبناءه تربية مدنية لا دينية. ثم كانت إلى أستاذنا الشيخ الأحمدي الظواهري، وقد ربى جميع أبنائه تربية مدنية . وشيخ الأزهر اليوم هو أستاذنا المراغي ؛ وقد ربى جميع أبنائه تربية مدنية ، وابنه مرتضى وكيل محافظة القنال وليس شيخاً لمعهد طنطا أو دسوق ؛ فماذا ترون في مغزى هذا الشاهد الطريف ؟ ألا يدلكم على أن الأزهريين لا يثقون بمعهدهم إلا ثقة صورية ؟

إن كان الأزهر هو المثل الأعلى في إعداد الشبان للحياة الدينية والدنيوية فكيف يفوت شيوخه الأجلاء أن يصونوا أبناءهم بالالتجاء إلى حصنه الحصين ؟

وإن لم يكن صالحاً لتربية هؤلاء الأبناء فكيف يفوت أولئك الآباء أن يصارحوا الأمة برأيهم فيه وهم هداتها إلى الدنيا والدين ؟

كان يتفق لبعض كبار العلماء أن يوزعوا أبناءهم بين المعاهد الدينية والمدارس المدنية ، كما صنع الشيخ محمد شاكر والشيخ عبد المجيد اللبان ؛ ولكن هذه الظاهرة قد انقرضت ولم يبق من الأزهريين من يربى أبناءه تربية دينية وهو يجد الوسيلة إلى تربيتهم على الطريقة المدنية ... أليس لهذا المسلك من المعاني ما يوجب التفات من يسجلون التطورات الاجتماعية ؟ أليس هذا بشيراً أو نذيراً بأن الأزهر يريد أن يتحول ؟

وما يقال في الأزهريين يقال في كثير من الطبقات : فالمدرسون في جملتهم لا يرضون أن يصير أبناؤهم إلى احتراف التدريس ، كأنهم يتوهمون أنه مهنة لا تمنح صاحبها أهلية الغنى والجد . فكيف يؤدى المدرس واجبه تأدية حسنة وهو ينظر إلى مهنته بعين الاستخفاف ؟

والموظفون الذين ينشرون الثقافة الزراعية عن طريق المقالات والمحاضرات لا يرضون لأبنائهم أن يكونوا فلاحين ، مع أن الفلاحة هي أساس الثروة المصرية

يجب أن تؤمن كل طبقة بأنها شريكٌ أمين في الهيئة الاجتماعية . ويجب أن نحترم جميع أعمالنا احتراماً يصل إلى الحب لنتذوق طعم القيام بالواجب في صدق وإيمان ، ولنستردّ ما أضعناه من المنافع بسبب الفهم الخاطئ لاختلاف الطبقات ، وهو اختلاف لا يتم بدونه وجودٌ صحيح

أما بعد ، فهذا مقال لم أرد به غير وجه الحق . وأنا أدعو جميع الكتّاب إلى الاهتمام بأمثال هذه الشؤون في صراحة لا يصدها تهيب ولا احتراس ، وليثقوا بأن الشعب المصري يقبل جميع الآراء ما صدرتْ عن نزاهة وإخلاص

الشعب المصري لم يخذل داعياً من دعاة الحق ، ولم يصمّ أذنيه مرة واحدة عن كلمة الصدق ، فقد استجاب لجميع المصلحين ، وحفظ لهم منازلهم في التاريخ ، فما تهيُّبُ بعض الكتاب من عرض ما يجيش في صدورهم من الآراء الصحاح ؟

أقدموا غير هيّابين . فما فاز غير المزوّدين بفضيلة الشجاعة ونعمة الإيمان .

زكي مبارك

شاعر الجرمان الأعظم

يحيى ولففنغ غوث

JOHANN WOLFGANG GŒTHE

لأستاذ جليل

طالع (يحيى ولففنغ غوث) ناظم معانى (إنّ بالشعب ...) باللسان الجرمانى على الدنيا سنة ١٧٤٩ وغاب سنة ١٨٣٢ وشعر ونثر — وقد هذب الدهر لغة القوم — فخير وبهر .

وقد روى الراوون محققين وصادقين أنه قَرزمَ(١) وهو ابن ست سنين ! « يا يحيى ، خذ الكتابَ بقوة ، وآتيناه الحكم(٢) صبيًا »

وهو ثانى اثنين فى الأقاليم الغربية لا ثالث معهما ، ولن يكون الثالث ... وإن سبق صاحب (هملت) فى القريض بجملة أقواله فقد بذّ غوثُ شكسبير بفوست . ليست لشكسبير شبيهة فوست

وغوث هـذا هو ذو المنقبتين أعنى العبقريتين : العبقرية الشعرية ، والعبقرية العلمية . وهما عبقريتان لا تلتقيان عند إنسان . فأعظمْ بدماغ لف هاتين القوتين ، وألّف بين الضَّرتين !(٣) أعظم به ثم أعظم !!

ولقد ظاهرت مؤلفات هـذا العبقرى مقالات الوحديين والنشوئيين(٤) وأشياعهم كما ظاهرهم قريضه — أيما مظاهرة . وقال فى (التحول)(٥) فى مباحثه ذات القدر فى النبات(٦) والحيوان مستقريًا مدققًا ، ومفصلاً موضحًا ، وهاديًا أولى النهى إلى تلك القرابات الواشجات قبل أن يقول ابن لامرك ، وقبل أن

(١) القرزمة : الابتداء بقول الشعر . (الأمالى ، التاج)

(٢) الحكم : الحكمة . وفى حديث إن من الشعر لحكما أى حكمة ويروى : حكمة

(٣) الضرتان : امرأتان الرجل ، سميتا ضرتين لأن كل واحدة تضار صاحبتها (اللسان) والضرائر الأمور المختلفة كضرائر النساء لا يتفقن (النهاية) بينهم داء الضرائر : الحسد (الأساس)

(٤) Évolutionnistes, Manistes

(٥) Tranformisme

(٦) فى كتابه المشهور Métamorphose des plantes سنة ١٧٤٠

نسمع ابن دروين . ويدُ هَذين الصلّين الملامتين فى تينك للقالتين(١) المشهورتين بما بسطا فى شرحهما ذا البسط وبتلك الإحاطة — مذكورة مشكورة لا تكفر . وللسلف الصالح كلمات فى هـذه المعانى مختصرة متفرقة فى المصنفات مبثوثة فى المواضع المختلفة ، وفى بعضها ما يلاقى تصريح بخنر وهيكل وهكسلى . وفى (الرسالة) ذات الرقم ٢٥٥ ص ٨٤٨ جلة ابن خلدون المجملة فى تدريج التكوين . إنها سنة الله فى إنشاء الكائنات « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

والأستاذ (أرنست هيكل) يذكر فى أكثر كتبه أعظم شعراء الجرمان ومفكريهم — كما يصفه — مفخما ومتقويًا بأقواله فى مقالته (الوَحدية (٢)) ومباحثه المحكمة المحققة النشوئية . وقد أورد فى كتابه (تأريخ الخلق الطبيعى (٣)) فى الباب الرابع نصوصًا أو شذرات من مؤلفات (غوث) تعلن سبقه رجال (المذهب) فى الاهتداء إلى ما هداه الله إليه

وكان نابغة الجرمان ، سيد الجرمان يجل قائدنا وهادينا (أبا القاسم) إجلالاً كبيرًا . ولن تغشّى حسناتٍ لغوث تخاليطُ فى (رواية) . وقصيدته فى يوم النصر ، يوم الفصل ، يوم (بدر) وشهدائه المؤمنين الخالدين الأبطال — شمس تضيء ، شمس مضيئة أو سورة . وإن قوله فى (القرآن) لهو القول . إنه يراه قد أعطِى فيه كل مقام حقه ، وأخذ كل معنى من مقاصده لفظه كما يراه قويًا (إِشْتِرْنك (٤)) عظيما ساميًا متعاليًا (إِرْهابِنْ (٥)) رائعًا مهيبًا (فُورْشْتْبار (٦)) قد خرق العادة ؛ فلا غرو أن يبلغ أثره فى العالم حيث بلغ

يا كتاب محمد ، يا كتاب عظيم الدنيا ، يا أعظم كتاب فى هذا الكون ، يا خالق هذى الأمة ، يا بانى ذاك المجد ، هل يعرفك حق معرفتك إلا العبقريون ، إلا الأقطاب الأغوات (الغوثيون) ؟ !

(١) Théorie de la descendance سنة ١٨٠٩ Théorie de la sélection سنة ١٨٥٩

(٢) Manisme

(٣) Histoire de la création naturelle

(٤) و (٥) و (٦) ألفاظ جرمانية من وصف (غوث) (الكتاب للمعجز الكريم .

هل يعرفك الجهلاء الأغبياء البله العمهون ؟

هل يعرفك العوام أو أشباه العوام من الأدّيبين والممعيين[١] ؟

هل يعرفك الشماريرِ أو المتشاعرون والكوتيبون الصغيرون الحقيّرون الأمّعون[٢] ؟

هل يعرفك كل وغد نغل (مزور) مائق من المضللين الوقحين ؟

ألا إن القرآن فى الكلام مثل محمد فى الأنام ، فإن وجدت لمحمد خطيراً[٣] ألفيت للقرآن نظيراً « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

وكان الأستاذ الأكبر (أرنست هيكل) يجهر كذلك بتبجيل (أكبر معانى الكون وصفوة النوع الإنسانى) ، وبتفضيل شرعته — والإسلام يعلو ولا يُعلَى — على تينك النحلتين . وذكره معظماً فى كتابه (أحاجى الكون)[٤] أو معضلات الكون — وفى غيره من كتبه — وأظهر فى ذلك الكتاب المادى أثر زيارته مساجد فى نفسه حينما جاء الشرق (سنة ١٨٧٣) مادحاً هدوءاً وخشوعاً وسكينة فيها ، وهاجياً ضجيجاً وعجيجاً وشعبذة فى معابد أقوام وملة سماهم وسماها ، ولا أرى أنا أن أسميهم أو أسميها فى هذا المقام حتى لا يغضب أصحاب لنا وأحباب

وغوث مطوق بفضل علمه وأدبه أجياد جميع الجرمانيين ، ولم يتفلت من قيد إحسانه متفلت منهم . فكل جرمانى — كما يقول أحد الجرامنة — إما أن يكون قد درس مؤلفات غوث فاستفاد منها، أو استفاد ممن درس مؤلفات غوث . ففضلُ (ذى المنقبتين) قد عم القوم قاطبة — عموماً

وإن شئت فقل : إن أمة غوث تتلو صحفه كما يتلو أهل الحنيفية (الكتاب) وكما يقرأ القراءون[١] من اليهود والنصارى التوراة والإنجيل

وكتبه عند الجرمانيين ثروة كريمة جسيمة ، وقد أربت على أكثر من مئتى مؤلف

وغوث هو شائد الوحدة الجرمانية الحق؛ فلغته وأدبه هما اللذان جمعا كلمة أولئك الأقوام المتفرقة ، وألفا بين قلوبهم المتوزعة . ولو أقامت (سياسة بسمرك) ألف سنة تجد فى الضم والتأليف ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن غوثاً ألف بينهم . إن سلطان الأدب والأديب واللغة فى الأمم لقوى عظيم

وصيت هذا العبقرى ومكانته فى غير أمته من الغربيين مثلهما فى أمته . وخلقه العالى وفضائله أعظم من شعره العجيب وعلمه . قال له كبير ذات يوم : ياغوث ، لقد أفاد الناس سلوكك ، وسيرتك أكثر مما استفادوا من علمك وأدبك . وأدبه وعلمه هما ما علمت

وإن بلاغة غوث وبراعة شكسبير لتعجزان عن أن تبينا فضائل تلك السيرة مزاياها وعجائبها ، فالجأ إلى التوهم واسجن فى عالمه

وقال نابليون بونابرت وهو يومئ بيده إلى القطب النوث (غيث) : هذا رجل[٢] !

ولو أنصف هذا الملك لقال : هذا ملك[٣]

إنما غوث ملك : ما هذا بشراً ، إنْ هذا إلا مَلكٌ كريم !

وإن غوثاً وأمثال غوث من العبقريين العظيميين الكرام الكاتبين الكاملين ، لمستغنون جد مستغنين عن شهادات الممجدين وإطراء المطرين من النابوليين وأشباه النابوليين

إنه الشمس تبدت ضحوة ، نورها الباهر خير الشاهدين ...

(***)

---

(١) فلان ممعى : لا رأى له يقول لكل أحد أنا معك

(٢) الأمع والأمعة هو الرجل لا رأى له ولا عزم ، يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على شىء ، والهاء فيه للمبالغة ، ولا نظير له إلا رجل أمر وهو الأحمق . وكذلك الأمرة وهو الذى يوافق كل انسان على مايريده ، وتامع الرجل واستأمع ، ورجال أمعون ، ولا يجمع بالألف والتاء (التاج)

(٣) فلان ليس له خطير أي ليس له نظير . وهذا خطير لهذا أى مثل له فى القدر ، ولا يقال للدون إلا للشىء السرى (اللسان)

(٤) Les énigmes de l'univers

---

(١) القراء — كرمان — الناسك المتعبد ج قراءون ، وتقرأ إذا تفقه وتنسك (التاج)

(٢) هذا رجل : أى كامل فى الرجال (الأساس)

(٣) قال الحكيم أبو العلاء :

ثلاث مراتب : ملك رفيع وإنسان وجيل غير أنس

فان فعل امرؤ خيرا تعالى إلى قنس الملائك خير قنس

وإن خفضته همته تهاوى إلى جنس البهائم شر جنس

فى الأساس : فلان واحد من جنسك ، وشعبة من قنسك : أصلك القنس بفتح أوله وكسره

شخصيات تاريخية

٢ - تيموستوكل

للأستاذ محمد الشحات أيوب
مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

كان اليونان إذن مهددين فى عام ٤٨٠ ق . م إذ علموا أن أجزرسيس سير جيشه الجرار من قلب آسيا الصغرى وأسطوله الضخم محاذياً السواحل الآسيوية والأوربية المحيطة بمضيق الهيلليسبونت لغزو بلاد اليونان ، طامعاً فى أن يقوم بما لم يستطع أن يقوم به أبوه من قبل وهو الانتقام من أثينا بل وإخضاع بلاد اليونان عامة ، فما كان عقله يصدق أن بلاداً صغيرة كبلاد اليونان تجرؤ على أن تقف فى وجه أعظم عاهل على وجه البسيطة حينذاك وهى على ما هى عليه من فرقة وانقسام وتباين واختلاف

وقد اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون فى تقدير عدد الجيوش الفارسية واليونانية ، ولكنهم إن اختلفوا فى هذا التقدير نجدهم يجمعون على أن جيش أجزرسيس كان عظيم العدد جداً ، وعلى أن جيش اليونان كان دونه بكثير

جاء الفرس بهذه الجيوش الضخمة ووصلوا إلى شمال بلاد اليونان بعد أن عبروا ما عبروا من بحار ، وجابوا ما جابوا من سهول ووديان، وتسلقوا ما تسلقوا من تلال وجبال ، وهم واثقون كل الثقة أنهم لا بد غالبون هـذا الشعب بل هذه الشعوب الإغريقية المختلفة على أمرها مقاصرين على انقسام اليونان وضعف اليونان وفقر اليونان ، وقد غاب عنهم أن اليونان كانوا يعرفون بلادهم تمام المعرفة ويثقون بقوادهم الذين سيقودونهم إلى النصر لأنهم يدافعون عن أعز شىء فى الحياة وهو الحرية والاستقلال

وكان تيموستوكل على علم بحركات الفرس كلها . لذلك أعد بلاده خير إعداد ، وجهزها بما كانت تحتاج إليه من وسائل الدفاع كبناء الأسوار والجدران ، ومن وسائل الهجوم كالسفن التى عمل على بنائها لتكوين الأسطول مما جعله يصمد أمام الأعداء ولا يتزعزع أمام هذه الغزوة الجريئة

ويعمل اليونان على توحيد الصفوف والاستعداد لملاقاة الأعداء فيعقدون مؤتمراً هو مؤتمر الجامعة اليونانية الثانى (فى أوائل ربيع عام ٤٨٠ ق . م) وفيه يقررون إرسال حملة للدفاع عن وادى تمپى فى الشمال بعد أن وعدهم سكان تلك الجهة ببذل المؤونة والمساعدة لهم ، وسارت الحملة عن طريق البحر وعلى رأسها قائد أسبرطى يساعده فى القيادة آخر أثينى هو صاحبنا تيموستوكل ، ووصلت هذه الحملة إلى تلك الجهة ولكنها لم تجد مؤونة ولا مساعدة فرجعت بخفى حنين

ويتفق اليونان أيضاً فى هذا المؤتمر على تنظيم خطوط دفاعهم فيجعلونها أربعاً . الأول عند وادى تمپى السابق الذكر ، والثانى عند الترموبيل ، والثالث عند وسط اليونان (بيوسيا وأتيكا) والرابع عند برزخ كورنث ويقررون التراجع عن الخط الأول إلى الخط الثانى وعن الخط الثانى إلى الخط الثالث وهكذا حتى الخط الرابع إذا لم يستطيعوا الاحتفاظ بأى خط من هذه الخطوط

وهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بخط دفاعهم الأول على نحو ما رأينا منذ حين ، لذلك نراهم يقررون ، عند ما علموا بخبر زحف الفرس إلى أواسط بلاد اليونان ، الوقوف عند خط الدفاع الثانى أى عند أراض الترموبيل براً ، وعند رأس « الأرتيميزيون » بحراً ، والنقطتان تكمل كل منهما الأخرى ؛ ويوجهون نحو الأولى حملة برية بقيادة الملك الإسبرطى الشهير ليونيداس ، ونحو الثانية أسطولاً بقيادة رجل اسبرطى هو إربيياد ويساعده فى القيادة تيموستوكل . وقد تلاقى الجيشان جيش الفرس وجيش اليونان عند الترموبيل ، وكان ما كان من أمر هذه الهزيمة الساحقة التى مُنى بها ليونيداس وأتباعه ، حيث أبيد اليونان كلهم عن بكرة أبيهم فى هذا المكان الضيق بعد أن أظهروا من الشجاعة ما خلد اسمهم على صفحات التاريخ — أما عند النقطة الثانية فقـد التحم الأسطولان ، والأسطول اليونانى كامل العدد والعدة ، أما الأسطول الفارسى فقد هبت عليه زوبعة قبـل معركة « الأرتيميزيون » ودمرت ما يقرب من ثلثه تقريباً ، لذلك لقى الأسطول اليونانى نجاحاً بادئ الأمر ، ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام حركة تطويق قام بها جزء من الأسطول الفارسى نحو الجنوب إذ أراد الالتفاف حول جزيرة أيوبيا ليأخذ الأسطول اليونانى على غرة من الخلف ، ولحسن حظ هذا الأسطول نجده يتمكن من الإفلات والنجاة من هذا المأزق

الحرج فيرجع عنـد خط الدفاع الثالث أى عند وسط بلاد اليونان ، وقد دهش الفرس عند ما رأوا الأسطول اليونانى يتراجع بعد هذا النجاح النسبي الذى ناله ، ولكن اليونان فهموا أن هزيمة جيشهم فى الترموبيل قد قضت على خططهم الدفاعية وجعلتهم يخافون على قواتهم من الفناء ، من أجل هذا تراجعوا نحو الجنوب لأن هذه هى الفرصـة الوحيدة لإنقاذ جيشهم وللاحتفاظ به للمستقبل .

من هذا يتبين أنه لم يكن لثيموستوكل موقف ظاهر واضح فى هذه المعارك وعلى الأخص فى الحملة البرية الأولى عند أرض تمبى ، وفى الحملة البحرية الأولى عند رأس الأرتيميزيون ، ولكنه بالرغم من ذلك موقف عظيم الخطر والأهمية ، لأنه كان هو الروح الذى يبعث فى الجيش الحمية والحماس ، وفى الأسطول الرغبة والإقدام على الهجوم ، إذ كان يقف إلى جانب القائد الإسبرطى موقف الرشد الناصح الأمين الذى يجعل مصلحة بلاده فوق أى اعتبار . وكان هذا القائد الإسبرطى يوافق على آرائه بالرغم مما فيها من خطورة وجرأة ؛ لأنه كان ينصح دائماً بالهجوم ، سائراً على هذا المبدأ الذى أخذ به نابليون من بعده وهو « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ؛ وكان إلمامه التام بحالة الفرس وبحالة اليونان خير مشجع له للاقدام على الهجوم ؛ فهو يعلم أن اليونان أقلية فى العدد بالنسبة للفرس — ولـكنهم أكثرية فى نواح أخرى — إذ كانوا أكثر تجانساً من أعدائهم ، (فلم يكن بينهم نفر من الأجانب ، على حين أن جيش الفرس يتكون فى أغلبيته من أفراد الشعوب العديدة الخاضعة لهم) وأكثر اتفاقاً فيما بينهم ، فهم يحاربون بطوعهم واختيارهم لأن مثلهم الأعلى هو المحافظة على استقلال بلادهم وإحاطة حريتهم وحرية بيوتهم وعائلاتهم وأراضيهم بسياج من المنعة والقوة . أما الفرس أعداؤهم فإنهم يسيرون بالسياط ويحاربون مجبرين ، لا لتحقيق مثل أعلى وإنما تنفيذاً لرغبة عاهل جبار استحوذ الطغيان منه على فؤاده واستولى الـكبر على قلبه وعقله حتى شبه نفسه بالآلهة ، فساق هـذه الجموع الزاخرة سوق الأنعام والماشية . ثم إن اليونان بعد هذا وذاك يفوقون أعداءهم فى الأسلحة التى كانوا مجهزين بها وفى القيادة التى كانوا يخضعون لها . وإلى جانب ذلك كله كان تيموستوكل على علم تام بحركات الأعداء ، يوقفه عليها هؤلاء الجواسيس ونقلة الأخبار الذين كان بينهم بين أعدائه مثل هذا الملاح الماهر سكيلياس الذى أتى له بمعلومات عن الأعداء قبل موقعة الأرتيميزيون ؛ فأوقفه على ضعف الروح المعنوية فيهم ، وعلى انعدام المثل الأعلى بينهم ، وعلى عدم الانسجام بين وحداتهم المختلفة ، وعلى التنافر بين عساكر الجيش والأسطول الذين هم من عناصر جنسية مختلفة ، وكذلك على الـكوارث التى أصابت الأسطول الفارسى كهذه الزوبعة التى هبت عليه قبل الأرتيميزيون فدمرت أربعمائة سفينة

* * *

ثم يتابع أجرزسيس سيره نحو الجنوب حتى يصل إلى أواسط بلاد اليونان ، وهو لا يحجم عن تخريب ما يلاقيه فى طريقه من قرى ومدن ، ولا يتردد عن انتهاك حرمة المعابد والأراضى المقدسة ، ولا يتأخر عن تدمير ما يقابله من محاصيل زراعية أو تماثيل للآلهة ، حتى ألقى الذعر فى قلوب بعض اليونان ، فخضعت له البلاد اليونانية الوسطى والشمالية ماعدا مقاطعة أتيكا . وكان من الأشياء المقررة عند اليونان أن يقف الجيش اليونانى عند الجبال التى تفصل بين مقاطعتى أتيكا وبيوسيا للدفاع عن المقاطعة الأولى ، ولـكن هذا الجيش تراجع حتى برزخ كورنث ووقف هناك ينتظر ما سيجابهه من حوادث . أما الأسطول فـكان هو الآخر مصوباً وجهته نحو الجنوب ، وقائده الاسبرطى يريد به التراجع نحو شبه جزيرة البيلوبونيز للدفاع عنها ، ونحن لا ننسى أن هذا القائد ، وهو إوريباد ، اسبرطى يضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار ؛ ولـكن تيموستوكل يتمكن بعبقريته وبشخصيته القوية من أن يقف فى وجه هذا القائد حتى يتغلب عليه ويوجه الأسطول كما يريد هو لا كما يريد هذا القائد فينجح فى تلك اللحظة الرهيبة فى حمل اليونان على اتخاذ قرار خطير ، ذلك هو القرار القاضى بأن يقف الأسطول اليونانى عند جزيرة سلامين ، من أجل هـذا رأى اليونان أنهم مجبرون بعد هذا القرار الجديد على أن يرسموا خطة جديدة تضمن التعاون بين الجيش والأسطول للدفاع عن بلادهم وصد الغزاة

في سبيل العروبة

مصر والعالم العربى

للأستاذ عمر الدسوقى

لا شك أن الحرب التى تدور رحاها اليوم ستتمخض عن انقلابات تاريخية وإقليمية ذات بال . ونحن — وإن لم نخض غمارها — متأثرون بنتائجها ؛ وكل أمة تيقظ فيها الشعور القومى ترى لزاماً عليها أن تفكر فى مصيرها ، وتحدد هدفها ؛ حتى تسير قُدُماً نحو غايتها حين تضع الحرب أوزارها .

ومصر قد سلكت حتى اليوم مسلكا رشيداً ، واتبعت سياسة ناجحة حكيمة إزاء هذه المحنة العالمية ، وكانت وفية صادقة لحليفتها ، برة بوعودها ، ولكنها لم تستغل هذا الموقف الشريف لخيرها وخير شقيقاتها العربية ، التى تنظر إليها بعين ملؤها الرجاء والأمل . وعندى أن القضية العربية هى من أهم المسائل الحيوية التى يجب أن تدرسها مصر دراسة جيدة ، وتوجه إليها عنايتها ، وتبذل فى سبيلها الجهود الصادقة .

أجل ! إن مصر تتمتع فى العالم العربى بمنزلة رفيعة ، فقد حباها الله موقعاً جغرافياً هيأ لها التجارة النامية والثروة الطيبة ، وجعلها صلة بين الشرق والغرب ، وسخر لها النيل يفيض على واديها بالخصب والنماء ، ويغدق عليها النعمة والثراء ، فتصورها الناس فى كل وادٍ أرض الكنوز المطمورة ، والخيرات المتدفقة ؛ ثم إنها أكثر البلاد العربية سكاناً ، وقد سبقت شقيقاتها فى حمل مشعل النهضة على يد عاهلها الكبير محمد على باشا وخلفائه ، وخطت خطوات واسعة فى سلم الحضارة والعلم ، فأصبحت ذات سلطان قوى على الرأى العام فى البلاد العربية بما تملك من صحافة غنية منظمة ، ومجلات أدبية وعلمية تمد الغذاء الروحى لعدد كبير من أبناء العروبة يفتقدونها إذا تأخرت ، ويكبون عليها بشغف ونهم إذا أقبلت ؛ وبأزهرها العتيد وجامعتها الحديثة ؛ وبمطبعتها الخصبة التى ما فتئت تحيي القديم وتظهر الجديد من المؤلفات القيمة والكتب الثمينة ؛ وبكتابها الذين يزيدون فى ثروة التراث العربى ، ويتمتعون بشهرة واسعة فى كل مكان تسود فيه لغة الضاد لغزارة أفكارهم وجودة أساليبهم ، وتنوع كتاباتهم ؛ وبالغناء المصرى الذى يتردد على كل لسان فى ربوع العروبة ويهتز له الشيخ الكبير والحدث الصغير على الرغم مما به من نقص ، ولكن حسبهم أنه غناء مصرى حتى يفتنهم .

كل هذا جعل من مصر قبلة الأمم العربية ، ومثالاً تنسج على منواله وتترسم خطاه ، وتتنسم أخباره بلهفة وشوق ، حتى صار أبناؤها يختلفون فيما بينهم تبعاً لاختلاف الأحزاب المصرية ، ويعرفون عن وادى النيل كل صغيرة وكبيرة

فماذا كان موقف مصر من هذه البلاد التى تحبها حباً صادقاً لم يُشتر بالمال ولم يُبتذل فى سبيله دعاية ؟

لقد تقاعست مصر عن القضية العربية فى الماضى — وهذه كلمة صريحة يجهر بها مصرى مخلص لبلاده — ولم تعمل على جذب هذه القلوب التى تهفو لها حباً وإخلاصاً !

زحف أجرزسيس بجيوشه وزحف حتى وصل إلى أبواب أثينا ، وكذلك كان الأسطول الفارسي متقدماً فى سيره نحو الجنوب حتى لا يبتعد كثيراً عن الجيش ، وخطة الفرس على ما نعلم تقضى بأن يتعاون الأسطول مع الجيش ؛ من أجل هذا لم يجد الأثينيون أمامهم ـ والعدو على أبواب وطنهم ـ إلا أن يهجروا مدينتهم ، فأصدر الشعب الأثينى مجتمعاً فى مجلس «الأكليزيا» مرسوماً يأمر بإخلاء المدينة على ألا يبقى بها إلا نفر من الشيوخ للدفاع عنها . أما الفقراء من أفراد الشعب الذين لا يستطيعون أن يتحملوا نفقات الهجرة فقد نص هذا المرسوم بإعطاء كل شخص منهم مبلغاً من المال ليساعده على الرحيل ؛ وذهبت أغلبية الأثينيين بأبنائهم ونسائهم الى جزيرة سلامين حتى يروا ما سيقضى الله من أمر . أما الفرس فقد دخلوا المدينة ووجدوها قد خلت من سكانها إلا هذا النفر الضئيل من الشيوخ . وهذا النفر بالطبع لم يستطع أن يثبت فى وجههم فتغلبوا عليهم ، وصعدوا إلى قمة الأكروبول وأقاموا هناك حيث توجد معابد الآلهة

(البقية فى العدد القادم)

محمد الشحات أيوب

إي وربي ! تقاعست مصر حتى كاد يفلت من يدها الزمام ، وحتى قام من يناهضها ويعمل على تقويض سلطانها المتمكن فى الأفئدة ، بالدعاية الباطلة والإفك الصريح ، ‹ولولا› تقاعس مصر بالكبرياء ، وإعراضها بالغطرسة ، ومصر — يشهد الله — مما يقولون براء

أجل ! لقد شغلت القضية المصرية والكفاح فى سبيل الاستقلال كل أفكار وادى النيل ، ولكن لم تمنعهم هذه القضية عن الانتصار للحبشة مثلاً بالمال والنفوس والدعاية ، مع أن قطراً عربياً آخر كان ينكأ كل يوم بجراحات مثخنة مميتة ، ويجاهد جهاد المستبسل المغوار فى سبيل حياته ، ومصر تنظر وكأن الأمر لا يعنيها ، حتى قيض الله لها رجلاً لا يوجد فى الألوف مثله ذكاء وعبقرية وإقداماً ، قدم لهذا القطر العربى المساعدة المالية السخية التى تكفكف دموع اليتامى والأيامى ، ودفع بمصر فى سبيل العروبة حاملاً بنفسه علم الدفاع ، ولكن أبت الأقدار إلا أن تناوئه فازوى عن الميدان

كان لعمله هذا أثر محمود عند كل عربى ، وأخذت الأعناق تشرئب إلى مصر تنتظر ماذا تفعل ، ولكن مصر رجعت إلى سابق عهدها من الصمت والتناقل ثم أشعلت نار الحرب وشغل كل امرىء بنفسه ، إلى أن أصبحت حليفة مصر — بريطانيا العظمى — مسيطرة على الموقف فى الشرق الأدنى ، وصرح رئيس وزرائها مستر تشرشل — مثال الصبر والجلد والبطولة فى الكفاح — بعطفه على القضية العربية ، فهل آن لمصر أن تعطف على القضية العربية وهى أولى الناس بهذا الأمر ؟

إن مصر عربية قلباً ودماً ولحمة وسدى ! وكل من يقول غير هذا فهو مأفون الرأى . سائلوا التاريخ عمن حفظ اللغة العربية وهى تحتضر فى كل مكان إلا فى مصر ! سائلوا التاريخ عن تلك الهجرات المتتابعة من ربوع العروبة إلى مصر منذ الفتح إلى اليوم !

إن بين مصر وبين البلاد العربية وشائج من الدم واللغة والتاريخ والأدب والعاطفة تحتم عليها أن تتبنى القضية العربية

وهنا أوجه كلمة صريحة إلى جماعة من الكتاب فى مصر أخذوا يتجادلون حول القضية العربية والقضية الإسلامية . مصر عربية إسلامية وعروبتها تحتم عليها أن تهتم بالقضية العربية وتتألم لنكبات الأمم العربية ، وتفرض عليها الاشتراك فى الحلف العربى ، وإسلامها من جهة ثانية يتطلب منها أن تنظر بعين العطف إلى القضايا الإسلامية فى جميع أنحاء المعمورة ، ولا اختلاف بين الجهتين ، ولا تناقض بين الميدانين : القضية العربية قومية ، والقضية الإسلامية دينية ، وفى استطاعة الانسان العاقل أن يكون وطنياً مخلصاً لوطنه مجاهداً فى سبيله ، وأن يكون متديناً ورعاً قائماً بواجبات دينه ، دون أن يكون هناك تناقض بين جهتى الإخلاص أو بلبلة فى أفكاره

وهنا أيضاً عتاب أوجهه إلى كتاب مصر عامة ، وإلى العلامة الدكتور زكى بصفة خاصة بأنهم جميعاً يستعملون كلمة « شرق » بدلاً من « عربى » ، والبلاد الشرقية الشقيقة بدلاً من البلاد العربية الشقيقة ، فكأن الصلة التى تربطهم بأبناء العروبة هى أنهم جميعاً شرقيون فحسب . هذه نقطة دقيقة طالما أثارها محبو مصر فى البلاد العربية ، وطالما خجلنا منها ونحن بين ظهرانيهم . فهل الدكتور زكى مبارك مستعد منذ الآن أن يستعمل كلمة عربى بدلاً من شرق وعربية بدلاً من شرقية ، فإنه ملوم بخاصة لخبرته بالبلاد العربية وتمتعه فيها بشهرة طيبة

وهناك عتاباً آخر لا أوجهه فى هذه المرة إلى الدكتور زكى مبارك ، فقد أدى ما عليه وزيادة ، ولكن أوجهه إلى كتاب مصر وإلى جمهرة القراء بها : يلوموننا فى البلاد العربية لعزلتنا الأدبية ، واعتزازنا بثقافتنا ، وعدم إقبالنا على ما تنتجه المطابع العربية ، وينشئه أو ينظمه حملة الأقلام بها . وهذا عتاب لمصر الحق فى محله ، ولقد كانت خطوة موفقة وسعياً محموداً ما قررته وزارة المعارف المصرية من دراسة الأدب العربى الحديث فى الأقطار العربية على بعض الأساتذة ، ولا عجب ، فالدكتور هيكل باشا جد عليم بشعور أبناء العروبة فى هذه الناحية ، وهو خبير بما عندهم من أدب رفيع وخيال خصب وإنتاج طيب

حول المسابقة إلى الثانوى

للأستاذ سيد قطب

قرأت فى عدد الرسالة الأخير ما كتبه الدكتور زكى مبارك خاصاً بمذكرة « الستة » المقدمة إلى وزارة المعارف لإعفاء « أشخاصهم » من التقدم إلى امتحان المسابقة . حسبما روى الدكتور والعهدة عليه فيما رواه

ولا أحب أن أتحدث عن امتياز هؤلاء الستة — فى صدد الحديث عن هذه المسابقة — فتلك مسألة تافهة لا يجوز لها أن تتدخل فى تقرير مبدأ من المبادئ العامة كمبدأ امتحان النقل إلى المدارس الثانوية

ولكنى أحب أن أتناولها تناولاً موضوعياً ، فأذكر أننى تقدمت فى العام الماضى بمذكرة لحضرات كبار المسؤولين فى الوزارة خاصة بموضوع اليوم ، لا أرى ضرراً من تلخيصها هنا والزيادة عليها بما جد لى من الرأى حولها ، ولا أجد حرجاً فى التصريح بأنها لقيت اقتناعاً بالأسس التى تضمنتها

لم أحاول أن أنكر مبدأ المسابقة فى ذاته ، فقد يكون أسلم المبادئ لتحقيق العدالة وإبراز المواهب ، والحد من المحسوبية والتحرر من ضغط الصلات الشخصية بين الرؤساء والمرءوسين سواء كانت طيبة أم رديئة

ولكنى أنكرت شكل المسابقة وقواعدها الحالية ونتائجها العملية ، ووجوه إنكارى لها هى هذه :

أولا : أن المسابقة تتجه اتجاهاً خاطئاً إلى اختبار محفوظات المدرسين وتحصيلهم العلمى ، دون أن تتجه إلى اختبار ثقافاتهم وعقلياتهم ونمو شخصياتهم من جميع نواحيها

ووجه الخطأ فى هذا الاتجاه أنه تثبيت وتوكيد « لعقلية الامتحانات » التى نشكو منها بالقياس إلى التلاميذ ، ونعمل على التحرر من قيودها ، بانتهاج طرق « المدارس الناهضة » وطرق التربية الحديثة التى اهتدى إليها المربون فى القرن الأخير فامتحان المسابقة فى شكله الحاضر نكسة للعقلية التعليمية تضمن للعقلية القديمة البقاء والاستمرار فترة أخرى أطول مما كان مقدراً لها بعد النهضة الحديثة

فكان هذا الشر يجد مبرراً لو أن الوزارة قبل وضع المسابقة هـذا الوضع قد قامت بإحصائية من تقريرات حضرات المفتشين المختصين عن خمس سنوات أو عشر أو بأية وسيلة أخرى ، فتبين لها أن أغلبية المدرسين أو عدد كبير منهم ضعفاء فى المادة العلمية وحينئذ تتجه اتجاهاً معقولاً إلى تقوية التحصيل فى أوساط المدرسين

ولكنها لم تقم بهذا الإحصاء ، والظواهر جميعها لا تشير إلى ضعف الأساتذة فى مادتهم العلمية ، وإن كانت هناك فى بعض الحالات نواح من الضعف فى الثقافة العامة وفى مسايرة المجتمع والعالم فى خطواته وفى نمو الشخصيات المطرد فى أوساط المدرسين منشأها مراعاة الأقدمية وحدها فى النقل إلى المدارس الثانوية ، وتسرب المحسوبية إلى المدارس على حساب الكفايات العلمية كذلك ! !

ثانياً : أن المسابقة فى وضعها الحاضر لا تضمن النمو المطرد فى ثقافات الناجحين وشخصياتهم ، طالما أنها لم تعن بهذه الناحية أية عناية . وليس ما يمنع هؤلاء أن ينسوا هذه المعلومات التى حفظوها بعد نجاحهم ووصولهم إلى ما يبتغون من النقل إلى التعليم الثانوى ، كما يصنع التلاميذ الذين نحشو أدمغتهم حشواً بالمعلومات على طريقة المسابقة سواء بسواء !

ولو أن المسابقة وجهت همها إلى اختبار الثقافة والعقلية

قلت : إن الدكتور زكى مبارك قد أدى ما عليه فى هذا الميدان ، إذ كتب عدة مقالات فى (الرسالة الغراء) عن الأدب العراقى ، تعد مقدمة طيبة لدراسة عميقة مستوفاة . أما الأدب السورى — بما فى ذلك السورى واللبنانى — فسآخذ على نفسى عهداً بدراسته على صفحات (الرسالة) إن شاء الله حينما أفرغ من هذا النداء الذى يعبر عن عواطف أبناء العرب وشعورهم حيال مصر العزيزة

[للحديث بقية] محمد الدسوقى

وكيل كلية المقاصد الاسلامية ببيروت

والتأكد من نمو الشخصية لضمنت استمرار صلاحية المدرسين فالشخصية النامية لا تتغير بل يزيدها الزمن نمواً وثقافة ، لأن حوافزها إلى المعرفة والاطلاع حوافز شخصية قد تذكيها المسابقة ولكنها أصيلة على كل حال

وأصحاب هذه الشخصية هم الذين نضمن بهم رقى الثقافة ونهوض التعليم فى المدارس الثانوية وسواها ، ونضمن ألا ينتكسوا بعد اجتيازهم حواجز السباق !

وقد كان يصح للستة الذى روى عنهم الدكتور زكى ، أن يستندوا إلى مثل هـذا الرأى فيعدوا اشتغالهم بالتأليف والتحقيق العلمى قبل المسابقة دليلاً على أصالة هذه الحوافز فى نفوسهم وضماناتها لصلاحيتهم ؛ لولا أنهم آثروا أن تستهويهم هالات موهومة حول شخصياتهم الكريمة !

ثالثاً : أن النتائج العملية للمسابقة — على فرض أنها ستؤدى إلى اختيار أصلح العناصر — تؤدى فى الوقت ذاته إلى نتيجة سيئة على التعليم الابتدائى الحكومى والتعليمين الابتدائى والثانوى فى المدارس الحرة

وتفصيل ذلك أنها تستنفد بالتدريج كل العناصر الصالحة فى المدارس الابتدائية الأميرية والثانوية الحرة — أولئك الذين ينجحون فى المسابقة — فتعينهم الوزارة فى مدارسها أو تنقلهم إلى التعليم الثانوى . ولا يبقى بعد هؤلاء وهؤلاء إلا العاجزون — فرضاً — عن النجاح ؛ فينحط مستوى التعليم الابتدائى عامة ومستوى التعليم فى المدارس الحرة التى تنهض بعبء كبير فى ميدان التعليم

هذا كله من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن المدرس الذى يشغل وقته بتحصيل ما فى هذه الكتب المطولة الكثيرة العدد ، لا يستطيع أن ينهض بواجبه فى خلال العام المدرسى لتلاميذه وقد يرسب فيعاود الكرة فى عام آخر . والتلاميذ هم الذين يؤدون ثمن الاستذكار الدائم لمعلومات متفرقة لا تزيد تحصيلها شيئاً فى مقدرة المدرس الثقافية فى جميع الأحوال . ولا فى مقدرته العلمية فى كثير من الأحوال

* * *

هذه العيوب الأساسية فى نظام المسابقة الحاضر يمكن التفادى منها باتباع قواعد أخرى :

أولاً : أن تتجه المسابقة إلى اختبار ثقافة المدرس ونموها الدائم واختبار عقليته فى الوقت ذاته . وهذا الاتجاه يقتضى أن يكون الأساس الأول للاختبار تقديم رسالة علمية أو أدبية فى علوم اللغة العربية وآدابها القديمة أو الحديثة ، يناقش صاحبها فتتبين مقدرته وتقاس ثقافته وعقليته . ولا ضرر — إذا لم يكن بد من قياس التحصيل — أن يتبع نظام « التعيين » الأزهرى القديم فى بعض المواد لمعرفة مقدرة المعلم على التحصيل والاطلاع فى مختلف المؤلفات .

ثانياً : أن يمنح الناجح فى هذه المسابقة درجة علمية تبرر الجهد المبذول فيها تقابلها درجة مادية تحفز الهمة وتقوى العزيمة . ويمكن الاستدلال من رسالته على الناحية التي يبرز فيها فتستغل خير مواهبه فى تدريس هذه الناحية ولا سيما فى الفرق الثانوية المتقدمة !

ثالثاً : ألا تكون نتيجة النجاح الحتمية هى النقل إلى التعليم الثانوى . وأقول النقل لا كما تسميه وزارة المعارف ترقية ، فهذه الترقية لا وجود لها . بل توزع هذه الكفايات بعد منح أصحابها الدرجة العلمية والدرجة المادية على كل فروع التعليم . فتتوازن خطواته وتتعادل دعاماته . وليس التعليم الثانوى بأجدر من التعليم الابتدائى بالعناية والكفايات العلمية

رابعاً : أن تنظم الوزارة فى العطلات الصيفية محاضرات عامة للمدرسين ، وتجعل لنسبة الحضور فيها وزناً فى المسابقة وفى نظرتها لهؤلاء الأساتذة . ونظام المناطق يسهل على الوزارة هذا الأمر ويقسم جماعات المدرسين على هذه المناطق وييسر إلقاء المحاضرات فى كل منطقة

وتلك مادة دائمة للثقافة المتجددة يجب أن ينال المدرسون نصيبهم منها وهم أجدر طوائف الأمة بها . وهى ضمانة أكيدة لاستمرار الثقافة وتجددها .

* * *

بقيت مسألتان على هامش ما كتب الدكتور زكى مبارك ، أمر بهما كارهاً فى هذا المجال أولاهما : تلك الطعنة التى وجهها الستة الكرام — إذا صح ما روى عنهم — إلى ألف ومئتين

من بحوث مؤتمر التعليم

التعليم الأولى والالزامى

للأستاذ مصطفى شكرى بك

المراقب العام للتعليم الأولى

[استهل الأستاذ مصطفى بك شكرى المراقب العام للتعليم الأولى تقريره من هذا التعليم ببيان مدى اهتمام الدول المختلفة به وما خصته به من اعتمادات كبيرة ، وتدرج من ذلك إلى ضرورة العناية به فى مصر والعمل على ترقيته]

مراحل التعليم الأولى

استطرد التقرير فذكر المراحل المختلفة التى مر بها هذا النوع من التعليم فى مصر منذ تولت أموره وزارة المعارف وهى ثلاث مراحل : أولها مرحلة الكتاتيب التى انحصرت مهمتها فى تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ثم المرحلة الثانية التى صدر فيها قانون مجالس المديريات ، وأباح لها إنشاء المدارس الأولية ؛ وفى نفس هذا العصر قامت الوزارة بإنشاء مدارس المعلمين والمعلمات الأولية

ثم ذكر المرحلة الثالثة وهى التى بدأت بصدور الدستور عام ١٩٢٣ ، وما جاء فيه من أن التعليم الأولى إلزامى ومجانى بالمكاتب العامة ، وما تلا ذلك من إنشاء ١٢٧ مدرسة أولية سميت « مدارس المشروع » ، وكانت مجانية ، والدراسة فيها طول اليوم ، وكانت كالمدارس القديمة مع اهتمام بجملها فى أمكنة جديدة ، وتأثيثها تأثيثاً حسناً

وبعد ذلك قامت الوزارة باستعراض جميع النظم التى سبق التفكير فيها لتعميم التعليم الأولى ، وعدلت خطتها فى تعميم هذا التعليم تعديلاً أساسياً ، وقررت مشروع التعليم الإلزامى الحالى على أساس أن نحو خمسة آلاف من المكاتب العامة تكفى لتعليم الأطفال من سن ٧ إلى سن ١٢ ، باعتبار أن اليوم الدرسى نصف نهار ، لتستعمل غرف الدراسة لطائفتين من الأطفال قبل الظهر وبعده ، وأن نفقات المعلمين تخفض إلى أدنى حد ممكن ، وقد قدرت نفقات هذا المشروع بما لا يتجاوز ثلاثة ملايين من الجنيهات ، ووزعت نفقاته على ٢٣ سنة (من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٤٨) ، على أن تقوم الوزارة كل سنة بإنشاء عدد معين من المكاتب وتحول مدارسها القديمة ومدارس المشروع بالتدريج إلى النظام الجديد (نصف اليوم) ، على أن تتحمل الوزارة نفقات إعداد المعلمين ومرتباتهم ومرتبات الخدم وثمن الكتب والأدوات ونفقات التفتيش زيادة على نفقات ما ينشأ من هذه المكاتب فى المحافظات . وتتحمل مجالس المديريات نفقات الأماكن وأعدادها ، وكذلك الأثاث ، وتتولى إدارة هذه المكاتب لجنة فنية تسمى : « لجنة التعليم الإلزامى » مكونة من بعض أعضاء المجالس وبعض موظفين يمثلون الوزارة

ولما صدر قانون التعليم الأولى لسنة ١٩٣٣ ، بدأت الوزارة بتحويل جميع مدارسها (عدا مدارس البنات فى المحافظات) ، إلى نظام التعليم الإلزامى ، وأشارت على مجالس المديريات بأن

من الزملاء ، اختصوا أنفسهم دونهم بما زعموه من امتياز ، ليس هذا مكان مناقشته وامتحانه

٢ — انزلاق الدكتور زكى مبارك — وهو يؤيد المسابقة — إلى غمزات لا تليق ، كقوله :

« وقد أجريت المسابقة بين المدرسين فى الأعوام الأخيرة ، فكانت فرصة لمراجعات نحوية وصرفية وبلاغية وأدبية ، (غفل عنها أكثر مدرسى اللغة العربية) »

فالواقع — كما قلت — أن هذه المراجعات لا قيمة لها ، وأن ماله قيمة لم يغفل عنه أحد ، أوعلى الأقل لم تقم الوزارة بالإحصائية التى تؤيد هذا الزعم ، والأساتذة فى المدارس لا يجوز التجنى عليهم إلا بعد تثبت وتحقيق

أما غمزاته لأعضاء اللجان ، فذلك شأنه الخاص ، ولعل نقائص هذه اللجان كلها تنتفى عنها لو أتيح له أن يكون عضواً فيها ، وذلك مطلب لا أدرى ، أقريب هو أم بعيد على الدكتور ؟

« حلوان » سيد قطب

تنحو هذا النحو فى مدارسها . وقد أدى التوسع فى التعليم وانتشاره إلى عجز ميزانيات المجالس عن تحمل نصيبها من النفقات ، فاضطرت الوزارة إلى أن تتحمل هذه النفقات

وفى أكتوبر سنة ١٩٣٤ أنشأت الوزارة فى الأقاليم ٧٢٠ مكتباً عاماً . وقد نص قانون التعليم الأولى بأن تتكفل مجالس المديريات بالتعليم الأولى فى المديريات ، وتتكفل به وزارة المعارف فى المحافظات .

وفى سنة ١٩٣٥ لاحظت الوزارة أن نظام المكاتب العامة لا يؤهل من يرغبون فى التعليم الابتدائى للحاق بمدارسه فى سن مبكرة ، وأن رياض الأطفال غير كافية لتحقيق هذا الغرض ؛ فأعادت إنشاء مدارس اليوم الكامل وجعلت التعليم فيها بالمصروفات ، ووضعت لها خطة خاصة تخالف خطة المكاتب العامة وأباحت قبول الأطفال فى سن الخامسة

وقد بدأ تنفيذ القانون المشار إليه فى نوفبر سنة ١٩٣٦ ، ثم صدرت لائحة تنفيذية لذلك القانون فى نوفبر سنة ١٩٤٠

وهى وإن كانت قد وسعت نطاق إشراف وزارة المعارف على التعليم الأولى بالأقاليم — إلا أنها لا تكفل تنظيم التعليم التنظيم الواجب — ولا تمكن الوزارة من النهوض به إلى المستوى الذى تنشده

اقتراحات المراقب لإدارة التعليم الأولى والإلزامى

ثم ذكر التقرير جملة اقتراحات قدمها الأستاذ المراقب لما يجب أن تكون عليه إدارة التعليم الأولى وهى :

١ — أن تتولى وزارة المعارف دون غيرها أمر الإشراف الفنى والصحى والإدارى على التعليم الأولى والإلزامى فى جميع أنحاء المملكة ، وأن يكون الإنفاق عليه من خزانة الدولة وفق الميزانية التى تضعها الوزارة على أن تضم النسبة المخصصة للتعليم الأولى بميزانيات مجالس المديريات إلى خزينة الدولة

٢ — تنظيم المراقبة العامة للتعليم الأولى تنظيماً يتفق مع أهمية هذا النوع من التعليم حتى تتمكن من مواجهة حركة الإصلاح بخطى ثابتة حاسمة

٣ — يلغى النظام الحالى لمديرى التعليم ونظام تفتيش المناطق للتعليم الأولى وتستبدل به وظيفة « مدير التعليم الأولى » بكل مديرية ومحافظة على أن يتبع مراقب المنطقة التعليمية . ويشرف هذا الموظف على سير التعليم الأولى والإلزامى وعلى تنفيذ الإلزام وفقاً لحاجة كل مديرية أو محافظة ، ويتبع كل مدير تعليم هيئة تفتيش لإرشاد رؤساء ومعلمى المدارس والمكاتب العامة على أن يشجع البرزون منهم بإفساح مجال الرقى لهم

٤ — تنظيم هيئة التفتيش الصحى على التلاميذ

٥ — إنشاء هيئة إدارية تخصص بكل منطقة لإنجاز الأعمال على وجه السرعة

ثم أشار التقرير إلى ما يجب أن يكون عليه الغرض من التعليم الإلزامى وهو تثقيف الطفل تثقيفاً عاماً إلى جانب محو الأمية ، على ألا يكون التثقيف سطحياً ، بل مؤسساً على دعائم ثابتة متينة

ويرى المراقب أن تبقى سن التلميذ كما هى الآن ، أى بين ٧ سنوات و ١٢ سنة على أن تكون المكاتب على نظام اليوم الكامل ، وأن تكون مدة التعليم ٥ سنوات

نشر التعليم الالزامى

دلت الإحصاءات على أن نسبة الأطفال المقيدين بالمدارس الأولية والمكاتب العامة تتراوح بين ثلث ونصف الأطفال الذين فى سن الإلزام ، وإذا سلمنا جدلاً بإمكان إعداد العدد اللازم من المعلمين والمعلمات لتعميم التعليم فإن تدبير الأماكن الصحية المناسبة وإعداد الأثاث والأدوات للتلاميذ ليس بالأمر الهين كما أن انتزاع هذا العدد من الأطفال من حياتهم اليومية مدعاة لتذمر الأهلين وهم لم يؤمنوا بعد بفوائد التعليم . ويرى التقرير — كاجراء تمهيدى — أن يقتصر التوسع فى تعليم الأطفال الذين فى سن الإلزام على المدن المتوسطة التى ازدهرت فيها بعض الصناعات . أما فيما يختص بالمحافظات والمدن الكبيرة فإن الحالة

تستمر فيها كما هي الآن حيث الإقبال على التعليم فيها مكفول بطبيعة الحال ، وأما فيما يختص بالقرى فإن التوسع فيها يكون بالتدريج

وتقدر مدة تعميم التعليم الإلزامي على هذا الأساس بما لا يقل عن ١٥ سنة

مناهج الدراسة

وذكر التقرير جملة مقترحات لإكمال ما في مناهج الدراسة الحالية من نقص وهي تتلخص في جعلها مرنة حتى تناسب البيئة التي بها المدرسة وحذف بعض الموضوعات التي لا تتناسب وإدراك التلاميذ ووجوب الاهتمام بتدريس الأشغال اليدوية والتدبير المنزلي كما يرى تعيين بعض مدرسات رياض الأطفال في المدارس الأولية للبنات

نظام نصف اليوم

وانتقد التقرير نظام نصف اليوم ونادى بضرورة إعادة نظام اليوم الكامل لجملة أسباب : منها أن المقصود من التعليم الأولى هو إعداد الناشئين إعداداً حسناً لا أن يكون تعليمهم سطحياً وإلا كان في ذلك إسراف دون فائدة . ثم إن نظام اليوم الكامل يؤدي إلى مواظبة التلاميذ وخصوصاً في القرى وبذا تقل قيمة ما يتكلفه الواحد منهم في المتوسط

وزيادة على ذلك فإن المنهج الحالي هو الحد الأدنى لما يجب أن يتلقاه التلميذ ، ولا يمكن تلقينه له في أقل من خمس سنوات كاملة ، كما أن هذا النظام ييسر أداء كل من التلميذ والمعلم لعمله ويدفع التلميذ إلى الإقبال على المكتب ويحببه فيه . ورد التقرير على ما يمكن أن يوجه من اعتراض على نظام اليوم الكامل بأنه يباعد بين التلميذ والعمل في الحقل أو المصنع فخلص بأن ذلك وإن كان صحيحاً في القرى الزراعية إلا أنه ليس كذلك في الجهات الصناعية لأن الصغير لا يصلح للأعمال الصناعية في مثل هذه السن المبكرة

إعداد المدرسين ورفع مستواهم

وختم المراقب تقريره بذكر حالة المدرسين وسوء إعدادهم لوظائفهم وضآلة مرتباتهم التي تتراوح بين ثلاثة وستة جنيهات مما يؤثر في حالتهم المعنوية وإقبالهم على عملهم

واقترح أن يرفع مستوى مدرسي الإلزام وزيادة ثقافتهم العلمية ، وذلك أثناء إعدادهم في مدارس المعلمين والمعلمات الأولية ، كما يجب الاهتمام برفع مستوى المدرسين الحاليين بإرشادهم ، والنهوض بهم علمياً وفنياً واجتماعياً ، كما نادى بوجوب تأمين المدرس على حالته ومستقبله ، حتى يعلم أن ترقيته لن تكون إلا نتيجة اجتهاده فقط ، كما يجب تخفيض عدد الدروس التي يكلف بها كل مدرس ، حتى لا تتجاوز ٣٤ درساً ، وهي الآن ٤٦ درساً في المتوسط ، كما رأى ضرورة رفع مرتباتهم ، حتى يليق بعملهم وتوازي ما يبذلونه من مجهود شاق

٨ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الأول

هناك عادة أخرى لا تختلف كثيراً عن عادة الخضاب شائعة بين نساء الدهماء في مدن الريف وقراه ، وفي العاصمة بدرجة أقل : تلك هي عادة الوشم « الدق » ، يكون في الوجه وغيره أو على الأقل في أعلى الذقن وظهر اليد اليمنى، واليسرى أحياناً ، وعلى الذراع اليمنى أو الذراعين معاً ، وفي القدم، ووسط الصدر ، والجبهة . وأغلب علامات الذقن والكفين شيوعاً يبينها الشكل رقم ٢٢ . وطريقة الوشم أن يوخز الجلد بمجموعة من الإبر تكون سبعاً في العادة على الشكل المراد رسمه، ثم يدلك الموضع بمزيج من سناج الخشب أو الزيت ومن لبن امرأة.



شكل ٢٢

١ ـ (فتاة موشومة)

٢ ـ (نماذج من وشم الذقن)

٣ ـ (وشم الأيدي والأقدام)

ثم بعد أسبوع ، قبل أن يبرأ الجرح ، يوضع عليه معجون من أوراق السلق الطازجة أو البرسيم فيكسبه لوناً أزرق أو مشرباً بالخضرة ؛ أو بدلاً من ذلك يدعك مكان الإبر بالنيلج .

وتوشم الأعضاء عادة في سن الخامسة أو السادسة وتقوم بعمله نساء النور . ويلاحظ أن أغلب نساء الصعيد الأقصى وهن يعتززن بلونهن القاتم يشمن الشفاه ليكسبن أسنانهن بريقاً . إلا أن ذلك يُشرب لونهن القاتم زرقة لا يقبلها الذوق الأوربي[1]

ومن مميزات المصرية الواجب ذكرها قوامها الممشوق ومشيتها الجميلة . وهذه الصفة تشاهد خصوصاً في الفلاحة . ولا شك أن سبب ذلك ما تحمله على رأسها من جرار الماء وغيرها من الأثقال



شكل ٢٣ ـ (ملابس المنزل)

أما ملابس نساء الطبقتين الوسطى والعليا فتمتاز بجمال نسيجها وأناقة زيها (شكل ٢٣) وقميص المرأة كقميص الرجل فضفاض ، ولكنه قصير فلا يكاد يصل إلى الركبتين . وهو أيضاً من النسيج نفسه ، أو من الكريب أسود أو غير أسود . أما السراويل، وتسمى « شِنتيان » فهي واسعة ، وتكون من الحرير أو القطن الملوّن أو المطبوع أو المطرز أو من الأبيض الواحد الشكل . وتشد بتكة حول

---

(١) أما المادة المستعملة عادة لنتف الشعر فهي نوع من الصمغ المسمى لبان شامي ، يوضع على الجلد ذائبا ، إلا أن هذه العملية ليست على حد قولهم ضرورية ؛ لأنه إذا وضع كما يؤكدون دم خفاش على بشرة الطفلة الحديثة الولادة لا ينبت فيها شعر

وتسمى المرأة التي عملت لها هذه العملية « مُوَطوَطَة » من الوطواط .

ويعمد بعض النساء إلى نتف الشعر بعد دلك الموضع برماد الفحم فقط .

الوركين تحت القميص[1] أما أطرافها السفلى فتشد إلى أعلى وتربط تحت الركبتين تماماً ، إلا أن طولها يهبط بها حتى القدمين وغالباً إلى الأرض . ويلبس فوق القميص والشنتيان سترة طويلة تسمى « يلك » من نسيج الشنتيان ، تشبه القفطان ، ولكنها أكثر التصاقاً بالجسم والذراعين ، وأكمامها أطول . واليلك له أزرار تشده إلى الجسم ، من الصدر إلى ما تحت الحزام حتى لا يتهدل ، كما هو الحال في القفطان . وهو مشقوق الجانبين من أعلى الورك إلى أسفل ، ويشق عادة بحيث يكشف عن نصف الصدر لولا القميص . ولذلك كان الكثير من النساء يرتدين قميصاً واسع الصدر . ولا بد أن يكون اليلك طبقاً لأحسن الأزياء ضافياً حتى الأرض أو يكون له ذيل قصير . وقد يستبدل به صدرة قصيرة تسمى « عنترى » تصل إلى ما تحت الوسط بقليل وتشبه اليلك المقطوع الأسفل . ويمنطق الوسط بشال مربع أو بمنديل مطرز يطوى منحرفاً ويربط في استرخاء ويتدلى طرفاه خلف الظهر . وقد يطوى طبقاً للزى التركي ، مثل حزام الرجال ، وإنما يكون أكثر استرخاء . وتوضع فوق اليلك جبة من الجوخ أو المخمل أو الحرير مطرزة بالذهب أو بالحرير الملون . وهي تختلف عن جبة الرجال بعدم سعتها ، وبالأخص في مقدمها ؛ وتكون بطول اليلك . وكثيراً ما يستعمل بدلها سترة تسمى « سلطة » من الجوخ أو المخمل مطرزة على غرار الجبة . ويتكون غطاء الرأس من طاقية وطربوش ثم منديل مربع يسمى « فارودية » من الموصلي الوشى أو المطبوع ، أو من الكريب ، يلف حولهما بقوة ويسمى هذا « رُبطة » . وكانت هذه المناديل تستعمل منذ قريب ، ولا زالت تستعمل أحياناً لربط عمائم النساء التي تكون مرتفعة مستوية بخلاف عمائم الرجال . وهناك نوع من التيجان يسمى « قرصاً » . وبعض الحلى الأخرى توضع على غطاء الرأس . وقد ألحقت بهذا الكتاب فصلاً خاصاً بحلى النساء وصفها وصورها . وهناك أيضاً « الطرحة » وهي قطعة طويلة من الموصلي الأبيض محبوكة الطرفين بالحرير الملون والذهب ، أو من الكريب الملون المرصع بأسلاك الذهب وصفائح ذهبية كفلوس السمك (تُرتر) ، تطرح فوق الرأس وتتدلى على الظهر حتى تكاد تداني الأرض أحياناً .

أما الشعر ، فيضفر ضفائر ، من إحدى عشرة ضفيرة إلى خمس وعشرين عادة ، على أن يكون العدد فردياً ؛ ويضاف إلى كل جديلة ثلاثة خيوط من الحرير الأسود ، يعلق بها قطع ذهبية صغيرة تسمى : « صفا » وهي موصوفة في ملحق للكتاب . ويقص الشعر فوق الجبهة وتتدلى منه على الصدغين خصلتان غزيرتان[1] حلقاً أو جدائل[2] والقليل من سيدات مصر يلبسن الجوارب ، غير أن أكثرهن ينتعلن المز (أي الحذاء الداخلي) وهو من الجلد المراكشي الأصفر أو الأحمر المطرز بالذهب أحياناً . وينتعلن بابوجا من الجلد المراكشي الأصفر ، مرتفع الطرف الأمامي مدببه ، عندما يمشين على البسط والحصر ، أو يستعملن قبقاباً[3] يعلو إلى تسع بوصات ولا يقل عن أربع ، ويزين بالصدف أو بالفضة . . . الخ ؛ والقبقاب يستعمله الرجال والنساء في الحمام دائماً ، ولا يستعمله النساء في المنزل ؛ إلا أن بعضهن ينتعلنه حتى لا يسحبن ذيل الثوب على الأرض ، وبعضهن يتخذنه ليبدون طويلات . . .



(شكل ٢٤)
سيدة متحلية بالقرص والصفا

تلك هي ملابس السيدات داخل المنزل ؛ أما ثياب الخروج ، فتسمى « تزييرة » ؛ فالسيدات كلما يخرجن من المنزل يتدثرن — علاوة على الملابس السابق وصفها — بدثار كبير فضفاض

(١) أما التركيات ، كما قيل لي ، فهن يربطن سراويلهن فوق المقيص .

(١) تسمى الواحدة منها « مقصوصا »
(٢) ويقسم النساء بمقصوصهن — كما يقسم الرجال بلحيتهم — فيمسكنه باليد صائحات : « وحياة مقصوصى »
(٣) ويسمى عادة « قُبقاب » بالضم

ضاف (يسمى « توب » أو « يسبلة ») ، يكاد عرض كيْه يعادل طوله[1] ، ويكون من الحرير الوردى أو البنفسجى ؛ ثم يضمن بعد ذلك « البرقع » — أى غطاء الوجه — وهو عبارة عن قطعة طويلة من الوصلى الأبيض تحجب الوجه كله ما عدا العينين ، وتسقط حتى القدمين . ويشد البرقع إلى الرأس بشريط ضيق يمر على الجبهة ، ويخاط مع طرفى النقاب الأعليين بعصابة تلف حول الرأس ، ثم يرتدين « الحبرَة » . وحبرة السيدة المتزوجة تتكون من نسجين من الحرير الأسود اللامع ، ويوجد فى أعلى الحبرة من الداخل ـ على بعد ست بوصات من طرفها ـ رباط ضيق من الحرير الأسود يربط حول الرأس . ويبين الشكل رقم ٢٥ طريقة لبسها . إلا أن البعض يقلدن تركيات مصر فيضممن مقدم الحبرة ، بحيث تخفى الملابس كلها ما عدا جزءاً من النقاب يعلو الهدين . أما غير المتزوجات فيرتدين حبرة من الحرير الأبيض أو شالاً . وبعض نساء الطبقات الوسطى لا يستطعن اقتناء الحبرة فيلبسن عوضاً عنها « إذاراً » — وهو قطعة بيضاء من نسيج القطن على شكل الحبرة ويلبس مثلها . أما الحذاء ، فهو « خف » من الجلد الأصفر يدخل فى بابوج



شكل ٢٥ ـ (زى الخروج)

وثياب الخروج متعبة مربكة عند المشى، وهى وإن كانت محتملة لدى سيدات الطبقة الراقية اللائى قلما يشاهدن راجلات ، فقد يرتديها غيرهن ممن لا يملكن أجرة الركوب . وإعداد هذه الملابس لإخفاء زينة المرأة وكل ما فيها من جاذبية أو ملاحة لا عيب فيه، إذ أن الثوب ذاته يعوزه الكثير من الأناقة . إلا أن هناك اعتباراً يقتضينا أن نلاحظ عدم ملاءمة هذه الثياب لغرضها الأصلى، وهو أن العيون التى تكاد تكون دائماً جميلة يزيدها جمالاً حجب تقاطيع الوجه التى يندر أن يبلغ جمالها جمال العين ؛ ثم إنها تجعل الأجنبي يتصور الوجه الجذاب وجهاً معيباً دميماً لاختفائه وراء القناع . ويرجع استعمال النقاب إلى قديم الزمن ، غير أن الظاهر من نقوش الفراعنة ورسومهم أن المصريات فى ذلك العهد كن سافرات ، ولكنهن فى الوقت الحاضر — حتى الخادمات منهن — يتخذن من فضل طرحتهن قناعاً يخفين وراءه الوجه ، إلا عيناً واحدة ، كلما وجدن فى حضرة رجال العائلة التى يخدمنها

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) مثل توب نساء الطبقة الدنيا كما فى الشكل رقم ٢٦

غالية... فى لبنان

للأستاذ أنور العطار

أتدرينَ أنكِ أحلاميَهْ وأنكِ أعذبُ أنغاميَهْ
وأنّ خيالكِ فى خاطرى يرفُّ كزنبقةٍ نادِيَهْ
وأنكِ أشعارِىَ الماجِساتُ بِنفسِىَ فى العُزْلَةِ القاسيَهْ

***

ذكرتكِ والقلبُ نهبُ الفتونِ رهينُ الرُّؤَى الحُلوةِ الوافيَهْ
و (لبنانُ) يسبحُ فى نشوةٍ مِنَ السِّحْرِ والحُبِّ والعافيَهْ
توشّحَ بالعَبَقِ المُستطابِ وغاملَ فى البهجةِ الضّافيَهْ
ونامَ على شُرُفاتِ الغمامِ وطافتْ بِهِ الخُضْرَةُ الحاليَهْ
تناثرُ فوقَ الرّوابى قُراهُ كما تتناثرُ آماليَهْ
على كلّ مائسةٍ صادحٌ وفى كُلّ وارفةٍ شاديَهْ
وتُصغِى الوِهادُ إلى قِصّةٍ مِنَ الحُبّ تسرُدُها السّاقيَهْ
وقدْ أنصتَ الكونُ إلّا صدَى يُرَدِّدُ أنشودةَ الرّاعيَهْ
تطلّعُ فى زهوِها الرّاسياتُ حنيناً إلى عودةِ الثّاغيَهْ
ونمّ على الدّربِ سِحْرُ الغِناءِ فأغنَى على النّغمةِ الشّاجيَهْ
وظلّ المساءُ يحُومُ عليهِ ويرعاهُ بالمُقلَةِ الرّانيَهْ
وفى خلوةِ الوادِ نبعٌ حبيبٌ يُهدهِدُ أوجاعَهُ الباكيَهْ
كأنّ على النّبعِ قيثارَةً تنوحُ مُلوّعةً شاكيَهْ
و(بيرُوتُ) ناعمةٌ فى السُّفوحِ تُتمّمُ أحلامَها الزّاهيَهْ
ترامتْ على البحرِ مأخوذَةً تُناجيهِ حانيَةً صابيَهْ
قصائدُ حافلةٌ بالطُّيوبِ يمُوجُ بِها السّهلُ والرّابيَهْ
تغنّى اللّيالِى بألحانِها فتغرَقُ فى سَكرةٍ باقيَهْ

***

... ...
رأيتُكِ (لبنانِىَ) المشتهى وجنّتَهُ اللّذّةَ الشّافيَهْ
وأبصرتُ وجهَكِ يطفُو عليهِ ويغمُرُ أرجاءَهُ النّائيَهْ
... فغابتْ مسارِحُهُ الغالياتُ ولمْ يبقَ غيرُكِ يا (غاليَهْ)

(عاريا — لبنان)

أنور العطار

أغنيـــة البحيرة

[مهداة إلى ناظم «أغنية الجندول» وملحنها البارع]

للأديب حسن أحمد باكثير

إن رأيتِ الصبح يبدى لكِ سحره فاذكرينى واذكرى يوم البحيره
يوم أقبلتِ وفى يمناكِ زهره قد حكت من وجهك الوضاح ثغره
ونسيم الصبح يُهدى لكِ عطره والندى يكسو وجوه الزهر نضره
فعرتنى – حينما ملتِ – حيره أأداري القلب أم أعلن سره ؟
وأوارى الحب أم أُظهر أمره
أنتِ يامن وشحتْ بالزهر عمري وأضاءت بشعاع الطهر صدرى
أذكرينى واذكرى يوم البحيرة

***

لم أعد أذكر إلا أن نظره أشعلت فى قلبىَ الولهان جمره
وأطارت من حنايا الصدر زفره وأسالت من سواد العين عبره
وجنَت للروح تهياماً وحسره يا لَسحر الحب! ما أفتك سحره!
يا لسر القلب وما أعذب أمره! إن أكن أُنسيت ما أُنسيت ذكره
ليتنى – إذ ذُقته – ما ذُقت مُرّه
أنتِ يامن وشحت بالورد عمرى وأضاءت بشعاع الخلد صدرى
اذكرينى واذكرى يوم البحيرة

***

واذكرى إذ قلتُ: هذا اليوم غُره فى جبين العمر فانشقفً بشره
وانثرى من ثغركِ الفتان دُرّه .وانشري من شعركِ الوسنان عِطره
أو دعينى أرتشف من فيك خمره أو أقبلْ خدّكِ الوردى مَره



جواب

وأجيب عن السؤال الثاني بأن «الهناء» في «تاج اللغة وصحاح العربية» من صحاح اللسان العربيّ، دام الهناء للسائل الفاضل.

«زهير»

هما لابن عبد ربه

سأل الأديب أحمد حسن على شعيب في (العدد ٤٢٩) عن مقطوعتين من الشعر نسبتا في اليتيمة إلى حبيب بن أحمد الأندلسي وعزاهما ابن عبد ربه إلى نفسه في «العقد». والذي نرجحه أنهما لابن عبد ربه، لأن الفتح بن خاقان ذكرهما مع شعر لابن عبد ربه في ترجمته من «مطمح الأنفس» ص٥٨، ولأنه عرف عن الثعالبي أنه ينسب شعراً إلى غير قائليه، وقد نبه على ذلك الأستاذ الصاوى في كتابه «المراجع العربية» عند الكلام على «يتيمة الدهر» وأورد أمثلة (ص ٤٥ و ٤٦) منها نسبته شعراً إلى سيف الدولة. قال ابن رشيق إنه لابن الرومي، وأبياتاً أخرى لسيف الدولة أيضاً قال ابن خلكان إنه رآها في ديوان عبد المحسن الصوري. بل أنه – أي الثعالبي – عزا مقطوعة لأبي المطاع الحمداني ذي القرنين، ثم نسبها بعينها إلى ابن طباطبا الرسي المصري، وهي تروى ليزيد بن معاوية وغيره، انظر ص ٣٢ المراجع العربية. وإنا لتحقيق الأستاذ النشاشيبي لمرتقبون

أحمد صفوان

تحقيق في نسبة حديث

جاء في مقال غزوة حنين (العدد ٤١٧) من الرسالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الخوارج: «أكفار هم أم منافقون»؟ فأجاب: «من الكفر فروا». لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً». فكتبت في العدد (٤٢٢) أستبعد نسبة هذا الكلام إليه، وقطعت بأنه من كلام علىّ بن أبي طالب. فجاء الكاتب الفاضل صاحب المقال يسأل في العدد (٤٢٣) عن المصدر الذي نسب هذا القول إلى علي، ويذكر أن مصدره هو: (السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٠). ويقول في ختام كلمته: «ليس هناك ما يمنع صحة هذه النسبة إلى النبي على سبيل القطع»

فمن الخير أن نبين ما يمنع صحة هذه النسبة:

١ – كانت نشأة الخوارج بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من ربع قرن وعرفوا بهذا الاسم لخروجهم على علىّ في حرب صفين

٢ – إذا جعلنا صدور هذا الكلام عن النبي من باب الإخبار بالمغيبات اعترضنا أمران: الأول أن الأحاديث المأثورة في هذا الباب تذكر صفات عامة ولا تسمى أشخاصاً ولا فرقاً بأسمائها. والثاني أن الصحابة الكرام لا علم لهم بالمغيبات، فكيف وقع إليهم إسم (الخوارج) حتى يسألوا عنه. ونحن نعرف أحاديث كثيرة يجعلها المحدثون في باب الكلام على الخوارج، إلا أنها جميعاً ليس فيها هذا الإسم؛ حتى أن ابن عمر وغيره كانوا إذا سئلوا عن الخوارج (بعد سنة ٣٦ هـ طبعاً) حدثوا بهذه الأحاديث التي فيها صفات قد تنطبق عليهم باجتهاد الراوي. وانظر في ذلك ما جاء في كتب الحديث بدلالة (مفتاح كنوز السنة: الخوارج) في أكثر من عشرين موضعاً

فتعاشتِ كما لو كنتِ صخره ... ومرت في وجهكِ الأخاذ حُمره
طرباً أخفقتِ إذ حاولتِ ستره

أنت يا من عطّرت بالحب عمري ... وأضاءت بشعاع القلب صدري
اذكريني واذكري يوم البحيرة

واذكري الزورق إذ أوقفتُ سُيره ... بعد ما اجتاز بنا عرض البحيره
فانتحينا مجلساً تحت شُجيره ... مجلساً حُفّ بماء وبخضره
وبأزهارٍ حباها الفجر طهره ... ومروج تلهم الشاعر شعره
فسكرنا عنده بالحب سكره ... لم تدم إلا كما تخطر خطره
آه لو عادت وعادت ألف مره

أنت يامن عطّرت بالحب عمري ... وأضاءت بشعاع القلب صدري
اذكريني واذكري يوم البحيرة

حسين أحمد باكثير

٣ — هـذا الـكلام المنسوب إلى رسول الله ، المنقول من السيرة الحلبية يناقض ما قبله وما بعده فيها من الأحاديث الصحيحة كل المناقضة : فبينا يورد صاحب هـذه السيرة (٣ : ١٤٠) أحاديث فى كفرهم ووجوب قتالهم نرى هذا الـكلام ينفى عنهم الـكفر والنفاق صراحة

٤ — لو صح عن النبي شيء فيهم بصراحة ، ما وسع علياً أن يقول موصياً فيهم : « لا تقاتلوا الخوارج بعدى ، فليس من طلب الحق فأخطأ كمن طلب الباطل فأدركه » ، ولو صح ذلك ما جاز لابن عباس أن يقول فيهم لعلى : « والله ما سيماهم بسيما المنافقين وإن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون » ، وإنما المعقول أن يستشهدا بما قال النبي صلى الله عليه وسلم . ولو صح ذلك أيضاً لما جعلهم المحدثون (البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه) ممن تنطبق عليهم أحاديث المروق اجتهاداً منهم . أما سندى فى عزو هذا الكلام إلى صاحبه على بن أبي طالب فهو العقد الفريد وقد سهوت فذكرت الخوارج فى العدد (٤٢٢) وإنما هو فى أصحاب الجمل ورأى على فى الخوارج هو هو نفسه فى أصحاب الجمل على ما ذكرت لك آنفاً فى وصيته فيهم . جاء فى العقد الفريد : (ج ٣ ص ١٠٥ المطبعة الأزهرية) سنة ١٩٢٨ . سئل على عن أصحاب الجمل : « أمشركون هم ؟ » فقال : « من الشرك فروا » قال : « فمنافقون ؟ » قال : « إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً » قال : « فما هم ؟ » قال : « إخواننا بغوا علينا »

ولعل أطرف الأشياء وأعجبها السند الجديد الذى أظفرنى به السائل . إن سندى فى نفى هذا الـكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم هو السند نفسه الذى أحتج به فى نسبته إليه ، وسأنقل الفقرة نفسها مع ما قبلها ليتبين الحق على وجهه . جاء فى السيرة الحلبية (ج ٣ ص ١٢٠) ما نصه : « وقد قاتلهم (يعنى الخوارج) على كرم الله وجهه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الخوارج « أهم كفار » فقال : « من الـكفر فروا » فقيل : « أمنافقون ؟ » فقال : « إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً » فقيل : « ما هم ؟ » فقال : أصابتهم فتنة فعموا وصموا » فلم يجعلهم صلى الله عليه وسلم كفاراً لأنهم تعلقوا بضرب من التأويل

ألا يرى معى الـكاتب الفاضل والقراء الكرام أن (صلى الله عليه وسلم) الواردة بعد (سئل) وبعد يجوز أن تكون (يجعلهم) خطأ من ناسخ أو طابع ، وأن الكلام يستقيم بدونها ويتجه إلى الصواب ، فيكون من كلام على ويطابق ما جاء فى المصادر الصحيحة كلها . وذلك من أغرب ما يوقع به سهو أو خطأ . وسيبقى هـذا خطأ حتى يثبت بطريق صحيح يشنبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم

« دمشق »

سعيد الأفغانى

حول نقد كليلة ودمنة

طالعت باهتمام ما كتبه الأستاذ عبد السلام هارون فى نقد وتعليق على الطبعة الأخيرة لـكتاب « كليلة ودمنة » وقد رأيت أن أعلق على تعليقه الثالث المنشور بعدد (الرسالة) رقم ٤٢٨ على نقاط ثلاث لم يصحبه التوفيق فيها :

الأولى : « إذا جئتنى بالليل من غير نداء ولا رى ، ولا شىء يرتاب به » ؛ يتساءل الأستاذ بعدها بقوله : « فما ذلك الرى ؟ » ويرجح أنها مصحفة « من الرمز » ، والحقيقة أن كلمة « الرى » صحيحة وملائمة ، وليس هناك ما يحمل على العدول عنها ، بل يوجد ما يوجب التمسك بها ، فالرى بحجر أو حصاة وسيلة معروفة من وسائل التنبيه عند القدامى والمحدثين وهو أدعى إلى الارتياب ، ويفسر له ذلك ما روى فى نوادر ابن أبي عتيق : « عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق » قيل : وتمشى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر فى الدار ، ووقع آخر وثالث ؛ فقال للجارية : اخرجى فانظرى أذنوا المغرب أم لا ؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة وقالت : أذنوا وصلوا ؛ فقال الرجل الذى كان عنده : أليس قد صلينا قبل أن تدخل الجارية !؟ قال : بلى ، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجنا إلى الغداة أفهمت ؟ قال : نعم قد فهمت[1] !

وواضح من هذا أن صديقاً للجارية كان يدعوها بالرى

الثانية : « رأس الخنازير » و « سيد الخنازير » ، يرجح الأستاذ أنها « رأس الخبّازين » ؛ ولا أدرى لمن يخبز هذا الخباز ومن الذى سيأكل خبزه من السباع الضارية !؟ ويؤيد الأستاذ ظنه بأنه قد أشير إليه فى بعض النسخ بعبارة « صاحب المائدة »

(١) نهاية الأرب ج ٤ ص ٧

وهذا دليل لا يقدم ولا يؤخر ، فما المانع من أن يكون « رأس الخنازير » هو « صاحب المائدة » في نفس الوقت ، وهذا هو الواقع ، وهو من دلائل الحبكة القصصية عند المؤلف ، حيث جعل الأسد يأمر بعزله عن وظيفة القيام على مائدته بعد ما تحدث « دمنة » عن قذارته ودمامته ، ولا أفهم كيف تدل كلمة « صاحب المائدة » على الخبازة ، ومائدة الأسد معروفة ألوانها ! وقد التفت إلى ذلك الأستاذ الرصفي في طبعته المصورة فقال : « وسيد الخنازير هذا كان خادماً على مائدة الملك ، كما يفهم مما بعد ... الخ »

الثالثة : « وانقلبت ظهراً لبطن ، وانجررت حتى دخلت جحري » ويسأل حضرته قائلاً : « فماذا جره حتى انجر ؟ إنما هي : وانحدرت » ونحن نسأله على طريقته « ماذا قلبه حتى انقلب؟ وماذا حدره حتى انحدر؟ » ، فهذا الفعل المطاوع لا غبار عليه البتة ، وأمثاله كُثُرٌ في اللغة ، وهذا الفعل بالذات تقول عنه المعاجم : وقد جَرَّت الإبل تجر جراً إذا رَعَتْ وهي تسير ، أو الجرُّ أن تركب الناقة وتتركها ترعى ، وقد جرها يجرها « كالانجرار » فيهما ، وأنشد ابن الاعرابي :

« إني على أوني وانجراري »

وهذه الأفعال المطاوعة — كانتشر وانكمش وانتقل — مطاوعة لعامل ذاتي لا لعامل خارجيّ ، أي تتجاوب مع عامل طبيعي فيها ، فهو قد قلب نفسه فانقلب ، وجر نفسه فانجر ، وحدر نفسه فانحدر .

هذا ما وجدته حرياً بالتنبيه عليه حتى لا يتهم الأستاذ الفاضل بالتكلف أو التحامل ... وأعيذه منهما .

حسين منصور

حول كتاب « محمد فريد » أيضاً

في العدد ٤٢٩ من الرسالة وفينا هذا الكتاب القيم حقه من التقدير ، وأشرنا إلى أن المؤلف الفاضل قد تعقب زعيما بعينه في مواضع لم يكن التعقب فيها حتماً عليه . وقد أنكر علينا أديب في العدد الماضي هذا القول وطالبنا بالمثال . ونحن نكتفي بأن ندله على الصفحات الآتية من الكتاب وهي صفحات : ١٨٨ و ٢٦٠ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٨٨ و ٤١٢ ، فان فيها مقنعاً لمن يريد أن يقتنع

لبيب السعيد

محنة التعليم

أخي الأستاذ علي عبد الله

قرأت في العدد ٤٢٣ كلمتك في محنة التعليم الإلزامي ، فلم أعجب للفوضى التي وصفتها فيه ، وللنظم الجائرة المطبقة عليه ؛ ذلك لأن المصيبة عندنا في نظم التعليم وأساليبه ليست بأقل من مصيبتكم فيه إن لم أقل أشد وأفدح . أما العدل فلا عدل ، أما التقدير فلا تقدير .

ترى المعلم النشيط ذا الوجدان الطاهر يلقي دروسه على طلابه من الصباح إلى المساء ، باذلا من الجهد ما يضني جسمه ، مجرباً كل الوسائل الممكنة لإفهام الطلاب تنشئة صالحة قويمة ، وترى إلى جانبه المعلم الجاهل يقضي نهاره في راحة ودعة ، لأنه فقد الضمير والوجدان . فماذا تجد ؟

يحزنني والله أن أخبرك أن الأول مظلوم مهمل مغضوب عليه ، وأن الآخر مرضي عنه حائز ثقة رؤسائه ، يزيد مرتبه على مرتب ذاك زيادة قد تبلغ الضعف أحياناً . ولعلك تستغرب هذا وتود أن تعلم السبب في ذلك :

هناك أسباب كثيرة أجدرها بالذكر أن الأول لا ينافق ولا يماري ، ولا يتملق أولي الأمر ، وأن تقدير قيمة المعلم وقيمة عمله متوقف على تقارير المفتشين ، ولا أكتمك أن في هؤلاء المفتشين من برع في الرياضيات والطبيعيات براعة فائقة ، ولكنه لا يعرف من اللغة العربية إلا مبادىء لا تغنيه . ولو أن وزارة المعارف ولتهم تعليم ما اختصوا به لما عدت سبيل الحق ، ولأفاد الناشئون منهم ومن علمهم

وناحية أخرى ، هي أن قيمة المعلم — لدى أولي الأمر — لا بعلمه وفضله ، ولكن بما يحمل من شهادات ! فكلما كانت شهاداته أكثر كان أعلم وأفضل ، وهذه طريقة لا نراها عادلة كل العدل - وعلى الأخص في دروس اللغة العربية

وأنا مشفق بعد هذا - مثلا - من أن أذكر كل ما أعرف ، فلا تحزن يا صاحبي ، وليكفك أن وجدانك مستريح وأن ثوابك غداً عند الله لا في هذه الدنيا

(دمشق) ناجي الطنطاوي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 432

Lundi - 13 - 10 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٣٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١٢٤٩ من أحاديث القهـوة ... : أحمد حسن الزيات ... ...

١٢٥١ الصلات الأدبية والعلمية بين مصر والعراق ... } الدكتور زكي مبارك ... ...

١٢٥٥ كيف يكتب التاريخ ... : الدكتور حسن عثمان ... ...

١٢٥٨ الوعاظ والخطباء ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...

١٢٦١ تيموستوكل ... ... : الأستاذ محمد الشحات أيوب

١٢٦٤ أمبراطورية ابن السعود ... } للأستاذ روم لاندو ... ... بقلم الأستاذ حسن السلمان ...

١٢٦٨ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق ادورد وليم لين ... بقلـم الأستاذ عدلى طاهر نور

١٢٧١ بين الشام والريح [قصيدة] : الدكتور إبراهيم ناجى . ...

صرخة ... ... « : الأديب عبد الرحمن الخميسى

١٢٧٢ حول كلمة « هناء » ... : الأستاذ محمد فتح الباب ...

إلى الأستاذ الكبير « ا. ع » : الأستاذ محمد محمود رضوان

١٢٧٣ حول تقرير مراقب التعليم الأولى : الأستاذ على عبد الله ...

حول نقد كتاب « كليلة ودمنة » ... ... } . ...

١٢٧٤ حوار عند الغروب [قصة] } الكاتب الفرنسى بيير لويس بقلم الأديب عبد الغنى المطرى

من أحاديث القهوة

— ٣ —

حبسني عن ندامى « الكافورة » عوادٍ من الشغل والمرض فلم أعد إلى الأنس بهم إلا بعد حين . وهذا الحين على قصره كان كافياً أن يجعل الحال غير الحال ، ويبدّل الجو غير الجو

هذه طلائع الخريف الباكر قد هيمنت على الأفق : فالرياح السوافى تنوح على عذبات الشجر الوريق فيرتعد فَرَقاً من نذير الجفاف والموت ؛ والغمائم الرقاق تتجمع غُبرًا كحمَل النعام ، أو تتفرق بيضاً كندوف القطن ، فيتعاقب من تجمعها وتفرقها الظلام والنور والظل والحرور على صفحة النهر ووجه الأرض

وطلائع الخريف تبكر في الريف فتحدث في نظام الطبيعة قليلاً من الفوضى . ذلك أن الفيضان يشارف غايته المقدورة في أوائل سبتمبر ، فيُترع النيل كل القنوات ، ويغمر أكثر الحقول ، ويكون من جراء هذا الرى الطافح أن يفتر الحر ، ويرطب الهواء ، وينعقد بخار الماء سحباً في السماء ، وأندية على الأرض ، فلا تجد أواخر الصيف مناصاً من الرحيل . وفي رحيل الصيف على هذه الحال الفاجئة اضطراب في حياة الناس والزرع . فالقطن يعوقه احتجاب الشمس عن اكتمال النضج فيفسد لوزه ، والإنسان يُعجله تغير الجو عن اتخاذ الحيطة فيميل اعتداله

* * *

سكنت الريح بعد هبَّة حمقاء هصرت غصون الشجر ، وكشفت أغطية الموائد ، وقلبت وجوه الحُدّاث والجُلاس فقطعوا سلاسل الحديث، واسترجعوا رسُل النظر. وكان إخواننا المصطافون قد نابهم من ثورة الريح ما ناب الناس ؛ فانزوى كل امرئ عن أخيه وانطوى على نفسه . فلما سكت عن الريح الغضب عادوا يستقبلون أنفاس الموج ، ويستروحون أنسام الرَّوع ، ويستمعون إلى الأستاذ نجيب ، وكان يتحدث عن مشكلات التموين ومخزيات الإدارة . والأستاذ نجيب مدرس بكلية الآداب ، قضى أسابيع من عطلته عند أهله في سمنود . وكان له بجانب ذهنه معدة كمعدة الأحياء لا تفتأ تطلب القوت . والقوت اليوم بفضل الطاغية « هتلر » لم يعد كما كان مبذول النال يأتيك على اعتياض وأنت وادع ؛ إنما أصبح عزيز الدرك لا تناله إلا ببطاقة أو صداقة أو شفاعة . فكان يلقى كتابه من يده ، ثم يخرج ومعه بطاقة التوزيع يسأل عن القمح فلا يجاب ، ويبحث عن البترول فلا يجد

نظام البطاقات محكم دقيق يضمن لكل بطاقة رصيدها ، ولكل مستهلك نصيبه ؛ فمن أين جاء الحرمان والخير موجود ، وكيف سيطرت الفوضى والنظام قائم ؟ كان الأمين الذي جملته الحكومة على خزائن التموين قد قضى أن يكون مع بطاقة التوزيع تصريح منه لا يظفر به إلا ذو المال أو الجاه أو القربى ؛ وصديقنا الأستاذ لم يؤته الحظ شفاعة من هذه الشفاعات الجابة ، فبقي في جمهرة الفقراء يحتشدون كل يوم على باب الأمين يسألون فيه غير مجيب ، ويسترحمون منه غير راحم . قال الأستاذ وقد نبض من الغيظ نابضه ، فارتجفت شفتاه وتهدج صوته :

كان مئات من ذوى الضعف والمسكنة يتركون بيوتهم صفراً من القوت والوقود ويظلون النهار كله على باب هذا (الحاكم) قياماً وقعوداً وبأيديهم القفف والأكياس ، وفي جيوبهم البطاقات والنقود ، يسألونه التصريح مرة بالدعاء ومرة بالبكاء ، فلا يجيبهم غير الجنود بعصيهم الملهبة ، وكلماتهم الغليظة ؛ حتى إذا أمسى المساء انصرف المجدودون بتصاريحهم إلى تاجر بعينه يكتالون بالسعر المقرر ، وانقلب المكدودون بأوعيتهم إلى التاجر نفسه يكتالون بالسعر المكرَّر . ومن عَرَق البائسين ودموع اليتامى تنتفخ جيوب وتكتظ كروش ؛ وبأمثال هذا الموظف وذلك التاجر تدول دول وتسقط عروش !

قلت : وما يدريك يا نجيب ، لعل الحال في بلدك هي الحال في كل بلد ! لقد فجر التجار وهوّدتهم المطامع ، فاحتكروا السلع ، واختزنوا الأرزاق ، وعموا عن طريق الحق ، وصموا عن نداء الضمير ، ولم تزعهم خشية الله ولا سطوة الحكومة ؛ لأن الله يمهل ، ولأن الإنسان يهمل . والقانون من غير تنفيذ ورق مطبوع ، والتنفيذ من غير خُلُق ظلم مسلّح

إن في مخازن الأغنياء ومخابئ التجار من الأقوات ما لو عُرض للبيع المشروع لأعاد إلى الناس عيشهم الأول ؛ ولكن الفقدان والحرمان سيدومان ما دام الطامع يد وليس له قلب ، وللحكومة لسان وليس لها عين

إن الحكومة قد أيقظت وعيها ورأيها لشؤون الوقاية والتموين ؛ وفي سبيلهما تستطيع أن تبتكر الأسلوب البارع وتسن النظام المحكم ، ولكنها لا تستطيع أن تبعث النور في الحس المظلم ، ولا الشعور في الفؤاد المصمت

هذه انجلترا تموّن ملايين الجنود من نهر النيل إلى بحر قزوين ، ومن أقصى المحيط الغربي إلى أقصى المحيط الشرقي ؛ فهل تجد مع ذلك جندياً في البر أو في البحر أو في الجو يزعم أن نصيبه الموفور من الطعام والشراب والفاكهة والخمر والحلوى والعتاد والسلاح والذخيرة لم يدركه في موعده الموقوت على أكمل نظام وأعدل قسمة ؟ وهل كان هذا العمل المعجز ممكناً لو لم يكن بإزائه خلق يعين على قضاء الحق ، وضمير يحث على أداء الواجب ؟

قال الأستاذ علي : وهل عطل الأنظمة ، وعوّق الإصلاح ، وأوهن العلائق ، وشتت الوحدة ، وأشاع البؤس ، غير فساد الأخلاق ؟ إن ما أصابنا من نكد العيش وذل النفس وحبوط العمل ، نتيجة محتومة لما أصبنا من فحش الجور وقبح الأثرة وسخف الذمة « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » . فقال الأستاذ توحيد : إن التعبير هنا بالدابة من معجزات البلاغة القرآنية ؛ فإن الناس إذا زاغوا عن طريق العدل ، وخرجوا على منطق العقل ، لا يصدق عليهم غير هذا اللفظ

وعادت الريح الباردة تهب هبوب الخُلق الشموس فقطعت الحديث ، وقوضت المجلس ، وأنذرت القوم أن يهجروا المكافورة حتى يعود الربيع

المنصورة في ١٨/٩/١٩٤١

احمد حسن الزيات

الصلات الأدبية والعلمية

بين مصر والعراق

للدكتور زكي مبارك

قضى سعادة الدكتور محمد فاضل الجمالي في مصر نحو شهرين كان فيهما موضع الحفاوة والترحيب من أكابر المصريين، فالتفتت الأذهان من جديد إلى وجوب توكيد الصلات الأدبية والعلمية بين مصر والعراق. ويزيد في أهمية هذا الالتفات وجاهة الغرض الذي حضر لتحقيقه هذا المربي المفضال، فقد جاء يستحث المدرسين المصريين إلى المسارعة بالتوجه لخدمة العلم في المدارس العراقية، وعددُهم في هذه المرة كثير جدًّا بحيث يكفي لتوكيد تلك الصلات إن أدرك جميع هؤلاء المدرسين أنهم سفراء مودة وإخلاص؛ والمأمولُ أن يدركوا هذا المعنى أتمَّ الإدراك بفضل ما سيلقون في بلاد الرافدَيْن من الإعزاز والتبجيل. أسبغ الله عليهم أثواب العافية، وجعل التوفيق حليفهم في جميع الشؤون!

أما بعد فموضوع هذا المقال مستوحًى من زيارة الدكتور الجمالي، وقد كان يجب أن نتحدث عنه في «الرسالة» قبل اليوم، لأنه لم يزر مصر إلا موفداً لمهمة من أشرف المهمات، وكان ذلك يوجب أن نتحدث عن قدومه ولو بعبارة وجيزة في البريد الأدبي، ولكن الدكتور الجمالي نفسه هو سبب ما وقع من السكوت، فقد بدا لي أن أوجه إليه طائفة من الأسئلة المكتوبة ليجيب عنها إجابات مكتوبة طلباً للسلامة من الخطأ والتحريف، ورعايةً لمركزه الدقيق، وهو مركز لا يبيح له أن يتحدث عن الصلات بين مصر والعراق بلا تدبر ولا إمعان، فقد رأيته غضب حين قرأ في إحدى الجرائد أنه سئل عن النظام الجديد في بلاده بعد الثورة الكيلانية وأنه أجاب بكيت وكيت، فلما سألته عن سبب غضبه مع أن الجواب المنسوب إليه لا غبار عليه قال: لا يليق بمن يوفَد لمهمة علمية أن يتكلم عن شؤون سياسية

وأريد أن أقول إن الدكتور الجمالي حار في الإجابة عن الأسئلة التي وجهتها إليه، وكانت تلك الحيرة سبباً في أن تتأخر الإجابة أسابيع، فلم يقدمها إليَّ إلا وهو يتأهب للرحيل

عواطف نبيلة

وقبل أن أسوق الأسئلة والأجوبة أذكر أن الدكتور الجمالي أقام برهاناً جديداً على أصالة الأريحية العراقية، فكان اهتمامه عند حضوره مقصوراً على زيارة الرجال الذين تشرفوا بخدمة العلم في العراق، فزار الأستاذ محمد عبد العزيز سعيد «أول أستاذ مصري قدم العراق، ونظَّم دار المعلمين، وكان الدكتور الجمالي من أوائل تلاميذه في سنة ١٩١٨» وزار الدكتور السنهوري الذي رفع القواعد من كلية الحقوق العراقية؛ وسأل عن الأستاذ الزيات بلهفة وشوق فعلم أنه بعيد عن القاهرة، وتفضَّل فزارني في سنتريس ليرى البلد الذي قال فيه الشاعر عبد الرحمن البنّاء:

لِبُعدك كابدتْ بغدادُ حُزناً وإن فرحتْ بقربك سِنتريسُ

ولن أنسى أبداً أن الأسابيع التي قضاها الدكتور الجمالي في مصر كانت عندي من المواسم الروحية، فقد كان يسأل عني في كل يوم، كأنه رب البيت وكأنني الضيف

أخت بغداد والألقاب

واتصلت أيام الدكتور الجمالي عندنا بفكاهات كثيرة كان يوجهها إلى أقطابُ وزارة المعارف من وقت إلى وقت، منها السؤال الذي واجهني به سعادة الأستاذ شفيق بك غربال:

— سمعت أنك لم تُنصَب بأخت بغداد، فهل هذا صحيح؟

— أُصِبت بالأخت الحقيقية لبغداد، وهي «ليلى المريضة في العراق» وفي هذه الإصابة مناعة من جميع العلل والأدواء.

وفي إحدى سهراتنا أعلن الدكتور الجمالي ثورته على كثرة الألقاب في مصر، فأجبت بأن الحال في مصر غير الحال في العراق، فالظاهر أن الألقاب كانت تُشترى بأبخس الأثمان فيظفر بها من لا يستحقون التبجيل، ولهذا ثار عليها العراقيون؛ ولا كذلك الحال في مصر، فالألقاب عندنا لا ينالها من ليس لها بأهل، وإن كان في النحو باب يسمى باب الاستثناء

وأردت أن أنتقم من الدكتور الجمالي فكنت أخاطبه بعبارة: يا فاضل بك؛ فلم يمض إلا وقت قليل حتى استأنس بلقب البكوية كل الاستئناس، إلى الحد الذي سمح له بأن يسأل عن حظي من الألقاب الرسمية بعبارة تفيض بالعطف. وقد تحزَّن حين أجبته بأن الألقاب لا تمنح للموظفين إلا حين تصل مرتباتهم

إلى مبلغ لا أصل إليه إلا بعد أعوام طوال ، ثم أردت أن أطمئنه فقلت : ولكن لا موجب للجزع فقد تنفع المؤلفات فى الظفر بالألقاب !

ومن المنتظر أن يستوحش فاضل « بك » حين يُنزع منه هذا اللقب بعد وصوله إلى بنداد ، ودنيا الألقاب إلى زوال !

الجواب المحذوف

فى الأسئلة التى وجهتها إلى الدكتور الجمالى سؤالٌ يقول : ما هى الشخصيات التى ظفرت بإعجابكم ؟ وما الشمائل الأصيلة لتلك الشخصيات ؟

وأجاب الدكتور الجمالى عن هذا السؤال بصفحة كاملة ، ثم عاد نخلط بياضها بسوادها فلم أتبين منها غير أشباح ، وإن كان تفضل فأبقى العبارة الخاصة بأحد الرجال . وقد سألته عن السبب فى حذف هذا الجواب فاعتذر بأنه قد يعرّضه إلى محرجات

وأجهدتُ عينىّ فى تعرّف تلك الأسماء فلم أهتد إلا إلى سمات خطية عرفت منها أسماء : السنهورى وغربال ومشرّفة وجوهر والقبانى وفهيم

وكان قبل ذلك حدثنى عن إعجابه بالدكتور سليمان عزمى والأستاذ على بدوى

وللدكتور الجمالى الحق كل الحق فى أن يسكت عمن عرف فى مصر من الرجال ، فلكل رجل فى مصر خصائص تتعب من يهمه التحدث عنها بإيجاز أو إطناب . وغِنى مصر بالرجال لا يحتاج إلى بيان ، والذى يتصل بمصر وهو فى مثل ذكاء الدكتور الجمالى وإخلاصه لا يستطيع النجاة من الفُتُون بما لرجالها من رجاحة العقل ، ونفاذ البصيرة ، وقوة اليقين

أما إعجاب المصريين بالدكتور الجمالى فهو إعجابٌ صادق ، وقد أطلعوه على دقائق النهضة العلمية والأدبيـة والفنية والاجتماعية . وتفردت أنا باطلاعه على دقائق الحياة الشعبية ، وذلك جانب يراه بعض الناس من الابتذالات وأراه من الطرائف ، فما فى مصر بقعة إلا وهى مصدر وحى أو مبعث خيال

زرت مع الدكتور الجمالى أكثر الأحياء الوطنية ، الأحياء التى نبت فيها آباؤنا وأجدادنا قبل أن يعرفوا المدنية الغربية ، الأحياء التى أوحت ما أوحت من فنون الرأى والعبقرية ، زرت معه « حىّ الخليفة » الذى نشأ فيه مصطفى كامل ، وهو حىٌّ تناب عليه البداوة ولكنه مزوّد بقوة الروح ، وفى رحابه نشأ كثير من جنودنا الأبطال

والأخوّة التى بينى وبين الدكتور الجمالى فرضتْ عليه أن يرى مصر بعينىّ ، مصر التى لم يُخلَق مِثلها فى البلاد ، مصر التى وُلد فيها موسى ، ونشأ بها عيسى ، وصاهرها محمد ، وهم صفوة الأنبياء

لم أر فى مصر شيئاً يجب إخفاؤه عن رجل من أرباب القلوب ؛ وإذا احتاجت مصر إلى الدفاع عن نفسها ، فلن يكون ذلك إلا بفضل جناية الجمال على الجيل

جمالُكِ فاتنٌ والحسنُ ذنبٌ ... لأهل الحسنِ فى شرع الذئابِ
فما شكواكِ من ظلماء طالت ... وتلك جنايةُ الجِد اللُّبابِ

إن استباح السفهاء من أهل البغى أن ينالوا مصر بسوء ، فسيكون لهم من وراء البغى ألوان وصنوف من غضب صاحب العزة والجبروت

مصر التى لم يهتف بمثلها شاعر ولا كاتب ولا خطيب ، مصر التى لم يتفتح الزهر فى أرض أكرم من أرضها ولا أخصب ، مصر التى لم يتخطر على ثرَى غير ثراها أسرابٌ لا ترى مثلها العيون فى شرق ولا غرب

مصر الجميلة الغالية ليس فيها ما يعاب ، فمن حقى أن أُطلع على خفاياها من يشاء ، فإن صحّ أن فيها ما يشوك ، فهو سواد الخال فى الخد الأسيل

بكاء غريب الألطاف

البكاء محرّم على الرجال إلا فى مقامين اثنين : مقام الشوق إلى الله ، ومقام الحزن لفراق الأحباب . وللمقام الثانى صورة لا ينجينى من أطيافها المزعجات إلا تدوينها على القرطاس ، فإن الإنشاء كالبكاء يخفف ما تعانى القلوب من لواعج وأحزان . وكيف نعيش لو حُرِمنا الخلوة إلى القلم من وقت إلى وقت ، وقد أقفرت الدنيا من الصديق الذى ننفض بين يديه ما فى صدورنا من أشجان وكروب ؟

والصورة الآتية من صور البكاء تستحق التسجيل ، فهى واضحة الدلالة على أن الأخوة العربية قد انتقلت من حال الشرح والتفسير إلى حال الذوق والإيمان . فما تلك الصورة من البكاء ؟ فى الأيام الأخيرة لإقامة الدكتور الجمالى بالقاهرة جدّت

شواغل منعتني من الأنس بهذا الصديق الغالي ، وهي الشواغل التي تصحب افتتاح العام الدراسيّ ، ومع ذلك عرفت أنه سيغادر القاهرة في عصر هذا اليوم (٤١/١٠/١)

وقبل الموعد المحدد لقيام القطار بنحو خمسين دقيقة كنت في الفندق الذي نزل فيه لأصحبه إلى محطة باب الحديد ، ولكني لم أجده هناك ، ثم حضر بعد لحظات ، فكانت تحيته : لطفك يا دكتور ! وحدّق في وجهي لحظة ثم قال : هل تعرف أني قضيت مساء الأمس وصباح اليوم في البكاء لفراق القاهرة ؟ فابتسمت وقلت : الجروح قصاص ، فمن واجب القاهرة أن تصنع بك بعض ما صنعت بي بغداد ، وأنا بكيت لفراق بغداد حتى رحمني أعدائي ، فاشرب قطرة من الكأس الذي شربتُه حتى الثمالة . واحترس من التزيد على المحبين !

ولم يقع في الوهم إلا أن الدكتور الجمالي يلاطفني بالحديث عن تحزّنه لفراق القاهرة ، فهو من بلد له تقاليد في مراعاة الآداب الإخوانية ، ولكن لم نكد نفارق الفندق في طريقنا إلى المحطة حتى غُلب الرجل على وقاره ، وأخذت دموعه تبلل خديه على نحو ما يصاب به المتيَّمون

ورأيت من الحزم أن أتجاهل ما يعانيه ، لئلا يزداد عناء إلى عناء ، فأخذت أشاغله بالسؤال عن معالي الدكتور سامي شوكت وسعادة الأستاذ طه الراوي ، وانطلقت فسردت له عشرات من الأسماء التي أحبها في أرجاء العراق ، ولم أطو عنه إلا أسماء من صادقت من رجال الجيش ، فقد خشيت أن أسمع أن فيهم من قُتِلَ في الحرب التي دامت ثلاثين يوماً . وكان لي في الجيش العراقي أصدقاء لا يفدون بغير الأرواح ، كتب الله لهم العافية من مكاره الصروف في هذه الأيام !

ثم بلغنا محطة باب الحديد وقد جفت دموع الدكتور الجمالي ، فرأينا هنالك طوائف من الإخوان ينتظرون باسمين ، فسُرِّيَ عنه بأسرع من لمح البرق ، وأخذ يحاور ويناضل بعزيمة لا تعرف البكاء

وأراد الإخوان أن يصارحوه بحزنهم لفراقه فأشرت إليهم أن يكفوا ، فسكتوا وقد فهموا أني أعرف من أمره ما لا يعرفون ؛ والمصري أقدر الناس على فهم خطرات القلوب ولمحات العيون

وكان الدكتور الجمالي مع هذا مهدداً برجعة البكاء ، فقد كان يرى ناساً لا ينتظر أن يراهم في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم من أيام رمضان ، فكان يقول لمن يراه : غريق ألطافكم ! غريق ألطافكم !

وتمت الأعجوبة حين رأى أقطاب وزارة المعارف يَفِدون لتوديعه وهم رجال لا تسمح شواغلهم بأداء هذا الواجب في مثل هذه الأيام المثقلة بالتكاليف

وقد تأثر الدكتور الجمالي بهذا المنظر فكاد يبكي من جديد ، ثم صدّه حضور صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ، فقد أخذ يسألني عن صحة ليلى بعبارات لا تخلو من فكاهة ومزاح

ودوّى صفير القطار فتحاجَز المودعون ، وانخرط الدكتور الجمالي في البكاء ، البكاء الذي لا يجيده في مثل هذا الموقف غير كبار الرجال

وما الذي يمنع الدكتور الجمالي من البكاء لفراق القاهرة ، وقد عاش فيها شهرين بعين المحب وقلب الصديق ؟

لو كان الدكتور الجمالي من الشعراء ونظم في توديع القاهرة ألف قصيدة لكان تعبيره عن أساه أقل بياناً من تلك الدموع النبيلة وقد جاد بها قلب نبيل

الثقافة المصرية

حدثني الدكتور الجمالي قال : « شُغِلتُ عن مسايرة الثقافة المصرية نحو عشر سنين ، بسبب التفاتي إلى الثقافة الإنجليزية ، ثم كانت هذه الزيارة فتحاً جديداً ، وقد اشتريت من المؤلفات المصرية ما ملأ حقيبتين كبيرتين ، فحبي القديم لمصر أضيفَ إليه حب جديد ، كنت أحبها للأخوة العربية ، فصرت أحبها للأخوّة العلمية ، وإعجابي بتقدُّم مصر العلميّ جاوزَ ما كنتُ أقدِّر من الفروض »

ومع أنه زار مصر في أشهر العطلة المدرسية فقد عرف كيف يدرك ما عندنا من مذاهب الحياة التعليمية ، بفضل صلاته الوثيقة برجال التعليم ، وبفضل ما فطر عليه من حب الاستقصاء

وليس معنى هذا أن مصر وصلت إلى ما لم يصل إليه أحد في العالمين ، ولكن معناه أن الرجل شُغِل بالمحاسن عن العيوب ، فلم تقع عيناه في مصر على شيء غير جميل

وهذه النظرة الودية هي أساس التعارف الصحيح ، والداعون إلى الوحدة العربية فاتهم هذا الجانب ، وهو الابتداء بخلق صلات روحية وذوقية تصل العربي بأخيه عن طريق الحب والصفاء

أسئلة وأجوبة

لم يبق إلا أن نذكر بعض ما دوّنه الدكتور الجمالى بخطه ، مكتفين بالأهم ، لضيق المجال

س — ما هى الصفات التى يجب أن يتحلى بها المصرى حين يخدم العلم بالعراق ؟

ج — كل ما نريده للمصرى الذى يأتى لخدمة العراق هو أن يشعر بأنه فى بلاده وبين أهله وإخوانه ، ومتى شعر بأنه يخدم أبناء قومه فلا أشك فى أن عمله سيكون مثمراً أطيب الثمر . وإنى لأنصح لمن يشتغل بالتعليم فى العراق أن يبتعد عن البحث فى القضايا السياسية والأمور المذهبية ، فما دخلت هذه البحوث فى دور العلم إلا أفسدتها

س — أتراك مطمئناً إلى صحة القول بأن مصر صلة الوصل بين الشرق والغرب ؟

ج — إن مصر خير مثال لبلد تمسّك بشرقيته ثم غذاها بالنتاج الثقافى الغربى ، فمصر عربية فى روحها ، إسلامية فى تقاليدها ، وهى مع ذلك تأخذ عن الغرب أساليبه العلمية ، وأنظمته الصناعية والزراعية والتجارية ، فهى بودقة تصهر ثقافتى الشرق والغرب ، ونرجو أن تخرج منهما ثقافة موحدة لمحاسن كلتيهما ، وإذ ذاك تصبح مصر ومن ورائها البلاد العربية صلة الوصل بين الشرق والغرب حقاً

س — ما الذى تحب أن يُنقل من شمائل بغداد إلى القاهرة ومن شمائل القاهرة إلى بغداد

ج — أحب أن تُنقل بعض شمائل القاهرة إلى بغداد ، لا سيما ما يتعلق بتنظيم العمران وفتح الشوارع وتشجيرها والإكثار من الميادين والحدائق العامة ، ولا أرى ما يمكن نقله من بغداد إلى القاهرة

س — هل اتسع وقتك للنظر فى الفروق بين المناهج المصرية والمناهج العراقية ؟

ج — هناك فروق بين مناهج التعليم فى مصر والعراق ، وهذه الفروق ناتجة من أمرين : الأول أن العراق حديث فى نظامه التعليمى ، ولم تتولد له مشاكل تاريخية بعد ، ففى وسعه أن يطابق أحدث النظريات الفنية التعليمية بدون أن تكون فى الطريق عقبات خلفها له الماضى . أما أنظمة التعليم فى مصر فلها تاريخ بعيد نسبياً . فلا يمكن الأخذ بما هو صالح من الجديد إلا بالتدريج . والأمر الثانى هو أن العراق قد اعتنق الفكرة العربية منذ تكوينه الجديد بقيادة المغفور له الملك فيصل الأول ، فهذه الفكرة متغلغلة فى كل برامج التعليم ، ولم تصل هـذه الفكرة فى مصر إلى صميم التعليم بعد كما هو الحال فى العراق

س — أنت زرت تركيا وكتبت عن التعليم فيها تقريراً مفصلاً ، فهل ترى وقد زرت مصر أننا قريبون أو بعيدون من الأتراك من الوجهة الثقافية ؟

ج — لا أستطيع أن أتحدث عن الثقافة التركية اليوم ، لأنى لم أتتبع التطورات الأخيرة فى معارف تركيا منذ وفاة المغفور له أتاتورك . أما الثقافة التركية كما عرفتها فى سنة ١٩٣٧ فكانت تختلف عن الثقافة فى مصر اختلافاً أساسياً وهى بعيدة عنها كل البعد . أولاً لأن الأتراك فى ثقافتهم قطعوا صلتهم بالماضى ووضعوا لأنفسهم أسساً جديدة واضحة وُجهت الثقافة بموجبها ، فهم أخذوا كل ما راقهم من المبادئ الغربية وتركوا الثقافة الشرقية وراءهم . وثانياً لأن الانقلاب التركى جاء شاملاً وسريعاً ، بينما مصر تسير على الأساليب الديمقراطية التدريجية ، فهى تُبقى الجيد من القديم وتضيف إليه الحديث ، ولذلك أرى أن الشقة الثقافية قد بعدت بين البلاد العربية والبلاد التركية . هذا ما بدا لى سنة ١٩٣٧ ولا أعرف ما هو الوضع اليوم هناك

[انتهى ما اخترناه من أجوبة الدكتور الجمالى]

أما بعد فقد فرغت من كتابة هذا المقال فى لحظة قدرت فيها أن الدكتور الجمالى لم يصل إلى الحدود المصرية ليجتازها إلى فلسطين . فليكن مقالى هذا تحية ثانية أقدمها إلى الصديق الذى ودع القاهرة بدموع الوفاء ، وليتفضل فيذكر أن القاهرة لا تنسى أحبابها أبداً ، ولو بَعُدت الدار وقدُم العهد

وإذا كان الدكتور الجمالى قد تلطّف فدعانى لزيارة بغداد مرة ثالثة فليعرف أنى ما فارقت بغداد ، ولا غاب عن عينى محيّاها الجميل

سيَسأل قومٌ من زكىٌّ مباركٌ — وجسمى مَدفون بصحراء صماء
فإن سألوا عنى ففى مصر مرقدى — وفوق ثرى بغداد مَرح أهوائى

زكى مبارك

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٥ —

نقـد الأصول (*)

أهمية النقد ، التزييف والانتحال وإثبات صحة الأصول

قد عرفنا أن التاريخ يدرس بواسطة الأصول كالوثائق وآثار ومخلفات الإنسان من الزمن الماضي . وحوادث التاريخ يمكن أن تعرف عن طريقين : عن طريق مباشر بملاحظة ومشاهدة الحوادث أثناء وقوعها، أو عن طريق غير مباشر بدراسة الآثار المتنوعة التي خلفتها هذه الحوادث . فالمعلومات عن حادث زلزال مثلاً يمكن معرفتها بطريق مباشر من بعض شاهدي العيان، أو بطريق غير مباشر بملاحظة آثار التدمير التي خلفتها الهزة الأرضية ، أو بقراءة وصف كتابي سجله أحد الناس عنها سواء بطريق المشاهدة أو بطريق الرواية . وهذا ينطبق تماماً على حوادث التاريخ . والحوادث والأوصاف التي يسجلها الرحالة المعاصر مثلاً تمتاز بإعطائها دقائق وتفاصيل ، وبتصويرها روح العصر ، وذلك ما لا يتاح للكاتب المتأخر . ولكننا نلاحظ أن وجود الكاتب في العصر الذي يسجل حوادثه ليس معناه أنه يمكنه الإحاطة بجميع نواحيه وإجادة الكتابة عنه . وذلك لعدة عوامل ، لاحتمال تحيزه للتيارات المتنوعة التي تسيطر على الفكر الإنساني، أو لتأثره في كتابته باتباع المصلحة للوصول إلى أغراض شخصية أو لتجنب الاضطهاد في بعض الأحيان ؛ وكذلك لعدم إمكان حصوله على جميع الأصول التاريخية ، بالرغم من عيشه في العصر الذي يدرسه ، والتي تظل خافية وممنوعة من التداول سنوات عديدة سواء لدوافع سياسية ، أو للرغبة في عدم إذاعة الأسرار الخاصة في حياة بعض الناس . فالأفضل دائماً أن يكون المؤرخ بعيداً عن العصر الذي يكتب عنه لكي تظهر الأصول والأسرار والخفايا بعد أن تتبلور حوادث التاريخ خلال الزمن الغابر

فحوادث التاريخ تعرف بصفة أساسية عن طريق غير مباشر بدراسة آثار الإنسان المختلفة التي تحفظ من الضياع . والمؤرخ في أغلب الأحوال لا يرى الحوادث نفسها ، وإنما يرى ويدرس آثارها . فآثار ومخلفات الإنسان المتنوعة هي نقطة البدء ، والحقيقة التاريخية هي الهدف الذي يتوخى المؤرخ الوصول إليه . وبين نقطة البدء والهدف يوجد طريق معقد متشابك تمتوره الأخطاء والمصاعب والعقبات العديدة ، والتي قد تبعد الباحث عن الهدف وعن الحقيقة التاريخية . والمؤرخ لا يجد غير هذا الطريق للوصول إلى غرضه . ودراسة وتحليل الأصول التاريخية في هذه المرحلة من أهم أدوار طريقة البحث ، وهي عبارة عن ميدان نقد الأصول التاريخية

وكما عرفنا نجد أن آثار الإنسان قد تكون أبنية وتماثيل ومصنوعات مادية ملموسة ، أو قد تكون آثاراً كتابية سجلها الإنسان عن الحوادث . فالنوع الأول أسهل في الدراسة لأنه توجد علاقة واضحة بين الآثار الماثلة أمام المؤرخ ، والتي يلمسها بحواسه ، وبين أسباب وجودها وارتباط ذلك بحوادث التاريخ . ولكن الكتابات التي يدونها الإنسان عن حوادث تاريخية معينة هي أثر عقلي سيكولوجي وليست الحادث التاريخي في ذاته ؛ فهي لا تزيد عن أنها مجرد رمز وتعبير عن أثر تلك الحوادث في ذهن الإنسان . فالآثار الكتابية تنحصر قيمتها في أنها عمليات سيكولوجية معقدة وصعبة التفسير ، لأن الإنسان نفسه على وجه العموم معقد مركب متضارب وصعب الفهم ، فلا ريب في أن تكون حوادثه والتعبير عنها على ذلك الغرار . وللوصول من الأصل التاريخي المكتوب إلى الحوادث ينبغي تعقب سلسلة

(*) يجد القارئ فصولا عن نقد الأصول التاريخية في بعض المراجع مثل :

١ — أسد رستم : مصطلح التاريخ . بيروت ، ١٩٣٩ ص ١٥—١٣٠

٢ — Fling, F. M. : The Writing of History. Yale, U.S.A., 1926 pp. 48—102

٣ — Omans Sir Ch. : On the Writing of History. London, 1939. pp. 33—75

٤ — Langlois, Ch. V. & Seignobos, Ch. : Introduction to the Study of History English trans. by G. Berry. London, 1912 pp. 63—190

العوامل التى أدت إلى كتابته ؛ فلا بد من أن يحيى المؤرخ فى خياله سلسلة الحوادث التى قام بها كاتب الأصل التاريخى منذ أن شاهد وجمع معلوماته عن تلك الوقائع المعينة حتى دونها فى الأصل المكتوب والماثل أمام المؤرخ ، لكى يصل إلى الحوادث الأصلية . ويلاحظ المؤرخ قبل البدء فى نقد الأصل التاريخى وخاصة إذا كان مخطوطاً هل هو فى نفس الحالة التى وجد عليها من قبل ؟ ألم يبل ويتآكل وتضيع بعض أجزائه ؟ لكى يرممه ويجعله أقوى على البقاء والحفظ

وتوجد عدة أدوار ومراحل للنقد . فالنقد الخارجى أو الظاهرى external criticism يتعلق بعدة أمور مثل إثبات صحة الأصل والخطأ والمؤلف ؛ والنقد الداخلى أو الباطنى internal criticism ويبحث الحالات العقلية التى مر خلالها كاتب الأصل التاريخي ، فيحاول أن يعرف ما الذى قصده الكاتب ؟ وهل كان يعتقد فى صحة ما سجله ؟ وهل توفرت المبررات التى جعلته يعتقد صحة ما كتبه ؟ ... وأساس النقد الحذر والشك فى معلومات الأصل التاريخى ، ثم دراسته وفهمه واستخلاص الحقائق من ثناياه . والناس يتكلمون عن ضرورة النقد ولكن من الناحية النظرية فقط ؛ وهم فى الغالب لا يميلون إلى تطبيقه عملياً . والإنسان فى أحوال كثيرة ينقد الغير ولكن لا يحب أن يذكره الغير إلا بالمديح والثناء ! والإنسان فى أحوال كثيرة أيضاً أميل إلى الكسل والاهمال . والإنسان فى حياته اليومية قد يكون أميل إلى تصديق مايصادف هوى فى نفسه ، وأبعد إلى تكذيب مايصطدم بعواطفه ورغباته

والإنسان فى حياته اليومية أيضاً لا يستطيع أن يقبل أقوال جميع الناس بنفس الثقة وبنفس التقدير ، لأن الناس جميعاً لهم قيم وأغراض وأهواء مختلفة . وأصحاب النفوس الزائفة يكذبون وينافقون ويغررون للوصول إلى الأغراض والمطامع . أو ليس ذلك أدعى إلى الخداع والبعد عن الحقيقة السافرة ؟ فإذا كان هذا هو الحال فيما يتعلق بالحاضر فما بالنا بحوادث الأمس ، والأمس البعيد ؟ ولقد استخدم المؤرخون فى الزمن الماضى الأصول التاريخية بدون نقد أو حذر فوضعوا تعميمات خاطئة . وإنه لأسهل على الإنسان أن يصدق بغير مناقشة وأن يوافق بدون نقد وأن يجمع الوثائق والأصول التاريخية بغير تقدير أوزن دقيق ولكن لا يستطاع الوصول إلى الحقيقة التاريخية بدون نقد الأصول كل على حدة وبدون الموازنة بينها وتحديد العلاقة بين المعلومات الواردة فى كل منها ، ويستغرق ذلك زمناً طويلاً ولكن البحث العلمى التاريخى لا يمكن أن يكتب بدون ذلك . وليس هناك ما يضطر الباحث لأن يعمل فوق طاقته ، بل عليه أن يقصر عمله على النقطة التاريخية المحددة التى يستطيع أن يأتى فى بحثها بعمل أصلى جديد مبتكر بالنسبة للعلم كله . والباحث فى التاريخ كالباحث فى أى فرع من أنواع المعرفة ، إذا عرف بإخلاص قيمة البحث العلمى الصحيح الذى يستوفى شروط الزمان والمكان لن يرضى بغيره بديلاً مهما كانت الظروف

وأول مرحلة من مراحل نقد الأصول التاريخية هى إثبات صحة أو بطلان تلك الأصول . فإذا كان المصدر أو الأصل كله أو جزءاً منه مزيفاً أو منتحلاً فإنه لا يمكن الاعتماد عليه . وصحيح أن تزييف الأصول والوثائق اليوم أصعب منه فى الزمن الماضى ، ولكن دوافع التزييف والدس لا تزال قائمة كالمطامع والأهواء والكسب وحب الشهرة . والانتحال والتزييف يوجدان فى كل أنواع الأصول والمصادر . فالآثار المادية تزيف من أجل الكسب فى أحوال كثيرة . ومن الأمثلة على ذلك ما حدث من وجود مجموعة من الأوانى والأدوات الفخارية فى أورشليم فى ١٨٧٢ ؛ وقد دل على وجودها سليم العربى الذى كان يعمل فى خدمة بعض المنقبين عن الآثار فى تلك الأنحاء ، واشترى بعضها متحف برلين ، ولكن البحث العلمى أثبت أن هذه الآثار مزيفة . وفى الغالب كان سليم العربى نفسه هو صانعها بقصد الكسب . ومن الأمثلة على الكتابات المزيفة مجموعة من الخطابات والتواريخ والأشعار طبعت فى إيطاليا بين سنتى ١٨٦٣ و ١٨٦٥ على اعتبار أنها قد كتبت عن جزيرة سردينيا فى الفترة بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر للميلاد

ولقد أثار ظهور هذه المجموعة دهشة كبيرة فى الأوساط العلمية ، لأنه كان مجهولاً وجود حضارة فى سردينيا من هذا النوع فى ذلك العهد . وبعد نشر هذا الكتاب ، وضعت الأصول الخطية فى مكتبة كاليارى فى سردينيا ، وحدثت مناقشات طويلة

عن هذه الآثار ، فعرضت الأصول الخطية على أكاديمية العلوم في برلين لدرسها ، ففحص بعض العلماء الخطوط التي كتبت بها هذه الأصول ، وبحث البعض الآخر اللغة والأدب ، كما ناقش آخرون المعلومات التاريخية ، ووجدوا أن كل ما جاء بها لا ينطبق ولا يشابه ما عرف عن خطوط وكتابات وأدب وتاريخ سردينيا في تلك القرون ، وقرر العلماء أن هذه الآثار الكتابية مزيفة

ومن هذا النوع أيضاً نجد ملحق مذكرات « بايي » عمدة باريس وأول رئيس للجمعية الوطنية في حوادث الثورة الفرنسية واسمه : Supplément aux mémoires de Bailly ، ونشر لأول مرة في (١٨٠٤) على أنه من وضع أحد أعضاء الجمعية التأسيسية في باريس بدون تحديد الإسم ؛ وعندما أعيد طبع مذكرات « بايي » في (١٨٢٢) اعتبر هذا الملحق من تأليف « بايي » نفسه . إلا أن الدكتور فلنج أستاذ التاريخ الأوربي بجامعة نبراسكا في أمريكا استطاع أن يكشف مع بعض تلاميذه في الجامعة عن حقيقة هذا الملحق[1] ؛ ووجدوا بالمقارنة الوافية أن فقراته شديدة القرب في اللغة والأسلوب والمعلومات مما ورد في بعض الجرائد التي كانت تصدر في باريس في (١٧٨٩)[2] ، مع تغيير ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم في بعض الأحيان ، لكي يتفق ذلك مع مذكرات « بايي » الأصلية . ولو أن جامع هذا الجزء قد أشار إلى المواضع التي استقى منها مادته ، لكان ذلك عملاً نافعاً لمن لا يستطيع الوصول إلى إعداد تلك الصحف النادرة . وهذا الجزء يعتبر مثالاً لكيفية الانتحال ، وتحذيراً للباحثين بعدم قبول أي مصدر بثقة عمياء

والملكة « ماري أنطوانيت » من الشخصيات التاريخية التي دُست عليها رسائل لم تكتبها ، وهذا مما يجعل عمل المؤرخ صعباً . ولقد نشرت مجموعات من رسائلها تحتوي على الصحيح والمزيف منها ؛ ولجأ المزيفون إلى الاقتباس من رسائلها الصحيحة وتقليدها من حيث الخط والأسلوب . ولقد نشرت مجموعة من هذه الرسائل في باريس في (١٨٥٨) ، وتحتوي على رسالة لم تنشر من قبل بتاريخ ٢٠ يونيو ١٧٨٩ ، تبين أن ماري أنطوانيت اعتقدت أن

(١) Fling : op. cit. pp. 52—56

(٢) هذه الصحف هي :

Le Point du Jour
Courrier de Provence
Les Révolutions de Paris
٢٦ ، ١٧

أسلم سياسة ينبغي أن يتبعها لويس السادس عشر ، هي الانضمام إلى الشعب . فهل هذه الرسالة صحيحة أم مزيفة ؟ ولم يمكن العثور على أصلها المخطوط ، وهذا مما يجعل البحث صعباً . وبالدراسة المقارنة نجد أن ماري أنطوانيت كانت ميولها ضد الشعب ، وهذا يميل بالباحث إلى الشك في صحة هذه الرسالة . إلا أنه من الجائز أن ماري انطوانيت كان لها هذا الرأي المخالف لما عُرف عنها ، إنقاذاً للموقف ؛ وهكذا لا يصل المؤرخ أحياناً إلى رأي قاطع في صحة بعض الأصول التاريخية

وأخيراً نعرض لمثال درسه الدكتور أسد رستم . فإنه عند ما ثارت مشكلة البراق بين المسلمين واليهود ، وقدمت اللجنة الدولية لدرسها ، ظهرت وثيقة في مصلحة المسلمين . ولكن اليهود عارضوا في صحة هذه الوثيقة ، فعرضت على الدكتور رستم لفحصها من الوجهة الفنية التاريخية ، فوجد أنها عبارة عن رسالة صادرة من محمد شريف باشا حكمدار بر الشام[1] في عهد الحكومة المصرية إلى السيد أحمد أغا دزدار[2] متسلم القدس[3] بتاريخ ٢٤ ربيع أول ١٢٥٦ هـ (٢٧ إيار ١٨٤٠) يخبره فيها بصدور إرادة شريفة خديوية من محمد علي باشا بمنع اليهود من تبليط البراق مع إعطائهم حق الزيارة « على الوجه القديم[4] » . وفحص الدكتور رستم هذه الوثيقة بوسائل النقد الظاهري والباطني ، فوجد أن الوثيقة مكتوبة على ورق صكوكي قديم تركيبه الكيماوي وأليافه من نوع أوراق الحكومة المصرية في مصر والشام في ذلك العهد ؛ والمداد الذي دونت به هو مداد استانبولي . وأثبت التحليل الكيماوي والفحص بالمجهر أنه مزيج من الكاربون التجاري والصمغ والماء ؛ وأثبت المجهر أيضاً من أثر القلم على الورق أنها كتبت بقلم قصبي مما كان شائع الاستعمال في ذلك العصر . وكان الخط هو السائد في دواوين مصر والشام . وفاتحة الرسالة : « افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام ... » وخاتمتها : « لكي بوصوله تبادروا لإجراء العمل بمقتضاها ... » تتفق مع أسلوب عهد محمد علي . ثم عدم مراعاة قواعد اللغة

(١) أي حاكم الشام من قبل الحكومة المصرية

(٢) دزدار من أصل فارسي استعمل في التركية بمعنى قائد قلعة . ولعل أحمد أغا دزدار يرجع إلى أسرة حكمت القلاع

(٣) متسلم أي ملتزم الأموال والمشرف على الأمن وقواعد الضبط والربط

(٤) نص هذه الوثيقة في كتاب الدكتور رستم عن مصطلح التاريخ ص (١٧ — ١٨)

الوعاظ والخطباء

للأستاذ على الطنطاوى

تواردت الخواطر والأقلام (فى أجزاء الرسالة الأخيرة) على نقد أساليب الوعاظ فى الدعوة إلى الله، فساء ذلك بعض الواعظين عندنا، ولو فكروا فى مغزاه وما يلزم منه لسرهم، ولعلموا أنه لولا الاعتراف بخطر الوعظ وأهله، ومنزلتهم من الأمة، وعلو قدرهم عند العامة، ما كتب فى (الرسالة) عنهم، ولا اشتغل الكتاب بنقدهم. ثم إن أولى ما ينبغى أن يتحلى به الواعظ أن يبدأ بنفسه فيعظها، وأن يخلص قوله لله وعمله، وأن يفرغ من شهوات نفسه، فلا تملكه شهوة الشهرة والجاه، ولا شهوة الغنى ولا شهوة النساء، وأن يكون فى فعله أوعظ منه فى قوله، فلا يأمر الناس بالزهد ثم يخالفهم إلى ما زهدهم فيه فيزاحم المتكالبين عليه، ولا يتظاهر بالدين ابتغاء الدنيا وتوصلاً إليها، فيجمع من حوله العاملين على الكسب الحلال، والجادين فى جمع المال من حله، ليأخذ من أموالهم ما يتعالى به عليهم، وليذوق لذائذ العيش من عطاياهم، وليسلبهم فوق ذلك حريتهم وعقولهم وكرامة أنفسهم عليهم، فيصرّفهم فى مآربه، ويسيرهم حيثما شاء، ويذلهم بين يديه ليستكبر عليهم، ويجعل الدين وسيلة إلى ذلك، فيجعل طاعة نفسه من طاعة الله، بل ربما جعل نصيبها من هذا الشرك أكبر، والعياذ بالله من ذلك.

ولقد حدثنى من أقطع بصدقه أنه سمع مرة واعظاً من هؤلاء (يقص) على تلاميذه قصة مريد سمع شيخه يقول: يا ألله، ثم يمشى (زعم القاص) على وجه الماء الجارى، فسأله أن يتبعه، فقال له الشيخ: قل يا شيخى فلان (يعنى الشيخ نفسه) ثم اتبعنى فإنك تمشى مثلى. ففعل المريد ذلك، وتابعه أياماً، ثم خطر له (يقول الواعظ) أن يقول: (يا ألله)، مكان قوله: (يا شيخى) فقالها فغرق فى الماء، ومات ...

فهل يشك مسلم فى أن هذا الوعظ مخالف للاسلام مباين له؟ وهل يغضب الواعظ العالم الصادق أن ينتقد الواعظ الجاهل المُمَخْرِق الكذاب؟ أو ليس من دأب الواعظ الصادق أن يتقبل النصيحة ويشكر عليها ويعمل بها؟ وأن يتخلص من شرور نفسه قبل أن يتصدر للوعظ والإرشاد،

العربية ووجود ألفاظ أعجمية الشىء الذى كان منتشراً فى مصر والشام فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. ثم تذرع الدكتور رستم بأدلة أخرى، فتأكد من محفوظات عابدين أن شريف باشا كان حاكماً عاماً على الشام من أوائل ١٢٤٨ هـ إلى أواخر ١٢٥٦ هـ. وعرف من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس أن أحمد أغا دزدار كان قائماً بأعمال المتسلمية فى القدس فى ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ. وتثبت أيضاً من أن محمد شريف باشا كان يسيطر على جميع حكام مقاطعات الشام ومن بينهم متسلم القدس أحمد أغا دزدار، ومن أنه كان يتلقى الأوامر من محمد على باشا وإبراهيم باشا لكى يبلغها للجهات المختصة. ووجد الدكتور رستم أيضاً أن محتويات هذه الوثيقة تتفق مع المعلومات المعروفة عن علاقة اليهود بالبراق وموقف المسلمين منهم من ناحية إباحة اليهود زيارته وتساهل حكومة محمد على الذى جعلهم يتطلعون للحصول على الإذن بتبليط البراق. وانتهى بحث الدكتور أسد رستم بإثبات صحة هذه الوثيقة من الوجهة الفنية التاريخية سواء من ناحية الورق والحبر والقلم وعادات المراسلة واللغة والأسلوب، أو من ناحية شخص المرسل والمرسل إليه، أو من ناحية مطابقة واتفاق معلوماتها مع الظروف التاريخية[1]

وهذه أمثلة عملية تبين أهمية وطريقة نقد الأصول التاريخية من ناحية إثبات صحتها وأصالتها وخلوها من الدس والتزوير والانتحال[2]؛ وبغير ذلك لا يستطيع المؤرخ أن يعمل لأنه إذا بنى أبحاثه على الأصول المزورة خرج بنتائج بعيدة عن الحقيقة ومخالفة للواقع التاريخى. وسوف نبحث فى المقالات التالية نقد الأصول من نواح أخرى

(يتلى)

حسن عثمان

---

(١) أسد رستم: مصطلح التاريخ: ص ١٦ — ٢٧

(٢) لم أذكر شيئا من الأمثلة العملية التى قمت بها وإنى أرجىء ذلك حتى أنشر الوثائق التى تحت يدى

حتى يكون الإسلام هو الذى يتكلم على لسانه ، وحتى يتوهم السامعون أن ملكا هو الذى يعظهم ، أو جسداً إنسانياً ضم روح ملك من الملائكة قد ارتفع عن شهوات الأرض ليتصل بكمالات السماء ، وأنه لا يزهدهم فى دنياهم ليحوزها من دونهم ؛ فإن أنسوا منه غير ذلك زهدوا فيه هو وفى وعظه ...

كان فى مسجد من مساجد دمشق خطيب جهير الصوت ، طلق اللسان ، معتزل مستور ، يعتقد الناس إخلاصه ودينه وتخطّيه أهواء نفسه ماشياً قدُماً على صراطه المستقيم ، صعد المنبر جمعة من الجمع ، فاستهل خطبة بآية من القرآن فيها وعيد للكافرين شديد ، ومضى من بعدها يبرق ويرعد ، ويسوق الجمل آخذاً بعضها برقاب بعض ، وكلها من مادة (كفر يكفر ...) حتى إذا ظن أنه أقنع وأشبع ، وملأ نفوس السامعين سخطاً وغضباً ، عمد إلى التصريح بعد التلويح ، فإذا الذى انصبت عليه هذه الحمم ، ونالته رجوم الشياطين ، (رجل تجرأ على دين الله ، فتكلم فى الداعين إليه ، والدالين عليه ، ومن رضى عنهم الله وعقلاء خلقه : خطباء المساجد) . فلما قضيت الصلاة استقرى الناس الخبر فإذا هو صاحب جريدة كتب مقالاً معتدلاً فى الدعوة إلى إصلاح الخطب المنبرية ، فبعث الخطيب بمقالة يرد بها عليه فلم ينشرها وإنما أشار إليها ، فكان جزاؤه أن تكون الخطبة كلها فى ذمه وتكفيره . فانصرف الناس من يومئذ عما كانوا يعتقدون فى الخطيب ولم يعد يبلغ وعظه ذلك المبلغ من نفوسهم ، وجعلوا يرون فيه خطيباً له (نفس) ، وهيهات ينفع واعظ أو خطيب له (نفس) ...

فتعالوا أنبئونى من الذى جعل المنبر ملكاً لهذا الخطيب ، يتصرف فيه تصرفه بثوبه ودابّته ، ويجعله سلماً له إلى شهرته وشهوته ، وهـذا المنبر إرث رسول الله ، والخطيب خليفته فى الدعوة إلى دين الله واطّراح النفس والهوى ؟ ألم يرو الرواة أن علياً أمير المؤمنين رضى الله عنه كان يتبع مشركاً (فى المعركة) ليقتله ، فلما أيس المشرك من الحياة تلفت إلى علىّ فبصق على وجهه ، فكف عنه على، فقيل له، فقال رضى الله عنه : كنت أنوى قتله لله وحده، فلما بصق على خفت أن يكون قد داخلنى غيظ منه، فخشيت أن يكون قتايه انتصاراً لنفسى، فلذلك كففت عنه . أليس فى هذا الخبر (وإن لم يأت عن الثقات) عبرة وأسوة للواعظين ؟

وكيف أستطيع الاتماظ بالخطيب الذى جاء فى خطبته مرة بحديث موضوع ، فلما انتهت الصلاة وتفرق الناس أقبل عليه شاب من المشتغلين بالحديث والمنقطعين إليه فذكره بأن ذلك الحديث موضوع لا أصل له ، فما كان منه إلا أن رجع من الجمعة المقبلة ، فجعل خطبته فى هـذا الشاب وأصحابه (الوهابيين أعداء الرسول . . .) وأثار عليهم العامة حتى نالهم شر وأذى . فأين مكان الإخلاص من نفس هذا الخطيب ؟

إن أول شرط للواعظ أو الخطيب أن يكون مخلصاً فى وعظه لله ؛ والشرط الثانى أن يكون عالماً بالعربية ، عارفاً بالتفسير والحديث روايته ودرايته ، والفقه أصوله وفروعه ، وإلا كان وبالاً على الدين وأهله . ولقد أدركت والله من العامة من كان يكور العمامة ، ويطيل اللحية ، ثم يقعد للتدريس فى مسجد دمشق الجامع فيقول ما شاء له الجهل والهوى ويجعله ديناً ، والمفتى والقاضى والعلماء يمرون عليه أو يعلمون به فلا ينكرون عليه ، ولو اعتدى هذا الرجل على جبة أحدهم لأقام عليه الدنيا . أفكان الدين أهون على أحدهم من جبّته ؟ وأدركت عامياً آخر ذكياً خدع طائفة من أذكياء البلد وعلمائه فاعتقدوا به ، وتأدبوا بين يديه ، وأخذوا عنه تفسير الآثار . وأعجب من هـذا رجل يدعى النبوة يقيم الآن فى غوطة دمشق ، وقد آمن به أكثر فلاحى قرية (حرستا) . ولقد خبرنى من شهد صلاته بأصحابه أنهم يقهقهون ويكركرون كلما جاءت آية نعيم ، ويتصايحون مستبشرين ويهنئ بعضهم بعضاً ، وأنهم يبكون منتحبين مولولين كلما سمعوا فى الصلاة آية عذاب ؛ وربما (أخذ بعضهم الحال) فقفز فى الصلاة أو صاح أو انبطح بالأرض . ولهذا المتنبى أو (المتمهدى) ضريبة دائمة على أصحابه يؤدونها إليه باسم الزكاة فيشترى بها العقارات والحقول ...

والشرط الثالث حسن الأسلوب فى الوعظ ، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم ، وابتغاء طريق اللين واللطف . وللواعظين أسوة فى ذلك بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهم من سيرته قدوة صالحة ، فأين هم عنها ؟ وما لأكثر من عرفنا منهم لا يعرفون إلا طريق العنف والقسوة الذى يبعد الناس عن الدين ، ويغلظ قلوبهم عليه ، وينفرهم منه . فلا يرون فى مجالسهم

شاباً من تلاميذ الدارس مثلاً إلا جعلوا الموضوع فى تفسيق من يحلق لحيته ، ومن يتشبه بالنساء ، وأمثال ذلك ، حتى تأكل هذا الشاب الأنظار ، فيغرق فى عرقه خجلاً ؛ ثم لا يعود إلى المسجد أبداً ؛ ولو أنهم حاسنوه وجاملوه لكان من المتقين .

حضر درس الشيخ « بدر الدين » رحمه الله تعالى شاب حليق حاسر من شبان (المودة) ، وكان الشيخ (على عادته) مطرقاً . فقال له أحد الثقلاء من الحاضرين : « سيدى ، ما حكم الشبان الذين يتخنثون ويتشبهون بالنساء ويتزيون بزىّ الكفار » . فأدرك الشيخ بذكائه النادر أن فى المجلس غريباً ، فرفع رأسه فلمح الشاب ، فدعاه فأجلسه بجواره وأكرمه ، وقال للسائل مؤنباً بأسلوبه الناعم : « يابا . . . هذا يتبارك به » يعنى أن شاباً مثله يطلب العلم ويؤم مجالسه ويستهدى الطريق إلى الله ، أهل لأن يتبرك به أمثال ذلك الثقيل الذين (قطعوا الطريق) إلى الله بغلظتهم وغباوة قلوبهم

والشرط الرابع هو أن يعلم الواعظون أنه ليس فى الإسلام طبقة هى أولى بالله من طبقة ، وليس بين العبد وربه وسيط ، وأن الإسلام ليس فيه (رجال إكليروس) ، فإذا علموا ذلك اقتصدوا فى تكفير الناس لأتفه الأسباب ، وراجعوا الآثار الواردة ليعلموا حقيقة الكفر والإيمان ، فلا يرمون بالكفر كل من خالفهم فى رأى أو ناقشهم فى مسألة قد يكون لها وجوه ، ولا يصدرون مثل الكتاب الذى أصدره منذ بضع سنين عالم معروف فى دمشق — كان أصدر قبله بأكثر من عشر سنين كتاباً آخر — كفر فيهما كل من يقول بحركة الأرض ، وكفر الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ؛ ورد أشنع الرد على ابن حزم والشيخ محمد بخيت المطيعى ، رحم الله الجميع . وأخذ بقوله بعض خطباء المساجد فكفروا على المنابر من يقول إن الأرض دائرة حول الشمس . ولا نسمع أحداً يجعل قيامك للضيف يدخل عليك كالسجود له سواء حكمهما ، لأن كلا منهما (على دعواه) من أركان الصلاة استويا فى ذلك . ونسى أن القعود أيضاً من أركان الصلاة ، أفيحرم قعودك بين يدى صديقك أو أستاذك ؟ ؟

• • •

والخطابة يوم الجمعة من أكبر أبواب الوعظ ، فإذا صلحت صلح بصلاحها فساد الأمة ، وإن فسدت أفسدت . فمتى يتم تنظيم الخطابة ، بحيث يختار لها الكفو العالم ويعدل عن طريق الوراثة فيها ، فلا تنتقل بعد الخطيب إلى ابنه الصغير الذى لا يُدرى ما يكون منشؤه ومرباه ، ويقام له وكيل رسمى ؛ بل يعلن عن الخطابة الحالية ، ويجعل بين الطالبين سباق وامتحان ، ثم ينتقى أقدرهم عليها وأصلحهم لها . ولو كانت وراثة لورثها أبو بكر ابنه ولدفعها عمر إلى ولده . فمن أين جئتم بهذه القاعدة الواهية ؟

فإذا تم الاختيار على ما ترتضى المصلحة الاسلامية ، أخذ الخطيب بنوع رقابة أو إشراف يمكنه أن يجيد فيختار من الموضوعات ما يؤذى المسلمين ، أو يكون فيه منفعة للخطيب شخصية ، ويجعله ينتقى أقرب الموضوعات لأحداث الأسبوع ، فيبين فيها حكم الله ، ويأمر فيها بالمعروف وينهى عن المنكر ، بشرط أن يقوم بهذه الرقابة جماعة العلماء أنفسهم ، وألا تمنع إلا ما يخالف الإسلام ومصلحة المسلمين ، وألا تمس حرية الخطيب فيما عدا ذلك ، وإذا تم الحصول على هذه الثمرات من غير رقابة أصلاً فذلك هو الأولى ، وهو ما عليه المسلمون من قديم الزمان

• • •

هذا وإن الموضوع خطير ، ومجال القول فيه ذو سعة ، والواعظون العالمون الصادقون أحق الناس بالكتابة فيه ، فإن صاحب الدار أدرى بما فيها ، وأحسن شىء أن يعطى القوس باريها ، وإننا نسأل الله أن يجعلنا من أهل الإخلاص

على الطنطاوى

شخصيات تاريخية

٣ – تيموستوكل

للأستاذ محمد الشحات أيوب

مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

(تابع)

تحتم إذن وضع خطة جديدة لمجابهة هذا الموقف الجديد ، فمن لليونان بقائد ماهر يستطيع وضع هذه الخطة ؟ لم يبحث اليونان كثيراً ، إنما نظروا إلى صفوفهم فوجدوه بينهم يحثهم على أن يتراجموا ويتماسكوا ، فلما رأوه وكله ثقة واطمئنان إلى نتيجة النزاع وهى النصر الحاسم سرت الثقة بينهم وتجمدوا فى أماكنهم كالثلج الذى وقع على الأرض لا يريد أن يبرحها وقد تركوا أمورهم إليه وأسلسوا له القياد فوضع هذه الخطة التى كانت أساساً لما أحرزه اليونان من نصر عظيم فى موقعة سلامين الشهيرة . وأظنك أيها القارىء بعد هذا لم يخف عليك أن هذا القائد صاحب هذه الخطة إنما هو بطلنا تيموستوكل العامل الرئيسى فى إحراز النصر والاحتفاظ باستقلال اليونان كاملاً

اقتضت هذه الخطة أن يهجر الأثينيون مدينتهم إلى جزيرة سلامين القريبة من أرض وطنهم وأن يقف الأسطول اليونانى فى المضيق البحرى الذى يفصل بين أثينا وسلامين ، وهو مكان ضيق جداً ، إلى شماله تقع سواحل أتيكا ، وإلى جنوبه وغربه تقع سواحل سلامين ، وقد اختار تيموستوكل هـذا المكان لضيقه لأنه عقد العزم على أن تكون الموقعة الفاصلة فى البحر ، وشجعه على ذلك هذا النجاح الذى أحرزه فى الموقعة البحرية السابقة موقعة الأرتيميزون ، وفى هـذا المكان الضيق تنعدم الميزات الناشئة عن كثرة العدد وعما يمكن أن يقوم به العدو من حركات التفاف وتطويق بالنسبة لأسطوله الزاخر بالسفن . واختار هـذا المكان أيضاً لقربه من جزيرة سلامين وإليها هاجرت الأسر الأثينية ، وهى بإقامتها فى الجزيرة بالقرب من الأسطول لاشك خير مشجع لـكل أثينى بل حافز لـكل يونانى على الاستماتة والاستبسال فى سبيل الدفاع عن أرض الوطن واستقلال البلاد ؛

ونحن نعلم ما كان للأرض عند اليونان من حرمة وقداسة فهى رمز لكيانهم فى الحياة وفى الممات

لم ينل تيموستوكل بسهولة هـذا القرار القاضى بالزام الأسطول اليونانى ساحل جزيرة سلامين الشمالى وإنما ناله بعد كبير عناء ، لأن اليونان كانوا مترددين جد التردد فى التزام هذا المـكان . وكان القائد الأعلى وهو إريبياد متردداً هو الآخر ، بلغ تردده حداً عظيما جداً لأنه كان غير واثق من النصر من ناحية ، ولأنه كان يريد التراجع نحو الجنوب للدفاع عن بلاده وهى شبه جزيرة البيلوبونيز من ناحية أخرى . وقد عقد القواد ثلاثة مجالس حربية ظهر فيها هذا التردد بأجلى معانيه ، لذلك لم يكن أمام تيموستوكل إلا أن يسلك سبيل التهديد والوعيد ، فهدد بترحيل العائلات الآثينية إلى بلدة سيريس فى جنوب شبه جزيرة إيطاليا واتخاذها مقاماً للأثينيين جميعاً . وهم بهذه الهجرة يتركون الإسبرطيين وبقية اليونان وحدهم ، فلم يستطع القائد الإسبرطى بعد هذا إلا أن يسلم بوجهة نظر تيموستوكل وهو صاغر للنصيحة ومستسلم لهـذا الإرشاد ، آملاً انتهاز فرصة مقبلة لتنفيذ رأيه القاضى بالتقهقر والتراجع ، وهو قد رأى هذه الفرصة قد أقبلت حينما علم بحركات الأعداء وقرب إقدامهم على الهجوم ، فعزم على التراجع نحو الجنوب من جديد . وتفسير ذلك أن أجزرسيس عاهل الفرس جمع قواده فى فالير واستشارهم فيما يجب أن يتخذوه من أمر لأنفسهم فى هذه المعركة ، فأشاروا كلهم بضرورة الهجوم ما عدا الملكة أرتيميز ملكة الدوريين فى جنوب غرب آسيا الصغرى ؛ وحجتهم فى ذلك أن المـكان ضيق فهم يستطيعون إذن القضاء على أسطول اليونان إذا ما هاجموه هجوماً عنيفاً ، وقد غاب عنهم أن المـكان ضيق لا يبيح لهم القيام بحركات تطويق أو التفاف أو انقضاض ، وإنما يحتم عليهم أن ينبسطوا انبساطاً ، وبذلك تنعدم الفائدة من التجمع والتركز فيسهل لسفن الإغريق الصغيرة الحجم أن تتسلط على سفنهم الكبيرة فتحصرها فى هذا المكان الضيق وتصليها ناراً حامية

ولـكن من أين لتيموستوكل هذا الهجوم وهو يكاد يكون الفرصة الوحيدة التى تجبر اليونان على التزام أماكنهم وإجبارهم على القتال ؟ لم يجد تيموستوكل أمامه إلا المـكر والخداع ، وذلك

بأن يحث الفرس على المضى فى حركاتهم الهجومية ، بل والإسراع فيها ، فأرسل إلى ملكهم رجلاً من أتباعه يثق فيه كل الثقة ـ هو الخادم سيكينوس ـ لإبلاغه أن اليونان يحاولون الهرب من المضيق نحو الجنوب ، ولإيقافه أيضاً على حالة اليونان وتصويرها على أنها تنم عن انقسام فى الرأى وتشعب فى المصالح واختلاف فى الرغبات ؛ فإذا أراد القضاء التام على أسطول اليونان فليس له إلا أن يقوم بهجومه هذا ، بل ويسرع فيه ؛ وقد اقتنع ملك الفرس بهذا الرأى ، ووقع فى الفخ وأسرع فى الهجوم ، فاضطر اليونان إلى أن يلزموا أماكنهم ولا يبرحوها ، وبذلك نجح تيموستوكل فى حمل اليونان على البقاء فى مضيق سلامين وللقتال فيه !

ثم التحم أسطول الفرس بأسطول اليونان ، وانتصر اليونان انتصاراً عظيما كان له دوى هائل فى البلاد المتحضرة حينذاك ، وليس لنا أن نتحدث هنا عن تفاصيل هذه المعركة البحرية الحاسمة التى كان لها شأن وأى شأن فى تقرير مصير بلاد اليونان لمدة قرنين على أقل تقدير ، وإنما لنا أن نقرر هنا أن الفخر فى إحراز هذا النصر الحاسم إنما يرجع أولاً وقبل كل شىء إلى تيموستوكل القائد الأثينى العظيم . من أجل هذا ، لا نعجب إذا علمنا أن جائزة عظيمة منحت له لجسارته وشجاعته وحسن توجيهه للمعركة

وهذه المعركة تعد فى نظرنا أهم عمل أتاه تيموستوكل فى حياته فهى من المعارك الحاسمة فى التاريخ ، إذ على إثرها زال الخطر الفارسى عن بلاد اليونان أو كاد ؛ وقد كانت هزيمة الفرس شنيعة جداً ، وبقدر ما كانت هذه الهزيمة ساحقة ، بقدر ما كان نصر اليونان عظيما وحاسماً . ولقد اضطر اجزرسيس بعد ذلك إلى ترك بلاد اليونان ، ورجع إلى بلاده فى غير إبطاء ولا تمهل ، لأنه كان يخشى عواقب هذه المعركة ، ومر بمضيق الهيلليسبونت ، وهناك رأى الجسور التى كان قد بناها من قبل قد اقتلعتها الزوابع والأعاصير ، والشعوب التى كان قد أخضعها وهو فى طريقه إلى أثينا قد قامت بالثورة ضد سلطانه ونفوذه ؛ فلم يجد بداً من أن يترك ببلاد اليونان جزءاً من جيشه للاحتفاظ بسلطان الفرس على هذه البلاد ، ولانتهاز فرصة ربما تسنح فى المستقبل للتغلب على اليونان

أما اليونان ، فقد انقسموا على أنفسهم بعد زوال الخطر عنهم ، فاعتقد الاسبراطيون كما سبق أن اعتقدوا من قبل هم وغيرهم من بقية اليونان بعد موقعة ماراتون ، أن معركة سلامين نهائية ، لا يجسر الفرس أن يأتوا بعدها إلى بلادهم لغزوها . ورأى الأثينيون غير هذا الرأى ، إذ كانوا أكثر من الإسبرطيين حرصاً وتبصراً بعواقب الأمور ، فاعتقدوا أن الفرس لا شك سيعيدون الكرة من جديد ، وقد كانوا على حق فى ذلك ، لأن الفرس لا زالوا ببلاد اليونان يأتمرون بإمرة قائدهم ماردونيوس الذى قادهم فى العام التالى إلى موقعة « بلاتية » ، وفيها التحموا بالجيش اليونانى وعلى رأسه الإسبرطى بوزانياس ، وكان أن انتصر اليونان من جديد ، وكان الانتصار عظيما أيضاً

ولقد أسهبنا فى الحديث عن مقدمات معركة سلامين لأن النصر فيها راجع إلى تيموستوكل قبل أن يرجع إلى أى شخص آخر ، ولم نخض فى تفصيلاتها الحربية التى لها مجال آخر غير هذا المجال وكنا مضطرين اضطراراً إلى هذا الإسهاب لأن هذه المعركة من أهم المعارك التى أثرت على عقلية اليونان ، ذلك أن اليونان لضعف أمرهم ولصغر شأنهم لم يؤملوا أن يحرزوا هذا النصر الحاسم ضد أكبر دولة قوية فى هذا العصر وهى دولة الفرس لذلك كان هذا الانتصار انقلاباً عظيما فى بلاد اليونان ووضعها بالنسبة للدول الأخرى ، من أجل هذا قويت نشوة الفرح والسرور عندهم وزادت ثقتهم بأنفسهم ؛ وكان لهذه المعركة أيضاً دوى عظيم وتأثير كبير على العقلية اليونانية إذ ألهمت أحد كبار الشعراء وهو « إشيل » فجملته يكتب ، وقد كان شاهد عيان للمعركة ، تراجيدية رائعة هى تراجيدية الفرس فى أسلوب قوى فتان رفع من شأن اليونان وقوى الثقة بأنفسهم بقدر ما وضع من أمر الفرس وعاهلهم « أجزرسيس » فزادت حماسة اليونان وقوى شعورهم بأنهم أصبحوا دولة جديدة سيكون لها شأن خطير فى التاريخ . لذلك كانت هذه المعركة بداية لعصر جديد هو عصر ازدهار الحضارة الإغريقية وفيه وصلت الآداب اليونانية إلى القمة وتطورت العلوم والفنون ، بل ونظم الحكم التى حققت ما ترنو إلى تحقيقه الحضارة الأوربية الحديثة من حرية ومساواة ، فكانت الديمقراطية الأثينية فى عصر بركليس وكانت الآداب اليونانية فى عهد أشيل وسوفوكليس .

واعتزت أثينا بعد ذلك بهذا النصر ، فاعتبرها اليونان

صاحبة الفضل فى إبعاد الخطر الفارسى عنهم ، فالتفت حولها الدويلات اليونانية الصغيرة وعلى الأخص البحرية منها التى توجد فى بحر إيجه وطلبت إليها أن تدافع عنها ضد غزوات الفرس وتهديداتهم ، فكانت هذه الحركة بداية لتكوين حلف ديلوس الشهير ، وهو أساس الإمبراطورية الأثينية فى القرن الخامس قبل الميلاد .

ونحن لا يهمنا بعد أن بينا فضل تيمستوكل على هذا النحو ، أن يحاول هيرودوت أبو التاريخ الغض من شأن تيموستوكل والاقلال من أمره ، فكل ما أثاره حوله من ريبة وشكوك لا نثق فيه مطلقاً . وقد عرفت أيها القارئ الكريم من المقالة الأولى أن هيرودوت كان شديد التحامل على بطلنا هذا حتى قسا عليه قسوة شديدة . والغريب أن هيرودوت يتهم تيموستوكل بالخيانة العظمى نحو قومه ، ويحاول أن يقنعنا بأنه أرسل إلى ملك الفرس من يخبره بأنه لن يتعقبه هو وأسطوله ، بل على العكس من ذلك سيحتفظ بالأسطول اليونانى فى جزيرة سلامين ، وليس هناك من شك فى أن كلام هيرودوت مناقض للواقع . صحيح أن الأسطول اليونانى لم يتعقب الأسطول الفارسى أثر الموقعة مباشرة . وسبب هذا راجع إلى أن اليونان كانوا فى غفوة هى غفوة الانتصار ، ذلك أن الانتصار كان عظيما جداً بحيث أدخل على قلوبهم الفرح والسرور فلم يصدقوا أنفسهم أنهم أحرزوا هذا النصر الحاسم ، ولكنهم بعد أن أفاقوا من هذه الغفوة تعقبوا الأسطول الفارسى حتى جزيرة أندروس فوجدوه قد لاذ بالفرار فلم يعد بإمكانهم الالتحام به لإبادته والقضاء عليه ؛ ونحن نرد هذا الاتهام أيضاً لأن أعمال تيموستوكل خير شاهد على أنه كان يخدم وطنه بصدق وإخلاص ، فقد كان هو الوحيد الذى عمل على أن يلزم الأسطول اليونانى سواحل جزيرة سلامين للدفاع عن الأسر اليونانية المكدسة فى هذه الجزيرة وعن أرض الوطن المقدسة ، فكيف يجوز لعقولنا إذن أن تصدق ، إن كان لها منطق سليم تفكر به أن بطلاً قومياً هذا شأنه فى العمل على القضاء على عدوه بكل الطرق والوسائل يخون قضية وطنه وهو لم يدخر فى سبيل ذلك وسيلة إلا اتخذها كالمكر والخداع حينما أوقع ملك الفرس فى فخه فأوهمه أن اليونان ينقسمون على أنفسهم وعلى وشك الهروب من المكان الضيق الذى كانوا به عند سلامين بعد ما علموا من بدء تحرك الفرس وإقدامهم على الهجوم ، مما حفز عاهل الفرس على الإسراع فى هجومه ، وكان هذا الإسراع من أسباب فشله ، ومن العوامل التى ساعدت تيموستوكل واليونان على إحراز هذا النصر الحاسم

ليس هناك من شك فى أن تيموستوكل بطل يونانى عظيم خدم القضية اليونانية بكل صدق وإخلاص ؛ وهو وإن كان قد تخلى عن هذه القضية القومية فإن ذلك كان بعد موقعة سلامين وهو لم يلتجئ إلى هذا إلا بعد خطوات ، إذ الواقع أن سياسته تطورت جد التطور ، فبعد أن كان يأخذ صف اليونان ويدافع عنهم بشدة ، نجده يسير رويداً رويداً نحو جانب الفرس حتى يصبح من أتباعهم والخاضعين لهم والقائمين بخدمة سلطانهم ونفوذهم ، وأمر هذا التطور عجيب له قصة شائقة سنعرضها عليك أيها القارئ الكريم فى مقالة مقبلة إن شاء الله .

محمد الشحات أيوب

من كتاب « البحث عن المستقبل »

أمبراطورية ابن السعود

للأستاذ روم لاندو

بقلم الأستاذ حسن السلمانى

طيف ملك

المفروض فى السفارات الأجنبية والمفوضيات السياسية أنها تنقل البلاد التى تمثلها إلى قلب عاصمة الإنجليز . فمن (بلجريف سكوير) تفوح روائح سيام ، ومن (بورتلاند بليس) تهب نسائم شيلى . ولكن مما يؤسف له أن أغلب هذه السفارات تستبدل بعادات بلادها عادات الأقطار التى أرسلت إليها ، وهذا لعمرى نقص كبير فى التمثيل . أما فى المفوضية العربية بلندن فلا تجد مظاهر الحياة الأوربية منفسحاً لها

لقد تعرفت بالشيخ حافظ وهبة وزير المملكة السعودية المفوض بأحد المؤتمرات التى عقدت بلندن والتى اشتركنا سوية بها . ومعرفتنا هذه أدت إلى توحيد العلاقات الودية بيننا فزالت الحجب وصرنا صديقين حميمين

ولم تكن البساطة الظاهرة فى مقام الشيخ حافظ ولا النكهة الطيبة فى القهوة العربيــة التى يكثر تقديمها لزائريه مما جعلتنى أكثر التردد على المفوضية العربية ، وإنما شوق لزيارة المملكة العربية السعودية هو الذى كان يدعونى إلى ذلك . والحقيقة أن طيف ابن السعود ملك البادية المخيم على تلك المفوضية كان يجذبنى دائماً إلى قاعة الاستقبال فى (إيتون بليس)

وعند ما طلبت التأشير على جواز سفرى أفهمت أن أمر ذلك بيد جلالة الملك وحده . وليس للوزارة الخارجية أو المفوضيات إلا تقديم طلبات الراغبين زيارة البلاد له ، وهو وحده الذى يجيز لهم الدخول للمملكة . وجلالته يسمح لمن يشاء ويرفض من يشاء . ومن حسن حظى أن الشيخ حافظ وهبة كان على أهبة السفر إلى المملكة العربية السعودية فاغتنمت تلك الفرصة ورجوته أن يقدم طلبى بنفسه لجلالة الملك

وبعد عشرة أسابيع من مغادرته البلاد الإنجليزية دعيت إلى المفوضية العربية وأخبرت بموافقة سيد الجزيرة العربيــة على زيارتى لبلاده

وتتجلى الروح العربية بأجلى مظاهرها فى المفوضية العربية بالقاهرة . فبناء المفوضية من الطراز العربى القديم ، وغرفة السفير بسيطة خالية من الطنافس الأوربية الغالية ، والقائم بشؤون المفوضية يرتدى الملابس العربية البدوية ؛ وإن نظراته الحادة النافذة إلى أعماق قلوب زائريه وسمرة محياه واسوداد لحيته توحى لزائريه صورة من صور البادية وساكنيها

ولا يتحدث السفير لزائريه إلا باللغة العربية ، لا لأنه يعجز عن التكلم بلغــة أخرى ، ولــكن لأن العرف العربى يحتم عليه ذلك . ويشعر المتحدث إليه لأول وهلة بأن نفسه تتوق لخيول الصحراء ، وتصبو لجال الرمال ، وتشتاق لخيام البادية ؛ ولولا ما تقتضيه التقاليد لعاف ما يحيط به من أثاث أوربى لا يلتئم وطبعه ، ولاستبدل به الفراش العربى الوثير . وعند ما قابلته المرة الأولى تردد فى التأشير على جوازى ، ولم يفعل ذلك إلا بعد أن أبرق إلى مكة طالباً موافقة جلالة الملك . فلما جاءته الموافقة زاد فى إكرامى واعتبرنى من ضيوف جلالة سيده . وفى زيارتى الأخيرة للمفوضية أقام لى وليمة عربية فاخرة اختتمها بحديثه الشيق عن الدور المهم الذى لعبه لورنس فى الحجاز ، ولم نفترق إلا ونحن صديقان حميمان

جدة

كانت الباخرة التى أقلتنا من السويس إلى جدة باخرة إيطالية صغيرة لم تر منذ أن أنزلت إلى البحر شيئاً من العناية أو الاهتمام . وكأن الخدم الصوماليين اعتادوا الإهمال حتى فيما يرتدون من ملابس بيضاء . وكانت ابتساماتهم الكثيرة وحسن تصرفهم لا تعوض عن رداءة الطعام . ويبدو لى أن الدعاية الإيطالية أغفلت البواخر الصغيرة المخصصة لنقل المسافرين من إيطاليا لجدة فالحبشة . ويعزى سبب ذلك ، حسبما أعتقد ، إلى أن أغلب راكبى تلك البواخر من الإيطاليين أو المصريين أو العرب

وكان من بين المسافرين القلائل شاب فى مقتبل العمر عرفت منه أنه ابن لأحد أغنياء المدينـة المنورة قادم من اسطنبول حيث كان يدرس الطب بجامعتها . وكان يرتدى هذا الشاب الملابس الإفرنجية ويتكلم اللغة الإنجليزية والفرنسية ، ويكثر من تدوير جرامافونه الصغير . وفى أحد الأيام دعانى إلى سماع جرامافونه فى حجرته (قمرته) وما كادت رجلاى تتخطيان عتبة تلك الحجرة حتى شعرت بأن جميع التناقضات اجتمعت فى ذلك الشاب ، وأن معالم الدنية الغربية وعالم الطب الحديث لا أثر لها فى تلك الحجرة الصغيرة . فالمقاعد والكراسى ، وحتى قاع الحجرة مغطاة بالرزم وبالصناديق وبالعلب ، وكأن أحواض الغسيل خصصت لحفظ الموز والبرتقال ، والرفوف عملت للطعام ولتعليق اللحم . والويل لمن أراد التنقل فى تلك الحجرة الضيقة ، فإن قدميه لا بد أن تصطدما بقدر أو بآنية ملقاة على الأرض ، أو قد تزلان من أثر قشرة موز أو قطعة من البرتقال ! أليس هذا من التناقضات ؟ أو ليس بغريب أن تجد شاباً يدرس الطب بجامعة اسطنبول يستطيب طهى الطعام بنفسه وأكله على الطريقة العربية وحده ؟

ومن الغريب حقاً أن ذلك الشاب لم يتردد فى تقديمه الخمر والسجاير لمعارفه وهو عليم بأن قانون بلاده يحرم ذلك . إن فى أفعال هـذا الشاب يتجلى كرم العربى ممتزجاً بالملاذ التى لا يبيحها الدين الاسلامى . وكنت طوال سفرى أسائل نفسى : أكان هذا الشاب مثالاً لشباب بلاده ، أم قدر لى أن ألاقى فى المملكة الوهابية ما لاقيته فى مصر ؟

***

و (جدة) بلد غريب كأنه مجموعة من البيوت العالية فى التناسق قذفها اليم إلى شاطئه القفر المغطى بالرمال . فمياه البحر أمامها ، والتلال الجرداء خلفها ، والرمال تغطى الميمنة منها والميسرة . ومما يزيد فى غرابة منظرها اختلاف أشكال أبنيتها : فبعضها مرتفع متعـدد الطبقات ، وبعضها واطئ يقتصر على طابق أو طابقين . وجميع هذه الأبنية مطلية بالجير الطفى . والمدينة محاطة بسور قديم يضم تلك « الناطحات » البيضاء . أما أزقتها ضيقة ، وهذا ما يجعل المنازل تبدو أعلى مما هى عليه من ارتفاع .

وتظهر (جدة) للقادم بأبنيتها الطينية العالية كأنها صورة ممسوخة لمدينة (نيويورك) ، ولـكن ما يكاد يقترب المسافر من الشاطئ ، حتى تظهر له الشرفات الخشبية التى يدعوها الناس هناك (بالمشربيات) ، ويستطيع تمييز النقوش الجبسية المقتبسة من الفن الفارسى أو الطراز التركى التى تزين أبواب المنازل ، والتى لا تعبر عن ذوق أو عن دقة فى الصنعة أو مهارة فى العمل .

ولا يفصل الصحراء عن المدينة إلا سور قديم كثير الأبواب عديد المسالك . وتحتل الأسواق والمقاهى وميادين بيع الحيوانات محلاً وسطاً بين المنازل . أما المفوضيات الأجنبية ، فليست ببعيدة عن الأسواق والمحلات التجارية . ولولا كثرة الذباب وانتشار الغبار وضيق الطرق وقذارتها ، لصح أن يقال : إن (جدة) مدينة جميلة . وتبدو المدينة أثناء الليل — وبالأخص فى الليالى المقمرة — أكثر روعة وجمالاً مما هى عليه فى النهار . وإن المتجول فى أزقتها الضيقة ، ليحسب نفسه خلال تلك الليالى النيرة فى عالم غريب أو فى مدينة خيالية ...

الله أكبر ...

وصلت (جدة) خلال موسم الحج لمكة . وتبعد مكة هذه خمسة وخمسين ميلاً عن جدة مينائها المهم والوضع الذى يضع الحاج ركبه فيه بعد طول السفر ، وبعد ما قاسى من صنوف المشاق ما قاسى . وهى المرسى الذى ترسو فيه البواخر المقلة للحجاج من أقاصى الأرض ومن أدانيها : من جاوة وسوماطرة ، من الهند وزنزبار ، من السودان ومراكش ، من الهند الصينية والصومال .

وقد بلغ عدد الحجاج فى ذلك العام نيفاً ومائة ألف ازدحمت بهم الشوارع ، واكتظت بهم الأسواق ، وضاقت بهم المدينة . وكانوا يمثلون جميع الأجناس البشرية ومختلف ألوان الناس ، ففيهم السيدات الجاويات الرشيقات اللاتى يسترن أجسامهن المستدقة بالسارى الحريرى الجميـل ، ويتجولن فى الشوارع والأسواق جنباً لجنب مع أبناء البادية أصحاب النظرات الشزرة والشعور الـكثة المغبرة ، والأصوات الخشنة العالية ؛ وفيهم

الصينيون بعيونهم اللوزية ، واليبانيون بجفونهم الثقلة ، والنجديون بسيمائهم الناطقة بشدتهم وخشونتهم ، والذين سرحوا شعورهم وضمخوها بالطيوب ، وكحلوا عيونهم بالكحل الفاحم ، وبينهم من وضع حول عنقه قلادة مرجانية أو عقداً زجاجياً ، وبينهم من تدلت من بين أصابعه مسبحة كهرمانية طويلة ، وفيهم من تجلبب بالملابس الكثيفة ، ومن ترك جسمه عارياً إلا من قطعة قماش صغيرة تستر ما يجب ستره

* * *

وفى اليوم الذى وصلت فيه (جدة) كان بعض الحجاج فى عودته من مكة ، وبعضهم يتأهب للسفر لزيارة قبر النبى (ص) . ومنذ أن وطئت قدماى أرض الحجاز ، أخذت أسائل نفسى عن العوامل التى توحد بين هذه الأقوام المختلفة خلال أيام الحج . ولكننى لم أقض بينهم بضعة أيام حتى أدركت أن قدسية البيت بمكة وحرمة القبر بالمدينة أقوى العوامل فى التأليف بين قلوب هذا العدد العديد فى المسلمين ، وفى توجيههم وجهة واحدة على ما هم عليه من تباين فى القومية واختلاف فى العنصرية . ومع أنهم لا يتخاطبون فيما بينهم بلغة واحدة ، ولا يتبعون تقاليد متماثلة ، ولا تجمعهم رغبات موحدة ، فإن وحدة إيمانهم خلقت بينهم ألفة ومحبة تعجز عن خلقها أى وحدة سياسية أو مبدأ اقتصادى آخر

وفى جميع زياراتى للحجاز لم أشاهد أو أسمع عن شجار واحد وقع بين أهل تلك البلاد وبين إخوانهم الحجاج ، مع أن جل أولئك الناس كانوا من الذين لا يضعون حداً لمشاكلهم ولاختلافاتهم إلا بالسيف والخنجر . ولا يرجع هذا لشدة بأس الحكومة وقوة شكيمتها فحسب ، بل إلى تغلغل العقيدة فى نفوسهم ، واستقرار الإيمان فى أعماق قلوبهم

ولا نعنى بهذا أن ليس من خلاف بين الطوائف الإسلامية ، ولكن الذى يمضى لزيارة الحجاز أثناء موسم الحج يؤمن مع أن فى الدين الإسلامى قوى تؤلف بين معتنقيه أشد وأقوى من تلك التى تفرق بينهم . والذى ينعم النظر ويطيل التأمل فى أولئك الحجاج لا بد أن يشعر بأنهم بمجيئهم إلى هذه الأرض المقدسة قد طهروا أنفسهم من أدران النفسية الداعية لكل خلاف والمسببة لكل تفرقة . وكأن القبلة التى يتجهون إليها طهرت نفوسهم وألانت قلوبهم ، فصيرتها أكثر تسامحاً وأقل قساوة مما كانت عليه قبل أن تطأ أقدامهم تربة الحجاز

ولا أدرى ، أيحق لنا — نحن أبناء الغرب — أن نستمر فى تبجحنا بأن المسيحية تستطيع أن تؤلف بين طوائفنا المتباينة وأقوامنا المتناحرة ، فتضع بذلك أسس الإخاء وتشيد أركان المحبة فى أوربا المسيحية ؟ متى يا ترى نؤمن . وقد كثرت اختلافاتنا فأثارت فى نفوسنا الخيلاء والفخار بأن الدين أشد القوى التى تستطيع الوقوف بوجه ما يهدد كياننا الاجتماعى من أخطار ؟

* * *

يعتقد المسلمون أجمعون أن الحج للبيت أعظم ما يقومون به من عمل فى حياتهم . وجلهم يؤمن بأن هذه الفريضة الدينية أكثر أهمية وأوفر أجراً من كل ما يأتيه المسلم من شعائر دينية أو من طقوس مذهبية . فالحج فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وفيه يمتحن الخالق عباده المؤمنين . ويندر بينهم من لا يملك نفسه ويمنيها بزيارة الأرض المقدسة ، ما دام أول الحج عبادة وآخره عيداً

والغريب من أمر هؤلاء المسلمين أنهم يتهافتون على الحج على ما فيه من مصاعب ومتاعب وأهوال . وهم شاعرون بأن تلك الجهود والشدائد قد تودى بحياتهم كما أودت بحياة الألوف من إخوانهم من قبل ، فكانت خاتمة حياتهم رقدة هادئة بين طيات التربة المباركة أو بجوار البيت المقدس . ومن حسن حظ المسلمين أنه منذ أن وضع ابن السعود يديه على أرض الحجاز ساد البلاد أمان وعمها رخاء ، وأخذ الحجاج يتمتعون باستقرار والاطمئنان بعد ما ظلوا سنين طويلة يقاسون ، فضلاً عن أهوال السفر ومشاق الطريق ، اعتداء البدو من سكان الحجاز ونهبهم لأموالهم وأمتعتهم وطمع الموظفين الحجازيين فيهم

وما تكاد تطأ قدما الحاج أرض الحجاز ويمتع بصره بمنظر جبالها الجرداء ووديانها القاحلة حتى يشعر بزوال ما كان يقاسيه من عذاب أثناء سفره الشاق . فكأن رؤية شواطىء البلاد المقدسة تذهب التعب عن نفسه ، وتزيل المصاعب من سبيله ،

وتنسيه ما ينتظره من متاعب عند ما يعود إلى وطنه . وكم كان عجبي شديداً عند ما شاهدت في صباح يوم وصولي إلى جدة جماعة من الحجاج شاخصين نحو تلك التلال الجرداء التي تخفي وراءها قبلة المسلمين وأمنية كل فرد منهم . وكانت عيونهم تشع بنور الفرح ، وأفواههم صامتة حائرة ، وقلوبهم خافقة واجفة من وقع ذلك المنظر الذي كان يوحي إليهم السر الإلهي والإيمان الصادق

والله وحده يعلم ما سيشعرون به عند ما يقفون خاشعين نادمين على ما اقترفوا من ذنوب وما آتوه من آثام حيال الكعبة المقدسة بكسوتها الوشاة بالذهب ، أو عند ما يستلمون بأيديهم المرتعشة الحجر الأسود المبارك ، وعند ما يضعون شفاههم عليه ؛ ذلك الحجر الذي جاء به جبريل من السماء لإبراهيم الخليل ، والذي ظل المسلمون يقدسونه طوال القرون الثلاثة عشر الماضية

إن الأيام التي يقضيها الحاج بمكة والتي لا تزيد على خمسة عشر يوماً تمر كالحلم عليهم ، وفي هذه الأيام القلائل ينصرفون إلى عبادة الله متناسين ما في الأرض من متاع زائل ، كاظمين ما في قلوبهم من أحقاد ، كابتين ما في نفوسهم من شهوات ، متناسين عن جميع الاختلافات المنصرية ، والفروق المذهبية ، والمطامع الفردية ؛ كأنما اجتمعت أرواحهم جميعاً تحت سماء الكعبة التي سطرت على غطائها آيات القرآن وأحاديث الرسول

وكم من الحجاج يستطيع التعبير عن شعوره أثناء وقفته تلك ؟ إن ذلك اليوم هو اليوم الذي تنتصر فيه الروح على الجسد ؛ وإن تلك الوقفة في ذلك الحرم المترامي الأطراف لوقفة تقرب المسلم من المسلم ، وتجعله يشعر نحو أخيه في الدين بأعظم ما يشعر به نحو ابن أمه

البصرة — العراق

موسى السلمانه

٩ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الأول

وملابس أغلب الموسرات من الطبقة الدنيا تتألف من سروال كشنتيان السيدات الراقيات، إلا أنه من أبيض القطن أو الكتان الواحد الشكل؛ وقميص أزرق من الكتان أو القطن لا يكون بسعة قميص الرجال، يصل إلى القدمين؛ وبرقع أسود من غليظ الكريب [١]؛ وطرحة زرقاء قاتمة من الموصلي أو الكتان.



شكل ٢٦ – (نساء الطبقات الدنيا)

وبعضهن يلبسن فوق القميص الطويل أو بدلاً منه ثوباً من الكتان كثوب السيدات الراقيات [٢] (شكل ٢٦)، وبعضهن يلبسن قميصاً قصيراً تحت القميص الطويل ويُضفن إليه أحياناً صديرياً أو عنترياً. وتشمر أكمام الثوب فوق الرأس حتى لا تضايق الشخص أو لتحل محل الطرحة [٣]. وقد يتدثر بعضهن فوق هذه الثياب بعطف ذي مربعات شطرنجية يشبه الحبرة ويلبس مثلها أو مثل الطرحة [١] ويتكون من قطعتين من القطن المنسوج أشكالاً مربعة زرقاء وبيضاء، أو خطوطاً متشابكة تصبغ أطرافه بصبغ أحمر. ويسمى «مِلاية» [٢] (شكل رقم ٢٧).



(شكل ٢٧ «الملاية»)

ويزين أعلى البرقع بلآلي زائفة، وقطع صغيرة من النقود الذهبية، وبعض الحلي الذهبية الصغيرة المسماة «برق» وأحياناً بخرزة من المرجان تحتها قطعة من النقود الفضية وبعض النقود الذهبية وغالباً بحبات من النحاس أو الفضة تسمى «عيون» تعلق في الأطراف (شكل رقم ٢٨). وتلف الرأس بمنديل أسود يسمى «عصبة» بحاشية حمراء وصفراء، يطوى منحرفاً ويعقد عقدة واحدة من الخلف (شكل رقم ٢٩). وقد يلبس الطربوش والفاروديه بدلاً من العصبة. وأحسن الأحذية التي ينتعلها نساء الرعاع تكون من الجلد الأحمر المراكشي المثني الطرف ولكن يغلب أن يكون طرفها مستديراً. والبرقع والنعال شائع الاستعمال في القاهرة والوجه البحري. أما في الصعيد فقلما يستعملان



شكل ٢٨ – (براقع سود محلاة)

(١) أما إذا كن من سلالة النبي فيلبسن برقعا أخضر

(٢) انظر الصورة اليسرى من الشكل ٢٦

(٣) انظر الصورة اليمنى في الشكل رقم ٢٦

(١) وهناك نوع راق من الملايات يكون من الحرير المختلف الألوان إلا أنه نادر الاستعمال. والقطعتان اللتان تؤلف منهما الملاية يخاطان معا كقطعتي الحبرة

(٢) عوضا من «مُلاءة»

وعند الضرورة يستبدل بالبرقع إسدال الطرحة على الوجه .

والملاحظ أن نساء الطبقات السفلى حتى فى العاصمة لا ينتقبن .

والثياب الشائعة فى معظم القطر المصرى هى القميص الأزرق أى الثوب، والطرحة . أما فى أقاليم الصعيد الأقصى، وعلى الأخص ما فوق مدينة أخميم، فأغلب نسائها يتغطين بقطعة من الصوف الأسمر القاتم تسمى « هُلالية » تلف حول الجسم وتضم أطرافها فوق الكتفين[1] (شكل رقم ٣٠) وتستعمل قطعة مثلها كطرحة . وهذا الثوب القاتم اللون بالرغم من جماله يشوه هيئتهن كالوشم الأزرق الذى يرسمنه على شفاههن . والكثير من نساء الطبقة الدنيا يتحلين بحلى زائفة مختلفة من أقراط وعقود وأساور ومن خزام الأنف أحياناً، وبعضها موصوفة ومصورة فى ملحق الكتاب



(شكل ٢٩ العصبة)

وترى المصريات أن واجب تغطية الرأس وما خلفه أولى من تغطية الوجه ، وحجب الوجه أولى من حجب أكثر أجزاء الجسم . وكثيراً ما رأيت فى هذا البلد نساء لا تكاد تسترهن أسمالهن الحقيرة ، وأخريات فى زهرة الشباب أو فى متوسط العمر لا يحملن على أجسادهن غير خرقة ضيقة تشد حول الوركين



(شكل ٣٠) قروية من الصعيد الأقصى من مدينة « طيبة »

(١) لا بد أن القارئ قد لاحظ أن هذا الثوب الفاتن حلة من حلل الافريقيات والرومانيات فى قدم الزمن

الفصل الثانى

الطفولة وتربية الأطفال

يسترشد المسلمون فى تربية أطفالهم والاعتناء بهم بأوامر الرسول (صلعم) وتعاليم الأئمة . ومن أول الواجبات عند ولادة الطفل التأذين فى أذنه اليمنى ، ولا بد أن يكون المؤذن ذكراً . ويقرأ بعضهم الإقامة، وهى تشبه الآذان تقريباً، فى الأذن اليسرى[1] . والغرض من ذلك حفظ الطفل من الجن . وقد يتلى للغرض نفسه عبارة : « باسم الرسول وابن عمه على »

وكانت استشارة المنجمين قبل تسمية الطفل واتباع ما يختارونه له ، عادة شائعة فى مصر والبلاد الإسلامية الأخرى . وقلما يتبع أحد الآن تلك العادة القديمة فيختار الأب لابنه اسماً من غير احتفال ولا تكلف ؛ أما تسمية البنت فتكون عادة باختيار الأم . وكثيراً ما يسمى الأولاد بأسماء الرسول (صلعم) (محمد ، أحمد أو مصطفى) أو أهل البيت (على ، حسن ، حسين الخ ...) أو أصحابه الأفاضل (عمر ، عثمان ، عمر الخ ...) أو الرسل والأنبياء ، مثل : (إبراهيم ، إسحق ، إسماعيل ، يعقوب ، موسى ، داود ، سليمان الخ ...) أو يسمون عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد القادر وما شابه ذلك ... أما البنات فكثيراً ما يسمين بأسماء نساء الرسول أو ابنته الحبيبة أو غيرهن من نساء عائلته مثل خديجة ، عائشة ، أمنه ، فاطمة ، زينب ، أو يسمين بأسماء تعنى محبوبة ، مبروكة ، نفيسه الخ ... أو بأسماء الزهور أو أى معنى لطيف آخر[2]

ولما كان الاسم لا يتحتم توارثه على العموم ، فقد جرت العادة أن يميّز الشخص بعلم أو أكثر : إما « كنية »

(١) انظر الفصل التالى فيما يتعلق بكلمتى « آذان » و « إقامة »

(٢) جرى ذوق العصر فى القاهرة على تغيير الأسماء الخمسة الأولى والاسم الأخير إلى خدوجه ، عيوشه ، أمونة ، فطومه ، زنوبة ، نفوسه وهناك أسماء أخرى تنطق بهذه الطريقة نفسها وهى تطلق هنا على سبيل الفضل والجاه (ويخطئ الكتاب الأوربيون فى كتابة اسم الرحالة الشهير ابن بطوطة بالتشديد Ibn-Battootah فيكتبونه ابن بطوطة بالتخفيف Ibn-Batootah أو Ibn-Batûtah)

مثل « أبو على[1] » ، « ابن أحمد » ... الخ . أو « لقب » مثل « نور الدين » ، « الطويل » الخ ... أو « إسم » يتعلق بالبلد أو الولد أو الأصل أو المذهب أو التجارة أو الحرفة ... الخ[2] . مثل : الرشيدى ، الصباغ ، التاجر . وكثيراً ما يتوارث بعض هذه الأعلام وعلى الأخص الألقاب والنسب فتصبح لقب العائلة

أما ملابس أطفال الطبقتين الوسطى والعليا فهى كملابس الوالدين ، ولكنها قذرة غير مهندمة . ويلبس أطفال الفقراء إما قميصاً وطاقية من القطن أو طربوشاً ، وإما أن يُتركوا عراة حتى سن السابعة أو ما بعد ذلك . وقد لا يصعب عليهم الحصول على خرقة تستر بعض الجسم كما فى أغلب القرى . ويلاحظ أن البنات الصغيرات اللائى لا يملكن إلا قطعة من رث النسيج لا تكفى الجسم والرأس معاً ، يفضلن تغطية الرأس ، وأحياناً يدفعهن الدلال إلى حجب الوجه بفضلة من النسيج بينما يترك الجسم كله مكشوفاً . أما الراقيات فى سن الرابعة أو الخامسة ، فيلبسن كأمهاتهن النقاب الأبيض . ويحلق رأس الولد ، حينما يبلغ الثانية أو الثالثة أو قبل ذلك ، وتترك له خصلة فى وسط الرأس وأخرى فوق الجبهة [3] . وقلما يحلق رأس البنات . ويُحمل الأطفال فوق أكتاف أمهاتهم

(١) وهناك معنى مجازي لهذه الكنية . أنظر ما يتعلق به فى حاشية بآخر الفصل الرابع

(٢) يسمى « نسبة » أو « اسم منسوب »

(٣) من الشائع عند أكثر فلاحى مصر ، بمناسبة حلق رأس الطفل لأول مرة ، أن تذبح ذبيحة من المعز على قبر أحد أولياء الله ، الأقرب إلى البلد . ويعد اللحم لوليمة يدعى إليها الأصدقاء ويحضرها من يريد . وتلك العادة أكثر شيوعاً فى الصعيد وعند القبائل التى لم يمض على إقامتها بشاطئ النيل زمن طويل . وكان العرب الجاهليون يجرون على هذه العادة . وكانوا يتصدقون بمقدار وزن الشعر ، فضة أو ذهباً . وقد تلقى هذه العادة بعض الضوء على الحالة المذكورة فى سفر صموئيل الثانى ، الاصحاح الرابع عشر الآية ٢٦ ، ونصها : (وعند حلقه رأسه إذ كان يحلقه فى آخر كل سنة ، لأنه كان يثقل عليه فيحلقه ، كان يزن شعر رأسه مئتى شاقل بوزن الملك ؛ المتعلقة بوزن أبشالوم شعر رأسه بعد ما حلقه) . وتسمى الذبيحة « عقيقة » ، وتقدم ضحية لافتداء الطفل من النار . وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم عادة حلق بعض رأس الطفل وترك البعض الآخر

ومربياتهم[1] على هيئة ركوب الخيل ، أما إذا كانت المسافة قريبة فيحملون فوق الورك

لا تُظهر الموسرات فى تربية أطفالهن تسامحاً زائداً وشفقة مفرطة ، ولكن الفقيرات لا يبذلن نحوهم إلا العناية القليلة بقدر ما تقتضيه الطبيعة من الحاجة الضرورية . وقد جعل الشرع تمام الرضاعة حولين كاملين إلا إذا وافق الزوج على غير ذلك ، فيفطم الطفل عادة بعد السنة الأولى أو بعد سنة ونصف سنة . وينشأ الطفل — ذكراً أو أنثى — فى الأوساط الموسرة ، بين جدران الحريم ، أو على الأقل داخل المنزل . ويستمر هكذا — تحت رعاية النساء — حتى يعهد به إلى معلم يعلمه القراءة والكتابة كل يوم . ومن المهم ملاحظة أن ما يتعلمه الطفل فى الحريم من واجبات الاحترام المشوبة بالعطف والمحبة نحو الوالدين وكبار السن ، يهيئه للاتصال بالعالم الخارجى كما سترى بعد قليل

وكثيراً ما يصطحب النساء أطفالهن عند الخروج للزيارة أو للتنزه ؛ فتحمل كل جارية أو خادمة طفلاً أو تجلسه أمامها على الحمار، إذ جرت العادة أن تركب الخادمات مثل سيداتهن الحمير . وكان النساء إذا ركبن الحمير أدلين كل ساق على جانب To sit astride . ولكن قلما ينعم أطفال الأغنياء بهذه التسلية الهينة ؛ فقد أثر على صحتهم طول الحجاب وشدة العناية وإفراط التغذية ؛ فيصبحون لذلك كثيرى التقلب ، متكبرين ، أنانيين . ويندر كذلك أن يشتد نساء الطبقة الوسطى فى تربية أطفالهن . ويتوقف تقدير الزوج لزوجه أو تقدير الناس لها إلى درجة كبيرة على كثرة النسل والعناية بالأطفال ؛ لأن الشرقيين رجالاً ونساء ، أغنياء وفقراء ، يعتبرون العقم لعنة وعاراً . ومن الشائن أن يطلق الرجل امرأته بلا سبب قوى ما دامت قد ولدت له طفلاً وما دام الطفل حياً . فالمرأة الولود تكون موضعاً لحب الزوج واحترام الناس ، وبيتها يكون مثابة للسرور والإيناس

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) أنظر أشعياء الإصحاح التاسع والأربعون ، الآية ، ونصها : ... فيأتون بأولادك فى الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن

ليالى القاهرة

بين الشاعر والريح

للدكتور إبرهيم ناجى

الشاعر :

لستُ أنسى أبدًا ساعةً فى العمرِ
تحتَ ريحٍ صفقتْ لارتقاصِ المطرِ ! !
نوّحتْ للذّكرِ وشكتْ للقمرِ
وإذا ما طربتْ عربدتْ فى الشّجرِ

* * *

هاكَ ما قدْ صنعتِ الرّيـ ـحُ بأذنِ الشّاعرِ
وهْىَ تغرى القلبَ إغرا ءَ النّصيحِ الفاجرِ

الريح :

أوَ كلُّ الحبِّ فى رأ يكَ غفرانٌ وصفحُ
أيّها الشّاعرُ تغفو تذكرُ العهدَ وتصحو
وإذا ما التامُ جرحٌ جدّ بالتّذكارِ جرحُ
فتعلّمْ كيفَ تنسى وتعلّمْ كيفَ تمحو

* * *

هاكَ فانظرْ عددَ الرّمْـ ـلِ قلوبًا ونساءْ
فتخيّرْ ما تشاءْ ذهبَ العمرُ هباءْ
ضلّ فى الأرضِ الذى ينْـ ـشدُ أبناءَ السّماءْ
أىُّ روحانيّةٍ تعْـ ـصرُ منْ طينٍ وماءْ

الشاعر :

أيّها الرّيحُ أجلْ لكنّما هىَ حبّى وتعلّاتى ويأسى
هىَ فى الغيبِ لقلبى خُلقتْ
أشرقتْ منْ قبلِ أنْ تشرقَ شمسى

فعلى تذكارِها أطبقتُ عينى وعلى موعدِها وسّدتُ رأسى

* * *

يا لها منْ صيحةٍ ما بعثتْ عندهُ غيرَ أليمِ الذّكرِ
أرقتْ فى جنبهِ فاستيقظتْ كبقايا خنجرٍ منكسرِ
لمعَ النّهرُ وناداهُ لهُ فمشى منحدرًا للنّهرِ
ناضبَ الزّادِ وما منْ سفرٍ دونَ زادٍ غيرُ هذا السّفرِ

الشاعر :

يا حبيبى كلُّ شىءٍ بقضاءْ ما بأيدينا خُلقنا تعساءْ
رُبّما تجمعُنا أقدارُنا ذاتَ يومٍ بعدَ ما عزّ اللّقاءْ
فإذا أنكرَ خلٌّ خلّهُ وتلاقينا لقاءَ الغرباءْ
ومضى كلٌّ إلى غايتهِ لا تقلْ شئْنا وقلْ لى الحظُّ شاءْ

ابرهيم ناجى

صرخــــة ! !

للأديب عبد الرحمن الخميسى

علامَ أضحكُ والآفاقُ باكيةٌ والشّمسُ تحجبُها الأنواءُ والظّلمُ
والرّيحُ قد دمدمتْ فى السّهلِ فاختنقتْ
بها الأزاهرُ صرعى وهْىَ تبتسمُ
والسّيلُ يجرفُ منْ يلقاهُ مؤتلقًا حيًّا ويتركُ من أحرى بهِ العدمُ
والنّارُ تأكلُ ما اخضرّتْ منابتهُ أمّا الهشيمُ فتُبقى عمرَهُ الرّممُ
علامَ أضحكُ يا ربّاهُ منْ زمنى ؟ وشاطئى فوقهُ الأهوالُ ترتطمُ !
لكنّها ضحكةُ البرْكانِ قاذفةً منْ قلبىَ النّارَ أذكى أصلَها الألمُ
إنّى أقولُ لهذا الدّهرِ فى صلفٍ : إشربْ دمائى واثملْ أيّها النّهمُ !
وخذْ فهذا فؤادى فى يديْ قلقٌ واشبعْ فهيهاتَ يغشى مهجتى السّأمُ
هيهاتَ تبلغُ إذلالى وتخضعُنى إنّى عتىٌّ قوىٌّ ثائرٌ برمُ !
وإنْ تمزّقْ ضلوعى منكَ صائبةٌ ففى فمى منْ جراحى بسمةٌ ودمُ !

عبد الرحمن الخميسى



حول كلمة « هناء »

سبق للأدباء أن قتلوا لفظة « هناء » بحثاً منذ ست سنوات ولا بأس من إيراد طرف من أقوالهم تتميما للفائدة :

قال الأستاذ أسعد خليل داغر : إن الهناء صحيح ، لأنه اسم مصدر من هنّأ بتشديد النون كالسلام من سلّم والعزاء من عزّى والكلام من كلّم

وقال الأستاذ يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء : اشتهر فى هذه الأيام التى كثر فيها الاجتهاد وشغف الناس بالانتقاد أن الواجب أن يقال هناءة لا هناء ، وهذا من قصور الاطلاع . ففى كتاب الهمز لأبى زيد الأنصارى المطبوع ببيروت صفحة ٢٥ ما يفيد صحة ذلك وروده . وكذلك فى كتاب « الفلك المشحون » ليونس المكى المتوفى فى القرن الثامن ما يفيد ذلك أيضاً (ص ١٦٣) ومثل ذلك قول الأديب الكبير ابن نباته :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

وقول إمام العربية محمد بن مالك فى حروف الزيادة ذلك البيت المشهور :

هناء وتسليم تلا يوم أنسه نهاية مسئول أمان وتسهيل

وهو الذى قال : إنى قرأت صحاح الجوهرى فلم أستفد منه غير كلمتين

وقال الأستاذ محمد على الدسوقى صاحب كتاب « الألفاظ العامية » : الهناء والهناءة بمعنى — جاء فى صحيفة ٢٤ من الجزء الرابع من المخصص : هنأنى الطعام يهنئنى والاسم الهناء

وقال الأستاذ وحيد بأهرام ١٩٣٥/٦/٥ : إن الهناء لفظ عربى وكفى ذكر وروده فى تاج اللغة وصحاح العربية جاء فيه : هنأ يهنئنى بفتح فسكون ، ويهنؤنى بفتح فسكون هنأ وهناء . ترى ، أيكتفى اللغويون والمتأدبون بما تقدم فيدعو كل منهم لأخيه بالهناء ، أم سوف يقوم قائم منهم بعد ست سنوات أخر فينكر هذا اللفظ ؟

يجمل بالمجمع اللغوى أن يهتم بمثل هذا الصواب الخطأ ويذيعه فى نشرات على الناس ، فمن الخير تصحيح الخطأ ، أما تخطئة الصواب ، فجريمة لا تغتفر

« القناطر الخيرية » محمد فتح الباب

الى الأستاذ الكبير ا . ع

ذكر الأستاذ الكبير (ا . ع) فى العدد ٤٢٤ من الرسالة أن الكتاب والبلغاء يخطئون فى استعمال كلمة (عَبْر) فى نحو قول الصحف « ومن زمن قريب ادعت اليابان لنفسها حق مرور قواتها عَبْر شمال الهند الصينية » وقولها : « كلما فرغت مصانعنا من إخراج طائراتنا الضخمة أو جاءت إلى هنا عبر الأطلنطى » وقال إنها ترجمة خاطئة لكلمة انجليزية ذكرها

وإن الكتاب جعلوها فى نسج الكلام ظرفاً كما يصنع الإنجليز بكلمتهم فأخرجوها عن معناها ووضعها اللغوى بلا مسوغ مطلقاً

قلت : قد جاءت هذه الكلمة فى شعر إسلامى لسواد بن قارب الكاهن حين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً

روى صاحب الجمهرة أن سواداً قال لعمر بن الخطاب : إن نجياً من الجن أتاه فى ثلاث ليال متتابعة وبشره بظهور نبى يدعو إلى الحق . قال سواد : « فلما أصبحت يا أمير المؤمنين أرسلت لناقة من إبلى وأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبايعت وأنشأت أقول » :

أتانى نجيِّي بعد هدء ورقدة ولم يك فيما قد عهدت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤى بن غالب

فشمَّرت عن ذيلى الإزار وأرقلتْ بىَ الدعلبُ الوجناء عَبْر السباسب[1]

(مقدمة جمهرة أشعار العرب ص ٢٦)

---

(١) ولعل من الانصاف أن أقول : يمكن تخريج الشاهد على غير ما استشهدت له بجعل (عبر) صفة للناقة ، جاء فى القاموس « وناقة عبر أسفار مثلثة قوية « تشق ما مرت »

ومن ثمّ يرى الأستاذ الكبير أن الكلمة صحيحة كما يستعملها الكتاب على عهدنا

ولو أننا أردنا تخريج الكلمة على وجه صحيح لوجدنا أكثر من وجه خلافاً لما يقول الأستاذ ، وأقرب هذه الوجوه عندى أن تكون «عبر» مصدراً مراداً به اسم الفاعل فتكون حالاً مما قبلها ويكون التقدير (مرور قواتها عابرة شمال الهند الخ) و (أو جاءت إلى هنا عابرة الأطلنطى)

والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل كما قال الله عز وجل : « إن أصبح ماؤكم غوراً » أى غائراً[1] ، ويقال رجل عدل أى عادل[2] ويوم غمّ أى غامّ ، كما يقع اسم الفاعل فى موضع المصدر نحو قول الشاعر[3] :

ألم ترنى عاهدت ربى وإننى لبين رتاج قائماً ومقام
على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ولا خارجاً من فِىّ زور كلام[4]

وبعد . فلعلى أتيت الأستاذ الكبير بما يطمئن به قلبه والسلام

(بنى سويف)

محمد محمود رضوان

المدرس بالمدرسة الابتدائية

حول تقرير مراقب التعليم الأولى

كان تقرير الأستاذ مصطفى شكرى بك المنشور بعدد ٤٣١ من (الرسالة) بمثابة اعتراف صريح ببراءة المعلم من تهمة إخفاق التعليم الإلزامى ، وإلقاء هذه التهمة على كاهل الذين وضعوا أصوله ورسموا فصوله ، وأسسوا قواعده ، وشرعوا مناهجه ! وأهم هذه الحقائق التى وردت فى التقرير هى : عدم صلاحية النظام النصف يومى ، وعدم كفاية الزمن لدراسة مواد المنهاج ، وإرهاق المعلمين بتدريس ٤٨ حصة فى الأسبوع ، وضآلة المرتبات ، وعدم العدالة فى الترقيات ، وتنازع السلطة بين الوزارة ومجالس المديريات ...

هذه حقائق لا مراء فيها ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثرها فى فشل هذا التعليم ، كما لا يستطيع أحد أن يحمّل المعلم تبعة شىء منها ، لأنها ليست من عمله ، وقد رفع صوته منادياً بإصلاحها فلم يسمع له أحد قولاً ... ! !

وقد أشار التقرير إلى ضرورة العناية بإعداد المعلم ، وعندى أن الوزارة قد أهملت المعلم من ناحيتين :

الأولى عدم استقرار المناهج فى مدارس المعلمين ، وعدم موافقتها لمقتضى الحال . والثانية إهمال مكتبات المدارس الإلزامية وعدم تزويدها بالكتب النافعة المفيدة التى يمكن للمعلم أن يرجع إليها ويستعين بها على توسيع ثقافته . فليس فى مكتبة المدرسة الإلزامية غير مختار الصحاح وتفسير الجلالين ! !

أما علوم اللغة والدين والفقه والتاريخ والأدب وغيرها ، فليس فيها منها ولا كتاب واحد !

على أن هذا لم يمنع الكثير من المعلمين من الاعتماد على أنفسهم فى اقتناء الكتب المختارة والمجلات النافعة . فاستطاعوا بفضل ذلك أن يظهروا على غيرهم ، وأن يحصلوا على الشهادات العالية من منازلهم

ومن غريب المفارقات أن الوزارة بينما تبخل على المعلم الإلزامى حتى بالكتاب الذى يستفيد منه ، تعطى الكثير من الكتب لمكتبات مدارسها الثانوية والابتدائية ، وهى تعلم أن هذه الكتب ستبقى كما هى لا تقلب صفحاتها يد ، ولا تنظر إليها عين ، وأن شأنها شأن القرط عند مقطوعة الأذنين !

فعسى أن يكون لتقرير الأستاذ المراقب عند الوزارة من الأثر العملى ما يرجيه المشفقون وما يقدره المخلصون .

« المنصورة » على عبد الله

حول نقد كتاب « كليلة ودمنة »

ستصدر ابتداءً من العدد المقبل بقية مقالات الدكتور عبد الوهاب عزام فى الرد على نقد الأستاذ عبد السلام هارون فى كتاب « كليلة ودمنة »

---

(١) راجع كامل المبرد ص ٧١ طبعة المكتبة التجارية

(٢) وهو أحد أقوال ثلاثة ثانيها أنه وصف بالمصدر على سبيل المبالغة كأنه نفس العدل وثالثها أنه على تقدير مضاف أي ذو عدل (راجع الصبان)

(٣) هو الفرزدق ، وهما من أبيات قالها فى آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله ألا يكذب ولا يشتم مسلما

(٤) قال المبرد : « وقوله : ولا خارجا ، إنما وضع اسم الفاعل فى موضع المصدر . أراد لا أشتم الدهر مسلما ولا يخرج خروجا من فىّ زور كلام لأنه على ذا أقسم » الكامل ص ٧١



حوار عند الغروب (*)

للقاص الفرنسي بيير لويس

للأديب عبد الغنى العطرى

« بيير لويس شخصية أدبية فذة لها مكانتها الرفيعة فى عالم الرواية والقصة والفكر . ولو لم يكن لهذا الكاتب سوى روايته الخالدة « آفروديت » التى تجرى حوادثها فى مدينة الأسكندرية ، ولو لم يكن له من أبطال سوى « كريزيس » صاحبة تمثال « حياة خالدة » لكان ذلك كافيا لجعله فى مقدمة زعماء الرواية العبقريين

وكما برع لويس فى الرواية فقد برع فى القصة والأقصوصة أيضا ، وله فى ذلك مجموعة نفيسة سماها « Contes choisis » قصص مختارة ، والقطعة التى نقدمها اليوم لقراء الرسالة الزهراء تحتل المكان الثانى فى هذه المجموعة الرائعة . ولعل أقوى مميزات هذه الأقصوصة الحوار الطريف « الساذج » الذى أجراه الكاتب على لسان راعية وراع (ع . ع)

أركاس — أيتها الفتاة ... ياذات العينين السوداوين

مليتا — لا تمسنى !

— لن أمسك ... سأظل بعيداً عنك — كما ترين — يا أخت آفروديت وياذات الشعور الجميلة المعقدة على شكل عناقيد من العنب . هأنذا أقف على جانب الطريق دون أن أستطيع الذهاب ، لا إلى الذين ينتظروننى ، ولا إلى الذين خلفتهم ورائى

مليتا — إذهب! إذهب! إنك تتكلم عبثاً ، وتتفوه بما لا طائلة تحته أيها الراعى من غير غنم ، ويا جوَّاب الطرق المشبوهة الوعرة إذا كنت لا تستطيع بعد سلوك الطريق العام فاذهب إذن من طريق الحقول ، على ألا تطأ قدماك مرجى المخضوضر . أنت الذى لا أعرفه ... وإلا ناديت واستغثت

— من عساك تنادين فى هذه الوحدة ؟

— الآلهة التى تسمعنى

— إن الآلهة يا فتاتى الصغيرة بعيدة عنك الآن أكثر مما أنا بعيد عنك بكثير ولو كانت على مقربة منك لامنعتنى من إبداء إعجابى بجمالك وسحرك ، لأنها تفخر بوجهك الصبوح وتزدهى وتعلم أنه تحفتها الرائعة

— صه أيها الراعى صه ! إليك عنى . لقد حظرت أمى علىّ الإصغاء إلى أقوال الرجال . إنى فى هذا المكان أرعى نعاجىَ الكثيرة الصوف وأحافظ عليها إلى أن تتضيف الشمس ثم تأوى إلى مرقدها . يجب على ألا أصغى إلى أصوات الفتيان الذين يمرون بهذا الطريق ، مع أنسام المساء والغبار المتطاير

— ولم ذلك ؟

— لست أدرى السبب ، غير أن أمى تعرفه بدلاً منى . . . لم يمض بعدُ ثلاثة عشر عاماً على ولادتها إياى فوق سريرها المصنوع من ورق الشجر ، وسأكون عاقة لها إذا لم أصدع بكل ما تأمرنى به

— لم تفهمى يا فتاتى مقصد أمك الرءوم ... إن أمك طيبة عاقلة ، حسناء محترمة . . . لقد حدّثتك إذ حدثتك عن البرابرة الذين يجوبون الحقول والأرياف وهم يحملون الجُمان[1] فى يسراهم والسيوف فى يمناهم ... هؤلاء يا فتاتى يستطيعون إيذاءك لأنك ضعيفة وهم أقوياء ... لقد قتل هؤلاء الأشرار فى المدن التى احتلوها خلال الحروب البغيضة كثيراً من العذارى الحسان اللواتى يضاهى جمالهن جمالك . ولئن عثروا بك فى طريقهم فلن يشفقوا عليك . . . أما أنا فأى أذى أستطيع إلحاقه بك ، ولست أحمل سوى جلد الخروف على كتفىّ ، وهذه العصا فى يدى ... أنظرى إلىّ مليا ... أمخيف أنا إلى هذا الحد ؟ ...

— لا أيها الراعى ... لست مخيفاً ... إن ألفاظك عذبة ناعمة ، لذا يمكننى أن أصغى إليها طويلاً ؛ ولكنهم حدثونى فقالوا : إن أعذب الكلام وأحلاه أكثره إمعاناً فى الغدر

(*) قطعة من كتاب (من أقاصيص الغرب) الذى سيصدر فى أواخر هذا العام

(١) جمع مجن

والخداع ، وذلك حين يتمتم به شاب فى أذنى واحدة منا نحن الفتيات ...

— أأفوز منك بجواب إذا وجهت إليك سؤالاً ؟

— أجل ...

— بم كنت تفكرين تحت الزيتونة السوداء عندما مررتُ ؟

— لا أريد أن أخبرك به ...

— ولكنى أعرفه !

— قله لى ...

— إذا سمحت لى بالدنو منك ، وإلا فسألزم جانب الصمت ، لا أستطيع أن أقوله إلا همساً ... فى أذنك ، لأنه سرك وليس سرى ... أتأذنين لى بالدنو ... وأن آخذ يدك بين يدى ... ؟

— قل ... بم كنتُ أفكر ؟

— فى نطاق زفافك ...

— ولكن ... من أنبأكَ بهذا ؟ أكنتُ أتحدث بصوت مرتفع ؟ أأنت إله أيها الراعى فتقرأ من مسافة بعيدة ما يجول فى خواطر العذارى ؟ ... لا تنظر إلىّ هكذا ... لا تحاول أن تقرأ أفكارى فى هذه اللحظة ... !

— كنت تفكرين بنطاق زفافك وبالرجل المجهول الذى سيحل عقدته ببعض من ألفاظه المعسولة العذبة التى تخشينها الآن ... ترى ، أتخلو هذه أيضاً من الخيانة والغدر ؟

— إنى لم أستمع إليها بعد ...

— ولكنك تستمعين إلى كلامى ، وتنظرين إلى عينىّ ... !

— لا أريدُ بعد أن أراها ...

— ستريهما فى الحلم ...

— أيها الراعى ... !

— لماذا ترتعشين عندما آخذ يدك فى يدىّ ... ؟ لماذا تنحنين عندما أضمك إلى صدرى ... ولم ينحسر رأسك الكليل عن كتفى ... ؟

— أيها الراعى ... !

— أكان فى الإمكان أن أضمك هكذا بين ذراعى وأنت شبه عارية ... لو لم أكن زوجاً لك على وجه التقريب ؟

— ولكن لا ... لست زوجاً لى ... دعنى ... دعنى ... إنى خائفة ... إليك عنى فأنا لا أعرفك . دعنى ، إن يديك تؤذيانى ... دعنى ... فلست أريدك !

— لم تتحدثين إلى أيتها الطفلة بلسان أمك ؟

— لا ليست هى التى تتحدث إليك ، بل أنا التى أتحدث ، إنى عاقلة مفكرة . إليك عنى أيها الراعى فأنا أخجل أن آتى بمثل ما فعلته « ناييس » أو « فيليرا » أو « كلوى » اللواتى لم ينتظرن يوم زفافهن ، بل تعلمن أسرار « آفروديت » وأخذن ينسلن أولادهن فى الخفاء ! ... لا ... لا ... لن أستسلم ! فى إمكانك أن تمزق قميصى فلن أستسلم إليك أيها الراعى ! سأخنق نفسى بيدى هاتين قبل أن تنال منى مأرباً

— ولِمَ كل ذلك ؟ بل ماذا صنعت ؟ لقد لمست قميصك ولم أمزقه ... ولمست نطاقك دون أن أفك عقدته . ليكن ما تشائين ! سأتركك تذهبين حيث أردت ... هيا اذهبى ... إذهبى ... لم لا تذهبين ؟

— دعنى أبكى

— لعلك تحسبين أن حبى لك قليل ضئيل حتى أسلبك من نفسك ثم أدعك تستسلمين إلى أحزانك ؟ أكنت أتحدث إليك هكذا مطولاً لو أنى لم أكن راغباً منك بغير ساعة من اللذة البهيمية التى تستطيع أية فتاة راعية أن تمنحنى إياها ؟ أما أنبأتك عيناى بما أريد ؟ ولكنك لا تنظرين إليهما أبداً ... إنك تحجبين عينيك ، وترسلين عبرتيك

— أجل ...

— ولكن ... لو شئت لوددت أن أقضى عند قدميك حياة مفعمة بالحب والهوى ، ولغمرتك بألفاظى العذبة الناعمة ، ولكنت طوقتك بذراعى هاتين ، ووضعت رأسى على نهدك ، وفمى على ثغرك ، ولكنت أرسلت شعرك الجميل يداعبنى برفق وحنان ؛ ونحن نتناغى ونتبادل القبل . إصغى إلى قليلاً يا فتاتى ! لو شئت لصنعت لك كوخاً من أغصان خضر مزهرة وأعشاب طرية نضرة ملأى بالجنادب المغردة والجعلان الذهبية التى تشبه الجواهر فى قيمتها ! ... فى ذاك المكان تنفردين بى طوال الليالى على فراش أبيض واحد هو معطفى الممدود ، وهناك يخفق قلبانا إلى جانب بعضهما إلى الأبد

— دعنى أبكى أيضاً

— بعيداً عنى ؟

— بين ذراعيك ... وأمام ناظريك !

— أى حبيبتى ... إن الظلام أخذ ينتشر ، وبدأ الليل يرخى سدوله ، وشرع النور يتوارى فى السماء كطائر مجنّح[1] لقد أصبحت الأرض بادية الظلمة . لم يعد يُرى من بعد سوى مجرى الجدول الفضى الطويل الذى يتلألأ كأنه نهر كبير من النجوم حول حقلنا ... فياله من نور عظيم !

— بلى إنه لعظيم ... والآن هيا ، تدنى

— تعالى ... إن الغابة التى سندخل الآن بين غصونها المتمايلة التى ستعانقنا جد عميقة ، ولعله يصعب على الآلهة نفسها أن تقطعها فى رائعة النهار دون أن تصاب بشىء من الرعشة والخوف . وفى تلك الممرات الضيقة لا ترى آثار حوافر آلهة الغابات المزدوجة[2] متقفية آثار إلاهة الغابات . وكذلك لا تُرى بين الأوراق عيون آلهة الغاب الخضر ، محدقة بأنظار الرجال الفزعة . ولكننا لن نخشى شيئاً ولن نفرّق أبداً ما دمنا نحن الإثنين معاً : « أنتِ ... وأنا »

— لا ، لن نخاف . إنى أبكى بالرغم عنى ، ولكنى أحبك وسأذهب معك . إن فى قلبى إلهاً ! هيا حدثنى ... حدثنى كثيراً ... إن صوتك لينطوى على إله أيضاً !

— أرسلى شعرك الجميل حول عنق ، ولفّى ذراعك حول نطاق ، وضعى وجنتيك على وجنتى . إنتبهى واحذرى . يوجد هنا حجارة . اخفضى بصرك ... يوجد هنا جذور ... الأرض ندية رطبة ، والعشب ينزلق تحت أقدامنا العارية . غير أنى أشعر بحرارة نهدك تحت يدى

— لا تبحث عنه ، إنه ... صغير ، إنه ... فقيٌّ ، إنه ... غير جميل . فى الخريف الماضى لم يكن أكبر منه ولا أنضج من يوم ولادتى . وكثيراً ما كان صديقاتى يسخرن منى بسبب ذلك . لقد بدا نموه فى الربيع مع براعم الأزهار . لم يعد فى طوق مواصلة المسير

— تعالى ... إننا نمشى فى الظلام ... فى الدجنة ، لم أعد أرى وجهك . لم نعد نظهر ، لقد لفنا الظلام واحتوانا الليل . تعالى نذهب إلى تلك الدوحة الكبيرة ، أمام أشعة القمر . إن ظلها الكبير ... إنه يمتد إلى حيث نحن . هيا ... تعالى ! ...

— إنها ضخمة ... إنها فى حجم قصر !

— قصر زفافك الذى يفتح أبوابه لاستقبالنا نحن الإثنين فى جوف هذا الليل المقدس

— إنى أسمع ضجيجاً ... إنه حفيف النخيل

— نخيل حفلة الزفاف الصخّاب

— وهذه النجوم ؟

— إنها المشاعل

— وهذه الأصوات ؟

— إنها الآلهة

— أيها الراعى ، لقد دخلت هذا المكان وأنا عذراء مثل « أرتميس » التى يسطع علينا نورها من بعد ... من خلال الأغصان السود ، والتى قد تكون مصغية إلى حديثنا الآن . لست أدرى أأحسنت فى مجيئى معك إلى هذا المكان ، أم لم أحسن ولكنى كنت أحس أن روحاً بين جنبىّ تنبعث وأنا معك ، روحاً قدسية بثها صوتك فى أعماق . لقد منحتنى السعادة الكاملة إذ منحتنى يدك

— أيتها الفتاة ... يا ذات العينين السوداوين ، لم يَسْعَ أبوك ولا أبى إلى لمّ شملنا وتهيئة هذه السعادة لنا ، أمام مذبح مواقدهم وأنا أستبدل ثروتى بثروتك . نحن فقيران فنحن حُرّان إذن . إذا كان أحد قد سعى إلى زواجنا فى هذا المساء كارفى عينيك ، إنهم الأولمبيون حماة الرعاة

— أى زوجى ... ما اسمك ؟

— أركاس ... وما اسمك ؟

— مليتا .

« دمشق » عبد الغنى العطرى

(١) ذو جناحين

(٢) Satyres يرمزون لهذه الآلهة (بشخص) ذى شعور شعث ، وأذنين طويلتين فى الرأس كآذان الحيوانات ، وقرنين صغيرين فى الجبهة وساقى تيس ، وتحمل فى يدها قصبا أو آلة موسيقية ... الخ (معجم لاروس الطبعة الثلاثون بعد المئتين صفحة ١٦٧٦)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

8me Année No. 433

Lundi - 20 - 10 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صـفحة

١٢٧٧ لـــو ! ! ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد

١٢٨٠ أومن بالانسان ! ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

١٢٨٤ فى الطريق إلى الوحدة العربية : الدكتور زكي مبارك ... ...

١٢٨٨ كليلة ودمنة ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام

١٢٩١ من أخلاقنا ! ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...

١٢٩٤ الصحافة والدولة ... ... : الأستاذ زين العابدين جمعة

١٢٩٧ المصريون المحدثون : ... } المستشرق ادورد وليم لين ...
شمائلهم وعاداتهم ... ... } بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور

١٣٠٠ من « ن » إلى « هـ » [قصيدة] : الدكتور إبراهيم ناجى . ...

الوردة الذابلة ... « : الأستاذ محمود عماد ... ...

أحلام الموتى ... « : الأستاذ على شوقى ... ...

١٣٠١ إلى الأستاذ أحمد أمين ... : الدكتور زكى مبارك ... ...

« عبر كذا ... » ... : الأستاذ السكير « ا. ع » ...

١٣٠٢ الأستاذ كرد على فى بيت المقدس : الأستاذ عبد القادر جنيدى

إلى الكتاب . ... : الأستاذ محمد العشماوى بك

١٣٠٣ أرواح شاردة [كتاب] } تأليف الأستاذ على محمود طه
} بقلم الأديب محمد فهمى كمال

لـــو !

للأستاذ عباس محمود العقاد

من فكاهات الصحافة الأمريكية التى اطلعت عليها أخيراً قصة موضوعة على ما يظهر ، فحواها أن رجلاً صارماً من المطبوعين على حب الزجر والتنديد لقى فى بعض المنازه رجلاً آخر يدخن لفيفة نفيسة ، ويبدو عليه الاستمتاع بتدخينها والارتياح إلى تقليبها بين شفتيه ؛ فاستباح لنفسه أن يخاطبه ، وجرت بينهما المحادثة التالية :

— كم لفيفة من هذا النوع تدخن فى كل يوم ؟

— نحو عشر

— وكم ثمن الواحدة منها ؟

— خمسة قروش على التقريب

— يا للعجب ! خمسون قرشاً كل يوم تذهب دخاناً فى الهواء ... فكم سنة مضت عليك وأنت تدخن ؟

— ثلاثون سنة !

إن خمسين قرشاً فى اليوم تجتمع منها فى ثلاثين سنة ثروة عظيمة ... أليس كذلك ؟

— بلى كذلك

— أفلا ترى تلك العمارة الجميلة التى على ركن الطريق ؟

— بلى أراها !

— إنك لو لم تدخن قط لتمنى لك أن تملك تلك العمارة !

قال واضع الفكاهة : وهنا عاد المسئول سائلاً وانثنى يسأل المندد الزجار :

— هل تدخن ؟

فقال الرجل معافقاً مزهواً : كلا ! ما دخنت قط ولن أدخن أبداً

فسأله مرة أخرى : وهل تملك إذن تلك العمارة ؟

قال : كلا ! ...

قال : ولكننى أنا مالكها ... !

* * *

هذه قصة فيها مجال طويل للتأمل واختلاف النظر بين حظوظ الحياة وضروب النعمة فيها

فأى الرجلين على خطأ وأيهما على صواب ؟

إن واضع القصة قد سهل لنا أن نعرف خطأ المندد الزجار ، لأنه أظهر لنا أن التدخين لم يحل بين الرجل المدخن وبين ملك العمارة التى تساوى تكاليف التدخين فى ثلاثين سنة

ولكننا نفرض أن الرجل لم يكن مالكها ؛ فهل يكون حتماً لزاماً أنه من المخطئين وأن لائمه المتصلف على صواب ؟ ؟

إذا قيل نعم إنه لمن المخطئين لأنه فقد عمارة كان فى وسعه أن يجدها أمامه ، فلماذا لا يقال إن العمارة كانت مفقودة فى السنين الثلاثين ولم يكن موجوداً فى حسه غير لذة التدخين ؟ ؟

نعم إن لذة التدخين لا تجتمع لبنة فوق لبنة ، وطبقة فوق طبقة ، وجداراً إلى جانب جدار ؛ ولكن ألا يوجد الشىء إلا إذا لمسناه لمس الجدران ؟ ألا يكون له أثر إلا إذا صدمنا فى الطريق كما تصدمنا العمارات ؟ ألا يجوز أن لحظات التدخين قد هيأت لصاحبها فرص ارتياح وثمرات حساناً من ثمرات الحياة ؟ ألا يجوز أنها أرضته حيث كان وشيكاً أن يغضب ؟ وأسلست آراءه حيث كانت وشيكة أن تختلط وتتعقد ؟ وشجعته على العمل حيث كان وشيكاً أن يتهاون ويتراجع ؟ ألا تحسب هذه اللحظات فى ثلاثين سنة لأنها لا تقاس بالمتر ولا ترصد بالأرقام ؟ ؟

تلك لعنة النقود المسكوكة ، وذلك مدى تأثيرها فى قواعد التفكير وفى أصول النظر إلى الأشياء

فالنقود المسكوكة من المخترعات التى علمت الناس نمطاً من الفكر لم يكن مطبوعاً ولم يكن من الضرورى أن يفكروا على مثاله وينظروا إلى الأمور بمنظاره لولا اختراع النقود !

وكثير من الأشياء كانت تكون لها فى تقويم الناس قيمة كبرى لولا أنهم تعودوا أن يُقَوموا كل شىء بعدد القطع من الذهب والفضة

بل كثير من الأشياء كانت تبطل قيمته الشائعة وكان يبطل الصراع عليه والتناحر حوله لولا اختراع النقد وشيوع التقويم على حسابه

فقلَّ أن يعرف الناس اليوم قيمة لشىء لا يتحول إلى كذا من الدنانير وكذا من الدراهم

ومع هذا كم فى الدنيا من قيم غاليات لا تتحول إلى نقد ولا تباع بالنقد ، وليس لها فى سوق النقد حساب ؟

إن لذة التدخين محسوسة ، فالذى ينكرها يسهل على الدخنين أن يعرفوا خطأه أو يعرفوا الناس بخطئه ولو ببعض التعريف

ولكن اللذات التى لا يحسها المنكرون كثيرات ، وهى لو أمكن تحويلها إلى ذهب وفضة لملأت الخزائن وأدارت حركة المصارف سنوات

فواحدة من اثنتين : إما أن تتحول ذهباً وفضة لنصونها عن البخس والنكران ، وإما أن نعرف خطأ الحساب الذى يدار على الذهب والفضة فى تقويم قيم الحياة . ويومئذ يربح الناس خيراً كثيراً ويستريحون من عناء كثير ، لأنهم لا يعرضون عن لذات نفسية أو فكرية كل ذنبها أنها لا توزن بالدرهم والمثقال ، ولا يتناحرون على قُنية هى فى ظاهر الأمر ملك وفى باطنه حرمان

واضع القصة أرانا أن المدخن كان هو مالك العمارة ، وأن التدخين لم يفوّت عليه ملكها ؛ ولكنَّ واضع القصة كان يستطيع أن يخطو وراء ذلك خطوة فيقول لنا إن الرجل لم يكن ليملك تلك العمارة لولا تدخينة أو تدخينات زينت له رأياً من الآراء أو صفقة من الصفقات ، فكانت العمارة بعض هذه الثمرات

وأقول هذا ولست أدخن الآن ، ولا أنا مؤمن بضرورة التدخين لمن يفكرون

بل أقول هذا وكنت أدخن أربعين لفيفة في اليوم زمناً من الأزمان ، فلا أذكر أنني أشعلت لفيفة وأنا أكتب لأستعين بها على الكتابة ، وربما أطفأتها لأكتب أو اقرأ أو أقلب الرأي في مسألة من المسائل ، فليس من تجاربي أن التدخين والتفكير متلازمان ، وكل ما أعنيه أن السرور الذي يشعر به المدخن ينبغي أن يحسب وإن لم يتمثل في صورة الحجارة والحجرات ، وهكذا ينبغي أن يحسب كل سرور

كذلك لا دخل هنا للأخلاق والموازين الأدبية في صواب التقويم والتقدير ؛ فإن صاحب العمارة قد يملكها بمال مكسوب من السحت والربا الفاحش ، ثم لا يقدح ذلك في قيمة العمارة عند تقويمها بين البائعين والشراة

والسرور الذي يداخل الحس قد يرجع إلى الحرام المحظور فيدان كما يدان الحرام المحظور ، ثم لا ينفي هذا أنه سرور وليس بنعم ولا عذاب

ولهذا يجب أن توضع في الميزان ثلاثون سنة في المتعة التي تذهب دخاناً في الهواء ولا تتحجر لبينات وعمارات في الطرقات .

والفارق بين هذه وتلك أن العمارة تنقل من مالك إلى مالك ولا ينقل السرور الذي يستمتع به صاحبه أو يشترى منه بمال .

وهذه تفرقة سارية في عرف السوق ؛ ولكنها ليست بسارية في عرف الحياة

فسرور الأب بابنه لا ينقل ولا يباع ، ولكنه مع هذا أنفس من نفائس الأموال

وسرور العين بالجمال لا ينقل ولا يباع ، ولكنه مع هذا ثروة تفلس الدنيا بفقدانها أيما إفلاس

ومقياس النفاسة ، صعد الاقتصاديون أو هبطوا ، وصاح رجال المال أو سكتوا ، هو في نهاية الأمر مقدار ما توحيه من شعور .

فالعمارة لا تساوي حفنة من تراب إذا كانت تنتقل من يد إلى يد ولا يصطحب انتقالها بسرور بائع أو سرور شار أو سرور مستأجر

ونفَس واحد من لفيفة واحدة أنفس من جميع العمارات التي لا نترجها شعوراً في حالة البيع أو حالة الشراء أو حالة الاستئجار ، أو في حالة النظر إليها إن كان النظر إليها باعث شعور .

أليس الاطمئنان إلى الرزق هو خير ما تقتنى من أجله العمارات ؟ فالاطمئنان إذن هو ثمن العمارة الصحيح ، ولولا أنه شعور مطلوب لما بذلت في أضخم العمارات أرخص الدريهمات .

ولكن هب مالك العمارة غير مطمئن إلى رزقه ؟ وهبه خائفاً عليها من الحريق أو خائفاً من إفلاس شركات التأمين ؟ وهبه كثير الهواجس من جراء ملكها ومنازعات المنازعين فيها ، فهي إذن فقر في حسابه وفقر في حساب كل مقتن لها يشعر في اقتنائه إياها بمثل هذا الشعور

نسي الناس هذه الحقيقة وخسروا بنسيانها ، لأن العملة سكت عقولهم بطابعها فأصبحت القيمة مرهونة بما يباع بكذا من الدراهم أو كذا من الدنانير ، وبطلت القيم النفسية التي هي الأساس وهي المرجع في تقويم متع الحياة

ولو بقيت لنا رغباتنا وآمالنا كما كانت قبل اختراع النقد واختراع المال على الإجمال لتغير وجه التاريخ وتغيرت هموم النفوس وتغيرت أسباب الحروب والخصومات وأسباب النضال على العروض والمدخرات

ولتقريب هذا المعنى تخيل أن العملة وبديلاتها ستبطل بعد أسبوع فماذا يكون ؟ إنك لتبصر في هذه الحالة من يعطي بيتاً ليشرب قدحاً من الليمون وليس بنادم ولا معدود من السفهاء

أو تخيل أن كل متعة في الحياة أصبحت لا تنال إلا بهذه العملة الشائعة فماذا يكون ؟ إنك لتبصر في هذه الحالة من يعطي تراث الأرض لينعم بشعاع من أشعة الشمس والقمر

أو تخيل أن كل نعمة روحية أو فنية قد أستطيع تحويلها بعد اليوم قروشاً وجنيهات فماذا يكون ؟ إنك لتبصر في هذه الحالة رجلاً من أصحاب القرائح يشترى دولتين أو ثلاث دول بفكرة خالدة توحى إليه

وسيأتي لا ريب يوم يثوب الناس فيه إلى تفكير طليق من أسر العملة ومن طابع المسكوكات . فيومئذ يعرفون الغنى الصحيح ويرهبون الفقر الصحيح ، لأنهم يبذلون الجهد بمقدار حقه فيدخرون كثيراً من ضائع الجهود في غير طائل ، ويأخذون حسبما يبذلون ، ثم لا يقومون الأشياء بمقدار صلاحها للانتقال من مالك إلى مالك في غير جدوى ؛ بل بمقدار صلاحها للبقاء في الخواطر والأرواح وهي شاعرة بما تستبقيه .

عباس محمود العقاد

١٠ ـ أومن بالانسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

زال عهد الصمت والجمود — رسالة يبعثها سر الانسان — ضآلة لا تبعث على الاستكانة — لا تتعجلوا النتائج — موارد فياضة معطلة تنتظر الصنعة — السيد هو إنسان الصناعة — بين قيادة البقر وقيادة الفولاذ — مضى زمن التخريف فى الله وبقى التخريف فى الانسان — برزخ على هوة ! — سر ظهور الدين قبل العلم — أسس خفية لحياة الاجتماع — أباطل أصلح للحياة من الحق ؟ — مم تفجر نبع الضمير ؟ — حيث الأنس بالانسان .

قديماً كان كل شىء فى الطبيعة صامتاً جامداً أيام بدء ظهور الإنسان . فلم يكن يتكلم غيره هو ؛ بل كان هو أيضاً أبكم محبوس اللسان لا يتكلم إلا بمقاطع ساذجة وأصوات وجدانية ؛ وكانت وجوه الطبيعة جامدة مبهمة ، وأبوابها موصدة ...

والآن صارت الأشياء متكلمة محدثة طليقة الوجوه مفضوحة الأسرار . أنطقها الإنسان الذى علمه الله البيان فعلمه هو بدوره إياها وجرد منها حناجر تحدثه وتعيد عليه حديثه لتؤنسه فى رحلته إلى صوب مجهول ... !

ولقد زادت عجائب الكون بانضمام العجائب الإنسانية إلى العجائب الإلهية فى الطبيعة . وكان كفر الإنسان بالله ناشئاً من ذهوله عن بدائع مصنوعاته تعالى ، وكذلك صار الآن كفر الإنسان بنفسه ناشئاً عن ذهوله عن مصنوعاته هو !

ألا إن حمله على الإيمان بنفسه رسالة لا تحتاج إلى رسل يبعثهم سرُّ السماء إلى الأرض ، وإنما تحتاج إلى رسل يبعثهم سر الإنسان ووحى أعماله فى الأرض ... !

وقد ظل الله ربه يقول له وهو طفل جاهل قاصر عاجز : من هنا الطريق ... إلى الحياة والملكوت . إفعل هذا واترك هذا . كن كذا ولا تكن كذا ... حتى أدرك جادة الحياة الكبرى وبانت له تباشير المدنية المنشودة التى كان يحلم بها ويطالبها من الرسل كمعجزات . فأسرع إليها وغمرت حواسه دهشتها وأعاجيبها ، وألهاه ذلك عن التفكير فى نفسه فعاش فى ضجة ما يصنع كما تعيش دودة القز فى الشرنقة ...

وقد خلى الله بينه وبين الحياة بعد أن ترك له وصاياه فى الصحف الأولى ...

قد يقول قائل : ماذا يريد ذلك الإنسان المحدود من ضجته فى الأرض ؟ ضجة حناجره ومصانعه ومدافعه وجراراته ودباباته وطياراته وبوارجه ؟ إنه ضئيل ، وإن مسرحه ضئيل . فهو شىء صغير على سطح الأرض وهى ذرة سابحة مع ملايين الملايين من النجوم والكواكب . فماذا عساه أن يصنع حتى لو ركب الأرض نفسها وصرّف مقاليد سيرها كما يصرّف مقاليد طياراته وجراراته ؟ أليس للفناء نهايته ونهاية ما يصنع ؟

فأقول لأمثال هذا : رويدكم ... لا تتعجلوا نتائج حياة الإنسان ولا تشكوا فى أنها ستكون عظيمة أعظم مما تتصورون بعد أن رأيتم من فعله مالو رآه آباؤكم لماتوا عجباً !

إنكم تشكون فيه لأنه لم تثبت لحياته نتائج دائمة ، وعندكم أن كل أعماله مَلاهٍ وسَلَوَاتٌ فى شئون خاصة كالشئون الخاصة بأى فصيلة من فصائل الحيوان

كذلك قال الذين لا يعلمون من آبائكم مثل قولكم . إذ لم يروا ميتاً يرجع ومفقوداً يؤوب ... !

ولكن الأمر فى حياة الإنسان وخلوده ليس كما تتوهمون أمراً متعجلاً ، وليس ماضى عمره على الأرض طويلاً . إنه ثمرة لا بد من نضجها فى زمن معلوم تظهر بعده نتائج خالدة وأسرار مخبوءة لها صلة وثيقة بالكون الطبيعى نفسه وبالروح الأكبر الذى وراء الطبيعة

وسيرى الذين يذهبون الآن أنهم بعد الموت فى دور انكشاف وظهور ، إذ لا يعقل أن يمضى هذا الخالق الصغير إلى الفناء المطلق ...

ثم أقول : ماذا تريدون أن يفعل إذاً ؟ أتريدونه ينام حالماً بدخن النارجيلة والحشيشة والأفيون كما يصنع أغلب إنسانية الشرق المضيَّمة ؟ أم تريدونه يجلس فارغاً ينتظر الموت وينشد الأشعار ولهو الأحاديث ؟

إن عليه أن يملأ هذه الأرض بالضجة والقوة التى يستطيع تسخيرها ، وأن يسلط قوى نفسه الكامنة على هذه المواد الساكنة ويثيرها أيما ثورة ليدخلها فى نطاق الحركة بعد السكون والحياة بعد الركود ... ولا عليه بعد ذلك أنه ضئيل فوق زورق ضئيل يسبح فى عَيْلم كبير ...

فلو نظر الإنسان إلى جبروت الطبيعة وهول السماء لاستصغر جهده على الأرض مهما عظم ولم يفعل فى حياته إلا ضرورات

احتياجاته. وبالطبع هذا يرده ضعيفاً مستضعفاً شقياً فريسة لغيره كما كان؛ ولكنه إذا آمن برحابة نفسه وقوة فكره وقدرته على أن يفعل الأعاجيب، وأنه على مزولة جسده يستطيع أن يحرك الجبل وينسفه بتسليط قوة طبيعية أخرى عليه. إذا كان هذا به أولى وعليه أنفع وأجدى، وكان هـذا أشرف له إذ يجعله قوة من القوى العاملة الجبارة في الحياة؛

إن عليه أن يصنع ويتمتع ويتفرج بما يصنع ... وربما يكون هناك عالم آخر يتفرج أيضاً بما يصنع الإنسان ويتمتع به كما نتمتع نحن بنتاج النحل ومنافع كل كائن أقل منا في الارض إدراكا واحتيالاً ...

إن الطبيعة تنازل فكره وتثيره للعمل فيها منذ أيامه الأولى، فالطفل يبحث في محيطه ويسلط جميع حواسه على محتوياته فيراه ويلمسه ويذوقه ويتسمعه ويشمه حتى يحيط بخواصه ويثير كوامنه ويطلقها خيراً من تعطيلها وسجنها

وقد وجدنا كل ما في الطبيعة من مواردها الكبرى بسيطاً غير معقد، فياضاً بكميات كبيرة جداً، خاضعاً للتعقيد والتركيب والتأليف والتوزيع والتنويع ... فدلنا ذلك على أن هذه المواد إنما وضعت هكذا هائلة فياضة انتظاراً لصنعة ستتناولها بها يد صَنَاع

وكلما رأيت غزارة ماء الأمطار — وهو أصل الحياة — وكثرة المقادير التي تصبها الأنهار في البحار فتذهب من غير انتفاع إلا بجزء قليل جداً منها . . . قلت: إن هذه الكميات الهائلة إنما أفيضت لا لإخصاب السهول الحافة بها فقط، والتي تصل إليها مياهها في سهولة ويسر . . . وإنما أفيضت لإخصاب هذه الأراضي البور من الصحارى والسهوب الظمآى المقيم ...

وكلما رأيت مناجم الأرض تمتلئ بالمعادن والركاز المعطلة وهي ذات النفع العظيم والإمتاع الدائم، قلت: هنا مواد ظلت الطبيعة تحفظها في صدرها حتى أتى يوم بعثها على يد من عرف أسرار الانتفاع بها في زمن نمو علوم الآليات والكهرباء

وكلما رأيت أغلب مناطق الأرض لا تزال خالية من السكان أو غير متشبعة بهم... قلت: هذه مساكن احتياطية لأقوام آتين ستلجئهم ضرورات الزحام إلى سكناها وتعميرها وتعديل مهودها؟ وأجوائها وإخصاب بقاعها ...

وكلما رأيت البحار السبعة وما فيها من عوالم وعناصر وموارد للطعام والدفء والصناعة ... قلت: هذه قدور هائلة يطبخ فيها مستقبل مجهول لهذا المخلوق ...

فهذه المقادير العظيمة من المياه والمعادن والأراضي والغابات ظلت تفيض فيوضها بالكيل الواسع، وتدور دوراتها وترجع من غير أن ينتفع بها أحد انتفاعاً يبرر غزارتها إلى أن أتى عصر تفتح حاجات الإنسان الصناعية والعمرانية بتفتح أسرار الطبيعة لفكره، فإذا بهذه الموارد التي كان يظن البعض أن فيها إسرافاً وتبذيراً يبدو لعيون العلماء وأرباب الصناعات والأعمال أنها موزونة متكافئة مع نمو حاجات الإنسان واتساع افتنانه . . .

* * *

هذه الحياة الصناعية البارعة المعقدة كانت هي أعظم الموحيات الآخذات نفسي إلى الإيمان بالإنسان وإلى الكشف عن قوته الابتداعية النامية المنمية . وإن بها تفرده وامتيازه بين الكائنات في إحداث الأشياء، وفي تغلبه على غيره من الحيوانات، بل وفي تغلب بعض أقوامه على بعض . وقد نمت قوته الصناعية نمواً عظيماً حتى بدت في هذه القوى الساحقة التي يستخدمها الآن في حربه ...

ولا شك أن إنسان الصناعة هو سيد الأرض . أما إنسان الزراعة فمهما افتن فيها وهندس واجتهد فإن حياته حياة بدائية، لا تعقد الفكر ولا تترك في الأعصاب أثر القوة والابتداع والسيادة . وقد صارت الزراعة الآن خاضعة إلى حد كبير للصناعة ذات تبعية لها ...

ولذلك رأينا الأمم الصناعية تسود الأمم الزراعية على رغم القلوب الطيبة والمثل العليا التي تشيع بين الزراعيين في العادة منتقلة إليهم من اعتمادهم بعد بذل جهودهم على مُنزل الغيث وباعث الخصب ... ومن طول معاشرتهم للنعاج الوديعة والبقر المطيعة والأنعام التي تعطى ولا تأخذ، وتسام على الخسف ومع ذلك تجتر سعيدة حالمة ...!

وطبيعي أن يتغلب من يدرب أطفاله على ركوب الحيوانات الحديدية وقيادة الوحوش الفولاذية على من يدرب أطفاله على ركوب الحمير والبغال، وقيادة الأغنام والأبقار ...

وكل ما يحدثه الإنسان في المواد يدل على اتساع مدى نفسه وامتداد خيالها، وأخذها من محيط واسع عميق، وامتياحها من ينبوع زاخر بالصور والأشكال والأنواع، وقوة تعقيد فكرها

وقدرتها على إحداث نسب جديد ، بين العناصر والمواد ... وهذا ما لا وجود له فى الزراعة

ولكى تدرك ما أرمى إليه ، فكرْ فى الحياة الصناعية من المسمار الصغير إلى المصنع الكبير وما بينهما ...

***

يلام الإنسان على غفلته عما صنعه هو بيديه وملأ الدنيا به كما كان يلام فى العصور السالفة على غفلته عما صنع الله فى الطبيعة

ولقد مضى زمن التخريف والضلال فى العقيدة بالله رب الطبيعة ، لأن الحياة لا تحتمل الجهل به تعالى إلى الحد السخيف الذى كانت فيه عبادة الأصنام والأشخاص والنجوم وغيرها . ولا تحتمل أن تجرد الطبيعة منه تجريداً كالذى كان من المعطلين منكرى القصد والإرادة والعناية فيها . ولفظت العقول الأديان التى تعتمد على غير العقل فى إثبات حقيقة الوجود الأولى والحقائق التى تليها ؛ وعشق الناس جمال الطبيعة وصدقها ، وعرفوا من أسرار الصناعة فيها ، فبقى عليهم لتكمل عقائدهم فى الحياة أن يتيقظوا دائماً لمنشئها ومدبرها ، ويتقربوا إليه بالفكر فيه وتكريم اسمه كما يتقربون على الأقل لأساطين علمائهم الذين عرفوا من علومه جانباً ضئيلاً ...

ولكن جدَّ تخريف وضلال فى العقيدة بالإنسان بسبب فرض لم يثبت فى نظرية النشوء والترقى ، أطلق حوله كثيراً من الاعتقادات الفاسدة . ومقاومة هذا التخريف الأخير هى أهم رسالات الدين فى هذا العصر .

***

هذا الفرض جعل كثيراً من الناس لا يريدون أن يصدقوا أن بينهم وبين الله صلة محترمة أو عناية . وكأنهم يجفلون من التكريم والإحسان اللذين يقول الدين إن الله يصطنعهما فى معاملة الإنسان

وهم يقولون إن حياة الإنسان بالنسبة لله تعالى حياة تافهة ضئيلة ، وإن بينهما هوة سحيقة لا عبور لها ، وأن الحياة الإنسانية على الأرض لا تقدم ولا تؤخر فى سير الناموس الأعظم الذى ينتظم الكون . فسواء على الله وعلى الكون أن يضل الإنسان أو يهتدى ، أن يعف وأن يشره ... فتلك شئون خاصة به خاضعة لاعتبارات مجتمعه ، وسوف يفنى بأخلاقه وأعماله كما تفنى النمال والنحل ، وكل ما لابسته الحياة من غير رُجعى أو مصير أكل ...

ولكن الواقع أن نجحة الإنسانية وحدها ، وتغير الأرض بها وحدها ، وتعقد الدنيا بها وحدها ، واطراد نمو الحياة المادية وانكشاف خصائصها بها وحدها ، وارتقاب غاية مجهولة منها وحدها ... هى أمور من الحق بحيث تشغلنا عن سواها وعن شبهات ضآلة الإنسان بالنسبة لله ... وهى ذاتها البرزخ الذى نعبر عليه تلك الهوة التى بيننا وبين الله !

فعند ما ينظر ناظر لظاهر مجموع الناس يخيل إليه أنه لا صلة بين قلوبهم وأفكارهم وبين السماء ، وأنهم غير مأبوه لهم من صاحب الوجود ... وحينئذ تنطلق الاعتقادات الفاسدة والتافهة بالحياة وتنطلق وراءها الغرائز الخطرة ، وتوجد « طمأنينة الكفر ! » وينظر الإنسان للانسان على أنه شىء تافه يصح سلبه واستعباده وقتله ...

ولكن عند ما ننظر للحياة الإنسانية من داخل القلب نجد النظر يخلق المنظور خلقاً آخر جليلاً ، ويشعر الناظر بأن عين الله راعية وصية على هذا المخلوق ...

فما أعظم أثر هذا فى طمأنينة النفس حتى لو كان باطلاً ! إنه يرفع آمال النفس البشرية وأفكارها حتى يجعل منطق الله خالق الطبيعة الهائلة منطقها هى . مع أن الهوة بينها وبين الله سحيقة ، إذا استسلم الإنسان للعلم وحده فى عبورها لن يتمكن ! إذ يجد مكانه فى الوجود يكاد يكون لا شىء ... إذ الأرض ذاتها لا شىء بجوار عظمة الكون ، فما بالك بالفرد الضئيل فيها ؟

هذا يجعل للنفس ثقة وإحساساً بالعظمة ، إذ يجد به الإنسان لنفسه مكاناً ملحوظاً فى الوجود حين يجعل علاقته مباشرة بصاحب الوجود ...

ومن العجائب فى ظهور حياة الإنسان وتدرجها ، أن حياة التدين فيها سبقت حياة العلوم ، فبنيت حياة التعزية والثقة على الدين قبل العلم

ولو قد سبق العلمُ الدينَ إذاً لكان موقف الإنسان فى الحياة موقف ابن الطريق الشريد القادر الفاجر ، الذى لم يجد أباً وأمّاً يأخذ من حنانهما حناناً لنفسه ، ويعرف أن قلبيهما منبعان غزيران لصفات الإخلاص والرحمة والحب ، بل وجد نفسه مدركاً رشيداً ، ذكياً قاسياً ، على قارعة الطريق تدافعه زحمته ، يعرف جرائم الحياة وجفاءها ، وأخلاق الشوارع والأسواق ، ولا يعرف روابط الأسرة ومعاملة الأخوّة والنبوّة ووصايا

الأمومة ؛ فيكون موقفه فيها موقف قاطع الطريق المسلح بالأدوات والمهارة ...

* * *

علام يقوم بناء الحياة الإنسانية ؟

حين أستعرض نظام مدينة أو أمة أو امبراطورية ، فأجد ناسها يعيشون فى تفاهم وتعاطف ومبادلة منافع ، وأجد مرافقها ومبانيها وشوارعها ومصانعها ومعاهدها تقوم فى دقة وموازنة وجمال وأمانة كأنها من الطبيعة الموزونة بيد الله ... أسائل نفسى :

من الذى أقام بناء هذه الحياة الإنسانية فى تلك الأمة أو المجموعة على هذه الأوضاع العظيمة ؟ !

ومن الذى سدد جهاد أفرادها جميعاً نحو غايات مشتركة وأهداف موحدة ؟

ومن الذى أعطاها تلك الروح الاجتماعية التى تسلك فى أعمالها وآمالها مسلك الروح الواحد فى الجسم الواحد ؟

ومن الذى هذب طباعها ورققها وجملها وصقلها وسار بها شوطاً بعيداً من عيشة الوحشية والتأبد ، إلى هذه الإنسية والاجتماع ؟

ومن الذى أقام هذه الأسر والعائلات على التراحم وجمع أطفالها ورجالها على الحب ؟

إنه لا شك سر النبوات التى نبعت من القلوب الكبيرة التى كانت للانسانية فى مهد نشوئها كالأمومة الرحيمة المضحية المربية المسددة

إن هذا لا شك هو الأساس الأول الذى قامت عليه الحياة الاجتماعية وذهب بناؤها مطرداً فى العلو والسموق

فلئن غابت الآن عن الأنظار القصيرة والأفكار المشلولة ، فكما تغيب أسس الأبنية العظيمة فى باطن الأرض ، لا تُرى ولا يعرفها إلا الناظرون فى الأعماق ...

ولقد مات الرعيل الأول من الآباء والأمهات ، ولكن بقى الأبناء دليلاً متجدداً عليهم ...

* * *

ثم نسأل : أيهما أصلح للحياة ؟ أأن يعتقد الإنسان أن الله به حَفِىٌّ ، وأن يؤمن بالإنسان فيحتفل لولادته ويقوم لجنازته ويؤثره على نفسه ، ويتواضع له ويحترم دمه وعرضه ، ويعيش فى سجون الأخلاق التى تسمو بالحياة الاجتماعية ، وتقلل الخلاف والشقاق وتنمى الحياة ، وتحيط الإنسان بجو من سكينة الحلم ورقة الفن ، وتسخر العلم فى خدمته وتخفيف ويلاته ، وتضع أمامه أهدافاً مرسومة ومثلاً عليا ، وفلسفة يطرد بها الوفاق ؛ ويجعل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الرجال الآباء نماذج وقمماً يتطلع إليها . . . ؟ أم أن ينظر الإنسان إلى الإنسان كما ينظر للنبات والحيوان ... فإذا ولد فكَجَحْرٍ و الكلاب أو سَخْلِ النعاج ؛ يسخَّر ويُلعب به ، ولا عرض ولا ناموس ولا قيود ، وحياته حياة فنُّها آلىٌّ وعلمها للتدمير والغلبة ، ومُثُلُها مكيافلية . . . وإذا مات هلك وقذف به إلى ظلمة الأبد من غير رجعة أو ذكرى أو أمل فى مصير أكمل ؟ !

أما والله لو كان دين الإنسانية هذا خداعاً باطلاً ، لكان أعظم أثراً فى صلاح الحياة من ضده ولو كان الحق ! لأنه قانون الحياة الاجتماعية ، فإذا تركه الإنسان كان عليه أن يرتد إلى حياة الغابات ... وقد ارتد بعضه فعلاً الآن ... ولكنه سيعود ...

ولست أدرى : ما هو غرام بعض الناس فى أن يزعموا أنهم كشفوا تيارات واتجاهات فى الحياة تجعل الناس يعطمون الحياة الاجتماعية التى نمت مواريث علومهم وأخلاقهم فى أحضانها ؟

إن كل ما يضر حياة الجماعة ، فهو شر يميت الضمير وينزع منه الإيمان بالخير ويسلم إلى النكسة والارتداد

* * *

على أسوأ الافتراضات فى تفاهة أصل الإنسان وضآلة مكانه فى الوجود ، فتَفَجُّرُ نبع الضمير فى قلبه وطواعيتُه تحت تأثيره لا بد أن يكونا بوحى وضغط من عالم أعلى ...

وهذا الروح اللطيف الذى يوجد فى القلب حين الحب ، أو حين مبادلة العلم والفكر ، أو حين تفتح القلوب بالخير ، أو حين النظر للوجود بالعين الصافية الآملة المتفائلة ، أو حين استحضار المعانى الكبيرة : كالمروءة والإيثار والتضحية الصامتة ، أو حين الإيمان العميق الرحب المشع ... هذا الروح هو مكان رصد الإنسان والأنس به والأمل فيه

فلنرصده من هناك ليكون المنظر جميلاً أخاذاً ، يبعث على التفاؤل والحب والسعى إلى الاكتمال ... اولى من أن نرصده من مكان آخر يبدو منه مطموس الجمال ، مقبوح الخصال ، منحط المكانة ، باعثاً على التشاؤم والبغض والحقد وسوء المآل !

عبد المنعم محمد خلاف

في الطريق إلى الوحدة العربية

للدكتور زكي مبارك

[نص الخطاب الذي أرسله الدكتور زكي مبارك ليلقى في مؤتمر الخريجين بأم درمان]

أخي الأستاذ رئيس مؤتمر الخريجين

إليك وإلى إخواني عندك أقدم أصدق التحيات ، ثم أذكر مع الأسف أن المنهاج الذي رُسِم لحضوري وحضور الأستاذ «الزيات» لزيارة السودان لم يظفر بالتحقيق ، فقد قضى الأستاذ «الزيات» أسابيع بالمنصورة وهو مريض ، ثم منّ الله عليه بالعافية بعد فوات الوقت الذي يسمح بتأهبه لحضور مؤتمركم المرموق . أما أنا فقد صدّتني شواغل لو عرفتموها لأكرمتموني بالصفح الجميل . فلم يبق إلا أن أرسل إليكم هذا البحث ليلقيه الأستاذ «محمد حسنين مخلوف» بالنيابة عني ، أو يلقيه أديب من الخرطوم أو من أم درمان ، وسيُنشَر هذا البحث في «الرسالة» مع أيام المؤتمر ، ليكون تحية جهرية تؤيد بها مصر جهادكم النبيل

فماذا أريد أن يذاع باسمي في ناديكم بأم درمان ؟

أريد أن أتحدث عن العقبات التي تعترض السائر في الطريق إلى الوحدة العربية بلا مواربة ولا تلميح ، لأني أومن بأن عندكم من الفتوّة ما يوجب الخروج على الرموز في مثل هذا الشأن الدقيق ، ولأني أفهم جيداً أنكم من طلائع الجيل الجديد ، ومن الإساءة إليكم أن يرسل إلى ناديكم كلامٌ ملفوف تعوزه صراحة الصدق وشجاعة الإيمان

ثم أواجه الموضوع فأقول :

كثُر التحدث في هذه الأيام وقبل هذه الأيام عن «الوحدة العربية» وذلك يشهد بأنها كادت تصبح من الغايات القومية في الشرق العربي ... وهل يمكن أن تدور «فكرةٌ» على ألسنة الملايين من العرب ، بدون أن يكون لها في قلوب تلك الملايين مكان ؟

إن هذه الفكرة لم تدُر على الألسنة إلا بعد أن تأصلتْ في القلوب ، فماذا نصنع لوقايتها من العواصف التي تثور من حين إلى حين ؟

نترك السياسة جانباً ، السياسة الدولية ، وننظر إلى هذه الفكرة من الوجهة القومية ، فمصايرُنا بأيدينا ، والله لا يغيّر ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم ، وإذا سلمت ضمائرنا من الزيغ والانحراف فلن تستطيع أية قوة في الأرض أن تصدنا عما نريد لأنفسنا من السداد والتوفيق

والعقبة الأولى في طريق الوحدة العربية هي عقبة الجنس ، فكثيرٌ من الناس يتوهمون أن الرجل لا يكون عربياً إلا إذا كان من أصلٍ عربيٍّ صميم ؛ وهذا خطأ في خطأ وضلال في ضلال ، فالعربيُّ الحق هو من انطبع على لغة العرب ولو كانت أصوله من المكسيك ، ولا يجوز عندي أن ينتسب إنسانٌ إلى العرب وهو لا يعرف من أسرار لغتهم غير أوهام وظنون ، ولو قدّم الوثائق التي تثبت أنه من سلالة الرسول

العروبة لغة لا جنس . العروبة لغة لا جنس . العروبة لغة لا جنس

ولو شئت لكررت هذه العبارة ألف مرة ، بدون أن أشعر بأنها حديث معاد ؛ لأن روحي يحس كل حرف من حروفها إحساساً قوياً ، ولو كررتها ألوف المرات

وإذن فمن واجبي أن أثور على من يقسم بلادنا إلى أجناس ، وبلادنا هي جميع البلاد التي تتكلم العربية في الأقطار الأفريقية والأسيوية

فجميع أهل مصر والسودان عرب ، وسكان أفريقيا الشمالية عرب ، والفلسطينيون والسوريون واللبنانيون كلهم عرب ، والعراقيون جميعاً عرب ، والهنود الذين يتكلمون لغتنا عرب ، وأهل فارس في أصولهم عرب ، لأنهم نهضوا بلغتنا المحبوبة في أجيال طوال

والأستاذ سلامة موسى عربي ، وإن كان يخاصمني من وقت إلى وقت حول مكانة العرب في التاريخ ، بل هو سليم العروبة إلى أبعد الحدود لأنه يتجنى على العرب بلغة العرب ، وعروبته أصح عندي من عروبة من صح نسبه إلى يعرب وليس له في خدمة اللغة العربية وجود

العروبة لغة لا جنس ، فليفهم هذا دعاة الوحدة العربية ، إن كانوا صادقين

وسيأتي يوم ندعو فيه مواطنينا إلى الاندماج في الكتلة العربية ، وأريد بهم المستشرقين من أبناء الألمان والروس

والفرنسيس والإنجليز والطليان والأسبان ، فأولئك إخواننا حقاً وصدقاً ، وإليهم يرجع الفضل فى تشجيع الدراسات العربية ، وإحساسهم بالعروبة أصدق من إحساس العرب الذين غفلوا عن إدراك ماضى أسلافهم فى خدمة الأدب الرفيع

العروبة لغة لا جنس ، فليتق الله بعض الناس ، وليعتبروا بحوادث التاريخ . فماذا دوّن التاريخ ؟

دون التاريخ أن « أمبراطورية اللغة العربية » تمزقت بسبب الاعتزاز بالجنس ، وهذا الاعتزاز الطائش هو الذى خلق الشعوبية ؛ فبسببه أقسم الفردوسى لينظمن الشهنامة بدون أن يحتاج إلى لفظة عربية ، وبسببه جلا سلطان اللغة العربية عن بلاد كان لها فى دماء أبنائها مكان . وبسبب مقالة حمقاء كتبها كاتب أحمق فى فضل العرب على الأتراك أقسم أتاتورك ليهجرن الحروف العربية . وبسبب هذا الاعتزاز الطائش عاشت لغات فى المغرب والشام والعراق ، لقصد الطائشين من العرب عن القول بأن لغتهم أحسن اللغات ، وبأنها ستكون لغة الناس جميعاً فى « دار الخلود » كأن العرب وحدهم أبناء آدم ، وكأن من عداهم وحوش لبسوا أثواب الرجال ! !

العروبة لغة لا جنس . وهل كان جان جاك روسّو فرنسى الأصل ، وبفضل بيانه الساحر نهضت لغة الفرنسيس ؟

العروبة لغة لا جنس . وهل كان أحمد شوقى عربى الأصل وهو من طلائع النهضة الشعرية فى الأدب العربى الحديث ؟

العروبة لغة لا جنس . وهل كان وهيب دوس عربىّ الأصل وهو أصدق من عرفت فى التغنى بأشعار العرب من قدماء ومحدَثين ؟

وهل كان مكرم عبيد عربىّ الأصل وله خطب طوال تذكّر بخطب سحبان ؟

ليتّق الله بعض الناس فى ميراث العروبة ، وليحذروا من أن يخربوا بيوتهم بأيديهم ، عن علم لا عن جهل ، وزلة العالم أبشع الزّلات

وما الموجب لأن يكون فى الدنيا عربٌ خلّص ؟

لو اقتصر العرب على التزاوج فيما بينهم لبادوا وانقرضوا ، فما انطوتْ أمةٌ على نفسها إلا استهدفت للفناء

وهل استطاع العرب أن يسيطروا على العالم حيناً من الزمان إلا بسبب التخلص من المُنهجُية الجنسية ؟

إن التحرر من ربقة الجنس هو البَنْد الأول من وصية الزعيم العربى الأول ، وهو محمد بن عبدالله الذى مكّن العرب من سيطرة عالمية لم تخطر لأسلافهم الأقدمين فى بال ، وهى سيطرة روحية لن يظفروا بمثلها إلا إن تخلقوا بأخلاق ذلك الزعيم الحصيف

العربىّ الصحيح النسب إلى يعرب قليل الوجود ، وهو حين يوجد لا يكون إلا جسداً هامداً لا نفع فيه ولا غَناء ، لأن التزاوج بين الأجناس شريعة طبيعية ، ولا يخرج على تلك الشريعة إلا من كُتب عليهم الأُفول

إن نبيكم صاهر أمماً لا تمت إلى العروبة بجنس ولا دين ، فهل تتوهمون أنكم أهدى منه إلى سواء السبيل ؟

اتقوا الله فى أنفسكم وفى ماضيكم ، وتمسّكوا بشمائل ذلك الرسول لتفوزوا كما فاز أسلافكم الماجدون ، واتقوا حاضركم فتناً لا يتعرض لشرها إلا الجهلاء والأغبياء

العروبة لغة لا جنس ، فافهموا هذه الحقيقة يا بنى آدم من أهل هذا الجيل

أما العقبة الثانية فى طريق الوحدة العربية ، فهى عقبة الدين ؛ فقد توهم قومٌ أن العروبة والإسلام شىء واحد ، وبذلك كثُر ارتيابهم فى صحة الأخوّة العربية ، حين يتصل بها ناس من غير المسلمين .

والحق كل الحق أن العروبة والإسلام شىء واحد ، على شرط أن نفهم المراد الصحيح لهذا التعبير المريب

الإسلام هو أصدق أثر صدَر عن العرب ، ولولا الإسلام لبادت لغة العرب منذ أزمان طوال

وإذن ، فمن واجب العرب من غير المسلمين أن ينظروا إلى الإسلام بعين الرفق والعطف لأنه صوتهم وصوت آبائهم وأجدادهم فيما غبر من الأجيال ، وإن لم تأنس آذانهم بذلك الصوت الجميل بفضل تناحر المذاهب والديانات ، وهو تناحر لن يقدر على طمر ذلك الينبوع الفياض

ذلك واجب العرب من غير المسلمين ، فما واجب العرب من المسلمين ؟

واجبهم أن يفهموا أن النصرانية واليهودية ديانتان عربيتان .

وهل نكون أعقل وأحكم من النبى محمد وقد نظر إليهما بعين الإعزاز والتبجيل ، ولم يحارب غير من شوهوا النصرانية واليهودية بالتزوير والتحريف ؟

للاسلام والنصرانية واليهودية مسرح واحد هو بلاد العرب ؛ وهذه الديانات هي سلطاننا الأدبي في الشرق والغرب ؛ وهي حجتنا يوم تُطلب الحجج على تفوق بعض الشعوب على بعض . ولعل هذا هو السبب في أن أكابر المسلمين في العصور الخوالي لم يفتهم أن يدونوا ما في التوراة والإنجيل من حكم وأمثال

إن من المعجزات أن تكون أعظم الديانات المسيطرة على العالم ديانات عربية الأصل ، فمن طاب له أن يغمز إحدى هذه الديانات فهو عربي مدخول ، لأنه لا يعرف أثرها في التنويه بمجد العرب في العالمين

الرأي عندي أن الروحانية العربية تطورت من حال إلى أحوال فانتقلت من الموسوية إلى العيسوية ثم إلى المحمدية . فهي قد تغيرت في الفروع ، مع الاحتفاظ بالأصول . والأصل الأصيل عندنا وعندهم هو التوحيد ، والتثليث الذي أنكره القرآن على النصارى لم يكن إلا صورة حرفية من صور الإغراق الذي أولع به بعض أنصار المسيح ، وهو إغراق ينكره النصارى المستنيرون في هذا الزمان .

إن القرآن يلاطف مخاصميه فيقول : « إنا أو إياكم لعلى هدًى أو في ضلال مُبين »

وعقيدة التثليث لم توجد بعد عدم ، فهي في الأصل عقيدة مصرية ، وعلى ذلك تكون جزءاً من ماضينا ، ونحن لن نتنكر لأجدادنا أبداً وإن قيل في عقائدهم ما قيل

ثم أثب إلى الغرض الذي أرمي إليه فأقول : إن الإسلام يحكم بالكفر الموبق على من يمس شخصية موسى أو عيسى بسوء ؛ فمتى ننتظر أن تكون شخصية محمد شخصية قدسية في البيئات المسيحية والاسرائيلية ؟ متى ؟ متى ؟ ومحمد أوصى أصحابه بأن ينظروا إلى موسى وعيسى بعيون لا ترى غير الجميل

وخلاصة القول أن اختلاف الديانات لن يعوق الأخوة العربية إذا صحت النيات ، لأنه اختلاف أراده صاحب العزة والجبروت ، وله في إيقاظ الحيوية العربية تاريخ أو تواريخ

قد يصير العرب جميعاً إلى دين واحد بعد جيل أو جيلين أو أجيال ، فليكن لهم منذ اليوم أدب واحد هو التآخي الصحيح ؛ فمن المؤكد أن المسلمين لن يسمحوا بهدم كنيسة أو كنيس إن تمّ لهم الفوز المطلق ، لأن معابد النصارى واليهود عنصر أصيل من عناصر الروحانية العربية ، ومن قال بغير ذلك فهو آثم في حق « الوحدة العربية » وهي فكرة دعا إليها نصارى الشام والعراق قبل أن يدعو إليها المسلمون ، ولذلك أسباب فصلتها قبل اليوم بإسهاب

قيل ألف مرة : « إن الدين لله والوطن للجميع » ولو تدبرتم لعرفتم أن الدين لنا أيضاً ، والله لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأعمال ، وإنما ينظر إلى القلوب

وخلاصة الخلاصة في تحرير هذه القضية أنه يمكن للرجل أن يكون عربي اللسان والذوق والعصبية ، ولو كان من أعداء الدين ، لأن العروبة لغة وليست بجنس ولا دين ، وإن كان من المفهوم أن القرآن هو سفير اللغة العربية إلى مختلف الشعوب . ومن واجب العربي غير المسلم أن يفرح لسيرورة القرآن في المشرقين ، لأن سيرورته من أقوى الحجج في نصرة القضية العربية .

والقائلون بأن اللغة العربية لغة المسلمين لا يخدمون الإسلام بهذا القول ، وإنما يبعدون عنه أنصاراً أمدته بهم جاذبية اللغة العربية . والشواهد تنطق بأن النصارى من العرب والمستعربين أدوا للاسلام خدمات يعرف أقدارها عقلاء الرجال

في الدنيا معنًى يسمّى الديبلوماسية السياسية ، فلم لا يكون عندنا ديبلوماسية إسلامية كالتي كان عند أسلافنا الأمجاد ، يوم كانت عقولهم تدعوهم إلى تألف من يخالفونهم في الدين ؟

* * *

أما العقبة الثالثة في الطريق إلى الوحدة العربية فهي اجترار حوادث التاريخ ، ولتوضيح هذه النقطة أقول :

كان أبناء العرب قد اختلفوا في أشياء مذهبية وسياسية وجنسية ، وهو اختلاف مشؤوم عاد عليهم بالوبال ، وكانت له عواقب في الأقطار المصرية والمغربية والسورية والعراقية ، ونال من قوة العروبة أضعاف ما نالت فوادح الخطوب ؛ فمن واجبنا أن نبالغ في تناسي ذلك الاختلاف إلى أن ننساه ، فإن لم نستطع فلننظر إليه بعين العقل ، ولنفهم أنه اختلاف قضت به ظروف لا يصح أن نحمل جرائرها بحال من الأحوال

كان بين الأقباط والمسلمين في مصر نزاع وقد محته الأخوّة الوطنية ، فما الموجب لإحياء ذلك النزاع ؟ وكان بين السنة والشيعة في العراق شقاق ، وقد محته الأخوّة القومية ، فكيف يستبيح عاقل إحياء ذلك الشقاق ؟ وكان في البلاد السورية خلاف أثارته النزعات المذهبية ، وقد خمد ذلك الخلاف بفضل الأخوة العربية ، فكيف يصح لإخواننا هناك أن يوقظوا

ذلك الخلاف ؟ وكان فى الأقطار المغربية قتال أرّثت ناره العصبيات الجنسية ، ثم أخمدته الأخوة الإسلامية ، فكيف يجوز بعث أسباب ذلك القتال ؟

إن من الجرائم المنكرة أن نرى نعيق المفسدين يتصايح من وقت إلى وقت بدون أن نقضى عليه بحزم الرجال !

يجب أن نُفهم المفسدين أنهم حبائل الشيطان ، وأننا لا نجهل السر فى حرصهم على إذاعة ما يدّعون من مبادئ وآراء ؛ فهم جماعات من العاجزين عن طلب الرزق من وجهه الصحيح ، ومن كانوا كذلك فن واجبهم نحو بطونهم أن يلبسوا ملابس الدعاة إلى الحق ، والحق منهم بَرَاء !

كل دعوة إلى الفُرقة لها سبب تعرفه أعداء المفسدين ، والرجل الصادق فى الدين والوطنية لا يرضيه أبداً أن يثور بين قومه خلاف يصل إلى تمزيق الأواصر والصلات

ولن نستطيع رفع القواعد من بناء الوحدة العربية إلا إن ضمنّا السلامة من مكايد الذين يؤذيهم أن تزول أسباب الخلاف ، ومن الخلاف تمتلئ بطونهم الخاوية ، قاتَلَهم الله أنى يؤفكون !

***

وهنالك عقبة رابعة هى غفلة الصحافة عن رعاية الوحدة العربية ، وفى شرح هذه النقطة أضرب بعض الأمثال :

كاتب مصرى يقول : إن مصر أفضل الأمم العربية

وكاتب سورى يقول : إن المصريين ليسوا بعرب وإنما هم فراعين

وكاتب عراقى يقول : ليس للعروبة وطن غير العراق

فأمثال هؤلاء الكتّاب يجب صلم آذانهم بدون ترفق ، لأنهم دعاة الفُرقة والشتات

وأنا أقبل أن يجرّح المصرىُّ مصر ، ولو بسوء نية ، ولكنى أرفض أن يجرّحها أحد إخوانى فى الشام أو العراق ، ولو بحسن نية ، وكذلك الحال هنالك ، فالسوريون والعراقيون يقول كلٌّ منهم فى بلده ما يشاء ، ولكنه يغضب ويثور حين يُغمز بلده فى جريدة مصرية ، ولو كان الكاتب أصدق أنصار الوحدة العربية

وفى هذا المقام أذكر أنى عاديت رجالاً من أهل لبنان لأنهم قالوا فى مصر كلاماً لا يقاس إلى بعض ما أقوله فيها من حين إلى حين

وقد اطلعت وأنا طالب فى السوربون على جريدة لبنانية تشكك العرب فى مركز مصر الأدبى ، فحفظت تلك الجريدة ، ونقلتها مع أمتعتى من باريس إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى بغداد ، وقد مزقت ما مزقت من الجرائد والمجلات لأخفف العبء عن مكتبتى بعض التخفيف ، ثم ظلت تلك الجريدة فى أمان من التمزيق ، لأرد عليها بعنف حين تسمح الظروف

يقع منى هذا الحمق ، مع أنى أدّعى لنفسى حرية العقل ، فكيف يكون الحال عند إخوانى فى سائر الأقطار العربية إذا تعرضت بلادهم لكلمة سوء تصل من خارج الحدود الجغرافية ؟

من المؤكد أنى لم أتفرد بهذه النزوة العقلية ، فالعراقى يقبل أن يُشتم بلاده فى جريدة عراقية ، ولكنه يرفض أن يُغمز فى جريدة سورية أو مصرية . واللبنانى يجرّح وطنه من وقت إلى وقت ، ولكنه يثور على ذلك التجريح إذا صدر عن جريدة مصرية أو فلسطينية أو عراقية

هذه نقطة حساسة جداً فلنراعها أتم المراعاة فى جميع الظروف ، ولنفهم أن إخواننا فى غير مصر لهم قلوب يؤذيها التحامل ولو بالرمز والإيماء

***

أما العقبة الخامسة فهى انصراف أبناء العرب بعضهم عن بعض ، فى الظروف التى توجب التعاضد والتساند والمواساة ، ولو بالكلام ، وهو لا يكلفنا كثيراً ولا قليلاً من العناء

إن كلمة وجيزة تُكتب فى جريدة مصرية طبًّا لجرحٍ تعانيه إحدى البلاد العربية يقع موقع البلسم الشافى لذلك الجرح ، فما بخلُنا بمثل تلك الكلمة ، وهى أهون ما فى الدنيا من تكاليف ؟

وقد تلطفت المجلات السورية واللبنانية والعراقية فأخرجت أعداداً خاصة فى التنويه بالثقافة المصرية ، فماذا صنعت مجلات مصر فى رد ذلك الجميل ؟ بل ماذا صنعت هذه المجلات فى التنويه بمؤتمر الخريجين فى السودان ، والسودان أخو مصر الشقيق ؟

يجب أن ترفع غشاوة الغفلة عن بعض العيون ، ليصح لمصر أن تقول إنها الدعامة الأساسية للوحدة العربية ، وهى كذلك لو أرادت ، فهل تريد هذه الأخت الظلوم ؟

٢ - كليـــلة ودمنة

للدكتور عبد الوهاب عزام

كتب الأستاذ عبد السلام هارون مقالات أربعا فى كتاب « كليلة ودمنة » كما نشرتُه . وقد عجلت جواب المقالة الأولى فى العدد ٤٢٦ من (الرسالة) ، ثم بدا لى أن أنتظر فراغ الأستاذ من بحثه . فلما فرغ شغلتنى شواغل عن البدار إلى الإجابة ، فأرجو أن يقبل الأستاذ الناقد والقراء عذرى فى تأخير الإجابة التى انتظروها

وإجمال الكلام فى المقالات الثلاث أن كلام الأستاذ فيها ضروب، منها ما هو تفسير لكلمة غامضة ،أو توجيه للفظ يبدو فى السياق غريباً ؛ ومنها ما هو إجازة لوجه آخر غير الوجه الذى جرى عليه الكلام فى الكتاب . وهذا الأضرب من التفسير والتوضيح والتجويز يشكر عليها الأستاذ وأوافقه عليها . ومنها بحث فى أساليب ابن المقفع ، وهو موضوعٌ يحتاج إلى مقدمات فى كتاب « كليلة ودمنة » لم تستوف كلها ، وللأستاذ رأيه فيه واجتهاده

وأما الضرب الذى يقتضينى الجواب ، فهو ما أخذه الناقد على كلمات أو جمل جاءت فى الكتاب وعدها غلطاً ، أو ظن غيرها أقرب منها إلى الصواب . وأنا أعرضُ على القراء آرائى فى مآخذ الأستاذ على النسق الذى أجرى عليه الكلام :

٨ — ٢٦١ : ٤ : (إن الملوك وغيرهم جُدُر أن يأتوا الخير إلى أهله) . أخذ الأستاذ على هذه الجملة أن جُدُر جمع جِدار لا جمع جدير قال : « وجمع فعيل صفة على فُعُل نادر سمع منه نذير ونذر وجديد وجدد وسديس وسدُس

والجواب أنه يجوز أن يكون الكاتب قد أجرى جدير مجرى نذير وغيره ، والأولى مع هذا أن يتبع الكثير المعروف فيجمع جدير على جدراء

والمأخذ الثانى فى هذه الجملة أن الأستاذ ظن أن يأتوا فى الجملة بمعنى يعطون فقال : « الصواب يؤتون من آتى » . وليس هذا من الصواب فى شىء ، والمراد فى الجملة إتيان الخير بمعنى فعله . ولو غُيِّرت الجملة برأى الأستاذ إلى (يؤتوا الخير إلى أهله) ، لكان فيها مأخذان : الأول تعدية آتى بعلى وهى متعدية بنفسها كما فى القرآن : وآتوا اليتامى أموالهم ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ـ والثانى : أن يعدل بالجملة من أتى الخير بمعنى فعله ، وهو استعمال شائع ، إلى آتى الخير بمعنى أعطاه وهو استعمال غير معروف فى الكلام الفصيح . فعبارة الكتاب صحيحة واضحة لا يكون تغييرها إلا إفساداً لها

الضبط النحوى

عدَّد الأستاذ تحت هذا العنوان مآخذ :

١ — ص ١٨ س ١١ (فيعلم سر نفسه وما يضمر عليه قلبَه) : قال وأضمر يضمر بمعنى أخفى يخفى فما يكون المعنى فى أن يخفى قلبَه عليه ؟ الصواب قلبُه بالرفع لأن القلب هو الذى يضمر الأسرار والنوايا : « والجواب أن من اليسير أن يضمن الكاتب « يضمر » معنى يطوى أو يطبق أو نحوه . وتحويل قلبه من المفعولية إلى الفاعلية يجعل معنى الجملة « يخفى

مصر تعمل ولا تتكلم، فهى بالفعل سناد الوحدة العربية، وهى بالفعل حصن العرب الحصين ، فكيف تبخل بكلمة تعلن بها أن أرض مصر ملاءٌ ورثه العرب عن الفراعين ؟

يستطيع أى بلد أن يكفر بالعروبة حين يشاء إلا مصر ؛ فما يجوز لها أن تتخلى عن مجد بنته بأيديها فى عصور الظلمات ، حين كانت العروبة من خيالات الأوهام والظنون بعد سقوط بغداد بأيدى المغول

أما بعد فهذه كلمتى إلى مؤتمر الخريجين فى السودان ، وهى كلمة تلخص آرائى فى العقبات التى تعترض طريق الوحدة العربية ، وقد أوردتها صريحة منزهة عن الرمز والتلميح ، لأنها ستلاقى على فتيان صراح هم شبان السودان ، أعزنى الله بودهم الوثيق

وهل تستطيع هذه الكلمة أن تغفر ذنوبى فى التقصير نحو ذلك القطر الشقيق ؟

ذلك جهد المقل ، وجهد المقل غير قليل ، وسأزور ناديكم بعد أسابيع ، فما يرضى الله أن أعيش بعيداً عن مصادر الوحى فى أعالى النيل

زكى مبارك

عليه قلبُه » فهل يرى الأُستاذ أن هذه العبارة أسد من الأُولى ؟

٢ — ١٤:٤١ (وشبهت الجرذين بالليل والنهار ، وقرضُهما دأْبهما فى إنفاد الآجال) قال : يصح أن تقرأ وقرضَهما دأْبَهما باستمرار التشبيه الخ . والجواب أنى رجحت الرفع لأن فى النصب إخلالاً بنسق الجملة ، بتعدية الفعل (شبهت) بالباء فى المفعولين الأولين «الجرذين بالليل والنهار» وتعديته بغير حرف فى المفعولين الآخرين (وقرضهما دأْبهما) فالاستئناف برفع قرضُهما أرجح

١٢٢ : ٤ (فأعادت ذلك عليه مراراً كلٌّ ذلك لا يلتفت إلى قولها) وقال الأُستاذ : ولا وجه للرفع هنا ؛ والوجه كلَّ ذلك على الظرفية الزمانية ولا يصح أن يكون كل مبتدأ . وذلك لأن الضمير العائد عليها محذوف تقديره (فيه) ، والبصريون يمنعون حذف الضمير العائد على لفظ كل إذا كان مبتدأ . ولذلك حكموا بشذوذ قراءة ابن عامر (وكلٌّ وعد الله الحسنى)

وليست الظرفية هنا حتما ، بل يجوز أن يكون المعنى : كل ذلك القول لا يلتفت إليه ، فالإشارة للقول لا للزمان . وقد وضع الكاتب الإسم الظاهر موضع الضمير فقال : (إلى قولها) بدل (إليه) والجملة على الوجهين ليست من الأساليب العربية المختارة

ص ١٧٩ : ٢ (ولم أذكر ما ذكرت ألا أكون أعرف منك الكرم والسعة فى الخلق) قال : الوجه إلا لكونى أعرف منك . وأقول ليس هذا وجهاً . فإن المعنى : لم أذكر ما ذكرت جهلاً بكرمك . فهو اعتذار عن الكلام السابق الذى يشعر بأن الضيف يشك فى كرم القرد . ويؤيد هذا أن بعد هذه الجملة : (ولكن أحببت أن تزورنى فى منزلى) وهو استدراك حسن فى الجملة التى أثبتناها فى الكتاب، وهو إثبات بعد نفى : لم أجهل كرمك ولكنى أحببت ، ولا يحسن هذا الاستدراك إذا أجرينا الكلام على الوجه الذى رآه الأستاذ فجعلناه : (ولم أذكر ما ذكرت إلا لكونى أعرف منك الكرم ولكن أحببت الخ) والتأمل فى سياق الكلام يبين أن لا وجه إلا ما جاء فى متن الكتاب

١٩٩ : ٣ (لم تدر أيُّهما تأخذ) قال : والصواب أيَّهما بالنصب . وصدق ، فالنصب أقر وأرجح وإن يكن للرفع وجه فما قصدته

فى تحقيق النص

أورد الأُستاذ تحت هذا العنوان مآخذ :

ص ٢٦ س ١٠ : (مثل الحراث الذى يثير الأرض ويعمرها ابتغاء الزرع لا العشب) . قال : (فما وجه العمارة فى طلب الزرع ؟ الصواب يغمرها أى بالماء) . وأقول : (إن الزرع ضرب من عمارة الأرض لا ريب) . وما أحسب الكاتب إلا حاكي الآية القرآنية : (وأثاروا الأرض وعمروها) . ولا يعبّر عن سقى الأرض بغمرها ؛ فكلمة يغمرها بعيدة من سياق الكلام هنا

ص ٣٨ س ٣ : فى الحديث عن الجنين : (منوط قمع سرّته إلى مرىء بأمعائها) . قال الناقد : وهو كلام متهالك مضطرب ؛ فما العلاقة بين سرة الجنين وأمعاء الأم ؟ إلى أن قال : (أما كلمة مرىء فعجيبة أيضاً) . وانتهى إلى أن صواب الجملة : (منوط يجيءّ من سرته إلى مراقّ رحمها)

إن كان الأُستاذ يريد أن يتسلّط الكاتب الذى كتب باب برزويه فليجادله فى التشريح كما يشاء ؛ وإن كان يريد أن فى الكتاب تحريفاً لم نهتد إلى صوابه فلست أرى رأيه . عبارة الكتاب : (منوط قمع سرّته إلى مرىء بأمعائها يمص به من طعامها وشرابها وبذلك يعيش ويحيا) وظاهر أن الكاتب يرى أن الجنين يصل بين سرته وأمعاء أمه مرىء أى مجرى للطعام كالمرىء الذى بين حلق الإنسان ومعدته ؛ وأنه يتغذى من طعامها بهذه الصلة . فالكلام بيّن معرب عن مراد الكاتب صواباً أم خطأ . وفى نسخة شيخو (منوط من سرته إلى سرة أمه وسلك السرة يمص من طعامها وشرابها) وفى نسخة طبارة (منوط يمى من سرته إلى سرة أمه ومن ذلك المى يمص ويقتبس الطعام) فالفرق بين نسختنا وهاتين النسختين أن سرة الجنين تفضى بهذا المى أو المرىء إلى سرة الأم أو أمعائها . وعبارة الطعام والشراب تدل على أن الاتصال بواسطة سرة الأم أو بغير واسطتها ينتهى إلى الأمعاء ، وهذا الذى تدل عليه عبارة نسختنا . وأما فرض الأُستاذ أن أصل العبارة (منوط يمى من سرته

إلى مراق رحمها) فندع الكلام في صحته للأطباء . ومهما يكن رأي الأطباء فيه فلن يجيز الأدباء الأمناء على نشر الكتب أن يحولوا نص الكتاب إلى العبارة التي يقترحها الأستاذ مع بعدها عما في النسخ كلها . ولو أبحت لنفسي التصرف في متن الكتاب لما تركت به عبارة تقبل اعتراض النقاد

٦١٤ (وأصبح الرضا مجهوداً مفقوداً) يرى الأستاذ أن كلمة مجهود محرفة من مجهول ويستشهد النسخ الأخرى، وله الحق؛ فكلمة مجهول أقرب إلى ظن القارئ من كلمة مجهود؛ ولكني لم أستحسن تغيير الكلمة لسببين: الأول أن مجهوداً تفيد معنى في الجملة غير الذي تفيده كلمة مفقوداً، وأن كلمتي مجهول ومفقود تؤولان إلى معنى واحد. والثاني أن الكاتب في هذا الفصل وصف الأمور المعنوية بأوصاف تجعل القارئ لا يستغرب أن يوصف الرضا بأنه مجهود كما قال: وكأن القدر أصبح مستيقظاً والوفاء نائماً، وكأن الكذب أصبح غضاً والصدق ذاحلاً ، وكأن الحق ولى عاثراً والإنصاف بائساً الخ

٧٠٤٤ (كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا مثل الغبار) قال صوابه إلا مثل غبار الميل. وأقول لا يكون هذا صواباً لأن الذي يؤخذ من الكحل ليس غباراً ولكنه يشبه الغبار. وإذا قلنا مثل غبار الميل فقد جعلنا ما على الميل غباراً، والغرض أن يشبه بالغبار، ثم جعلنا ما يؤخذ من الكحل مثل غبار الميل وهو غبار الميل نفسه فكلمة مثل لغو. والظاهر أن النسخ الأخرى زادت كلمة الميل توضيحاً للعبارة لأن الكحل يؤخذ من المكحلة بالميل . ونسخة شيخو توافق نسختنا . وفي النسخ الأخرى إلا غبار الميل . فالعبارة (مثل غبار الميل) لا توافق العقل ولا النقل

٧٥ ، ١٢ (مثل المكاري كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه) قال الأستاذ هي في الأصل ونسخة شيخو ونسخة بولاق : (مثل البنى كلما ... الخ) ثم أخذ على الناشر تغيير الأصل واشتد في هذه المؤاخذة .

وأنا قد بينت الأصل في التعليق ويكون القارئ على بينة مما فعلت ، وأما حكمة التغيير التي سأل عنها الأستاذ فيدركها من تأمل فعرف المشبه في هذه الجملة وتبين أنه لا يليق أن يجمع بين طرفي التشبيه هذين في كتاب كهذا الكتاب ينشر في مثل هذه الأحوال .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام



من أخـــلاقنا !

للأستاذ على الطنطاوى

أعرف رجلاً أنعم الله عليه بسعة المال ، وفطره على صدق الود وبسط اليد ، فأباح إخوانه ماله ، يغترفون منه اغترافاً ، ويأخذون منه علاً ونهلاً ، قرضاً حسناً لا يطالبون برده ، وهدية لا يسألون المقابلة بمثلها ، وهبة لا يُرتقب منهم عوض عنها ، ولا يسمعون كلمة منّ أو تذكير بها . وفَتَح لهؤلاء (الإخوان) — وما كان أكثرهم — داره ، وأفرد لهم جناحاً فيها لا يدخله أحد من حرمه وأهله ، وأقام عليهم خادماً وطاهياً ، وانقطع فيه لاستقبالهم قادمين بالبشاشة والترحيب ، وإينامهم مقيمين وخدمتهم ، وتوديعهم راجلين مشيعاً إياهم بالكرامة ، شاكرهم على (تفضلهم) بالزيارة ، سائلهم (التكرم) بالعودة ...

ولبث هذا الرجل على ذلك حتى أضاع ماله كله ، فباع الدار وأثاثها ، وغدا فقيراً يحتاج إلى (الورقة السورية) ، فلا يجد فى كل أولئك (الإخوان) من يدفعها إليه ، لا وفاء دين ، ولا مقابل هدية ، ولا عوضاً من هبة ، ولا قرضاً حسناً إلى أيام السعة ، اللهم إلا ربا ، ولا يرضى المرابون أن يقرضوا مفلساً ...

***

ولعلّ الرجل أخطأ حين عمد إلى هذا (الكرم الجاهلى) فأخذ به ، وترك التأدب بأدب القرآن الذى يقول : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً) ؛ والذى جعل المبذرين إخوان الشياطين . ولعله لاقى جزاءه ... فما سقت القصة للحكم عليه ، وإنما قصصتها لأنها ذكرتنى بطائفة « من أخلاقنا » ، هى كالداء فى جسم الأمة ، لا يجمل بالكتّاب وحملة الأقلام السكوت عنها والرضا بها ، وهم أطباؤها وأساتها ، وعندهم دواؤها

ذكرتنى بما نكاد نراه كل يوم من الحوادث وما يكاد يعرف له كل قارئ شبيهاً ومثيلاً ، حين يأتيك الرجل من أصدقائك أو جيرانك متذللاً متواضعاً ، مظهراً للتقى والأمانة ، يسألك أن تقرضه مالاً قد تكون أنت فى حاجة إليه فى يومك أو غدك ويذكرك الكرم والثواب ؛ وربما استعان عليك بمن لا يرد طلبه عندك فتعطيه ما يريد ، تضعه فى كفه خالياً به ، تستحى أن تشهد عليه شاهداً ، أو تأخذ به كتاباً ، مع أن الله أمر بكتابة الدين إلى الأجل المسمى أمر ندب واستحباب ، لا أمر إيجاب وافتراض ، فيأخذه منك ويذهب شاكراً فضلك ، مثنياً عليك ثناء يخجلك ويضايقك ؛ ثم لا تراه بعد ذلك ولا تبصر له وجهاً فتفتش عنه لتسأله رد المال وقد انقضت مدة الدين ، وتجددت حاجتك إليه ، فيروغ منك ، وينأى عنك ... فتطرق بابه ، فيقال لك هو غائب عن الدار ، فتعود إليه فى الصباح فيقال هو نائم ، فترجع بعد ساعة فيقال خرج ... فتبتغى إليه الوسائل وتتشفع إليه بالأصدقاء . . . فيلقاك شامخ الأنف مصعّراً خده ، يقول : (يا أخى ، أزعجتنا بهذا الدين ... ما هذا الإلحاح الغريب ؟ أتخاف أن آكله ... !) وينتهرك وأنت تداريه ... ثم إن كان (رجلاً طيباً) دفع إليك الدين ، ولكن قرشاً بعد قرش ، و (ورقة) بعد (ورقة) ، فتريق فى استيفاء دينك ماء وجهك ، وتنفق فيه الثمين من وقتك ، ثم لا تنتفع منه بشىء . وإن لم يكن (صاحب ذمة) أكل الدين كله ، وصرخ فيك حينما لقيك : (مالك عندى شىء . اشتك للمحاكم !) ، وهو يعلم أنه لا سند فى يدك ، ولا بينة لك عليه . . . وهبك أخذت منه كتاباً بدينك ، أفتصبر على طول المحاكمة ومتابعتها وتأجيلها وتسويفها ، و (رسومها ومصارفها) ... إن ضياع المال أهون من إقامة الدعوى به[١]

ومثل هؤلاء المقترضين (الأفاضل) مستعيرو الكتب ، أولئك الذين تركوا فى قلبى غصصاً حلفت بعدها بموثقات الأيمان أنى لا أعير أحداً كتاباً . ولم أنج مع ذلك منهم ، ولم يردّ لى

(١) ولو سألتنى دليلا لنبأتك أن لأسرتنا قضية فى محاكم دمشق مر عليها إلى اليوم ثلاث وثمانون سنة (فقط) ، وانقضى عليها بطنان منا ومن خصومنا ، وربما متنا نحن أبناء البطن الثالث ولم تنته المحاكمة !

إلى الآن كتاب (كشف الظنون) الذى نسيت من استعاره منى منذ إحدى عشرة سنة ...

ولهؤلاء المستعيرين نوادر شهدت منها العجب ، منها أن أستاذاً محترماً فى قومه جاءنى مرة يلتمس إعارته جزءاً من تفسير الخازن من خزانة كتبى ، ليراجع فيه مسألة ويرده إلىّ عاجلاً ، ففعلت ؛ وانتظرت أربع ... أربع سنوات — والله — ثم ذكرته به ؛ فغضب وقال : « لايش العجلة يا أستاذ ، لم أراجع المسألة بعد ... » !

والذى يذكر منهم صاحب الكتاب ويتنازل فيرده إليه ، يرده مخلوع الجلد ، ممزق الأوصال . وأنكى منه المستعير المحقق المدقق الذى يرى فى الكتاب موطناً يحتاج إلى تعليق ، فيكتب التعليقة التى يفتح الله بها عليه على هامش كتابك بالحبر الصينى الذى لا يمحى ولا يكشط ، ويذيّلها باسمه الكريم ! !

وشر من هؤلاء جميعاً الثقيل الذى يتظرف ويتخفف ، فيرى أن من الظرف سرقة الكتب ، فإذا زارك وتركته فى المكتبة وخرجت لتأتيه بالقهوة أو الشاى أخذ كتاباً فدسّه تحت إبطه ، أو وضعه فى جيبه ثم ذهب به وأنت لا تدرى ...

***

وربما كان هذا المدين الماطل ، وذلك الذى يأكل الدين وينكره ، والذى يستعير الكتاب ويمسكه ، ربما كانوا عند العامة من أقطاب الوقت وأولياء الله الكبار ؛ ذلك لأن الناس جهلوا حقيقة التقى وبدلوا معناه ، فكان التقى فى صدر الإسلام هو الذى يتقى المحارم والمظالم ما ظهر منها وما بطن ، ولا يدخل جوفه ولا جيبه إلا طيباً حلالاً ، ويفر من مواطن الشبهات ، ولا يطلب المال إلا لإمساك الرمق ونيل القوام . والعيش عيش القناعة والرضا ، ولا يأخذه إلا من حلّه . ولم يكن الرجل ليشهد للرجل بالتقوى إلا إن صحبه فى سفره ، أو عامله فى مال ؛ فصار التقى اليوم من يكبّر عمته ، ويطيل لحيته ، ويوسع كمه ، ولا تفارق يده سبحته ، ولا يقف لسانه عن ذكر ؛ ومن يتوقر ويطيل المكث فى المساجد . وهذا كله حسن لا اعتراض عليه ، غير أن حسنه ينقلب قبحاً أبشع القبح إذا اتخذه صاحبه أحبولة يصطاد بها الدنيا ، كذلك الذى كان وصياً على أيتام ضعاف لا يملكون حيلة ، اغتر أبوهم بلحيته وسبحته فوصى بهم إليه ، فجرعهم كؤوس الذلة والجوع ، ونشأهم فى الأزقة نشأة اللصوص ، وأكل أموالهم وهو يقرأ كل يوم بصوته الجليل : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) ، وهو مع ذلك لا ينقطع عن الأذكار وحلقاتها ، ويجهر بالبكاء إذا سمع الموعظة ... وينكر أشد الإنكار على من يهمل السنن فيشرب بشماله أو يحلق لحيته ، والناس يتبركون بلثم يده .

فكيف السبيل إلى إفهام هؤلاء الناس ما هى حقيقة التقى كيلا يعظموا اللص ويجعلوه ولياً مباركاً ، ولا يغتروا بالصلاح المجانى الذى لا يكلف صاحبه مالاً بل يجمع به المال ، ويعلموا أن الله الذى وضع فى نفوس الشباب شهوة الجسد وضع فى نفوس (هؤلاء) المشايخ (لست أعنى المشايخ كلهم) شهوة المال ، وإنه لا فضل لأحدهما على صاحبه ؛ وأن الشيخ التقى هو الذى لا يقيم للمال وزناً ، ولا عبرة بغضه البصر عن النساء واتباعه سبيل العفاف ؛ وأن الشاب الصالح هو الذى لا تغلبه على نفسه تلك الشهوة ولا عبرة ببذله المال ...

***

لقد انحدرت أخلاقنا حتى صار الشاب منا حين يخوض خضم الحياة ، ويرى الاختلاف بين ما علموه من الأخلاق فى المدرسة ، وما تواضع عليه الناس فى الحياة ، يقف حائراً مدهوشاً لا يدرى ما يأخذ وما يدع ؛ فلا هو يرتضى لنفسه التفريط فى أخلاقه : صدقه وأمانته وعزة نفسه ، ولا هو يرتضى الحرمان من المتع واللذائذ والمناصب العالية والمرتبات الكبيرة يناله جزاء تمسكه بما علّموه من الأخلاق . حدثنى صديق لى أنه انتسب فى شبابه إلى الشرطة ، فجعلوه رئيس مصلحة السير فى بلدة من بلاد الشام ، وكان ذلك منذ خمس وعشرين سنة أو أوفى من ذلك ، وكان مقره فى (مخفر) فى ظاهر البلد ، فمر عليه رتل من السيارات فيه حجاج آيبون ، وكان نظام تلك الأيام أن سيارة لا تجتاز على مخفره إلا بوثيقة وإذن ، لا أدرى ما صفتهما فقد نسيت دقائق حديثه ، ولم يكن معهم ذلك (الإذن) فوقفهم ومنعهم من المرور إلا به . (قال) فغاب السائق هنيهة ثم عاد

وفى يده صرة وضعها على مكتبى فيها أربعون ريالاً مجيدياً ، وقال هؤلاء حجاج آيبون يريدون التعجيل بالوصول ... وهذه الصرة ثمن (فنجان قهوة) رجاء السماح لهم الخ ... فلما سمعت ذلك قف شعرى وصحت به : أتريد أن ترشونى يا كذا وكذا ، وأمرت به فوقف ، واستلمت الهاتف (التلفون) أهتف بمدير الشرطة أرفع إليه الأمر وأنا أرى أنه سينزل به أشد الجزاء ، فإذا به يأمر بإطلاقه ، ويأذن للسيارات بأن تسافر على خلاف النظام ، وأن يبعث إليه بالمال ليجرى التحقيق . (قال صديق) وذهب المال ولم يعد ، وتركت العمل . ولو أنى بقيت لطرحت عن عاتق ثقل الأخلاق التى تجعلنى غريباً بين زملائى ،وتحرمنى الغنى ، وتكسبنى غضب الرؤساء فلا يصيبنى ترفيع ، ولا يصل إلى خير . وليست هذه القصة فريدة فى بابها ، ولا هى نادرة من النوادر ، بل هى قصة كل يوم ، وهى الداء الذى يزداد ويسيطر والأساة عنه غافلون . وأين أساته وأهل السياسة مشغولون بالقتال على كراسى الحكم ، هى الدنيا لهم وهى الأخرى ، وأهل الأدب بين نائم يستمتع بشهى الأحلام ، ومستيقظ قد ألهاه هواه ، فهو يملأ الدنيا بكاء ونحيباً لأن صاحبته أسهرته يعد النجوم ولم تأته .. أو أنها قد وعدته بقبلة ثم وجدت أجمل منه أو أفسق فأعطته إياها . وأهل العلم يعيش أكثرهم على هامش الحياة لا هم له إلا مرتبه يقبضه من (دائرة الأوقاف) فى مطلع كل شهر ، ثم لا تراه ولا يراه أحد إلى الشهر الذى بعده ، أو (حاشية) يقرؤها ويعيدها على من حضر مجلسه ، قراءة تبرك لا قراءة تحقيق ، فلا يرجح ولا ينتقد ولا يقابل قانوناً على قاعدة فقهية ، ولا ينظر فى مشكلة من مشاكل العصر ليرى حكمها . ومن اشتغل منهم بالمسائل العامة أخذ نفسه بالاهتمام بأمر لا يقدم فى الدين ولا يؤخر ، ولا يتوقف عليه إيمان ولا كفر . والشباب الناشئون لجهلهم حقائق الإسلام ، وبعد ما بينهم وبين المشايخ ، وقصر أيديهم وأفهامهم عن نيل الكتب (ذات الشروح والحواشى) قد زهدوا فى كل ما هو شرقى واستهانوا به ، وعظموا ما يقابله من كل حماقة دعيت مذهباً اجتماعياً ، وكل سفسطة سميت فلسفة ، وكل كفر بالدين والعرض دعى أدباً ، وأعانهم على ذلك أن أكثر المدرسين من الدين لم يقدر لهم فهم علوم الإسلام والغوص على كنوز كتبه . ولست أطلق القول وأجنح إلى التعميم ، فإن فى كل فئة من هؤلاء الطيبين المصلحين ، ولكن المكثرة على نحو ما ذكرت . فمن أين يرجى إصلاح أخلاقنا وأوضاعنا ؟

ومن أين يرجى لأخلاقنا صلاح ، ولم نتفق بعد على (الأخلاق) التى ينبغى أن نتخلق بها ، فمنا من يرى المثل الأعلى فى أخلاق الجاهلية : كرم إلى حد التبذير ، وشجاعة إلى حد التهور ، كصاحبنا الذى استهلت بحديثه هذا المقال ، وعامة طائفة (الزكرت) فى الشام ، (وهى أشبه بالفتوة فى مصر) وأكثر البدو . ومنا من يميل إلى التخلق بأخلاق أجدادنا فى القرن الماضى على ما كانت عليه بلا زيادة عليها ولا نقصان منها ، ومن يخالفهم مخالفة الضد للضد فيرى أن نقتبس الأخلاق الغربية برمتها . وينشعب بهؤلاء الرأى فيميل كل إلى الأمة التى تعلم فى مدارسها أو رحل إلى أرضها ؛ ومن يرى اقتباس الجيد النافع من كل أمة من غير أن يحدد أو يبين . ولا دواء لهذه الفوضى فى رأيى ، ولا صلاح لأخلاقنا ، إلا بالرجوع إلى الإسلام الصحيح الذى جاء به سيدنا وسيد العالم محمد صلى الله عليه وسلم ، لا الإسلام الذى يفهمه الحشويون والمتاجرون بالدين ، ولا الذى تفهمه العامة . فإذا فعلنا فثمة كل خير ، ولا يكون ذلك إلا إذا شمر العلماء وحققوا المسائل ، ودرسوا المشكلات ، وألقوا عن المصنفين الأولين رداء التقديس ، واستمدوا الأحكام من مواردها ثم ترجموا هذه الكتب القديمة إلى لغة العصر ، فأين من ينتدب نفسه لذلك ؟

على الطنطاوى

الصحافة والدولة

للأستاذ زين العابدين جمعة

المحامى

« هنرى ويكهام استيد الذى نترجم له هذا الفصل من كتابه (الصحافة) صحافى ثبت وكاتب علم . درس دراسة واسعة وخبر الصحافة خبرة طويلة ناجحة ؛ إلى أن كان مراسلا لصحيفة التيمس فى برلين وروما وفينا ، وأن انتهى إلى رياسة تحرير هذه الصحيفة . والرجل مفكر عبقرى لا يتهيب أن يرتجل رأيه ويصارح الناس به . وقد تناول الصحافة الحاضرة فى كتابه من مختلف نواحيها ؛ وكان من سياق تحقيقه العلمى والعملى أن أفاض فيما للصحافة من أثر حاسم فيما ينعم به الناس من حرية القول وحرية الرأى وحرية العمل ، وما صار يتهددها على يد الحكام المستبدين . »

زين العابدين

عقب أن تولى هتلر زمام الحكم فى ألمانيا بأشهر قلائل سألنى النصح صحافى ألمانى فيما يكابده من أمر ضرورة ملحة . ولقد عرفته رجلا طيب الخلق نقى الصفحة ؛ قضى السنين الطوال وهو يخدم إحدى الصحف اليومية الألمانية المهيبة الجانب لما امتازت به من نباهة الشأن واستقلال الرأى . وكان آنئذ قد تلقى بلاغاً ينبئه أن مركزه ، وبالتالى أرزاقه ، قد صار معلقاً بما يظهر من استمداده لإبرام ذلك الميثاق الذى « ينظمه » فى سلك الاشتراكية الوطنية أو جماعة النازى التى لا يرى رأيها ولا يذهب مذهبها

لقد شق عليه الأمر ومرت برأسه خواطر متشعبة : أيبرم الميثاق فيضيع على نفسه ما تنعم به من كرامة الذات واستقلال الرأى ، أو يأبى عليهم التوقيع فلا يبقى له شىء يعيش عليه إلا ما يعتز به من احترام النفس واحترام النفس وحده . ثم أخذ يسألنى عما يجمل به أن يختاره من مصير

والحق أنه لم يشق على النصح مثلما شق على من أمره . فهل كان يسعنى أن أقول له : « لا توقع ، وسأرى أنه ما من ضير يصيبك أو ينتظرك فى هذا السبيل ؟ » . نعم لقد كان مثل هذا القول سهلاً ميسوراً ؛ ولكن يالها عندى من شجاعة رخيصة أن أقول لرجل كن مقداماً جريئاً فأحمله على أن يجازف بمقومات حياته وأسباب عيشه من غير أن أهيئ لغيرها السبيل !! والحق أنى كابدت من أمر « قضيته الوجدانية » نصيباً لا يقل عما يكابده فيها من نصيب

ولعله كان بسبب ما يعوزنى من شجاعة أدبية أن حاولت إعفاء نفسى من نصحه . وبدلاً من أن أتقدم برأى سألت سائلى أن يخبرنى عن حقيقة مشاعره ، ثم ناقشت معه جميع الفروض والاحتمالات المرتبطة بالقبول أو المترتبة على الرفض . وإذ علمت من أمره أنه قد عقد النية على ألا يبرم الميثاق وأجمع رأيه على أن يحمل لهم حياته فى كفه تاركا للمقادير أن تفعل به ما تشاء ، فقد رأيت أن ألبس فى تفنيد حججه ثوب الدفاع . وعرضت له القضية من ناحية أخرى هى ما يصيب الشعب الألمانى من ضرر إذا ما اجتثت من تربة الصحافة الحرة جميع الدوحات المباركة ، وحرمت الصحافة الألمانية من رجالها الأمناء النابهين . فاستحال عليهم فى المستقبل القريب أو البعيد ترقب النهزة واغتنام الفرصة لمعاودة الجهاد وإصلاح المعوج وتقويم السبيل . والحق أنى ما حاولت أن أحمله على العبث بوجداناته إلا لأرفه عن نفسه عبء ما يشق عليها من مسئولية أدبية لما يتهدده وينتظره إذا لم يلب الدعوة ويبرم الميثاق . وكان أكبر همى أن أنقذه من نفسه فلا أدعه فى ثورته النبيلة وغضبته العادلة يقرر لنفسه مصيراً عساه يلومها عليه فيما بعد

لقد عقد النية على التضحية بمادته والاحتفاظ بمثله ؛ وكانت له الخيرة بين القبول المغنى والرفض المفقر . فآثر الرفض على القبول ، وتأبى عليهم فى عزة وأنفة إبرام العهد ، وكان قدراً مقدوراً أن فقد مركزه وضاعت أرزاقه . ومنذ ذلك الحين أخذ يضرب فى الأرض هائماً على وجهه لا يلوي على شىء إلا ما عساه أن يظفر منه برزق جديد ، فلا يصيب من ملتمسه إلا ما يتبلغ به

ولقد قدر لى لعهد غير بعيد أن أجتمع به ثانية فى قطر أجنبى حيث كان يبحث عن مرتزق ثابت وعيش مأمون . ويا له من شأن لا أقضى من نبله العجب أن أراه وما تبدر لى منه بادرة آنس منها أنه ارتاب يوماً فى عدالة منهجه أو أنه أصبح فى شك من صواب رأيه فاتهم نفسه فى صدق اختياره

يالها من أمنية طيبة أن أراه فى مستقبل العمر وقد اعتذر له الدهر عن خطيئته ووافاه الزمن بجزائه العادل ؟

إن منهج هذا الصحفى الحر ومنهج غيره من الصحفيين الذين لا يقلون عنه تضحية ولا إقداماً لما يجمل سلوك هؤلاء الصحفيين ، من غير جماعة النازى ، الذين استكانوا وأبرموا الميثاق على كره منهم ومنهجاً مهيناً قدراً . ألم يصبحوا مجرد أداة لا وزن لها ولا تقدير لجهوداتها ؟ ألم يمسوا مجرد أبواق للدعاية التى هى من صميم كيان الحكومة النازية الاستبدادية ؟ ألم يقتصر أمرهم فى التحرير على أن يستخدموا ما توفر لهم من كتابة وما تهيأ لهم من مواهب فى تنظيم ما يتلقونه من الدكتور « جيبلز » أو « قلم المخابرات السرية » من موضوعات يؤمرون بكتابتها ويجبرون على إذاعتها ؟ ألم يهيئوا لهم طابعاً رسمياً من ثياب عسكرية ليكون ذلك شاهداً على استرقاقهم وآية على عبوديتهم ؟ أيظل هؤلاء صحفيين بما تحمله كلمة الصحافة من معنى، أم صاروا وقد جمدت قريحتهم وسقم وجدانهم تبعاً مستضعفين وعبدة مستعبدين ؟

إن الجواب على ذلك مدرج فى مسائل أخرى أبعد مدى وهدياً إذا كانت الصحافة المقيدة المستعبدة تعتبر صحافة أصلاً بما تحمله كلمة الصحافة من معنى ، وإذا كانت الأمم الاستبدادية تفسح للصحافيين فى ميادينها مكانة كتلك المكانة التى يعرفها الناس لها فى الأمم الحرة

إن « الصحافة » الألمانية أداة حكومية خصت بأن تلعب الدور المنوط بها وفقاً للأسلوب النازى وتبعاً لوجهة النظر النازية فى طبيعة الأمور ، وأولئك الذين يعنون بحرية الصحافة البريطانية كمظهر من مظاهر الحرية السياسية البريطانية على العموم يجب أن يفهموا ما هية هذه الأداة وعلاقتها بالنظام النازى

فلقد عرف الهر « ولهلم والدكرش » وجهة نظر النازى فى الصحافة بأسلوب واضح يدعو إلى الإعجاب فى مؤلف ألمانى عنوانه : « واجب الصحافة السياسى » قائلاً : « إن جماع ما يعمنا أن نفهمه من واجب الصحافة السياسى هو أن نسلم تسليما مطلقاً وأن نعترف اعترافاً قاطعاً لا يحده وصف ولا يقيده شرط بما « للزعامة » من شأن فى الدولة وبما هو لزام عليها من تأييد الزعيم فى رواج خططه تأييداً طليقاً من أى قيد أو تحفظ .

وإن الصحافة بأوسع ما ينطوى عليه عملها السياسى من دلالة ، مباحة لأن تكون من الاستسلام والخضوع بحال يتيسر معها أن تتضافر جهود الصحف الألمانية جميعاً على تدعيم أسلوب التجديد الناشج فى الحياة السياسية . وبوسع الصحافة الألمانية بما تؤديه أو تخفق فى تأديته أن تؤثر تأثيراً فعالاً ذاهباً إلى أبعد مدى فى كيان الحكومة الألمانية . وهنا مبعث الاهتمام فى إدراك ماهية العمل السياسى للصحف . ولقد كان من بواعث الغبطة وحسن التوفيق أن اختفت اختفاء تاماً من ميدان حياتنا الاجتماعية تلك الأغراض المتشعبة والمقاصد الملتوية والغايات المتنوعة ، كما اختفت أيضاً الصحف التى لم يكن يعنيها إلا أن تخدم المقاصد والأغراض الحزبية من غير أن تلق بالاً لما انطوى عليه العنصر الألمانى «من المزايا الجنسية والقيم المعنوية» . ولقد أصبحنا الآن ونحن لا نسمح لأية صحيفة أن تجعل لها سياسة خاصة بها، أو أن تدلى من وجهات النظر والآراء ما من شأنه أن يعرقل سبيل القيادة فى الدولة . وقديماً تهيأ للنقد ميدان واسع الأرجاء بعيد المدى ، وكان بوسع الناقدين أن يجرى فى خاطرهم أنهم يخدمون المصلحة العامة ؛ إلا أن الزعماء النيورين قد رأوا بثاقب فكرهم فى ذلك الزمن بعينه ما يلازم أمثال تلك الآراء من الزيف والخديعة ، وما يجب أن ننتهى إليه من إفساد وضلال . لقد أصبحنا اليوم ونحن نفهم فهماً تاماً أن العهد الجديد بحاجة إلى رأس جديد ، وأن الحكومة قد وطدت العزم على أن تحتفظ فى يدها بقيادة الدولة ، وعلى الصحف أن تدرك مقتضيات هذا الشأن فتستعمل بكل الوسائل على تأييد خطط الحكومة

ولقد جهد الهر « والدكرش » أن يؤثر فى نفوس مواطنيه وأن يلبس آراءه ثوباً جذاباً فعالاً فاقتبس لها عبارات متنوعة من كلام الزعيم بحروفها ، وهى عبارات تلح فى أن الثورة لا يسعها أن تنجح ما لم يتهيأ لها أن تطبع بطابعها الشعب بأسره ؛ فإن لزاماً على الدولة النازية أن تنشئ نشأ جديداً . وإن رسالة الصحافة هى أن تطبعهم بالطابع الحقيق » أو بعبارة هتلر : « إن الصحافة هى الوسيلة إلى تهيئة الجموع لأن يربى نفسه وأن يتثقف على ضوء ما يراه ويختطه الزعيم الذى يقود الدولة » ولقد أدلى بهذه الآراء الدكتور « جيبلز » الذى اقتبس منه الهر « والدكرش »

مؤيداً نظره ومستصوباً رأيه . فصرح بأن ما يسمح به من رخص للكتابة مقيد بذلك الالتزام الماثل فى أن تكون وفقاً على خدمة الدولة

والذى يخلص من أمر هذه الحقائق ومن سائر الحقائق الأخرى الملموسة هو أن جماع ما يتصور للصحافة من حرية ، بل وما يظن للفرد نفسه من حرية، قد حذف من منحى السياسة الألمانية ؛ فلم تعد الصحافة الألمانية قادرة أن تكون عنصراً من عناصر التعبير عن « الرأى العام » ، إذ فرضوا عليها أن تطبع فى رءوس الجمهور ما جرى به قضاء زعيم الدولة أن يكون موضع التفكير العام . وكم يحتاج الأمر فى بريطانيا — وفى البلاد الأخرى التى لا زالت الصحافة فيها تنعم من حريتها بمثل ما تنعم به فى انجلترا — من جهود عقلية للاحاطة بكامل ما انطوت عليه تلك الثورة من معنى ، ولإدراك أن ما للصحافة المستعبدة « المتماثلة فى المرجة والأسلوب » من قوة ، لأكثر مثولاً فيما تكف عن قوله أو لا تجترئ على نشره منه فيما يتسنى لها نشره أو يطيب لها إثباته وإبرامه

ولو أن الأمور المؤكدة قد تصبح موضع ريبة ومبعث شك إذا لم تؤيدها الحقائق الماثلة فى طبيعة الأشياء أو ينهض الدليل بحجتها ، إلا أن ما صادف الحقائق التى لها أثرها فى تهيئة عقول الأفراد وتكوين آرائهم من ضياع أو تشويه ، قد صيغ بأسلوب ماكر قوى ، من شأنه أن يعطل النقد وأن يحول دون نمو الآراء المعارضة

وبهذه الطريقة امتدت عملية « الأسلوب الواحد » الإجبارية — التى خضعت لها الصحف الألمانية منذ عام ١٩٣٣ — إلى الشعب بأسره ، وكان ذلك من طريق تشويه الصحف للحقائق كما كان ذلك من طريق ما طبعته فى رءوس قرائها فى أوامر الزعيم ونواهيه

ولقد صار من مقتضيات التعامل مع ألمانيا — كما هو الحال مع الأمم الأخرى المحكومة حكماً استبدادياً — أن أصبح رجال السياسة والصحافة فى الأمم الحرة يواجهون فى الشؤون الدولية حالة لم يسبق لها مثيل ، فقد تغير بين الدول مقياس الصلات السياسية والعقلية ، ولم يعد هناك تكافؤ فى تبادل الآراء العامة بين الأمم المحكومة حكماً استبدادياً والأمم التى لا زال الرأى فيها حراً ؛ ولم يعد هنالك أيضاً من شكوى ترفع أمام قضاء الشعب من نظام حكومته الاستبدادية

والأمر على النقيض من ذلك فى الأمم الحرة ؛ إذ بوسع صحافة الحكومات الاستبدادية ووكالاتها الأخرى الخاصة بالدعاية والنشر — بل وكثيراً ما وسعها كما أيدتها التجارب — أن تتقدم بشكواها إلى الرأى العام فى الأمم الحرة ، وأن تكون هذه الشكوى أحياناً ضد نظام ومصالح هذه الأمم الحرة ؛ إلا أن هذه المعاملة الكريمة لا يسمع لها صدى فى الأمم المحكومة حكماً استبدادياً ، حيث لا تكافؤ فى المعاملة ولا تعادل بين ما يعطى وما يؤخذ ، ولا ترقب للاقناع والقبول بالدليل القاطع أو البرهان الدافع ما دامت الحكومة وحدها فى الأمم الاستبدادية هى صاحبة الكلمة العليا والقضاء المبرم ، وما دام الشعب قد قدر له أن يجهل كل شيء من شأنه أن يهيئه لأن يتأبى على زعيم قبول سياسته — والواقع أن الفاشية فى إيطاليا والشيوعية فى روسيا السوفياتية ، بل وحتى القيصرية فى روسيا القيصرية ، كل أولئك يعتبر موطناً للحرية إذا ما قورن بالنازية فى ألمانيا . فلم تكن الرقابة التى فرضها قيصر الروس على الصحافة ، ولم تكن الرقابة التى بسطتها عليها « البيروقراطية » الباطشة القوية ، أو الإدارة السرية ، لتبلغ من التوفيق والنجاح ما بلغته النازية من إسكات ستة الصحف الكبرى، وهذا النظام الاستبدادى الذى يفرض على الشعب بأسره ما تبدعه الدولة وتصبو إليه من النظر والرأى يعتبر حدثاً جديداً وأمراً ثورياً وطابعاً مشؤوماً وقالباً معكوساً فى العالم الجديد

(الكلام بقية) زين العابدين جمعة
المحامى

حكم فى القضية رقم ٢٥٩ تسعيرة عسكرية سنة ١٩٤١ ضد قاسم عبد الجواد أبو حسن علاف بشارع الاسكندرانى بحبسه شهراً بالشغل لبيعه عدساً بثمن أعلى من التسعيرة

١٠ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثاني

يلاحظ في مصر أن القليل من المال يكفي لإعالة ذرية كثيرة[1] وأسرة كبيرة. ومهما يكن تدليل الأطفال والولوع بهم عظيما، فهؤلاء يكنون ويظهرون لأبويهم احتراماً عميقاً خليقا بالمدح. ويعتبر المسلمون العقوق من أعظم الخطايا. وهم يضمونه لجسامته مع الكبائر الست الأخرى، وهي الشرك بالله وقتل النفس وقذف المحيفات بالزنا وأكل أموال اليتامى والربا الفاحش والتخلف عن جهاد العدو. وقلما ترى في مصر أو في العرب من لا يطيع والديه. ويصطبح الطفل، في الطبقات الوسطى والعليا، بتقبيل يد أبيه، ثم يقف أمامه باحترام وخشوع حتى يصدر إليه أمراً أو يسمح له بالانصراف. ولكن العادة جرت أن يقبل الأب ابنه ويلاطفه. ولا يقل احترام الطفل لأمه عنه لأبيه، وكذلك احترام أفراد العائلة الآخرين بمقتضى سنهم وقرابتهم ومركزهم. ومن هنا تنشأ في الطفل السهولة واللباقة في تصرفاته خارج الحريم، كما تنشأ فيه الطاعة والولاء اللذان كثيراً ما يمدان، من غير حق، نتيجة الحكم الاستبدادي في الشرق[2]. ويندر أن يجلس الأبناء أو يأكلوا أو يدخنوا في حضرة الأب إلا إذا سمح لهم بذلك. وكثيراً ما يقومون أيضاً على خدمته وخدمة ضيوفه عند تناول الطعام وفي المناسبات الأخرى. ويظل الأبناء كذلك حتى بعد أن يصبحوا رجالاً. وقد دعيت مرة في شهر رمضان إلى الإفطار على مائدة تاجر مصري أعدت أمام داره. وكان يدعو كل شخص يمر بالقرب منا، مهما كان فقيراً، إلى مشاركتنا الطعام. ومع ذلك كان يقوم على خدمتنا اثنان من أولاده أكبرهما يبلغ الأربعين. وقد لاحظت أنهما لم يتناولا بالرغم من صيامهما طول اليوم غير جرعة ماء؛ فرجوت الأب أن يسمح لهما بالإفطار معنا، فأجاب رجائي في الحال؛ ولكنهما رفضا. وتتمتع الأم بأكبر قسط من عطف أطفالها ولكنها لا تتمتع مثل الأب بأكبر قسط من الاحترام. وقد رأيت خدماً كثيرين يعطون أمهاتهم ما يدخرون من أجرهم، وقلما كنت أرى من يدخر شيئاً لأبيه

ويلاحظ أن الأطفال المصريين، ما عدا أطفال الأغنياء، يظلون دائماً قذرى الشكل ممزقي الثياب، مع أنهم في محل الرغبة وموضع التفكير. وقد يشمئز الأجانب من رؤيتهم، ويسرعون في الحكم على المصريين بأنهم شعب قذر دون أن يبحثوا عن سبب آخر لذلك. ومن الملاحظ أيضاً أن أكثر الأطفال تدليلاً وعناية، أقذرهم جسما وأحقرهم ثياباً. وليس من الغريب أن ترى السيدات الجميلات في شوارع القاهرة متشدات في مشيتهن، معطرات الجو بعطر المسك، مراعيات في زينتهن الكاملة دقة النظافة ومنتهى الرقة، مصنيات بكحل عيونهن، مخضبات الأصابع، بينما رافقهن طفل قد يكون الوحيد، وهو ملطخ الوجه ملوث الثياب. ومن الأشياء التي أثارت عجبي عند قدومي إلى هذا البلد مناظر من هذا القبيل؛ وقد لفتت نظري لغرابتها وتناقضها، فأخبرتُ أن الأم الحانية على أطفالها تهمل هندامهم فتتركهم بلا نظافة، وتلبسهم أحقر الملابس عمداً، وعلى الأخص عند ما رافقونها في الخارج خوفاً من شر العين. ويخشى من الحسد بصفة خاصة على الأطفال لأنهم يعتبرون نعمة عظيمة ويشتهيها الجميع. ويرجع للسبب نفسه حجز الأطفال في الحريم طويلاً؛ حتى أن البعض يلبسن الذكور من أطفالهن ملابس الإناث لأن البنت أقل تعرضاً للحسد. وأطفال الفقراء مازالت هيئتهم بعد أكثر إهمالاً. فهم فضلاً عن قلة ملابسهم وحقارتها أو تمام عريهم قذرون إلى أقصى حد. تغشى عيونهم الأدران والذباب دون أن يكترثوا لذلك. ويعتبر المصريون أن

(١) وقد ذكر ديودور الصقلي أن قدماء المصريين كانوا يكسون أولادهم ويربونهم بأقل نفقة

(٢) إن نظام الحكومة الشرقية ليس إلا اتساعا لنظام المنزل الأبوي (Urquhart's Spirit of the East vol. ii p. 249) (روح الشرق تأليف أوركهارت الجزء الثاني ص ٢٤٩) .

غسل العين أو حتى لمسها عند ما يميل منها الصديد الذى يجذب الذباب ، مضر بها . ويؤكدون أن فقد البصر قد ينتج من كثرة لمس العين أو غسلها عند ما تصاب بهذا السيلان ، غافلين عن أن الغسل إنما يلطف الألم

ويختن الولد فى سن الخامسة أو السادسة ، وأحياناً بعد ذلك[1] وقبل الختان يحتفل القاهريون وغيرهم من الحضريين ، إذا توفر لديهم مال ، بزف الولد فى موكب يمر بالشوارع المجاورة للمنزل . وكثيراً ما يحتفلون بزفة الختان مع زفة عرس فى الوقت نفسه تقليلاً من نفقات الاحتفال . وفى الحالة الأخيرة يتقدم الموكبَ الولدُ وحاشيته . والمحتفل به يلبس أحياناً عمامة من الكشمير الأحمر ، وقد يرتدى لاعتبارات أخرى ثياب أنثى ، فيلبس الملك والساطة والقرص والصفا وغيرها من حلى النساء ، ليجذب العين الحاسدة إليها ويلهيها عن شخصه . وتستعار هذه الملابس عادة من بعض السيدات الموسرات ، وتكون من أفخر الملابس وأبهاها كما تكون كافية السعة لتلائم الولد . ويستعار كذلك حصان جميل العدة ليركبه المحتفل به . ويمسك الولد بيده اليمنى منديلاً مطرزاً مطوياً يضمه باستمرار أمام فمه ليحجب بعض وجهه اتقاء شر العين . ويتقدم المحتفلَ به صبى الحلاق الذى سيقوم بعملية الختان ، وثلاثة من الموسيقيين أو أكثر ؛ وآلاتهم لا تتعدى الزمار والطبول ، كما ترى فى (شكل ٣١) . فالشخص الذى يتقدم الموكب هو صبى الحلاق — كما ذكر — ويحمل (الحِمْل) وهو صندوق خشبى نصف أسطوانى ذو قوائم أربع قصيرة ، يزين وجهه قطع من المرايا ومن النحاس البارز النقش ، ويغطى ظهره بستار . وهذا الحل هو شعار الحلاق . ويحمله الخادم بالطريقة المبينة فى الرسم ثم يتبعه الزمار والطبالان (وقد يتقدم بعضهم الحل) ، ثم الولد يقود جواده سائس ؛ وأخيراً يمشى خلفه الكثير من القريبات والصديقات . وكثيراً ما يحتفل بختان ولدين معا وقد يحملهما حصان واحد . أما موكب العرس الذى كثيراً ما يتضمن موكب ختان كما سبق فسنتكلم عنه فى حينه . وسنذكر أيضاً وصفاً لبعض العادات الأخرى المتعلقة بالختان وبالأخص واحدة منها أقل شيوعاً وأكثر وجاهة ،

(١) عند الفلاحين ليس أقل من سن الثانية عشرة حتى الرابعة عشرة

فى الفصل المتعلق بمختلف الأفراح والأعياد الخاصة[1]

وقلما يبذل الأبوان كثيراً من وقتهما أو انتباههما فى تربية الطفل تربية ذهنية ، قانعين بتثبيت بعض المبادئ الدينية فى ذهنه الصغير ، فإذا كانت لديهم المقدرة ، يعهدون به للمدرسين .



(شكل ٣١)

ويلقن الطفل فى سن مبكرة بقدر الإمكان الشهادتين وحب الإسلام . وأكثر أطفال الطبقات العليا والوسطى ، وبعض أطفال الطبقات الدنيا يتعلمون فى الكتَّاب القراءة وتلاوة القرآن أو ترتيله[2] ؛ ثم يتعلمون بعد ذلك أغلب قواعد الحساب الشائعة

والكتاتيب كثيرة العدد لا فى العاصمة فحسب ، بل فى كل مدينة كبيرة ، كما يوجد فى كل قرية كبيرة مدرسة واحدة — على الأقل — ويلحق بكل مسجد وسبيل وحوض فى العاصمة كتَّاب يتعلم فيه الأطفال بأيسر الأجور ؛ إذ يتناول « الشيخ » أو « الفقى »[3] كل خميس من أب الطالب نصف قرش أو أى شيء آخر . ويتناول مدرس المدارس الملحقة بالمساجد أو بغيرها من مبانى العاصمة العامة سنوياً طربوشاً وقطعة

(١) وهناك عادة ذكرها سترابو Strabo (ص ٨٢٤) باعتبارها سادت مصر فى عهده ؛ ولا زالت شائعة فى أنحاء مصر يراعيها المسلمون والقبط جميعا إلا فى الاسكندرية وفى بعض المناطق الساحلية . وهي تسود أيضا جزيرة العرب وإن كانت أقل شيوعا . وقد لاحظ رلاند Reland الذي وصف هذه العادة وصفا ناقصا فى كتابه (فى الدين الاسلامى) ص ٧٥ نشرة ١٧١٧ (De Religione Mohammedica p. 75 ed.. 1717) وأن جالن Galen ذكرها أيضا

(٢) أنظر فصل الموسيقى

(٣) هــذا اللفظ تحريف لكلمة « فقيه » التى تطلق فى مصر على الذين حذقوا الدين والفقه . أما الرجل الذى يحترف تلاوة القرآن أو يدرس تلاوة القرآن ، فيسمي عادة « فقى »

من الموصلى الأبيض للعمامة وقطعة من الكتان وحذاء . كذلك يتناول كل ولد طاقية من الكتان وقطعة من نسيج القطن طولها أربعة أذرع بلدية أو خمسة ، وقد يأخذون نصف ثوب من الكتان مقداره ١٠ أو ١٢ ذراعاً بلدياً وحذاء ، وأحياناً يعطون قرشاً أو نصف قرش ؛ وهذه الخلع تؤخذ من أموال موقوفة على المدرسة وتقدم فى شهر رمضان . ولا يحضر الأولاد إلا ساعات الدرس ثم ينصرفون إلى منازلهم . ويكتب الدرس عادة على ألواح من الخشب المصبوغ بالأبيض ، تمسح بعد كل درس ويكتب عليها الدرس الجديد . وتُعلَّم الكتابة أيضاً على اللوح نفسه . والعادة أن يجلس المدرس وتلاميذه على الأرض وكل تلميذ بيده لوحه أو نسخة من القرآن ، أو جزء من أجزائه الثلاثين ، توضع على كرسى من الجريد ، وباقى الأولاد جميعهم درس القراءة أو ينشدونه بصوت واحد عال ، هازين رؤوسهم وأجسامهم هزاً لا ينقطع أماماً وخلفاً ؛ وكذلك أغلب قراء القرآن يتبعون تلك العادة ظناً أنها تساعد على التذكر ، وليتصور القارئ أى ضجة يحدثونها[١] .

وأول ما يتعلم الأولاد حروف الهجاء ، الشكل ، ثم يتعلمون القيمة العددية لكل حرف من حروف الهجاء[٢] . وقد جرت العادة قبل وصول التلميذ إلى تلك المرحلة الثالثة فى تعليمه أن يزين المدرس اللوح بالحبر الأسود والأبيض والصبغ الأخضر ، ثم يكتب حروف الهجاء بترتيبها العددى ويرسلها إلى والد التلميذ ، فيعيدها هذا إليه وعليها قرش أو قرشان . وهكذا يكرر ذلك فى مراحل التعليم اللاحقة ، وفى كل مرة يكتب الدرس التالى على اللوح . وعند ما يحفظ الولد القيمة العددية لحروف الهجاء يتمرن على قراءة الكلمات السهلة ، مثل أسماء الرجال ، ثم صفات الله التسع والتسعين ، وبعد ذلك يُحفَّظ الفاتحة فيكررها حتى يعيها تماماً ، ثم يشرع فى حفظ السور الأخرى . ويندر أن يتعلم الأولاد الكتابة إلا عند ما يخصصون لبعض الوظائف التى تتطلب معرفتها . وفى هذه الحالة يتعلمون الكتابة والحساب كذلك على يد « قبانى » ، وهو الشخص المنوط به وزن البضائع فى السوق على القبان . أما الذين يسلكون أنفسهم فى النظام الدينى أو فى أى مهنة علمية فيتبع غالبهم تعليماً منتظماً فى الجامع الأزهر

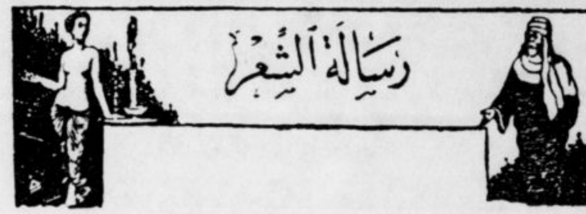
(١) والعقوبة العادية هى ضرب الطفل بجريدة من جريد النخل على بطن القدم

(٢) عند ما تستعمل حروف الهجاء للدلالة على الأعداد ترتب على ترتيب الحروف الهجائية العبرية

وأغلب معلمى الكتاتيب قليلو العلم والاطلاع . والقليل منهم من تتعدى معرفته القرآن وبعض الأناشيد والأدعية ، فيؤجرون لتلاوتها وتلاوة القرآن فى المناسبات الخاصة . وقد حدثونى أخيراً عن رجل لا يحسن القراءة والكتابة نجح فى شغل وظيفة مدرس ؛ فقد كان يحفظ القرآن كله ولذلك سهل عليه الإصغاء إلى الأطفال وهم يسمعون الدرس . أما تعليمهم الكتابة فقد كان يستخدم فيها (العريف) مدعياً ضعف النظر . وبعد شغله هذا المنصب بأيام جاءته امرأة فقيرة ليقرأ لها خطاباً جاءها من ابن لها ذهب للحج . فتظاهر الفقى بالقراءة ولكنه لم يفه بحرف واحد . فاستوجست المرأة من سكوته شراً واستنتجت من هدوئه أخباراً سيئة فقالت له : « هل أصوِّت ؟ » فأجابها « نعم » وسألته : « هل أمزق ثيابى » فأجابها : « نعم » . فرجعت المسكينة إلى منزلها وأقامت هى وصاحباتها مناحة ومأتماً . ولم يطل عليها الزمن حتى عاد ولدها ، فسألته ماذا يعنى بهذا الخطاب الذى يخبرها بموته ؟ فلما شرح لها ما فى الخطاب ذهبت إلى المدرس وطلبت منه أن يوضح لها لماذا قال لها أن تصوت وتمزق ثيابها مادام الخطاب يقرر أن ابنها بخير وأنه فى طريق العودة ؟ فأجابها غير مضطرب : « إن الله عنده علم الغيب . فمن أين لى أن أعرف أن ولدك سيعود سليما ؟ وكان خيراً لك أن تظنيه ميتاً حتى لا تنتظرى عودته ، وقد يخيب انتظارك » . فصاح بعض الجالسين مادحاً حكمته : حقاً إن « فقينا » الجديد رجل ثاقب البصر حكيم . وهكذا بين عشية وضحاها ارتفعت شهرة الرجل لغلطة غلطها[١] . وبعض الآباء يجعلون لأولادهم شيخاً يعلمهم فى المنزل . والعادة أن يعلم الأب ابنه الوضوء والصلاة وغير ذلك من الواجبات الدينية والأخلاقية على قدر إمكانه . وقد أمر الرسول (صلعم) أن يعوِّد الصلاة من يبلغ السابعة ويضرب من يمتنع منهم عند العاشرة ، كما أمر أن ينام الأولاد كل وحده فى هذه السن . ومع ذلك يندر أن يقوم المصريون بواجب الصلاة قبل البلوغ .

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وقد وجدت بعد ذلك قصة تكاد تشبه هذه الحادثة تماما فى كتاب ألف ليلة وليلة ، طبعة القاهرة . وهى حكاية من الحكايات الملحقة بالفصل الثامن عشر من الترجمة التى ترجمتها لذلك الكتاب . ولذلك إما أن تكون القصة التى بلغتها غير صحيحة ، وإما أن يكون الرجل المشار إليه مقلداً للقصة السابقة . والحالة الأخيرة قد تكون محتملة ؛ فقد حكى لى عدة حكايات مماثلة تستحق التصديق فضلا عن أنى أعرف أن واحدة منها أمر واقعى



ليالي القاهرة

من « ن » إلى « هـ »

للدكتور إبرهيم ناجي

طَلَبْتِ الْكِتَابَةَ يَا جَنَّتِي ... وَمَذَا تُرِيدِينَ أَنْ أَكْتُبَا ؟
وَمَا فِى الْجَوَانِحِ خَافٍ عَلَيْكِ ... وَقَلْبُكِ يَعْلَمُ مَا غُيِّبَا ! !
سَأَكْتُبُ أَنَّكِ أَنْتِ الرَّبِيعُ ... وَحُسْنُكِ أَنْضَرُ مَا فِي الرُّبَى
وَأَنْتِ الْحَيَاةُ وَأَنْتِ الْجَمَالُ ... وَفَجْرُ الشَّبَابِ وَحُلْمُ الصِّبَا
أُنَادِي بِإِسْمِكِ عِنْدَ الصَّبَاحِ ... وَأَطْوِي عَلَى ذِكْرِكِ الْمَغْرِبَا

ابرهيم ناجي

الوردة الذابلة

للأستاذ محمود عماد

قالت وقد ألقتْ على وجهها ... غبرةَ همٍّ لم تكد تنجلي :
إن تذبل الوردة ظلت لها ... بقية من عطرها الأولِ
قلنا وطيّ النفس ما طيّها ... لو شاءت الوردة لم تذبل
لو شاءت الوردة كنا لها ... ندي إذا الأنداء لم تنزل
لو شاءت الوردة كنا لها ... شوكاً يقيها عبث الأنمل
لو شاءت الوردة كنا لها ... أرضاً مُوَطّأةً على جدول
لو شاءت الوردة كنا لها ... شمساً تريقُ الضوء فى معزل
فظلّ للوردة ما أعطيت ... من ناضر الحسن وغالى الحُلِي
لكنها اختارت لها مغرساً ... بمثلها فى الورد لم يحفل
حيث الثرى مُبْهَمٌ وحيث الندى ... هَمٌّ وحيث الضوء لم يُرسَل
فكان حقاً أن ترى حسنَها ... يزوى وألا تعجب المجتلى
وإن تعزت ببقايا الشذى ... فهو عزاء الكحل للأحول

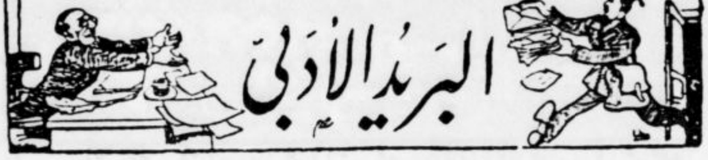
محمود عماد

أحـــلام الموتى

للأستاذ على شوقى

متَى أنا نازلٌ نُزُلَ الرِّجامِ ... ومُبْلِغَتِى الوفاةُ حِمى الحِمامِ
فأغدو ظاعناً من دار هُونٍ ... مُزَايِلَها إلى دار السلام
أرانى والفـؤادى عائدانى ... وواهبتى أضاميمَ السَّقام
كطفلٍ ملَّ من ثدىٍ سقيمٍ ... فمال عن الرضاع إلى الفطام
وما عَشق الحياةَ سوى محبٍّ ... قضى منها لُباناتِ الغرام
ومن رضىَ المقام بها فإنى ... لأمرٍ ما رغبت عن المُقام
لئن آنستُ تحت الشمس ظلماً ... فمالى لا أفِرُّ إلى الظلام
فيا داراً سأبرحُها ، سلامى ... عليكِ وإن صَغُرْتِ عن السلام
ويا أرضاً غداً ستكون قبرى ... ألا أعجَلْتِنِى قبل التمام
لعلى إن أمُتْ تبكى عيونٌ ... تُرَوِّى من مدامعها عظامى
عيون طالما أسهرت جفنى ... عليها وهى تنعم بالمنام
وتذكرنى شفاهٌ كنت حيناً ... أدِينُ لها بمأثور الكلام
وتندبنى سُويعاتٌ تقضّت ... خضبت أكفَّها بدم المدام
رأيت العيش معنى كل شر ... وهذا الناس معنى للرغام
وما هذى الحياة سوى أمانٍ ... تَدَاولُ بين أحلام الأنام

على شوقى



إلى الأستاذ أحمد أمين

كنتُ أشرتُ فيما سلف من الأحاديث إلى أنى سمعت كلاماً منسوباً إلى أحد المفكرين من الأجانب فى محاضرة ألقاها الدكتور ابراهيم ناجى ، ثم قرأت الكلام نفسه فى « الثقافة » بعد يومين بصورة تشهد بأنه من مبتكراتك ، وكانت الأمانة العلمية توجب أن تذكر النص الذى نقلت منه ، وفقاً لقواعد « الدراسة الجامعية »

واليوم أذكر أن جريدة « الوفاء » التى تصدر فى شرق الأردن نشرت مقالاً عنوانه « عدالة العمل » بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٩٤١ ، وفى التاريخ نفسه نشرت مجلة الثقافة التى تصدر فى مصر مقالاً عنوانه « العدالة » وذلك توارد غريب ! !

وعند الموازنة بين المقالين تبين أن الأصل واحد ، فهما منقولان عن كتاب « البشرية الكاملة » للمؤلف الأمريكى فرانك كراين

ولكن بين المقالين فرقاً بسيطاً جداً ، فالأستاذ صبحى زيد الكيلانى صاحب جريدة الوفاء نص على أن المقال مترجم عن الإنجليزية بقلم صبحى جلال القطب ؛ أما الأستاذ أحمد أمين صاحب مجلة الثقافة فقد نص على أن المقالة من إنشاء أحمد أمين !

فهل لك أن تتفضل فتدلنى على وجه « العدالة » فى هذه القضية ؟ وهل لك أن تذكر أن الدنيا فيها ناس يقرأون وينقدون ما يقرأون ؟

يجب أن يفهم حضرة الأستاذ أن « الدراسة الجامعية » لا تمنح أصحابها حق انتهاب الأفكار والآراء ؛ فإن أجاب بأنه « ترجم بتصرف » فأنا أقول بأن النص على الأصل واجب ولو كانت الترجمة بتصرف

وبالنيابة عنه أعتذر لمن شكاه من فضلاء عمان ، والصديق ينوب عن الصديق فى بعض الأحيان

زكى مبارك

عبر كذا . . .

اطلعت على ما كتبه الأستاذ الفاضل محمد محمود رضوان فى العدد ٤٣٢ من (الرسالة) فى نقد ما ذهبت إليه من أن استعمال الكتّاب الآن لكلمة (عَبْر) - مصدر عَبَره - ظرفاً غير صحيح[1]

(١) لنشر بحثى هذا فى العدد ٤٢٤ من الرسالة

فقال الأستاذ : « قد جاءت هذه الكلمة فى شعر إسلامىّ لسواد بن قارب الكاهن ، حين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً »

ثم ساق حكاية سواد كما رواها صاحب الجمهرة ، وفيها أبيات له ، منها :

فشمرتُ عن ذيلى الإزار وأرقلتْ
بىَ الدعلب الوجناء عَبْر السباسب[1]

وبعد ذلك قال : « ومن ثم يرى الأستاذ الكبير أن الكلمة صحيحة كما يستعملها الكتاب على عهدنا »

فكأن الأستاذ ارتضى استعمال « عَبْر » ظرفاً أخذاً بظاهر عبارة الشاعر التى تنطبق فى صورتها على استعمالات الكتّاب لهذا العهد . وكأنه يتوهم أنها منصوبة على الظرفية « بأرْقلت »

ولكن الواقع أنها صفة ثالثة للناقة لا غير[2] ؛ فإن الشاعر فى مقام تعديد محاسن ناقته وما فيها من مزايا يقتدر بها على السرعة فى أداء مهمته ، فهو يصفها بالفتاء والقوة ، وبأنها قادرة على شق السباسب ، تمضى بها وتجرؤ عليها

ويؤيدنى فى أن الوصفية وحدها هى الوجه الواجب أنى لم أجد لمعنى الظرفية فى « عَبْر » أثراً فيما قرأت من كتب اللغة وراجعت وبحثت ، وإن كانت الكتب التى بين أيدينا لا تحوى كل شىء ، بل قد فاتها كثير جداً ، كما نعترف بذلك جميعاً

ثم ترقّى الأستاذ فى تفنيد مذهبى فى هذا الموضوع فقال :

(ولو أننا أردنا تخريج الكلمة على وجه صحيح لوجدنا أكثر من وجه ، خلافاً لما يقوله الأستاذ . وأقرب هذه الوجوه عندى أن تكون (عَبْر) مصدراً مراداً به اسم الفاعل ، فتكون حالاً مما قبلها ، ويكون التقدير : « مرور قواتها عابرة شمال الهند ... الخ » و « أو جاءت إلى هنا عابرة الأطلنطى »[3]) .

أقول : يكفى فى الرد على هذا أن أذكّر الأستاذ أنه من المقرر أن المصدر قد يقع حالاً « إذا كان نكرة » . فالتنكير شرط لازم ، نحو : (ثم ادْعُهنّ يأتينك سَعْياً) و (ينفقون أموالهم سراً) و (جاء بغتة) و (قتله صبراً) و (حضر مُسْرعة)

(١) أرقلت : أسرعت . والدعلب : الفتية الشابة من النوق . والوجناء : الشديدة . وعبر السباسب : القوية على شقها وسلوكها . ويقال أيضا : عبر أسفار الرجل الجرىء عليها . والكلمة للواحد والجمع والمؤنث

(٢) أى لا كما يرى الأستاذ من أن إمكان كونها صفة الناقة إنما هو وجه آخر لإعرابها ، كما فى حاشية مقاله .

(٣) تراجع أمثلتى فى العدد ٤٢٤ من الرسالة

و (أقبل ركضاً) و (كلمته مشافهة) ... إلى غير ذلك (١) .

وقد رأيتَ أن (عَبْر) فى الأمثلة الثلاثة التى أتيتُ بها للتوضيح فى مقالى السابق معرفة بالإضافة . وكذا الحال فى جميع ما نراه من ذلك كل يوم فى الصحف والمجلات ؛ لأن استعمالها لا يكون إلا هكذا فى أساليبها .

فلا يمكن إذاً أن تعرب (عبر) حالاً . فقد بطل تخريج الأستاذ أما المصدر المعرف فمجيئه حالاً نادر . والمسموع منه قليل جداً . وهو لا يعدُو أن يكون علم جنس ، كقولهم : جاءت الخيل بَدَادِ (٢) ، أو معرّفاً بأل ، نحو : أرسلها العِراكَ (٣) .

بقى قول الأستاذ : (والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل ... الخ كلمة) ، فهذا مما لسنا بسبيله . (ا . ع)

الأستاذ كرد على فى بيت المقدس

لبى الأستاذ محمد كرد على دعوة الإذاعة الفلسطينية ، فتوجه إلى القدس وذهب من توه إلى بيت صديقه أديب العربية الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

وكانت أولى محاضراته : « هل تمدنا » قرر فيها الأستاذ أن الأمم العربية قطعت شوطاً بعيداً فى المدنية منذ نصف القرن الماضى ، وتمنى لو تلقفنا من الغربيين عاداتهم وتقاليدهم فهى بالجملة خير من عاداتنا وتقاليدنا ؛ ولم ينس الأستاذ أن يذكر المرأة الشرقية وخروجها سافرة فى العصر الحديث بعد أن كانت مكبلة بسلاسل يسمونها خلاخيل ، وأنها نالت قسطها الوافر من المدنية وتشبهت بأختها الغربية بمنافسة الرجل فى مختلف ميادين الحياة .

وفى المحاضرة الثانية تكلم الأستاذ فى موضوع : « الشاميون والتاريخ » قصر حديثه على سرد أسماء المؤرخين الشاميين ومؤلفاتهم وتاريخ وفاتهم ؛ وعلل الأستاذ وفرة المؤرخين فى الشام لكونها كانت عاصمة العرب ، وفى العاصمة يتمثل ازدهار المدنية أكثر من سائر البلدان

وفى المحاضرة الثالثة حكى عن « طرائف فارس » وخصص كلامه فى مخطوط يسمى « طرائف الطرف » فكشف عن قيمته التاريخية ثم ختم كلامه بالقول : إن فى إيران مخطوطات عربية قيمة تفوق المخطوطات الموجودة فى القاهرة وفى دمشق وذكر أن فى مكتبة العلامة الإيرانى « نصر الله » خمسين ألف مجلد عربى ، ويؤكد الأستاذ أن كثيراً من أغنياء إيران يهمهم أن ألا تخلو مكتباتهم من التآليف العربية فإن ذلك يدل - فى عرفهم وتقاليدهم - على السراوة والنبل

وكان موضوع محاضرته الأخيرة : « بقية ما ترك لنا الأجداد » فافتتح كلامه بالأسف الشديد على أن فقدت المكتبة العربية كثيراً من المخطوطات الثمينة ثم قصر كلامه على التحدث عن « أبى حاتم بن حيان البستى » وذكر أنه لا يقل عن ابن ماجة فى أهمية أسانيده للحديث ، ثم أعلن أسفه بأن أحداً من المترجمين العرب لم يذكره فى تآليفه ، ولولا ياقوت الحموى لكان نُسى كما نسى كثير من العلماء . ثم رجح الأستاذ أن نسبه ينتهى إلى « إياس بن مضر » وقال إن حياة هذا العالم الجليل قد انتهى بأن قتله خليفة المسلمين لتلبسه جريمة الاشتغال بالعلوم الرياضية .

عبد القادر جنيدى

الى الكتاب

يجدُّ الردى فينا ونحن نهازله ونغفو ولا تغفو فواقاً نوازله

كنت أتحدث مساء يوم من الأسبوع الماضى عن « معركة الإصلاح الاجتماعى » مفتتحاً العام الدراسى الخامس لمدرسة الخدمة الاجتماعية ، فجال بخاطرى وأنا أعرض وجوه المعركة أن أتساءل : أين كتابنا فى مركز القيادة ، وأين هم فى صف الجنود ، وأين هم فى مجال الدعاية والإرشاد ؟ وهل وضعوا خطة وبرنامجاً لعلاج مشكلاتنا الاجتماعية الكبرى ثم تهيئوا لخوض غمار المعركة حاملين علم الجهاد ، أو أنهم آثروا حياة الدعة وعيشة السكون ، والتزموا الحيدة المطلقة تلقاء هذه المعركة التى شنت فيها الآفات الاجتماعية الغارة علينا بغير رفق أو هوادة ؟

ثم ألقيت نظرة على ما طوى التاريخ من أحداث اجتماعية غيرت أوضاع الحياة ، فبصرت بأقلام الكتاب ولها السبق فى ميدان الدعاية إلى المبدأ وبث الفكرة وحفز الهمم ومناصرة التجديد والإصلاح فى نضالهما مع قوى الرجعية ، وأحسست صولة القلم تسبق صولة السيف ، ورأيت مهمة التمهيد لمعركة الإصلاح يضطلع بها نفر من أئمة الكتاب يشقون الطريق للجنود ويرسمون الخطط للقادة ، ورأيت صرح الإصلاح وقد استقر على دعائمه الراسخة يحيط به سياج من أقلامهم

ثم شهدت ما حشدته الأمم للاصلاح من قوى فبصرت بقوة الأقلام يصول بها الكاتب القدير فى الميدان ، ويشق ببريقها الظلام

(١) على أن ذلك ليس بمقيس على الأصح . قال السيوطى فى الهمع : وأجمع البصريون والكوفيون على أنه لا يستعمل من ذلك إلا ما استعمله العرب . ولا يقاس عليه غيره . فلا يقال : جاء زيد بكاء . وشذ المبرد فقال : يجوز القياس اه .

(٢) بداد علم جنس للتبدد ، وهو التفرق ، مبنى على الكسر كحذام

(٣) أرسلها : أى الإبل . وعراكها : ازدحامها على الورد .



« أرواح شـــاردة »

تأليف الأستاذ الشاعر على محمود طه

بقلم الأديب محمد فهمى كمال

هذه « الأرواح الشاردة » فى تيه المرح والعذاب والحب ، يحتفل بها شاعرنا على محمود طه فى كتابه الجديد احتفال الشاعر الهائم الذى تضطرب حياته فى خضم هذا الكون العظيم ، حيث تتوارى المعالم وتتلاشى الآفاق وتغيب الشطئان . ولقد وسم نفسه فى عالم الأدب بالتيه والشرود ، فهـو « ملاح تائه » يهيم أو « أرواح شاردة » ، يجد لذته ومتعته فى شروده وهيامه ، حتى لكأنه أحد أولئك الشعراء البوهيميين الذى كتب عنهم « هنرى برجير » ، فهو ممن نلتمس عندهم غذاء الروح ورىّ القلب فى البيان المصطفق والخيال المنطلق والنغم المتسق !

ومن نِعم الأيام أن يصدر هذا الكتاب الجديد فى زمن تصطخب فيه الآذان وتضطرب الأذهان بأنباء أفظع مجزرة بشرية تمثلها روح الشر على مسرح الوجود ، بل نحن فى محنتنا هذه أحوج مانكون إلى أمثال هذه الكتب المختلفة بالذوق الجميل والفن الرفيع ، أكثر من حاجتنا إلى كتب العلم والمعرفة والحكمة والفلسفة التى لو شئنا شيئاً منها لالتمسناه فى الكتب التى نقل عنها المؤلف أو تأثر بها ، وفى غيرها مما لم ينقل عنه أو يتأثر به ، ولكنا نحب هذا المزاج البديع من فن الشاعر الثائر على محمود طه الذى عشقناه وفُتنّا به فى قصائده الفرحة وغنائياته المرحة ! !

فهذا الشارد الحائر بين معالم الجمال ومفاتنه فى مصر والبندقية وبرن وروما وفرساى وانسبروك ، سعيدٌ بأن يلتقى بجماعة من الشاردين الحائرين أمثال : فيرلين ورامبو وبودلير وشلى ودى فينى وموسيه وجورج سان وشو وويلز ، ممن تناولهم بالدراسة ، أو عرض لهم ولآثارهم عرضاً سريعاً

فأما بول فيرلين فحديثه ممتع ، ألمّ فيه المؤلف بسيرة هذا الشاعر

الخيم على العقول والقلوب ، ويدفع بها النفوس إلى المثل العليا

وهنا ألقيت نظرة على مصر ، فإذا بمعركة الإصلاح خامدة ، وإذا الروح المعنوية متخاذلة يعوزها القادة والخطة والجنود وقوة الإيمان ، مع اتساع الميادين وفداحة الخطوب وعظم المشكلات وقلة الزاد ووعورة الطريق ، تكتنفنا عوامل الانحلال التى تقربنا إلى الهوة بخطوات واسعة . وشعرت أننا نسير فى الظلام ، وقد خبت الأضواء ، واختفت مصابيح السماء ، فصحت فى نفسى والألم يحزها : « أين كتابنا من هذا النضال ؟ هل آثروا العزلة فى بروجهم العاجية ، يشرفون علينا من عل ، فيعبسون حيناً ويبتسمون أحياناً ، ثم يقهقهون ملء أشداقهم ، ثم يخلدون إلى متعتهم من الفن وروعة الخيال ، يغذون بها روحهم ، ويستوحون منها فيض أقلامهم ؟

ألم يقض هؤلاء الكتاب فترة من سنى حياتهم الناعمة فى قرى الريف ، فتثور نفوسهم لشاهدة الحياة فيها ، فيستلوا أقلامهم ليخوضوها معركة حامية فى سبيل هؤلاء التعساء الذين ضن المترفون عليهم بقسط يسير من مقومات الحياة الإنسانية الكريمة ؟ ألم يستشعروا ما يحيط بهم من مآسى الحياة المصرية ؟ هل فكروا فى وجوه الإصلاح ونصيب الكتاب فى الدعوة إليه والنضال فى سبيله ؟ لقد حباهم الله بخيال خصب وروح اجتماعى سام ينم عنهما ما تزخر به مؤلفاتهم وبحوثهم من شذرات وخواطر ، فكيف السبيل إلى استغلال هذه المواهب فى توجيه قوى الخير لمكافحة عوامل الشر ؟

يخيل إلى أن أدباءنا ينعمون بأنانية منقطعة النظير ، هيأتهم لأن يعيشوا لأنفسهم ، وأن يفكروا حين يفكرون ، ويكتبوا حين تتحرك أقلامهم ، لمتعة الروح وإرضاء الخيال ، دون نظر لما تقتضيهم حقوق الوطن من التزامات تحتم عليهم أن يكونوا فى مركز القيادة ، وأن يتولوا مهمة الإرشاد

أين إنتاج أدبائنا مما توحى به الحرب ، وما يتطلبه تنظيم الحياة الاجتماعية بعد الحرب ؟ ألم يروا كيف نهض الكتاب فى البلاد الغربية يعالجون المشاكل الاجتماعية التى أوجدتها الحرب ، والتى ستتمخض عنها الحرب عندما تخبو نارها ، فاستخلصوا العبرة ، ووصفوا العلة ، ورسموا الطريق للمستقبل ؟ !

يجب أن يتغير وجه الحياة المصرية فى طرائق التفكير وأسس الثقافة ومعايير الإصلاح وروح التشريع ، نتيجة لتلك الهزة العنيفة التى توشك أن تتداعى منها جوانب الحضارة القائمة ، وأن يكون الكتاب قادة المعركة الإصلاحية التى تطالعنا كتائبها . فكأنهم منها فى الطليعة ، ولو عرضوا أنفسهم ليكونوا أول ضحاياها .

محمد العشماوى

نائب رئيس رابطة الاصلاح الاجتماعى

الذى كان أرخم صوت صدح به الشعر الفرنسى فى القرن الذى أنجب هيجو ولامارتين وموسيه وجوتيه وسنت بيف ومالارمى وليكونت دى ليل وأناتول فرانس وغيرهم من الأعلام والعباقرة الأفذاذ

ولقد تناول المؤلف فى حديثه هذا أصول الفن مطوفاً بالمصادر التى استمدت منها شاعرية فيرلين ألوانها الباهرة ، واستلهمت أنغامها الساحرة ؛ ثم تناول شخصية فيرلين بالاستقراء والتحليل ، هذه الشخصية التى قال أناتول فرانس فى صاحبها : « إنه سقراطىٌّ بالفطرة أو خيرٌ من ذلك ، مخلوق خرافىٌّ ، حيوان غابة ، نصفه إنسان ، ونصفه حيوان ، نصفه وحش ضار ، ونصفه إله ، هائلٌ كقوة طبيعية غير خاضعة لشريعة ما ... »

ولقد وفق المؤلف فى تفصيل ذلك كله وكان رائعاً ومتواضعاً فى ترجمته لقصيدة فيرلين فى الخريف ، بل إن أمانة النقل تبلغ فى هذه الترجمة مبلغاً عظيماً مع الاحتفاظ بالروح الغنائى المرح الذى يفيض به شعر فيرلين

وفى عشرات الكتب والدراسات التى وضعت عن فيرلين نجد المؤلف قد ألم بالكثير من الآراء ، وقرَّب هذه الشخصية العجيبة إلينا ، ولو أضاف إلى ما كتبه رأى « فرنسوا بوشيه » فى علاقة فيرلين برامبو لانتهى إلى الحقيقة ولما قال إنها لا تزال موضع تحقيق النقاد والمؤرخين

أما بودلير فقد عرض المؤلف لفنه وللعوامل الموضوعية والذاتية فى شاعريته أكثر مما عرض لسيرة حياته ، وإن كان لم يهمل ما رآه متصلاً أوثق الاتصال ببحثه للقيم النفيس ، فقد تناول جانباً من حياة هذا الشاعر يلقى ضوءاً على المؤثرات التى عملت عملها فى شذوذه وغرابة طباعه وأطواره وحماسته فى عبادة شهواته ، وكان حديثه رائعاً عن نشأة بودلير ورحلته إلى جزائر الهند ، وعن أوكار الحشيش والأفيون ، وهذه الأجساد التى تنضح بشهواتها وتسترق أنفاسها من دخان العطور الشرقية المخدرة ؛ كما كان حديثه بليغاً وبديعاً عن هذه الفتاة السوداء التى نصبها بودلير إلهةً للجمال بجسدها المتل السقيم الذى يملأ السكاف أو البقع أديمه وهو يتخلع فى ثوب مهلهل خلق ...

ومن الحق أن نسجل فى هذا الفصل للأستاذ المؤلف قوته البيانية وطلاقته الفنية وحرارة تعبيره وإن كنا نأخذ عليه الإيجاز فى محاكمة بودلير مع أنه عرض لها أكثر من مرة فى فصله هذا مما يدلنا على إلمامه بدقائق هذه المحاكمة وخاصة عند ما نوه بزعيم الإبداعيين فيكتور هيجو ودفاعه عن بودلير كفنان ، وقد كان على المؤلف أن يُشبعَ الموضوع بتفاصيل هذا الدفاع

أما الكلمة التى نقلها المترجم عن الكاتبة « ريبكا » فى الأدب الإنجليزى الحديث فهى من أدق وأوفى الدراسات التى كتبتها هذه الأديبة العظيمة فقد اشتغلت بالتأليف الأدبى مدى ثلاثين عاماً ، وحسبنا هذا ثقة بآرائها فى الأدب المعاصر

وقد وفق على محمود طه فى ترجمة قصيدة شلى ودى فينى وقصائد ماسفيلد وسيتول و « فنست ملاى » توفيقاً عظيما وخاصة فى الثلاث قصائد الأخيرة فإنه يبلغ الذروة فى الدقة والرقة والقوة

أما قصيدته فى قبرة شلى فقد جمعت كل ما سكبه قلب الشاعر الإنجليزى العظيم من الحلاوة والحرارة والصفاء وكل ما جادت به شاعرية المترجم من فنون التصوير والغناء وسمة الخيال وحسن الأداء ، ولقد قدم المترجم لقصيدتى شلى ودى فينى بكلمتين عن الشاعرين ولم يصنع ذلك فى بقية القصائد ، ولو كان صنع ذلك لحمدنا له صنعه

وما أحسب أن الملاح التائه قد أهمل عن عمد تعريفنا بملاح غير تائه هو جون ماسفيلد شاعر العرش البريطانى الذى بدأ حياته ملاحاً صغيراً يعمل فى البحر وهو فى الرابعة عشرة من عمره

أما القسم الأخير من كتاب أرواح شاردة ، فأنا شديد الإعجاب به ، مفتون بالصور التى رسمها المؤلف لرحلاته فى أوربا ، مشغوف بالحوار الذى أجراه على محمود طه على ألسنة الأشخاص الذين التقى بهم فى طريقه ؛ فليست هذه المقالات مجرد وصف وتزويق من الخيال ، بل هى ظلال وأضواء من الفن والعلم والأدب محتفلة بالرشاقة والعذوبة وخفة الروح ، ممثلة لهذه المناصر أبدع تمثيل ، كأقدر كتاب الأقصوصة ، حتى لتشيع فينا ألواناً من الطرب الروحى ساعة من زمن أو لحظة من وقت كما يُشيع إشراق الكأس المترعة طرَبَ الشرب ومرح الندمان ؛ وحبذا لو أتحفنا على محمود طه بكتاب يفرده لهذه الذكريات مضيفاً إليها ما أظنه لم يجد وقتاً لكتابته أو بالنسبة لحجم كتابه « أرواح شاردة »

أما القصيدة التى ختم بها المؤلف كتابه والتى أنشأها فى محنة باريس وطلعت بها (مجلة الرسالة) على العالم العربى ، فهى مثال من الحسرة والعبرة التى عرفناها فى شعر شوقى فى مثل هذه المناسبات !

فليهنأ عالم الأدب بملاحنا التائه ، وليهنأ هو بأرواحه الشاردة

محمد فهمى كمال

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 434

Lundi - 27 - 10 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ شوال سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صـفحة

١٣٠٥ من أحاديث القهـوة ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٣٠٧ كلمـات صريحة فى التربية والتعليم ... ... } الدكتور زكى مبارك ... ...
١٣١١ كليـلة ودمنة ... ... : الدكتور عبـد الوهاب عزام
١٣١٣ الفن الجيل فى القرآن الـكريم : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٣١٥ اتجاهات الاقتصاد النـازي : الأستاذ فؤاد محمد شبل ...
١٣١٩ تيموســنوكل ... ... : الأستاذ محمـد الشحات أيوب
١٣٢٢ جولة فى أسرار الناس ... : الأستاذ م. دراج ... ...
١٣٢٤ نفسية المحارب ... ... : الدكتور محمد حسنى ولاية ...
١٣٢٥ الصراع الأمريكي اليـابانى : الأديب محمد شاهين الجوهرى
١٣٢٩ أغنية الحب ! ... [قصيدة] : الأستاذ على محمود طه ...
مضى أمسى ... « : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
١٣٢٩ مذبح الحب ... « : الأديب محمد عبد السلام كفافى
١٣٣٠ وفاة الآنسة « مى » ... : . ...
مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية ... ... } الدكتور زكى مبارك ... ...
١٣٣١ شكر ووعد — كتـاب الشعور بالعور ... ... } الأستاذ كوركيس عواد
١٣٣١ تأبين الأستاذ يوسف أسعد : الأستاذ على عبد الله ... ...
الأسود بن قنان ... ... : الأستاذ على الجندى ... ...

من أحاديث القهوة

— ٤ —

كأننا حين كنا نجلس فى كَحَـق القهوة على شاطئ النهر كنا نُشرف على مسرح من مسارح الفكر والشعور لا يقع فى صفوه كدر من أوزار الناس ، ولا قذر من أوضار المادة . فلما دفعتنا بواكر الخريف إلى داخل القهوة أحسسنا الدنيا بصخبها وشغبها ، وجدها ولعبها ، وصدقها وكذبها ، وفشلها وغلبها ؛ واستشعرنا ثقل الحيـاة وضَمة الناس وسخف الرواية الإنسانية تُمثل على أسلوب واحد كل يوم فى أى مكان من الأرض صغير أو كبير ، وبأى عدد من الناس قليل أو كثير

مسرح الحياة فى القهوة ضيق المجال ضئيل العدد قليل الشهود، ولـكنه صورة مقاربةٌ لمسرحها فى الوجود الأكبر : ثلاث سلاسل من المناضد الرخامية امتدت فى ثلاثة أروقة ، قد جلس عليها هواة النرد والدومينو والشطرنج والورق : فأما النرد ، ومثله الدومينو ، فيمثل مذهب الحظ والتهويش فى ابتغاء الربح ؛ فلاعبه لا ينفك طياش الحلم ، جياش الدم ، يصك الخانة بالقشاط ، ويربك الخصم بالعياط والزياط . وأما الشطرنج ، ومثله الورق ، فيمثل مذهب الروية والأناة فى محاولة الـكسب ؛ لذلك ترى لاعبه ساكناً ساكتاً كتمثال الحـكمة ، تحسبه من طول تفكيره لا يعمل . ومكسب العقل أو الشطرنج بطىء ولـكنه ثابت ،

ومكسب الحظ أو النرد مريبح ولكنه متقلب

وعلى حواشي هذه السلاسل جلست جماعات مختلفات في منهج السلوك ودرجة الثقافة؛ فهؤلاء من رجال العمل يُداهي بعضهم بعضاً في مبايعة أو مقاولة، وأولئك من رجال العلم يتنازعون الحجج في مناقلة أو مجادلة

وفي مماشي القهوة أفراد من صعاليك الخلق يمشون وأبصارهم لا تقع إلا على النعال أو على الأرض: أولئك هم ماسحو الأحذية ولاقطو الأعقاب؛ وهم يمثلون الذين رضوا بالهُون والدون، وجهلوا أن فوق الأرض سماء، وأن مع (البراطيش) طرابيش!

ولو أردنا لوجدنا لكل طبقة من طبقات المجتمع صورة من صُور القهوة نُشَقّق عليها الحديث ونعمق فيها البحث، ولكننا نقف اليوم عند صورة هذه العيون المشدودة إلى الأرض، أو المعقودة في النعال، فإنها أولى بالتفكير وأجدر بالرثاء

هذه الصورة تمثل الفلاح ابن الأرض وعبد الأرض؛ قصر نظره على الأرض ليزرع، كما قصرت البهيمة نظرها على الأرض لترعى؛ فلا هو يطمع أن يكون إنساناً يترقى، ولا هي تطمع أن تكون طائراً يرتفع. حتى الصلاة لا يعرف الفلاح منها غير الركوع والسجود؛ أما دخوله فيها بالتكبير، وخروجه منها بالتسليم، فمعنيان ميتان في نفسه، لا يفهم من الأول صلته بالله، ولا من الآخر صلته بالناس. وإذا علمت أن هذا الفلاح في بعض الأمم الدستورية الشرقية هو الكثرة الكاثرة والسواد السائد، علمت كيف يُزوَّر فيها الرأي العام، ويُزَيَّف النظام الديمقراطي!

* * *

كانت هذه الصورة في تلك الليلة مثاراً للحديث عن الفلاح وما يتحمله من سوء الحالة وقبح الجهالة؛ وكانت القهوة على ما تريد (الوقاية) مغلقة النوافذ مرخاة الستائر لا تملك لضوضائها المكبوتة وأنفاسها المحبوسة متنفَّساً ولا فرجة؛ وكان اصطكاك النرد وارتفاع الأصوات وضجة المذياع قد جعلتنا أشبه باليهود في بُرصة العقود، فلم نكد نسمع الأستاذ عدلي وهو يلقي هذا السؤال على الأستاذ توحيد:

— إذا صح أن الشعور بالنقص مبدأ الكمال، فبماذا نعلل بقاءنا في هذا الدرك الأسفل من الحياة ونحن لا نكاد نسمع في كل مكان ومن كل إنسان غير الشكوى من اختلال النظام واعتلال الحكم وانحلال الخلق؟

فقال الأستاذ توحيد: أما إجماع الناس على الشكوى من سوء الحال فما أظن الواقع يؤيده. وإذا كنت تعني إجماع أهل الرأي من رجال الثقافة والصحافة، فإن شكوى هؤلاء لا تدل إلا على آلامهم هم. والقول بأن الأمة متمدنة لأن فيها قوماً يأكلون أكل الذوات، ويلبسون لبس الخواجات؛ وبأنها متعلمة لأن فيها جماعة يحملون شهادات من كل نوع، ودرجات من كل قياس؛ وبأنها طموحة لأن فيها طائفة من مرهفي الحس وعشاق الكمال يطمحون إلى خطير المساعي، ويتشوفون إلى بعيد المطامع؛ ذلك القول لا يسوغه إلا الغرور أو الهزل

صحيح أننا كنا نقول قبل اليوم: إن المصريين أصل الناس، وإن مصر أم الدنيا؛ فلما رقَّت الأغشية الكثيفة عن العيون، كدنا نبصر موقعنا من البلاد وموضعنا من الأمم، ولكن ذلك لا يعني أننا شعرنا بالنقص، ووقفنا على العلة، وبرمنا بالجمود، ونزعنا إلى التكمل

إن الفلاحين وهم جمهور الأمة قد مات في نفوسهم — لسبب لا أدريه — ذلك القلق الروحي الذي يتحدى القدر ويخلق الطموح ويحقق التطور. فإذا انبثق في صدورهم ذلك النور الإلٰهي اهتدوا إلى الطريق الإنساني الذي أضلوه، فلا يحتاجون إلى من يبني لهم المراحيض في البيوت، أو يضع لهم النعال في الأرجل. وليس العلم شرطاً في حُبِّك النظافة وطلبك الحق وإبائك الضيم ورعايتك الصحة، فإن ذلك كله من مقتضيات الفطر السليمة. والبدوي على عنجهيته وجهله لا يزال المثل المضروب في الاعتداد بالنفس والاحتفاظ بالكرامة. وفي يقيني أن الواجب الأول على رجال الدين وأقطاب الصحافة ورجال الإصلاح أن يقنعوا الفلاح بأنه إنسان. ذلك وحده كفيل أن يعلمه كيف يعيش، وأن يلهمه كيف يرقى!

وهنا قدح الأستاذ توحيد زِناده الفضيَّ النادر، وأشعل سيجارَه التُّسكانيَّ الفاخر؛ ولم يكد يطفئه ويستأنف الكلام حتى أُغلقتْ مفاتيح الأنوار، وأُطلقت صفارة الإنذار، فخشعت الأصوات، وسكنت الحركات، واستولى على الناس شعورٌ من صريع القلق ورياء الصبر فاستحال الإصغاء وانقطع الحديث!

(المنصورة) احمد حسن الزيات

كلمات صريحة :

فى التربيــــة والتعليم

للدكتور زكى مبـــارك

شــمار التلميذ — فى مدارس البنات — ضرب التلاميذ — النداء فى المدارس — بين النظار والمدرسين — أخطار تهدد بعض المدارس الأهلية

شعار التلميذ

كنت اقترحت على حضرة صاحب العزة مراقب النشاط المدرسى أن يشير بأن تكون ملابس التلاميذ جميعاً من قماش واحد ، وبهندام واحد ، ليَسلم أغنياؤهم من آفة الازدهاء ، وينجو فقراؤهم من آفة الانضاع ، ولنضمن سلامة أولئك وهؤلاء من عوادى التنافس البغيض

ثم مضيت فكتبت كلة وجيزة فى جريدة (الأهرام) ، أردت بها التمهيد لعرض هذا الموضوع على « مؤتمر التعليم » ، فكيف استقبله كبار المربين بوزارة المعارف ؟

اتفقوا على صـواب الفكرة ، ولـكن معالى الوزير رأى فى تنفيذها إرهاقاً للآباء فى مثل هذه الظروف ، فقد يكون فيهم من يعجز عن إمداد أبنائه بأثواب جديدة فى العام الدراسى الجديد

ولا ريب فى أن معالى الوزير لم يرد غير الرفق بالآباء ، ولـكن ما رأىُ معاليه فيمن يحدثه بأن التلاميذ لن يرفقوا بآبائهم أبداً ، ولن يكون فيهم من يفهم أن الناس جميعاً يعانون قسوة الغلاء ؟

إن التلميذ طفل ، والطفل يعتقد أن أباه على كل شىء قدير ، وإذا فرضنا المستحيل وقدَّرنا أن الطفل قد يراعى ظروف أبيه ، فلا يكلفه ما لا يطيق فى هذه الأيام ، فمن يضمن سلامة هذا الطفل من الألم المكبوت ، وهو يرى من بين التلاميذ من يرجعون إلى المدارس وهم فى اختيال بمـا أعدوا للعودة المدرسية من الزينة والرُّواء ؟

ليس فى مصر تلميذ واحد يقدر ظروف أبيه ، وإن فعل فسيشعر فى قرارة نفسه بأن أباه ضعيف الحول ، وأن الدنيا بخلت عليه وعلى أبيه بما يبعد عنهما شبهة العوز والاحتياج

وما وجودُ المصلحين إذا عجزوا عن رأب هذا الصدع بوسيلة لا تكلفهم غير قليل من الالتفات ، كأن يراعوا أن التلميذ جندى والملابس واحدة لجميع الجنود ؟

قد لا يخطر فى بال وزير المعارف أن فى مصر آباء يقتلون أنفسهم بالبلاء الذى يسمى « التقسيط » ، فأولئك الآباء يزوّدون أبناءهم بمـا يشتهون من طريق الدَّين ، فيظهرون بمظاهر الغنى ، مع أنهم يستعجلون الفقر بخطوات سراع !

و « شعار التلميذ » وقاية من هذا الداء ، فقد يستطيع التلميذ الفقير أن يقضى العام كله بثوب واحد ، ما دام يتعهده بالصيانة والتنظيف ، ولن يكون فى ذلك ما يحرجه أمام رفاقه ، لأنه لم يلبس غير الثوب المطلوب

ومن أعجب العجب أن نفكر فى الطب لجميع أمراض المجتمع ثم ننسى الطب للأمراض التى يتعرض لهـا التلاميذ ، وهم بحكم أسنانهم الصغيرة معرَّضون للآفات النفسية ، لأنهم يعجزون عن مقاومة آفات النفوس ، ولأن رفاقهم لا يعفونهم من الغمز والتلويح ، إذا رأوهم فى أثواب لا تقى لابسيها من التعرض للازدراء . . . وكل ثوب لا يكون ابن يومه هو فى نظر التلميذ علامة فقر وإملاق ... وكان الله فى عون من له أبناء يتعلمون فى المدارس المصرية ، ولو كان من الأغنياء !

وهنالك ظاهرة غريبة لا يلتفت إليها أكثر المربين ، فالتلميذ الذى يستحى من شكوى حاله إلى أبيه ، لا يستحى من الشكوى إلى أمه ، وليس بينه وبينها حجاب ، والأم امرأة لا مرء ، وإحساس المرأة بتفاوت الأزياء أحدّ من السيف الصقيل

فـا ذا تصنع الأم ؟ إن بلّغت الشكوى إلى زوجها كدرته بلا موجب ، لأنها تعرف عجزه عن تحقيق ما يريد ابنها « الطفل » ، وإن كتمت شكواها وشكواه عاش البيت فى جمر لا يطمسه غير رماد لا يحتمل عصف الرياح

ومن المزعج أن الأغنياء لا يكتفون بإسباغ الأثواب الجميلة على أبنائهم المنعَّمين ، وإنما يزوّدونهم بالمـال فى كل يوم ،

ليُقبِلوا على « مَقصف المدرسة » إقبال الأقامى على الأوطاب .

والمنصف أن يتصور كيف يكون حال التلميذ الذى لا يجد فى جيبه غير قرش واحد بجانب التلميذ الذى يجد فى جيبه عشرات القروش ؟

ذلك تلميذ يشترى شطيرة مكوّنة من الخبز والفول بقرش أو نصف قرش ، وهذا تلميذ يلمّ بجميع ما فى المقصف من ألوان وأصناف ، ثم يشاء له « أدبه » أن يزهد فى الماء فلا يشرب غير منقوع المنجة أو الليمون

وليكن مفهوماً أن طبقات التلاميذ فى الحاضر هم طبقات الرجال فى الاستقبال ، ومعنى هذه اللفتة أن تناحر الطبقات فى الغد توضع بذوره فى المدرسة ، المدرسة التى أقيمت لتشييد صروح الأخلاق !

فما أعجبَ ما نصنع بأبنائنا ، وهم فى أصل الفطرة أبرياء !

ثم ماذا ؟ ثم يشاء الأغنياء — عفا الله عنهم — أن لا يعود أبناؤهم إلى المنازل إلا فى سيارات خصوصية !

وهنا أذكر حادثاً رواه أحد المفتشين ، قال :

« اتفق مرةً أن يدوم عملى فى التفتيش على إحدى المدارس إلى الحصة الأخيرة ، فخرجت وقد أعييت ، ولم أكد أخرج من باب تلك المدرسة حتى واجه الصفير آذانى من كل صوب ، فشعرت بدُوَار مخيف ، وبدا لى أن لا نجاة من أخطار السيارات التى تنتظر أبناء الأغنياء . ثم جمعت ما تبدد من قواى ونظرت حوالىّ فرأيت التلاميذ الفقراء يتسللون إلى الطريق فى ذلة وانكسار ، كأنهم طرائد لعار ورثوه عن آبائهم المساكين ! »

فما الموجب لأن يرجع بعض التلاميذ إلى منازلهم فى سيارات خصوصية ، وفى طنطنة تجسّم ما بين الطبقات من فروق لا يسكت عنها الناس إلا عاجزين ؟

ما الموجب لذلك ولأكثر التلاميذ مواصلات أنفعُها المشى على الأقدام ليعوّدوا مواجهة الصعاب ، إن كان المشىُ عشر دقائق من جملة الصعاب ؟

إن سعادة سامى بك راغب وكيل وزارة المالية يصل إلى مقرّ عمله من طريق « المترو » ثم « الترام » وكأنه فى مثل حالى !

ومنذ يومين صادفت الأستاذ خيرى بك مراقب منطقة القاهرة حيران فى ميدان باب الحديد ، لأنه وجد جميع قطارات « الترام » مشغولة — ومن ذلك فهمت أنه لا يقتنى سيارة — وقد اشترك مع بعض زملائه فى « تاكسى » ليصل إلى وزارة المعارف فى الوقت المحدد . وكبار الموظفين فى مصر لا يقتنون سيارات ، إلا أن يكونوا من محدَثى النعمة ومن هواة الشهرة بالترف والنعيم . . .

وهل أنسى أن الأستاذ نجيب بك حتاتة حدثنى أنه لم يعرف المستر دنلوب إلا فى الترام ، وكان المستر دنلوب فى الأيام الخوالى طاغية وزارة المعارف ؟

وخلاصة القول أن الأغنياء فى مصر لا يعرفون ما يجنون على أنفسهم وعلى أمتهم بما يتورطون فيه من إعلان الغنى والثراء

أيكون للغِنى هذا البريق الذى يزيغ الأبصار والبصائر ؟

ألا يرعوى بعض الأغنياء عن إعلان غناهم بتلك الطرق البهلوانية ، ليقوا بلادهم شر الفتنة المخوفة من حقد الفقراء على الأغنياء ؟

كل شىء جائز ، إلا أن تمتد ألسنة هذه النار إلى المدارس ، وهى فيما نرجو محاريب لا يتوجه إليها غير من تنزهوا عن التكبر والاستعلاء

أما بعد فما رأى وزير المعارف ؟

ما رأيُه فى الدعوة إلى أن تكون المدرسة كالمسجد ، وفى المسجد حصيرٌ واحد لجميع المصلين ، ولو كان فيهم وزراء وأمراء ؟

يجب أن يكون « شعار التلميذ » واحداً لجميع التلاميذ ، ولو كان فيهم أبناء فلان وفلان ، لأنهم جميعاً جنود ، والملابس واحدة لجميع الجنود ، فإن لم يراع هذا وزير المعارف فسنسجل عليه أنه فرّط قليلاً فى حق هذا الجيل

فى مدارس البنات

يظهر أنه لا مُوجب للخوف من التنافس بين تلميذات المدارس فيما يتصل بالأزياء ، فالمرايل واحدة للجميع ، وهى تستر ما تحتها من الملابس القطنية أو الصوفية أو الحريرية ، إن صح

أن عند البنات من العقل ما يكفهن عن التطلع إلى ما تحت « المرايل » من أثواب !

ومع ذلك فلا بد من أن تحرص ناظرات المدارس على النظر في هذه الدقائق ، لنضمن سلامة التلميذات من التنافس في الأزياء

والناظرة أمٌ ثانية ، وتعقُّبها لهذه الشؤون لا يعدُّ من الفضول ، وستظفر بالثناء من الأغنياء قبل الفقراء

أما المقصف فحاله في مدارس البنات كحاله في مدارس البنين وهو مصدر شر وبلاء ، ومن الواجب أن لا يباع فيه غير الأطعمة الضرورية ، بحيث لا تجد التلميذة غير « تصبيرة » تدفع الجوع الذي يطرأ قبل وقت الغداء ، أما تزويد المقصف بكل ما لذّ وطاب فهو فرصة لنمو العادات السخيفة ، كالتباهي بالغنى والترف والنعيم ...

وبدعة صبغ الوجوه بالألوان قد وصلت إلى بعض تلميذات اليوم ، ولعلها وصلت إلى بعض المعلمات !

فلتنظر في ذلك ناظرات المدارس ، فالتلميذات سيكن في المستقبل ربات البيوت ، والرياضة على إيثار اللون الطبيعي ستنفعهن كل النفع ، فاللون الخمريُّ أجمل الألوان ، والإبقاء عليه غاية من الغايات القومية ، لأنه من خصائص هذه البلاد ، ولأنه الوشيجة التي تقرّب بناتنا من أخواتهن في الحجاز والعراق . وهل استطاع السواد أن يحجب الجمال الفتان عند أخواتهن في السودان ؟

إن القول بأن « البياض نصف الحُسن » مدسوس على الرسول ، وهو فرية أذاعها الوافدون على العرب من الأقطار الرومية ، فلندفع عن اللون المصري شر الأصباغ المجلوبة من بلاد لا تعرف من الجمال غير الطلاء

ضرب التلاميذ

العقوبات البدنية ممنوعة بأمر وزارة المعارف المصرية ، وتلك العقوبات موضع خلاف بين رجال التربية والتعليم ، وقد أجازها بعض الإنجليز والألمان ، بحجة أنها عقوبات طبيعية

والواقع أن بعض التلاميذ « يستأهلون الضرب » ولكن إقرار هذا المبدأ قد تكون له عواقب سود ، كما شهدت الحوادث التي ساقت مجترحيها إلى القضاء

والواقع أيضاً أن المدرس قد يكون مسئولاً عن شيطنة التلميذ في بعض الأحيان ، فهو قد يحاسبه على كل لفتة وكل لفظة بأسلوب يحمله على العناد ، وإذا عاند التلميذ أستاذه كان ذلك بداية الاختلال في الصفوف

التلميذ لا يجهد نفسه وقت الدرس بقدر ما يصنع المدرس ، ومعنى ذلك أن الإجهاد قد يمرّض المدرس لسرعة الانفعال ، ولا كذلك التلميذ ، فهو في راحة نفسية تجيز له أن يضحك من غير موجب ، وقد يرسل النكتة لمنظر يراه من المدرس أو من بعض التلاميذ

وهنا تسنح الفرصة لإبراز قدرة المدرس على ضبط النفس ، ولو شئت لقلت إن من واجب المدرس أن يرحب من وقت إلى وقت بشيطنة التلاميذ ، لأنها من مظاهر الحيوية ، ومن الشواهد على أنهم أصحاء

وهل تكون المدرسة في كل أوقاتها كدحاً في كدح ، ونضالاً في نضال ؟

إن العلة الأساسية هي الشعور بأن التلميذ مسئول عن النظر إلى الدنيا بعين المدرس ، وهذا شعور خاطئٌ ، فالمدرسون والتلاميذ يمثلون جيلين مختلفين ، ولا يتم بينهما التوافق إلا إذا روعي هذا الاختلاف

وإذا شعر التلميذ بأن أستاذه يتجاوز عن هفواته في بعض الأحايين أضمر له الحب ، وانساق إلى الطاعة بأدب وإخلاص

أكتب هذا وتحت يدي وثائق تشهد بأن ضرب التلاميذ لا يزال مباحاً في بعض المدارس الأولية والابتدائية ، أما المدارس الثانوية فتلاميذها يستطيعون الدفاع عن أنفسهم إذا اشتجر القتال !

الضرب ممنوع ، ممنوع ، ممنوع

والمدرس الحق هو الذي يشغل تلاميذه عن اللهو بجذبهم إلى موضوع الدرس بحيث تضيق صدورهم من التلميذ الذي لا يراعي أدب الاستماع ، ومتى صار التلاميذ من جنود المدرس أصبح من حقه أن يقول إنه من كبار المربين

الغداء في المدارس

أكثر المدارس الأهلية والأجنبية لا تقدّم لتلاميذها طعام الغداء ، فما سبب ذلك ؟

يرجع السبب إلى أن المصروفات المدرسية بدون الغداء تبدو هينة ، فإذا أضيف إليها الغداء ظهرت عسيرة الاحتمال

والمدارس التي لا تغدي تلاميذها تسمح لهم بالخروج ساعتين ، ليتغدوا في بيوتهم أو حيث شاءوا . وفي أغلب الأحوال يأخذ التلاميذ من آبائهم ثمن الغداء ، ثم يتغدون في المطاعم السوقية ، وقد يؤثرون الجوع ليدخروا من تلك القروش ما يعينهم على قضاء بعض السهرات ... والمهم هو النظر في الساعتين اللتين يقضيهما التلميذ بعيداً من المدرسة وبعيداً من البيت ، فماذا تروْنه يصنع في هاتين الساعتين ؟

هل تروْنه يصنع ما كان يصنع أمثاله يوم كانت الدنيا بخير ، ويوم كان التلميذ يذهب إلى أقرب مسجد فيصلي الظهر ثم يراجع دروسه بشغف وشوق ؟

يظهر أن الأمر لم يعد كذلك ، ويظهر أن لا مفر من وصف هاتين الساعتين بالمشئومتين ، ففيهما يعرف التلميذ أشياء لا تخطر المدرسة في بال

وإذن يجب منع التلاميذ من الخروج وقت الظهر ، ويجب أن يتغدوا في المدرسة ، لا في السوق ولا في البيت ، وفي مثل هذه الحال تمدّ لهم المدرسة غداء قليل التكاليف ، لتبقى السهولة في المصروفات . وأهونُ طعام تمدّه المدرسة سيكون أنفع للتلاميذ من طعام السوق ، وأصون لهم من الجري في الطرقات

فإن لم تستطع هذه المدارس أن تغدّي تلاميذها وأن تصونهم من قضاء ساعتين بلا رقابة مدرسية ولا بيتية ، فيجب حتماً أن تسير على النظام الذي اختارته بعض المدارس الأجنبية ، وهو قضاء اليوم الدراسي في وقت موصول ، بحيث ينتهي في منتصف الساعة الثانية ، ثم يخرج التلاميذ إلى بيوتهم ليقضوا بقية النهار تحت رعاية الآباء

وأرجو أن يسمع بعض خلق الله هذا الكلام ، وما أحب أن أزيد .

بين النظار والمدرسين

توجد أزمة مكبوتة بين النظار والمدرسين ، ومَرَدّ هذه الأزمة إلى الوهم الذي يقول بأن الناظر هو صاحب الأمر كله في الدار المدرسية ، بحيث لا يتصرف المدرسون أقل تصرّف إلا بعد الاستئذان

وهذه الحال تُشعر المدرس بأن الصلة بينه وبين الناظر صلة رسمية لا تعليمية ، والفرق بين الصلتين بعيد ، فالصلة الرسمية لا تصل بالمدرس إلى حب الدار المدرسية ، أما الصلة التعليمية فتصل به إلى الشعور بأنه في داره وبين عشيرته الأقربين

ويؤلمني أن أصرّح بأن المدرسين لا يحبون مدارسهم إلا في أندر الأحيان ، فما سمعنا أن مدرساً في قنا رفض النقل إلى القاهرة بحجة أنه يشعر بأن بينه وبين مدرسته صلة روحية ، وإنما سمعنا أن المدرس يطلب النقل من مدرسة إلى مدرسة لأسباب بعيدة كل البعد عن المعاني التعليمية

فهل يكون للصلات بين النظار والمدرسين أثرٌ في خلق هذا العقوق ؟

أنا أتمنى أن يوجد عندنا المدرس الذي يرى في أحجار مدرسته شمائل قدسية ، فلا يرضى بفراقها ولو كانت في الواحات

وأتمنى أن يوجد عندنا الناظر الذي يشعر بالأبوّة للتلاميذ والأخوّة للمدرسين

بأيديكم أيها النظار والمدرسون أن تخلقوا في الجو المدرسيّ روحانية تعوّض ما يفوتكم من المناصب المحفوفة بالبريق الخلاب، فإن غفلتم عن هذا الجانب فستظلون في الاكتواء بالمهنة التي لا تسعد غير من يُقبل عليها بصدق وإخلاص

أخطار تهدد المدارس الأهلية

للمدارس الأهلية تاريخ مجيد ، فقد عاونت على نشر التعليم ، وأمدت الأمة بجمهور كبير من المثقفين

ولكن هذه المدارس معرّضة لأخطار قد تأتي على بنيانها

٣ - كليـــــلة ودمنة

للدكتور عبد الوهاب عزام

ص ٩٥ س ٧ : (إن أرضاً يأكل جُرذانها مائة منّ من حديد ليس بمستكبر لها أن تختطف بُزاتها الفيَلة) ، قال الناقد الفاضل : (ابن المقفع — فيما أشعر — لا يقول هذه الكلمة ، بل يقول بمستنكر) . ومما يجدر ذكره أن استكبر الشيء بمعنى رآه كبيراً وعظم عنده ، قولٌ منسوب إلى الإمام ابن جنى ولم يقله عامة اللغويين ... الخ

أقول : هذا القول جاء فى كتب اللغة كثيراً منسوباً إلى ابن جنى وغير منسوب ، وهو مقيس مسموع . وأرى أن (أُمستكبر) أولى بهذا الموضع من (مستنكر) ، لأن الاستنكار أن يعدّ الأمر نُكراً ، والاستكبار أن يعدّ كبيراً ، ومرجع المعنى فى هذه الجملة إلى أنه مستكبر للبزاة أن تختطف الفيلة لا إلى استنكار هذا . ثم استعمال كلمة (لها) دون (عليها) أقرب إلى الاستكبار . فإن جاز أن توضع مستنكر هنا فمستكبر فى رأيى أقرب إلى سياق الحديث وأخصّ فى المعنى

ص ١٠٧ س ٦ (إذا جئتنى بالليل من غير نداء ولا رمى ولا شيء يرتاب به) قال الناقد : فما ذلك الرمى ؟ الصواب : « ولا رمز » وأقول إن الرمى هو الصواب لأن الرمز فى أغلب معانيه إشارة باليد أو غمز بالعين أو الحاجب . وهـذا مما لا يبين بالليل وإنما أراد الكاتب أن ينبه إليها شيئاً تعرف به حضوره .

ص ١١٥ س ١٣ وصفحات أخرى (رأس الخنازير وسيّد الخنازير) قال : عندى أنها رأس الخبّازين وسيّد الخبّازين . واستدل ببعض النسخ . وأرى أن الخنازير أقرب إلى الصواب لأن دمنة وصف هذا الرئيس بصفات الخنازير . وليس فى وصفه بأنه صاحب المائدة ما يجعله خبازاً ثم تسمية رئيس الجماعة سيدهم كما يقال سيّد الخنازير أقرب من أن يسمى رئيس الصناع سيدهم فيقال سيد الخبازين . وقد بينت اختلاف النسخ فى هذه الكلمة فى التعليق الحادى عشر من باب الفحص من أمر دمنة . وعن هذا التعليق أخذ الناقد روايات النسخ التى استدل بها . ومن غريب ما وقع فى هذا النقل أنى قلت فى التعليق (وفى نسخة شيخو والسريانية) أعنى النسخة السريانية الحديثة فقال الأستاذ فى النقد : (وفى نسخة شيخو السريانية) . وليس لشيخو نسخة سريانية

من الأساس ، لا قدر الله ولا سمح ، فلتلك المدارس على الأمة حقوق

هذه المدارس لا تفكر فى استبقاء المدرس ، ولو وثقت به إلى أبعد الحدود ، فهو عندها ضيف يرحل متى شاءت أو شاء ، والرباط بينها وبينه عَقدٌ يُشترَى بعلومين وتخط فيه كلمات عديمة المدلول ، وإلا فكيف يجوز أن يبقى المدرس بلا علاوة ولا ترقية ولو أفنى شبابه فى تلك المدارس ؟

هل سمعتم أن مدرسة أهلية أغنت مدرسيها عن التطلع إلى الوظائف الأميرية ؟

لبعض تلك المدارس عذر مقبول ، كأن تكون قليلة المال ، أو مثقلة بالديون ، فما عذرُ المدارس التى أمدت أصحابها بالثراء العريض وجعلتهم من أعيان البلاد ؟

ولو كان هذا المسلك ينفع تلك المدارس لقلنا إن لها غاية اقتصادية ، ولكن هذا المسلك لا يجلب عليها غير الضر ، ولا يسوق إليها غير البوار . وما قيمة مدرسة يشعر تلاميذها بأن أساتذتهم ليسوا إلا معلمين ضاقت عنهم المدارس الأميرية فلم يجدوا سعة فى غير المدارس الأهلية ؟

لو كان لأصحاب تلك المدارس نصيب من الفهم الصحيح لقواعد الاقتصاد لجعلوا من وسائلهم إلى الثروة أن ينافسوا الحكومة فى تزويد مدارسهم بأكابر المدرسين ، ويومئذ تشعر الحكومة بأن لها منافسين أقوياء ، فيرتفع قدر المدرس ، وترتفع أقدار المدارس ، ويُنقَض الوهم القائل بأن التعليم « مهنة بلا مجد »

وعند الله يحتسب المدرسون جهادهم فى خدمة التربية والتعليم فهو عز شأنه لا يضيع أجر المجاهدين الصادقين

زكى مبارك

ص ١٢٧ س ١ : (وأخفت علىّ الشبكة حتى لجبت فيها وصويحباتي) ؛ قال الناقد : إنما هو لجج — أى نشب — وقوله فى هذا سديد جيد ، أرجو أن يكون ابن المقفع أراده

ص ١٣٣ س ١٥ : (وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق) قال : والفعل جال لا يتعدّى بنفسه ، والوجه جال فى الآفاق . أقول : والأمر فى هذا هين ، فقد قيل جوّل البلاد وجول فيها ولا يبعد أن يعدّى جال بالتضمين أو ضرب من التوسع

ص ١٣٩ س ٨ : (وانقلبت ظهر البطن وانجررت حتى دخلت جحرى) . قال : وإنما هى انحدرت — أى نزلت فى سرعة إلى الجحر — أقول : كان هذا وجهاً لو كانت الجملة « وانجررت فى جحرى » ، ولكنها : « انجررت حتى دخلت فى جحرى » ، فقد جرّ الجرذ نفسه حتى بلغ الجحر . ولا يلزم أن نتصور الجحر فى مكان منخفض ، فنضع انحدر مكان انجرّ

ص ١٥٠ س ٧ (إن كان (العدو) بعيداً لم يأمن من معاودته وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده)

قال : متكشفاً أى بادياً ظاهراً وهى لا تساير الكلام ، والصواب مكثباً أى دانياً الخ

ورأيى أن هذا ليس صواباً . فإن الاستطراد أن ينهزم المقاتل أمام قرنه ليكر عليه فهو ضرب من المكيدة يراد به إبعاد القرن من فريقه أو نحو هذا . ومعنى الكلام هنا أن الإنسان ينبغى أن يكون على حذر من عدوه فى كل حال ولا ينخدع بالحالات التى يظن فيها العدو بعيداً أو مهزوماً فإن رأى عدوه متكشفاً ظاهراً له غير ممنوع منه أو متظاهراً بالهزيمة فلا يأمن أن يكون هذا استطراداً يريد أن يخدعه به ليكر عليه . فإن وضعنا كلمة « مكثباً » أى دانياً موضع « متكشفاً » اختل الكلام اختلالاً وكان معناه إن رأيت العدوّ قريباً فلا تغتر بقربه فلعله يريد أن يستطرد لك . وهو كلام متهافت ، لأن اقتراب العدو ليس من أحوال الخداع التى يغتر بها عدوه ، فيقال له : لا تغتر بقربه ، فإنه يستطرد لك . ثم حالة القرب مذكورة بعد هذه الجملة : (وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته)

١٦٦ : ١٥ (فإن الشر يدور حيثما دارت) . قال : هى حيثما دُرتَ — وليست كذلك فالضمير راجع إلى الطبائع المذكورة فى الجملة (أرأيتك لو أحرقناك بالنار كان جوهرك وطباعك تحترق معك ؟ فإن الشر يدور حيثما دارت)

١٧١ : ٤ (فابتليت ببلاء حرمت على الضفادع) : قال والجملة بهذا الوضع مبتورة ناقصة وتمامها (حرمت على الضفادع من أجله) أى من أجل البلاء وذلك كما فى صفحة ٧٧ من طبعة بولاق

أقول هذا الاعتراض وأشباهه يسيرٌ على من يريد أن يغير أسلوب الكتاب إلى الأسلوب المألوف المعروف كما فعل الكتّاب بنسخ الكتاب الأخرى . ولكنى أزعم أن أمامنا نصاً آخر جديراً بالبحث وأن أسلوب ابن المقفع لا يخلو من أثر الفارسية ولعل هذه الجملة من شواهد هذا التأثير فليس فى الجملة الفارسية عائد على الموصول أو الموصوف . لهذا أثبتّها كما وجدتّها غير عادل عنها إلى روايات النسخ الأخرى .

هذا إجمال الجواب عما يحتاج إلى جواب مما جاء فى المقال الثالث من مقالات الناقد الفاضل ، وموعدنا بالجواب عن المقال الأخير العدد الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

الفن الجميل

في القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

يخطئ من يظن أن دين الله تعالى زهد محض، وتقشف بحت، ورهبانية لا تعنى بزينة الدنيا وزخرفها، وتصوف مظاهره لبس المرقعات، فلو صح ذلك لم يكن دين الله عاماً صالحاً لكل الناس، وملائماً لكل زمان ومكان، بل يكون خاصاً بطائفة من البشر، تؤثر التقشف على التنعم، والزهد في زينة الدنيا على التمتع بها. وليس كذلك دين الله تعالى، لأنه دين عام صالح لكل الناس، وملائم لكل زمان ومكان، ولهذا جعل الزهد في الدنيا وزينتها مباحاً لمن يريده، وأحل التمتع بتلك الزينة لمن يريدها، حتى لا يكون فيه حرج على أحد في هذه الحياة، ولا تضيق به طائفة من طوائف البشر، وتسير الحياة في نظامها الصالح بدون إفراط أو تفريط

وعلى هذا الأساس جاء القرآن الكريم بالفن الجميل من البناء والنحت والتصوير والغناء وغير ذلك، وذكر الله لنا فيه عهد ازدهار تلك الفنون في بعض ما أنزل من الشرائع، وأقام من الملك، وحكى ذلك في أسلوب يفيض مدحاً وإطراء لما ظهر من آثار تلك الفنون في هذه العهود، ويدل على روعة تلك الآثار وجمالها، وأنها كانت آية في الإبداع، ومعجزة من معجزات الفن الجميل، ومفخرة من المفاخر الباقية الذكر

وقد ازدهر من ذلك في عهد سليمان عليه السلام فنون كثيرة، فبلغت فيه فنون البناء والنحت والتصوير أوج عظمتها، ووصلت إلى أرقى ما وصلت إليه عند الأمم المتحضرة في العصور القديمة، وقد ظهرت آثارها الرائعة فيما بنى سليمان من المساجد والقصور، وفيما شيد من المدن والحصون، وإلى هذا يشير الله تعالى في قوله: (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر، وأسلنا له عين القطر، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات، إعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور).

١٢، ١٣ من سورة سبأ

وكان بيت المقدس أعظم ما تجلت فيه تلك الآثار، وتبارى في زينته أرباب الفنون الجميلة؛ وكان داود عليه السلام قد ابتدأ بناء ذلك البيت لعبادة الله تعالى، ثم مات قبل أن يتم بناءه، فلما ملك سليمان عليه السلام من بعده مضى في إتمام ذلك البيت العظيم، وعمل على أن يكون في عصره آية الآيات، ومعجزة فنون البناء والنحت والتصوير؛ فجمع له أرباب تلك الفنون من سائر الجهات، وخص كل طائفة منهم بالعمل الذي تعرفه، وأحضر الرخام والبلور من أماكنهما، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح لتتلاءم مع ذلك البيت الذي يريد تشييده، ويكون منها واسطة العقد وقلادة الجيد، وقد جعلها اثنى عشر ربضاً، وأنزل في كل ربض سبطاً من أسباط بني إسرائيل، ثم شرع في تشييد ذلك البيت العظيم وأحضر الذهب والفضة والجواهر واليواقيت والدر الصافي والمسك والعنبر والطيب، وأتى من ذلك بشيء كثير لا يحصيه إلا الله تعالى، أتته به أساطيله التي كانت تمخر عباب البحار، وتتنقل فيها شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، ثم أحضر المهرة من الصناع وأمرهم أن ينحتوا تلك الأحجار ويجعلوها ألواحاً، وأن يصلحوا الجواهر ويثقبوا اليواقيت واللآلئ، فبنى ذلك البيت بالرخام الأبيض والأخضر والأصفر، وعمده بأساطين البلور الصافي، وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة، وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن على وجه الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك البيت، حتى كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر

وقد زاد في زينة ذلك البيت ما نقش فيه من الصور الجميلة، وما أقيم فيه من التماثيل البديعة، وكان بعضها مصنوعاً من النحاس وبعضها مصنوعاً من الرخام وبعضها مصنوعاً من الزجاج، وكان منها ما يمثل صور الملائكة ومنها ما يمثل صور الأنبياء، ومنها ما يمثل صور الصالحين، ومنها ما يمثل صور السباع والطيور وغيرها. وكان من معجزات تلك التماثيل تمثالا أسدين كانا

موضوعين تحت كرسي سليمان عليه السلام ، وتمثالا نسرين كانا موضوعين فوقه ، فإذا أراد أن يصعد بسط له الأسدان ذراعيهما ، وإذا جلس على كرسيه أظله النسران بأجنحتهما

وإن ننس لا ننس حديث الصرح الذي شيده سليمان لبلقيس ملكة اليمن ، وأشار الله تعالى إلى عجيب شأنه في قوله (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) — ٤٤ — من سورة النمل

فهذا الصرح كان آية من آيات الفن الجميل ، وهو يدل أكبر دلالة على عظم ازدهاره في ذلك العهد ، وكان سليمان قد شيد ذلك الصرح لبلقيس ليريها عظمة ملكه ، ويطلعها على براعة أرباب الفنون في دولته ، فأقامه من الزجاج الأبيض كالماء ، وأجرى الماء تحته ، وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ، ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه ، فلما أقبلت بلقيس قال لها سليمان ادخلي الصرح ، فحسبته لجة أي ماء عظيما ، وكشفت عن ساقيها لتخوضه إلى سليمان في صدر المجلس ، فقال لها إنه صرح ممرد من قوارير ، فحينئذ سترت ساقيها ، وعجبت من ذلك غاية العجب ، وعلمت أن ملك سليمان من الله تعالى ، فأسلمت لله رب العالمين

وكذلك ورد فن الغناء في القرآن الكريم منسوباً إلى داود عليه السلام ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) ١٠ من سورة سبأ ، ولهذا يقال — نغمة داود — مثلاً في طيب الصوت ، وكان عليه السلام إذا قام في محرابه يقرأ الزبور عكفت عليه الوحش والطير تصغي إليه ، ويقال أيضاً — مزامير داود — لأنه فيما قيل كان له مزامير يزمر بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا اجتمع عليه الإنس والجن والوحش والطير أبكى من حوله . وقال المبرد : (مزامير آل داود كأنها ألحانهم وأغانيهم) ، وقال غيره : (إن طيب صوته ونغمة نغمته شبها بالمزامير ولا مزامير ولا معازف هناك)

وكان عثمان بن عفان أول من عني بتلك الفنون في الإسلام ، ولهذا أخذ عليه أعداؤه أنه بدل الإمارة على المسلمين من زي النسك إلى زينة الملك . وقد نقل ذلك أبو نصر العتبي في كتابه (اليميني عن رسالة البستي في الترجيح بين الصحابة) ، وهذا شيء نراه مفخرة لعثمان رضي الله عنه — وإن رآه أولئك المتنطعون في الدين مذمة له — وقد أخذ عثمان بهذا بتزيين المملكة الإسلامية بعد أن استقر أمرها ، وتغلبت على دولتي الفرس والروم ؛ فلم يعد من اللائق أن تبقى على مظاهر البداوة ، وقد دان لها من دان من أهل الحضارة

وكان مسجد المدينة أول ما عمد إلى تشييده ، فهدمه وبناه بالجص والحجارة ، وأحضر له مهرة البنائين من المملكة الإسلامية الواسعة . ثم أتى الوليد بن عبد الملك فأرسل إلى عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز ، فزاد في المسجد شرقاً وغرباً وجنوباً ، وبنى له أربع مآذن ، وفرش أرضه بالرخام ، ووشى جدرانه بالفسيفساء ، وكسا سقفه بالذهب ، وجعل أساطينه من المرمر

فيا رب هذا دينك جميل كل الجمال ، وليس فيه شيء من ذلك الحرج الذي أفسد أذواقنا ، وأغلظ طباعنا ، وعكس موازين الحسن والقبيح بيننا ، حتى صرنا نرى الحسن قبيحاً ، والقبيح حسناً . ولا شك أن الفنون الجميلة هي التي تهذب الوجدان ، وترقق العاطفة ، فلا يسع أي دين أن ينكر فضلها ، أو يغض من شأنها . وقد ذكرنا من أمرها في القرآن ما فيه الكفاية لبيان شأنها فيه

عبد المتعال الصعيدي

اتجاهات الاقتصاد النازي

للأستاذ فؤاد محمد شبل

كلمة عامة

من المبادئ الأساسية للحزب الوطني الاشتراكي أن صالح المجموع يجبُّ صالح الفرد، وهذا يعني خضوع مصالح الأفراد لما تعتبره القوة الحاكمة في الدولة مصلحة للجماعة. ويتخذ القائمون على شئون ألمانيا اليوم هذا المبدأ ستاراً لتدخل الدولة في الشئون الاقتصادية للأفراد تدخلاً غير محدود المدى

وإنه وإن كان النظام الاقتصادي النازي ينافي في جوهره مبدأ «إدارة الدولة» إلا أنهم في الواقع قد بسطوا إشراف الدولة والمجالس البلدية على كثير من المشروعات. ومن المفارقات أن رجال النازي رغماً عن ذلك ينادون باعتناقهم المبدأ القائل بأن الحياة الاقتصادية يجب أن يكون قوامها الحافز الفردي والمشروع الفردي بمعنى الملكية الفردية لأدوات الإنتاج، وتحمل الفرد لأخطار المشروع، لكنهم يطالبون بخضوع الفرد لإشراف الدولة وتوجيهها. وليس هناك ما يغضب الألمان أكثر من تشبيه نظامهم الاقتصادي بالنظام الاقتصادي السوفيتي، وتراهم يقولون في معرض تفسيره والدفاع عنه أن نظامهم في جوهره لا يعتبر نهجاً اقتصادياً إذ ليس ثمة هيئة مركزية عليا تشرف على تنفيذ النهج، ولا نهج تسعى هذه الهيئة لتحقيقه على نحو المتبع في مشروع الخمس سنوات الذي تتبعه روسيا. فمشروع السنوات الأربع الأولى في ألمانيا كانت الغاية منه القضاء على التعطل والثانية لتحقيق الاستكفاء الاقتصادي للبلاد والاستعداد للحرب

ويسود الحياة الاقتصادية الألمانية نظام يدعونه نظام الزعامة، مبناه أن يقوم على كل جماعة منتجة «زعيم» تأتمر الجماعة بأمره، وهو مسؤول عن توجيه الإنتاج الخاص للجماعة إلى خير الوجهات التي تتفق والسياسة العليا المرسومة. على أنه قد خفف من قوة ضغط نظام الزعامة هذا في الصناعة، فعدل في السنوات الأخيرة بأن أوجدوا سلطة عليا تستأنف إليها آراء الجماعة عند اختلاف أعضائها وعدم وصولهم إلى قرار حاسم، هذا ويوجد جيش من الموظفين الرسميين مهمته التحقق من نفاذ قوانين الحكومة التي لا عد لها ولا نهاية، ويتجلى هذا التدخل بنوع خاص في كل ما يتعلق بالبيوت التي تعمل في التجارة الخارجية أو التي تطلب تصاريح للحصول على مواد أولية

وإذا استقرينا النظام الاقتصادي الألماني وجدناه يعوزه كثيراً وجود الارتباط بين أجزائه المختلفة، مما أفضى إلى نشوء كثير من المتاعب، وسبب خسارة في سجايا الفرد وكفايته الطبيعية. وليس أبعد عن الحقيقة من تصور الاقتصاد الألماني يسير ويعمل كالساعة دقة ونظاماً. فهذا النظام صورة براقة خلابة، لكنها زائفة مستعارة. وليس أدل على ذلك من التصريحات الكثيرة التي يذيعها قادة ألمانيا والمتكلمون عن سياستها الاقتصادية من أن هذا التدخل البعيد المدى في الحياة الاقتصادية والتنظيم الدقيق أمر وقتي وغير طبيعي وهو نتيجة للضروريات التي تجتازها ألمانيا ولا يلبث أن يذهب بذهابها

وإننا في هذا المقال سنجلو بعض الحقائق عن هذا النظام ثم نتبعه ببيان أساليب ألمانيا التجارية التي تعتبر إحدى صور هذا النظام التطبيقية

١ — هيمنة الدولة على جميع العمليات المالية

تمكن الألمان بفرضهم رقابة قوية فعالة على التبادل الخارجي، أن يجعلوا اقتصادياتهم بمنأى من تأثير التغيرات التي تأخذ مجراها في بقية أنحاء العالم، فإنه وإن كان في قدرة العوامل الخارجية أن تحدث أثرها في حجم تجارة ألمانيا الخارجية، إلا أنها لا تستطيع أن تنشئ تبايناً واسع المدى بين قيمة كل من الواردات والصادرات عموماً؛ ونتيجة لهذا تمتعت ألمانيا منذ عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٣٧ ما خلا عام ١٩٣٤ بميزان تجاري موافق، فاستطاعت تسديد جزء كبير من ديونها للخارج التي ما فتئت تحد من حريتها في علاقاتها التجارية مع البلاد الأخرى. وثمة نتيجة أخرى لتقييد التبادل الخارجي، وهي فصل النظام النقدي الألماني والأسعار الداخلية عن الأسعار العالمية التي أصبحت بعيدة عن تأثير الذهب؛ ومما يتصل بتقييد التبادل الخارجي وضع قيود شديدة على خروج الأموال ولا سيما العملة الأجنبية من البلاد

ولقد أصبح النظام النقدي في داخل ألمانيا قائماً على المبدأ العام الآتي، وهو أن حجم النقود والائتمان الموجودة في التداول يجب أن يتمشى مع الزيادة في الإنتاج ومحصول السلع والخدمات،

وهذا ما يعبرون عنه بقولهم : the engenkonjuuktur statt pre'skonjunktur ؛ وبعبارة أخرى يرى الألمان إلى أن يكون نشاط الأحوال الاقتصادية ممثلاً فى حجم الإنتاج ، لا القيمة الناجمة عن ارتفاع السعر

كما أعار الألمـان اهتماماً فائقاً للحقيقة الاقتصادية الآتية : وهى أن المنبع الحقيقى لثروة جماعة ما هو العمل والإنتاج فحسب ، واعتبروا النقود شيئاً ثانوياً بالنسبة لها ، وإن لم يغفلوا دورها الهام فى تمويل المشروع فى جميع أشكاله ، كما اعتبروا الإنتاج الصناعى أهم أنواع الإنتاج

ولقد طبقوا فى عملهم سياسة تبدو لأول وهلة أنها سياسة تضخم ، وذلك أن بنك الريخ خاصة ، والبنوك الأخرى عامة ، أنشأت أدوات المبادلة (سواء أكانت نقوداً ورقية أم اعتمادات) قبل عملية إنتاج الثروة ، إذ الأصل أن يتبع حجم النقود المتداولة حجم الثروة المنتجة . ولقد أظهرت التجربة أن خلق النقود يحمل معه ارتفاعاً تضخمياً فى الأسعار ، ما دام أن هناك قدراً كبيراً من مصادر الثروة العاطلة وجزءاً من الطاقة الإنتاجية لا يستغل فى الوجوه المنتجة المثلى . ولـكى تتفادى أخطار التضخم ورزاياه يجب توفر شرطين : الأول ثبات مستوى الأجور ثباتاً جوهرياً . والثانى ألا يصحب عملية خلق النقود بحال ما تصدير رأس المال على نطاق واسع ، وهذا ما سعت ألمانيا إلى تحقيقه عن طريق تدخل الدولة

ولم تك ألمـانيا بانتاجها هذه السياسة مسيرة بالاعتبارات المؤسسة على الفكرة والتحليل الاقتصادى فحسب ، ولـكنها اضطرت إلى ذلك تحت ضغط الظروف التى ألفتها محيطة بها فى عام ١٩٣٣ ، ففى هذا الوقت هبط إنتاج السلع الصناعية إلى مستوى غير عادى ، وكانت البلاد تعانى أزمة حادة للعاطلين ، بعكس صناعات الاستهلاك التى كانت تسير سيراً حسناً نسبياً ، وكانت هذه الحالة تعمل على رفع مستوى الأثمـان فى داخلية البلاد ، ولتفادى هذا رأت الدولة ضرورة ازدهار سلع الإنتاج التى أصابها الـكساد أكثر من غيرها ، ولا سيما أن نمو الاستهلاك ينتج عنه زيادة فى المستورد من المواد الأولية الخام التى لا يمكن تدبير وسائل تمويلها لافتقار البلاد إلى صكوك الدفع الأجنبية التى بها تدفع هذه الواردات . وعلى ذلك حصرت الدولة مجهودها فى تنشيط الإنتاج وتدبير العمل للعمال بتشغيلها فى الأعمال العامة وعلى الأخص التى تعتبر إنتاجاً رأسماليا لا استهلاكيا

وبينما كان الإنعاش يقام مباشرة على اتساع الاستثمار الحكومى الذى اتخذ فى مبدأ الأمر شكل أعمال عامة ثم أصبح التسلح بعد ذلك المسحة التى تغلب على الأعمال العامة ، كان ثمة أمر من الأهمية بمكان غدا يهيمن على حجم الاستثمار الخاص وطابعه . فقد حل مكان الرغبة فى اجتناء الربح هذه الغريزة التى تحفز الفرد على الاستثمار والمخاطرة فى نظام اقتصادى حر تنظيم متقن محكم رسم فى مبدأ الأمر لغرض الحيلولة دون اكتظاظ صناعات خاصة بالراغبين فى الاستثمار ثم انتقل بعد ذلك إلى أن أصبحت الغاية منه توزيع الاستثمار وفقاً لأغراض الدولة

ولقد حد تماماً من وظيفة سعر الفائدة كقياس لتوزيع الاستثمار بما اتخذته الدولة من تدابير تمثلت فيها إنزال سعر الفائدة إلى مستوى يعتبر واطئاً بالنسبة لما يمكن اجتناؤه من توظيف رأس المال لو كان هذا حراً . وتتجلى هذه النزعة فى قانون صدر بمنع توزيع حصص فائدة على الأسهم والسندات تربو على ٦ ٪ ، وهذا القانون مضافاً إليه السيطرة على الإصدار الجديدة لرؤوس الأموال كان له أبلغ الأثر فى تقليل أهميـة البورصة كثيراً وإن بقيت لها وظيفتها فى التعامل فى الأوراق المالية القديمة

٢ — تثبيت الأجور والأسعار

ظل المستوى الأدنى لمعدلات الأجور على حاله لم يتغير منذ عام ١٩٣٣ رغماً عن زيادة دخول العمال الذين يعملون بالساعة ولا سيما دخول ذوى الأجور الأسبوعية وخاصة الذين يعملون منهم فى الإنتاج الصناعى ؛ وهذه الزيادة تعزى إلى أسباب منها : زيادة الـكفاءة الإنتاجية ، قلة العمال بالنسبة لـكثرة الأعمال ، ذيوع أسلوب الأجر بالقطعة ، العمل الإضافى ... الخ

ولقد أخضعت الأسعار لرقابة كانت آخذة فى الشدة من حين لآخر حتى توجت بقانون « وقف الأجور » الذى صدر فى نوفمبر سنة ١٩٣٦ والذى وقف حائلاً أمام كل زيادة فى الأسعار تحدث دون موافقة مندوب الريخ لمراقبة الأسعار . ومنذ عام ١٩٣٣ هوت طائفة كبيرة من الأسعار بفعل تدخل الدولة . بيد أنه ظل كثير منها فى ارتفاع . ومهما يكن من الأمر فقد كانت النتيجة الخالصة زيادة مقدارها ١٣ ٪ فحسب فى الرقم القياسى العام للأسعار بين ١٩٣٣ ومارس ١٩٣٨

٣ — ابعاد الزراعة عن نظام الأثمان المعتاد

إعتبرت الزراعة الألمانية كلها وحدة تامة منفصلة عن مناحى الإنتاج الأخرى ونظمت على أنها كذلك ، وأصبح الإشراف تاماً على الإنتاج والتوزيع فى كل مرحلة من مراحلهما من وقت وجود المحاصيل فى يد الفلاح إلى وصولها إلى المستهلك . ويختلف مدى الإشراف على عمليات الزراعة كثيراً ؛ ففى حالة الإنتاج يكون الإشراف غير مباشر عادة ويتم من طريق تنظيم الأسعار وإسداء النصائح للمزارعين والدعاية . أما التوزيع فيتم مباشرة غالباً . وليس هناك سعر أعلى أو أدنى يحصل عليه الزارع لقاء محصوله ، ولكنه يحصل على سعر تضمنه الحكومة . وفى جميع المراحل التالية حتى وصول المحصول إلى المستهلك ، يتخذ ثمن الإنتاج أساساً لتحديد السعر على أن يسمح لتاجر الجملة والتجزئة والصانع الخ بالحصول على ربح عن طريق وضع معدل نسبى لكل

وفى خلال عامى ١٩٣٣ و١٩٣٤ ، انتشلت أسعار المنتجات الزراعية من الوهدة التى كانت قد تردت فيها فى سنى الكساد . ثم ثبتت الأسعار إلى مستوى حقق فى حينه عائداً مناسباً ؛ بيد أن هذه الاسعار لم تعد تغل ربحاً فى عامى ١٩٣٦ و١٩٣٧ بسبب ارتفاع تكاليف الزراعة وأسعار المنتجات الصناعية ؛ وكانت الغاية من ذلك التحديد حماية الزارع من تقلبات الأثمان العادية للسوق ، وتوفير أسباب الطمأنينة الاقتصادية له حتى يمكنه أن يتوفر على أداء واجبه فى إمداد الشعب الألمانى بمطالبه الغذائية الأساسية ولا سيما فى وقت الحرب

ولاعتبارات اجتماعية وسياسية وحربية نظر إلى الزارع نظرة خاصة . فعد جديراً بحماية الدولة ومساعدتها واعتبرت الزراعة طريقة للحياة لا وسيلة من وسائل عدة لاكتساب العيش . وأوحى إلى الزراع أنهم رمز نقاء العنصر الجرمانى وقوته . ولقد توجت هذه الآراء المتطرفة بقانون الوراثة الزراعية الذى عمل على خلق عدد كبير من الملكيات الزراعية من الأب إلى الإبن مجردة عن احتمال وقوعها فى الرهن والدين فى المستقبل

القضاء على التعطل

أخذ الحزب النازى بعد أن تولى السلطة على نفسه عهداً أن يضمن لكل مواطن ألمانى عملاً . ويتفرع عن اعتراف الدولة بحق كل فرد أن يجد عملاً ، حق الدولة فى إلزام كل فرد بالعمل . وهذا المبدأ غير محدود المدى ، إذ قد يعنى أن للدولة الحق أن تقرر للفرد نوع العمل ومكانه وساعاته ومقدار الأجر . مهما تنافى هذا مع مصلحته الخاصة وبيان ميوله ورغباته . وقد يكون لهذا الإجراء مبرر فى أوقات الحرب ، ولكن تطبيق هذا الرأى فى أوقات السلم أمر يتعارض مع حرية الفرد بجميع أشكالها ، وهو يدل دلالة لا ريب فيها على رغبتها فى الحرب واستعدادها لها والتهيؤ لها اقتصادياً على نحو ما يظهر لنا من استعراض تاريخ ألمانيا — الاقتصادى خاصة — منذ عام ١٩٣٣

وفى عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٤ عند ما كانت البلاد ترزح تحت عبء مشكلة المتعطلين ، أوجدت الحكومة أعمالاً لكثير منهم أعمالاً خلقتها الدولة خلقاً لدرء التعطل عن العمال . وكان العمال فى هذه الأعمال يعملون عملاً مرهقاً ، ولا يتناولون لقاءه سوى مصاريف جيبهم وغذاء ومأوى . ولم يكن لهم محيص من القبول إذ لو لم يوجد لهم هذا العمل لكانوا يتناولون الإعانة الضئيلة المخصصة للعاطلين فقط

وفى خلال السنوات ١٩٣٥ — ١٩٣٧ انتهى الأمر إلى هذا النوع من أعمال الترفيه عن العاطلين إذا استوعبت الأعمال الإنتاجية الجديدة كل العمال تقريباً . وإنه وإن كانت معدلات الأجور قد ثبتت بالنسبة لمستوى ١٩٣٣ — ١٩٣٤ إلا أنه لم يكن ثمة ما يمنع رب العمل من عدم دفع أجر أعلى لعماله ، أو العامل من تغيير عمله إذا أمكنه الحصول على أجر أفضل فى مكان آخر . ولقد حرم الإضراب وحتم عرض النزاع بين العمال وأصحاب الأعمال على التحكيم الإجبارى ؛ كما ألغيت نقابات العمال واستبدل بها جبهة العمل التى كانت عظيمة النشاط فى حماية مصالح العمال . وكان ثمة نوع من تمثيل العمال فى جميع الصناعات عدا الصغير منها

بيد أنه كانت ثمة تغييرات عميقة الأثر فى علاقة الدولة بالعمال أخذت مكانها ابتداء من صيف ١٩٣٨ ، فزيادة توتر الموقف السياسى فى أوربا نتيجة لنزاع ألمانيا مع تشكوسلوفاكيا حمل الحكومة الألمانية على أن تقرر تحصين جبهة البلاد الغربية بأقصى سرعة ممكنة، والتسرع فى إنجاز برنامج تسلحها على وجه العموم . ولما كانت البلاد قد انتفى منها التعطل تماماً ولم يعد ثمة عمال يزيدون على الحاجة لتشغيلهم فى أعمال جديدة فقد صدر مرسوم فى ٢٨

يونية سنة ١٩٣٨ يخول الدولة الحق فى دعوة أى مواطن ألمانى داخل البلاد ، ليعهد إليه القيام بأى عمل تعتبره الدولة ذا أهمية خاصة عاجلة بالنسبة إليها . وفى ظل هذا القانون نزع مئات الألوف من العمال من أعمالهم الأصلية بعد انتهاء حالة هذه الضرورة

ومهما يكن من الأمر فواضح أن الدولة فى ألمانيا تجمع فى يديها الآن سلطات لا حد لها على عمالها ، وهذه السلطات هى مما لا شك فيه حق من حقوق الدولة ، ولكن مما يميز حالة ألمانيا أنها استعملت فى أوقات السلام منذ تسلم النازى أزمة الحكم ، فى حين أنها فى غيرها من الدول لا يلتجأ إليها إلا فى الأوقات الغير العادية . وهنا يتبادر إلى ذهننا السؤال الآتى : هل تبقى هذه السلطات فى ألمانيا فى المستقبل بعد الحرب ، وبذلك يظل العامل الألمانى مسلوب الحرية فاقد الإرادة فى اختيار نوع ومكان العمل الذى يروقه ؟ هذا سؤال نترك الرد عليه لما يأتى به الغد . على أنه يمكننا أن نقرر مستندين فى ذلك على آراء الثقات الذين زاروا ألمانيا قبل الحرب ودرسوا أحوالها ، أن الحالة هناك وصلت إلى درجة التشبع فيما يختص بتشكيلات الدولة المالية ، وأن إضافة شىء جديد منها إلى الموجود منها فعلاً أمر لن يقابل بالارتياح من لدن الرأى العام الألمانى

٥ — تحقيق الاستكفاء الاقتصادى

نحت ألمانيا قبل الحرب نحو توفير المواد الغذائية والمواد الأولية فى بلادها التى يكون طلبها غير مرن ، أو التى تنقطع عنها عند نشوب الحرب ، أو كوسيلة للضغط الاقتصادى أو السياسى إذا تعرضت البلاد للانهيار . بيد أن ألمانيا لا تصبو إلا إلى تحقيق الاستكفاء الاقتصادى التام الذى ينتج عنه توقف تجارتها الخارجية ، فما دامت لا تستورد فهى لا تصدر ، إذ أن غاية ألمانيا من التجارة الخارجية زيادة صادراتها لتدفع بأثمانها ما تشتريه من الخارج

أما فيما يختص بالمواد الأوليـة ، فقد وجهت السياسة الاقتصادية نحو إحداث تغيير أساسى فى أسس الصناعة من حيث اعتمادها على المواد الأولية النادرة الوجود فى ألمانيا أو التى يلزم استيرادها من الخارج، بأن تستبدل بها مواد أخرى يمكن إنتاجها فى ألمانيا بمـا يكفى حاجات الصناعات أو معظمها ، أو مواد يمكن استيرادها من الأقطار المجاورة لألمانيا التى لن تشترك فى الحرب طوعاً أو كرهاً . وتحقيقاً لذلك نرى المواد البديلة تأخذ مكان الحديد وغيره من المعادن ، والزيادة الكبيرة فى إنتاج الألومنيوم والمغنزيوم والحديد الخسيس النوع ، وحلول المطاط الصناعى محل المطاط الطبيعى ، والاستعانة بالألياف الصناعية عن القطن والصوف ، وابتكار البنزين الصناعى ... الخ

ولقد عملت هذه الخطة على إضافة أعباء جسيمة جديدة إلى النظام الاقتصادى الألمانى ؛ فسوق الاستغلال أصبحت مكتظة بالمشاريع المختلفة ، فأصبح الاستثمار ينوء بما ألقى على عاتقه من تمويل صناعات الاستكفاء ، ولأنه يزيد من الطلب على العمال فى وقت أصبحت فيه ألمانيا فى عوز تام إليهم ، وأصبحت مشكلة توفرهم فى البلاد من أخطر المشاكل التى تعتبر عاملاً يحد من نشاط الاقتصاد الألمانى . وفضلاً عن ذلك ، فإن هذه الصناعات تعتبر عملاً خاسراً من الوجهة التجارية ، إذ تتضمن ارتفاعاً فى تكاليف الإنتاج يؤدى إلى خفض مستوى معيشة السكان . بيد أن ألمانيا لم تراع سوى شىء واحد ، هو توفير أسس الفوز فى حرب قصيرة الأجل يستطيع تحملها الاقتصاد الألمانى

٦ — تفريق الصناعة والسكان

يعتقد الاقتصاديون الألمان أن تصميم المدينة الصناعية فى الوقت الحاضر وما تحشده جنباتها من عدد عديد من العمال تسكن فى حجر ضيقة أمر فظيع لا يمكنهم قبوله . فهم يرغبون أن تقوم سياسة تفريق الصناعة عوضاً عن تركيزها وتجميعها بأن تنشأ مدن صناعية صغيرة موزعة فى أنحاء البلاد

ولقد شرعت ألمانيا منذ تولى النازى أزمة الحكم فى تنفيذ فكرتهم وكان الغرض الحربى هو الغاية الأساسية لتفريق البيوت الصناعية . بيد أن تفريق الصناعة أوجد مشاكل عدة لحياة البلاد الاقتصادية خصوصاً للزراعة . ولقد أنشىء فى برلين معهد أسموه « مجلس النهج المركزى » على اتصال بجميع الجامعات والسلطات الإقليمية للتشاور فى كل المسائل المتعلقة بإنشاء الطرق والمساكن والمصانع والمبانى المختلفة على وجه العموم . واختص المجلس المركزى برسم خطوط سياسة البناء والتعمير العامة للدولة بأجمعها ...

فبينما كان الجزء الأكبر من نشاط بناء المساكن فى ألمانيا منذ عام ١٩٣٣ آخذاً شكل بناء منازل فى المدن الكبرى التى كانت فى عوز شديد إلى المساكن ، كانت هناك حركة بناء مساكن للعائلات الصغيرة فى الضواحى والأرياف . ولقد كانت

شخصيات تاريخية

٤ – تيموستوكل

للأستاذ محمد الشحات أيوب

مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

لعل من الغريب أن نرى الديمقراطية الأثينية لا تفي تيموستوكل حقه من المجد والسلطان بعد انتصاره في معركة سلامين، بل على العكس من ذلك تنكرت له. ونحن لا نستطيع أن نبخسه حقه كما فعلت معه الديمقراطية الأثينية، فشأنها في هذا ربما لا يختلف في قليل ولا كثير عن شأن الديمقراطيات الأخرى في القديم أو الحديث. ويحدثنا هيرودوت أنها ذهبت إلى أبعد من هذا فعملت على أن تتخلص منه، فأرسلته في بعثة إلى أسبرطة ليطلب إليها أن تمد يد المعونة الحربية إلى أثينا في أقرب فرصة ممكنة، ولكنه فشل في هذه البعثة وعاد إلى وطنه فاستقبله مواطنوه استقبالاً فيه شيء كثير من الفتور، وأخذ عليه الأثينيون بوجه خاص كبرياءه وغطرسته، وحان وقت الانتخابات فلم يظهر اسمه من بين المنتخبين ليكونوا الاستراتيجيين العشرة وهم المشرفون على الحكم في الدولة، وأبعدوه عن الحكم وفضلوا عليه زعيم المحافظين وهو أرشهد. ولعل هناك وجهاً للمقارنة بين هذا الموقف وموقف الديمقراطية الفرنسية غداة انتصارها في الحرب العالمية الكبرى الماضية، إذ تنكرت هي الأخرى لزعيمها وصاحب الفضل في انتصارها وهو كليمنصو فلم تنتخبه رئيساً للجمهورية؛ بل فضلت عليه شخصاً دونه في العبقرية، بل إنه بعد في حكم المتوسطين. وتعليل هذا بسيط: ذلك أن الديمقراطية تخاف على نفسها من هؤلاء الأبطال الذين يحرزون لها هذا النصر ويشيدون لها هذا المجد أن تحدثهم أنفسهم أن يحكموها عن طريق العنف والاستبداد كحكل دكتاتور يستبد بالسلطة بعد اشتداد أمره وازدياد أتباعه، أو بعد نصر يصيبه في معركة التحم فيها أو بعد نجاح في بعثة أوفد إليها. ومن الطبيعي أن يكون عدم عرفان الجميل على هذا النحو سبباً من الأسباب التي أدت إلى حفيظة تيموستوكل ضد بني قومه، فكانت هذه الغلطة في نظرنا أولى الخطوات التي أدت إلى تطور تيموستوكل من جانب اليونان إلى جانب الفرس حتى جعلته يقلع عن خدمتهم إلى خدمة أعدائهم

هذه الحركة مظهراً من مظاهر تنفيذ مشروع السنوات الأربع الثانية إذ أنه اتصل بحركة إنشاء المصانع الجديدة الخاصة بتحقيق الاستكفاء الاقتصادي للبلاد.

ولقد وجه إلى حركة إنشاء مساكن العمال ولا سيما التي تقوم على إنشائها المنشئات الصناعية كثير من أوجه النقد، إذ أن هذا من شأنه زيادة اعتماد العامل على مخدومه. والواقع أن خطة الدولة الألمانية تجاه عمالها ذات وجهين، فهي من جهة تجعل من العمال شبه أرقاء لا حول لهم ولا قوة، فترهقهم بالعمل وتحدد لهم أجورهم وساعات العمل ونوعه ومكانه كما تشاء وإذا بها من الجهة الأخرى تعتني ببعض الإصلاحات الاجتماعية التي يقوم بها المجتمع الرأسمالي اليوم

ومن الخير أن نقرر أن طموح ألمانيا نحو هجرة صناعاتها من المدن الكبيرة ونقل العمال إلى الريف لم يتحقق إلا على نطاق ضيق وإن كان ما زال غرضاً نسعى لتحقيقه

***

هذه هي المعالم الأساسية للنظام الاقتصادي النازي؛ وتلك هي الاتجاهات التي يسير فيها، يبدو من تفصيها مدى الفراغ الواسع الذي يفصل بينها وبين النظم الاقتصادية الحرة التي تسير عليها دول كبريطانيا العظمى ومصر وفرنسا والولايات المتحدة. وعلى الذين ينظرون إلى هذا النظام من حيث النتائج التي حققها من انتفاء التعطل من ألمانيا ونشاط جهازها الاقتصادي أن يستعرضوا الظروف التي أحاطت بقيامه ثم وجوده، والأسباب التي عملت على وصوله إلى النتائج التي وصل إليها. وفي مكنة الدول الأخرى أن تستفيد من دراسته وأن تأخذ ببعض أساليبه التي حققت فوائد لألمانيا، على أن يلاحظ في تطبيق هذه النواحي أتم الحيطة والحذر، فألمانيا تخالف في روحها ونظمها وتقاليدها الشعوب الحرة الأخرى. فالأخذ بالنظام الاقتصادي الألماني وتطبيقه على علاته كما يبدو لبعض قصار النظر من الناس أمر لن ينتج منه سوى هدم كيان بلادهم وزعزعة نظمها الاقتصادية والاجتماعية وتعريضها للانهيار.

نزاد محمد شبل

مفتش تموين أسكندرية

وبالرغم من هذا يتجاهل تيموستوكل هـذا التنكر وينسى نفسه ومطامعه ومصالحه الشخصية فيتفق مع خصمه ومنافسه الزعيم أرسيتد على برنامج للإصلاح القومى الغرض منه بعث أثينا وإعادتها إلى الحياة بعد أن كانت قد أوشكت على الفناء على أثر غزوة أجرزسيس لها ، وذلك ببناء ما دمر من بيوتها وإصلاح ما خرب من أراضيها ، وكان أساس هذا البرنامج العبارة اليونانية الشهيرة التى مؤداها أن يجعل أثينا تعتمد على ميناء بيريه ، وكذلك الأرض تعتمد على البحر

وهذا البرنامج واسع شاسع لا يمكنه أن يتمه فى يوم وليلة ؛ لذلك نجده يفضل الأهم على المهم ، والضرورى على الزائد عن الحـاجة ، فيشجع على البدء أولاً بإقامة التحصينات اللازمة للدفاع عن الدولة بعد تخريب الفرس لها ، أما بناء البيوت وإزالة الخرائب والأنقاض عنها ؛ وأما إقامة المعابد الجميلة التى تناسب الآلهة فإنه يعمل على تأخيرها إلى فرصة أخرى مناسبة ؛ ثم نراه يحث قومه على الإسراع فى بناء هذه التحصينات حتى يتموها فى شهر واحد تقريباً ، وكانت نتيجة هذا كله أن أصبحت أثينا محاطة بسور متين يبلغ طوله ٩ كيلو مترات

وأنت لا تستطيع أن تظن أن تنفيذ هذا البرنامج سهل يسير ، كلا ثم كلا ! ذلك أن أعداء أثينا واقفون لها بالمرصاد ، مثل الدول المحيطة بها ، كأريجنيا وميجارا وكورنث . وقد فهمت هذه الدول القصد الذى ترمى إليه أثينا ، فأخذوا يتربصون لها ويحقدون عليها ، وعلى الأخص بعد موقعة سلامين ، لأنها كانت تعتبر صاحبة الفضل الأول فى إحراز النصر لليونان جميعاً ، وقد طلبت هـذه الدول إلى أسبرطة التى كانت على رأس الحلف البيلوبونيزى أن تعمل على هدم هذه الأسوار ، فهى تخاف من أثينا أن تستطيع وحدها الوقوف على أقدامها فتنجح فى الدفاع عن استقلالها ضد كل دولة تحدثها نفسها بغزو أراضيها ؛ فإذا ما تمكنت من الدفاع عن هذا الاستقلال والمحافظة عليه ربما أمكنها أن تلعب دوراً مهماً فى البيلوبونيز وفى غير البيلوبونيز . وقد لبت أسبرطة هذا النداء وأرسلت سفراء من لدنها يتكلمون باسمها أمام المجالس الأثينية ، ولـكن تيموستوكل يفسد عليهم خطتهم بسلوكه مسلك الختل والخداع ؛ فهو يحرص قبل كل شىء على أن تقام هذه التحصينات فى أقرب وقت مهما كلفه ذلك من جهد وعناء ، فتمكن من أن يحصل من مجلس « البولى » على قرار بإرساله هو على رأس سفارة إلى أسبرطة لمفاوضة أهل الحل والعقد هناك ، وفى الوقت نفسه طلب إلى أعضاء سفارته هذه أن لا يبرحوا أثينا حتى يتم بناء هذه التحصينات ؛ ثم ذهب إلى أسبرطة وأخذ يفارض ويفاوض ويماطل فى المفاوضة حتى فطن إلى ذلك أعداؤه وأعداء بلاده ، فنبهوا أسبرطة إلى هـذا الخداع وطلبوا إليها الإسراع فى العمل على تنفيذ رغبتهم حتى لا يفلت الأمر من يدهم ويدها . فترسل أسبرطة سفارة ثانية إلى أثينا ولا تكاد تصل هذه السفارة إلى هذه المدينة حتى تكون الأسوار قد تمت بفضل تفانى جميع المواطنين من شيب وشبان ونساء وأطفال فى إتمامهـا ، فاستطاع بعد ذلك أعضاء وفد تيموستوكل مبارحة أثينا والانضمام إليه فى أسبرطة ، فلما رآهم قد أصبحوا إلى جانبه خلع النقاب وكشر عن الأنياب ورفع الصوت عالياً معلناً لكل من يريد أن يستمع له أن بلاده لا تخضع لوعيد ولا لتهديد ، وأنها إذا أرادت أن تأتى أمراً فى داخل بلادها فهى وحدها صاحبة الأمر فى ذلك ، وهى حرة التصرف فى شؤونها الداخلية لا تقبل من أية دولة ولا من أية جهة أن تتدخل فى أمورها ؛ لذلك فإنها ترفض طلب أسبرطة وحلفائها . وما استطاع تيموستوكل إعلان هذا الرأى إلا بعد أن رأى أن وطنه قد استطاع الظفر فى الحرب ضد الفرس ، بل وأن هـذا الظفر يرجع قبل كل شىء إلى جهود بلاده وتضحياتها ، فإن كانت الدول اليونانية الأخرى قد ساهمت فى إحراز هذا النصر العام فإن هذه المساهمة ضئيلة لا تعد شيئاً مذكوراً إلى جانب ذلك المجهود الجبار الذى بذلته أثينا ، فالعدو قد ضرب أراضيها وانتهك حرمة معابدها وأراضى آلهتها ، والأثينيون بعد ذلك شردوا أيما تشريد ، وهاجروا من وطنهم إلى بلاد سلامين على نحو ما ذكرنا فى المقال السابق ، والأرض الأثينية كانت الميدان الذى قاسى الأهوال ، وتحمل الكوارث والمصائب . أما البلاد الأخرى فى البيلوبونيز فلم تقاس شيئاً من أهوال هـذه الحرب . أفهل يحق لها بعد ذلك أن تقسو على أثينا ، وأن تطلب إليها أن تكون مجردة من كل وسيلة من وسائل الدفاع ، وخاصة وأن تيموستوكل

ومعه الأثينيون ما يزالون يعتقدون أن الحرب لم تنته وأن الفرس ربما يرجعون مرة أخرى لغزو بلادهم ؟ كلا ! إن ذلك لا يمكن أن يحدث بعد الآن فالدولة الأثينية قد أصبحت رشيدة تستطيع أن تدافع عن مصالحها وحقوقها ، بل وأن تذهب إلى أكثر من ذلك فتتسامى عن السياسة الذاتية إلى السياسة العامة ، وهى سياسة الدفاع عن جميع بلاد اليونان قاطبة . لم يسع أسبرطة أمام هذا الإصدار إلا أن ترضخ فتركت أثينا وشأنها . وقد لامها حلفاؤها وعابوا عليها هـذا المسلك فوصفوه بأنه ينم عن الضعف والتخاذل والإهمال ، لأنه من غير شك سيساعد أثينا على المضى فى طريقها بعـد أن رأت أن أكبر الدول اليونانية لا تستطيع أن تمنعها من تحقيق سياستها ، فتشجعت ونهضت بعد هذا البعث الجديد وتمكنت من أن تسير قدماً إلى الأمام لتنفيذ سياستها الأمبريالية وهى سياسة التوسع والفتوح

نجح إذن تيموستوكل فى هذه المهمة ، وهى إحاطة أثينا بالأسوار والتحصينات ، ولـكنه لم يهدأ له بال بعد ذلك إذ رأى أن هذه الأعمال الدفاعية لا تحقق الغرض منها إلا إذا أكملت بأعمال أخرى فى ميناء بيريه . فيوجه إلى هذا الميناء كل جهوده لاعتقاده الجازم أن هذه الأعمال كلها مرتبطة ببعضها تمام الارتباط ، فلا يصلح عمل منها دون أن يتم العمل الآخر ، وهو كثيراً ما نادى — على نحو ما رأينا فيما سبق — أن مستقبل أثينا على البحار ، لذلك لم يكن من الغريب أن تكون سياسته كلها موجهة نحو البحر ، بل مرتكزة على البحر ، فالبحر فى نظره عماد كل شىء كما قال فى تلك العبارة الشهيرة التى أوردناها منذ حين : « أن الأرض الأثينية تعتمد على البحر والمدينة تعتمد على ميناء بيريه » . وتنفيذاً لهذه السياسة يعمل على إحاطة ميناء بيريه هى الأخرى بسور ، وقد تم ذلك فبلغ طوله عشرة كيلو. مترات بعد أن بناه من الأحجار الضخمة التى استخرجها من المحاجر المجاورة . بل ربط تيموستوكل هذا الميناء الجديد بالميناءين المجاورين وهما « زيا » و « مونخيا » وجعلها كلها ميناء واحدة ومدينة واحدة ، وشجع الناس على أن يفدوا إليها من الخارج ، أى من البلدان القريبة منها ، فأقبلوا زرافات ووحداناً ، بعد أن رأوا أنفسهم قد أعفتهم هذه المدينة من الضريبة الثقيلة المساة ateléia وهى التى كانت تفرض على كل أجنبى يريد أن يقيم بها ، فكثر سكانها وازدحموا ازدحاماً عظيماً حتى أصبحت بعد ذلك أهم ميناء فى البحر الأبيض المتوسط ، واعتبرت قلب الإمبراطورية الأثينية النابض . ففيها يرسو الأسطول وهو عماد الإمبراطورية الأثينية البحرية ، ومنها تصدر الصادرات الأثينية وإليها ترد الواردات من الخارج ، كالقمح والخشب والمعادن من البلاد المحيطة بالبحر الأسود أو من آسيا الصغرى ومصر ، وكذلك من طريق الغرب من صقلية وبلاد اليونان الـكبرى فى جنوب شبه جزيرة إيطاليا

سار الشعب الأثينى وراء تيموستوكل واتبع نصائحه ونفذ إرشاداته وتوجيهاته ولـكن إلى حين ؛ ثم سحب بعد ذلك ثقته من هذا البطل ومنحها لخصومه زعماء الحزب الأرستقراطى ، وكان من أبرزهم فى ذلك الوقت أرستيد الذى طالما ذكرنا اسمه وشخصية أخرى جديدة ظهرت إلى جانبه ثم حلت محله بعد ذلك فى زعامة هذا الحزب ، هى شخصية الشاب الأرستقراطى سيمون بن مليتاد بطل ماراتون . وكانت هذه الشخصيات الثلاث عبارة عن ثالوث يوجه شؤون الدولة ويدير دفتها فى هذه الحقبة من التاريخ

تتغلب هاتان الشخصيتان الأرستقرطيتان ، أرستيد وسيمون ، فى عالم السياسة الأثينية بقدر ما تتوارى شخصية تيموستوكل ويأفل نجمه ، وتتفق هاتان الشخصيتان على السياسة الخارجيـة وهى تقضى بالانصراف إلى شؤون حلف ديلوس والاهتمام بأمره حتى يكمل تنظيمه فيستطيع حينئذ أن يحقق الغرض الذى من أجله أسس وهو الدفاع عن اليونان فى بحر إيجه وفى غرب آسيا الصغرى ضد الفرس ، وهما لا يترددان ، فى سبيل تنفيذ هذه السياسة ، عن الاتفاق مع اسبرطة وتقسيم مناطق النفوذ معها ؛ فلها البر ولأثينا البحر . أما تيموستوكل فيقول بغير هذا، يقول بتوجيه الاهتمام إلى حلف ديلوس ولكن على أن يكون هذا الحلف هو القوة المسيطرة وحدها فى بلاد اليونان جميعاً ، فيجب أن تكون لأثينا السيادة فى جميع أجزاء العالم اليونانى ، وهو يعلم تمام العلم أنه لا يستطيع تنفيذ هـذه

جولة في أسرار الناس

[مهداة إلى الدكتور زكى مبارك]

للأستاذ م . دراج

حقاً لقد صدق الذى قال : « إن الإرادة الحازمة لا تعرف المستحيل » فمن ذا يصدق أنى أكتب هذا المقال بعد انتصاف الليل بساعات قضيتها أرقاً أفكر فى الناس والمجتمع وكيف أن الغش والكذب والخداعة هى الأصناف الرائجة بل هى الوحيدة التى يتجر فيها تجار السياسة وسماسرة الأحزاب والمضاربون فى سوق المنافع والفرص « الذهبية » . كان رأسى مملوءاً بالخواطر القلقة والصور تحتشد أمامى ، والحقائق تندفع من وراء مخابئها تهتك أسرار عرى الجمية التى أعيش ويعيش فيها ملايين من أبناء وطنى مقيدين بأغلال الفقر الأسود الذى فرضه علينا دجالو السياسة والاجتماع والاقتصاد ، حتى لم أعد أطيق البقاء فى فراشى فنهضت أعالج ضوء مصباحى الخافت ففتشت فى جوله صالحاً للكتابة فيه ، وعدت أفتش عن قلم أسطر فيه خواطرى اليقظة فلا أجد غير بقية لا تصاح ، وليس لى مكتب أجلس إليه ، وكلها عقبات كفيلة أن تثنى رجلاً فى مثل حالى عن الكتابة . فلست من المبرزين فى رجال المجتمع حتى تتهافت الصحف على كتاباتى ، ولا أنا ممن أوتوا حظاً من المال أذلل به عقبات النشر ، وليس لى بين الصحفيين أصدقاء يهتمون بأفكارى حق الاهتمام ، ومع ذلك أجد يدى قد امتدت إلى المصباح فوضعته قرب الوسادة ، وظفرى قد نبش القشرة الخشبية حتى ظهر سن القلم إذ لا سلاح لدى ، ثم أنبطح على الفراش والورقة أمامى كما ينبطح الجندى فى ساحة القتال . كل هذا من أجل من ؟ ألناس أكتب أم لنفسى ؟ وهل كان يجدر بى أن أكتب هذه المقدمة لو أننى كنت فيما أكتبه للناس مخلصاً ؟ هكذا قلت لنفسى :

على أية حال لقد تبينت فى نفسى رغبة خفية للكتابة ، وللناس أسرار . ألا ترى أننا نحب دائماً أن نسمع رأى الناس فينا ؟ ومع ذلك ننكره منهم النقد ولو كانوا فى نقدهم محقين ؟ بل أكثر من ذلك نحب أن نطلع على خبايا نفوسنا عند دعاة العلم بالغيب ممن

السياسة وإسبرطة قائمة على رأس حلفها ، لذلك نادى بضرورة الاتفاق مع الفرس حتى يكون لأثينا الغلبة والسيادة ، وبذلك تغيرت سياسة تيموستوكل الخارجية تغيراً يكاد يكون تاماً بعد معركة سلامين . ألم نره ألد عدو للفرس وهو الشخص الذى كان روح المقاومة وبطل الاستقلال ؟ ألم نره قد عمل على التوحيد بين اليونان جميعاً لصد الفرس وردهم عن البلاد ؟ تغيرت إذن هذه السياسة ، فلم هذا التغيير ؟ الجواب على هذا السؤال بسيط لا يحتاج إلى كبير عناء ، فتيموستوكل لا يفكر إلا فى وطنه وفى مصلحة وطنه ، ويكاد يكون هذا التفكير شاغله الأعظم ، فهو يريد لأثينا الزعامة على بلاد اليونان كلها والسيادة فى البر والبحر معاً ، والآن وقد زال الخطر الفارسى لم يبق أمام وطنه إلا الخطر الإسبرطى ، وقد اعتقد اعتقاداً جازماً لا يخامره الشك أن الفرس بعد هزيمتهم الساحقة ، فى معركة سلامين ، قد أصبحوا أقل خطراً من قبل . لذلك وجه سياسته إلى الاتفاق معهم حتى يتفرغ لمحاربة إسبرطة ، بخلاف الزعيمين السابق الذكر ، أرستيد وسيمون ، فهما ارستقرطيان ، تكاد تتفق ميولهما وتربيتهما مع الميول والتربية الاسبرطية ، فنزعتهما أرستقراطية لا تختلف عن النزعة الإسبرطية فى قليل ولا كثير . وقد كانت هذه السياسة هى سياسة الحزب الارستقراطى طول القرن الخامس ق . م . أما تيموستوكل فهو ديمقراطى تختلف نزعاته عن نزعات إسبرطة ، وتختلف ميول الحزب الديمقراطى عن ميول الدولة الإسبرطية ، لذلك اصطدمت سياسة هذا الحزب بسياسة إسبرطة حتى كان ذلك من العوامل القوية التى دفعت أثينا إلى الحرب مع إسبرطة فى النصف الثانى من القرن الخامس ق . م . وذلك فى عهد بركليس .

(يتبع) محمد الشحات أيوب

يفتحون « الكتاب » ويضربون « الرمل » ويقرأون فى الكف الماضى والحاضر والمستقبل أيضاً ، ونحن نعلم أنهم يرجمون بالغيب ؟ أليست كل هذه الشعوذات عناصر أكذوبة ضخمة جازت على عقول المفكرين فى هذا المجتمع المريض ؟ مر بخاطرى ذلك الصحفى الذى يملأ صحيفته بالحديث عن نفسه وكيف قضى يومه بين زيارات وحفلات وسهرات ، وعجبت كيف يفرض على الناس أن يهتموا بسهراته ومقابلاته وأحلامه ؟ إن مثل هذا الصحفى يلقبونه أحياناً « صحافياً عبقرياً » لماذا ؟ ألا إنه يعلم أن فى وطنه آلاف المشكلات التى تستحق عنايته ككاتب يعبر عن آلام الشعب وأمانيه ، ثم يصرفهم عن الجد بالهزل ويحول بينهم وبين المطالبة بحقوقه بأمثال هذه « الطرق الأمريكية » ؟ وأنى دور المحامى الشهير الذى أعلن قريباً « أن العلاج الناجع لمثل هذا الوطن المنكوب بملايينه الجائمة العارية المريضة الجاهلة هى الاشتراكية ، ونسى أنه من الأثرياء الذين لا يحسنون فهم الروح الاشتراكية ، وأن الاشتراكية نفسها تأبى جمع المال بمثل هذه الوسائل بل وتحاربها أيضاً . ثم تقدمت صورة طبيب ملأ الجشع نفسه حتى لم يجد من العار أن يساوم المريض على فراش الخطر وأن يبهظ قدرته على الصرف بإطالة أسباب العلاج ، غير مراع فى ذلك حرمة المهنة ولا الضمير الإنسانى

هؤلاء الأطباء يدعون أنهم خدام الإنسانية ! وتذكرت فجأة أنى ركبت تراماً وسمعت بعض الذين أشقتهم أزمة الغلاء وعدت على قوتهم الضرورى يقولون : ليت الذين ينصحوننا بالصبر والقناعة ويوصوننا بعدم الإسراف ، يعلمون أن فى بيوتنا جياعاً لم يتذوقوا الطعام . الطعام الذى ينصحوننا بالاقتصاد فيه » وهل خفف هؤلاء الناصحون من مظاهر ترفهم أو رقوا لحال من يعملون فى مزارعهم أو قصورهم أو مصانعهم أو متاجرهم ؟

الجواب دائماً : لا ثم لا !!

هؤلاء الحكام والسياسيون يستطيعون فى كل وقت أن يصنعوا شيئاً لهذا البلد ، ومع ذلك لا يفعلون ؟ إنهم حينما يرون كسب عطف الفلاح أو العامل بات أمراً جوهرياً لبقائهم لا ينفكون يتوددون إليه بشتى ألوان الوعود والأمانى الخلاب ، حتى إذا تم لهم ما يريدون ، نسوا أو تجاهلوا ما كان

هل يمكن لمثل هذه الملايين البائسة أن تمنحهم ثقتها بعد أن ضيعوا عليهم ربع قرن من الزمان فى منازعات حزبية شخصية غايتها اقتسام المنافع واقتسام المناصب والسلطان ؟ وهل تغتفر لهم ضياع فرص قد يعز على المستقبل أن يجود بمثلها ؟؟ هذا سؤال سترد عليه الأيام المقبلة

كان فى نيتى أن أستيقظ لأسرار الناس ، وأطيل التأمل فى حياة الجمعية التى تعيش فيها ، ولكن بعد ما مضيت قليلاً عثرت على مفتاح هذه الأسرار فوجدت فيه الجشع المادى الذى لا حد له قد سيطر على عقول أفرادها فما يشفيها منه إلا طبيب ماهر جرىء يعرف موطن الداء ويعرف كيف يقضى عليه بالمصل المضاد ... ثم ألقيت قلمى ونمت مع أفكارى جنباً لجنب !

م . دراج

نفسية المحارب

للدكتور محمد حسنى ولاية

قبل أن أخوض فى هذا الموضوع أقول إن السادية Sadism هى النزعة إلى إيلام شخص آخر أو القضاء عليه ، مصحوبة بشعور لذيذ . وهذا الألم إما أن يكون وليد عامل مادى كالضرب بالسوط ، أو معنوى كالتوبيخ والاحتقار . أما الماسوشية Masochism ، فهى على النقيض من هذا ، لأنها تنطوى على استعذاب العذاب والألم مادياً كان أو معنوياً

إن الذى يدعو الإنسان إلى قتل أخيه الإنسان هو النزعة السادية المتحكمة فى نفوس البشر جميعاً ؛ وليست هذه النزعة غريبة عن نفوس النساء ، بل هى مستقرة فى أعماقهن بدليل ظهورها فى بعض العصبيات ، وأحياناً فى اللاتى بلغن سن اليأس

ويحمل كل إنسان — رجلاً كان أو امرأة — نزعة السادية متوازنة مع نزعة الماسوشية ؛ ويُبقى الرجل جانباً كبيراً من ساديته فى وعيه ، فيتسلط على المرأة ويتحكم فيها ، ويحاول التسلط على ضعفاء الرجال ، والتغلب على صعوبات الحياة . على أنه يكبت فى عقله اللاواعى (العقل الباطن) معظم النزعة الماسوشية

ويحدث عكس هذا فى المرأة ، لأن وعيها يحملها على الخنوع والاستسلام لبقاء معظم النزعة الماسوشية فيه . وكثيراً ما تبرز النزعة السادية فى المرأة عندما تصادف منافسة لها فى حب الرجل فتعمد حينئذ إلى الانتقام من أحدهما أو كليهما

تعنى السادية أن يهدم الإنسان سواه ليخلو له الجو ويستأثر بالحياة . فهى نزعة مقترنة بالرغبة فى الحياة والسيطرة . أما الماسوشية ، فتعنى أن يهدم الإنسان نفسه . فهى وثيقة الصلة بغريزة الموت ، وتستقر غريزة الحياة فى عقلنا الباطن جنباً إلى جنب غريزة الموت ؛ ولهذا الجانب من التمثيل المعنوى جانب مادى يقابله ، فغريزة الحياة تمثلها الغدد الجنسية التى تفرز العناصر الحيوية الأولى . أما غريزة الموت ، فيمثلها الجسد الذى مآله إلى البلى !

ولا يلجأ الإنسان إلى عداء الإنسان إلا إذا أمعن فى كبت النزعة الماسوشية ، وأبرز فى الوعى كل الطاقة النفسية المتعلقة بالسادية

يؤدى العرف فى أوقات السلم إلى أن يكبت الرجل شطراً من ساديته لينسجم مع المرأة والبيئة . أما فى زمن الحرب فتتحكم السادية فى العقل الواعى وحينئذ يتحرك الحيوان الرابض فى الأعماق لينقض على فريسته . وليس هذا الحيوان سوى الإنسان البدائى الذى ما زال متمتعاً بكامل قوته وعدته

وحين تسير الجيوش لملاقاة العدو يتناسى كل جندى شخصيته ويعود إلى ماضيه الفطرى ويعمل كما كان يعمل آباؤه الأولون . وهو فى هذه الحالة يشعر بأنه ليس طوع نفسه ، ولكنه رهن الإرادة البشرية الأزلية التى تسيطر على سرائرنا جميعاً . أما إذا أمعن الجندى فى وعى ذاته Self - Consciousness وشعر بأن شخصيته قائمة بذاتها لم تستطع روحه الاندماج مع الروح التى تقود زملاءه الجنود إلى التلاحم مع العدو

ويصيب بعض الجنود مرض الهستريا أو القلق العصبى بتأثير الحرب ؛ ففى الحالة الأولى قد يعترى الجندى شلل فى إحدى ذراعيه أو كلتيهما ، أو فى إحدى رجليه أو كلتيهما ، كما قد ينتابه العمى الهستيرى بتأثير الغازات الخانقة مثلاً ، أو الصمم بتأثير القنابل ، وكل هذه الأعراض نفسية يمكن شفاؤها بالعلاج النفسى

ويشعر المريض بالقلق العصبى بالخوف وخفقان القلب واهتزاز الأعضاء وغير ذلك ، أما شفاؤه فليس بعسير

وقد وجد أن بعض المصابين بجنون المراهقة أشد ثباتاً وأرسخ نفسية من بعض زملائهم لانطفاء انفعالاتهم وعواطفهم ، فهم لا يبالون بالأخطار المحدقة بهم ، ويسيرون فى الصفوف كالبهم السائمة

محمد حسنى ولاية

الصراع الأمريكي الياباني

للأديب محمد شاهين الجوهري

يتخذ الصراع الأوربى كل يوم مظهراً جديداً ، وتطغى الحرب الأوربية على كل ما عداها ، فاشتداد وطأتها وسرعة تطوراتها قد أكسباها خطورة ، وحولا إليها اهتمام العالم وتفكيره .

وإلى جانب هذا الصراع نضال آخر قد اتصلت أسبابهما : ذلك هو النضال القائم بين أمريكا واليابان ، وإنه وإن لم يكن قد دخل للآن فى طور القتال إلا أنه على أشده . ووراء هذا النضال برنامج من التسلح لا يقف عند حد . فالأمتان تستبقان فى هذا الميدان . وإذا عرفنا أنهما دولتان بحريتان يؤلف الأسطول خط دفاعهما الأول ، فسيكون البحر مسرحاً فسيحاً لنضال عنيف بين الأسطولين يرغم فيه القوي الأضعف على التخلى عن الميدان تاركا له السيادة والسيطرة

ولذا نجد جل اهتمام الدولتين وجهودهما مركزاً فى تقوية بحريتيهما ، فكلتاهما تخصص الملايين لزيادة أسطولها وتقويته وجعله أكثر تفوقاً على خصمه . وليس أدل على هذا الاهتمام من أنه لم تكد تمضى ساعتان على توقيع الرئيس روزفلت اعتماد خمسة ملايين دولار لتعزيز البحرية الأمريكية ، حتى أعلن القائمون بأمر التنفيذ أنه قد تم التعاقد مع الشركات التى ستتولى بناء السفن .

أخذت اليابان فى السنوات الأخيرة تقفو آثار السياسة الأوربية وتتبع خطاها ، واضعة نصب عينيها أن يكون لها من وراء كل أزمة أوربية ربح ومغنم . وأخذت أمريكا ترقب عن كثب تطورات السياسة الأوربية ، مسترشدة بها فى توجيه سياستها . وهكذا رأينا الدولتين تسيران حسب ما تمليه عليهما تلك السياسة ، ولكن هناك تباين واضح بين السياستين

فالولايات المتحدة دولة قد خلت سياستها من كل مطمع استعمارى ، ويهمها أن يسود السلام بقية الدول ، حتى تجد فيها أسواقاً رابحة لتجارتها . وقد رأت أيضاً أن مبادئها التى طالما نادت بها فى الحرب الكبرى الماضية كقواعد ثابتة للسلم لم يحققها رجال السياسة الأوربية ، فضلاً عن أنها لم تسترد ما لها من الديون عند الدول التى اقترضت منها فى الحرب الماضية . أضف إلى ذلك أن الشعب الأمريكى شعب قد أشبعته سياسة بلاده بمبادئ السلام ، فاتجه بجهوده وتفكيره إلى ميادين العمل السلمية ، فضرب بسهم رابح فى نواحى النهضة المختلفة علمية كانت أم فنية ؛ وساعده على ذلك ما تتمتع به بلاده من ثروة طبيعية ومالية . لذلك كانت سياستها بعيدة عن التوسع والاستعمار

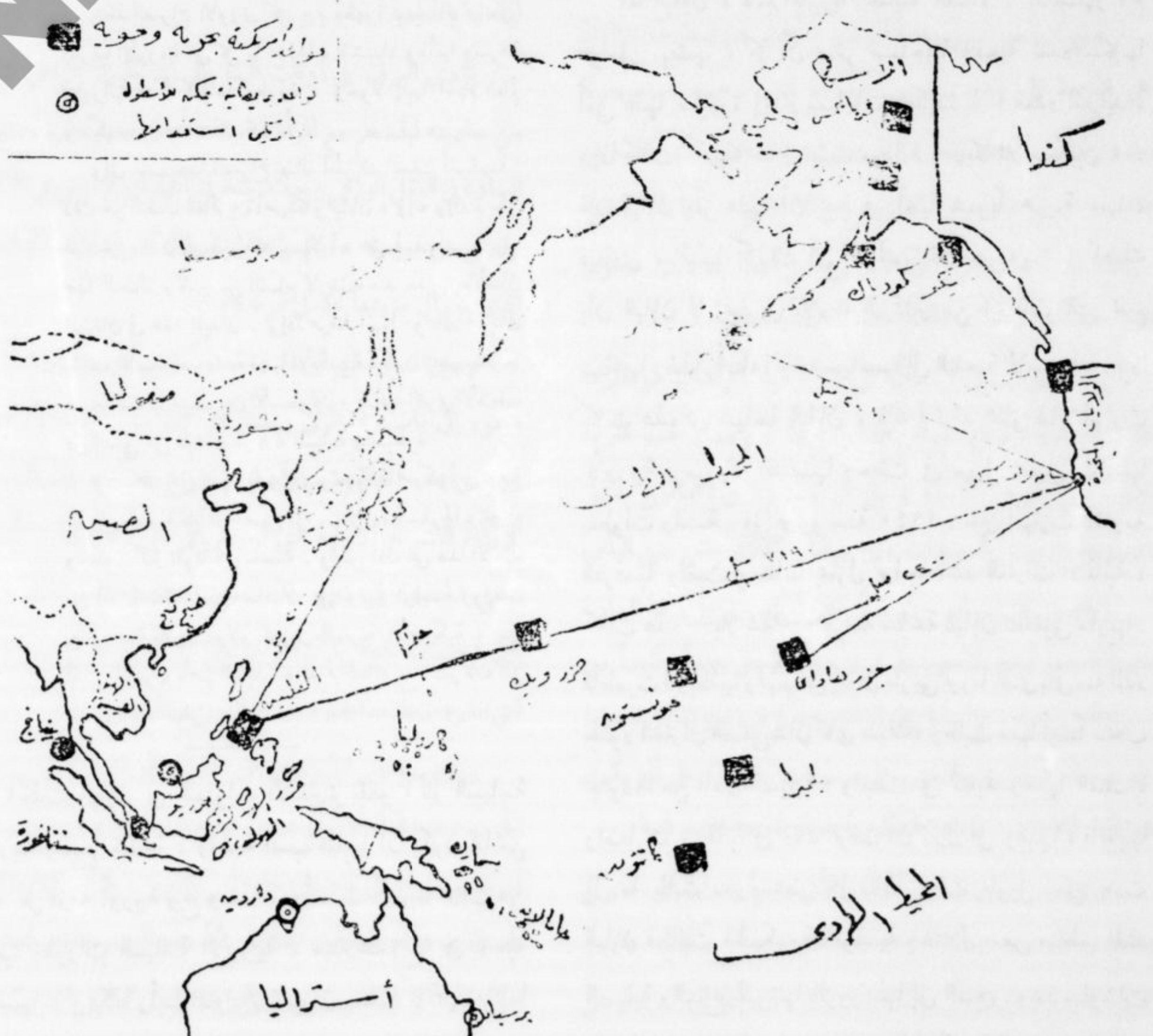
أما اليابان ، فامبراطورية حديثة النشأة . الاستعمار أهم عوامل نهضتها ، كما أن صغر مساحتها بالنسبة لعدد سكانها أملى عليها ضرورة إيجاد مساحات جديدة لهذا العدد المتزايد . وإذا كانت أمريكا قد ارتضت مبدأ « أمريكا للأمريكيين » ، فإن اليابان يعز عليها أن تجد فى آسيا شعوباً غريبة عنها ، فينادى ساستها كذلك أن « آسيا للآسيويين » . ناهيك بأن اليابان لا تجد فى بلادها الكثير من الخامات التى تلزم صناعتها . لهذا رأيناها توجه سياستها إلى الناحية الاستعمارية . فإذا كانت هذه هى سياسة اليابان ، فإنه لم تكد تحلق لها الحوادث الأوربية فرصة إلا اقتنصتها وخطت فى سبيل تحقيق سياستها خطوات واسعة . ففى يونيو سنة ١٩٤٠ ، حين انهارت المقاومة الفرنسية وبقيت بريطانيا بمعزل تواجه أشد الغارات الألمانية ، كانت هذه — بلا شك — فرصة سانحة لليابان لتحقيق مآربها . فأظهرت لبريطانيا رغبتها فى إقفال طريق بورما الذى يأتى منه المدد لجنود الجنرال الصينى شان كاى شيك ، وطلبت منها أيضاً سحب جنودها من المدن الصينية ؛ واتبعت فى تنفيذ رغبتها العنف ، واضطرت بريطانيا فى ذلك الوقت أن تنزل على رغبتها ، فأجابتها إلى ما طلبت . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى عادت اليابان فطالبت الحكومة الفرنسية باحتلال بعض مناطق الهند الصينية والسماح لجيوشها بالمرور منها إلى الصين . وبعد مناوشات واصطدامات ومفاوضات خضعت الحكومة الفرنسية للمطالب اليابانية ، فزحفت قوات اليابان إلى الهند الصينية لمهاجمة جنود الجنرال شاى كاى شيك فى ميدان جديد ، كما اتخذت بعض الوحدات اتجاهها نحو سيام فهددت بذلك القواعد الإنجليزية فى سنغافورة ، وكذلك جزر الهند الشرقية الهولندية التى تعتمد عليها الولايات المتحدة فى استيراد المطاط والقصدير اعتماداً كبيراً ، كما هددت جزائر الفلبين الواقعة تحت الحماية الأمريكية والتى لا تبعد عن الهند الصينية أكثر من سبعمائة ميل

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٠ أمضت اليابان المحالفة العسكرية الثلاثية مع ألمانيا وإيطاليا، وينطوى هذا التحالف على أن تشترك الدول الثلاث المتحالفة فى الحرب ضد أية دولة — ومنها الولايات المتحدة — ورمت اليابان من وراء ذلك إلى ضمان اشتراك ألمانيا وإيطاليا معها إذا اشتبكت فى حرب مع الولايات المتحدة

تلك هى سياسة اليابان التى اتبعتها والخطط التى انتهجتها فما هو رأى الشعب الأمريكى حيال هذه السياسة ؟

يمكننا تلخيص آراء الأمريكيين فى رأيين :

أحدهما يرى إلى اتباع سياسة سلبية فى كل علاقة بين بلاده واليابان



وفى أكتوبر سنة ١٩٤٠ ألقى وزير خارجية اليابان بياناً أوضح فيه سياسة بلاده حيال الولايات المتحدة فقال : « إننى أوجه هذا التحدى إلى الولايات المتحدة، فإنها إذا رأت أن تؤثر الإقدام فى عمى وتمصب على أن تمنع ما من شأنه إحداث تغيير فى الحالة الراهنة فى المحيط الهادى فسنقدم على محاربتها »

والرأى الآخر يرى أنه لا بد من مقاومة المطامع اليابانية ووقفها ، بل القضاء عليها بالقوة قبل أن يتسع نطاقها وتطغى على أمريكا وتصبح أمام خطر يهدد كيانها ويصعب مغالبته . فعلى أمريكا أن تأخذ أهبتها لمقاومة هذا الخطر . وفى هذا يقول ليبمان Lippmann الثقة الأمريكى « إن خير وسيلة للدفاع عن

الجزر ليست بمجرد حشد الأساطيل حول سواحلها لحراستها وارتقاب هجوم العدو، ولكن بمباغتته فى عقر داره وتحطيم الموانئ التى يأتى منها الغزو وتأمين المسالك البحرية »

وبعد انهيار المقاومة الأوربية وسيطرة الدول الديكتاتورية على أوربا أخذ الرأى العام الأمريكى يميل إلى مساعدة الدول التى تناهض الديكتاتورية حتى ولو أدى ذلك إلى تدخل أمريكا الفعلى فى الحرب. ويقول أصحاب هذا الرأى إنه ليس على الولايات المتحدة أن تتجاهل ما تقوم به اليابان فى الشرق الأقصى، كما أنه ليس فى الإمكان تهدئة اليابان وتسوية المشاكل القائمة تسوية سلمية ما لم تقبل أمريكا ما تمليه عليها اليابان

فاليابان ترغب فى أن تنفض أمريكا يدها من النزاع القائم بينها وبين الصين وأن تكف عنها المساعدة، وبمعنى آخر تتخلى أمريكا عن مبدأ حرية التجارة، وعلى ذلك تصبح الصين بمعزل عن المونة الخارجية مما يسهل مهمة اليابان فى القضاء عليها. ولكن كيف تنفذ الولايات المتحدة رغبة اليابان وتتركها تقضى على الصين — وهى بمثابة خط دفاعها الأول — ولذا ينادى أصحاب هذا الرأى بوجوب قطع التجارة مع اليابان، لأن اليابان تنفق ثمن ما تصدره من الحرير إلى الولايات المتحدة على جيوشها فى الصين، فإذا ما قطعت التجارة عنها أصبحت اليابان عاجزة عن مواصلة هذه الحرب، كما يرون ضرورة تصدير المؤن والذخائر إلى الصين لتكون أقدر على الدفاع عن نفسها وإنهاك قوى اليابان. ويرون كذلك أن اليابان — إذا لم تقف الولايات المتحدة فى وجهها — ستحتل جزر الهند الشرقية الهولندية؛ وعندئذ تقطع عن أمريكا ما تستورده من المطاط والقصدير وتملى عليها ما تشاء من الشروط فى سبيل الحصول على حاجتها من هاتين المادتين. وهناك نقطة أخرى وهى أن الشعب فى الولايات المتحدة ومن ورائه الشعوب الأمريكية اللاتينية يؤيد السياسة القائلة بمساعدة الصين؛ فإذا ما كفت الولايات المتحدة عن هذه المساعدة ثارت روح الاستياء فى الرأى العام الأمريكى. كذلك إذا تركت الولايات المتحدة أمر جزر الفلبين التى تعتمد على حمايتها وتثق بها، فإن هذه الجزر ستكون بلا شك عرضة للغزو اليابانى وهذا ما يسبب حنق الشعوب اللاتينية أيضاً وهو ما يخشاه رجال الحكم فى الولايات المتحدة، وينقسم أنصار السياسة السلمية إلى فريقين: فريق يرى أن قوة اليابان وخطرها على الولايات المتحدة أمر مبالغ فيه، إذ أن اليابان منهمكة بكل قواها فى الحرب الصينية وليس فى مقدورها محاربة الولايات المتحدة أو تهديدها تهديداً فعالاً؛ فليس على أمريكا أن تشغل نفسها بمشاكل الشرق الأقصى إذ يمكنها أن تستعيض عن المطاط الذى تستورده من جزر الهند الهولندية الشرقية بمطاط صناعى؛ ويمكنها أيضاً استيراد ما تحتاجه من القصدير من أمريكا الجنوبية كما أن كلتا الدولتين سوق رابحة للأخرى ليس من المصلحة الاستغناء عنه

ويرى الفريق الآخر أن المحالفة العسكرية الثلاثية بين اليابان وألمانيا وإيطاليا قد وضعت أمريكا أمام مشكلة الحرب فى المحيطين الهادى والأطلنطى؛ وليست أمريكا الآن على استعداد لهذه الحرب حتى يتم بناء أسطولها الجديد. لذلك يرون وجوب حل المشاكل القائمة بين الولايات المتحدة واليابان حلاً سلمياً والعمل على تركيز جهود الأسطول الأمريكى فى المحيط الأطلنطى ضد ألمانيا وإيطاليا

ويقول ليمان: « ليس البحر وحده ضماناً ضد الغزو، فإن الجزر البريطانية التى لا تبعد سوى عشرين ميلاً من أوربا لم تتعرض للغزو منذ مئات السنين، بينما نجد أمريكا التى تبعد عن أوربا بآلاف الأميال عرضة لكثير من غزوات الأوربيين. إذن فليس البحر هو الذى يحمى بريطانيا أو أمريكا وإنما تحميها القوة التى تسيطر على هذا البحر »

لذا نجد أمريكا واليابان يخصان الأسطول بأكبر نصيب من ميزانية الحرب لبناء قطع حربية جديدة تضاف إلى أساطيلهما

ويظهر لنا البيان الآتى صورة واضحة عن قوة الأسطولين

النوع	الولايات المتحدة: ما تملكه الآن	الولايات المتحدة: ما تشرع فى بنائه	الولايات المتحدة: المجموع	اليابان: ما تملكه الآن	اليابان: ما تشرع فى بنائه	اليابان: المجموع
بارجة	١٥	١٧	٣٢	١٠	٤	١٤
حاملة طائرات	٦	١٢	١٨	٦	٢	٨
طراد	٣٧	٤٨	٨٥	٤٤	٦	٥٠
مدمرة	١٩٧	١٧١	٣٦٨	١٣٠ } مدمرات وقوارب طوربيد	١٠	١٤٥
غواصة	١٠٣	٨٢	١٨٥	٦٩	١٣	٨٢
المجموع	٣٥٨	٣٣٠	٦٨٨	٢٦٤	٣٥	٢٩٩

وهنا يجدر بنا إجراء مقارنة بسيطة بين الأسطولين :

فالبوارج الأمريكية Capital Ships أقل سرعة من مثيلاتها اليابانية ، ولكن مدافعها أقوى وأبعد مدى ؛ وتفوق حاملات الطائرات والطرادات والمدمرات الأمريكية مثيلاتها اليابانية في القوة والسرعة والحجم ، وبالأسطول الياباني قوارب طوربيد ولا بد أن تكون البحرية الأمريكية قد عملت لها حساباً ،

وبجانب تقوية الأسطول ترى الولايات المتحدة في الدول المناهضة للدكتاتورية خطاً رئيسياً للدفاع عنها وعن مصالحها . لذا أسرعت بتقديم كل مساعدة ممكنة لهذه الدول ، لأنه إذا انهارت بريطانيا أصبحت اليابان حرة في توجيه ضرباتها في الشرق الأقصى ، وأنه ما دامت بريطانيا تحارب ، فسوف تبقى المصالح الأمريكية بعيدة عن أي خطر أو تهديد ، كما أن استمرار الحرب الصينية معناه جعل اليابان في موقف لا يساعدها على مناهضة أمريكا في الشرق الأقصى ، أو تقديم أية معونة فعالة لألمانيا أو إيطاليا من شأنها إضعاف بريطانيا التي تعمل الولايات المتحدة جادة على إبقائها ، بل زيادة قوتها

ولتنفيذ هذه السياسة أصدر الرئيس روزفلت أمره بحظر تصدير الحديد إلى اليابان . ويجب أن نذكر أنه قبل أن يصدر الرئيس هذا الأمر كان قد وافق على اعتماد مبلغ ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال لحكومة الجنرال شان كاي شيك ، وكان الغرض من هذا القرض في الظاهر شراء بعض المواد الخام من الصين ، وحقيقياً مضاعفة جهود المقاومة الصينية ضد اليابان ، كما طلبت الولايات المتحدة من بريطانيا إعادة فتح طريق بورما ، حتى يمكن توصل سيل الإمدادات إلى الصين

ودأبت الولايات المتحدة على مد روسيا بأدوات الحرب اللازمة حتى تتمكن من تقديم مساعدتها للصين عن طريق روسيا ولتساعد روسيا أيضاً في حربها ضد الدول الدكتاتورية . ولا تألو الولايات المتحدة جهداً في سبيل تلك المساعدة ؛ وليس أدل على ذلك مما اتخذه الرئيس روزفلت والمستر تشرشل من قرارات في اجتماع المحيط ، ووصول مندوب الرئيس روزفلت الخاص إلى مؤتمر الحلفاء بموسكو

وهناك بعض اقتراحات ترى الولايات المتحدة الأخذ بها إذا جد ما يدعو لها وهي إرسال سفن حربية أمريكية إلى قاعدة سنغافورة وبعض القواعد الاستراتيجية . ويرى الخبراء الفنيون أن اتخاذ الأساطيل المشتركة لهذه القواعد سيقضي على كل محاولة تقوم بها اليابان للاستيلاء على جزر الهند الشرقية الهولندية إذ أن وجود ثلاثة أساطيل مشتركة — الأمريكي والبريطاني والهولندي — يجعل اليابان في حذر ، وخصوصاً وأن على الأسطول الياباني عبء ضرب الحصار على السواحل الصينية وتموين الجيش الياباني بالصين . وإذا ما عملت أمريكا بهذا الاقتراح فإنها ستنقل نقط الدفاع البحرية الرئيسية للولايات المتحدة من جزر هاواي إلى سنغافورة التي تبعد عن هاواي بمقدار ٦٫٠٠٠ ميل ، وهذا ولا شك سيسهل مهمة الأسطول الأمريكي في حماية جزر الفلبين واتخاذها قاعدة لإصلاح السفن وتضمن له حماية جزر الهند الشرقية الهولندية

ولكن تعترض هذا الاقتراح عقبات منها أن ذلك قد يكلف الأمريكيين ثمناً أغلى مما يستفيدونه من هذه الجزر ، إذ عليهم أن ينفقوا ملايين الدولارات على أسطول يخوض غمار معارك بحرية تقع على هذا البعد الشاسع من مراكز البحرية الأمريكية الرئيسية في المحيط الهادي

تلك هي الخطوات التي قطعتها كلتا الدولتين في هذا الصراع وهو كما نرى صراع قد اتصلت أسبابه بالصراع الأوربي ، صراع في أجلى معانيه بين الديمقراطية والدكتاتورية .

محمد شاهين الجوهري

معهد الصحافة العالي بالجامعة الأمريكية

أغنيـــة الحب !

للشاعر « هاينى »

للأستاذ على محمود طه

يا رِفاقى غنت الفرحةُ فى كل مكان !
إن هذا زمنُ الحب ، فضِجُّوا بالأغانى !
ارفعوا الأقداح ملأى ، واشربوا نَخْبَ الحِسان
فالربيع السَّمْحُ يدعوكم إلى أكرم حان !

•••

الربيع المِرحُ الجذلان يختـــال فَخورا
إنه الحسن الذى يملأ بالحب الصـــدورا
كيف لا نقطف منـــه الثمر الحلو النضيرا ؟
أنت يأيتها الشمس املئى الآفاق نورا !

•••

يا رفاقى قد دعانا زمن الحب فهيـــا
أطلعَ الروضُ جَنى الكرمةِ والزهرَ النَّـديَّا
اقطفوا الأزهار منه واعصروا الكَرْمَ الجنيَّا
يا رِفاقي قد دعانا زمن الحب فهيا ! ...

على محمود طه

مضى أمسى ...

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

مضَى أمسي بأحلامى   فمَنْ يخلُقُ لى أمسى
وغاضَ مَعينُ أوهامى   فمن يَرْوِى صَدى حِسّى
مُنًى كَمْ أفعمتْ جامى   بهنَّ ، ذهبْن أشتاتا
ورحن بسحـــر أيامى   وما عودٌ لمـــا فاتا

وفى قلبى مآتمـُـهُ   على أمسِ الذى ماتا
وقد دَرَسَتْ معالمُـهُ   فهل ترجعُ ؟ هيهاتا
ويومي راح هـــادِمُهُ   يهيبُ بىَ : انظرى لغدِ
غدٌ خفيتْ معـالمه   فدعنى ، ما غدى بيدى

غدى فى حُجُبِ الغيبِ   فلا تكشفْ لىَ الحجبا
يثيرُ الروْعَ فى قلبى   توَهُّمُ أن أرى الغيبا
أخاف أخاف أن يُرْنِى   غدى جرعه إتعاسى
وما أسْـــقيته حسبى   فمحّ صُبـابةَ الـكاسِ

أخافُ خفيَّةَ الأقدارْ   وما أجْرَى لىَ القـلمُ
وهـــذا الفلكَ الدوّارْ   وفيه التيـــهُ والعدمُ
كئوسٌ للقضاءِ تُدارْ   على الشَّرْب ومَنْ لاهون
ائن عدموا لمنّ خُمـارْ   فآذنهمْ ، غداً سيكون

نفضتُ يدىَّ من حُلُمٍ   نعمتُ به إلى حينِ
طوتهُ مجاهلُ العَدَمِ   وعدت بخمر مغبونِ
وكم أفعمتُـــهُ بدمى   أقرّبُ من دمى زُلَفِى
عسى يبقى ، فوَاندمى   تَخَطَّفَ من يدِى خطفا

لـكمْ تصبو له نفسى   وكم أشتاقُ أطيافَهْ
تجى وتروحُ فى حِسِّى   وضاءَ الحسنِ رقّافه
تلاشَى بعـــدهُ أُنسى   وأزهقَ إثرَهُ روحى
فما أصبحُ أو أمسى   سوى أنفاس مذبوحِ

(نابلس)   فدوى طوقان

مذبح الحب ...

للأديب محمد عبد السلام كفافى

بانت به الناسُ أسْرَى وهى أحرارُ   وحَفَّهُ من دمِ العُشّاقِ أنهـــارُ
يخاله من يراه جنةً عَجَباً   لـكنّه للــذى يرتاده نارُ !
قُيُودُه من صَميم السحرقد صُنِعَتْ   والوجدُ سكينُه والحسنُ عقّارُ
يا مَذْبحاً لم يكُنْ إلا لدَى خلَدِى   له بناء عَلا حاطَتْه أسْوارُ
بُستانُه ناضرٌ ضافِى الجمالِ به   ماءٌ وظلٌّ وأنسامٌ وأزهـارُ
لم يَسْقِه مَطَرٌ لـكنَّما هَطَلَتْ   عليه من أدْمُع العُشّاقِ أمْطارُ
ولم يعطِّرْهُ زَهرٌ فوق أغصُنِه   لـكنَّه بعهودِ الحبِّ مِعطارُ



وفاة الآنسة « مى »

فى يوم الأحد التاسع عشر من هذا الشهر استوفت الكاتبة الكبيرة (مى) أنفاسها فى مستشفى (المعادى) وكانت قد نقلت إليه على أثر إغماء غشيها ثلاثة أيام وهى فى بيتها لا يعلم بها أحد، حتى فطن إلى ذلك بواب المنزل فأبلغ أمرها إلى الشرطة . والسنوات الأخيرة من حياة (مى) كانت مأساة يرتاع لها الضمير ويلتاع القلب . وقد أشارت الرسالة إلى بعض فصولها فى أعدادها السابقة

والآنسة (مى) تنتمى إلى أسرة زيادة من قضاء كسروان فى لبنان، وقد ولدت هى بالناصرة حيث كان يعمل والدها المرحوم إلياس زيادة، وتلقت علومها الابتدائية بمدرسة عين طورة، ثم جاء بها والدها إلى مصر فاستكملت ثقافتها وتميزت بالذهن البارع والذوق السليم، والمشاركة فى سائر العلوم، وحذقها للغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية والأسبانية . ثم أخذت تنشر فيض قريحتها الخصبة فى المحروسة ومجلة الزهور والمقتطف والهلال والأهرام والسياسة والرسالة ؛ وغذت المكتبة العربية بطائفة من الكتب الممتعة موضوعة ومنقولة . ومنذ بضع سنوات توفى والدها ثم والدتها فظلت بعدهما حزينة وحيدة، ثم مالت إلى العزلة وانقطعت عن الكتابة والتأليف . ثم أصابها مرض نفسى ساعد على ضعف أعصابها وانحلال قواها، فنقلوها إلى لبنان تستشفى فيه، حتى إذا أحست روح العافية رجعت إلى مصر فألقت محاضرة فى الجامعة الأمريكية أعادت إلى الذاكرة وقفاتها على المنابر . ثم عادت صحتها فساءت فى الأيام الأخيرة حتى توفاها الله . وفى عدد قادم ستقول الرسالة فى الفقيدة الكريمة كلمة الإنصاف

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

كنت أحب أن أعفى نفسى من دراسة الكتب التى قررتها وزارة المعارف فى مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية، بعد الذى عانيت من المتاعب فى دراسة الكتب التى قررتها الوزارة فى السنة الماضية، وإنما يتعبنى هذا النوع من الدراسة لأنه يوجب النزاهة المطلقة فى إصدار الأحكام الأدبية، وليس هذا بالشىء الهين، فأكثر أصحاب هذه الكتب أحياء، وقد تكون بينى وبين فريق منهم ترات وأحقاد، وتخليصُ النفس من الهوى مطلبٌ شاق، ولن أستطيع القول بأنى مبرأ من الأهواء

ولكن الرغبة الكريمة التى أبداها بعض كبار المربين من أمثال الأستاذ أحمد نجيب هاشم ناظر مدرسة فاروق الأول الثانوية، والأستاذ سامى عاشور ناظر مدرسة شبرا الثانوية، والأستاذ حبيب اسكندر مدير مدارس التوفيق القبطية، هذه الرغبة الكريمة قوّت عزيمتى وأعانتنى على صدّ هوى النفس

وما شدا فيه طيرٌ إنما سجعت   عليه من أنفسِ العشّاقِ أطيارُ
أضحتْ وقد أُطلقَتْ من سجنها ولها   في الحبِّ وصلٌ وفى الجنّاتِ أوكارُ
من عهدِ آدمَ قد شيّدتَ وانفتلتْ   تُعلِي بناءَك أجيالٌ وأدهارُ
فكنتَ بيتاً صغيراً ثم صِرتَ وقد   شِيدَتْ على صفحةِ الدُّنيا لك الدارُ
كم من قتيلٍ بلا ذنبٍ أرقتَ له   دماً وكم ذلَّ فى ناديك جبّارُ
وكم ببابك تنصبُّ الدموعُ وكمْ   تُهدَى إليك أغاريدٌ وأشعارُ
وكم تُقامُ صلاةٌ فيك خاشعةٌ   تُتلَى بها من كتابِ الحبِّ أسطارُ
أسديتَ للفنِّ آلاءً مخلّدةً   تروِى عُلاها على الأيام آثارُ
كم قد أذعتَ حديثاً فى الورى عجباً   شدا به الشعر أو غنّتْه أوتارُ
وكم تماثيلَ تجلوها وكم صُوَرٍ   تلقّتِ الوحيَ فيها عنك أفكارُ
يا مذبحاً يتراءى للعيون وما   يَبِينُ منه لعقلِ الناس أسرارُ
حدّثْ عن الزمن الخالي فكم طُوِيَتْ   به من الوجدِ فى ناديك أعمارُ
ولى ذَوُوها ولكن لا تزال لهم   ذكرى على الدهر لا تفنى وإكبارُ
صدقُ الوفاء وإن أودى بصاحبه   حديثُه خالد فى الكون سيّارُ

محمد عبد السلام كفافى

فى معاملة بعض خصومى من رجال الأدب الحديث ، فأنا ماض بعون الله فى درس الكتب المقررة لمسابقة هذه السنة بالنزاهة التى التزمتها فى السنة الماضية ، لأن مقامى فى نقد هذه الكتب مقام المدرس ، والمدرس لا يجوز له أن يواجه تلاميذه بغير الصدق ، وإن كان فى الصدق ما يجرح هواه

وقد أرسلت الوزارة منشوراً بالكتب المقررة إلى جميع المدارس الأميرية والأهلية والأجنبية ، فلا موجب للنص عليها فى هذه الكلمة الوجيزة . وهل يفوت المدرسين الأوائل أن يبلغوها إلى جميع الصفوف ؟ إنما يهمنى أن أنص على أن كتاب « المنتخبات » لأستاذنا أحمد لطفى السيد باشا مقرر تحريرياً على جميع المتسابقين ، وليس عندى ما أقوله فى هذا الكتاب بعد الذى قلته فى العدد ٣٨٨ من مجلة « الرسالة » ، ويستطيع الطلبة أن يجدوه فى مكتبات المدارس الأميرية والمكتبات العمومية

فإلى العدد المقبل ، وسأبدأ بتشريح كتاب « الأخلاق عند الغزالى » فلى بمؤلفه صلة شخصية ، وإن كنت أخشى أن يفسد النقد ما بينى وبين هذا المؤلف ، وهل جاملتُ صديقاً حتى أجامل هذا الصديق

زكى مبارك

١ — شكر ووعد

قرأتُ ما تفضّل بكتابته الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، فى العدد ٤٢٦ من الرسالة الغراء ، فشكرتُ لحضرته وافر أدبه وحسن ظنه بى . وأودّ أن أذكر الآن ، أننى بعثتُ اليوم إلى هذه المجلة بمقال يحتوى على ما أمكننى الوقوف عليه من ترجمة جميل نخلة المدوّر . فعساى قمت ببعض الواجب نحو رجل خدم الآداب العربية خدمة جليلة

أما طلبه الكتابة فى « قصور سامراء » ، فذاك بحثٌ وفّيناه حقه من العناية فى بعض الملحقات التى أضفناها إلى كتاب « الديارات » للشابشتى ، ذاك الكتاب الذى نرجو من الله أن يوفقنا لنشره بالطبع فى وقت نرجو أن يكون قريباً .

٢ — كتاب الشعور بالعور

بينما كنت أقلب فهرس المخطوطات العربية المصونة فى خزانة كتب برلين ، وقع نظرى على ذكر نسخة من كتاب « الشعور بالعور » لعلامة عصره صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ للهجرة . وهذه النسخة برقم ٩٨٦٧ من قائمة أهلوردت Ahlwardt فتذكرت حينئذ أننى قرأت نبذاً منشورة فى مجلة الرسالة . ولما رجعت إليها[1] ألفيتها خمساً ، كتبها ثلاثة أفاضل فى شأن هذا الكتاب ونسخه المعروفة . ويؤخذ من الفهرس المشار إليه أن نسخة برلين تقوم فى (١١٢) صفحة متوسطة ، فى كل منها ٢٧ سطراً ، وأنها كتبت قبل نحو من مائتى سنة

وبذلك ، تكون النسخ المعروفة لهذا الكتاب ثلاثاً ، وهى :

١ — نسخة المغفور له أحمد زكي باشا ، المصورة عن مخطوط فى بعض خزائن استانبول

٢ — نسخة الخزانة الخالدية فى بيت المقدس ، وتاريخها سنة ٨٤١ هـ

٣ — نسخة برلين ، وهى التى ألمعنا إليها فى هذه الكلمة

(بغداد) كوركيس عواد

تأبين الأستاذ يوسف أسعد

أقام شعراء المنصورة وأدباؤها فى الأسبوع الماضى حفلة تأبين بنادى الأرز للأستاذ يوسف أسعد الشاعر الذى توفى فى الشهر الماضى . وقد كانت هذه الحفلة صورة لوفاء الشعراء والأدباء فى الدقهلية نحو شاعر هتف بأعذب الشعر فى جميع المناسبات القومية والاجتماعية والخيرية ، وكان له أقوى الأثر فى تشجيع النهضة الأدبية بالدقهلية

وقد ولد المرحوم يوسف أسعد فى لبنان ، وأتم علومه بمدارسها ، واشتغل فى أول أمره مدرساً لعلوم البلاغة فى المدرسة الوطنية اللبنانية ؛ ثم اشترك فى تحرير مجلة الحقيقة التى كان يصدرها المرحوم نعيم بك صوايا بلبنان ؛ ثم هاجر إلى مصر واختار المنصورة داراً ، واشتغل بالتجارة والزراعة ، فنجح فيهما ؛ إلا أن ذلك لم يصرفه عن قرض الشعر ومعالجة الأدب ، وقد كان أميل إلى الحكم والمواعظ ، وله فى هذا المعنى كتاب قيم اسمه (رأس الحكمة مخافة الله) . رحمه الله رحمة واسعة ، وألهم أهله الصبر عليه ، وعوض أمته الخير من فقده .

(المنصورة) على عبد الله

الأسود بن قنان

ورد هذا الإسم فى كتاب مسهب بليغ جمع بين النثر

(١) أنظر الأعداد ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٧٣ و ٣٧٤ من الرسالة .

والشعر ، للأمير أبي عبد الله بن الأحمر الغرناطي ، بعثَ به إلى سلطان فاس متوسلاً مستغيثاً متوجعاً من بني الإسبان ومناكرهم ! وهو من إنشاء الشاعر الناثر أبي عبد الله محمد ابن عبد الله العربي العقيلي ، وقد سماه « الروض العاطر الأنفاس ، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس »

وفي ثنايا الكتاب يقول مادحا السلطان المذكور : « ... أعز جاراً من أبي دُوَاد ، وأحمى أنفاً من الحارث بن عُباد ... إن أغاث ملهوفاً فالأسود بن قنان يذكر ، الخ »

فمن هو الأسود بن قنان ؟

يقول الأساتذة الأجلاء « السقا والإبياري وشلبي » الذين قاموا بضبط وتحقيق كتاب « أزهار الرياض في أخبار عياض » تعليقاً على هذا الاسم في الهامش : لم نجد[1] شيئاً عن الأسود ابن قنان هذا في المظان التي رجعنا إليها

وللاخوان الكرام كل العذر ، فالأسود بن قنان لم يسعده الحظ بالشهرة مع ما أوتيه من فتوة وأريحية وبأس ونجدة

وقد عناني أن أعرف هذا الرجل الهمام الذي وصفه العقيلي بأكرم خلة يتصف بها إنسان : وهي إغاثة اللهوف ! وخيل إليّ أنني مررت بهذا الإسم فيما قرأت وإن غاب عني المصدر ، حتى كنت ذات ليلة أتصفح (ديوان المعاني لأبي هلال العسكري) فعثرت به مصادفة في فصل المديح من كتاب المبالغة

قال أبو هلال[2] رواية عن أبي الحسن البرمكي عن محمد ابن ناجية الرصفاني ، قال : كنت أحد من وقعت عليهم التهمة أيام الواقعة بمال مصر ، فطلبني السلطان طلباً شديداً ، حتى ضاقت عليّ الأرض برحبها ! فخرجت إلى البلاد مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه ، حتى انتهيت إلى بني شيبان بن ثعلبة ، فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة ، وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مركوز يلمع سنانه ، فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء ، فرد على نساء من وراء السجف ، يرمقنني من خلل الستور بعيون كعيون أخشاف الظباء ! فقالت إحداهن :

اطمئن يا حضري ، فقلت : وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب ! وقلما ينجو من السلطان طالبه ، والخوف غالبه دون أن يأوى إلى جبل يعصمه ، أو معقل يمنعه . فقالت : يا حضرى ، لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير ، قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ، ولا يجوع فيه كبد ، ما دام لهذا الحي سَبد أو لبَد . هـذا بيت الأسود بن قنان ، أخواله كلب ، وأعمامه شيبان ، صعلوك الحي في ماله ، وسيدهم في فعاله ، لا ينازع ولا يدافع ، له الجوار وموقد النار وطلب الثار ، وبهذا وصفته أمامة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته ... بكل مَعَدّيٍّ وكل يمانِ
وفى بهمُ حلماً وجوداً وسؤدداً ... وبأساً فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه ... كأن تلالى وجهه القمران
أغرّ أبرّ ابنيْ نزار ويعرُب ... وأوثقهم عقداً بكل لسان
وأوفاهمُ عهداً وأطولهم يداً ... وأعلاهمُ فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره ... وأطعنهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه ... سحابان مقرونان مؤتلفان

فقلت : الآن ذهبت عني الوحشة ، وسكنت الروعة ، فأنّى لى به ؟ ! قالت : يا جارية ، اخرجي فنادى مولاك ، فخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها في جمع من بني عمه ، فرأيت غلاماً حسناً قد اخضر شاربه ، واختط عارضه ، وخشن جانبه . فقال : أي المنعمين علينا أنت ؟ فبادرت المرأة فقالت : يا أبا مرهف ، هذا رجل نبتْ به أوطانه ، وأزعجه سلطانه ، وأوحشه زمانه ، وقد أحب جوارك ، ورغب في ذمتك ، وقد ضمنا له ما يضمنه لمثله مثلك ! فقال : بل الله فاك ! قال : فأخذ بيدى وجلس وجلست ؛ ثم قال : يا بني أبي وذوى رحمي ، أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري ، فمن أراده فقد أرادني ، ومن كاده فقد كادني ، وما يلزمني من أمره في حال إلا ويلزمكم مثله : فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه ، وتطمئن إليه نفسه .

قال : فما رأيت جواباً قط أحسن من جوابهم ؛ إذ قالوا بأجمعهم : ماهي أول منة منَنْتَ بها علينا ، ولا أول يد بيضاء طوّقتناها ، وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الضيم عنا ، فهـذه أنفسنا وأموالنا بين يديك !

ثم ضرب لى قبة إلى جانب بيته ، فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى صنع لى السلطان ما أملت فانصرفت إلى أهلى

إذاً فالأسود بن قنان من شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل من ربيعة

على الجندى

(١) ص ٩٥ — ١ — أزهار الرياض .
(٢) ص ٦١ — ١ — ديوان المعاني .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 435

Lundi - 3 - 11 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ شوال سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣ نوفمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهــــــرس

صفحة
١٣٣٣ « مى » ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٣٣٦ أومن بالانسان ! ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف
١٣٣٩ الأخلاق عند الغزالى ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٣٤٤ كيف يكتب التاريخ ... . الدكتور حسن عثمان ... ...
١٣٤٨ ثورة على ابن سينا ... : الدكتور جواد على ... ...
١٣٥١ الصحافة والدولة ... .. : الأستاذ زين العابدين جمعة
١٣٥٤ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق إدور وليم لين بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٣٥٧ إلى ... ؟ ... [قصيدة] : « الشاعر المجهول » ... ...
١٣٥٨ المحتسب فى الاسلام ... : الأستاذ كامل يوسف ...
أصل كلمة النفط ... ... : الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد
١٣٥٨ فى نقد الأصول ... ... : الأستاذ محمد أبو البهاء ...
١٣٥٩ فى الخوارج ... ... : الأستاذ أحمد صفوان ...
حق الضيافة ... ... : الأستاذ محمد أحمد عمر ...
١٣٥٩ « عبر كذا... » ... ... : الأستاذ محمد محمود رضوان
١٣٦٠ حول كلمة « عبر » ... : الأديب إبراهيم محمد نجا ...
المصباح الأدبى فى دمشق : (ع . ع) ... ...

« مى »

للأستاذ عباس محمود العقاد

كنت يوماً بمكتب صحيفة « المحروسة » فلقيت وأنا خارج منه صاحبها الأستاذ الياس زيادة والد الآنسة « مى » رحمهما الله . وكان من عادته إذا لقينى أن يخاطبنى باسم الأديب حسين فتوح ، وإذا لقى الأستاذ فتوحا خاطبه باسمى ومشى معه أو مى مسافة يصحح فيها الاسم ويتلطف بالاعتذار ويتناول بعض الأحاديث العامة ...

وجرى الحديث إلى مؤلفات الآنسة فقلت : إنها جديرة بأن تفخر بها . إنها أعظم كاتبة فى العربية

قال : ولك أن تقول : أعظم كاتب

يريد أن المفاضلة والتفضيل قد يجريان بينها وبين الكتاب ولا يقتصر على الكاتبات . فقلت مزكياً شهادته : ليس زهو الأب وحده بالذى يملى عليك هذه الشهادة . إن كثيرين غيرك ليسبقونك إليها

وكان الرجل على حق فى فخره وتقديره . فمثل الآنسة « مى » من يفخر بها الآباء وغير الآباء من أبناء العربية ، ومنزلتها فى الثقافة وخدمة الرأى منزلة فضلى بين الكتاب والكواتب ، وإن كنت قد أردت أنها أعظم كاتبات العربية جميعاً منذ عرفت

لغتنا الكاتبات ، ولم أرد أنها أعظم الكاتبات فى عصرنا هذا دون غيره

وما تتحدث به ممتع كالذى تكتبه بعد روية وتحضير ، فقد وهبت ملكة الحديث فى طلاوة ورشاقة وجلاء ، ووهبت ما هو أدل على القدرة من ملكة الحديث — ونعنى به ملكة التوجيه وإدارة الأحاديث بين الجلساء المختلفين فى الرأى والمزاج والمقام — فيكون فى مجلسها عشرة : منهم الوزير والموظف الصغير ، ومنهم المحافظ والمغالى بالتجديد ، ومنهم المرح الثرثار والوقور المتزمت ؛ فإذا دار الحديث بينهم أخذ كل منهم حصته على سنة المساواة والكرامة ، وانفسح مجال القول لرأيه وللرأى الذى يناقضه ويشتد فى نقضه ، وانتظم كل ذلك فى رفق ومودة ولباقة ، ولم يشعر أحد بتوجيهها وهى تنقل الأحاديث من متكلم إلى متكلم ، ومن موضوع إلى موضوع ، كأنها تتوجه بغير موجه وتنتقل بغير ناقل ، وتلك غاية البراعة فى هذا المقام

بقيت لها هذه الملكة فى أشد أيام السقم والسآمة ، فلم يكن سامعها يحس فرقاً بين « مى » فى إبان عافيتها و « مى » فى ساعات الضنى والإعياء حين يستطرد الكلام إلى الأدب أو إلى التاريخ أو إلى معارض الآراء . ولم أسمع منها قط فى معرض من هذه المعارض إلا ما هو خليق بالإصغاء والتدوين

وكانت لها فطنة للضحك تحيي المساجلة وتزين الحوار ، ولكن فطنتها للمواقف المضحكة كانت أدق من فطنتها للنكتة واشتراكها فيها ، وكانت كبيرة الإعجاب بفكاهة المصريين التى تسميها « النتاشة » أو القافية التى لا تعذر ولا ترحم !

بحث بعض أساطين الشرقيين بعد الثورة الوطنية فى توحيد الزى الملائم للبلاد الحارة ، وكان أحمد شفيق باشا صاحب الحوليات والمذكرات المشهورة رئيساً لجماعة الرابطة الشرقية وحريصاً على إشاعة الزى الموحد بين الأمم العربية وأمم الشرق الأدنى عامة ، ولفرط حرصه على هـذا لم ينتظر إقناع الناس ولبس الزى الذى ارتضاه ثم مشى به فى طرقات العاصمة إلى محطتها مؤثراً المشى على الركوب ليراه السابلة فى تلك الطرقات الحافلة

وكان يوم ثلاثاء ونحن فى مجلس الآنسة مى والزوار كثيرون وأقبل بعض الفضلاء يبتسم كمن يغالب ضحكة جامحة

فسألته : مم الضحك ؟ فقال : كنت اللحظة أعبر بار اللواء فنادانى أمين واصف بك وسألنى : أرأيت شفيق باشا فى زيه الجديد ؟ والله لقد حسبته مسجوناً مسوقاً إلى محطة العاصمة لتسفيره إلى الليمان ! !

هى تعرف شفيق باشا وتعرف أمين بك ، وتعرف أن الأول رئيس الثانى فى جماعة الرابطة الشرقية ، ومع هذا لم يرحمه حين جاء فى طريق القافية !

فلا أنسى كيف غلبت ضحكا لهذه المفارقة « المصرية » وهذا التشبيه العابث ، واندفعنا جميعاً نضحك وهى تضحك حتى أغرورقت عيناها بالدموع ، وحتى قال الأستاذ مصطفى عبد الرازق بحيائه المعروف : مابالنا أيها الإخوان نضحك هذا الضحك وننسى وقار المجلس ؟

فهتف به الأستاذ خليل مطران مداعباً : اضحك اضحك يا أخى ! من الذى يجد الضحك ويفرط فيه ؟

وكانت سهرة ضاحكة من سلامها إلى وداعها ، وكانت « مى » فى تلك الليلة كأحسن ما كانت بشاشة وأنساً وغبطة وإقبالاً على الحديث والمسامرة . . . رحمها الله . ما رأيتها بعد ذلك فى صورة آنس من تلك الصورة ، وتلك البشاشة كلها ، وذلك الذكاء كله الآن فى التراب ، بعد سنوات مسحت فيها النضرة ، ورانت النقمة ، ونضب معين الأمل والغبطة ، وطال الألم والعذاب ! ألا ما أسخف الحياة !

* * *

لقد كان مصابها بأمها بعد أبيها فى أشهر قلائل صدمة محطمة زلزلت كل ما بقى فى جنانها من يقين وسلوى

لكنها كانت قبل ذلك قاسية على نفسها كثيرة الانطواء على دخيلتها . وكان يخيل إلى أن احترامها المفرط خصلة عميقة فى سريرتها لازمتها من ريعان شبابها ، لأنها كانت قليلة الأمن والطمأنينة إلى الناس ، وكانت على دماثتها لا تدع الحواجز بينهم وبينها ، ولا تفتأ وراء سور من الحيطة والكتمان

وكنت أشفق من فرط احترامها وكلفتها ؛ فقلت لها يوماً

بجترئاً على مصارحتها : أنا على رأيك ياصديقتى فى أن الناس لا يؤمَنون ، ولكنى لست على رأيك فى نفع الحذر وجدوى الاحتراس . بل عندى أن عناء الاحتراس أضر من كل عناء يصيبنا به ترك الحذر وقلة المبالاة . فلا تبالى ولا تحترسى وانطلقى فى حياتك فذلك أخف الضررين

قالت : كأنك تعيد علىّ ما قاله الأستاذ داود بركات

قلت : وماذا قال !

فقصت علىّ حديثاً جرى بينهما فى السفينة وهما عائدان من أوربا ، وكانت فى السفينة سهرة راقصة والليل رائق والبحر ساج والطرب غالب على المسافرين . ورآها الأستاذ داود منزوية فى ركن من الأركان كأنها تأبى أن تشاركهم أو تشارك الطبيعة فى فرصة الصفاء . فناداها كالزاجر المندد : مابالك تمكفين على نفسك عكوف العجائز ؟ تعالى ارقصى واطربى مع هؤلاء الفتيات والفتيان فنهم من هو أكبر منك وكلهم يسبقونك فى مجال السرور

قلت : وبماذا أجبته ؟

قالت : تضايقت منه !

ثم أومأت إلى منذرة باسمة وقالت وهى تقتضب الحديث : فإن أردت أن أتضايق منك فعد إلى نصيحتك ونصيحته ... وإياك أن تعود !

وكنا نتبادل الرأى كثيراً ونختلف كثيراً ولا نستغرب هذا الخلاف ولا نكف عن تبادل الآراء ؛ لأن الخلاف بين كل أنثى وفية لطبعها وكل رجل وفىّ لطبعه أمر من البداهة بمكان . فهى تنظر بعين حواء إلى حقائق الدنيا وهو ينظر بعين آدم ، وكلاهما مخلص فى خلافه ومستفيد

على أنها كانت ترى فى اللغة العربية واللهجة العامية مثل ما أراه ، وكانت على تربيتها الأوربية وإحاطتها بخمس لغات أجنبية تغار على عربيتها غيرة البداوة ، فلا تجارى الذين يميلون إلى مجافاة الفصحى وتبديل اللهجة والكتابة وتذهب فى هذا مذهباً قريباً من مذهب المحافظين المتشددين

واسمها « مى » إختصار لاسم « مارى » باختيار أول حروفه الميم وآخرها الياء ، ولكنها أحبت الاسم لعربيته لا لاختصاره ، فإن اسم مارى نفسه ليس بالاسم الطويل ولا الكثير الحروف

تذاكر الأدباء فى مجلسها يوماً مناقب رجل من أعظم رجالات المصريين فشاركتهم إعجابهم به وثناءهم عليه ، واستأذنت بعد ذلك أن تلومه أمامهم فى أمر صغير

قالت : كنت فى الجامعة المصرية فقدمنى إليه الأستاذ لطفى السيد وتفضل فأطرى كتاباتى العربية والأفرنجية بما شاء له فضله وتشجيعه

ثم قالت : فلا أدرى لماذا نسى الزعيم العظيم أننى عربية وأننى كاتبة عربية واختار أن يخاطبنى بالفرنسية ويصر على مخاطبتى بها مع إجابتى له بالعربية على كل سؤال

وبدا عليها حقاً أنها غضبت لعربيتها من أن يخاطبها مصرى عظيم بغير لغته ولغتها ، وهى هى التى تتقن خمس لغات وتكتب بكل لغة كتابة يرضاها القراء من أبنائها . ولقد تكون الواحدة من بناتنا وما تحسن لغة واحدة كلاماً فضلاً عن الكتابة ، ثم لا تزال ترطن بها فى البيت والطريق مع أبناء جنسها كأنها لا تفهم لغة غيرها

وواجب لمى فى عنق العربية أن تغار على أدبها كغيرة مى على نسبتها إليها . فما عرفت العربية كاتبة أفضل من مى وأقدر وأجمل ، وليس فضل الندرة هنا بأقل من فضل الإحسان والإتقان .

حياها الله فى ذكراها

عباس محمود العقاد

---

١١ – أومن بالإنسان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

آلهة وحيوانات — عمل الطبيعة فى تكوين الانسان الواحد — أزهرت الأشجار وأدركت الثمار — مدنية خالدة ذات سلطان عجيب شامل — جئنا لنحيا لا لنموت — الحياة بالفكر فى الجاهل والعامل — عبقرية المادة وعبقرية الروح — الذكاء البطر الجموح — إلى أحضان الأمم الكبرى

إذا جردنا الإنسان مما أسبغته عليه الحياة المدنية من أفانينها وأنواعها وأشكالها ظهر لنا أن البون بعيد جداً بين الإنسان الذى أخرجته الطبيعة ، وهذا الإنسان الذى غيرته الصناعة وتعقيد الفكر . وظهر لنا أن حياته الصناعية عالم مستقل منفصل خلقه هو . ولكنه عالم غير خالد ولا متوالد إلا باطراد تقدم الإنسان . بخلاف مخلوقات الله فى الطبيعة فإنها أبدية دائمة تمر بها الطبيعة .

وكلما فكرت فى الفرق العظيم بين حياة رجل على الفطرة وبين حياة رجل ألمانى أو انجليزى أو أمريكى وعقدت موازنة بينهما فى المأكل والملبس والملهى والمركب والعمل والإنتاج والفكر والإحاطة بآفاق الدنيا والتسلط على الطبيعة ظهر لى أن الأول يكاد يكون فى صفوف نوع آخر غير الإنسان ، وأن الثانى ينقصه الروح والعدل ليكون الإنسان المنشود البار بوصايا الله ؛ لأنه هو الذى أحسن الأخذ عنه وخلفه فى الماديات خلافة واسعة ونمت على يده الحياة وتنوعت وتشققت مجاريها وتوسعت . . .

ولا يجوز عقلا أو شرعاً أن يعطى الأول الحياة وعزتها ، وأن يتسلط على الثانى ما دام كل منهما على حالته . كما لا يجوز لحيوان أن يسخر إنساناً .

وكلما استعرضت معارف الإنسان المدنى المدونة فى كتبه وصحفه وألواحه وأرضه وآثاره أدركت مبلغ ما حمله من أمانات الحياة . وأسرار الدنيا ذات الصمت والعمل .

ولا شك أن الإنسان العادى الذى يقرأ صحيفة يومية يحمل ذهنه من قضايا العالم وأخباره فى الصباح والمساء ما لم يكن فى حسبان أحد من السابقين ووجدانه ...

ولا شك كذلك أن هذا كله قد ترك أثره الواسع الشامل فى تكوين الذهن الإنسانى الحالى وتكييف أعصابه وإحساسه بالحياة، غير ما كان عليه الناس فى زمن المواصلات والثقافات المحدودة .

إن الأقدار تصنع عقل الإنسان الحديث وقلبه صناعة تشترك فيها كل معارف الحياة المصرية

ومن الأعمال العظيمة التى تقوم بها الطبيعة الآن عملها فى تكوين الانسان الواحد الخاضع لمؤثرات واحدة . ونحن الذين يقع علينا تأثير أعمالها العظيمة ونعيش فى غيبوبة عن خطواتها بنا لا يدرك منا هذا التأثير إلا الراصدون المسجلون الذين تجعلهم الأقدار مخصصين لرصد خطوات الحياة وتسجيل ظواهرها . وهؤلاء يكادون يكونون نادّين عن حبال الشبكة التى تلف غيرهم من أبناء الحياة .

لقد تركزت المعلومات فصارت القارات كالقرى .. وملايين الجنود كأصابع اليد . . . والدبابات كالنمال . . . والطائرات كالعصافير . . . وأخبار العالم الانسانى كله كأخبار الحى الواحد . . . !

وهكذا تتركز الحياة وتتلخص فى فكر الانسان وتختزل صورها العظيمة فى أرقام وحروف ...

***

هذا العصر جدير أن يسمى « عصر الفوران والغليان » — على سبيل التشبيه بسطح ماء فى وعاء على نار — فقد لبث سطح الحياة ساكناً فى عصورها السالفة لا يتحرك إلا حركات موضعية . كما يلبث سطح الماء أول ما يوقد عليه فى النار . حتى إذا ما وصلت حرارته إلى درجة الغليان هدر وفار واشتد وقذف وتبخر وتحول ...

إن عوامل الحرارة كانت تحته من قديم ، ولكنها لم تصل منه إلى درجة الانضاج والحركة السريعة والتحويل إلا أخيراً . وكذلك عصر الانسانية الحالى هو عصر ظهور كوامن أسرارها وأسرار الطبيعة ظهوراً شديداً متلاحقاً .

وقد انكشفت حيوات جميع الناس للناس ؛ فعلموا أنواعهم ولغاتهم وأديانهم ومذاهبهم فى الحياة

وقد كانوا ضائعين مغمورين تائهين كأسرة مفرقة فرقها حادث ... ثم جمعتهم الظروف مرة ثانية ...

إنى أتخيل صورة الدنيا فى عقول ساكنيها الأولين ، وصورتها الآن فى عقول بنيها المثقفين ، فيصيبنى دهش مشوب بفرح وبهجة وشكر لله على تسديده الإنسان إلى غاية ابتدأت تنكشف وجوهها

وكان الأنبياء والحكماء القدماء وحدهم هم المدركين وجهات الحياة . وكانوا فى الناس ما يكون البصير بين عميان ، والأب الكبير بين صبيان ، والراعى بين قطعان . وكان قليل من الناس هم الذين يدركون ما يشيرون إليه . ولكن الآن صار العلم والدين والإدراك الصحيح شيئاً مشاعاً كالهواء والماء ، تقاربت فيه المعتقدات والآراء

* * *

أجل ، هذا زمن حصاد جهود الإنسانية ؛ فقد أزهرت الأزهار وأدركت الثمار ، وظهر الحقل مستوى السوق مستغلظ الأعواد ، قد أينعت فيه عُلب الأسرار وحان قطافها ! !

أنظر فى بقاع الأرض جميعها تجد إنسانية تفتح عيونها وتستيقظ من غفلاتها لتدرك الحياة الحديثة وتشترك فيها وتتلاقى مع غيرها فى خدمتها . وقد زال الانبهام والغموض اللذان كانت تحسهما عقول الإنسانية القديمة والمتوسطة فى ظواهر الحياة . وصار الإنسان معتمداً على نفسه وحسابها الدقيق وأخذها بأساليب الطبيعة فى الإنتاج والاختراع ، وترك الاعتماد على الأمانى ، فضاقت دائرة الاعتماد على الأقدار ...

ولنتلفت إلى الماضى كثيراً لندرك مدى ما كسبناه وحصلناه من محصولات الحياة كإنسانية واحدة وضع كل شعب وكل حضارة لبنة فى بنائها ، حتى خرجت هذه الحضارة العالمية المشتركة التى اقتحمت كل قطر وكل مدينة فى الأرض ، وصارت كقدر الله الذى لا مرد له ولا مفر منه

إنها حضارة باقية خالدة لن تبيد ولن تفنى ولن ترتد ! إذ أن بذورها ألقيت فى كل مكان ونبتت فيه . فلئن ذهبت أوربا إلى الخراب والدمار لسوف تبقى أمريكا . . . ولئن ذهبتا معاً لسوف يحمل الشعل أمم الشرق وتلك الأمم المنثورة فى أرض الله وجزر المحيطات وغيرهم ممن اقتنعوا بأن هذه المدنية هى نبوة الطبيعة ذات المعجزات الداعة التى لا مفر من الإيمان بها والعمل لها وأن هـذا العصر هو أوان حصاد الغلال وجنى القطاف التى زرعها وتعهدها الأقدمون ، وزادت كل أمة فى ميراثها حتى صار فيها من كل قطر وِردٌ ومن كل أمة مدد ورِفْدٌ

* * *

إن هذه مدنية فرضت نفسها فرضاً على الناس جميعاً . فرضت آلامها وشرورها كما فرضت إسعادها وخيراتها وعلومها ، وصار الناس لا يستطيعون منها فراراً بعد ما دخلت عليهم أقطارهم قسراً واقتداراً

هى قدر لازم لا فكاك منه كأنها الرياح والأمطار والأشعة

ومما يؤكد أنها خالدة مؤبدة انتشارها فى كل مكان وليست كالمدنيات السالفة الموضعية ذات العصبية القومية . لأنها قامت على العلم الذى لا تتناقض حقائقه بتعدد الأماكن والأجناس ، بل تتلاءم وتتوافق بتوافق قوانين الطبيعة الواحدة

وكانت المدنيات السابقة تجارب وجذوراً متشعبة لجذع عظيم هو هذه المدنية الحالية

ولم يحدث فى الماضى أن صبغت مدنيةٌ الناسَ جميعاً كما فعلت هذه المدنية ، تخضع لها الموحد والوثنى والملحد والمؤمن والزنجي والإسكيمى والشرقى والغربى

ولم يحدث أن وجدت ميادين كثيرة مشتركة بين الناس جميعاً كما وجدت ميادين النشاط العلمى والآلى والصناعى والسياسى والأدبى فى رحاب هذه المدنية .

ولم يحدث أن اشتبكت مصالح الناس جميعاً كما اشتبكت الآن بفضل السرعة وسهولة الانتقال وتبادل المنافع وتشعب الاحتياجات

ولم يحدث أن درست ثقافة واحدة فى مدارس الأمم جميعها كما درست هذه الثقافة العصرية .

فأى مكان نجا من سلطان مدنية الزمان ؟

أى طريق لم تجس خلاله السيارة ؟ وأى جو لم تحلق فيه الطيارة ؟ وأى بلد لم يستصبح بنور الكهرباء ؟

إن هذه المدنية تحيط بالإنسان فى كل أفق من آفاق حياته . وإنى استعرض الآن كل ما يحيط بى وأنا أكتب فأجد جميع ما تقع عليه عينى قد اشتركت فيه آلاف العمليات الإنسانية المعقدة . وقد صار إحساسى بها كاحساسى بضرورات حياتى . وأكاد لا أرى شيئاً خالصاً من يد الطبيعة وحدها إلا جسمى ... وحتى هو لم يسلم من هندسة الحلاق و « رتوشه » !

ويمكنك أن تجرد الأرض مما فعله الإنسان فيها وما عقده وركبه ، لتدرك مدى الحياة الأرضية من غيره ومدى العالم الذى أحدثه هو ... وإذا ألقيت نظرة على شارع فى نيويورك أو لندن أو القاهرة فإنه يروعك أن ترى ما فى مخازنه ومناظره وآثار الأيدى التى عملت فيه ، حتى لا تستطيع بعض الأذهان أن تتخيل الدنيا خالية منه من طول الأُلْفَة وطول الغفلة

عن التفكير فى مبادئ الحياة . . .

طوفوا فى شوارعكم أيها الناس بقلب ذاكر للطبيعة مدرك لمبادئها لتعرفوا مقدار ما بينكم وبينها ومقدار قوتكم الابتداعية فتتلفتوا لأنفسكم متعجبين محترمين محافظين عليها وعلى قواها الفكرية والانتاجية من الضياع والذهول والنفلات !

إن أفراح الحياة تنمر قلبى حين أطوف بجسمى فى الشوارع المظلمة ، أو حين تطوف بى الحياة فى دور السينما ، فأرى عجائب ما استحدثه الإنسان فى عوالم المواد والمعانى ...

ولست أزهد فى رؤية الحياة المادية وتقصى دقائقها ، لأن كل دقيقة منها ترسل فى قلبى دقيقة من التعجب والإيمان ...

ما جئنا للحياة لنموت ونستحضر فلسفة الموت من أول يوم ، والقبر ليس نهاية ، وإنما هو بداية مرحلة تالية ... فعلى الذين يحملون القبور نصب أعينهم فهوّنوا من أجلها كل عظيم ولو كان الصحة أو العلم أو التفاؤل ، أن يعلموا أنهم جاءوا ليحيوا ويحسوا الحياة عميقة فيما خلق الله من شىء ، وينتفعوا به انتفاع الحلال والعقل والحفظ ...

ومن الكفر أن نترك الأجسام فريسة للجراثيم الفاتكة والآفات وعوامل الشؤم انتظاراً للموت الأكبر .. فيدب فيها منذ ولادتنا ..

كذلك يجب أن يكون إيمان الرجل المتمدن ... إيمان البصير الواثق بأن عمل النفس للبشرية فى المادة باب إلى الإيمان لا الكفر كما يتوهم الأغبياء البلداء الأغرار !

إنى لا أعيش فى نفسى وحدها ، ولكنى أعيش فى نفوس بنى الدنيا جميعاً ، لأرى الحياة بعيونهم من آفاقهم ، حتى أخرج ومعى كثير من أسرار الحياة فى القلوب والعقول ...

وأنصح لأصحاب الإيمان التقليدى أن يستحدثوا فى قلوبهم ونظراتهم ما أستحدث ، ليعرفوا أى لذة وأى إيمان مضاعف يغمر قلوبهم ...

وأنصح لأصحاب النظرة المادية والذهول عن المعانى ، أن يستحضروا أرواحهم وراء كل نظرة وكل عمل وكل علم ... فإن هذا هو الوضع الحقيقى لحياة الفكر والاستعمال الحق للروح وقوى الجسم ...

ولنعش بأفكارنا وأرواحنا دائماً ، سواء أكنا فى غابات خط الاستواء ، حيث الطبيعة بكر غير مفضوضة لم يطمثها إنس ولا جان ... أم فى مصانع « فورد » بنيويورك ، حيث يدور الفكر مع الحديد فى ضجة وتعقيد وقدرة !

* * *

الغربيون قدموا لنا عبقرية المادة ، فلنقدم لهم عبقرية الروح ... فلنخدم أرواحهم كما خدموا أجسامنا ... !

إنهم استغنوا بذكائهم عما وراء الطبيعة ، وقد كفاهم ذكاؤهم تدبير أمورهم كلها فيما يخيل إليهم مع أن الواقع أنهم فى شبكة الأقدار العليا والتدبير الشامل لحياة الأرض . والرجل الذكى غنى بالحيل وتجدد الأفكار . والغنى يبعث دائماً على الطغيان . ومن هنا أُتى الغربيون ودخلت عليهم نكبات الحياة لأنهم اعتمدوا على غنى ذكائهم وحده

وحين يستغنى الطفل بذكائه وقدرته عن ثدى أمه ورعايتها ، ويعلو مستواه البدنى والعقلى عن مستواها ، فذلك عهد ابتداء عقوقه إياها إذا لم يكن ذا ذخيرة موفورة من الإدراك والحب والرحمة والأدب ، وما دام ينسى أنه قطعة قدت من جسمها وقلبها ، وأنها الوشيجة الوثيقة بينه وبين أرومة الحياة والطبيعة

وكذلك ينسى الإنسان الذكى عجزه أمام قهر صاحب الطبيعة ويستغنى بذكائه عن الاستمداد منه والاستيحاء منها فيصير مخلوقاً يكاد يكون لا صلة بينه وبين ما فى الطبيعة من موجودات تسير طائعة بالإلهام والتوجيه

فهل نترك الغربيين يذهبون بأرواحنا وأرواحهم فى أودية بعيدة عن الرحمة والعدالة والأشواق إلى المجهول والبحث عن الله ذى الجلال ؟!

أنتركها ونتركهم للحديد البليد القاسى يطبعها بطابعه ، ويوحى إليها ببأسه سياسة البطش والطغيان ، ويشغلها بضجته المفكرة عن همسات القلوب وأصوات الضمائر ؟

إننا إن تركناهم وتبعناهم على الخير والشر فسوف نكون فرائسهم وجَزَرَ سيوفهم وطحين طواحينهم الحديدية الحمراء !

فلنذكرهم بمبادئ الطبيعة أمنا وأمهم ، تلك المبادئ التى فيها من منطق الوجدان أكثر مما فيها من الذكاء الجامح وقوة الاختيار من غير ضابط من هدى الطبيعة

وإن الطبيعة لتذكر أبناءها دائماً بوصايا الحق والعدل كما تذكر الأم البسيطة أبناءها الأذكياء بوصاياها وعواطفها التى

بنت عليها عشها . فمهما اختلفت أفكار الناس وأخلاقهم فإنهم يتوحدون حين يقفون بين يدى الطبيعة ويشعرون بشعور واحد فيه صدق الفطرة واعتدالها

ومبادئ الأمومة وجوّها وبساطتها وعدم تكلفها، والحنين إليها والشوق إلى مهدها يجب ألا تنسى ؛ لكى يعيش الإنسان باراً برئاً عامر القلب بالعواطف الشريفة ذات التأثير الكريم فى خدمة الحياة !

وكما يوصف الرجل الذى يهجر أمه بالعقوق واللؤم مهما كانت هى بسيطة جاهلة ، ومهما كان هو فائق العقل واسع العلم عريض الجاه ، كذلك يوصف الرجل بالعقوق حين يهجر أحضان الأم الكبرى الطبيعة ، أو حين يؤذى أو يهمل إخوته منها !

عبد المنعم محمد خلوف

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

« الأخلاق عند الغزالى »

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — الكتاب والمؤلف — اليوم للشهود — انتقال القلب من مكان إلى مكان — الروح السائد فى الكتاب — العناصر الرئيسية — الكفر والايمان — كلة تنفع شبان الجيل الجديد ...

تمهيد :

أنا أشعر بأن مقال اليوم لن يخلو من ضعف ، لأنى أكتبه وأنا كاره ، والإجادة لا تتاح إلا لمن يكتب بشغف وشوق ، وإنما أقبِل كارهاً على مقال اليوم لأنه متصل بأحد مؤلفاتى ، وأنا لا أحسن وصف هذه المؤلفات إلا فى المواقف التى تعدّ النفس بوجبات الزهو والخُيلاء ، ولا شىء من ذلك فى هذا الوقت ، لأن فورة الهجوم على كتاب « الأخلاق عند الغزالى » قد خمدت منذ أعوام ، بعد أن شغلتُ الناس وشغلونى بأبحاث بعيدة عن موضوع هذا الكتاب

ولكن ، ما الذى يدعو إلى هذا المقال وحالى كما وصفتُ ؟

يدعو إليه أن الكتاب مقرر لمسابقة الأدب العربى ، ولا بدّ من معاونة طلبة السنة التوجيهية على إدراك بعض ما فيه من مقاصد وأغراض ، على نحو ما صنعتُ فى السنة الماضية ، وعلى نحو ما سأصنع فى السنة الحاضرة ، فى درس الكتب المقررة للمسابقة بين أولئك الطلاب

ولو أننى وجدت من ينوب عنى فى الكلام عن كتابى ، لأعفيت نفسى من هذا الواجب المزعج ، فلم يبق إلا أن أتكلم عن كتابى كما أتكلم عن كتب الناس ... وهل فى الدنيا شريعة تفرض علىّ أن أنصف الناس وأظلم نفسى ؟

وليكن مفهوماً أنى سأنظر إلى كتابى بعين الحب ، فحسبى وحسبُه ما عانينا من الظلم والاضطهاد . ألم يرفض جماعة من علماء العراق مصافحتى بحجة أنى آذيت الغزالى ؟ ألم يَقُل جماعة من علماء مصر بأنى وجهت أقوال الغزالى إلى غير ما كان يريد ؟ ألم يقترح الأستاذ جاد المولى بك أن يُنصّ فى محضر الامتحان على أن اللجنة غير مسئولة عما فى الكتاب من آراء ، وإنما مُنح مؤلفه إجازة الدكتوراه جزاء ما بذل من الاجتهاد فى استنباط تلك الآراء ؟

لن أذكر كتابى بغير الجميل ، وإن كنت أعلم الناس بما فيه من عيوب هى فى نظرى من غرائب الجمال . وهل يعاب عليه غير أقباس من الحيوية لا ينجو منها شابٌ كالذى كنتُ فى سنة ١٩٢٤ ؟

رُدونى إلى ما كنت عليه من شراسة وحُمق فى ذلك العهد ، وخذوا ما أملك من ثروة وصيت ، فيومٌ واحد من شبابى أطيب وأنضر من جميع أطايب الوجود

الكتاب والمؤلف :

يقع هذا الكتاب فى أكثر من أربعمائة صفحة بالقِطع المتوسط ، وثمنه خمسة عشر قرشاً ، أما النسخة المجلدة فتباع بعشرين ، فأرجو المكتبة التجارية أن تراعى هذا السِّعر ، فلا ترهق التلاميذ ، لأن أكثرهم أفقر منى

وقد قُدّم هذا الكتاب لنيل الدكتوراه فى الفلسفة من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٤ ، وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من حضرات الأساتذة الأكابر : منصور فهمى ، وأحمد ضيف ، ومحمد جاد المولى ، وعبد الوهاب النجار ، وأحمد عبده خير الدين ؛ وقد انتقل النجار وخير الدين إلى جوار الله ، فإلى روحَيهما فى دار الخلود أقدّم أصدق التحية وأطيب الثناء

واسم المؤلف محمد زكى عبد السلام مبارك ، وكان فيما سمعت شاباً يحاول الوصول إلى الحق ، وطريق الحق كثير الأشواك والعقبات ، فلم يصل إلا بعد أن أدمى قدميه ، إن صحّ أن الله أراد أن يكون من الواصلين

ويظهر أن المؤلف كان يعانى ثورة روحية وعقلية عند تأليف هذا الكتاب ، وهو نفسه حدثنى أنه صاحبَ الغزالى فى مؤلفاته نحو خمس سنين ، فأسرَه الغزالى على نحو ما يصنع بمن يواجهون نوره الوهاج ، ورأى المؤلف أن تأليف كتاب فى « الأخلاق عند الغزالى » لا يتيسر إلا بعد النجاة من أسر الغزالى ، فجمع قواه وكسر باب الأسر ، ليتنسم أرواح الحرية الفكرية ، وليلقى الغزالى لقاء النِّد للنِّد ، إن كان للغزالى أنداد

وفى مدى ثلاث سنين استطاع ذلك الشاب أن يكتب رسالة للدكتوراه فى الفلسفة عن « الأخلاق عند الغزالى » ، وهى رسالة شرّقت وغرّبت ، بحق أو بغير حق ، واهتم بها الدكتور سنوك هوجرنيه ، فنشر فى الثناء عليها بحثاً باللغة الهولندية كان طليعة التنويه بالمؤلف فى بيئات المستشرقين

اليوم المشهود

هو اليوم الذى نوقش فيه المؤلف بجلسة علنية فى الجامعة المصرية ، فقد كان بين الحاضرين جماعة من أساتذة الأزهر الشريف ، على رأسهم الأستاذ الجليل عبد المجيد اللبان شيخنا وشيخ أشياخنا وصاحب الفضل على كثير من العلماء ، وقد طاب للشيخ اللبان فى ذلك اليوم أن يعترض من وقت إلى وقت بأسلوب يُحرج الممتحَن ويحرج لجنة الامتحان ، واقتفى أثره المرحوم الشيخ محمد الإبيارى فاعترض بعبارات حملت الدكتور منصور فهمى على أن يعلن أن الجمهور لا يصح له التدخل فى شؤون هى من حق لجنة الامتحان

وانتقلت الثورة من الجمهور إلى أساتذة الجامعة من غير لجنة الامتحان ، فتقدم معالى الأستاذ حلمى باشا عيسى وأسر فى أذن الدكتور منصور فهمى أن الدكتور طه حسين يريد أن يوجه ثلاثة أسئلة إلى زكى مبارك ، فأعلن الدكتور منصور أن لأساتذة الجامعة وحدهم أن يتدخلوا فى الامتحان ، وهو لذلك يعطى الكلمة للدكتور طه حسين ... والله الحفيظ !

وكانت معركة لم أنتصر فيها إلا بأعجوبة ، فقد كان الدكتور طه هزمنى قبل ذلك فى امتحانات الليسانس مرتين !

ثم كانت النتيجة أن يفوز الطالب بعد امتحان دام نحو ثلاث ساعات فيصير دكتوراً فى الآداب بدرجة « جيد جداً » من الجامعة المصرية .

انتقال القلب من مكان إلى مكان

ورأى الأستاذ خليل بك ثابت أن يرسل مندوباً يشهد الامتحان ويحدث قراء المقطم عما وقع فيه من جدال وصيال ، وقد وقع اختياره على المرحوم حسن حسين ، وكان أديباً له بَدَوات ، فلخص معركة الامتحان بأسلوب صورنى فيه بصورة الثائر على التقاليد الدينية ، فانبرى لمجادلتى على صفحات المقطم عالمان جليلان ، أحدهما الشيخ أحمد مكى ، طيب الله ثراه ، وثانيهما أستاذى فى أكثر ما تلقيت من العلوم الدينية وهو الشيخ يوسف الدجوى ، ولم أستطع الرد على هذين الأستاذين الجليلين — وكان يشرفنى أن أجاريهما فى ميدان النضال — لأنى علمت من إدارة الجامعة عن طريق الأستاذ سامى راغب أن مساعد السكرتير العام بوزارة المعارف وهو الأستاذ محمود فهمى النقراشى طلب من الأستاذين جاد المولى وخير الدين أن يقدما تقريراً عن امتحان زكى مبارك فى الدكتوراه ، ولأن الدكتور طه والدكتور منصور نصحانى بالسكوت عما أثار امتحانى من جدال ، وهى نصيحة سجلها الدكتور طه فى جريدة السياسة وهو ينقد كتاب « مدامع العشاق » فى أوائل سنة ١٩٢٥

وأقول إن قلبى انتقل من مكان إلى مكان بسبب هجوم الشيخ أحمد مكى والشيخ يوسف الدجوى ، فما كنت أنتظر من هذين الأستاذين أن يثيرا عجاجة يهتاج بها الجمهور ، وتلتفت إليها وزارة المعارف

ولم يصح عندى أن هجوم الشيخ مكى والشيخ الدجوى يستند إلى الحق ، فأسررتها فى نفسى ، وقلت إن رجال الدين لن يكونوا دائماً ملهَمين ، وذلك هو السبب فى أنى أجازيهم ظلماً بظلم وإجحافاً بإجحاف ، من حين إلى حين

ولكن لا بأس ، فقد استطاع كتاب «الأخلاق عند الغزالى» أن يقاوم هجمات الناقدين عدداً من السنين إلى أن تعرض له ناقد لا يرحم المؤلف، وإن كان يحمل اسم المؤلف ، ففى اليوم الرابع من

أبريل سنة ١٩٣٧ وقف طالب يؤدى امتحان الدكتوراه فى جلسة علنية بالجامعة المصرية . وكان أكبر همه أن ينقض آراء الطالب الذى وقف هذه الوِقفة فى الخامس عشر من مايو سنة ١٩٢٤

فاذا صنع ؟ أثبت فى كتاب « التصوف الإسلامى » أنه ظلم الغزالى فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » والحكم على النفس من مظاهر القدرة على مغالبة الأهواء

روح الكتاب

وقد حاولت مرات كثيرة أن أرجع إلى هذا الكتاب بالتغيير والتبديل لأقدمه بصورة جديدة إلى عشاق الدراسات الأخلاقية ، ولكنه يأسرنى كلما نظرت فيه ، لأنى ألفته فى أوقات كنت فيها ثائر القلب والعقل على فهم القدماء للأخلاق ، وهى ثورة لم أنج من شرها إلى اليوم ، وقد أسايرها وتسايرنى إلى آخر أيامى . وكيف يهدأ من يروعه أن يرى فى رجال الدين من يعرفون خريطة الحياة الأخروية ويجهلون خريطة الحياة الدنيوية ؟

إن كتاب « الأخلاق عند الغزالى » لم يكن إلا دعوة صريحة إلى التشكيك فى أصول الأخلاق الموروثة عن القدماء ، والمؤلف يقسم الفضائل إلى قسمين : فضائل سلبية وفضائل إيجابية ، ثم يقرر أن الغزالى وجه أكثر اهتمامه إلى الفضائل السلبية « ولم يُعنَ بشرح الفضائل الإيجابية كالشجاعة والإقدام والحرص وما إلى ذلك مما يحمل المرء على حفظ ما يملك ، والسعى لنيل ما لا يجد ، فإنه لا يكفى أن يَسلم الرجل من الآفات النفسية ، بل يجب أن يزود بكل مقومات الحياة . وخير للمرء أن يوصم برذائل القوة من أن يتحلى بفضائل الضعف ، فإن الضعف شر كله ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون »[1]

وقد عاب المؤلف على رجال الدين أن ينسحبوا من الميدان السياسى فى الأوقات التى يُفرَض فيها الجهاد ، فطوق الغزالى بطوق من حديد حين سجل عليه أنه لم يؤد واجبه فى التحريض على مقاومة الحملات الصليبية ، مع أنه « حجة الإسلام » ومع أن صوته كان مسموعاً فى أكثر الأقطار الإسلامية

وأثبت المؤلف فى لواحق الكتاب مقالاً نشره فى المقطم بتاريخ ٤ يونية سنة ١٩٣٤ أيد فيه القول بأن الدين الإسلامى دين فتح وامتلاك ، وهو مقال كتبه فى الرد على من ناوشوه من العلماء وفيه يقول :

(١) الأخلاق عند الغزالى ص ١٨٥

« الظاهر أن حضرات العلماء فهموا من الفتح التخريبَ والاعتداء على الشعوب . كلا ، ياهؤلاء ! الدين الإسلامى دين فتح ، رضيتم أم كرهتم ، وللفتح آداب وشروط سنها الدين الحنيف ، وأنتم حين تنفرون من كلمة « الفتح » إنما تجارون الأجانب الذين يتوددون إليكم بوصف الإسلام بالقناعة والرضا بالقليل ، وهذا خطأ صُراح ، فالدين الإسلامى أبعد الأديان عن الزهادة وأبغضها للخمول ، ولا حرج على الإسلام فى أن يرغب أتباعه فى امتلاك ناصية العالم ، فإن هذا أمل نبيل ، ولم يحدثنا التاريخ عن أمة قوية أو ملة قوية وضعت حداً لمطامعها فى الحياة ، وإنما ترغم الأمم الضعيفة أو الملل الضعيفة على أن تحدد آمالها وأطماعها بضيِّق الحدود »[1]

وهذه الفقرة توضح بعض اتجاهات المؤلف فى تفسير الأغراض الصحيحة للدين الإسلامى

وأنكر المؤلف على الغزالى أن يتعلق بأهداب الآداب السلبية التى دعا إليها الإنجيل ، وفى ذلك يقول :

« إن الآداب التى وضعها الإنجيل غير طبيعية ، على معنى أنه لا يمكن أن يسكن إليها بطبيعته أحدٌ من الناس ، فالحكمة الإنجيلية التى تقول : (مَن ضربك على خدك الأيمن فأدِر له خدك الأيسر) حكمةٌ غير معقولة لا يقرّها عُرف ولا يدعو إليها قانون ... والحكمة المسيحية التى تقول : (من سخّرك مِيلاً فامش معه ميلين) حكمة غير ممكنة القبول ، ومن المستحيل أن تجد مسيحيًّا يدير لك خدك الأيسر حين تضربه على خده الأيمن ، أما المسيحىُّ الذى يتهمك ميلين حين تسخره ميلاً فهو نادر الوجود »[2]

ثم يقول المؤلف بعد كلام مفصّل فى نقد الأخلاق المسيحية :

« أليس من الغريب أن يصدّق الغزالى أن عيسى يقول : (من أخذ رداءك فأعطه إزارك) ومَن الذى يرضى من المسلمين أو النصارى أن يتأدب بهذا الأدب الغريب ؟ »

وينفى المؤلف عن نفسه تهمة التحامل على المسيح فيقول :

« ونحن بهذه الكلمات لا ننكر نُبوة عيسى عليه السلام ، وإنما نرجح أن أتباعه جَنَوا على شريعته بما زوّروا باسمه من الأحاديث ، وهذه جناية كثيرة الأمثال فى تواريخ الشرائع ، فإن الإسلام مع تواتر سنده الأول وهو القرآن لم يَعدم من

(١) الأخلاق عند الغزالى ص ٤٢١

(٢) أنظر ص ٦٠

أصحاب الغفلة وأصحاب الأغراض من زوروا الأحاديث باسم النبيّ حتى كادوا يقضون على ما للاسلام من قوة الحق وروعة الجمال ... ونحن كذلك لا ننكر أن المسيحية تدعو إلى الزهد، ولكنا نرجح أنها كانت تدعو إلى الزهد بقدر ما تفلّ من حِدّة الناس وتقلل من جشعهم وطمعهم، أما الدعوة إلى الفرار من طيبات ما أحلّ الله فهي دعوة بعيدة الوقوع من الأنبياء والمرسلين »[1]

هذا الروح السائد في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » هو الذي يعطفني عليه، ويصرفني عن التعرض له بالحذف والإيصال، مع أني رجعت عن بعض الآراء المدونة فيه حين ألفت كتاب « التصوف الإسلامي »، وبين الكتابين أعوام تنقّل فيها عقلي من أفق إلى آفاق

والمهمّ هو أن ينظر طلبة السنة التوجيهية إلى المعضلات المبثوثة في هذا الكتاب بالعين التي نظر بها المؤلف، ولهم أن يثوروا على المؤلف كما ثار على نفسه في كتاب « التصوف الإسلامي » إن اتسع وقتهم للبحث والاستقصاء

وأهم من هذا أن يمتحنوا ما في هذين الكتابين من آراء فلسفية، ليُشعروا لجنة الامتحان بأنهم انتقلوا من الدرس والاستيعاب إلى النقد والتحقيق، وليس هذا بكثير على شبان هم بإذن الله طلائع الجيل الجديد

العناصر الرئيسية

في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » أربعة عشر باباً، وفي كل باب عدة فصول، ومن مواد هذا الكتاب تتضح ألوان كثيرة من التفكير الفلسفي عند العقول الإسلامية، وتظهر عبقرية الغزالي في نضارة وإشراق

وأسلوب الكتاب يغلب عليه الحذر والتهيّب، وقد يصل إلى الرمز والإيماء، لأن المؤلف كان يعاني رقابة عنيفة، هي رقابة اللجنة المكلفة بالنظر في صلاحيته لامتحان الدكتوراه، وإن كان من واجب المؤلف نحو نفسه أن يعلن أن تلك اللجنة لم تحذف منه غير فقرتين اثنتين، ولم تُنشر بغير زيادة كلمات معدودة تحدّد المراد من بعض الأغراض

وكان شاع منذ أعوام أن كتاب « الأخلاق عند الغزالي » من تأليف الدكتور منصور فهمي، وهي إشاعة تشرّفني وترفع من قدري، فأنا تلميذ هذا المفكر الجليل، ولو قضيتُ العمر في الثناء عليه لما وفيته بعض حقه في تعليمي وتثقيفي؛ ولكن كتاب « الأخلاق عند الغزالي » كتابي لا كتابه، بشهادة ما فيه من غطرسة واستعلاء، وأستاذنا الدكتور منصور آية في التواضع المقبول

وكان يجب أن ألخص ما في الكتاب من أبواب وفصول ليسهُل درسه على المتسابقين، ولكني نظرت فرأيته في غاية من الوضوح والجلاء، فلم يبق إلا أن أنص على ما يجب درسه بعناية والتفات:

في الباب الأول فصول تصوّر عصر الغزالي بإيجاز وتصف المدائن التي عرفها الغزالي، وسيُسأل الطلبة عن محتويات هذا الباب

وفي الباب الثاني فصول عن أسرة الغزالي ومولده ونشأته وحياته الروحية، ومبلغ فهمه للحياة، وسيُسأل الطلبة عما حصّلوه من عناصر هذا الباب

والباب الثالث متعب، لأنه خاص بالينابيع التي استقى منها الغزالي آراءه الفلسفية، ولا بد للطلبة من مذاكرة أساتذتهم في الاهتداء إلى تلك الينابيع

وفي الأبواب التالية يكون الكلام في صميم المبادئ الأخلاقية بنظرتين مختلفتين: نظرة الغزالي ونظرة المؤلف، ومن واجب الطلبة أن يمتحنوا هاتين النظرتين بفهم وذوق، ليقيموا الدليل على ما يملكون من أصالة الفكر ورجاحة العقل

فإذا كان الباب التاسع رأينا المؤلف يحاسب الغزالي على آرائه في العلوم والفنون وفي التربية والتعليم، وهو باب سيُسأل الطلبة عما فيه من آراء، لأنه وثيق الصلة بالموازنة بين العقل القديم والعقل الجديد

وفي الباب العاشر يتكلم المؤلف عن الواجبات الفردية والاجتماعية، ويقع هذا الباب في أكثر من خمسين صفحة، ويكفي الطالبَ أن يدرس منه عشر صفحات، ليواجه لجنة الامتحان وهو على شيء من التحصيل

وفي الباب الحادي عشر يطول الكلام عن تأثير الغزالي في عصره وما تلاه من العصور، وللطالب أن يقرأ من هذا الباب

---

(١) أنظر ص ٩٣

ما يشاء ، ولكن عليه أن يدرس الصفحتين ٣٦١ و ٣٦٢

وفى الباب الثانى عشر كلامٌ عن أنصار الغزالى وخصومه ، وهو موضع اعتراض ، فقد قيل إن المؤلف أوجز فى الكلام عن أنصار الغزالى مع أنه تحدث عن خصومه بإطناب ، فعليك أن تعتذر عن المؤلف بلطف ! !

أما الباب الثالث عشر فهو فى الموازنة بين الغزالى والفلاسفة المحدَثين ، وفيه فصلٌ مهمٌ جداً عن الموازنة بين الغزالى وديكارت ولن تمفيك لجنة الامتحان من هذا الفصل ، لأنه من عيون الكتاب ، ولأن التأمل فيه قد يجذبك إلى الدراسات الفلسفية

وفى الباب الرابع عشر تجد (آراء علماء العصر فى الغزالى) من أمثال الأساتذة : منصور فهمى ، على عبد الرازق ، يوسف الدجوى ، محمد جاد المولى ، عبد العزيز جاويش ، الكونت دى جالارزا ، على العنانى ، عبد الوهاب النجار ، حسين والى ، عبد الباقى سرور ، أحمد أمين

فإن استطعت أن تقرأ الكتاب كله قراءة الفهم أولاً ، وقراءة النقد ثانياً ، فستظفر بالجائزة الأولى ، وسيصافحك وزير المعارف مصافحة الود والإعجاب

الكفر والإيمان

فى الموازنة بين الغزالى وكارليل تقع صحائف أراها من النفائس ، وقد تكون أصدق ماجرى به قلمي ، وهى من صفحة ٣٨٩ إلى صفحة ٣٩٩ ، ولا أستطيع تلخيص تلك الصفحات فى هذا المجال ، طلباً للنجاة من الدخول فى معارك نفضت من غبارها يدى ، فقد راضتنى الأيام بعد الجموح ، وانضممت كارهاً إلى العصابة التى تقول بأن الرياء سيد الأخلاق !

هذه الصفحات تنفعك فى الامتحان ، لأنها تشهد بأنك وصلت إلى الأسرار المطوية فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » وذلك هو الغرض المنشود ، ولكنها ستضرك وستؤذيك ، لأنها ستفرض عليك أن تزن « المسئولية الأخلاقية » بميزان جديد وأنت فى غنًى عن هذه المتاعب الثقال !

كلمة تنفع شباب الجيل الجديد

قد يكون فيكم من يتوهم أن اللجنة التى تحتكمون إليها فى مسابقة الأدب العربى يسرها أن تراكم أبواقاً تحكى ضلالات المجتمع فى فهم الأدب والأخلاق ، هيهات ثم هيهات ، فستؤلف تلك اللجنة من رجال وزارة المعارف ورجال كلية الآداب ، فأفهموهم بلسان الحال ولسان المقال أنكم طلائع الجيل الجديد ، وأنكم جديرون بما لهم فيكم من آمال

وبالنيابة عن اللجنة أوصيكم بدرس ما يطيب لكم من مواد الكتب المقررة للامتحان الشفوى ، على شرط أن تملئوا اللجنة بذلك ، وعلى شرط أن يكون لكم فى التعقيب على المؤلفين آراء تجعلكم من أرباب الفكر الأصيل

ليس المهم أن تقرأوا الكتاب من الألف إلى الياء ، ولكن المهم أن تدركوا سريرة المؤلف ، وأن تحاسبوه بنزاهة وإخلاص

أنتم فى السنة التوجيهية إلى كليات الجامعة المصرية فأفهموا لجنة الامتحان أنكم انتقلتم من التحصيل إلى التفكير ، فالتفكير هو الغرض المنشود

وسنتكلم فى الأسبوع المقبل عن « ابراهيم الكاتب » ؛ فإلى اللقاء

زكى مبارك

ظهر حديثاً

الكف وأسرار النفس

للأستاذ أحمد السنوسى

إخصائى الحالات النفسية

يرشدك إلى الطريق التى يجب أن تسلكها فى الحياة طبقاً لاستعداداتك ويجعلك تكشف عن نقط الضعف فيك لتعمل على تقويتها أو للقضاء عليها . يكشف لك عما يهددك من الأمراض الجسمانية والنفسانية لتتبع طرق الوقاية منها ، يوضح لك كيف تحطم العقبات التى توقف نجاحك فى الحياة . وأخيراً تجد فيه تقارير عما تنطق به خطوط أيدي : دولة اسماعيل صدقى باشا . الدكتور طه حسين بك . الأستاذ عباس محمود العقاد . السيدة هدى هانم شعراوى . الدكتور عبد الله العربى بك . محمود حسيب بك . الأستاذ فريد أبوشادى بك . المطربة ملك . الفنانة أمينة رزق — ويطلب من مكتبة الأنجلو ٣٣ ش قصر النيل ، ومن المؤلف ٣٣ ش السكة فريدة — ثمن النسخة خمسين قرشاً عدا أجرة البريد ٣ قروش داخل القطر و ٥ قروش خارج القطر

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٦ —

نقد الأصـــول

تعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان ومكان التدوين (*)

إذا ما ثبت الباحث أن الأصل أو المصدر التاريخي صحيح وغير مزيف فليس معنى ذلك أن المعلومات الواردة به ذات قيمة تاريخية كبيرة . ولا بد من نقد الأصل التاريخي من نواح أخرى . وبعض الأصول يحمل اسم مؤلفها وزمان ومكان تدوينها، والبعض الآخر الذي يكون عليه طابع الصحة وعدم التزييف يغفل بعض أو كل هذه النواحي ، فينقص ذلك من قيمتها التاريخية . فكيف يقدر الباحث قيمة الأصل التاريخي وهو يجهل اسم المؤلف وشخصيته وعلاقته بالحوادث التي كتب عنها ؟ هل شهدها بنفسه أم سمعها ونقلها عن الغير ؟ ومتى دونها ؟ هل دونها أثناء وقوع الحوادث أم بعدها بزمن طويل ؟ وفي أي مكان تم ذلك التدوين ؟ هل كان في مكان وقوع الحوادث أم في جهة بعيدة عنها ؟ من الضروري جداً معرفة كل هذه النواحي بقدر المستطاع . فكيف السبيل إلى تحقيق كل ذلك ؟

إن معرفة اسم وشخصية كاتب الأصل التاريخي مسألة هامة لأن قيمة المعلومات التاريخية التي يوردها ترتبط كل الارتباط بشخصية الكاتب ومدى فهمه للحوادث وبكل الظروف التي تحيط به على وجه العموم . فالمعلومات التي يدونها الأمير أو الحاكم تختلف عن المعلومات التي يسطرها السياسي أو صاحب المهنة أو الجندي أو رجل الشعب . وكاتب الأصل التاريخي ، سواء كان شاهد عيان أو اعتمد على غيره من شهود العيان ، يعتبر الواسطة التي يصل المؤرخ عن طريقها إلى الوقائع التاريخية . فإذا كان الكاتب شخصاً صادقاً عدلاً بعيداً عن الأهواء بقدر المستطاع كانت معلوماته صحيحة بصفة عامة ، والعكس صحيح أيضاً . وعلى ذلك تتضح أهمية البحث لمعرفة أكبر قسط ممكن من المعلومات عن كاتب الاصل أو الوثيقة التاريخية . وفي هذه الناحية كغيرها من نواحي نقد الأصول التاريخية الأخرى ، يصبح عمل المؤرخ شبيهاً بعمل القاضي ، والقاضي يمتاز بأن شهود الحوادث أحياء أمامه بالحق أو بالكذب ينطقون ، ولكن المؤرخ عليه أن ينتقل من الحاضر إلى الماضي بالعقل والنقد والخيال ، وأحياناً تضيع عبثاً جهود المؤرخ لمعرفة اسم وشخصية كاتب الأصل التاريخي فيظل مجهولاً ، وأحياناً أخرى لا يمكن للمؤرخ إلا أن يجمع بعض المعلومات القليلة عنه . ونلاحظ أن وضع اسم شخص على أصل أو مصدر تاريخي لا يفيد دائماً أنه كاتبه كما فهمنا ذلك من عوامل الدس والانتحال . وإذا عثر الباحث على الأصل التاريخي المخطوط أمكن في أحوال كثيرة التعرف على شخص الكاتب أو الاقتراب منه على الأقل ، بدراسة الخط ونوع الورق والحبر واللغة والأسلوب والمصطلحات الخاصة بعهد تاريخي معين وبدراسة المعلومات التاريخية الواردة به

وإنه ليختلط الأمر أحياناً على الباحث في التاريخ فيخطئ في نسبة الأصل التاريخي إلى كاتبه الحقيقي . ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الأب بولس قرالي أنه عند حضور علي باشا أمير البحر التركي إلى المياه السورية لفض النزاع القائم بين فخر الدين أمير لبنان ويوسف سيفا صاحب طرابلس في يوليو سنة ١٦١٩ ، أرسل الأمير فخر الدين رسالة إلى الباشا التركي يعتذر فيها عن الحضور إليه بنفسه (١) . ويقول الأب قرالي أن الأستاذ اسكندر المعلوف قد أورد ترجمة هذه الرسالة باللغة العربية في كتابه عن الأمير فخر الدين . والأستاذ المعلوف يعتبر أن هذه الرسالة قد صدرت عن فخر الدين ولكنه يتشكك في تاريخ إصدارها ولا يمكنه أن يحدد ذلك (٢) ويذكر الأستاذ المعلوف أنه قد نقلها عن ريكو (٣) .

(*) يعبر الأستاذ فلنج عن هذه الرحلة من النقد بكلمة Localization ص ٦١ ، ولم أجد كلمة عربية واحدة تفيد هذا المعنى . فلعل بعض العارفين يمدنا بما عنده .

(١) Carali, P. : Fakhr ad Din II Principe del Libano e la Corte di Toscana (1605—1635). Roma, Roma, 1936 p. 99.

(٢) عيسى اسكندر المعلوف : تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني . جونية ، لبنان ، ١٩٣٤ . ص ٣٨٥ .

(٣) Knolles & Rycaut : The Turkish History from the Original of that Nation to the GroWth of the Otfoman Empire. 3 vols. London, 1687. v. I. p. 693.

والواقع أن هذه الرسالة ليست لفخر الدين . والمؤلفان كنوللس وريكو قد أخذا معلوماتهما عن هذه الفترة عن كتاب مينادوى الرحالة الإيطالى المعاصر الذى زار سوريا ولبنان أثناء حملة إبرهيم باشا لإخضاع الدروز فى ١٥٨٥ . ومينادوى يورد نص هذه الرسالة باللغة الإيطالية ، ويقول إن ابن معن قد أرسلها إلى إبرهيم باشا فى يوليو ١٥٨٥ . ولقد نقل كنوللس هذه الرسالة عن مينادوى إلى اللغة الإنجليزية . ولا يحدد مينادوى ولا كنوللس (وريكو) من هو المقصود بابن معن . على أنه لا يمكن أن يقصد بابن معن فى ذلك المقام الأمير فخر الدين ، لأنه كان إذ ذاك غلاماً صغيراً ؛ والمقصود بابن معن ، هو قرقماز بن معن والد فخر الدين ، وليس فخر الدين نفسه . والذى حاول إبرهيم باشا أن يحمله للقدوم عليه للغدر به . وبالبديهة لا يمكن أن تكون هذه الرسالة قد صدرت عن الأمير فخر الدين إلى الباشا التركى فى ١٦١٩ ، لأن كتاب مينادوى الذى يتضمن أقدم نص معروف عن هذه الرسالة قد طبع فى البندقية فى ١٥٩٤[١]

ومن الأمثلة التى توضح طريقة إثبات شخصية كاتب الأصل التاريخى أن الباحث فى التاريخ قد يجد خطاباً باللغة الإيطالية مدوناً فى باريس بتاريخ ٢٩ يونيو ١٧٨٩ وموجهاً إلى حكومة على رأسها مجلس شيوخ ، ولكن بدون تحديد تلك الحكومة وبدون تعيين الكاتب . وفحص هذا الكتاب يدل على أن كاتبه هو أحد السفراء الإيطاليين فى فرنسا . فمن هو ذلك السفير؟ وإلى أية حكومة أرسل خطابه ؟ الحكومة الإيطالية الوحيدة التى كان على رأسها مجلس شيوخ فى ١٧٨٩ هى جمهورية البندقية . فالخطاب إذاً قد كتبه سفير البندقية فى فرنسا إلى حكومته . فمن هو ؟ البحث فى سجلات أرشيف البندقية يدل على أن سفير البندقية فى باريس فى ذلك العهد كان أنتونينو كابللو[٢]

وقد يحتوى الأصل التاريخى على معلومات عن حوادث رآها شاهد العيان بنفسه أو على معلومات سمع بها ونقلها عن الغير . فينبغى أن يحدد الباحث على وجه الدقة أجزاء الأصل التى دونها الكاتب بناء على ما شهده بنفسه ، وتعتبر إذاً أصلاً من الطبقة الأولى ، وكذلك يحدد أجزاء الأصل التى اعتمد الكاتب فى تسجيلها على الغير ، وتعتبر أصلاً من الطبقة الثانية ، مع تحديد مصدر هذا النوع الأخير من المعلومات إذا أمكن ذلك . ومن الأمثلة التى توضح ذلك ما ذكره (كاميل ديمولان) فى بعض ما كتبه عن المشادة التى حدثت بين مندوب الملك لويس السادس عشر وبين ميرابو أثناء اجتماع مجلس طبقات الأمة فى ٢٣ يونيو سنة ١٧٨٩ . والباحث يعرف من التاريخ أن ذلك الاجتماع لم يكن حضوره مباحاً للجمهور ، وكاميل ديمولان لم يكن عضواً فى مجلس طبقات الأمة ؛ وعلى ذلك فإن ديمولان لم يسمع بنفسه ما قاله ميرابو لمندوب الملك . فكلامه عن هذه المشادة أخذه عن طريق السماع ، فيعتبر أصلاً من الطبقة الثانية . إنما وصف ديمولان لما شهده خارج مكان الاجتماع من قدوم الملك أو احتشاد الجماهير يعتبر أصلاً من الطبقة الأولى[١]

وفى بعض الأحوال يجد الباحث كتاباً طبع فى باريس فى ١٨٩٠ مثلاً . ومن المحتمل أن يكون مؤلفه قد نقله بنصه عن مؤلف سابق وضعه فى ١٨٥٠ بدون أن يشير إلى ذلك . فالمسؤول عن المعلومات الواردة هو الكاتب الأول السابق . وصحيح أن السطو على كتابة الغير والنقل منها بغير حساب قد نقص الآن ، وعنعه القانون أحياناً ؛ ولكن كثيراً ما يجد الباحث أن من الأصول والوثائق ما هى إلا عبارة عن نقل حرفى لأصول ووثائق سابقة ، سواء قصد الناقل السرقة وانتحال المعلومات لنفسه أو جمعها لأنها تهمه وتفيده[٢] . فعلى الباحث فى التاريخ أن يتعقب الكاتب الأصلى ؛ وإنه لمن أهم المسائل فى هذه الناحية من النقد معرفة المصادر أو الوثائق التى أخذ عنها ذلك الأصل التاريخى . ومن الأمثلة على ذلك أن الباحث قد يعثر على مجموعة من الكتابات عن المصادمات البحرية بين العثمانيين والتسكان فى القرنين السادس عشر والسابع عشر جمعها أحد المهتمين بإبراز بطولة التسكان وهو بَسْتيانو بالبيانى ، ولكن بدون تحديد المصادر التى أخذ عنها[٣] . والبحث فى سجلات

(١) Minadoi, G. : Historia della Guerra fra Turchi e Persiani. Venetia, 1594. pp. 279—281

(٢) Fling : op. cit. pp. 65—66

(١) Fling : op. cit. p. 79

(٢) Langlois & Seignobos : op. cit. p. 94

(٣) Archivio di Stato di Firenze : Strozzani I. 145. Imprese delle Galer (1550-1610). Bastiano Balbiani. pp. 1-45 b.

أرشيف فلورنسا التاريخى يوضح أن بالبيانى قد اقتبس مثلاً من أقوال بعض رجال الحملات البحرية التسكانية بقيادة الفارس فرنشسكو دل مونتى والأميرال أنجرامى فى الشرق الأدنى وفى شمال أفريقيا فى ١٦٠٧[١]

وقد يجد الباحث أحياناً مجموعات من الأصول والوثائق تتناول بحث نقطة معينة ، فينبغى إذاً جمعها وترتيبها وتقسيمها إلى مجموعات على حسب التقارب والاختلاف فى المعلومات التى توردها ، وقد يكون التقارب شديداً أو قد يوجد اختلاف بين هـذه الأصول والوثائق ، مثل الاقتصار والاجتزاء فى مواضع ، والإطالة وإعطاء تفصيلات ومسائل جديدة فى مواضع أخرى . وقد توجد علاقة بين هذه الأصول التاريخية فى ناحية النقل أو الاقتباس عن مصدر أساسى واحد . فعلى الباحث دراسة هذه الأوجه كلها لمعرفة الشخص أو الأشخاص الذين كتبوا فى هـذه النواحى المتشابهة والمختلفة لتقدير ووزن أقوال كل منهم ، وسنعود إلى ذلك عند بحث ناحية أخرى من نواحى نقد الأصـول التاريخية

وقد يكون الأصل التاريخى من عمل أكثر من مؤلف واحد . فالكثير من الأصول تدخل عليها إضافات وزيادات وتعليقات فى مواضع مختلفة ، ثم تطبع ويعتبر الأصل وما أضيف إليه كأنه من وضع كاتب واحد . إلا أنه من الممكن بدراسة هذا الأصل كشف الحقيقة ؛ وإذا وجد الأصل المخطوط أصبح من السهل تمييز الأصل من الإضافات والزيادات . أما إذا ضاع الأصل المخطوط ولم يبق أمام الباحث إلا المطبوع أصبحت المسألة أكثر صعوبة . إلا أنه يمكن بالدراسة الوصول إلى نتائج معقولة . فيدرس الباحث اللغة : هل هى واحدة أم متغيرة ، والأسلوب هل هو واحد أم متغير ، وهل تسود الكتاب فكرة واحدة وروح واحدة ، وألا توجد خلافات ومتناقضات وفجوات فى تسلسل الأفكار ؟ وإذا كان الكاتب الذى أضاف فى موضع أو أكثر من النص الأصلى واضح الشخصية أمكن تمييزه ، وإلا بقى مجهولاً لدى الباحث فى التاريخ[٢]

ولنعرض لمثال حققه الدكتور أسـد رستم ؛ فإنه قد عثر على مخطوطة صغيرة تتناول أخبار الدولة المصرية العلوية فى سورية فى زمن ابراهيم باشا ، وكانت غُفلاً من اسم المؤلف . ووجد الدكتور رستم أنها ليست تاريخاً واحداً ، وإنما هى ثلاثة تواريخ فقسمها إلى (ا . ب . ج) ؛ ولاحظ أن هذه الأقسام لا تعطى حوادث متسلسلة ، ولا يبدأ قسم منها حيث ينتهى سابقه ، وأن الحوادث تتكرر فى أقسامها الثلاثة ، ولاحظ أيضاً أن (ا ، ج) يستعملان التاريخ الهجرى ، بينما (ب) يتخذ التاريخ المسيحى ، ووجد أن (ج) أكبر الأقسام ، وأن أخباره تتعلق بحوادث لبنان مع إعطاء تفصيلات شخصية ديرانية محلية عن دير القمر وبيت الدين . فرجح الدكتور رستم أن كاتب (ج) شخص لبنانى ديرانى ، أو أقام بدير القمر على الأقل . فقصد الدكتور رستم إلى المكتبة البطريركية فى بكركى ، وفحص أوراق ١٨٣١ — ١٨٤١ ، وبعد الدراسة الطويلة عثر على رسائل مكتوبة بنفس الخط الموجود فى (ج) ، وبنفس اللغة واللهجة ، وعليها إمضاء القس أنطون الحلبى . فاتجه الدكتور رستم إلى بطريرك الموارنة مارى الياس حويك ، وعرف منه أن القس أنطون كان من المقربين للأمير بشير الشهابى ، وأنه سكن بيت الدين ، وأنه كتب عن أحكام الأمير بشير ، وعن حروب ابراهيم باشا فى سورية ، وأن أغلب ما كتبه قد أحرق أثناء حوادث الصدام بين المسيحيين والدروز فى ١٨٤٥ . وإذاً ، فالقس أنطون الحلبى هو مؤلف المخطوطة (ج)[٢]

وليس يكفى أن نعرف اسم المؤلف فقط إذا كان مجهولاً ؛ والغرض من معرفة الاسم هو معرفة شخصية وصفات الكاتب لأن ذلك سيكون له قسط كبير فى تقدير قيمة المعلومات التى ترد فى الأصل أو المصدر التاريخى . فلا بد من أن يجمع الباحث كل المعلومات الممكنة عن شخصية كاتب الأصل التاريخى . وأحياناً يمكن للباحث أن يجمع معلومات عن شخصية المؤلف من بعض كتب التراجم ؛ أو يجمع معلوماته عن الكاتب من الأصل التاريخى الذى دوّنه . فمثلاً الكتابة المؤرخة فى ٢٤ يونيو

---

(١) Archivio di Stato di Firenze : Mediceo. 2077. pp. 747—749 b. & 751—758 b.

(٢) Langlois & Seignobos : op. cit. p. 93

(٢) أسد رستم : مصطلح التاريخ . ص ٣٤ — ٤٢

١٧٨٩ عن بعض حوادث الثورة الفرنسية فى باريس وفرساى يفهم الباحث من لغتها وأسلوبها وطريقة عرضها ومعلوماتها أن كاتبها شخص مثقف ، وأنه شاب قوى الجسم يمكنه أن ينتقل من باريس إلى فرساى أثناء المطر المنهمر ؛ ويدرك الباحث أنه شخص متحمس جرىء ثورى ، يتكلم بصراحة ويقرر أن ممثلى الشعب لا يخافون الموت ، ويعلم الباحث أيضاً أن الكاتب كان مهتماً بالحوادث التى شهدها لدقة وصفها وحسن التعبير عنها . ولا ريب فإن هذه الأوصاف تنطبق على « كاميل ديمولان » الذى كتب عن تلك الحوادث[١]

والمسألة التالية فى هذه الناحية من النقد هى معرفة زمن تدوين ذلك الأصل التاريخى . فالأصل أو الوثيقة قد تكون صحيحة ، وكاتبها قد يكون من الأشخاص الذين يتحرون الصدق والبعد عن الهوى ، ومع ذلك فقد ينقص من قيمتها بعد الزمن بين وقوع الحادث ورؤيته وبين تدوين أخباره . فالذاكرة تخون الإنسان ، ويفوت الكاتب حوادث وتفاصيل خاصة كلما بعد به العهد عن زمن وقوع الحادث مهما كانت رغبته فى قول الصدق ومهما حاول استرجاع وقائع الزمن الماضى . فإذا كان الكاتب لم يحدد تاريخ تدوين الأصل التاريخى ، فكيف يستطيع الباحث أن يحدد ذلك ولو بالتقريب ؟ فى بعض الأحيان يمكن بدراسة المحتويات وضع حدين لمبدأ ونهاية الأصل ؛ أى إنه يعين التاريخ الذى لا يمكن أن تكون الحوادث قد وقعت قبله ، والتاريخ الذى لا يمكن أن تكون هذه الحوادث قد وقعت بعده . ولتحديد ذلك ينبغى أن يكون الباحث صاحب ثقافة تاريخية واسعة تتعلق بالعصر الذى يدرسه . ولا بد أن تكون الوثيقة أو الأصل قد دون بعد آخر حادث ورد به ؛ ولكن من الجائز أن يكون التدوين قد حدث بعد ذلك بزمن قصير أو طويل . وإذا فرضنا أن كتاب سفير البندقية فى باريس لم يكن مؤرخاً ، فإنه يمكن معرفة تاريخ كتابته بدراسة محتوياته . فالحوادث التى ذكرها السفير هى حوادث يونيو ١٧٨٩ ؛ وآخر حادث ذكره هو اجتماع مجلس

(١) Fling : op. cit. pp. 67—69.

طبقات الأمة فى ٢٧ يونيو ١٧٨٩ ؛ وعلى ذلك فلا بد أن السفير قد دوّن كتابه بعد ذلك الحادث مباشرة وقبل أن يقع حادث آخر مهم . والمجلس اجتمع بعد ذلك فى ٣٠ يونيو ؛ فيكون السفير إذاً قد كتب خطابه إلى مجلس شيوخ البندقية فى ٢٨ أو ٢٩ يونيو ١٧٨٩[١]

ثم يواجه الباحث فى التاريخ مسألة أخرى هى مسألة تعيين مكان تدوين الأصل التاريخى ؛ وهى مرتبطة كل الارتباط بما سبق . وسواء كان النص الموجود أمام الباحث أصلاً تاريخياً من الطبقة الأولى أو أصلاً تاريخياً من الطبقة الثانية فلا بد من معرفة مكان تدوينه . فهل دون شاهد العيان الحوادث فى مكان وقوعها أو فى مكان بعيد عنه ؟ أو هل أخذ معلوماته عن أشخاص شهدوا الحوادث بأنفسهم ، وأين كان ذلك ؟ وهل كان التدوين فى مكان وظروف تجعل كاتب الأصل التاريخى قادراً على تصوير الوقائع تصويراً صحيحاً ، أم أن التدوين قد حدث فى مكان بعيد واعتمد الكاتب على الذاكرة والخيال فى سرد الوقائع ؟ المعلومات التاريخية التى ترد فى الأصل قد تحدد مكان التدوين فى بعض الأحيان . أو قد يمكن معرفة ذلك فى المعلومات العامة عن الكاتب . فمثلاً بابى كتب مذكراته فى ربيع ١٧٩٢ . ونعرف من التاريخ أن بابى كان فى ذلك الوقت مقيما فى نانت . وإذاً فهو قد كتب مذكراته فى نانت وليس فى باريس مسرح الحوادث التى كتب عنها[٢]

(يتلى) حسن عثمان

(١) Fling : op. cit. pp. 72—73

(٢) p. 76

إعلان فقد ختم

حامد جادو من كفر دميرة القديم بمركز طلخا غربية يعلن أن ختمه فقد منه وجدد بدله ، وهو خالى الديون ، وكل معاملة تظهر به تكون لاغية ويعاقب حاملها

ثورة على ابن سينا
أو عقلية «الأركانا»

للدكتور جواد على

لقد كان صاحب هـذه الثورة ومؤجج نارها طبيب سويسرى وفيلسوف أوربى عاش فى مدينة « باذل » Basel عاصمة العلم فى المقاطعات السويسرية الألمانية فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر للميلاد[١] . طبيب كانت له نفس تواقة على التنقل من مدينة أوربية إلى مدينة أوربية أخرى ، ومن جامعة أوربية إلى جامعة أوربية أخرى فى سبيل طلب العلم والحقيقة ؛ فى سبيل إدراك كنه الإنسان وسر هذا الكون وعظمته

ولكنه كان حيث هبط فى أرض أو حل فى مدينة يجد الكتب اللاتينية المويصة المترجمة عن العربية أو عن اليونانية تحتل المكان الأسمى فى عالم علم ذلك الزمان : ويجد الأطباء والعلماء يتجادلون فى أبحاثهم وفق القواعد المنطقية المترجمة عن العربية أو اليونانية رأساً . يدونون آراءهم فى الكون والإنسان وفق ماجاء فى كتب ابن سينا ولاسيما كتاب « القانون فى الطب » وكتب أرسطو وجالينوس . لم يكونوا يحكمون عقولهم ، أو يستخدمون التجارب فى أبحاثهم ، أو يجيلون النظر فى الأفق البعيد . وهذا ما ساءه جداً ودفعه إلى إعلان عصيانه وتمرده على كتب العرب واليونان معاً[٢]

وقد عرف ذلك الطبيب الفيلسوف باسم الطبيب المتنقل «بارسلس» ؛ أما اسمه الحقيقى فكان يتركب فى الواقع من بضعة

(١) ولد فى سنة ١٤٩٣ وتوفى فى سنة ١٥٤١ م ، راجع عنه كتاب سيدهوف وعنوانه K. Sudhoff Thophrastus ParaceLsus Sein Lepen und Seine Persönlichkeit 1903. وكذلك كتابه الموضوع فى نقد حياة بارسلس وقد طبعه فى مجلدين بين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ والكتب التى ألفها كل من F. Strunm فى عام ١٩٠٣ و F. Gundolf فى مجلدين فى عام ١٩٢٨ و F. Peukert فى عام ١٩٢٨ م أيضاً

(٢) راجع كتاب Ceschichte der Philoso الفيلسوف الشهير كارل فورليندر K. Vorländer ص ٢١٠

أسماء ضمت بعضها إلى بعض على عادة ذلك الوقت كان يدعى أورويلس تيوفراستس بارسلس بومباستس فون هوهنسهايم (Aureolus Theophrastus Paracel Sus Bombastus Von Hohens Heim).[١]

دعى بالطبيب المتنقل لأنه كان مشغوفاً بالأسفار محباً للتنقل من محل إلى محل ومن مكان إلى مكان . ولقد كون فيه هذا الميل عقلاً يختلف جداً فى طراز تفكيره وأسلوب اشتغاله عن طراز تفكير واشتغال عقول علماء ذلك الوقت . جمّع فى أنسجته وخلاياه خلاصة الثقافات الأوربية المختلفة والنزعات الثورية التى بعثها النهضة الأوربية على القـديم البالى ، وخلاصة النزعات العملية التى بعثها التجارب العلمية التى بدأ يقوم بها علماء الطب والطبيعة فى ذلك الحين . فشك فى مقدرة كتب ابن سينا الطبية والفلسفية ، وتزلزل إيمانه بمقدرة كتب أرسطو أو أبقراط أو جالينوس على إنعاش حياة الإنسان من الناحيتين الروحية والمادية . ونادى فى المجتمعات العلمية وعلى رؤوس الأشهاد أن عصر ابن سينا واليونان يجب أن يزول ، وأن أياماً جديدة يجب أن تحل محل تلك الأيام[٢]

كانت فلسفة ابن سينا فلسفة هادئة ؛ وكذلك كانت فلسفة حكماء اليونان لم يكن فيها ما يمت على المجازفات والمناصرات والبحث عن الأسرار ومجاهل الأرض . بينما كانت أوربا تتمخض عن حركة جديدة ، هى حركة تسخير العلم فى خدمة الإنسان والاستفادة من الطبيعة فى سبيل رفاهية ابن آدم . كانت كلمة « الأركانا » Arkana[٣] من أبرز الكلمات وأحلاها فى قاموس علم ذلك الزمان . وكلمة أركانا تدل على معان جمة عميقة تدل على المادة السرية التى يمكن بواسطتها تحويل أى معدن خسيس إلى معدن ثمين[٤] . ولا يستغرب صدور هذا الميل المادى

(١) راجع كتب التراجم المذكورة وكتاب Scherr وعنوانه : Deutsche Kultur Und Sittengeschichte ص ٣٦٠ وكذلك كتاب « قواعد تاريخ الفلسفة » الفيلسوف الشهير وندلبند Windelband ص ٣٠٩ ، ٣١٣

(٢) راجع كتاب ألفريد روزنبرك وعنوانه Der. Mythus ص ٢٥١

(٣) وهى كلمة لاتينية معناها المقصود المادة السرية ، وتدل على نفس مدلول « حجر الفلاسفة » فى اللغة العربية

(٤) راجع Scherr Deutsche Kultur s, 360

الجشع من إنسان ذلك الوقت . فقد قلب القرن الخامس عشر العالم رأساً على عقب . كدّس الذهب والفضة فى بلاط ملوك البرتغال والأسبان ، وحرم الشعوب الأوربية الأخرى من مصادر القوت والثروة . ووجد حملة سر « الأركانا » فى قصور الأمراء وملوك أوربا مرتزقاً حسناً جداً . كانوا يجوبون عواصم أوربا ليعرضوا على سادتها آخر ما وصل إليه علمهم عن هذه الكلمة السحرية معشوقة الأغنياء . وكان أبرعهم وأشهرهم Georg Honauer . الذى تمكن بواسطة بضاعته فى علم (السيمياء[1]) وطلاقة لسانه ، من السيطرة على عقل الأمير (فردريك) أمير ورتمبرك فى عام ١٥٩٧ م ومن ابتزاز أموال الأمير بلا حساب ، لتحويل النحاس إلى المعدن الثمين الذهب . وقد سطر لنا عصر بارسلس عشرات وعشرات أمثال هذا العالم السيميائى الشاطر[2]

كانت « الأركانا » رمز عقلية الجيل الجديد ، ذلك الجيل الذى سخر من عقلية من تقدمه ، لأنها فى نظره عقلية قديمة آسنة ذات تفكير قديم . كانت تؤمن بالخرافات وبزخارف القول وما جاء فى الأساطير . وما الأركانا فى نظره سوى ثورة جديدة على العصور القديمة وعلى ما أنتجته تلك العصور

ولكن الجديد فى عقلية الأركانا حقاً هو ثورة الفرد على الطبيعة وثورة الإنسان النشيط على الإنسان المتزن الهادئ ، ثورة الجرمانية على العربية واللاتينية[3]

ولكى يبرهن ذلك الإنسان الجديد على أنه إنسان جديد فى كل شيء . إنسان عملى حر فى إرادته وتفكيره فرّق بين علوم الأوائل وعلوم الأواخر ، بين علوم الأجيال التى سبقت القرن الخامس عشر وبين علوم الأجيال التى ظهرت بعد هذا القرن . سمى علم السحر القديم مثلاً « علم السحر الأسود »[4] ، فيميزه عن علم السحر الجديد الذى ابتدعه وسماه « علم السحر الأبيض »[1] . وعلم السحر الأبيض فى نظر إنسان ذلك الوقت علم جديد عملى مجرد عن الأباطيل والخرافات ؛ وقد ضن هذا الإنسان على القدماء حتى فى مصدر العلم فقال : إن مصدر علمه السماء ، أما مصدر علم القدماء فكانت الأرض[2]

وما دام مصدر السحر الأبيض السماء ، فلم لا تكون للأجرام السماوية ذاتها يد فى مقدرات الإنسان ؟ آمن إنسان الأركانا بفعل البروج والأفلاك فى مستقبل الإنسان ، ولكنه لم يؤمن كما آمن الأولون . نعم آمن بقدرة البروج والأفلاك ، وأيقن بأهمية علم التنجيم ليتمكن بواسطة أسرار هذا العلم من معاكسة تأثيرات ما فى السماء ، وليسخر قوى البروج الخفية فى صالح الإنسان . أما الإنسان الأول ، فقد آمن بها إيمان رجل مستسلم للمشيئة والأقدار يرجو رضا القوى الخفية لتجلب إليه السعادة والرفاهية

رأينا تأثير السماء على الإنسان ، فلم لا يكون للأرض نفس هذا التأثير على الإنسان ؟ نعم ، للأرض إذاً أثر هام على سكان الأرض ، وللانسان إذاً أن يبتدع علماً يقاوم تأثير هذه الأرض[3] ، بل للأرض نفس الأثر ، حتى على ما فى بطون الأرض ، فإذا ما تمكن الإنسان من اكتشاف سر هذا الأثر ، تمكن من إيجاد العلاج الناجع لمقاومة تأثير الأرض . وقد بحث الإنسان عن المادة السرية التى يمكن بواسطتها تحويل المعادن الخسيسة إلى معدن نفيس ، وتلك المادة المطلوبة السرية هى حجر الحكماء أو الفلاسفة كما كانوا يطلقون عليها فى القرن الخامس عشر للميلاد Steru der Weisen[4] تؤثر على حياة الإنسان مجموعة قوى أخرى على رأسها « روح الإله العالمية » Gottliche Weltseelle[5] التى تخللت جميع أجزاء هذا الكون ، وحلت فى كل شيء ، فأصبح الكون هو هو الكون ؛ وما الإنسان فى نظر بارسلس سوى « العالم الأصغر » Mikro Kosmos الذي هو صورة مصغرة « للعالم الأكبر » Marko Kosmos[6]

---

(١) ليتميز هذا العلم من علم الكيمياء

(٢) راجع كتاب الدكتور كبور Dr. Gebauer وعنوانه Deutsche Kulturgeschichte ص ٨١

(٣) راجع Der Mythus ص ٢٥١

(٤) راجع Du Prel Die Magie 1912, Schmidt Phi. wort. s, 386 و Levi, Gesch der M. 2 Bde 1926

---

(١) راجع Dr. Gebauer Deut Kultur s, 81 والمراجع السابقة

(٢) راجع Walter Schönfelder Philo im Überblick 1928 s, 21

(٣) Othmar Spann Philo Spiegel s, 275 271

(٤) Dr. Gebauer s, 8'

(٥) نفس المصدر ص ٨١

(٦) Aster Gesch der Philo s, 175

وقد أسبغ صاحبنا على نظريته هذه ثوباً من أثواب الحلولية التى ترد فى الصوفية الإسلامية أيضاً [١] وقد كان لها صدى بعيد فى أنحاء أوربا ، أثرت على أفكار فلاسفة الطليان والألمان والإنكليز وغيرهم أمثال كيور دانو Ciordano [٢] وكامبنيلا Campenella [٣] وتيليزيو Telesio [٤] وروينشلين Reuchlin [٥] وبرونوميلنشون Bruno Melanchton [٦] وأكريبا فون نيتيسهايم Agripa von Nettesheim [٧] وهرمان لوتسه للفيلسوف الألمانى الشهير (١٨١٧ — ١٨٨١ م) فى القرن التاسع عشر للميلاد [٨] قال بارسلس وفى العالم الأصغر وهو الإنسان قوى بنائية روحية تقاوم الأرواح الخبيثة التى تكون فى الخارج وتساعد على بناء الجسم ودوام اتصاله بالعالم الأكبر ، وما العالمين سوى وحدة واحدة لا تتجزأ لذلك ، فأنا العالم والعالم أنا [٩] وقد سمى هذه المادة Archeus من كلمة Arche اليونانية ومعناها المادة الأساسية أو الأساس . وكان الفيلسوف اليونانى أنا كسمندد قد استعملها لتدل على هذا المعنى [١٠] والعلم الذى يبحث عن هذه المادة هو أشرف العلوم ؛ وحيث أن الطب هو العلم الباحث عنها ، لذلك كان علم الطب هو أشرف العلوم طراً وقد شرفه حتى على علم اللاهوت [١١]

(١) راجع كتب الأستاذ ماسنيون من الحلاج و Max. Horten فى كتابه من الفلسفة الاسلامية ، وكذلك بوير وغيرهم

(٢) فيلسوف إيطالى حر التفكير كان من المعارضين الكنيسة (١٥٤٨ — ١٦٠٠) . راجع Kuhlenbeck 1913 و Riehl 1900 وشميد س ٨٩

(٣) فيلسوف إيطالى ولد فى عام ١٥٦٨ وتوفى فى عام ١٦٣٩ راجع كتابه « مماسكة الشمس » وقد طبع عام ١٩٠٠ م

(٤) فيلسوف إيطالى كذلك من الفلاسفة التجريبيين، ولد عام ١٥٠٨ وتوفى عام ١٥٨٨

(٥) من الانسانيين وقد حكم عليه بالهرطقة (١٤٥٥ — ١٥٢٢) راجع Geiger 1871

(٦) فيلسوف تأثر بالمبادئ التيوسوفية الشائعة فى ذلك العهد

(٧) طبيب وفيلسوف ، وكان من المعتقدين بالسحر ، وكان يسخر من علوم زمانه (١٤٨٦ — ١٥٣٥) وقد ترجمت كتبه إلى الألمانية

(٨) (١٨١٧ — ١٨٨١) فيلسوف وعالم فسيولوجى ؛ راجع كتبه

(٩) وهى فكرة الحلولية . راجع Arthur Eloesser وعنوان كتابه (تاريخ الأدب الألمانى) س ٣٤ ، ٣٥ ج ١

(١٠) راجع Schmidt Philo s, 39

(١١) K. Vorländer s, 210

ومن واجب الطبيب تنظيف هذه المادة مما قد يتعلق بها من الأرواح الخبيثة وذلك بواسطة العقاقير والأدوية المفيدة . وقد حضر الطبيب الفيلسوف قائمة بأسماء العقاقير والمشروبات المعدنية والأدوية السرية التى تنفع لمقاومة الأمراض النفسية والجسمية معاً . وما الأمراض فى نظره سوى صراع بين الـ Archeus وبين الأرواح الخبيثة والقوى الخارجية المحيطة بالإنسان [١] . وبقدرة هذه العقاقير والمواد السحرية يستطيع الطبيب الذى هو أقرب مخلوق إلى الله من تنظيف الروح والجسد من الأدران ومن رفع مستوى البشرية إلى مصاف الأرواح السماوية العليا ، وبذلك يتم الاتصال بين « العقل الأول » أو « الروح » وبين العقل الثانى وهو الإنسان . ولذلك كانت لهذه الفلسفة شهرة عظيمة بين رجال المتصوفة من الأوربيين ولا سيما الألمان منهم ، فظهر حلاجهم وهو يعقوب بوك Jakob Boehme [٢] ؛ وظهر فالنتين وأيكل Valentin Weigel وظهر أمثال لهذين المتصوفين ينادون بالفناء والاتحادية [٣]

وبعد أن أتم بارسلس وضع قائمة عقاقيره السحرية أجج فى ليلة عيد الغفران من عام ١٥١٧ ناراً عظيمة فى حفل رهيب وتقدم فى موكب يتبعه تلاميذه والمعجبون بآرائه يحمل بيديه « إنجيل الأطباء » وهو كتاب « القانون فى الطب » لابن سينا « لوثر الأطباء » كما كانت أوربا تسميه Luther der Arzte ؛ وبعد خطبة وحفلة دينية مؤثرة ندد فيها بآراء ابن سينا وزعماء الطب من العرب واليونان ، ألقى بكتاب القانون فى النار معلناً بذلك دخول أوربا فى عصر تفكيرى جديد . ولكنه قوبل من الناس بازدراء عظيم واضطرت بلدية المدينة إلى إخراجه من مدينة « باذل » لتجاسره على كرامة أعظم طبيب عرفته العصور [٤]

اجتمعت فى بارسلس سذاجة القدماء وتفكير المحدثين . كان

(١) نفس المصدر

(٢) كان من أشهر متصوفة الألمان وهو حلولى يفرق بين ظاهر الشريعة وبين الحقيقة على مثال متصوفة المسلمين . راجع كتاب فورليندر س ٢١٩ ولد عام ١٥٧٥ وتوفى عام ١٦٢٤ للميلاد

(٣) ولد هذا الصوفى عام ١٥٣٣ وتوفى عام ١٥٨٨ . راجع فورليندر س ٢١٨

(٤) تجد القصة مفصلة فى تراجم حياة بارسلس ومختصرة فى كتاب الفيلسوف Vorländer س ٣١٠

زمانه زمان انتقال فطبعه بطابعه الخاص . وجد المحدثون فى زماننا فيه رمزاً من رموز التفكير العنيف والانسانية الفعالة . وعلى الأخص الكتاب الأوربيون منهم . وجد فيه ألفريد دوزنبرك رجلاً أوربياً أعلن حرب الجرمانية على السامية واللاتينية ؛ لذلك أسست جمعية أطلقت على نفسها اسم جمعية بارسلس قامت بنشر رسائله ومؤلفاته لأبناء القرن العشرين(١)

ميراد على

(١) راجع Schmidt s, 471 وكتاب Der mythuo s, 251

٢ ـ الصحافة والدولة

تأليف الصحفى العالمى ويكهام استيد
للأستاذ زين العابدين جمعة
المحامى

أما بالإضافة إلى إيطاليا فمجرد النظر فى « الكتاب السنوى للصحافة الإيطالية » وفى صفحاته التى تربى على الألف صفحة كاف لأن تتكشف معه الحقيقة عن أمر تلك العبودية التى انتظمت الصحافة الفاشية فأمست خاضعة لها . ولقد كانت كبريات الصحف الإيطالية مثل صحيفة « الكوريبرى دلاسيرا » التى تصدر من ميلان وصحيفة « الاستمبا » التى تطبع فى تورين — وحسبنا منها هاتان الصحيفتان — تنافس أعظم الصحف فى أوربا وتناهضها قبل أن تبتدع الفاشية نظاماً . بينما كان الصحفيون الإيطاليون ينعمون فى كتاباتهم بنصيب من الألمعية وبراعة الأسلوب ورقة العبارة لا يطاولهم فيه أحد

ولقد انتهى أمرهم اليوم إلى أن نظموا فى سلك « النقابات » والجمعيات الرسمية وأمسوا وهم لا يستطيعون أن يؤدوا عملهم ما لم تدون أسماؤهم فى سجل المهنة ، ليكون ذلك شاهداً على استقامة رأيهم وسلامة عقيدتهم فى النظام الفاشى . ولقد حددت مركزهم تلك الأوامر (الملكية) المعقدة تعقيداً لا حد له ، وصيرتهم موظفين مؤتمرين بأوامر تلك الفئة الوحيدة التى تحكم الدولة . ولقد تلقى الصحفيون الإيطاليون درساً قاسياً عرفوا منه ما ينتهى إليه التمرد على الفاشية من مصير وخيم . فلقد رأوا أنبل الناس نفساً وأوفرهم استقامة بين ظهرانيهم يضربون بتلك الهراوة الفاشية ضرباً مبرحاً ، وقد يكون مميتاً — كما كان من أمر (جيوفانى أمندولا) — أو يحكم عليهم بمدد طويلة فى الأشغال الشاقة ، أو يرسلون إلى معسكرات ضاقت بمن سيقوا إليها أو زجوا فيها ، أو يوضعون تحت مراقبة البوليس فى الحالات الأخف وزناً وفى المخالفات الأقل خطورة وحتى أولئك الذين أمكنهم أن يهربوا من إيطاليا كالمرحوم (كارلو روزلى) قد أدركوا أنهم لم يكونوا بمنجى من أن تصل إليهم أيدى المجرمين ومُدى السفاحين

لذلك نجد فى الفصل الذى عنوانه : (روح الصحافة الفاشية وكيانها) — المذيل بعبارة عهد موسولينى كعنوان إضافى — من الكتاب السنوى للصحافة الإيطالية موضوعاً أقتبس منه ما يأتى :

« ووقتما ابتدعت الفاشية نظاماً للدولة ، واختفت من الميدان الصحف المعارضة بعباراتها القارصة وأسلوبها اللاذع ؛ ووقتما اهتدت إلى صوابها الصحف الناقمة الخارجة — تلك الصحف التى ذاعت ثقافتها العقلية التقليدية وكان لزاماً أن نحترم على الأقل ما بقيت لها ألقابها القديمة — فقد أحس الجمهور لوقت ما بشعور من الحيرة والارتباك ليس من الأمانة أن ينكر . إذا كان مما يتواتر على ألسنة الناس قولهم : « أيسعنا أن نقرر أن الحكومة لم تعد تخطىء ، وأن الدولة دائماً على صواب ؟؟ — وذلك لأن الجمهور الساذج غير المثقف يختلط عليه أمر « الحكومة » و « الدولة » فيخالهما شيئين مختلفين مع أنهما اليوم وحدة لا تتجزأ لها ذاتيتها وخاصيتها . ومراعاة للأمانة والحق يجب أن نقرر أيضاً — ما دام الدوتشى نفسه قد قرره — أن طبع الصحافة بالطابع الفاشى لم يكن بالأمر القريب المنال بل كان أمراً شاقاً ومنهجاً صعباً » ثم يحدثنا الكتاب السنوى إلى ذلك قائلاً : « ولكن أيسع أحداً اليوم أن يخبرنا عما إذا كانت الصحف هى التى تكون الرأى ، أو كان الرأى هو الذى يكون الصحف ؟؟ » ثم يضيف إلى ذلك :

« والصحف تارة تتقدم الأسلوب الثورى وتارة أخرى تكون لاحقة له عند ما يجرى قلب أوضاع المجتمع فى سبيل المدنية الحديثة انقلاباً جوهرياً ، تلك المدنية التى جددت أسلوب النظم العامة والخاصة ووظيفتهما ، فى شعوب أوربية

عظيمة كإيطاليا وألمانيا . ففى هاتين الأمتين نجد الصحافة اليومية وقد تميزت عن سائر الصحف الأخرى فى باق أمم الأرض تميزاً واضحاً »

فما هو هذا الشىء الذى يميز الصحافة النازية الألمانية والفاشية الإيطالية عن غيرها من صحف العالم ؟؟ هنا يتولى « الكتاب السنوى » شرح هذا الفارق المميز فيقول :

« إن الفاشية التى كانت النتاج البكر بين حركات التجديد فى أوربا كانت حرباً صليبية كبرى لتحرير الروح الإيطالى ... فهل كانت رجعة إلى الفطرة الأولى ؟؟ نعم ، ولكنها فى الواقع مفتتح ثورة فعالة من شأنها أن تعيد إلى الشعب فى غداة ثورة تاريخية عظمى نوعاً من العيش الفذ والحياة البكر » . ثم يقول « الكتاب الثانوى » أيضاً :

إن الصحافة الفاشية قد بعثت شباب إيطاليا بعثاً جديداً ووضعت أمام عينيه - وقد أجادت الاختيار واحترزت من أمره - حقائق لها قيمتها التاريخية لا مجرد أخبار مشوشة مضطربة . وما برحنا على حال لا يضايقها أن نقرر أن الصحافة قد أتمت رسالتها تحت لواء النظام الفاشى ، ذلك النظام الذى وضع الصحافة فى الصف الأول ومنحها قيادة نبيلة ؛ الأمر الذى أصبح معه خضوع الصحف « لرأى الدولة » وهو من نوع استسلام الجندى المخلص لا من نوع تلك العبودية المفروضة على تابع أحسن إليه . و « رأى الدولة » هذا قد ورد ذكره وعرف فى المجلد الثامن من كتاب « كتابات وأقوال بنتو موسولينى » إذ جاء به : « إن رأس الحكمة الفاشية هو إدراك معنى « الدولة » ومعرفة جوهرها وفهم أعمالها والإلمام بأغراضها ومراميها . فإذا كان من مقتضيات الفاشية أن تكون الدولة مطلقة التصرف فذلك من جهة تلك الصلات التى تربط الأفراد والجماعات بالدولة وتربط الدولة بهم . ولا يباح للأفراد والجماعات الحق فى التفكير وتكوين الرأى إلا إلى الحد الذى لا يتعدى نطاق ما اختطته الدولة . والحكومة الحرة لا تدبر أمر أعمال المجتمع وتصرفاته ولا تنهض بتقويم نتاجه المادى والروحى بل يقتصر أمرها على مجرد تسجيل النتائج ؛ بينا نجد الحكومة الفاشية ولها ما اختصت به من إدراكها لهذه المسائل ومن اختيارها لما تختاره منها ومن مشيئتها فيها ولهذا السبب لقبوها بالحكومة « الأدبية » ... »

* * *

انتهينا فيما تقدم — وبعبارة صريحة — من عرض المميزات والفوارق الأساسية بين وظيفة الصحافة فى الحكومة الاستبدادية ووظيفتها فى الأمم الحرة التى ما زالت حرية الأفراد فيها وهى تعد أمراً طبيعياً فى ذاته ؛ ولو كان المبدأ القائل بأنه : « فى سبيل الفاشية يجب أن تكون الحكومة حكومة مطلقة » هو مبدأ إيطالى الأصل والنزعة ، لساغ أن يتقبله العقل الإيطالى وأن يتحمل ما ينطوى عليه من أعباء الممارسة الفعلية لمسألة هى أهم مسائل النظام الاجتماعى والسياسى . ومهما كان من التناسق والتلازم فى أفكار موسولينى السياسية ، فهى مأخوذة — على وجه أو وجهين — من آراء « هيجل ». الفيلسوف الألمانى الذى صيغت آراؤه عن الدولة - ولاسيما الدولة البروسية - فى قالب صعب لأكثر من عصر مضى ؛ ولم يكن ما تلقاه « فردريك انجلز » ، « كارل ماركس » من آراء « هيجل » ؛ وما أوحى به إليهما فيما انتهيا إليه من نظر عن الدولة الشيوعية بالشىء القليل ، وعن « ماركس » ، « أنجيلز » تلقى « جورج سوريل » رسول النقابية[1] فى فرنسا أول ما تلقاه من مبادئ العنف النقابى كوسيلة للانقلاب السياسى والاجتماعى قبل أن يتعقبها إلى منهلها فى فلسفة « هيجل » ، وينهل من هذا النبع المسموم ؛ وعن « سوريل » تلقى « موسولينى » بدوره هذه المبادئ الضارة والنهج الوبيل

فلقد صرح « هيجل » آنئذ فى كتابه المعروف « بفلسفة التاريخ » بأن الدولة هى أسلوب فعال مطلق ، وتجسيد لفكرة (أى تجسيد الحقيقة الماثلة وراء الظواهر) . وعنده أن تلك الكائنات الحية التى تعيش تحت ظلال هذا الأسلوب من الحق المطلق ، ليس لها من الحق فى الاعتبارات المستقلة بأكثر أو بأقل مما للخلية بالإضافة إلى الهيكل البشرى ؛ وهو يقول : « إن الدولة هى أسمى فكرة وأجل وحى وأنبل خاطر ، ينمو الحياة ويعيش على وجه الأرض » ، لأن : « جماع ما للكائن الحى من قيمة وجماع ما ينعم به من الحقائق الروحية ، إنما يتهيأ له فقط ويأتيه عن طريق الدولة » ؛ يضاف إلى ذلك أن : الدولة غاية فى نفسها وشىء قائم بذاته ، وهى الغاية القصوى التى يسمو حقها الأعلى على حق الفرد الذى ينطوى أسمى واجباته فى أن يكون فرداً فى الدولة

(١) النقابية : حركة عمالية قوامها العمل على نقل وسائل الانتاج والتوزيع من ملاكها الحاضرين لاتحاد العمال ونقاباتهم . وسبيلها إلى ذلك عادة هو الأضراب العام .

وهـذه التعاليم هي من نوع التوفيق بين وجهة النظر الحرة ووجهة النظر المسيحية على حقيقتها في الحياة . إذ كلا النظرين يجعل لشخصية الإنسان قيمة عظمى . تلك الشخصية التي يعدها المذهب الحر العنصر الأولى الذي لا غنى عنه في مجتمع مكلف حر من الـكائنات الإنسانية . بينما تنظر إليها العقيدة المسيحية كمستودع للنفس الخالدة . والصحافة الحرة قد هيئت لأن تنهض فور الوقت بواجبها نحو الحرية الاجتماعية والسياسية إذ تكون لسانها الناطق وحارسها الأمين . إلا أن الأمر يختلف عن ذلك تحت نير تلك النظم السياسية التي تعامل الفرد كمجرد تابع خاضع في كل شيء لإرادة حكومة مطلقة تعبر عنها أوامر حاكم مستبد حيث لا تصادف الصحافة الحرة ولا الصحفيون الأحرار أي عدالة أو ضمان

ولـكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحد إذ تصل إلى الأعماق من فلسفة الصحافة ذاتها . ففي الأمم الحرة ليس من شأن الصحافة ، ولا يمكن أن يكون من شأنها ومن شأن ما يسمى أحياناً (بمسئولية) الصحفي، أن تكون مجرد صدى يردد ما يجري على لسان الحكومة من رأي . أو تمني بالتزام ذلك الصمت الذي يأخذ رجال السياسة أنفسهم به ، أو يجري في عقيدتهم أنه من مقتضيات المراكز التي يشغلونها . والصحف المستقلة إن أيدت الساسة في خططهم وكانت لهم سنداً في الاحتفاظ بمراكزهم فهي إنما تمنحهم هذا العون طليقة مختارة وعن عقيدة شخصية قوامها أن هؤلاء الساسة يخدمون مصالح المجتمع جهد طاقتهم

ولقد بين « روبرت لو » (اللورد شربروك فيما بعد) الفارق بين واجبات الصحافة الحرة وواجبات رجال السياسة بياناً علمياً صائباً في المقالين الافتتاحيين الخالدين اللذين حررهما لصحيفة « التيمس » في ٦ ، ٧ فبراير عام ١٨٥٢ وقتما كان « ديلان » ينهض برئاسة التحرير فيها

ففي شهر ديسمبر من عام ١٨٥١ قام « لويس نابليون » بحركة غير مشروعة كان من أمرها أن وثب إلى كرسي الامبراطورية في فرنسا فنصب نفسه إمبراطوراً للدولة التي كان يتولى رئاسة الجمهورية فيها . وكان من أمر اللورد « بلمرستون » الذي كان يتولى وزارة الخارجيـة في ذلك الوقت من وزارة « رُسـل » أن أقر بالنيابة عن بريطانيا العظمى هذا الأمر الواقع من غير أن يراجع زملاءه في ذلك ويبادلهم الرأي ومن غير أن يخطر المـلكة به . وإذ ذاك قامت قيامة صحيفة « التيمس » وآذنته هو و « لويس نابليون » بحرب شعواء جاهدتهما بها وناهضتهما فيها . ولقد بلغ من قسوة هذا النضال العنيف وما صيغ به من عبارة قارصة وأسلوب لاذع أن « ضاق لويس نابليون به صدراً » وثارت ثائرته عليه ، وأن غضب له من شايعه من الوزراء البريطانيين وحاولوا أن يفلتوا من حملاتها بتحكيم فيها . إلا أنه لم يكن من أمر إقرار « بلمرستون » لذلك الإنقلاب الغير مشروع والذي كانت له اليد الطولى فيه إلا أن انتهى بعزله ، إذ احتجت المـلكة احتجاجاً حازماً على ما كان من خطل نهجه، وأبى عليه رئيس الوزارة قبول معاذيره أو إقراره على حججه . واختير فعلاً « لورد جرانفيل » خلفاً له ووزيراً للخارجية من وزارة رسل . وعقب ذلك بحوالي الشهرين سقطت وزارة رسل بأجمعها . وتحين الفرصة « اللورد دربي » الذي خلف « لورد جون رسل » في رئاسة الوزارة . فما أن وانته — بمناسبة ما ثار وقتئذ من نقاش وما ألقي من خطب رداً على خطاب العرش — إلا أنحى على صحيفة التيمس باللائمة وقبح منها ما كان من سفور النقد وصراحة العبارة زاعماً : « أنه إذا كان من حق الصحافة البريطانية في هذه الأيام أن تطمع لأن تقاسم الساسة سلطانهم ، أفلا يحق عليها أيضاً أن تقاسمهم مسئولياتهم ؟ ؟ »

ولما كان « ديلان » صحفياً مستقلاً يعرف لحرية الرأي حقها وخطرها ، فقد أحس من نفسه برغبة ملحة في ألا يدع هذه النظرية تمر من غير تحقيق وتمحيص ومن غير أن يظهر وجه الصواب منها ، فأوحى إلى « روبرت لو » أن يفندها ، وأن يبين للناس المبادئ التي تنظم كلا الأمرين حرية الصحافة وواجبات الصحفي في المجتمع الحر . ولقد نهض « لُـو » بهذه الحاجة برأي حازم وبصيرة نافذة ؛ وإذ أخذ في مناهضة تلك المزاعم ومناقشة هذه القضية المنطقية التي أثارها « لورد دربي » بما زعمه من أن الصحافة التي تطمح في أن تشاطر الساسة سلطانهم يكون لزاما عليها أيضاً أن تشاطرهم مسئولياتهم ، كتب في عدد التيمس الصادر في اليوم السادس من شهر فبراير عام ١٨٥٢ المقال الآتي :

إذا كان للطرف الأول من هذه القضية ثابتاً مقرراً فلا جرم أن الطرف الثاني يتبعه في هذا الثبوت بداهة . ونحن من بين الناس جميعاً أقلهم ميلاً لأن نضع من شأن ما نهض به من عمل خطير أو ننكر ما يقع علينا من مسئوليات وما ننعم به من سلطان

١١ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تعليم البنات

قلما يتعلم البنات القراءة والكتابة . وكذلك لا يتعلمن الصلاة حتى بنات الطبقة الراقية . ويستخدم بعض الأغنياء « شيخة » لتزور الحريم يوماً فتعلم بناتهم وجواريهم إقامة الصلاة وتلاوة بعض سور من القرآن . وقد تعلمهن القراءة والكتابة ، إلا أن هذا ، حتى لنساء الطبقات الراقية ، شيء كالي يندر أن يتم [1] . وهناك عدة مدارس تعلم فيها البنات الخياطة والتطريز الخ . ولكن إذا سمحت الظروف يعهد بالبنات إلى « معلمة » تعلمهن تلك الأشغال في منازلهن

(١) وقد تتلقى بنات الطبقات الوسطى علومهن مع الأولاد في مدرسة واحدة . إلا أنهن عادة يلبسن الحجاب ولا يخالطون الأولاد . وكثيراً ما شاهدت بنات حسان الهندام يقرأن القرآن في مدرسة البنين .

الفصل الرابع

الحكومة [1]

قاست مصر — هذه السنوات الأخيرة — تقلبات سياسية عظيمة ، وزالت تبعيتها للباب العالي إلا قليلاً . وقد استقل حاكمها الحالي محمد علي تقريباً ، بعد أن أباد الغز أو المماليك الذين شاركوا أسلافه الحكم ؛ إلا أنه أعلن ولاءه للسلطان ، وأصبح يؤدي الخراج للأستانة كما هي العادة . ثم إنه خضع لأحكام القرآن الأساسية والسنة . وهو — خلافاً لذلك — يتمتع بسلطة لا حد لها [2] . فهو يستطيع أن يقضي على أي فرد من رعاياه بالموت دون محاكمة أو تعيين سبب . وكفاه أن يحرك يده حركة أفقية بسيطة ليتضمن ذلك حكم الإعدام . ولكن يجب ألا يفهم من كلامي أنني ألمح بجيله إلى سفك الدماء بلا موجب . إن من طبع هذا الوالي الصرامة الحازمة لا القسوة الشريرة . وقد دفعه طموحه المطلق إلى جميع الأعمال ، فكان يجلب لنفسه المدح تارة أو الملامة تارة أخرى [3] . ويوجد في قلعة العاصمة مجلس للقضاء يسمى (الديوان الخديوي [4]) ، يرأسه في غياب الباشا نائبه (الكخيا) [5] حبيب أفندي . ويبت رئيس الديوان الخديوي في الأمور التي تخرج عن اختصاص القاضي أو التي تكون واضحة بحيث لا تحتاج إلى الرجوع إلى القاضي أو أي مجلس آخر

(١) لما كان الاصلاح السياسي الذي أجراه محمد علي سندق أهميته العظيمة على الدوام ، ولما كانت التغييرات التي أحدثها خلفاؤه في نظمه قليلة الأهمية وعلى العموم مخالفة لكل تقدم ، فقد أبقيت هنا دون تغيير جوهري وصف حكومة مصر في سنتي ١٨٣٤ و١٨٣٥ وهما خير سني حكمه

(٢) وإن كانت أرض ولايته نقصت كثيراً منذ كتابة هذا إلا أن سلطته في مصر بقيت كما هي على التقريب

(٣) إن حكومة مصر منذ الفتح العربي لم تتغير كثيراً عما هي عليه الآن في تأثيرها على شمائل السكان وعاداتهم وطباعهم ، ولذلك أرى أن لا حاجة إلى عرض تاريخ الماضي لتوضيح هذا الكتاب . إلا أنه يجب الاشارة إلى أن المصريين لا يسمح لهم الآن بالاستمرار في معاملة النصارى واليهود بتلك الغلظة التعصبية الشديدة التي كانوا يعاملونهم بها قبلا . ومن هنا يدين السياح الأوربيون لمحمد علي بالشكر ويعترفون له بالجميل . وقد يزيد هذا التقيد شعور التعصب الزائد بادئ الأمر ، ولكنه سيلطفه على الأرجح بمرور الزمن . ولم يتم بعد هذا التنبؤ ، وعلى النقيض من ذلك أثار استعمال العظماء ومستخدمي الحكومة للبدع الأوربية في ملبسهم وشمائلهم وعاداتهم المنزلية تعصب رجال العلم والدين وجلة الشعب عموما

(٥) « خديوي » نسبة إلى الكلمة التركية « خديف » أي الأمير

(٤) هكذا ينطق به في مصر والأصح « كياجيا » أو « كتخدا »

نستمده من قوة الشعب وثقة الجمهور . إلا أنه لا يسعنا مهما يتهيأ لنا من أمر هذا السلطان سواء أكان عظيماً أم صغيراً ، أن نقرر أن من مقتضياته أن نشاطر رجال السياسة أعمالهم ، أو أن هذا السلطان مقيد بمثل ما يتقيد به وزراء التاج من قيود العمل والزمن . وبمثل ما يلازمهم من واجب ومسؤولية ، فكل من هذين السلطانين متميز عن الآخر تمام التميز في مقتضياته وواجباته . وهما على العموم أمران مستقلان ، وأحياناً شيئان متعارضان يسيران على خطين متوازيين فلا يتقابلان ، والصحافة تعبث بحريتها وتقيدها وتحد من نشاطها إثر تلك اللحظة التي تقبل فيها أن تشغل مركز المسود من السيد ، وأن تنزل منزلة التابع من المتبوع ؛ وهي إن عنيت بتأدية واجباتها باستقلال صحيح تام ؛ وبالتالي بما يتطلبه منها جماع المصلحة العامة ، لما وسعها أن تهادن رجال الساعة من الساسة أو تحالفهم ، أو أن تخضع مالها من شأن خالد ونفع متواصل لما يتهيأ لأية حكومة من سلطان موقوت ونفوذ سرعان ما يزول عنها أو تزول عنه

زين العابدين جمعة

(البقية في العدد القادم)

وقد أقيمت فى أنحاء العاصمة دور كثيرة للشرطة ، فى كل منها بلوك نظام أى فرق منظمة . ويسمى الشرطى « قلق »[١] أو « قراقول »[٢] . ويقبض على من يتهم بالسرقة أو السطو الخ ويقاد إلى دار الشرطة الرئيسى فى الموسكى حيث يسكن أغلب الفرنج . وبعد أن تثبت التهمة كتابة يقاد المتهم إلى « الضابط » أى رئيس شرطة العاصمة . وبعد أن يسمع الضابط القضية يرسل المتهم للمحاكمة أمام الديوان الخدوى[٣] . وعند ما ينكر المتهم الجريمة الموجهة إليه ، ولم يكن هناك دليل على الإدانة ، يجلد ليحمل على الاعتراف بجريمته . وحينئذ ، إن لم يكن قبلا ، يعترف المتهم بالجريمة إذا كانت طبيعتها لا تعرضه لعقوبة شديدة . ويعترف اللص عادة بعد هذا التعذيب بقوله : « إن الشيطان أغرانى ففعلت » وعقوبة المجرمين يرتبها نظام مستبد ولكنه لطيف حكيم . ويكون عادة بإلزامهم القيام ببعض الأشغال العمومية مقابل قوت قليل ، مثل نقل القمامة وحفر القنوات الخ . وقد يجند الشبان الأقوياء متى كانت التهمة طفيفة . ويستحق محمد على على استخدامه المجرمين لإصلاح البلد وتحسينه المدح الذى كان وقفاً على ساباكون Sabacon[٤] الفاتح الحبشى وملك مصر الذى يقال إنه أدخل هذا النظام ؛ إلا أن الباشا كان شديداً فى معاقبة الجرائم التى ترتكب ضد شخصه فالإعدام هو العقوبة العادية فى أحوال كهذه .

وهناك عدة مجالس دنيا لإدارة شئون الأقاليم المختلفة ، وأهمها : أولاً . « مجلس المشورة » ويقال أيضاً « مجلس المشورة الملكية » تمييزاً له عن المجالس الأخرى . ويختار الباشا أعضاء هذا المجلس والمجالس المشابهة الأخرى ممن يتحلون بمواهب أو صفات أخرى . ولذلك تخضع جميع قراراتهم لإرادته ورغباته ؛ وهم آلته ورهن إشارته ، ويكونون لجنة تشرف على إدارة البلد العامة وشئون الباشا التجارية والزراعية . وتعرض العرائض الموجهة إلى الباشا أو إلى ديوانه المتعلقة بالمصالح الخاصة أو بشئون الحكومة على أعضاء المجلس وتخضع لتقديرهم وحكمهم ، إلا إذا وقعت فى اختصاص المجالس الأخرى المذكورة فيما بعد . ثانياً (مجلس الجهادية) أو (مجلس المشورة العسكرية) واسمه يدل على مدى اختصاصه . ثالثاً مجلس (الترسخانة) أو البحرية . رابعاً (ديوان التجار) وقد أنشئ هذا المجلس الذى يتكون أعضاؤه من تجار مختلفى البلدان والدين تحت رئاسة (الشاه بندر) لينظر فى بعض الأحوال الناشئة عن المعاملات التجارية الحديثة مما لم ينص عليه فى القرآن أو السنة

ويتولى قاضى القاهرة القضاء فى مصر لمدة سنة واحدة ثم يرجع عند انتهائها إلى الآستانة . وجرت العادة أن يقوم القاضى من القاهرة مع قافلة الحج الكبيرة إلى مكة فيقضى واجبات الحج ويبقى فى المدينة المقدسة سنة واحدة ، وفى المدينة المنورة سنة أخرى[١] يقضى بين الناس . ويشترى القاضى منصبه بالممارسة من الحكومة التى لا تقيم أى اعتبار لمواهبه . غير أنه يجب أن يكون ذا علم ولو قليلاً ، وأن يكون عثمانياً حنفى المذهب . وقلما يجيد القضاة اللغة العربية لأن معرفتها لا تلزمهم . ولا يكاد القاضى فى القاهرة يعمل شيئاً غير التصديق على حكم (نائبه) الذى ينظر فى أغلب الدعاوى العادية والذى يختاره القاضى من علماء استنبول ، أو التصديق على قرار (المفتى) الحنفى الذى يقيم دائماً فى القاهرة ويصدر فتواه فى القضايا الصعبة ، ولكن النائب على الأكثر قليل المعرفة باللغة المصرية العامية

---

(١) من التركية « قول اق »

(٢) والعامة يقولون « كركون »

(٣) كثيراً ما يستبد القائمون بأمر هذا المجلس وما أشبهه كما أن إتمام الاجراءات ينقصه الوقار والأدب . فكثيراً ما يستعمل الموظفون الأتراك حتى الكبراء منهم ألفاظا لا أستطيع أن أذكرها لشدة ما تتقزز منها النفس ، نحو المتقاضين .

(٤) ساباكو Sabaco أو شاباك Shabak أحد ملوك الأحباش . جرد حملة على مصر ونشر سلطانه عليها (٧٢٨ قبل الميلاد) . ولقب بملك مصر ، ولكنه ترك مباشرة الحكم لأخته أمنيرتس Ameniritis وزوجها بيانخى Piankhi . وكثيراً ما يرى شاباك وأخته على جدران معابد طيبة وغيرها .

وتؤكد الروايات اليونانية القديمة أن هذا الملك الحبشى حكم مصر حكما لطيفا فلم يلجأ أبداً إلى حكم الاعدام واستخدم المجرمين فى حفر القنوات وبناء الخزانات

(انظر The Historians's History of the World الطبعة الخامسة سنة ١٩٢٦ الجزء الأول ص ١٧٦) (المترجم)

(١) جرت العادة أن يقدم القاهرة فى أول رمضان ولكن حدد فيما بعد أول محرم

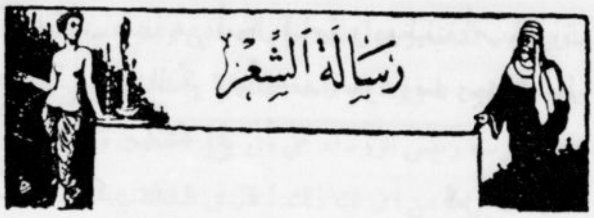
ولذلك يجب على القاضى فى القاهرة ، حيث يتكلم أغلب المتقاضين العربية ، أن يضع غاية ثقته فى « الباش ترجمان » ؛ ومنصب هـذا دائم ، ومن ثم فهو يعرف أنظمة المحـكمة ، وخاصة نظام الرشوة ، وهو على أتم استعداد لأن يلقن هذا النظام لـكل من يستجد من القضاه والنواب . وقد يكون القاضى جاهلاً بالشرع جهلاً فاحشاً فى كثير من تفاصيله ، وقد حدثت عدة أمثلة من هذا النوع ، ولـكن يجب أن يكون النائب بارعاً فى الشرع علماً وعملاً

وعندما يرفع الشخص قضية يذهب إلى المحـكمة ويطلب من الباش رسول أن يرسل (رسولاً) ليحضر الخصم ، ويتناول الرسول قرشاً أو قرشين[1] يقسمهما مناصفة بينه وبين رئيسه على انفراد . ويحضر المدعى والمدعى عليه فى بهو المحـكمة الـكبير : وهو غرفة كبيرة تواجه فناء فسيحاً ، ولها واجهة مكشوفة بها صف من الأعمدة والعقود ، ويجلس فيهـا كتبة يسمى الواحد منهم « شاهداً » ، وعمله أن يصغى إلى أقوال الطرفين فى القضية ويدونها ، ورئيسهم الباش كاتب ، ثم يقصد المدعى أى واحد من هؤلاء الـكتبة ويقرر أمامه ظروف القضية ... فيثبتها الشاهد كتابة ، ويتناول جعلاً قدره قرش أو أكثر ، ثم بعد ذلك يصدر حكمه إذا كانت القضية لا قيمة لها والمدعى عليه يعترف بعدالتها ، وإلا قدم الطرفين إلى النائب فى غرفة داخلية . وبعد أن يسمع النائب القضية يأمر المدعى أن يستصدر فتوى من مفتى الحنفية الذى يتناول جعلاً يندر أن يقل عن عشرة قروش ، ويزيد غالباً على مائة قرش أو مائتين ، ويصدر النائب حكمه فى القضايا التافهة منفرداً وبأقل تعب . أما القضايا المهمة أو المعقدة فإنها تنظر فى غرفة القاضى الخاصة أمام القاضى نفسه والنائب ومفتى الحنفية الذى يستدعى للفصل فيها بفتوى ؛ وقد تزيد القضية صعوبة أو أهمية ، فيستدعى بعض علماء القاهرة ؛ وبعد أن يصغى المفتى إلى القضية يصدر حكمه كتابة ، فيصدق القاضى عليه ويختم الورقة بختمه ، وهـذا كل ما عليه أن يعمله فى أى قضية . ويستطيع المتهم أن يبرئ نفسه باليمين إذا لم يقدم المدعى شهوداً ، فيضع يده اليمنى على القرآن ويقول : بالله العظيم ثلاث مرات ، مردفاً : وبمـا يحتويه هذا من كلام الله . ويجب أن يكون الشاهد عدلاً أو يزعم أنه كذلك ، وألا تكون له مصلحة فى القضية . ويلزم لـكل دعوى شاهدان[1] على الأقل أو رجل وامرأتان ، ويجب أن يزكى الشاهدين شخصان آخران . وشهادة الـكافر على المسلم لا تجوز شرعاً فى حالة العقوبة الشديدة . والشهادة لصالح الإبن أو الحفيد أو الأب أو الجد لا تقبل وكذلك شهادة الأرقاء ، ولا يستطيع السيد أن يشهد لصالح عبده .

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وكان القرش المصرى عندما كتب هذا يساوى خمس الشلن أو بنسين وخمسي بنس ٢ ٢/٥

(١) هذا الحـكم أخذ من الأسفار الموسوية الخمسة . أنظر التثنية الإصحاح ١٩ الآية ١٥ ونصها : لا يقوم شاهد واحد على إنسان فى ذنب ما أو خطية ما من جميع الخطايا التى يخطئ بها على فم شاهدين أو على فم ثلث شهود يقوم الأمر . ويستطيع الرجل أن يمتنع عن الشهادة



إلى ...؟!

«للشاعر المجهول»

تحدثتَ بالمِتْناف (1) أنك حاضرٌ   لإيناسِ رُوحى بعد بِضعِ دقائقِ
فكيف ترى عيشى يطول فأجتنى   على شغفى أرواح تلك الشقائق
ألوفٌ من الأحلام طافت فداعبتْ   فؤادَ أسيرٍ ظامئِ الروحِ وامق
فما صحَّ حُـلمٌ فى هواك ولا انتهتْ   على اليأس مَوْجاتُ الدموع الدوافق
أأنتَ برغم الصدّ والدّل قادمٌ   لإسعاد مشتاقٍ و إنجاد عاشق ؟
أمثلك تسديه الحيـاةُ إلى فتى   مَرِيد الهوى والشوق وَغْرِ الخلائق ؟
وكيف أرى داري على ضِيق ساحها   تحيط بديّان الشموس الشوارق ؟
سألقاك - هل ألقاك ؟ - فى ثوب ضَيغَمٍ   يرى الرفق بالغزلان إحدى البوائق
تعالَ تجدْنى جذوةً من صبابةٍ   تسعَّرُ فى صدرِ مَشوقٍ وشائقِ
لِنجواكَ أستبقى شبابى فعاطِنى   كؤوس الهوى قبل ابيضاضِ المفارقِ
وأعْزِزْ فؤاداً لو أردتَ جعلتَهُ   أعزَّ من الشّغْواءِ (2) فى رأس شاهق
لقد مالت الدنيا وجافتْ وجانبَتْ   فكُنْ مُنقِذي من جورها المتلاحق
إذا كنت لى يوماً ولو بعض ساعةٍ   تجودُ بها جُودَ الحبيب الموافق
فسوف أري الدنيا على سوء بغيها   أطايبَ من لَهْوِ الشبابِ الفُرانِق

* * *

دقائقُ كالأعوام طالت ولم تجىء: حماكَ إلهُ الحبِّ من كلِّ عائق
سيقتُلنى شوقى إليك فهل أرى   خيالاك عند الموت وهو مُعانِقى
أُحِبُّك حُبَّ القلب للوَحْى فالقَنِى   ولو لحظةً ينفذْ إلى الغيب بارقى
شَبَبْتَ بقلبي ثورةً لم تُعانِها   جوانحُ مَشغوفٍ ولا صدرُ حانق
وصيّرتَنِي لا صرتَ مِثلىَ عِبرةً   لِكلِّ ألوفِ الروحِ جمِّ العلائق
فحتّى متى أحنو عليك ولم أكنْ   بحفظك الميثاق يوماً بواثق
أُحبُّك حُبَّ العين للنور فاهدنى   إلى الصبر عن لقياك إن كنت صادقى
وهل أبصر الراءون من عُصبة الهوى   نظيرَكَ فى أوهامِهم والحقائق ؟
لكَ المجدُ بينَ الخاتلين فولّنى   قضاءَ الأسى بين القلوب الصوادق
أُحبُّك حُبًّا لو تمثّلتَ وَقْدَهُ   لأمسيتَ فى كربٍ من الحزن ساحق

* * *

إلى الله أشكو ما أعانيه من جوًى   هو الدهرُ يَرمى بالصروف الصواعق
إلى خالق الأرواح أشكو بَليّتى   برُوحٍ غَدورٍ فى الغرام ومائق
تؤرِّقنى أطيافُ ذكراهُ سُخرةً   بِرَوْعٍ كأهوال الخطوب الطوارق
فما الذنبُ؟ ماذنبى وما كنتُ فى الهوى   سوى شاعرٍ للصدقِ فى الحبِّ خالقِ
ستطوى أحابيلُ المِلاح وتنطفى   على الدهر نيرانُ الشجون المَواحِق
ويبقى نَشيدى فى هواكَ وثيقةً   تُسجِّلُ أحلامَ القلوب الخوافق

« الشاعر المجهول »

(1) المتناف : هو التليفون
(2) الشغواء : العقاب بضم العين



المحتسب في الإسلام

نشرت مجلة الجمعية الصحية المصرية في عدد من أعدادها الأخيرة مقالاً قيماً للدكتور فريد بك حلمي المفتش بوزارة الصحة عن نظام التفتيش على المأكولات والاشتراطات الصحية في العهد الفاطمي معتمداً في بحثه على كتاب « معالم القربة في أحكام الحسبة » لمؤلفه محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ، أثبت فيه أن المحتسب كان يقوم في هذا العهد بوظيفة مفتش مأكولات ومعاون صحة ومفتش موازين ومفتش بيطري ، وبالجملة يعتبر من رجال الضبطية القضائية ؛ وكانت الاشتراطات التي يفرضها المحتسب على المحلات لا تقل دقة عن اشتراطات وزارة الصحة اليوم إن لم تفقها ، وللتدليل على ذلك نذكر بعض ما يخص الجزارين قال :

« لا يجر الجزار شاة برجلها جراً عنيفاً ، ولا يذبح بسكين كالة لأن في ذلك تعذيب الحيوان ، ولا يشرع في السلخ بعد الذبح حتى تبرد الشاة وتخرج منها الروح . وينهى الأبخر من النفخ في الشاة عند السلخ لأن نكهته تغير اللحم وتزفره ، ويمنع المحتسب القصابين من الذبح على أبواب دكاكينهم فإنهم يلوثون الطريق بالدم والروث ، وهذا منكر يجب المنع منه ، وأن يفردوا لحوم المعز عن لحوم الضأن ، وينقطوا لحم المعز بالزعفران ليتميز عن غيره وتكون أذناب المعز معلقة على لحومها إلى آخر البيع ولا يخلط لحم الذكر بالأنثى » .

هذا جزء بسيط مما كان يقوم به المحتسب ، ومثل ذلك كان يفرض على كافة الحرف والصناعات .

وكان المحتسب يدخل في صميم الصناعة بشكل يعجب به ابن القرن العشرين لمعرفته بطرق الغش التي تخفى على الكثيرين ، والتي لا تمسها شروط وزارة الصحة إلا عن بعد . ومن شروط الحسبة والمحتسب أن يكون مواظباً على سنن رسول الله (صلعم) ، وأن يكون عفيفاً عن أموال الناس ، ووظيفته أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وأن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته الخ .

«كوم حماده» كامل يوسف

أصل كلمة النفط

أرى أن كلمة النفط عبرية الأصل ، وتنطق في العبرية "نفِتَ" وقد وردت في التوراة في مواضع مختلفة بمعنى التقطير أو القطر أو القطرات ، وهو المعنى الأصلي الذي أخذ منه اسم زيت البترول (نفت) لعلاقة التقطير أو القطر في كلٍّ .

ففي الآية الثالثة من الإصحاح الخامس من كتاب الأمثال « لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلاً (نفت) وفمها أنعم من الزيت » . وفي الآية الثالثة عشرة من الإصحاح الرابع والعشرين من الكتاب نفسه « يا بني كل عسلاً لأنه لذيذ وقطره (نفت) حلو في فمك »

وفي الآية الثالثة عشرة من المزمور التاسع عشر نجد « وأحلى من العسل وقطر (نفت) الشهد »

والأمثال والمزامير من أقدم كتب التوراة . ولا أذكر أنني عثرت في الأدب الجاهلي أو الإسلامي على كلمة نفط أو نفت فمن المرجح إذاً أن تكون الكلمة عبرية الأصل دخلت العربية بعد الفتح الاسلامي . هذا إلى أن كلمة (نفت) أو نفط مستعملة في الفارسية الحديثة والقديمة . وأذكر أنني قرأتها في الشاهنامة الفارسية ، وإن كنت لا أستطيع الآن وهنا أن أنص على موضعها لعدم المرجع

(بخت الرضا . سودان) عبد العزيز عبد المجيد

في نقد الأصول

ذكرني الدكتور حسن عثمان في بحثه — نقد الأصول — الذي هو فصل من بحوثه القيمات التي ينشرها في « الرسالة الزهراء » تحت عنوان (كيف يكتب التاريخ) ذكرني ذلك بما كنت قرأته في ترجمة الخطيب البغدادي المؤرخ العظيم ، فإنه لما رجع من مكة إلى بغداد تقرب من رئيس الرؤساء أبي القاسم بن مسلمة وزير القائم بأمر الله ، وكان قد أظهر بعض اليهود كتاباً

وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات الصحابة وأنه خط على رضى الله عنه ؛ فعرضه رئيس الرؤساء على أبى بكر الخطيب فقال : هذا مزور ، فقيل له من أين لك ذلك ؟ قال فى الكتاب شهادة معاوية ابن أبى سفيان ومعاوية أسلم يوم الفتح وخيبر كانت فى سنة سبع ؛ وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان قد مات يوم الخندق فى سنة خمس . فاستحسن ذلك منه

محمد أبو الهدى

فى الخوارج

كتب الأستاذان الصعيدى والأفغانى (فى الأعداد ٤٢٢ ، ٢٣ ، ٣١) فى تحقيق نسبة كلمة فى الخوارج إلى النبى صلى الله عليه وسلم أو إلى سيدنا على بن أبى طالب . وسأل الأستاذ الصعيدى عن المصدر الذى نسب هذا القول إلى على ، وأجاب الأستاذ الأفغانى بأنه (العقد الفريد)

وإليك رواية تؤيد أن الخبر من كلام سيدنا على وردت فى قديم المصادر ووثيقها . قال الهيثم بن عدى حدثنا إسماعيل بن خالد عن علقمة بن عامر قال : سئل على عن أهل النهروان أمشركون هم ؟ فقال من الشرك فروا ، قيل أمنافقون ؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، فقيل فما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا . فهذا ما أورده ابن جرير الطبرى وغيره فى هذا المقام . أنظر (البداية والنهاية لابن كثير) ج ٧ ص ٢٨٩ و (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى) ج ٦ باب فى الخوارج ، باب فى أهل النهروان

أحمد صفوان

حول الضيافة

طلع علينا العدد (٤٣٠) من « الرسالة » وهو يحمل مقالاً قيماً للأستاذ — على الطنطاوى — عن « حق الضيافة » وقد رأيت هذا المقال الممتع ثورة على أخلاقنا ونقداً لتقاليدنا وصورة من صميم الحياة المصرية فكشف الستار عن داء عضال فى المجتمع يجب استئصاله ؛ وهذا لا يتنافى مع الشهامة والكرامة ، فقد اتخذت الضيافة فى هذه الأيام وسيلة للمضايقة ومجالاً للتسلية والمسامرة وضياعاً للمصالح . وما أحوج مصر الحديثة التى أصبحت فى احتياج إلى اتجاهات جديدة أن تجد من حملة أقلامها وقادة الرأى فيها مثل هذه الشجاعة فيثورون على هذه التقاليد التى تضر ولا تنفع . فإلى الأمام يا أستاذ — الطنطاوى — وأكثر من هذه الأبحاث ففيها ترقية للذوق الشرقى وتهذيب للأخلاق وسعادة المجتمع والله موفقك ومبارك غايتك

محمد أحمد عمر

عبر كذا ...

رداً على الأستاذ الكبير « ا . ع » أقول :

كنت احتججت ببيت سواد بن قارب

فشمّرت عن ذيلى الإزار وأرقلت

بى الذعلبُ الوجناء عبر السباسب[1]

وقلت فى الحاشية : « ولعل من الإنصاف أن أقول : يمكن تخريج الشاهد على غير ما استشهدت له بجعل عبر صفة للناقة الخ » ومن ثم يرى القارئ أنى لم أوجب أحد الرأيين ، وأنى أجزتهما ولكنى — فى هذا الشاهد — رجحت العبر بمعنى العبور ، على أن يكون مصدراً مراداً به اسم الفاعل

ولكن الأستاذ « ا . ع » يحتم فى رده أن تكون صفة ثالثة للناقة لا غير . ويرى أن الشاعر فى مقام تعديد محاسن ناقته وما فيها من مزايا ، فهو يصفها بالفتاء والقوة ، وبأنها قادرة على شق السباسب الخ ...

ورداً على ذلك أقول : لا يتعين فى هذا الشاهد قصر المقام على تعديد محاسن الناقة ، فإن فى قوله « الذعلب » أوهى الناقة السريعة ، و « الوجناء » وهى القوية الشديدة ، كما فى اللسان ما يغنى عن الوصف بأنها « عبر سباسب » ، وهو معنى لا يغاير سابقيه كثيراً

ويؤيدنى فيما أذهب إليه ورود البيت فى بعض الروايات على معنى الظرفية لا الوصفية . ففى السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٧ :

فشمرت من ذيل الإزار ووسّطت

بى الذعلب الوجناء بين السباسب

وكذلك الرواية فى (سفينة الراغب ص ٦٣٨) نقلاً عن (أنوار الربيع فى أنواع البديع)

(١) وثم تخريج ثالث فى البيت لا أرى ما يمنعه ، بجعل العبر بمعنى الجانب أو الناحية كما فى القاموس واللسان ، وتكون مفعولا لأرقلت بمعنى قطعت ، قال فى اللسان : « وأرقل المفازة قطعها »

وليس معنى هذا أنى أؤيد استعمالها ظرفاً ، ولكنى لا أزال أرى أنها مصدر وقع موقع اسم الفاعل . فقد خرج من حسابنا ما ساقه الأستاذ من الأدلة على أنها ليست ظرفاً ، فهو رأى لم أقل به .

ورجع إلى التخريج الذى رأيته ، وجَهِدَ الأستاذ أن يفنّده ، فقال : إن المصدر لا يقع حالاً إلا إذا كان نكرة ، و « عبر السباسب » معرفة بالإضافة ، وأبطل بهذا ـ فى زعمه ـ تخريجى .

وأقول : إن الأستاذ لم يتبين رأيى على وجهه الصحيح ، إذ توهم أنى أرى « عبر » مصدراً أريد به الحال ، ولم أقل هذا ، وإنما قلت : إنه مصدر وضع موضع اسم الفاعل ، فهو عبر بمعنى عابر ، كما فى قوله تعالى : (إن أصبح ماؤكم غورا) ، أى غائراً ؛ ورجل عدل ، أى عادل ...

وسواء وقوع هذا المصدر بعد ذلك حالاً أو خبراً أو فاعلاً الخ فذلك راجع إلى السياق ... فقد أصبحت القضية الآن : هل يشترط تنكير المصدر إذا وقع موقع اسم الفاعل ، بصرف النظر عن كونه حالاً أو غير حال ؟

لم يقل أحد هذا ، فأنت تقول : « قاضيكم العدل » ، أى العادل ، و « أنصفنى عدلكم » ، أى عادلكم . فأنت ترى أنى لم أنص على أن كلمة « عبر حال » ـ حتى يشترط تنكيرها ـ وإنما نصصت على أنها مصدر بمعنى فاعل ، وكونها « حالا » أمر اقتضاه سياق الكلام فى الجمل التى ساقها الأستاذ وساعد عليه أن المصدر سيفقد تعريفه بعد التقدير ، وسيصير المضاف إليه مفعولاً ، وذلك فى قولك : « عابرةَ الأطلنطى » ؛ فليس ثَمّ ما يمنع من أن يكون المصدر « حالا » بعد أن فقد تعريفه

وبعد ... فإنى أنشد الحقيقة ... وعلى الأستاذ أن يقنعنى — إن استطاع — فأسلم له . ومنى عليه التحية

« بنى سويف » محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة الابتدائية

حول كلمة « عبر »

سيدى الأستاذ الكبير « الزيات »

سلام الله عليك . قرأت بإعجاب كبير ما دبجته براعة الأستاذ الكبير « ا . ع » خاصاً باستعمال كلمة (عبر) ظرفاً وبيان وجه الخطأ فى ذلك . وإنا نوافق الأستاذ الكبير على كل ما أورده فى كلمته القيمة ؛ أما ادعاء الأستاذ محمد محمود رضوان صحة استعمال (عبر) ظرفاً واستشهاده على ذلك بقول سواد بن قارب :

فشمرت عن ذيلى الإزار ، وأرقلت
بىَ الدعلب الوجناء عبر السباسب

فهو ادعاء باطل من وجهين :

الأول : احتمال كون (عبر) صفة للناقة ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال

الثانى : فساد المعنى بجعل (عبرَ) ظرفاً بمعنى بعدَ ؛ لأنه لا معنى لإرقال الناقة بعد قطع السباسب والانتهاء إلى غايتها

وعندى أنه يصح أن تكون (عبر) فى هذا البيت مصدراً مفعولاً لأجله ، ويكون المعنى أن الناقة أرقلت لعبر السباسب أى لعبورها . وهو معنى صحيح مناسب لا غبار عليه

هذا ، وللأستاذ الكبير إعجابى الكبير بأبحاثه اللغوية الممتعة .

والسلام عليكم ورحمة الله ابراهيم محمد نجا

الصباح الأدبى فى دمشق

أصدر فريق من أبناء دمشق الناهضين صحيفة أدبية راقية باسم « الصباح » ولم يشأ القائمون بهذا المشروع أن يكتفوا بالشبان من الأدباء ، بل اتفقوا مع فريق من أكابر الأدباء والأديبات فى البلاد العربية ، كى يمدوا « الصباح » بثمرات أقلامهم الناضجة ، وفى مقدمة هؤلاء الأساتذة :

محمد كرد على ، شفيق جبرى ، خليل مردم بك ، عبد القادر المغربى ، محمد البزم ، ميشيل عفلق ، فؤاد الشائب ، صلاح الدين المحايرى ، زكى المحاسنى ، وداد سكاكينى ، فلك طرزى ، وغيرهم .

ومما لا نرتاب فيه أبداً أن « الصباح » ستكون كما ظهر من عددها الأول مرآة صادقة للأدب الجديد الناهض فى سورية .

ع . ع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 436

Lundi - 10 - 11 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٠ نوفبر سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٣٦

الفهـــــرس

صفحة

١٣٦١ تعقيب على رأيين فى الغناء والموسـيقى فى مصر ... } الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

١٣٦٦ إبراهيم الكاتب ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...

١٣٧١ كليـلة ودمنة ... ... : الدكتور عبـد الوهاب عزام

١٣٧٢ مملكة الشمس ... ... : الدكتور جواد على ... ...

١٣٧٤ جبل نحلة للدور ... ... : الأستاذ كوركيس عواد ...

١٣٧٩ الخريف ... ... } لشاعر الحب والجمال لامرتين بقلم الأستاذ محمد أسعد ولاية

١٣٨٠ الصحافة والدولة ... ... : الأستاذ زين العابدين جمعة

١٣٨٣ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق إدور وليم لين بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور

١٣٨٦ ليالى الزورق [قصيدة] : الأديب مصطفى على عبد الرحمن

الكأس الأولى « : الأديب أحمد أحمـد العجمى

١٣٨٧ طاغور فى اللغة العربية ... : الأستاذ محمود المبطة ...

الاصـلاح الاجتماعى والتعليم : الأستاذ على عبد الله ... ...

١٣٨٨ العروبة فى السـودان ... : الأديب الفاتح النور ... ...

تعقيب على رأيين

فى الغناء والموسيقى بمصر

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

فى مصر بصيص من العلم والفن مشى بنوره الأقلون ؛ وبان لبعضهم حقائق واقعة فى وطنهم ، مانعة من إصلاح الفاسد وتيسير الرقىّ ، فمالوا طبعاً إلى كشفها لقومهم بشتى الأساليب فى سبيل المصلحة العامة . ومن هؤلاء أحياناً من يخص الغناء والموسيقى ببعض ما يكتب

هذا موضوع قد يتناوله كتاب تدفعهم إلى البحث فيه مصالح خاصة ، أو أهواء ليست فى شىء من غرض الإصلاح ، أو مقرونة بقصده ، فيسيئون إلى أمتهم ، أو يكون ضرر صنيعهم أكبر من نفعه . أما دعاة الإصلاح الصادقون فلا غرض لهم سواه ؛ وهم لا يوجهون نقدهم إلى أشخاص معينين ، بل يكشفون حقائق طور من الأطوار أدّت إليه عوامل عامة أحدثت هذه الحال الشاملة التى لا يلام عليها الأفراد من مؤلفى الأغانى والملحنين والمغنين والموسيقيين

على أن المعلّمين والمثقفين ، المتفوّقين من أهل الفن ، يلام الواحد منهم إذا هو وقف من كلام النقاد على حال فنه الحقيقية

السيئة ، فلم يجتهد فى إنقاذه منها بما فى وسعه ولو كان مقصوداً بنقد ، أو واهما ذلك : لأن كل محب لفنّه ليس يبالى إلا بما يرفع من شأن الفن . والإصلاح آت ، وإن كان مما لا يتحقق فى لحظة . وأغلب الظن أن الذين يمهدون طرقه ، أو تتاح لهم فيها فتوح ، سوف يظهرون من هذا الفريق ؛ ولا يعادل انتصارٌ على ناقدٍ لذةَ مسابق يسبق إلى مثل هذا الفوز وينال شرفه

ثم إن أولئك الدعاة ينظرون إلى المستنيرين المخلصين لفنونهم ويأملون الآن منهم أن يؤمنوا أولاً بحقائق عيوبها ، وأن يدركوا أن إزالة هذه العيوب يزيد الناجحين منهم نجاحا : فإن هذا الإيمان وهذا الإدراك هما مفتاح لباب الإصلاح . ولذا كان من النافع أن تُعرف آراؤهم فيما يلاحظ على الغناء والموسيقى بمصر .

***

أبدى شاعر نابه ، عميق العاطفة ، عذب الأسلوب ، رأيه فى هذا الموضوع بمقال جاء فيه أنه رأى ، فى سنة ١٩٢٥ ، ما يهدد الأخلاق من شيوع (الأغانى المكشوفة) فدخل مضمار النظم للغناء ؛ وبث فى الزجل (روح الشعر من الطهر والعفة) ؛ وأدخل فى نظمه (من أبحر الشعر ومجازاته ما وسّع دائرته ، وفتح للملحنين أبواباً كثيرة) ؛ فتناولت الأغانى (أبواباً جديدة من الغزل البرئ ، كان أهم عناصره الأمل والوفاء ، والذكرى والتضحية ، وما إلى هذا من صفات الحب الروحانى)

صدق . وهو جدير بالشكر على نزعته الفاضلة إلى الإصلاح . غير أن الوفاء والتضحية ، والذكرى والأمل ، أشياء قد توجد عند محب عزيز أبىّ ، وعند محب ذليل دنىّ ؛ وما وفاء هذا ، مثلاً ، كوفاء ذاك ؛ وأساليب العبارات الصادرة عن الخصلة الواحدة فى الاثنين ، هى التى تصف لونها فى كل منهما ، لاختلافه باختلاف نفسيّتيهما ؛ فإن كان منظوم الشاعر الفاضل يمثّل جُلّه أو كله كلامَ المحب الأول ، فإن منظوم غيره هو ، فى الأكثر ، كلام الثانى وهو طاغ على الأغانى

قال فى المقال إن شعراء ناصروه فى مذهبه فكانوا جميعاً أصحاب « المدرسة الحديثة » . ولم تقتصر أغانيهم على الحب ، « بل شملت أنواعاً من الوصف الرقيق فى جمال الطبيعة » ؛ وأنهم بأسرهم ينظمون للمسرح والسينما والحاكى والراديو ، « وفى هذه الميادين مجال كبير للمعانى التى لا تذكر الحب » ؛ وينظمون « تارة بالعربية الفصحى ، وتارة بهذه العامية الفصحى » .

صدق أيضاً . لكن كم مِن وصف الطبيعة فى جملة ما يغنّى ؟ وهل جيّد هذا الوصف بين أغانينا أوفر من رديئه ؟ وهل أدرك المعانى الجيدة وغنى بها الملحن والمغنّى ، وأداها كل منهما تأدية توافق المواقف المختلفة ، وتشعر النفوس ببهجة الطبيعة ؟ وكم نظم الناظمون للغناء من المعانى التى « لا تذكر الحب » فى ذلك المجال الكبير بميادين المسرحيات وسواها ؟ وما النسبة بين ما نظموا بالعربية الفصحى وبين ما نظموا بتلك العامية « الفصحى » ؟ هذه الأسئلة أجاب عنها النقاد إجابة صحيحة بشهادة حال الغناء والموسيقى عندنا .

ومن كلامه : « القول بأن الغناء ينحدر فى مصر فيه من القسوة شيء كثير ، إذا قيس نتاج هذه السنين القليلة بعصور إسماعيل ، وتوفيق ، وعباس » ؛ و « قد زال من قاموس الغناء ما كان فى القديم من ذكر الدلع والخصر والكفل ... والخمر ومجلسها ، والنديم ودلاله » ؛ و « انعدم من جو الغناء ذلك النث المحدث ، وليد الحرب والثورة »

أليس فى هذا الكلام مبالغة إذا جُرّد منها انعكس معناه ؟ فإن « جو الغناء » متسع لأكثر من جيد أغانى المجيدين من شعراء اليوم ؛ وليس من كلامهم العف كل ما يغنّى ، ولا أوفره ؛ ولم ينعدم فى الأغانى « ذلك النث المحدَث » ولا ذكر الدلع والدلال . وقد يوصف جمال الإنسان بلا تمجن ، كما يصوره المثّال ، وإنما العبرة بأسلوب الوصف . وكم يعبرون عن الشهوات الحسية بلهجة فى اللحن وحركة فى الغناء ، فيأتى تعبيرهم الصوتى الماجن أبلغ من الكلمة الصريحة ، ويثير غريزة الجمهور ؛ وذكر الخمر والخصر خير من تمثيل الاستخذاء والذل

والأهم أن غناء تلك العصور كان ، من الجهة الفنية ، أرق من غناء اليوم ، إذ كان ملائماً لأغانيها ، وأصدق بملاءمته تأدية لمعانيها ، وأقرب إلى القلوب بصدقه وخلوه من التخليط المشوه للفن . وقد غنوا قصائد وتواشيح ، وأدواراً سياسية ، وعزفوا بشارف . ذلك عهد مضى عليه ربع قرن ، وأصبح التغرب فى مصر ، وساحت مصر فى التغرب ؛ وهى اليوم فى عصر الجامعة ، ومعاهد الموسيقى ، والحاكى ، والسينما ، والراديو ؛ ومع هذا كله فقد صرنا نؤدى الأغانى بخليط من الألحان كثيراً

ما يتنافر فيه الترح والمرح ، والشرق والغربي ، ويمزيج من أنغام معازف تُضارب أنغام حناجر ، في الغالب . ذلك بأننا تركنا الشعور والفهم وتبعنا السمع الضال والغريزة الجامحة والتقليد الأعمى . فليست الموازنة بين الماضي وبين هذا الحاضر في مصلحة نتاجه .

احتج ، من غير موجب للتغني بالحب حيث قال : « كيف تخلو الأغاني من ذكر الحب ، والله سبحانه وتعالى قد بنى الملك عليه وعمر ... وليس في الوجود عاطفة أبعث للتضحية وأحيا للأمل ، وأخلق للنبوغ من هذه العاطفة الكريمة »

ولكن أحداً من الناس نُشر نقده لم يقل بتجريد الأغاني من ذكر الحب ، وإنما قالوا ألاّ يُقصر الغناء عليه ، وألاّ يقصر هو على العاشق الذليل البكّاء : لأن حبه ليس من تلك « العاطفة الكريمة » في الإنسان السليم من الآفات النفسية والجسّمية ؛ وهو ضحية الاستهانة به ، فبأي الأشياء يضحي بعد الكرامة ؟ وأي أمل لميت الأحياء ؟ وفي أي ميدان ينبغ راض بالخزى أو معجَب بمثاله ؟

واحتج للشكوى والاستعطاف بقوله : « لم تخل أغانينا من الشكوى والاستعطاف ، فهما في مرآة القلب أبداً ؛ ولكنها شكوى الحافظ العهد ، الباقي على الود ، وهي ناحية في دمنا نحن المصريين ... ولقد أُلفت أغاني كثيرة في البطولة ، والوطنية ، والأخلاق ... ودخل في أناشيد ... معان جليلة في العزة والاستقلال ؛ ولكن الطلبة ، والجند ، والشعب ، لم يرددوا منها كثيراً ولا قليلاً » ؛ و « ردد الناس أكثر ما رددوا هذه الشكوى فطغت على بقية الأغاني واتهم الغناء عامة بالليْن والميوعة »

فكأن اعتراض النقاد على الأغاني من الشكوى والاستعطاف سببه هما في ذاتهما ، وإنما المنكر هو ذلك الروح العليل الذي ينفث الذل فيهما ، وهو طغيانهما طغياناً يتفشى معه الاستخذاء بالناس ؛ فالاحتجاج لهما مناقض لمصلحة المصريين ومصلحة الفن

وفي كم من الأغاني نجد « شكوى الحافظ للعهد ، الباقي على الود » ، ونجد استعطاف الإنسان الحر ؟ أليس الأغلب أنهما شكوى حيوان أذل من كلب مضروب ، واستعطاف هو الكدية الحقيرة ؟ فأي الأخلاق هما مثاله ! وحتى الأغنية البريئة من هذا العيب الشنيع قد يجرد اللحن والغناء شكواها واستعطافها من كل كرامة (1)

فالنقاد على حق في اتهامهم « الغناء عامة بالليْن والميوعة » لِما طغى — كما قال بحق — على الأغاني من الشكوى الخانعة السائمة والاستعطاف الذليل ، ولغير ذلك من عيوب الأغاني والتلحين والغناء جميعاً . وليس من الصواب أن يقال إن هذا الطغيان سببه ترديد الناس لتلك الشكوى ، وإنما طغت الشكوى من الأغاني فجرفهم طوفانها . ولو كان أهل الفن قد انساقوا وراء الشعب لكان صنيعهم تجارة لا فناً كما يزعمون

أما قوله : الشكوى « في دمنا نحن المصريين » ، فهو كلام قد رجح فيه الشعرُ والإنشاء وعَنَى ظاهراً من الحال ولم يصب الحقيقة . وحسبنا أن نلاحظ أن هذا الشعب المصري بعينه يتحمس لأبي زيد وعنترة تحمساً يدل على أن سر ميله إلى الأغاني الشاكية الباكية هو غير ضعف قابليته للطرب من غناء المعاني القوية وللتغني بها ، إن صح أن هذا الضعف فيه

إن أغاني البطولة والعزة ، والوطنية والاستقلال ، إذا أخرجت بطابع التميع والتخنث في ألحانها وفي غنائها وموسيقاها ، كان هذا التناقض البين فيها مضحكا إضحاك نشيد مشهور في مصر بهذه السخافة . وقد تعمد إظهار هذا التناقض كاوديس ، الممثل الهزلي الفرنسي ، في أغنية حربية غناها بلحن غرامي ، فاستغرق النظارة في الضحك وصفقوا له أي تصفيق . وإذا أغانٍ من هذا القبيل سمعت باعتبارها جدية ، كانت مدعاة للسخرية والاحتقار ، فلا غرابة إذا مجّتها الأسماع وعافتها الطباع ، ولو جادت من كل وجه لتغني بها الناس

ومن طريف الاحتجاج للأغاني التي يضعفها طغيان « الشكوى والاستعطاف » تعليله ضعفها — أو قلة الأغاني القوية — ليس بما « في دمنا نحن المصريين » فحسب ، بل بطبيعة أصوات معازفنا أيضاً ، مبرراً بذلك ضعف أغانينا وموسيقانا معاً ، إذ قال : « كيف يقوم التخت بالإكثار من هذه الأغاني القوية وقد خلق من أنة العود وحنة الناي ورنة القانون ؟ »

الجواب أن هذه الآلات الأنانة الحنانة الرنانة ، هي مع ذلك

---

(1) ولذا يجب عندنا أن يعنى المؤلف بإفهام الملحن والمغني دقائق الأحوال النفسية التي تمثلها أغنيته ، ولون روحها العام ، وأن يبدي ملاحظاته فيما يتعلق بالائتلاف المطلوب بين كلامها واللحن وغنائه ، وشبه هذا مألوف بين مؤلفي المسرحيات وممثليها في الغرب

صيّتة، منتهرة، نعارة، تخرج البشارف القوية المعانى، المطربة بما فيها من الشدة والرقة على أحسن تقويم، كما يجمع الافتنان البديع بين الغزل والحماسة لا بين الغزل والذل؛ تلك البشارف التى تتخيل موسيقاها معبرة بشدة فى رقة عن حب، حب النفس العزيزة الأبية، تعبيراً بعيداً عن ذلك التناقض فى كلام محارب يتهدد بصوت مغازل، أو فى كلام جزل المعانى يغنيه صوت تلوثه نفس مخنثة، متضعضعة، أريدت على التحمس

أوَ ليس لهذه المعازف أشباه مقارِبة فى الآلات الغربية لا تصم أغانى الغربيين بطابع الخور والذلة ؟؟ أليس هذا التخت هو الذى يُقحِم فى غنائنا جملاً موسيقية قوية، أو أخلاطاً مسيخة من الأنغام الأجنبية لا توائم سياقه ؛ وهو الذى يُشرك بعض معازف الغربيين فى تأدية ما نسرق من ألحانهم ؟؟ فكيف نتوهم أن ضعف أغانينا وغنائنا سببه (أنّة العود وحنّة الناى ورنّة القانون) ؟ إنما الصحيح هو العكس. ولم لا نحاول تحسين معازف التخت واختراع غيرها فى سبيل الإصلاح المنشود على كل حال ؟؟

تلك الكلمة فى التخت وما ورد فى المقال من أن توسيع دائرة الزجل (فتح للملحنين أبواباً كثيرة) هما كل ما ذكر الشاعر على التلحين والموسيقى. والواقع أن النقاد قد نبهوا إلى عيوبهما جميعاً، وشمل نقدُهم الغناء — أى فن المغنّى ذاته — بل إن الكاتب اللبق عارض النقد برمّته، مبالغاً فى الإيجاز، بقوله: إنه هو ومَن ناصره فى مذهبه من (شعراء هذه المدرسة الحديثة) ألّفوا الأغانى (فانتشر غناء جديد وموسيقى جديدة كانت غريبة على الخاطر والسمع معاً — أول الأمر — ثم مال إليها الشعب فتغنّى بها فى كل مكان)

إذا كان الشعب تغنّى بها لأنها الشكوى التى فى دمه فلم كانت غريبة على السمع والخاطر معاً أول الأمر ؟؟ وإذا كان يتغنى بها لغير ذلك، أو لهذا وذاك، فباب الأمل مفتوح لمن يتوخّى الإصلاح: لأن (المدرسة الحديثة) تقرر أن فنّها قد غيّر ذوق الشعب فى زمن قصير، أوله سنة ١٩٢٥، حتى تقبِل ما كان غريباً على السمع والخاطر، فتغنّى به الناس فى كل مكان. وهذا تقرير يؤخذ منه أن ما فى دماء المصريين من الشكوى، على قول صاحبه، لم يحُل دون تذوّق الموسيقى الجديدة التى خلطت الأوبرا بالجاز، وأن تغيير الذوق المصرى فى مدة وجيزة أمر ممكن. فلم يبق إلا أن نجعل التغيير إصلاحاً بدل الإفساد، ولو فى زمن أطول

بيد أن الإصلاح المنشود قد يمتد به الزمن امتداداً لا نهاية له إذا كانت الجهات التى يجب عليها أن تؤيده تميل — على العكس — إلى معارضته بمثل الصوت الرسمى الذى قرر أنه «يجب ألا ننسى اختلاف الأذواق وتباين وجهات النظر فى التقدير عند البحث فى جمال الصوت وسلامة الأغنية من العيوب التى يشكو منها بعض دعاة الإصلاح»

أى نظر وأى ذوق عناهما هذا الإيجاب ؟ أى نظر، يا ترى، فى مثل الفرق الواضح بين الليل والنهار، ونحن نتمنى أن يسمو بنا التعليم والتهذيب إلى أعلى مستويات الأمم الراقية فى هذا العصر المنير ؟! نرجو ألّا يكون نظرَ العامة وأشباه العامة ممن تغرّهم قشور من معارف لا يدركون ما وراءها من حقائق، نظرَ جماعات كأن أبصارهم لا تتصل بسوى أجسادها، فلا علاقة لها بأنبل ما فى النفس الإنسانية من ملكات ؛ أو نظرَ أفرادٍ ضئيل تهذيبُ مشاعرهم فى الحياة، قليلٍ اطلاعهم على تحف من أنواع الفنون، تافهةٍ ثقافتُهم الفنية، سقيمةٍ بهذا النقص آراؤهم فى الغناء والموسيقى

وأى ذوق بالله فى العيوب التى يشكو منها بعض دعاة الإصلاح ؟! أهو ذوق تلك الجماهير التى تغشى مجالس الغناء بأنصافها السفلى وحدها، فلا تستطيع أن تكبح جماح غرائزها إذا هى أحست من الصوت حركة تخنّث أوهمسة تأنث، فينطلق عنان حيوانيتها، وتضطرب أجسامها يمنة ويسرة فى قيام وقعود وتلويح بالجوارح، ويعلو صفيرها وهذيانها استعادةً شاطحةً لما لا تفهم فى الغناء سواه من دواعى الشبق ؛ وقد تقطّع بعجيجها وضجيجها أجمل الجمل الصوتية التى يتأنق بها المغنى فى إظهار افتنانه وقدرته، فتذهب مزايا هذه الجمل وتبقى الجماهير بثورتها البهيمية أشبه بتلك القبائل الهمجية فى حفلاتها الهائجة المائجة، وذلك كله لا مثيل له فى أمة راقية من عالم المدنية.

والأعجب أن المغنين لا يظهرون امتعاضاً من هذا الاعتداء الصارخ على فنهم لعلهم يهذبون هؤلاء المستمعين، بل هم يُسرّون بعمل المعتدين، إذ يعتبرونه دليل الاستحسان لفنهم، وإنما هو استحسان لشىء مخجل فى غير محله ووقته ؛ ولو كان للفن فى ذاته تقدير وحرمة عند تلك الجماهير، لأظهرت استحسانها بعد سماع الأغنية

أو الجمل الممتازة في غنائها ، كما يفعل المستمعون بأنصافهم العليا وحدها من أهل الدنية

فجمل كلام الشاعر الفاضل أن المدرسة الحديثة أبدلت الحب الروحاني بالحيواني في الأغاني ، وضمنتها شتى المعاني . وقد فضل الأغاني الحديثة ، بمقاصدها وعباراتها ، على أغاني عهد مضى ؛ وبرر ما فيها من الشكوى ، وهي تفجع وهوان ، ودافع عما يسمونه الموسيقى الجديدة ولم يبيّن ما هي ، وما هي إلا تخليط شنيع

وذلك كله يتعلق بالعرض من فنون الغناء والموسيقى ، سواء أعُد من الصفات المستحسنة أم العيوب المستهجنة . أما الذي يتعلق بالجوهر فهو الداء الدفين الوبيل ، الموجب للنقد ، المتأصل في تلك الفنون ، وهو ما لم يذكر الشاعر ولم يشر إليه الصوت الرسمي بحرف

***

ألا إن وجه النقد الباقي بحذافيره[1] راجع إلى « ماهية الموسيقى والغناء الأصلية ، أي الدلالة الصوتية على الأحاسيس والخواطر » ، عائد إلى عيوب الائتلاف « بين معاني كلام الأغنية ومعاني لحنها وغنائه ، ومعاني موسيقاها » ؛ وهو منصب على جهلنا « أن اللحن الموسيقي إنشاء يجب ألا تتضارب الجمل الصوتية في سياقه » من « تخليط قديم ممسوخ بمسروقات محرفة من الألحان والموسيقى الغربية ، القديمة والحديثة ، ومن أصوات الجاز » ؛ وهو منبه على أننا لا نسلك سبيل الشرقيين القدماء ، أو الغربيين المعاصرين لنا ؛ في التغني بمختلف الأحاسيس في مواقف الحياة الإنسانية المحوطة بجمال الطبيعة ، ومنبه أيضاً على أننا لا « نقلد الغرب فيما ارتقت إليه موسيقاه من التصوير Harmonie الذي عظم شأنه بالتحسين والابتكار في المعازف » .

وقد قلت إن « الفنان يؤثر في بيئته وجمهوره وإن تأثر منهما ، ومن هنا نصيبه في تهذيب ذوق الجمهور وإعلاء مثله الأعلى بقدر مواهبه وسحر فنه ؛ ومن هنا تبعة الفنون الضالة ومسئولية أصحابها في إفساد الأذواق » ؛ وإن في مصر « معاهد أهلية وحكومية للموسيقى يجب عليها أن تلتفت إلى حقيقة حال هذه الفنون عندنا وإلى ما يصلح من شأنها ، فذلك خير لها من أن تظل على الأيام صوراً جوفاء خاوية ، لا تصلح إلا لتمكين الفن السقيم الضعيف والمحافظة عليه »

لكن ذاع صوت رسمي كأنه يقول : « ليس في الإمكان أبدع مما كان ! » فصدق القائل : « لما يصلْ رقينا إلى أن نشعر أن الغناء تربية للأمة »

محمد توحيد السلحدار

(١) النقد الشامل والرأي البين في أعداد من الرسالة في هذه السنة أرقامها ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ .

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

ابراهيم الكاتب

للدكتور زكى مبارك

الكتاب والمؤلف — جناية المازنى على موهبته الشعرية وعلى أسلوبه فى الانشاء — ضاع المازنى الشاعر فما مصير المازنى الكاتب ؟ — المواهب تلاحق أصحابها ولو فروا منها إلى شعاب الجبال — للمازنى الشهيد — من إبراهيم الكاتب ؟ — الحب فى نظر وزارة المعارف

الكتاب والمؤلف

يقع الكتاب فى ٣٨٤ صفحة بالقطع الصغير ، وثمنه عشرة قروش ، وهو يطلب من مكتبة عيسى الحلبى بالقرب من مسجد الحسين .

والمؤلف لا يحتاج إلى تعريف ، فهو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى أحد أقطاب الأدب الحديث

ولكن شهرة المازنى فى مصر وفى سائر الأقطار العربية لا تعفينا من النص على خصائص ذاتية لم يعرفها القراء من قبل وإن كان المازنى لم يترك مجالاً لمن يريد أن يتحدث عنه بإيجاز أو إطناب ، فأشعاره ومقالاته تسجل ما فيه من محاسن وعيوب

وهنا يحتاج الكلام إلى تقييد ، فالمازنى مغرًى بالسخرية من نفسه ، وقد يتوهم من لا يفهم أنه لا يقول عن نفسه إلا الحق وذلك وهم فظيع ، فهذا الرجل من أهل الجد الرزين ، وله مبادئ أدبية وقومية يحرص عليها حرص الأبطال ، وأقل ما يوصف به المازنى أنه « رجل شهم » وهو من عناوين المروءة فى هذه البلاد

عرفت المازنى معرفة أدبية لا شخصية فى أعوام الحرب الماضية ، وكان قد أخرج كتاباً فى نقد « حافظ ابراهيم » وكان نقد حافظ فى تلك الأيام يعد من شواهد التفوق . ثم زاد اهتمامى به حين سمعت أن حافظ ابراهيم كانت له يد فى إخراج المازنى من وزارة المعارف « وأنا هنا أحكى كلاماً فاضت به المجالس فى ذلك العهد بغض النظر عما فيه من صحة أو بطلان »

ثم جاءت فرصة رأيت فيها المازنى وجهاً لوجه فى سنة ١٩٢٢ ولكن كيف ؟

كان الأستاذ عبد القادر حمزة اشترك مع عبد اللطيف بك الصوفانى — رحمهما الله — فى إخراج جريدة الأفكار بصورة تجمع بين مقاصد الوفد المصرى ومبادئ الحزب الوطنى ، وكان عبد القادر ينظر إلىّ بارتياب لصلتى الوثيقة بالحزب الوطنى ، فكان يخفى عنى أسماء المحررين الذين يساهمون فى التحرير من بعيد ، ومن هؤلاء كاتب تنشر له « الأفكار » سلسلة من المقالات الرائعة بعنوان « الأسناد المتداعية » فمن ذلك الكاتب ؟ من ذلك الكاتب ؟ ليتنى أعرف !

وفى ذات يوم دخلت على الأستاذ عبد القادر حمزة أبلغه ملاحظات الصوفانى بك على بعض ما فى « الأسناد المتداعية » من آراء فابتسم وقال : إسأل الأستاذ ! فنظرت فرأيت المازنى فى حال تستوجب الرثاء ، فقد كان دامى العينين ، وكان كيانه يشهد بما يعانى من إعياء ، وكذلك عرفت أن ابراهيم المازنى هو صاحب « الأسناد المتداعية »

وبعد خمسة عشر عاماً من ذلك التاريخ عرفت للمازنى خبراً يشبه هذا الخبر الغريب ، وحياة هذا الرجل كلها غرائب

كنا زميلين فى تحرير جريدة البلاغ ، ولم يكن بيننا ما يقع عادةً بين الزملاء من التنافس المكبوت ، فأسررت إليه مرة أن عندى موضوعاً أهيب الكتابة فيه ، لأنه قد يضايق فضيلة الشيخ المراغى ، وهو إعلان الرسائل التى تُنال بها العضوية فى « جماعة كبار العلماء » ، وبينتُ له أن من الواجب أن يكون حال تلك الرسائل شبيهاً بحال الرسائل التى تنال بها الدكتوراه من الجامعة المصرية ، فهى تُطبع وتُنشر ليعرف الجمهور أن الجامعة لا تعطى الألقاب العلمية بدون استحقاق ، فما الذى يمنع أن يكون الأمر كذلك مع « كبار العلماء » ؟ ؟

وطرب الأستاذ المازنى لهذه الفكرة وقال إنه سيذيعها بالنيابة عنى ، وكان مفهوماً أنه سيذيعها على صفحات « البلاغ » فماذا وقع ؟

رأيتها منشورة بعد أيام فى جريدة « الأهرام » بدون إمضاء فعرفت من جديد أن المازنى بروحين أو أرواح ، وعرفت أن الذى

كان يراسل « الأفكار » وهو فى « الأخبار » هو نفسه الذى يراسل « الأهرام » وهو فى « البلاغ » . ثم تعقبته فعرفت أن بينه وبين الأستاذ أنطون الجميّل صلات ، وأنه ينشر فى « الأهرام » أشياء بدون إمضاء ، رعايةً لمكانه فى « البلاغ »

جناية المازنى . . .

لا يحتاج القارئُ إلى معرفة الأسباب التى استوجبت أن يتحرر المازنى من خدمة الحكومة المصرية ، وكان منذ أكثر من ثلاثين سنة أستاذاً بالمدارس الثانوية . وكان الظن أن يصير من أقطاب وزارة المعارف ، لو صبر على ما توجب الحياة الرسمية من تكاليف خفاف أو ثقال : . . لا يحتاج القارئُ إلى معرفة تلك الأسباب ، لأن المازنى لا يصلح أبداً لحياة الهدوء والاطمئنان . ولو أجلسناه على كرسى الوزارة لخلع نفسه بعد لحظات ، ليقول فى الوزارة ما يشاء ، وليغمز الرسميين كما يريد

وقد اشتغل المازنى بالتعليم فى المدارس الأهلية ، ولعله أنشأ لنفسه مدرسة لم تظفر بطول البقاء . ومن المؤكد عندى أن « الكاتب » هو الذى أضاع « المدرس » ؛ فما كاد يرى بوارق النضال السياسى حتى اندفع إليه بقسوة وعنف ، وكانت باكورة مقالاته السياسية رداً على المرحوم إسماعيل أباظه باشا . وكان هذا الرجل على جانب من القوة والعمق ، وكان لا ينشر شيئاً إلا بعنوان : « بيان لا بدّ منه » ، فرد عليه المازنى فى جريدة « النظام » بمقال عنوانه : « لا بدّ مما ليس منهُ بدّ »

ومضى المازنى ينشر فى الجرائد مقالات سياسية فى تأييد الخطة الوفدية . وجاء « مشروع ملنر » وكان للصحفيين الوفديين فى تأييده مجال — وكانت المعارضة فى ذلك الوقت بيد الحزب الوطنى — ثم ظهر مفاجأةً مقالان فى نقد ذلك المشروع لكاتِبَيْن وفديين ، هما المازنى والعقاد ، فدعانى الأستاذ محمد الههياوى إلى التعليق على هذين المقالين . وكان رأيه أن ذلك صدع فى بناء الهيئة الوفدية . ولكن شجاعة المازنى والعقاد أوجبت أن أخصهما بكلمة ثناء

وجاء الخلاف بين أمين الرافعى وسعد زغلول ، فاندفع المازنى فى الهجوم على الوفد . وكانت مقالاته غاية فى القوة البيانية ، وفى حرارة أخطر من الجمر المتوقد ، بحيث لا يشك قارئٌ فى أن « الكاتب » سيعادى الوفد إلى آخر الزمان ، ولكن هذا « الكاتب » الذى يعادى الوفد علانية فى جريدة الأخبار هو نفسه « الكاتب » الذى يزور جريدة الأفكار كل صباح ويقدم إليها فى تأييد الوفد أشياء ! ؟

ويمرّ زمنٌ قصير فنرى المازنى يعطف على الجريدة الرسمية للحزب الوطنى ويصادق الشيخ عبد العزيز جاويش . ثم يثب فجأة فينتقل إلى حزب الاتحاد ويزامل الدكتور طه حسين فى تحرير جريدة « الاتحاد » ، مع انعطافات خفية يغمز بها هذا الحزب فى جريدة « الأخبار » . ثم ننظر فنراه مع الأحرار الدستوريين فى صحبة الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير « السياسة » ، ونلتفت فنراه انتقل إلى « البلاغ » ، وبوصوله إلى « البلاغ » خطرت له فكرة الاستقرار الموقوت ! ؟

وفى أثناء هذه التنقلات السياسية كانت للمازنى تنقلات أدبية ، فكان يرسل إلى المجلات ما تقترح عليه . وقد أنشأ لنفسه مجلة كما كان أنشأ لنفسه مدرسة ؛ ولكن المازنى رجلٌ ملول ، وإنشاء مدرسة أو مجلة يحتاج إلى تماثل تبغض الملال

ولم يقف المازنى عند هذه المراحل من التنقل السريع ، فخلق لقلبه وعقله مجالات جديدة فى الحجاز والشام والعراق ، فهو من أعرف الناس بالتيارات الفكرية والسياسية فى أكثر البلاد العربية

أرانى أطلت من غير طائل ، فماذا أريد أن أقول ؟

أريد أن أهوى بيدى على رأس المازنى فأحطمه بلا ترفق ، عقاباً على ما صنع بنفسه بلا ترفق ! ؟

كان المازنى من أكابر الشعراء ، وكان يستطيع أن يمد الشعر بقوة روحية وذوقية تصل ما انقطع من لوامع هذا الفن الجميل

ولكن المازنى الذى « انشغل » بالكتابة فى جميع الأوقات ولجميع الأحزاب لم يعد يجد الفرصة للغناء ، ولا بد للشعر من غناء . والغناء يوجب الخلوة إلى النفس من حين إلى حين ؛ ومتى يخلو إلى نفسه من يعانى ضجيج المجتمع السياسى فى الصباح والمساء ، ومن عوّد نفسه الأنس بالقيل والقال فى الكبائر والصغائر من شؤون هذا المجتمع الصخّاب ؟

وهنا يظهر انخداع المازنى أو خداعه ، فهو لا يقول إنه مشغول بالكلام عن الغناء ، وإنما يكابر فيزعم أنه لم يبق للشعر فى الدنيا مكان ، وأن الشعراء ليسوا إلا جماعة من الحمقى والمجانين !

وحول هذه القضية ثارت الخصومة بينى وبينه على صفحات البلاغ حين ظهر ديوانى فى سنة ١٩٣٤ ، وهى خصومة مسّت قلب المازنى ، وكان من المحتمل أن تكون لها عواقب سود ، ولكن الرجل تراجَعَ حين عرف أن غضبه لم يقم على أساس

وبعد أعوام حدثته بأنى انصرفت عن الشعر فحملق فى وجهى حملقة الغول وهو يصرخ : (أنت تبت ! أنت تبت !)

وكذلك يرى المازنى أن الانصراف عن الشعر توبة ، وكأنه يجهل أنه أساء إلى وطنه إساءة ستجعله من أهل النار يوم يقوم الحساب ، فضياع شاعر مثل المازنى ليس إلا نكبة وطنية . لا جزاه الله إلا بما هو له أهل !

ضاع المازنى الشاعر ، فما مصير المازنى الكاتب ؟

بدأ المازنى حياته النثرية بالطريقة الجاحظية ، وهى تقوم على أساس الازدواج ، وقد وفى المازنى لهذه الطريقة أصدق الوفاء فى أمد يزيد على عشر سنين ، وكان عهده فى رحاب هذه الطريقة أجمل عهوده الأدبية . فقد كان نموذجاً للكاتب الفنان ، وكان بناء الجملة على سنان قلمه غاية فى المتانة والجمال

ثم جنى المازنى على نفسه بالكتابة اليومية ، ولكن كيف ؟ يدخل الجريدة فيتحدث ويتحدث ثم يتحدث إلى أن يضيع الوقت وإلى أن تنفد قواه ، وفى آخر لحظة يكتب المقال المطلوب بأى أسلوب ، وكذلك صار المازنى يكتب كما يتحدث ، وبين الكتابة والحديث مراحل طوال

ثم ماذا ؟ ثم ابتدع المازنى طريقة جديدة هى كتابة أكثر مقالاته وقت إنشائها بالمكتاب ، فينشئ المقال على أصوات : طق طق ، طق ، طق !!

هل فهمتم ما أريد ؟

المازنى اليوم لا يكتب كما نكتب بقلم ومداد وقرطاس ، ليستطيع المحو والإثبات كما نستطيع ، وإنما تدور أنامله على المكتاب بوحى من رأسه الموهوب ؛ فيخرج المقال وهو كلام لا إنشاء

فمن هاله أن يرى بناء الجملة عند المازنى الجديد يخالف بناء الجملة عند المازنى القديم فليذكر هذا التاريخ من حياة هذا الفنان

ولكن ...

ولكن المواهب تلاحق أصحابها ولو فرّوا منها إلى شعاب الجبال ، فالمازنى أديب موهوب ، وهو كتلة من العواطف والأحاسيس ، ومواهب هذا الرجل لن تتركه بعافية ، وسيظل المازنى هو المازنى ، ولو انتقل من تسطير مقالاته على المكتاب إلى تسطيرها على الهواء

ولعل لله حكمة فيما صار المازنى إليه ، فهو الشاهد على أن الفِطرة أفضل من الفن ، وهل الفن إلا الصدق فى النقل عن الطبع ؟

المازنى الجديد فنان بأسلوب جديد ، وسيكون له مكان فى تاريخ الأدب العربى ، فسيقال حتما إنه عاون على حماية اللغة الفصيحة من عوادى الجمود

لقد بدا للأستاذ محمود تيمور أن يؤلف بعض الأقاصيص باللغة العامية ليغزو قلوب الطبقات الشعبية ، فهل وصل إلى ما يريد ؟

إن كتابة المازنى — وهى غاية فى إيثار الفصيح — أسهل وأوضح من كتابة تيمور العامية ، ولو ترك مصير اللغة إلى من يخطبون ودّ العوام لصارت إلى البلبلة ثم الفناء

والأستاذ محمود تيمور له يوم ، وسنلقاه بعد قليل ، فله فوق هذه الشرحة مكان

المازنى الشهيد

رأينا المازنى فى هذه الصفحات إنساناً يتنقّل من أفق إلى آفاق . فهو مدرس أولاً ، وشاعر ثانياً ، وكاتب ثالثاً ، ورأيناه يساير جميع المبادئ وجميع الأحزاب ، فهل نعدّه من أهل الرياء ؟

لا بدّ مما ليس منه بد

لا بد من أن تقال فى هذا الرجل كلمة الحق ، فمن الإجرام أن نترك أدباءنا تحت حماية الأقاويل والأراجيف ، وهم صوت مصر فى الشرق

المازنى الذى عرفته رجلٌ صادق إلى أبعد الحدود ، صادق فى البغض وصادق فى الحب ، صادق فى الجد وصادق فى المزاح

كان صادقاً فى تأييد الأحزاب التى أيدها بالقلم واللسان . كان وفدياً صادقاً وهو يؤيد الوفد المصرى ، وكان وطنياً صادقاً وهو يؤيد الحزب الوطنى ، وكذلك كان حاله مع الدستوريين

والاتحاديين ، ولو بدا له أن يعاون الشيطان لبلغ غاية الصدق فى تأييد الشيطان !

هذا رجل يعيش بأعصابه وإحساساته ، وقد يكون لبلائه باحتراف القلم تأثير فى تقلباته النفسية والوجدانية . وما ظنكم برجل يكتب كل يوم فيستنفد ما يملك من بواعث القرار والهدوء ؟

وأهجم على الغرض الذى أرمى إليه فأقول : هذا رجل جنى عليه قلبه ، وجنى عليه إحساسه ، فلم يعرف قيمة الصبر على الانحياز إلى إحدى الجهات ، فى زمن لا يعيش فيه المفكرون إلا بأسندة من العصبيات السياسية أو الاجتماعية

وزارة المعارف نسيت المازنى ، فبينها وبين صحبته القديمة أعوام وأجيال

والأحزاب السياسية لا تذكر المازنى ، فقد تقطّع ما بينه وبينها من أسباب

لا يعرف المازنى غير قرائه وهم أقوام لا حول لهم ولا طول ، فإلى من يتوجه هذا الرجل إذا بدا له أن يقصف قلمه فى ساعة ملال ؟

الموظف الذى ينتفع بمرور الأيام فى احتساء القهوة والتأشير على بعض الأوراق يواجه الشيخوخة وله معاش يضمن له الراحة والاطمئنان

والمتجرون فى التراب يجمعون الألوف ، وحدّث ما شئت عن المتجرين فى البهتان !

فما مصير « إبراهيم الكاتب » وقد قضى نحو أربعين سنة فى صحبة القلم والقرطاس ؟ ما مصيره وقد عادى الجميع فى سبيل رسالته الأدبية ؟

المازنى حساس إلى الحد المزعج ، وهو يغتم حين يرى اسمه « إبراهيم » وضعتْ فيه ألف بعد الراء ، فهو عند نفسه « إبرهيم » لا « إبراهيم » والجنون فنون !

وهذا الإحساس المرهف هو الذى صير هذا الكاتب إلى ما وصفنا فى هذه الصفحات ، فهل من الإسراف أن نطالب الدولة برعاية المصاير لمن يكونون فى مثل حاله من العناء بحرفة الأدب والاكتواء بنار الكتابة كل يوم أو كل أسبوع فى آماد طوال لا تصلح بعدها النفس لانتهاج مذهب جديد فى الحياة الماشية ؟

إن الذين صدقوا فى خدمة الأدب آحاد ، لا عشرات ولا مئات ، فهل تعجز الدولة عن تدبير معاش لأولئك الآحاد حين يطيب لهم أن يستريحوا من متاعب البيان ؟

من إبراهيم الكاتب ؟

إبراهيم الكاتب قصة غرامية تفرعت إلى شجون وصفية واجتماعية ، وقد تحدث المازنى فى المقدمة عما سلك من طرق التأليف ، بإسهاب يغنى عن النص على ما فيها من مقاصد وأغراض . إنما يجب النص على مسألتين سلك فيهما المازنى مسلك التحريف ولا أقول التضليل !

أما المسألة الأولى فهى إصراره على أن إبراهيم الكاتب غير إبراهيم المازنى ، وحجته أن إبراهيم الكاتب يتلقى الحياة باحتفال ، أما إبراهيم المازنى فيتلقى الحياة بغير احتفال (؟!)

وأقول إنى صحبت المازنى أعواماً فى جريدة البلاغ وأياماً فى مدينة بغداد ، فما رأيت أشد منه احتفالاً بالتوافه من شؤون الحياة ، فهو يغضب ويثور لأوهى الأسباب ، فكيف يكون حاله فيما يمس جوهر المنافع الحيوية ؟

أما المسألة الثانية ، فهى الصفحات المنقولة حرفيًا عن كتاب « ابن الطبيعة » ، ويقول المازنى : إن هذا توارد خواطر لا سرقة أدبية ؛ ويقول الأستاذ على أدهم : إن المازنى نقل هذه الصفحات متعمداً ليجد الشاهد — عند اللزوم — على أن توارد الخواطر هو الأصل فيما يُنسب إليه من سرقات ، وهل من المعقول أن يسرق الكاتب خمس صفحات ؟ !

وهنا نعرض فكاهة تستحق التسجيل :

كنا فى جريدة (البلاغ) فى الأسبوع الأول من قدوم السير « لامبسون » ، وهو رجل فارع الطول ، ورأت إحدى الجرائد الإنجليزية أن تنص على طوله ، فنشرت جزءاً من صورته فى الصفحة الأولى وقالت : إن البقية فى الصفحة الثانية ! ! !

فقال المازنى بغير وعى : ما الذى يمنع من سرقة هذا الدنى ؟ !

واتهام المازنى بالسرقات الأدبية معروف ، ولكن هذا لا يغض من قدرته البيانية ، فذلك أول مترجم فى مصر يوهمك وهو يترجم أنه الكاتب الأصيل

عند المازنى عبارات كثيرة مجترحة بأخيلة أجنبية ، ولكنها لا تَرِد فى كلامه إلا وهى مطبوعة بإحساسه الخاص ، فهو يستأسر للمعنى والصورة قبل أن يفكر فى السرقة أو النقل ... فهل ترانى أحسنت الدفاع عنك يا صديقى ؟

الحب فى نظر وزارة المعارف

قصة «ابراهيم الكاتب» قصة غرامية ، وفيها ألوان من اضطرام العواطف والأحاسيس ، فكيف جاز لوزارة المعارف أن تقررها لمسابقة الأدب العربي بين طلبة السنة التوجيهية ، مع أن هذه الوزارة كان يؤذيها أن يكون فى المحفوظات المقررة شيء من الغزَل والتشبيب ؟

تلك وجهة جديدة فى وزارة المعارف ، فهل نراها بنجاة من الانحراف ؟

ولكن ، ماذا جنت وزارة المعارف فى عهودها السوابق من إخفاء قصائد الحب عن التلاميذ ؟ هل جعلتهم أقوى من تلاميذ انجلترا وألمانيا ، والحبُّ عند هاتين الأمتين له فى جميع النصوص الأدبية مكان ؟

لوزارة المعارف عندنا صوت فى إدارة الإذاعة اللاسلكية ، فهل اعترضت على أغانى الحب ؟ ؟ وكان لوزارة المعارف رأى فى توجيه الفرق التمثيلية ، فهل اعترضت على الروايات التى يقع فيها تقبيل وعناق ؟ ؟

آن لوزارة المعارف أن تعرف أنه لا موجب للهرب من المطالب الروحية ، وأن الحزم كل الحزم فى أن تتولى هى تربية العواطف فى صدور التلاميذ ، لا أن تترك عواطفهم لرياضة الجهلة من السفهاء

المحرَّم هو الإسفاف فى تصوير الشهوات ، أما تشريح عاطفة الحب باعتبارها عاطفة إنسانية ، فهو غرضٌ يوجبه التعليم والتثقيف .

وما قيمة الحرص على إخفاء الجمال مصورًا فى قصيدة وجدانية ، وهو يُعرَّض كل لحظة فى شوارع القاهرة ، وقد يباع بلا ميزان ؟

كونوا أساتذة التلاميذ فى جميع الشئون ، واحترسوا من تركهم تحت رحمة الأهواء ، واعلموا أن شغف التلاميذ بالنظر فى أحاديث الحب يرجع إلى إصراركم على القول بأنه حرام لا مباح ، فقديمًا قيل : كل ممنوع مَتبُوع

وسلامٌ على إبراهيم — ابراهيم الكاتب — من صديقه الحميم :

زكى مبارك

كليلة ودمنة

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تتمة)

ص ١٩٥ س١٥ : (أرادوا إدخال النقص عليك فى ملكك) قال الأستاذ : « كلمة النقص ركيكة فى هذا المعرض لا يقولها مثل ابن المقفع وإنما هى النقض بالضاد المعجمة » ولست أرى فى النقص هنا ركاكة . وما كان لى أن أغير الذى أمامى فى أمر لا دليل فيه ، وهذا دأبى فى تصحيح الكتاب ، ولو كان الأمر إلى اختيارى لما اخترت إحدى الكلمتين ضربة لازب

ص ٢٠٠ س ٩ : (فإنها امرأة عاقلة لبيبة حريصة على الخير، سعيدة من الملكات ليس لها فى النساء عديل) قال الأستاذ : « وكيف تكون سعيدة مع أن الملك أمر بقتلها الخ ... ثم هو فى معرض التنويه بخصالها ، وليست السعادة خصلة أو خلقاً — الأخلاق والوجه : سديدة الرأى من الملكات التى ليس « فى النساء عديل » وقال فى الحاشية أنظر كليلة ودمنة طبع بولاق » — والجواب أنه ما كان لمصحح أمين أن يغير برأيه سعيدة من الملكات إلى سديدة الرأى من الملكات التى الخ ... وطبعة بولاق وغيرها شواهد على ما جناه الناشرون المتصرفون بآرائهم فى متن الكتاب . ومعنى سعادة الملكة هنا أنها مباركة ميمونة كان عهدها مع الملك عهد سعادة وغبطة

ص ٢٠٨ س ١١ ، ١٢ (الذى يصنع الطعام وينظفه لسيده) يرى الأستاذ أن الكلمة ينضجه حرفها الناسخ إلى ينظفه . وهو رأى سديد ، وكان ينبغى أن يشار إلى هذا التعليق إن لم يجز تغيير المتن

ص ٢١٠ س ٥ : (والجرىء الجاهل المقدم على ما ليس له وإن أتلف نفسه ونفس غيره فى طلب حاجة وشحه) قال صوابه وبجحه . وأرى أن الصواب شحه بمعنى حرصه على ما يطلب . وليس الشح الحرص على ما فى اليد فقط بل منه الحرص على أخذ ما ليس فى اليد وفى حديث ابن مسعود : والشح أن تأخذ مال أخيك بغير حقه . وفى حديث ابن عمر : إن كان شحك لا يحملك على أن تأخذ ما ليس لك فليس بشحك بأس

ص ٢٥٠ س ٣ : (فلما رأوا الأسد قد احتشد فى طلب اللحم وغضب) قال : أرى أنها احتد والحدة تقارن الغضب . أقول بل هى احتشد وكذلك وقعت فى نسخة شيخو . واحتشد الإنسان فى الأمر إذا اجتهد وبذل وسعه فيه

ص ٢٤٧ س ٤ : (فما الذى يشبه كفك عن الدماء وتركك اللحم) قال : كلمة يشبه مقحمة ، ولعلها زيادة من الملل للناسخ حين تردّده فى الكلمة بعدها — وقد وقفت عند هذه الجملة حين التصحيح وهممت أن أضع مكانها ما فى شيخو : (فما الذى يمسك كفك من الدماء) ولكنى وجدت فى آخر الجملة (وتركك اللحم) وفى شيخو وترك اللحم وهذا لا يستقيم مع كلمة يمسك . ورأيتها فى نسخة طهارة « فأى شىء يشبه كفك عن الدماء الخ ... » فآثرت الإبقاء على ما فى نسختنا . وكان يسيراً أن أغيرها كما غيرتها النسخ الأخرى . ومعنى الجملة : أى سيرة هذه التى لا نرى لها شبيهاً ؟

٢٧١ : ١١ (بفضل قسّمه لك وتابع نعمه عليك) قال : فعلى أى شىء عطف الفعل (تابع) ؟ — رأى أن تصحح الجملة على وجوه مختلفة — وأرى أن فى الجملة نظراً ولكن معناها بيِّن ، وتابع معطوف على قسمه والضمير فى تابع يرجع إلى الله وليست جملة تابع وصفاً لفضل وإن كانت عطفاً على الوصف

٥٢ : ٢ (كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً) قال الأستاذ إنه وجدها فى عيون الأخبار (يصوبها) أى يخفضها — وأقول : هو وجه حسن جيد ولكن لم يقع فى نسخة من نسخ الكتاب فلم يتوجه الرأى إليه . وهو حرى أن يؤخذ به ، وللناقد الشكر

٢٧٦ : ١٣ (ولم تجدى من الأسف والحزن على شبليك شيئاً إلا وقد كان من كنت تفعلين بأحبابه ماتفعلين بجد مثله أو أفضل منه) قال الأستاذ : وليس يقال حزن فلان حزناً أفضل من حزن فلان ... والوجه أمثل الخ . ولا أرى هذا وجهاً . وقد بيَّنت فى التعليق أن الفضل معناه الزيادة . وعندى أن كلمة أفضل أقرب من أمثل فى هذا السياق . وإن فسرت أمثل بأنها من مثَل بمعنى نكل كما فسرها الناقد

فى التعليقات

جادل الناقد الفاضل فى جمل رأيت أن بها أثراً من الفارسية ، وقلت إن ابن المقفع لم يسلم من تأثير الفارسية حين الترجمة —

مملكة الشمس

أو CIVITAS SOLIS

للدكتور جواد علي

من الفلاسفة من يأبى خيالهم إلا أن يسمو من عالم الأرض إلى عالم السماء ؛ ومن هؤلاء الفيلسوف الإيطالي توماس كامبينيلا Thomas Campanella [١] صاحب مملكة الشمس المملكة المثالية Utopie التي افترضها هذا الفيلسوف لتكون المملكة الفاضلة من بين الممالك البشرية والنموذج الأعلى لكل الممالك التي تصورها العقل البشري بلا نقص أو هنة من الهنات . كان هذا الفيلسوف من الطليان الحركين الذين كانت لهم روح لا تستقر على حال . لم تعجبه حياة الرهبنة والتقشف على شدة تعلقه بمبادئ الدومونيكان . ولم يقبل بأن يسجن الانسان نفسه حراً مختاراً في بقعة ضيقة بين الأسوار والجدران باسم الرهبانية والدين . وقد دفعته هذه النزعة إلى الخروج على تقاليد جماعته وعلى الانضمام إلى زمرة السياسيين الثوريين الذين كانوا في مدينة نابولي يجاهرون ملك الأسبان بالعداء ؛ فسجن مقيداً في محبس المدينة المظلم مدة سنة وعشرين عاماً ونصف ، وعذب سبع مرات [١]

ومملكة الشمس التي أراد أن يقيمها هذا الفيلسوف مملكة تستند على الأسس والمبادئ الفلسفية التي تصورها أفلاطون في جمهوريته ودولته . ولكنه اختلف عن أفلاطون في شدة اعتنائه بالتنظيم ، وبالجزئيات ، وبتوزيع الأعمال على حكام هذه المملكة وعلى الأتباع . وقد اختلف في نظريته عن النظرية المثالية التي تصورها الفيلسوف الانكليزي توماس موروس [٢] من ناحية مبدأ الحكم في هذه المملكة . فمملكة توماس موروس مملكة اشتراكية ديمقراطية النزعة تأخذ بمبدأ الانتخابات فيها ، ولحرية القول والاعتقاد نصيب وافر . أما مملكة الفيلسوف الإيطالي فهي مملكة اشتراكية أيضاً ولكنها تمثل نظر العقلية الايطالية إلى الحكم خير تمثيل . هي النموذج الصالح لنظر العقل الإيطالي إلى الحكم . لا محل فيها للحرية الفكرية ولا للعقيدة ، ولا مجال فيها لابداء الرأي أو الاعتراض . كل شيء يديره الفلاسفة وهم الحكام . وكل شيء فيها قد نظم وقنن وضبط وعين حتى الأكل والشرب وساعات العمل وطراز الأنس والطرب [٣]

يتصرف في شؤون مملكة الشمس حكيم ميتافيزيقي Metaphysicus يدعى Hoh هوه أو سول Sol [٤] ؛ انفرد من بين جميع رجال المملكة بالحكمة والعلم وحسن التصرف ، فهو أعلم الناس وأحكمهم طراً . أحاط بكل شيء علماً فلا يعزب عنه في تدبير المملكة شيء [٥] . وتكاد تكون صفات هذا الرئيس الحكيم هي نفس صفات « الرئيس الفيلسوف » الذي اختاره الفارابي ليحكم « أهل المدينة الفاضلة [٦] » مع اختلاف في طريقة الحكم وتوزيع الأعمال ، وإمكانية التطبيق سببه اختلاف نظام الحكم في بلاد الإسلام في عهد الفارابي عنه في مملكة أسبانيا وإيطاليا في عهد الفيلسوف كامبنيلا . ينظر الفارابي إلى الحكومة

---

(١) ولد عام ١٠٦٨ وتوفي عام ١٦٣٨م . راجع Schmidt قاموس الفلسفة ص ٩٢

(١) راجع : Prof. Dr. A. Voigt die Sozialen Utopien ص ٦٤ وما بعد

(٢) ١٤٧٨ — ١٥٣٥ . وقد صور دولته المثلية في كتابه الذي وضعه باللاتينية : De Optimo Rei Peblicae Statu Deque Nova Insula Utopia 1516

(٣) راجع A. Voigt s, 66 (٤) ومعنى ذلك الشمس

(٥) راجع Hugo Stegmann Socialismus s, 105

(٦) راجع مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة من ص ٥٣ — ٦٠ وكذلك تاريخ الفلسفة الاسلامية دي بور تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة ص ١٠١ م (١)

وقد رأى الأستاذ أن لهذه الجمل أوجهاً في العربية الصحيحة . ولست أريد أن أتناول هذه الجمل بالتفصيل ، وحسبي أن أقول : إن هذه الصيغ أشيع في الفارسية وأقرب إلى أساليبها ، وقد ذكرتني بالفارسية حين قرأتها ، ولعل الذي حفز الأستاذ إلى الجدال في هذه الجمل أنه يرى « ابن المقفع أيقظ من أن يؤثر في بيانه العربي الخالص هجنة فارسية ، أو يلتاث في ترجمة هذه اللوثة » . ولست أشاركه هذا الرأي ، فلا ريب عندي أن أثر الفارسية يظهر أحياناً في أساليب ابن المقفع ؛ وهو أمر يحتاج إلى تفصيل وتبيين ، وعسى أن تتاح فرصة للكلام فيه

وبعد ، فقد آثرت الإيجاز في الرد على الناقد الأديب توفيراً للوقت وعلماً بأن قليلاً من القراء من يحمل نفسه على تتبع الجدال في جزئيات كهذه

ثم للأستاذ عبد السلام الشكر بما قرأ وبحث ودقق ونقد . وقد دل نقده على علم وأدب ، نسأل الله له منهما المزيد ، كما نسأله أن يهدينا إلى السداد في الرأي والقول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

عبد الوهاب عزام

نظرة فلسفية أفلاطونية روحانية إسلامية مجردة بينما ينظر كامبينيلا إلى الحكومة بنظرة فلسفية مثالية عملية كاثوليكية ، تمكس لنا صورة العقل الإيطالي في عهد هذا الفيلسوف

ويساعد الرئيس « سول » ثلاثة وزراء ، هم بون Pon وسن Sin ومور Mor اقتسموا شؤون المملكة كل حسب اختصاصه ونبوغه . وتصرفوا بالناحية التي اختصوا بها تصرف رجل خبير قدير لا يجاريه في فنه أي شخص آخر من أشخاص هذه المملكة[1] . وقد اختص الوزير « بون » من بين الوزراء بالشؤون الحربية وبمهمة الدفاع عن المملكة ، ووظيفته أن يبذل كل ما في وسعه لصد هجمات أي معتد أثيم يريد بالمملكة سوءاً .

وعلى كل مواطن في هذه المملكة كما في مملكة أفلاطون أن يساهم في الدفاع عن الوطن ، يستوى في ذلك الرجل والمرأة ، والمرأة لا تستثنى في هذه الحكومة من الجندية لأنها تساهم الرجل في شؤون الحياة . وهذه هي الفكرة التي صرح بها أفلاطون في جمهوريته[2]

أما الوزير سن Sin فهو وزير معارف هذه المملكة إليه ترجع أمور تعليم الشعب وتثقيفه ، وله واجبات كثيرة متفرعة فهو يشرف على تعليم الناس الفنون الحرة والفنون العملية الآلية (أي الصناعات) وهو يشرف على تعليم سكان المملكة قواعد العلم وأسراره . وهو يشرف على تعليم سكان هذه المملكة جميع فنون العلم التي يحتاجها الإنسان في الحياة

أما التعليم فهو إجباري عام يستوى في ذلك الذكور والأناث . خصص وزير المعارف لكل مدينة من مدن الشمس محلاً يدعى Orbis Pictus ليكون بمثابة مدرسة ذلك اليوم . والأوربيس بيكتس عبارة عن محل واسع عام أقيمت عليه سبعة جدر مربعة متساوية ، جدار من هذه الجدر في الوسط ، أما الجدر الأخرى فتحيط به على صورة هالة . وقد زينت هذه الجدر بالصور المختلفة التي تمثل سلسلة العلوم التي يحتاجها البشر وضعت بصورة منتظمة حسب تطور درجات العلم . وهنالك معلمون يوضحون للأطفال مغزى هذه الصور بصورة بسيطة سهلة لا تكلف فيها ولا إجهاد[3]

والتعليم في هذه المملكة من النوع المختلط ، والمنهج من النوع الموحد ، والكتاب الوحيد الذي يدرس في هذه المملكة هو كتاب « الحكمة » وقد ألفه كامبينلا على طريقة فيثاغورس[1] جمع بين دفتيه من كل فن شيئاً . ويؤكد الفيلسوف أن كتابه هذا هو من أسهل وأحسن ما كتب ، وأن أسلوبه أزلي لا يتبدل ، لذلك لا يمكن لأي طفل بلغ العاشرة من العمر مهما كانت مقدرته العقلية أن يرسب في امتحانات الدولة أبداً . أما المواضيع النحوية واللغوية فلا مجال واسع لها في هذا الكتاب ولا في دائرة معارف مملكة الشمس ؛ لأن التوسع في هذه الأبحاث يبعث على الجمود الفكري ، وعلى توجيه العقل نحو التلاعب بالألفاظ وترك اللب وهو العقل . ولذلك نرى اللغوى يبذل كل جهوده في دراسة قشور الفكرة وهي الألفاظ فيحاول جهد طاقته تسخير الأفكار وسبكها حسب صناعته لتكون جملة من أحلى الجمل التي يستذوقها طبعه ؛ ولكنها في الواقع من أسخف ما يكتبه إنسان[2]

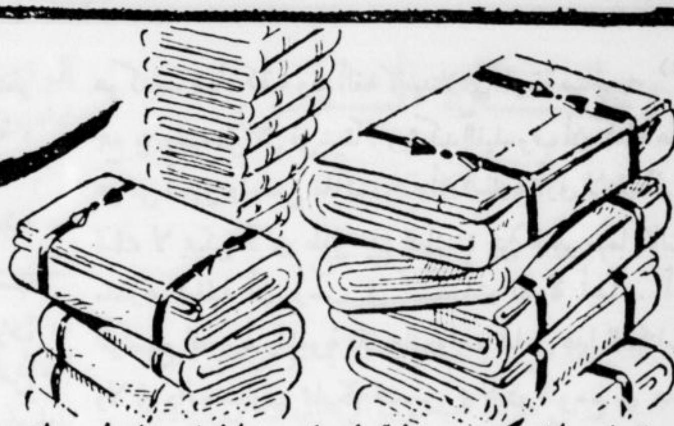
لا يقتصر التعليم في هذه المدينة على الدروس النظرية فقط ، بل يحتم القانون على كل طالب من طلاب هذه المملكة الانخراط في معامل المدينة لإتقانه فنون الصناعة والحصول على معلومات عامة عنها ؛ لا يستثنى من ذلك أي طالب من الطلاب . وبعد حصول الطالب على المعلومات الصناعية يساق إلى القرية إلى المزارع النائية حيث تعرض عليه مختلف أنواع النباتات والحيوانات ؛ ويعلم بنفس الوقت كيفية استغلال الأرض وتربية الماشية . ثم يساق بعد ذلك إلى الثكنات حيث يدرس الفنون الحربية وكيفية استعمال السلاح ليستوى في ذلك الذكور والإناث ؛[3]

أما وزارة الوزير « مور » فهي من أخطر الوزارات الثلاث لأنها وزارة حساسة مهمة تتعلق بالجنس وبالمحافظة على الجنس . عليها أن تنظم العلاقات الجنسية وأن تسهر على إنتاج جنس قوى من أحسن الأجناس ، وهي وزارة الحب ووزارة العلاقات الجنسية . فالرجال في هذه المملكة ملك مشاع للنساء ، والنساء في هذه المملكة ملك مشاع للرجال . لا زواج ولا استئثار ، كما لا زواج في جمهورية أفلاطون ولا استئثار . كل شيء عام . تقوم في هذه المملكة عاطفة الحب مقام عاطفة الزواج . لذلك كان أهم وظائف الوزير مور تنظيم هذا الحب حتى لا يؤدى إلى استئثار

[البقية في ذيل صفحة ١٣٧٦]

(١) راجع Stegmann s, 105 و Voigt s, 67
(٢) Voigt s, 67 راجع أيضاً كتاب أفلاطون Politeia طبعة Kta
(٣) Stegmann s, 105 و Voigt s, 68

(١) Voigt 69 و K. Vorländer s, 216
(٢) Stegmann s, 106
(٣) Stegmann s, 106 و Voigt s, 67



تعلن الشركة ان منتجاتها من الخام والدمور والعبك والدبلان وغيره تباع فى المحلات المدرجة اسماؤها بعد وقد تعهدوا جميعا باحترام البيع على اساس قائمة التسعيرة الجبرية

شركة بيع المصنوعات المصرية

بالقاهرة فرع فؤاد الأول والموسكي والبراكى والسيدة زينب والفورية . اسكندرية . طنطا المنصورة . شبين الكوم . دمنهور . الزقازيق . السويس الفيوم . المنيا . أسيوط . سوهاج

بنزايون

بالقاهرة وجامع البنات والأزهر وميدان مصطفى كامل . اسكندرية . سوهاج المنيا . ملوى . اسيوط . الفيوم . طنطا . الزقازيق . المنصورة

سليم وسمعان صيدناوى

القاهرة . اسكندرية . الفيوم . المنصورة . اسيوط . طنطا

داود عدس وولده

القاهرة . شارع الأزهر وعماد الدين . اسكندرية

عفيفى الشهاوى ومحمود الشبان

شارع الحمزاوى الكبير بالقاهرة

الفرنوانى إخوان

ميدان الملكة فريدة بالقاهرة

المرجوشى بك

شارع الأزهر الجديد

اوروزدى باك «عمر افندى»

بشارع عبد العزيز والسكة الجديدة . بالقاهرة

معارض الغرفة التجارية المصرية

القاهرة . اسكندرية . المنيا . الفيوم . بورسعيد . اسيوط . بنى سويف . المنصورة . طنطا

شركة التعاون المنزلى «لموظفى الحكومة»

اسكندرية . القاهرة . دمنهور

المهيلمى والشريف

طنطا . شارع صبرى

أولاد اسلام باشا «بنى سويف»

شركة ...

تجار القـ...

حبيب توليد انو وولده . كباى اخوان . الشر... بورصلى . خليل وفيليب حبيب . ازاك ليفى وشـ... محمد شلبي . سعد ومرزوق . محمد زكي الشبتي . ورثة جرجس عبد الملك . عبد الرحمن الشيال . محمد عبد أمين وولده . عبد الفتاح وشاحي . محمود أحمد جـ... وأولاده . سلامه تادرس سيدهم . عبد العزيز قنديل

تجار الاسـ...

اخوان دره وشركاهم . يوسف شلم وأولاده . ابراهيم شريط . شركة المنسوجات المتحدة . اميل قلو . روفائيل اوراس . موسى يشوعه مجر . ... عبد المنعم خفاجى . محمد مصباح . عمر فايد . عبد عاشور سيف . محمد على حسانين

تجار الوجـ...

محمود الاشرم — الزقازيق . صادق تراديت — ... محمود المصرى — منيا القمح . ابراهيم عطيه — ... امام أمين العطار — قوص . عبد العظيم حسين غمر . محمود مصطفى دسوقي — ميت غمر . العـ... دكرنس . السيد احمد طوبيا — كفر الدوار . ... دسوق . محمد مونيه — دسوق . ابراهيم العطار — عبد الحميد برهامي — كفر الشيخ . عبد المقصود كفر الشيخ . محمد المصيلحى — دسوق . عبد ا... دسوق . أحمد الدفراوى — دسوق . حسين اللـ... عبد الله الخولى — دمنهور . سيد احمد الخولى — محمود نعينع — مطوبس . محمد احمد الوكيل — بسيـ... عيسى — بنها . عفيفي عبد الكريم — بنها . عبد الـ... اسحق يوسف — طوخ . مصطفى الجزار — ... على محمود عبد الحي — شبين الكوم . مصطفى سراج — شبين الكوم . عبد الغني الجمى — الـ... محمد عيد ملهط — منوف . مصطفى بسيوني — المنصورة . احمد سيد احمد وحافظ صقر — المنصـ... عبد الحميد الحاجة — المنصورة . محمد ابو السـ... المنصورة . عبد العزيز المنياوى — المنصورة . مـ... ميت غمر . عبد المنعم الرجي — ميت غمر

ـر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى

ع
ليـة . جوزيف والبير
لص حاد الكريم . محمود
مان . محمد ابراهيم عوف .
أسعد الداعور . على
وبجداع . نسيم عدس
، . الحاج مصطفى ميكتس
ت
ميل دانا . صدني نجار .
اهيم نعمباس . اخوان
. يوسف موسى بسوفير .
. السيد المرداني . خلفاء

ل
لسيد عمرو — منيا القمح
. السيد نجم — فاقوس .
. حسين حسان — ميت
. على متولي العدلاني —
ر الدوار . محمد القوال —
طه المأربه — كفر الشيخ .
فر الشيخ . محمد المأربه —
سوق . متولي البدوى —
. محمد الكاتب — دمنهور
سليمان اخو القة — دمنهور
د — طنطا . محمد عبد الحليم
بنها . عبد العال قمر — بنها
بو ابو عجيزه — شبين الكوم
— شبين الكوم . محمد احمد
يد احمد برهام — منوف .
. احمد يوسف الحاجه —
. فهمى على — المنصورة .
صورة . محمد السمنودى —
صورة . ابراهيم غانم —
الدين — زفتى . محمد محمد

البغدادي — السنبلاوين . عوض جبر الشافعى — السنبلاوين . محمد احمد اللبان — دمياط . احمد حموده — دكرنس . عبد المنعم الشامي — الزقازيق . بسطا وسعد حنحوت — الزقازيق . العقادين — الزقازيق . تادرس بشاره — الزقازيق . ابو العنين قادوس — المحلة . عبد الغني قادوس — المحلة . الهيتمى والشريف — طنطا . احمد مصطفى الشبي — طنطا ابراهيم الزواوى — طنطا . عبد المعطى الطيبي — المحلة . عبداه والشريف — طنطا . عباس الويشي — طنطا . السيد القالي — طنطا . السيد احمد الغمرى — المحلة . على احمد امام — المحلة حامد السحلي — المحلة . عبد الوهاب قادوس — المحلة . محمد المعطي الاعصر — المحلة . حسن عبد الجواد — سمنود . شلبى السيد شلبي — تروجه . محمود الخضرى — المحلة الكبرى . غريب مصطفي نجم — المحلة الكبرى .

بتجار الوجه القبلى

عبد اللطيف وحش — الفيوم . احمد مختار وحش — الفيوم . الابيار والدش — الفيوم . عبد الفتاح السويفى — الفيوم . مصطفى حسن — الفيوم . محمود على الشريف — الواسطى . عثمان الشيمى — بني سويف . عرفه احمد خطاب — بني سويف . عبد اللطيف شعبان — بني سويف . احمد وعبد العزيز حسين — بني مزار . محمد حسين وأخيه — بني مزار . محمد حسن غانم — بني مزار . خلفاء احمد الملاح — الفشن . محمد أبو قوره — الفشن . مرقص مينا — مغاغه . عزيز وأديب ميخائيل — المنيا . عبد الحميد الجندى — المنيا . اسماعيل الموسي — المنيا . حسن رضوان — المنيا . عبد الرحيم كريم — ملوى . عبد الرحمن كريم — ملوى . قرياص سمعان — ملوى . حسن عبده — ملوى . عياد رسوم — منفلوط . ويصا مرقص — منفلوط . عزيز مجلع — أسيوط . نقولا مفار — أسيوط . سيد عبد العزيز سعد الدين — أسيوط . أديب سوريان — أسيوط . فرج عبد الشهيد — أسيوط . احمد ومحمود عطيفى — أبوتيج . عبيد بسطا — أبوتيج . بسيلي جرجس — طهطا . أولاد احمد عبد الوهاب — طهطا . عبد الرحيم حميدى — طهطا — مصطفى الرشيدى — سوهاج . عبد الرحمن البخ — اخميم . جرجس تادرس — اخميم . عبد المجيد سالم — جرجا . عبد اللطيف سالم — جرجا . نصر الله شكر الله — البلينا . بدروس فلسطين عسل — فرشوط . حنى خليفه حنى — فرشوط . عزيز مندري عشم الله — بهجورة . عطا الله عطيه فلسطين — دشنا . كيرلس عبده — دشنا . احمد حسين أبو طالب — قنا . محمد وحسن سعد الدين — قنا . محمد محمود مساعد — قنا . يوسف وشاحى — قنا . توفيق على السيد — قنا . ابراهيم عوده — قوص . أمين حامد يوسف — قوص . محمود محمد خليل — قوص . أمين محمد خليل — قوص . محمد النجار يوسف — قوص . حكيم باسيلي — الاقصر . احمد كيلانى — الاقصر . محمد المغازي حته — اسنا . موسي حسن شنفير — اسنا . عزيز ورمزى ميخائيل — اسنا . يونان عبد الملك — أدفو . محمود الحمصاني — كوم أمبو . عبده خالد حسن — كوم امبو . طاهر حسن موسى — كوم امبو . عوض الله مكي — دراو . محمد سعيد يوسف — دراو . على حسن الجعفرى — دراو . محمد محمود الشرونى — محمد وأمين جبريل — عبد محمد أطامش — مرسى وعباس شريفه — ادفو

جميل نخلة المدوّر

(١٨٦٢ – ١٩٠٧)

للأستاذ كوركيس عواد

١ — كلمة فى تراجم رجال العصر

ما زال الشىء المدوّن من تراجم رجال عصرنا ضئيل القدر. فالباحث يحار فى أكثر الأحيان، ليقف على ترجمة هذا أو أخبار ذاك! لأن ما بأيدينا من هذه التراجم لا يتعدّى العشرات! وأما أكثر العلماء والكتاب وغيرهم، فلا شأن لهم فى تلك المدوّنات. إذ يأتى هؤلاء فيعملون ثم يذهبون إلى حيث يذهب الناس، ثم تندثر أخبارهم وتنطمس معالمهم! ولو أحصينا كتب تراجم المحدثين لما تجاوزت العشرة على ما نظن. وهذا شىء زهيد، إذا ما قيس بالأسفار الموضوعة فى تراجم الأقدمين. فللمؤلفين القدماء كتب لا تحصى فى تراجم الرجال عامة، أو فى تراجم طبقة أو فئة خاصة منهم. فأفردوا للأطباء مثلاً تراجم، وللوزراء تراجم، ومثل ذلك قل عن الأدباء والشعراء والنحاة والحكماء والمحدثين والفقهاء والحفاظ وغيرهم. بل إنك تجد تآليف خاصة بعدد من السنين: كتراجم رجال المائة السادسة أو السابعة أو الثامنة وهلم جرا؛ كما تلفى كتباً فى تراجم من عاش فى قطر ما أو بلدة ما، أو تراجم رجال المذاهب والفِرق، أو من تميّز بصفة أو أصيب بعاهة، كالممرين والمتطفلين والعميان. أو غير ذلك من صنوف التراجم التى يطول بنا ذكرها. وإن تمادينا فى تعداد ما صنفه الأقدمون فى التراجم، وقسناه بقلة ما صنفه المحدثون فيها، وجدنا ما فى أيدينا من هذه التآليف الأخيرة شيئاً نزراً، يسعف فى بعض الأحوال، ويخيب آمالنا فى أكثرها!

٢ — سبب كتابة هذا المقال

والذى حملنا على كتابة هذا المقال، هو كلمة قلناها[1] بشأن مقال ثمين عقده الأستاذ الفاضل محمد عبد الغنى حسن فى هذه

(١) الرسالة العدد ٤٢٥

(بقية المنشور على صفحة ١٣٧٣)

فردى وحتى لا يؤدى إلى حدوث مشاكل ونزاع بين الأفراد[1]

وعلى الوزير مور أن يهيئ لمملكة الشمس جيلاً منتخباً من أقوى العناصر البشرية وأجملها بنفس الوقت، كى يتمتع الجنسان بالسعادة والهناء؛ ولكى يتم ذلك، عليه أن يربى الأطفال تربية صحية، وأن يجهزهم بالطعام الكافى وباللابس المقتضية. واللابس فى هذه المملكة من النوع الوحد أيضاً، تلبس فى الصيف والشتاء على حد سواء، ولا فرق فى هذه المملكة أيضاً بين ملابس الرجال والنساء[2]

وإنك لا تجد فى هذه المملكة أثراً للعائلة، كما لا تجد فيها أثراً للملكية الخاصة. كل شىء فيها عام، حتى الدين لا يستأثر فيه « الثالوث المقدس » رمز المسيحية بالنفوذ من بين مقدسات الإنسان. هكذا أراد « كامبينيلا » الراهب أن تكون مملكته المثلية على سطح الأرض[3] على المثال الذى أراده أفلاطون، حتى فى توزيع الأعمال وتقسيم الطبقات[1]. وكذلك حلم الفارابى المسلم فأراد أن تكون مدينته مدينة مثلية فاضلة، لما ميزاتها من بين المدن المثلية. وكذلك أراد ابن طفيل أن تكون البشرية فى عقلية حى بن يقظان[2]. وكذلك فكر الشيخ الحلى فى جزيرته الخضراء. بمثل هذا فكرت عقلية عشرات وعشرات من مفكرى الإسلام[3]

لقد فشل أفلاطون حينما أراد أن يطبق ما تخيله عقله على سطح الأرض. وفشل الفيلسوف الإيطالى كاجنبيلا كذلك عندما أراد تطبيق مشروعه على سكان الأرض. هكذا يحلم فلاسفة البشر عن بشرية كاملة مثلى، ولكن أحلامهم تصطدم دائماً بحقيقة ثابتة تمثل فلسفة الواقع، وهى أن بين عالم الأحلام وبين عالم الحقائق بوناً يمثل بعد الأرض عن السماء. فآمن أيها القارئ بالواقع تعش سعيداً ما دامت لك حصة فى هذه الحياة.

« بغداد » ميراد على

(١) راجع كتابه Citta dal Sole 1602 « مملكة الشمس ». وكذلك Wessely Sonnenstaat 1900

(٢) K. Kautsky die vorläufer, voigt s, 70 و Ottmar Spann Gesellschaf

(٣) Aster Gesch der Philo s, 188

(١) راجع H. Wuttge Frkennt 1897

(٢) راجع رسالته « حى بن يقظان » طبعة دمشق ١٩٣٥

(٣) راجع بحار الأنوار جـ ١٢ حيث تجد قصصاً مختلفة تمثل وجهة نظر المسلمين إلى دولة المهدى المنتظر

المجلة بعنوان : « مدن الحضارات القديمة » ثم إجابة[1] حضرته على كلمتنا المذكورة بعبارات رقيقة ، دلت على سمو أدبه ، وسعيه وراء الحقيقة أينما كانت . وقد طلب فيها أن أكتب ترجمة لجميل نخلة المدوّر . وما كدت أبدأ بذلك حتى وجدت الأستاذ أحمد صفوان يعقّب بنبذة[2] على كلام الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ويؤكد فيها طلبه

وهأنذا ألبي طلبهما بما فى مكنتى وفاء لحق كاتب راحل ، خدم الأدب والتاريخ خدمة كبيرة . وقد استعنت فى كتابة هذه الترجمة بمؤلفاته نفسها ، وبالمراجع المختلفة التى بُحث فيها عنه والله المستعان

٣ — ترجمة جميل نخلة المدور

١ — مولده

كانت ولادة جميل فى بيروت سنة ١٨٦٢ ، ببيت عرف حينذاك بالمجد والأدب . وقد أرخ الشيخ ناصيف اليازجى[3] . أديب زمانه وكبير كتابه ، مولد جميل ، ببيتين من الشعر وهما[4]

لنخلةَ قد أتى نجلٌ جميلٌ كما سُمِّيْ فَسَرّ أبًا وأمّا
دعوتُ فقلتُ بالتاريخ ينشو غلامٌ طابَقَ الاسمَ المسمّى

سنة ١٨٦٢

٢ — والده

أما والده فهو ميخائيل بن يوسف مدور[5] ، الذى ولد فى بيروت سنة ١٨٢٢ . ثم دخل فى مدرسة عين طورا فدرس اللغتين الفرنسية والإيطالية ، فضلاً عن اللغة العربية التى برع فيها . ثم أخذ يتعاطى التجارة زمناً مع إخوته . وفى سنة ١٨٥٢ اقترن بالسيدة روزا بنت نقولا صالحانى ، وكانت سيدة فاضلة أديبة

ولقد توغل ميخائيل فى تاريخ العرب ، وأصاب بسهم وافر من آدابهم ؛ فاختير عضواً فى الجمعية الآسيوية الفرنسية بباريس ، والجمعية العلمية السورية ببيروت ، وكان صديقاً حميماً للشيخ ناصيف اليازجى . ومما يذكر له بلسان الثناء والحمد والتقدير الذى هو أهل له ، أنه فى الوقت الذى كانت سوق العلم كاسدة ، والإقبال على نشر الكتب يكاد يكون معدوماً فى البلدان الشرقية قام فطبع على نفقته فى سنة ١٨٥٤ مقامات اليازجى المعروفة بـ « مجمع البحرين » كما سبق له أن طبع « مقامات الحريرى » فأنشده الشيخ ناصيف قصيدة ، منها هذان البيتان :

ملكت الفضل فى شرع وعرف فليس على كمالك بعض خلف
إذا عدّت رجال العصر يوماً فإنك واحـــد بمقام ألف

وكان عوناً على إصدار أول جريدة عربية فى بيروت ، وهى « حديقة الأخبار » سنة ١٨٥٨[1]

وعُيّن ترجماناً فى قنصلية فرنسة ببيروت ، لأنه كان يجيد الفرنسية إجادته العربية ولبث فى هذا المنصب إلى آخر أيامه

وكانت له خدمات علمية ووطنية عديدة ، لا يسعنا استيفاؤها فى هذا المقام

وقد خلّف أربعة أبناء اشتهر منهم اثنان فى العلم والتأليف وهما نجيب[2] وجميل صاحب الترجمة

٣ — شيء من حياة « جميل »

عرف « جميل » منذ صغره بالنباهة والذكاء وسلامة الذوق ، وأوتىَ قريحة وقادة لا تخبو نارها بسلاسة عبارته ، وبصيرة نقادة لا يخفى شرارها بطلاوة نوادره وحسن فكاهته ، وجداً يستسهل المتاعب ، وثباتاً يغلب المصاعب[3] . وقد أظهر براعة كوالده فى تعلم العربية والفرنسية ؛ فوضع فى الأولى تصانيف ومقالات عديدة كما كان له من الثانية أكبر عون على توسيع آفاق فكره ، ونقل بعض المؤلفات منها إلى لغة الضاد

ولقد نالت مؤلفاته استحساناً من رجال عصره . فكتابه

---

(١) الرسالة العدد ٤٢٦
(٢) الرسالة العدد ٤٢٧
(٣) ولد سنة ١٨٠٠ وتوفى سنة ١٨٧١ وشهرته الأدبية والعلمية تغنى عن التعريف
(٤) تاريخ الصحافة العربية للفيكونت فيليب دى طرازى (١ : ١١٠)
(٥) ترجمته مفصلة فى تاريخ الصحافة العربية (١ : ١١١ — ١١٤) ومنها لخصنا هذا الكلام

---

(١) زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٤ : ٢٥٤)
(٢) توفى نجيب فى ١٧ شباط ١٩٠٧ ، أى بعد وفاة أخيه « جميل » بأيام قلائل ، وترك كثيراً من الآثار الأدبية منها كتاب « بلاد الأندلس وأهلها » ، وهو بحث تاريخى لم يزل غير مطبوع (أنظر تاريخ الصحافة العربية ١ : ١١٤) ، وانتقد ترجمة كتاب « ألف ليلة وليلة » التى نقلها الدكتور يوسف صدروس من العربية إلى الفرنسية فى مجلدات شتى تعلق عليها الشروح الوافية ، وهذا أيضاً لم يطبع ، وله مقالات ذات شأن فى الصحف العربية المختلفة : كالبشير ، والجنة ، ولسان الحال ، والأهرام ، والوقت . فضلا عن الصحف الفرنسية الشهيرة كمجلة Journal Asiatique و Revue des Deux Mondes و Les Dépats وغيرها
(٣) بحرونه من المقتطف (١٢ [١٨٨٨] ص ٥١٠) والكلام للمرحوم يعقوب صروف

«حضارة الإسلام في دار السلام» الذي يأتي الكلام عليه في مكان آخر من هذا المقال، «قدّره وأنزله منزلة رفيعة كما يستحق، كل من جودت باشا وزير المعارف العثمانية، وأحمد مختار باشا الغازي المعتمد السلطاني في مصر سابقاً، وغيرهما من مشاهير الرجال. وقد كافأه عليه حينئذ السلطان عبد الحميد بجائزة مالية تنشيطاً له على خدمة العلم»[1]

وهذا العلامة جبر ضومط، أثنى على كتاب حضارة الإسلام المذكور ثناء عاطراً، فقال فيه إنه «كتابٌ لو وُزن بالدرر لرجحها!»[2]

وذكر المؤرخ جورجي زيدان، في معرض كلامه على ما أدّاهُ جميل المدور للغة العربية، فقال إنه «خدم آداب هذا اللسان خدمة حسنة يذكرها له التاريخ ما بقيت اللغة العربية!»[3]

وذكر إدورد فنديك في محتويات كتاب حضارة الإسلام أنها «مفيدة من حيث لغتها وآدابها ورونقها التاريخي» وزاد على ذلك قوله: «نحث كل شاب على اقتنائها»[4]

وانتقل جميل إلى القاهرة، وتولّى في آخر حياته فيها تحرير جريدة «المؤيد»[1] وهي إحدى كبريات الصحف المصرية[2] فأظهر من المقدرة الصحافية حينذاك ما يشهد له بطول الباع فيها وكان قد نشر مقالات عديدة في مجلة «المقتطف» ومجلة «الجنان»[3] للمعلم بطرس البستاني وأبنائه من بعده

وهنالك مناح مختلفة من حياته لم نتحققها، لأن جميع المراجع التي بأيدينا لم تشر إليها. من ذلك هل كان قد تزوج؟ وهل خلّف أبناء؟ وفي أية سنة ارتحل إلى مصر؟ وما هي الدواعي إلى ذلك؟

٤ — وفاته

وقد أدركته المنيّة في القاهرة في ٢٤[4] وقيل في ٢٦[5] كانون الثاني سنة ١٩٠٧، وهو في عزّ كهولته، إذ لم يتجاوز آنذاك من العمر السادسة والأربعين! فمات بعيداً عن وطنه وذويه، مأسوفاً عليه من عارفيه ومقدري فضله. فرحمهُ الله رحمة واسعة.

(البقية في العدد القادم)

كوركيس عواد

(١) تاريخ الصحافة العربية (١: ٥ ١١)
(٢) ضومط: فلسفة اللغة العربية (ص ١٨١)
(٣) زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (٢: ٢٢٣)
(٤) فنديك: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع (ص ٤١٧)

(١) يوسف أليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص ١٧٢١)
(٢) أنشأها الشيخان أحمد ماضي وعلي يوسف سنة ١٨٨٩
(٣) تاريخ الصحافة العربية (٢: ٤٥)
(٤) تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين للأب لويس شيخو اليسوعي (ص ٢٢)، وتاريخ الصحافة العربية (١: ١١٥)
(٥) شيخو: المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ١٨٧).

الخريف

L'AUTOMNE

لشاعر الحب والجمال « لامرتين »

أنشأ « لامرتين » هذه القصيدة في خريف عام ١٨١٩ في وقت من أوقات التألم والقنوط ، وهي حافلة بحرارة طريفة تصور الصراع بين الميل الغريزي إبان الكآبة ، الذي يحبب الموت ، وبين الميل الغريزي إبان الانشراح ، الذي يوحي الأسف على الحياة ! ...

ويظهر أن الشاعر حين أنشأ هذه الأبيات كان يستذكر القصيدة المشهورة « سقوط أوراق Ehute de feuilles » للشاعر الفرنسي « ميلفوي Millvoye » (المترجم)

سلاماً أيتها الغابات المكللة ببقية من اخضرار ،
وأيتها الأوراق المصفرة فوق الأعشاب المبعثرة !
سلاماً أيتها الأيام الأخيرة الجميلة ! إن حداد الطبيعة
يلائم الألم ويروق لأنظاري .

* * *

اتبعتُ بخطوة الحالم المسلك المنعزل ؛
وأحب أن أرى بعدُ للمرة الأخيرة
هذه الشمس الشاحبة حيث يكاد ضوؤها الضعيف
ينبعث إلى قدميّ من خلال ظلمة الغابات .

* * *

نعم ، في هذه الأيام من الخريف حيث تلفظ
الطبيعة النفس الأخير ،
أجد في نظراتها المقنعة جاذبية وافرة .
إنها وداع صديق . إنها ابتسامة أخيرة
من الشفاه التي سيطبقها الموت إلى الأبد .

* * *

هذا ، وأنا على أهبة مغادرة أفق الحياة ،
باكياً خيبة الأمل من أيامي الطويلة ،
أتلفت ثانية ، وبنظرة الحاسد
أرمق هذه النعم التي لم أستمتع بها .

* * *

أيتها الأرض ، أيتها الشمس ، أيتها الأودية ،
أيتها الطبيعة الجميلة الحلوة ،
إنني مدين لك بِعَبرة على حواشي رمسي .
الهواء غزير الشذى ، والضياء بالغ النقاء !
تبدو الشمس فائقة الجمال أمام ناظري المحتضر !

أريد الآن أن أفرغ حتى الثمالة
هذه الكأس الممتزجة بالسلسبيل وبالمرارة ؛
عسى أن تكون هناك قطرة من شهد باقية
في قرارة هذه الكأس التي شربت منها الحياة !

* * *

فلربما كان المستقبل محتفظاً لي بعدُ
بعودة سعادة ضاع فيها الأمل !
ولربما كانت وسط الزحام نفسٌ جهلتها
ستفهم نفسي ، وستلبيني ! ...

* * *

تسقط الزهرة واهبة عطرها للنسيم ،
وهكذا يكون وداعها للحياة والشمس .
إنني أموت ؛ وعندما تزهق نفسي
تعبق كنغمة حزينة رخيمة .

(الأسكندرية) محمد أسعد ولاية

الصحافة والدولة

تأليف الصحفي العالمي ويكهام استيد

للأستاذ زين العابدين جمعة
المحامي

(تتمة)

إن أول واجبات الصحافة هو أن تظفر بالأخبار الصحيحة عن ماجريات الأمور في أقرب وقت مبكر . وأن تذيعها على الفور فتصبح وهي بين يدي الجمهور ملكا مشاعاً للأمة . أما رجال السياسة من الوزراء وغيرهم فإنهم يجمعون أخبارهم في غير علانية وبطريقة سرية ويحتفظون في حيطة مضحكة حتى بأخبار اليوم إلى أن تتغلب يقظة الصحافة على حذر السياسة في ميدان النشر .

وقوام حياة الصحافة منوط بما يتهيأ لها أن تظفر به في ميدان الإذاعة والنشر . ومهما كان شأن ما يذاع على الناس تحت لوائها فلسوف يصبح جزءاً من ثقافة زمننا وتاريخه . والصحافة وهي تؤدي رسالتها تحتكم كل يوم وإلى الأبد إلى سلطان العقول المنثورة في الرأي العام . وإذا كان لزاماً عليها أن تتعقب سير الحوادث وتسبق الزمن فتتنبأ بما سيكون من أمرها ، فقد تعين عليها أن تقف عند مفترق الطريق بين الحاضر والمستقبل وأن تبسط ميدانها ليمتد إلى آفاق العالم

أما واجب السياسي فعلى النقيض من ذلك تماماً ، إذ يحرص على أن يخفي عن عين الرأي العام المعارف التي ينظم بها أعماله ويكون منها آراءه . وهو يحتفظ برأيه في ماجريات الحوادث ، ويتباطأ في الادلاء بها إلى أبعد وقت يتهيأ له لغة السياسة . وهو إذا ما رجح عقله ونبلت أغراضه يجعل نفسه على خدمة المصالح الحقيقية لبلاده ، أو المصالح التي من شأنها أن تؤثر على بلاده تأثيراً مباشراً . وهو لا يخاطر فيتهور في حدسه وتصويره للمستقبل ؛ وهو يركز في صفقاته جماع تلك القوى التي تحاول الصحافة أن تذيع أمرها على العالم . فواجب إحدى القوتين إذن هو أن تفصح وتتكلم ، وواجب الأخرى أن تلازم وتتحرز . وإحداهما تبرر منهجها وتزكي صنيعها عن طريق التحليل والجدل ، والأخرى تظفر بسلطانها بكفاية من اليقظة والعمل . وإحداهما توجه عنايتها في الغالب من أمرها إلى الحق والمصلحة ، والثانية تتحدث إلى العقل وتخاطب العاطفة . والأولى تحوجها الضرورة إلى الحيطة والاحتراز . أما الثانية فمن ضروراتها أن تكون طليقة حرة

يخلص لنا إذن من هذا التناقض بين النهجين أن ما يلقى على كل من هاتين القوتين من المسئولية هو من التنوع والاختلاف بمثل ما تنوعت أعمالهما واختلفت واجباتهما . وليس من عيب أعيب لنا معشر الصحفيين من أن ننكص على أعقابنا فلا نميط اللثام عن وجه الحقيقة لتظهر للناس بذاتها سافرة واضحة . وشأننا من الإفصاح والصدق لا يقل أثراً عما للهواء والنور من شأن في الحياة . فنحن مرتبطون بأن ندلي بالحقيقة كما نلمسها من غير أن نحسب للعواقب حساباً ، وألا ندع للظلم والاضطهاد سبيلاً ينفذان منه أو مأوى يسكنان إليه ويطمئنان فيه . بل نناهضهما فور الوقت ونعرضهما على قضاء العالم . . .

وإذا ما قاسم صاحب القلم العام رجل السياسة نفوذه إلى أية درجة كانت فإنه على الأقل يقاسمه من تلك الأغراض الشخصية التي تنظم شطراً كبيراً من السياسة الجارية ... والصحفي حتى لو لم يهلل له حزب أو يظفر كفاحه بالنجاح فيما يوجهه إليه من كسب ولاء أو بسط سلطان ؛ فتلك الآراء التي أذاعها ودافع عنها أو أنشأها إنشاء وابتدعها ابتداعاً – إن صح له مثل هذا التعبير – تسقط من يده في اللحظة التي يكتب لها النصر فيها حيث ينتهي أمرها بأن تأخذ مكانها بين الحقائق المقررة . والمسئولية التي يأخذ الصحفي بنصيبه منها هي في الحق قريبة الشبه بمسئولية رجل الاقتصاد أو المحاماة الذي ليس من شأنه أن يخلق نظاماً يتناسب مع مقتضيات اليوم ، بل شأنه أن يتقصى الحق وأن يصوغه في مبادىء ثابتة تنظم شئون الحياة

لذلك كانت المسئولية الملقاة على عاتقنا أقل شأناً من المسئوليات التي يضطلع بهـا رجال السياسة ؛ إذ تقدر بمقياس يختلف عن مقياس هؤلاء اختلافاً تاماً . قوامه الاستقامة والواجب ... والصحافة مدينة بواجبها الأول للمصالح العامة التي تمثلها ، ولكن شأنها في ذلك لا يختلف عما لها من شأن وتأثير في قضية الحضارة في العالم أجمع . والصحافة البريطانية — وهي تشغل الآن هذه المكانة الفريدة في نوعها وسلطانها بما يهيئها من حرية صحيحة تامة — قد تعبث بمميزاتها عبثاً محزناً إذا ما أعوزتها الفطنة لإدراك ما هو لازم للمصلحة العامة في أوربا ولقد

يتفق مع أغراض الساسة أن يلقوا قناعاً على تمثال الحرية . وأن يهمسوا بشيء من ذلك الأسلوب التقليدي الاصطلاحي الذي صبغ صباغة ماكرة لتبرير أخطائهم في الشئون الأجنبية . ذلك الأسلوب الذي أملته مخاوفهم ولم تمله عقائدهم . ولكننا في سبيل ما نطمع فيه من الإصلاح وما نصبو إليه من التأييد والنجاح نترقب ذلك اليوم الذي تبعث فيه الحريات المسلوبة في أوربا من مرقدها وتظفر بنصيبها من الحياة وتهيء نفسها إلى بلوغ المستوى الذي نأمله ونتملق به . وعلى أية دعامة — بعد ذلك كله — يعمع ساسة انجلترا أن يلتمسوا القوة والسيادة في وطنهم إذا ما تهددنا للضرر والأذى ما لم تكن تلك الدعامة ماثلة فيما يتهيأ للشعب البريطاني من عزمة مبصرة وحزم رشيد في الاضطلاع بالمبادئ التي ينهض على أساسها نظام حكومتنا واستقلالنا ؟ »

وقد لا يكون من الاسراف في التقدير أن يرى رجال الصحافة والسياسة في انجلترا أن من واجبهم اليوم أن ينعموا النظر في أمر ذلك السؤال الأخير الذي وجهته صحيفة التيمس في عبارة حاسمة لست وثمانين سنة خلت . وما كان ليتهيأ لأشياء كثيرة في أوربا أن تسلك هذا السبيل المعوج الفاجع لو أن قادة الصحف في بريطانيا فطنوا لتلك المبادئ التي بسطتها صحيفة التيمس في ذلك الحين

وإذ فرغت التيمس من عرض تلك المبادئ في مقالة واحدة من مقالاتها الافتتاحية فقد واصلت من اليوم التالي شرحها وتفصيلها لتبين على ضوئها حقيقة المصير الذي سبقت إليه فرنسا على يد لويس نابليون (تلك الحال التي تتفق الآن في أكثر من دلالة مع ما انتهى إليه الأمر في الشعبين الإيطالي والألماني)

وفي السابع من شهر فبراير عام ١٨٥٢ ، كتبت التيمس ما يأتي :

« إن الغايات التي يجب على الصحيفة المتعلقة بحب وطنها حقاً والمتنورة أن تجعلها قيد النظر هي — كما نعتقد — عين غايات الوزير المتنور المحب لبلاده ؛ ولكن المناهج التي ينهجها الصحفي والوزير في تحقيق هذه الغايات والقيود التي يعملان تحت سلطانها تختلف اختلافاً أصيلاً واسع المدى . فالسياسي في صفوف المعارضة يتعين عليه أن يتكلم كانسان يعد نفسه لمنصب حكومي والسياسي في المنصب الحكومي يرى من واجبه أن يتكلم كانسان أعد للعمل والنضال . والوعود العامة والوثائق الرسمية بالإضافة له أشياء خارجة عن التمحيص والجدل ، إذ هي لديه مجرد مقياس لجس النبض والظفر بالثقة والتأييد . وإذ لا يعنى بتمحيص المشاكل السياسية وتحقيقها عنايته بأن يتولى قيادة الشئون العامة ، فلم يعد لزاماً عليه أن يتقصى الحقيقة كشيء واجب لذاته . أما الصحافة ، فهي من ناحية أخرى لا تشغل منصباً معيناً ، وهي تفصح عما تنصرف إليه من مراميها بوسيلة واحدة هي وسيلة المنطق والحوار والجدل . وإذ كانت غير مقيدة بما تقيدت به السلطتان الإدارية والتنفيذية من الواجبات فقد جاز لها ، بل ووجب عليها أن تخطو بإرادة حرة فوق هام تلك الأبحاث التي يتهيبها رجل السياسة ولا يجترئ على لمسها ... وإذا كان واجب الحكومة أن تعامل الحكومات الأخرى باحترام شكلي وإن خبثت عناصرها واسودت صفحات أعمالها ، فقد كان من حسن حظ الصحافة أنها لم تخضع لمثل هذه القيود ، وأن يتهيأ لها من الأمر — وقد اجتمع الساسة يتبادلون عبارات الود ويشربون نخب المحبة والصداقة — أن تكشف الغطاء عن لب الحقيقة من أمرهم فيبرح الخفاء ، وأن تعلن عن معايب الحاكم ومقاذره وإن له سطوة الحكم وبيده عصا السلطان

فواجب الصحفي على هذا الوضع هو عين واجب المؤرخ ، كلاهما يتقصى الحقيقة ويعلو اعتبارها لديه فوق كل اعتبار . وكلاهما يبذل قصارى جهده في تحقيق ما يعرضه على قرائه . فلا يعرض عليهم ما تنصرف إليه رغبة الحكومة مهما كان شأنها ومهما عظم سلطانها ، بل الحق والحق الصراح . فإذا ما حاولنا إذن أن نخضع الصحفي والسياسي لقيود واحدة ولقواعد واحدة لكان معنى ذلك أن نجمع بين المتناقضين وأن نخلط بين شيئين اختلفا اختلافاً جوهرياً . وهو من الوجهة النظرية من الخطأ وسقم الرأي كشيء لم يسمع به أصلاً وغير متوقع الحصول من الوجهة العملية . فالصحافة لا تطمع — كما يقول « اللورد دربي » — في أن تظفر بسلطان الرجل السياسي . ولكنها تحتفظ لنفسها بهذا الاعتبار الذي طاب « للورد دربي » أن يزعمه لها — ليطلها بهذا الحكم الاستبدادي الجريء الصادر

عن مزاج دموى — لأمور أكثر احتراماً وأعظم تقديراً من مجرد السلطان الآمر والقوة الغاشمة . . . ومع ذلك فنحن عند ما ناقشنا السياسة الفرنسية لم تبدر منا بادرة قبيحة ولم نضرب على تلك النغمة الآثمة التى صاغ بها اللورد دربى خطبته . فنحن لم نقل أصلاً إن حكومات فرنسا تعاقبت فى حلقات من اختلاس المنصب واغتصاب السلطان — سواء كان من هـذا النوع أو من الآخر — فى الستين سنة الأخيرة . فنكون إذن قد ناقضنا أنفسنا وقذفنا جيراننا . ونحن لو قررنا أن هذا الأسلوب من اغتصاب السلطان كان فى مظهره أو نوعه نتاج الانتخاب الحر فى الأمة . وأسوأ من ذلك لو أننا قررنا أن تلك السلطة غير المألوفة التى حصل عليها رئيس جمهورية فرنسا قد منحت له عن طريق ما ظهر من إجماع الرأى العام فى فرنسا على اختياره . . . نقول لو أننا قررنا شيئاً من ذلك لكان فى الواقع ما قررنا سبة للشرف الفرنسى ومعرة للقومية الفرنسية .

والحق أن أولئك الذين يقولون مثل تلك الأقوال أو يصدقونها يعاملون فرنسا الأبية الباسلة كما يعاملون جيشاً من العبيد فرض عليه أن يختار عاهله المخوف ليضع رأسه تحت أقدامه

* * *

إننا لو وضعنا فى المقال المتقدم اسم « موسولينى » أو « هتلر » بدلاً من « رئيس الجمهورية الفرنسية » لوجدنا أن ما قررته التيمس عام ١٨٥٢ قد صار منطبقاً على تلك الحال التى انتهى إليها أمر الشعبين الإيطالى والألمانى فى هذا الربع الثانى من القرن العشرين . ونحن إذا قارنا بين لغة ما يتولى قيادة بلادنا من هذه الصحف اليومية العريقة فى مناقشتها « للأعمال الطائشة » التى انتهت بذيوع الاستبداد فى الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية بلغة التيمس عام ١٨٥٢ لما انتهت بنا المقارنة إلى ما يشرف صحافة اليوم فى انجلترا أو يطمئننا على الثقة فيها . والغالب إن لم يكن هو الوضع الدائم من أمر أصحاب صحفنا الكبرى ورؤساء تحريرها أنهم قد استحوذ عليهم شيطان نظرية دربى القائلة بأنه « إذا ساغ للصحفى أن يطمح فى أن يقاسم السياسى سلطانه فعليه أن يقاسمه أيضاً نصيباً من مسئولياته » وحسبوا سرابها ماء فضلوا السبيل اللهم إلا صحيفة أو صحيفتين من كبريات صحفنا اليومية . ولو كانت هذه النظرية مما يجمل الأخذ به أو يصح قبوله لما كان للصحف البريطانية من شفيع فى التمرد على ذلك الطلب الذى بسطه لها الهر هتلر فى شهرى فبراير ومارس من عام ١٩٣٨ القائل بأنه لدوام العلاقات الطيبة بين الحكومتين النازية والبريطانية يلزم الأخيرة أن تبسط سلطانها على الصحافة البريطانية فتمنعها من نشر الأخبار أو الآراء التى لا يرغب فيها عاهل ألمانيا . ولقد كان بوسع الصحافة البريطانية على العموم أن تنزل منزلاً كريماً وتشغل مركزاً متيناً يتهيأ لها فيهما أن تتأبى فى عزة وأنفة قبول مثل هذه المقترحات التى انطوى عليها طلب الهر هتلر ، وترفضها بالاحتقار اللائق بها لو لم تكن قد ضحت بحريتها فى سبيل ذلك المنطق السقيم الذى أشرك الصحفى فى مسئولية رجل السياسة

إن واجب الصحافة الأول لينصرف نحو الشعب ونحو الشعب فقط ، لا إلى أى وزير أو أية حكومة قد يتهيأ لها أن تشغل المنصب لوقت محدود . وهى لو فكرت أو عملت على خلاف مقتضى هذا الواجب لساقها ذلك إلى أن تقف فى مفترق الطرق حيث تنحدر من أوج الاستقلال والحرية إلى الحضيض من الاستعباد الدكتاتورى

إن ما أصبحنا نواجهه من شأن حيوى يتهدده الخطر ، هو من صميم الفارق المميز بين النظر الحر والنظر الاستبدادى فى الحياة السياسية . والمميز بين الحرية الشخصية المهيبة الجانب ، التى ينعم بها أعضاء مجتمع حر ينظرون إلى « الدولة » باعتبارها مجموعاً كلياً للوظائف الإدارية العامة التى يوفدون لها الوزراء ويهيئون لها الإدارات التنفيذية — وما يراه النظر الاستبدادى الفاشى أو النازى فى الدولة باعتبارها « قوة مطلقة » وغاية فى نفسها ووكالة شبه مقدسة تنعم بها الحكومة التى يخضع ، بل يجب أن يخضع لها المجتمع بجميع أعضائه وأفراده . وما إن تقبل وجهة النظر الاستبدادى فى أمة من الأمم — حتى ولو كان هذا القبول على سبيل اللهو أو العبث — إلا واستتبع ذلك حتماً أن تسترق الصحف استرقاقاً كلياً أو جزئياً ، وعلى النقيض من ذلك يتوفر الضمان الوحيد الأكيد لحرية الصحافة متى نبذت النظر الاستبدادى فى كلياته وجزئياته ، ومتى عملت على تدعيم سلطان

١٢ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الحكومة — تابع الفصل الرابع

جرت العادة إلى وقت قريب أن يدفع الرسوم من يكسب القضية . أما الآن فيدفعها الطرف الآخر . والرسوم القضائية في قضايا بيع الأموال تكون ٢٪ من مجموع الأملاك ، وفي قضايا الوصايا ٤ ٪ ، إلا إذا كان الوارث قاصراً فيدفع ٢ ٪ أما القضاء في المسائل المتعلقة بملكية العقار فيكون رسمه ٢٪ إذا كانت قيمة العقار معلومة وإلا فيكون إيجار سنة . هذه هي الرسوم الشرعية ؛ ولكن كثيراً ما يلزم المتقاضي بأكثر من القدر الواجب . ويحدد نائب القاضي مقدار الرسوم في غير الأحوال المتعلقة بالملكية . وهناك رسوم أخرى غير الرسوم القضائية يجب دفعها بعد الحكم . مثلاً ، إذا كان الرسم القضائي مائتين أو ثلاثمائة قرش، وجب دفع قرشين تقريباً إلى الباشترجمان ؛ ومثلهما للباشرسول وقرش للرسول أو لكل رسول قام بعمل .

وكثيراً ما تؤثر مكانة المتقاضين أو الرشوة في حكم القاضي . ويُرتشى النائب والمفتي على العموم ، ثم يتناول القاضي نصيبه من النائب . وقد يحكم في القضية لصالح الطرف الذي يدفع أكثر من الآخر — وعلى الأخص — عندما تطول الخصومة . فصرامة العدل لا تتحقق دائماً لاستخدام المتقاضين الرشوة والشهادة الزور . وقد يصعب الوثوق بالمدى الهائل الذي وصلت إليه عادة الرشوة وشراء شهود الزور في المحاكم الإسلامية ، وقد يقتضي ذلك أدلة قوية تستند إلى سلطة لا ريب فيها . وهأنذا أورد مثل هذا الدليل بتلخيص دعوى نظرت من زمن غير بعيد قصها عليّ ناموس الشيخ المهدي وإمامه ، وكان حينئذ مفتي القاهرة الأعلى (لكونه المفتي الأكبر لمذهب الحنفية) ، وكانت الدعوى قد عرضت عليه بعد أن أصدر القاضي حكمه فيها

توفي تاجر من تجار القاهرة عن أملاك قدرها ستة آلاف كيس[1] ، ولم يكن له وارث غير بنت واحدة . فلما سمع السيد محمد المحروقي الشاه بندر بهذا الحادث رشا فلاحاً عادياً كان بواباً لشيخ محترم وكان الناس يعرفون عائلته ، ليدعي أنه ابن أخ المتوفى ، ورفع الأمر إلى القضاء . ولما كانت الدعوى ذات أهمية عظيمة استدعى بعض أكابر علماء المدينة ليحكموا فيها . وكانوا جميعاً محل رشوة المحروقي أو تأثيره كما سيبين الآن . وأتى بشهود زور ليشهدوا بصدق ادعاء البواب ، وبآخرين ليزكوا هؤلاء الشهود . فقضى القاضي بثلاثة آلاف كيس لابنة المتوفى، وبالنصف الآخر للبواب ؛ وتناول المحروقي المبلغ المحكوم به بعد أن خصم منه ثلاثمائة قرش أعطاها البواب

وكان المفتي الأكبر الشيخ المهدي غائباً عن القاهرة أثناء نظر الدعوى . فلما عاد بعد أيام توجهت ابنة التاجر المتوفى إلى منزله وقصت عليه أمرها متوسلة إليه أن ينصفها ومع أن المفتي اقتنع بما أصابها من جور ولم يشك في صدق ما نسبته إلى المحروقي في هذه القضية ، فقد أخبرها أنه لا يستطيع نقض الحكم إذا لم يجد مخالفة في إجراءات الدعوى ، وأنه سيطلع على الدعوى في سجل المحكمة . ثم أسرع إلى الباشا الذي كان

(١) والكيس خمسمائة قرش . وكان يساوي حوالي سبعة جنيهات استرلينية ويساوي الآن خمسة جنيهات فقط .

الشعب وجعل الأمة مصدر السلطات جميعاً بحيث يعلو شأنها على كل اعتبار بين المواطنين الأحرار الذين يعمهم ، وقد توافرت لهم المعرفة التامة بما جريات الأمور على يد صحافة رشيدة غير هيابة ، أن يكون نصيبهم من الكفاية المرنة أوفر حظاً مما يحصلون عليه تحت لواء أية حكومة استبدادية مهما تهيأ لها من إطلاق اليد ونفوذ السلطان . وقد يخلص لنا ونحن نأسف له ونتوجع عليه أن رجال الصحافة والسياسة في بريطانيا هم على السواء بحاجة إلى أن يتعلموا مبادئ الفلسفة السياسية

زين العابدين جمعة

المفتى عنده حظوة كبيرة لعلمه واستقامته ، وشكا إليه أن المحكمة قد أسقطت حرمتها بإفراطها فى الظلم ، وأن العلماء يقبلون شهادة الزور مهما كان أمرها واضحاً ساطعاً ، وأنهم أصدروا أخيراً حكماً أثناء غيابه أثار لغط المدينة وعجبها . فاستدعى الباشا القاضى وجميع العلماء الذين قضوا فى الدعوى لمقابلة المفتى فى القلعة . ولما اجتمعوا خاطبهم فى شكوى المفتى كما لو كان الأمر صادراً منه . فظهر السخط عليهم لهذه التهمة وطلب القاضى أن يعرف علام تستند هذه التهمة . فأجابه الباشا إلى قرائن عامة ، ولكنها تستند خاصة على القضية التى سلمت فيها المحكمة بادعاء بواب قرابة ووراثة لا يمكن الاعتقاد بحقه فيها . فأبان القاضى أنه أصدر الحكم تبعاً لإجماع العلماء الحاضرين حينئذ . فقال الباشا لنقرأ محضر الدعوى ؛ فأتوا بالمحضر ، فلما فرغوا من تلاوته قال القاضى بصوت جهورى ولهجة صلفة « وهكذا حكمت ! » فصاح المفتى بصوت أعلى وأكثر سلاطة « وكان حكمك زوراً » فشخصت الأنظار دهشة ، آناً إلى المفتى ، وآناً إلى الباشا ، وآناً آخر إلى العلماء . وأدار القاضى والعلماء رؤوسهم ، وأخذوا يعبثون بلحاهم ؛ ثم صاح القاضى ضارباً صدره بيده : « أنا قاضى مصر أصدر حكماً زوراً ؟ » وصاح العلماء : « ونحن ! نحن يا شيخ مهدى ! نحن علماء الإسلام نقضى قضاء زوراً ؟ » ، وقال المحروقى ، وقد كان يحضر مجالس الباشا لما بينهما من معاملات تجارية ، « يا شيخ مهدى احترم العلماء كما يحترمونك » فصاح المفتى « يا محروق ! هل لك شىء فى هذا الأمر ؟ صرح بنصيبك فيه وإلا فالزم السكوت . اذهب وتحدث فى مجتمعات التجار ولا تسمح لنفسك مرة أخرى أن تنبس ببنت شفة فى مجلس العلماء » فترك المحروقى القصر فى الحال لأنه أدرك كيف ينتهى الأمر ، وأن عليه أن يرتب أموره . وطالب العلماء المفتى بالدليل على بطلان قرارهم . فسحب المفتى من صدر قفطانه كتيباً فى أحكام المواريث وقرأ عليهم : « لإثبات دعوى القرابة والوراثة يجب التحقق من إسم أبى المدعى وأمه وجده لأبيه ولأمه وجدته لأبيه ولأمه » ولم يكن شهود الزور مستعدين لإعطاء هذا البيان فكان هذا نقصاً فى الشهادة ينقض الحكم . وجىء بالبواب أمام المجلس ولما أنكر الفرية التى جعلوه محورها أمر الباشا أن يجلد بشدة ؛ ولكن على الرغم من التعذيب الذى احتمله ، لم يعترف إلا بأنه لم يتناول من الثلاثة آلاف كيس غير ثلاثمائة قرش . وفى أثناء ذلك ذهب المحروقى إلى سيد البواب وأخبره بما حدث فى القلعة وما ينتظر ووضع بين يديه ثلاثة آلاف كيس ورجاه أن يذهب حالاً إلى المجلس ويسلم هذا المبلغ قائلاً أنه كان أمانة عنده من خادمه . وقد تم ذلك وأعيدت النقود إلى ابنة المتوفى

وفى قضية أخرى سلط فيها باشا من الباشاوات (غير محمد على) نفوذه على القاضى ومجلس العلماء حتى أصدروا حكما مخالفاً للشريعة فعارضهم الشيخ المهدى بالطريقة نفسها . وهذا المفتى مثل نادر فى النزاهة والاستقامة . وقد قال إنه لم يتناول على فتاويه أجراً . وقد توفى هذا الشيخ بعيد زيارتى الأولى لمصر . ويمكننى أن أسرد حوادث أخرى على ذيوع الرشوة فى القضاء ولكن ما قدمته يكفى

فى القاهرة خمس محاكم دنيا . وفى بولاق ميناء القاهرة الرئيسى ، محكمة ؛ وفى مصر العتيقة ، مينائها الجنوبى ، محكمة أخرى . ويرأس كل محكمة من هذه المحاكم الصغيرة شاهد من المحكمة الكبرى نائباً عن كبير القضاة الذى يصادق على تصرفاته . ويحال على هذه المحاكم القضايا المتعلقة ببيع الأموال والوصايا والزواج والطلاق . فالقاضى يزوج اليتيمات القاصرات اللاتى ليس لهن أقارب بالغ يتولون الوصاية . والنساء كثيراً ما يلجأن إلى أحكام الشريعة لإجبار أزواجهن على الطلاق . ويوجد أيضاً فى كل مدينة من مدن الريف قاض يكون على العموم من أهل البلد ولايكون أبداً تركياً . وهو يقضى فى جميع القضايا ، أحياناً فى حدود معرفته للشريعة ، وعادة طبقاً لفتاوى المفتى . ويقوم القاضى بخدمة القضاء فى أكثر من قرية

ولكل مذهب من المذاهب الأربعة « شيخ » أى رئيس دينى يختار من أعلم علماء المذهب ، ويقيم بالقاهرة . ويؤلف شيخ الجامع الأزهر ، وهو شافعى المذهب دائماً مع شيوخ المذاهب الأربعة والقاضى ونقيب الأشراف وغيرهم كثيرين مجلس العلماء(١)

(١) ويعطى لقب عالم بصفة أخص إلى أساتذة الفقه . ويستعمل الكتاب الأوربيون جمع هذه الكلمة عوضاً من مفردها

الذى كان يثير الرهبة والاحترام فى نفوس الحكام الترك والماليك ويحد من طغيانهم ؛ وقد فقدت الآن هذه الهيئة نفوذها على الحكومة إلا قليلاً . ويتجه كم الطرفان المتنازعان فى الخصومات التافهة أمام شيوخ المذاهب غالباً ، إذ أن كلا من هؤلاء هو مفتى مذهبه الأكبر ، ومحل الاحترام العظيم والامتثال التام . كما أن الباشا كثيراً ما يعرض على هؤلاء الشيوخ القضايا الصعبة الخاصة بأحكام القرآن والسنة . ولكنه لا يرى دائماً رأيهم ، مثل استشارته إياهم فى شرعية التشريح للعلم ، فلما أعلنوا أن التشريح يتنافى وأحكام الدين ، قرر ممارسته لطلبة الطب المسلمين

ويخضع حرس العاصمة للقيادة العسكرية أكثر من خضوعه للسلطة الدنية . وقد كان من سنوات قليلة تحت رياسة الوالى والضابط . إلا أنه منذ زيارتى الأولى لمصر ألغيت سهادة الأول . وكان واجب الرئيس أن يقبض على اللصوص وغيرهم من المجرمين . وكانت المومسات تحت ولايته . وكانت عنده قائمة بعددهن . وكان يفرض عليهن ضريبة . وكان يشرف أيضاً على سيرة النساء على العموم ويضيف من تتهم بفاحشة واحدة إلى قائمة المومسات وتفرض عليها الضريبة إلا إذا فضلت أن تتفادى هذا العار برشوة ذات اعتبار . وكان النظام المطرد ، ولا زال ، أن يلتزم شخص بجباية الضريبة من المومسات[1] العازبات والمتزوجات على العموم . ولكن أولئك الأخريات قد يقتلن إذا لم يستطعن الخلاص بالرشوة أو بحيلة أخرى . ومثل هذه الإجراءات مع ذلك تخالف القانون من ناحيتين . فنص القانون أن كل من يتهم امرأة بالزنا أو ارتكاب الفاحشة دون أن يقدم أربعة شهود على الجريمة يجلد ثمانين جلدة . وينص على عقوبات أخرى غير فقد الاعتبار والغرامة توقع على من حكم عليها

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) منذ كتابة هذا أجبرت العاهرات فى مصر على ترك مهنتهن الفاحشة

الشاطئ والحرب

ليـــالى الزورق

أيها الشاطئ قدْ طالَ بنا   أمــدُ البعدِ ولمَّا نلتقِي
أينَ أيامٌ قضيناها هنــا   مشرقاتٍ من سناكَ المشرق
أتعــودينَ معَ الصفوِ لنا   ضاحكاتٍ يا ليالى الزورَق

نُبْصِرُ الدنيا على نورِ الهوى
أينعتْ فيها لأمانى من جديدْ
أمْ تولى كلُّ شيء وانطوَى
ذلك الماضى على ألاَّ يعودْ

أينَ يا شاطئ أحبابى ومَن   كُنَّ لعينىِ أُنسًا وسنا
كم أتيناكَ بقلبٍ مُطْمَئِنْ   وَمَرِحنا فى ظلالٍ مِن مُنى
أيْنما أرهفَ أذْنَا للزَّمَنْ   أيْنَمَا مَلَّ التــلاقى أيْنما
أنَا يا شاطئ ظمْـآنُ إلى   رقصاتِ الموجِ فى ضوء القمَرْ
ما سَلَتْ عينى ولا القلبُ سَلا   أمسياتٍ حالياتٍ وذِكَرْ
شدَّ ما ألقاهُ من دهرى ألاَ   ترجِعُ الأيامُ نحْيِى ما غبَرْ

ونرى الدُّنيا على نورِ الهوى
أينعت فيها الأمانى من جديد
أمْ تولى كلُّ شيء وانطوى
ذلك الماضى على ألا يعود

طالَ يا شاطئ قد طالَ بنا   أمد البعد ولما نلتقى
أين أيام قضيناها هنا   مشرقات من سناك المشرق
أتعودين مع الصفو لنا   ضاحكات يا ليالى الزورق

(الاسكندرية)   مصطفى على عبد الرحمن

الـكأس الأولى ...

هَذِهِ كأسِى وَمَا أعجبَ كأسِى !!
طفرَتْ بِى مِنْ جَوَى يَوْمِى وَأمْسِى
وَجلَتْ عالمَ أفرَاحِى وَأُنسِى
أنَا أفدِيهَا بِأنفَاسِى وَنَفْسِى !
كلَّمَا قبَّلْتُ فَاهَا   أغْرَقَتْ نَفْسِى صدَاهَا
فِى عُبَابٍ مِنْ سَنَاهَا   شَعَّ مِنْ بَدْرٍ وَشَمْسِ

* * *

هِىَ فى كَفِّى وَرُوحى وَنَشِـــيدِى
نَبْأَةٌ بَاحَ بهَا سِرُّ الوُجُودِ
عُصِرَتْ فى سَجْوَةِ الدَّهْرِ البَعِيدِ
مِنْ شِفَاهِ الغِيدِ أوْ وَرْدِ الخُدُودِ !
زَقْزَقَتْ قَلْبِى المُمَنَّى   فَصَبَا القَلْبُ وَحَنَّا
وَتَغَنَّـــى وَتَمَنَّـــى   مَاضِىَ الحُبِّ السَّعِيد

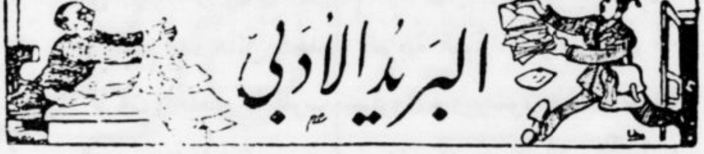
* * *

أشُعَاعٌ فى يَدِى أمْ قَطَرَاتُ ؟
وَشَرَابٌ فى فَمِى أمْ جَمَرَاتُ ؟
وَلَهِيبٌ فى دَمِى أمْ نَزَوَاتُ ؟
تِلكَ كأسُ الخَمْرِ بَلْ تِلْكَ الحَيَاةُ !
هِىَ وَالسَّـــاقِى لَدَيَّا   كلَّمَا أوْفَى عَلَيَّا
مَاسَ بِالكَأسِ وَحَيَّا   سَكْرَةٌ بَلْ سَكَرَاتُ ؟

* * *

أنَا ظَمْآنُ وَكأسِى فى فَمِى
أتَغَنَّـــى بِالرُّضَابِ الشَّبِمِ
إنَّهُ رِيٌّ لِقَلـــبِي وَدَمِى
هَاتِهِ وَاعطِفْ عَلَى كلِّ ظمِ
بكؤوسِ البَاقِيَـاتِ   أنتَ حَسْبِى مِنْ حَيَاتِى
هَاتِ مِنْ حُسْنِكَ هَاتِ   لِفُـــؤادِى المُلْهَمِ

* * *



طاغور في اللغة العربية

بعد أن نال الشاعر الهندي الفيلسوف السر (رابندرانات طاغور) جائزة نوبل للآداب، وهو الشرقي الوحيد الذي نالها، اشتهر اسمه في الخافقين؛ فترجمت أكثر دواوينه وقصصه إلى سائر اللغات الحية، وكان نصيب العربية منها غير قليل. وهذا الذي ترجم عنه يفوق ما ترجم عن أديب آخر غريب عن اللغة العربية. وها نحن نذكر لك ما وقع بأيدينا من مؤلفاته مترجماً: (البيت والعالم) قصة ترجمها الأستاذ طانيوس عبده. (البستاني) ديوان شعر، ترجمه الأديب اللبناني وديع البستاني نظما ونثراً. (التضحية وروايات وأبحاث أخرى) ترجمها صاحب (المصور) الأستاذ إسماعيل مظهر. (خالتي وقصص أخرى)، و (وكيل البريد وقصص أخرى) ترجمهما الأديب الشاعر عبد اللطيف النشار؛ وترجم الأستاذ عبد المسيح وزير كتاب (الزورق الذهبي) ونشر بعض قطعه. وترجم الأستاذ كامل محمود حبيب أناشيد طاغور الخالدة (جيتانجالي) التي نال بها الجائزة العالمية، ونشرها في السنة السادسة من هذه المجلة الزاهرة؛ وترجم هو أيضاً أحد دواوينه (البستاني) نثراً، ونشره أخيراً في مجلة المقتطف الغراء؛ وهناك رسالة عن حياته ومختارات من مؤلفاته، كتبها الأستاذ محيي الدين الخطيب ... هذا عدا ما ترجم ونشر في صحف ومجلات الدنيا العربية، قبل وفاة شاعرنا الفيلسوف وبعدها وهو كثير

«بغداد - الكرخ» محمود العبطة

أنتَ وَالبَدْرُ وَآفاقُ الفَضَاءِ

وَالهَوَى وَالشِّعْرُ في ظِلِّ المَسَاءِ

وَمُحَيّاكَ وَكأسِي وَصَفَائِي

فِتَنٌ دَانَتْ خَيَالَ الشُّعَرَاءِ

كأسِيَ الأُولَى أعِيدِي رَجْعَ أحْلَامِي وَعِيدِي

وَصِلِينِي بِالخُلُودِ وَبِأَسْبَابِ السَّمَاءِ!

(كوم النور) أحمد أحمد العجمي

الإصلاح الاجتماعي والتعليم

نشرت السيدة منيرة ثابت مقالاً في أهرام ٢٦ أكتوبر الماضي عن الإصلاح الاجتماعي والتعليم ذكرت فيه أنها ليست في حاجة لأن تذهب إلى الريف لترى وتلمس ما فيه من شقاء؛ لأنها ترى في القاهرة نفسها ما يدمي الأكباد. فهؤلاء تلاميذ يريدون الالتحاق ببعض المدارس الأولية والإلزامية (وهي من أحط أنواع التعليم في طريقتها العلمية والاجتماعية) فتسد في وجوههم الأبواب لأسباب واهية. ثم اقترحت على الوزارة إغلاق هذه المدارس وتعميم التعليم الابتدائي وجعله مجانياً، واستدلت على تأخرنا بمجانية التعليم بجميع أنواعه في العراق.

ومن يقرأ هذا المقال يعتقد أن السيدة الكاتبة لم تدرس مشكلة التعليم عندنا؛ لأنه لا يوجد في القاهرة ولا في أي بلد من بلاد الدولة مدرسة أولية أو إلزامية تسد بابها في وجوه التلاميذ لأسباب واهية أو غير واهية. والمشاهد أن المدارس تشكو من عدم إقبال التلاميذ عليها حتى اضطرت الوزارة أخيراً إلى تنفيذ قانون الإلزام، وتقديم الذين يمنعون أولادهم إلى المحاكمة. وفي كل مدرسة سجل خاص مستخرج من دفاتر الصحة بأسماء التلاميذ الذين بلغوا سن التعليم في منطقتها. والمدرسة هي التي تتولى طلب التلاميذ للتعليم، كما تتولى إدارة القرعة طلب الشبان للتجنيد. وإذا كانت السيدة الكاتبة في شك من هذا فأنا زعيم لها بإلحاق من تريد من التلاميذ - مهما بلغ عددهم - بالمدارس التي يرغبون الالتحاق بها

ولا ريب في أنها جاوزت الحق حين ذكرت أن التعليم في المدارس الأولية والإلزامية من أحط أنواع التعليم: إذ ليس من المعقول أن تهون المدارس الأولية لأنها تعلم الأطفال أو يهون معلموها لأنهم يضعون الحجر الأول في بناء العقول، وعلماء التربية يرون أن مرحلة الطفولة من أهم مراحل التعليم، لا من أحطها كما ذكرت الكاتبة. على أن القائمين بالتعليم

في مدارسنا الأولية والإلزامية من الرجال الذين تخصصوا في هذه المهمة . وطريقتهم تساير أحدث مبادىء التربيـة الفنية . ولا يدانيهم فيها غيرهم مهما بلغ شأنهم

أما تعميم التعليم الابتدائي فلا سبيل إليه ، لأن الوزارة لم تستطع تعميم التعليم الأولي إلا بعد عشرين سنة ، وعلى أساس نصف يوم ، ولو جعلته يوماً كاملاً لاحتاجت إلى سبعة آلاف مدرسة وثلاثين ألف معلم ، غير الموجود عندها

فكيف تستطيع إذاً تعميم التعليم الابتدائي في الدولة كلها ؟ ومن أين لها الرجال والمال ؟

أما مجانية التعليم بأنواعه في العراق فسرها عدم الإقبال عليه وقد كان هذا حالنا في الجاهلية الأولى !

ويلوح لي بعد هـذا أن اعتكاف السيدة الكاتبة في برجها العاجي الذي ذكرته في مقالها قد حجب عنها الكثير من الحقائق التي يعرفها عامة الناس .

أما المشكلة الحقيقية فليست في عدم قبول التلاميذ في المدارس الإلزامية ، وإنما هي في إطعام الفقراء منهم وكسوتهم ، ومعالجة مرضاهم ، فإذا استطاعت الوزارة تدبير حل لهذه المشكلة ، فقد خطت في سبيل الإصلاح الاجتماعي خطوة موفقة

(المنصورة) علي عبد الله

العروبة في السودان :

سيدي ...

قد سررنا وايم الله أن يكون الدكتور مبارك أحد المشتركين بكلمة في المهرجان الأدبي بأم درمان — بل بدرس قيم في توحيد أواصر العروبة المتفرقة شيعاً وأحزاباً — فإن كلمته التي بعنوان « في الطريق إلى الوحدة العربية » قد كانت حديث المجالس الأدبية في كل ناد ... وهنا قلما تجد شاباً متعلماً لا يقرأ (الرسالة) بنظام ويلم بما فيها من بحوث قيمة وكلمات جيدة وشعر رصين ...

ثم إن الذي حدا بي لكتابة هذه الكلمة هو أن برسالته ما يلفت النظر : فإن السامع لها أو القارىء يشتم منها أن الأستاذ يعتقد أن العروبة في السودان لغة لا جنس . وللايضاح ووضع الأمور في نصابها نقول : إن بالسودان أكثر من النصف من العرب العريقين في عروبتهم سواء في الجنس أو اللغة أو الدين ؛ بل فيهم عدد هائل يتحدث بالعربية اليوم — وهم أميون — كما كان يتحدث بها العرب منذ قرون ، ويعيشون على نمط معيشة العرب منذ أجيال . من هذا النوع القبائل الآتية : الكداهلة ، الكبابيش ، الشنابلة ، الحمر ، الرزيقات :

ولا يستطيع الدكتور أن يكتب عن السودان بصدق إلا بعد ما يزوره ويتحدث هنا في « كردفان » مع عربانه ، فحينذاك يمكنه أن يضع السودان في المحل اللائق به في مركب العروبة .

أما كيف كان بالسودان أكثر من النصف من العرب الصرف وكيف نزحوا إلى السودان ، ومتى كان ذلك ؛ فإذا شاء الدكتور علم ذلك ، فسيراه بجريدة (النيل) الغراء بقلم أحد الأدباء

وله ولصديق السودان « الزيات » مني ومن كل سوداني سلام

« الأبيض — سودان » الفاتح النور

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 437

Lundi - 17 - 11 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٣٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ شوال سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

أدب اليوميـــــات

للأستاذ عباس محمود العقاد

(١) ... هل تكتبون مذكرات يومية ، أو هل فى نيتكم كتابة مذكرات أو تدوين ترجمة لحياتكم الحافلة كما يفعل كتاب الغرب ؟ وهل لا توافقوننى على أن كتاباً كهذا تصفون فيه ما صادفكم من عقبات وما تغلبتم عليه من الصعوبات ، وتقصون فيه ما لا يعرفه الكثيرون عن حياتكم الشخصية والأدبية والسياسية يكون درساً مفيداً لشبان هذا الجيل والأجيال المقبلة ؟

(٢) هل معنى عدم إقدامكم على الزواج إلى الآن أن الحياة الزوجية تقيد رجل الفكر أو تشغله عن أداء رسالته ، أم أنكم لم تهتدوا إلى المرأة التى ترونها المثل الأعلى لزوجة المفكر ؟

(٣) لكل إنسان أمانى وآمال ومطالب ، ومطالب من عاش لا تنتهى ... وهى تختلف باختلاف الأحوال والأيام ؛ ولكن ترى ما هى أعظم أمنية تتوقون إليها فى الحياة ؟

(الأسكندرية) أحمد عبد اللطيف الخضراوى
بالمعهد البريطانى

***

هـذه فقرات من رسالة وصلت إلىّ من الأديب صاحب الإمضاء المتقدم ، وفى الجواب عن بعض أسئلته ما يصح أن

الفهـــــرس

صفحة		
١٣٨٩	أدب اليوميات	الأستاذ عباس محمود العقاد
١٣٩٢	أومن بالانسان !	الأستاذ عبد المنعم خلاف
١٣٩٦	المغزل . والريف . ونفسى	الأستاذ راشد رستم ...
١٣٩٨	ديوان البارودى	الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤٠١	البحر	الدكتور حسن عثمان ... ...
١٤٠٣	مواسم الأدب	الأستاذ كرم ملحم كرم ...
١٤٠٥	جبل نخلة المدور	الأستاذ كوركيس عواد ...
١٤٠٨	تيموستوكل	الأستاذ محمد الشحات أيوب
١٤١٠	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	المستشرق إدور وليم لين ... بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٤١٣	الطير المهاجر [قصيدة]	الأستاذ عباس محمود العقاد
	أريد ...	الأديب أحمد عبد المجيد الغزالى
١٤١٥	إقتراح مرفوع إلى جماعة كبار العلماء	الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
١٤١٦	مؤتمر الأديان فى لندن ...	... ...
	وفاة موريس ليبلان ...	... ...

يشترك فيه حضرات القراء، لأنه من موضوعات الكتابة العامة التي تطرق في الكتب والمجلات

وأول هذه الأسئلة سؤاله عن المذكرات اليومية وما أدونه منها الآن أو بعد حين

وجوابي عن هذا السؤال أنني بدأت حياتي الأدبية — منذ الدراسة الأولى — بكتابة المذكرات والتعليقات على ما أطالع وأشاهد في كل يوم ، وإنني لم أنقطع عن كتابة هذه المذكرات إلا في السنوات الأخيرة التي لا تتجاوز خمس سنوات

فأول كتاب صدر لي هو « خلاصة اليومية » واسمه يدل عليه . فقد كان تلخيصاً لما أثبته في مذكراتي اليومية من الآراء والملاحظات والأصول التي أتناولها بالتوسع إذا خصصتها بالكتابة

ثم ألفت كتابي « ساعات بين الكتب » وهو غير الكتاب الذي طبع بعد ذلك بهذا العنوان . فإنما كان الكتاب الأول تعليقات على القراءات التي تفرغتُ لها وأنا مقيم في أيام الحرب الماضية بأسوان ، ولم يكن مجموعة مقالات أو فصول نشرت في الصحف كالكتاب الذي يحمل الآن هذا العنوان

لكن المذكرات اليومية نوعان وليست بنوع واحد ؛ فهذا الذي ذكرته مقصور على شئون الفكر والقراءة كأنه فصول صغيرة أو موضوع متفرق في عدة صفحات ، وهو النوع الذي أكثرت من الكتابة فيه ، وعندي منه الآن مجموعة صالحة في انتظار الطبع كما هي ، أو في انتظار التوحيد والتأليف ، لأنها تصلح لهذا وذاك

أما النوع الآخر وهو المذكرات عن حوادث الحياة وعوارضها فلم أشرع في الكتابة فيه إلا مرة واحدة طالت بضعة شهور ؛ ثم مزقت ما كتبت وأحرقته ولم أعد إلى تجربة الكتابة في هذا النوع مرة أخرى ، ولعلي لا أعود

ولكنني لا أحكم على أدب اليوميات كله بالتمزيق والإحراق من أجل أنني اضطررت إلى تمزيق ما كتبت وإحراقه ؛ لأن أسبابي غير أسباب الآخرين ، وموانعي غير موانعهم ، والمحظورات التي أتقيها غير المحظورات التي يتقونها

فالواقع أنني من أرغب الناس في قراءة اليوميات والانتفاع بها ، وهي في اعتقادي أنفع القراءات للمؤرخ والمستطلع لأحوال الأمم وسرائر النفوس ، ولا سيما المكتوب منها بخلوص نية لا يشوبها التكلف والرياء ، ومعظم كتاب اليوميات ممن يتوخون خلوص النية وصدق الرواية عندما يخلون إلى صفحاتهم الخفية ، لأن المسألة عندهم « ظاهرة نفسية » أشبه بالتوجه إلى محراب الاعتراف ، وكأنهم يخففون أعباء ضمائرهم بإلقائها عنهم في صفحات مسجلة يرجعون إليها ويؤمنون بصدقها وأمانتها ، كما يخفف الإنسان أعباء ضميره بالإفضاء إلى صديق أمين ؛ فهم مسوقون إلى صدق الكتابة بهذا الشعور العجيب الذي لا يستريح إلى غير الأمانة ، وفي هذه الراحة ضمان للقارئ أو ضمان للحقيقة أقوى من ضمان المحاسبة والبينات

واليوميات أدب مستفيض في اللغات الأوربية عامة وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية ، وهذا الأدب موضع دراسة المؤرخ والناقد النفساني ، والفيلسوف ، والباحث العلمي ، وكل من تعنيه سير الجماعات والأفراد ؛ يشتركون في دراسته وبحثه تارة لبيان الأسباب التي تدعو الناس في فترة خاصة من الزمن إلى تدوين مذكراتهم والعكوف على أسرار ضمائرهم بمعزل عن الجماهير وشواغلهم العلنية ، وتارة لتحقيق الوقائع واستكشاف دخائل الرجال ، وتارة أخرى للمقابلة بين أحوال الجو في البقعة الواحدة بين زمان وزمان ، ويأتون في جميع هذه التعليلات والتخريجات بما يلذ الوقوف عليه ويفيد !

وما من كاتب يوميات في الحقيقة إلا وهو ظاهرة نفسية كثيرة البدوات والغرائب ، كثيرة الجوانب التي تتعلق بها مباحث النفسانيين والحكماء . وقد أشرت إلى طرف من ذلك في مقدمتي للجزء الثالث من مذكرات أحمد شفيق باشا رحمه الله حيث قلت عن يوميات صمويل بيبز Samusl Bepys أنها موضع الحيرة عند بعض النقاد ، « فلا هم قادرون على أن يجزموا بأنه كتبها لنفسه ، لأن الإنسان لا يكتب كل هذه المجلدات وكل هذه الحوادث ليطلع عليها وحده ، ولا هم قادرون على الجزم بأنه كتبها للأجيال المقبلة ، لأنه كشف فيها أسراراً عن سيرته وسيرة أقربائه ، كان معروفاً أنه يخفيها أشد الإخفاء ويود لو يتعقبها بالمحو والنسيان »

ثم ضربت لذلك أمثلة شتى منها أن مسألة من المسائل البيتية

كدرته فأتلف جميع أوراقها وأسانيدها ثم عاد إلى مذكراته فدون فيها جميع تلك الأوراق والأسانيد بأقصى ما استطاع من إسهاب وتفصيل !

هذا هو العجب، وهذا هو موضع التأمل والدراسة ، وهذا الذي يجعل اليوميات مرجعاً صادقاً لدارس الحوادث ودارس الأخلاق .

فأنا لا أدين أدب اليوميات كله لأنني أحرقت يومياتي ولم يخطر لي أن أعيد التجربة مرة أخرى

وإنما يباعد بيني وبين كتابة اليوميات أمران كلاهما حقيق بالإثبات لأنهما أيضاً من ظواهر النفسيات وظواهر الفترة التي عشت فيها

وأول الأمرين أنني غير مطبوع على التوجه إلى محراب الاعتراف ، لأنه ضرب من الاستغفار لا أستريح إليه ، أو لأنني أدخر لنفسي خفاياها وأنزهها من البوح بها لأحد غير مستثنٍ من ذلك إلا القليل

فالمسألة التي تلمج خاطري وتثير شعوري وتتسرب إلى أعماق ضميري ليس مصرفها عندي أن أسجلها كما هي أو أفضي بها إلى أذن سامع قريب ، وإنما مصرفها أن أعبر عنها في الشعر والكتابة ، وأن أعرضها للتحليل والتقليب على وجوه شتى . فإذا حللتها واستخرجت معناها فقد استرحت منها وفتحت مغالقها ولم يبق فيها عندي موضع للمعالجة والاستقصاء

ورب كارثة نفسية من المقيمات المقعدات تسكن كما يسكن البحر المائج في لحظة واحدة ساعة انتهائي إلى مقطع الرأي فيها ، أو ساعة علمي بما ينبغي أن أقابلها به من عمل . وهذا الذي ينوب في طبيعتي مناب الإفضاء والبوح وما أسميه التوجه إلى محراب الاعتراف

أما الأمر الثاني الذي دعاني إلى إحراق يومياتي فهو راجع إلى حوادث الفترة التي نعيش فيها لا إلى البواعث الخلقية

وخلاصته أنني دونت تلك اليوميات لأستعين بها على تاريخ الفترة وتحليل أخلاق رجالها . ثم رأيت في أثناء الثورة الوطنية وبعدها بقليل أن ملفقي التهم ومدبري المكائد يستعينون بأمثال هذه اليوميات على طبخ القضايا وإحراج الأبرياء ، وظهر لي أن إثبات ملاحظاتي على رجال الفترة من العسر بمكان مع تعرض اليوميات للمصادرة والسؤال ، فآثرت إحراقها أيام اشتداد المحاكمات والمصادرات وأحرقت معها رسائل شتى وصوراً وأوراقاً لها في حياتي الخاصة أثر لا يزول ، وفاتني بإحراق هذه وتلك نفع كبير في مراجعة الحوادث التاريخية وصيانة الذكريات النفيسة ، ولكنه أقل من الضرر الذي كنت متعرضاً له ومعرضاً له غيري لو أبقيت عليها وحدث ما كنت أتوقعه بسببها

على أنني ودعت كتابة اليوميات ولكني لم أودع كتابة المذكرات أو كتابة ما يقول عنه الأديب صاحب الخطاب أنه قصة من الحياة الشخصية والأدبية والسياسية تكون درساً مفيداً لشبان هذا الجيل والأجيال المقبلة

ففي نيتي وأمام ذهني كتاب كبير أكسره على أجزاء منفصلة وأفرغ كل جزء منه لناحية مستقلة تتناول حياة الأديب وحياة الصحفي والنائب والسياسي معاً وحياة الإنسان في خاصته وعامته وحياة الباحث عن نفسه وكونه وإلهه وسائر ما يتصل بالعقيدة والسريرة الدينية

ويخيل إلي أنني لو فرغت سنة واحدة مكفي المؤونة استطعت أن أفرغ من أجزاء هذا الكتاب كلها بغير عناء كبير ، لأن أصوله وموضوعاته قلما تحوجني إلى مراجعات تفصيلية بعيدة من الذاكرة والوجدان

* * *

تلك كلمتي الموجزة في اليوميات ، وما كتبت منها وأنوي أن أكتب بعد حين

أما سؤال الزواج ، فقد أجبت عنه في (الرسالة) جواباً يغني فيه الإجمال عن الإسهاب ، وكل ما أزيده هنا أنني أستغرب المصادفة التي ساقت إلى أربعة أسئلة في شأن الزواج خلال شهر رمضان ، وإن كان أحدها لا يستغرب في وقت من الأوقات ، لأنه مزمن قديم يأتي من السيدة الوالدة على غير ميعاد ! فهل شهر رمضان — وما يعقبه من أفراح الأعياد — هما المسئولان عن مصادفة الأسئلة الثلاثة الأخرى ؟

وأما أمنيتي التي يسألني الأديب عنها - وإله الأخير ، فلعلها لا تشرح في ذيل هذا المقال ، وأحرى بها أن تؤجل إلى مقال قريب ، لأنني لا أطرق منها جانباً يخصني دون غيري ؛ بل أطرق منها ما يصح أن يمتد إليه كل بحث وينظر فيه كل ناظر

عباس محمود العقاد

١٢ - أومن بالإنســان!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

التحرر من التاريخ — نحن غير البائدين — تلاميذنا أصح علما بالطبيعة من أرسطو — العلوم والفنون ليست تحفاً تقتنى منفصلة عن النفس — لا بد من قلوب حديثة — من جرائر التاريخ — الإنسان يصنع أقداره — استطراد إلى مشكلة القدر — إلى المتنظرين بعثا من غير نفوسهم — الآن فقط وجد الحق أدوات الدعوة لتصحيح الأفكار عن الحياة — عباب التاريخ يجرف الطفولة النضرة مع الجيف القذرة! — لا مفر من عزل الطفولة لتصحيح أفكارها — مناقضات بين ما في الشوارع وما في الجامعات — صورة من دراستنا الحالية للتاريخ — طبائع مدللة ليست بنت زمانها — ما يستهلكه الخير وما يستهلكه الشر — هل مضت الحاجة إلى دور الغرائز في خدمة الحياة؟ — حرب الآلهة

طالما ألححت بقلمي على التاريخ: هذا الجدار الماثل ... هذا السد القوي ... هذا السجن المتيد ... لأحطمه وأنقذ نفسي من جوه المعتم الخانق!

وطالما قلت: ما دام هذا الماضي القاصر الجاهل الخرف الوحشي يحمله الإنسان في أوعيته وأعصابه إلى الحاضر، فهو دائماً في ضلاله القديم، كما يعيش حامل الميكروبات الضارة دائماً في أمراض ونكسات.

والحقيقة التي يجب أن توضع نصب العيون الآن هي أن هذا الإنسان المصري هو غير الإنسان البائد بلا شك! هو غيره في علمه وإدراكه للطبيعة وتذليله لعقبات الحياة واضطلاعه بأدوات تحقيق الاحتياجات وتفتيحه لكنوز الأرزاق والأقوات

فكيف يرضى أن يحمل ذات قلبه القديم وغرائزه كما كانت وأن يحمل غشاوات القرون الأولى ليعيش بها في عصر الانكشاف والظهور والقدرة الفائقة؟!

كيف يرضى من ملك زمام اليابس والبحر والجو وذرع الأرض بالطول والعرض، ونبش كنوزها أن يعيش بأساليب الذي كان لا يعرف غير طريق القرية أو النجع أو الجزيرة التي يعيش فيها؟

إن تلاميذ المدارس الابتدائية أصح علماً عن الأرض والطبيعة من سقراط وكونفوشيوس وأرسطو وابن سينا والفارابي وغيرهم من حكماء القدماء؛ فكيف ترضى الإنسانية الحالية أن تعيش حياتها النفسية بأساليب جهلاء عصورهم؟!

إن التاريخ النفسي للحياة الإنسانية ينبغي أن يدرس بعين غريبة عنه ناقدة له في شك وارتياب. فما هو إلا سجل جهاد الناس في سبيل وصولهم إلى حقائق هذا العصر الحالي. فما يليق أن تؤخذ مرحلة من مراحله محطاً يطمئن الناس إليه بعقولهم؛ لأن مراحله السابقة كانت مراحل موضعية ضيقة خاصة بأمة ما من أممه. ولكن أمر أمم الناس الآن أمر جماعة توشك أن تتقارب أهدافها وتشتبك مصالحها وتشتجر اشتجاراً لا خلاص لفروعها منه أبت أم كرهت

هل من المعقول أن نلبس ملابس الحياة الحديثة على الأجساد ثم لا نغير ملابس النفس؟ أنكون قروداً وببغاوات تحكي قضايا العلم الطبيعي بألسنتها وظواهرها ولا تمثله قلوبها ونوازعها؟

هل يكفي من العلم أن يقتنى في الحوافظ والذاكرات غير ممزوج ولا مدمج في الأعصاب والأحاسيس والانفعالات، بل يوضع في الرءوس كما توضع التحف والدمى على الرفوف والمناضد للزينة والخيلاء والبيع والشراء عند الحاجة؟

إني أرى العلم ينبغي له أن يكون في كياننا كالماء في أعواد الشجر الحي لا يقف تسربه إليه وتفريع حياته إلا إذا جف وأحطب ومات ... فلا شجر بدون ماء ...

إن عملية عظيمة في داخل الحياة النفسية الإنسانية تنتظر إجراءها لبناء قلوب حديثة تتلاءم مع الأفكار الحديثة!

***

ومن آثار التاريخ في الحياة المصرية هذا الخلاف العنيف بين الأديان بعد ما سطعت شمس الله الواحد ... وبعد ما أدرك العقل التناسق والانسجام والتوافق بين قوانين الطبيعة مما لا يمكن أن يكون إلا بإدارة يد واحدة!

ومن آثاره كذلك فيما أننا لا نزال نخضع لمنطق الأمم التي كانت تعيش متحاجزة في سدود وتخوم تفصل بين عقولها وأخلاقها ومرافقها، وتجعل الدنيا دنيوات، والإنسانية الواحدة أنواعاً متباعدة، وتجعل من اختلاف الأجناس والألوان واللغات اختلافاً أصيلاً جوهرياً بين الطبائع الإنسانية يبهج هذه العداوة الفاجرة المريرة المخربة للعمران، ويحمل على المبالغة في البطش والطغيان ونسيان الصفات المشتركة بين بني الإنسان

ومن آثاره كذلك أن أكثر الناس لم يدرك بعد مدى الانتقال العظيم والترقي السريع والتفاوت البعيد بين الحياة قبل القرن العشرين والحياة فيه ؛ ولذلك لا يزالون يضمرون في أنفسهم اعتقادات متشائمة في الإنسان ومستقبله ، ويدينون في الحياة بدين السخط وإطلاق الغرائز الخطرة والآراء التافهة التي تجعل الإنسان يعبر الحياة بدون أن يجتهد في ملء نفسه بأسرار التكوين ، وفي إضافة كشف أو اختراع أو منفعة إلى ميراث الحياة الإنسانية ... وليس هناك شيء أضر على الحياة الإنسانية من نزعة التشاؤم والتبرم والسخط على حاضر الإنسان ومستقبله !

ومن آثاره كذلك أننا رضينا أن يعيش أكثرنا جاهلاً أمياً لا يفقه مبادئ العلم والحياة التي في رءوس العلماء مع أن نمو تلك الأسرار يتغير ويتقدم كل صباح ومساء ... وكأننا بذلك وَأَدْنا هؤلاء الأحياء ودفناهم كما كانت تفعل جاهلية العرب بموءودة الأجساد ... وكان هذا الإهمال منا بمثابة فعل من رأى أهله يموتون ظمأً واحتراقاً ، وهو على علم بمنبع ماء غزير يطفئ غلتهم ولوعتهم ويحيي نفوسهم ولكنه لا يسعى إلى إنقاذهم ...

ومن آثاره كذلك أننا نعيش في ذهول عما يحيط بحياة الإنسان الآن من كنوز تتفتح وأعاجيب تخترع ، فترى الناشئ منا ينشأ بين القطارات والسيارات والطيارات والراديو والتليفون والغواصات والفونوغراف والفوتوغراف والسينما وغير أولئك ، ثم يجهل أسرها وتركيبها ولا يدري عنها شيئاً ولا يكلف نفسه سؤال أحد عن نبئها العظيم ... كأن ذلك شيء تافه أو أمر بدهي لا يحتاج إلى فكر شديد وتعجب بالغ !

ومن آثاره أننا برغم إدراكنا الآن كثرة الأقوات وكفاية الأرزاق كثرة وكفاية تشبعان حاجات الإنسانية جميعها لو وزعت توزيعاً معقولاً بدون احتكار وتحكم وإتلاف لجانب من المحصول في سبيل الاحتفاظ بالأسعار المرتفعة ... لا نزال نطيع الجشع والطمع ونعصي دواعي العدالة والرأفة بالطبقة المحتاجة المجهودة !

ومن آثاره أننا لا نزال نغطي عجزنا وكسلنا بالاستسلام لما نسميه « الأقدار » ، مع أن مفتاح الأقدار بأيدينا ، ومع أننا نرى أننا نصنع أغلب أقدارنا ، ومع أن دائرة الإيمان بالأقدار في الدين لا تتعدى منطقة الصبر على المصائب والكوارث التي تأتي إلينا بدون حيلة أو خيرة منا ، ومنطقة الرضا بما نحصل عليه بعد الجهاد ...

وهنا مكان استطراد إلى مشكلة الأقدار لا بأس أن نرسل فيه بعض الحديث :

هناك أقدار نريد أن تتحقق ، وهي أقدار الخير والسعادة ، وهذه موقفنا منها يجب أن يكون كما يأتي :

أن نسعى جهدنا للتمهيد لتحقيقها بالأخذ بأسبابها التي تهدينا تجاربنا إلى أنها عوامل جالبات لما نسعى إليه . فإن تحقق ما نبغي فذاك ، وإن لم يتحقق — وهذا قليل نادر — علمنا أن الإرادة العليا المسيطرة على وجودنا لها غاية غير غايتنا في تلك المسألة التي نسعى لتحقيقها . والإيمان بتلك الإرادة يقضي حينئذ بالإذعان والتسليم لقدرها العالي الذي لا حيلة معه

وهناك أقدار نريد ألا تتحقق ، وهي أقدار الشر والشقاء ، وهذه موقفنا منها يجب أن يكون كما يأتي :

أن نسعى جهدنا للتمهيد لدفعها بالأخذ بالأسباب التي تهدينا تجاربنا إلى أنها عوامل دافعات لما نخشاه ونتجنبه . فإن كان ما نبغي فذاك ، وإن لم يكن كان علينا كذلك الإذعان والتسليم للإرادة العليا .

تلك هي مشكلة الأقدار في جانبيها . وفي كلا هذين الجانبين رأينا أن على الإنسان أن يقدم جهده في التمهيد لها أو دفعها . فإذا وقف أمامها منتظراً مكتوف اليدين مشلول التفكير كان حرياً أن تأتي إليه أقدار الخير فلا ينتفع بها إذ لم يبذل لها جهداً من فكره وأمله ، وكان حرياً كذلك أن تنزل عليه أقدار الشر فلا يسعى لتخفيفها وأن يجزع منها جزع الذي يظن أنه كان في مقدوره أن يدفعها ولكنه قصر في ذلك ، فيظل ملوماً محسوراً ...

* * *

والحياة العملية ذات البراهين البريئة من الجدليات توحي إلينا بل تحدثنا بكلمات مقروءة مسموعة بريئة من غموض الرمز والإيماء أن الذي ينتظر أقداره بدون أن يسعى لجلبها أو دفعها لن تكون حياته إلا كحياة ذلك البدوي ساكن الصحراء الذي لا يعمل عملاً لجلب الماء، وإنما هو ينتظر سقوطه عليه من السماء ، وطبيعي ألا تكون آماله بيده ، وأن يعيش حياته معرضاً لأخطار

الظمأ والجفاف مملق القلب مهدد العيش يتجدد قلقه كل سنة لأنه لم يمسك من أسباب الحياة إلا بحبل بعيد هيهات أن يكون في يده دائماً ...

وأني تكون حياة هذا البدوي من حياة بدوي آخر سعى حتى اهتدى إلى ضفاف نهر تمسك منابعه بجوالب السحاب ، وتجلب الماء إليه جارياً ميسوراً ليده وأفواه دوابه وقطعانه ، ثم هو بعد ذلك يشق السواقي والقنوات ليصل منها الماء إلى كل بذرة بذرها؟!

لا شك أن كليهما أخذ من مصدر واحد ، ولكن أحدهما حمل نفسه على العُسرى ، والآخر حملها على اليُسرى ... وشتان ما بينهما !

فلينهض الراقدون على آذانهم في الشرق الإسلامي مستسلمين في صَغار لعوامل الشقاء والحرمان ، حاسبين أن أحوالهم ضربة لازبة حتى يأتيهم آت من غير أنفسهم ينفخ في الصور ، فإذا الأرض حولهم جيوش وجحافل ، ومصانع ومعامل ، ومعاهد ومعابد ، وحقول وجنات وعيون ، وإذا هم — بقدرة قادر ! — آلهة في الأرض يحكمون !

لينهضوا وليحرروا أنفسهم من قيود التاريخ النفسي الذي انحدر إليهم من الجاهليات فهم يعيشون به في الماضي وإن كانت أجسادهم تلبس أثواب القرن العشرين ...

ولتكن قوارع هذه الحرب أجراساً وأبواقاً تجمعهم وتدفعهم إلى السير مع قافلة سريعة المراكب، متلاطمة المواكب، غليظة الأثقال ، حاشدة جبال الحديد والفولاذ ، والقوى العارمة المجنونة التي يقول قائلها : « أنا القدر ! أنا القدر ! يا بني البشر ! »

***

هل لنا أن نزعم أن الحق وصل إلى نفوس أكثر الناس فأدركوا صدقه وجماله ثم مع ذلك رفضوه ، وحينئذ يحق لنا أن نتشاءم في مستقبل الإنسان ؟

أؤكد أنه لم يصل في عصر ما من عصور التاريخ إلا إلى القليل من الناس . وإلى الآن لم تقم دعوة إلى الحق الواضح في الطبيعة بدون أن توضع في طريقها أغشية وعقبات ومموهات تحجبه وتمنع الناس من إدراكه

والآن ، وقد تيسرت أدوات الدعوة وأدوات الإقناع وأدوات التربية يجب بدء دعوة ...

وإن في الناس لخيراً كثيراً جداً أعظم مما يتضح من النسبة التي نجدها فيهم الآن ...

والدليل على ذلك نجاح أمم الشمال في أوربا خلقياً ، فقد أثرت فيهم التربية حتى أوشكت بلادهم أن تخلو من السجون والجرائم والخيانة حيث الثقة بالنفس الإنسانية وطيدة هناك

إن أدوات صحة النظر في الحياة واتجاهاتها موفورة الآن لأغلب سكان الأرض ؛ ولكنهم مأخوذون عن ذلك بجرائر التاريخ . وكان من الواجب بعد العلم الغزير أن يوجد الفكر الهادئ والقلب الكبير الذي نضج وطاب ؛ ولكن عباب التاريخ وسيوله لا تزال تجرف الطفولة والبذور مع الجيف والقش والغُثاء ... وتلقي الجميع إلى المصب الذي تلتقي فيه الأخلاط والضلالات التي تركها أبناء الجهالة الأولون ...

فلا مفر من فصل البذور والطفولة وعزلها عن مجرى سيل التاريخ وإنشائها بأيد غير ملونة إنشاء يرضى به هذا الزمان وعلومه وفنونه ، ويؤهل الإنسانية لتلك الخلافة الواسعة المتعاونة في جهاد الطبيعة واستنزال بركاتها وثمراتها .

ولا مفر من تصحيح الفكرة عن الحياة وتوجيهها إلى الإيمان بها كرحلة ممتعة أتاحها القدر لمن يخرج من العدم ، فيجب صرفها في العمل والفرجة والاطلاع على ما يمكن الاطلاع عليه من آفاقها

ولا مفر من تحويل عبقرية الفكر إلى عبقرية القلب والخلق والجسم . فالعلم والفن يجب صقل النفس بهما وإشراب الجسم إياهما وإخراجه على مقتضاهما بحيث لا تتخلف حياة الجسم وقواه وحركاته عن المدى الذي وصل إليه الفكر ... وبحيث لا يتخلف ما في الشارع والحقل عما في مدارس الفنون والعلوم والتجارة والزراعة وما إليها حتى تكون حياة الجماعة صورة ومظهراً صادقاً لحياة الجامعات والأندية الثقافية ، ولا يكون في الأمة مفارقات ومناقضات بين حياة الفكر وحياة الواقع .

ولا مفر من حمل كل إنسان على أن يدرك نفسه ويستغرق في التفكير في حياته وحياة الإنسانية ويتيقظ لتلك القوة والقدرة التي تتسلط بها الإنسانية على القوى العمياء الجبارة وتسخرها في خدمتها

وما الإنسان بدون يقظة للمعنى الفائق والروح السامي الذى فى حياته إلا جسد يختلج ويضطرب فى ذهول وبلادة ، ويحيا هكذا حياة مغناطيسية آلية

* * *

ولكى ندرك جرائر التاريخ على العقول وأثره فى تدليس الحاضر وإفساده وتزوير النفوس سأعيد عليك حديث صورة لا تجهلها عن طرق دراسته على ألسنة العجائز وفى المدارس ومجالس القصص :

يتفتح عقل الناشئ منا فتلقنه عجائز بيته وشيوخ قومه ومعلمو مدرسته تاريخ قوميته وتاريخ الإنسانية بأغلاطه ونقائصه ومحاولات العصور القاصرة فى فهم الحياة وجهاد الإنسانية فى شق طريقها الأول بين الصخور والمتاهات والعقبات . فما يكاد عقل الناشئ يصل إلى دور الحكم والموازنة حتى يكون قد تطبع بما وعى وأصابه ثقل التخمة وحيرة الامتلاء والتبلبل

ذلك لأن التاريخ لا يدرس على أنه محاولات أولية من الإنسان فيها أخطاء كثيرة ؛ فيجب الحكم عليها حكم دور الرشد على دور القصور ؛ ولكنه يدرس وعليه طابع التقديس والإعجاب بالأقدمين والاعتزاز بهم فى مغالاة وتعصب ، وبخاصة تاريخ القوميات والجنسيات

وكان من كبرى نتائج ذلك أن عاش كثير من الماضى الدنئ فى الحاضر . بل وجدنا جماعات تفر من الحاضر لتعيش فى الماضى وترى أنه كان الحياة .. ! وتمدح الناس بما فعلت الجدود وقالوا إنا على آثارهم مقتدون

فلم يفتح أبناء العصور المختلفة عيونهم على حياتهم فى زمانهم بل فتحوها على الماضى وعاشوا به فى الحاضر ، وظهر أثر ذلك فى الافتتان بهوامش الحياة والعكوف على دراسة سطوحها وترك دراسة أصول الحياة وعلومها الطبيعية والتجريبية التى تبقى لها نتائج دائمة تسلم إلى نتائج أخرى فى سلم الترقى والتطور

وقد لاقى أكثر الناس الحياة بطباع مدلسة ليست بنت زمانها ، وإنما هى بنت الماضى السحيق ، وحملوا معهم فى رحلة العصور خرافات ووثنيات وسخافات احتفظوا بها حتى فى القرن العشرين ، ووضعوها حواجز وعوائق فى طريق الحياة الحديثة ذات المعجزات والنبوات الدائمة التى لا تحتمل جدلاً أو مخرقة !

وكان من نتائج ذلك أن وجد المصلحون فى كل عصر ركاماً من الغباوات والجهالات توضع فى طريق دعواتهم إلى الإصلاح والعلم وفتوح الذكاء ونور البصيرة ...

ليس قبيحاً جداً بالطفل أن يعترك مع إخوته على شىء يريده لنفسه ويريدونه لأنفسهم ، فيتصايحوا ويتضاربوا ويحطموا ما أمامهم ؛ لأن الطفل يعيش بالغرائز ، فهو أنانى ضيق التفكير لا يدرى أن أباه يملك الكثير ، ولا يفهم فضيلة الإيثار إلا بعد التمييز والتدريب

ولكن ما بال الأمم التى رأت خيرات الله تملأ فجاج الأرض تتقاتل على البحر الزاخر والحقول الممرعة والجو الواسع ؟ إن ذلك من أخلاق الطفولة وضيق آفاقها وتحكم الغرائز فى حياتها، وهذه صفات وجدت لها فى مخلفات التاريخ مبررات وحججاً وتأريثاً !

ومن العجائب أنهم يدمرون ما يسمون إليه من الغنى والثروة حين تثور غرائزهم ! وإن الحقد والشر والطمع لتستنفد وتهلك من مال الأمم الأثرة الجشعة ، ومن بذلها الدم الفياض ما لا يمكن للخير والسلام والإحسان والتعاطف والتفاهم أن يستهلكه أو يستهلك عشر معشاره ! !

ونظرة واحدة إلى النفقات اليومية للأمم المتحاربة الآن تكفى فى البرهنة على هذا وعلى أن الإنسانية ما دامت مصروفة عن طاعة الحق والعدالة والحسنى ، إلى تحكيم الغرائز الدنيا والانحدار فى مجرى التاريخ ، فسوف تظل هكذا تعمر لتدمر، وتعلم لتجهل ، وتتقدم لتتأخر

وكأن المقصود بحياة الإنسان إذا استمر على هذا هو تحقيق مشتهيات الغرائز وإظهار عبقريات النفس البشرية فى التخريب بعد التكوين : فهى طوراً تبنى وتعيش فى صفات البناء وأخلاقه، وطوراً تهدم وتعيش فى أخلاق الهدم وصفاته، لتدرك معالم الضدين المتقابلين الأبديين : الخير والشر . . .

ولكن إن صح هذا كتعليل لحياة الشر فى الماضى حين كانت الحياة محتاجة إلى دوافع الغرائز لتدريب الإنسان فى طفولته على ما تهيئه له الأقدار فى مستقبله ولحمله على الاقتحام والكشف وتفتيق الخيلة ، وحين كانت نتائج ثورات غرائزه محدودة ضيقة

المغزل . والريف . ونفسى

[إلى الشاعر الثائه صاحب « أرواح شاردة » الصديق على محمود طه]

للأستاذ راشد رستم

شردتُ من الحضر إلى الريف — وليس العجب أن يشرد المرء من الحضر إلى الريف — وإلا فأين معنى الشرود ، وأين موطن الشرود ، بل وأين الروح الشَرود ...

أما أنت يا صاحبي ، فقد شردت من الريف إلى الحضر ! ذلك إذا عددنا مصر ، بنيلها العظيم ، وزرعها النضير ، وإنسانها الكريم ، ريفاً وأى ريف ، ثم حسبنا بلاد الغرب بمياهها المدنية ، ومدنها الفنية ، ورهطها النشيط ، حضراً وأى حضر ...

فهل أنا موفق هنا معك ، أم أنى شرود كذلك فى هـذا الخيال وهـذا التشبيه ؟ على أنه إذا كانت الأولى فانى منتصر ، وإن كانت الثانية فلست أنت المنتصر ...

* * *

ولـكن خبرنى ، ما بالى أثير عليك غبار هذا الجدل وأنا فى سكون البكور من صباح منير ، وسط ريف هادىء بديع ! لماذا هذا الجدل وأنا فى جو نقى نظيف ، حيث البساطة والسهولة والوضوح ! فى هـذا الصباح البدرى الذى لا تصيح فيه الديكة إلا لـكى تدعو النيام إلى القيام ، والذى تحمل فيه الطيور النطاطة

لا تتعدى أضرارها إلى هدم أصول الحياة وتحطيم أسس الاجتماع ومخلفات الإنسانية ذات الحرمات والقيم التى لها اعتبارها ، كما هى الحال الآن فى نتائج هذه الحرب . . . فلن يصح الآن هذا التعليل بعد أن صار قتال الإنسان كقتال الآلهة لا كخصام الأطفال

وقتال الآلهة — لو كان هناك آلهة إلا الله — تخريب لأصول الحياة وسحق لبراعمها ومناطق نموها . وهم يعلمون بالطبع طرق التسلل إليها والإطباق عليها لأنهم فرضاً خالقوها وواضعو أسرارها ...

فلنوحد الإنسانية بعد أن صار لها قوة الآلهة فى التخريب ، كما وحدنا الأرباب !

ولنعلُ بأرواحها وأفكارها عن مستوى بنات الطين والتراب ، من كل ذات ظفر وناب !

عبد المنعم محمد خلاف

تحيات النهار — وهذا أول النور وآخر الظلام !

هذا صباح الريف ، سكون ولـكن حياة . وها هى الطبيعة ، ناعسة تتمطى ولا تقوم . وأنا صاحٍ قائم أذكر قول الشريف الرضى ، رضىّ النفس ، شارد الروح ، وهو يقول :

وأكتم الصبح عنها وهى غافلة   حتى تكلم عصفور على علم

* * *

وهأنذا أتحدث عن هذا الصباح الغريب ، فقد كان صباحاً ساكناً ، ثم ثار ، ثم سكن . أثبت الحقيقة كما جاءت فيه — والحقيقة أصل لـكل خيال — فقد جلست الساعة بعد هذا الشروق البهى ، و « مغزلى » فى يدى ، وأنا فى هذا المكان من الصعيد الصعيد البعيد ...

وهذه هى الأرض تغمرها مياه النهر الـكريم ، تحفها سلسلة هذه الجبال الراسيات ، يضم القوم بينهما هذا الوادى الأخضر السهل الفسيح الممتد

* * *

وإذ أنا فى هـذه الحال ، هادىء النفس هادىء البال ، إذا بالبلدة الناعسة ، وهى تطرح عنها أطراف الليل ، تستيقظ على صوت مزمار وطبل — جماعة يحجون إلى دير بالجبل بعيد — حتى إذا عادوا من نذرهم وقد مرُّوا علينا بالطريق ، صبحونا مبدرين مبكرين ، ودخلوا القرية وافدين ؛ حيَّونا بأصوات البشير ، وتلقيناهم بأحسن تكريم ، وتبادلنا وإياهم فى ساعة هذا النهار المنعش الصبوح ، صفاء قلوب فى صفاء قلوب

* * *

ثم أداروا علينا من أنغامهم موسيقى ذات دوىّ بعيد وحنو قريب ، فأخذت القوم نشوة اليقظة بعد فترة الرقاد الطويل ، وتولتهم هزة الفرح ، فراحوا وزاس الحى يزمرون ويطبلون ، كما أنشأوا (يتحاطبون) ، يحملون عصيهم فى الفضاء ، تدور بهم وهم بها دائرون ، يتعمدون ثم يلتفون ، وفى خفة يقفزون ، ليس فيهم طالب ولا مطلوب ، ولا غالب ولا مغلوب ، إذ هم فى لهو يمرحون ، وأهل القرية من حولهم معجبون مبتهجون

* * *

حتى إذا تحول الطرب ودارت الرقص أنغامه ، دارت فى الساحة من الرجال أربابه ، يتفكهون وإن كانوا به يتباهون ؟ غير أن الخلخال رنانه ، والخال الحبب ساحاته ، وقد دق

الطبل لبنات الحى دقاته ، فنزلن الساحة يخطرن والقلب وقتها دقاته ، وأثارت بنات الحى فى الحى للرقص موجاته ، فارتفعت فى ميزان (الحرارة) شاراته ، وازدحم للميدان واشتدت حماساته ؛ فقد دارت بنات الحى فى الميدان للرقص دوراته ، وحمى الوطيس واشرأبت من الجمع هاماته ؛ هؤلاء هن للدلال والوقف والعطف سيّداته ، وهؤلاء هن للف والميل والدوران ربّاته :

صان الإله رشيقةً مياسةً أربتْ على الغزلان فى الجولان

* * *

ثم خلت الساحة من حسان راقصاته ، إلا التى هى من بنات الحى أبين باناته . هيفاء هيفاء ، تخطر فوق الثرى وكأنها تصعد فى الجو إلى ثرياته ، خفةً ورشاقة وسناء ؛ بينما تراها هنا إذ تراها هناك . وهى إن حنَت على المشيب أقبلت عليه ترعاه ، فتجعله من فرط الرضا شباباً ... فإذا تجنّت على الشباب تحولت إليه تسبيه هياماً فتجعله هباء أو سراباً ...

وكأنى بها حمامة الصبح وهذا هو الصبح قد لاح ، فهل تهمد يا أليف الهوى وهـذا هو الإلف قد بان وسبحان الفتاح ؟ تعال . تعال . خذ الخصر بيمناك ، ودر بالساق مع الساق ، ولا تقل أين الساق . إن للحياة مداها ، وللروح فى حب الرضا قرباها ، ومناها ، ونجواها ...

* * *

وانظر الآن ! هذه هى الخيل تجرى فى أعنتها وفق هواها ، تدب دبيب السمد والخيلاء والخير معقود على نواصيها . وهؤلاء فرسانها لا يستطيعون لها كبحاً ، فتفزع تدخل بهم الساحة مسرعة ، كأنها تأبى إلا أن تأخذ نصيبها فى موكب هذا الصباح ، ولكنها ترتد سريعة جامحة ، كأنها من نيران أمامها خائفة ، وما هى إلا ذات الخلخال ، لا تزال فى الساحة قائمة ، لم تترك مكانها ، فكيف إذن للخيالة أن تستبيح الميدان ؟

لما أن رأتهم مندفعين ، وقفت وقفتها تكشف فيها الهم عن القسى والسهام ، فأدركوا ما قد يصيبهم من كبوات وغرام ، وخافوا على أنفسهم وخيلهم من الأذى والضرام ، وهكذا ارتدوا خائفين وهم هم السادة الشجعان ، من الخيالة والخيل والفرسان .

حتى إذا هدأ الروع ، واستقر الفؤاد ، عادوا بعدئذ إلى الساحة مطمئنين ، بل كراماً نازلين ، يدورون ويدورون ، يلعبون « ويفنّسون »

والخيل تمزع مزعاً فى أعنتها
كالطير ينجو من الشؤبوب ذى البرد

وللخيل صيحات وللفرسان صيحات

وهكذا بين جمال وجلال وكر وفر ، وصهيل وتهليل ، تسود البطولة أجواءنا ، وتملك النعومة أرواحنا ...

* * *

حتى إذا بلغت نشوة الفرح حدها ، وضيافة الصبح سمتها ، وأذن مؤذن الركب بالرحيل ، وأخذ القوم يعودون فى هدوء آسفين ، ونحن من ورائهم كذلك آسفون ؛ وخلا المكان ، وانفض السكان ، وإذا بى قد شردت من حالى دون أن أبرح مكانى ، وإذا بى يشتد شانى دون أن أترك شانى ، وإذا بى أرى مغزلى بجوارى فألجأ إليه لأجد عنده خلاصى

* * *

وإنى وقد آخذ مقامى من هذا الريف النظيف ، أبدأ كل يوم فيه بما قد هويته صغيراً ، ولا أزال أهواه كبيراً : « غزل » الصوف بهذا المغزل القديم المعروف ؛ إذ أجد للفكر إذا ما شرد ، وللنفس إذا ثارت ، راحة وسكوناً مع دورات هذا المغزل الأنيق الرشيق المتبوق

وإنك لتراه يتدلى فى الفضاء دائراً دائراً ، معلقاً فى خيط رفيع دائماً ؛ ينساب من بين أنامل ماهرة ، قد تكون كذلك ناعمة ، تجعله خيطاً رفيعاً ناعماً ، تتجلى فيه دقة الصنعة إذا ما جعلته رفيعاً رفيعاً ، متيناً متيناً

تراه محمَّلاً مثقلاً ، معلقاً فى ذلك الخيط المتين الرفيع ، كما يتعلق الهائمون الشاردون بالأمل فى خيط منه وحيد رفيع

يدور المغزل فى الفضاء مثقلاً مثقلاً ، كأنه النفس المثقلة بأنواع الهموم ، تغزلها يد الأقدار ، تلفها عليها فى سكون ودوام ، ثم تدور بها فى طيات هذه الحياة

هذا المغزل الذى بين يدىّ ، هو كهذه النفس التى بين جنبىّ ، حملتها كبيرة صغيراً ، ولا أزال أحملها كبيرة كبيراً

هذا المغزل بينما تراه خلياً حيناً ، مثقلاً أحياناً ، يدور فى فضاء الله ، كما تدور فيه هذه النفس ثائراً ، هادئاً صابراً

هذا المغزل مهما كان عتيقاً عريقاً ، فإنه متجدد دائماً ، نظيف دائماً ، رشيق دائماً ...

(مزرعة كوم للنصورة) راشد رستم

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

ديوان البـــارودى

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — نقد مقدمة هيكل باشا — نصيب البارودى من علوم اللغة العربية — الخمريات والغراميات — الجديد فى شعر البارودى — التحكم فى التاريخ — الطبيعة بين الصمت والنطق — المتنبيون فى عهد توفيق — تاريخ الشعر العربى — المصريون فى عهد البارودى — ما صنع البارودى فى منفاه

تمهيد

المقرر للمسابقة هو الجزء الأول، طبع دار الكتب المصرية وشرح الأستاذين: على الجارم بك، ومحمد شفيق معروف؛ وهو يطلب من مخازن وزارة المعارف ومن شهيرات المكاتب

وللشارحين كلمة يشكران فيها النقراشى باشا «لاهتمامه بإنجاز طبع الديوان»، وهيكل باشا «لتكرمه بكتابة التقديم» وجعفر والى باشا «لكبير معونته»، والسيد أشرف البارودى «لإمدادهما بأصول الديوان الخطية»

وكنت أحب أن يشير الشارحان إلى أن عناية وزارة المعارف بطبع دواوين الشعراء الذين رفعوا اسم مصر فى العصر الحديث ترجع إلى العرابى باشا، فهو صاحب هذه الفكرة، وفى عهده ظهر ديوان حافظ ابراهيم سنة ١٩٣٢

وكنت أحب أيضاً أن يشيرا إلى الظرف الذى كُتب فيه التقديم، وقد تركه الدكتور هيكل باشا بدون تاريخ، لسبب توضحه الأسطر الآتية:

كانت وزارة المعارف إلى الدكتور هيكل فى وزارة محمد محمود باشا الأخيرة، وفى تلك الأيام بُدِىء بطبع ديوان البارودى، وكان مفهوماً أن هيكل باشا سيكتب مقدمة الديوان؛ ثم استقالت وزارة محمد محمود باشا وتلتها وزارة على ماهر باشا، وفى الوزارة الثانية كان النقراشى باشا وزير المعارف، فكتب إلى هيكل باشا يدعوه إلى كتابة مقدمة الديوان، مع أن ظواهر الأحوال كانت تقول بأن بين الرجلين شيئاً من الجفاء

ولو أشار الشارحان إلى هذه اللمحة الأدبية لكانت شاهداً جديداً على ما عند رجالنا من كرائم الآداب

وسكت الشارحان عن الشارح الأول، كما سكت عنه هيكل باشا، وفى الطبعات العلمية لا يجوز هذا الإهمال

ويستطيع طلبة السنة التوجيهية أن يسألوا أساتذتهم عن ذلك الشارح، إن كان يهمهم الاستقصاء

نقد مقدمة هيكل باشا

تقع هذه المقدمة فى أكثر من ثلاثين صفحة بالقِطع المتوسط، وقد كُتبتْ فى ساعات غلب فيها الصفاء، فقد كان الدكتور هيكل فى عزلة تشبه عزلة النساك بعد خروجه من المعارف، وكان يعانى الكلَف بالخلوة إلى القلم بعد أن شُغِل عن الأنس به عدداً من الشهور الطوال

هى مقدمة جيدة جداً، وربما جاز القول بأنها أجود ما صدر عن الدكتور هيكل من الدراسات الأدبية، فقد نفذ إلى أعماق العبقرية البارودية، واستطاع فى بعض النواحى أن يذيع سرها المكنون

وسيجىء فى الامتحان التحريرى سؤال أو أسئلة من هذه المقدمة، فمن الواجب أن نتناولها بالنقد الرفيق، لنساعد طلبة السنة التوجيهية على إدراك ما فيها من مقاصد وأغراض، فالنقد هو الذى يوجههم إلى فهم مدلولها الصحيح، وهو الذى يهديهم إلى مكانة البارودى فى تاريخ الأدب الحديث

نصيب البارودى من علوم اللغة العربية

نص الدكتور هيكل باشا مرتين على أن البارودى كان يجهل النحو والصرف والعروض، والنص على هذا مرتين فى المقدمة يشهد أن هيكل باشا لم يكن فى هذا الحكم من المرتابين

فممن أخذ (حيثيات) هذا الحكم القاسى؟

أخذه عن الشيخ حسين المرصفى، فقد نص فى (الوسيلة الأدبية) على أن البارودى كان يجهل النحو والصرف والعروض؛ وكان يجب على الدكتور هيكل أن يذكر أن الشيخ المرصفى لم يقل

هذا القول إلا فى مقام الثناء على ما كان البارودى يملك من بوارق الفطرة والطبع ، وإلا فمن العسير أن نصدّق أن البارودى كان يجهل مالا يجوز جهله من أصول النحو والصرف والعروض

ولكن أين الشواهد على علم البارودى بعلوم اللغة العربية ؟

فى الديوان رسالة مثبتة بالزنكوغراف ، وهى رسالة لم يلتفت إليها الدكتور هيكل ، ومنها أتخذ الشواهد على ضعف الحكم الذى نقله عن صاحب « الوسيلة الأدبية »

وإلى معاليه أسوق الحديث :

١ — فى ص ٤٣ جاء بخط البارودى فى وصف ما عانى هو ورفاقه من هياج البحر :

« ومكثنا على ذلك ثلاثاً ، لا نجد فيها غياثاً »

وعند تأمل الخط نجد أن الأصل (ثلاث) و (غياث) ، وأن البارودى التفت إلى الخطأ النحوى فرسم ألفين فوق هاتين الكلمتين ، وهذا يشهد بضعفه فى النحو ، ولكنه لا يشهد عليه بجهل النحو ، بدليل هذا التصحيح

٢ — وفى ص ٤٦ نجد بخط البارودى :

« هيهات ، ما كل شامة خالاً ، ولا كل حلقة خلخالاً »

وعند تأمل الخط نرى أن الأصل (خال) و (خلخال) ، ونرى البارودى وضع ألفين فوق هاتين الكلمتين

والتصحيح فى هذه المرة أدق ، فهو فى الشاهد السالف كان التفاتاً إلى حكم الظرف وحكم المفعول فى الإعراب ، وهو فى هذا الشاهد التفات إلى حُكم (ما) الحجازية ؛ وكان يسعه أن يعفى هاتين الكلمتين من التصحيح ليسير مع النحوى الذى يقول :

ومُهفهَف الأعطافِ قلت له : انتسب
فأجاب : ما قتلُ المحب حرامُ

والذى يَفرِق بين (ما) الحجازية و (ما) التميمية لا يوصم بجهل قواعد اللغة العربية

٣ — وفى ص ٤٩ نجد بخط البارودى :

« بل حسبت أن قطرات المُزن ، دموع أسالتها زفرات الُحزن » ! ؟

وننظر إلى العين من دموع فنراها كانت (عاً) ثم أصارها البارودى (عٌ)

فما معنى ذلك ؟ معناه أنه توهمها أولاً مفعول (حسب) ثم أدرك أنها خبر (أن) والذى يجهل النحو لا يدرك هذا الفرق

٤ — وفى الصفحة نفسها نجد البارودى يقول :

« اللهمّ يا هادىَ الضُّلاّل فى الليل المدلهِمّ ، وناصر الملهوفين فى غمرة اليوم المسلهِمّ »

وننظر فنجد البارودى محا كلمة (الملهوفين) وأثبت كلمة (المُلاّك) حرصاً على الازدواج ، فنفهم أنه كان يعرف علم البديع

٥ — ومن هذا ما جاء فى ص ٥٠ حيث يقول :

« ما وعد إلا وأخلف ، ولا سالمَ إلا وأتلف »

فقد محا (سالمَ) وأثبت فوقها (أوعد) حرصاً على الجناس والطِّباق !

٦ — وفى مقدمة الديوان يحدثنا البارودى عن (ذِكر الشىء باسم غيره لمجاورته إياه) فنفهم أنه كان يعرف أشياء من علم البيان

٧ — ونصَّ البارودى على قصائد فيها (لزوم ما لا يلزم) ، فكيف يقع هذا من رجل يحكم عليه هيكل باشا بجهل القوافى ؟

يضاف إلى هـذا أحكامه على الشعراء وهى تدل على بصره بالنقد الأدبى ، وكذلك تدل استفادته من المعاجم على فهمه لأصول علم الصرف

وصفوة القول أن البارودى كان على بينة من علوم اللغة العربية ، وإن لم يصل إلى التفوق فى تلك العلوم ؛ فقد كان يعتمد على فيض الفِطرة والطبع ، وهما أفضل أدوات الشعراء

الخمريات والغراميات

وطاب للدكتور هيكل باشا أن يؤكد أن البارودى لم يكن صادقاً فى الخمريات والغراميات ، وقد جزم بأن قصائده فى هذين الفنين لم تكن إلا محاكاة لأساليب القدماء

وهذا الحكم صواب من جانب وخطأ من جانب ، فهو صحيح فى الخمريات لأن أشعار البارودى فى الخمر لا تخلو من ضعف ، ولكن هذا الضعف لا يرجع إلى أن الخمر لم تذهب بعقل البارودى ، كما يقول الدكتور هيكل ، وإنما يرجع إلى أن وصف الخمر فن لا يحسنه جميع الشعراء وإن كانوا فى حبها من الصادقين

أما غراميات البارودى فهى صدق فى صدق ، وأشعاره فى العشق آية فى الإفصاح عن صَبَوات القلوب ، وقد تذكر بغراميات الشريف فى بعض الأحيان

وما الموجب لأن نقول للبارودى « كذبت » حين يتحدث فى أشعاره من هواه ، مع أنه يقول فى مقدمة الديوان :

« إنما هى أغراض حركتنى ، وإباء جمح بى ، وغرام سال على قلبى »

أما أن كان الدكتور هيكل يريد تنزيه البارودى عن مآثم الفتيان ، فلكلامه وجه مقبولٌ ، فقد كان البارودى رئيس الوزراء فى بعض العهود ، ويجب على الوزراء أن يعيشوا بلا قلوب

الجديد فى شعر البارودى

ويقول الدكتور هيكل باشا إن الجديد الذى استدعى الإعجاب بشعر البارودى « هو نزوعه إلى تصوير الواقع كما هو فى بساطة وسلاسة وقوة دون اعتماد على محسنات اللفظ البديعية »(١)

ونقول إن هذا التصوير بعيد من أذهان من عاصروا البارودى وكانوا مولعين بالزخرف والبريق ، وإذن يجب على الدكتور هيكل أن يتلمس رأياً غير هذا الرأى ، وهو قد اهتدى إلى الصواب بعد ست عشرة صفحة فقال :

« إن هذا الشعر كان جديداً كله ، كانت محاكاته الأقدمين جديدة ، وكانت معارضته إياهم جديدة ، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة »(٢)

فإذا أعيد طبع الديوان فليتفضل الدكتور هيكل بحذف الحكم الأول والاكتفاء بالحكم الثانى

التحكم فى التاريخ

للبارودى قصيدة لامية قال فيها ما قال فى التنديد بالمصريين ، وينص الديوان على أنها قيلت فى عهد « إسماعيل » ولكن الدكتور هيكل يتعسف فيحكم بأنها قيلت فى عهد « توفيق »

فهل يملك الحق فى نقل القصائد التاريخية من عهد إلى عهد ؟

إن عصر إسماعيل كان مبعث نهضة بإجماع الآراء ، وعصور النهضات لا تخلو من بواعث الحب والبغض ، والحمد والملام ، فكيف نستبعد صدور قصيدة ثائرة فى عهد إسماعيل ؟ وكيف عرف هيكل باشا أن البارودى لم يذق فى عصر إسماعيل غير القرار والاطمئنان ؟

لو أن الدكتور هيكل التفت إلى القصيدة التى أثبتها بيده فى ذيل الصفحة الثالثة والعشرين لرجع من ذلك الاعتساف ، وهذه إشارة فيها كل البيان

الطبيعة بين الصمت والنطق

وشاء الدكتور هيكل باشا أن يحكم بأن « البارودى إذ كان يسجل الصور فى شعره لم يكن يسجلها فى صمتها وسكينتها على ما يولع به عشاق الطبيعة الصامتة »

فما معنى هذا الكلام ؟ ومتى صمتت الطبيعة فى أوصاف الشعراء ؟

لعله يريد أن يقول إن البارودى كان قوىّ الشعور بحيوية المناظر الطبيعية ، وبما فيها من فاعلية وانفعال ، فقصّر به التعبير عن بلوغ ما يريد

المستنيرون فى عهد توفيق

ثم فى نظر الدكتور هيكل رجال الجيش ، وقصرُ الاستنارة على رجال الجيش فى ذلك العهد غير صحيح ، فقد كان فى مصر جماعات علمية وأدبية تفوق فى الاستنارة رجال الجيش ، والصواب وضع كلمة « السياسيين » فى مكان « المستنيرين » فقد كان رجال الجيش ساسة البلاد فى ذلك الحين

تاريخ الشعر العربى

ويقول الدكتور هيكل إن الشعر العربى قضى ألف سنة فى انحلال إلى أن بعثه البارودى ، فمن أين جاء بهذا القول ؟

أنحكم على ماضينا الأدبى هذا الحكم الظالم فى سبيل إنصاف البارودى ؟ ليرجع الدكتور هيكل إلى « مختارات البارودى » إن شاء ، فإن فعل فسيعرف أن البارودى يرى غير ما يراه ، فقد وصل اختياره إلى القرن السابع ، وصح له أن يحكم بأن سبط ابن التعاويذى وهو من شعراء القرن السادس كان يتابع الشريف الرضى ويمشى على أثر مهيار الديلمى . والبارودى الذى اعترف بحياة الجزالة الشعرية فى القرن السابع كان من شعراء القرن الثالث عشر ، وعلى هذا تكون المدة التى انحل فيها الشعر نحو خمسة قرون ، فكيف يجعلها الدكتور هيكل عشرة قرون ويوصى بإسقاطها من الحساب ؟

يشفع للدكتور هيكل أنه أراد المبالغة فى التنويه بمقام البارودى ، ولكن الإحسان إلى البارودى كان يتم بدون الإساءة

(١) ص ١٤
(٢) ص ٣٠

البحر ...

[البحر لا ينام وفي يقظة البحر تعزية لروح لا تنام]
« جبران »

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

ضاقت نفس الشاعر بالأرض الهابسة التي تزدحم بالمدن ، وتموج بالحركة ، وتضيق بالتقاليد ، وترهق بالأوضاع والمظاهر ، فانطلق إلى الماء الفسيح ، إلى البحر الطليق ، يلتمس عوناً وملاذاً . واقترب منه رويداً رويداً وهو يشخص ببصره إلى زرقته من بعيد ، وصوت أمواجه المتلاطمة يعلوها الزبد يضرب فى أذنيه ، ورائحة البحر المالحة تملأ صدره ، ورياحه تتخلل غصون الشجر ، فتهتز وتتمايل ، وتخرج منها أصوات تجاوب أصداء البحر . وأخذ الشاعر يطيل السير وحيداً على شاطئه دون أن تسمع صوت أقدامه ، وهو ينظر مطرقاً إلى هذه الأمواج تصطفق ثم تنساب على الشاطىء . ويتأمل ويفكر ويحلم وينعم الطرف فيما هو قريب وفيما هو بعيد ، إلى أن يضيع نظره فيما وراء الأفق ، فى رهبة وسكون

ثم يقطع تفكيره وسكونه أصوات حوله فيتلفت ، فإذا به يرى أنماطاً من زبانية البشر ، من عبيد الأرض ، يهرعون إلى البحر لكى يطفئوا نيرانهم ، ويطهروا نفوسهم من الآثام والخطايا . ويلمح الشاعر فى ناحية قصية نفوساً هالعة وقلوباً دامية تصرخ من أعماقها فى الظلام ... فيسارع إليها ويدرك شكاتها لأول نظرة ... فتثير فى نفسه كل هذه الرؤى كوامن الشجن ، وتهتز مشاعره ، وتنهمر دموعه اللحة الساجيات غزيرة مختلطة بماء البحر الملح . ويحس البحر الواسع الرحيب هذه النيران ، ويلمس تلك الخطايا والأشجان ، فيقبلها ولا يلفظها . ويطهر الآثام ، ويأسو الجراح

وترك الشاعر مكانه واعتلى ظهر سفين مطوّفاً إزاء الشاطىء فشاهد صور اليابسة وألوانها . فهذه رمال وكثبان صفراء ، تعلو من بينها باسقات النخيل ، وتنحسر عنها مياه البحر الزرقاء ؛ وتلك جبال شاهقات تكللها الخضرة ، وأخرى صخور جرداء شامخات توازن بارتفاعها عمق البحر ؛ وأولئك هم الصيادون والغواصون يجمعون اللآلىء والمرجان والأصداف والأعشاب من كنوز البحر وعجائبه ؛ وهاتيك الطيور البيضاء تهبط إلى سطح الماء تلتقط الأسماك كأنها تشكو عصف البحر ، فتعلو فى جوف الطيور إلى الفضاء ؛ وهذه الجزر وتلك الصخور

إلى تاريخ الشعر العربى . فليتفضل بمراعاة هذا الجانب من مقدمته فى الطبعة التالية ، إيثاراً للعدل ، فما كان فى أحكامه الأدبية من الظالمين

المصريون فى عهد البارودى

حكم الدكتور هيكل بأنهم لم يكونوا يعرفون اللغة العربية ، وإنما كانوا يتحدثون بلغة أخرى هى العامية

وهذا الكلام يحتاج إلى تحديد ، فإن كان يريد الخواصّ فهو مسرف ، فقد كان هؤلاء فى يقظة عقلية وروحية ، بدليل ما تركوا من نفائس المؤلفات ، وإن كان يريد العوام فهم إلى اليوم يتكلمون العامية ، ولم يستطع جهلهم أن يصد الخواص عن التحليق فى أجواء الأدب الرفيع

البارودى فى منفاه

اكتفى الدكتور هيكل بالنص على حنين البارودى إلى الوطن وهو فى منفاه ، وسكت عن مسألة مهمة جداً ، وهى براعة البارودى فى بعث « المدائح النبوية » بعد أن طال عليها الموت ، ولهذه المسألة تفاصيل يضيق عنها هذا المجال

* * *

أما بعد فهذه ملاحظات لم يكن منها بد ، لأن مقدمة الدكتور هيكل ستكون أساساً لدرس ديوان البارودى ، ومن واجبنا أن ننبه المتسابقين إلى ما يوجه إليها من الاعتراض ، ليكونوا على بينة من مكاسر ذلك البحث الدقيق

وقد بقيت مآخذ لا تستوجب المسارعة إلى التنبيه ، ولعلها تدق عن أفهام طلبة السنة التوجيهية ، أما محاسن المقدمة التى كتبها هيكل باشا فهى أظهر من أن تحتاج إلى بيان

لم يبق إلا النظر فى المقرر للمسابقة من أشعار البارودى ، فإلى الأسبوع المقبل

زكى مبارك

المتناثرة تحيطها مياه البحر ، وتتكسر حولها أواذيّه ، ويتصاعد ، على جنباتها رشاش الماء الأبيض ؛ وهنا وهناك ينبثق نور الفنار المتألق ، يشق حجب الظلام الحالك ، ويرسل شعاع الأمل وسط الضباب الكثيف

ويبتعد السفين صوب البحر قليلاً قليلاً حتى يختفى الشاطئ عن البصر ، ويتهادى أياماً وليالى طوالاً والأفق كله ماء وبحر ، تلونه أطياف الشمس وأعماق البحر ؛ فهو تارة أزرق داكن ، وطوراً أغبر مصفر . ويمر السفين فوق جوف البحر . إن قاعه أرض وصخور ووديان وجبال وبراكين وقارات وعوالم ساكنة ومتحركة فى أعماقه منذ الأزل . إنه عميق جداً . لا يصل الإنسان إلى قراره . ولا يعلم أحد كل ما طواه فى صدره . ما الذى طواه بالأمس ، وما الذى سيطويه فى الغد .

إنه يحمل الأطفال من البشر فوق سطحه الفسيح فى رفق وحنو . إنه يجول بهم ويستقبل الشمس إذ تبزغ فى الصباح وترسل نورها فوق محيطه الواسع ، وتغرب عند الأصيل وهى تودعه بأشعتها الأرجوانية . وفى الليل الصافى الساكن تتلألأ السماء بالنجوم البراقة ، ويبدو القمر هلالاً وبدراً ساطعاً خلال السحاب الخفيف ، فتنعكس أشعته الفضية على صفحته اللامعة ، والنسيم يلمس أمواجه المهتزة المتلاقية . إنه هادئ وادع أليف . إنه يطرب . إنه يبسم وينشد ويترنم .

وفجأة يكفهر الجو ، وتتلبد السماء بالسحب ، ويومض البرق نذير العاصفة ، وتشتد الريح ، ويقصف الرعد مدوياً ، ويدفع الإعصار أمواج البحر شاهقة تطاول السحاب ، ثم تعود فتنكسر وتهوى على صفحته الصاخبة . إنه غاضب . إنه ثائر عنيف . إنه جبار . إنه يدوى بصوته الغاضب إلى عنان السماء . إنه رائع . إنه هائل جداً . إنه يطوح بالسفن فوق سطحه ، ويقذفها عالية فوق أمواجه ، ثم يهبط بها فى لجته السحيقة . إنها الأعاجيب تحمل طُرزاً من الكائنات ترتدى أثواباً زرقاء وحمراء وصفراء . إنها دمى يمحو البحر ما بينها من فروق للأيابس ، ويذيب عنها خيلاء الأرض . وكلها تتساوى وتصغر وتتضاءل أمام جبروته . ويفرق واضحاً أمامها الحد بين الأمس المعلوم وبين الغد المجهول ، فتتأرجح كلها بين الحياة والموت فى لحظات رهيبة ... ونبتون يطلق ضحكاته فى الفضاء ساخراً ! ... ثم تنجلى العاصفة ، وتسكن الريح ، ويعود البحر هادئاً وادعاً أليفاً ، ويداعب هذه الخلائق التى أرهقها غضبه ونورانه ... وحينئذ تثوب النفوس إلى رشدها ، وتعرف القلوب دناءة الأحقاد وصغارة المطامع ، وتنقشع عن البصائر غشاوة الباطل وزور البهتان

أيها البحر العريق ! يا أبا الأرض ويا أصل الوجود ويا معلم الإنسانية ... أيها الحاجز بين القارات ، أيها الواصل بين العوالم ، يا من أجرَت سحبك أنهار الأرض ، وأقامت أمطارك معالم المدنية ... ويا من على سطحك جرت الفلك تحمل ثمار الحضارة ... ويا من شهدت أعطافك جولات القراصنة ، وسجلت أمواجك التحام الأساطيل ... ويا من خشمت مياهك فأفسحت الطريق لبنى إسرائيل ثم أطبقت على آل فرعون من القوم الظالمين ... !

أيها البحر العظيم ! لقد عبدك الأقدمون ، ورسم أطيافك المصورون ، وردد صدى أنغامك الشعراء والموسيقيون ... إنك هادئ صاف رائق . إنك ثائر عاصف عميق . إنك جبل أزرق . إنك مانع جامع . يقرأ الشاعر على صفحتك ما لا يسطره القلم ، وما لا يقرأه الأمهون من الناس . إنه ينصت إلى أساطيرك وقصصك . إنه يستلهم معانيك ووحيك ، ويبهره جمالك وجلالك ، فلا يطيق النظر إليك ، ويغمض العينين دونك ، وتشيع فى نفسه رائحتك ، وتمر فى خياله ذكرياتك وصورك

حسن عثمان

مواسم الأدب

للأستاذ كرم ملحم كرم

يوم لنا ويوم علينا . هذا حال الأدب ؛ فلا بد فيه من يقظة وهجمة . والأدب وليد الحس، والحس تتفق له حيناً وثبات يصاول بها الفلك ، ويدهمه حيناً سكون تغلب عليه فيه نومة ... هجمة الموت أهنأها !

فكأن للأدب مواسم يشع فيها ويكشف عن جبينه وقد دانت له مغلقات الوحى ، وتفتحت عليه سموى الإلهام . كأنه يتقلب بين سعود ونحوس ؛ فيضيء بجمة وقادة ليخبو كمصباح عطش إلى الزيت . فما إن تعصف به الغاشية حتى تذهب باليانع من أطايبه ، والنامى من أغصانه ؛ ويحييه غيث ندى فيتلألأ بسخاء ، ويزكو بسماح ، ويعلو أبداً فيطول عين الشمس وينفذ إليها ساطعاً منها على الدنيا ، مالئاً كل زاوية وهجاً وسنى !

ولقد بحثت عن الأدب فما اهتديت إليه بغير أبواب الملوك ، وإنه ليجالس الملوك ؛ يهشون له فيبش لهم ، ويصدون عنه فيغمز بهم . فإن يهبوا له العطايا ينفحهم ببدائعه ، وإن يمسكوها عنه وينتضوا فى مقاتلته سيفاً حديداً يناهضهم بلسان أمضى من القاطع الفتاك

وما هى عطاياهم تجاه بدائعه ؟... عطاياهم تذوب ونفائسه تبقى؛ عطاياهم تذوب لا تثبت على الأيام ، على حين أن نواجبه تفل من عزم الأبد ، ولولاه ، لولا ما يخلع عليهم من مديح ، لتناست الأجيال المتعاقبة معظمهم ؛ وحتى أهاجيه تمد آجالهم ، فيصونهم الخلود ، لكون الأدب تَفَنى بمآتيهم، أو أحسن النيل منهم وأبى على الزمن أن يبيد آيات سمت عن التلاشى والاضمحلال

بيد أن فضل الأدب على الملوك لا يمحو فضل الملوك على الأدب . فما بلغ الأدب أشده ، بل هو لم يتنفس وتختلج فيه الحياة المطمئنة الوضيئة، لولا أن هؤلاء الملوك يغذونه بعطاياهم، وتوحى به مجالى الأبهة والجلال فى معيشتهم وسكناهم . فالمهابة والندى من باعثات الوحى وحوافز البيان . فلا بد لمن تكمن فيه آيات البلاغة أن يحسهما ويبوح بما يجيش فى نفسه من إعجاب وإجلال ...

فالتاج والصولجان ينطويان على عظمة ملموسة تفتق الماطفة على جودها ، وتستل من أعماق القلوب الكلام الجنح والمنطق الحلال . فيفيض الأديب الموهوب بالبيان الصافى ، وينتزع المعانى من مخابئها ؛ بل هو يغوص عليها فى مظانها يجلو بها العقد النظيم ويدفعه أنيق الصياغة ، ساطع الجبين !

وقد تندفع إليه هذه المعانى عفواً ، دون ما كد ذهن ولا إجهاد نفس . فالعظمة المنبسطة أمامه بسلطانها وبهائها تبعث فى لبه القوة على توليد كل معنى جليل ليعادل بنسج بيانه المشهد السامى المنعة ، المحفوف بالنعمة ، المتوهج فى عينيه

والملك الضلّيل نفسه لم يبلغ مكانته الشامخة فى أدب الضاد لو لم يعش فى أحضان ملوك ، ويستنشق فى بلاط أبيه شميم العزة ، ويلمس بيديه فخامة السلطان . فأقبل إلى ساحة الأدب مثقلاً بفخفخة الملوك ، وكان أدبه صدى هذه الفخفخة المبهدة المعان المجليبة بالنعمى ، اللينة الجانب ، المكينة البنيان

وامرؤ القيس ، الملك الضليل ، فى طليعة موكب الأدباء فى لغة الضاد . فما لقى الأدب بيانه المنشور في سوى بدائع ذلك الفتى وقد جمحت به العاطفة فانطلقت من كبده حافلة بالقول الشجى والصوغ المحكم الأداء . وتوالت من بعده السلسلة حلقة حلقة ، وكلها تنم عن طيب أصحاب الجلالة ، أو من يستوى فى معاقلهم من أصحاب الجاه الوسيع ، والظل المأنوس ؟

ومن أنطق بالأدب المصفى المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، وابن كلثوم ، وابن حلزة اليشكرى سوى الملك عمرو بن هند ؟ ... فإن هذه القافلة من أدباء العهد الجاهلى مدينة لابن هند فى الإبداع فى النظم والإنشاد . وأنى لابن كلثوم أن يسمعنا معلقته التياهة :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
لولا عمرو بن هند الملك الأثيل المجد الأبلج المنتمى ؟

وهذه الشعلة المتأججة فى منظوم النابغة الذبيانى ، أين كنا نجدها لولا النعمان بن المنذر ، أبو قابوس ؟ ... فالنابغة لم يسحب فى أبياته وقوافيه ذيل الدلّ والإعجاب لولا هيبة السلطان وعاصمه الجلهل :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ومثله لبيد . فالنعمان مهّد له السبيل إلى النظم والإجادة وهو فى سن تقصر عن البلوغ . فطعن فى حضرة صاحب السلطان على الربيع بن زياد العبسى طعنات دامية أزاله بها عن مكانته السامقة وقد صاح بالنعمان والربيع يؤاكله :

مهلاً ، أبيت اللعن ، لا تأ كل معه !

ولن ننسى ابن أبى سُلمى ، زهيراً ، صاحب الحوليات القائل :

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعش ثمانين حولاً ، لا أبالك يسأم

فإن عليه لهرم بن سنان يداً فى إقامة النظم وفى تذليل المعانى الحسان :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

والأعشى . ماذا تقول فى الأعشى المتكسب ، جوّاب الآفاق ؟ أما أقام بباب الأسود ، أخى النعمان ، يغالى فى المدح ويسأل العطاء – والقُنى تفتح فمًا ؟

هذا فى العهد الجاهلى . ولقد كان العهد الإسلامى فى مستهله أمضى حافز على النظم والإبداع . فالدعوة الإسلامية بحاجة إلى من ينادى بها ، ويذيع فضائلها ، والخصوم يتألبون عليها . فانتصب للمنافحة عنها حسان بن ثابت الأنصارى . واعتمده النبى العربى فى الكفاح . وأسمعنا كعب يتيمته :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبولُ ...

وطاف الحطيئة بالأبواب يستندى ويستجدى . ومن أمسك عند يده هدده بفحات لسانه ؛ فأنجده فى الجاهلية أبو سفيان ، وأجزل له فى الإسلام العطاء عمر بن الخطاب ، فابتاع منه لسانه بثلاثة آلاف درهم لئلا يطلقه فى سب المسلمين لا يخشى ، ولا يتحامى فحش القول والتهشيم

ونبض العهد الأموى بالحياة ، فإذا الأخطل يبدو ويقبل فى أثره الفرزدق وجرير . ثلاثة معاول للهدم ودك المعاقل المشمخرة . وبسط معاوية يده فى استمالة الأدباء فكان للأدب فى عهده موسم خصب وسوق نافقة . فكل من أحس فى نفسه ميلاً إلى الأدب تبع ميله وماشى هواه . فالعهد بات عهد نظم وخطابة وإنشاء ، يمدح الأدباء معاوية ويزيد ابنه فتمتلئ أيديهم بالعطايا النفيسة ، وينعم الخلفاء ويكسب الأدب !

ولم يعدم هؤلاء الأدباء ساعات لهو يبيحون فيها للنفس سجيتها وينطقون بما ينتفض فى قلوبهم من عاطفة مشبوبة وهوى دفين . فيحدثنا الأخطل عن حبه للكأس واستماتته بابنة العنقود وينصب جرير بفاتنته أم عمرو وقد سلبته صفاء القلب ؛ وتسبيه حور العيون ، فما يبالك أن يقول :

يقتلن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

ويفضح الفرزدق فسقه فى مقاله :

هما دلتانى من ثمانين قامة ...

وهو هو القائل فى زين العابدين ، حفيد على بن أبى طالب :

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد خُتموا

والقصيدة من اسمى المنظوم ، وهى فى المدح لا عديل لها ، فمن أوحى بها ؟ ... ابن بنت النبى ، ملك من سلالة ملوك وإن هم ناموا فى مطلع نهضتهم عن التاج والصولجان

وعظمة سحبان وائل ، الخطيب البليغ اللسان ، أين تجلت فى أبهى جلالتها ؟ ... أليس فى بلاط معاوية الأول ؟ ... وبيان عبد الحميد الكاتب أين سما ؟ فى بلاط الخليفة الجعدى ، خاتمة الملوك الأمويين !

***

وزحزح العهد العباسى لثامه فإذا ابن المقفع فى خدمة أعمام الخليفة ، وإذا الخليفة العباسى الثانى يدعوه إليه ويكلفه نقل الكتب الأعجمية الدائمة الصيت إلى لغة الضاد . وهكذا نعمنا بكليلة ودمنة ، أنق مثال للأدب الوزين !

واتسع المجال فى منتدى الخلفاء لكل ناظم وكاتب . فقام أبو دلامة وأبو معاذ الأعمى بشار بن برد ، فى بلاط المهدى . واشتد الإقبال على الأدب . ولم يكن بيت المال فى بغداد دون بيت المال فى دمشق ، فتألفت المدارس الأدبية ، وبدا الناشئون فى سطوة وهناءة . فالعباسيون شاءوا أن يبزوا الأمويين فى العلم وبث الدعوة . وما خلا الجو للرشيد حتى أصبح أدب الضاد مشعل هدى ؛ وكان قد أضاء فى سمائه الخليل بن أحمد ، وأبو نواس، وأبو العتاهية ، والأصمعى ، وأبو عبيدة ، وسيبويه ، والجاحظ ، والكسائى . وجاء المأمون فإذا أوسع نهضة أدبية فى لغة الضاد تتجلى . فما شهدت لغتنا عهداً فواحاً خصباً فى الأدب والعلم كعهد المأمون !

وقُبض المأمون فقامت دولة أخيه المعتصم . وفى كنف المعتصم لمع أبو تمام . وكان المتوكل فنبغ فى رحابه الشاعر البحترى . وانتهى الموكب إلى المتنبى فتلفتت مواهبه فى حمى الملوك ، ولا سيما فى بلاط سيف الدولة الحمدانى

وما شذ الأدب فى الأندلس عن القاعدة . فعاش فى ظلال الملوك وانطفأ بانطفاء الملوك ، مثله فى دمشق وبغداد . فما إن تنقضى الدولة حتى يأوى إلى المضجع . ولقد طال هجوعه نحواً

جميل نخـــلة المدور

١٨٦٢ – ١٩٠٧

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٤ – مؤلفاته

الذى لم يقف على شىء من ترجمة المؤلف قد يظن أنه رجل عراقى ، وهذا أمر متوقع ! فإن جميل نخلة المدوّر ، عُنِىَ عناية خاصة بتاريخ العراق ، وخدمه خدمة مشكورة يحفظها له التاريخ على مدى الأيام ، ويقدرها له أبناء العربية حق قدرها ، وعلى الأخص أبناء العراق منهم

فلقد قضى ردحاً من حياته فى تدوين تاريخ العراق قبل العهد الإسلامى وبعده بكتابيه : (تاريخ بابل وأشور) ، (حضارة الإسلام فى دار السلام) اللذين سنخصهما بجزء من كلامنا فى ما يلى من هذا المقال . ودونك لمحة عن كل من مؤلفاته :

١ – تاريخ بابل وأشور

لا نُغالى إذا قلنا إن (تاريخ بابل وأشور) هو أول كتاب ظهر من نوعه فى اللغة العربية !

والذى نعهده ، أنه لم تشهد العربية منذ صدوره حتى يومنا هذا سوى كتابين فى هذا الباب : أحدهما (تاريخ كلدو وأثور[١]) للعلامة المأسوف عليه السيد أدّى شير . وثانيهما رسالة بعنوان : (مقالة فى مملكة أثور[٢]) للعلامة البطريرك رحمانى . ولم نهتد إلى غير هذه التصانيف الثلاثة باللغة العربية مما يتعلق بهذا الموضوع الواسع النطاق . مع أن الكتب الموضوعة فيه باللغات الأفرنجية تكاد لا تحصى لوفرتها !

على أن لجميل نخلة المدّور فضل السبق فى هذا الميدان ؛ فقد نشر كتابه أولاً فى مقالات ظهرت على التوالى فى اثنين وعشرين جزءاً من المقتطف[٣] . ثم جُمعت تلك المقالات فى كتاب خاص طبع ببيروت فى المطبعة الأميركية سنة ١٨٧٩ فى ٦٢ صفحة . ثم جُدّد طبعه بمطبعة الفوائد ببيروت سنة ١٨٩٣ فى ١٢٨ صفحة

ولا نرى للتعريف بهذا الكتاب خيراً من أن نقتبس من مقدمته الفقرة التالية على لسان مؤلفها[٤] :

« ... وألّفتُ هذا الكتاب فى تاريخ أشور وبابل ، وقد جمعته من أشهر أقوال المؤلفين فى هذا الأوان ، مما وصلوا إلى تحقيقه بعد شهادة الاختبار والعيان ؛ وقسمته إلى قسمين : أحدهما جغرافى يبين الحدود والمساحات ، والآخر تاريخى ذكرت فيه ترجمة من اشتهر من ملوكهم وعظمائهم ، وما اشتهر لهم من الفتوحات وعظائم الأعمال إلى حين انقضائهم ... »

وهذا الكتاب « وقف عليه اللغوى الشيخ إبراهيم اليازجى فهذّب عبارته وصحح مبانيه ، فجاء نقياً من الكلف ، بريئاً من الكلف ، قريب اللفظ على بُعد مرامه[٥] »

وكم كنا نود ، لو أشار المؤلف إلى المراجع التى استند إليها فى تصنيف كتابه ، التى نظنها كانت بالفرنسية ، لإجادته هذه اللغة على ما أسلفنا الكلام عليه

---

(١) طبع المجلدان الأول والثانى فى بيروت سنة ١٩١٢ – ١٩١٣ ، والثالث فقدت مسودته فى الحرب العظمى الماضية على ما انتهى إلينا .

(٢) طبعت فى بيروت فى (٥١) صفحة دون ذكر سنة الطبع . وهى فى الأصل نشرت فى المجلد الأول من مجلة « الآثار الشرقية » ، الصادرة فى بيروت سنة ١٩٢٦

(٣) انظر المجلدات الثالث والرابع والخامس من المقتطف ، الصادرة فى السنين ١٨٧٨ – ١٨٨١ م .

(٤) تاريخ بابل وأشور (ص ٤ من الطبعة الأولى)

(٥) المقتطف (المجلد الخامس ، ص ٥٥)

من ستمائة سنة ، فلم يتنفس بسوى انتظام اليازجى الأول فى ديوان الأمير بشير الثانى حاكم لبنان

وكان قد بعث فى وادى النيل فى عهد محمد على . وبلغ أوجه فى دولة عباس حلمى . وقد زانه شوقى وخليل وحافظ وابراهيم اليازجى ونجيب الحداد وولى الدين يكن ومصطفى لطفى المنفلوطى بأبهى حلل البيان . وإنه ليتهادى اليوم فى خطوه متفيئاً دوحة أبناء محمد على الباذخة . فكأنه يستطيب أبداً صحبة الملوك . فلا تقوم له قائمة فى سوى جنابهم ، ولا تتقد فيه العزيمة وتلتهب الحياة إلا وهو يجالسهم . فوسمه موسمهم ، كأن دولتهم دولته ، وكأن أبناءه أشباه لهم وأنداد !

(بيروت) كرم ملحم كرم

وقد وقفنا منذ زمن على بحث للعلامة الأب أنستاس ماري الكرملي عنوانه : (سلوان الأسرى في إيوان كسرى[1]) ، فيه نظرات نقدية صائبة للأعلام الواردة في هذا الكتاب ، وجهها بشيء من العنف ، إلى مؤلف الكتاب ، أو بالأحرى إلى مصححه اليازجي

ومهما يكن من أمر فإن مباحث الكتاب أضحت في وقتنا هذا قديمة لا يركن إليها ، نظراً إلى ما دخل هذا (التاريخ) من الحقائق الجديدة التي هي ولا مراء وليدة علم الآثار . ولا يخفى أن هذا العلم قد أحرز تقدماً مدهشاً في مختلف الميادين خلال هذه المدة التي أربت على الستين سنة ! فإذا تركنا هذه الملاحظة جانباً ، وجدنا في الكتاب بعد ذلك دليلاً واضحاً على ما كان عليه ذلك العلم قبل أكثر من نصف قرن ؟ وفي معرفة ذلك فائدة جليلة لمن يبغي دراسة تاريخ العلوم

٢ — أتالا

صنف هذه القصة الخيالية الكاتب الفرنسي الشهير شاتوبريان[2] Chateaubriand سنة ١٨٠١م باللغة الفرنسية[3] وهي رواية انتزعها المؤلف من كتابه (عبقرية النصرانية)[4] ، ولم يكن يومئذ قد أكمله . والحادث الذي تدور عليه الرواية ورد في أميركة الشمالية ، وذلك أن (شكتاس) أسره جيل من الناس كان عدواً لرفاقه . فحكم عليه بالإحراق ، وكانت (أتالا)[5] ابنة الزعيم الأقوى للقبيلة المعادية ، فعشقت الأسير وخلصته في الليل وفرت به إلى القفار . أما وصف المؤلف لما انتاب العشيقين من الخوف والأمل والحب ووخز الضمير الذي كان يعذب هذين الفارين الطاهرين ، فمن القطع الأدبية الرائعة ! ففي هذه القصة المؤثرة التي وصف فيها الغرام وصفاً بليغاً أوحى شاتوبريان إلى أوربة بعالم جديد . فقد ذكر البحيرات العظيمة والحراج الأبكار التي تغشى أميركة الشمالية ؛ ثم انتقل إلى وصف قبائل هنودها

(١) المشرق (٥ [١٩٠٢] ص ٦٧٥ — ٦٧٦ بالحاشية)
(٢) ولد سنة ١٧٦٨ ومات في باريس سنة ١٨٤٨ م .
(٣) عنوانها الفرنسي Atala
(٤) Le génie du christirnisme
(٥) يقرب هذا الاسم من اللفظة العربية « الأثلة » النبتة المعروفة التي سمي بها بعض النساء العربيات

وعاداتهم وأخلاقهم ومعتقداتهم ، وبيّن ما بين الحياة الهمجية والحياة المدنية من التضاد ؛ فزاد ذلك بما في الرواية من الإفادة

وقد نقلها جميل نخلة المدور إلى العربية ، وطبعها في بيروت سنة ١٨٨٢ م

والذي نعرفه أن لهذه الرواية ثلاث ترجمات عربية أقدمهن للخوري عيسى بترو الأورشليمي الرومي[1] ، ومن هذه الترجمة[2] نسخة خطية في خزانة باريس الوطنية (Ms. 3680) ، والثانية لجميل نخلة المدور ؛ والثالثة[3] لفرح أنطون ، وقد طبعت هذه الأخيرة في نيويورك سنة ١٩٠٨ في ٨ + ٤٨ صفحة

٣ — التاريخ القديم

هذا الكتاب مختصر في التاريخ ، لم يعلم مؤلفه الذي جمع مواده من مراجع مختلفة ، مبتدئاً به بسنة ٤٩٦٣ قبل الميلاد ، ومنتهياً به بسنة ٣٩٥ للميلاد ، وقد رتبه على مقدمة وثلاثة كتب ينطوي كل منها على فصول ، وسار فيه بحسب السنين

نقله جميل نخلة المدور إلى العربية ، وطبعه في بيروت سنة ١٨٩٥ في ٣٥٦ صفحة[4]

٤ — حضارة الاسلام في دار السلام

هذا هو أسمى مؤلفات جميل نخلة المدور ، وأعظمها شأناً ، والقطب الذي تدور عليه شهرته . فقد ألفه بطريقة ربما لم يسبقه إليها أحد في اللغة العربية[5] اشتغل في تصنيفه زهاء العشر سنوات . فقد نشر منه فصلاً في المقتطف[6] سنة ١٨٨٠ بعنوان (البصرة في خلافة المنصور) . فوطأ محرر المقتطف حينذاك لهذا الفصل بالكلمة التالية :

(١) نقل إلى العربية بضعة كتب وبعض منقولاته تاريخها سنة ١٨١٢م
(٢) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ١٢٠)
(٣) فهرس دار الكتب المصرية (٧ : ٢٤٩)
(٤) في فهرس دار الكتب (٥ : ١٠١) تفصيلات أخر من هذا الكتاب .
(٥) هذه تشبه الطريقة التي سلكها برتلمي أحد أدباء فرنسة (١٧١٦ — ١٧٩٥ م) الذي روى على هذه الصورة سفر أحد الأجانب المدعو أناكرسيس (Anacharsis) إلى جهات اليونان قبل وفاة الاسكندر واصفاً ما يستحسنه من عادات اليونان وأخلاقهم وعلومهم . ومثله سفر تلماك Télémaque للكاتب الفرنسي فنيلون (١٦٥١ — ١٧١٥ م) وهذا الكتاب الأخير نقل إلى العربية وطبع
(٦) المقتطف (٥ [١٨٨٠] ص ١٧٧ — ١٨٠)

« هذه النبذة من كتاب قد باشر تأليفه الشاب اللبيب جميل أفندى المدوّر ... [إلى أن قال] : فنطلب له تمام التوفيق إلى إنجاز هذا الكتاب الذى لا تحصى فوائده ولا تثمن فرائده »

ولم تظهر الطبعة الأولى لهذا الكتاب إلا فى سنة ١٨٨٩ م

وهنا ندع القول للمؤلف يفصح لنا عن الطريقة المثلى التى سلكها فى تصنيف هذا الكتاب الخالد ، قال فى المقدمة :

« هذه رسائل ، وضعت فيها عصراً من عصور الإسلام قد أشرق به نور العلم ، وجرت فيه أعمال عظيمة قام بها رجال كبراء ملأوا العالم بآثار جلالهم ، وجعلت الكلام فيها لرحالة « فارسى » طوّفته معظم البلدان الإسلامية فى المائة الثانية للهجرة وطوقته مناصب الدولة برعاية البرامكة إلى أن نكبهم الرشيد ... »

فالكتاب رسائل تبلغ العشر عداً ، كتبها الرحالة الفارسى الخيانى من سنة ١٥٦ إلى سنة ١٨٧ للهجرة ؛ وقد سطر الأولى وهو فى النهروان سنة ١٥٦ ، والثامنة وهو فى بحر تونس سنة ١٨٦ ، والتاسعة وهو فى المشاعر المباركة سنة ١٨٦ أيضاً . أما الرسائل السبع الباقيات فقد كتبها وهو فى بغداد

وقد لخصه من خمسة وثمانين تصنيفاً تعد بحق من أسمى المؤلفات العربية القديمة الباحثة فى علوم الدين واللغة والبلدان والأخبار والأدب وغير ذلك . ومما لا بد من ذكره هو أنه لم يدون حقيقة أو يسطر قضية إلا أسندها فى الحاشية إلى المرجع الذى أخذها منه ، وأشار إلى الصفحة فى كل مرة ينقل من هاتيك المؤلفات الخمسة والثمانين التى ألمعنا إليها . وفى هذا من المشقة ما لا يدركه إلا الذين عانوا مثل هذا التلخيص فى كتاباتهم

ومن يطالع هذا الكتاب ، يدرك أن الغرض من وضعه إظهار طرف من مآثر العرب ومفاخر الإسلام أيام هرون الرشيد والبرامكة . فهو يكشف للقارئ ما كان عليه القوم من علوم وآداب وعادات ومتاجر فى بغداد وغيرها من البلدان . أضف إلى ذلك أنه موضوع على منوال رحلة لرحالة متفقه بالعلوم والآداب المعروفة فى ذلك الزمن ، فهو يصف المدن والمعابد والمشاهد والمبانى والسفن والموانئ وهيئات الملوك والوزراء والعلماء والشعراء والمغنين وغيرهم من الرجال ، ويبين ما كانت عليه طباعهم وميولهم وأفعالهم كما وصفهم الواصفون من أبناء زمانهم المعاصرين لهم

وفى الكتاب ، من الفكاهات والنوادر والأخبار المحققة والآراء الصائبة ، ما تقر به العين وترتاح إليه النفس ، لأنه جاء فيها بألفاظ مستعذبة وعبارات بليغة

فهذه المزايا أهابت — على ما نظن — بوزارة المعارف المصرية الجليلة إلى طبعه وجعله كتاباً للمطالعة ، ولنِعمَ ما فعلت !

وقد أبدى أحد الكتاب ارتياباً فى صحة نسبة هذا الكتاب إلى جميل المدوّر ، فقال[1] : « ... وكان الشيخ ابراهيم اليازجى يصحح له (أى يصحح لجميل) ما يكتبه ، وفى أصحابهما من يرى أن حضارة الإسلام لليازجى ، وأنه نحله جميلاً فى أيام إدقاع الأول وإثراء الثانى ! »

غير أننا لا نميل إلى هذا الرأى ، ولا نرى فيه ما يحملنا على تصديقه ، لأن كتاباً يُنفق من العمر فى تأليفه نحو من عشر سنوات مما لا يجوز أن ينحل ، خاصة وأن الشيخ ابراهيم اليازجى لم يكن بتلك الدرجة من الفاقة التى تدفعه إلى مثل هذا البذل العظيم !

٥ — خاتمة

هذه هى مؤلفاته المطبوعة التى بوسع القارئ أن يرجع إليها إن شاء . وثمة تآليف غيرها لم تطبع ، ولم نقف على شىء من أمرها سوى ما ذكره العلامة الأب شيخو[2] من أن لجميل « فى بيت أهله مخطوطات متفرقة أدبية وتاريخية وروائية »

ومما ورد فى نهاية مقدمة كتاب حضارة الإسلام فى دار السلام قوله[3] :

« ... وقد عقدت النية ، إجابة لرغبة علماء المسلمين ، ممن تفضلوا باستحسان هذا الكتاب ، على متابعة سرد التاريخ الإسلامى فى شكل هذه السلسلة من الروايات ، وتنسيقها فى مثل هذا النمط من درر الآيات البينات ... »

والذى يؤسف له أن تلك النية الحسنة لم تتحقق . ولا نرى السبب فى ذلك إلا اشتغاله بأمر الصحافة ، أو إلى أن يد المنون امتدت إليه فاخترمته ! ونحن واثقون من أن أمنيته لو كانت قد جرت مجرى التنفيذ لكنا نتمتع اليوم بذخائر كنز ثمين من الكتب ونرفل فى جنة من الأدب فيها من كل فاكهة زوجان .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) الأعلام لخير الدين الزركلى (١ : ١٩٣)
(٢) المخطوطات العربية (ص ١٨٧)
(٣) حضارة الاسلام (مقدمة الطبعة الثانية)

شخصيات تاريخية

٥ – تيموستوكل

للأستاذ محمد الشحات أيوب

مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

قضى تيموستوكل البقية الباقية من حياته وهو يعمل على تنفيذ هذه السياسة ، ويكاد يكون هو الوحيد الذى سار فى هذا الطريق ، فهو لا يألو جهداً إلا بذله للنكاية بالعدو اللدود وهو إسبرطة ، ولكن الشعب الأثينى تخلى عنه ولم يسايره ، إذ داخلته الشكوك من ناحية ، تخشى خطره وأصبح يعتقد أن له مآرباً فى تنفيذ هذه السياسة ، لذلك كان وحده دون معين ولا نصير فى هذه الفترة الأخيرة من حياته وهى الواقعة بين معركة سلامين ومماته (من ٤٨٠ ق ٤٦٤/٤٦٣ تقريباً)

قضى تيموستوكل هذه الفترة شريداً طريداً حتى لم نعد نسمع عنه كثيراً ، بحيث تكاد تكون هذه الحقبة من تاريخ حياته غامضة ، هى غامضة لقلة الوثائق التى تتكلم عنه ، وبالرغم من هذه القلة نستطيع أن نتنسم الأخبار من بين السطور التى كتبت عنها والتى توجد لدينا ، فهذه الوثائق لا تتحدث عنه إلا فى فترات متقطعة ، ولكنها ، على ندرتها ، ثمينة جداً لأنها تخبرنا عن تيموستوكل وعن شىء من نشاطه ، فهى ترينا أن تيموستوكل الشيخ لا يختلف عن تيموستوكل الشاب . ألا يزال هو هو ، كله حركة ونشاط ، لا يعتريه اليأس ولا يفل من عزمه عظم المهمة التى ناط نفسه بالقيام بها ، فهو لا يحجم عن الانتقال من مكان إلى مكان للدس ضد إسبرطة والإيقاع بها أيما استطاع لذلك سبيلاً ، فتراه حيناً فى أرجوس يعمل على قلب نظام الحكم الأوليجاركى وإقامة النظام الديمقراطى مكانه ، وحيناً آخر فى دولتى إيليد وأركاديا . وهو فى كل هذه البلاد يقوض من أسس النظام الأوليجاركى الذى يؤيد الدولة الإسبرطية ويشجع قيام النظام الديمقراطى لكى تكون عوناً للدولة الأثينية ، وفى سبيل ذلك نراه لا يتردد من أشق المهام ، كتأليف اتحاد من المدن الأركادية لمحاربة اسبرطة ، وينجح فى هذه المهمة ولكن اسبرطة له بالمرصاد إذ تتمكن من إلحاق الهزيمة بهذا الاتحاد الإركادى وتتغلب عليه فى موقعة ديبايا (عام ٤٧٢/٤٧١ ق . م) ، فتنفتح عينا تيموستوكل ويرى بوضوح كامل أن اسبرطة ما زالت قوية على بأس عظيم بحيث تستطيع التغلب على أعدائها ، فيحاول أن يسلك سبيلاً آخر ، إذ يسعى ، بعد هذا الفشل الذريع ، إلى النيل منها داخل حدودها وذلك بتقويض دعائم نظام حكومتها وإثارة المتاعب ضدها من سكانها مثل البيرييك والهيلوث . ولتنفيذ هذه السياسة نجده يتقرب من شخص آخر يشبهه فى المغامرة والجرأة وهو الملك الاسبرطى بوزانياس ؛ وينجح فى التفاهم معه على التآمر ضد الحكومة القائمة ، ويعمل الاثنان للاتفاق مع ملك الفرس ، ولكن المشرفين على الحكومة الاسبرطية وفقوا فى الكشف عن هذه المؤامرة والقبض على بوزانياس ، وقد ثبت لديهم أن تيموستوكل اشترك مع بوزانياس فى التآمر ضد دولتهم ، فطلبوا إلى أثينا معاقبته ، وتلبى أثينا هذا الرجاء وتستدعيه من حيث كان يقيم . ويدلنا هذا على مبلغ كراهيته من الشعب الأثينى حينذاك ، ولكنه لم يأبه لهذا الاستدعاء ولم يحفل به ، بل ظل فى الخارج ، ونحن لا نعرف فى أى مكان كان يقيم فى ذلك الحين ؛ ولكن كل ما نعرفه هو أنه كان يهرب من مكان إلى آخر خوفاً من أن يُقبض عليه ويُحمل إلى أثينا فتفتك به إجابة لرغبة اسبرطة ؛ أخذ ينتقل من بلد الى بلد حتى ألقى به عصا التسيار إلى بلد عدو من أعدائه هو أدميتوس ملك « المولوس » فى شمال غرب اليونان ، وقد كان عداء هذا الملك لتيموستوكل شديداً جداً . ولكنه استقبله وأضافه بالرغم من هذه العداوة الشديدة وهذا البغضاء المستحكم ؛ لأن عادات الضيافة عند اليونان كانت قوية لا تبيح للشخص أن يطرد ضيفه ولو كان من ألد أعدائه ؛ بل ولم يقبل هذا الملك أن يسلمه إلى أعدائه ، وذهب إلى أبعد من هذا فشجعه على الهرب ونظم له الوسيلة وجهزه بكل ما يحتاج اليه من وسائل السفر ، فتمكن له الذهاب إلى « بيدنا » فى مقدونيا ، ومنها يركب السفينة قاصداً آسيا لملاقاة ملك الفرس ، ولكن زوبعة تهب على السفينة فتغيرها عن وجهتها حتى تصل إلى جزيرة ناكسوس فى بحر إيجه فيحاول قبطانها

الرجوع به إلى أثينا ، ولـكنه مازال وراءه بالوعود الخلابة الجميلة حتى حمله على أن يتوجه به نحو مقصده ، ووصلت السفينة آمنة سالمة إلى شواطئ آسيا الصغرى . وهناك نزل منها في هذه البلاد . وطئت أقدامه أرض « إيفيز » ، فهل تظن أنه أخلد إلى الهدوء بعد ذلك ؟ وكيف السبيل إلى هذا ولا وطن له الآن يتعلق به ، ولا أرض يدافع عنها ، بل هو شريد طريد ؟ من أجل هذا صمم على مقابلة ملك الفرس ليرى ماذا هو فاعل به — وهنا يختلف المؤرخون في شخص الملك الذي قابله تيموستوكل ، فيقول المؤرخ توسيديد إنه وصل إلى عاصمة الفرس حينما اعتلى أرتاجزرسيس العرش ، ويقول المؤرخ فايناس ويوافقه على هذا الرأي بلاتارخوس إنه قدم نفسه ليوجرزسيس الذي طالما حاربه لا لأرتاجزرسيس — وهذا الخلاف بسيط لا يمنع الحقيقة الواقعة وهي أنه ذهب إلى عاصمة الفرس وقابل عاهل الفرس أيا كانت شخصية هذا العاهل ؛ وأن هذا قد أغدق عليه النعم والعطايا وخلع عليه كثيراً من الهدايا وعينه والياً على بعض المدن التي أخذ يسوسها حتى قضى نحبه وهو في المنفى بعيداً عن وطنه وأرض آبائه وأجداده

هنا يختلف المؤرخون أيضاً في الطريقة التي مات بها . فمنهم من يقول بأن ملك الفرس كلفه بقيادة حملة لمحاربة الأثينيين في مصر ، ولـكنه رفض أن يخون وطنه فانتحر لعدم استطاعته تلبية مولاه وسيده . ومنهم من يقول بأنه مات ميتة طبيعية في عاصمة ولايته ببلدة « ماجنيزيا » في شمال آسيا الصغرى بعد مرض لم يمهله كثيراً

* * *

ألا ترى إذن إلى خاتمة حياة هذا البطل العظيم ، كيف انتهت على هذا النحو من الذلة والعار بعد أن كان قد وصل إلى قمة المجد وذروة الرفعة والسلطان ؟ ألا ترى أن هذا من شأن العظماء ، لا تسير حياتهم على وتيرة واحدة وإنما يعتريها الرفعة والانحطاط ؛ فأنت لا يمكنك بعد ذلك أن تظن أن تيموستوكل قد خان وطنه ، إذ لم يصل إلينا شيء يثبت أنه قام بعمل ألحق الضرر ببلاده ، بل استمر مخلصاً لها وفياً أميناً ، حتى أنه رفض الذهاب في حملة إلى مصر لمحاربة أبناء وطنه ، كما ذهب بعض المؤرخين مثل ستيزيمبروت Stésimbrote فهو وإن كان قد لجأ آخر الأمر إلى ملك الفرس فإنما كان ذلك اضطراراً منه ، لأنه رأى وطنه يطارده في كل مكان راغباً للفتك به ، فتخلص من هذا وهرب حيث قابل ملك الفرس الذي أغدق عليه النعم والعطايا ، وشأنه في هذا لا يختلف عن شأن غيره من كبار اليونان الذين كانوا يضطرون إلى خدمة ملك الفرس حينما يرون بلادهم تنصرف عنهم وتسحب ثقتها منهم ، ونحن بعد هـذا لا نستطيع أن نعتبر التجاءه إلى الفرس خيانة منه لبني قومه ، وإنما كان ذلك لرغبته في الحياة والإبقاء عليها . وكيف السبيل إلى كسب العيش ووطنه قد نفاه وشرده حتى أصبح لا يجد مكاناً يلتجيء إليه عند اليونان على سعة بلادهم وامتداد أطرافها . وقد يلومه بعض الناس على هذا الالتجاء إلى ملك الفرس ولا يبرئونه من تهمة خيانة وطنه ، إذ لو كان بريئاً حقاً من هذه التهمة لقدم نفسه إلى المحاكم وهي تفصل في ذلك حتى ترجع الحق إلى نصابه ، ولكن غاب عن هذا الفريق أنه لم تكن توجد محاكم في أثينا بالمعنى المعروف لدينا في الوقت الحاضر ، وإنما كان الفصل في قضايا الخيانة العظمى راجعاً إلى الشعب وحده ، ونحن نعلم ما كان عليه الشعب الأثيني من تهور واندفاع حينما تعرض عليه القضايا السياسية التي تتطاحن فيهـا المصالح وتتنازع عليها الأحزاب ؛ كلا ! لم يكن ذلك في استطاعة تيموستوكل ولم يكن هذا الالتجاء إلى ملك الفرس خيانة منه وغدراً بالمعنى الصحيح ، فهو يعتبر من غير شك خطأ ولـكن لهذا الخطأ أسبابه ومبرراته التي تجعلنا لا نغلو في الحكم عليه . وكيف نغلو في الحكم على تيموستوكل وكلنا إعجاب بما قام به من أعمال يعجز عن القيام بها كثير من أفراد البشر ؟ ألم يتعهد بلاده في وقت الخطر ويعدها خير إعداد للمعركة الفاصلة ؟ ألم يحرز لها نصراً حاسماً أبعد عنها الخطر الفارسي إلى زمن طويل ؟ ألم يكن هو من الأشخاص الرئيسيين الذين شجعوا على تكوين حلف ديلوس ونحن نعرف أن هذا الحلف تطور فيما بعد حتى أصبح أمبراطورية تعرف في التاريخ القديم بالأمبراطورية الأثينية البحرية ؟ ألم يعمل بعـد ذلك على التأسيس والإصلاح وإزالة الخرائب والأنقاض ببناء الأسوار وإقامة التحصينات ، حتى أصبحت أثينا ومعها بيريه قلب بلاد اليونان بل مركز الحضارة اليونانية حتى قال عنها بركليس « إنها أصبحت مدرسة اليونان

١٣ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الحكومة — تابع الفصل الرابع

سبقت الإشارة إلى عمل الضابط، وهو الآن رئيس الشرطة. أما مخبروه الذين لا تميزهم ميزة، فينتشرون في أحياء العاصمة ويختلطون بالناس في المقاهي وكلهم عيون وآذان — وأغلبهم لصوص عُفى عنهم — وهم يرافقون الحرس في دورته الليلية خلال شوارع القاهرة. ولا يسمح لأحد غير العمى بالتجول في الخارج بلا مصباح أو أى نور بعد غروب الشمس بحوالى ساعة ونصف. وقلما ترى سائراً بعد ساعتين أو ثلاث. ولا يكاد الليل ينتصف حتى تمر في العاصمة جميعها فلا تقابل أكثر من عشرة أشخاص أو عشرين خلا المراقبين والحراس وبوابى الحارات والدروب. وعند ما يمر عابر سبيل يناديه الحارس بالتركية: « من هذا؟ [١] » فيرد المار بالعربية: « ابن بلد! [٢] » والحارس الخاص كذلك يصيح: « وحّد الله » أو « وحّد » فقط! فيجيبه السائر: « لا إله إلا الله ». ولا يختلف النصارى من المسلمين في هذا القول، فهم يفهمون التوحيد فهماً مختلفاً. والمفروض أن اللص أو من يشرع في مخالفة القانون لا يجرؤ على النطق بهذه الكلمات. وبعض الأشخاص يجيبون الحارس بصوت مرتفع: « لا إله إلا الله محمد رسول الله ». ويستخدم الحارس الخاص لحراسة الأسواق والأحياء ليلاً، وهم يحملون (نبوتاً) ولا يحملون مصباحاً

والعادة أن يتجول الضابط، أو أغا الشرطة، في شوارع القاهرة. ويرافقه غالباً السياف والشعلجى، أى حامل الشعلة المستعملة إلى الآن[٣]. وهذه الشعلة تشتعل حال إضرامها فلا يصعد لهبها إلا حين تحرك في الهواء، عند ما تضرم فجأة في الخارج. وهكذا تؤدى عمل مصابيحنا المعتمة. وقد يوضع على الطرف المشتعل إناء صغير أو جرة أو يغطى بشيء آخر حين لا تلزم الإنارة. ويقال إن اللصوص كثيراً ما يشعرون بالشعلة في الوقت المناسب فيتفادون مقابلة حاملها. وعقوبة من يقابله الشرطى بلا نور هى الضرب. وقلما يحاول المقاومة أو الهرب. وكان لرئيس الشرطة سلطة مطلقة في ضرب عنق أى مجرم أو مذنب بلا محاكمة حتى ولو كان القانون لا يعاقبه بالإعدام. وكذلك كان له مرؤوسون كما ستري بعدُ. وقد ندر في السنوات الأخيرة مباشرة هذه السلطة. وأعتقد أنه لم يعد يسمح لهم بذلك الآن. ويقوم أعوان الضابط بدورتهم الليلية مع الجنود لأنهم أحسن معرفة منهم بمخابئ اللصوص والأشرار ومناجمهم. ويندر أن يباشر الضابط نفسه سلطة تخرج عن حد القرع أو الجلد.

كثيراً ما يتخذ رؤساء الشرطة وسائل غريبة مثل التى نراها في بعض قصص ألف ليلة وليلة لاكتشاف المجرم. وأذكر هنا حادثاً لا يختلف في صحته أحد على سبيل المثال. وسأرويه بالطريقة

---

(١) « كيمن دور أُ » عوضا عن « كيم دور أُ »

(٢) ويجيبه « أعمى » اذا كان لا يرى

(٣) ويخطئ البارون هامر برجستال باستعمال « مشعلجى » بدلا من « شعلجى ». فالعامل الأخير لا يحمل مشعلا ولكن شعلة مختزلة، وقد وصفت المشعل ورسمته في الفصل السادس

جميعاً » ؟ ألم يؤسس لأثينا هذا الأسطول البحرى العظيم الذى جعلها دولة بحرية بعد أن كانت دولة برية والذى كان العماد الذى تعتمد عليه الإمبراطورية الأثينية ؟ قام تيموستوكل بهذه الأعمال الجليلة لأنه كان يضع مصلحة قومه في المكان الأول من اعتباره فيتناسى شخصه ومطامعه ويتجاهل حتى تنكر له قومه وبنو وطنه. كان إذن تيموستوكل من بناة مجد أثينا في القرن الخامس حتى يدعونا هذا إلى أن نضمه في صف كبار الآثينيين، فهو لا يكاد يقل شأناً وأهمية عن زعيم آخر من زعماء الديمقراطية، وهو بركليس، وإن كان الناس قد أطلقوا على القرن الخامس عصر بركليس وأفردوا بركليس بهذه التسمية، فإننا نرى أنه يحق لتيموستوكل أن يدعى لنفسه شيئاً من هذا الفخر والمجد فيطالب بأن يسمى هذا القرن عصر تيموستوكل وبركليس معاً.

محمد الشمات أيوب

التي سمعتها: قصد ذات يوم رجل مسكين أغا الشرطة وقال له: يا سيدي، أقبلت إليّ اليوم امرأة وقالت لي: خذ هذا القرص ودعه في حيازتك وقتاً وأقرضني خمسمائة قرش. فأخذته منها، يا سيدي، وأعطيتها الخمسمائة قرش وانصرفتْ. وبعد انصرافها قلت لنفسي: لأنظر إلى هذا القرص، وتأملته فإذا هو من النحاس الأصفر، فلطمت وجهي وقلت: سأذهب إلى الأغا وأقص عليه قصتي عسى أن يحقق هذه المسألة ويوضحها، فليس هناك غيرك من يستطيع مساعدتي في هذه القضية. فقال له الأغا: إسمع إلى ما أقوله لك يا رجل. أنقل ما في دكانك ولا تترك فيه شيئاً ثم أقفله، وبكر في الذهاب صباح اليوم التالي، وبعد أن تفتح دكانك صِح قائلاً: يا حسرتاه على أموالي! ثم خذ في يديك مدرّتين واضرب نفسك بهما وصح: يا أسفاً على أموال الناس! فإذا سألك أحد: ما ذا حدث فقل له: ضاعت أموال الناس، فقدت رهناً كان عندي لامرأة، لو كان ملكي لما انفضحت هكذا. هذا كفيل بأن يكشف لنا الأمر. ووعد الرجل بتنفيذ ما طلب منه، فنقل كل ما في دكانه. وفي بكرة اليوم التالي ذهب إلى دكانه وفتحه وأخذ يصيح: يا ويلاه على أموال الناس، وأخذ مدرّتين وضرب نفسه بهما وجعل يدور في أنحاء المدينة صارخاً: يا حسرتاه على أموال الناس! ضاع رهن لامرأة كان عندي، لو كان ملكي لما أهمني. فسمعتْ المرأة التي رهنت القرص صياحه وتبينت أنه الرجل الذي خدعته؛ فقالت لنفسها: اذهبي وارفعي دعوى عليه؛ وذهبت إلى دكانه راكبة حماراً لتكسب نفسها أهمية وقدراً؛ وقالت له: يا رجل، أعطني مالي عندك؛ فأجابها: ضاع؛ فصاحت: قطع الله لسانك! هل أضعت مالي؟ لأذهبن إلى الأغا ولأخبرنه بذلك؛ فقال لها: اذهبي! وذهبت إلى الأغا وسردت شكواها، فبعث الأغا في طلب الرجل. فلما جاء قال المشتكية: ما لك عنده؟ فأجابته: قرص من الذهب البندقي الأحمر؛ فقال الأغا: يا امرأة، عندي هنا قرص ذهبي أود أن أريك إياه؛ فقالت: أرنيه، يا سيدي، فإنني أعرف قرصي. فحل منديلاً وأخذ منه القرص الذي رهنته، وقال: أنظري ... فنظرت إليه وعرفته ... فطأطأت رأسها. وقال الأغا: ارفعي رأسك وأخبريني أين نقود هذا الرجل؟ فأجابت: يا سيدي، إنها في بيتي. فأرسل معها إلى المنزل السياف مجرداً من سيفه، وعادت بكيس فيه النقود، وأعيدت الخمسمائة قرش إلى صاحبها. ثم أمر الأغا السياف بأخذ المرأة إلى الرُّميلة، وهي مكان فسيح مكشوف أسفل القلعة، ليقطع رأسها هناك ونفذ الأمر!

أما أسواق القاهرة والموازين والمكاييل، فتخضع لمراقبة المحتسب، وهو يجوس من حين لآخر خلال المدينة، يتقدمه عامل يحمل قسطاساً كبيراً، ويتبعه الجلادون والخدم. وهو يمر على الدكاكين والأسواق واحداً واحداً، وأحياناً يتفقد واحداً هنا وواحداً هناك، فيفحص الميزان والأوزان والأكيال، كما يستفهم عن أثمان المؤن من مأكولات وغيرها. وكثيراً ما يستوقف خادماً ما يقابله صدفة في الطريق حاملاً مأكولات قد اشتراها، فيسأله عن ثمنها ووزنها. فإذا تبين له أن البائع استعمل موازين أو مكاييل مغشوشة، أو طفف الميزان أو زاد على سعر السوق، أنزل به العقوبة في الحال. والعقوبة العامة هي الضرب أو الجلد. ورأيت مرة رجلاً تنفذ عليه عقوبة مختلفة لبيعه خبزاً ناقص الوزن: خزم أنفه وعلقت فيه كعكة بطول الشبر وبسُمك عرض الأصبع، وجرد من ثيابه إلا قطعة من الكتان حول صلبه، وشُدّ، وذراعاه خلفه وقدماه فوق قاعدة صغيرة، إلى قضبان شباك من شبابيك جامع الأشرفية في أهم شوارع المدينة، وبقي كذلك حوالي ثلاث ساعات معرضاً لأنظار الجمهور المحتشد وأشعة الشمس المحرقة

وكان ممن عُيِّن محتسباً – بعهد قدومي الأول إلى مصر – رجل كردي اسمه مصطفى كاشف، تولى سلطته بأقسى الطرق، فكان يقطع شحمة الأذن أو طرفها لجرم مهما صغر ولأيسر جرم. وفي مرة قابل رجلاً شيخاً يقود حميراً محملة بطيخاً فأشار المحتسب إلى واحدة من أكبرها حجماً وسأل عن ثمنها. فأمسك العجوز شحمة أذنه وقال: إقطعها يا سيدي! فأعاد عليه المحتسب السؤال مرة بعد مرة فكان الجواب واحداً. فاغتاظ المحتسب ولكنه لم يتمالك أن ضحك، وقال: «هل أنت مجنون أو أصم»؟؟ فأجاب العجوز: «لا، لست مجنوناً

ولا أمم ، ولكنى أعرف أننى إذا قلت ثمن البطيخة عشرة فضة فستقول : « إقطع أذنه » . وإذا قلت خمسة فضة أو فضة واحدة فستقول : « إقطع أذنه » . لذلك اختصرت الأمر وقلت اقطعها ودعنى أتبع طريقى » . ولم ينجه إلا ما فى تهكمه الفاجئ من فكاهة

كان قطع الأذن هو العقوبة العادية التى يوقعها هذا المحتسب، ولكنه اتبع أحياناً طرقاً مختلفة ؛ فقد عاقب جزاراً باع لحماً ينقص عن الوزن الحقيقى أوقية ونصفاً بقطع هذا القدر من ظهره . وأمر بتجريد بائع كنافة حصل على زيادة فى الثمن تافهة من ثيابه ووضعه على الصينية النحاسية المستديرة حيث تسوى الكنافة وتركه كذلك حتى احترق احتراقاً رهيباً .

وكان يعاقب الجزارين بوضع كلابة فى أنوفهم يعلق بها قطعة من اللحم . وفى ذات يوم قابل هذا المحتسب رجلاً حاملاً صندوقاً كبيراً صفت فيه قلل فخارية من سمنود وهو يبيعها بوصفها من قنا ؛ فأمر أتباعه أن يكسروا القلل على رأسه واحدة واحدة .

وكان يظهر طغيانه خارج ولايته ؛ ففى ذات مرة خطر له أن يرسل حصانه إلى الحمام ، وطلب من صاحب حمام بجواره أن يعد المعدة لاستقباله والعناية بتحميته وتنعيم جلده . فتقول على صاحب الحمام هذا الأمر العجيب وخاطر بأن قال إن أرضية الحمام من الرخام ، وقد ينزلق الجواد فيقع ؛ وقد يصاب ببرد عند خروجه ، فيحسن لذلك نقل ماء الحمام إلى الإصطبل حيث تباشر عملية الحمام . فقال مصطفى كاشف : « إنى أرى السبب غير ذلك . أنت لا تريد أن يذهب جوادى إلى حمامك » . وأمر بعض خدمه أن يطرحوه أرضاً ويضربوه بالعصى حتى يأمرهم بالكف . ولم يأمرهم بالكف حتى مات المسكين

ولسنوات قليلة خلت كانت العادة أن يسعى بين يدى المحتسب عند طوافه بالمدينة لفحص الموازين والمكاييل ، رجل معه ميزان أكبر حجماً من الميزان المستعمل . ويقال إن قب هذا الميزان كان أنبوبة مجوفة بها زئبق ، فكان حامل الميزان يستطيع إذا عرف الذين رشوا سيده أن يرجح إحدى الكفتين بسهولة

ويشرف على الأسواق العامة المستخدمون المكلفون بمراقبة تجارة الباشا وصناعاته المختلفة . ووظيفتهم كوظيفة المحتسب سواء بسواء . وقد اشتهر بعضهم بارتكاب أرذل أنواع البغى والقسوة . وكان أحدهم ويسمى على بك (ناظر القماش) إذا وجد أحداً يملك نولاً خاصاً أو صادفه يبيع ما نسجه ، يشده فى قطعة من هذا النسيج يغمسها فى الزيت والقار ثم يعلقه هكذا على فرع شجرة ويوقد فيه النار ، فأباد الكثير بهذه الطريقة الوحشية . وقد مات هو نفسه حرقاً فى جم غفير أثناء انفجار مخزن بارود بمنحدر القلعة الشمالى سنة ١٨٢٤ . وقال صديق الذى حدثنى عن فظائع هذا الوحش : « عند ما نقلت جثته لدفنها صلى عليها الشيخ العروسى شيخ الجامع الأزهر يومئذ فى مسجد الحسين ، وكنت أقوم بالتبليغ خلف الإمام ، فلما نطق الشيخ بالدعاء ساد السكوت بين الحاضرين الكثيرين ؛ ومضى الشيخ يقول : وكان من الصالحين، فلم يسمع لأحد صوت، فارتبك الشيخ وقال بصوت خافت : ليرحمه الله ؛ ثم قال صديق مواصلاً حديثه : الآن نستطيع أن نؤكد أن مصير هذا الرجل الملعون إلى جهنم، ومع ذلك لا تزال زوجته تقيم له ختمة فى منزلها ، وتوقد له كل ليلة شمعتين فى مسجد الحسين ! »

ولكل حى من أحياء العاصمة شيخ يسمى « شيخ الحارة » ، وهو يباشر سلطته للمحافظة على النظام ولفض صغير المشا كل بين السكان ولطرد من يعكر صفو الجيران . وتنقسم العاصمة إلى ثمانية أقسام يرأس كلا منها شيخ يسمى « شيخ الثمن »

وكذلك كان لكل طائفة من الطوائف التجارية والصناعية المختلفة فى العاصمة وفى غيرها من المدن الكبيرة شيخ يحكم فى المنازعات المتعلقة بهذه التجارة أو الحرفة ، ويصدق على قبول الأعضاء الجدد

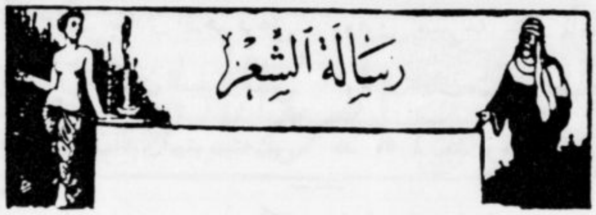
كذلك يخضع خدم القاهرة لأمرة شيوخهم . ويستخدم الخدم بواسطة هؤلاء الشيوخ إذ يشهدون لهم بحسن السلوك مقابل قرشين أو ثلاثة . فإذا ارتكب الخادم سرقة يلزم الشيخ بتعويض السيد ، ولو لم يحصل على المال المسروق

واللصوص أيضاً ، منذ سنوات قليلة اتخذوا كبيراً منهم شيخاً عليهم ، وكثيراً ما كان هذا الشيخ يطالب بالبحث عن المسروقات وتقديم المجرمين للمحاكمة ؛ وكان على العموم يقوم بذلك . ومما يستحق الذكر أن هذا النظام العجيب كان سائداً فى عهد المصريين القدماء[1]

« يتبع » عدلى طاهر نور

---

(١) أنظر ديودور الصقلى



الطــير المهاجر

للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

علمتني مواسمُ الروض أن الط
يرَ شتى : مهاجرٌ ومقيم

أتراني لا أسمع الطير إلا
في رياضي معششاً لا يَريم ؟

رُبَّ شادٍ في هجرة يتغنى
وعليه السلام والتسليم

من جنوب إلى شمال ، وحيناً
من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقلُّ وداع
وله حين يُقبل التكريم

خذ من الطير كل يوم جديداً
فسواء جديده والقديم

كم مُوَلٍّ وصفوه لا يولي
ومقيم وصَفْوُه لا يقيم

عباس محمود العقاد

أريــد...

للأديب أحمد عبد المجيد الغزالي

جف الغدير ! فمن للظامئ الصادي ؟ — وصوّح العود تحت الهاتف الشادي
ومات زهر الربى لا الطير تندبه — ولا الشعاع عليه رائح غاد
حتى الزهور يقول الدهر نضرتها — أشكال ناضرة من دهرها عاد
غاضت منابع شعري وهي زاخرة — وغام أفقي . أما من بارق هاد ؟
طال المسرى وطريقي شائك حلك — ولم يغن جديداً ذلك الحادي
أريد لي عالماً يختال (حاضره) — على شوارد هذا العالم (البادي)
أريد دنيا جديد الوحي يغمرها — فأستفيق على شدوي وإنشادي

أريد أن تسكبي الأنغام في خلدي — شيعت أمسي فهلا تبعثين غدي؟
مالي وقيثارة شُدّت على خشبٍ — وأنت قيثارة شُدّت على كبدي؟
جفّ النشيد على أوتارها فغدت — بكماء لا تحتفي بالطائر الغَرِدِ !
طوقتها حانياً ، أبكي لياليها — كما بكى والدٌ برٌّ على ولد
فهدّهدي أنت أحلامي بأغنية — تنساب من نبعك الجاري من الأبد
وجدّدي عهدَها الماضي فإن عرضت — ذكرى أناشيدها في الحب فانشدي
أنا الذي نهلت روحي أغانيها — كما ستنهلُ في أيامك الجُدُدِ

أريد ياجدولي الساري بأوهامي — أن تستبد بآمالي وآلامي
بالأمس ياجدولي والروض يضحك لي — نديت من عذبك السلسال أحلامي
واخترت من ورق الأزهار لي صحفاً — بيضاً ومن هذه الأغصان أقلامي
واليوم ياجدولي لا الروض يضحك لي — ولا مياهك تروي غلة الظامي
ظمئت ياجدولي والجرح في كبدي — فهل لمائك يأسو جرحها الدامي ؟

قد كان شطك لى أنساً وعافية   فكنت أقوى على دهرى وأيامى
فما لأنسى به غاضت منابعه   ولم تعد نرة تجرى بأنغامى

أريد يا كرم ، ماء غير رقراق
فقد برمت بهمس الكأس والساقي
سقيت يا كرم كأسى وهي مترعة   على شعاع سرى فى الكأس براق
ثملت يا كرم حتى عفت نشوتها   وعفت صحنى على كأسى وإطراقي
مل الندامى خداع الكأس صائحة   على صباح بنور الفجر دفاق
تميل أعناقهم والكأس دائرة   حتى كأن الطلا تعويذة الراقى !
أنفت يا كرم تلك الخمر صافية   كما ألفت يراعاتى وأوراقى
يا كرم ، ماصار خير الخمر أقدمها   إن كان ثم جديد فالهوى باق

أريد يا زهرات الروض أنفاساً   غير التى عرفتني الورد والآسا
ما عدت أستروح الأنسام عاطرة   ريانة النفح تنسى القلب ما قاسا
نسيت بالروض أياماً لنا سلفت   كان الندى خمرتى والوردة الكاسا
أشدو بشعرى مع الأطيار صادحة   وقد أقمنا على الغدران أعراسا
فالزهر يبسم رفافاً لفرحتنا   والغصن يختال تحت الزهر مياساً
رغبت يازهرات الروض عن أرج   قد كان يملؤنى وهماً ووسواسا
ففي جيوبك يازهرات عن أرج   مابات يشعل فى الوجدان إحساسا

أريد يا طير تغريداً كتغريدى   وأن ترده فى الدوح ترديدى
ما للأغانى تغنيها فأسمعها   فلا تطامن من همى وتسهيدى
سئمت يا طير ألحاناً شدوت بها   بين الرياحين أو فوق العناقيد
إن كان عندك لحن غير ماصدحت   به رباك ، فوقعه على عودى
لو كنت كالطير فى الأجواء منطلقاً   لأنشد الطير الدنيا أناشيدى
وبات يتبعه فنى وجدّته   فلن يكون له فنى وتجديدى
يا ويح للطير ، لا زالت هواتفه   تردد اللحن من أيام داود

أريد يا ليل ، إن رتلت آياتى   أن لا تخفف أشجانى وآهاتى
دعنى لظلمتك الدكناء أقبسها   نوراً يضيء حنايا دهرىَ العاتى
شقيت يا ليل بالأضواء تغمرنى   فتوقظ الألم الغافى بأناتى
قد كنت يا ليل تسليفى إذا عصفت   بى الأمانى فى كيد وإعنات
أما سمعت بعادى الدهر فزعى   ودون مسرحه غنى لمأساتى
يا ليل أين السكون العبقرى مضى   وخلف القلب مشبوب الصبابات
هذا السكون الذى استوحيته كلمى   ما باله لم يعد وحياً لأبياتى ؟

أريد يا بدر نجوى غير نجواكا   قد كان يسعدنى فى الليل مسراكا
أنداء نورك كانت بلسما عجبا   للحب ماصنعت ـ يابدر ـ يمناكا
دنياك دنيا الهوى والشعر عشت بها
أجنى بها الزهر ، حتى زهرها شاكا
وما سلمت بدنيا الناس من نكد   قد ضقت ذرعاً بدنياهم ودنياكا
تساقط النور أسلاكا كأن به   سراً ، يساقطه يا بدر مثواكا
أضاءت للناس حتى أظلموا ومضوا   يسخرونك أشرارا وفتاكا
ماذا عليك ، إذا أرسلتها حمما   تنقض يا بدر أجراماً وأفلاكا

أريد يا فجر ألا يشرق النور   وأن يانف شعاع الصبح ديجور
وأن نظل هجوعاً فى مراقدنا   فلا يؤرقنا فى الروض عصفور
ولا تجاوبه فى الأفق ساجعة   مسحورة إلفها بالأفق مسحور
لو كان طير الربى يدرى مهازلنا   يا فجر ، ما شاقه شدو وتصفير
هم روعوه بشر زاحموه به   فى الجو ، فالطير فى دنياه مقهور
ألطير ، سل عنه أذن الروض مرهفة
يجبك زهر على الخلجان منثور
والقوم سل عنهم الحرب التى وقدوا
يجبك أتونهـا بالنار مسعور

أريد يا أيها الماشى على النار   أن تستفيق على صيحات أشعارى
تدب يا عالمى فوق اللظى عجلاً   غداً ستمضى برب الدار والدار
للنيل فى عنقى حق سأبذله   فى قذف قنبلة أو عزف قيثار
النيل إن رامه باغ به طمع   رمى بجيش من الأشبال جرار
النيل فى كنف الأشبال حوزته   وهم على رصد للطامع الضارى
جروا على مائه والفلك سامرهم
يداعبون خيال الكوكب السارى
أنا المزار الذى غنى لسامرهم   غداً أغني وطير النيل سماري

أحمد عبد المجيد الغزالى



اقتراح مرفوع الى جماعة كبار العلماء

رفع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس جماعة كبار العلماء اقتراحاً جليل الفائدة، مبارك الآثار، يتصل بتنظيم جهود الجماعة وتوفير إنتاجها؛ وقد نظرت الجماعة الموقرة فى هذا الاقتراح بجلستها المنعقدة فى اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٣٦٠ ثم قررت تأليف لجنة من بعض أعضائها لبحثه وتدبير طريق تنفيذه برياسة حضرة صاحب الفضيلة المفتى الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

ويسرنا أن نسجل هذا الاقتراح الهام على صفحات الرسالة، لأنه دليل على اتجاه حسن طالما رجوناه ودعونا إليه

وهذا نص الاقتراح:

« إن هيئة كبار العلماء ركن مهم من أركان الإصلاح فى الأزهر، بل الذروة التى يجب بلوغها منه ليعود إليه أولئك الفقهاء المحققون، والمحدثون الثقاة، والمفسرون المطلعون، واللغويون البلغاء، والمؤرخون الصادقون، وأهل الصلاح والتقى

« إن هيئة كبار العلماء هى التى يرجى منها أن تكون تاج الجامعة الأزهرية، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم وحفاظ الشريعة، ومقومى لغة القرآن لتركن الضمائر الواجفة إلى علمهم، وتهدأ النفوس الراجفة بهديهم وإرشادهم، وتطمئن قلوب المؤمنين لقيامهم حفاظاً لليقين، وحراساً على شريعة النبى الأمين »

بهذه العبارات الواضحة حددت لجنة إصلاح الأزهر المؤلفة فى سنة ١٩١٠ من المغفور لهما عبد الخالق ثروت باشا وأحمد فتحى زغلول باشا، وصاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا أطال الله بقاءه، الغرض من جماعة كبار العلماء، وآمال الأمة الإسلامية فيها

ولم تزل الأمة الإسلامية ناظرة إلى هذه الجماعة الموقرة، ترقب منها أن تكون مصدر خير لها فى دينها ودنياها. ترقب منها أن تعمل على إعلاء كلمة الله، ونشر ثقافة الإسلام وحياطتها بما يقويها، ويدفع عنها غائلة المعتدين. ترقب منها أن ترشدها إلى أحكام الدين نقية مما خالطها من شوائب الابتداع فى عقائدها وعباداتها ونظمها ومعاملاتها

وإنى أقترح تحقيقاً لهذه الآمال الجسام أن يؤلف لجماعة كبار العلماء مكتب على دائم، وأن يجعل لهذا المكتب مكان معين معروف شأن كل هيئة رسمية أو غير رسمية من الهيئات التى تعمل لأغراض خاصة

أما مهمة هذا المكتب بعد إنشائه فهى ما يأتى:

(ا) معرفة ما تهاجم به الأديان عامة، والدين الإسلامى خاصة فى عصرنا الحاضر، والرد عليه رداً كافياً مقنعاً بأسلوب ملائم لطريقة البحث الحديث

(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها أو ليس كذلك، ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة، والعمل على نشر كل ذلك ليرجع إليه الناس، وتنقطع به أسباب الفتنة والنزاع بين المسلمين

وقد سبق للأزهر فى عهد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخه الحالى أن فكر فى تأليف لجنة مشتركة من الأزهر ووزارة الأوقاف مهمتها القيام بهذه الناحية، وألفت اللجنة فعلاً برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ إبراهيم حمروش عضو جماعة كبار العلماء، وسارت اللجنة فى عملها شوطاً بعيداً قاربت به النهاية

(ج) العمل على وضع مؤلف يحتوى على بيان ما فى كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات التى دست على التفسير وأخذها الناس على أنها من معانى القرآن، والتى لا يدل على صحتها نقل ولا يؤيدها عقل، وهذا يشبه ما قام به رجال الحديث من تجريد الأحاديث الموضوعة فى كتب خاصة يرجع إليها الناس

(د) إصدار الفتاوى فى الاستفتاءات التى ترد من المسلمين فى جميع الأقطار إلى مشيخة الجامع الأزهر

وقد فكرت مشيخة الأزهر الجليلة الحالية فى هذا الشأن منذ سنة ١٩٣٦ وألفت لجنة برياسة أحد أعضاء جماعة كبار العلماء هو المغفور له فضيلة الأستاذ الشيخ حسين والى — طيب الله ثراه — ثم أسندت رياستها من بعده إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر وعضو جماعة كبار العلماء

(هـ) بحث المعاملات التى جدت وتجد فى العصر الحاضر

من جهة حكم الشريعة فيها حتى يظهر الناس سمة صدر هذه الشريعة ، وقدرتها على تلبية حاجات الناس فى مختلف العصور

(و) : تنظيم طرق الوعظ والإرشاد والاتصال بالهيئات المعدة لذلك كوزارة الشئون الاجتماعية والجمعيات الإسلامية فى مختلف الأقطار

وقد نصت على هذه الناحية لجنة الإصلاح التى أشرنا إليها سابقاً بقولها :

« ومنها — تريد هيئة كبار العلماء — تتألف لجنة تنسيق الوعظ والإرشاد ووضع قواعده »

كما عنى بها قانون تنظيم الجامع الأزهر الذى وضع فى عهد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخه الحالى إذ يقول فى المادة السادسة عشرة منه ما نصه :

« مادة ١٦ : تضع جماعة كبار العلماء نظام الدعوة والإرشاد وتصدره إلى الجهة المختصة لتنفيذه »(١)

(ز) : التنقيب عن الكتب المفيدة فى مختلف العلوم والعمل على إحيائها وإخراجها إخراجاً علمياً متقناً

والأزهر أجدر الهيئات وأقدرها على الاضطلاع بهذا العمل والوصول به إلى ما يرجى له من النجاح

(ح) : الإشراف على مجلة الأزهر والعمل على توجيهها فى طريق تخدم به الحركة الفكرية الإسلامية ، وتبرز به ثقافة الكليات الثلاث

* * *

هذا هو اقتراحى أضعه أمانة أمام جماعة كبار العلماء للنظر فيه بما أعتقد أنه جدير به من العناية والاهتمام ، حتى يتم إقراره وتنفيذه والله يتولانا جميعاً بهدايته وتوفيقه

محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء
ووكيل كلية الشريعة

(١) القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ إعادة تنظيم الجامع الأزهر

مؤتمر الأديان فى لندن

عقد فى لندن المؤتمر الدولى للعقائد ، والغرض من هذا المؤتمر الذى يرأسه السير فرنسيس يونجهزبند هو نشر روح الإخاء بين بنى البشر من طريق الأديان والتفاهم المتبادل بين مختلف العقائد

وقد أذيع أن فى النية إرسال كتب ورسالات إلى زعماء الأديان غير المسيحية يطلب إليهم فيها إبداء موافقتهم على المبدأ الذى حوته قواعد السلام الخمس التى وضعها البابا منذ سنتين

وقد أرسلت كتب إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر فى القاهرة ، وإلى الزعماء الدينيين فى بلاد العرب وتركيا والشرق الأوسط عامة ، وإلى الزعماء المسلمين والهنود والبوذيين فى الهند وبورما والشرق الأقصى

وقد حضر الشيخ حافظ وهبه وزير المملكة السعودية المفوض فى لندن اجتماع المؤتمر فى الأسبوع الماضى ، وخطب فى نهاية الاجتماع الأستاذ يوسف على الذى كان فى وقت ما مندوباً عن الهند فى عصبة الأمم والعميد السابق للكلية الإسلامية فى لاهور ، فتحدث عن قواعد السلام التى يتوخاها مؤتمر الأديان المختلفة

وعقب ارفضاض الاجتماع أفضى السير فرنسيس يونجهزبند إلى مندوب وكالة الأنباء العربية بحديث قال فيه : « لقد تلقيت من فضيلة الشيخ المراغى مرتين ترحيباً صادقاً بفكرة المؤتمر وتحبيذاً طيباً لعقده ، ونحن على يقين من تأييده التام لفكرة التفاهم بين مختلف العقائد وتآزرها للوقوف فى وجه العدوان القائم عليها جميعاً . ويقينى أن فضيلته هو أحد الذين يقدرون القيمة الروحية قبل أى شىء سواها »

وبهذه المناسبة نذكر أن قواعد السلام الخمس التى ألمت إليها تلك الرسائل هى : ١ — حق الأمم جميعاً فى أن تعيش معاً تحت ظل السلام ٢ — الاتفاق المتبادل على نزع السلاح ٣ — توافر الوسائل المذللة لمراجعة المعاهدات التى تحوى مساساً أو ظلماً فى حق أى شعب من الشعوب ٤ — الاعتراف بحقوق جميع الأقليات ٥ — ضرورة توفر حسن النية إذا أريد حقاً التراضى على سلام مقيم

وفاة موريس ليبلان

توفى الكاتب الفرنسى موريس ليبلان المشهور بقصصه عن أرسين لوبين فى مدينة بربنيان

وقد ولد هذا الكاتب فى سنة ١٨٦٤ فيكون قد توفى عن ٧٧ عاماً ؛ وهو أول الكتاب الفرنسيين الذين اختصوا بكتابة الروايات البوليسية . وقد اشتهر بابتداعه شخصية أرسين لوبين بطل رواياته . ومما يجدر ذكره أن الحكومة الفرنسية عينت موريس ليبلان فى اللجنة التى عهد إليها تحقيق قضية ستافيسكى المعروفة ، وحادث مقتل المستشار برنس . ومن مؤلفاته : أرسين لوبين اللص الظريف ، أرسين لوبين ضد شرلوك هولمز ، المثلث الذهبى ، جرائم أرسين لوبين الثلاث ، أنياب النمر ... الخ

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 438

Lundi - 24 - 11 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٤ نوفبر سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٣٨

الفهـــــرس

صفحة

١٤١٧	لا تقولوا أين الكتاب وقولوا أين القادة ... !	أحمد حسن الزيات ... ...
١٤١٩	ديوان البارودى	الدكتور زكى مبارك ... ...
١٤٢٣	التطور البشرى	الدكتور جواد على ... ...
١٤٢٦	صفات زوجة	الدون فرنسيسكو دى كفيدو بقلم الأديب يوسف روشا
١٤٢٨	بين الأديبين المصرى والسورى	« كاتب لبنانى » ... ...
١٤٣٠	العقائد الوثنية فى الكتب الأزهرية	الأستاذ محمود أبو رية ...
١٤٣٢	(هبر كذا ...) ...	الأستاذ الكبير « ا . ع »
١٤٣٤	فضل الصفر على المدنية ...	الأستاذ قدرى حافظ طوقان
١٤٣٧	هؤلاء الكتاب	الأستاذ م . دراج ... ...
١٤٣٨	المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم	المستشرق إدورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٤٤١	جواب على تعزية [قصيدة]	الأستاذ « ن . ج » ...
	نظـرة ... ! »	الأستاذ خليل شيبوب ...
	لا تقل ... ! »	الأديب مصطفى على عبد الرحمن
١٤٤٢	العروبة لغة لا جنس ...	الدكتور زكي مبارك ... ...
	الخبـاز	الأستاذ محمد محمود رضوان
١٤٤٣	الأسود بن قنان	الأستاذ على حسن هلال ...
	مصر بين القطن والقمح	. ...
١٤٤٤	تصويبات	الأستاذ أحمد صفوان ...
	النفط	الأديب حسين محمود البشبيشى
	جماعة تيسير الحج	. ...
	جريدة الواجب	. ...

لا تقولوا أين الكتاب
وقولوا أين القادة ... !

أو كلما كظمت الأنفاس روائح الشر ، وكرَبت النفوس غواشى الفساد ، ذهل الناس عن مرسلى الريح ومثيرى القتام وقالوا أين الكتّاب ؟ هل للكاتب إلا نذير ؟ وهل على الكتّاب غير البلاغ ؟ لقد كتبوا حتى أوشك المداد أن ينفد ، وخطبوا حتى كاد الريق أن يجف ؛ ولكن أكثر العامة لا يقرأون ، وأكثر الخاصة لا يفهمون . ومتى أغنى القول عن الفعل ، وجَزَى الرأى عن العزيمة ؟

إن من أقبح ما يعاب علينا وعلى أمم الشرق أننا لم نعرف من أدوات السياسة ووسائل الإصلاح غير الكلام والكتابة ؛ فسياستنا خطب ، وإدارتنا تقارير ، ومناهجنا وعود . ولو كان الشعب قارئاً لرجونا من وراء الكتابة صلاح النفس فى الفرد وسمو الروح فى الجماعة ؛ ولكن الأمية لا تزال بفضل وزارة المعارف حجاباً مستوراً بين عيون الناس ونور الحق . فماذا عسى يصنع الكتّاب وليس لهم من الأمر شىء ؟ هل يصنعون إلا أن يفتحوا بأسنان أقلامهم أجفان المتعامين لتثب إلى عيونهم صورُ العيوب فيدركوها ؟ وهم قد فعلوا ذلك ولم يألوا : فعلوه فى الكتب والصحف ، وفى المدارس والمسارح ، حتى لم يبق فى هؤلاء الذين تقسموا

الحكم ، وتوزعوا السلطان ، وتنازعوا القيادة ، من لم يحفظ صور الفساد ووجوه الصلاح عن ظهر قلب ! ولكن الله الذى آتى زعماءنا ملكة الكلام لم يؤتهم ملكة العمل ! فهم يستطيعون أن يقولوا ما قال الكتاب ، ولكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ما فعل القادة . ومصداق ذلك أنك تراهم فى أندية الأحزاب ، وفوق مقاعد النواب ، وبين أعمدة الصحف ، يكشفون عن مواضع النقص ، ويشيرون إلى مواقع الكمال ، فيفتون فى كل مسألة فتوى العالم ، ويُدْلون فى كل معضلة برأى الخبير ، ويعترضون على كل أمر اعتراض اليقظ ؛ فإذا وليناهم الحكم وخلينا بينهم وبين العمل ، التاث عليهم الأمر ، وبرّح بهم التطبيق ، وأصبح جهدهم مصروفاً إلى مناقضة القول بالقول ، ومعارضة الرأى بالرأى ؛ كأنما تبوأوا مقاعد الحكم ليردوا وهم وزراء ورؤساء ، على ما انتقدوه وهم كتاب وخطباء !

***

من من الزعماء يجهل أن الأمة لا تزال متخلفة فى الخلق والمعرفة والحضارة عن أدنى أمم الأرض المدودة قرناً من الزمان ؛ فحياتها بدائية ، وأخلاقها همجية ، ونظمها ارتجالية ، ومعيشة الزراع والصناع فيها أقرب إلى معيشة البهيم ، منها إلى معيشة الإنسان الكريم ؟ كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكن اشتغالهم بسفساف الأمور ، وخسيس المطامع ، ودنىء الشهوات ، صرفهم عن النظر فى شؤون الناس وأحوال المجتمع ، فلا يذكرون الشعب إلا يوم يقوم الانتخاب ، وتصطرع الأحزاب ، ويحتاج كل طامع إلى سلالم من أكتاف المساكين يصعد فيها إلى النيابة والحكم

ومن من الأغنياء يجهل أن الفقر فى مصر ضربٌ من الرق يذل النفوس ، ويقتل المواهب ، ويشكك المرزوء به فى العدل والحق ؛ فهو يسكن ليستكين ، ولكنه قد يثور ليثأر ؟

كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؟ وهم مقتنعون بأن علة هذا الفقر هى أكلهم الحق الذى جعله الله فى أموالهم للفقير ؛ ولكن العلم وحده لا يبسط الأنامل الكزّة ، ولا يهز النفوس الشحيحة !

ومن من العلماء يجهل أن دين الله صالح لكل جيل من الناس ولكل حين من الدهر ؛ فهو ثابت بحقيقته ثبوت الخالق ، ولكنه متطورٌ بطبيعته تطور المخلوق . كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكنهم أغلقوا على عقولهم باب الاجتهاد فظلوا فى دنيا الماضين ، يذهبون ما ذهبوا ، ويقرأون ما كتبوا ، ويجذبون ركب الإنسانية إلى الوراء ثلاثة عشر قرناً ليأخذ من ساكنى القبور جواز المرور !

ومن من الموظفين يجهل أن الأمة هى أسرته الكبرى ، وأن الوطن هو بيته الأكبر ؛ فالعمل الذى يقوم به هو عمله ، والمال الذى يقوم عليه هو ماله ، والرجل الذى يقف أمامه فى شأن من الشؤون هو أخوه ؟ كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكنهم فى الكثير الغالب يتحاملون على ضمائرهم فيخضعونها لسلطان الكبر والأثرة ، فيرفعون أقدارهم على أقدار الناس ، ويضعون المنفعة الخاصة فوق المنفعة العامة !

ومن من التجار يجهل أن الحرام لا يزكو ، وأن الغبن لا يحلّ ، وأن الحكرة لا تجوز ؟ كلهم يعلمون ذلك وإن لم يقرأوه فى مقال أو يسمعوه فى خطبة ؛ ولكنهم فى سبيل الثراء الدنئ يتعامون عن بؤس الفقير ، ويتصامون عن صوت الضمير ، ويهتبلون فرص الحرب ليعصروا الذهب والفضة من دماء القتلى ودموع الأيامى وعَرَق العَمَلة !

***

الواقع الذى لا مِرْية فيه أن أمم الشرق لا يعوزها إدراك النقص ولا عرفان الواجب ؛ إنما يعوزها الرجل الذى يطبق علمها على العمل ، ويوحد رأيها على الحق ، ويجرى خلقها على الرجولة ، ويجمع شتاتها على الطريق . فهل لصديقى العشماوى بك أن يوافقنى على أن مصر اليوم لا تحتاج إلى (علىّ) بلسانه الحكيم ، وإنما تحتاج إلى (عمر) بدرّته[1] الحازمة ؟

(المنصورة) احمد حسن الزيات

(١) الدرة علم على عصا عمر بن الخطاب

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

٢ - ديوان البارودى

للدكتور زكى مبارك

الذاتية البارودية : ما رواه الكاظمى وما رواه النقراشى — منابع الشاعرية البارودية : الشقاء بالحب ، والشقاء بالمجد ، والشقاء بالناس — وصف الحرب الروسية — البارودي فى منفاه — جنازة البارودي : هل حملت على مدفع ؟ وهل ودعها رجال الجيش ؟ ...

فى الكلمة الماضية نصصنا على بعض الملامح من شخصية البارودى ، فى سياق الكلام عن المقدمة التى كتبها الدكتور هيكل باشا للديوان . واليوم ننص على ملامح جديدة تعين الطلبة على إدراك الشمائل النفسية والذوقية لذلك الفارس الفنان

فن هو البارودى فى شخصيته الذاتية ؟

لم يتفق لى أن أهتمّ بمعرفة ذاتية البارودى من الذين عاصروه وكان ذلك فى الإمكان ، فقد كانت لى صلات مع الشاعرَين العظيمين : شوقى وحافظ ؛ وكنت أستطيع أن أعرف منهما أشياء لو أنى التفتّ إلى هذه الناحية ... على أن الالتفات إلى هذه الناحية لم يكن كل ما ضاع منى ، فقد كان فى نيتى أن أسأل « شوقى » عن تفسير الإشارة التى مرّت فى كلمته الوجيزة وهو يقدّم كتاب الدكتور محمد صبرى « أدب وتاريخ » ، فقد قال كلاماً يشهد بأن للثورة العرابية أسراراً أخطر من أن تذاع ، ثم مضت الأيام والسنون ، ومات « شوقى » قبل أن أسأله عن المراد بذلك التلميح

ومع هذا ، فقد أراد القدَر أن تساق إلىّ أخبار البارودى بدون أن أتجشم عناء الاستخبار ، بفضل السهرات التى قضيتها مع الشاعر عبد المحسن الكاظمى فى أعوامه الأخيرة ، وكان من جيرانى ، وكنت أغتنم الأنس بحديثه كلما سمحت الظروف .

ومن أحاديث الكاظمى عرفت أن المروءة المصرية تمثلت لعينيه فى شخصيتين كريمتين : الأولى شخصية محمد عبده ، والثانية شخصية محمود سامى ؛ ولا أريد فى هذا المقام أن أذكر ما كان بين الشيخ محمد عبده والشيخ عبد المحسن الكاظمى ، فقد فصّله الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا أجمل تفصيل فى أبحاث يعرفها جمهور القراء ، وأنا أبغض الحديث المعاد

أما حديث الكاظمى عن البارودى ، فهو عجب من العجب . كان البارودى على ألسنة أصحابه يتمتع بلقب « الأمير » ، ويقول الكاظمى : إن البارودى كان « أميراً » فى جميع شمائله الذاتية . وقد أكد الكاظمى هذا المعنى فى أحاديثه مى عشرات المرات ، وما كان اسم البارودى يجرى على لسانه إلا ظهرت على وجهه أمارات الحزن الوجيع ، وقد سألته مرة عن سر هذه الحال فقال :

كنت أسكن فى حارة « قرمز » بحىّ الجمالية ، وكان مسكنى بغرفة صغيرة فوق سطح البيت ، وكان السُّلَّم مهدّم الدرجات وبدون درابزين ، وكان البارودى يرى من أدب « الإمارة » أن يردّ الزيارة لكل غريب ؛ وكنت يومئذ من الغرباء ، فقد كنت حديث العهد بالقدوم من العراق . وفى إحدى الزيارات تخوّف البارودى من ذلك السلم لضعف بصره ، فاعتمد بيده على الحائط ، فنفذ مسمار فى كفه ، فزقه أشنع تمزيق ، وما ذكرت ذلك الحادث إلا تألمت لما كان يعانى « الأمير » فى سبيل الوفاء !

ومن هذا الخبر البسيط نعرف كيف كان البارودى فى شمائله الذاتية ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان مفتوناً بالمجد أعنف الفتون ، وأن الأريحية المصرية كانت ملء برديه ، عرفنا أنه كان بطبيعة نفسه من الأمراء بغض النظر عن مجده الموروث

وهنا يتسع المجال لنادرة ذوقية تمد من الصور الشعرية ، وهى نادرة حدثنى بها الأستاذ الكبير محمود فهمى النقراشى باشا فى سنة ١٩٣١ ، قال :

كان البارودى يعرف مصيره بعد انهزام الجيش المصرى فى موقعة « التل الكبير » فاستدعى أحد أصدقائه من أعيان مديرية الغربية وأخبره أن فى خزائنه كثيراً من الذخائر الذهبية ، وأنه يخشى أن تصير تلك الذخائر من غنائم المنتصرين ، ثم فوق بصره إلى ذلك الصديق وقال : هذه الذخائر وديعتى عندك ، فإن نفانى الإنجليز ومتّ فى منفاى فهى لك مال حلال ، وإن أرادت الأقدار أن أرجع إلى مصر حياً بعد النفى فالنصف لى والنصف لك

وبعد سبعة عشر عاماً عاد البارودى من منفاه ، وطلب نصيبه من تلك الذخائر الذهبية ، فأنكرها ذلك الصديق ، وأظهر

استغرابه من أن تكون للبارودى عنده ودائع ، وقد خرج من مصر وهو حَرِيب سليب (؟!)

واتفق أن يمرض ذلك الصديق الغادر بعد شهور فصار مرض الموت ، فتجشم الشيخ محمد عبده مشقة الانتقال إليه ليفهمه أن « الدنيا لا تغنى عن الآخرة » وأن من واجبه أن يردّ بعض تلك الديون ليلقى الله وهو خفيف الأوزار ، فجادت نفس ذلك المحتضَر بعشرة آلاف وهو ينتظر أن يقبلها البارودى مع الحمد والثناء (؟!)

وجاء الشيخ محمد عبده إلى البارودى بصرّة ثقيلة فيها عشرة آلاف من الجنيهات المصرية ، وهو يرجو أن يكون فى تلك الصرة عزاء للبارودى عن بلواه بذلك العقوق

فماذا وقع ؟ نظر البارودى إلى الصرة نظر الليث الشبعان إلى الثمر المطلوب ، وصاح : « لن آخذ درهما من هذه الألوف ، ويجب أن ترد حالاً إلى سارقها قبل أن يموت ، لتكوى بها جنوبه وهو مرموس ، وله الويل إن وقع بصرى عليه يوم الحساب أمام الواحد الديان »

هنا تنتهى رواية النقراشى باشا ، وقد بقى من الرواية فصل ، فما هو ذلك الفصل ؟

حدثنى من عرفوا الشيخ محمد عبده أنه كان يضفى بره وعطفه على من يقرأ فى حضرته بيتاً من الشعر بفهم وإدراك ؛ فكيف يكون حاله وهو يشهد هذه الصورة الشعرية ؟

من المؤكد أن الشيخ محمد عبده قد طرب لإباء البارودى ، وعظمة البارودى ، وإباء البارودى . ومن المؤكد أن هذه الواقعة أقنعته بأن مصر لا تزال بعافية ، وأنها ستكون إلى الأبد من أكرم المنابت لأحرار الرجال

أكتب هذا وأنا أذكر أن هيكل باشا قال فى تقديم الديوان إن البارودى « وُلد بمصر » فبأى مكان من « مصر » وُلد هذا الفارس الشاعر ؟ وفى أى مكان مات ؟

فى شارع « غيط العدة » بالقاهرة دار تسمى « سراى البارودى » وهى سراى عبثت بها مصلحة التنظيم ففعلت بها الأفاعيل ، ولم يبق منها غير جانب هو اليوم « مخزن » لبعض المتجرين فى توافه الأشياء

فإن لم يكن البارودى وُلد فى تلك الدار ففيها أبت يده أن تتسلم عشرة آلاف من الجنيهات لغرض تعجز عن وصفه ألوف القصائد والأقاصيص . ومن واجب « مصلحة الآثار العربية » أن تستبقى أطلال تلك الدار يوم تفهم أن الأدب له قدسية تفوق قدسية التاريخ

إن الفرنسيين أبقوا على منزل متضعضع الأركان بشارع سان جرمان فى باريس ، لأنه مولد شاعرهم « ميسّيه » ، وإلى ذلك المنزل يحج عشاق الأدب الفرنسى . فهل يعرف شبان مصر أين يقع منزل شاعرنا البارودى فى القاهرة ، وأين تقع دار هواه فى حلوان ؟

إلى الله المشتكَى من ضياع الأدب فى هذه البلاد ، ومنه نستمدّ العون على ما يعانى الأدب من نزوة أهل البغى والعقوق !

منابع الشاعرية البارودية

الشعر فيض من الشعور بحقائق الوجود ، وهى حقائق يحسها الناس بمقدار ، ويحسها الشاعر بقوة لا تتاح إلا لمن كان فى مثل روحه المتوقد وخياله الوثاب

والذى ينظر فى أشعار البارودى يجده أحس الحياة أعنف الإحساس ، ويراه انطبعَ على الشعور بما فيها من شهد وصاب

وأقوى باعث عند البارودى هو الفُتُوّة ، فوجهه يشهد وآثاره تشهد بأنه كان من أكابر الفتيان

وفتوة البارودى فتوة أصيلة تأخذ وَقودها من القلب والروح ، فهى التى أشقته بالحب ، وأشقته بالجد ، وأشقته بالناس

تنظر إلى البارودى المحب فترى فتًى فاتك الصبوات فى قدسية وجلال ، فتفهم أن الحب شريعة وجدانية لا يتردد الفتى فى اعتناقها ولو كان رئيس الوزراء . فالحب عند البارودى ليس نزوة شباب يُطلب منها المتاب ، وإنما هو جذوة روحية تصل صاحبها بسرائر الوجود ، وترفعه إلى أوج الخلود

هل قرأت أشعاره فى الحنين إلى روضة المقياس ؟

وهل تذكر أنه أول شاعر فى العهد الحديث تغنى بصبوات القلوب على شواطئ النيل ؟

وهل تعرف أنه صدَح بتلك الأغانى فى أوقات كان فيها الغَزَل فناً لا يليق بعظماء الرجال ؟

إن البارودى مجّد الفتوة المصرية بتلك الأغاريد ، وجعل لمصر مكاناً فى ضمير الوجود ، فما تطرب الأريحية الإنسانية لأكرم ولا أشرف من التغنى بأوطار الأرواح فى مثل معاهد

الجيزة والروضة وحلوان ، وهي معاهد جهلها الشعراء ، وندر فيهم من يعرف وجوهها الصباح

وفي أي عصر هتف البارودي بتلك الأغاريد ؟

في العصر الذي كان فيه بدء كتب الشعر بالبسملة موضع خلاف بين جمهور المؤلفين

ثم ننظر فنرى الشاعر المفتون بمطالع الأقمار على شواطئ النيل قد امتشق السيف ليواجه الحرب في كريت ، أو ليخوض البلاء في فجاج الأراضي الروسية ، وهو في هذه الموقعة أو تلك لا ينسى مواقع هواه في ملاعب الجيزة والروضة وحلوان

إن حائية البارودي في وصف الحرب الروسية لو تُرجمت اليوم ووُزّعت على جنود الروس والألمان لرأوها من الأعاجيب ، وفيها يقول :

لعمري لقد طال النوى وتقاذفت ... مرامٍ دون الملتقى ومطاوحُ

وأصبحت في أرضٍ يحارُ بها القطا
وترهبها الجنّان وهي سوارح

بعيدة أقطار الديامي لو عدا
سُلَيْكٌ بها شأواً قضى وهو رازح

تصيح بها الأصداء في غسق الدجى
صياح الثكالى هيجتها النوائح

تردّت بسمور الغمام جبالها ... وماجت بتيّار السيول البطائح

فأنجادها للكاسرات معاقلٌ ... وأغوارها للعاسلات مسارح

مهالك ينسى المرء فيها خليله ... ويندُر عن سوم العلا من ينافح

فلا جوٌّ إلا سمهريٌّ وقاضبٌ ... ولا أرض إلا شمّريٌّ وسابح

ترانا بها كالأسد ترصد غارةً ... يطير بها فتقٌ من الصبح لامح

مدافعنا نصب العدا ومُشاتُنا ... قيامٌ تليها الصافنات القوارح

ثلاثة أصناف تقيهن ساقةٌ ... صياح العدا إن صاح بالشر صائح

فلست ترى إلا كماةً بواسلاً
وجُرداً تخوض الموت وهي ضوابح

نغير على الأبطال والصبح باسمٌ ... ونأوي إلى الأدغال والليل جانح

بكى صاحبي لما رأى الحرب أقبلت ... بأبنائها واليوم أغبر كالح

ولم يك مبكاه لخوفٍ وإنما ... توهّمَ أني في الكريهة طائح

فقال: اتئد قبل الصيال ولا تكن ... لنفسك حرباً إنني لك ناصح

ألم تر معقود الدخان كأنما ... على عاتق الجوزاء منه سرائح

وقد نشأت للحرب مزنة قسطل ... لها مستهلٌّ بالمنية راشح

فلا رأيَ إلا أن تكون بنجوة ... فإنك مقصود المكانة واضح

فقلت : تعلّم إنما هي خطة ... يطول بها مجدٌ وتخشى فضائح

فما كل ما ترجو من الأمر ناجحٌ ... ولا كل ما تخشى من الخطب فادح

فهذه الحائية من عيون الشعر العربي ، ولو سمعها أبو فراس لسجد لها سجود الإعجاب ، فما عرفت اللغة العربية من الشعراء الفرسان أخيل من البارودي وأبي فراس

وللبارودي في الحرب الروسية قصيدة أخرى هي الدالية ، ولكن أي قصيدة ؟ تلك أقباس لا تصدُر إلا عن روح مَريد ، من أرواح الفتيان الصناديد ، وفيها يخاطب أحبابه في مصر فيقول :

نأت بيَ عنكم غربةٌ وتجهّمت ... بوجهيَ أيامٌ خلائقُها نُكدُ

أدور بعيني لا أرى غير أمةٍ ... من الروس بالبلقان يخطئها العدّ

جواثٍ على هام الجبال لغارةٍ ... يطير بها ضوء الصباح إذا يبدو

إذا نحن سرنا صرّح الشر باسمه
وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

فأنت ترى بين الفريقين كبّةً ... يحدث فيها نفسه البطل الجعد

على الأرض منها بالدماء جداولٌ ... وفوق سراة النجم من نقعها لِبد

إذا اشتبكوا أو راجعوا الزحف خلتهم
بحوراً توالى بينها الجزر والمدّ

تشلّهم شُلّ العطاش ينت بها ... مراغمة السُّقيا وماطلها الورد

فهم بين مقتول طريح وهارب ... طليح ومأسور يجاذبه القِد

نروح إلى الشورى إذا أقبل الدجى
ونغدو عليهم بالمنايا إذا نغدو

ونقع كلج البحر خضت غماره ... ولا معقل إلا المناصل والجرد

صبرت له والموت يحمّر تارةً ... وينغل طوراً في العجاج فيسود

فما كنت إلا الليث أنهضه الطوى
وما كنت إلا السيف فارقه الغمد

صئول وللأبطال همس من الونى
ضروب وقلب القرن في صدره يعدو

فما مهجة إلا ورعبي ضميرها ... ولا لبّة إلا وسيفي لها عِقد

وما كل ساعٍ بالغ سُؤْل نفسه ... ولا كل طلّاب يصاحبه الرشد

إذا القلب لم ينصرك في كل موطن ... فما السيف إلا آلة حملها إدّ

وقد تحدث في هذه الدالية ، كما تحدث في الحائية ، عن شوقه إلى مصر ولياليها البيض بروح لم يتحدث بمثله أحد من الشعراء

الذين سبقوه إلى الحديث عن معاهد الوجد بهذه البلاد

ثم يقضى القَدَر فى مصير البارودى بما قضاه ، فيشترك فى الثورة العرابية ، وتقع أحداث وخطوب تنقل وطنه من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود ، ويلتفت فيرى دنياه خلت من الرمح والسيف ، ولم يبق إلا أن يعيش فى جحيم النفى والاغتراب بلا ظفر ولا ناب

لم يكن للبارودى نية فى الثورة العرابية ، فنحن نرجح أنه اشترك فيها بلا قلب ، ولو كان من جناتها لصار التاريخ غير التاريخ فقد كان من مناوير الأبطال ، وكان يستطيع أن يرد المكروه عن بلاده لو آمن بما آمن به العرابيون ، وكان يستطيع على الأقل أن يظفر بالاستشهاد فى ميدان الجهاد

ومعنى هذا الكلام أن البارودى كان يملك التنصل من تبعة الثورة العرابية ليسلم من التأذى بعواقبها السود ، ولكن فتوته أبت عليه أن يقف ذلك الموقف البغيض . فشارك إخوانه فى البأساء ، واستسلم لحكم القضاء ، فى سبيل الوفاء

نُفِىَ البارودى إلى سرنديب وهو فى يأس من المعاد . فقد كانت الظروف الدولية تنطق بأن لا أمل فى تغيير مركز مصر السياسى ، وكانت الأخبار توافيه بأن مصر ضعيفة الرجاء فى زحزحة الاحتلال

وفى تلك المدة كانت أحوال أهله فى مصر تنتقل من ظلمات إلى ظلمات لغياب راعيها الأمين ، فكان روحه ينتقل من جحيم إلى جحيم

هل رأيت الأسد المأنور فى حديقة الحيوان ، ولاحظت أنه يزأر من وقت إلى وقت ليسرى عن نفسه بالزئير مع اليأس من الحرية ؟

كذلك كان البارودى ، فما ترك الشعر الحماسى فى أعسر أوقات الضيق والكرب ؛ ولا سمحت نفسه بأن يتوب من الغطرسة والاستعلاء

عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش ... بها بطلاً يحمى الحقيقة شدُّه
وإنى امرؤ لا أستكين لصولة ... وإن شدساقى دون مسعاى قده

ويطول بلاء البارودى فى منفاه ، ويستيئس من الأمجاد الحربية ، فيقبل على الأمجاد الأدبية ليضمن لنفسه الخلود

وفى تلك الآماد من البلاء يلتفت البارودى التفاتة جدية إلى ماضى الشعر العربى فيضعه فى الميزان ليختار من أطايبه ما يشاء

وهل كان معاصرو البارودى يعرفون من ماضى الشعر العربى مثل الذى يعرف ؟

ثم تسمح الدنيا بأن يلقى البارودى وطنه بعد اليأس من اللقاء ، ولكنه لا يعيش فى رحاب الوطن غير أعوام قصار قضاها وهو أشبه بالمكفوف ، ولعله لم يمت إلا حين عرف أن القاهرة لن تكون أمام عينيه إلا سواداً فى سواد ، وكانت لياليها أشد إشراقاً من الصباح

ولم يتسع الوقت فأرجع إلى الجرائد المصرية فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٠٤ ، لأعرف كيف كانت جنازة البارودى ، وأغلب الظن أنها لم تحمل على مدفع ولم يشترك فى توديعها رجال الجيش رعاية لبعض الظروف الثقال ، مع أن البارودى كان من نماذج البطولة المصرية فى ميادين الحروب

انتهت دنيا البارودى ، وانقضى ما كان يعانى من بوائق الغدر والجحود ، وبقى للبارودى ما لم يبق لأمثاله من رجال السيف ، بقى شعره المسطور على ضمير الزمان ، والشاعر الصادق أخلد من الخلود

زكى مبارك

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ فى القضية رقم ٤٧٦ سنة ١٩٤١ ، ضد محمود مرسى سلامه تاجر بقالة بدمنهور بغرامة ٥٠٠ خمسمائة قرش صاغ والنشر على مصاريفه لبيعة كبريتا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة .

التطور البشرى

للدكتور جواد على

ما هى مقاييس التمدن وأين هى مظاهره ؟ أهى فى حركات الإنسان وطراز ملابسه ومجموعة مظاهره الخارجية ، أم هى فى أثاث بيته وأشكال سياراته ووسائل راحته وعدد خدمه ، أم هى فى الإنتاجين العقلى والمادى للبشرية ؟ يختلف الجواب طبعاً على هذه الأسئلة باختلاف عقلية المرء ودرجة ثقافته . فجواب العلماء يختلف ولا شك عن جواب السواد الأعظم من الدهماء . وجواب الشرق يختلف كثيراً عن جواب الغربى ، وكذلك جواب الفقير عن جواب الغنى

أما المقاييس العلمية فتستند طبعاً على أسس فنية منتظمة ، وقواعد منطقية محكمة ، لا تكتفى بالظاهر ولا تقتنع بالظواهر ، لها أحكام خاصة ونتائج تستند على مقدمات وبراهين . و « وحدة التطور » فى حياة البشرية بالنظر للغة العلم هى « الكفاءة » والقابلية وقوة الابتكار ؛ وهى وحدة تقاس بها كفاية الأفراد كما تقاس بها كفاية الشعوب والأمم باختلاف الأجيال والعصور . فكلما أعرقت البشرية فى المدنية ازدادت قوة ابتكارها وتنوعت اختراعاتها وتشعبت اكتشافاتها وتعقدت حياتها وزادت احتياجاتها عن مستوى حياة الإنسان السابق[1]

ولا تقتصر هذه الكفاية على الكفاية الروحية فقط ، بل تشمل الكفاية الجسمية والمادية أيضاً . ومعنى هذه الكفاية هو خلق جيل قوى جيل ، مثلاً ، ذى أعضاء وعضلات قوية متناسبة لا تدكه الأمراض ولا تؤثر فيه الجراثيم ، فهو يستطيع أن يقاوم ويقاوم . يتمرد على الطبيعة كما كانت الطبيعة تتمرد على الإنسان السابق . له أهداف ومثل عليا كلما نال منها نصيباً طمع فى أخرى ؛ لا تقصر همته كما قصرت همة الشعوب المنقرضة[1]

والتقدم فى الناحية الثقافية معناه تقدم الإنسان تقدماً مطرداً فى دائرته المثلية مثل مثله العليا وأهدافه الأخلاقية ومطامعه فى الحياة وأساليب معيشته واحتياجاته البيتية بحيث تتعقد حياته الروحية وتصعب وتتنوع طرق تفكيره وطراز تعبيره عن أفكاره فى القول والكتابة ، ويبدع فى الإفصاح عن شعوره وما يجيش فى نفسه فى الموسيقى والشعر والتمثيل والغناء . وكلما تنوعت هذه وتشعبت وتميزت دلت هذه التطورات على تقدم ونمو وسير مع النواميس الطبيعية لهذا الكون . لذلك كانت احتياجات الشعوب المنحطة فى هذه الناحية ابتدائية بسيطة بينما هى قد تعقدت وتنوعت فى الأمم الأوربية المتقدمة تعقداً مهماً

وتطور البشرية دائماً من بشرية ذات قابلية معينة محدودة ، ومن بشرية ذات كفاية مقدرة ، إلى بشرية أكثر قابلية وكفاية هى نظرية العلماء الطبيعيين وأصحاب نظرية العالم الإنكليزى داروين والنظرية المعروفة باسم نظرية Malthusche Theorie[2] .

وهذا التناسق الذى يحدث بمرور الزمن فى نظام البشر فيجمع شمل الحياة الإنسانية فى محيط معقد معين غير متباين بعد أن كانت الحياة غير متسقة متنافرة ، هو التطور المقصود فى نظر العالم الإنكليزى هربرت سبنسر Herbert Spencer[3] . وقد صور هذا التطورَ فى مدنية الإنسان الفيلسوفُ الألمانى هيكل بصورة ملفة من ملفات البردى تنفتح بصورة متوالية كلما انفتح دور فى حياة الإنسان المدنية حتى تنتهى بدرجة الكمال أو الإنسانية المطلقة . وقد أطلق على هذا الدور Totalität Als Menschheit[4] . وهذا التطور هو من العلامات الفارقة بين

(١) من أحسن الكتب التى ألفت باللغة الانكليزية فى هذا الموضوع هو كتاب « التقدم والفقر » للعالم الأمريكى الاقتصادى الشهير هنرى جورج (ولد عام ١٨٣٩م) ، وقد ترجم كتابه إلى معظم اللغات الحية ونال المؤلف شهرة علمية وسياسية عظيمة فى أمريكا وأوربا حتى ألف باسمه حزباً سياسياً أطلق على نفسه اسم « حزب جورج » . راجع Stiegmann Socialismus ص . ٢٩

(١) راجع كتاب Fartschritt Und Armut تأليف الأمريكى الشهير Henry George . ص ٣٤٧ وكذلك كتاب قاموس الفلسفة لشميد ص ١٨٦

(٢) نفس المصدر . ٣٤٧

(٣) سبنسر وهو فيلسوف انجليزى ولد فى دربى Derby عام ١٨٨٩م وتوفى عام ١٩٠٣ م وهو من الفلاسفة الذين لعبوا دوراً هاما فى العالم الفكرى فى انكلترة وقد ترجمت معظم كتبه إلى مختلف اللغات الأوربية

(٤) راجع كتب الفيلسوف الألمانى (Hegel) والكتب الكثيرة الموضحة عنه . وهناك مذهب خاص فى الفلسفة عرف باسم (مذهب هيكل) ولا أتباع يعرفون (بالهيكليين) Hegelianer Hegelianismus

الحيوان والإنسان وبين الشعوب المتمدنة وبين الشعوب المتوحشة .

ونحن لا نكاد نشعر بظواهر التطور في حياة الأمم الابتدائية والمتوحشة بينما نلمس ذلك بصورة جلية في الأمم المتقدمة التي يظهر فيها التطور كما تقدمت درجة في المدنية . فوضوح التطور أو غموضه إذاً مقياس يعتبر من أهم المقاييس التي تستعمل لقياس مدنية أمة من الأمم وتقدير منزلتها من بين منازل شعوب الأرض

ولا بد أن يقترن ذلك التطور كما قلنا بالابتكار وبالإنتاج ورفع مستوى المعيشة لأفراد الأمة Standard والرفاهية . ولفظه Smartness كما يطلق على ذلك الأمريكيون [1] ولذلك يعتبر الرأي العام الإنكليزي نفسه أرقى في المدنية من الفرنسيين لأن الإنكليز أقدر منهم على الابتكار والإنتاج وعلى مجابهة الحوادث ، وأكثر منهم قابلية وكفاية بصورة عامة ، ودرجة الرفاهية لديهم أعلى من نسبة درجة الرفاهية لدى الفرنسيين [2]

وكلما كان هذا التطور في المجتمع عاماً شاملاً كانت جذور الأمة في المدنية أقوى فيها وأرسخ ، وأقدر على مجابهة مشكلات الأمور وحوادث الزمان، وأحكم في السيطرة على أجزاء المملكة وعلى تكوين رأي عام متماسك متقارب فيها لا ينفك بسرعة . وهذا هو السر في انهيار بنيان شعوب البلقان مثلاً بسرعة بينما نجد الأمم الجرمانية والإسكانديناوية قوية تقاوم البشر والطبيعة على حد سواء

وهو من العلامات الفارقة بين الحضارات القديمة حتى القرون الوسطى وبعد ذلك، وبين الحضارة الحديثة والتي سبقتها . كان التطور في الزمان السابق قد اقتصر على طبقة معينة من الناس وهي الطبقات العليا، أعني رجال القصر وحاشية الحكومة ورجال اللاهوت . أما الطبقات الدنيا فكانت في مستوى فكري روحي منحط . لذلك لم تكن حلقات الأمة محكمة ، ولم يكن المستوى العقلي فيها متشابهاً أو واحداً . لذلك كانت خواص الأمة العقلية وخواصها الفسيولوجية منحطة واطئة ، لأنها لم تكن متطورة ، فلما أخذت الطبقات الدنيا تشارك الطبقات العليا في التعليم وتشاركها في وظائفها العليا وحقوقها المكتسبة أدركت الأمراض التي كانت تحيط بها والأخطار التي كانت تهددها ، فاحترست منها وأخذت تقاومها مقاومة رجل عالم خبير قوّت عقلها وقوّت جسمها في وقت واحد [1] . ولذلك خفّ ضغط الشعوب المتوحشة على الشعوب المتمدنة ، ثم زال عنها بالتدريج .

كان أهم مميزات حضارة الإنسان الأول هو ضعف تلك الحضارة من حيث ناحية الدفاع تجاه الأمم المتوحشة إذ كانت القوة للعضلات وكثرة العدد . فلما تطور الإنسان وظهرت حضارة القوة انعكست الآية وأصبحت الشعوب المتوحشة فريسة الأمم المتمدنة القوية ، وأصبحت الأمم المتمدنة هي التي تملي إرادتها على الشعوب المتوحشة وتكيفها كيف تشاء ؛ لأن القوة لم تعد قوة العضلات ولا قوة الحجارة والطيش ، إنما هي قوة التكيف والتطور والابتكار والمهارة . وأصبحت الأمم المتمدنة لا تقاتلها إلا الأمم المتمدنة . والأمم المتمدنة هي الأمم التي تصمد أكثر من غيرها تجاه مطارقة الأعداء في أية ناحية من نواحي الحياة

حقق التطور البشري كثيراً من أحلام البشرية وفك بعض طلاسم الكون والوجود ، ولكن هل يستمر هذا التطور في سيره السريع هذا ؟ وهل يأتي يوم تحقق فيه البشرية كل ما كانت تحلم به أو تصبو إليه ، فتتكون على الأرض البشريةُ المثلى وينعم الإنسان في هذه الجنة الأرضية بالخلود والنعيم ؟ آمن بعض ذوي الخيال الواسع من العلماء بهذه الفكرة الجميلة فحاولوا قديماً وحديثاً استغلال العلم واستعباد العقل للعثور على سر الحياة واكتشاف لغز الموت لمقاومته ، واقتنع آخرون بنظرية إطالة عمر الإنسان مدة تزيد على مدة العمر الطبيعي . وأبى آخرون إلا أن يهتدوا إلى سر الكون ، وإلا أن يتوصلوا إلى إدراك كنه ما نسميه بالطبيعة ، وأن يجدوا لهم سبيلاً إلى الشمس والنجوم أو طرقاً للمحادثة مع سكان الأجرام العلوية على الأقل [2] .

(١) راجع كتاب Fartschritt und Armut ص ٣٤٧ ، وكتاب The Histor of long civi. 1932 ص ٣٠٤

(٢) نفس المصدر وراجع أيضاً كتب تاريخ الحضارة ، أو علم النفس الشعوب Volkerpsy chology

(١) راجع كتاب Fortschritt ص ٣٦٢ ، وكذلك كتاب العالم Walter Bagehot وعنوانه Physics And Politics

(٢) راجع كتاب Fortschritt ص ٣٤٩ راجع أيضاً قاموس الفلسفة لشميد ص ٤٠٤ . وكتب الفيلسوف الألماني الشهير فرانس مولر لاير Franz Müller Layer (١٨٥٧—١٩١٦) ، والفيلسوف Golscheid Rudolf (١٨٧٠ — ١٩٣١) وهو صاحب نظرية الانسان الاقتصادى

ولكن دلت التجارب على أن كل تطور يعقبه تطور من جهة أخرى لا يرغب فيه الإنسان . قضى علماء الطب على معظم الأمراض القديمة ، ولكن المعامل الكبرى والمدن الضخمة والسكك الحديدية وضجة الآلات والسرعة الرهيبة ، كل هذه جاءت إلى البشرية المتطورة بأمراض لم يكن يعرفها إنسان الماضي ، وستجيء بأمراض ولا شك لإنسان المستقبل لم نكن نعرفها نحن جزاء تطوره هذا .

وقد جاءت الاختراعات والثورة المادية بعوائد اجتماعية زلزلت بنيان البيت القديم وقوضت دعائم قدسيّاته الاجتماعية وقواعده الأخلاقية التي كان يعتز بها . وجاءت بعادات جديدة فرضتها عليه فرضاً ، ووسع هذا التطور مجال الحروب فجعلها عالية وقد كانت موضعية ، وجعلها آلية تكلف الإنسان ثمناً باهظاً تبتلع معظم ميزانية الدولة فلا تنتهي الحرب حتى يدخل في حرب أخرى جديدة أعم من تلك وأعظم[1]

لذلك تشاءم بعض الفلاسفة من هذا التطور فأعلنوا ثورتهم على التطور الحديث والمدنية الحديثة فاعتزل الفيلسوف الشهير شيخ المتشائمين المحدثين شوبنهور هذا الكون ومن فيه متمثلاً بآراء فلاسفة الهنود ساخراً من كل شيء إلا من كلبه الأمين الذي أطلق عليه كل العالم Welt gaum ليعبر بذلك عن مقدار استخفافه بهذا العالم[1]

وتبرم فيلسوف آخر هو الفيلسوف المتشائم شبنكلر من الحضارة الحديثة ومن الثقافة المادية التي صبغت كل شيء حتى المثل الأخلاقية بالصبغة المادية ، وهدد بناء أوربا بسقوط عاجل سريع في أنجيله الفذ في الجديد « سقوط الغرب »[2] وقد أبان فيه أن الإنسان قد تطور تطوراً سريعاً جداً

أما من حيث الناحية الروحية فقد سارت البشرية فيها ولا شك بخطوات سريعة أيضاً ولكن إلى الوراء ، ونادى الفيلسوف الدانماركي كيركه كارد Sören Kierkegaard أبناء قومه بعبارة تنم عن نفسية أوربا الحديثة : « هيا إلى الدين »[3]

مراد علي

(١) راجع كتب فلاسفة ما بعد الحرب العظمى . لا سيما كتب المتشائمين منهم والناقمين على الحرب

(١) راجع الكتب المؤلفة في حياة هذا الفيلسوف وكذلك الكتب التي ألفها نفسه ليعبر بذلك عن آرائه الفلسفية . راجع شميد قاموس الفلسفة مادة شوبنهور

(٢) وقد كان لكتابه هذا الذي صدر في جزأين صدى عظيم في أوربا حتى اقتناه كل رجل مثقف في تلك القارة وقد ترجم إلى أمم اللغات

(٣) وهو الفيلسوف Sören Kierkegaard (١٨١٣ — ١٨٥٥م) من الفلاسفة الذين أحدثوا انقلاباً كبيراً في العقلية المسيحية في أوربا . كان يرى وجوب خلق مسيحية جديدة على أسس فلسفية حديثة

من أدب الغرب

صفات زوجة

للدون فرنسيسكو دى كفيدو

بقلم الأديب يوسف روشا

هذه رسالة بعث بها « ألدون فرنسيسكو دى كفيدو » فى سنة ١٦٣٣ إلى « ألدونا اينا دى فونسيسكا » وصيفة ملكة أسبانيا ، ضمنها الصفات التى يود أن تكون عليها زوجته ، إذا ما قدر أن تكون له زوجة . والرسالة مكتوبة بأسلوب ممتع ، فيها شىء كثير من الفكاهة ، ويغلب عليها تلك الروح الشرقية التى قد تكون من بقايا ما خلفه العرب فى الأندلس من الأخلاق والعادات ، بعد أن دالت دولتهم

كل الذى أنشده فى الزوجة — لشرفى وراحة ضميرى — أن تكون قد تثقفت فى رعاية مولاتى ، ونشأت وترعرعت فى خدمتها ، واعتادت طاعتها لتحظى برضاى . أما إذا رأت مولاتى وأصرت على أنى جدير بزوجة أرق من هذه ، فنزولاً على رغبتها وتلبية لطلبها سأحاول فى هذه الرسالة تبيان الصفات التى يجب أن تتحلى بها تلك الزوجة التى قد ينعم الله بها علىّ ، وذلك بواسطة مولاتى ومولاى الأمير . على أنى لا أبغى — علم الله — من وراء ذلك تنوير مولاتى ، بل تسليتها

أما أنا ، فعديم الأهمية ، لولا مولاى الأمير الذى هذبنى وقومنى ونشلنى من الهوة السحيقة التى ترديت فيها . وإذا كنت أتمتع الآن بشىء من الحظوة وسعة العيش ، فذلك لأنى عزفت ، والحمد لله ولمولاى الأمير ، عما كنت عليه سابقاً من الموبقات

لقد كنت شريراً ماكراً ، وبالرغم من أنى قد تركت تلك الصفات الآن ، فإننى لم أصلح كل الصلاح بعد . ذلك لأنى لم أهجر شرورى وآثامى عن ندم وتوبة ، وإنما نبذتها لأنى ضقت ذرعاً بها

أنا رجل من أرومة طيبة فى بلدى كما تعلم مولاتى . وإن لى داراً فى الجبال ، وأنا ابن والدين عزيزين أفخر بهما ، ولهما عندى أطيب الذكر ، على حين أن أعمالى — ولا ريب — تزعجهما وتسبب لهما حزناً عميقاً ...

يصفنى أعدائى بأنى أعرج . وكل ما فى الأمر أنى أبدو كذلك لعدم اهتمامى بنفسى . ولا يستطيع أحد أن يجزم هل أنا أعرجُ أو أحنى ركبتى . ومهما يكن من أمر ، فليراهن من يشاء على عرجى

أما سحنتى ، فلا أقول إنها ترضى من يراها ، ولكنها على كل حال ليست دميمة أو شنيعة إلى درجة تبعث على السخرية أو الاشمئزاز

والآن وقد أتيت على وصف نفسى وكشف النقاب عن وجهى ، أنتقل إلى وصف المرأة التى أرتضيها لنفسى إذا ما منّ الله بها علىّ . على أنى أعترف أنه لولا مشيئة مولاتى ورغبتها الملحة ، لكان من الحق لمن كان مثلى فى حقارة الشأن وضعة النفس أن يقبل على أمر كهذا ، وليس ثمة امرأة ترضى به بعلاً ... !

أود قبل كل شىء أن تكون زوجتى كريمة المحتد ، عفيفة حصيفة ؛ والصفة الأخيرة لازمة ، إذ لو كانت غبية لما عرفت كيف تحتفظ أو تستفيد من صفتيها الأخريين . ثم إنى أرجو أن تكون دمثة الأخلاق ، خفيفة الروح ، وأن تكون فضائلها فضائل امرأة متزوجة لا ناسكة متقشفة ، لأن الاهتمام بزوجها وبيتها أخلق بها من سماع الوعظ وإقامة الصلاة . أما إذا كانت على شىء من العلم والمعرفة ، فأفضل عليها النبيهة ، لأن العيش مع زوجة جاهلة أفضل وأسلم من العيش مع زوجة مغرورة

وأريدها وسطاً لا بشعة ولا جميلة ؛ لأن المرأة الدميمة مصدر خوف وفزع ولا تصلح رفيقة حياة ؛ والمرأة الجميلة تزعج أكثر مما تسر . أما إذا لم يكن بد من أن أختار إحداهما ، فعلىّ بالجميلة ، لأن الهم أهون علىّ من الخوف ، ولأن تكون لى زوجة أحرمها ، أحبُّ إلىّ من أن تكون لى زوجة أفرُّ منها !

ثم إنى أريدها ميسورة لا غنية ولا فقيرة ، فلا هى تشترينى ولا أنا أشتريها ، إذ ليس ثمة فقر ما وجدت العفة والسجاحة . إن الثرى الذى يرفض الزواج من امرأة لأنها فقيرة ، لهو غنى سافل ؛ وإن الفقير الذى يخطب امرأة لأنها غنية ، لهو فقير حقير

كذلك أريد زوجة بشوشة لا عبوسة ، لأن العيش مع هذه شقاء

متصل وعذاب مقيم . ثم إنى لا أريدها متشائمة تظل قابعة فى زاوية من زوايا البيت تنعق كالغراب

ويجب أن تكون حسنة الهندام فى غير إسراف ، وأن ترتدى ثياباً محتشمة لا تلك التى تخترعها الخليعات من النساء

ويجب ألا تعمل ما يعمله البعض ، وإنما تعمل ما يعمله الـكل

وأفضـل الزوجة البخيلة على الزوجة المبذرة ؛ ذلك أن التبذير شر يجب الابتعاد عنه ، على حين أن البخل ، وإن كان ذميماً ، قد ينفع فى بعض الأحيان . على أنى أعد نفسى سعيداً إذا ظفرت بزوجة سخية

لا يهمنى أ كانت بشرتها بيضاء أم سمراء ، أو كان شعرها أسود أم أشقر ، وإنما الذى يهمنى هو ألا تجمل شعرها أبيض إذا كان أشقر ، لأن ذلك يبعث على الغيرة وقد لا تحمد عقباه . ولا يهمنى أيضاً أ كانت زوجتى طويلة أم قصيرة ، لأن فى كعب الحذاء تلافيا لهذا النقص الجسمى ؛ والـكعب كالموت يسوى بين الناس

أما عن كونها هزيلة أو بدينة ، فأقول إنه إذا لم أستطع الحصول على زوجة تكون على الأقل معتدلة الجسم فأنا أفضل الهزيلة ... أحب أن تكون زوجتى هيكلا عظمياً لا قطعة من الشحم واللحم

ثم أريدها مكتملة الشباب لا طفلة ولا عجوزاً ، فالفرق بينهما كالفرق بين المهد واللحد . ذلك لأنى قد نسيت من زمان بعيد أناشيد المهد ، وأنا لم أتعلم بعد ترتيل المراثى . حسبى أن تكون امرأة ناضجة ، وأن تكون حديثة السن فتلك منة من الله

وأود من صميم قلبى ألا يكون فمها وعيناها ويداها على جمال خارق . ذلك أنها إذا بلغت الـكمال فى هذه الأعضاء لما احتملها أحد ؛ لأنها فى هذه الحالة لا تنفك تلعب بيديها لتعرضهما على الناس ، ولا تنى تدير مقلتيها ليلحظهما الناسُ ، ومما يصعب احتماله أن ترى امرأة دائمة الضحك والتثاؤب لا لشىء سوى أن تريك أسنانها اللؤلؤية . إن القلق يذهب بالجمال ، وإن الإهمال يخفى العيوب

ولن أتزوج واحدة قد مات عنها أبواها ، وذلك لأتخلص من وجوب إحياء ذكريهما ؛ كما أنى لا أرغب أن يكون كل أهلها أحياء . ليدخل أبوها وأمها بيتى على الرحب والسعة ؛ أما عماتها فإلى جهنم وبئس المصير ؛ وسأوصى بقراءة الفاتحة على أرواحهن مرة بعد مرة

وسأحمد الله وأشكره إذا ما منحنى زوجة ثقيلة السمع ، معقودة اللسان ؛ ذلك أن هاتين الحاستين كثيراً ما تضجران الأصحاب وتقطعان الزيارات . كما أن من دواعى سرورى واغتباطى أن تكون زوجتى سيئة الطبع ؛ لأن المرأة الـكيسة لا تنفك تضرب على وتيرة واحدة متمنية أن لو كانت كباقى النساء وإن طبيعتها الصحيحة هى المسؤولة عما تلاقى من الغبن

وأختم رسالتى هذه جاداً متوخياً الحقيقة كما بدأتها ، ومؤكداً لمولاتى أن الزوجة التى تحقق رغباتى هذه ستحظى عندى بأعظم منزلة . على أنى أعرف كيف أصبر على بلائها إن هى قلبت لى ظهر المجن . ذلك أنى قد لا أكون موفقاً فى زواجى ، ولكنى لن أكون زوجاً فظاً بحال من الأحوال . أطال الله حياة مولاتى ومولاى الأمير ومتعهما بالصحة والعافية إنه السميع المجيب

ترجمها من الانجليزية

(بغداد)		يوسف روشا

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ فى القضية رقم ٤٨١ سنة ١٩٤١ ضد حماد محمد بائع غاز تبع شركة ماتتاشوف من دمنهور بغرامة ٥٠٠ خمسمائة قرش صاغ والنشر على مصاريفه لبيعه غازاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة .

كلمة صريحة

بين الأديبين
المصرى والسورى !
«لكاتب لبنانى»

أفضى الدكتور طه حسين بك إلى بعض الصحف العربية فى سوريا بكلمة يعزو فيها قلة التفات الأوساط الأدبية فى مصر إلى الأدب السورى الحديث — بما فيه اللبنانى — إلى عدم القيام (بواجب الدعاوة ...) لهذا الأدب. ولا حاجة إلى البيان أن الذين ينبغى أن يقوموا بواجب هذه الدعاوة إنما هم أفراد الجالية السورية اللبنانية فى مصر الشقيقة

ولقد أثارتْ هذه الكلمة بعض الأقلام بالمعارضة وبادّعاء تعذّر القيام بمثل هذه الدعاوة لأسباب لا سبيل الآن إلى ذكرها. وأنا أوثر أن أنقل ميدان هذا الكلام — وما يستتبع — إلى هذه المجلة الغراء لأطلع إخواننا المصريين — فى هذه الكلمة القصيرة — على بعض النواحى المؤثرة تأثيراً مباشراً فى تكييف الحركة الأدبية فى سوريا ولبنان

أما العُذر الذى انتحله الدكتور الفاضل — وهو (واجب الدعاوة ...) — يبتغى به تبرير موقف الأدب المصرى الحديث من أن يقال عنه إنه لا يأبه — أو على الأقل — لا يلتفت الالتفات المطلوب إلى تسجيل ظواهر الحركات الأدبية فى بلادنا؛ هذا العذر، لا أظن أن الدكتور نفسه مطمئن إلى صحته، وإنما يكون أغضى — وأحسبه إغضاء متعمداً — عن حقيقة سأسجلها بعد حين على أدبنا — ولو كانت مُرّةً مؤلمة —

من الوهن فى التفكير أن يقال إن (الدعاوة) التى تقوم بها الجالية المصرية فى بلادنا — إن كان ثمة جالية مصرية تقوم حقاً بالدعاوة — هى التى أشاعت لنا الأدب المصرى الحديث، وعرّفتنا به، وحبّبتنا فيه، فإن الواقع لا يثبت من هذا شيئاً، إذ لم نر رجلاً مصريًا فى بلادنا يطرسُ أية كلمة فى نقد كتاب مصرى صدر فى مصر (والنقد ينتظم حسناته وسيئاته)، ولم نرَ رجلاً مصريًا يعرض فى مكاتبنا كتباً صدرت فى بلاده دون أن يطلبها منا طالب؛ اللهم إلا أن يكون مقتنعاً أنها لن ترد، وأنها ستحوز الرضى، وستنفق سوقها، لما لها من أهمية عظمى وحاجة ماسة، وطلب ملحاح فى بلادنا السورية واللبنانية، فاذ ذاك يبعث بها فيعرضها، وليس هذا من الدعاوة فى شىء، إذ أن هذه المؤلفات لا تفتقر إلى مثل هذه الدعاوة

لهذا كله تصادف المؤلفات المصرية سوقاً رائجة فى بلادنا

وأما متعهدو المؤلفات عندنا — أو المؤلفون أنفسهم — فإنهم لا يجدون ميلاً إلى إرسال مؤلفاتهم لعرضها فى الأسواق المصرية خاصة، لأنهم مقتنعون أنها لن تحوز الرضى ولن تنفق سوقها، فيكون هذا داعيهم إلى الاجتزاء بعرضها فى أسواقنا، وحسبهم ذلك

فالدعاوة التى ينيط الدكتور الفاضل بها رواج المؤلفات، ليس لها من التأثير أى قسط.

فلماذا إذن تصادف المؤلفات المصرية، وبالجملة الأدب المصرى جواً مواتياً فى مصر نفسها قبل سوريا؟ ولماذا لا يصادف الأدب السورى هذا الجو نفسه فى سوريا بَلْه مصر؟

أجل! لماذا بأنس قراؤنا — نحن السوريين — صورةً إلى قراءة المؤلفات المصرية تفوق ميلهم إلى قراءة الكتب السورية حتى إنك لترى الكتب المصرية تحتل المركز الأول فى أسواقنا؟

هذه أسئلة تتطلب أجوبتها صراحة وصدقاً لا تحامُل فيهما على جانب، ولا إشادة فيهما ولا إطراء لجانب آخر!

من الحق ألا يعترف المرء أن من أسباب ذلك أن النتاج المصرى أكثر فائدة وأكبر قسطاً فى التفكير الحى، وأكثر طلاوة فى الأسلوب، وأوفر جمالاً فى ابتداع المعانى وخلق الطرائف، وأرهف إحساساً فى تصوير العاطفة؛ وبالجملة: أن النتاج المصرى أكثر نضوجاً. وهذه الظاهرة لا تخفى على أحد، ولا يحاول أن يبخس من حقها أحد، فمصر زعيمة البلاد العربية غير مُدافَعة فى مضمار النتاج الأدبى بكل ما ينتظم من فروع؛ وإن تكن مصر زعيمة البلاد العربية فى الأدب، فليس بضائرها أن تلتفت إلى الحركات الأخرى. بيد أن الذى لا شك فى أنه السبب الأساسى فى رواج الأدب المصرى، وفى كساد السورى — إلى حد — هو أن نتاج السوريين ضئيل، لا يقاس بوفرة نتاج المصريين وضخامته وغزارته

وآية ذلك أن أي أديب مصري شهير — في عرف المصريين والسوريين على السواء — لا تقل مؤلفاته عن العشرة . وأكثر هؤلاء الأدباء تربو مؤلفاتهم على ذلك بكثير أو قليل . وأنا إذا قلنا (أديب شهير) فإنما أعني أن مؤلفاته لا تجنح إلى الاسفاف أو الضعف ، ولا تميل إلى التعقيد والغموض . وبجملة واحدة أن مؤلفاته معروفة مفيدة قيمة . ومن الطبيعي أن يقوم الأديب بعدد كتبه القيمة...

ولكننا نرى في أدبنا ، أن أي أديب سوري شهير - في عرف السوريين فحسب (ولم أشفع معهم المصريين لقلة اطلاعهم ونقص معرفتهم في هذا المضمار) - لا تربو مؤلفاته عن الخمسة ، وأكثر هؤلاء الأدباء تقل مؤلفاتهم عن ذلك بكثير أو قليل

قد يتجه[1] للقارىء هنا أنه قد يكون عزب عن بالي أمر المؤثرات في البيئات ، وهذا أمر له قيمته وشأنه . ولكنك إذا استقرأت جميع المؤثرات في الأدب ، وقارنتها بين الأدبيين فإنك تراها تختلف اختلافاً يسيراً ليس من شأنه أن يؤثر هذا التأثير العظيم في النتاج الأدبي لكل من البلدين . فالوسط الذي يعيش فيه كلا الأدبيين يكاد يكون واحداً ، والمجتمع كذلك باعتبار أنه مجتمع عربي آماله واحدة ، وغايته واحدة ، يتكلم لغة واحدة ، والغالب فيه يدين بدين واحد ، وتحكمه حكومة واحدة ... الخ . وأما البيئة الطبيعية فتختلف كثيراً بين جو مصر الثابت ، وبين جو سوريا المتبدل المتغير بحسب الفصول ؛ وأنا أرى أن التبدل الجوي في سوريا هو في صالح فكر أدبائها ، لأنه دائماً يتلون بلونه ويتأثر أكبر الأثر به ؛ فجو مصر الثابت يورث العقل المصري جواً ثابتاً فلا يتغير التفكير إلا بقدر . وأما جو سوريا المتبدل فيورث العقل جواً متبدلاً يعد هذا التفكير بأسباب الاضطراب الدائم ، والحركة المختلفة ، فيتمخض عن ألوان من التفكير كثيرة ، وضروب من العاطفة وفيرة[2]

والآن أعود — بعد أن كاد القلم يشط — إلى تعليل سبب هذا البون الشاسع في النتاج الأدبي

إن الأدباء المصريين لا يألون جهداً ، ولا يدخرون قوة في الكتابة ، بل يدأبون على امتصاص مداد القلم ، وعلى ترشف ماء معانيه ، فيكتبون ويكتبون ولا ينصبون ، وينهال عليهم الإطراء والتشجيع فيزدادون ... أجل إنهم يزدادون ... وهذه الحركة الدائبة في الكتابة تفسح أمامهم طرقاً واسعة لاحبة في التفكير ، وتحسر لأعينهم عن مجال جمة فينظرون ويتأملون ، وينهلون كأنهم لا يرتوون

وهم يحسون - إذا ما اضطرتهم ظروف قاسية إلى الانصراف عن الكتابة - بضيق شديد يبرمهم ويؤلمهم ، ويستشعرون حنيناً مشبوباً إلى « العودة إلى الروض ... »

لهذا كله ، أضحى نتاجهم الأدبي ضخماً غزيراً لا ينضب معينه ، ولا يجف مداده

وأما الأدباء السوريون واللبنانيون فهم على عكس ذلك ، وهذه هي الحقيقة المؤلمة

إن حقوق الصراحة لتوجب علينا القول : إن الأديب السوري الذي يقرزم[1] يعتقد أنه أصبح شاعراً أعظم ... وإن الأديب الذي كتب مقالة نالت بعض الإعجاب يثق بأنه أضحى المفكر الذي لا يجارى ، وإن الأديب الذي أصدر قصة أو قصتين يوقن بأنه أمسى القصصي الذي لا يبارى

ولكن من الحق كذلك أن نسجل أن في سوريا ولبنان أدباء وعظماء تجود قرائحهم — إنما طابوا نفساً بالكتابة — بدرر بينة وآيات رائعات ، ولكنهم - مع الأسف ، والأسف الشديد - يجودون بمقال واحد في السنة ، ويصدرون كتاباً واحداً في العشر سنين !

إن هذا الانقطاع عن الكتابة من شأنه أن يخمد حيوية الفكر ، ويميت قوى التأمل والنظر إلى بعيد ، ويقضي على شبوب العاطفة . أنا لا أدعي أن ليس في الأدب السوري شيء قيم ، فمعاذ الله أن يكون ذلك ؛ بل أقول إن الذي يصدر كتاباً قيماً واحداً لا حاجة له بعد الآن إلى إجهاد نفسه وإتعابها . فقد سلس له قياد الفكر السامي . فليخلد إلى الراحة ، وليركن إلى برجه العاجي ، وليتنسك ما طاب له في منسكه . ألم يطر عليه كافة القراء ؟ أولم تتشوف إليه كافة المجلات ...

الحق الذي لا مناص من إثباته هو أن الغرور والزهو والتكبر — تتملك كلها - أكثر أدبائنا ؛ فينتجون هذا الإنتاج الضئيل . إن كتاباً واحداً تصدرونه — أيها الأدباء قاطبة — لا قيمة له مهما جل فيه من فكر وسما ما يحوي من آراء

ماذا أفدت أيها الأديب (الساحر ..) الذي يدعي أنه يزجي

---

(١) يتجه (٢) هذه بعض المؤثرات وليست كلها

(١) يبتدىء بقول الشعر

إلى إمام الأزهر

العقائد الوثنية
فى الكتب الأزهرية
للأستاذ محمود أبو رية

هذه كلة خالصة نرجو أن تبلغ مسامع الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وأن تصيب مكان العناية منه فينهض بما أوتى من علم واسع وعزم قوى إلى العمل على تخليص العقائد الدينية من نزعات الوثنية ، وتحرير العقول من رق التقاليد الخرافية ، حتى تصبح هذه العقائد سالمة خالصة ، وتنطلق العقول والأفكار إلى العمل على كل ما يعود عليها بالنفع والخير . وإنه إن يفعل ذلك يكون قد أقام الأصل الأول للدين الإسلامى وهو التوحيد الخالص ، الذى هو (كمال الإنسان) كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده ، ووضع أساس الإصلاح فى بلادنا إذ لا يقوم أى إصلاح فى أى مرفق من مرافق الحياة إلا بعد تطهير العقائد وتحرير العقول . ذلك بأن العقائد الفاسدة كما لا يخفى تأخذ بأيدى معتقديها وأرجلهم ، وتغل عقولهم عن التفكير الصحيح ، وتصيب عزائمهم بالشلل الاجتماعى ، فلا يعملون فى الحياة ولا يُعدون لما عدتها . وأنى لهم العمل وقد (رموا الحول ...) على ما اتخذوهم أولياء بزعمهم فاستيقنوا أنهم يقضون حاجاتهم ويجيبون دعواتهم

وإن الذى جعل العقائد الوثنية تفشو ولا ريب بين المسلمين هم أكثر شيوخ الأزهر بما يبثونه فى فتاواهم وأحاديثهم ودروسهم ومجلاتهم ، ولولاهم لما وجدت الوثنية سبيلاً إلى عقائد المسلمين ، ذلك بأنك ترى الرجل من دجاجلة الصوفية يدس عقائد الشرك بين من يسميهم مريديه ، ويعبث ما شاء له الجهل أن يعبث بعقول هذه الطوائف الساذجة ، فإذا التفت إلى الشيخ الأزهرى ، وهو الذى يرجى منه أن يهدم إلى ما يبنيه هـذا الرجل الصوفى فيأتى عليه من القواعد ، لتنظر ماذا يصنع إزاء ذلك وجدته يناصر هذا الدجال ويؤيده ؛ وقد بلغ من بعضهم أن يمشى فى ركابه ويدعو الناس إلى احترامه وإجلاله فيقول : إن العلم علمان : علم الظاهر وهو لنا ، وعلم الباطن الذى هو علم الحقيقة وقد فاز به شيوخ الصوفية . وبذلك يصبح هذا الرجل المجهول قطب وقته وولى عصره

ولقد كنت يوماً أناقش أحد شيوخ الأزهر فيما يصنعه هو وأمثاله من العمل على إشاعة العقائد الوثنية بين المسلمين ، فكان مما أجاب به : إن هذه الأمور قد درسناها على شيوخنا فى الأزهر علماً وأخذناها عنهم عملاً ، وهى ثابتة فى الكتب الأزهرية . وقد

الوقت كله فى مطالعة المؤلفات القيمة وهو لم يصدر — مدى حياته الأدبية الطويلة — إلا كتابين أو ثلاثة ! !

وأنت ماذا جنيت أيها الشاعر الذى يقول إنه لا يرتاح ثانية من تصفح دواوين كبار الشعراء وهو لم يطلع الناس إلا على مقطوعات صغيرة ، هيهات أن تتجمع ديواناً ؟ !

وأنت أيها القاص الذى لم يصدر إلا كتاباً واحداً لم يحو أكثر من عشر قصص ، أكل ما وقع عليه بصرك من صور حية ، ومناظر جمة تثير الفكر ، وتمده بالحيوية مثبت فى كتابك ذاك ؟ !

وأما أنت أيها الناسك المفكر ، فأفق مما أنت فيه ، واطفئ شمعتك الصغيرة التى لا تومض إلا ومضاً ، واخرج إلى الحياة ، إلى الشمس النيرة ... اخرج إليها بجسمك وعقلك وروحك وقلبك ، فإن لك فيها متسعاً !

لقد غزانا المؤلفون المصريون بمؤلفاتهم ، وأثبتوها إثباتاً فى بلادنا ، فتقبلناها شاكرين ، ومحجنا على مطالعتها متهافتين . وذلك لأنها وافرة ، لأنها غزيرة ، ولأن فى هذه الغزارة قيمة عالية .

ولم نستطع غزو مصر — حتى ولا غزو أنفسنا (إذا أردنا المبالغة) — بمؤلفاتنا ، ولم يتقبلها المصريون لأنها نادرة ، لأنها قليلة جداً ، ولأن فى هذه القلة قيمة ضئيلة

كلا ! ليست « الدعاوة » التى قصرنا فيها هى السبب فى قلة التفاتهم إلينا ، وليست « الدعاوة » التى أوفوها حقها هى السبب فى تهافتنا على أدبهم !

لا يمضى الشهر المصرى دون أن نسمع أن كتابين أو ثلاثة قد صدرت ، وتمضى السنة السورية واللبنانية — بل السنون — دون أن نسمع أن كتاباً واحداً قد صدر !

إنها كلة صريحة آمل أن تثبت فيقرأها أدباؤنا ... علّ الجد يستحثهم ، ويحققون ما يدعون بأن نهضة كبرى تترعرع فى بلادنا .

(بيروت) « كاتب لبنانى »

قرر شيخنا الدردير فى الخريدة أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان . وقال إمامنا البيجورى فى حاشيته على الجوهرة : إن الله تعالى يوكل ملكا على قبر الولى يقضى حوائج الناس . فنحن لا نقول إلا عن علم ولا نفق إلا بدليل . ثم التفت إلى متعجباً وقال : كأنك لم تقرأ ما ينشر كل يوم فى المجلات الدينية من الفتاوى الدجوية ، وآخرها فتوى فائدة الأربعاء القناوية . أو كأنك لم تطلع على القصيدة الصدفية فى الاستغاثة بالحضرة الأحمدية البدوية التى نشرت بمجلة الرسالة الغراء ! ألا فادرس العلم الصحيح فى مصادره ، وارجع إن أردت المزيد إلى ما أثبته الشيخان (الأكبران) الشرقاوى والبيجورى وهما ممن بلغوا درجة الإمامة وتولوا مشيخة الأزهر لترى كيف يكون علم العلماء المحققين . فغادرته ورجعت إلى هذه الكتب التى ذكرها لأرى ما فيها ، وما كدت أعبر بعض صفحاتها حتى تلقانى علم زاخر وجدت أن لا قبل لى بملاقاة أمواجه ، فقفلت راجعاً وقلت اللهم إن السلام فى الساحل

أما الكتاب الأول فهو شرح الخريدة البهية (للقطب الكامل والغوث الواصل أبى البركات سيدى أحمد الدردير)

قال هذا القطب بعد أن ذكر من العقائد ما شاء له علمه : إن على كل مسلم « اتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك إلى أن ينتهى إلى رسول الله » ، ثم قال : « ومن لا شيخ له فشيخه الشيطان . وبعد ذلك أوجب على المسلمين تقليد الأئمة الذين ذكرهم اللقانى فى الجوهرة بقوله :

وما لك وسائر الأئمة   كذا أبو القاسم هداة الأمة
فواجب تقليد حبر منهم   كذا حكى القوم بلفظ يفهم

على أن المسلم لا يدرى ماذا يأخذ وماذا يدع فى هذا الأمر وهو يجد فى كتب العلم مع هذا القول قولا آخر هو :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة   فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم   سعيد سليمان أبو بكر خارجة

على أنا لا نعرض لذلك حتى لا نتحول عن تيار الحديث

ولما فرغ من وجوب تقليد الأئمة الأربعة قال باتباع أبى القاسم الجنيد ومن تبعه ، لأن من عداهم « من جميع الفرق على ضلال » ، ثم قال إن تمام النعمة فى اتباع الأقطاب الربانيين أسياده أحمد الرفاعى وعبد القادر الجيلانى وأحمد البدوى وإبراهيم الدسوق وأبو الحسن الشاذلى ومحمد الخلوتى وعبد الله النقشبندى وأتباعهم « فهؤلاء كلهم سادات الأمة المحمدية »

وقد جاء الشيخ (المحشي) وهو (العلامة الكبير والفهامة النحرير سيدى أحمد الصاوى) فترجم لهؤلاء الأقطاب الربانيين وذكر مناقبهم . وقد أورد من مناقب الرفاعى أنه (أراد شراء بستان فأبى صاحبه ألا يبيعه إلا بقصر فى الجنة) ، فقال له : (قد اشتريت منك بذلك) وكتب له عقداً هذه صورته : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامناً على كرم الله قصراً فى الجنة يحف به حدود : الأول لجنة عدن ؛ الثانى لجنة المأوى ؛ الثالث لجنة الخلد ؛ الرابع لجنة الفردوس ، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره عوضاً عن بستانه فى الدنيا ، والله شاهد على ذلك وكفيل) فلما مات إسماعيل دفن معه العقد فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره « قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً »

ونقل من كرامات السيد البدوى أن ابن دقيق العيد اجتمع به فقال له إنك لا تصلى ، ما هذا سَنَن الصالحين . فقال له اسكت وإلا طيرت دقيقك ، ودفعه فإذا هو بجزيرة منسمة جداً ، فضاق ذرعه حتى كاد يهلك ، فرآه الخضر فقال له لا بأس عليك ، إن مثل البدوى لا يعترض عليه . إذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فإنه سيأتيك العصر يصلى بالناس فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك ، ففعل فدفعه فإذا هو ببابه

وساق من كرامات الدسوق أنه يعرف جميع اللغات حتى لغات الوحش والطير ، وأنه صام فى المهد ، ورأى اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين ، وأنه ينقل اسم مريديه من الشقاوة إلى السعادة . ومن أراد أن يستزيد من معرفة مناقب هؤلاء الأبطال فليرجع إلى هذه الرسالة فإن فيها العجب العجاب

أما الكتاب الثانى فهو حاشيه الشيخ الباجورى على شرح ابن قاسم وقد جاء فى باب الجنائز ما يلى :

لو شاهدنا الملائكة تغسله (الميت) لم يسقط عنا « ولو غسل الميت نفسه كرامة كفى كما وقع لسيدى أحمد البدوى أمدنا الله من مدده »

والكتاب الثالث هو حاشية الشيخ الشرقاوى على متن التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى وقد قال فى باب الجنائز

عَبْرَ كـــذا ...

للأستاذ الكبير «ا . ع»

يذكر القارئ أنى كنت قد كتبت بحثاً فى العدد ٤٢٤ من (الرسالة) أخطِّئ فيه ما شاع فى أقلام الكتاب من استعمالهم «عَبْرَ» - مصدر عَبَرَه - ظرفاً ، مسايرين الترجمة الخاطئة للكلمة Acrooss الإنجليزية

وقد سقت للتوضيح ثلاثة أمثلة مما تستعمله الصحف والمجلات كل يوم . وسأعرض هذه الأمثلة مرة ثانية ، وأبسط الموضوع بسطاً ، وأضمِّنه مقتبسات من كلامى وكلام مُناظرى مما يدور عليه البحث بينى وبينه ؛ حتى يعيه من القراء من لم يكن تتبعه منذ البداءة — وهذه هى الأمثلة :

١ — ومن زمن قريب ادعت اليابان لنفسها حق مرور قواتها «عَبْرَ» شمال الهند الصينية

٢ — وسنواصل كل شهر قذف ... بالقنابل الشديدة الانفجار ، كما فرغت مصانعنا من إخراج طائراتنا الضخمة ، أو جاءت إلى هنا «عَبْرَ» الأطلنطى

٣ — لهذا وصلوا بين باكو وباطوم «عَبْرَ» القوقاز بأنابيب

فردّ علىّ الأستاذ الفاضل محمد محمود رضوان فى العدد ٤٣٢ من (الرسالة) بأن هذه الكلمة قد جاءت فى بيت لسواد بن قارب هو :

فشمرت عن ذيلى الإزار وأرقلت
بىَ الدعلب الوجناء عبْر السباسب[1]

ثم قال : ومن ثم يرى الأستاذ الكبير أن الكلمة صحيحة كما يستعملها الكتاب على عهدنا

وقال : ولو أردنا تخريج الكلمة على وجه صحيح لوجدنا أكثر من وجه ، خلافاً لما يقول الأستاذ : «وأقرب هذه الوجوه عندى أن تكون «عبْر» مصدراً مراداً به اسم الفاعل ، فتكون حالاً مما قبلها» ؛ ويكون التقدير : «مرور قواتها عابرة شمال الهند الخ» ، «أو جاءت إلى هنا عابرة الأطلنطى»[2]

فأنت ترى أنه فى عبارته هذه قد أعرب فى صراحة «عبر» حالاً فعقّبت عليه فى العدد ٤٣٣ بأن المصدر لا يقع حالاً إلا إذا كان نكرة[3] و «عبْر» فى الأمثلة التى أتيت بها — وفى غيرها مما تلوكه الصحف كل يوم — معرفة بالإضافة ، فلا تصلح

(١) لى إلى هذا البيت عودة بمناسبة ما جد للأستاذ فيه من تأويل لكلمة «عبر» ، فلا أتعرض له هنا

(٢) أرجو أن يرجع القارئ إلى هذه العبارة مرة بعد أخرى فى أثناء تلاوته لهذا المقال ؛ فان عليها مدار معظم هذا البحث

(٣) راجع ما قاله النحاة فى هذا الموضوع ، وإن شئت فارجع إلى شروح ألفية بن مالك وحواشيها عند قوله :

ومصدر منكر حالا يقع   بكثرة كبغتة زيد طلع

أيضاً : «ولو شاهدنا الملائكة يغسلونه (الميت) لم يسقط عنا الطلب بخلاف مالو كفنوه» إلى أن قال : ولو غسل الميت نفسه كرامة كما نقل عن سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وكذا عن سيدى عبدالله المنوفى المالكى كفى لأنه من جنس المكلفين . وكذا لو غسل ميت ميتاً آخر كرامة»

نكتفى بهذا خشية الإطالة ، ونعرضه عرضاً بغير مناقشة ولا بحث يقرأه الناس ، ويطلع عليه إمام الأزهر ، وهو القيم على علوم الدين فى هذه البلاد والمسموعُ الكلمة بين أرجاء العالم الإسلامى ، وكل ما نرجوه أن يوجه عنايته الجبارة إلى الإصلاح الصحيح لعلوم الأزهر ، وذلك بإصلاح الكتب الدينية التى تدرس فيه ، وبخاصة كتب العقائد منها ، وأن يقوم العمل على الأخذ بها والدعوة على ما جاء بها ، فلا يعبد الطاغوت فى هذا البلد من دون الله ، ومن لا يدين بها ويؤمن بأصولها يحال بينه وبين التصدى للدعوة إلى الدين ، لأن العالم أو الواعظ إذا لم يكن سالم العقيدة خالص التوحيد ، فإنه يكون أضر على الأمة من الجاهل

هذا ما نرجوه من شيخنا الأكبر، حتى يكون المسلم مستحقاً لوراثة الأرض بصلاح ، فيأخذ أمور الحياة بأسبابها ، ويستغلها بتسخير نواميسها ، ويتبع سنن من يعاصرنا من الأمم الراقية شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، ليتبوأ مكانه اللائق به من العزة والسلطان .

نفزع إلى شيخنا الأكبر فى ذلك ، ونحن نعلم أنه ليس له غيره ، فهو المسئول عن حماية العقائد الدينية فى هذه البلاد من عبث الجاهلين ، وقد تهيأ له من أسباب إنفاذ الإصلاح ما لم يتهيأ لمن سبقه من الأئمة المصلحين ، فلا عذر اليوم

«المنصورة»   محمود أبو ريه

أن تكون حالاً ؛ ثم جئت بعدة أمثلة مما يستشهد به النحويون لضرورة تنكير المصدر إذا وقع حالاً ؛ وقلت أيضاً : إن وقوع المصدر المعرف حالاً نادر جداً ، ولا يكون إلا فى صورتين يمثل لهما بمثالين هما : جاءت الخيل بَدادِ ، وأرسلها العِراكَ[1]

ولكن الأستاذ لم يُرِد أن يعترف بأنه قال ما قال — وهو ماخطَّته يمينه صريحاً كما مرّ — فجاء فى العدد ٤٣٥ يقول ما نصه :

وأقول : إن الأستاذ لم يتبين رأيى على وجهه الصحيح ؛ إذ توهم أنى أرى « عبراً » مصدراً أريد به الحال [تأمل] ، ولم أقل هذا [تأمل] ، وإنما قلت : إنه مصدر وضع موضع اسم الفاعل ، فهو عبر بمعنى عابر ، كما فى قوله تعالى : « إن أصبح ماؤكم غورا » ؛ ورجل عدل : أى عادل !

أقول : ما على القارئ إلا أن يرجع إلى عبارته ، فهى من الوضوح والسلامة والإيجاز بحيث لا توقع فى وهم أو ضلال .

ثم نرى الأستاذ بعد ذلك يعود فيؤكد إنكاره لما قال ، ويتسرّب من هذا الإنكار — فى شىء من الالتواء — إلى إجازة إعراب « عبر » حالاً ؛ إذ هذا المصدر — كما يقول — سيفقد تعريفه بعد التقدير ... الخ[2]

وإنى واضع عبارته كلها أمام القارئ ، مراعاة للدقة ، وسوقاً للحجاج على وجهه الصحيح ، قال :

(فأنت ترى أنى لم أنص على أن كلمة « عبر حال » حتى يشترط تنكيرها ، وإنما نصصت على أنها مصدر بمعنى فاعل [تأمل] . وكونها « حالاً » أمر اقتضاه سياق الكلام فى الجمل التى ساقها الأستاذ . وساعد عليه أن المصدر سيفقد تعريفه بعد التقدير . وسيصير المضاف إليه مفعولاً ، وذلك فى قولك : « عابرة الأطلانطى » ؛ فليس ثم ما يمنع من أن يكون المصدر « حالاً » بعد أن فقد تعريفه)

أقول : إن المثال[3] — وهو موضوع البحث والمناقشة — غير صحيح ؛ إذ لا يعرف فى العربية مصدر معرف يقع حالاً إلا فى صورتين أو صور قليلة شاذة — فلا يمكن أن يلتمس له من « التقدير » ما به يخرج عن فساده المتأصل

ألا إن الموضوع من الخطورة بحيث لا ينبغى أن يُرخى فيه الكلام على عواهنه

بقيت مسألة ليست محل نزاع بينى وبين الأستاذ ، وهى ما أشار إليها بقوله : (فقد أصبحت القضية الآن : هل يشترط تنكير المصدر إذا وقع موقع اسم الفاعل ، بصرف النظر عن كونه حالاً أو غير حال ؟)

وللاجابة عن هذا أقول : يحسن أن يرجع الأستاذ مرة ثانية إلى ما جاء فى العدد ٤٣٣ ، فقد قلت فيه : (يكفى فى الرد على هذا أن أذكر الأستاذ أنه من المقرر أن المصدر قد يقع حالاً « إذا كان نكرة » . فالتنكير شرط ، نحو ... الخ)

(فأنت ترى أنى قصرت كلامى على « المصدر الواقع حالاً » ولم أتعرض لغيره ، فلا محل هنا لهذا الاستفهام

وليس كذلك بينى وبينه خلاف فى المصدر قد يقع فى موضع اسم الفاعل ، ولا فى أن اسم الفاعل قد يقع فى موضع المصدر

وبعد فقد آن لى أن أختتم هذه الكلمة ، بعد أن أفرغت الوسع فى المقابلة بين كلام مناظرى وكلامى . وإلى القراء أحتكم والله ولى التوفيق

(ا . ع)

---

(1) يقول ابن هشام : إن « وحده » فى « جاء زيد وحده » من المصادر للمعروفة التى وقعت حالا نادراً

(2) لقد اضطره إلى هذه المحاولة أنه عاد فأدرك خطاه فى إعراب « عبر » حالا [أى من غير هذا التأويل] راجع قوله : ولو أردنا تخريج الكلمة ... الخ

(3) أى فى قولهم « عبر الأطلانطى » أو نحوه مما غلطوا فأعربوا فيه (عبر) حالا

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ فى القضية رقم ٤٩٢ سنة ١٩٤١ ضد أحمد عبد الله قايد فلاح بكفر داود مركز كوم حمادة بالحبس شهرين بالشغل والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة .

فضل الصفر على المدنية

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

قد يعجب القارىء الكريم من هذا العنوان . وقد يتبادر إلى ذهنه أسئلة عديدة : ما علاقة الصفر بالمدنية ؟ وهل للصفر قيمة ليكون له أثر فى تقدم المدنية ؟ أليس الصفر صفراً يعنى الفراغ والعدم ؟ إذن فكيف يوضع هذا العنوان ويصرف له بعض الاهتمام ؟

ولكن مهلا ... لقد فكرنا فى هذا الموضوع ، ورجعنا إلى الكتب الرياضية وغير الرياضية ، فتبين لنا أن للصفر خصائص وأفضالا . وما يكون لنا أن نقتحم هذا الموضوع لولا أن البحث قادنا إلى ذلك . وفى هذا المقال سنحاول تبيان الفوائد التى تجنيها المدنية من الصفر ، كما سنأتى على التسهيلات التى قدمها للبحوث الرياضية وغير الرياضية ، والتى لولاها لما تقدمت العلوم الرياضية تقدمها المشهود ، ولما استطاع العلماء أن يتقدموا بالجبر خطوات واسعة ، وبالتالى لما استطاعوا أن يتقدموا بالتى تعتمد على الرياضيات فى كثير من مباحثها كالفيزياء والفلك والكيمياء .

نبذة تاريخية:

وقبل ذكر شيء عن الصفر وخصائصه وفوائده نرى أن نذكر أولاً نبذة عن تاريخ الترقيم واستعمال الصفر . إن النظام الذى نتبعه الآن فى الترقيم مبنىّ على أساس القيم الوضعية ، وبواسطته يمكن ترقيم جميع الأعداد وإجراء الأعمال الحسابية بسهولة كبيرة . ولقد بقيت الأمم فى القرون الخالية كالمصريين والبابليين واليونانيين وغيرهم محرومة من هذا النظام ؛ وكانوا يجدون صعوبة فى إجراء الأعمال الحسابية ، حتى أن عمليتى الضرب والقسمة كانتا تقتضيان جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً .

ولو قدّر لأحد علماء اليونان من الرياضيين أن يبعث فقد يعجب من كل شيء ؛ ولكن عجبه يكون على أشده ، إذ يرى أن أكثر سكان الأقطار فى أوربا وأمريكا يتقنون عمليتى الضرب والقسمة ويجرونها بسرعة وبدون عناء

ولما نهض العرب نهضتهم العجيبة ودوّخوا أكثر أقطار المعمورة ، اتصلوا بالهند فاقتبسوا فيما اقتبسوه منها الأرقام الهندية وقد قدروا النظام الترقيمى عندهم « عند الهنود » ففضلوه على حساب الجمل الذى كانوا يستعملونه قبلاً . ومن الغريب أن فى بلاد الهند أشكالاً متنوعة ومختلفة للأرقام ، ولكن العرب بعد أن اطلعوا على أكثر هذه الأشكال كونوا منها سلسلتين عرفت إحداهما باسم « الأرقام الهندية » وعرفت الثانية باسم « الأرقام الغبارية » . ففى بغداد والجانب الشرقى من العالم الإسلامى عم استعمال الأولى أى الأرقام الهندية ، وهى التى لا تزال شائعة ومستعملة فى بلادنا . وشاع استعمال الثانية ، أى الأرقام الغبارية فى القسم الغربى — فى الأندلس وأفريقيا والمغرب الأقصى — وهذه الأرقام هى المستعملة الآن فى أوربا والمعروفة باسم الأرقام العربية Arabic Numerals ولم يتمكن الأوربيون من استعمال هذه الأرقام فى الأعمال الحسابية إلا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها ، أى أنه لم يعم استعمالها فى أوربا والعالم إلا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد

ولم يفطن أحد قبل الهنود إلى استعمال « الصفر » فى المنازل الخالية من الأرقام ؛ وقد أطلقوا عليها لفظة «سونيا» ومعناها « فراغ » واستعملوا النقطة (.) علامة للصفر ؛ وقد أخذها العرب عنهم واستعملوها فى معاملاتهم . ويقال إن الهنود لم يلبثوا أن عدلوا عن استعمال النقطة وأخذوا يكتبون الصفر بصورة دائرة

فوائد الصفر

مما لا جدال فيه أن نظام الترقيم الذى نعرفه والمنتشر بين أكثر أمم الأرض هو من المخترعات الأساسية القيمة ذات الفوائد الجلّى التى توصل إليها العقل البشرى ، وهذا النظام لم ينحصر — كما لا يخفى — فى تسهيل الترقيم وحده ، بل تعداه إلى تسهيل جميع أعمال الحساب . ولولاه لما رأينا سهولة فى الأعمال الحسابية ، ولاحتاج المرء إلى استعمال طرق عويصة وملتوية لإجراء الضرب والقسمة . ومما لا شك فيه أيضاً أنه لولا الصفر واستعماله فى الترقيم لما فاقت الأرقام العربية والهندية غيرها من الأرقام ، ولما كان لها أية ميزة ، بل لما فضلتهما الأمم المختلفة على الأنظمة الأخرى المستعملة فى الترقيم . والنظام المستعمل والشائع الآن يقضى بجعل قيمة الرقم تتغير بتغير منزلته ، أى أنهم أوجدوا منازل للأرقام تكسب الرقم الواحد قيماً مختلفة إذا نقل

من منزلة إلى أخرى ؛ فالرقم الذى على اليمين يدل على الآحاد ، والذى يليه على العشرات ، والذى يليه على المئات ، وهكذا . . . وإذا أردنا أن نكتب العدد (ثلاثة وأربعين) فإننا نضع الثلاثة فى المنزلة الأولى ، أى منزلة الآحاد والأربعة فى المنزلة الثانية ، أى منزلة العشرات . وهنا نجد أن الثلاثة دفعت الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار وأعطتها قيمة الأربعين . ولـكن إذا أردنا أن نكتب بالرقم العدد (أربعين) فمعنى ذلك أنه علينا أن نجد رقماً يدفع الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار . وبذات الوقت لا يزيد فى المجموع شيئاً ، ومن هنا استعمل الصفر ووضع علماء الهند علامة لتملأ المرتبة الخالية ، فجاءت مكملة لطريقة كتابة الأعداد بالأرقام

وللصفر فوائد أخرى هى من عظم الشأن فى مكان عظيم لا يقل خطرها عن التى ألمنا إليها ؛ فلولاها لما استطعنا أن نحل كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التى نحلها بها الآن . ويمكن القول بأن الرسم البيانى لم يتقدم خطواته الواسعة إلا باستعمال الصفر . والرسم البيانى من أهم البحوث الرياضية ، وعليه ترتكز الهندسة التحليلية ، وحلول كثير من المعادلات الصعبة ، بل هو الركن الأساسى للموضوعات التى تحتاج إلى استعمال علم الإحصاء . وهل تقدمت المثلثات تقدمها المعروف إلا بمعادلاتها ؟ ! وهل يستطيع الرياضى أن يتقدم خطوة فى حلها إلا إذا استعمل إشارة (الصفر) ؟ !

قد يدهش القارئ إذا قلنا إن حساب التمام والتفاضل لا يستغنى فى بحوثه عن استعمال الصفر ، بل إن الصفر عامل مهم جداً فى تسهيل حل كثير من مسائله العويصة الصعبة . وعلى كل حال يمكن القول بأن (الصفر) ضرورى ولازم فى البحوث الرياضية الحديثة والعالية ، إذ جعل كثيراً من الأوضاع والمعادلات قابلة للحل غير ملتوية المسالك يمكن الأخذ بها والاستفادة منها ، واستعمالها فى فروع المعرفة من فلك وطبيعة وكيمياء وهندسة وما يتعلق بهذه من صناعة وفن

علاقة الصفر بالمدنية

ألا تشاركنى أيها القارىء فى الإعجاب بالأرقام التى نستعملها ويستعملها الأوربيون وبالنظام الذى يحتوى عليها ؟ أليس عجيباً ومثيراً للدهشة ألا تجد أقل صعوبة فى كتابة أى عدد شئت - مهما كان كبيراً - من أرقام لا يتجاوز عددها عدد الأصابع ؟ ألا ترى معى أن هذه الأرقام العجيبة قد سهلت الأعمال الحسابية كثيراً ؟ ! ألا تعتقد أنه لولاها لما تقدمت المعاملات التجارية تقدمها الحاضر ، ولولاها أيضاً لوجدنا صعوبة كبيرة جداً فى إجراء أبسط الأعمال فى الضرب والقسمة ! !

أرجح أن كل هذا معروف لديك وتوافقنى عليه ، ولـكن قد يزيد عجبك إذا علمت أن إشارة (الصفر) هى التى أوجدت أكثر التسهيلات التى تراها فى الترقيم ، وهى التى أعطت بعض الخصائص الممتازة للأرقام . لقد ظهر لك المقام العالى الذى يشغله (الصفر) فى البحوث الرياضية ، وأنه عامل مهم فى ترقيتها وفى تسهيل الصعب منها ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه لولا الصفر لما تقدم العلماء تقدمهم الغريب فى العلوم الرياضية . وهنا قد يحلو للبعض أن يتساءل ويقول : قد يكون للصفر هذا المقام فى الرياضيات ، وقد يكون له هذا الأثر الكبير فى ارتقائها ؛ ولـكن ما علاقة ذلك بالمدنية ؟ وهل المدنية تقوم على الرياضيات ؟ !

وجواباً على هذا السؤال ، ليسمح لنا القارىء أن نعطى الجواب أولاً فنقول : نعم ، إن المدنية فى أساسها وجوهرها ترتكز على العلوم الرياضية .

إن كل فرع من فروع المعرفة يتقدم ويتناوله التغيير والتبديل ، وكلما اقترب من الأرقام زاد دقة فى التعبير ونحا نحو الكمال ونحو الذروة من الحقيقة . قال كانت Kant : « يكون العلم دقيقاً إذا استعمل العلوم الرياضية فى بحوثه » ولم يستطع العلماء أن يستفيدوا من بحوث الضوء ومن انكسار النور إلا بعد أن أفرغوا قوانين الانكسار فى قالب رياضى ، وبذلك استطاعوا أن يستعينوا بالمعادلات والأرقام فى العدسات التى تستعمل لإصلاح عيوب العين

إن علمى الفلك والفيزياء وصلا إلى درجة كبيرة من الدقة

والـكمال ، وما ذلك إلا بفضل الأرقام والمعادلات . جرد هذين العلمين من رياضيتهما بل جرد الـكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها وحينئذ لا يبقى إلا تعريفات ومبادئ لا يمكنك بحال من الأحوال أن تستفيد منها أو أن تطبقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوى العقل خصب الفكر أن يقف على أسرار الطبيعة والـكون . وان يستطيع الغوص فى بحارهما ليقف على كنوزهما وعجائبهما إلا إذا ألمّ بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها ، وأن الـكيمياء الحديثة لنى حاجة إلى الرياضيات حاجتها إلى التجربة والاختبار ، وناهيك بالـكيمياء فهى الأساس الذى شيد عليه صرح الصناعة فى هذا القرن وجعلها تزدهر هذا الازدهار العجيب . إن هـذا العصر لهو عصر الهندسة وعصر الآلة ، وكل هذه فى حاجة إلى الرياضيات ولا يمكن الاستفادة منها أو تطبيقها على مقتضيات العمران إلا بذلك . قال البروفسور فوس Voss : « إن مدنيتنا التى ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس العلوم الرياضية » ، والهندسة وأنواعها والملاحة والصناعة كل هذه تحتاج إلى الرياضيات ، ولا يمكنها أن تستغنى عنها ، بل إن أسس إنشائها تقوم على الأرقام والمعادلات . وما يقال عن هذه يمكن أن يقال عن علوم أخرى إلى حد ما ، فإن هـذه كلما تقدمت واستطاعت أن تدخل الأرقام فى بحوثها اقتربت من الدقة والـكمال . فالعلوم على اختلافها إذا اقتربت من الـكمال فإنها لا بد محلقة فى سماء العلوم الرياضية ، وفى جو من الأرقام والمعادلات

من هنا تظهر لنا الفوائد التى تجنيها المدنية من العلوم الرياضية ومن استعمالها فى العلوم والفنون الأخرى ، وقد ظهر أيضاً كيف أن الحضارة الصناعية مبنية على أسس من الأرقام والمعادلات ، وقد سبق أن أبنّا مكانة الصفر فى العلوم الرياضية وفضله فى تسهيل المسائل والأعمال ، ومن هذه النقطة يتبين للباحث فضل الصفر على المدنية والصناعة

وقبل الختام أود أن أوجه نظر القارىء إلى أنى أخشى أن يُساء فهم هـذا القول فيظن أن الصفر هو الـكل فى الـكل فى العلوم الرياضية وبالتالى فى المدنية ، ومع استبعادى لذلك أرغب فى القول بأن الصفر — ولا شك — عامل مهم فى البحوث الرياضية لا يستغنى عنه ، وهو لازم وضرورى لها ولتسهيل المعاملات والأعمال الحسابية ، وينتج من ذلك إلى أنه عامل مهم فى الصناعة والأعمال الإنشائية التى تحتاج إلى استعمال الأرقام والمعادلات . فالعجب لصفر يشغل هذا المقام السامى ويجنى منه الحضارة فوائد هى أعظم جانب من خطر الشأن

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩٤١/٩/٢٤ فى القضية رقم ٤٨٠ سنة ١٩٤١ ضد محمد محمد البنا بائع غاز بدمنهور بغرامة ٣٠٠ قرش صاغ والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع الغاز بالسعر المحدد قانونا بالتسعيرة

هؤلاء الـــكتاب

للأستـــاذ م . دراج

. . . وقلت لنفسى : لقد أصبح الناس يقابلون بالشك والارتياب كتابة الكتاب والمفكرين . فإذا تقصيت السر وجدتهم على حق فيما يشكون : فقد باع هؤلاء الكتاب حرية الفكر بعبودية المال ، ورضوا وهم طلائع الأمة أن ينقادوا لرجال المال والأعمال ؛ وقلما تتفق مصالح الشعب ومصالح أولئك الرجال ؛ ولعل هذا هو أكبر ما تمانيه من بلاء ، بل لعله السر الوحيد فيما وصل إليه المجتمع من تفكك وانحطاط .

فالتنافس فى سبيل القوت قد انقلب إلى تناحر مادى فظيع ليس له حدود ، وطريق الاستغلال مفتوح على مصراعيه لكل طارق ، وليس للكائنات البشرية قيمة تذكر أمام الغاية الكبرى ، وهى جمع المال والإثراء بأى ثمن . فالذى يستطيع أن يأتى بقدر من المال فى عمل ما يجد العامل الذى يرضى بالدون من الكفاف ؛ ويستطيع أيضاً أن يرغمه على العمل ليل نهار بزيادة بضع قروش أو بضع مليمات ! وله الحق فى هذا ما دامت قوانين الدولة لا ترسم حدوداً لمثل هذا الاستغلال الفظيع ، وما دام الضمير الإنسانى لا ينزعج لهذه الحال ؛ فكل شىء على ما يرام ! أفبعد هذا نلوم الناس على انصرافهم وشكوكهم فى إخلاص المفكرين والكتاب ؟ أليس الدليل الواضح أمامنا فى كتابات الصحف اليوميـة وغير اليومية يعطى أصدق برهان على فساد « التفكير الجماعى » عند هؤلاء الكتاب . إنهم ليفسحون لرجال المال صدور الصحف يكتبون ويعلنون فيها ما شاء لهم الغرض . ثم لا يجدون غضاضة فى إعطائهم فرصة للكلام عن بؤس الفلاح وشقاء العامل واضطراب الموظف وحيرة الجماعات ، ومتاعب الشعب جملة وتفصيلاً ... ليستتروا وراء هذه الإعلانات فى ثوب الطبيب الذى يتوجع لآلام المريض ، وهو يعلم أن بلسمه الشافى بين يديه ، ولكنه لا ينزل عن الثمن بأى حال !

هؤلاء الكتاب يسيئون الظن فى ذكاء « الغريزة المصرية الواعية » مثلما يسيئون إلى الشعب المصرى بقوائم الإحسان التى يعلنون عنها كل يوم فى صحفهم . لقد فسدت عندهم مقاييس الإصلاح ، فتوهموا أن الكلام قد يغنى عن الخبز ، وأن الإحسان أجدى وسائل الإصلاح ، وأن الدنيا بخير ما داموا هم سعداء ! إلا أن الشعب المصرى لا يطلب إحساناً ولا بكاء . . . لا ، ولا إشفاقاً ، وإنما يبغى علاجاً حاسماً يقضى على أسباب المرض دفعة واحدة لا تقسيطاً ؛ ولن يكون هذا العلاج إلا « جماعياً » تؤمن به الدولة وتسنه قوانينها ، حتى إذا جرى مجرى التنفيذ أفاد كل « خلية » فى جسم الأمة ، كما تغذى الدماء الأعضاء المشلولة بالحياة .

هراء ... محض هراء ... كل ما تذيعه الصحف من علاجات أرباب المال ، لأنهم لا يريدون إلا تبرعاً ، والتبرع قد يفيد شخصاً وقد ينجد أسرة ، وقد ينقذ ألفاً من الناس ، ولكنه لا ينقذ شعباً بأسره يعد الفقراء فيه بسبعة عشر مليوناً إلا بضع عشر ألفاً من الأثرياء .

هؤلاء الكتاب يعرفون — أو لا يعرفون — أن سكرة الموت يعقبها هزة عنيفة هى هزة اليأس أو الرجاء ، فإذا تراهم صانعين بأقلامهم الزيفة لو صح المريض ، وسلمت روحه من الفناء ، هل يظنون آنذاك أنها إحدى معجزات الإحسان ؟ ! أم يشهدون أن القوة الكامنة فى قرارة النفس المصرية هى التى مهدت له طريق الحياة ؟

أيها الكتاب اطرحوا عنكم ضلال المادة . ثم اكشفوا الغطاء عن موطن الداء . تهيئون لكم وللناس فرصة طيبة للعودة إلى الحق والصراط المستقيم . فالتفكير الفردى لا يجذب الجماعات ، لأن الإحساس الجماعى يتطلب « تفكيراً جماعياً » ، ونحن فى أشد الحاجة إلى هـذا اللون من التفكير يسود أذهان الكتاب ، ولا شىء سواه يمكن أن يفىء للمجتمع طريقه إلى الخلاص وسط هذا الظلام .

والداء العياء لهذا البلد هو الإعسار الشديد فى العيش، والإظلام الشديد فى العقول والقلوب ، حتى أصبحت البيئة المصرية مزرعة الملايين الأمراض البشرية ، والأمية سبة فى جبين كل مصرى يتهمها انحطاط فى الأخلاق والتفكير والأحوال الماشية بوجه عام

داء مصر الوحيد هو الفقر بعينه بشهادة اللجنة المالية لمجلس الشيوخ . فإذا استطعتم أن تقولوا كلمتكم فى هذا المرض العضال وشرحتم أسبابه وفصلتم نتائجه ورسمتم على هـذا النهج طريق الخلاص ، أمكنكم النهوض بهذه الأمة سريعاً ، أما غير ذلك فضرب من المحال ، وضجة وتشويش فى غير مجال .

م . دراج

١٤ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الحكومة — تابع الفصل الرابع

يحكم بطريرك الأقباط ، وهو الرئيس الأعلى لكنيسته ، في القضايا الصغيرة بين المتقاضين من طائفته في العاصمة ؛ ويقوم مرؤوسوه من القسس مقامه في البلاد الأخرى ؛ وقد تستأنف أحكامهم أمام القاضي . والمسلم الذي يعتدي عليه قبطي أن يرفع أمره إلى البطريرك أو إلى القاضي . أما القبطي الذي يقاضي المسلم فيجب عليه أن يقصد القاضي ؛ واليهود كذلك . والفرنجة أو الأوربيون على العموم لا يخضعون إلى غير قناصلهم إلا إذا جنوا على مسلم فيسلمون إلى السلطات التركية التي تستأنف أمامها من ناحية أخرى قضايا الفرنجة الذين يعتدي عليهم أي مسلم

ويخضع سكان الأقاليم لحكم المستخدمين الأتراك والمصريين . ويقسم القطر المصري إلى عدة مديريات واسعة يتولى كلا منها عثمانلي . وتقسم هذه المديريات إلى مراكز يديرها موظفون من الوطنيين يلقبون (بالمأمور) و (الناظر) . والقرية كالمدينة شيخ يسمى (شيخ البلد) ، ويكون من أهل القرية المسلمين . وكان هؤلاء المستخدمون جميعاً ، ما عدا شيخ البلد ، أتراكاً من قبل . وكان هناك ولاة أتراك آخرون يتولون المراكز ، وكان يطلق عليهم اسم (كاشف) و (قائمقام) وقد حدث هذا التغيير قبيل زيارتي الثانية لمصر . ويشكو الفلاحون من أن حالهم أصبحت أسوأ مما كان قبلاً . ولكنهم على العموم يقاسون طغيان الولاة الأتراك أشد مقاساة

ويبين الحادث الآتي حالة الفلاح المصري في بعض الأقاليم بعض البيان

في ليلة ما ذهب حاكم مدينة طنطا[1] وهو تركي[2] سيء السيرة والسلوك ، إلى أهراء الحكومة بالمدينة ، فوجد فلاحين نائمين هناك . فسألهما من يكونان وماذا يفعلان في هذا المكان . فقال أحدهما إنه أحضر من إحدى قرى المركز ١٣٠ أردباً من القمح . وقال الآخر إنه أحضر ٦٠ أردباً من أرض تابعة للمدينة . فقال الحاكم لهذا : « أيها اللص ! هذا الرجل ورد ١٣٠ أردباً من قرية صغيرة ، وأنت تورد ٦٠ أردباً من أراضي المدينة ؟ . فأجاب فلاح طنطا : « هذا الرجل لا يورد القمح إلا مرة واحدة كل أسبوع أما أنا فأورده كل يوم . فأسكته الحاكم وأمر أحد الخدم أن يشنقه على فرع شجرة قريبة . فنفذ الأمر وعاد الحاكم إلى منزله . وفي الصباح التالي عاد ثانياً إلى الأهراء فبصر برجل ينقل غلالاً كثيرة إلى الداخل . فاستفسر عنه وعن المقدار الذي أتى به . فأجابه الخادم الذي شنق الفلاح في الليلة السابقة : « هذا هو الرجل يا سيدي الذي شنقته إطاعة لأوامرك ليلة أمس وقد أحضر ١٦٠ أردباً » فصاح الحاكم : « ماذا ؟ هل بعث الرجل من قبره ؟ » فأجابه الخادم : « لا يا سيدي . إنني علقته وقدماه كانتا تلمسان الأرض ، ولما انصرفت حلت عقدة الحبل . إنك لم تأمرني بقتله » فدمدم التركي قائلاً : « آها ! إن الشنق والقتل شيئان مختلفان . إن اللغة العربية غنية . في المرة القادمة سأقول اقتل . اعتن بأبي داود[3] » وهذه هي كنية الرجل

وأذكر حادثة أخرى تناسب المقام زيادة في بيان طبيعة الحكومة التي تحكم المصريين يومئذ : عُين فلاح ناظراً على المنوفية قبيل قدومي الثاني إلى مصر . وفي أثناء جباية الضرائب طولب فلاح فقير بمبلغ ستين ريالاً ؛ والريال تسعون فضة فالمبلغ مائة وخمسة وثلاثون قرشاً

---

(١) هكذا تنطق الآن . وكانت سابقاً طندتا (انظر الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك الجزء الثالث عشر صفحة ٤٥ : طندتا بمهملة مفتوحة فنون ساكنة فدال مكسورة فتناة فوقية مقصورة . كذا سمع من بعض الفضلاء ، والعامة يقولون طنتا وهي مدينة كبيرة ، واسمها القبطي القديم طنيطاد ، وقال ابن حوقل إن طندتا قرية كبيرة بها جوامع وأسواق وملحق بها جملة قرى) . المترجم

(٢) سليمان أغا السلحدار وقد توفي حين كتابة هذا الكتاب

(٣) أبو داوود وأبو علي : كنية يستعملها فلاحو مصر على العموم ولا تعني والد داوود أو والد علي . وإنما تعني الذي أبوه داوود أو علي

فقال الفلاح إنه لا يملك غير بقرة لا تكاد تصلح شأنه وتقيم أوده هو وعائلته . فلم يأمر الناظر بضربه كما هي العادة عند ما يمتنع الفلاح عن دفع الضريبة ، وإنما بعث بشيخ البلد ليأتي ببقرة الفلاح المسكين، ثم أمر بعض الفلاحين بشرائها . فلم يستطع أحد شراءها لقلة المال . فأرسل الناظر في طلب الجزار وأمره بذبح البقرة وتقطيعها ستين قطعة . وبعد أن دفع إلى الجزار رأس البقرة أجرة له ، أحضر ستين فلاحاً معاً وأجبر كلا منهم على شراء قطعة من البقرة بريال . فذهب صاحب البقرة باكياً شاكياً إلى محمد بك الدفتردار رئيس الناظر وقال له : (ياسيدي أنا مظلوم بائس . لم أكن أملك غير بقرة واحدة ، بقرة حلوب كان لبنها قوتنا أنا وعائلتي ، وكانت تحرث لي الأرض وتدرس الغلال . وكانت معيشتي كلها عليها . وقد أخذها الناظر وذبحها وقطعها ستين قطعة باعها إلى جيراني بستين ريالاً . بينما كانت تساوي مائة وعشرين ريالاً أو أكثر . أنا مظلوم بائس غريب عن هذا المكان لأني من قرية أخرى ؛ ولكن الناظر لم يرحمني . وقد أصبحت أنا وعائلتي نسأل قوتنا ولم ندخر شيئاً . رحمتك وعدلك ياسيدي . أتوسل إليك بقداسة حريمك) فأمر الدفتردار بإحضار الناظر وسأله : (أين بقرة هذا الفلاح ؟) فقال الناظر : (بعتها) . (بكم ؟) . (بستين ريالاً) . (ولماذا ذبحتها وبعتها ؟) كان على صاحبها ستون ريالاً ضريبة على الأرض ، فأخذت البقرة وبعتها وفاء للمبلغ . (وأين الجزار الذي ذبحها ؟) . (في منوف) ، فأرسل الدفتردار في طلب الجزار ، فلما قدم قال له : (لماذا ذبحت بقرة هذا الرجل ؟) فأجاب الجزار : (إن الناظر أمرني وما كان لي أن أعصي أمره لئلا يضربني ويخرب بيتي . وقد ذبحتها وأعطاني الرأس أجرة لي) ، فقال الدفتردار : (يا رجل هل تعرف من اشترى اللحم ؟) فرد الجزار بالإيجاب . فأمر الدفتردار ناموسه بكتابة أسماء الستين رجلاً وإرسالها إلى شيخ بلدتهم لإحضارهم إلى منوف حيث أقيمت الشكوى ؛ وسجن الناظر والجزار . وفي اليوم التالي قدم شيخ القرية ومعه الفلاحون الستون . فأخرج السجينان وأوقفا بين يدي الدفتردار فسأل شيخ البلد والفلاحين : (هل كانت بقرة هذا الرجل تساوي ستين ريالاً ؟) فأجابوا : (ياسيدي إن قيمتها كانت أكبر) فبعث الدفتردار إلى قاضي منوف وقال له : (يا قاضي ، هذا رجل ظلمه هذا الناظر بأخذ بقرته وذبحها وبيع لحمها بستين ريالاً . فما حكمك ؟) فأجاب القاضي : (إن من يظلم أحد الرعية طاغية قاس . ألا تساوي البقرة مائة وعشرين ريالاً فباعها الناظر بستين ؟ إنه ظلم صاحبها) . فقال الدفتردار لبعض جنده : (اقبضوا على الناظر وجردوه من ملابسه وأوثقوه) . ثم قال للجزار : (يا جزار ألا تخشى ربك ؟ لقد ذبحت البقرة ظلماً » فأوضح الجزار مرة أخرى أنه إنما اضطر إلى إطاعة أمر الناظر . فقال الدفتردار : (أتنفذ ما آمرك به ؟) فأجاب الجزار : (نعم) . فقال الدفتردار : (إذبح الناظر) . وسرعان ما قبض الجند عليه وألقوه على الأرض ونحره الجزار كما ينحر الحيوان . فقال الدفتردار : (قطعه ستين قطعة) . فنفذ الجزار الأمر والحاضرون يتأملون هذا المنظر ولا يجرؤون على الكلام . ثم أمر الدفتردار الفلاحين الستين أن يتقدموا واحداً واحداً ، وفرض على كل منهم قطعة من لحم الناظر بدفع ريالين . وبهذه الطريقة حصل على مائة وعشرين ريالا . وبعد انصراف الفلاحين سأل الدفتردار القاضي : ماذا يكون جزاء الجزار ؟ فأجاب القاضي أن يجازى كما جازاه الناظر . فأمر الدفتردار أن يعطى رأس الناظر . وفرح الجزار بنصيبه الذي لا يساوي شيئاً وهو يحمد الله على أن حظه لم يخنه أكثر من ذلك . وانصرف وهو لا يكاد يصدق أنه نجا بهذه السهولة . أما صاحب البقرة فدفع إليه ثمن لحم الناظر

ويتعدى أغلب حكام الأقاليم في طغيانهم حدود السلطة التي خولهم الباشا إياها ؛ حتى شيخ القرية يسيء استعمال سلطته الشرعية عند ما ينفذ أوامر رؤسائه . وليست وظيفة شيخ القرية منصباً يقبض صاحبه مرتبه بلا عمل . ففي وقت جباية الضرائب كثيراً ما ينال شيخ القرية من الضرب أكثر مما ينال مرؤوسيه ، إذ أنه عند ما لا يورد سكان القرية المبلغ المطلوب يضرب الشيخ لتقصير الفلاحين . وهو لا يدفع دائماً نصيبه حتى يشبع ضرباً . ويفتخر الفلاحون أجمعون بما يتركه الكرباج على أجسادهم من آثار لرفضهم دفع الضرائب . وكثيراً ما يتباهون بعدد الضربات التي نالوها قبل

أن يدفعوا نقودهم . ويصف أميانوس أرسليوس Ammianus Marcellinus (١) مصر في زمنه بالخلق نفسه

ويبلغ إيراد والي مصر ، على ما يقال ، ثلاثة ملايين جنيه استرليني (٢) يرد نصفها تقريباً من الضرائب المباشرة على الأطيان ومما يؤخذ من الفلاح ظلماً بطريق غير مباشر . ويرد النصف الباقي على الأخص من الرسوم الجمركية والضرائب على النخيل ومن بيع محصولات الأرض المختلفة التي تكسب الحكومة منها ما يزيد على الخمسين في المائة . وقد نمى الباشا الحالي إيراده إلى هذا القدر باتباعه أشد الوسائل تعسفاً . فقد نزع من الملاك أراضيهم ومنحهم معاشاً بنسبة مساحة الأرض وصفاتها . ولذلك لم يكن المزارع ما يخلفه لأولاده غير كوخه ، وقد يترك لهم بعض الماشية وبعض مدخرات طفيفة

وتقدر ضرائب الأطيان المباشرة حسب مزايا الأرض الطبيعية . ويبلغ متوسطها حوالي ثمانية شلنات للفدان (٣) ، ولكن الفلاح لا يستطيع أن يحصي ما تطالبه الحكومة منه . فهو يعاني الكثير من الطلبات غير المباشرة (وهي تختلف باختلاف السنين ولكنها تفرض على الفدان) من الزبدة والعسل والشمع والصوف والسلال المصنوعة من السعف ، والحبال المفتولة من ألياف النخيل ، وغير ذلك من المحاصيل . ويجبر الفلاح أيضاً على دفع أجرة الجمال التي تحمل الغلال إلى شونة الحكومة ، وعلى القيام بنفقات عديدة أخرى . وتستولي الحكومة على جزء من محصول الأرض (٤) ، وقد تستولي على المحصول كله بثمن مناسب معين لا يفي مع ذلك في عدة أقاليم ما تبقى من ديون الفلاحين المصريين (٥) . وكثيراً ما يضطر الفلاح للحصول على ضروريات الحياة ، أن يسرق محصول أرضه ويحمل ما يستطيع حمله إلى كوخه سراً . ويحضر الفلاح بذور أرضه بنفسه أو يأخذها سلفة من الحكومة ، ولكنه في هذه الحالة قلما يتحصل على كمية كافية من التقاوي لأن القائمين بالأمر يسرقون منها مقداراً كبيراً قبل أن يسلموها للفلاح . ولا يتسع هذا الكتاب لذكر ما يعانيه الفلاح المصري من ظلم المأمور والمستخدمين وخياناتهم . ويندر أن يستطيع الفلاح أن ينعم بالحياة مع شدة العذاب ، لذلك لا أرى ضرورة للقول بأن الفلاح قلما يثابر على تحمل أعباء الزراعة إلا إذا أجبره على ذلك الحكام

ولم يستول الباشا على الملكية الخاصة فحسب ، بل أضاف إلى خزائنه كثيراً من دخل المنشآت الدينية باعتبار أن أموالها المتراكمة تزيد على اللازم . وقد بدأ بفرض ضريبة — حوالي نصف ضريبة الأرض المنتظمة — على الأراضي الموقوفة على المساجد والسبل والمدارس العامة . . . الخ . ثم استولى على هذه الأراضي استيلاء تاماً ومنح عوضاً عنها بعض رواتب سنوية لترميم المباني ولنفقة الأشخاص التابعين للوقف من نظار وموظفين دينيين وخدم وطلبة وغيرهم من المستحقين . وقد أثار الباشا بهذا مقت رجال العلم والدين الشديد ، وعلى الأخص نظار المساجد الذين كانوا يثرون من الأموال الوافرة المودعة تحت رعايتهم وأمانتهم . أما ما وقف على خدمة المساجد والمنشآت العامة (وهي أوقاف مختلفة وقفها كثيرون من طبقات مختلفة) فلم يمسها الباشا حتى الآن

وقد بلغت ضريبة النخيل حوالي مائة ألف جنيه استرليني ، وهي تقدر حسب أنواع النخيل ، وتكون — على العموم — بمقدار قرش ونصف قرش على كل نخلة

وتبلغ ضريبة الدخل المسماة « الفِرْدة » على العموم ١/٢ أو أكثر من دخل الرجل أو مرتبه السنوي إذا أمكن تحديد ذلك ، إلا أن الحد الأقصى لا يتعدى خمسمائة قرش . وهي تفرض في المدن الكبيرة على الأفراد وفي القرى على المنازل . وتبلغ ضريبة الدخل في العاصمة ثمانية آلاف كيس أو حوالي أربعين ألف جنيه استرليني

ويدفع سكان العاصمة وغيرهم من سكان المدن الكبيرة ضريبة ثقيلة على الحبوب الخ . وضريبة الحبوب ثمانية عشر قرشاً على الأردب من كل نوع ، وهذا المقدار يساوي ثمن القمح في مصر وقت المحصول الطيب

(يتبع) عدلى طاهر نور

---

(١) وهو أشهر مؤرخي الرومان في القرن الرابع بعد الميلاد . وكان من يوناني سوريا . ولد بأنطاكية بين سنتي ٣٢٥ و ٣٣٠ على التقريب ، وتوفي بعد سنة ٣٩١ . سلك نفسه في نظام الجيش واشترك في عدة حملات ثم رحل إلى إيطاليا حيث كتب تاريخ الامبراطورية الرومانية في ٣١ جزءاً (المترجم)

(٢) وبعضهم يقدره بخمسة ملايين والبعض الآخر أكثر من مليونين بقليل

(٣) وقد أنقصت مساحة الفدان أخيراً

(٤) وتستولي الحكومة دائماً على بعض المحصولات كلها مثل القطن والكتان الخ

(٥) حتى ديون قرية ما كثيراً ما تفرض على سكان قرية أخرى لعدم أن دفعوا ما عليهم

جواب على تعزية

لا تقولي (عزّ) صبراً إننى   أجد الصبر على خطبى محالا
كيف يُرجى من فؤاد حشوه   لهبٌ أن ينضج الماء الزلالا
كلفينى وُسع نفسى واعلمى   أن للأنفس عجزاً واحتمالا

كل حىٍّ، كان ميتاً، صائرٌ   إذ يحين الحين الموت مآلا
عمرنا للموت شوط وبه   خطوات الموت مرًّا تتوالى
أنت إذ تصبح حيًا يبتدى   عمل الموت نمواً وانحلالا
وإذا ما عمل الموت انتهى   قلت جاء الموت جهلاً وضلالا
فى الحياة اختبأ السرّ الذى   فيه صار الموت للحىّ كمالا

حكم بالفقه نعرفها   وبها ننعم فى السرّاء بالا
وإذا الضرّاء مسّتْ وقستْ   عادت الحكمة وهماً وخيالا
أثر الحكمة فى النفس ولنْ   تجدَ الحكمةُ فى الحسّ مجالا

من يكن فى صدره متّسَعٌ   للرزايا، منه حبل العمر طالا
إنما يأكل أيامَ الفتى   همُّه، فاحذر من الهم اغتيالا
وارتقب فى كل يوم عجباً   فالليالى بالأعاجيب حبالى
الصفا تحويك منه ساعة   والشقا يطويك أعواماً طوالا
فاغتنم من روْح ساعات الصفا   ما يعزّيك إذا الصفو استحالا
وادّخر من صحة تحظى بها   قوةً تلقى بها الدّاء العضالا
واتخذْ من صحو أيام الرضا   ما يقيم العقلَ إن سكرٌ أمالا

هذه أشجاننا يسمعها   ساهر الليل إذا الهم استطالا
وعليها تهجع العين التى   ضلّ عنها طارق الهمّ ومالا
مقلة تذرف دمعاً وفمٌ   ليس يبدى، خشيةَ الله، مقالا

لا تقولى كيف يبكى رجلٌ   يملأ الأعين حزماً وجلالا
حكمة الجبار فينا جعلت
من صروف الدهر ما يبكي الرجالا ...

« طرابلس — الشام »   (م . ع)

نظرة ...!

لما نَظَرتِ إلى أمسِ مُليحةً   بين الجموع بلحظك المرتاب
رَفّتْ على شفتيكِ بسمةَ حائرٍ   ما بينَ شِبْهِ رضًى وشبهِ عتاب
فقرأتُ فى عينيكِ عمرىَ كله   وفهمتُ أنى قد أضعتُ شبابى
وذهبتُ لا ألوى على نفسى وبى   مما تسعَّرَ فى الجوانح مابى
ضاقتْ بى الدنيا وكم ضاقت إذا   ماجدَّ بى وجدى وعبَّ عُبابى
لَخصتُ عمرىَ كلَّه فى نظرةٍ   زادت بِحيرتها علىَّ عذابى
والله ما كان ابتعادى عن قِلًى   أبداً ولا عن هجرةٍ وغضابِ
لكنّها الأقدارُ قد لعبتْ بنا   وإيابُها فى العمرِ شرُّ إيابِ
واليومَ أنفقتُ الشبابَ وكان لى   كنزاً أبدِّدُهُ بغيرِ حساب
وغدوتُ إنْ مرَّ بىَ الملاحُ تمرّ زْنَ بى
أغضى بقلبٍ في ضلوعى كاب
أصبحتُ أنفرُ من جمالٍ عابرٍ   يهتاجُ حُبًّا كان لى وَتَبابى
وَيُعيدُ ذكرى ناظرَيكِ وفيهما   نورٌ خبا عنى وليس بخابِ
تذكو به نيرانُ وَجدى مثلما   فى القفر يُذكى الظمْأ لمعُ سراب
حسبى عقاباً فى الحياة بأننى   يا هندُ قد صارَ الجمالُ عِقابى

خليل شيبوب

لا تقل ...!

أيها الراحلُ عن عينى غدَا   كيف أحيا نائياً عن ناظريكْ
آهِ لو تعلمُ ما سوفَ أرى   فى ليالى البعدِ ما هُنت عليكْ
كيف أحيا بين همى واشتياقى
أشربُ الآلامَ من كأس الفِراق
وألاقي فى التنائى ما ألاقي
من أمسِ دهرِى إلى يوم التلاقى
لا تَقُلْ منا دنا
يوم النوى
يا هوى نفسى وآمالَ مُناها



العروبة لغة لا جنس

نشرت «الرسالة» كلمة كريمة لحضرة «الفاتح النور» في التعقيب على البحث الذي أرسلته لمؤتمر الخريجين في السودان، وهو يقول إن من سمع ذلك البحث أو قرأه يعتقد أن العروبة في السودان لغة لا جنس، مع أن بالسودان أكثر من النصف من العرب العريقين

وأجيب بأن السودان لم يشغلني بالذات وأنا أعد ذلك البحث، وإنما هو بحث عام أردت به رفع الأشواك من طريق العروبة في أقطار اللغة العربية

ومن كلام هذا الأديب فهمت أن سكان السودان نصفهم عرب ونصفهم غير عرب، «من حيث الجنس» وأنا أريد غير ما يريد، أنا أريد أن تكون العروبة صفة أساسية لكل من يتكلم اللغة العربية، ولو كان أجداده من الصين

وأقول مرة ثانية إن اعتزاز العرب بالجنس كان له تأثير سيء في تاريخ اللغة العربية، فهو الذي أقام في طريقها العقبات بالمشرق والمغرب، وهو الذي أوجب أن يحرص الفردوسي على أن تخلو «الشاهنامة» من جميع الألفاظ العربية، وهو الذي ساق أتاتورك إلى كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بعد أن كانت تكتب بالحروف العربية في آماد طوال طوال

ويرى هذا الأديب أني لا أستطيع الكتابة عن السودان بصدق إلا بعد أن أزوره وأتحدث مع عربان كردفان،

وأقول إن الغاية مختلفة بعض الاختلاف، فأنا لا يهمني أن يثبت أن سكان السودان كلهم أو جلهم من سلالات عربية، بقدر ما يهمني أن يثبت أن اللغة القومية لجميع أهل السودان هي اللغة العربية

وهنا يتسع المجال لحقيقة قليلة الخطور في البال، وهي أخوال الأشراف المنسوبين إلى الرسول، فقد كان للرسول زوجات من أجناس مختلفات، وكان من الممكن أن يكون للأشراف أخوال من الأقباط واليهود لو بقيت له أعقاب من جميع تلك الزوجات

أتريدون الحق؟

الحق أن العرب يبتعدون من تعاليم زعيمهم الأكبر وهو محمد، وهذا الابتعاد جديد، فمن أسماء المسلمين عيسى وموسى وهرون وإسحاق ويعقوب وإبراهيم، ولي صديق من نصارى العراق سيسمى ابنه محمداً حين يرزقه الله بمولود، ليؤكد القول بأن محمداً زعيم العرب بغض النظر عن اختلاف الدين

إن صدري ليضيق بالخلاف الذي يقع من غير موجب، وأنا أدعو إلى تقديس الفكرة التي تقول بأن «الخال والد» والعرب صاهروا أكثر الشعوب، ونقلوا إلى سلالاتهم كثيراً من الخصائص بفضل التسامح في العصبية الجنسية، فكيف نخرج على تقاليد أولئك الأسلاف، بل كيف نخرج على أدب الرسول؟

العروبة لغة لا جنس

ولي من هذا الرأي هدف لا يخفى على إخواني في جميع البلاد العربية، وسأجاهد في تأييد هذا الرأي بما أملك من الوسائل والأساليب، إلى أن يصبح من البديهيات

ويسرني أن أسجل أني لا أقول وحدي بهذا الرأي، فهو اليوم شريعة أدبية لجميع المتكلمين باللغة العربية على اختلاف الأجناس، وسترون كيف يصبح هذا الرأي من العقائد بعد قليل من الزمان

زكي مبارك

الخباز

من المآخذ التي أخذها الأستاذ عبد السلام هرون على كليلة ودمنة ما جاء في ص ١١٥ س ١٣ «رأس الخنازير وسيد الخنازير» قال: «عندي أنها رأس الخبازين وسيد الخبازين» واستدل ببعض النسخ

ولكن محقق الكتاب الفاضل الدكتور عبد الوهاب عزام

لا تدعني والضنى
إن الهوى
شعلة في القلب لا يخبو لظاها
أترى أحيا هنا
نهب الجوى
تبلغ الآلام مني منتهاها

فارحم القلب ولا تقس عليه — فؤادي ما هفا إلا إليك
عشت دنيا النور والصفو لديه — يا ترى هل عاش كالدنيا لديك؟

مصطفى علي عبد الرحمن
(الإسكندرية)

لم يرتض هذا الرأى فرد عليه فى العدد ٤٣٤ من الرسالة قال: « وأرى أن الخنازير أقرب إلى الصواب ، لأن دمنة وصف هذا الرئيس بصفات الخنازير ، وليس فى وصفه بأنه صاحب المائدة ما يجعله خبازاً الخ . »

قلت : ظاهر عبارة الدكتور الأخيرة «وليس فى وصفه الخ . » أن الخباز غير صاحب المائدة ، وأن هذا من الأسباب التى يستبعد لها أن يكون المقصود خبازاً

وقد أوقع الدكتور الفاضل فى هذا فهمه « الخباز » بمعنى صانع الخبز ، وهو كذلك ، ولكن للخباز معنى آخر ورد كثيراً فى كتب الجاحظ والمسعودى ، ولعله كان على عهد ابن المقفع . وهو استعماله بمعنى (خادم المائدة) أى ما نسميه الآن (السفرجى)، ولعله يقوم أحياناً بصنع بعض الطعام

وقد يبدو هذا الاستعمال غريباً لندرته ، ولكنك حين ترجع إلى ما أثبت من النصوص لا تجد ثم مجالاً للريب فى صحته

١ — فى كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٠ : « قرّب خباز أسد بن عبد الله — وهو على خراسان — شواء قد نضجه نضجاً . وكان يعجبه ما رطب من الشواء ، فقال لخبازه : أتظن أن صنيعك يخفى على ؟ »

٢ — وفى البخلاء ص ١٦٤ : «جاء الخبازون فرفعوا الطعام»

٣ — وفيه أيضاً : « إذا دعا على مائدته بفضل دجاجة ... رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان[1] حتى يصك له بذلك إلى صاحب المطبخ »

٤ — وفى الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٢٦ : « إن العرب[2] تقول للرجل الصانع ... خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن »

٥ — وفى الحيوان ج ٥ ص ١٣٦ : « ولذلك صار الخبازون الحذاق قد تركوا الضأن لأن المز يبق شحمه ولحمه فيصلح أن يسمن مرات فيكون أصلح لأرباب العرس »

٦ — وفى « التاج فى أخلاق الملوك » للجاحظ أيضاً ص ١٧٣ : « فلا يوضع عليها إلا الخبز والملح والخل والبقل ، فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه ، ثم يأتيه الخباز بالبزماورد[1] فى طبق الخ . »

وعلق على كلمة الخباز فيه محققه العلامة المغفور له أحمد زكى باشا بما ذكرنا من أنه خادم المائدة

٧ — ولعل مصدر هذا الاستعمال ما ورد فى القاموس والمختار والأساس أن (خبزَ القومَ) معناها (أطعمهم الخبز)

قلت : فالخابز — والخباز مبالغة منه — هو المطعمُ الخبزَ ، ثم لعله توسع فيه فأطلق على المطعم أيا كان طعامه وهو خادم المائدة

وبعد . فورود هذا اللفظ فى هذا المعنى مما يؤيد الأستاذ هرون بعض التأييد ، ويوهى إحدى حجج الدكتور الفاضل

(بنى سويف) محمد محمود رضوان

الأسود بن قنان

قرأت كلمة فى (الرسالة) تحت هذا العنوان للأستاذ على الجندى ، وأقول : إن مآثر « الأسود » الغر وأياديه البيض حملت بديع الزمان الهمذانى على أن يكتب مقامة باسم « المقامة الأسودية » نسبة إليه ، أتى فيها بما يراه القارئ

وبهذه المناسبة أقول : إن الذى أرشدنى إلى هذا المصدر ، هو الأستاذ البحاثة محمد فؤاد عبد الباقى

على حسن هلال
بالمجمع المنوى

مصر بين القطن والقمح

أذاع العالم الزراعى الكبير الأستاذ حسن الزينى بك حديثاً بالراديو على المزارعين أقنعهم فيه بمنطق الأرقام أن زراعة الحبوب على اختلافها أوفر وأيسر من زراعة القطن . وأهاب بكبار الملاك وبمصلحة الأملاك أن يكونوا قدوة للفلاحين فى الإقلال من القطن والإكثار من القمح تأميناً لأقوات الشعب وتخفيفاً عن الفقير فى هذه الظروف العصيبة . فإن من أعجب العجب أن تكون مصر فى عصورها المختلفة من أوسع أهراء العالم للحبوب ثم لا يجد أبناؤها الرغيف إلا بشق الأنفس . وكان حديث الأستاذ واضحاً كل الوضوح مقنعاً كل الإقناع ؛ فعسى أن يكون قد وقع من سامعيه موقع الرضى والاستجابة .

---

(١) القهرمان : الخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده

(٢) ورد هذا الاستعمال إلى العرب مما يقرب استعمال ابن المقفع له

(١) البزماورد كما فى « شفاء الغليل للخفاجى » كلمة فارسية استعملها العرب الرقاق الملفوف باللحم

تصويبات :

قرأت مواضع من الجزء الحادي عشر من تفسير القرطبي ، فوجدت فيها الأغلاط الآتية :

ص ٣ س ٢٢ : (مدجح) صوابها : (مدجج) . وص ٢٦ س ١ : (أتنتَهون) والصواب : (أتنتُهون) . و ص ٢٦ س ١١ (عبْدا) صوابها : (عبَداً) . وص ١٣٥ س ١٤ : (المقرَور) والصواب : (المقرُور) . و ص ١٥٣ س ١٤ : (يريدون) صوابها : (يردون) . و ص ١٨٧ س ٧ : (يلومَها) صوابها : (يلومُها) . و ص ٢٦٨ س ٢٣ : (كثيرة) والصواب : (كثير) . و ص ٣٢٠ س ١٤ : (وأما مابوسها) صوابها : (وأما بوسها) . و ص ٣٤١ س ٢٢ : (كما اللسان) صوابها : (كما في اللسان)

أحمد صفوان

النفط

أستاذنا الكبير صاحب الرسالة

ذلك تحقيق لنوى عثرت عليه في مطالعاتي بمجموعتي من « المقتطف » سنة ١٩٢٨ ، في الجزء الخامس من المجلد الثاني والسبعين تحت مقال للدكتور أمين المعلوف صاحب المعجم الطريف في « علم الحيوان »

قال الدكتور :

« النِفط والقار والقير والكُفر والقُفر وقفر اليهود والحُمَر والزفت والمومياء والقَطِران مواد هدروكربونية مؤلفة الهدروجين والكربون على نسب مختلفة والعلماء في أيامنا يطلقون القار وهو يطلق عند الرومان على جميع هذه المواد ، سواء كانت جامدة كالحُمَر ، أو سائلة كالنفط ، أو هوائية كالغاز الحقيقي . فالنفط بكسر أوله وإسكان ثانيه وقد يفتح أوله ، دُهن معدني أبيض أو أسود ضارب إلى الخضرة سريع الاحتراق يسمى باللاتينية بتروليوم أي دهن الحجر أو زيت الحجر

ولفظة النفط عربية سامية قديمة جداً أخذها اليونان عن العرب وقالوا نفثاً وهي معناها . ومما يدل على أصلها السامي أنها بالسريانية والعبرانية مثل العربية مع اختلاف قليل في اللفظ . ثم إن اليونان كانت أول معرفتهم بالنفط في العراق ، وكان من البديهي أن يسموه نفطاً كما سماه العراقيون من سريان ويهود وعرب ؛ ولعله سمي بذلك لخروجه من باطن الأرض ، كما يتضح من مادة نفط ومشتقاتها في كتب اللغة . كذلك نفث ونبط ونبض ونبث ونبش وأشباهها ، فكلها تدل على الخروج أو الدفع ثم تفرع من ذلك معنى الاحتراق . كقولنا تنفط الرجل غيظاً أي احترق ... »

ثم قال بعد كلام كثير مفيد . . . والنفط كما تقدم لفظة عربية فصيحة وهي شائعة عن العراقيين ...

(المنصورة) حسين محمود البشبيشي

جماعة تيسير الحج

ترحب بكل مستفهم عن جميع ما يتعلق بحج بيت الله وزيارة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل أمر يهم الحاج معرفته من أحكام دينية وحاجات السفر وأجور الانتقال وزيارة الآثار .

والجماعة إذ ترشد لشيء فإنما ترشد عن تجربة وخبرة تامة ؛ لأن أعضاءها ممن رزقهم الله حج بيته ، وقد سنحت لهم الفرص بتصوير جميع المشاهد الإسلامية التي ينبغي أن تزورها في مكة والمدينة

وإذا شرفت مقر الجماعة أخذت فكرة حقيقية عن الحج قبل سفرك ، وشاهدت أكثر من ستين صورة من صور الأماكن المقدسة ، وإن شئت الاستفهام بالرسائل فالجماعة على أتم استعداد للاجابة .

وللجماعة عدا الإرشاد غرض هام آخر ، هو أنها تساعد من يريد الحج على توفير المال اللازم له ، كما أنها تمده بجميع ما يحتاج إليه منه وفق قانونها .

وقد خصصت الجماعة لاستقبال الحجاج يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع فيما بين الساعة الرابعة والسادسة مساء بشارع رفعت رقم ٢٧ شبرا مصر

وكيل الجماعة
محمد الشافعي
مدرس بمدرسة شبرا الابتدائية للبنات

جريدة الواجب

نقلت جريدة « الواجب » الأسبوعية التي تصدر من مدينة المنصورة لصاحبها الأستاذ أحمد جاد جمعة إلى مدينة القاهرة شارع البراموني رقم ٦ تليفون ٤٧٧٣٨ وستظهر في ثوب جديد قشيب ، يشترك في تحريرها نخبة من رجال الأدب والمحامين .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9 me Année No. 439

Lundi - 1 - 12 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة التاسعة « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٠ — الموافق أول ديسمبر سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤٣٩

الفهـــرس

صفحة
١٤٤٥ أمنيتي ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٤٤٨ طموح الشباب ... ... : الدكتور منصور فهمي بك
١٤٥٠ « أيام » طه حسين ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٤٥٥ الشيخ عبد الوهاب النجار : الأستاذ عبد الله خلاف
١٤٥٧ من اتجاهات علم النفس في المسرحية ... ... } الأستاذ زكي طليمات ... ...
١٤٦١ رسالة التعليم الالزامي ... : الأستاذ محمد كامل حته ...
١٤٦٢ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق إدورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلي طاهر نور
١٤٦٥ ليالي النيل ... [قصيدة] : الأديب مصطفى علي عبد الرحمن
نوزية ... ... « : الأستاذ محمد برهام ... ...
١٤٦٦ هنأ وهناه ... ... : الأستاذ علي الطنطاوي ...
غير لا عبر ... ... : الأديب محي الدين صابر محمدين
التشريع المحكم والدستور الخالد ... ... } الأستاذ حلمي إبراهيم النبوي
١٤٦٧ في ميزان الشعر ... ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
إلى الأستاذ علي عبد الله : الأستاذ سليم الحجري ...
تصويب ... ... : . ...
١٤٦٩ الصاحب والآلهة [قصة] } لشارلس جارفس ... ... بقلم الأديب كمال رهنم ...

أمنيتي ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلت في ختام مقالي السابق : « أما أمنيتي التي يسألني الأديب عنها سؤاله الأخير فلعلها لا تشرح في ذيل هذا المقال ، وأحرى بها أن تؤجل إلى مقال قريب ، لأنني لا أطرق منها جانباً يخصني دون غيري ، بل أطرق منها ما يصح أن يمتد إليه كل بحث وينظر فيه كل ناظر ... »

ولم أقصد بكتابة هذا المقال عن أمنيتي في الحياة إلا ما قصدته بكتابة مقالي السابق عن أدب اليوميات ، وهو تسجيل ظاهرة نفسية أستطيع أن أراقبها في نفسي وأن أتخذ من تجربتي لها فائدة أضيفها إلى تجارب غيري . فليس أصدق في دراسة النفسيات من تسجيل تجارب النفوس

وإذا صدقت تجربتي في هذا الباب فما من أمنية تسيطر على حياة الإنسان إلا ظهرت بذورها الأولى في بواكير صباه ؛ فإنني لم أعنّ في حياتي أمنية كبرى بعد الذي تمنيته بين العاشرة والخامسة عشرة ، وكل ما أضافته السنون من جديد أنني كنت في الطفولة أتغنى على سبيل الرمز والتلميح ، وأنني استوضحت أمانيّ بعد ذلك فبرزت لي على ضوء الوصف البين الصريح

بين العاشرة والخامسة عشرة تمنيت على التوالي أن أصبح ولياً من أولياء الله ، وقائداً من كبار القادة ، وأديباً من رجال

القلم النابهين . فعلمت مع الزمن أن هذه الأمانىّ الثلاث إن هى إلا أمنية واحدة ضلت طريقها حتى اهتدت إليه ، وجهلت عنوانها حتى اتسمت به والتزمت مسماه ، وأن الولى والقائد إنما هما جانبان منطويان فى الجانب الأكبر أو الجانب الوحيد الذى هو جانب الباحث والمفكر والأديب

شاقنى من الولاية وأنا فى العاشرة تسخير قوى الطبيعة واستطلاع أسرار الدنيا والآخرة ؛ فقرأت مناقب الصالحين وكتب السحر ، وأردت أن أمشى على الماء ، وأن أطير فى الهواء ، وأن أتلو القسم على شىء من الأشياء فإذا هو مذعن مطيع ، وأن أدعو الغيب إلىّ فإذا هو مجيب سميع ؛ فصليت عشرات الركعات ، وسردت ألوف الأسماء ، وأوشكت أن أتمادى فى « الدروشة » وأن أزهد فى الدنيا وأنقطع للعبادة ، وأنتظم بين من يسمونهم أهل الطريق . ثم عصمنى حادثان صبيانيان يضحكان ، ولكنهما بما أعقبا وأفادا بالغان فى الجد والتسديد : أحدهما ضياع حذاء بالمسجد الكبير فى يوم صلاة جامعة بين أولئك أهل الطريق ! فقلت : إن أناساً يسرقون الأحذية فى مساجد الله لا يرجى بينهم فلاح . والآخر إمام من أئمة « المندل » كذب على الحاضرين باسمي وأنا أنظر لهم فى « الفنجان » لأستطلع الغيب ؛ فقلت إن الذى يكذب فى الحس المشهود ، لن يدلنى على الغيب المحجوب . وكان هذا وذاك فراق بينى وبين الولاية والكرامات .

أما قيادة الجيوش فكان لها سبب معقول فى تلك الأيام . فقد كانت بلدتى (أسوان) قاعدة من القواعد الكبرى فى طريق حملة السودان ، وكان فيها مقر الجنود المصريين والسودانيين والإنجليز الذين ينتظرون السفر ذاهبين أو قافلين ، وكنا نصبح ونمسى على خوف من الدراويش الذين يذبحون الرجال والنساء ويرفعون الأطفال مطعونين على أسنة الحراب . فكانت لعبتنا فى المدرسة تمثيل هذه الجيوش واستعجال النقمة من الأعداء .

ثم لم ألبث أن ظهر لى أن قيادة الجيش ليست هى الأمل المقصود ولا الأمنية الفضلى ؛ وأننى كنت من آل عطارد ولم أكن من آل المريخ ؛ لأننا كنا ننظم الجيوش على أساليب القصص العنترية والهلالية وما ورد عن سيف بن ذى يزن وأبطال ألف ليلة وليلة : فارس يبرز بين الصفوف ليتحدى خصومه بأبيات من الشعر أو فقرات من الكلام المسجوع ، وهذا هو بيت القصيد !

فلما نظمت الشعر عرفت ما أردت ، ووصلت إلى ما قصدت ، وتركت فتوح القيادة ، كما تركت من قبلها كرامات الولاية !

وانتهيت بعد طواف قصير فى هذا التيه الصغير إلى أمنية الأدب والكتابة ، ولكنى لا أزال ألمح فى باطن هذه الأمنية مسحة من غلبة القيادة ، ونفحة من أسرار الولاية ، وشوقاً إلى المجهول لم يقف قط عند حد من الحدود ؛ ولم يفارقنى قط حتى حين أحسبنى مستغرقاً فى الحس وفى غواياته وملاهيه

* * *

هذه عقدة من عقد النفوس التى التبست فيها أول الأمر نكتة القائد وصومعة العابد وروضة الشاعر . ثم انجلت الرؤية من وراء الغشاوة الظاهرة شيئاً فشيئاً ، حتى ظهر أن النكتة والصومعة والروضة شىء واحد يفترق من بعيد ويتفق من قريب

لكنّ العجيب غاية العجب هو أن تحل هذه العقدة على البداهة السهلة وعلى أيدى طائفة من التلاميذ لم يفهموا ما صنعوه ولعلهم لا يفهمونه بعد ذلك لو سئلوا فيه

وبيان ذلك أننا كنا قبل خمس وعشرين سنة نعمل فى التدريس بالمدرسة الإعدادية الثانوية : الأستاذ المازنى ، والأستاذ الزيات ، والأستاذ على الجندى ، وكاتب هذه السطور ، وطائفة مختارة من الفضلاء الذين لهم اليوم مكانهم الممتاز فى مناحى العلم والعمل بهذه البلاد

فقيل لنا يوماً إن التلاميذ المشاغبين يملأون جدران الحبس بالنوادر والفكاهات عن المدرسين ، وذهبنا إلى حجرات الحبس فقرأنا على الجدران أفانين من تلك النوادر والفكاهات : أذكر منها مما كتبوه عن المازنى وعنى : أن ناظر المدرسة سألنى وقد رآنى على بابها : أين صاحبك ؟ فقلت له : نسيته فى الدرج ! وأن العقاد دعا المازنى إلى وليمة على مائدة فلم يأكل المازنى ؛ ثم دعا المازنى العقاد إلى وليمة على الأرض فلم يأكل العقاد ! وكثير من أمثال هذه المساجلات نكتفى بما تقدم منها على سبيل التمثيل لأنه غير المقصود فى هذا المقال

أما المقصود فهو الألقاب التى أطلقها علينا أولئك الخبثاء وكشفوا بها من جوانب الشخصية ودخائل النفس ما يعيى به كبار النقاد

فاختاروا للأستاذ المازنى اسم تيمورلنك

وللأستاذ الزيات اسم الشاب الظريف

وللأستاذ على الجندى اسم ابن المقفع !

ولكاتب هذه السطور اسم حرحور !

أما الأستاذ المازنى فبراعة التسمية فى أنه كان يدرس التاريخ وأنه كسميه صغير الجسم مصاباً بإحدى قدميه ، وأنه مسيطر على التلاميذ ، قلما يحتاج إلى معاقبة أحد منهم لخروجه على نظام الحصة ، لأنه كان مهيباً بينهم قديراً على أخذهم بمهابتهم إياه قبل خوفهم من عقابه : لجمعوا كل ذلك فى اسم تيمورلنك أحسن جمع مستطاع

وأما الأستاذ الزيات ، فدماثته ، وظرفه ، ولطف حديثه ، وأسلوبه الأدبى ، وأناقة ملبسه ، ترشحه لاسم الشاب الظريف أصدق ترشيح

وأما الأستاذ الجندى فقد لاحظ الخبثاء فى تسميته بابن المقفع أنه نحيل هزيل ، وأنه يدرس لهم كليلة ودمنة وقواعد البلاغة ، فوفقوا بين ذلك كله أبرع توفيق !

وأما كاتب هذه السطور فقد سموه « حرحور » باسم الكاهن الحكيم المصرى الذى انتزع الملك على صعيد مصر قبل الميلاد بألف سنة ؛ فلم تكفه أسرار الكهانة وحب الحكمة حتى طمح إلى الغلبة والسطوة . ولم يفت الخبثاء فى هذه التسمية أن كاتب هذه السطور من أقصى الصعيد حيث قامت دولة حرحور ! وهو ما كانوا يذكرونه بينهم كلما أخذتهم بالشدة التى اشتهر بها أهل الصعيد الأقصى

وفى براعة هذه التسميات شاهد على أن بداهة الجماهير لا تهبط بهم دائماً إلى ما دون طبقة الأفراد ، بل ربما ارتفعت بهم أحياناً إلى طبقة من الزكانة لا يبلغها الفرد الممتاز فى كل حين

***

فاسم حرحور قد جمع من جديد ما فرقته أيام الصبا الباكر بين طالب الولاية وطالب القيادة وطالب الشعر والثقافة . وقد دل من جديد على أن هذه الصور المختلفات لم تغب فى أطواء العمر كل الغياب ؛ فإلى جانب الروضة الأدبية لا يزال للشكنة مكان والصومعة نصيب

ويسألنى سائل : لم تمنيت الأدب أو تمنيت المنزلة الأدبية ؟

فأقول : إن « التعبير عن النفس » هو مزية الأدب والشعر والكتابة عامة ، وهو فى الوقت نفسه طريق إثبات النفس الذى يمثل الشكنة نحواً من التمثيل ، ويمثل البحث عن الحقائق والأسرار من قريب .

ويلوح لى أن التعبير عن النفس أو « إثبات النفس » عندى شىء لا أنساه حتى حين أكتب عن نبذ الشهوات وعن العبادة وعن الصيام قاصداً أو غير قاصد

فى مقالى عن الصيام منذ ست عشرة سنة قلت سائلاً :

« ولكن هل الصوم من دواعى إنكار الذات المتنبهة ، أو هو من دواعى إثباتها وتوكيدها ؟ وهل هو من أسباب نسيان النفس الشاعرة وسحق كبريائها ، أو هو من أسباب تذكرها وتقرير وجودها ؟ »

ثم قلت مجيباً : « أكاد أقول إن الصوم بجميع درجاته وأنواعه حيلة نفسية خفية لتقرير وجودها وتوكيد عزتها ورفض كل ما يسىء الظن بها فى نظر صاحبها . وما أيسر أن نعرف ذلك ! حسبنا أن نراقب الحالة التى تناقض الصوم لنهتدى إلى الحقيقة من المقابلة بين النقيضين . فانظر على سبيل المثال إلى أى رجل تعرفه ممن أرخوا العنان لشهواتهم وأجابوا نفوسهم إلى أهوائها واسترسلوا فى الغواية بلا رادع ولا مقاومة ، فهل ترى هذا الرجل « واجداً » نفسه مكرماً لها ، أو تراه مبتذلاً نفسه فاقداً لها فى غمار شهواتها وتيار أهوائها ؟ إنك لا ترى رجلاً كهذا إلا قدارتسمت على وجهه علامة احتقار هى قبل كل شىء موجهة إلى نفسه ... ولست أعرف ممنى للنفس فى حالة الاستسلام والاسترسال التى نشاهدها فيمن يلبون حاجات نفوسهم ولا يقفون لها فى شهوة من شهواتها ؛ فإن حكم هؤلاء فى هذه الحالة كحكم الخشبة المنساقة فى تيار الماء ، أو الريشة المتطايرة فى الهواء ؛ أى أنه هو حكم الجماد المفقود فى تيه النواميس الكونية بلا إدراك ولا شعور ولا إرادة . ولا يزال الإنسان شيئاً لا نفس له ولا استقلال لكيانه حتى يمتنع عن شىء يدفع إليه ويقف فى وسط التيار الذى يحيط به . فهناك يجد نفسه بعد إذ فقدها بالمطاوعة ونسيان الذات ، ويشعر بمعنى رفيع هو أسمى معانى الحياة لم يسم إليه إلا الإنسان بين سائر الأحياء »

ولحوى هذا جميعه أننى تمنيت الأدب لأننى تمنيت التعبير عن النفس ، ولأن التعبير عن النفس يجتمع فيه عندى تحقيق وجودها ومتعتها واستكناه حقيقتها وحقيقة ما حولها ، وليس فوق هذا المطلب من مطلب رفيع يتطلع إليه موجود شاعر بوجوده

عباس محمود العقاد

طموح الشباب

لصاحب العزة الدكتور منصور فهمي بك

مدير دار الكتب المصرية

تفضلت وزارة الشئون الاجتماعية فدعتني لأتحدث إلى الشباب في مطامحه. ولعلها بتلك الدعوة أحسنت الظن برجل طالما اتصل بشبابنا المثقفين، وأنه وإن حالت ظروفه دون وفرة الاتصال بهم، ففيما يحفظونه له من ود كريم، وفيما يحفظه لهم من حب وحنان، ما يسوّغ مد الأسباب بينه وبينهم ليفضي إليهم بما يعتقده خيراً وحقاً

فللوزارة إذن شكرى الخالص، إذ أتاحت لى فرصة التحدث إلى أبناء العروبة عامة، وإلى أبناء وطنى وكلهم أمل باسم مرموق لبلادهم العزيزة، وللشباب أنفسهم صادق دعواتى لعيشة راضية يملأها البشر والتفاؤل، وتنتشر منها مكارم الأخلاق وصدق العزائم، وتفيض بنعم المعنويات

لقد نشأ الشباب الحاضر فى فترة من الزمن تمتد بين حربين عظيمتين، وتصطبغ بشر المنازع للنفوس الأمارة بالسوء، وتتجلى فيها مساوئ الحياة المادية والآلية وتبدو عليها متاعب الأنانية والجشع، وتلوح منها مكاره المخادعة والعناد، وتلتزمها مخازى التحلل من القيود الأدبية، وتظهر فيها مخاطر الانحراف عن المنطق السليم، وتكتنفها مهازل الركون إلى تنظيم المهارة البهالية، مما انتهى إلى تباين فى الحظوظ من مغانم هذه الحياة، وتنافر بين الشعوب والطبقات، وتباغض وتناحر بلا هوادة ولا رحمة...

ولو ذهبنا نستعرض ناشئة العالم المتحضر لوجدنا فى بعض بلاد الغرب شباباً قد ترعرع فى أجواء مسممة من أثر اليتم والأحقاد والغرور، مما كان له خطره الواضح فى الانقلابات والثورات والأزمات وحدوث هذه الحرب الدامية

أما فى بلاد أخرى كبلادنا العربية التى تأثرت بنتائج الحرب الماضية، فثم تغييرات سياسية، واضطرابات داخلية، وشهوات حزبية، ونزعات نفعية، وانقسامات واختلافات فى الآراء، وثم تحرج عند شتى المشكلات العمرانية والثقافية والاقتصادية، مما انتهى بطائفة من شبابنا إلى الحيرة والإشفاق من المستقبل، والتشاؤم، وفتور الخلق والنزوع إلى الوصولية، والاستخفاف بالمألوف...

ولعلّ مختلف الظواهر والأحوال الاجتماعية التى اتصلت ببلادنا قد حملت شبابنا قسطاً من الآلام، وآخر من الآثام.

فأما هموم شبابنا وآلامه فلها ارتباط وثيق بما يشعر به من غموض المآل. وأما الأخطاء والآثام فنشؤها غفلة الشباب حين يغفل عن قيم الحياة الحقة، ليلتفت إلى قيمها الزائفة، وحين يضلله سراب الحياة الخلاب إلى غير ما يشتهى من مائها الزلال، وحين يطمئن عن ضعف فى البصيرة إلى سطح الحياة المستقر على بركان ثائر، وحين ينصرف الشباب عن جد الحياة إلى هزلها العاثر، وعبثها الساخر، ويؤوب منها بالقدح الخاسر. وعلى الجملة حين تتبدى الحياة فى ثوبها الزخرف، فتستدرج إلى صغائرها الباطلة وشهواتها من لا حصانة لهم من الشباب، وكان لكل ذلك أثره فى أمزجة الناشئين وأعصابهم وسلوكهم، فتعدد فيهم المتشاءمون، وتكاثر فيهم المستخفون المستهترون، وأصبح بينهم المتمرد الجامح والخائر المهزوم.

على أننا نلتمس المعاذير للشباب على تشاؤمه واستخفافه وجموحه وخوره، ونغتفر له انحرافه عن الطريق التى يرضاها له المنصحاء الخيرون، إذ ترجع التبعة فى كل ذلك على ظروف الماضى القريب وملابساته. فإذا كان لأحد أن يتحمل قسطاً من اللوم، فعلى الآباء بعض أثقال هذه الملامة؛ أما شبابنا فخليق بهم أن تنالهم شفقة المشفقين، وحدب العاطفين

على أنه حرى بالنشء الجديد أن يوجهوا جهودهم، ويحولوا طموحهم إلى حياة أسمى من التى يتذوقون مرها، وأن ينشدوا جواً أصلح من ذلك الذى يتنسمون سمومه، فللشباب من مفسوح الحياة ومقتبل العمر ما يوسع له المجال لتحقيق عيش يرضاه لنفسه ولمن يخلفونه؛ وله من نشاطه الحيوى ما قد يسخره فى الخروج من الحياة المظلمة إلى حياة نيرة، وما قد يستخدمه لتحويل قطوب دنياه إلى بسمات، وزعازعها إلى نسمات، وأنينها إلى نغمات، فلا يأس مع الشباب، ولا يأس مع الحياة.

ويلوح لى أن أشد الحوافز لنشاط الشباب ، وأقوى المثيرات لحيويته ، وأمضى الشاحذات لعزيمته حين ينشد حياة أصلح من التى يحياها ، إنما يكون فى توجه الشباب إلى الأهداف العليا ، والمثل السامية ، ليسلم نفسه لسلطانها إسلاماً ، ويذعن لسيطرتها إذعاناً . وهل من هدف أولى من الخلق الكريم ليكون موضع طموح الشباب ؟ وهل من سلاح غير سلاح هذا الخلق يستطيع الشباب أن يحول به مذاق العيش حلواً وعذابه نعيماً ؟

إذن فالاعتزاز بالخلق الرفيع هو ما ينبغى أن يكون مثل شبابنا الماثل ، ومطلبه الشامل

وإذا كان الخلق الكريم فى جملته وتفاصيله هو الهدف الذى ينبغى لشبابنا أن يروضوا أنفسهم عليه ، وأن يلقوا بأعمالهم فى دوائره وأحضانه ؛ فيقينى أن أكبر معين لإصابة هذا المرمى هو التدين الصحيح

وإنى حين أعفى نفسى من الإسهاب فى تفاصيل الأخلاق الكريمة ، وبسط جزئياتها الرائعة ؛ أقرر بأن التدين الصحيح هو أفضل رائد للوصول إلى الأخلاق الفاضلة الرفيعة ؛ ذلك لأن الديانات على اختلافها قد أجمعت على تقديس الأخلاق الأساسية التى كانت أهداف الإنسانية مع تتابع العصور ، واختلاف الأجناس والأقاليم

وليست هذه الأخلاق المقررة مجهولة تحتاج إلى التذكير ، أو منكرة تحتاج إلى الإبانة والتعريف ، أو مستورة خفية تحتاج للكشف والإظهار ، إنما كل ما تحتاج إليه أن يستجيب الناس إليها ، وأن يأخذوا أنفسهم بالإذعان لدواعيها ، وأن يؤمنوا بأن تجارب العصور والأجيال لم تكن عبثاً حين لم تأت بما يضعف من قيمة هذه الأخلاق ، أو يشكك فى نفعها لدعم سعادة الأفراد وعظمة الأمم . فكل دين يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ؛ وما ندم قط امرؤ اتخذ من أخلاق دينه هادياً له فى معاملاته وسلوكه ؛ وما هانت ولا وهنت أمة تمرس أفرادها فى آداب الدين ، ذلك لأن التدين والدين يحضان على العزة والتضحية والإيثار والعدل والقسط وجدّ الحياة ومهيئات السلامة والسلام

ويقينى أن التدين الصحيح إذا استحال فى عناصر الدم دماً ، وفى عناصر الأعصاب عصباً ، وعلى الجملة فى عناصر النفس الناطقة روحاً ويقيناً وإيماناً ، فإن أعمال الناس جميعها تستقر على الخير ، وتدور فى دوائر الحق ، وتسرح فى ميادين الجمال ...

وحسبنا من التدين أن يذعن المرء لقيود والتزامات ونظم تحت رقابة حاضرة لا تغيب ، يقظى لا تغفل ، عالمة لا تجهل ، تلك رقابة الضمير الطاهر ، تلك رقابة الوجدان الساهر ، تلك رقابة القوى القاهر ، تلك رقابة الله

وكما أن للتدين الصحيح رقابة على النيات الخافية والمنويات التى تؤثر فى صور المعاملات وأشكالها ، فإن له أجلى أثر فى رياضة الناس على حب النظام . فكل دين يقاضى أتباعه بأنواع من الشعائر فى فترات موقوتة ، وفى وضعات معينة ، وفى حالات خاصة ؛ ففى مختلف الصلوات ، وفى أنواع الخشوع ، وفى أصناف التوجهات ، نُظم للجسم والنفس من شأنها أن تؤلف المرء على حب النظام ، وما أحوج شبابنا لخلق النظام

قد يأخذ البعض على الديانات ما فيها من حواجز وحدود تحد مما تبيحه الحريات . على أنهم ينسون أنه لا خير فى الحريات ما لم تقف عند الحواجز والحدود ، وإن وراء حدود التدين هاوية فتاكة بالنفوس ، وتيهاً مضللاً للعقول والأحلام

وإذا أضيف إلى فضائل الدين ما يتعزى به المنكوبون المتقدون ، وما يأمله المستحقون ممن يعتقدون بعدل الله ، وينتظرون جزاءه الأوفى ، فما أحرى الشباب أن يرعى حرمة الدين ، ويتجه إلى هدفه المبارك المأمون

وزيادة على ما أعناه لشبابنا من هذه المطامح المتقدمة ، أرجو أن يجعل من أهدافه المباشرة نزعة الكرامة الأدبية ، فعند ما يطمح المرء إلى هذه الكرامة ، وعند ما يشعر بحرارتها المنبعثة من الأعماق تتجلى له قيمته الإنسانية المقدسة من خلال ماضيه وحاضره ، وتفكيره وأمله ومسلكه الخاق ، وعند ما يستذكر المرء معانى الكرامة ، فإنه يحس فى طواياه بنوع من عظمة النفس تدنيه إلى كل عمل حميد ، وتضعه فى كل منزل من المنازل التى تسدى فيها المكارم وتساق فيها المحاسن لخير نفسه ، وخير أمته ، وخير الناس أجمعين

فالكرامة إذن هى نزعة نفسية عالية يتحقق بها الخلق الشريف والوقف المنيف لدنيا يريدها المرء مصقولة معقولة كريمة

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

« أيام » طه حسين

للدكتور زكي مبارك

تنبيه — حيرة وارتباك — المرحلة الثانية — عمائم وطرابيش وبرابيط — أسرار كتاب « الأيام » — أحزان الطفل الضرير — صور وصفية — أما بعد فهذا كتاب

تنبيه

في العام الماضي تكلمنا عن الجزء الأول من « الأيام » ، والمقرر للمسابقة في هذه السنة هو الجزء الثاني ، وقد نشرته « مكتبة المعارف » بالقاهرة وثمنه عشرة قروش

ويهمني قبل الشروع في الكلام عن الجزء الثاني أن أنبه إلى مسألة طال فيها عتب العاتبين في السنة الماضية ، فقد عابوا عليّ أن أقول في صحفة سيارة : إن الدكتور طه رجلٌ ضرير ؛ مع أني قلت بصريح العبارة : إن توضيح الدقائق من كتاب « الأيام » لا يتيسر بغير النص على أن المؤلف يعبّر عن أغراض لا تتجسّم لغير المكفوفين ، والنقد يحتم هذا تحتيماً ، ولو سكتنا عن هذه الناحية لضاع الغرض من شرح مواطن القوة والضعف في تلك المذكرات

أنا أريد أن أعاون طلبة السنة التوجيهية على فهم الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربي ، ولا يتم ذلك بدون إرشادهم إلى طريق الفهم المنشود ، ومؤلف « الأيام » ضرير ، ومراعاة هذا الجانب من شخصيته واجب مفروض ، لنعرف كيف واجه دنياه عن طريق السمع واللمس والإحساس

يضاف إلى هذا أن الدكتور طه أكبر من أن يتأذى بالنص على أنه ضرير ، فهو يقول ذلك في جميع صفحات « الأيام » ، وهو يعرف من أصول النقد الأدبي ما لا يعرف أولئك العاتبون ، ويعرف أن الكلام عما في كتابه من محاسن وعيوب لا يتفق مع التغاضي عن تلك الحالة الشخصية ، وهي حالة لا تنقص من منزلته الأدبية بأي حال

طه حسين ضرير ، كما يقول ، وقد سايرنا طفولته في السنة الماضية ونحن ننقد الجزء الأول ، فكيف نراه في حداثته ونحن ننقد الجزء الثاني ؟

بل هي نزعة إلهية تتأثر بها كل قوانا النفسية لتستنهض أكثر الفضائل من شجاعة وصدق ، وصراحة وجد، وضبط للنفس ، وإيثار ووطنية وما إلى ذلك من الخلال الآدمية التي يأخذ بعضها برقاب بعض لتتحقق مشيئة الله حين أراد أن يكرم بني آدم

وهذه الكرامة التي أدعو شبابنا إليها غنية عن التعريف والوجاهة ، غنية عن الأحساب والأنساب ، ما دامت تستعين بالإيمان بأن الإنسان الحقيقي بإنسانيته ، هو من يصدر عنه دائماً الخير وطيب العمل

وأني حين أرسل صوتي إلى شبابنا ليحصر أهدافه في دوائر الأخلاق والتدين والكرامة الإنسانية فإني على يقين من أنه بذلك سيستصلح لنفسه عالماً نيراً مسعداً ، فما عالمنا إلا مظاهر نفوسنا وأخلاقنا تتجلى على صفحات هذا الوجود

وإن ما أرجوه لشبابنا الفتيان هو نفس ما أرجوه لفتياتنا . على أنهن حقيقات بأن يتذكرن مملكة البيت ، وما تقتضيه من أخلاق وسلوك ونزعات مما ينبغي أن يكون هدفاً للفتاة .

وحسبي أن أشير إلى أنه من واجب فتياتنا المصريات والعربيات ، أن يحذرن ما انزلق إليه الكثيرات من فتيات الغرب وخدعن في قيمته ، حين انحرفن عن هدف الحياة العائلية . فإسعاد العائلة في عائلها ، وفي حسن تنشئ صغارها ، وإمداد وكرها بما يرفع النفوس ويقومها ويقويها ، هو أجدى على الأمة من كل ما تقوم به المرأة خارج البيت

وقصارى القول أرجو إلى شبابنا أن يفسحوا في صدورهم ، وأن يحتفظوا في ألبابهم وتفكيرهم مكاناً للمعنويات ، ومجالاً للحياة الروحية ، فلا يقصروا همومهم على مطالب الثروة والدأب فيما يشتهون من متع الحياة وشهواتها

وأنهم ليحسنون مهما اختلفت عقائدهم أن يقفوا خاشعين مستبشرين في كل صباح ليرسلوا من قلوبهم وعلى ألسنتهم صلاة عربية مبينة حين يقولون : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين »

منصور فهمي

حيرة وارتباك

فى هذا الجزء بداية تقع فى ست صفحات ، وهى غاية فى الضعف عند من يجهل ، وغاية فى القوة عند من يعرف ، وربما كانت أعظم صفحات الكتاب ، برغم ما فيها من غموض والتواء

وترجع عظمة هذه الصفحات إلى أنها تمثل ما يعانى الطفل الضرير من حيرة وارتباك ، حين ينتقل من أرض إلى أرض ، ومن مكان مألوف إلى مكان مجهول

كان الطفل يعرف داره بالريف ، يعرفها بيديه ، فلم تخف عليه خافية من ملامح النوافذ والأبواب والسطوح ، وكان يجد الأنس كل الأنس فى جسّ تلك الأشياء باهتمام والتفات ، وسنرى كيف يفرح حين تسمح الظروف بأن يداعب الصندوق الذى أرسلته أمه إلى القاهرة لينتفع به أخوه ، فسيكون ذلك الصندوق مَراداً لسياحات كثيرة يتمتع بها الطفل حين يشاء ، فيجلس عليه مرة ، ويختبر أدراجه بيديه مرات ، ولا يفوته فى هذا الموقف أن يشير إشارة حزينة إلى أن أمه كانت تضع حُلِيّها فى هذا الصندوق يوم كان لها حُلىّ ، فنعرف أن أمه وقع لها ما يقع لأمهاتنا فى الريف من بيع « الصّيغة » فى بعض الظروف ، ولأمهاتنا هنالك متاعب تستحق التأريخ

ترك الطفل داره بالريف ، وأقبل على داره بالقاهرة ، فكيف كان حاله فى داره الجديدة ؟ كيف ؟ كيف ؟

أقام أسبوعين وهو شارد اللب حيران : فهو يلمس جدراناً لا يعرف من أحوالها غير أوهام ، ويسمع أصواتاً لم يكن له بمثلها عهد . ألم يتزعج للصوت المجهول ؟ وأىّ صوت ؟ صوت كريه بغيض لا يصل إلى أذنيه إلا بعد أن يلفح وهجُ النار وجهه من قرب ، فما ذلك الصوت ؟ سيعرف أنه قرقرة النرجيلة ، فيهدأ ويستريح بعد أن مسه الخوف ، وبعد أن طال تفكيره فى السؤال ولم يصده غير الاستحياء

ولم يكن ذلك كل ما عانى فى هذين الأسبوعين ، فقد آذاه ما يحيط بداره الجديدة من روائح قذرة بغيضة لا تخلو من تعقيد . وسنعرف فيما بعد كيف صار يستبشر بهياج تلك الروائح ، لأن هياجها أثرٌ من وقدة الشمس ، وتلك الوقدة بشيرٌ بقدوم الصيف ، وهو فى الصيف يرجع إلى داره بالريف ، فيستريح من الأزهر والأزهريين ، فقد نصّ بعبارة صريحة على أن سجنه فى قفص الأزهر قد طال ، وأنه يرجو الخلاص بالانتساب إلى الجامعة المصرية ، عليها أزكى التحيات !

المرحلة الثانية

حين تكلمنا عن الجزء الأول من « أيام » طه حسين فى السنة الماضية كنا نجاريه فى المرحلة الأولى من حياته ، وهى تبدأ باليوم الذى عرف فيه كيف يختزن الذكريات ، وتنتهى باليوم الذى تأهب فيه لطلب العلم بالأزهر الشريف

وفى هذه السنة نجاريه فى الجزء الثانى وهو المرحلة الثانية ، وهى تبدأ باليوم الذى فرح فيه بدخول الأزهر وتنتهى باليوم الذى فرح فيه بالتحرر من الأزهر . وهو مع ذلك سيحدثنا فى الجزء الثالث أن صلته بالأزهر بقيت إلى أن تقدم لامتحان « العالمية » . وسنعرف أن اللجنة التى أدى أمامها امتحان العالمية قضت فى أمره بما لا يحب ، لأنها لم تستطع النفاذ إلى مواهبه العقلية ، أو لأن الأخبار كانت تواترت بأنه لا يحترم الأزهريين ، أو للسبب الذى حدثنا به فى سنة ١٩٢٧ ، فقد أخبرنا أن يداً أرادت أن يسقط فى امتحان « العالمية » ، وله على تلك اليد شهود جَبُن منهم من جبن ، وشَجُع من شجع ، والأمانة للتاريخ توجب أن نقول إن الدكتور طه حدثنا أنه حين أراد الطعن فى نزاهة لجنة الامتحان لم يجد من يجرؤ على الشهادة بالحق غير رجلين اثنين : سيد المرصفى ومحمد الابيارى

وإنما تعجلنا فأشرنا إلى كلام سيكون بداية الجزء الثالث ليعرف القراء كيف يتبرم الدكتور طه بماضى الشيخ طه ، وكيف رضى الانتقال من الشرق إلى الغرب بلا توديع ولا تسليم ، لينتقم ممن ظلموه ، أو ليصير رجلاً من طلائع الجيل الجديد ، ومن دعاة المدنية الحديثة ، بلا تحفظ ولا احتراس

عمائم وطرابيش وبرانيط

من واجب النقد الأدبى أن يبحث عن الأسرار المطوية فى ثنايا الحروف ، فما تاريخ طه حسين من الوجهة الفكرية والذوقية وهو يواجه دنياه فى المرحلة الأولى والثانية ؟

فى الجزء الأول يرى المجد مصوراً فى « العريف » وهو معلم الأطفال ، ثم يراه مصوراً فى « القاضى الشرعى » صاحب العمامة والجبة والقفطان

وفى الجزء الثانى نراه على عهده الأول ، نراه يحترم العمائم ثم ننظر فى الصفحات الأخيرة فنراه يعلن أنه « ظفر بشئ طالما تمناه ، وهو أن يتصل ببيئة الطرابيش » (١)

فما سر هذا الانتقال ؟

كان يعرف أن أمور الدولة إلى أصحاب الطرابيش ، ولعله سمع أن ناساً اقترحوا على الشيخ محمد عبده أن يلبس الملابس الأفرنجية ليمكن أن يصير من الوزراء ، كما صار الشيخ سعد زغلول بعد ذلك من الوزراء

وقد صبر الدكتور طه على عمامته بعد فراق الأزهر بأعوام قصار أو طوال ، فأدى امتحان الدكتوراه بالجامعة المصرية فى سنة ١٩١٤ وهو معمم ، وأقلته الباخرة من الاسكندرية إلى مارسيليا وهو معمم ، ولكن ركاب تلك الباخرة قد التفتوا مندهشين إلى شئ يقع فى البحر وقد ألقاه صاحبه بعنف ، فما ذلك الشئ ؟ هو عمامة طه حسين !!!

وقد تحدث الدكتور طه مع أحد الصحفيين بأنه لم يندم على شيء كما ندم على رمى عمامته فى عرض المحيط ؛ ولكن الواقع غير ذلك ، الوقع أن الدكتور طـه وُلد وعلى رأسه « برنيطة » وقد حدثنى مرة أنه يرجع أن أسلافه القدماء كانوا من اليونان ، فإن لم يصح ذلك فهو فى نزعته اليونانية مَدين لرواية ألفها الشاعر أحمد شوقى واسمها « ورقة الآس » وفيها تمجيد لليونان (٢)

ولهذا وذاك صلة بانتقال الرجل من حال إلى أحوال ، فقد انحدر من أسرة أكثرها مشايخ ، ولكنه مع ذلك يحيا حياة مدنية منقطعة عن حياة المشايخ تمام الانقطاع . والنص على هذا الانقلاب واجب ، لأنه يفسّر ما خفى من أسرار الوحى فى اتجاهاته الأدبية والاجتماعية

ولكن هذا الشيخ اليونانى بقيت فيه ملامح من ذلك الشيخ الأزهرى ، فما شاع يوماً أنه يدعو إلى اللغة العامية ، كما يصنع بعض المتطرفين الثقلاء ، ولا جاز عنده أن تكون العقيدة الإسلامية مجالاً للتشكيك والإيذاء ، وإن وقعت فى بعض مؤلفاته عبارات تنافر المألوف من التعابير الدينية

هذا رجل بعيد الصلة بين حاضره وماضيه ، لأنه سريع القفز والوثب ، ولأنه على وفاق مع ضميره الفنى والأدبى ، فهو يسايره إلى حيث يريد . وكل شيء عنده جائز ، إلا العدوان على اللغة العربية ، أو التحرش بالعقيدة الإسلامية ، فهما عنده فى مقام القدسية والجلال !

وفى كتاب الأيام سطور تفصح عن أسباب القلق فى حياة الدكتور طه حسين ، فهو يجزع من العزلة ويفزع من الانفراد ، لأن الاتصال بالناس هو أداته فى الاتصال بالحياة الخارجية ، ومن هنا نجده حريصاً أشد الحرص على أن يكون لاتصاله بالناس ضروبٌ من الضجيج والعجيج ، لينجو من متاعب العزلة والانفراد ، وهذا هو السر فى انتقاله من رأى إلى رأى ، ومن حزب إلى حزب ، ومن ميدان إلى ميدان !

كان مع الدستوريين وهم يقاتلون الوفديين ، وكان مع الوفديين وهم يقاتلون الأحزاب أجمعين ، فإذا انجلت المعارك السياسية وانقطع إلى الحياة العلمية كان من الواجب أن يخلق أزمة جامعية ، فإذا نُقل من الجامعة إلى وزارة المعارف كان من الحتم أن يخلق مشكلة فى وزارة المعارف

ومع أن للدكتور طه عذراً فى التخلف عن شهود بعض المآتم وحضور بعض الحفلات ، فهو يشهد جميع المآتم ويحضر جميع الحفلات ، ليطرد عن نفسه عناء العزلة والانفراد

فالذى ينظر إلى الأمور نظرة سطحية يحكم بأن الدكتور طه رجل متغيِّر متحوِّل ، أما الذى ينظر نظر المدقق فيرى التغيّر والتحول من صور الثبات والاستقرار بالنسبة إليه ، لأنهما يؤديان وظيفة أساسية فى حياته اليومية !

ومن الجائز أن يكون لهذه النزعة دخلٌ فى هيامه بالفروض والحدُوس وهو يساور الأبحاث الأدبية والتاريخية ، فؤلفاته فى أغلب أحوالها قليلة التعمق ، لأن التعمق يوجب أن يقف عند البحث الواحد عاماً أو عامين ، والوقوف يضايقه بعض الشيء ، لأنه يصرفه عن التحول والانتقال بين المعانى والآراء !

زار الدكتور طه باريس وأنا هنالك ، فلما مضيت للتسليم عليه أدهشنى أن أجده فى غرفة تطل على ميدان « الأوبِير قَنْوار » وهو ميدان صخّاب ضجّاج ؛ فقدّرت أنه يريد أن « يسمع » باريس بعد أن فاته أن « يرى » باريس !

ويحدثنا الدكتور طه فى « الأيام » أنه كان يأنس أنساً شديداً بمراسلة إخوانه وهو فى الريف ، وتفسير ذلك سهل ، فهو يلتى بالرسائل من يشاء من الإخوان

---

(١) الأيام جـ ٢ ص ٢٠٠

(٢) حدثنى الدكتور طه بذلك فى أحد أيام سنة ١٩٢٢

ويحدثنا أنه حين رجع إلى بلده بعد قضاء بضعة أشهر في الأزهر أقام معركة حول فكرة التوسل بالأولياء ، فما سر ذلك ؟ لم يُرد في الواقع غير خلق دنيا يراها عقله ، وإن لم ترها عيناه !

وقد سجّل عتبه على أخيه ، الأخ الذي كان يتركه وحده ويمضي للسمر مع الأصحاب والشُّجراء ، ولو أن ذلك الأخ تأمل قليلاً لعرف أن أخاه الضرير أحوج الناس إلى الأُنس بالأسمار والأحاديث !

وتأليف كتاب « الأيام » هو في ذاته تسلية لهذا المؤلف ، فهو يخلق لخاطره أجواء جديدة تحتشد فيها مواكب من الصخب والضجيج ، وإلا فكيف اتفق أن لا يفكر في إحياء تلك « الأيام » إلا وهو في المصايف الفرنسية ، حيث يُشغل عنه أهله بطرائف تلك المصايف ، ولا يبقى له إلا اجترار ما اختزن من الذكريات ؟

وقد شهد الدكتور طه على نفسه في مواطن كثيرة من كتاب « الأيام » باضطراب العقل ؛ وأقول إن هذا الاضطراب هو مصدر قوته الذاتية ، لأنه من مظاهر الحيوية ، ولأنه الشاهد على أنه من كبار الأحياء

وهل كان من العبث أن تنتقل الطبيعة بين فصول مختلفات أشد الاختلاف منها الصيف والشتاء ؟

هذا رجل حيّ ، يعد ويُخلف ، كما تعد الطبيعة وتخلف ، ويستنيم عند الخوف كما تستنيم الطبيعة عند الخوف ، ولا ينتصر إلا عند الاطمئنان إلى الأمان

وسر القوة عند هـذا الرجل أنه كما وصفت ، فهو من دعاة الثورة إن اتسع المجال للثورة ، وهو من دعاة الهدوء يوم يحس بأن المجال لا يسمح بغير الهدوء ، ولذلك شواهد يعرفها جميع الناس .

هو طه حسين ، ولن يكون غير طه حسين . وكيف يكون رجلاً آخر ، وهو ليس برجل آخر ؟ تلك إذن قضية ، ولم تكن له قضية ، وكيف تكون له قضية ، وهو أعظم من أن تكون له قضية ؟ !

أسرار كتاب الأيام

نحن مع الدكتور طه في المرحلة الثانية من حياته الشخصية ؛ وكلمة « الشخصية » لها مدلول ؛ فهو في الجزء الثاني من الأيام لا يزال صبياً وفي أحلام الصبيان ؛ والصبي لا يخرج من الحياة الشخصية إلى الحياة الاجتماعية إلا في نطاق محدود

والعجب كل العجب أن يستطيع الرجل الكهل وصف حياته وهو طفل بتلك الدقة المديعة المثال

تكلم طه حسين عن حياته الأولى في الأزهر بعد أن فارقها بنحو أربعين سنة ، فكيف اختزن تلك الذكريات في أمد كاد يزيد على أربعة عقود ؟

الشيخ طه هو الذي كتب «الأيام» لا الدكتور طه ، فهي صور فطرية لأحلام طفل كانت دنياه محصورة بين حيّ الأزهر وحي الجمالية ، ولا يكاد قارئ هذه المذكرات يصدق أن كاتبها تخرج في السوربون وإن كانت السوربون هي السبب في أن يجيد مثل هذا القصص الطريف

جمال هذه المذكرات يرجع في جملته وتفصيله إلى ما انطوت عليه من الصدق . والكاتب يقول إنه ضرير ، ولو سكت عن هذه الناحية لأفصحت عنها الشواهد ؛ فهو لا يحدد أي مكان إلا بالنص على أنه من عن يمين أو عن شمال ؛ وهو يصور المعقولات بصور المحسوسات ، لتكون مما يُلمس أو يذاق ، فهذه ضحكة غليظة ، وذاك ابتسام سخيف ؛ وهو لا يذكر من عذوبة الشاي إلا أنه كان يوضع فوق ماء له أزيز عند اشتداد الغليان ؛ وهو لا يقول إنه كان يتسمع أحاديث الجيران وإنما يقول إنه كان يمد أذنيه مداً ليسمع أو ليلمس تلك الأحاديث ؛ وهو لا يقول إن أخاه كان يتركه إلى أن يعود ، وإنما يقول إن أخاه كان يلقيه كما يلقى المتاع ؛ وهو لا يقول إن الليل يستر الأشياء والأحياء وإنما يقول إن الليل : « يمس بيده المظلمة العريضة هذه الأشياء وهؤلاء الأحياء » ويؤيد هذه اللفتة قوله في وصف بعض الأشخاص :

« كان ضحكه غريباً مضحكا حقاً ، فقد كان يبدأه عالياً ثم يقطعه ، ويضحك صامتاً لحظة ثم يستأنفه عالياً ، ثم يقطعه ، ويمضي فيه صامتاً ، ثم يستأنفه ، وهكذا »(1)

وهـذه صورة لا تتفق لغير من يعتمد على السمع في وصف بعض الأشياء

وهنالك صورة ثانية تؤيد هذه اللفتة ، وهي قوله بأنه « كان

(1) الأيام جـ ٢ ص ٦٦

يجد للظلمة صوتاً يبلغ أذنيه ، صوتاً متصلاً يُشبه طنين البعوض لولا أنه غليظ ممتلئ »[1] ، ولهذه اللفتة أمثال وأمثال ، كأن يسجل بنفسه أنه كان مفتوناً بعد درجات السلالم ، وكأن يقول إنه كان يطرب لأصوات الملاعق وهى تداعب الأكواب ، وكأن يقول فيمن يصف امرأة حسناء : إنه كان يفصلها بعينيه تفصيلاً ، ويحللها فى نفسه تحليلاً ، ويجردها من ثيابها تجريداً ؛ وكأن يقول إن الروائح الكريهة كانت تنعقد فتؤلف من فوق رأسه سحاباً رقيقاً ولكنه متراكم قد غشى بعضه بعضاً[2] وكأن يقول إن مواطئ أقدامه كانت تعتدل حيناً وتعوج مرة أخرى[3] فذلك كله يشهد بأن « اللمس » أداته الأولى فى الإحساس

أحزان الطفل الضرير

وفى كتاب الأيام صفحات تقهر عَصِىّ الدمع ، وهى صفحات Caractéristiques بالنسبة لذلك الطفل ، فهو يعدّ على أخيه جميع الهفوات مع الصفح الجميل ، وهو يذكر بعد أربعين سنة أنه لم يكن يتناول طعامه بحرية ، وأن نصيبه من ماء « الطُّرشى » لم يكن له وجود ، وأن الحديث على مائدة الفول المدمَّس لم يكن يزيد على كلمة أو كلمتين ، مع أن الطفل الضرير يحتاج إلى الكلام أشد الاحتياج ، بدليل أنه يحادث نفسه بصوت صخّاب حين لا يجد من يحادثه من الرفاق

ولم يقف بلاء ذلك الطفل عند هذا الحد ، فقد نص على أن فريقاً من أشياخه بالأزهر كانوا يقولون له حين يوجه إليهم بعض الاعتراض :

« اسكت يا أعمى ، اسكت يا أعمى »

وكان يعرف أنه أعمى ، مع الأسف الوجيع ، ومع العجز عن دفع ذلك الإسفاف

واتفق فى تلك الأيام أن يتصل ذلك الصبى بشيخ من أصحاب المواهب ، وهو الأستاذ سيد بن على المرصفى ، وهو رجلٌ ما ذكرته إلا رأيت أنه حجة مصر فى العبقرية العربية

والدكتور طه يقول إنه كان يفهم دروس الشيخ سيد المرصفى فى شرح الكامل للمبرد ، وذلك عنده سبب تلك الجاذبية ، ولكنى أرجح أن السبب يرجع إلى أن الشيخ المرصفى كان ينشد الشعر بأساليب موسيقية تخدِّر الشبان ، فلم يكن من العجب أن يستريح إلى إنشاده طفل فى حال طه حسين ، وهو يواجه الوجود بأدوات أهمها السماع

وأقول إن الشيخ المرصفى كان غريباً فى الأزهر وكان تلاميذه غرباء ، وبهذا أصبح طه حسين من المنبوذين فى أنظار « العلماء » وصار من حقهم أن يهينوه ظالمين بالتصريح أو التلميح

ثم تمضى الدنيا بالطفل الضرير إلى ما لا يريد ، فيشيع بعض حاسديه أن يرى ما لا يرى الأزهريون من كُفر « الحجّاج » وهو أعظم رجل تولى أمور العراق فى نظر « العقل » لا فى نظر « التاريخ »

ويهان الطفل الضرير لهذه اللمحة الفكرية ، فيمسى وهو زنديق فى أنفس الأزهريين ، وهم أصحاب الرأى الرسمى فى الكفر والإيمان ، ثم تكون لذلك عواقب يعانى متاعبها إلى اليوم

صور وصفية

فى الجزء الثانى من الأيام ألوان من الصور الوصفية ، ولا تظهر قيمة هذا الكتاب إلا لمن يلتفت إلى تلك الألوان

وأجمل صور هذا الكتاب ما جاء فى وصف الشيخ سيد المرصفى ، وهى صورة جدية فصلت شمائل ذلك الشيخ أجمل تفصيل . والحياة الأزهرية بمزاياها ونقائصها نالت حظها من التدوين فى الحدود التى تصورها الطفل ، وقد عاش فى بيئة مولعة بتعقب العيوب ، وهو لهذا لم ير من الأزهر ورجاله غير ما يؤذى النفس ، ويثير البغض ، وما نراه يلتفت إلى محاسن الأزهر إلا فى أندر الأحيان

وحياة « الرَّبع » ظفرت بألوان لطاف ظراف هى غرة الكتاب ، وربما جاز القول بأنها من أطايب الأدب الحديث

والمجون له فى هذا الكتاب مكان ، ولكنه مجون ملفوف ، إلا حكاية « أبو طرطور » فهى من المجون المكشوف ، وهو مكروه على أرجح الأقوال !

وعنى الطفل بوصف أخيه عناية فائقة ، فصوره فى هزله وجده وغضبه ورضاه ، بأسلوب يغلب عليه العتاب

وتحدث الطفل عن أبيه حديث اللوم فى حين وحديث الحمد فى أحيان . أما حديثه عن أمه فهو من أروع صور الوفاء . ويظهر أنه لم يحب أحداً بلا قيد ولا شرط كما أحب أمه الغالية ، ولم يثق بأحد كما وثق بقلبها الرفيق . ولا تقل إن الذوق هو الذى نهاه عن أن يتحدث عنها كما يتحدث عن أبيه وأخيه ، فذلك كاتب وصّاف قد يستبيح فى الخروج على الذوق ما لا يباح ، وإنما الوجه

(١) الأيام ج ٢ ص ٤٥
(٢) ص ٤ (٣) ص ٦

الشيخ عبد الوهاب النجار (*)

جهوده في جمعية الشبان المسلمين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لما قبض الله إلى جواره الكريم المغفور له المجاهد الشيخ « عبد العزيز شاويش بك » الوكيل الأول لهذه الجمعية ، تلفت أعضاؤها يبحثون عمن يملأ مكانه الخالي ، فلم يجدوا غير فقيدنا العزيز الذي اجتمعنا اليوم لتأبينه . إذ كان الشيخان — أسبغ الله عليهما فيوض رحمته — نظيرين في الدعوة إلى الله والعلم بأسرار الإسلام والبذل في سبيله والوقوف على أسرار تشريعه ومناهج دعوته ، مع اطلاع واسع في مقارنات الأديان ، وقدرة على حل كثير من العقد الاجتماعية التي تشغل بال الشباب في ظروف الانتقال الخطير التي يجتازها الشرق الإسلامي

وإذا كان الأستاذ « شاويش » لم يمد الله في أجله طويلاً في خدمة هذه الجمعية ، بعد أن اشترك بجاهه وخبرته في دور تأسيسها ، وتمهيد العقبات الأولى أمامها ؛ فقد مد الله وبارك في خدمة الأستاذ « النجار » لهذه المؤسسة حتى نمت واتسعت جهودها الدينية والاجتماعية

فمنذ ثلاث عشرة سنة والفقيد دائب على القيام بواجباته فيها ، يأنس به الشبان ويستفتونه في قضايا الإسلام والشبهات التي تتراءى على عقولهم في فترة الانتقال واحتكاك العقل الشرقي بالعقل الغربي ، وهو يفتيهم ويدحض ما يحوك في صدورهم من الشبهات ، ويدخل على قلوبهم الطمأنينة وبرد اليقين وقوة العقيدة

وقد ساعده على الاقتراب من قلوبهم والدخول إلى عقولهم اتصاله بنصيب وافر من العلوم العصرية التي كان يلم منها ما جعله ابن زمانه وربيب عصره لا رجلاً متخلفاً عن ملاحقة سير الحياة بالأحياء وسرعة نمو هذه المدنية العجيبة التي تتفتح فيها أسرار الطبيعة للعقول تفتحاً متلاحقاً يحير الألباب ويثير الدهشة ، ويكشف عن كلمات الله التي ليس لها نهاية ولا نفاد !

فكان عليه رحمة الله يلم من مباحث علوم الطبيعة والكيمياء والكهرباء وفنون الصناعات والآليات ما كان يثير إعجاب من يسمعونه وهو شيخ معمم تقدمت به السن ، وتوجه فكره من قديم إلى الأدبيات وعلوم اللغة والشريعة والجدليات وما إليها من الميراث الشرقي النظري

ولا عجب أن يكون فقيدنا كذلك ؛ فقد كان يحمل بين جنبيه قلب شاب ويحمل في رأسه عقل حكيم . وشباب القلب وحب الحكمة نعمتان جزيلتان تجعلان صاحبهما متفتح الفكر

(*) خطبة في حفلة تأبين الفقيد بدار المركز العام لجمعيات « الشبان المسلمين » بالقاهرة .

أن الدكتور طه لم ير من أمه غير الشمائل الأصيلة في الرفق والعطف والحنان

حديث الدكتور طه عن أمه حديث نفيس جداً ، وهو يصدر عنه بحرارة وجدانية قليلة الأمثال . ألا ترون كيف صورها بأساليب مختلفات تشهد بأنه كان بها من المفتونين ؟

من المفهوم أن الرجل لا يستطيع أن يذكر أمه بغير الجميل ، ولكن الدكتور طه يخلق الفرص خلقاً ليتذوق النعيم بتصور ما كانت أمه تذرف من الدموع وهي تمد الزاد الذي يرسل إلى أبنائها الغائبين

كان الطفل في غرفة مغلقة النوافذ في يوم صائف ، فلما خرج تروّح النسائم الرطاب ، فتذكر ما كانت أمه تطبع على جبينه من القُبُلات

والأم التي أنجبت طه حسين خليقة بكل إعزاز وإجلال

أما بعد فهذا كتاب

وأي كتاب ؟ هو صفحات مقبوسة من القلب والروح ، كتبها أديب مرهف الأعصاب ، بعد أن تجنى عليه الوجود بلا رحمة ولا إشفاق

قال أستاذنا السنيور نالينو ، ونحن نذكر عاهة طه حسين :

A sa place, je serais perdu !

وأقول إني لم أنقد الدكتور طه يوماً وأنا أتصور أنه ضرير ، فما قُدّ قلبي من الصخر حتى أصوب سنان القلم إلى رجل مكفوف ، وإنما أنقده وأنا جاهل بحالته الشخصية ، كما تعبر الأوراق الرسمية

طه حسين ليس بضرير ، وإنما هي دعوى حمله عليها حب التظرف ، وسيبقى هذا الرجل شاهداً على أن البصر السليم هو بصر القلوب

زكي مبارك

متجدد العزم متلفت الذهن نحو ما تلده الليالى من أعاجيب الحياة، بريئاً من الاشتغال بالأضغان الغليظة والسخافات التافهة التى تشغل بال الجهال وتصرفهم عن ملء قلوبهم وأوعيتهم بأسرار الوجود

وإلى هـذه الصفات فى الفقيد كان يرجع أنس الشباب به وحبهم إياه وحبه إياهم وفهمه عقليتهم ومنازع نفوسهم فى زمانهم يضاف إلى تلك الصفات أنه كان مؤرخاً واعياً وقصاصاً بملوء الحافظة بحوادث التاريخ ونوادر الرجال ، فكانت مجالسه عامرة بأعذب القصص وأطرف الحكايات . وتلك ميزة محببة إلى نفوس الناس جميعاً وخصوصاً الشبان الناشئين الذين يسرهم كثيراً أن يستمعوا لأحاديث الغابرين وصور الماضى تلقيها وتعرضها عليهم شيخوخة جليلة يتكلم الزمان على لسانها ويتحدث من خلال بيانها

وقد نفع الله شباب هذه الجمعية بالفقيد كمؤرخ إسلامى أجل نفع ؛ إذ كان لما يسرده من تاريخ الإسلام ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وأبطاله ومغازيه وذكرياته وفتوح سيوفه وأقلامه ، أثر بالغ خالد فى توجيه نفوسهم إلى إحياء تلك الذكريات الغاليات والأمجاد الخالدات

وقد سمعت من السيد رشيد رضا رحمه الله قوله : إن العقيدة الإسلامية لا يربيها وينبتها فى القلوب إلا قراءة التاريخ الإسلامى ؛ وإن أثر قراءة هذا التاريخ فى تكوينها أعظم بكثير من قراءة كتب العقائد والجدليات

وهذا قول صادق تزيده الأيام تأييداً . فكلما زاد اطلاع المسلمين على تاريخهم ونشطت المطبعة فى إخراج دفائنه ازدادت عقيدتهم رسوخاً وإيمانهم بأنفسهم وثوقاً

وقد جمع الفقيد إلى صفات المؤرخ الإسلامى ضلاعته فى الاطلاع على الأديان الأخرى ، وحفظه كثيراً من نصوص التوراة بالعربية والعبرية التى كان يحذقها، والأناجيل وإلمامه بأقوال شراحها، واستخلاصه من كل أولئك مايؤيد رسالة الإسلام ويجلو أوصاف رسوله كما وردت فى تلك الكتب ، مما ملأ أيدى الوعاظ والدعاة الإسلاميين بالحجج الدامغة عن دينهم فى مجال الجدل الدينى ، ومما جعل الشبان فى عصمة من أضاليل الإرساليات الدينية الأجنبية التى همها تشكيك المسلمين فى رسالتهم الخالدة

***

وحين رأت هذه الجمعية أنه لا يتم صلاح لهذه الأمة إلا بإصلاح نصفها الذى طال إهماله — أعنى نساءها — لأنهن الأساس فى بنائها والمتصرفات فى قلوب نشئها ، وعزمت أن تنشئ لهن دروساً دينية عهدت إلى الفقيد بإلقائها وتنظيمها بالاشتراك مع المغفور له شيخ العروبة أحمد زكى باشا . فنهضا بذلك نهضة كان لها أثرها . إذ حملت كثيراً من فضليات السيدات والآنسات المسلمات على تأسيس جمعيات نسوية للدعوة الدينية بين النساء وتوجيهن إلى فهم أسرار دينهن ، مما يبشر بتحقيق الآمال فى حركة الإصلاح

***

لم يكن نشاط الراحل الكريم قاصراً على خدمة أغراض هذه الجمعية فى داخل حدود مصر ، بل تعداها إلى البلاد العربية والإسلامية الشقيقة ، فقام إليها بسفارات عدة وأسفار بعيدة ؛ إذ اشترك فى أول مؤتمر إسلامى عام حين عقد بالقدس خاصاً بقضية فلسطين سنة ١٩٣١ ، وتزعم الرحلة التى قام بها جوالة الشبان المسلمين فى صيف السنة ذاتها إلى فلسطين وسوريا ولبنان . وكان وجوده على رأسها من أعظم أسباب الترحيب بها والالتفات إليها من السلطات والأندية الدينية والاجتماعية التى كان له فيها ذكر مرفوع . ثم قام برحلة مع جوالة الشبان المسلمين كذلك إلى تركيا فى صيف سنة ١٩٣٤

ولكن أعظم رحلة قام بها فى خدمة أهداف الجمعية هى رحلته إلى الهند سنة ١٩٣٦ فى البعثة الأزهرية التى بعثها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى لدراسة شئون طائفة المنبوذين فى الهند تمهيداً لدعوتهم إلى الإسلام ولدراسة شئون إخواننا المسلمين هناك عن قرب ، وإنشاء روابط تعارف بين رجالنا ورجالهم

هذه الرحلة الشاقة التى ركب الفقيد فيها البر والبحر والجو ، وتنقل فيها ببلاد الهند الواسعة يخطب ويكتب ويتحدث ، وهو الشيخ المعمر الذى يحتاج إلى الراحة والسكون ... هى أعظم شهادة له تدخله فى عداد المجاهدين الصادقين والعلماء العاملين الذين وهبوا الله جهودهم وأعمالهم بعد ما وهبوه ألسنتهم وأقلامهم إلى آخر رمق من حياتهم . والذين يعلمون أن العمل للاسلام فى هذا العصر لا يكون بتحصيل العلوم وتأليف الكتب وحدها بل لا بد معه من النزول إلى ميدان الجهاد العملى والاشتراك فى المعترك الأبدى بين الخير والشر والإصلاح والإفساد ...

حول مسرحيات محمود تيمور

من اتجاهات علم النفس

فى المسرحية

للأستاذ زكى طليمات

مفتش شئون التمثيل بالمعارف

[أصدر الأستاذ الكبير محمود بك تيمور مؤلفاً يتضمن ثلاث مسرحيات جديدة فيها الكثير من طرافة التحليل النفسى ، فآثرت أن أقدم لقارئ إياها بهذا البحث الذى يكاد يكون قائماً بذاته ولذاته]

كثيراً ما يقع للقارئ المنقب فى أروع القصص والمسرحيات الغربية ، مترجمة كانت أو بلغتها الأصلية ، — وقليلاً ما يقع له ذلك فى مطالعة آثار أدباء الطليعة فى مصر خاصة وفى الأقطار العربية عامة — أن يلاحظ شيئاً يستوقفه برهة ينسرح خياله فيها ، ويأخذ ذهنه بأسباب التأمل والمراجعة ، ذلك أنه يرى شخصية من شخصيات هذه المسرحية أو القصة يستوى فجأة على حالة تنبو عن التقويم النفسى العام الذى أجراه عليها المؤلف منذ بدء الرواية ، فإذا بهذه الشخصية تغمض وتبهم ، وإذا بها تصبح نهبة لتعقيد نفسى غريب ، فتبدر منها بادرات تتناقض مع المعقول صدوره منها قولاً أو فعلاً ، وتتراءى هذه الشخصية فى النهاية وكأنما تلبسها ذاتان مختلفتان !! وهى مع كل هذا تبدو إنسانية أصيلة تحس بصدق خلجاتها ، ونلمح فى وجهها أشباهاً فيمن نعرف من الناس أو فيمن يصل إلينا خبرهم بطريق السماع المقطوع بصحته .

إن الفكرة الشائعة على أن النفس الواحدة قد تبدو أحياناً فى تصرفاتها وكأنما تلبسها شخصيتان متناقضتان ، نجد أعراقاً لها ممتدة بعيدة إلى صميم الأدب الاتباعى [(١)] ، ثم تلوح بادية الأشاجع فى الأدب الرومانسى [(٢)] ، هذا على الرغم من أن للقاعدة الأساسية فى علم النفس لدى الاتباعيين — والرومانسيون تبع لهم فى هذا — هو أن كل ما يخطر بالنفس ويجرى فيها واضح أمره لها ، لأنها تحسه وتدرى بمسراه فيها ، فهى تتحكم فيه إذا شاءت بطريق الإرادة ، وهى تنظمه بمعاونة المنطق ، وتكون النتيجة الحتمية لهذه القاعدة : أنه بما أن النفس فى هذا الصدد لا يخفى عليها

(١) ويعرف بالكلاسيكى وهو لون من الأدب جاء بعد القرون الوسطى

(٢) ويعرف بالرومانتيكى ، وهو لون من الأدب جاء بعد الأدب الكلاسيكى فى فرنسا خاصة

وإن إدراك الحق ورسمه على الصحف أمر سهل جداً على النفوس ، ولكن العمل على تحقيقه وتجسيمه بين الناس متمثلاً فى أشخاص وأعمال مهمة شاقة ، لا يتحملها إلا أولو العزم من محبى الإصلاح

***

هناك جانب خفى للفقيد فى مؤازرة هذه الجمعية شاء هو أن يخفيه عمداً ، هو جانب بذله المال حسب طاقته فى بعض حاجات هذه الجمعية وحاجات غيرها من وجوه البر . فقد كان لا يبخل بمال ، ولا يحسب حساب ذريته الخاصة فى سبيل تحقيق مصلحة عامة ؛ وقد طال عمره وهو كبير الراتب ، ولكنه لم يتهالك على جمع شىء من الحطام الفانى ، ولم يخرج من الدنيا إلا عن ميراث الحكماء والأصفياء ...

إذا ورث الجهال أبناءهم غنى   وما لا فما أشقى بنى الحكماء !

***

ألا سلام على تلك الشيخوخة الجليلة السمحة المتفائلة التى كانت تضحى بما يصحب تقدم السن من الترفع والاعتزال ، وتمتزج بروح الشباب لتطعيم خبرتها وتجاربها ...

وسلام على تلك الروح الرحبة اللطيفة الوديعة التى كانت كأنها لا تعرف الغضب والمشاحات . . . وعلى ذلك القلب البرئ كقلوب الأطفال الأبرار ، وعلى تلك الأسارير المنبسطة التى يترقرق فيها الطهر وخلوص الطوية ، وعلى ذلك المنطق المنفوض عن الادعاء والغيبة وتجريح الناس ومقابلة السوء بالسوء ...

وسلام على تلك الجبهة العالية التى كرمت صفحتها عن سمات الذلة والخضوع لغير الحق . . . وعلى تلك الذاكرة الواعية التى ما كان يفر منها رقم أو مسألة من مسائل العلم والدين التى اطلعت عليها ، وما كان أكثرها !

ألا إن فقيدنا لم يكن شخصاً ، وإنما كان حديقة مزهرة مثمرة بأطايب المعانى العالية ، ورقائق الصفات الكريمة ، ووثائق الأخبار والأسمار والمعلومات ...

فرحمة الله له ، والخلود لذكراه ، والصبر الجميل لذويه وتلاميذه ومحبيه

عبد المنعم خلاف

شئ مما يختلج فيها ، إذن فكل ما يجرى فيها واضح المعالم والحدود تفصح عنه الأقوال والأفعال وتفسره [١]

على هذه السنة ، سنة الوضوح والإيضاح ، يقوم التحليل النفسى لدى الاتباعيين[٢] والرومانسيين ومن ينحو نحوهم فى كتابة القصص والمسرحية التى هى معارض لنماذج بشرية تتنفس وتتحرك وتعمل فيها

بيد أن المؤلفين الاتباعيين والرومانسيين ، على أخذهم بقاعدة الوضوح هذه فى علم النفس ، لم يكونوا بمنجاة من التعثر ببعض تلك الحالات النفسية المعقدة التى تبدو النفس خلالها ، وكأنها عالم يشوبه الغموض وتتجاوب أصداؤه بالمتناقضات والفوضى [٣]

فإذا كان موقف هؤلاء المؤلفين من هذه الحالات ؟ كانوا يحاولون التفسير جهدهم ليستخرجوا من الإبهام وضوحاً ومن الاضطراب نظاماً ، متجشمين فى سبيل ذلك بياناً خطابياً حاذقاً ولهجة منطقية حارة يجرونها على ألسنة شخصيات رواياتهم ابتغاء الإفصاح ، ولييسروا على القارىء أمر الانتقال من النتائج إلى الأسباب وبالعكس من غير ما يضطرب المنطق اضطرابة عنيفة ، وليقيموا صلة ما بين ما هو معقول ومألوف صدوره عن هذه الشخصيات ، وبين ما هو غير معقول ونابٍ من بادرات طارئة وصور ذهنية معقدة فى تواردها

وهذه الحالات النفسية المعقدة لدى الرومانسيين[٤] ، تمتاز عن مثيلاتها لدى الاتباعيين بأنها تكون عادة مبطنة بفورات نفسية طارئة . ومرجع هذا كما هو معلوم ، أن الأدب الرومانسى أساسه القلب ، فهو يترك الحبل على الغارب للتيارات العاطفية دون أن يَمُد بينها وبين العقل الراجح شكيمة ولجاماً ، وهذا بخلاف ما هو عليه الأدب الاتباعى

(١) أصول هذه النظرية فى علم النفس منحدرة من صميم فلسفة (ديكارت) ١٥٩٦ — ١٦٥٠ وهو أحد واضعى الفلسفة الحديثة

(٢) خير من جرى على هذه النظرية لدى الاتباعيين هو المؤلف المسرحى (بيير كورنى) ١٦٠٦ — ١٦٨٤ ، ومن رواياته السيد . هوراس — سنا — بوليوكت

(٣) أروع ما تطالعنا هذه الحالات لدى المؤلف الاتباعى (جان راسين) ١٦٣٩ — ١٦٩٩ وذلك فى مسرحيته (أندروماك) و (فيدر) . ولا سيما فى المسرحية الأخيرة وذلك فى المشهد الذى تعترف فيه (فيدر) لحبيبها (هيبوليت) بحبها الآثم . ونجد مثل هذه الحالات أيضا فى بعض ما كتبه (جان جاك روسو) و (ديدرو) فى القرن الثامن عشر

(٤) أمثال (فكتور هوجو) ، و (دوفينى) و (ديماس الكبير)

لدى الواقعيين والطبعيين

وفى أواخر القرن الثامن عشر ، نزل بهذه القاعدة فى علم النفس الكثير من الهزال والتعقيد ، فأخذت تتحور على أساس نزعة فكرية جديدة ، سداها ولحمتها أن الكائن الإنسانى ليس فقط ما يريد أن يكونه ، أو ما تقضى إرادته أن يستقيم عليه ، لأن العناصر المادية تجرى تأثيرها على جسده بلا انقطاع . فهذا الكائن الإنسانى خاضع لمؤثرات المناخ والبيئة لا بجسمه فحسب ، بل وبروحه أيضاً ، وما يتأثر به الجسد تتأثر به النفس . وما دام الأمر كذلك — فى زعمهم — فواجب أن ننظر إلى النفس وخلجاتها من وجهة نظر علمية خالصة ، وذلك بأن نخضع خلجات النفس وبادراتها ولماتها إلى التحليل العلمى الصرف[١]

هذه النزعة لم تكن غير صدى لسيطرة النزعة العلمية والتحليلية فى القرن التاسع عشر فى فرنسا وانجلترا ، فوجدت نظريات الوراثة والبيئة مجالاتها الواسعة فيما تخرجه أقلام الكتاب القصاصين والمسرحيين ، وهكذا تمت غلبة المحسوس على غير المحسوس فى كل شىء ، وأصبح علم النفس خاضعاً لآلية (المعمل) يحلل ويجزِّئ ، وما يحلل ويجزىء غير مظاهر المادة . وسيطرت الواقعية[٢] Realisme على ألوان الأدب والفنون ، وتبعتها فيها (الطبعية) Naturalisme وهى لون متطرف من الواقعية

ماذا كان يعمد إليه الكتاب الواقعيون والطبعيون وهم يعالجون فى رواياتهم تحليل شخصيات ملفحة بالغموض تنتابها تعقيدات نفسية ؟

وقد يحسب القارئ أن هذه الحالات النفسية المعقدة قد انتهى زمانها بعد أن أخذ العلم يحلل كل شىء ويعلل . لا شىء من هذا لم يحدث ، لأن هذه الحالات عريقة فى النفس البشرية التى لم تتغير ولن تتغير ، وما كانت هذه النزعة العلمية التحليلية

(١) هذه النزعة العلمية ترجع فى أصولها إلى الفلسفة الايجابية ، أو الواقعية ، أو اليقينية Positivisme التى أقامها الفيلسوف الفرنسى (أوجست كنت ١٧٩٨ — ١٨٥٣) . وأساسها أن الفلسفة شىء لا يختلف من العلم الذى يقوم على الملاحظة والتجارب والفروض وتعليل الظواهر باطراد قانون العلة والمعلول . وقد امتدت أطراف هذه الفلسفة إلى انجلترا فكانت آراء الفلاسفة : استيوارت ميل وهاريسون وسبنسر

(٢) الواقعية اتجاه من اتجاهات الأدب ، استكمل عناصر كيانه فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وأصحابه يقولون بوجود العالم الخارجى وجوداً فى ذاته ، وأن الحواس هي وسائل إدراكه ، ومظهرها فى الأدب النقل المجرد من الطبيعة فى المحسوس والمرئى الظاهر

لتحجز الكتاب عن تقديم هذه المخلوقات المعقدة التي تبدو كأنها ظاهرات عجيبة ، نظراً إلى أنها تعيش بيننا ونحس بها ، ولأن القصة والمسرحية من مجالات تسجيل النفس على اختلاف ضروبها وتعقد حالاتها . للمناخ والبيئة تأثير لا ينكر أحياناً على بعث كوامن النفس واصطخابها ، فهما عاملان يساعدان أحياناً على إحياء التناقض في الطبع الإنساني الواحد ، ويمهدان لتشقيقه وفتح فجوات في كيانه . ولا شك في أن المؤثرات التي تنزل بالجسم وتنال منه ، من شأنها أن تشق للنفس مسارب تنفلت منها في وثبات لا يمكن للمنطق الخالص أن يعللها ويفسرها .

نمهد سؤالنا فنقول : ماذا كان يعمل هؤلاء الكتاب ، كتاب الواقعية (والمعمل) إذا عرضت لهم تلك التعقيدات النفسية ؟

لم يكن يعمدون إلى الصمت ولا شك . لقد كان أسلافهم الاتباعيون والرومانسيون — وهم أقل ادعاء للعلم منهم ، ولم يبلغ العلم في زمنهم ما بلغه في الواقعية — يعللون هذه الظاهرات العجيبة تعليلاً منطقياً ويفسرونها تفسيراً عقلياً متواضعاً ، فكيف يلزم الصمت الكتاب الواقعيون والطبيعيون ، ربائب العلم والنظريات المادية ، وقد تطاول العلم في زمنهم على كل شيء يحاول تعليله وتحليله وتفسيره ! ! كان الواقعيون يتحدثون كثيراً ويفسرون طويلاً ، لا على أساس المنطق والعقل ، ولكن على أساس النظريات العلمية ، يتعلقون بأذيال العلم ويحملونه ما لا يقدر عليه ، ليقرروا بعد ذلك — وهم يلهثون — أن هذه التعقيدات والظاهرات الإنسانية العجيبة ، إنما هي حركات انعكاسية للنفس نجمت عن تغيرات واضطرابات عضوية في الجسم خاضعة لقوانين المادة[1]

افلاس المعمل

ولم يمض زمن طويل حتى خففت المادية من غلوائها بعد أن عجزت النظريات العلمية عن تفسير كل شيء ، وأفلس (المعمل) بعد أن أنهكه تحليل المركبات ، وصارت تلك التفسيرات التي يصدرها الكتاب الواقعيون والطبيعيون لا يؤبه لها ، بل غدت عقيمة عقم العقل نفسه في النفاذ إلى جوهر الأشياء واستبطان حقائقها . فاشرأبت النفوس إلى مطالعة وسائل جديدة غير الوسائل السالفة تقدم إليها ما ينقع غلتها في استطلاع المجهول الغامض في حناياها

الرمزية[1]

وكانت يقظة للنزعة الرمزية من جديد ، ولكن على غير غرار الرمزية الدينية (الصوفية) فقامت لها حركة بدأت في شمال أوربا وانحدرت إلى الجنوب ، وهذه الحركة في مجيمها ليست إلا مظهراً من مظاهر المزاج الأدبي العام للتحرر من (واقعية) الأدب، ووثبة من وثبات الذهن إلى ارتياد آفاق جديدة للكشف عن الغامض في النفس وحل أحاجي تلك التعقيدات النفسية التي سبق أن تحدثنا عنها

شوبنهور وهارتمان

وجاءت تعاليم الفيلسوفين شوبنهور[2] وهارتمان[3] من ألمانيا فأضافت جديداً على هذه الحركة التحريرية ، فقد حاول هذان الفيلسوفان أن يقررا أن العالم لا يسيره الذكاء ، بل هو خاضع في سيره إلى نوع من الإرادة تعمل وتعمل من غير أن تفسر عملها ومن غير أن تأبه لقواعد العقل والمنطق . وهذه فكرة من فلسفة ما وراء الطبيعة Métaphysique[4] ولا شك . ولكنها تحمل في طياتها عناصر جديدة شام فيها الأطباء وعلماء النفس آفاقاً جديدة فعقدوا عليها فصولاً وبحوثاً أسفرت عن جديد يصح أن يتخذ مفتاحاً للمغلق الغامض في النفس

خطوات جديدة

العالم تسيره قوة تعمل من غير أن تفسر عملها ومن غير أن تعبأ بقيود العقل والمنطق ، والنفس جزء من هذا العالم ... ! !

من هنا يبدأ الخيط الذي رسم الاتجاه الجديد لعلم النفس فن اكتشافات العلامة الفرنسي (شاركو) بين ١٨٧٠

---

(١) في رواية الكاتب الفرنسي أميل زولا نطالع أروع ما ورد من التحليل النفسي القائم على النظريات العلمية المجردة ، فقد اتخذ قوانين الوراثة أساساً لها لا يحيد عنه

(١) تحدثنا بإسهاب عن هذه الرمزية رمزية أواخر القرن التاسع عشر ، ثم عن الرمزية الحديثة في بحوث سابقة نشرتها هذه المجلة في أعدادها ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ، ٢٥٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥

(٢) شوبنهور . فيلسوف ألماني ١٧٨٨ — ١٨٦٠ — ومن مؤلفاته [العالم كإرادة وفكرة]

(٣) هارتمان فيلسوف ألماني ١٨٤٢ — ١٩٠٦ ومن مؤلفاته فلسفة العقل الباطن]

(٤) القصد من دراسة « ما وراء الطبيعة » أو الميتافيزيقية هو محاولة الكشف عن طبيعة الحقيقة اللانهائية

و ١٨٩٠ فى التنويم المنطيسى وإثباته أن فى الاستطاعة أن يسكب المنوم فى نفس الوسيط آراء وواردات لم يكن لها أصل فى ذهنه الواعى ويوجهه توجيهات لم يكن له قبل بها من قبل ...

إلى ما كتبه العلامة (ريبو) من أمراض الذاكرة ، وذلك فى ما بين ١٨٨٢ و ١٨٨٥ وتدليله على أنه تسكننا حافظات لا نحسها — إذ ليس لنا بها علم من قبل — ولكنها تعيش فينا متحوية منطوية على نفسها ، وسرعان ما تنسرح وتنشر مطاويها فينا على أثر مرض طارئ ؛ وكيف أن كائناً إنسانياً عادياً متماسكاً ليس فى مظهره شذوذ ما قد ينقلب فجأة شخصاً آخر ، شخصاً عادياً بدوره ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن الشخص الأول ؛ وكيف أن هذا الكائن الإنسانى قد يجد من جديد شخصه الأول الذى كان يعيش ولا شك فى زاوية من عقله اللاواعى أو الباطن ، وذلك بمجرد اختفاء الشخص الثانى . . .

إلى ما انتهى إليه (بيير جانيه) فى دراسته للإبهام وللاضطرابات العصبية وأمراضها ، من أن هناك ما يحمل على الاعتقاد بأنه يمكن أن تعيش فى نفس كائن إنسانى واحد شخصيات عديدة وتيارات متباينة قد تتدخل فى بعضها أحياناً وتختلط مدومة مدوية !

العقل الظاهر والعقل الباطن

وقام العلامة (سيجموند فرويد) (١٨٥٦ — ١٩٣٩) النمساوى وأنشأ فصولاً جديدة فى التحليل النفسى تعرف باسم Psychanalyse أرجع فيها كل خليقة من الخلائق ، وكل عارضة من عوارض النفس إلى الغريزة الجنسية، وقرر أنه يسكن النفس البشرية ذاتان ، الأولى طهمية بدائية عارية من كل صقل جبلت وفاقاً للطبع المركب فينا ، والأخرى مختلفة اختلافاً بفعل التثقيف والتهذيب، ومنسقة تنسيقاً صناعياً بيد الاجتماع والتواضع عليه. ثم استطرد البحث ليقول إن عقلنا — وهو واعيتنا الظاهرة — لا يجيب غير ما يصدر من الذات الأخرى التى هى من صنع التثقيف والتهذيب ، ولكن قد يقع كثيراً أن تتغلب الذات البدائية العارية من كل صقل وتنسيق فتجمح النفس وتبدر منها بادرات طارئة فى القول أو الفعل تبدو غريبة معقدة ، وتلمع فى النفس لوامع خاطفة لا تعلل ولا تفصل !

برجسون (١٨٥٩ ! — ١٩٤٠)

وانبرى الفيلسوف الفرنسى برجسون يشن حرباً شعواء على النزعة الآلية والمادية وليدة العلم و (المعمل) ، ويحطىء من يحسب الإنسان آلة صماء فى يد القوانين المادية ، وهاجم الذكاء والمنطق لينادى بوجود عنصر جديد فى النفس أسماه البصيرة L'intuition نعيش به أكثر مما نعيش بذكائنا ومنطقنا ، أى بالعقل . ثم حدد العقل الظاهر أو الواعى بما مفاده أن هذا العقل الظاهر ليس إلا جزءاً من كياننا النفسى العام ، ودوره عملى خالص لا يتجاوز إلقاء ضوء مزدوج على أطراف الأشياء والتى يجب أن نمثلها ، وعلى نواحى الفكر التى نتولاها ، وأنه ليس لهذا العقل الظاهر أن يفسر الأشياء وأن يفصح عنها . ثم قرر برجسون بعد ذلك : أننا نتجاوز أحياناً فى أعمالنا الحدود والمعالم التى يقيمها العقل الظاهر ، وأننا خاضعون فى تصرفاتنا إلى العقل الباطن ، باعتبار أنه النبع الخفى البعيد الغور المترامى الأطراف الذى ينساب منه فى خيط دقيق ماء رقراق ، هو عقلنا الظاهر !

كل هذا مع ما جاء على غراره جعل الحياة الباطنة تتغلب على الحياة الظاهرة ؛ فأخذ علم النفس يتجه اتجاهاً جديداً ، يتلخص فى أن العقل الواعى إنما هو شىء ظاهر سطحى لشىء باطن عميق قابع فى أغوار النفس ؛ وأنه إذا أردنا أن نبحث عن تفسيرات تلك التعقيدات النفسية من بادرات طارئة وواردات غريبة فلنطرق باب العقل الباطن حيث لا سلطان للعقل والذكاء ، ولا صوت للمنطق والإرادة ، وحيث الغرائز تتشابك وتفور

زكى طليمات

على هامش بحوث المجلس الأعلى

رسالة التعليم الالزامى

للأستاذ محمد كامل حته

لعل من أهم عوامل التعثر والاضطراب فى التعليم الالزامى ما يكتنف فكرته وأهدافه من البلبلة والغموض . ونحن نتقدم بهذه الكلمة فى بيان رسالة هذا التعليم إلى المجلس الأعلى بمناسبة تناوله إياه بالبحث فى اجتماع اليوم . (حته)

لم يكن عبثاً — وقد خرجت الأمة المصرية فى أعقاب الحركة الوطنية ظافرة بالحرية والدستور — أن ينص هذا الدستور على أن يكون التعليم الأولى إلزامياً بالمجان لجميع الناشئة من بنات وبنين ؛ لأن هذا النص على إلزامية التعليم ، وعلى نشره بين جميع طبقات الشعب بالمجان ، هو أول اعتراف بحق هذا الشعب فى أن يحيا حياة جديدة فيها كل ما يبثه التعليم فى النفوس من معانى الحرية والكرامة والرق ، وفيها الضمان الوحيد على أهلية هذا الشعب لما أحرزه من النتائج الوطنية ، وتثبيت دعائم النهضة القومية ، ومواصلة الجهود لتحقيق كل أسباب العزة وشوارد الآمال ...

لهذا كان مشروع التعليم الإلزامى فى مصر أهم مشروع تمخضت عنه النهضة الوطنية الحديثة ، لأنه مشروع تتصل أسبابه بجميع أفراد الشعب ، ولأنه الدعامة الأولى لكل إصلاح ينتقل بالأمة من حياة الجهل والخمول إلى حياة مستنيرة عاملة ، تستقيم بها الأوضاع الاجتماعية وتتعاون فيها الجهود على النهوض بجميع مرافق الإصلاح

***

لقد أطبقت ظلمات القرون ومظالم الأحداث على آفاق البلاد حقباً متطاولة ، فإذا هذا الوطن الذى أنبت أول حضارة على ظهر الأرض ، والذى كان قبلة العالم فى علومه وفنونه وآدابه ، والذى يفيض نيله عسجداً مذاباً ، وتخرج تربته من كل الثمرات ، والذى تخلق طبيعته الساحرة بطولة الأجسام والعزائم والعقول — إذا بهذا الوطن الذى توفرت فيه كل أسباب العظمة والخلود ، تتدهور الغالبية العظمى من أهله فى مهاوى الجهل والفقر والمرض والانحلال ، تدهوراً يبعث على الحسرة البالغة والأسف العميق !

وليس من شك فى أن العامل الأول الذى أدى إلى هذه النتائج المؤلمة ، والذى ترتبت عليه العوامل الهدامة الأخرى ، إنما هو الجهل الذى منى به السواد الأعظم من الشعب ، فعرضه لغيره من الآفات الاجتماعية التى تنخر فى كيانه وتحول بينه وبين كل تطور محمود

فالتعليم الإلزامى — إذاً — هو العلاج الحاسم الذى يجتث هذه الآفات من أصولها ، ويمد جسم الأمة بالقوة التى تقاوم بها آثار هذه الآفات ، والمناعة التى تقيها شرور العدوى والانتكاس

بل هو الشعاع الأول المنبثق من فجر النهضة إلى أعماق الريف السحيق ، يخترق فى سبيله الظلمات الداجية والضباب المركوم ، حتى يصل إلى تلك المجاهل النائية ، فتتفتح له الأجفان المطبقة ، وتستجيب له القلوب الصماء ، وما يزال هذا الشعاع يقوى وينتشر وما تزال العيون تتفتح والقلوب تستجيب ، حتى تتبدد تلك الظلمات وتستبين القافلة معالم الطريق ...

ومن هنا نستطيع أن نفهم رسالة التعليم الإلزامى فى مصر ، على صورتها الصحيحة ومعناها البعيد . فليست هذه الرسالة قاصرة على محو الأمية فحسب — كما يريد البعض أن تكون — لأن مكافحة الأمية ميدان محدود بالنسبة إلى الميادين الرئيسية الأخرى ، ولأن قصر هذه الرسالة على هذا الميدان عمل آلى تافه الأثر ضعيف النتائج ، لا يبث فى نفوس الناشئة فكرة سامية ، ولا يمدها بتوجيه سديد

بل إن فى هذا الحد من رسالة التعليم الإلزامى على هذا الوجه أضراراً عقلية واجتماعية هى شر من الأمية والجهل ؛ لأنك إذا وضعت فى يد الناشئ مفتاح القراءة والكتابة ، ولم تصب فى عقله المقاييس الصحيحة للحياة ، ولم تملأ أحاسيسه بالعواطف اللازمة لسعادة المجتمع — كان هذا المفتاح الذى فى يده يدور بوحى عقله القاصر المضطرب ، وإلهام غرائزه المستعرة العارمة ، فلا يفتح على نفسه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه إلا أبواب الشرور ...

وإنما تمتد رسالة التعليم الإلزامى إلى آفاق أبعد من ذلك غاية

١٥ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الفصل الخامس

الحياة المنزلية

الآن — وحسبنا ما نظرنا في حالة مسلمي مصر الأخلاقية والاجتماعية — نستطيع أن نلقي نظرة على حياتهم المنزلية وعاداتهم المألوفة . ولنبدأ بالطبقتين العليا والوسطى

يطلق على رب العائلة أو من يبلغ سن الرجولة إذا لم يكن خادماً أو خاملاً لقب « شيخ » احتراماً وتشريفاً . والمعنى اللغوي لكلمة شيخ هو عجوز ؛ ولكن كثيراً ما تستعمل مرادفة لفظة « سيد » ، وإن أطلقت بصفة أخص على رجال الدين وأولياء الله . ويقال للشريف (من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم) « السيد » أياً كان منصبه . وكثير من الأشراف يشتغلون خدماً وزبالين وسائلين ومع ذلك يلقبون بالسيد ، ويميزون بالعمامة الخضراء[1] ؛ إلا أن غالبهم ، يفضلون على هذه الامتيازات لقب الشيخ والعمامة البيضاء . ويسمى من قام بفريضة الحج « الحاج »[2]. على أن هناك جملة حجاج ، مثل الأشراف ، يفضلون لقب الشيخ . ويطلق على العقائل بوجه عام لقب « الست »

وقبل أن أصف عادات رب العائلة يجب أن أشير إلى الطبقات المختلفة التي قد تتكون منها العائلة : (الحريم) ، أي نساء المنزل ، ولهن غرف خاصة بهن يطلق عليها ، كما يطلق على النساء ، الحريم ولا يسمح للرجال بدخولها ما عدا رب العائلة وبعض الأقارب الأدنين والأطفال . ويتألف الحريم من زوجة أو أكثر ، ثم من الجواري . والبيض من الجواري

(١) كثيراً ما يتزوج رجال هذه الطبقة ونساؤها من غير الأشراف . ولما كان لقب الشريف يورث من أي الأبوين فقد كثر عدد من يتمتع بهذا التمييز كثرة عظيمة

(٢) هذه الكلمة تنطق هكذا في القاهرة وأغلب أنحاء مصر . ولكن أكثر البلاد العربية تنطقها « حاج » (بتعطيش الجيم) ويستعمل الأتراك والفرس بدلا منها كلمة « حاجي »

وأسمى غرضاً ، فهي ترمي إلى تكوين الجيل على أساس قوي من الوطنية المستنيرة ، والإدراك السليم لحقائق المجتمع ، والحرص على حقوقه الاجتماعية ، والنهوض بأعبائه الثقال في مكافحة ما يندس في كيانه من الآفات ، ومسايرة القافلة الإنسانية في تنقلها السريع

وإلا فما قيمة تلك النتائج التي أحرزها الشعب في جهاده الطويل ، إذا لم يكن هذا الشعب قد تهيأ للانتفاع بها على الصورة التي تبدو فيها آثار التطور واضحة ملموسة ؟

وما قيمة تلك المبادئ التي كفل بها الدستور الحقوق والحريات ، إذا كان الشعب عاجزاً عن تمثل هذه المبادئ وتطبيقها في حياته الفردية والاجتماعية ؟

إننا بهذا الاتجاه السديد في فهم رسالة التعليم الإلزامي ، نستطيع أن نتبين السر فيما نشكوه من العيوب في نواحي السياسة العامة . ونستطيع أن نعلل الفشل الذي يلازم أكثر مشروعات الإصلاح في هذه البلاد ، لأن هذه المشروعات لم يسبقها إعداد التربة الصالحة لنموها وازدهارها ، وإيجاد الأيدي الشعبية القوية التي تقوم على تحقيق هذه المشروعات

تلك هي رسالة التعليم الإلزامي في مصر ، مستمدة من روح الدستور الذي وضع للمواطن المصري أرقى مبادئ السياسة والتشريع ، ومستلهمة من حاضر هذا الوطن المفتقر إلى كل إصلاح ، المشرئب إلى مستقبل وثيق الصلة بماضيه المجيد

(القاهرة) محمد كامل حته

والحبشيات أو نساء الجلا [١] يقتنين على العموم للتسرى ، وأما السود منهن فيتخذن للخدمة ، وأخيراً الخادمات الحرائر . أما التابعون الذكور فهم عبيد سود أو بيض ، ثم خدم أحرار وهم الأكثرية . وقلما يبيح المصريون لأنفسهم ما أباح الدين من تعدد الزوجات . ولا يزال عدد من يباشر أكثر من امرأة بالزواج أو التسرى قليلاً . حتى أن أغلب الذين يكتفون بزوجة واحدة لا يتسرون ليتمتعوا بالهدوء المنزلى ، إذا لم يكن لسبب آخر . ولكن بعضهم يفضل اقتناء جارية حبشية للتسرى على القيام بالنفقات الزوجية المرهقة ، ويجعل لخدمتها جارية سوداء أو خادمة مصرية

ويندر أن يحتفظ الرجل بزوجتين أو أكثر فى المنزل نفسه ، وإلا خصص لكل منهن غرفة متميزة . ويقوم على خدمة رب الدار وضيوفه خادم أو أكثر ، ومنهم خادم يسمى (سقا) ، ولكنه على الأخص يقوم على خدمة السيدات وهن خارج المنزل فقط [٢] ، ثم البواب وهو يجلس دائماً على باب المنزل ، والسائس للاعتناء بالاصطبل . وقلما يمتلك المصريون مماليك إذ أن أغلبهم فى حوزة أغنياء الترك . ويندر أيضاً أن يكون لأحد غير عظماء الأتراك أغاوات . ويفتخر أغنياء التجار المصريين عند ما يسير فى ركابهم ، أو يحمل شبكهم ، عبد أسود

يبكر المصرى فى نومه وفى استيقاظه ، وهو ينهض للصلاة قبل الفجر ، وبينما يقوم بفروض الوضوء والصلاة تجهز له امرأته أو جاريته القهوة ، ويحشو له شبكه تبغاً وتقدمهما له حين ينتهى من فروضه الدينية

وكثير من المصريين لا يتناولون شيئاً قبل الظهر غير القهوة وتدخين الشبك ؛ وبعضهم يتناول أكلة خفيفة فى ساعة مبكرة . ويتكون الفطور من الخبز والبيض والزبد والجبن والقشدة أو لبن الزبادى ... الخ أو فطيرة تؤكل وحدها أو بالعسل يصب فوقها أو بالسكر . ومن الألوان المألوفة فى الفطور الفول المدمس ، وهو يدمس بإنضاجه على مهل ليلة بطولها فى إناء من الفخار يدفن إلى رقبته فى نار الفرن أو الحمام بعد أن تسد فوهته سداً محكماً . ويؤكل الفول بزيت بذر الكتان أو بالزبد ، وقد يعصر عليه قليل من الليمون . ويباع هذا الفول فى أسواق القاهرة وغيرها من المدن . ويتكون طعام الفقراء من الخبز « والدقة » وهى خليط من الملح والفلفل مع الزعتر أو النعناع أو الكمون وأحد المواد الآتية أو أكثرها أو جميعها : وهى الكزبرة والدارصينى والسمسم والحمص . ويصنع الخبز مستديراً مسطحاً ، بطول الشبر تقريباً وفى عرض الأصبع أو أقل

ويتمتع بالتدخين والقهوة كل من يستطيع لنفسه هذا الترف ، فى الصباح المبكر وأحياناً أثناء النهار . وهناك كثيرون يندر أبداً أن تراهم بدون شبك ، إما بين أيديهم وإما مع الخادم . ويحمل المدخن ، لاستعماله اليومى ، دخانه فى كيس من الصوف أو الحرير أو المخمل ، يضعه فى عب قفطانه ، وكثيراً ما يكون معه كيس آخر به الزناد والصوفان

ويبلغ طول قصبة التدخين (وأسماؤها عديدة منها الشبك [١] والعود الخ) أربعة أقدام أو خمسة ، والبعض أقصر من ذلك والبعض الآخر أطول بكثير . وما يستعمل عادة فى مصر يصنع من خشب « الجرْمَشق » وأكثر طول القصبة ، من الفم إلى ثلاثة أرباعها ، يغطى بالحرير الذى تحد طرفيه سلوك ذهبية محبوكة بالحرير الملون أو تحدهما ماسورتان من الفضة المذهبة ؛ ويتدلى من الغطاء الحريرى فى الحد الأسفل شرابة حريرية ، وكان هذا الغطاء مخصصاً بادىء الأمر ليبلل بالماء فيبرد بالتبخر الشبك وبالتالى الدخان . ولكن الشبك لا يغطى إلا إذا كان عتيقاً أو قبيح الشكل . وكثيراً ما يستعمل أيضاً الشبك المصنوع من خشب الكرز خصوصاً فى الشتاء وهو لا يغطى أبداً . ولا يبرد الدخان فى شبك الكرز صيفاً مثل ما يبرد فى الشبك السابق

---

(١) الجلا Galla شعب حامى يسكن شرق أفريقيا ، وهو منتشر فى أقاليم الحبشة الوسطى وكينيا . ويبدو أن لفظة « جلا » لقب حبشى
ويقول أرنو دابادى Arnaud d'Abbadie أن مسلمي الأحباش يروون أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أرسل إلى « الجلا » من يدعوهم إلى الاسلام قال رئيسهم : كلا ! (أو جلا ، أى لا) فلما سمع الرسول بذلك قال : إذاً لتكن تسميتهم دالة على امتناعهم عن الايمان
و « الجلا » جنس جميل الشكل إلى درجة عجيبة ، كميت البشرة ، ناعم الشعر مموجه ، وسيماه على العموم أوربية . (أنظر دائرة المعارف البريطانية ، مادة Gallas) . المترجم

(٢) إلا إذا كان هناك أغا ، والسقا على العموم هو رئيس الخدم

(١) من التركية (شبوق)

ذكره. أما «الحجر» فهو من الآجر[1]؛ وأما الفم أو «التركيبة» فيتكون من قطعتين أو أكثر من الكهرمان الفاتح اللون، يصل ما بينهما زخارف من الذهب المرصع بالمينا والحجر اليمان واليشب والعقيق أو غير ذلك من الأحجار الكريمة أو المعادن النفيسة. والفم أثمن ما في الشبك، وقد يرصع بالماس. ويبلغ ثمن الشبك الأكثر شيوعاً بين الطبقة الوسطى من جنيه إلى ثلاثة جنيهات أسترليني. ويوضع فوق الشبك أنبوبة من الخشب كثيراً ما تغيّر كلما تلوثت بزيت الدخان. والشبك ذاته يتطلب النظافة كثيراً، وينظف بألياف الكتان مشدودة في سلك طويل. ويعيش كثير من فقراء القاهرة على تنظيف الشبك

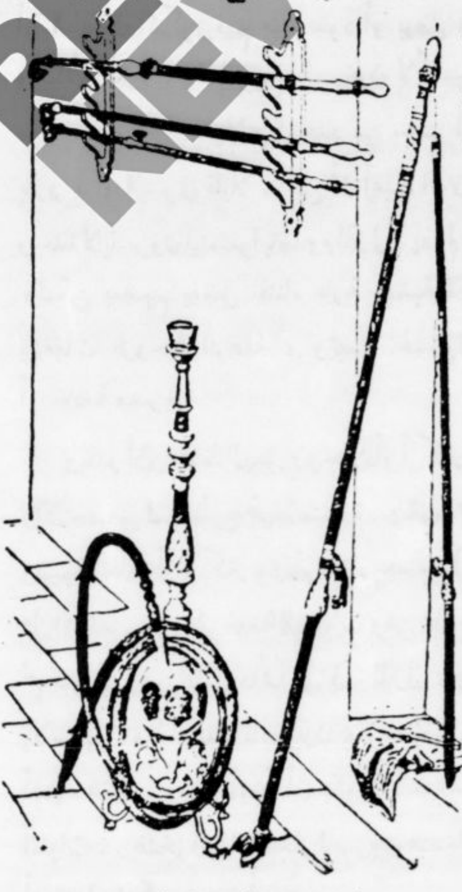
ويدخن أفراد الطبقة الراقية في مصر تبغاً له عطر لطيف لذيذ، يجلب أكثره من جوار اللاذقية في سوريا. وأحسن الأصناف «الدخان الجبلي» يزرع على تلال هذه المدينة. وهناك صنف قوي ينسب إلى مدينة صور، وهو الدخان الصوري، يخلط أحياناً بالصنف السابق ويستعمله أفراد الطبقة الوسطى. وعندما يدخن المصريون أو الشرقيون يسحبون نفساً طويلاً، فيصل كثير من الدخان إلى الرئة، ويعبرون عن التدخين عادة بشرب الدخان أو شرب التبغ. والقليل يبصق عند ما يدخن. ولم أر أحداً يفعل ذلك إلا نادراً جداً.

ويستعمل بعض المصريين الشبك الفارسي الذي يمر فيه الدخان خلال الماء، وهذا النوع يستعمله عادة أفراد الطبقة الراقية ويسمى (نارجيك) لأن الوعاء الذي يحوي الماء جوزة هندية (واسمها بالعربية نارجيلة) وهناك نوع آخر ذو وعاء زجاجي يسمى (شيشة)[2] وكلا النوعين له أنبوبة طويلة لينة. انظر (شكل ٣٣). وهناك نوع خاص من التبغ الفارسي يسمى (تنباك) يستعمل في شبك الماء. وهو يغسل أولاً عدة مرات ويجعل بعد ذلك في حجر الشبك وهو رطب، ثم يوضع عليه جمرتان أو ثلاث من الفحم. والتنباك عطر لطيف مقبول. ولكن شدة استنشاق الدخان في هذا النوع من التدخين يضر الرئة

(١) ويوضع تحت الحجر صينية نحاسية صغيرة لصيانة السجاد أو الحصير من النار، ويستعمل أيضاً صينية خشبية ليوضع فيها الرماد

(٢) كلمة فارسية بمعنى (زجاجة)

الضعيفة[1]. ومدخن الشبك الفارسي يشد الدخان إلى رئتيه مثل ما يستنشق الهواء الخالص. وترجع كثرة أمراض الكبد في بلاد العرب إلى استعمال النرجيلة، كما أنه في مصر يتألم الكثيرون جد الألم بسبب هذا. وهناك نوع يسمى (جوزة) يشبه النرجيلة إلا أن أنبوبته عصا قصيرة بدلاً من أنبوبة النرجيلة القابلة للانثناء، ويستعمله رجال الطبقة السفلى لتدخين التنباك والحشيش.



(شكل ٣٣) قصبات التدخين

(يتبع)

عدلي طاهر نور

(١) وهي مع ذلك توصف لمن يصاب بالسعال. ويستعمل أحد أصدقائي (أشهر شعراء القاهرة) — وهو مصاب بالربو — النرجيلة من الصباح إلى الليل بلا انقطاع تقريبا

ليالى النيل

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

يا ليالى النيل فى ظلّ الأمانى الزُّهْرِ عودى
وأعيدى الصفوَ والأنسَ لعينىّ أعيدى
أنا ما زلتُ على عهدى فهل صُنتِ عُهودى

حيث غنتنا الضفافُ الحالماتُ أغنياتٍ ردّد القلبُ صداها
شاعتْ الفرحةُ فيها والحياةُ وانتهى البِشرُ إلينا وتناهى

والهوى يغمُرُ رُوحينا بهاء وضياء
والسنا يغمرُ قلبينا فُتوناً وصفاء
والمنى تملأ دنيانا أماناً ورجاء

ذاك عهدٌ صنته بين ضلوعى أترى تذكر عهدى ؟ أترَاها
أم تناستْ سحر أيامِ الربيع ناديات لألأ الكون نَدَاها

وضفافُ النيلِ فى ظلّ الأمانى البيضِ سكرى
حوّم الطيرُ حواليها وفاض الكون بشرا
ولنا الموج تغنى وبنا الزورقُ أسرى

نحو نورِ الخلدِ ترعاه المنى لحظات أنا والعمرُ فداها
ليت يا زورق لم ترجع بنا قِبْلَةَ الشطآن يوما فنراها

ونذيرُ البين يسعى بين آمالى وبينى
وافترقنا للقاء ورجاء وتمنى
وأتى قلبىَ يسعى للتلاقي بيد أنّى

لم أجد فى الشط ما يشفى غليلى أين أفراحى وكأسى وطِلاها
وليالى النيل فى ظلّ ظليلِ ليتها عادت لنحيا فى سناها

طال شوقي وحنينى وهوى نفسى فعودي
وأعيدى الصفو والأنسَ لعينىّ أعيدي
أنا ما زلت على عهدى فهل صنت عهودى ؟

(الأسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن

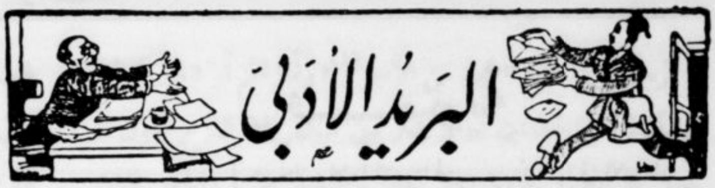
فوزية

[هى فتاة وافاها القدر المحتوم يوم نجاحها فى الامتحان]

للأستاذ محمد برهام

عَدَت المنون على الشباب الباكر فمحت بشاشات النجاح الباهر
نبنى أمانينا العراض على غد وغد على راجيه أشأم طائر
ظهرت نتيجة الامتحان وأنت فى الـ نزع الأخير، ورهن موت قاهر
فوقفت أرقب والصحيفة فى يدي فتك المنيـة بالملاك الطاهر
الرقم يوحى لى التبسم للمنى والداء يوحى لي بدمع زاخر
تلميذتى ما كنت غير غمامة برقت، وإلا لمحة فى الخاطر
الحفلة الكبرى التى سنقيمها لنجاحك اندثرت كأمس الدابر
لبس الممات إليك ثوب مهنئ ودهاك ضنّاً بابتهاج الظافر
هلا تمهل بعد فوزك مدة وأتاك من بعد انفضاض السامر
كم حذروك إذا خرجت كأنما ضمنوا النجاة بقولهم لك حاذرى
يا زهرة ما كاد ينشر طيبها حتى حرمنا من شذاها العاطر
نامى استريحى قد تعبت فلم يعد أحد يقول لك اسهرى أو ذاكرى

محمد برهام



هنأ وهناء

استقريت ما كتب فى « الرسالة » فى تحقيق هذه الكلمة فرأيت الأستاذ الجليل وحيد يعزو كلمة (هناء) بالمد إلى الصحاح للجوهرى ، وقد رجعت إلى نسخة مخطوطة من الصحاح عند صديقنا الأستاذ أحمد عبيد (صاحب المكتبة العربية فى دمشق) لا نظير لها فيما أعلم ، وهى مكتوبة سنة ٨٥٠ هـ كتبها محمد ابن يوسف الصلتى ومضبوطة بالشكل الكامل ، ومنقولة من نسخة بخط ياقوت الموصلى (أنظر ابن خلكان ومقدمة الهورينى للصحاح) وفى آخرها ما نصه (بلغ العرض بنسخة نقلت من نسخة على بن عبد الرحيم بن الحسن السلمى الرقى المعروف بابن العصاد (أنظر ترجمته فى بغية الوعاة) وذكر أنه عارض بها عدة نسخ منقولة من خط أبى سهل الهروى النحوى (أنظر البغية) الذى نقله من خط المصنف وذكر أن عليها ما هذه صورته : عارضت هذا الجزء والذى قبله من كتاب الصحاح بالأصل المنقول عنه الذى بخط أبى سهل الهروى الذي نقله من خط المصنف واجتهدت فى تصحيحه واستدركت ما وقع فيه من السهو والتحريف عما عليه أكثر أهل اللغة. وكتب يحيى بن على الخطيب التبريزى (قال ياقوت) وهذه النسخة المعارض بها هذه النسخة فيها أيضاً شكوك كثيرة وكلام كأنه غُيّر عن باقى النسخ وقد ذكرت أكثر ذلك فى حواشى هذه النسخة الخ ...

والذى وجدته فى هذه النسخة (هَنْأً وهِنْأً) بالفتح والكسر فى غير مدّ ، ومن ذلك يظهر أن الذى فى النسخة المطبوعة تطبيع فليصحح .

على الطنطاوى

غبر لا عبر

تتبعت ما كتبه الأستاذ الكبير (ا . ع) من أبحاث لغوية قيمة حول كلمات شائعات على أقلام كتاب هذا العصر ومنهن كلمة (عَبْر) ، وتتبعت كذلك احتجاج الأستاذ رضوان لهذه الكلمة واستشهاده ببيت سواد بن قارب

فشمرتُ عن ذيلى الإزار وأرقلت
بى الدعلب الوجناء (عَبْر) السباسب

ثم ما نشأ أخيراً من مُحاجّات حول إعرابها ، ولا يسع المتتبعَ لهذا البحث إلا أن ينكر هذه الصناعة النحوية التى تأباها طبيعة هذه الكلمة ؛ وإلا أن يبحث عن رواية أخرى تساوق ذوق اللغة العربية . وأقول إنى عثرتُ على هذه الرواية فى بعض المراجع ؛ ففى تفسير ابن كثير فى الجزء السابع ص٤٨٦ رُوى هذا البيت لسواد بن قارب فى قصيدة جاءت نهاية لقصة تتعلق بإسلامه ، ونحن لا يعنينا صحة هذه القصة وإنما تعنينا صحة هذا اللفظ الذى ورد فى البيت هكذا :

فشمّرتُ عن ساق الإزار ، ووسّطتْ
بى الدّعلبُ الوجناء (غُبْر) السباسب

ولا أستبعدُ أن تكون رواية (عَبْر) مُصحّفة عن هذه الرواية (غبْر) وقد قال صاحب لسان العرب فى مادة (غبَر) بعد كلام كثير فى تأويل حديث أبى هريرة « بينا رجلٌ فى مفازة غَبراء » إن الغبراء هنا هى الأرض التى لا يهتدى للخروج منها ؛ ولا شك أن (غُبر) جمع غبراء

وإذا كانت القصة التى وردت فيها القصيدة قد وضعت سواد ابن قارب هذا فى الهند وكلفته أن يُسرع إلى مكة ، أدركنا أى سباسب غُبْر أوجبت عليه اجتيازها

وبعد فأرجو أن تكون هذه الرواية قد حلت ما بين الأستاذين من ألغاز النحو وأحاجيه

« دار العلوم » محى الدين صابر محمد

التشريع المحكم والدستور الخالد

كنت كلما طالعتنا الرسالة الزهراء بشمائل وعادات المصريين المحدثين « فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » أميل روحاً وحساً ومعنى لأعرف من عادات قومى ما أرّخه مستشرق أجنبى ونقله إلى أصحابه أستاذ مصرى ...

ولكنى عند ما أدركت الفصل الرابع – فى الحكومة [1] – وقرأت طرفاً منه شعرت أنى انتقلت من واد غير ذى زرع إلى رياض ذوات أفنان متمشياً مع المؤلف (أو المترجم) بقلب صادق

(١) « الرسالة » عدد ٤٣٦ ص ١٣٨٥

وحس مرهف كأن فيه ضالة منشودة . حتى إذا ما فرغت سرحت بأماني وآمالي ...

إنه قرن مضى ... كان فيه مجلس العلماء يثير الرهبة والاحترام في نفوس الحكام الترك والماليك ويحد من طغيانهم ثم فقدت — الآن — هذه الهيئة نفوذها على الحكام إلا قليلاً

هذا ـ وايم الله يا أقطاب الأزهر المعمور ـ كلام المستشرق « أدوارد وليم لين » وليس كلامي ولا كلام أي مصري واسألوا في ذلك الأستاذ عدلي طاهر نور ...

وايم الحق إنه ليقطع أنياط القلوب أن نفرح بمادة الدستور التي تنص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ثم ننفى عن تنفيذ شرائعه وأحكامه حتى فقدت هيئتنا العلمية كلها المستمدة من نور الله ووحي الرسول (ص) إلا ما تقوم به من وعظ

إن مدنيتنا ليست في غير الرجوع إلى الوراء . فهل آن لنا أن نستبدل الوضعية بالسماوية، والغرض الأسفل بالطموح الأعلى، وعرض الدنيا بباقي الآخرة حتى تكون لنا سابق رهبتنا

على أني لا ألبث أن أرى سحابة الوهم منقشعة أمام شمس الأمل الضاحية حين أذكر أن في بلادنا مصلحين ومجاهدين يتكلمون ويعملون بقلوب مؤمنة وصدور تشع منها أقباس قدسية تبشر بمستقبل سعيد .

هذا هو الأستاذ الجليل الزيات يسلط ـ حتى على مجلته ـ إشعاعه الروحي الكريم ، فيفرد منها عدداً للهجرة، ثم يقول قالته الكريمة : « ذلك محمد يا زعماء اليوم وهؤلاء أنتم ، فهل تحسون بينكم وبينه صلة ، أو تجدون بين سياستكم وسياسته مشابهة؟» [1]

وهذا هو الإيمان يتفجر من قلب كبير ، فينطلق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر — وهو علم الدين المرفوع في أيامنا هذي — ويقرر أمام مولانا الملك المفدى ووزرائه أن القرآن تشريع محكم ودستور خالد ، وأنه لا سعادة بدونه [2] .

غير ما له من مأثور القول وسديد الجهاد، كلأه الله بالنصر القريب!

وهذه هي (الرسالة) الزهراء تقول بلسان أحد كتابها الأفاضل : « فلنتبع المنهج الذي ألف به الإسلام بين المسلمين ، ولنطبق سياسته الحكيمة الرشيدة من جديد ، فسترون المعجزة تتجدد ، والرجاء يتحقق ، والحياة تبسم لنا ، والمجد يصافحنا ، بعد عبوسها وجفائه » [1]

وهذه هي (رابطة الإصلاح الاجتماعي) برياسة الدكتور هيكل باشا تقر في أول قراراتها أن « القرآن » تشريع سمح العالمين ... الخ ، ثم تطالب بالعمل به

وفي إمامنا الأكبر والمعبرين عن شعورنا باكورة جهاد يتوالى بعدها الثمر داني القطوف ، فنسعد حكومة وشعباً ...

ولي إلى هذا الموضوع عودة ، إن تفضلت (الرسالة) الغراء فسمحت ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« المحلة الكبرى » حلمي ابراهيم النبوي

في ميزان الشعر

يقول الدكتور إبراهيم ناجي في قصيدته (بين الشاعر والريح) في عدد مضى من الرسالة :

هي في الغيب لقلبي خُلقتْ أشرقت من قبل أن تشرق شمسي
فلي تذكارها أطبقتُ عيني وعلى موعدها وسّدت رأسي

وفي البيت الثاني خطأ عروضي خشيت أن يكرره الشاعر في قصائد أخر ، فيكدر ذلك من صفاء شعره . إذ البيت من بحر « الرمل » وعروض هذا البحر لا تكون إلا :

١ — محذوفة وأضربها ثلاثة : محذوف ، صحيح ، مقصور

٢ — مجزوءة صحيحة وأضربها ثلاثة أيضاً : مجزوء ، صحيح ، مجزوء مسبّغ ، مجزوء محذوف . فهذه أوزان ستة للرمل ... وظاهر أن البيت من الوزن الثاني — محذوف العروض صحيح الضرب — ولكن الشاعر صحح العروض هنا (.. بقتُ عيني : فاعلاتن) لأن الواجب أن يحذفها فتكون (فاعلاً أو فاعلنْ) لأن تصحيح العروض لا يجوز في هذا البحر إلا حيث يقع « التصريع » ؛ وذلك إنما يكون في أول القصيدة .

أرجو أن تتفضلو بالإشارة إلى هذا ، ولكم مني جزيل الشكر .

(جرجا) محمود عزت عرفة

(١) عدد الهجرة الأخير ص ٣٦٢

(٢) من إذاعاته الوعظية « بالمذياع » في رمضان المنصرم

(١) عدد الهجرة الأخير ص ٤٢٩

الى الأستاذ على عبد الله

إنى معجب بكل ما كتبته حول مشكلة التعليم الإلزامى ، وبدفاعك عنه دفاع الجندى فى ساحة القتال

أستاذى . أعرض عليك رأياً فى التعليم الإلزامى خامرنى من مدة طويلة راجياً تمحيصه على صفحات مجلة الرسالة الغراء

أجمعت وزارة المعارف على أن نظام نصف اليوم من أسباب فشل التعليم الإلزامى وتبعها فى ذلك كثير من الكتاب . وعندى اقتراح يكفل تحويل جميع المدارس إلى نظام اليوم الكامل بدون زيادة فى الميزانية :

أولاً — يكون التعليم إلزامياً للبنين والبنات فى جميع مدارس المحافظات وعواصم المديريات وبنادر المراكز

ثانياً — يكون التعليم إلزامياً للبنين فقط فى جميع مدارس القرى . والفصول والمدرسون الموجودون فى كل مدرسة كافون لتعليم البنين يوماً كاملاً

ثالثاً — تقوم مجالس المديريات بترتيب القرى الواقعة فى اختصاصها ترتيباً تنازلياً على حسب أهمية كل قرية من حيث عدد سكانها وقابلية أهلها فى التعليم . وكلما وجد المال اللازم يبدأ بتنفيذ الإلزام على البنات وفق الترتيب المتقدم

ومنى لأستاذى كل تحية واحترام

سليم الجبيرى

مدرس إلزامى

تصويب

جاء فى مقالى (عدد ٤٣٨ من الرسالة) ما يأتى :

فى ص ١٤٣٢ : Acrooss ، والصواب : Across

وفيها : كما فرغت مصانعنا ، والصواب : كلما فرغت مصانعنا

وفى ص ١٤٣٣ [فى الهامش] : من المصادر المعروفة ، والصواب : من المصادر المعرفة

وفيها : فى المصدر قد يقع فى موضع اسم الفاعل ، والصواب : فى أن المصدر ... الخ

(ا . ع)



الصاحب والآلهة

لتشارلس جارفس

بقلم الأديب كمال رستم

وقف جاك كارلتون فى ناحية من « الهملايا » يرقب رجاله وهم يقومون بتغطية السفح بالأكواخ الخشبية ، فما عتم أن أحس بشعور الرضى تزخر به نفسه

نزح جاك إلى تلك الأصقاع وفى رأسه مشروع كبير هو قطع الأدواح الباسقة القائمة فى تلك الأجمة المترامية الأطراف وسط تلال الهملايا ، وتصدير الآلاف منها إلى الخط الحديدى الممتد على ثلاثة آلاف قدم من السهول الجنوبية

وعلى مسافة قصيرة أسفل التل وقف رئيس عماله « رينجت سينج » وعيناه أبداً شاخصتان إلى سيده ، وذراعه دوماً على أهبة الاستعداد لأن ترفع فى أى وقت إشارة لآلاف الرجال الذين لا تكاد عيونهم تقع على شىء غيره ، وكان لهذا الرجل تأثير غريب على أهل هذه البقعة بلا استثناء !

وهو وإن بدت عليه آثار السن العالية كان رائيه يستملى فيه وداعة الطفل ، ويستجلى منه قوة خارقة للمألوف ؛ فيه شجاعة مدمرة لا تعرف الونى أو الفتور ، ثم هو بعد أملس البشرة عدا شارب أبيض يحكى الجليد . وكان وقتذاك يرتدى ثياباً وطنية من صوف الماعز ، وينتعل خفين من الشعر . ورنجت سينج هذا تجرى فى عروقه قطرات من الدم الملكى ، فهو سليل جنس « الراجا » العريق فى القدم الذى ينحدر رأساً من سلالات آلهة عاشوا على مدى الأجيال وسط صقيع « جانجوتريا » أرومة « الجانجوتريين » العظام ، وكان طبعه وجلة مشاعره ، تغلب عليها الروح الأوربية ، وإن كان من العسير إن لم يكن من المستحيل على الفهم قبول ذلك . أما روحه فكانت تفيض بشاعرية مرهفة ، وأما قانونه فكان الانتقام ، وهو متأثر فى كل من طبعه وقانونه بهؤلاء الرجال الذين نصبوا أنفسهم لنشر عقائد « البوذية » و « الشامانية » ! أما فى روحه فقد كان يجنح إلى الذين وجدوا فى طفولة العالم

وإن قلبه لينبض بحب اثنين فى هذا العالم المعمول : حفيده الطفل « سيكوندار » ، وسيده « الصاحب » كارلتون .

ولعل الجو فى السهول السفلى لم يكن نقياً ، حتى لقد غدا الغلام سقيما مدنفاً ، فأذن كارلتون لجده أن يصعد به إلى التلال ... وكان « سيكوندار » جميلاً فاتن الجمال ، ذا عينين نجلاوين تحكيان عينى غزال ؛ وهو وإن فاض عليه الجمال الهندى الآسر فقد التمع فى عينيه كذلك بريق الحدة التى لا تقف بصاحبها الهندى عند حد ... وتعلق الطفل بكارلتون ، فغدا لا يفارقه أينما ذهب . وكان جاك قد أعطاه دواء أفاده فائدة ملموسة ، فعاده جماله العازب وصحته الذى زايله حيناً . . . وكان كارلتون يجلس إليه ويصغى إلى أحلامه وأوهامه وأقاصيصه عن مواطنيه القدماء وخرافاته عن الأحراج والأدغال . . . هذا وكارلتون لا يفتأ يفكر فى فتاته « إيثيل » ... ولم يجحد رانجت الجميل الذى أسداه إليه « الصاحب » فأحبه وقدره ...

وفى هذه اللحظة التى بدا فيها حظ كارلتون معلقاً فى كف القدر ، كانت عينا سيكوندار اللامعتان مثبتتين فى كارلتون . . . وقد التمع فيهما بريق القلق ... هذا وكارلتون منتصب القامة ، مستيقظ الحواس ... !

وأخيراً ، أصدر أمره ، فهوت دوحة وانحدرت إلى أسفل المنحدر ... ومن ثم إلى البحيرة على مسافة ثلاثة آلاف قدم ... وتبعتها ثانية ثم ثالثة . . . وأخذت الأمور تجرى مجرى حسناً ، فلمع بريق الرضا فى عينيه ، ولكن لفظ (الرضى) لا يؤدى مفهوم السعادة . . . كان « جاك » قد تأله فى قلبه حب « إيثيل رين » وهى ابنة « ماجور » قتل فى غارة من تلك الغارات التى يشنها رجال العصابات من حين لآخر ... وكانت « إيثيل » فى زيارة بعض أقربائها حين رآها « جاك » لأول مرة ، فاستشعر فى قلبه حباً لها . . . ولكن ، من هو ؟ ... ضابط غابة لا أكثر ولا أقل ! . . . وإن حبه الصادق ليتخطى تلك الاعتبارات ... ما لم تكن إجازته قد ألغيت فجأة ، واضطر إلى الرحيل قبل أن يكشف لفتاته عن ذات قلبه ...

وبعد شهر من رحيله تواترت الأخبار تحمل إليه نبأ زواج فتاته من « هيرسن » مقاول أعمال الخطوط الحديدية الشهير ،

وهو عصامى جمع من عمله ثروة طائلة ، فأصبح بعد قادراً على أن يفرض حبه وقتما وحيثما شاء

ولم تكن « إيثيـل » على علاقة طيبة بذويها ، ولعلهم أرغموها على قبول هذه الزيجة ...

* * *

عاد « جاك » إلى كوخه وخلع ثيابه ، ثم أشعل غليونه وراح يفكر فى فتاته ... وهو وإن كان قد أقسم ألا يفكر فيها ، فقد تداعت أفكاره بالرغم عنه ، وتراءت له « إيثيل » فى تلك الآونة فى جمالها الآسر ، وشعرها الأسود ، وأهدابها الوُطُف ، وشفتيها الصارختين . . . تراءت له كما رآها آخر مرة حين قال لها : « إلى اللقاء » . وأفاق من تأملاته على صوت « سيكوندار » يقول : ضيوف يا « صاحب » ! ...

فنهض من فراشه واتجه إلى باب الخيمة ، فأبصر جماعة صغيرة تتخذ طريقها إلى التـل ، واستطاع أن يتبين من بين أفرادها رجلاً وامرأة من البيض

— أعدَّ الشاى يا سيكوندار ... قال ذلك وأسرع للقائها فقابلها عند منعطف الممر ، فما عتم أن أخذ وأسقط فى يده !

لم تكن المرأة غير « إيثيل رين » ، كلا ، بل « إيثيل هيرسن » لأن هذا الرجل القصير البدين ذا العينين المكرتين والشفتين الغليظتين لا بد أن يكون زوجها . . . وامتقع وجه « إيثيل » وتقلصت شفتاها ، وأخذ كل منهما يحدق فى وجه صاحبه إلى أن بددت « إيثيل » ذلك الصمت الذى هوَّم على المكان بقولها :

— أهذا السيد « كارلتون » . إذن فأنت ضابط النيابة هنا ؟

فأجابها بهدوء :

— نعم ...

قالت :

— هذا زوجى ألحَّ عليه المرض وأضناه ، جاء إلى هنا يلتمس الشفاء بين التلال ...

قال « هيرسن » :

— لا أظن أن الجو هنا أشد برودة من جو الوادى . أيبعد معسكرك كثيراً من هنا ؟ فأجابه جاك محاولاً أن يظهر سروره لرؤيته :

— كلا . لا يبعد كثيراً ، ويُعد من تحصيل الحاصل أن أذكر لكما أنى مضيفكما على الرحب والسعة ، وأننا لن ندخر وسعاً لأن نجعل زورتكما لطيفة بهيجة . والجو هنا صحو عليل آمل أن يفيد السيد ، وكذا آمل أن يفيد السيدة ، وأضاف الجملة الأخيرة إذ استملى من بشرتها لمحة عابرة فإذا بها قد زايلتها حمرتها واستولت عليها بدلاً منها صفرة واهنة . وتبدت له جميلة يروعها الحزن فتفتن

* * *

أضافهما جاك فى خيمته وقدم الشاى لإيثيل . أما هيرسن فقد تجرع سائلاً من زجاجة كانت معه . وقام جاك بدور المضيف على أحسن وجه ، ووقف بنفسه على حقيقة مرض السيد هيرسن ، فهو وإن لم يكن قد رأى الرجل قبل الآن فقد تواترت إليه الروايات الكثيرة عنه . وجاك خبير بقراءة الوجوه ودلالاتها ؛ فالخطوط السود التى يقتم بها ما حول المآق ، والصوت الأجش الجاف ، والنظرات المتكسرة الحزينة ، إذا لم يكن كل أولئك من صنع الخمر ، فقد يكون مظهر السيد هيرسن قد غبنه غبناً صارخاً

وفى اليوم التالى أمر جاك بإعداد « خيمة » ليقيم فيها ضيفاه وخدمهما ؛ ولـكن هيرسن طلب أن تضرب الخيمة فى وسط أجمة كان فى نهايتها معبد ، فهى بذلك فى نظر الأهلين أجمة مقدسة . فاضطر جاك أن يرفض الطلب ، وعرض عليه أن يضرب خيمته فى مكان آخر ؛ ولـكن هيرسن أصر على مكان يقع مباشرة تحت الأدواح الظليلة حتى يتفيأ ظلالها . وبذلك يكون قد شاء أحد مكانين . يقع أحدهما فى خياله ، ويقع الثانى فى الأجمة المقدسة . وأخيراً رأى جاك فضاً للنزاع أن تضرب الخيمة بجانب لفيف من الأشجار

وغفا جاك فى هذه الليلة إغفاءة بسيطة كالليلة السابقة وعمل جاهداً على مقاومة حبه القديم لعقيلة هيرسن ، حتى خيل إليه أنه نجح فى ذلك . وقابلها وحدها فى الصباح ، وسألها عن هيرسن فأخبرته بأنه مريض ، وعزت مرضه إلى وعثاء السفر ، ولـكن جاك لم يكن فى حاجة إلى معرفة مرض زوجها بعد إذ رأى بعينى رأسه بالأمس صناديق « الويسكى » يحملها العبيد إلى خيمة هيرسن .

لم يدخر جاك وسعاً فى إسعاد ضيفيه ، فكان يصحبهما إلى النزهات الجميلة . على أن هيرسن لم يكن يجد لذة فى مثل هذه الجولات ، وكانت زجاجة الويسكى هى الشىء الوحيد الذى يبعث الضوء إلى عينيه الذابلتين ، أما إيثيل فإنها لم تمل مطلقاً مشاهدة انحدار التل السريع إلى البحيرة الراقدة عند قدميه ، ولم تضجر

من محادثة الرجال ، وسماع صوت الأشجار تهوى من شاهق ، وأصوات العبيد تسرى من فوق التلال يرجع الفضاء دويها ، ثم تأخذ فى الضعف رويداً رويداً حتى تصلها رفيقة خافتة .

وأخذت الطبيعة تحسر لها فى كل يوم عن أسرار جديدة فى الآجام وفوق التلال ، وفى البحيرة السريعة الجريان . وكان جاك يصحبها فى أكثر هذه النزهات ، ويسير معها جنباً إلى جنب ، إلا أن أحدهما لم يكن يذكر الماضى بكلمة واحدة . فكان جاك يحدثها عن مشاهداته فى الهملايا ، وكانت هى بدورها ترثى لحال زوجها وتأوى عليه . ولقد اعتادا أن يجلسا على أحد التلال الرئيسية يجرى من تحتها الأنهار الجليدية على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم . وكانت قمة التل باردة شديدة البرودة ، بينا كان النهر الذى يجرى فى أسفل حاراً شديد الحرارة ! على أن الحرارة فى وسط المنحدر كانت معتدلة ! وكانت سهول الهند وكل مدنيات أوربا تبعد عن هنا كثيراً ، فأقرب محطة إلى هذا المكان تقع على بعد مائتين وخمسين ميلاً ، منها مائة ميل فى مسالك جبلية وعرة ، تكاد لا تسمح لحيوان أن يسير على طول حافة هاوية ... وكان كارلتون الحاكم المطلق على هذه الغابات جمعاء . وكان عمله ينحصر فى قطع أشجار « الهردار » ولم يكن يعكر عليه صفو حياته إلا صورة إيثيل تتراءى له بين الفينة والفينة ؛ ولكن ها هى ذى إيثيل إلى جانبه ، وهما ينصتان معاً إلى طائر « الكورلا » الأخضر يرجع تلك الكلمة الحبيبة : « أحبك » وهى الكلمة التى لم يفه بها لفتاته ، والتى لا يستطيع الآن أن يفوه بها !

وكان سكوندار الطفل يصحبهما دائماً فى نزهاتهما ، وقد أحب إيثيل حباً جماً وأحبته هى أيضاً ، فكانت تسمح له بأن يجلس عند قدميها عند ما تكون راقدة فى فراشها ، وتنصت إلى أقاصيصه التى لا تكاد تنتهى عن شجاعة الصاحب كارلتون ! ... أما هيرسن فكان يبغض الطفل بغضاً شديداً

* * *

وفى ذات يوم صحب جاك إيثيل وزوجها ليريهما قرية مهجورة حلت عليها لعنة الآلهة ، لأن رئيس قبيلتها جرؤ على قطع شجرة من أشجار الهردار المقدسة ... وكان الموت عقاب هذه الجريمة ؛ فمات رئيس القرية وفر الأهلون تاركين وراءهم القرية قاعاً صفصفاً ! ... وما إن سمع هيرسن هذا القول حتى أغرب فى الضحك ثم قال :

— حقاً إن هؤلاء العبيد لتملأ الخرافات رؤوسهم ، وإنى لأريد أن أنزع عنهم بعضها ... وكان غلاً يلمع فى عينيه الذابلتين بريق الدهاء والمكر

ومرت الأيام فى أمن وسلام ، حتى كان ذلك اليوم المشؤوم الذى مر فيه جاك هو ورنجت سينج بخيمة هيرسن ، فإذا بصيحة يتمثل فيها الرعب والضراعة تطرق آذانهما . وما لبث بعدها أن اندفع سيكوندار من الخيمة يتبعه هيرسن ثائراً صاخباً ممسكاً بهراوته . وكاد الطفل يفر من الرجل الثمل لولا أن اشتبكت سترته بصندوق فارغ من الويسكى ، فلحق به هيرسن وضربه ضربة قوية جرى بعدها الطفل وهو يتلوى من الألم

فصاح جاك غاضباً : ما هذه القسوة يا هيرسن ؟

وخرجت إيثيل فى هذه الآونة واجفة القلب واكفة الدمع ، وقادت هيرسن إلى داخل الكوخ فى صمت وسكون

هذا ، ورنجت سينج ساكن هادئ لا تنفرج شفتاه على كلمة ، وإنما تآلفت قسماته على الإفصاح عما استسر فى نفسه ، وكاد الغضب يتطاير من عينيه ناراً ... واعتذر جاك عن هيرسن ، ولكن رنجت سينج ظل على صمته ، ومضى تاركاً سيكوندار لجاك ...

وفى الأصيل قابل جاك إيثيل وسارا معاً فى الأجمة المؤدية إلى معبد الهردار فى ذلك المكان المقدس . فقالت له بصوت هدّجه الألم :

— لقد كنا عبئاً ثقيلاً عليك إلى وقت طويل يا جاك ... إنما يجب ألا نقضى ليلة واحدة بعد هذه ... ثم يجب أن نرحل

ولكن جاك رجاها أن تمكث أسبوعاً ، فقبلت بعد إلحاح ...

وما لبث أن أقبل هيرسن عليها وقد عاد إليه شعوره وقال :

— آسف ، فقد كنت فاقداً لصوابى يا كارلتون ...

وحانت منه التفاتة إلى الأجمة فقال :

— إنى لتعتلج فى نفسى رغبة ملحة فى أن أقطع بعض هذه الأشجار !

قال جاك :

— إقطع ما شئت من شجيرات التل ، ولكن لا تمس أشجار هذه الأجمة بسوء

فتساءل هيرسن بحزن :

— ولم لا تكون واحدة من هذه ؟

فأجابه جاك قائلاً :

— لأن أشجار هذه الأجمة مقدسة يا هيرسن . أنسيت سريعاً قصة القرية المهجورة ؟ ...

فأغرب هيرسن فى الضحك وقال :

— إنك خيالى يا كارلتون كهؤلاء العبيد . فما الذى يحدث لو أننى قطعت إحدى هذه الأشجار المقدسة ؟

فأجابه جاك :

— يحدث أولاً أن يغادرنى كل رجل فى هذا المكان ...

قال هيرسن هازئاً :

— وثانياً ؟ ...

أجابه جاك بهدوء :

— وثانياً هم يعتقدون أن الرجل الذى يجرؤ على مس إحدى هذه الأشجار المقدسة تحل عليه لعنة الآلهة وتنقضى حياته بانقضاء حياة الشجرة

فجرت على شفتيه بسمة ماكرة ثم قال :

— الحق أنى أبغض أجمتكم العابسة هذه ، وتركهما ومضى

***

كان جاك يتناول عشاءه حين طرق سمعه أصوات لا يمكن أن يخطئ فى معرفتها ... أصوات صاخبة ثائرة تنذر بشر مستطير آتية من الغابة . فنهض جاك واقفاً وأسرع إلى الخارج ؛ فما عتم أن رأى الشعب الهائج الثائر فى طريقه إلى الأجمة فتبعه ، فإذا الأجمة وقد زخرت بالجموع الحاشدة التى راحت تتفرق جماعات هنا وهناك . وفى إحدى هذه الجماعات أخذ القوم يضربون على صدورهم ، ويذرون الرمل فوق رؤوسهم بينما تعالت أصواتهم إلى عنان السماء مهددة منذرة

شق جاك طريقه وسط هذا الجمع الحاشد الذى أخذ يحدق فى شىء مسجى على الأرض ، وما لبث أن انجلى الموقف بوضوح ! هناك على الأرض كانت ترقد شجرة من أشجار الدردار المقدسة هوت بها يد ملعونة ، وإلى جانبها جلس رينجت سينج يكاد يتميز من الغضب . وللمرة الأولى لم يحى « رينجت سينج » الصاحب . فربت جاك على كتفه قائلاً : مر هؤلاء الرجال أن يعودوا من حيث أتوا يا رينجت سينج . فنهض الرجل واقفاً ، وحيا كارلتون ثم رفع عقيرته آمراً القوم أن ينصرفوا ... وغادر الرجال الأجمة ورؤوسهم مطرقة إلى الأرض ، وأيديهم لا تفتأ تضرب صدورهم ! حتى غابت أصواتهم فى الفضاء

***

عاد جاك إلى خيمته ، وأخذ يقلب الأمر على جميع وجوهه . وأخيراً اقتنع بوجوب رحيل هيرسن فى الحال ، لأن كل ساعة يمكثها يعرض نفسه فيها لخطر ماحق ... وتهالك على فراشه ، ولكن الكرى نفر عنه فظل أرقاً مسهداً ، وإنه لكذلك إذا بصوت من الخارج يقول : يا صاحب ! يا صاحب !

فنهض من فراشه ، ورأى أمامه إيثل وسيكوندار

— أتريدنى؟ قالت إيثيل ذلك ، وقد امتقع وجهها وتقلصت شفتاها ، والتمع فى عينيها بريق هو مزيج من الحزن والرعب .

— كلا ... ولكن سيكوندار أشار إليه محذراً فاستدرك قائلاً :

— كلا لم أبعث فى طلبك . قال سيكوندار :

— لقد غدا الصاحب مجنوناً ، وأمسك بفأس يهدد بها من يقف فى طريقه . قال جاك :

— أدخلا وسأذهب بنفسى لأراه

فتعلقت إيثيل بذراعه قائلة :

— كن حذراً يا جاك ، فإنه كما وصف الطفل . فقال :

— خلى عنك مخاوفك

ومضى فى طريقه صوب خيمة هيرسن ، وما كاد يقترب منها حتى طرق سمعه صوت رهيب ، كما لو كان ثقل هائل قد هوى من شاهق ، وما نشب أن رأى مجموعة الأدواح التى كانت تظال الخيمة تهوى بأجمها عليها فتدكها دكاً . وصاح جاك مستنجداً ، فخف إليه جمع حاشد يتقدمه رينجت سينج وقدجرت على شفتيه بسمة الفوز والغلب . فصاح فيهم جاك :

— أسرعوا ، وانظروا ما إذا كان الرجل هناك . وقد كان هناك ، ولكنه لم يعد له ثمة مظهر من مظاهر الناس فقد سحقته مجموعة الأشجار سحقاً . ورفع رينجت سينج يديه إلى السماء وقال:

— الصاحب والآلهة ! وأسرع جاك إلى مجموعة الأشجار ولكنه لم يجد أملاً فى إنقاذ الرجل . أما كيف وقع هذا الحادث ، فهذا ما ظل جاك يتساءل عنه إلى أن كل لسانه السؤال ، فلم يكن ثمة إلا جواب واحد ... « الصاحب والآلهة ! »

(المنصورة) كمال رستم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 440

Lundi - 8 - 12 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

العـــدد ٤٤٠ «القاهرة في يوم الإثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١» السنة التاسعة

الفهـــرس

صفحة
١٤٧٣ بعض الكلام في «مي» : أحمد حسن الزيات ... ...
١٤٧٥ في معرض الآراء الحديثة : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٤٨٠ كيف يكتب التاريخ ... : الدكتور حسن عثمان ... ...
١٤٨٣ آمال ... ... : الأستاذ محمد محمد المدني ... ...
١٤٨٦ ظاهرات نفسية في مسرحيات محمود تيمور ... ... : الأستاذ زكي طليمات ... ...
١٤٨٩ الحرب والطبيعة البشرية : الأستاذ محمد أديب العامري
١٤٩١ قيمة الحرية ... ... : الصحافي العالمي ويكهام استيد بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة
١٤٩٤ المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم ... ... : المستشرق إدورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلي طاهر نور
١٤٩٧ إلى «مي» ... [قصيدة] : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
١٤٩٨ يوم «مي» ... ... : ... ...
هناء ... ... : الأستاذ الكبير «وحيد»
تيسير الكتابة العربية ... : ... ...
١٤٩٩ المؤتمر التعليمي العربي والأبحاث التمهيدية المدعوة إليه : ... ...
١٤٩٩ أسرة الشعر بكلية الآداب : ... ...
تحقيق تاريخي ... ... : الأديب محمود عساف أبو الشباب
١٥٠٠ رسالة المعلم الالزامي وكيف ينبغي أن تكون ... ... : الأستاذ محمود محمد عبد ...

بعض الكلام في «مي»

بمناسبة الأربعين

وُلدت «ميّ» وعاشت ثم ماتت كما يولد النهر من قَطْر السماء، فتربيه الطبيعة في الينابيع الهادئة الفسيحة؛ ثم تبعثه رسالة الحياة إلى حوضه، فيشق بالجهد والصبر طريقه الموحش في صخور الجبل وقفار الأرض وأصول الغاب؛ ثم يُلقي على شاطئي الوادي ما حُمّل من فضل الله، فيحيا المَوات، وتتجمع الخيرات، وتنشأ الحضارات، وتتألف الملاحم، ويتكلم التاريخ؛ ثم يأخذ النهر مجراه بين الحقول الناضرة والمدن العامرة شادياً بالمال والجمال والحب حتى يذهب في عباب البحر كما تذهب الروح الطيبة في فضاء اللانهاية!

لن تجد «لميّ» في حياتها وموتها أقرب من هذا التشبيه. فقد كانت من خلال ما غشِيَ الشرق من الهمود والظلام قبساً من الحياة من بَصَصه وهيجه وسناه انتعش ما همد منه، واستنار ما أظلم فيه

كانت «ميّ» في حياة القاهرة ظاهرة من الظواهر العجيبة! والعجيب فيها أنها كانت كممدوح المتنبي واحدةً من ناس دنياها وليست منهم: كانت جنساً من الخَلْق الجميل تميز بخصائص الجنسين، فكان فيه أفضل ما في الرجل وخير ما في

المرأة . فن كان يسمعها خطيبة فى محفل ، أو يشهدها محدثة فى منزل ، كان يحسبها ـ وقد استدارت على رأسها الأنيق هالة من السحر والفتنة ـ « قليوبَ » إحدى بنات « جوبتير » التسع ، وإلهات الفنون التسعة ، قد سرقت من أخواتها أسرار فنونهن ثم هبطت من فوق « البرناس » إلى ضفاف النيل

تجدد فى الناس آى المسيح تميت القنوط وتحيي الأمل

ومن يستطيع أن يحسب « مىّ » غير هذا وهى فتاة قد نشأت فى عهد كانت المرأة فيه شيئاً من المتاع ، ترى ولا تعلم ، وتسمع ولا تفهم ؛ ثم تحذق هى الكتابة والخطابة والشعر والفلسفة والتصوير والموسيقى ، وتتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية والإسبانية ، وهى لم تولد فى قصر ، ولم تتخرج فى جامعة ؟!

* * *

أبصرتْ « مارى زيادة » الدنيا أول مرة فى « الناصرة » بلد المسيح ، ومن هنا استوحى أبواها اسمها الأول على ما أظن ؛ ثم أرسلت إلى منبت أسرتها فى قضاء كسروان بلبنان ، فتقضت طفولتها قليلاً فى « عين طورة » ؛ ثم هاجرت إلى مصر مع والديها ، فتفتح صباها الغض على ماء النيل ، وتفتق ذهنها الصافى على نسيم الوادى . وكان والدها إلياس يحترف الصحافة ويصدر (المحروسة) ؛ فكان لها من عمل أبيها ، ومن أصالة الملكة فيها ، حافز سديد التوجيه إلى الأدب . ولكن أدبها على الرغم من نشوئه وبلوغه ونبوغه فى القاهرة لم يتأثر بأدب مصر ، وإنما تأثر فى شكله وموضوعه بأدب لبنان . ذلك لأن الأدب اللبنانى كان وحده فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر مظهر الحياة والجدّة والتنوع فى الأدب العربى الحديث . فبينما كان الأدب المصرى يَصدر عن الأزهر ، والأدب العراقى يصدر عن النجف ، والأدب السورى يجرى على أسلوب هذين الأدبين ، كان الأدب اللبنانى يصدر عن مدارس تتسم بسمة الدين ، ولكنها تعترف بوجود الدنيا ؛ فهى تعلم العلوم الحديثة ، وتلقن اللغات الحية ، وتعتمد فى أدب القلب على الإنجيل ، وفى أدب اللسان على القرآن ؛ فبعثت الكتب الصفراء ، ورتبت المعاجم المشوشة ، ونشرت الكتب المقبورة ، ولقحت الآداب العربية بالآداب الأوربية ، وكان من أثر هذا اللقاح النقد والترجمة والصحافة والتمثيل والقصص ؛

وكان من ثمر هذا اللقاح طلائع هذه النهضة من آل اليازجى والبستانى والشرتونى وزيدان وصروف وشميل والريحانى وجبران ومطران ؛ وكان لا بد لمارى العربيةِ أن تجنى ثمر الثقافة مما غرس الفرنسيسكان والأمريكان والمارون ، وأن تقبس نور العروبة من الضياء والهلال والمقتطف ، وأن تناجى عنادلنا الغَرِدة فى رياض مصر وخمائل لبنان ومنازه الدنيا الجديدة ، وأن يحملها الاعتداد بجنسها ولغتها على أن تقتصر من اسمها الأعجمى على طرفيه ليكون منهما اسمها العربى (مى) . وعلى هذا المنهج بلغت مى غايتها من الأدب والعلم والفن ، فاستفاض ذكرها على الألسنة ، وعظمت مكانتها فى الأفئدة ؛ ووصلت بينها وبين كثير من أولى الفكر والجاه أسباب من الروح ، فكان صالونها فى أيام الثلاثاوات كصالون الولادة بنت المستكفى منتجع الصفوة من أقطاب السياسة وأعيان الأدب ، يعكفون على أصدق مثال للأناقة واللباقة والذوق فى فتاة بارعة الظرف ، تشارك فى كل علم ، وتفيض فى كل حديث ، وتختصر للجليس سعادة العمر كله فى لفتة أو لمحة أو ابتسامة !

لقد كان لمى ولصالون مى فى أدب العصر آثار وسمات : ألهمت صبرى ، وأوحت الرافعى ، وألهبت جبران ؛ ثم أخرجت من سواد المداد صوراً مختلفة الألوان متنوعة الأفنان أضافت إلى ذخائر الفكر الإنسانى ثروة

ثم تقدم العصر وطوت (مىّ) أكثر مراحل الشباب ، فتنكر الدهر وتغير الناس ؛ وورد أبواها متعاقبين حياض المنون فاستكانت للحزن ، وأخلدت إلى الوحدة ، فانفض السامر الأنيس ، وانطفأ السراج اللامع ، وانحدرت (مىّ) فى طريق الوحشة والمرض والنسيان إلى نهايتها الأليمة !

* * *

أما بعد فقد قال بشار لبعض جلسائه ذات يوم : ما سمعت شعر امرأة قط إلا أحسست فيه الضعف ! فقيل له : أو كذلك الخنساء ؟ فقال فى لهجة الفطِن المحترس : تلك فوق الرجال !

ونحن نقول فى مى ما قال بشار فى الخنساء ، ونزيد عليه أن مى هى الأديبة الكاملة فى تاريخ الأدب العربى كله ! أما إجمال هذا التفصيل فله مناسبة أخرى .

(المنصورة) احمد حسن الزيات

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

معرض الآراء الحديثة

للدكتور زكي مبارك

كلمة المترجم — كيف يقرأ الطالب هذا الكتاب — تنبؤات سياسية — غاية وطنية — ما هذا الكلام؟ — وما هذا أيضاً؟ — التماسك في الأخلاق البريطانية — الغيرة على الريف — فكرة فلسفية — وثبة جديدة موضوعات الدرس — اختبار جديد

« معرض الآراء الحديثة » كتاب ألفه لويس دكنسن، وترجمه محمد رفعت. ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهو يقع في ١١٥ صفحة بالقطع المتوسط، وثمنه ستة قروش

كلمة المترجم

لم يبذل المترجم جهداً في التعريف بالكتاب، ولعله أساء إلى المؤلف بالكلمة التي نص فيها على أن في الكتاب بعض المغالطات وبعض الخطأ في الآراء، فأنا أرجح أن المؤلف قصد تلك المغالطات وتلك الأخطاء، ليبين ما قد يقع في المجتمعات السياسية والأدبية من الانحراف، أو ليتخذ منها وسيلة للنقاش والجدال.

فعلى الطلبة أن يراعوا هذه الناحية وهم يدرسون الكتاب

وحدثنا المترجم أنه حذف عبارات لا يستسيغها الذوق العربي وليته لم يفعل؛ فإن الغرض من نقل المؤلفات الأوربية إلى اللغة العربية يشمل التعريف بما بيننا وبين الأوربيين من اختلاف الأذواق.

وأراح المترجم نفسه من ترجمة العبارات التي وُشّيت بالتشبيهات والإشارات إلى الأساطير اليونانية في خطبة « فيفيان » لأنه « وجد أن كل عبارة من عباراته تستلزم شرحاً وتعليقاً طويلاً » وبهذا الكسل أضاع فرصة من فرص الترجمة، وهي إعطاء القارئ العربي فكرة عن اتصال التعابير الإنجليزية بالأخيلة اليونانية في بعض الشؤون

فأرجو أن يلتفت المترجم إلى هذه الملاحظات في الطبعة الثانية

كيف يقرأ الطلبة هذا الكتاب

أراد المؤلف أن يصور الاتجاهات السياسية والاجتماعية والأدبية في بلاد الإنجليز، بأسلوب يشبه بعض الشبه أسلوب أفلاطون؛ فأنطق ثلاثة عشر خطيباً بأقوال تلخص ما كان يعتلج في ضمير المجتمع البريطاني عند تأليف الكتاب، وبهذا صح له أن يسميه « معرض الآراء الحديثة » وهي آراء جماعة بعضهم من المحافظين، وبعضهم من الأحرار، وبعضهم من الاشتراكيين، وبعضهم من الفوضويين وفيهم الأستاذ والصحفي والشاعر والأديب ورجل الأعمال

والمؤلف يصور هـذه الجماعة وقد اجتمعت في داره بالريف في ليلة من ليالي يونيه، وقد حملها القيظ على أن تسمر فوق السطح كما يصنع الناس في بغداد، وفي تلك السهرة تحدثت الجماعة بلا تحفظ ولا احتراس، فقال كل خطيب ما قال وهو في أمان، بدون أن يخطر في البال أن كلامه سيدون في كتاب خاص

ويمعن المؤلف في توكيد هذا الخيال الطريف؛ فيشرح كيف كانت الأحوال النفسية لأولئك الخطباء، وكيف كانوا يتبرمون بالجدل من حين إلى حين، كأن يقول على لسان أحد المجادلين:

« لقد خلت الحلبة واختفت المقاعد الصامتة في جوف الليل وبدت في ضوء القمر الضعيف أشباح روحانية ترفرف على مشاهد خلافاتنا العارضة، وهذه الأشباح هي التي تقف من خلفنا وتسدد الضربات التي يلوح أنها تصدر عنا، فإذا ما انقضت آجالنا استنفرت هذه الأشباح خلقاً غيرنا للقتال والنزاع، وإذا سحب النسيان ذيله على أسمائنا أحيطت أسماء غيرها بهالات من المجد الفاني. فعلام إذن نقضي الليل كله حتى مطلع الفجر في كدح وضجيج؟ إن سماء واحدة تظللنا، ونجوماً بعينها تطلع وتغرب علينا، وليست آراء رمتهم إلا زبداً يذهب جفاء، وإن التيار ليجرف الجميع على حد سواء نحو القدر المحتوم، فلنتقابل ولو فترة قصيرة أمام قوته الصامتة الجارفة، ولنمد أيدينا لنتصافح في هذه اللحظة من وراء هذه المنضدة »(١)

فهذه لفتة أديب متوجع من إيغال أهل الفكر والرأي في الخصومة والعِداء، ولهذه اللفتة نظائر لا تخفى على القارئ

(١) ص ٢٣

وهى تشهد بروحانية هذا الأديب[١]

وأرجع فأقول إنه يجب على الطالب أن يذكر أن المؤلف يجسم بعض الآراء عامداً متعمداً ، ليصح له أن يناقشها بعد ذلك بقوة أو بضعف ، ليصور اتجاه الآراء فى بلاده أو ليصور اتجاهه الخاص ، وإن كان السياق يشهد بأنه نزه نفسه عن التحيز لهذا الرأى أو ذاك

تنبؤات سياسية

لم يحدثنا المترجم فى مقدمته الوجيزة عن التاريخ الذى ظهر فيه كتاب « معرض الآراء الحديثة » ولم أجد من الوقت ما يسمح بتحقيق ذلك التاريخ ، فقد كانت النية أن أقرأ الكتاب فى القطار وأن أكتب مقالى عنه بالليل ، حين أصل إلى أحد البلاد ، ولكن رفيقى فى السفر وهو الأستاذ محمد خلف الله شغلنى عنه بحواره الطريف ، فلم يبق إلا أن أقرأ الكتاب وأدوّن ملاحظاتى عليه فى وقت لا يتسع لما ضاق عنه وقت المترجم الفضال ! وهل يطالَب المسافر بما لا يطالب به المقيم ؟

فى الكتاب عبارة تدل على أنه أُلف قبل الحرب الماضية ، لأن المؤلف يشير فى بعض عباراته إلى « عاهل ألمانيا » وهو بالتأكيد رجلٌ غير هتلر ، فهو غليوم الثانى

وهنا يظهر ما فى الكتاب من تنبؤات تصورها العبارة الآتية :

« إنى أرى المستقبل ينذر بالحروب وإشاعات الحروب ، ويُخيل إلىّ أن هذه الأمة بنوع خاص قد أصبحت هدفاً لحسد شعوب أوربا وشرهها وكراهتها وأطماعها ، وما ذلك إلا بسبب ثرائها وقوّتها ونجاحها المنقطع المثيل . أرى هذه الشعوب تتطلع إلى الخارج تبحث عن منافذ لسكانها المتزايدين ، ولكنها تجد أن الجنس البريطانى قد سبقها إلى احتلال كل ركن من أركان المعمورة ، وأن الراية البريطانية تخفق على جميع جهات الأرض ، ولكن أملنا الأكبر فى المستقبل ينبعث من هذا الخطر الرئيسى ، لأن بلاد الإنجليز لم تعد مقصورة على انجلترا نفسها ، بل إنها قد بذرت فى كل قارة من قارات العالم بذوراً حية قوية ترجو أن تتعهدها بالعناية لكى تدب فيها الحياة ، فيصبح كل منها عضواً نافعاً قائماً بواجبه فى جسم هذه الأمبراطورية ، بل إننى لأرى الروح قد أخذت تسرى فى هذه الأعضاء ، وأعتقد أن المستعمرات البريطانية لن ينفرط عقدها فتتساقط عنا تساقط الفاكهة الناضجة عن الشجرة ، ولن تكون ممتلكاتنا غنيمة لغيرنا . وسوف تستيقظ الأمة عاجلاً أو آجلاً لتؤدى رسالتها الأمبراطورية وسوف تخفق معنا قلوب إخواننا الإنجليز من وراء البحار ، ويكون الاتحاد الذى أتنبأ به هو اتحاد الشعوب البريطانية فى جميع أنحاء العالم ، لا اتحاد الإنسانية كلها »[١]

فإن كان هذا الكلام قبل الحرب الماضية فهو عجب ، وإن كان قبل الحرب الحاضرة فهو أعجب ، وهو نفسه الكلام الذى يهتف به الإنجليز فى هذه الأيام ، والذى يستنفرون به أنصارهم فى الشرق والغرب صباح مساء

غاية وطنية

وهذه العبارة تدلنا على أن المؤلف « غاية وطنية » ، فهو يريد تنبيه قومه إلى ما يحيط بهم من أخطار بسبب تحاسد الشعوب الأوربية ، ويحاول أن يخلق لبلاده عصبية فى الأقطار التى تخفق فوقها الراية البريطانية

ومع أن المؤلف لا يجهل أن اصطراع الآراء المتنافرة قد يعرّض بلاده لأخطر المصاعب ، مع هذا لا يفوته أن يعرض تلك الآراء بترفق وتلطف ، وكأن لسان حاله أو مقاله يشهد بأن تلك الآراء ليست إلا نباتات بريطانية جديرة بالعناية والاهتمام ، وإن لم يخلُ بعضها من شذوذ

ما هذا الكلام ؟

المؤلف حريص على ضرب الآراء بعضها ببعض ، ولكنه يتسامح مع الخطيب الذى شرح مزايا الأمة الأمريكية ، فما هذا الكلام ؟ ولأى غرض قريب أو بعيد استباح المؤلف أن يثنى على الأمة الأمريكية بلا اقتصاد ولا اعتدال ؟

لذلك أغراض :

الغرض الأول هو التعريف بحقيقة الأمة الأمريكية فى مذاهبها المعاشية ، وهنا يهتم المؤلف بتقرير ما عليه الأمريكان من احترام الواقع الملموس ، وكأنه يدعو قومه إلى فهم هذا الجانب من الذهنية الأمريكية

(١) أنظر مثلا ما جاء فى ص ٣٨ وما جاء فى ص ١٠٧

(١) ص ٢١

يقول الأمريكان : « دعونا نأكل ونشرب » يقولون ذلك وهم مؤمنون بقولهم إيماناً قوياً صحيحاً ، ولا يزيدون عليه ذلك القول المتبط السقيم « فإننا سنموت غداً » [1]

ومع أن المؤلف ساق هذا الكلام مساق السخرية من الأمريكان فأنا أرجح أن له غاية فى عرضه على مواطنيه ، عساهم يتنبهون إلى تفاهة الاهتمام بالنظريات

الغرض الثانى هو الغض من قيمة المناقشات الدينية ، وهى المناقشات التى بددت قوى الشعوب الأوربية فى أجيال طوال

من رأى المؤلف أن الدين فى أمريكا نبات طفيلى بلا جذور وأن انتسابهم إلى المسيحية ليس إلا وهماً من الأوهام ، برغم ما تشهد الظواهر من تعلقهم بالدين

الغرض الثالث هو حرب البلادة الممثلة فى اجترار الماضى ، فهو ينبه قومه إلى أن حرمان الأمريكان من الماضى الجليل فى الآداب والفنون لم يحل بينهم وبين الظفر بالمكان الأول بين أقوياء الشعوب

الغرض الرابع هو الحط من قدر الثرثرة الاجتماعية ، فالأمريكان لا يفكرون فى غير الابتكار والاختراع ، ليكونوا أقدر الناس على غزو الأسواق بالمنتجات التى تسير التمدن الحديث . وهو اتجاه ظاهر النفع بلا جدال

وما هذا أيضاً ؟

أعطى المؤلف الكلمة لرجل إرلندى فوضوى ليقول على لسانه وهو يعرض أحد الأناشيد : « هو أقوى تحدٍّ وجِّه إلى انجلترا بلادكم ، البليدة الطبع ، العقيمة الخيال ، الضعيفة التصور »

ومع هذا لم يفته أن ينطق ذلك الخطيب بأنه لا يقصد انجلترا بالذات ، وإنما يقصد أوربا وأمريكا والعالم كله ، فما معنى ذلك ؟

معناه أن للمؤلف غاية نبيلة ، هى إيقاظ العبقرية الإنسانية ، وهى لا تو قَظ بغير العنف ، ثم يقرر بلسان ذلك الخطيب « أن ما قام بالسيف لا يُمحَى بغير السيف ، وما أُسِّس على العنف لا يقضى عليه بغير العنف » وينطلق فيقرر مرة ثانية بلسان ذلك الخطيب أن فى العالم فوضويين لم يُلقُوا خطاباً ولم يحملوا سلاحاً ، وهم المحاربون بقوة الروح

« إن فى العالم أشياء بلغت من الشر مبلغاً لا تصلح معه إلا للاحراق ، وإن فيه عقبات قد وصلت إلى درجة من الهول والضخامة لا يغنى معها إلا النسف بالديناميت ، وإن الهدم مقدمة ضرورية للخلق والبناء »

كذلك يقول المؤلف بلسان ذلك الفوضوى الإرلندى ، فهل نراه يتربص بالأمة الإنجليزية ، هل نراه يدعو إلى العنف والعسف ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما هو رجل يصور اشتجار الآراء فى عصره بنزاهة وإخلاص

ولكن ما غرض المؤلف من شتم انجلترا بلسان أحد الإرلنديين ؟

له من ذلك غاية وطنية ، هى وصف انجلترا بسعة الصدر ، وسماحة القلب ، وإلا فكيف استباح أحد أبنائها أن يُنطق رجلاً إرلَنْديّاً بأن النظام البرلمانى فى انجلترا واهى الأساس ؟

« ما أتعس حظ عضو البرلمان حين يضطر لإعطاء صوته فى مسائل لا حصر لها ، ولا يدرى منها أولياتها ، ولكنه يفعل ما يفعل إطاعة لأوامر رؤساء الأحزاب الذين تسيطر عليهم آلة حزبهم العمياء البلهاء ! إن ذلك النظام يجعل من الشعب عبيداً مسخرين للنواب ، ويجعل النواب مسخرين لرؤسائهم ، والرؤساء مسخرين لآلة عمياء مجردة من الضمير ... ... » [1]

والمؤلف لا يثور على النظام البرلمانى فى كل وقت ، وإنما يمنح فرصة الثورة على ذلك النظام لرجل إيرلندى ، وهو يرجو أن يكسب بذلك عطف الإيرلنديين على الإنجليز ، بأسلوب طريف ، هو « تصعيد » ثورتهم المكبوتة على الأمة الإنجليزية

التماسك فى الأخلاق البريطانية

أشرت من قبل إلى أن هذا الكتاب يصور اشتجار الآراء بين جماعة من البريطان ، وأذكر الآن أن ما فيه من صيال ونضال يصور حيوية التماسك فى الأخلاق البريطانية ، وللانجليز « فى بلادهم » أخلاق صحاح ، وكلمة « فى بلادهم » مستعارة من حافظ باشا عفيفى ، والنص عليها واجب ، لأن الإنجليز فى غير بلادهم معرضون للخطأ والانحراف ، ويرجع ذلك إلى أن الإنجليزى بطئ الذهن وإن كان قوى الخلق ، وهو لذلك

---

(١) ص ٦٥

(١) انظر بقية هذا الكلام المزعج فى ص ٣٣

ينتظر إلى أن توجد الحجج التي يحكم بها لك أو عليك ، وبهذا تضيع عليه فرص قد تعود وقد لا تعود

وأقول إن « معرض الآراء الحديثة » ألفه إنجليزي مطمئن فهو يحاور ويجادل تحت ظلال الأشجار في الصيف أو بجانب الموقد في الشتاء

إرجع إلى الصفحات التي تصور ما عاني المؤلف وهو يضرب الآراء بعضها ببعض في تشريح مذاهب الأحرار والمحافظين

إرجع إليه وهو يكاد يهتف بأن الكفر من الشرائع ، وهو موقف وصفه المترجم بأنه ينافي الذوق العربي ، ولو أنصف لقال إنه ينافي الذوق الإسلامي ، فما كانت العبارات التي حذفها المترجم إلا فناً من الكفر الملفوف ، وهي مع ذلك ليست إلا تصوراً لما يساور قلوب المؤمنين في بعض الأحايين

الإنجليزي يكفر حين يشاء ، ولكنه يكفر كفر الرجال لا كفر الأطفال ؛ فهو يشرح ما يجول بصدره من حقائق وأباطيل ، ليعرف المصادر التي توحي إليه بالشك أو اليقين

والذي يقرأ كتاب « معرض الآراء الحديثة » بدون إدراك هذا المعنى لن يكون له من فهمه غير أشباح وأطياف !

الريف ، الريف

في الكتاب كلام كثير عن الريف وسادة الريف ، ومن ذلك الكلام ندرك أن الأمة الإنجليزية ترى الريف ملجأها الأمين ، وقد تراه الأصل في مجدها الأثيل

وشعور الإنجليز بأهمية الريف يخلق في كتابهم ومصلحيهم فكرة العناية الموصولة بتجميل الريف والتألم لما يقع فيه من فقر أو عناء ! !

وهنا يلتفت المؤلف إلى سوء العاقبة ، عاقبة الإسراف في تجسيم شقاء الريف فيقول بلسان أحد الخطباء :

« لقد كنت أقرأ في أحد الأيام مقالاً من تلك المقالات المروعة عن حال الزراع ، ثم ذهبت بعد ذلك راكباً إلى الريف فتبين لي أنه لم يبلغ من السوء الحد الذي وصفه به الكاتب ، ولا أعني بذلك أن حال الريف كلها كانت مما يسر له الإنسان ، ولكنه رغم هذا كان مدهشاً حقاً ؛ فقد رأيت خيلاً ضخمة يتدلى من جباهها شعر أشعث ، ترعى في المروج الخضراء ، ورأيت ماشية تخوض في الماء الضحل ، وجداول تحف بشطآنها أشجار الصفصاف ، وعصافير تزقزق ، وقنابر وطيوراً أخرى منردة . ورأيت بساتين الفاكهة ترتدي حلة من الزهر الأبيض النضر ، وحدائق صغيرة اهتز ورقها وربا في ضوء الشمس الساطع وظلال السحب المارة فوق السهول ، ورأيت الزارع الذي أفاضوا في وصف حاله وسط هذا كله ، فلم أره بمظهر البؤس المجسم كما يقولون ، بل رأيته يفكر في خيله أو في عيشه وجبنه ، أو في أطفاله يحبُون في الطريق ، أو في خنازيره وديكته ودجاجه . ولست أظن بالطبع أنه يدرك ما في هذه الأشياء كلها من جمال ، ولكنني واثق من أنه كان يشعر شعوراً صريحاً بأنه جزء من هذا كله ، وأن حاله طيبة ، ولم يكن قلقاً من حاله كما تقلقون من حاله . ولست أعني من هذا أن لا حق لكم في القلق ، ولكني أعتقد أن من واجبكم أن لا تظنوا العالم كله شراً لا يطاق لمجرد أنكم تستطيعون أن تتصوروا عالماً خيراً منه[1] »

غاية فلسفية

ونظرة المؤلف في هذا الموضوع نظرة إصلاحية ، وهي تشهد بأن الإنجليز يعانون بعض ما نعاني من كثرة الكلام عن متاعب أهل الريف ، وهو كلام يضر أكثر مما يفيد ، لأنه يزعزع طمأنينة الريفيين ، ويحرمهم الاستمتاع بما في الحياة الريفية من خيرات وثمرات

ولكن للمؤلف من وراء هذا الكلام غاية فلسفية تمثلها دعوته الصريحة إلى الترحيب بالوجود في جميع مناحيه ، ومن رأيه أن « الحياة نفسها هي المتعة ، وهذه المتعة دائمة في جميع العصور ولجميع الطبقات » . ثم يندفع فيقرر أن « المثل العليا لا وجود لها في الحقيقة » وهو بهذا يريد أن الحرمان من النعيم الموجود لا يعوض بالنعيم المنشود ؛ ثم يقفز إلى أعلى أبراج الفلسفة الشعرية فيهتف « إني حين أغادر اجتماعاً أو أفرغ من قراءة مقال مروع عن الإصلاح الاجتماعي أشعر كأن من واجبي أن أعانق كل شيء وكل شخص أقابله لمجرد أنه أحسن إلى العالم بوجوده فيه ، أرى كأن من واجبي أن أعانق سائقي السيارات

(١) أنظر ص ٨٢

العامة والمركبات وأصحاب الحوانيت والأكواخ القذرة ومن فيها من الضحايا واللصوص . إن هؤلاء جميعاً في الوسط الذي يعيشون فيه يطفون فوق نهر الحياة العظيم الذي كان وجوده في الماضي والحاضر — وسيكون وجوده في المستقبل — مبرراً كافياً لوجوده مهما كان البلد الذي يجرى فيه »[1]

وهذه لفتة شعرية على جانب من الصحة والقوة ، فإن التشكي الكثير من نظام الوجود ليس من علائم العافية ، إلا حين يراد به خلق نظام جديد ميسور ، لا تخيُّل نظام لا وجود له إلا في أذهان المتكلفين

وثبة جديدة

ولكن المؤلف يثب بعد ذلك وثبة جديدة بلسان خطيب آخر فيقرر أن الإنسان في طور التكوين ، وأن واجبه منذ هذه اللحظة أن يكوّن نفسه بنفسه ، فقد سارت به الطبيعة إلى الحد الذي وصلت به إليه ، فوهبته أعضاء جسمه وعقله ومبادئ روحه ، وأصبح في استطاعته أن يكمل هذا الهيكل البديع أو يفسده إذا شاء

فماذا يريد المؤلف أن يقول ؟

يريد أن يحمل عبء الكمال فوق كاهل الإنسان لا كاهل الطبيعة « لأن الطبيعة لا تريد أن توجد إنساناً لا يستطيع أن يوجد نفسه ، فإذا عجز هو عجزت هي أيضاً ، ورجع المعدن إلى بوتقته ، وبدأت العملية من جديد ، أما إذا نجح فنجاحه عائد عليه وحده ، فمصيره إذن في يده هو لا في يد غيره »[2]

وهذه لفتة أخلاقية ساقها المؤلف على لسان أحد الشعراء ، وتظهر قيمة هذه اللفتة لمن يتذكر الفروق بين الإنسان القديم والإنسان الجديد ، فقد استطاعت الإنسانية بتطورها المستمر أن تصل إلى آفاق كان يعجز عن تصورها الخيال

موضوعات للدرس

يظهر أن هذا المقال لن يتسع للالمام بما في الكتاب من العناصر الأساسية ، فعلى الطلبة أن يراجعوا المسائل الآتية ، ليواجهوا لجنة الامتحان وهم على بينة من أكثر ما في الكتاب من أغراض :

١ — الفرق بين النظرة العلمية والنظرة الدينية : (راجع ص ٥٢)

٢ — هل تتدخل الدولة لتنظيم الزواج ؟ (ص ٥٣ و ٥٤)

٣ — هل يستطيع الشعب أن يحكم نفسه ؟ (ص ٥٥ و ٥٦)

٤ — تحرر الجيل الجديد من أوهام الجيل القديم (ص ٥٧)

٥ — بين العقائد والعواطف والعقول (ص ٤٦ و ٤٧)

٦ — نظرية المساواة دُرِست في مكانين ، فلأى غرض نوقشت هذه النظرية ؟

٧ — أنظر نقض فكرة الحرية في (ص ١٧)

٨ — هل تستطيع الاشتراكية أو الفوضوية أن تغير الحقائق الأساسية ؟ (ص ٧٣ و ٧٤)

٩ — هل تعيش الحكومات لأنها سرقت حقوق الناس ؟ (ص ٣١ و ٣٢)

١٠ — الهجوم على التعليم الابتدائي والثانوي والعالي (ص ٥٤)

١١ — وضع المترجم تذييلاً تحدث فيه عن بعض الآراء وبعض الأعلام ، فانظر في ذلك التذييل ، فقد يوجَّه إليك سؤال متصل بما فيه من المعلومات الفكرية أو التاريخية

١٢ — إن غام أمامك جوّ هذا الكتاب ، فاقض ساعة أو ساعتين في درس كتاب « الإنجليز في بلادهم » لتعرف المشكلات التي تعرَّض لها « دكنسن » بالنقد والتشريح ، فالحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره ، كما قال القدماء

اختبار جديد

من المحتمل أن أكون عضواً في اللجنة التي تحكم في مسابقة الأدب العربي ، فما السؤال الذي أوجهه إلى المتسابقين عند اختبارهم في هذا الكتاب ؟

سأسألهم عن الفروق بين اتجاهات الخطباء من طريق العبارة والأسلوب

وأدلكم على الجواب فأقول :

عبارة « كنتلوب » تختلف عن عبارة « ثيفيان » أشد الاختلاف ، ولكن كيف ؟ إليكم يوجه السؤال !

وعبارة « إلس » تغلب فيها المعلومات على الدراسات ، فما سبب ذلك ؟ فكروا قليلاً تجدوا الجواب !

وبين أشخاص الكتاب خطيب دخل في شعاب غير شعاب مهنته الرسمية ، فمن ذلك الخطيب ؟

---

(١) ص ٨٣ (٢) ص ١٠٣

المفهوم أن هذا الكتاب يصور اصطراع الآراء فى عهد المؤلف ، فهل ترون أن انجلترا كانت فيها مشكلات لم يتعرض لها المؤلف ؟

أدلكم على الجواب فأقول : كنا ننتظر خطيباً يتحدث عن متاعب انجلترا فى المستعمرات ، وخطيباً يتكلم عن أزماتها الروحية ، وخطيباً يشرح خصائص الفرنسيس والألمان ، على نحو ما صنع الخطيب الذى شرح خصائص الأمريكان

وقد مرّ المؤلف مرور الطيف على المعضلات التعليمية ، فما سبب ذلك ؟

اقرأوا حياة المؤلف ، كما لخصها المترجم ، تجدوا الجواب !

أما بعد ، فهل ترون أنى دللتكم على أسرار هذا الكتاب ؟

لم يبق إلا أن تطلبوا أن أؤدى امتحان المسابقة بالنيابة عنكم ، يا أشقياء !

وأنا والله حاضر ، إن سمح وزير المعارف ! زكى مبارك

كيف يكتب التاريخ ؟

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٧ —

نقـــد الأصول

تحرى نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها (١)

نبحث الآن ناحية أخرى فى نقد الأصول التاريخية . فلا بد للمؤرخ قبل استخدام المعلومات التى ترد فى تلك الأصول أن يتحرى نصوصها ، وأن يتثبت من حرفية ألفاظها وعباراتها سواء المخطوط منها أو المطبوع . وعلى المؤرخ أن يبحث هل كتبت هذه الأصول بخط المؤلف ، أم أنها نقلت عن نسخة المؤلف الأصلية ؟ وإذا كانت قد طبعت فهل طابقت مخطوطة المؤلف الأصلية ؟ وألم يدخل عليها بعض التحريف اللفظى أو النقصان أو الزيادة الطفيفة سواء عن قصد أو عن غير قصد ؟ وإنه ليتضح لنا أهمية تحرى نصوص الأصول التاريخية وألفاظها عندما نجد أن مؤلف اليوم بالرغم من إمكانه مراجعة تجارب المطبعة بنفسه ، فإنه قد تفوته بعض الأخطاء القليلة . وعمال المطبعة كثيراً ما يحملون المؤلف يقول كلاماً لم يقصده بالمرة ؛ وإن تغيير حرف بسيط فى كلمة قد يغير المعنى أو يقلبه رأساً على عقب

ولقد ضاع الكثير من الأصول التاريخية ولم يبق إلا نسخ أو صور منقولة عنها . فهل هـذه النسخ قد نقلت عن الأصول الأولى ، أم نقلت عن صور لها ؟ فينبغى أن يتأكد الباحث من أن النص الموجود أمامه يطابق الأصل الأول الذى وضعه المؤلف . وإذا وجدت أخطاء فى النسخة المنقولة — وهو الغالب — لا بد من محاولة تصحيحها بالرجوع إلى الأصل الأول ، إن كان من المستطاع ذلك . وإذا ما اعتمد الباحث على نص منقول عن أصل أول ، ويحتوى على أخطاء فى النقل ، فإنه يحمّل المؤلف أموراً غير مسؤول عنها ، وإنما المسؤول عنها الناقل . ومشاهير المؤرخين لا يتحرون دائماً صحة نصوص الأصول التى يعتمدون عليها . وحتى وقت قريب كانت تطبع الأصول التاريخية بدون مراعاة طرق النشر العلمى ، سواء لتجنب المجهود أو للعجلة . إلا أنه قد حدث تقدم كبير فى هذا الميدان المهم فى الوقت الحاضر

والأصول التاريخية المخطوطة يمكن أن تقسم من ناحية تحرى النص وتحقيق اللفظ إلى ثلاث حالات . فالحالة الأولى هى أن يكون أمام الباحث الأصل الأول بخط المؤلف نفسه . ويمكن التأكد من ذلك بملاحظة نوع الورق والحبر وبدراسة خط المؤلف ولغته ومعلوماته من كتاباته الأخرى ، إن وجدت . وبتطبيق ذلك على الأصل الموجود يستطيع الباحث أن يستفيد وهو مطمئن من هذه الناحية ، من المعلومات التى يوردها هذا الأصل الأول ، كما يمكنه أن ينشر هذا الأصل التاريخى لفائدة العلم . إنما ينبغى أن يراعى عند النشر فى كل الحالات ، إبقاء الأصل الأول كما هو بحروفه وألفاظه وأجروميته وأخطائه الخاصة به ، بدون تصحيح أو تعديل فى النص نفسه . لأن أى تغيير قد يغير المعنى . وبقاء النص الأول كما هو يساعد الباحث على فهم تاريخ ذلك العصر المعين كما كان فعلاً ؛ فيدرك

---

(١) يمكن القارئ الذى يرغب فى دراسة هذه الناحية من نقد الأصول أن يرجع إلى فصول فى بعض المراجع مثل :

— أسد رستم : مصطلح التاريخ . ص ٤٤ — ٥٧

— Langlaois & Seignobos : op. cit. Eng. Trans. pp. 71-86

— Fling : op. cit. pp. 88-102

الباحث عقلية رجال العصر وأساليبهم فى التعبير ، ويلم بتطور اللغة والاصطلاحات التى سادت فى زمن مضى

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده أحمد الخالدى الصفدى فى كتابه من تاريخ الأمير فخرالدين المعنى من ألفاظ وأساليب عامية لبنانية محلية مختلطة بالتراكيب العربية ، مثل « سبق أهله وجا حتى يعلم الأمير ... فوصل بحال الليل إلى باب القلعة ودق الباب على البواب حتى يروح يعلم الأمير ... »[1] . ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما ورد فى الفرمانات السلطانية العثمانية من التعبيرات الخاصة مثل « قدوة الأمراء الكرام ، عمدة الكبراء الفخام ، المختص بمزيد عنايت الملك العلام ... »[2] . أو الوثائق المحفوظة فى دور الأرشيف الأوربية والتى تحتوى على معلومات مدونة بلغة وأجرومية خاصة بالعصر الذى دونت فيه ، مثل Habbia Hauuto و Amicitia فى الوثائق الإيطالية[3] ؛ ومثل ألفاظ Scauoir و Celuy و Laysois الواردة فى الوثائق الفرنسية[4] ؛ ومما يخالف ذلك ألفاظ وأساليب ومصطلحات هذه اللغات فى الوقت الحاضر . فإذا ما نشرت مثل هذه الأصول التاريخية ينبغى أن تبقى كما هى بغير تعديل

والحالة الثانية فى هذه الناحية من نقد الأصول ، هى التى تضيع فيها نسخة المؤلف الأولى ، ولا يبقى أمام الباحث إلا نسخة واحدة منقولة عنها . فدراسة هذه النسخة المنقولة الوحيدة للتثبت من صحة ألفاظها ونصوصها تستلزم الدقة والحذر . ومهما كانت دقة الناسخ وأمانته فإنه قد يتعرض للخطأ فى النقل . وتوجد أسباب وأنواع للاختلافات التى يمكن أن تلاحظ بين الأصل الأول وبين المنقول عنه . فقد تسقط ألفاظ أو جمل عند النقل من باب النسيان أو السهو ، أو لعدم وضوح المعنى ، أو للخطأ فى قراءة بعض الألفاظ أثناء النقل ، أو للخطأ فى السمع إذا ما أملى على الناسخ ما يكتب . وبعض النساخ يغيرون ويبدلون الألفاظ التى ظنوا أنها وردت خطأ فى الأصل الأول ، واعتقدوا أن من واجبهم تصحيحها .

(1) أحمد الخالدى الصفدى : تاريخ الأمير فخر الدين ، للمعنى نشره الدكتور أسد رستم والأستاذ أفرام البستانى ، بيروت ١٩٣٦ ، ص ٨

(2) وثائق دمشق فى القرن الحادى عشر الهجرى

(3) وثائق أرشيف فلورنسا فى ١٥٩٨

(4) وثائق المكتبة الوطنية فى باريس فى ١٦١٤

والتغييرات الناتجة عن عمد أو عن خطأ فى فهم النصوص من الصعب تحقيقها فضلاً عن كشفها . وبعض الفقرات التى تسقط قد لا يمكن التعويض عنها . ولكن من المستطاع معرفة الأخطاء التى تحدث عفواً أو سهواً ، بملاحظة الارتباك فى المعنى أو الخلط فى بعض الحروف والكلمات ، ووضع أحرف أو كلمات مكان أخرى ، أو تكرار بعض المقاطع أو كتابة مقاطع بعض الكلمات مرة واحدة بدلاً من مرتين ، أو الخطأ فى تقسيم بعض الكلمات أو بعض الجمل . وكل هذه الأنواع من الأخطاء والتغييرات فى النصوص الأولى والتى تحدث سواء عفواً أو عن قصد ، قد قام بها الناسخون فى كل اللغات وفى جميع الأقطار وفى كل عصور التاريخ

وعلى الباحث فى حالة ضياع نسخة المؤلف الأولى مع بقاء نسخة واحدة منقولة عنها ، أن يدرس هذه النسخة ويعرف كل خصائصها من ناحية الشكل واللفظ والمصطلحات والمعلومات التاريخية ؛ ثم يدرس حياة المؤلف ومؤلفاته الأخرى إن وجدت ويلم بأشهر الكتاب المعاصرين الذين تناولوا نفس الموضوع الذى كتب عنه . وتطبيق هذه المعلومات على النسخة الوحيدة المنقولة يساعد فى أحوال كثيرة على تحرى نصها وعلى التثبت من صحة ألفاظها . ولقد حقق الدكتور أسد رستم مثالاً يوضح هذه الحالة . فهو قد وجد أن عدداً كبيراً من الأصول الأولى لمناشير إبراهيم باشا فى سوريا قد فقد ، وإنه لم يبق منها إلا نسخة واحدة منقولة ومطبوعة ؛ مثل المنشور الذى أصدره إلى متسلم دمشق فى صفر ١٢٤٨ هـ عن بعض حوادث اصطدامه بالعثمانيين والذى ورد فى كتاب « مذكرات تاريخية بقلم أحد كتاب الحكومة الدمشقيين » ونشره الأب قسطنطين الباشا . ولاحظ الدكتور رستم أن بعض ألفاظه غير واضحة . فبحث طويلاً حتى وصل إلى سجلات المحكمة الشرعية فى طرابلس ، وعثر على منشور أصدره إبراهيم باشا إلى متسلم طرابلس ويحتوى على نفس المعلومات التاريخية ؛ وأمكنه أن يستنتج أن ناسخ منشور إبراهيم باشا إلى متسلم دمشق قد أخطأ فى فهم بعض الألفاظ فقرأ استغنائوا « استفاقوا » وحيث أن « حنان » وأغنامهم « غنامهم » وهكذا[1]

(1) أسد رستم : مصطلح التاريخ : ص ٥٠ — ٥٣

وعلى كل حال فإن النسخة المنقولة عن أصل أول مجهول قد تقاوم كل جهود النقد لمحاولة الوصول إلى ذلك الأصل الأول وصحيح أن النقد كثيراً ما يمكنه أن يحدد التغييرات والأخطاء في النص الوحيد المنقول، ولكنه كثيراً ما يقف عند ذلك دون أن يتخطاه إلى معرفة الأصل الأول. والباحث في التاريخ قد يبالغ في الشك في بعض النصوص التي لم تتغير على الإطلاق، ويناقش النصوص أكثر مما ينبغي، ويضع افتراضات مبالغ فيها. ويعتبر عمل الباحث في هذه الناحية نوعاً من الاجتهاد قد يصل إلى حد المغامرة

والحالة الثالثة هي التي يضيع فيها الأصل الأول، وتبقى عدة نسخ تتشابه وتختلف فيما بينها، ولا تعرف الصلة بينها، ولا الصلة بينها وبين ذلك الأصل الأول. والباحثون السابقون كان عليهم أن يكافحوا للوصول إلى استخدام أول نسخة تقع في أيديهم، مهما كان نوعها ومهما كانت صلتها بالأصل الأول ثم أخذ الباحثون يتجهون إلى استخدام أقدم نسخة موجودة، ولكن قِدَم تدوين نسخة ما لا يعني دائماً أنها أصح النسخ المنقولة عن الأصل الأول المجهول. فمثلاً مخطوط من القرن السادس عشر والذي ينقل عن أصل قديم ضائع من القرن الحادي عشر، قد يكون أكثر قيمة من نسخة أخرى نقلت عن ذلك الأصل الضائع في القرن الثالث عشر، وتحتوي على تغييرات وأخطاء في النص الأصلي. ولا شك في أن الباحثين المحدثين يمتازون عن سابقيهم في هذه الناحية؛ فهم يستطيعون أن يقارنوا بين النسخ المتعددة المنقولة عن الأصل الأول، فضلاً عن إمكان حصولهم على معلومات أفضل وأدق عن تلك النسخ وعن العصر الذي وجدت فيه، بقصد الوصول إلى النص الأول الصحيح بقدر الإمكان

وفي هذه الحالة يعمد الباحث إلى تحديد النص الأول، أو أقرب ما يمكن إليه بالدراسة المقارنة، وعلى أساس التشابه والاختلاف بين النسخ المختلفة، وعلى أساس فهم لغة المؤلف وروحه والإلمام بعصره، كما سبق الإشارة إلى ذلك. ولنفرض بأنه لدى الباحث عشرون نسخة لمخطوط واحد، وأصلها الأول مفقود؛ وأن ثماني عشرة نسخة منها تتشابه نصوصها، ولنسمها مجموعة (ا)، وأن نسختين منها تتشابهان ولنسمهما (ب). فالأغلبية العددية هنا لا قيمة لها، ولا تدل على أن نصوصها هي الصحيحة. فمن الجائز أن سبع عشرة نسخة من مجموعة (ا) قد نقلت عن النسخة الثامنة عشرة. ففي هذه الحالة تكون مجموعة (ا) عبارة عن نسخة واحدة تكررت في النسخ التي نقلت عنها. فيكون البحث موجهاً إذاً إلى تحديد أي النصين أقرب إلى الأصل الأول الضائع، هل هو النص (ا)، أم النص (ب)؟

ويلاحظ الباحث عند تحديد العلاقة بين النسخ المتعددة لمخطوط واحد، قاعدة شبه عامة، وهي أن النسخ المتشابهة التي تحتوي على نفس المعلومات واردة بنفس اللغة وبنفس الأخطاء، إما أن تكون قد نقلت عن بعضها البعض، أو أنها قد نقلت جميعاً عن أصل أقدم منها، أخذ عن الأصل الأول الضائع، ويحتوي على نفس المعلومات ونفس الأخطاء. ولا يعقل من الناحية السيكولوجية أن عدداً من الناسخين ينقلون مستقلين أصلاً تاريخياً معيناً ويوردون نفس المعلومات بنفس اللغة وبنفس الأخطاء؛ بل لا بد من وجود فوارق مختلفة بينهم

فعلى الباحث إذاً أن ينبذ جانباً النسخ المنقولة عن أصل واحد محفوظ، وأن يستبقي فقط وبقدر المستطاع النسخ الرئيسية المستقلة التي نقلت عن الأصل الأول مباشرة، أو التي نقلت عن أصل ثانوي معين منسوخ مباشرة عن ذلك الأصل الأول المجهول. وتقسم النسخ إلى جماعات وفصائل على أساس التقارب والاختلاف، والقرب والبعد عن الأصل الأول، إذا ما ثبت ذلك. وأنه لأفضل دائماً أن يكون لدى الباحث عدة نسخ أخذت مستقلة عن الأصل الأول الضائع. ونلاحظ أن كثرة النسخ تتعب الباحث أحياناً بدلاً من مساعدته في العمل. وعند طبع الأصل التاريخي، في هذه الحالة، ينبغي أن ترفق به في الهامش الاختلافات التي توجد في النسخ الرئيسية الأخرى.

(يتبع) حسن عثمان

آمال ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

أخذت جماعة كبار العلماء تهتم بآمال الأمة المعقودة عليها ، وتفكر فى أن لها رسالة ، وتنظر فى الوسائل التى تؤدى بها هذه الرسالة

أخذت الجماعة تفكر فى هذا كله ، وتهتم بهذا كله ، فتؤلف له اللجان ، وتضع له الخطط ، وذلك على أثر الاقتراح الذى رفعه إليها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت بعد انضمامه إليها

وكان من آثار ذلك أن الأمة أخذت تلتفت إلى هذه الجماعة وتنظر إليها بعين الرضا بعد أن كانت تنظر إليها شزراً ، أخذت تدرك فائدتها وتستبشر خيراً بنهضتها المباركة ، ورجا الناس أن يغفر التاريخ لها ما ضيعت من عمر طويل يربى على الثلاثين عاماً ، وهى تغط فى نوم عميق هادىء متصل ، لا تكدر صفوه الأكدار ، ولا تقطع اتصاله واطراده حوادث الليالى والأيام !

***

من الظواهر التى تدل على التفات الأمة لهذه الجماعة ، ورضاها عن هذه النهضة ، تلك الرسائل التى جعلت تترى على رياسة الجماعة ، ولجان الجماعة ، وأعضاء الجماعة : فهذه رسالة تحمل معانى الغبطة والسرور ، وتتحمس فى التأييد والتشجيع ؛ وهذه رسالة تحث على تعجيل البر بهذه الأمة فى دينها وفقهها ، وعقائدها وعباداتها ، ونظمها ومعاملاتها ؛ وهذه رسالة تشفق على هذه الأغراض النبيلة من اللجان ، وما ألف الناس من تواكلها وتثاقلها ، وموت المشروعات النافعة على أيديها ؛ وهذه رسالة تتقدم باقتراحات تراها جديرة بالنظر والتنفيذ ، أو بالشكوى من عيوب مختلفة تريد لها الإصلاح والتقويم ... إلى غير ذلك

لقد لمست الأمة إذن فى هذه الجماعة معنى جديداً ، وأحست روحاً سرى فى أعضائها فسرت به « الآمال » ، وتجاوبت له أصداء النفوس بالمطالب والرغبات ، وأصبح الناس يتطلعون إلى هذه الجماعة لتتقدم بما هم فيه ، ويرقبون على يديها إصلاح كثير من شئونها فى دينها ونظامها وثقافتها ، فإذا كنا نهنئ الجماعة الموقرة بهذه الثقة العظيمة من الأمة ، فإننا نحمد الله قبل كل شىء على هذه الظواهر الكريمة التى تدل على حسن اتجاه الأمة إلى هذا الدين ، وتلمسها الأسباب للعودة إلى أحضانه ، والعمل بعبادته ، والاهتداء بهديه

إننا نحمد الله على ذلك ، ونستبشر به خيراً ، لأنه يدل على تأصل الروح الإسلامية فى المسلمين ، وعلى أن الأحداث لم تعبث بهذه الروح ولم تفسدها ، وعلى أن الأمة لا تنتظر إلا القادة المصلحين ، لتسير وراءهم غير مترددة ولا وانية ، تحت راية القرآن الكريم !

***

من ظن أن رسالة جماعة كبار العلماء رسالة سهلة يسيرة ، يكفى أن تتنبه لها ، وتأخذ فى أسباب أدائها ، وتجمع لها لجنة أو لجنتين ، وتعقد لها جلسة أو جلستين ، فقد ظن عجزاً

ذلك بأنها رسالة يجب أن تتضافر عليها الجهود لأعوام وأعوام ، وأن تحشد لها القوى المختلفة ، كما تجند الأمم قواها للحروب !

وهى رسالة تحتاج مع القوة إلى الشجاعة فى مواجهة الحقائق ، والجراءة على الباطل الذى مد رواقه ، وضرب بجرانه

وهى رسالة تحتاج مع القوة والشجاعة إلى الصبر والمثابرة والإخلاص للعلم والعمل والإنتاج

ستنظر الجماعة فى البدع التى شاعت وذاعت ، وتغلغلت فى أوساط العامة والخاصة حتى عد الناس كثيراً منها من الدين ، وأصبح عزيزاً عليهم يدافعون عنه ، ويغارون عليه

ستنظر الجماعة فيما لنا من عادات تتحكم فينا وتفرض علينا سلطانها الجبار ، وإرادتها القاهرة ، فنحافظ عليها ولا نتسامح فيها ، وربما عددناها من شعائرنا ، وحسبناها من تقاليد ديننا ، وزحمنا بها أنفسنا وأموالنا وحكمناها فى مصائرنا

ستنظر الجماعة فى هذا وأمثاله لتقرر ما هو بدعة وما ليس بدعة ، وتضع لذلك الأصول ، وتضرب فيه للناس الأمثال ، لعلهم يجتمعون على الحق ، ولا يهيمون فى أودية الباطل

وهنا ينبغى أن تتجلى شجاعة العلماء ، فما كان من خير

أقروه ، وما كان من شر أنكروه ؟ أما الخوف من العامة ومجاملتهم أو مما لأتهم على العقائد التي يعتقدونها ، أو العادات التي يألفونها ، وتأويل ذلك لهم على وجه له ظاهر من الصحة والقبول ، فهذا هو الخطر الأكبر ، ولو فعلته جماعة كبار العلماء لكان حكم التاريخ عليها قاسياً ، لأن التاريخ سيقول إن جماعة كبار العلماء قد سكتت عن رسالتها ثلاثين حولاً ، فلما استيقظت لما جملت تجارى أهواء الناس ورغبات الطوائف ، ولم تجرؤ على هدم الباطل ، فالتمست له المعاذير ، وأفتت فيه بالتأويل والتخريج !

ستنظر جماعة كبار العلماء فيما جد من نظم الأمة فى معاملاتها وقضائها واقتصادها ، وسترقب الأمة آراءها وبحوثها فى ذلك كله بقلوب واجفة لتعلم بأى روح سيمضى كبار العلماء فى حل مشاكلها وإصلاح نظمها ، أبالروح التى تدرك حاجات الناس ، وظروف الزمان ، وسماحة الشريعة ، وابتناءها على المصالح وعدم الحرج ؟ أم بالروح الجامدة المقلدة التى تتقيد برأى فلان وفلان ، وقواعد فلان وفلان ، مما اصطلح عليه المصطلحون فى زمان غير هذا الزمان ، وفى كتاب الله وسنة رسوله منأى عنه ، ومخلص منه ، وتيسير عظيم ؟

ستنظر جماعة كبار العلماء فى تفسير القرآن ، وما أدخلته الروايات المدسوسة عليه من إسرائيليات شوهت جمال القرآن وشغلت قارئه والمتدبر فيه عن العظة والاعتبار ، لتنبه على ذلك كله ، وترشد الناس إلى الصواب فيه ، وربما وضعت تفسيراً وسطاً للناس تنفى عنه الدخيل والضعيف والمكذوب

وهنا ينبغى أن ننبه إلى شىء آخر لا يقل خطراً عن هذه الإسرائيليات فى الإساءة إلى تفسير القرآن : ذلك كثرة الروايات المأثورة فى المعنى الواحد ، أو فى أسباب النزول

إنك لتقرأ الآية من كتاب الله فتراها واضحة لا غموض فيها ، حتى إذا أردت أن تستظهر على معناها الذى فهمت منها بكتاب من كتب التفسير وقعت فى بحر لجى لا ساحل له ، ورأيت روايات مختلفة متعارضة وغير متعارضة ، فلا تدرى بأيها تأخذ ، ولا بأيها تترك ، فتعود من حيث أتيت آسفاً على ما أثارته فى نفسك هذه التفاسير من شكوك

وهذا ممن يشكو منه الناس مر الشكوى ، وخصوصاً ضيوفنا من البلاد الإسلامية ، وفى بقائه صد عن القرآن الكريم وحجب من نوره وهدايته

وقل مثل هذا فى « أسباب النزول » فليس من شك أن هذه الأسباب تفيد فائدة ما فى تجلية المعنى والإرشاد إليه ، ولكن الروايات فيها قد تعددت فى الموضع الواحد ، وتضاربت ، وربما أخرجت الآية أو الآيات إلى معنى سقيم يشهد الذوق السليم أنه لا يتفق وبلاغة القرآن وما له من عموم فى الهداية والتشريع ، ولو شئنا لضربنا لذلك الأمثال ولكنه بحث مستقل نرجو أن نعالجه بعد حين

فمن الخير إذن أن ينشر بين الناس تفسير تعتمده الجماعة يكون مع تنبيهه إلى الإسرائيليات خالصاً من هذه الروايات المتضاربة التى لا يعرف لها سند صحيح ، ولا يقرها ذوق سليم

وستنظر الجماعة فى واجب الدفاع عن الدين ، ورد المطاعن التى توجه إليه ، والشبه التى تثار حول عقائده أو قواعده

وأول واجب فى ذلك هو تبسيط العقائد ، وتنقية علم الكلام ولو إلى حد ما من الفلسفة التى طغت عليه وعقدته وجعلته فوق مستوى العامة وكثير من الخاصة . ثم الرجوع إلى طريقة السلف الصالح فى الإيمان بالغيب وما استأثر الله بعلمه دون تدخل فيه أو تهجم عليه ، فليس يضير المسلم ما دام مؤمناً بأصل الحساب والسؤال أن يأتى الله من غير أن يعلم بالتحديد : هل سترتفع الأرض بنصف الميت الأعلى ليجلس للسؤال أو ستنخفض بنصفه الأسفل . وليس يضيره أن يلقى الله جاهلاً بلغة الملائكة السائلين أهى السريانية أم غيرها ، ولا بالموازين التى توزن بها أعمال الناس يوم القيامة : أمن حديد هى أم من نحاس ؟ وهل لها كفتان تسع كلتاهما السموات والأرض لو وضعت فيها أو هى على شكل آخر غير ما نعهد من موازين الدنيا ؟ فليس فى هـذا كله فائدة ما دام أصل الإيمـان بالوزن والموازين كما ذكرها الله فى القرآن موجوداً والاعتقاد به حاصلاً

وستصطدم الجماعة حين تقوم بواجبها فى الدفاع عن الدين بفكرة التبشير ، وستسلم ـ حين تدرسها عن كثب ـ بخطرها

الشديد على ناشئة هذا الجيل والأجيال المقبلة ، هذا الخطر الذى يسرى فى خبث وخفاء ، كما تسرى الصلال فى رمال الصحراء ، أو كما تسرى الأمراض الخبيثة فى الأجسام ، هذا الخطر الذى يعتمد على الزمن ، وعلى أخلاقنا الكريمة المتسامحة ، وعلى تهاوننا فى مدافعته ، وعلى ثقتنا بمناعة هذا الدين وحصانته

سيلمسون بأنفسهم هذا الخطر، وسيقفون أمامه وجهاً لوجه، وسيرى الله عملهم ورسوله والمؤمنون ، فإذا سوّغوا لأنفسهم أن يهادنوه أو يسكتوا عنه ، أو يغمضوا عيناً على قذاه ، مجاملة لهذا الرئيس ، أو مراعاة لهذا الحاكم ، أو احتفاظاً بصداقة هذا الوزير ، أو تسامحاً حين يكون التسامح تفريطاً لا يغتفر ، فقد أضافوا إلى الخطر خطراً أشد ، وقد أعانوا عدوهم على أنفسهم ، ومكنوه من دينهم وعقائدهم ، وبالله نستعيذ !

إن الإسلام دين حصين ، وإن له لمناعة وقوة يستمدها من مبادئه الموافقة للعقول السليمة ، والطبائع المستقيمة : ذلك حق لا مرية فيه، ولكننا إذا اغتررنا به ، واستنمنا إليه لعبت بنا فنون الدعاوة وأثرت فى شبابنا أفاعيلها الخلابة ، وغررت بنا وسائلها الخادعة الفاتنة ، ويومئذ نرى السيل جارفاً ، فلا نستطيع أن نقف فى طريقه ونرى هذا المستصغر من الشرر وقد اندلع نيراناً حامية ، تلتهم كل شيء ، وتأتى على كل شيء !

ستنظر الجماعة فى هـذا كله ، وستصطدم بهذا كله ، فإن صبرت عليه ، واحتالت له، ووفرت له الجهود والقوى، ومسّكت فيه بأهداب الشجاعة ، واستعانت على تذليل عقابه بالإخلاص والتضحية ، كتب الله لها النجاح ، وحقق الله بها الآمال

وإن كانت الأخرى ... لا ! لا أقولها ولا أفرضها ، فإنى أرتاع من هولها وأشفق منها ، وأسأل الله السلامة من شرها !

***

أما بعد : فهل آن أوان النهوض والتقدم ، أو تلك آمال وأحلام يتعلل بها الراغبون فى الإصلاح ، وتتراءى لهم فى عالم الخيال ؟ وهل أحيلت هذه الرغبات والمقترحات إلى لجنة من الجماعة لتلبث قيد البحث والنظر أعواماً بعد أعوام حتى تصاب بالموت أو الهزال كما ألف الناس فيما يحول إلى اللجان ؟

لا . لا ، ومعاذ الله أن يكون ذلك هو الغرض ، فإن على رأس الجماعة الموقرة رجل الإسلام المصلح المشهور على مبادىء الدين والخلق : الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، فلولاه ما نظرت الجماعة فى مثل هذه المقترحات ، ولولاه ما دارت فى نفس مقترحيها ، ولولاه لتشكك فيها المتشككون ، وشغب عليها أهل الفتنة ، وابتلعتها لجج الجامدين !

وإن على رأس اللجنة التى تنظرها لرجلاً من رجال الأمة ، يعرف فيه الناس العلم وصفاء العقيدة ورجاحة العقل والميل إلى مبادىء الإصلاح : ذلك هو المفتى الأكبر الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم

فإلى هذين الرجلين العظيمين ، وإلى أعضاء الجماعة الموقرة عامة تتوجه الآمال : آمال الأمة ، وآمال الدين ، وآمال الأزهر . حقق الله الآمال .

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

ظاهرات نفسية

فى مسرحيات محمود تيمور

للأستاذ زكى طليمات
مفتش شئون التمثيل بالمعارف

— ١ —

أصدر الأستاذ الكبير محمود تيمور مؤلفاً يتضمن ثلاث مسرحيات صغيرة هى: (الصعلوك) و(أبو شوشه) و(الموكب) مكتوبة باللهجة العامية، تناولتها الأقلام بما هى جديرة به من الاهتمام؛ لأن لتيمور بك اسماً نابهاً متفرداً بطرائفه فى عالم القصص المصرى، نُقِلَ بعضه بأقلام كتاب غربيين إلى الفرنسية والإنجليزية والألمانية، وأثيرت حوله بحوث من جانب بعض المستشرقين المعنيين بالأدب العربى المستحدث. وفوق ذلك فإن تيموراً سليل بيت عريق فى خدمة الأدب العربى والتبرز فى مجالاته المختلفة

بيد أن ما دبجته أقلام النقاد عن هذه المسرحيات الثلاث لم يتجاوز تسجيل مفاتنها الظاهرة، وذلك من حيث رشاقة الأسلوب، ورونق الصياغة، وحبكة الوضع، ومن حيث الأغراض الاجتماعية التى تهدف إليها

والأسلوب وما يتبعه، والأغراض الاجتماعية وما يتعلق بها لا تعنينى بقليل أو كثير، لأنها ليست حقائق خالدة؛ بل هى أشياء تتغير ابوبها من عصر إلى عصر، وأوضاع تتحور وتتبدل، تتغير النظرة إليها بتغير المزاج الاجتماعى، وبتبدل الذوق البيانى فى التركيب الإنشائى وفى الصياغة وبتحور الصيغ الفنية الخاصة بكتابة المسرحية؛ والإنسان فى هذا ـ كما يثبت الاستقراء فى التاريخ ـ يحرق اليوم ما كان يعبده بالأمس، ثم يعود فيعبد ما حرق!

فإذا صح لى أن أعنى بمسرحيات تيمور — وهى طريقة جديرة بالعناية — فإن موضع اهتمامى سيكون مقصوراً على ما بتلك المسرحيات من حقائق ثابتة لا تتغير. والثابت الخالد من الحقائق فى العمل الأدبى أو الفنى إنما هو ما يتصل بالنفس البشرية وما تمتد أعراقه فى تربة الإنسانية. وذلك لأن النفس خالدة، والإنسانية وحدة قائمة متماسكة فى كل زمان ومكان لا تتجزأ ولا تتقسم، والنفس والإنسانية فى المسرحية يتمثلان فى أبطالها وشخوصها من ناحية تقويمهم فى أصدق تكوين نفسى لكل منهم

* * *

إن المتمعن قراءة هذه المسرحيات المستبطن دخائلها يطالعه شىء لا بد أن يستوقفه برهة يخلد أثناءها إلى التأمل والمراجعة، ذلك أن أبطال هـذه المسرحيات لا يجرون فى الكشف عما فى نفوسهم على سنة الوضوح التام والمنطق المنظم، وهو المألوف المتعارف عليه فى الأدب الاتباعى والرومانسى والواقعى[1]، وهو المتداول أيضاً فى نتاج أدبنا العربى المستحدث ما عدا القليل النادر

أجل، إن أبطال تيمور فى مسرحياته الثلاث يغمضون أو يلغزون أحياناً وقد يتلفون الإغلاق كله، وهم يعطون قولاً ما يعارضونه فعلاً، وهم يقبون وثبات نفسية لا تستقيم مع المنطق الظاهر المألوف، فيتراءون وكأن كل واحد منهم قد ركب فيه شخصان أو أكثر!!

هل لى أن أجشم القارىء مشقة استذكار هذه المسرحيات؟

لا، بل حسبى أن أستأذنه متفضلاً أمر التلويح له ببعض الشىء منها، مما لا غنى عنه حتى يستقيم هذا البحث

لماذا مزّق (دردير أفندى) — وذلك فى مسرحية (الصعلوك) — رزمة الألف جنيه وهى كل سلاحه الذى ينيله ما يريده من (وحيده هانم) القينة الفاتنة؟

وهل يعقل أن صعلوكا يعيش بين الخصاصة والكسب الطارىء يتلف ألف جنيه من غير ما سبب قاهر؟

ولما أحجم (مؤنس بك) وذلك فى مسرحية (أبو شوشة) عن معاودة اتصاله بحسنية هانم معشوقته السابقة ـ وقد سنحت له الفرصة التى أخطأته فيما مضى، وقد وجد كل منهما فى قلبه الميل نحو صاحبه؛ ما الذى يحجزها عن إحياء الماضى الجميل؟

وكيف تأتى أن فضل الله باشا ـ وذلك فى مسرحية الموكب ـ يقول بشىء ثم يفعل غيره، وينهى عن أمر ويأتى مثله؟

ما حقيقة هذا القنع الذى يخفى مسراه فى نفوس هؤلاء الثلاثة ويظهر أثره سافراً فى فعالهم؟ وهل حق أن الإنسان قد يبدو أحياناً وكأنما تسكن نفسه شخصيتان متناقضتان؟!

عن هذا الشىء أنشأتُ فصلاً طويلاً فى العدد الماضى من هذه المجلة، أبنت فيه كيف أن علم النفس فى اتجاهه الأخير

---

(١) أعود بالقارىء إلى البحث الذى نشرته الرسالة فى عددها الماضى بعنوان «من اتجاهات علم النفس فى المسرحية» ففيه جلاء لهذا.

أصبح يأخذ بما قرره العلماء والفلاسفة من أن كياننا النفسى الكامل يتألف من العقل الظاهر (الوعى)، ومن العقل الباطن (اللاوعى)، وأننا فى تصرفاتنا خاضعون إلى التيارات الخفية التى تنطلق فى واعيتنا الباطنة، وأن عقلنا الظاهر لا يستطيع أن يفسر اللوامع الخاطفة التى تبدر من هذه الواعية الباطنة، فتسلمنا إلى التناقض وإلى التعقيد، حتى نبدو وكأنما تعيش فينا شخصيتان تتناقضان أحياناً

على هدى هذا الاتجاه الأخير الذى يساير العلم فى تقدمه، سنأخذ فى نقدنا هذه المسرحيات من الناحية النفسية. وأغلب الظن أننا سنجد تفسيراً كافياً لتلك التعقيدات النفسية التى تتمثل واضحة ملموسة فى شخصيات: (الصعلوك)، (مؤنس بك)، (فضل الله باشا)، إذا حاولنا أن نرد كل تعقيد نفسى فيها إلى حقيقته اللانهائية (١) التى تتجاوز مناطق الذكاء وحدود البيئة والوراثة، ولم نعبأ بأعراض العقل الظاهر أكثر من أن نتخذه دلالة ظاهرة لأشياء مضمرة، وتغلغلنا منحدرين إلى أعماق النفس ومتاهاتها، حيث تتحوى الغرائز وتنطوى على نفسها مكبوتة مغلولة، وحيث تصطخب تيارات خفية لا تتراءى على سطح الروح الذى قد لا يعدم هدوءاً ظاهراً

لنبدأ بمسرحية الصعلوك

الصعلوك فى مسرحية تيمور هو (دردير أفندى) وحكايته تبدأ بمجرد ما يقدمه المؤلف إلينا؛ فنراه يقتحم خدر الفاتنة (وحيدة هانم) وهى واحدة من بنات التفريط وأشباه الحرائر. يقتحمه بسلاحه المألوف وهو تصعير الخد والملق والاسترضاء بالدعابة وإثارة الفضول. وإذ يلمح الرضاء فى عينى الفاتنة الحوّل ويستوثق من غبطة مزاجها يصارحها بأنه يحمل فى جيبه أوراق نقد مالى قيمتها ألف جنيه ربحها بطريق اليانصيب، وأنه معتزم أن يهبها لمن ترضى أن تقضى معه ليلة حمراء تمنحه فيها أفاويق اللذة الحسية. إنه يخرج أوراق النقد من جيبه ويعدها فلا تلبث (وحيدة) أن تهب مدومة شباكها فوق رأسه فى تلميح لا يخفى عليه، ويحس بأنه نائل منها ما عز عليه مناله من قبل. ها هى خمر (الشمبانيا) تطرى حنجرة سيد الساعة، وها هى (وحيدة) ذات الحول والطول بأناقتها وجاذبيتها قد تهيأت لتقدم له ما يبتغيه.

الفرصة سانحة، والليل يستر العاشق ويبعث رواقد الأحلام، ولكن . . .

ولكن بدلاً من أن نرى (دردير أفندى) يهوى بذراعيه يعتنق المشوقة المستسلمة ويروى ظمأة حسه منها، إذ به يأخذ بأطراف حديث لا علاقة له بجوهر الموضوع القائم بينهما: حديث خيالى عن الجمال وقداسته؛ والحرير الأبيض - شبيه خدها الناعم - ولطيف ملمسه، وكيف تنتهك حرمة نصاعته إذا تأتى أن يدب عليه ذكر خنفس أسود مهما كان يحمل هذا الخنفس على ظهره من كريم الجوهر الغالى؛ ثم لا نلبث أن نرى (دردير أفندى) يحطم الكأس التى فى يده ويخرج الأوراق المالية من جيبه، وينهال عليها دعكا وتمزيقاً فى ثورة صاخبة، يشتبك فيها الضحك بالبكاء؛ فلا تلبث وحيدة أن تنهال عليه بالشتائم والضرب وتطرده شر طردة لتستلقى بعد ذلك على وجهها وتشهق بالبكاء فى غيظ ثائر!

الآن نتساءل كيف بدرت هذه البادرة الغريبة من الرجل وليس فيما سبق منه ما يمهد لها أو يومئ إليها؟ كيف استيقظت هذه الخالجة الطارئة لتبدو فى نطحة نفسية عجيبة؟

قد يقول قائل إنها الخمر التى أفقدته رأسه وأسلمته إلى هذا الهذيان؛ ولكننا نقول - دفعاً لهذا التعليل - إن الرجل متمرس بالخمر يصمد لحمياها كما تشير إلى ذلك حياته السابقة. وفوق هذا فإنه لم يحتس من أخف أنواعها - وهى الشمبانيا - غير أربع كاسات!!

(قد يقول قائل - والقائل بهذا أحذق من الأول -: إن الرجل لا بد أن يكون عنيناً هامد الحس فافتعل هذه الفعلة يفتدى بها فضيحة، وفى دفع هذا التعليل نقول إن المؤلف لم يشر إشارة صريحة أو غير صريحة إلى هذا الأمر

إذن ماذا!

فلنحاول أن نرد دردير افندى هذا إلى حقيقته

(دردير افندى) هو - كما رسمه المؤلف - واحد من ذلك الصنف الإنسانى الذى أعرفه باسم المفلس الطروب. هو رجل فقير بجيبه غنى بنفسه، حبته الطبيعة القلب الكبير والحس المرهف، ولكنها لم تحبه الحظ المادى الذى يجعل حياته تستقيم على ما تقتضيه كرامة حسه وقلبه. هو جواب ذليل لآفاق الترف والنعيم لا يأخذ منها غير ما يؤذن بأخذه لكلب مدلل أو قط

(١) أى الميتافيزيقية

مرموق . بل هو أدنى مرتبة من ذلك . إنه مسخ يتفكه بنفسه كما يتفكه به الناس من أهل اليسار وفى مقدمتهم معشوقته (وحيدة) . وأعجب من هذا أنه يحس بكل شىء فيه، فهو الضحكة الذى يعى موضع الفكاهة والسخرية فيه ، وهو الصعلوك المؤمن بصعلكته . مثل هذا الشخص يحب المال ويمقته فى آن واحد . يحبه بعقله الظاهر ، فتراه متهالكا على ملاذه بقدر ما لديه من وسائل محدودة . وهو يكرهه بدافع شىء آت من وراء الوعى . لأن هذا المال قد أذله وحرمه ما تتوق نفسه إلى اجتنائه دائماً ، فتراه يسخر ؛ وإذا هبط عليه شىء من المال بطريق الكسب الطارئ — سباق ، ميسر ، يا نصيب — لم يتوان عن القضاء عليه بالإنفاق السريع المتلف ، وكأنه بدافع لا شعورى يثأر لنفسه من المال الذى يطول دائماً ارتقابه إلى مجيئه ، وكأنه أيضاً ، وبنفس الدافع اللاشعورى يلتمس التمتع بمظاهر الفخفخة والعظمة المادية التى حرمها بمجرد أن تصل إلى يديه وسائلها ، وهى المال . فهو يلقى به إلى البوار من أجل متعة عابرة بها ، هو يفعل كل هذا لأن عقله الباطن منشوف تشوفاً مكبوتاً إلى هذه المظاهر . ولعل هذه الظاهرة النفسية العجيبة تفسر لنا بعض ما نلاحظه كثيراً فى سلوك معوزين وفقراء يحبوهم الحظ السعيد فى لحظة بمال غير قليل فنراهم يتلفونه إسرافاً وتبذيراً بدلاً من أن يقيموا عليه ويتدبروا فى صرفه . هذه هى حقيقة (دردير افندى) بكامل كيانه النفسى ، أى بعقله الظاهر وبعقله الباطن ...

بعد هذا ، ألا يرى القارئ معى أن هذه البادرة الغريبة من جانب (دردير افندى) فى إتلافه المال الذى يملكه وهو واقف أمام معشوقته إنما ترجع إلى أمرين مأتاهما العقل الباطن : الأول يقظة الثأر من الحرمان الذى يكابده فى المال وما يجره من أسباب المتعة ، وهى يقظة جامحة تستنفد كل مدد فى العناصر التى تتاح لها حتى تقضى على نفسها وعليها . فالمتعة لا تستقيم فى نظره إلا إذا استنفدت كل معينه من الوسائل المادية ، فيكون قد جرى فيما أتاه ، على مألوفه فى مواقف سابقة تحدث عنها فى الرواية ، وكلها تشهد بأنه قد ألف القضاء على كل كسب طارئ من غير مبرر معقول !!!

والأمر الآخر انتفاض خالجة هامدة ارتفعت فجأة من أعماق الغرائز ، وقد تهيأت لها الظروف ، فأراد أن يثأر لنفسه من الذل الذى فرضته عليه هذه الغانية (وحيدة) ، هى ودنيا الغنى اللتان دأبتا على أن تتخذا منه ضحكة وبهلولاً !!

وقد يتساءل القارئ كيف ثأر (دردير افندى) لنفسه من (وحيدة) ؟ والجواب واضح لا يحتاج إلى تبيين لأنه واضح فى سياق المسرحية

ونعود فنقول : أتى هذا الرجل كل هذا ، وخرج على العقل والمنطق وهو لا يشعر ، لأنه إنما كان مسيراً بعقله الباطن الذى تكمن فيه الغرائز مكبوتة بفعل المختلق من الأوضاع الاجتماعية أو بضغط الظروف القاهرة . وما حديثه عن الجمال والحرير والخنفس إلا صدى ما ركبه عقله الظاهر ، وهو عقل لا يملك إلا التكييف السطحى لتصرفاتنا وانتحال الأسباب لها وفاقاً للمنطق . كما أن الحديث نفسه هو وسيلة المؤلف للتعبير والتعليل وأداته للايضاح ، وهو يحاول متعثراً أن تنشئ علاقة بين هذه البادرة الباطنية الغامضة ، وبين الواضح والمعقول فى أقوال وأفعال (دردير افندى)

ولا بد من الإشارة إلى أن المؤلف أطال فى تعليل وتفسير هذه البادرة أو هذه العقدة النفسية ، لأنه نحا فى هذا نحو الكتاب الرومانسيين كما يتضح ذلك فى بحثنا السابق عن اتجاهات علم النفس فى مراحل المسرحية

نعم إن تيمور صاغ مسرحيته على أساس الرومانسية ، فلم يكن له بد من أن يجرى على شرعتها فى تفسير العقدة النفسية ، وهو فى هذا قد أحسن التمهيد لهذه العقدة ، وذلك الانطلاق الغريزى فى ناحية من نواحى النفس بأن جعل (دردير افندى) يحتسى خمراً ، والخمر تساعد على إيقاظ هوامد النفس وانطلاق الرابض المكبوت فى أعماقها ، وتعمل على إسقاط القناع الذى تخفى النفس وجهها الأصيل وراءه

وليس فى جرى (تيمور) على سنة الرومانسيين فى إنشاء مسرحيته هذه ما يسلب شخصية الصعلوك طرافتها من الناحية النفسية ، إذ أن شخصية (دردير افندى) عريقة فى إنسانيتها تحيا بيننا ونحس بها ، هى أنموذج بشرى طريف سجل سماته قلم تيمور فى عالم المسرحية المصرية .

« للحديث بقية »

زكى طليمات

الحرب والطبيعة البشرية

للأستاذ محمد أديب العامرى

لا يظهر للقارئ من الكلمة [١] التى أرسلها الدكتور محمد حسنى ولاية أن السادية Sadism والماسوشية Masochism نزعتان جنسيتان ، مع أن ذلك هو خاصتهما كنزعتين ؛ وإنما يظهر له أن هاتين النزعتين صفتان فى البشر عامتان فقط ، وأنهما تكمنان آناً وتبدوان آناً آخر على صورة مصطنعة وجنائية .

وربما كان الدكتور ولاية يحب أن يورد للنزعتين مردودتين إلى أصلهما البيولوجى ، ولذلك كان ما يمكن أن يفهم قارئوه من السادية أنها نزعة تمنى « أن يهدم الإنسان سواه ليخلو له الجو ويستأثر بالحياة ... أما الماسوشية ، فتعنى أن يهدم الإنسان نفسه » .

« ويؤدى العرف فى أوقات السلم » فى نظر الدكتور أيضاً « إلى أن يكبت الرجل شطراً من ساديته لينسجم مع المرأة والبيئة ، أما فى زمن الحرب فتتحكم السادية فى العقل الواعى ، وحينئذ يتحكم الحيوان الرابض فى الأعماق ... وحين تسير الجيوش لملاقاة العدو يتناسى كل جندى شخصيته ، ويعود إلى ماضيه الفطرى ، ويعمل كما كان يعمل آباؤه الأولون ، وهو فى هذه الحالة وهذه الإرادة البشرية الأزلية . . . »

وهذه التعاريف والاستنباطات القطعية التى تحمل طابع العلم الذى يؤمن به الناس اليوم ويخضعون له كانت تكون يسيرة الخطر لو أنها — على ضعف مبرراتها — لا تنتهى إلى تثبيت فكرة الويل والدمار والهلاك الرانية على قلب العالم ؛ فلا يمكن أن يفهم قراء الدكتور ولاية إلا أن الحرب على شكلها الحاضر متصلة بنزعات بشرية عميقة ، وإلا أن المحارب يشتق نفسيته من هذه النزعات المتأصلة ؛ ومن هنا بطبيعة الحال ستستمر الحرب هكذا ، بل وتشتد جيلاً بعد جيل إلى ما شاء الله !

والذى أرى هو غير هذا فى المقدمات وفى النتائج

فالسادية والماسوشية — كما يرى كرافت إبنج Kraft-Ebing وفرويد Freud وغيرهما — إنما هما نزعتان متصلتان بالجنس مباشرة كما سبق أن أشرنا ، وإنهما فى حالة بروزهما تعتبران

(١) ص ١٣٢٤ عدد ٤٣٤ من « الرسالة »

انحرافاً جنسياً [١] — أى نوعاً من أنواع الضعف التناسلى — ويعتبر لِخت Licht أن عدم وقوعه على إشارات سادية وماسوشية فى المصادر الأدبية اليونانية يدل على أن حياة اليونانيين كانت حياة صحية [٢] (يقصد الحياة التناسلية)

أما تصوير هاتين النزعتين كأنهما دافعان أساسيان للحرب والقتل الدائر اليوم أو مثله ، فليس له مبرر ؛ ولكن الذى له مبرر فيما يظهر هو أن الأصول البيولوجية لهاتين النزعتين ترجع إلى « الحاجة إلى التغلب على أية مقاومة يبديها الهدف الجنسى ، ولا تجدى معها حركات الداعبة » [٣] . وهو تعليل بسيط قريب الصلة بالظاهرة التى نحن بصدد الكلام عنها

أجل ، ترتد النزعتان فى نظر بعض العلماء — وهذا إذا تعمدنا تعمقاً أشد — إلى شهوة أكل الإنسان اللحوم البشرية (أى خدمة غريزة حب السيطرة) ، ولكن هذا مشكوك فيه كثيراً كما سيتضح الآن

ومهما يكن من أمر فالمرد الأساسى للسادية والماسوشية غير مؤكد الآن ، ولذلك يرى « فرويد » أن التفاسير الموضوعة لأصول هاتين النزعتين غير كافية ، وأنه من الممكن أن تكون هنالك دوافع نفسية عديدة ومتحدة لتكوين هاتين النزعتين .

وليس صحيحاً أن يقف الناس عند ما انتهى إليه فرويد أو غيره من الثقات ؛ ولكن الدكتور ولاية يقول بأن « كل إنسان — رجلاً كان أو امرأة — يحمل نزعة السادية متوازنة مع نزعة الماسوشية » . وهذه بالطبع حالة الإنسان العادى . ويقول هفلوك إليس Haevlock Ellis أيضاً إن « جميع حالات السادية والماسوشية تبدى آثاراً من النزعتين فى الفرد الواحد نفسه [٤]

وواضح من اجتماع النزعتين دائماً فى فرد واحد أن وجودهما مما لا يمكن أن يعزى إلى شهوة العدوان ، ومن ثم غريزة حب السيطرة (دع عنك القتل الإجماعى ـ الحرب) لأن هذا التأويل إن وضح السادية فلن يوضح الماسوشية ، إلا إذا قلنا إن الإنسان يشتهى أن يقتل نفسه ، وهذا يغاير ما تنزع إليه غريزة البقاء ، التى لا يرتاب أحد فى أصالتها وسيطرتها وشمولها

(١) Brill, Basic Writings of Freud, 1938

(٢) Licht, Sexual Life of Ancient Greece

(٣) Brill

(٤) Ellis, Sexual Impulse, 1903

وإذا كانت الحرب تطوراً للسادية فماذا ترى يكون تأويل دخول المرأة فى معترك الحروب اليوم ؟ وإذا استمرت الحرب أزمنة طويلة قبل أن يكتشف الناس غباوتهم فيها — فلا ريب أن المرأة ستسير جنباً إلى جنب فى الحرب مع الرجل . فهل تصلح الماسوشية ، وهى النزعة المتغلبة فى المرأة ، تأويلاً لمظهر هذه الحرب أيضاً ؟

وخلاصة ما أريد أن أقول هو أن هاتين النزعتين كما نعرفهما اليوم جنسيتان ، وأن أصولهما غير مؤكدة . على أنه مهما تكن هذه الأصول فمن المؤكد أنها أصول لا تمت إلى الحرب الإجماعية بسبب

وإذا كان العدوان أصل السادية فإن ذلك لا يعنى أن تتطور هذه النزعة فى اتجاه العدوان متضخمة . إذا تضخمت السادية كانت انحرافاً جنسياً . ذلك نعلمه بالتأكيد . وهفلوك إليس ، وهو من أكبر ثقات المسألة الجنسية ، يرى أن « القتل الإجماعى بالحرب ليس طريقة اجتماعية غير ملائمة لدور الحضارة الحالية فحسب ، بل إنه على الإطلاق لا أساس له فى العالم »

وأرجح الرأى أن الدكتور ولاية يفرض أولاً أن الحرب شىء أزلى أو يتفق مع الطبيعة البشرية ثم يمضى ليجد الأسباب العلمية لهذا الغرض . ولما لم تكن الحرب فى شكلها الحاضر شيئاً يتفق مع الطبيعة البشرية ، ولا مع درجة الحضارة الراهنة للبشر ، على أقل تقدير ، فإن أية محاولة لإقامة هذه الظاهرة — الحرب — على أساس علمية تكون اصطناعية

إن من السهل أن نلاحظ أن الجندى لا يذهب إلى ساحة الحرب راضياً ، وإنما يدفع إليها دفعاً . فإذا ضحى فيها لم يكن عدوانه إلا مظهراً من دفاعه عن نفسه . إنه إن لم يقتل من يواجهه فهو مقتول لا محالة . فقتل غيره هو أضمن السبل لخلاص نفسه . وواضح أيضاً أن الجندى يحب فى كل وقت من أوقات الحرب أن يُسرَّح ليعود إلى أمنه وطمأنينته ، سواء أكان الجيش الذى يحارب فيه مغلوباً أو منتصراً

إن الحرب الإجماعية على شكلها الحاضر لا تتصل بالنوازع البشرية أو بالغرائز ، وإنما تقوم لمصلحة أناس محدودين ضاق نظرهم وتمكن الخوف من نفوسهم . وتشمل هذه المصلحة الدوافع النفسية الملتوية والدوافع المادية على السواء . إن سواد الجنود يحارب لغير دافع من نفسه ، فالقتل للقتل صفة غير معروفة . والدكتور ولاية يرى هذا فيقول إن الجندى عند ما ينعم النظر فى « وعى ذاته ويشعر بأنه شخصية قائمة بذاتها لا تستطيع روحه الاندماج مع الروح التى تقود زملاءه الجنود إلى التلاحم » وهذا القول يقرر أن الوعى البشرى مخالف لروح الحرب التى يظن القارىء لمقال الدكتور أنها أزلية فتستمر أبد الدهر مستمدة نفسها من أعماق الطبيعة البشرية .

(السلط) محمد أديب العامرى

قيمة الحرية

للصحافي العالمي ويكهام استيد

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامي

« من الممكن عندي صياغة جميع المسائل المتعلقة « بقيمة الحرية » في أسئلة ثلاثة :

١ — هل الشخصية الحرة كعنصر من عناصر الحياة البشرية أنبه شأنا وأمن جانبا وأنفس قيمة من تلك الشخصية التي تنطبع وتتشكل وفقا لمشيئة قائد أعلى حاكم بأمره في مصادر وموارد الدولة الاستبدادية المطلقة ؟

٢ — وهل يتوقع لارادة الفرد الحرة أن تخطو بمصالح البشر إلى الأمام أكثر مما يتوقع لارادته التي تدرج من المهد إلى اللحد على منهج موضوع يصيرها خاضعة لكلمة القيادة العليا خضوعا غبيا ومطيعة لها طاعة عمياء ؟

٣ — أليس هنالك من ضرر يتهدد الجنس البشري ، ومن خطر على تقدم المعارف وانتشار الثقافة ، ومن خوف على كل شيء نفهمه من طريق « المدنية » بنشوء هذه الجماعات الفقيرة التي تسير في مناهجها على نمط واحد ، وتجري في تفكيرها على أسلوب واحد ، وتنطلق خائفة مذعورة كقطيع من الغنم أمام راعيها ؟ »

ويكهام استيد

من القضايا التي يزعمون أنها من بدائه الرأي قولهم : « لكل بلاد ما تستحقه من صحافة » ، وإذ نفرض صحة هذه القضية من غير أن نسلم بحجتها يسعنا أن نتساءل : « وأية صحافة نستحقها نحن ؟ »

والجواب على ذلك ليس بالأمر الهين ؛ فقد جاء في مقال لكاتب إيطالي — أغفل اسمه — نشر في كتاب سنوي فاشي عن الصحافة الإيطالية قوله : « إذا كانت بريطانيا العظمى لا تزال تملك صحفاً تشغل مكانتها بين خيار صحف العالم ، فإنها ما برحت تملك صحفاً أخرى هي بلا شك أسوأ الصحف في العالم ، أو على أي حال في أوربا » . وإني لا أجد بصدد هذا النظر سوى أسباب ضعيفة أخالفه الرأي فيها . اللهم إن صحافتنا حتى أسوأها شأناً ما زالت إلى الآن لا تخضع لأية رقابة رسمية ، أو تستعبد لأية قيادة حكومية ؛ إذ لا يسعنا أن نجمع بين النقيضين : حرية الصحافة وقيود الرقابة

والحرية التي سمحت لجريدة إقليمية كبرى (كالمنشستر جارديان) بأن تنادي غير هيابة بالحقائق اللازمة لسلامة الكيان السياسي بأجمه ؛ والحرية التي أباحت لصحيفة التيمس عام ١٨٥٢ أن تلقي على رجال السياسة درساً قيماً عن وظيفة الصحافة الحرة في المجتمع الرشيد ، لا يسعنا أن نفقدها جملة رجاء أن نتخلص من الخبيث الضار ونحن نمني بفنشئة الطيب النافع

ولكن هل الحرية شيء محبوب لذاته عظيم في نفسه ، حتى أنه يصبح لزاماً علينا أن نتحمل من أجلها ما هو أقل صلاحية وجودة من شؤوننا ؟

إننا عند ما ننعم النظر فيما للصحافة البريطانية اليوم من شأن وفيما قد يتهيأ لها من مستقبل تصادفنا تلك القضية القديمة وأعني بها ما لحرية الصحافة من مكانة وقيمة ، فاذا هي منها بمنزلة الأساس من البناء والأصل من الكائنات

ولقد صار واجباً على كل جيل أن يحل مشكلات هذه القضية لنفسه . أو ليس يتفق مع طبيعة الحياة الإنسانية اتفاقاً كبيراً ما صاغه جوت صياغة ماهرة في عبارته الخالدة إذ قال : « إذا شئت أن تحتفظ بما ورثه لك آباؤك ، فعليك أن تهيئ نفسك لأن تكون قادراً على استرداده والظفر به »

وعندي أن الحرية لا ترتبط ارتباطاً كلياً أو جوهرياً بالحالات المادية أو بطرق الإنتاج الصناعي على الرغم مما يذهب إليه كارل ماركس في مذهبه

وقد توجد علاقة دقيقة بين حق الفرد في أن يظفر بنصيب من الملكيات الخاصة وحقه في التمتع بحريته الإيجابية ، إذ القضاء على جميع الملكيات الخاصة من شأنه كما يتوقع له وينتظر من مصيره أن يعتمد الأفراد اعتماداً تاماً على الدولة ينتهي بأولي الأمر فيها إلى حال لا يحتملون معها الأفعال أو الآراء التي لا يرحبون بها ، ولا يسمحون للناس معها أن يتبرموا بها أو يلوموهم عليها . اللهم إلا معارضة سالبة صامتة تتردد في صدور المبرمين بالأوامر المالية ، وإن كانت الحرية المنشودة لجميع المقاصد الحيوية والأغراض العملية هي حرية الكائنات البشرية في أن تعبر عن

وجودها وتفصح عن غاياتها بالكلام أو الكتابة أو العمل في حدود القوانين التي هي نتاج التشريع الحر والقبول الطليق فإن الصمت الإجباري وكم الأفواه لا يختلف كثيراً من إلقاء العقول في غياهب السجون

والصحافة ، وحق الرأى العام فى الإفصاح والتعبير وعقد الاجتماعات والنظم النيابية . وسائر المميزات الأخرى للنظام الديمقراطي كل أولئك يحمل معنى الحرية لأنه سبيل المجتمع إلى التعبير الحر والرأى الطليق ، وهيهات أن يتهيأ الشعب أن يظفر بحريته بمعناها السياسي مالم يكن له الحق في النقد والمعارضة . ويندر أن تطمئن عقول الرجال لأسس الحياة وتتقبلها قبولاً حسناً مالم تمتحن هـذه الأسس بأذى يتهددها أو قوى تنكرها أو تتجاهلها . ولذلك بسبب ما يتهدد الحريات الأساسية الآن من عبث العابثين واضطهاد المضطهدين ، أو من إنكارهم عليها في مثل هذه المساحات المترامية الأطراف من أوربا والعالم ، أن يكون لها قيمة وشأن ، أن انصرفت الرغبة أخيراً للتفكير في تلك الأسس . ولتقصى مصادر تلك المذاهب التي بلغت من نفوس أجدادنا ما تبلغه العقيدة الصادقة والإيمان المتين ، ولمعرفة ما إذا كان يجب أن تصبح تلك العقائد محلاً للجدل أو هدفاً للانقلاب الاجتماعي وهي العقائد التي قاسى الناس الأهوال في سبيلها ولم تستقر في نفوسهم إلا بعد كفاح أجيال متعاقبة ، سأذكر هنا النتائج التي انتهى تفكيري إليها بعد إعمال الفكر في هذه المسائل وفي الكثير من نظائرها وتقصى ما لها من شأن وقيمة ، وسوف يتضح من أمرها أنها تمت بصلة وثيقة لمستقبل الصحافة

إنه لم يكن بالأمر العارض في إيطاليا وألمانيا — وفيهما اختفت الحرية وباتت الصحافة مجرد آلة للدعاية القومية أو الدعاية الخارجية ، أن ينادى بالحكومة التي تخدمها تلك الصحافة « كحكومة استبدادية » وأى بحث قائم على التفكير السليم فيما للحرية من قيمة يحملنا فوراً على أن نمحص الحوار القائم بين « السلطان المطلق » و « السلطان النسبي » وينتهى بنا عاجلاً أو آجلاً لأن نقرر أن قوام الحرية العالمية هو الإنكار الدائم للسلطان المطلق سواء أكان عقلياً أو روحياً أو سياسياً ، وأنها نتاج التجارب المستمرة التي تنهيأ لعقولنا ومشاعرنا ، وأنها ثمرة الاتجاه المتواصل لعلاقاتنا وقيودنا الاجتماعية نحو المثل العليا

والقيود التي تحد من حريتنا في التصرف الآن ترجع إلى القوانين أو الالتزامات التعاقدية ، أو إلى عادات المجتمع الذى نرتبط به . والحرية التي ننعم بها الآن هي حرية « شرطية » كما يعبرون عنها في الاصطلاح السياسي ، بمعنى أنه يجب ألا تتعارض مع سلامة المجموع الذى تملك تغيير زمام هذه الحرية وتنعم بجناها . وهـذه الحرية لا تمت بصلة إلى الحرية الصورية التي صورها « روبنسن كروزو » على رقعة جزيرته . تلك الجزيرة التي لم يسكنها إنسان قبل أن يبعث فيها إنسانه « فرايداى » إذ بوصول هذا الرجل إليها بدأت تدب فيها عناصر البيئة التعاونية وأسس الهيئة الاجتماعية . وعلى ضوء هذه الاعتبارات جميعاً غدت حريتنا الاجتماعية أو السياسية وهي ليست بالحرية المطلقة . وكلما قدر للمجتمع أن يتجاوز حالته البدائية تجاوزاً نسبياً تلك الحالة التي قد ينعم فيها كل رجل بحرية واسعة المدى يستمد منها قانونه من مشيئته كلما صارت حرية أفراده وهي أكثر اتصالاً وأشد تقيداً بحرية الآخرين . وهي أيضاً أقل إطلاقاً وأكثر خضوعاً للأوضاع والقيود الاجتماعية . ويمسنا أن ندعو هذه الحرية المقيدة « بالحرية الواقعية » ما خضعت لتلك القيود الأجنبية عنا ، والمستقلة عما لأشخاصنا من رغبة أو كراهية ؛ كما تتقيد حريتنا بقيود أخرى يمسنا أن نسميها « بالقيود المعنوية » ومثل هذه القيود إذ نألفها ونهيئ أنفسنا لأن نسكن إليها ، يخف حملها ولا يشق علينا أمرها . فلا نشعر معها بشيء يقيد حريتنا . لأننا في الواقع لا نتأذى مما يقيد حريتنا من الناحيتين الاجتماعيـة والمادية لمجرد أنه تقييد لحريتنا فحسب ، بل نتأذى به إذا ما أحسسنا بثقله وضقنا به ذرعاً ، فنحن بعبارة أخرى نتأثر بقيود حريتنا « المعنوية » أكثر مما نتأثر بضوابط « حريتنا الواقعية » التي لا يشق علينا شيء من أمرها حتى أحسسنا أنه ما من شيء يدعونا للثورة على القوانين أو للتمرد على العادات والنظم ؛ وشأننا في ذلك كشأننا مع قوانين الجاذبية من ناموس الطبيعة التي إذا ألفناها لا نجد من سبب للثورة عليها

ولكننا مع ذلك بحاجة لأن نكون على حذر من أمرنا قبل أن نقبل أسس الحرية التي نساق لها أو تساق إلينا ، ولا سيما

إذا كانت تلك الأسس من ذوات الطابع (المعنوى) وإلا انتهت قيود حريتنا بأن تستبد بنا استبداداً واسع المدى بالغ الأثر. فننتهى معها إلى أن نصبح عاجزين عن الاحتفاظ بحريتنا فى التفكير أو القول أو العمل. وآنئذ نفتقد عقائدنا وبالتالى إرادتنا فى مقاومة التدخل فى شئون حريتنا الواقعية. ويكون من أمرنا أن نتساهل فيما لا يحمل التساهل فيه، وأن نستبيح فى حق أنفسنا أن نخوف بالاستبداد المنظم الذى يشق علينا أمره ويصعب علينا احتماله. وعلى ضوء هذه الاعتبارات جميعاً كانت أولى النتائج التى انتهيت إليها من دراسة قيمة الحرية. إن من صواب الرأى أن نعلم أن الاستبداد بالرأى هو الشىء الوحيد الذى يلزمنا ألا نتسامح فيه إذا أردنا أن نظل أحراراً. لذلك كان لزاماً علينا مثلاً أن نتسامح فى أمر الصحف الرديئة لنظل أحراراً فى أن نحتفظ بصحافة طيبة، وهذه النتيجة تعود بى إلى قضية النسبية. فالأصل فى التسامح أن يثير الموازنة بين الحرية المطلقة والحرية المقيدة، وهذه الموازنة تنتهى بنا لأن ندرك أن جميع الحقائق نسبية، وأنه لا توجد حقيقة واحدة مطلقة سياسية كانت أو اجتماعية. وأن ندرك أيضاً أن الأمر لا يقتصر هنا على وجوب التسامح فى الآراء والعقائد، بل يتجاوزهما إلى التسليم بالحق فى النقد والاعتراف بحرية النقد، تلك الحرية التى أصبحت الآن عماد حرية الفرد ومصدر ما يصيبه من نجاح فى الثقافة أو العمل، إذ تحمل فى ثناياها المميزات الأساسية للجماعة الحرة، تلك المميزات التى يفصح عنها ما ينطبع فى الشعب من سجية التسامح فى الآراء التى قد لا يسلم بصحتها الكثير من أفراده، ولا تروق فى أعين غالبيتهم. وإذا ما تسامح الناس فى تقبل الآراء فى الوقت الذى لا ينعقد لهم إجماع على صحتها، وإذا ما تأبوا على أنفسهم أن يبطشوا بها أو يضيقوا بها ذرعاً، وإذا ما حرصوا أن يكون سبيلهم فى مناهضتها عن طريق المحاجة والإقناع، فإنهم على هذا النهج القديم يعترفون بحقيقة ما بين العقول البشرية من خلاف نزيه فى النظر والتقدير. وأنه لأشد رعاية لحرمة الرأى البشرى أن تمتحن المذاهب المختلفة عن طريق مقارنة الحجة بالحجة، ومقارعة الرأى بالرأى لا أن يفرض على الناس واحد من هذه الآراء أو تلك تحت سلطان القوة أو التهديد. والحرية السياسية لا تتفق مع تلك الحال التى يفرض فيها على الأمة رأى واحد، ويكون لزاماً عليها أن تتشابه فيها العقليات ويوحد النظر. بل هى على النقيض من ذلك تنهض على ما يجب أن ينعقد إجماع الشعب عليه من إباحة الاختلاف فى الرأى، كما تنهض على أن يعترف الجميع اعترافاً إيجابياً عملياً بأن اختلاف الآراء فى الهيئة الاجتماعية يجعل حياتها أخصب تربة وأكثر إنتاجاً مما يتيسر لها لو سارت على نهج واحد من اطراد المذهب ووحدة النظر. والجماعة إنما ينعم بحريتها على وجهها الصحيح متى كانت عاداتها وقوانينها فى الوضع الذى يفسح المجال لرأى الفرد ويهيئ الميدان لتصرفاته الشخصية، فلا تضيق الخناق على حريته فى الرأى والتصرف إلا إذا أجراهما على نهج غبى لو ترك وشأنه فيه لحال بين الآخرين وتمتعهم بحريتهم

والفرد لا ينعم فى الجماعة الحرة بما يظفر به من الحرية لمجرد أن قوانينها وعاداتها هى القوانين والعادات التى قد يفضلها على ما عداها، بل لأنه يحظى بنصيب كبير من توجيه شؤونها العامة والاجتماعية أن كان لكل مواطن حقه فى أن يدلى برأيه فى شؤون الدولة ويكون له أثره الفعال فى توجيه سياستها وإن كان من واجبه إلى ذلك أن يخضع لحكم الأغلبية وأن يقاسم بنى وطنه الحياة والعمل

(يتبع) زين العابدين جمعة

---

١٦ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الخامس — الحياة المنزلية

أما القهوة فهي تصنع قوية لا تحلى بالسكر ولا تخفف باللبن. وفنجان القهوة صغير لا يسع الكثير منها. وهو من الخزف ولا أذن له. فيوضع في ظرف من الفضة أو النحاس تبعاً لحالة الشارب. وهو يشبه تقريباً في شكله وحجمه ظرف البيض عندنا[1] ولتحضير القهوه يغلى الماء أولاً، ثم يضاف إليه البن بعد أن يحمص ويطحن حديثاً، ويقلب، ثم يعاد وعاؤه على النار مرات حتى تنضج القهوة رويداً رويداً، ثم تصب في الفناجين قبل أن يزول ما تكوّن على سطحها من القشدة. ويحب المصريون القهوة القوية الخالصة حباً شديداً، وقلما يضيفون إليها السكر؛ وبعضهم يحليها عند ما يشعر بتعب. ولا يضيفون اللبن أو القشدة أبداً، ولكن كثيراً ما يضمون فيها الحبهان. وتبخير الفناجين بالمصطكا شائعة. وقد يعطر الأغنياء القهوة بعطر العنبر اللذيذ. والطريقة الشائعة أن يوضع حوالي قيراط من العنبر في وعاء القهوة ويذاب على النار ثم تنضج القهوة في وعاء آخر بالطريقة السابق ذكرها، وبعد قليل تصب في الوعاء الأول (شكل ٣٤) ومن الناس من يستعمل العنبر للسبب نفسه بطريقة مختلفة. فهم يأخذون قيراطين من العنبر بعود صغير يضعونهما في قاع الفنجان ويصبون القهوة بعد ذلك. ومثل هذه الكمية تكفي أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وهذه الطريقة كثيراً ما يتخذها من يحب لنفسه شرب القهوة معطرة بالعنبر دون ضيوفه. وقد يقدم (بكرج) القهوة موضوعاً على جمر في وعاء من الفضة أو النحاس يسمى (عازق[1]) شكل ٣٥ ويعلق هذه الوعاء في ثلاث سلاسل. ويقدم الخادم القهوة ممسكاً أسفل الظرف بين الإبهام والسبابة، وعندما يتناول الفنجان والظرف يستعمل كلتا يديه واضعاً شماله تحت يمينه.



(شكل ٣٤) طقم قهوة

وتستعمل مجمرة تسمى «منقلاً» ويسميها العامة «منقداً» من النحاس المبيض بالقصدير ويحرق فيه البخور أحياناً. ويتلذذ المصريون بالعطور تلذذاً عظيماً[2]. وكثيراً ما يبخرون غرفهم، وأكثر المواد استعمالاً لهذا الغرض بخور من نوع رديء يسمى (بخور البز) ويستعمل كذلك الجاوي والعود



(شكل ٣٥) العازق والمنقل

وقلما يرى المصري ماشياً أبعد من عتبة داره إذا استطاع أن يقتني ركوبة أو يستأجر حماراً. ولكن القليل من أهل القاهرة والمدن الأخرى من يخاطر باقتناء جياد[3]، معرضاً نفسه

---

(١) ويتكون الطقم الكامل من عشرة فناجين بظروفها موحدة الشكل، ومن فنجان آخر بظرفه من نوع أرقى يقدم لرب الدار أو الضيف الممتاز. وترى في الصورة رقم ٣٤ «البكرج» والظروف والصينية من الفضة، وتحت هذه المجموعة ظرف وفنجان من النوع نفسه على مقياس أكبر ثم ظرف نحاسي فوقه فنجان. وبعض الظروف تصاغ بالفضة المذهبة أو الموحدة الشكل. ويقتني القليل من الأثرياء ظروفاً ذهبية قد ترصع بالماس والياقوت وغيرها من الأحجار، إلا أن كثيراً من المسلمين لا يستحسنون استعمال الأوعية الذهبية أو الفضية

(١) يعتبر البارون هامر برجستال أن هذه الكلمة محرفة ويضع عوضاً عنها كلمة «شاسكي» مع أن لفظة عازق هي المستعملة بين المصريين

(٢) وقد يعطرون اللحية والشين بعطر الزباد

(٣) ويرافق السيد خادم يحمل له الشبك سواء أكان راكبا أو راجلا

إلى الاشتباه فى أنه يمتلك أموالاً زائدة تفرض عليها ضرائب ورسوم أشد مما كان سيتحملها بوجه آخر . وتحشى عدة الجواد الحديثة بالقطن وتغشى بالجوخ أو المخمل وتطرز أو تزخرف ؛ ويزين اللجام عند الرأس والصدر بشراريب حريرية وقطع نقدية وغيرها من الزخارف الفضية . والعادة أن يركب البغال أغنياء التجار وكبار العلماء ، وعدة البغال كعدة الحمير تقريباً ، وعند ما يكون الراكب عالماً تغطى العدة بسجادة ، وكذلك قد تكون العدة التى يستعملها النساء بالرغم من شدة الاختلاف بينهما . وتستعمل الحمير فى شوارع القاهرة الضيقة المزدحمة . وهناك عدد كبير للكراء . واشتهرت القاهرة من زمن بجودة حميرها ، فهى أكبر من حمير بلادنا وأفضل منها فى كل ناحية . ويقدر ثمن الحمار الأصيل المدرب بحوالى ثلاثة جنيهات أو أربعة ، وقد يزيد ثمن بعض الحمير على ثمن الجواد العادى . ويجهز الحمار بعدة محشوة يغطى مقدمها بالجلد الأحمر ، ومقعدها بشرائط صوفية ناعمة ، ويكون الركاب عالياً دائماً . ويتقدم الراكب خادم أو خادمان ليفسحا الطريق ، ويحمل كل منهما (نبوتاً) قابضاً عليه من أسفل رافعاً إياه إلى أعلى . وقد يرافق الراكب للغاية نفسها خادم يجرى بجانب الحمار أو أمامه صائحاً فى المارة ليخلو الطريق يميناً أو شمالاً [1] . ومع ذلك يجب أن يكون الراكب حذراً فلا يعتمد على خادمه كل الاعتماد لئلا تصرعه أحمال الجمل الكبيرة . وهذه الحوادث قد لا يكون مفر منها فى شوارع القاهرة الأكثر ضيقاً والأشد ازدحاماً ، وعند ما ينزل السيد إلى منزل ما أو دكان ما يملأ الخادم له الشبك ويشعله

ويقضى المصرى أغلب وقته ، إذا لم يكن له عمل منتظم يشغله فى الركوب والزيارة ، أو شراء حوائجه ، أو فى التدخين أو شرب القهوة كثيراً وعلى مهل ، أو فى التحدث مع الأصدقاء فى المنزل ، أو التنعم بترف الحمام ساعة أو أكثر صباحاً . وفى الظهر عليه أن يؤدى الصلاة إذا كان يقوم بفروضه الدينية ، إلا أننى لاحظت أن القليل من المصريين نسبياً قد لا يهمل هذه الفروض ، وأن هناك كثيرين يندر أن يقيموا الصلاة أبداً . وبعد الظهر مباشرة (إذا لم يكن فطوره متأخراً) يتناول غداء خفيفاً ثم يأخذ الشبك والقهوة . وعند ما تشتد حرارة الجو لا يمنع نفسه من القيلولة . وكثيراً ما ينسحب ليستريح فى الحريم حيث تراعى زوجته أو جاريته راحته أو تدلك له قدميه ؛ وحينئذ ، أو عند ما يرغب فى الخلوة يقول الخادم للزائرين إن السيد فى الحريم ، فلا يستدعيه أحد إلا إذا كان العمل ضرورى . وهو يتمتع مرة أخرى بين صلاة العصر إلى الغروب بالتدخين والقهوة بصاحبة أصدقائه فى المنزل أو فى الخارج . وبعيد غروب الشمس يتناول عشاءه

ويجب على الآن أن أصف وجبتى (الغدا) و (العشا) وكيفية تناولها ونظامهما . ولم ألاحظ فرقاً بينهما ، غير أن وجبة العشاء هى الأهم . والعادة أن يجهز الطعام فى العصر ، وما يفضل بعد وجبة العشاء يقدم أثناء وجبة الغداء فى اليوم التالى إذا لم يكن بالمنزل ضيوف . وعلى العموم يتناول رب الدار طعامه مع زوجته أو زوجاته وأطفاله . إلا أن كثيراً من الرجال ، وعلى الأخص رجال الطبقة العليا ، يمنعهم كبرياؤهم أو يشغلهم ارتباطهم بمجتمعاتهم عن تناول الطعام مع العائلة ، إلا فى بعض المناسبات القليلة ، وحتى بعض رجال الطبقة السفلى يندر أن يأكلوا مع زوجاتهم وأولادهم . ويجب على رب الدار عند ما يكون فى منزله صديق له أن يأمر بإحضار الطعام فى وقته وهذا لا بد منه إذا كان الضيف أجنبياً

ويغسل كل شخص يديه ، وفمه أحياناً ، بالصابون والماء قبل أن يتناول الطعام [1] ، أو على الأقل يصب على يده اليمنى بعض الماء (أنظر شكل ٣٦) ويحضر الخادم لذلك طستاً وإبريقاً من النحاس المبيض أو النحاس الأصفر [2] . وللطست غطاء به

---

(١) مثل هذا : إوعى . يمينك . شمالك . ظهرك . وشك . جنبك . رجلك . كعبك ! وإلى التركى : صاقين (أى احترس) ، وهى الصيحات المألوفة ، وكثيراً ما يضاف إليها : يا أفندى ! التركى : يا شيخ ! (للمسلم العجوز أو المتوسط العمر) : يا صبى ! (للشاب) : يا ولد ، أو يا ابنى ! (للولد) : يا شريف ! (للأشراف المعممين بالأخضر) : يا معلم ! (النصرانى أو اليهودى من أهل البلد) : يا خواجه ! (للافرنجى) : يا ست ! (لسيدات الطبقة العليا والوسطى) : يا بنت ! (الفقيرة) : ويجب أن ينادى المرأة من الطبقة السفلى « يا بنت » ، مهما كان سنها كبيراً ، وإلا فالأرجح أنها لا تتحرك قيد أنملة ؛ وكثيراً ما يطلق على الفتاة الصغيرة أو المرأة الشابة « عروسة » . أما لقب : « حاجة » ، فهو نداء شائع للنساء فى الطريق

(١) أنظر إنجيل مرقس ، الاصحاح السابع ، الآية الثالثة : « لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون ... »

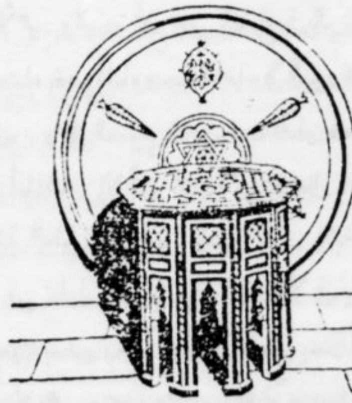
(٢) وتكون هذه الأوعية ، فى منازل بعض الأثرياء ، من الفضة . وقد رأيت بعضها من النحاس المذهب

عدة ثقوب ، وفى وسطه نتوء لوضع الصابون ، فيمر الماء عند التغسيل خلال هذه الثقوب إلى داخل الطست بحيث إذا قدم هذا إلى شخص آخر لا يرى الماء القذر ، ويعطى لكل فوطة



(شكل ٣٦) غسل اليدين قبل الأكل وبعده

والمائدة صينية مستديرة من النحاس المبيض ، أو من النحاس الأصفر أحياناً ، قطرها بين قدمين أو ثلاث أقدام . وتوضع على كرسى ارتفاعه حوالى خمس عشرة بوصة . ويصنع الكرسى من الخشب وقد طعم بالصدف أو الباغة أو العظم الخ .



(شكل ٣٧) الكرسى والصينية

فالصينية والكرسى يكونان السفرة (أنظر شكل ٣٧) وتوضع على الصينية أرغفة الخبز المستديرة التى سبق وصفها ، كاملة او مقطعة أنصافاً . ويصف معها حول الصينية أنصاف من الليمون لتعصر على المأكولات التى قد تحتاج إلى الحامض ، وملعقة من خشب البقس أو الأبنوس أو الباغة لكل آكل . وكثيراً ما يستعمل الخبز بدل الصحون . وبعد ذلك توضع أطباق اللحوم والخضر على اختلاف أنواعها ، جميعها مرة واحدة تبعاً للعادة المصرية أو طبقاً طبقاً حسب الطريقة التركية . وهذه الأطباق تكون من النحاس المبيض أو الخزف

ويجلس الآكلون على الأرض حول الصينية وعلى ركبتى كل منهم فوطته . أما إذا وضعت الصينية بجانب ديوان منخفض فيجلس البعض على الديوان والآخرون على الأرض . ولكن عند ما يكثر العدد توضع الصينية فى وسط الغرفة ويجلس الجميع حولها واضعين إحدى ركبتيهم على الأرض والأخرى (اليمنى) قائمة . وهذا هو الوضع المستحسن أثناء تناول الطعام (أنظر شكل ٣٨) وبهذه الطريقة يستطيع اثنا عشر شخصاً أن يجلسوا حول صينية سمنها ثلاث أقدام . ويشمر كل شخص عن ذراعه اليمنى حتى الكوع أو ما تدلى من كمه . وقبل أن يشرع أحد فى الأكل يسمى باسم الله(١) بصوت منخفض ظاهر ويبدأ رب الدار بالبسملة . ويعتبر هذا ملاطفة منه ودعوة إلى المدعوين لتناول الطعام . وعلى من يقال له بسم الله أو تفضل أن يقول إذا رفض الدعوة (هنيئاً) أو ماشابه ذلك . وقد يكون ذلك أيضاً خشية شر العين إذا وقعت على الأكل . ويقولون فى هذا : (لا بركة فى الطعام إذا اشتهى) . إلا أن الإلحاح الذى يدعو به المصرى الأجنبى إلى مشاركته الطعام يبين أن الذوق السليم وواجب الضيافة يحتمان عليه قول البسملة . ويبدأ بالأكل رب الدار ثم يتلوه الضيوف مباشرة .



(شكل ٣٨) جماعة يتناولون الطعام

والمصريون لا يستعملون السكين ولا الشوكة ، وإنما يستعملون بدلاً منهما الإبهام وأصبعين من اليمنى . وتستعمل الملاعق لتناول الحساء أو الأرز أو غيرهما من الأصناف التى لا يسهل تناولها بدونها . وقد تستخدم اليدان معاً فى أحوال

(١) أو بسم الله الرحمن الرحيم

إلى « مى » ...

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

طرحتِ الحياةَ وعبءَ الحياةِ ... يا سيرةً من كِبار السِّيَرْ
نعاكِ النعيُّ إلى الخافقينِ ... فعلَّمنى كيف يهوى القمر
مضيتِ كأن لم تكونى ضياءً ... ينيرُ القلوب ويجلو الفِكر
لعمركِ ، لو قام قبل النشور ... رفاتٌ تلاشى وعظمٌ نخِر
لقامت سكينة فى إثر عمر ... ة تستقبلانك دون الحفر
نهار الثلاثاء يا (مىّ) حالَ ... محيّاه فهو شَجٍ مكفهر
لأقسم بعدك ما أن يرقّ ... نسيمُ أصائله والبكر
تفقد مجلسَك المستطابَ ... وحلو الحديث وأنسَ السمر

سأذكرها الآن . وفى حالة ما توضع الأطباق جميعها مرة واحدة يغترف كل واحد من أى صنف يشتهيه أو من جميع الأصناف على التعاقب . وعند ما يقدم الطعام طبقاً طبقاً يتناول الواحد من الطبق بعضه ثم سرعان ما يرفع ليقدم غيره.[1] ومن الأدب أن تناول صديقك قطعة مختارة . وأرى أن طريقة تناول المصريين والشرقيين طعامهم بالأصابع أرق مما يتصور الأوربيون. الذين لم يشاهدوهم أو لم يسمعوا الوصف على حقيقته . فالواحد منهم يأخذ من الخبز قطعة يغمسها فى الطبق ثم يرفعها إلى فمه مصحوبة بقطعة صغيرة من اللحم أو غير ذلك من محتويات الطبق[2] ، وتكون قطعة الخبز مزدوجة بحيث تحيط بقطعة اللحم الخ ولا يستخدم عادة غير الإبهام والإصبعين الأولين . وإذا تناول شخص قطعة لحم تزيد على اللقمة وضعها عادة على رغيفه

(يتبع) ... عدلى طاهر نور

(١) وقد أكل سيدنا عيسى وتلاميذه من طبق واحد . أنظر إنجيل متى ٢٦ — ٢٣ « فأجاب وقال : الذى يغمس يده معى فى الصفحة هو يسلمنى »

(٢) أو يغمس لقمته فى الطبق فقط . أنظر راعوث ٢ — ١٤ : « فقال لها بوعز عند وقت الأكل تقدمى إلى ههنا وكلى من الخبز واغمسى لقمتك فى الخل »

وفكراً يُفيض على الساهرينَ ... جمالَ خيالاته والصور
وإذ يتنثَّرُ طَلُّ الحديثِ ... على المنصتين نثارَ الزهر
فتعبق حولك دنيا القلوبِ ... ودنيا العقولِ بنشر عطِر
وتهفو النفوسُ ، ويعنو لسحرِ ... بيانك كلُّ بيانٍ سحر

* * *

مآثركِ الغرُّ تنبىء كيفَ ... يُخلِّدُ كلُّ عظيم الأثر
كأنى بها قبَسَتْ من طهو ... ر سيناء يا (مىُّ) تلك الغرر
أهذى « صحائفك » المشرقاتُ ... أم الذهن ضاء خلالَ السُّطرُ
وهاتيك أمْ « سوانحُ » أم نا ... قبُ الفكر جَلّى طباعَ البشر
خبَرْتِ الحياة وحالاتِها ... وأفعمتِ منها بحلوٍ ومُر
وكنتِ بشِرْعتها تعلمينَ ... فبيَّنتِ أحكامَها والعبر
تغلغل روحُك فى سرها ... وكشَّف من كُنهه ما استتر
وإذْ جُزْتِ يا (مىّ) أسفارها ... وما هى إلا سبيلٌ وَعِر
إلى عالمٍ دقَّ تفسيره ... وليس لواردهِ من صَدَر
فكيف وجدت لديه المُقامَ ... وكيف يُصرِّف فيه العمر ؟
بربكِ هل تستريحُ إليه الـ ... قلوبُ وتنعمُ بالمستقر
بنفسى نُزُوعٌ إلى خُبْرِهِ ... فهاتى حديثكِ واروى الخبر
هنالك أودعتُ نفساً صفَتْ ... إذا نَقِلَتْ أنفسٌ من كدر
أخٌ إن عثرتُ أقال عثارى ... وكان ملاذيَ والمدَّخر
أحنُّ وأذكرُ آلاءه ... فيصدعُ قلبى عذابُ الذكَر
وأنظرُ فى إثره العابرينَ ... فأشتاقُ لو كنتُ فيمن عَبَر !

* * *

هنا ضقتِ بالعيش ذرعاً فقرّى ... هنالك عيناً بطيب المقر
تُظلُّكِ من سدرة المنتهى ... غصون دنا ظلُّها وانتشر
فلا النفس توْهن من شِقوةٍ ... ولا الروحُ يا مى تشكو الضجر

(نابلس) ... فدوى عبد الفتاح طوقان

البريد الأدبي

يوم « مى »



فى يوم الخميس الماضى حفلت دار الاتحاد النسائى بصفوة من رجال الفضل والعلم أجابوا دعوة السيدة هدى هانم شعراوى لتأبين المغفور لها الآنسة « مى » . وكان الكلام لنخبة من أمراء البيان جلوا مآثر الفقيدة فى نواحى الثقافة والصحافة والسياسة والإصلاح، فتكلمت رئيسة الاتحاد عن « فقيدة العروبة النابغة » ، وتكلم معالى الدكتور هيكل باشا عن « مى والسياسة » ، وتحدث معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا عن « ذكريات مى » ، والآنسة ابنة الشاطئ عن « مى الإنسانة » ، والدكتور منصور فهمى بك عن « مى والعروبة والأمومة » ، وألقى الأستاذان عباس محمود العقاد وخليل مطران بك قصيدتين من عيون الشعر . ثم تحدث الدكتور طه حسين بك عن « مى والأدب العربى » ، والأستاذة عزيزة عصفور عن « رسالة مى » ، والدكتورة نعيمة الأيوبى عن « مى والأبوة » . ثم نهض الأستاذ أنطون الجميّل بك فوجه الشكر عن أسرة الفقيدة إلى كل من شارك فى هذا العرس الحزين بقلبه أو لسانه . ثم ارفض الحفل وفى قلب كل من شهده حسرة لاذعة على أفول هذا النجم الذى لمع فى سماء الأدب حيناً ثم خبا والشرق أحوج ما يكون إلى وحيه وهديه . وفى العدد القادم سننشر جملة من مختار ما قيل . رحم الله الفقيدة الكريمة ، وعوض الأدب من فقدها خير العوض

هناء

أعاود بعدما قال الأستاذ المكرم على الطنطاوى، فأقول: إنى سئلت عن « الهناء » فأجبت بأنه مذكور فى « تاج اللغة وصحاح العربية » ، ولكن لا أدري الآن الحكم الصحيح ، لأنه يجوز أن يكون فى النسخة « المخطوطة » التى اطلع عليها الأستاذ سهو ، والعلم لله »

« رهبد »

تيسير الكتابة العربية

تجتمع فى الأيام القريبة المقبلة لجنة الأصول بالمجمع اللغوى لإقرار مشروع « تيسير الكتابة العربية » فى صورته الأخيرة بعد أن فرغت اللجنة التى كانت مؤلفة له من بحثه ودراسته وإدخال التعديلات عليه . وأساس هذا المشروع اقتراح الأستاذ على الجارم بك ، ومبادئه الأساسية هى :

أولاً : يبقى للقرآن الكريم رسمه المأثور

ثانياً : تبقى صور الحروف العربية كما هى :

ثالثاً : توضع علامات للحركات والسكون والتنوين ، على أن تكون هذه العلامات داخلة فى بنية الكلمات ، لا هى فوقها ولا تحتها كما هو الآن ، حتى لا يخطئ اللسان فى بناء كلمة أو فى إعرابها

رابعاً : الحرف المفتوح لا توضع له علامة اختصاراً ، فترك العلامة دليل الفتحة ، وقد اختيرت الفتحة لكثرة دورانها فى الحروف ، فترك علامتها اختصار كثير

خامساً : لكل من الكسرة والضمة والسكون والتنوين علامة خاصة أشبه ما تكون بحرف جديد يتصل بالحرف الأصلى مباشرة .

وقد احتوى المشروع إلى جانب ذلك على قواعد تسهيل كتابة الهمزة والألف المتطرفة ، وكذلك وضعت قواعد للتقليل من العلامات ، وقواعد أخرى لمراعاة النطق فى الكتابة

ومما لاحظته اللجنة فى دراستها للمشروع ما تقتضيه الناحيتان الخطية والطباعية ، فروعى ذلك مراعاة عملية ، توصلاً إلى إمكان تنفيذ المشروع فى المطابع وفى الكتابة العامة

والمنتظر أن تفرغ لجنة الأصول من إقرار هذه القواعد والعلامات ، لتعرض على مجلس المجمع فى جلساته الأولى المقبلة ، حتى يعرض المشروع بعد ذلك بحذافيره على جمهور المشتغلين بالعلم والأدب والفن فى مصر والبلاد العربية

المؤتمر التعليمى العربى والأبحاث التمهيدية للدعوة اليه

اجتمعت فى الأسبوع الماضى برياسة معالى وزير المعارف اللجنة التى وكل إليها وضع منهاج المؤتمر التعليمى الذى ستدعو إليه مصر الأقطار العربية ، والذى تأمل وزارة المعارف أن تجعل منه فرصة مناسبة لتقريب الفكر العربى من المركز الثقافى فى القاهرة ، وأن نسمو به إلى تحقيق أمل قديم فى جعل شباب الأقطار العربية يتلقون ثقافة متقاربة موحدة بقدر الإمكان

وقد علمنا من بعض أعضاء هذه اللجنة أن أهم أعمال المؤتمر ستدور حول غرضين رئيسيين أولهما « الثقافة العامة » وثانيهما « المناهج المدرسية » . أما الغرض الأول فيقصد به ربط الشعوب العربية بلون ثقافى متجانس يستمد طابعه من المقومات المشتركة بين هذه الشعوب . وأما الغرض الآخر فمن السهل تحقيقه ؛ وعند ذلك يمكن للطالب فى أى قطر عربى أن يستكمل مراحل دراسته الثانوية أو العالية فى أى قطر آخر — وخصوصاً الآن فى مصر — من غير أن يواجه بسياسة تعليمية مضادة لما نشأ عليه

وسيعنى المؤتمر فى الموضوعات التى سيتعرض لها بالمشاكل التعليمية التى تشغل البال اليوم فى جميع البلاد العربية ومنها مصر وأهمها طرق التدريس ، وفى هذا الشأن قد تنتفع الأقطار العربية من خبرة المصريين بطرق التدريس الحديثة ؛ ولكن من المشكوك فيه الآن أن نحصل على اتفاق فى توحيد المناهج فى الوقت الذى راجت فيه عندنا فكرة التعليم الإقليمى أى وضع مناهج خاصة لكل إقليم على حدة ، بحسب ظروفه وحاجاته

أسرة الشعر بكلية الآداب

حددت أسرة الشعر بكلية الآداب برنامجها هذا العام فيما يلى

١ — ترحب الأسرة بكل دراسة تحليلية للشعر فى مختلف أوضاعه وللشعراء فى شتى نزعاتهم ويتناشد الأدباء والشعراء فى مصر والأقطار الشقيقة لهذه الناية

٢ — ستقوم الأسرة بتنظيم حفلات نصف شهرية فى أحد مدرجات الكلية لإلقاء هذه الدراسات وعرض الأشعار المنتجة وسماع الموسيقى والأغانى وستعطى للمستمعين فرصة للنقد والتعليق

٣ — ستصدر الأسرة مجلة (الشعراء) شهرية مؤقتاً تضم البحوث الفنية فى الشعر وروائع الشعر الحديث والقديم

٤ — ستقيم الأسرة فى نهاية العام (ليلة للشعر)

٥ — المكاتبات تكون باسم حضرة سكرتير أسرة الشعر بكلية الآداب

تحقيق تاريخى

قال الأستاذ أحمد أمين بك فى مقال نشرته مجلة (الثقافة) بعددها ١٣٠ : أن الشيخ يوسف الشربينى مؤلف كتاب : « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » من أعيان القرن الحادى عشر الهجرى ، وقد تعرض لكتابه « هز القحوف » بالتحليل فى هذا المقال ، ولا يعنينى الرد عليه فى صورته التحليلية وإنما الذى يعنينى أن أذكر أن « الشربينى » من أعيان القرن الثانى عشر ، لا من أعيان القرن الحادى عشر ، وأنه كان من العلماء الأعلام ، فلقد وقفت بخزانة كتب مولانا العلامة المؤرخ الشيخ محمد حامد المراغى الجرجاوى على ما كتبه بخطه على نسخة « هز القحوف »

فى الفهرست لدار الكتب الأميرية ص ٢١٣ ج ٦ ما لفظه « هز القحوف » بشرح قصيدة أبى شادوف ، تأليف العلامة الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى من علماء آخر القرن الحادى عشر كان موجوداً سنة ١١٠٩

وقد علق على هذا العلامة المؤرخ المراغى الجرجاوى بقوله : رأيت مؤلفاً اسمه « السيف الصقيل ، فى عنق من يرد الطلاقة الثلاث من غير تحليل » صرح فيه بالرد على هذا الضال ، وأنه شرع

فى تأليفه يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم من شهور سنة ١١٠٩ هـ ولفظه :

وبعد ، فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى ، كان الله له ورحم أباه وسلفه ، لما كان يوم الثلاثاء المبارك سابع عشر المحرم الحرام من شهور سنة ١١٠٩ هـ ، وأنا قاطن بثغر دمياط ومحل الخير والرباط ... الخ

ففى أوائل القرن الثانى عشر كان المؤلف على قيد الحياة ، فهو من علماء القرن الثانى عشر ، وهو من العلماء الأعلام ، لا كما يقول الأستاذ أحمد أمين بك أنه كان من المهرجين

هذه إلمامة موجزة أزجيها لخدمة التاريخ ، والله ولى التوفيق

« جرجا » محمود غساف أبو الشباب

رسالة المعلم الالزامى وكيف ينبغى أن تكون

فى العدد السابق من (الرسالة) الزاهرة أبان صديقى الأستاذ « محمد كامل حته » ماهية رسالة التعليم الإلزامى من حيث هو « مادة » وأجلى للقانعين بالأمر من أن التعليم الإلزامى أسمى مما يظنه البعض نحو قصوره على محو الأمية فحسب

وإتماماً للفائدة رأيت بهذه المناسبة أن أتكلم عن رسالة الذى عهد إليه عملية هذا البناء والذى وكل إليه مستقبل هذه الأمة وعن الأمانة التى وضعت فى عنقه لحملها عن طيب خاطر ألا وهو — المعلم الإلزامى —

المعلم الإلزامى له رسالة داخل المدرسة حيث الطفل لا يزال كالعجينة ، فهو الذى يصهرها ويصبغها كيفما شاء . وله رسالة خارجها : حيث الشعب وسواد الأمة فى القرية والمدينة

ومن هنا يجدر بنا أن نؤمن بأن المعلم الإلزامى له شأن آخر يختلف عن زميله الجامعى أو العالى من حيث الأهمية والخطر ... فهو رسول الأمة فى تعليم أبنائها داخل المدرسة وخارجها

ولذا يجب أن تكون حياته ملأى بالمثل الصالحة الجديرة بإنهاض الأمة وتثقيف عقول أبنائها وتقويم أخلاقهم .

وأن يكون هدفه المباشر مصلحة الطفل فى المدرسة وخارجها ، وأن ينظر فى أمر إصلاح القرية من نواحيها المختلفة ؛ فهناك فساد النفوس وإعراضها عن الحق ، وعلل الأجسام والأمراض الفاشية ، وسوء الحالة المادية وفساد النظام الصحى

وإن من أهم ما يثير حيويته حين ينشد الحياة الصالحة أن يكون عارفاً لنفسه حقها وأن يكون رجلاً أبياً عيوفاً ذا إرادة حديدية لا تغلب ، وعزيمة جبارة لا تقهر ، وأن يؤمن بشرف رسالته فيكون خير مثال يحتذى به فى القول والعمل جاعلاً نصب عينيه التفانى فى الواجب وإنكار الذات

ولكن هل المعلم الإلزامى يعرف رسالته ؟ وهل هو جدير بها ؟ وهل يؤديها على الوجه الأكمل ؟ وإذا لم يكن فلماذا ؟ وهل وجد اتحاد التعليم الإلزامى لتحقيق هذه الرسالة ؟ أم أن جهوده قاصرة على تحسين حال المعلم المادية فقط ؟

هذه أسئلة تدور على ألسنة كثير من الناس ، وهى جديرة بالرد عليها — وموعدنا العدد القادم إن شاء الله

محمود محمد عيد
وكيل نقابة القاهرة للتعليم الالزامى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9me Année No. 441

Lundi - 15 - 12 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صـفحة
١٥٠١ وأمنيتى ... ! ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٥٠٤ الحياة صادقة ! ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
١٥٠٧ نداء المجهـول ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٥١١ أول مقالة نشرتها وأول درس ألقيتـه ... ... } الأستاذ على الطنطاوى ...
١٥١٤ العقـد النفسية فى طريق التكون وفى طريق الزوال } الأستاذ حسين الظريفى المحامي
١٥١٦ قيمة الحرية ... ... } لصحافى العالمى ويكهام استيد بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة
١٥١٩ بعد منتصف الليـل ... : الأستاذ م . دراج ... ...
١٥٢١ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق إدورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٥٢٤ قصيدة العقاد فى « مى » : . ...
١٥٢٥ قصيدة مطران فى « مى » : . ...
١٥٢٦ المجمع اللغوى والانتاج الأدبى : . ...
المؤتمر العربى للتعليم ... : . ...
١٥٢٦ فى المجمع العلمى العربى بدمشق : الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٥٢٧ تحرز مفسر من التكفير فى رأى خطير ... ... } الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٥٢٨ نص خطير — غلطة مفسر كبير ... ... } الأستاذ أحمد صفوان ...

وأمنيتى ... ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... فهمنا من مقالكم « أمنيتى » ما هى العلاقة بين الفروسية وقرض الشعر ، أو بين أن تتمنى قيادة الجيوش وأن تتمنى النبوغ فى الأدب . ولكن تسمحون لى أن أقول إن العلاقة بين التدين والأدب لا تزال غير جلية ، فهل تتفضلون بتوضيحها ...

« ... ولا أدرى هل تمنيتم الأدب ولم تتمنوا شيئاً آخر من الدنيا ؟ ألم تتمنوا السعادة مثلاً ؟ ألم تتمنوا لذة من لذات الحياة ؟ أليس الحب أمنية للشاعر وإخوانه من رجال الفنون الجميلة ؟ فما قولكم فى هذا ؟ هل يغنى الأدب وحده عن كل هذه الأمانى المحبوبة ! ... »

محمود محسن

* * *

هذه نبذة من خطاب مطول فى التعقيب على مقالنا السابق عن أمنيتى فى الحياة ، نعود بها أو تعود بنا إلى هذا الموضوع الذى لا يزال أبداً فى حاجة إلى تكملة كاحتياج المرء إلى التمنى واستكناه ما يتمناه وإطالة القول فى هذا وذاك

ويلوح لى أن الأديب المستفهم يبحث عن علاقة بين الأدب والتدين كالعلاقة بين الأدب ونظم الشعر فى ميدان القتال للتحدى والتهويل على الأنداد

فالشعر قريب من الفروسية لأن الفرسان كانوا ينظمون الشعر بين الصفوف، فهم فرسان وشعراء؛ والقرابة بين الطائفتين واضحة على هذا المنوال

ولكن ما هي العلاقة بين الإيمان الديني والنزعة الأدبية ؟ هنا يقول الأديب المستفهم إن العلاقة يحيط بها شيء من الغموض

والواقع أن العلاقة هنا أوضح وأقرب إذا بحثنا عن المناسبات السطحية التي من قبيل نظم الشعر بين صفوف القتال للتحدي والتهويل ؛ فإن كثيراً من الشعراء ينظمون في الأغراض الدينية وفي الغزل الإلهي وفي شطحات الصوفية وأهل الطريق. فإن كان هذا هو المقصد من العلاقة بين الإيمان الديني والنزعة الأدبية فما أوضح الموضوع وما أبعده من الغموض ! ...

إن الشعراء الصوفيين لا يقلون عن الشعراء الحماسيين، وقصائدهم رائجة بين الناس كرواج قصائد الفرسان ، لأن حلقات الأذكار وما يشبهها أشيع في الأندية والمجالس التي تنشد فيها سير الأبطال بلغة الفصحاء أو بلغة العوام

ومن ذكرياتي في هذا الصدد أنني نظمت الشعر في الأغراض الدينية كما نظمته في المناجزة والدعوة إلى القتال

فقد أسلفت بمقالي السابق أنني أوشكت أن أسلك طريق « الدروشة » وأنقطع عن الدنيا ومساعيها . وكنت خلال ذلك أسمع الأذان من مؤذن المسجد المقارب لبيتنا وهو منشد مشهور بجمال صوته وحسن إلقائه ، فكان يشجوني أن أسمع مقدمات الأذان قبل صلاة الجمعة وهي الأناشيد الثلاث التي كانوا يسمونها حسب ترتيبها بالأولى والثانية والثالثة ، وكلها من الشعر المنظوم في التصوف أو مدح النبي عليه السلام

وكان مسموحاً للناشئين أن ينشدوا هذه القصائد مع المؤذن أو على انفراد ، بل كان إنشاد الناشئين مفضلاً مستحباً لأنهم أقرب إلى صفاء النفس وطهارة العبادة

فاستأذنت في إلقاء إحدى هذه القصائد مرات ، واخترت في بداية الأمر شعراً من دواوين البرعي وأمثاله . ثم تجرأت على نظم قصيدة طويلة أحكي بها شعر المديح النبوي ، وأنشدتها دون أن أخبر أحداً بأنني ناظمها ، وخفت أن يستكثروها عليّ بعد ظهور الحقيقة فختمتها ببيت لا أذكر منه إلا الشطرة الأخيرة وهي : « عباس من هو بالأشعار مدرار »

وإنما أذكرها لأنها هي الشطرة الوحيدة التي انتقدها أبي رحمه الله حين أطلعته على الحقيقة . فتبينت الفرح في أسارير وجهه والتشجيع في صريح كلامه ، ولكنه قال لي برفق : ما ينبغي أن تثني على نفسك هذا الثناء وأنت ترى كيف يختم الأئمة المادحون قصائدهم بالتذلل والتوسل وتصغير ما قالوه وأسلفوه من الصلوات والعبادات

فهذه علاقة بين التدين ونظم الشعر كالعلاقة بين نظم الشعر والحماسة العسكرية ، ولكنها كما قدمت علاقة سطحية توجد بين الأدب وبين كل موضوع ينظم فيه الشعراء . ففي وسعك على هذا القياس أن تقول مثلاً إن الهندسة « الميكانيكية » قريبة من الشعر لأن بعض الشعراء ينظمون في وصف الطيارة ، وأن تقول كذلك إن علم الحيوان قريب من الشعر لأن بعض الشعراء ينظمون في وصف الخيل أو وصف العصافير

إلا أنها علاقة سطحية لا يرجع إليها في استكناه أسرار الشخصية الإنسانية وروابط الملكات والطبائع الخفية ، وغير هذه العلاقة أردنا حين قلنا : « إن التعبير عن النفس يجتمع فيه عندي تحقيق وجودها ومتمتها واستكناه حقيقتها وحقيقة ما حولها »

فالتعبير عن النفس هو الأدب في لبابه

وما هو التعبير الذي عنيناه ؟

التعبير الذي عنيناه هو كشف المكنون وتوضيح الأسرار وتمثيل الخفايا في صورة تخرجها من عالم الخفاء إلى عالم النور

وهنا العلاقة الوثيقة بين أعمق أعماق الدين وأعمق أعماق الأدب : هنا العلاقة بين استطلاع أسرار الوجود وبين معرفة النفس ومعرفة الإفصاح عن معانيها والإبانة عن أشواقها بلسان الأدب أو بلسان الفن على التعميم

فكل تعبير ينطوي على سر موضح مكشوف

وأي سر أعمق من سر الوجود وأحوج منه إلى التصوير والتقريب والإلحاح بعد الإلحاح في الاستكناه والاستطلاع

ذلك ما أردناه حين قلنا إن الصومعة قريبة من الروضة الأدبية ، وذلك هو التعبير عن النفس بمعنى إثبات حقيقتها وإثبات العلاقة بينها وبين الحقائق الكبرى

ولكل نفس تعبيرها على حسب ما تحسه وتتوق إليه ، فليس

من الضروري أن ينتهي التعبير بكل إنسان إلى التعمق في أسرار الدين ، ولكنه إذا انتهى ببعض الناس إلى التعمق في تلك الأسرار فليس ذلك بغريب

***

أما أنني تمنيت الأدب ولم أعن السعادة فسبب ذلك بسيط لا نطيل الإفاضة فيه

سببه أن السعادة أمنية عامة وليست بالأمنية المحدودة أو الأمنية الخاصة

فمن قال إنه يتمنى السعادة فكأنما قال إنه يتمنى ما يتمناه كل إنسان ، وكأنه بذلك لم يقل شيئاً يستحق السؤال

كلنا يتمنى السعادة ، ولكن سعادة هذا غير سعادة ذاك

سعادة هذا في المعرفة ، وسعادة ذاك في جمع المال ، وسعادة غيرهما في السطوة والاستعلاء ، وسعادة آخرين في الراحة والقناعة ، وكلهم يتمنون السعادة على نحو من الأنحاء

فإذا سألني سائل ماذا تتمنى فهو لا ينتظر مني أن أحيله إلى السعادة مجملة غير مفصلة ، بل هو ينتظر مني أن أبين له الأمنية التي تسعدني إن ظفرت بها ، أو التي أعتقد أن طريقها هو طريق السعادة وإن لم أصل إليها

وكذلك لذة الحياة أو لذات الحياة . فهي مسألة وظيفة من وظائف البيئة الحية لا تحتاج إلى سؤال ، وما من حي إلا وهو يشتهي أن يشعر باللذة وأن يجتنب الألم . وغاية ما بين الأحياء من فروق في هذا الباب أن يختلفوا في أسباب اللذة ودرجاتها على نحو قريب من اختلافهم في أسباب السعادة ودرجاتها

هي وظيفة وليست أمنية

ومن قال إنني أطلب اللذة فكأنما قال إن لي معدة ولي عينين ويدين وقدمين ، وذلك غني عن المقال

***

أما الحب وأنه أمنية للشاعر وإخوانه من رجال الفنون فذلك صحيح

ولكن من قال إن « التعبير عن النفس » لا يشمل الحب في بعض نواحيه ؟

ومن قال إن الاشتياق إلى الحب والاشتياق إلى التعبير عن النفس شيئان مختلفان ؟

إن الإنسان لا يجد نفسه في شيء كما يجدها في الحب ، وإنه لا يعرف ما فيها من قوة وضعف ، ومن عطف وجود ، ومن رحمة وقسوة ، ومن خفايا وظواهر ، ومن تجهمة وضحك ، ومن حكمة وحماقة ، ومن إنسانية وحيوانية كما يعرف ذلك جميعه في الحب

فالحب ومعرفة النفس صنوان

ومعرفة النفس منتهية لا محالة إلى التعبير عنها ، ولو لم يكن هذا التعبير بالمنظوم والمنثور

ونحن حين قلنا إن « التعبير عن النفس » يجمع ما تفرق بين الشكنة والصومعة والروضة الأدبية قد قصدنا أن تحيا النفس أولاً وأن تشعر بالحياة شعورها الخاص بها قبل أن يتاح لها تمثيل ذلك في صورة من صور التعبير

ولم نخص الحب وحده بين دوافع الشعور ؟

لم لا نذكر المجد أو البر أو الجهاد الإنساني أو الوطنية أو غير ذلك من معارض الشعور ومعارض الشوق إلى التعبير ؟

فالتعبير عن النفس عندنا كلمة مقابلة للشعور بالنفس . ومتى شعرت النفس بحقيقتها فالعواطف الكبرى جميعاً حاضرة بغير استثناء ، مذكورة بغير تسمية ، معممة بغير تخصيص .

عباس محمود العقاد

صدر حديثاً

الكف وأسرار النفس

للأستاذ أحمد السنوسي

إخصائي الحالات النفسية

يحوي أحدث تطورات علم الكف به خرائط واضحة يجملك بسهولة تترجم خطوط الكف فتكشف بنفسك عن إيحاءات خطوط يدك . فتعرف ما يهددك من الأمراض وتتبع طرق الوقاية منها ، وما يسبب لك المضايقات والعقبات وتقضي عليه . وبذلك يكون لك القدرة على تنمية مواهبك واستعداداتك فتصبح قادراً على السير في الطريق التي تكفل لك الطمأنينة والنجاح في الحياة . يطلب من المؤلف ٣٣ ش الملكة الفريدة ومن مكتبة الأنجلو ٣٣ ش قصر النيل ثمن النسخة ٥٠ قرشاً و٣ قروش البريد داخل القطر و٥ للخارج .

الحيـــاة صادقة !

[إلى ضحية الحرمان والأحزان النابغة «مى» !]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

هـذه الشعلة التى تسكن جسم الحى ، تتطلب إحساساً كاملاً بها وذوقاً مستوعباً لما يتملاها مليًّـا ، وينهل من حرارتها عَبًّا ورِيًّا ...

هذه الشعلة تنادى الجسد أن يحييها ليحيا بها ، ويُعِدها بوقود ليستدفئ ويستضئ ...

إنهـا كمعنى النار : حرارة فى جسم حار ... عَرَضٌ على جوهر لا انفكاك بينهما ، ولا استقلال لوجود أحدهما عن الآخر ...

إنها لا تغتفر لمن يحاول كبتها وإخمادها ، وإنما تختنق فيه فتُصليه وتُرديه ...

شعلة الحياة هى أكبر هبات واهب الحياة ؛ لأنها نفحة من وجوده الخالد ! فكيف يأبى العود الأخضر أن يدب فيه النماء ، ويتسرب فيه المـاء ، وتنبثق منه البراعم ذات الأفراخ الزُّغب ، والأوراق الخضر ، والزهرات النضر ، والثمرات الصحاح الملوءة بأسرار الحياة ؟ !

لا جرم أن يصير هذا العود المتأبى على عوامل الحياة والنماء حطباً يحترق بعوامله الذاتية ويموت فى موضع الحياة ، حتى تأتى يد الحطّـاب فتأخذه لتقذفه فى النار ، وتنقى منه صفحة الحقل الخصيب ...

***

إن الحياة صادقة ، وذوو الفلسفات الذين ينادون بالحرمان من ينابيعها كاذبون !

إنهـا لا تحابى أطفالها الذين يأبون رضاع أفاويقها ، ولا تمكث بجوارهم لتدللهم طويلاً إلا ريثما يدركون وجهاتها ويصيرون صالحين لحمل شعلتها ذات الأمانات والأسرار ثم تجازيهم على العقوق والمخالفات ...

فلتحذر القلوب الشابة الشاعرة التى قد يخدعها ما فى الفن من تزاويق وضباب ملون ، أن تستسلم لخطـقـات الشعراء المتشائمين ، وأخذات الرهبان المتعامين ، وشطحات المتصوفة المتقطعين ... أولئك الذين يصيرون أحراراً من قيود الأرض ، لا يعيشون فى عش . . . وإذا عاش الإنسان فى عش خضع لقوانين الأرض ، وارتبط بها كارتباط الحيوان والنبات بحبل القرية . . . فلم يفكر فى الشرود

وأنى له الشرود ودواعى الحياة الأرضـية تناديه فى قلبه بالعواطف الأبوية والزوجية ، وفى جسمه بالمحافظة لمقاومة عوامل هدم العش ، وفى فكره بالتدبير للاقتناء والتوريث ... !

أما إذا ظل متفرداً حتى جاء أوان الإدراك الـكلى ، وحان بلوغ الأشد ، فسيموت فى نفسه الخوف من الحياة والحب لها ، وحب الارتباط بالواقع ... وسيُكْـفَى التدبيرَ والعمل للاقتناء والتوريث ، وسيستمر حتى يخلص فكراً طليقاً بعيداً من قيود الأجسام وضرورات الأرض ، ويكون قلبه وكراً لما كنات غريبيات من الأفكار والأوهام ، كما يكون الركن الخرب مسكناً لطيور وحشرات لا تحبها الحياة ، ولا تحب هى نور الحياة ... !

***

لن يجـدى الإنسان شيئاً أنه يقف حياته على ملء يديه بالأضواء والرياح والمياه ، وما لا قبض عليه ولا محصول يدوم منه إلا صوراً بيانية فى ورقات جافة ...

إن الحياة هى كلمة الله النافذة إلى القلوب ، لا يحسنها إلا من يحملها بأعبائها ، ثم يحاول أن يسلمها لغيره ... وقد أودعها الله قلب آدم ، « فجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى يوم يرجعون ... »

إنهـا كلمة السر ! من لا يعرفها لا يستطيع أن يسير فى المسالك والدروب التى طرقتها أرجل القافلة منذ فجر الحياة إلى يوم الناس هذا ...

***

كثير من المتطلعين المتوسمين لما يولد فى الـكون من عجائب يحبون أن يروا مخدوعاً شاذاً يأتى إليهم بطبائع غريبة وألوان مستحدثة من الحياة والتفكير . ومن هنا كان إعجابهم بأمثال « أبى العلاء » و « نيتشه » و « شوبنهاور » وغيرهم من المتشائمين المتشككين الذين أبوا أن يمدوا أيديهم إلا إلى الحنظل والأشواك ويتركوا ما فى الحياة من تفاح وأزهار . ومنشأ إعجابهم بأمثال هؤلاء أنهم يحبون أن يروا الشذوذ ليدركوا منه القاعدة العامة التى تنتظم حياتهم .

إنهم يحبون أن يروا الضحايا المصلوبين ليتخذوا منهم مادة لأقوالهم وخيالهم وتأملاتهم .

وكثيراً ما يخدع الشباب المفتون بهذه الحياة الشاعرة الحادة المتشائمة المنطلقة من قيود الأرض التى لفتت أنظار النقاد والمتكلمين ودعتهم إلى التحليل وإضفاء النعوت والألقاب وضفراً كاليل الغار ونثر الأزهار . فيحب أولئك الشبان الشعراء أن يحوزوا مثل تلك الشهرة ولو أصابتهم أوجاع المصلوبين والمحرومين ...

ولكن ما جدوى الشهرة وأكاليل الغار على من أقفر قلبه من بشاشات الحياة ؟ وعلى من رأى الحياة عبئاً ثقيلاً يود الفرار منه ولو إلى جهنم ؟

إن السعادة لن يكون منشؤها غير الفيض الذاتى من القلب الذى يتصل بأعماق الحياة ذات المسرات الأصيلة . ولن تأتى بها شهرة أو مال أو ألقاب يخلعها عشاق الأعاجيب .

فليحذر الشباب أن يصدقوهم ويكذبوا الحياة ...

* * *

كلا . لم نخرج إلى الوجود لنفطم أنفسنا عن أطاييه إلا ما فيه تأثيم ومساس بحقوق الجماعة التى تنمو بينها عوامل الحياة

فلنأخذ طوعاً من الوجود كل طيب مَرِىء كما نحمل كرهاً على تناول الخبيث الوبىء من آلامها ... وليس من العدالة أن نقبل الألم ونأبى السلامة ، إلا إذا أردنا أن تكون حياتنا سلسلة من النقمة والسخط والوجيمة واجترار الأحزان ورؤية الحياة من وجهها المظلم وحده ...

ولندفع أنفسنا إلى غايات الحياة الكبرى فى شىء من الخديعة والتلبيس كما ندفع الأطفال إلى غايات مستقبلهم ...

وإن الاعتراف بازدواج المساءات والمسرات فى الطبيعة هو أول أسس النجاح واجتياز محنة الاختبار فى هذه الدار . ونكون سعداء حينما نخرج من هذه الحياة متوازنة فينا نواحى الآلام والمسرات . ونكون أسعد حينما نخرج متفائلين طيبة نفوسنا راضين عن الحياة وواهب الحياة ...

وإن الأقدار ترمينا بيد السوء لتمسح عنا بيد النعمى . فإذا وقعت علينا إحدى اليدين فن الفطنة ألا ننسى أن الأخرى وراءها . فواجب أن نفر من الحزن ولا نحسبه ضربة لازب ، وألا يطيش بنا الفرح فنحسبه ضربة لازب ...

عينان لعينين ، وشفتان لشفتين ، ويدان ليدين : تريان وتذوقان وتذودان !

تلك شركة إنسانية أرادها الله وطبع عليها الحياة . فمن رأى بعينيه وحده لا يَرى نفسه ... ومن ذاق وحده قتل حِسَّه ... ومن ذاد وحده لم يَحْمِ جنسه ...

شركة أرادها الله ليخرج من بينها أيدياً وشفاهاً وعيوناً تنظر وتذوق وتعطى شعلة الحياة حطباً ، ونواميسها عملاً ، وطواحينها طِحْناً ...

* * *

هذا الجنس الطينى لن يكون مَلَكياً خالصاً وهو فى الأرض والمطلوب منه ألا ينسلخ ويتجرد من قوانين التراب . ومن قوانين التراب المزاوجةُ والتجمعُ والمؤالفةُ بين المتشابهات . فَبَدوات الآمال المحرَّرَة ، وأحلام الانطلاق الكلّى لم تخلق لهذا العالم الأرضى ، وإنما هى نماذج مما سيكون هناك ... تراها أرواحنا لتتعلق بها وتعمل على بلوغها بعد الرحلة ...

والناس يحيون هنا بالجسد أكثر مما يحيون بالروح . فهم إن عجبوا من المتحررين من الأجسام فما ذاك لأنهم يريدون اقتفاء آثارهم ، وإنما يقفون أمامهم لحظة أو لحظات ثم ينفلتون إلى غمرات الحياة ذات السحر والسلطان الآسر القاهر !

فلا تأخذنكم خواطف العزلة يا شباب الشعراء ، ولا تتخطفنكم الأشباح والأوهام من رحاب الجماعة وأحضان الطبيعة ذات المنطق العملى ؛ فإن لذلك عقاباً صارماً وثمناً غالياً يدفع من الأعصاب والدماء وقوى الجسد والروح . ولا مقابل لذلك إلا قبض على ريح ، ومضغ لماء ، واغتراف من سراب !

* * *

ما نحن المتكلمين تجاه وجه الحياة الواضح المعروف إلا نكرات مبهمة لا يعرفها أحد . أما هى فوجهها معروف السمات صادق القسمات . فإذا طالعنا الناس بوجوه مخالفة لها كذبونا وصدقوها ...

وما منطقنا تجاه منطق الأبد العميق الذى يجر الأحياء إليه بقيود وحبال من سحره الخفى ، إلا منطق تافه ذو صوت خافت تذهب به ضجة الحياة ذات المراكب الثقيلة والمواكب المتلاطمة ...

فليكن وجه أدبنا صورة من وجه الحياة الصادق . . . وليكن منطقنا منتزعاً من منطقها الصارم ... ليكونا أدباً ومنطقاً

يخدمان أهداف الحياة ويخففان أعباءها ...

وليكن تعرّضنا للآلام والأحزان عرض الذكر بدولتها على النفوس حتى لا تطيش بها الأفراح والمباهج ، لا عرض الذي جملها غرور فتنته . وليكن أدب الحرمان بمقدار الحرمان الذي في الحياة ، لا نزيد عليه ولا نضخمه ولا نجترّه ...

والحياة وهوب ممطاء أكثر مما هي بخيلة ضنينة . فليكن تصورنا لها بالفن كما هي ، بل إن استطعنا أن نزيد بالفن ألوان مسراتها وأنواع عطاياها فلنفعل ...

إن الحياة هبة عظمى ثمينة من واهبها ! فلنعرف لها مقدارها ...

ولنهتز مع أعوادها الخضر للرياح والنسمات والأنداء والأضواء اهتزاز النماء والإنتاج والإثمار وإعطاء الأسرار للأبناء بعد أخذها من الآباء ...

***

ما ضر « ميًا » لو عاشت « أنثى » للبيت والأمومة والفن المخفف بدل تلك الرهبانية التي اختطفتها من رحاب الحياة وانتهت إلى اختطافها من صومعة الفن كذلك ؛ فحرمت العروبة وحرمت الأدب من أعذب صوت نسوى يشدو ببيان عربي ؟

إن الفن تفر إليه النفس لتخفيف أعباء الواقع ؛ فينبغي ألا يتخذ غذاء دائماً للنفس وإلا فقد سحره وأورث النفس سآمة لا دواء منها . ومن أين الدواء وقد صار « أفضل ما في النفس بمقتالها » . وصارت الغصّة مما كان يزيل الغصة ؟ !

وما كان ضرها لو صرت بموت أبويها كما يمر سائر الناس بموت الآباء والأمهات : بكاء على الفراق حتى نتعود الفراق ، فيندمل الجرح وننسى إلا في ساعات الذكرى التي لا بد فيها من استحضار صور الأحباب والأعزاء الذاهبين ، فتدمع عيوننا دمعاً تبدأ رقيقاً يغسل غشاوات القلب بماء غير حميم لداع . . .

إن احتجاز الأحزان الثقيلة واجترارها أعظم ما يبتلى به القلب ويحطم به الأعصاب ويمحو بشاشات الأيام ويحبس النفس في جدرانها تحت ظلال من الخواطر القاتمة ...

مسكينة « مى » ! استغنت عن صداقاتها ومجالس أسمارها وأحاديثها في أشد أوقات حاجتها إلى السلوى بها !

لقد مجاها الموت من عذاب مثلث الأوجاع : التفرد ، والثكل ، والمرض ...

وما كان لأنثى أن تحمل مثل ما حملت وتنهض به ...

عبد المنعم خلاف

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

نداء المجهول

للدكتور زكي مبارك

التعاون بين الأدباء العرب — شخصية محمود تيمور — درس الطبقات الفقيرة هو أسهل الجوانب في الدراسات النفسية — فتنة المستشرقين — الولد سر أبيه — وهو أيضاً سر أخيه — صدق محمود تيمور يتمثل في « نداء المجهول »

الأدباء العرب

حديث اليوم عن « نداء المجهول » للأستاذ محمود بك تيمور، وتُطلب الطبعة الثانية من مكتبة المعارف بالقاهرة، وثمنها عشرة قروش

ورعايةً للوفاء نذكر أن هذا الكتاب طُبع أولَ مرة في بيروت بعناية « دار المكشوف »، وقيل في المقدمة إن نشره هنالك « برهان جديد على السعي الجدّي في سبيل التعاون بين الأدباء العرب » — وهذا حق — فإخوانُنا في فلسطين وسورية ولبنان والعراق ينتهزون جميع الفرص لتوكيد صلات الإخاء بينهم وبين زملائهم في الديار المصرية، وتلك عاطفة يذكرها المصريون بالحمد والثناء، ولا يعلم إلا الله مقدار الاستيحاش الذي عانيناه يوم قضت الحوادث منذ أشهر بانقطاع البريد بيننا وبين تلك البلاد

شخصية محمود تيمور

كنت أشرت وأنا أتحدث عن الأستاذ إبراهيم المازني إلى أني سأضع الأستاذ محمود تيمور فوق الشرحة — وكذلك صنعتُ — فكتبت عنه مقالاً يؤذيه بعض الإيذاء، ثم مزقت ذلك المقال حين تذكرت أن محمود تيمور لم يشترك قبل اليوم في المعارك الأدبية، ولم يتعود دفع النصال بالنصال، وما يجوز ذوقاً أن نهجم على رجل لا يفكر في الدفاع

ولكني مع هذا مسئول أمام قرائي، ومن الواجب أن أحدثهم عن رأيي في أدب محمود تيمور بلا مواربة ولا رِياغ[1]، وهل من الحتم أن نعلن الحقيقة بعُنف، ونحن نملك إعلانها برفق؟

سأقول كل شيء في محمود تيمور بدون أن أعرّضه للضجر والامتعاض، إلا أن يغضب من الحق، كما يقع لبعض الناس

فمن محمود تيمور؟

هو شخصية ساهية لا ينم مظهرها على شيء، إلا بعد التأمل والتدقيق، كأن يذكر المتوسّم أنه كاتب معروف، ولا بد أن تنطق معارف وجهه بأشياء، وفي الناس من لا ينطق إلا إن أنطقته بالعنف أو باللين

وعند التفرس في وجه محمود تيمور نرى أنه « وَلَدٌ وامي » كما تقول العبارة البلدية، وهو في الواقع غاية في الوعْي. وسحنته الساهية تؤيد المثل الذي يقول « تحت السواهي دواهي »، وهذا أجل ثناء يقدم إلى هذا الرجل الحصيف

والدليل على أن محمود تيمور داهية هو إقباله على فنه الأدبي بطريقة جدية من حيث لا يشعر أحد بأنه من أصحاب الأهداف، فمنذ أكثر من عشرين سنة وهو يفكر ويكتب بنظام لا يعرف الملال، وقد يتفق له في أحيان كثيرة أن يهيم في شوارع القاهرة بلا غرض ظاهر، فهل يصنع هذا الصنيع إلا ليستوحي القاهرة ويتعرف إلى شمائل الناس في الغدو والرواح؟ الرأي عندي أن ذلك هو حاله في جميع ما عرف من البلاد، فأقاصيصه تشهد بأنه ينقل عن عيان لا عن سماع

ويحدثك ناسٌ أنهم زاروا محمود تيمور وسامروه، وأنهم سألوه عن كَيْت فأجابهم بذَيْت، وتنظر فتجد بعض أولئك من ذوي الغفلة العقلية، فما غاية هذا الرجل من الترحيب بأمثال أولئك الناس؟ ما غايته وأكثرهم يتوهمون أنه تلميذهم المطيع، وأنه سيمنحهم نعمة الخلود في ظلال العقل، لا في حظائر الخبال؟

محمود تيمور له غاية من صحبة من لا يمتون إليه بصلة نفسية أو ذوقية، وغايته هي درس الغرائز والأحاسيس فيمن يلاقي من الناس، ولو كانوا من الأوشاب

ألم أقل لكم إن تشريح أجسام الضفادع لا يقل قيمة في نظر العلم عن تشريح أجساد الأسود؟

ولكن هذا الدهاء لم يمض بلا جزاء، فاهتمام تيمور بدرس النفوس الصغيرة حرمه نعمة التحليق في الأجواء السامية، فمن النادر أن نراه يلتفت إلى المخاطر التي تساور كبار النفوس. وأندر من ذلك أن نراه يهتم بتصوير الأزمات التي تصارع كبار

(1) الرياغ مصدر راوغ

المقول . وهل تخطر له هذه الأشياء على بال وهو لا يتمرس بالجانب الوعر من صخرة الوجود !

محمود تيمور يهتم بدرس الطبقات الفقيرة ، مع أنه « ابن ذوات » فما سبب ذلك ؟

أكاد أجزم بأنه يختار الجانب الأسهل من الدراسات النفسية ؛ فالفقير ينفض همومه بين يديك حين تحادثه لحظة من زمان ، أما الغنى فيطوى همومه عن جميع الخلائق ، وقد يلهو ويلعب وبين ضلوعه نيران تأكل الجبال

الغنى يعرف عن الفقير كل شيء ، لأنه يراه فى كل وقت ممثلاً فى الخادم أو السائق أو الصانع أو الفلاح ، ومن إلى هؤلاء ممن تقوم على كواهلهم قواعد المجتمع ، وهم لسذاجتهم ينطقون بما يشتجر فى صدورهم من آلام وآمال . ولو شئت لقلت إن الفقير يتحدث عن كل شيء ، حتى الدسائس التى يحوكها عقله الضيق ، والحيل التى يصوغها ذهنه الكليل

فهل تحتاج متاعب هؤلاء إلى كاتب فنان ؟

تمد يديك لمعاونة امرأة فقيرة على ركوب الترام فتهتف :

« الله لا يقلِّب لك ولية »

وهى كلمة لا يهتف بمثلها الغنى ولو أنقذته من أنياب القضاء فى تهمة تبديد

محمود تيمور رجل هادئ أو كسلان ، وإلا فكيف جاز أن يقضى عشرين سنة فى صحبة القلم بدون أعداء ؟ وكيف يعادى رجل لم يستطع قهر الجمهور على درس إحدى المعضلات ؟!

هو طبيب فى يده مشرط ، ولكن مشرط « هذا » الطبيب صورة ثانية من الرسوم فوق صفحة من كتاب !

وذلك مصير كل كاتب يهتم بإرضاء الجهلاء المتعالين ، وهم دعاة الموت ، أو هم الأموات وإن ترَدوا بأردية الأحياء

فتى ننقل تيمور إلى صفوف المكافحين لننضح فى دمه شيئاً من الحديد ؟

فتنة المستشرقين

محمود تيمور من أكابر العقلاء ، ولكنه مهدد بأحد الأخطار اللواحق . ومن البر بصديقك أن تبذل فى نصحه ما تملك ، وهذا الرجل من أعز أصدقائى ، فأنا ماض فى نصحه بلا تحفظ ولا احتراس

صديقنا « تيمور » مفتون بالمستشرقين ، وما أريد بهم الجماعة التى تُعنَى بدرس حياة العرب قبل الإسلام ، أو الجماعة التى تدرس حياة العرب فى عصر النبوّة ، أو الجماعة التى تدرس حياة المدنية الإسلامية فى عهود العباسيين والأُمويين ، أو الجماعة التى تدرس ما صار إليه أدب العرب بعد سقوط بغداد ، أو الجماعة التى تدرس العقلية العربية فيما سيطرت عليه من الممالك الأُوربية . ما أريد هذه الجماعات العلمية ، فمحمود تيمور لا يلتفت إلى هؤلاء العلماء ، وإنما يلتفت إلى المستشرقين المشغولين بدرس الأُدب العربى الحديث ، وهم شبان على جانب ضئيل من التحصيل ولا يهمهم غير البريق

وأنا أعرف هؤلاء الشبان ، وأعرف غرضهم القريب والبعيد . همُّ هؤلاء الشبان أن يوحوا إلى أبناء العرب أن مصير اللغة العربية مصير اللغة اللاتينية ، سواء بسواء ، وقد تفرَّعت اللاتينية إلى لهجات ، فما الذى يمنع من أن تتفرّع العربية إلى لهجات ؟ وهل يكون ما بين مصر والشام والعراق من وشائج أقوى مما كان بين الفرنسيس والطليان والأُسبان ؟ يجب أن تحرص كل أمة من الشرق العربى على وجودها الذاتىّ بحيث يصبح لكل أمة لسان ، وإلا فهى أمم متأخرة لا تنصاع لقانون التطور ، وهو قانون !!!

وهؤلاء الصبيان من المستشرقين يسرهم أن يسجلوا أن أول من كتب العامية بحروفها النُّطقية هو فلان ، والأُستاذ محمود بك تيمور يسره أن يكون ذلك الفلان

ألم تقرأوا المسرحيات التى نشرتها مجلة « الحوادث » منذ أسابيع ، مع تقديم لطيف يشير بجمل العامية لغة الأُدب المسرحىّ فى هذه البلاد ؟

هذا الصنف من أهل « الاستشراق » له تأثيرٌ سيّئ فى حياتنا الأُدبية ، وهو يضلل الجمهور أشنع تضليل . ألا ترونه يقدّم ويؤخر فى أقدار الأُدباء ، مع أن نقّاد الأُدب فى بلاد العرب هم أصحاب الحق الأُول فى تقويم الآثار العربية ؟

منذ أعوام نشرت جريدة « پارى سوار » مقالات دميمة عن « ليالى القاهرة » ؛ ورأت الحكومة المصرية أن تمنع تداول تلك الجريدة فى مصر بسبب تلك المقالات ، فما قصة الكاتب الذى قال فى « ليالى القاهرة » ما قال ؟

هو أديب فرنسى قدِم القاهرة ولم يزر غير الحانات ، فكان

نصيبه نصيب المستشرق الذى زار مصر ولم ير غير الأدباء المفتونين باللغة العامية ، وهم بشهادة أنفسهم من المتخلفين عن رعيل أهل الفكر والبيان

والخطر المخوف من مذهب محمود تيمور يرجع إلى أنه رجل محترم ، فهو من أدبائنا الكبار بلا جدال ، وإقباله على التعبير بالعامية ستكون له عواقب سود ، لطف الله به وهداه !

فى مَدَى أربعة عشر عاماً لم يجرؤ واحدٌ من الأئمة على كتابة العامية العربية بالحروف المنطقية ، كما صنع محمود تيمور فى المجموعة التى نشرتها مجلة « الحوادث » ، وهى مجموعة تشهد بأنه انقاد لفتن المستشرقين أبشع انقياد ، وسيهوى بها فى قاع جهنم ألف خريف

الولد سر أبيه

أترك هذا الجانب الشائك ، وأنتقل إلى شرح مسألة طال حولها الخلاف ، وهى البُعد بين تيمور الأب وتيمور الابن ، فجمهورُ أهل النقد يرى أن محمود تيمور يسير فى طريق ينكره أحمد باشا تيمور ، وكان هذا الباشا من أكابر أهل البحث والتحقيق

وأسارع فأقرر أن « محمود » سر أبيه فى اللغة وفى القصص ، ولكن كيف ؟

ألّف تيمور باشا رسالة فى اللغة العامية ، ولهذا المنحَى من التأليف مدلول ، فهو يشهد بأن ذلك الباحث العظيم كان يرى أن اللغة العامية خليقة بـ « ردّ الاعتبار » ، فهى لغة فصيحة لا ينقصها غير الإعراب ، وليس الإعراب شرطاً فى البيان إلا عند خوف اللبس والغموض

وقد ورث محمودٌ عن أبيه هذه النزعة مع شىء من الانحراف أغراه به صنائع المستشرقين

ومحمود سرّ أبيه فى القصص ، ولتوضيح هذه النقطة الدقيقة أقول :

مؤلفات تيمور باشا تغلب عليها النزعة القصصية ، وإن كانت فى الأغلب من فنون البحث القائم على الأسانيد

هل قرأتم كتاب تيمور باشا عن « أعيان القرن الثالث عشر » ؟

قد تقولون : إن الأخبار الواردة فى هذا الكتاب منقولة عن الواقع لا عن الخيال ؛ وأقول : إن تلك الأخبار الواقعية فيها نزعة خيالية ، وهل كانت القصة الجيلة غير حكاية صحيحة ؟

تيمور باشا لم يخترع ما فى كتابه من حوادث ، ولكن أسلوبه فى تخير الحوادث يشهد بأنه مبدع أقاصيص

وما الغرضُ من القَصص ؟

للقصص غرضٌ واحد : هو إنطاق الحوادث بما كان يجب أن تقوله لو نطقت ، وهذا درس أقدمه لبعض الخلائق بالمجان

ولتيمور باشا كتاب عن أبى العلاء ، فإن قرأتم ذلك الكتاب ، فستعرفون أن المؤلف يرى الناحية القصصية أساس التأليف .

والولد سر أخيه

لمحمود تيمور أستاذ هو أخوه محمد تيمور ، وكان هذا الأخ مفتوناً بدرس الملامح البلدية ، وكتاب « ما تراه العيون » يؤيد هذا الفتون

كان محمد تيمور فتى تذوق أفاويق الحياة فى باريس . ويقول من رآه إنه كان من نوادر أهل الجمال ، وشاءت لوذعيته أن يشترك فى بناء المسرح المصرى بالتأليف والنقد والتمثيل . ولا أزال أذكر كيف كنت أتعجب من مثل قوله على صفحات جريدة « المنبر » وهو يبدى إعجابه بأحد الممثلين : له ثنائى وقُبُلاتى ! ولو رجعنا إلى مقالاته فى النقد المسرحى لوجدنا الإعجاب لم يكن له صورة فى قلمه غير العناق !

فماذا ورث محمود تيمور عن محمد تيمور ؟

ورث عنه النظرة إلى الحياة الشعبية ، ولم يرث عنه النظرة إلى السريرة الأرستوقراطية ، ولو عاش محمد تيمور لصار من أكابر الشعراء فى حدود تفتن أهل هذا الجيل

ولكن محمود تيمور له موهبة لم يظفر بمثلها أخوه ، وهى الصدق فى الوصف ، الصدق الصادق الأمين ، فما قرأت شيئاً لمحمود تيمور إلا أدركت أنه يختزن ما يشاهد من الأحلام والأوهام ليزود به قلمه الوصّاف

نداء المجهول

ويتجلى فن محمود تيمور فى قصة اليوم ، وهى : « نداء المجهول » وأى قصة ؟

قرأتها فى جلسة واحدة ، مع أنها تقع فى أكثر من مئة وستين صفحة ؛ ثم تلفتّ إليها فى اليوم التالى فاشتهيت قراءتها من جديد

لم أقيّد على المؤلف غير غلطتين اثنتين : الأولى تنويهه بأن الفندق الذي نزل فيه لم يكن يمانع فى أن يجلس الزائرون على المائدة بالملابس البلدية ، وكان هذا غلطاً لأن حوادث القصة تقع فى سنة ١٩٠٨ وفى قرية من قرى لبنان ليس فيها غير ثلاثة بيوت ، وليس من المعقول أن يكون لمثل تلك القرية فى ذلك الوقت تقاليد أفرنجية

أما الغلطة الثانية فهى أفظع ، ولكن كيف ؟

هام بطل الرواية بفتاة انجليزية ، فأنست به واطمأنت إليه ، وقالت لنكن صديقين ، ثم شاء لها الدلال أن تقول : إنها امرأة بلا قلب

وهنا يذكر بطل الرواية أنه شعر بالخيبة والإخفاق

ولو تأمل هذا « البطل » لعرف أن ذلك إغراء

وكيف يعرف وهو محمود تيمور فى سنة ١٩٠٨ ؟ وهل كان فى ذلك الوقت غير طفل لا يعرف طبائع النساء ؟

نقد رقيق

قد أتعصب لمصر فأقول إن جبل لبنان لم يظفر بوصاف فى قوة محمود تيمور ، ولكن أخانا تيمور أخلف الظن فى فهم لبنان بعض الإخلاف ، وهل تكون الأخلاق اللبنانية فى مثل ذلك الاتساق الرتيب ؟

« الشيخ عاد » نبيل الأخلاق من أول يوم إلى آخر يوم

و « الدليل جاعص » سخيف التصرف من أول يوم إلى آخر يوم

و « حبيب » خادم الفندق أبله فى جميع الأوقات

و « السائح المصرى » لم يقدر على استغواء « سائحة إنجليزية » شرع الله ولا شرعك ، يا تيمور !

أما كان فى مقدورك أن تلون الحيوية فى أخلاق أولئك الأبطال ؟

* * *

أما بعد فهذه « رواية » لم يكتب مثلها كاتب فى الموضوع الذى صيغت فيه ، وقد اشتهيت أن تكون هذه الرواية من وحى قلمى على شرط التحرر من أخطاء كاتبها المفضال !

وهل تعاب الرواية من أجل غلطة أو غلطات ؟

ألا يكفى أن المؤلف استطاع أن يقنعنا أنه البطل بحق وصدق ؟

زار كثير من المصريين لبنان ، وفيهم أدباء فضلاء ، فهل كان فيهم من استمع لـ « نداء المجهول » على نحو ما استمع هذا الفنان ؟

ثم أما بعد فالطلبة السنة التوجيهية أن يعرفوا أن رواية اليوم رواية وصفية من جميع الجوانب ، فهل يعرفون أين يقع ضرام التشبيب فى تلك الصفحات ؟

ما المرض الذى كان يساور « مس إيفانس » ؟

وما السبب فى تخاذل « الأستاذ كنعان » ؟ وما وجه السخرية من نزعته العلمية ؟

وكيف سخر المؤلف من بعض الأوضاع والتقاليد ؟

لم أقل شيئاً ، مع أنى قلت كل شىء ، ولكن كيف كان ذلك ؟

أجيبوا أيها الفتيان النجباء

زكى مبارك

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٥ ـــ ١٠ ـــ ١٩٤١ فى القضية رقم ٦١٧ سنة ١٩٤١ ضد محمد درويش مصطفى شلبي نجار بجمينا مركز إيتاى البارود بالحبس شهرين بالشغل والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

أول مقالة نشرتها

وأول درس ألقيته

للأستاذ علي الطنطاوي

إني لأخط عنوان هذا الفصل وأنا أسخر من نفسي ، إذ أحدث الناس حديث مقالاتي ، والناس في شغل عني وعن مقالاتي بهذا الهول الهائل ، والبلاء النازل ، والغلاء الشامل ، وبالله العوذ مما هو أشد وأعظم

ولعمر القراء ما أكثر الحديث عن نفسي لا لزهو ولا لكبر ولا غرور ؛ ولكنها صناعة الأدب يسوغ معها ما لا يسوغ مع غيرها . وإني « إذا أردتَ الجد » لمن أشد الأدباء زهادة في الأدب ، وإخال أن الناس في أدبي لأزهد ، ولولا كليمات أسمعهن أحياناً فيهن تعليق على ما أكتب أو ثناء عليه ، أو رسائل في مثل ذلك قد تأتيني ، أو فقرات قد أقرؤها في صحيفة فيها تنويه بي ، لولا ذلك « وما ذلك ؟ ! » ما ظننت أن أحداً يقرأ مقالاتي !

وما قصدت هذا الموضوع قصداً ، ولكني نبشت أوراق أفتش عن ورقة أريدها ، فخرج في يدي « عدد » من المقتبس قديم ، تاريخه سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف ، ففتحته أنظر فيه ، ففتحت لي دنيا من الذكريات اللذة ، وقرأته فقرأت فيه تاريخ نفسي : رأيتني في الصفوف الأوائل من الثانوية ، وحولي رفقة ما رأيت بعدهم مثلهم في إقبالهم على الدرس وجلادهم عليه ، وفي رسوخ ملكاتهم الأدبية ، وقوة طبعهم في الأدب وسليقتهم في اللغة ، وتسابقهم إلى مطالعة نفائس المصنفات ، ومعرفة المصادر والأمهات ، ولم يكونوا كشباب اليوم الذين يحاولون الكتابة قبل القراءة ، ويغترون بالنشر فيحسبون أنهم أنداد وأقران لكل من يكتب في الصحيفة التي تنشر لهم ، ويعلن أحدهم عن كتابه الذي سيصدره قبل أن يكتب منه عشر صفحات ، وينتقد الكاتب الكبير وهو لا يحسن أن يقيم لسانه في قراءة مقالة من مقالاته ، ويخدع الجهلة عن أدبه فتظنه شيئاً فتخدع به القراء ، وما لم أذكر من صفاتهم آلم وأنكى ...

وكنت قد قرأت طائفة من الكتب أذكر أن منها (حياة الحيوان للدميري) . وهو أول ما طالعت من الكتب ، وهو دائرة معارف (كما يسمونها اليوم) أو هو مَعْلَم جامع فيه فقه ولغة وأدب وقصص وتاريخ وخرافات وعلم وحقائق أفدت منه كثيراً ، (والصاحبي لأحمد بن فارس) وقد ألقى في نفسي إجلال العربية والإيمان بسعتها وجلالها ، وحبب إلي جزالة الأسلوب وفخولة اللفظ ، ولا أزال إلى اليوم أعجب برسالة ابن فارس هذا إلى من أنكر فضل الجديد لأنه جديد ، ومال إلى تقديس كل قديم لأنه قديم ، وأعدها من نفائس الآثار ، وهي في مقدمة الكتاب ، و (بلوغ الأرب للألوسي) وقد أورثني التعصب للعرب والمبالغة في ذلك ، ثم علمت أن قد كان فيه زيف كثير كما كان فيه صحاح كثير ، وما زلت أحفظ جملة صالحة من أخباره صحيحها وباطلها ؛ و (الأغاني) قرأته كله ، أعني أخباره وقصصه دون ما فيه من أسانيد وأصوات وأشعار وأنساب ، وهو رأس مالي في الأدب ؛ وقرأت (الكشكول) و (المخلاة) و (مراقي الفلاح) في الفقه الحنفي ألزمني والدي قراءته ، أسبغ الله عليه رحمته ، (وشرح رسالة ابن زيدون) المطبوع على هامش (الغيث المنسجم) وكانت طريقتي في المطالعة أني إذا فرغت من دروس المدرسة دخلت مكتبتنا فتخيرت كتاباً فأخذته فنظرت فيه ، فإن أعجبني مضيت فيه لا أدعه حتى أتمه وإلا أخذت غيره ، لا أستعين على ذلك بمرشد ، ولا أستهدي بهاد ، إلا ما كان شيخنا الأستاذ اللغوي الشيخ عبد القادر المبارك يسميه لنا من الكتب ويرشدنا إليه .

وكنا نأخذ الأدب عن الأديب الضليع المتفنن الأستاذ سليم الجندي ، وكان يحذرنا (جزاه الله عنا خيراً) أن نقرأ الجرائد والمجلات وكتابات أهل العصر ، على اعترافه أن فيهم من أطفأت شمسه بدور البلغاء من الأوائل ، خشية أن نسيء الاختيار فتصيبنا عدوى الركاكة وهي شر من عدوى الكوليرا والجذام . فدخلت الجامعة وأنا لا أعرف من المصريين إلا المنفلوطي رحمه الله ، وكنت أظنه أبلغ كتاب العصر ، ولا أعدل بأسلوب (نظراته) شيئاً حتى وقع في يدي (رفائيل) للزيات ، فوجدته كنزاً من أغلى كنوز النثر ، وصغرت معه (عبرات) المنفلوطي حتى صارت كلا شيء . ثم عرفت الرافعي وقد أصدر كتابه (تحت راية القرآن) رفع الله به درجاته في الجنة ، فعلمت أن الله قد خلق من هو أبلغ من المنفلوطي ، إي والله ومن عبد الحميد وابن المقفع وابن العميد ، ومن كنا نراهم يومئذ

أئمة البلاغة واللَّسَن . على أني لم أنس المنفلوطي وترجمت من شكري له ولأستاذيَّ الجندي والمبارك بإهداء الثلاثة كتابي (الهيثميات) وهو أول كتاب ألفته (١٩٣٠)

أقول، إني أحسست بعد قراءة ما ذكرت من الكتب بشيء يجيش به نفسي، فنفست عنها بمحاولة الكتابة فاستوى لي مقال، نسيت اليوم موضوعه، قرأته على رفيقي أنور العطار وكان يومئذ يجرب قول الشعر، فأشار علي أن أنشره فاستكبرت ذلك، فما فتيء يزينه لي حتى لنت له. وغدوت على (إدارة) المقتبس وكانت في شارع السنجقدار العظيم الذي صار خرائب وأطلالاً. فسلمت على أبي بسام الأستاذ أحمد كرد علي رحمه الله ورحم جريدته ... ودفعت إليه المقال، ولم يكن من إخواننا من يعرف طريق صحيفة أو يجرؤ على النشر فيها. وكنا يومئذ متلبسين بجريمة الحياء التي أقلع عنها شباب اليوم والحمد لله الذي لا يحمد على المكروه سواه. فنظر في المقال فرأى كلاماً مكتهلاً ناضجاً، ونظر في وجهي فرأى فتى فطيراً، فعجب أن يكون ذاك من هذا، وكأنه لم يصدقه فاحتال علي حتى امتحنني بشيء أكتبه له زعم أن المطبعة تحتاج إليه فليس يصح تأخيره، فأنشأته له إنشاء من يسابق قلمه فكره، فازداد عجبه مني ووعدني بنشر المقال غداة الغد، فخرجت من حضرته وأنا ألتمس جانبي أنظر هل نبتت لي أجنحة أطير بها لفرط ما استخفني السرور. ولو أني بويعت بإمارة المؤمنين ما فرحت أكثر من فرحي بهذا الوعد. وسرت بين الناس وكأني أمشي فوق رؤوسهم تعالياً وزهواً. وما أحسبني نمت تلك الليلة ساعة، بل لبثت أتقلب على الفراش أتصور أي جنة من جنات عدن سوف أدخل في غداة الغد ... أي كنز سأجد. وجعلت أرقب الصباح ولا ترقب عاشق متيم ينتظر وصلاً بعد طول الهجران، حتى إذا انبثق الصبح وأضحى النهار، أخذت الجريدة، فإذا فيها المقال وبين يديه كلمة ثناء لو قيلت للجاحظ لرآها كبيرة عليه ...

***

وعدت أنظر إلى الجريدة القديمة الصفراء وهي ماثلة بين أوراقي، وأفكر في هذا الأدب ماذا جنى علي وماذا جنيت منه. لقد سرت بعد تلك المقالة أعدو في طريق النشر. فكتبت في جرائد الشام ووفدت على خالي الأستاذ محب الدين الخطيب في مصر، فأخذ بيدي وسدد خطواتي، وكان لي أفضل مرشد ومعين، وأفدت من خلقه ومن علمه ومن ماله، ثم عدت إلى دمشق، ثم اتصلت بالرسالة صديقة روحي ومميزة وحدتي، وكانت لي خير مدرسة، فيها الأستاذ الزيات خير مدرس. وكنت إذا نظرت في كتاب، أو أصغيت إلى حديث، أو ضمني مجلس، أو شملتني عزلة، أو اضطجعت لأنام، أو نهضت من منام، أو ذكرت ماضياً، أو فكرت في آت، أو أغمضت عيني متأملاً، أو فتحتهما على مشهد من مشاهد السماء والأرض، أجد في كل ذلك موضوعاً لمقالة أكتبها أو فصل أنشئه، وأجد الهمة حاضرة والذهن نشيطاً. ثم كرت أيام، وغبر دهر، وأصبحت لا أستطيع أن أخط سطراً على قرطاس، وإذا كتبت لم أدر كيف أكتب، ولا لماذا. وأبيت بالذي أكتبه إلى (الرسالة) مضطرب الأعصاب متزلزلها، فإن أخرته غضبت، وإن ألفيت به تطبيعاً وخطيئات لم ينتبه لها المصحح تألمت، وإن وجدته نسب إليَّ ما لم أقل، ويجعل في المقالة أخطاء تدل على جهل الكاتب وما هي مني ولا أنا صاحبها، عزمت على ترك الكتابة بالمرة وكبر علي الأمر، ثم إن جاءت المقالة منشورة قرأتها مرة لأطمئن عليها ومرة لأنقدها مجرداً من نفسي ناقداً لها، ثم أرميها فلا أطيق النظر فيها، ولا أجد من يحدثني عنها كأني أكتب لصخور الجبل لا لبني آدم ...

فماذا أفدت من الأدب؟ أما إني لم أجد الأدب إلا عبثاً، ولم أجد الأدباء إلا مجانين، يسعى الناس وراء المال ويسعون وراء سراب خادع يسمونه (المجد الأدبي). كلما أقبلوا عليه نأى عنهم فما هم ببالغيه حتى يموتوا. وما ينفع ميتاً ذكر في الناس، ولا يغني عنه مجد، ما ينفعه إلا ما قدم من عمل صالح — ولقد كان رفيقي سعيد الأفغاني أعقل مني إذ كان يمط شفته ساخراً كلما حدثته عن آمالي في الحياة ورغبتي في أن أكون كاتباً يشار إليه بالأصابع؛ وكنا يومئذ في المدرسة الثانوية نتسابق إلى مطالعة الكتب ونتبارى في تلخيصها والملاحظة عليها. فما صنع الزمان بآمالي؟ لقد أراني أني كنت أسعى أطلب السراب، فلا أصل إلى شيء، وما ثمة شيء حتى أبلغه ...

هذه هي قصة ابتلائي بهذا الأدب الذي أنا تاركه اليوم، أو ظان أني تاركه، ومقبل على الفقه أجدد العهد بما قرأت من كتبه، وواهب له قوتي ووقتي، فليهنأ الذين يجدون في

سداً فى وجوههم أن ينلنوا من الأدب ما يريدون ، والذين يرون أنى مزاحمهم على هذا المورد الآسن

ولقد كنت أهزل يوم كتبت أفضل الأدب على العلم ، وأين من أين ؟ وهل تستوى الحقائق والأوهام ؟ وهل من علم يوازى علم الفقه ويضارعه شرفا ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وبه تضمن الحقوق ، ويدرأ الخصام ويعم السلام ... ؟ ولئن فزع الشباب من زىّ أهل الفقه ، وخافوا أن يوصموا بالجمود والرجعية ، فما يفزع ذلك من سمّى بالشيخ وارتضاه له اسماً ، ولا تثقل عليه عمامته إن كوّرها ، ولا لحيته إن أطلقها ... وللثياب ، لا جرم ، عمل فى تكوين طبائع المرء وتوجيه سيرته ، فأنت حين تتخفف من الثياب ، أو تتخذ ثياب أهل الرياضة (السبور) ، فتلبس السراويلات المناكير القصار أو التبان ، تشعر بالخفة وتميل إلى القفز والتوثب ، وتكره القرار على الأرض ؛ فإن أطلت لبسه ، أوشك أن يكون ذلك لك عادة ، وإن لبست الجبة ولبثت على هامتك العمامة ، ملت إلى التوقر والرزانة ، ولم تستطع أن تأتى ما هو مناف لها ، وتنزهت حتى من قعود فى قهوة ، أو ولوج سينَما ، أو إسراع فى مشية فى طريق ، أو مزحة نابية ، أو قهقهة مقرقعة فى مجلس ... وتنطبع على ذلك حتى يعود لك طبعاً . وإن اتخذت (البرنيطة) جنحت بالضرورة إلى مصاحبة أهلها ومجالستهم ، ومللت من المساجد ومجالس العبادة ، ولو كنت مصلياً متعبداً ، ومن هنا جاء النهى عن التشبه بغير المسلمين ، والأمثلة على ذلك كثيرة ...

على أنى إن تركت الأدب فما أنا بتارك الكتابة ، وإن من الكتابة لعلماً ، وإن منها لإصلاحاً ، وإن منها لما ينفع الناس ويدلهم على طرق الخير . . . كما أن من الكتابة ما هو ثرثرة جهلة ، وتسلية سخيفة ، ولغو من القول يذهب جفاء ... فلينظر ذوو الأقلام ما يأخذون منها وما يدعون ، ولينظر القراء ما يقرؤون منها وما يهملون ... !

* * *

أعتذر إلى القراء مرة ثانية من الحديث عن نفسى ، فإنه أثقل الأحاديث على أذن السامع ، ولكنها صناعة الأدب ، قاتلها الله ...

ولقد أردت حين شرعت فى هذه المقالة لأن أقول أشياء كثيرة زورتها فى نفسى وأعددتها ، فلما بلغت الكلام عن أول درس ألقيته ، وذكرت هذه المرحلة من حياتى التى قضيتها معلماً ، وتنقلت فيها فى الآفاق ، ورأيت فيها من المنح والآلام ، ومن بيض الليالى وسود الأيام ، ما لا يعلم حقيقته إلا الله ... وما لم أصف فى مقالاتى فى (الرسالة) إلا الأقلّ الأقل منه ...

لما بلغت ذلك اعتلج فى نفسى من العواطف ، وثار فيها من الذكر ، ما عقل قلمى وحبسه عن المسير . وكيف أجمع فى مقالة واحدة ما تفرق من قلبى فى جنات دمشق ، وقد علمت فى كل مدرسة فيها ، وفى (الحرش) الفتان من بيروت حيث (الكلية الشرعية) وعلى الشاطئ الوادع من دجلة حيث (الثانوية المركزية) ، وفى طريق الأُبلّة إحدى متنزهات الدنيا الأربعة حيث (الثانوية البصرية) ، وعلى سيف الفضاء الأرحب من (كركوك) بلد الذهب الأسود الذى يشتعل أبداً ، وعلى ضفة الفرات الجهل فى دير الزور ، البلد الكريم أهله ، وحيث أذكر ولا أذكر

إنها لتخطر على قلبى الساعة آلاف من الصور التى مرت من قبل على عينىَّ ؛ بل إنى لأبصر الآن الآلاف من وجوه زملائى فى التعليم وتلاميذى الذين أحببتهم ، تنبعث من ظلام الذكريات ؛ ثم تطيف بى محيية باسمة تتلو علىّ قصة نفسى ، وتعيد إلىّ ما مضى من عمرى ؛ فكيف إلى الاجتماع بهؤلاء الأصدقاء لأودعهم قبل أن يتجدد الفراق، ولا حدث بهم عهداً، كيف وقد تفرقوا تحت كل نجم ! كيف وقد علا منهم من علا وهبط من هبط ، وشغلتهم شواغل الحياة فلم يعودوا يذكرون معلماً ولو لم ينسهم ذلك المعلم ! كيف ومنهم الوفى ومنهم الجاحد والناس معادن . . .

يا رحمة الله للمعلمين ، لمن كان له منهم قلب ، وسلام على أيامى التى صرمتها معلماً . . . وعلى كل من يقرأ هذا الفصل من زملائى وتلاميذى ، ولهم منى أوفى حبى ، وتحيات قلبى !

(النبك — سوريه)

على الطنطاوى

القاضى الشرعى

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤١ فى القضية رقم ٥٦٤ سنة ٩٤١ ضد حمزة أحمد عيسى بقال بدمشلى مركز كوم حمادة بالحبس شهراً مع الشغل والنشر على مصاريفه لبيعه سكرا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

العقـــد النفسية

في طريق التكوين وفي طريق الزوال

للأستاذ حسين الظريفي المحامي

يراد بالعقدة كل مرض يصيب الحياة العقلية . وتفصيل ذلك أن الطفل يولد وعقله الواعي ستارة بيضاء ، حتى إذا اتصل بوالدته وذويه وبالوسط الذي هو فيه ، بدأ عقله الشاعر يتكون ويتطور ، ودوّنت على تلك الستارة معاني ما يأخذه عما حوله .

ويمكن إجمال أدوار الطفولة في أن الطفل يشعر بادئ ذي بدء بأنه جزء من أمه ، حتى إذا بلغ الثلاث من العمر ، أخذ يشعر باستقلال نفسه ، وذكت فيه عاطفة فرض ما يريد على الغير ولفت نظارهم إليه .

ويلي هذا الدور ، دور السؤال عما حوله كمن يريد أن يحلل ويعلل ، ولا يندر أن يسأل الطفل عن نفسه : كيف وُجد ؟ ومن أين أتى ؟ وهو في كل أدواره هذه يعمل على تكوين وتنمية عقله الواعي ، مفرغاً إياه في الوضع الذي تهيئه له معاني وسطه المحدود .

فحياة عقلنا الظاهر يبدأ تاريخها منذ الولادة ، غير أن هذه الحياة قد تكون سلسلة متعاقبة الحلقات ، وقد تقوم بين هذه الحلقات بعض الحواجز فتفقد السلسلة صفة التسلسل ، وما هذه الحواجز إلا العقد التي تعتور العقل الشاعر في طور نموه ، فتقف حائلاً دونه ، وترغمه على تبديل اتجاهه الطبيعي بآخر معوج يدركه فيه بعض الشلل .

قد تكون هذه « العقد » في صورة إدراك حقيقية مفلوطة تُفقد جزءاً من العقل بعض ارتباطه ، وقد تكون منبعثة عن سوء تربية الطفل وعما وراء هذا من مختلف العوامل ، فينشأ الوليد شاذاً غير سويّ .

إن الدافع الجنسي في الطفل يتكون بعد الولادة بقليل ، ومن مظاهره : مص الأصابع ، والرغبة في القبض على الثدي بالشفاه ، حتى في غير أوقات الرضاع . هذا ما يقوله الدكتور فرويد ويضيف إليه أن الطفل يوزع حبه على أفراد عائلته ، غير أنه يهب أكثره لأمه لشدة اتصاله بها ، فإذا ألهاها عنه الزوج نشأ عنده الكره لأمه والغيرة من أبيه ، ويزداد هذا الانفعال رسوخاً بتكرر الوقائع ، حتى يصبح فيه الطفل واقعاً بين عامل الحب لأحد أبويه ، وعامل البغض والغيرة ، فإذا بلغ الحلم وجه حبه إلى من يختار من الجنس الآخر ، وبذلك يجد الحب له منفذاً طبيعياً يفنى فيه . أما إذا لم يوجه التوجيه الصحيح لجهل الأبوين أو لشذوذ في الطفل ، فقد يبقى الفتى محباً لأمه ، أو لمن يماثلها من الفتيات ، وتبقى الفتاة محبة لأبيها ، أو لمن يماثله من الفتيان ؛ وهذا مظهر من مظاهر الشذوذ الجنسي ، وهو ما يراد من العقدة . ذلك لأن سلسلة الفكر عن الحب وموطن وضعه فيه لم يجر على ما هو عليه بصورة طبيعية ، وإنما انحرف عما خلق له ، لعامل في نفس الطفل ، أو لشذوذ في تربيته ، وسلك طريقاً آخر غير سوى ، قد يكون مصدر كثير من آلامه طول حياته

كذلك يمر بالطفل دور يحب فيه معرفة ما يحيط بموضوع الولادة ، فيبدأ بالسؤال عنه فتسكته أمه بما يشعر بقبح الموضوع ، فيلتهب فيه حب الاستطلاع بطريقة غير محمودة ، ويجد في الموضوع لذة على الرغم من إفهامه أنه قبيح ، وتكون النتيجة اعتقاد الطفل بأن الشيء اللذيذ هو الشيء القبيح . وهنا تنشأ العقدة . ويترتب على ذلك أحد أمرين ، فإما أن يكره الطفل أن تقترب منه أمه ، أو تتولد فيه الرغبة في المخالطة المادية ، فينهج إحدى الطريقتين ، إما الخجل أو اللذة الجسدية ؛ فإذا انكفأ الطفل على ملذاته ورأى منه والده ما يريب وانتهره ولجأ معه إلى الشدة ، انقلب خوف الولد من أبيه إلى الكره له ، والاعتقاد بأنه لو لم يكن أقوى منه لما خذله ، وتكون العقدة في نفس هذا الطفل ، هي شعوره بالضعف . ولما كان الصغير لا يجد أمامه مجالاً للافصاح عما وقع له فهو يحاول إخفاءه عن

الجميع ، ويوجد فى محاولته هذه ، الصفات المضادة للصفات التى يحاول إخفاءها ، كطرق دفاعية نفسية ضد ما يشعر به من ضعف يوشك أن يظهر للناس

قال فرويد : إن العقل الباطن طريقتين متناقضتين للتعبير عما فيه ؛ فقد يكون رجلاً فاضلاً شريفاً ذلك الذى يطيل الحديث عن الشرف والفضيلة ، وقد يكون سافل النفس دنيئاً فأراد أن يخفى بهذا الحديث ما يعرفه فى نفسه مخافة أن يعرفه الناس .

وعلة هذا ، أن العقل الباطن يجب أن يعبر عن النشاط الكامن فيه فإذا كان أحد الطريقين مقفلاً اختار الطريق المقابل

إن الطفل يحمل كثيراً من الغرائز التى يجب أن تعبر عن ذاتيتها وحيويتها فى أعماله ؛ فإذا نحن منعناه عن الإفصاح عن إحدى غرائزه ، اختار للتعبير عنها طريقاً آخر شاذاً ، تنشأ فيه العقدة فى نفسه ، وقد يُضغط على رغبة التعبير عن إحدى الغرائز فتتسرب تلك الرغبة إلى قاع النفس وهى ممنوعة عن الظهور ، إلا أنها لا تسكن فى موطنها الجديد ، وإنما تبقى فاعلة متفاعلة فى حدود العقل الباطن ، حتى إذا سنحت فرصة للظهور خرجت من العقل الباطن إلى العقل الواعى ونفست عن نفسها فى هذا الخروج

لنفرض أن طفلاً مدللاً أرسله أبواه إلى المدرسة فلم يجد فيها ما ألفه فى بيته من الحنان ، فمثل هذا الطفل إما أن يغير سلوكه الذى اعتاده قبل دخوله المدرسة ، أو يبقى مستمراً عليه ، فإذا هو لم يختر ما وقع له وظل يريد من الحياة أن تكون مثلما رآه فى بيته ، مملوءة بالحنو والرقة ، ففى هذه البداية ينتهى الوليد إلى اعتبار كل زميل له فى المدراسة فظاً غليظ القلب فينفر من الاقتراب منه ، ويشعر بالبغض له ، ومن ثم يحدث له نفور من كل غريب حتى تكاد تعذبه كل تعارف جديد . وقد تغيب هذه الرغبة الشاذة فى طيات عقله الباطن ، ويزيدها تطاول العهد إمعاناً فى التوارى ، إلا أنها تبقى حية عاملة وهى تكون جزءاً من عقل العليل . فالرغبة التى تربط الموضوع فى هذا المثال ، هى العقدة

إن أكثر من نعرف يحمل فى طيات نفسه من العقد النفسية ما يخرج حياة عقله عن السواء ويميل بها إلى جانب من الشذوذ يكتنف شعور صاحبه وإدراكه ويعلى إرادته على ما يأتيه من قول وعمل . وقد ثبت فى دائرة العلوم النفسية أن أخطر سنوات الطفولة ما يقع بين الثالثة والثامنة من العمر ، ففى غضون هذه السنوات يقع أكثر ما يدعى بعشا كل الطفولة

على أن العقدة فى ذاتها لا تعد خطراً على صاحبها إلا إذا كانت متوارية عنه ، وهى تعمل من وراء حجاب من الزمن . فإذا حلت العقدة زال مايصاحبها من مرض يصيب العقل فى الصميم

غير أن تحليل العقدة إلى العنصر الذى نشأت عنه ، وبعبارة أخرى أن تذكر الحادثة الخاصة التى تنطوى عليها العقدة ليس مما لا يشق على من يعانيه ؛ ذلك لأنه إذا فعل وجد نفسه أمام مانع عنيد هو الزمن ، فالعقدة لا تكتفى بالاختفاء وراء ثوبها المستعار وإنما تتوارى فيما وراء وقائع الزمن . وفى أحضان هذا الواقع تقع الصعوبة فى تحليل العقدة . ولكن مهما يكن الأمر صعباً فإن طريق الخلوص إليه واضح لمن يريد

لنطلق العنان لما لنا من خواطر وأفكار ومنازع يعج بها العقل الباطن حتى نخرج بها إلى الذاكرة ، ومن ثم إلى عقلنا الواعى فنحللها فيه ونوجهها إلى مصادرها الحقيقية ، فإننا إن فعلنا ذلك استطعنا حل كافة العقد النفسية ، ومن ثم يسهل علينا التحرر منها بالإرادة وطول الممارسة

تلك هى طريقة التحليل النفسى ، بها نخرج بالعقدة إلى العقل الواعى ونربطها بالحادثة التى نشأت عنها فيظهر لنا بطلانها ، وبالتالى نتحرر منها وتصبح وكأن لم تكن بالأمس شيئاً

(بغداد)

حسين الظريفى
المحامى

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤١ فى القضية رقم ٤٣٦ سنة ١٩٤١ ضد محمد عبد السيد إدريس بكوم صوان مركز أبى حمص بالحبس شهرين بالشغل والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

٢ - قيمة الحـــرية

للصحافى العالمى ويكهام استيد

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامى

لقد زعموا أحياناً أن الجماعات التى يتولى أمرها سلطان يملى إرادته على الجميع هى أقوى من الجماعات التى يعنمها اختلاف الرأى فيها من الاتحاد فى العمل . وأصحاب هـذه الدعوى يزعمون أيضاً أن التسامح آية من آيات الضعف ، وأن التعصب سجية من سجايا القوة ، وأغلب ظنى أنها دعوى خاطئة ؛ فلقد يكون لمثل هذه الدعوى ما يبررها لو أنه كان من الممكن أن تظفر بحقيقة سياسية واحدة لا تقبل النقاش أو بمبدأ قاطع بات لا يحتمل الجدل ، ولـكن ما دام واقع الأمر على النقيض من ذلك إذ يتعذر افتراض شيء من عصمة الرأى البشرى ، فإن محاولة القضاء على وجهات النظر المختلفة وتتويج رأى غير معصوم من الزلل بحيث لا يرتفع إليه النقد ولا يسمو إليه الجدل هو فى الواقع من دون الرأى القائل بأنه ما دامت جميع الحقائق السياسية حقائق نسبية فمن صالح الجماعة أن تختار لنفسها من هـذه الحقائق ما يصادف من ذوى العقول الحرة القبول العام باعتباره أسلم القواعد التى يجب أن تتحكم فى المصالح البشرية .

والضعفاء من الناس هم أولئك الذين يستبيحون فى حق أنفسهم أن يقضى على رأى الفرد فيهم فلا يسمع له صوت ولا يقام له وزن ، أو أولئك الذين يلتمسون الفرار من معضلات المعترك الإنسانى بأن يعتصموا ببعض النظريات أو المذاهب الاستبدادية المطلقة التى يجدون فى قبولها نجاة لهم مما يضطلع به المواطنون الأحرار من معاناة نقد الآراء وتقصى أوجه النظر ، ومن التردد بين الآراء وما يلازمه من قسوة الشك وألم الحيرة ، ومقياس النظم السياسية ماثل فيما يخلفه على المواطن الحر من طابع . ذلك المواطن الذى هو غرس يدها ونتاج تعاليمها ، والنظم التى تحرم تنوع الآراء وتسدد المذاهب وتخنق حرية النقد تنتهى بأن تسير أبناء البلاد على نمط واحد مطرد ، فتقضى بذلك على مرونة العقول البشرية وتنزل بها إلى الحضيض من ركود الحياة وجمود العقل ، وتقف حجر عثرة فى سبيل تقدم الخلق الإنسانى . فقضية النقد إذن هى قضية خطيرة الشأن عظيمة الأثر بحيث لا يتسنى للمدنية أن تصادف نجاحاً بدونها ؛ ولذلك كان حتما على الجماعة إذا ما تأبت عار الخضوع ووصمة الجمود أن تبيح النقد إباحة لا يبطلها عقاب ولا يتهددها ضرر

ومع ذلك يوجد هنا فارق هام بين حرية النقد وحرية النهج ، إذ الناقد — كما لاحظ مستر « برنارد شو » فى إحدى مقدمات كتبه — لا يسمح له أن يغير سلوكه الاجتماعى ما لم ينجح نقده فى أن يغير القانون إذ استطرد قائلاً : « وإننا لعلى جهل خطير بأصول مدنيتنا حتى أن غالبيتنا لتحسب أن لها حقاً فى أن تغير منهجها فور الوقت الذى تتغير فيه آراؤها »

ومن أعقد المسائل التى تواجهنا فى حياتنا الاجتماعية والتى قد يتيسر التغلب عليها وحل معضلاتها فى المجتمعات الحرة بطريق الثقافة وحده أن نميز بين النقد النزيه ومجرد الثورة على الأوضاع الاجتماعية ، وأن نفرق بين حرية الرأى وحرية المبدأ وبين رخص النهج الاجتماعى

وإذا قدر للنقد أن يكون فعالاً منتجاً لا مجرد هدام للنظم والعادات التى تمت فى ظروف غير تلك الظروف التى تنشئ الناس فى وقت معين أصبح لزاماً أن تتوفر للشعب حرية البحث وحرية المعرفة وحرية الكلام وحرية الكتابة ، وصار واجباً أن تناقش الآراء وتمحص الأصول التى أسست عليها تلك الآراء، وهـذا أمر لا يتسنى وجوده ، كما اعترف بذلك الكتاب النازيون ما لم يقم على دعامة من حرية الصحافة التى تنطوى فيها حرية المعارف علمية كانت أو أدبية . ولقد سجل هتلر نفسه هذه النظرية فى كتابه (كفاحى) فقال : « يجب أن يكون هدف الحكومة أن تنشئ (هيئة اجتماعية من الكائنات الحية يتشابه أفرادها ماديًا وعقليًا) » . وزعم الدكتور (ديتريش) وهو الموظف الحكومى المتولى الإشراف على الصحافة النازية أن (رأى المجموع) لا رأى الفرد هو ما يجب أن يكون مصدر الثقافات جميعاً بما يتبعها من الدراسات العلمية . كما سودت

الدكتور (أوتو كيلويتر) وهو أستاذ نازى جامى (فكرة الجماعة) على فكرة الفرد

ومهما ظهر للشعوب التى تربت فى كنف الحرية من تعصب هذه الدعاوى، فهى من وجهة النظر الاستبدادية إصلاح منطق سديد؛ إذ فى البلاد التى ضيقوا الخناق على الحرية فيها لا يمكن احتمال الفكرة الفلسفية العميقة أو التحليل التاريخى الدقيق ما لم تنهر تلك الآراء التى فرضتها الحكومة المطلقة ونادى بها قائدها. فروسيا الشيوعية لا تقبل البحث الحر فى مسائل كالتى تتعلق بملكية الأشياء؛ وألمانيا النازية لا تسمح للعقائد الخاصة بالدم والجنس أن تكون موضع بحث أو نقاش؛ وإيطاليا الفاشية لا تطيق النظر الحر فى طبيعة الحكومة ووظائفها، أو فى مكانة الأفراد بالنسبة للحكومة. وحسبها من شر أن أسكتت مثل هذا الفيلسوف العظيم (بنيد توكروس). ولشد ما تثيرنى آراؤه عن الحكومة والحياة السياسية. ففى كتيبه (أورنيناتى) قال: «إن حبنا للدولة هو أن نعمل مع الدولة، وأن نخص الدولة ونغمر حياتها السياسية بكامل ما يتوفر لنا من أسمى معانينا وأنبل مشاعرنا وأصدق ما يجرى فى معتقداتنا من الحقائق، أى تلك الحقائق التى تصدر عن ولاء مكين وإيمان متين، وعما يتهيأ لنا أن نأمله من مثلنا العليا. واشتراكنا مع الدولة على ضوء هذه الاعتبارات هو ما نسميه بالحرية بتعبير آخر. وهذه الحرية ليست بمقاومة الدولة أو بالإساءة إلى هيبتها وعظمتها، ولكنها هى حياة الدولة بذاتها وإلا وسعنا أن نزعم أن الدم الذى يجرى مجدداً نفسه بدورة مستمرة فى أوردتنا هى حركة متمردة على ما لنا من سلطان فى ضبط حركة الوظائف العضوية من أجسامنا، لهذا لا تكون الحرية ملحوظة فى الدولة ما لم تكن حرية سياسية مطبوعة على العمل مع مقتضيات حياة الدولة

والحق أن هذا الفيلسوف الإيطالى قد أثم فى حق الثقافة الفاشية إذ أهمل النظر للدولة — كدولة مطلقة — ثم أسرف فى الإساءة إلى النظام الفاشى، فلم يشأ أن يعتبر الدولة إلا عنصراً تنفيذيًا للهيئة الاجتماعية وإلا مجموعاً كلياً للوظائف العامة التى تفوضها الأمة للهيئة التنفيذية لحماية الصالح العام وتدعيمه

ولا يبعد هذا المذهب عما ذهب إليه (جون استيوارت مل) وقتما وفق لأن يلمس بعض الظواهر الإيجابية لحرية الأمة فى رسالته الشهيرة عن «الحرية» فلقد أشار «مل» إلى أنه إذا عمل أى إنسان عملاً من شأنه أن يضر الآخرين كان من مقتضى العدالة أن يستوفى العقوبة التى فرضها القانون، أو أن يلاقى جزاءه من الاستنكار والتحقير العام إذا كان ما فعله لا يقع تحت طائلة نصوص القانون، ثم استطرد قائلاً:

وقد تقضى العدالة إلى ذلك بإجباره على القيام بأعمال إيجابية كثيرة شرعت لصالح الآخرين، مثلما يلقى على عاتقه من عبء إثبات ما يدعيه فى ساحة القضاء، أو ما يتحمله من نصيبه العادل فى الدفاع العام أو ما يضطلع به من الأعمال الاشتراكية الأخرى اللازمة لصالح الجماعة التى ينعم بحمايتها. ومثلما يفرض عليه من أعمال خاصة شرعت لصالح الفرد كأن يتقدم لإنقاذ حياة إنسان أو يتدخل بين الضعيف الذى لا سند له والقوى الذى لا حجة معه لينتصف للمظلوم من الظالم. وهى أمور إذا ما اتضح أن من واجب الرجل أن يؤديها كان من مقتضى العدالة أن تناقشه الهيئة الاجتماعية الحساب عن عدم وفائه بها. فالإنسان قد يلحق الضرر بغيره بسبب ما يقدم عليه من عمل، أو نتيجة لامتناعه عما يجب عليه من عمل، وفى كلا النهجين يجب حقاً وعدلاً أن يكون ملزماً بتعويض الضرر

وهذا النظر الصائب أنسب لحرية الصحافة وأشد انطباقاً عليها من غيرها. وكم تخفق الصحافة فى تأدية رسالتها للأمم الحرة، وفى القيام بواجبها على وجهه الصحيح، إذا هى صمت بالطغيان والظلم صدور الكرام، أو ذلت واستكانت فأغمضت عينيها عما يواجهها من سوء استعمال الحق ومن التصرفات الضارة بالصالح العام. إذ واجب الصحافة أن تترصد الأخبار لتذيعها على الناس، وأن تتعقب الخفاء حتى يبرح، والخبىء حتى يظهر، وأن تواجه الشبه حتى تنجلى، وأن تفصح عن ذلك كله فى عبارة حاسمة صريحة، فإذا بالصبح وقد تبين لذى عينين، وإذ هى لا تدين بولاء، ولا تتقيد بواجب إلا للشعب وللشعب وحده لا لأية سلطة تتولى الحكم فى البلاد؛ وإذ الطريق الوحيد لكبح

جماح المهنة الحاكمة والحيلولة بينها وسوء استعمال الحق هو أن تذيع على الشعب كيف يتصرف رجال الحكومة بسلطانهم !

ووقتها أمر « مل » ذلك الفيلسوف الحر ، على أن يسأل الرجال ، وكذلك الصحافة من باب أولى ، لا عما يجترمونه من جرم فحسب ، بل عما يترتب على امتناعهم عما يجب عليهم عمله ، لم يكن نظره هذا يبعد عن تلك العبارة الدائمة الواردة فى تعاليم الكنيسة الإنجليزية ، وهى : « لقد عملنا ما كان يجب علينا ألا نعمله ، وأغفلنا عمل ما كان يجب علينا أن نعمله ، وافتقدنا رجاحة العقل وسداد الرأى » ؛ وبعبارة أخرى قد تكون جرائم الترك هوان للحرية كجرائم العمد

* * *

وإذا كان الإنتفاع بالحرية والدفاع عنها بحاجة حقاً إلى مجتمع متمدين نشط يصدر فى أفعاله عن إرادة حرة وعزيمة صادقة ، فليس بأقل من ذلك وزناً ما نحن بحاجة إليه من إعادة النظر فى آرائنا وتنقيح مناهجنا فيما ينظم حريتنا على ضوء ما نتبينه من ماجريات الأمور وما ينتهى إلينا أو ننتهي إليه من تطور الأحوال وتغير الظروف . ومنذ قرن مضى كانوا يعتبرون ضريبة الدخل التى تستنفذ الموسوم ما يربى على ربع إيراد المواطن الحر ، وتلك الواجبات والالتزامات المتوالية أو المتواترة التى قد يكون من شأنها أن تستأثر الدولة بنصف ما يفيده المواطن من ثروته . نقول إلى قرن مضى كانوا يعتبرون تلك الضرائب والقيود المالية غارة شعواء غير مشروعة على حق الملكية الخاصة وعلى الحرية الشخصية . أما اليوم فقد صارت هذه الضرائب أمراً مقبولاً أو نهجاً مقرراً لا يشق على الناس أمره ولا يتأذون به . ولأقل من عصر مضى تكلموا كثيراً عن حق المنتجين فى ابتياع « جنى الجهود[1] الطليقة » فى « سوق حرة » وكان أغلب ظن أولئك العمال الذين وسمهم أن يفيدوا أجوراً طيبة من بيع جهودهم أنهم قد أمسوا وهم يتمتعون بكامل حريتهم ؛ وتاريخ حركة الاتحاد العمالى[2] التجارى فى هذه البلاد (انجلترا) هو تاريخ الجهود التى بذلت لتحقيق « هذه الحرية » وإصلاح شأنها عن طريق عقد الصفقات الاشتراكية الرابحة على الرغم من أن حقيقة نظام هذا الاتحاد التجارى ما كانت لتسمح للأفراد بأن يستقلوا عنها ببيع جهودهم مهما كان الثمن الذى يتهيأ لهم الحصول عليه

وما شرع للمصانع من قوانين كان له بلا ريب أثره فى التدخل فى حرية المنتجين وانتقاصها أصبح اليوم وهو يرى كأمر ضرورى لحماية عمال المصانع من أى استغلال غير عادى يكون عليهم غرمه وللمنتجين غنمه . ولا زال لدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأنه سوف يواجهنا يوم يحتاج الأمر فيه إلى إصلاح يعطل حرية المالك فى التصرف فى ملكه إذا لم يكتب للاصلاح النجاح فى القضاء على تلك الظاهرة الماثلة فى إحلال الماكينات محل العمال والقضاء على تلك الأيدى المبسوطة للعمل بان تساق إلى نوع آخر من الرق الاقتصادى وتنتهى بها حاجتها إلى العمل لأن تكابد شقوة البطالة الإجبارية

(للكلام صلة) زين العابدين جمعة

(١) الجهود الطليقة هنا هى جهود أولئك العمال الذين لم ينضووا تحت لواء الاتحاد التجارى

(٢) الاتحاد العمالى التجارى هو اشتراك عمال أية تجارة فى جمعية منظمة بقصد إصلاح شأنهم وحماية مصالحهم المشتركة

بعد منتصف الليل

للأستاذ م . دراج

الدقائق تمر بطيئة ، وصبرى يوشك أن ينفد ، وكلما تطلعت إلى النافذة توهمت أننا أشرفنا على الصباح . . . وتمددت منى اللفتات حتى عز الأمل فى انبلاجه أو كاد ، فازداد قلقى ، واشتد تبرمى بالفراش فنحيت عنى الغطاء بعيداً ، وفى حركة عصبية انتصبت واقفاً ، وقد صممت على أن أتنفس هواء الفضاء !

فما عدت أتحمل قُبُلاتها الجائمة تنقض علىَّ فى غير رحمة ؛ لا ، ولا موسيقاها الخبيثة تجفل منها الحواس كل غدو ورواح . وخير لى أن يجف دمى من البرد فى الطرقات ، ولا تمتصه هذه الحشرة الجائمة . ومن يدرى ؟ ربما قضت علىّ أن ألازم « الملاريا » وأصادقها ولو لمدة أيام !

كنت لا أحمل ساعة ، وأنا كذلك دائماً ، وكان مبلغ تشاؤمى لا يتعدى أن الوقت حول الخامسة صباحاً . قلت لنفسى هذا الوقت المبكر أصلح جو يسرى عن الإنسان همومه ومتاعبه ، فيه تحتفل الطبيعة بالتقاء الليل والنهار فتلبس أبهى حللها ، وتغنى طيورها أعذب الألحان . وما ضرنى لو شاركت الطبيعة أعظم أفراحها وشهدت كيف تمثل قصتها الخالدة على مسرح الحياة ! لا شىء . أجل ، لا شىء

وأسرعت فارتديت ملابسى وهممت بالانطلاق ، ولكنى غريب عن المدينة ، وفى منزل ليس لى فيه كل الحرية ، وليس من اللياقة أن أحرج مضيفى ، فأجرح عزة نفسه ، ولكن ماذا أصنع وهذه حالى ، أنام ... ؟ لا أنام ! أبقى ... ؟ لا أبقى ، هذا مستحيل ! إذن لا مفر من الخروج ، وإذا كنت غريباً عن المدينة فأنا ضيفها فى الوقت نفسه ، وللضيف حقوق ولو حامت حوله الشبهات ...! بهذا التفسير غير المقنع أقنعت نفسى ، وأخذت أدلف من طريق إلى طريق ، وأنعطف مع الشارع

إلى الميدان متمهلاً فى مشيتى لعلى ألمح تباشير الصباح ؛ ولكن الطريق خالية ، والناس نيام ، والسكون يشمل الفضاء ، حتى الطير قد أخلد إلى أوكاره ، وأسلم نفسه للكرى ، والحراس هنا وهناك فى شبه غفوة يحتاجون إلى من يحرس أسلحتهم من أيدى اللصوص الجبناء . . . ! والساعة تدق الثانية بعد منتصف الليل

ماذا ترانى أصنع ...؟ إنى لا أعرف أين يقع الفندق إن كان ثمة فندق يقبلنى فى هذا الوقت ، ولا أعرف أيضاً كيف الطريق إلى « استراحة الحكومة » فأنا مشرد من أجل العمل فى خدمة الدولة ، والدولة لا يعنيها من أمرى شىء . إنها لتكافئنى بالحسرة والخسران على ما أبذل من جهد ونصب ، هى ترهقنى ليستريح غيرى من أرباب الحسب والنسب وذوى الألقاب والأرقام الضخمة . وما أشبه هؤلاء فى مراكزهم بأصحاب « العزب والوسايا » أو هم تماماً كالمهراجات فى الهند ، كلما تضخمت ثرواتهم ، هوت على الشعب نوازل الفقر والخراب ، والشعب هنا أمثالى من الموظفين الصغار ، « فالقانون المالى » لا يطارد إلا أمثالى بالحرمان من كل شىء ، حتى حق الإطمئنان إلى بقائى لأقوم بواجبى فى هدوء وانتظام ... !

لم أوافق على العودة ثانية من حيث فررت ، وإن خفت أن يصيبنى سوء من طول الوقت واشتداد البرد فى الهزيع الأخير من الليل ، وأنا رجل يؤثر البرد فى جسمى وأعصابى معاً . . . الساعة تدق الثانية بعد منتصف الليل ، وعلىّ أن أظل هكذا أربع ساعات طوال ! !

وقبل أن أفكر فى حل لسؤالى ، لاح لى شبح فى الظلام ، يمشى مشية الحذر ثم يمضى مندفعاً إلى الأمام ، ثم يتوقف وكأنه جندى يستكشف مواقع الأعداء ، وهكذا بدا لى أمره غريباً فحاولت أن استكشف سره .

يا لله ! إنها إنسانة تحمل وليداً وقد احتضنته إلى صدرها وألقت وشاحها الممزق على الخرق المهلهلة المحيطة بجسمه . سألتها عن حالها فتوقفت ولم تحر جواباً ... ثيابها

الريفية الممزقة ، وروحها الحائرة ، وعقدة لسانها الظاهرة ، وصمتها البليغ ، وأخيراً ربيع حياتها . . . ! كل هذا كشف عن حقيقة حالها ، هي تبيع نفسها من أجل المال ، المال الذي تشتري به الخبز ! هل اعطيها شيئاً مما وهبني الله ؟ وهل يحل هذا الشيء مشكلتها ؟ لا . . . لن أعطيها شيئاً . . . ! ولن أشفق على حالها فأتركها فريسة لمجتمع مملوء بالذئاب الجائعة فقد تتعود الاستجداء في مقابل ما . . . ! وليس كل الناس ملائكة . . .

هذه الإنسانة لها على الدولة حقوق أهونها أن تكسوها وتطعمها ، وإلا فكيف يمكن أن تعيش عيشة شريفة في مجتمع يقتتل فيه الناس من أجل اللقمة ؟ وإذا كان الحكام دائماً من الأغنياء الذين لا يتصورون كيف تجوع الجسد الآدمية ، فلترسل لهم هذه الإنسانة عبرة الحق لعلهم يهتدون . . . وجاء ظهر الشرطي بعد نومة طويلة بمظهر اليقظ اللبيب فأمسكت أنفاسي وظهر على شيء من الاضطراب . حاول أن ينال مني بالغمز واللمز ، فنهرته بشدة وأنا أعلم أنه سيركب رأسه .

وهناك حيث « ينام » رجال الشرطة على مصالح الناس انتظرت الضابط طويلاً أين هو ؟ أين هو ؟ لا أدري ، ولكني ألمح منطقته تتدلى من المشجب ، وسترته تضيء بأزرارها اللامعة فوق كرسي مكتبه . وهو غائب على كل حال ثلاث ساعات طوال ؟ وتبينت أخيراً أنها زوجة مات عنها زوجها لثلاثة شهور خلت ، ولا تدري كيف تقطع الشقة بين الحياة والممات فهامت على وجهها بعد أن أرخى الليل سدوله ، تفتش عن رغيف ، ولو كسبته عن طريق غير شريف ، وهنا نتركها بين محاضر التحري تنتظر مستقبلها المجهول

وعدت إلى الشارع فوجدت الصبح قد غمر المدينة والناس يستقبلون الحياة في معترك لجب ليس للتنافس فيه حدود ، فإذا تساءلت ، لماذا ؟ أجابوك : إنها الحرية التي تقدمها الدولة

م . دراج

١٧ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الخامس : الحياة المنزلية

يجهز الطعام بحيث يسهل تناوله بالطريقة السابق وصفها ، وهو يتكون في مجموعه من (الهخنى) : وهو لحم مسلوق وبصل مقطع، أو قليل من البامية أو غيرها من الخضر ؛ و (القاوُرمة) : وهو لحم كثير التوابل مع البصل ؛ و (ورق محشى) : وهو ورق العنب أو الكرنب أو الخس : يحشى بالأرز واللحم المفروم بعد أن يتبلا بالملح والفلفل والبصل وغالباً بالثوم والبقدونس ، ويسلق ، ومحشى الخيار أو البادنجان أو القرع الكوسة ، و (الكباب) : وهو قطع صغيرة من لحم الضأن تشوى على السفود ، وبعض الألوان تتألف جميعها أو أغلبها من الخضر مثل : الكرنب والرجلة والإسباناخ والبامية والفول والترمس والحمص والقرع المقسم إلى قطع صغيرة والقلقاس والعدس الخ . ويعد السمك المطبوخ بالزيت كذلك طبقاً مألوفاً ، وتطهى أغلب الأطعمة بالسمن لعدم وجود الدهن ، وتوضع فيها التوابل بكثرة ، ويذوب السمن في الصيف تماماً . ولا بد من استعمال اليدين معاً لتقطيع ما يقدم من الطيور . وقد يقوم بهذه العملية شخصان معاً كل بيده اليمنى فقط ؛ ولكن بعضهم يقوم بذلك وحده بدون مساعدة وبيد واحدة ، ولا يقبل بعض العرب لمس الطعام — على أي حال — بيسراهم(١) إلا إذا كانت بعنام مبعورة . وليس من غير المعتاد أن تقدم الطيور المنزوع عظامها المحشوة بالزبيب والفستق والخبز المفتت والبقدونس ، أو حمل بأكله محشواً بالفستق الخ ؛ وهنا يسهل نزع اللحم بيد واحدة . وكثيراً ما تخلط الحلوى باللحم مثل : العنّاب والخوخ والمشمش الخ والسكر مع اليخني ؛ وكثيراً ما تقدم أيضاً مختلف أصناف الحلوى دون مراعاة نظام خاص بالنسبة للأصناف الأخرى .

ومن أصناف الحلوى المحبوبة الكنافة : وتصنع من دقيق القمح — وهي أدق من الشعرية — وتقلى بالسمن وتحلى بالسكر أو العسل . ولا تخلو المائدة من البطيخ في موسمه : وهو يقطّع قبل الأكل ويترك في الهواء ليبرد بالتبخر ، ولكن يجب ملاحظته حتى لا ينفث الثعبان سمه فيه ، لأن الثعبان — على حد قولهم — يحب البطيخ حباً شديداً ، ويشم رائحته على مسافة بعيدة . والبطيخ كثير في مصر كثرة زائدة ، وهو غالباً لذيذ الطعم . وآخر طبق يقدم الأرز المفلفل (بيلاف الأتراك) : ويوضع عليه الزبد ويتبل بالملح والفلفل ، إلا أن كثيراً ما يتبعه — على موائد الأثرياء — (خشاف)(١) : يتكون عادة من الماء والزبيب المسلوق فيه ويحلى بالسكر ثم يضاف إليه عند ما يبرد قليل من ماء الورد(٢) . وكثيراً ما يحل البطيخ محله(٣) .

ويأكل المصريون باعتدال ولكن بسرعة ، وحالما ينتهي أحدهم يحمد الله ويقوم دون أن ينتظر الآخرين(٤) ، فيقدم له الخادم الطست والأبريق ليغسل يديه وفمه بالصابون والماء كما سبق

ولا يشرب المصريون على الأكل غير الماء . وقد يقدم على مائدة الأغنياء (الشربات) التي سأصفها الآن . ولا يشرب العرب على الأكل إلا قليلاً من الماء ، أو لا يشربون مطلقاً ، وهم

---

(١) لأنها تستخدم استخداما نجسا

(١) من الفارسية (خوش آب) أي الماء الحلو

(٢) ويضرب بملعقة من الباغة أو الجوز الهندي

(٣) وأهم فواكه مصر وأحسنها البلح والعنب والبرتقال والليمون على أنواع مختلفة والتين والجميز والتين الشوكي والرمان والموز والبطيخ والشمام وما شابههما ، والخوخ والمشمش متوفران ولكن ينقصهما الطعم اللذيذ . والكمثرى نادرة وأغلبها تجلب من شينا وسوريا . ويبدو لك من هذا التعداد أنه ليس بمصر فاكهة طيبة

(٤) من المكروه أن يقوم الانسان أثناء تناول الطعام حتى ولو كان ذلك احتراما لقدوم عظيم . وقد حرم الرسول على أتباعه القيام أثناء الأكل أو على وشك تناول الطعام ولو حانت الصلاة

على العموم يتناولون جرعة كبيرة بعد الأكل مباشرة . ويمتاز ماء النيل بحلاوته ؛ ولكن ماء الآبار ، في القاهرة وغيرها ، يميل إلى الملوحة . ويشرب الماء إما في أوعية من الفخار أو طاسات من النحاس[1] وأوعية الفخار نوعان : (الدورق) (شكل ٣٩)



(شكل ٣٩) أوعية الماء للسباة « دورق » وسداداتها المختلفة

و (القلة) (شكل ٤٠) والأول ذو حلق ضيق ، والثانية حلقها واسع . وهما من صلصال ذى مسام يبرد الماء برودة لذيذة بالتبخر . وهما يوضعان لذلك في تيار الهواء . وكثيراً ما يسود



(شكل ٤٠) أوعية الماء للسباة « قلة »

داخل الوعاء بدخان بعض الأخشاب الصمغية ، ثم يعطر بدخان خشب (القَفَل) والمصطكا . ويستعمل لهذا الغرض وعاء صغير من الفخار يسمى مبخرة (شكل ٤١) يوضع فيه الفحم اللازم لحرق الخشب والمصطكا ، ثم تعلق القلة أو الدورق مقلوباً فوقه . ويشد حول رقبة الدورق خرقة على بعد بوصة من الحلق لمنع السناج أن ينتشر بعيداً على خارج الوعاء . وكثيراً ما يوضع

(١) وكان قدماء المصريين يستعملون أقداحاً نحاسية للشرب فيها (هيرودوتس الكتاب الثاني الفصل السابع والثلاثون)

أيضاً قليل من ماء زهر البرتقال[1] فيكسب الماء طعماً لطيفاً .



(شكل ٤١) المبخرة والدورق الصيني

وللأوعية سدادات من الفضة أو النحاس أو القصدير أو الخشب أو أغطية من السعف المجدول . وهي توضع في صينية يسقط فيها الماء الراشح . وكثيراً ما تستعمل الأوعية الصينية (شكل ٤٢) في الشتاء عوضاً عن الفخار حتى لا يبرد الماء برودة شديدة[2] ويبين (الشكل رقم ٤٢) كاستى الشرب الأكثر شيوعاً . وبعض الكاسات ينقش في داخلها آيات قرآنية ، ولم أر ذلك كثيراً . ويبسمل الشارب قبل الشرب ويحمد الله بعده ، فيقول له كل من الأصدقاء الحاضرين : هنيئاً ، فيرد عليه : هناك الله



(شكل ٤٢) طاستان لشرب الماء

وبالرغم من إشارة قصص ألف ليلة وليلة إلى مائدة المدام فإن المصريين المسلمين في هذا العصر لا يقدمون النبيذ في المجتمعات العامة في أي وقت من الأوقات على العموم . إلا أن الكثيرين لا يمتنعون عادة عن شرب النبيذ مع الأصدقاء المقربين . وحينئذ لا يدخل الخادم غير الندامى أما غيرهم فيقول لهم : إن السيد ليس

(١) (موية زهر أو موية زهر نارنج)

(٢) وقد لاحظ البارون هامر برجستال أنه كان يجب هنا الإشارة إلى وعاءين آخرين (في النشرة الأولى لهذا الكتاب) على الأخص لأن اللغات الأوربية اقتبست اسمها وهما : الجرة water-jar والدمجان la dame-jeanne

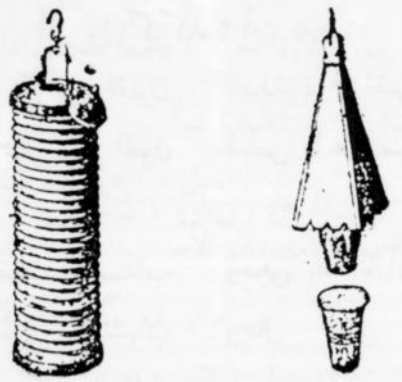
بالدار أو أنه في الحريم . وهؤلاء يحتسون النبيذ أثناء العشاء وقبله وبعده ويستحسن قبل العشاء لأنه على حد قولهم يثير الشهية . وقد أخبرني صديق مسلم تاب عن الخمر بعد إدمان (ولا يمكنني أن أتحدث في هـذا الموضوع عن تجربة لأنني لم أشرب النبيذ أبداً فلم يدعني مسلم قط إلى ندوة شراب) أن مائدة المدام تتألف من صينية مستديرة أو طبق زجاجي توضع على الكرسي ويصف عليها أبريقان للنبيذ والعنبر أو أكثر من إبريق معاً أحياناً وعدة أكواب صغيرة وصحن صغير فيه فاكهة يابسة وطازجة أو مخللات أحياناً ، وأخيراً شمعدان وغالباً باقة زهر تثبت في شمعدان أو توضع على الصينية



(شكل ٤٣) أقداح الشربات

ويصنع المصريون عدة أصناف من (الشربات) وأكثرها شيوعاً الماء المحلى بالسكر فقط[1] ويكون زائد الحلاوة (والليمونادة) أو شراب الليمون نوع آخر ، وهناك صنف ثالث أحب إلى النفس وهو شراب البنفسج ويكون بسحق زهر البنفسج ووضعه مع السكر في الماء وتركه على النار حتى يغلي ، وهذا الشراب أخضر اللون، وشراب التوت والخميض والزبيب[2] الذي يباع في الشوارع، والعرق سوس والخروب، ويقدم الشراب في أكواب مغطاة تسمى الواحدة على العموم (قلة) (شكل ٤٣) وبعض المألوف من هذه الأكواب يزين بزخارف مذهبة من الزهور وغيرها وهي توضع على صينية مستديرة مغطاة بقطعة من الحرير المطرز أو الجوخ المرصع بالذهب، ويعلق على ذراع الخادم فوطة مستطيلة الشكل عريضة الحاشية المرصعة بالذهب والمطرزة بالحرير الملون ، ومن الجلي أنها تقدم لمسح الفم بعد الشراب ، ولكنها في الواقع تتخذ للمباهاة أكثر منها للاستعمال

يمضي المصريون ما بين وجبة المساء وصلاة العشاء في التدخين وشرب القهوة ، ويستأنفون لذة التدخين بعد فراغهم من الصلاة. وقد يلعبون الضامة أو الشطرنج أو غير ذلك ، أو على الأقل يتسامرون فينقضي الوقت دون أن يشعروا بأدنى ضيق . ويقضي أفراد العائلة المصرية وقتهم عندما تسمح الظروف في حبور وبهجة ولكن في هدوء . وكثيراً ما يقوم الرجال بزيارة أصدقائهم ليلاً وقت العشاء أو بعد ذلك ، ويستضيئون أثناء خروجهم بمصباح مستدير مموج الجوانب يسمى فانوس ، ويصنع من النسيج المشمع المشدود إلى حلقات من السلك بينما أعلاه وأسفله يصنعان من النحاس المبيض . وترى هذا النوع في الشكل رقم ٤٤ ، وبجانبه النوع الشائع



(شكل ٤٤)

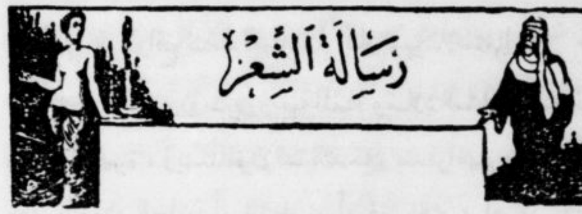
وهو القنديل بغطائه الخشبي العادي الذي يقيه شبه الهواء . وهذا القنديل وعاء زجاجي صغير ذو أنبوبة صغيرة في قاعه ، يدخل فيها ذبالة من القطن تلف على عود من القش . ويصب فيه الماء ثم الزيت وكثيراً ما يعلق القنديل على مدخل المنازل. ويخيم على داخل البيوت أثناء الليل جو قاتم ثقيل . ويكفي لإنارة الأبهاء الواسعة العالية ضوء شمعة أو شمعتين توضعان على الأرض أو على كرسي ؛ وقد تحاطان بوقاد زجاجي كبير ، أو توضعان في مصباح من الزجاج لأن النوافذ من الخشب المشبك . والقليل من المصريين من يسهر أكثر من ثلاث ساعات أو أربع صيفاً بعد غروب الشمس (إذا أن الوقت يحسب عندهم من الغروب) وكثيراً ما يسهرون خمس ساعات أو ستا في الشتاء

(يتبع)

عدلي طاهر نور

(١) ويسمى « شربات » أو « شربات سكر » أو « سكر » فقط

(٢) وهذا الاسم يطلق أيضا على نوع من المشروبات المسكرة



قصيدة العقاد في «مى»

أين فى المحفل «مىٌّ» يا صحاب   عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب   مستجيب حين يُدْعى مستجاب
أين فى المحفل «مى» يا صحاب ؟

سائلوا النخبة من رهط الندىْ   أين مي ؟ هل علمتم أين مى ؟
الحديث الحلو واللحن الشجىْ   والجبين الحر والوجه السنىْ
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

أسف الفن على تلك الفنون   حصدتها، وهى خضراء، السنون
كل ما ضمته منهن المنون   غصص ما هان منها لا يهون
وجراحات ، ويأس ، وعذاب

شيم غرٌّ رضيات عِذاب   وحِجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاء ألمعى كالشهاب   وجمال قُدُسى لا يعاب
كل هذا فى التراب ! آه من هذا التراب !

كل هذا خالد فى صفحات   عطرات فى رباها مثمرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبات   رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب

من جناها كل حسن نشتهيه   متعة الألباب والأرواح فيه
سائغ ميز من كل شبيه   لم يزل يحسبه من يجتنيه
مفرد المنبت معزول السحاب

الأقاليم التى تنميه شتى   كل نبت يانع ينجب نبتا
من لغات طوفت فى الأرض حتى   لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحواها كلها اللب العجاب

يا لذاك اللب من ثروة خصب   نير يقبس من حس وقلب
بين مرعى من ذوى الألباب رحب   وغني فيه وجودٍ مستحب
كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

طامه الناضد من شعر ونثر   كرحيق النحل فى مطلع فجر
قابل النور على شاطئ نهر   فله فى العين سحر أي سحر
وصدى فى كل نفس وجواب

حى «ميا» إن من شيع ميا   منصفاً حيا اللسان العربيا
وجزى حواء حقا سرمديا   وجزى ميا جزاء أريحيا
للذى أسدت إلى أم الكتاب

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا   والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرابا   والذى لاقت مصابا فمصابا
من خطوب قاسيات وصعاب

أتراها بعد فقد الأبوينِ   سلمت فى الدهر من شجو وبين
وأسى يظلها ظلم الحسين   ينطوى فى الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

أتراها بعد صمت وإباء   سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كل ما فيه رياء   وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

رحمة الله على «مى» خصالا   رحمة الله على «مى» فعالا
رحمة الله على «مى» جمالا   رحمة الله على «مى» سجالا
كلما سُجل فى الطرس كتاب

تلكم الطلعة ما زلت أراها   غضة تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءت فى سناها   وفروع تتهادى فى دجاها
ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

غاب والزهرة تؤتى الثمرات   ثمرات من تجاريب الحياة
خير ما يؤتى حصاد السنوات   بعثرتهن الرياح العاصفات
ورمتهن تراباً فى خراب

ردَّ ما عندك يا هذا التراب   كل لب عبقرى أو شباب
فى طواياك اغتصاب وانتهاب   خلقا للشمس أو شم القباب
خلقا لا لانزواء واحتجاب

ويك ! ما أنت براد ما لديك   أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد «مى» غير موكول إليك   مجد «مى» خالص من قبضتيك
ولها من فضلها ألف ثواب

عباس محمود العقاد

قصيدة مطران في «مي»

قد تولى رفاقُنــا وبقينا   يعلم الله بعــدهم ما لقينا
هل من الصاب في كؤوسك سُؤرٌ
قد سقينا يا دهر حتى روينا
أوداع يتلو وداعاً وتأبين   على الإثر معقبٌ تأبينــا
أيها الشاعر الذي كان حيناً   يتغنى وكان ينحَب حينا
حطم العود ، إن كر الليالي   لم يغادر في العود إلا الأنينا
أن يُلمّ الردى بميّ وأن يط   فئ مصباحها أليس غبينا ؟
طالع السعد كيف بدل نَوْءا
يبعث الريح والسحاب الهتونا
فإذا ما أقرّ أمسِ عيونا   قرّح اليومَ بالدموع عيونا
نعمة ما سخا بها الدهر حتى   آب كالعهد سالباً وضنينا
أبهذا الثرى ظفرت بحسن   كان بالطهر والعفاف مصونا
لهف نفسى على حِجًى عبقرى
كان ذخراً فصار كنزاً دفينا
إيه يا مي أسرف اليتم تبري   حاً بروح كان الوفيّ الحنونا
فقــدك الوالدين حالا فحالا
جعل البيض من لياليك جُونا
ورمى أصغريك رامى الكبير
ن فذاقا قبل المنون المنونا
أقفر البيتُ ، أين ناديك يا مـ
ي إليــه الوفود يختلفونا
صفوة المشرقين نبلا وفضلا   في ذراك الرحيب يعتمرونا
فتساق البحوث فيه ضروباً   ويدار الحديث فيه شجونا
وتصيب القلوب وهي غِرَاثٌ   من ثمار العقول ما يشتهينا
في مجال الأقلام آل إليك السـ
بق في المنشئات والمنشئينا
في لغات شتى وفي لغة الضا   د تجيدين صوغ ما تكتبينا
أدب قد جمعت فيه علوما   يخطئ الظن عدها وفنونا
وتصرفت فيــه نظما ونثرا   باقتدار تصرّفَ الملهمينا
تبتغين الصلاح من كل وجه   وتعانين شقوة المصلحينا
وحى قلب يفيض بالحب للخير
ويهدى إليــه من يهتدونا
ويود الحياة عزا وجهدا   لا يود الحياة خسفا ولينا
فهو آنا يبث بثاً رفيقاً   يملأ النفس رحمة وحنينا
وهو آنا يثور ثورة حر   عاصفاً عصفة تدك الحصونا
ينصر العقل، يكشف الجهل، يوحى الـ
عدل ، يرعى الضعيف والمسكينا
أين ذاك الصوت الذي يملك الأسـ
ماع في كل موقف تقفينا
فُجِـع الشرقُ في خطيبته الفصـ
حى وما كان خطبها ليهونا
أبلغ الناطقات بالضاد عيّت   بعد أن أدت البلاغ المبينا
أطربته وهــذبته وحثتـ   ـه على الصالحات دنيا ودينا
بكلام مفصل زانت الحكـ   ـمة فيه البيان والتبيينا
قدرته لفظاً ولحظا وإيما   ء بما ودت المنى أن يكونا
ذاك في العيش ما شغلت به والـ
غيــد تلهو وأنت لا تلهينا
لم ترومى إلا الجليل وجانبـ   ـت الأباطيل واتقيت الفتونا
وجعلت التحصيل دأباً وآتيـ   ـت جناه فطاب للمجتنينا
فعليك السلام ذكراك تحيا   وبرغم البعاد لا تبعدينا

خليل مطران



المجمع اللغوى والإنتاج الأدبى

طلب مجمع فؤاد الأول للغة العربيــة إدراج ثمانمائة جنيه فى ميزانية السنة المقبلة لتشجيع الإنتاج الأدبى . وسيخصص نصف هذا المبلغ للممتازين فى الآثار الأدبية التى يقرر المجمع أنها تستحق الجوائز ، ويخصص النصف الآخر لجائزتين يمنحهما الأول والثانى فى فرع من الفروع التى يطلب إلى الأدباء المسابقة فيها

وعلى اللجنة المؤلفة لهذا الغرض أن تحدد كل عام فى شهر فبراير النوع الأدبى للمسابقة وشروطها . فأما الآثار التى تجاز أو ينوه بها ، فهى التى يتحقق فيها أن يكون الأثر مظهراً للانتاج المستقل ، وأن يأتى فى بابه بفائدة محققة ، وألا يكون قد سبق نشره قبل السنة التى تتناولها التقارير . وستضع هذه التقارير لجان فرعية من اللجان العامة ، واحدة للشعر ، وثانية للقصة والرواية ، وثالثة للمقالات والبحوث الأدبية من نقد وتاريخ ونحو ذلك

وعلى كل لجنة فرعية أن تتقصى الإنتاج الأدبى فى الفرع الذى أسند إليها ، وأن تقدم تقريرها فى شهر ديسمبر من كل سنة بملاحظاتها العامة على سير الحركة الأدبية فى مصر والعالم العربى فى هذا الفرع ، وعلى ما يمكن أن يكون ممتازاً من الإنتاج امتيازاً يقتضى تشجيع صاحبه معنويًا أو ماديًا . ثم تدرس اللجنة العامة هذه التقارير فى شهرى ديسمبر ويناير ، وتعرض تقريرها على مجلس المجمع فى شهر فبراير ، ثم يعقد المجمع جلسة علنية فى شهر مارس تعلن فيها القرارات وأسبابها ، وينوه فيها بما استحق التنويه من الآثار الأدبية

هذا وقد نص على أنه لا يجوز لأعضاء المجمع أن يشتركوا فى المسابقات أو ينوه بآثارهم . وسيمضى المجمع فى تحقيق هذا المشروع بعد الموافقة على إدراج المبلغ المذكور فى الميزانية

المؤتمر العربى للتعليم

تضمن تقرير اللجنة الفرعية لمؤتمر التعليم فى البلاد العربية ، الكلام عن أغراض هذا المؤتمر وبرامجه ولجانه . فقيل عن المقصود به إنه أول حلقة من سلسلة المؤتمرات لبحث الأسس التى تقوم عليها أنظمة التعليم والمشكلات المشتركة بين البلاد العربية والسياسية العامة التى يجب وضعها للسير بمقتضاها، وأن من أغراضه وضع الأسس التى يقوم عليها التعليم نفسه ، وكذلك الوسائل العملية التى تحقق الغايات السالفة بين مختلف البلاد العربية

أما برنامجه فيلخص فى القيام بالبحوث التالية :

— واجب الدولة بالنسبة إلى التعليم الأولى والعام

— أغراض التعليم الثانوى ووسائل تحقيقها

— مدى تأثر التعليم بالروح العربية

— تعليم اللغات الأجنبية

— مدى المركزية فى التعليم

— كذلك يشمل البرنامج الكلام عن البعثات وتبادل الطلاب والأساتذة وعن المؤسسات الثقافية ، والزيارات العلمية والرياضية ، وتوحيد المصطلحات المدرسية ، وبحث المعادلة بين الشهادات

وقد تقرر أن يدعى إلى هذا المؤتمر كل من : العراق وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والحجاز واليمن والسودان

وتقرر أن يفتح باب الاشتراك للهيئات والأفراد من مختلف البلاد ، سواء أكانت هيئات لها صبغات رسمية أم غير رسمية

واقترح تأليف لجنتين إحداهما لوضع الترتيبات الخاصة بهذا المؤتمر ، والأخرى لتحضير أعماله الفنية

كذلك اقترح أن يطرح على هيئة المؤتمر تأليف لجنة دائمة للعمل على تحقيق أغراضه طبقاً لما يستقر عليه رأى المؤتمرين

فى المجمع العلمى العربى بدمشق

(ا) كنا ذكرنا منذ شهور[1] أن الأساتذة أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق قد انتخبوا جميعاً الأستاذ العلامة

(١) انظر العدد ٤٠٦ من الرسالة الغراء

محمد كرد على رئيساً للمجمع المذكور . وقد عادوا فانتخبوا منذ أمد قصير الشيخ عبد القادر المغربى نائباً للرئيس ، والأستاذ خليل مردم بك أميناً للسر

والأستاذ المغربى أشهر من أن ينوه بلغوياته وآرائه وهو من أعضاء المجمع اللغوى فى مصر . أما الأستاذ مردم بك فقد جمع إلى أدب الدرس ورقة الشاعرية ، النبل وأدب النفس ، وهو أرفع من شغل هذا المنصب فى المجمع العلمى

***

(ب) كانت المحاضرة الثانية من محاضرات المجمع للأستاذ الشيخ نائب الرئيس عنونها بـ « غريب اللغة فى البرشان » ، وقدم لها بكلام طويل على ضرورة التسامح فى قبول الكلمات الأجنبيات التى لا ينبو عنها السمع أو يأباها الذوق ... وهو أخذاً بذلك جعل كلمة البرشان فى عنوان محاضرته . ثم فسر معنى هذه الكلمة ، وقرأ ما أرسله إليه أحد أصدقائه من أخبار أهل الكتاب فى القدس عنها ، وبين أنه يريد أن يجمل غريب اللغة فى أسلوب يسهل على السامع أو القارئ هضمه وقبوله ، كما يجمل الدواء المر ضمن « برشانة » ليسهل ابتلاعه . وقد عمد الأستاذ إلى الكلمات الغريبة فنسج حولها أقاصيص صغيرة تفهم بها وتحفظ . . وقد « برشن » الأستاذ عدداً من غرائب الكلمات سرت الحاضرين وأضحكتهم . وها كم أنموذجاً منها . قال الأستاذ :

(كل خبر من أخبار العرب أو لفظ من ألفاظهم له علاقة بالبحر أو بالملاحة يكون فى الغالب مروياً أو محكياً عن قبائل عرب عُمان ، الساكنين على شاطئ البحر والحاذقين بصناعة البحر . غير أنهم لبعدهم عن بلاد مضر ، كان لهم لهجة خاصة بهم ، ويستعملون ألفاظاً من العربية لا يعرفها الحجازيون . فترى علماء اللغة إذا نقلوا كلمة من لهجتهم عبّروا عنها بقولهم : إنها كلمة عمانية أو لغة عمانية . فى المخصص (ج ٩ ، ص ١٤٦) : « القدف غرف الماء وسِبْه بلغة عمان » . وقُداف بوزن غراب معناه الغرفة الواحدة من الماء ...

ومن ملوك عُمان (الجَلَنْدى) ، قال بعضهم إنه هو الملك الذى كان يأخذ كل سفينة غصباً ، كما جاء فى التنزيل ، وقد كان ظالماً حتى ضرب بظلمه المثل قال الشاعر :

كان الجلندى ظالماً وأنت منه أظلم

وكان للجلندى هذا بنتٌ أميرة فى نسبها وأصلها ، غير أنها بلهاء فى تصرفها وعقلها . وكان يحمّقونها ، وقد اشتهرت على ألسنة اللغويين باسم (العُمانية بنت الجلندى)

ذكروا فى حماقتها أنه كان لها غيلمة أى سلحفاة بحرية ، أرادت يوماً أن تلهو بها فألبستها حُلِىّ زينتها ، وسرحتها تمرح فى حدائق قصرها ، وغفلت عنها ، فهرولت الغيلمة إلى البحر وقَمَسَتْ فيه أى غاصت (والقَمْسُ الغوص ومنه القاموس الذى معناه البحر !) وبعد هنيهة تفقدت الأميرة سلحفاتها فلم تجدها وتيقنت أنها قمست فى البحر . فنادت جواريها ليساعدنها فى نزف ماء البحر واسترداد الغيلمة الآبقة ، فجعلت وجعلن يغترفن ماء البحر بأكفهن ويَصبِبْنَه على رمل الساحل . وكانت الأميرة كلما آنست من جواريها فتوراً وضجراً حمستهن قائلة (نزافِ نزافِ ، لم يبق غير قُدافِ) ونزاف اسم فعل أمر بمعنى أنزف ، والنزف أن تنزح ماء البئر أو الحوض كله . أما معنى قداف فالغرفة الواحدة توهمن أنهن قارين الإنتهاء

(دمشق) صلاح الدين المنجد

تحرز مفسر عن التكفير فى رأى خطير :

يجازف كثير من الناس فى هذه الأيام بتكفير أصحاب الآراء الجديدة فى الدين ، ولا يكتفون بتخطئتها ، وترك عقيدة أصحابها لمن هو أدرى بها منهم ، ونحن نسوق لهم هذا المثل من تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيسابورى ، ليعرفوا كيف كان سلفنا الصالح يقابل الآراء الجديدة بالهدوء اللائق بكرامة العلم ، ويحاول ردها فى لين ورفق ، فلا يقيم فى ذلك مناحة باسم الدين ، ولا يجازف بالتكفير والتضليل كما نجازف اليوم . وقد جاء هذا الرأى الخطير فى تفسير الآيات الواردة فى قصة داود

وسليمان من سورة سبأ ، وفيها ذكر تسخير الجبال وتسبيحها مع داود ، وتسخير الرياح والشياطين لابنه سليمان ، وكذلك إلانة الحديد وإسالة القطر ؛ فقال النيسابوري : زعم بعض المتحذلقين أن المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شيء بحمده ، وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحها فيسبح ؛ والمراد من تسخير الريح أنه راض الخيل وهى كالريح ، والمراد من إلانة الحديد وإسالة القطر أنهم استخرجوا الحديد والنحاس بالنار واستعمال آلاتها ، والمراد بالشياطين ناس أقوياء ؛ ولا يخفى ضعف هذه التأويلات ، فإن قدرة الله فى باب خوارق العادات أكبر وأكمل من أن تحتاج إلى هذه التكلفات

فالجمهور يرى فى هذه الأشياء أنها كانت معجزات لداود وسليمان عليهما السلام ، ويفهمها على ظاهرها من الدخول فى باب خوارق العادات ، فلما ساق النيسابورى ذلك الرأى الذى يخرجها من هذا الباب ، لم يفعل إلا أن جعله حذلقة لا داعى إليها ، لأن قدرة الله أكمل من أن تحتاج إلى مثلها ، والحذلقة يا معشر الناس شيء غير التكفير والتضليل ، وإنما يقال — حذلق — إذا أظهر الحذق أو ادعى أكثر مما عنده كما فعل هذا المتحذلق

ولو أن مثل ذلك الرأى ظهر فى عصرنا لقامت له الدنيا وقعدت ، وامتلأت صفحات الجرائد والمجلات بألفاظ الكفر والضلال والإلحاد والزندقة ، وما إلى هذا من الألفاظ المؤذية ، وشر الإيذاء ما يتعلق بالعقيدة

فهل لكم يا معشر المجازفين بتكفير الناس أن تنتفعوا بسوق هذا المثل ، وأن تقتدوا بما فيه من الظرف واللباقة فى الرد ، فقد سئم العقلاء جدلكم النابى فى الدين ، لأنه يضر ولا ينفع ، ويبغض فى الدين أكثر مما يحبب ، ولهذا أمرنا أن نجادل بالتى هى أحسن .

عبد المتعال الصعيدى

١ — نص خطير

أكثر المفسرين على أن الآية الكريمة « وقرن فى بيوتكن » خاصة بنساء النبى صلى الله عليه وسلم . ولكن الإمام القرطبي يقول فى تفسيره الجامع : « معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت وإن كان الخطاب لنساء النبى صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن بالمعنى — هذا لو لم يرد دليل فى جميع النساء — فكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة » . انتهى

٢ — غلطة مفسر كبير

جاء فى كتاب أحكام القرآن للامام أبى بكر بن العربى فى سورة التوبة : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » نفى الله عنهم العقل لنفى فائدته من الاعتبار والاستبصار ، وقد ينتفى الشيء بانتفاء فائدته ، إذ الشيء إنما يراد لمقصوده ، فإذا عدم المقصود فكأنه لم يوجد ... الخ

والصواب : (لا يعلمون) بدل (لا يعقلون) . فالتفسير غلط فى غير موضعه

أحمد صفوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

9ème Année No. 442

Lundi - 22 - 12 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٤٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤١» السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة
١٥٢٩ على ذكرى «عيد الميلاد» : أحمد حسن الزيات ... ...
١٥٣١ ديوان حافظ إبراهيم ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٥٣٥ الوضع الاجتماعى للمرأة فى الاسلام ... ... { الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر
١٥٣٨ بين موسيه وخالد الكاتب : الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٥٤٠ التفسير الكيميائى لأعمال العقل والحياة ... ... { الأستاذ حسين الظريفى المحامى
١٥٤٢ مدرسة ... ... : الأستاذ أحمد الطاهر ...
١٥٤٤ قيمة الحرية ... ... { للصحافى العالمي ويكهام استيد بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة
١٥٤٦ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... { المستشرق إدورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٥٤٩ اللحن الجديد [قصيدة] : «الشاعر المجهول» ... ...
١٥٥٠ الزنبق ... ... « : الأستاذ خليل مردم بك ...
١٥٥١ قبر وعبر ... ... : الأستاذ محمد محمود رضوان
رسالة المعلم الالزامى وكيف ينبغى أن تكون ... ... { الأستاذ محمود محمد عبد ...
١٥٥٢ خطأ فى كتاب المفصل ... : الأستاذ جواد كاظم ... ...
بين صبرى وابن دريد ... : الأديب حسين محمود البشبيشى
١٥٥٣ أيهما أصلح لتعليم الأطفال المعلم أم المعلمة ... ... { الأستاذ على عبد الله ...
١٥٥٤ الميتة ... ... [قصة] { الكاتب الفرنسى جى دى موبسان بقلم الأديب كمال رستم ...

على ذكرى «عيد الميلاد»

بعد ثلاثة أيام تتجدد ذكرى «مولد المسيح» فيقف أبناء «قابيل» آلة الحرب؛ ثم يخرون جاثين لله فى الثكنات والمطارات والبوارج والخنادق والمخابئ والكنائس يرتلون حاسرين نشيد السلام المأثور:

«المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام!»

فإذا أصبحوا انقلبوا سراعاً إلى آلات الفناء فأرسلوا منها الصواعق على إخوانهم الذين هتفوا معهم بالمجد لله فى السماء، وبالدوام للسلام على الأرض! فسحقوهم أو أحرقوهم على رمال لوبيا، وفوق ثلوج روسيا، وبين أطباق الهواء، وتحت أعماق الماء؛ كأنما اختلت الدنيا، واختبلت الناس، وانقلبت المعانى، فصار الدين معناه الكفر، والسلام معناه الخصام، والمفاوضة معناها التقتل، والمعاهدة معناها الغدر، والأخوة معناها العداوة؛ وأصبح هذا الكوكب بقاراته ومحيطاته وسكانه كرة من النار تتقاذفها الأرجل الحديدية بين فريق هتلر وموسولينى والميكادو، وفريق تشرشل وروزفلت وستالين. ولا يدرى إلا الله من سيقذفها فى (الجول)؛ وما الجول هنا إلا عبودية الأبد أو حرية الأبد!

كان العالم المسيحى فى مختلف أقطاره يحتفل بعيد الميلاد

ما انطمس فى نفسه من معانى المودة والرحمة والأسرة والطفولة ، فيصل بالتزاور ما انقطع من أسباب القرابة ، ويؤكد بالتهادى ما وهى من عرى الصداقة ؛ وكان الميكادو على وثنيته يقوم بدور الشيخ الطيب « نويل » ، فيحمل اللعب من اليابان بأبخس الأثمان إلى كل بيت فيه طفل ؛ فلما صُلِبت المسيحية فى أوربا على صليب النازية المعقوف ، انتكست الطباع وانعكست الأوضاع ، وانكفأ بعض الشعوب إلى البربرية الأولى ، يغالبون بعصبية الجنس ، ويسودون ببأس الحديد . وجامل الميكادو فى الشر كا جامل فى الخير ، فترك دور الشيخ « نويل » وقام بدَور الأب « فُيوبتار(١) » ، فاستبدل بلعب الأطفال من صور الدبابات والطائرات والسابحات ، قطعاً كالجبال من الحديد والبارود تدك مدائن البر ، وتبتلع جزائر البحر ، وتشمل النار فيما بقى من أطراف الأرض ، حتى أوشك أن يجاوز الصواب قول الفلكيين إنها كوكب مظلم !

* * *

بعد ثلاثة أيام تعاود الناس ذكرى ليلة الميلاد وهم من تفاعل المذاهب والقرون فى رجفة من الصراع الماحق توشك أن تقيم عليهم القيامة . وسيذكر الشباب المجندون لمجالدة الحق أو مجاهدة الباطل أنهم كانوا فى مثل هذه الليلة أمام المواقد أو حول الموائد قرة عيون وزينة بيوت ، وأنهم فى هـذا اليوم يستقبلون عيد الحياة وهم مشردون فى مجاهل الأرض ومساقط الموت لا يعرفون متى يصرعون ولا أين يقبرون . ثم يقول هذا الشباب الريّق الريان لنفسه : أبعد التربيب والتهذيب والعيش الناعم والأمل الباسم والغد المرجوّ نصير طحيناً لهذه الرحا الهائلة من غير سبب موجب إلا نزوة من نزوات الطيش ، فى رأس رجل من طلاب العيش ؟!

أما الساسة الذين يحاولون أن يقرروا مصير العالم على مشيئة الله أو على هوى الشيطان ، فسيذكرون بمولد المسيح أشياء أُخَر : سيذكر هتلر بيلاطس وديُقلِطيانوس ، والدتشى يهوذا ونيرون . وسيذكر روزفلت بولس ، وتشرشل قسطنطين ؛ أما استالين إن ذكر فسيذكر لوثر ؛ وأما الميكادو فلا يذكره العيد معنى من حياة المسيح ، ولا مغزى من تاريخ المسيحية ؛ إنما يذكره تلك اللعب التى كان يقدمها إلى لهو الأطفال ليربح من ورائها القروش ، فأصبح اليوم يقدمها إلى قتل الرجال ليربح من ورائها الممالك !

* * *

سبحانك ربَّ السموات والأرض ! ما كان لنفس مؤمنة أن تحسبك تركت أمر هذا العالم لهؤلاء الحمقى من خَلقك .

لا جرم أن لك من هذه القارعة الصغرى حكمة تدق على بصيرة ابن آدم

إن مع القيامة نشوراً أكمل وحياة أفضل . كل نظام سنّه ابن العاصى سيتغير ، وكل قانون نزَغ فيه الشيطان سيهاني .

لن يبقى يا مولاى غير شرعك ، ولن يدوم غير دينك

وكَلْت ابن آدم إلى نفسه فجرب قواه كلها فى تدبير أمره وتسخير غيره ، فما أنتج غير الاضطراب والخراب والفوضى .

تبجح بعلمه وتشريعه وفلسفته ؛ وزعم أنه هيمن على الغريزة بقوة الخلق ، وسيطر على الطبيعة بسلطان العلم ، وتوهم أنه يستطيع بما كشف من الأسرار وذلل من القوى أن يصنع مفاتح الغيب ويقتحم أبواب القدر ؛ فلما ابتليته بتحقيق زعمه وتطبيق فهمه ، تحرك فى طبعه الطين الراسب ، وتيقظ فى نفسه الحيوان الراقد ، وتألبت الأهواء على رأيه فاضطرب وتفرق ، وتغلبت المطامع على جمعه فتنازع وتمزق !

* * *

رباه إنا مؤمنون ، وإنا مطمئنون ! فأدم علينا نعمة الهداية ، واكفنا شرّ هذه الغواية ، واجعلنا الأدلاَّء على طريقك ، والأمناء على حقك ، حتى تنجلى هذه الغمة عن الدنيا ، فيرجع إليك الغوى ، ويخضع لك القوى ، ويلوذ بك الضعيف !

احمد حسن الزيات

(١) يعتقد أطفال المسيحيين أن بابا نويل يزور البيوت ليلة عيد الميلاد ومعه الأب فويتار فيوزع هو على عقلائهم اللعب والحلوى ، ويترك الأب فويتار لخبثائهم حزما من العصى الصغيرة اللينة

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

ديوان حافظ ابراهيم

للدكتور زكي مبارك

تمهيد — اهتمام العرابي باشا بنشر آثار الأدب الحديث — شرح ديوان حافظ والنص على «محاسن» الشارحين — درس الديوان — توجيهات أدبية — المحدث حافظ ابراهيم — ما هو السر في انتصار شوقي على حافظ ؟ وما قيمة حافظ على وجه التحديد ؟

تمهيد :

لما شعر « شوقي » رحمه الله بأن الشيخوخة بدأت تراوحه وتناديه أقبل بجدّ على طبع « الشوقيات » ليأمن الخوف على شعره من الضياع قبل أن يموت .

واتفق بعد ظهور الجزء الأول والثاني من « الشوقيات » أن قضيت ساعة مع « حافظ » في منزل السيد حسن القاياتي فاقترحت عليه أن يجمع أشعاره على نحو ما صنع شوقي ، فأجاب بعبارة تنذر بالتسويف ، ورجع ذلك إلى أن « حافظ[1] » لم يكن يملك من الصبر على المراجعة بعض ما كان يملك « شوقي » ، فقد كانت حياته اليومية مهدّدة بالقلق ، وكان لا يجد الأنس في غير الانتقال من مكان إلى مكان ، ليخرج من عزلته البيتية بمحادثة من يصادف من الرجال .

وبعد أن انتقل حافظ إلى جوار الله في صيف سنة ١٩٣٢ قام جماعة من أصدقائه وقرروا الاحتفال بذكراه ، وكانت لهم يومئذ مشروعات عظيمة ، منها تأليف كتاب في إظهار عبقريته يشترك فيه فحول الباحثين ؛ ومنها طبع ديوانه ، وإقامة قبره على قواعد عالية تذكّر الناس بمنزلته السامية ؛ ومنها دعوة الأدباء في سائر الأقطار العربية للاشتراك في حفلة التأبين ، إلى آخر ما يجود به الخيال في مثل تلك الحال .

وفي ذلك العهد كتبت كلمة في « البلاغ » قلت فيها إن تلك القرارات لن ينفّذ منها شيء ، ورجوت أصدقاء « حافظ » أن يتفقوا وقاموا على عمل واحد هو طبع الديوان ، فقد كنت أعرف أن أدباءنا في أغلب أحوالهم رجال أقوال ، لا أعمال ، وهل صنعوا شيئاً في إنقاذ ما ترك « زكي باشا » من الآثار الأدبية ، وفيها نفائس قد لا يجود بمثلها الزمان ؟ وهل تظنهم يلتفتون إلى جمع ما تبدّد من آثار « محمد مسعود » ؟ .

لم يصنع أصدقاء حافظ شيئاً يؤكد الوفاء لذلك الروح الوهاج ، ولكن الله لم يشأ أن يضيع حافظ في هـذه البلاد ، فكانت تلك الالتفاتة الكريمة من وزير المعارف الأسبق « علي زكي العرابي باشا » ، الالتفاتة التي قضت بأن يُطبع ديوان حافظ على نفقة وزارة المعارف ، وأن يكون ظهوره بداية لطائفة من المطبوعات تُحيي ما يُخاف عليه من آثار الشعر الحديث ، فقد كان من العَجب أن تكون مصادر الأدب في القرن الثاني أقرب إلى الأيدي من مصادر القرن الرابع عشر ، وتلك ظاهرة لا نسكت عنها إلا كارهين .

وفي هذا المعنى كتبت في جريدة المصري مقالاً جاء فيه :

« إن العرابي باشا أخذ جزاءه الأوفى يوم ظهر ديوان حافظ ، فقد استطاع أن يؤدي إلى اللغة العربية خدمة جليلة بإحياء شاعر كان في عصره ملء المسامع والأفواه والقلوب . . . وما الذي يمنع من أن يتفضل فيشير بطبع مجموعات وافية مما نظم الشعراء وكتب الكاتبون منذ فجر النهضة الحديثة إلى اليوم ؟ ! إنه خليق بأن يجعل ديوان حافظ فاتحة لعهد جديد من المطبوعات العلمية والأدبية التي تشهد بما صنعت مصر في العهد الحديث ، وهو إن حقّق هذه الرغبة فسيمكّن الأدباء في مصر وفي سائر الأقطار العربية من الوقوف على طلائع النهضة الأدبية ، وهي نهضة نرجو أن تقوى وتستفحل لتُشعر الأبناء والأحفاد بأن لهم لغة قوية تُطاول اللغات الحية ، وتسابقها في ميادين العلوم والآداب والفنون . فإن قال الوزير إن أمثال هذه الأعمال مما يقوم به الأفراد لا الحكومات فإنا نجيب بأن الحال في مصر تختلف عمـا عداها بعض الاختلاف ؛ فالمصريون لا يزالون يودون أن ترفع عنهم حكومتهم كثيراً من التكاليف ، ومن شواهد ذلك مطبوعات الجامعة المصرية ومطبوعات دار الكتب المصرية ؛ فهذه المطبوعات يعجز عنها الأفراد ، ولا تستطيع المكاتب أن تنهض بها إلا بجهد عنيف . وما بالنا نلحّ على الوزير في تحقيق هذا الغرض ؟ إنه يعرف أن دراسة الأدب الحديث مقررة في المدارس الثانوية والمعاهد العالية ، ودراسة هذا الأدب ستظل ضعيفة ما دامت المصادر بعيدة عن أيدي الأساتذة

(١) أنا أفضل إعراب الأعلام

والطلاب ؛ فهو حين يحقق هذا الغرض يؤدى خدمة أساسية لا كمالية ، ويجعل أبناءه فى المدارس الثانوية والعالية قادرين على التمكن من ناحية الأدب الحديث ، وهو كذلك سيصنّ شريعة جديدة لأمثاله من وزراء المعارف فى مختلف الأقطار العربية ؛ فقد نسمع بعد قليل أن وزراء المعارف فى الشام والعراق والمغرب والحجاز قرروا نشر ما اندثر عندهم من معالم الأدب الحديث ، وعندئذ تقترب هذه الشعوب بعضها من بعض ، وتضيع مآرب الباغين العادين من خصوم لغة القرآن »

وإنما أعدت هذه الفقرة من مقال نشرته قبل سنين لأنى أجد فيها دعوة يجب أن تجدّد فى كل يوم ، فما تزال الحكومات العربية قليلة الالتفات إلى أهمية الأدب الحديث ، وما يزال فى الدنيا أقوام يرون الأدب الجديد أقل قيمةً من الأدب القديم ، مع أن أدبنا فى أكثر نواحيه أعظم حيويةً من أدب القدماء ، وهو يصور ما نحن عليه من قوة وضعف ، وإيمان وارتياب

شرح ديوان حافظ

شرح هذا الديوان ثلاثة من أهل الأدب ، هم الأساتذة : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبيارى . وقد نص الأستاذ أحمد أمين فى المقدمة على أن هذا الشرح أُريدَ به ناشئة الأدب وناشئة الشعر ، ولم يُرَد به الخاصة والمنتهون

ومعنى هذا الكلام أنهم قد يوضحون ما لا يحتاج إلى توضيح رعايةً لأفهام المبتدئين

وكان الأمر كما قالوا فى المواطن التى تسعفهم فيها المعجمات ، كأن يقولوا إن السدة هى الباب ، والشجون هى الأشواق

أما إذا احتاج الشرح إلى بحث فالمبتدئون فى حكم المنتهين ، ولا موجب للعناء !

ومن أمثلة ذلك :

١ — وردت فى شعر حافظ كلمة (آذار) فقال الشارحون :

« شهر من شهور السنة المسيحية معروف »

فهل فى الحق أن المبتدئين من شبان مصر يعرفون آذار ؟ كان الواجب أن ينص على أن (آذار) هو شهر (مارس)

والقول بأن آذار من شهور السنة المسيحية خطأ فى التاريخ ؛ والصواب أن يقال من شهور السنة الشمسية ، فقد عُرِفَ التقويم الشمسى قبل المسيح بأزمان طوال

ونحن اليوم نقول سنة قمرية وسنة شمسية ، أما أسلافنا من العرب فكانوا يقولون : سنة هلالية وسنة خَراجية

٢ — ورد فى شعر حافظ اسم (مانى) فقال الشارحون :

« هو صاحب مذهب المانوية المشهور »

فهل يمكن القول بأن مذهب المانوية مما يعرف المبتدئون ؟ ثم أراد الشارحون أن يعينوا الوقت الذى ظهر فيه (مانى) فقالوا إنه ظهر فى أيام سابور بن أردشير

وأقول إن هذا الكلام كان ينفع من يعيشون قبل ألف سنة ، يوم كان العرب على بيِّنة من تواريخ الأكاسرة ، أما اليوم فهو كلام غامض المدلول

٣ — ورد اسم (روسو) فى شعر حافظ فقال الشارحون :

« روسو كاتب فرنسى معروف ، وهو صاحب كتاب الاتفاق الجمهورى »

وما أعرف شيئاً عن كتاب « الاتفاق الجمهورى » ولعلهم يريدون كتاب « العَقد الاجتماعى » إلا أن يكونوا أبصر منى بالأدب الفرنسى ، وذلك جائز !

٤ — وكلمة (معروف) كثيرة الدوران على ألسنة الشارحين : فأبو تمام شاعر عباسى معروف ، والبحترى شاعر عباسى معروف ، وجمال الدين الأفغانى فيلسوف معروف ، ومحمد باشا سعيد هو الوزير المعروف ، إلى آخر ما نثروا فى الشرح من هذا اللفظ المعروف !

٥ — والترقيم خطأ فى بعض الأحيان ، فقد جاء فى المقدمة أن حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة الناثر ، والعبارة صحيحة ، ولكنها خُتمت بعلامة التعجب ، ولا موجب لذلك .

٦ — وأشير فى المقدمة إلى « حادثة المؤيد » بلا نص على مكانها من صفحات الديوان ، فهل أهملت لأنها من الحوادث المعروفة ؟

٧ — وكذلك أشيرَ إلى « وداع اللورد كروس » ، والصواب « لورد كروس » ، لأن « كروس » فى هذه العبارة لا يقع موقع عطف البيان ، وإنما يقع موقع المضاف إليه من المضاف ، وهذا أمرٌ قد يخفى على المبتدئين ، كما خفى على الأستاذ أحمد أمين .

٨ — وفى المقدمة : « لئن نقص حظ حافظ فى الخيال فقد غطى عيبه شيوع الجمال فى سائر نواحيه » ؛ والصواب « لقد » وحافظ نفسه يقول :

لئن هَدَوْكم لقد كانت أوائلكم تهدى أوائلهم أزمان أزمان

وقد عثرت على شواهد وقعت فيها الفاء فى مكان اللام فى مثل هذا التعبير ، وإذن تُقبل تلك العبارة بقول مرجوح ، وإنما أدافع عن هذا الخطأ لأنه وقع فى بعض أشعارى ! !

٩ — وفى ص ١٥١ ج ١ قال حافظ فى محمد المويلحى :

فإذا نثرت على الصحيفة خِلتها   غرساً ألحّ عليه صوب قطار

وجاء فى الشرح أن القطار جمع قطر بفتح فسكون وهو المطر ، ثم قال الشارحون : إن الديوان المطبوع فيه « نثار » مكان « قطار »

وأقول : إن الصواب إثبات « نِثار » وتصحيح كلمة « غرساً » ، فيكون البيت :

فإذا نثرت على الصحيفة خلتها   عرساً ألحّ عليه صوب نثار

والنثار هو المعروف فى مصر بالنقوط فى يوم العرس ، وذلك هو المراد .

١٠ — وفى ص ٦٦ ج ١ قال حافظ فى تحية واصف غالى :

مازلت تُلقى على أسماعهم حججاً   فى كل ناد وتأتيهم بسلطان
حتى انثنيت وما للعُرب مجترئ   على البناء ولا زار على البانى

والصواب وضع كلمة « الغَرب » مكان « العُرْب »

١١ — وفى الصفحة عينها أن رينان هو الفيلسوف الفرنسى المعروف الذى ردّ عليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيما رمى به الإسلام والمسلمين من تهم ، وما نعرف أن الشيخ محمد عبده كانت له مواقف مع رينان ، وإنما كانت له مواقف مع هانوتو ، أما الذى ردّ هجوم رينان على المدنية الإسلامية فهو جمال الدين الأفغانى

١٢ — وفى ص ٦٠ ج ١ قال حافظ :

فانبرت ظبية الشآم وقالت   بعض هذا فقد رفعت الشآما

وجاء فى الشرح : أى قولى بعض هذا ، إذ لا نستحق كله .
والصواب أن يقال فى الشرح : إطوى بعض هذا ، فما نستحق كل هذا الثناء

١٣ — والاضطراب فى رسم الأعلام الأعجمية يقع أحياناً فى هذا الشرح ، فهو جُو الشاعر الفرنسى تراه مرة هيجو ومرة هوغو ومرة هوجو ؛ وهنا نذكر أن الأعلام الأوربية نُشرت جميعاً بحروف عربية ، وكان يجب أن ترسم أيضاً بالحروف اللاتينية ليُعرف نطقها بالضبط ، فإن تعذّر هذا على الأستاذين أحمد الزين وإبراهيم الإبيارى ، فقد كان يسيراً على الأستاذ أحمد أمين

١٤ — والأخبار الأدبية المتصلة بقصائد حافظ لم تأخذ حقها من البيان ، وستصير هذه الأخبار من المنسيات بعد حين ، فكان من الواجب أن تسجل قبل أن تضيع ، فإن لها أهمية فى توضيح مرامى ذلك الشاعر المِرّيض

١٥ — وسكت الشارحون عمن سبقهم إلى شرح « القصيدة العمرية » ، وقد شُرحت مرتين : شرحها المرحوم محمد بك الخضرى ، وشرحها المرحوم مصطفى بك الدمياطى ، والنص على مثل هذا واجب فى الطبعات العلمية . وكان يجب أيضاً أن يُنص على تأثير هذه القصيدة فى الشعر الحديث ، فعلى غرارها صاغ الشيخ محمد عبد المطلب « القصيدة العلوية » ، وصاغ الشاعر عبد الحليم المصرى قصيدته فى الجد الأكبر الملك فؤاد ، وكان لتلك القصائد رنين فى المحافل الأدبية ، وقد تكون مصدر الوحى للشاعر أحمد محرم فى « الإلياذة الإسلامية »

درس الديوان

المقرر للمسابقة هو الجزء الأول ، ولكن النظر فى الجزء الثانى ينفع ، لأنه يكمل صورة حافظ الشعرية

وفى الجزء الأول مقدمة كتبها الأستاذ أحمد بك أمين ، وهى مقدمة وافية ، ومراجعتها بعناية تعين الطلبة على اجتياز الامتحان

ونقدم التوجيهات الآتية :

أولاً — جاء فى الجزء الأول أشعار تصور أشجان حافظ حين كان فى السودان ، فيجب الرجوع إلى ما يتصل بهذه الناحية فى الجزء الثانى

ومع هذا لا يستطيع الطلبة تصور محنة حافظ بأيامه فى السودان إلا إن نظروا فى كتاب « ليالى سطيح » ؛ والرجوع إلى هذا الكتاب مفيد جداً ؛ ففيه صفحات هى أقوى وأجل من كل ما هتف به حافظ فى دنياه ؛ وقد تكون أعظم ما أُثِر من الثورة على الاستبداد

وكان حافظ يحفظ « ليالى سطيح » عن ظهر قلب ، كما يحفظ قصائده الجياد ، ومن لم ير حافظ فى « ليالى سطيح » فهو من أدبه من الغافلين

ثانياً — حافظ كثير الكلام عما عرف من الرجال ، فديوانه ليس إلا صوراً جميلة أو دميمة لخلائق من اتصل بهم من قرب أو من بُعد ، ولهذا تقل فى شعره التأملات النفسية ، لأنه دائماً موصول بالمجتمع

ثالثاً — حافظ كثير التمريض فى مدائحه وأهاجيه ، وهو تمريض لم يظفر بما يستحق من الشرح ، فإن استطاع الطلبة أن يواجهوا لجنة الامتحان بأشياء سكت عنها الشارحون فقد يظفرون بطيف من الثناء !

رابعاً — قد أرّختْ أكثر قصائد حافظ ، وبقى فريق منها بدون تأريخ ، فعلى الطلبة أن يبحثوا عن المناسبات ، وإليهم هذا الشاهد :

فى ص ٢٠١ ج ١ قال حافظ أبياتاً فى توديع شوق يوم سافر إلى مؤتمر المستشرقين ، وننظر فى الشرح فنجد إحالة على الحاشية رقم ٥ ص ٥٠ . فإذا رجعنا إلى تلك الحاشية لم نجد كلاماً عن المؤتمر ولا عن مكانه فى التاريخ ، فماذا نصنع ؟

نرجع إلى الجزء الأول من الشوقيات ، وهو أيضاً مقرر لمسابقة الأدب العربى ، فنجد أن ذلك المؤتمر عُقِد فى جنيف (سبتمبر سنة ١٨٩٤)

خامساً — قد يُظن أن الشارحين دونوا جميع قصائد حافظ، وليس الأمر كذلك ، فلحافظ قصائد لم تضف إلى هذا الديوان وسندل الشارحين على تلك القصائد عند الطبعة الثانية

سادساً — قال الأستاذ أحمد أمين إن الحزن الذى غلب على طبيعة حافظ هو الذى قضى بأن تكون أكثر قصائده فى المراثى .

ونقول إن الرثاء كان يُفرض على حافظ فى كثير من الأحايين ، ومن هنا تقلّ اللوعة فى أكثر مراثيه ، فيستتر الموقف باجترار حوادث التاريخ

سابعاً — قيل وقيل إن حافظ لم يكن من أهل الصدق فى الغزَل والتشبيب ، فما سبب ذلك ؟

يرجع السبب إلى أن ضجيج المجتمع شغل حافظ عن سحر الجمال ، وقد يرجع إلى ضعف فى حاسته الذوقية من هذه الناحية ، فالإحساس بالجمال يتفاوت عند الشعراء ، كما تتفاوت الحواسّ عند سائر الناس

وربما جاز القول بأن حافظ كان فى سريرة نفسه من عبيد المجتمع ، فهو يغنّى على ليلى المجتمع قبل أن يغنى على ليلاه ، والمجتمع كان ينتظر منه البكاء على المصائب اليومية ، قبل أن ينتظر منه التغريد فوق أفنان الجمال

ثامناً — تشهد أشعار حافظ بأنه كان ابن زمانه وابن وطنه ، فلم تكن له نزعة فلسفية ولا وثبة إنسانية إلا فى أندر الأحيان ، وأشعاره فى مآسي بعض الأمم الشرقية أو الغربية لم تكن إلا صدى للعواطف المصرية فى ذلك الحين ، وهى فى الأغلب عواطف تخلقها الجرائد والمجلات

المحدث حافظ ابراهيم

نقول فى شعر حافظ وفى نثره ما نشاء ، ونتجنى عليه كما نريد ؛ أما حافظ المحدّث فهو أديب لم تر مثله أندية الأدب منذ أجيال طوال

وما ظنكم برجل كان الزعيم سعد زغلول يتشهّى حديثه كما يتشهى عودة الشباب ؟

لا أذكر أنى رأيت رجلاً فى مثل ظرف حافظ ، ولا أكاد أصدق أن الدنيا ستسمح بأن يكون له ضريب أو مثيل

سألت أستاذى الشيخ (رنيه دوميك) عن أهمّ خصائص أناطول فرانس فأجاب :

Le meilleur causeur, la plume à la main

ولو أن شاعرنا حافظ كان يكتب كما كان يتكلم لكان سحره فى اللغة العربية شبيهاً بسحر أناطول فرانس فى اللغة الفرنسية

وبراعة حافظ فى الحديث هى التى قضت بأن ينتصر عليه غريمه شوق ... كان حافظ يتحدث ويتحدث إلى أن تنفد قواه فلا تبقى له قدرة على الغناء ؛ وكان شوق يصمت ويصمت ليستجمّ فتبقى له القــدرة على السجع والهُتاف . والقُوى الإنسانية لها حدود ، وإلا فكيف جاز أن يكون المدرسون أعجز الناس عن الشعر والخطابة والتأليف ؟

ألا يرجع ذلك إلى أنهم يضيعون نشاطهم فى الدرس ، فلا تبقى لهم عافية يساورون بها تلك المواهب الأدبية ؟

أراد حافظ أن يُمتع أهل زمانه فأضاعوه . كان زينة الأندية والمحافل ، وكان حديثه أشهى من وعد الحبيب بعد طول الجفاء ، وأطيب من اندحار الرقيب ، وأشهى إلى النفس من الانتصار على السفهاء ، إن كان الانتصار على السفهاء من الممكنات !

عليك — يا حافظ — تحية الشعر والنثر والحديث

وإلى روحك فى عالم الخلود ، نقدم آيات الثناء ، يا حجتنا الباقية على أن مصر مهد الروح المتوهج والقلب الخفاق

زكى مبارك

حكم فى القضية ٥٦٣ سنة ٩٤١ عسكرية بنى سويف بتغريم محمد على طايع من نزلة عرابه مركز ببا خمسة جنيهات لأنه باع أذرة بأزيد من التسعيرة

بحث مقارن

الوضع الاجتماعى للمرأة

فى الإســـلام

للأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

مقدمة

لم يتسع نطاق الحديث عن المرأة فى عصر من العصور بقدر اتساعه فى العصر الحاضر الذى يمكن أن يسمى بحق « عصر المرأة » . ففى كل زاوية من زوايا المعمورة نشمّ رائحة المرأة : شخصاً ، أو موضوعاً ، أو عاطفة ، أو هدفاً . وبالجملة هى تشغل حيزاً كبيراً من تفكير الرجال وضمير المجتمع . وإذا كان كل شىء فى ذاته قابلاً للمدح والذم فإن المرأة قد تفرّدت بالحصول على نهايتيهما !

ولا عجب أن تحتل المرأة هذه المكانة العريضة ، فإنها لم تعد محلاً لقضاء شهوة ، أو سلعة تباع وتشترى ، أو خادمة ذليلة ، أو مواطناً لا حقوق له ، أو حتى تمثالاً جميلاً يركع الرجل تحت قدميه ؛ وإنما أصبحت الممثل اللاعب فى حياة الرجال من وراء ستار ، و « القالب » الفذ العميق الذى تتشكل فيه شخصية المجتمع ، ويحمل أفراده ملامحه ، وينطبع فيهم كل ما به من خير أو شر . ثم هى قبل كل شىء ما زالت — كما كانت منذ فجر البشرية — حجر الزاوية فى الأسرة الإنسانية

ومن البدهى أن يعنى الفكر العصرى بالكلام عن المرأة بعد إذ ظفرت بحقوق كثيرة ، ووثبت هذه الوثبة الاجتماعية الكبيرة ، وليبحث فيما إذا كانت قد جاوزت بذلك حدود طبيعتها ، واعتدت على حقوق الرجل ، وجنت فى النهاية على نفسها وعلى غيرها أم لا ؟ وأى الشرائع أهدى لها وأكثر اعتناء بها ؟

ثم هل الشريعة الإسلامية قد حررتها وأعزتها وصانتها أم قضت بعبوديتها وأذلتها وابتذلتها !

المرأة فى غير الشريعة الإسلامية

يروى لنا علماء الاجتماع أن الرجل ، عند بدء الخليقة ، كان يعيش عيشة الحيوان ، يطوف فى الأرض ، ولا يعرف الأسرة بالمعنى الذى نفهمه . ويعتقدون أنه لم تكن له يومئذ أوضاع مرعية فى اتصاله بالمرأة ، وكان كل احتفاله بها منصباً على أن يقضى شهوته البهيمية منها ثم ينصرف عنها لا يلوى على شىء ، وتظل هى وحدها حتى تضع حملها ، وتسعى لتقوت بنيها الذين لا يعرفون لهم أباً ، ولا يستشعرون الأبوة ، ولكنهم ينسبون إليها . ومن ثم كانت — المرأة — تبنى الأسرة بمفردها . ولم تكن لها فى تلك المرحلة قِبلَ الرجل أو القبيل الذى تنتمى إليه أى نوع من أنواع الحقوق ، بل كانت حياتها كلها واجبات !

وبعد ذلك استقر الرجل بعض الاستقرار ، وبدأت « زعامة الأب Patriarchy » بعد « زعامة الأم Matriarchy » . وفى هذا الدور احتكر الرجل المرأة التى جعلها من عبيده وسراريه . وإذا كانت المرأة آنئذ قد تخففت من بعض العبء الذى كان ملقى على كاهلها إلا أنها لم تكن أكثر من ظل للرجل .

فهؤلاء هم الأثينيون — أكثر الأمم القديمة حضارة — عاملوا المرأة معاملة سقط المتاع ، تباع وتشترى فى الأسواق ، بل سموها رجساً من عمل الشيطان ، وحرّموا عليها كل شىء سوى تدبير البيت وتربية الأطفال ، وأباحوا للرجل التزوج بأى عدد من النساء . أما فى إسبرطة ، مع أن الرجل كان ممنوعاً من أن يتزوج بأكثر من واحدة إلا فى أحوال قاهرة ، فقد أبيح للمرأة أن تتزوج بأى عدد تشاء من الرجال !

وكانت المرأة عند اليهود تكره على الزواج والبغاء ، وتورث ولا ترث ، وكان محجوراً عليها التصرف فى مالها الخاص .

وكانت بعض الشرائع تبيح للأب بيع ابنته . ولم تكن المرأة فى القانون الرومانى شيئاً يذكر ، فهى قبل زواجها تحت سلطة أبيها ، فإذا تزوجت دخلت فى سلطة زوجها .

وكان العرب فى الجاهلية يئدون بناتهم ، وكان فيهم من يرى أنه لا قصاص ولا دية فى قتل المرأة !

وقد قرر أحد المجامع العلمية (كذا !) فى روما أن المرأة حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة ، وأن يكم فمها كالكلب المسعور لمنعها من الضحك والكلام ! !

وفى سنة ٥٨٦ ميلادية عقدت بعض الولايات الفرنسية اجتماعاً عاماً ، شهده الآلاف من الرجال الذين ظلوا ساعات طوالا

يبحثون فيما إذا كانت المرأة إنساناً أو غير إنسان ؟ ! وبعد مناقشات جدّية عنيفة أصدر المجتمعون بأغلبية الأصوات قراراً يمنح المرأة درجة « الإنسانية » ، ولكنه يقضي فيما عدا هذا بأنها (لم تخلق إلا لخدمة الرجل) ! !

ويذكر التاريخ أن أهم إنصاف نالته المرأة قبل ظهور الإسلام بنحو ربع قرن ما منحه إياها القانون الروماني ، فإن هذا القانون قد ترك للعذراء والأرملة كل حريتهما ما دامتا بالغتين سن الرشد. أما المتزوجة فقد وضعها تحت سلطة زوجها المطلقة ؛ فهي ، بحسب هذا القانون أشبه ما تكون بالمحجور عليه أو القاصر من الناحية القانونية ، ولزوجها السلطة الواسعة في مراقبة شئونها الشخصية ، وهو حر التصرف في ملكها ومالها من دونها ، وله أن يمنعها من الاجتماع بأي شخص لا يريد اجتماعها به ، وأن يفض رسائلها الصادرة منها أو الواردة إليها !

« كما(1) أنه من جهة أخرى كانت الكنيسة في القرون الوسطى تعلم الأولاد أن الوحشية صفة التنين ، وأن المكر صفة الأنثى ، وأن المرأة قد جمعت بين الرذيلتين . وكان رينان الفيلسوف الفرنسي العظيم (١٨٣٣ — ١٨٩٢) يلاحظ أن الكنيسة رفعت المرأة إلى درجة جلب الخطيئة ! ونرى مارتن لوثير المصلح الديني الألماني الكبير ، ومؤسس المذهب البروتستنتي في النصرانية (١٤٨٣ — ١٥٤٦) قد كان نصيراً لمذهب القائلين بحرمان المرأة من الثقافة . ونرى أيضاً الملك هنري الثامن يصدر أمراً بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء وآخرين من طبقة منحطة ! وقد كان النساء طبقاً للقانون الإنجليزي العام (حوالي سنة ١٨٥٠) غير معدودات من (المواطنين) ؛ وكان لذلك مباحاً لبعولهن أن يضربوهن بعصا لا يزيد حجمها على رأس الإبهام . كذلك لم يكن لهن حقوق شخصية ، ولا حق ملكية في ملابسهن ولا في الأموال التي يكسبنها بعرق الجبين » ! !

وقد حدث ، في عهد قريب ، أن باع رجل انجليزي زوجته لشخص كان ينازلها بخمسمائة جنيه بسبب فقره وعدم توافق طباعهما . ولما قدم الزوج للمحاكمة قال محاميه للقاضي أن لا وجه لإقامة الدعوى لأن القانون الإنجليزي كان يبيح بيع الزوجات ، بل لقد بلغ « سعر » الزوجة في سنة ١٨٠١ ستة بنسات (أي نحو ٢٤ مليما) ! ! ولكن القاضي لم يأخذ بدفاع المحامي اللبق ، وقضى بالحكم على الزوج بخمس سنوات ، ذاكراً في أسباب حكمه أن القانون الذي يشير إليه المحامي ويستند عليه قد ألغي في عام ١٨٠٥ (أي بعد نزول القرآن ، وإعلان حرية المرأة المسلمة بنحو اثني عشر قرناً ! !)

واليهود هم أول أمة سمحت أن يكون الزواج مبنياً على مجرد الاختيار الشخصي ، وتقدمت عندهم حقوق المرأة بخطى كبيرة .

وقد جاءت المسيحية من بعدهم فضاعفت هذه الحقوق ، وحرّمت تطليق المرأة إطلاقاً ، ثم أباحته بشروط مخالفة بذلك شرعتها ، بعد أن تبين لها أنه ضروري للرجل والمرأة معاً ، وأعلنت استقلال المرأة بملكيتها كالإسلام ! أما تعدد الزوجات فلم تسمح به

والشائع في أوربا اليوم هو الزواج المدني ، والتحرر السريع من القيود الدينية المسيحية فيما يختص بالمرأة وعلاقتها بالرجل . فالطلاق مباح ، والزواج العرفي معترف به وبآثاره وبما يترتب على عشرة السوء ! وبالجملة قد تخلصت المرأة مما تقيدها به ديانتها ، وساعدها الرجل على ذلك ، وحصلت على حرية واسعة بلغت حد الأباحة ، وعلى احترام كبير وصل إلى درجة التقديس ، لا لأنها مخلوق ضعيف يستحق الرعاية والتنعم والصيانة ، بل لأنها مخلوق لطيف ، مؤنس ، رشيق ، يفوح منه عبير العطور ، وينشر في مجالسه السحر المذاب الحلو ، وأشياء أخرى تدلُّ عليها الآثام العميقة التي كانت تصبح فيها أوربا قبل هذه الحرب ، والفضائح التي كانت تزكم الأنوف !

المرأة في الشريعة الإسلامية

ظل الناس في بداوة الجاهلية الأولى ضاربين ، وفي غمرة الشهوات الهمجية غارقين ، وظلت المرأة تعاني مرارة الذل وقسوة الحيف والاستعباد حتى جاء (منقذ المرأة ومحررها) ، محمد النبي العربي بكتاب سماوي يقول : « ولهنّ مثلُ الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة » ؛ فكانت هذه الآية الكريمة الوثيقةَ القانونية الأولى التي تعترف بإنسانية المرأة ، وحريتها ، وحقها في الحياة ، ومساواتها للرجل مساواة نبيلة أبيّة لا فضل فيها لمخلوق . ولقد فصّل الإسلام حقوق المرأة تفصيلاً دقيقاً بديعاً ، وتغلغل في صميم حياتها حتى أنه عالج أصغر هواجسها ، وأتفه شؤونها ، وتناول أدق وأحرج أسرارها . فهو قد شمل حقوق المرأة بوصفها بنتاً وزوجاً وأمّاً وأختاً ، وكذلك بوصفها عضواً في المجتمع الإنساني ؛ وفيما يلي موجز ذلك :

(1) أنظر كتاب « المرأة الحديثة وكيف نسوسها » تعريب الأستاذ عبد الله حسين المحامي — ص ١٩

٢ – أوجب الإسلام للبنت النفقة شرعاً في حياة أبيها حتى تتزوج، وليس له أن يلزمها طلب الرزق كالابن. وإذا ما تزوجت ثم طلقت فعادت إلى بيت أبيها عادت نفقتها عليه بعد انتهاء مدة نفقتها الزوجية. وقد قررت الشريعة ذلك حماية للبنت من السقوط في حمأة الرذيلة إذا أمسك عنها أبوها أو ألزمها طلب الرزق

٣ – جعل الإسلام رضا البنت عند بلوغها سن الرشد شرطاً لصحة العقد عليها. وليس لمخلوق كائن من كان أن يكرهها على الزواج بمن لا تريد. ولنا في رسول الله أسوة حسنة؛ فقد كان إذا أراد أن يزوّج امرأة يأتيها من وراء حجاب فيقول لها: «يا بنيّة، إن فلاناً خطبك فإن كرهته فقولي (لا) فإنه لا يستحي أحد أن يقول (لا)، وإن أحببت فإن سكوتك إقرار». وهذا الحق الطبيعي الرائع الذي مُنحته المرأة المسلمة في القرن السابع للميلاد حُرمته المرأة الأوربية حتى القرن السادس عشر!

٤ – وقد أراد الرسول (ص) أن يدفع الناس إلى الاعتناء ببناتهم بعد أن حرّم الله وأدهن، وأعطاهن حق الحياة المقرر للرجل فقال: من كانت له بنت جعلها الله له ستراً من النار، ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله الجنة بهما.

٥ – وكان بعض الرجال يسيئون معاملة زوجاتهم، ويمتنع الزوج الكاره زوجته عن تطليقها حتى تفتدي نفسها بمهرها، فنزلت الآية الكريمة (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)؛ وقوله: (هن لباس لكم، وأنتم لباس لهن)؛ وقوله: (هو الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)؛ وجاء في أخبار الرسول أنه قال: (ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حق. أما حقكم على نسائكم فأن لا يوطئن فراشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع)؛ وقال: (حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبّح، ولا يهجر إلا في البيت)؛ وقال: (عليكم باللطف والرفق بنسائكم: لا تظلموهن، ولا تضيقوا عليهن، فإن الله تعالى يغضب للمرأة إذا ظُلمت كما يغضب لليتيم). وفي ذلك كله تبين روح الآداب الزوجية التي يبثها الإسلام في تعاليمه، وينزلها الله تعالى على لسان نبيه الكريم، وفي تصرفاته، وقدوته لعشيرته، وبني قومه الذين حكموا الدنيا ودوخوا العالمين عند ما كان الرجال يتقون الله في نسائهم، وكانت الأسرة الإسلامية منبع سرور وشهامة

وإن من آداب الإسلام العائلية لما يذهب إلى أبعد من هذه الحدود، فقد روى أنه جاءت إلى عمر بن الخطاب امرأة قالت: إن زوجي يقوم الليل ويصوم النهار. فقال لها عمر: لقد أحسنت الثناء على زوجك! فقال كعب بن سوار الجالس بجواره: بل لقد شكته! تزعم أن ليس لها من وقت زوجها نصيب. قال عمر: فإذ قد فهمت ذلك فاقض بينهما — فقضى. ولو تدبرنا هذه اللفتة الإسلامية العابرة لوجدناها ترمز إلى إشكال عريق في حياة المرأة ومصدر سوء تفاهم مزمن في حياة كثير من الأسر!

وإذا كان المصلحون الاجتماعيون في أوربا وأمريكا لم يهتدوا إلى الطريق الأمثل لفض المنازعات الزوجية إلا في القرن الحالي، فقد أشار الإسلام إلى ذلك في القرن السابع. فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب مخاطباً الأزواج: «إذا لم يفد المرأة الوعظ والهجر والضرب (ولن يضرب خياركم — وفي هذا معنى الحظر لشيء أباحه الله لضرورة قاسية وبشروط حتى لا يساء استعماله) عمد الرجل إلى التحكيم، وهو أن يؤلف «مجلساً» من أهله وأهلها فيعرض كل من الزوجين ما يشكوه من الآخر، فإن تمرد المحكوم عليه منهما فرقوا بينهما بالطلاق وهو آخر أنواع التأديب»

(البقية في العدد القادم) محمد عبد الرحيم عنبر

حكم في القضية ٦٦٥ سنة ١٩٤١ عسكرية بني سويف بتغريم سيد عبد المطلب سالم من الزرابي ثلاثة قرش صاغ لأنه باع أذرة بأزيد من التسعيرة

بين موسيه وخالد الكاتب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

أذكر أني قرأت منذ شهور بعاد مقالاً ذكر فيه صاحبه أن الشاعر الفرنسي «موسّيه» كان يُشابه خالداً الكاتب في بكائه وألمه وهواه، وأن من الحق أن يسمّى خالد «موسّيه الشرق»!

وقول كهذا القول يطوى في ثناياه من التسرّع في الحكم والجهل في المقايسة النصيب الكبير؛ فليس من الصحيح إقامة الموازنات بصلة هزيلة أو نسبة ضعيفة، وليس من العلم إطلاق الألقاب بدون حذر أو أناة

لقد أحبّ «موسّيه» وأحبّ «خالد»، وبكى موسّيه وبكى خالد؛ فكانا في الحب مختلفين، وفي البكاء متباينين. أما الأول فقد بكى وتألم حتى سمى شاعر الألم. وكان الدافعَ إلى ذلك حبٌّ مفجّع وقلبٌ محطّم. وكان شابًّا ناعماً يفوق لِداته بالرشاقة والأناقة والنبوغ. فلما أحبّ «جورج صاند» غرّد بحبها في أشعاره وملأ به أناشيده وأغانيه. ثم حملها إلى إيطالية بلد الجمال والفن ليقضيا حياة حلوة كالعسل، رقّافة كالنسيم، ويتمتعا بالجمال البارع والحب الوليد. على أنها تركته بعد قليل وتبعت «باجيلّو» الطبيب الإيطالي. وكأنها كانت كالفراشة النشوى يروقها رشف الرحيق من كل زهرة! فثار موسيه لما رأى إعراضها وهمّ أن يقتل الحبيبة والطبيب معاً، ولكنه فضل البكاء على الجريمة، ورحل عن «فينيسيا» باليأس والخيبة؛ فهام في رباع أوربة ثم عاد إلى فرانسة وأخرج للناس آيات رائعات، غنى فيها بأشعار رقاق من السهل الممتنع، آلامه المبرحات وحبه الجريح، ويأسه الداجي، وإخفاقه المر. والحق أن موسيه كان بارعاً في تصوير ذلك، لأنه كان صادقاً، والصدق يؤثر في القلب الشاعر ويطربه؛ ولأن آلامه ويأسه وإخفاقه عواطف، تجدها قد لامست كل قلب، وأقرحت كل كبد، ولذلك يشعر المرء أن في أشعار موسيه ترجاناً لما يعتلج في حنايا ضلوعه. ولقد كان شاعرنا إذا وصف ألمه وذكر المرابع التي رآها والأحوال التي صادفها واليأس الذي لقيه برع وأجاد. ولقد سما في وصفه لحبيبته (في ليلة تشرين) ففي هذه القصيدة تجد صورة أخاذة للحبيبة الشهوانة ذات العينين السوداوين. العطشى للحب، الظمأى للقبل، التي لا تفي لحبيب، ولا تقنع بحبيب. ولعل هذا آت عن فرة حسها وفرط شاعريتها وسعيها وراء لذتها التي خلقت لها وأغوت الناس بها

على أن موسيه قد اتخذ من بكائه وألمه وسيلة للتعليم كما أرى، فجاء طرف من شعره تعليمياً Didactique أبان فيه عن ضرورة الألم وأثره في النفس، ومحاسنه التي لا تنفد ومزاياه التي تهذب الروح وترهف الحس. يقول: «إن الرجل صانع والألم معلمه. والمرء لا يعرف نفسه إلا إذا تألم؛ ولا شيء كالألم يجعلنا عظماء ذوي شأن». ثم يدعو إلى الألم ويبرع في الدعاوة له وتزيينه للناس. ويقولون إن أهل عصره كانوا يسيغون أشباه هذه الأقوال، ويعجبون بمن يذرف الدمع ويصعد الحسرات، وينظرون إلى الذين يقاسون آلام الحب وأسقام القلب نظرة إعجاب؛ بل كانوا يشتهون ذلك. فمن عانى الهيام والتحنان والسهر؛ والبكاء وما يدعو إليه الهوى فقد امتاز عن غيره بكثير

ولقد كان فلاسفة يونان الأقدمين ينصحون للفتى إذا سألهم النصح «أن اعرف نفسك بنفسك» وكانوا يحسبون أن السعادة الكبرى في هذه الحروف الثلاثة. ثم تساءلوا: كيف يعرف المرء نفسه؟ فركب كل مركباً؛ أما موسّيه فقال «ينبغي لك أن تتألم كي تدرك ما تريد، لأن المرء يعرف نفسه إذا تألم» وهو في كلامه هذا ينطق عن تجربة، ويعتقد أنه عرف نفسه وعبقريتها، لما أدمى الحب قلبه فتألم. وعندئذ علا صوت قلبه الشجي. وصوت القلب كما يقول يصل وحده إلى القلب، فهو يود أن يدع قلبه يتكلم دائماً في كل حال. لأن على الشاعر أن يصغي إلى قلبه ويدع عقله، وأن يبتغي رضا القلب قبل مرضات الناس. والحب إذا فجّر الألم من القلب جعله غلاباً للمصاعب، عزاماً في المصائب، لأن الألم رمز القوة وهو سبيل الخلود. والخير الفرد الذي بقي لنا

فى الدنيا هو تذرافنا الدمع فى بعض الأحايين

أفيكون حال خالد كحال موسّيه ؟

لا جرم أن ما نعلمه من حياة موسيه أوفر مما نعلمه عن حياة خالد . لا شك أن كلا أحب وكلا بكى ، ولكن شتان ما بين البكائين . ولقد ذكروا أن خالداً كان كاتباً فى الجيش ، وأنه كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وأن محمد بن عبد الملك ولاه الإعطاء فى الثغور ، فخرج إليها ، فسمع فى طريقه منشداً ينشد ومغنية تغنى :

من كان ذا شجن بالشأم يطلبه

ففى سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ؛ ثم أفاق مختلطاً واتصل ووسوس . أفيكون سبب بكائه وتحبيه هواه لهذه الجارية أم هناك سبب آخر ؟ يقول صاحب الأغانى إن خالداً كان مغرماً بالمرد ينفق عليهم كل ما يفيد ، وأنه هوى غلاماً يقال له عبد الله كان أبو تمام يهواه ، فتهاجيا بسببه وأنه وسوس على أثر ذلك

وهنا نتساءل : « هل اتخذ خالد من بكائه وألمه ما اتخذه موسّيه ؟ »

لا جرم أن خالداً لم يذهب مذهب موسّيه فى بكائه وألمه ، ولم يفطن للألم وأثره فى النفس ، ولم يبرع فى تصوير الألم براعة موسّيه ، ولم تكن فى شعره تلك الصفة الإنسانية التى نجدها عند موسيه . فقد نجد بعض التكلف فى العواطف والغلو فى المعانى لديه ؛ على أنه تفنن فى وصف الدمع ، وشعره فيه يعذب ويرق . ولا شك أنه الشاعر الفرد الذى بلغ فى وصف الدمع ما لم يبلغه أحد من شعرائنا ، وهذا ما يمتاز به من موسيه

ويحدثنا خالد فى ديوانه أنه أصبح دنفاً هائماً بمن صارمه واحتجب عنه ، فبكى ؛ وجعل الدمع مداداً يكتب به على خده ما فى فؤاده !

ثم طلب من الحبيب أن يفهم معانى دمعه . فلما أعرض عنه هواه وفقد الراحة ، لجّ فى تذراف الدمع حتى تقرحت عيناه وطلبتا العذر منه ، فلم يعذرهما لأن قلبه لا يعذره ولا يشفق عليه

ولقد كان إذا مرض فسلّه عائدوه ونأى عنه طبيبه ، دعا الدموع فهى مطيعة له ، تسرع إليه وتجيبه . وهو ينصح لمن كان هذا شأنه أن يفعل ما فعله . وإذا أنكر الحبيب حبه ودنفه فهو يتخذ الدمع شفيعاً شهيداً . وما زال يبكى حتى كاد يعشب خده :

ولو أن خداً كان من فيض عبرة
يُرى معشباً لاخضر خدّى فأعشبا

كأن ربيع الزهر بين مدامعى ... بما اخضل فيه من ضنى وتصببا
على أننى لم أبك إلا مودعاً ... بقية نفس ودّعتنى لتذهبا

وما زال هكذا حتى تخاصمت عينه وقلبه :

القلبُ يحسد عينى لذة النظر ... والعينُ تحسد قلبى لذة الفكر
يقول قلبى لعينى كلما نظرتْ : ... كم تنظرين ؟ رماك الله بالسهر
العين تورثه هماً فتشغَلُه ... والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما ... فاحكم فديتك بين العين والبصر

فإذا نفد دمعه نادى :

نفدتْ عبرتى فهل ... عبرةٌ أستعيرها ؟

***

فأنت ترى من هذه اللمحة الموجزة أن الشاعرين مختلفان فى حبهما وألمهما وبكائهما ، وأن لكل مزايا . ولعلى أعود إلى خالد فأوسع الكلام عنه

(دمشق) صلاح الدين المنجد

حكم فى القضية ٥٧٨ سنة ١٩٤١ عسكرية بنى سويف بتغريم جبر معوض محمد جزار من منشاة الحاج ثلثمائة قرش لأنه باع لحما بثمن أزيد من التسعيرة

التفسير الكيميائى
لأعمال العقل والحياة

للأستاذ حسين الظريفى

إن الحقائق العلمية التى أسفرت عنها بحوث الكيمياء الحيوية قد دلت على ارتباط مظاهر العقل والحياة بما يحمله الدم من مواد

قال أحد علماء علم الأحياء : « كنت أرتاب قبلاً فى أن البحوث الكيميائية الحيوية والكيموائية النفسية تستطيع أن تسفر عن رأى من الآراء فى ظاهرة ليست من ظاهرات الطبيعة والكيمياء ، إلا أننى الآن أرى غير ذلك . ولأضرب على ذلك مثلاً غريباً بما قد يستطيعه بعض العلماء فى المستقبل من القطع بأن نقصاً فى إحدى مركبات الفسفور ، وزيادة فى فعل التأكسد فى ناحية معينة من قشرة الدماغ ، يصحبان دائماً العبقرية فى الشعر

ولنتدلل على حقيقة عنوان المقال ببعض آثار ما تفعله الغدد الصماء ؛ فقد ظهر أن هرمون البرولاكتين ، وهو مما تصنعه وتدفعه الغدة النخامية فى فصها الأمامى ، ذو أثر خاص عند الإناث ، يدل على أن حب الأمومة قائم على أصل فزيولوجى ممثل بشكل مادة كيميائية قد تكون مؤلفة من جزئيات زلالية كبيرة

وعند ما يبلغ أحدنا دور المراهقة ، تبدأ الغدد التناسلية بإفراز هرموناتها الخاصة ، تلك التى تبدو على أثرها أعراض الصفات الجنسية الثانوية ، مثل ظهور الشعر فى الوجه وتضخم الصوت عند الذكور ، ونمو الحوض والصدر وترسب الشحم تحت الجلد عند الإناث . فإذا كان فى الغرائز الجنسية ما يبعثها على التهيج والغليان ، فإن الطبيعة تسلك فى تهدئة هذه الغرائز طريقاً كيميائياً يحدثه لها هرمون البرولاكتين . فقد ظهر أن من مزاياه عرقلة مغالبة الغدد التناسلية عند ما تكون بها حاجة إلى التهدئة

على أن هذه الكتلة النسيجية الحمراء المستكنة فى منخفض عند قاعدة الجمجمة التى لا تزيد وزنها عن نصف غرام ولا يربو حجمها على حجم حمصة كبيرة — وأعنى بها الغدة النخامية — تعتبر الغدة الحاكمة فى الجسم وإليها مرد الفضل فى أعمال النمو البيولوجية

كذلك ظهر أن هرمون الثيروكسين ، وهو مما تفرزه الغدة الدرقية ، يقوم بأعمال الهدم والبناء فى جسم الإنسان ، وإذا قل مقداره عن حده المعتدل تعرض الإنسان للبله وقصر القامة ؛ وأن بتأثير هرمون هذه الغدة يتميز الأذكياء عن الأغبياء والأقوياء عن الضعفاء بالرغم من أن ما يوجد منه فى الجسم مقدار يسير

أما هرمون الأدرنالين ، وهو مما يفرزه الكظران ، فذو علاقة كبيرة بالتعبير عن الانفعالات القوية ، ذلك أنه يؤثر فى الشجاع فيقدم وفى الجبان فيحجم ، ولهذا يزداد إفراز هذه المادة إذا تعرض الإنسان إلى خطر ، وبمقدار هذه الزيادة تزداد قوته العادية فيندفع إلى القتال والاستبسال أو إلى التعلق بأذيال الفرار

وقد وجد الأطباء أن مركز الانفعال كائن فى جزء من مؤخرة الدماغ ، وأن بينه وبين الكظرين صلة وثيقة ، فإذا وقف الإنسان فى موقف أغضبه أو أخافه ، فإن مركز انفعاله فى الدماغ يرسل فى الجهاز العصبى سلسلة من الرسائل إلى الكظرين فتحملهما على إفراز هرمون الأدرنالين لإيصاله عن طريق الدم إلى الكبد ، حتى إذا وصله حمله على إطلاق بعض السكر المخزون فيه لإيجاد طاقة جديدة ، يدفع بها المرء عنه الخطر بالمقاتلة أو الهزيمة

إن هذه الحقائق العلمية تذكرنى بما كتبه أحد الأساتذة فى موضوع الرقة فى النفس والذهاب إلى أنها من مظاهر القوة دون أن يقوم هذا التقرير على غير مجرد التفكير والإدلاء بالأدلة البيانية . والواقع أن رقة النفس كـكل ظاهرة أخرى إنما تقوم على أصول فزيولوجية تبعثها بعض المواد الكيميائية ، وليست هى وليدة ضعف أو قوة ، وقد نجد قوى النفس أو الجسم قاسياً أو رقيقاً

إن جريمة القتل وهى أفظع ما يجره الإنسان على غيره ، قد تصدر عن رجل لم تعهد فيه القسوة أو الغلظة ، ذلك لأن الجانى لا يقوم بالجريمة مندفعاً بعامل من دماغه ، وإنما هى شيء يقع مما وراء الدماغ ، حيث يقوم الخلل فى توازن ما تفرزه الغدد الصماء ، حتى لقد قال أحد العلماء :

إن غدد القاتل هى التى تسحب المسدس وتسدده نحو القتيل وتطلق عليه النار فترديه ، وأن غدد السارق هى التى تنقل قدميه إلى مكان الجريمة ، وهى التى ترفع يديه لأخذ مال الغير ، وهى التى تدفع به إلى التوارى والهرب .

فالإنسان من حيث تركيبه الكيمياوى يقوم بالإجرام كما يقوم بغيره . ومظاهر الرقة ولطف المزاج قد يكون فى الجانى وقد يكون فى غيره ، بالنظر إلى قيام أو عدم قيام المواد الكيميائية التى ينبعث عنها ذلك المظهر .

وما تقدم فى صدر هذا المقال عن قرض الشعر لا يخرج عن حدود الواقع ، وقد ضربتُ لقريحة الشاعر مثلاً بالبطرية الكهربائية ، فتأليف القصيدة يستهلك من قوى القريحة ما تحتاج فيه إلى أمد تستطيع به إعادة خزن ما فقد ، شأنها فى ذلك شأن البطرية الكهربائية فإنها تحتاج إلى الشحن المستديم بقدر ما تطلق من كهرباء .

هذا قانون طبعى يجرى حكمه على قريحة الشاعر كما تنفذ كلمته على البطرية الكهربائية سواء بسواء . والنتيجة الحتمية لهذه الخاصة الآلية ، هى أن الشاعر إذا أجهد ذهنه فى قرض الشعر غير مبال بالاستهلاك دون التعويض ، انحدر شعره إلى هوة الضعف فى معانيه ومبانيه ، كشأن كل مصباح يوصل بتيار بطرية لا يأتيها المدد بعد أن تنفد .

إن عمل الفنان ، ورجل الصناعة ، وجناية الجانى ، كل أولئك آثار ما تنفعل به مجاميع المواد الكيميائية ، ولكن مجال هذه المواد لم يزل البحث فيه عند بداية طريق طويلة ، ومتى يصل البحث فيه إلى الذروة ، يظهر كل شيء عند هذه المواد .

(بغداد) صبيح الغديرى المحامى

مدرسة ...

للأستاذ أحمد الطاهر

سجا الليل وغشى المدينة ظلام دامس ، وكنت قد اخترت لليلتى كتباً أخلو إليها كما يختار الأصدقاء : قليلة العدد كثيرة الوفاء . ولكننى برمت بها وبمجلسى ، فطويت أجنحتها وعمدت إلى المصباح فأغمضت عينه ، واندفعت إلى شرفة بمنزلى ففتحت بابها وخلوت إلى السماء ؛ فإذا القمر يطل منها على الأرض ، ويسكب عليها فيضاً سخياً من ضوئه الوهاج . ولا يستطيع أولو الأمر فى الحرب أن يرقوا إليه ، فيسدلوا عليه حجاباً أو ينذروه عقاباً . وقلت فى نفسى ما يقوله الناس فى هذه الأيام : وا حسرتاه ! كنا نجد فى ضوء القمر لذة ومتاعاً ، حين كان السلم يبسط رواقه على العالمين ، واليوم نوجس منه خيفة وارتياعاً ، حين اتخذت الطائرات ضوءه سلماً تهبط به على الآمنين .

وما كادت الحرب تخطر ببالى حتى دفعتها عنى دفعاً . وأرسلت البصر إلى السماء ، فرأيت سحابة باسطة الذراعين تجرر أذيالها تسعى إلى القمر فى تؤدة ووناء ؛ ثم تبسط يدها على وجهه فيخبو ضوؤه قليلاً ؛ ثم تنداح فتحجب أكثر هذا الضوء ؛ ثم تنجاب عنه فإذا هو خارج من غمرته منبسط الأسارير كما عهدته . وإذا السحابة تخلفه وراءها وتمضى وهو باسم بسمة الحليم حين يمتحن فى حلمه ، وهى مطمئنة اطمئنان القوى حين يفوز بخصمه

سبحانك اللهم ! وغفرانك ! حسبنا أنا حرمنا نعمة الضياء بهذه الحرب فبسطت لنا فى سمائك كتاباً فيه سطور من نور . وحسبنا أننا قطعنا الأسباب على كل مبعث للضياء بما أسدلنا من سجف وأستار ؛ وإذا ضياء سمائك لا يحجبه حاجب ولا يمنعه ستار !

ترى هل أستطيع أن أقرأ فى هذا الكتاب المبسوط فى السماء ؟ هل من سبيل إلى فهم بيان السماء ؟ هل أفوز من القمر والسحاب والسماء والنجوم بحديث اطلع به على الناس مغتبطاً كما زهو الصحفى حين يفوز بحديث زعيم أو عظيم مع ما بين الحديثين من تفاوت ؟

ودار بخاطرى أننا أنشأنا مدارس لتعليم اللغات الحية وعكفنا على دراستها حتى قتلناها ، وأنشأنا معاهد لتعليم اللغات الميتة ، وعكفنا على ذكرها حتى أحييناها ، واحتدم بيننا الجدل فيما نفعل حتى اختلط الشك باليقين ، وانتصر قوم لزكى مبارك وتشيع قوم لأحمد أمين ، وما فى ثبت تلك المدارس والمعاهد مدرسة لتعليم لغة الطبيعة ولا « حصة » لدراسة لسان السماء والأرض الذى تنطق به كل المخلوقات ولا يفهمه إلا الأقلون ؟ !

وقدرت أن من الخير لنا أن نهيب بالشعراء والأدباء ليدلوا الناس على هذه المدرسة ويبسطوا لهم نظامها ونهج الدراسة فيها ليقبلوا على دراسة لغة الطبيعة وتخصص أسرارها بالبحث ، وقدرت أن الإقبال على هذه المدرسة رهن بما يثار حولها من دعاوة وإعلان . ولم لا نحيط الفكرة بالدعاوة والإعلان ليقبل الناس عليها ونحن فى هذا الزمان نحيط الباطل بالدعاوة والإعلان حتى نحسبه حقاً ، ونبهرج الكذب والمين حتى يبدو لنا صدقاً ، واستوت لى فى هذا التفكير صورة (إعلان) من هذه المدرسة فإذا هى كما ترى :

مدرسة تعليم اللغة الطبيعية

المدرسة مؤسسة منذ خلق الله الكون وجعلها تذكرة وعبرة لأولى الألباب . مواد الدراسة فيها لا يحصيها حصر ولا يحيط بها بيان ، يأخذ منها الطلاب بقدر ما تسع جهودهم وتحمل أفهامهم : منها السماء ونجومها ، والسحب وأمطارها ورعودها وبروقها ، والشمس والقمر ، واليابس والماء ، والجبل والسهل ، والشجر والثمر ، والرياح والعواصف ، والرمل والحصى ، وكل ما تفزع إليه الأبصار البصيرة حين تضيق بها سبل الحياة فتلتمس فى جمالها النجاة ، وحين تحتبس النفس فى ظلمة المادة فتلتمس الفرج فى نور الطبيعة . ويدرس بالمدرسة الإنسان وطبائعه ، والحيوان وخصائصه ، كما تدرس العلل والأمراض فى مدارس الطب وصحة الأبدان . والدراسة فى هذه المدرسة ليلية حتى دراسة الشمس ! وقد اختير الليل لأن سواده ينم عن أدق أسرار الطبيعة كما ينم سواد العيون عن أسرار القلوب . والطبيعة خفِرَة رقيقة يؤذيها الأضواء الوهاجة ، وتؤلمها الأصوات الصاخبة ، فلا تبدو فى أنصع أثوابها إلا فى سواد الليل ، ولا يشرق وجهها إلا بعد غروب الشمس ، ولا تستيقظ إلا حين ينام الناس ، ولا تنطق إلا حين يصمت كل لسان .

ويشترط للانتظام بهذه المدرسة أن يقدم الطالب شهادة بأنه قد مارس الجمال والحب والفن فلم يفرق بين ثلاثتها ، وذاق لذاتها وآلامها وحلاوتها ومرارتها . ولا تقوم وثيقة الزواج مقام هذه الشهادة . وأن يقدم شهادة موقعاً عليها من اثنين من كبار علماء الأرض يعترف فيها معهما بأن مبلغ علمه وعلمهما أن الثلاثة

لا يعلمون شيئاً . والمدرسة تمد الطالب للعلم بلغة الطبيعة ، وعليه بعد هذا أن يناجيها بلسانها فيفهم أسرارها ويستودعها أسراره ويقدس جمالها ويحدث عن جلالها . وأنه لوفق سعيد إن استطاع أن يمضى معها فى سبيل . »

* * *

وبعد فالشاعر أو الناثر الذى يفهم لغة الطبيعة ويتمرس بها لن يكون أدبه غثاً ولا تافهاً ، ولن يجد فيما يخرج للناس أو لنفسه من شعر أو نثر عناء ولا عنتاً إلا بمقدار ما يختار من الألفاظ جزلها وما يصبغ على أسلوبه من طلاوة . ذلك بأنه فى إبراز المعانى والأخيلة والتشبيهات لا يمتح من بئر عميقة ، ولا يرحل إلى مكان سحيق ، إنما يتناول ذلك كله مما انطبع فى نفسه ، وأوحى به حسه ، وانبجس من وجدانه ، يجريه فى قصبة يراعه فإذا هو شعر أو نثر يتسلسل تسلسل ماء النهر

هـذا هو الأدب الذى توحى به الطبيعة إن صادفت نفساً صفية وإحساساً دقيقاً ووجداناً سامياً وخاطراً سريعاً . تجده أدباً حياً ناطقاً يصدر طواعية لإحساس موجود وشعور قائم بالنفس ؛ ولا مراء فى أن انطباع الصور فى نفس الأديب شاعراً كان أم ناثراً هو الوسيلة التى تطوع له جيد الشعر أو النثر ، وذلك هو ما يعبرون عنه بهضم المعانى ، يقصدون بالتعبير أن يكون المعنى قد استقر فى « بطن الشاعر » وجرى منه مجرى الدم ، وسرى فيه سريان الروح ، فلا يصدر إلا عما انطوى عليه إحساسه وقام بنفسه . وإنه ليجرى مجرى هذا القول ماتراه من تأثر شاعر أو ناثر بشعر شاعر قبله أو ناثر تقدمه ، إن كان المتأخر قد بذل جهداً فى دراسة أدب المتقدم ، وتقفى أثره وترسم خطاه . هنا لا نلبث أن نرى فى شعر المتأخر وأدبه روح المتقدم ونفَسَه . وهنا يخطئ كثير من النـاس فيحكمون على المتأخر بالسرقة ؛ وإنه لَتجَنٍّ لا مسوغ له ، وتعسف ليس له ما يجيزه . خـذ مثلاً شعراء الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ترى أنهم أعجبوا بطريقة المتنبى ومذهبه وحاولوا السير على نهجه الذى ابتدع ؛ ولم يكن ذلك بدعاً ، فإن أهل المغرب إذ ذاك قد أغرموا بالتشبه بفحول الشعراء والأدباء من أهل المشرق ؛ وإنك لواجد روح المتنبى ظاهرة بارزة فى قول ابن هانئ الأندلسى :

جزعتُ حتى ليس بى جزع وحذرتُ حتى ليس بى حذر

ومن ذا الذى لا يلمس المتنبى فى قول ابن زيدون :

سرّانِ فى خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهاك ابن زيدون هذا يقول فى رسالته الهزلية : وغناك مسألة ، ودينك زندقة ، وعلمك مخرقة . ألا يذكرنا هذا بما قاله المتنبى فى ابن كيغلغ فى ميميته التى أولها : لهوى النفوس سريرة لا تعلم ؟ ولندع المتنبى فقد تقفى آثاره كل من جاء بعده فتأثر به بعضهم وسطا عليه البعض ؛ ولننظر إلى البحترى يصف بركة المتوكل :

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولاً حواشيها

ولنضع إلى جوار هذا البيت بيتاً لابن حمديس يصف بركة المنصور :

وكأنما نسج النسيم لمائه درعاً فقدر سردها تقديرا

إننا لنجد الجوهر فى البيتين واحداً ، ولا يقبل بأى حال أن يحمل هذا محمل السرقة ، وإنما هو تفاعل نشأ من امتزاج شعر الشاعر المتقدم بنفس الشاعر المتأخر

على هذا النحو من التفاعل يكون أثر الطبيعة فى شعر الشاعر أو نثر الكاتب الذى يفهم لغة الطبيعة ويتأثر بصورها ويؤخذ بمظاهرها ، ويفتن بجمالها ، ويؤمن بجلالها : تفيض عليه غيثاً دافقاً ، وتوحى إليه وحياً صادقاً

وكذلك يكون الشعراء والأدباء

« الأسكندرية » الصاغ أحمد الطاهر

صدر حديثاً

الكف وأسرار النفس

للأستاذ أحمد الصنوسى

إخصائى الحالات النفسية

يحوى أحدث تطورات علم الكف به خرائط واضحة تجعلك بسهولة تترجم خطوط الكف فتكشف بنفسك عن إتجاهات خطوط يدك . فتعرف ما يهددك من الأمراض وتتبع طرق الوقاية منها ، وما يسبب لك المضايقات والعقبات وتقضى عليه . وبذلك يكون لك القدرة على تنمية مواهبك واستعداداتك فتصبح قادراً على السير فى الطريق التى تكفل لك الطمأنينة والنجاح فى الحياة . يطلب من المؤلف ٣٣ ش الملكة الفريدة ومن مكتبة الأنجلو ٣٣ ش قصر النيل ثمن النسخة ٥٠ قرشاً و٣ قروش للبريد داخل القطر و٥ للخارج .

٣ - قيمة الحرية

للصحافي العالمي ويكهام أستيد

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامي

(تابع)

تصبح مدارك الحرية ، اقتصادية كانت أو سياسية ، وهي آراء نسبية أي خاضعة لمقتضيات الظروف . والعلاقة الصحيحة القائمة بين الحرية الاقتصادية والحرية السياسية في وقت معين وفي ظروف خاصة هي عندي موضوع يجب أن يعرض في حينه للبحث الحر والدراسة الصحيحة والاستقراء السليم ، وليست بتلك المذاهب السياسية أو الاقتصادية الموضوعة . فأصحاب المبدأ الذي نادى بحرية التجارة ورفع القيود الجمركية من ناحية ، وأتباع العقيدة الرقصية من ناحية أخرى ، مسئولون مباشرة أو من طريق غير مباشر عما أصاب الفلسفة الحرة من كسوف تلك الفلسفة التي كانت دعامة النظر الحر في القرن التاسع عشر . ولو قدر لدعاة الاشتراكية أن يقفوا اليوم وقد تملكهم العجب وحاروا من أثر ما يرونه من مقاومة الحكومات الاستبدادية لأحكام العقيدة الرقصية في روسيا وإكراه الناس على اعتناقها ، فإنهم يحسنون صنعاً لو أنعموا في الأمر النظر ليعرفوا إلى أي حد قد يتكشف تحقير الرقصية والاشتراكية لمبادئ الحرية السياسية عن دواعي الشرور التي ألموا لها وبكوا عليها . إن ديكتاتورية الطبقات الدنيا ومذهب صراع الطبقات ليتناقضان مع النظر الفلسفي الصائب مثلما تتناقض معه عقائد الفاشية والنازية ؛ إذ لا يتهيأ للناس مع الحكومات الاستبدادية التي تتولى السلطان باسم الطبقات الدنيا أو الطبقات المجردة من الملكية من كفالة العيش والاطمئنان للحياة أكثر مما يتهيأ لهم مع الحكومات الاستبدادية التي تنهض بالحكم على حساب جماعات الشعب الأخرى التي قد يكون لديها من حطام الدنيا ما يفرض عليها أن تفقده ويعز عليها أن تتخلى عنه أو تفقده . ولقد كان هتلر في عبارات قليلة من كتابه (كفاحي) أكثر فطنة وأبعد نظراً منه في تلك

المهارات التي عبر بها عن مخاوف الطبقة المتوسطة الضعيفة من أن ترجع القهقرى فيلق بها في غمار الطبقة الدنيا من الأجراء البائسين التي عمات على الإفلات من التردي في غمرتها . وما أصابه هتلر من النظر الألمعي الذي هداه إلى أن يجعل حركة « الاشتراكية الوطنية » في وضع يتفق إلى حد ما مع رغبات الطبقة المتوسطة الرقيقة الحال الضعيفة الشأن في ألمانيا ، لم يكن في واقع الأمر بأقل مما أصابه مرقص والرقصيون الاشتراكيون الذين أسسوا ما رسموه من خطة للانقلاب الثوري الناجح على عقيدة قوامها أنه إذا تهيأ للطبقات الدنيا في جميع أنحاء العالم أن تتحد وتتظافر من وحدتها بقوة لا تقف أمامها قوة ، وبسلطان لا يقهره سلطان ، وسعها أن تحطم أغلالها وتحقق آمالها . والفاشية والنازية قد طبعتا العالم بطابع رمى وهما تحسبان أنهما تذودان عن الملكية وتسهران على حمايتها . ولقد أعرب (دون سالفادور دى مادارياجا) عن حقيقة الأمر في أوجز عبارة ممكنة وبما رن عليه من قوة البيان ودقة الأسلوب بقوله : « ليست الفاشية سوى صورة للشيوعية تراها العين على صفحة ماء يضطرب من الخوف »

وهنا وكما قصدت أن أبينه تتكشف الحقيقة عن أنه لم يكن بدعاً أن ينتظم هذه السلطات الاستبدادية المطلقة معنى واحد ، هو أنها لا تحتمل للصحافة حرية ، بل لا بد لها أن تقضي عليها ؛ وأولئك الرجال الذين لا يتأصل معنى الحرية في أنفسهم نتيجة لشعور سليم وإيمان متين غالب أمرهم أن يضيقوا بحرية الصحافة ذرعاً . إلا أننا من جهة أخرى نجد مجرد التشدق بفضائل الديمقراطية والتمدح بالانضواء تحت لوائها ، وهو لا ينهض بديلاً عن الإيمان بالحرية إيماناً صادقاً رشيداً . والحق أن فقر الفكرة السياسية وعقمها في الجماعة والأحزاب القديمة المهد ، وفي الأمم التي ما زالت تنعم بحريتها هو من أعظم الشواهد العقلية على ما نكابده من خمول الشأن في زماننا هذا

وما دام الناس قد كتب عليهم أن تستأثر المادة برغباتهم وتملك عليهم عقولهم ومشاعرهم ، فلا يعملون إلا لها ، ولا يهتفون إلا بها ، ويتأصل في معتقداتهم أنهم يعيشون الخبز وللخبز وحده ، وما دام أغلب ظنهم أن بيد الاقتصاد السياسي مفاتيح النهب التي

تتفتح معها جميع الأبواب لتنفذ منها الحكمة الاقتصادية ، فسوف لا تصبح لغة الحرية يوماً ما وهى لغتهم الشعبية ، وسوف لا يتحدثون بها بذلك الأسلوب القوى السليم الذى يجرى على لسان عظماء القادة ممن يقدرون قيمة الحرية حق قدرها ، وإذ يعرفون لها فضلها يؤثرونها لذاتها . ومع ذلك قد تتكشف لهم الحقيقة عن أن أولئك القوم من رعاع الناس المحتقرين ، ومن أعداء البشر من المولعين النهمين ، ومن العمال المستضعفين ، ما برحوا وهم يتمتعون بنصيب كاف من الفطنة والرشد يدركون معه أن اختيار النظم الحرة للهيئات الاجتماعية اختياراً موفقاً صائباً لا يستقر فى الأفكار والعقائد التى تنادى بها جماعة الشيوعية الاستبدادية من ناحية اليسار ، والمذاهب والآراء التى تفرضها الهيئات الفاشية والنازية من ناحية اليمين ، بل يجب أن ينهض على المبادئ الحرة المنظمة التى ظلت أعظم ما يصبو إليه النظار ، وتنصب عليه التجارب فى بريطانيا رجاء النهوض بمدنية الجنس البشرى

***

إننا بحاجة لأن نمعن فى تقصى هذا الموضوع والاستزادة من استقرائه ودراسته ما دمنا نترقب ما قد ينتهى إليه من التحكم فى حرية الصحافة . وهنا نجد لزاماً علينا أن نتساءل لِمَ بلغ تهديدهم للحرية هذا المبلغ الخطير ، ولماذا انتهى إلى هذه الحال المروعة ؟

ولماذا ضحى أمثال هؤلاء الناس العظام من الطليان والألمان حريتهم واستكانوا للذلة وخضعوا للطغيان ؟ ولم يدلنا ظاهر أمرهم على أنهم يفخرون بتلك النظم التى تقضى على كرامة الإنسان وتضيق الخناق على الحرية ؟ ولم نرى فى بريطانيا هؤلاء القوم من عظماء الرجال العموميين وأصحاب الصحف الخطيرة الشأن الواسعة السلطان يطأطئون رءوسهم ويطامنون من نخوتهم أمام دعاة تلك النظم الاستبدادية وقادتها ؟ ولم يتعامون عن تلك الجرائم النكراء التى تنادى بمسئولية قادة تلك النظم وهم إلى ذلك يعيرونهم آذاناً واعية ويمجدون أعمالهم ؟

والجواب على ذلك هو أنه وقتما ينهض فى الشعب نظام استبدادى كالشيوعية الروسية ويطبع نفسه بطابع من القوة الغاشمة والعنف المروع ثم يتأتى له بعون من رجال الشرطة الجبابرة القساة المنبثين فى كل مكان أن يسحق الحريتين السياسية والشخصية ويحرم على الناس الملكيات الخاصة ، تقف منه النظم الأخرى التى تزعم لنفسها حماية الملكيات الخاصة موقف المعارضة والمناضلة ، ثم لا يكون منها هى الأخرى إلا أن تتخذ من سلاح القوة والعنف ومن رجال البوليس السرى عوناً لها ، لا للقضاء على أولئك الرجال وتلك الأحزاب من شيمة الشيوعية فحسب ، بل ولتحطيم سند الحرية وحماتها وممثلى الديمقراطية أيضاً

زين العابدين جمعة

١٨ - المصريون المحدثون

شمــــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — الحياة المنزلية

جرت العادة أن ينصرف التاجر بعد تناول الفطور مباشرة إلى حانوته أو مخزنه ولا يعود إلى المنزل قبل الأصيل [1] . ولديه هناك الفراغ الكافي للتدخين متى شاء ، وكثيراً ما يدخن حرفاؤه معه ، فيقدم إلى بعضهم شبكه الخاص ، والقهوة يستحضرها من أقرب مقهى . وقد يقضي أغلب يومه في التكلم مع الحرفاء أو مع جيرانه من التجار . والتاجر يقيم صلاته على العموم في دكانه ، ويتناول بعد صلاة الظهر طعاماً خفيفاً مثل طبق من كباب ورغيف من الخبز يحضرهما إليه خادم صغير من المنزل أو من السوق يومياً ، أو بعض الخبز مع الجبن أو المخللات ، أو غير ذلك مما يشتريه من الباعة المتجولين . ويدعو التاجر دائماً الحريف إلى مشاركته الطعام ، وقد يلح في الدعوة . ويحتفظ في دكانه بقلة كبيرة يملأها عند اللزوم سقاء متجول ، ويعود التاجر إلى منزله مساء للعشاء ، وسرعان ما ينام ...

والعادة أن ينام الرجل هو وزوجه في سرير واحد ، إلا أن أفراد الطبقة الموسرة يتخذون غالباً سرراً منفصلة . ويتكون السرير عند متوسطي الحال مما يأتي : حشيّة [2] طولها حوالى ست أقدام ، وعرضها ثلاث أقدام أو أربع ، توضع على سرير منخفض من جريد النخيل ، ومخدة ليستريح عليها الرأس ، وملاءة تفرش فوق الحشية والمخدة . وغطاء الصيف خفيف ، ويسمى (حراما) ، أما غطاء الشتاء فغليظ محشو بالقطن ويسمى (لحافا) . وقد توضع الحشية على الأرض إذا لم يوجد سرير ، أو توضع اثنتان معاً واحدة فوق الأخرى . وكثيراً ما يكتنفها مسندان من مساند الديوان ؛ والكلة [1] تعلق فوق السرير بأربعة خيوط تشد إلى مسامير تدق في الحائط . ويندر أن يغير المصري ملابسه عند النوم . وفي الشتاء ينام بملابسه العادية جميعها إلا الجبة والملابس الجوخية . أما في الصيف فينامون عراة أو شبه عراة . وينصب السرير شتاء في غرفة صغيرة تسمى (خزنة) وصيفاً في غرفة واسعة . ويطوى فرش السرير نهاراً ويوضع على جانب ، أو في الخزنة السابق ذكرها . وعند اشتداد الحر ينام أغلب الناس على أسطح المنازل أو في (الفسحة) : وهي غرفة لا سقف لها ؛ ولكن تعرضهم للهواء الطلق أثناء الليل يسبب لهم الرمد وأمراضاً أخرى .

وأكثر أنواع الأسرة شيوعاً ما يصنع من جريد النخل ، وهو يجاب البق الذي يكثر كثرة فاحشة في مصر أثناء الصيف مثل كثرة البراغيث في الشتاء ، وقد سبق ذكر هذه الحشرات والهلايا الأخرى التي يتعرض لها المصريون ليلاً ونهاراً [2] . والقمل أكثر هذه الحشرات إثارة للاشمئزاز ؛ ولكن الذي يغير ملابسه الداخلية كل يومين أو ثلاثة أيام قلما تضايقه هذه الحشرة ، وإن لم يكن تجنبها سهلاً دائماً حتى مع النظافة التامة . وإذا كان القمل يضايق فإن من السهل الخلاص منه ، لأنه لا يلصق بالجلد وإنما يوجد على العموم في الثياب . ومن الممكن أن ينظف المنزل من البراغيث بكثرة الغسل والكنس ، وأن يمنع الذباب من الدخول بوضع الشباك على الأبواب والنوافذ ، وإن كانت حلقاتها واسعة ، ولكن من المستحيل أن يطهر المنزل المصري من البق إذا كان أثاثه من الخشب كما هو الحال غالباً

وحياة الخدم الذكور كلها دعة وراحة ما خلا السائس الذي يجب عليه أن يرافق سيده وقت الركوب فيجري أمامه أو بجانبه

(١) سأصف الحوانيت وأخبار التجار في فصل الصناعة

(٢) طراحة

(١) « الناموسية » : وهي تصنع من الموصلي أو الكتان أو الكريب وهي عبارة عن مظلة بطول السرير وعرضه

(٢) في مقدمة الكتاب

وقد يقوم بعمله هذا فى أشد الأوقات حراً ولمدة ساعات طويلة دون أن يبدو عليه التعب . ولكل ثرى من أثرياء القاهرة تقريباً بواب يلازم باب المنزل ، وعدة خدم ذكور آخرين . وأغلب هؤلاء مصريون . ويستخدم أيضاً النوبيون فى القاهرة وفى غيرها من مدن مصر . وكثيراً ما يقوم النوبيون بحراسة الأبواب ؛ وهم على العموم أكثر أمانة من الخدم المصريين . وأجرة الخادم تافهة لا تتعدى ريالاً أو ريالين فى الشهر ، إلا أنه يتناول منحاً كثيرة[1] فيعطى السيد كل خادم فى عيد الفطر بعض الملابس الجديدة أو خلعة كاملة من عرى وطربوش وعمامة . وعلى الخادم أن يدبر لنفسه ملابسه السنوية الأخرى ما عدا الحذاء أحياناً . وقد يتناول ، علاوة على ما يعطيه السيد ، بعض النقود من الضيوف أو من التجار الذين يعاملهم السيد وعلى الأخص عند ما يشترى صفقة كبيرة . وينام الخدم بملابس النهار على الحصر ، ويغطون أنفسهم شتاء بدثار[2] أو حرام . وكثيراً ما يرفع الخادم الكلفة مع سيده فيضحك ويمزح معه . وفى بعض الأحوال الأخرى يخضع كل الخضوع ويظهر له كل الاحترام، ويتقبل كل ما يوقعه عليه من العقوبة البدنية بهدوء الأطفال .

ويراعى السيد الخادم العبد أكثر من الخادم الحر ؛ ويحيا العبد حياة توافق طبيعته الكسولة . ويمكنه إذا كان غير راض عن عمله أن يجبر سيده على بيعه . وأغلب عبيد مصر يلبسون الملابس العسكرية التركية . وهم على العموم أشد الناس تعصباً فى مصر وأكثر تعوداً على إهانة المسيحيين وكل من كان على غير دينهم الذى اعتنقوه دون أن يعرفوا من مبادئه أكثر مما يعرف أطفال العرب الذين لم يمض عليهم فى المدارس أكثر من أسبوع . وسأذكر بعض أخبار الجوارى فى الفصل القادم

ومعرفة أحوال المصريين الحديثين كثيراً ما تجرنا إلى مقارنة عاداتهم المنزلية بعادات الأوربيين فى القرون الوسطى ؛ وما فى هذه المقارنة من مشابهات ، تعتبر أكثر تأثيراً مما فيها من مباينات . هذا بالنسبة للرجال ؛ أما بالنسبة للنساء فالأمر على العكس

الآن وقد أطلت الحديث عن الرجال يجب أن أنتقل إلى الكلام عن الحريم . ولكن يجب أولاً أن أذكر بعض الشىء عن الزواج وحفلاته .

يعتبر المصريون امتناع الرجل عن الزواج بلا مبرر عند بلوغ السن اللائقة مخالفاً للآداب ومسيئاً للسمعة . وقد لقيت أنا نفسى لارتكابى هذه الخطيئة (أقول ذلك حتى لا أذكر ما هو أشد قسوة) ، مضايقات ومكاره كثيرة ، واحتملت عتاباً شديداً أثناء زيارتىّ الأوليين لمصر . فقد بدا لى فى المرة الأولى أن أنتقل من المنزل الذى سكنته بعض شهور فى شارع كبير من شوارع القاهرة إلى منزل آخر فى حى مجاور ، وكتبت عقد الإيجار ودفعت العربون ، ولكن جاءنى وكيل المالك بعد يومين يخبرنى أن سكان الحى وأكثرهم أشراف يعترضون على سكنى بينهم لأننى أعزب ؛ ولكنهم يقبلوننى بكل سرور إذا اقتنيت على الأقل جارية تنفى عنى عار العزوبة . فأجبته إننى لا أنوى الإقامة بمصر فلا أحب أن اتخذ لى زوجة أو جارية قد يضطرنى الرحيل إلى تركها . فأعاد إلىّ العربون . وساعدنى الحظ فى حى آخر فلم يعترض على عزوبتى أحد، وإنما طلب منى الوعد بعدم السماح لأى شخص يلبس القبعة أن يزورنى فى الحى . ولكن بعد أن استقر بى المقام أخذ شيخ الحى يحاول إقناعى بوجوب الزواج . ولم يقم وزناً لكل ما أبديته من الحجج التى تمنعنى عن الزواج وقال : « تذكر لى أنك تريد ترك مصر بعد سنة أو سنتين . وأن هنا أرملة شابة جميلة تسكن على مقربة منك ، ويسرها أن تصبح زوجتك مع رضاها بأن تطلقها حينما تترك البلد . وفى وسعك طبعاً أن تفعل ذلك إذا لم تعجبك . » وقد استطاعت هذه الشابة مراراً أن تجعلنى أبصر وجهها الجميل أثناء مرورى بالمنزل الذى تسكنه مع أهلها . فقلت لصاحبى إننى رأيت وجهها بطريق الصدفة ، وإنها آخر امرأة أرغب فى الزواج منها فى مثل هذه الظروف لتأكدى من أننى لا أستطيع طلاقها أو فراقها إذا عشت معها . وقد شق علىّ أن أسكت صديقى الخدوم . لقد ذكرت فى المقدمة أن الأعزب أو من لا يقتنى جارية يضطر إلى السكنى فى الوكالة إلا إذا كان يعيش مع أهله ، ولكن الفرنج الآن يُعفون من هذا القيد .

وتبلغ المصريات فى سن مبكرة قبل نساء البلدان الباردة . وكثيراً ما يتزوجن فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة . وقد ينضجن قبل السن بشكل يستحق الاعتبار ويتزوجن فى

---

(١) ويطلب الخادم من السيد الأوربى أجراً مرتفعاً . كما أنه يتناول منه منحاً أوفر عدداً وقيمة . وتلك العطايا إذا منحت بتعقل يكون لها أثر حسن ، ولكنها كثيراً ما تشجع على الكسل والخداع

(٢) أنظر سفر الخروج ٢٢ / ٢٦ ، ٢٧ : (إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له . لأنه وحده غطاؤه . هو ثوبه لجلده . فى ماذا ينام ..)

العاشرة[1] . إلا أن هذا الزواج المبكر غير شائع . وقلما تبقين بدون زواج بعد السادسة عشرة . وقد تصبح الفتاة المصرية أماً فى الثالثة عشرة أو قبل ذلك . ونساء مصر على العموم ولودات ، ولكن الأجنبيات اللاتى توطن مصر عقيمات غالباً . ويندر أن يعيش من يولد فى مصر من أولاد الأجانب إلى سن الكهولة ولو كانت الأم مصرية . ولهذا يرجع السبب فى تبنى المماليك المعتقين غيرهم من المماليك

ومن الشائع بين العرب فى مصر وغيرها أن يتزوج الرجل من ابنة العم أو الخال . ويستمرون بعد الزواج على التنادى بألقاب القرابة . لأن رابطة الدم لا تنفصم ، ولكن صلة الزوجية عرضة للزوال . ومثل هذا الزواج يدوم على العموم بسبب رابطة القرابة ، وقد تربطهما وحدة البيئة فى طفولتهما ، ولكن قلما يسمح للفتى أن يرى وجه قريبته فى الطبقتين العليا والوسطى ، أو يقابلها أو يحادثها حين تقرب من سن البلوغ إلى أن تصبح زوجته

ويتم زواج العذراء فى القاهرة بالطريقة الآتية ، إلا إذا كانت أرملة أو مطلقة فيكون الحفل صغيراً . تبدأ أم الراغب فى الزواج أو إحدى قريباته بوصف الفتاة التى تكون عرفتها وذكر أحوالها ، وترشده فى اختياره[2] . وقد يستخدم خاطبة وهى امرأة عملها أن تساعد الرجال فى الزواج . وقد يستخدم أكثر من خاطبة . وتقدم الخاطبة بيانها عن الفتيات مسارة ، فتصف الواحدة أنها كالغزال جمالاً ورشاقة وصغيرة السن ، والأخرى أنها ليست جميلة ولكنها غنية ، وهكذا . والعادة أن تذهب أم الخاطب وبعض قريباته مع خاطبة لزيارة عدة بيوت . وللخاطبة حق الدخول لاحترافها سمسرة الزواج ، إذ أن النساء كالرجال يستخدمنها أيضاً . وقد تقوم الخاطبة بمهنة (الدلالة) أيضاً تبيع الحلى والملابس الخ ، فيسهل عليها دخول البيوت تقريباً . وتقدم النساء اللاتى يرافقن الخاطبة ، للبحث عن زوجة لقريبهن ، باعتبارهن زائرات فقط ، وقد لا يلبثن طويلاً إذا لم يصادفن مرادهن ، ويفهم الطرف الآخر طبعاً القصد من الزيارة . ولكن إذا وجدن بين نساء المنزل (ولا بد من رؤيتهن جميع من يصلحن للزواج) فتاة أو امرأة شابة تتحلى بالصفات اللازمة يكشفن عن قصدهن ويستفهمن ، إذا لم يكن طالب الزواج وقتئذ مستفهماً ، عما تملك الفتاة من أملاك وحلى الخ . وقد تملك الفتاة إذا توفى أبوها منزلاً أو أكثر وحوانيت كثيرة الخ . وتملك كل بنت على وشك الزواج ، فى الطبقتين العليا والوسطى ، مجموعة من الحلى الذهبية والجواهر فى جميع الأحوال تقريباً . وبعد أن يستعلم الزائرات عن هذا وغيره يقدمن تقريرهن إلى الراغب فى الزواج . فإذا رضى بذلك البيان يقدم إلى الخاطبة هدية ويرسلها ثانية إلى عائلة الفتاة لتعرفهن رغباته . وتبالغ الخاطبة على العموم فى حديثها عن صفات الرجل الجذابة وثروته الخ ، فتتحدث مثلاً عن شاب خامل تعلم هى أنه لا يكاد يملك شيئاً ولا يمتاز بشىء بقولها : « يا ابنتى ، إن الشاب الذى يرغب فى الزواج منك صغير السن لطيف المعشرة أنيق أمرد ثرى جميل الملبس مغرم باللطائف ؛ إلا أنه لا يستطيع أن يتمتع بهذا الترف وحده فهو يريد أن تكونى شريكته . وسيعطيك كل ما يشترى بالمال ؛ وهو لا يخرج كثيراً ؛ وسيمضى وقته كله إلى جانبك يلاطفك ويدللك » .

عدلى طاهر نور

(١) وكثيراً ما يخطبن قبل ذلك بسنتين أو أكثر

(٢) وكان إرسال إبراهيم رسولا إلى بلده لبحث عن امرأة لاسحق ابنه (أنظر سفر التكوين ٢٤) يعتبر تماما عين الوسيلة التى قد يتبعها العرب المحدثون فى مثل هذه الظروف لو تيسر الأمر لهم .

اللحن الجديد

« للشاعر المجهول »

بعد السنين الطوال   ورغم كيد الأعادى
قد جاز فيك المحال   ونلت منك مرادى

الليل غفوان يدرى   ما كان بينى وبينك
وكنت فى الليل بدرى   وكان نورك حسنك

في لحظة صار عيشى   يفوق عمر الوجود
فليحرس الحب طيشى   فى قطف تلك الورود

ته بعد هذا وسافر   إلى أقاصى نواك
لم يبق لى ما أحاذر   من شقوتى فى هواك

لئن صفاؤك بعدى   كدرت بالفتك وردك
أعيش إن رمت وحدى   فعش إن اسطعت وحدك

أنت الأسير الرهين   لصبوتى وخبالى
فاحذر حذار الطامين   من سطوتى وصيالى

أأنت تخلف وعدك   وكنت رمز الوفاء ؟
أأنت تنكر عهدك   يا جذوة من صفاء ؟

لمن تكون ؟ أجبنى   فأنت فوق الظنون
بمن أهيم ؟ أعذنى   قد طاب فيك الفتون

لو شئت، لا شئت، طارت   غوايتى عن حماك
ولو أردت لجالت   مآثمي فى رباك

يا محنتي فى المساء   وفتنتى فى النهار
قد طال فيك العناء   فأين منك الفرار ؟

ماذا يريد غضابك   ماذا يروم جفاك
إلى الفؤاد إيابك   إذا أردت لقاك

ارجع إلىّ تجدنى   كما عهدت وأسمح
أو فانتظر بعد منى   فتى يسمّى ويذبح

ظبى يروح ويغدو   فى شائكات السهوب
ويأمن الليث يعدو   أأنت ذاك الهروب ؟

سأستبيح احتبالك   إن نار شوقى إليك
سأستجيز اغتيالك   إن طال خوفى عليك

بينى وبين اقتناصك   صبابة من حياء
فاملك سبيل خلاصك   إن اشتهيت البقاء

إن كنت تنكر جهلا   فتك القلوب الجوارح
فسوف أسقيك سجلا   يدمى عيون النوائح

لا ، لن تكون لغيرى   والله ، لا ، لن تكون
وكيف يا وحى شعرى   أهاب فيك المنون

أضلّ حبك قلبى   والحب كالنور يهدى
أكان عندك ذنبى   أنى وفيت بعهدى ؟

لولا التقى لجعلتك   تسبيحة فى الصلاة
ألا ترانى أسرتك   تغريدة فى الحياة

أدوس جمر الجحيم   عند ارتياد جمالك
فأين روض النعيم   عند امتياف وصالك

لحن كلحن الرحيق   فى الكأس ، ذاك بغامك
فهل ترانى أفيق   ومن شرابى كلامك ؟

الزنبـــق

للأستاذ خليل مردم بك

حَيَّتْكَ باسمةً ثغورُ الزنبقِ   مفترةً عن طيّبٍ متألّقِ
ضَمَّتْ براعمُها شِفاهَ مقبِّل   وحنتْ عليكَ حنوَّ صبٍّ شَيِّقِ
وكأنها فى الماء خودٌ شمَّرَتْ   عن ساقها عند الورود لتستقى
وكأنها استحيتْ فغضّتْ طرفَها   وتطامنتْ خفرًا برأس مطرق
نهلتْ أفاويقَ الندى زهراتُها   فتفتحتْ كالشارب المتمطّق
لم تقوَ صُفراها على برد الندى   أفما تراها ذاتَ ثغر أزرق
وترى عناقيدَ البراعم تنضوى   متلازماتٍ فى عناقٍ ضيّق
من طيّبِ الأنفاس والأردان ذى   جفنٍ على حلم التعانق مطبق

عذراء تستهوى العيونَ بطلعةٍ   وضّاءةٍ بيضاء كالعرض النقى
تختال من زهو الصبى فى ميعةٍ   ومن الشباب وحسنه فى ريّق
فكأنها ببياضها وسنائها   برزتْ إليك من الضحى فى رونق
وتسربلتْ بغلالةٍ وبريطةٍ   من سندسٍ خُضْرٍ ومن إستبرق
خفّاقة الأقراطِ زهراء الحلى   معقودة الإكليل فوق المفرق
ما أقبلتْ إلا بثغرٍ باسمٍ   وبمقلةٍ نشوى ووجهٍ مُشرق
وكأنها سكرى تمايل عنقُها   ورنتْ بجفنٍ بالنعاس مرنّق
مرَّ النسيمُ على الندى بجفونها   فترجرجتْ قطراتُه كالزئبق
إنى ليشجينى الندى متعلقاً   بجفونها كالدمع المترقرق
تُغني بريّاها وطيب شميمها   عن بابلىٍّ فى الدنان معتّق
أنفاسُها تحيى النفوسُ وريحُها   روحٌ تشيع بسائف متنشق

هيفاء إن رفَّتْ أعاليها بدتْ   فى الحوض شروي راية فى زورق
ماشئت فى زهراتها من كوكبٍ   متألقٍ بشعاعه متمنطق
كم زهرةٍ رفَّتْ خلتُ فراشةً   بيضاء رفَّ جناحُها بترفق
أطباقها مثلُ الأنامل شُبِّكَتْ   فى كل كمٍّ تلتقى فى مأزق
أو كالجفون طويلةً أهدابُها   من ناعسٍ ومغمِّضٍ ومحدِّق
أو لؤلؤٍ رطبٍ تشظى حوله   صدفٌ أناف على بياض المهرق

إن الذى خلق الأزاهر خصَّها   بقضيبها وبتاجها والبيرق
الحورُ فى جنات عدنٍ تجتلى   والبِيضُ منها فى خمائل (جِلَّقِ)

(دمشق)   خليل مردم بك

خدَّاكَ خدَّاكَ ، آهاً   من الجمال النصيح !
عيناكَ عيناكَ ، واهاً   من الفتُون الجريح !

لم يُؤذني بُخْلُ لفظِكْ   فى جَهْرِهِ والخُفوتْ
عرفتُ من وحْى لحظِكْ   أن الهوَى لا يموتْ

لو قِيلَ يومَ احتضارى   هــذا شقيقُ الفؤادْ
لأشرقتْ بكَ دارى   وكان يوم المَعاد

مَن أنتَ ؟ ضلَّ العَذُولْ   فى غابة الافتضاحْ ؟
مَن أنتَ ؟ لا ، لن أقولْ   سِرُّ الهوَى لا يُباح !

« الشاهد المجهول »

حكم فى القضية ٦٠٧ سنة ١٩٤١ عسكرية بنى سويف بتغريم نور الدين بدوى خضرى بشارع مقبل بنى سويف مائتى قرش لأنه باع بطاطس بأزيد من التسعيرة



غُبْر وعَبْر

لخص الأستاذ الكبير ا . ع فى كلمته المنشورة بالعدد ٤٣٨ من الرسالة القضية التى بيننا حول كلمة (عبر) واحتجاجى لها واحتجاجه عليها

وكنت قد أزمعت أن أفصّل بالشواهد رأيى . حتى نشرت الرسالة بالعدد ٤٣٩ كلمة الأديب محيي الدين صابر بدار العلوم يدلنا على رواية أخرى لهذه الكلمة فى بيت سوار بن قارب وجَدَها فى تفسير ابن كثير وهى :

فشمرت عن ساق الإزار ووسَّطَتْ
بى الدعلب الوجناء غُبْرَ السباسب

ثم قال إنه لا يستبعد أن تكون رواية عبر مصحفة عن غبر ، ثم نقل عن اللسان أن الغبراء هى الأرض التى لا يهتدى إلى الخروج منها

وأقول : إنها رواية سديدة جيدة ، ويؤيدها كثرة ورود هذه المادة (أغبر — غبراء ...) فى وصف السفر وقطع السباسب والفلوات ، ومن ذلك قول ذى الرمة :

وغبراء يقتات الأحاديث ركبها
وتشنى ذوات الضغن من طائف الجهل (١)

وقول القُلاخ :

وبلدٍ أغبر مخشيٍّ المعطب
يضحى به موج السراب يضطرب (٢)

وقول ذى الرمة أيضاً :

وغبراء يحمى دونها ما وراءها ولا يختطيها الدهر إلا المخاطر (٣)

ومع هذا أقول : إن لهذه الرواية وجهاً من الضعف لا يخفى على اللبيب ...

(١) مجموعة المعانى ص ١٣٢ (٢) مجموعة المعانى ص ١٣٣
(٣) شرح المضنون به على غير أهله ص ١٠٢

ذلك أن العامل فى كلمة غُبر فى رواية ابن كثير هو الفعل (وسطت) ... والكلام بهما مستقيم لا غبار عليه . ولكننا نعلم أن الرواية فى بعض المصادر (أرقلت) وهذه لا تتفق مع كلمة غبر جمع غبراء ولا يستقيم الكلام بهما لأن الإرقال هو الإسراع وفعله لازم (١) . فما معنى « وأسرعت بنا الناقة غبر السباسب » ؟

زد على ذلك أن الروايات مختلفة فى هذه الكلمة فهى (عبر) فى جمهرة شعر العرب ص ٢٦ ، وهى (بين) فى سفينة الراغب ص ٦٣٨ ، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٧ ، وشرح لامية العجم للصفدى ج ١ ص ١٨ ، وهى غبر فى ابن كثير

واختلاف الروايات على هذا النمط — مضافاً إليه وجه الضعف الذى ذكرت يعوز رواية ابن كثير إلى مرجح . فلسنا نستطيع إذن أن نقطع بها إلا بهذا المرجح المنشود

وبعد ... فقد رجا الأديب محيي الدين أن تكون هذه الرواية قد حلت ما بيننا من ألغاز النحو وأحاجيه ، وأقول إن القضية قد خرجت من كلمة (عبر) مصحفة كانت أو فاسدة ، إلى قضية نحوية أخرى جديرة بالبحث والتمحيص ، قلت وقال فيها الأستاذ ا . ع وليس من مصلحة اللغة أن يبتر الكلام فيها ... هى قضية المصدر الذى يقع حالا . وإن لى فى هذا الموضوع بحثاً للاجتهاد فيه نصيب كبير أرجو أن أوفق إلى عرضه إن اتسع صدر الرسالة لمثل هذه البحوث وإنه لكذلك إن شاء الله

محمد محمود رضوان

رسالة المعلم الالزامى وكيف ينبغى أن تكون

أبنا فى كلمتنا السابقة عما يجب أن يكون عليه المعلم الإلزامى ووعدنا القارئ الكريم أن نجيب على تلك الأسئلة التى طالما جهر بها المشفقون على الأمة عن رسالة المعلم الإلزامى وهل يقدرها المعلم ؟ وهل أداها على الوجه المرضى ؟ وإذا لم يكن فلماذا

إما أن المعلم يعرف رسالته فهذا ما لا سبيل إلى جحوده ، وإما أنه أداها على الوجه الأكمل فهذه مسألة فيها نظر ...

(١) نعم إنه قد يأتى متعديا بمعنى قطع ولكنه قليل لا يكاد يذكر فيما أعلم فلا يحتج به

قام المعلم بعمله على قدر ما وسعه جهده ، ولكنه ارتطم بعوامل قوية حدت من عمله ، وأضعفت من معنويته ، وكان من أهم تلك العوامل

١ — أن وضع نظام « التعليم الإلزامي » لم يكن الوضع الطبيعي لمسايرة حاجة المجتمع فلم يحدد له هدف ، ولم يرسم له خطة فنظام « نصف اليوم » وتخبط الوزارة في خطط الدراسة والمقررات وعدم الاستعانة بعنصر المعلم الالزامي فيما يمتورها من مشاكل جملته يعش حبواً

٢ — عدم تقدير المعلم ، لا من الحكومة ولا من الشعب ، والحكومة وضعت العراقيل في طريقه ولم توفر له وسائل العمل ، والشعب نفسه لم يتهيأ لأن يهضم هذا النوع من التعليم ، ونظر إليه نظرة المتشكك الوجل — وكان الناس في هذا فريقين : فريق الأغنياء ، وقد خشوا على أنفسهم أن يتعلم الشعب ، وفي هذا انهيار لهم كما كانوا يظنون . . . وفريق العامة ، وقد كانوا نحو التعليم كالطبيب المداوى مع مريضه الجاهل

٣ — مرتب المعلم : حددت له الدولة راتباً ضئيلاً لا يكفيه القوت الضروري ، فجملته يئن تحت عبء الحاجة

٤ — أرهق بالعمل إلى درجة الإعياء ، وضنت عليه الدولة بما يفتقر إليه من كتب ومراجع وأدوات

ولكن المعلم بقي وحده يصارع تلك العوامل بقوى نفسية عجيبة كان من أثرها قيام « اتحاد التعليم الإلزامي » ، فساعد المعلم على إزالة تلك الأشواك من طريقه ، وأمكنه أن يسمع صوت المعلم لمن يهمهم الأمر ، وها هو ذا قد نجح بعض الشيء ، وكان من أثر ذلك أن تهيأت الأسباب لقبول دعوته ، وأرهفت الآذان وتفتحت لسماع حجته ، فتحركت الوزارة أخيراً فنشطت للعمل ، وها هو المجلس الأعلى ينظر ويبحث

ولو أن الدولة كرست جهودها لتحقيق مطالب التعليم الإلزامي ويسرت للمعلم أسباب العمل — لكفاها مؤونة تلك الجهود التي تذهب سدى من تلك الجمعيات — ولقام هو بأفضل مما تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية

والأمل كبير في الله وبفضل الاتحاد والاعتصام بالعروة الوثقى ، ومن كان لهم الفضل في الأخذ بيد المعلم وعلى رأسهم أستاذنا الكبير الزيات أن تثمر رسالة المعلم ويشجع التعليم ، وأن تنهض البلاد ، وفقنا الله إلى ما فيه الخير

محمود محمد عبد

وكيل نقابة القاهرة لتعليم الالزامي

خطأ في كتاب المفصل

في كتاب « المفصل في تاريخ الأدب العربي »(١) — تأليف بعض رجال المعارف — الأبيات التالية منسوبة إلى ابن رشيق القيرواني :

ولما بدا لي أنها لا تحبني ... وأن هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت أن تهوى سواي لعلها ... تذوق صبابات الهوى فترق لي
فما كان إلا عن قليل وأشغفت ... بحب غزال أدعج الطرف أكحل
وعذبها حتى أذاب فؤادها ... وذوقها طعم الهوى والتذلل
فقلت لها ، هذا بهذا ، فأطرقت ... حياء وقالت : كل عائب ابتلي

وهذه الأبيات نسبها ابن رشيق في عمدته إلى علي بن الله من سلالة جعفر بن أبي طالب حيث قال(٢) : « ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب ، وقد دخل على علي بن عبد الله بن جعفر ابن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو محبوس ، أين هذا الجعفري الذي يتحدث في شعره ؟ قال علي : فعلمت أنه يريدني لقولي : ولما بدا لي الأبيات فقلت أنا هو جعلت فداك »

(العراق — حلة) مراد كاظم

بين صبري وابن دريد

وقع نظري على أبيات في الغزل لإسماعيل صبري وردت في ديوانه . . . بعثت في نفسي دهشة عجيبة لا لروعتها وفتنتها ، بل لأنها خلقت مشكلة عجيبة ، فما هي هذه المشكلة ؟

المشكلة أن هذه الأبيات بقليل من التحريف اللفظي وجدتها منسوبة « لأبي بكر بن دريد » في مقال للشاعر الكبير محرم

(١) المفصل — الجزء الثاني ص ١٨٠
(٢) العمدة — الجزء الثاني ص ١١٨ — ١١٩

بالعدد الثانى من المجلد الثالث لمجلة أبولو (أكتوبر سنة ١٩٣٢)

أما البيتان الواردان فى ديوان صبرى فهما :

إن الذى أبقيت فى مهجتى يا متلفَ الصبِ ولم يشْعُرِ
حُشاشة لو أنها قطرةٌ تجول فى عينيكَ لم تُقْطَرِ

وأما بيتان « أبى بكر بن دريد » الواردان فى مقال الشاعر عرم فهما :

إن الذى أبقيت (من جسمه) يا متلفَ الصَّبِ ولم يشعر
(صُبابةٌ) لو أنها قطرةٌ تجول فى جفنيكَ (لم تقطر)

فليس من شك فى أن صبرى قد سرق البيتين وليس له غير تنهير لم يوفق فيه . وليس من شك أيضاً فى غفلة المحققين لديوان صبرى عن هذه السرقة العجيبة .

حسين محمود البشبيشي

أيهما أصلح لتعليم الأطفال المعلم أم المعلمة ؟

كنت أعتقد بعد أن كتب الأستاذ الزيات كلمته عن المعلمين وبعد أن قدم الأستاذ مصطفى شكرى بك تقريره عن التعليم الأولى ، أن وجه الحق فى هذا الموضوع قد أصبح واضحاً ، وأن مجال القول لم يعد فى حاجة إلى إعادة ، وباب الكلام لا يتسع لزيادة !

ولكنى قرأت فى جريدة (المصرى) رأياً لوكيل وزارة المعارف المساعد الأستاذ شفيق غربال بك استحسن فيه إحلال المعلمات محل المعلمين ، وتمنى لو استطاعت الوزارة أن تعمم هذا فى جميع المدارس . وقال : (إن إحلال المعلمات محل المعلمين فى المدارس الأولية والإلزامية للبنات مشروع عظيم ؛ لأن المعلمة كالأم ، والأم أولى بحضانة الطفل ، ولو استطعنا أن نعمم ذلك فى المدارس الأولية والإلزامية ، لكان هذا أوفق وأحسن)

قرأت هذا وفهمت منه أن الأستاذ الوكيل يرى أن المعلمة أوفق وأحسن من المعلم حتى فى تعليم البنين ، لأنها كالأم والأم أولى بحضانة الطفل ! !

ولا شك أن هذا كلام يقال فى مقام العواطف لا فى مقام التربية والتعليم ، وإن حرمان الطفل من عناية المعلم أبلغ فى الضرر من حرمانه من رعاية المعلمة ! وحاجته إلى أبيه ، لا تقل عن حاجته إلى أمه ، وإذا قلنا إن المعلمة ستبعث فى نفسه الحنان والعطف والرقة والشعور بالجمال ، فإنه سيبقى مع ذلك فى حاجة إلى من يعلمه الرجولة والشجاعة والحزم والتضحية والبطولة والاعتداد بالنفس . ومن الذى يستطيع هذا غير المعلم ؟

أما الحضانة فليست للأم إلا قبل سن التعليم . فإذا بلغ الطفل السابعة كان لأبيه بنص الشريعة ؛ لأنه أدرى بتربيته ، وأبصر بمصلحته .

وإذاً يكون الاستدلال بحق الأم فى الحضانة غير مستقيم مع قواعد المنطق ، ولا مع وقائع الحال

والناس يرون الرجل الذى تنفرد المرأة بتربيته ناقص الرجولة ويقولون عنه (إنه ابن امرأة ! !)

ولم تأخذ البلاد الأوربية إلى الآن بنظرية انفراد المعلمة بتربية الطفل مع أن المرأة عندهم سبقت المرأة عندنا بأجيال ! كما أن ثقافة المعلم عندنا أرقى من ثقافة المعلمة ، لأن منهاج مدارس المعلمين أوسع من منهاج مدارس المعلمات ؛ والمعلم يزيد فى ثقافته بالدرس والمطالعة ، بينما المعلمة لا تفكر فى شىء من هذا بعد خروجها من المدرسة . والوزارة نفسها جعلت مناهج البنين غير مناهج البنات فى المدارس الإلزامية ! وفى كل هذا ما لا يستقيم مع رأى سعادة الوكيل !

على أن الوزارة قد حاولت تجربة هذه الطريقة منذ خمس سنوات ، فأشركت المعلمات مع المعلمين فى مدارس البنين . وترتب على هذا أن ساءت الحالة العلمية ، واختل النظام ؛ لأن المعلمة كانت تقف فى وسط التلاميذ حائرة . فإذا ثاروا وعجزت عن إسكاتهم جلست تبكى مغلوبة على أمرها ، حتى يأتى أحد المعلمين ، فيسكت التلاميذ عند رؤيته ، ويلزم كل واحد منهم عمله !

وأذكر أن معلمة ذهبت تشكو لرئيس المدرسة تلميذاً ، لأنه كان كلما ضربته بالمسطرة على يده يضحك ويسألها المزيد !

واضطرت الوزارة آخر الأمر وبعد أن ضج المفتشون من الفوضى . إلى تخصيص المعلمات بالتعليم فى مدارس البنات !

وإذاً يكون القول بإحلال المعلمات محل المعلمين فى المدارس الإلزامية مجازفة غير مأمونة العاقبة ، وفكرة أثبتت التجارب السابقة فشلها !

وأكبر ظنى أن مثل هذه الآراء المرتجلة ، هى التى أضاعت التعليم الإلزامى ، وأفسدت طرائقه ، وغيرت حقائقه ، وحالت بينه وبين الإنتاج المنشود . ولو أنصف القائمون بأمره لردوا الأشياء إلى أصولها ، والأصول إلى قواعدها ، ولرجعوا إلى المعلم يسألونه رأيه فيما هم فيه مختلفون ، ويستخبرونه عما لا يعلمون .

(المنصورة) على عبد الله



الميتة ...

لجى دى موباسان

بقلم الأديب كمال رستم

أحببتها حباً عنيفاً ! لِمَ يحب الإنسان ؟ أليس عجيباً ألا نرى فى العالم إلا إنساناً ؟ ألا تقوم فى النفس إلا فكرة ؟ ولا فى القلب إلا رغبة ؟ ولا فى الفم إلا اسم ؟ اسم يرق دواماً ! ... يرق كماء نبع نجاج من أعماق نفس ولمى ! يرق إلى الشفاه ! نذكره ! ونذكره ! نتمتم به دائماً ، وفى كل مكان كأنه صلاة !

سوف لا أقص قصتنا ؛ فليس للحب إلا قصة واحدة ! قابلتها وأحببتها ! هـذا كل ما فى الأمر ! وعشت عاماً تغمرنى رقتها ، وتحتوينى بين ذراعيها ، وتخصنى بظرفها ، وترعانى بلحظها ؛ وتلفعنى بأدثرتها ، وتهمس إلىَّ بكلماتها ! . . . محاطاً مطوقاً ، حبيساً فى كل ما يصدر عنها بهذه الطريقة الفاضلة التى لم أحاول أبداً أن أعرف غيرها ، ليلاً كان أو نهاراً ، حياً كنت أو ميتاً ، على هذه الأرض العجوز أو فى مكان آخر

ماتت زوجتى إذن ! كيف ؟ ... لا أدرى !

عادت ذات مساء مطير ، يبلل المطر ثيابها ، وفى اليوم التالى سعلت ، واستمرت تسعل حوالى أسبوع لزمت بعده سريرها !

كيف حدث ذلك ؟ . . . لا أدرى !

عادها أطباء ... وصفوا الدواء ... ومضوا ! ...

واستحضرت أدوية ... وامرأة تجرعها إياها ! ...

كانت يداها دافئتين ، وجبهتها متقدة منداة ، ولحظها وامضاً حزيناً . حدثتها وأجابتنى ! ما الذى قلناه ؟ لا أدرى !

نسيت كل ما قيل ! كله ... كله ! ... ماتت إذن ! وإنى لأذكر جيداً آهتها الخافتة . آهتها الأخيرة ! ... وتأوهت الممرضة قائلة : « آه » ! فادركت ... أدركت ! ...

لا شىء ؛ عرفت أكثر من ذلك ! أبصرت قساً انفرجت شفتاه من كلمة « خليلتك » ! خيل إلىَّ أنه سبها ؛ فليس لنا الحق منذ ماتت أن ندعوها كذلك ، ولذلك طردته !

وحضر آخر وكان طيب القلب للغاية ، لطيفاً للغاية حتى لقد استعبرت عند ما حدثنى عنها ! ولقد أُخذ برأيى فى ألف شىء بخصوص الجنازة ، لا أذكر الآن منها شيئاً مطلقاً وإن كنت أذكر جيداً صورة ناووسها ؛ وصوت المطرقة حينما أغلقوه عليها ! ... أواه يا إلـهى ! ... وووريت ... ! ووريت ! هى ! فى هذه الحفرة ! وحضر بعض الناس ! بعض الأصدقاء ! فررت منهم ! همت على وجهى طويلاً فى الطرقات ! ثم عدت أدراجى إلى منزلى ؛ وفى اليوم التالى قمت بسفرة طويلة ! ...

* * *

رجعت أمس إلى باريس ! ...

وعند ما رأيت ثانية غرفة نومى ؛ غرفة نومنا ! مهادنا ، أثاثنا ، كل ما فى هذا المنزل ... كل ما بقى من حياة شخص بعد موته . . . أصبت برجمة حزن محض ! فقمت إلى النافذة وأطللت منها على الطريق ! ...

ولما لم أستطع أن أصبر على الإقامة بين هذه الأشياء ، بين هذه الجدران ، تناولت قبعتى وخرجت أبغى فكاكا ! وفى طريقى إلى الباب مررت بمرآة البهو الكبيرة التى وضعتها هناك ، لترى فيها نفسها من رأسها إلى إخمص قدميها كل يوم عند خروجها لتتأكد من أن زينتها كاملة ، وأنها تبدو جميلة آسرة من حذائها إلى قبعتها ! ...

وقفت أحدق فى هذه المرآة التى طالما عكست صورتها ، طالما ! طالما ! . حتى خيل إلىَّ أنها تتراءى فيها ! . . .

كنت ثم واقفاً ، مرتجفاً ، وعيناى مثبتتان على زجاج المرآة ؛ على الزجاج المسطح ! الضيق ! الرحيب ! ... الزجاج الذى يحتويها . ! يحتويها بأكملها ؛ يتمتع بمشاهدتها أكثر منى ؛ أكثر من نظرتى الولهى ! ... خيل إلىَّ أنى أحببت هذه المرآة ! لمستها ؛ ألفيتها باردة أواه ! يا لها من ذكرى ! يا لها من ذكرى ! مرآة مؤلمة ! مرآة متقدة ! مرآة حية ! مرآة مروعة ! ...

صعداء هؤلاء الذين يحكى قلبهم مرآة ؛ يدعون صور المرئيات تنزلق عليها ، ويزيلونها متى شاءوا ، فيندى كل قلب ما احتواه ؟ ... كل ما مر أمامه ! كل ما شاهده ! كل ما سدد إلى عواطفه ! . إلى حبه ! ... كم أتألم ! ...

وخرجت ، وعلى غير وعى ! على غير إدراك ؛ دلفت إلى المقابر . وثم رأيت رمسها بسيطاً جداً ... رأيت صليباً من الرخام نقشت عليه هذه الكلمات ؟ ...

« أحبتنى وأحببتها ثم ماتت » !

كانت هناك ! فى أسفل ! عظاماً نخرة ! يا للهول !

لبثت هناك طويلاً ، طويلاً . . . ولما أقبل الليل قامت فى نفسى رغبة غريبة ، رغبة مجنونة ، رغبة نفس قانطة ! تشوفت إلى قضاء الليلة قريباً منها . . . ليلة أخيرة أذرف دمى على قبرها !

ولكنهم سيبصرون بى وسيطردوننى ؛ فما العمل ؟ . . . نهضت ، وأخذت أضرب فى مدينة الموتى هذه . . . مضيت ! مضيت ! كم هى صغيرة هذه المدينة إلى جانب أختها ؛ تلك التى نراها ، ومع ذلك فالأموات أكثر عدداً من الأحياء

وإنه لمن المفارقات حقاً أن تكون كل هذه الدور الفخيمة ، والميادين الفسيحة ؛ كل هذه المساحة الشاسعة للأحياء القليلين ، يرقبون النهار ليتنفس ، ويكرعون ماء الينابيع وسلاف الكروم ، وينعمون بخيرات السهول ، بينما لا يكون لكل أجيال الموتى شىء . . . حقل . . . تقريباً لا شىء . تستردهم الأرض . تجعلهم نسياً منسياً ... تبتلعهم ... ثم الوداع ! . . .

وفى نهاية القبور المأهولة ، أبصرت فجأة القبور المهجورة ، حيث بليت جسوم الموتى على طول الزمن وتم اختلاطها بالثرى ! حيث الصلبان نفسها قد تداعت ... وحيث يرقد فى الغد هؤلاء الذين قدر لهم أن يفنوا ... مكان ملىء بالورود المبعثرة ، وأشجار السرو السوداء السامقات . . . حديقة حزينة شاسعة تعيش على جثث البشر ...

وكنت هناك وحدى فتسلقت شجرة خضراء وتواريت بين أفنانها الغليظة الظليلة كغريق يتشبث بما يصادفه ...

***

ولما احلولك الليل ... غادرت مكمنى ومشيت فى خطوات وئيدة ، فى خطوات مخنوقة ؛ على هذه الأرض المفعمة بالموتى . . . وأخذت أجول طويلاً طويلاً دون أن أقف لقبرها على أثر . . . الذراعان ممدودتان . . . العينان مفتوحتان . . . متلمساً القبور بيدىّ ، بقدمىّ ، بساقىّ ، بصدرى ، برأسى نفسه ... ؟

مضيت كضرير يتلمس طريقه . . . المس الأحجار ، والصلبان ، والنوافذ الحديدية ، والتيجان الزجاجية ، والأكاليل الزهرية الجافة ...

ورحت أقرأ الأسماء بأصابعى أمر بها على الحروف ... يا لها ليلة ، يا لها ليلة ؟ لم أجد قبرها ...

وكان القمر غائباً فاستولى علىّ الخوف ، وخوف مروّع فى هذا المكان الموحش ... بين صفين من القبور ... ؟

القبور ! القبور ! القبور ... !

قبور ... إلى اليمين وإلى اليسار ... إلى الأمام وإلى الخلف ... فى كل صوب قبور ... !

تهالكتُ على واحد منها ، لأنى لم أستطع أن أتابع السير أكثر من ذلك ... لأن ساقىّ كانتا تلتويان . . . أصخت بأذنىّ أصغى لوجيب قلبى ... أصغى أيضاً لشىء آخر ... ماذا . . . ؟ نبأة مبهمة لا اسم لها . . . أكان ذلك فى رأسى المجنونة ... أكان ذلك فى غبش الليل الضارب سجوفه وأسداله ، أم تحت الأرض الخفية ... تحت الأرض المزروعة بجثث البشر ؟ !

كم من الوقت مكثت هناك ؟ لا أدرى ... غدوت قميداً من الخوف ... أصبحت ثملاً من الرعب ... على أهبة الصياح ... على أهبة الموت ... وفجأة ، خيّل إلىّ أن لوح الرخام الذى كنت جاثماً فوقه قد تحرك ... حقاً ، تحرك كما لو كان قد رُفع ... وبفطرة واحدة ألقيت بنفسى على الجدث المجاور ... وشهدت ... نعم ، شهدت الحجر الذى غادرته قد انتصب واقفاً

وظهر الميت ... هيكل عظمى ليس غير ... ! وإن كان الليل وقتذاك قد نشر على السكون ذوائبه . . . فقد رأيت . . . رأيت جيداً على الصليب هذه الكلمات : (هنا يرقد « جاك أوليفان » المتوفى فى الواحدة والخمسين من سنى حياته ، كان محباً لذويه ، شريفاً ، طيب القلب ... وتوفى إلى رحمة الله ... !)

ولما قرأ الميت هذه الكلمات المنقوشة على قبره ، انحنى إلى الأرض ، والتقط قطعة من الصخر ... قطعة صغيرة مدببة ... وأخذ يزيل هذه الكلمات بعناية ودقة ... أزالها عن آخرها ببطء وهدوء ، محدقاً بعينيه الواسعتين فى المكان الذى كان منذ برهة متوارياً فيه ... وبطرف العظمة التى كانت يوماً ما سبابته ... كتب بحروف براقة لامعة :

« هنا يرقد « جاك أوليفان » المتوفى فى الواحدة والخمسين من سنى حياته ، تعجل بقسوة قلبه موت أبيه ليرثه ، عذب زوجه ، أشقى أولاده ، خدع جيرانه ، سرق كل ما استطاع سرقته ، ومات شقياً ... ! »

... ولما انتهى الميت من كتابته أخذ يشهد نتيجة عمله ... ولاحظت فى عودتى أن كل القبور قد فتحت ، وأن كل الهيا كل العظمية خرجت منها ، وأن الجميع مسحوا تلك الأكاذيب التى خطها ذووهم على قبورهم ليموهوا على الناس ؛ ورأيت أنهم كانوا جميعاً قساة القلوب ، حقودين ، سارقين ، كذابين ، خبثاء ، مفترين ، حساداً ... رأيت أنهم سرقوا وخدعوا وارتكبوا كل الأفعال المخجلة ، ووصموا بكل خلق دنىء . . . وهؤلاء الآباء الطيبون ... هؤلاء الزوجات الوفيات ... هؤلاء الأبناء المخلصون ... هؤلاء الحفيدات العفيفات ... هؤلاء الرجال وهؤلاء النساء ... لا لوم عليهم جميعاً ، لأنهم لا يستطيعون أن يقرروا الحقيقة المؤلمة ... !

وراحوا جميعاً يخطون فى وقت واحد على عتبة مسكنهم الأبدى الحقيقة القاسية ، الحقيقة المروعة ، الحقيقة المقدسة التى يجهلها الجميع أو يتجاهلونها وهم على قيد الحياة ... !

وأيقنت أنها لا بد قد قامت تكتب على جدثها ، وبدون أدنى خوف الآن ... فركضت وسط التوابيت نصف المفتوحة ، وسط الجثث ، وسط الهيا كل العظمية ... مضيت إليها واثقاً أنى سأجدها فى الحال ... ورأيتها من بعد ... من غير أن أستجلى وجهها ، لأنها كانت قد غطته بالكفن ... وعلى الصليب الرخامى الذى قرأت عليه منذ برهة :

« أحبتنى وأحببتها ثم ماتت ! »

لمحتها تكتب : « خرجت يوماً لتخون زوجها ، فأصابها برد تحت شؤبوب منهمر وماتت ! »

ورأيتنى أهوى إلى الأرض مغشياً علىّ . وفى اليوم التالى وجدونى مسجّى إلى جانب مقبرة ... !

« المنصورة » كمال أحمد رستم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

6me Année No. 443 — Lundi - 29 - 12 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٤٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ذو الحجة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

١٠٥٧ العامية والفقر ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد

١٠٦٠ الشوقيات ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...

١٠٦٥ مظاهر النظام التجارى النازى ... ... } الأستاذ فؤاد محمد شبل ...

١٠٦٨ علماؤنا يعودون إلى المجتمع : « لأزهرى كبير » ... ...

١٠٦٩ الوضع الاجتماعى للمرأة فى الإسلام ... ... } الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

١٠٧٣ قيمة الحرية ... ... } للصحافى العالمي ويكهام استيد بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة

١٠٧٥ المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق إدورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور

١٠٧٨ الأرض ... [قصيدة] : الأستاذ محمد محمد توفيق ...

١٠٧٩ مجلس التعليم الأعلى ... : . ...

١٠٨٠ كيف تفسر معجزات داود وسليمان عليهما السلام ... } « عالم » ... ...

١٠٨١ أخطاء فى كتاب المنتخب : الأديب حسين محمود البشبيشى

للمباراة الاجتماعية لرابطة الشباب المصرى ... ... } . ...

١٠٨٢ فهرس موضوعات السنة التاسعة ... ... } . ...

العامية والفقر

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاء فى خطاب مطول من الأديب « عبد القادر المشماوى » يروى فيه مناقشة أدارتها جماعة « الرابطة المصرية ضد التدخين » وقالت فيها الأستاذة الفاضلة نعيمة الأيوبى – على رواية الأديب –

« لنكن عاديين فى أحاديثنا لنقدر أن نعبر عن شعورنا وأفكارنا ونتفاهم فى أغراضنا وشؤون إصلاحنا ، لا سيما مع الطبقات الفقيرة . ولنخلع عنا ذلك الرداء المزيف الصناعى الذى نلبسه كلما قابلنا عظيماً أو وقفنا فى حفل للخطابة ؛ فلا ندرى أأخطأنا فى التركيبات النحوية أم فى التعبير عن أفكارنا . ولنتكلم الآن باللغة التى نستعملها فى كل مناقشاتنا حتى فى مرافعاتنا أمام القضاء ، ألا وهى العامية »

قال الأديب عبد القادر المشماوى : « ثم نهض الأستاذ كامل الكيلانى عقب الدكتورة نعيمة الأيوبى وقال ما فحواه : « إنه لا يسمح بأية حال من الأحوال بالموافقة على نصرة العامية على اللغة العربية الفصحى . ومن لم يستطع التعبير عن أفكاره بالعربية الفصحى فما هو بمستطيع أن يعبر عنها بالعامية ... »

وهكذا إلى آخر ما ورد فى خطاب الأديب . ثم قال سائلاً : « ما رأيكم فى هذا الخلاف ؟ وهل يمكن نصرة اللغة الفصحى

فى بلد سواده الأعظم من الأميين ؟ وإذا خاطبت إنساناً فقيراً باللغة الفصحى لتسدى إليه النصح والإصلاح هل يفهمك أو يظن أنك تسخر به فيحز ذلك فى نفسه وينصرف عنك متألماً ؟ وأرجو أستاذى إذا تفضل بالجواب أن يكون رده على صفحات مجلة (الرسالة) الزاهرة الحبيبة إلى نفوسنا ، وإليكم عظيم الاحترام ... الخ »

* * *

تلك رواية الأديب ، وهى لا تستلزم فى الجواب عليها أن أتعرض لتفصيلات رأيين لم أقف منهما على غير هذه الإشارات التى لا تشمل كل ما يقوله صاحب الرأى فى شرحه والدفاع عنه .

فحسبنا أن نحصر الكلام هنا فى العلاقة بين الفقر والعامية ، وهل من دواعى العطف على الفقير أو من دواعى النظر فى مشكلة الفقر أن ننصر العامية على الفصحى ، وأن نعبر عن آرائنا باللغة التى يتكلمها الفقراء ؟

فالعامية قبل كل شىء هى لغة الجهل وليست بلغة الفاقة أو بلغة اليسار

وبين الأغنياء كثيرون لا يحسنون الكلام بغير العامية التى لا جمال لها ولا طلاوة على عباراتها

وبين الفقراء من يحسنون التعبير بالفصحى ، أو يعبرون بالعامية تعبيراً يزينه جمالها وتبدو عليه طلاوتها

فإذا عطفنا على العامية فإنما نعطف على الجهل ونستبقيه ونستزيده ، ولا نخفف وطأة الفقر ذرة واحدة بتغلب عبارات الجهالة على العبارات التى تصاغ بها آراء المتعلمين والمهذبين

إن علاج مشكلة الفقراء هى أن ترفع طبقتهم معيشة وتفكيراً وحديثاً ومنزلة من التعليم والتهذيب ، وليس علاج تلك المشكلة أن تسجل عليهم حالة من العجز والجهالة هى التى يشكون منها ويسألون المعونة على علاجها

وماذا يفيد الفقراء أن يسكن الأغنياء الأكواخ ؟

وماذا يفيد الفقراء أن يتكلم المتعلمون لغة الجهلاء ؟

وماذا يفيد الفقراء أن تساويهم فى الحرمان من المال والعلم ومن الفصاحة وقدرة التعبير ؟

إنما يفيد الفقراء أن تصبح أكواخهم قصوراً أو كالقصور فى الإراحة وتصحيح الأبدان

وإنما يفيدهم أن يكون نصيبهم من اللغة كأحسن نصيب يتملكه المتعلمون . فإن لم يبلغوا هذا المبلغ فالفائدة ألا يكون نصيبهم منها أحقر نصيب ، وألا نسجل عليهم هذه الحالة المزرية كأنهم لا يصلحون لغيرها ولا يطمحون إلى ما فوقها

وإنما يفيد الفقراء أن يساووا أحسن الناس لا أن يصبح أحسن الناس مثلهم فى المعيشة والعمل والعلم والكلام

ولم يقل أحد أننا حين نبنى القناطر والجسور والمستشفيات لعلاج داء الفقر ينبغى أن ننسى الهندسة لأن الفقراء لا يعرفونها

ولم يقل أحد أننا حين ندبر الطعام للمعوزين ينبغى أن نبطل أطايب الطعام لأن المعوزين لا يملكون أثمانها

فلماذا يقول قائل إن إهمال اللغة الفصحى واجب عند البحث فى مشكلة الفقر والجهل لأن الفقراء والجهلاء لا يحسنون اللغة الفصحى ، وأن المناقشة فى تلك المشكلة ينبغى أن تدور بالعامية لأنها هى اللهجة التى يتكلمها الفقراء والجهلاء ؟

يقول الأديب صاحب الخطاب : « إذا خاطبت إنساناً فقيراً باللغة الفصحى لتسدى إليه النصح والإصلاح هل يفهمك أو يظن أنك تسخر به ، فيحز ذلك فى نفسه وينصرف عنك متألماً ؟ »

فمن اللازم أولاً أن نفرق بين اللغة الفصحى واللغة الصعبة التى لا يفهمها إلا الأقلون ؛ إذ ليس كل فصيح صعباً ولا كل عامى ركيك سهلاً على سامعيه

ومتى فرقنا بين الفصاحة والصعوبة أدركنا أن السهولة تتوافر للكلام الفصيح وتنفذ إلى أسماع الجهلاء غير حائل بينها وبين النفاذ إلى تلك الأسماع حركة الإعراب ولا صحة التركيب

هذا أولاً

أما « ثانياً » فمن اللازم أن نذكر أن العظات إنما تتلقى بالخشوع والتوقير كلما اقترنت فى ذهن السامع بملابسات الخشوع والتوقير

والعظات التى تقترن فى ذهن السامع بالمسجد وحلقات العلم أحرى أن تقترن بالنفوس الخاشعة والأسماع المصغية من عظات تحمل طابع السوق ومجالس اللهو والمزاح . وهذه المقارنة النفسية أشبه بمقارنة الهيبة التى تسرى إلى قلوب السامعين وهم يصغون إلى الواعظ فى المسوح ولا تسرى إليهم وهم يصغون إليه فى مباذل البيت أو ملابس السهرة وكسوة « الردنجوت »

أما شعور الجاهل الفقير وأنت تخاطبه بالفصحى فقد تختلف

فيه الأقوال حسب اختلاف الأحوال ، ولكنه لو أنصف لامتعض ممن لا يخاطبه إلا وهو متنزل إلى لغة أوضع الطبقات ، كأنه يترفع عن مخاطبته باللغة التي يخاطب بها أقرانه وزملاءه . وما أظن الجاهل الفقير يحب أن يترفع الأغنياء عن لقائه في حجرة الاستقبال التي يلقون فيها أقرانهم وزملاءهم ليخرجوا له إلى العراء حيث يجلس بغير مقعد وبغير مهاد ... فلماذا يحب الجاهل الفقير أن يتنزل مخاطبه من أسلوبه وأسلوب أقرانه وزملائه ليخاطبه بما هو دون ذلك الأسلوب ؟

إننا لم نسمع أن أحداً تواضع حباً للفقير فخلع حذاءه ليمشى حافياً أو يلبس النعال ؛ فما بال أناس يتواضعون فيخلعون لغة المعرفة والثقافة لأنها كما يزعمون لغة لا يفهمها الفقراء ؟

ما خلت الدنيا قط ولن تخلو من التعلم والتعليم ، وإن اليوم الذى ننبذ فيه كل ما نتعلمه ونتعب فى تعلمه لهو اليوم الذى ينحدر فيه الإنسان إلى الجهل الذى هو أشيع شىء بين الناس وأغناه عن معلمين ومتعلمين وعن جهد فى التعليم والتحصيل

وإذا كنا نحتج لبقاء اللغة العامية بأنها اللغة التي يعرفها الجاهل بغير تعلم فلماذا لا نحتج لكل جهل بمثل هذا الاحتجاج ؟ وأى شىء أحق من العقل الإنسانى ومن النفس الإنسانية بأن نفهمهما على الوجه الأمثل حين نفهم اللغة الصالحة لإبداع أشرف المعانى وأرفع الصور الذهنية وأحقها بالبقاء والتخليد

واللغة العامية بطبيعتها لغة وقت محدود وجهة محدودة ، فهى لا تصلح لبقاء أثر من الآثار التي تستحق البقاء . ولن نكسب شيئاً ولا الفقراء يكسبون بصيانة حديث العامة وإهمال الحديث الذى يخلد المتنبي والمعرى وابن الرومى وشكسبير وهوميروس وسوفكليس وفرجيل

وما ارتقى العامة قط لأنهم فهموا نظام الصحة وقواعد الحكم وهم جهلاء أميون ، ولكنهم يرتقون حين يتعلمون ويقتدرون على فهم الكلام فى لغة المعرفة والإرشاد . أما وهم أميون جهلاء فلن يفهموا ما يقال ، ولو قيل لهم بلغة الجهال

وإنها لبدعة عجيبة تلك التي سرت فى الزمن الأخير وتعلق بها أناس منا مخلصين وأناس منا مخدوعين وأناس منا يسيئون النية وهم على علم بالغرض مما يدعون إليه

فالدعوة إلى تغليب العامية إنما تنبع فى مصدرها الأول من جانبين متناقضين وإن اتفقا فى غرض واحد

فجانب الشيوعيين المنكرين للعقائد والأديان يحقدون على اللغة الفصحى لحقدهم على كل امتياز وارتفاع ، وغرامهم بكل ما يهبط إلى مرتبة الصعاليك ؛ ثم هم لا ينسون أن القضاء على العربية الفصحى فيه قضاء على دين المسلمين الذى يحاربونه كما يحاربون كل دين

وجانب المبشرين لا يعنيهم من الأمر إلا أن يحاربوا الدين بين الأمم العربية ، فلا يعنيهم فى بلادهم أن يغلبوا الكلام المصف المبتذل على الكلام المهذب الفصيح .

ومما يكشف عن سوء نية هؤلاء وهؤلاء أنهم يفضلون الكتب التي تؤلف بكلام العامة فيما يختارونه للترجمة إلى اللغات الأوربية ؛ مع أن الترجمة لا تظهر فرقاً بين أسلوب العوام وأسلوب الخواص ، ولا يدرى من يقرأها وهو لا يعرف الأصل أهى من الكلام الدارج منقولة أم هى منقولة من كلام تلتزم فيه الفصاحة وحركات الإعراب .

فهو إذن تشجيع للعامية فى وطنها وليس بتشجيع للعامية فى اللغات الأخرى ، ومن هنا ينكشف سوء النية الذى أومأنا إليه .

فرأيى فيما سأل عنه الأديب أن تغليب لغة الجهل كارثة على الأمة العربية وعلى العقل الإنسانى لا تقل عن كارثة الفقر وسوء العيش ، وأن علاج مسألة الفقر لن يتوقف فى وجه من وجوهه على ترك الكلام الفصيح وتقديم الجهالة الكلامية ، ولن يختلف الأمر هنا بين طب الأمراض البدنية وطب الأمراض الاجتماعية .

فلا الطبيب مضطر إلى إهمال لغة الطب وهو يعالج مريضه ، ولا المصلح الاجتماعى مضطر إلى إهمال لغة المعرفة وهو يعالج الفقر أو الجهالة ، وليس ما يفهمه الفقير الجاهل من عبارات العامة بأكثر مما يفهمه من لغة الخاصة إذا كانت الصعوبة فى الإدراك أو كانت الصعوبة فى الموضوع . فلو نقلت أرسطو إلى أوضع اللهجات لما سهلت فهمه أقل تسهيل ، بل لعلك تزيد الصعوبة بإقحام المعانى الرفيعة فى لغة لم تتهيأ لتمثيلها منذ زمن بعيد .

والترحم الفقير الجاهل برفعه إلى طبقة اليسار والمعرفة ، والتسوية بينه وبين من يفصحون ويفقهون

أما رحمته بإبقائه حيث هو فى عمله وكلامه ومداركه فتلك هى القسوة التي لا يسيغها الرحماء .

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

« الشـــوقيات »
للدكتور زكي مبارك

أين مقدمة هيكل باشا ؟ — رأى الدكتور طه حسين في شاعرية « شوق » — أخلاق شاعر الأخلاق — دسائس صحفية ! — كيف يدرس المتسابقون شعر « شوق » ؟ — نهج البردة — الأندلس الجديدة — انتحار الطلبة — تغني بالآثار المصرية — الحرب العثمانية اليونانية — تكايل أنقرة — انتصار الأتراك في الحرب والسياسة — رحالة الشرق

أين مقدمة هيكل باشا ؟

المقرر للمسابقة هو الجزء الأول من « الشوقيات » ، وبه مقدمة بقلم معالي الدكتور هيكل باشا ، وكان في النية أن أنظر في تلك المقدمة نظرة نقدية ، على نحو ما صنعتُ بالمقدمة التي صدّر بها ديوان البارودي ، ولكني لم أجد المقدمة المنشودة في النسخة التي بين يديّ ، فأين ذهبتْ ؟ وكيف رضيتُ أن تظل نسختي عاطلة من تلك المقدمة العصماء ؟

لذلك تاريخ يجب تسجيله قبل أن يضيع ، فقد تأتي أيام نجهل فيها ما مرّ بالشوقيات من ظروف ، وللتاريخ الأدبي علينا حقوق ، فما ذلك التاريخ ؟

النسخة التي بيدي ناقصة ، ولكنها نفيسة جدًا ، لأنها على نقصها مصححة بقلم « شوق » في مواضع كثيرة ، وليس ذلك بالغنم القليل

وأواجه ذلك التاريخ فأقول :

كانت الصلة قويت بيني وبين « شوق » في سنة ١٩٢٥ ، وكان شرع في طبع « الشوقيات » ، فشاء لطفه وكرمه أن يدعوني لكتابة المقدمة بعبارة لا أزال أذكر نصها بالحرف : « سيكتب الدكتور هيكل مقدمة تاريخية ، وستكتب أنت مقدمة أدبية »

وبعد أيام تلطّف فأهدى إليّ ما طُبع من الجزء الأول مصححاً بخطه الجميل ، لأكتب في تقديمه ما أريد

ورجعت إلى نفسي فتذكرت أن للمقدمات يُلتزم فيها الترفق ، وذلك ما يجمُل بكاتب مشغول بالنقد الأدبي مع شاعر لا يزال في الميدان ، وأسرعت فكتبت إليه خطاباً قلت فيه : إني لا أستطيع كتابة المقدمة التي ينتظرها أمير الشعراء ، لأني أخشى أن أقول فيها كلاماً يصدني عن نقده إن رأيت في أشعاره المقبلة ما يوجب الانتقاد ، وهو ـ بارك الله في عمره ـ لا يكفّ عن مساورة الشعر والخيال في صباح أو مساء

وفي عصرية اليوم الذي كتبت فيه ذلك الخطاب قابلت الدكتور طه حسين وأخبرته بما وقع ، فغضب أشد الغضب وقال : « ليتك استشرتني قبل أن تصنع ما صنعت ! ألا تعرف أنك أضعت على نفسك فرصة من فرص التشريف ؟ لو طلب « شوق » مني ما طلب منك — وأنا خصمه — لاستجبت بلا تردد ، فشوق في رأيي هو أعظم شاعر عرفته اللغة العربية بعد المتنبي »

وبعد شهور طوال ظهر الجزء الأول من « الشوقيات » ، وبه مقدمة الدكتور هيكل ، ونادى المنادي بوجوب الاحتفال بتكريم أمير الشعراء احتفالاً يشترك فيه من يستطيع من أدباء الأمم العربية ، وبرعاية الزعيم سعد زغلول

ثم يقام الحفل الحافل بدار الأوبرا الملكية في التاسع والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٧ ، ويقول الشعراء والخطباء في « شوق » ما يقولون بإطناب وإسهاب

ويلتفت الدكتور هيكل كاتب مقدمة « الشوقيات » فيرى من الواجب إصدار عدد خاص من (السياسة الأسبوعية) لتكريم « شوق » ، ويُدعى للاشتراك في تحرير ذلك العدد الخاص رجال كان فيهم كاتب هذا الحديث . ويرى « شوق » من حقه أن ينظر في محتويات ذلك العدد فيشير بحذف مقالات كان منها مقالي ... ألم أستكبر عليه فأرفض كتابة مقدمة « الشوقيات » ؟ !

كانت (السياسة الأسبوعية) في تلك الأيام توجه التيار الأدبي في مصر وفي سائر البلاد العربية ، وكان إصدار عدد خاص عن شاعر من مثل تلك المجلة يعد تزكية أدبية تفوق الوصف ؛ ولكن « شوق » لم يرتح كل الارتياح إلى ذلك العدد الخاص ، فقد ظهرت فيه عبارات تنقص كثيراً أو قليلاً من مقام أمير الشعراء

أخلاق شاعر الأخلاق [1]

غضب « شوقى » على ذلك العدد من (السياسة الأسبوعية) وكان « شوقى » إذا غضب غضب معه ألف مرتزق من أدعياء الأدب ، فمضى أولئك المرتزقة يقولون فى الدكتور هيكل ما تسمح بنشره الوريقات المتسمة زوراً بوسم الجرائد والمجلات ، فكتب الدكتور هيكل فى (السياسة الأسبوعية) مقاله المأثور : « أخلاق شاعر الأخلاق » ، وهو مقال فصّل فيه ما كان بينه وبين « شوقى » وتوعّده توعداً أليماً ، فقد نص على أن « شوقى » لن يظفر منه مرة ثانية بمثل ذلك الاحتفال !!!

ورأيت أن أرجع إلى الدكتور طه أستفتيه ، فابتسم وقال : كان مصيرك سيكون أفظع من مصير هيكل لو كتبت مقدمة « الشوقيات » !!!

ثم ماذا ؟ ثم ذهب « شوقى » الحقود ، « شوقى » الذى قطع ما بينه وبين كرام الرجال لأسباب لا تستحق أن يُنصب لها ميزان ، وبقى « شوقى » الشاعر ، « شوقى » الذى رثاه « المازنى » يوم مات ، بعد أن قال فيه ما قال !

دسائس صحفية

فسد ما بينى وبين شوقى بعد اعتذارى عن كتابة مقدمة الشوقيات ، فانقطعتُ عن لقائه بمكتبه فى شارع جلال ، وانقطع هو أيضاً فلم يعد يسأل عنى . وجاء طاغور أمير شعراء الهند فأقام له حفلة فى داره دعا إليها أساتذة الجامعة المصرية ، ولكنه تجاهل اسمى فلم يدعنى إلى استقبال ذلك الشاعر الصنّاج .

وسمع بذلك الحادث جماعة من الصحفيين فحرضونى على إيذاء شوقى بمقال أو مقالين ، وزعموا أن مال شوقى لا ينال بغير الهجاء !

وما أنا ومال شوقى أو غير شوقى ؟

هل منحنا الله نعمة القلم الصوّال ، لنهتزّ الأموال ؟

إن شوقى الحقود حرمنى فرصة التمتع بصوت طاغور ، وما صوت طاغور بالقياس إلى الموسيقية الشوقية ؟

شوقى شاعر مصر ، وهو على جحوده أستاذ الأساتذة فى ميدان القصيد ، فمن الواجب أن أحفظ عهده إلى أن يموت ، وقد مات قبل أن يسمع كلمة نابية من قلمى أو لسانى .

فعليك يا شاعرنا العظيم ألف تحية وألف سلام ! وحفظ الله عهدك بين أقطاب الأدب الرفيع !

كيف يدرس المتسابقون شعر شوقى

الغرض من هذه الدراسات هو توجيه من سيتبارَوْن فى مسابقة الأدب العربى ، فماذا نقول فى توجيه أولئك الشبان ؟

أهم قصيدة فى الجزء الأول من الشوقيات هى قصيدة «نهج البردة» . ولهذه القصيدة تاريخ يجدونه فى الطبعة الثانية من كتاب « الموازنة بين الشعراء » ، وما أريد أن أغتنم الفرصة فأعلن عن كتابى فى مجلة الرسالة بالمجان ، وإنما هى فرصة للطلبة الأعزاء ، فإن درسوا ما كتبتُ عن تلك القصيدة فى ذلك الكتاب فسيشغلون لجنة الامتحان بأبحاث تجوز بهم الصراط فى أمان .

وهنالك مرجع ينفعهم فى هذا الموضوع الدقيق ، وهو كتاب « المدائح النبوية فى الأدب العربى » ، وفى ذلك الكتاب تفصيل واف لتطور المدائح النبوية من عهد حسّان إلى عهد شوقى ، فقد بدأ هذا الفن مدحاً خالصاً ، ثم تحوّل إلى نزعة من « التشيّع » ثم صار فناً بلاغياً يسجل فنون « علم البديع » ثم عاد مدحاً صرفاً على لسان البارودى وشوقى والجلاوى ، مع تفاوت فى أسلوب الأداء [1] .

أما القصيدة الثانية فهى « الأندلس الجديدة » ، ويجب حفظها عن ظهر قلب ، لأنها من محفوظات لجنة الامتحان ، ولأنها فيما نعتقد أعظم قصيدة جاد بها الشعر الحديث فى تصوير التعاطف بين الأمم الإسلامية :

مقدونيا ـ والمسلمون عشيرة ـ … كيف الخؤولة فيكِ والأعمامُ

أتَرَيْنَهم هانوا ، وكان بعزهم … وعُلوِّهم يتخايلُ الإسـلام

إذ أنتِ نابُ الليثِ ، كل كتيبة … طلعتْ عليك فريسةٌ وطعامُ

وقد سما شوقى بهذه القصيدة سموّاً لا يدرك مداه غير من يَعرف أسرار الشعر وسرائر القلوب .

ولهذه القصيدة أهمية فى تاريخ شاعرية شوقى ، فقد كادت آراء النقاد تجمع على أن عبقرية شوقى لم تتفتح إلا بعد نفيه فى أيام الحرب الماضية ، وهو قد نظم هذه القصيدة فى سنة ١٩١٢ قبل النفى بأعوام .

(١) عنوان مقال للدكتور هيكل باشا

(١) أنظر همزية شوقى فى مدح الرسول ولاحظ تأثره بهمزية البوصيرى

ثم تجيء قصيدة «انتحار الطلبة» وهي قصيدة طوّقت بها وزارة المعارف بأطواق من حديد ، فالطالب المنتحر :

ناشئٌ في الورد من أيامهِ — حسبُهُ الله أبالورد عثرْ ؟
سدد السهم إلى صدر الصبا — ورماه في حواشيه الغُرَرْ
بيدٍ لا تعرف الشر ولا — خُلقت إلا لتلهو بالأُكرْ

ولكن كيف صنع الطالب بنفسه ذلك الصنع الممقوت ؟

قال ناسٌ : صرعةٌ من قَدَرٍ — وقديماً ظلم الناسُ القَدَرْ
ويقول الطبُّ : بل من جِنَّةٍ — ورأيت العقل في الناس نَدَرْ
ويقولون : جفاءٌ راعَهُ — من أبٍ أغلظ قلباً من حجر
وامتحانٌ صعَّبته وطأةٌ — شدَّها في العلم أستاذٌ نَكِرْ
لا أرى إلا نظاماً فاسداً — فكك العلم وأودى بالأُسَرْ
من ضحاياه - وما أكثرها ! - — ذلك الكاره في غض العُمُرْ

وتلك قصيدة نادرة ، فليتفهمها الطلبة وليحفظوها عن ظهر قلب ، فموضوعها يكاد يتجدد في كل يوم ، وهي تنهى عن آفة من آفات الضعف في هذا الجيل .

التغني بالآثار المصرية :

فاتحة الشوقيات هي قصيدة شوقي عن «كبار الحوادث في وادي النيل» وهذه القصيدة تصحح غلطة وقع فيها صاحب «الموازنة بين الشعراء» فقد نص على أن اسماعيل صبري هو أول شاعر سن مذاهب القول في وصف آثار الفراعين ، بعد أن ثار الجدال بينه وبين خليل مطران في سنة ١٩٠٤ ، ثم تشاء المقادير أن يعرف ذلك المؤلف أن شوقي سبق صبري في التغني بتلك الآثار الخوالد في القصيد الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٩٤

فما ذلك القصيد ؟ هو قصيد طويل سجل به الشاعر ما كان لمصر من تحليق وإسفاف في أعوام تزيد على خمسة آلاف .

وهنا يظهر العجب العجاب ، فقد كان شوقي ناشئاً يوم نظم ذلك التاريخ ، ولكنه مع ذلك عرف كيف يهتف :

قل لبانٍ بنى فشادَ فغالى — لم يجز مصرَ في الزمان بناءُ
ليس في الممكنات أن تنقل الأجـ — ـبال شماً وأن تنال السماء
أجفل الجنُّ عن عزائم فرعو — نَ ودانت لبأسها الآناء
شاد ما لم يشد زمانٌ ولا أنشـ — ـأ عصرٌ ولا بنى بنّاء
هيكلٌ تُنشر الدِّيانات فيه — فهي والناسُ والقرونُ هباء
وقبورٌ تحط فيها الليالي — ويواري الإصباحُ والإمساء

وهذه الباكورة كانت البشير بأن ستكون لشوقي مكانة في وصف آثار الفراعين

لقد طوّفت بأقطار كثيرة من الشرق والغرب ، فما رأت عيني مثل ما ترك الفراعين بوادي النيل ، وسيجتمع المؤتمر الطبي العربي بعد أيام بمدينة أسوان ، وسيعرف رجاله صدق هذا المقال بعد أن يزوروا آثار الأقصر ، عليها أزكى التحيات !

الحرب العثمانية اليونانية

هي حربٌ وقعت في عهد السلطان عبد الحميد ، ولم يذكر الديوان تاريخها بالضبط ، ولا اتسع وقتي لتحقيق ذلك التاريخ ، وأين من يصدق أني أكتب هذه الصفحات وأنا في «قطار الصعيد» ؟

هي إحدى قصيدتين اعترف فيهما حافظ بشاعرية شوقي ، ولم يكن حافظ يعترف لشوقي بشيء ، ولا كان شوقي يعترف لحافظ بشيء ، وآه ثم آه من تحاسد النظراء !

اعترف حافظ بقيمة البائية :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب — وينصرُ دين الله أيان تضرب

اعترف حافظ بقيمة هذه البائية في كتاب «ليالي سطيح» ولا أعرف الآن موقع هذا الاعتراف من ذلك الكتاب ، فعهدي بقراءته يرجع إلى زمن بعيد

أما القصيدة الثانية فهي بائية شوقي في «توت عنخ آمون» وكان حافظ يحفظ هذه البائية وقد أنشدنيها مرات ، وكان له في إنشادها ترجيع طريف

كانت البائية الأولى فتنة العصر الذي ظهرت فيه ، وكان جمهور الأدباء يحفظها عن ظهر قلب ، وراويها في هذا اليوم هو الأستاذ محمد سعيد لطفي بك ، وله بها هيام وغرام ، فهو ينشدها كلما لاحت فرصة للحديث عن شوقي

إقرأوا هذه البائية ، يا شباب اليوم ، لتعرفوا كيف نستهين بما ينظم الأطفال من الشعر في هذه السنين العجاف !

إقرأوا هذه البائية واحفظوها ، فهي من آيات الشعر الحديث

وما السيف إلا آية الملك في الورى — ولا الأمرُ إلا للذي يتغلبُ
فأدِّب به القوم الطغاة فإنه — لنعم المربي للطغاة المؤدب
تنام خطوبُ الملك إن بات ساهراً — وإن هو نام استيقظت تتألب

تعطيل أنقرة وعزل الآستانة

تلك قصيدة كافية تسجل انحسار الخلافة عن استامبول ، بعد حوادث تشيب ناصية التاريخ ، وتصور عزة الترك بأنقرة فى عهدهم الجديد

وفى هذه القصيدة توجع شوقى لعزل استامبول ، واعتذر عن أبنائها الأماجد ، فما نقلوا مركز الملك إلى أنقرة إلا رعاية لخطة من خطط الدفاع عن البلاد

لو أن سلطان الجمال مخلد للبيحة لعذلتُ من عزلوك
خلموك من سلطانهم فسليهمُ أمِن القلوب وملكها خلموك
لا يحزُننك من حُماتك خطة كانت هى المُثلى وإن ساءوك
أيقال فتيان الحمى بك قصروا أم ضيعوا الحُرمات أم خانوك ؟
وهم الخفاف إليك كالأنصار إذ قلّ النصير وعزّ من يفديك
والشـتروك بمالهم ودمائهم حين الشيوخ بجبـة باعوك
هدروا دماء الذائدين عن الحمى بلسان مفتى النار لا مُفتيك
شربوا على سر العدو وغردوا كالبوم خلف جدارك المدكوك
لو كنت مكة عندهم لرأيتهم كمحمد ورفيقه يجـروك

وهو يشير فى هذه الأبيات إلى ما وقع من رجال الدين فى استامبول ، فقد أفتوا بوجوب مقاتلة الكماليين طاعة للخلفاء ، وكانوا احتلوا استامبول ، ولم يجلوا عنها بعد ذلك طائعين ، وإنما أكرهتهم السيوف الكمالية على الجلاء

والشاعر يجعل انتقال أتاتورك ورفاقه من استامبول إلى أنقرة شبيهاً بانتقال الرسول ورفيقه من مكة إلى المدينة ، وهو تشبيه على جانب من الجمال

انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة

ثم يلتفت القارئ مرة ثانية فيرى شوقى يرجع إلى تمجيد أتاتورك من جديد ، بقصيدة بائية على غرار بائية أبى تمام فى فتح عمورية ، وقد تلاعب فيها بالمعانى وجال فى فنون القول كل مجال

كان عصمت باشا مندوب الأتراك فى مؤتمر لوزان ، وكان رجلاً ضعيف السمع لا يصل إليه الصوت إلا بالصياح ، فجمله شوقى :

أصمّ يسمع سر الكائدين له ولا يضيق بجهر المحنق الصخب

والذى يقرأ أخبار الحرب فى هذه الأيام يرى الانسحاب يوصف بالجمال ، وقد سبق شوقى لغة هذه الأيام فقال فى انسحاب اليونان :

جدّ الفرارُ فألقى كل معتقل قناته وتخلّى كلُّ محتقب
يا حُسنَ ما انسحبوا فى منطقٍ عجَب تُدمى الهزيمةُ فيه حُسْنَ مُنسحَب

وكان ساسة اليونان منّوا شعبهم بمملكة جديدة فى بلاد الترك ، فقال شوقى :

هم حسّنوا للسواد البُله مملكةً من لِبدة الليث أو من غِيله الأشِبِ
وأنشأوا نزهةً للجيش قاتلةً ومن تنزه فى الآجام لم يؤب

وكان الدكتور طه حسين كتب مقالاً فى جريدة الاتحاد أراد به التهوين من شأن هذه البائية ، فهل ينظر فيها من جديد ليعرف أنه كان من المخطئين ؟

رحالة الشرق

وهذه قصيدة عينية قالها شوقى فى تكريم الرحالة محمد حسنين باشا ، وكان استكشف واحتفى فى الصحراء اللوبية ، ويضيق المقام عن شرح ما فى هذه القصيدة من أغراض ، ومع هذا لا يفوتنى أن أدل الطلبة على سجية شوقى فى الجنوح إلى التأمل العميق من حين إلى حين . وهل وازنَ أحدٌ بين الصحراء والحياة على نحو ما وازَنَ بينهما شوقى إذ يقول :

كم فى الحياة من الصحراء من شَبَهٍ كلتاهما فى مفاجاة الفتى شَرَعُ
وراء كل سبيل فيهما قَدَرٌ لا تعلم النفس ما يأتى وما يدع
فلست تدرى وإن كنت الحريص متى تهب ريحاهما أو يطلُع السبُعُ
ولست تأمن عند الصحو فاجئةً من العواصف فيها الخوف والهلع
ولست تدرى وإن قدرت مجتهداً متى تحط رحالاً أو متى تضع
ولست تملك من أمر الدليل سوى أن الدليل وإن أرداك متبَع

والبيت الأخير من ونبات الجهال

* * *

أما بعد فهذه كلمات سريعة بددت بها ساعات من الطريق بين القاهرة و « المنية » ولن أنظر فيها بعد ذلك ، فليتلقها القارىء على هواه ، بالحمد أو باللام ، وهل يكلف الله نفساً فوق ما تستطيع ؟

أثنيتُ على شوقى مرات وأنا أراجع الشوقيات ؛ ثم لمتُه مرة أو مرتين !

لقد أشرف بنفسه على طبع الجزء الأول والثانى ، فما كان ضرّه لو أرّخ جميع القصائد ، ونصّ على جميع المناسبات ليتمثل القارئُ صور البواعث الروحية أو السياسية ؟

قصائد شوقى تمثل معضلات عصره أصدق تمثيل ، ولكن القراء لن يروها خليقة بهذا الوصف إلا إذا شُرحتْ مناسباتها بإسهاب ، فأين من ينهض بهذا الواجب قبل أن تنسى تلك المناسبات ؟

ثم أقول إن الشوقيات زادت إيمانى بمجد بلادى ، فقد امتطيت القطار وأنا متخوّف من ضجر الطريق ، وما هى إلا لحظة حتى كانت الشوقيات وحياً يهتف بأن كل بقعة من أرض مصر معهد مجد أو محراب فتون

ليت شعرى والدهر حرب بنيه وأياديه عنـــدهم أفياء
ما الذى داخلَ الليالى منا فى صبانا ولليـــالى دهاء

فى هذه اللحظة أشعر بالندم على أنى ركبت القطار السريع ، ولم أركب القطار « القشّاش » ، وهو القطار الذى يقف على جميع المحطات ، ويباع فيه القصب والبرتقال بسخاء ؟ !

وما أسعد من يمر بالقطار على جميع المحطات المصرية ، وقد بلغ عددها (٥٣٢)

يمر القطار السريع على قرى الصعيد مرور الطيف ، فلا يكاد المسافر يتذكر أن كل قرية من تلك القرى فيها أرواح وقلوب ، ولأهلها تاريخ أو تواريخ

هذه منارة تدل على مسجد ، فأين من يذكر أن مساجد الصعيد كانت لها أياد بيض فى حفظ العلوم الإسلامية ؟

وذلك فلاح يناجى الأرض مناجاة الحبيب للحبيب ، فأين من يذكر أن الفلاح المصرى قد يكون أخوف الناس من الله ، ثم لا تمنعه تقواه من انتهاب شبر أو فتر من أرض الجيران ؟

وهل يستطيع أحدٌ أن يقنع الفلاح المصرى بأن الجنة أجمل من أرضه الغالية ؟

ذنبُك مغفور — أيها الفلاح — فاعص الله كيف شئت فى انتهاب أرض جيرانك ، فذلك شاهد بأنك تقدر نعمة الله على أهل هذه البلاد !

ثم ماذا ؟ ثم أذكر أن هذا الكلام يخرج عن موضوع هذا المقال ، وأنى سأصل إلى « المنية » بعد لحظات ، وأن التمادى فى الثرثرة أمرٌ غير مقبول !

وما ذنبى إذا فتنتْنى بلادى ؟

أمِنَ الإثم هُتاف بالجمال فى بلادٍ كلٌّ ما فيها جميلْ
لو بعينى نظر اللاحى وجال لرأى الفتنــة فى كل سبيل

حار الناس فى تعليل التفاوت بين شوقى وحافظ ، لعرفانهم بأن حافظ كان أذكي من شوقى بمراحل طوال ، فهل آن لهم أن يعرفوا أن شوقى تقدم لأنه كان من أكابر المُلاّك فى هذه البلاد ، وأن حافظ تخلّف لأنه بشهادة نفسه لم يملك من أرض مصر نصف فدان ؟

ما أنا وهذا الكلام ؟ هذه ثرثرة لا تليق برجل منّ الله عليه بركوب قطار الصعيد ، وهو قطار يساير نهراً بين جبلَيْن ، وتلك حال توحى بإعزاز السرعة والقسوة واللين ، ومن هذه العناصر الثلاثة يتكون جسر الخلاص ؟

أحبك — يا وطنى — أحبك أحبك بأعظم مما أحبك مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول

أحبك — يا وطنى — وأستعذب عذابى فيك ، لأنك فى عينى وقلبى غاية فى روعة الجمال

لم يُعان أحدٌ من الظلم فى وطنه مثل ما عانيت ، فما زادنى ذلك الظلم الأثيم إلا عرفاناً بجمال وطنى . وهل رأيتم جميلاً غير ظلاّم ؟ ؟

(قطار الصعيد فى ٤١/١٢/١٧) زكى مبارك

مظاهر النظام التجارى النازى

للأستاذ فؤاد محمد شبل

إن دراسة طرائق ألمانيا التجارية أمر من الأهمية بمكان ، إذ يقودنا إلى تفهم أساليبها فى السيطرة الاقتصادية على وسط أوربا والبلقان التى تهمها النفوذ السياسى . كما نعتبر هذه الأساليب أهم جانب يشرح لنا النظام الجديد فى أهم صوره العملية ، ويظهر للعالم ما ينتظره من ورائه وما يتوقعه من تطبيقه من إلغاء حرية التعامل وتقييد التبادل تقييداً غير محدود المدى ، وتدخل الدولة فى كل ما جل ودق من شؤون الفرد . وسيظهر لنا تحليل السياسة التجارية التى اتبعت فى فترة تولى النازى أزمة حكم ألمانيا أن هذا النظام معناه تسخير الشعوب لمد ألمانيا بما يعوز صناعاتها من المواد الخام ، فضلاً عن إلغاء جميع الأوضاع النقدية المقررة التى ألفها العالم واطمأن إليها ، كما يبين لنا شرح هذا النظام مدى مسؤوليته عن الحرب الحاضرة

١ — تقييد حرية نقل الأموال

يعتبر عام ١٩٣١ السنة التى ولد فيها نظام التحكم فى التجارة الخارجية الذى كانت الغاية المرجوة منه الحيلولة دون سحب القروض الأجنبية من ألمانيا التى كانت دعامة ترتكز عليها قيمة المارك فى الخارج . ولما تولى النازى أزمة الحكم فى ألمانيا ، هرعت رؤوس الأموال الأجنبية فيها إلى الخروج منها حتى بلغت قيمة ما سحب منها ٥ر٤ مليار ريشمارك فى المدة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ . هنا صدر مرسوم يقيد نقل الأموال التى يحصل عليها الأجانب من استثماراتهم داخل ألمانيا ، وخول للمدينين الألمان التخلص من التزاماتهم تجاه الخارج بإيداع قيمتها ماركات فى حساب خاص فى برلين . على أنه استمر تحويل الفوائد والأقساط المستحقة لقرض (داوز) والفوائد المستحقة لقرض (يونج) . أما أقساط الاستهلاك للقروض الأخرى ، فقد أوقف صرفها ، ودفعت نصف الفوائد المستحقة لها ، تخصم بالعملة الأجنبية إلى نهاية سنة ١٩٣٣ . أما الفوائد غير المحولة ، فإن الدائنين الأجانب منحوا سندات فى مكنتهم بيعها لبنك خصم الذهب ليحصلوا مقابلها على العملة الأجنبية . بيد أن هذا البنك لم يكن ليقبل شراء هذه السندات إلا بنصف قيمتها الأسمية ؛ أما النصف الآخر فكان يستخدمه البنك المذكور لإعانة الصادرات التى يؤمل الحصول — عن طريقها — على النصف الذى يحول . فكان الدائن الأجنبي يخسر من هذه العملية ربع الفوائد المستحقة له . ولقد جلبت ألمانيا فى هذا الحين على نفسها السخط من جراء تنظيمها التحكمى للنقد الأجنبي ، وسماحها بوجود عدد من فئات الماركات تعمل فى درجات مختلفة من الخصم ، إلا أنها كانت تبرر هذه الإجراءات بأن الدول الدائنة ترفض أن تقبل ديونها بضائع

وفى صيف عام ١٩٣٤ أصبح التبادل الألمانى الخارجى فى أسوأ الحالات ، فعلى حين كانت الواردات الألمانية فى ازدياد ، كانت الصادرات فى هبوط . فقاد هذا بالطبع إلى تواصل الضغط على الذهب وعلى العملة الأجنبية التى بها تدفع ألمانيا ديونها للخارج ، فأصبح من المتعذر عليها الاستمرار فى عمليات التحويل وفقاً للأساس السابق مما دعاها فى يونية ٩٣٤ إلى إيقاف صرف الفوائد المستحقة عليها بالعملة الأجنبية وعرضت على الدائنين الأجانب سندات أجلها عشر سنوات بفائدة ٣ ٪ . فأسرعت البلاد الدائنة إلى المفاوضة مع ألمانيا للحصول على شروط أسخى ؛ وكثير منها قبل عقد اتفاقات مقاصة لتسوية ديونه ، وهذه الاتفاقات كان أثرها مزدوجاً فزادت صادرات ألمانيا إلى البلاد التى قبلتها وزادت صادراتها هى إلى ألمانيا

ولقد كان النظام المتبع فى الاستيراد منح المستوردين الألمان حصة من العملة الأجنبية بقيمة ما استوردوه فى عام ١٩٣١ . إلا أن هذه الحصة هبطت فى فبراير ١٩٣٤ إلى ٥٠ ٪ منها ؛ وفى مايو من نفس السنة أصبحت ٥ ٪ وأخيراً غدت تقدر يوماً بيوم طبقاً لنظرة بنك الريخ وخطته إزاء العملة الأجنبية

٢ — نظام المقاصة الفردية

فى سبتمبر ١٩٣٤ أعلن الدكتور شاخت وزير الاقتصاد

منهاجاً جديداً للتجارة الخارجية ، فألغى نظام الحصص السابق واستعيض عنه بنظام يقوم على الحصول على شهادة قبل إجراء كل عملية تتعلق بالتبادل الخارجي . وتنفيذاً لهذه الفكرة أنشئت سبع وعشرون إدارة تمثل سبعاً وعشرين صناعة أو مادة أولية ؛ وهذه الإدارات أصبحت المسئولة عن إعطاء تصاريح الاستيراد وعن تقرير لأى البلاد أو لأى السلع تستخدم هـذه التصاريح . ولهذه الإدارات إشراف على الصادرات كذلك

واقد أظهر التطبيق العملى للسياسة الجديدة مدى قيامها على المتاجرة الثنائية ومبادلة السلعة بالسلعة . كما أنشأت نظاماً متشابك النواحى لاتفاقات المقاصة الفردية التى تمثلت فى طرائق ثلاث نشرحها على الوجه التالى :

مدار الطريقة الأولى أن المستورد الألمانى الراغب فى شراء سلع من الولايات المتحدة مثلاً يسعى للعثور على مصدر ألمانى يريد بيع سلع للولايات المتحدة ، ولكنه لا يستطيع الحصول على ثمن ما باعه الذى يبلغ بسعر الصرف س ٪ (مثلاً) أكثر من السعر العالمى . فعلى المستورد الألمانى أن يدفع الـ س ٪ هذه وبذلك يمكن المصدر من تقبل السعر العالمى لسلعته . وفى مقابل الحصول على هذه الـ س ٪ يقبل المصدر الألمانى التنازل عن حقوقه فى النقد الأجنبى الذى يحصل عليه من بيع بضاعته إلى الولايات المتحدة . ولما كان قد دفع علاوة س ٪ للمصدر فإنه يتقاضاها برفع سعر السلعة داخل ألمانيا . ومن الواضح أن مقدار الإضافة سالفة الذكر (س ٪ فرضاً) تتغير بتغير العلاقة بين مستوى الأثمان فى الداخل والخارج كما يتعلق بطبيعة السلعة المستوردة ومدى الطلب عليها

والشكل الثانى الذى اتخذه نظام المقاصة يجرى على النسق التالى : مستورد ألمانى (ا) يرغب فى الحصول على سلعة من مصدِّر إنجليزى (ب) . فإنه يعرض عليه إضافة فى السعر الذى يشترى به زيادة عن السعر العالمى للسلعة المشتراة . والمصدِّر الإنجليزى بدوره — لضمان حصوله على ثمن سلعته — يبحث عن مستورد إنجليزى (جـ) على استعداد أو يمكن ترغيبه (بإعطائه جانباً من الإضافة المذكورة آنفاً) لشراء السلعة التى يصدرها مصدِّر ألمانى آخر (د) . وتتم العملية كلها بحدوث المقاصة بين (جـ) و (ب) بالاسترلينى وبين (ا) و (د) بالريشمارك !

الشكل الثالث للمقاصة هو نظام ماركات الأسكى ، ومضمونه أن المصدر الأجنبى الذى يبيع سلعته لألمانيا يتقاضى نظيرها اعتماداً بماركات الأسكى . وهذا النوع من الماركات يمكن بيعها — بخصم كبير — لمستورد السلع الألمانية . وبهذا يستطيع أداء ما اشتراه من ألمانيا بهذه الماركات . ولما كانت ماركات الأسكى هذه لا يتأتى بيعها إلا بعد دفع جانب منها . فكان المصدِّر الأجنبى يدخل فى حسبانه هذا الأمر فيزيد ثمن سلعته بما يحقق له الحصول على الثمن الأساسى . هذا وقد خصص لكل قطر نوع خاص من ماركات الأسكى

٣ — مساوئ نظام المقاصة

العيب البارز فى سياسة المقاصة كما ظهر تطبيقها فى ألمانيا هو تعقد أوجهها وتشابك مناحيها وعظم تكاليفها ، عوامل كان لها أثر بالغ فى الحد من تقدم تجارة ألمانيا الخارجية . يضاف إلى ذلك أن تقييد الواردات مع زيادة الطلب على المواد الخام قد حتم تقييد توزيع هذه المواد داخل ألمانيا ، وتطبيق اتفاقات المبادلة والمقاصة فى تجارة ألمانيا الخارجية معناه تقليل نصيبها من القطن الأميركى والصوف الاسترالى وغير ذلك من حاصلات البلاد التى تعتنق مبدأ حرية التبادل . وفى كثير من الحالات كان التباين كبيراً بين المواد الأولية موضوع المقاصة والمواد التى تتطلبها حاجات الصناعة . وهذا ما ظهر أثره واضحاً فى صناعة المنسوجات الألمانية بسبب احتياجها إلى المواد الخام واختلاف نوع المواد المستوردة عن المطلوبة من الجهة الأخرى .

وأخيراً فإن تقرير سياسة القيمة الإسمية للمارك فى الخارج جعل أسعار الجملة الألمانية أعلى من مثيلاتها فى الخارج فأصبح من الضرورى إعانة حركة الصادرات بشتى الوسائل . وهذا ما تحقق بفرض ضريبة على الصناعة بلغت فى عام ١٩٣٥ حوالى الألف مليون مارك أى من ربع إلى خمس القيمة الأسمية للصادرات الألمانية فى هذه السنة . وقد حاول الاقتصاديون الألمان تبرير هذا الإجراء بقولهم إنه تدبير اتخذ لمجابهة هبوط العملات الخارجية ولا يقصد به إغراء الأسواق الأجنبية بالبضائع الألمانية .

وإزاء هذه العيوب الخطيرة عمدت الحكومة الألمانية إلى تثبيت مستوى الأسعار فى داخل ألمانيا ، ومنع تصدير رؤوس الأموال منها على نطاق واسع ، وذلك بأن لا تستورد إلا ما تستطيع دفعه مما تحصل عليه من صادراتها ، وأن توجه صادراتها إلى تلك الأقطار التى تتقبل بضائعها ، والتى ألمانيا فى حاجة إلى منتجاتها . وتنفيذاً لهذه السياسة أنشئت شبكة من الإدارات لا تشرف على الواردات فحسب ، ولكن على تنظيم حركة المواد الأولية داخل ألمانيا أيضاً

٤ — الميزان التجارى

حققت سياسة توجيه التجارة والإشراف عليها الغاية المرجوة منها من توازن ميزان ألمانيا التجارى ، فبينما نتج عن عام ١٩٣٤ عجز فى ميزان ألمانيا التجارى قدره ٢٨٤ مليون ريشمارك أسفر عام ١٩٣٥ عن موافقة الميزان التجارى لها بنحو ١١١ مليون ريشمارك ، وصعد هذا الرقم إلى ٥٥٠ مليون ريشمارك فى عام ١٩٣٦ ، وتعزى هذه النتيجة أساساً إلى تقييد الواردات التى هبطت فى عام ١٩٣٦ عن مثيلتها فى عام ١٩٣٤ بنحو ٢٣٣ مليون ريشمارك . ويلاحظ تغير فى نوع السلع المستوردة فى عام ١٩٣٦ عن تلك فى عام ١٩٣٤ ، فقد زاد المستورد من المواد الغذائية قليلاً فشغلت ٣٦٫٦ ٪ من مجموع الواردات فى عام ١٩٣٦ مقابل ٣٤٫٦ ٪ فى عام ١٩٣٤ . أما المواد الأولية ونصف المصنوعة فقد شغلت ٥٥ ٪ فى عام ١٩٣٦ مقابل ٥٢٫٤ ٪ فى عام ١٩٣٤ فى حين هبطت نسبة الوارد من البضائع التامة الصنع من ١٢ ٪ من مجموع واردات ١٩٣٤ إلى ٩٫٤ ٪ من واردات ١٩٣٦ كما كان هناك تغير ملحوظ فى واردات ألمانيا . فقد زادت وارداتها من البلاد المجاورة لها وخاصة أوربا الجنوبية الشرقية وأميركا الجنوبية بينما هبطت وارداتها كثيراً من الولايات المتحدة واستراليا وفرنسا وهولندا وروسيا

أما الصادرات فقد زادت فى عام ١٩٣٦ عن مثيلتها فى عام ١٩٣٤ بنحو ٦٠٠ مليون ريشمارك ، وتعزى هذه الزيادة إلى حد كبير إلى انتعاش أحوال التجارة العالمية كما يرد جانب منها إلى إعانة التصدير التى أشرنا إليها ، وإذا ما علمنا أن ثمن واردات ألمانيا قد ارتفع بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ بمقدار ٨٫٣ ٪ بينما هبط ثمن صادراتها فى نفس المدة بمقدار ٨٫٢ ٪ فأدركنا أن التبادل التجارى بمعناه الصحيح لم يكن موافقاً لها ، مما جعل مركزها التجارى يزداد صعوبة ، ولم ينتج الفائض فى الميزان التجارى فى عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ لألمانيا إلا حظاً ضئيلاً إذ كان عليها أن تدفع فوائد ديونها الخارجية التى ارتفعت فى عام ١٩٣٥ إلى ٥٥٠ مليون ريشمارك بسبب بعض اتفاقات المقاصة مع فرنسا ويوجوسلافيا بصفة خاصة

ولقد زادت واردات ألمانيا من ٤٫٢ مليار ريشمارك فى عام ١٩٣٦ إلى ٥٫٥ مليار ريشمارك فى عام ١٩٣٧ وصادراتها من ٤٫٨ مليار إلى ٥٫٩ مليار . وبلغت زيادة صادراتها عن وارداتها ٤٤٣ مليون ريشمارك فى عام ١٩٣٧ مقابل ٥٥٠ مليون ريشمارك . وبهذه الزيادة فى الصادر والوارد استطاعت ألمانيا أن تساهم فى حركة الإنعاش العامة للتجارة الدولية فى عام ١٩٣٧ . بيد أن التبادل التجارى ظل فى غير مصلحتها بالنظر لزيادة أثمان وارداتها بمقدار ١٠٫٢ ٪ فى حين زادت أثمان صادراتها بنحو ٣٫٦ ٪ فحسب وكان الميزان التجارى غير موافق لألمانيا فى عام ١٩٣٨ نظراً لهبوط معدل صادراتها من جهة وزيادة وارداتها من المواد الخام التى عملت على تخزينها استعداداً للحرب . ومن الحرى بالذكر أن صادرات ألمانيا تتكون غالباً من المواد التامة الصنع التى تكون السلع الإنتاجية فيها نسبة كبيرة جداً وبالتالى فهى أكثر تأثراً بالأزمات الاقتصادية من الصادرات البريطانية مثلا الأكثر تغيراً وشمولاً

وفى مقال تال سنشرح اتجاهات التجارة الألمانية قبل الحرب وطرائق التوسع التجارى الألمانى .

فؤاد محمد شبل
مفتش تموين الاسكندرية

علماؤنا يعودون إلى المجتمع

لأزهري كبير

... وأخيراً حققت الآمال العظيمة التي طمح إليها دعاة الإصلاح في مصر والشرق الإسلامي ، وتوّج هذا الجهاد الحافل بالفوز والتوفيق ، فأنصت الأزهر لهذه الدعوة الصارخة ، وآمن بها ، وأخذ يضيف إلى تاريخه التليد صفحات طريفة مجيدة . فمنذ أسابيع قرأنا أن عضواً بارزاً من جماعة كبار العلماء قدم إلى الجماعة اقتراحاً جديداً تشيع فيه الرغبة الصادقة في توجيه الثقافة في هذه الجامعة العظيمة وجهة جديدة صالحة تجمع بين أمرين عظيمين :

الأول : بعث روح الإنتاج العلمي ، والاضطلاع بأعبائه في شتى فروع الثقافة الدينية .

الثاني : العناية بشئون المجتمع ، وبحث مشكلاته الخلقية والاجتماعية والاقتصادية وبيان موقف الدين الإسلامي حيالها .

ثم علمنا أن هذا الاقتراح يشق طريقه نحو التنفيذ ، فأيقنا أن الأزهر مصمم على السير إلى أبعد غايات الإصلاح ، مؤمن بتوفيق الله ورعايته .

ولا يخالجنا شك في أن الجماعة – وقد ضمت عناصر جديدة ممتازة – ستظفر بتحقيق هذه الآمال ، وستكتب في تاريخ الأزهر الحديث أروع الصفحات . وليس هذا على الجماعة بكثير فقد عني بها الأستاذ المراغي عناية كريمة فآثر بعضويتها أولى الكفايات من العلماء الحريصين على مسايرة الحياة إلى أسمى غاياتها ، وتوجيه الحياة الاجتماعية بنور الدين وهدايته .

إن المجتمع في حاجة إلى الأزهر ، والأزهر في حاجة إلى المجتمع ، ولا ريب في أن اتجاه علمائنا نحو المجتمع وبحث شئونه ومشاكله ستجعل الناس على بينة من دينهم ، وتهديهم إلى سبل الخير والفضيلة والرشاد .

لقد مضى زمن الجدل العقيم في العقائد ، والبحث النظري في القشور دون اللباب ، وسئمنا الكلام في المياه التي يجوز بها التطهير والتي لا يجوز ، وفي إثبات كرامة الأولياء ونفيها ، وفي طبقات السماء أمن فضة هي أم من ذهب ، إلى غير ذلك ؛ وها نحن أولاء نشاهد إشراق عهد جديد يشارك فيه علماؤنا الناس ، وينزلون من عزلتهم التقليدية إلى حيث يسير الناس وتتحرك الحياة ، ويضعون شئون المجتمع ومشاكله نصب أعينهم ، ويقفون منه موقف الناصح الأمين .

ولعمري لقد ملأ الإيمان قلوب الناس ، بل وعقولهم يوم كان الدين روحاً وعقيدة وخلقاً وعملاً . ولم يمتحن المسلمون بأعظم من الجدل في العقيدة والخلاف في الدين ، حتى انحلّ ما كان معقوداً من ألفتهم ، وخمد ما كان متأججاً من روحهم . ولقد ظهر الغزالي في عصر مفعم بالفتن والاضطرابات والجدل والخلاف ، فدعا الناس إلى دين الله بلغة العاطفة والقلب حين رأى الدعوة إليه عن طريق الخصومة والجدل داعية فتنة وثائرة ضلال ؛ ولكن الغزالي يئس من المجتمع لأنه كان يود أن يراه مجتمع ملائكة أبرار لا مجتمع شياطين أشرار ، فزهد في الحياة ، وعزف عن المجتمع ، واعتزل الناس ، إيثاراً لسلامة الدين والنفس وبعداً عن شرور المجتمع وسيئاته ؛ وقلده في مذهبه الاجتماعي أصحابه ومريدوه ، فظلت تلك الروح نزعة لعلمائنا حتى العصر الحديث .

ولقد كانت أسمى غاية للأستاذ الإمام محمد عبده من إصلاح الأزهر أن يحمله على الاندماج في المجتمع ، والتغلغل في أعماقه ، والسمو به – عن طريق الإرشاد والتهذيب الديني الصحيح – إلى أبعد ما يستطاع من غايات ؛ وكان يريد من وراء ذلك أن يذكي في الأمة الإسلامية روح القوة والفضيلة ، وأن يدفع بها إلى الحياة الكريمة العزيزة ، لتستطيع أن تذود عن حريتها ، وتحافظ على تراثها المسلوب ، وحتى يتسنى لها – إذا تابعت السير في هذا المضمار – أن تستعيد ما كان لها من مجد باذخ

وجلال قديم ، فنسير فى قافلة الحياة البشرية داعية خير وهدى وسلام . ولقد أبى الأزهر حينئذ أن يستجيب لدعوة الأستاذ الإمام ، وآثر أن يعيش فى ظلام الجمود والحيرة عزوفاً عن الجديد الذى كان يؤمن بأنه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ...

وبعد ربع قرن من وفاة الأستاذ الإمام تكشفت غيوم الحيرة ، وخضدت شوكة الجمود وحماته ، وألقيت مقادة الأزهر فى يد تلميذ من تلامذة الإمام ، فأخذت دعوته طريقها إلى قلوب الأزهريين وعقولهم ، وسرت فى الأزهر روح جديدة ، وأيقن رجالاته بضرورة الإصلاح ، وإن اتجهوا فى ذلك وجهات مختلفة متباينة ...

فليعد علماؤنا إلى المجتمع حاملين فى ظلمات الحياة الاجتماعية نور الدين وهدايته ، ناشرين فى ضلال الحياة الإنسانية دعوة الله ورسالته ، هادين الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم ...

(باحث)

بحث مقارن

الوضع الاجتماعى للمرأة فى الإســلام

للأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

(٦) الدين الإسلامى قد قرر استقلال المرأة بمالها وبحريتها فى حدود معقولة لا حرج فيها ولا تضييق . فالمرأة المسلمة تعتبر من الناحية القانونية الشرعية حرة فيما تملك من مال وعقار ، لا يمنعها مانع من التصرف بأى نوع من أنواع التصرفات ، ويجرى عليها فى ذلك ما يجرى على الرجل سواء بسواء ، وهما أمام القانون سواسية كأسنان المشط مهما كانت درجة قرابتها به ، وانتسابها إليه ، كما أنه ليس لزوجها أن يطلع على أسرارها إلا إذا حدث منها ما يوقعه فى الشبهة ، ولا يسافر بها إذا شرط لها أن لا يخرجها من بلدها

(٧) وقد ترفق الدين الإسلامى بالمرأة بما يتناسب وكرامتها وعفتها ، وظروفها الاجتماعية ، ولها فيه أحكام خاصة بها من طهارة ، وصلاة ، وصيام ، وحج ، وزواج ، وطلاق ، وجهاد ، وشهادة وحداد ، وكل ما يتصل بشئونها

(٨) والمرأة فى الإسلام غير مكلفة بتعلم ما لا حاجة لها به فى دينها وبيتها الذى ألقيت إليها مهمة إدارته وتدبير شئونه كلها على أحسن وجه . وليس لولى أمرها أن يلزمها طلب القوت ، وإذا كانت لا عائل لها فلا يمنعها من أن تتعلم ما تريد لا لتنافس الرجال ولكن لتعيش . وتحبيبا لها فى وظيفتها التى هيأتها الطبيعة لها قال رسول الله (ص) مخاطباً النساء جميعاً : « مهنة إحداكن فى بيتها تدرك جهاد المجاهدين إن شاء الله » . ولعلى لا أجاوز الصواب إذا قلت إن تعليم المرأة علوم الرجال يفسد أنوثتها فساداً لا يمكن إصلاحه ، ولا حتى تخفيف آثاره . وإذا كانت حياتنا الاجتماعية المضطربة قد سمحت لنفر من الكتاب المنافقين أن يضللوا المرأة ، ويخدعوها ، ويحرضوها على الالتواء عن وظيفتها الطبيعية وعلى أن تلج أبواب الجامعة والمدارس العالية حباً فى العلم ذاته فإنهم بذلك يقولون بألسنتهم ما لا يؤمنون به فى قلوبهم . فهم أنفسهم الذين عادوا ، بعد إذ لبت المرأة دعوتهم تحت تأثير إغرائهم ، يصرخون مما ترتب على تلك الحال من مآس موجعة ، وضلال كبير ، وينذرون المجتمع بالويل والثبور ! وبجوار هؤلاء الداعين الزاعقين فريق آخر يتظاهر بالرصانة ولكنه لا يقل عنه خطراً إذ يهدئ الروع كذباً ، ويطمئن النفوس عن غش وملق ، ولو كشفت عن نية هذا الفريق الأخير لوجدت أن ما يقصده هو أن الذى يفزع منه الناس اليوم سيصير فى اعتقاد الجيل القادم شيئاً عادياً ، لا شىء فيه ، وهو تطور حقيق فى نفسية الشعوب ! وليس أدل على صواب العقيدة الإسلامية وبعد نظر الإسلام من أقوال بعض أساطين أوربا ودهاقينها فى كل العصور . فقديماً قال نابليون العاهل الفرنسى العظيم « إن التعليم العام لا يتفق وطبيعة المرأة لأنها لم تخلق لتعيش بين الجماهير ؛ فإن الزواج وتدبير شئون البيت مما أجمل ما تحلم به كل امرأة غير شاذة » . وقال حكيم أوربى « إن أماً صالحة لخير من مائة معلم » وقال فيلسوف فرنسى « إنى لا أعترض على زوجة جارى إذا رأيتها تحرق رأسها وتمزق أعصابها فى الكتابة والتأليف ، ولكنى أريد من زوجتى ألا تعرف سوى حياكة

الملابس وإتقان طهى الطعام » . وما أبلغ قول من قال منهم إن المرأة التى تقلد الرجال ترتكب خطأين فى وقت واحد ؛ فهى تزيد عدد الرجال الآثمين ، وتنقص عدد النساء الصالحات ! »

ومن الغريب أن وزارة المعارف تتجاهل فيما تتجاهل هذه الحقيقة ؛ فهى لا تهتم بتهيئة الفتاة للقيام بوظيفتها الطبيعية اهتمامها بحشو رأسها الصغير بعلوم لا حاجة لها بها ، وتجعلها مغرورة بنفسها ، غير ملمة بمهمتها الأصلية وهى « البيت » أولاً وآخراً . فالفتاة التى تقتصر على التعليم الابتدائى أو الأولى لا تدرى قليلاً أو كثيراً من ذلك البيت الذى ينتظرها ، والزوج الذى يحلم بها . وتشارك كما فى ذلك أختها التى تلج أبواب الجامعة . أما المدارس التى تلقن الفتيات التدبير المنزلى ، أو الثقافة النسوية فهى قليلة ، ولا توجد إلا فى مدن تعد على أصابع اليد . ووزارة المعارف ترتكب بذلك ، ولا شك ، فى حق أمهات المستقبل خطأ لا يغتفر !

٩ — ولما كان الله قد اختار لكل دين خُلقاً فقد جعل خلق الإسلام الحياء . والله سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك عبثاً ، فعصمة المرأة فى حيائها ، وخروجها عن ذلك الحياء يكلفها الكثير من التضحيات المرة التى لا قِبَل لها بها . فالمرأة التى تبدو فى الطريق شبه عارية ، وتخالط الرجال فى المجتمعات الصاخبة مخالفة للحياء وموقظة للفتنة النائمة . وذلك لأن المرأة بحكم طبيعتها مثار إعجاب الرجال ، ومحط أنظارهم ، وهدف اهتمامهم مهما تنكرت ، وهى مزهوة بذلك مهما أنكرت ! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فإنه إذا كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى ليس له دواء » وقال : « والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما » . وسأل يوماً إحدى بناته : « أى شىء خير للمرأة ؟ » فقالت : « ألا ترى رجلاً ، وألا يراها رجل » فضمها النبى إلى صدره وقال : « ذرية بعضها من بعض » . والدين الإسلامى بتشدده فى المباعدة بين النساء وغير محارمهن من الرجال لا يريد بذلك أن يحجر على حريتها ، ولا أن يحرم عليها التمتع بمباهج الحياة جميعاً ، وإنما يبغى صونها من كل سوء لأن سمعتها تتأثر من كل شىء . والذين يخدعونها عن هذه الحقيقة لا يرحمونها إذا علق بها أقل شك ، أو لحقت بها أدنى ريبة ! وليس المخلوق أرحم أو أعلم بالمرأة من خالقها الذى صنعها . والدليل على ذلك كثرة حوادث الطلاق بين الطبقات أو الأسر التى لا تبالى بتقاليد دينها ، وتركت الأمر فوضى بين أفرادها . وإلا فليذكر لنا أولئك السادة أى شىء أفادته المرأة المسلمة من تمزيق نقاب الحياء ، وهجرها لبيتها ، واختلاطها بالرجال؟ وليقارنوا مقارنة بسيطة بين مركزها الاجتماعى على هذه الحال ، ومركزها الاجتماعى الذى حدده لها الدين !

وعليه فليس فى التزام المرأة المسلمة لبيتها ، وعدم اختلاطها بالرجال الأجانب عنها خمول ولا ذلة ولا حرمان من مباهج الحياة وإنما فيه انصراف إلى واجبها ، ومحافظة على سمعتها ، وتعفف عما يؤذى كرامتها ومستقبلها . وفى حدود حريتها المعقولة تستطيع أن ترقى ، وتتذوق متع الحياة ، وتتعلم ، وتأخذ بأساليب المدنية الحديثة الرفيعة .

١٠ — ويأخذ بعض الناس على الإسلام تقريره حق الطلاق أو الخلع وتعدد الزوجات . وهم لو علموا حكمتهما وقيودهما لأدركوا أى ضمان وضعه الإسلام بذلك لتقوية أركان الأسرة ، وسلامة بنيان المجتمع .

قال الله تعالى : (الطلاق مرتان، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) وقال : (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) . وقد ورد فى القرآن الكريم آيات أخرى تدل كلها على مشروعيته . أما عن السنة فقد روى أن النبى طلق إحدى زوجاته ثم راجعها . وقد طلق فريق كبير من الصحابة نساءهم ، منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

وقد شرع الطلاق للتخلص من رابطة الزوجية عند تباين الأخلاق ، وعروض البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله بحيث يفوت الغرض المقصود من الزواج وينقلب مضرة . فالناس مفطورون على التمايز والاختلاف فى وجوه الرأى ، ومجبولون على الحب والبغض . والزواج قبل كل شىء هو اندماج رجل وامرأة اندماجاً كلياً بقصد التعاون على الحياة . ولما كان من المستحيل أن يندمج كل رجل مع كل امرأة ، كما أنه ليس من الميسور أن يتعرف كل رجل على المرأة التى تناسبه ، فقد جُعل الطلاق والخلع فرصة لكل زوجين أن ينفصلا عند ما يكون الانفصال أمراً لازماً حتى لا يتحرجا من الوقوع فى المحظور ، فضلاً عما تجلبه العشرة الإجبارية من شقاء وعذاب لا حد لها .

والزواج عقد يجب أن تصان فيه حرية المتعاقدين الكاملة فى الإنشاء والإلغاء مع تقييدهما بما لا يخرج عن دائرة المنفعة . فإلزام زوجين متباغضين استحكمت بينهما حلقات النفور الوجع

قد يكون ، من الوجهة الاجتماعية والإنسانية والخلقية ، نكبة أكبر من نكبة السماح لهما بالفراق .

ولكن لما كان الطلاق فى حد ذاته مع فائدته ومشروعيته آثار عنيفة ، فقد رتبت الشريعة الإسلامية ما يخفف من حدة هذا الضرر فضلاً عن تزهيدها الناس فى استعمال هذا الحق ، حتى لا يُساء استغلاله وتفوت حكمته . فقد شُرط لإباحة الطلاق قيام الحكمة التى دعت إلى تشريعه ، فإذا لم تقم كان إيقاع الطلاق محرماً شرعاً . قال الله سبحانه وتعالى : (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) : أى فلا تطلبوا الفراق ؛ وقال الرسول : (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) ؛ وقال : (لعن الله كل ذوّاق مِطلاق) . ويقاس على الطلاق الخلع الذى أبيح للزوجة بمقتضاه أن تفتدى نفسها عنـد ما لا تجد فى الزواج ما كانت تنشده ، فتشعر بالحرج فى البقاء مع زوجها . ويستخلص بعض الفقهاء من ذلك كله أن الأصل فى الطلاق الحظر والإباحة، استثناء زيادةً فى تقييده وتضييق حدوده

وليس أصدق شاهد على ضرورة الترخيص للزوجين بالطلاق أو فصم عرى الزوجية عنـد اللزوم من مخالفة غير المسلمين لشرائعهم ، وتحايلهم على نصوصها فيما يختص بتحريم الطلاق !

ثم إن الشريعة الإسلامية قد جعلت الطلاق آخر حل ينتهى إليه الزوجان ، فقد أشار الله تعالى بالتحكيم بين الزوجين فيما يقع بينهما من الشقاق ، حتى إذا لم يفد ذلك ، كان الطلاق على يد جماعة من أهله وجماعة من أهلها ؛ وفى ذلك نزلت الآية الكريمة : (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا) ؛ وقد أسلفنا قول عمر بن الخطاب عن (مجلس التحكيم)

أما مسألة تعدد الزوجات ، فإن أساس تشريعها قوله تعالى فى سورة النساء : (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورُباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) ؛ وقد فسر الفقهاء هذه الآية التشريعية تفسيرات شتى متباينة ، ولكنها تجتمع كلها عند نقطتين بارزتين مهمتين هما :

الأولى : إن التزوج بأكثر من واحدة إلى أربع مباح ابتداء

الثانية : إذا خاف الرجل الجور وعدم العدل بين نسائه إذا تعدّدن ، يحرّم عليه التزوج بأكثر من واحدة

وعلى ذلك يكون الأصل الثانى قيداً للأصل الأول ، وهذا القيد مقصود به منع الضرر الذى ينشأ عن استعمال حق التزوج بأكثر من واحدة . ويتبين ذلك من قوله تعالى : (ذلك أدنى ألا تعولوا) : أى أقرب من عدم الجور والظلم ؛ وهذا يطابق ما تتقيد به كافة الحقوق فى الشريعة الإسلامية

وبالرغم من أنه قيل : إن الحرمة الناتجة عن خوف الجور بين النساء إذا تعدّدن لا يترتب عليها بطلان عقد الزواج شرعاً ، فإن لولى الأمر ديانة أن يراقب استعمال هذا الحق ، ويحول دون استغلاله فى عكس ما قصد منه ، لأن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ، فقد نتج من الإساءة فى استعماله مفاسد جمة .

وقد وضعت وزارة العدل فى سنة ١٩٢٨ مشروعاً لتعديل بعض أحكام الأحوال الشخصية ، اشتمل على تقييد استعمال حق التزوج بأكثر من واحدة بما يتفق وحكمة الشرع وروح نصوصه ؛ وقد تضمنت ذلك المواد الثلاث الأولى من المشروع ، ونصها :

المادة الأولى — لا يجوز لمتزوج أن يعقد زواجه بأخرى ، ولا لأحد أن يتولى عقد هذا الزواج أو يسجله إلا بإذن من القاضى الشرعى الذى فى دائرة اختصاصه مكان الزوج

المادة الثانية — لا يأذن القاضى بزواج متزوج إلا بعد التحرى وظهور القدرة على القيام بحسن المعاشرة والإنفاق على أكثر ممن فى عصمته ومن تجب نفقتهم عليه من أصوله وفروعه

المادة الثالثة — لا تسمع عند الإنكار أمام القضاء دعوى زوجية حدثت بعد العمل بهذا القانون إلا إذا كانت ثابتة بورقة رسمية

وكان المشروع يتضمن مادة أخرى فى هذا الباب حذفت منه أخيراً ؛ وكان نصها : « يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر ، أو بغرامة لا تزيد على عشرة آلاف قرش ، أو بهما معاً المتزوج الذى يخالف حكم المادة الأولى ، وكذلك من يتولى عقد هذا الزواج أو يسجله »

ويبدو من نصوص هـذا المشروع بقانون أن المشرع قد أصاب الهدف الاجتماعى والإنسانى الماثل الذى يرى إليه الدين الإسلامى ؛ فلم يقصد منع استعمال حق وإنما يقصد تنظيمه بما يتفق والحكمة التى دعت إليه . وقد أشارت الوزارة إلى ذلك فى مذكرتها الإيضاحية . وقد قال الله سبحانه وتعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » . وقديماً قال الفقهاء : « إن الزواج عند العجز عن النفقة محرم » . ولكن المشروع السالف الذكر

لم يصدر بسبب مهاجمة بعض العلماء له ، وعدم تهيؤ ذهن الرأى العام الإسلامى لمثل هذا التنظيم الاجتماعى المصرى فى المسائل الدينية وهو ما يسمى (السياسة الشرعية) . وإذا علمنا أن مهاجمتهم للمشروع لم تنصب على ضرورة تقييد حق التعدد وإنما على عدم جواز وضع هذا التقييد بيد الحاكم أو القاضى ، بحجة أنه أمر شخصى اعتبارى من المتعذر تحديده بواسطة الغير . والرأى الأصح الذى يميل إليه جمهرة العلماء المصريين هو أن التعدد ليس حقاً مطلقاً ، وإنما هو حق معلق على قيام سبب يدعو إليه ، وأن الرجل إذا أساء استعمال حق له فإن لولى الأمر أن يحول بينه وبين ذلك بما له من ولاية سد الذرائع اتقاء للضرر قبل وقوعه . وعلى هذا الأساس شرع الحجر على السفيه المبذر . ومن هذا كله يتبين مدى سماحة الشريعة الإسلامية ، والضلال الذى يسير عليه بعض المسلمين والتى هى منه براء

وحق التعدد فى حد ذاته إذا ما استكمل الشروط اللازمة لاستعماله فى الحدود السالف ذكرها ، ليس فيه من الضرر الذى يصوره أعداء الدين الإسلامى ، فقد تدعو إليه ضرورة ماسة ، ويرتفع به حرج يقع على الزوجة إذا طلقت بسبب المرض أو العقم أو غير ذلك من الأسباب التى تجرّ إلى المحظور

النتيجة :

يخلص مما قدمنا أن الدين الإسلامى وضع المرأة من الناحيتين الشخصية والاجتماعية فى أحسن وضع وأرحمه وأعدله وأيسره .

ولا مشاحة فى أن بين المسلمين من أساءوا إلى دينهم بفساد تطبيقهم لنصوصه ، وجود تفسيرهم لروحه ، وأن المرأة المسلمة لو اتبعت أحكام دينها ، وأنصفها الرجل الإنصاف الذى عليه تلك الأحكام لما أصابها حيف ، ولما عاقها ذلك مطلقاً عن رقى صحيح رفيع . فدينها فضلاً عن تقريره لحقوق لا تنالها أخت لها من أى دين وملة جعلها جوهرة بالغ فى صيانتها من كل عبث واستغلال . وإذا كانت المرأة الأوربية قد نالت نصيباً كبيراً من الاحترام بفضل تعليمها فإنها لا تتمتع فى شريعتها ، ولا فى قوانين بلادها بمثل الحقوق الرائعة التى قررها الإسلام . وقد اضطرت إزاء ذلك أن تعوّض ما فاتها من حقوق بالحرية الواسعة النطاق التى حصلت عليها ، والتى لا ضابط لها مما أدى إلى حرج مركزها الشخصى ، وفقدانها ما هو أعز من هذا القدر الزائد من الحرية ، ومما نتج عنه من تفكك عرى الأسرة الأوربية ، وانهيار المجتمع الغربى تفككا وانهياراً كانا الشرارة التى أشعلت لهيب الحرب الدمرة الحاضرة . وأظننى لست بحاجة إلى تذكير حضرات القراء بقول بيتان رئيس الدولة الفرنسية ، بعد سقوط فرنسا الأخير ، ولا بما فعله بعض ساسة أوربا وزعمائها من ردّ المرأة إلى بيتها لتقوم بمهمتها الأصلية ، وتضييق حريتها تضييقاً تمليه مصلحتها الخاصة ، ومصلحة المجتمع عامة إنقاذاً للأسرة والأمة معا .

محمد عبد الرحيم عنبر
مفتش بوزارة الشئون الاجتماعية

قيمـــــة الحرية

للصحافى العالمى ويكهام استيد

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامى

(تتمـــة)

إذا ما غلب على ظن الهيئات المادية من أولئك القوم الذين ينعمون بما لهم من رصيد فى صناديق التوفير أو ممن يحيون حياة طيبة فى أكواخهم أو ممن يهنأهم ما جمعوا أو جمع لهم من طارف أو تليد ، أن ما يبدهم على وشك أن يزول عنهم ، ثم تركت لهم الخيرة بين نظامين أحدهما يضيع على الناس أموالهم وحريتهم ، والآخر يميل إلى الاستبداد بهم والتضييق على حريتهم، لانصرفت رغبتهم إلى ثانى المصيرين ، وفضلوا أن يضحوا بحريتهم فى سبيل الاحتفاظ بأموالهم . وعندى أن هـذه الرغبة هى منبع الضلالة وعماد ما يتهدد الحرية عموماً وحرية الصحافة ضمناً من إرهاب أو طغيان هو أكثر أساليب الاستبداد تضليلاً للعقول البشرية، إذ لو ترك لأمثال هؤلاء الناس أن يدركوا ما سيسوقهم إليه خيارهم من مصير لعرفوا أنهم سوف يندمون على ما صنعوا ولات ساعة مندم . وسوف تتكشف لهم الحقيقة من أن خسارتهم فى حرية التملك لم تكن بأقل من خسارتهم فى حرية التفكير وحرية التصرف وحرية القول ونقائص ذلك النظام الذى يخلعون عليه اسماً غامضاً فيدعونه « بالنظام الرأسمالى » قد ترجح أو لا ترجح على فضائله . إلا أنه فى الأمم التى احتفظت بنظامها النيابى الديمقراطى وبالتالى بحرية صحافتها ما زال « للرأسمالية » فضلها فى ترك نقادها أحراراً فى نقدهم إياها ، ويعون من النقد العام ينبهها للاصلاح أن يقلم أظفار « الرأسمالية » ويخفف من غلوائها فى استعمال حقوقها استعمالاً مضراً بالآخرين إن لم يسعه أن يضع الأمور فى وضعها العادل . فإباحة النقد كما سبق لى بيانه هى سند الحرية فى الجماعات المتمدينة أو هى كما عبر عنها أحد خدام بريطانيا الممتازين : « ما لنا من حق فى أن نقول لأية حكومة كائنة ما كانت لقد ضقنا بك ذرعاً فإلى سقر » فلا ضمان لحرية شخصية ، ولا أمل فى تحقيق نجاح، ولا عاصم من طغيان، ولا أثر فعال للآراء الخاصة ، ما لم تتوفر للنقد جرمته وحريته .

والهيئات الاجتماعية الحرة التى ظفرت من حريتها بقسط كبير تنادى به صحافتها ، ويجرى على ألسنة جماهيرها فى الطرق العامة ، ويفصح عنه من يمثلها من نوابها تحت قبة دار النيابة بوسعها وقتما يكون الصالح العام بحاجة إلى تعديل الأساليب أو تغيير النظم أن تتخلص من حكامها وتغير قوانينها من غير أن تحدث حدثاً خطيراً أو توقدها ثورة شعواء . بينما نرى الأمر فى الأمم الاستبدادية وهو يجرى على غير هذا الوجه إذ لا يتيسر لها تغيير النظم وإصلاح المناهج إلا إذا تمرد الشعب على حكامه ، فاشتعلت فيها نيران الثورة ، ووثبت القوة النافرة لمناهضة القوة الغاشمة .

وقد يتهيأ للنظم الاستبدادية فى وقت ما وفى ظروف استثنائية خاصة تمليها الضرورة القاهرة أن تكون أكثر نفوذاً وأوفر كفاية من النظم الديمقراطية . إلا أن مثل هذا الفضل الموقوت لا يقتضى حتما أن الديمقراطيات التى تضطلع شعوبها بشئونها العامة ، وتوجهها صحافة يقظة جريئة سوف تظل دائماً وهى أقل كفاية وإنتاجاً من النظم الاستبدادية

ولا زال الحق الذى لا مرية فيه شاهد عدل على أن ما يتقيد به السلطان فى الأمم الديمقراطية من قيود ، وما يستنفذه من وقت بين الاعتراف بما يجب أن يكون والقيام به فعلاً عند ما تنادى المصلحة العامة بوجوب التعديل أو التبديل هو من قبيل التعمق فى التوقى والتحرز من أهوال الطفرة ونكبات الانقلاب

وما زال قيد النظر ومحك التجارب حتى فى المسائل المتعلقة بالحياة أو الموت ، كالحروب مثلاً ما إذا كانت الديمقراطيات الحرة كنظم سياسية أقل شأناً من تلك الجماعات التى تتنزل عليها الأوامر من عروش قادتها . ومع ذلك ما كانت الديمقراطيات هى الخاسرة فى الحرب العظمى الماضية ، ولو أن حاجتها الخطيرة إلى انسجام الرأى ووحدة القيادة فى تلك الأوقات العصيبة كان من شأنها أن تنتهى بها إلى مصير موجع فاجع يفقدها أمنها وسلامها ويوردها موارد الهلاك

وعندى أنه من الممكن صياغة جميع المسائل المتعلقة بقيمة الحرية فى أسئلة ثلاثة :

هل الشخصية الحرة كعنصر من عناصر الحياة البشرية أنبه شأناً وأنفس قيمة من تلك الشخصية التى تنطبع وتتشكل وفقاً لمشيئة القائد الأعلى الحاكم بأمره فى مصادر وموارد الدولة الاستبدادية المطلقة ؟ وهل يتوقع لإرادة الفرد الحرة أن تخطو بمصالح البشر إلى الأمام أكثر مما يتوقع لإرادته التى تشب عليها من المهد إلى اللحد على نهج موضوع يصيرها خاضعة لكلمة القيادة العليا خضوعاً غبياً ، ومطيعة لأوامر الزعامة طاعة عمياء ؟

أو ليس هنالك من ضرر يتهدد الجنس البشرى ومن خطر على تقدم المعارف وانتشار الثقافة ومن خوف على كل شىء نفهمه عن طريق « المدنية » بنشوء هـذه الجماعات الغفيرة التى تسير فى مناهجها على نمط واحد وتجرى فى تفكيرها على أسلوب واحد وتنطلق خائفة مذعورة كقطيع من الغنم أمام راعيها ؟

وما زال رهن الدراسة وقيد البحث منذ زمن بعيد ما إذا كان عقل الفرد كعنصر من عناصر كيان الحياة البشرية وتوفير الحرية له فى التفكير والاستنتاج وتكوين الرأى أغلى قيمة وأكثر نفعاً من عقل هـذا الخليط من الكائنات البشرية أو ما يسميه هتلر « بوحدة القطيع » ، وعنده أن اتحاد الشعوب البريطانية فى الحرب العظمى الماضية كان نتيجة طبيعية لمـا امتازت به من « وحدة العقلية » ، وأن ما صادفته ألمـانيا من الفشل فى تلك الحرب كان جزاء وفاقاً لشتات الآراء وتقلب الأهواء فى الشعوب الألمانية . وغالب أمره أنه لم يفهم أن ما نعمنا به آنئذ من انسجام العقلية كان جنى تعاون أعضاء الجماعات الحرة تعاوناً صادقاً للذود عن حياضهم ولإنقاذ حريتهم وقتما أدلهمت الخطوب ودق ناقوس الخطر ؛ أو أنه لم يدرك أن هؤلاء المواطنين الأحرار قد تخلوا عند الشدائد وبمحض إرادتهم عن حقوق كانت صعبة المنال غالية الثمن فكانت أثيرة عندهم عزيزة عليهم ، وصدروا فى ذهابهم عنها أو ذهابها عنهم عن وجدان سليم وشعور طليق من تكريس حياتهم للصالح العام ، وهو شعور كريم لا يتغلغل إلا فى نفوس أفراد مارسوا مسائل الحرية مراساً حكيما وطالت خبرتهم بها فألفوا الاضطلاع بمسئولياتها . ولقد كان من نتيجة هذا الفهم الخاطئ أن شرع هتلر شريعته عن وحدة عقلية العشائر الألمانية على نهج من الطغيان والاستبداد ؛ إذ فرضها على الجماعات الألمـانية جبراً وحملهم عليها بالدعاية تارة وبمجرد الإرهاب تارة أخرى ، ظناً منه أن مثل هذا النهج قد ينهض بديلاً عن الانسجام الحر والتعاون الطليق فى الشعوب الحرة

وشريعة هتلر هذه لم تكن فى مناحيها الحربية والسياسية بأجنبية عن جبلة الشعب الألمانى ، فهى على استعداد لأن تخضع لسلطان النظام وتتحرك فى كتل بشرية مرصوصة . وليس فى هذه الشريعة من جديد بالإضافة لتلك الفطرة الألمانية . اللهم إلا أنها قد قضت على حرية الرأى وحرية المعرفة وحرية الاستقراء وحرية النقد ، تلك الحريات التى اشتهرت بهـا الفلسفة والعلوم الألمانية وشهدت على أساسها فى الأزمان الخالية

إن تقدم المجتمع الإنسانى كما أفهمه لم يكن نتاج نظر « الكتل البشرية » أو جنى العمل على توحيد « عقلية الشعوب » . وتلك الخطوات التى خطاها الإنسان من بربريته الأولى إلى ما ينعم به الآن من مدنيته بل وحتى ما تهيأ له من أصغر نصيب منها كانت ثمرة تفكير أفراد عظماء نادوا بها ومهدوا السبيل إليها

وقوام الأمر من قيمة الحرية أن تهيئ لعقول الأفراد الفرصة فى مناهضة الرذيلة والجهل ، وأن تتقصى مظان الحق . فإذا ما صادفت منها ضالتها أشاعتها فى الناس وقائع صادقة وشهدت بصحتها حقائق مقررة من غير تردد أو وجل . وأن تفسح الميدان أمام الفرد للجهاد والإنتاج . وأن تكون من الناحيتين السياسية والاجتماعية الطريق الموصل إلى الخدمة العامة

أو لا يخلص لنا إذن أنها والنظم الاستبدادية منهجان متناقضان ونقيضان لا يجتمعان ، وأنها لا بقاء لها مع إرهاب الحاكم بأمره وطغيان المستبد برأيه .

***

وليت شعرى اليوم ما هو نصيب أولئك الرجال الذين بيدهم مقود الصحافة البريطانية من إدراك قيمة الحرية ؟ ؟ وما هو حظ قرائهم من فهم ما انطوت عليه « حرية الصحافة » من مبنى ومعنى ؟ ؟ وحتى ما سيظل جهلهم بهذه الأمور وتهاونهم فيها عاملاً على الحط من قدر الصحافة حتى يتهيأ للشعب أن يظفر من صحافته بحاجته وغنيته ؟

قد يصبح الجواب الشافى على هذه الأسئلة والعلاج الناجع

١٩ ـ المصريون المحدثون

شمـــــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

قد يزوج أهل الفتاة فتاتهم لمن يشاؤون دون موافقتها إذا كانت قاصرة . ويمكنها أن تختار زوجها إذا كانت بالغة ، وتعين من ينوب عنها في ترتيب الزواج وعقد العقد . والعادة أن تجتهد الخاطبة وقريبات القاصرة في الحصول على موافقتها . وكثيراً ما يعارض الأب في تزويج ابنته بمن ليس مثله من المهنة أو التجارة ، أو في تزويج الصغرى قبل الكبرى[1] . ويندر أن يستطيع العريس اختلاس نظرة من عروسه قبل أن تصبح في حوزته إلا إذا كانت من الطبقة السفلى فيسهل عليه أن يراها

وعند ما تشرع المرأة في الزواج تعين وكيلاً ينوب عنها في عقد العقد . وهذا التوكيل واجب إذا كانت الفتاة قاصرة ويكون أبوها حينئذ وكيلها وفي حالة وفاته يكون أدنى الأقارب الذكور أو الوصي المختار أو المعين . أما إذا كانت بالغة فتعين هي وكيلها ، أو تعقد الزواج بنفسها وذلك نادر

وبعد أن يختار الرجل عروسه طبقاً لبيان قريباته أو الخاطبة ، وبعد المعدات الأولى السابق ذكرها يقابل مع بعض أصدقائه وكيل العروس ويحصل منه على الموافقة ، ثم يسأله عن مقدار المهر إذا كانت العروس قاصرة

ولا بد من دفع المهر كما ذكرت في فصل سابق . ويقدر المهر على العموم بالريال باعتبار كل تسعين فضة . والريال نقد اسمي لا وجود له . ويبلغ المهر عادة إذا كان دخل العروسين متوسطاً ألف ريال ، وقد لا يزيد على نصف هـذا المبلغ . ويقدر الأغنياء المهر بالكيس وهو خمسمائة قرش ، ويحددون المبلغ إلى عشرة أكياس أو أكثر . هذا في حالة العذراء ؛ أما مهر الثيّب فأقل بكثير . وكثيراً ما يحدث بعض المساومة في تحديد المهر كأي عملية مالية أخرى . فإذا طلب الوكيل ألف ريال يحتمل أن يعرض الطرف الآخر ستمائة ثم ينتهي الأمر بعد الزيادة والنقصان إلى ثمانمائة ريال . ويشترط دفع ثلثي المهر حالاً قبل العقد ، ويدفع الثلث الأخير إلى الزوجة عند الطلاق بغير إرادتها أو وفاة الزوج

(١) أنظر التكوين ٢٩ — ٢٦ « فقال لابان لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر »

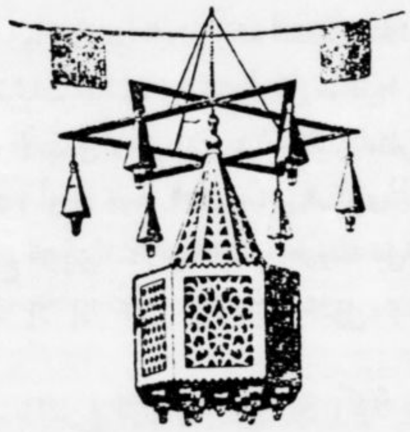
لتلك الأدواء أيسر مطلباً وأقرب منالاً لو أنه تحقق لدينا أن غالبية الصحف البريطانية أو حتى أقليتها النابهة قد تولى أمرها وقام بتحريرها رجال ممن قدروا قيمة الحرية قدرها فعرفوا أنها أسمى ما يمتلكه البشر من متاع الحياة .

لقد حان الوقت لأن نرفع ذلك الغشاء البراق الخادع الذي يغشى ثوب مدنيتنا « الديمقراطية » ونعمل على أن تظهر حقيقة ما انطوى عليه من لحمة نسجه . وآن الأوان ولا سيما للصحافة البريطانية وللرجال الذين يتولون أمرها لاختبار خيوط هـذا الثوب ليعرفوا ما إذا كان قد نسج نسجاً متيناً أميناً في تلك الأيام الخالية أو أنه في وضعه الحاضر وفي حياكته تعوزه متانة الغزل ، ويعيبه أنه صنع من خيوط ثياب قديمة عفا رسمها ، وافتقدت قوتها .

وقد يقتضي بقاء المؤسسات الحرة والأوضاع السياسية لحرية الفرد أن تعجل بتجربتها وبحثها ، وهي كما سماها « إيرل بالفور » « شريان حياة » الهيئات السياسية بأجمعها . وليس بينها من شيء له من قوة الدلالة على ما اشتملت عليه من معانيها ومبانيها أكثر مما للصحافة الحرة منها ، الصحافة التي تحرر من قوامة القيود التجارية أو الصناعية أو المالية مثلما تحرر من الخضوع لأية سلطة سياسية كائنة ما كانت . ولعله ما زال هنالك متسع من الوقت أمام صحافتنا وملاكها لأن يتدبروا أمرهم ، ويذكروا المواثيق التي تربطهم بالحرية وتربط الحرية بهم فيدللوا عن طريق رعاية هذه المواثيق والإخلاص لها أنهم قد ظفروا بالحل الصحيح لتلك المسألة التي تعتبر بحق « حجر الزاوية من المدينة الحديثة »

(المنصورة) زين العابدين جمعة

ويتم الاتفاق على هذا الأمر بقراءة الحاضرين الفاتحة . ثم يحدد يوم قريب ، قد يكون بعد اليوم التالى ، لدفع مقدم المهر والاحتفال بعقد الزواج الذى يسمى عقد النكاح (١) . ويسمى انجاز العقد كتب الكتاب ، ولكن قلما توجد وثيقة مكتوبة تثبت الزواج إلا إذا كان العريس بسبب انتقاله إلى مكان آخر يخشى أن يضطر إلى إثبات الزواج حيث لا يتيسر له إحضار شاهدى العقد . وقد يتم عقد الزواج حالما ينتهى الطرفان من الاتفاق على المهر ، ولكن كثيراً ما يعقد بعد يوم أو يومين من ذلك الوقت . ويذهب العريس فى اليوم المحدد مع صديقين أو ثلاثة إلى منزل العروس قرب الظهر عادة فيستقبلهم وكيل العروس وبعض أصدقائه . ويجب عقد الزواج بشهادة شاهدين مسلمين إلا إذا استحال ذلك . ويقرأ جميع الحاضرين الفاتحة ، ثم يدفع العريس مقدم المهر ويعقد بعد ذلك العقد بكل بساطة . فيجلس العريس على الأرض أمام وكيل العروس وكلاهما واضعٌ إحدى ركبتيه على الأرض ، ثم يمسك كل منهما يمنى الآخر ويرفع إبهامه ويضغط به على إبهام الثانى . ويتولى تلقين الطرفين صيغة العقد بعض الفقهاء . فيضع على اليدين المتماسكتين منديلاً ، ثم يستهل العقد عادة بخطبة لا تخرج عن بعض الإرشادات والصلوات وبعض الآيات والأحاديث التى تشير إلى فضل الزواج ومزاياه . ثم يطلب من الوكيل أن يقول : « أخطب لك (أو أزوجك) ابنتى (أو موكلتى) فلانة (ويسمى العروس) العذراء (٢) (أو العذراء البالغة) بمهر قدره كذا » ، وقد لا يذكر المهر . ثم يطلب من العريس أن يقول : « أقبل خطبتها (أو زواجها) وآخذها تحت رعايتى وأتكفل بحمايتها ، واشهدوا على ذلك أيها الحاضرون » . ويردد الوكيل قوله هذا على العريس مرة ثانية وثالثة فيجيبه الأخير فى كل مرة بما سبق . وحينئذ يقول كلاهما « والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين آمين » ؛ ويعيد الحاضرون قراءة الفاتحة . وليس للخطبة التى تتلى فى هذه المناسبة كلام موضوع أو نظام معين وقد تحذف إطلاقاً . وقد يقبّل العريس (ويندر ذلك إلا إذا كان من الطبقة السفلى) بعد انتهاء العقد أيدى أصدقائه وغيرهم من الحاضرين ؛ ثم تُقدَّم الشربات إليهم ويمكثون حتى تناول الغداء . ويهدى إلى كل منهم منديل مطرز تقدمه عائلة العروس بينما يتناول الفقيه منديلاً مشابهاً تصر فيه قطع صغيرة من النقود الذهبية يقدمه له العريس . ويحدد ليلة الدخلة قبل انصراف الحاضرين . وتلك هى الليلة التى تنتقل فيها العروس إلى منزل العريس حيث يراها لأول مرة



(شكل ٤٥) قنديل وخلافه معلق احتفالا بعقد زواج

ويمهل العريس عروسه حوالى ثمانية أيام أو عشرة بعد عقد الزواج على العموم ، ويرسل إليها فى أثناء ذلك من حين لآخر بعض الفاكهة والحلوى الخ ، أو يهدى إليها شالاً أو بعض الأشياء الثمينة . وتشتغل عائلة العروس فى الوقت نفسه بإعداد الجهاز . ويصرف مقدم المهر فى شراء الجهاز الذى يصبح ملكا للعروس ، فإذا طلقت يعاد إليها . وتدفع عائلة العروس مبلغاً أكبر قد يزيد على المهر نفسه فى إعداد الجهاز ، ولذلك لا يمكن القول بحق أن الزوجة تُشترى (١) ؛ ويرسل الجهاز عادة إلى منزل العريس على ظهور الجمال . وكثيراً ما يشمل الجهاز كرسى العمامة الذى سبقت الإشارة إليه ، وكرسى العمامة كبير الحجم بسيط الصنعة ،

---

(١) من الاعتقاد الشائع فى مصر أن من يعقد زواجه فى شهر محرم يخيب زواجه وتنحل عراه . ولذلك قلما يعقد عقد فى هذا الشهر . ويعتبر شوال أكثر الشهور ملاءمة لذلك

(٢) وإن لم تكن عذراء يعبر عن ذلك بكلمة (سيب) أو على الأصح ثيب .

(١) وفى الريف مع ذلك يتناول الأب أو الوصى للعذرى على العروس للمهر . ولا يعطى مقابل ذلك شيئا غير الفتاة وبعض الحبوب الخ أحيانا . فيجهز العريس فى هذه الحالة عروسه بكل شىء حتى ملابسها .

إذ يصنع أسفله وظهره من الناب ، وهو لا يستعمل للجلوس أبداً ، وقد تكون له مظلة . وتوضع العمامة عليه ، وتغطي بقطعة من الحرير السميك ترصع عادة بسلوك ذهبية . وقد يحتوى الجهاز على كرسيين : أحدهما لعمامة الزوج ، والآخر لعمامة الزوجة .

ويستقبل العريس عروسه فى مساء الجمعة أو الإثنين[1] ، ويعتبر يوم الجمعة أسعد الأوقات . فلنقرر إذاً أن العروس تنتقل إلى عريسها مساء الجمعة ، ويومئذ تضاء الشوارع أو الحى الذى يسكنه العريس أثناء الليلتين السابقتين أو قبل ذلك بالشمعدانات والفوانيس ، أو الفوانيس والقناديل الصغيرة ، يعلق بعضها فى حبال تمتد من منزل العريس وعدة منازل أخرى إلى المنازل المقابلة على جانبي الشارع ، وتعلق أيضاً مع القناديل ، أو منفصلة ، رايات حريرية ذات لونين : أحمر وأخضر[2] . ويقام فى منزل العريس أثناء هذه الليالى — وعلى الأخص الليلة الأخيرة التى تسبق عقد الزواج — عدة حفلات . ومن المعتاد فى هذه المناسبات أن يرسل المدعوون والأصدقاء الخاص الهدايا إلى منزل العريس قبل الدعوة بيوم أو يومين : فيرسلون سكراً وبناً وأرزاً وشمعاً أو حلاً ... وتوضع الهدايا السابقة على صينية نحاسية أو خشبية ، وتغطى بنسيج مطرز أو من الحرير . وتستخدم لتسلية المدعوين فرق موسيقية ومغنيات ومغنون وراقصات ، أو تقام (ختمة) أو (ذكر)[1] . وتقدم العائلات الموسرة إلى الخاطبة وإلى (داية) العائلة و (والبلانة) وظهر العروس — بعد إتمام العقد بيوم أو يومين — قطعة من النسيج الذهبى ، وشالاً كشميرياً ، أو قطعة حريرية مفوفة من نسيج البلك والشنتيان ؛ فتضع هؤلاء النسوة هذه الملابس على الكتف اليسرى ، ويربطن أطرافها معاً على الجانب الأيمن ، ويركبن الحمير وأمامهن طبالان أو أكثر ، ويمررن على صديقات العروس ليدعوهن إلى مرافقتها إلى الحمام ذهاباً وإياباً ، وإلى حضور الحفلات التى تقام بتلك المناسبة . وكلما يمررن على منزل تؤدب لهن مأدبة ، إذ أنهن يعلن عن زيارتهن فى يوم سابق ، وتسمى أولئك : (مُودنات) ، أو على الأصح (مُوذنات) ، وينطقها العامة (مُدنات) ؛ وقد رأيتهن أحياناً يسرن راجلات ، ولا يتقدمهن الطبالون ، ولكنهن كن يزغردن بدل دق الطبول ...

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(١) لقد أخطأ (بركهاردت) بقوله أن يومى الاثنين والخميس ينجز فيهما الحفل الذى يسبق ليلة الدخلة مباشرة . وكان الواجب أن يذكر يومى الأحد والخميس . وقد ارتكب أيضا بعض الأخطاء عند الكلام على حفلات الزواج عند المصريين فى كتابه الأمثال العربية (ص ١١٢ — ١١٨) ومن الواجب على أن أذكر ذلك وإن كنت أخشى أن تكون شهرة (بركهاردت) فى تمحيص الأشياء سببا فى جعل القارىء يظن أنه على حق فى هذه المواضع . ولكنى أكتب هذا الكلام فى القاهرة وكتاب « بركهاردت » أمامى بعد شدة البحث والخبرة .

(٢) ويسمى القنديل الموضح فى شكل ٤٥ المصنوع من الخشب المدهون أخضر واحمر وابيض وازرق « ثريا » ويسمى الاطار الذى يعلوه والذى يتدلى منه ستة قناديل «خاتم سليمان» وتسمى المجموعة كلها جل قناديل

(١) لا أصف هذه الحفلات هنا لأنى أفردت لها فصلا يتعلق بالحفلات الخاصه . والختمه عبارة من تلاوة القرآن جميعه ؛ وأما الذكر فهو ترديد اسم الله وصفات التوحيد الخ . وسأتكلم عنهما بالتفصيل فى فصل آخر عند وصف الحفلات الدوريه العامة .

حكم فى القضية ن ٦٦٠ عسكرية الفيوم سنة ٩٤١ ضد محمد السيد خليفة من السراى بحبسه شهرين شغل وغرامه ٣٠٠ قرش صاغ لبيعه ذرة بثمن أزيد من المقرر

الأرض ...

للأستاذ محمد محمد توفيق

[أنطق صديقى الدكتور حسن عثمان البحر بمناجاته الرائعة على صفحات الرسالة الغراء ، وأبى أن يعود بشاعره إلى الأرض ، مؤثراً عليها عرائس البحر وعجائبه . فنطقت الأرض أم الكائنات بهذه الأبيات لعل الشاعر أن يعود إلى أحضان أمه . . .]

أنا الأرضُ فوقَ كلُّ حيٍّ وميِّتٍ   وما البحر إلا ملتقى عبراتى

أنا الأرض مهد الكائنات ولحدها   فهل غفل الإنسان عن حسناتى؟

وعيتُ نداء الله فى كل خلقه   وما طاف بى مسٌّ من الشُّبُهاتِ

ومن قبل خلق الكائنات عبدتُه   مع الشمس والأفلاكِ منطلقات

أدورُ كما دارت وأسمى كما سعت   مُؤجَّجةَ النيران ، محترقات

تُطَهِّرُنا النارُ الإلهيَّةُ اللَّظى   وَتَصْهَرُنا للخير والبركات

أنا الأرض كم حجَّتْ وفودٌ وأعصُرٌ   إلىَّ وكم بدَّلتُ ثوبَ حياتى !

وكم طيِّباتٍ فوق سطحى مُشاعةٍ   وكم من كنوزٍ فىَّ مُختزَناتِ

وكم من حياةٍ تملأ الروحَ كأسُها   وتسكبها فى أعظمٍ نخِرَاتِ

وهذى العظامُ الناخراتُ أُحيلها   تراباً عليــه تغتذى ثمراتى

أنا الأرضُ لا حىٌّ علىَّ مُخلَّدٌ   ولا ميتٌ يبقى بغـير حياة

وما فتئ الناموسُ عندى كتابهُ   فهــلا وعيتم حكمتى وعظاتى

فيا بحرُ ... ماذا أنت يا بحرُ قائلٌ   وما صوتك المخنوق بالعبرات ؟

وما هتفاتٌ رجَّع الصخرُ شجوها   وما قطراتٌ ذُبْنَ فى قطرات

وما صرخاتٌ للأواذيِّ صُمَّدٌ   تُردِّدُها القيعان فى الدركات

لقد هاجنى يا بحرُ أنك شاعرٌ   وأنك فذُّ الشعرِ والسبحات

فأنطقتُ أطوادى وأجريتُ أنهُرى   وأوحيتُ نجواها إلى هضباتى

وأسكرتُها بالراح من كأسِ كرمةٍ   شهدتُ بها مسًّا من السَّكَرات

فيا بحرُ ... قل يا بحرُ ما أنت قائلٌ   فقد فاض بى بحرٌ من الكلمات

وقد طال إغفالى جمالى وزينتى   وقد طال بى صمتى وطال سُباتى

أنا الأرض للإنسانِ أُرسِلتُ جنَّةً   علىَّ سلامُ اللهِ طولَ حياتى

وكنتُ لخلقِ الله مرعىً ومسرحاً   وما ضِقتُ بالأنعام والحشرات

فلا نملةٌ تشقى إذا طاب سعيها   ولا طائرٌ إلا يُصيبُ فُتاتى

ولا دودةٌ مكنونةٌ وسط صخرةٍ   ولا هائمٌ فى البيد والفلوات

لكلٍّ نصيبٌ من ترابى وأنعُمى   وكلٌّ له حظٌّ من النسمات

وكلٌّ ينادينى بيا أمُّ إن شكا   فأغمره بالحبِّ والدعوات

وأشرحُ صدرى للذى ضاق صدره   وأعتنق المكدودَ بالقُبُلات

وأسكبُ دمعى إن أبى المزنُ أدمُعاً   وأُرسِلُ فى لحن الصَّبا زفراتى

فهُنَّ وَديعاتٌ علىَّ عزيزةٌ   وَصَوْنُ وديعاتِ الإله صلاتى

فإن غربت شمسُ الحياةِ فإننى   أُشيِّعُ أبنــائى إلى الظُّلمات

وأنشرُ من فوقِ الترابِ عليهمُ   رداءً من الأعشابِ والزَّهَرات

ترابى ومائى فيهما كلُّ زينتى   وكلُّ أفانينى وكلُّ هِبَاتى

وإنك تُلْفِى جوهرَ الترب واحداً   ويونع بالأثمار مُختلفات

فآلافُ آلافٍ من الزهرِ والغضا   وآلافُ آلافٍ من الثمرات

تفيض بها أرحامُ تربٍ رحيمةٌ   ويُرضِعها التهتانُ بالقطرات

ولى ريشةٌ فى فنها عبقريةٌ   تُكوِّنُ أزهارى بماء حياتى

وما طرَّ بى نبتٌ ولا هاجَ يابسٌ   ولا جفَّ قِطْمِيرٌ[1] بِشِقِّ نواةِ

ولا حملت حُبْلَى ولا خفَّ حملها   ولا دبَّ مسجونٌ من اليرقات

ولا سقسقَ العصفورُ والطلُّ بارقٌ   ولا هاجرت طيرٌ إلى القمرات

ولا حاقَ النسرُ الكميتُ مصفَّراً   ولا انقضَّ مسعوراً على الوُكُنات

ولا أطبقتْ أنيابُ ليثٍ غضنفرٍ   على رَشأٍ من ساكنى الأجماتِ

ولا انبجسَ الماءُ الزلالُ من الصفا   ولا فاضَ ينبوعٌ من الرَّبَوات

ولا طلعت أكمامُ وردٍ وسوسنٍ   ولا اخضرَّ ريَّانٌ من الورقات

ولا عتَّقتْ كرْمٌ دِناناً من الطِّلى   ولا نفخ النيروزُ فى القصبات

ولا هامَ نحلٌ بالأزاهيرِ شادياً   يُقبِّلُ معسولاً من الوجنات

ولا عصفت ريحُ الخريفِ بشاحبٍ   من الورقِ الوسنانِ فى الشجرات

ولا سنبلت حبَّاتُ قمحٍ مباركٍ   ولا أبلحتْ عيدانةٌ[2] بفلاة

ولا أرطبتْ إلا بميقاتِ خالقٍ   يفيض على الأكوانِ بالرحمات!

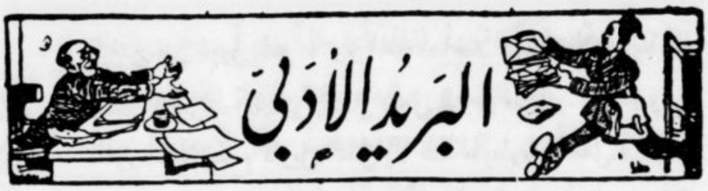
أنا الأرض أطيافُ الربابِ مظلَّتى   نهاراً وأسرابُ الغمام سُقاتى

وَرَيْدانتى[3] شعرى وقيثارتى الصَّبا   وتغريد أطيــار الربا نغماتى

---

(١) القطمير : قشرة النواة   (٢) العيدانة : النخلة الفتية

(٣) الريدانة : الريح اللينة



مجلس التعليم الأعلى

عقد مجلس التعليم الأعلى اجتماعه الأول للدورة الحالية في الأسبوع الماضي برياسة معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف فافتتح معاليه الاجتماع بخطبة ضافية من جوامع الكلام عرض فيها مشكلات التعليم المختلفة وما يراه من أوجه علاجها.

وبدأ معاليه الحديث معرباً عن سروره بتحقيق المشروعات التي أقرها المجلس في دورته الماضية وأقرها البرلمان لنظم الامتحان والقوانين المتصلة بها، ورجا أن تنتهي الوزارة والبرلمان من إقرار قانون التعليم الحر ونظام اللجان قريباً.

ثم تكلم عن التعليم الأولى وتعدد ألوانه بين نظام اليوم الكامل، ونظام نصف اليوم، ورياض الأطفال، وما تجره هذه الألوان من تشكيل مختلف لعقلية التلاميذ؛ وانتقل إلى الكلام من غرض هذا التعليم وهل هو محو الأمية أو تزويد عامة الشعب بقسط من الثقافة.

وبعد ما عرض لتاريخ التعليم الأولى في مصر قال إن وزارة المعارف في عهده حاولت الاستفادة من التعليم الإلزامي واتخاذه أساساً للحياة العملية فلم توفق في بعض التجارب وكان نجاحها محدوداً في بعضها الآخر.

وعالج أسباب هذه الحالة وهل هي في التعليم الإلزامي نفسه مع ما أسداه من خدمات للبلاد في استنارة الشعب، وتنزيه عامته عن كثير من العادات السيئة، أو مرجعه إلى عوامل أخرى.

وقال بعد ذلك: إن الوزارة بحثت أوجه النقص فرأت أن تتوحد السلطة التي تشرف على التعليم الإلزامي، وأن يستبدل بنظام نصف اليوم نظام اليوم الكامل، وأن تكون مدة التعليم الأولى ست سنوات تبدأ من سن السادسة، وأن توحد خطة الدراسة، فيما خلا اللغة الأجنبية، بين التعليم الأولى والتعليم الابتدائي، فإن تعذر توحيدها فلتقرب جهد المستطاع

وانتقل معاليه إلى الحديث عن مشكلة التغذية والحالة الصحية لتلاميذ الإلزامي وأوجه علاجها وما يقام في طريقها من عقبات

وأخطرُ في الأزهارِ وضّاحةَ السَّنا   وأعقد إكليلا من الخرزات
وأبْسَمُ عن لمحٍ من البرق خُلَّبٍ   وأعبَسُ بالإعصار والهبَوات
وأصرخ حتى يفزَعَ الرعدُ في السما   وتنخلعَ الأنكالُ مرتعدات
وأغضبُ حتى ينكِرِ الكونُ غضبتي   وأبْسُطُ في صفحي يَدَ الحسنات
أنا الأمل الشَّعشاعُ في كلِّ غايةٍ   أنا الجوهرُ المكنون في الجمرات
أنا الذهبُ اللمّاعُ في التربِ والصَّفا   تذيبونه بالنار والحسَرات
تذيبونه من فرط ما تعبدُونه   وما فيه من سحر سوى الممات
وتُنْقَوْنَهُ كالمُهْلِ يشوي بطونكم   فما ذَوْبُهُ إلا حميمُ طغاة
حميمٌ لمن لا يعرف الله قلبُهُ   ويسبح في بحر من الحُرُمات
فيا عابدي هذا الفلزِّ وما شرى   وما ابتاعَ من جور ومن سطوَات
ويا صائغيه شهوةً في قلوبكم   وزينة شيطانٍ وتاجَ عُتاةِ
ويا مُرْسليهِ في الأسارِ بصُفْرَةٍ   وشُحًّا وكِبْرًا جامد النظرات
وَتَبْلاً وأطماعاً وحرباً أثيمةً   تُبيد وتُفني كلَّ ذاتِ حياة
أيا عابدي هذا الفلزِّ وما شرى   وما ابتاع من زهو ومن شهوات

رُوَيْدَكُمُ هلاَّ أذَبْتُمْ قُلوبَكم   وقد جَمُدَتْ كالمرو[1] في الصَّخرات
ويا ليت شعري كم نِدَاء أتاكم   وأنتم من الآثام في غفلَات!
نداء لوَ انّ الراسيات وَعَيْنَهُ   لأطْبَقْنَ من أهواله صَعقَات
وكم من نبيٍّ كلّمَ الله جانياً   وأطلق طوفاناً من العبَرات
فهلاّ خشيتم نِقمتي بعد نِعمَتي   أسَلّطُهَا سيلاً من اللعنات
وأطلق صوتي قاصف الرعد داوياً   وأنفُخُ في بوق الرَّدَى صَرَخاتي
وأرسلُ زلزالاً عليكم وَعَيْلَماً   فَتُطبقُ أطوادي على رَبَواتي
وتندلعُ النيرانُ من كلِّ ثغرةٍ   وتندلقُ الأهوالُ من فَجَواتي
براكين من أفواهها تقذف الرَّدي   مُسَعَّرَةَ الأحجار، مُحْتَدِمات
تسيلُ على القيعان نارًا وحُرْقَةً   تَصَعَّدُ منها أفجعُ الزَّفرات
وفي مثل لمح البرقِ ينهارُ عالمٌ   من الكفر والآثامِ والشهوات!

أيا ساكني بيتي ذَرُوني أكُنْ لكم   كما كنتُ أمًّا جَمَّةَ الرَّحماتِ
ولا تفجعوني في سنين مريرةٍ   تدبُّ بها الساعاتُ مُكْتَهلاتِ
فإني إخالُ العمرَ قد طالَ وانقضى   وأحسبُ أن الحشر في لحظاتِ!

(١) المرو: حجارة بيض فيها نار

مالية ، وترك إبداء الرأى لحضراتهم فى هذه المسألة

واستطرد إلى موضوع تعليم اللغات الأجنبية فى المدارس الابتدائية ، وسأل : هل نأخذ برأى القائلين بعدم تعليم الطفل لغة أجنبية قبل الحادية عشرة من سنه ؟ أم أن أحوال مصر الخاصة تقتضى التجاوز عنه والأخذ بما يخالفه ؟

وبعد هذا تحدث عن معهد التربية الابتدائى وما تراه الوزارة من ضرورة إعادته ؛ ثم قال : وموضوع هذا المعهد من المسائل المعروضة على حضراتكم فى هذه الدورة ؛ وأكبر رجائنا أن تتعجلوا درسها والبت فيها ، حتى إذا أقررتموها دخلت فى ميزانية الوزارة للعام المقبل

ثم عرض للمسألة الأخيرة التى سيعرض بحثها فى هذه الدورة وهى مسألة التعليم الثانوى والغرض منه ومدى نجاحه فى الإعداد للجامعة وللتعليم العالى الفنى وغيره

وختم معالى الوزير خطبته بقوله : إذا بحثنا هذه المسائل نكون قد حددنا أغراضنا من التعليم فى حياة مصر الحاضرة ، ووضعنا الأساس السليم لسياستنا التعليمية ، وأعددنا أمتنا لمستقبل نرجو كانا زاهراً مجيداً

كيف تفسر معجزات داود وسليمان عليهما السلام

ذكر الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى العدد (٤٤٢) من مجلة الرسالة الغراء ، أن بعض المفسرين ذهب إلى أن المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شىء بحمده ، وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحها فيسبح ، وأن المراد من تسخير الريح لسليمان أنه راض الخيول وهى كالريح ، وأن المراد من إلانة الحديد وإسالة القطر استخراجهما بالنار واستعمال الآلات ، وأن المراد من الشياطين التى سخرت له ناس أقوياء . ثم ذكر أن نظام الدين النيسابورى جعل ذلك حذلقة لا داعى إليها ، لأن قدرة الله فى باب خوارق العادات أكبر من أن تحتاج إلى هذه التكلفات

وفى رأيى أن هذه التأويلات حذلقة حقاً ، ولكن النيسابورى لم يوفق فى الرد عليها . فأما أنها حذلقة فلأن صاحبها لم يحمله عليها إلا إرادة حملها على غير بابها من خوارق العادات ، فجرى فى التفسير وراء ميله وهواه ، وللتفسير أصول متبعة ، وقواعد مرسومة ، وشأنه فى ذلك كشأن كل العلوم ، فليس هوى النفس من سبيل العلم ، ولو اتخذناه أصلاً فى ذلك لأدى بنا إلى إنكار المعجزات كلها ، كما فعل بعض الناس قديماً وحديثاً . ومن المقرر أنه لا يصح تأويل النقل إلا عند ما يعارضه العقل ، فحينئذ يجب التوفيق بينهما بالتأويل ، لأن دلالة النقل ظنية ، ودلالة العقل قطعية ، والواجب حمل الظن على القطع ، ولا يصح العكس

وأما أن النيسابورى لم يوفق فى الرد على هذه الحذلقة ، فلأن معجزات الأنبياء لا يكفى فى إثباتها الاعتماد على إمكانها وقدرة الله عليها ، ذلك لأن الله تعالى يقدر على ما لا وجود له ، فقدرته على معجزة من المعجزات لا يكفى فى إثبات وجودها

وفى رأيى أنه يجب الرجوع فى معجزات داود وسليمان عليهما السلام إلى تاريخهما الصحيح ، لا إلى ما أحاط بتاريخهما من خرافات التاريخ ، فإذا ثبت من تاريخهما الصحيح أنهما عورضا فى الدعوة إلى الإيمان ، وطلب منهما هذه المعجزات دلالة على نبوتهما ، كانت هذه الآيات من باب المعجزات ، لأنها استوفت أركان المعجزة من خرق العادات ، والاقتران بالتحدى مع عدم المعارضة . وإذا لم يثبت من تاريخهما الصحيح شىء من ذلك ، كان لنا تأويل هذه الآيات بمثل ما أولت به أو غيره ، ولم يكن ذلك فى شىء من الحذلقة

ولكن أنى لنا هذا فى عصر طغى فيه الجمود ، وأسكت فيه الجامدون صوت الإصلاح ، كفانا الله شرهم ، وهداهم إلى ما فيه مصلحتنا ومصلحتهم ، إنه الهادى إلى سواء السبيل

(عالم)

أخطاء فى كتاب المنتخب

وقع نظري فى « المنتخب من أدب العرب الجزء الثانى — تأليف بعض رجال المعارف — » على أخطاء فى النحو والفهم فى قصيدة ابن الرومى التى مطلعها :

يا أخى أين عَهْدُ ذاك الإخاء   أين ما كان بيننا من صفاء

١ — فأما الخطأ الأول فهو :

وأرى أن رُقعةَ الأدمِ الأحمر (م) « أرضاً » علّتها بدماء !

فكلمة « أرضاً » خطأ واضح — والصواب (أرضٌ)

٢ — أما الخطأ الثانى فهو :

تقتل الشاة حيث شئت من الرقعة (م) « طِباً » بالقِتلةِ النُّكراء

هكذا بكسر الطاء ثم قالوا فى الحاشية : طِبا علماً . . .

والأصوب بل الأليق بمقام المدح ، والأنسب للفن الشعرى

أن تكون « طَبًّا » بفتح الطاء أى عالماً خبيراً . وقد وجدت فى «شرح ديباجة القاموس» الطبُّ بالفتح الماهر الحاذق بعمله . وجاء فى « أساس البلاغة » أنا طبٌّ بهذا الأمر عالم به . كما ورد فى المصباح ؛ ويقال للعالم بالشيء طَبٌّ

وعلى هذا يكون المعنى : إنك لتقتل الشاة خبيراً عليماً بالقتلة النكراء حينما شئت من رقعة الشطرنج

٣ — وأما الخطأ الثالث فهو :

راحةِ النفس والصيانةِ والعفةِ
والأمنِ فى حياء (رُوَاء)

هكذا بضم الراء ... وجاء بالحاشية (حياء رُواء أى جميل) والصواب : حياءٌ رَوَاء ... بفتح الراء ، أى حياء جم كثير

فقد سُمع حياء جم ... ولم يُسمع حياء جميل

حسين محمود البشبيشى

(حاشية) : ورد فى كلمتنا (صبري وابن دريد) خطأ مطبعى هو : « وأما بيتان أبى بكر ابن دريد » والصواب : « وأما بيتا أبى بكر ابن دريد ... »

المباراة الاجتماعية لرابطة الشباب المصرى

تبرع حضرة صاحب السعادة صالح عنان باشا رئيس رابطة الشباب بثلاثين جنيهاً مصرياً — كعادته فى كل عام — لتوزع على حضرات الكتاب المشتغلين بالمسائل الاجتماعية . وقد رأت الرابطة أن يكون موضوع مباراة هذا العام عن « تأثير المرأة فى توجيه الشعب » وقد حددت الرابطة يوم ٣١ يناير سنة ١٩٤٢ آخر موعد لقبول إجابات هذه المسابقة ، واشترطت أن تكتب على وجه واحد من الورق وألا تزيد على عشرين صفحة من حجم الفولسكاب ، وأن يكتب اسم المتسابق وعنوانه على ورقة مستقلة ، وترسل باسم الأستاذ أحمد ابراهيم خطاب سكرتير رابطة الشباب (بوستة القلعة بمصر) . أما جوائز هذه المباراة فسيمنح الفائز الأول خمسة عشر جنيهاً مصرياً ، والثانى عشرة جنيهات ، والثالث خمسة جنيهات ،

أما لجنة التحكيم فى هذه المباراة فمكونة من الأساتذة : خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم وعضو مجلس الشيوخ ، والدكتور أمير بقطر عميد قسم المعلمين بالجامعة الأمريكية ، والأستاذ محمد مظهر سعيد المفتش بوزارة المعارف

وستعلن نتيجة هذه المباراة فى شهر فبراير المقبل عند انعقاد مؤتمر الشباب الاجتماعى بقاعة يورت التذكارية .

فهرس موضوعات السنة التاسعة

الموضوع	الصفحة
(ا)	
ابرهيم طوقان	٧٤٣
ابراهيم طوقان فى العراق	٧٧١
ابرهيم الكاتب	١٣٦٦
ابن شهاب العلوى	١٠٠٧
أبو المظفر الأبيوردى شاعر العرب فى القرن الخامس	٨٨٨
أبو المظفر الأبيوردى شاعر العرب فى القرن الخامس	٨٠٩
اتجاهات الاقتصاد النازى	١٣١٠
آثار الحضارة المصرية فى تيجيريا العليا	٩٩١
أثر الهجرة فى التشريع الاسلامى	٢٣٠
أحاديث التلاميذ المصريين يوم العودة إلى المدارس	١١٣٧
أحلام الموتى (قصيدة)	١٣٠٠
أحياء الأسكندرية (قصيدة)	٨٧٨
أخبار تهم الأدباء	١٠٤٧
أخبار سلم الخاسر	١٠٤٠
أخطاء فى كتاب	٠٤٨
أخطاء في كتاب المنتخب	١٠٨١
الأخلاق عند الغزالى	١٣٣٩
أخلاق القرآن	٨٨
» »	١٤٤
أدباء ومدرسون	١٢٠٨
الأدب العربى الحديث فى العراق	٣٧٢
الأدب العربى الحديث فى مصر الجنوبية	٣١١
الأدب والأصلاح	١١٦٥
أدب اليوميات	١٣٨٩
أدعياء الشعر	١٢١٨
أدين قتال هو ؟	٢٢٨
أربعة قتلى ، والخامس له الله	١٠٥
الأرجى	٦٨٨
الأرض (قصيدة)	١٠٧٨
أرواح شاردة (كتاب)	١٣٣٠
أريد ... (قصيدة)	١٤١٣
إزدهار الفكر وبطش المسيطر	٧١٣
الأزهر ومشاته العلمية	٩
أسئلة	١١٠
أسبوع الفنون الجميلة	٦٠٩
أسبوع فى تاريخ الأزهر	١٢٧
أستاذ	٩٧٤
إستدراك	٩٩٣
إستقلال مصر من الجهة التاريخية	٩١٦
إستيضاح	١١٥٩
أعمرة الشعر بكلية الآداب	١٤٩٩
الاسكندرية بعد الفاجعة (قصيدة)	٨٢٢
الاسلام بين السلف والخلف	٦٣٥
الاسلام والعلاقات الدولية	٦٧٦
» » »	٧٤٧
» » »	٨٠٣
الأسود بن قنان	١٣٣١
» » »	١٤٤٣
أشعار ابن النحاس	٧٢٠
أصابع على معزف (قصيدة)	٩٨٦
أصل الفقر	٦٨٧
الاصلاح الاجتماعى والتعليم	١٣٨٧
أصول كلمة النفط	١٣٥٨
أطياف الربيع	٥٤٢
إعجاب وتقدير	٣٨٨
إعلان الحرب على الفقر	٧٨
أغنية البحيرة (قصيدة)	١٢٤٥
أغنية البلبل (قصيدة)	٨٢٢
أغنية الحب ... (قصيدة)	١٣٢٩
أغنية روسية (قصيدة)	٨٧٧
أفغانستان	١٢١٩
إقتراح مرفوع إلى جماعة كبار العلماء	١٤١٥
اكتشاف جديد لاطالة عمر الانسان	٦٣٠
أكذوبة السلوان (قصيدة)	٧٦٦
آلة الوقت	٧٣٧
الذى حرك العالم	١١٥٩
ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب	٦٢٢
» » » » »	٦٤١
» » » » »	٦٧٧
» » » » »	٧٣٣
» » » » »	٧٨٦
» » » » »	٨٤١
الألقاب لا ترتجل	١١٠٥
الله ... !	٩٠٠
إلى ... ؟ (قصيدة)	١٣٥٧
إلى الأب أنستاس	٧٧١
إلى الأديب إبرهيم نجا	٧٧١
إلى الأديب حسين فهمي	٢٢١
إلى الأستاذ أحمد أمين	١٣٠١
إلى الأستاذ سامى بيومى	٢٢
إلى الأستاذ عبد المنعم خلاف	٥٧٣
إلى الأستاذ على عبد الله	١٤٦٧
إلى الأستاذ الكبير (ا . ع)	٦٨٥
» » » »	١٢٧٢
إلى الأستاذ محمود الخفيف	٢٢١
» » » »	١١٠٥
إلى الأستاذ محمود شلتوت	٨٠٣
إلى الأستاذ النشاشيبي	١٢١٩
إلى الباحث الجليل	٦٢٩
إلى البدر « قصيدة »	١١٥٧
إلى الدكتور زكى مبارك	١٠٩
» » » »	١٦٥
» » » »	١١٣٥
إلى الدكتور عبد الوهاب عزام	٥٣
إلى الدكتور على عبد الواحد وافى	٩٩٣
إلى الرسالة الغراء فى عامها التاسع «قصيدة»	٢١
إلى السيدة « ليلى »	٧٤٥
إلى علماء الاسلام	٧٤٤
إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي	٩٦٤
إلى الكتاب	١٣٠٢
إلى « ى » (قصيدة)	١٤٩٧
إلى ناقدى لغة فى مقالى الثالث	٣٠٩
إلى وزارة المعارف	١١٠٥
آمال	١٤٨٣
إمبراطورية ابن السعود	١٢٦٤
إمتاع الأسماع ... « كتب »	٧١٥
» » »	٧٤٢
أمل يضيع	٧٦١
أمنية	١٤٤٥
أنة وزفير	٨٦٦
الانتاج الأزهرى	١٥٩
الانجليز والعمل	١٠٧٢
الأندية العربية فى العراق	٤٩٩
إنسان وحيد في العيد	١٤
أول مقالة نشرتها وأول درس ألقيته	١٥١١
أومن بالانسان	٧
» »	٦٤
» »	١٢٢
» »	١٤٩
» »	١٧٨
» »	٥٦٥
» »	٥٨٧

الموضوع	الصفحة
أومن بالانسان	١٢٢٤
» »	١٢٨٠
» »	١٣٣٦
» »	١٣٩٢
أوهام لغوية	٩٦٥
أيام الرواق	١٨١
« أيام » طه حسين	١٤٥٠
أيهما أصلح لتعليم الأطفال المعلم أم المعلمة ؟	١٠٥٣
(ب)	
بارلس الصغيرة	١١
بحث لا تجريح	٢٣
البحر	١٤٠١
برج بابل ؟ !	٦٦٤
بستان النشاشيبي	٣٣٢
بشر بن عوانة	١٠٨
بطن الشاعر	٧٧٢
البعث ... « قصيدة »	٥٩٨
بعد انتهاء مناقشات رسائل الأستاذية	٢١٩
بعض الكلام في « مي »	١٤٧٣
بعد منتصف الليل	١٠١٩
البغض الأول « قصة »	١٦٧
بماذا كان ينتصر الاسلام ؟	٢٤٢
بناءون منسيون	٢٩٨
البيئة ونزع العمائم	١١٩١
البيت الهادئ « قصة »	١٠٥٠
بين الأديبين المصرى والسورى	١٤٢٨
بين إنكارين	٩٧٦
بين رجال الدين والفلسفة	١٨٣
بين الشاعر والربع « قصيدة »	١٢٧١
بين صبرى وابن دريد	١٥٥٢
بين عبد القادر حمزة والعقاد	٨٢٤
بين العزوبة والزواج	٩٦٦
بين اللاتينية والجرمانية	١٩٧
بين موسيه وخالد الكاتب	١٠٣٨
بيني وبين الأستاذين : فكرى أباظة وتوفيق الحكيم	٥٥٥
(ت)	
تأبين الأستاذ فؤاد بليبل	٥٤٧
تأبين الأستاذ يوسف أسعد	١٣٣١
تأبين المرحوم محمد مسعود بك	٦٣٠
التاريخ عند العرب	٩٠٨
توجيه وأمل	٦٥٩
تجديد أغراض المجمع اللغوى	١٣٠

الموضوع	الصفحة
تحذير ورجاء	٨٠٠
تحرز مفسر من التكفير في رأى خطير	١٥٢٧
تحريف معنى بيت بالنحو	١٩٢
» » » »	٣٣٣
تحقيق تاريخي	١٤٩٩
تحقيق في نسبة حديث	١٢٤٦
تدخل الدولة في الاصلاح واجب لامناص منه	٧٠٧
التشريع المحكم والدستور الخالد	١٤٦٦
تصحيح	١٠٩
تصحيح رواية في مقالة	١٣٨
تصحيح مثل	٨٥٣
التصريح بعد التلميح في توجيه الجيل الجديد	١٢٢٧
تصويب	١٦٦
»	٣٦٢
»	٦٨٨
»	٧٨١
»	٩١٠
»	١٤٦٧
تصويبات	٣٠٤
»	١٤٤٤
تصويبات سريعة	١١٣٥
التطور البشرى	١٤٢٣
تطور الدلالة	١١٩
تطور معانى المفردات « عوامله وآثاره »	١٧٧
تعقيب	٩٩٣
»	١٢٢٠
تعقيب على خبر	٨٧٩
تعقيب على رأيين في الغناء والموسيقى في مصر	١٣٦١
تعقيب على مقال	٥١٦
تعقيب على نقد المناظرات	٦٠٠
تعقيب لغوى	١٠٧٧
تعليق	٢٢٠
التعليم الأولى والالزامى	١٢٣٩
التعليم في مصر في السنوات العشرين الماضية	١٣٧
تعليم القراءة والكتابة	٩٠٨
التفسير الكيميائى لأعمال العقل والحياة	١٥٤٠
التقليد في الفنون أو نسخ (الكربون)	٣٠٠
تقليد كريم	١١٣
تقويم هذا العام (قصيدة)	٣٨
تيسير الكتابة العربية	٧٤١
» » »	١٤٩٨

الموضوع	الصفحة
تيموستوكل	١١٨١
»	١٢٣٣
»	١٢٦١
»	١٣١٩
»	١٤٠٨
(ث)	
ثمن السعادة (قصيدة)	٩٣٨
ثورة ... (قصيدة)	١١٣٣
ثورة على ابن سينا	١٣٤٨
(ج)	
جائزة بابا نويل	٢٤
جبل طارق	٧١٢
جريدة الاصلاح في عامها الخامس	٥١٧
جريدة الواجب	١٤٤٤
جماعة الأدب الحر	٧٨١
جماعة تيسير الحج	١٤٤٤
الجمعية العربية ببريطانيا	١١٠
جيل نخلة للدور	١١٣٥
» » »	١٣٧٤
» » »	١٤٠٥
جنود مجهولون	٩٦٩
جنود المواهط (البراشوت)	٧١١
جواب	٩٠٨
»	٩٦٤
»	١١٩١
»	١٢٤٦
جواب على تعزية (قصيدة)	١٤٤١
جوفري شوسر	٢١٣
جولة في أسرار الناس	١٢٢٢
الجيل	٥٠
جيل وجيل	٨٣٦
» »	٨٧٠
» »	٩٢٦
(ح)	
الحب والبغض	٦٢٩
الحب والسحر ... (قصة)	٥٤
حي ! ... (قصيدة)	٧٣٦
الحديث ذو شجون	٩٠
» » »	١١٥
» » »	١٤٦
» » »	١٧١
» » »	٣٤٠

الموضـــوع	الصفحة
الحديث ذو شجون	٧٥٠
» » »	٨٠٦
» » ٥	٨٣٢
» » »	٨٦٢
» » »	٨٩١
» » »	٩١٨
» » »	٩٤٧
» » »	٩٧١
» » »	١٠٢٧
» » »	١١٣٩
» » »	١١٧٢
» » »	١١٩٥
الحرب والطبيعة البشرية	١٤٨٩
الحروب الحاسمة فى التاريخ	١١٦٨
الحروب الصليبية	١٠٣٥
» »	١٠٦٦
الحسبة فى الاسلام	٩٩٢
حق الضيافة	١١٩٨
» »	١٣٥٩
حقوق للمؤلفين فى الدانمرك	٧٨
حلم (قصيدة)	٨٧٨
حوار عند الغروب (قصة)	١٢٧٤
حول أبعاد الحيز	٩١٠
حول استدراك فى غزوة حنين	١٠٢٠
حول إصلاح الأزهر	٨٢٤
حول الانتاج الأزهرى	١٩٢
حول أهل الـكهف	٧٨
حول بشر بن عوانة	٦٣٠
حول التعليم فى العراق	١٢١٧
حول تقرير مراقب التعليم الأولى	١٢٧٣
حول الدين والفلسفة	٥٧٣
حول الرحلات العربية	٧٧٠
حول سقط وكبا	٣٨٩
حول السنوسيين	٥٤١
حول السواد	٩٦٥
حول العدد الممتاز من مجلة الحديث السورية	١٠٩
حول العصبية فى الجماعات الدينية	٣٥٩
حول الفيتامين	٨٠
حول كتاب الأستاذ الرافعى عن فريد بك	١٢١٨
حول كتاب محمد فريد أيضا	١٢٤٨
حول كلمة (عبر)	١٣٦٠
حول كلمة « هناء »	١٢٧٢
حول اللهجات العامية	٩٦٦
» »	١٠١٩

الموضـــوع	الصفحة
حول مبدع فن المقامات	٣٦٠
حول مسابقة نقد الأدب العربي	٥٠
حول المسابقة إلى الثانوى	١٢٣٧
حول مكتبة الحرم النبوى الشريف	٨٢٥
حول نقد كليلة ودمنة	١٢٤٧
» » »	١٢٧٣
حول وأد البنات عند العرب فى الجاهلية	٦٣٠
الحياة الزوجية في نظر الاسلام	٦٩٩
» » » » »	٧٥٤
» » » » »	٨١٥
الحياة صادقة	١٥٠٤
حينما تغمضين عينيك	٩٠٧
(خ)	
خائن « قصيدة »	١١٣٣
الخباز	١٤٤٢
خبيرات فى الـكذب	١٣٧
الخريف	١٣٧٩
خزانة الـكتب فى قصور الأندلسيين	١٦٤
خصومة أدبية	١٦٥
» »	١٧٥
» »	٢٠٣
خصومة لا عداوة	٣٠٣
» » »	٣٣٢
خطأ فقهى فى مجلة الأزهر	٨٢٥
خطأ فى كتاب للفصل	١٥٥٢
الخطة النازية فى الحرب	٧١١
خواطر فى رأس السنة	٣٩
خواطر مريض	٥٧
(د)	
الدار المقدسة	١٠١٧
دار الوجد والمجد « قصيدة »	١٠٠٣
دخول آل على عير	٧١٤
» » » »	٧٤١
درس فى التصوف	٢٥٨
دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان	٥١٥
دمشق	٨٩٥
الدمعة الخرساء ! « قصيدة »	١٢١٧
دمعة مكبوتة على فقيد عزيز	٦٨٢
دنيا الشق السعيد فى ١٧٢٨٠٠ ثانية	٦٣٩
دوائر معارفنا الاسلامية	٣٣٧
دوحة الحب « قصيدة »	٨٧٨
دير عديان	٩٦
» »	١٥٧

الموضـــوع	الصفحة
الديمقراطية البريطانية وأثرها فى الحرب الحاضرة	٣٥١
الدين مصدر للمدنية الفاضلة	٢٢٧
الدين والفلسفة	٥٣٠
ديوان البارودى	١٣٩٨
» »	١٤١٩
ديوان حافظ إبراهيم	١٥٣١
ديوان الحبوبى	٦١١
(ذ)	
ذكري قاس عراق	٩٣٣
ذكرى محمد محمود باشا	٣٢٩
ذهب آل هوهنزلرن « قصة »	١١٦٠
الذوق الفنى فى مصر وأسطورة نهر الجنون	٣٧
(ر)	
راعبق الشقية « قصيدة »	٧٦٦
رأى الامام المراغى فى إصلاح الأزهر	٦٩١
« ربيع وجادى »	٦٨٦
الرجل الصامت « قصة »	٢٢٣
الرجل المكروه « قصة »	٩٩٤
الرحلات العربية	٧٠٤
الرحلات العربية كيف بدأت ومتى دونت	٦٤٦
رحلة الشتاء والصيف	٣٦١
الرحمة قوة	٩٩٧
رسالة	٨١٣
رسالة الأزهر	٧٩٨
رسالة التعليم الالزامى	١٤٦١
الرسالة فى عامها التاسع	١
رسالة القلم البليغ	١١١٢
الرسالة للامام الشافعى	٧١٥
رسالة المعلم الالزامى وكيف ينبغى أن تكون	١٥٠٠
رسالة المعلم الالزامى وكيف ينبغى أن تكون	١٥٥١
الرفاق الثلاثة (قصة)	١٣٩
الرنوك فى عصر المماليك	٢٦٨
الرواية الاسلامية في عدد أصحاب الكهف	٥١
روافد الأدب العراقي	٦٨٨
(ز)	
الزاد الأخير (قصيدة)	٩٣٥
» » »	٩٦٦
زخرفة المساجد	١٠١٣
زكي مبارك يكتب كثيراً ولا يقول شيئا	٢٨٨

الموضوع	الصفحة
الزمن الساحر	٣٤٩
« زناتى »	٦٥٨
الزنبق (قصيدة)	١٥٥٠
زهر الآداب	٢١٩
الزوجة للثلى	٧٧٣
(س)	
الساعى بيومى يستر جنايته على المبرد بجنايته على المرصنى	١٩٩
الساعى بيومى يستر جناية على المبرد بجنايته على المرصنى	٢٨٤
سراب وأمل	٢٠٩
سعادة	١٢٢١
سفساف لا سفاسف	٥٢
سكون العاصفة (قصة)	٣٦٣
سمير أيدم (قصة)	٨٥٤
سنة (قصيدة)	١٠٣٩
السنوسيون والمذهب المالكى	٧١١
سهرة المليونير (قصة)	١١٠٦
السياسة التوجيهية فى الأزهر	٤١
السيجارة	٩٦٢
السيف والكتب	١١٠٩
(ش)	
شاد لها الحب لؤلؤه (قصيدة)	٤٦
الشارب (قصة)	٩١٠
شاعر الجرمان الأعظم	٠٢٣١
شاعر غريب (قصيدة)	٩٠٧
شاعر وناقد	٩٠٩
شبابيك القال	٢٢١
» »	٣٣٢
شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذى	٣٦٢
الشروق « قصيدة »	٢٠
الشعر	١٠٣٣
شعر ذو وجهين	٣٥٩
شكاة ونجوى	٢٩٤
شكر ووعد	١٣٣١
الشوقيات	١٠٦٠
شىء واحد	١٠٥٣
(ص)	
الصاحب والآلهة (قصة)	١٤٦٩
الصباح الأدبى فى دمشق	١٣٦٠
الصحافة العراقية	٥٢٦

الموضوع	الصفحة
الصحافة والدولة	١٢٩٤
» »	١٣٠١
» »	١٣٨٠
صحة مثل	١٠٧٧
صديق موبسان	٧٥٧
الصراع الأمريكي اليابانى	١٣٢٥
صرخة (قصيدة)	١٢٧١
صفات زوجة	١٤٢٦
صفحة لامعة من تراث العرب العلمى	٢٧٢
الصلات الأدبية والعلمية بين مصر والعراق	١٢٥١
صواب بيت	٣٠٥
صورة ... وصورة	٦٠٨
(ض)	
ضبط الكتابة العربية	١٢١
الضحية	٢٩
الضمير الفردى والضمير الاجتماعى	٩٨٤
(ط)	
الطابور الخامس الألماني	٧٣٠
طارق بن زياد ... (قصيدة)	٢٣٨
طاغور (وفاته)	١٠٤٩
طاغور الخالد	١١٢٠
طاغور فى اللغة العربية	١٣٨٧
طموح الشباب	١٤٤٨
الطنطاوى يتحرك فهل يتحركون	١٠٧٨
الطير المهاجر « قصيدة »	١٤١٣
(ظ)	
ظاهرات نفسية فى مسرحيات محمود تيمور	١٤٨٦
(ع)	
العاطفة الحيرى (قصيدة)	١٠٧٦
العامية والفقر	١٥٥٧
عباس الجمل	١٠١٨
عبد القادر حمزة باشا	٧٧٨
» » » »	٧٨٩
» » » »	٨١٨
» » » »	٩٠٣
» » » »	٩٨٠
عبد القادر حمزة باشا فى ذمة الله	٧٩٢
عبد القادر حمزة باشا وقومية بحثه وراء الحقيقة	٩٣٧
عبد القادر حمزة والمقال الافتتاحية	٨٥٢
عبد الوهاب النجار	١٤٥٥
عبر كذا	١٣٠١
» »	١٣٥٩

الموضوع	الصفحة
عبر كذا	١٤٣٢
عبر من سيرة	٨٨٥
عبر من نظام أوربا الجديد	١١٩٣
العبير الضائع ! « قصيدة »	٨٩٨
عثمان زناتى	٦٨٥
عجوز وعجوزة	٧٨١
العجوزان	٥٩١
عرابى الفلاح	٩٨
العروبة فى السودان	١٣٨٨
العروبة لغة لا جنس	١٤٤٢
العصاميون	٦٢٨
العصبية داؤنا الموروث	٣٠٩
عطر المأمون « قصة »	٥٧٤
» » »	٦٠٢
العقائد الوثنية في الكتب الأزهرية	١٤٣٠
العقد الفريد	١٨
» »	٤٣
العقد النفسية فى طريق التكوين وفي طريق الزوال	١٠١٤
العقيدة الاسلامية تكون البطولة	٢٣٩
علاقة الكهرباء بالأثير	٦٥٥
علماؤنا يعودون إلى المجتمع	١٠٦٨
على ذكر المولد النبوى	٥٦٠
على ذكرى « عيد الميلاد »	١٥٢٩
على طريقة الصين أو طريقة أبى دلامة	٢٥٠
على مسيل الدماء	٩٨٦
على هامش حادث أليم	٣٥٣
على هامش القاموس السياسى	١٢١٩
عند ما حيرها الصمت ! (قصيدة)	٦١٠
عهد ... وعهد	٧٨٢
العوائد	١٠٨
العود أحمد	١١٠٥
عود إلى « التجديف »	٥٩٩
عود إلى الفكر « والسلطة »	٤٩٣
عيناها « قصيدة »	١٢١٧
العيون التى صرعت العاشقين	٨٤٩
(غ)	
غارة ... (قصيدة)	٨٤٨
غالية ... فى لبنان (قصيدة)	١٢٤٥
غبر وعبر	١٥٥١
غبر لا عبر	١٤٦٦
غريب (قصيدة)	٦٢٧
غضبة إسلامية	٢٥٣
غلطة مفسر كبير	١٥٢٨
غمائم الربيع	٥٣٢

الموضوع	الصفحة
الغناء والموسيقى وعالمها في مصر والغرب	٣٢٦
» » » » »	٣٤٦
» » » » »	٣٨١
» » » » »	٥٠٩
غيمة (قصيدة)	١١٥٧
(ف)	
فارس وفارس ... «قصيدة»	٢٤٥
فاروق (قصيدة)	٦٥٢
فتح مصر كما صوره الأديب المجهول	٢٣٢
فتنة الزنج ورثاء البصرة في شعر ابن الرومي	١٦١
» » » » » »	١٨٤
فتوى واستفتاء	٧٨٠
»	١٠٢٠
فتيات في الأزهر	١٠٩
» »	١٣٨
الفرد هو الحجر الأول لبناء المجتمع	٥٨٣
الفرس والعراق	٥٩٩
فرق لمكافحة الغناء المريض	٩٤
فرية قتل الامام الشافعي	١١٣٤
فضل الصفر على المدنية	١٤٣٤
الفقر	٣٨٨
فقر الأنبياء	٦٢٨
الفقر مسألة اجتماعية	١١٢٤
الفقراء	٨٠١
الفقراء (قصيدة)	٨٤٨
الفقيد العزيز (قصيدة)	٧٩١
الفكر و «السلطة»	٢٨١
» »	٣٢٢
الفكر والفوضى	٦٠٠
فلسفة الضحك	١٤١
فن تيمور	٩٥٩
الفن الجليل في القرآن الحكيم	١٣١٣
الفنان ... «قصيدة»	٢١٨
فندق الدانوب «قصة»	١٩٤
الفنون الايرانية في العصر الاسلامي	٣٥٦
» » » » »	٣٨٥
» » » » »	٥٤٣
الفنون وضمائر الشعوب	٢١١
... فهذه نفسي	١٨٩
فوزية (قصيدة)	١٤٦٥
في اختلاط الجنسين	٢٦٢
» » »	٧٢٧
في الانسانية خير مادام فيها أمثال شتروس	٦٤٤
في تأبين الأستاذ فؤاد بليبل	٦٨٦
في تأبين محمد مسعود بك	٦٥٧
في تاريخ الأخلاق	٧١٥
في الخوارج	١٣٥٩
في ديوان إسماعيل صبري باشا	٥١
في الزواج	٨٢٩
في سوق الوراقين	٨٠
في الطريق إلى الوحدة العربية	١٢٨٤
في النقد	٢٠٧
» »	٢٩٢
» »	٣١٥
» »	٣٤٤
» »	٣٧٦
» »	٣٨٩
» »	٥٠٣
» »	٥٥٨
في (عين شمس)	٧٠٢
في النار (قصيدة)	٢٦١
في غزوة حنين	٨٣٩
في اللغة	٥٧٢
» »	٦٣١
» »	٩٦٤
» »	٩٩١
» »	١١٦٠
» »	١٢٢٠
في الليل! «قصيدة»	١١٨٩
في المجمع العلمي العربي بدمشق	١٥٢٦
في مدن الحضارات	١١٠٤
في معرض الآراء الحديثة	١٤٧٥
في مفرق الطريق	١٠٤٧
في مقالة الأستاذ السباعي بيومي	٣٣١
في ميزان الشعر	١٤٦٧
في وادي التيه (قصيدة)	١٢١٧
في وزارة الخارجية (قصة)	٩٦٧
(ق)	
القاضي الجنائي	٨٤٥
قالت لنا الفراشة (قصيدة)	٨٤٦
القاموس السياسي	١١٠٦
قبس من نور صاحب الهجرة	٢٦٢
قديس الوطنية المصرية	٩٤١
القرآن والملحدون	٥٥٢
» »	٥٧٩
قصائد الشعراء في تأبين سعد	١٠٥٦
» » » » »	١٠٨٣
القصر العيني	١٠٢١
قصص مسرحية للاطفال	١٠٥٠
قصيدة العقاد في «مي»	١٥٢٤
قصيدة كبلنج	٥٢
قصيدة مطران في «مي»	١٥٢٥
القيء ... «قصة»	٧٨٢
القيم الأخلاقية في الآداب الانجليزية المعاصرة	٩٢٥
قيمة الحرية	١٤٩١
» »	١٥١٦
» »	١٥٤٤
» »	١٥٧٣
(ك)	
كارثة «دمشق»	٩٥١
الكأس ... «قصيدة»	١٠٤٧
الكأس الأولى (قصيدة)	١٣٨٦
كبرياء! (قصيدة)	٩٦٠
كتاب «تشرشل»	١٩٢
كتاب الشعور بالعور	١٣٣١
كتاب «محمد فريد» لعبد الرحمن الرافعي بك	١١٩١
كتب جديدة	٥٦٨
كتيبة الاسلام	٢٥٦
كرد علي في بيت المقدس	١٣٠٢
«كلمات»	٧٦
»	١٢٩
كلمات صريحة في التربية والتعليم	١٣٠٧
كلمة حق	٣١٧
كليلة ودمنة	١٠٦٣
» »	١١٠٣
» »	١١١٧
» »	١١٧٦
» »	١٢٨٨
» »	١٣١١
» »	١٣٧١
كنت أهواك (قصيدة)	١١٣٣
كنز في فندق (قصة)	٨٣
كون رباعي الأبعاد	٧٩٥
كيف تفسر معجزات داود وسليمان عليهما السلام	١٥٨٠
كيف يرى الأستاذ المراغي الاصلاح ولا ينفذه	٧٤١
كيف يكتب التاريخ؟	١٠٠٠
» » »	١٠٣٠
» » »	١١٤٣
» » »	١٢٥٥
» » »	١٣٤٤
» » »	١٤٨٠

الموضوع	الصفحة
(ل)	
لابن المقفع لا للخليل	٩٠٩
» » » »	٩٣٦
لا تقل ... (قصيدة)	١٤٤١
لا تقولوا أين الكتاب وقولوا أين القادة ؟	١٤١٧
لامرتين ولودج يمتدحان النبي عليه أفضل السلام	٦٧
لحبيب أم لابن عبد ربه ؟	١١٩١
لست أومن بالانسان	١٢٥
اللعب وأثره في حياة الطفل	١٠٠٩
لفتة	١١٠٥
لقد نفذ الاستاذ الرافعي الاصلاح	٧٩٧
اللحن الجديد (قصيدة)	١٠٤٩
اللهجات العامية الحديثة	٦١٤
» » »	٦٧٠
» » »	٧٢٤
» » »	٨١٠
» » »	٨٦٧
» » »	٩٢٢
لو !	١٢٧٧
لوتكلم الفلاح (قصيدة)	٧١٠
« اللورد روبرت بادن باول » الكشاف الأعظم العالمي	٧٣
« اللورد روبرت بادن باول » الكشاف الأعظم العالمي	٩٩
اللوزينج	٧٩
ليالي الزورق (قصيدة)	١٣٨٦
ليالي النيل (قصيدة)	١٤٦٥
ليبيا وبرقة	٥٤٧
الليبيون	٦٧٤
ليس هذا هو الطريق إلى الاصلاح	٧٩٩
ليلة قراء	٦٨٤
(م)	
ما ألف من النساء	١٠١١
ما خلفته أثينا وروما	٦٣٣
ما رأيكم في هذا الجواب	١١٥٨
مازيا ... (قصة)	٣٠٦
ماكس أشترنر	١١١٦
المال	٧١٧
ما ليس يفهمه الطفل (قصة)	٣٩١
مأساة الفقهاء في عهد إسماعيل	٧٤١
المأموني الشاعر	٩٤٤
مؤتمر	٦٦٧
مؤتمر الأديان في لندن	١٤١٦

الموضوع	الصفحة
المؤتمر التعليمي العربي والأبحاث التمهيدية للدعوة إليه	١٤٩٩
المؤتمر العربي للتعليم	١٥٢٦
مؤلف كتاب سحر العيون	٧١٣
المباراة الاجتماعية لرابطة الشباب المصري	١٥٨١
المبالاة	٥٤٩
متحف وزارة المعارف	١٦٦
متى ينضج الأديب	٢٢
مثل الفتى الصالح	٦٨٩
مجالس الغوري (كتاب)	٦٣٢
مجد بغداد (قصيدة)	٣٥٥
المجرم رجل مريض	١١٧٩
مجلس التعليم الأعلى	١٥٧٩
المجمع العلمي العربي يبحث	٥٤٦
المجمع اللغوي والانتاج الأدبي	٣٦٠
» » » »	١٥٢٦
المجمع اللغوي والمعجم الوسيط	١٣٧
» » » »	١٦٤
المحتسب في الاسلام	١٣٥٨
محصول (الرسالة)	٨٧٦
محمد عبده بمناسبة ذكراه السادسة والثلاثين	٩١٣
محمد عبده ومحاولته إصلاح الأزهر	٥٣٤
محمد محمود باشا	١٦٩
» » » (قصيدة)	٣٥٤
محمد مسعود بك (قصيدة)	٦٢٧
محنة التعليم الالزامي	١٠١٥
» » »	١٢٤٨
محمود مصطفى « وفاته »	٦٢٩
(المختار) لعبد العزيز البشرى	٥٩
مختارات من مراثي الشعراء في المرحوم فؤاد بليبل (قصائد)	٦٨٤
مختارات من مراثي مسعود (قصائد)	٦٥٤
المدافع الثقيلة	٦٤٩
مدرسة	١٠٤٢
مدن الحضارات في القديم والحديث	٧٦٤
» » » » »	٨٤٣
» » » » »	٨٧٣
» » » » »	٩٣٠
» » » » »	٩٧٨
» » » » »	١١٤٧
مدينة بلا نساء (قصيدة)	٩٣٥
مدينة تدمر	٩٨٨
مذبح الحب (قصيدة)	١٣٢٩
مذهب الفرد ومذهب الجماعة	٦٨٧
مراجعات لغوية	٣٣١
مرارة اليتم	٩٥٤

الموضوع	الصفحة
مرض طبيب . . (قصيدة)	٣٣٤
مزامير للنفس العربية	٢٥٢
مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية	١٣٣٠
مسابقة القصة	٦٥٧
مسابقة مختار وفيس	٦٦٠
مسابقة وزارة المعارف لتشجيع التأليف في القصة المصرية	٦٠٠
مساجلات	٥٧١
مسألة الفقر	٦٦١
المسلمون (قرارى) الله في الأرض	١٩١
مشروعية الحرب في الاسلام	٢٤٨
مشكلة جديدة	١١٥٨
مصر بين القطن والقمح	١٤٤٣
مصر والعالم العربي	١٢٣٥
المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	١٠٤٢
» » » »	١٠٦٩
» » » »	١١٣٠
» » » »	١١٥٤
» » » »	١١٨٦
» » » »	١٢١٤
» » » »	١٢٤٢
» » » »	١٢٦٨
» » » »	١٢٩٧
» » » »	١٣٥٤
» » » »	١٣٨٣
» » » »	١٤١٠
» » » »	١٤٣٨
» » » »	١٤٦٢
» » » »	١٤٩٤
» » » »	١٥٢١
» » » »	١٥٤٦
» » » »	١٥٧٥
مصطلحات المجمع اللغوي	٩٩٢
مضى أمسى (قصيدة)	١٣٢٩
مطالعات في الكتب والحياة لعباس العقاد	٣٢
مظاهر النظام التجاري النازي	١٥٦٥
معرض محبي الفنون الجميلة	٦٦٠
معركة الأطلنطي	١١٥٠
معركة السياسة بين هتلر وبيتان	٢١٥
معضلة المضلات في مصر والشرق	٦٩٥
المغزل والريف ونفسى	١٣٩٦
مفتاح السر المجهول	٥٢١
مفترق الطريق (قصة)	١٠٢٢
مقالة الأستاذ السباعي بيومي	٣٨٨
مكافأة رلف ... (قصة)	١١١
مكتبة الحرم الشريف النبوي العامة	٧٩٩
(مكتوب على الجبين) وقصص أخرى	٥١٧
الملاح التائه	٦٥٧

الموضوع	الصفحة
مملكة الشمس	١٣٧٢
من اتجاهات علم النفس فى المسرحية	١٤٥٧
من أحاديث القهوة	١٠٢٥
« «	١٠٨١
« «	١٢٤٩
« «	١٣٠٥
من أخلاقنا	١١٩٨
«	١٢٩١
من آثام الربيع (قصيدة)	٥٦٤
من أدب آل عبد الرازق	٣٦١
من الأستاذ توحيد السلحدار	١٠٧٧
من أيام الصبا (قصة)	٢٤
من البكاء إلى الضحك	٨٠٧
من جديد	٧٨٠
«	١١٣٤
«	١١٥٩
من جراح الحرب (قصيدة)	١٠٧٥
من جوف الليل	٦٢٥
من حديث الثغر الحزين	٨٩٩
من حضارات الاسلام	٨٤٧
من سماحة الاسلام	٢٩٦
من سوء الترجمة أيضا	١٠٤٧
من الشعر المنسى لحافظ	٧١٤
من لواعج الذكرى (قصيدة)	١١٥٧
من ليالى كليوبترا (قصيدة)	٣٨٤
من مذكرات مطلقة	٦٨٠
من «ن» إلى «ه» (قصيدة)	١٣٠٠
من نوازى القلب ... «قصيدة»	٧٧
من وراء المنظار	١٦
« «	١٠٢
« «	١٣٣
« «	١٨٧
« «	٢١٧
« «	٣٠٢
« «	٥١٣
« «	٦٥٣
« «	٧٠٦
مناظرات كلية الآداب	٥٤٦
المنصور بن أبى عامر	٢٣٠
المهرجان الأدبى الثالث	١٠٨٠
مواسم الأدب	١٤٠٣
موريس ليبلان «وفاته»	١٤١٦
موسيقى تائهة ! (قصيدة)	٧٩٤
الموسيقى والغناء والحروب	١٥٥
«مى»	١٣٣٣
(مى) «وفاتها»	١٣٣٠
الميتة (قصة)	١٥٥٤

الموضوع	الصفحة
للبلاد الضائع (قصيدة)	٩٦٠
ميكروسكوب كهربائى يكبر ٢٥ ألف مرة	٥٢
ميلاد نبى (قصيدة)	٥١٤
(ن)	
ناحية من طاغور يجب أن نفهمها نحن	١٢٠٤
النحو فى الكلام كالملح فى الطعام	٩٠٩
« « « « «	٩٣٦
نداء الصخرة	٦٨٨
نداء المجهول	١٥٠٧
نساؤنا بين التقاليد والتجديد	٤٩٦
« « «	٥٢٣
نشيد الانتقام	١٢٠٠
نشيد اللغة العربية القومى	٣٣٠
نشيد للمغرب الباكى (قصيدة)	٧٠٣
نص خطير	١٥٢٨
نصوص من الضرائح المصرية القديمة	٧٧٠
نصيب السودان من جهاد الديمقراطية	٥١٦
نظرات بين المجلات	٩٣٧
نظرات فى الشعر	٥٩٥
نظرة ... !	١٤٤١
نظرة فى مقال	١٠٧٧
نظرة فى مناظرة	٥٦١
نظرة عامة فى شئون الصحافة	٣٦٧
نقمة المحارب	١٣٢٤
النفط	١٠٧٩
«	١١٩١
«	١٤٤٤
نقل الأديب	٢١٩
نهاية زعيم «قصيدة»	١٦٣
نهر النسيان «قصيدة»	١٠٣
نيابة بعض حروف الجر عن بعض	٧٩٢
« « « « «	٨٢٥
(هـ)	
هؤلاء الجنود المجهولون	١٠٤٦
هؤلاء الكتاب	١٤٣٧
هتاف من الماضى أو فى ظلال الأقصر	٩٨٧
هتلر واليهود	٧١٢
الهذيان ... «قصة»	٥١٨
هل الزمن بعد رايهم ؟	٧٦٧
هل انبعث الأزهر ؟	٥٧٧
هل لليهود فن ؟	٦١٨
هل نستفيد مما نقرأ ؟	١٠١٩
هل يكفى التراث الشرقى لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين ؟	٣٧٩

الموضوع	الصفحة
ما لابن عبد ربه	١٢٤٦
هناء	١٤٩٨
هنأ وهناء	١٤٦٦
«هنرى برجسون» وفاته	٧٨
هو عيد ميلاد ولكن أى ميلاد	٣
هو النبى المنتظر	٢٧٦
(و)	
واشقيقاه ! ! (قصيدة)	٧٣٣
والد الملوك	٩٩١
والد الملوك الأيوبيين أيضا	١٠٧٩
الواو التى حيرت النحويين	١٠٧٩
وأد البنات عند العرب فى الجاهلية	٢٦٤
« « « « « «	٣٨٩
« « « « « «	٥٣٩
« « « « « «	٦٠١
وأمنيتى ... !	١٥٠١
وتقديم الساعة مرة أخرى	٦٠٥
الوحدة العربية	٢١٩
الوحدة العربية ووحدة اللغة	٩٥٦
وداع الشعر ... (قصيدة)	١٣٥
الوردة الذابلة ... (قصيدة)	١٣٠٠
الوصول	٤٨
الوضع الصحيح للاصلاح الاجتماعى فى مصر	٨٧٥
الوضع الصحيح للاصلاح الاجتماعى فى مصر	١٢١١
الوضع الاجتماعى للمرأة فى الاسلام	١٥٣٥
« « « « «	١٥٧٠
الوعاظ والخطباء	١٢٥٨
وقفة على دار (قصيدة)	١١٥٧
ويلات السلم	٦٨
(ى)	
يا قبره !	٩٦١
يا قمر ... !	٧١
يبغى ربا	٢٧٩
يكفى التراث الشرقى لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين	٥٠٦
يوم الفقير	٣٦٥
يوم «مى»	١٤٩٦
يومان من أيام الرسول	٢٢٥

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)